مُعجم الأُدباء

إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب

تأليف

ياقوت الحموي الرّومي

تحقيق

الدكتور إحسان عباس

الجزء الأوّل

دار الغرب الإسلامي

الطبعة الأولى

1993

دار الغرب الإسلامي
ص.ب : 113/5787
بيروت - لبنان

معجم الأدباء

1

بسم الله الرحمن الرحيم

وبه الإعانة

مقدمة المؤلف

الحمدُ للّٰه ذي القدرةِ القاهرة ، والآياتِ الباهـرة ، والآلاءِ الظاهـرة ، والنِّعَمِ المتظاهرة ، حمداً يُؤْذِنُ بمزيد نِعَمِه ، ويكونُ حصناً مانعاً من نقمه ، وصلّى الله على خيرِ الأولين والآخرين من النبيين والصدّيقين ، محمد النبي ، والرسولِ الأمّي ، ذي الشرف العليّ ، والخُلُقِ السنيّ ، والكرم المرضيّ ، وعلى آله الكرام ، وأتباعه سُرُجِ الظلام ، وَشَرَّفَ وعظم وبجَّلَ وكرم .

وبعد فما زلتُ منذ غُذِيتُ بغرام الأدب ، وأُلهمتُ حُبَّ العلم والطلب ، مشغوفاً بأخبار العلماء ، متطلعاً إلى أنباءِ الأدباء ، أُسائـلُ عن أحوالهم ، وأبحثُ عن نُكَتِ أقوالهم بَحْثَ المغرم الصبّ ، والمحبّ عن الحِبّ ، وأطوفُ على مصنَّفٍ فيهم يشفي الغليل، ويداوي لوعة العليل، فما وجدتُ في ذلك تصنيفاً شافياً، ولا تأليفاً كافياً؛ مع أنَّ جماعةً من العلماء، والأئمة القدماء[1]، أعطوا ذلك نصيباً من عنايتهم وافراً، فلم يكن عن صُبْحِ الكفايةِ سافراً ، كأبي بكر محمد بن عبد الملك التاريخيّ[2] ، وأرى أنه أولُ من أعارهم طرفه ، وسوَّد في تبييض أخبارهم صحفه ، لأنه قال في مقدمة كتابه : « وقد اجتهد أبو العباس محمد بن مبرد الأزدي وأبو العباس أحمد بن يحيى

(1) زاد في طبعة دار المأمون : أصحاب كتب التراجم .

(2) محمد بن عبد الملك السراج التاريخي النحوي ، أخذ عن المبرد وثعلب ، وكان فاضلاً متقناً حسن الأخبار ، وله كتاب تاريخ النحويين (تاريخ بغداد 2 : 348 والوافي 5 : 45 ـ 46). ترجم له ياقوت ، ولكن سقطت ترجمته .

الشيباني في مثل ما أودعناه كتابنا من أخبار النحويين فما وقعا ولا طارا » ، هذا مع أن كتابه صغيرُ الحجم قليلُ التراجم محشوٌّ بالنوادر التي رَوَوْها ، لا يختصُّ بأخبارهم أنفسهم .

ثم ألف بَعْدَه في هذا الأسلوبِ أبو محمد عبد الله بن جعفر بن درستويه كتاباً فلم يقعْ إلينا إلا أننا نظنه كذلك .

ثم صنَّف فيه أبو عبيد اللّه محمد بن عمران المرزباني كتاباً حفيلاً كبيراً[1] على عادته في تصانيفه ، إلا أنه حشاه بما رَوَوْهُ وملأه بما وَعَوْهُ ، فينبغي أن يُسَمَّى مُسْنَدَ النحويين . وقد وقفت على هذا الكتاب وهو تسعة عشر مجلداً ، ونقلتُ فوائده إلى هذا الكتاب مع أنه أيضاً قليل التراجم بالنسبة إلى كبر حجمه .

ثم ألف فيه أبو سعيد الحسن بن عبد اللّه بن المرزبان السيرافي القاضي كتاباً صغيراً في نحاة البصرة[2] نقلنا أيضاً فوائده إلى هذا الكتاب .

ثم جمع في ذلك أبو بكر محمد بن حسن الاشبيلي الزبيدي كتاباً[3] لم يُقَصِّرْ فيه ، وهو أكثر هذه الكتب فوائد ، وأكثرها تراجم وفرائد ، وقد نقلنا فوائده أيضاً إلى هذا الكتاب .

ثم ألف فيه القاضي أبو المحاسن المفضل بن محمد بن مسعر المعري كتاباً لطيفاً[4] نقلنا فوائده .

ثم ألف فيه علي بن فضال المجاشعي[5] كتاباً وسماه « شجرة الذهب في أخبار أهل الأدب » وقع إليّ منه شيءٌ فوجدته كثيرَ التراجم إلا أنه قليلُ الفائدةِ لكونه لا يعتني

---

(1) هو كتاب المقتبس ، ولم يصلنا إلا في صورة موجزة باسم نور القبس ، حققه رودلف زلهايم ، فيسبادن 1964 .

(2) نشر بعنوان أخبار النحويين البصريين بتحقيق طه محمد الزيني وعبد المنعم خفاجي ، القاهرة 1955 .

(3) طبقات النحويين واللغويين تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، القاهرة 1973 (الطبعة الثانية وهي أكثر دقة من الأولى) .

(4) تاريخ العلماء النحويين من البصريين والكوفيين وغيرهم ، تحقيق الدكتور عبد الفتاح محمد الحلو ، المملكة العربية السعودية 1981 .

(5) علي بن فضال المجاشعي : قيرواني الأصل هاجر موطنه وجال في الأرض ثم خدم نظام الملك بالعراق ، وتوفي سنة 479 وسيترجم له ياقوت .

بالأخبار ولا يعبأ بالوفيات والأعمار .

ثم ألف فيه الكمال عبد الرحمن بن محمد بن الأنباري كتاباً سماه « نزهة الألباء في أخبار الأدباء »[1] نقلنا فوائده أيضاً .

وكنت مع ذلك أقولُ للنفس مماطلاً ، وللهمة معاضلاً ، ربَّ غيثٍ غبَّ البارقة ، ومغيثٍ تحت الخافقة[2] ، إلى أن هزم اليأسَ الطمع ، واستولى الجِدُّ على اللعب والولع ، وعلمتُ أنه طريق لم يُسْلَكْ ، ونفيسٌ لم يُمْلَكْ ، فاستخرتُ اللّه الكريم ، واستنجدتُ بحوله العظيم ، وجمعتُ[3] في هذا الكتاب ما وقع إليَّ من أخبار **النحويين** ، **واللغويين** ، **والنسابين** ، **والقراء المشهورين** ، **والأخباريين** ، **والمؤرخين** ، **والوراقين المعروفين** ، **والكتاب المشهورين** ، **وأصحاب الرسائل المدوّنة** ، **وأرباب الخطوط المنسوبة والمعينة** ، **وكل من صنّف في الأدب تصنيفاً** ، أو جمع في فنه تأليفاً ، مع إيثار الاختصار ، والإعجاز في نهاية الإيجاز . ولم آل جهداً في إثبات الوفيات ، وتبيين المواليد والأوقات ، وذكر تصانيفهم ، ومستحسن أخبارهم ، والإخبار بأنسابهم وشيءٍ من أشعارهم .

فأما من لقيته أو لقيتُ من لقيه فأوردُ[4] لك من أخباره وحقائقِ أموره ما لا أتركُ لكَ بعده تشوفاً إلى شيء[5] من خَبَره ، وأما من تقدَّم زمانه ، وبَعُدَ أوانه ، فأورد[6] من خبره ما أدَّتِ الاستطاعةُ إليه ، ووقفني النقلُ عليه ، في ترددي إلى البلاد ، ومخالطتي للعباد . وحذفتُ الأسانيدَ إلا ما قلَّ رجاله ، وَقَرُبَ مناله ، مع الاستطاعة لإثباتها سماعاً وإجازةً ، إلا أنني قصدتُ صغر الحجم وكبر[7] النفع ، وأثبتُّ مواضعَ نقلي ومواطنَ أخذي من كتب العلماء المعوَّل في هذا الشأن عليهم ، والمرجوع في صحة النقلِ إليهم .

(1) طبع غير مرة ، ونعتمد هنا على طبعة عراقية بتحقيق الدكتور إبراهيم السامرائي 1955 .
(2) الخافقة صفة للراية .
(3) انظر تاريخ اربل : 320 ـ 322 .
(4) ر : فأورد .
(5) ر : أترك لنفسك بعده أن تشوف لشيء .
(6) ر : فإني أورد .
(7) ر : وكثر .

وكنت قد شرعتُ عند شروعي في هذا الكتاب ، أو قبله ، في جَمْعِ كتاب في « أخبار الشعراء » المتأخرين والقدماء . ونسجتها على هذا المنوال ، وسبكتها على هذا المثالِ في الترتيب ، والوضع والتبويب ، فرأيت أكثر أهل العلم المتأدبين ، والكبراء المتصدرين ، لا تخلو قرائحهم من نظم شعر ، وسبك نثر ، فأودعت ذلك الكتابَ كلَّ من غلب عليه الشعرُ فدُوِّنَ ديوانه ، وشاع بذلك ذكره وشانه ، ولم يشتهر برواية الكتب وتأليفها ، والآداب وتصنيفها . وأما[1] من عُرِفَ بالتصنيف ، واشتهر بالتأليف ، وصحَّتْ روايته ، وشاعتْ درايته ، وقلَّ شعره ، وكثر نثره ، فهذا الكتابُ عُشّه وَوَكْرُهُ ، وفيه يكون ثناؤه وذكره ، واجتزىء به عن التكرار هناك ، إلا النفر اليسير الذين دَعَتِ الضرورةُ إليهم ، ودلَّتْ[2] عنايتهم بالصناعتين عليهم . ففي هذين الكتابين أكثرُ أخبار الأدباء ، من العلماء والشعراء . وقصدت بترك التكرار ، خفَّة محملهِ في الأسفار ، وحيازة ما أهواه من هذا النشوار .

وجعلت ترتيبه على حروف المعجم : أذكر أوّلاً من أوّل اسمه ألف ، ثم من أول اسمه باء ثم تاء ثم ثاء إلى آخر الحروف ، وألتزم ذلك في أول حرفٍ من الاسم وثانيه وثالثه ورابعه ، فأبدأ بذكر من اسمه آدم ، ألا ترى أن أوّل اسمه همزة ثم ألف ، ثم من اسمه إبراهيم لأن أول اسمه ألف وبعد الألف باء ، ثم كذلك إلى آخر الحروف ، وألتزمُ ذلك في الآباء أيضاً فاعتبرْهُ ، فإنك إذا أردت الاسم تجد له موضعاً واحداً لا يتقدم عليه[3] ولا يتأخر عنه اللهم إلا أن تتفق أسماءُ عدةِ رجالٍ وأسماءُ آبائهم فإن ذلك مما لا حَصْرَ فيه إلا بالوفاة ، فإني أُقَدِّمُ من تقدَّمت وفاته على من تأخَّرت .

وأفردت في آخر كلِّ حرف فصلاً أذكر فيه من اشتهر بلقبه أو نسبه أو كنيته وخفي عن أكثر الناس اسمه فأذكر من لقبه[4] على ذلك الحرف ، من غير أن أُورد شيئاً من أخباره فيه ، إنما أدلُّ على اسمه واسم أبيه لتطلبه[5] في موضعه .

ولم أقْصِدْ أدباء قطر ، ولا علماءَ عصر ، ولا إقليمٍ معيَّن ، ولا بلدٍ مبيَّن ، بل

---

(1) ر : فأما .
(2) م ر : ودلنا .
(3) ر : يتقدم عنه .
(4) أو نسبه . . . من لقبه : سقط من م .
(5) ر : ليطلبه .

جمعت البصريين والكوفيين والبغداديين والخراسانيين والحجازيين واليمنيين والمصريين والشاميين والمغربيين وغيرهم على اختلاف البلدان ، وتفاوت الأزمان ، حسب ما اقتضاه الترتيب ، وحكم بوضعه التبويب ، لا على قَدْرِ أقدارهم في القُدْمَةِ والعلم ، والتأخرِ والفهم .

وابتدأته بفصلٍ يتضمن أخبارَ قومٍ من متخلّفي النحويين والمتقعرين المجهولين .

وإني لجدُّ عالمٍ ببغيضٍ يندِّدُ ويزري عليّ ، وَيُقْبِلُ بوجهِ اللائمة إليّ ، ممن قد أُشْرِبَ الجهلَ قلبُهُ ، واستعصى على كَرَمِ السجيّة لُبّه ، يزعم أن الاشتغال بأمرِ الدين أهم ، ونفعه في الدنيا والآخرة أعم[1] ؛ أما عَلِمَ أن النفوسَ مختلفةُ الطبائع ، متلونة النزائع ؟ ولو اشتغل الناسُ كلُّهم بنوعٍ من العلم واحدٍ لضاع باقيه ، ودرس الذي يليه . وإن الله جل وعز جعل لكلّ علمٍ من يحفظ جملته ، وينظم جوهرته ، والمرء مُيَسَّرٌ لما خُلِق له . ولستُ أنكر أني لو لزمتُ مسجدي ومصلاّيَ ، واشتغلت بما يعود بعاقبة دنياي في أخراي [لكان] أولى ، وبطريقِ السلامة في الآخرة أحرى ، ولكنَّ طلبَ الأفضلِ مفقود ، واعتماد الأحرى غير موجود . وحسبك بالمرء فضلاً أن لا يأتي محظوراً ، ولا يسلك طريقاً مخظوراً[2] .

[وقال السري الرفاء :

كُنْ للعلوم مُصَنِّفاً أو جامعاً　　يبقى لك الذكرُ الجميلُ مخلدا
كم من أديبٍ ذكرُهُ بين الورى　　غضٌّ وقد أودى به ذكر الردى
وأرى الأديبَ يهابُهُ أعداؤه　　وتعُدُّهُ الساداتُ فيهم سيدا
يُنسى الأواخرُ والأوائل كلهم　　إلا أخا العلم الذي حاز المدى

وقال بعض الأدباء :

أرى العلماءَ أطولَنَا حياةً　　وإن أَضْحَوْا رفاتاً في القبورِ

---

(1) ر : أتمّ .
(2) مخظوراً : سقطت من م .

أنــاسٌ غُـيِّبــوا وهــمُ شـهــودٌ ... بمـا ابتـدعـوه من علمٍ خـطيــر
كــأنهم حضــورٌ حيـن تجــري ... محـاسنُ ذكـرهم عنـد الحضـور
لئـن مُلِئَـتْ قبــورهــمُ ظــلامــاً ... فـإن ضياءَهمْ مـلءُ الصدور][1]

وبعد فهذه أخبارُ قوم أُخِذَ عنهم علم القرآن المجيد ، والحديثُ المفيد [وهم أنهجـوا طريقَ العـربية ، وأنـاروا سُـرُجَـهُ المضِيَّـة][1] وبصنـاعتهم تُنـالُ الإمـارة ، وببضاعتهم يستقيم أمرُ السلطانِ والوزارة ، وبعلمهم يتمُّ الإسلام ، وباستنباطهم يُعْرَفُ الحلالُ من الحرام . ألا ترى أنَّ القارىء إذا قرأ إن اللّه بريء من المشركين ورسولُهُ ـ بالرفع ـ فقد سَلَكَ طريقاً من الصواب واضحاً ، وركبَ منهجاً من الفضل لائحاً ، فإن كسر اللام من « رسوله » كان كفراً بحتاً[2] ، وجهلاً قُحّاً ؟ وقد رُويَ أن أبا عمرو بن العلاء كان يقول : لَعِلْمُ العربيةِ هو الدينُ بعينه ، فبلغ ذلك عبد اللّه بن المبارك فقال : صدق لأني رأيتُ النصارى قد عبدوا المسيح لجهلهم بذلك ، قال الله تعـالى : أنا ولّدتك من مريم وأنت نبيي ، فحسبوه يقول : أنا ولدتك وأنت بُني . فبتخفيف اللام وتقديم الباء وتعويض الضمة بالفتحة كفروا .

وحسبك من شَرَفِ هذا العلم أنّ كلَّ علم على الإطلاق مفتقرٌ إلى معـرفته ، محتاجٌ إلى استعماله في محاورته ، وصاحبه فغيرُ مفتقرٍ إلى غيره ، وغيرُ محتاجٍ إلى الاعتضاد والاعتماد على سواه ، فإن العلم إنما هو باللسان ، فإذا كان اللسـان معوجّاً متى يستقيم ما هو به ؟ وإن أردتَ إقامةَ الدليل على شأن أهلِ هذا الشان ، وإيضاح فضلهم بالدلائل والبرهان ، كنت كمن تكلَّف دليلًا على ضياءِ النهار ، وإشراق الشمس وإحراق النار ، فإن ذلك لا يخفى على الصامتِ من الحيوان فكيف الناطق ، وعلى كل كَهٍّ فهٍّ[3] فكيف الحاذق .

فقد جمعت من أخبار هذه الطائفة بين حِكَمٍ وأمثال وأخبار وأشعار ونثر وآثار ، وهزلٍ وجِدّ ، وخلاعةٍ وزهد ، ومبكٍ ومضحك ، وموعظة ونسك :

---

(1) ما بين معقفين زيادة من ر .
(2) ر : محضا .
(3) ر : فهّ كهّ : والفه : العيي ؛ وأما الكه فلعله مذكر « كهة » بمعنى الثقيل الضخم .

من كلِّ معنىً يكادُ الميتُ يفهمه حُسْناً ويعبدُهُ القرطاسُ والقلمُ

فهو لا يَنْفُقُ إلا على من جُبِلَ على العلم طبعه ، وعُمِرَ بحبِّ الفضل رَبْعُهُ ، فظلَّ للآداب خديناً ، ولصحة العقل قريناً ، قد عُجِنَتْ بالظرافة طينته ، وَسُيِّرَتْ باللطافة سيرته . وأما أهلُ الجهلِ [1] والغي ، والفهاهة والعِيِّ ، فليس ذا عُشَّك فادرجي [2] . ولا مبيتك فأدلجي . فَلْيُعْفِنِي المفنِّد البغيض ، وَلْيُعْرِضْ عن التعريض .

على أنني مُعْتَرِفٌ بقول [3] يحيى بن خالد : لا يزالُ الرجلُ في فسحةٍ من عقله ما لم يقلْ شعراً أو يصنِّفْ كتاباً . وقد كتب جعفر بن يحيى إلى بعض عماله ، وقد وقف على سهوٍ في كتابٍ ورد منه : « اتخذ كاتباً متصفحاً [4] لكتبك ، فإن المؤلف للكتاب [5] تنازعه أمورٌ وتعتوره صروفٌ [6] تشغل قلبه وَتُشَعِّبُ فِكْرَه ، من كلام يُنَسِّقُهُ ، وتأليف يُنَظِّمه ، ومعنىً يتعلَّقُ به يشرحه ، وحجةٍ يوضحها . والمتصفِّح للكتاب أبصرُ بمواضعِ الخلل من مبتدي تأليفه » . وأنا فقد اعترفتُ بقصوري فيما اعتمدتُ عن الغاية ، وتقصيري عن الانتهاء إلى النهاية ، فأسألُ الناظرَ فيه أن لا يعتمدَ العَنَتَ ولا يقصدَ قَصْدَ من إذا رأى حسناً ستره ، وعيباً أظهره . وليتأمَّلْهُ بعين الإنصافِ لا الانحراف ، فمن طلب عيباً وجدَّ وَجَد ، ومن افتقد زَلَلَ أخيه بعين الرضى فقد فقد . فرحم اللّه امرءاً قهر هواه ، وأطاع الانصافَ ونواه ، وعَذَرنا في خطأ إن كان منا ، وزللٍ إنْ صَدَر عنّا ، فالكمالُ محالٌ لغير ذي الجلال ، فالمرءُ غير معصوم ، والنسيانُ في الإنسان غير معدوم . وإن عجز عن الاعتذار عنا والتصويب ، فقد علم أن كلَّ مجتهدٍ مصيب ، فانّا وإن أخطأنا في مواضع يسيرة ، فقد أصبنا في مواطن كثيرة . فما علمنا

(1) ر : الجهالة .

(2) في المثل : ليس بعشك فادرجي ، أي ليس هذا مما ينبغي لك فَزُلْ عنه ، جمهرة العسكري 2 : 197 وفصل المقال : 403 .

(3) ر : بفضل قول .

(4) م : منصفاً .

(5) للكتاب : سقطت من م .

(6) م : خروق .

فيمن تَقَدَّمنا من العلماء[1] وأمنا من الأئمة القدماء أحداً[2] إلا وقد نُظِمَ في سِلْكِ أهلِ الزلل ، وأُخِذَ عليه شيءٌ من الخطل ، وهمُ هُم ، فكيف بنا مع قصورنا واقتصارنا وَصَرْف جُلِّ زماننا في نهمة الدنيا وطلب المعاش[3] ، وتنميق[4] الرياش ، الذي مرادنا منه[5] صيانةُ العرض ، وبقاءُ ماءِ الوجه لدى العرض .

وإنما تصديت[6] لجمع هذا الكتاب لفرطِ الشَّغَفِ والغرام ، والوجد بما حوى والهيام ، لا لسلطانٍ أجتديه ، ولا لصدرٍ أرتجيه . غير أني أرغبُ إلى الناظر فيه أن يترحَّمَ عليَّ ، ويعطفَ جِيدَ دعائِهِ إليّ ، فذلك ما لا كُلْفَةَ فيه عليه ، ولا ضرر يرجع به إليه ، فربما انتفعتُ بدعوته ، وفزتُ بما قد أَمِنَ هو من معرَّته .

ومع ما تقدَّم من اعتذارنا ، ومرَّ من تنصُّلنا واستغفارنا ، فقد رآني جماعةٌ من أهل العصر وقد نظمتُ لآلىءَ هذا الكتاب ، وأبرزتُهُ في أبهى من الحليِّ على ترائبِ الكَعَاب ، فاستحسنوه والتمسوه لينسخوه ، فوجدتُ في نفسي شُحّاً عليهم ، وبخلاً بعطفِ جيدِهِ إليهم ، لأنه مني بمنزلة الروح من جسد الجبان ، والسوداوين من العينِ والجَنَان ، مع كوني غير راضٍ لنفسي بذلك المنع ، ولا حامدٍ لها على ذلك الصنع ، لكنها طبيعةٌ عليها جُبِلْتُ ، وسجيَّةٌ إليها جُبِرْتُ ، حتى قلتُ فيه مع اعترافي بقلة بضاعتي في الشعر ، وعلمي بركاكة نظمي والنثر[7] :

فكم قد حوى من فصلِ قولٍ محبَّرٍ ومن نثرِ مصقاعٍ ومن نظم ذي فَهْمِ
ومن خَبَرٍ حلوٍ طريفٍ جمعتُهُ على قِدَمِ الأيام للعرب والعجمِ
يرنِّحُ أعطافي إذا ما قرأته كما رَنَّحَتْ شُرَّابها إبنةُ الكرمِ
ولو أنني أنصفتُهُ في محبَّتي لجلَّدْتُهُ جِلْدي وصندقتُهُ عظمي

(1) من العلماء : سقطت من م .
(2) أحداً : سقطت من م .
(3) ر : في النهمة الدنيا وطل المعاش .
(4) م : وتنمو .
(5) ر : مرادنا به .
(6) م : تصاديت .
(7) وردت الأبيات في تاريخ اربل : 321 .

عــزيــزٌ على فضلي بــأنْ لا أُطيـعَـهُ ... علـى بـذلِـهِ للطائـفيـن على الـعـلم
ولــو أنني أَسْــطيــعُ من فَــرْطِ حُبِّـه ... لمــا زال من كفّي ولا غـابَ عن كمي

وقد قرأت بخط أبي سعد السمعاني لأبي عبد الله محمد بن سلامة المقرىء[1] في هذا النشوار :

إنـي لمــا أنــا فيــه من منــافستي ... فيمــا شُغِفْـتُ بــه من هــذه الـكتـبِ
لقــد علمتُ بــأن المــوتَ يــدركـني ... من قبــلِ أن ينقضي من حُبِّهــا أَرَبي

[ولله درُّ القائل][2] :

ومجـمــوعــةٍ فيـهــا عـلومٌ كـثيــرةٌ ... تَقَــرُّ بمــا فيهــا عيــونُ الأفــاضــلِ
ألــذُّ مـن الـنُّـعْمَـى وأَحْلَى مـن المنى ... وأحسنُ من وجــه الحبيبِ المـواصــل
حكتْ روضــةً حاكتْ يـدُ القطر وشيَهـا ... ومسَّــكَ ريَّــاهــا نسيمُ الأَصــائــل
أطــالـعهــا فـي كــلِّ وقتٍ فــأجـتلي ... عقــائـلَ يُغْلي مَهْــرَهـا كــلُّ عــاقــل
وأمـنعـهــا الجـهــالَ فـهـي حـبـيـبـةٌ ... «جرى حُبُّها مجرى دمي في مفاصلي»

(تضمين نصفِ بيتٍ للمتنبي) .

وأعلم[3] أنني لو أُعطيتُ حُمْرَ النَّعَم وَسُودَها ، ومقانبَ[4] الملوك وبنودها ، لما سرَّني أن يُنْسَبَ هذا الكتابُ إلى سواي ، وأنْ يفوزَ بقَصَبِ سَبْقِهِ إلاّي ، لما قاسيتُ في تحصيله من المشقة ، وطويتُ في تكميله من طول الشُّقَّة ، فإنني علم اللّه لم أقفْ على بابِ أحدٍ من العالم أجتديه ، ولا أُحصي عددَ ما وقفتُ على الأبواب للفوائد فيه ، فلا غرو أن أمنعه من ملتمسيه ، وأُحْجُبَهُ من الراغبين فيه . على أنّي ما زلتُ أعاتبُ نفسي على هذا الصنيع ، وأعدُّه من الأمر الفظيع والخلق الشنيع ، إلى أن وقفت على الكتاب الذي ألفه محمد بن عبد الملك التاريخي في أخبار النحويين ، وقد قال في

(1) هو ـ فيما استظهره ـ محمد بن سلامة بن جعفر بن علي أبو عبد اللّه القضاعي الشافعي قاضي مصر ، مصنف كتاب الشهاب ، انظر ترجمته في الوافي 3 : 116 وابن خلكان 3 : 349 وعبر الذهبي 3 : 233 وطبقات الشافعية للسبكي 4 : 150 (وفي حاشيته ذكر لمصادر أخرى) والبيتان في تاريخ اربل : 321 .
(2) زيادة تقديرية ، وفي الأصل بياض .
(3) من هنا حتى نهاية هذه المقدمة تختلف ر عن م بالتقديم والتأخير .
(4) المقانب : جمع مقنب وهو جماعة الخيل .

ديباجته[1] : « ولم أَقْصِدْ بهذا الكتاب لهواً ولا لعباً ، ولا سَمَحَتْ نفسي ببذله ، ولا طابَتْ ببثه وإخراجه إلى غير أبي الحسين محمد بن عبد الرحمن الروذباري الكاتب[2] ـ أطال اللّه بقاءه ـ فإنه لي كما قال معاوية بن قُرَّةَ في ابنه إياس بن معاوية ، وقد قيل له[3] : كيف ابنك ؟ فقال : خيرُ ابنٍ كفاني أمرَ الدنيا وفرَّغني لأمرِ الآخرة » . ثم قال : « وما أُحصي عَدَدَ من انقطع بيننا وبينه من الإخوان في رَدّنا إياه عن هذا الكتاب » . فحينئذ خَفَّفْتُ عن نفسي اللوم ، إذ كان التأسِّي من أخلاق القوم ، وعلمتُ أنّ النفوسَ بخيلةٌ بالنفائس ، شحيحةٌ بابراز العرائس . هذا وإنما يشتمل كتابه على ثلاثٍ وعشرين ترجمة نقلت زبدها إلى هذا الكتاب ، فَلِمَ أُلامُ إذا أخفيتُهُ عن طالبيه ، وحجبته[4] عن خاطبيه ؟ وقد أقسمتُ أن لا أسمحَ باعارته ما دام في مُسَوَّدته لئلا يلحَّ طالبٌ بالتماسه ، ولا يكلّفني إبـرازَهُ من كناسـه ، فحملهم منعي على احتذائـه ، وتصنيفِ شرواه في استوائه ، وما أظنُّهم يشقّون غباره ، ولا يحسنون ترتيبه وأسـطاره ، وان وقفتَ لنظرِ الجميع ، ستعرف الظالعَ من الضليع . فإذا هَذَّبتُهُ ونقَّحْتُهُ وبَيَّضْتُهُ ، فتمتعْ به فإنه كتابٌ أسهرتُ لك فيه طَرْفي ، وأنضيتُ في تحصيله طُرَفي وطِرفي . وقد حَصَّلْتَهُ عفـواً ، وملكته صفواً ، فاجعل جائزتي دعاءً يزكو غَرْسُهُ عند ذي العرش ، واحمدني في بَسْطِهِ والَفرْشِ ، واذكرني في صالح دعائك : وربَّ دعوةٍ صادفتْ إجابة ، ورميةٍ حصَّلَتْ إصابة .

ولو أنصف أهلُ الأدب ، لاستغنوا به عن المأكل والمشرب ؛ ولكنّني أخافُ أن يأتيه النقصُ من جهة زيادةِ فضله ، وأن يقعدَ بقيام جَدّه عِظمُ خطرِهِ ونبله . وأستشعرُ له أمرين منبعهما من قلَّةِ الإنصاف ، واجتنابِ الحقِّ والانحراف : أحدهما أن يقال هل هو إلا تصنيفُ روميٍ مملوك ، وما عسى أن يأتيَ به وليس في أبناء جنسه له نظير ، وما كان في أمته رجلٌ خطير ، لاستيلاءِ[5] التقليد على العالم والبليد ، فهم لا ينظرون ما

---

(1) ر : وقد ذكر في ديباجته فقال .

(2) هو صاحب الفضل بن جعفر بن حنزابة وولي كتابة مصر قبله (الوافي 4 : 46) .

(3) انظر تهذيب ابن عساكر 3 : 179 .

(4) ر : وسترته .

(5) ر : لشمول .

قيل ، إنما يسألون عمن قال ، ونعم العونُ للعالم القؤول ، حُسْنُ الاعتقاد والقبول . والأمر الآخر قصورُ الهمم ، الغالبُ على أكثر الأمم ، إذ كلٌّ همُّهُ تحصيلُ المأكولِ والملبوس ، ولا تسمو همته[1] إلى تشريف النفوس .

واعلم حباك اللّه بحسنِ رعايته ، وأمدَّكَ بفضل هدايته ، أنّ هذا الفن من العلم ليس من بابة من يطلبُ العلم للمعاش ، أو ليحصّلَ الزينة والرياش، ولا من رغبات من ينظر فيه وقلبه يجول في طلب المحصول فهو يسأل عما ينفق[2]. ولا هو مما يَنْفُقُ في المدارس ، أو يُناظَرُ به في المجالس ، إنما هو علمُ الملوك[3] والوزراء ، والجلة من الناس والكبراء ، يجعلونه ربيعاً لقلوبهم ، ونزهةً لنفوسهم ، ترتاح إليه أرواحهم ، وتشتمل عليه أفراحهم ، فهو ربيعُ النفوسِ النفيسة ، ورأس مالِ العلوم الرئيسة .

وقد سمَّيتُ هذا الكتابَ **إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب**[4] ، ومن اللّه أستمد المعونة ، وإياه أسألُ التوفيق لما يرضيه ، والهداية إلى ما يحبه ويزلف إليه ، إنه جواد كريم ، رؤوف رحيم .

---

(1) ر : همتهم .
(2) في م : والرياش ولا هو مما ينفق .
(3) ر : إنما هذا للملوك .
(4) غير ذلك من بعد وسماه : إرشاد الألباء إلى معرفة الأدباء (تاريخ اربل : 322) .

الفصل الأول
(في فضل الأدب وأهله وذمّ الجهل وحمله)

قال علي بن أبي طالب رضي اللّه عنه[1] : كفى بالعلم شرفاً أنه يدَّعيه من لا يحسنه ، ويفرح إذا نُسِبَ إليه من ليس من أهله ، وكفى بالجهل خمولاً أنه يتبرأ منه من هو فيه ويغضبُ إذا نُسِبَ إليه ، فنظم بعضُ المحدثين ذلك فقال :

كفى شرفاً للعلم دَعْوَاهُ جاهلٌ ... ويفرحُ أن يُدْعَى إليه وينسبُ
ويكفي خمولاً بالجهالة أنني ... أُراع متى أُنْسَبْ إليها وأغضبُ

وقال رضي اللّه عنه : قيمة كل إنسان[2] ما يحسن ، فنظمه شاعرٌ وقال[3] :

لا يكونُ الفصيحُ مثلَ العيّ ... لا ولا ذو الذكاءِ مثلَ الغبيّ
قيمةُ المرءِ قَدْرُ ما يحسنُ المر ... ءُ قضاءٌ من الإمامِ عليٍّ

وقال كرم اللّه وجهه[4] : كلُّ شيءٍ يعزُّ إذا نزر ما خلا العلم فإنه يعز إذا غزر . ومرَّ[5] عمر بن الخطاب رضي اللّه عنه على قوم يسيئون الرمي فقرَّعهم فقالوا: إنا قوم

(1) المحاسن والمساوىء : 399 وورد هنالك البيت الثاني المتصل بالخبر .
(2) ر : امرىء .
(3) قول علي ومعه البيتان في أدب الدنيا والدين : 42 وورد البيتان منسوبين للخليل في قطعة طويلة في بهجة المجالس 1 : 65 وهما في جامع بيان العلم : 162 وكلمة عليّ في البيان والتبيين 1 : 83 ، 2 : 77 والتذكرة الحمدونية 1 : 241 وربيع الأبرار 3 : 192 . وسترد الأبيات في ترجمة الخليل .
(4) ورد القول دون نسبة في محاضرات الراغب 1 : 51 .
(5) الخبر في محاضرات الراغب 1 : 67 (عن عثمان) .

متعلمين ، فأعرض مغضباً وقال : والله لخطأكم في لسانكم أشدُّ عليَّ من خطأكم في رميكم ، سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول : « رحم اللّه امرءاً أصلحَ من لسانه » .

وروي أن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي اللّه عنه لما قرأ ﴿ ونَادوْا يَا مالِ لِيَقْضِ علَيْنا رَبُّك ﴾ (الزخرف: 77) أنكر عليه عبد اللّه بن عباسٍ[1] فقال عليٌّ : هذا من الترخيم في النداء ، فقال ابن عباس : ما أشغلَ أهلَ النارِ في النار عن الترخيم في النداء ، فقال علي : صدقت . فهذا يدل على تحقُّقِ الصحابة بالنحو وعلمهم به .

استأذن رجلٌ على إبراهيم النَّخعيّ فقال : أبا عمران في الدار ؟ فلم يجبه ، فقال : أبي عمران في الدار ؟ فناداه : قل الثالثة وادخل .

وكان الحسن بن أبي الحسن يعثر لسانه بشيءٍ من اللحن فيقول : أستغفر اللّه ، فقيل له فيه ، فقال : من أخطأ فيها فقد كذب على العرب ، ومن كذب فقد عمل سوءاً وقال اللّه تعالى ﴿ ومَنْ يَعْمَل سُوءًا أو يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثمَّ يَسْتَغْفِر اللّهَ يجِدِ اللّهَ غَفُوراً رَحِيماً ﴾ (النساء : 110) .

وذكر أبو حيان في « كتاب محاضرات العلماء » حدثنا القاضي أبو حامد أحمد بن بشر[2] قال : كان الفراء يوماً عند محمد بن الحسن ، فتذاكروا في الفقه والنحو ، ففضَّلَ الفراءُ النحو على الفقه ، وفضَّل محمد بن الحسن الفقهَ على النحو ، حتى قال الفراء : قلَّ رجلٌ أنعم النظرَ في العربية وأراد علماً غيره إلاّ سَهُلَ عليه ، فقال محمد بن الحسن : يا أبا زكريا قد أنعمتَ النظرَ في العربية وأسألكَ عن بابٍ من الفقه ، فقال : هات على بركة اللّه تعالى ، فقال له : ما تقولُ في رجلٍ صلَّى فسها في صلاته ، وسجد سجدتي السهو فسها فيهما ؟ فتفكر الفراءُ ساعة ثم قال : لا شيء عليه ، فقال له محمد : لم ؟ قال : لأن التصغير عندنا ليس له تصغير ، وإنما سجدةُ السهو تمامُ الصلاة وليس للتمام تمام ، فقال محمد بن الحسن : ما ظننتُ أن آدمياً يلد مثلك .

---

(1) في ر عند ذكر علي يرد « عليه السلام » وعند ذكر ابن عباس هنا : رضي الله عنه .

(2) هو أحمد بن عامر بن بشر المرووذي (362) أستاذ التوحيدي الذي يكثر النقل عنه في كتبه وبخاصة البصائر والذخائر (ابن خلكان 1 : 69 والتخريج) وكتاب المحاضرات مما لم يصلنا من كتب أبي حيان .

وحكي عن بعض الفقهاء أنه كان يقول : حبٌّ من الناس حبّ من اللّه ، وما صلح دينٌ إلا بحياء ، ولا حياءَ الا بعقل ، وما صلح حياءٌ ولا دين ولا عقلٌ إلا بأدب . وأنشد أبو الفضل الرياشي[1] :

طلبتُ يوماً مثلاً سائراً فكنتُ في الشعر له ناظما
لا خيرَ في المرء إذا ما غدا لا طالبَ العلم ولا عالما

وفي الخبر[2] : ارحموا ثلاثة : عزيزَ قومٍ ذلَّ ، وغنيَّ قومٍ افتقر ، وعالماً يلعب الجهال بعلمه ؛ فنظمه شاعر فقال :

إني من النفر الثلاثةِ حَقُّهُمْ أن يُرْحَمُوا لحوادثِ الأزمانِ
مثرٍ أقلَّ وعالمٌ مستجهَلٌ وعزيزُ قومٍ ذلَّ للحدثانِ

ويقال : فقدان الأديب الطبعَ كفقدان ذي النجدةِ السلاحَ ، ولا محصول لأحدهما دون الآخر . وقال[3] :

نعم عون الفتى إذا طلب العلـ ـمَ ورام الآدابَ صحةُ طبعِ
فإذا الطبعُ فاته بَطَلَ السعـ ـيُ وصار العناءُ في غير نفعِ

ومما يقارب ذلك قول بعضهم[4] :

مَنْ كان ذا عقلٍ ولم يكُ ذا غنىً يكونُ كذي رجل وليس له نَعْلُ
ومن كان ذا مالٍ ولم يكُ ذا حِجىً يكونُ كذي نعلٍ وليس له رجلُ

---

(1) العقد 2 : 215 (أربعة أبيات) .
(2) ورد في مسند الشهاب (رقم : 486 ص : 428) : ارحموا ثلاثة . . . وأورده ابن الجوزي في الموضوعات 1 : 236 وانظر محاضرات الراغب 1 : 44 وأدب الدنيا والدين : 76 يقوله الرسول حين قابلته ابنة حاتم .
(3) ورد البيتان في روضة العقلاء : 39 .
(4) ورد البيتان في روضة العقلاء : 23 .

وقال آخر :

أرى العلم نوراً والتأدبَ حليةً فخذ منهما في رغبةٍ بنصيبِ
وليس يتمُّ العلمُ في الناس للفتى إذا لم يكنْ في علمه بأديبِ

وأنشد أبو حاتم سهل بن محمد السجستاني[1] :

إنَّ الجواهر دُرَّهَا ونضارَهَا هنَّ الفداءُ لجوهرِ الآدابِ
فإذا اكتنزت أو ادّخَرْتَ ذخيرةً تسمو بزينتها على الأصحابِ
فعليك بالأدب المزيِّن أهله كيما تفوزَ ببهجةٍ وثوابِ
فلربَّ ذي مال تراه مبعداً كالكلب ينبحُ من وراءِ حجابِ
وترى الأديبَ وإن دَهَتْهُ خصاصةٌ لا يُسْتَخَفُّ به لدى الأترابِ

وقال آخر[2] :

ما وهب اللّه لامرىءٍ هبةً أحسنَ من عقله ومن أَدَبِهْ
هما جمال الفتى وإن فقدا فَفَقْدُهُ للحياةِ أجملُ بِهْ

وحدث أبو صالح الهروي قال : كان عبد الله بن المبارك يقول : أنفقتُ في الحديث أربعين ألفاً ، وفي الأدب ستين ألفاً وليت ما أنفقته في الحديث أنفقته في الأدب ، قيل له : كيف ؟ قال : لأنّ النصارى كفروا بتشديدة واحدة خففوها ، قال تعالى يا عيسى إني ولَّدْتُكَ من عذراءَ بَتولٍ ، فقال النصارى وَلَدتك[3] .

شاعر[4] :

ولم أر عقلاً صحَّ إلاَّ بشيمةٍ ولم أر علماً صحَّ إلاَّ على أَدَبْ

---

(1) في م : سهل بن يحيى ، وصوبناه اعتماداً على ما ورد في المصادر في ترجمته ، انظر إنباه الرواة 2 : 58 (وفي الحاشية ذكر لمصادر كثيرة) . وسيترجم له ياقوت رقم : 576 .
(2) البيتان في عين الأدب والسياسة : 126 .
(3) انظر روضة العقلاء : 221 ـ 222 حيث ورد جانب من هذه القصة مروياً عن الأصمعي .
(4) البيت في ربيع الأبرار 3 : 261 وروضة العقلاء: 222 .

وقال آخر[1] :

لكلِّ شيءٍ حَسَنٍ زينةٌ ... وزينةُ العالم حُسْنُ الأَدَبْ
قد يَشْرُفُ المرءُ بآدابه ... فينا وإن كان وضيعَ النسب

وقال آخر :

من كان مفتخراً بالمالِ والنسبِ ... فإنما فخرنا بالعلم والأَدبِ
لا خيرَ في رجلٍ حرٍّ بلا أَدَبٍ ... لا لا وإن كان منسوباً إلى العرب

قالوا[2]: والفرقُ بين الأديب والعالم أن الأديب مَنْ يأخذ من كلِّ شيء أحسنه فيألفه ، والعالم من يقصد لفنّ من العلم فيعتمله[3] ، ولذلك قال علي كرّم اللّه وجهه[4] : العلمُ أكثر من أن يُحْصَى فخذوا من كلِّ شيء أحسنه .

شاعر :

ذخائرُ المال لا تبقى على أحدٍ ... والعلم تذخره يبقى على الأبدِ
والمرء يبلغُ بالآداب منزلةً ... يذلُّ فيها له ذو المالِ والعقدِ

وحدث سفيان ، قال سمعت الخليل بن أحمد يقول : إذا أردتَ أن تعلمَ العلم لنفسك فاجمع من كلِّ شيءٍ شيئاً ، وإذا أردت أن تكونَ رأساً في العلم فعليك بطريقٍ واحد ، ولذلك قال الشعبي : ما غلبني إلا ذو فَنّ .

شاعر :

لا فقر أكبر من فقرٍ بلا أدبٍ ... ليس اليسارُ بجمع المالِ والنَّشَبِ
ما المالُ إلا جزازاتٌ مُلَفَّقَةٌ ... فيها عيونٌ من الأشعارِ والخطبِ

ويقال : من أراد السيادة فعليه بأربع ، العلمِ والأدبِ والعفةِ والأمانةِ .

---

(1) البيان في غرر الخصائص : 144 .
(2) محاضرات الراغب 1 : 51 .
(3) في ر : فيقتله ، دون إعجام .
(4) محاضرات الراغب 1 : 51 (دون نسبة) .

شاعر[1] :

كم من خسيسٍ وضيعِ القدرِ ليس له ... في العزِّ أصلٌ ولا يُنْمَى إلى حَسَبِ
قد صار بالأدب المحمودِ ذا شَرَفٍ ... عالٍ وذا حَسَبٍ محضٍ وذا نشبِ

وقال بزرجمهر[2]: من كثر أدبه كثر شرفه وإن كان وضيعاً ، وبعد صوته وإن كان خاملاً ، وساد وإن كان غريباً ، وكثرت الحاجةُ إليه وإن كان فقيراً.

ويقال[3] : عليكم بالأدب فإنه صاحبٌ في السفر ، ومؤنس في الحضر ، وجليسٌ في الوحدة ، وجمال في المحافل ، وسبب إلى طلب الحاجة.

ويقال[4] : مروءتان ظاهرتان : الفصاحة والرياش.

وكلم شبيب بن شيبة رجلاً من قريش فلم يحمد أدبه وقال[5] .

وكم من ماجد أضحى عديماً ... لـه حُسْنٌ وليس لـه بيـانُ
وما حُسْنُ الرجـالِ لهم بزينٍ ... إذا لـم يُسْعِـدِ الحسنَ اللسانُ

وقال أبو نواس : ما استكثر أحدٌ من شيءٍ إلاَّ ملَّه وثقل عليه ، إلا الأدب فإنه كلما استكثر منه كان أشهى له وأخفَّ عليه.

وقال : الشَّرَهُ في الطعام دناءة ، وفي الأدبِ مروءة.

ويقال : الأديب نسيب الأديب ، قال أبو تمام[6] :

إنْ يُكْـدِ مُطَّرفُ الإخـاءِ فإننـا ... نسـري ونغدو في إخـاءٍ تالـدِ

---

(1) ورد البيتان في غرر الخصائص : 145 .
(2) قول بزرجمهر في غرر الخصائص : 144 وهو دون نسبة في لباب الآداب : 233 وفي عين الأدب والسياسة : 127 .
(3) قريب من هذا قول شبيب بن شيبة : اطلبوا الأدب فإنه عون على المروءة وزيادة في العقل وصاحب في الغربة وحلية في المجالس (بهجة المجالس 1 : 112) وعين الأدب والسياسية: 123 وقارن بروضة العقلاء : 220 .
(4) البيان والتبيين 1 : 296 وعيون الأخبار 1 : 296 ونثر الدر 3 : 25 والامتاع والمؤانسة 2 : 149 وشرح النهج 18 : 129 ومحاضرات الراغب 2 : 365 والتذكرة الحمدونية 1 : 254 .
(5) ورد الثاني في أدب الدنيا والدين : 266 ومعه بيتان آخران . وكذلك في عين الأدب والسياسة : 122 .
(6) ديوان أبي تمام 1 : 407 .

أو نفترقْ نسباً يؤلفْ بيننا ... أدبٌ أقمناه مقامَ الوالد
أو يختلفْ ماءُ الوصالِ فماؤنا ... عذبٌ تحدَّر من غمامٍ بارد[1]

وقال ابن السكيت : خُذْ من الأدب ما يعلقُ بالقلوبِ وتشتهيه الآذان ، وخذ من النحو ما تقيم به الكلام ، ودع الغوامضَ ، وخذ من الشعر ما يشتمل على لطيف المعاني ، واستكثر من أخبار الناس وأقاويلهم وأحاديثهم ولا تولعنَّ بالغثِّ منها .

وقال أبو عمرو بن العلاء : قيل لمنذر بن واصل : كيف شهوتك للأدب ؟ فقال أسمعُ الحرفَ منه لم أسمعه فتودُّ أعضائي أنَّ لها أسماعاً تتنعم مثل ما تنعمت الآذان ؛ قيل : وكيف طلبك له ؟ قال : طلب المرأةِ المضلَّةِ ولدها وليس لها غيره ؛ قيل : وكيف حرصك عليه ؟ قال : حرصُ الجَمُوعِ المَنُوعِ على بلوغ لذته في المال .

وقال الأصمعي ، قال لي أعرابي : ما حرفتك ؟ قلت : الأدب ، قال : نعم الشيء ، فعليك به فإنه ينزل المملوكَ في حد الملوك .

وقال أرسطاطاليس : ليت شعري أيش[2] فاتَ من أدرك الأدب ، وأي شيء أدرك مَنْ فاته الأدب .

وقال البحتري[3] :

رأيتُ القعودَ على الإقتصادِ ... قنوعاً به ذلةً في العبادِ
وعزَّ بذي أدبٍ أن يضيقَ ... بعيشته وُسْعُ هذي البلاد
إذا ما الأديبُ ارتضى بالخمولِ ... فما الحظُّ في الأَدَبِ المستفاد

وقال عمر رضي اللَّه عنه[4] : تعلموا العربية فإنها تثبِّتُ العقلَ ، وتزيدُ في المروءة .

وقال عبد الملك : ما الناسُ إلى شيءٍ من العلوم أحوجُ منهم إلى إقامةِ ألسنتهم التي بها يتحاورون الكلام ، ويتهادَوْنَ الحكم ، ويستخرجون غوامضَ العلم من

---

(1) الديوان : واحد .
(2) ر : أي شيء .
(3) لم أجدها في ديوانه .
(4) نور القبس : 2 .

مخابئها ، ويجمعون ما تفرَّقَ منها . إن الكلامَ قاضٍ يجمع بين الخصوم ، وضياءٌ يجلو الظلام ، وحاجة الناس إلى موادّه كحاجتهم إلى موادّ الأغذية.

وقال الزهري[1] : ما أحدث الناس مروءةً أحَبَّ إليَّ من تعلم النحو .

وقال شاعر يصف النحو :

اقتبس النحــوَ ونعم المقتبسْ والنحـوُ زينٌ وجمـالٌ ملتمَسْ
صـاحبـه مكــرَّمٌ حيث جلس من فـاته فقـد تعمَّى وانتكس
كـأنمـا فيـه من العيّ خَـرَسْ شتّان ما بين الحمـار والفرس

وقال آخر :

لـولاكمُ كان يلقى كُـلّ ذي خطلٍ للنحــو مــدعيــاً بينَ النحــاريــر
لمْ لا أشـدُّ على مَنْ لا يقـومُ بهـا من وقعـةِ السُّمْرِ والبيضِ المـآثيـر

قرع رجلٌ على الحسن البصري الباب وقال : يا أبو سعيد فلم يجبه ، فقال : أبي سعيد ، فقال الحسن : قل الثالثة وادخلْ.

وحدث النضر بن شميل قال ، أخبرنا الخليـل بن أحمد قـال : سمعت أيوب السختياني[2] يحدّث بحديث فلحن فيه ، فقال: استغفر الله، يعني أنه عد اللحنَ ذنباً.

وكان ابن سيرين يسمع الحديث ملحوناً فيحـدث به على لحنـه ، وبلغ ذلك الأعمش فقال : إن كان ابن سيرين يلحن فإن النبي ﷺ لم يكن يلحن فقوَّمه.

قال[3] : وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يضربُ أولاده على اللحن ولا يضربهم على الخطأ ، ووجد في كتاب عاملٍ له لحناً فأحضره وضربه درة واحدة.

ودخل[4] أعرابي السوق فسمعهم يلحنون فقال : العجبُ يلحنون ويربحون.

وكان معاوية بن بجير عامل البصرة لا يلحنُ فمات بجير بالبصرة ومعاوية بفارس خليفة أبيه، فقال الفيج[5] الذي جاء بنعيه مات بجيراً، فقال له لحنت لا أم لك ، فقال

---

(1) بهجة المجالس 1 : 65 ونسب القول لابن سلام .
(2) م : السجستاني .
(3) انظر بهجة المجالس 1 : 64 والخبر فيه عن ابن عمر .
(4) نور القبس : 3 وعيون الأخبار 2 : 159 وتتمته : « ونحن لا نلحن ولا نربح » .
(5) الفيج : الرسول أو عامل البريد .

أخوه عبد الله بن بجير :

ألم تـرَ أنَّ خيرَ بني بجير   معاويةُ المحققُ ما ظننتا
أتاه مخبر ينعى بجيراً   علانيةً فقال له لحنتا

وقال الجاحظ : عيوب المنطق التصحيف وسوء التأويل والخطأ في الترجمة ، فالتصحيفُ يكون من وجوه من التخفيف والتثقيل ومن قبل الإعراب ومن تشابه صور الحروف ، وسوءُ التأويل من الأسماء المتواطئة أي أنك تجد اسماً لمعانٍ فتتأول على غير المراد ، وكذلك سوء الترجمة . واعلم أنَّ مذاكرة العلم عونٌ على أدائه وزيادة في الفهم ، ولا بد للعالم من جهلٍ أي أن يجهل كثيراً مما يُسألُ عنه ، إما لأنه ما سمعه أو نسيه . وقد قال بعض الفرس : ليس يُحْسِنُ الأشياء كلَّها إنسان ، ولكن يُحسِنُ كلُّ إنسان شيئاً .

ومن الأدب قول القائل :

إذا ما روى الراوي حديثاً فلا تَقُلْ   سمعنا بهذا قبل أن يتتمما
ولكن تسمَّعْ للحديث مُوَهِّماً   بأنك لم تَسْمَعْهُ فيما تقدَّما

وقال الأصمعي : من حق من يُقْبِسُكَ علماً أن ترويه عنه .

قال أبو عمرو ابن العلاء : إنما سمي النحويّ نحوياً لأنه يحرّف الكلام إلى وجوه الإعراب ، واللحنُ مخالفةُ الاعراب .

واللحن على جهة أخرى أن يكلّم الرجل صاحبه بالكلام يعرفانه بينهما ولا يعرفه سواهما .

وأنشد الكلبيُّ لمالك ابن أسماء(1) :

منطقٌ صائبٌ وتلحن أحيا   ناً وخيرُ الحديثِ ما كان لحنا
أمغطّى مني على بصري بالحبِّ أم أنت أكملُ الناسِ حسنا
وحديث ألذُّه هو ممَّا   ينعت الناعتون يوزَنُ وزنا

وقد روي أن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه كان لحِناً أي فطِناً .

(1) العقد 2 : 480 والبيان والتبيين 1 : 147 ، 1 : 228 .

وفي حديث أبي الزناد أن رجلاً قرأ عند رسول الله ﷺ فلحن ، فقال رسول الله ﷺ : أرشدوا صاحبكم.

وحدث أبو العيناء عن وهب بن جرير أنه قال لفتى من باهلة : يا بني اطلبِ النحوَ فإنك لن تعلم منه باباً إلَّا تدرَّعْتَ من الجمالِ سربالاً.

وفي حديث سعيد بن العاص[1] قال قال رسول الله ﷺ : ما نحل والدٌ ولده أفضلَ من أدبٍ حسن.

وعن ابن شهاب أنه قال : ما أحدث الناسُ مروءةً أعجَبَ إليَّ من تعلُّم الفصاحة.

وحدث يحيى بن عتيق قال : سألتُ الحسنَ فقلت : يا أبا سعيد الرجل يتعلم العربية يلتمسُ بها حُسْنَ المنطق ويقيم بها قراءته ، قال : حسن يا بني ، فتعلمها فإنَّ الرجل يقرأ الآية فيعيا بوجهها فيهلك فيها.

وعن سعيد بن سلم قال : دخلتُ على الرشيد فبهرني هيبةً وجمالاً فلما لحن خفَّ في عيني.

وعن الشعبي قال[2] : حلي الرجال العربية وحلي النساء الشحم.

وحدث التاريخي بإسناد[3] رفعه إلى سَلْم[4] بن قتيبة قال: كنت عند ابن هبيرة الأكبر قال : فجرى الحديث حتى ذكر العربية فقال : والله ما استوى رجلان دينهما واحد وحسبهما واحد ومروءتهما واحدة ، أحدهما يلحن والآخر لا يلحن ، إن أفضلهما في الدنيا والآخرة الذي لا يلحن ، قال فقلت : أصلح الله الأمير هذا أفضل في الدنيا لفضل فصاحته وعربيته ، أرأيت الأخرة ما باله فُضِّلَ فيها ؟ قال : إنه يقرأ كتاب الله على ما أنزله الله ، والذي يلحنُ يحمله لحنه على أن يُدْخِلَ في كتاب الله ما ليس فيه ، ويخرج منه ما هو فيه ، قلت : صدق الأميرُ وَبَرَّ.

---

(1) بهجة المجالس 1 : 109.

(2) عيون الأخبار 2 : 157 (لابن سيرين) وروضة العقلاء : 219 (لابن شبرمة).

(3) روضة العقلاء : 220.

(4) سلم : لم ترد في م.

وحدث عن أبي توبة عن عمرو بن أبي عمرو الشيباني عن أبيه قال[1]: تكلم أبو جعفر المنصور في مجلس فيه أعرابيّ فلحن ، فصرّ الأعرابي أذنيه ، فلحن مرة أخرى أعظمَ من الأولى ، فقال الأعرابي : أُفّ لهذا ما هذا ؟ ثم تكلم فلحن الثالثة ، فقال الأعرابي . أشهد لقد وليتَ هذا الأمر بقضاءٍ وَقَدَر .

وحدث بإسناد رفعه إلى الواقدي قال : صلى رجل من آل الزبير خلف أبي جعفر المنصور وقرأ ﴿ أَلْهَاكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ ﴾ (التكاثر: 1) فلحن في موضعين ، قال : فلما سلم التفت الزبيري إلى رجل كان إلى جانبه فقال له : ما كان أهونَ هذا القرشيَّ على أهله .

وقال بعض الشعراء[2] :

النحوُ يبسطُ من لسانِ الألكنِ والمرءُ نُعْظِمُهُ إذا لم يلحنِ
وإذا طلبتَ من العلوم أجلَّها فأجلُّها عندي مقيمُ الألسن

وقال آخر[3] :

إما تَرَيْني وأثوابي مقاربةٌ ليست بخزٍّ ولا من حُرِّ كَتّانِ
فإنَّ في المجد همَّاتي وفي لغتي عُلْوِيَّةً ولساني غير لحّان

وحدث قال[4] : قدم طاهر بن الحسين والعباس بن محمد بن موسى على الكوفة ، فرادّه طساسيج من سوادها ، فوجّه العباس كاتبه إليه ، فلما دخل على طاهر قال له : أخيك أبي موسى يقرأ عليك السلام ، قال : وما أنت منه ؟ قال : كاتبه الذي يطعمه الخبز ، قال : نعم عليَّ بعيسى بن عبد الرحمن ، قال : فجاء ـ وكان عيسى كاتب طاهر ـ فقال : اكتب وأنت قائمٌ بِصَرْفِ العباس بن محمد بن موسى عن

(1) ورد الخبر بإيجاز في عيون الأخبار 2 : 160 .

(2) عيون الأخبار 2 : 157 والعقد 2 : 479 وبهجة المجالس : 1 : 66 والكامل للمبرد 1 : 248 وزهر الآداب : 720 لإسحاق بن خلف البهراني وغرر الخصائص : 172 وعين الأدب والسياسة : 123 لبزرجمهر .

(3) البيان والتبيين 1 : 167 والمحاسن والمساوىء : 426 وغرر الخصائص : 186 وعين الأدب والسياسة : 122 ـ 123 .

(4) الخبر في كتاب بغداد : 73 .

الكوفة إذ لم يتخذ كاتباً يحسنُ الأَدَاءَ عنه .

وحدث في ما أسنده إلى الضحاك بن زَمَل السكسكي ، وكان من أصحاب المنصور ، قال[1] : كنا مع سليمان بن عبد الملك بدابق إذ قام إليه الشحاج الأزدي الموصلي فقال : يا أمير المؤمنين إنَّ أبينا هلك وترك مال كثير ، فوثب أخانا على مال أبانا فأخذه ، فقال سليمان : فلا رحم اللّه أباك ولا نيّح عظام أخيك[2] ، ولا بارك الله لك فيما ورثت ، أُخرجوا هذا اللحّانَ عني ، فأخذ بيده بعض الشاكرية[3] وقال : قم فقد آذيت أميرُ المؤمنين ، فقال : وهذا العاضّ بَظْرَ أُمه اسحبوا برجله .

وحدث قال ، قال رجل للحسن[4] : يا أبا سعيد ما تقول في رجلٍ مات وترك أبيه وأخيه ؟ فقال له الحسن : ترك أباه وأخاه ، فقال له : فما لأباه وأخاه فقال له الحسن : إنما هو فما لأبيه وأخيه ، قال يقول الرجل للحسن : يا أبا سعيد ما أشدَّ خلافك عليَّ ، قال : أنت أشدُّ خلافاً عليَّ أدعوك إلى الصواب وتدعوني إلى الخطأ .

وحدث فيما رفعه عبد الله بن المبارك قال[5] : بعث الحجاجُ إلى والي البصرة أن اخترْ لي عشرةً ممن عندك فاختار رجالاً منهم كثيرُ بن أبي كثير ، قال : وكان رجلاً عربياً ، قال كثير : وقلت في نفسي لا أُفلتُ من الحجاج إلا باللحن ، قال : فلما دخلنا عليه دعاني ما اسمك ؟ قلت : كثير قال : ابنُ من ؟ فقلت في نفسي : إن قلتها بالواو لم آمن أن يتجاوزها قال قلت : أنا ابن أبا كثير ، فقال عليك لعنة الله وعلى من بعث بك ، جِؤُوا[6] في قفاه ، قال : فأخرجت .

وحدث في ما أسنده إلى الأصمعي قال[7] : سمعتُ مولًى لعمر بن الخطاب

(1) نور القبس : 3 وعيون الأخبار 2 : 159 والبيان والتبيين 2 : 222 ومحاضرات الراغب 1 : 67وصبح الأعشى 1 : 169 (وهو في أكثر المصادر متصل بزياد بن أبي سفيان) والمحاسن والأضداد: 6 ومصورة ابن عساكر 8 : 401 .

(2) أي لا صلبها ولا شدَّ منها .

(3) الشاكرية : الخدم .

(4) قارن بالعقد 2 : 481 (والقول موجه لشريح) .

(5) زهر الآداب : 906 .

(6) جؤوا فعل أمر من « وجأ » .

(7) عيون الأخبار 2 : 155 والمحاسن والأضداد : 85 .

يقول : أخذ عبد الملك بن مروان رجلاً كان يرى رأي الخوارج ، رأي شبيب ، فقال له : ألستَ القائل :

ومنا سويدٌ والبطينُ وقعنبٌ ومنا أميرُ المؤمنينَ شبيبُ

قال : إنما قلتُ أميرَ المؤمنين أي يا أمير المؤمنين ، فأمر بتخلية سبيله .

قال التاريخي : حدثنا أبو بكر الدولابي حدثنا أبو مسهر قال : سألت سعيد بن عبد العزيز التنوخي عن حديث إذا سمعته ملحوناً فقال : اللحنُ يفسد الحديث ، وذلك أنه يغيّر معناه ، ولم يُلْفَ أحدٌ من العلماء إلا مُقَوَّمَ اللسان .

قال[1] : وقد كان عمر بن عبد العزيز أشدَّ الناسِ في اللحن على ولده وخاصته ورعيته وربما أدَّبَ عليه .

قال وقال نافع مولى ابن عمر[2] : كان ابن عمر يضرب ولده على اللحن كما يضربهم على تعليم القرآن .

وحدث في ما أسنده إلى شريك عن جابر قال : قلت للشعبي أسمعُ الحديث بغير إعراب فأعربه ؟ قال : نعم لا بأس به .

قال : قال حماد بن سلمة[3] : مثل الذي يكتبُ الحديثَ ولا يعرفُ النحو مَثَلُ الحمارِ عليه مخلاة ولا شعير فيها .

وروي عن الشعبي أنه قال : لأن أقرأ وأُسقط أحبُّ إلي من أن أقرأ وألحن .

وقال محمد بن الليث[4] : النحو في الأدب كالملح في الطعام فكما لا يطيبُ الطعام إلا بالملح لا يَصْلُحُ الأدبُ إلاّ بالنحو .

وروي عن عبد الله بن المبارك أنه قال : تعلموا العلم شهراً والأدبَ شهرين .

وقال رَجل لبنيه : يا بني أصلحوا من ألسنتكم فإن الرجل تنوبه النائبة يحتاج أن يتجمل فيها فيستعير من أخيه دابة ومن صديقه ثوباً ولا يجد من يعيره لساناً .

---

(1) نور القبس : 3 .
(2) يروى هذا عن عمر نفسه رضي الله عنه .
(3) التذكرة الحمدونية 2 : 162 وروضة العقلاء : 223 .
(4) قارن بعيون الأخبار 2 : 157 .

لما قال الفرزدق :

إن الذي سمك السماءَ بنى لنا بيتاً دعائمه أعزُّ وأطولُ

فقال الحاضرون : أعزّ وأطولُ من ماذا ؟ فتفكر الفرزدق فوافق ذلك قول المؤذن في الأذان : الله أكبر ، فرفع الفرزدق رأسه فقال : يا فلان أكبر من ماذا ؟

وقال الخطفى جد جرير[1] :

عجبتُ لإزراءِ العَييّ بنفسه وصمتِ الذي قد كان بالقول أعلما

وفي الصمتِ سترٌ للعييّ وإنما صحيفةُ لبِّ المرءِ ان يتكلما

وحدّث عن الأصمعي أنه قال[2] : أخوف ما أخافُ على طالب العلم إذا لم يعرف النحو أن يدخلَ في جملة قول النبي ﷺ : « من كذب عليَّ متعمداً فليتبوأ مقعده من النار » ، لأنه لم يكن يلحن فمهما رويتَ عنه ولحنتَ فقد كذبتَ عليه .

(1) في الأصل : جد الفرزدق ، وانظر البيان والتبيين 1 : 220 (والحاشية) واللسان (خطف) وعيون الأخبار 1 : 175 ، 2 : 275 والعقد 2 : 266 وبهجة المجالس 1 : 62 وتاريخ بغداد 14 : 248 (دون نسبة) ونسب البيتان في الموشى : 9 للخطفى بن بدر .

(2) روضة العقلاء : 223 .

فصـل [ثانٍ]
(في فضيلة علم الأخبار)

قال أبو الحسن علي بن الحسين[1]، قالوا : لولا تقييدُ العلماءِ خواطرهم بالأخبار وكتبهم للآثار[2] لبطل أول العلم وضاع آخره ، إذ كان كلُّ علم من الأخبار يُسْتخرَج ، وكلّ حكمة منها تُسْتَنْبَطُ ، والفِقَرُ منها تستثار[3] ، والفصاحة منها تستفاد ، وأصحابُ القياس عليها يبنون ، وأهلُ المقالاتِ بها يحتجُّون ، ومعرفةُ الناس منها تؤخذ ، وأمثالُ الحكماءِ فيها توجد ، ومكارمُ الأخلاق ومعاليها منها تقتبس ، وآدابُ سياسةِ الملك والحزم منها تُلْتَمَسُ ، فكلُّ غريبةٍ بها تُعْرَفُ ، وكلُّ عجيبةٍ منها تستطرف ، وهو علم يستمتع بسماعه العالم والجاهل[4] ، ويستعذبُ موقعَهُ الأحمق والعاقلُ ويأنس مكانه ، وينزع إليه الخاصيُّ والعامي ، ويميلُ إلى روايته العربيّ والعجمي ؛ وبعد فإنه يوصل به إلى كلِّ[5] كلام ، وَيتزين به في كلِّ مقام ، ويتجمَّلُ به في كلِّ مشهد ، ويحتاجُ إليه في كلِّ محفل . ففضيلة علم الأخبار تتيهُ على كلِّ علم ، وشرفُ منزلته صحيحة[6] في كلِّ فهم ؛ فلا يصبرُ على علمه ويتقن ما فيه من إيراده وإصداره إلا إنسانٌ قد تجرد للعلم ، وفهم معناه ، وذاق ثمرته ، واستشعر من عزه ، ونال من سَرْوِهِ ، وقديماً قيل : إن علم النَّسَبِ والأخبار من علوم الملوك وذوي الأخطار ، ولا تسمو إليه إلا النفوس الشريفة ، ولا تأباه إلا [النفوس الدنية

(1) م : الحسن .
(2) ر : بالآثار .
(3) م : تستشاد .
(4) والجاهل : سقطت من م .
(5) كل : سقطت من م .
(6) الأصوب أن يقول : صحيح .

و][1] العقول السخيفة وقد قالت الحكماء[2] : الكتابُ نعم الجليس والذخر ، إن شئت ألهتك بوادره ، وأضحكتك نوادره ، وإن شئتَ أشجتك مواعظه ، وإن شئت تعجبتَ من غرائب فوائده ، وهو يجمعُ لك الأول والآخر ، والناقصَ والوافر ، والغائبَ والحاضر ، والشكلَ وخلافه ، والجنسَ وضده ، وهو ميتٌ ينطق عن الموتى ، ويترجم عن الأحياء ، وهو مؤنس ينشطُ بنشاطك ، وينام بنومك ، ولا ينطق إلا بما تهوى ، ولا يُعْلَمُ جارٌ ولا خليطٌ أنصفُ ، ولا رفيقٌ أطوعُ ، ولا معلّم أخضع ، ولا صاحب أظهر كفاية ولا أجلّ جباية[3] ولا أشدّ[4] نفعاً ، ولا أحمد أخلاقاً ، ولا أدوم سروراً ، ولا أسلم غَيْبة ، ولا أحسن مواتاة ، ولا أعجل مكافاة ، ولا أخف مؤونة منه ، إن نظرتَ فيه أطال إمتاعك ، وشحذَ طباعك ، وأكثر علمك ، وتعرفُ منه في شهر ما لا تعرف من أفواه الرجال في دهر ، يغنيك عن كدِّ الطلب[5] وعن الخضوع إلى من أنت أثبتُ منه أصلاً ، وأرسخ منه فرعاً ، وهو المعلم[6] الذي لا يجفوك ، وإن قطعت عنه المادة لم يقطع عنك الفائدة .

وكان عبيد الله بن محمد[7] بن عائشة القرشي يقول : الأخبار تَصْلُحُ للدين والدنيا ، قلنا : الدنيا عرفنا فما للآخرة ؟ قال : فيها العبر يعتبرها الرجل . وقال الله تعالى مخبراً عن قصة يوسف وإخوته ﴿ لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ ﴾ (يوسف: 111) وقال تعالى : ﴿ وَمَثَلًا مِنَ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِهِمْ وَمَوْعِظَةً لِلْمُتَّقِينَ ﴾ (النور: 34) وقال عزّ وجلّ : ﴿ كَذَٰلِكَ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ مَا قَدْ سَبَقَ ﴾ (طه: 99) ولذلك قال بعضهم لولده : عليك بالأخبار فإنها لا تعدمك كلمة

(1) النفوس الدنية و : سقط من م .
(2) قارن بما جاء لدى الجاحظ في الحيوان 1 : 38 ـ 42 والمحاسن والأضداد : 4 ـ 6 .
(3) ر : ولا أقل خيانة .
(4) ر : ولا أبدا .
(5) م : الطالب .
(6) ر : العالم .
(7) ر : محمد بن عبيد الله ، وهو خطأ انظر الأغاني 2 : 170 وعبيد الله هو ولد محمد ابن عائشة المغني .

تدل[1] على هدى ، وأخرى تنهى عن ردى[2] .

وعن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب كرّم الله وجهه[3] أجمُّوا هذه القلوب والتمسوا لها طرائفَ الحكمة فإنها تملُّ كما تملّ الأبدان .

وكان أبو زيد الأنصاري لا يعدو النحو ، فقال له خلف الأحمر : قد ألححتَ على النحو لم تَعْدُهُ ولقلَّما ينبلُ منفردٌ به ، فعليك بالأخبار والأشعار .

وقال ابن المقفع في كتابه في الأدب[4]: ثم انظر الأخبار الرائعة فتحفّظ منها، فإن من شأن الإنسانِ الحرصَ على الأخبار ، ولا سيما على ما يرتاح له الناس ، وأكثر الناس من يحدّث بما يسمع ولا يبالي ممن سمع ، وذلك مَفْسَدَةٌ للصدق ومَزْراةٌ بالرأي ، فإن استطعت أن لا تخبرَ بشيءٍ إلا وأنت به مُصَدِّق وألا يكونَ تصديقُكَ إلاّ ببرهانٍ ، فافعل .

قال الأخفش علي بن سليمان أنشدني أبو سعيد السكري :

وذكرني حلوَ الزمانِ وطيبَهُ　　مجالسُ قوم يملأون المجالسا
حديثاً وأشعاراً وفقهاً وحكمةً　　وبرًّا ومعروفاً وإلفاً مؤانسا

وقال ابن عتاب[5]: يكون الرجلُ نحوياً عروضياً، حَسَنَ الكتابِ ، جيّدَ الحساب ، حافظاً للقرآن ، راويةً للشعر ، وهو راضٍ [بأن] يعلم أولادنا بستين درهماً ، ولو أن رجلاً كان حسنَ البيان حسنَ التخريج للمعاني ليس عنده غير ذلك لم يرضَ بألف درهم ، لأنّ النحوي ليس عنده إمتاع ، كالنجار الذي يُدْعَى ليغلقَ باباً ، فلو كان أحذقَ الناسِ ثم فرغ من تغليق ذلك الباب قيل له انصرف ، وصاحبُ الإمتاع يُرَادُ في الحالاتِ كلِّها.

وقال معاوية[6] : ليس ينبغي للرجل أن يستغرقَ شيئاً من العلم إلا علم الأخبار ، فأما غير ذلك فالنتف والشدو [من القول] .

---

(1) تدل : سقطت من م .
(2) ردى : سقطت من م وموضعها بياض .
(3) انظر بهجة المجالس 1 : 115 .
(4) رسائل البلغاء : 94 .
(5) البيان والتبيين 1 : 403 .
(6) البيان والتبيين 1 : 402 (لرجل من ولد العباس) .

وكتب عبد الملك بن مروان الى الحجاج : انظر لي رجلاً عالماً بالحلال والحرام ، عارفاً بأشعار العرب وأخبارها ، أستأنسُ به وأُصيبُ عنده معرفةً فوجِّهه إليَّ من قِبَلِكَ ، فوجَّه إليه الشعبي ، وكان أجمعَ أهلِ زمانه ، قال الشعبي : فلم أَلْقَ[1] والياً ولا سوقةً إلَّا وهو يحتاج[2] إليّ ولا أحتاجِ إليه ما خلا عبد الملك ، ما أنشدته شعراً ولا حدثته حديثاً إلا وهو يزيدني فيه ، وكنتُ ربما حدثته وفي يده اللقمة فيمسكها[3] فأقول يا أمير المؤمنين أَسِغْ طعامك ، فإن الحديث من ورائه ، فيقول : ما تحدثني به أوقعُ بقلبي من كلِّ لذة وأحلى من كل فائدة .

وكتب عبد الملك إلى الحجاج[4]: أنت عندي كَقِدْح ابنِ مُقْبل ، فلم يدرِ الحجاجُ ما عنى ، فسأل قُتَيبةَ بنَ مُسْلِم وكان راوية عالماً عن ذلك فقال : قد مدحك ، فإن ابنَ مقبل نَعَتَ قِدْحَهُ فقال :

مُفَدًّى مُؤَدًّى باليدين منعمٌ ... خليعُ قداحٍ فائزٌ متمنَّح[5]
خَرُوج من الغُمَّى إذا صُكَّ صكَّةً ... بدا والعيونُ المستكفَّةُ تلمح[6]

قال : فكانت في نفس الحجاج حتى ولَّاهُ خراسان .

وقال محمد بن عبد الملك الزيات في رجل خلوٍ من الأدب[7] :

يا أيها العائبي ولم تر بي ... عيباً ألا تنتهي وتزدجرُ
هل لك وِتْرٌ لديَّ تطلُبُهُ ... أم لستَ مما أتيتَ تعتذر
إن كان قسمُ الإلهِ فضَّلني ... وأنت صَلْدٌ ما فيك مُعْتَصَرُ

(1) ر : أجد .
(2) ر : محتاج .
(3) م : فأمسكها .
(4) قارن بجمهرة العسكري 2: 120 وسرح العيون : 192 وديوان ابن مقبل : 29 ، 30 وأمالي القالي 1 : 15 وثمار القلوب : 173 .
(5) مفدى عند صاحبه ، يفديه إذا فاز ، متمنح : مستعار ، يستعيرونه لمعرفتهم بفوزه .
(6) الغمى : الشدة والضيق ؛ والعيون المستكفة ، عيون الذين حوله يستكفون أي يضعون أيديهم على حواجبهم حين ينظرون إليه .
(7) ديوان ابن الزيات : 29 ـ 30 ومنها أبيات في الأغاني 22: 486 ـ 487 .

فـالحمدُ والشكـرُ والثناءُ لـه ... وللحسـودِ الـترابُ والحجـر
اقـرأ لنـا سـورةً تخـوّفنـا ... فـإن خيـرَ المـواعظِ السـور
أو ارو فقهـاً تحيي القلوبَ بـه ... جـاء بـه عـن نبيـنا أثـر
أو هـاتِ ما الحكمُ في فرائضنا ... مـا يستحقُّ الاناث والـذكـر
أو ارو عن فـارسٍ لنـا مثـلاً ... فـإن أمثـالَ فـارسٍ عـبـر
أو مـن أحـاديثِ جـاهليتنـا ... فـإنهـا عـبـرةٌ ومـعـتبـر
أو هات كيف الصواب[1] في الرفع والخفض وكيف التصريفُ والصور[2]
أو ارو شعراً أو صفْ لنا غرضاً[3] ... يُبْلَى صحيحٌ منه ومنكسر
فـإذ جـهلتَ الآداب مـرتـغبـاً ... عنهـا وخلتَ العمى هـو البصـر
ولـم تُعَـوَّضْ مـن ذاك ميسـرةً ... عـليـك منهـا لبـهجـةٍ أثـر
فغنِّ صـوتـاً تـلهي الفؤادَ بـه ... وكـلُّ مـا قـد جهلتَ مغتفـر
تـعيش فـينـا ولا تـلائـمنـا ... فـاذهبْ ودعنـا حتَّـامَ تنـتـظر
تُغْلي علينـا الأسعـار أنّى[4] ومـا ... عنـدك نفـعٌ يُـرْجَى ولا ضـرر
همُّـكَ في مـرتـعٍ ومغتَبَقٍ ... كمـا تعيشُ الحميـرُ[5] والبقـر

(1) ر : الإعراب .
(2) ر : الصدر .
(3) ر : أو صف عروضاً .
(4) الديوان : أنت .
(5) م : يعيش الحمار .

حرف الالف

****

- 1 -

آدم بن أحمد بن أسد الهروي أبو سعد النحوي اللغوي : حاذقٌ مناظر ، ذكره الحافظ أبو سعد السمعاني فقال : هو من أهل هراة سكن بلخ ، كان أديباً فاضلاً عالماً بأصول اللغة صائناً حَسَنَ السيرة ، قدم بغداد حاجاً سنة عشرين وخمسمائة ومات في الخامس والعشرين من شوال من سنة ست وثلاثين وخمسمائة . ولما ورد بغداد اجتمع إليه أهلُ العلم وقرأوا عليه الحديثَ والأدبَ ، وجرى بينه وبين الشيخ أبي منصور موهوب بن أحمد بن الخضر الجواليقي(1) ببغداد منافرةٌ في شيءٍ اختلفا فيه ، فقال له الهروي : أنت لا تُحسِنُ أن تَنْسب نفسك ، فإن الجواليقي نسبة إلى الجمع ، والنسبة إلى الجمع بلفظه لا تصحّ . قال : وهذا الذي ذكره الهرويّ نوعُ مغالطةٍ فإن لفظ الجمع إذا سُمّي به جاز أن يُنْسَبَ إليه بلفظه كمدائني ومعافريّ وأنماري وما أشبه ذلك .

قال مؤلف هذا الكتاب : وهذا الاعتذار ليس بالقويّ لأن الجواليق ليس باسم رجلٍ فيصحَّ ما ذكره ، وإنما هو نسبةٌ إلى بائع ذلك ، والله أعلم ؛ وإن كان اسم رجل أو قبيلة أو موضع نسب إليه صحَّ ما ذكره .

1 - ينقل ياقوت عن كتاب آخر للسمعاني غير الانساب ، ونقل الصفدي هذه الترجمة في الوافي 5 : 293 حتى قوله : « صحَّ ما ذكره » وانظر بغية الوعاة 1 : 404 وما ورد في الإنباه 1 : 236 مشبه لما ذكره ياقوت . وقال القفطي إنه عاد إلى بلخ وتصدر للافادة بها حتى توفي .

(1) ستأتي ترجمته رقم : 1169 .

وقال الحافظ الإمام السمعاني : سمعت أبا القاسم الطريفي يقول : سمعت أبا سعد الهرويّ المؤدبَ يقول : سئل سفيان الثوريّ عن التقوى فأنشد :

إني وجدتُ فلا تظنُّوا غَيْرَهُ ... هذا التورُّعَ عند هذا الدرهمِ
فإذا قَدَرْتَ عليه ثم تركتَهُ ... فاعلمْ بأن هناك تقوى المسلم

وكان الرشيد محمد بن محمد بن عبد الجليل الملقب بالوطواط[1] كاتبُ الإنشاء لخوارزمشاه[2] من تلاميذ الشيخ أبي سعد آدم بن أحمد الهروي وانتقل الرشيد من بلخ إلى خوارزم وأقام بها في خدمة خوارزمشاه أشهراً . وكان يكاتب الشيخ أبا سعد ويخضع له ويقر بفضله فمما كتب إليه رسالة نسختها[3] :

كتابي وفي الأحشاءِ وَجْدٌ على وجدِ ... إلى الصدرِ مولانا الأجلِّ أبي سعدِ
أشمُّ طويلُ الباع أصبحَ رافعاً ... إلى قمةِ الأفلاكِ ألويةَ المجد
سَراةُ بني الإسلام عِقْدُ جواهرٍ ... وفيهم أبو سعدٍ كواسطة العقد

سقى الله أيامَنا بالعقيق ودهورنا[4] باللوى ، وأعوامنا بالخُلَيْصاءِ وشهورَنا بالحمى ؛ فإن هذه المغاني ، لألفاظِ المسرَّاتِ كالمعاني : جنينا[5] فيه أثمارَ أطايبِ الأماني ، من أشجارِ وصال الغواني ؛ لا بل سقى مواقفنا ببلخ في المدرسة النظامية ، واجتماعنا في المجالس الأجليَّةِ الإمامية :

مجالسِ مولانا أبي سعدٍ الذي ... به سَعِدَ الأيامُ والدينُ والدنيا
همامٌ حَوَى يومَ الفخارِ بنانُهُ ... على رغم آنافِ العدى قَصَبَ العَلْيا

(1) ستأتي ترجمته رقم : 1107 .
(2) لعلَّ المعنيّ هنا هو سلطان شاه أبو القاسم محمود بن ايل أرسلان الذي تولى السلطنة سنة 568 ولابنه أبي المظفر تكش ألف رشيد الدين « حدائق السحر في رقائق الشعر » حين كان ـ فيما يبدو ـ ولياً للعهد ، اذ إن رشيد الدين توفي سنة 573 وجاء أبو المظفر إلى الحكم سنة 589 .
(3) وردت الرسالة في مجموعة رسائل الوطواط (مصر 1315) 2 : 29 .
(4) ر: ودهرنا .
(5) جنينا : سقطت من م .

الامام أبو سعد ، وما أدراك ما الإمام أبو سعد ، سَعْدٌ كلّه ، خَيْرٌ قولُهُ وفعله ، صاحبُ جيوشِ الفصاحة ، ومالكُ رقابِ البلاغة ، وناظمُ عِقْدِ المحامد ، وجامعُ شَمْلِ المكارم ، وناشرُ أردية الفضلِ والكرم ، وعامر أبنيةِ الأدبِ والحكم :

لـلّه درُّ إمــامٍ كــلُّهُ أدبٌ بفضله يتحلّى العُجْمُ والعربُ[1]

اللَّه يعلم أني وإن شطَّ المزار ، وَشَحَطتِ الديار ، لا أقطع أكثر أوقاتي ، ولا أزْجي أغلبَ ساعاتي ، إلا في مَدْحِ معاليه ، وشَرْحِ أياديه ، لو أنفقتُ جميع عمري في ذلك ، وسلكتُ طولَ دهري تلك المسالك :

لما كنت أقضي بعض واجب حقه ولا كنت أُحصي من صنائعه عشرا

وكيف لا أبالغُ في ثنائه ، ولا أواظبُ على دعائه ، وهو الذي رفع قدري وشرح للآدابِ صدري ، وسقاني كؤوسَ العلم وأحشائي صادية ، وكساني حُلَلَ الفضلِ وعوراتي بادية ، اغترفتُ ما اغترفتُ من بحاره ، واقتطفت ما اقتطفتُ من ثماره :

وأنت الـذي عَرَّفْتَني طُـرُقَ العلا وأنت الـذي هَدَّيتني كـلَّ مقصدِ
وأنت الــذي بلَّغتني كــلَّ رتبــةٍ مشيتُ إليها فوق أعنـاقِ حُسَّدي

عَبْدُ مَجْلِسِهِ الشريفِ أخي عمر ، أيده الله ، ورد من خراسان ذاكراً لما يجري على لسانه الكريم في المجالس والمحافلِ ، بين أيدي الأكابر والأماثل ، من مدحي وثنائي ، وتقريظي وإطرائي ، فما استبدعتُ ذلك من خصائص[2] كرمه ، ولا استغربتُهُ من لطائفِ شِيَمه . وكانت كلماته حاملةً إيايَ على هذا التصديع ، لمجلسه الرفيع ، ورأيُهُ في سَحْبِ ذيلِ العفوِ على هذا التجاسر ، وتبليغ تحيتي الى القارئين عليه والمختلفين إليه من أبناء جنسي ، وشركاءِ درسي ، يقتضي الشرف ، والسلام .

---

(1) ر: العرب والعجم .

(2) ر : خصيص .

- 2 -

أبان بن تغلب بن رياح الجريري أبو سعيد البكري مولى بني جرير بن عباد بن ضُبَيْعَةَ بن قيس بن ثعلبة بن عكَابةَ بن صَعْب بن عليّ بن بكر بن وائل : ذكره أبو جعفر محمد بن الحسن الطوسي(1) في مصنفي الإمامية(2) ومات أبان في سنة إحدى وأربعين ومائة.

قال أبو جعفر : هو ثقةٌ جليلُ القَدْرِ عظيمُ المنزلة في أصحابنا لقي أبا محمد علي بن الحسين وأبا جعفر وأبا عبد الله عليهم السلام(3) وروى عنهم ، وكانت له عندهم حظوةٌ وَقَدَمٌ ، قال له أبو جعفر : اجلس في مسجد(4) المدينة وأفتِ الناسَ فإني أحبُّ أن أرى في شيعتي مثلك . وقال أبو عبد الله لما أتاه نعيه : أما والله لقد أوجع قلبي موتُ أبان [قال] : وكان قارئاً فقيهاً لغوياً نبيهاً(5) تبدَّى وسمع من العرب وحكى عنهم ، وصنف كتاب الغريب في القرآن وذكر شواهده من الشعر ، فجاء فيما بعد عبد الرحمن بن محمد الأزدي الكوفي فجمع من كتاب أبان ومحمد بن السائب الكلبي وأبي روق عطيةَ بن الحارث فجعله كتاباً واحداً وبيَّن ما اختلفوا فيه وما اتفقوا عليه ، فتارة يجيء كتاب أبان مفرداً ، وتارة يجيء مشتركاً على ما عمله عبد الرحمن . ولأبان أيضاً كتاب الفضائل .

---

2 ـ نقل الصفدي هذه الترجمة في الوافي 5 : 300 والسيوطي في البغية 1 : 404 (بإيجاز) وانظر الفهرست : 276 وذكر له أيضاً كتاب القراءات وكتاب فن الأصول في الرواية على مذاهب الشيعة ؛ وانظر طبقات ابن الجزري 1 : 4 والبلغة : 2 ولم ترد هذه الترجمة في المختصر (ر) .

(1) محمد بن الحسن الطوسي (ـ 460) خراساني النشأة ، انتقل إلى بغداد سنة 408 وعاش فيها أربعين سنة ثم استوطن النجف وبها توفي ؛ له مؤلفات كثيرة منها معالم العلماء وكتابه « فهرست كتب الشيعة » أو ما يعرف بفهرست الطوسي قد طبع في كلكتا سنة 1853 ـ 1855 وأعيد تصويره عن هذه الطبعة في أزنابروك سنة 1981 وطبع في بيروت سنة 1983 وبين الطبعتين اختلافات .

(2) انظر فهرست الطوسي : 5 (كلكتا) 44 (بيروت) .

(3) يعني بأبي جعفر : موسى الكاظم ، وبأبي عبد الله محمدا الباقر .

(4) الصفدي : اجلس في مجلس في مسجد .

(5) الطوسي : لغوياً نبيلاً .

- 3 -

أبان بن عثمان بن يحيى بن زكريا اللؤلؤي يعرف بالأحمر البَجَليّ أبو عبد الله مولاهم : ذكره أبو جعفر الطوسي في « كتاب أخبار مصنّفي الإمامية »(1) وقال : أصله الكوفة(2) وكان يسكنها تارةً والبصرةَ أخرى ، وقد أخذ عنه من أهل البصرة أبو عبيدةَ مَعْمَرُ بن المثنّى وأبو عبد اللّه محمد بن سلاّم الجمحي ، وأكثروا الحكايةَ عنه في أخبار الشعراء(3) والنسب والأيام .

روى عن أبي عبد الله وأبي الحسن موسى بن جعفر ، وما عُرِفَ من مصنّفاته إلا كتابٌ جَمَعَ فيه المبدأ والمبعثَ والمغازي والوفاةَ والسقيفةَ والردّة .

- 4 -

إبراهيم بن أحمد بن محمد توزون الطبري النحوي : أحدُ أهلِ الفضلِ والأدب ، سكن بغدادَ وصحبَ أبا عمر الزاهد ، وكتب عنه كتاب الياقوتة ، وعلى النسخة التي بخطه الاعتماد من كتاب أبي عمر(4) كما ذكرناه في ترجمة أبي عمر(5)

---

3 ـ الوافي 5 : 302 عن ياقوت والبلغة : 2 وبغية الوعاة 1 : 405 ولسان الميزان 1 : 24 (عن ياقوت) وقال : وذكره ابن حبان في الثقات وقال : يخطىء ويهم . ولم ترد الترجمة في المختصر .

4 ـ تاريخ بغداد 6 : 17 ونزهة الألباء : 227 وإنباه الرواة 1 : 158 وبغية الوعاة 1 : 406 والبلغة : 4 ويقال فيه أيضاً « تيزون » . وكانت وفاته سنة 355 حسبما نصَّ على ذلك القفطي ؛ ولم ترد هذه الترجمة في المختصر .

(1) فهرست الطوسي : 76 (كلكتا) 46 (بيروت) .

(2) لسان الميزان : وكان أصله من الكوفة .

(3) في لسان الميزان : وأخذ عنه أبو عبيدة ومحمد بن سلام وأكثر عنه في طبقات الشعراء ؛ قلت : وهذا صحيح ، انظر فهرسة طبقات فحول الشعراء .

(4) يعني محمد بن عبد الواحد المطرز غلام ثعلب ، وانظر في مراحل تصنيفه « الياقوتة » إنباه الرواة 3 : 175 قال : ثم جمع الناس على قراءة أبي إسحاق الطبري له ، يعني توزون هذا .

(5) ترجمة المطرز ستأتي رقم : 1073 .

ولقي أكابرَ العلماءِ من هذه الطبقة ، وكان صحيحَ النقلِ جيِّدَ الخطّ والضبط . ذكر أبو القاسم [بن] الثلاج أنه حدثه عن إبراهيم بن عبد الوهاب الأبزاري الطبري صاحِب أبي حاتم السجستاني .

لا أعرفُ له تصنيفاً غَيْرَ جَمْعِهِ لشعر أبي نواس فإنها رواية مشهورةٌ بأيدي الناس . وقال أبو القاسم التنوخي : حدثني أبو الحسن الطبري غلامُ الزاهدِ غلامِ ثعلب.

وكان منقطعاً إلى بني حمدان ، وقرأت بخطه قصيدة شُبَيْلِ بنِ عَزْرَةَ الضُّبَعي[(1)] وقد قرأها على أبي عمر الزاهد وتناولها من أبي محمد عبد الله بن جعفر بن درستويه وقد قرأ عليه إلى « سيباً من حر سئل »[(2)] ثم قال : بلغت بقراءتي إلى ها هنا ، وقال لي ابن درستويه قد دفعتُ إليك كتابي بخطي من يدي إلى يدك ، وقد أجَزْتُ لكَ القصيدةَ فاروِهَا عنّي فإن هذا ينوب عن السماع والقراءة ـ فقبلت ذلك منه ـ وكتب إبراهيم بن محمد الطبري الروياني بخطه والاعتماد عليه أولى ، ولكن الخطيب قال : إبراهيم بن أحمد بن محمد المعروف بتيزون ، فإن كان نَسَبَ نفسَهُ الى جدّه فذاك ، والله أعلم .

ـ 5 ـ

إبراهيم بن أحمد بن الليث الأزدي اللغوي الكاتب : لا أعرف من حاله إلا ما قاله السِّلَفِيّ : أنشدني أبو القاسم الحسن بن أبي الفتح الهمذاني قال : أنشدني أبو المظفر إبراهيم بن أحمد بن الليث الأزدي اللغوي الكاتب ، قدم علينا همذان وقد حضر مجلسه الأدباء والنحاةُ لمحلِّه من الأدب :

---

5 ـ الوافي 5 : 310 (عن ياقوت) وانظر بغية الوعاة 1 : 406 ولم ترد ترجمته في المختصر .

(1) شبيل بن عزرة الضبعي من خطباء الخوارج وعلمائهم ، كان شيعياً ثم انتقل إلى الشراة (إنباه الرواة 2 : 76 والفهرست : 51) وله قصيدة في الغريب ، ولعلها التي يقول فيها :

كان تجاوب اللقاح فيها ... وعنترة واهمجة رئال

انظر ديوان شعر الخوارج : 227 وستأتي ترجمة شبيل رقم : 585 .

(2) كذا ورد في الطبعة المصرية : وهو مصحف مضطرب .

وقد أغدو وصـاحبتي مَحوُصُ   على عذراءَ ناءَ بها الرهيصُ(1)
كان بني النحوصِ على ذَراها   حـوائمُ مـا لهـا عنـه مَحيصُ

ـ 6 ـ

إبـراهيم بن إسحاق الحـربي : نقلت من كتاب أبي بكـر الخـطيب قـال : إبراهيم بن إسحاق بن بشير بن عبد اللّه بن دَيْسَم أبو إسحاق الحربي ، ولد سنة ثمان وتسعين ومائة ، ومات ببغداد سنة خمس وثمانين ومائتين في ذي الحجة ، ودفن في بيته في شارع باب الأنبار ، وكان الجمع كثيراً جداً . وكان قد سمع أبا نعيم الفضل بن دُكَيْن وعفَّانَ بن مسلم وعبيد الله بن محمد بن عائشة وأحمد بن حنبل وعثمان بن أبي شيبة وعبيـد اللّه القواريري وخلقاً من أمثالهم . روى عنه موسى بن هـارون الحافظ ويحيى بن صاعد وأبو بكر ابن أبي داود والحسين المحاملي ومحمد بن مخلد وأبو بكر الأنباري النحوي وأبو عمر الزاهد صاحب ثعلب وخلقٌ كثيرٌ غيرهم . وكان إماماً في العلم رأساً في الزهد ، عارفاً بالفقه بصيراً بالأحكام ، حافظاً للحديث مميزاً لعلله ، قيماً بالأدب جماعاً للغة ، وصنَّف كتباً كثيرة منها : كتاب غريب الحديث(2) ، وأصله من مرو ؛ وكان يقول أمي تغلبيةٌ وأخوالي نصارى أكثرهم . وقيلَ : لِمَ سُمِّيتَ إبراهيم

6 ـ ترجمة إبراهيم الحربي في تاريخ بغداد 6 : 27 وعنه ينقل ياقوت وعن ياقوت ينقل الـوافي 5 : 320 والفوات 1 : 14 وبغية الوعاة 1 : 408 ؛ وانظر الفهرست وإنباه الرواة 1 : 155 وطبقات السبكي 2 : 256 وطبقـات الشيرازي : 171 وصفـة الصفوة 2 : 228 وطبقـات أبي يعلى 1 : 86 وتذكـرة الحفاظ : 584 وسـير أعلام النبلاء 13 : 356 وعبر الذهبي 2 : 74 والبلغة : 4 والشذرات 2 : 190 وانظر مقدمة كتاب « المناسك » بتحقيق صديقنا العلامة الشيخ حمد الجاسر ففيها دراسة عن الحربي ومؤلفاته ص9 ـ 256 (وفي حاشية سير أعلام النبلاء مزيد من التخريج) .

(1) صاحبته يعني الفرس ؛ المحوص : السريعة العدو ، أو الشديدة الخلق .
ناء بها : أتعبها ؛ الرهيص : المرهوصة وهي التي أثر فيها الحصى فأوهن حوافرها .

(2) طبع هذا الكتاب في ثلاثة أجزاء بتحقيق الدكتور سليمان بن إبراهيم بن محمد العايد ، جامعة أم القرى بمكة المكرمة 1405/1985 .

الحربي ؟ فقال : صحبتُ قوماً من الكرخ على الحديث وعندهم ما جاز القنطرةَ العتيقةَ من الحربية[1] فسموني الحربي بذلك .

وحدَّث[2] أحمد بن عبد الله بن خالد بن ماهان المعروف بابن أسد قال : سمعتُ إبراهيم الحربيَّ يقول : أجمع عقلاءُ الأمةِ أنه من لم يجرِ مع القَدَرِ لم يهنأ بعيشه ، كان يكونُ قميصي أنظفَ قميصٍ وإزاري أوسخَ إزار ، ما حدثت نفسي أنهما يستويان قط ، وفرد عقبي مقطوع ، وفرد عقبي الآخر صحيح ، أمشي بهما وأدورُ بغداد كلَّها هذا الجانبَ وذاك الجانب ، لا أحدّث نفسي أني أصلحهما ، وما شكوتُ إلى أُمي ولا إلى أختي ولا إلى امرأتي ولا إلى بناتي قطُّ حمًّى وجدتها ؛ الرجلُ هو الذي يُدْخِلُ غمه على نفسه ولا يغمُّ عيالَه ، كان بي شقيقةٌ خمساً وأربعين سنة ما أخبرتُ بها أحداً قط ، ولي عشرُ سنين أبصر بفردِ عين ما أخبرتُ به أحداً ، وأفنيتُ من عمري ثلاثين سنة برغيفين[3] في اليوم والليلة إن جاءتني بهما امرأتي أو إحدى بناتي أكلتُ وإلا بقيتُ جائعاً عطشانَ إلى الليلة الأخرى ، والآن آكلُ نصفَ رغيف وأربعَ عشرةَ تمرةً إن كانَ برْنياً ، أو نيفاً وعشرين إن كان دَقَلاً[4] . ومرضت ابنتي فمضت امرأتي فأقامت عندها شهراً فقام إفطاري في هذا الشهر بدرهم ودانقين ونصف . ودخلتُ الحمامَ واشتريتُ لهم صابوناً بدانقين فقام نفقة شهرِ رمضان كلِّه بدرهمٍ وأربعةِ دوانيق ونصف ، ولا تَرَوَّحْتُ[5] ولا رُوِّحتُ قطّ ولا أكلتُ من شيءٍ واحدٍ في يومٍ مرتين .

وحدث[6] أحمد بن سليمان القطيعي قال : أضقتُ إضاقةً شديدةً فمضيتُ إلى إبراهيم الحربي لأبثَّه ما أنا فيه ، فقال لي : لا يضيق[7] صَدْرُكَ فإنَّ اللَّه من وراءِ المعونة . وإني أَضَقْتُ مرةً حتى انتهى أمري في الإضاقة إلى أن عَدِمَ عيالي القوتَ ،

---

(1) في م : صحبت قوماً من الحربية ، وما هنا مطابق للمختصر وتاريخ بغداد .

(2) تاريخ بغداد 6 : 30 ـ 31 وقارن بسير الذهبي 13 : 367 .

(3) م : برغيف .

(4) البرني : نوع جيد من التمر ، والدقل رديء .

(5) هو كذلك في تاريخ بغداد وسير الذهبي : 367 ، وفي ر : تزوجت ولا زوجت .

(6) تاريخ بغداد : 31 ـ 32 وسير الذهبي : 368 .

(7) كذا هو أيضاً في تاريخ بغداد وسير الذهبي ، والأصوب : لا يضقْ ؛ وقارن بإنباه الرواة 1 : 156 ـ 157 .

فقالتْ لي الزوجةُ : هَبْ أني وإياك نصبرُ فكيف نصنعُ بهاتين الصبيتين ؟ فهاتِ شيئاً من كتبك حتى نبيعه أو نرهنه، فضننتُ بذلك وقلت: اقترضي لها شيئاً وأنظريني بقيةَ اليوم والليلة ، وكان لي بيتٌ في دهليزِ داري فيه كتبي ، فكنتُ أجلسُ فيه للنسخ والنظر ، فلما كان في تلك الليلة إذا داقٌّ يدقُّ البابَ ، فقلت : من هذا ؟ فقال : رجلٌ من الجيران ، فقلتُ : ادخل ، فقال أطفِ السراجَ حتى أدخلَ ، فكببتُ على السراج شيئاً وقلت : ادخل ، فدخل وترك إلى جانبي شيئاً وانصرف ، فكشفتُ عن السراجِ ونظرتُ فإذا منديلٌ له قيمة وفيه أنواعٌ من الطعام وكاغَدٌ فيه خمسمائة درهم ، فدعوتُ الزوجةَ وقلت : أنبهي الصبيانَ حتى يأكلوا . ولما كان من الغد قضينا ديناً كان علينا من تلك الدراهم . وكان [وقت][1] مجيءِ الحاجِّ من خراسان ، فجلستُ على بابي من غدِ تلك الليلة ، وإذا جمّالٌ يقودُ جملين عليهما حملان ورقاً وهو يسأل عن منزل إبراهيم الحربي ، فانتهى إليَّ فقلت : أنا إبراهيم الحربي ، فحطَّ الحملين وقال : هذان الحملان أنفذهما لكَ رجلٌ من أهل خراسان ، فقلت : من هو؟ فقال : قد استحلفني ألا أقولَ لك من هو .

وحدث[2] أبو عثمان الرازي قال : جاء رجلٌ من أصحاب المعتضد إلى إبراهيم الحربي بعشرةِ آلافِ درهم من عند المعتضد يسأله عن [أمر] أمير المؤمنين تفرقةَ ذلك ، فردَّه وانصرف الرسول ثم عاد فقال له : إن أميرَ المؤمنين يسألك أن تفرِّقَهُ في جيرانك ، فقال له : عافاك الله ، هذا مالٌ لم نَشْغَلْ أنفسنا بجمعِهِ فلا نَشْغَلُهَا بتفرقته ، قلْ لأمير المؤمنين إن تركتنا وإلاّ تحوَّلنا من جوارك .

وحدث أبو القاسم الجبّلي[3] قال : اعتلَّ إبراهيم بن إسحاقَ الحربيّ علةً حتى أشرفَ على الموت ، فدخلتُ عليه يوماً فقال : يا أبا القاسم أنا في أمرٍ عظيم مع

(1) زيادة من تاريخ بغداد سقطت من ر .

(2) تاريخ بغداد : 32 وقارن بإنباه الرواة 1 : 157 .

(3) هو الحافظ أبو القاسم إسحاق بن إبراهيم الجبلي (وجبل بليدة من سواد العراق) عاش ببغداد وكان يفتي بالحديث ويذاكر ولا يحدث ، توفي سنة 281 (تاريخ بغداد 6 : 378 وطبقات أبي يعلى 1 : 110 والوافي 8 : 395 وسير أعلام النبلاء 13 : 343) والخبر عن تاريخ بغداد : 33 وقارن بسير الذهبي : 369 وإنباه الرواة 1 : 157 .

ابنتي ، ثم قال لها : قومي واخرجي إلى عمك ، فخرجتْ وألقتْ على وجهها خمارها ، فقال إبراهيم : هذا عمُّكِ كلميه ، فقالت لي : يا عمِّ نحن في أمرٍ عظيم لا في الدنيا ولا في الآخرة ، الشهرَ والدهرَ ما لنا طعامٌ إلا كِسَرٌ يابسة وملحٌ ، وربما عَدِمْنَا الملحَ ، وبالأمسِ قد وجَّهَ إلينا المعتضد مع بَدْرٍ[1] بألفِ دينار فلم يأخذها ، ووجَّه إليه فلانٌ وفلان فلم يأخذْ منها شيئاً ، وهو عليل ، فالتفتَ الحربيُّ إليها وتبسَّمَ وقال : يا بنية إنما خفتِ الفقرَ ؟ فقالت : نعم ، فقال لها : انظري إلى تلك الزاوية ، فنظرت فإذا كتبٌ ، فقال لها : هناك اثنا عشر ألف جزء لغة وغريب كتبته بخطي ، إذا مت فوجِّهي في كلِّ يوم بجزءٍ تبيعينه بدرهم ، فمن كان عنده اثنا عشر ألف درهم ليس هو فقيراً .

وحدث أبو عمر الزاهد وابن المنادي[2] : سمعت ثعلباً مراراً يقول : ما فقدتُ إبراهيم الحربي في مجلس لغةٍ أو نحوٍ خمسين سنة .

وحدث أبو بكر الشافعيّ قال[3] ، قال إبراهيم الحربيّ : ما أخذت على علم قطّ أجراً إلّا مرةً واحدة فإني وقفت على بقالٍ فوزنتُ له قيراطاً إلا فلساً ، فسألني عن مسألة فأجبته فقال للغلام : أعط بقيراطٍ ولا تنقصه شيئاً ، فزادني فلساً .

وحدث[4] إبراهيم الحربي وقد سألوه عن حديث عباس البقال فقال : خرجت إلى الكبش[5] ووزنتُ لعباسِ البقالِ دانقاً إلا فلساً فقال لي : يا أبا إسحاق حدثني حديثاً في السخاءِ فلعلَّ الله يشرحُ صدري فأعملَ شيئاً ، قال : قلت له نعم ، روي عن الحسن بن عليّ رضي الله عنهما أنه كان ماراً في بعضِ حيطانِ المدينة فرأى أسود وبيده رغيفٌ يأكلُ منه لقمةً ويطعمُ الكلبَ لقمةً إلى أن شاطره الرغيف، فقال له الحسن : ما

(1) بدر غلام المعتضد ، ولي الشرطة حين بويع المعتضد سنة 279 وكان ذا نفوذ في دولته (فهرسة تاريخ الطبري) .

(2) هو أبو الحسين ابن المنادي ، والخبر عن تاريخ بغداد 6 : 33 وقد أفرد لثعلب رواية ، ولابن المنادي رواية أخرى ؛ وانظر إنباه الرواة 1 : 158 .

(3) تاريخ بغداد : 34 .

(4) المصدر نفسه .

(5) كان اسم شارع في بغداد يتفرع عن درب الأنبار داخل باب الأنبار نفسه مباشرة ويتجه نحو ضفة قناة الصراة الصغرى ؛ والحيّ هنالك كان يعرف بحيّ الكبش والأسد (Baghdad, P.133) .

حملكَ على أن شاطرته فلم تغابنْهُ فيه بشيءٍ ؟ فقال : استحيَتْ عينـاي من عينيه أن أغابنه ، فقال له الحسن : غلام من أنت ؟ فقال : غـلام أبان بن عثمـان ، فقال : والحائط ؟ فقال : لابان بن عثمان . فقال له الحسن : أقسمتُ عليكَ لا برحتَ حتى أعودَ إليك ، فمرَّ اشترى الغـلامَ والحائطَ ، وجـاء إلى الغلام فقـال : يا غـلام قد اشتريتكَ ، فقام قائماً فقال : السمعُ والطاعةُ للّه ولرسوله ولكَ يا مولاي ، قال : وقد اشتريتُ الحائطَ وأنت حرٌّ لوجه اللّه تعالى ، والحائطُ هِبَةٌ منّي إليك ، فقال الغلام : يا مولاي قد وهبتُ الحائطَ للذي وهبتني له . قال إبراهيم ، فقال عباس البقال : حسنٌ والله يا أبا إسحاق ، يا غلام لأبي إسحاق دانقٌ إلا فلساً أعطِهِ بدانقٍ ما يريدُ ولا تُنْقِصْهُ شيئاً ، فقلت : واللّه لا أخذتُ إلا بدانقٍ إلا فلساً .

وحدث[1] عبد اللّه بن أحمد بن حنبل قال ، كان أبي يقـول لي : امضِ إلى إبراهيم الحربيّ يلقي عليك الفرائض . قال : ولما مات سعيد[2] بن أحمد بن حنبل جاء إبراهيم الحربي إلى عبد اللّه فقام إليه عبد الله فقال : تقومُ إليَّ ؟ فقال : لم لا أقوم إليك ؟ واللّه لو رآك أبي لقام إليك ، قال : واللّه لو رأى ابنُ عيينة أباك لقام إليه .

وقال إبراهيم الحربي[3] : في كتاب «غريب الحديث» الذي صنَّفَهُ أبـو عبيد ثلاثةٌ وخمسون حديثاً ليس لها أصل وقد أعلمتُ عليها في كتاب السروي ، منها : أتت امـــرأةُ النبيَّ ﷺ وفي يـدهـــا منـاجـد[4] ، ونهى النبيُّ ﷺ عن لبس الســـراويـــلات المخرفجة[5] ، وأتى النبي ﷺ أهل قاهة[6] ، وقال عمـر للنبي ﷺ : لو أمـرتَ بهذا

---

(1) تاريخ بغداد 6 : 35 .

(2) في م : سعد؛ انظر تاريخ بغداد 9 : 96 .

(3) تاريخ بغداد 6 : 35 ـ 36 .

(4) في الحديث أنه عليه السلام رأى امرأة تطوف بالبيت عليها مناجد من ذهب فقال : أيسرّكِ أن يحليك اللّه مناجد من نار؟ قالت : لا ، قال : فأدي زكاتها . قال أبو عبيد : أراه أراد الحلي المكلل بالفصوص ، وأصله من النجود وكل شيء زخرفته فقد نجدته (غريب أبي عبيد 3 : 113) .

(5) المخرفجة : الواسعة الطويلة .

(6) في غريب أبي عبيد 3 : 116 أن رجلاً من أهل اليمن قال للرسول : إنّا أهل قاهٍ ، وشرح أبو عبيد القاه بأنه سرعة الإجابة وحسن المعاونة .

البيت فسفروا[1] ، عن النبي أنه قال للنساء[2] : « إذا جُعْتُنَّ دَقَعتن وإذا شبعتن خجلتن » .

وحدث أبو العباس ابن مسروق قال[3] ، قال لي إبراهيم الحربي : لا تحدّث فتسخنَ عينك كما سخنتْ عيني ، قلت له : فما أعمل ؟ قال : تطأطىء رأسك وتسكتُ ، قلت له : فأنت لم تحدث ؟ قال: ليس وجهي من خشب .

وحدث محمد بن عبد الله الكاتب[4] قال كنت يوماً عند المبرد فأنشدنا :

جسمي معي غيرَ أنَّ الروحَ عندكمُ   فالجسمُ في غربةٍ والروحُ في وطنِ
فليعجبِ الناسُ مني أنَّ لي بدناً   لا روحَ فيه ولي روحٌ بلا بدنِ

ثم قال : ما أظن أن الشعراء قالوا أحسن من هذا ، قلت : ولا قول الآخر ؟ قال : هيه ، قلت : الذي يقول[5] :

فارقتكمْ وحييتُ بعدكمُ   ما هكذا كان الذي يجبُ
فالآن ألقى الناسَ معتذراً   من أن أعيشَ وأنتمُ غُيُبُ

قال : ولا هذا ، قلت : ولا قول خالد الكاتب[6] :

رُوحان لي روحٌ تضمنها   بَلَدٌ وأخرى حازها بلدُ
وأظنّ غائبتي كشاهدتي   بمكانها تجدُ الذي أجدُ

قال : ولا هذا ، قلت : أنت إذا هويت الشيء ملتَ إليه ولم تعدلْ إلى غيره ، قال : لا ولكنّه الحق ، فأتيتُ ثعلباً فأخبرته ، فقال ثعلب : ألا أنشدته :

---

(1) غريب أبي عبيد 1 : 63 وفسّر سفر بمعنى كنس (عن الأصمعي) .
(2) غريب أبي عبيد 1 : 119 قال أبو عمرو : الدقع : الخضوع في طلب الحاجة والحرص عليها ، وقال غيره : أخذ من الدقعاء وهو التراب ، يعني أنكن تلصقن بالأرض من الخضوع ؛ والخجل مأخوذ من الإنسان يبقى ساكناً لا يتحرك ، وقيل خجلتن بمعنى بطرتنّ .
(3) تاريخ بغداد : 36 .
(4) تاريخ بغداد (37) محمد بن عبيد الله الكاتب ؛ والقصة في مصارع العشاق 2 : 260 ـ 261 .
(5) ورد البيتان في البصائر 4 رقم: 734 (ص: 202) منسوبين لابن الجهم وهما في مصارع العشاق 2 : 260 .
(6) لم يردا في الجزء الثاني من مجمع الذاكرة (في شعر خالد الكاتب) وهما في مصارع العشاق 2 : 260 .

غابوا فصار الجسم من بعدهمْ لا تنظر العينُ له فيّا
بأيّ وجهٍ أتلقاهُم إذا رأوني بعدهمْ حَيَّا
يا خَجْلَتي منهمْ ومن قولهم ما ضرَّك الفقدُ لنا شيّا

قال : فأتيت إبراهيم الحربي فأخبرته ، فقال : ألا أنشدته[1] :

يا حيائي ممن أحبُّ إذا ما قلتُ بعد الفراق إني حييتُ
لو صدقتُ الهوى حبيباً على الصحَّةِ لما نأى لكنتُ أموتُ

قال : فرجعتُ إلى المبرد ، فقال : أستغفر الله إلا هذين البيتين يعني بيتي إبراهيم .

قال[2] : وأنشد رجل إبراهيم قول الشاعر :

أنكرتَ ذلّي فأيُّ شيءٍ أحسنُ من ذلَّةِ المحبِّ
أليس شوقي وفيضُ دمعي وضعفُ جسمي شهودَ حبّي

فقال إبراهيم : هؤلاء شهود ثقات .

قال[3] : وأنشد بعضهم لإبراهيم الحربيّ :

هما [اثنان] إذا عُدَّا فخيرٌ لهما الموت
فقيرٌ ما له زهدٌ وأعمى ما له صوتُ

وروي عن إبراهيم الحربي أنه قال : ما أنشدتُ شيئاً من الشعر قط إلا قرأتُ بعدهُ ﴿ قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَد ﴾ ثلاثَ مرات .

وحدث الطوماري قال : دخلت على إبراهيم الحربيّ وهو مريض ، وقد كان يحمل ماؤه إلى الطبيب وكان يجيء إليه ويعالجه [فجاءت الجارية][4] وردّت الماء وقالت : مات الطبيب ، فقال :

---

(1) مصارع العشاق 2 : 261 .
(2) تاريخ بغداد : 38 ومصارع العشاق 2 : 261 .
(3) تاريخ بغداد : 39 .
(4) زيادة من تاريخ بغداد .

إذا مات المعالِج من سَقامٍ　فيوشِكُ للمعالَج أن يموتا

ودخل عليه قوم يعودونه فقالوا : كيف تجدك يا أبا اسحاق ؟ قال : أجدني كما قال [الشاعر][1] :

دبَّ في السقام سفلاً وعلوا　وأراني أذوبُ عضواً فعضوا

بَلِيَتْ جِدَّتي بطاعةِ نفسي　وتذكرتُ طاعةَ اللّهِ نضْوا

قال أبو الحسن الدارقطني[2] : إبراهيم الحربي ثقة ، وكان إماماً يقاس بأحمد بن حنبل في زهده وعلمه وورعه ، وهو إمامٌ مصنّفٌ عالم بكلِّ شيء ، بارعٌ في كلِّ علم ، صدوق ، وذكر وفاته كما تقدم .

هذا آخر ما نقلته من تاريخ الخطيب .

نقلت[3] من خط الإمام الحافظ أبي نصر عبد الرحيم بن وهبان صديقِنا ومفيدِنا قال ، نقلتُ من خطِّ أبي بكر محمد بن منصور السمعاني ، سمعت أبا المعالي ثابتَ بن بُنْدَارٍ البقال يقول ، حكى لنا البرقانّي رحمه اللّه قال: كان إسماعيل بن إسحاق القاضي[4] يشتهي رؤيةَ إبراهيم الحربي ، وكان إبراهيم لا يدخل عليه ، يقول : لا أدخلُ داراً عليها بواب ، فأخبر إسماعيل بذلك فقال : أنا أدعُ بابي كبابِ الجامع ، فجاء إبراهيم إليه ، فلما دخل عليه خَلَعَ نعليه ، فأخذ أبو عمر محمد بن يوسف القاضي[5] نعليه ولفَّهما في منديل دبيقيّ وجعله في كمه، وجرى بينهما علمٌ كثير ، فلما قام إبراهيم التمسَ نعليه ، فأخرج أبو عمر النعلَ من كُمّه ، فقال له إبراهيم : غفر اللّه

---

(1) هو أبو نواس ، انظر ديوانه : 987 .

(2) تاريخ بغداد 6 : 40 .

(3) نقله الصفدي 5 : 321 وعنه الكتبي في الفوات .

(4) أبو إسحاق اسماعيل بن إسحاق القاضي أصله من البصرة ، جمع القراءات والحديث والفقه والمعرفة بالعربية ، وكان مالكي المذهب ، توفي ببغداد سنة 282 (طبقات الشيرازي : 164 ـ 165 وترتيب المدارك والديباج المذهب : 92 وعبر الذهبي 2 : 67 وسير الذهبي 13 : 339 وفي حاشيته تخريج مستفيض ، وستأتي ترجمة اسماعيل في معجم الأدباء رقم : 236 .

(5) أبو عمر محمد بن يوسف القاضي : هو ابن عم أبي اسحاق المذكور قبله ، انظر طبقات الشيرازي : 165 والديباج المذهب : 241 .

لك كما أكرمتَ العلم ، فلما مات أبو عمر القاضي رؤي في المنام ، فقيل له : ما فعل اللّه بك ؟ فقال : أجيبت فيَّ دعوةُ إبراهيم الحربي رحمه اللّه .

وحدثني[1] صديقنا الحافظ أبو عبد اللّه محمد بن محمود بن النجار[2] حرسه اللّه قال ، حدثني أبو بكر أحمدُ بن سعيد بن أحمد الصباغ الأصبهاني بها قال ، حدثنا أحمد بن عمر بن الفضل الحافظ الأصبهاني ، ويعرف بجنك ، إملاءً قال ، أخبرنا الحسن بن أحمد المقرىء يعني أبا علي الحداد[3] ، قال : أظنه عن أبي نعيم : إنه كان يحضرُ في مجلس إبراهيم الحربي جماعةٌ من الشبان للقراءة عليه ، ففقد أحدَهم أياماً ، فسأل عنه مَنْ حَضَرَ فقالوا : هو مشغول ، فسكت ، ثم سألهم مرةً أخرى في يوم آخر ، فأجابوه بمثل ذلك ، وكان الشاب قد ابتلي بمحبَّة شخصٍ شَغَلَه عن حضورِ مجلسه ، وعظّموا إبراهيم الحربيّ أن يخبروه بِجَلِيَّة الحالِ ، فلما تكرَّرَ السؤالُ عنه وهم لا يزيدونه على أنه مشغول قال لهم : يا قومُ إن كان مريضاً فقوموا بنا لعيادته[4] ، أو مديوناً اجتهدنا في مساعدته ، أو محبوساً سعينا في خلاصه ، فخبّروني عن جليَّةِ حاله[5] ، فقالوا : نُجِلُّكَ عن ذلك ، فقال : لا بدَّ أن تخبروني ، فقالوا : إنه رجل قد ابتلي بعشق صبّيٍ ، فوجم إبراهيم ساعةً ثم قال : هذا الصبيُّ الذي ابتلي بعشقه مليحٌ هو أم قبيح ؟ فعجب القوم من سؤاله عن مثلِ ذلك مع جلالته في أنفسهم وقالوا : أيها الشيخ مثلُكَ يسأل عن مثل هذا ؟ فقال : إنه بلغني أنّ الانسان إذا ابتلي بمحبةِ صورةٍ قبيحةٍ كان بلاءً يجبُ الاستعاذةُ من مثله ، وإن كان مليحاً كان ابتلاءً يجبُ الصبرُ عليه واحتمالُ المشقةِ فيه ، قال : فعجبنا مما أتى به .

قلت : هذه الحكاية مع الإسناد حدثنيه مفاوضةً بحلب ولم يكن أصله معه فكتبته بالمعنى واللفظ يزيد وينقص .

---

(1) الصفدي 6 : 322 .

(2) هو صاحب ذيل تاريخ بغداد ؛ توفي سنة 643 (انظر الفوات 2 : 522 والوفيات 5 : 9) وحاشيتيهما وسيترجم له ياقوت رقم : 1114 .

(3) الحسن بن أحمد المقرىء أبو علي الحداد شيخ أصبهان في القراءات والحديث : كان ثقة صالحاً جليل القدر ، وتوفي سنة 515 (طبقات الجزري 1 : 206) .

(4) الوافي والفوات : قوموا بنا لنعوده .

(5) ر : أمره .

وكان[1] فيه مُلَحٌ وفكاهة ، وربما جاء في أثناءِ كلامِهِ أشياءُ سخيفة ، منها ، قال إبراهيم الحربي : كنتُ يوماً جالساً فجاءني رجلٌ فقال لي : هل يجوزُ أن يجامع الرجل حموه ؟ فقلتُ : عساه يريد حماته ، فقال : لا ، تلك أعرفُ أنها حلال ، إنما سؤالي عن الحمو ، فقلت : اخرج قبحك الله ؟ هكذا قاله حمو ملحوناً .

وقال : جاءني يوماً رجلٌ آخر فقال لي : يا سيدي أنا شابٌ وطلبتْ نفسي الجماعَ حتى قام ذكري ، فكشفتُهُ وجعلتُ ألعبُ به ، فما أحسستُ إلا بصبي وقد قعد عليه ، فلما أحسستُ بذلك أخذت بأكتافه ولم أزل حتى فرغتُ منه ، أأكونُ زانياً ؟ قال ، فقلت له : أما زانٍ أو غير زان فلا أقولُ فيه شيئاً ، ولكني أقول : إن أيرك هذا أيرٌ مرزوق .

ومن[2] مصنفات إبراهيم الحربي : كتاب غريب الحديث. كتاب سجود القرآن. كتاب مناسك الحج. كتاب الهدايا والسنّة فيها. كتاب الحمّام وآدابه . والذي خرج من تفسيره لغريب الحديث: مسند أبي بكر رضي الله عنه . مسند عمر رضي الله عنه. مسند عثمان رضي الله عنه. مسند علي بن أبي طالب رضي اللّه عنه . مسند الزبير رضي الله عنه . مسند طلحة رضي اللّه عنه . مسند سعد بن أبي وقاص رضي اللّه عنه . مسند عبد الرحمن بن عوف رضي اللّه عنه . مسند العباس رضي اللّه عنه . مسند شيبة بن عثمان رضي اللّه عنه . مسند عبد اللّه بن جعفر . مسند المسور بن مخرمة . مسند المطّلب بن ربيعة . مسند السائب . مسند خالد بن الوليد . مسند أبي عبيدة بن الجراح . مسند ما روي عن معاوية . مسند ما روي عن عاصم بن عمر . مسند صفوان ابن أمية . مسند جبلة بن هبيرة . مسند عمرو بن العاص . مسند عمران بن الحصين . مسند حكيم بن حزام . مسند عبد اللّه بن زمعة . مسند عبد الرحمن بن سَمُرة . مسند عبد اللّه بن عمرو . مسند عبد الله بن عمر .

---

(1) هذه الفقرة والتي تليها من المختصر (ر) .

(2) نقله الصفدي 5 : 323 وعنه الكتبي ؛ وانظر الفهرست : 287 ففي ما ورد هنا زيادة ، وأضاف ابن النديم أن له من الكتب : كتاب الأدب ، كتاب المغازي ، كتاب التيمم .

- 7 -

إبراهيم بن إسحاق الأديب اللغوي أبو إسحاقَ الضريرُ البارع : سمع الحديثَ بالبصرةِ والأهواز وببغداد بعد الأربعين والثلاثمائة ، وكان من الشعراء المجودين[1] ، طاف بعضَ الدنيا ثم استوطن نيسابور إلى أن مات بها في سنة ثمان وسبعين وثلاثمائة . وكان من الشعراء المجودين[1] وممن تعلم الفقهَ والكلام ، قال ذلك كله الحاكم ولقيه وروى عنه شيئاً .

- 8 -

إبراهيم بن إسماعيل بن أحمد بن عبد الله الطرابلسي : يعرف بابن الاجدابي ، وأجدابية من نواحي افريقية ، له أدب وحفظ ولغة وتصانيف ، ومن مشاهيرها كتاب كفاية المتحفظ ، صغير الحجم كثير النفع ، وكتاب الأنواء .

- 9 -

إبراهيم بن السري بن سهل أبو إسحاق النحوي : قال الخطيب : كان من أهل الدين والفضل حسنَ الاعتقاد جميلَ المذهب ، وله مصنفاتٌ حسان في الأدب ،

---

7 ـ ترجمته في الوافي 5 : 324 ونكت الهميان : 87 (نقلاً عن ياقوت) وبغية الوعاة 1 : 407 والبلغة : 6 ولم ترد هذه الترجمة في المختصر .

8 ـ ترجمته في إنباه الرواة 1 : 158 وبغية الوعاة 1 : 408 ولم ترد الترجمة في المختصر . وكتاباه اللذان ذكرهما ياقوت مطبوعان .

9 ـ ترجمة الزجاج في الفهرست : 66 وأخبار النحويين البصريين : 108 ومراتب النحويين : 136 وطبقات الزبيدي : 111 ـ 112 ووفيات الأعيان 1 : 49 وإنباه الرواة 1 : 159 وتاريخ بغداد 6 : 89 ونور القبس : 342 ونزهة الألباء : 167 والمنتظم 6 : 176 وتاريخ أبي المحاسن : 38 وعبر الذهبي 2 : 148 وسير الذهبي 14 : 360 والوافي 5 : 347 والشذرات 2 : 259 وروضات الجنات 1 : 158 . والمقفى 1 : 155

....

(1) وكان . . . المجودين : مكرر أيضاً في المصادر التي نقلت النص .

مات في جمادى الآخرة سنة أحدى عشرة وثلاثمائة . وحكى ابن مهذب في تاريخه[1] حدثني الشيخ أبو العلاء المعري أنه سمع عنه ببغداد أنه لما حضرته الوفاة سئل عن سنه فعقد لهم سبعين ، وآخر ما سُمِعَ منه : اللهم احشرني على مذهب أحمد بن حنبل . وأبو إسحاق هو أستاذ أبي علي الفارسي ، قال الخطيب[2] باسناده قال أبو محمد عبد الله بن درستويه النحوي ، حدثني الزجاج قال : كنت أخرطُ الزجاجَ ، فاشتهيت النحوَ فلزمتُ المبرد لتعلّمه ، وكان لا يعلِّم مجاناً ولا يعلم بأجرة إلا على قدرها ، فقال لي : أيّ شيءٍ صناعتك ، قلت : أخرطُ الزجاج وكسبي في كل يوم درهمٌ ودانقان ، أو درهم ونصف ، وأريد أن تبالغَ في تعليمي ، وأنا أعطيك في كلّ يوم درهماً ، وأشرط لك أن أعطيك إياه أبداً إلى أن يفرِّقَ الموتُ بيننا ، استغنيتُ عن التعليم أو احتجتُ إليه . قال : فلزمته وكنت أخدمه في أموره مع ذلك وأعطيه الدرهم ، فينصحني في العلم حتى استقللت ، فجاءه كتابُ بعضِ بني مارمة[3] من الصراة يلتمسون معلّماً نحوياً لأولادهم ، فقلت له : أسْمني لهم فأسماني ، فخرجت فكنت أعلمهم وأنفذ إليه في كلِّ شهر ثلاثين درهماً وأتفقده بعد ذلك بما أقدر عليه . ومضتْ مدةٌ على ذلك ، فطلب منه عبيد اللّه بن سليمان مؤدباً لابنه القاسم ، فقال له : لا أعرفُ لك إلاّ رجلاً زجّاجاً بالصراة مع بني مارمة ، قال : فكتب إليهم عبيد اللّه فاستنزلهم عني فنزلوا له ، فأحضرني وأسلم القاسمَ إليّ ، فكان ذلك سبب غناي . وكنت أعطي المبرد ذلك الدرهم في كلِّ يوم إلى أن مات ولا أخليه من التفقد بحسب طاقتي ، قال : فكنت أقول للقاسم بن عبيد اللّه[4] إن بلَّغك اللّه مبلغَ أبيك ووليتَ الوزارة ماذا تصنع بي ؟ فيقول : ما أحببت ، فأقول له : تعطيني عشرين ألف دينار ، وكانت غايةَ أمنيتي . فما

---

(1) هو أبو غالب همام بن الفضل بن جعفر بن علي بن المهذب التنوخي (وأسرة بني المهذب كانت من الأسر المرموقة في المعرة) وقد أكمل تاريخاً بدأه جدّ والده ، جمعه مما وجده بخط ذلك الجد وما سمعه ممن أدركهم من المعريين ، وقد اعتمد عليه ابن العديم كثيراً في بغية الطلب ؛ انظر شذرات من كتب مفقودة (91 ـ 109 ، 461 ـ 463) .

(2) تاريخ بغداد 6 : 90 والوافي 5 : 348 وإنباه الرواة 1 : 159 ـ 160 ونشوار المحاضرة 1 : 274 .

(3) في بعض المصادر : مازمة ؛ وفي بعض آخر : مارقة ، وفي النشوار : مارية ، وفي المقفى : مازن .

(4) وزر للمعتضد وأقره المكتفي بعده على الوزارة ومات وهو وزير له ؛ وهذه القصة في النشوار 1 : 75 .

مضتْ إلّا سنونَ حتى وليَ القاسمُ الوزارةَ وأنا على ملازمتي له وصرتُ[1] نديمهُ ، فدعتني نفسي إلى إذكارِهِ بالوعد ثم هبته ، فلما كان في اليوم الثالث من وزارته قال لي : يا أبا إسحاق لم أرك أذكرتني بالنذر ، فقلت : عوَّلْتُ على رعاية الوزير أيده اللّه وأنه لا يحتاجُ إلى إذكار بنذر عليه في أمرِ خادمٍ واجبِ الحقّ ، فقال لي : إنه المعتضد ولولاه ما تعاظمني دَفْعُ ذلك إليك في مكانٍ واحد ، ولكنّي أخافُ أن يصيرَ لي معه حديثٌ فاسمحْ بأخْذِهِ متفرقاً ، فقلت : يا سيدي أفعل ، فقال : اجلسْ للناسِ وَخُذْ رقاعَهُمْ في الحوائج الكبار واستَجْعِلْ[2] عليها ولا تمتنعْ من مسألتي شيئاً تخاطَبُ فيه ، صحيحاً كان أو محالاً ، إلى أن يحصلَ لك مالُ النذر ، قال : ففعلتُ ذلك ، وكنت أعرضُ عليه كلَّ يوم رقاعاً فيوقّع لي فيها ، وربما قال لي : كم ضمن لكَ على هذا ؟ فأقول : كذا وكذا ، فيقول لي غُبِنْتَ ، هذا يساوي كذا وكذا ، ارجع فاستزدْ ، فأراجعُ القومَ ، فلا أزال أُماكسهم ويزيدوني حتى أبلغَ الحدَّ الذي رسمه . قال وعرضتُ عليه شيئاً عظيماً فحصلت عندي عشرون ألف دينار وأكثر منها في مديدة ، فقال لي بعد شهور : يا أبا إسحاق حصل مالُ النذر ؟ فقلت : لا ، فسكت ، وكنت أُعرضُ عليه فيسألني في كلِّ شهر أو نحوه حصلَ المال؟ فأقول : لا ، خوفاً من انقطاع الكسب ، إلى أن حصل لي ضعفُ ذلك المال ، وسألني يوماً فاستحييتُ من الكذب المتّصل فقلت : قد حصل ذلك ببركة الوزير ، فقال : فَرَّجْتَ واللّهِ عني فقد كنتُ مشغـولَ القلب إلى أن يحصل لك ، قال : ثم أخذ الدواةَ فوقع إلى خازنه بثلاثة آلاف دينار صلةً لي فأخذتها وامتنعتُ أن أعرضَ عليه شيئاً ولم أدرِ كيف أَقَعُ منه، فلما كان من الغد جئته وجلستُ على رسمي ، فأومأ إليَّ أن هاتِ ما معك - يستدعي مني الرقاع على الرسم - فقلت : ما أخذتُ من أحدٍ رقعةً لأن النذر وقع الوفاءُ به ولم أدرِ كيف أقعُ من الوزير ، فقال : يا سبحانَ اللّه أتراني أقطعُ عنك شيئاً قد صار لك عادةً وعلم به الناسُ وصارتْ لكَ به منزلةٌ عندهم وجاهٌ وغدوٌّ ورواحٌ إلى بابك ولا يعلمُ سببَ انقطاعه فيظنّ ذلك لضعف جاهك عندي أو تغيرِ رتبتك عنـدي ، آعرضْ عليَّ رَسْمَـكَ وَخُذْ بـلا

(1) المختصر : وأنا .

(2) استجعل : اطلب جعلاً أي مكافأة .

حساب ، فقبَّلْتُ يده وباكرته من غدٍ بالرقاع ، فكنتُ أعرضُ عليه كلَّ يوم شيئاً إلى أن مات وقد تأثَّلَتْ حالي هذه .

وحدث[1] أبو علي الفارسيّ النحوي قال : دخلتُ مع شيخنا أبي إسحاق الزجاج على القاسم بن عبيد الله الوزير ، فورد عليه خادمٌ وسارَّهُ بشيء استبشر له ، ثم تقدم إلى شيخنا أبي إسحاق بالملازمة إلى أن يعود ثم نهض فلم يكنْ بأسرعَ من أن عاد وفي وجهه أثر الوجوم ، فسأله شيخنا عن ذلك لأُنْسٍ كان بينه وبينه ، فقال له : كانت تختلفُ إلينا جارية لإحدى المغنّيات فَسُمْتُها أن تبيعني إياها فامتنعت من ذلك ، ثم أشار عليها أحد مَنْ ينصحها أنْ تُهديها إليَّ رجاءَ أن أُضاعِفَ لها ثمنها ، فلما وردت أعلمني الخادمُ بذلك فنهضتُ مستبشراً لافتضاضها فوجدتها قد حاضت فكان مني ما ترى ، فأخذ شيخنا الدواة من بين يديه وكتب :

فارسٌ ماضٍ بحربَتِهِ حاذقٌ بالطعنِ في الظُّلَمِ
رَام أن يُدْمي فريسته فاتقته من دمٍ بدم

وحدث[2] أبو علي الحسن بن أحمد بن عبد الغفار الفارسي النحوي ، قال : قال أبو إسحاق إبراهيم بن السري الزجاج : أتيت أبا العباس ابن يزيد المبرد حين دخل بغداد لأقرأ عليه الكتاب ـ يعني كتاب سيبويه ـ فقال لي : ما صنعتك ؟ فقلت : زجاج ، فقال لي : كم تكسب في كلّ يوم ؟ قلت : عشرة فما دونها ، قال : جيء كلَّ يوم بنصف ما تعمل فتطرحه في هذا الصندوق ، وكان عنده صندوقٌ معمولٌ لهذا ، قال : فبدأتُ بقراءةِ الكتاب ، وكلما جئتُ بشيءٍ طرحتُهُ في الصندوق ، ولما فرغتُ من الكتاب وختمته رمى بمفتاحِ الصندوقِ إليَّ وقال لي : افتح وخذ ما تركتَ فيه ، ففتحت وأخذتُ جميعَ ما فيه وكان قد اجتمع شيئاً كثيراً كبيراً ، فرحم الله أبا العباس ، فلقد آساني وأغناني وعلمني .

---

(1) تاريخ بغداد 6 : 92 وإنباه الرواة 1 : 162 وابن خلكان 1 : 50 .

(2) هذه الفقرة كلها من المختصر (ر) ولم ترد في م .

قال : وجرى بين الزجاج وبين المعروف بمسينة[1] ، وكان من أهل العلم ، شَرٌّ فاتصل ونسجه إبليس وأحكمه حتى خرج إبراهيم بن السريّ إلى حدّ الشتم فكتب إليه مسينة :

أبى الزجاجُ إلا شتمَ عِرْضي لينفعَهُ فآثمه وضَرَّهْ
وأقسمُ صادقاً ما كان حرٌّ ليطلقَ لفظةً في شتم حره
ولو أني كررتُ لفرَّ مني ولكن للمنون عليَّ كَرَّه
فأصبح قد وقاه الله شرّي ليومٍ لا وقاهُ الله شَرَّهْ

فلما اتصل هذا الشعر بالزجاج قصده راجلاً حتى اعتذر إليه وسأله الصفح ؛ كل هذا من تاريخ الخطيب . أنبأنا زيد بن الحسن الكندي[2] عن أبي منصور الجواليقي عن المبارك الصيرفي[3] عن علي بن أحمد بن الدهان عن عبد السلام بن حسين البصري[4] قال: كتب إلينا أبو الحسن علي بن محمد الشمشاطي[5] من الموصل قال : قال أبو إسحاق ابن السري الزجاج رحمه الله[6] : دخلتُ على أبي العباس ثعلب رحمه الله في أيام أبي العباس محمد بن يزيد المبرد وقد أملى شيئاً من « المقتضب » فسلمتُ عليه وعنده أبو موسى الحامض وكان يحسدني شديداً ويجاهرني بالعداوة ، وكنتُ أَلين له وأحتمله لموضع الشيخوخة ، فقال لي أبو العباس : قد حمل إليَّ بعض

(1) مسينة : تضطرب صورته في المصادر ، وفي حاشية على شرح بانت سعاد : بمسيبة ، والحكاية والشعر في تاريخ بغداد 6: 92 وإنباه الرواة 1: 163 .
(2) هو أبو اليمن تاج الدين زيد بن الحسن الكندي النحوي الأديب ، توفي سنة 613 بدمشق . (انظر ابن خلكان 2: 339 وإنباه الرواة 2: 10 وذيل الروضتين: 95 وطبقات الجزري 1: 297 والخريدة (قسم الشام 1: 100 والجواهر المضية 1: 246 وبغية الوعاة 1: 570). وستأتي ترجمته رقم: 504 .
(3) الأرجح أنه المبارك بن عبد الجبار الصيرفي البغدادي المحدث ، توفي سنة 500 وكان أميناً صحيح الأصول (عبر الذهبي 3: 356) .
(4) عبد السلام بن الحسين أمين دار الكتب ببغداد أيام المعري ، وإليه أرسل المعري قصيدته التائية وهات الحديث عن الزوراءِ أو هيتا» وكانت وفاته سنة 405 (إنباه الرواة 2: 175 وتاريخ بغداد 11: 57 وطبقات الجزري 1: 385) وهو من شرط المؤلف ولكن لم ترد له ترجمة .
(5) توفي سنة 377 وسيترجم له ياقوت رقم : 813 .
(6) نقلها السيوطي (المزهر 1: 202 ـ 207) برواية أبي حفص الضرير عن أبي الفتح ابن المراغي .

ما أملاه هذا الخلدي [يعني المبرد] فرأيته لا يطوع لسانه بعبارة فقلت له : إنه لا يشكّ في حسن عبارته اثنان ، ولكنْ سوءُ رأيك فيه يَعيبُهُ عندك ، فقال : ما رأيته إلا ألكنَ متغلقاً ، فقال أبو موسى : والله إن صاحبكم ألكن - يعني سيبويه - فأحفظني ذلك . ثم قال : بلغني عن الفراء أنه قال : دخلتُ البصرةَ فلقيتُ يونس وأصحابه فسمعتهم يذكرونه بالحفظ والدراية وحسن الفطنة فأتيته فإذا هو أعجم لا يفصح ، سمعته يقول لجاريةٍ له هات ذيك الماء من ذاك الجرة ، فخرجت من عنده ولم أعدْ إليه . فقلت له : هذا لا يصحُّ عن الفرّاء ، وأنت غيرُ مأمونٍ في هذه الحكاية ، ولا يعرف أصحاب سيبويه من هذا شيئاً ، وكيف تقول هذا لمن يقولُ في أول كتابه : هذا بابُ علم ما الكَلِمُ من العربية ، وهذا يعجزُ عن إدراك فهمِهِ كثيرٌ من الفصحاء فَضلاً عن النطق به ؟ فقال ثعلب : قد وجدتُ في كتابه نحواً من هذا ، قلت : ما هو ؟ قال يقول في كتابه ، في غير نسخة : « حاشا » حرفٌ يخفضُ ما بعده كما تخفض حتى وفيها معنى الاستثناء ، فقلت له : هذا كذا في كتابه وهو صحيح ، ذهب في التذكير إلى الحرف وفي التأنيث إلى الكلمة ، قال : والأجود أن يحملَ الكلامَ على وجه واحد ، قلت : كلٌّ جيد ، قال الله تعالى : ﴿ وَمَنْ يَقْنُتْ مِنْكُنَّ لِلَّهِ وَرَسُولِهِ وَيَعْمَلْ صَالِحاً ﴾ (الأحزاب: 31) وقرىء وتعمل صالحاً وقال عز وجل : ﴿ وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ ﴾ (يونس: 42) ذهب إلى المعنى ثم قال ﴿ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْظُرُ إِلَيْكَ ﴾ (يونس: 43) إلى اللفظ . وليس لقائل أن يقول : لو حُمِلَ الكلامُ على وجهٍ واحد في الاثنين كان أجود ، لأن كلًّا جيد ، فأما نحن فلا نذكر « حدود » الفراء لأنّ خطأه فيه أكثر من أن يعد ، ولكن هذا أنت عملت « كتاب الفصيح » للمبتدىء المتعلم وهو عشرون ورقة ، أخطأتَ في عشرة مواضع منه ، قال لي : اذكرها ، قلت له : نعم ، قلت وهو عِرْقُ النَّسا[1] ولا يقال عرق النسا كما لا يقال عرق الأبهر ولا عرق الأكحل ، قال امرؤ القيس[2] .

فأنشب أظفاره في النسا فقلتُ هُبِلْتَ ألا تنتصرْ

(1) الفصيح : 43 .

(2) ديوان امرىء القيس : 161 . والعقد الثمين : 127 والمختار من شعر بشار: 226 وقال الأصمعي : لا تقول العرب عرق النسا إنما تقول النسا وأجاز غيره أن يقال : عرق النسا .

وقلت حَلَمْتُ في النوم أحلُمُ حُلْماً[1] [وحلم] ليس بمصدر وإنما هو اسم ، قال اللّه تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُوا الحُلُمَ مِنْكُم ﴾ (النور: 58) وإذا كان للشيء مصدر واسم لم يوضع الاسم موضع المصدر ، ألا ترى أنك تقول حسبتُ الشيءَ أحسبه حَسْباً وحسباناً والحَسْبُ المصدرُ والحسابُ الاسم ، ولو قلت ما بلغ الحسب إليك ورفعت الحسب إليك لم يجز وأنت تريد ورفعت الحساب إليك وقلت : رجل عَزَبٌ وامرأة عَزَبَةٌ[2] : وهذا خطأ إنما يقال رجلٌ عزبٌ وامرأة عَزَبٌ لأنه مصدر وصف به فلا يجمع ولا يثنى ولا يؤنث ، كما يقال رجل خَصْمٌ وامرأة خَصْمٌ . وقد أتيت بباب من هذا النوع في الكتاب وأفردت هذا منه قال الشاعر[3] :

* يا من يدلُّ عزباً على عَزَبْ *

وقلت كسرى بكسر الكاف[4] وهذا خطأ إنما هو كَسرى ، والدليل على ذلك أنا وإياكم لا نختلف في النسب إلى كسرى يقال كَسروي ، بفتح الكاف ، وليس هذا مما يغير بالنسب لبعده منها ألا ترى أنك لو نسبت إلى معزى لقلتَ مِعْزَوي وإلى درهم قلت دِرْهَمي ولا يقال مَعزوي ولا دَرهمي . وقلت وعدت الرجل خيراً أو شراً[5] فإذا لم تذكر الشرَّ قلت أوعدته بكذا نقضاً لما أَصَّلْتَ لأنك قلت بكذا ، وقولك بكذا كناية عن الشر ، والصواب أن تقول إذا لم تذكر الشر قلت أوعدته . وقلت: وهم المطوعة[6] وإنما هم المطّوعة بتشديد الطاء كما قال اللّه تعالى : ﴿ يَلْمِزُونَ ٱلْمُطَّوِّعِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فِي الصَّدَقَات ﴾ (التوبة: 79) فقال : ما قلت إلا المطّوّعة ، فقلت : هكذا قرأته عليك وقرأه غيري وأنا حاضرٌ أسمعُ مراراً . وقلت : هو لِرِشْدَةٍ وزِنْيَةٍ كما قلت هو لغِيَّة[7] الباب فيها واحد ، لأنه إنما يريد المرةَ الواحدة ، ومصادر الثلاثي إذا أردت المرةَ الواحدةَ لم

(1) الفصيح : 33 .
(2) الفصيح : 66 .
(3) هو شطر من رجز لعمرة بنت الحمارس كما في عيون الأخبار 2 : 27 والمختار من شعر بشار : 237 .
(4) الفصيح : 50 .
(5) الفصيح : 25 .
(6) الفصيح : 91 .
(7) الفصيح : 49 ـ 50 .

تختلف ، تقول ضربته ضَربة وجلست جَلسة وركبت رَكْبة ، لا اختلافَ في ذلك بين أحد من النحويين ، وإنما تكسرُ من ذلك ما كان هيئةَ حالٍ فتصفها بالحسن والقبح وغيرهما فتقول : هو حَسَنُ الجِلسة والسِيرة والرِكبة وليس هذا من ذلك . وقلت أَسْنُمَةُ للبلدة[1] ورواه الأصمعي بضم الهمزة أُسْنُمَةُ ، فقال : ما روى ابن الأعرابي وأصحابنا إلا أَسْنُمَةُ ، فقلت : قد علمتَ أنت أن الأصمعيّ أضبطُ لما يحكي وأوثق فيما يروي . وقلت إذا عزَّ أخوكَ فهُن[2] ، والكلام فَهِنْ ، وهو من هان يهين إذا لان ، ومنه قيل هين لين ، لأنّ هُن من هان يهون من الهوان ، والعرب لا تأمر بذلك ، ولا معنى لهذا الكلام يصحّ لو قالته العرب ، ومعنى عزَّ ليس من العزة التي هي المنعةُ والقدرةُ وإنما هو من قولك عزَّ الشيء إذا اشتد ، ومعنى الكلام : اذا صَعُبَ أخوك واشتدَّ فذلَّ من الذلّ له ولا معنى للذلّ ها هنا كما تقول اذا صعب أخوك فلن له . قال فما قرىء عليه « كتاب الفصيح » بعد ذلك علمي . ثم بلغني أنه سئم ذلك فأنكر كتاب الفصيح أن يكون له .

قال المؤلف : وهذه المآخذ التي أخذها الزجاج على ثعلب لم يُسَلِّم إليه العلماءُ باللغة فيها ، وقد ألفوا تآليف في الانتصار لثعلب يضيقُ هذا المختصرُ عن ذكرها .

وحدث الزجاج قال : أنشدنا أبو العباس المبرد :

فيَّ انقباضٌ وحشمةٌ فإذا ... رأيتُ أهْلَ الوفاءِ والكرمِ
أرسلتَ نفسي على سجيتها ... وجئتُ ما جئتُ غيرَ محتشم

قال عبيد الله الفقير : وهذان البيتان يرويان لمحمد بن كناسة ، وقد رواهما آخرون لأبي نواس .

قال الزجاج : فقلت له : أليس يقولُ الأصمعي الحشمة الغضب فقال : الحشمة : الغضب ، والحشمة الاستحياء ، لأن الغضب والاستحياء جميعاً نقصانٌ في النفس وانحطاطٌ عن الكمال فلذلك كان مخرجهما واحداً ، قال فقلت له : أليسَ الحياءُ محموداً والغضبُ مذموماً ، وقد روي أن الحياء شُعْبَةٌ من الايمان ، وقد قيل إذا لم تستحِ فاصنع ما شئتَ ، فقال : الحياء محمودٌ في الدين وفي اجتناب المحارم وفي

(1) الفصيح : 47 .
(2) الفصيح : 77 .

الإفضال ، وأما في ترك الحقوق والنكوص عن الخصوم عند الحجاج فهو نقصان في النفس .

قال أبو العباس وسمعت المازني يقول : معنى قولهم إذا لم تستحِ فاصنعْ ما شئتَ ، أي إذا صنعتَ ما لا تستحي من مثله فاصنع منه ما شئت ، وليس على ما يذهبُ إليه العوامّ ، وهذا تأويل حسن .

قال حمزة بن الحسن الأصبهاني في « كتاب الموازنة »[1] : كان الزجاج يزعم أن كل لفظتين اتفقتا ببعض الحروف ، وإن نَقَصَ حروفُ إحداهما عن حروف الأخرى ، فإن إحداهما مشتقةٌ من الأخرى ، فيقول : الرَجُل مشتق من الرِجْل[2] ، والثور إنما يسَمّى ثوراً لأنه يثير الأرض ، والثوب إنما سمي ثوباً لأنه ثاب لباساً بعد أن كان غَزْلاً ، حسيبه الله كذا قال . قال : وزعم أن القرنان إنما سمي قرناناً لأنه مطيق لفجور امرأته كالثور القرنان أي المطيق لحمل قرنه ، وفي القرآن ﴿ وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنين ﴾ (الزخرف: 13) أي مطيقين . قال : وحكى يحيى بن علي بن يحيى المنجم أنه سأله بحضرة عبد الله بن أحمد بن حمدون النديم : من أي شيء اشتق الجرجير ؟ قال : لأنّ الريح تجرجره ، قال : وما معنى تجرجره ؟ قال : تجرره ، قال : ومن هذا قيل للحبل الجرير لأنه يجر على الأرض ، قال : والجرة لم سميت جرة ؟ قال : لأنها تجرّ على الأرض ، فقال : لو جرت على الأرض لانكسرت ، قال : فالمجرة لم سميت مجرة ؟ قال : لأن اللّه جرها في السماء جراً ، قال : فالجرجور الذي هو اسم المائة من الابل لم سميت به ؟ قال : لأنها تُجَرّ بالأزمة وتقاد ، قال : فالفصيل المُجَرُّ الذي يُشقّ طرفُ لسانه لئلا يرتضعَ أمه ما قولك فيه ؟ قال : لأنهم جروا لسانه حتى قطعوه ، قال : فان جروا أذنيه فقطعوه تسميه مجراً ؟ قال : لا يجوز ذلك ، فقال يحيى بن علي : قد نقضتَ العلةَ التي أتيت بها على نفسك ، ومن لم يدر أنَّ هذا مناقضة فلا حسّ له .

قال خيرة : وشهدتُ ابنَ العلاف الشاعر وعنده من يحكي عن كتاب الزجّاج

(1) نقله السيوطي في المزهر 1 : 354 .
(2) المزهر : الرحل من الرحيل .

أشياءَ من شنيع الاشتقاق الذي فيه ، ثم قال : إني حضرته وقد سئل عن اشتقاق القصعة ، قال : لأنها تقصع الجوع أي تكسره ، قال ابن العلاف : يلزمه أن يقول الخضض مشتق من الخضيض ، والعصفر مشتق من العصفور ، والدب مشتق من الدَبّ ، والعذب من الشراب مشتق من العذاب ، والخريف من الخروف ، والعقل مشتق من العاقول ، والحلم مشتق من الحلمة ، والاقليم مشتق من القلم ، والخنفساء من الفساء ، والخنثى من الأنثى ، والمخنث من المؤنث ، ضَرْطُ إبليسَ على ذا مِنْ أدب !!

وقال ابن بشران[1] : كان أبو إسحاق الزجاج ينزل بالجانب الغربي من بغداد في الموضع المعروف بالدويرة وأنشدت له :

قعودي لا يردُّ الرزقَ عني ... ولا يدنيه إن لم يُقْضَ شيٌّ
قعدتُ فقد أتاني في قعودي ... وسرتُ فعافني والسيرُ ليٌّ
فلما أن رأيتُ القصدَ أدنى ... إلى رشدي وأن الحرصَ غيٌّ
تركتُ لمدلجٍ دَلَجَ الليالي ... ولي ظلٌّ أعيشُ به وفَيٌّ

حكي أن[2] عبيد اللّه بن سليمان الوزير وجّه أبا إسحاق الزجاج إلى أبي خازم عبد الحميد بن عبد العزيز بن عبد المجيد وأبي عمر محمد بن يوسف يسألهما في رجلٍ محبوسٍ بدين ثابتٍ عندهما ، فبدأ الزجاجُ بأبي خازم ، فجاء إليه وقد علا النهارُ ودخل دارَهُ فقال أبو إسحاق للبواب : استأذن لإبراهيم الزجّاج ، فقال : إن القاضي الآن دخل الدارَ ، وليستِ العادةُ بعد أن يقومَ من مجلسه ويدخلَ الدار أن يُسْتأذنَ عليه حتى تُصَلّى العصرُ ، فقال أبو إسحاق : تعلمه أنَّ الزجاجَ بالباب ، فقال : لو جاء الوزيرُ الساعةَ لم أستأذنْ عليه ، فانصرف أبو إسحاق وقعدَ في المسجدِ مغتاظاً مما جرى ، غير أنه لا يشتهي الانصرافَ إلى الوزير إلا بعدَ قضاءِ الحاجة ، وقعد إلى وقتِ العصر ، فخرج البوابُ وكنسَ البابَ ورشَّ الماء وقال للزجّاج : القاضي قد جَلَسَ ،

(1) نقله الصفدي في الوافي 5 : 350 والشعر في المقفى 1 : 156 .

(2) هذه القصة من المختصر ، وسيرد جانب منها في ترجمة الحسن بن بشر الآمدي رقم : 311 .

فإن كان لكَ رأيٌ في الدخول إليه فَقُمْ . فقام أبو إسحاق فدخل على أبي خازم فسلَّمَ عليه وتعرَّفَ كلٌّ واحدٍ منهما خَبَرَ صاحبه ، غير أنه لم يكنْ منه من الإقبال ما كان أبو إسحاقَ يعتقدُ منه ، فأدَّى أبو إسحاقَ رسالةَ الوزير ، فقال أبو خازم : تقرأُ على الوزير ـ أعزَّهُ الله ـ السلامَ وتقولُ له : إن هذا الرجل محبوسٌ لخصمه في دينه وليس بمحبوسٍ لي ، فإن أراد الوزير إطلاقَهُ فإما أن يسألَ خَصْمَهُ إطلاقَهُ أو يقضيَ دينه ، فإن الوزير لا يُعْجزه ذلك . قال أبو إسحاق : جئتُ إلى ها هنا قبل الظهر فامتنع البوابُ من الاستئذانِ على القاضي ، فجلستُ إلى الآن للدخولِ عليك . (وهو يقصد بهذا أن ينكر القاضي على البواب) . فقال له : نعم ، هكذا عادتي ، إذا قمتُ من مجلسي ودخلتُ داري اشتغلتُ ببعضِ الحوائج التي تخصّني ، فإن القاضي لا بدَّ له من خَلْوَةٍ وتودُّعٍ . فاغتاظ أبو إسحاق من ذلك أكثر وقال له : كنتُ بحضرةِ الوزير في بعض الليالي ، فأنشد بين يديه[1] :

أدلَّ فيا حبذا من مُدِلّ ... ومن سافكٍ لدمي مستحلّ
إذا ما تعزَّز قابلته ... بذلٍّ وذلك جَهْدُ المقلّ

فسأل عن ذلك فقيل : إنها للقاضي ـ أعزه الله ـ فقال القاضي أبو خازم : نعم ، هذه أبياتٌ قلتها في والدةِ هذا الصبيِّ ـ لغلامٍ قاعد بين يديه ، في يده كتاب من الفقه يقرأ عليه وهو ابنه ـ فإني كنتُ ضعيفَ الحال أوَّلَ ما عرفتها ، وكنتُ مائلاً إليها ، ولم يمكن إرضاؤها بالمال ، فكنت أطيِّبُ قلبها بالبيت والبيتين . فقام أبو إسحاق وودَّعه ومضى إلى أبي عمر ، فاستقبله حُجّابه من باب الدار ، وأدخلوه إلى الدار ، فاستقبله القاضي من مجلسه خطواتٍ وأجلسه في موضعه وأكرمه كما يُكْرَمُ من يكون خصّيصاً بوزير إذا جاء إلى ناظرٍ من قِبَلِهِ ، فقال له : في أيِّ معنى وأي شيء ترسم ؟ فأدَّى إليه رسالةَ الوزير في باب الرجلِ المحبوس ، فقال أبو عمر : السمعُ والطاعةُ لأمرِ الوزير ، أنا أسأل صاحبَ الحقِّ حتى يُفْرِجَ عنه ، فإن فعل وإلا وزنتُ الدينَ من مالي إجابةً لمسألةِ الوزير ـ أعزه اللّه ـ . فقام أبو إسحاق وودعه وانصرف إلى الوزير ضيّقَ الصَّدْرِ

---

(1) انظر نشوار المحاضرة 1 : 89 ـ 90 .

من أبي خازم مسروراً بصنيع أبي عمر ، فاستبطأه الوزير ، فحكى ما جرى من كلٍّ واحدٍ منهما ، فقال له الوزير : فأيُّ الرجلين أفضلُ عندكَ يا أبا إسحاق ؟ فقال : أبو عمر في عقله وسداده وحُسْنِ عشرته ومعرفته بحقوق الوزير (يُغْري بأبي خازم) فقال الوزيرُ : دع هذا عنك ، أبو خازم دينٌ كله ، وأبو عمرَ عقلٌ كله .

حدث أبو القاسم عبيد الله بن محمد بن جعفر الأزدي البصري قال : لما مات أبو العباس أحمد بن يحيى بكى أبو إسحاق الزجاج ، فقلت : ما بكاؤك ؟ فقال لي : أين يذهب بك ؟ أليس كان يقال أحمد بن يحيى جالس وإبراهيم الزجاج اليوم ، فقال الزجاج ونفطويه وابن الأنباري : مات الناقد ونفقت البهارج .

وحدث المرزباني في كتابه المقتبس[1] ولم يذكر من خبره غير هذه القصة وذكرها ابن النديم في فهرسته[2] قالا جميعاً : كان السبب في اتصال أبي إسحاق الزجاج بالمعتضد أن بعضَ الندماءِ وَصَفَ للمعتضدِ « كتاب جامع النطق » الذي عمله محبرة النديم ، (قال محمد بن إسحاق خاصة : واسم محبرة محمد بن يحيى بن أبي عباد ويكنى أبا جعفر ،واسم أبي عباد : جابر بن زيد بن الصباح العسكري ، وكان حسن الأدب ونادم المعتضد وجعل كتابه جداول) .

رجع الكلام إلى اتفاقهما : فأمر المعتضد القاسم بن عبيد الله أنْ يطلبَ من يفسّر تلك الجداول ، فبعث إلى ثعلب وعرضه عليه ، فلم يتوجه إلى حساب الجداول وقال : لست أعرفُ هذا ، وإن أردتم كتابَ العين فموجود ولا رواية له . فكتب ابن عبيد اللّه إلى المبرد أن يفسّرها فأجابهم إنه كتابٌ طويل يحتاج إلى تعب وشغل ، وإنه قد كبر[3] وضعف عن ذلك ، وإن دفعتموه إلى صاحبي إبراهيم بن السريّ رجوتُ أن يفي بذلك . فتغافل القاسمُ عن مذاكرة المعتضِد بالزجاج حتى ألحَّ عليه المعتضد ، فأخبره بقول ثعلب والمبرد وأنه أحال على الزجاج ، فتقدم إليه بالتقدم إلى الزجاج بذلك ، ففعل القاسم ، فقال الزجاج : أنا أعملُ ذلك على غير نسخة ولا نظر في جدول ، فأمره بعمل الثنائي ، فاستعار الزجاج كتبَ اللغة من ثعلب والسكري وغيرهما

(1) لم ترد في نور القبس .
(2) الفهرست : 66 .
(3) الفهرست : أسن .

لأنه كان ضعيف العلم باللغة ، ففسر الثنائيَّ كلَّه وكتبه بخط الترمذي الصغير أبي الحسن وجلَّده وحمله إلى الوزير ، وحمله الوزير إلى المعتضد فاستحسنه وأمر له بثلاثمائة دينار وتقدم إليه بتفسيره كله ، ولم يخرج لما عمله الزجاج نسخة إلى أحد إلا إلى خزانة المعتضد ووزيره . (وقال ابن النديم: ثم ظهر في كتاب[1] السلطان هذا التفسير منقطعاً ورأيناه في طلحيٍّ لطيف) . وصار للزجاج بهذا السبب منزلةٌ عظيمة وَجُعِلَ له رزقٌ في الندماءِ ورزقٌ في الفقهاء ورزق في العلماء نحو ثلاثمائة دينار .

قال ابن النديم[2]: وللزجاج من الكتب: كتاب ما فسره من جامع النطق . كتاب معاني القرآن (قرأت على ظهر كتاب المعاني : ابتدأ أبو إسحاق بإملاء كتابه الموسوم بمعاني القرآن في صفر سنة خمس وثمانين ومائتين وأتمه في شهر ربيع الأول سنة إحدى وثلثمائة) . كتاب الاشتقاق . كتاب القوافي . كتاب العروض . كتاب الفرق . كتاب خلق الإنسان . كتاب خلق الفرس . كتاب مختصر النحو . كتاب فعلت وأفعلت. كتاب ما ينصرف وما لا ينصرف[3]. كتاب شرح أبيات سيبويه. كتاب النوادر.

ـ 10 ـ

إبراهيم بن سعدان بن حمزة الشيباني المؤدب : ذكره المرزباني في كتابه وقال : كان أبو [علي] الحسن العنزي[4] كثيرَ الرواية عنه ، يروي عنه الأخبارَ

10 ـ ترجمة ابن سعدان في تاريخ بغداد 6 : 99 وفي الوافي 5 : 350 ـ 351 نقل عن ياقوت وانظر إنباه الرواة 1 : 169 وبغية الوعاة 1 : 413 . (ولم ترد له ترجمة في نور القبس) .

(1) في الفهرست : نكبات ؛ وفي بعض أصوله : بقيات .

(2) الفهرست : 66 والوافي 5 : 349 ـ 350 . والمقفى 1 : 155 .

(3) نشر ماجد الذهبي « فعلت وأفعلت » (دمشق 1984) ونشر د . ابراهيم السامرائي « خلق الانسان » ضمن رسائل في اللغة (بغداد : 1964) ونشرت هدى قراعة « ما ينصرف وما لا ينصرف » (القاهرة : 1971) ونشر ابراهيم الابياري كتاباً منسوباً إليه هو : « اعراب القرآن » في ثلاثة أجزاء (القاهرة : 1963 ـ 1965) .

(4) هو الحسن بن عليل بن الحسين العنزي أبو علي أديب لغوي إخباري . توفي سنة 290 بسرّ من رأى (إنباه 1 : 317 ـ 318) وفي ر : العنبري ، وسترد ترجمته رقم: 331 .

ومستحسن الأشعار ، وكان لسعدان بن المبارك النحوي[1] ابن يسمى إبراهيم روى عن أبيه النقائض ورواها عنه أبو سعيد السكري ، ولست أعلم أهو هذا الذي نسبه العنزي إليه أو غيره ، لأن العنزي نسبه إلى سعدان بن حمزة الشيباني ، والله أعلم . كل هذا كلام المرزباني .

وكان إبراهيم بن سعدان النحوي فيما رواه أحمد بن أبي طاهر يؤدب المؤيد ، وكان ذا منزلةٍ عنده ، وحدث المرزباني في ما رفعه إلى أبي إسحاق الطلحي أحمد بن محمد بن حسان في حمار إبراهيم بن سعدان[2] :

الا أيها العَيْرُ المصرَّفُ لونُهُ بلونين في قرِّ الشتاءِ وفي الصيفِ
هلمَّ وقاكَ اللّه من كلِّ آفةٍ إلى مجدِ مولاك الشفيقِ على الضيفِ

وحدث المرزباني عن عبد الله بن يحيى العسكري عن أبي إسحاق الطلحي قال : أخبرنا إبراهيم بن سعدان قال : حرفان فيهما أربع وعشرون نقطة لا يعرف مثلهما حكاهما أبو الحسن اللحياني « تتقتقت » أي صعدت في الجبل و« تبشبشت » من البشاشة ، وحرف في القرآن هجاؤه عشرة أحرف متصلة ليس في القرآن مثله في سورة النور ﴿ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ في الأرض ﴾ (النور: 55) .

وحدث المرزباني عن الصولي عن أبي العيناء قال ، قال لي المتوكل[3]: بلغني أنك رافضي ، فقلت : يا أمير المؤمنين وكيف أكون رافضياً وبلدي البصرة ، ومنشأي مسجد جامعها ، وأستاذي الأصمعي ، وجيراني باهلة ، وليس يخلو الناسُ من طلب دينٍ أو دنيا ، فإن أرادوا ديناً فقد أجمع المسلمون على تقديم من أخروا وتأخير من قدموا ، وإن أرادوا دنيا فأنت وآباؤك أمراء المؤمنين لا دينَ إلا بك ولا دنيا إلا معك ، أبوك مستنزِل الغيث ، وفي يديك خزائن الأرض ، وأنا مولاك ، فقال : إن ابنَ سعدان زعم ذلك فيك ، فقلت : ومن ابن سعدان ؟ والله ما يفرّق ذلك بين الإمام والمأموم والتابع والمتبوع ، إنما ذاك حاملُ دِرّة ، ومعلّمُ صبية ، وآخذٌ على كتاب الله أجرة ،

---

(1) سعدان بن المبارك الضرير النحوي المتوفى سنة 220 ستأتي ترجمته رقم : 520 .
(2) أورد البيتين كل من القفطي والصفدي .
(3) نثر الدرّ 3 : 228 .

فقال : لا تفعل لأنه مؤدب المؤيد ، فقلت : يا أمير المؤمنين إنه لم يؤدّبه حِسْبَةً وإنما أدّبه بأجرة ، فإذا أعطيتَهُ حقّه فقد قضيتَ ذِمامه . فقام ابن سعدان فقال : يا أبا العيناء لا واللّه ما صدق أمير المؤمنين في شيء مما حكاه عني ، ثم أقبل على المتوكل فقال : أيُّ شيء أسهلُ عليكَ يا أمير المؤمنين من أن ينقضي مجلسك على ما تحبّ ثم يخرجُ هذا فيقطعني ؟! قال : فضحك المتوكل .

ـ 11 ـ

إبراهيم بن سعيد بن الطيب أبو إسحاق الرفاعي : قال أبو طاهر السلفي[1] وسألته يعني أبا الكرم الحوزي[2] عن الرفاعي فقال : هو من عبد السي[3] وكان ضريراً ، قَدِمَ صبياً ذا فاقةٍ إلى واسط ، فدخل الجامعَ إلى حَلْقَةِ عبدِ الغفّار الحُضَيني[4] فتلقن القرآن ، فكان معاشُهُ من أهلِ الحلقة ، ثم أُصْعَدَ إلى بغداد فصحبَ أبا سعيدٍ السيرافي وقرأ عليه «كتاب شرح سيبويه» وسمع منه كتبَ اللغةِ والدواوين ، وعاد إلى واسط . وقد مات عبد الغفار ، فجلس صَدْراً يُقْرِىءُ الناسَ في الجامع ، ونزل الزيديةَ من واسط ، وهناك تكونُ الرافضةُ والعلويون ، فَنُسِبَ إلى مذهبهم ومُقِتَ على ذلكَ وجفاه الناس . وكان شاعراً حَسَنَ الشعر جيده . وجدتُ في كتاب أبي غالب محمد بن أحمد بن سهل النحوي[5] أنشدني أبو إسحاق الرفاعي لنفسه :

---

11 ـ الوافي 5 : 354 ونكت الهميان : 88 (والنقل عن ياقوت) وإنباه الرواة 1 : 167 وبغية الوعاة 1 : 413 (وفيه عن ياقوت أيضاً) وطبقات ابن الجزري 1 : 15 .

(1) سؤالات الحافظ السلفي رقم 93 (ص 83 ـ 86) .

(2) هو أبو الكرم خميس بن علي الحوزي، توفي سنة 520 (والحوز قرية قرب واسط) وترجمته رقم : 467 .

(3) في السؤالات : عبد أمي ؛ وعند القفطي : فقال هو من عبد القيس (من ربيعة الفرس) وينقل الأستاذ مطاع طرابيشي عن الأستاذ مصطفى جواد أنه يرجح : عبدسي ، وهو اسم قرية في البطائح .

(4) هو أبو الطيب عبد الغفار بن عبيد اللّه الحضيني ، كان متصدراً بجامع واسط للاقراء ، وتوفي سنة 367 (السؤالات رقم : 25 وفي الحاشية ذكر لمصادر ترجمته) .

(5) هو ابن بشران المتوفى سنة 462 وسيترجم له ياقوت رقم : 981 .

وأحبـةٍ مـا كنتُ أحسبُ أنني		أُبْلَى ببينهـمُ فبنتُ وبـانـوا
نأتِ المسافةُ فالتـذكرُ حـظّهم		مني وحـظّي منهم النسيـان

ومات سنة إحدى عشرة وأربعمائة .

سمعت[1] أبا نعيم أحمد بن علي بن أخي سكّرة[2] المقرىء الإمـام يقول : رأيت جنـازةَ أبي إسحاق الـرفاعيِّ مـع غروب الشمس تخـرجُ إلى الجبانـة وخلفها رجُـلان ، فحدثتُ بهـا شيخنا أبـا الفتح ابن المختـار النحوي[3] فقـال : سمَّى لك الرجلين ؟ فقلت : لا ، فقال : كنت أنا أحدهما وأبو غالب ابن بشران الآخر ، وما صدقنا أنا نسلمُ خوفاً أن نقتل .

ومن عجائب[4] ما اتفق أن هذا الرجـل توفي ، وكـان على هذا الـوصف من الفضل فكانت هذه حاله ، وتوفي في غدِ يومِ وفـاته رجـلٌ من حَشْوِ العـامة يعـرف بدبّاءة[5] كان سوادياً[6] فأغلق البلدُ لأجله وصلّى عليه الناسُ كـافةً ولـم يُـوصَلْ إلى جنازته من كثرةِ الزحام . آخر كلام الحوزي .

وذكر لي أبو عبد الله محمد بن سعيد الذهبي ـ وذكـره في « أخبار النحـويين الواسطيين » ـ أنه توفي في سنة اثنتين وعشرين وأربعمائة ، فذاكرته بما قاله الحوزي فقال : الرجوعُ إلى الحقّ خيرٌ من التمادي في الباطـل ؛ الذي ذكـره الحوزي هـو الحق ، وأنا واهم .

وحدث أبو غالب ابن بشران قال أنشدنا أبو إسحاق الرفاعيّ ، وما رأيت قط أعلمَ منه ، قال أنشدنا عبد الغفار بن عبد الله ، قال أنشدنا أبو عبد الله إبراهيم بن محمد نفطويه :

---

(1) النقل مستمر عن السؤالات .

(2) ذكره السلفي في السؤالات (رقم: 9) وقال : كان صدراً في الجامع ، يعني جامع واسط .

(3) أبو الفتح محمد بن محمد بن المختار النحوي المتوفى سنة 474 سيترجم له ياقوت رقم: 1103 (وانظر سؤالات الحافظ السلفي رقم: 10) . وفي ر: العلوي .

(4) النقل مستمر عن السؤالات .

(5) سؤالات الحافظ : بدبا .

(6) ر: سوداوياً .

اقبلْ معاذيرَ من يأتيكَ معتذراً إن بَرَّ عندكَ فيما قال أو فجرا
فقد أطاعَكَ من أرضاك[1] ظاهِرُهُ وقد أجلَّك مَنْ يعصيك مستترا

ـ 12 ـ

إبراهيم بن سفيان الزيادي : هو إبراهيم بن سفيان بن سليمان بن أبي بكر بن عبد الرحمن بن زياد بن أبيه ، كان نحوياً لغوياً راوية ، قرأ كتابَ سيبويه على سيبويه ولم يتمه ، وروى عن الأصمعيِّ وأبي عبيدةَ ونظرائهما ، وكان شاعراً مات سنة تسع وأربعين ومائتين ، ومن شعره الذي رواه المرزباني في حَجَرِ النار الهاشميّ[2] :

دفع الرحمن [لي] عنـ ـك فذاك الدفعُ عنّي
وأراني فيكَ من يعـ ـذلني قارعَ سنّ
إن تكنْ برَّزت في الحُسْنِ فقد بَرَّزَ حزني

حدَّثَ المرزباني عن المبرد عن الزياديّ قال : كان في جواري حقّ قد دعيت [إليه] فحضرتُ وجيء بنبيذٍ وَطُنْبورٍ فغنّى مغنيهم :

قولا لمن يتعرّى ومن يبدد سِرّا
تركتَ فتيانَ صدقٍ يُجْلَوْنَ في الحسن دُرّا
وصرتَ إلفَ خسيسٍ يعيدُ خيرَكَ شرّا
هيهاتِ فاتكَ واللّـ ـه من يغرك غِرّا

فقلت : لمن هذا الشعر أصلحك اللّه ؟ قال : لي يا سيدي ، وأنا جوان بن دَسْت الباهليّ سيدي ، قلت : ليس جوان ودست عافاك الله من أسماء العرب ، قال :

---

12 ـ ترجمته في الفهرست: 63 وإنباه الرواة 1 : 166 والوافي 5 : 356 ونور القبس: 219 وبغية الوعاة 1 : 414 .

....

(1) ر : يرضيك .
(2) وردت الأبيات في نور القبس .

أيش عليك من ذا سيدي ؟ قلت : فردِّدِ الصوتَ ، قال : تريدُ تَقْمِشُه كَنَّكَ عقاب أو كَنّي[1] ما أعرفك ، ما تركت على كبد ابن عمي الأصمعي الماءَ وقد جئت إليّ ، طارت فراخُ بُرْجِكَ طارت ، قال : فوثبت مما حلَّ بي فلم أُعُذْ إليهم .

وحدث قال : كان الزيادي يُشَبّه بالأصمعي في معرفته للشعر ومعانيه ، وكان فيه دعابة ومزاح ، فمن شعره في ذلك :

قد خرج الهجرُ على الوصلِ — وانقطع الحبلُ من الحبلِ
ودبَّقَ الهجرُ جناحَ الهوى — وانفلتَ الوصلُ من البخلِ
فليت ذا الهجر قبيلَ الهوى — فيسلمَ الوصلُ من القتلِ

وقال الجمّاز يهجو الزياديّ :

ليس بكذّابٍ ولا آثمٍ — من قال إبراهيمُ ملعونُ
حُكْم رسولِ اللّه في جَدِّه — ما ناله إلا الملاعين
وبعد هذا كلِّه إنه — يُعْجِبه القِثّاءُ والتين

وللزيادي من التصانيف : كتاب النقط والشكل . كتاب الأمثال . كتاب تنميق الأخبار . كتاب أسماء السحاب والرياح والأمطار . كتاب شرح نكت[2] كتاب سيبويه .

وقال إبراهيم الزيادي في جاريةٍ سوداءَ كان يحبها :

ألا حَبّذا حبّذا حبذا — حبيبٌ تحملتُ فيه الأذى
ويا حبَّذا بَرْدُ أنيابه — إذا الليلُ أظلم واجلوَّذا

ـ 13 ـ

إبراهيم بن سليمان بن عبد الله بن حبان[3] النُّهمي ، بطن من همدان ،

---

13 ـ ترجمته في معجم الطوسي : 13 (كلكتا) 33 (بيروت) ولم ترد في المختصر .

(1) كنّك وكنّي : عامية محرفة عن كأنك وكأني .

(2) ر : شرح ثلث .

(3) الطوسي : حيان .

الخزاز الكوفي أبو إسحاق ، أخباري ، ذكره أبو جعفر محمد بن الحسن الطوسي في «كتاب مصنفي الإمامية» وقال : هو ثقةٌ في الحديث ، سكَنَ الكوفةَ في بني تميم فربما قيل التميمي ؛ قال : ثم سكن في بني هلال فربما قيل الهلالي ، ونسبه في نهم .

له من الكتب : كتاب النوادر . كتاب الخطب . كتاب الدعاء . كتاب المناسك . كتاب أخبار ذي القرنين . كتاب إرم ذات العماد . كتاب قبض روح المؤمن والكافر . كتاب الدفائن . كتاب خلق السماوات . كتاب أخبار جُرْهُم .

ـ 14 ـ

إبراهيم بن صالح الوراق أبو إسحاق تلميذ أبي نصر إسماعيل بن حماد الجوهري : ذكره الباخرزي في «كتاب دمية القصر»(1) فقال : أنشدني له الأديب يعقوب بن أحمد ، وهو أحسن ما قيل في معنى دود القز :

وبناتِ جيبٍ ما انتفعتُ بعيشها ... ووأدتها فنفعنني بقبورِ
ثم انبعثن عواطلاً فإذا لها ... قرنُ الكباش إلى جناح طيور

قال : ومن المعاني المثارة من دود القز قول أبي الفتح البستي :

ألم تر أن المرءَ طولَ حياته ... معنًى بأمرٍ لا يزال يعالجُهْ
[تراه] كدود القز ينسج دائباً ... ويهلك غماً وَسْطَ ما هو ناسجه

ولأبي إسحاق يهجو ابن زكريا المتكلم الأصبهاني(2) :

أبا أحمدٍ يا أشبهَ الناسِ كلهم ... خَلاقاً وخَلْقاً بالرِّخالِ النواسجِ(3)
لعمرِكَ ما طالتْ بتلك اللحى لكم ... حياةٌ ولكنْ بالعقولِ الكواسجِ

---

14 ـ ترجمته في إنباه الرواة 1 : 169 ولم ترد في المختصر .

(1) انظر الدمية 3 : 1511 .
(2) دمية القصر 3 : 1512 .
(3) الرخال : جمع رخل وهي الأنثى من أولاد الضأن .

- 15 -

إبراهيم بن أبي عباد اليمني : وهو ابن أخي الحسن بن إسحاق بن أبي عباد النحوي ، ذكر في موضعه(1) ، وإبراهيم هذا من أعيان النحويين باليمن وله تصنيفان في النحو مختصران سمّى أحدَهما التلقين والآخر يعرف بمختصر إبراهيم ، وكان متأخراً بعد الخمسمائة .

- 16 -

إبراهيم بن العباس الصولي أبو إسحاق الكاتب : هو إبراهيم بن العباس بن محمد بن صول مولى يزيد بن المهلب كنيته أبو إسحاق ، مات في شعبان سنة ثلاث وأربعين ومائتين بسامرا وهو يتولى ديوان النفقات والضياع ، مولده سنة ست وسبعين ومائة وقيل : سنة سبع وستين . وكان صول رجلاً تركياً ، وكان هو وأخوه فيروز ملكي جرجان وتمجّسا بعد التركية وتشبّها بالفرس ، فلما حضر يزيدُ بن المهلب بن أبي صفرة جرجان أمنهما ، فأسلم صول على يده ، ولم يزلْ معه حتى قُتِلَ يزيدُ يوم العقر(2) . وكان يزيد بن المهلب لما دعا إلى نفسه لحقَ به صول وغيره فصادفه قد قتل . وذكر الصولي أن صولاً [جدَّه] شهدَ الحربَ مع يزيد بن المهلب، وأن يزيد وُجِدَ مقتولاً بلا طعنة ولا ضربة بل انسدَّت أذناه ومنخراه وامتلأ فمه بغبار العسكر فمات ، فلا يُعْرَفُ مثله

---

15 - ترجمته في بغية الوعاة 1 : 426 وسمّاه إبراهيم بن محمد ، وذكر أنه كان موجوداً في أول المائة الخامسة ؛ ولم ترد هذه الترجمة في المختصر .

16 - ترجمة إبراهيم الصولي في الفهرست: 136 وتاريخ بغداد 6 : 117 والأغاني 10 : 43 ومروج الذهب 5 : 23 - 28 وابن خلكان 1 : 44 وإعتاب الكتاب: 146 والوافي 6 : 24 والنجوم الزاهرة 2 : 315 ، وله أخبار منثورة في الكتب الأدبية ، وديوانه مضمن في الطرائف الأدبية : 126 - 194 بعناية العلامة الميمني رحمه الله .

....

(1) انظر الترجمة رقم : 309 .

(2) كان عمر بن عبد العزيز قد حبس يزيد بن المهلب في أموالٍ لبيت المال قِبَله ، فلما توفي عمر ، خاف ابن المهلب أن ينكّل به يزيد بن عبد الملك ، فهرب من سجنه وأعلن الخروج على الدولة الأموية ، فقتل يوم العقر (مكان بين واسط وما أصبح يسمّى بغداد من بعد) سنة 102 .

قتيل غبار ، قال : ومعه قتل صول وجماعةٌ من أصحابه وغلمانه وقيل : بل انحاز إلى العباس بن الوليد في جماعةٍ من غلمانه فأعطاه العباس أماناً وبعضَ أولادِ المهلب معه، فلما حصلوا في يده غدر بهم وقتلهم جميعاً ، وكان[1] يقاتل كلَّ من بينه وبين يزيد من جيوش بني أمية ويكتبُ على سهامه : صول يدعوكم إلى كتاب الله وسنة نبيّه ، فبلغ ذلك يزيد بن عبد الملك فاغتاظ وجعل يقول : ويلي على ابن الغلفاء ما له وللدعاءِ إلى كتاب الله وسنة نبيّه ، ولعله لا يفقه صلاته . وكان محمد بن صول من رجال الدولة العباسية ودعاتها وكان يكنى أبا عمارة ، وقتله عبد الله بن علي لما خالف مع مقاتل بن حكيم العكي . وكان بعض أهليهم ادَّعَوْا أنهم عربٌ وأنَّ العباس بن الأحنف الشاعر خالهم . وكان إبراهيم بن العباس وأخوه عبد الله من وجوه الكتّاب ، وكان عبد اللّه أسنَّهما وأشدَّهما تقدماً ، وكان إبراهيم آدبهما وأحسنهما شعراً ، وكان إذا قال شعراً اختاره وأسقط رذله وأثبتَ نخبته ، فمن ذلك قوله[2] :

ولكنَّ الجوادَ أبا هشامٍ وفيُّ العهدِ مأمونُ المغيبِ
بطيءٌ عنك ما استغنيتَ عنه وطلّاعٌ عليك مع الخطوب

وهذا من نادر الشعر وجيده . ومن ذلك قوله لأخيه عبد الله[3] :

ولكنَّ عبدَ الله لما حَوَى الغنى وصار له من بين إخوانه مالُ
رأى خَلَّةً منهم تُسَدُّ بماله فساهمهم حتى استوتْ بهمُ الحالُ

وهذا يدل على أن قبله غيره ، ولولا أن يكون قبله غيره لقال: «ألا إن الجواد أبا هشام » و« ألا إنّ عبد اللّه » أو يكون قصد الإيهامَ بمدحٍ قد تقدم هذه الأبيات من جملته واللّه أعلم .

وكان إبراهيم كاتباً حاذقاً بليغاً فصيحاً منشئاً. وإبراهيم[4] وأخوه عبد الله من

(1) يتفق مع ما في الأغاني 10 : 43 (مع بعض تفاوت قليل) .
(2) مروج الذهب 5 : 25 والطرائف الأدبية : 129 .
(3) الطرائف الأدبية : 136 .
(4) قارن بالأغاني 10 : 44 .

صنائع ذي الرياستين الفضل بن سهل ، اتصلا به فَرَفَعَ منهما ، وتنقل إبراهيم في الأَعمال الجليلة والدواوين إلى أن مات وهو متولّي ديوان الضياع والنفقات بسرٍّ من رأى سنة ثلاث وأربعين ومائتين للنصف من شعبان . وكان دعبل يقول : لو تكسَّبَ إبراهيم بالشعر لتركنا في غير شيء ، ويعجب من قوله[1] :

إنَّ امرءًا ضنَّ بمعروفه ... عني لمبذولٌ له عذري
ما أنا بالراغب في خيره ... إن كان لا يرغبُ في شكري

وكان إبراهيم صديقاً لمحمد بن عبد الملك الزيات فولي محمد الوزارة وإبراهيم على الأهواز فقصده ووجَّه إليه بأبي الجهم أحمد بن سيف[2] وأمره بكشفه ، فتحامل عليه تحاملاً شديداً ، فكتب إبراهيم إلى محمد بن عبد الملك[3] :

واني لأرجو بعد هذا محمداً ... لأفضلِ ما يُرْجَى أخٌ ووزيرُ

فأقام محمد على أمره ، ولجَّ أبو الجهم في التحامل عليه ، فكتب[4] إبراهيم إلى ابن الزيات يشكو إليه أبا الجهم ويقول : هو كافرٌ لا يبالي ما عمل ، وهو القائل لما مات غلامه يخاطب مَلَكَ الموت :

تركتَ عبيدَ بني طاهرٍ ... وقد ملأوا الأرضَ عرضاً وطولا
وأقبلتَ تسعى إلى واحدي ... ضِراراً كأني قتلتُ الرسولا
فسوف أدينُ بتركِ الصلاة ... وأصطبحُ الخمرَ صِرْفاً شَمولا

فكان محمد لعصبيته على إبراهيم وقصده له يقول : ليس هذا الشعر لأبي الجهم وإنما إبراهيم قاله ونسبه إلى أبي الجهم .

وكتب[5] إبراهيم إلى ابن الزيات يستعطفه : كتبتُ وقد بَلَغَتِ المُدْيَةُ المحزَّ ، وَعَدَتِ الأيامُ عليَّ بعد عدواني بك عليها ، وكان أسوأ ظنّي وأكثر خوفي أن تسكنَ في

(1) الطرائف الأدبية : 185 .
(2) يعني أن محمد بن عبد الملك هو الذي وجه بأبي الجهم .
(3) الطرائف الأدبية : 132 .
(4) قارن بالأغاني 10 : 51 ـ 52 .
(5) الأغاني 10 : 57 ـ 58 .

وقت حركتها ، وتكفَّ عند أذاتها ، فصرتَ أضرَّ عليَّ منها ، فكفَّ الصديقُ عن نصرتي خوفاً منك ، وبادر إليَّ العدوّ تقرباً إليك ، وكتب تحت ذلك[1] :

أخٌ بيني وبينَ الدَّهْـرِ صَاحَبَ أيَّنا غلبا
صديقي ما استقامَ وإن نَبا دهرٌ عليَّ نبا
وثبتُ على الزمانِ به فعاد به وقد وثبا
ولو عاد الزمانُ لنا لعاد به أخاً حَدِبا

وكتب إليه[2] : أما والله لو أمِنْتُ ودَّكَ لقلتُ ، ولكني أخافُ منك عتباً لا تنصفني فيه ، وأخشى من نفسي لائمةً لا تحتملها لي ، وما قُدِّرَ فهو كائن ، وعن كلِّ حادثة أحدوثة ، وما استبدلتُ بحالةٍ كنتُ فيها مغتبطاً حالاً أنا في مكروهها وألمها أشدّ علي من أني فزعتُ إلى ناصري عند ظلمٍ لحقني فوجدت مَنْ ظلمني أخفَّ نيةً في ظلمي منه ، وأحمد الله كثيراً ، وكتب تحتها[3] :

وكنتَ أخي بإخاءِ الزمانِ فلما نبا صرتَ حرباً عوانا
وكنتُ أذمُّ إليكَ الزمانَ فأصبحتُ فيك أذمُّ الزمانا
وكنتُ أعُدُّكَ للنائباتِ فها أنا أطلبُ منك الأمانا

قال[4] : ثم وقف الواثقُ على تحامله عليه فرفع يدَهُ عنه ، وأمره أنْ يقبلَ منه ما رفعه وَيُرَدَّ إلى الحضرةِ مصوناً ، فلما أحسَّ إبراهيم بذلك بسطَ لسانَهُ في ابنِ الزيات وهجاه هجاءً كثيراً ، منه[5] :

قدرتَ فلم تضررْ عدواً بقدرةٍ وَسُمْتَ بها إخوانَكَ الذلَّ والرغما
وكنتَ ملياً بالتي قد يعافُها من الناسِ من يأبى الدنيةَ والذما

---

(1) الطرائف الأدبية : 155 .
(2) الأغاني 10 : 58 .
(3) الطرائف الأدبية : 166 .
(4) الأغاني 10 : 58 .
(5) الطرائف الأدبية : 165 .

وقال أيضاً فيه[1] :

أبا جعفرٍ خَفْ خَفْضَةً بعد رِفْعَةٍ وَقَصِّرْ قليلاً عن مَدَى غُلَوائكا
فإن كنتَ قد أوتيتَ عزاً ورفعةً فإن رجائي في غدٍ كرجائكا

وقال أيضاً فيه[2] :

دَعَوْتُكَ في بَلْوَى أَلَمَّتْ صروفُها فأوقدتَ من ضِغْنٍ عليَّ سعيرَهَا
وإني إذا أدعوكَ عند ملمةٍ كداعيةٍ بين القبور نصيرها

ولما مات ابن الزيات قال إبراهيم[3] :

لما أتاني خَبَرُ الزياتِ وأنه قد عُدَّ في الأمواتِ
أيقنتُ أن موتَهُ حياتي

ولما انحرف[4] محمد بن عبد الملك عن إبراهيم تحاماه الناس أنْ يلقوه ، وكان الحارث بن بسخنّر الزريم المغني صديقاً له مصافياً وهجره في من هجره من الإخوان ، فكتب إليه[5] :

تغيَّرَ لي في من تغيرَ حارثُ وكم من أخٍ قد غيرتهُ الحوادثُ
أحارثَ إن شوركتُ فيك فطالما غَنينا وما بيني وبينك ثالث

ومن مستحسن شعر إبراهيم بن العباس قوله[6] :

خلِّ النفاقَ لأهله وعليكَ فالتمسِ الطريقا
وآرْغَبْ بنفسكَ أن تُرَى إلاّ عدواً أو صديقا

ومنه[7] :

أَميلُ معَ الصديقِ على ابن أُمِّي وأَقضي للصديقِ على الشقيقِ
وأفرقُ بين معروفي ومنّي وأجمعُ بينَ مالي والحقوقِ

(1) الطرائف الأدبية : 161 .
(2) الطرائف الأدبية : 184 .
(3) الطرائف الأدبية : 182 .
(4) الأغاني 10 : 45 .
(5) الطرائف الأدبية : 182 .
(6) الطرائف الأدبية : 161 .
(7) زهر الآداب : 1021 والطرائف الأدبية : 154 .

فـإن ألـفيتنـي حُـرّاً مـطاعـاً فـإنـك واجـدي عَبْـدَ الصـديقِ

وكان[1] إبراهيم يهوى جاريةً لبعض المغنين بسرَّ مَنْ رأى يقال لها ساهر[2] شُهِرَ بها ، وكان منزله لا يخلو منها ، ثم دُعِيَتْ في وليمةٍ لبعض أهلها فغابتْ عنه ثلاثةَ أيام ، ثم جاءته ومعها جاريتان لمولاها وقالت له : قد أهديتُ صاحبتيَّ إليك عوضاً عن مغيبي عنك ، فقال :

أقبلن يَحْفُفْنَ مثلَ الشمسِ طالعةً قـد حَسَّنَ اللّه أُولاهـا وأُخـراهـا
مـا كنتِ فيهنَّ إلا كنتِ واسـطةً وكنَّ دونَـكِ يمنـاهـا ويسـراهـا

وجلس[3] يوماً مع إخوانه للشرب وبعث خلفها فابطأتْ عليه ، وتنغَّصَ عليه وعلى جلسائه يومُهُ ، وكان عندهم عدةٌ من القيان ، ثم وافت فَسُرِّيَ عنه وطابتْ نفسُهُ وشرب وطرب ، وقال[4] :

ألـم تسرنـا يـومَـنـا إذ نـأتْ ولـم تـأتِ من بيـن أتـرابـهـا
وقـد غمـرتنـا دواعي السـرورِ بـإشعـالـهـا وبـالـهـابـهـا
ونـحـن فـتـورٌ إلـى أن بَـدَتْ وبـدرُ الـدجى تحتَ أثـوابهـا
ولـمـا نـأتْ كيفَ كنّـا بـهـا ولمـا دَنَتْ كيف صِـرْنَـا بهـا

فتغضبت[5] فقالت : ما القصـة كما ذكـرت ، وقد كنتم في قصفكم مـع من حضر ، وإنما تجملتم لي لما حضرت فقال[6] :

يـا مـن حـنـيـنـي إلـيـه وَمَـنْ فـؤادي لَـدَيْـهِ
ومـن إذا غـاب مـن بيـ ـنهـم أسـفـتُ عـليـهِ

---

(1) الأغاني 10 : 48 والوافي 6 : 25 ـ 26 .
(2) الأغاني : سامر ؛ المختصر : ساهره .
(3) الأغاني 10 : 46 .
(4) الطرائف الأدبية : 140 .
(5) الأغاني : فتجنَّتْ .
(6) الطرائف الأدبية : 152 .

إذا حضرت فمن بينهم أَصَبُّ إليهِ
من غاب غيرك منهم فإذْنُهُ في يديهِ

فرضيت ، فأقاموا يومهم على أحسن حال . ثم طال[1] العهد بينهما فملَّها ، وكانت شاعرة وكانت تهواه أيضاً ، فكتبت إليه تعاتبه :

باللّه يا ناقضَ العهودِ بمن بعدك من أهْلِ وُدِّنا نثقُ
واسَوْءَتا ما استحيت لي أبداً إن ذَكَرَ العاشقون مَنْ عشقوا
لا غَرَّني كاتبٌ له أدبٌ ولا ظريفٌ مُهَذَّبٌ لبقُ
كنتَ بذاك اللسان تختلني دهراً ولم أَدْرِ أنه مَلَقُ

فاعتذر إليها وراجعها فلم تر منه ما تكره حتى فَرَّقَ الموتُ بينهما .

وحدث[2] علي بن الحسن الاسكافي قال : كان لإبراهيم ابنٌ قد يَفَعَ وترعرع وكان به معجباً ، فاعتلَّ علةً لم تطلْ حتى مات ، فرثاه مراثيَ كثيرةً وجزع عليه جزعاً شديداً ، فمن مراثيه فيه[3] :

أنت السوادُ لمقلةٍ تبكي عليك وناظرُ
مَنْ شاءَ بعدكَ فَلْيَمُتْ فعليكَ كنتُ أحاذرُ

وقال أيضاً فيه[4] :

وما زلت مُذْ لَدُ أُعطيتُهُ أُدافعُ عنه حمامَ الأَجَلْ
أُعَوِّذُهُ دائباً بالقُرَانِ وأرمي بطرفي إلى حيثُ حلْ
فأضحتْ يدي قَصْدُهَا واحدٌ إلى حيثُ حلَّ فلم يرتحلْ

ومرَّ[5] إبراهيم برجلٍ يستثقله فسلَّم عليه فقال لبعض من معه : إنه جَرْمِيٌّ ،

---

(1) الوافي 6 : 26 .
(2) الأغاني 10 : 50 .
(3) الطرائف الأدبية : 169 .
(4) الطرائف الأدبية : 179 .
(5) الأغاني 10 : 53 .

فقال له : ما كان عندي إلا أنه من أهل السواد ، فضحك إبراهيم وقال : إنما أردتُ قول الشاعر :

يسائلُ عن أخي جَرْمٍ ثقيلٌ والذي خَلَقَهْ

وكتب[1] إبراهيم شفاعةً لرجل إلى بعض إخوانه : فلان ممن يزكو شكره . ويعنيني أمره ، والصنيعةُ عنده واجدةٌ موضِعَها[2] وسالكةٌ طريقها :

وأفضلُ ما يأتيه ذو الدينِ والحجى إصابةُ شكرٍ لم يَضِعْ مَعَهُ أَجْرُ

ونظر[3] إبراهيم إلى الحسن بن وهب وهو مخمور فقال له[4] :

عيناكَ قد حَكَتَا مبيـ ـتكَ كيف كُنْتَ وكيف كانا

ولربَّ عينٍ قد أرتْـ ـكَ مبيتَ صاحبها عيانا

قال[5] ورفع أحمد بن المدبر على بعض عمال إبراهيم فحضر إبراهيم دار المتوكل فرأى هلال الشهر على وجهه ودعا له وضحك وقال له : إنَّ أحمد بن المدبر رفع على عاملك كذا وكذا فاصدقني عنه ، قال إبراهيم : فضاقت عليَّ الحجةُ ، وخفتُ أن أُحقِقَ قوله إن اعترفتُ ثم لا أرجعُ منه إلى شيء فيعود علي الغرم ، فعدلتُ عن الحجّة إلى الحيلة فقلت : أنا في هذا يا أمير المؤمنين كما قلتُ فيك[6] :

ردَّ قولي وصدَّق الأقوالا وأطاعَ الوشاةَ والعذّالا

أتراه يكونُ شهرَ صدودٍ وعلى وجهه رأيتُ الهلالا

فقال : لا يكونُ ذلك والله ، لا يكون ذلك أبداً ، والتفت إلى الوزير وقال له : كيف تقبلُ في المالِ قولَ صاحبه ؟

---

(1) الأغاني 10 : 54 .
(2) الأغاني : واقعة موقعها .
(3) الأغاني 10 : 55 .
(4) الطرائف الأدبية : 175 .
(5) الأغاني : 59 ـ 60 والوافي 6 : 27 .
(6) الطرائف الأدبية : 149 .

وكان[1] أحمد بن يحيى ثعلب يقول : إبراهيم بن العباس أشعرُ المحدثين ، وما رَوَى شعرَ كاتبٍ غيره ، وكان يستجيد قوله[2] :

لنا إبلٌ كُومٌ يضيقُ بها الفضا ... ويفترُّ عنها أرضُها وسماؤها
فمن دونها أن تستباح دماؤنا ... ومن دوننا أن تُسْتَذَمَّ ذَمَاؤُها
حمىً وَقِرىً فالموتُ دونَ مرامها ... وأيسرُ خطبٍ يومَ حَقٍّ فناؤها

ويقول : واللّه لو أن هذا لبعضِ الأوائلِ لاستُجِيدَ له .

وقال[3] إبراهيم في قينةٍ كان يهواها :

وعلَّمتِني كيفَ الهوى وجهلتِهِ ... وعلَّمكم صَبْري على ظُلْمكم ظلمي
وأعلمُ ما لي عندكم فيردُّني ... هوايَ إلى جهلي فأرجعُ عن علمي

ومن أحسن ما قيل في قصر الليل قولُ إبراهيم بن العباس[4] :

وليلةٍ من الليالي الزُّهْرِ ... قابلتُ فيها بَدْرَها ببدرِ
لم تكُ غيرَ شفَقٍ وفجرِ ... حتى تولَّتْ وهي بكرُ الدهرِ

وقال[5] أبو العيناء : كنتُ عند إبراهيم بن العباس وهو يكتب كتاباً ، فنقطت [من] القلم نقطة مفسدة فمسحها بكمه فعجبت فقال : لا تعجبْ ، المالُ فرع والقلمُ أصل ، ومن هذا السواد جاءت هذه الثياب ، والأصولُ أحوجُ إلى المراعاة من الفرع ، ثم فكَّر قليلاً وقال[6] :

إذا ما الفكرُ وَلَّدَ حُسْنَ لفظٍ ... وأسلمه الوجودُ إلى العيانِ
ووشَّاه فَنَمْنَمَهُ بيانٌ ... فصيحٌ في المقالِ بلا لسان
ترى حُلَلَ البيانِ مُنَشَّراتٍ ... تُجَلَّى بينها حُلَلُ المعاني

(1) الأغاني 10 : 61 ومروج الذهب 5 : 25 .
(2) زهر الآداب : 1020 والطرائف الأدبية : 153 .
(3) الأغاني 10 : 62 والقينة هي ساهر (أو سامر) وزهر الآداب : 1020 وانظر الطرائف : 150 .
(4) الأغاني 10 : 62 والطرائف : 145 والوافي 6 : 27 وزهر الآداب : 299 .
(5) الأغاني 10 : 63 .
(6) زهر الآداب : 518 ـ 519 (باختلافات في الرواية) والطرائف الأدبية : 188 .

وقال إبراهيم في الفضل بن سهل[1] :

يقضي الأمورَ على بديهته ... وتريه فكرتُهُ عواقِبَهَا
فيظلُّ يُصْدِرها وَيُوردها ... فيعمُّ حاضِرَهَا وغائبها
وإذا ألمَّتْ صعبةٌ عَظُمَتْ ... فيها الرزيئةُ كان صاحبها
المستقلُّ بها وقد رَسَبَتْ ... وَلَوَتْ على الأيام جانبها
[سُسْتَ الخلافة إذ نصبت لها ... فحميتها ومنعتَ جانبها]
وعدلتها بالعدلِ فاعتدلت ... ووسعتَ راغبها وراهبها
وإذا الحروبُ غَلَتْ بعثتَ لها ... رأياً تَفُلُّ به كتائبها
رأياً اذا نَبَتِ السيوفُ مضى ... عزمٌ به يسقي مضاربها
أَجْرَى إلى فئة بدولتها ... وأقام في أخرى نوادبها
واذا الخطوب تأَثَّلَتْ وَرَسَتْ ... هَدَّتْ فواضِلُهُ نوائبها
وإذا جَرَتْ بضميره يدُهُ ... أَبدَتْ له الدنيا مناقبها

قال[2] واجتمع هارون بن محمد بن عبد الملك بن الزيات وابن برد الخيار في مجلس عبيد الله بن سليمان ، فجعل هارون ينشد من شعر أبيه محاسنه ويفضله ويقدمه ، فقال له ابن برد الخيار : إن كان لأبيك مثلُ قولِ ابراهيم بن العباس الصولي[3] :

أَسَدٌ ضارٍ إذا هَيَّجْتَهُ ... وأبٌ بَرٌّ إذا ما قَدَرا
يعرفُ الأبعد إنْ أَثرى ولا ... يعرفُ الأدنى إذا ما افتقرا

أو مثل قوله[4] :

تلجُ السنونَ بيوتَهُمْ وَتَرى لهم ... عن جارِ بيتهمُ ازورارَ مناكبِ

(1) الأغاني 10 : 64 ـ 65 والطرائف الأدبية : 128 .
(2) الأغاني 10 : 67 .
(3) الطرائف الأدبية : 133 مروج الذهب 5 : 26 وزهر الآداب : 399 .
(4) الطرائف الأدبية : 129 .

وتـراهمُ بسيـوفهمْ وشفـارِهِمْ　　مستشـرفين لـراغبٍ أو راهب
حامين أو قارين حيثُ لقيتهم　　نَهْبَ العفـاةِ ونُـهـزةً للراغب

فاذكره وفاخر به ، وإلاّ فأَقْلِلْ ، فخجل هارون .

قال[1] : ودخل عليه أحمد بن المـدبر بعـد خلاصـه من النكبة مهنئاً ، وكان استعان به في أمر النكبة فقعد عنه وبلغه أنه كان يسعى ويحرِّضُ عليه ابنَ الزيات[2] :

وكنتَ أخي بـالـدهـرِ حتى إذا نبـا　　نبوتَ فلما عـاد عُدْتَ مـع الدهـر
فـلا يومَ إقبـالي عـددتُـكَ طـائـلاً　　ولا يـومَ إدباري عـددتك من وِتْـرِ
ومـا كنتَ إلا مثـلَ أحـلامِ نـائمٍ　　كـلا حالتيـك من وفـاءٍ ومن غـدر

وله أيضاً فيه[3] :

لـو قيـلَ لي خُـذْ أمـانـاً　　مـن أَعْـظَمِ الحَـدَثـانِ
لـمـا أخـذتُ أمـانـاً　　إلا مـن الـخـلان

وأنا أستحسنُ قوله[4] :

حتى متى أنـا في حُزْنٍ وفي غُصَصٍ　　إذا تـجـدَّدَ حُـزْنٌ هَـوَّنَ الـمـاضـي
وقـد غضبـتُ فمـا بـالـيتـمُ غضـبي　　حـتى رجـعتُ بـقلبٍ سـاخطٍ راضـي

ومما كتب إبراهيم بن العباس إلى ابن الزيات[5] :

مَنْ رأى في المنـام مثـلَ أخٍ لي　　كـان عَـوْني على الـزمـانِ وخلّي
رُفِـعَتْ حـالُـهُ فـحـاولَ حَـطِّي　　وأبـى أنْ يـعـزَّ إلاَّ بـذلّـي

---

(1) الأغاني 10 : 69 .
(2) الطرائف الأدبية : 158 .
(3) الأغاني 10 : 69 ومروج الذهب 5 : 25 والطرائف : 166 .
(4) الطرائف الأدبية : 146 وهو في تاريخ بغداد 6 : 117 وزهر الآداب : 1020 .
(5) خاص الخاص : 99 وأحسن ما سمعت : 33 والطرائف الأدبية : 163 .

وكتب إليه يستعطفه[1] :

فهبني مسيئاً كالذي قلتَ ظالماً ... فعفوا جميلاً كي يكونَ لك الفضلُ
فإن لم أَكُنْ بالعفوِ منكَ لسوء ما ... جنيت به أهلاً فأنت له أهل

ومن منثور كلامه : أتاني فلانٌ في وقتٍ أستثقلُ فيه لحظةَ الفرح .

وحدث[2] الصولي عن العباس بن محمد قال : أنشدني إبراهيم بن العباس في مجلسه في ديوان الضياع :

ربما تجزعُ النفوسُ من الأمـــرِ لها فَرْجَةٌ كحلِّ العقالِ

ونكت بقلمه ثم قال[3] :

ولربَّ نازلةٍ يضيقُ بها الفتى ... ذَرْعاً وعند الله منها المخرجُ
كملت فلما استحكمتْ حَلَقاتها ... فُرِجَتْ وكان يظنُّها لا تُفْرَجُ

قال فعجبنا من سرعة طبعه وجوده قريحته .

وحدث الصولي عن أحمد بن يزيد المهلبي قال : حدثني أبي قال[4] : لما قرأ إبراهيم بن العباس على المتوكل رسالته إلى أهلِ حمص[5] أما بعدُ فإنّ أميرَ المؤمنين يرى من حَقِّ اللّه عليه مما قَوَّمَ به من أَوَدٍ ، وعَدَّلَ به من زَيْغٍ ، ولمَّ به مِنْ مُنْتشرٍ ، استعمالَ ثلاثٍ يُقَدِّم بعضَهُنّ أمام بعض : أُولاهن ما يتقدم به من تنبيه وتوقيف ، ثم [ما] يستظهر به من تحذير وتخويف ، ثم التي لا ينفعُ لِحسْمِ الداءِ غيرها :

أناة فإنْ لم تُغْنِ عَقَّبَ بعدها ... وعيداً فإن فلم يُغْنِ أَغْنَتْ عزائمُهْ

عجب المتوكلُ من حُسْنِ ذلك ، وأومأ إلى عبيد الله : أما تسمع ، فقال : يا أميرَ المؤمنين إن إبراهيم فضيلةٌ خَبَأها اللّه لك واحتبسها على أيامك . وهذا أولُ شعرٍ نَفَذَ في كتابٍ عن خلفاء بني العباس .

(1) الطرائف الأدبية : 186 ـ 187 .
(2) الخبر والشعر في أمالي المرتضى 1 : 486 .
(3) الوافي 6 : 27 والطرائف ، 171 .
(4) قارن بالوافي 6 : 25 .
(5) رسالة إبراهيم إلى أهل حمص في نثر الدر 5 : 104 .

وحدث عن ميمون بن هارون عن أبيه قال قلت لإبراهيم بن العباس : إن فلاناً يحبُّ أن يكونَ لك ولياً ، فقال لي : أنا واللّه أُحِبُّ أن يكونَ الناسُ جميعاً إخواني ، ولكني لا آخذ منهم إلاَّ من أُطيقُ قضاءَ حقِّه وإلا استحالوا أعداءً ، وما مثلهم إلا كمثل النار قليلُهَا مقنعٌ وكثيرها مُحْرِقٌ.

وقال الحسين بن علي الباقطائي : شاورتُ أبا الصقر قبلَ وزارته في أمرٍ لي فعرفني الصوابَ فيه ، فقلت له : أنت أيدك اللّه كما قال إبراهيم بن العباس في هذا المعنى[1] :

أتيتك شتَّى الرأي لابسَ حَيْرَةٍ ... فَسَدَّدْتني حتى رأيتُ العواقبا
على حينَ ألقى الرأيُ دوني حجابَهُ ... فجبتُ الخطوبَ واعتسفتُ المذاهبا

فقال : لا تبرح واللّه حتى أكتبَ البيتين ، فكتبتهما له بين يديه بخطي .

وحدث أبو ذكوان قال : لما توفي المعتصم باللّه وقام ابنه الواثقُ خليفةً بعده كتب إليه إبراهيم بن العباس يعزّيه بأبيه ويهنئه بالخلافة : إن أحقَّ الناس بالشكر مَنْ جاء به عن الله ، وأولاهم بالصبر مَنْ كان سلفه رسول الله ، وأمير المؤمنين أعزّه الله وآباؤه نصرهم اللّه أولو الكتاب الناطق عن الله بالشكر ، وعترةُ رسولِهِ المخصوصون بالصبر ، وفي كتاب اللّه أعظمُ الشفاء ، وفي رسوله أحسنُ العزاء ، وقد كان من وفاةِ أمير المؤمنين المعتصم بالله ومن مشيئة الله في ولاية أمير المؤمنين الواثق بالله ما عفَّى على أوَّله آخرُهُ ، وتلافت بدأتَهُ عاقبتُهُ ، فحقُّ الله في الأولى الصبر ، وَفَرْضُهُ في الأخرى الشكر ، فإن رأى أميرُ المؤمنين أنْ يستنجزَ ثوابَ الله بصبره ويستدعيَ زيادتَهُ بشكره ، فعل ، إن شاء الله تعالى وحده.

ومن كلامه : ووجد أعداءُ الله زخرفَ باطلهم وتمويه كذبهم سراباً بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَاءً حَتَّى إذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئاً ، وكوميضِ برقٍ عَرَضَ فأسرعَ ، ولمع فأطمع ، حتى انحسرت مُشَرِّقةٌ مغاربه ، وتشعَّبَتْ مولّيةً مذاهبه ، وأيقنَ راجيه وطالبه ، ألاَّ ملاذَ ولا وَزَرَ ، ولا مَوْرِدَ ولا صَدَر ، ولا من الحرب محيص ، هنالك ظهرتْ عواقبُ

(1) الطرائف : 127 .

الحقّ منجية ، وخواتمُ الباطِلِ مردية ، سنة الله فيما أزاله واداله ، ولن تجدَ لسنّةِ الله تبديلاً ، ولا عن قضائه تحويلاً .

وحدثني الصولي ، قال حدثني يحيى بن البحتري قال : رأيتُ أبي يذاكرُ جماعةً من شعراء الشام بمعانٍ من الشعر ، فمرَّ فيها قلةُ نومِ العاشق وما قيل في ذلك ، فأنشدوا إنشادات فيها ، فقال لهم أبي : فرغ من هذا كاتبُ العراق إبراهيم بن العباس فقال[1] :

أحسبُ النومَ حكاكا إذ رأى منكَ جفاكا
منّيَ الصبرُ ومنكَ الـ ـهجرُ فابلغْ بي مداكا
كذبتْ همّةُ عينٍ طمعتْ في أن تراكا
أوَما حظٌّ لعينٍ أن ترى من قد رآكا
ليتَ حظّي منك أن تعلـ ـمَ ما بي من هواكا

ثم قال البحتري : تصرفت هذه الأبيات في معانٍ من الشعر أحسن في جميعها ، قال : فكتبها عنه أجمعهم .

ومما روى له الصولي[2] :

أولى البريةِ[3] طُرّاً أن تواسِيَهُ عند السرورِ الذي واساكَ في الحَزَنِ
إنَّ الكرامَ إذا ما أسهلوا ذكروا مَنْ كان يألفهم في المنزلِ الخشنِ

وروى له وهو في الحماسة[3] :

لا يمنعنَّكَ خَفْضُ العيشِ في دعةٍ نزوعُ نفسٍ الى أهلٍ وأوطانِ
تلقى بكلِّ بلادٍ إن حللتَ بها أرضاً بأرضٍ وجيراناً بجيران

(1) الخبر والشعر في أمالي المرتضى 1 : 483 وانظر الزهرة : 101 والطرائف الأدبية : 148 .
(2) ينسبان لغيره أيضاً ؛ انظر عيون الأخبار 3 : 20 ومروج الذهب 5 : 26 وابن خلكان 1 : 46 والطرائف : 177 .
(3) هما في معاني العسكري 1 : 192 وعيون الأخبار 1 : 234 وابن خلكان 1 : 46 وذكر أنه رآهما في ديوان مسلم بن الوليد ، وانظر الطرائف : 151 ـ 152 والمرزوقي رقم : 82 .

قال الصولي حدثني جرير بن أحمد بن أبي دواد قال : كان إبراهيم أصدقَ الناس لأبي ، فعتب على ابنه أبي الوليد في شيءٍ فقال فيه أحسنَ قول : ذَمَّهُ ومدح أباه وما أحسنَ هذا من جهة جرير[1] :

عَفَّتْ مساوٍ تبدَّتْ منك واضحةٌ   على محاسنَ أبقاها[2] أبوك لكا
لئن تقدمتَ أبناءَ الكرام به   فقد تقدَّمَ آباءُ الكرامِ بكا

وروي لإبراهيم في محمد بن عبد الملك[3] :

إنْ كان رزقي عليكَ فارمِ به   في ماضِغَيْ حيَّةٍ على رَصَدِ
لو كنتُ حراً كما زعمتُ وقد   كررتني بالمطال لم أعُدِ
لكنني عُدْتُ ثم عُدْتُ فإنْ   عدتُ إلى مثلها إذاً فعدِ
أعتقني سوءُ ما أتيت من الـ   ـرقِّ فيا بَرْدَها على كبدي
فصرتُ عبداً للسوءِ فيك وما   أحسنَ سوءٌ قبلي إلى أحدِ

وله فيه[4] :

وقائل لا أبداً   إن جدَّ أو إنْ هزلا
فهو إذا اضطر إلى   قول نعم قال بلى
تعودوا منه لما   ضمت بلى من قول لا

ومما يستحسن من شعر إبراهيم بن العباس[5] :

ابتداءٌ بالتجني   وقضاءٌ بالتظني
واشتفاء بتجنيـ   ـك لأعدائك مني

---

(1) البيتان عند ابن خلكان 1 : 89 وأمالي المرتضى 1 : 487 والطرائف : 162 .
(2) م : نقاها .
(3) الثابت : أنها ليست للصولي بل هي لأبي الأسد ، انظر معاني العسكري 2 : 203 .
(4) الطرائف الأدبية : 164 .
(5) الطرائف الأدبية : 151 .

بـأبي قـلْ ليَ كي أعلـ ـم لِمْ أعْـرَضْتَ عنِّي
قـد تمنَّـى ذاك أعـدا ئي فقـد نـالـوا التمني

وقال أبو زيد البلخي ، وذكر إبراهيم بن العباس ، فقال : كان من أبلغ الناسِ في الكتابة حتى صار كلامه مثلاً ، كتب كتابَ فتحٍ عجيباً ، أثنى على الله وحمده ، ثم قال في خلال ذلك : وقَسَمَ اللّه الفاسقَ أقساماً ثلاثة : روحاً معجلة إلى نار اللّه ، وجثةً منصوبة بفناء معقله ، وهامةً منقولةً إلى دار خلافته.

وحـدث الجهشيـاري[1] عن وهب بن سليمـان بن وهب قـال : كنت أكتبُ لابراهيم بن العباس على ديوان الضياع ، وكان رجلاً بليغاً ولم يكنْ له في الخـراج تقدم ، وكان بينه وبين أحمد بن المدبر تباعدٌ ، وكان أحمد مقدَّماً في الكتابة ، فقال أحمد بن المدبر للمتوكل : قلدتَ إبراهيم بن العباس ديوانَ الضياع وهو متخلِّف ، آيةً من الأيات لا يحسنُ قليلاً ولا كثيراً ، وطعن عليه طعناً قبيحاً ، فقال المتوكل : في غدٍ أجمعُ بينكما ، واتصـل الخبرُ بـإبراهيم فـأيقنَ بحلولِ المكروه ، وعلم أنـه لا يفي بأحمد بن المدبر في صناعته ، وغدا الى دار السلطان آيساً من نفسه ونعمته ، وحضر أحمد فقال له المتوكل : قد حضر ابراهيم وحضرتَ ، ومن أجلكم قعدتُ ، فهات اذكرْ ما كنتَ فيه أمسِ فقال أحمد : أيّ شيءٍ أذكرُ عنه ، فإنه لا يعرفُ أسماءَ عماله في النواحي ، ولا يعلم ما في دساترهم من تقديراتهم وكيولهم وَحَمْلِ من حَمَلَ منهم ومن لم يحمل ، ولا يعرفُ أسماءَ النواحي التي تقلَّدها ، وقد اقتطع صاحبه بناحية كذا كذا ألفاً ، واختلَّتْ ناحيةُ كذا في العمارة ، وأطال في ذكر هذه الأمورِ ؛ فالتفت المتوكل إلى إبراهيم فقال : ما سكوتك ؟ فقال : يا أمير المؤمنين جوابي في بيتي شعرٍ قلتهما ، فإن أذِنَ أميرُ المؤمنين أنشدتهما ، فقال : هات ، فأنشده البيتين المذكورين :

* رَدَّ قـولي وصـدَّقَ الأقـوالا *

فقال المتوكل : زِهْ زه أحسنتَ ، إيتوني بمن يعملُ في هذا لحناً ، وهاتـوا ما

(1) سقطت الحكاية مع ما سقط من كتاب الجهشياري وأثبتها ميخائيل عواد في نصوص ضائعة ص: 76 ـ 79 .

نأكل ، وجيئوا بالنساء ، ودعونا من فضول ابن المدبر ، واخلعوا على إبراهيم بن العباس ، فخلع عليه وانصرف الى منزله . قال الحسن : فمكثَ يومَهُ مغموماً ، فقلت له : هذا يومُ سرورٍ وَجَذَلٍ بما جَدَّدَ اللّه لك من الانتصارِ على خصمك ، فقال يا بنيّ الحقُّ أَوْلَى بمثلي وأشبه ، إني لم أدفعْ أحمد بحجةٍ ولا كَذَبَ في شيء مما ذكر ، ولا أنا ممن يَعْثُرُهُ في الخراج ، كما أنه لا يعثرني في البلاغة ، وإنما فَلَجْتُ بِرُطَانَة ومخرقة ، أفلا أبكي فضلاً عن أن أغتمَّ من زمان يدفعُ ذلك كلَّه؟ .

وقال الجهشياري[1] : رأيت دفتراً بخط إبراهيم بن العباس الصولي فيه شعر قاله وهو في حبس موسى بن عبد الملك يصف ما هو فيه من ضيق الحبس وثقل الحديد والقيد ، ويذكر موسى في شعره ، وكان يكنى بأبي الحسن فكناه بأبي عمران ، فقال في قصيدة طويلة :

كم تَرَى يَبْقَى على ذا بدني ... قد بَلِي من طول همِّي وفني
أنا في أسرٍ وأسبابِ ردىً ... وحديدٍ فادحٍ يَكْلُمني
وأبو عمران موسى حَنِقٌ ... حاقدٌ يطلبني بالإحن
ليس يشفيه سوى سَفْكِ دمي ... أو يراني مُدْرَجاً في كفني

وقد كتب أحمد بن مدبر بخطه في ظهر هذا الدفتر :

أبا إسحاقَ إن تَكُنِ الليالي ... عَطَفْنَ عليك بالخطبِ الجسيمِ
فلم أرَ صَرْفَ هذا الدهرِ يجري ... بمكروهٍ على غيرِ الكريم

ولإبراهيم بن العباس من التصانيف فيما ذكره محمد بن إسحاق النديم : كتاب ديوان رسائله . كتاب ديوان شعره . كتاب الدولة كبير . كتاب الطبيخ . كتاب العطر[2] .

ومات إبراهيم بن العباس الصولي في سنة ثلاث وأربعين ومائتين في شعبان ، وهو يتولى ديوان الضياع والنفقات بسامرّا .

---

(1) انظر نصوص ضائعة : 79 .

(2) ر : القطر .

- 17 -

إبراهيم بن عبد الله النجيرمي أبو إسحاق النحوي اللغوي : أخذ عنه أبو الحسين المهلبي وجنادة اللغوي الهروي وكثير من أهل العلم ، وكان مقامه بمصر ، قال أبو سعد السمعاني : النَّجِيرِميّ نسبةً إلى نجيرم ، ويقال نجارم ، وهي محلَّةٌ بالبصرة .

قال المؤلف : لم يُصِبِ السمعانيُّ في قوله ، إلا أن يكون طائفةٌ من أهل هذا الموضع أقاموا بموضع من محالِّ البصرة فنسب إليهم ، ونجيرم قريةٌ كبيرةٌ على ساحل بحر فارس بينها وبين سيراف نحو خمسة عشر فرسخاً ، رأيتها ، يسمونها أهلها والنجار نيرم فيسقطون الجيم تخفيفاً أو تخلفاً ، وليس مثلها يحتمل أن يكون لأهلها محلةٌ بالبصرة ، وهم فُرْسٌ من فرسِ الحال[1] أكثر أكلهم النبق والسمك .

حدثني بعض أهل مصر عند كوني بها في سنة اثنتي عشرة وستمائة قال : حدثت أن الفضل بن عباس[2] دخل على كافور الإخشيدي فقال له: أدام الله أيام سيدنا الأستاذ، فخفض الأيام، فتبسم كافور إلى أبي إسحاق النجيرمي، فقال أبو إسحاق[3]:

لا غروَ أنْ لحنَ الداعي لسيدنا ... وَغَصَّ من هيبةٍ بالريقِ والبَهَرِ
فمثلُ سيدنا حالتْ مهابته ... بين البليغ وبين القولِ بالحصرِ
فان يكن خَفَضَ الأيامَ عن دَهَشٍ ... من شدَّةِ الخوف لا من قلَّة البصرِ
فقد تفاءَلتُ في هذا لسيدنا ... والفأل نأثُرُهُ عن سيِّد البشرِ
بأن أيامه خَفْضٌ بلا نَصَبٍ ... وأن دولته صَفْوٌ بلا كدرِ

17 ـ ترجمة النجيرمي في إنباه الرواة 1: 170 والوافي 6: 34 وبغية الوعاة 1: 414 والنجوم الزاهرة 4: 3 وأورد له ابن سعيد في المغرب (قسم مصر: 167) رسالة طويلة كتبها عن الاخشيد إلى ملك الروم ، وأعجب بها فنسخ منها عدة نسخ بعث بها إلى البصرة ، كما أورد له الحصري في زهر الآداب: 617 ـ 619 رسالة في وصف القلم ، وانظر المقفى 1: 239 .

(1) كذا ، ولعل الصواب : من فقيري الحال .
(2) في بعض المصادر : عياش .
(3) وردت الأبيات أيضاً في زهر الآداب : 619 والغيث الذي انسجم 1: 120 والمقفى .

قال فأمر له بثلاثمائة دينار ولابن عباس بمثلها ، هكذا أخبرني المصري في خبر هذا الشعر وأنه لأبي إسحاق النَّجيرمي[1] .

ووجدت في أخبار رواها أبو الجوائز الواسطي قال ، حدثني أبو الحسين ابن أذين النحوي ، وكان شيخاً قد نيف على الثمانين في سنة أربعمائة ، قال : حضرتُ مع والدي وأنا طفلٌ مجلسَ كافور الاخشيدي وهو غاصٌ بأهله ، فدخل رجلٌ غريب فسلَّم ودعا له ، وذكر القصة ولم يذكر الفضل بن عباس ، قال : فقام رجلٌ فأنشد ـ ولم يذكر النجيرمي ـ وأنشد الشعر بعينه وجهل الرجلين .

قرأت في كتابٍ من إملاء النَّجيرمي ، قال كاتبه : أنشدني أبو إسحاق وهي له :

بـدَّلني الـدهـرُ أميـراً مُعْـورا ... بسيِّدٍ كان خضمّاً كوثـرا[2]
إذا شممتُ كفَّـهُ مـذ أُمّـرا ... شممتُ منها غَمَراً مُقَتِّـرا[3]
بـمـا أشمُّ مِسكـاً وعـنبـرا ... يـا بَـدَلاً كـان لَفَـاءً أعـورا[4]

وأنشدهم أيضاً لنفسه :

وأيُّ فتى صبرٍ على الأينِ والوجَى ... إذا اعتصروا للوُّحِ ماءَ فظاظِها[5]
إذا ضـربـوهـا سـاعـةً بـدمـائهـا ... وَحُلَّ عن الكوماءِ عقدُ شظاظِها[6]

---

(1) جاء في (ر) بعد حكاية اللحن هذه ما نصه : قال كاتبه عفا اللّه عنه : كتب أبو الفتح اسحاق بن أبي البركات بن الشويخ رأس مثيبة اليهود في زمن المستعصم باللّه إلى تاج الدين معلى بن الدباهي ، وهو يومئذ صدر المخزن رقعة تتضمن سؤالاً لبعض يهود حربى فكتب على رأسها : « يجاب سؤال رافعوها » فلما وقف على هذا اللحن كتب إليه من نظمه :

قـد كـان همكم في جبـر منكسـرٍ ... أو رفـد مفـتـقـرٍ أو بسط منـقـبضٍ
حـذا يـراعـكمُ فـي الفعـلِ مثلكمُ ... فـليـس ينكـر منـه رفـع منـخـفضٍ

توفي سنة خمس وأربعين وستمائة .

(2) المعور : الناقص ؛ الكوثر : الرجل الكثير العطاء .

(3) الغمر : السهك وريح اللحم ؛ مقتر : ساطع الرائحة .

(4) اللفاء : الخسيس ؛ وفي المثل « بدل أعور » يضرب في المذموم يجيء بعد المحمود ، انظر فصل المقال : 183 ومجمع الميداني 1 : 59 .

(5) الأين : التعب ؛ الوجى : الألم الناشىء عن الحفاء ؛ اللوح : العطش : الفظاظ : الكروش .

(6) الكوماء : الناقة ذات السنام المرتفع ؛ الشظاظ : العود الذي يدخل في عروة الجوالق .

فـانك ضَحَّـاكٌ إلى كلِّ صـاحبٍ وأنـطقُ من قُسٍّ غداةَ عكـاظهـا
إذا اشتغب المولى مشاغبَ مِغْشَمٍ فعـروةُ فيهـا آخـذٌ بكـظاظهـا[1]

ـ 18 ـ

إبراهيم بن عبد الله الغزال اللغوي : لا أعرف من حاله شيئاً إلا أن السلفي قال : أنشدني أبو القاسم الحسن بن الفتح بن حمزة بن الفتح الهمذاني قال : أنشدني إبراهيم بن عبد اللّه الغزال اللغوي لنفسه وكان يتبجَّح بهما :

والبرقُ في الديجـور أهطل مـزنةً أبـدت نباتـاً أرضها كـالزَّرْنَبِ[2]
فـوجـدتُ بحـراً فيـه نـارٌ فـوقـه غيمٌ يُـرَى فيـه بليـلٍ غَـيْهـبِ

ـ 19 ـ

إبراهيم بن عبد الرحيم العروضي : حكى عنه أبو العباس أحمد بن محمد النامي في « كتاب القوافي » فهو من طبقة ابن درستويه وعلي بن سليمان الأخفش .

ـ 20 ـ

إبراهيم بن عثمان أبو القاسم ابن الوزان القيرواني النحوي : كان فقيهاً

18 ـ ترجمته في الوافي 6 : 35 (عن ياقوت) وإنباه الرواة 1 : 154 وبغية الوعاة 1 : 416 ولم ترد في المختصر .

19 ـ الوافي 6 : 46 (عن ياقوت) وبغية الوعاة 1 : 418 (كذلك) ولم ترد في المختصر .

20 ـ ترجمة ابن الوزان في طبقات الزبيدي : 247 ـ 249 وإنباه الرواة 1 : 172 والديباج المذهب 1 : 278 والوافي 6 : 50 والشذرات 2 : 372 وبغية الوعاة 1 : 419 وروضات الجنات 1 : 162 ولم ترد في المختصر .

(1) المغشم : الذي يركب رأسه لا يثنيه شيء ، عروة : اسم الممدوح ؛ آخذ بكظاظها : أي هو من يلازم خصمه ويلجمه عن مشاغبه .

(2) الزرنب : الزعفران .

على مذهب العراقيين وإماماً في النحو واللغة والعربية والعروض غيرَ مُدافَعٍ ، مع قلّةِ ادّعاءٍ وخَفْضِ جناح . وكان عبد اللّه بن محمد المكفوف[1] يقرٌّ له بالفضل ، وانتهى من العلم إلى ما لعله لم يبلغه أحد قبله ، وأما في زمانه فلا يشك فيه . مات سنة ست وأربعين وثلاثمائة ، وكان يحفظ[2] « كتاب العين » للخليل بن أحمد و « غريب المصنف » لأبي عبيد و « إصلاح المنطق » لابن السكيت ، وغيرها من كتب اللغة ؛ وحفظ قبل ذلك « كتاب سيبويه » ثم كتب الفراء ، وكان يميل إلى مذهب البصريين مع إتقانه معرفة مذاهب الكوفيين ؛ قال : ولو قال قائلٌ إنه كان أعلم من المبرد وثعلب لصدَّقه مَنْ وَقَفَ على علمه ونفاذه ، وكان مع ذلك مقصّراً في صناعة الشعر ، وله تصانيف كثيرة في النحو واللغة .

ـ 21 ـ

إبراهيم بن علي أبو إسحاق الفارسي النحوي : من تلاميذ أبي علي الفارسي ، وله كتاب « شرح الجرمي » معروف متداول بأيدي الناس . ذكره الثعالبي[3] في البخاريين وقال : هو من الأعيان في علم اللغة والنحو ، ورد بخارى في أيام السامانية فأُجِلَّ وَبُجِّلَ وَدَرَسَ عليه أبناءُ الرؤساءِ والكتّاب بها وأخذوا عنه ، وَوَلِيَ التصفّحَ في ديوان الرسائل ، ولم يزل يليه إلى أن استأثر اللّه به . وله شعرٌ لم يقع إليَّ منه إلا قوله في بعض الرؤساء بالحضرة يستهدي منه جُبَّةَ خزٍّ بيضاء غيرَ لبيس من قصيدة :

وَأَعِنْ على بَرْدِ الشتاءِ بجبةٍ ... تذر الشتاءَ مقيَّداً مسجونا

21 ـ ترجمته في إنباه الرواة 1 : 171 والوافي 6 : 58 وبغية الوعاة 1 : 420 .

(1) ذكر الزبيدي (وعنه القفطي) أن أبا محمد عبد اللّه بن محمد الأموي كان إذا وردت عليه مسائل من النحو سأله عنها .

(2) من هنا حتى آخر الترجمة ورد في المختصر في ترجمة الزجاج .

(3) يتيمة الدهر 4 : 150 .

سـوسيـةٍ بيضـاءَ يَتْـرُكُ لـونهـا ألـوانَ حُسّـادي شـواحبَ جـونـا
عذراءَ لم تُلْبَسْ فكفُّكَ في العلا تؤتي عـذاراهـا وتـأبى العـونـا
تَسْبي ببهجتهـا عيـونـاً لم تَـزَلْ تسبي قلوبـاً في الهـوى وعيـونـا
مثـل القلوبِ من العـداةِ حـرارةً مثـل الخدود من الكـواعبِ لينـا

قال أبو حيان في « كتاب الوزيرين »[1] وقد ذكر ابن العميد ـ فقال : وقد اجتاز به أبو إسحاق الفارسّي ، وكان من غلمان أبي سعيد السيـرافي ، وكان قيّمـاً بالكتـاب وقريض الشعر وصنّفَ وأملى وشرح وتكلّم في العروض والقوافي والمعاني ونـاقضَ المتنبي وحفظ الطمّ والرمّ فما زوَّده درهماً ولا تفقده برغيفٍ بعد أن أذن له حتى حضره وسمع كلامه وعرف فضله واستبان سعيه .

ـ 22 ـ

إبراهيم بن عَقِيل بن جَيْش بن محمد بن سعيد أبو إسحاق القرشي المعروف بابن المكبري النحوي الدمشقي : مات فيما ذكره ابن عساكر في تاريخ دمشق في سنة أربع وسبعين وأربعمائة ودفن بالباب الصغير ، وذكر أنه حدث عن أبي الحسن علي بن أحمد بن محمد الشرابي النحوي ، وروى عنه أبو بكر أحمد بن ثابت الخطيب وأبو محمد ابن الأكفاني ، قال الخطيب : وكان صدوقاً ، قال ابن عساكر : وفي قوله نظر . قال : وذكره الخطيب في كتابه الذي سماه « تلخيص المتشابه »[2] قيده كما كتبناه في أول الترجمة . قال ابن عساكر : وكان أبو إسحاق يذكر أن عنده تعليقة أبي الأسود

22 ـ ترجمته في مصورة ابن عساكر 2 : 470 وتهذيبه 2 : 231 والوافي 6 : 56 وبغية الوعاة 1 : 419 ولم ترد في المختصر .

(1) أخلاق الوزيرين : 352 .
(2) هو تلخيص المتشابه في الرسم وحماية ما أشكل منه عن بوادر التصحيف والوهم ؛ وإنما ذكره فيه بسبب ضبط عقيل بفتح العين أو بضمها .

الدؤلي التي ألقاها إليه علي بن أبي طالب كرم الله وجهه ، وكان كثيراً ما يَعِدُ بها أصحابه ، لا سيما أصحاب الحديث ولا يفي إلى أن كتبها عنه بعض تلاميذه الذين يقرأون عليه[1] وإذا به قد ركّبَ عليها إسناداً لا حقيقة له[2] اعْتُبِرَ فَوُجِدَ موضوعاً مركباً ، بعضُ رجاله أقدمُ ممن روى عنه ولم يكنِ الخطيبُ عَلِمَ بذلك ولا وَقَفَ عليه فلذلك وثقه ، قال : وهذه التعليقة فهي في أمالي أبي القاسم عبد الرحمن بن إسحاق الزجاجي[3] النحوي نحو من عشرة أسطر ، فجعلها هذا الشيخ إبراهيم قريباً من عشرة أوراق . وله كتاب في النحو رأيته قدر « اللمع » وقد أجاد فيه .

ـ 23 ـ

إبراهيم بن الفضل الهاشمي اللغوي : قال الحاكم في «تاريخ نيسابور» : أبو إسحاق الأديب اللغوي أقام بنيسابور سنة خمس وسبعين وثلاثمائة وسمعته يذكر سماعه من أبي محمد ابن صاعد وأقرانه ، وسمعته يقول ، سمعت أبا بكر ابن دريد ينشد لنفسه[4] :

وَدَّعْتُهُ حين لا تُوَدِّعُهُ ... نفسي ولكنها تسيرُ مَعَهْ
ثم افترقنا وفي القلوبِ له ... ضيقُ مكانٍ وفي الدموعِ سَعَهْ

---

23 ـ ترجمته في إنباه الرواة 1 : 174 والوافي 6 : 91 وبغية الوعاة 1 : 422 .

(1) في ابن عساكر : دفعها إليّ الخطيب الشيخ الفقيه أبو العباس أحمد بن منصور المالكي رحمه الله وكان كتبها عنه وحملها إلى المعروف برزين الدولة المصمودي .

(2) أورد ابن عساكر هذا الإسناد .

(3) سقطت من الأمالي والحقها المحقق (ص 238) نقلاً عن الاشباه والنظائر للسيوطي .

(4) ديوانه (صنعة ابن سالم) : 39 (عن ياقوت) .

ـ 24 ـ

إبراهيم بن قطن المهري القيرواني ، أخو أبي الوليد عبد الملك المذكور في بابه[1]: ذكره الزبيدي في كتابه وقال: قرأ إبراهيمُ النحو قبل أخيه أبي الوليد، وكان سببُ طلبِ أبي الوليد النحوَ أن أخاه إبراهيم رآه يوماً وقد مدَّ يده إلى بعض كتبه يقلبها ، فأخذ أبو الوليد كتاباً منها ينظر فيه فجذبه من يده وقال له : مالك ولهذا وأسمعه كلاماً ، فغضب أبو الوليد لما قابله به أخوه ، وأخذ في طلب العلم حتى علا عليه وعلى أهلِ زمانه كلِّهم واشتهر ذكره وسما قدره ، فليس أحد يجهل أمره ، ولا يعرف إبراهيمَ إلا القليلُ من الناس . وكان إبراهيم يرى رأي الخوارج الاباضية .

ـ 25 ـ

إبراهيم بن ماهويه الفارسي : رجل أديب لا أعرف من حاله الا ما ذكره المسعودي فقال[2] : له كتاب عارَضَ فيه المبردَ في كتابه الملقب بـ « الكامل » .

ـ 26 ـ

إبراهيم بن محمد بن أبي حصن الحارث بن أسماء بن خارجة بن حصن بن حذيفة بن بدر الفزاري أبو إسحاق : كوفي الأصل نزل ثغر المصيصة حتى مات به في عدة روايات ذكرها ابن عساكر في « تاريخ دمشق » أصحُّها أنه مات سنة ثمان وثمانين

---

24 ـ ترجمة ابن قطن المهري في طبقات الزبيدي: 229 وإنباه الرواة 1 : 175 والوافي 6: 94 وبغية الوعاة 1 : 423 ولم ترد في المختصر .

25 ـ الوافي 6: 100 (نقلاً عن ياقوت) ولم ترد الترجمة في المختصر .

26 ـ ترجمة أبي اسحاق الفزاري في طبقات ابن سعد 7: 488 ومصورة ابن عساكر 2: 498 وتهذيبه 2: 255 وسير الذهبي 8: 473 وتذكرة الحفاظ للذهبي: 273 والوافي 6: 104 وتهذيب التهذيب 1 : 151 وقد وجدت قطعة من كتابه « السير » نشرت بتحقيق الدكتور فاروق حمادة ، (بيروت 1987) فانظر مقدمة المحقق .

---

(1) عبد الملك بن قطن سقطت ترجمته وجعلتها في الملحق .

(2) مروج الذهب 1: 16 .

ومائة ، وقد روي أنه مات سنة ست وقيل سنة خمس وثمانين . وكان خيّراً فاضلاً ورعاً صاحب سُنّةٍ وأمرٍ بالمعروف ونهيٍ عن المنكر ، وله فضائل جمة نذكر منها في هذا الكتاب ما انتخبناه من كتاب دمشق . وكان أبو إسحاق مع ما اشتهر من فضله كثيرَ الغلط وله « كتاب السير » في الأخبار والأحداث ، رواه عنه أبو عمرو معاوية بن عمرو الرومي ، وتوفي أبو عمرو هذا ببغداد سنة خمس عشرة وثلاثمائة .

قال ابن عساكر : أبو إسحاق أحد أئمة المسلمين وأعلام الدين روى عن الأعمش وسليمان البتي(1) وأبي إسحاق سليمان بن فيروز الشيباني وعبد الملك بن عمير وعطاء بن السائب ويحيى بن سعيد الأنصاري وموسى بن عقبة وهشام بن عروة وَحُميد الطويل وسفيان الثوري ، وذكر خلقاً كثيراً . وروى عنه سفيان الثوري وأبو عمرو عبد الرحمن بن عمرو الأوزاعي وهما أكبر منه ، وذكر خلقاً رووا عنه . وحدث فيما رفعه إلى رباح بن الفرج الدمشقي قال ، سمعت أبا مسهر يقول : قدم علينا إبراهيم بن الفزاريّ فاجتمع الناسُ يسمعون منه ، فقال لي : اخرج إلى الناس فقل لهم من [كان] يرى رأيَ القَدَرية فلا يحضرْ مجلسنا ، ومن كان يأتي السلطان فلا يحضر مجلسنا ، قال : فخرجت فأخبرت الناس .

قال وقال عبد الرحمن النسائي(2) : أبو إسحاق الفزاري ثقة مأمون أحد الأئمة ، وكان يكون بالشام ، روى عنه ابن المبارك . وحدَّث الاوزاعي بحديث فقال رجل : من حدثك يا أبا عمرو؟ فقال : حدثني الصادق المصدَّق(3) أبو إسحاق إبراهيم الفزاري . وحدث فيما رفعه إلى أبي صالح محبوب بن موسى الفراء قال : سألت ابن عيينة قلت : حديثٌ سمعتُ أبا إسحاق رواه عنكَ أحببتُ أن أسمعه منك ، فغضب عليَّ فانتهرني وقال : لا يقنعك أن تسمعه من أبي إسحاق ؟ واللّهِ ما رأيتُ أحداً أُقَدِّمُهُ على أبي إسحاق . وقال أبو صالح أيضاً(4) : ولقيت الفضيل بن عياض فعزَّاني بأبي

(1) ابن عساكر : وسليمان التيمي .
(2) ابن عساكر : 499 .
(3) ابن عساكر : الصدوق (وقد تقرأ : المصدوق) .
(4) ابن عساكر : 501 (500) .

إسحاق وقال لي : واللّه لربما اشتقتُ إلى المصيصة ما بي فضل الرباط إلا لأرى أبا إسحاق . وحدث فيما رفعه إلى أبي مسلم صالح بن أحمد العجلي عن أبيه قال : أبو إسحاق الفزاري كوفي اسمه إبراهيم بن محمد نزل الثغر بالمصيصة ، وكان ثقة رجلاً صالحاً صاحبَ سنة ، وهو الذي أدَّبَ أهلَ الثغرِ وعلَّمهم السنة ، وكان يأمر وينهى ، وإذا دخل الثغر رجلٌ مبتدعٌ أخرجه ، وكان كثير الحديث ، وكان له فقهٌ ، أمر سلطاناً يوماً ونهاه فضربه مائتي سوط ، وتكلم فيه(1) . وسئل عنه يحيى بن معين فقال : ثقة ثقة . قال أبو صالح الحسين بن محمد بن موسى الفراء ، سمعت علي بن بكار يقول(2) لقيتُ الرجالَ الذين لقيهم أبو إسحاق ابن عون وغيرهم واللّه ما رأيت فيهم أفقه منه . قال أبو صالح ، قال عطاء الخفاف(3) : كنتُ عند الأوزاعي فأراد أن يكتبَ إلى أبي إسحاق ، فقال للكاتب : اكتبْ إليه وابدأ به فإنه واللّه خيرٌ مني ، قال : وكنت عند الثوريّ فأراد أن يكتب إلى أبي إسحاق فقال للكاتب : أكتبْ إليه فابدأ به فإنه واللّهِ خيرٌ مني . وحدث فيما رفعه إلى إسماعيل بن إبراهيم قال(4) : أخذ الرشيدُ زنديقاً فأمر بضرب عنقه ، فقال له الزنديق : لم تضرب عنقي يا أمير المؤمنين ؟ قال : أُريحُ الناسَ منك ، قال : فأين أنت من ألف حديث وضعتها على رسول اللّه ﷺ ما فيها حَرْفٌ نَطَقَ به رسول اللّه ﷺ ، قال : فأين أنت يا عدوَّ اللّه من أبي إسحاق الفزاري وعبد اللّه بن المبارك ينخلانها نخلاً فيخرجانها حرفاً حرفاً .

وحدث فيما رفعه إلى عبد الرحمن بن مهدي قال(5) : كان الأوزاعيّ والفزاريّ إمامين في السنّة ، إذا رأيتَ الشاميَّ يذكرُ الأوزاعي والفزاريّ فاطمئن إليه ، كان هؤلاء الأئمة في السنة .

وحدث أبو علي الروذباري(6) : كان أربعة في زمانهم : واحد كان لا يقبلُ من

(1) ابن عساكر : فغضب له الأوزاعي فتكلم في أمره .
(2) ابن عساكر : 500 .
(3) ابن عساكر : 500 .
(4) ابن عساكر : 501 .
(5) ابن عساكر : 502 .
(6) المصدر السابق .

السلطان ولا من الإخوان ، يوسف بن أسباط ، وورث سبعين ألف درهم لم يأخذ منها شيئاً وكان يعمل الخوص بيده . وآخر كان يقبل من الإخوان والسلطانِ جميعاً أبو إسحاق الفزاريّ ، فكان ما يأخذه من الإخوان ينفقه في المستورين الذين لا يتحركون ، والذي يأخذه من السلطان ينفقه[1] في أهل طرسوس . والثالث كان يأخذ من الاخوان ولا يأخذ من السلطان وهو عبد اللّه بن المبارك يأخذ من الإخوان ويكافىء عليه . والرابع كان يأخذ من السلطان ولا يأخذ من الاخوان وهو مخلد بن الحسين ، كان يقول : السلطانُ لا يمنّ والاخوان يمنُّونَ .

وحدث ابن عساكر فيما رفعه إلى الأصمعي قال[2] : كنتُ جالساً بين يدي هارون الرشيد أنشده شعراً ، وأبو يوسف القاضي جالسٌ على يساره ، فدخل الفضل بن الربيع فقال : بالباب أبو إسحاق الفزاري ، فقال : أَدْخِلْهُ ، فلما دخل قال : السلام عليك يا أمير المؤمنين ورحمة اللّه وبركاته ، فقال له الرشيد : لا سلَّم اللّه عليك ولا قَرَّبَ دارك ولا حيا مزارك ، قال : لم يا أمير المؤمنين ؟ قال : أنت الذي تحرِّمُ السواد ؟ فقال : يا أمير المؤمنين مَنْ أخبرك بهذا ؟ لعل هذا أخبرك ـ وأشار إلى أبي يوسف وذكر كلمة ـ واللّه يا أمير المؤمنين لقد خرج إبراهيم على جدك المنصور فخرج أخي معه ، وعزمتُ على الغزو فأتيتُ أبا حنيفة فذكرتُ له ذلك فقال لي : مخرج أخيك أحبُّ إليَّ مما عزمتَ عليه من الغزو ، ووالله ما حَرَّمْتُ السواد ، فقال الرشيد : فسلَّم اللّه عليكَ وقرَّبَ دارك وحيَّا مزارك ، اجلس أبا إسحاق ، يا مسرور ثلاثةَ آلاف دينار لأبي إسحاق ، فأُتي بها فوضعتْ في يده وانصرف بها ، فلقيه ابن المبارك فقال له : من أين أقبلت ؟ قال : من عند أمير المؤمنين وقد أعطاني هذه الدنانير وأنا عنها غنيّ ، قال : فإن كان في نفسك منها شيء تصدَّقْ بها ، فما خرج من سوقِ الرافقة حتى تصدَّق بها كلها .

وفضائل أبي إسحاق كثيرة اختصرت منها حسب ما شرطت من الإيجاز من « تاريخ دمشق » لابن عساكر .

---

(1) ابن عساكر : كان يخرجه إلى .
(2) ابن عساكر 2 : 502 ـ 503 .

ـ 27 ـ

إبراهيم بن محمد بن سعدان بن المبارك النحوي : أحدُ مَنْ كَتَبَ وصحَّح ، ونظرَ وحقَّق ، وروى وصدق ، وقد صنَّف كتباً حسنة منها كتاب الخيل ، لطيف . كتاب حروف القرآن . وأبوه محمد بن سعدان المكفوف أحد أعيان أهل العلم من القراء وله باب يذكر فيه .

ـ 28 ـ

إبراهيم بن القاسم الكاتب : يعرف بالرقيق القيرواني ، والرقيق لقب لـه ، رجل فاضل أديب له تصانيف كثيرة في علم الأخبار ومنها كتاب تاريخ أفريقية والمغرب ، عدة مجلدات . وكتاب النساء ، كبير . وكتاب الراح والارتياح . وكتاب نظم السلوك في مسامرة الملوك أربع مجلدات . وكتاب الاختصار البارع للتاريخ الجامع ، عشر مجلدات .

وكان في سنة تسعين وثلاثمائة .

وذكره ابن رشيق فقال : هو شاعر سهل الكلام محكمه ، لطيف الطبع قويه ، تلوح الكتابة على ألفاظه ، قليل صنعة الشعر ، غلب عليه اسم الكتابة وعلم التاريخ وتأليف الأخبار ، وهو بذلك أحذق الناس . وكاتب الحضرة منذ نيِّفٍ وعشرين سنة إلى

---

27 ـ ترجمته في إنباه الرواة 1 : 185 والفهرست : 87 وبغية الوعاة 1 : 426 ولم ترد في المختصر وتأتي ترجمة أبيه رقم : 1050 .

28 ـ ترجمة الرقيق في الوافي 6 : 92 (وضبط اسمه بأنه بقافين بينهما ياء آخر الحروف فعيل من الرقة) والفوات 1 : 41 ومسالك الابصار 11 : 333 وفيه نقل عن الأنموذج لابن رشيق (أنموذج الزمان : 55) والمقفى 1 : 256 . ومقدمة قطب السرور (القسم الثاني) بتحقيق أحمد الجندي ، دمشق 1969 ومقدمة المختار منه ، تحقيق عبد الحفيظ منصور 1976 ومقدمة قطعة من كتابه تاريخ المغرب والأندلس ، تحقيق المنجي الكعبي ، وهذه القطعة أعاد تحقيقها عز الدين عمر موسى وعبد الله الزيدان ، دار الغرب الاسلامي ، بيروت 1990 .

الآن . ومن شعره جواباً عن أبيات كتبها إليه عمار بن جميل[1] وقد انقطع عن مجالس الشراب[2] :

قريضٌ كابتسام الرَّوْ ... ضِ جَمَّشَهُ نسيم صبا
كعقدٍ من جُمانِ الطلِّ منظومٍ وما ثُقبا
ومنثورٌ كنشرِ الد ... رِّ من أسلاكه انسربا
فأهدى نشرُ زهرته ... فتيتَ المسكِ مُنْتَهَبا
إذا أثمارُهُ جُنِيَتْ ... جنيتَ العلمَ والأدبا
بهزلٍ حين ينشده ... كأنك مُنْتَشٍ طربا
حباك به أخٌ يرعى ... من العهد الذي وجبا
صديقٌ مثلُ صفوِ الما ... ءِ بالصهباءِ قد قُطبا
كنزتُ مودةً منه ... كَفَتْ أن أكنزَ الذهبا
إذا عدّ امرؤٌ حسباً ... فحسبي ذكره نسبا
ألذُّ من الحياة لد ... يَّ لكنْ قلبُهُ قُلِبا
فهانَ عليه ما أُلقى ... وظنَّ تجلدي لعبا
جفوتُ الراحَ عن سببٍ ... وكان لجفوتي سببا
فصرتُ لوحدتي كَلًّا ... على الإخوان مُجْتَنَبا
وذاك لتوبةٍ أمَّلْتُ أن أقضي بها أربا
فها أنا تائبٌ منها ... فزرني تبصرِ العَجَبا

وكان قدم مصر في سنة ثمان وثمانين وثلاثمائة بهديةٍ من نصير الدولة باديس بن زيري إلى الحاكم ، فقال قصيدةً يذكر فيها المناهل ثم قال[3] :

(1) عمار بن جميل : ترجم له ابن رشيق في الأنموذج : 305 وقال : كان متوسط الطبع ، مرُّ المذاق ، شرس الأخلاق ، يتشبه بمحمد بن عبد الملك الزيات .
(2) الأبيات في الأنموذج : 55 ـ 56 .
(3) القصيدة في الأنموذج : 57 (وتخريجها) .

إذا ما ابنُ شهرٍ قد لبسنا شبابَهُ بدا آخرٌ من جانبِ الأُفْقِ يَطْلُعُ
إلى أن أَقَرَّتْ جيزةُ النيلِ أعيناً كما قرَّ عيناً ظاعنٌ حين يرجع

يقول فيها بعد مدح كثير ووصفٍ جميل :

هديةُ مأمونِ السريرةِ ناصحٍ أمينٍ إذا خانَ الأمينُ المضيِّعُ
وما مثلُ باديسٍ ظهيرُ خلافةٍ إذا اختير يوماً للظهيرةِ موضع
نصيرٌ لها من دولةٍ حاتميةٍ إذا ناب خطبٌ أو تفاقمَ مطمع
حسامُ أميرِ المؤمنين وسهمُهُ وسمٌّ ذعافٌ في أعاديه مُنْقِعُ

قال : ومن مليح كلامه قوله من قصيدة[1] :

إذا ارجحنَّتْ بما تحوي مآزرُهَا وخفَّ من فوقها خصرٌ ومنتَطَقُ
ثَنى الصَّبا غُصُناً قد غازلته صَباً على كثيبٍ له من ديمةٍ لَثَقُ
للشمسِ ما سترتْ عنَّا معاجِرُهَا وللغزالِ احورارُ العينِ والعُنُقُ
مظلومةٌ أن يقالَ البدرُ يُشبهها والبدرُ يُكْسَفُ أحياناً وينْمَحِقُ
يجلل المتنَ وَحْفٌ من ذوائبها جبينها تحت داجي ليله فَلَقُ
كأنها روضةٌ زهراءُ حاليةٌ بنورها ، ترتعي في حسنها الحدق

وقال ومن أعجب ما سمعتُ قوله من قصيدةٍ يمدح محمد بن أبي العرب[2] :

أظالمةَ العينين لحظهما[3] سِحْرُ وإن ظُلِمَ الخدَّان واهتُضِمَ الخصر
أعوذُ ببردٍ من ثناياكِ قد ثَنى إليك قلوباً حَشْوُ أثنائها[4] جمر
لقد ضَمِنَتْ [عيناك] أنَّ ضمانتي ستبري عظامي بالنحولِ ولا تبرو
وما أمّ ساجي الطرفِ خفَّاقةُ الحشا أطاع لها الحَوْذَانُ والسَّلَمُ النضر

---

(1) الأنموذج : 58 .
(2) محمد بن أبي العرب الكاتب عمل على أفريقية أيام المنصور الصنهاجي وتوفي سنة 396 (الكامل في التاريخ 9 : 90 ، 152) وانظر الأبيات في الأنموذج : 59 .
(3) في م : يخلطها .
(4) المسالك : أثوابها .

إذا ما دعاها نَصَّتِ الجيدَ نحوهُ أغنّ قصير الخطوِ في لحظه[1] فَتْرُ
بأملحَ منها ناظراً وَمُقَلَّداً ولكنْ عداني عن تقنُّصها الهجر

يقول في مديحها :

تَصَبَّاه أبكارُ العلا ليس أنها منعمةٌ هيفاءُ أو غادةٌ بكر
يخالُ بأن العِرْضَ غيرُ مُوَفَّرٍ عن الذمِّ إلا أن يُذَالَ له الوفر

يقول فيها يصف بلاغته وكتابته :

يوشِّحُ ديباجَ البلاغةِ أحرفاً يكاد يري روضاً يوشّحه الزهر
وَيَفْضُحُ لفظاً خطُّها من فصاحةٍ وَيُشْرِقُ من تحبيرِ ألفاظها الحبر
يصيبُ عيونَ المشكلاتِ بَديهةً ويبدي له أعقابَ ما غُيِّبَ الفِكْرُ

ثم ذكر الممدوح فقال :

وملمومةٍ شهباءَ يَسْعَى أمامَها شهابُ عزيمٍ من طلائعِهِ الذعر
يُزَجّي بناتِ الأعوجيةِ شُزَّباً عليها بنو الهيجا دروعهم الصبر
أسودُ وغىً تحت العجاجةِ غَابُها سُرَيْجِيَّةٌ بيضٌ وَخَطّيةٌ سُمْر
صَبَحْتَ بها دَهْماءَ قومٍ أرتهمُ وجوهَ الردى حمراً خوافِقُها الصُّفْرُ

قال : ومثل هذه القصيدة في الجودة قصيدة طويلة تشوق فيها إخوانه بمصر، وهي[2] :

هل الريحُ إن سارتْ مُشَرِّقةً تسري تؤدِّي تحياتي إلى ساكني مصرِ
فما خَطَرَتْ إلاّ بكيتُ صبابةً وَحَمَّلْتُها ما ضاقَ عن حمله صدري
تراني[3] إذا هَبَّتَ قَبُولاً بنشرهمْ شممتُ نسيمَ المسكِ في ذلك النشرِ
وما أنْسَ من شيءٍ خلا العهدُ دونه فليس بخالٍ من ضميري ولا فكري
ليالٍ أَنِسْنَاها[4] على غِرَّة الصِّبا فطابتْ لنا إذ وافَقَتْ غُرَّةَ الدهرِ

---

(1) المسالك : عظمه .

(2) وردت هذه القصيدة في المسالك وخطط المقريزي 1 : 370 وانظر الأنموذج: 61 .

(3) ر : لأني .

(4) المسالك : لبسناها .

لعمري لئن كانت قصاراً أعُدُّها فلستُ بمعتدٍّ سواها من العمرِ
أخادِعُ دهري أنْ يعودَ بفرصةٍ فينقذَ روحَ الوصلِ من راحة الهجرِ
وترجِعَ أيامٌ خَلَتْ بمعاهدٍ من اللهو لا تنفكُّ مني على ذكرِ
فكم ليَ بالأهرام أو دير نهيةٍ مصايدُ غزلانِ المكانسِ[1] والقفرِ
إلى الجيزة الدنيا وما قد تضمَّنَتْ جزيرتها ذاتُ المواخيرِ والجسرِ
وبالمَقْسِ فالبستانِ للعينِ منظرٌ أنيقٌ إلى شاطي الخليج إلى القصرِ
وفي سَرَدوسٍ[2] مستَرادٌ وملعبٌ إلى دير مَرْ حَنّا إلى ساحل البحرِ
وكم بين بستانِ الأميرِ وقصرِهِ إلى البركة الزهراءِ من زَهَرٍ نَضْرِ
تراها كمرآةٍ بَدَتْ في رفارفٍ من السندسِ الموشيِّ يُنْشَرُ للتَّجْرِ
وكم بتُّ في ديرِ القصيرِ[4] مواصلاً نهاري بليلي لا أُفيق من السكرِ
تباكرني بالراح بكرٌ غريرةٌ إذا هتف الناقوسُ في غرة الفجرِ
مسيحيةٌ خوطيّةٌ كلما انثنتْ تشكَّتْ أذى الزنّار من دقة الخصرِ
وكم ليلةٍ لي بالقرافةِ خِلْتُها لما نلتُ من لذاتها ليلةَ القدرِ
سقى اللّه صَوْبَ القَطْرِ تلك مغانياً وإن غَنِيَتْ بالنيلِ عن سَبَلِ القطرِ

وله أيضاً في الغزل[5] :

ريمٌ إذا ما معاريضُ المنى خَطَرَتْ أَجَلُّهُ المتمنّي عن تمنّيهِ
يا إخوتي أأقاحي فِيهِ أَقبلُ لي أم خَطُّ راءَينِ من مِسْكٍ[6] على فيهْ
أم حُسْنُ ذاك التراخي في تكلُّمه أم حُسْنُ ذاك التهادي في تثنيه

(1) دير نهيا : بالجيزة قرب القاهرة ؛ وفي م : المكابد .
(2) سردوس : أحد فروع النيل .
(3) دير مرحنا : كان يقع على شاطىء بركة الحبش .
(4) دير القصير : كان قريباً من القاهرة .
(5) قارن بالفوات 6 : 93 والأنموذج : 63 .
(6) المختصر (ر) : أم خط آسٍ على مسك .

أم سُخْطُهُ أم رضاهُ أم تَجَنِّيهِ ... أم عَطْفُهُ أم نَواهُ أم تدانيه
نفسي فداؤك ما لي عنكَ مصطبرٌ ... يا قاتلي كلُّ معنى من معانيه

وقال يرثي[1] :

وهوَّنَ ما ألقى وليس بهيّنٍ ... بأن المنايا للنفوس بمرصدِ
وأني وإن لم ألقكَ اليومَ رائحاً ... لصرفِ رزاياها لقيتُكَ في غد
فلا يبعدنْكَ اللّه ميتاً بقفرةٍ ... مُعَفَّرَ خَدٍّ في الثرى لم يُوَسَّد
تردَّى نجيعاً حين بُزَّتْ ثيابه ... كأنّ على أعطافه فَضْلَ مُجسد
مضاءُ سنانٍ في سنانٍ مُذَلَّقٍ ... وفتكُ حسامٍ في حسامٍ مهند

- 29 -

إبراهيم بن محمد بن عبيد الله بن المدبر أبو إسحاق : الكاتب الأديب الفاضل ، الشاعر الجواد المترسل ، صاحب النظم الرائق والنثر الفائق ، تولى الولاياتِ الجليلة ، ثم وزر للمعتمد على اللّه لما خرج من سرَّ من رأى يريد مصر ، ومات في سنة تسع وسبعين ومائتين وهو يتقلد للمعتضد ديوان الضياع ببغداد . وأصلهم من دستميسان ، وكان يدَّعي أنه من ضبَّةَ . وأخوه أحمد[2] من جلة [الكتاب] وأفاضلهم وكرامهم ، وحسدته الكتاب على منزلته من السلطان فأغروه به حتى أخرجه إلى دمشق متولياً عليها وناظراً في تحصيل أموالها ، وقتله ابن طولون في أمرٍ قد ذكرته في كتابي التاريخ .

29 - تجد بعض أخبار ابن المدبر في تاريخ الطبري (صفحات متفرقة) ، وفي علاقاته بشعراء عصره ، يمكن مراجعة ديوان البحتري وديوان ابن الرومي ، وله أخبار منثورة في كتب الأدب ، انظر نشوار المحاضرة 1 : 270 - 273 وله ترجمة في المقفى 1 : 309 .

(1) انظر المسالك والأنموذج : 63 .

(2) تجد أخباراً لأحمد بن المدبر في وفيات الأعيان 7 : 56 وخطط المقريزي 1 : 314 والمغرب (قسم مصر) 123 وصفحات أخرى والنجوم الزاهرة 3 : 43 .

وإبراهيم بن المدبر هو القائل في إبراهيم بن العباس الصولي يهجوه :

عُزِلَ الطويلُ عن الأزِمَّهْ لا رَدَّهُ ربّي بذمَّهْ
إنْ كان طال فإنه من أَقْصَرِ الثقلين هِمَّهْ
هَبْ كنتَ صُولاً نفسه مَنْ كان صولٌ ناك أُمَّه

ومن شعره أيضاً[1] :

يا كاشفَ الكرب بعد شدته ومنزلَ الغيثِ بعد ما قنطوا
لا تَبْلُ قلبي بِشَحْطِ بينهمُ فالموتُ دانٍ إذا همُ شحطوا

من « كتاب نظم الجمان » للمنذري ، قال العطوي الشاعر : أتيت إبراهيم بن المدبر فاستأذنت عليه فلم يأذن لي حاجبه ، فأخذتُ ورقةً وكتبتُ فيها :

أتيتُكَ مشتاقاً فلم أر جالساً ولا ناظراً إلّا بِوَجْهِ قطوبِ
كأني غريمٌ مقتضٍ أو كأنني نُهوضُ حبيبٍ أو حضورُ رقيبِ

فسألتُ الحاجب حتى أوصلها إليه ، فلما قرأها قال : ويحك أدخلْ عليَّ هذا الرجلَ ، فدخلت فأكرمني وقضى حوائجي .

قال أبو علي[2] : سمعت أبا محمد المهلبي يتحدث وهو وزير في مجلس أنس أن رجلاً كان ينادمُ بعضَ الكتاب الظراف ، وأحسبه قال ابن المدبر ، قال : كنتُ عنده ذاتَ يومٍ فرجع غلامٌ له أنفذه في شيءٍ لا أدري ما هو ، فقال له رب الدار : ما صنعت ؟ فقال : ذهبت ولم يكنْ فقام ليجيءَ فجاء فلم يجيء فجئت ، قال : فتبينتُ في ربِّ الدار تغيّراً وهمّاً ، ولم يقلْ للغلام شيئاً ، فعجبت من ذلك ، ثم أخذ بيدي وقال : قد ضَيَّقَ صدري ما جاء به هذا الغلامُ فقم حتى ندورَ في البستان الذي في دارنا ونتفرجَ فلعله يخفّ ما بي ، فقلت : والله لقد توهمتُ أن صدرك قد ضاقَ بانقلابِ كلام الغلام عليك ، فأما وقد فهمته فهو ظريف ، فقال : إن هذا الغلام من أحصف وأظرف غلامٍ يكون ، وذاك أنني ممتحنٌ بعشقِ غلامٍ أمرد ، وهو ابن نجادٍ في جيراننا ، والغلام يساعدني عليه ، وأبوه يغار عليه ويمنعه مني ، فوجَّهْتُ بهذا الغلام

(1) المقفى 1 : 312 .
(2) يعني - في الأرجح - ابن مقلة .

وقلت له: إنْ لم يكن أبوه هناك فقلْ له يصيرُ إلينا، فرجع، فلما رآك عندي ورآني احتشمك ردَّ هذا الجوابَ الظريفَ الذي سمعتَهُ ، فقلت : أَعِدْهُ عليّ أنت لأفهمه ، فقال : إنه يقول ذهبتُ إلى الغلام ولم يكن أبوه هناك ، فقام الغلام ليجيءَ ، فجاء أبوه فلم يجيء الغلام ، فجئتُ أنا . فقلتُ له : هذا الغلام يجب أن يكون أخاً أو صديقاً لا غلاماً .

وقال مخلد بن علي الشامي الحوراني يهجو ابن المدبر :

علـى أبــوابــه من كــلِّ وجــهٍ ... قَـصَــدْتَ لــه أخــو مُــرِّ بن أُدِّ

يعني ضَبَّة بنَ أد ، يعني أبوابه مُضببة باللؤم أو محكمة عن الخير ، وكان ابن المدبّر يُنْسَبُ إلى ضبة :

أخــو لخمٍ أعـارك منــه ثـوبــاً ... هنيئــاً بـالقميصِ لــك الأَجَــدِّ

وأخو لخم يريد جذاماً :

أبــوك أراد أمــك حيـن زُفَّــتْ ... فلم تــوجـد لأُمِّـكَ بنتُ سعـد

بنت سعد : يريد عذرة بن سعد بن هذيم القبيلة المعروفة .

وَزُبْـدٌ في الهجـاء بغيــرِ دالٍ ... أحبُّ إليـكَ من عَسَـلٍ بــزبـدِ

رأيــتُــكَ لا تــحــبُّ الــودَّ إلا ... إذا مــا كــان من عَصَـبٍ وجلد

أراني اللّه عَــرَّكَ فـي الجـعْبَى ... وَعَـيْنَــكَ عـينَ بـشــار بن بــرد

العر : الجرب ، والجعبى الاست ، وعين بشار يعني أعمى ، لأن بشار بن برد كان أعمى .

ـ 30 ـ

إبراهيم بن محمد بن سعيد بن هلال بن عاصم بن سعد بن مسعود بن عمرو بن عمير بن عوف بن عقدة بن غبرة بن عوف بن ثقيف الثقفي : أصله كوفي ،

---

30 ـ ترجمته في الوافي 6 : 120 (عن ياقوت) ، وانظر فهرست الطوسي : 16 (كلكتا) 31 (بيروت) ولم ترد هذه الترجمة في المختصر .

وسعد بن مسعود هو أخو عبيد بن مسعود صاحب يوم الجسر في أيام عمر بن الخطاب مع الفرس ، وسعد هو عمّ المختار بن أبي عبيد الثقفي ، ولاّه علي كرّم الله وجهه المدائن وهو الذي لجأ اليه الحسنُ يومَ ساباط . وكنية ابراهيم أبو إسحاق وكان جباراً من مشهوري الإمامية ، ذكره أبو جعفر محمد بن الحسين الطوسي في « مصنفي الإمامية » وذكر أنه مات في سنة ثلاث وثمانين ومائتين ، قال : وانتقل من الكوفة إلى أصفهان وأقام بها ، وكان زيدياً أوّلاً وانتقل إلى القول بالإمامية . وله مصنفات كثيرة منها : كتاب المغازي . كتاب السقيفة . كتاب الردة . كتاب مقتل عثمان . كتاب الشورى . كتاب بيعة أمير المؤمنين . كتاب الجمل . كتاب صفين . كتاب الحكمين . كتاب النهر[1] . كتاب الغارات . كتاب مقتل أمير المؤمنين . كتاب رسائل أمير المؤمنين وأخباره وحروبه غير ما تقدم . كتاب قيام الحسن بن علي رضي اللّه عنهما . كتاب مقتل الحسين . كتاب التوابين وعين الوردة . كتاب أخبار المختار . كتاب فدك . كتاب الحجة في فعل[2] المكرمين . كتاب السرائر . كتاب المودة في ذوي القربى . كتاب المعرفة . كتاب الحوض والشفاعة . كتاب الجامع الكبير في الفقه . كتاب الجامع الصغير . كتاب ما نزل من القرآن في أمير المؤمنين . كتاب فضل الكوفة ومن نزلها من الصحابة . كتاب الإمامة كبير . كتاب الامامة صغير . كتاب المُتْعَتَيْنِ . كتاب الجنائز . كتاب الوصية . كتاب المبتدا . كتاب أخبار عمر . كتاب أخبار عثمان . كتاب الدار . كتاب الأحداث . كتاب الحروري . كتاب الاستيفاء والغارات[3] . كتاب السير . كتاب يزيد . كتاب ابن الزبير . كتاب التعبير[4] . كتاب التاريخ . كتاب الرؤيا . كتاب الأشربة الكبير والصغير . كتاب محمد وإبراهيم . كتاب من قتل من آل محمد . كتاب الخطب .

(1) الطوسي : النهروان

(2) الطوسي : فضل (أو فعل) .

(3) الطوسي : كتاب الجزور أو كتاب الاستفسار والغارات .

(4) الطوسي : التفسير .

ـ 31 ـ

إبراهيم بن محمد بن أحمد بن أبي عون ابـن هلال أبي النجم الكاتب أبو إسحاق صاحب «كتاب التشبيهات»(1): وكان من أصحاب أبي جعفر محمد بن علي الشلمغاني المعروف بابن أبي العزاقر وأحد ثقاته وممن كان يغلو في أمره ويدَّعي أنه إلهه ـ تعالى اللَّه عن ذلك . وكان ابن أبي العزاقر من أهل قرية من قرى واسط تعرف بشلمغان ، وكان كاتباً ببغداد ، ذكر ثابت(2) أنَّ المحسِّن بن الفرات كان له عناية به فاستخلفه ببغداد لجماعةٍ من العمال بنواحي السلطان ، وكانت صورته صورةَ الحلاج ، وكان له قومٌ يدَّعون أنه إلههم وأنَّ روح اللَّه عز وجل حلَّ في آدم ثم في شيث ثم في واحدٍ واحدٍ من الأنبياء والأوصياء والأئمة حتى حلَّ في الحسن بن علي العسكري ، وأنه حل فيه. ووضع كتاباً سماه الحاسة السادسة(3) ، وأباح الزنا والفجور ، فظفر به الراضي باللَّه فقتله في سنة اثنتين وعشرين وثلاثمائة ، وكان قد استغوى جماعةً منهم ابن أبي عون صاحب « كتاب التشبيهات » وكانوا يبيحـونه حـرمهم وأموالهم يتحكم فيها ، وكان يتعاطى الكيمياء ، وله كتب معروفة . ولما أُخذ ابن أبي العزاقر أخذ معه ، فلما قُتِلَ ابن أبي العزاقر عُرِضَ على إبراهيم بن أبي عون أن يشتمه أو يبصقَ عليه ، فأبى وأرعد وأظهر خوفاً من ذلك للحَيْنِ والشقاء ، فَقُتِلَ وأُلحق بصاحبه . وكان من أهل الأدب وتأليف الكتب ، وكان ناقص العقل متهوّراً ، قال ثـابت : قيل إن أبـا جعفر محمـد بن علي الشلمغاني المعـروف بابن أبي العـزاقر ادَّعى الـربـوبيـةَ فقتـل هـو

---

31 ـ ترجمة ابن أبي عون في الفهرست: 164 (وانظر بعض خبر ابن ابي العزاقر ص: 225، 425) ومادة « الشلمغاني » في معجم البلدان وتاريخ ابن الأثير 8: 290 والانساب واللباب « الشلمغاني » وابن خلكان 2: 155 ـ 157 (وفيه نقل عن ابن النجار في ترجمة ابن أبي عون) ومختصر أبي الفدا 2: 80 وقد ذكره المعري في رسالة الغفران: 455 .

(1) طبع بتحقيق صديقنا محمد عبد المعيد خان رحمه الله (كيمبردج 1950) .
(2) يريد ثابت بن سنان الطبيب صاحب التاريخ الذي ما كتب كتاب في التاريخ أكثر مما كتب ـ كما يقول القفطي ـ وهو من سنة نيف وتسعين ومائتين وإلى حين وفاته سنة 363 وعليه ذيل ابن أخته هلال بن المحسن .
(3) المختصر : الحاسة الساكنة .

وإبراهيم بن محمد بن أحمد بن أبي النجم المعروف بـابن أبي عون صـاحبه ضـرباً بالسوط ، ثم ضربت أعناقهما وصلبا ، ثم أحرقت جثتهما ، وذلك يوم الثلاثاء لليلة خلت من ذي القعدة سنة اثنتين وعشرين وثلاثمائة ، نقلته من خطه .

وله من التصانيف : كتاب النواحي والبلدان . كتاب الجوابـات المسكتة[1] . كتاب التشبيهات . كتاب بيت مال السرور . كتاب الدواوين . كتاب الرسائل .

قال المرزباني[2] : أبو عون أحمد بن أبي النجم الكاتب الأنباري مولى لبني سليم ، وأبو عون وعمّاه صالح وماجد ابنا أبي النجم شعراء كلهم ، وماجد يكنى أبا الدميل ، وأبو عون هو القائل في حاتم بن الفرج ، وكان أبو شبل البرجمي الشاعر في قَدْمَتِهِ سُرَّ مَنْ رأى نزل عليه ، وكان أبو شبل أهتم ، فقال فيه أبو عون[3] :

لحـاتمٍ فـي بخـله فـطنـةٌ ... أدقُّ حسّـاً من خُـطَى النمـلِ
قـد جعـل الهتمـانَ ضيفـانَـهُ ... فـصـار في أَمْـنٍ من الأكـلِ
ليس على خبزِ امرىءٍ ضَيْعَـةٌ ... أكيله عـصمٌ أبـو شبـلِ[4]
كم قَـدْرُ مـا تحـملُهُ كـفُّـهُ ... إلـى فمٍ مـن سِنِّـهِ عُـطْلِ
فحـاتمُ الـجـودِ أخـو طيء ... كـانَ وهـذا حـاتمُ البخـلِ

وذكر أبو محمد عبد الله بن أحمد الفرغاني [قال][5] وكان ابن أبي عون أحد القواد ممن قرَّبه إليه أبو الهيثم العباس بن محمد بن ثوابة وأكسبه مالاً ، فلما قُبِضَ على أبي الهيثم صار ابنُ أبي عون عوناً عليه مع أعـدائه ، وكـان في من وُكِلَ بـدار أبي

---

(1) تقوم بتحقيقه الدكتورة وداد القاضي ، وما نشر منه لا يعدو أن يكون قطعة .
(2) هذا النقل من معجم الشعراء ، كما ذكر الصفدي في الوافي 8 : 209 ـ 210 .
(3) الأغاني 14 : 192 .
(4) يعني عاصم بن وهب المكنىّ بأبي الشبل البرجمي ، وهو شاعر عاصر المتوكل العباسي ومدحه (انظر ترجمته في الأغاني 14 : 184 ـ 201) .
(5) هو المؤرخ الذي كتب صلة لتاريخ الطبري وكانت وفاته سنة 362 ثم إن ابنه أحمد كتب صلة لتاريخ أبيه ، وتوفي الابن سنة 398 .

الهيثم ، ولم يُحْسِنْ إليه أبو الهيثم إلاَّ على بصيرةٍ فيه بظلمه وفسقه فسلَّطه اللَّه عليه كما كان هو يُسَلِّطُهُ على الناس ؛ قال ابن أبي عون : أظنُّ أنَّ أبا الهيثم كان يهودياً ، قيل : وكيف ذلك ؟ قال : لأني أخذتُ غلاماً له ففسقت به في دبره وسكرت ، وطلبتُ أمَّ ولده لأفجرَ بها ولم أقْدِرْ عليها ، ولو كان أبو الهيثم مسلماً لغضب الله له . وهذا قولُ متمرّدٍ على الله مستغرٌّ بإمهال الله تعالى له ، ولم يُهْمِلْهُ الله عز وجل ثم أخذه بسوءِ عمله . وكان ممن آمنَ بالحلاَّج وآمن بربوبيته وأُخِذَ مع من أخذ من أصحاب الحلاج وقتل شر قتلة ؛ كذا قال « الحلاج » ، إنما هو ابن أبي العزاقر وإن كانت علّتهما واحدةً .

وقرأت بمرو رسالةً كُتِبَتْ من بغداد عن أمير المؤمنين الراضي رضي الله عنه إلى أبي الحسين نصر بن أحمد الساماني إلى خراسان بقتل العزاقري لخصت [منها] ما يتعلق بابن أبي عون ، قال فيها بعد أن ذكر أول من أبدع مذهباً في الإسلام من الرافضة وأهل الأهواء « وآخر من أظفره اللَّه منهم به : المقتدرُ باللَّه ، رحمه الله ، فانتقم من المعروف بالحلاَّج وخبرُهُ أرفعُ وأشهرُ من أن يوصفَ ويذكر ـ وأراق دمه وأزال تمويهه وَحَسَمه . ولما ورث أمير المؤمنين ميراثَ أوليائه ، وأحلَّه [اللَّه] محلَّ خلفائه ، اقتدى بسنتهم ، وجرى على شاكلتهم في كلِّ أمرٍ قاد إلى مصلحةٍ ودَفْعِ ضرر ، وعاد إلى الإسلام وأهله بمنفعة ، وجعل الغرضَ الذي يرجو الإصابةَ بتيمُّمِهِ والمثوبةَ بتعمُّدِهِ أن يتتبعَ هذه الطبقةَ من الكفار ، ويطهّرَ الأرضَ من بقيتهم الفجار ، فتبحَّثَ عن أخبارهم ، وأمر بتقصِّي آثارهم ، وأن يُنْهَى إليه ما يصحُّ من أمورهم ، ويحصَّلَ له من يُظْهَرُ عليه من جمهورهم ، فلم يبعد أن أحضر أبو علي محمد[1] وزير أمير المؤمنين رجلاً يقال له محمد بن علي الشلمغاني ، ويعرف بابن أبي العزاقر ، فأعلم أميرَ المؤمنين أنه من غمار الناس وصغارهم ، ووجوهِ الكفّارِ وكبارهم ، وأنه قد استزلَّ خلقاً من المسلمين ، واستركَّ طوائفَ من العَمِهين ، وأنَّ الطلبَ قد كان لحقه في الأيام الخالية فلم يُدْرَكْ ، وأُودعت المحابسُ قوماً [ممن] ضلَّ وأشرك فلما رفع حكمه عنه ، وأذن في استنقاذ العباد منه واطَّلَعَ من أبي عليّ على صفاءِ نية ونقاءِ طويَّة في ابتغاءِ

(1) يعني الوزير ابن مقلة .

الأجر وَطِلابِهِ ،ورضىَ اللَّه عز وجل واكتسابه ، والامتعاض من أن ينازع في الالهية ، أو يضاهى في الربوبية ، أنَّسه بناحيته فاسترسل ، وحبّبه بالمصير إلى حَضْرته فتعجَّل ، ففحص أمير المؤمنين عنه ووكل [إليه] همه ، ففتش أمره تفتيشَ الحائطِ للمملكة ، المحامي عن الحوزة ، القائم بما فوَّضه اللَّه إليه من رعايةِ الأمة ، ووقف أمير المؤمنين على أنه لم يزلْ يدخلُ على العقولِ من كلٍّ مدخل ، ويتوصَّلُ إلى ما فيها من كلّ متوصَّل ، ويعتزي إلى الملَّة وهو لا يعتقدها ، وينتمي إلى الخُلَّة وهو عارٍ منها ، ويدَّعي العلومَ الإلهية وهو عمٍ عنها ، ويتحقَّقُ استخراجَ الحكمِ الغامضةِ وهو جاهل بها ، ويتَّسِمُ بالقدرةِ على المعجزات وهو عاجزٌ عن ممكن الأشياءِ ومتهيئها ، وينتحلُ التقيَّةَ في دين آل محمد وهو يضمرُ التبرؤَ منها ، ويشنأه ويسبُّهُ ﷺ وَيَبْغَضُهُ ، ترمقُ ظاهِرَهُ العيونُ ، فتنصرف عنه الظنون ، إلى أن دُلَّ بالحيلة ، والمكر والغيلة ، على قومٍ من ذوي الجِدَةِ واليسار ، والثروة والاحتكار ، قد أترفهم النعيم فبطروا ، وألهاهم فأشروا ، ولجَّجَهُمْ في بحار اللذة ، فتولجوها على كلِّ علة ، والتمسوا في ذلك رُخْصَةً يجعلونها لأنفسهم عُمْدَةً وَعِصْمَة ، وآخرين لا جِدَةَ عندهم ولا سعة ، قد قويتْ شهواتهم ، وضعفت حالاتهم ، فهم يطلبون أقواتهم بالحقِّ والباطل ، ويخوضون في نَيْلها مع الجادِّ والهازل ، فأباحهم المحظوراتِ ، وأحلَّ لهم المحرَّمات ، وامتطى لهم مَرْكَبَ الغرور ، وتهوَّرَ بهم غاياتِ الأمور ، ولم يَدَعْ فنّاً من الفنونِ [المُرْدِية] ولا نوعاً من الأنواع المخزية ، إلاّ فسح لهم فيه ، وشحذ عزائمهم عليه ، حتى ادَّان له واتَّبعه وأطاعه وشايعه خلقٌ رِينَ على قلوبهم فهم لا يفقهون ، وضُرِبَ على آذانهم فهم لا يسمعون ، وَغُطِّيَ على أعينهم فهم لا يبصرون ، وحيل بينهم وبين الرشد فهم لا يرعوون ، وأُنْسُوا التدبرَ والتفكر في خلق أنفسهم ، والسماءِ التي تُظِلُّهم ، والأرضِ التي تُقِلّهم ، فأصفقوا بأجمعهم على أنه خالقهم وربهم ورازقهم ومحييهم ، يحلُّ فيما شاءَ من الصور ، وَيُحْدِثُ ما شاءَ من الغِيَر، ويفعلُ ما يريد ، ولا يُعْجزه قريبٌ ولا بعيد ، وادّعوا له الدعاوَى الباطلة ، وزعموا أنهم عاينوا منه الآياتِ المعضلة . واستظهر أمير المؤمنين بأن تقدم إلى أبي عليّ بموافقةِ هذا اللعين على تمويهاته وقبائح تلبيساته لتكونَ إقامةُ أميرِ المؤمنين حَدَّ اللّه عليه بعدَ الإنعام في الاستبصار ، وانكشاف الشُّبْهةِ فيه عن القلوبِ والأبصار ، فتجرَّدَ أبو علي في ذلك

وتشمَّر ، وبلغ منه وما قصَّر ، وانثال عليه كلٌّ من اطلع على الحقيقة ، وتعرَّفَ جليَّةَ الصورة ، فوقف أبو علي على أنَّ العزاقريَّ يدَّعي أنه لحقُّ الحقِّ وأنه إله الآلهة ، الأول القديم الظاهر الباطن الخالق الرازق التامّ الموصى إليه بكلِّ معنى ، وَيُدْعَى بالمسيح كما كانت بنو إسرائيل تسمي اللَّه عزَّ وجل المسيح ، ويقول إن اللَّه جلَّ وعلا يحلُّ في كلِّ شيء على قدر ما يحتمل ، وانه خلق الضدَّ ليدلَّ به على مَضْدوده ، فمن ذلك أنه جُلِيَ في آدم عليه السلام لما خلقه وفي إبليس ، وكلاهما لصاحبه يدلُّ عليه لمضادته إياه في معناه ، وإن الدليل على الحقّ أفضلُ من الحقّ ، وأن الضدَّ أقربُ إلى الشيءِ من شبهه ، وأن اللَّه عز وجل إذا حلَّ في هيكلِ جَسَدٍ ناسوتي أظهرَ من القدرة المعجزة ما يدلُّ على أنه هو ، وأنه لما غاب آدم عليه السلام ظهر اللاهوتُ في خمسةٍ ناسوتيةٍ ، كلما غاب منهم واحدٌ ظهر مكانه غيره ، وفي خمسةِ أبالسةٍ أضدادٍ لتلك الخمسة ، ثم اجتمعت اللاهوتية في إدريس عليه السلام وإبليسه ، وتفرقت بعدهما كما تفرقت بعد آدم عليه السلام ، واجتمعت في نوح عليه السلام وإبليسه وتفرقت عند غيبتهما حسب ما تقدم ذكره ، واجتمعت في صالح وإبليسه عاقرِ الناقة وتفرقت بعدهما ، واجتمعت في إبراهيم وإبليسه نمرود وتفرقت بعدهما ، واجتمعت في هارون وإبليسه فرعون وتفرقت على الرسم بعدهما ، واجتمعت في داود عليه السلام وإبليسه جالوت وتفرقت لما غابا ، واجتمعت في سليمان عليه السلام وإبليسه وتفرقت كعادتها بعدهما ، واجتمعت في عيسى عليه السلام وإبليسه ولما غابا تفرقت في تلامذة عيسى كلهم عليهم السلام والأبالسة معهم ، واجتمعت في عليّ بن أبي طالب وإبليسه وتفرقت بعدهما إلى أن اجتمعت في ابن أبي العزاقر وإبليسه . ويصف أن الله عز وجل يظهر في كلِّ شيء بكلِّ معنى ، وأنه في كلِّ أحد بالخاطر الذي يخطر بقلبه فيتصور له ما يغيب عنه كأنه يشاهده ، وأن اللَّه اسمٌ لمعنى ومن احتاج إليه الناس فهو إلاههم ، وبهذا يستوجب [في] كل لغة أن يسمى اللَّه ، وأن كلَّ واحد من أشياعه لعنه اللَّه يقولُ إنه ربّ [لمن] دون درجته ، وأن الرجل منهم يقول إني ربّ فلان ، وفلان ربّ فلان ، حتى الانتهاءِ إلى ابن أبي العزاقر لعنه اللَّه ، فيقول : أنا ربّ الأرباب وإله الآلهة لا ربوبية لربٍّ بعدي ، وأنهم لا ينسبون الحسن والحسين رضي اللَّه عنهما إلى علي بن أبي طالب رضي اللَّه عنه لأن من اجتمعت له اللاهوتيةُ لم يكنْ له والدٌ ولا ولد ، وأنهم

يسمون موسى ومحمداً صلى الله عليهما الخائنين لأنهم يدّعون أن هارون أرسلَ موسى عليهما السلام وأنّ علياً رضي الله عنه أرسل محمداً ﷺ فخاناهما ، ويزعمون أن علياً أمهلَ النبيَّ ﷺ عدةَ أيامِ أصحابِ الكهف سنين ، فإذا انقضت هذه المدة وهي خمسون وثلاثمائة سنة تنقلب الشريعة ؛ ويصفون أن الملائكة كلُّ مَنْ مَلَكَ نفسه وعرف الحقَّ ورآه ، وأن الحقَّ حقهم ، وأن الجنة معرفتهم وانتحال نحلتهم ، والنارَ الجهلُ بهم والصدوفُ عن مذهبهم ، ويغتفرون تَرْكَ الصلاةِ والصيامِ والاغتسالِ ، ويذكرون أنّ مِنْ نعم اللّه على العبد أن يجمعَ له اللذتين ، وأنهم لا يتناكحون بتزويجٍ على السنّة ولا بحال تأوّلٍ أو رخصة ، ويبيحون الفروج ، ويقولون : إن محمداً عليه السلام بُعِثَ إلى كبراءِ قريشٍ وجبابرةِ العرب وقلوبُهُمْ قاسيةٌ ونفوسهم آبيةٌ ، فكان من الحكمة ما طالبهم به من السجود ، وأنَّ من الحكمةِ الآن أن يُمْتَحنَ الناسُ في إباحة فروج حرمهم ، وأن لا شيءَ عندهم في مُلاَمَسَةِ الرجلِ نساءَ ذوي رحمه وفي حُرَمِ صديقه وأبيه بعد أن يكونَ على مذهبه ، ولا ينكرون أن يطلبَ أحدهم من صاحبه حُرْمته ويردَّها إليه فيبعثَ بها طيبةً نفسُه ، وأنه لا بدَّ للفاضل منهم أن ينكح المفضولَ ليولج النورَ فيه ، وابن أبي العزاقر له في هذه الخصلة كتاب سماه « كتاب الحاسة السادسة » وقال : إنه متى أبى ذلك آبٍ قُلِبَ في الكون الذي يجيء بعد هذا امرأةً إذ كان يحقق التناسخ ، وأنه وَمَنْ معه يَرَوْنَ إبادة الطالبيين كما يَرَوْنَها في العباسيين ، وَيَدْعُونَ إلى أنفسهم دون غيرهم إذ كان الحقُّ عندهم ويظهر فيهم . وَوُجِدَ كتابٌ من الحسين بن القاسم بن عبيد اللّه بن سليمان بن وهب قيل إنه إلى إبراهيم بن محمد بن أحمد بن أبي النجم المعروف بابن أبي عون أحدِ وجوه العزاقرية ترجمته : إلى مولاي بُشْرَى من غلامِهِ مرزوقٍ الثلاّج المسكين الفقير الذي بفضلِ اللّه يجمعُ اللّه بينه وبينه في خيرٍ وعافية برحمته ، يقول في فصلٍ منه : على مولاي أعتمدُ وهو حسبي . وفي فصل آخر : ومولاي أهلٌ للتفضُّلِ عليَّ ورحمةِ ضعفي ، وأرجو ألا يتأخرَ بفضله عني وينجزني وعده ، وعيني ممدودةٌ إلى تفضُّلِ مولاي وأسأله به إعانتي . فسئل ابنُ أبي العزاقر عن ذلك الكتاب فكتب بيده : إنه بخط الحسين بن القاسم إلى ابن أبي عون ، ووافق ابنُ أبي عون على ذلك ، لأنّ اللّه أظفر به ومكّنَ منه ، وردَّاهُ رداءَ ما عمل ، ووفَّاه غايةَ ما كَتَبَ له من المَهَل ، واعترف بأنه كتاب الحسين بن القاسم إليه ، وأن ما

على عنوانه صحيح ، وأنه هو بشرى ، وأن مرزوقاً الثلّاج هو الحسين بن القاسم ، وكتب ذلك بخطه ، وأشهدَ جماعةً من العدول على ما اعترف به . وَوُجِدَتْ رقعةٌ لابن أبي عون هذا بخطِّه إلى بعضِ نُظَرائه يخاطبُهُ فيها كما يخاطبُ الإنسانُ ربَّه تبارك وتعالى ، ويقول في بعض فصولها : لك الحمدُ وكلُّ شيء وما شئتَ كان ربي . وفي فصل آخر منها : ولك الحمدُ على تشريفك وتقريبك . فَوُقِفَ عليها واعترف بها وأشهدَ على نفسه عدةً من العدول بصحَّتها . وَوُجِدَتْ رقعة من المعروف بابن شيث[1] الزيات إلى ابن أبي عون هذا يقول فيها : يا مولاي ، عوائدُ مولاي عندي لطيفةٌ ، ورحمتُهُ وتفضُّلُهُ وجميلُ إحسانِهِ بامتنانه عليّ على كلِّ حالٍ ، وإيناسي تفضلٌ منه ورحمة ، فأسأله بجوده أن يتمم ما تفضَّلَ به ولا يسلبني إياه فإن نعمه عليَّ ظاهرةٌ وباطنة ، قد ألبسني عافيتَهُ ، وأصلح شأني ، وأصلح ولدي ، ورزقني القناعةَ ، وفي ذلك الغَنَاءُ الأكبر ، وأكبر منه تفضُّلُهُ عليَّ بأمرٍ عظيمٍ لا يُجَازَى بشكرٍ ، ولا يَسَعُهُ إلاَ تَفضُّله ، فإن مولاي الكبير دعاني ابتداءً فصرت إليه ، فَقَرَّبني وأدناني ومنَّ عليَّ بحديثه ، وسقاني بعد جهد بيده ، وقرَّبني غايةَ القرب ، ومع هذه الحالة العظيمة وإعطائه لي الملكَ الخفيَّ فقد صحَّ قلبي من كلِّ كَسْرٍ كان فيه ، وكل شدة جرت [عليه] ، وفعل بي ما لم يفعله بالثلّاج ، وأرجو أن يمنَّ مولاي بإتمام صلاحي ديناً ودنيا ، والمنة لمولاي ، وأسأل مولاي الإحسانَ والتفضل ، فإني فقيرٌ على كلِّ حال ، وأرجو منه توسعةً في كلِّ ضيق ، وأَمْناً في كلِّ خوف ، وعزاً في كلِّ ذلّ ، وأماناً [من] الشدائد ، وما هو أولى به ممَّا لا أعلمه ، وهو القادر عليه والرحيم فيه بمنّه وجميل إحسانه ، وهو حسبي ونعم الوكيل . واعترف ابنُ أبي عون أنها إليه ، وأن المخاطبةَ فيها له ، وأن ابن شيث أراد بقوله مولاي الكبير ابن أبي العزاقر ، وبقوله الثلّاج الحسين بن القاسم ، وأَعْطَى بذلك خَطَّه وأشهد به ؛ وَوُجِدَ هذا الرجلُ مستبصراً في كفره ، مستظهراً في أمره ، مستقصياً في طريق غيِّه ، ماضياً في عنان شِرْكه وإفكه ، حتى إنه كُلِّفَ التبرؤ من ابن أبي العزاقر لعنه اللّه وَنَيْلَهُ بهنةٍ[2] يُصَغِّر بها قَدْره فامتنع من ذلك وأبى وحاد عنه واستعصى إلى أن لم يجدْ محيصاً ، فمدَّ يده إلى لحيته على سبيل توقيرٍ وتكريم وإجلالٍ وتعظيم

(1) ربما قرئت : شبيب .

(2) م : بمهنة .

وصرفِ القذى وإماطةِ الأذى ، وقال ـ معلناً غير مخافت ـ : مولاي مولاي . هذا إلى ما وُجِدَ بخطِّه وخطوط نُظَرائِهِ من الكبائر التي لا تسوغُ في الدين ، ولا يحتملها ذو يقين ، وإلى ما رسمته هذه الفرقة من الأدعية التي مَوَّهَتْ بها على أهل الركاكة والغباوة ، وإذا تأمَّلَتْها أولو الروية والرواية وُجِدَتْ مباينةً لما أُلِفَ في الشريعة ، مشوبةً بالمكر والتدليس ، مشحونةً بالخَتْلِ والتلبيس ، مُحِلَّةً دَمَ مُبْتَدِعِها والمتمسكِ بها . واستفتى أبو عليّ القضاةَ والفقهاء في أمر ابن أبي العزاقر ، وصاحبِهِ هذا الكافر ، وسائر مَنْ على مذهبه ممن وُجِدَتْ له كتبٌ ومخاطبةٌ وَمَنْ لم يوجدْ له ذلك ، فأفتى من آسْتُفْتِيَ منهم بقتلهم وأباحوا دماءهم وكتبوا بذلك خطوطهم ، فأَمَر أمير المؤمنين بإحضار ابن أبي العزاقر اللعين وابن أبي عون صاحبه وضريبه وتابعه ، وأن يجلدا ليراهما من سمع بهما ، ويتَّعِظَ بما نزل من العذاب بساحتهما، ويتبين من دان بربوبية ابن أبي العزاقر عَجْزَهُ عن حراسةِ نفسه ، وأنه لو كان قادراً لَدَفَعَ عن مُهْجَتِهِ ، ولو كان خالقاً دفع [الإهانة] وكشفَ الضُرَّ عن جسده ، ولو كان رباً لقبضَ الأيدي عن التنكيل [به] ، وجدَّد أميرُ المؤمنين الاستظهارَ والحزمَ والرويَّةَ فيما يمضيه من العزم ، وأحضر عمر بن محمد القاضي بمدينة السلام[1] والعدولَ بها والفقهاءَ من أهل مجلسه ، وسألهم عما عندهم مما انكشف من أمرِ ابنِ أبي العزاقر وأمورِ أهلِ دعوته وغيّه وضلالته ، فأقامت الكافة على رأيها في قتله وتطهير الأرض من رجسه ورجسِ مثله ، وزال الشكُّ في ذلك عن أمير المؤمنين بالفتيا وإجماع القاضي والفقهاء ، وبما وضح من إخلالِ هذا الضلال بالمسلمين[2] وإفساد الدين، وذلك أعظمُ وأثقل وزراً من الإفساد في الأرض والسعي فيها بغير الحق ، وقد استحقَّ مَنْ جَرَى هذا المجرى القتلَ ، فأوعز أمير المؤمنين بصلبه وَصَلْبِ ابن أبِي عون بحيث يراهما المنكِرُ والعارف ، ويلحظهما المجتازُ والواقف ، فَصُلِبا في أَحَدِ جانبي مدينة السلام ، ونودي عليهما بما حاولاه من إبطال الشريعة ورأياه من إفساد الديانة ، ثم تقدم أميرُ المؤمنين بقتلهما وَنَصْبِ

(1) هو عمر بن محمد بن يوسف (من نسل حماد بن زيد) أبو الحسين الأزدي ، ولي القضاء بمدينة السلام في حياة أبيه ثم مات أبوه فأقر على القضاء إلى آخر عمره ، وكان نسيج وحده في العلم والفضل والنجابة ، توفي سنة 328 (تاريخ بغداد 11 : 229 ـ 232) .

(2) م : اذلال . . . المسلمين .

رؤوسهما وإحراق أجسامهما ، فَفُعِلَ ذلك بمشهدٍ من الخاصّة والعامة والنظّارة والمارة » .

ـ 32 ـ

إبراهيم بن محمد نفطويه : هو إبراهيم بن محمد بن عرفة بن سليمان بن المغيرة بن حبيب بن المهلب بن أبي صفرة العتكي الأزدي من أهل واسط ، وكنيته أبو عبد الله . قال الثعالبي(1) : لُقِّبَ نفطويه تشبيهاً إياه بالنفط لدمامته وأُدْمَتِهِ ، وَقُدِّر اللقب على مثال سيبويه ، لأنه كان ينسب في النحو إليه ويجري في طريقته ويدرس شرح كتابه ، وأنشدوا :

* لو أُنزِلَ النحو على نفطويه *

قال : وقد صيَّره ابن بسام نَفْطُوْيَه ـ بضم الطاء وتسكين الواو وفتح الياء ـ فقال :

رأيتُ في النوم أبي آدماً ... صلّى عليه اللّه ذو الفضلِ
فقال أبلغْ ولدي كلَّهم ... من كان في حَزْنٍ وفي سهلِ
بأنَّ حوَّا أُمَّهُمْ طالقٌ ... إن كان نَفْطُوْيَهُ من نسلي

كان عالماً بالعربية واللغة والحديث ،أخذ عن ثعلب والمبرد وغيرهما ، روى عنه أبو عبيد اللّه(2) المرزباني وأبو الفرج الأصفهاني وابن حيويه وغيرهم .

ذكره المرزباني في « المقتبس »(3) فقال ولد في سنة أربع وأربعين ومائتين ، قال : ومات رحمه اللّه يوم الأربعاء لاثنتي عشرة ليلة خلت من شهر ربيع الأول سنة ثلاث

32 ـ ترجمة نفطويه في تهذيب الأزهري 1 : 13 والفهرست : 90 وطبقات الزبيدي : 154 وتاريخ بغداد 6 : 159 وإنباه الرواة 1 : 176 وابن خلكان 1 : 47 ونزهة الألباء : 178 وطبقات الجزري 1 : 25 والوافي 6 : 129 ، 130 (ترجم له مرتين) وابن كثير 11 : 183 ومختصر أبي الفدا 2 : 83 والشذرات 2 : 298 وبغية الوعاة 1 : 428 (واكثره منقول عن ياقوت) وروضات الجنات 1 : 154 وسير الذهبي 15 : 75 .

(1) لطائف المعارف : 48 (ونقله ابن خلكان والصفدي) .
(2) تضطرب نسبته فأحياناً أبو عبيد اللّه وأحياناً أبو عبد اللّه .
(3) انظر نور القبس : 344 ولم يورد فيه كثيراً مما نقله ياقوت .

وعشرين وثلاثمائة ، وحضرت جنازته عشاءً ، ودُفِنَ في مقابرِ بابِ الكوفة وصلَّى عليه البربهاري[1] . وكان يخضبُ بالوسمة .

قال[2] : وكان من طهارة الأخلاق وَحُسْنِ المجالسة والصِّدْقِ فيما يرويه على حالٍ ما شاهدتُ عليها أحداً ممن لقيناه . وكان يقول: جلستُ إلى هذه الأسطوانة مذ خمسون ـ يعني محلَّته بجامع المدينة ـ وكان حَسَنَ الحفظِ للقرآن ، أول ما يبتدىء به في مجلسه بمسجدِ الأنباريين بالغَدَوَاتِ إلى أن يقرىء القرآن على قراءة عاصم ثم الكتب بعده . وكان فقيهاً عالماً بمذهب داود الأصبهاني رأساً فيه يسلِّم له ذلك جميعُ أصحابه ، وكان مُسْنِداً في الحديث من أهل طبقته ، ثقةً صدوقاً لا يُتَعَلَّقُ عليه بشيءٍ من سائر ما رووه ، وكان حَسَنَ المجالسةِ للخلفاء والوزراء ، مُتْقِنَ الحفظِ للسير وأيام الناس وتواريخ الزمان ووفاة العلماء ، وكانت له مروءة وفتوة وظَرْفٌ . ولقد هجم علينا يوماً ونحن في بستان كان له بالزبيدية[3] في سنة عشرين أو إحدى وعشرين وثلاثمائة فرآنا على حال تبذّل ، فانقبضت وذهبتُ أعتذر إليه فقال : في التعاقلِ على النبيذ سَخَفٌ ، ثم أنشدنا لنفسه :

لنا صديقٌ غيرُ عالي الهممْ ... يحصي على القوم سِقاطَ الكلمْ
ما استمتعَ الناسُ بشيءٍ كما ... يستمتعُ الناسُ بحسم الحِشَمْ

قال المرزباني[4] : وكان يقول من الشعر المقطعاتِ في الغزل وما يجري مجراها كما يقول المتأدبون ، وسنورد من ذلك فيما بعد إن شاء الله حسب الكفاية .

وكان بين أبي عبد الله نفطويه وبين محمد بن داود الأصبهاني مودةٌ أكيدة وتصافٍ تام ، وكان ابن داود يهوى أبا الحسين محمد بن جامع الصيدلاني هوىً أفضى به إلى التلف ، قال ابن عرفة نفطويه : فدخلتُ عليه في مرضه الذي مات فيه فقلتُ : يا

---

(1) البربهاري : هو أبو محمد الحسن بن علي بن خلف ، شيخ الحنابلة بالعراق ، توفي سنة 329 (عبر الذهبي 2 : 216 ـ 217) .
(2) تجد هذا النص عند القفطي 1 : 181 .
(3) الزبيدية : محلة ببغداد .
(4) نقله القفطي 1 : 182 .

سيدي ما بك ؟ فقال : حبٌّ من تعلم أورثني ما ترى ، فقلتُ : ما يمنعك من الاستمتاع به مع القدرة عليه ؟ فقال : الاستمتاعُ نوعان محظورٌ ومباح ، أما المحظور فمعاذ اللّه منه ، وأما المباح فهو الذي صيَّرني إلى ما ترى . ثم قال : حدثني سويد بن سعيد الحدثاني عن أبي يحيى القتّات عن مجاهد عن ابن عباس أن النبي ﷺ قال : « من حبَّ فعفَّ وكتم ثم مات مات شهيداً »[1] ؛ ثُم غُشِيَ عليه ساعةً وأفاق ففتح عينيه ، فقلت له : أرى قلبك قد سكن ، وعرقَ جبينك قد انقطع ، وهذا أمارة العافية ، فأنشأ يقول :

أقول لصاحبيَّ وسلّياني وغرّهما سكونُ حمى جبيني
تسلَّوْا بالتعزي عن أخيكم وخوضوا في الدعاءِ ووِدِّعوني
فلم أدعِ الأنينَ لضعفِ سقمٍ ولكنّي ضعفتُ عن الأنين

ثم مات من ليلته وذلك في سنة سبع وتسعين ومائتين ، فيقال إن نفطويه تفجع عليه وجزع جزعاً عظيماً ، ولم يجلس للناس سنةً كاملةً ، ثم ظهر بعد السنة فجلس ، فقيل له في ذلك فقال : إن أبا بكر ابن داود قال لي يوماً وقد تجارينا حفظ عهودِ الأصدقاء ، فقال : أقلّ ما يجبُ للصديق أن يتسلَّبَ على صديقه سنة كاملة عملاً بقول لبيد[2] :

إلى الحول ثم اسمُ السلامِ عليكما ومن يبكِ حولاً كاملاً فقد اعتذرْ

فحزنّا عليه سنة كاملة كما شرط.

قال المؤلف لهذا الكتاب : وأخبار أبي بكر ابن داود كثيرةٌ مليحة رائقة ، وقد أفردنا له باباً في هذا الكتاب فقف عليه تطربْ وتعجبْ[3].

---

(1) عده ابن حزم ـ وهو العارف بالحديث ـ اثرا (رسائل ابن حزم 1 : 257) وقد وهنه ابن القيم (زاد المعاد 3 : 324) واعتبره ابن الجوزي صحيحاً (ذم الهوى : 326) وانظر الموشى : 75 وتزيين الأسواق 1 : 6 .

(2) شرح ديوان لبيد : 214 .

(3) سقطت ترجمة ابن داود من كتاب معجم الأدباء المطبوع وسأثبتها في موضعها (رقم : 1046)

قال المرزباني : ومما أنشدنا لنفسه في سنة اثنتين وعشرين وثلاثمائة(1) :

غُنْجُ الفتورِ يجولُ في لَحَظَاتِهِ والوردُ غضُّ النبتِ في وجناتِهِ
وَتَكِلُّ ألسنةُ الورى عن وصفه أو أن ترومَ بلوغَ بعضِ صفاته
لا يعرفُ الإسعافَ إلا خطرةً لكنَّ طولَ الصدِّ من عزماته
لا يستطيعُ « نعم » ولا يعتادها بل لا تسوغ « لعل » في لَهَواته

قال وأنشدنا لنفسه(2) :

تشكو الفراقَ وأنت تُزْمِعُ رحلةً هلَّا أقمتَ ولو على جَمْرِ الغضا
فالآن عُذْ بالصبر أو مُتْ حسرةً فعسى يردُّ لك النوى ما قد مضى

قال وأنشدنا لنفسه(3) :

أتخالني من زلةٍ أتعتَّبُ قلبي عليك أرقُّ مما تحسب
قلبي وروحي في يديك وإنما أنت الحياةُ فأين منك المذهب

قال مؤلف الكتاب : ولم يورد أبو عبيد الله إلا هذين البيتين ، وأنشدني بعضُ الأصدقاءِ البيتَ الأول منهما وأتبعه بما لا أعلم أهو من قول نفطويه أو غيره وهو :

لا يوحشنَّك ما صنعتَ فتنثني متجنباً فهواك لا يُتَجَنَّبُ
أنت البريءُ من الإساءةِ كلِّها ولك الرضى وأنا المسيءُ المذنب
وحياةِ وجهك وهو بدرٌ طالعٌ وسوادِ شعرك وهو ليلٌ غيهب
ما أنتَ إلا مهجتي وهيَ التي أحيا بها فَتُرى على من أغضب

قال المرزباني ، وأنشدني لنفسه :

كفى بالهوى بلوى وبالحبِّ محنةً وبالهمِّ تعذيباً وبالعَذْلِ مَغْرَمَا
أما والذي يقضي الأمورَ بأمرِهِ فما شاءَ أمضاهُ وما شاء أحكما

---

(1) إنباه الرواة 1 : 182 .
(2) المصدر السابق نفسه ونور القبس : 345 وبغية الوعاة 1 : 430 .
(3) نور القبس : 345 .

لقد حَمَّلَتني صبوتي وصبابتي   من الشوقِ ما أضنى الفؤادَ وتيَّما

قال وأنشدنا لنفسه :

تـجلُّ بلوايَ عن البلوَى   ويـذهـلُ القلبُ عن الشكوى
يـظلمني من لا أرى ظلمه   ومـا عليه لِيَ من عدوى
عـذَّبني الحبُّ ولكنني   لا أطلبُ الراحة بالسلوى[1]
سلَّط من أهوى عليَّ الضنى   لا وَاخذَ اللّه الذي أهوى

قال وله :

لـك خَدٌّ تذيبه الأبصارُ   يخجل الوردُ منه والجلّنارُ
لا تغيبنْ عن ناظريَّ فإني   أنا من لحظتي عليك أغار

وكان بين نفطويه وابن دريد مماظَّة ، فقال فيه لما صنف « كتاب الجمهرة » .

ابـنُ دريـدٍ بقرهْ   وفيه لسؤمٌ وَشَرَهْ
قد ادَّعى بجهله   جَمْعَ كتاب الجمهرهْ
وهو كتاب العيـ   ـن إلاَّ أنه قد غيرهْ

فبلغ ذلك ابن دريد فقال يجيبه[2] :

لو أُنزِلَ الوحيُ على نفطويه   لكان ذاك الوحيُ سخطاً عليهْ
وشاعرٌ يُدْعَى بنصفِ اسمه   مستأهِلٌ للصفعِ في أخدعيه
أحرقه اللّه بنصف اسمه   وصيَّر الباقي صراخاً عليه

وحدث ابن شاذان قال[3] : بكَّر نفطويه يوماً إلى دربِ الرواسين فلم يعرف الموضع ، فتقدم إلى رجل يبيعُ البقلَ فقال له : أيها الشيخ ، كيف الطريق إلى درب الرواسين ؟ قال : فالتفتَ البقليُّ إلى جارٍ له فقال : يا فلان ألا ترى الى الغلام ـ فعل اللّه به وصنع ـ قد احتبس علي ، فقال : وما الذي تريد منه ؟ فقال عوَّقَ السلقَ عليَّ

(1) م : بالبلوى .
(2) بغية الوعاة 1 : 429 وروضات الجنات 1 : 154 .
(3) نقله الصفدي في الوافي : 131 .

فما عندي ما أصفع به هذا العاضّ بَظْرَ أمه ، فانسلّ ابن عرفة ولم يجبه.

وأنشد الخطيب لنفطويه(1) :

كم قد خلوتُ بمن أهوى فيَمنعني ... منه الحياءُ وخوفُ اللّه والقدرُ(2)
كم قد خلوتُ بمن أهوى فتقنعني ... منه الفكاهةُ والتحديثُ والنظر
أهوى الملاحَ وأهوى أن أُجالسهم ... وليس لي في حرامٍ منهمُ وطر
كذلك الحبُّ لا إتيانُ معصيةٍ ... لا خيرَ في لذةٍ مِن بعدها سقر

ومنه(3) :

أستغفر اللّهَ مما يعلمُ اللّه ... إنَّ الشقيَّ لَمَنْ لم يرحمِ اللّهُ
هَبْهُ تجاوزَ لي عن كلِّ مظلمةٍ ... وَاسوءتا من حيائي يومَ ألقاهُ

وذكره الزبيدي في كتابه فقال(4) : كان بخيلاً ضيقاً في النحو واسعَ العلم بالشعر.

قال أبو هلال في « كتاب الأوائل »(5) حدثني أبو أحمد قال : كنا في مجلس نفطويه وهو يملي ، فدخل غلامٌ وضيء الوجه [فقطع الاملاء] وقال : قال رجل من أهل عصرنا :

كم خاسَ ميعادُكَ يا مُخْلِفُ ... كم تُخْلِفُ الوعدَ وكم تَحْلِفُ
قد صرتُ لا أدعو على كاذبٍ ... ولا ظلومِ الفعلِ لا يُنْصِف

فما شكَّ أحدٌ ممن حضر أن الغلامَ كان وعده وأخلفه ، وأن الشعرَ له .

وكان(6) نفطويه ، مع كونه من أعيان العلماء وعلماء الأعيان ، غيرَ مكترثٍ

(1) تاريخ بغداد 6 : 161 ونور القبس : 345 والقفطي 1 : 182 والوافي 129 ومصارع العشاق 1 : 159 .
(2) في م والمصادر : والحذر .
(3) تاريخ بغداد 6 : 161 .
(4) لم يرد هذا في طبقات الزبيدي .
(5) الأوائل 2 : 148 .
(6) الوافي 6 : 131 ـ 132 .

باصلاح نفسه ، فكان يُفْرِطُ به الصُّنانُ فلا يغيّره ، فحضر يوماً مجلسَ حامِد بن العباس وزيرِالمقتدرِ فتأذى هو وجلساؤه بكثرةِ صنانه ، فقال حامد : يا غلام أحضرنا مَرْتكاً[1] فجاء به ، فبدأ الوزير بنفسه فتمرتك وأداره على الجلساء فتمرتكوا ، وفطنوا ما أراد بنفطويه ، وأنه أراد من نفطويه أن يتمرتكَ فيزولَ صنانه من غير أن يجبهه بما يكره ، فقال نفطويه : لا حاجة بي إليه فراجعه فأبى ، فاحتدَّ حامد واغتاظ وقال له : يا عاضَّ كذا من أمه إنما تمرتكنا جميعاً لتأذينا بصنانك ، قم لا أقام اللّه لك وزناً ، ثم قال : أخرجوه عني ، أو أبعدوه إلى حيث لا أتأذى به .

وقال ابن بشران أبو محمد عبيد اللّه في تاريخه : ومن شعر نفطويه :

الجَدّ أنفعُ من عقلٍ وتأديب ... إن الزمان ليأتي بالأعاجيبِ
كم من أديبٍ يزالُ الدهرُ يقصدُهُ ... بالنائباتِ ذواتِ الكُرْهِ والحُوبِ
وآخرٍ غيرِ ذي دينٍ ولا أَدبٍ ... مُعَمَّرٍ بين تأهيلٍ وترحيبِ
ما الرزقُ من حيلةٍ يحتالها فَطِنٌ ... لكنَّهُ من عطاءٍ غيرِ محسوبِ

قال : وكان كثيرَ النوادر ، ومن نوادره : قيل لبهلول في كم يُوَسْوِسُ الانسان فقال : ذاك إلى صبيان المحلة .

قال : وقيل لبعض الشيعة : معاوية خالك فقال : لا أدري أمي نصرانيةٌ والأمر إليه .

بخط الوزيرِ المغربي : قال نفطويه[2] : أما سائر العلوم فها هنا من يَشْرَكُنا فيها ، وأما الشعرُ فإذا متُّ مات على الحقيقة . وقال : من أغرب عليَّ ببيتٍ لجريرٍ لا أعرفه فأنا عبده . وقال ابن خالويه ، وقال لي يوماً وقد حَضَرَتْهُ الوفاة : قد جالستني فما رأيتُ منكَ إلا خيراً فادعُ لي ، ثم قال : وضئوني . وقد كنتُ آخذُ بيده فمرَّ بمسجد هشام بن خَلَفٍ البزار فقال : هذا مسجدُ هشامٍ مقرىءِ أهلِ بغداد ، واللّه ما كان بأعلمَ مني ، ولكنه أطاعَ اللّه فَرَفَعَ [منه] وعصيتُ اللّه فوضَعَ مني .

(1) المرتك : المرداسنج ويتخذ لقطع رائحة العرق .
(2) روضات الجنات 1 : 154 .

قال الحسين بن أبي قيراط : انصرفتُ من عند أبي عبد اللّه نفطويه وقد كتبتُ عنه شيئاً ، فجئتُ إلى أبي إسحاق إبراهيم بن السري الزجاج فقال لي : ما هذا الكتاب ؟ فأريته إياه ، وكان على ظهره مقطوعتان أنشدنيهما نفطويه لنفسه ، فلما قرأهما الزجاج استحسنهما وكتبهما بخطه على ظهر « كتابِ غريب الحديث » وكان بحضرته :

تَـوَاصُلُنَا على الأيـامِ بـاقٍ ... ولكنْ هَجْرُنَا مَطَرُ الربيعِ
يـروعُـكَ صـوتُـهُ لكنْ تـراه ... على رَوْعاتِهِ داني النـزوعِ
كـذا العشّـاقُ هجـرهمُ دلالٌ ... ومرجعُ وصلهم حَسَنُ الرجوع
معـاذَ اللّه أن نُلْفَى غضـابـاً ... سوى دَلِّ المطاع على المطيع

والأخرى :

وقالوا شـانَهُ الجُـدَرِيُّ فانـظرْ ... إلى وجـهٍ بـه أَثَـرُ الكـلومِ
فقلتُ مـلاحـةٌ نُثِـرَتْ عليـه ... ومـا حُسْنُ السماءِ بـلا نجـوم

وذكر الفرغاني أن نفطويه كان يقول بقول الحنابلة : إن الاسم هو المسمَّى وجرت بينه وبين الزجاج مناظرةٌ أنكر الزجاجُ عليه موافقتَهُ الحنابلةَ على ذلك .

قرأت في « تاريخ خوارزم » قال أبو سعيد الحمديجي[1] ، سمعت نفطويه يقول : إذا سلَّمتُ على اليهوديّ والنصراني فقلتُ له : أطال اللّه بقاءَك وأدام سلامتك وأتمَّ نعمته عليك فإنما أُريدُ به الحكايةَ أي أن اللّه قد فعل بك إلى هذا الوقت وأعتقدُ به الدعاء للمسلم .

قال الحمديجي ، وأنشدنا نفطويه لنفسه :

إذا مـا الأرضُ جَـانَبَهـا الأعـادي ... وطـابَ المـاءُ فيـهـا والهـواءُ
وسـاعـدَ مَنْ تحبُّ بهـا وتهـوى ... فتلك الأرض طـاب بهـا الثَّـواءُ
يرى الأحبابُ ضَنْكَ العيش وُسْعاً ... ولا يَسَـعُ البغيضيـن الفضـاءُ
وعقـلُ المـرءِ أحسنُ حِلْيتيـه ... وَزَيْنُ المرءِ في الـدنيا الحيـاءُ

---

(1) م : أبو سعد الحمدلجي .

قال محمد بن إسحاق النديم[1] : وله من الكتب : كتاب التاريخ . كتاب الاقتصارات[2] . كتاب البارع . كتاب غريب القرآن . كتاب المقنع في النحو . كتاب الاستثناء والشرط في القراءة[3] . كتاب الوزراء[4] . كتاب الملح . كتاب الأمثال . كتاب الشهادات . كتاب المصادر . كتاب القوافي . كتاب أمثال القرآن . كتاب الرد على من يزعم أن العربَ يُشْتَقُّ كلامها بعضه من بعض . كتاب الردّ على من قال بخلق القرآن . كتاب الردّ على المفضَّل بن سَلَمة في نقضه[5] على الخليل . كتاب في أن العربَ تتكلم طبعاً لا تعلماً .

ـ 33 ـ

إبراهيم بن محمد الكلابزي : أدرك المازني وأخذ عن المبرد ومات في سنة ست عشرة وثلاثمائة. قال الزبيدي[6]: وإبراهيم بن محمد بن العلاء الكلابزي اللغوي من أهل العراق بصريّ المذهب ؛ حكي عن [ابن][7] المبرد أنه قال : في تلاميذ أبي رجلان أحدهما يسفل والآخر يعلو ، فقيل : ومن هما ؟ قال المبرمان[8] يقرأ على أبي ويأخذ عنه « كتاب سيبويه » ثم يقول قال الزجاج ، فهذا يسفل ، والكلابزيّ يقرأ عليه ثم يقول قال المازني ، فهذا يعلو . وكان الكلابزي قد أدرك المازني .

---

33 ـ ترجمته في إنباه الرواة 1 : 185 وطبقات الزبيدي : 183 والوافي 6 : 122 وبغية الوعاة 1 : 432 ومادة « الكلابزي » في أنساب السمعاني واللباب (وسماه السمعاني إبراهيم بن حميد) والكلابزي نسبة إلى تربية الكلاب وتدريبها ؛ ولم ترد هذه الترجمة في المختصر .

(1) الفهرست : 90 .
(2) الفهرست : الاقتصامات .
(3) الفهرست : كتاب الاستيفاء في الشروط ؛ ر : كتاب الاستيفاء في القراءات .
(4) لم يذكره ابن النديم .
(5) ر : في تعصبه .
(6) انظر طبقات الزبيدي : 114 ولم يرد فيه كل ما أورده ياقوت .
(7) في طبقات الزبيدي : قال ولد أبي العباس محمد بن يزيد .
(8) هو أبو بكر محمد بن علي بن إسماعيل العسكري .

وقال ابن بشران : إبراهيم بن حُميد الكلابزي مات بالبصرة سنة اثنتي عشرة وثلاثمائة[1] وكان متقدماً في النحو واللغة وقد ولي القضاء بالشام .

ـ 34 ـ

إبراهيم بن محمد بن زكريا الزهري الاندلسي أبو القاسم ، يعرف بابن الافليلي : حدث عن أبي بكر محمد بن الحسن الزبيدي النحوي بكتاب « النوادر » عن القالي ، وكان متصدراً في العلم ببلده يُقْرأ عليه الأدبُ وَيُخْتَلَفُ إليه ، وله كتاب شرح معاني شعر المتنبي حَسَن جيد .

قال الحميدي : وكان مع علمه بالنحو واللغة يتكلم في معاني الشعر وأقسام البلاغة والنقد لها ، روى عنه جماعة وحكي عنه باسناد له أنه قال : كان شيوخنا من أهل الأدب يتعالمون أنّ الحرفَ إذا كُتِبَ عليه صحّ ـ بصاد وحاء ـ أن ذلك علامة لصحة الحرف لئلا يتوهم متوهم عليه خللاً ولا نقصاً ، فوضع حرفٌ كامل على حرف صحيح ، وإذا كان عليه صاد ممدودة دون حاء كان علامةً على ان الحرف سقيم إذ وضع عليه حرفٌ غير تام ليدلَّ نقصُ الحرفِ على اختلال الحرف ، ويسمى ذلك الحرفُ أيضاً ضبة أي أن الحرف مقفلٌ بها لم يَتَّجِهْ لقراءةٍ كما أن الضبةَ مقفل بها .

قال المؤلف : وهذا كلامٌ عليه طلاوةٌ من غير فائدة تامة ، وإنما قصدوا بكتبهم على الحرف « صَحّ » إن كان شاكّاً في صحَّةِ اللفظة ، فلما صَحَّتْ له بالبحث خشيَ أن يعاودَهُ الشكُ فكتب عليها « صح » ليزول شكُّهُ فيما بعد ويعلَم هو أنه لم يكتب عليها صح الا وقد انقضى اجتهاده في تصحيحها ، وأما الضبّة التي صورتها (صـ) فانما هو نصف « صح » كتبه على شيء فيه شكّ ليبحث عنه فيما يستأنفه ، فإذا صَحَّتْ له أتمها

34 ـ ترجمة ابن الافليلي في الجذوة :142 وبغية الملتمس رقم: 485 والصلة 1: 93 والذخيرة لابن بسام 1/1 : 281 وإنباه الرواة 1 : 183 وابن خلكان 1 : 51 والوافي 6 : 114 وبغية الوعاة 1 : 426 .

(1) عند الزبيدي أنه توفي سنة ست عشرة وثلاثمائة .

بحاء فيصير صح ، ولو علَّم عليها بغير هذه العلامة لتكلَّفَ الكشطَ وإعادَة كتبة « صح » مكانها .

قال أبو مروان ابن حيان[1] : كان أبو القاسم المعروف بابن الإفليلي فريدَ أهلِ زمانه بقرطبةَ في علم اللسان العربي والضبطِ لغريبِ اللغة في ألفاظ الأشعارِ الجاهلية والاسلامية والمشاركة في بعض معانيها ، وكان غيوراً على ما يحملُ من ذلك الفنِّ كثيرَ الحسدِ فيه راكباً رأسه في الخطأ البين إذا تقلده أو نَشِبَ فيه ، يجادل عليه ولا يصرفُهُ صارفٌ عنه ، وَعَدِمَ علمَ العروضِ ومعرفَتهُ مع احتياجه إليه وإكمال صناعته به ، ولم يكنْ له شروعٌ فيه ، وكان لحق الفتنة البربرية بقرطبة ، ومضى الناسُ بين حائنٍ وظاعن[2] ، فازدلف إلى الأمراء المتداولين بقرطبة من آل حَمّود وَمَنْ تلاهم إلى أن نال الجاهَ ، واستكتبه محمد بن عبد الرحمن المستكفي[3] بعد ابن برد[4] فوقع كلامُهُ جانباً من البلاغة لأنه كان على طريقة المعلمين المتكلّفين ، فلم يجر في أساليب الكتاب المطبوعين ، فزهد فيه . وما بلغني أنه ألف في شيء من فنون المعرفة إلا كتابه في شعر المتنبي لا غير ، ولحقته تهمةٌ في دينه في أيام هشام المرواني[5] في جملة من تتبع من الأطبّاء في وقته كابن عاصم والشبانسي[6] والحمار[7] وغيرهم ، وطلب ابن الافليلي وسجن بالمطبق ، ثم أُطلق ، وفيه يقول موسى بن الطائف[8] من قصيدة :

---

(1) قارن بما جاء في الذخيرة .

(2) قضت الفتنة البربرية على عمران قرطبة بين سنتي 399 ـ 403 ولقي كثير من العلماء مصارعهم ، كما ظعن عدد غير قليل منهم عن المدينة .

(3) محمد بن عبد الرحمن المستكفي كان في غاية التخلف ، بويع بالخلافة فأقام ستة عشر شهراً وأياماً إلى أن خلع وهرب ومات مسموماً سنة : 416 .

(4) يعني أبا حفص ابن برد الأصغر ، وله ترجمة في الذخيرة 1/1 : 486 وفي الحاشية ذكر لمصادر أخرى .

(5) يعني هشام بن الحكم المستنصر الملقب بالمؤيد .

(6) الشبانسي : هو قاسم بن محمد القرشي المرواني ، ذكر ابن حزم أنه قرف وشهد عليه فسجن. الجذوة: 310 والبغية رقم: 1296 .

(7) الحمار هو سعيد بن فتحون السرقسطي امتحن من قبل المنصور بن أبي عامر وسجن مدة ، انظر الجذوة: 216 والبغية رقم: 813 وطبقات صاعد: 68 والذيل والتكملة 4: 40 .

(8) موسى بن الطائف ، كان شاعراً مشهوراً أيام الحكم والمنصور بن أبي عامر ، انظر الجذوة: 317 والبغية رقم: 1325 .

يا مبصراً عميت نواظِرُ فهمه عن كُنه عَرْضي في البديع وطولي
لو كنتَ تعقلُ ما جهلتَ مقاومي من ضاق فرسخه بخطوة ميلي
ولئن ثلبْتُ الشعرَ وهو أباطلٌ فلقد ثلبْتَ حقائقَ التنزيل
وخلعتَ ربقَ الدينِ عنك منابذاً ولبستَ ثوبَ الزيغ والتعطيل
فأقمتَ للجهال مثلك في الغبا علماً مشيتَ أمامَهُ برعيل
ومن المغايظ أن تكونَ مُقَلَّداً علماً ولو مقدارَ وَزْنِ فتيل
تعتلّ في الأمر الصحيح معانداً أبداً وفهمُكَ علةُ المعلولِ
وتظن أنك من فنوني موسرٌ وكثيرُ شأنِكَ لا يفي بقليلي
سَيَسُلُّ روحك من خبيث قرارِهِ تأثيرُ هذا الصارم المصقولِ
وأخصّ سيفَ الدولة الملكَ الرضى ليعيدَ عَقْدَ رباطِكَ المحلولِ
وأريك رأيَ العينِ أنك ذَرّةٌ عبثتْ بها مِنّي قوائمُ فيلِ

ـ 35 ـ

إبراهيم بن محمد بن محمد بن أحمد بن علي بن الحسين بن علي بن حمزة بن يحيى بن الحسين بن زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب أبو علي، والد أبي البركات عمر النحوي صاحب «كتاب شرح اللمع»: من أهل الكوفة، له معرفةٌ حسنة بالنحو واللغة والأدب وحظٌّ من الشعر جيدٌ من مثله؛ مات فيما ذكره السمعاني عن ابنه أبي البركات في شوّال سنة ست وستين وأربعمائة، ودفن بمسجد السهلة عن ست وستين سنة، وكان قد سافر إلى الشام ومصر وأقام بها مدة، ونفق على الخلفاء بمصر، ثم رجع إلى وطنه الكوفة إلى أن مات بها. وجدت بخط أبي سعد السمعاني، سمعت أبا البركات عمر بن إبراهيم، سمعت والدي يقول: كنت بمصر وضاق صدري بها فقلت[1]:

35 ـ ترجمة الشريف إبراهيم والد أبي البركات في مصورة ابن عساكر 2: 544 وتهذيبه 2: 296 وإنباه الرواة 1: 185 والوافي 6: 119 وبغية الوعاة 1: 430.

(1) إنباه الرواة 1: 186.

فإن تسأليني كيف أنتَ فإنني ... تنكرتُ دهري والمعاهدَ والصحبا
وأصبحتُ في مصرٍ كما لا يَسُرُّني ... بعيداً من الأوطان منتزحاً غَرْبا
وإنّيَ فيها كامرىءِ القيسِ مرةً ... وصاحِبه لما بكى ورأى الدربا
فإن أنجُ من بابَيْ زُوَيلا فتوبةً ... إلى اللّه أن لا مسَّ خُفّي لها تُربا

قال السمعاني ، قال لي الشريف ، قال أبي : قلتُ هذه الأبيات بمصر ، وما كنت ضيق اليد ، وكان قد حصل لي من المستنصر خمسة آلاف دينار مصرية .

قال وقال الشريف : مرض أبي إما بدمشق أو بحلب ، فرأيته يبكي ويجزع ، فقلت له : يا سيدي ما هذا الجزعُ فانَّ الموت لا بدَّ منه ، قال : أعرفُ ذلك ، ولكن أشتهي أن أموتَ بالكوفة وأدفنَ بها ، حتى إذا نُشِرْتُ يوم القيامة أخرج رأسي من التراب فأرى بني عمي ووجوهاً أعرفها ، قال الشريف : وبلغ ما أراد .

قال : وانشدني أبو البركات لوالده[1] :

راخِ لها زمامَها والأَنْسُعَا ... وَرُمْ بها من العلا ما شَسَعا
وارحلْ بها مغترباً عن العدا ... توطِنْكَ من أرض العدا مُتّسعا
ياراثدَ الظُّعْنِ بأكنافِ الحمى ... بلِّغْ سلامي إنْ وصلتَ لَعْلَعا
وحيِّ خِدْراً بأُثَيْلاَتِ الغَضَا ... عهدتُ فيه قمراً مبرقعا
كان وقوعي في يديه ولعاً ... وأوّلُ العشقِ يكون ولعا
ماذا عليها لو رَثَتْ لساهرٍ ... لولا انتظارُ طَيْفِها ما هجعا
تمنَّعَتْ من وصله فكلَّما ... زاد غراماً زادها تمنعا
أنا ابنُ ساداتِ قريشٍ وابنُ مَنْ ... لم يُبْقِ في قوسِ الفَخَارِ مَنْزَعَا
وابنُ عليٍّ والحسينِ وهما ... أبرُّ من حَجَّ ولبَّى وسعى
نحن بنو زيدٍ وما زاحمنا ... في المجد إلّا من غدا مُدَسَّعا
الأكثرين في المساعي عدداً ... والأطولين في الضراب أذرعا

(1) هذه الأبيات في ترجمة الشريف في ابن عساكر .

من كـلِّ بسّـام المحيّـا لم يكنْ | عنـد المعـالي والعـوالي وَرَعـا
طابت أصولُ مجـدنا في هـاشمٍ | فـطال فيهـا عُـودُنـا وَفَـرعـا

قال : وأنشدني لأبيه(1) :

لـمـا أرقـتُ بـجـلّقٍ | وأقِضَّ فيهـا مضجعي
نـادمتُ بَـدْرَ سمـائهـا | بنـواظـرٍ لم تـهجـعِ
وسـألـتُـهُ بـتـوجُّـعٍ | وتـخضّـع وتـفـجّـعِ
صِفْ لـلأحبة مـا ترى | من فعـلِ بينهمُ معي
وأقرَ السلامَ على الحبيـ | ـبِ ومن بتلك الأربـعِ

ـ 36 ـ

إبراهيم بن محمد بن إبراهيم النسوي أبو إسحاق الشيخ العميد : مات فجأة في شهور سنة تسع عشرة وخمسمائة بنيسابور ، رجـلٌ فاضـلٌ شاعـر كاتب ، حسنُ المحـاورةِ كريمُ الصحبـة ، سمع الحـديثَ الكثير في أسفـاره وصنَّف في « غـريب الحديث » (لأبي عبيد)(2) تصنيفاً مفيداً .

ـ 37 ـ

إبراهيم بن مسعود بن حسـان: المعروف بـالوجيـه الصغير ، ويعـرف جده بالشاعر ، وإنما سمي بالوجيه الصغير لأنه كان ببغداد حينئذ نحويّ آخر يعرف بالوجيه

36 ـ ترجمته في بغية الوعاة 1 : 425 (عن ياقوت) ولم ترد ترجمته في المختصر .
37 ـ ترجمـة الـوجيـه الصغيـر في إنبـاه الـرواة 1 : 189 والـوافي 6 : 146 ونكت الهميـان: 91 وبغيـة الوعاة 1 : 432 (وفيه نقل عن ابن النجار) .

(1) وردت الأبيات عند ابن عـساكر .
(2) لأبي عبيد : حذفه السيوطي ، وإذا أثبت فالمعنى أنه ألف معلقاً أو مستدركاً على غريب الحديث لأبي عبيد .

الكبير ، وهو شيخي رحمه الله وقد ذكرته في باب المبارك بن المبارك ، وكانا ضريرين معاً . وكان هذا من أهل الرصافة ببغداد ، وكان عجباً في الذكاء وسرعة الحفظ ، وكان قد حفظ كتاب سيبويه ، وقيل بل حفظ أكثره ، وكان يحفظُ غيرَ ذلك من كتب الأدب ، وأخذ النحو عن مصدق بن شبيب ، وكان أعلم منه وأصفى ذهناً ، واعتبط شاباً في جمادى الأولى سنة تسعين وخمسمائة ولو قَدَّرَ اللّه أن يعيشَ لكان آيةً من الآيات .

ـ 38 ـ

إبراهيم بن محمد بن حيدر بن علي أبو إسحاق نظام الدين المؤذن الخوارزمي : سألته عن مولده فقال : كانت ولادتي في ذي الحجة سنة تسع وخمسين وخمسمائة وله من التصانيف : كتاب ديوان الانشاء . كتاب شرح كليلة بالفارسية . كتاب الوسائل إلى الرسائل من نثره . كتاب ديوان شعره بالعربية . كتاب ديوان شعره بالفارسية. كتاب الخطب في دعوات ختم القرآن سماه يتيمة اليتيمة . كتاب الطرفة في التحفة بالفارسية . رسائل . وكتاب أساس نامه في المواعظ بالفارسية . كتاب تعريف شواهد التصريف . كتاب انموذار[1] نامه يشتمل على أبيات غريبة من كليلة ودمنة شرحها بالفارسية . كتاب كفتار نامه منطق . كتاب مَرْتَع الوسائل وَمَرْبَع الرسائل .

ـ 39 ـ

إبراهيم بن ممشاذ أبو إسحاق المتوكلي الأصبهاني ، قال حمزة : ومن بلغاء أصبهان أبو إسحاق المتوكلي وكان من رستاق جي ، من قرية اسيجان ، فخرج الى العراق وكتب للمتوكل ، ثم صار من ندمائه فسمي المتوكلي ، ولم يكن بالعراق في أيامه أبلغ منه ، وله رسالة طويلةٌ في تقريظ المتوكل والفتح بن خاقان يتداولها كتّابُ العراق الى الآن . وتسخَّط صحبةَ أولادِ المتوكل فتركهم ولحق بيعقوب بن الليث.

وقال حمزة أيضاً فيما رواه عن عمارة بن حمزة : حضر المتوكليُّ مجلسَ المتوكل

38 ـ ترجمته في الوافي 6 : 139 والجواهر المضية 1 : 45 .

39 ـ الوافي 6 : 149 (عن ياقوت) .

(1) ر : ازموذار .

وقد نثر على المنتصر مالٌ جليل تناهبه الأمراء والقوّاد بين يديه ، وإبراهيم لا يتحرك ، فقال له المتوكل : ولم لا تنبسط فيه ؟ فقال : جلالة أمير المؤمنين منعتني منه ، ونعمته عليَّ أغنتني عنه ، فأقطعه إقطاعات . وكان أحدَ البلغاء في زمانه حتى لم يتقدمه أحد ، ونفذ في أيام المعتمد رسولاً عنه وعن الموفق إلى يعقوب بن الليث فاحتبسه عنده وقدَّمه على كل من ببابه حتى حسده قواد يعقوب وحاشيته ، فأخبروا يعقوب أنه يكاتبُ الموفقَ في السرِّ فقتله . قلت والأولى من هاتين الروايتين أوضحُ في أنه هو الذي لحق بيعقوب ، يدلُّ على ذلك أنه كتب من عند يعقوب إلى المعتمد :

أنا ابنُ الأكارِمِ مِن نسلِ جَمْ ... وحائزُ إرثِ ملوكِ العجمْ
ومحيي الذي باد من عِزّهم ... وعفّى عليه طوال القدم
وطالبُ أوتارهم جهرةً ... فمن نام عن حقّهم لم أنم
يهمُّ الأنامُ بلذاتهم ... ونفسي تهمُّ بسوقِ الهمم
إلى كلِّ أمرٍ رفيعِ العمادِ ... طويلِ النجاد منيفِ العَلَمْ
وإني لآملُ من ذي العلا ... بلوغَ مرادي بخير القِسَمْ
معي عَلَم الكائناتِ الذي ... به أرتجي أن أسودَ الأمم
فقل لبني هاشمٍ أجمعين ... هلمُّوا إلى الخلع قبلَ الندم
ملكناكمُ عَنْوَةً بالرماح ... طعناً وضرباً بسيفِ خَذِمْ
وأولاكم الملكَ آباؤنا ... فما إنْ وفيتم بشكرِ النعم
فعودوا إلى أرضكم بالحجازِ ... لأكلِ الضباب وَرَعْيِ الغنم
فإني سأعلو سريرَ الملوكِ ... بحدِّ الحسام وَحَرْفِ القلم

وقال يرثي الفضل بن العباس بن مافروخ(1) :

أخٌ لم تلدني أمُّهُ كان واحدي ... وأُنسي وهمّي في الفراغ وفي الشُّغْلِ
مضى فَرَطاً لما استتمَّ شبابُهُ ... ومن قبلِ أن يحتلَّ منزلةَ الكهل

(1) نقل الصفدي هذه الأبيات .

فعلّمني كيف البكـاءُ من الجـوى وكيف حـزازاتُ الفؤادِ من الثكـل
إذا نـدب الأقـوامُ إخـوانَ دهـرهم بكيتُ أخي فضلاً أخا الجودِ والفضل

وقال يهجو إسحاق بن سعد القطربلي عاملَ أصبهان وقد كان أساء معاملة إخوته بأصبهان :

أين الـذين تَقَـوَّلـوا أن لا يَـرَوْا ضِـدَّين مختلفين في ذا العـالمِ
هـذا ابنُ سعـدٍ قـد أزال قيـاسَكُمْ وأبـاد حُجَّتَكُمْ بـغيـرِ تـخـاصُمِ
أبـدى لنـا متحـرّكـاً في سـاكنٍ منـه وأظهـرَ قـائمـاً في نـائـم
وإذا تـذكـر أصلعـاً هَشَمَ آستَـهُ يبكي يقـولُ فَـدَيْتُ أَصْلَعَ هـاشم
بـاللّه مـا اتخـذَ الإمـامـةَ مـذهبـاً إلا لكي يـبكـي لـذكـرِ القـائـم

قال حمزة : ومن هذا أخذ ابن الناصر قوله :

قـل لمن كـان إمـامـيـ ـاً إلـى كـم تـتـردَّدْ
التمس مـا في سـراويـ ـل فتى النـاصرِ أحمـد
فَهُـوَ القـائـمُ يـا مغـ ـرورُ مـن آل محـمـد

- 40 -

إبراهيم بن موسى الواسطي الكاتب : له كتاب في أخبار الوزراء عارض فيه كتاب محمد بن داود بن الجراح في الوزراء ، قاله المسعودي .

- 41 -

إبراهيم بن هلال بن زهرون أبو إسحاق الحراني : أوحدُ الدنيا في إنشاء

---

40 ـ مروج الذهب 1 : 16 ولم ترد ترجمته في المختصر .

41 ـ ترجمة أبي اسحاق الصابي في الفهرست: 149 ويتيمة الدهر 2 : 242 وتاريخ الحكماء: 75 وابن خلكان 1 : 52 ، 392 ـ 393 والوافي 6 : 158 ومعاهد التنصيص 2 : 61 وروضات الجنات 1 : 163 .

الرسائل والاشتمالِ على جهات الفضائل ، مات يومَ الخميس لاثنتي عشرة ليلةً خَلَتْ من شوال سنة أربع وثمانين وثلاثمائة عن إحدى وسبعين سنة ، ومولده في سنة ثلاث عشرة وثلاثمائة ، كذا ذكره حفيده أبو الحسين هلال بن المحسن بن إبراهيم في تاريخه . وكان قد خدم الخلفاءَ والأمراءَ من بني بويه والوزراء ، وتقلد أعمالاً جليلةً ، ومدحه الشعراء ، وعرض عليه عز الدولة بختيار بن معز الدولة بن بويه الوزارة إن أسلم فامتنع ، وكان حَسَنَ العشرةِ للمسلمين عفيفاً في مذهبه ، وكان ينوبُ أولاً عن الوزير أبي محمد المهلبي في ديوان الإنشاء وأمور الوزارة . ولما ورد عضد الدولة بغداد في سنة سبع وستين وثلاثمائة نقم عليه أشياءَ من مكتوباته عن الخليفة وعن عز الدولة بختيار فحبسه ، فسئل فيه وَعُرِّفَ فضله ، وقيل له : مثلُ مولانا لا ينقمُ على مثله ما كان منه ، فإنه كان في خدمةِ قومٍ لا يمكنه إلا المبالغة في نصحهم ، ولو أَمَرَهُ مولانا بمثل ذلك إذا استخدمه في ابنه ما أمكنه المخالفة ، فقال عضد الدولة : قد سَوَّغْتُهُ نَفْسَهُ فإن عمل كتاباً في مآثرنا وتاريخنا أطلقته ، فشرع في محبسه في « كتاب التاجي » في أخبار بني بويه . وقيل إنّ بعضَ أصدقائه دخل عليه الحبسَ وهو في تبييضٍ وتسويد في هذا الكتاب ، فسأله عما يعمله فقال : أباطيلُ أنمقها وأكاذيبُ ألفّقها ، فخرج الرجلُ وأنهى ذلك إلى عضد الدولة فأمر بإلقائه تحت أرجل الفيلة ، فأكب أبو القاسم عبد العزيز بن يوسف ونصر بن هارون على الأرض يقبّلانها ويشفعان إليه في أمره حتى أمر باستحيائه ، وأَخْذِ أموالِهِ واستصفائه ، وتخليق السجن بدمائه ، فبقي في السجن بضعَ سنين إلى أن تخلّصَ في أيام صمصام الدولة ابن عضد الدولة . وكان بينه وبين الصاحب أبي القاسم إسماعيل بن عباد مراسلات ومواصلات ومتاحفات ، وكذلك بينه وبين الرضيّ أبي الحسن محمد بن الحسين الموسوي مودة ومكاتبات ـ أذكر منها ما يليقُ باختصارنا هذا[1] ـ مع اختلاف المللِ وتباينِ النِّحَل ، وإنما كان ينظمهم سلك الأدب ، مع تبدد الدين والنسب.

وذكر أبو منصور الثعالبي في كتابه[2] أنه بلغ من العمر تسعين سنة ، والذي

(1) لم يرد هذا الذي وعد به المؤلف .

(2) يعني اليتيمة ، وفيها يقول : وكان قد ختق التسعين (أي قاربها) .

أوردته من تاريخ حفيده وهو أعلم به ، فأما بلاغته وَحُسْنُ ألفاظِهِ فقد أغنتنا شهرتها عن صفتها ، وذكرتها الشعراء فقال [بعض أهل عصره] :

أصبحتُ مشتاقاً حليفَ صبابةٍ ... برسائلِ الصابي أبي إسحاقِ
صَوْبُ البلاغةِ والحلاوةِ والحجى ... ذَوْبُ البراعة سلوةُ العشاق
طوراً كما رقَّ النسيمُ وتارةً ... تحكي لنا الأطواقَ في الأعناق
لا يبلغُ البلغاءُ شأْوَ مبرِّزٍ ... كُتِبَتْ بدائِعُهُ على الأحداق

ولآخر فيه :

يا بُؤْسَ مَنْ يُمْنَى بدمعٍ ساجمٍ ... يهمي على حُجُبِ الفؤادِ الواجمِ
لولا تَعَلُّلُهُ بكاسِ مدامةٍ ... ورسائلِ الصابي وشعرِ كشاجم

قال أبو منصور : وكان يصومُ شهرَ رمضان مساعدةً وموافقةً للمسلمين وَحُسْنَ عشرةٍ منه لهم ، ويحفظ القرآن حفظاً يدورُ على طرف لسانه ، وبرهان ذلك في رسائله . قال : وكان أبو إسحاق في عنفوانِ شبابِهِ أحسنَ حالاً منه في أيام اكتهاله ، وفي ذلك يقول [1] :

عجباً لحظِّي إذ أراه مصالحي ... عَصْرَ الشباب وفي المشيب مغاضبي
أمِنَ الغواني كان حتى خانني [2] ... شيخاً وكان على صباي [3] مصاحبي
أمع [4] التضعضع ملَّني متجنباً ... ومع التَرَعْرُعِ كان غيرَ مجانبي
يا ليتَ صَبْوَتَهُ إليَّ تأخَّرَتْ ... حتى تكونَ ذخيرةً لعواقبي

من قصيدة في فنّها فريدة ، كتبها إلى الصاحب يشكو فيها عُجَرَه وَبُجَرَه ، ويستمطر سُحُبَهُ وَدِرَرَه ، بعد أن كان يخاطبُهُ بالكاف ، ولا يرفعه عن رتبة الأكفاء . وكان المهلبيّ لا يرى إلا به الدنيا ، ويحنّ إلى براعته ويصطنعه لنفسه ، ويستدعيه في أوقات أنسه ، وتوفي المهلبي وأبو إسحاق يلي ديوان الرسائل والخلافةَ على ديوان

(1) اليتيمة 2 : 243 .
(2) اليتيمة : ملّني .
(3) ر: هواي .
(4) ر: أمن .

الوزارة لأنَّ المهلبي مات بعمان ، وكان قد مضى لافتتاحها ، واستخلف أبا إسحاق على ديوان الوزارة فاعتقل في جملة عمال المهلبي وأصحابه ، فقال وهو معتقل[1] :

يا أيّها الرؤساءُ دعوةَ خادمٍ ... أرْبَتْ[2] رسائلُهُ على التعديدِ
أيجوزُ في حُكْمِ المروءةِ عندكم ... حَبْسي وطولُ تهدّدي ووعيدي
قُلّدْتُ ديوانَ الرسائلِ فانظروا ... أعَدَلْتُ في لفظي عن التسديد
أعليَّ رَفْعُ حسابِ ما أنشأته ... فأقيمَ فيه أدلّتي وشهودي
أنسيتمُ كتباً شحنتُ فصولها ... بفصولِ درٍّ عندكم منضود
ورسائلاً نفذت إلى أطرافكم ... عبدُ الحميدِ بهنَّ غير حميد

قال الثعالبي : وكانت الرسالة التي نقمها عليه عضد الدولة كتاباً أنشاه عن الخليفة في شأن عز الدولة بختيار وهو : « وقد جدَّد له أمير المؤمنين مع هذه المساعي السوابق ، والمعالي السوامق ، التي يلزمُ كلَّ دانٍ وقاصٍ ، وعامّ وخاصّ ، أن يعرفَ له حقَّ ما كُرِّمَ به منها ، ويتزحزحَ له عن رتبةِ المماثلةِ فيها » فإن عضد الدولة أنكر هذه اللفظة أشدَّ الإنكار[3] وأسرَّها في نفسه إلى أن ملك العراقَ فحبسه كما تقدم ذكره .

وقال حفيده هلال بن المحسن في « أخبار الوزراء » : حدثني أبو إسحاق جدي قال : لما توفي أبو الحسين هلال أبي جاءني أبو محمد المهلبي معزياً به ، فحين عرفتُ خبره في تعديته [إلى] مَشْرَعَةِ داري الشاطئةِ بالزاهر بادرتُ لتلقيه واستعفائه من الصعود فامتنع من الإجابة الى ذلك ، وصعد وجلس ساعةً يخاطبني فيها بكلٍّ ما يقوّي النفسَ ويشرحُ الصدر ، ويصفُ والدي ويقرظه لي ويقول : ما ماتَ مَنْ كنتَ له خلفاً ، ولا فُقِدَ من كنتَ منه عِوَضاً ، ولقد قرَّتْ عَيْنُ أبيك بكَ في حياته ، وسكنتْ مضاجعه الى مكانك بعد وفاته ، فقبَّلْتُ يدَهُ ورجلَهُ ، وأكثرتُ من الثناءِ عليه والدعاءِ له ، وَحَضَرَتْني في الحالِ ثلاثةُ أبيات أنشدتُهُ إياها وهي :

لو وثقنا بأن عمرك يمتـ ... ـدُّ بأعمارنا قتلنا النفوسا

---

(1) اليتيمة 2 : 244 .
(2) ر : أوفت .
(3) ر: أشد إنكار .

قد تركتَ الموتَ الزؤام مَغيظاً　　يتلظَّى لجرحه كيف يوسى
فغدتْ عندنا المصيبةُ نُعْمَى　　بأياديك وهي من قبلُ بُوسى

ثم نهض ، وأقسم علينا ألا يتبعه أحد منا ، وأنفذ إليَّ في بقية ذلك اليوم خمسة آلاف درهم وقال : استعن بها على أمرك . ولم يبق أحدٌ من أهل الدولة إلا جاءني بعده معزياً . ثم اجتاز بي من الغد في طيّاره ووقف واستدعاني وأمرني بالنزول معه ، فبعد جهدٍ ما تركني بقية اليوم .

حدث أبو منصور قال[1] ، حكى أبو إسحاق الصابىء قال : طلب مني رسولُ سيف الدولة ابن حمدان عند قدومه الحضرةَ شيئاً من شعري وذكر أنَّ صاحبه رَسَمَ له ذلك فدافعته أياماً ثم ألحَّ عليَّ وقتَ الخروج فأعطيته هذه الثلاثةَ الأبيات :

إن كنتُ خنتك في المودةِ[2] ساعةً　　فذممتُ سيفَ الدولة المحمودا
وزعمتُ أن له شريكاً في العلا　　وجحدتُهُ في فضله التوحيدا
قسماً لو آني حالفٌ بِغَمُوسها　　لغريمِ دَيْنٍ ما أراد مَزيدا

فلما عاد الرسول إلى الحضرة ودخلتُ عليه مسلّماً أخرج لي كيساً بختم سيف الدولة مكتوباً عليه اسمي وفيه ثلاثمائة دينار .

ووجدت بخط أبي علي بن أبي إسحاق قال : لما غُنِّي ابن حمدان بهذا الشعر سأله عن قائله فعرفه ، قال والدي رحمه اللّٰه : فأنفذ إليَّ في الوقت عشرةَ دنانير من دنانير الصلة وزنها خمسمائة مثقال ، وأضاف إلى ذلك رسماً كان ينفذه إليَّ في كلِّ سنة إلى أن مات رحمه الله .

قال[3] : وأهدى أبو إسحاق الصابىء إلى عضد الدولة في يوم مهرجان اصطرلاباً بقدر الدرهم محكَمَ الصنعةِ ، وكتب إليه (وفي « كتاب الوزراء » لحفيده أنه أهدى الاصطرلاب إلى المطهر بن عبد اللّٰه وزير عضد الدولة وكتب إليه) بهذه الأبيات :

---

(1) اليتيمة 1 : 35 .
(2) اليتيمة : الأمانة .
(3) اليتيمة 2 : 280 .

أهدى إليكَ بنو الحاجاتِ واحتفلوا　　في مهرجان جديدٍ أنتَ مبليهِ
لكنَّ عبدَكَ إبراهيمَ حين رأى　　علوَّ قدرِكَ لا شيءٌ يباريه
لم يرضَ بالأرض يهديها إليك فقد　　أهدى لكَ الفَلَكَ الأعلى بما فيه

ولقابوس أبيات تشبه هذه مذكورة في بابه .

ذكر القبض على أبي إسحاق الصابىء والسبب فيه ، وما جرى عليه من أمره إلى أن أطلق : قال هلال بن المحسن : قبض عليه في يوم السبت لأربع بقين من ذي القعدة سنة سبع وستين وثلاثمائة ، وأفرج عنه يوم الأربعاء لعشر بقين من جمادى الأولى سنة إحدى وسبعين وثلاثمائة ، فكان مدة حبسه ثلاثَ سنين وسبعة أشهر وأربعة عشر يوماً . قال[1] : وكان السببُ في القبض عليه أنه كان قد خدم عضدَ الدولة عند كَوْنِهِ بفارسَ بالشعرِ والمكاتبةِ والقيام بما يعرض من أموره بالحضرة ، فقبله وأنفَقَ عليه وأرفده في أكثر نكباته بمالٍ حمله إليه . وورد عضد الدولة في سنة أربع وستين وثلاثمائة فزاد قُرْبُهُ منه وخصوصُهُ به وتأكَّدَ حالُهُ عنده ، فلما أراد العودَ إلى فارس عمل على الخروج معه إشفاقاً من المقام بعده ، ثم علم أنه متى فعل ذلك أَسْلَمَ أَهْلَهُ وولدَهُ وتعجَّلَ منهم ما عسى اللّٰه أن يدفَعَهُ عنه ، فاستظهر له عضد الدولة بأن ذكرَه في الاتّفاقِ الذي كُتِبَ بينه وبين عزِّ الدولة وَعُمْدَتِها[2] ـ أخيه ـ ، واليمين التي حلفا بها ، وشرط عليهما حراسَتَهُ في نفسه وماله ، وَتَرْكَ تتبعه في شيءٍ من أحواله ، وانحدر عضد الدولة فلم يأمنْ على نفسه من عز الدولة وأبي طاهر ابن بقية وزيره[3] واستتر وأقام على الاستتار مدةً ، ثم توسط أبو محمد ابن معروفٍ[4] أمره معهما ، وأَخَذَ له العهدَ عليهما والأمانَ منهما ، واستوثق بغايةِ ما يُسْتَوْثَقُ به من مثلهما ، وظهر فتركاه مُدَيدة ثم قبضا

(1) قارن بما ورد في ذيل تجارب الأمم : 20 ـ 24 .

(2) وعمدتها : يعني عمدة الدولة وهو أخو عز الدولة .

(3) هو محمد بن محمد بن بقية وزير عز الدولة بختيار والمحرض له على عضد الدولة . انتهى به الأمر إلى أن اعتقل وسملت عيناه ثم قتل تحت أرجل الفيلة سنة 367 (انظر صفحات متفرقة من تجارب الأمم وتاريخ ابن الأثير ووفيات الأعيان والوافي 1 : 100) .

(4) كان أبو محمد عبيد اللّٰه بن أحمد بن معروف البغدادي قاضي القضاة في زمانه ، وكان من ألباء الرجال ، ناهضاً بالأحكام معتزلياً ، توفي سنة 381 (تاريخ بغداد 10 : 366 وعبر الذهبي 3 : 18) .

عليه ، وذلك بإغراءِ ابن السراج[1] لهما به ، وتجدد منه في العداوة له أمور تجنًّى فيها عليه ، وَجَرَتْ له في هذه النكبة خطوبٌ أشفى فيها على ذهاب النفس ، ثم كفاه الله بأن فسد أمرُ ابن السرّاج مع ابن بقية بما عامله بالعلة التي عرضت له ، فَقَبَضَ عليه ونَقَلَ القيدَ من رجل أبي إسحاق إلى رجله ، وعاد إلى خدمة عز الدولة ، وكتب عنه في أيام المباينة بينه وبين عضد الدولة الكتبَ التي تضمَّنَتِ الوقيعةَ والاستهتارَ عليه ومنها : الكتابُ عن الطائع للّه بتقديم عز الدولة وإنزاله منزلَة رُكْنِ الدولة ، وهو أعظمُ مانقمه عليه . فلما ورد عضد الدولة إلى بغداد في الدفعة الثانية وحصل بواسط ، استظهر بأنْ خَرَجَ إلى أبي سعد بهرام بن أردشير ، وهو يتردَّدُ في الرسائل ، بما يتخوّفه من تشعب رأي عضد الدولة ، وسأله إجراءَ ذِكْرِهِ ، وإقامةَ عذره ، والاحتياطَ له بأمانٍ تسكنُ إليه نفسه ، وكتب على يده كتاباً عاد جوابه بما نسخته :

« كتابنا ، أيدك اللّه ، من المعسكر بجبل يوم الجمعة لست ليال بقين من شهر ربيع الأول عن سلامة ونعمة ، والحمد للّه ربِّ العالمين ، ووصل كتابك ، أيدك اللّه ، وفهمناه وعرفنا ما يَحْمِلُ ، واستمعنا من أبي سعد بهرام بن أردشير ، أعزه اللّه ، ما أورده عنك، ومن كانت به حاجةٌ إلى إقامةِ معذرةٍ أو استقالةٍ من عَثْرةٍ، أو الاستظهارِ في مثل هذه الأحوال بوثيقةٍ ، فأنت مستغنٍ عن ذلك بسابقتك في الخدمة ، ومنزلتك من الثقة ، وموقعك لدينا من الخصوص والزلفة . وذكر أبو سعد ، أعزه اللّه ، التماسَكَ أماناً ، فقد بذلناه لك على غناك عنه ، وأنت آمنٌ على نفسك ودمك وشعرك وبشرك وأهلك وولدك وسائرِ ما تحويه يدك ، حالٌ في كلِّ حالٍ بكنف الأثرة والخصوصِ والإحسان والقبول عندنا ، محروسٌ في جاهك وموقعك وحالك ، فاسكن إلى ذلك واعتمده، ولك علينا في الوفاءِ به عهدُ اللّه وميثاقه. وقد حمَّلنا أبا سعد، أعزه الله ، في هذا الباب ما يذكره لك ، واللّهَ نستعينُ على النية فيك ، وهو حسبنا » والتوقيع بخط عضد الدولة : « اعتمد ذلك واسكن إليه وثقْ بالله إن شاء الله تعالى » .

ودخل عضد الدولة إلى بغداد فأجراه على رسمه ، ووقع بإقرار إقطاعه وإمضاء

---

(1) يعد أبو نصر ابن السراج من أقوى المؤازرين لابن بقية ، ثم انقلب هذا عليه ونكل به (انظر صفحات متفرقة من تجارب الأمم) .

تقريراته . فلما حصل بالموصل كتب إلى أبي القاسم المطهر بالقبض عليه ؛ فحدثني أبو الحسن فهد بن عبد الله ، وكان يكتب لأبي عمرو بن [. . .] عند نظره في الموصل ، قال : أُخْرِجَ في الموصل إلى الديوان ما وُجِدَ في قلاع أبي تغلب من الحساباتِ لِيُتَأَمَّلَ وَيميَّزَ ، وكان فيها الشيءُ الكثير من كُتُبِ عزِّ الدولة إلى أبي تغلب بخطِّ أبي إسحاق جدك ، فكان أبو عمرو إذا رأى ما فيه ذِكْرُ عضد الدولةِ أيامَ المباينةِ بينه وبين عز الدولة [نحَّاهُ] حتى جمع من ذلك شيئاً كثيراً وحمله إلى عضد الدولة لعداوةٍ كانت بينه وبينه فأظنّ ما وقف عليه حَرَّكَ ما كان في نفسه حتى كتب من هناك بالقبضِ عليه .

قال : وحدثني جدِّي قال : كنت جالساً بحضرة أبي القاسم المطهر بن عبد الله وزير عضد الدولة في يومِ القبضِ عليَّ إذ وردت النوبةُ فَفُضَّتْ بين يديه ، وبدأ منها بقراءة كتاب عضد الدولة ، فلما انتهى إلى فصلٍ منه وجم وجوماً بان في وجهه ، فقال لي أبو العلاء صاعد بن ثابت : أظنّ في هذا الكتاب ما ضاق صدراً به . وقمتُ من مجلسه لأنصرفَ فتبعني بعضُ حجّابه وَعَدَلَ بي إلى بيت من داره ، ووكل بي ، وراسلني يقول : « لعلك قد عرفتَ مني الانزعاجَ عند الوقوف على الكتاب الوارد من الحضرة اليوم ، وكان ذلك لما تضمَّنَ من القبضِ عليك وأَخْذِ مائة ألف درهم منك ، وينبغي أن تكتبَ خَطَّكَ بهذا المال ، ولا تراجعْ فيه ، فواللّه لا تركتُ ممكناً في معونتك وتخليصِكَ إلاّ بذلتُهُ ، وقد جعلتُ اعتقالك في داري ، ومقامك في ضيافتي ، فطبْ نفساً بقولي ، وثق بما يتبعه من فعلي » . وقبض على ولديه أبي علي المحسن والدي وأبي سعيد سنان عمي ، فلما تقدم عضد الدولة إلى أبي القاسم المطهر بالانحدارِ لقتالِ صاحبِ البَطِيحَةِ سأل عضدَ الدولةِ إطلاقَهُ والإذنَ له في استخلافه بحضرته فقال له : أما العفو فقد شفّعناك فيه ، وينبغي أن تعرِّفَهُ ذلك وتقولَ له : إننا قد غفرنا لكَ عن ذنبٍ لم نعفُ عما دونه لأهلنا ـ يعني عز الدولة والديلم ـ ولأولاد نبيِّنا ـ يعني أبا الحسن محمد بن عمر وأبا أحمد الموسوي[1] ، ولكنا وهبنا إساءتك لخدمتك

(1) أبو الحسن محمد بن عمر الحسني العلوي رئيس العلوية بالعراق صادره عضد الدولة وحبسه، (كانت وفاته سنة 390) وأبو أحمد الموسوي نقيب الطالبيين ووالد الرضي والمرتضى غرَّبه عضد الدولة وحبسه .

وغلَّبنا المحافظةَ فيك على الحفيظة منك ؛ وأما استخلافُكَ إياهُ بحضرتنا فكيف يجوزُ أنْ ننقلَهُ من السخطِ والنكبةِ إلى النظر في الوزارة ، ولنا في أمره تدبير . وبالعاجل فتحملُ إليه من عندك ثياباً ونفقةً ، وتطلقُ ولديه ، وتقدَّم إليه عنَّا بعمل كتاب في مفاخرنا . فحمل إليه المطهر ثياباً ونفقة ، وأطلق ولديه والدي وعمي ، ورسم له تأليفَ الكتاب في الدولة الديلمية . وانحدر المطهر وبقي أبو إسحاق في محبسه ، وعمل الكتابَ ، فكان إذا ارتفع جزءٌ منه حُمِلَ إلى الحضرة العضدية حتى يقرأه ويتصفحه ويزيدَ فيه وَيَنْقُصَ منه ، فلما تكامل على ما أراده حُرِّرَ وَحُمِلَ كلاماً محرراً فيقال إنه قرىء عليه في أسبوع ، وتركه في الحبس بعد ذلك سنة ، واتفق أنْ خرجَ إلى الزيارة وعاد ، فعمل فيه قصيدةً يهنئه فيها بمقدمه ويذكّره بأمره ، منها[1] :

أهـلاً بـأشـرفِ أوبـةٍ وأجلِّهـا ... لأجـلِّ ذي قَـدَم يُـلاذُ بنعلهـا
شـاهـانْشـاهُ تـاجُ مِلَّتِـهِ التي ... زيـدت بـه في قَـدْرِهَا ومحلّهـا
يـا خيرَ من زَهَتِ المنابرُ باسمه ... في دولـة عَلِقَتْ يـداه بحبلهـا
وأقمتَ فينـا سيـرةً عمـريـةً[2] ... هيهـات لا تـأتي الملوك بمثلهـا
يَـرْدَى غـويٌّ فـاجـرٌ في بـأسها ... ويعيشُ بَـرٌّ صـالـحٌ في فضلهـا
مـولاي عبـدك حـالفُ لـك حلفـةً ... تعيـا مناكبُ يـذبـلٍ عن حملهـا
لقـد انتهى شوقي إليـكَ إلى التي ... لا أستـطيـعُ أقِلُّهـا مـن ثقلهـا
طـوبى لعينٍ أبْصَـرَتْـكَ وَمَنْ لهـا ... بغبـارِ دارِكَ جـازيـاً عن كحلهـا
لـو بعتني بجميع عمـري لفـظةً ... أو لحـظةً بـالـطرفِ لم أسْتَغْلهـا
أتـرى أمـرُّ بخـطرةٍ من بـالهـا ... أتـرى أعـودُ إلى كثـافـة ظلهـا
لي ذِمَّـةٌ محفـوظـةٌ في ضمنهـا ... ووثـائقٌ محـروسـةٌ في كفـلهـا
وإذا رأيتُ سحـائبـاً لـك ثَـرَّةً ... تُرْوي النفوسَ الحـائماتِ بهطلها
لا في الـرجـال النـاقعين بـوبلهـا ... كـلاَّ ولا في القـانعين بـطلّهـا

---

(1) اليتيمة 2 : 275 وأورد منها أربعة أبيات فقط .

(2) م : عضدية والتصويب عن المختصر .

قابلتُ بالزفَراتِ هَبَّةَ ريحها وحكيتُ بالعبراتِ درَّةَ سَجْلها
فلو آن عيني راهنتْ بدموعها يمناك في السقيا لفزتُ بخصلها

قال : قد كان أبو إسحاق يكاتبُ عضد الدولة في الحبس بالأشعار ويرقّقه ، فما رققه شيءٌ كقصيدته القافيّة ، ومنها :

أجِلْ في البنين الزُّهْرِ طرفَك إنهم حووا كلَّ مرأىً للأحبةِ مؤنقِ
وتمَّتْ لك النعمى بقربِ كبيرهم فأهلاً به من طارقٍ خيرَ مَطْرَقِ
موالٍ لنا مثلُ النجومِ مطيفةٌ بمولى موالٍ منكَ كالبدرِ مشرقِ
وقد ضمَّهم شملٌ لديكَ مؤلَّفٌ فأرثِ لذي الشملِ الشتيت المفرقِ
وإن كنتَ يوماً عنهمُ متصدِّقاً فمن مثلِ ما خُوِّلْتَ فيهم تَصَدَّقِ
فلي مقلةٌ تَقْذَى إذا ما مددتُها إلى حُلَّةٍ ممن أعولُ ودردقِ
إناثٌ وذكرانٌ أبيتُ من آجلهم على كَمَدٍ بين الحجابين مُقْلِقِ
رسائلهم تأتي بما يلذعُ الحشا وَيَصْدَعُ قلبَ النازعِ المتشوقِ
فباكيةٌ ترثي أباها ولم يمتْ وبائنةٌ من بَعْلِهَا لم تُطَلَّقِ
وَزُغْبٌ من الأطفالِ أبناءُ منزلٍ شواردُ عنه كالقطا المتمزقِ
إذا حرَّقوا قلبي بنجواهم آنثنتْ عُلاكَ تناجيني فَتُطْفي تحرُّقي
شهدتُ لئنْ أنكرتُ أنك صُنْتَني ولم أَرْعَ ما أوليتني من تَرَفُّقِ
لقد ضُيِّعَ المعروفُ عندي وأصبحت ودائعهُ مودوعةً عند أحمقِ
وحبسك لي جاهٌ عريضٌ ورفعةٌ وقيدُكَ في ساقيَّ تاجٌ لمفرقي
وما موثَقٌ لم تطَّرِحْهُ بموثقٍ ولا مُطْلَقٌ لم تصطنعه بمطلقِ
خلا أن أعواماً كملن ثلاثةً تعرقتِ البقيا أشدَّ تعرقِ
وقد ظمئتْ عيني التي أنت نورُهَا إلى نظرةٍ من وجهك المتألقِ
فيا فرحتي إنْ أَلْقَهُ قبلَ ميتتي ويا حسرتي إن متُّ من قبلِ نلتقي
خدمتك مذ عشرون عاماً موفقاً فهب ليَ يوماً واحداً لم أُوَفَّقِ

فــإن يــكُ ذنبٌ ضــاق عنـديَ عــذرُهُ فـعنــدك عـفــوٌ واســعٌ غـيــرُ ضيـقِ

قال: وسمعت أبا الريان حامد(1) بن محمد الوزير يقول لجدي، وهما في مجلس أُنسٍ وأنا حاضر معهما، لما أنفذت القصيدة اللامية(2) بالتهنئة عند قدوم عضد الدولة من الزيارة عرضتها عليه في وقت كان عبد العزيز بن يوسف غيرَ حاضر فيه ، فقرأها ثمَّ رفع رأسه إليّ وإلى [أبي]عبد الله ابن سعدان، وكنت آمنه عليك وأعلمُ أنّ اعتقاده يوافق اعتقادي فيك ، فقال : قد طال حبسُ هذا المسكين ومحنته ، فقبَّلْتُ أنا وهو الأرضَ عند ذلك ، فقال لنا : كأنكما تؤثران إطلاقه ، قلنا : إنَّ مِنْ أعظم حقوقه علينا وذرائِعِه عندنا أنْ عرفناه في خدمتك وخالطناه في أيامك ، قال : فإذا كان هذا رأيكما فيه فانفذا وأفرجا عنه ، وتقدَّما إليه عنا بملازمة منزله إلى أن يُرْسَمَ له ما [يليق] بمثله . قال أبو الريان، فخرجتُ مبادراً وأنفذت لشكرستان صاحبي، وأنفذ ابن سعـدان محمداً لاواتيه [؟] وانتظرتُ عَوْدَهُما بما فعلاه من صرفك إلى دارك، فأبطآ عليَّ، وكنت أعرف من عادة عضد الدولة أنه يتقدم بالأمر ثم يسأل عنه ، فإن كان قـد فُعِلَ أمضـاه ولـم يرجع ، وإن تأخر فربما بدا له رأيٌ مستأنَف في التوقف عنه ، فدخلتُ إلى عضدِ الدولة في عرض ما أطالعه به [وقلت] : سمع الله في مولانا ما دُعِيَ له ، فقال : ما تجدد ؟ قلت : شاهَدَ الناسُ أبا إسحاق الصابيء وقد أُخْرِجَ من محبسه ومضى إلى داره فأكثروا من الدعاءِ والشكر ، فسكت . وشغلت عضدَ الدولة علته وما أفضى إليـه من منيته عن النظر في أمره إلا أنه وصل إلى حضرته فيما بين الإطلاق واشتداد العلة في أيام متفرقة فتفقده بثيابٍ ونفقاتٍ عدةَ دفعات .

وكان(3) الصاحب ابن عباد يحبّه أشدَّ الحبّ ويتعصّبُ له ويتعاهده على بعد الدار بالمنح ، وكان الصابيء منذ حبسه عضد الدولة متعطلاً إلى أن مات ، فكان يواصلُ حضرةَ الصاحبِ بالمدح ؛ قال أبو منصور : فقرأت له فصلاً من كتاب في ذكر صلةٍ وصلتْ منه إليه استطرفته جداً وهو : « ورد ـ أطال الله بقاء سيدنا ـ أبو العباس أحمد بن

(1) ذيل التجارب : حمد .

(2) الأرجح أنها القصيدة التي مطلعها : « أهلاً بأشرف أوبة وأجلها » .

(3) اليتيمة 2 : 245 ـ 246 .

الحسن[1] وأبو محمد جعفر بن شعيب حاجّين ، فعرَّجا إليَّ مُلِمّين ، وعاجا عليَّ مُسَلِّمين ، فحين عرفتهما وقبل أن أردَّ السلامَ عليهما مددتُ اليد إلى ما معهما[2] ، كما مدَّها حسان بن ثابت إلى رسولِ جَبَلَةَ بن الأيهم ، ثقةً مني بصلته ، وتشوقاً إلى تكرمته ، واعتياداً لإحسانه ، وإلفاً لموارد إنعامه ، وتيقناً أن الخطرة مني على باله مقرونة[3] بالنصيب من ماله ، وأن ذكراه لي مشفوعةٌ بجدواه علي ، وقمتُ عند ذلك قائماً ، وقبَّلْتُ الأرضَ ساجداً ، وكررت الدعاء والثناء مجتهداً ، وسألت الله أن يطيل له البقاء كطول يده بالعطاء ، ويمدّ له في العمر كامتداد يده على الحر ، وأن يحرسَ [على] هذا البدد القليل العدد من مشيخة الكتاب ومنتحلي الآداب ما كَنَفَهُمْ به من ذراه ، وأفاءه عليهم من نداه ، وأسامهم فيه من مراتعه ، وأعذبه لهم من شرائعه التي هم مُحَلأون إلا عنها ومحرومون إلا منها ».

وكان[4] الصاحب يتمنى انحيازَ أبي إسحاق إلى جَنَبَته ، وقدومَهُ إلى حضرته ، ويضمنُ له الرغائبَ على ذلك إما تشوقاً وإما تشرفاً . وكان أبو إسحاق يحتمل ثقل الخَلَّة وسوء أثر العطلة ولا يتواضع للاتصال بجملة الصاحب بعد كونه من نظرائه وتحلّيه بالرياسة في أيامه . قال[5] وأخبرني ثقاتٌ منهم أبو القاسم علي بن محمد الكرخي ، وكان شديد الاختصاص بالصاحب أنه كثيراً ما كان يقول : كتاب الدنيا وبلغاء العصر أربعة : الأستاذ ابن العميد وأبو القاسم عبد العزيز بن يوسف وأبو إسحاق الصابىء ، ولو شئت لذكرتُ الرابع ، يعني نفسه . فأما الترجيحُ بين هذين الصدرين[6] ، أعني الصاحبَ والصابىء ، في الكتابة فقد خاض فيه الخائضون وأطنب المحصلون[7] ؛ وَمِنْ أَشْفَى[8] ما سمعتُهُ في ذلك أن الصاحب كان يكتب كما يريد، وأبو إسحاق يكتب

(1) اليتيمة : الحسين .
(2) اليتيمة : مددت اليد إليهما .
(3) اليتيمة : الخطور . . . بباله . . . مقرون .
(4) اليتيمة 2 : 246 .
(5) المصدر نفسه .
(6) المختصر : صادَي الصَّادين .
(7) اليتيمة : وأخب فيه المخبون .
(8) ر: أشفَّ

كما يؤمر ، وبين الحالين بون بعيد . وكيف جرى الأمرُ فهما هما ، ولقد وقف فَلَكُ البلاغةِ بعدهما .

ومما يدلُّ على إناخة كَلْكَلِ الزمانِ عليه ، وصرفِ صروفه بعد النباهة إليه ، فصلٌ كتبه إلى صديق له يستميحه وهو[1] : « ولما صارت صروفُ الدهر تتوغل بعد التَطَرّف ، وتجحفُ بعد التحيّف ، وصادف ما تجدَّد عليَّ في هذا الوقتِ منها أشلاءً مني منهوكة ، وعظاماً مبرية ، وحشاشةً مُشْفِيةً ، وبقيّةً مُودِيَة ، جعلتُ أختارُ الجهاتِ ، وأعتامُ الجنباتِ ، لأنحوَ منها ما لا يُعابُ سائله إذا سأل ، ولا يخيب آمله إذا أمل ، وكان سيّدي أوّلَها إذا عُدِّدَتْ وأَوْلاَها إذا اعتمدت ، وكتبتُ كتابي هذا بيدٍ يكاد وجهي يتظلَّم منها إذ تخطه ، إشفاقاً على مائه مما يريقه ، لولا الثقةُ بأنه يحقنُ مياهَ الوجوه ويحميها ، وَيُجِمُّها ولا يقذيها» .

فصل من كتاب إلى عضد الدولة في تهنئة بتحويل سنته[2] : « أسألُ اللّه مبتهلاً لديه ، مادّاً يدي إليه ، أن يحيلَ على مولانا هذه السنة وما يتلوها من أخواتها بالصالحاتِ الباقياتِ ، والزيادات الغامرات ، ليكونَ كلُّ دهرٍ يستقبلُه وأَمَدٍ يستأنفه موفياً[3] على المتقدِّم له ، قاصراً عن المتأخر عنه ، ويوفّيه من العمر أطوله وأبعده ، ومن العيش أعذَبَهُ وأرغده ، عزيزاً منصوراً ، محمياً موفوراً[4] باسطاً يده فلا يقبضها إلا على نواصي أعداءٍ وَحُسَّاد ، سامياً طَرْفُهُ فلا يغضُّه إلا على لذةٍ غمضٍ ورقاد ، مستريحةً ركابه فلا يُعْمِلها إلا لاستضافة عزٍّ ومُلك ، فائزةً قِدَاحُهُ فلا يجيلها إلا لحيازةِ مالٍ ومِلك ، حتى ينالَ أقصى ما تتوجَّهُ إليه أمنيته جامحةً ، وتسمو له هِمَّتُهُ طامحة » .

وحدث هلال بن المحسن ، حدثني جدي أبو إسحاق ـ ثم وجدت هذا الخبر بخطِّ المحسن بن ابراهيم ـ قال حدثني والدي أبو إسحاق قال : كان والدي أبو الحسن يُلْزِمُني في الحداثة والصبا قراءةَ كتبِ الطبّ والتحلّي بصناعته ، وينهاني عن التعرّض

(1) اليتيمة 2 : 251 والمختار من رسائل الصابي : 281 ـ 282 .
(2) اليتيمة 2 : 247 .
(3) م : موفراً .
(4) م : منصوراً .

لغير ذلك ، فقويتُ فيها قوةً شديدةً ، وجُعل لي برسم الخدمة في البيمارستان عشرون ديناراً في كلِّ شهر ، وكنتُ أتردد إلى جماعة من الرؤساء خلافةً له ونيابةً عنه ، وأنا مع ذلك كارهٌ للطبِّ ومائلٌ إلى قراءةِ كتب الأدب كاللغة والشعر والنحو والرسائل والأدب ، وكان إذا أحسَّ بهذا مني يعاتبني عليه وينهاني عنه ، ويقول : يا بني لا تعدلْ عن صناعةِ أسلافك . فلما كان في بعض الأيام ورد عليه كتابٌ من بعضِ وزراءِ خراسان يتضمَّنُ أشياءَ كثيرةً كلَّفه إياها ومسائلَ في الطبِّ وغيرِهِ سأله عنها ، وكان الكتاب طويلاً بليغاً قد تأنَّقَ [فيه] منشئه وتغارب . فأجاب عن تلك المسائل ، وعمل جملاً لما يريده ، وأنفذها على يديَّ إلى كاتبٍ لم يكنْ في ذلك العصر أبلغُ منه ، وسأله إنشاءَ الجواب عنه ، قال : فمضيتُ وأنشأت أنا الجوابَ وأطلتُهُ وحرَّرْتُهُ وجئتُ به إليه ، فلما قرأه قال : يا بني سبحان اللّه ما أفضلَ هذا الرجل وأبلغه ، قلت له : هذا من إنشائي ، فكاد يطيرُ فرحاً وضمَّني إليه وقبَّل بين عيني وقال : قد أذنتُ لك الآن فامضِ فكنْ كاتباً .

كان أبو إسحاق الصابيء واقفاً بين يدي عضد الدولة وبين يديه كتبٌ قد وردت عليه من ابن سَمَجور صاحب خراسان ، وعلى رأسه غلامٌ تركيٌّ حسنُ الوجهِ جميلُ الخلقة ، وكان مائلاً إليه ، ورأيت الشمسَ إذا وجبت عليه حجبها عنه إلى أن استتمَّ قراءةَ ما كان في يده ، ثم التفت إليه فقال له : هل قلتَ شيئاً يا إبراهيم ؟ فقال :

وقفتْ لتحجبني عن الشمسِ نفسٌ أعزُّ عليَّ من نفسي
ظلَّت تظللني ومن عَجَبٍ شمسٌ تُغَيِّبني عنِ الشمس

فسُرَّ بذلك وطوى الكتب ، وجعله مجلساً للشرب ، وألقى على الجواري الستائر يغنّونه به في ذلك اليوم ، وهو الخامس من شوّال سنة إحدى وستين وثلاثمائة .

وكتب إلى بعض أصدقائه : « ولو حملتُ نفسي على الاستشفاع والسؤال ، لضاق علي فيه المرتَكَضُ والمجال ، لأنّ الناس عندنا ـ ما خلا الأعيانَ الشواذَّ الذين أنت بحمد الله أولهم ـ طائفتان : مجاملةٌ ترى أنها قد وَفّتك خيرها إذا كفتك شرها ، وأجزلتْ لك رِفْدَها إذا جنبتك كيدها ، ومكاشفةٌ تنزو إلى القبيح نَزْوَ الجنادب ، أو تدبُّ دبيبَ العقارب ، فإن عوتبوا حسروا قناع الشقاق ، وإن غولظوا تلثّموا بلثامِ

النفاق ، والفريقان في ذاك كما قلت منذ أيام :

أيا ربَّ كلُّ الناسِ أبناء عَلَّةٍ ... أما تعثرُ الدنيا لنا بصديقِ
وجوهٌ بها من مُضْمَرِ الغلّ شاهدٌ ... ذواتُ أديمٍ في النفاقِ صفيق
اذا اعترضوا عند اللقاءِ فانهم ... قذىً لعيونٍ أو شجىً لحلوق
وإن أظهروا بَرْدَ الودودِ وظلَّه ... أسَرُّوا من الشحناءِ حَرٌّ حريق
أخو وحدة قد آنستني كأنني ... بها نازلٌ في معشرٍ ورفيق
فذلك خيرٌ للفتى من ثواثِهِ ... بِمَسْبَعَةٍ من صاحبٍ وصديق

ومن خط أبي علي المحسن بن إبراهيم بن هلال : حدثني والدي رحمه الله قال : وُصِفْتُ وأنا حَدَثٌ للوزير أبي محمد المهلبي ، وهو يومئذ يخاطَبُ بالأستاذ ، فاستدعى عمي أبا الحسن ثابت بن إبراهيم وسأله عني ، والتمس منه [إلحاقي به] ووعده فيَّ بكلِّ جميل ، فخاطبني عمي في ذلك وأشار عليَّ به ، فامتنعتُ لانقطاعي إلى النظر في العلوم . وكنتُ مع هذه الحال شديدَ الحاجة إلى التصرّف لقرب العهد بالنكبة من توزون التي أتت على أموالنا ، فلم يزلْ بي أبي حتى حملني إليه ، فلما رآني تقبَّلني وأقبل عليَّ ورسَمَ لي الملازمة ، وبحضرته في ذلك الوقت جماعةٌ من شيوخ الكتّاب ، فلما كان في بعض الأيام وردتْ عليه عدةُ كتبٍ من جهاتٍ مختلفة ، فاستدعاني وسلَّمها إليَّ، وذكر لي المعاني التي تتضمنها الأجوبة ، وأطال القول ، فمضيتُ وأجبت عن جميعها من غير أن أُخِلَّ بشيءٍ من المعاني التي ذكرها ، فقرأها حتى أتى على آخرها ، وتقدَّم إليَّ في الحال بإحضار دواتي والجلوس بين يديه متقدماً على الجماعة ، فلزم بعضهم منزله وَجْداً وغَضَباً ، وأظهر بعضهم التعالل ، فلم أزلْ أتلطَّفُ وأُداري وأُغضي على قوارصَ تبلغني حتى صارت الجماعةُ إخواني وأصدقائي .

وقرأت بخطه أيضاً ، وفي « كتاب الوزراء » لابنه ـ قال المحسن : حدثني والدي ، وقال هلال : حدثني جدي ، واللفظ والمعنى يزيد وينقص ، والاعتماد على ما في كتاب هلال لأنه أتم ـ قال أبو إسحاق : كنتُ في مجلس الوزير أبي محمد المهلبي في بعض أيام الحداثة جالساً في مجلسِ أُنسه ، وبين يديه أبو الفضل العباس ابن الحسين وأبو أحمد الفضل بن عبد الرحمن وأبو علي الحسين بن محمد الأنباري

وأبو الفرج ابن أبي هشام وغيرهم من خلفائه وكتابه ، وقد أخذ الشرابُ من الجماعة ، وزاد بهم على حدِّ النشوة ، وكانت لي في ذلك مزية لأنني شربتُ معه أرطالاً عدة ، إذ حضر رسولُ الأميرِ معزِّ الدولة يذكر أن معه مهماً ، فقال أبو محمد : يدخل ، فدخل وقال : الأمير يقول : تكتبُ عني الساعَة كتاباً إلى محمد بن إلياس صاحبِ كرمان تخطبُ فيه ابنته لبختيار ، فقال الوزير : هذا كتابٌ يحتاجُ إلى تأملٍ وتثبت ، وما في الكتّاب من فيه مع السكر فضلٌ له، ثم التفتَ إلى أبي علي [ابن]الأنباري فقال له: تتمكن يا أبا علي من كتبه ؟ فقال : أما الليلةَ وعلى مثلِ هذه الحالةِ والصورةِ فلا ، ورآني الوزير مصغياً إلى القول متشوفاً لما يرسمُهُ لي في ذلك فقال : تكتبه يا أبا إسحاق ؟ قلت : نعم ، قال : افعل ، فقمتُ إلى صُفَّةٍ يشاهدني فيها واستدعيتُ دواتي ودرجاً منصورياً وكتبتُ كتاباً اقتضبته بغير رويّة ولا نسخة ، والوزير والحاضرون يلاحظوني ، ويعجبونَ من إقدامي ثم اقتضابي و[عدم] إطالتي ، فلما فرغتُ منه أصلحتُهُ وعنونته وحملتُه إليه ، فوقف عليه ووجهه متهلّلٌ في أثناء القراءة والتأمّل ، ورمى به إلى أبي علي ابن الأنباري ثم قال للجماعة : هذا كتابٌ حَسَنٌ دالٌّ على الكفايةِ المبرّزة ، ولو كتبه صاحياً مروّياً لكان عجباً ، فكيف إذ يكتبه منتشياً مقتضباً ، ولكنه كاتبي وصنيعتي ، قم يا أبا إسحاقَ من موضعك واجلس ها هنا حيث أَجْلَسَتْكَ الكفاية ، وأومأ إلى جانب أبي الغنائم ابنه ، فقبَّلْتُ يده ورجله وشكرتُهُ ودعوت له ، وجلستُ بحيث أجلسني ، وشرب لي ساراً ، ثم استدعى حاجبَهُ وقال : تُقَدِّمُ دابته إلى حيثُ تُقَدَّمُ دوابّ خلفائي ، ويوفَّى من الإكبار والإكرام ما يوفونه ؛ فحسدني على ذلك كلُّ من كان حاضراً ، ووفوني من الغد حكم المساواة في المخاطبة والمعاملة ، واستشعروا عندها أسبابَ العداوة والمنافسة . ثم قلدني دواوينَ الرسائل والمظالم والمعاون تقليداً سلطانياً كتب به عن المطيع لله إلى أصحاب الأطراف .

وحدث هلال بن المحسن ، قال حدثني جدي أبو إسحاق قال : كان أبو طاهر ابن بقية واقفاً بين يدي عضد الدولة في سنة أربع وستين وثلاثمائة التي ورد فيها للمعاونة على الأتراك ، فقال لي عضد الدولة : لو عرضتَ علينا أبياتك إلى أبي القاسم عبد العزيز بن يوسف التي هي ـ وأنشدها وكانت ـ :

يا راكبَ الجسرة العيرانةِ الأُجُدِ — تَدْمَى مناسِمُها في الحَزْنِ والجَدَدِ
أبلغ أبا قاسمٍ نفسي الفداءُ له — مقالةً من أخٍ للحقِّ معتمد
أنصفتُ فيها ولم أظلمْ وما حَسَنٌ — بالمرءِ إلا مقال الحقِّ والسدد
في كلِّ يومٍ لكم فتحٌ له خَطَرٌ — يُشادُ فيه بذكر السيِّد العضد
وما لنا مثله لكننا أبداً — نجيبكم بجوابِ الحاسدِ الكمد
فأنتَ أكتبُ منّي في الفتوح وما — تجري مجيباً إلى شأوي ولا أمدي
إذ لستَ تعرفها تأتيكَ من أحدٍ — ولستُ أعرفها تمضي إلى أحد
وما ذممتُ ابتدائي إذ بدأتكمُ — ولا جوابكم في القُرْبِ والبُعُدِ
وإنما رمتُ أن أُثني على ملكٍ — مستطردٍ بدليلٍ فيه مطرد

قال : فلما استتمها قال لأبي طاهر : ما قَصَدَ أبو إسحاق في هذه الأبيات ؟ وسمعها أبو طاهر صَفْحاً ، وقد كان شرب أقداحاً ولم يَعْلَقْ بذكره من الأمر إلا ذكر المجلس ، واشتهر خبرها عند كلِّ أحدٍ ، فلما عاد عضد الدولة إلى شيراز سألني أبو طاهر ابن بقية عنها ، وطالبني بإنشادها إياه فلم يمكنّي إنكارها فغيرتها في الحال على هذا [الوجه] :

يا راكبَ الجسرةِ العيرانةِ الأُجُدِ — تدمَى مناسمها في الحَزْنِ والجَدَدِ
أبلغ أبا قاسم نفسي الفداءُ له — مقالةً من أخٍ للودِّ معتقد
أُنصفتُ فيها ولم أُظلمْ ولا حَسَنٌ — بالمرءِ إلا مقالُ الحقِّ والسدد
قد أعجبتك فتوحٌ أنت كاتبها — تردِّدُ السجعَ فيها غيرَ متئد
خلا لكَ الجوُّ إذ أصبحتَ منتشياً — تشدو بها طَرِباً كالطائر الغرد
تروعني كلَّ يومٍ منكَ رائعةٌ — تبغي الجوابَ لها من موجعٍ كمد
فأنت أكتبُ مني في الفتوح وما — تجري مجيباً إلى شأوي ولا أمدي
أعطيتني شرَّ قسميها وفزتَ بما — فيه الفوائدُ من قربٍ ومن بعد
فاشكر إلاهكَ وآعذرني فقد صَدِئتْ — قريحتي من زمان مقرف نكد

ثم سُعي بأبي إسحاق إلى عزّ الدولة حتى قَبَضَ عليه بعد أن أعطانا أماناً كتبه ابنُ

بقيةَ بيده ، ولم يستقصِ ابن بقية عليه لحقٍّ كان قد أوجبه عليه أيام كونِ عضد الدولة ببغداد ، فكتب أبو إسحاق إلى ابن بقية من الحبس :

ألا يا نصيرَ الدينِ والدولة التي ... رددتَ إليها العزَّ إذ فات ردُّهُ
أيُعْجِزُكَ استخلاصُ عبدِكَ بعدما ... تخلَّصْتَ مولاك الذي أنتَ عبده

وكتب أبو إسحاق إلى المطهر بن عبد الله وزير عضد الدولة ، وقد عرضت له شكاة :

ولو استطعتُ أخذتُ علَّة جسمه ... فقرنتها مني بعلَّةِ حالي
وجعلتُ صِحَّتِيَ التي لم تَصْفُ لي ... بدلاً له من صحةِ الإقبال
فتكونَ عندي العلّتان كلاهما ... والصحتانِ له بغيرِ زوال

قرأت بخط أبي علي ابن إبراهيم الصابىء ، كتب والدي إلى بعض إخوانه : « كانت رقعتك يا سيدي وَصَلَتْ إليَّ مشتملةً من لطيف تفضلك وَبِرّك ، وأنيق نظمك ونثرك ، على ما شغلني الاستحسانُ له ، والاستروا حُ إليه ، وتكريرُ الطرفِ في مبانيه ، والفكر في معانيه ، عن الشروع في الإجابة عنه ، ثم تعاطيتها فوجدتني بين حالين : إما أوجزتُ إيجازاً يُظَنُّ معه التقصير ، أو أطلتُ إطالة يظهرُ فيها القصور ، فرأيت أولى الأمرين بَذْلَ الممكنِ واستنفادَ المجهود ، بعد تقديم الإقرار والاعتراف بفضلك :

فسبحانَ ربٍّ كريمٍ حباكَ ... بطولِ اللسانِ وطول البنانِ
ووفَّاكَ من فَضل إنعامه ... كمالاً تُقَصِّرُ عنه الأماني
فما كنتُ أحسبُ أنَّ الزمانَ ... يُزَانُ[1] بمثلك لولا عياني

ومن خطه : حدثني والدي أبو إسحاق قال : راسلتُ أبا الطيب المتنبي رحمه الله في أن يمدحني بقصيدتين وأعطيه خمسة آلاف درهم ، ووسطت بيني وبينه رجلاً من وجوه التجار ، فقال : قل له والله ما رأيتُ بالعراقِ من يستحقّ المدحَ غيرك ، ولا أوجبَ عليَّ في هذه البلاد أحدٌ من الحق ما أوجبت ، وإن أنا مدحتك تنكَّر لك الوزير ـ يعني أبا محمد المهلبي ـ وتغير عليك . لأنني لم أمدحه ، فإن كنتَ لا تبالي

(1) ر: يوات (يواتي) .

بهذه الحالة فأنا أجيبك إلى ما التمست ، وما أريد منك منالاً ولا عن شعري عوضاً ، قال والدي : فتنبهتُ على موضع الغلط ، وعلمتُ أنه قد نصح ، فلم أعاوده.

ومن شعر أبي إسحاق قوله(1) :

جَرَتِ الجفونُ دماً وكاسي في يدي ... شوقاً إلى من لجَّ في هجراني
فتخالف الفعلانِ شاربُ قهوةٍ ... يبكي دماً وتشاكلَ اللونان
فكأنَّ ما في الجفن من كاسي جرى ... وكأن ما في الكاسِ من أجفاني

وله أيضاً :

أيها اللائم المضيِّقُ صدري ... لا تلمني فكثرةُ اللوم تُغْرِي
قد أقام القَوَامُ حُجَّةَ عشقي ... وأبان العِذارُ في الحبِّ عذري

وله أيضاً وهو في غاية الجودة :

حَذَّرتُ قلبي أن يعودَ إلى الهوى ... لما تبدَّلَ بالنزاعِ نزوعا
فأجابني لا تخشَ مني بعد ما ... أفْلَتُّ من شَرَكِ الغرام وقوعا
حتى إذا داعٍ دعاه إلى الهوى ... أصغى إليه سامعاً ومطيعا
كذبالةٍ أخمدتها فكما دنا ... منها الضِّرامُ تعلقته سريعا

وله أيضاً :

مرضتُ من الهوى حتى إذا ما ... بدا ما بي لإخواني الحضورِ
تكنَّفني ذوو الإشفاقِ منهم ... ولاذوا بالدعاءِ وبالنذور
وقالوا للطبيب أشِرْ فإنا ... نُعِدُّكَ للعظيم من الأمور
فقال شفاؤه الرمان مما ... تضمنه حَشَاهُ من السعير
فقلتُ لهم أصاب بغير قصدٍ ... ولكنْ ذاك رُمَّانُ الصدور

وله أيضاً :

إلى الله أشكو ما لقيتُ من الهوى ... بجاريةٍ أمسى بها القلبُ يلهجُ

---

(1) هذه القطعة وما يليها نقلت من اليتيمة 2 : 257 ، 258 ، 259 .

إذا امتزجتْ أنفاسنا بالتثامنا ... توهمتُ أن الروحَ بالروح يمزج
كأني وقد قبلتها بعد هجعةٍ ... ووجديَ ما بينَ الجوانح يلعج
أضفتُ إلى النفس التي بين أضلعي ... بأنفاسها نفساً إلى الصدر تولج
فإن قيل لي آخترْ أيما شئتَ منهما ... فإني إلى النفسِ الجديدة أحوجُ

وله أيضاً :

أقولُ وقد جَرَّدْتُها من ثيابها ... وعانقتها كالبدرِ في ليلة التمِّ
وقد آلمتْ صدري لشدَّةِ ضمها ... لقد جَبَرَتْ قلبي وإن أَوْهَنَتْ عظمي

وله أيضاً :

إن نحن قسناك بالغصن الرطيب فقد ... خِفْنا عليكَ به ظلماً وعدوانا
لأنّ أحسنَ ما نلقاه مكتسياً ... وأنت أحسنُ ما نلقاك عريانا

وله أيضاً(١) :

فديتُ مَنْ لاحظني طَرْفُها ... من خِيفةِ الناسِ بتسليمتهْ
لما رأتْ بدرَ الدجى تائهاً ... وغاظها ذلك من شيمتهْ
نَضَتْ له البرقعَ عَنْ وجهها ... فَرَدَّتِ البدرَ إلى قيمتهْ

وكتب أبو إسحاق إلى الوزير أبي نصر سابور بن أردشير جواباً عن كتاب إليه :

أتتني على بعد المدى منك نعمةٌ ... تُشاكِلُ ما قَدَّمْتَ من نعمٍ عندي
كتابُكَ مطوياً على كلِّ مِنَّةٍ ... يمنُّ بها المولى الكريمُ على العبد
فَقَبَّلْتُ إجلالاً له الأرضَ ساجداً ... وعفَّرْتُ قدّامَ الرسولِ بها خدي
وقابلتُ ما فيه من الطَّوْلِ والندى ... بما فيَّ من شكرٍ عليه ومن حمد
وعاليتُ نحو العرشِ طرفيَ باسطاً ... يدي بدعاءٍ قد بذلتُ به جهدي
وكم لكَ عندي من يدٍ قد حفظتها ... ولم يُنسِنيها ما تطاولَ من عهد

(١) هذه القطعة لم ترد في اليتيمة .

وقال في غلامٍ له اسمه رشد أسود[1] :

قد قال رشدٌ وهو أسودُ للذي ببياضه استعلى عُلُوَّ الخاتنِ
ما فخر خَدِّكَ بالبياضِ وهل ترى أنْ قد أفدتَ به مزيدَ محاسن
ولو آنَّ مني فيه خالاً زانه ولو آنّ منه فيَّ خالاً شانني

وله فيه أيضاً[2] :

لكَ وجهٌ كأنّ يمناي خطته بلفظٍ تُمِلّه آمالي
فيه معنىً من البدورِ ولكنْ نَفَضَتْ صِبْغَها عليه الليالي
لم يَشِنْكَ السوادُ بل زاد حسناً إنما يلبسُ السوادَ الموالي

وله في البق[3] :

وليلةٍ لم أذُقْ من حَرِّها وسناً كأنَّ في جوها النيرانَ تشتعلُ
أحاط بي عسكرٌ للبق ذو لَجَبٍ ما فيه إلا شجاعٌ فاتكٌ بطلُ
من كلِّ شائلةِ الخرطومِ طاعنةٍ لا تحجبُ السُّجْفُ[4] مسراها ولا الكِلَلُ
طافوا علينا وحرُّ الصيف يطبخنا حتى إذا نضجت أجسادنا أكلوا

وقال يذمُّ البصرة وكان قد خرج إليها لاستيفاء مال السلطان :

ليس يغنيكَ في التطهر بالبصـ ـرةِ إن حانتِ الصلاةُ اجتهادُ
إن تطهرتَ فالمياه سُلاح أو تيممتَ فالصعيدُ سماد

وقال عند رحيله عنها :

تولَّيْتُ عن أرضِ البصيرة راحلاً وأفئدةُ الفتيانِ حشوُ حقائبي
منازلُ يُقْرَى ضيفُها كلَّ ليلةٍ بأمثال غزلان الصريم الربائب
أقمتُ بها سوقَ الصِّبا والندى معاً لعاشقةٍ حيرى وحيران لاغب

---

(1) اليتيمة 2 : 266 ـ 267 .

(2) المصدر السابق .

(3) هذه القطعة والأربع التي تليها من اليتيمة 2 : 268 ، 269 ، 270 .

(4) ر : يحجب الستر .

فمـا تظهـر الأسـواق إلا صنـائعي ولا تستـر الجـدرانُ إلا حبـائبي

وقال وقد عتب على بعض ولده :

أرضى عن ابني إذا ما عقنى حدباً عليه أَنْ يغضبَ الرحمن من غضبي
ولستُ أدري لمَ استحققتُ من ولدي إقـذاء عيني وقد أقـررتُ عينَ أبي

وكتب إلى بعض الرؤساء يلتمس منه إشغال بعض ولده وإجراء رزق عليه :

ومـا أنـا إلا دوحـةٌ قـد غَـرَسْتَهـا وسقّيتهـا حتى تراخَى بهـا المـدى
فلمـا اقشعرَّ العـودُ منها وَصَـوَّحَتْ أتتـكَ بأغصـانٍ لها تـطلب النـدى

وكتب إليه أبو عليّ المحسن ابنه تسليةً في إحدى نكباته :

لا تـأسَ للمال إن غـالتـك غـائلةٌ ففي جنابك من فَقْدِ اللهى عِوَضُ
إذ أنت جوهرنا الأعلى وما جَمَعَتْ يـداك من طارفٍ أو تـالـدٍ عـرض

وأجابه أبو إسحاق :

يـا درةً أنا من دون الـورى صَدَفٌ لهـا أقيهـا المنـايـا حين تعتـرضُ
قد قلتُ للدهر قـولاً كان مصـدره عن نيةٍ لم يشبْ إخلاصَهـا مرض
دع المحسِّن يحيـا فهـو جـوهـرةٌ جواهرُ الأرض طـرّاً عندهـا عرض
والنفسُ لي عوض عما أصيب بـه وإن أُصبت بنفسي فهـو لي عوض
اتـركْـهُ لي وأخـاه ثم خُـذْ سلبي ومهجتي فهمـا مغـزاي والغـرض

وقال يمدح المهلبي(1) :

وكم من يدٍ بيضاءَ حازتْ جمالهـا يـدٌ لـك لا تسـودُّ إلا من النِّقْسِ
إذا رقشت بيضَ الصحـائف خلتَها تـطرّزُ بـالـظلمـاء أرديـةَ الشمس

وله فيه وقد فُصِدَ من غير علة(2) :

---

(1) اليتيمة 2 : 274 .
(2) هذه القطعة وما يليها واردة في اليتيمة 2 : 275 ، 276 ، 279 ، 280 ، 282 ، 285 ، 286 ، 287 ، 290 ، 293 ، 260 .

لهجتْ يمينك بالندى فبنانها | أبداً يُفيضُ على العفاةِ عطاءَ
حتى فُصِدْتَ وما بجسمك علةٌ | كيما تُسَبِّبَ للطبيب حباءَ
ولقد أرقتَ دماً زكياً من يدٍ | حَقَنَتْ بتدبير الأمورِ دماءَ
يجري العلا في عرقه جَرْيَ الندى | في عُودِهِ فهو اللبابُ صفاءَ
لو تقدرُ الأحرارُ حين أَرَقْتَهُ | جعلوا له حَبَّ القلوب وعاءَ
فانعمْ وَعِشْ في صحةٍ وسلامةٍ | تحيي الوليَّ وتكبتُ الأعداءَ

وله أيضاً فيه :

لا تحسبِ الملكَ الذي أُعطيتَهُ | يُقْضي وإن طال الزمانُ إلى مَدَى
كالروح في أُفقِ السماءِ فروعُهُ | وعروقه متولجاتٌ في الندى
في كلِّ عامٍ يستجدُّ شبيبةً | فيعودُ ماءُ العودِ فيه كما بدا
حتى كأنك دائرٌ في حلقةٍ | فلكيةٍ في منتهاها المبتدا

وله في ابن سعدان :

ومازلتَ من قبل الوزارةِ جابري | فكنْ رائشي إذ أنتَ ناهٍ وآمرُ
أمنتُ بك المحذورَ إذ كنتَ شافعاً | فَبَلِّغْنيَ المأمولَ إذ أنت قادرُ
لعمري لقد نلتُ المنى بكَ كلَّها | وطرفي إلى نيلِ المنى لك ناظرُ

عكس قول المهلبي :

بلغتُ الذي قد كُنت آمله بكم | وإن كنتُ لم أبلغ لكم ما أؤمِّلُ

وله إلى الصاحب :

لما وضعتُ صحيفتي | في بطنِ كفِّ رسولها
قَبَّلْتُها لتمسَّها | يمناكَ عندَ وصولها
وتودُّ عيني أنها اكـ | ـتحلت ببعضِ فصولها
حتى ترى في وجهك الـ | ـميمونِ غايةَ سُولها

وقال لأبي القاسم عبد العزيز بن يوسف :

أبو قاسمٍ عبدُ العزيز بن يوسفٍ   عليه من العلياءِ عينٌ تراقبُهْ
روى ورعى لما رأى قولَ قائلٍ   «وشبعُ الفتى لؤمٌ إذا جاع صاحبه»

وله تهنئة بالعيد :

يا سيداً أضحى الزما   نُ بأسرِهِ منه ربيعا
أيامُ دهرِكَ لم تزلْ   للناسِ أعياداً جميعا
حتى لأوشكَ بينها   عيد الحقيقة أن يضيعا
فاسلم لنا ما أشرقتْ   شمسٌ على أُفُقٍ طلوعا
واسعدْ بعيدٍ ما يزا   ل إليك معتقداً رجوعا

وله أيضاً يهنىء عضد الدولة بالأضحى :

صلِّ ياذا العلا لربِّك وانحرْ   كلُّ ضدٍ وشانيءٍ لكَ أبترْ
أنت أعلى من أن تكونَ أضاحيـ   ـكَ قُروماً من الجمال لتعقرْ
بل قروماً من الملوك ذوي السؤ   دِ تيجانها أمامك تنثرْ
كلما خرَّ ساجداً لك رأسٌ   منهمُ قال سيفُكَ اللّه اكبرْ

وله أيضاً :

ولما رأيتُ اللّه يُهدي وخلقه   تجاسرتُ واستفرغتُ جهدَ جهيدِ
فكان احتفالي في الهدية درهماً   يُطيرُ على الأنفاسِ يومَ ركودِ
وجزءاً لطيفاً ذَرْعُهُ ذَرْعُ محبسي   وتقييده بالشكلِ مثلُ قيودي
ألاطفُ مولانا وكالماءِ طبعُهُ   تَسَلْسَلَ من عَذْبِ النطاف برودِ

وكتب إلى الوزير أبي نصر سابور بن أردشير وقد أعيد إلى الوزارة :

قد كنتَ طلَّقْتَ الوزارةَ بعدما   زلَّتْ بها قدمٌ وساءَ صنيعُهَا
فَغَدَتْ بغيرك تُسْتَحَلُّ ضرورةً   كيما يَحِلّ إلى ذراك رجوعها
والآن آلتْ ثم آلتْ حَلْفَةً   ألاّ يبيت سواك وهو ضجيعها

وله يهجو :

أيها النابحُ الذي يتصدَّى ... بقبيحٍ يقولُهُ لجوابي
لا تؤمّل أني أقول لك آخسأْ ... لستُ أسخو بها لكلِّ الكلابِ

وله يهجو :

وراكبٍ فوق طِرفٍ ... كأنه فوق طَرفي
له قَذَالٌ متينٌ ... يجلُّ عن كلِّ وصفِ
يذوبُ شوقاً إليه ... نعلي وخفّي وكفي

وله يهجو :

يبدي اللواطَ مغالطاً وعجانُهُ ... أبداً لأعواد الورى مُسْتَهْدَفُ
فكأنه ثعبانُ موسى إذ غدا ... لحبالهم وعصيِّهم يتلقَّفُ

وله يصف الشعر :

لقد شانَ شأنَ الشعرِ قومٌ كلامهم ... إذا نظموا شعراً من الثلج أبردُ
فيا ربّ إن لم تهدهم لصوابه ... فأضللهمُ عن وَزْنٍ ما لم يُجَوِّدوا

وله أيضاً :

إذا جَمَعَتْ بين امرأينِ صناعةٌ ... فأحببتَ أن تدري الذي هو أحذقُ
فلا تتفقدْ منهما غيرَ ما جَرَتْ ... به لهما الأرزاقُ حين تُفَرَّقُ
فحيثُ يكونُ النقصُ فالرزقُ واسعٌ ... وحيث يكونُ الفضلُ فالرزق ضيقُ

وله أيضاً :

كلُّ الورى من مسلمٍ ومعاهدِ ... للدين منه فيكَ أعدلُ شاهدِ
فإذا رآك المسلمون تيقنوا ... حُورَ الجنانِ لدى النعيم الخالدِ
وإذا رأى منكَ النصارى ظبيةً ... تعطو ببدرٍ فوق غصن مائدِ
أثنوا على تثليثهم واستشهدوا ... بكَ إذ جمعتَ ثلاثةً في واحدِ
وإذا اليهود رأوا جبينكَ لامعاً ... قالوا لدافع دينهم والجاحدِ

هـذا سنـا الـرحمن حين أبـانـه … لكليمــه مـوسى النبيِّ العــابـدِ
ويرى المجوسُ ضياءَ وجهك فوقه … مُسْـوَدُّ فـرعٍ كـالـظلام الـراكـدِ
فتقــومُ بين ظـلام ذاك ونــور ذا … حُجَجٌ أعـدُّوهـا لكـلِّ معـانـدِ
أصبحتَ شمسَهُمُ فكم لك فيهمُ … من راكـعٍ عند الـظلام وساجـدِ
والصـابئـون يــرون أنـك فــردةٌ … في الحسن إقـراراً لفـرد مـاجـدِ
كـالـزهـرةِ الـزهـراءِ أنت لـديهمُ … مسعــودةً بـالمشتــري وعــطاردِ
فعلى يـديـك جميعهم مستبصـرٌ … في الدين من غاوي السبيل وراشدِ
أصلحتهم وفـتنـتـني فتــركتـني … من بينهم أسعى بــدينٍ فـاســدِ

قـرأت بخط أبي على المحسن بن إبراهيم بن هـلال الصابىء ، حـدثني أبـو الحسن محمد بن عبد الله بن سكرة الهاشمي الشاعر قال : أعانني والدك أبو إسحاق إبراهيم بن هلال في هجائي خمرة المجنونة بالشيء الكثير فمن ذلك[1] :

لخمـرةَ عندي حـديثٌ يـطولُ … رأتني أبــولُ فكـادت تبــولُ
وقــالتْ تقــولُ بنــا يــا فتى … فقلتُ وأدليتُ لـمْ لا أقــولُ
فلمــا نهـضتُ أتـتني رقــاعٌ … وجـاءت هدايـا ووافَى رسولُ

ومن ذلك أيضاً :

نــام أيـري وقــد تـولَّـج فيهــا … قــائـلاً فيــه من هجيـرٍ وحــرِّ
بيتُ خَيْشٍ فـي بــرده ونــداهُ … سُجِفَتْ دونــه شـريحــةُ بــظرِ
نعم مُسْتَبْــرَدُ الغراميــلِ لــولا … أنــه مـنـتـنٌ خـبيـثُ الـمقــرِّ

ومن ذلك أيضاً :

ألا هــل قــائــلٌ مني لـخمــرهْ … فقـدتـكِ كـلُّ شيءٍ منـكِ عبــرَهْ
ألا كلّ النـوى في البســر يخفى … وقـد أخفت نـواتـك كـلَّ بســرهْ
إذا وردتــكِ فيشـــةُ ذي جمـــامٍ … تــرفُّ نـضــارةً وتــروق حمــرهْ

---

(1) اليتيمة 3 : 13 .

تــولَّتْ عنك صفــراءَ النواحي عليهـا من ثيابِ حشـاك صُـدْرَهْ
فتــدخلُ وهي فيشــةُ جيسـوانٍ وتخــرجُ وهي كـالبَــرْنيّ صفـرهْ

ومن خط أبي علي المحسن ، حدثني السري بن أحمد الشاعر الرفاء قال : أنشدني والدك لنفسه :

مـازلتُ في سكـري أُلَمِّـعُ كفَّها وذراعَـهـا بـالقـرصِ والآثـار
حتى تــركتُ أديمهــا وكـأنمـا غُـرِسَ البنفسجُ منـه في الجمَّار

وأخذت هذا المعنى فقلت[1] :

أحببْ[2] إليَّ بفتيــةٍ نــادمـتهـم بين المحلَّةِ والقبــابِ البيضِ
من كلِّ محضِ الجاهليةِ معرقٍ في الخـرَّمِيَّةِ بـالعـدا عـرِّيض
وَسَمـوا الأكُفَّ بخضـرة فكـأنمـا غرسوا بها الريحانَ في الإغريض

ومن خطِّه لأبي الحسن ابن سكرة الهاشمي من قصيدة إلى والدي وعمي أبي العلاء رحمهما الله :

إيمنــوا يـا بني هــلالٍ جميعــاً نُـوَبَ الدهـرِ والـزمـانِ المعـانـدْ
وارتقـوا كيف شئتمُ في المعـالي وأذلّــوا وأهبـطوا كــلَّ حـاســدْ
لـكـمُ فــي أبـي الــعــلاء علوٌّ وصعــودٌ ببـدره التمِّ صـاعــدْ
زاد في عــزكم ومــا زال منكـم كلَّ يومٍ يـزيد في الصِّيـدِ واحد

وكتب من الحبس إلى ابنه المحسّن وهو أكثر من هذا في ترجمة أبيه[2] :

كتبتُ أقيكَ السوءَ من مجلسٍ ضنكِ وعينُ عدوّي رحمةً منـه لي تبكي
وقـد مـلكتـني كـفُّ فظٍّ مـسـلَّطٍ قليلِ التقى ضارٍ على الفتكِ والإفكِ
صَليتُ بنـارِ الهمِّ فـازددت صفـوةً كذا الذهبُ الابريزُ يصفو على السبكِ

(1) لم ترد في ديوانه (ط. القدسي) .
(2) اليتيمة 2 : 294 .

وكتب إلى صديق له من الحبس[1] :

نفسي فداؤك غيرَ معتدّ بها ... إذ قد مللتُ حياتَها وبقاءَها
ولو آن لي مالاً سواها لم أكنْ ... أرضى لنفسك أن تكونَ إزاءَها
لكنْ صغرتُ فلم أجد إلا التي ... قد آن لي أن استطيلَ ذَماءَها
وإذا شكرتَ لمن فداك فإنني ... لك شاكرٌ أنْ قد قبلتَ فداءها
وكأنني المفديّ حين أرحتني ... من نائباتٍ ما أطيقُ لقاءَها

وقال في الحبس[2] :

إذا لم يكن للمرء بدٌ من الردى ... فأسهلُهُ ما جاء والعيشُ أنكدُ
وأصعبُهُ ما جاءه وهو راتعٌ ... تُطيفُ به اللذاتُ والحظُّ مُسْعِدُ
فإن أكُ شرَّ العيشتين أعيشُها ... فإني إلى خير المماتين أقصدُ
وسيانِ يوماً شقوةٌ وسعادةٌ ... إذا كان غباً واحداً لهما الغدُ

كان[3] أبو الحسن محمد بن عبد الله بن سكرة ملازماً لأبي إسحاق ، فتأخر عنه فكتب إليه أبو إسحاق يتعرف خبره ويستبطىء حضوره ، فأجابه :

لستُ ممن يخافُ منكَ حُؤولا ... فألاقيك بكرةً وأصيلا
عزَّ لقيايَ أنَّ عندي نبيذاً ... فإذا ما فني أتيتُ ذليلا

وقال في الشيب[4] :

يقولُ الناسُ لي في الشيب عزٌّ ... يزيدُ به جلالُ المرءِ ضعفا
ولولا أنه ذلٌّ وَهُونٌ ... لما احتكم المزيّنُ فيه نتفا

أخذه من ابن الرومي[5] :

كفاك من ذلتي للشيب حين أتى ... أني تَوليتُ نتفاً لحيتي بيدي

---

(1) المصدر السابق .
(2) اليتيمة 2 : 296 .
(3) هذه الفقرة من المختصر .
(4) اليتيمة 2 : 299 .
(5) البيت في اليتيمة 2 : 299 ؛ وهو في ديوان ابن الرومي 2 : 806 .

وله أيضاً[1] :

وَجَعُ المفاصلِ وهو أيـ ... سرُ ما لقيتُ من الأذى
جعل الذي استحسنتُه ... واليأسَ من حظي كذا
والعمرُ مثلُ الكاسِ ير ... سب في أواخرها القذى

حدَّثَ الرئيسُ أبو الحسن هلال قال : قلت لجدّي أبي إسحاق ـ تجاوز الله عنه ـ وهو يشكو زمانه : يا سيدي ما نحن بحمد الله تعالى إلا في خيرٍ وعافية ، ونعمةٍ كافية ، فما معنى هذه الشكوى التي تواصلها ، ويضيقُ صدرك بها ، ويتَنَغَّصُ عيشك معها ؟ فضحك وقال : يا بني نحن كدود العَسَل قد نقلنا منه إلى الخل ، فهوذا نُحِسُّ بحموضته ونأسى ونحزنُ على ما كنّا فيه من العسل ولذته ، وأنتم كدودِ الخلّ ما ذقتم حلاوةَ غيرِهِ ، ولا رأيتم طلاوةَ ضدِّه .

ولأبي إسحاق من التصانيف : كتاب رسائله وهو مشهور نحو ألف ورقة . كتاب التاجي في أخبار آل بويه . كتاب أخبار أهله . كتاب اختيار شعر المهلبي . كتاب ديوان شعره .

ـ 42 ـ

إبراهيم بن علي الحصري القيرواني الأنصاري : قال ابن رشيق في كتاب « الأنموذج » مات بالمنصورة من أرض القيروان سنة ثلاث عشرة وأربعمائة[2] وقد جاوز الأشد ، قال : وكان شاعراً نقاداً عالماً بتنزيل الكلام وتفصيل النظام ، يحبُّ المجانسةَ

42 ـ ترجمة الحصري في الذخيرة لابن بسام 4/2 : 584 وابن خلكان 1 : 54 والوافي 6 : 61 ومسالك الابصار 11 : 309 (عن الأنموذج) وأنموذج الزمان : 45 وعنوان الأريب 1 : 43 .

(1) اليتيمة 2 : 300 .
(2) كذا ورد هنا نقلاً عن الأنموذج ورجَّحه ابن خلكان من غير تعليل ؛ وقال ابن بسام إنه توفي سنة 453 ونقل الصفدي عن كتاب الجنان لابن الزبير أن الحصري ألف زهر الآداب سنة 450 فإن صحَّ ذلك ، كان ما ذكره ابن بسام في تاريخ وفاته هو الصواب .

والمطابقة ، ويرغبُ في الاستعارة تشبهاً بأبي تمام في أشعاره وتتبعاً لآثاره ، وعنده من الطبع ما لو أرسله على سجيته لجرى جَرْيَ الماءِ ، ورقَّ رقةَ الهواء ، كقوله في بعض مقطعاته[1] :

يا هل بكيتَ كما بكتْ وُرْقُ الحمائمِ في الغصونِ
هتفتْ سُحَيراً والربى للقطرِ رافعةُ العيون
فكأنها صاغتْ على شجوي شجى تلك اللحون
ذكَّرنني عهداً مضى للأُنس منقطعَ القرين
فتصرمتْ أيامه وكأنها رَجْعُ الجفون

وله في الغزل :

كتمتُ هواك حتى عيل صبري وأدنتني مكاتمتي لرمسي
ولم أقدرْ على إخفاءِ حالٍ يحولُ بها الأسى دون التأسي
وحبك مالكٌ لحظي ولفظي وإظهاري وإضماري وحسي
فإن أنطقْ ففيكَ جميعُ نطقي وإن أسكتْ ففيك حديثُ نفسي

وقوله أيضاً[2] :

إني أحبّك حباً ليس يبلغُهُ همّي ولا ينتهي فهمي إلى صِفَتهْ
أقصى نهاية علمي فيه معرفتي بالعجز منيَ عن إدراكِ معرفته

وله تآليف[3] جيدة في ملح الشعر والخبر، قال ابن رشيق[4]: وقد كان أخذ في عمل طبقات الشعراء على رُتَبِ الأسنان وكنتُ أصغرَ القومِ سناً فصنعت :

رفقاً أبا إسحاقَ بالعالم حصلتَ في أضيقَ من خاتمِ
لو كان بالسِّن تُنالُ العلا[5] فُضِّلَ إبليس على آدم

---

(1) نقله الصفدي في الوافي 6 : 62 وهو في المسالك 11 : 311 والأنموذج : 46 وسرور النفس: 99 .
(2) ورد في الذخيرة والوافي والأنموذج .
(3) ر : تصانيف .
(4) ورد في الوافي ؛ وانظر ديوان ابن رشيق : 174 وتمام المتون: 117 .
(5) م : فضل السبق (السنّ) مندوحةً .

فبلغه البيتان فأمسك عنه واعتذر منه ، ومات وقد سُدَّ عليه بابُ الفكرة فيه ولم يصنعْ شيئاً . والذي أعرفُ أنا من تصانيفه : كتاب زهر الآداب . وكتاب النورين[1] اختصره منها ، وهما يتضمنان أخباراً وأشعاراً حساناً . وكتاب المصون والدر المكنون . وله عندي كتاب الجواهر في الملح والنوادر ، كتبه عبد القادر البغدادي[2] .

ـ 43 ـ

إبراهيم بن يحيى بن المبارك بن المغيرة اليزيدي أبو إسحاق بن أبي محمد العدوي : قد ذكر السبب الذي من أجله سمي باليزيدي في خبر أبيه ، وكان إبراهيم عالماً بالأدب شاعراً مجيداً نادَمَ الخلفاء ، وقدم دمشقَ صُحْبَةَ المأمون ، كذا ذكر ابن عساكر في « تاريخ دمشق » . مات فيما ذكره أبو الفرج ابن الجوزي في « كتاب المنتظم » سنة خمس وعشرين ومائتين .

قال ابن عساكر : وكان قد سمع أباه أبا محمد اليزيدي وأبا زيد سعيد بن أوس الأنصاري والأصمعي ، روى عنه أخوه أبو علي إسماعيل بن يحيى بن المبارك وابنا أخيه أحمد وعبيد الله ابنا محمد بن أبي محمد .

قال الخطيب : وهو بصريّ سكن بغداد ، وكان ذا قَدْرٍ وفضلٍ وحظّ وافرٍ من الأدب ، وله كتاب مُصَنَّفٌ يفتخر به اليزيديون وهو « ما اتفق لفظه واختلف معناه » نحو من سبعمائة ورقة ، رواه عنه ابن أخيه عبيد الله بن محمد بن أبي محمد ، وذكر إبراهيم أنه بدأ بعمله وهو ابن سبع عشرة سنة ، ولم يزل يعمله إلى أن أتت عليه ستون سنة . وله كتاب مصادر القرآن ، قال ابن النديم[3] : بلغ فيه إلى سورة الحديد

43 ـ ترجمة إبراهيم اليزيدي في تاريخ بغداد 6 : 209 والأغاني 20 : 217 ونور القبس : 89 ومصورة ابن عساكر 2 : 567 وتهذيبه 2 : 311 وإنباه الرواة 1 : 189 ونزهة الألباء : 114 وطبقات الجزري 1 : 29 والوافي 6 : 165 وبغية الوعاة 1 : 434 . والمقفى 1 : 332 .

(1) هو نَوْر الظرف ونُور الطرف .

(2) هذه العبارة تستوقف النظر . فإذا كان عبد القادر هو صاحب الخزانة فهي جملة مزيدة ألحقها بعض المعلقين . وقد طبع الكتاب باسم « جمع الجواهر » .

(3) الفهرست : 56 .

ومات . وكتاب في بناء الكعبة وأخبارها . وكتاب النقط والشكل . وله كتاب المقصور والممدود .

حدث ابن عساكر(1) في تاريخه بإسناد رفعه إلى إبراهيم بن أبي أحمد عن أبيه قال : كنت مع أبي عمرو بن العلاء في مجلس إبراهيم بن عبد الله بن حسن بن حسن بن علي بن أبي طالب عليه السلام ، فسأل عن رجل من أصحابه فقده ، فقال لبعض من حضره : اذهبْ فاسأل عنه ، فرجع فقال : تركته يريد أن يموت ، فضحك منه بعضُ القوم وقال : في الدنيا إنسان يريدُ أن يموت ؟! فقال إبراهيم : لقد ضحكتم منها عربيةً إذ يريد هاهنا بمعنى يكاد قال اللّه تعالى : ﴿ يُرِيدُ أَنْ يَنْقَضَّ ﴾ (الكهف: 77) قال : فقال أبو عمرو بن العلاء : لا نزال بخيرٍ ما دام فينا مثلك .

وحدث أيضاً قال ، قال إبراهيم اليزيدي : كنت يوماً عند المأمون وليس معنا إلا المعتصم ، قال : فذكر كلاماً فلم أحتمله منه ـ يعني من المعتصم ـ وأجبته ، قال : فأخفى ذلك المأمون ولم يظهره ذلك الإظهار ، فلما صرتُ من غدٍ إلى المأمون كما كنتُ أصير قال لي الحاجب : أُمرت أن لا آذن لك ، فدعوت بدواةٍ وقرطاس فكتبت(2) :

أنا المذنبُ الخطّاءُ والعفوُ واسعٌ ... ولو لم يكنْ ذنبٌ لما عُرِفَ العفوُ
سكرتُ فأبدتْ منّيَ الكاسُ بعضَ ما ... كرهتُ وما إن يستوي السكر والصحو
ولا سيما إذ كنتُ عند خليفةٍ ... وفي مجلسٍ ما إن يليق به اللغو
ولولا حميّا الكاسِ كان احتمالُ ما ... بدهتُ به لا شكَّ فيه هو السرو
تنصَّلْتُ من ذنبي تنصُّلَ ضارعٍ ... إلى من لديه(3) يُغْفَرُ العَمْدُ والسَّهو
فإن تعفُ عني أُلْفِ(4) خطويَ واسعاً ... وإلا يكنْ عفوٌ فقد قَصُرَ الخطو

(1) نقل السيوطي هذه القصة في الأشباه والنظائر 6 : 189 عن ياقوت .
(2) الأبيات في الأغاني وابن عساكر والوافي والإنباه ونور القبس والمقفى .
(3) ابن عساكر : إليه .
(4) م ر: تلفِ .

قال : فأدخلها الحاجب ثم خرج إليّ فأدخلني ، فمدَّ المأمون باعيه فأكببت على يديه أقبلهما[1] فضمني إليه وأجلسني .

قال المرزباني : إن المأمون وقَّع على ظهر هذه الأبيات :

إنما مجلسُ الندامى بساطٌ ... للمودات بينهم وَضَعُوهُ

فإذا ما انتهوا إلى ما أرادوا ... من حديثٍ ولذةٍ رفعوه

وحدث أبو الفرج الأصبهاني في كتابه[2] ورفعه إلى إبراهيم بن اليزيدي قال : كنتُ مع المأمونِ في بلد الروم ، فبينا أنا أسير في ليلةٍ مظلمةٍ شاتيةٍ ذات غيم وريح وإلى جانبي قبة إذ برقتْ بارقة[3] فإذا في القبة عريب المغنية جارية المأمون ، فقالت : إبراهيم بن اليزيدي ؟ فقلت : لبيكِ ، فقالت : قل في هذا البرق أبياتاً أغني فيها ، فقلت :

ماذا بقلبي من أليمِ الخفقِ ... إذا رأيتُ لمعانَ البرقِ

من قِبَلِ الأردنِّ أو دمشقِ ... لأنَّ من أهوى بذاك الأفق

فارقتُهُ وهو أعزُّ الخلق ... عليّ والزُّورُ خلافُ الحق

ذاك الذي يملك منّي رقّي ... ولستُ أبغي ما حييتُ عتقي

فتنفَّسَتْ نَفَساً ظننتُ أنه قد قطع حيازيمها ، فقلت : ويحكِ على من هذا ؟! فضحكتْ وقالت : على الوطن ، فقلت : هيهات ليس هذا كله للوطن ، فقالت : ويحك أفتراك ظننتَ أنك تستفزني ؟ والله لقد نظرتُ نظرةً مريبةً في مجلس فادعاها أكثرُ من ثلاثين رئيساً ، والله ما علم أحدٌ منهم لمن كانت إلى هذا الوقت .

ووجدتُ في بعض الكتب أن إبراهيم اليزيديّ دخل يوماً على المأمون وعنده يحيى بن أكثم القاضي ، فأقبل يحيى على إبراهيم يمازحه وهم على الشراب ، فقال له فيما قال : ما بال المعلمين ينيكون الصبيان ؟ فرفع إبراهيم رأسه فإذا المأمون يحرّض

---

(1) م وابن عساكر : فقبلتهما ، وما هنا رواية ر .

(2) الأغاني 22 : 217 ونقله ابن عساكر . والمقريزي .

(3) ابن عساكر : برقة .

يحيى على العبث به ، فغاظ ذلك إبراهيم ، فقال : أمير المؤمنين أعلم خلقِ الله بهذا ، فإن أبي أدبه ، فقام المأمونُ من مجلسه مُغْضَباً ، ورُفِعَتِ الملاهي وكلّ ما كان بحضرته . فأقبل يحيى بن أكثم على إبراهيم فقال له : أتدري ما خرج من رأسك ؟ إني لأرى هذه الكلمة سبباً في انقراضكم يا آل اليزيدي ، قال إبراهيم : فزال عني السكر وسألتُ من أحْضَر لي دواةً ورقعةً فأحضرهما وكتبت إليه معتذراً بقولي :

* أنا المذنبُ الخطَّاءُ والعفوُ واسع *

الأبيات المتقدمة ، قال : فرضي وعفا عنه .

قال إبراهيم[1] :وكنت يوماً بحضرة المأمون فقالت لي عريب على سبيل الولع : يا سلعوس ، قال : وكان من يريدُ العبثَ بإبراهيم لقبه سلعوس ، قال إبراهيم : فقلت لها :

قلْ لعَريبٍ لا تكوني مُسَلْعسهْ وكوني كتتريفٍ وكوني كمؤنِسَهْ

هذه أسماء جواري المأمون ، قال : فقال المأمون على الفور :

فإن كثرتْ منكِ الأقاويلُ لم يكن هنالك شكٌّ أنَّ ذلك وسوسَهْ

فقال إبراهيم : كذا والله يا أمير المؤمنين قَدَّرت ، وإياه أردت ، وعجبتُ من فطنة المأمون وذهنه .

- 44 -

الأثرم الفابجاني الأصبهاني : ذكره في « كتاب أصبهان » فقال : كان أحدَ

---

44 - ورد في الفهرست : 62 من اسمه علي بن المغيرة الاثرم ، وكنيته أبو الحسن ، وقال فيه : روى عن جماعة من العلماء وعن فصحاء الأعراب وروى كتب أبي عبيدة والأصمعي ؛ وقد وردت ترجمته في مصادر أخرى ؛ وهذا الأثرم الاصبهاني - في تقديري - شخص آخر ، لأن المؤلف نفسه سيترجم لعلي بن المغيرة في العليين (رقم : 838) ولهذا أرى أن مرغوليوث قد وهم في الاشارة إلى عليّ هذا وبذلك ضلّل ناشري الطبعة المصرية ، وفابجان من قرى أصبهان .

---

(1) الأغاني 22 : 225 .

علماء اللغة وممن جال بلدانَ العراقِ يجمعُ اللغةَ والشعرَ وتصحيحهما من علمائهما .

- 45 -

أحمد بن أبان بن سيِّد اللغوي الأندلسي : أخذ عن أبي علي القالي وغيره من علماء بلاده ، وكان عالماً حاذقاً أديباً ، مات فيما ذكره أبو القاسم خلف بن عبد الملك بن بشكوال القرطبي في تاريخه[1] في سنة اثنتين وثمانين وثلاثمائة وكان يعرف بصاحب الشرطة .

قال أبو نصر الحميدي في آخر كتابه[2] في باب من يعرف بأحد آبائه : ابن سيد إمام في اللغة والعربية ، وكان في أيام الحكم المستنصر ، وهو مصنف كتاب العالم في اللغة في نحو مائة مجلد ، مرتب على الأجناس ، بدأ بالفلك وختم بالذرة . وله في العربية كتاب العالم والمتعلم على المسألة والجواب ، وكتاب شرح كتاب الأخفش ، وله غير ذلك . ذكره أبو محمد علي بن أحمد[3] وأثنى عليه ولم يسمّه لنا ، ولعله أحمد بن أبان بن سيد المذكور في بابه .

- 46 -

أحمد بن إبراهيم بن إسماعيل بن داود بن حمدون النديم أبو عبد الله :

---

45 ـ ترجمة ابن سيد في إنباه الرواة 1 : 30 والوافي 6 : 198 وبغية الوعاة 1 : 291 (وانظر الاشارات التالية إلى المصادر التي ينقل عنها المؤلف) . ولم ترد الترجمة في المختصر .

46 ـ ترجمة ابن حمدون النديم في إنباه الرواة 1 : 25 والوافي 6 : 209 وبغية الوعاة 1 : 291 .

....

(1) الصلة : 7 .

(2) جذوة المقتبس : 11 ، 381 .

(3) هو ابن حزم الظاهري أستاذ الحميدي وعنه كثير من مرويات الجذوة؛ وقد جرى ذكر ابن حزم لابن سيد في رسالته في فضل الأندلس (رسائل ابن حزم 2 : 182) حيث قال ذاكراً أهم كتب اللغة التي ألفها الأندلسيون ، « ومنها كتاب أحمد بن أبان بن سيد في اللغة المعروف بكتاب العالم نحو مائة سفر على الأجناس في غاية الايعاب بدأ بالفلك وختم بالذرة » .

ذكره أبو جعفر الطوسي في « مصنفي الإمامية »[1] وقال : هو شيخ أهل اللغة ووجههم ، وأستاذ أبي العباس ثعلب ، قرأ عليه قبل ابن الأعرابي وتخرَّج به مديدة[2] ، وكان خصيصاً بأبي محمد الحسن بن علي[3] عليهما السلام وأبي الحسن قبله ، وله معه مسائل وأخبار .

وله كتب منها : كتاب أسماء الجبال والمياه والأودية . كتاب بني مرة بن عوف . كتاب بني نمر بن قاسط . كتاب بني عقيل . كتاب بني عبد الله بن غطفان . كتاب طيء . كتاب شعر العجير السلولي وصنعته . كتاب شعر ثابت قطنة .

قال الشابشتي[4] وكان خصيصاً بالمتوكل ونديماً له ، وأنكر منه المتوكل ما أوجب نفيه عن بغداد ثم قطع أذنه ، وكان السبب في ذلك أن الفتح بن خاقان كان يعشق شاهك خادم المتوكل ، واشتهر الأمرُ فيه حتى بلغه ، وله فيه أشعار ذكرت بعضها في ترجمة الفتح ، وكان أبو عبد الله يسعى فيما يحبّه الفتح ، ونمي الخبر إلى المتوكل فاستدعى أبا عبد اللّه وقال له: إنما أردتك وأدنيتك لتنادمني ليس لتقودَ على غلماني، فأنكر ذلك وحلف يميناً حنثَ فيها، فطلّق من كانت حرةً من نسائه، وأعتق من كان مملوكاً ولزمه حجُّ ثلاثين سنة فكان يحج في كلِّ عام . قال : فأمر المتوكل بنفيه إلى تكريت فأقام فيها أياماً ، ثم جاءه زرافةُ[5] في الليل على البريد فبلّغه ذلك ، فظنَّ أن المتوكلَ لما شرب بالليل وسكر أمر بقتله ، فاستسلم لأمر اللّه ، فلما دخل إليه قال له : قد جئتك في شيءٍ ما كنتُ أحبّ أن أخرجَ[6] في مثله ، قال : وما هو؟ قال : أمير المؤمنين أمر بقطع أذنك ، وقال قل له : لستُ أعاملك إلا كما يعامَلُ الفتيان ، فرأى ذلك هيناً في جنب ما كان توهّمه من إذهاب مهجته[7] فقطع غضروفَ أذنه من خارج

(1) فهرس الطوسي : 20 (كلكتا) 55 (بيروت) .
(2) كذا في الوافي ، وفي م والطوسي : وتخرج من يده .
(3) يعني به الحسن العسكري .
(4) قصة نفي المتوكل له تجدها في الديارات : 6 وما بعدها .
(5) زرافة : اسم سياف المتوكل .
(6) ر والديارات : أجيء .
(7) الديارات : فرأى ذلك أسهل مما ظنه من القتل .

ولم يَسْتَقْصِهِ ، وجعله في كافور كان معه وانصرف به ، وبقي منفياً مدة ، ثم أحدر إلى بغداد فأقام بمنزله مدة . قال أبو عبد الله : فلقيت إسحاق بن إبراهيم الموصلي ثَمَّ لما كُفَّ بصره ، فسألني عن أخبار الناس والسلطان فأخبرته ، ثم شكوتُ إليه غمي بقطع أذني ، فجعل يسلّيني ويعزيني ، ثم قال لي : من المتقدم اليومَ عند أميرِ المؤمنين الخاصُّ من ندمائه ؟ قلت : محمد بن عمر البازيار ، قال : مَنْ هذا الرجل وما مقدارُ علمه وأدبه ؟ فقلت : أما أدبه فلا أدري ، ولكني أخبرك بما سمعت منه منذ قريب : حضرنا الدارَ يومَ عَقَدَ المتوكل لأولاده الثلاثة ، فدخل مروان بن أبي الجنوب بن أبي حفصة فأنشده قصيدته التي يقول فيها[1] :

بيضــاءُ في وَجَنــاتهــا   وردٌ فكيفَ لنــا بشمِّـه

فَسُرَّ المتوكل بذلك سروراً كثيراً شديداً ، وأمر فنثر عليه بَدْرَةُ دنانير وأن تُلْقَطَ وتطرَح[2] في حجره ، وأمره بالجلوس وعقدَ له على اليمامة والبحرين ، فقال : يا أمير المؤمنين ما رأيتُ كاليوم ولا أرى ، أبقاك اللّه مـا دامت السماوات والأرض ، فقـال محمد بن عمر : هذا بعد عمر طويل إن شاء اللّه[3] . قال له : فما بلغك من أدبه ؟ فقال : أكثر ما يقول للخليفة أبقاك اللّه يا أمير المؤمنين إلى يوم القيامة وبعد القيامة بشيء كثير . فقال إسحاق : ويلك جزعتَ على أذنك وَغَمَّكَ قَطْعُها ، لمَ ؟ حتى تسمعَ مثل هذا الكلام ؟ ثم قال : لو أن لك مَكّوك آذان أيش كان ينفعك مع هؤلاء ؟!

قال : ثم أعاده المتوكل إلى خدمته ، وكان إذا دعا به قال له : يا عبيد على جهة المزاح . وقال له يوماً : هل لك في جارية أهبها لك فأكبرَ ذلك وأنكره ، فوهب له جاريةً يقال لها «صاحب» من جواريه حسنةً كاملة إلا أن بعضَ الخدم ردَّ الطشتَ[4] على فمها وقد أرادت أن ترميه فصدَعَ ثنيَّتها فاسودَّتْ فشانها ذلك عنده ، وحمل كلَّ ما كان لهـا وكان شيئـاً كثيراً عـظيماً ، فلما مات أبـو عبـد اللّه تـزوجت « صـاحبُ » بعضَ

(1) هذا البيت مما فات جامع ديوانه .

(2) ر : وتترك .

(3) زاد هنا في م : وقبل .

(4) الديارات : السبطانة ، وهي من آلات الصيد .

العلويين ، قال علي بن يحيى بن المنجم فرأيته في النوم وهو يقول :

أيــا عليُّ مـا تــرى العجــائبــا أصبح جسمي في الترابِ غـائبا

واستبدَلَتْ صاحبُ بعدي صاحبا

ومن شعر أبي عبد اللّه يعاتب فيه علي بن يحيى(1) :

من عــذيــري من أبي حسنٍ حين يـجفــونـي ويصــرمـني

كــان لـي خِــلاً وكنتُ لــه كـامتـزاجِ الــروحِ بـالبــدن

فــوشــى واشٍ فــغـيَّـره وعـليــه كــان يـحــســدنــي

إنــمــا يــزداد مــعــرفــةً بــودادي حـين يـفـقــدنــي

قال : واتصل بنجاح بن سلمة(2) أن أبـا عبد اللّه ابن حمـدون يذكـره بحضرة المتوكل ويتنادر به، فلقيه نجاح يوماً فقال له: يا أبا عبد الله قد بلغني ذكرك لي بغير الجميل في حضرة أمير المؤمنين ، أتحبُّ أن أُنهي إليه قولَكَ إذا خلوتَ : « أتراني أحبه وقد فعل بي ما فعل ؟! واللّه ما وضعتُ يدي على أُذني الا تجدَّدَتْ له عندي بغضَةٌ » ، فقال ابن حمدون : الطلاقُ لـه لازم إن كان قال هذا قط ، وامرأته طالقٌ إن ذكره بغير ما يحبه أبداً .

وكان(3) أبوه إبراهيم ـ وأظنّ أنه الملقب بحمدون ـ ينادمُ المعتصمَ ثم الـواثقَ بعده ، وكان يعابث المتوكل في أيام أخيه الواثق ، وجاءه مرّةً بحيّةٍ وأخرج رأسها من كمه تعريضاً بأمّه شجاع ، وكان ذلك يعجب الواثق . ولما مات الواثق نادم حمدون المتوكلَ ، فلما كان في بعض الأيام أمر المتوكل باحضار « فريدة » جارية أخيه الواثق ، فأُحضرت مُكْرَهةً وَدُفِعَ إليها عودٌ فغنَّت غناءً كالنَّدْبة ، فغضب المتوكل وأمرها أن تغني غناء ، فغنَّتْ بتحزّنٍ وشجىً ، فزاد ذلك في طيب غنائها ، فوجم حمدون للرقة التي تداخلته ، فغضب المتوكل ورأى أنه فعل ذلك بسبب أخيه الواثق حزناً عليه ، وكان

(1) ورد الشعر في الديارات .

(2) نجاح أحد كتاب الدولة العباسية ، قتل سنة 245 (انظر فهرست تاريخ الطبري) والنصّ في الديارات .

(3) النقل عن الديارات : 11 .

يُبغض كلَّ مَنْ مال إليه ، فأمر بنَفْيِهِ إلى السندِ وَضَرْبِهِ ثلاثمائة سوط، فسأل أن يكونَ الضربُ من فوق الثياب لضعفه عن ذلك ، فأُجيب إلى ذلك ، وأقام منفياً ثلاث سنين ، وتزوج المتوكل « فريدة » بعد ذلك فولدت له ابنه أبا الحسن .

وحدث حمدون بن إسماعيل قال : دعاني المعتصم يوماً فدخلتُ إليه وهو في بعض مجالسه ، وإلى جنبه بابٌ صغير ، فحادثته ملياً إلى أن رأيتُ الباب قد حُـرِّكَ وخرجتْ منه جاريةٌ بيضاء مقدودةُ حسنة الوجه ، وبيدها رطلٌ وعلى عنقها منديـل ، فأخذ الرطلَ من يدها فشربه ، ثم قال : اخرج يا حمدون ، فخرجتُ فكنتُ في دهليز الحجرة ، فلم ألبث أن دعاني ، فدخلت وهو جالس على حاله ، فحادثته ملياً ثم حرك ذلك الباب فخرجت جارية كأحسن ما يكونُ من النساءِ سمراءُ رقيقة اللون بيدها رطل ، فأخذه وشربه ، وقال : ارجع إلى مكانك ، فخرجت فلبثت ساعةً هناك ، ثم دعاني فأتيته وحادثته ساعة ، وحرك الباب فخرجت أحسن الثلاث بيدها رطل ومعها منديل ، فأخذ الرطل فشربه ، وقال : ارجعْ إلى مكانك ، فخرجت فلبثت ساعة ، ثم دعاني فدخلت فقال لي : أتعرف هؤلاء ؟ قلت : معاذَ اللّه أن أعرفَ أحداً ممن هو داخلَ دار أمير المؤمنين ، فقال : إحداهن ابنة بابك الخرّمي ، والأخرى ابنة المازيار، والثالثة ابنة بطريق عمورية ، افترعتهن الساعة ، وهذا نهاية الملك يا حمدون .

وأما أبو محمد ابن حمدون فذكر جحظة أن مولده في سنة سبع وثلاثين ومائتين ، وتوفي ببغداد في رمضان سنة تسع وثلاثمائة ، ونادم المعتمد وَخُصَّ به وكان من ثقاته المتقدمين عنده ، وله معه أخبار . وأما أبو العنبس بن أبي عبد اللّه بن حمدون أحد المشهـورين بجودةِ الغنـاء والصنعـة فيـه ، وابنـه إبـراهيم بن أبي العنبس أيضـاً من المجيدين في الغناء وشجاء الصوت ، فهؤلاء المعـروفون بمنـادمة الخلفـاءِ من بني حمدون .

وحدث أحمد بن أبي طاهر أن ابن حمدون النديم حدثه أن الواثق باللّه بسط جُلّاسه وأمرهم أن لا ينقبضوا في مجلسه وأن يُجْروا النادرةَ على ما اتفقتْ عليه غير محتشمين ، وان اتفق وقوعها عليه احتمل ، قال : فغبرنا على ذلك مدةً ، وكان على إحدى عيني الواثق نكتةُ بياض ، فلما كان في بعض الأيام أنشد الواثق أبيات أبي حية النميري :

نـظرتُ كـأني من وراءِ زجـاجـةٍ إلى الدار من فرط[1] الصبابةِ أنظرُ

فقلت : وإلى غيرِ الدار يا أمير المؤمنين ، فتبسم ثم قال لوزيره : قد قابلني هذا الرجل بما لا أُطيقُ أن أنظر إليه بعدها فآنظر كم مبلغُ جاريه وجرايته وأرزاقِهِ وصلاته فاجمعها ، وأَقْطِعْهُ بها إقطاعاً بالأهواز ، وأَخْرِجْهُ إليها ليبعـدَ عن ناظـري ، ففعل . قال : وأُخْرِجْتُ إليها وتبيَّغَ[2] بي الدم ، فالتمستُ حجاماً كان في خدمتي ، فقيل لم يخرجْ في الصحبة لعلّةٍ لحقته ، فقلت : التمسوا حجاماً نظيفاً حاذقاً وتقدموا إليه بقلّة الكلام وَتَرْكِ الانبساط ، فأتوني بشيخ حَسَنٍ على غاية النظافة وطيبِ الريح ، فجلس بين يديَّ وأخذ الغلامُ المرآة ، فلما أخذ في إصلاح وجهي قلت له : اترك في هذا الموضع واحذفْ في هذا الموضع وعدِّلْ هذه الشعرات وسرِّحْ هذا المكان ، وأطلتُ الكـلامَ وهو سـاكت ، فلما قعـد للحجـامـة قلت لـه : اشـرطْ في الجـانب الأيمن اثنتي عشرة شرطةً ، وفي الجانب الأيسر أربع عشرة شرطة ، فإن الـدَم في الجانب الأيسر أقلُّ منه في الأيمن ، لأن الكبدَ في الأيمن والحرارةُ هناك أوفر والدمُ أغزر ، فإذا زدتَ في شرط الأيمن اعتدل خروجُ الدم من الجانبين ، ففعل وهو مع ذلك ساكت ، فعجبتُ من صمته وقلت للغلام : ادفع إليه ديناراً ، فدفعه إليه فردّه ، فقلت : استقلّه ولعمري إن العيونَ إلى مثلي ممتـدة والطمـعَ مستحكم في نديم الخليفـة وصاحب إقطاعه ، أَعطِهِ ديناراً آخر ، ففعل فردَّهما وأبى أن يأخذهما ، فاغتظتُ وقلت : قبحك اللّه أنت حجّام سَوَادٍ ، وأكثرُ من يجلسُ بين يديك يدفـعُ لك نصفَ درهـم ، وأنت تستقلّ ما دفعت اليك ؟! فقال : وحقك ما رَدَدْتُها استقلالاً ، ولكن نحن أهلُ صناعةٍ واحدة ، وأنت أحذقُ منّي وما كان اللّه ليراني وأنا آخذ من أهل صناعتي أجرةً أبداً ، فأخجلني وانصرف ولم يأخذ شيئاً . فلما كان في العام القابل خرجتُ لمثل ما خرجتُ إليه في العام الماضي واحتجتُ إلى نقص الدم ، فقلت لغلامي : اذهب فجئنا بذلك الحجام فقد عرف الخدمةَ ، وقد انصرف تلك الدفعةَ ولم يأخذ شيئاً ، ولعله أيضاً قد نسيها فيقعُ بِرُّنا منه على حاجةٍ منه إليه ، قال : فلمـا جلس بين يديَّ أصلح وجهي الإصلاحَ الذي كنتُ أوقفته عليه وحجمني أحسنَ حجامة فلما فرغ قلت : سبحان اللّه

(1) م : ماءِ .

(2) تبيغ به الدم وتبوغ : هاج .

أنت صانع سَوَادٍ ، فمن أين لك هذا الحذقُ بهذه الصنعة ؟ فقال : وحقّكَ ما كنتُ أُحْسِنُ من هذا شيئاً ، ولكنَّ حجام الخليفة اجتاز بنا بهذا الموضع في العام الماضي فتعلمتُ منه هذا ، فضحكت منه وأمرتُ له بثلاثين ديناراً مع ما تمَّ له من معاريض كلامه في الدفعتين جميعاً .

وأنشد جحظة في أماليه لنفسه يرثي حمدون النديم ، كذا قال ولم يعينه :

أيَعْذُبُ من بعدِ ابن حمدونَ مَشْرَبُ ... لقد كُدِّرَتْ بعد الصفاءِ المشاربُ
أُصبنا به فاستأسد الضَّبْعُ بعده ... وَدَبَّتْ إلينا من أُناس عقاربُ
وقطَّب وجهُ الدهرِ بعد وفاته ... فمن أيِّ وجهٍ جئتَهُ فهو قاطبُ
بمن ألجُ البابَ السديدَ حجابُهُ ... إذا ازدحمت يوماً عليه المواكبُ
بمن أبلغُ الغاياتِ(1) أم من بجاهه ... أنال وأحوي كلَّ ما أنا طالبُ
فأصبحت حِلْفَ البيتِ خَلْفَ جداره ... وبالأمرِ مني تستعيذ النجائبُ

وقال جحظة في أبي جعفر ابن حمدون ، ولا أعرفه إلا أنه كذا أورده في أماليه :

أبا جعفر لا تنالُ العلا ... بتيهك في المجلسِ الحاشدِ
ولا بغلامٍ كبدرِ التمام ... رُكِّبَ في غُصُنٍ مائدِ
ولا بازيارٍ إذا ما أتاك ... يخطِرُ بالزرَّقِ الصائدِ(2)
فكيف وما لك من شاكرٍ ... وكيف وما لَكَ من حامدِ
أتذكر إذ أنت تحت الزمان ... وحيداً بلا درهمٍ واحدِ

وتحدَّث جحظة في أماليه قال ، قال لي أبو عبد الله ابن حمدون : حسبت ما وصلني به المتوكل في مدة خلافته وهي أربع عشر سنة وشهور فوجدته ثلاثمائة وستين ألف دينار ، ونظرتُ فيما وصلني به المستعين في مدة خلافته وهي ثلاث سنين ونيف فكان أكثر مما وصلني به المتوكل ، ثم خلع المستعين وحدر إلى واسط وَمُنِعَ من كلِّ شيءٍ الا القوت ، فاشتهى نبيذاً فخرجتْ دايتُهُ إلى أهل واسط فتشكَّتْ ذلك اليهم ،

(1) الوافي : العلياء .

(2) م : بالذر والصائد .

فقال لها رجلٌ من التجار : له عندي كلَّ يوم خمسة أرطال نبيذ دوشاب ، فكانت تمضي إليه في كلِّ يوم فتجيئه به سراً إلى أن حُمِلَ من واسط فقتل بالقاطول .

ـ 47 ـ

أحمد بن إبراهيم بن أبي عاصم اللؤلؤي [قال] أبو بكر الزبيدي : ومن نحاة القيروان ابن أبي عاصم وكان من العلماء النقاد في العربية والغريب والنحو والحفظ والقيام بشرح أكثر دواوين العرب . مات فيما ذكره الزبيدي سنة ثماني عشرة وثلاثمائة وله ست وأربعون سنة . وكان كثير الملازمة لأبي محمد المكفوف النحوي[1] وعنه أخذ ، وكان صادقاً في علمه وبيانه لما يسأل عنه[2] ، وله تأليف في الضاد والظاء حسن بين[3] ، وكان شاعراً مجيداً ، وكان أبوه موسراً فلم يكن يمدح أحداً لمجازاةٍ ، وترك الشعرَ في آخر عمره وأقبل على طَلَبِ الحديثِ والفقه ، وهو القائل :

أيا طَلَلَ الحيِّ الذين تحملوا ... بوادي الغضا كيف الأَحبَّةُ والحالُ
وكيف قضيبُ البانِ والقمرُ الذي ... بوجنته ماءُ الملاحةِ سيَّالُ[4]
كأنْ لم تَدُرْ ما بيننا ذهبيةٌ ... عَبِيريَّةُ الأنفاسِ عذراءُ سلسالُ
ولم أتوسَّدْ ناعماً بطنَ كفِّه ... ولم يحوِ جسمينا مع الليل سربالُ
فبانت به عنِّي ولم أدرِ بغتةً ... طوارقُ صَرْفِ البينِ والبينُ مغتالُ[5]
فلما استقلَّتْ ظُعْنُهُمْ وحدوجُهُمْ ... دعوتُ ودمعُ العينِ في الخدِّ هطالُ

47 ـ ترجمة اللؤلؤي في إنباه الرواة 1 : 27 والوافي 6 : 198 وبغية الوعاة 1 : 293 ، وطبقات الزبيدي : 243 وذكره باسم « أبو بكر بن إبراهيم بن أبي عاصم » .

(1) يعني عبد الله بن محمود المكفوف ، وقد تقدم ذكره .
(2) الزبيدي : حسن البيان لما يسأل عنه .
(3) الزبيدي : حسنه وبينه .
(4) الزبيدي : يختال .
(5) الزبيدي : قتّال .

«حُرِمْتَ منايَ منك(1) إن كانَ ذا الذي تقوِّله الواشون عني كما قالوا»

وهذا البيت الأخير تضمين من أبيات لها قصة أنا ذاكرها : ذكر أبو الفرج علي بن الحسين في كتابه(2) قال : كان عبد الله بن محمد القاضي المعروف بالخلنجي ابن أختِ علويه المغني ، وكان تيّاهاً صلفاً ، فتقلَّد في خلافة الأمين قضاءَ الشرقية ، وكان يجلسُ إلى أسطوانة من أساطين الجامع فيستندُ إليها بجميع بدنه ولا يتحرك ، فإذا تقدَّم إليه الخصمان أقبلَ عليهما بجميع جسده ، وترك الاستناد حتى يفصلَ بينهما ثم يعود لحاله ، وعمد بعضُ المجّان إلى رقعة من الرقاع التي تكتب فيها الدعاوَى فألصقها في موضع دنّيته بالدِّبْقِ ، فلما جلس الخلنجيّ إلى السارية وتمكَّنَ منها وتقدم إليه الخصوم وأقبل إليهم بجميع جسده كما كان يفعل انكشف رأسه وبقيت الدنيّة موضعها مصلوبة ملتصقةً ، فقام الخلنجيّ مغضباً وعلم أنها حيلةٌ عليه وقعت ، فغطّى رأسه بطيلسانه وتركها مكانها حتى جاء بعضُ أصحابه فأخذها ، فقال بعض شعراء عصره :

إن الخلنجيَّ من تتايهه أثقلُ بادٍ لنا بطلعتِهِ
ما تيهُ ذي نخوةٍ(3) مناسبه بين أخاوينه وَقَصْعَتِهِ
يصالح الخصمَ مَنْ يخاصمه خوفاً من الجور في قضيتِهِ
لو لم تدبِّقه كفُّ قانصه لطار فيها على رعيتِهِ

واشتهرت الأبيات والقصة ببغداد ، وعمل لها علويه حكاية أعطاها الزفّانين والمخنثين فأخرجوه فيها ، وكان علويه يعاديه لمنازعة كانت بينهما ففضحه ، واستعفى الخلنجي من القضاء ببغداد ، وسأل أن يُوَلّى بعضَ الكور البعيدة ، فولّي جندَ دمشق أو حمص ، فلما ولي المأمون الخلافة غناه علويه بشعر الخلنجي وهو :

برئتُ من الإسلام إن كان ذا الذي تقوّله الواشون عنّي كما قالوا

(1) الزبيدي : سقيت نجيع السمّ .
(2) انظر الأغاني 11 : 318 ـ 320 وبعضه في كتاب بغداد : 152 .
(3) الأغاني : ما إن لذي نخوة .

ولكنّهمْ لما رأوكِ غريّةً بهجري تساعَوْا[1] بالنميمة واحتالوا
فقد صرتِ أذناً للوشاةِ سميعةً ينالون من عرضي ولو شئتِ ما نالوا

فقال له المأمون : من يقول هذا الشعر ؟ قال : قاضي دمشق ، فأمر المأمون بإحضاره فكتب إلى والي دمشق بإحضاره[2] فأشخص ، وجلس المأمون للشرب ، وأحضر علويه ودعا بالقاضي . فقال له : أنشدني قولك :

برئتُ من الإسلام إن كان ذا الذي تقوّله الواشون عنّي كما قالوا

فقال : يا أمير المؤمنين هذا شيء قلته منذ أربعين سنة وأنا صبي ، والذي أكرمك بالخلافة وَوَرَّثَكَ ميراثَ النبوة ما قلتُ شعراً منذ أكثر من عشرين سنة إلا في زهد أو عتاب صديق ، فقال له : اجلس فجلس ، فناوله قدحاً من نبيذ كان في يده ، فقال : يا أمير المؤمنين ما غَيَّرْتُ الماءَ بشيءٍ قطّ مما يختلف في تحليله ، فقال : لعلك تريد نبيذَ التمر أو الزبيب ، فقال : لا واللّه يا أمير المؤمنين ما أعرفُ شيئاً منها ، فأخذ القدحَ من يده وقال : أما والله لو شربتَ هذا لضربتُ عنقك ، ولقد ظننتُ أنك صادقٌ في قولك كلِّه ، ولكن لا يتولى لي [القضاء] أبداً رجلٌ بدأ في قوله بالبراءة من الإسلام ، انصرفْ إلى منزلك ، وأمر علويه أن يغير ذلك ويقول :

* حُرِمْتُ منايَ منكَ إن كان ذا الذي *

ـ 48 ـ

أحمد بن إبراهيم بن محمد بن عبد الله بن الحسن الفارسي أبو حامد المقرىء الأديب نزيل نيسابور : جمع في القراءات مصنفات كثيرة . قال الحاكم :

48 ـ ترجمته في الوافي 6 : 211 (عن ياقوت) .

(1) الأغاني : تواصوا .
(2) الأغاني : باشخاصه .

وكان من العباد ، أقام في منزل أبي إسحاق المزكي سنين لتأديب أولاده وحفظ سماعاتهم عليهم . سمع في بلده من أصحاب أبي الأشعث وعمر بن شبة وأقرانهم ، مات بنيسابور سنة ست وأربعين وثلاثمائة[1] .

قال الحاكم : حدثني أبو حامد الفارسي قال حدثنا أبو الحسين ابن زكريا قال : كنت عند أبي بكر محمد بن داود بن علي الأصبهاني الفقيه وهو يكتب إلى بعض إخوانه بهذه الأبيات :

جُعِلْتُ فِداكَ قد طال اشتياقي ... وليس تزيدني إلا مِطالا
كتبتُ إليك أستدعي نوالاً ... فلم تكتب إليَّ نعم ولا لا
نصحتُ لكم حذاراً أن تعابوا ... فعادَ عليَّ نصحكمُ وبالا
سأصبرُ إن أطعت الصبرَ حتى ... يملَّ الصبر أو تهوى الوصالا

- 49 -

أحمد بن إبراهيم بن معلى بن أسد العمّي أبو بشر : ذكره أبو جعفر الطوسي في « مصنفي الإمامية » قال : والعمّ هو مرة بن مالك بن حنظلة بن زيد مناة ، وهو ممن دخل في تنوخ بالحلف وسكنوا الأهواز ، وكان مستملي أبي أحمد الجلودي ، وسمع كتبه كلها ورواها ، وكان ثقة في حديثه حسن التصنيف، وأكثر الروايةَ عن العامة والاخباريين ، وكان جده المعلّى بن أسد من أصحاب صاحب الزنج المختصين به ، وروى عنه وعن عمه أسد بن المعلى أخبارَ صاحبِ الزنج ، وله تصانيف منها : كتاب التاريخ الكبير . كتاب التاريخ الصغير . كتاب مناقب علي عليه السلام . كتاب أخبار صاحب الزنج . كتاب الفرق وهو كتاب حسن غريب . كتاب أخبار السيد الحميري . شعر [السيد الحميري][2] . كتاب عجائب العالم .

49 - ترجمته في الوافي 6 : 212 (عن ياقوت) وفهرس الطوسي : 21 .

(1) هنا ينتهي نقل الصفدي .
(2) زيادة عن الوافي .

- 50 -

أحمد بن إبراهيم الضبي أبو العباس الملقب بالكافي الأوحد الوزير بعد الصاحب أبي القاسم ابن عباد لفخر الدولة أبي الحسن علي بن ركن الدولة بن بويه: مات في صفر سنة تسع وتسعين وثلاثمائة ببروجرد من أعمال بدر بن حسنويه على ما نذكره.

ذكره الثعالبي فقال: هو جذوةٌ من نار الصاحب أبي القاسم، ونهرٌ من بحره، وخليفته النائبُ منابَهُ في حياته، القائمُ مقامَهُ بعد وفاته، وكان الصاحب آستَنْجَبَهُ[1] منذ الصبا، واجتمع فيه الرأي والهوى، فاصطنعه لنفسه وأدّبه بآدابه، وقدَّمه بفضل الاختصاص على سائر صنائعه وندمائه، وخرَّجَ منه صدراً يملأ الصدور كمالاً، ويجري في طريقه ترسماً وترسلاً، وفي ذرى المعالي توقلاً، ويحقق قول أبي محمد [الخازن][2] فيه من قصيدة:

تُزْهَى بأترابها كما زُهِيَتْ ضَبَّةُ بالماجدِ ابن ماجدها
سمائها شمسها غمامتها هلالها بدرها عطارِدِها
يروي كتابَ الفخارِ أجمعَ عن كافي كفاةِ الورى وواحدها

وقد كانت بلاغة العصرِ بعد الصاحب والصابيء بقيت متماسكةً بأبي العباس، فأشرفتْ على التهافت بموته، وكادت تشيب بعده لممُ الأقلام، وتجف غُدُرُ محاسنِ الكلام، لولا أنّ اللّه سدَّ ببقاء الأمير أبي الفضل عبيد اللّه بن أحمد ثلم الآداب والكتابة. ثم وصفه بكلامٍ كثير.

ومن شعر أبي العباس الضبي[3]:

---

50 - ترجمة الكافي الأوحد أحمد بن إبراهيم الضبي في المنتظم 7: 240 والوافي 6: 204 واليتيمة 3: 291.

(1) م واليتيمة: استصحبه.

(2) أبو محمد عبد اللّه بن أحمد الخازن أصبهاني من خواص الصاحب، كان يتولى خزانة كتبه في شبابه، ثم ذهب مغاضباً أو هارباً، ثم عاد إلى حضرة الصاحب (اليتيمة 3: 325).

(3) اليتيمة 3: 295.

لا تـركنن إلـى الفـرا ق فـإنـه مـر المـذاقِ
والشمسُ عنـد غروبهـا تصفـرُّ من ألم الفـراق

وكتب إلى الصاحب كافي الكفاة[1] :

أكافي كفاةِ الأرضِ ملكُـكَ خالـدٌ وعـزُّكَ موصـولٌ فأعـظمْ بها نعمى
نثرتَ على القرطـاسِ دراً مبـدداً وآخر نظمـاً قد فـرعتَ به النجمـا
جـواهرُ لـو كانت جـواهـرَ نـظِّمت ولكنهـا الأَعراضُ لا تقبـل النظمـا

وهذه رسالة من نثره كتبها إلى أبي سعيد الشبيي[2] : أتاني كتاب شيخ الدولتين فكان في الحسن روضةَ حَزْنٍ بل جنةَ عَدْن ، وفي شرح النفس وبسط الأنس بَرْدَ الأكباد والقلوب ، وقميصَ يوسف في أجفان يعقوب .

ومنها : وبعد فإن المنازعين للأمير حسام الدولة نسور قد أفنتها[3] العصور ، ودولته حرسها الله في إبان شبابها واعتدالها ، وريعان إقبالها واقتبالها ، قد أُسِّسَتْ على صلاح وسداد ، وعمارةِ دنيا ومعاد ، وهي مؤذنة بالدوام في ظلّ السلامة والسلام .

وأما سببُ هربه إلى بروجرد فإن أمَّ مجد الدولة اتهمته أنه سم أخاه ، وطلبت منه مائتي ألف دينار نفقةً في مأتمه ، فلم يفعل والتجأ إلى بروجـرد ، وهي من أعمال بدر بن حسنويه الكردي ، ثم بدا له في الرجوع إلى الوزارة ، فبذل مائتي ألف دينار ليعاد إلى وزارته لمجد الدولة ، فلم يجب إلى ذلك ، فلما مات احتوى ابنه أبو القاسم سعد على تركته ، وكانت عظيمة ، ومات بعده بشهور ، فاحتوى أبو بكـر محمد بن عبد العزيز بن رافع على المال ، وورد تابوت أبي العباس إلى بغداد مع أحد حجابه ، وكتب ابنه إلى أبي بكر الخوارزمي شيخ أصحاب أبي حنيفة يعرِّفهُ أنه وصَّى بدفنه في مشهد الحسين بن علي رضي اللّه عنهما ، ويسأله القيامَ بأمره وابتياعَ تربة له ، فخاطب الشريفَ الطاهر أبا أحمد في ذلك وسأله أن يبيعهم تربة بخمسمائة دينار ، فقال : هذا

(1) المصدر نفسه .
(2) اليتيمة 3 : 292 .
(3) اليتيمة : اقتنصتها .

رجلٌ التجأ الى جوار جدي ولا آخذ لتربته ثمناً ، وكتب [على] نَفْسِهِ الموضعَ الذي طُلِبَ منه ، وأُخرج التابوت إلى براثا ، وخرج الطاهر أبو أحمد ومعه الأشراف والفقهاء وصلّى عليه ، وأصحب خمسين رجلاً من رجاله حتى أوصلوه ودفنوه هنالك . وقد مدحه مهيار بقصائد منها(1) :

أجيراننا بالغورِ والركبُ مُتْهِمُ ... أيعلم خالٍ كيف بات المتيمُ
رحلتم وعمر الليلِ فينا وفيكمُ ... سواءٌ ولكن ساهرون ونوم
بنا أنتمُ من ظاعنين وخلّفوا ... قلوباً أَبَتْ أن تعرفَ الصبر عنهم
يَقُونَ الوجوهَ الشمسَ والشمسُ فيهمُ ... ويسترشدون النجمَ والنجمُ منهم
أناشد نَعمانَ الأخابيرَ عنهمُ ... كفى حيرةً مستفصحٌ وهو أعجم
ولما جلا التوديع عمّن أحبّه ... ولم يبقَ إلا نظرةٌ تُتَغَنَّم
بكيتُ على الوادي فحرَّمْتُ ماءه ... وكيف يحلُّ الماءُ أكثرُهُ دم
ونَفَّرْتُ بالأنفاس عنّي حدوجَهُمْ ... كأن مطاياهم بهنّ توسم
وإن ملوكاً في بروجردَ كرمت ... همُ بذلوا الإنصافَ حين تكرموا
يُمَيَّزُ من أعدائهم أولياؤهم ... إذا انتقموا يومَ الجزاء وانعموا
أسادتَنا والجودُ صيَّرنا لكم ... عبيداً وعن قوم نعزّ ونكرم
إلامَ وكان البِرُّ منكم سجيةً ... تواصلنا يُجْفَى وكم نتظلم
من اعتضتمُ عنا خطيباً لفضلكم ... وهل مثلُ شعري عن علاكم يترجم
وهل غيرُ مدحي طَبَّقَ الأرض فيكمُ ... وإن كان مِلءَ الأرض ما قد مُدِحتم

ولما مات رثاه مهيار أيضاً بقصيدة منها(2) :

أبكيك لي ولمن بلين بفرقة الأيتام بعدك والنساءُ أراملُ

(1) ديوان مهيار 3 : 344 .

(2) ديوان مهيار : 3 : 28 ـ 30 .

ولمستجيرٍ والخطوبُ تنوشُهُ مستطعم والدهرُ فيه آكل
ولمعشرٍ طرق العلوم ذنوبهم في الناسِ وهي لهم إليك وسائل
قد كنتُ ملتحفاً بمدحكَ حُلّةً فخراً تجرُّ لها عليك ذلاذل
فاليوم أشكرك الصنيعَ مراثياً خَرِسَ المشبِّبُ عندها والعاذل

قال هلال[1]: في عصر الجمعة لستٍ بقين من صفر سنة خمس وثمانين وثلاثمائة توفي الصاحب كافي الكفاة أبو القاسم إسماعيل بن عباد بالريّ ، ودفن من غدٍ في داره ، ونظر في الأمور بعده أبو العباس أحمد بن إبراهيم الضبي المتلقب بالكافي الأوحد ، ومنزلة الصاحب وعلو قدره وما شاع من ذكره يغني عن الإطالة في وصف أمره. فحدثني[2] القاضي أبو العباس أحمد بن محمد الباوردي قال: اعتلَّ الصاحبُ أبو القاسم فكان أمراء الديلم ووجوه الحواشي وأكابر الناس يغادون بابه ويراوحونه ، ويخدمونه بالدعاء وتقبيل الأرض وينصرفون ، وجاءه فخر الدولة عدة دفعات ، فيقال إن الصاحب قال له وهو على يأس من نفسه : قد خدمتك أيها الأمير الخدمةَ التي استفرغتُ فيها الوُسْعَ ، وسرتُ في دولتك وأيامك السيرةَ التي حَصَّلْتُ لكَ حُسْنَ الذكرِ بها ، فإن أجْرَيتَ الأمور بعدي على رسومها عُلِمَ أن ذلك منك ، ونُسِبَ الجميلُ فيه إليك ، واستمرت الأحدوثة الطيّبة لك ، ونُسِيتُ أنا في أثناء ما يُثْنَى به عليك ، وإن غيَّرْتَ ذلك وَعَدَلْتَ عنه ، وسمعت أقوالَ من يحملك على خلافه ويسلك به في طريقه، كنتُ المذكورَ بما تقدم والمشكورَ عليه، وقدح في دولتك وذكرك ما يشيع آنفاً عنك، فقال له في جواب[3] ذلك ما أراه به قبول رأيه. فلما كان وقت غروب الشمس من ليلة الجمعة المذكورة قضى نحبه ، وكان أبو محمد خازن الكتب ملازما داره على سبيل الخدمة له وهو عين لفخر الدولة في مراعاة الدار وما فيها ، فأنفذ في الحال وعرَّفه الخبر ، فأنفذ فخر الدولة خواصَّه وثقاته حتى احتاطوا على الدار والخزائن ووجدوا له كيساً فيه رقاعُ أقوام بمائة ألف وخمسين ألف دينار مودعةً عندهم ، فاستدعاهم وطالبهم بذلك فأحضروه ، وكان فيه ما هو بختم مؤيد الدولة ، وَرُجِّمَتِ الظنونُ فيه فقيل إنه

(1) انظر ذيل تجارب الأمم لأبي شجاع : 261 .
(2) ر: فحدث .
(3) ر : أثناء .

أخذه من خيانة ، وقيل : إنه أودعه لولد مؤيد الدولة عن وصية منه إليه ، وَنُقِلَ ما كان في الدار والخزائن إلى دار فخر الدولة ، وجُهِّزَ الصاحبُ وأخرج تابوته وسط الناس ، وقد جلس أبو العباس الضبي للعزاء به ، فلما بدا على أيدي الحاملين له قامت الجماعة إعظاماً له وقبلوا الأرض ، ثم وقعت الصلاةُ عليه وعلّق بالسلاسل في بيت كبير إلى أن نقل إلى تربته بأصبهان . وكان القاضي أبو الحسن عبد الجبار بن أحمد قد قال : لا أرى الرحمةَ عليه لأنه مات من غير توبة ظهرت منه ، فَطُعِنَ عليه بذلك ، وَنُسِبَ إلى قلّة الرعاية فيه . وقبض فخر الدولة على القاضي عبد الجبار وأسبابه وقرر أمرهم على ثلاثة آلاف ألف درهم ، فأدَّوْا ذلك وَرِقاً وعيناً وقيمةَ عقارٍ سلّموه ، وباع في جملة ما باع ألف طيلسان مُحَشًّى وألف ثوب مصري ، وقلد القضاء بعده علي بن عبد العزيز، وطالب أبا العباس الضبي أن يحصّل من الأعمال[1] والمتصرفين فيها ثلاثين ألف ألف درهم ، وقال له : إن الصاحب أضاع الأموالَ وأهمل الحقوق ، وينبغي أن يُسْتَدْرَكَ ما فات وَيُتَتَبَّعَ ما مضى، فامتنع من ذاك مع تردّد القول فيه. وكتب أبو علي الحسن بن أحمد بن حمولة، وكان من أعلام[2] الكتاب المتقدمين الذين استخصهم[3] الصاحب وأقر لهم بالفضل ، وقد قاد الجيوش الكثيرة فهزمهم ، فقامت له الهيبة التامة في قلوب العساكر والملوك المجاورين ، وكان عند موت الصاحب بجرجان مقيماً مع الجيوش لمدافعة قابوس بن وشمكير وجيوش خراسان ، فكتب يخطب الوزارة ويضمن ثمانية آلاف ألف درهم عنها ، فأجيب بالحضور ، فلما قرب قال فخر الدولة لأبي العباس الضبي : قد ورد أبو علي وعزمتُ على الخروج من غدٍ لتلقّيه ، وأمرتُ الجماعةَ من قوادي وأصحابي بالنزول له ، ولا بد من خروجك وفعلك مثل ذلك ، فثقل هذا القول على أبي العباس ، وقال له خواصه وأصحابه : هذا ثمرةُ امتناعك عليه وتقاعدك عما دعاك له ، وسيكون لهذه الحال ما بعدها ، فراسل فخر الدولة وبذل له ستة آلاف ألف درهم على إقراره على الوزارة وإعفائه من تلقي أبي علي ، وخرج فخر الدولة وتلقاه ولم يخرج أبو العباس ، ورأى فخر الدولة أن من الصلاح لأمره الإشراكَ بينهما في وزارته ، فسامح أبا علي بألفي ألف درهم من جملة الثمانية التي بذلها ،

---

(1) فوقها في ر : العمال . (2) ر : أعيان . (3) ر : استنصحهم .

وسامح أبا العباس بألفي ألف درهم من جملة الستة التي ذكرناها ، وقرر عليهما عشرة آلاف ألف درهم ، وجمع بينهما في النظر ، وخلع عليهما خلعتين متساويتين ، ورتب أمرهما على أن يجلسا في دستٍ واحد ، ويكونَ التوقيعُ لهذا في يوم والعلامةُ للآخر وتجعلَ الكتب باسمهما يُقدم هذا على عنواناتها يوماً وهـذا يومـاً ، ووقع التـراضي بذلك ، وجـرت الحال عليـه ، ونظرا في الأعمـال وتحصيل الأمـوال ، وقبضا على أصحـاب الصاحب أبي القـاسم ومن لحقته المسـامحـة في أيـامـه ، وقـرّرا عليهم المصادرات . وذكر القاضي أبو العباس عن أبي العلاء ابن المقرن أنه حدثه أنهمـا استخرجا من أصبهان وحدها جملةً وافرةً ، وجرت حال غيرها من النواحي إلى مصادرة أهلها إلى مثل هذه الصورة ، وأنفذا أبا بكر ابن رافع إلى استراباذ ونواحيها لاستيفاء ما يستوفيه من المعاملين والتنّاء فيها ، فقيل إنه جمع الوجوهَ وأربابَ الأحوال وأخّرَ الإذن لهم حتى تعالى النهار واشتد الحر ، ثم أطعمهم طعاماً أكثرَ مِلْحَهُ ومنعهم الماءَ عليه وبعده ، وقدَّم إليهم الدواةَ والكاغدَ وطالبهم بكتب خطوطهم بما يصححونه ، ولم يزل يستامُ عليهم فيه وهم يتلهفـون عطشـاً إلى أن التزمـوا له عشـرة آلاف ألف درهـم ، وتوقّف العمالُ والمتصرفون عن الخروج إلى قزوين لأن أهلها أهلُ امتناع وقوة، فبذل الفاراضي بن شير مردي الخروج إليها ، وذكر أنه يعرف وجـوهَ أموالٍ فيهـا ، وخرج وحاول مطالبةَ أهلها ومعاملتهم بمثل ما عومل به غيرهم ، فاجتمعوا وهجموا عليه في داره وقتلوه . واجتمع لفخر الدولة من الأموال في الخزائن والقلاع ما كثّره المقللون ، ثم تمزق بعد وفاته فلم يبق منه بقية في أسرع وقت . ثم مات فخر الدولة ووليَ الأمرَ بعده ابنه مجدُ الدولةِ أبو طالب رستم ، واستولت السيدة والدته على الأمر . وأُجْرِيَ أمر الوزيرين على حاله في أيام فخر الدولة من التشارك في تدبير المملكة ، ومزقا أموالَ فخر الدولة وبذّراها غايةَ التبذير ، ثم نجم قابوس واستولى على جرجان وضام جيوش خراسان. فدعت الضرورة إلى تجهيز[1] جيشٍ إليه وأن يخرجَ معه أحد الوزيرين، فتقـارعا على من يخـرج منهما ، فـوقعت القرعـة على الجليل أبي علي الحسن بن أحمد بن حمولة ، فخرج ومعه العساكر الجميلة ، ووقعت بينه وبين قـابوس وقـائعُ

(1) ر : تسريب .

استنفدت الأموالَ التي صحبته واحتاج إلى الإمداد من الريّ ، فتقاعد به أبو العباس الضبي فرجع إلى الري مفلولاً ، وأقاما على أمرهما من الاشتراك مدةً ، ثم سعت بينهما السعـاة وقالوا : فساد الأمر إنما هو من اشتراكهما واختلاف آرائهما ، والرأي أن يعزل أحدهما ويبقى الآخر . وكان ابن حمولةَ شديدَ الثقةِ بنفسه معتقداً أن العساكر لا تختار غيره ولا تريدُ سواه ، فكان متغافلاً ، حتى دبَّر أبو العباس الضبي عليه ، وقبض عليه بأمر السيدة، وحمله إلى قلعة استوناوند، ثم أنفذ(1) إليه من قتله. واستبد أبو العباس بالأمر وجرت له خطوب عـجز في أمرها ، ومات قرابةٌ للسيدة فاتهم أنه سقاه السم(2) ، فهرب حتى لحق بروجرد في سنة اثنتين وتسعين وثلاثمائة ملتجئاً إلى بدر بن حسنويه ، فلم يزل عنده إلى أن مات في بروجرد في سنة سبع وتسعين أو ثمان وتسعين ، وتبعه ابنه أبو القاسم سعد لاحقاً به ، وكانت المدة قريبة بينهما . وقيل : إن أبا بكر ابن رافع واطأ أحدَ غلمانه فسقاه سماً كان فيه حتفه ، ونهض أبو بكر من همذان إلى بروجرد لاحتمال تركته ، فذكر أنه حصل له ما زاد على ستمائة ألف دينار .

ـ 51 ـ

أحمد بن إبراهيم أبو رياش : وجدت بخطّ الحميدي فيما رواه عن التنوخي في كتاب « نشوار المحاضرة » قـال : هو أبـو رياش أحمـد بن أبي هاشم القيسي . ووجدت بخط بعض أدباء مصر قال : أبو رياش أحمد بن إبراهيم الشيبـاني ، ولعل أبا هاشم كنية إبراهيم . مات فيما ذكره أبو غالب همام بن الفضل بن مهذب المعرّي في تاريخه في سنة تسع وثلاثين وثلاثمائة .

قال أبو علي المحسن بن علي التنوخي : ومن رواة الأدب الذين شـاهدنـاهم

---

51 ـ ترجمة أبي رياش في يتيمة الـدهر 2 : 352 وإنبـاه الرواة 1 : 25، 4 : 118 والـوافي 6 : 205 وبغية الوعاة 1 : 409 ولم ترد ترجمته في المختصر .

(1) ر : بعث .
(2) ر: قتله بالسمّ .

أبو رياش أحمد بن أبي هاشم القيسي ، وكان يقال إنه يحفظ خمسة آلاف ورقة لغة ، وعشرين ألف بيت شعر ، إلا أن أبا محمد المافروخي أبرَّ عليه لأنهما اجتمعا أول ما تشاهدا بالبصرة ، فتذاكرا أشعار الجاهلية ، وكان أبو محمد يذكر القصيدة فيأتي أبو رياش على عيونها فيقول أبو محمد : لا ، إلا أن تَهُذَّهَا من أولها إلى آخرها ، فينشد معه ويتناشدان إلى آخرها ، ثم أتى أبو محمد بعدة قصائد لم يتمكن أبو رياش أن يأتي بها إلى آخرها ، وفعل ذلك في أكثر من مائة قصيدة . حدثني بذلك من حضر ذلك المجلس معهما .

وحكى أبو العلاء أحمد بن عبد الله بن سليمان المعري في كتابه المعروف بـ « الرياش المصطنعي » أن أبا رياش كان طويلَ الشخص جهيرَ الصوتِ يتكلّم بكلام البادية ، ويظهر أنه على مذهب الزيدية ، ويتزوج كثيراً ويطلق ، وكان يقول : ولدت بالبادية ، ولعبتُ بالخضرمة ، وتأدبت بالبصرة ـ والخضرمة بستان في ناحية اليمامة له خاصية في عظم البصل . والريش والرياش حسن الهيئة والشارة .

وقال أبو منصور عبد الملك بن محمد الثعالبي في اليتيمة[1] : كان أبو رياش باقعةً في حفظ أيام العرب وأنسابها وأشعارها ، غاية بل آية في هذ دواوينها وَسَرْدِ أخبارها ، مع فصاحةٍ وبيان ، وإعراب واتقان ، ولكنه كان عديمَ المروءة وسخَ اللبسة كثيرَ التقشُّف وقليلَ التنظف . وفيه يقول أبو عثمان الخالدي[2] :

كـأنمـا قمـلُ أبـي ريـاش ... مـا بين صئبانٍ قفاه الفـاشي
وذا وذا قـد لـجَّ في انتعـاش ... شهـدانج بُـدِّدَ في خشخـاش

وكان مع ذلك شرهاً على الطعام ، رجيمَ شيطانِ المعدة حوتيَّ الالتقام ، ثعبانيَّ الالتهام ، سيء الأدب في المواكلة ، دعاه أبو يوسف البريدي[3] والي البصرة إلى مائدته ، فلما أخذ في الأكل مدَّ يده إلى بضعة لحم فانتهشها ثم ردَّها إلى القصعة ، فكان بعد ذلك إذا حضر مائدته أمر بأن يهيأ له طبقٌ ليأكلَ عليه وحده . ودعاه يوماً المهلبي الوزير

(1) تقدمت الاشارة إليه في مصادر الترجمة أعلاه (وهو داخل في ترجمة ابن لنكك) ونقله القفطي في 4 : 118 .

(2) ديوان الخالديين : 137 .

(3) م : اليزيدي .

إلى طعامه فبينما هو يأكل إذ امتخط في منديل الغمر[1] وبصق فيه ، ثم أخذ زيتونة من قَصْعَةٍ فغمزها بعنفٍ حتى طَفَرتْ نواتها فأصابتْ وجهَ الوزير ، فتعجَّبَ من سوءِ أدبه ، فاحتمله لفرط علمه ، ففي شره أبي رياش يقول ابن لنكك :

يطيرُ إلى الطعام أبو رياشٍ ... مبادرةً ولو واراهُ قبرُ
أصابعُهُ من الحلواءِ صفر ... ولكنَّ الأخادعَ منه حمر

وله فيه :

أبو رياشٍ بَغَى والبغيُ مصرعُهُ[2] ... فَشَدِّدِ الغينَ ترميه بآبدتِهْ
عبدٌ ذليل هجا للحَيْنِ سيِّدَهُ ... تصحيفُ كنيته في صدغ والدته

وله فيه وقد ولّاه المافروخي عملاً بالبصرة :

قلْ للوضيع أبي رياشٍ لا تُبَلْ ... تِهْ كلَّ تيهك بالولايةِ والعملْ
ما ازددتَ حين وَليتَ إلا خسة ... كالكلب أنجسُ ما يكونُ إذا اغتسلْ[3]

ولابن لنكك فيه أشعار كثيرة ، بعضها في أخبار ابن لنكك من « كتاب الشعراء » .

وجدت في موضع آخر من كتاب « نشوار المحاضرة » للقاضي التنوخي : كان أبو رياش أحمد بن أبي هاشم القيسي اليماميّ رجلاً من حفاظ اللغة ، وكان جندياً في أولِ أمره مع المسمعيّ برسم العرب ، ثم انقطع إلى العلم والشعر وروايته لنا بالبصرة ، وأنا حدث مع عمي حتى صرت رجلاً وكتبت عنه وأخذت منه علماً صالحاً ، وكان يتعصب على أبي تمام الطائي . وقال بعض الحاضرين لأبي إن من عيون شعر أبي رياش قوله في أبيات عند ذكر امرأة شبَّب بها :

لها فَخِذا بختيّةٍ تُعْلَفُ النوى ... على شفةٍ لمياءَ أحلى من التمرِ

---

(1) منديل الغمر : ما يستعمل لمسح الأيدي بعد الأكل .
(2) البتيمة : مهلكة .
(3) نهاية النقل عن اليتيمة .

فغضب أبو رياش ونهض ، فأمر أبي بإجلاسه وقال للحاضر القائل : ولا كلٌ ذا ، وترضَّاهُ ووهبَ له دراهمَ صالحةَ القدر .

قال : وأخبرني مَنْ حضر مجلس أبي محمد المافروخيّ عامل البصرة ، وقد تناظرا في شيء من اللغة اختلفا فيه ، فقال أبو رياش : كذا أخبرتني عمتي أو جدتي في البادية عن العرب ووجدتها تتكلم به ، فقال له أبو الحسين محمد بن محمد بن جعفر بن لنكك الشاعر ، وكان حاضراً : اللغة لا تؤخذ عن البغيّات ، فأمسك خجلاً . وكان أبو محمد المافروخي قد ولّاه الرسمَ على المراكب بعبادان بحار سابع [؟] وأحسن إليه واختاره عصبيةً منه للعلم والأدب ، فقال ابن لنكك :

أبو رياشٍ وليَ الرسما ... وكيف لا يُصْفَعُ أو يعمى
يا ربَّ جَدْيٍ دقَّ في خَصْرِهِ ... ثم أتانا بقفاً يدمى

قال : وحدثني أبو رياش قال مدحتُ الوزير المهلبي فتأخرت صلته وطال ترددي إليه ، فقلت[1] :

وقائلةٍ قد مدحتَ الوزيرَ ... وهو المؤمَّلُ والمستماحُ
فماذا أفادك ذاك المديحُ ... وهذا الغدوُّ وذاك الرواح
فقلتُ لها ليس يدري امرؤ ... بأيِّ الأمورِ يكون الصلاح
عليَّ التقلبُ والإضطراب ... جَهْدي وليس علي النجاح

قال المؤلف : وأما أبو محمد المافروخي الذي تقدم ذكره مكرراً فهو أبو محمد عبد العزيز بن أحمد المافروخي ، كان يتقلَّد عمالةَ البصرة ، وكان من العلم والجلالة على ما تقدم ذكره، وكان مع ذلك تمتاماً يكرّر الحرف في كلامه، وهو الذي تسميه العامة فأفاء ، وكان مستغلقاً جداً . فحدث التنوخي أنه اعترض جملاً يسير في صحن الدار بحضرته ووقف ليخاطب عليه ، فلم يرضه فقال : أخرجوه عني ، وكرر أخ أخ لأجل عُقلة لسانه ، فبرك الجمل لأنه ظنَّ أنه يقال له ذلك ، كما يقال إذا أريد منه البروك . قال : وكان إذا أنشد الشعرَ أو قرأ القرآن قرأه وأورده على أحسن ما يكون من

(1) نشوار المحاضرة 2 : 158 .

حسن الأداء وطيب الحنجرة ، فقيل له : لو كان كلامك كله شعراً أو كقراءة القرآن تخلَّصتَ من هذه الشدة ، فقال : يكون ذلك طنزاً . قال : وكان أحد خلفائه قد خرج إلى بعض الأعمال واستخلف بحضرته ابناً له كان مثل المافروخي في التمتمة ، فخاطبه المافروخي أولَ ما دخل إليه في أمر شيء قال فيه ووو مراراً ، فأجابه ذلك الابن بمثل كلامه ، فقال : يا غلمان ، قفاه ، كأنه يحكيني ، فَصُفِعَ صفعاً محكماً حتى حضره أقوام وحلفوا له أن ذلك عادته ، فأخذ يعتذر إليه ، قال : الذنب لأبيه لما ترك في حضرتي مِثْله . فهذا خبر المافروخي لتعرفه .

ـ 52 ـ

أحمد بن إبراهيم الأديبي الخوارزمي أبو سعيد : من مشاهير فضلاء خوارزم وأدبائها وشعرائها، قال أبو محمد في «تاريخ خوارزم»: ذكره أبو الفضل الصفّاري في كتابه ، قرأتُ بخطه أنه كان كاتباً بارعاً حسنَ التصرُّفِ في الترسّل ، وافرَ الحظ من حسن الكتابة وفصاحة البلاغة ، وكان خطه في الدرجة العليا من أقسام الحسن والجودة . فمن كلامه : الزيادةُ فوق الحدِّ نقصان ، والإساءةُ بلسان الحق إحسان .

قال : وكان إذا رأى كتابةً متعقدة متكلفة قال : الكتابة تسكنُ سكةً أخرى .

وكتب إلى بعض الرؤساء في شكاية رجل ثقيل : قد مُنيتُ من هذا الكهلِ الرازيّ صاحبِ الجبة الكهباء ، واللحية الشهباء ، بالداهية الدهياء ، والصيلم الصماء ، جعل لسانه سنانه ، وأشفار عينيه الصلبة شفاره ، فإذا تكلم كَلَمَ بلسانه أكثرَ مما يكلمُ بسنانه ، وإذا لمح ببصره جرح القلوب بلحظه أشدّ مما جرح الآذان بلفظه ، يظهر للناس في زي مظلوم وإنه لظالم ، ويشكو إليهم وَجَعَ السليم وإنه لسالم .

وكتب إلى بعض الرؤساء وقد حجب عنه :

ومحجّبٍ بحجابِ عزٍّ شامخٍ ... وشعاعُ نورِ جبينه لا يُحْجَبُ
حاولتُهُ فرأيتُ بدراً طالعاً ... والبدرُ يبعدُ بالشعاع ويقرب

---

52 ـ ترجمة الأديبي في الوافي 6 : 207 (عن ياقوت) .

قَبَّلْتُ نورَ جبينه متعززاً بـاللحظِ منه وقد زهاه الموكب
كالشمس في كبد السماءِ ونورُهَا من جانبيه مُشَرّقٌ ومغـرّب
إن بان شخصي عن مجالس غيره فـالنفسُ في ألطافِه تتقلب
وإذا تقاربتِ النفوسُ وإن نأت أشخاصها فهو الجوارُ الأقرب

وكتب إلى واحد وقد بعث إليه شاةً : وصلت الشاةُ فكانت شاةَ الشياه ، حسنةَ الحَلْيِ والشِّيات ، ففرح الفراريج بمكانها وملأوا منها حواصلهم ، وثنوا بالثناء والدعاء أناملهم .

وله : ساعدت الأيام بالمراد ، ووفتْ بالميعاد ، وجمعت لي بين طرفي الإصعاد والإسعاد .

وله : حضرةُ مولانا الحضرةُ التي تُضْرَبُ إليها أكبادُ الابلِ من كلّ فجّ عميق ، وتمدّ نحوها أعناقُ الأمل من كلٍّ فوج وفريق .

وله : أيامُ مولانا مشرقةٌ كأخلاقه ، وأخباره عَبِقَةٌ كأعراقه ، تُزْهى بجلالِ مكانه الرتب والمعارج ، وتَزَيَّنُ بكرم وجهه وبهائه الأعيادُ والمهارج .

وله : لا يليق خاتم العزِّ والجلال إلا بخناصره ، ولا يرجعُ الباطلُ إلى الحق إلا عند ناصره .

وله : من لحظته عينُ إقباله ، وَسَقَتْهُ عين أفضاله ،قابلته سعودها بإشراق ،وآذنت عوده بإيراق .

وله : إن كانت الوزارةُ دثرت رسومها وآثارها ، ودرست أعلامها ومنارها ، فلقد قيض اللّه لها مولانا فمدَّ باعها ، وعمر رباعها ، فأنَّستْ بتدابيره الثاقبة من وحشةِ نفارها ، واستروحتْ من آرائه الصائبة إلى كنفها وقرارها .

وله : كتابي وأنا في سلامةٍ إلّا من الشوق إلى طلعته المسعودة ، والنزاع إلى أخلاقِهِ المشهودة ، وملاحظة تلك الهمم العلية ، ومطالعة تلك الحركات الشهية ، ومجاري تلك الأنامل بالأقلام فإنها إذا جرت نثرت الدرر ، وأسالت على جباهِ الأنام الغرر ، وسنَّتْ للبلغاءِ والكتاب ، سُنَنَ الفِقَرِ والآداب .

- 53 -

أحمد بن إبراهيم بن محمد السجزي أبو نصر ، أحد الأدباء الفضلاء : قرأ على أبي بكر عبد القاهر ، ثم قرأت بخط سلامة بن عياض الكفرطابي النحوي ما صورته : وجدت في آخر نسخة « المقتصد » لعبد القاهر الجرجاني بالري مكتوباً ما حكايته : قرأ عليَّ الأخُ الفقيهُ أبو نصر أحمدُ بن إبراهيم بن محمد السجزي ، أيده اللّٰه ، هذا الكتاب من أوله إلى آخره قراءة ضبطٍ وتحصيل ، وكتبه عبد القاهر بن عبد الرحمن بخطه في شهر اللّٰه المبارك من شهور سنة أربع وخمسين وأربعمائة .

- 54 -

أحمد بن إبراهيم بن أبي خالد الطبيب ، يعرف بابن الجزار القيرواني : كان طبيباً حاذقاً دارساً ، كتبُهُ جامعةٌ لتواليف الأوائل ، فيه حُسْنُ الفهم لها . وله مصنفاتٌ فيه وفي غيره . فمن أشهر كتبه في الطب : كتابه في علاج الأمراض سماه « زاد المسافر » وكتابه في الأدوية المفردة المعروف بـ « الاعتماد » وكتابه في الأدوية المركبة المعروف بـ« البغية » ورسائله في النفس وَذِكْرُ اختلافِ الأوائل فيها . وكان أيضاً له عناية بالتاريخ[1] ألف فيه كتاباً رأيته في مجلد يزيد[2] على العشر سماه « التعريف بصحيح التاريخ » وذاك الذي أوجب ذكره في هذا الكتاب . وكان مع ذلك حسَنَ المذهب فاضلَ[3] السيرة ، صائناً لنفسه منقبضاً عن الملوك ذا ثروة ، ولم يكن يقصد

---

53 ـ أحمد بن إبراهيم السجزي : وقع ذكره ضمن ترجمة شيخه عبد القاهر الجرجاني في انباه الرواة 2 : 190 ونسبته فيه « الشجري » .

54 ـ ترجمة ابن الجزار في عيون الأنباء 2 : 37 والوافي 6 : 208 ـ 209 وابن جلجل : 88 وطبقات الأمم : 61 وقد كتبت عنه دراسات حديثة كثيرة ، انظر مقدمة كتاب سياسة الصبيان وتدبيرهم تحقيق الدكتور محمد الحبيب الهيلة (ط . دار الغرب الإسلامي، بيروت 1984) وفيها أيضاً ثبت ضافٍ بمؤلفاته الموجودة والمفقودة .

---

(1) هناك نقول كثيرة عن أحد كتبه التاريخية في العيون والحدائق .

(2) لعل الصواب : في مجلدات تزيد .

(3) م : باصل ؛ وصوبته بحسب السياق .

أحداً إلى بيته ، وكان له معروفٌ وأدوية يفرِّقها ، وكان في أيام المعز بالله[1] في حدود سنة خمسين وثلاثمائة أو ما قاربها .

- 55 -

أحمد بن أحمد ابن أخي الشافعي : هو رجل من أهل الأدب ، رأيت جماعةً من أعيان العلماء يفتخرون بالنقل من خطه ، ورأيت خطه وليس بجيد المنظر لكنْ متقنُ الضبط ، ولم أرَ أحداً ذكر شيئاً من خبره ، لكني وجدتُ خطَّه في آخر كتاب وقد قال فيه : كتبه أحمد بن أحمد المعروف بابن أخي الشافعي وراق ابن عبدوس الجهشياري، والجهشياري هذا قد ذكر في بابه[2]، وقد جمع ديوان البحتري وغيره[3].

- 56 -

أحمد بن إسحاق بن البهلول بن حسان بن سنان أبو جعفر التنوخي : أنباري الأصل ، ولي القضاء بمدينة المنصور عشرين سنة ، ومات لأحدى عشرة ليلة بقيت من شهر ربيع الآخر سنة ثمان عشرة وثلاثمائة ومولده بالأنبار سنة إحدى وثلاثين ومائتين عن ثمان وثمانين سنة .

قال أبو بكر الخطيب[4] : وحدث حديثاً كثيراً ، وكان عنده عن أبي كريب محمد بن العلاء حديثٌ واحد ، وروى عنه الدارقطني وأبو حفص ابن شاهين

55 - ترجمة ابن أخي الشافعي في الوافي 6 : 229 (عن ياقوت) .
56 - ترجمة ابن البهلول في المنتظم 6 : 231 ونزهة الالباء : 172 والجواهر المضية 1 : 57 والوافي 6 : 235 وبغية الوعاة 1 : 295 وسير الذهبي 14 : 497 والشذرات 2 : 276 .

(1) يعني المعز الفاطمي . (2) ترجمة الجهشياري رقم : 1077 .
(3) زاد الصفدي نقلاً عن الذهبي أنه يرجح أن يكون هو أحمد بن أحمد بن زياد الفارسي صاحب ابن عبدوس وابن سلام وله كتاب أحكام القرآن في عشرة أجزاء وكتاب مواقيت الصلاة ، وكانت وفاته سنة 310 .
(4) تاريخ بغداد 4 : 30 - 32 ونقله محقق النشوار 5 : 212 - 216 .

والمخلص[1] وجماعة ، وكان ثقة . قال : وذكر طلحة بن محمد بن جعفر في تسمية قضاة بغداد أحمد بن إسحاق بن البهلول [وقال]: عظيمُ القدرِ ، واسعُ الأدب ، تامّ المروءة ، حسنُ الفصاحة ، حسنُ المعرفةِ بمذهب أهلِ العراق ، ولكن غلب عليه الأدب . وكان لأبيه إسحاق مُسْنَدٌ كبيرٌ حسنُ ، وكان ثقةً ، وحمل الناسُ عن جماعة من أهل هذا البيت منهم البهلول بن حسان ثم ابنه إسحاق ثم أولاد إسحاق . ولم يزل أحمد بن إسحاق على قضاء المدينة من سنة ست وتسعين ومائتين إلى شهر ربيع الآخر سنة ست عشرة وثلاثمائة ، ثم صرف ؛ وكان ثبتاً في الحديث ثقةً مأموناً جيدَ الضبطِ لما حَدَّثَ به ، وكان متفنناً في علوم شتى منها الفقه على مذهب أبي حنيفة وأصحابه ، وربما خالفهم في مسيلات يسيرة . وكان تامَّ العلم باللغة حسنَ القيام بالنحو على مذهب الكوفيين ، وله فيه كتابُ ألفه ، وكان تامَّ الحفظ للشعر القديم والمحْدَثِ والأخبار الطوال والسير والتفسير ، وكان شاعراً كثير الشعر جداً ، خطيباً حسنَ الخطابة والتفوّه بالكلام لسناً ، صالح الحظ في الترسل والمكاتبة ، والبلاغة في المخاطبة ، وكان ورعاً متخشّناً في الحكم ، تقلّد القضاءَ بالأنبار وهيت وطريقِ الفرات من قبل الموفق بالله الناصر لدين الله في سنة ست وسبعين ومائتين ، ثم تقلده للناصر دفعةً أخرى ، ثم تقلده للمعتضد ، ثم تقلد بعضَ كُوَرِ الجبل للمكتفي في سنة اثنتين وتسعين ولم يخرج إليها ، ثم قلده المقتدر بالله في سنة ست وتسعين بعد فتنة ابن المعتز القضاء بمدينة المنصور من مدينة السلام وطسُّوجَيْ قطر بّل وَمَسْكِنَ والأنبار وهيت وطريق الفرات ، ثم أضاف له إلى ذلك بعد سنين القضاءَ بكور الأهواز مجموعةً لما مات قاضيها إذ ذاك محمد بن خلف المعروف بوكيع ، فما زال على هذه الأعمال إلى أن صُرِفَ عنها في سنة سبع عشرة وثلاثمائة .

وحدث[2] أبو نصر يوسف بن عمر ابن القاضي أبي عمر محمد بن يوسف قال : كنت أحضرُ دارَ المقتدر بالله وأنا غلام حَدَثٌ ، بالسواد ، مع أبي الحسين[3] ، وهو

---

(1) اسمه محمد بن عبد الرحمن .

(2) عن تاريخ بغداد 4 : 32 ونقله محقق النشوار 4 : 15 وما بعدها (عن معجم الأدباء) .

(3) أبو الحسين عمر بن أبي عمر محمد قلد القضاء في حياة أبيه ، وتوفي سنة 328 (المنتظم 6 : 307) .

يومئذ قاضي القضاة ، فكنت أرى في بعضِ المواكب القاضي أبا جعفر يحضرُ بالسواد ، فإذا رآه أبي عدل إلى موضعه فجلس عنده ، فيتذاكران الشعر والأدب والعلم حتى يجتمع عليهما من الخدم عددٌ كثير كما يُجْتَمَعُ على القصّاص استحساناً لما يجري بينهما ، فسمعته يوماً وقد أنشدَ بيتاً لا أذكره الآن ، فقال له أبي : أيها القاضي إني أحفظُ هذا البيتَ بخلافِ هذه الرواية ، فصاح عليه صيحةً عظيمة وقال : اسكت ، ألي تقول هذا ؟ أنا أحفظ لنفسي من شعري خمسة عشر ألف بيت ، وأحفظُ للناسِ أضعافَ ذلك وأضعافَه وأضعافه ، يكررها مراراً ؛ وفي رواية ابن عبد الرحيم[1] عن التنوخي قال ، قال له : هاتِ ألي تقولُ هذا وأنا أحفظُ من شعري نيفاً وعشرين ألف بيت سوى ما أحفظه للناس ؟ قال : فاستحيى أبي منه لسنّه ومحلّه وسكت .

قال[2] : وحدثني القاضي أبو طالب محمد ابن القاضي أبي جعفر بن البهلول قال : كنتُ مع أبي في جنازةِ بعضِ أهلِ بغداد من الوجوهِ ، وإلى جانبه في الحقِّ[3] جالسٌ أبو جعفر الطبري ، فأخذَ أبي يعظ صاحب المصيبة ويسلّيه وينشده أشعاراً ويروي له أخباراً ، فداخله الطبريُّ في ذلك ودأب معه ، ثم اتسع الأمر بينهما في المذاكرة وخرجا إلى فنونٍ كثيرة من الأدب والعلم استحسنها الحاضرون وعجبوا منها ، وتعالى النهارُ وافترقنا ، فلما جعلتُ أسير خلفه قال : يا بني هذا الشيخ الذي داخَلَنَا اليومَ في المذاكرة من هو أتعرفه ؟ فقلت : يا سيدي كأنك لم تعرفه ؟ فقال : لا ، فقلت : هذا أبو جعفر محمد بن جرير الطبري ، فقال : إنا للّه ما أحسنتَ عشرتي يا بني ، فقلت : كيف يا سيدي ؟ فقال : ألا قلتَ لي في الحال فكنتُ أذاكره غيرَ تلك المذاكرة ، هذا رجل مشهور بالحفظ والاتساع في صنوف من العلم وما ذاكرته بحسبها . قال : ومضتْ على هذا مدةٌ فحضرنا في حَقٍّ آخر ، وجلسنا وإذا بالطبري يدخلُ إلى الحقّ ، فقلت له قليلاً قليلاً : أيها القاضي هذا أبو جعفر الطبري قد جاء مقبلاً ، قال : فأومأ إليه بالجلوس عنده ، فعدل إليه ، فأوسعت له حتى جلس إلى

(1) هو أبو بكر محمد بن عبد الرحيم المازني ، توفي سنة 308 (تاريخ بغداد 5 : 365) .
(2) عن تاريخ بغداد 4 : 32 ـ 33 ونقله محقق النشوار 4 : 17 .
(3) الحق ـ فيما يبدو ـ تعني هنا « واجب العزاء » ، وسمّي به المكان الذي يجتمع فيه الناس لذلك .

جنبه ، وأخذ أبي يجاريه ، فكلّما جاء إلى قصيدةٍ ذكر الطبري منها أبياتاً ، قال أبي : هاتها يا أبا جعفر إلى آخرها ، فيتلعثم الطبري فينشدها أبي إلى آخرها ، وكلما ذكر شيئاً من السير قال أبي : كان هذا في قصة فلان ويوم بني فلان مرَّ يا أبا جعفر ، فربما مرَّ وربما تلعثم ، فيمرُّ أبي في جميعه حتى يسبقه ، قال : فما سكتَ أبي يومَهُ ذاكَ إلى الظهر ، وبان للحاضرين تقصيرُ الطبري ، ثم قمنا فقال لي أبي : الآن شفيتُ صدري .

ولأبي جعفر هذا كتاب في النحو على مذهب الكوفيين .

حدث أبو عليّ التنوخي[1] حدثني أبو الحسين علي بن هشام بن عبد اللّه المعروف بابن أبي قيراط كاتب ابن الفرات وأبو محمد عبد اللّه بن علي دلويه كاتب نصر القشوري[2] وأبو الطيب محمد بن أحمد الكلوذاني كاتب ابن الفرات قالوا : كنّا مع أبي الحسن ابن الفرات في دار المقتدر في وزارته الثالثة في يوم الخميس لخمسٍ ليالٍ بقين من جمادى الآخرة من سنة إحدى عشرة وثلاثمائة وقد استحضر ابن قليجة رسول علي بن عيسى إلى القرامطة في وزارته الأولى ، فواجه عليَّ بنَ عيسى في المجلس بحضرتنا بأنه وجَّههُ إلى القرامطة مبتدئاً ، فكاتبوه يلتمسون منه المساحيَ والطلْقَ وعدةَ حوائج ، فأنفذ جميعَ ذلك إليهم ، وأحضر ابنُ الفرات معه خطه (أي ابن عيسى) في نسخةٍ أنشأها ابن ثوابة إلى القرامطة جواباً عن كتابهم إليه ، وقد أصلح علي بن عيسى فيها بخطه ، ولم يقل إنكم خارجون عن ملة الإسلام بعصيانكم أمير المؤمنين ، ومخالفتكم إجماع المسلمين ، وشقكم العصا ، ولكنكم خارجون عن جملة أهلِ الرشادِ والسداد ، وداخلون في جملة أهل العناد والفساد ، فهجَّن ابنُ الفراتِ علياً بذلك وقال : ويحك تقولُ القرامطةُ مسلمون والإجماعُ قد وقع على أنهم أهل ردة لا يصلون ولا يصومون ، وتوجّه إليهم بالطلق وهو الذي إذا طُلِيَ به البدن أو غيره لم تعملْ فيه النار ، قال : أردتُ بهذا المصلحةَ واستعادتهم إلى الطاعة بالرفق وبغير حرب ، فقال ابن الفرات لأبي عمر القاضي : ما عندك في هذا يا أبا عمر ؟

(1) وردت القصة في الوزراء للصابي : 317 ونقلها محقق النشوار 4 : 19 عن ياقوت .

(2) كان نصر القشوري حاجباً للمقتدر ، وتوفي سنة 316 (المنتظم 6 : 220) .

اكتب به ، فأُفحم وجعلَ مكانَ ذلك أن أقبلَ على علي بن عيسى فقال : يا هذا لقد أقررتَ بما لو أقرَّ به إمامٌ لما وسع الناسَ طاعتُهُ ، قال : فرأيتُ عليَّ بن عيسى وقد حدَّق إليه تحديقاً شديداً لعلمه بأنّ المقتدر في موضع يقربُ منه بحيث يسمعُ الكلام ولا يراه الحاضرون ، فاجتهد ابن الفرات بأبي عمر أن يكتب بخطّه شيئاً فلم يفعل ، وقال : قد غلط غلطاً وما عندي غير ذلك ، فأُخِذَ خطه بالشهادةِ عليه بأنّ هذا كتابه . ثم أقبل على أبي جعفر أحمد بن إسحاق بن البهلول القاضي فقال : ما عندك يا أبا جعفر في هذا ؟ فقال : إن أذن الوزير أن أقولَ ما عندي فيه على شرحٍ[1] قُلْتُهُ ، قال : افعل ، قال : صحَّ عندي أن هذا الرجل ـ وأومأ إلى علي بن عيسى ـ افتدى[2] بكتابين كتبهما إلى القرامطة في وزارته الأولى ابتداءً وجواباً ثلاثة آلاف رجلٍ من المسلمين كانوا مستعبدين وهم أهل نَعَمٍ وأموال ، فرجعوا إلى أوطانهم ونعمهم ، فإذا فعل الإنسان مثلَ هذا الكتاب[3] على جهةِ طلبِ الصلح والمغالطة للعدوّ لم يجبْ عليه شيءٌ[4] ، قال : فما عندك فيما أقرَّ به أن القرامطة مسلمون ؟ قال : إذا لم يصحَّ عنده كفرهم وكاتبوه بالتسمية للّه ثم الصلاة على رسوله محمد ﷺ وانتسبوا إلى أنهم مسلمون وإنما ينازعون في الإمامة فقط لم يُطْلَقْ عليهم الكفر ، قال : فما عندك في الطلق يُنْفَذُ إلى أعداءِ الإمامِ فإذا طُلِيَ به البدن أو غيره لم تعمل فيه النار ، وصاح بها كالمنكر على أبي جعفر ، فأَخْبِرْني ؛ فأقبل ابن البهلول على علي بن عيسى فقال له : أنفذت الطلقَ الذي هذه صفته[5] إلى القرامطة ؟ فقال علي بن عيسى : لا ، فقال ابن الفرات : هذا رسولك وثقتك ابن قليجة قد أقرَّ عليك بذلك ، فلحق عليَّ بن عيسى دهشةٌ فلم يتكلم، فقال ابن الفرات لأبي جعفر ابن البهلول: احفظ إقراره بأن ابن قليجة ثقته ورسوله وقد أقر عليه بذلك ، فقال : أيها الوزير لا يسمَّى هذا مقراً ، هذا مدَّعٍ وعليه البينة ، فقال ابن الفرات : فهو ثقته بإنفاذه إياه ، قال : إنما وثقه في حملِ كتابٍ

(1) الصابي : بيان .
(2) الصابي : استخلص .
(3) الصابي : فإذا كتب . . . هذه الكتب .
(4) الصابي : حكم .
(5) الصابي : صورته .

فلا يُقْبَلُ قوله عليه في غيره ، فقال ابن [الفرات : يا] أبا جعفر أنت وكيله ومحتجٌّ عنه لستَ إلا حاكماً ، فقال : لا ولكنّي أقولُ الحقَّ في هذا الرجل كما قلته في حقِّ الوزير ـ أيده اللّه ـ لما أراد حامد بن العباس في وزارته وَمَنْ ضامَّهُ الحيلةَ على الوزير ـ أعزه اللّه ـ بما هو أعظمُ من هذا الباب ، فإن كنتُ لم أُصِبْ حينئذٍ فلستُ مصيباً في هذا الوقت . فسكت ابن الفرات والتفت إلى عليّ بن عيسى وقال : أقرمطي ؟ فقال لـه علي بن عيسى : أيها الوزير ، أنا قرمطي ، أنا قرمطي !! يعرض به . (وذكر قصـة طويلة ليست من خبر ابن البهلول في شيء) .

وحدث أبو الحسن[1] علي بن هشام بن أبي قيراط قال : دخلت مع أبي إلى أبي جعفر أحمد بن إسحاق بن البهلول عقيبَ عيدٍ لنهنئه به ، وتطاول الحديث ، فقال له أبي : قد كنتُ أكاتبُ الوزير ـ أيده اللّه ـ إلى محبسه ، يعني ابن الفرات لأنه هو كان الوزير إذ ذاك الوزارة الثالثة ، وأعرّفه ما عليه القاضي من موالاته في كذا وكذا ، والآن هو على شكر القاضي والاعتداد به ، قال : فلما سمع ذلك فرَّقَ الغلمان ومن كان في مجلسه من أصحابه حتى خلا وقال : ليس يخفى عليَّ التغير في عين الوزير ، وإن كان لم يَنْقُصْني من رتبةٍ ولا عمل ، وباللّه أحلف لقد لقيت حامد بن العباس بالمدائن لما جيء به للوزارة فقام لي في حَرّاقته قائماً ، وقال لي : هذا الأمرُ لك ولولدك ، وسيبينُ لكَ ما أفعله في زيادتك من الأعمال والأرزاق ، ثم لقيتُهُ يومَ الخلع عليه بعد لبسه إياها فتطاول [لي] ، فلما فعلتُ به في أمرِ الوزير أيده اللّه ما فعلته بحضرةِ أمير المؤمنين عاداني وصار لا يُعير لي طرفه ، وتعرَّضْتُ منه لكلِّ بلية ، فكنت خائفاً له حتى أراح اللّه منه بتفرّد علي بن عيسى بالأمور ، واشتغاله هو بالضمان ، وسقوط حاجتنا إلى لقائه ؛ وما لي إلى هذا الوزير أيده اللّه ذنبٌ يوجبُ انقباضَهُ إلا أني أدَّيتُ الوديعةَ التي كانت له عندي ، وباللّه لقد ورَّيْتُ عن ذكرها جهدي ، ودافعتُ بما يدافع به مثلي ممن لا يمكنه الكذب ، فلما جاء ابن حماد كاتبُ موسى بن خلف[2] أقرَّ بها وأحضرَ الدليل باحضار

(1) وردت القصة في كتاب الوزراء 113 ـ 116 (باختلافات يسيرة) ونقلها محقق النشـوار 4 : 28 (عن ياقوت) .

(2) كان موسى بن خلف من المقربين إلى ابن الفرات ، وقد ضربه حامد بن العباس عندما قبض على ابن الفرات سنة 306 ومات تحت الضرب .

المرأة التي حملتها لم أجد بدّاً عن أدائها ، وقد فعل مثلي أبو عمر في الوديعة التي كانت له عنده ، إلا أن أبا عمر فعل ما قد علمته من حيلةٍ بشراء فصّ بنصف درهم نقش عليه علي بن محمد ، ووضع مالاً من عنده في أكياس ختمها به ، وقال للوزير : وديعتك عندي بحالها ، وإنما غرمت ما أدّيتُ عنكَ من مالي ، وأراد التقربَ إليه ففعل هذا ، وأنت تعلم فَرْقَ ما بيني وبين أبي عمر في كثرة المال فأُريدُ أن تَسُلَّ سخيمته ، وتستصلحَ لي نيته، وتذكّره بحقي القديم عليه، ومقامي له بين يدي الخليفة إذ ذاك، وأن مثل ذلك لا ينسى بتجنٍّ لا يلزم . فقال له أبي : أنا أفعلُ ولا أُقَصِّر ، وقد اختلفت الأخبار علينا فيما جرى ذلك اليوم ، فإن رأى القاضي ـ أعزه الله ـ أن يشرحه لي فعل ، فقال أبو جعفر : كنت أنا وأبو عمر وعلي بن عيسى وحامد بن العباس بحضرة الخليفة مع جماعة من خواصّه ، وكلهم منحرفٌ عن الوزير ـ أيده اللّه ـ ومحبٌّ لمكروهه ، إذ أحضر حامد الرجلَ الجنديَّ الذي ادَّعى أنه وجده راجعاً من أردبيل إلى قزوين ثم إلى أصبهان ثم إلى البصرة ، وأنه أقرَّ له عفواً أنه رسولُ ابنِ الفرات إلى ابن أبي الساج[1] في عقد الامامة لرجل من الطالبيين المقيمين بطبرستان ليقوّيه ابن أبي الساج ويسيره إلى بغداد ويعاونه ابن الفرات بها ، وأنه مخبرٌ أنه تردَّد في ذلك دفعاتٍ ، ويخاطبه بحضرة الخليفة في أن يصدقَ عما عنده في ذلك ، فذكر الرجل مثلَ ما أخبر به عنه حامد ، ووصف أن موسى بن خلف كان يتخبَّر لابن الفرات لأنه من الدعاة الذين يدعون إلى الطالبيين ، وأنه كان يمضي في وقتٍ من الأوقات الى ابن أبي الساج في شيء من هذا ، فلما استتم الخليفةُ سماعَ هذا الكلام اغتاظ غيظاً شديداً ، وأقبل على أبي عمر وقال : ما عندك فيمن فِعْلُهُ هذا ؟ فقال : لئن كان فعل ذلك لقد أتى أمراً فظيعاً ، وأقدم على أمر يضرّ بالمسلمين جميعاً واستحقَّ كذا ـ كلمةً عظيمةً لا أحفظها ـ قال أبو جعفر : وتبينتُ في عليّ بن عيسى كراهيةً لما جرى ، والانكارَ للدعوى ، والطنزَ[2] بما قيل فيها ، فقويت بذلك نفسي ، وأقبل الخليفة عليّ فقال : ما عندك يا أحمد في من فعل هذا ؟ فقلت : إن رأى أمير المؤمنين أن يعفيني ، فقال : ولم ؟

(1) هو يوسف بن أبي الساج ، قائد في عهد المقتدر قتل في حرب القرامطة سنة 315 .
(2) الطنز : الهزء والسخرية .

فقلت : لأن الجوابَ ربما أغضبتُ به من أنا محتاجٌ إلى رضاه أو خالَفَ ما يوافقه من ذلك ويهواه ويضرّ بي ، فقال : لا بدَّ أن تجيب ، فقلت : الجواب ما قال اللّه تعالى : ﴿ يَا أَيُّها الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبإٍ فَتَبَيَّنُوا أَنْ تُصِيبُوا قَوْماً بِجهَالَةٍ فَتُصبِحُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمين ﴾ (الحجرات : 6) ومثل هذا يا أميـر المؤمنين لا يُقْبَلُ فيـه خبرُ واحـدٍ والتمييز[1] يمنع من قَبولِ مثل هذا على ابن الفرات ، أتراه يظن به أنه رضيَ أن يكونَ تابعاً لابن أبي الساج ، ولعله ما كان يرضى وهو وزير أن يستحجبه ، ثم أقبلت على الرجل فقلت له : صفْ لي أردبيل ، عليها سورٌ أم لا ؟ فإنك على ما تدعيه من دخولها لا بدَّ أن تكونَ عارفاً بها ، واذكر لنا صفةَ باب دار الإمارة : هل هو حديد أم خشب ؟ فتلجلج فقلت له : كاتب ابن أبي الساج ـ ابن محمود ـ ما اسمه ما كنيته ؟ فلم يعرف ذلك ، فقلت له : فأين الكتب التي معك ؟ فقال : لما أحسستُ بأني قد وقعتُ في أيديهم رميتُ بها خوفاً من أن توجدَ معي فأُعاقب ، قال : فأقبلتُ على الخليفة وقلت : يا أمير المؤمنين هذا جاهلٌ متكسّب مدسوسٌ من قِبَلِ عدوٍّ غير محصل ، فقال علي بن عيسى مؤيداً لي : قد قلتُ هذا للوزير فلم يقبل قولي ، وليس يُهَدَّدُ هذا فضلاً عن أن ينزل به مكروه إلا أقرَّ بالصورة ، فأقبل الخليفة على نذير الحرمي وعدل عن أن يأمر نصراً الحاجب بذلك لما يعرفه بينه وبين ابن الفرات : بحقنا عليك لما ضربته مائة مِقْرَعَةٍ أشدَّ الضرب إلى أن يصدقَ عن الصورة ، فَعُدّي بالرجل عن حضرة الخليفة ليبعد ويضرب ، فقال : لا إلا هاهنا ، فضرب بالقرب منه دون العشرة ، فصـاح : غُرِرْتُ وَضُمِنَتْ لي الضمانات وكذبتُ ، واللّه ما دخلت أردبيل قط . فَطُلِبَ نزار بن محمد الضبي أبو معد ، وكان صاحبَ الشرطة وقد انصرفَ ، فقال الخليفة لعلي بن عيسى : وقِّعْ إليه بأن يضرب هذا مائةَ سوط ، ويثقله بالحديد ، ويحبس في المطبق ، فواللّه لقد رأيت حامداً وقد كاد يسقط انخزالاً وانكساراً ووجـداً واشفاقـاً ، وخرجنـا وجلسنـا في دارِ نصر الحـاجب ، وانصرف حـامد ، وأخـذ علي بن عيسى ينظر في الحوائج ، وأُخِّرَ أمرَ الرجل ، فقـال له حـاجبه ابن عبـدوس[2] : قد وجّـه نذيـرٌ[3]

---

(1) الصابي : والعقل .

(2) هو الجهشياري صاحب كتاب الوزراء والكتاب .

(3) لعل الصواب « نزار » الضبي صاحب الشرطة ، وليس نذير الحرمي .

بالمضروب المتكذب ، فقلت له : إنه وإن كان قد جهل فقد غمَّني ما لحقه خوفاً من أن أكون سببه ، فإن أمكنك أن تسقط عنه المكروه أو بعضه أُجِرْتَ ، فقال : ما في هذا لعنه اللّه أجر ، ولكن أقتصر على خمسين مقرعة وأعفيه من السياط ، ثم وقع بذلك الى نزار وانصرفنا . فصار حامد من أعدى الناس لي .

وقال ابن عبد الرحيم[1] حدثني القاضي أبو القاسم التنوخي ، وله بأمره الخبرة التامة لما يجمعهما من النسب في الصناعة قال : كان أبو جعفر من جلّة الناس وعظمائهم وعلمائهم ، وتقلد قضاء الأنبار وهيت والرحبة وسقي[2] الفرات في أيام المعتمد بعد كتبة الموفق أبي أحمد سنة سبعين ومائتين وأقام يليها إلى سنة ست عشرة وثلاثمائة ، وأضيف له إليها الأهواز وكورها السبع[3] وخلفه عليها جدّي أبو القاسم علي بن محمد التنوخي في سنة إحدى عشرة وثلاثمائة ، وقلّده ماه الكوفة وماه البصرة[4] مضافاتٍ إلى ما تقدم ذكره ، ثم ردًّ عليه مدينة المنصور وطسّوج مسكن وقطربل بعد فتنة ابن المعتز في سنة ست وتسعين ومائتين ، ولم يزل على هذه الولايات إلى سنة ست عشرة وثلاثمائة ، وأسنَّ وضعف ، فتوصل أبو الحسين الأشناني[5] إلى أن ولي قضاء المدينة ، فكانت له أحاديث قبيحة ، وقيل إن الناس سلموا عليه بالقبا[6] إيماءً الى البغاء ، وكان اليه الحسبة ببغداد ، فصرف في اليوم الثالث وأعيد العملُ إلى أبي جعفر فامتنع من قبوله ، ورفع يده عن النظر في جميع ما كان إليه وقال : أحبّ أن يكون بين الصرف والقبر فرجة ، ولا أنزلُ من القلنسوة[7] إلى الحفرة ، وقال في ذلك :

---

(1) نقله الأستاذ الشالجي في النشوار 4 : 23 .

(2) في م : طريق ، وصوبه الشالجي .

(3) كور الأهواز السبع هي : سوق الأهواز ورامهرمز وإيذج وعسكر مكرم وتستر وجنديسابور وسوس وسرق ونهر تيرى ومناذر (معجم البلدان 1 : 411) .

(4) ماه الكوفة هي الدينور ، وماه البصرة نهاوند .

(5) هو عمر بن الحسن بن علي محدث بغدادي ولي القضاء بنواحي الشام (انظر مادة الأشناني في الأنساب والمنتظم 6 : 166) .

(6) يرجح الأستاذ الشالجي أن تكون بالبقا (أي يدعون له بالبقاء وهم ينونون قلب القاف غيناً) .

(7) القلنسوة : رمز للقضاء .

تركتُ القضاءَ لأهلِ القضاء وأقبلتُ أسمو إلى الآخرهْ
فإن يكُ فخراً جليلَ الثناءِ فقد نلتُ منه يداً فاخرهْ
وان كان وِزراً فأَبْعِدْ به فلا خيرَ في إمرةٍ وازرهْ

فقيل له : فابذل شيئاً حتى يردَّ العمل إلى ابنك أبي طالب(1) فقال : ما كنتُ لأتحمَّلها حياً وميتاً ، وقد خدم ابني السلطان وولاه الأعمال ، فإن استوفق خدمته قلّده ، وإن لم يرتضِ مذاهبه صرفه ، وهذا يفتضح ولا يخفى ، وأنشدهم :

يقولون هَمَّتْ بنتُ لقمانَ مرَّةً بسوء وقالتْ يا أبي ما الذي يخفى
فقال لها ما لا يكونُ فأمسكتْ عليه ولم تمددْ لمنكرةٍ كفا
وما كلّ مستور تُغَلَّقُ دونه مصاريعُ أبوابٍ ولو بلغت الفا
بمستترٍ والصائنُ العرضَ سالمٌ وربتما لم يعدم الذمَّ والقرفا
على أن أثوابَ البريء نقيةٌ ولا يلبث الزورُ المفكك أن يطفا

قال : ولست أعلم هذا الشعر له أم تمثل به .

قال التنوخي : وكان أبو جعفر يقول الشعر تأدباً وتطرباً(2) ، وما علمتُ أنه مدح أحداً بشيء منه ، وله قصيدة طردية مزدوجة طويلة ، وحمل الناسُ عنه علماً كثيراً ، ومن شعره :

رأيتُ العيبَ يلصقُ بالمعالي لصوقَ الحبر في يَقَقِ الثيابِ
ويخفى في الدنيءِ فلا تراه كما يخفى السوادُ على الإهابِ

وله في الوزير ابن الفرات(3) :

قل لهذا الوزير قولَ محقّ بَثَّهُ النصحَ أيمّا إبثاثِ
قد تقلّدتها ثلاثاً(4) ثلاثاً وطلاقُ البتاتِ عند الثلاثِ

(1) هو ابنه محمد بن أحمد بن اسحاق .
(2) ر : وتظرفاً .
(3) ورد البيتان أيضاً في كتاب الوزراء : 245 .
(4) الصابي : مراراً .

وكان الأمر على ما قاله ، فإن ابن الفرات قتل بعد الوزارة الثالثة في محبسه.

وله أيضاً :

أقبلتِ الدنيا وقد ولَّى العُمُرْ   فما أذوقُ العيشَ إلا كالصَّبِرْ
للّه أيام الصبا لو تفتكر   لاقتْ لدينا لو تؤوبُ ما يسرْ

وله أيضاً :

ويجزعُ من تسليمنا فيردنا   مخافةَ أن نبغي نداه فيبخلا[1]
وما ضره ان يجتبينا ببشره   فنقنعَ بالبشرِ الجميلِ ونرحلا

وله أيضاً :

وحُرقةٍ أورثتها فرقةٌ دَنِفاً   حيرانَ لا يهتدي إلا إلى الحَزَنِ
في جسمهِ شُغُلٌ عن قلبه وله   في قلبه شُغُلٌ عن سائرِ البدنِ

وله أيضاً :

أبعد الثمانين أفنيتَها   وخمساً وسادسها قد نما
ترجّي الحياةَ وتسعى لها   لقد كاد دينُك أن يُكْلَما

وله أيضاً :

إلى كم تخدمُ الدنيا   وقد جزتَ الثمانينا
لئن لم تكُ مجنوناً   لقد فُقْتَ المجانينا

وقد ذكر أبو عبد اللّه ابن بشران في تاريخه قال : دخل على القاضي أحمد بن إسحاق بن البهلول أبو القاسم عمر بن شاذان الجوهري فقال له : ارتفع يا أبا حفص ، فقال له بعض من حضر : هو أبو القاسم ، فأنشأ ابن البهلول يقول :

فإن تنسني الأيام كنيةَ صاحبٍ   كريم فلم أنسَ الإخاءَ ولا الودا
ولكن رأيتُ الدهرَ يُنْسيك ما مضى   إذا أنت لم تُحْدِثْ إخاءً ولا عهدا

(1) القافية : فيبخلُ (مرفوعة) في المختصر .

- 57 -

أحمد بن إسحاق، يعرف بالجفر : حميريُّ النسب مصريُّ الدار ، لم أجدْ له ذكراً إلا في كتاب أبي بكر الزبيدي فإنه ذكره في نحاة مصر وقال : مات سنة إحدى وثلاثمائة .

- 58 -

أحمد بن إسماعيل بن سمكة ، أبو عبد الله أبو علي : بجلي عربي من أهل قمّ . ذكره أبو جعفر في مصنّفي الامامية ، من أهلِ الفضلِ والأدبِ والعلم ، وعليه قرأ أبو العباس محمد بن الحسين بن العميد ، وله عدةُ كتبٍ لم يُصَنَّفْ مثلها ، منها كتاب العباسي ، وهو كتاب عظيم في عشرة آلاف ورقة في أخبار الخلفاء والدولة العباسية مستوفىً لم يُصَنَّفْ مثله وغير ذلك . وكان نحوياً لغوياً أخبارياً . من شعره في أبي الفضل ابن العميد :

خلِّطْ فهذا زمانٌ فيه تخليطُ — والناسُ إثنان محسودٌ ومغبوطُ
ولا تُقِيمَنْ بأرضٍ لا انتفاعَ بها — فالأرضُ واسعةٌ والرزقُ مبسوط

فأجابه ابن العميد :

لا تضجرنْ بزمانٍ فيه تخليطُ — إن القضاءَ بجدِّ المرءِ مربوطُ
واصبر على الدهر لا تغضبْ على أحدٍ — فلن ترى غير ما في اللوحِ مخطوطُ

- 59 -

أحمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن الخصيب نطاحة من أهل الأنبار : كان

57 ـ ترجمة الجفر في طبقات الزبيدي : 377 وفيه « يعرف بالجبر » .
58 ـ هذه الترجمة من المختصر ولم ترد في مطبوعة مرغوليوث ، وانظر فهرست الطوسي : 23 (كلكتا) 59 (بيروت) .
59 ـ ترجمة نطاحة في فهرست ابن النديم : 138 والوافي 6 : 248 .

كاتبَ عبيد اللّه بن عبد اللّه بن طاهر[1] ، وكان بليغاً مترسلاً شاعراً أديباً متقـدماً في صناعة البلاغة ، وكان في الأكثر يكتبُ عن نفسه إلى إخوانه ، وبينه وبين ابن المعتز مراسلات وجوابات عجيبة .

ذكره محمد بن إسحاق النديم وقال : له من التصانيف : كتاب ديوان رسائله نحو ألف ورقة يحتوى على كلِّ حَسَنٍ من الرسائل . كتاب الطبيخ . كتاب طبقات الكتاب . كتاب أسماء المجموع المنقول من الرقاع يشتمل على سماعاته من العلماء وما شاهد من أخبار الجلة . كتاب صفة النفس . كتاب رسائله إلى إخوانه .

قال المرزباني في « المعجم » وجدُّه الخصيب بن عبد الحميد صاحب مصر وأصلهم من المذار[2] ، وهو القائل :

خيـرُ الكـلام قليـلُ	علـى كثيـرٍ دليـلُ
والعيّ معنىً[3] قصيـر	يحـويـه لفظٌ طـويـلُ
وفي الكـلامِ عيـونٌ	وفيـه قـالٌ وقيـلُ
وللبليـغِ فصـولٌ	وللعيـيّ فضـولُ

وله أيضاً :

لا تجعلنْ بُعْـدَ داري	مخسِّساً لنصيبي
فـربَّ شخصٍ بعيـدٍ	إلى الفـؤادِ قـريب
وربّ شخصٍ قـريبٍ	إليـه غيـرُ حبيب
مـا القـربُ والبعـد إلا	مـا كـان بين القلوب

وله يمدح كاتباً :

وإذا نمنمَتْ بنـانُـكَ خطّا	مُعْـرِبـاً عن إصابـةٍ وَسَـدادِ
عَجِبَ النـاسُ من بياضِ معانٍ	يُجْتَنَى من سوادِ ذاك المـدادِ

---

(1) كتب قبله لمحمد بن طاهر .

(2) ر: المداد .

(3) ر: شيء .

وله أيضاً :

ماذا أقولُ لمن إن زُرْتَه حَجَبا وان تخلَّفْتُ عنه مُكْرَهاً عتبا
وان أردتُ خلاصاً من تعتُّبه ظلماً فعاتبتُهُ في فعله غضبا

قال أحمد بن يحيى : كان أحمد بن إسماعيل بن إبراهيم الكاتب علاّمة شاعراً حَسَن المعرفة بالشعر ، وكان من الظرفاء الخلعاء ، قال لي مرة : يا أبا العباس ما بناتُ مخرٍ ؟ فقلت : بنات مخرٍ سحائبُ بيضٌ يأتين قَبْلَ الصيف تشبّه النساء في بياضهنَّ وحسنهنّ بها ، لأنّ سحابَ الصيف لا ماءَ فيه فيسودّ ويتغير ، فقال لي : قلبك عربي .

واستهدى من أحمد بن إسماعيل كتاب « حدود الفراء » فأهداه وكتب على ظهره :

خُذْهُ فقد سُوِّغتَ منه مشبهاً بالروض أو بالبردِ في تفويفِهِ
نُظِمتْ كما نُظِمَ السحاب سُطُورُهُ وتأنَّقَ الفرّاءُ في تأليفِهِ
وَشَكَلْتُهُ ونقطته فأَمِنْتُ من تصحيفه ونجوتُ من تحريفِهِ
بستانُ خطٍّ غير أن ثمارَهُ لا تُجْتَنَى إلا بشكلِ حروفِهِ

ـ 60

أحمد بن أبي الأسود القيرواني : ذكره الزبيدي فقال : كان غاية في النحو واللغة ، وهو من أصحاب عبد الملك المهري[1] ، وله تصانيف في النحو والغريب ومؤلفات حسان ، وكان شاعراً مجيداً .

60 ـ ترجمته في إنباه الرواة 1 : 31 وبغية الوعاة 1 : 297 وطبقات الزبيدي : 229 .

(1) هو عبد الملك بن قطن المهري ، وقد مرَّ ذكره في ترجمة أخيه إبراهيم ، وسقطت ترجمته .

ـ 61 ـ

أحمد بن أعثم الكوفي أبو محمد الأخباري المؤرخ : كان شيعياً وهو عند أصحاب الحديث ضعيف وله كتاب المألوف ، وكتاب الفتوح[1] معروف ، ذكر فيه إلى أيام الرشيد ، وله كتاب التاريخ إلى آخر أيام المقتدر ابتدأه بأيام المأمون ويوشك أن يكون ذيلاً على الأول ، رأيت الكتابين . وقال أبو علي الحسين بن أحمد السلامي البيهقي أنشدني ابن أعثم الكوفي :

إذا اعتذر الصديقُ إليك يوماً   من التقصيرِ عُذْرَ أخٍ مُقِرِّ
فَصُنْهُ عن جفائك وآرضَ عنه   فإنّ الصفحَ شيمةُ كلِّ حرِّ

ـ 62 ـ

أحمد بن بختيار بن علي بن محمد الماندائي أبو العباس الواسطي : وكان له معرفة جيدة بالأدب والنحو واللغة، مات ببغداد في جمادى الآخرة سنة اثنتين وخمسين وخمسمائة ومولده في ذي الحجة سنة ست وسبعين وأربعمائة بأعمال واسط ، وقد ولي القضاء بواسط ، وكان فقيهاً فاضلاً له معرفة تامة بالأدب واللغة ويد باسطة في كتب السجلات والكتب الحكمية . سمع أبا القاسم ابن بيان وأبا علي ابن نبهان وغيرهما .

قال أبو الفرج ابن الجوزي[2] : وكان يسمع معنا على الفضل بن ناصر . صنف كتباً منها : كتاب القضاة . كتاب تاريخ البطائح .

قرأت بخط حجة الاسلام أبي محمد عبد اللّه بن أحمد بن أحمد بن الخشاب ،

---

61 ـ ترجمة ابن أعثم في الوافي 6: 256 .

62 ـ ترجمته الماندائي في طبقات السبكي 6: 14 والوافي 6: 261 وبغية الوعاة 1: 297 وطبقات الاسنوي 2: 436 والمشتبه: 624 والكامل لابن الاثير (حوادث 552) وتاريخ ابن كثير 12: 236 (وتكتب نسبته أيضاً : المندائي باسقاط الالف الأولى) .

(1) طبع في ثمانية أجزاء (حيدر أباد الدكن) .

(2) المنتظم 10: 177 .

أنشدني صديقنا الشيخ أبو العباس أحمد بن بختيار بن علي بن محمد الماندائي لنفسه في ابن المرخم :

قد نلتَ بالجهلِ أسباباً لها خَطَرٌ يضيقُ فيها على العقلِ المعاذيرُ
مصيبــةٌ عمَّتِ الاسلامَ قـاطبـةً لا يقتضي مثلهـا حـزمٌ وتـدبيـر
إذا تجـارى ذوو الألبابِ جملتهـا قـالـوا جهـولٌ أعـانَتْـهُ المقـاديـر

وقال ابن الخشاب : ومما انشده ابن بختيار في مجلس ابن ناصر لنفسه :

خلقٌ أرقُّ من النسيم إذا جـرى سَحَـراً على نَوْرِ الـربيعِ الـزاهرِ
لـو جـاور البحـرَ الأُجاجَ أعـادَهُ عَـذْبـاً يـروقُ صفـاؤُهُ للنـاظـرِ

وله :

لـمـا كسـا وَجْـهَـهُ عـذارٌ خـلعتُ في وصلِهِ الـعـذارا
داريـتُـهُ فـاسـتـقـام حـتـى صـار إذا لـم أُدِرْهُ دارا

ـ 63 ـ

أحمد بن أمية بن أبي أمية أبو العباس الكاتب : ذكره المرزباني فقال : من أهل بيت الكتابة والغزل والظرف والأدب ، حدثنا أحمد بن القاسم النيسابوري أنه لقيه بعد الخمسين والمائتين أو حواليها وأخذ عنه علماً كثيراً وأدباً .

قلت : وأمية مولى لهشام بن عبد الملك واتصل في دولة بني العباس بالربيع حاجب المنصور وكتب بين يديه ، وله شعر حسن ، وولده أهل بيت علم منهم أحمد هذا وأخوه محمد وقد ذكرته في « أخبار الشعراء » .

قال المرزباني وأحمد هو القائل :

خَبَّـرَتْ عن تغيـري الأتـرابـا ومشيبي فقلنَ بـاللّه شـابـا
نـظرتْ نـظرةً إليّ فصـدَّتْ كصدود المخمورِ شمَّ الشرابا

---

63 ـ تاريخ بغداد 4 : 43 والورقة لابن الجراح : 50 والوافي 6 : 259 .

إن أدهى مصيبـةٍ نـزلتْ بي أن تَصُدّي وقد عدمتُ الشبابا

وكان أبو هفان يقول : ليس في الدنيا هجاء أشرف ولا أظرف من قول أحمد بن أمية :

إذا ابنُ شاهكَ قد ولّيته عملاً أضحى وحقُّك عنه وهو مشغولُ
بسكةٍ أُحْدِثَتْ ليست بشارعةٍ في وسطها عَرْصةٌ في وسطها ميلُ
يُرَى فُرانِقُها في الركضِ مندفعاً تهوي خريطتُهُ والبغلُ مشكولُ

ـ 64 ـ

أحمد بن بشر بن علي التجيبي: يعرف بابن الأغبس، ذكره الحميدي وقال: مات سنة ست وعشرين وثلاثمائة، وكان فقيهاً على مذهب الشافعي مائلاً إلى الحديث عالماً بكتب القرآن ، قد أتقن كلَّ ما قيل فيها من جهة العربية والتفسير واللغة والقراءة ، وكان حافظاً للغة العربية كثيرَ الرواية جيّدَ الخط والضبط للكتب ، وأخذ عن العجلي والخشني وابن الغازي .

ـ 65 ـ

أحمد بن بكران بن الحسين الزجاج : كتب عنه علي بن محمد الأزدي في سنة خمس وخمسين وثلاثمائة .

ـ 66 ـ

أحمد بن بكر العبديّ أبو طالب ، صاحب كتاب « شرح الايضاح » لأبي علي

---

64 ـ ترجمة ابن الأغبس في تاريخ ابن الفرضي 1 : 44 وجذوة المقتبس: 111 وطبقات الزبيدي: 282 والمقتبس (انطونية): 48 وإنباه الرواة 1 : 33 والوافي 6: 265 والديباج المذهب 1 : 157 وبغية الوعاة 1 : 298 .

65 ـ ترجمته في تاريخ بغداد 4: 56 .

66 ـ ترجمة العبدي في نزهة الألباء: 230 وابن خلكان 1 : 101 والوافي 6: 267 وبغية الوعاة 1 : 298 .

الفارسي : كان نحوياً لغوياً قيماً بالقياس والافتنان في العلوم العربية ، أخذ عن القاضي أبي سعيد السيرافي وأبي الحسن الرماني وأبي علي الفارسي ، ومات في سنة ست وأربعمائة في خلافة القادر بالله ، لم أجد له خبراً فأحكيه إلا ما حكى هو عن نفسه في كتاب « شرح الإيضاح » أنه تكلم مع أبي محمد يوسف بن أبي سعيد الحسن السيرافي (قال العبدي: وكان ابن السيرافي مكيناً في هذا الشأن على شهرته عند الناس في اللغة) في تاء تفعلين فقال : هي علامة التأنيث والفاعل مضمر ، فقلت له : ولو كانت بمنزلة التاء في ضربت علامة للتأنيث فقط لثبتت مع ضمير الاثنين وعلم أن فيها مع دلالتها على التأنيث معنى الفاعل ، فلما صار للاثنين بطل ضمير الواحد الذي هو الياء وجاءت الألف وحدها ، فقال هذا إذاً زبيل الحوالج كذا وكذا ، وانقطع الوقتُ بالضحك من ابن شيخنا في قلة تصرفه .

وقرأت في فوائد نقلت عن أبي القاسم المغربي الوزير أن العبدي أُصيب بعقله واختل في آخر عمره . وله من التصانيف كتاب شرح الايضاح . كتاب شرح الجرمي .

ـ 67 ـ

أحمد بن أبي بكر بن أبي محمد الخاوراني ، النحوي الأديب أبو الفضل يلقب بالمحدويه : لقيته بعرف سرين[1] ، وهو شاب فاضل بارع متفنن قيّم بعلم النحو محترق بالذكاء حافظ للقرآن ، كتب بخطه العلوم وقرأها على مشايخه ، ورأيته قد صنَّف كتابين صغيرين في النحو ، وشرع في أشياء لم تمهله المنية ليتمها ، منها فيما ذكر لي « شرح المفصل » للزمخشري ، وكتب عني الكثير وفارقته في سنة سبع عشرة

67 ـ ترجمته الخاوراني في الوافي 6: 268 وبغية الوعاة 1: 299 ؛ والخاوراني نسبة إلى خاوران وهي قرية من نواحي خلاط ، وقال ياقوت في معجم البلدان : ومنها صديقنا أديب تبريز أحمد بن أبي بكر بن أبي محمد ، مات شاباً في سنة 620 .

(1) يذكر ياقوت أن العرف من مخاليف اليمن بينه وبين صنعاء عشرة فراسخ ويذكر في مادة « سرّين » أنها قرية من أعمال صنعاء ؛ ولكني لست واثقاً من أن هذا الموضع هو الذي يعنيه هنا .

وستمائة ثم بلغني أنه اعتبط فمات في سنة عشرين وستمائة وعمره نحو ثلاثين سنة ، وله رسالة صالحة .

ـ 68 ـ

احمد بن جعفر الدينوري ختن ثعلب على ابنته ، يكنى أبا علي : أحد النحاة المبرزين المصنفين [ذكره الزبيدي] في نحاة مصر وقال : انه مات بمصر سنة تسع وثمانين ومائتين قال : وكان أبو عليّ الدينوري يخرج من منزل ثعلب وهو جالسٌ على باب داره فيتخطى أصحابه ومعه محبرته فيقرأ كتابَ سيبويه على أبي العباس المبرد ، فيعاتبه ثعلب ويقول : إذا رآك الناسُ تمضي إلى هذا الرجل وتقرأ عليه وتتركني يقولون ماذا ؟ فلم يكنْ يلتفتُ إلى قوله . قال : وكان أبو علي هذا حسنَ المعرفة ، قال قال المصعبي : فسألت أبا علي كيف صار المبرد أعلم بكتاب سيبويه من ثعلب ؟ فقال : لأن المبرد قرأه على العلماء وثعلب قرأه على نفسه .

قال الزبيدي : وأصله من الدينور ، وقدم البصرة وأخذ عن المازني وحمل عنه كتاب سيبويه ، ثم دخل إلى بغداد فقرأ على المبرد ، ثم قدم مصر ، وألف « كتاب المهذب » في النحو ، وكتب في صدره اختلافَ البصريين والكوفيين وعزا كلَّ مسألة إلى صاحبها ، ولم يعتلَّ لكلٍّ واحدٍ منهم ولا احتجَّ لمقالته ، فلما أمعن في الكتاب ترك الاختلافَ ونقل مذهب البصريين ، وعوَّلَ في ذلك على كتاب الاخفش سعيد بن مسعدة . وله كتاب مختصر في ضمائر القرآن استخرجه من « كتاب المعاني » للفراء . ولما قدم علي بن سليمان الأخفش إلى مصر خرج أبو علي منها ، فلما رجع الأخفش إلى بغداد عاد أبو علي إلى مصر فأقام بها حتى مات في السنة المقدم ذكرها . وله كتاب إصلاح المنطق .

68 ـ ترجمة ختن ثعلب في إنباه الرواة 1 : 33 والوافي 6 : 285 وبغية الوعاة 1 : 301 وطبقات الزبيدي : 215 .

- 69 -

أحمد بن جعفر جحظة : هو أبو الحسن أحمد بن جعفر بن موسى بن يحيى بن خالد بن برمك البرمكي النديم . قال أبو عبد اللّه الحسن بن علي بن مقلة : سألتُ جحظةَ عمَّن لقَّبه بهذا اللقب فقال : ابنُ المعتز لقبني به ، فإنه لقيني يوماً فقال لي : ما حيوانٌ إذا قلب[1] صار آلة للبحرية ؟ فقلت : عَلَق إذا عُكِسَ صار قِلْعاً ، فقال : أحسنتَ يا جحظة ، فلزمني هذا اللقب ، وهو من في عينيه نتوء جداً ؛ وكان قبيحَ المنظر وكان له لقب آخر يلقبه به المعتمد ، وهو خنياكر[2] ، وما أدري أيّ شيء معناه .

كان حسن الأدب كثيرَ الرواية للأخبار متصرفاً في فنون من العلم كالنحو واللغة والنجوم ، مليحَ الشعر مقبولَ الألفاظ حاضرَ النادرة ، وكان طنبورياً حاذقاً فيه فائقاً ، مات في شعبان سنة أربع وعشرين وثلاثمائة[3] بجبّل ومولده سنة أربع وعشرين ومائتين .

ذكره محمد بن إسحاق النديم فقال : ولجحظة من التصانيف : كتاب الطبيخ ، لطيف . كتاب الطنبوريين . كتاب فضائل السكباج . كتاب الترنم . كتاب المشاهدات . كتاب ما شاهده من أمر المعتمد على اللّه . كتاب ما جمعه مما جرَّبه المنجمون فصحَّ من الأحكام . كتاب ديوان شعره .

قال[4] : كان جحظة وسخاً قذراً دنيء النفس في دينه قِلَّةٌ ، وهو القائل :

إذا ما ظمئتُ إلى ريقِهِ جعلتُ المدامةَ منه بديلا
وأين المدامةُ من ريقه ولكنْ أُعَلِّلَ قلباً عليلا

---

69 ـ ترجمة جحظة في الفهرست: 162 وتاريخ بغداد 4: 65 ووفيات الأعيان 1: 133 والوافي 6: 286 وفي الأغاني والديارات والبصائر وغيرها من الكتب الأدبية أخبار منثورة عنه ، وقد ألف فيه الدكتور مزهر السوداني كتابه: جحظة البرمكي الأديب الشاعر (النجف: 1977) .

(1) م : عكس .
(2) لعلَّ معناه : المغني .
(3) في الفهرست : سنة 326 (وأثبت ابن خلكان التاريخين) .
(4) أي صاحب الفهرست .

ومن سائر شعره قوله :

لي صديقٌ مُغْرىً بقربي وَشَذْوِي ... ولــه عنــدَ ذاكَ وجــهٌ صفيــقُ
قــولـه إن شـدوتُ أحسنتَ زدني ... وبــأحسنتَ لا يُبَــاعُ الـدقيـقُ

حدث الخطيب قال[1] ، قال جحظة : أنشدت عبيد اللّه بن عبد الله بن طاهر قولي :

قـد نـادتِ الـدنيـا على نفسهـا ... لـو كـان في العــالم من يَسْمَـعُ
كم واثقٍ بــالـعمــر أوثـقتــه[2] ... وجــامــعٍ بــددتُ مــا يجمــعُ

فقال لي : ذنبك إلى الزمانِ الكمال .

ومن شعر جحظة[3] :

أقولُ لها والصبحُ قد لاح ضـوءُهُ ... كمـا لاح ضـوءُ البـارقِ المتـألقِ
شبيهُـكِ قد وافى ولاح افتـراقنـا ... فهل لك في صوتٍ وكأسٍ مروّقِ
فقالتْ شفائي في الذي قد ذكرتَهُ ... وان كنتَ قـد نغصتَـهُ بــالتفرُّقِ

قـال جحظة : صـك لي بعضُ الملوكِ بِصِلةٍ[4] ، فـدافعني الجهبذُ بـه حتى ضجرت ، فكتبت إليه[5] :

إذا كــانت صِــلاتكـمُ رقــاعــاً ... تُـخَــطَّطُ بــالأنــامِــل والأَكُــفِّ
ولم تكن الــرقــاعُ تجــرّ نفعــاً ... فهــا خـطّي خــذوه بـألفِ ألفِ

وأنشد جحظة لنفسه في أماليه :

طَرَقْنا بـزوغى[6] حين أينعَ زهـرها ... وفيهــا لعمــرُ اللّهِ للعيـنِ مـنـظرُ

---

(1) تاريخ بغداد 4 : 66 .
(2) م : واثقته ؛ ر: واريته .
(3) الإمتاع والمؤانسة 2 : 167 ـ 168 والوافي 6 : 288 .
(4) م : بصك .
(5) تاريخ بغداد 4 : 68 والمنتظم 6 : 284 (وانظر جحظة : 288 ـ 289).
(6) بزوغى : من قرى بغداد ، بينها وبين بغداد نحو فرسخين .

وكم من بهارٍ يبهرُ العينَ حُسْنُـهُ ... ومن جدولٍ بالبارد العذبِ يزخرُ
ومن مستحَثٍّ بالمدام كأنه ... وإن كان ذمياً أميرٌ مؤمَّرُ
وفي كفّه اليمنى شرابٌ موردٌ ... وفي كفّه اليسرى بنانٌ معصفرُ
شقائقُ تَنْدَى بالندى فكأنها ... خدودٌ عليهنَّ المدامعُ تقطرُ
وكم ساقطٍ سُكْراً يلوكُ لسانَهُ ... وكم قائلٍ هُجْراً وما كان يُهْجرُ
وكم منشدٍ بيتاً وفيه بقيّةٌ ... من العقل إلا أنه متحيرُ
«فكان مجنّي دون من كنتُ أتقي ... ثلاثُ شخوصٍ كاعبان ومُعصِرُ»
وكم من حُسان جَسَّ أوتارَ عوده ... فألهبَ ناراً في الحشا تتسعرُ
يغنّي وأسبابُ الصوابِ تمدّه ... بصوتٍ جليلٍ ذكرُهُ حين يذكرُ
أحنَّ حنينَ الوالهِ الطَّرِبِ الذي ... ثنى شجوه بعد الغداء التذكرُ
أجحظةُ إن تجزعْ على فَقْدِ معشرٍ ... فقدتَ بهم من كان للكسر يجبرُ
وأصبحتَ في قوم كأنَّ عظامهم ... إذا جئتهم في حاجةٍ تتكسَّرُ
فصبراً جميلاً إن في الصبر مَقْنعاً ... على ما جناه الدهرُ واللّه أكبرُ

وأنشد أيضاً لنفسه :

يا من بعدتُ من الكرى ببعاده ... الصبرُ مذ غُيِّبْتَ عنّي غائبُ
أصبحتُ أجحد أنني لكَ عاشقٌ ... والعينُ مخبرةٌ بأني كاذبُ

وأنشد أيضاً لنفسه :

قد قلَّلَ الإدمانُ أكلي فما ... أُطعمُ زاداً قِيسَ إبهامِ
فالحمدُ للّه وشُكراً له ... قد صرتُ من بابة أقوامِ
قوم ترى أولادهم بينهم ... للجوعِ في حِلْيَةِ أيتامِ

وأنشد أيضاً لنفسه :

أرى الأيامَ ترمزُ لي بخيرٍ ... ولكنْ بعد أيامٍ طوالِ
فمن ذا ضامنٌ لدوام عمري ... إلى دهر يغيِّرُ سوءَ حالي

هي التسعونَ قد عطفتْ قناتي وَنَفَّرتِ الغواني عن وصالي
وفيها لو عرفتَ الحق شُغْلٌ عن الأمرِ الذي أضحى اشتغالي
كأني بالنوادب قائلاتٍ وجسمي فوق أعناقِ الرجالِ
ألا سقيا لجسمك كيف يَبْلَى وذكْرُكَ في المجالسِ غير بالي

وأنشد أيضاً لنفسه(1) :

أَنْفِقْ ولا تخشَ إقلالاً فقد قُسِمَتْ بين العباد مع الآجالِ أرزاقُ
لا ينفعُ البخلُ معْ دنيا موليةٍ ولا يضرُّ مع الإقبال إنفاقُ

وأنشد أيضاً لنفسه :

تعجبتْ إذ رأتني فوق مكسورٍ من الحمير عقيرِ الظهرِ مضرورِ
من بعدِ كلِّ أمينِ الرُّسْغِ معترضٍ في السير تحسبه إحدى التصاوير
فقلتُ لا تعجبي منّي ومن زمنٍ أنحى عليَّ بتضييقٍ وتقتير
بل فاعجبي من كلابٍ قد خدمتهمُ تسعين عاماً بأشعاري وطنبوري
ولم يكنْ في تناهي حالهم بهمُ حُرٌّ يعودُ على حالي بتغيير

وقيل لجحظة : كيف حالك ؟ فقال : كما قال الشاعر(2) :

أيّ شيء رأيتَ أعجبَ من ذا إن تفكرتَ ساعةً في الزمانِ
كلُّ شيءٍ من السرورِ بوزنٍ والبلايا تُكَالُ بالقفزانِ

وأنشد جحظة لنفسه :

الحمد اللّه ليس لي كاتبْ ولا على بابِ منزلي حاجبْ
ولا حمارٌ إذا عزمتُ على ركوبه قيل جحظةٌ راكبْ
ولا قميصٌ يكون لي بدلاً مخافةً من قميصيَ الذاهبْ

(1) بخلاء الخطيب : 191 وشرح المضنون به : 113 ولسان الميزان 1 : 146 .
(2) الوافي 6 : 288 ومعاهد التنصيص 2 : 299 .

وأجرةُ البيتِ فهي مُقْرِحَةٌ أجفانَ عيني بالوابل الساكبْ
إن زارني صاحبٌ عزمتُ على بيع كتاب لِشِبْعَةِ الصاحبْ
أصبحتُ في معشرٍ تشمتهم فرضٌ من اللّه لازبٌ واجبْ
فيهمْ صديقٌ في عِرْسِهِ عَجَبٌ إذا تأملتَ أمرها عاجبْ
تحسبها حرةً وحافرها أرقُّ من شِعْرِ خالدِ الكاتبْ

وأنشد لنفسه :

أحمدُ اللّه لم أقلْ قطُّ يا بد رُ ويا منصفاً ويا كافورُ
لا ولا قلتُ أين أين الشواهـ ـينُ ووزّانـنا[1] وأينَ البدورُ
لا ولا قيل قد أتاك من الضيـ ـعة بُرٌّ موفَّرٌ وشعيرُ
وأتاك العطّارُ بالند لما قيل ما في الخزانتين بخورُ
أنا خلوٌ من المماليك والأمـ ـلاك جَلْدٌ على البلاءِ صبورُ
ليس إلا كُسَيْرَةٌ وقُدَيْحٌ وَخُلَيْقٌ أتتْ عليه الدهورُ

قال جحظة : ومررت بوقاد يوقد في التنور ويغني[2] :

أنا أهواك بنور اللّه فافعلْ ما بدا لكْ
إن تكنْ تمنعني شَخْـ ـصَكَ فابذلْ لي خيالكْ
قد أخذتَ الدن والطنـ ـبور والكلب فمالكْ
قلْ لمن جنبك القمـ ـعوث مَنْ دَسَّكَ والكْ

وله أيضاً[3] :

ولي صاحبٌ زرتُهُ للسلام فقابلني بالحجابِ الصُّراحِ
وقالوا تغيَّبَ عن داره لخوفِ غريم ملحٍّ وقاحِ
ولو كان عن داره غائباً لأدخلني أهله للنكاحِ

---

(1) ر : وررانا (دون إعجام) .
(2) البصائر للتوحيدي 4 : 140 (رقم : 482) .
(3) البصائر 2 : 45 (رقم : 109) وجحظة البرمكي : 278 .

وقال يستزير بعض إخوانه[1] :

لـنـا يـا أخـي زَلَّـةٌ وافـرهْ وقـدرٌ مـعـجَّـلَـةٌ حـاضِـرَهْ
وراحُ تـريـك[2] إذا صُـفِّـقَـتْ سنا البرقِ في الليلة المـاطـرهْ
ومـا شئـت مـن زَهَـرٍ يـانـعٍ أطـافت بـه الـديمةُ المـاطـرهْ
ومسمعـة[3] لم يخنهـا الصـوابُ وزامـرةٌ أيـمـا زامـرهْ
ومـا شئـتَ مـن خـبـرٍ نـادرٍ ونـادرةٍ بـعـدهـا نـادرهْ
فـايت ولـو كنت يـا ابنَ الكـرام وحـاشـاكَ من ذاك في الآخـرهْ

وأنشد لنفسه أيضاً :

ما زارني في الحبسِ مَنْ نادمتـه كـأسين كـاسَ مـودةٍ وَمُـدامِ
بخلوا عليَّ وقـد طلبتُ سلامهمْ فكـأنني طـالبتهـم بـطعـامِ

وأنشد أيضاً لنفسه :

وذي جِـدَةٍ طلبتُ إليـه بِـرّاً من الجلساءِ مذمومِ الخلائقْ
فـأقـسم أنـه رجـلٌ فـقيـر أرانيـه المهيمن وهـو صـادقْ
كـأني بـالمنـازلِ عن قليـلٍ خَلَوْنَ من المـطرَّزَةِ النمـارقْ
وقـد ظفرَ النسـاءُ بمـا تـركتمْ فصـار لماهـرٍ بالنيـك حـاذقْ

وأنشد أيضاً لنفسه في أماليه :

وقـائلٍ قـال لي من أنت قلتُ لـه مقـالَ ذي حكمـةٍ دَانَتْ له الحِكَمُ
لستُ الذي تعرفُ البطحاءُ وطـأته والبيتُ يعـرفـه والحـلُّ والحـرمُ
أنـا الـذي دينُـهُ إسعـافُ سـائله والضـرُّ يعـرفـه والبؤسُ والعَـدَمُ
انـا الذي حُبَّ أهـلِ البيت أفقـره فـالعـدلُ مستعبِـرٌ والجَـوْرُ مبتسمُ

(1) الديارات : 22 ومحاضرات الراغب 1 : 307 (ط. الشرفية) وهو يدعو ابن طرخان .
(2) م : تزيل .
(3) الديارات : ومحسنة .

وله أيضاً[1] :

ولي كبدٌ لا يُصْلِحُ الطبُّ سُقْمَها   من الوجدِ لا تنفكُّ داميةً حَرَّى
فياليتَ شعري والظنونُ كثيرة   أيشعر بي من بتُّ أرعى له الشعرى

وله أيضاً :

شكري لإحسانك شكر امرئٍ   يستوهبُ الإحسان من واهِبهْ
وكيف لا أشكرُ من لا أرى   في منزلي إلا الذي جاد بهْ

وأنشد جحظة لنفسه في أماليه :

حسبي ضجرتُ من الأدبْ   ورأيته سببَ العَطَبْ
وهجرتُ إعرابَ الكلام   وما حفظتُ من الخطبْ
ورهنتُ ديوانَ النقا   ئضِ واسترحتُ من التعبْ

وله أيضاً[2] :

لا تعجبي يا هندُ من   حالي فما فيها عَجَبْ
إن الزمانَ بمن تقدَّ   م في النباهة منقلبْ
فالجهلُ يضطهد الحجى   والراسُ يعلوهُ الذنبْ

حدث غرس النعمة في كتاب الهفوات[3] قال : كان جحظة لما أسنَّ يفسو في مجالسه فيلقى من يعاشره منه جهداً، قال أبو الحسين ابن عياش[4]: وكنت أحبُّ غناءه والكتابة عنه لما عنده من الآداب ، وكان يستطيبُ عشرتي ، وكنت إذا جلست عنده أخذتُ عليه الريح ، [وجلست فوقها] ، فجئته يوماً في مجلس الأدب والناس عنده وهو يملي ، فلما خفُّوا قال لي ولآخر كان معي ، اجلسا عندي حتى أُقعدكما على

(1) البصائر 2 : 47 (رقم : 117) والبيت الثاني في المنتحل: 238 .
(2) محاضرات الراغب 1 : 13 (الشرفية) .
(3) الهفوات : 157 ـ 158 ونشوار المحاضرة 2 : 195 ـ 196 .
(4) أبو الحسين عبد الله بن أحمد بن عياش ، كان على الفتيا بسوق الأهواز ، ويروي عنه التنوخي في النشوار والفرج بعد الشدة قصصاً كثيرة .

لبود ، وأطعمكما طُبَاهِجةً بكبود ، وأسقيكما من معتقة اليهود ، وأبخّركما بعنبرٍ وعود ، أطيب من الندود، وأغنيكما غناء المسدود[1]. فقلت: هذا موضع السجود. وجلسنا وصديقي لا يعرف خَلَّته في الفساء ، وأنا قد أخذت الريح[2] ، فوفى لنا بجميع ما ذكره ، وقال لنا وقد غنى وشربنا : نحن بالغداة علماء وبالعشي في صورة المخنكرين[3] . فلما أخذ النبيذ منه أخذ يفسو وصديقي يغمزني ويتعجب ، فأقول له : إن ذلك عادته وخلّته ، وأن سبيله أن يُحْتَمَل إلى أن غنّى صوتاً من الشعر والصنعة له فيه وكان يجيده :

إن بالحيرة قساً قد مَجَنْ فتنَ الرهبانَ فيها وافتتنْ
ترك الإنجيلَ حيناً للصبا ورأى الدنيا مجوناً فركن

قال : فطرب عليه صديقي طرباً شديداً واستحسنه كثيراً وأراد أن يقول له : أحسنت واللّه يا أبا الحسن ، فقال له ما في نفسه يتردد من أمر الفساء : افسُ عليَّ يا أبا الحسن كيف شئت ، فخجل جحظة وخجل الفتى وانصرفنا .

وحدث الخطيب عن أبي الفرج الاصبهاني قال[4] : حدثني جحظة قال : اتصلت عليَّ إضاقةٌ أنفقتُ فيها كلَّ ما أملكه حتى بقيتُ ليس في داري سوى البواري[5] فأصبحتُ يوماً وأنا أفلسُ من طنبورٍ بلا وتر - كما يقال في المثل - ففكرتُ كيف أعملُ فوقع لي أن أكتبَ إلى محبرة بن أبي عباد[6] الكاتب ، وكنت أجاوره ، وكان قد ترك التصرُّفَ قبل ذلك بسنتين وحالفه النقرس فأزمنه حتى صار لا يتمكن من التصرف إلا محمولاً على الأيدي أو في محفة ، وكان مع ذلك على غايةِ الظَّرفِ وكبر النفس وعظم

(1) المسدود : مغنّ (انظر الأغاني 20: 250).
(2) زاد هنا لفظة « فوفي » ولم ترد في الهفوات والنشوار (وهي تكرار للكلمة التالية) .
(3) المخنكرون : المجان .
(4) تاريخ بغداد 4 : 66 - 67 والفرج بعد الشدة 2: 365 .
(5) البواري : الحصر ، المفرد : بارية .
(6) هو محمد بن يحيى بن أبي عباد جابر العسكري . وقد مرَّ ذكره .

النعمة ومواصلة الشرب والقصف ، فأردت أن أتطايبَ عليه ليدعوني فآخذ منه ما أنفقه مدة ، فكتبت إليه :

ماذا ترى في جُدَيٍّ وفي غضارٍ بوارد[1]
وقهوةٍ ذاتِ لونٍ يحكي خدودَ الخرائدْ
ومسمعٍ يتغنَّى من آل يحيى بن خالد
إن المضيعَ لهذا نزرُ المروءةِ باردْ

فما شعرت إلا بمحفة محبرة يحملها غلمانه إلى داري ، وأنا جالسٌ على بابي ، فقلت له : لم جئت ؟ ومن دعاك ؟ فقال : أنت ، فقلت : إنما قلتُ لك ماذا ترى في هذا ، وعنيتُ في بيتك ، وما قلتُ لك إنه في بيتي ، وبيتي واللّه أفرغُ من فؤاد أمّ موسى ، فقال : الآن قد جئتُ ولا أرجع ، ولكن أدخل إليك وأستدعي من داري ما أريد ، قلت : ذاك إليك ، فدخل فلم يَرَ في بيتي إلا بارية ، فقال يا ابا الحسن هذا واللّه فقر نصيح ، هذا ضرّ مدقع ، ما هذا ؟ قلت : هو واللّه ما ترى ، فأنفذ إلى داره فاستدعى فرشاً وآلة وقماشاً وغلماناً ، وجاء فراشوه ففرشوا ذلك ، وجاءوا من الصفر والشمع وغير ذلك بما يحتاج إليه ، وجاء طباخه بما كان في مطبخه ، وهو شيء كثير بآلات ذلك ، وجاء شرابيُّهُ بالأواني والمخروط والفاكهة وآلة التبخير والبخور وألوان الأنبذة ، وجلس يومه ذلك وليلته عندي يشرب على غنائي وغناء مغنية أحضرتها كنت أَلِفْتُهَا ، فلما كان من الغد سلّم إلى غلامه كيساً فيه ألف درهم وَرُزْمَةَ ثيابٍ صحاحٍ ومقطوعةً من فاخر الثياب ، واستدعى محفته فجلس فيها وشيعته ، فلما بلغ آخر الصحن قال : مكانَكَ يا أبا الحسن ، احفظ بابك فكلّ ما في دارك لك ، فلا تدعْ أحداً يحمل منه شيئاً ، وقال للغلمان : اخرجوا ، فخرجوا بين يديه ، وأغلقتُ الباب على قماش بألوفٍ كثيرة .

وأنشد السلامي لجحظة في سعد الحاجب[2] :

يا سعدُ إنك قد خدمتَ ثلاثةً كلٌّ عليه منكَ وسمٌ لائحُ

(1) الفرج : وبرمة وبوارد .
(2) الأبيات في البصائر 6 : 58 (رقم : 169) ومنها بيتان في محاضرات الراغب 1 : 318 .

وأراكَ تخـدمُ رابعـاً لـتميتـه رفقاً به فالشيخُ شيخ صالحُ
يـا خادمَ الـوزراءِ انـك عنـدهم سَعْدٌ ولكنْ أنت سعدُ الـذابحُ

وحدث جحظة قال : دخلت وأنا في بقايا علة على كاتب (قال ابن بشران : على هارون بن غريب الخال) فقدم إلينا مضيرةَ عصبان فأمعنتُ فيها ، فقال: جعلتُ فداك أنت عليل ، وبـدنك نحيـل ، والعصبُ ثقيل ، واللبنُ يستحيـل ، فقلت له : والعظيم الجليل ، المفضل المنيل ، لا تركتُ منها كثير ولا قليل ، وحسبنا اللّه ونعم الوكيل . فغضب عليَّ فضربني عشرين مقرعة فقلت[1] :

ولي صاحبٌ لا قَدَّسَ اللّه روحَهُ وكـان من الخيـراتِ غيـرَ قـريبِ
أكلتُ عصيـداً عنـده في مضيـرةٍ فيـا لـك من يـوم عليَّ عصيبِ

قال : ودخلت إليه يوماً آخر فقدم إليّ لوزينجا لها أيامٌ وقد حَمِضَتْ ، فأخذتُ أمعن في أكلها ، فقال لي : إن اللوزينجَ إذا كان بالجوز أسخن ، وإذا كـان باللوز ألحم ، فقلت : نعم يا سيدي إذا كان لوزينجاً وأما إذا كانت مصوصاً فلا .

وحدث عبد اللّه بن المعتز قال : عربد ابن أبي العلاء على جحظة بحضرتي فأمرتُ بتنحية جحظة إلى أن رضي أحمد ، فكتب إليّ جحظة :

أليس من الـعجـائـب أن مثـلي يقـام لأحمـدَ بن أبي الـعـلاء
ولـي نفسٌ أبـتْ الا ارتـفـاعـاً فـأضحتْ كالسمـاءِ على السماء
لقـد غضبَ الزمـانُ على أنـاسٍ فـأبـلاهـم بـأولادِ الـزنـاء

في « تاريخ دمشق » قال جحظة سلمتُ على بعض الرؤساء وكان مبخلاً ، فلما أردت الانصراف قال لي : يا أبا الحسن أيش تقول في قطائف بائتة ؟ ولم يكن له بذلك عادة ، فقلت : ما آبى ذلك ، فأحضر لي جاماً فيه قطائف قد خَمَّتْ ، فأوجعتُ فيها وصادفتْ مني مسغبة، وهو ينظر إليّ شزراً ، فقال لي : يا أبا الحسن إن القطائف إذا كانت بجوزٍ أتخمتك ، وإذا كانت بلوز أبشمتك ، قال فقلت : هذا إذا كانت قطائف ،

---

(1) بخلاء الخطيب : 148 .

فأما إذا كانت مصوصاً فلا ، وعملت لوقتي هذه الأبيات[1] :

دعاني صديقٌ لي لأكلِ القطائفِ فـأمعنتُ فيهـا آمنـاً غيـرَ خـائفِ
فقال : وقد أوجعتُ بالأكلِ قلبَهُ رويدكَ مهلاً فهي إحدى المتالفِ
فقلت له : ما إن سمعنـا بهالـكٍ ينـادَى عليـهِ يـا قتيـلَ القـطائفِ

قال عبد اللّه بن المعتز : كتب إليّ جحظة في يومٍ مطير : انصرفتُ من عندك جعلني اللّه فداك وقد كنّا عقدنا موعداً للقاء ، ثم منعني من المصير إليك ما نحن فيه من انقطاع شريان الغمام ، فتفضَّلْ ببسطِ العذر لعبدك إن شاء اللّه .

ومن شعر جحظة[2] :

وليـلٍ في جـوانبـه جِـرانٌ فليس لـطولِ مـدتـهِ انقضـاءُ
عدمتُ مطالـعَ الإصباحِ فيـه كـأنّ الصبـح جُـودٌ أو وفـاءُ

وله أيضاً :

رحلتمْ فكم من أنـةٍ بعـدَ زفـرةٍ مبيِّنـةٍ للنـاسِ شـوقـي إليـكمُ
وقد كنتُ أعتقت الجفونَ من البكا فقـد ردَّها في الـرقّ حزني عليكمُ

وحدث أبو الفـرج الأصبهاني قـال : دعاني أبـو محمد ابن الشـار يومـاً ودعا جحظة ، وأطال حبس الطعام جداً ، وجاع جحظة فأخذ دواة وبياضاً وكتب[3] :

مـالـي ولـلـشـارِ وأولادهِ لأ قُـدِّسَ الـوالـدُ والـوالـدهْ
قـد حفظوا القـرآن واستعملوا مـا فيـه إلا سـورةَ المـائـدهْ

ورمى بهـا إليَّ فقرأتهـا ودفعتها إلى ابن الشـار ، فقرأهـا ووثب مسرعـاً فقدم المائدة ، فقاطعه جحظة فكان يجهد جهده أن يجيئه فلا يفعل ، فإذا عاتبناه قال : لا واللّه حتى يحفظَ تلك السورة .

---

(1) الوافي 6 : 289 .
(2) سرور النفس : 29 ورسالة الطيف : 110 وربيع الأبرار (الورقة 3/أ) والبيت الثاني في مجموعة المعاني : 191 .
(3) بخلاء الخطيب : 149 والتمثيل والمحاضرة : 303 .

وله أيضاً :

يطولُ عليَّ الليلُ حتى أملَّهُ فأجلس والنوامُ في غفلةٍ عني
فلا أنا بالراضي من الدهرِ فعلَهُ ولا الدهرُ يرضَى بالذي ناله مني

قال أبو علي حدثني أبو القاسم الحسين بن علي البغدادي ، وكان أبوه ينادم ابن الحواري ثم نادم البريديين بالبصرة وأقام بها سنين ، قال : كان جحظة سخيف الدين ، وكان لا يصوم شهرَ رمضان ، وكان يأكل سراً ، فكان عند أبي يوماً في شهر رمضان مسلماً فاحتبسه ، فلما كان نصف النهار سرق من الدار رغيفاً ودخل المستراح وجلس على المقعدة ، واتفق أن دخل أبي فرآه فاستعظم ذلك وقال : ما هذا يا أبا الحسن ؟ فقال : أُفُتُّ لبناتِ وردان ما يأكلون فقد رحمتهم من عذاب الجوع .

ومن شعر جحظة(1) .

إن كنت ترغبُ في الزيا رة عند أوقات الزيارهْ
فدع الشتيمةَ للغلا مِ إذا دنوتُ من الغضاره

ومن مطبوع شعر جحظة :

وإذا جفاني صاحبٌ لم أستجزْ ما عِشْتُ قَطْعَهْ
وتركتُه مثلَ القبو رِ أزورها في كلِّ جمعهْ

وحدث جحظة في أماليه: دخلت إليَّ عريب المأمونية مع شروين المغني وأبي العنبس المغني وأنا يومئذ غلامٌ عليَّ قباء ومنطقة وأنكرتني وسألت عني فأخبرها شروين وقال لها : هذا فتى من أهلك . هذا ابن جعفر بن موسى بن يحيى بن خالد البرمكي ، وهو يغني بالطنبور ، فأدنتني وقربت مجلسي ودعتْ بطنبورٍ وأمرتني أن أغني ، فغنيت أصواتاً فقالت : أحسنتَ يا بنيّ ولتكوننّ مغنياً ، ولكن إذا حضرتَ بين هذين الأسدين ضعتَ أنت وطنبورك ـ تعني بين عوديهما ـ وأمرت لي بمائة دينار.

وأنشد لنفسه في أماليه :

دعيني من العذل أين الكبيـر بحرمةِ معبودك الأكبرِ

---

(1) محاضرات الراغب 1 : 317 (الشرفية).

فلستُ بباكٍ على ظاعنٍ ... ولا طللٍ مُمْحِلٍ مقفر
ولكن بكائي على ماجدٍ ... أراد نوالاً فلم يقدر

وأنشد فيه لنفسه :

مرضتُ فلم يَعُدْني في شَكَاتي ... من الإخوان ذو كَرَمٍ وَخِيرِ
فإن مرضوا وللأيام حكمٌ ... سينفذ في الكبيرِ وفي الصغير
غدوتُ على المدامةِ والملاهي ... وإن ماتوا خريتُ[1] على القبور

وأنشد فيه لنفسه :

يا راقداً ونسيمُ الوردِ منتبهٌ ... في رَقَّةِ القُفْصِ[2] والأطيارُ تنتحبُ
الوردُ ضيفٌ فلا تجهلْ كرامَتَهُ ... وهاتها قهوةً في الكاسِ تلتهب
سقياً له زائراً تحيا النفوسُ به ... يجودُ بالوصل حيناً ثم يجتنب
تباً لحرٍّ رآه وهو ذو جِدَةٍ ... لم يقضِ من حقّه بالشربِ ما يجب

وقال جحظة :

ناديتُ عمراً وقد مالتْ بجانبهِ ... مدامةٌ أَخَذَتْ بالرأسِ والقدمِ
قد لاح في الدير نارُ الراهِبَيْنِ وقد ... ناداك بالصبح ناقوساهما فقمِ
فقام يعثرُ في أثوابِ نَعْسَتِهِ ... لِيَبْزُلِ صافيةٍ كالنجم في الظلم
فاستلّها وشدا والكأسُ في يده ... «سلِّم على الربع من سلمى بذي سَلَم»
لو دام لي في الورى خلٌّ وعاتقةٌ ... لما حفلتُ بذي قُرْبَى ولا رحم
ولا بكرتُ إلى جِلْفٍ[3] لنائله ... ولا التفتُّ إلى شيء من النعم

حدث أبو علي المحسن بن علي بن محمد قال[4] : كان الحسن بن مخلد أكرمَ الناس في بذل المال وأبخلَهم بطعامه ، فكان يحضر ندماؤه على مائدته فلا يستجرىء

(1) م : حزنت .
(2) القفص : قرية بين بغداد وعكبرا كانت من مواطن النزهة واللهو .
(3) م : حلو .
(4) نشوار المحاضرة 2 : 190 ـ 194 .

أحدٌ منهم أن يُشَعِّثَ شيئاً البتة ، وينزهون أنفسهم عند رفع المائدة بمسح أيديهم بلحاهم ، وله في ذلك قصص عجيبة ؛ قال جحظة : ربحت بأكلةٍ أُقريتها مع الحسن بن مخلد خمسمائة دينار وخمسمائة درهم وخمسة أثواب فاخرة وعتيدةَ طيبٍ سَرِيّة ، فقيل له : كيف كان ذلك ؟ فقال : كان الحسن بن مخلد بخيلاً على الطعام سمحاً بالمال ، وكان يأخذ ندماءَه بغتةً فيسقيهم النبيذَ ويواكلهم ، فمن أكل قتله قتلاً ، ومن شرب معه على الخسف[1] حَظِيَ عنده ، قال : فكنت عنده يوماً فقال لي : يا أبا الحسن قد عملتُ غداً على الصبوح الجاشريّ فَبِتْ عندي ، فقلت : لا يمكنني ولكني أباكرك قبل الوقت ، فعلى أيِّ شيءٍ عملتَ أن تصطبح ؟ فقال : قد أُعِدَّ لنا كذا وكذا ، ووصف ما تقدم به إلى الطباخ بعمله ، فعقدنا الرأيَ على أن أباكره ، وقمت وجئت إلى منزلي ودعوتُ طباخي فتقدمتُ إليه بأن يصلحَ لي مثل ذلك بعينه ويفرغَ منه وقت العتمة ، ففعل ، ونمتُ وقمتُ وقد مضى نصف الليل ، فأكلتُ ما أصلح ، وغسلتُ يدي ، وأُسْرِجَ [لي] وأنا عامل على المضيِّ إليه إذا طرقتني رسله ، فجئته فقال : بحياتي أكلت ؟ قلت : أعيذك بالله ، انصرفت من عندك قبل الغروب ، وهذا نصف الليل ، فأيّ وقت أُصلح لي شيء ؟ أو أي وقتٍ أكلتُ شيئاً ؟ اسأل غلمانك على أيِّ حال وجدوني ، فقالوا : وجدناه يا سيدنا وقد لبس ثيابه ، هو ينتظر أن يُفْرَغَ له من إسراج بغلته ليركبها ، فسُرَّ بذلك سروراً شديداً وقدَّم الطعام فما كان فيَّ فضلٌ أشمه ، فأمسكتُ عن تشعيثه ضرورةً وهو يستدعي أكلي ، ولو أكلتُ أحلَّ دمي ، قال : وكذا كانت عادته ، فأقول هو ذا آكلُ يا سيدي ، وفي الدنيا أحد يأكل أكثر من هذا ؟! وانقضى الأكل وجلسنا على الشرب ، فجعلت أشربُ بأرطال وهو يفرح ، وعنده أني أشربُ على الريق أو على ذلك الأكل الذي خلست معه ، ثم أمرني بالغناء فغنيت ، فاستطاب ذلك وطرب وشرب أرطالاً ، فلما رأيتُ النبيذ قد عمل فيه قلت : يا سيدي تطربُ أنت على غنائي فأنا على أي شيء أطرب ؟ فقال : يا غلام هات دواةً ، فأحضرت فكتب لي رقعةً ورمى بها إليّ وإذا هي على صيرفيّ يعامله بخمسمائة دينار ، فأخذتها وشكرته ، ثم غنيته وطرب وزاد سكره ، فطلبت منه ثياباً فخلع عليَّ خمسة

(1) على الخسف : على غير أكل .

أثواب ، ثم أمر أن يبخّر كلٌّ من بين يديه ، فأحضرت عتيدة حسنة سَرِيّة فيها طيبٌ كثير ، فأخذ الغلمان يبخّرون منها الناس ، فلما انتهوا إليّ قلت : يا سيدي وأنا أرضى أن أتبخر حَسْبُ ؟ فقال لي : ما تريد ؟ قلت : أريد نصيبي من العتيدة ، قال : قد وهبتها لك ، فأخذتها ، وشرب بعد ذلك رطلاً واتكأ على مِسْوَرَتِهِ ، وكذا كانت عادته إذا سكر ، فقام الناسُ من مجلسه وقمتُ وقد طلع الفجر وأضاء ، وهو وقتٌ يبكر الناس في حوائجهم ، فخرجت كأني لصّ قد خرج من بيت قوم ٍ على قفا غلامي الثيابُ والعتيدةُ كارةً ، فصرتُ إلى منزلي ونمتُ نومةً ثم ركبتُ إلى درب عون أريد الصيرفي ، فأوصلتُ إليه الرقعة ، فقال : يا سيدي أنت الرجلُ المسمَّى في التوقيع ؟ قلت : نعم ، قال : أنت تعلم أن أمثالنا يعاملون للفائدة ، قلت : أجل ، قال : ورسمنا أن نُعْطَى في مثل هذا ما يُكْسَرُ في كلّ دينار ، درهماً ، فقلت له : لستُ أضايقك في هذا القدر ، فقال : ما قلتُ هذا لأربح عليك الكثير ، أيما أحبّ إليك أن تأخذ كما يأخذُ الناسُ وهو ما قد عرَّفتك ، أو تجلسَ مكانك إلى الظهر حتى أفرغَ من شغلي ثم تركب معي إلى داري فتقيم عندي اليومَ والليلة تشرب ، فقد والله سمعتُ بك وكنت أتمنى أن أسمعك ، ووقعت الآن لي رخيصاً ، فإذا فعلتَ هذا دفعتُ إليك الدنانيرَ من غير خسران ، فقلت : أقيم عندك ، فجعل الرقعةَ في كمه وأقبل على شغله ، فلما دنت الظهر جاء غلامه ببغلةٍ فارهةٍ فركب وركبتُ معه ، وصرنا إلى دار سريّةٍ حسنة بفاخرِ الفرشِ والآلات ليس فيها إلا جَوارٍ رومٌ للخدمة من غير فحل ، فتركني في مجلسه ودخل ثم خرج بثياب أولادِ الخلفاء من حمام داره وتبخر وبخرني بيده بندٍّ عتيق جيد ، وأكلنا أسرى الطعام وأنظفه ، وقمنا إلى مجلس سَرِيّ للشرب فيه فواكه وآلات بمال ، وشربنا ليلتنا ، فكانت ليلتي عنده أطيبَ من أختها عند الحسن بن مخلد ، فلما أصبحنا أخرج كيسين في أحدهما دنانير وفي الآخر دراهم ، فوزن خمسمائة دينار وخمسمائة درهم وقال : يا سيدي تلك ما أمرت به وهذه الدراهم هديةٌ مني إليك ، فأخذتها وانصرفت ، وصار الصيرفي صديقي وداره لي .

وقال[1] وحدثني أبو الحسن أحمد بن يوسف التنوخي قال حدثني أبو علي

(1) نشوار المحاضرة 2 : 292 .

ابن الأعرابي الشاعر قال : كنتُ في دعوة جحظة ، فأكلتُ وجلسنا نشرب وهو يغني ، إذ دخل رجلٌ فقدَّم إليه جحظة زلَّة كان زلَّها من طعامه ونحن نأكل ، وكان بخيلاً على الطعام ، قال : وكأنَّ الرجل كان طاوياً ، طاويَ سَبْعٍ ، فأتى على الزلّة ، ورفع الطيفورية فارغةً وجحظةُ يرمقه بغيظ ، ونحن نلمح جحظة ونضحك ، فلما فرغ قال له جحظة : تلعب معي بالنرد ؟ قال : نعم فوضعاه بينهما ولعبا ، فتوالى اللعبُ على جحظة من الرجل بأن تجيء الفصوصُ على ما يريد من الأعداد ، ويكره جحظة ، فأخرج جحظة رأسه من قبّة الخيشِ رافعاً له إلى السماء ، وقال كأنه يخاطب اللّه جلّ وعزّ : لعمري إني أستحقّ هذا لأني أشبعُ من أَجَعْتَهُ .

قلت : ما أشد تباعد ما بين هذين الخبرين وخبر رواه التنوخي[1] أيضاً عن أبي العباس ابن المنجم[2] قال : سمعت أبا عبد اللّه الموسوي العلوي[3] يقول : قصدني أبو جعفر محمد بن يحيى بن شيرزاد[4] في أيام تدبيره الأمر قصداً قبيحاً ، وعمل لي كتّابُهُ مؤامرةً[5] في خراجاتي بمائة ألف درهم ، أكثرها واجبٌ [عليّ] وباقيها كالواجب ، وأحضرني للمناظرة عليها واعتقلني في داره ، فضقتُ ذرعاً بما نزل بي ، وعلمتُ أن المال سيلزمني إذا نوظرت ، وأنه يؤثر في حالي ويهتكُ جاهي ، فلم أدرِ ما أصنع ، فشاورت بعضَ من يختصُّ به فقال : طَمَعُهُ فيك واللّه قويّ وما ينفعك معه شيءٌ غيرُ المال ، فقلت له : ففكّرْ في حيلةٍ أو مخادعة ، ففكر ثم قال : لا أعرف لك دواءً إلا شيئاً واحداً إن سمحتْ به نفسُكَ وتركتَ العلويةَ عنك وَفَعَلْتَهُ نجوتَ ، قلت : ما هو؟ قال : هو رجلٌ سمح على الطعام محبٌّ لآكله على مائدته موجبٌ لحرمته ،

(1) نشوار المحاضرة 2 : 336 ـ 338 .

(2) هو أبو العباس هبة اللّه بن المنجم .

(3) هو أخو أبي أحمد الموسوي نقيب الطالبيين ، نفاهما عضد الدولة واعتقلهما وبقيا في الاعتقال ثلاث سنوات ، وأطلقا سنة 372 .

(4) كان ابن شيرزاد كاتباً لهارون بن غريب الخال (خال المقتدر) وتقلبت به الأحوال في مناصب مختلفة (انظر صفحات متفرقة من تجارب الأمم وتاريخ ابن الأثير) .

(5) المؤامرة : عمل تجمع فيه الأوامر الخارجة في مدة أيام الطمع ويوقع السلطان في آخره بإجازة ذلك (مفاتيح العلوم : 38) .

وأرى لك إذا وَضَعَ طعامه أن تخرجَ إليه فإنك معه في الدار ، ولا يمنعك الموكلون من ذلك ، فتجيءُ بغير إذن فتجلسُ على المائدة وتأكلُ وتنبسط ، وتخاطبه في أمرك عقيبَ الأكل ، وتسأله وترفقُ به وتخضع له ، فإنه يسامحك بأكثرها ويقرب ما بينك وبينه ، فشقّ ذلك عليَّ ، ثم نظرتُ فإذا وزنُ المالِ أشقُّ منه ، وكان أبو جعفر لا يأكل إلا بعد المغرب في كلِّ يومٍ أكلةً ، فلم آكل ذلك اليوم شيئاً ، وراعيتُ مائدته ، فلما وُضِعَتْ قمتُ فقال الموكلون : إلى أين ؟ قلت : الى مائدة الوزير ، فما قدروا أن يمنعوني ، فلما رأى أبو جعفر أكبر ذلك وتهلّلَ وجهه وقال : إلى عندي يا سيدي ، وأجلسني إلى جنبه ، فأقبلتُ آكل وأنبسط في الأكل والحديث إلى أن رُفِعَتِ المائدةُ واستدعاني إلى موضعه ، فغسلتُ يدي بحضرته ، فلما فرغتُ أردت أن أبتدئه بالخطاب ، فقال لي : قد آذيتك يا سيدي يا أبا عبد اللّه بتأخرك عن منزلك ، فامض إلى بيتك وما أُخاطبك بشيءٍ مما في نفسي ولا مما أردت مخاطبتك به ، ولا مطالبةَ عليك من جهتي بعدما تفضلتَ به ، فشكرتُهُ وقلت : إن رأى سيدنا أيده اللّه أن يتمم معروفه بتسليم المؤامرة إليَّ فعل ، فقال : هاتموها ، فما برحتُ إلا وهي في خفي ، وانصرفت إلى منزلي وقد سقط المالُ عني ، ولزمته للسلام ، وصرتُ أتعمَّدُ مواكلتَهُ والتخصصَ به ، فسلمتُ طولَ أيامه وسلم جاهي ومالي عليَّ إلى أن مضى لسبيله.

قلت : هذا حَسَنٌ من فعله مع عسفٍ كان فيه بالرعية في جباية المال لم يسبق إليها ، ولا تبعه بعده أحدٌ في مثلها ، فكانت له أفعال منكرة منها أنه استدعى العيارين وضمَّنهم ما يسرقونه من أموالِ الناس .

وكتب جحظة إلى أبي إسحاق إبراهيم بن عبد اللّه المسمعي ، وكان قائداً جليلاً تقلد البصرة وفارس[1] :

إليكَ أبا اسحاقَ مني رسالةً ... تَزِينُ الفتى إن كان يعشق زَيْنَهُ
لقد كنتُ غضباناً على الدهر زارياً ... عليه فقد أصلحتَ بيني وبينَهُ

وكان أبو إسحاق هذا أديباً شاعراً ، ومن شعره :

أُلاطفُ مِنْ أجله أهله ... وكلٌّ إليَّ حبيبٌ قريبُ

---

(1) الوافي 6 : 289 .

وأسـألُ عـن غيـره قـبـله ... لأُبْطِلَ ظنَّ الذي يستريبُ

وأنشد جحظة لنفسه في أماليه :

قد نلتمُ صحةً ما نالها بشرٌ ... وحزتم نعمةً ما نالها[1] مَلِكُ

فليت شعري أمقدارٌ تَعَمَّدَكُمْ ... بما أتاكم به أم وُسْوِسَ الفلكُ

وأنشد جحظة في أماليه[2] :

يا مَنْ دعاني وفرَّ مني ... أخلفتَ والله حُسْنَ ظني

قد كنتُ أرضى بخبز رزٍّ ... ومالحٍ أو قليل بن

وسكرةٍ من نبيذ دبسٍ ... أقام يوماً بقعرِ دن

فكيف يغلو بما ذكرنا ... مساعدٌ شاعرٌ مغنّي

وحدث جحظة في أماليه قال[3] : كنت أشرب عند بعض إخواني بباب حرب في ناعورة ثابت الرصاصي في يوم قطر ، ومعنا شيخٌ خضيب حسن البزة متصدر ، فتجارينا ذكر المطر وما جاء فيه من الخبر ، فقال الشيخ : حدثوا يا سيدي عن النبي ﷺ وعلى صاحبيه با بكر وبا حفص وعلى النبيين السريين منكر ونكير وعلى عمرو بن العاص قاتل الكفار يوم غدير خم وصاحب راية النبي يوم القطائف (يريد يوم الطائف) ان النبي ﷺ قال : « ما من قطرةٍ تنزلُ من السماء إلا ومحّا مَلَكٌ يتّبحّا حتى يضحّا في موضحّا ثم يصعد ويدحّا » ، فقلت له : يا شيخ فالقطر يقع في الكنيف والملك ينزل معه ؟ قال : نعم يا سيدي فيهم ما في الناس من الدناءة والخسة .

وأنشد جحظة لنفسه في أماليه :

قالتْ غلالتُهُ القَصَبْ ... لما تثنّى واضطربْ

أترى جنيتُ جنايةً ... حتى صُلبتُ على الخشبْ

قال جحظة في أماليه : استهديتُ من بعض إخواني دواةً فأخّرها عني ، ثم

---

(1) ر : حازها .

(2) لطائف المعارف : 49 .

(3) الوافي 6 : 287 والمتحدث جاهل ويقلب العين حاءً (محّا = معها وهكذا) .

اجتمعنا في مجلس أبي العباس ثعلب فقلت لأبي العباس : ما أراد الشاعر بقوله :

أُحاجيكَ ما قبرٌ عديمٌ ترابُهُ   به معشرٌ موتى وإن لم يكفَّنوا
سلوتُ عن التبيانِ مدةَ قبرهم   فإن نُبشوا يوماً من الدهر بينوا

فسكت ساعة ثم قال : الدواة، فلما انصرفت إلى منزلي إذا الدواة قد سبقتني إليه .

قال جحظة : دعوت فُضَيلاً الأعرج ، وكان عندنا جماعة ، فكتب إلينا :

أنا في منزلي وقد رزق اللّـ   ـه نديماً وَمُسْمِعا وَعُقارا
فاعذروني بأنْ تخلفتُ عنكم   «شَغَل الحليُّ أهلهُ أن يعارا»

ومثله لغيره[1] :

حيِّ طيفاً من الأحبة زارا   بعد أن نوّم الكرى السمَّارا
داعياً في الوصال تحت دجى اللـ   ـيل عيوناً عن الوصالِ سهارى
قلتُ ما بالنا جفينا وكنّا   قبل ذاك الأسماعَ والأبصارا
قال إنا كما عهدتَ ولكنْ   «شغل الحلي أهله أن يعارا»

قال جحظة : وسألتُ الحسن بن مخلد حاجة فقال : إذا كان بعد ثلاث عرَّفتك ، فقلت : يا سيدي تعدني أن تعدني .

قال جحظة في أماليه : كنت جالساً عند صديق لي ، فجاءه رقعة من منزله فلما نظر فيها ضرط ، فحادثته ساعة واغتفلته وأخذتها وإذا فيها : قد فَنِيَ الدقيق وغداً الخبزة .

وأنشد لنفسه في أماليه يقول :

يقول لي مالكي والدمعُ منحدرٌ   لاخفَّفَ اللّه ربُّ العرشِ بلواكا
وإن دعوت عليه عند مَعْتَبَةٍ   يقولُ قلبي له في السرِّ حاشاكا

---

(1) البصائر 4 رقم : 126 (ص: 54).

وأنشد أيضاً لنفسه في أماليه :

مـا أنصفتني يـدُ الـزمـانِ ولا أدركـنـي غـيـرُ حـرفـةِ الأدبِ
لا حفظَ اللّه حيثمـا سلكتْ أمي وأيـر الحمـارِ في آستِ أبي
مـا تـركـا درهمـاً أصـونُ بـه وجهيَ يـومـاً عن ذِلَّـةِ الـطلبِ

- 70 -

أحمد بن جميل بن الحسن بن جميل أبو منصور : أديب أريب فاضل كامل ، له يد باسطة في النظم والنثر ، وهو من أهل بغداد وكان يسكن باب الأزج ، ذكره أبو الفرج ابن الجوزي في مُذَيَّله على صدقة بن الحسن فقال : كانت له معرفةٌ بالأدب جيدة وله كتاب مقامات حذو الحريري[1] . وله فضل ، ومات في شهر ربيع الآخر سنة سبع وسبعين وخمسمائة .

- 71 -

أحمد بن حاتم أبو نصر الباهلي صاحب الأصمعي : روى عن الأصمعي كتبه ، وقال أبو العباس محمد بن أحمد القمري[2] الإسكافي النحوي : كان أبو نصر ابن أخت الأصمعي ؛ وقال أبو الطيب في « كتاب مراتب النحويين »[3] : زعموا أن أحمد بن حاتم كان ابنَ أخت الأصمعي وليس هذا بثبت ، رأيت جعفر ابن باسويه[4]

70 ـ ترجمة ابن جميل في الوافي 6 : 293 (وهو لا ينقل عن ياقوت) .
71 ـ ترجمة أبي نصر الباهلي في الفهرست : 61 وتاريخ بغداد 4 : 114 وطبقات الزبيدي : 180 وإنباه الرواة 1 : 36 ، 4 : 180 والوافي 6 : 295 وبغية الوعاة 1 : 301 .

(1) قال الصفدي : أنشأ « المقامات العشرين » نظماً ونثراً ، رواها عنه ولده يوسف .
(2) لعله « المعمري » كما سيأتي رقم : 969 .
(3) مراتب النحويين : 82 وأبو الطيب اللغوي اسمه عبد الواحد بن علي (توفي سنة 351) .
(4) في مراتب النحويين : بابتويه .

ينكره . وكان أثبتَ من عبد الرحمن يعني ابن أخي الأصمعي وأسنّ ، وكـان يضيق على ابن الأعرابي مَسْكَه[1] . وقد أخذ عن الأصمعي وأبي عبيدة وأبي زيد ، وأقام ببغداد ، وربما حكى الشيء بعد الشيء عن أبي عمـرو الشيبـاني ، ومات فيما ذكره هو وأبو عبد اللّه بن الأعرابي وعمرو بن أبي عمرو الشيباني في سنة احدى وثلاثين ومائتين وقد نيف على السبعين .

وحدث المرزباني[2] عن أبي عمر الـزاهد ، قـال ، قال ثعلب : دخلتُ على يعقوب بن السكيت وهو يعمل « إصلاح المنطق » فقال : يا أبا العباس رغبتَ عن كتابي فقلت له : كتابك كبير وأنا عملت الفصيح للصبيان ، ثم قال لي : سرْ معي إلى أبي نصر صاحب الأصمعي ، فمضيتُ معه فلما كنا في الطريق قال : قد سألتُ أبا نصر عن بيت شعر فأجابني جواباً لم أَرْضَهُ ، أفأعيده عليه ؟ فقلت : لا تفعل فإن عنده أجوبة ، وقد أجابك ببعضها فلما دخلت عليه سأله عن البيت فقال له : يا مؤاجر ما أنت وهذا ؟ وأنا قربتك حتى رموني بـك ؟! عندي عشـرون جوابـاً في هذا ، وخجـل من ذلك وخرجنا ، فقلت له ، لا مقام لك ها هنا ، اخرج من سرّ من رأى واكتب إليّ بما تحتاج إليه لأسألَ عنه وأعرفك إياه .

وحكي عن الأصمعي انه كان يقول : ما يصدق عليّ الا أبو نصر ، وكان ثقة مأموناً .

ولأبي نصر من التصانيف : كتاب الشجر والنبات . كتاب اللبأ واللبن . كتاب الابل . كتاب أبيات المعاني . كتاب اشتقاق الأسماء . كتاب الزرع والنخل . كتاب الخيل . كتاب الطير . كتاب ما يلحن فيه العامة . كتاب الجراد .

وذكره حمزة في « كتاب أصبهان » قال : ولما أقـدم الخصيب بن أسلم[3] أبا محمد الباهليَّ صاحبَ الأصمعي إلى أصبهان نقل معه مصنفـات الأصمعي وأشعار شعراء الجاهلية وشعراء الاسلام مقروءةً على الأصمعي ، وكان قدومه اصبهان بعد سنة

---

(1) المسك : الجلد ، والمعنى أنه كان يرهقه ويعنته ، قال أبو الطيب (92) وكان أبو نصر الباهلي يتعنت ابن الأعرابي ويكذبه ويدعي عليه التزيد ويزيفه .

(2) نقلها الصفدي : وقارن بحكاية مماثلة أوردها الزبيدي والقفطي .

(3) البغية : الخصيب بن سالم .

عشرين ومائتين فأقام أشهراً ، ثم تأهب منها للحج ، فدخل إلى عبد اللّه بن الحسن وسأله أن يدله على رجل يُسَلِّم إليه دفاتره إلى أن يرجع ، فقال له : عليك بمحمد بن العباس وكان مؤدبَ أولاد عبد اللّه بن الحسن مقبولَ القول ، فسلم الباهلي إليه دفاتره وخرج ، فانسخها محمد بن عبد اللّه الناس ، فقدم الباهلي وقامت قيامته ، ودخل إلى عبد الله بن الحسن وذكر له ما كان يأمل في دفاتره من التكسب بها ، فجمع له عبد الله بن الحسن من أهل البلد عشرة آلاف درهم ، ووصله الخصيبُ بعشرين ألفاً فتناولها ورجع إلى البصرة .

ـ 72 ـ

أحمد بن الحارث بن المبارك الخراز أبو جعفر راوية أبي الحسن المدائني والعتابي : كان راوية مكثراً موصوفاً بالثقة وكان شاعراً ، وهو من موالي المنصور . ومات الخراز ـ فيما ذكره قانع ورواه المرزباني عنه ـ في ذي الحجة سنة ثمان وخمسين ومائتين وكان ينزل في باب الكوفة فدفن في مقابرها ، وقيل مات في سنة تسع وخمسين .

وذكره المرزباني في « المقتبس »[1] فقال : حدثني علي بن هارون قال أخبرني عبيد اللّه بن أحمد بن أبي طاهر عن أبيه عن محمد بن صالح بن النطاح مولى بني هاشم عن أبيه قال : طلب المنصور رجالاً يجعلهم بوابين له ، فقيل له لا يضبطهم إلا قومٌ لئامُ الأصولِ أنذالُ النفوس صلابُ الوجوه ، ولا تجدهم إلا في رقيقِ اليمامة ، فاشتري له مائتا غلام من اليمامة فصيَّر بعضهم بوابين وبقي الباقون ، فكان ممن بقي خلال جد أبي العيناء محمد بن القاسم بن خلال وحسان بن إبراهيم بن عطار جد أحمد بن الحارث الخراز .

وقال المرزباني ، أخبرني محمد بن يحيى ، قال حدثني الحسين بن إسحاق ،

---

72 ـ ترجمة أبي جعفر الخراز في الفهرست: 117 وتاريخ بغداد 4 : 122 والوافي 6 : 297 .

(1) لم يرد له ذكر في نور القبس .

قال أنشدت أحمد بن الحارث شعراً للبحتري ، فعاب منه شيئاً ، فبلغ البحتري فقال[1] :

الحمد لله على ما أرى ... من قَدَرِ الله الذي يجري
ما كان ذا العالَمُ من عالمي ... يوماً ولا ذا الدهرُ من دهري
يعترضُ الحرمانُ في مطلبي ... ويحكم الخرازُ في شعري

وروى محمد بن داود لأحمد بن الحارث في إبراهيم بن المدبّر وحاجبه بشر :

وجهٌ جميل وصاحِبٌ صَلِفُ ... كذاك أمرُ الملوك يختلفُ
فأنت تَلْقَى بالبشر واللّطْـ ... ـف وبشرٌ يلقاهمُ به جَنَفُ
يا حَسَنَ الوجهِ والفعالِ ويا ... أكرمَ وجهٍ سما به شرفُ
ويا قبيحَ الفعالِ بالحاجب الـ ... ـغثُّ الذي كلُّ أمرِهِ نَطِفُ
فأنت تبني وبشرٌ يهدمُهُ ... والمدحُ والذمُّ ليس يأتلفُ

وذكره أبو بكر الخطيب فقال[2]: كان الخراز ذا فهم ومعرفة صدوقاً سمع من المدائني كتبه كلها ، وهو بغداديّ روى عنه السكري وابن أبي الدنيا وغيرهما .

وكان[3] كبير الرأس طويلَ اللحيةِ كبيرها حسنَ الوجه كبيرَ الفم ألثغ ، خضب قبل موته بسنةٍ خضاباً قانئاً ، فسئل عن ذلك فقال : بلغني أن منكراً ونكيراً إذا حضرا ميتاً فرأياه خضيباً قال منكر لنكير : تجافَ عنه .

ومن سائر شعره قوله :

إني امرؤ لا أُرى بالباب أقرعُهُ ... إذا تنمَّر دوني حاجبُ الباب
ولا ألوم امرءاً في رَدِّ ذي شَرَفٍ ... ولا أطالبُ ودَّ الكارِهِ الآبي

ولما قتل بغا التركي باغراً التركيَّ وهاجتِ الأتراكُ على المستعين بالله وخافهم

(1) ديوان البحتري 2: 1015 .
(2) تاريخ بغداد 4: 123 .
(3) هذا عن ابن النديم .

وانحدر من سرَّ من رأى إلى بغداد في سنة احدى وخمسين ومائتين في المحرم[1] قال أحمد بن الحارث[2] :

لعمري لئن قتلوا باغراً لقد هاج باغرُ حرباً طحونا
وفرَّ الخليفةُ والقائدان بالليلِ يلتمسون السفينا
وحلَّ ببغداد قبل الشروقِ فحلَّ بهم منه ما يكرهونا
فليت السفينةَ لم تأتنا وغرَّقها اللّه والراكبينا

هي قصيدة يذكر فيها الحرب وصفتها .

وقال أحمد بن الحارث في بشر حاجب إبراهيم بن المدبر :

قد تركناك لبشرٍ وتركنا لك بشرا

وذكره محمد بن إسحاق النديم في كتابه وقال : له من الكتب : كتاب المسالك والممالك . كتاب أسماء الخلفاء وكتابهم[3] والصحابة . كتاب مغازي البحر في دولة بني هاشم وذكر أبي حفص صاحب أقريطش . كتاب القبائل . كتاب الأشراف . كتاب ما نهى النبي ﷺ عنه . كتاب أبناء السراري . كتاب نوادر الشعراء . كتاب مختصر كتاب البطون . كتاب مغازي النبي ﷺ وسراياه وأزواجه . كتاب أخبار أبي العباس . كتاب الأخبار والنوادر . كتاب سجية[4] البريد . كتاب النسب[5] . كتاب الحلائب والرهان . كتاب جمهرة نسب الحارث بن كعب وأخبارهم في الجاهلية[6] .

---

(1) انظر في مقتل باغر : تاريخ الطبري 3 : 1235 وما بعدها .
(2) أورد الطبري ستة عشر بيتاً من هذه المرثية 3 : 1540 ـ 1541 .
(3) الفهرست : وكناهم .
(4) الفهرست : شحنة .
(5) الفهرست : النسيب .
(6) من الغريب أن أسماء هذه الكتب وردت في (ر) في ترجمة بديع الزمان .

- 73 -

أحمد بن الحسن بن إسماعيل أبو عبيد اللّه السكوني الكندي النسابة : كان له اختصاص بالمكتفي ثم بالمقتدر ، ذكره أبو الحسن محمد بن جعفر بن النجار الكوفي في « تاريخ الكوفة » وقال : انه كان ممن أخذ عن ثعلب الأدب ، وكان مليحَ المجلس حسنَ الترسُّل متمكناً من نفسه ، هذا لفظ ابن النجار بعينه .

وحكى ابن النجار عن أبي عبيد اللّه قال ، قال [لي] ابن عبدة[1] النساب : ما عرف النُسّابُ أنسابَ العرب على حقيقة حتى قال الكميت النزاريات فأظهر بها علماً كثيراً ، ولقد نظرتُ في شعره فما رأيتُ أحداً أعلمَ منه بالعرب وأيامها . قال أبو عبيد اللّه : فلما سمعتُ هذا جمعتُ شعره فكان عوني على التصنيف لأيام العرب .

ورأيت أنا لأبي عبد اللّه كتاباً في أسماء مياه العرب ، ونقلته ، غيرَ تامّ[2] .

- 74 -

أحمد بن الحسين بن القاسم بن الحسن أبي علي ، أبو بكر ، يلقب الفلكي ، جدّ أبي الفضل الفلكي الحافظ الهمذاني : قال شيرويه : روى عن الحسن بن الحسين التميمي وأبي الحسن علي بن الحسن بن سعد البزاز وأبي بكر عمر بن سهل الحافظ ، روى عنه ابناه أبو عبد اللّه الحسين وأبو الصقر الحسن ، قال : وكان إماماً جامعاً في كل فنّ عالماً بالأدب والنحو والعروض وسائر العلوم ، وخصوصاً في علم الحساب فإنه كان يقال له الحاسب ، وكذلك لقب بالفلكي ، وكان هيوباً[3] ذا حشمة ومنزلة عند الناس ، مات في ذي القعدة سنة أربع وثمانين وثلاثمائة وهو ابن خمس وثمانين سنة .

---

73 ـ ترجمة أبي عبيد الله السكوني في الوافي 6 : 309 (عن ياقوت) .

74 ـ ترجمته في الوافي 6 : 305 وبغية الوعاة 1 : 303 وفيهما أن اسم أبيه « الحسن » .

(1) الوافي : عبيدة .

(2) انظر فهرست معجم البلدان فقد نقل عنه كثيراً ، وكذلك البكري في معجمه .

(3) الوافي : مهوباً ، والصواب « مهيباً » .

- 75 -

أحمد بن الحسن بن محمد بن اليمان بن الفتح الديناري أبو عبد اللّه : رجل أديب إلا أن الغالبَ عليه الخط ، وذكرُنا له إنما لحسن خطّه الذي بلغ فيه الغاية ، وقال الوزير عميد الدولة أبو سعد ابن عبد الرحيم في أخبار ابنه عبد الجبار بن أحمد : وكان والده أبو عبد اللّه الديناري مقدّماً مكرّماً يزوّر بحسن خطّه على أبي عبد اللّه ابن مقلة تزويراً لا يكادُ يفطنُ له . وله ولد أديب يقال له أبو يعلى عبد الجبار ذكر في بابه[1] .

- 76 -

أحمد بن الحسين يعرف بابن شقير أبو بكر : هو أحمد بن الحسين بن العباس بن الفرج النحوي ، أخذ عن أحمد بن عبيد بن ناصح ، وكان مشهوراً برواية كتب الواقدي عن أحمد بن عبيد عنه ، ومات في صفر سنة سبع عشرة وثلاثمائة في خلافة المقتدر ، وهو في طبقة أبي بكر السراج . وله تصانيف منها : كتاب مختصر في النحو . كتاب المقصور والممدود . كتاب المذكر والمؤنث .

قرأت في كتاب ابن مسعر[2] أنَّ الكتاب الذي ينسب إلى الخليل ويسمى « الجمل » أنه من تصنيف ابن شقير هذا ، قال يقول فيه : النصبُ على أربعين وجهاً[3] .

---

75 - ترجمة الديناري في الوافي 6 : 310 (عن ياقوت) .

76 - أخبار النحويين البصريين : 109 وتاريخ بغداد 4 : 89 وإنباه الرواة 1 : 34 والوافي 6 : 349 وبغية الوعاة 1 : 302 (احمد بن الحسن) وورد ذكره في نزهة الألباء : 142 في ترجمة شيخه ابن ناصح .

(1) سقطت ترجمته من أصل الكتاب .

(2) م : مسعدة .

(3) قد نشر هذا الكتاب (بيروت 1985) باسم الخليل ولم يقل ناشره إنه منسوب إلى الخليل (في العنوان) والمحقق ليس ناسخاً ينفق الكتاب ليكسب مالاً ؛ غفر اللّه لمحققه فقد ظن أن العنعنات التي أوردها في المقدمة تغني . وقد كتب الدكتور محمود حسني بحثاً نفى فيه نسبة الكتاب إلى الخليل (مجلة جامعة دمشق ، عدد : 9) .

- 77 -

أحمد بن الحسين بن مهران المقرىء أبو بكر النيسابوري : قال الحافظ أبو القاسم : أصله من أصبهان ، سكن نيسابور . قال الحاكم : هو إمام عصره في القراءات وأعبد من رأينا من القراء ، وكان مجابَ الدعوة ، مات في السابع والعشرين من شوال سنة إحدى وثمانين وثلاثمائة ، وهو يوم مات ابنُ ستٍّ وثمانين سنة ، وصلينا عليه في ميدان الطاهرية ، وتوفي ذلك اليوم أبو الحسن العامري صاحب الفلسفة[1] . قال الحاكم : فحدثني عمر بن أحمد الزاهد قال : سمعت الثقة من أصحابنا يذكر أنه رأى أبا بكر ابن الحسين بن مهران ، رحمه اللّه ، في المنامِ في الليلة التي دفن فيها ، قال فقلت : أيها الأستاذ ما فعل اللّه بك ؟ فقال : إن اللّه عز وجل أقام أبا الحسن العامري بحذائي وقال : هذا فداؤك من النار.

ثم ذكر الحاكم باسناد رفعه الى أبي موسى الأشعري قال قال رسول اللّه ﷺ : « إذا كان يوم القيامة أعطى اللّه كلَّ رجلٍ من هذه الأمة رجلًا من الكفار فيقول هذا فداؤك من النار . وهذا الخبر إذا قرن بالرؤيا صار من براهين الشرع .

قال الحاكم : سمع ابن مهران بنيسابور أبا بكر محمد بن إسحاق بن خزيمة وأبا العباس السراج الثقفي وأبا العباس الماسرجسي . وله من التصانيف : كتاب الشامل . كتاب الغاية[2] . كتاب قراءة أبي عمرو . كتاب غرائب القراءات . كتاب وقوف القرآن . كتاب الانفراد . كتاب شرح المعجم . كتاب شرح التحقيق . كتاب اختلاف عدد السور. كتاب رؤوس الآيات . كتاب الوقف والابتداء . كتاب قراءة عبد اللّه بن عمرو . كتاب علل كتاب الغاية . كتاب المبسوط . كتاب آيات القرآن . كتاب الاتفاق والانفراد . كتاب المقطع والمبادىء.

---

77 - ترجمة ابن مهران في طبقات الجزري 1 : 49 وسير الذهبي 16 : 406 والنجوم الزاهرة 4 : 160 والشذرات 3 : 98 .

(1) أبو الحسن العامري : محمد بن أبي ذر يوسف العامري النيسابوري ، صاحب الأمد على الأبد ، والإعلام بمناقب الإسلام وغيرهما من المؤلفات ، ذكره التوحيدي في الإمتاع والمقابسات ، وأورد له مسكويه في جاويدان خرد مختارات من حكمه وكانت وفاته سنة 381 .

(2) هو في القراءات العشر .

قال الحاكم : سمعت أبا بكر ابن مهران يقول : قرأت على أبي علي محمد بن أحمد بن حامد الصفار المقرىء القرآن من أوله إلى آخره ، وقال : قرأت القرآن من أوله إلى آخره على أبي بكر محمد بن سليمان بن موسى الهاشمي ببغداد ، وقال : قرأت على قنبل بن عبد الرحمن بن محمد بن خالد بن سعيد بن خروجة المكي ، وقال : قرأت على أبي الحسن النبال ، وأخبرني أنه قرأ على ابن الاخريط وهب بن واضح ، وقرأ ابن الاخريط على إسماعيل بن عبد الله بن قسطنطين ، وقرأ ابن قسطنطين على شبل بن عباد ومعروف بن مسكان ، فأخبراه أنهما قرءا على عبد الله بن كثير عن مجاهد عن ابن عباس عن أبيّ بن كعب عن رسول الله ﷺ .

قال الحاكم : ومحمد بن الحسين بن مهران الأديب الفقيه الكاتب أخو أبي بكر سمع عبد الله بن شيرويه وأقرانه ، وسمع الكتب من أبي بكر محمد بن إسحاق بن خزيمة وأقرانه، ومات في شعبان سنة ثمان وخمسين وثلاثمائة، وهو ابن نيّفٍ وثمانين سنة.

- 78 -

أحمد بن الحسين بن يحيى بن سعيد بديع الزمان الهمذاني أبو الفضل : قال أبو شجاع شيرويه بن شهردار في « تاريخ همذان » إن أحمد بن الحسين بن يحيى بن سعيد بن بشر أبا الفضل الملقب ببديع الزمان سكن هراة ، روى عن أبي الحسين أحمد بن فارس بن زكريا وعيسى بن هشام الأخباري ، وكان أحد الفضلاء والفصحاء ، متعصباً لأهل الحديث والسنة ، ما أخرجت همذان بعده مثله ، وكان من مفاخر بلدنا ، روى عنه أخوه أبو سعد ابن الصفار والقاضي أبو محمد عبد الله بن الحسين النيسابوري . قال: وتوفي في سنة ثمان وتسعين وثلاثمائة. قال شيرويه : ومحمد بن الحسين بن يحيى بن سعيد بن بشر الصفار الفقيه أبو سعد أخو بديع الزمان أبي الفضل أحمد بن الحسين بن يحيى لأبيه وأمه مفتي البلد . روى عن ابن لال وابن تركان وعبد الرحمن

78 - ترجمة بديع الزمان في وفيات الأعيان 1 : 127 (وص 402) والوافي 6 : 355 والشريشي 1 : 22 ومعاهد التنصيص 3 : 113 وروضات الجنات 1 : 238 (وأكثرهم عالة على ما أورده الثعالبي في يتيمة الدهر 4 : 256) وسير الذهبي 17 : 67 والنجوم الزاهرة 4 : 218 . وقد كتبت حول مقاماته في العصر الحديث دراسات كثيرة تتطلب إفراد ببليوغرافيا خاصة بها .

الامام وأبي بكر محمد بن الحسين الفراء وابن جائحان ، وذكر جماعة وافرة .

قال : وأدركته ولم يقضَ لي عنه السماع ، وكان في الحديث ثقةً ، ويتهم بمذهب الأشعرية ، ويقال جُنَّ في آخر عمره إلى أن مات . وسمعت بعض أصحابنا يقول : كان يعرف الرجالَ والمتون ، ولد في ثالث عشر جمادى الآخرة سنة ثمان وخمسين وثلاثمائة ومات ـ ولم يذكره وذكره الثعالبي ـ في سنة ثمان وتسعين وثلاثمائة ، وكذا قال أبو نصر عبد الرحمن بن عبد الجبار الفامي في « تاريخ هراة » .

قال المؤلف : وقد رأيتُ ذِكْرَ البديع في عدّةِ تصانيف من كتب العلماء ، فلم يستقصِ أحدٌ خبره أحسن مما اقتصّه الثعالبي ، وكان قد لقيه وكتب عنه ، فنقلت خبره من كتابه ولخصته من بعض سجعه قال : بديع الزمان ، ومعجزة همذان ، ونادرة الفلك ، وبكر عطارد ، وفرد الدهر وغرة العصر ، ولم نر نظيره في الذكاء وسرعة الخاطر وشرف الطبع وصفاء الذهن وقوة النفس ، ولم ندرك نظيره في طُرَفِ النثر وَمُلَحه ، وغرر النظم ونكته ، وكان صاحبَ عجائبَ وبدائع ، فمنها أنه كان ينشد الشعر لم يسمعه قط ، وهو أكثر من خمسين بيتاً ، إلا مرةً واحدة فيحفظها كلّها ويؤديها من أولها إلى آخرها لا يخرم حرفاً ، وينظر في الأربعة والخمسة الأوراق من كتاب لم يعرفه ولم يره ، نظرةً واحدة خفيفة ، ثم يهذّها عن ظهر قلبه هذًّا ويسردها سرداً ، وهذا حاله في الكتب الواردة وغيرها ، وكان يقترح عليه عملُ قصيدة وإنشاءُ رسالة في معنى بديع وباب غريب فيفرغ منها في الوقت والساعة ، وكان ربما كتب الكتاب المقترح عليه فيبتدىء بآخره ثم هلم جرا إلى أوله ، ويخرجه كأحسن شيء وأملحه ، ويوشّح القصيدةَ الفريدة من قِبلِهِ بالرسالة الشريفة من إنشائه ، فيقرأ من النظم النثر ويروي من النثر النظم ، ويُعْطَى القوافي الكثيرة فيصلُ بها الأبيات الرشيقة ، ويقترح عليه كلَّ عويص وعسير من النظم والنثر فيرتجله أسرعَ من الطرف ، على ريق لا يبلعه ونَفَس لا يقطعه ، وكلامه كله عفو الساعة وفيض اليد ومسارقة القلم ومسابقة اليد للفم . وكان يترجم ما يُقْتَرَحُ عليه من الأبيات الفارسية المشتملة على المعاني الغريبة بالأبيات العربية ، فيجمع فيها بين الإبداع والإسراع ، إلى عجائبَ كثيرةٍ لا تحصى ، ولطائفَ تطولُ أن تستقصى . وكان مع ذلك مقبولَ الصورة حسن العشرة ، وفارق همذان سنة ثمانين وثلاثمائة وهو مقتبلُ الشبيبة ، غضُّ الحداثة ، وقد درس على أبي الحسين ابن

فارس وأخذ عنه جميع ما عنده واستنفد علمه . وورد حضرةَ الصاحب ابن عباد فتزود من ثمارها وَحُسْنِ آثارها ، ثم قدم جرجان وأقام بها مدةً على مداخلة الإسماعيلية والتعيش ِ في أكنافهم ، واختصَّ بالدهخداه[1] أبي سعد محمد بن منصور ، ونفقتْ بضاعته لديه ، وتوفر حظه من عادته المعروفة في إسداءِ الإفضال على الأفاضل . ولما أراد ورود نيسابور أعانه بما سيره إليها فوردها في سنة اثنتين وتسعين وثلاثمائة ونشر بها بزَّه وأظهرَ طَرْزَه ، وأملى أربعمائة مقامة[2] نحلها أبا الفتح الاسكندري في الكدية وغيرها ، وضمنها ما تشتهي الأنفس وتلذ الأعين . ثم شجر بينه وبين الأستاذ أبي بكر الخوارزمي ما كان سبباً لهبوب ريح الهمذاني وعلوّ أمره ، إذ لم يكنْ في الحساب أن أحداً من العلماء ينبري لمساجلته ، فلما تصدى الهمذاني لمباراته وَجَرَتْ بينهما مقاماتٌ ومبادهات ومناظرات ، وغلَّب قومٌ هذا وغلَّب آخرون ذاك ، طار ذكر الهمذاني في الآفاق ، وشاع ذكره في الأفّاق ، وَدَرَّتْ له أخلاف الرزق، فلما مات الخوارزميّ خلا له الجوّ وتصرفت به أحوالٌ جميلة وأسفار كثيرة ، ولم يبقَ من بلاد خراسان وسجستان وغزنة بلدة إلا دخلها وجنى ثمارها ، ولا ملك له ولا وزير إلا واستمطر بنوئه وسرى في ضوئه ، فحصلت له نعمة حسنة وثروة جميلة ، وألقى عصاه بهراة فاتخذها دار قراره ، وصاهر بها أبا علي الحسين بن محمد الخشنامي ، وهو الفاضل الكريم الأصيل ، وانتظمت أحواله بمصاهرته ، واقتنى بمعونته ضياعاً فاخرة ، وحين بلغ أشدَّه وأربى على أربعين سنة ناداه اللّه فلباه ، وفارق دنياه في سنة ثمان وتسعين وثلاثمائة .

وهذا أنموذج من رسائله :

فصل[3] من رقعة كتبها إلى الخوارزمي ، وهو أول ما كاتبه به : أنا لقرب الأستاذ : كما طرب النشوانُ مالتْ به الخمرُ[4].

---

(1) الدهخداه: سيد القرية أو رئيسها .

(2) في هذا العدد مجال للنظر ، إذ ليس لدينا منها إلا أربعون ، ومنهم من جعلها إحدى وخمسين مقامة (بعدد رسائل إخوان الصفا الإسماعيلية الذين كان البديع يلابسهم ويداخلهم في جرجان).

(3) اليتيمة 4 : 259 ورسائل البديع : 128 .

(4) من الواضح أنه يضمن رسالته أشطاراً من الشعر، وقوله : « كما انتفض العصفور. . . » عجز بيت ، وصدره : وإني لتعروني لذكراك هزة .

ومن الارتياح للقائه : كما انتفض العصفور بلله القطر.

ومن الامتزاج بولائه : كما التقت الصهباءُ والباردُ العذبُ.

ومن الابتهاج بمزاره : كما اهتز تحت البارح الغصن الرطب.

ومن رقعة إلى غيره[1] :

يعزّ علي أن ينوبَ ـ أيد الله الشيخَ ـ في خدمته قلمي عن قدمي ، ويسعدَ برؤيته رسولي دون وصولي ، ويردَ مَشْرَعَ الأُنسِ به كتابي قبل ركابي ، ولكن ما الحيلةُ والعوائقُ جمة :

وعليَّ أن أسعى وليـ ـس عليَّ إدراكُ النجاحِ

وقد حضرتُ داره ، وقبلت جداره ، وما بي حبُّ الحيطان ، ولكن شَغَفٌ بالقطّان ، ولا عشقُ الجدران ، ولكن شوقٌ إلى السكان.

وقال البديع وأراد التحميضَ ـ كما يقول أهل بغداد ـ ومعناه عندهم غير ذلك كقوله[2] :

ولقد دخلتُ ديار فارسَ مرةً أبتاعُ ما فيها من الأعراض

فإذا فَسَا فيها رجالٌ سادةٌ لهفي على ذاك الزمانِ الماضي

فالسامعُ يرى أنه أراد فسا مدينة بفارس التي منها أبو علي الفسوي النحوي وإنما أراد فسا من الفسو ، والضمير في « فيها » يريد به اللحية .

وذكر أبو إسحاق الحصري في كتاب « زهر الآداب »[3] وقد ذكر أبا الفضل الهمذاني بديع الزمان فقال : وهذا اسم وافق مسمَّاه ولفظ طابق معناه ، كلامه غضّ المكاسر أنيق الجواهر ، يكاد الهواء يسرقه لطفاً والهوى يعشقه ظرفاً . ولما رأى أبا بكر محمد بن الحسن بن دريد الأزدي أغرب بأربعين حديثاً وذكر أنه استنبطها من ينابيع صدره ، وانتخبها من معادن فكره ، وأبداها للأبصار والبصائر ، وأهداها إلى الأفكار والضمائر ، في معارض حوشية ، وألفاظ عنجهية ، فجاء أكثرها تنبو عن قبوله الطباع ،

---

(1) اليتيمة : 259 والرسائل : 103 .

(2) ديوان البديع : 47 .

(3) زهر الآداب : 261 .

ولا ترفع له حُجُبُ الأسماع ، وتوسَّع فيها ، إذ صرَّف ألفاظها ومعانيها ، في وجوهٍ مختلفة ، وضروب منصرفة ، عارضه بأربعمائة مقامة في الكدية تذوب ظرفاً وتقطر حسناً ، لا مناسبة بين المقامتين لفظاً ولا معنى ، عَطَفَ مساجلتها ، ووقف مناقلتها ، بين رجلين سمَّى أحدهما عيسى بن هشام والآخر أبا الفتح الاسكندري ، وجعلهما يتهاديان الدرّ ويتنافثان السحر، في معان تضحك الحزين، وتحرّكُ الرصين، وتطالع منها كل طريفة ، ويوقَفُ منها على كل لطيفة ، وربما أفرد بعضهما بالحكاية ، وخصَّ أحدهما بالرواية .

[وقد ذكره] أبو نصر عبد الرحمن بن عبد الجبار الفامي في « تاريخ هراة » من تأليفه ، وأنشد للبديع :

خرج الأميرُ ومن وراءِ ركابِهِ ... غيري وعزَّ عليَّ أن لم أَخْرُجِ
أصبحتُ لا أدري أأدعو طغمشي ... أم يكتليني أم أصيح بنذغجي
وبقيتُ لا أدري أأركب أبرشي ... أم أدهمي أم أشهبي أم ديزجي
يا سيدَ الأمراءِ ما لي خيمةٌ ... إلا السماء إلى ذراها ألتجي
كَتِفي بعيري إن ظعنت، ومفرشي ... كمّي، وجنحُ الليلِ مَطْرَحُ هَوْدَجي

وكتب بديع الزمان إلى مستميح عاوده مراراً وقال له : لم لا تديمُ الجودَ بالذهب ، كما تديمه بالادب ؟ فكتب البديع[1] : عافاك اللّه ، مثل الإنسان في الإحسان ، مثلُ الأشجارِ في الإثمار ، وسبيل من ابتدأ بالحسنة ، أن يُرفِّه إلى السنة ، وأنا كما ذكرتَ لا أملك عضوين من جسدي ، وهما فؤادي ويدي ، أما اليد فتولع بالجود، وأما الفؤاد فيتعلق بالوفود[2]، ولكنّ هذا الخلقَ النفيس ، لا يساعده الكيس ، وهذا الخلقُ الكريم ، لا يحتمله الغريم ، ولا قرابةَ بين الأدب والذهب ، فلمَ جمعت بينهما ؟ والأدب لا يمكن ثَرْدُهُ في قَصْعة ، ولا صَرْفُهُ في ثمن سلعة ، قد جهدتُ جهدي بالطباخ أن يطبخَ لي من جيمية الشماخ[3] لوناً فلم يفعل ، وبالقصّاب أن يذبح

(1) اليتيمة : 262 والرسائل : 221 .
(2) ر: بالرفود .
(3) جيمية الشماخ هي التي يقول فيها :

وأشعث قد قدّ السفار قميصه ... بجرّ شواء بالعصا غير منضج

«أدب الكتّاب» فلم يقبل ، وأنشدتُ في الحمام ديوانَ أبي تمام فلم ينجع ، ودفعت إلى الحجّام مُقَطَّعات اللحام فلم يأخذ ، واحتيج في البيت إلى شيء من الزيت فأنشدت ألفاً ومائتي بيت من شعر الكميت فلم تُغْنِ، ودفعت أرجوزةَ العجاج في توابل السكباج فلم تنفع ، وانت لم تقنع فما أصنع ؟ فإن كنتَ تحسبُ اختلافك إليّ إفضالاً منك عليَّ ، فراحتي ألّا تطرق ساحتي ، وفرجي ألّا تجي ، والسلام .

وحدث أبو الحسن ابن أبي القاسم البيهقي صاحب كتاب « وشاح الدمية » وقد ذكر أبا بكر الخوارزمي : وقد رمي بحجر البديع الهمذاني في سنة ثلاث وثمانين وثلاثمائة ، وأعان البديعَ الهمذاني قومٌ من وجوه نيسابور كانوا مستوحشين من أبي بكر ، فجمع السيد نقيب السادة بنيسابور أبو علي بينهما[1] ، وأراده على الزيارة ، وداره بأعلى ملقباذ[2]، فترفَّع، فبعث اليه السيد مركوبه، فحضر أبو بكر مع جماعة من تلامذته، فقال له البديع[3]: إنما دعوناك لتملأ المجلسَ فوائد، وتذكرَ الأبياتَ الشوارد ، والأمثالَ الفوارد ، ونباحثك فنسعد بما عندك ، وتسألنا فتسر بما عندنا . . . ونبدأ بالفنّ الذي ملكت زمامه وطار به صيتك ، وهو الحفظ إن شئت ، والنظم ان أردت ، والنثر إن اخترت ، والبديهة إن نشطت ، فهذه دعواك التي تملأ منها فاك ، فأحجم الخوارزميّ عن الحفظ لكبر سنه ولم يُجِلْ في النثرِ قِداحاً وقال : أبادهك ، فقال البديع : الأمر أمرك يا أستاذ ، فقال له الخوارزمي : أقولُ لك ما قال موسى للسحرة (قَالَ بَلْ أَلْقُوا) فقال البديع :

الشعر أصعبُ مذهباً ومصاعداً | من أن يكونَ مطيعَةً في فكِّهِ
والنظمُ بحرٌ والخواطرُ معبرٌ | فانظر إلى بحرِ القريض وفلكهِ
فمتى توانى في القريض مقصر | عرَّضْتُ أذن الامتحانِ لعركهِ

(1) قال البديع في رسائله (ص 39) واتفق أن السيد أبا علي نشط للجمع بيني وبينه ، فدعاني فأجبت ، ثم عرض عليّ حضور أبي بكر فطلبت ذلك وقلت : هذه عدة كنت أستنجزها ، وفرصة لا أزال أنتهزها ، فتجشم السيد أبو الحسين وكاتبه يستدعيه فاعتذر أبو بكر بعذر في التأخر . . . .

(2) هي ملقاباذ عند ياقوت .

(3) الرسائل : 41 ـ 82 ، وما هنا مبني على الإيجاز والتلخيص (ومن الواضح أن ما يورده ياقوت إنما هو حكاية البديع للقصة ، وهي من طرف واحد) .

قال : وهذه أبيات كثيرة فيها مدح الشريف أبي علي والمفاخرة وتهجين الخوارزمي ، فقال الخوارزمي أيضاً أبياتاً ولكن ما أبرزها من الغلاف ، فقال له البديع : أما تستحي أن يكون السنور أعقلَ منك لانه يجعر فيغطيه بالتراب ، فقال لهما الشريف : انسجا على منوال المتنبي :

* أرَقٌ على أرق ومثليَ يأرق *

فابتدا أبو بكر وكان إلى الغايات سباقا وقال :

فإذا ابتدهتُ بديهةً يا سيدي فأراكَ عند بديهتي تتقلَّقُ
ما لي أراك ولستَ مثلي في الورى متموهاً بالتّرّهاتِ تُمَخْرِقُ

ونظم أبياتاً ثم اعتذر فقال : هذا كما يجيء لا كما يجب ، فقال البديع : قَبِلَ اللّه عذرك ، لكن وقفتَ بين قافاتٍ خشنة كلّ قاف كجبل قاف ، فخذ الآن جزاءً عن قرضك وأداءً لفرضك :

مهلاً أبا بكر فزندك أضيقُ واخرسْ فإن أخاك حيٌّ يرزقُ
يا أحمقاً وكفاك تلك فضيحةً جَرَّبْتَ نارَ معرَّتي هل تحرقُ

فقال له أبو بكر : يا أحمقاً لا يجوز فإنه لا ينصرف ، فقال البديع : لا نزال نصفعك حتى ينصرف وتنصرف معه ، وللشاعر أن يردّ ما لا ينصرف [إلى الصرف] وإن شئت قلت : يا كودنا . ثم قولك في البيت « يا سيدي » ثم قلت « تتقلق » مدحتَ أم قدحت ؟ فإن اللفظين لا يركضان في حلبة ، فقال لهما الشريف : قولا على منوال المتنبي :

* أهلاً بدارٍ سباك أغيدها *

قال البديع :

يا نعمةً لا تزال تجحدها ومنةً لا تزال تكندها

فقال أبو بكر : الكنود قلة الخير لا الكفران ، فكذبه الجمع وقالوا : ما قرأت قوله تعالى ﴿ **إنَّ الإنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ** ﴾ (العاديات: 6) أي لكفور ، فقال له أبو بكر : أنا

اكتسبت بفضلي[1] ديةً أهل همذان فما الذي اكتسبت أنت بفضلك[2] فقال له البديع : أنت في حرفة الكدية أحذق ، وبالاستماحة أحرى وأخلق ، فقطعه الكلام . ثم أنشد القوّال :

وشبهنـا بنفسـجَ عـارضيـه بقايا اللطم في الخدِّ الرقيقِ

فقال الخوارزمي : أنا أحفظ هذه القصيدة ، فقال البديع : أخطأت فإن البيتَ على غير هذه الصيغة وهي :

وشبهنـا بنفسـجَ عـارضيـه بقايا الوشم في الوجهِ الصفيقِ

فقال له أبو بكر : والله لأصفعنك ولو بعد حين ، فقال البديع : أنا أُصفعك اليوم وتضربني غداً ، اليومَ خمرٌ وغداً أمرٌ ، وأنشد قول ابن الرومي[3] :

رأيتُ شيخـاً سفيهـاً يفـوقُ كـلَّ سفيـهِ
وقـد أصـاب شبيهـاً لـه وفـوقَ الشبيـهِ

ثم أنشد البديع[4] :

وأنـزلني طولُ النـوى دارَ غـرْبَـةٍ إذا شئتُ لاقيتُ امـرءًا لا أُشاكِلُهْ
أُحـامقـه حتى يقـالَ سـجيـةٌ ولـو كان ذا عقـلٍ لكنتُ أعـاقلهْ

فأمال النعاسُ الرؤوس ، وسكنت الألحانُ والنفوس ، وسلب الرقاد الجلوس ، فنام القوم كعادتهم في ضيافات نيسابور ، وأصبحوا فتفرقوا ، وبعضُ القوم يحكم بغلبة البديع ، وبعضهم يحكم بغلبة الخوارزمي ، وسعى الفضلاءُ بينهما بالصلح ودخل عليه البديع واعتذر وتاب واستغفر مما تقدم من ذنبه وما تأخر ، وقال له البديع : بعد الكَدَرِ صَفْوٌ ، وبعد الغيم صحوٌ ، فعرض عليه الخوارزمي الاقامةَ عنده سحابةَ يومه ، فأجابه

(1) الرسائل : بعقلي .
(2) الرسائل : بعقلك .
(3) ديوان ابن الرومي 6 : 2634 (في هجاء خالد القحطبي) .
(4) البيتان في البيان والتبيين 1 : 245 ، 2 : 235 4 : 21 وعيون الأخبار 3 : 24 والأول منهما في بهجة المجالس 1 : 234 .

البديع وأضافه الخوارزمي . وكان بعض الرؤساء مستوحشاً من الخوارزمي ، وهيأ مجمعاً في دار الشيخ السيد أبي القاسم الوزير ، وكان أبو القاسم فاضلاً ملء إهابه ، وحضر أبو الطيب سهل الصعلوكي والسيد أبو الحسين العالم ، فاستمال البديع قلب السيد أبي الحسين بقصيدة قالها في مدائح أهل البيت أولها :

يا معشراً ضرب الزما ... نُ على مُعَرَّسِهِمْ خيامَهْ

ثم حضر المجلس القاضي أبو عمر البسطامي وأبو القاسم ابن حبيب والقاضي أبو الهيثم والشيخ أبو نصر ابن المرزبان ، ومع الامام أبي الطيب الفقهاء والمتصوفة ، وحضر أبو نصر[1] الماسرجسي مع أصحابه والشيخ أبو سعد[2] الهمذاني ، ودخل مع الخوارزمي جمع غفير من أصحابه ، فقيل لهما أنشدا على منوال قول أبي الشيص[3] :

أبقى الزمانُ به ندوبَ عضاضِ ... ورمى سوادَ قرونه ببياضِ

فابتدر الخوارزمي فقال :

يا قاضياً ما مثله من قاضِ ... أنا بالذي تقضي علينا راضِ

منها :

ولقد بُليتُ بشاعرٍ متهتك ... لا بل بُليت بنابِ ذئبٍ غاضِ

فقال البديع : ما معنى قولك ذئب غاض ؟ فقال أبو بكر : ما قلته ، فشهد عليه الحاضرون أنه قاله ، فقال أبو بكر : الذئب الغاضي الذي يأكل الغضا ، فقال البديع : استنوق الذئب ، صار الذئب جملاً يأكل الغضا . ثم دخل الرئيس أبو جعفر والقاضي أبو بكر الحيري[4] والشيخ أبو زكريا[5] والشيخ أبو الرشيد المتكلم[6]، فقال الرئيس قولا على هذا النمط :

(1) الرسائل : أبو الحسن
(2) الرسائل : أبو سعيد .
(3) أشعار أبي الشيص : 71 .
(4) الرسائل : القاضي أبو بكر الحربي .
(5) الرسائل : أبو زكريا الحيري .
(6) الرسائل : مع عدة من الأراذل فيهم أبو رشيدة .

برز الربيعُ لنا برونقِ مائِهِ ... فانظر لمنظر[1] أرضهِ وسمائِهِ
والتربُ بين ممسَّك ومعنبر ... من نَوْرِهِ بل مائه وروائِهِ

ثم أنشد الخوارزمي على هذا النمط ، فلما فرغ من انشاده قال البديع للوزير والرئيس : لو أن رجلاً حلف بالطلاق أني لا أقولُ شعراً ثم نظم تلك الأبيات التي قالها الخوارزمي [هل كنتم تطلقون امرأته عليه ؟ فقالت الجماعة : لا يقع بهذا طلاق ، ثم قلت : انقد عليّ في ما نظمت ، واحكم عليه كما حكمت ، فأخذ الابيات وقال :][2] لا يقال نظرت لكذا[3] ويقال نظرت إلى كذا ، وأنت قلت فانظر لمنظر ، وشبهت الطير بالمحصنات ، وهذا تشبيه فاسد ، ثم شبهتها بالمغنيات حين قلت :

والطير مثل المحصَناتِ صوادحٌ ... مثل المغني شادياً بغنائِهِ

المحصنات كيف توصف بالغناء ؟ (ثم) قلت : « كالبحر في تزخاره والغيث في أمطاره »[4] والغيث هو المطر ، فقال البديع : الغيث المطر والسحاب ، وصدقه الحاضرون وأنكروا على الخوارزمي . فقال الامام أبو الطيب : علمنا أي الرجلين أفضل وأشعر ، فقام البديع وقبل رأس الخوارزمي ويده وقال : اشهدوا أن الغلبةَ له ، قال ذلك على سبيل الاستهزاء ، وتفرق الناس واشتغلوا بتناول الطعام ، وأبو بكر ينطق عن كبدٍ حرَّى ، والوزير يقول للبديع : ملكت فأسْجِحْ . فلما قام أبو بكر أشار إلى البديع وقال : لأتركنَّكَ بين الميمات ، فقال : ما معنى الميمات : فقال : بين مهدوم مهزوم مغموم محموم مرجوم محروم ، فقال البديع : لأتركنك بين الهيام والسقام والسام والبرسام والجذام والسرسام ، وبين السينات بين منحوس ومنخوس ومنكوس ومعكوس ، وبين الخاءات من مطبوخ ومسلوخ ومشدوخ ومفسوخ وممسوخ ، وبين الباءات بين مغلوب ومسلوب ومصلوب ومنكوب . فخرج البديع وأصحاب الشافعي

(1) الرسائل : لروعة .
(2) زيادة ضرورية من الرسائل (ص: 72) .
(3) يشير الى قول البديع « فانظر لروعة (المنظر) أرضه وسمائه » .
(4) يريد قول البديع :
كالبحر في تزخاره والغيث في ... إمطاره والجو في أنوائه

يعظمونه بالتقبيل والاستقبال ، والاكرام والاجلال ، وما خرج الخوارزمي حتى غابت الشمس ، وعاد إلى بيته وانخزل انخزالاً شديداً ، وانكسف باله وانخفض طرفه ، ولم يحلْ عليه الحول حتى خانه عمره وذلك في شوال سنة ثلاث وثمانين وثلاثمائة .

قال أبو الحسن البيهقي : وبديع الزمان أبو الفضل أحمد بن الحسين الحافظ كان يحفظ خمسين بيتاً بسماع واحد ، ويؤديها من أولها إلى آخرها ، وينظر في كتاب نظراً خفيفاً ويحفظ أوراقاً ويؤديها من أولها إلى آخرها ، فارق همذان في سنة ثمانين وثلاثمائة ، وكان قد اختلف إلى أحمد بن فارس صاحب « المجمل » وورد حضرة الصاحب وتزود من ثمارهما ، واختصّ بالدهخداه أبي سعد محمد بن منصور ، ونفقت بضاعته لديه ، ووافى نيسابور في سنة اثنتين وثمانين وثلاثمائة ، وبعد موت الخوارزمي خلا له الجوّ ، وجرت بينه وبين أبي علي الحسين بن محمد الخشنامي مصاهرةٌ ، وألقى عصا المقام بهراة ، ثم فارق دنياه في سنة ثمان وتسعين وثلاثمائة .

وحدث الثعالبي في أخبار أبي فراس قال[1] : حكى أبو الفضل الهمذاني قال ، قال الصاحب أبو القاسم يوماً لجلسائه وأنا فيهم ، وقد جرى ذكر أبي فراس الحارث بن سعيد بن حمدان : لا يقدر أحدٌ أن يزوّر على أبي فراس شعراً فقلت : من يقدر على ذلك ، وهو الذي يقول :

رويدكَ لا تَصِلْ يَدَهَا بباعِكْ ... ولا تُغْزِ السباع إلى رباعكْ
ولا تُغْرِ العدوَّ عليَّ إني ... يمينٌ إنْ قُطِعْتُ فمن ذراعِكْ

فقال الصاحب : صدقت ، فقلت : أيد اللّه مولانا فقد فعلت[2].

ويقال إن السبب في مفارقة البديع الهمذاني حضرةَ الصاحب أنه كان في مجلسه فخرجت منه ريح ، فقال البديع : هذا صرير التخت ، فقال الصاحب : أخشى أن يكون صرير التحت ، فأورثه ذلك خجلاً كان سببَ مفارقته إياه وورودِهِ إلى خراسان.

---

(1) اليتيمة 1 : 102 .
(2) من الواضح أن البديع نظم البيتين على المكان وأنشدهما الصاحب ، وجازت عليه نسبتهما إلى أبي فراس أو تظاهر بذلك .

وكانت أول رقعة كتبها البديع إلى الخوارزمي عند وروده نيسابور[1] : « أنا لقرب الأستاذ أطال اللّه بقاءه : كما طرب النشوان مالت به الخمر.

ومن الارتياح للقائه : كما انتفض العصفور بلله القطر.

ومن الامتزاج بولائه : كما التقت الصهباء والبارد العذب.

ومن الابتهاج بمزاره : كما اهتز تحت البارح الغصن الرطب.

فكيف ارتياح الأستاذ لصديقٍ طوى إليه ما بين قصبتي العراق وخراسان بل [ما بين] عتبتي الجبل ونيسابور ، وكيف اهتزازه لضيف في بردة حمال وجلدة جمال :

رث الشمائلِ مُنْهَجُ الأثوابِ   بكرتْ عليه مغيرةُ الأعرابِ
كمهلهلٍ وربيعةَ بن مكدّمٍ   وعتيبةَ بنِ الحارثِ بن شهاب

وهو وليٌّ إنعامه بانفاذ غلامه الى مستقرّي ، لأفضي إليه بما عندي إن شاء اللّه تعالى وحده.

ثم اجتمع إليه فلم يحمد لقيه فانصرف عنه وكتب إليه[2] : الأستاذ ـ واللّه يطيل بقاءه ، ويديم تأييده ونعماءه ـ أزرى بضيفه أن وجده يضربُ آباطَ القِلة في أطمار الغربة ، فأعمل في ترتيبه أنواع المصارفة ، وفي الاهتزاز له أصناف المضايقة ، من إيماء بنصفِ الطرف ، وإشارةٍ بشطرِ الكفّ ، ودفع في صدر القيام عن التمام ، ومضغ الكلام وتكلّفه لرد السلام ، وقد قبلتُ هذا الترتيب صَعَراً ، واحتملته وزراً ، واحتضنته نكراً ، وتأبطته شراً ، ولم آلُهُ عذراً ، فإن المرءَ بالمال وثياب الجمال ، وأنا مع هذه الحال وفي هذه الأسمال أتقزز صفَّ النعال ، ولو حاملته العتاب وناقشته الحساب وصدقته المصاع لقلت : إن بوادينا ثاغية صباح وراغية رواح ، وقوماً يَجُرُّون المطارفَ ولا يمنعون المعارف[3] :

وفيهم مقاماتٌ حسانٌ وجوههم   وأنديةٌ ينتابها القولُ والفعلُ
على مكثريهم حقُّ من يعتريهمُ   وعند المقلين السماحةُ والبذل

(1) ورد بعض هذه الرسالة في ما تقدم .
(2) الرسائل : 31 .
(3) ديوان زهير : 113 ، 114 .

ولو طَوَّحَتْ بالأستاذ أيدي الغربة إليهم لوجد مَنالَ البِشْرِ قريباً ، ومحطَّ الرَّحْلِ رحيباً ، ووجهَ المضيفِ خصيباً ، ورأيه ـ أيده اللّه ، في أن يملأ من هذا الضيف أجفانَ عينه ويوسع أعطاف ظنه ، ويجيبه بموقع هذا العتاب الذي معناه ود ، والمر الذي يتلوه شهد ، موفق إن شاء الله تعالى .

الجواب من الخوارزمي :

إنــكِ إن كلفتني مـا لـم أُطِقْ ساءَكِ ما سـرَّكِ مني من خُلُقْ

فهمتُ ما تناوله سيِّدي من خشنِ خطابه ومؤلم عتبه وعتابه ، وصرفتُ ذلك منه إلى الضجر الذي لا يخلو منه من نبا به دهر ومسَّه من الأيام ضر ، والحمد للّه الذي جعلني موضعَ أُنْسِهِ ، ومَظِنَّةَ مُشْتَكَى ما في نفسه . أما ما شكاه سيدي من مضايقتي إياه ـ زعم ـ في القيام وتكلّفي لردِّ السلام ، فقد وفَّيته حقَّه كلاماً وسلاماً وقياماً على قدر ما قدرتُ عليه ووصلتُ إليه ، ولم أرفع عليه غير السيد أبي القاسم[1] ، وما كنتُ لأرفعَ أحداً على من أبوه الرسول وأمه البتول ، وشاهداه التوراة والانجيل ، وناصراه التأويل والتنزيل، والبشيرُ به جبرائيلُ وميكائيل. وأما عَدَمُ الجمال ورثاثةُ الحال فما يضعان عندي قدراً ولا يضرّان نجراً ، وإنما اللباسُ جلدةٌ والزيُّ حلية بل قشرة ، وإنما يشتغل بالجُلّ من لا يعرف قيمة الخيل ، ونحن بحمد اللّه نعرف الخيلَ عاريةً من جلالها ، ونعرفُ الرجالَ بأقوالها وأفعالها ، لا بآلاتها وأحوالها . وأما القومُ الذين صدر سيدي عنهم وانتمى اليهم ففيهم لعمري فوق ما وصف : حُسْنَ عِشْرةٍ وسدادَ طريقة وجمال تفصيل وجملة ، ولقد جاورتهم فنلتُ المُرَادَ وأحمدتُ المَرَاد :

فـإن أكُ قد فـارقتُ نجـداً وأهله فمـا عهـدُ نجـدٍ عنـدنـا بـذميمٍ

واللّه يعلم نيتي للأحرارِ عامة[2] ولسيدي من بينهم خاصة ، فإن أعانني على مرادي له ونيتي فيه بحسن العشرة بلغتُ له بعض ما في المنيـة[3] وجاوزت مسـافة القدرة ، وإن قطع علي طريق عزمي[4] بالمعارضة وسوء المؤاخذةِ صرفتُ عناني عن

(1) الرسائل : الا السيد أبا البركات .
(2) الرسائل : للأخوان كافة .
(3) الرسائل : الفكرة .
(4) الرسائل : عشرتي .

طريق الاختيار بيد الاضطرار[1] :

فمـا النفُس إلا نـطفـةٌ بقـرارة   إذا لم تُكَدَّرْ كان صفـواً غديـرها

وعلى هذا فحبذا عتابُ سيدي إذا صادف ذنباً واستوجبَ عَتباً ، فأما أن يسلفنا العربدة ويستكثر المعتبة والموجدة فتلك حالة نصونه عنها ونصون أنفسنا عن احتمال مثلها ، فليرجع بنا إلى ما هو أشبه به وأجمل له ، ولست أسومه أن يقول : ﴿ **اسْتَغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا إِنَّا كُنَّا خَاطِئِينَ** ﴾ (يوسف: 97) ولكن أسأله أن يقول : ﴿ **لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ** ﴾ (يوسف: 92).

رقعة البديع الثالثة إلى الخوارزمي[2] :

أنا أرد من الأستاذ سيدي شرعة وده ، وإن لم تصف ، وألبسُ خلعةَ برّه وإن لم تَضْفُ ، وقصاراي أن أكيلَهُ صاعـاً بصاع ومـدّاً عن مدّ ، وإن كنتُ في الأدب دعيَّ النسـب ضعيفَ السبب ضيِّق المضـطرب سيءَ المنقلَب ، أمتّ إلى أهـله بعشـرةٍ رشيقة[3] ، وأنزعُ إلى خدمة أصحابه بطريقة . ولكن بقي أن يكون الخليطُ منصفاً في الإخاء عادلاً في الوداد ، إذا زرتُ زار وإن عدتُ عاد ، والأستاذ سيدي ـ أيده الله ـ ضايقني في القَبول أولاً وناقشني[4] في الإقبال ثانياً ، فأما حديثُ الاستقبال وأمر الإنزال والأنزال فنطاقُ الطمع ضيّقٌ عنه غير متسـع لتوقعـه منه ، وبعـدُ فكلفة الفضـل هيّنة وفروضُ الودِّ متعيّنة ، وطرقُ المكـارِم بينة ، وأرض العشـرةِ لينة ، فلم اختارَ قعود التعالي مركباً ، وصعود التغالي مذهباً ؟ وهلاّ ذاد الطيرَ عن شجرِ العشرة إذا كان ذاق الحلو من ثمرها ؛ وقد علم الله أن شوقي إليه قد كدَّ الفؤاد برحاً على برح ، ونكأه قَرْحاً على قرح ، فهو شوقٌ داعيتُهُ محاسنُ الفضلِ وجاذبتُهُ بواعثُ العلم ، ولكنها مِرَّةٌ مُرةٌ ونفسٌ حُرةٌ ، ولم تُقَدْ إلا بالإعظام ولم تُلْوَ إلا بالاكرام . وإذا استعفاني سيدي الأستاذ

(1) البيت لعمارة بن عقيل كما في الكامل للمبرد 1 : 29 وحماسة الخالديين 1 : 230 ومعجم المرزباني : 78 والبصائر 6 (رقم: 632 ص 205) من أبيات رائية، ووردت قافيته في الرسائل «معينها» .

(2) الرسائل : 35 (ويلاحظ بعض التباين بين النص في الرسائل والنص عند ياقوت وقد أشرت الى بعضه في ما تقدم ، وسأقتصر في الاشارة فيما يلي على الفروق المهمة) .

(3) الرسائل : أمت إلى عشرة أهله بنيقة .

(4) الرسائل : وصارفني .

من معاتبته واستعادته ، ومؤاخذته إذا جفا واستزادته ، وأعفى نفسه من كُلَفِ الفضل يتجشمها ، فليس إلا غُصَصُ الشوق أتجرعها ، وحُلَلُ الصبر أتدرَّعها ، فلم أُعره من نفسي ، وأنا لو أُعِرْتُ جناحي طائر لما رنَّقْتُ إلا إليه ، ولا حَلَّقْتُ إلا عليه[1] :

أحبُّكَ يا شمسَ النهارِ وبدره ... وإن لامني فيك السُّها والفراقدُ
وذاك لأن الفضلَ عندك باهرٌ ... وليس لأن العيشَ عندك بارد

جوابِ الخوارزمي عنها :

شريعة ودّي لسيدي ـ أدام الله عزه ـ إذا وردها صافية ، وثيابُ بري إذا قبلها ضافية ، هذا ما لم يكدّر الشريعة بتعنته وتعصّبه ، ولم تُخَرَّقِ الثياب بتجنيه وتسحّبه ، فأما الإنصافُ في الإخاء فهو ضالّتي عند الأصدق ، ولا أقول[2] :

وإني لمشتاقٌ إلى ظلِّ صاحبٍ ... يروق ويصفو إن كدرتُ عليه

فإن قائل هذا البيت قاله والزمان زمان ، والاخوان إخوان ، وحسن العشرة سلطان ، ولكني أقول : وإني لمشتاق إلى ظلٍّ :

رَجلٍ يُوَازِنُكَ المودَّةَ جاهداً ... يُعْطِي ويأخذُ منكَ بالميزانِ
فإذا رأى رجحانَ حَبَّةِ خردلٍ ... مالتْ مَوَدَّتُهُ مع الرجحان

وقد كان الناس يقترحون الفضلَ فأصبحنا نقترحُ العَدْلَ ، وإلى اللّه المشتكى لا منه . ذكر الشيخ سيدي ـ أيده اللّه ـ حديثَ الاستقبال ، وكيف يُسْتَقْبَلُ من انقضَّ علينا انقضاضَ العُقَابِ الكاسر ، ووقع بيننا وقوعَ السهمِ العائر :

وتكليفُكَ المرءَ ما لا يطيقُ ... يجوزُ على مذهبِ الأشعري

وقد زاد سيدي على أستاذه الأشعري ، فإن أستاذه كلَّفَ العاجزَ مَا لا يطيقُ مع عَجْزِهِ عنه ، وسيدي كلَّف الجاهلَ علمَ الغيب مع الاستحالةِ منه . والمنزلُ بما فيه قد عرضتُه عليه ، ولو أطقتُ حَمْلَه لحملتُهُ إليه ، والشوقُ الذي ذكره سيدي فعندي منه الكثيرُ الكبير ، وعنده منه الصغيرُ اليسير ، وأكثرنا شوقاً أقلُّنا عتاباً وألينُنا خطاباً . ولو

---

(1) الشعر للمتنبي ، انظر ديوانه : 314 .

(2) البيت لأبي العتاهية ، الأغاني 11 : 326 غنى فيه علويه للمأمون ، وانظر الصداقة والصديق للتوحيدي : 50 ـ 51 .

أراد سيدي أن أصدّقَ دعواهُ في شوقه إليَّ لغَضَّ من حَجْم عَتْبِهِ عليَّ ، فإنما اللَّفظُ زائدٌ واللحظ وارد ، فإذا رقَّ اللفظ دقَّ اللحظ ، وإذا صدق الحبُّ ضاق العتابُ والعتب :

فبالخيرِ لا بالشرِّ فارْجُ مودتي وأيّ امرىءٍ يقتالُ منه الترهّبُ

عتابُ سيدي قبيحٌ ولكنه حَسَن ، وكلامُهُ لَيِّنٌ ولكنه خَشِن ، أما قُبْحُهُ فلأنه عاتَبَ بريئاً ، ونَسَبَ إلى الإساءَةِ مَنْ لم يكنْ مسيئاً . وأما حُسْنُهُ فلألفاظه الغُرَر ، ومعانيه التي هي كالدرر ، فهي كالدنيا ظاهرها يغرُّ وباطنها يضرُّ ، وكالمرعى على دِمَنِ الثرى منظرُهُ بهيّ ومَخْبَرُهُ وَبِيّ ، ولو شاء سيدي نظم الحسن والإحسان ، وجمع بين صوابِ الفعلِ واللسان :

يا بديعَ القول حاشا لكَ من هجوٍ بديعِ
ولحسنِ القول عَوِّذْ تُكَ من سوءِ الصنيع
لا يعبْ بعضُكَ بعضاً كنْ مليحاً في الجميع

رقعة أخرى للبديع إلى الخوارزمي :

أنا وإن كنتُ مقصّراً في موجباتِ الفضل من حضور مجلس الاستاذ سيدي فما أفري إلا جلدي ، ولا أبري إلا قِدْحي ، ولا أبخسُ إلا حظّي ، وإن يكنْ ذاك جُرْماً فكفى هذا عقاباً ، ومع ذاك فما أعمرُ أوقاتي إلا بمدحه ولا أطرِّزُ ساعاتي إلا بذكره ، ولا أركضُ إلا في حَلْبَةِ وَصْفِهِ حَرَسَ اللّه فضله . نعم وقد رددت « كتاب الأوراق » للصولي وتطاولتُ لكتاب « البيان والتبيين » للجاحظ ، وللأستاذ سيدي في الفضل والتفضل به رأيه .

وقال البديع يمدح الصحابة ويهجو الخوارزميّ ويجيبه عن قصيدةٍ رُوِيَتْ له في الطعن عليهم :

وكَّلَني بالهمِّ والكآبَهْ طعّانةٌ لعّانةٌ سبَّابهْ
للسلفِ الصالحِ والصحابَهْ أساءَ سمعاً فأساءَ جابهْ

...

تأملوا يا كبراءَ الشيعهْ لعشرةِ الاسلام والشريعهْ
أتُسْتَحَلُّ هذه الوقيعهْ في بيعِ الكُفْرِ وأهلِ البيعهْ

...

فكيف من صَدَّقَ بالرسالهْ وقام للدين بكلِّ آلهْ
وأحرز اللّه يدَ العقبى لَهْ ذلكم الصديقُ لا محالهْ

. . .

إمامُ من أجمع في السقيفه قطعاً عليه أنه الخليفهْ
ناهيكَ من آثاره الشريفه في ردّه كيدَ بني حنيفهْ

. . .

سلِ الجبالَ الشمَّ والبحارا وسائِل المنبرَ والمنارا
واستعلم الآفاقَ والأقطارا من أظهر الدينَ بها شعارا

. . .

ثم سلِ الفرسَ وبيتَ النارِ من الذي فلَّ شبا الكفارِ
هل هذه البيضُ من الآثار إلا لثاني المصطفى في الغار

. . .

وسائلِ الاسلامَ من قَوَّاه وقال إذ لسم تقلِ الأفواهُ
واستنجزَ الوعدَ فأومى اللّه من قام لما قعدوا إلا هو

. . .

ثاني النبيّ في سني الولاده ثانيه في الغارةِ بعد العادهْ
ثانيه في الدعوة والشهاده ثانيه في القبرِ بلا وسادهْ

. . .

ثانيه في منزلةِ الزعامه نبوة أفضتْ إلى إمامه
أتأملُ الجنةَ يا شتَّامَهْ ليستَ بمأواكَ ولا كرامهْ

. . .

ان امرءاً أثنى عليه المصطفى ثُمَّتَ والاه الوصيُّ المرتضى
واجتمعتْ على معاليه الورى واختاره خليفةً ربُّ العلى

. . .

واتبعته أمةُ الأمّيِّ وبايعته راحةُ الوصيِّ
وباسمه استسقى حيا الوسميِّ ما ضرَّه هَجْوُ الخوارزميِّ

. . .

سبحانَ من لم يُلْقِمِ الصخرَ فَمَهْ ولم يُعِدْهُ حجراً ما أحلمه
يا نذلُ يا مأبونُ أفطرتَ فمه لشدَّ ما اشتاقت إليك الحُطَمَهْ

. . .

إن أمير المؤمنين المرتضى وجعفراً الصادق أو موسى الرضى
لو سمعوك بالخنا مُعَرِّضا ما ادخروا عنك الحسامَ المنتضى

...

ويلك لِمْ تنبحُ يا كلبُ القَمَرْ ما لك يا مأبونُ تغتاب عمر
سيدَ من صام وحجَّ واعتمرْ صَرِّحْ بإلحادك لا تَمْشِ الخَمَر

...

يا مَنْ هجا الصديقَ والفاروقا كيما يقيمَ عند قومٍ سوقا
نفختَ يا طبلُ علينا بوقا فما لكَ اليومَ كذا موهوقا

...

إنك في الطعن على الشيخين والقَدْحِ في السيّد ذي النورين
لواهنُ الظهر سَخينُ العينِ معترضٌ للحَيْنِ بعد الحين

...

هلا شُغِلْتَ بآستك المغلومَهْ وهامةٍ تحملها مشؤومه
هلا نَهَتْكَ الوجنةُ الموشومهْ عن مشتري الخلدِ ببئرِ رومه

...

كفى من الغيبة أدنى شَمَّهْ من استجاز القدحَ في الأئمه
ولم يعظمْ أُمناء الأمه فلا تلوموه ولوموا أمه

...

ما لك يا نذلُ وللزكيّه عائشةَ الراضيةِ المرضيّه
يا ساقطَ الغيرة والحميَّهْ ألم تكن للمصطفى حظيه

...

من مبلغٌ عنّي الخوارزميا يخبره أن ابنه عليا
قد اشترينا منه لحما نيا بشرطِ أن يفهمنا المعنيا

...

يا أسدَ الخلوةِ خنزيرَ الملا مالك في الحرَّى تقودُ الجملا
يا ذا الذي يثلبني إذا خلا وفي الخلا أُطعمه ما في الخلا

...

وقلتُ لما احتفل المضمارُ واحتفَّتِ الأسماع والأبصار
سوف ترى إذا انجلى الغبار أفرسٌ تحتيَ أم حمار

...

وكتب البديع إلى معلمه جواباً[1]: الشيخُ الإمام يقول : فسد الزمان ، أفلا يقول متى كان صالحاً؟ أفي الدولة العباسية وقد رأينا آخرها وسمعنا بأولها، أم في المدة المروانية وفي أخبارها :

لا تكْسَعِ الشَّول بأغبارها ... انك لا تدري من الناتجُ

ام السنين الحربية :

والسيفُ يُغْمَدُ في الطُّلى ... والرمحُ يُركَزُ في الكُلَى

ومبيتُ حُجْرٍ بالفلا ... والحرّتان وكربلا

أم الأيام العدوية ، وصاحبها [يقول] : هل بعد البزولِ الا النزول ، أم الأيام التيمية [وصاحبها] يقول طوبى لمن مات في نأنأة الاسلام ، أم على عهد الرسالة وقيل اسكني يا فلانة فقد ذهبت الأمانة ، أم في الجاهلية ولبيد يقول :

ذهب الذين يُعاشُ في أكنافهم ... وبقيتُ في خَلْفٍ كجلدِ الأجربِ

أم قبل ذلك وأخو عاد يقول :

بلادٌ بها كنا وكنا نحبها ... إذ الأهلُ أهلٌ والبلادُ بلاد

أم قبل ذلك وقد قال آدم عليه السلام :

تغيرتِ البلادُ وَمَنْ عليها ... فوجهُ الأرضِ مغبرٌّ قبيحُ

أم قبل ذلك والملائكة تقول ﴿ **أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ** ﴾ (البقرة: 30) واني على توبيخه لي لفقير إلى لقائه ، شفيقٍ على بقائه ، ما نسيته ولا أناه ، وإن له بكل كلمة علمنا مناراً ، ولكل حرف أخذته منه ناراً ، ولو عرفتُ لكلامي موقعاً من قلبه لاغتنمت خدمته به ، ولكني خشيتُ أن يقول ﴿ **هَذِهِ بِضَاعَتُنَا رُدَّتْ إِلَيْنَا** ﴾ (يوسف: 65) واثنتان قلما تجتمعان الخراسانية والانسانية ، وإني وإن لم أكن خراسانيَّ الطينة فإني خراساني المدينة ، والمرءُ من حيث يوجَد لا من حيث يولد ، والانسان من حيث يثبت لا من حيث ينبت ، فإذا انضاف إلى تربة خراسان ولادةُ همذان ارتفع القلم وسقط التكليف ، والجرحُ جُبار والجاني حمار ، فليحملني

---

(1) الرسالة موجهة الى أستاذه أحمد بن فارس ، انظر الرسائل : 414 .

على هناتي ، أليس صاحبنا يقول :

لا تلمني على ركاكةِ عقلي   إن تصورتَ أنني همذاني[1]

- 79 -

أحمد بن الحسين بن عبيد الله بن إبراهيم بن عبد الله الأسدي الغضاري : كان من الأدباء والفضلاء الاذكياء ، وله خط يزري بخط ابن مقلة على طريقته .

- 80 -

أحمد بن خالد أبو سعيد الضرير البغدادي : رأيت في فوائد أبي الحسين أحمد بن فارس بن زكريا اللغوي صاحب كتاب « المجمل » ما صورته : وجدت في تفسير أبي موسى محمد بن المثنى العنزي ولم أسمعه ، حدثني أبو معاوية الضرير محمد بن حازم ، حدثنا إسماعيل روى عن أبي صالح ، هكذا أسماه ، وقد سماه السلامي كما ذكرناه في الترجمة ، والذي ترجمناه أصحُّ لأني رأيته في مواضع أخر موافقاً له ، والله أعلم .

قال الازهري[2] : كان طاهر بن عبد الله بن طاهر استقدمه من بغداد إلى خراسان وأقام بنيسابور وأملى بها المعاني والنوادر ، ولقي أبا عمرو الشيباني وابن الأعرابي ، وكان يلقى الأعراب الفصحاء الذين استوردهم ابن طاهر نيسابور فيأخذ عنهم وكان شمر[3] وأبو الهيثم[4] يوثّقانه .

---

79 ـ هو من الخطاطين الذين لم تهتم بهم كثيراً كتب التراجم .

80 ـ ترجمة أبي سعيد الضرير في إنباه الرواة 1 : 41 والوافي 6 : 369 ونكت الهميان : 96 وبغية الوعاة 1 : 305 .

(1) بعد هذا في الموجز رسالة من البديع الى مسكويه وسترد في ترجمة مسكويه .

(2) تهذيب اللغة 1 : 24 .

(3) يعني شمر بن حمدويه الهروي اللغوي (وسيترجم له المؤلف رقم : 589) .

(4) هو أبو الهيثم الرازي النحوي قدم هراة قبل وفاة شمر (توفي سنة 255) وكان أعلم بالنحو من شمر وله تصانيف (إنباه الرواة 4 : 182) .

ونقلت من كتاب « نتف الطرف » تأليف أبي علي الحسين بن أحمد السلامي البيهقي صاحب كتاب « ولاة خراسان » ـ وقد ذكرناه في بابه[1] ـ قال : خرَّج أبو سعيد الضرير عن أبي عبيد من « غريب الحديث » جملةً مما غلط فيه ، وأورد في تفسيره فوائدَ كثيرةً ثم عَرَضَ ذلك على عبد الله بن عبد الغفار وكان أحدَ الأدباء فكأنه لم يرضه ، فقال لأبي سعيد : ناولني يدك فناوله يده فوضع الشيخُ في كفِّه متاعَهُ وقال له : اكتحلْ بهذا يا أبا سعيد حتى تبصر فكأنك لا تبصر .

ثم قال : سمعت أبا جعفر محمد بن سليمان الشرمقاني قال : سمعتُ أبا سعيد الضرير يقول : كان يقال إذا أردتَ أن تعرفَ خطأً أستاذِكَ فجالسْ غيره .

وله تصانيف منها: كتاب الردّ على أبي عبيد في غريب الحديث. وكتاب الأبيات.

قال السلامي : حدثني أبو العباس محمد بن أحمد الغضاري قال حدثني عمي محمد بن الفضل ، وكان قد بلغ مائة وعشرين سنة قال : لما قدم عبد اللّه بن طاهر نيسابور وأقدم معه جماعة من فرسان طَرَسوس وَمَلَطْيَةَ وجماعةً من أدباء الأعراب منهم عَرَّام وأبو العميثل وأبو العيسجور وأبو العجنّس وعوسجة وأبو العذافر وغيرهم فتفرَّس أولادُ قوادِهِ وغيرهم بأولئك الفرسان ، وتأدبوا بأولئك الأعراب ، وبهم تخرَّج أبو سعيد الضرير ، واسمه أحمد بن خالد ، وكان وافَى نيسابور مع عبد اللّه بن طاهر ، فصار بهم إماماً في الأدبِ . وقد كان صحب بالعراق أبا عبد الله محمد بن زياد الأعرابي وأخذ عنه ، فبلغ ابنَ الأعرابي أن أبا سعيدٍ يروي عنه أشياءَ كثيرةً مما يفتي فيه ، فقال لبعض من لقيه من الخراسانية : بلغني أن أبا سعيد يروي عني أشياءَ كثيرةً فلا تقبلوا منه من ذلك غير ما يرويه من أشعار العجاج ورؤبة ، فإنه عَرَضَ ديوانهما عليَّ وصحَّحه .

وحدَّث عن الغضاري عن عمه قال : اختصم بعض الأعراب الذين كانوا مع عبد اللّه بن طاهر في علاقةٍ بينهم إلى صاحب الشرطةِ بنيسابور فسألهم بيِّنةً وشهوداً يعرفون ، فأعجزهم ذلك ، فقال أبو العيسجور :

إنْ يبغِ منا شهوداً يشهدونَ لنا   فلا شهودَ لنا غيرُ الأعاريبِ
وكيف يبغي بنيسابورَ معرفةً   مَنْ دارُهُ بين أرض الحَزْنِ واللُّوبِ

(1) ترجمته رقم : 366 .

قرأت[1] بخط عبد السلام البصري في كتاب محمد بن أبي الأزهر قال ، حدثني وهب بن إبراهيم خال عبيد الله بن سليمان بن وهب قال : كنا يوماً بنيسابور في مجلس أبي سعيد المكفوف ، وكان أبو سعيد عالماً باللغة جداً ، إذ هجم علينا مجنونٌ من أهلِ قُمّ ، فسقط على جماعةٍ من أهل المجلس ، فاضطرب الناسُ لسقطته ، ووثب أبو سعيد لا يشكُّ أن آفة قد لحقتنا من سقوطِ جدارٍ أو شرودِ بهيمة ، فلما رآه المجنونُ على تلك الحال قال : الحمد للّه ربِّ العالمين ، على رِسْلك يا شيخُ لا تُرَعْ ، آذاني هؤلاء الصبيان وأخرجوني عن طبعي إلى ما لا أستحسنُهُ من غيري ، فقال أبو سعيد : امنعوا منه عافاكم اللّه ، فوثبنا وَشرَّدنا من كان [يعبث به] ورجعنا ، فسكت ساعةً لا يتكلم ، إلى أن عُدْنا إلى ما كنّا فيه من المذاكرة ، وابتدأ بعضنا بقراءة قصيدة من شعر نهشل بن حري التميمي حتى بلغ قوله :

غلامانِ خاضا الموتَ من كلِّ جانبٍ ... فــآبــا ولم تُعْقَــدْ وراءهمــا يَــدُ
متى يلقيــا قِـرْنــاً فــلا بــدَّ أنــه ... سيلقاه مكروهٌ[2] من المـوتِ أسود

فما استتم هذا البيت حتى قال [المجنون] : قف أيها القارىء ، تتجاوز المعنى ولا تسألُ عنه ؟ مامعنى قولِهِ ولم تُعْقَدْ وراءَهُما يد ؟ فأمسك مَنْ حضرَ عن القول ، فقال : قل يا شيخُ فإنك المنظورُ إليه والمقتدَى به ، فقال أبو سعيد : يقول إنهما رميا بأنفسهما في الحرب أقصى مراميها ورجعا موفورين لم يؤسرا فتعقد أيديهما كتفا[3] ، فقال : يا شيخ أترضى لنفسك بهذا الجواب ؟ فأنكرنا ذلك على المجنون ، فنظر بعضنا إلى بعض ، فقال أبو سعيد : هذا الذي عندنا فما عندك ؟ فقال : المعنى يا شيخ آبا ولم تُعْقَدْ يدٌ بمثلِ فعلهما بعدهما لأنهما فعلا ما لم يفعله أحد ، كما قال الشاعر :

قَـرْمٌ[4] إذا عَـدَّتْ تميمٌ معــاً ... ســاداتِهـا عَــدُّوهُ بـالخنصَــرِ

---

(1) أورد السيوطي هذه القصة في الأشباه والنظائر 6 : 191 ـ 193 نقلاً عن ياقوت .
(2) م : مكروب .
(3) كتفا : ربطاً بالكتاف .
(4) م : قوم .

أَلْبَسَــهُ اللَّهُ ثِيــابَ النَّــدَى   فلم تــطلْ عنــه ولم تقصــر

أي خلقت له ، وقريب من الأول قوله :

قومي بنو مـذحجَ من خيـرِ الأممْ   لا يصعــدون قـدمــاً على قَـدَمْ

يعني أنهم يتقدمون الناس ولا يطأون على عقب أحد ، وهذان فعلا ما لم يفعله أحد . فلقد رأيت أبا سعيد وقد احمرَّ وجهه واستحيا من أصحابه ، ثم غطَّى المجنونُ رأسَهُ وخرج وهو يقول : يتصدَّرُون ويغرّون الناسَ من أنفسهم . فقال أبو سعيد بعد خروجه : اطلبوه فإني أظنه إبليس ، فطلبناه فلم نظفر به .

قال الشافعي حدثني أبو جعفر الشرمقاني قال : كان أبو سعيد الضرير مثرياً ممسكاً لا يكسرُ رأسَ رغيفٍ له ، إنما يأكلُ عند من يختلفُ إليهم ، لكنه كان أديبَ النفسِ عاقلاً ، حضر يوماً مجلسَ عبد الله بن طاهر فَقُدِّمَ إليه طبقٌ عليه قصبُ السكر ، وقد قُشِرَ وقطِّع كاللقم ، فأمره عبد اللّه بن طاهر أن يتناول منه ، فقال أبو سعيد : إن لهذا لفاظَةً ترتَجِعُ من الأفواهِ وأنا أكرهُ ذلك في مجلس الأمير - أيده اللّه ، فقال عبد الله : تناولْ فليس بصاحبك من احتشمك واحتشمته ، أما إنه لو قُسِمَ عقلك على مائة رجل لصار كلٌّ رجلٍ منهم عاقلاً .

وقيل إن هذا الكلام جرى بين الضرير وبين أبي دلف في مجلسه .

وحدث قال حدثني الغضاري قال : كان أبو سعيد الضرير يختار المؤدبين لأولاد قواد عبد الله بن طاهر ، ويبيّن مقدارَ أرزاقهم ، ويطوفُ عليهم ، ويتعهد مَنْ بين أيديهم من أولئك الصبيان . فاستقبله يوماً في ميدان الحسين بعضُ أولئك المؤدبين فقال له : يا فلان من أين وجهك ؟ قال : من شاذياخ ، قال : زدْ فيه ألفاً ولاماً ، فقال : من شاذياخال ، فقال أبو سعيد : اللهم غفراً زدهما في أول الحرف ويلك ، فقال : ألف لام شاذياخ ، فقال : صَمَّ صَداك ، كم رزقُكَ ؟ قال : سبعين درهماً ، فقال : يُصْرَفُ وَيُبْدَلُ به غيره وهو صاغر قميء[1] .

وحدث الحاكم في « كتاب نيسابور » سمعتُ أبا زكريا يحيى بن محمد العنبري يقول : سمعت أبي يقول : لما قلَّدَ المأمونُ عبدَ اللّه بن طاهر ولايةَ خراسان في سنة

(1) م : صدى .

سبع عشرة ومائتين وناوله العهد بيده قال : حاجة يا أمير المؤمنين ، قال : مقضية ، قال : يسعفني أمير المؤمنين في استصحاب ثلاثة من العلماء ، قال : من هم ؟ قال : الحسين بن الفضل البجلي وأبو سعيد الضرير وأبو إسحاق القرشي ، فأجابه إلى ذلك ، فقال عبد الله : وطبيب يا أمير المؤمنين ، فليس في خراسان طبيبٌ حاذق ، قال : من ؟ قال : أيوب الرهاوي ، فقال : يا أبا العباس لقد أسعفناك بما التمسته ، وقد أخليتَ العراقَ من الأفراد . قال : فقدم الحسين بن الفضل نيسابور وابتاع بها داراً مشهورة بباب عزرة ، فبقي يعلِّم الناسَ العلمَ ويفتي إلى أن مات في شعبان سنة اثنتين وثمانين ومائتين وهو ابن مائة سنة وأربع سنين ، ودفن في مقبرة الحسين بن معاذ ، قال : ولو كان في بني إسرائيل لكان من عجائبهم يعني الحسين بن الفضل ، ذكر ذلك كله في ترجمة الحسين بن الفضل .

قرأت بخط الأزهري من كتاب « نظم الجمان » للمنذري ، سمعت أبا عبد اللّه المعقلي المزني يقول ، سمعت أبا سعيد الضرير يقول : كنت أُعرضُ على ابنِ الأعرابي أصولَ الشعرِ أصلاً أصلاً ، وَعُرِضَ عليه وأنا أحضر شعرُ الكميت في المجالس التي كان يحضرها ، قال : فحفظته بعرضه وحفظتُ النكتَ التي أفاد فيها ، فقال لي ابن الأعرابي يوماً : لم تعرضْ عليَّ فيما عرضتَ شعرَ الكميت ، فقلت له : عرضَهُ عليكَ فلان فحفظتُهُ بعرضه ، وحفظتُ ما أفدتَ فيه من الفوائدِ والنكتِ والمعاني ، وجعلتُ أنشده وأعرِّفُهُ من تلك النكت ، فعجب .

وقال أبو سعيد الضرير[1] : سألني أبو دلف عن بيت امرىء القيس[2] :

* كبكر المقاناة البياض بصفرة *

قال : أخبرني عن البكر هي المقاناة أم غيرها ؟ قال قلت : هي هي ، قال : أفيضافُ الشيء إلى صفته ؟ قلت : نعم ، قال : وأين ؟ قلت : قد قال اللّه تعالى : ﴿ وَلَدَارُ الآخِرَةِ ﴾ (يوسف: 109) فأضاف الدار إلى الآخرة وهي هي بعينها ، والدليل على ذلك أنه قال في سورة أخرى : ﴿ وَالدَّارُ الآخِرَةُ ﴾ (الأعراف: 169) قال : أريد

---

(1) هذه القصة نقلها السيوطي في الأشباه والنظائر 6 : 189 .

(2) عجز البيت : جواهرها في صرة لم تزيل .

أشفى من هذا ، فأنشدته لجرير[1] :

يا ضبُّ إنّ هوى القيونِ أضلكم كضلالِ شيعةِ أعورِ الدجّالِ

ـ 81 ـ

أحمد بن داود بن وَنند أبو حنيفة الدينوري : أخذ عن البصريين والكوفيين ، وأكثر أخذِهِ عن ابن السكيت ، وكان نحوياً لغوياً مهندساً منجماً حاسباً ، راويةً ثقة فيما يرويه ويحكيه ، مات في جمادى الأولى سنة اثنتين وثمانين ومائتين ، ووجدت ذلك على ظهر « كتاب النبات » من تصنيفه ، ووجدت في كتاب عتيق : مات أحمد بن داود أبو حنيفة الدينوري قبل سنة تسعين ومائتين ، ثم وجدت على ظهر النسخة التي بخط ابن المسيح بكتاب النبات من تصنيف أبي حنيفة : توفي أبو حنيفة أحمد بن داود الدينوري ليلة الاثنين لأربع بقين من جمادى الأولى سنة اثنتين وثمانين ، ووجدت في « كتاب الوفيات » لأبي عبد الله محمد بن سفيان بن هارون ابن بنت جعفر بن محمد الفريابي البغدادي : مات أبو حنيفة أحمد بن داود بن ونند صاحب « كتاب النبات » في سنة إحدى وثمانين ومائتين .

قال أبو حيان في « كتاب تقريظ الجاحظ »[2] ومن خطه الذي لا أرتابُ فيه نقلت ، قال : قلت لأبي محمد الأندلسي ـ يعني عبد الله بن حمود الزبيدي ، وكان من غُرَر أصحاب السيرافي ، وله في هذا الكتاب ذكر[3] ـ : قد اختلف أصحابنا في مجلس أبي سعيد السيرافي في بلاغة الجاحظِ وأبي حنيفةَ صاحب النبات ووقع الرضى بحكمك فما قولك ؟ فقال : أنا أحقر نفسي عن الحكم لهما وعليهما ، فقال لا بدَّ من قول ، قال : أبو حنيفة أكثر بداوة وأبو عثمان أكثر حلاوة ، ومعاني أبي عثمان لائطة

---

81 ـ ترجمة أبي حنيفة الدينوري في إنباه الرواة 1 : 41 والوافي 6 : 377 وبغية الوعاة 1 : 306 وخزانة الأدب 1 : 60 والبلغة : 20 وسير الذهبي 13 : 422 والفهرست : 86 .

(1) ديوان جرير : 962 .
(2) لم يصلنا هذا الكتاب من كتب أبي حيان . (3) ترجمته رقم : 646 .

بالنفس سهلةً في السمع ، ولفظ أبي حنيفة أغرب وأعرب وأدخل في أساليب العرب .

قال أبو حيان : والذي أقوله وأعتقده وآخذُ به واستهام عليه أني لم أجدْ في جميع من تقدَّمَ وتأخر ثلاثةً لو اجتمع الثقلان على تقريظهم ومدحهم ونشر فضائلهم في أخلاقهم وعلمهم ومصنفاتهم ورسائلهم مدى الدنيا إلى أن يأذن اللّه بزوالها لما بلغوا آخر ما يستحقه كلُّ واحدٍ منهم ، أحدهم هذا الشيخ الذي أنشأنا له هذه الرسالة وبسببه جُشِّمنا هذه الكلفة ، أعني أبا عثمان عمرو بن بحر ، والثاني أبو حنيفة أحمد بن داود الدينوري فإنه من نوادر الرجال ، جمع بين حكمةِ الفلاسفة وبيان العرب ، له في كلّ فنٍّ ساق[1] وقدمٌ وَرُواءٌ وحكم[2] ، وهذا كلامه في « الأنواء » يدلُّ على حظٍّ وافرٍ من علم النجوم وأسرار الفلك ، فأما كتابه في « النبات » فكلامُهُ فيه في عروضِ كلامِ أبْدَى بدويّ وعلى طباع أفصح عربيّ ، ولقد قيل لي إن له في القرآن كتاباً يبلغ ثلاثة عشر مجلداً ما رأيته ، وأنه ما سُبِقَ إلى ذلك النمط ، هذا مع ورعه وزهده وجلالةِ قدره. وقد وقفَ الموفَّق عليه وسأله وتحفَّى به، والثالث أبو زيد أحمد بن سهل البلخي فإنه من لم يتقدم له شبيهٌ في الأعصرِ الأُوَل، ولا يُظَنُّ أنه يوجد له نظيرٌ في مستأنَفِ الدهر ، ومن تصفح كلامه في « كتاب أقسام العلوم » وفي « كتاب أخلاق الأمم » وفي « كتاب نظم القرآن » وفي « كتاب اختيار السيرة » وفي رسائله إلى إخوانه وجوابه عما يسأل عنه وَيُبْدَهُ به ، علم أنه بحرُ البحور ، وأنه عالم العلماء . وما رُئِيَ في الناس مَنْ جَمَعَ بين الحكمة والشريعة سواه ، وإن القول فيه لكثير ، ولو تناصرت إلينا أخبارهما لكنا نحبُّ أن نفردَ لكلِّ واحدٍ منهما تقريظاً مقصوراً عليه ، وكتاباً منسوباً إليه ، كما فعلت بأبي عثمان.

قرأت في كتاب ابن فورجة المسمى بـ« الفتح على أبي الفتح » في تفسير قول المتنبي[3] :

(1) ر : شان .

(2) ر : وسلم .

(3) انظر الفتح : 245 ـ 247 وقد ذهب ابن جني إلى أن التشبيه بما يعني أن السائل يقول : بما يشبه فلان ؟ فيقال : كأنه الأسد ، وهذا ما يستنكره ابن فورجة .

فـدعْ عنـك تشبيهي بمـا وكـأنـه | فمـا أحـدٌ فـوقي ولا أحـدٌ مثلي

وقال فيه ما لم يَرْضَهُ ابنُ فورجة ، ونسبه إلى أنه سأل عنه أبا الطيب ، فأجاب بهذا الجواب ، فأورد ابن فورجة هذه الحكـاية : زعمـوا أن أبا العبـاس المبرد ورد الدينورَ زائراً لعيسى بن ماهان ، فأول ما دخل عليه وقضى سلامه قال له عيسى : أيها الشيخ ما الشاةُ المجثَّمةُ التي نهى النبي ﷺ عن أكل لحمها ؟ فقال : هي الشاة القليلة اللبن مثل اللجبة ، فقال : هل من شاهدٍ ؟ قال : نعم قول الراجز :

لـم يبقَ من آلِ الحميـد نَسَمَـهْ | إلا عُـنَيـز لَـجْبَـةٌ مُـجَثَّـمَـهْ

فإذا بالحاجب يستأذنُ لأبي حنيفةَ الدينوري ، فلما دخل قال له : أيها الشيخُ ما الشاة المجثّمة التي نُهينا عن أكل لحمها ؟ فقال : هي التي جثمت على ركبها وذبحت من خلف قفاها ، فقال : كيف تقولُ وهذا شيخُ أهلِ العراق - يعني أبا العباس المبرد - يقول هي مثل اللجبة ، وهي القليلة اللبن ، وأنشده البيتين ، فقال أبو حنيفة : أيمانُ البيعة تلزمُ أبا حنيفة إن كان هذا التفسير سمعه هذا الشيخ أو قرأه ، وإن كان البيتان إلا لساعتهما هذه ، فقال أبو العباس : صدق الشيخ أبو حنيفة ، فإنني أَنِفْتُ أن أَرِدَ عليكَ من العراق وذكري ما قد شاع فأول ما تسألني عنه لا أعرفه ، فاستحسنَ منه هذا الإقرار وتَرْكَ البَهْتِ . قال ابن فورجة : وأنا أحلف باللّه العليّ إن كان أبو الطيب قطّ سُئِلَ عن هذا البيت فأجاب هذا الجواب الذي حكاه ابن جني ، وإن كان إلاّ متزيداً مُبْطِلاً في ما يدعيه ، عفا اللّه عنه وغفر له ، فالجهلُ والإقرارُ به أحسُن من هذا.

وذكره محمد بن إسحاق النديم فقال[1] : وله من الكتب المصنفة : كتاب الباه . كتاب ما يلحن فيه العامة . كتاب الشعر والشعراء . كتاب الفصاحة . كتاب الأنواء . كتاب في حساب الدور[2] . كتاب البحث في حساب الهند . كتاب الجبر والمقابلة . كتاب البلدان . كتاب النبـات[3] لم يُصَنَّفْ في معناه مثله . كتـاب الردِّ على لغـدة

(1) الفهرست : 86 .
(2) ر : حساب الدينور .
(3) طبعت من هذا الكتاب قطعتان .

الأصفهاني . كتاب الجمع والتفريق . كتاب الأخبار الطوال[1] . كتاب الوصايا . كتاب نوادر الجبر . كتاب إصلاح المنطق . كتاب القبلة والزوال . كتاب الكسوف .

قال أبو حيان : وله كتاب في تفسير القرآن .

ـ 82 ـ

أحمد بن رشيق الاندلسي الكاتب أبو العباس : ذكره الحميدي وقال : كان أبوه من موالي بني شهيد ، ونشأ هو بمرسية ، وانتقل إلى قرطبة وطلب الأدب فبرَّزَ فيه ، وَبَسَقَ في صناعة الرسائل ، مع حسن الخطِّ المتفقِ على نهايته ، وتقدم فيهما ، وشارك في سائر العلوم ، ومال إلى الفقه والحديث ، وبلغ من رياسة الدنيا أبلغَ[2] منزلة ، وقدمه الأمير الموفق أبو الجيش مجاهد بن عبد الله العامريّ على كلٍّ من في دولته لأسبابِ أكّدَتْ له ذلك عنده : من المودّة والثقة والنصيحةِ والصحبة في النشأة . وكان ينظرُ في أمور الجهةِ التي كان فيها[3] نظر العدل والسياسة ، ويشتغل بالفقه والحديث ، ويجمع العلماء والصالحين ويؤثرهم ، ويصلح الأمور جهده ، وما رأينا من أهل الرياسة من يجري مجراه من هيبةٍ مفرطة وتواضعٍ وحلم عُرِفَ به مع القدرة ، مات بعد الأربعين وأربعمائة عن سنٍّ عالية . وله كتاب رسائل مجموعة متداولة منها رسالة إلى أبي عمران موسى بن عيسى بن أبي حاج نجح الفاسي وأبي بكر ابن عبد الرحمن فقيهي القيروان في الاصلاح بينهما ، وكتاب على تراجم كتاب الصحيح للبخاري ومعاني ما أشكل منه . وقد رأيته غير مرة إذا غضب في مجلس الحكم أطرق ثم قام ولم يتكلم بين اثنين ، فظننته كان يذهبُ إلى حديث أبي بكرة عن رسول الله ﷺ :

---

82 ـ ترجمة ابن رشيق الكاتب الأندلسي في جذوة المقتبس : 114 والحلة السيراء 2 : 128 ؛ وقد تولى جزيرة ميورقة لمجاهد العامري ، وهو الذي آوى ابن حزم ، وفي حضرته جرت المناظرة بينه وبين أبي الوليد الباجي .

(1) هو من كتبه المطبوعة (من ذلك طبعة القاهرة 1960 بتحقيق عبد المنعم عامر) .

(2) الجذوة : ارفع .

(3) يعني جزيرة ميورقة .

« لا يحكم حاكمٌ بين اثنين وهو غضبان »، وظننت[1] أن قيامه عند الغضب شيء ما سُبِقَ إليه ، حتى رأيت بعضَ المصنفين القدماء قد حكى عن يزيد بن أبي حبيب أنه قال : إنما غضبي في نعليَّ ، إذا سمعتُ ما أكره أخذتهما ومضيت .

- 83 -

أحمد بن رضوان أبو الحسن النحوي : أظنه ممن أخذ النحو من أصحاب أبي علي الفارسي .

- 84 -

أحمد بن زهير أبي خيثمة : هو أبو بكر أحمد بن أبي خيثمة زهير بن حرب بن شداد النسائي الأصل ، سمع أبا نعيم الفضل بن دكين ويحيى بن معين وأحمد بن حنبل ، وأخذ علم النسب عن مصعب بن عبد الله الزبيري ، وأيام الناس عن أبي الحسن المدائني ، والأدب عن محمد بن سلام الجمحي ، ومات في شوال سنة تسع وسبعين ومائتين في خلافة المعتمد على الله عن أربع وتسعين سنة ، ذكر ذلك كله الخطيب . قال : وله « كتاب التاريخ » الذي أحسن تصنيفَه وكثَّرَ فائدته ، قال : ولا أعرف أغزر فوائد من كتاب التاريخ الذي ألفه أحمد بن أبي خيثمة ، وكان لا يرويه إلا على الوجه ، فسمعه منه الشيوخُ الأكابر ، كأبي القاسم البغوي ونحوه . قال : واستعار أبو العباس محمد بن إسحاق السراج من أبي بكر ابن أبي خيثمة شيئاً من التاريخ فقال : يا أبا العباس عليّ يمين أن لا أخذتُ بهذا الكتاب إلا على الوجه ، فقال أبو العباس : وعليَّ عزيمة ألا اكتبَ الا ما أستفيد فردَّه عليه ولم يحدّث في تاريخه عنه بحرف .

وأنشد الخطيب لابن أبي خيثمة :

83 - بغية الوعاة 1 : 307 (عن ياقوت) .

84 - ترجمته في تاريخ بغداد 4 : 162 وتذكرة الحفاظ : 596 والوافي 6 : 376 (وفيه نقل عن معجم الشعراء لم يورده ياقوت) وسير الذهبي 11 : 492 والفهرست : 286 وطبقات الحنابلة 1 : 44 وطبقات الجزري 1 : 54 ولسان الميزان 1 : 174 .

(1) من هنا حتى آخر الترجمة لم يرد في جذوة المقتبس .

قـالـوا اهتجـارك من تهـواهُ تسـلاهُ   فقـد هجرتُ فمـا لي لستُ أسلاهُ
من كان لم يرَ في هذا الهوى أثراً   فـليـلقـنـي لـيـرى آثـارَ بـلواهُ
من يلقني يلقَ مـرهـونـاً بصبـوتـه   متيَّمـاً لا يُفَـكّ الـدهـرَ قيـداهُ
مـتيـمٌ شفّـه بـالـحبِّ مـالـكُـهُ   ولـو يـشـاءُ الـذي أدواه داواهُ

قال الخطيب : وكان ابن أبي خيثمة كثير الكتاب ، أكثر الناس عنه السماع .

في كتاب الفرغاني انه مات سنة سبع وتسعين قال : وفي آخر شوال مات ابن أبي خيثمة صاحب التاريخ من سكتة ، وكانت له معرفة بأخبار الناس وأيامهم ، وله مذهب كان الناس ينسبونه إلى القول بالقدر ، وكان مختصاً بعليٍّ بن عيسى .

ـ 85 ـ

أحمد بن سعد أبو الحسين الكاتب : ذكره حمزة في أهل أصبهان فقـال : نُدِبَ في أيام القاهر بالله إلى عمل الخراج أبو الحسين أحمد بن سعد ، فورد أصبهان غُرَّةَ جمادى الأولى سنة إحدى وعشرين وثلاثمائة ، ثم صرف بأبي علي ابن رستم في جمادى الآخرة من هذه السنة ، ثم قدم أبو الحسين ابن سعد من فارس متقلداً لتدبيرِ البلد وعمل الخراج من قبل الأمير علي بن بويه يعني عماد الدولة في جمادى الأولى سنة ثلاث وعشرين وثلاثمائة ثم صرف في سنة أربع وعشرين. قال: ثم ردت جباية الخراج في سنة أربع وعشرين إلى أبي القاسم سعد بن أحمد بن سعد . قال : ثم إن أبا الحسين عزل في شوال من هذه السنة ، ولم يذكره بعد ذلك .

وعدَّ فضلاء أصبهان من أصحاب الرسائل ثم قال : وأما أبو مسلم محمد بن [. . .] وأبو الحسين أحمد بن سعد فقد استغنينا بشهرة هذين وبُعد صوتهما في كُوَرِ المشرق والمغرب وعند كتّاب الحضرة وإجماع أهل الزمـان عن وصفهما وسيـاقةِ[1] الرسائل لهما .

85 ـ ترجمته في الوافي 6 : 385 وبغية الوعاة 1 : 308 وروضات الجنات 1 : 211 .

(1) م : وعامة .

ثم ذكره في المصنفين فقال : له من الكتب كتاب الاختيار من الرسائل لم يسبق إلى مثله، وكتاب آخر في الرسائل سماه «فقر البلغاء». وكتاب الحلي والشيات[1]. وكتاب المنطق . وكتاب الهجاء .

قرأت في كتاب عتيق : حدثني سرح دسر[2] قال : تنبأ في مدينة أصبهان رجل في زمن أبي الحسين ابن سعد ، فأتي به وأحضر العلماء والعظماء والكبراء كلهم ، فقيل له : من أنت ؟ فقال : أنا نبي مرسل ، فقيل له : ويلك إن لكل نبي آية فما آيتك وحجتك ؟ فقال : ما معي من الحجج لم يكنْ لأحدٍ قبلي من الأنبياء والرسل ، فقيل له : أظهرها ، فقال : من كان منكم له زوجة حسناء أو بنت جميلة أو أخت صبيحة فليحضرها إليَّ أحبلها بابن في ساعة واحدة . فقال أبو الحسين ابن سعد : أما أنا فأشهد أنك رسول وأَعْفِني من ذلك ، فقال له رجل : نساء ما عندنا ولكنْ عندي عنز حسناء فأحبلها لي ، فقام يمضي ، فقيل له : إلى أين ؟ قال : أمضي إلى جبرئيل وأعرّفه أن هؤلاء يريدون تيساً ولا حاجةَ بهم إلى نبيّ ، فضحكوا منه وأطلقوه[3] .

وأنشد للاصبهاني أبي الحسين هذا أشعاراً منها في جواب معمًّى :

رماني أخٌ أُصفي له الودَّ جاهداً ... ومن يتطوَّعْ بالمودة يُحْمَدِ
بداهيةٍ تعيا على كلِّ عالمٍ ... بوجه المعمَّى بالصوابِ مؤيدِ
وحمَّل سرَّ الوحشِ والطيرِ سرَّه ... وأرسلها نَكْرا ببيداءَ قَرْدَدِ
فأنهضتُ قلبي في هوى نفسِ جارحٍ ... ومن يغدُ يوماً بالجوارح يصطدِ
فحاش لي الصنفين من بين أرنبٍ ... يقود الوحوشَ طائعاتٍ وهدهدِ
يسوقُ لنا أسرابَ طيرٍ تتابعتْ ... على نَسَقٍ مثلَ الجمانِ المنضدِ
وفَرَّقتها بالزَّجْرِ حين تجاوبت ... وعادَتْ عباديداً بشملٍ مُبَدَّدِ
وراوضتها بالفكر حتى تذلَّلَتْ ... فمن مُسْمِحٍ طَوعاً ومن متجلدِ

(1) م : الحلي والثياب .
(2) كذا في م . ولعل صوابه : سُرخ سَرْ ، اسم علم معناه « أحمر الرأس » .
(3) ر : وأكرموه .

فأخرجتِ السرَّ الخفَّي وأنشدتْ قريضَ رهينٍ بالصبابة ذي دَدِ
وإني وإياها لكالخمر والفتى متى يستطعْ منها الزيادةَ يزددِ

وله في أبي الفضل محمد بن الحسين ابن العميد :

البينُ أفردني بالهمِّ والكمدِ والبينُ جدَّد حَرَّ الثُّكْلِ في كبدي
فارقتُ من صار لي من واحدي عِوَضاً يا ربِّ لا تجعلنْها فرقةَ الأبدِ
أمْسِكْ حُشاشةَ نفسي أَنْ يُطيفَ بها كيدٌ من الدهر بعد الفقد للولدِ
لا في الحياة فانّي غيرُ مغتبطٍ بالعيش بعد انقصافِ الظهرِ والعضدِ
بل أبقِ لي الخلفَ المأمولَ حيطتُهُ على عيالٍ وأطفالٍ ذوي عددِ
من أَنْ يَروْا ضَيْعَةً في عَرْصَةِ البلدِ وأن يُرَوْا نُهْزَةً في كفِّ مضطهدِ
ربّي رجائي ، وحسبُ المرءِ معتمَداً نجلُ العميد وصنعُ الواحدِ الصمدِ

وله إلى أبي الحسين ابن لرة في مملوكٍ له أسود كان تبناه :

حذِّرْ فديتك «بُشْرَى» من تَبَرُّزِهِ إني أخافُ عليه لَقْعَةَ العينِ
إذا بَدَتْ لكَ منه طُرَّةٌ سُبِلَتْ على الجبينِ وتحذيفٌ كنونينِ
حسبتَ بدراً بدا تِمّاً فأَكْلَفَهُ غمامةٌ نَشَرَتْ في الأرضِ ثوبينِ
كأنما خَطَّ في أصداغه قلمٌ بالحبرِ خَطَّين جاءا لِفْقَ قوسينِ
لكنَّ ذلك منه غير دافعِهِ عن الفتونِ وعن بُعْدٍ منَ الشَّينِ

وهذه قطعةُ شعرٍ لأبي الحسين ابن سعد على أربع قوافٍ كلما أفردت قافية كان شعراً برأسه إلى آخر الأبيات :

وبلدةٍ قطعتها . بضامرٍ . خفيدد . عيرانةٍ ركوبِ
وليلةٍ سهرتها . لزائرٍ . ومسعدِ . مواصلٍ حبيبِ
وقينةٍ وصلتها . بطاهرٍ . مسوّدِ . تِرْبِ العلا نجيبِ
إذا غوت أرشدتها . بخاطرٍ . مسدَّدِ . وهاجسٍ مصيبِ
وقهوةٍ باكرتها . لتاجرٍ . ذي عَنَدِ . في دينه وَحُوبِ

سَــوْرتهــا كســـرتهــا . بماطرِ . مبرَّدِ . مـن جَمَّـةِ الـقـليـبِ
وحـربِ خصم هجتها . بكاثِرِ . ذي عــددِ . فـي قـومـه مهـيـبِ
معــوداً بــل سُقـتهــا . بباترِ . مهندِ . يفـري الطّلى رَسُـوبِ
وكم حـظوظٍ نلتُـهـا . من قـادرِ . ممجّدِ . بِصُنْعِـهِ الـغـريـبِ
كـافيتُ إذ شكـرتهـا . في سـامرِ . ومشهد . لـلملكِ الـرقـيـبِ

ـ 86 ـ

أحمد بن سعيد بن عبد الله الدمشقي أبو الحسن : نزل بغداد وحدث عن الزبير بن بكـار بـ « الموفقيـات » وغيرهـا من مصنفاتـه ، وكان مؤدّبَ ولـدِ المعتز ، واختص بعبد اللّه بن المعتز . روى عنه إسماعيل الصفار وغيره ، وكان صدوقاً ، مات سنة ست وثلاثمائة .

ذكره المرزباني في كتابه فقال : [قـال] أبو بكـر محمد بن القـاسم الانباري حدثني أحمد بن سعيد قال : كنت أؤدب أولادَ المعتز ، فتحمَّلَ أحمد بن يحيى بن جابر الفلاذري(1) على قبيحة أم المعتز بقومٍ سألوها أن تأذنَ له في أن يدخل إلى ابن المعتز وقتاً من النهار ، فأجابت أو كادت تجيب ، فلما اتصل الخبرُ بي جلستُ في منزلي غضبانَ مُسَكِّراً لما بلغني عنها ، فكتب إليّ أبو العباس عبد اللّه بن المعتز وله إذ ذاك ثلاث عشرة سنة :

أصبحتَ يا ابنَ سعيدٍ حُزْتَ مكرمـةً ... عنهـا يُقَصِّـرُ من يَحْفَى وينتعـلُ
سَـرْبَلْتَني حكمةً قـد هَـذَّبَتْ شِيَمي ... وأَجَّجَتْ غَـرْبَ ذهني فهـو مشتعـلُ
أكــونُ إن شئت قُسّـاً في خــطابتـه ... أو حارثاً وهو يوم الفخـرِ مُرْتَجِـلُ(2)

86 ـ ترجمته في تاريخ بغداد 4 : 171 ونور القبس : 340 وإنباه الرواة 1 : 44 والوافي 6 : 388 .

(1) الفلاذريّ : هكذا بالفاء ، وهو بالباء أشهر .
(2) سيوضح المؤلف أسماء هؤلاء الذين ذكرهم ابن المعتز بعد القصيدة .

وإن أشأ فكزيدٍ في فرائضهِ أو مثل نعمانَ ما ضاقتْ بي الحيلُ
أو الخليل عروضياً أخا فِطَنٍ أو الكسائيّ نحوياً له عللُ
تغلي بداهةُ ذهني في مركَّبها كمثل ما عَرَفَتْ آبائيَ الأولُ
وفي فمي صارمٌ ما سلَّهُ أحدٌ من غمده فَدَرى ما العيشُ والجذلُ
عقباك شكرٌ طويلٌ لا نفادَ له تبقى معالمه ما أُطّت الإبلُ

قسّ هو ابن ساعدة الأيادي ، والحارث بن حلزة كان ارتجل قصيدته :

* آذنتنا ببينها أسماء *

وزيد بن ثابت الأنصاري ، والنعمان أبو حنيفة صاحب الرأي والفقه .

وحدث أيضاً قال : كتب ابن المعتز إلى أحمد بن سعيد الدمشقي جواباً عن كتاب استزاره فيه : قيِّدْ نعمتي عندك بمثل ما كنتَ استدعيتها به ، وذبَّ عنها أسبابَ الظن ، واستدم ما تحبُّ مني بما أحبّ منك .

وكتب ابن المعتز إلى الدمشقي جواباً عن اعتذار كان من الدمشقي في شيء بلغ ابن المعتز عنه(1) : والله لا قَابَلَ إحسانَكَ مني كفرٌ ، ولا تَبِعَ إحساني إليك منٌّ ، فلك منّي يدٌ لا أقبضها عن نفعك ، وأخرى لا أبسطها إلى ظلمك ، ومهما تُسْخِطني فإني أصونُ وجهكَ عن ذلِّ الاعتذار .

- 87 -

أحمد بن سعيد بن شاهين البصري أبو العباس : هو أحمد بن سعيد بن شاهين بن علي بن ربيعة ، ذكره محمد بن إسحاق النديم فقال : هو من أهل الأدب ، وله من الكتب كتاب ما قالته العرب وكثر في أفواه العامة .

87 ـ ترجمة ابن شاهين في الفهرست : 88 والوافي 6 : 389 وبغية الوعاة 1 : 310 .

(1) الصداقة والصديق : 426 .

- 88 -

أحمد بن سعيد بن حزم الصدفي الاندلسي المنتجيلي أبو عمر : ذكره الحميدي فقال : سمع بالأندلس جماعةً منهم محمد بن أحمد الزرّاد ، وذكر غيره[1] ورحل فسمع إسحاق بن إبراهيم بن النعمان وأحمد بن عيسى المصري المعروف بابن أبي عجينة وغيرهما ، وألف « كتاب تاريخ الرجال » كبيراً ، جمع فيه جميعَ ما أمكنه من أقوال الناس في أهل العدالة والتجريح ، سمعه منه خَلَفُ بن أحمدَ المعروفُ بابن أبي جعفر وأحمد بن محمد الاشبيلي المعروف بابن الحرار ، قال ابن عبد البر : ويقال إنه لم يكمل سماعه إلا لهما . ومات أبو عمر الصدفي سنة خمسين وثلاثمائة ، كل هذا من كتاب الحميدي .

وذكر بعض الناس[2] أنه من ولد جعفر بن الحارث من أهل قرطبة ويكنى أبا عمر ، وعني بالآثار والسنن وجمع الحديثَ والتاريخ ، وروى عن جماعة بالأندلس منهم أحمد بن ثوابة وأسلم بن عبد العزيز وطبقتهم ، ورحل إلى المشرق سنة إحدى عشرة وثلاثمائة مع أحمد بن عبادة الرعيني فسمع بمكة من أبي جعفر العقيلي وأبي بكر ابن المنذر صاحب الإشراق والدبيلي أبي جعفر محمد بن إبراهيم وأبي سعيد ابن الأعرابي وغيرهم . وسمع بمصر على جماعة منهم أبو عبد الله محمد بن الربيع بن سليمان ، وبالقيروان من أحمد بن نصر ومحمد بن محمد بن اللباد ، ثم انصرف الى الأندلس فصنف تاريخاً في المحدّثين بلغ فيه الغاية ، قرىء عليه ، ولم يزل يحدِّثُ إلى أن مات ليلة الخميس لتسع بقين من جمادى الآخرة سنة خمسين وثلاثمائة، ومولده يوم الجمعة لخمس خلون من شهر ربيع الآخر سنة أربع وثمانين ومائتين .

---

88 ـ ترجمته في جذوة المقتبس: 117 (وبغية الملتمس رقم: 411) وتاريخ ابن الفرضي 1 : 55 والوافي 6 : 389 وسير الذهبي 16 : 104 وفهرسة ابن خير : 227 .

(1) ذكر أبا عثمان سعيد بن عثمان الأعناقي ومحمد بن قاسم .

(2) هذا موافق لما أورده ابن الفرضي .

- 89 -

أحمد بن سليمان الطوسي أبو عبد الله : هو أبو عبد الله أحمد بن سليمان بن داود بن محمد بن أبي العباس الطوسي ، واسم أبي العباس الفضل بن سليمان بن المهاجر بن سنان بن حكيم ، وكان فاضلاً مات في ما ذكره الخطيب في صفر سنة اثنتين وعشرين وثلاثمائة عن ثلاث وثمانين سنة . قال ابن شاذان قال الطوسي : ولدت سنة أربعين ومائتين . روى عنه أبو حفص ابن شاهين وأبو الفرج الأصبهاني صاحب « كتاب الأغاني » وأبو عبيد الله المرزباني ، وكان صدوقاً . حدث محمد بن طاهر الناشي[1] أبو عبد الله المعروف بقتيبة[2] ، سمعت الخضر بن داود بمكة يقول : قدم علينا سليمان بن داود الطوسي وهو على البريد ، وكان الزبير قد فرغ من كتاب النسب ، فأهدى إليه الطوسي هدايا كثيرة ، فأهدى إليه الزبير « كتاب النسب » فقال له سليمان : أحبُّ أن تقرأه عليَّ ، فقرأه عليه، وسمع ابنه أحمد بن سليمان مع أبيه جميع الكتاب . روى عنه أبو بكر ابن شاذان وأبو حفص ابن شاهين وأبو عبيد الله المرزباني والمخلص .

- 90 -

أحمد بن سليمان بن وهب بن سعيد الكاتب أبو الفضل : وأبوه أبو أيوب سليمان بن وهب الوزير وعمه الحسن بن وهب معروفان مشهوران مذكوران في هذا الكتاب[3]، ونسب هذا البيت مستقصى في ترجمة الحسن بن وهب. مات في ما ذكره أبو عبيد الله في كتاب « معجم الشعراء » في سنة خمس وثمانين ومائتين ، وكان أبو الفضل هذا بارعاً فاضلاً ناظماً ناثراً قد تقلد الأعمال ونظر للسلطان في جباية الأموال ،

---

89 - ترجمته في تاريخ بغداد 4 : 177 والوافي 6 : 405 .
90 - ترجمته في الوافي 6 : 401 .

(1) م : المباشر ، وأثبت ما في تاريخ الخطيب .
(2) م : بقنينة ؛ تاريخ بغداد : بابن قتيبة .
(3) ترجمة الحسن رقم : 357 ولم ترد لسليمان ترجمة .

وأخوه عبيد الله بن سليمان والقاسم بن عبيد اللّه وزيرا المعتضد والمكتفي .

ولأحمد من التصنيفات كتاب ديوان شعره وكتاب ديوان رسائله .

حدث الصولي قال : وجدت بخطّ بعض الكتاب أن أحمد بن سليمان سأل صديقاً له حاجةً فلم يَقْضِهَا له فقال :

قـل لي نَعَمْ مرةً إني أُسَـرُّ بها وإنْ عَـدَانِيَ ما أرجـوهُ من نَعَمِ
فقد تعودتَ لا حتى كأنك لا تعدُّ قولَكَ لا إلا من الكرم

قال : وحدثني الطالقاني [قال] : كنا عند أحمد بن سليمان على شرب ومعنا رجل من الهاشميين ورجل من الدهاقين ، فعربد الهاشميُّ على الدهقان فأنشد أحمد بن سليمان :

إذا بدأ الصديقُ بيومِ سوءٍ فكنْ منه لآخرَ ذا ارتقابِ

وأمر باخراج الهاشمي ، فقال له : أتخرجني وتدعُ نبطياً ؟ فقال : نعم رأسُ كلبٍ أحبُّ إليَّ من ذَنَب أسد .

وحدث عن الحسين بن إسحاق قال : كنت عند أحمد بن سليمان بن وهب ونحن على شراب ، فوافته رقعةٌ فيها أبياتُ مدح ، فكتب الجوابَ فنسخته ، ولم أنسخ الرقعةَ الواردة عليه ، وكان جوابه : وصلتْ رقعتُكَ ـ أعزك اللّه ـ فكانت كوصلٍ بعد هجر ، وغنىً بعد فقر ، وظَفَرٍ بعد صبر ، ألفاظُها درٌّ مَشُوفٌ ، ومعانيها جوهرٌ مرصوف ، وقد اصطحبا أحسنَ صحبة ، وتآلفا أقربَ أُلفة ، لا تمجُّها الآذان ، ولا تتعبُ بها الأذهان . وقرأتُ في آخرها من الشعر ما لم أملك نفسي أنْ كتبتُ لجلالته عندي ، وَحُسْنِ موقعِهِ من نفسي ، بما لا أقوم به مع تحيُّفِ الصهباءِ لبي وشربها من عقلي مقدار شربي ، ولكني واثقٌ منك بطيِّ سيئتي ونشر حسنتي :

نفسي فداؤك يا أبا العباس وافى كتابُكَ بعد طولِ الياسِ
وافى وكنتُ بوحشتي متفرداً فأصارني للجمع والإيناس
وقرأتُ شعرك فاستطلتُ لحسنِهِ فخراً على الخلفاءِ والجلّاس
عاينتُ منه عيونَ وشيٍ سُدِّيَتْ ببدائعٍ في جانبِ القرطاس

فاقتْ دقائقُهُ وَجَلَّ لحسنِهِ ... عن أن يُحَدَّ بفطنةٍ وقياس
شعرٌ كجري الماءِ يخرجُ لفظه ... من حُسْنِ طبعك مخرجَ الأنفاس
لو كان شعرُ الناس جسماً لم يكنْ ... لكماله إلا مكانَ الراس

وكان لأحمد خادم يقال له عرَّام ، ويكنى أبا الحسام ، وكان يهواه جداً ، فخرج مرةً إلى الكوفة بسبب رزقه مع إسحاق بن عمران ، فكتب إلى إسحاق :

دموعُ العين مذروفَهْ ... ونفس الصبِّ مشغوفَهْ
من الشوق إلى البدرِ الـ ... ـذي يطلعُ بالكوفه

فلما قرأ كتابه وفَّاه رزقَهُ وأنفذَهُ إليه سريعاً .

ومن كلامه : النعم ـ أيدك الله ـ ثلاث : مقيمةٌ ومتوَقَّعَةٌ وغيرُ مُحْتَسَبَةٍ ، فحرس اللّه لك مقيمها ، وبلَّغك متوقَّعها ، وآتاك ما لم تحتسْب منها .

قال : ودخل أحمد بن سليمان إلى صديقٍ له ولم يره كما ظنَّ من السرور ، فدعا بدواةٍ وكَتَب :

قد أتيناكَ زائرين خفافاً ... وعلمنا بأنَّ عندك فَضْلَهْ
من شرابٍ كأنه دمعُ مَرْهَا ... ءَ أضاءتْ لها من الهجر شعله
ولدينا من الحديثِ هناتٌ ... مُعْجِباتٌ نعدّها لك جمله
إن يكنْ مثل ما تريد وإلا ... فاحتملنا فإنما هي أكله

ومن مشهور شعره الذي لا تخلو مجاميع أهل الفضل منه قوله يصف السرو من أبيات ، وربما نسبوه إلى غيره :

حفَّتْ بسروٍ كالقيانِ تلحَّفَتْ ... خُضْرَ الحريرِ على قوامٍ معتدلْ
فكأنها والريحُ حين تميلها ... تبغي التعانقَ ثم يمنعها الخجلْ

وكتب في صدر كتاب إلى ابن أخيه الحسن بن عبيد اللّه بن سليمان :

يا ابني ويا ابنَ أخي الأدنى ويا ابنَ أبي ... والمرتدي برداءِ العقلِ والأدبِ
ومن يزيدُ جناحي من قواكَ به ... ومن إذا عُدَّ مني زان لي حسبي

ومن منثوره : كتب إلى ابن أبي الاصبع : لو أطعتُ الشوقَ إليك والنزاع نحوك لكثر قصدي لك وغشياني إياك ، مع العلَّةِ القاطعةِ عن الحركة ، الحائلةِ بيني وبين الركوبِ ، فالعلةُ إن تخلَّفْتُ مُخَلِّفتي ، وإيثارُ التخفيفِ يؤخِّر مكاتبتي ، فأما مودةُ القلبِ وخلوصُ النية ونقاءُ الضمير والاعتدادُ بما يجدده اللّه لك من نعمة ويرفعك إليه من درجة ويبلغك إياه من رتبة ، فعلى ما يكون عليه الأخ الشقيق وذو المودة الشفيق . وأرجو أن يكونَ شاهدي على ذلك من قلبك أعدلَ الشهود ، ووافدي باعلامك إياه أصدقَ الوفود ، وبحسب ذلك انبساطي إليك في الحاجة تَعْرِضُ قبلك ، ويعنى بالنجاح فيها عندك ، وعرضتْ حاجةٌ ليس تمنعني قلتها من كثير الشكرِ عليها ، والاعتدادِ بما يكون من قضائك اياها ، وقد حَمَّلتها يحيى[1] لتسمعها منه وتتقدم بما أحبُّ فيها ، جارياً على كرم سجيتك وعادة تفضلك[2] ، إن شاء اللّه .

وكتب الى أخيه الوزير عبيد الله وقد سافر ولم يودّعه : أطال الله بقاءَ الوزير مصحباً له السلامةَ الشاملة ، والغبطةَ المتكاملة ، والنعمَ المتظاهرة ، والمواهبَ المتواترة ، في ظعنه ومقامه ، وحلّه وترحاله ، وحركته وسكونه ، وليله ونهاره ، وعجَّلَ إلينا أوبته ، وأقرَّ عيوننا برجعته ، ومتَّعها بالنظر إليه . كان شخوصُ الوزير ـ أعزه اللّه ـ في هذه المدة بغتة أعجلَ عن توديعه فزاد ذلك في ولهي وأضْرَمَ لوعتي ، واشتدتْ له وحشتي ، وذكرت قول كثير[3] :

وكنتم تـزينـونَ البـلادَ ففـارقتْ ... عشيـةَ بِنْتُمْ زينَهـا وجمـالَهَـا
فقد جعل الـراضون إذ أنتمُ بهـا ... بخصبِ البـلاد يشتكـونَ وبـالها

والوزير ـ أعزه الله ـ يعلم ما قيل في يحيى بن خالد :

يَنْسَى صنـائعَهُ ويـذكـر وَعْـدَهُ ... ويبيتُ في أمثـالِـهِ يتفكَّـرُ[4]

---

(1) ر : فلان .
(2) ر : فضلك .
(3) ديوان كثير : 75 .
(4) حاشية ر بخط مغاير : أكرم بذلك من ذكور ناسِ .

وكتب إلى صديق له : ليس عن الصديق المخلص والأخِ المشاركِ في الأحوالِ كلِّها مَذْهَبٌ ، ولا وراءه للواثق به مَطْلَبٌ ، والشاعر يقول[1] :

وإذا يصيبـكَ والحـوادثُ جَمَّـةٌ حَدَثٌ حَدَاكَ إلى أخيكَ الأوثقُ

وأنت الأخُ الأوثقُ ، والـوليُّ المشفقُ ، والصـديقُ الـوصـول ، والمشـاركُ في المكروه والمحبوب ، قد عرَّفني اللّه من صدق صفائك ، وكرم وفائك ، على الأحوالِ المتصرفة والأزمنة المتقلبة ، ما يستغرقُ الشكرَ ويستعبدُ الحر . وما من يوم يأتي عليَّ إلا وثقتي بك تزدادُ استحكاماً ، واعتمادي عليك يزدادُ توكّـداً والتئامـاً ، أنبسطُ في حوائجي ، وأثقُ بِنُجْحِ مسألتي ، واللّهَ أسأل لك طولَ البقاءِ في أدوم النعمةِ وأسبغها ، وأكمل العوافي وأتمها ، وألّا يسلبَ الدنيا نضرتها بك ، وبهجتها ببقائك ، فما أعرفُ بهذا الدهر المتنكر في حالاته حسنةً سواك ، ولا حليةً غيرك ، فأعيذك باللّه من العيونِ الطامحة ، والألسنِ القادحة ، وأسأله أن يجعلك في حـرزِهِ الذي لا يرام ، وكَنَفِهِ الذي لا يُضامُ ، وأن يحرسَكَ بعينه التي لا تنام ، إنه ذو المنِّ والإنعام .

- 91 -

أحمد بن سليمان المعبـدي أبو الحسين : ذكـره محمد بن إسحـاق النديم فقـال : روى عن علي بن ثـابت عن أبي عبيـد ، وعن ابن أخيـه أبي الـوزيـر عن الأعرابي . روى عنه أبو بكر محمد بن الحسين بن مقسم ، وخطه يرغب فيه ، وهو أحد العلماء المشاهير الثقات .

قرأتُ بخط ابن أبي نواس قال أبو عمر ابن حيويه ، قال لي أبو عمران : مات المعبدي ليلة الأربعاء ، ودفن يوم الأربعاء لثمان بقين من صفر سنـة اثنتين وتسعين ومائتين .

91 ـ ترجمته في الفهرست : 87 .

(1) ورد البيت في الصداقة والصديق : 430 (دون نسبة) .

ـ 92 ـ

أحمد بن سهل البلخي أبو زيد : كان فاضلاً قائماً بجميع العلوم القديمة والحديثة ، يسلك في مصنفاته طريقةَ الفلاسفة ، إلا أنه بأهلِ الأدبِ أشبه . وكان معلماً للصبيان ثم رفعه العلمُ إلى مرتبةٍ علية ، كما اقتصصنا في أخباره . وقد وصفه أبو حيان في كتابه في « تقريظ الجاحظ » بوصف ذكرته في أخبار أبي حنيفة أحمد بن داود[1] فاحتسبت به كعادتي في الايجاز وترك التكرير .

مات في سنة اثنتين وعشرين وثلاثمائة على ما اذكره فيما بعد ، عن سبع أو ثمان وثمانين سنة .

حكي عنه أنه قال [كان] الحسين بن علي المروروذي وأخوه صعلوك[2] يجريان عليَّ صلاتٍ معلومةً دائمة ، فلما صنفتُ كتابي « في البحث عن التأويلات » قطعاها عني . وكان لأبي علي محمد بن أحمد بن جيهان من خرخان الجيهاني وزير نصر بن أحمد الساماني جوارٍ[3] يُدِرُّها عليّ ، فلما أمليت كتاب « القرابين والذبائح » حَرَمنيها ، قال : وكان الحسين قَرْمطياً ، وكان الجيهانيُّ ثَنَوياً .

وكان أبو زيد يُرْمَى بالإلحاد ، ذكر ذلك كله محمد بن إسحاق النديم .

قال[4] : ولأبي زيدٍ من الكتب : كتاب أقسام العلوم . كتاب شرائع الأديان . كتاب اختيارات السير . كتاب السياسة الكبير . كتاب السياسة الصغير . كتاب كمال الدين . كتاب فضل صناعة الكتابة . كتاب مصالح الأبدان والأنفس ، يعرف بالمقالتين . كتاب أسماء الله تعالى وصفاته . كتاب صناعة الشعر . كتاب فضيلة علم الأخبار . كتاب الأسماء والكنى والألقاب . كتاب أسامي الأشياء . كتاب النحو

---

92 ـ ترجمة أبي زيد البلخي في الفهرست: 153 والوافي 6: 409 وبغية الوعاة 1: 311 .

(1) انظر الترجمة رقم : 81 .
(2) هو أحمد بن علي المعروف بصعلوك .
(3) الفهرست : جوائز .
(4) يعني صاحب الفهرست .

والتصريف . كتاب الصورة والمصور . كتاب رسالته [في] حدود الفلسفة . كتاب ما يصحُّ من أحكام النجوم . كتاب الردّ على عَبَدَةِ الأوثان . كتاب فضيلة علوم الرياضيات . كتاب في أقسام علوم الفلسفة . كتاب القرابين والذبائح . كتاب عصمة الأنبياء. كتاب نظم القرآن. كتاب قوارع القرآن. كتاب الفتاك والنساك. كتاب ما أُغْلَقَ من[1] غريب القرآن . كتاب في أن سورة الحمد تنوبُ عن جميع القرآن . كتاب أجوبة أبي القاسم الكعبي . كتاب النوادر في فنون شتى . كتاب أجوبة أهل فارس . كتاب تفسير صور كتاب السماء والعالم لأبي جعفر الخازن . كتاب أجوبة أبي علي ابن محتاج . كتاب أجوبة أبي إسحاق المؤدب . كتاب المصادر . كتاب أجوبة مسائل أبي الفضل السكّري . كتاب الشطرنج . كتاب فضائل مكة على سائر البقاع . كتاب جواب رسالة أبي علي ابن المنير الزيادي . كتاب منية الكتاب . كتاب البحث عن التأويلات كبير . كتاب الرسالة السالفة إلى العاتب [عليه]. كتاب رسالته في مدح الوراقة . كتاب وصية . كتاب صفات الأمم . كتاب القرود . كتاب فضل الملك . كتاب المختصر في اللغة . كتاب صولجان الكتبة . كتاب نثارات من كلامه . كتاب أدب السلطان والرعية . كتاب فضائل بلخ . كتاب تفسير الفاتحة والحروف المقطعة في أوائل السور . كتاب رسوم الكتب . كتاب كتبه إلى أبي بكر ابن المستنير عاتباً ومنتصفا في ذمّه المعلمين والوراقين . كتاب كتبه إلى أبي بكر ابن المظفر في شرح ما قيل في حدود الفلسفة . كتاب أخلاق الأمم .

وقرأت بخط أبي سهل أحمد بن عبيد الله بن أحمد مولى أمير المؤمنين وتصنيفه كتاباً في أخبار أبي زيد البلخي [وأبي القاسم الكعبي البلخي] وأبي الحسن شهيد البلخي فلخَّصْتُ منه ما ذكرته في تراجم الثلاثة ، قال في أخبار أبي زيد : ولد أبو زيد أحمد بن سهل ببلخ بقرية تدعى شامستيان من رستاق نهر غربنكي من جملة اثني عشر نهراً من أنهار بلخ ، وكان أبوه سجزياً يعلم الصبيان ، هذا ما ذكره أبو محمد الحسن بن محمد الوزيري ، وله كتاب في أخبار أبي زيد البلخي ، وسمعتُ أنه كان يعلّم بهذه القرية المدعوة شامستيان ـ أعني

(1) الفهرست : كتاب جمع فيه ما علق عنه .

أباه ـ وكان أبو زيد يميل إليها ويحبّها لأجلِ مولده بها ونزعَهُ إليها حُبّ المولدِ ومسقطِ الرأسِ والحنينُ إلى الوطن الأول ، ولذلك لما حسنتْ حالُهُ ودعته نفسه إلى اعتقادِ الضياع والأسباب ، والنظر للأولاد والأعقاب ، اختارها من قرى بلخ ، فاعتقد بها ضيعته ، ووكلَ بها همته ، وصرف إلى اتخاذ العَقْدِ بها عنايته . وقد كانت تلك الضياع بعدُ باقيةً إلى قريب من هذا الزمان في أيدي أحفاده وأقاربه بها وبالقصبة ، ثم إنهم - كما أقدّر ـ قد فنوا وانقرضوا في اختلاف هذه الحوادث ببلخ وغيرها من سائر البلدان ، فلا أحسبُ أنه بقي منهم نافخُ ضَرَمٍ ولا عينٌ تطرف ﴿هل تُحِسُّ مِنْهُمْ مِنْ أَحَدٍ أَوْ تَسْمَعُ لَهُمْ رِكْزاً﴾ (مريم: 98) سمعت أن الأمير أحمد بن سهل بن هاشم كان ببلخ ، وعنده أبو القاسم عبد الله بن أحمد بن محمود الكعبي وأبو زيد ليلةً من الليالي وفي [يد] الأمير عقدُ لآلىءَ نفيسةٍ ثمينة تتلألأ كاسمها ويتوهج نورها ، وكان حُمِلَ إليه من بعض بلادِ الهند حين افتتحت ، فأفرد الأمير منها عشرةَ أعداد وناولها أبا القاسم ، وعشرةَ أعداد أخر وناولها أبا زيد ، وقال : هذه اللآلىء في غاية النفاسة ، فأحببتُ أن أُشرككما فيها ولا أستبدّ بها دونكما ، فشكرا له ذلك . ثم إنّ أبا القاسم وضع لآلئه بين يدي أبي زيد وقال : إن أبا زيد من هو مهتمٌّ بشأنهنّ فأردت أن أصرفَ ما بَرَّني به الأمير إليه لينتظمَ في عقدهن ، فقال الأمير : نعمّا فعلتَ ورمى بالعشرة الباقية إلى أبي زيد وقال : خذها فلستُ في الفتوة بأقلّ حظاً ولا أوكسَ سهماً من أبي القاسم ، ولا تُغْبَنَنَّ عنها فانها ابتيعتْ للخزانة من الفيء بثلاثين ألف درهم ، فاجتمعت الثلاثون عند أبي زيد برمّتها ، وباعها بمالٍ جليل ، وصرف ثمنها إلى الضيعةِ التي اشتراها بشامستيان .

قال : وكان أبو زيد كما ذكر أبو محمد الحسن الوزيري ـ وكان رآه واختلف إليه ـ ربعة نحيفاً مصفارّا أسمرَ اللونِ جاحظَ العينين فيهما تأخر وقَبَلٌ ، بوجهه آثارُ جُدَريّ ، صموتاً سِكّيتاً ذا وقارٍ وهيبة . وقد وصفه أبو علي أحمد المنيري الزيادي في رسالته التي كتبها إليه وأراد أن يهدمَ بنيانَهُ ، ويضعَ شانهُ ، ويوهي أركانه ، فردَّ عليه أبو زيد في جوابها ما أَلبسه الشَّنارَ والصَّغَارَ ، ونبَّهَ العالم أنَّ حظه من العلوم حظٌّ منكود ، وأنه فيما أجرى له من كلامه غير سديد ، قرأت على أبي محمد الوزيري كلتا الرسالتين فزعم أنه قرأهما عليهما ـ أعني أبا زيد والمنيري كليهما ـ فذكر المنيري في رسالته في جملة

مـاهجَّنـه بــه :و «إنك لا تصلح إلا أن تكون زامراً أو مغبّراً[1] أو مُخَنْكِراً » ، فدلَّ هذا الكلام على أنه كان جاحظ العينِ أشدقَ مع قِصَرِ قامةٍ ودنوِّ هامة .

قال : ثم حُدِّثْتُ أنه كان في عنفوانِ شبابه وطراءةِ زمانه وأول حداثته ومائه دَعَتْهُ نفسه إلى أن يسافرَ ويدخلَ إلى أرض العراق ويجثو بين يدي العلماء ، ويقتبسَ منهم العلوم ، فتوجَّهَ إليها راجلاً مع الحاجّ ، وأقام بها ثماني سنين ، وجازها فطوَّفَ البلدانَ المتاخمةَ لها ، ولقي الكبارَ والأعيان ، وتتلمذ لأبي يوسف يعقوب بن إسحاق الكندي وحصَّـلَ من عنده علومـاً جمةً ، وتعمَّقَ في علم الفلسفـة ، وهجم على أسرار علم التنجيم والهيئة ، وبرز في علم الطب والطبائع ، وبحث عن أصول الدين أتمَّ بحث وأبعدَ استقصاء حتى قاده ذلك إلى الحيرة وزلَّ به عن النهج الأوضح ، فتارةً كان يطلبُ الإمام ، ومرَّةً كان يُسْنِدُ الأَمَر إلى النجوم والأحكام ، ثم انه لما كتبه اللّه في الأول من السعداء ، وحكم بأنه لا يتركُهُ يتسكّعُ[2] في ظُلُماتِ الأشقياء ، بَصَّرَه أرشدَ الـطرق وهداه لأقْوَمِ السبل ، فاستمسك بعروة من الدين وثيقة ، وثبت من الاستقـامة على بصيرة وحقيقة ؛ فذكر أبو الحسن الحديثي قال : كان أبو بكر البكري فاضلا خليعاً لا يبالي ما قال ، وكان يُحْتَمَلُ عنه لِسِنِّهُ[3] قال : أذكر إذ كنا عنده وقد قُدِّمَتْ المائدة وأبو زيد يصلِّي ، وكان حَسَنَ الصلاة ، فضجر البكريُّ من طول صلاته ، فالتفتَ إلى رجلٍ من أهل العلم يقال له محمد الخُجَنْدي فقال : يا أبا محمد ريحُ الإمامةِ بعدُ في رأسِ أبي زيد ، فخفَّفَ أبو زيد الصلاةَ وهما يضحكان ، قال أبو الحسن : فلم أدرِ ما ذلك ، حتى سألتُ لا أدري الخجنديَّ أو أبا بكر الدمشقي ، فقال أحدهما : اعلم أنَّ أبا زيد في أول أمره كان خرج في طلب الإمام إلى العراق ، إذ كان قد تقلَّدَ مذهبَ الإمامية ، فعيَّره البكريُّ بذلك .

قال : وكان حسن الاعتقاد ، ومن حسن اعتقاده انه كان لا يُثْبِتُ من علم النجوم الأحكام ، بل كان يثبت ما يدلُّ عليه الحسبان . ولقد جرى ذكره رحمه اللّه في مجلس الامام أبي بكر أحمد بن محمد بن العباس البزار ، وهو الامامُ ببلخ والمفتي بها ، فأثنى عليه خيراً وقال : إنه كان قويمَ المذهب حسنَ الاعتقاد ، لم يُقْرَفْ بشيءٍ في ديانته كما

---

(1) م : مغيراً .

(2) م : يتبلغ وصوبته بحسب المعنى .

(3) الوافي : لعلوّ سنه .

ينسب إليه من نُسِبَ إلى علم الفلسفة، وكلٌّ من حَضَرَ من الفضلاء والأماثل أثنى عليه ونسبه إلى الاستقامة والاستواء ، وأنه لم يُعْثَرْ له مع ما له من المصنفات الجمة على كلمةٍ تدلُّ على قَدْحٍ في عقيدته . ثم لما قضى وَطَرَهُ من العراق وصار في كلّ فنّ من فنون العلم قُدْوةً ، وفي كلِّ نوعٍ من أنواعه إماماً قَصَدَ العَوْدَ إلى بلده ، فتوجَّه إليها مقبلاً على طريق هراة حتى وصل إلى بلخ وانتشر بها علمه . فلما ورد أحمد بن سهل بن هاشم المروزي بلخ واستولى على تخومها ، راوده على أن يستوزره فأبى عليه ، واختار سلامة الأولى والعقبى ، فاتخذ أبا القاسم الكعبيَّ وزيراً ، وأبا زيد كاتباً . وكان أبو القاسم الوزير وأبو زيد من الكتاب ، وعظم محلّهما عنده ، وأصبحا بأرفع طَرَف عنده مرموقين ، وبأَرْوَى كأسٍ من جنابه مَصْبُوحَيْن ومغْبُوقَين ، وكان رزق أبي القاسم في الشهر ألف درهم ورقاً ، ولأبي زيد خمسمائة درهم وَرِقاً ، وكان أبو القاسم يأمر الخازنَ بزيادة مائة درهم لأبي زيد من رزقه ونقصان مائة درهم من رزق نفسه ، فكان يصل إلى أبي زيد ستمائة درهم ، وإلى أبي القاسم تسعمائة درهم ، وكان يأخذ لنفسه مُكَسَّرَةً ويأمرُ لأبي زيد بالوضَحِ الصحاح ، فبقوا على ذلك مدةً غير طويلة ، وعاشوا على جملةٍ جميلة ، حتى فتك بهم يد المنون ، وهلك أحمد بن سهل عن عمرٍ قصير واستمتاعٍ بامامة غير كبيرٍ .

قال : أخبرني أبو محمد الحسن بن [محمد] الوزيري ، وكان لقي أبا زيد وتتلمذ له ، قال : كان أبو زيد ضابطاً لنفسه ذا وقارٍ وَحُسْنِ استبصار ، قويمَ اللسان جميلَ البيان ، متثبتاً نَزْرَ الشعر قليلَ البديهة ، واسعَ الكلام في الرسائل والتأليفات ، إذا أخذ في الكلام أمطر اللآلىء المنثورة ، وكان قليلَ المناظرة حَسَنَ العبارة ، وكان يتنزه عما يقال في القرآن إلا الظاهر المستفيض من التفسير والتأويل والمشكلِ من الأقاويل ، وحسبك ما ألفه من كتاب « نَظْم القرآن » الذي لا يفوقه في هذا الباب تأليف .

قرأت في «كتاب البصائر» لأبي حيان الفارسي[1] من ساكني بغداد قال، قال أبو حامد القاضي : لم أر كتاباً في القرآن مثلَ كتابٍ لأبي زيد البلخي ، وكان فاضلاً

(1) البصائر 8 : 66 (رقم 227 / جـ) .

يذهب في رأي الفلاسفة، لكنه تكلم في القرآن بكلامٍ لطيفٍ دقيقٍ في مواضع ، وأخرج سرائره وسمّاه « نظم القرآن » ولم يأت على جميع المعاني فيه . قال : وللكعبيّ كتابٌ في التفسير يزيد حجمه على كتاب أبي زيد .

قال الوزيري : وكان أيضاً يتحرَّجُ عن تفضيلِ الصحابة بعضِهِمْ على بعض ، وكذلك عن مفاخرة العرب والعجم ويقول : ليس في هذه المناظرات الثلاث ما يجدي طائلاً ولا يتضمن حاصلاً ، لأن اللّه تعالى يقول في معنى القرآن ﴿ أَنْزَلْنَاهُ قُرْآناً عَرَبِيًّا قَيِّماً غَيْرَ ذِي عِوَجٍ ﴾ (الزمر: 28) الآية . وأما معنى الصحابة وتفضيل بعضهم فقوله عليه السلام : أصحابي كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم ، وكذلك العربي والشعوبي فإنه سبحانه يقول ﴿ فَلَا أَنْسَابَ بَيْنَهُم يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَاءَلُون ﴾ (المؤمنون: 101) ويقول في موضع آخر ﴿ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللّهِ أَتْقَاكُم ﴾ (الحجرات: 13) .

قال : وسمعتُ بعضَ أهلِ الأدبِ يقول : اتفقَ أهلُ صناعةِ الكلام أن متكلمي العالم ثلاثة الجاحظ وعلي بن عبيدة اللطفي وأبو زيد البلخي ، فمنهم من يزيد لفظه على معناه وهو الجاحظ ، ومنهم من يزيد معناه على لفظه وهو علي بن عبيدة ، ومنهم من تَوافَقَ لفظه ومعناه وهو أبو زيد .

وقال أبو حيان في « كتاب النظائر » : أبو زيد البلخيّ يقال له بالعراق جاحظُ خراسان .

وحكى ان أبا زيد لما دخل على أحمد بن سهل أولَ دخولِهِ عليه سأله عن اسمه فقال له : أبو زيد ، فعجب أحمد بن سهل من ذلك حين سأله عن اسمه فأجاب عن كنيته ، وعدَّ ذلك من سقطاته ، فلما خرج ترك خاتمه في مجلسه عنده ، فأبصره أحمد بن سهل فازداد تعجباً من غفلته ، فأخذه بيده ونظر في نقش فصّه فإذا عليه « أحمد بن سهل » فعلم حينئذٍ أنه إنما أجاب عن كنيته للموافقة الواقعة بين اسمه واسمه ، وانه أخذ بحسن الأدبِ ، وراعى حدَّ الاحتشام ، واختار وَصْمَةَ التزامِ الخطأ والمحال في الوقت والحال على أن يتعاطى اسمَ الأمير بالاستعمال والابتذال .

وحكى أنَّ أبا زيد في حداثته وحال فقره وَخَلَّتِهِ كان التمس من أبي علي المنيري حنطةً ، فأمره بحمل جرابٍ إليه ففعل ، فلم يُعْطِهِ حنطةً وحبس الجراب ، ومضى على هذا أعوام كثيرة ، وخرج شهيد بن الحسين إلى محتاج بن أحمد بالصغانيان ، وكتب

إلى أبي زيد كتباً لم يجبه أبو زيد عنها ، فكتب إليه شهيد بهذين البيتين يعيّره بحديث الجراب :

أُمَنّي النفسَ منكَ جوابَ كتبي ... وأقطعها لتسكنَ وهي تابَى
إذا ما قلتُ سوف يجيبُ قالتْ ... إذا ردَّ المنيريُّ الجرابا

قال : وقرأت بخط أبي الحسن الحديثي على ظهر كتاب « كمال الدين » لأبي زيد: قال أبو بكر الفقيه: ما صُنِّفَ في الإسلام كتابٌ أنفعُ للمسلمين من كتاب «البحث عن التأويلات» صنَّفه أبو زيد البلخي، وهذا الكتاب ـ يعني كتاب «كمال الدين».

وكان لأبي زيد حافدٌ يقال له علي بن محمد بن أبي زيد .

قال : ولأبي زيد نحو من ستين تأليفاً .

قال : ولقي أحمد بن سهل الأميرُ أبا زيد في طريقٍ وقد أجهده السيرُ فقال له : عييت أيها الشيخ ، فقال له أبو زيد : نعم أعييتُ أيها الأمير ، فنبهه أنه لحنَ في قوله « عييت » إذ العيّ في الكلام والإعياء في المشي .

وأنشد أبو زيد :

لكلِّ امرىءٍ ضَيْفٌ يُسَرُّ بقربه ... وما لي سوى الأحزان والهمِّ من ضيفِ
تناءَتْ بنا دارُ الحبيبِ اقترابُهَا ... فلم يبقَ إلا رؤيةُ الطيفِ للطيفِ

وقال أبو زيد : كان ببلخ مجنون من عقلاء المجانين ، وكان يعرف بأبي إبراهيم إسحاق بن اسحاق البغدادي دخل اليَّ وكنتُ أُلاعِبُ الأهوازيَّ بالشطرنج ، فقال : أبو زيد والأهوازي لك ، فتحيرتُ في هذا الكلام ، فقال لي : احسب فحسبتُ بحروفِ الجمل فكان ستون ، قال فَصِلْ بين كنيتك والأهوازي ، قال : فوصلت فإذا أبو زيد ثلاثون والأهوازي ثلاثون ، فقضيت عجباً من اختراعه في تلك الوهلة هذا الحساب .

وأما خبر وفاته، قال صاحب الكتاب المذكور، ذكر أبو بكر الدمشقي قال: دخلتُ على أبي زيد رحمه اللّٰه يوم الجمعة ضحوةً لعشرٍ بقينَ من ذي القعدة سنة اثنتين وعشرين وثلاثمائة فوجدته ثقيلاً من علته ، فسلَّمتُ عليه سلاماً ضعيفاً ، ثم قال : يا أبا بكر قد انقطع السببُ ، وما هو إلا فراق الاخوان ، ودمعت عينه وبكيتُ أنا ، وقلت : أرجو أن يُشَفِّعَ اللّٰه الشيخَ فينا وفي غربتنا بعافيته ، فقال : أيهات ، وقرأ هذه الآية

﴿ أَفَرَأَيْتَ إِنْ مَتَّعْنَاهُم سِنِينَ ثُمَّ جاءَهُمْ مَا كانُوا يُوعَدُون مَا أَغْنَى عَنْهُمْ مَا كانُوا يُمَتَّعُون ﴾ (الشعراء: 205) ثم قال : لا تغبْ عنّي وكنْ بالقرب ، فلما كان عند العَتَمة قال : انصرفوا حتى أدعوكم ، وقال لابنه الحسين : إذا طلع القمرُ ونزل في الدار فأعلمني ، فلما طلع القمرُ أعلمه ، فصاح بهم فجاءوا ، وقال : أطلع القمر ؟ فقالوا : نعم، قال: اجتمعوا كلّ من في المنزل فاجتمعوا عليه، فسأل كلَّ واحد منهم عن حاله وعن كسوته وعن آلةِ الشتاء ، ثم قال : بقيَ شيءٌ لم أصلحه لكم ؟ قالوا : لا ، فاستحلَّهُمْ ، ثم قال : عليكم السلام ، هذا آخر اجتماعي معكم ، ثم جعل يتشهَّدُ ويستغفر ، ثم قال : قوموا فقد جاء نوبةُ غيركم ، فخرجوا من باب الطارمة وهم يسمعون تشهده ، ثم سكتَ فرجعوا وقد قَضَى نحبه ، رحم الله هذا العقل والتمييز ، فصار كما قال أبو تمام :

ثم انقضت تلك السنونَ وأهلها ... فكأنها وكأنهمْ أحلامُ

قال المؤلف : هذا آخر ما كتبته من كتاب أبي سهل أحمد بن عبيد الله من أخبار أبي زيد ، وما أرى ان أحداً جاء من خبر أبي زيد بأحسن مما جاء به ، أثابه الله على اهتمامه الجنة . وسأكتبُ أخبار أبي القاسم عبد الله بن أحمد الكعبي البلخي عنه في موضعه[1] ، ولم أخلَّ من أخبار أبي زيد التي ذكرها بشيء مما يتعلق به ، إنما تركت أشياء من فوائده تتعلق بكتب المجاميع .

وقال المرزباني : أحمد بن سهل البلخي محدِّث معتمدي ، هو القائل يرثي الحسن بن الحسين العلوي وقد توفي ببلخ :

إن المنيةَ رامتنا بأسهمها ... فأوقعت سهمها المسمومَ بالحَسَنِ
أبو محمدٍ الأعلى فغادَرَهُ ... تحت الصفيح مع الأمواتِ في قَرَنِ
يا قبرُ إنَّ الذي ضُمِّنْتَ جُثَّتَهُ ... من عُصْبةٍ سادةٍ ليسوا ذوي أَفَنِ
محمدٍ وعليٍّ ثم زوجته ... ثم الحسين ابنه والمرتضى الحسنِ
صلّى الاله عليهم والملائكة الـ ... ـمقربون طوالَ الدهرِ والزمنِ

(1) سقطت ترجمة الكعبي ، وضاع ما وعد به المؤلف .

قال المؤلف : هكذا قال المرزباني ، ولا أدري أيريد صاحبنا هذا أو غيره فإنه لم يذكره بأكثر مما كتبناه .

وقرأت في « كتاب البلدان » لأبي عبد اللّه البشاري أنَّ صاحب خراسان استدعاه إلى بخارى ليستعين به على سلطانه ، فلما بلغ جيحون ورأى تَغَطْمُطَ أمواجه وَجَرْيَةَ مائه وَسَعةَ قُطْره كتب إليه : إن كنتَ استدعيتني لما بلغك من صائب رأيي فإني إنْ عبرتُ هذا النهر فلستُ بذي رأي ، ورأيي يمنعني من عبوره . فلما قرأ كتابه عَجِبَ منه وأَمَرَهُ بالرجوع إلى بلخ .

ـ 93 ـ

أحمد بن الصنديد العراقي : يكنى أبا مالك ، كان من أهل الأدب والشعر ، روى شعر المعرّي عنه وله فيه شرح ، وله مع الحصريّ[1] مناقضاتٌ ، دخل الاندلس وكان عند بني طاهر[2] ومدح الرؤساء والأكابر .

ـ 94 ـ

أحمد بن أبي طاهر أبو الفضل واسم أبي طاهر طيفور: مروروذي الأصل أحد البلغاء الشعراء الرواة ، من أهل الفهم المذكورين بالعلم ، وهو صاحب « كتاب تاريخ بغداد في أخبار الخلفاء والأمراء وأيامهم» مات سنة ثمانين ومائتين ودفن بباب الشام ببغداد، ومولده سنة أربع ومائتين مدخل المأمون بغداد من خراسان، ذكر ذلك ابنه عبيد اللّه فيما ذيله على تاريخ والده وحكاه عنه ، قال : وروى عن عمر بن شبة ، روى عنه ابنه عبيد اللّه ومحمد بن خلف بن المرزبان .

---

93 ـ ترجمة ابن الصنديد العراقي في الصلة 1 : 89 والوافي 6 : 426 وبغية الوعاة 1 : 312 .

94 ـ ترجمة ابن أبي طاهر في تاريخ بغداد 4 : 211 والوافي 7 : 8 .

(1) يعني عبد الغني الحصري الأعمى ، فإنه دخل الأندلس أيضاً .

(2) كان بنو طاهر سادة مرسية بعد الفتنة البربرية ، واشتهر منهم الكاتب ذو الوزارتين أبو عبد الرحمن ابن طاهر (انظر الذخيرة 3 : 24 وما بعدها . . .) .

وحدث جعفر بن حمدان صاحب « كتاب الباهر »[1] كان أحمد بن أبي طاهر مؤدّبَ كُتّابٍ عامياً ثم تخصَّص وجلس في سوقِ الوراقين في الجانب الشرقي . قال : ولم أر ممن شُهِرَ بمثل ما شهر به من التصنيف للكتب وقولِ الشعر أكثرَ تصحيفاً منه ولا أبلدَ علماً ولا ألحن ، ولقد أنشدني شعراً يعرضه عليّ في إسحاق بن أيوب لحن في بضعةَ عَشَرَ موضعاً منه ، وكان أسرقَ الناسِ لنصف بيت وثلث بيت ، قال : وكذا قال لي البحتريّ فيه ، وكان مع هذا جميلَ الأخلاق ظريف المعاشرة حلوا من الكهول .

وحدث أبو هفّان قال[2] : كنت أنزلُ في جوار المعلّى بن أيوب صاحبِ العرض والجيشِ في أيام المأمون ، وكان أحمد بن أبي طاهر ينزل عندي[3] ، فأضقنا إضاقةً شديدة تعذَّرت علينا وجوه الحيلة ، فقلت لابن أبي طاهر : هل لك في شيء لا بأس به ، تدعني حتى أُسَجّيكَ وأمضي إلى منزل المعلى بن أيوب فأعلمه أنَّ صديقاً لي قد توفي فآخذ منه ثمن كفن فننفقه ، فقال : نعم ، وجئت إلى وكيل المعلى فعرَّفْتُهُ خبرنا ، فصار معي إلى منزلي ، فتأمل ابن أبي طاهر ثم نقر أنفه فضرط ، فقال لي : ما هذا ؟ فقلت : هذه بقيةٌ من روحه كرهتْ نكهته فخرجت من استه ، فضحك وعرَّفَ المعلّى خبرنا فأمر لنا بجملة دنانير .

والمعلّى هذا هو الذي يقول فيه دعبل وقيل أبو علي البصير[3] :

لعمر أبيك ما نُسِبَ المعلّى   إلى كَرَمٍ وفي الدنيا كريمُ
ولكنَّ البلادَ إذا اقشعرَّتْ   وصوَّح نبتها رُعِيَ الهشيمُ

وحدَّث الجهشياريُّ في كتاب الوزراء قال[4] : مدح أحمد بن أبي طاهر الحسن بن مخلد وزير المعتمد فأمر له بمائة دينار وقال : إيت رجاء الخادم فخذها منه

(1) النقل عن الفهرست : 163 .

(2) انظر هذه الحكاية في البصائر 1 : 26 (رقم : 59) وجمع الجواهر : 309 وقطب السرور : 197 .

(3) م : عنده .

(3) ديوان دعبل (الأشتر) : 320/ونسبا في عيون الأخبار 2 : 36 ومعجم الشعراء (كرنكو) 185 والتمثيل والمحاضرة : 91 ونهاية الأرب 3 : 93 لأبي علي البصير .

(4) هذا مما لم يشتمل عليه المطبوع من كتاب الجهشياري ، وقد نقله الأستاذ ميخائيل عواد عن معجم الأدباء في نصوص ضائعة : 84 .

فلقي أحمد رجاء فقال له : لم يأمرني بشيء ، فكتب إلى الحسن :

أما رجاء فأرجا[1] ما أمرْتَ به   فكيف إن كنتَ لم تأمره يأتمرُ
بادِرْ بجودك مهما كنتَ مقتدراً   فليس في كلِّ حالٍ أنت مقتدرُ

فأمر باضعافها له .

وذكره محمد بن اسحاق النديم وقال[2] له من الكتب : كتاب المنثور والمنظوم أربعة عشر جزءاً ، والذي بيد الناس ثلاثة عشر جزءاً . كتاب سرقات الشعراء . كتاب بغداد . كتاب الجواهر . كتاب المؤلفين . كتاب الهدايا . كتاب المشتق المختلف من المؤتلف . كتاب أسماء الشعراء الأوائل . كتاب الموشَّى . كتاب ألقاب الشعراء ومن عرف بالكنى ومن عرف بالاسم . كتاب المعرقين[3] من الأنبياء . كتاب المعتذرين . كتاب اعتذار وهب من ضرطته[4] . كتاب من أنشد شعراً وأُجيب بكلام . كتاب الحجاب . كتاب تربية[5] هرمز بن كسرى أنوشروان . كتاب خبر الملك العاتي في تدبير المملكة والسياسة . كتاب الملك المصلح والوزير المعين . كتاب الملك البابلي والملك المصري الباغيين والملك الحكيم[6] الرومي . كتاب المزاح والمعاتبات . كتاب مفاخرة الورد والنرجس . كتاب مقاتل الفرسان . كتاب مقاتل الشعراء . كتاب الخيل كبير . كتاب الطرد . كتاب سرقات البحتري من أبي تمام . كتاب جمهرة [نسب] بني هاشم . كتاب رسالته إلى إبراهيم بن المدبر . كتاب الرسالة في النهي عن الشهوات . كتاب الرسالة إلى علي بن يحيى . كتاب الجامع في الشعراء وأخبارهم . كتاب فضل العرب على العجم . كتاب لسان العيون . كتاب أخبار المتظرفات . كتاب اختيار أشعار الشعراء . كتاب اختيار شعر بكر بن النطاح . كتاب المؤنس . كتاب الغلة

---

(1) فأرجا يعني فارجأ .
(2) الفهرست : 163 .
(3) الفهرست : المعرفين (وفي طبعة فلوجل : المعروفين) .
(4) الفهرست : من حبقته .
(5) الفهرست (فلوجل) : مرتبة .
(6) الفهرست : الحليم .

والغليل . كتاب اختيار شعر العتابي . كتاب اختيار شعر منصور النمري . كتاب اختيار شعر أبي العتاهية . كتاب أخبار بشار واختيار شعره . كتاب أخبار مروان وآل مروان واختيار أشعارهم . كتاب أخبار ابن مناذر . كتاب أخبار ابن هرمة ومختار شعره . كتاب اختيار شعر ابن الدمينة(1) . كتاب أخبار وشعر عبيد اللّه بن قيس الرقيات .

وأنشد له ابنه عبيد اللّه في كتابه :

وما الشعر الا السيف ينبو وحده ... حسامٌ ويمضي وهو ليس بذي حدّ

ولو كان بالإحسان يُرْزَقُ شاعرٌ ... لأَجْدَى الذي يكدي وأكدى الذي يُجْدي

ومن قوله أيضاً :

قد كنت أَصدقُ في وعدي فصيَّرني ... كذابةً ليس ذا في جملةِ الأدبِ

يا ذاكراً حُلْتَ عن عهدي وعهدكمُ ... فنصرةُ الصدق أَفْضَتْ بي إلى الكذبِ

حدث المرزباني في « كتاب المقتبس »(2) عن عبد اللّه بن محمد الحليمي قال : أنشدني أحمد بن أبي طاهر لنفسه في أبي العباس المبرد :

كملت في المبرِّدِ الآدابُ ... واستُقِلَّتْ في عقله الألبابُ

غير أنَّ الفتى كما زعم النا ... سُ دعيٌّ مُصَحِّفٌ كذابُ

وحدَّث عن الصولي عن أبي علي ابن عينويه الكاتب قال : حدثني أحمد بن أبي طاهر قال : خرجت من منزل أبي الصقر نصف النهار في تموز فقلت : ليس بقربي منزلٌ أقرب من منزل المبرد إذ كنتُ لا أقدر أصلُ إلى منزلي بباب الشام ، فجئته فأدخلني إلى حُوَيْشةٍ له ، وجاء بمائدة فأكلت معه لونين طيبين ، وسقاني ماءً بارداً وقال لي : أحدثك إلى أن تنام ، فجعل يحدثني أحسنَ حديث ، فحضرني لشؤمي وقلة شكري بيتان فقلت : قد حضر بيتان أنشدهما ؟ فقال : ذاك إليك ، وهو يظن أني قد مدحته ، فأنشدته :

ويوم كحرِّ الشوقِ في صدرِ عاشقٍ ... على أنه منه أحرُّ وأَوْمَدُ

---

(1) الفهرست : كتاب أخبار ابن الدمنية .

(2) لم يرد هذا في نور القبس .

ظللتُ بـه عنـد المبـرد قـائـلاً فمـا زلتُ فـي ألفـاظـه أتبـردُ

فقال لي : قد كان يسعك إذا لم تحمـد ألاّ تذم ، ومـا لك عنـدي جزاء الا إخراجك ، والله لاجلستَ عنـدي بعد هـذا ، فأخـرجني فمضيتُ إلى منزلي بباب الشام ، فمرضتُ من الحرِّ الذي نالني مدة ، فعدت باللوم على نفسي .

قال الخالدي : حدثنا جحظة عن أحمد بن أبي طاهر قال : قصدتُ سُرَّ من رأى زائراً بعضَ كتّابها بشعرٍ مدحته به ، فقبلني وأحسن إليَّ وأجزلَ صلتي ووهب لي غلاماً رومياً حسنَ الوجه ، ورحلتُ أريدُ بغدادَ سائراً على الظّهر ولم أركب الماء ، فلما سرتُ نحوَ الفرسخ أخذتنا السماءُ بأمرٍ عظيم من القَطْرِ ، ونحن بالقرب من دير السُّوْسَن[1] فقلتُ للغلام : اعدلْ بنا يا بنيَّ إلى هذا الدير نقيمُ فيه إلى أن يخفَّ هـذا المطر ، ففعل ، وازداد القطر واشتد ، وجاء الليـل ، فقال الـراهب : أنت العشيةَ هـا هنا ، وعندي شرابٌ جيّد فتبيتُ وتقصف ، ويسكنُ المطر وتجفُّ الطريقُ وتبكّر ، فقلت : أفعل ، فأخرج إليَّ شراباً ما رأيتُ قطّ أصفى منه ولا أعطر ، فقلت : هات مدامك ، وأمرت بحط الرحل ، وبتُّ والغلام يسقيني والراهب نديمي حتى متُّ سكراً ، فلما أصبحت رحلت وقلت :

سقى سُـرَّ من را وسكّانَهـا وديـراً لسـوسنهـا الـراهبِ
سحابٌ تـدفّقَ عن رعـده الـ ـصُّفـوقِ وبـارقِـهِ الـواصبِ
فـقـد بـتُّ فـي ديـره لـيـلةً وبـدرٌ على غُصُنٍ صـاحبي
غـزالٌ سقـانيَ حتى الصباح صـفـراءَ كالـذهب الـذائبِ
على الوردِ من حمرةِ الوجنتين وفي الآس من خُضْرةِ الشاربِ
سقـاني المـدامـةَ مستيقـظاً ونـمتُ ونـام إلـى جـانبـي
فكـانت هناةً لـكَ الـويـلُ من جَنَـاهـا الـذي خـطّه كـاتبي
فيا ربُّ تُبْ واعفُ عن مذنبٍ مُـقِـرٍّ بـزلـتـهِ تـائـبِ

---

(1) ذكر الشابشتي بسامرا ديراً اسمه دير السوسي (149 ـ 162) ولكن هذه الحكاية لم ترد فيه .

ـ 95 ـ

أحمد بن الطيب السرخسي ـ يعرف بابن الفرانقي : أحد العلماء الفهماء المحصّلين ، الفصحاء البلغاء المتقنين ، له في علم الأثرِ الباع الوساع ، وفي علوم الحكماء الذهن الثاقب الوقّاد وبسطة الذراع ، وهو تلميذ الكندي ، وله في كلّ فنٍّ تصانيفُ ومجاميعُ وتواليف . كان أحد ندماءِ أبي العباس المعتضد باللّه والمختصّين به ، فأنكر منه بعضَ شأنه ، فأذاقه حمامَهُ صبراً وجعله نكالاً ، ولم يرعَ له ذمةً ولا إلا .

وقال في « تاريخ دمشق »[1] ذكره أبو الحسن محمد بن أحمد بن القواس قال : ولي احمد بن الطيب الحسبةَ يوم الاثنين والمواريثَ يوم الثلاثاء وسوقَ الرقيق يوم الأربعاء لسبع خلون من رجب سنة اثنتين وثمانين ومائتين ، وفي يوم الاثنين لخمس خلون من جمادى الأولى سنة ثلاث وثمانين غضب المعتضد على أحمد بن الطيب ، وفي يوم الخميس لثلاث بقين من جمادى الأولى ضُرِبَ ابنُ الطيّب مائةَ سوطٍ وَحُوِّلَ إلى المطبق ، وفي صفر سنة ست وثمانين ومائتين مات ابن الطيب السرخسي .

حدث أبو القاسم[2] عن عبد اللّه بن عمر الحارثي قال حدثني أبي قال حدثني أبو محمد عبد الله بن حمدون نديم المعتضد قال[3]: **كان المعتضد في بعض متصيّداته مجتازاً بعسكره وأنا معه، فصاح ناطور في قَرَاحِ قثّاء ، فاستدعاه وسأله عن سبب صياحه ، فقال : أخذ بعضُ الجيش من المقثأ شيئاً ، فقال : اطلبوهم ، فجاءوا بثلاثة**

95 ـ ترجمة ابن الطيب السرخسي في الفهرست: 320 ـ 321 (وتاريخ دمشق ؛ وقد ضاعت) وأخبار الحكماء: 77 وبغية الطلب 1 : 176 وعيون الأنباء 1 : 189 والوافي 7 : 5 . (قلت : وأرجح أن ترجمته كما أوردها ياقوت مبتورة ، إذ ليس من عادته أن يوجز حين يجد أخباراً مستفيضة يستطيع أن يقتبسها ، ثم إنه لم يذكر شيئاً من كتبه ، ولدى ابن النديم منها عدد كثير) ثم حصلت على المختصر فوجدت فيه مادة كثيرة أضفتها .

(1) ورد في بغية الطلب : 183 .

(2) أبو القاسم ابن عساكر صاحب تاريخ دمشق .

(3) وردت هذه القصة في نشوار المحاضرة 1 : 331 عن عبد اللّه بن عمر الحارثي عن أبيه عن ابن حمدون ، وانظر المنتظم 5 : 123 .

أنفس ، فقال : هؤلاء الذين أخذوا القثاء ؟ فقال الناطور : نعم ، فقيدهم في الحال وأمر بحبسهم ، فلما كان من الغد أنفذهم إلى القَرَاح وضرب أعناقهم فيه وسار ، فأنكر الناسُ ذلك وتحدَّثوا به ونخبتْ قلوبهم منه ، ومضت على ذلك مدة طويلة ، فجلستُ أُحادثه ليلةً فقال لي : يا عبدَ اللّه هل يعتبُ النـاسُ عليَّ شيئاً عـرِّفني حتى أزيلَه ، فقلتُ : كلّا يا أمير المؤمنين ، فقال : أقسمتُ عليك بحياتي إلاّ صدقتني ، قلت : يا أمير المؤمنين وأنا آمن ؟ قال : نعم ، قلت : إسراعُكَ إلى سفكِ الدماء ، فقال : واللّه ما هرقتُ دماً قطُّ منذ وليتُ هذا الأمر إلا بحقه ، قال : فأمسكتُ إمساكَ من ينكر[1] عليه الكلام ، فقال : بحياتي لما قلت ، فقلت : يقولون إنك قتلتَ أحمد بن الطيب ، وكان خادمَكَ ، ولم تكنْ له جنايةٌ ظاهرة ، فقال : ويحك إنه دعاني إلى الإلحاد فقلت له : يا هذا أنا ابنُ عمِّ صاحبِ هذه الشريعة ، وأنا الآن منتصبٌ منصبه ، فأُلحدُ حتى أكونَ من ؟ وكان قد قال لي : إن الخلفاءَ لا تغضبُ ، وإذا غضبتْ لم ترضَ ، فلم يصحَّ إطلاقه . فسكتُّ سكوتَ من يريد الكلام ، فقال : في وجهك كلامٌ ، فقلت : الناسُ ينقمون عليك أمرَ الثلاثة الأنفس الذين قتلتهم في قَرَاح القِثَّاء ، فقال : واللّه ما كان أولئك المقتولون[2] هم الذين أُخذوا القثاء ، وإنما كانوا لصوصاً حُمِلوُا من موضع كذا وكذا ، ووافق ذلك أمر أصحابِ القثّاء ، فأردت أن أُهوِّلَ على الجيش بأنَّ من عاث من عسكري وأُفسد بهذا القدر كانت هذه عقوبتي له ليكفُّوا عما فوقه ، ولو أردتُ قتلهم لقتلتهم في الحال والوقت ، وإنما حبستهم وأمرتُ باخراج اللصوص من غدٍ مغطين الوجوه ليقال إنهم أصحابُ القثاء ، فقلت : فكيف تعلمُ العامَّة ؟ قال : باخراجي القومَ الذين أخذوا القثاء أحياءً ، وإطلاقي لهم في هذه الساعة ، ثم قال : هاتم القـوم ، فجاءوا بهم وقد تغيَّرَتْ حالهم ، فقال لهم : ما قصتكم ؟ فاقتصُّوا عليه قصةَ القثّاء فاستتابهم عن فعل مثل ذلك وأطلقهم فانتشرت الحكايةُ فزالت التهمة[3] .

وقيل إن السببَ في قتل أحمد بن الطيب دعاؤُهُ للمعتضد إلى مذهب الفلاسفة

(1) النشوار : يتبين .
(2) ر : المقتولين .
(3) بعد هذا الموضع إلى آخر الترجمة زيادة من المختصر .

والخروج عن الاسلام فاستحلَّ قتله ، فلما أُجمع على قتله أنفذَ إليه : أنت كنتَ عرفتنا عن الحكماء أنهم قالوا : لا يجب للملوكِ أن يغضبوا ، فإذا غضبوا لا يجبُ لهم أن يَرْضَوْا ، ولولا هذا لأطلقتك لسالف ذمَّتك وخدمتك ، ولكن اختر أيَّ قتلةٍ تحبّ أن أقتلك . قال : فاختار أن يَطْعَمَ اللحمَ المكبَّبَ وَيُسْقى الشرابَ العتيق حتى يسكر ثم يُفصد من يديه ويترك دمُهُ يجري إلى أن يموت . فأمر المعتضد بذلك ففعل به ، وظنَّ أحمد أن دمه إذا انقطع مات في الحال بغيرِ ألم ، فانعكس ظنه . قال : وذلك أنه لما فُصِدَ نزف جميعُ دمه ثم بقيتْ معه من الحياة بقيةٌ فلم يمتْ وغلبتْ عليه الصفراءُ ، فصار كالمجنون ينطحُ برأسهِ الحيطانَ ويصيحُ ويضجُّ لِفَرْطِ الآلام ، ويعدو في مجلسه ساعاتٍ كثيرةً إلى أن مات . فبلغ المعتضدَ ذلك فقال : هذا اختيارُهُ لنفسه ، وأيش في الفساد بأكثر مما اختاره لنفسه من الرأي الذي جرَّ عليه القتلَ . وكان المعتضد بالله يعدّد بعد قتله إياه ذنوبَهُ إليه والأمورَ التي أنكرها عليه لِيُعْلَمَ أنه كان مستحقاً لما عامله به :

فمنه : أنه كان لأحمد بن الطيب مجلسٌ يجتمعُ إليه فيه أهلُ العلم يفاوضونه ويفاوضُهم ، فقال المعتضد : فكنت ربما سألته عن هذا المجلسِ وما يجري فيه فيخبرني . وسألته في بعضِ الأيام على عادتي فقال لي : يا أميرَ المؤمنين ، مرَّ بي أمسِ شيءٌ ظريفٌ ، قلتُ : ما هو؟ قال : دخل إلي [في] جملةِ الناسِ رجلٌ لا أعرفُهُ ، حَسَنُ الرُّواءِ والهيئة ، فتوسمتُ فيه أنه من أهلِ الفضلِ والمعرفة ، فلم ينطقْ من أول المجلس إلى آخره ، فلما انصرف من كان حاضراً لم ينصرفْ معهم ، فقلتُ له : أَلَكَ حاجةٌ ؟ قال : نعم ، تُخْلي لي نَفْسَكَ ، فأنفذتُ غلماني ، فقال لي : أنا رجل قد أرسلني اللّه تعالى إلى هذا البشر ، وقد بدأتُ بك لفضلك ، وأمَّلْتُ أن أجدَ منكَ معونةً على ما بُعِثْتُ له ، فقلتُ له : يا هذا أما علمتَ أني مسلم أعتقدُ أنه لا نبيَّ بعد رسول اللّه ﷺ ؛ فقال : علمتُ ذلك ، وما جئتُكَ إلا بأمرٍ وبرهان ، فهل لك في الوقوفِ على معجزتي ؟ فأردت أن أعلمَ ما عنده فقلتُ له : هاتها ، فقال : تحضرُ سطلاً فيه ماء ، فتقدمتُ باحضاره ، فأخرجَ من كمه حجرين أبيضين صَلْدَيْنِ كأشدِّ ما يكونُ من الصخر ، فقال : خذهما ، فأخذتهما ، فقال : ما هما ؛ قلت : حجرين ، فقال لي : رُمْ أن تكسرَهُما ، فلم أستطعْ لشدتهما وصلابتهما ، فقلت : ما أستطيع ،

فقال : ضعهما في السطل ، فوضعتهما ، وقال : غطِّهما ، فغطيتهما بمنديل ، وأقبلَ عليَّ يحدثني ، فوجدته ممتعاً كثيرَ الحديث سديدَ العبارة حسنَ البيان صحيحَ العقل لا أنكر منه شيئاً ، فلما طال الأمر قلتُ له : فأيّ شيء بعد هذا ؟ فقال : أخرج لي الحجرين ، فكشفتُ عنهما ، فطلبتهما فلم أجدهما ، وتحيرتُ وقلت : ليس في السطل شيء ، فقال لي : أنت تركتهما بيدك ولم أقربْ منهما ولا لحظتُ السطَل بعيني فضلاً عن غيره ، قلت : صَدَقْتَ ، قال : أما في ذلك إعجاز ؟ فقلتُ له : بقيتْ عليكَ حالٌ واحدة ، قال : وما هي ؟ قلت : أنك تجيء بحجر من عندي فتفعل به مثلَ هذا ، فقال لي : وهكذا قال أصحابُ موسى له : نريد أن تكونَ العصا من عندنا ، فتوقفتُ عن جوابه لأتفكرَ فيه ، فقام وقال لي : فكِّرْ في أمركَ إلى أن أعودَ إليك . وانصرف ، وندمتُ بعد انصرافه على إفراجي عنه ، وأمرتُ الغلمان بِرَدّه وطلبه ، فتفرقوا في كلِّ طريقٍ فما وجدوه . فقال المعتضدُ لراوي هذا الخبر : أتدري ما أراد أحمد بن الطيب ، لعنه الله ، بهذا الحديث ؟ فقلتُ : لا يا أمير المؤمنين ، فقال : إنما أراد أن سبيلَ موسى ، عليه السلام ، في العصا كسبيلِ هذا الرجلِ في الحجر ، وأنَّ جميعَ ذلك بحيلة ، وكان ذلك من اكثر ما نقمه عليه .

قال محمد بن إسحاق النديم : أحمد بن الطيب هو أبو العباس أحمد بن محمد بن مروان السرخسي ، ممن ينتمي إلى الكندي وعليه قرأ ومنه أخذ ، وكان متفنناً في علوم كثيرةٍ من علوم القدماءِ والعرب ، حسن المعرفة جيدَ القريحة بليغَ اللسانِ مليحَ التصنيف . كان أولاً معلماً للمعتضد ثم نادمه وحظي به ، وكان يُفْضي إليه بأسراره ويستشيره في أمورِ مملكته ، وكان الغالبَ على ابن الطيب علمُهُ لا عقله . وكان سببَ قتله أن المعتضد أفضى إليه بسرٍّ يتعلَّقُ بالقاسم بن عبيد اللّه وبدرٍ غلامِ المعتضد ، فأذاعه بحيلةٍ من القاسم مشهورة ، فسلمه المعتضد إليهما فاستقصيا ماله ثم أودعاه المطاميرَ ، فلما كان في الوقتِ الذي خرج فيه المعتضد إلى فتح آمد فقتلَ أحمدَ بن عيسى بن شيخ ، ثم أفلتَ من المطامير جماعةٌ من الخوارج وغيرهم ، وأمر المعتضد القاسم باتيان جماعةٍ ممن يستحق القتل ليستريحَ من تعلّق القلب بهم ، فأثبتهم ووقع المعتضدُ بقتلهم ، فأدخل القاسمُ أحمد بن الطيب في جملتهم فيما

بعد فَقُتِلَ ، فسأل عنه المعتضد فذكر القاسمُ قَتْلَهُ فلم ينكره . وكان الذي نقمه المعتضد على أحمد بن الطيب أن عبيد الله بن سليمان دخل يوماً على المعتضد بعد تغيّظِ المعتضدِ عليه من شيءٍ بلغه عنه وخاطبه بما يكره ، فلما خرج قال : يا أحمد ما ترى إلى هذا الفاعِل الصانع وقد أخربَ الدنيا واحتجنَ الأموال ، وفي جنبه ثلاثة آلاف ألف دينار ما يمنعني من أخذها إلا الحلمُ عنه ، وفعل الله بي وصنع إن أنا استعملته أكثر من هذا . قال : فخرج أحمد بن الطيب فوجد عبيدَ الله على الباب ينتظره ، فحمله إلى داره وواكله وسقاهُ ووهب له مالاً عظيماً وخلع عليه خلعاً كثيرةً ورفق به وسأله أن يعلمه ما عساه جرى بعد خروجه من ذكره ، فاستحلفه أحمد بن الطيب على كتمانِ ذلك . فحلف له ، فخبره الخبر على حقيقته وودَّعه أحمد ونهض ، فركب عبيد الله من عنده بعد أن عمل ثبتاً يحتوي على جميع ما له [من] تبرٍ وورق وضيعةٍ وحَرَسٍ وقماش وعقار ودابة وبغل ومركب وغلام وآلة وسائر الأعراض ، وجاء إلى المعتضد فخاطبه على الأمور كما كان يخاطِبه ، فلما حضر وقتُ انصرافه قال : أريد خلوةً من أمير المؤمنين لمهمٍّ عارضٍ أذكره ، فأخلى مجلسَهُ ، فحلَّ سيفه بين يديه ومنطقته وقبل الأرض وبكى وقال : يا أمير المؤمنين ، اللهَ اللهَ في دمي ، أَقِلْني واعفُ عني وهب لي الحياةَ واغفر لي إجرامي وما في نفسك عليّ ، فأمَّا مالي فواللهِ ـ وابتدأ يحلف بالطلاقِ والعتاق وما تَبِعَهُ من أيمان البيعة ـ إن كتمتك منه شيئاً، وهذا ثبتٌ بجميع ما أملكه ، وطيبة من نفسي وانشراح من صدري ، بارك الله لك فيه ، ودعني أخدمك وأُخْد[م] . فقال له المعتضد : ما بكَ إلى هذا حاجة ولا في نفسي عليكَ ما يُوجبُ هذا . فقال : الآن قد علمتُ أن رأيَ أمير المؤمنين عليّ فاسد ، إذ ليس يخرجُ إليّ بما عنده فيّ ، ولا يقبلُ ما بذلته ، ولا يقعُ منه عقاب وأخذ يلجّ في البكاءِ والتضرّع ، فرقَّ له المعتضد وتغيَّظ من معرفته بذلك ، فقال : أتحبُّ أن أقول هذا ؟ قال : نعم ، قال : تصدقني عن السببِ الذي حملك على هذا ، فعرَّفه ما جرى له مع أحمد بن الطيب فرضيَ عنه وحلف له على ما سُرَّ به وخفف عن خاطره ، ووثق له أنه لا يسيء إليه ، وأنفذ في الحال وقبض على أحمد بن الطيب وحبسه .

[وله من الكتب : كتاب مختصر قاطيغورياس . كتاب مختصر كتاب بارميناس .

كتاب مختصر كتاب أنالوطيقا الأولى . كتاب مختصر أنالوطيقا الثاني . كتاب الأعشاش وصناعة الحسبة الكبير . كتاب عش الصناعات والحسبة الصغير . كتاب نزهة النفوس ، ولم يخرج بأسره . كتاب اللهو والملاهي في الغناء والمغنين والمنادمة والمجالسة وأنواع الأخبار والملح . كتاب السياسة الكبير . كتاب السياسة الصغير . كتاب المدخل إلى صناعة النجوم . كتاب الموسيقى الكبير ، مقالتان ولم يعمل مثله حسناً وجلالة . كتاب الموسيقى الصغير . كتاب الأرثماطيقي في الأعداد والجبر والمقابلة . كتاب المسالك والممالك . كتاب الجوارح والصيد بها . كتاب المدخل إلى صناعة الطب نقض فيه على حنين بن إسحاق . كتاب المسائل . كتاب فضائل بغداد وأخبارها . كتاب الطبيخ ألّفه على الشهور والأيام للمعتضد . كتاب زاد المسافر وخدمة الملوك مقالتان ، لطيف . كتاب المدخل إلى علم الموسيقى . كتاب آداب الملوك . كتاب الجلساء والمجالسة . كتاب رسالته في جواب ثابت بن قرّة فيما سئل عنه . كتاب مقالته في النّمش والكلف . كتاب رسالته في المساكين وطريف اعتقاد العامّة . كتاب منفعة الجبال . كتاب رسالته في وصف مذاهب الصابئين . كتاب في أنّ المبدعات في حال الابداع لا متحركة ولا ساكنة][1] .

ـ 96 ـ

أحمد بن عبد الله بن عبد الرحيم بن سعيد بن أبي زرعة الزهري مولاهم :

96 ـ ترجمته في المنتظم 5 : 71 والوافي 7 : 80 وسير الذهبي 13 : 47 (وترجم لأخيه محمد 13 : 46 ولأخيه عبد الرحيم 13 : 48 وكانت وفاة محمد سنة 249 ووفاة عبد الرحيم سنة 286 ، ووفاة أحمد هذا سنة 270 ، قال الذهبي : رفسته دابة وكان من أبناء الثمانين ، وهو الذي استمرَّ فيه الوهم على الطبراني إذ يقول حدثنا أحمد بن عبد الله البرقي ولم يلقه ، وإنما لقي أخاه عبد الرحيم) وانظر الجرح والتعديل 2 : 61 وطبقات الحفاظ : 253 والشذرات 2 : 158 . وفي الوافي أنه مصري ، وعلى هذا تفهم نسبته « البرقي » وعلى ذلك ورد عند السمعاني في الأنساب ، ولم أجد برق رود (أو روذ) أو برقة قمّ عند ياقوت ؛ ويبدو لي أنّ هذه المادة قد دخلها خلط كثير في النقل .

(1) ما بين معقفين في سرد أسماء الكتب لم يرد في م كما لم يرد في ر ؛ ولكني أضفته هنا اعتماداً على أن الترجمة في (م) ناقصة كثيراً حتى بالنسبة للمختصر ، وأن ياقوتاً حريص على ذكر المؤلفات ، بينما (ر) لا تحرص على ايراد أسماء الكتب إلا قليلاً .

يكنى أبا بكر البرقي ، وقد ذكرنا فيما بعد برقياً آخر اسمه أحمد بن محمد[1] ، وهو أيضاً من برقة قم ، وقد اشتد عليَّ أمرُهُ وأَمْرُ هذا ، فنقلتُ كما وجدتُ ، ولا شكَّ أنهما من بيت واحدٍ واللّه أعلم ، وكانوا ثلاثةَ إخوة كلُّهم من أهل العلم أبو بكر أحمد وأبو عبد اللّه محمد وأبو سعيد عبد الرحيم ، يروي ثلاثتهم المغـازي عن عبد الملك بن هشام .

وفي « كتاب أصبهان » لحمزة في الفصل الذي ذكر فيه أهلَ الأدب واللغة قال : أحمد بن عبد اللّه البرقي كان من رُسْتاقِ برق روذ وهـو أحد الـرواةِ للغة والشعـر ، واستوطن قم ، فخرج ابنُ أخيه أبو عبد اللّه البرقي هناك ، ثم قدم أبو عبد اللّه أصبهان فاستوطنها .

قرأت في « كتاب جمهرة النسب » قال ابن حبيب : أخبرني أبو عبد اللّه البرقي وكان أعلمَ أهلِ قمّ بنسبِ الأشعريين أن ابنَ الكلبيّ قال في ثلاثة أحياء من الاشعريين « لسن » وإنما هو « أسن » وقال « امراطة » وإنما هو « مراطة » وقال « زكاز » وإنما هو « ركاز » .

ـ 97 ـ

أحمد بن عبد الله بن مسلم بن قتيبة أبو جعفر الكاتب : ولد ببغداد ومات بمصر وهو على قضائها سنة اثنتين وعشرين وثلاثمائة وقد روى عن أبيه تصانيفه كلّها ، حدث عنه أبو الفتح المراغي النحوي وعبد الرحمن بن إسحاق الزجاجي وغيرهما وقال أبو يعقوب يوسف بن يعقوب بن خرّزاذ إن أبا جعفر ابن قتيبة حدَّث بكتب أبيه كلِّها بمصر حفظاً ولم يكنْ معه كتاب ، وأحسب ذكر ذلك عن أبي الحسين المهلبي .

وحدث أبو سعيد ابن يونس قال : قدم أحمد بن عبد اللّه بن مسلم بن قتيبة مصر

---

97 ـ ترجمة ابن قتيبة في تاريخ بغداد 4 : 229 والكندي : 485 ، 586 وإنباه الرواة 1 : 45 وعبر الذهبي 2 : 193 والوافي 7 : 80 ورفع الإصر 1 : 72 والديباج المذهب : 35 (1 : 161) .

---

(1) الترجمة رقم : 137 .

سنة إحدى وعشرين وثلاثمائة وتولى بها القضاء ، وتوفي بها وهو على القضاء سنة اثنتين وعشرين وثلاثمائة .

- 98 -

أحمد بن عبد الله المعبدي : من ولد معبد بن العباس بن عبد المطلب بن هاشم ، أحد من اشتهر بالنحو وعلم العربية من الكوفيين ، وجهٌ من وجوه أصحاب ثعلب الكبار ، ذكره الزبيدي . وقد تقدم ذكر آخر يقال له أحمد بن سليمان(1) لا أدري أهو هذا ، ونسب إلى جدٍّ له أعلى يقال له سليمان أم هو غيره . قرأت بخط ابن أبي نواس قال أبو عمر ابن حيويه، قال لي أبو عمران : مات المعبدي ليلةَ الأربعاء لثمان بقين من صفر سنة اثنتين وتسعين ومائتين .

- 99 -

أحمد بن عبد الله بن أحمد الفرغاني، أبو منصور بن أبي محمد عبد الله بن أحمد [بن جعفر] بن خذيان بن حامس الفرغاني : كان أبوه صاحبَ محمد بن جرير الطبري صاحب التفسير والتاريخ ، وقد كتبنا خبره فيها بعدُ في بابه(2) . مات أحمد هذا في شهر ربيع الأول سنة ثمان وتسعين وثلاثمائة ، ومولده لثمان عشرة ليلة خلتْ من ذي الحجة سنة سبع وعشرين وثلاثمائة بمصر ، وكتبت وفاته كما أخبرني المصريون بها في سنة اثنتي عشرة وستمائة عند كوني بها . روى أبو منصور عن أبيه تصانيفَ أبي جعفر محمد بن جرير الطبري ، وصنَّف أبو منصور أيضاً عدةَ تصانيف منها : كتاب التاريخ وَصَلَ به تاريخ والده . وكتاب سيرة العزيز سلطان مصر المنتسب إلى العلويين . وكتاب سيرة كافور الإخشيدي ، وبمصر كان مقامه .

---

98 - في م : أحمد بن محمد بن عبد الله المعبدي ، وهو بهذه الصورة في غير موضعه حسب الترتيب الهجائي ؛ واعتماداً على الزبيدي : 153 وبغية الوعاة 1 : 321 جعلته « أحمد بن عبد الله » .

99 - ترجمة أحمد الفرغاني في الوافي 7 : 86 (عن ياقوت) .

(1) الترجمة رقم : 91 .

(2) الترجمة رقم : 635 عن المختصر .

- 100 -

أحمد بن عبد الله بن بدر القرطبي النحوي أبو مروان مولى الحكم المستنصر : روى عن أبي عمر ابن أبي الحباب وأبي بكر ابن هذيل[1] وكان نحوياً لغوياً شاعراً عروضياً ، مات سنة ثلاث وعشرين وأربعمائة، حدَّث عنه أبو مروان الطبني، وذكر خبره ووفاته ، قاله ابن بشكوال .

- 101 -

أحمد بن عبد الله بن سليمان أبو العلاء المعري : هو أبو العلاء أحمد بن عبد الله بن سليمان بن [محمد بن سليمان بن أحمد بن سليمان] بن داود بن المطهر بن زياد بن ربيعة بن الحارث بن ربيعة بن أرقم بن أنور بن اسحم بن النعمان ، ويقال له الساطع لجماله، ابن عديّ بن عبد غطفان بن عمرو بن بريح بن جذيمة بن تيم اللّه بن أسد بن وبرة بن تغلب بن حلوان بن عمران بن الحاف بن قضاعة . وتيم اللّه مجتمع تنوخ : من أهل معرة النعمان من بلاد الشام ، كان غزيرَ الفضلِ شائعَ الذكرِ وافرَ العلم غايةً في الفهم ، عالماً حاذقاً بالنحو ، جيدَ الشعر جَزْلَ الكلام ، شهرتُهُ تغني عن صفته وفضلُهُ ينطق بسجيته .

ولد بمعرة النعمان سنة ثلاث وستين وثلاثمائة واعتلَّ علةَ الجدَرِيّ التي ذهب فيها بصره سنة سبع وستين وثلاثمائة ، وقال الشعرَ وهو ابن احدى عشرةَ سنة ، ورحل إلى بغداد سنة ثمان وتسعين وثلاثمائة ، أقام ببغداد سنةً وسبعةَ أشهر ، ثم رجع إلى

---

100 ـ الصلة : 43 والوافي 7 : 87 وبغية الوعاة 1 : 313 .

101 ـ معظم ترجماته في المصادر قد أدرجت في «تعريف القدماء»، ومنها هذه الترجمة ص: 67 ـ 141 وللأستاذ مصطفى صالح كتاب بعنوان كشاف مصادر دراسة أبي العلاء المعري، دمشق 1978 .

(1) هو الشاعر يحيى بن هذيل وكان عالماً ديناً نزيهاً توفي سنة 389 (ابن الفرضي 1 : 193 وترتيب المدارك 6 : 293) وستأتي ترجمته رقم : 1243 .

بلده فأقام به ولزم منزله إلى أن مات يوم الجمعة الثاني من شهر ربيع الأول سنة تسع وأربعين وأربعمائة في أيام القائم .

وكان في آبائه وأعمامه ومن تقدمه من أهله وتأخر عنه من ولد أبيه ونسله فضلاء وقضاة وشعراء ، أنا ذاكرٌ منهم من حضرني لتعرفَ نسبه في العلم كما عرفت ما أعطيه من الفهم :

كان سليمان بن أحمد بن سليمان جدُّهُ قاضيَ المعرة ، وتولَّى القضاء بحمص وبها مات في سنة تسعين ومائتين ثم ولي القضاء بعده بها ولده أبو بكر محمد عم [والد] أبي العلاء وفيه يقول الصنوبري الشاعر[1] :

بأبي يا ابن سليما ... ن لقد سُدْتَ تنوخا
وهم السادةُ شبّا ... ناً لعمري وشيوخا
أدركَ البغيةَ من أضـ ... ـحى بناديك منيخا
وارداً عندك نيلاً ... وفراتاً وبليخا
واجداً منكَ متى استـ ... ـصرخَ للمجدِ صريخا
في زمان غادَر الهمَّا ... تِ في الناسِ مسوخا

ثم بعده أخوه أبو محمد [والد] عبد الله والد أبي العلاء ، ولعبد الله شعر في مرثية والده[2] :

إن كان أصبح من أهواهُ مطَّرحاً ... بباب حمصَ فما حُزْني بِمُطَّرحِ
لو بان أيسرُ ما أخفيه من جَزَعٍ ... لمات أكثرُ أعدائي من الفرحِ

وتوفي [والد][3] عبد اللّه بحمص سنة سبع وسبعين وثلاثمائة .

---

(1) فاتني أن أدرج هذه الأبيات في ديوان الصنوبري (في الطبعة الأولى) ، وهي واردة في الخريدة (قسم الشام) 2 : 3 .

(2) الخريدة (قسم الشام) 2 : 5 .

(3) ان سقوط كلمة « والد » جعل الدارسين يظنون أن عبد الله نفسه هو الذي توفي في ذلك العام ، ولهذا ذهبوا يناقشون المسألة ويبنون أحكاماً مختلفة ، ذلك لأن من الثابت أن وفاة والد أبي العلاء إنما كانت سنة 395 .

ومنهم أبـو المجد محمـد بن عبد اللّه أخـو أبي العلاء ، وكـان أسنَّ من أبي العلاء ، وله أيضاً شعرٌ في الزهد[1] :

كَـرَمُ الـمهـيمـنِ منتهـىَ أمـلي　　لا نِـيَّـتـي أرجـو ولا عـمـلي
يـا مـفـضـلاً جَـلَّتْ فـواضِـلُهُ　　عن بغيتي حتـى انقـضى أجـلي
كم قـد أفضتَ عليَّ مـن نعـمٍ　　كم قـد سترتَ عليَّ من زلـلِ
إن لـم يكـنْ لي مـا ألـوذُ بـه　　يـومَ الحسـابِ فـإن عفـوَكَ لي

ومنهم عبد الواحد أبو الهيثم أخو أبي العلاء القائل في الشمعة[2] :

وذاتِ لـونٍ كلوني فـي تغـيـره　　وأدمـعٍ كـدموعي في تحـدرهـا
سهـرتُ ليلي وباتتْ بي مسهَّـدَةً　　كـأن ناظـرَها في قلب مسهـرهـا

وله أيضاً :

قـالـوا تُـراهُ سـلا لأن جفـونـه　　ضنَّتْ عشيـةَ بيننا بـدمـوعهـا
ومن العجائب أن تفيضَ مدامـعٌ　　نـارُ الغـرام تُشَبُّ في ينبـوعهـا

هؤلاء من حضرني ممن كان قبل أبي العلاء وفي زمانه ، وقد تأخر عن زمانه من أهله من كان عالماً فاضلاً ، وأنا ذاكرهم ها هنا ليجيئوا على نسق واحد :

فمنهم القاضي أبو المجد محمد بن عبد اللّه [بن] محمد أبي المجـد ـ وأبو المجد الثاني هو أخو أبي العلاء ـ وذكره العماد في «الخريدة» فقال[3] : ذكر لي [ابن] ابنه القاضي أبو اليسر الكاتبُ أنه كان فاضلاً أديباً فقيهاً على مذهب الشافعي ، أريباً مفتياً خطيباً ، أدرك عم أبيه أبا العلاء وروى عنه مصنفاتِهِ وأشعارَهُ ، وولي القضاءَ بالمعرة إلى أن دخلها الفرنج خذلهم اللّه في سنة اثنتين وتسعين وأربعمائة فانتقل إلى شيزر وأقام بها مدة ، ثم انتقل إلى حماةَ فأقام بها إلى أن مات في محـرم سنة ثـلاث وعشرين

(1) الابيات في الخريدة 2 : 6 .
(2) هذه القطعة والتي تليها في الخريدة 2 : 6 .
(3) الخريدة 2 : 8 وانظر ترجمته في الانصاف والتحري (التعريف: 501) .

وخمسمائة ومولده سنة أربعين وأربعمائة ، وله ديوان ورسائل ، ومن شعره[1] :

رأيتُكَ في نومي كأنك مُعْرِضٌ ... ملالاً فداويتُ الملالةَ بالتَّرْكِ
وأصبحتُ أبغي شاهداً فَعَدِمْتُهُ ... فعدتُ فغلَّبْتُ اليقينَ على الشكِ
وعهدي بصُحْفِ الودّ تُنْشَرُ بيننا ... فإن طُوِيَتْ فاجعلْ ختامَكَ بالمسكِ
لئن كانت الأيامُ أبلى جديدُهَا ... جديدي وَرُدَّتْ من رحيبٍ إلى ضنكِ
فما أنا الا السيفُ أخلقَ جَفْنُهُ ... وليس بمأمونِ الغرارِ على الفتكِ

قال وأنشدني بعض أهل المعرة[2] :

جسَّ الطبيبُ يدي جهلاً فقلتُ له ... إليكَ عني فإن اليوم بُحْرَاني
فقال لي ما الذي تشكو فقلتُ له ... إني هويتُ بجهلي بعضَ جيراني
فقام يعجبُ من قولي وقال لهم ... إنسانُ سوءٍ فداووه بانسانِ

قال : وأنشدني مؤيد الدولة أسامة بن منقذ ، قال أنشدني القاضي أبو المجد المعري لنفسه[3] :

وقائلةٍ رأتْ شيباً علاني ... عهدتكَ في قميص صباً بديعِ
فقلتُ وهل تَرَيْنَ سوى هشيمٍ ... إذا جاوزتِ أيامَ الربيعِ

قال الأمير أسامة[4] : ولما فارق أهله بالمعرة وبقي منفرداً وكان له غلام اسمه شعيا قال :

زمانٌ غاض أهلُ الفضل فيه ... فَسَقياً للحمام به وَرَعْيا
أسارى بين أتراكٍ وروم ... وفقدِ أحبةٍ ورفاق شعيا

قال وقد سبقه إلى هذا المعنى الوزير المغربي ، فإنه لما تغيرت عليه الوزارة

(1) الخريدة 2 : 9 .
(2) الخريدة 2 : 10 .
(3) المصدر نفسه .
(4) الخريدة 2 : 11 .

وتغرب كان معه غلام اسمه داهر ، فقال[1] :

كفى حَزَناً أني مقيمٌ ببلدةٍ ... يعلّلني بعدَ الأحبة داهرُ
يحّدثني مما يجمِّعُ عقلُهُ ... أحاديثَ منها مستقيمٌ وجائرُ

قال الأمير أسامة : لما بليتُ بفرقة الأهل كتبت إلى أخي أستطرد بِغُلاَمَيْ أبي المجد والوزير المغربي اللذين ذكراهما في شعريهما :

أصبحتُ بعدكَ يا شقيقَ النفسِ في ... بحرٍ من الهمِّ المبرح زاخرِ
متفرداً بالهمِّ من لي ساعة ... برفاقِ شعيا أو عُلالةِ داهرِ

(الحديث شجون يذكّر الشيء بما يتصل به) . وأشعار أبي المجد المعرّي كثيرة منها[2] :

قد أوسعَ اللّه البلادَ وللفتى ... إلى بعضها عن بعضها مُتَزَحْزَحُ
فخلِّ الهوينا إنها شرُّ مركبٍ ... ودونكَ صعبَ الأمرِ فالصعبُ أنجحُ
فإن نلتَ ما تهوى فذاك وان تَمُتْ ... فَللموتُ خيرٌ للكريم وأَرْوَحُ

ومنهم أبو اليسر شاكر[3] بن عبد اللّه بن محمد أبي المجد بن عبد اللّه بن محمد [بن عبد اللّه] بن سليمان ، قال العماد : كان كاتبَ الإنشاء لنور الدين محمود بن زنكي قبلي ، فلما استعفى وقعد في بيته توليتُ الانشاءَ بعده ، ومولده بشيزر في جمادى الآخرة سنة ست وتسعين وأربعمائة وكان قد تولى ديوان الإنشاء سنين كثيرة . قال : وأنشدني لنفسه[4] :

وردتُ بجهلي مَوْرِدَ الصبِّ فارتوتْ ... عروقيَ من مَحْضِ الهوى وعظامي
[ولم تكُ الا نظرةٌ بعد نظرةٍ ... على غِرَّةٍ منها ووضعِ لثامِ]
فحلَّتْ بقلبي من بُثَيْنَ طَمَاعةٌ ... أقرتْ بها حتى المماتِ غَرامي[5] .

---

(1) انظر كتابي : الوزير المغربي ص: 130 .
(2) الخريدة 2 : 14 ـ 15 .
(3) الخريدة 2 : 35 وما بعدها .
(4) الخريدة 2 : 36 .
(5) م : عظامي .

وله أيضاً :

ســارقتــه نــظرةً أطــال بـهــا عــذابَ قـلبـي ومــا لــه ذنـبُ
يا جَوْرَ حكمِ الهـوى ويا عجبـا تســرقُ عيـني وَيُـقْـطَعُ القـلبُ

وله :

بـأبي عـارضــان دبَّا على الخـ ـدِّ دبيباً من تحتِ عَقْرَبِ صُدْغِ
قَعَــدَ القلبُ منهمــا فـي بــلاءٍ وعـذابٍ مـا بين قَـرْصٍ ولـدغِ

وله :

غرِيَتْ بهم نُوَبُ الليالي فاغتـدَوْا مــا يستـقــرُّ لهـم بــأرضٍ دارُ
حتى كــأنهمُ طـريفُ بضــائــعٍ وكــأن أحـداثَ الــزمـانِ تِجـارُ

وله :

تعمَّمَ رأسي بــالمشيب فسـاءني ومـا سـرَّني تفتيـحُ نَـوْرِ بيـاضِـهِ
وقد أبصرتْ عيني خـطوباً كثيـرةً فلم أرَ خـطبـاً أسـوداً كبيـاضــهِ

ومنهم القــاضي أبــو مسلم وادع بن عبــد اللّه بن محمــد بن عبــد اللّه بـن سليمان(1) : كان أبو العلاء عمَّ أبيه تولّى القضاء بمعرة النعمان وكفر طاب وحماة، وكان مشهوراً بالكرم ، مولده سنة إحدى وثلاثين وأربعمائة ، وله رسائل حسنة وشعر بديع منه :

وقــائلةٍ مـا بــالُ جِبِّــك أرمــداً فقلتُ وفي الأحشاءِ من قولها لدغُ
لئن سَـرَقَتْ عيناه من لـونِ خـدِّه فغيـرُ بديـعٍ ربمـا نَفَضَ الصبـغُ

ومن شعره أيضاً :

ولـمــا تــلاقيـنــا وهــذا بنــارِهِ حـريقٌ وهـذا بـالـدمــوع غـريقُ
تقلَّدَتِ الـدرَّ الذي فـاض جَفْنُها فــرصَّـعَــهُ من مـقلتـيَّ عـقـيـقُ

(1) الخريدة 2 : 39 ـ 40 .

ومنهم أبو عدي النعمان بن أبي مسلم وادع[1] من أهل العلم والفضل وهو القائل :

يا أيها الملاّك لا تبرحوا[2] الـ أملاك وارجوها إلى قابلِ
فالعامَ قد صَحَّتْ ولكنها للعدلِ والمُشْرِفِ والعاملِ

ومات أبو عدي بعد سنة خمسين وخمسمائة .

ومنهم أبو مرشد سليمان بن علي بن محمد بن عبد اللّه بن سليمان[3] : ولي القضاءَ بمعرة النعمان وانتقل إلى شيزر بعد أخذ الفرنج المعرة ، وتوفي بها ، وله رسائلُ وشعرٌ منه قصيدة التزم في كلٍّ كلمة منها حرف النون ، أولها :

نَزِّهْ لسانَكَ عن نفاقِ منافقٍ وانصحْ فإن الدينَ نصحُ المؤمنِ
وتجنَّبِ المنَّ المنكِّدَ للنَّدَى وأَعِنْ بِنَيْلِكَ من أعانَكَ وامننِ

ومنهم أبو سهل عبد الرحمن بن مدرك بن علي بن محمد بن عبد اللّه بن سليمان[4] : مولده ومنشؤه بشيزر وحماة ، وتوفي في الزلزلة [التي] كانت بحماة سنة اثنتين وخمسين وخمسمائة ، وكان شاعراً مطبوع الشعر ومنه :

جرحتُ بلحظيَ خدَّ الحبيبِ فما طالَبَ المقلةَ الفاعِلَهْ
ولكنه اقتصَّ من مهجتي كذاك الدياتُ على العاقلهْ[5]

ومن شعره أيضاً :

ولما سألتُ القلبَ صبراً عن الهوى وطالبتُهُ بالصدقِ وهو يروغُ
تَيَقَّنْتُ منه أنه غيرُ صابرٍ وأنّ سلوّاً عنه ليس يَسُوغُ
فإن قال لا أسلوهُ قلتُ صَدَقْتَني وان قال أسلو عنه قلت دُرُوغُ

(1) الخريدة 2 : 41 .
(2) الخريدة : لا ترتجوا .
(3) الخريدة 2 : 44 ـ 45 .
(4) الخريدة 2 : 46 ـ 47 .
(5) زاد في المختصر بعد هذا مقطوعتين هما «سارقته نظرة. . .» و«نعمم رأسي بالمشيب فساءني» وهما مما نسب لأبي اليسر شاكر المعري (ص: 299) .

(هذه كلمة عجمية معناها كذب) .

ومنهم أخوه أبو المعالي صاعد بن مدرك بن علي بن محمد بن عبد اللّه بن سليمان[1] : مولده ومنشؤه شيزر وحماة ، ومات بمعرة النعمان ، ومن شعره :

ألا أيا أيها الوادي المنينيّ هل لنا   تـلاقٍ فنشكو فيه صُنْعَ التفرُّقِ
أبثُّكَ ما بي من غرامٍ ولوعةٍ   وفرطِ جوىً يُضْني وطولِ تشوق
عسى أن ترقي حين مُلِّكْتِ رقَّهُ   وترثي له مما بهجرك قد لقي
بوصلٍ يُرَوِّي غُلَّة الوجدِ والأسى   ويُطْفَى به حَرُّ الجوى والتحرق

وغير هؤلاء حذفت أسماءهم اختصاراً ، وإنما قصدتُ الإخبار عن إعراق أبي العلاء في بيت العلم .

ونقلت من بعض الكتب أنَّ أبا العلاء لما ورد إلى بغداد قصد أبا الحسن علي بن عيسى الربعي ليقرأ عليه ، فلما دخل إليه قال علي بن عيسى : ليصعد الاصطبل ، فخرج مغضباً ولم يعد إليه . والاصطبل في لغة أهل الشام الأعمى ، ولعلها مُعَرَّبة .

ودخل على المرتضى أبي القاسم فعثر برجلٍ فقال : من هذا الكلب ؟ فقال المعري : الكلبُ من لا يعرفُ للكلب سبعين اسماً . وسمعه المرتضى فاستدناه واختبره فوجده عالماً مشبعاً بالفطنة والذكاء فأقبل عليه إقبالاً كثيراً .

وكان أبو العلاء يتعصَّبُ للمتنبي ويزعم أنه أشعر المحدثين ويفضله على بشار ومن بعده مثل أبي نواس وأبي تمام ، وكان المرتضى يبغضُ المتنبي ويتعصَّبُ عليه ، فجرى يوماً بحضرته ذكرُ المتنبي فتنقَّصَهُ المرتضَى وجعل يتتبعُ عيوبه ، فقال المعري : لو لم يكنْ للمتنبي من الشعر إلا قوله :

لكِ يا منازلُ في القلوبِ منازلُ

لكفاه فضلاً ، فغضب المرتضى وأمر فَسُحِبَ برجله وأُخرج من مجلسه ، وقال لمن بحضرته : أتدرون أيَّ شيء أرادَ الأعمى بذكر هذه القصيدة ؟ فإن للمتنبي ما هو أجودُ منها لم يذكرها ، فقيل : النقيب السيد أعرفُ، فقال: أراد قوله في هذه القصيدة :

(1) الخريدة 2 : 48 .

وإذا أتتكَ مذمَّتي من ناقصٍ فهي الشهادةُ لي بأنّي كاملُ

ولما رجع إلى المعرة لزم بيته فلم يخرج منه ، وسمَّى نفسه رهينَ المحبسين - يعني حبسَ نفسه في المنزل وتركَ الخروج منه وحبسَهُ عنِ النظر إلى الدنيا بالعمى - .

وكان متهماً في دينه يرى رأي البراهمة لا يرى إفساد الصورة ، ولا يأكل لحماً ، ولا يُؤْمِنُ بالرسل والبعث والنشور ، وعاش شيئاً وثمانين سنة لم يأكل اللحم منها خمساً وأربعين سنة . وحُدّثتُ أنه مرض مرةً فوصف الطبيبُ له الفرّوج ، فلما جيء به لمسه بيده وقال : استضعفوك فوصفوك ، هلاّ وصفوا شبل الأسد؟! وقيل إنه قال : ما أريد إصلاح نفسي بإفساد هذا ، ولم يتناوله . وقد أوردنا من شعره ما يُسْتَدَلُّ به على سوء مُعْتَقَدِهِ ، ويخبرك بنحلته ومستنده.

وحدث غرس النعمة أبو الحسن الصابي أنه بقي خمساً وأربعين سنة لا يأكل اللحمَ ولا البيضَ ويحرّم إيلامَ الحيوان ، ويقتصرُ على ما تنبت الأرض ، ويلبسُ خشنَ الثياب ، ويظهرُ دوامَ الصوم . قال : ولقيه رجلٌ فقال له : لم لا تأكلُ اللحم ؟ قال : ارحم الحيوان ، قال : فما تقول في السباع التي لا طعامَ لها إلا لحومُ الحيوان ، فإن كان لذلك خالقٌ فما أنت بأرأفَ منه ، وإن كانت الطبائعُ المُحْدِثَةَ لذلك فما أنت بأحذقَ منها ولا أتقن علماً ، فسكت.

قال ابن الجوزي : وقد كان يمكنُهُ أن لا يذبحَ رحمةً ، وأما ما قد ذبحه غيره فأيُّ رحمةٍ بقيتْ ؟ .

قال : وقد حُدِّثْنا عن أبي زكرياء أنه قال ، قال لي المعري : ما الذي تعتقد ؟ فقلت في نفسي : اليومَ أقفُ على اعتقاده ، فقلت له : ما أنا إلا شاكٌ ، فقال : وهكذا شيخك.

قال القاضي أبو يوسف عبد السلام القزويني(1) ، قال لي المعري : لم أهجُ أحداً قط ، فقلت له : صدقتَ إلاّ الأنبياء عليهم السلام ، فتغير وجهه.

وحدَّث أبو زكرياء قال : لما مات أبو العلاء أنشد على قبره بعد موته أربعةً

(1) هو عبد السلام بن محمد بن يوسف بن بندار القزويني المعتزلي ، كانت وفاته سنة 488 .

وثمانون شاعراً مراثي من جملتها أبياتٌ لعليّ بن الهمام من قصيدة طويلة :

إن كنتَ لم تُرِقِ الدماءَ زهادةً   فلقد أرقتَ اليومَ من جفني دما
سيرتَ ذكراً في البلادِ كأنه   مسكٌ مسامِعَها يضمِّخُ أو فما
وترى الحجيجَ إذا أرادوا ليلةً   ذكراك أوجبَ فديةً من أحرما

كأنه يقول : ان ذكرك طيب ، والطيبُ لا يحلُّ للمحرم فيجب عليه فدية . وختم في أسبوع واحد عند القبر مائتا ختمة ، وهذا مما لم يشارك فيه . وكانت الفتاوي في بيتهم على مذهب الشافعي من أكثر من مائتي سنة بالمعرة .

ومن شعره في الزهد[1] :

ضحكنا وكان الضحكُ منا سفاهةً   وحقّ لسكانِ البسيطةِ أن يبكوا
يحطِّمنا صَرْفُ الزمانِ كأننا   زجاجٌ ولكنْ لا يُعادُ لنا سَبْكُ

ومن شعره في الزهد[2] :

فلا تَشَرَّفْ بدنيا عنك مَعْرِضَةٍ   فما التشرفُ بالدنيا هو الشرَفُ
واصرفْ فؤادَكَ عنها مثلما انصرفَتْ   فكلُّنا عن مغانيها سينصرف
يا أمَّ دَفْرٍ لحاكِ اللّه والدةً   فيك الخناءُ وفيك البؤسُ والسَّرَفُ
لو أنك العِرْسُ أوقعتُ الطلاقَ بها   لكنّكِ الأُمُّ مالي عنكِ منصرف

وله[3] :

حدث السلفي بإسناده عن القاضي أبي المهذّب عبد المنعم بن أبي الروس السروجي قال : سمعتُ أخي القاضي [أبا] الفتح يقول : دخلتُ على الشيخ أبي العلاء التنوخي بالمعرة ، وكنت أتردَّدُ إليه وأقرأ عليه في بعض خَلَواته ، بغير علمٍ منه ، فسمعته وهو ينشدُ من قوله :

---

(1) اللزوميات (هندية) 2 : 123 .
(2) الثالث والرابع منها في اللزوميات 2 : 97 .
(3) من هنا زيادة منقولة عن المختصر .

كم غُـودِرَتْ غـادةٌ كَعَـابٌ   وعُـمِّـرَتْ أمُّـهـا الـعـجـوزُ
أَحـرزهـا الـوالـدان خـوفـاً   والقبـرُ حِـرْزٌ لهـا حـريـز
يجـوزُ أن تبـطىءَ المنـايـا   والخلدُ في الـدهـرِ لا يجـوز

ثم تأوه ثلاث مرات وتلا قوله تعالى : ﴿ إنَّ في ذَلِكَ لآيةً لمن خَافَ عَـذَابَ الآخـرةِ ذلـك يـومٌ مَجْمُوعٌ لـه النَّاسُ وذلـك يومٌ مَشْهُـود * وما نُؤَخِّـرُهُ إلاَّ لأَجَلٍ معدود * يومَ يأتي لا تَكَلَّمُ نَفْسٌ إلاَّ بإذْنِهِ فمنهم شقيٌّ وَسَعِيدٌ ﴾ (هـود 103 ـ 105) ثم صاح وبكى بكاءً شديداً ، وطرحَ وجهَهُ على الأرضِ زماناً ، ثم رفع رأسه ومسحَ وجهه وقال : سبحانَ من تكلَّم بهذا الكلامِ في القدم ، سبحانَ مَنْ هذا كلامه ، وسكتَ وسكن ، فصبرتُ عليه ساعةً ثم سلَّمْتُ عليه فردَّ عليَّ السلام ، فقال لي : يا أبا الفتح متى أتيتَ ؟ فقلتُ : الساعةَ ، فأمرني بالجلوسِ فجلستُ وقلت : يا سيدي أرى في وجهك أثَرَ غيظٍ ، فقال : لا يا أبا الفتح ، بل أنشدتُ شيئاً من كلام المخلوق ، وتلوتُ شيئاً من كلام الخالق فلحقني ما ترى . فتحققتُ صحَّةَ دينه وقوةَ يقينه .

قال السلفي : وسألتُ أبا زكريا التبريزي إمامَ عصره في اللغة ببغداد ، فقلتُ له : قد رأيتَ أبا العلاء بالمعرة وعليّ بن عثمان بن جنيٍ الموصلي بصور والقصابيَّ بالبصرة وابنَ برهان ببغداد وغيرهم من الأدباء فمن المفضَّلُ من بينهم ؟ قال : هؤلاء أئمةٌ لا يقال لهم أدباء ، وأفضلُ من رأيته ممن قرأتُ عليه أبو العلاء .

قال السلفي : حُكِيَ عن أبي العلاء المعري في الكتاب الذي أملاه وتـرجمه بـ « الفصول والغايات » ، وكأنه معارضةٌ منه للسور والآيات ، فقيل له : أين هذا من القرآن ؟ فقال : لم تَصْقُلْهُ المحاريبُ أربعمائة سنة .

قال السلفي : كان أبو نصر المنازي أحد وزراءِ نصير الدولة ابن مروان بديار بكر ، فأرسله إلى مصر رسولاً ، فـوصل إلى المعـرة ودخل إلى أبي العـلاء مسلِّماً مناشداً ، وانبسط أحدهما إلى الآخر ، وتذكر أبو العلاء ما يقاسي من الناس وكلامهم فيه ، فقال له أبو نصر : ماذا يريدونَ منك وقد تركتَ لهم الدنيا والآخرة ، فقـال : والآخرة أيضاً ؟ قال : والآخرة أيضاً ، والآخرة أيضاً . فأطرق ولم يكلِّمه إلى أن قام .

أنشد له السلفي :

أبــا العــلاء ابنَ سـليمــانــا إن العمى أولاكَ إحســانــا

لو أبْصَرَتْ عيناكَ هذا الورى لم يَــرَ إنســانُــك إنســانــا

حدث هبة اللّه بن موسى المؤيد في الدين ، وكان بينه وبين أبي العلاء صداقة ومراسلات ، قال : كنتُ أسمع من أخبار أبي العلاء وما أُوتِيَهُ من البسطة في علم اللسانِ ما يكثرُ تعجّبي منه ، فلما وصلتُ المعرة داخلاً إلى الديار المصرية لم أُقَدِّمْ شيئاً على لقائه ، فحضرتُ إليه واتفق حضورُ أخي معي ، وكنتُ بصدد أشغالٍ يحتاجُ إليها المسافر ، فلم أسمحْ بمفارقته والاشتغال بها.

فتحدَّثَ أخي معي حديثاً باللسان الفارسي فأرْشَدْتُهُ إلى ما يعملُهُ فيها ثم عدتُ إلى مذاكرة أبي العلاء ، فتجارينا الحديثَ إلى أن ذكرتُ ما وُصِفَ به في سُرْعَةِ الحفظِ وسألْتُهُ أن يريني من ذلك شيئاً أحكيه عنه ، فقال لي : خُذْ كتاباً من هذه الخزانة ـ لخزانةٍ قريبة منه ـ واذكر أوله فإني أُورده عليك حفظاً ، فقلتُ : كتابُكَ ليس بغريب إن حفظته ، فقال : قد دار بينك وبين أخيك كلامٌ بالفارسية إنْ شئتَ أَعَدْتُهُ ، قلت : فأعده ، فأعاد الحديثَ أجمع ما أخلَّ بحرفٍ منه ، ولم يكن يعرف اللغة الفارسية . وهذا الخبر من العجائب .

قال السلفي بإسناده : عُرِضَ على أبي العلاء التنوخي كفّ من اللوبياء ، فأخذ منها واحدةً ولمسها بيده وقال : ما أدري ما هي ، إلا أني أشبهه بالكلية ، فتعجبوا منه ومن فطنته وإصابته في حديثه[1] .

وحدث أبو الكرم خميس بن علي الحوزي النحوي[2] حدثنا القاضي أبو يوسف القزويني ، قال قال لي ملحد المعرة : ما سمعت في أمر الحسين بن علي رضي الله عنهما شيئاً يجبُ أن يحفظ ، فقلت له : قد قال سواديٌّ من أهلِ بلادنا أبياتاً لا يقول مثلها تنوخٌ جدُّك الأكبر :

رأسُ ابنِ بنتِ محمــدٍ ووصيِّــه للمسلميـن على قنــاةٍ يُــرْفَــعُ

(1) هنا نهاية ما نقل عن المختصر .

(2) هو صاحب الجوابات على سؤالات الحافظ السلفي . وقد تقدم ذكره .

والمسلمون بمنظرٍ وبمشهدٍ لا جازعٌ فيهم ولا متفجع
كُحِلَتْ بمنظرك العيونُ عَمَايةً وأَصَمَّ رزؤُكَ كلَّ أذنٍ تسمع
أيقظتَ أجفاناً وكنْتَ لها كرىً وأنمتَ عيناً لم تكنْ بك تهجع
ما روضةٌ إلا تمنَّتْ أنها لكَ تربةٌ ولخطِّ قبرك مضجع

قال : ولم يسمِّ لنا قائلاً .

وقال أبو منصور الثعالبي في « [تتمة] يتيمة الدهر»[1] وكان حدثني أبو الحسن الدُّلَفي المصِّيصي الشاعر ، وهو من لقيتُهُ قديماً وحديثاً في مدة ثلاثين سنة ، قال : لقيتُ بمعرة النعمان عجباً من العجب ، رأيت شاعراً ظريفاً يلعبُ بالشطرنج والنرد ويدخلُ في كلِّ فنٍّ من الجِد والهزل ، يكنى أبا العلاء ، وسمعته يقول : أنا أحمد اللّه على العمى كما يحمدُهُ غيري على البصر ، قال : وحضرته يوماً وهو يُمْلي في جوابِ كتابٍ وردَ عليه من بعض الرؤساء :

وافى الكتابُ فأوجبَ الشكرا فضممتُهُ ولثمتُهُ عشرا
وفضضتُهُ وقرأتُهُ فاذا أجلى كتابٍ في الورى يقرا
فمحاهُ دمعي من تحدُّرِهِ شوقاً إليك فلم يَدَعْ سطرا

قال : وأنشدني لنفسه[2] :

لستُ أدري ولا المنجمُ يدري ما يريدُ القضاءُ بالانسانِ
غير أني أقولُ قولَ مُحِقٍّ قد يرى الغيبَ فيه مثلَ العيان
إن من كان محسناً قابَلَتْهُ بجميلٍ عواقبُ الإحسان

حدث أبو سعد السمعاني في « كتاب النسب »[3] وقد ذكر المعري ، فقال بعد وصفه : وذكر تلميذه أبو زكريا التبريزي أنه كان قاعداً في مسجده بمعرة النعمان بين

---

(1) تتمة اليتيمة 1 : 9 (وتعريف القدماء : 3) .
(2) هذه الأبيات لأبي القاسم المحسن بن عمرو المحلي في تتمة اليتيمة .
(3) الأنساب (دمج) 11 : 399 ولم يذكر القصة في هذه المادة وانما ذكرها في مادة (التنوخي) (الأنساب - حيدر آباد 3 : 93) .

يدي أبي العلاء يقرأ عليه شيئاً من تصانيفه ، قال : وكنتُ قد أقمتُ عنده سنين ، ولم أرَ أحداً من أهل بلدي ، فدخل المسجدَ مغافَصةً[1] بعضُ جيراننا للصلاة ، فرأيتُهُ وعرفتُهُ فتغيرتُ من الفرح ، فقال لي أبو العلاء : أيش أصابك ؟ فحكيتُ له أني رأيتُ جاراً لي بعد أن لم ألقَ أحداً من أهل بلدي سنتين ، فقال لي : قم وكلِّمه ، فقلت حتى أتممَ السَّبَقَ[2] ، فقال : قم أنا أنتظر لك ، فقمتُ وكلمتُهُ بلسانِ الأذربية شيئاً كثيراً إلى أن سألتُ عن كلِّ ما أردت ، فلما رجعتُ وقعدتُ بين يديه قال لي : أيُّ لسانٍ هذا ؟ قلت : هذا لسان أهل أذربيجانَ ، فقال لي : ما عرفتُ اللسان ولا فهمتُه ، غير أني حفظتُ ما قلتما ، ثم أعاد عليَّ اللفظَ بعينه من غيرِ أن ينقصَ عنه أو يزيدَ عليه جميعَ ما قلت وقال جاري ، فتعجبتُ غايةَ التعجُّبِ كيف حَفِظَ ما لم يفهمه . قال المؤلف : وهذا غاية ليس بعدها شيءٌ في حسن الحفظ .

وقال المؤلف : وأنا كثير الاستحسان لقول أبي العلاء[3] :

أسالتْ أبيَّ الدمع فوقَ أسيلِ ... ومالتْ لظلٍّ بالعراقِ ظليلِ
أيا جارةَ البيتِ الممَّنعِ أهلُهُ[5] ... غدوتُ وَمَنْ لي عندكمْ بمقيلِ
لغيري زكاةٌ من جمالٍ فإن تكن ... زكاةَ جَمَال فاذكري ابنَ سبيلِ
وأرسلتِ طيفاً خانَ لما بعثتِهِ ... فلا تثقي من بعدِهِ برسولِ
خيالاً[6] أرانا نفسَهُ متجنباً ... وقد زار من صافي الودادِ وصولِ
نسيتِ مكان العِقْدِ من دَهَشِ النوى ... فعلَّقتِهِ مِنْ وجنةٍ بمسيلِ
وكنتِ لأجلِ السنِّ شمسَ غُدَيَّةٍ ... ولكنَّها للبينِ شمسُ أصيلِ
أَسَرْتِ أخانا بالخداع وانه ... يُعَدّ إذا اشتدَّ الوغى بقبيلِ

(1) في الأنساب : فدخل معنا صُفَّةَ المسجد .
(2) السبق : الدرس (وقيل هي فارسية) .
(3) سقط الزند 3 : 1040 .
(4) السقط : أتيَّ .
(5) السقط : جاره .
(6) السقط : خيال .

فإنْ تطلقيهِ تملكي شُكْرَ قومه — وإن تقتليه تُؤْخَذِي بقتيلِ
وان عاش لاقى ذلةً واختيارُهُ — وفاةُ عزيزٍ لا حياةُ ذليلِ
وكيف يجرُّ الجيشَ يطلبُ غارةً — أسيرٌ بمجرورِ الذيولِ كحيلِ

ومن شعره لزوم ما لا يلزم[1] :

يا محلّي عليكَ مني سلامٌ — سوف أمضي وَيُنْجَزُ الموعودُ
فلجسمي إلى الترابِ هبوطٌ — ولروحي إلى الهواءِ صعودُ
وعلى حالها تدومُ الليالي — فنحوسٌ لمعشرٍ وسعودُ
أترجُّونَ أن أعودَ إليكم — لا تُرَجُّوا فإنني لا أعودُ

قرأت بخط أبي سعد ، أنشدنا الوكيل باصبهان[2] ، أنشدنا عبيد اللّه القشيري ، أنشدنا أبو الوليد الدربندي[3] قال : أنشدني أبو العلاء التنوخي في داره عند وداعي إياه[4] :

كم بلدةٍ فارقتُها ومعاشرٍ — يُذْرونَ من أسفٍ عليَّ دموعا
وإذا أضاعتني الخطوبُ فلن أُرى — لعهودِ إخوانِ الصفاءِ مُضيعا
خالَلْتُ توديعَ الأصادقِ للنوى — فمتى أودّعُ خلّيَ التوديعا

قال ابن الهبارية : أنشدني أبو زكريا الخطيب التبريزي قال ، أنشدني أبو العلاء أحمد بن عبد اللّه بن سليمان المعرّي لنفسه[5] :

أرى جيلَ التصوفِ شرَّ جيلِ — فقل لهمُ وأهونْ بالحلولِ
أقال اللّه حين عبدتموه — كُلُوا أكلَ البهائم وارقصوا لي

وكتب إلى خاله أبي القاسم عليّ بن سَبيكة ، عند طلوعه من العراق ، ووجد أمّه قد توفِّيت ، ولم يعلم قبل مقدمه بذلك :

---

(1) اللزوميات : 268 .

(2) هو أبو محمد عبد الله بن إسماعيل بن عبد الله كان وكيل القضاة ، توفي سنة 551 .

(3) هو الحسن بن محمد بن علي الصوفي البلخي محدث توفي سنة 456 (دربند في معجم البلدان) .

(4) سقط الزند 4 : 1721 .

(5) لم يردا في ما وصلنا من شعره .

كتابي ـ أطال اللّه بقاء سيِّدي ما طلع صَبِير ، ورسا ثَبير[1] ـ من معرّة النُّعمان ، ولكلٍّ نبأ مستقَرّ . وردْتُها بعد سآمة ، وُرودَ كعب بن مامة[2] ، فإنّا للّه وإنا إليه راجعون ، وله الحمد ممزوجاً به الدَّمع ، مُسْتَكّاً له من الوَجْد السَّمع . وصلى اللّه على سيدنا محمد وعِترته ، صلاةً يثقل بها لساني حُزناً ، وترجُح في المحشرَ قدْراً ووزنا . ثم أذكر قصصي بعد ذلك :

ألا يا ليتَني والمرءُ مَيْتُ   وما تُغني من الحدَثانِ لَيْتُ

. . .

يا ليتَ عمراً ـ وليتُ ضَلَّةٌ سفَهٌ ـ   لم يَغْزُ فهْماً ولم يَحلُلْ بِوادِيها

. . .

لَوَ آنّ صُدورَ الأمرِ يَبدُون للفتى   كأعقابه لم تُلفِه يتندَّمُ

رحمك اللّه من ساكنة رمس ، أصبحَتْ حياتك كأمس .

فإنْ ينقطع منكِ الرّجاء فإنّه   سَيبقى عليكِ الحزنُ ما بقي الدَّهرُ

لا آمُل بعدَها خيراً ، ولا أزيد في المِحَن إلاّ إيضاعاً وسيراً .

صلّى الإلهُ عليكِ مِن مفقودةٍ   إذ لا يلائمك المكانُ البَلقعُ[3]

أنّى حللتِ وكُنتِ جِدَّ فَروقةٍ   بلداً يمرُّ به الشُّجاعُ فيفزَعُ

. . .

لا بارَكَ اللّه في الدُّنيا إذا آنقطعتْ   أسبابُ دنياكِ من أسبابِ دُنيانا[4]

يا سَلوة الأيام موعِدُك الحشر . موعِدٌ واللّه بعيد ، لا سلوةَ حتى يؤوب عَنَزيُّ القَرَظة ، ويرجِع النعمانُ إلى الحِيرة ، ويُبْعثَ نَبيٌّ من مكّة[5] . لو لم تكن الآجال ذَبْرا[6] ، لوجب أن أُقتل بها صبراً . على أنّي واللّهِ قد أعلمتُها أنّي مرتحِل ، وأنّ عزمي

(1) الصبير : السحاب ، وثبير : اسم جبل .

(2) قصة كعب بن مامة وإيثاره صاحبه بالماء وموته عطشاً ، مشهورة ، وتتردد في كتب الأمثال .

(3) البيتان لشاعر اسمه مويلك المزموم ، انظر ديوان شعر الخوارج : 194 وفيه تخريج .

(4) البيت لجرير في ديوانه : 162 .

(5) هذه أمثلة على الاستحالة ، والعنزي رجل ذهب يجني القرظ فلم يؤب ، وفيه يقول الشاعر :

فرجّي الخيْر وانتظري إيابي   إذا ما القارظ العنزي آبا

(6) الذبر ـ بالذال وبالزاي ـ الكتابة .

على ذلك جادّ مزمِع ، فأذِنَتْ فيه ، وأحسبها ظنّته مَذْقةَ الشارب ، ووميض الخالب[1] ، ولكلِّ أجلٍ كتاب . وحُزني لِفقدها كنعِيم أهل الجنّة ، كلما نَفِد جُدّد ؛ وشرحُه إملالُ سامعٍ ، وإفناء زمان . واللّه يجعلها وإيّاي فِداءَيْ مولاي من كلِّ رزيّة ، ويصيِّره المخصوص عنّي بالمَزِية[2] . ورُبَّ سامِع خبري ، لم يَسمع عُذري . والمَعاذر مَكاذب ، غير أنّ الرّائد لا يكذبُ أهله[3] فإن قال أدام اللّه عِزّه : يأبى الحقِين العِذْرة ، وإذا سمِعتَ بِسُرَى القَين فآعلم أنّه مصبِح ، وفي النّوى يكذِبك الصادق[4] ـ فوالذي أخرج الجِذْع من الجرِيمةِ ، والنّار من الوَثِيمة[5] ، ما نكّبْتُ حَلَب في الإبداء والانكفاء ، إلاّ كما تنكّب خَرِيدة المحَار ، لما دونها مِن أهوال البِحار . وأنا كما علِم ـ أدام اللّه تأييده ـ وحشِيّ الغريزة ، إنسيّ الوِلادة . وكلُّ أزبَّ نَفور[6] .

عَوى الذِّئب فاستأنستُ بالذِّئب إذ عوَى وصوَّتَ إنسانٌ فكِدت أطِير[7]

...

يرى الوَحشةَ الأنْسَ الأنِيسَ ويَهتدِي بحيثُ آهتدَتْ أُمُّ النُّجومِ الشَّوابِك[8]

...

يودّ بَجدْعِ الأنفِ لو أنّ ظهرها مِن النّاس أعْرَى مِن سَراةِ أدِيمِ

لو وردتُ حَلَبَ لتعيّنَتْ عليّ حقوق إنْ قضيتُها نَصِبت ، وإن تخلّفت عنها عوتِبت وقُصِبت[9] . ومن لم يَهبِط نعَمان الأراك ، لم يُعتَب عليه في إهداء المسواك . ويُطلَب مِن راكب هَجَر الفَرْض ، ومن مسافر البحريَن الحُسَاس[10] . وشوقي إلى مشاهدته

---

(1) هذان مثلان على السرعة ، فمذقة الشارب : حسوه الماء خطفاً ، والخالب : البرق .

(2) المزية : الفضيلة .

(3) هذه أمثال انظر جمهرة العسكري 1 : 474 ، 493 ؛ 1 : 29 ؛ 1 : 474 .

(4) وهذه أمثال أيضاً ، كما في الجمهرة 1 : 28 ، 1 : 23 ، 2 : 35 (عند النوى) .

(5) الجريمة : النواة ، والوثيمة : الحجارة المكسورة ، والقول لأوس بن حارثة : « لا والذي أخرج العذق من الجريمة والنار من الوثيمة» .

(6) الأزب : الكثير الشعر ، وهذا مثل ، انظر الجمهرة 2 : 154 .

(7) البيت للأحيمر السعدي ، كما في الشعر والشعراء في ترجمة الأحيمر .

(8) البيت لتأبط شرا ، ديوانه : 156 .

(9) نصبت : تعبت ؛ قصبت : ذممت وشتمت .

(10) الفرض : نوع من التمر ؛ والحساس : سمك صغير يجفف .

شوقُ اليَفَنِ إلى الشّباب ، والشّارِف إلى السِّقاب[1] ؛ لو أُوسِقته الحمائلُ أضعفَها عن الذَّمِيل ، أو طُوِّقته الحمائمُ لأغَصَّها بالهدِيل . كيفَ تزِيد الحمامةُ الخَطْباء[2] ، على الحامّة[3] الخُطَباء . الرِّياش أفضل من الرِّيش المَكْر[4] ، والمنزل أشرفُ من الوَكْر ؛ وطوق الذّهب ، خيرٌ من طوق الغَيهب . وأين الشّارف ، من اللبيب العارف ! ليس أمُّ الفَصيل ، مِن ذوات التّحصيل . إنّما هي حنِينٌ بعده سلُوّ ، وٱشتغال لُبٌّ ثمّ خلوّ . وأَسفِي على فائت قُربِه كأسفِ وحشِيّة تَرُبُّ طَلا[5] ، في صَفاصِفَ وفَلا ؛ اتّخذَتْ بيتاً كالخِدر ، في ظِلِّ الفارِدة[6] من السِّدر ؛ ثمّ هكعت[7] في الهجير فدرج الطِّفل ، وهو لأبي جَعدة نَصِيبٌ وكفِل[8] ؛ فلمّا قضت الرُّقاد ، نظرتْ فإذا بقِيّة أجلاد ؛ فهي بَين وَلهٍ وعله . واللّه سبحانه يسهِّل ٱجتماعاً يكون به شملُنا كنجوم ذات العَرْش ، لا ترهَب فرقةً ولا نَقْصَ أَرْش[9] .

وقد كنت كاتبتُه كِتاباً من الرِّقّة أشرح له فيه ما حملني على النُّزول . فإنْ كان وصل فهو الغَرَض ، وإن تخلّف فالإعادة لِمعناه جَرَض[10]. ولكلٍّ مقامٍ مقال ، ولكلٍّ أوانٍ ثَمرة ، وفي كلّ وادٍ سَمُرة . وجدتُ بغداذ كجناح الأَخْيَل[11]، حسن وليس فيه ما حَمَل :

إنّ العِراقَ لأهلي لم يكُنْ وطناً والبابُ دونَ أبي غَسّانَ مسدودُ[12]

---

(1) اليفن : الشيخ الكبير ؛ الشارف : الناقة المسنة ، والسقاب : أولادها .

(2) الخطباء : ذات لون مشرب حمرة في صفرة .

(3) الحامة : الأقرباء .

(4) الريش المصبوغ بالمغرة .

(5) الوحشية : بقرة الوحش . ترب : تربي ، الطلا : ولدها .

(6) الفاردة : المنفردة .

(7) هكعت : سكنت .

(8) أبو جعدة : الذئب ، والكفل : الحظ .

(9) الأرش : أن يكون في الثوب مثلاً عيب ينقص به الثمن .

(10) الجرض : الغصص .

(11) الأخيل : الصرد ، وهو طائر .

(12) الشعر لذي الرمة، ديوانه : 1359 ، 1361 وأبو غسان : مالك بن مسمع بن شهاب كان سيد ربيعة في زمانه ، وتوفي سنة 73 هـ .

فـانم القُتُـودَ على عَيْـرانـةٍ أُجُـدٍ مَهْرِيَّةٍ مخَـطَتْها غِـرسَها العِيـدُ[1]

. . .

كمْ دوَن ميَة مِن مستعمَلٍ قَـذُفٍ ومِن فلاةٍ بها تُستـودَعُ العِيسُ[2]

حَنَّتْ إلى نَخْلةَ القُصْوَى فقلتُ لها بَسْلٌ حرامٌ ألا تلك الدَّهارِيسُ[3]

أُمِّي شـآمِيَـةٌ إذْ لا عِـراقَ لنـا قـوماً نـودُّهُم إذ قـومُنـا شُـوسُ

. . .

فإنْ يكُ في كَيـل اليَمامـةِ عُسْرةٌ فمـا كَيلُ مَيّافارِقيـنَ بـأعْسَـرا[4]

لنفسي أقول : أعييتني بأشُـر ، فكيف بدُرْدُر . وعصيتني مِن شُبَّ إلى دُبَّ . ليس بِعُشّك فادرُجِي . هذا أحقُّ منزلٍ بتَرك . الصَّيفَ ضيّعْتِ اللّبن . الرّبيع أغفلتِ الكمأة . وعلى المفَازة أرقْتِ السِّقاء[5] . عُودِي إلى مَبارِكك ، الحقكِ الشَّرُّ بأهِلك . فمِن أناسٍ ما أنتِ . ليس النِّيق بموطِن الظَّلِيم ، ولا الهَجْل بمرتع الغُفْر[6] .

لِكـلِّ أنـاسٍ مِن مَعَـدٍّ عمـارةٍ عَروضٌ إليهَا يلجَؤُون وجانِبُ [7]

وكنت ظننتُ أنّ الأيّام تسمح لي بالإقامة هناك ، فإذا الضارِية أحجاُ بِعراقها ، والأمة أبخل بصَرْبتها[8] ، والعبدُ أشحُّ بكُراعه ، والغـرابُ أضنُّ بتَمْرتـه . ووجدت العِلم بِبغدادَ أكثَرَ من الحصى عند جمرة العقَبة ، وأرخصَ من الصَّيحانيِّ بالجابِرة[9] ،

---

(1) انم : ارفع ، القتود : عيدان الرحل ؛ عيرانة : ناقة تشبه العير ؛ أجد : موثقة الخلق ، مخطتها غرسها : أزالت عنها الغرس وهو قميص يكون على الولد دون الرحم ، والعيد : من مهرة ، أي أنها مهرية خالصة لم تشتر .

(2) الأبيات للمتلمس ، جرير بن عبد المسيح (انظر نخلة القصوى في معجم البلدان) .

(3) بسل هنا بمعنى حرام ، الدهاريس : الدواهي .

(4) البيت لابن احمر كما في المعرب : 322 .

(5) هذه أمثال ، انظر جمهرة العسكـري 1 : 53 ، 2 : 197 ، 1 : 575 (وما لم يكن أمثـالاً فهو قيـاس عليها) .

(6) النيق : أعلى موضع في الجبل ، الهجل : السهل ، الغفر : ولد الوعل .

(7) من مفضلية للأخنس بن شهاب التغلبي، والعمارة: أصغر من القبيلة، والعروض: طريق ضيقة في الجبل.

(8) الضارية : المفترسة ، أحجأ : أشد ولعاً وتمسكاً ، العراق : ما بقي من لحم وعظم ، والصربة : اللبن الحقين الحامض .

(9) الجابرة : اسم للمدينة ، والصيحاني : نوع من التمر .

وأمكن من الماء بِخُضارة ، وأقرب من الجريد باليمامة . ولكن على كلِّ خيرٍ مانع ، ودون كل دُرّة خرساءُ موحية ، أو خضراء طامِية[1] .

إذا لم تستطِعْ أمراً فَذَرْهُ ... وجاوِزْه إلى ما تستطيعُ[2]

يكفِيك ما بلَّغك المحلّ . إن عجزَ ظِلٌّ عن شخصِك فلا يَعجِزنَّ عن عضوٍ منك . فلمّا زَبَنت الضَّروسُ الحالِبَ ، ونزَت العَنُود تحت الراكب[3] ، ومنعت القَلُوع النَّازع[4] ، ولم تَعُمَّ الفَلُوتُ شاكيَ الأرِيز[5] ، وغشّى الثَّولُ وجه المشتار[6] ، وخيَّب رائداً سحاب ، وكَذَبَ شائماً برق ، وأخلف رُوَيعِياً مَظِنّة[7] ـ عادت لِعِترها لمِيس[8] ، وذكر وِجاره ثُعالة ، وطرِب لِوُكنته آبنُ دأية[9] . وما هبطتُ في طريقي وادِياً ، ولا فرعْتُ جبلاً ، ولا حملَتْني سفينة ، ولا ذلّت لي مِطيّة ، إلاّ بِمنّ اللّه سبحانه ومِنّة سيِّدي وعنايته وجاهه . وأياديه أكبرُ من الشُّكر ، وأوسع من إحاطة الذِّكر . وقد علمتُ أنّه يعمل ذلك معي لا يريد جزاءً ولا شُكوراً . ولكنْ لمّا كان السُّكوت غباوةً عند الجماعة ، والشُّكر أذِيّة لمُسْدِي الصَّنيعة ، كان آحتمال ملامةٍ واحدة ، أيسرَ من آحتمال مَلاوِمَ كثيرة .

وأمّا سيِّدي أبو طاهر فقد حمَّلني من الإنعام أوْقا[10] لا آمُلُ النُّهوضَ بجُزء منه ،

---

(1) الخرساء : صفة للحية ، موحية : معجلة ، يقال إن الدرة تحرسها حية ، والخضراء : الموجة ، طامية : مرتفعة .

(2) البيت لعمرو بن معد يكرب ، ديوانه : 142 .

(3) زبنت : دفعت ، الضروس : الناقة السيئة الخلق ؛ نزت : وثبت . العنود : الناقة تتنكب الطريق من شدة نشاطها .

(4) القلوع : القوس تنقلب إذا نزع فيها ، والنازع : الذي يوتّر القوس للرمي .

(5) الفلوت : كساء صغير لا ينضم طرفاه ، الأريز : البرد .

(6) الثول : جماعة النحل ؛ المشتار : الذي يجني العسل .

(7) هذا مثل (العسكري 1 : 95) والرويعي : تصغير راعي ، يضرب مثلاً في الحاجة تلتمس فيحول دونها حائل وأصله أن راعياً قد عرف مكاناً معشباً فقصده فصادف عارضاً يمنعه من رعيه .

(8) هذا مثل (العسكري 2 : 49) يضرب مثلاً لمن يرجع إلى خلق كان قد تركه ، والعتر : الأصل .

(9) ابن دأية : الغراب .

(10) الأوق : الثقل .

وما ورث بِرِّي عن كَلالة ، ولا أخـذ تفقُّدِي من دارِ غُـرْبةٍ : شِنِشنـة من أخزم[1] ، ونِشنِشة من أخشن[2] . إنما تقيَّـلَ[3] أباه ، والشَّكِيـر نابت من العِضَـة ، والبَرَم من السَّلَم[4] ، ومن أشبه أباه فما ظلم[5] . ما زالت كتُبه تطرق أصدقاءه ، محافظةً على المكارم ، ومراعاةً لأمرٍ غير لازم ، حتّى جعلهم إليّ كعُرْف الفَرَس ، أو قُوَى المَرَس . وكلَّما عرضوا قضاءَ حاجة أعرضْت عن تَكلِيف المشقّة ، لأنِّي أعتقد حِكمة زهير في قوله[6] :

ومن لا يزلْ يستحملُ النَّاسَ نفسَه ... ولا يُعفِها يـومـاً من الـذُّلِّ يَسـأمِ

ولو علمتُ أنِّي أرجِع على قَرْوائي ، لم أتوجَّهْ لهذه الجهة ، ولكنّ البلاء موكّل بالمنطِق ، والخِيرَة مغيَّبة ، والخطوبُ مثلُ دَوكِ النَّوفَل[8] ، يُفتح بعضه عن مِثل نبات الغَمَق ، وبعضُه عن ذوات النسق[9] . لا يدرِي الرَّجُل بمَ يُولَع هِرَمُه[10] ، ولا إلى أيِّ أجمةٍ يَسـوقـه جَـدُّه . ﴿ **ولـو كُنتُ أعْلَمُ الغَيْبَ لاسْتَكْثَـرْتُ مِنَ الخَيْـرِ ومَـا مسَّنِيَ السُّـوءُ** ﴾ (الأعراف: 188). وُجِد في لوح :

يـا أيُّهـا المضمِـرُ هَمًّـا لا تُهَمّ ... إنّـك إنْ تُقْدَرْ لـك الحُمَّى تُحَمّ

ورِعاية اللَّه شاملةٌ لمن عرفتُه ببغداد ؛ فلقد أفردوني بحُسن المعـاملة ، وأثنَوا عليّ في الغَيبة ، وأكرموني دون النُّظراء والـطَّبَقة . ولمـا آنَسوا تشميـري للرَّحيل ، وأحسُّوا بتأهُّبي للظَّعن ، أظهروا كُسوفَ بال ، وقالوا مِن جميلٍ كلَّ مقال ، وتلفّعوا من

(1) جمهرة العسكري 1 : 541 يضرب مثلاً للرجل يشبه أباه ، وأخزم : من جدود حاتم ، فخرج حاتم على مثاله في الجود .
(2) نشنشة : حجر ، والأخشن : الجبل .
(3) تقيل : سار على منواله .
(4) الشكير : ما ينبت في أصول الشجر ، والبرم : ثمر العضاه .
(5) مثل ، انظر العسكري 2 : 244 .
(6) شرح ديوان زهير : 32 .
(7) رجع على قروائه أي على قفاه .
(8) الدوك : الموج ، النوفل : البحر .
(9) نبات الغمق : نبات لريحه فساد ؛ وذوات النسق : الأسنان المتناسقة .
(10) هرمه : عقله .

الأسف ببُردٍ قشيب ، وذرفت عيونُ أشياخٍ شِيب . فلا إلهَ إلاّ اللّه ! أيُّ نابتةٍ ليست لها راعية ! لا تخلو فاغِية من سائِفة[1] ، ولا تَعْدم الخرقاء ثَلَّة[2] ، ولا الثِّقالُ سائقة ، ولا السَّمِجة قائنة[3] .

وأمروني لِرغبتهم في صَقَبي[4] منهم بأمورٍ تَنهى عنها القناعة ، وتكفُّ دونها العادة . وما أبعد نَضَادِ من جِبال الضَّرِيب[5] ، وأشدَّ اختلاف الغائر والمنجدين !

شَتَّانَ ما يَومِي على كُورِها ويومُ حَيَّانَ أخي جابِرِ[6]

...

على حِين أن ذَكَّيتُ وابيضَّ مَفرِقي أُسام الذي أعيبْتُ إذْ أنا أمردُ[7]

...

أمَاوِيَّ ما يُغني الثَّراءُ عن الفتَى إذا حشرجَتْ يوماً وضاقَ بها الصَّدرُ[8]

واللّه يحسن جزاءهم : إن كان ما فعلوه حِفاظاً فهو مِنّةٌ عظيمة ، وإن كان نِفاقاً فهو عِشرةٌ جميلة . وانصرفتُ وماء وجهي في سِقاءٍ غيرِ سَرِب ، ما أرقْتُ منه قطرةً في طلب أدبٍ ولا مال . ومنذُ فارقتُ العِشرين من العُمر ما حدَّثتُ نفسي باجتداء عِلمٍ من عِراقيٍّ ولا شآمٍ . ﴿ **مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَنْ يُضْلِلْ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ وَلِيًّا مُرْشِداً** ﴾ (الكهف: 17).

والذي أقدمني تلك البِلادَ مكانُ دارِ الكتب بها .

ولستُ وإن أحببتُ من يسكنُ الغَضَا بأوّلِ راجٍ حاجةً لا ينالُها

شرفاً لذلك المنزِل منزلاً ، وللسَّاكنين به نفَراً ، ولماء دِجلةَ وادياً ومشرَبا .

---

(1) الفاغية : كل زهرة ذات رائحة طيبة ، السائفة : السّامّة .

(2) في المثل : لا تعدم الخرقاء علة ولا تعدم صناع ثلة ؛ والصناع : المرأة الماهرة ، لا تعدم صوفاً تغزل منه (جمهرة العسكري 2 : 379) .

(3) الثقال : البطيء من الدواب ؛ السمجة : القبيحة ، قائنة : ماشطة تزينها .

(4) الصقب : الجوار .

(5) نضاد : جبل بالعالية ، الضريب : الثلج .

(6) بيت للأعشى ، ديوانه : 108 .

(7) ذكيت : كبرت ، أعيبت : عددته عيباً (والقياس أعبت) .

(8) البيت لحاتم الطائي ، ديوانه : 210 .

وإنّي وتَهيامِي بعَزَّةَ بعد ما تخلّيتُ مِن حَبلِ الهَوَى وتخلّتِ[1]
لكالمبتغِي ظِلَّ الغَمامةِ كُلّما تَبَوّأ منها للمَقِيلِ آضمحَلّتِ

وكنت إذا خبّرت رجلاً بمسيري بانت فيه كآبة ، وبدت عليه كَبوة ، فكتمتُ ذلك عنهم كِتمانَ المرأةِ ضَرّتَها بالغيب ، ما في جسدها من سُوءٍ وعيب . فلمّا عَلِق حِرباءُ البينِ تَنضُبَتَه[2] ، ووقف صُرَد الفِراق[3] موقِفَه ، كنت وإيّاهم كأبي قابوس وبني رَواحةَ :

قالَ لهمْ خيراً وأثنى عليهمُ وودَّعهمْ وداعَ أنْ لا تَلاقِيَا

وسِرتُ عن بغداد لستٍّ بقِينَ من شهر رمضان ، سيراً تَنْحِطُ إبلُه ، وتئِطُّ نُسوعه[4] ، وتَوَقُّعُ الغرقَ سُفُنه ، يودُّ الماشي الرّجيلُ[5] فيه أنّه بعضُ الرّكب ، ولو كانوا رُكبانَ الجذوع[6] ؛ وأنه آنتعَل ولو بأديم الوجْه والجبين ، وآضطجع ولو على القَصَد والشُّبهان[7] . عند الصّباح يَحمدُ القومُ السُّرى . الغَمرات ثُمّ ينجلين[8] . ومررتُ بطرف الشّهباء ؛ لأنّي سلكت طريقَ الموصلِ ومَيّافارِقين ، وفيها أمواهٌ كأمواه الطَّثْرةِ والعُذَيب[9] فسبحان اللّهِ القديم !

ورَدتُ مِياهاً مِلحةً فكرِهتُها فَسقياً لأهلي الأوَّلِينَ ومائِيَا

كلّما شَحَجت النَّواعبُ قلتُ خيراً أيَّتُها الطَّير ، لا عِلم لكِ بما كان ولا عِلم لكِ بما يكون . وراءَكِ وراءك ! فغيري مَن تهيِّبين[10] . طالما نزل نازلُكِ على النّبِيلة[11]

(1) البيتان لكثير عزة ، ديوانه : 103 .
(2) التنضبة : نوع من الشجر تعلق به الحرباء وهي مضرب المثل في الحزم فلا ترسل ساقاً إلا ممسكة ساقاً .
(3) الصرد : طائر يتشاءم به ولذلك أضافه الى الفراق .
(4) تنحط : تئن من التعب ، تئط : تصدر أطيطاً أي تصوت ، والنسوع : السيور تشد بها الرحال .
(5) الرجيل : الماشي على رجليه .
(6) ركبان الجذوع : الذين يصلبون .
(7) القصد : العوسج ، الشبهان ، نبات شائك .
(8) هذان مثلان (جمهرة العسكري 2 : 42، 2 : 80) .
(9) الطثرة والعذيب محلان معروفان بطيب الماء .
(10) تهيبين : تخوفين .
(11) النبيلة : الجيفة .

فهاض جَناحَه الولِيد .

مَنْ مبلِغٌ عمرو بن لأ ي ٍ حيث كانَ من الأقاوِمْ [1]
لا يمنَعنَّكَ مِن بُغا ءِ الخَيرِ تَعقادُ التَّمائمْ
فلقدْ غدوت وكنتُ لا أغْدو علَى واقٍ وحاتمْ [2]
فإذا الأشائمُ كالأيا مِنِ والأيامِنُ كالأشائمْ
وكذاكَ لا خيرٌ ولا شَرٌّ على أحدٍ بدائمْ

ولمّا نزلْنا بالحَنِيّة ، تساوَى حاملُ المال وحاملُ الرِّمال ، وقلّ بلاءُ الغَادي أين قال [3] ، والرّائحِ أين عَرَّس وبات . فلم نَزَلْ كذلك حتى بلغنا آمِد ، ثمّ عادت السّبيل إلى غوائلها ، وسدِكت [4] الرّفاقُ بمخاوِفها .

فما بلّغْتِنا إلّا جَرِيضاً بلا نِقْي العِظام ولا سَنامِ

ولمّا فاتني المُقام بحيثُ آخترت ، أجمعت على آنفرادٍ يجعلني كالظَّبي في الكِناس ، ويقطع ما بيني وبينَ النّاس ، إلّا من وصلني اللّه به وصلَ الذِّراع باليد ، واللّيلةِ بالغد .

وأنا أحملُ إلى مولاي ، أدامَ اللّه عِزَّه ، وإلى مولاي أبي طاهر ، عضَدني اللّه ببقائه ، سلاماً له نَضرة الألاء [5] . وصفاءُ الماء ، وعذوبةُ الأرْي ، وتَتابُع القَطر ، وخُلود النُّجوم ، وأرَج العَرار ، وتألُّق الوميض . والسلام .

* * *

(1) ينسب الشعر لمرقش ، وهو في اللسان (يمن ، وقى) له وقيل لخزز بن لوذان ، وانظر عيون الأخبار 1 : 145 والصاهل والشاحج :273 والحيوان 3 :436 والمختلف والمؤتلف: 143 ويعزى في حماسة البحتري إلى المرقم الذهلي وهو خزز نفسه .

(2) الواقي : الصرد ؛ الحاتم : الغراب ، وكلاهما يتشاءم به .

(3) قال : نام في القائلة .

(4) سدكت : لزمت .

(5) الألاء : شجر دائم الخضرة .

وكتب إلى أهل معرّة النعمان مَقْدَمَه من بغداد ولم يصل إليهم :

بسم الله الرحمن الرحيم

هذا كتاب إلى السَّكنِ المقيم بالمعرَّة ، شمِلهم الله بالسَّعادة ، من أحمدَ بنِ عبد الله بن سليمان ، خصَّ به من عرَفه وداناه ، سَلّم اللّه الجماعةَ ولا أسلمها ، ولمَّ شعَثَها ولا آلمَهَا .

أمّا الآنَ فهذه مُناجاتي إيّاهم مُنصَرَفي عن العِراق ، مجتمعِ أهل الجدال ، وموطنِ بقيّة السّلَف ، بعد أن قضّيتُ الحداثة فآنقضت ، وودّعتُ الشَّبيبةَ فمضت ، وحلبْتُ الدّهرَ أشْطُرَه ، وجرّبت خيرَه وشرّه ، فوجدت أوْفق ما أصنعهُ في أيّام الحياة ، عُزلةً تجعلُني من النّاس كبارِح الأَرْوَى مِن سانح النَّعامِ . وما ألَوتُ نصيحةً لنفسي ، ولا قصّرت في آجتذاب المنفعة إلى حَيِّزي . فأجمعْتُ على ذلك ، وآستخَرْت اللّه فيه ، بعدَ جلائه على نفرٍ يُوثَق بخصائلهم ، فكلُّهم رآه حَزْماً ، وَعدَّه إذا تمّ رُشْداً . وهو أمرٌ سُرِي عليه بلَيل ، قُضِي ببَقَّة[1] ، وخبَّتْ به النّعامة ، ليس بنتَيج السَّاعة ، ولا رَبِيبِ الشّهرِ والسنَة ، ولكنّه غذِيُّ الحِقَب المتقادِمة ، وسلِيلُ الفِكْر الطّويل . وبادرتُ إعلامَهم ذلك ، مخافةَ أن يتفضّل منهم مُتَفضِّلٌ بالنّهوضِ إلى المنزل الجاريةِ عادتي بسُكناه ليلقاني فيه ، فيتعذّر ذلك عليه ، فأكونَ قد جمعتُ بين سَمجين : سوءِ الأدب وسوءِ القَطيعة . ورُبَّ مَلُومٍ لا ذنبَ له . والمثل السّائر : خلِّ امرأً وما آختار . وما سمحت القَرونُ[2] بالإياب ، حتّى وعدتها أشياءَ ثلاثة : نَبذةً كنبذةِ فتيقِ النُّجوم[3] ، وآنقضاباً من العالَم كآنقضابِ القائبة من القُوب[4] ، وثباتاً في البلَدِ إن حال أهلُه من خَوف الرُّوم . فإن أبى مَن يشفق عليَّ أو يُظهِر الشَّفَقَ إلا النَّفْرة مع السّواد ، كانت نَفرةَ الأعفر أو الأدماء[5] . وأحلِفُ ما سافرتُ أستكثِرُ من النشَب ، ولا أتكثَّر بلقاء الرِّجال ،

---

(1) إشارة إلى المثل ببقة تركت الرأي (في قصة الزباء) .

(2) القرون : النفس .

(3) النجوم : النباتات ، يتفتق عنها قشرها وتنبذه .

(4) القائبة : البيضة ، القوب : الفرخ .

(5) الأعفر : صفة للظبي . الأدماء : الظبية .

ولكنْ آثرتُ الإقامةَ بدار العِلم ، فشاهدتُ أنفَسَ مكانٍ لم يُسعف الزَّمنُ بإقامتي فيه . والجاهل مغالِبُ القدَر . فلهيتُ عمّا آستأثر به الزَّمان . واللّه يجعلهم أحلاسَ الأوطان ، لا أحلاس الخيلِ والرِّكاب ؛ ويسبغُ عليهم النِّعمة سبوغَ القمْراء الطَّلقةِ على الظَّبي الغَرير ، ويُحسِنُ جزاءَ البغدادِيِّين ؛ فلقد وصفوني بما لا أستحقّ ، وشهِدوا لي بالفَضيلة على غير عِلم ، وعرَضُوا عليّ أموالهم عَرض الجِدّ ، فصادفوني غير جَذِل بالصِّفات ، ولا هشٍّ إلى معروفِ الأقوام . ورحلتُ وهُم لرحيلي كارهون . وحسبي اللّه وعليه يتوكل المتوكِّلون .

وكتب إلى أبي طاهر المشرّف بن سبيكة وهو ببغداد ، يذكر له أمر شرح السيرافي وما جرى فيه من التعب :

بسم اللّه الرحمن الرحيم

للّه الحمد ، ما أُحْصِيَ خطأً وعَمْد ؛ وصلى اللّه على محمد ما التأم شَعب ، وعلا كعباً كعب .

شوقي إلى سيِّدي الشيخ شوقُ البلاد الممحِلة ، إلى السَّحابة المِسْحَلة[1] . وآنتفاعي بقربه آنتفاعُ الأرض الأرِيضة ، بالأمواه الغرِيضة[2] . وتشوُّفي لأخباره تشوُّفُ راعي أنعام ، أجدب في عامٍ بعد عام ؛ لبارقٍ يمان ، هُوَ له مرتقِب مُمَان[3] . وأسفي لفقده أسفُ وحشيّة ، رادت بالعشيّة ، فخالفها السِّرحان[4] إلى طَلاً رادَ فحار ؛ فهي تطوفُ حول أمِيل[5] ، وترى صبرها ليس بجميل . وتذكُّري لأوقاته تذكُّرُ الفطيم ثديَ الوالدة ، والمُقْسِم بالمِلح لبني خالدة[6] . وآنتظاري لقدومه آنتظار تاجرِ مكّةَ وفدَ

(1) مسحلة : غزيرة المطر ، من قولهم مطر مسحل أي جود .

(2) الأريضة : المستعدة للعطاء ، الزكية الكريمة ؛ الغريضة : الأمواه الطرية .

(3) ممان : ممطول .

(4) السرحان : الذئب .

(5) أميل : جبل من الرمل .

(6) الملح : الرضاع ، والاشارة الى قول الشاعر :

لا يبعد اللّه رب العباد والملح ما ولدت خالده

الأعاجم ، ورَبِّ الماشيةِ ظهور النّبتِ النّاجم . وفزعي إلى نجدته فزَعُ الغَرِقِ إلى سيفٍ دانٍ ؛ والفرقِ إلى سَيفٍ ليس بدَدَان[1] ؛ وآعتذاري من التثقيل عليه آعتذارُ الورقاء[2] من الغدر ، وأبي جهل من حضور بَدْر . وثقتي بمكارمه ثقة راكب الماء بالعامَة[2] ، والحارث بالنَّعامة[4] . وشكري على أياديه حبيس ليس بمحتبَس ، يتجدّد مع النَّفَس .

وفي هذا اليوم ، وهو يوم كذا ، وصل كتابُه فُسِررتُ به سرورَ الظّمآنِ ورَدَ نميراً ، والسّاهِر صادفَ سميراً[5] . وكان ما ضمنه من ذكر سَلامته بُشرَى لها تخفُّ الأحلام ، خفّة القائل ولا يلام : يَا بُشْرَايَ هَـذَا غُلاَمٌ . واللّه يمنّ بـآجتماع ، ليس بعده من إزماع[6] .

وفهمتُ ما ذكَرَه من أمر النُّسخة المحصَّلة . وهو ، أدام اللّه عزّه ، الكريم المتكرِّم ، وأنا المُثْقِل المُبرِم ، جرى في التفضُّل على الرَّسم ، وألححتُ إلحاح الوَسْم . فإمّا الشَّرح إنْ سمح القدَر ، وإلاّ فهو هَدَر . وقد كنتُ قلتُ في بعض كتبي إلى سيِّدي : إن كانت الخطوط مختلفة ، والأبواب مؤتلفة ، فلا بأس . يُغني عن لُبس السَّرَق ، ثوبٌ جُمِع من شتَّى خِرق . ما عدا خطَّ عليٍّ بن عِيسى ؛ فإنّه رجل اتّكل على ما في صدره ، فتهاون بإحكام سَطْره . وإنّما رجوتُ ببركته أن يرتفق أناس كما قال اللّه تعالى : ﴿ **وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍ بَخْسٍ دَرَاهِمَ مَعْدُودَةٍ وَكَانُوا فِيهِ مِنَ الزَّاهِدِينَ** ﴾ (يوسف: 20) فأمّا أنا فلا أقول : ﴿ **عَسَى أَنْ يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَداً** ﴾ (يوسف: 21) .

وأمّا ما ذكره من فَساد النّاس فأحلف ما حلم أديم[7] : إنّ ذلك لَداءٌ قديم ؛

(1) ددان : لا يقطع .
(2) الورقاء : الذئبة .
(3) العامة : عيدان تشد وتوضع في الماء يعبر عليها .
(4) الحارث بن عباد ، والنعامة فرسه .
(5) السمير : المسامر .
(6) إزماع : فراق .
(7) حلم الأديم : فسد الجلد .

النّمِرة بنت النّمِرة ، والقَتادةُ أختُ السَّمُرة . وهو ـ أدام اللّه تأييده ـ من الملامة ، في أحصن لامة[1] ؛ فلا يبعثه تعذُّر الحاجة ، على اللجاجة . أهو الكتاب المكنون ، الذي ﴿ لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ ﴾ (الواقعة: 79) إنما هو أباطيل أَتْيَاه[2] ، وتعليل في أيام الحياة . ﴿ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ ﴾ (الحديد: 20) .

فأمّا سيِّدي الشيخ أبو عمرو ، فإنّ آسمه وافق آية ، بلغت بفألها النهاية ؛ وهي قوله جلّ اسمه : ﴿ كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ ﴾ (إبراهيم: 24) وأنا والجماعة نُهدي إلى سيِّدي الشيخ وإلى جميع أصدقائه ، سلاماً تأرج الكتبُ بحمله ، وتُرْوِضُ المُجدبةُ من سَبَلِهِ[3] . وحسبي اللّه .

وكتب إلى أبي عمرو الاستراباذي، في أمر شرح السِّيرافي :

بسم اللّه الرحمن الرحيم

سلامٌ كالعِترة[4] الهنديّة ، والرَّوضة النجْدية ؛ يتَّصل بسَحاب غَمْر ، إلى الشيخ الفاضل أبي عمرو ، أطال اللّه بقاءه ما سكنت أِلف ، وآفتقر إلى جوابٍ حَلِف ، وقرنه اللّه بسعدٍ دان ، كما تقارن الفرقدان ؛ لا يُرْهَب منهما فِراق ، ما تبع الشروقَ إشراق . فشوقي إليه لو تذرّى[5] جبلاً أتعبه ، أو سلك في وادٍ لرغَبَه ؛ جمع اللّه بيننا في دار مقام ، سالمةٍ من الانتقام .

وورد كتابه فأبهجني آبتهاج الطائر المحتَبس بالتسريح ، والأسيرِ المصَفَّد بِفكاكٍ مريح ، وسررتُ بخبر سلامته سرورَ الداريِّيْن ، أحدهما بنُسْكِه ، والآخر بمسكه . أدامهما اللّه له حتّى يصيرَ سهيلٌ قمراً ، والدرُّ في العِضاهِ ثمرا . وقد أثنيت وشكرت ، وفي إملال الصديق ابتكرت . أوغَلْتُ كلَّ الإيغال ، وقُطِعتُ عن مُهمّ الأشغال . إذ

---

(1) اللامة مخفف لأمة : الدرع .
(2) أتياه : جمع تيه .
(3) تروض : تصبح روضة ، السبل : المطر .
(4) العترة : القطعة من المسك .
(5) تذرى : صعد الذروة .

كانتَ عند طلّاب العلم بمدينة السلام كشَجَرِ العُرَى[1] لا يسقط ورقه ، والماءِ الصَّرىَ[2] لا يؤمن شَرَقُه . لا سيَّما من جَمَع نَور الآداب ، من كل هَضْب وعَداب[3] . كان أيسر من عنائه في ذلك قذفُ الشَّرحِ في سَيْح[4] ؛ حتّى يُعشِب خدُّ شُريح . فهو فيما رُوِي ثَطّ ، ما أشعَرَ وجههُ قطّ[5] ، كفاني اللّه وله الحِباء ، أن تبدل من الشين الباء ، فيصير الشرح من الشَّقَاء ، البَرْحَ على الأصدقاء . أهو المصدر من قوله تعالى : ﴿ أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ﴾ (الشرح: 1) أم من قوله عزّ سلطانه : ﴿ فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلإِسْلَامِ ﴾ (الأنعام: 125) إنّما هو أفانين كلامٍ أصبح وهو مجموع ، المقيس فيه والمسموع ؛ لا يخلد مَن رواه ، قد عاش النّاس بسواه . إنّي وحياتِه الكريمة قد خِفت أنْ يجعلني الإخوان لأجله فيمن شَرَح بالكُفر صدراً ، ولن أخاف منهم غدراً ؛ لا الصّارمَ صقلت ، ولا في الشّامخ توقّلت . والكريم المبرِّز كجوادٍ بعيدِ الشأو ، كُلِّفَ شأواً بعد شأو ، فجاء محمودَ الآثار ، منزّهاً عن كلِّ عِثار ، دالًّا على اليمن بُغرّةٍ زاهرة ، ودائرةِ سَمامةٍ ظاهرة . ولن أقول لمَنْ غاب : رِيشَ سهمُه اللُّغاب ؛ ولا أقرأ لكتاب أبي سعيد : ﴿ أُولَئِكَ يُنَادَوْنَ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ ﴾ (فصلت: 44) بل أنا من التَّثْقيل حذِر ، مشفِقٌ من ذلك معتذر . وإنّما سألت أن يستسعد براءِه ، لقلّة نظرائه . وهو عندي أجلّ ، والكتاب أيسر وأقلّ ، من أن يكلَّف خطوات ، ولو كُنّ كدبيب القَطَوات .

وأنا أسأل الشيخ الأديب الفاضل ، أن يُسعِفني بكتابٍ منه يشتمل على أسطر ، كأنّ فيه ريح القُطُر ؛ يضمَّن طيبَ خبر ، هو أذكى من العنبر ، وأوامر منه ونواه ، ما أنا إن آمتثلتها بِواه ، وأستودعه اللّهَ وديعةَ ضنينٍ ، عند ثقة أمين .

ومن شعر أبي العلاء في الغزل[6] :

---

(1) العرى من الشجر ما لا يسقط ورقه في الشتاء مثل الأراك والسدر ، ويعول الناس عليه إذا انقطع الكلأ .
(2) الصرى : الماء الذي قد تغير طعمه .
(3) العداب : جانب الرمل .
(4) السيح : الماء الجاري على وجه الأرض .
(5) كان القاضي شريح كوسجاً أي لا شعر ينبت في وجهه ، وذلك هو الثط .
(6) الأبيات الآتية مما لم يرو في سقط الزند .

يـا ظبيـةً علقِتني في تصيُّدهـا ... أشـراكُها وهي لم تَعلَقْ بـأشـراكِي
رعيتِ قلبي ومـا راعيتِ حـرمتـه ... فلِمْ رعيتِ ولا راعيتِ مَـرْعـاكِ
أتحـرِقيـن فؤاداً قـد حَللتِ بـه ... بنـار حُبِّـك عمـداً وهـو واراكِ
أسْكنتِهِ حين لم يسكنْ بـه سكنٌ ... وليس يحسُنُ أن تسخَيْ بسُكنـاكِ
ما بال داعي غـرامي حين يأمـرني ... بـأن أكـابـد حرَّ الـوجـد ينهـاكِ
ولم غدا القلبُ ذا يأسٍ وذا طمع ... يـرجـوك أن تـرحميـه ثم يخشـاكِ

ومن خطِّ ابن العصار ، قال أبو العلاء في رجل اسمه أبو القاسم[1] :

هـذا أبـو القـاسم أعجـوبـةٌ ... لـكـلِّ مـن يـدري ولا يـدري
لا ينـظمُ الشعـرَ ولا يحفظُ الـ ... ـقـرآن وهـو الشـاعـرُ المقـري

قرأتُ بخطِّ أبي سعد قال ، سمعت المباركَ بن أحمد بن الاخوة مذاكرة[2] : خرج رجلٌ على سبيل الفرجةِ فقعد على الجسر فأقبلت امرأةٌ من جانب الرصافة متوجهةً إلى الجانب الغربي فاستقبلها شـابٌّ فقال لهـا : رحم اللّه علي بن الجهم ، فقالت المرأة في الحال : رحم اللّه أبا العلاء المعري ، ولم يقفا ومرّا مشـرِّقاً ومغرِّبةً ، فتتبعتُ المرأة وقلتُ لها : أخبريني عافاكِ اللّه عما قال لكِ وعما أجبتيه ، فقالت : نعم رحم اللّه علي بن الجهم ، أراد قوله :

عيـونُ المها بين الرصافةِ والجسرِ ... جلبن الهوى من حيثُ أدري ولا أدري

وأردت بترحمي على أبي العلاء قوله :

فيـا دارَهـا بـالحـزنِ إن مـزارهـا ... قـريبٌ ولكنْ دونَ ذلـك أهـوالُ

قال أبو زكريا يحيى بن علي الخطيب التبريزي : أنشدني ابو العلاء أحمد بن عبد اللّه بن سليمان المعري لنفسه[3] :

منكِ الصدودُ ومني بـالصدودِ رضى ... مَنْ ذا علي بهـذا في هـواكِ قَضَى

---

(1) هما في بغية الطلب 9 : 176 وانظر تعريف القدماء : 297 (نقلاً عن الصفدي) .
(2) وردت القصة في كتاب الأذكياء لابن الجوزي ، انظر تعريف القدماء : 389 .
(3) شروح السقط : 654 .

بي منكِ ما لو غدا بالشمسِ ما طلعتْ ... من الكآبةِ أو بالبرقِ ما ومضا
جَرَّبْتُ دهري وأهليه فما تركتْ ... ليَ التجاربُ في ودِّ امرىءٍ غرضا
إذا الفتى ذمَّ عيشاً في شبيبته ... ماذا يقولُ إذا عصرُ الشبابِ مضى
وقد تعوضتُ عن كلٍّ بمشبهِهِ ... فما وجدتُ لأيام الصِّبا عِوَضا

وله أيضاً :

غدوتَ مريضَ العقلِ والدين فالقنى ... لتعلمَ أنباءَ الأُمورِ الصحائحِ

. . . الأبيات .

قرأت بخط عبد الله بن محمد بن سعيد بن سنان الخفاجي الشاعر في كتاب له ألفه في الصَّرْفَةِ زعم فيه أن القرآن لم يخرق العادةَ بالفصاحة حتى صار معجزةً للنبي ﷺ ، وأن كلَّ فصيح بليغ قادرٌ على الاتيان بمثله ، إلا أنهم صُرِفُوا عن ذلك ، لا أن يكونَ القرآنُ في نفسه مُعْجِزَ الفصاحة ، وهو مذهبُ الجماعة من المتكلمين والرافضة ، منهم بشر المرّيسيّ والمرتضى أبو القاسم ، قال في تضاعيفه : وقد حمل جماعةً من الأدباء قولُ أصحابنا أنه لا يمكن أحدٌ من المعارضة بعد زمان التحدّي على أن نظموا على أسلوب القرآن ، وأظهر ذلك قومٌ وأخفاه آخرون ، ومما ظهر منه قول أبي العلاء في بعض كلامه : أُقسم بخالق الخيل ، والريح الهابَّة بليل ، بين الشَّرَطِ ومطلع سهيل ، إنّ الكافرَ لطويلُ الويل ، وإنَّ العمرَ لمكفوفُ الذيل ، اتّقِ مدارجَ السيل ، وطالعِ التوبةَ من قُبَيْل ، تنجُ وما إخالك بناج . وقوله : أذلت العائذة أباها ، وأضاءت الوهدةُ رباها ، واللّٰه بكرمه اجتباها ، أَوْلاَها الشرفَ بما حَبَاها ، أرسل الشمالَ وَصَباها ، ولا يخاف عقباها .

وقال[1] :

ما جارَ شمَّاسُكَ في كلمةٍ[2] ... ولا يهوديُّكَ بالطامعِ
والطيلسانُ اشتق في لفظه ... من طُلْسَةِ المبتكرِ الخامعِ

(1) اللزوميات 2 : 143 .
(2) اللزوميات : في حكمه .

والقَسُّ خيرٌ لكَ فيما أرى   من خاطبٍ[1] يخطب في جامع

وله أيضاً[2] :

قالوا فلانٌ جيد فأجبتهم   لا تكذبوا[3] ما في البريةِ جيِّدُ
فغنيُّهُمْ نال الغناءَ ببخله   وفقيرهم بصلاتِهِ يتصيَّدُ[4]

والناس في أبي العلاء مختلفون ، فمنهم من يقول إنه كان زنديقاً وينسبون إليه أشياء مما ذكرناها ، ومنهم من يقول [كان] زاهداً عابداً متقللاً يأخذ نفسه بالرياضة والخشونة والقناعة باليسير والإعراض عن أعراض الدنيا . قال كمال الدين أبو القاسم عمر بن أبي جرادة[5] : قرأتُ بخطِّ أبي اليسر شاكر بن عبد الله بن سليمان المعري أن المستنصر صاحبَ مصر بذل لأبي العلاءِ ما في بيت المال بالمعرة من الحلالِ فلم يقبلْ منه شيئاً ، وقال[6] :

كأنَّما غانَـةُ لي من غنىً   فعدٌ عن مَعْدِنِ أسوانِ
سرتُ برغمي عن زمان الصِّبا   يُعْجِلني وقتي وأكواني
صدَّ أبي الطيب لما غدا   مُنْصَرِفاً عن شِعْبِ بَوَّان

وقال أيضاً[7] :

لا أطلب الأرزاق والـ   ـمولى يُفيضُ عليَّ رزقي
إنْ أُعْطَ بعضَ القوتِ أعـ   ـلمْ أنّ ذلك ضعفُ حقّي

(1) اللزوميات : من مسلم .
(2) اللزوميات 1 : 339 .
(3) اللزوميات : جيد لصديقه لا يكذبوا .
(4) رواية هذا البيت في اللزوميات :
فأميرهم نال الامارة بالخنا   وتقيهم بصلاته متصيد
(5) هو ابن العديم صاحب بغية الطلب والإنصاف والتحري .
(6) منها بيتان في تعريف القدماء : 578 (عن الإنصاف والتحري ؛ وانظر ص : 269 ـ 270 نقلاً عن الوافي) .
(7) تعريف القدماء : 269 (عن الوافي) 290 (عن نكت الهميان) 333 (عن بغية الوعاة) .

قال : وقرأت بخطِّ أبي اليسر المعري في ذكره : وكان رضي الله عنه يرمى من أهل الحسد له بالتعطيل ، وتعمل تلامذته وغيرهم على لسانه الأشعار يضمنونها أقاويل الملحدة قصداً لهلاكه وإيثاراً لاتلاف نفسه ، فقال رضي اللّه عنه(1) :

حاول إهوانيَ قومٌ فما ... واجهتهم إلا باهوانِ
يحرّشوني بسعاياتهم ... فغيَّروا نيةَ إخواني
لو استطاعوا لوشَوْا بي إلى الـ ... ـمريخ في الشُّهْبِ وكيوان

وقال أيضاً(2) :

غَرِيَت بذمّي أمةٌ ... وبحمدِ خالقها غَرِيتُ
وعبدتُ ربي ما استطعـ ... ـتُ ومن بريته بَرِيتُ
وفرتنيَ الجهال حا ... سدةً عليَّ وما فَرِيت
سَعَرُوا عليَّ فلم أُحـ ... ـسَّ وعندهم أني هريت

فهرست كتبه على ما نقلته من خط أحد مستملي أبي العلاء ، فقال : الذي أملاه أبو العلاء أحمد بن عبد اللّه بن سليمان التنوخي تجاوز الله عنه من الكتب على ضروب منها ما هو في الزهد ؛ وقرأت في نسخةٍ أخرى : فهرست كتبه ما صورته ، قال الشيخ أبو العلاء رضي اللّه عنه : لزمت مسكني منذ سنة أربعمائة ، واجتهدتُ على أن أتوفّر على تسبيح الله وتحميده إلاّ أن أضْطَرَّ إلى غيرِ ذلك ، فأمليتُ أشياء وتولّى نسخها الشيخ أبو الحسن علي بن عبد اللّه بن أبي هاشم ـ أحسن الله معونته ـ فألزمني بذلك حقوقاً جَمَّةً وأياديَ بيضاً ، لأنه أفنى فيَّ زمنه ولم يأخذْ عما صنع ثمنه ، فاللّه يحسن له الجزاءَ ، ويكفيه حوادثَ الزمنِ والأرزاء ، وهي على ضروبٍ مختلفة فمنها ما هو في الزهدِ والعظاتِ وتمجيد الله سبحانه وتعالى من المنظوم والمنثور ، فمن ذلك : الكتاب المعروف بالفصول والغايات ، والمراد بالغايات القوافي لأن القافيةَ غايةُ البيتِ أي منتهاه ، وهو كتابٌ موضوع على حروف المعجم ما خلا الألف ، لأن فواصله مبنيّة

(1) تعريف القدماء: 270 (عن الوافي) 578 (عن الإنصاف والتحري) .
(2) انظر التعليق السابق .

على أن يكونَ ما قبل الحرف المعتمد فيها ألف ، ومن المحال أن يُجمعَ بين أَلِفَيْنِ ولكن تجيء الهمزة وقبلها ألف مثل العطاء والكساء ، وكذلك الشراب والسراب في الباء ، ثم على هذا الترتيب ،.ولم يُعْتَمَدْ فيه أن تكونَ الحروفُ التي يُبْنَى عليها مستويةَ الإعراب بل تجيءُ مختلفةً ، وفي الكتاب قوافٍ تجيء على نَسَقٍ واحد وليست الملقبة بالغايات ، ومجيئها على قَرِيٍّ واحد مثلُ أن يقالَ عمامها وغلامها وغمامها ، وأمراً وتمراً ، وما أشبهه ، وفيه فنون كثيرة من هذا النوع (وقيل إنه بدأ بهذا الكتاب قبل رحلته إلى بغداد وأتمه بعد عوده إلى معرة النعمان ، وهو سبعة أجزاء ، وفي نسخة : مقداره مائة كراسة) . وكتاب السادن أنشأه في ذكرِ غريبِ هذا الكتاب وما فيه من اللغز ، مقداره عشرون كراسةً . وكتاب إقليد الغايات ، لطيفٌ مقصورٌ على تفسير اللغز مقداره عشر كراريس .

الكتاب المعروف بالأَيْكِ والغصون ، وهو كتاب الهمزة والردف [ومن] خطه : يُبنى على إحدى عشرة حالة : الهمزةُ في حال إفرادها وإضافتها ، ومثالُ ذلك السماءُ بالرفع ، السماءَ بالنصب ، السماءِ بالخفض ، سماء يتبع الهمزة التنوين، سماؤه مرفوع مضاف ، سماءَه منصوب مضاف ، سمائه مخفوض مضاف ، ثم يجيء سماؤها وسماءَها وسمائها على التأنيث ، ثم همزة بعدها هاء ساكنة مثل عباءَهْ وَمُلاءَهْ ، فإذا ضربت في حروف المعجم الثمانية والعشرين خرج من ذلك ثلاثمائة فصل وثمانية فصول وهي مستوفاة في كتابِ الهمزة والردف . وذكرتُ فيه الأرداف الأربعة بعد ذكر الألف : وهي الواو المضموم ما قبلها ، والواو التي قبلها فتحة [والياء المكسور ما قبلها ، والياء التي قبلها فتحة] ويذكر لكل جنس من هذه أحد عشر وجهاً كما ذكر للألف .

ومن غير خطّه : وهو في العظات وذمّ الدنيا ، وهو اثنان وتسعون جزءاً نسخة أخرى . ويكون مقدار هذا الكتاب ألف ومائتا كراسة .

ومن خطه : والكتاب المعروف بتضمين الآي ، وهو كتابٌ مختلفُ الفصول ؛ فمنه طائفةٌ على حروف المعجم ، وقبل الحرف المعتمد ألف ، مثل أن يقال في الهمزة بناء ونساء ، وفي الباء ثياب وعباب ثم على هذا إلى آخر الحروف . ومنه فصول كثيرة على فاعلين مثل باسطين وقاسطين ، وعلى فاعلون مثل حامدون وعابدون ، وفيه ما هو

على غير هذا الفن ، والغرض أن يأتيَ بعد انقضاء الكلام آية من الكتاب العزيز مثل قوله : ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾ وربما اقتصر على بعض الآية أو جيء بآيتين وأكثر منهما إذا كانت الآيات من ذوات القصر كآيات عَبَسَ ونحوها ، ومقدار هذا الكتاب أربعمائة كراسة . وكان السبب في تأليف هذا الكتاب أن بعضَ الأمراء سأله أن يؤلف كتاباً برسمه ، ولم يؤثر أن يؤلف شيئاً في غير العظاتِ والحثِّ على تقوى اللّه فأملى هذا الكتاب .

كتاب تفسير الهمزة والردف جزء .

كتاب سيف الخطبة جزءان يشتمل على خُطَبِ السنة ، فيه خُطَبٌ للجُمع والعيدين والخسوف والكسوف والاستسقاء وعقد النكاح ، وهي مؤلفةٌ على حروفٍ من حروف المعجم فيها خُطَبٌ عمادها الهمزة ، وخطبٌ بنيت على الباء ، وخطبٌ على الدال وعلى الراء وعلى اللام وعلى الميم وعلى النون ، وتركت الجيم والحاء وما يجري مجراها لأن الكلام المقول في الجماعات ينبغي أن يكون سجسجاً سهلاً ، ومقداره أربعون كراسة ، وكان سأله في هذا الكتاب رجلٌ من المتظاهرين بالديانة فصنّف له .

كتاب نشر شواهد الجمهرة ولم يتمّ ، ثلاثة أجزاء . كتاب دعاء وحرز الخيل . كتاب مجد الأنصار في القوافي .

كتاب تاج الحرة في عظاتِ النساء خاصة ، وتختلف فصوله : فمنها ما يجيء بعد حرفه الذي يثبت ثباتَ الرويّ ياء التأنيث ، كقوله : شائي وتشائي وتسائي وهابي وترابي ، ومنه ما هو مبنيّ على الكاف نحو غلامك وكلامك ، وفيها ما يجيء على تَفْعَلِين مثل ترغبين وتذهبين ، وأنواعه كثيرة فيكون هذا الكتاب نحو أربعمائة كراسة .

كتاب يعرف بدعاء ساعة . وكتاب آخر يعرف بوقفة الواعظ .

كتاب يعرف بسجع الحمائم يتكلم فيه على ألسنِ حمائم أربع ، وكان بعض الرؤساء سأله أن يصنّفَ له تصنيفاً يذكُرُهُ فيه فأنشأ هذا الكتابَ وجعل ما يقوله على لسانِ الحمامة في العظة والحثِّ على الزهد ، قال غيره : هو أربعة أجزاء مقداره ثلاثون كراسة .

كتاب يعرف بلزوم ما لا يلزم ، وهو في المنظوم بني على حروف المعجم ،

يذكر كل حرفٍ سوى الألف بوجوهه الأربعة وهي الضمة والفتحة والكسرة والوقف . ومعنى لزوم ما لا يلزم أن القافية يُرَدَّدُ فيها حرفٌ لو غيّر لم يكن مخلاً بالنظم ، كما قال كثير :

خليليَّ هـذا ربـع عزَّةَ فـاعقــلا　　　قلوصيكمـا ثم انـزلا حيثُ حلَّتِ

فلزم اللام قبل التاء ، وذلك لا يلزمه ، ولم يفعل كما فعل الشنفرى في قصيدته التي على التاء لأنه لم يلزم فيها إلا حرفاً واحداً ، ولكنه خالف بين الحروف التي قبل الروي فقال :

أرى أم عمـرو أزمعتْ فـاستقلَّتِ　　　ومـا ودَّعَتْ جيـرانهـا يـومَ ولَّتِ

وقال فيها :

بـريحانـةٍ من نبتِ حليـةَ نَـوَّرَتْ　　　لهـا أَرَجٌ ما حـولهـا غيـرُ مُسْنِتِ

وقال فيها :

لهـا وفضةٌ فيهـا ثلاثـون سيحفـاً　　　إذا آنستْ أولى العَدِيِّ اقشعرَّتِ

ومن غير خطه : وهو ثلاثة أجزاء أو أربعمائة وعشرون كراسة ، يحتوي على أحد عشر ألف بيت من الشعر .

وكتاب زجر النابح يتعلق بلزوم ما لا يلزم ، وذلك أن بعضَ الجهال تكلَّم على أبياتٍ من لزوم ما لا يلزم يريد بها التشريرَ والأذيَّة ، فألزم أبا العلاء أصدقاؤه أن ينشيء هذا ، فأنشأ هذا الكتاب وهو كاره .

ومن غير خطه : وهو شرح اللزوم ، وهو جزء واحد مقداره أربعون كراسة .

كتاب يتعلق بزجر النابح سماه نجر الزجر . كتاب ملقى السبيل صغير فيه نظم ونثر . كتاب الجلي والحلي ، سأله فيه صديقٌ له من أهل حلب يعرف بابن الحلي مجلد واحد أو عشرون كراسة .

ومن غير هذا الجنس : كتاب لطيف فيه شعر قيل في الدهر الأول يعرف بكتاب سقط الزند وأبياته ثلاثة آلاف بيت .

كتاب يعرف بجامع الأوزان ، فيه شعر منظومٌ على معنى اللغز يعمُّ به الأوزانَ الخمسة عشر التي ذكرها الخليل بجميع ضروبها ويذكر قوافيَ كلِّ ضرب من ذلك .

مثاله أن يقال للضرب الأولى من الطويل أربع قوافٍ : المطلقة المجردة مثل قول القائل :

ألا يا أسلمي يا هندُ هندَ بني بدرٍ وإن كان حيّانا عدىً آخر الدهرِ

والقافية المردفة مثل قول امرىء القيس :

ألا آنعم صباحاً أيها الطللُ البالي

والمقيدة المجردة وذلك مفقود في الشعر القديم والمحدث ، وربما جاء به المحدثون على النحو الذي يسمّى مقصوراً كما قال بعض الناس وهو في السجن ، هو صالح بن عبد القدوس :

إلى اللّه أشكو إنه موضعُ الشكوَى وفي يده كشفُ المصيبةِ والبلوى
خرجنا من الدنيا ونحن من آهلها فما نحن بالأحياءِ فيها ولا الموتى
إذا ما أتانا مخبرٌ عن حديثها فرحنا وقلنا جاءَ هذا من الدنيا
وتُعْجبنا الرؤيا فجلُّ حديثنا إذا نحن أصبحنا الحديثُ عن الرؤيا
فإن حَسُنَتْ لم تأتِ عَجْلَى وأبطأت وان قَبُحَتْ لم تحتبسْ وأتت عجلى

والقافية المقيدة المؤسسة مثل أن يكون العادلْ والقائلْ ، وذلك مرفوض متروك ، ثم على هذا النحو إلى آخر الكتاب ، ومقداره ستون كراسة ، ويكون عدد أبيات شعره نحو تسعة الآف بيت ، وهو ثلاثة أجزاء .

كتاب يعرف بالسجع السلطاني يشتمل على مخاطبات للجنود والوزراء وغيرهم من الولاة ، وكان بعض من خَدَمَ السلطانَ وارتفعت طبقته ولا قَدَمَ له في الكتبة فسأل أن يُنْشأ له كتاب مسجوع من أوله إلى آخره ، وهو لا يشعر بما يريد لقلة خبرته بالأدب فألَّفَ له هذا الكتاب ، وهو أربعة أجزاء .

وكتاب يعرف بسجع الفقيه جزء ، ثلاثون كراسة .

وكتاب لطيف يعرف بسجع المضطرين عمله لرجلٍ مسافر يستعينُ به على أمور دنياه .

وكتاب مختصر يعرف بذكرى حبيب ، في غريب شعر أبي تمام ، سأل فيه صديقٌ لأبي العلاء من الكتّاب ، وهو أربعة أجزاء ، ستون كراسة .

وهذه الكتب المسؤول في تأليفها إنما تكلفهـا مؤلفها من فـرط الحياء ، وهـو لتأليفها كاره .

وكتاب عبث الوليد فيما يتصل بشعر البحتـريّ ، وكان سبب إنشـائه أن بعض الرؤساء أنفذ نسخةً ليقابَلَ له بها ، فأثبت ما جرى من الغلط ليعرض ذلك عليه ، وهو جزء واحد ، عشرون كراسة .

وكتاب يعرف بالرياشي المصطنعي في شرح مواضع من الحماسة الرياشيّة عُمِلَ لرجل يلقب بمصطنَع الدولة ويخاطب بالإمرة ، واسمه كليب بن علي ، ويكنى أبـا غالب ، أنفذ نسخة من الحماسة الرياشية وسأل أن يخرِّج في حواشيها أشياء لم يذكرها أبو رياش مما يحتاج إلى تفسيره ، فخشي أن تضيق الحواشي عن ذلك ، فصنع هذا الكتاب ، وجمع فيه ما سنح مما لم يُفَسِّرْهُ أبو رياش ، أربعون كراسة .

وكتاب يعرف بشرف السيف ، عمل للرجـل الذي كـان مقيماً بـدمشق ، وهو المعروف بنشتكين الدزبري ، وكان السبب في عمله أنه كان يوجه إلى أبي العـلاء بالسلام ويحفي المسألة عنه ، فأراد جزاءه على ما فعل ، جزءان .

وكتاب يعرف بتعليق الجليس مما يتصل بكتـاب أبي القاسم عبـد الرحمن بن إسحاق الزجاجي المعروف بالجُمل ، جزء .

وكتاب إسعاف الصديق ثلاثة أجزاءٍ يتعلّق بالجمل أيضاً .

وكتاب قاضي الحق يتصل بالكتـاب المعروف بـالكافي الـذي ألفه أبـو جعفر النحاس .

وكتاب الحقير النافع مختصر في النحو خمس كراريس . وكتابٌ يتصـل به ، يعرف بالطل الطاهري ، أنشىء لرجل يعرف بأبي طاهر ، حلبي .

وكتاب المختصر الفتحي يتصل بكتاب محمد بن سعدان ، صنعه لرجل يكنى أبا الفتح محمد بن علي بن أبي هاشم ، وكان أبو هذا الرجل تولَّى إثبات ما ألفه أبو العلاء من جميع هذه الكتب ، فألزمه بذلك حقوقاً جمةً وأيادي بيضاً .

وكتاب في الرسائل الطوال فيها رسالة الغفران[1] .

---

(1) سيأتي الحديث عن الرسائل ولهذا يعد هذا المذكور هنا دخيلاً .

وكتاب سميته « خطب الخيل » يتكلم على ألسنتها ، ومقداره عشر كراريس .

كتاب يعرف بخطبة الفصيح يتكلَّم فيه على أبواب الفصيح مقداره خمس عشرة كراسة . وكتاب شرح فيه ما جاء في الذي قبله من الغريب يعرف بتفسير خطبة الفصيح .

وكتاب رسيل الراموز نحو ثلاثين كراسة . وكتاب راحة اللزوم ويشرح فيه ما في كتاب لزوم ما لا يلزم من الغريب نحو مائة كراسة .

وكتاب لطيف يعرف بخماسية الراح في ذم الخمر ، ومعنى هذا الوسم أنه بني على حروف المعجم ، فذكر لكل حرف تمكن حركتُه خمسَ سجعات مضمومات ، وخمساً مفتوحات ، وخمساً مكسورات ، وخمساً موقوفات ، يكون مقداره عشر كراريس .

وكتاب المواعظ البت ، وهو لطيف ، ومعنى هذا التلقيب أن الفصلَ الأول منه في خطاب رجل ، والثاني في خطاب اثنين ، والثالث في خطاب جماعة ، والرابع في خطاب امرأة ، والخامس في خطاب امرأتين ، والسادس في خطاب نسوة ، نحو خمس عشرة كراسة .

كتاب ضوء السقط ، تفسير غريب سقط الزند ، مقداره عشرون كراسة .

وكتاب الصاهل والشاحج يتكلم فيه على لسان فرس وبغل ، مقداره أربعون كراسة ، صنفه لأبي شجاع فاتك الملقب بعزيز الدولة والي حلب من قبل المصريين وكان رومياً .

كتاب لسان الصاهل والشاحج في تفسير الكتاب الذي قبله .

كتاب القائف على معنى كليلة ودمنة ، ألفت منه أربعة أجزاء ثم انقطع تأليفه لموت من أمر بعمله وهو عزيز الدولة فاتك المقدم ذكره ، ومقداره ستون كراسة .

وكتاب منار القائف في تفسير الكتاب الذي قبله فيما جاء فيه من اللغز والغريب ، عشر كراريس . كتاب دعاء الأيام السبعة .

وكتاب رسالة على لسان ملك الموت عليه السلام .

وكتاب بعض فضائل أمير المؤمنين علي بن أبي طالب كرم الله وجهه .

وكتاب رسالة العصفورين .

وكتاب السجعات العشر ، موضوع على كل حرف من حروف المعجم عشر سجعات في المواعظ .

كتاب شرح سيبويه لم يتمّ ، مقداره خمسون كراسة .

كتاب يتصل بكتاب الزجاجيّ يعرف بِعَوْنِ الجمل ، عمل أيضاً لابي الفتح محمد بن علي بن أبي هاشم المذكور آنفاً ، وهو آخر شيء أملاه .

وكتاب في النحو يتصل بالكتاب المعروف بالعضدي ولقبه « ظهير العضدي » .

وكتاب ديوان الرسائل وهو ثلاثة أقسام : الأوّل رسائل طوال تجري مجرى الكتب المصنفة مثل كتاب « رسالة الملائكة » وكتاب « الرسالة السندية » جزء ، وكتاب « رسالة الغفران » جزء ، وكتاب « رسالة الفرض » جزء ونحو ذلك . والثاني : رسائل دون هذه في الطول مثل كتاب رسالة المنيح . وكتاب رسالة الأغريض . والثالث : كتاب الرسائل القصار كنحو ما تجري به العادة في المكاتبة ، قيل إنه أربعون جزءاً ، وقيل إنه ثمانمائة كراسة .

وكتاب خادم الرسائل في تفسير ما تضمَّنَتْهُ هذه الرسائل مما يحتاج إليه المبتدئون في الأدب .

كتاب تظلم السور . وكتاب عظات السور . وكتاب الراحلة ثلاثة أجزاء في تفسير كتاب لزوم ما لا يلزم .

وكتاب في المنظوم يعرف بكتاب استغفر واستغفري ، مقداره مائة وعشرون كراسة ، فيه نحو من عشرة آلاف بيت .

وكتاب يعرف بالرسالة الحضية . وكتاب رسائل المعونة وهي ما كتبت على ألسن قوم . وكتاب مثقال النظم في العروض ، جزء .

وكتاب اللامع العزيزي في تفسير شعر المتنبي عمل للأمير عزيز الدولة وغرسها ابن تاج الأمراء أبي الدوام ثابت بن ثمال بن صالح بن مرداس بن إدريس بن نصر بن حميد بن شداد بن عبد قيس بن ربيعة بن كعب بن عبد اللّه بن أبي بكر بن كلاب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة ويقال له أيضاً « الثابتي العزيزي » مقداره مائة وعشرون كراسة .

هذا ما وجدناه وأثبتناه عن جماعة من أصحاب أبي العلاء . قالوا : وله بعض

كتب في العروض والشعر بدأ بها ولم تتمّ أو تمتْ وشذَّ عنّا أسماؤها .

ومن شعره الدالّ على سوءِ عقيدته من لزوم ما لا يلزم[1] :

ألا فانعموا واحذروا في الحياة ... ملمّاً يسمَّى زوالَ النعمْ
أتوكم بأقوالهم[2] والحسام ... فشدَّ به زاعم ما زعمْ
تلوا باطلاً وَجَلَوْا صارماً ... وقالوا صدقنا فقلنا[3] نعمْ
زخارفُ ما ثبتتْ في القلوبِ[4] ... عمًّى عليكم بهنَّ المعمْ

ومن ذلك أيضاً[5] :

فقد طال العناءُ فكم تعاني ... سطوراً عاد كاتبها بِطَمْسِ
دعا موسى وزال وقام عيسى ... وجاء محمدٌ بصلاة خمسِ
وقيل يجيء دينٌ غيرُ هذا ... فأودى الناسُ بين غدٍ وأمسِ
إذا قلتُ المحالَ رفعتُ صوتي ... وان قلتُ اليقينَ أطلتُ همسي

ومن ذلك أيضاً[6] :

وجدتُ الشرعَ تُخْلِقُهُ الليالي ... كما خَلُقَ الرداءُ الشرعبيُّ
هي العاداتُ يجري الشيخ منها ... على شِيَمٍ تعوَّدها الصبيُّ
وأشوى الحقَّ غاوٍ مشرقي ... ولم يُرْزَقْهُ آخرُ مغربيّ
فذا عُمَرٌ يقول وذا سواه ... كلا الرجلين في الدعوى غبيُّ

ومن ذلك أيضاً :

إذا ما ذكرنا آدماً وفعاله ... وتزويجَهُ بنتيه لابنيه في الدنا
علمنا بأن الخلقَ من أصل ريبة ... وأنَّ جميعَ الناسِ من عُنْصُرِ الزنا

---

(1) اللزوميات 2 : 490 (صادر) .

(2) اللزوميات : باقبالهم .

(3) اللزوميات : فقلتم .

(4) اللزوميات : في العقول .

(5) اللزوميات 2 : 55 .

(6) اللزوميات 2 : 641 .

وقال في « رسالة الغفران »[1] ولما أجلى عمر بن الخطاب أهلَ الذمةِ عن جزيرة العرب شقَّ ذلك على الجالين ، فيقال إن رجلاً من يهود خيبر يعرف بسمير بن أدكن قال في ذلك :

يصولُ أبو حَفْصٍ علينا بدرَّةٍ ... رويدَكَ إنَّ المرءَ يطفو ويرسبُ
كأنك لم تتبعْ حَمُولةَ مأقطٍ ... لتشبعَ إنَّ الزاد شيءٌ محبّبُ
فلو كان موسى صادقاً ما ظهرتمُ ... علينا ولكنْ دولة ثم تذهبُ
ونحن سبقناكم إلى المينِ فاعرفوا ... لنا رتبةَ البادي الذي هو أكذبُ
مشيتمْ على آثارنا في طريقنا ... وبغيتُكُمْ في أن تسودوا وتُرْهَبوا

وهذا يشبه أن يكون شعره قد نحله هذا اليهودي ، أو أن إيراده لمثل هذا واستلذاذه به من أمارات سوء عقيدته وقبح مذهبه .

ومن أشعاره الدالة على سوء اعتقاده قوله في لزوم ما لا يلزم أيضاً[2] :

وهيهات البريةُ في ضلالٍ ... وقد نظر اللبيبُ لما اعتراها
تقدَّم صاحبُ التوراةِ موسى ... وأوقع في الخسارِ من اقتراها[3]
فقال رجاله وحيٌ أتاه ... وقال الناظرون بل افتراها
وما حجّي إلى أحجار بيتٍ ... كؤوسُ الخمرِ تُشْرَبُ في ذَراها
إذا رجع الحليمُ إلى حجاه ... تهاونَ بالمذاهبِ وازدراها

ومنها أيضاً[4] :

خذِ المرآة واستخبرْ نجوماً ... تُمِرُّ بمطعم الأَرْيِ المَشُورِ
تدلُّ على الممات بلا ارتيابٍ ... ولكنْ لا تدلُّ على النشورِ

---

(1) رسالة الغفران : 433 ـ 434 .
(2) اللزوميات : 622 .
(3) اقتراها : تتبعها .
(4) اللزوميات 1 : 556 (صادر) (1 : 392) .

ومنها أيضاً[1] :

هفت الحنيفة والنصارى ما اهتَدُوا ويهـودُ حارتْ والمجـوسُ مُضَلَّلَهْ
اثنان أهلُ الأرضِ ذو عقلٍ بلا دينٍ وآخـرُ دَيِّنٌ لا عـقـلَ لـه

ومنها أيضاً[2] :

إن الشـرائعَ ألقتْ بيننـا إحَنـاً وأورثـتنـا أفـانـينَ الـعـدَاواتِ
وما أُبيحت نساءُ الرومِ عن عُرُضٍ لِلْعُـرْبِ إلا بـأحكـامِ النبـواتِ

ومنها أيضاً[3] :

تنـاقضٌ مـالنـا إلا السكـوتُ لـه وأن نعـوذَ بمـولانـا من النـارِ
يـدٌ بخمس مئينٍ عسجداً فُـدِيَتْ مـا بالهـا قُطِعَتْ في ربـع دينـار

قال المؤلف : كأنَّ المعري حمارٌ لا يفقه شيئاً ، وإلا فالمراد بهذا بيّن : لو كانت اليد لا تقطع إلا في سرقة خمسمائة دينار لكثر سرقة ما دونها طمعاً في النجاة ، ولو كانت اليد تُفْدى بربع دينار لكثر من يقطعها ويؤدّي ربع دينار ديةً عنها ، نعوذ باللّه من الضلال .

ومنها أيضاً[4] :

ضحكنا وكان الضحكُ منا سفاهةً وحقّ لسكـان البسيـطة أن يبكـوا
تُحَـطّمنـا الأيـام حتى كـأننـا زجـاجٌ ولكن لا يعـاد لنـا سبك

ومما يدل على كفره تصريحاً قوله[5] :

عقـولٌ يستخفُّ بهـا سـطورُ ولا يـدري الفتى لِمـن الثبـورُ
كتـابُ محمـدٍ وكتـابُ مـوسى وإنجيـلُ ابنِ مـريمَ والـزبـور

---

(1) اللزوميات 2 : 301 (صادر) (2 : 201) .
(2) اللزوميات 1 : 228 (صادر) 1 : 186 .
(3) اللزوميات 1 : 544 (صادر) 1 : 286 .
(4) قد مرَّ البيتان .
(5) اللزوميات 1 : 324 .

ومن ذلك أيضاً :

صَرْفُ الزمانِ مُفَرِّقُ الإلفين ... فاحكم إلهي بين ذاك وبيني
أنهيتَ عن قتلِ النفوسِ تعمداً ... وبعثتَ أنت لقتلها ملكين
وزعمتَ أن لها معاداً ثانياً ... ما كان أغناها عن الحالين

ومن ذلك أيضاً :

إذا كان لا يحظى برزقك عاقلٌ ... وترزقُ مجنوناً وترزقُ أحمقا
فلا ذنبَ يا ربَّ السماءِ على امرئٍ ... رأى منك ما لا يشتهي فتزندقا

ومن ذلك أيضاً قوله(1) :

في كل أمرِكَ تقليدٌ تدينُ به ... حتى مقالك ربي واحدٌ أَحَدُ
وقد أمرنا بفكر في بدائعه ... فانْ تفكَّرَ فيه معشر لحدوا

[ومن ذلك أيضاً](2) :

لولا التنافس في الدنيا لما وُضِعَتْ ... كتبُ التناظرِ لا المغني ولا العُمَدُ(3)

ومن ذلك أيضاً قوله(4) :

قلتم لنا خالقٌ قديمُ ... صدقتمُ هكذا نقولُ
زعمتموه بلا زمانٍ ... ولا مكان ألا فقولوا
هذا كلام له خبيءٌ ... معناه ليست لكم عقول

ومن ذلك أيضاً قوله(5) :

دينٌ وكفرٌ وأنباء تقالُ وَفُرْ ... قانٌ يُنَصُّ وتوراةٌ وإنجيلُ
في كلِّ جيل أباطيلٌ ملفَّقةٌ ... فهل تفرَّد يوماً بالهدى جيل

---

(1) اللزوميات 1 : 252 .
(2) اللزوميات 1 : 249 (1 : 321 صادر) .
(3) المغني للقاضي عبد الجبار وكذلك العمد .
(4) اللزوميات 2 : 179 (2 : 270 صادر) .
(5) اللزوميات 2 : 177 (2 : 268 صادر) .

ومن ذلك أيضاً[1] :

الحمدُ للّه قد أصبحتُ في لججٍ مكابداً من همومِ الدهر قاموسا
قالتْ معاشرُ لم يَبْعَثْ إلاهكمُ إلى البريةِ عيساها ولا موسى
وإنما جعلوا الرحمن مأكلةً وصيروا دينهم للملك ناموسا
ولو قدرتُ لعاقبتُ الذين بَغَوْا حتى يعودَ حليفُ الغيِّ مرموسا

ومن ذلك أيضاً قوله :

ولا تحسبْ مقالَ الرسلِ حَقّاً ولكنْ قولُ زورٍ سَطَّروه
وكان الناسُ في عيش رغيدٍ فجاؤوا بالمحال فكدَّروه

قال المؤلف : نقلتُ هذا كلَّه من تاريخ غرس النعمة محمد بن هلال بن المحسن الصابي ، وحمدتُ اللّه تعالى على ما ألهم من صحة الدين وصلاح اليقين ، واستعذت به من استيلاء الشيطان على العقول .

قرأت في كتاب «فلك المعاني» : إن كثيراً من الجهّال يعدّ الموت ظلماً من الباريء عز وجل ويستقبحه بما فيه من النعمة والحكمة والراحة والمصلحة ، وقد قال أبو العلاء أحمد بن عبد الله بن سليمان المعري مع تحذلُقِهِ ودعواهُ الطويلةِ العريضةِ وشهرةِ نفسه بالحكمة ومظاهرته :

ونهيتَ عن قتلِ النفوسِ تعمُّداً وبعثتَ أنتَ لقتلها ملكينِ
وزعمتَ أن لنا معاداً ثانياً ما كان أغناها عن الحالين

وهذا كلامُ مجنونٍ معتوه يعتقد أنَّ القتل كالموت والموت كالقتل ، فليت هذا الجاهل لما حُرِمَ الشَّرْعَ وَبَرْدَهُ ، والحقَّ وحلاوته ، والهدى ونوره ، واليقينَ وراحته ، لم يدَّعِ ما هو بريءٌ منه بعيد عنه ، ولم يقل :

غدوتَ مريضَ العقلِ والرأي فالقني لِتُخْبَرَ أنباءَ العقولِ الصحائحِ

حتى سلَّط اللّه عليه أبا نصر بن أبي عمران داعي الدعاة بمصر فقال له : أنا ذلك

(1) اللزوميات 2 : 22 (2 : 34 صادر) .

المريضُ رأياً وعقلاً ، وقد أتيتك مستشفياً فاشفني ، وجرت بينهما مكاتباتٌ كثيرةٌ أمر في آخرها بإحضاره حلب ، ووعده على الإسلام خيراً من بيت المال ، فلما علم أبو العلاء أنه يحمل للقتل أو الإسلام سَمَّ نفسه ومات ، وليته لما ادَّعى العقلَ خَرِسَ ولم يقل مثل هذه الترهات التي يخلد إليها من لا حاجة للّه تعالى فيه .

قال المؤلف : لما وقفتُ على هذه القصةِ اشتهيتُ أن أقفَ على صورةِ ما دار بينهما على وجهه حتى ظفرتُ بمجلَّدٍ لطيف وفيه عدّةُ رسائلَ من أبي نصر هبة اللّه بن موسى بن أبي عمران إلى المعري في هذا المعنى[1] ، انقطع الخطابُ بينهما على المساكتة ، ولم يذكرْ فيها ما يدلُّ على ما ذهب إليه ابن الهبارية من سَمِّ المعريّ نفسه . وَنَقْلُهَا على الوجهِ يطولُ فَلَخَّصْتُ منها الغرضَ دون تفاصحِ المعرّي وتشدُّقه .

1 ـ كتب ابن أبي عمران إليه :

الشيخ ـ أحسن اللّه توفيقه ـ الناطقُ بلسانِ الفضل والأدب ، الذي ترك من عَداهُ صامتاً ، مشهودٌ له بهذه الفضيلة من كلِّ مَنْ هو فوق البسيطة . غير أن الأَدَب الذي هو جالينوسُ طِبِّه ، وعنده مفاتحُ غيبه ، ليس مما يفيده كبيرَ فائدةٍ في معاشه أو معاده سوى الذكرِ السائرِ به الركبان ، مما هو إذا تسامع المذكور به علم أنه له بمكانهِ الجمال والزينة ما دام حياً ، فإذا رَمَتْ به يدُ المنون من ظهر الأرضِ إلى بطنها فلا بِحُسْنِ ذكره يَنْتَفع ، ولا بقبحه يستضرّ . وإذ كانت الصورة هذه كان مستحيلاً منه ـ أيده اللّه ـ مع وفورِ عقله أن جعلَ موادَّه كلَّها منصبّة إلى إحكام اللغة العربية والتقعّر فيها ، واستيفاءِ أقسام ألفاظها ومعانيها ، ووفر عمره على ما لا نتيجةَ لها منها ، وترك نفسَه المتوقدةَ نارُ ذكائها خِلْواً من النظرِ في شأن معادِهِ وأن يمتار من علمه ما هو أنفع ، فيمكثُ إذا ذهب الزبدُ جُفاءً من غيره ، فإذا هو حرسه الله بمقتضى هذا الحكم مرتوٍ من عَذْبِ مَشْرَبِ هذا العلم ، وإنما ليس يبوح به لضربٍ من ضروب السياسة .

والدليل على كونه ناظراً لمعاده سلوكُهُ سبيل [شظف] العيشِ والتزهد ، وعدولُهُ عن الملاذِّ من المأكولِ والمشروبِ والملبوس ، وتعفّفُهُ عن أن يجعلَ جَوْفَهُ للحيوانِ

(1) طبعت هذه الرسائل غير مرة ، وقد قمت بتحقيقها في الجزء الأول من رسائل أبي العلاء ، بيروت 1982 (ص : 99 وما بعدها) .

مدفناً ، أو أن يذوقَ من دَرِّها لبناً ، أو يستطعمَ من [طعام] استُكِدَّتْ عليه في حَرْثِهِ وإنشائه ، وهذه طريقةُ مَنْ يعتقد أنه إذا آلمها جوزي بألمها ، وهذا غايةٌ في الزهد .

ولما رأيتُ ذلك وسمعتُ داعيةَ البيتِ الذي يُعْزَى إليه وهو :

غدوتَ مريضَ الدينِ والعقلِ فالقني لتعلمَ أنبــاءَ الأُمـورِ الصحــائــح

شددتُ إليه راحلةَ العليل في دينه وعقله إلى الصحيح الذي ينبئني أنباءَ الأمور الصحائح . وأنا أولُ ملبٍّ لدعوته معترفٍ بخبرته ، وهو حقيقٌ أن لا يوطئني العَشْـوَةَ فيسلكَ بي في المجاهل ، ولا يعتمدَ فيما يورده تلبيسَ الحقِّ بالباطل .

وأوّل سؤالي عن أمـرٍ خفيفٍ فـإن استنشقتُ نسيمَ الشفـاءِ سقتُ السؤالَ إلى المهمّ: أسأله عن العلّة في تحريمه على نفسه اللحمَ واللبنَ وكلَّ ما صدر إلى الوجود من منافع الحيوان فأقول : أليس النباتُ موضوعاً للحيوان يمتار منه ، وبوجوده وجودُهُ ، وبقوةٍ في الحيوان حساسةٍ ما استولى على الانتفاع بالنبات ؟ ولو لم يكن الحيوانُ لكان موضوعُ النباتِ باطلاً لا معنى له ، وعلى هذه القضية فإن القوةَ الإنسانية مستوليةٌ على الحيوان استيلاءَ الحيوانِ على النبات لرجحانها عليه بالنطق والعقل ، فهي مسخَّرةٌ له على أنواعٍ من التسخير ولولا ذلك لكان موضـوعُ الحيوانِ بـاطلاً . فتجـافي الشيخ ـ وفقه اللّهً ـ عن الانتفاع بما هو موضوعٌ له مخلوقٌ لأجله إبطالٌ لتركيب الخلقة . ثم امتناعه من أكل الحيوان ليس يخلو القصدُ به من أحد أمرين . إما أنه تأخذُهُ رأفةٌ بها فلا يرى تناولها بالمكروه ، وما ينبغي له أن يكونَ أرأفَ بها من خالقهـا ، فإذا ادَّعى أنَّ تحليلها وتحريمها إنما كان من بعضِ البشر ، يعني به أصحابَ الشرائع ، وأن اللّه لم يُبِحْ إراقةَ دمِ حيوان وأكله ، كان الدليلُ على بطلانِ قولـه وقوعَ المشـاهدةِ لجنسِ السباع وجوارح الطير التي خلقها اللّه سبحانه على صيغةٍ لا تَصْلُحُ إلا لنتشِ اللحوم وفسخها ، وتمزيقِ الحيوانات وأكلها . وإذا كان هذا الشكلُ قائمَ العينِ في الفطرة كان جنسُ البشرِ وسيعَ العذرِ في أكلِ اللحوم ، وكان مَنْ أحلَّ لهم ذلك محقاً . والثاني أنه يرى سفكَ دماءِ الحيوان خارجاً عن أوضاع الحكمة ، وذلك اعتراضٌ منه على خالقه الذي أوجده ، وإذا أنعم الشيخُ وساق إليَّ حجةً أعتمدها رجوتُ كَشْفَ المرضِ الذي وقع اعترافي به .

2 ـ الجواب من أبي العلاء المعري إليه :

قال العبد الضعيف العاجز أحمد بن عبد الله بن سليمان : أولُ ما أبدأ به أني أعدُّ سيدنا الرئيسَ الأجلَّ المؤيدَ في الدين ـ أطال الله بقاءه ـ ممن ورث حكمةَ الأنبياء ، وأعدُّ نفسي الخاطئةَ من الأغبياء . وهو بكتابه إليّ متواضع ، ومن أنا حتى يكتبَ مثلُهُ إلى مثلي ؟! مَثَله في ذلك مَثَلُ الثريا كتبت إلى الثرى . وقد علم اللّه أن سمعي ثقيل ، وبصري عن الابصار نقيل[1] . قُضِيَ عليَّ وأنا ابنُ أربع ، لا أفرقُ بين البازلِ والرُّبع[2] ، ثم توالت محني ، فأشبه شَخْصي العودَ المنحني ، ومنيتُ في آخر عمري بالإقعاد ، وعداني عن النهضةِ عاد .

وأما ما ذكره سيدنا الرئيس الأجلُّ المؤيدُ في الدين فالعبدُ الضعيفُ العاجز يذكر له مما عاناه طرفاً فأقول : إنَّ اللّه جَلَّتْ عظمتُهُ حَكَمَ عليَّ بالإزهاد ، فطفقتُ من العُدْمِ في جهاد . وأما قول العبد الضعيف العاجز :

غدوتَ مريضَ العقلِ والدينِ فالقني

فإنما خاطبَ به من هو في غمرةِ الجهل ، لا مَنْ هو للرياسة عَلَمٌ وأصل ، وقد علم أنّ الحيوانَ كلَّه حساسٌ يقعُ به الألم ، وقد سمع العبدُ الضعيف [شيئاً] من اختلافِ القدماء ، وأولُ ما يبدأ به لو أن قائلاً من البشر قال : إذا بنينا القضيةَ البتّية المركَبة من المسند والمسند إليه ، ولها واسطتان إحداهما نافية والأخرى استثنائية ، فقلنا : الله لا يفعل إلا الخير ، أفهذه القضيةُ كاذبة أم صادقة ؟ فإن قيل إنها صادقة فقد رأينا الشرورَ غالبة ، فعلمنا أنَّ ذلك أمرٌ خفي . ولم يزلْ من يُنْسَبُ إلى الدين يرغبُ في هجرانِ اللحوم لأنها لم يُوصَلْ إليها إلا بإيلام حيوان ، يفرُّ منه في كلِّ أوان ، وأن الضائنة تكونُ في محلِّ القوم وهي حامل ، فإذا وضعتْ وبلغ ولدها شهراً أو نحوه اعتبطوه فأكلوه ، ورغبوا في اللبن ، وباتت أمه ثاغيةً ، لو تقدر سَعَتْ له باغية . وقد

(1) رسائل المعري : كليل : والنقيل : الغريب .

(2) البازل : الجمل إذا استكمل الثامنة ، والربع : الفصيل الذي ينتج في الربيع .

تردَّد في كلام العرب ما يلحقُ الوحشيةَ من الوجدِ والناقةَ إذا فقدت الفصيل ، فقال قائلهم[1] :

فما وجدت كوجدي أمُّ سَقْبٍ أضلَّتْهُ فرجَّعتِ الحنينا

وللسائل أن يقول : إنْ كان الخير لا يريد ربُّنا سواه ، فالشرُّ لا يخلو من أحدِ أمرين : إما أن يكونَ قد علم به أو لا ، فإن كان عالماً به فلا يخلو من أحد أمرين ، إما أن يكون مريداً له أو لا ، فإن كان مريداً له فكأنه الفاعل ، كما أن القائل يقول : قطع الأميرُ يدَ السارق ، وإن لم يباشر ذلك بنفسه ، وإن كان غيرَ مريدٍ فقد جاز عليه ما لا يجوز على أميرٍ مثله في الأرض إنه إذا فُعِلَ في ولايته شيءٌ لا يرضاه أنكره وأمر بزواله ، وهذه عقدةٌ قد اجتهد المتكلمون في انحلالها فأعوزهم .

وقد ذكرتِ الأنبياءُ أنَّ الباريءَ جلَّتْ عظمته رؤوفٌ رحيم ، ولو رأف ببني آدم وَجَبَ أن يرأفَ بغيرهم من أصناف الحيوانِ الذي يجدُ الألم بأدنى شيء ، وقد علم أن الوحشَ الراتعة يبكر إليها الفارسُ فيطعن العَيْرَ أو الأتان ، وهنَّ ما أسدين إليه ذنباً . ولأيّ حالٍ استوجب من يفعلُ بها هذا الرأفةَ وهي لم تشربْ من الماء بِذَنُوب ، ولم تجنِ ما يكتب من الذنوب . وقد رأيت الجيشين المنتسب كلّ واحدٍ منهما إلى الشرع المنفرد ، يلتقيان وكلاهما في مدد ، ويُقْتَلُ بينهما آلاف عدداً . فهذا محسوبٌ من أي الوجهين ؟ فليس عند النظر بهين .

فلما بلغ العبدَ الضعيفَ العاجزَ اختلافُ الأقوال وبلغ ثلاثين عاماً ، سأل ربه إنعاماً ، ورزقه صَوْمَ الدهر ، فلم يفطرْ في السنة ولا الشهر ، إلا في العيدين ، وصبر على توالي الجديدين ، وظنَّ اقتناعَهُ بالنباتِ يُثْبِتُ له جميلَ العافية .

وقد علم سيدنا الرئيسُ الأجلُّ المؤيد في الدين ولا ريبَ أنه قد نظر في الكتب المتقدمة ما حكي عن جالينوس وغيره من اعتقاد يدلُّ على الحيرة ، وإذا قيل إن الباريء رؤوفٌ رحيم فلم سلَّطَ الأسدَ على افتراسِ نَسَمةٍ إنسية ، ليست بالمفسدةِ ولا القَسِيّة ؟ وكم مات بلدغ الحيات جماعةٌ مشهورة ، وسُلِّطَ على الطير الراضيةِ بلقطِ الحبة البازي والصقر ، وإن القطاةَ لتدعُ فراخها ظماءً وتبتكرُ لتردَ ماءً تحمله إليها في

(1) هو عمرو بن كلثوم ، والبيت من معلقته .

حوصلتها ، فيصادفها دونهنّ أجدلُ فيأكلها فَيَهْلِكُ فراخُها عطشاً ، وذكر أشياء من هذا الباب ثم قال : وأعوذ بالله وأتبرأ من قول الكافر[1] :

ألـمتْ بـالـتحيـةِ أمُّ بكـرٍ ... فحيُّـوا أمَّ بكـرٍ بـالسـلامِ
وكـائنْ بـالـطويِّ طـويِّ بـدرٍ ... من الأحسـاب والقوم الكـرام
وكـائنْ بـالـطويِّ طـويِّ بـدرٍ ... من الشيـزَى تُكَلَّلُ بـالسنـام
ألا يـا أمّ بـكـرٍ لا تـكـرّي ... عليَّ الكاسَ بعد أخي هشـام
وبعـد أخي أبيه وكـان قَرْماً ... من الأقـرام شُـرَّابِ المـدام
ألا من مبلغُ الـرحمـنِ عني ... بـأني تـاركُ شهـر الصيـام
إذا مـا الـرأسُ زايـلَ منكبيـه ... فقـد شبع الأنيسُ من الـطعام
أيوعدنـا ابنُ كبشةَ أن سنحيـا ... وكيف حيـاةُ أصـداءٍ وهـام
أيتـرك أن يـردَّ المـوتَ عني ... ويحييني إذا بليـت عـظامي

ولعن الله القائل ، ويقال إنه الوليد بن يزيد بن عبد الملك[2] :

أدنـيـا مـنـي خـلـيـلي ... عـنـد لا دونَ الإزارِ
فـلقـد أيـقـنـتُ أنـي ... غـيـرُ مبـعـوثٍ لنـار
سـأروضُ النـاسَ حتى ... يـركبـوا دين الحمـار
وأرى من يـطلبُ الجـنـةَ يسعى في خسـار

وويلٌ لابن رغبان إن كان قال[3] :

هي الأولى وقـد نعمـوا بـأخـرى ... وتسويفُ الظنـونِ من السواف[4]
فـإن يـكُ بعضُ مـا قـالـوه حقـاً ... فـإن المبتليـكَ هـو المعـافي

---

(1) هو أبو بكر شداد بن الأسود الليثي ويعرف بـابن شعوب وأبيـاته في سيـرة ابن هشام 2 : 29 وأنسـاب الاشراف 1 : 307 ورسالة الغفران : 413 .
(2) ديوان الوليد : 41 ـ 42 ورسالة الغفران : 435 وانظر رسائل المعري 1 : 114 .
(3) هو عبد السلام بن رغبان المشهور بديك الجن ، انظر رسالة الغفران : 438 ورسائل المعري 1 : 116 .
(4) السواف : الهلاك .

ومما حثني على تَرْكِ أكلِ الحيوانِ أنَّ الذي لي في السنة نيفٌ وعشرون ديناراً ، فـإذا أخذ خـادمي بعضَ ما يجب ، بقي لي مـا لا يُعْجِبُ ؛ فاقتصـرتُ على فـولٍ وبُلْسُن(1) ، وما لا يعذب على الألسن . فأما الآن فإذا صار إلى من يخدمني كبيرٌ عندي وعنده هين ، فما حظّي إلا اليسير المتعيَّن . ولست أريدُ في رزقي زيادة ، ولا أوثر لسقمي عيادة ، والسلام .

3 ـ الجواب من ابن أبي عمران :

حوشي الشيخُ ـ أدام الله سلامته ـ من أن يكون ممن فطن في مرض دينه وعقله لعلته ، وأجاب دعوةَ الداعي منه ، بالبيت الشائع عنه لينال شفاءَ علته ، جواباً يزيده إلى غُلَّته غلةً ، إذاً يكون كما قال المتنبي :

أظمتنيَ الـدنيـا فلمـا جئتهـا مستسقياً مَطَرَتْ عليَّ مصـائبا

كان سؤالي له ـ حرسه الله ـ في شيء يختصُّ بنفسه في هجره ما يَشدُّ الجسم من اللحم الذي يُنْبِتُ اللحم ، فأجاب بما أقولُ في جوابه : أهذه أنباءُ الأمور الصحائح ؟ وهل زاد السقيمَ بدوائه هذا إلا سقماً ، والأعمى الأصمَّ في دينه وعقله بما قال إلا عمىً وصمماً ، على أن جميعَ ما ذكره بنجوةٍ عن سؤالي الأول ومعزلٍ عنه ، ولا مناسبةَ بينها وبينه .

وأما القولُ بأن اللحوم لا يُوصَلُ إليها إلا بإيلام الحيوان فقد سبق الجواب : لا يكونَنَّ الشيخُ أرأفَ بها من خالقها ، فليس يخلو من كونه عادلاً أو جائراً ، فإن كان عادلاً فإنه سبحانه يقبضُ أرواحَ الآكل والمأكولِ جميعاً ، وذلك مسلَّم له ، وإن كان جائراً لم ينبغِ أن نَرْجَحَ على خالقنا بعدلنا وجوره .

وأما قوله : وللسائل أن يقول إن كان الخير هو الذي لا يريد ربنا سواه فالشرُّ لا يخلو من أحد أمرين إما أن يكون قد علم به أو لا إلى آخره ، فأقول : قيل إن إنساناً ضاع له مصحفٌ فقيل له اقرأ: ﴿ **وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا** ﴾ (الشمس: 1) فإنك تجده ، فقال

---

(1) البلسن : العدس .

وهذه السورة أيضاً فيه . فأقول أيضاً إن هذا أيضاً من ذلك ، وجميعه ظلماتٌ فأين النور ؟ وإنما قصدنا أن نعرفَ أنباءَ الأمور الصحائح كما قاله .

وأما قوله لما رأى اختلاف الأقوال ، وأيقن بنفادٍ وزوال ، سأل ربَّه أن يرزقَهُ صومَ الدهر ، واقتنع بالنبات ، فما صحَّ لي أن الربَّ الذي سأله هو الذي يريد الخير وحده ، أو الذي يريد الشر وحده ، أو الذي يريدهما جميعاً . والصومُ فرعٌ على أصل من شرعٍ يأتي به رسول ، والرسولُ يتعلَّقُ بِمُرْسِلٍ ، وقصتنا في المرسلِ مشتبهة : يبعثُ رسولاً يريدُ أن يطاعَ أم لا يطاع ؛ فإن كان يريدُ أن يطاعَ فهو مغلوبٌ على إرادته لأن من لا يطيعه أكثر ، وإن كان يريد أن لا يطاعَ فإرساله إياه محالٌ وطلبه حُجَّةً على الضعفاء ليعذبهم . فإن كان موضوعُ صومِهِ على هذا فلم يفعلْ شيئاً ، وإن كان على غيره مما هو أجلى وأوضحُ فهو الذي أطلبُهُ .

وأما حكايته قولَ بعض الملحدين واستعاذتُهُ بالله أنْ يكونَ من المعترضين في قوله تعالى : ﴿ **وَأَنَّهُ أَهْلَكَ عَاداً الأولَى وثَمُودَ فَمَا أَبْقَى** ﴾ (النجم: 51) الآيات : إن كان الباريءُ سبحانه خلقهم وهو يعلم أنهم مجرمون ، وللتوبة والإنابة يُحْرَمُون فكان الأولى به ـ وهو الرؤوف الرحيم ـ أن لا يخلقهم لئلا يعذّبهم ، وإن كان لا يعلم فهو كأمثالنا ولا يدري ما يكون منه .

وقول الشيخ بعده : معاذَ الله أن نقولَ ذلك بل نسلِّم ونتلو الآية : ﴿ **مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ * وَمَنْ يُضْلِلْ فَلَنْ تَجِدْ لَهُ وَلِيّاً مُرْشِداً** ﴾ (الكهف: 17) فليس الملحدُ إذا قال : إن السكرَ حلوٌ والخلَّ حامضٌ لا يُقْبَلُ منه لكونه ملحداً ، وقوله يقتضي جواباً . فإن كان عند الشيخ جوابٌ فهو الذي نبغي ، وإلا فما التسليم في هذا الموضع إلا التسليم للملحد لا شيء غيره . وأما إنشاده :

* ألمتْ بالتحية أم عمرو *

وما بعده من الأشعار وذمُّه من قال وَلَعْنُهُ ، فمن الذي اتهمه بشيءٍ من ذلك حاشاه ؟ وما الذي أوجبَ الإذكار بكفريات شعرهم ؟ وأما خَتْمُهُ الرسالةَ بقوله : إن الذي حثّه على تركِ أكلِ الحيوان أن الذي له في السنة نيفٌ وعشرون ديناراً يصيرُ إلى خادمه معظمها ويبقى له أيسرها ، فمحمل مؤونةِ القدر الذي يطعمه لو كان ثقيلاً لوجب

تحمله ، فكيف وهو الخفيف محمله ؟ وقد كاتبتُ مولاي تاجَ الأمراء[1] ـ حرس الله عزه ـ أن يتقدمَ بإزاحةِ العلةِ فيما هو بُلْغَةُ مثلِهِ من ألذِّ الطعام ، ومراعاته به على الإدرارِ والدوام ، ليتكشّفَ عنه غاشيةُ هذه الضرورة ، ويجري أمرُهُ في معيشته على أحسن ما يكون من الصورة . ثم إن قام من الشيخ نَشْطَةٌ لجوابٍ أعفاني فيه عن قصد الأسجاع ولزوم ما لا يلزم فإن مُلْتَمسي فيه المعاني لا الألفاظ .

4 ـ الجواب من أبي العلاء :

سيدنا الرئيس الأجل المؤيد في الدين عصمة المؤمنين ، هدى الله الأممَ بهدايته ، وسلك بهم طريقَ الخير على يده : قد بدأ المعترفُ بجهله المقرّ بحيرته ، والداعي إلى الله سبحانه أن يرزقه ما قلَّ من رحمته في أول ما خاطبه به أن ذكرَ اعتقادَهُ في سيدنا الرئيس الأجلّ المؤيد في الدين ، ضوَّأَ الله الظلمَ ببصيرته ، وأذهبَ شكوكَ الأفئدة برأيه وحكمته ، وما نفسُهُ عليه من الذلّةِ والحقريّةِ عنده ، وأنه يحسبها ساكنةً في بعض السوام . وعجب أن مثله يطلبُ الرشدَ ممن لا رشدَ عنده ، فيكونَ كالقمر الذي هو دائبٌ في خدمة ربّه ليلاً ونهاراً ، يطلبُ الحقيقة من أقمَر[2] بفلاةٍ يرد الماءَ على الصائد ويصيبُ قلبه بسهم .

وقد ذكر ـ أيد اللّه الحقَّ بحياته ـ بيتاً من أبيات على الحاء ، ذكر وليّه ليعلم غيره ما هو عليه من الاجتهاد في التدين ، وما حيلته في الآية المنزلة التي هي قوله : ﴿ مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِي ﴾ (الأعراف: 178) وأولها :

غدوتَ مريضَ العقلِ والدينِ فالقني لتعلمَ أنباءَ الأمورِ الصحائحِ
فلا تأكلنْ ما أخرجَ الماءُ ظالماً ولا تبغِ قوتاً من غريضِ الذبائحِ

ولا يقدر أحد يدفع أنّ الحيوان البحريّ لا يخرج من الماء إلا وهو كاره ، وإذا سئل المعقولُ عن ذلك لم يُقَبِّحْ تَرْكَ أكله وإن كان حلالاً ، لأن المتدينين لم يزالوا

(1) تاج الأمراء لقب الأمير ثمال بن صالح المرداسي ، ويلقب أيضاً معز الدولة .
(2) الأقمر : صفة للحمار .

يتركون ما هو لهم حلالٌ مطلق :

وأبيضَ أُمّـاتٍ أرادتْ صـريحـهُ   لأطفـالها دونَ الغـواني الصـرائـح

والمراد بالأبيض اللبن ، ومشهور أنّ الأم إذا ذبح ولـدها وجـدت عليه وجـداً عظيماً ، وسهرتْ لذلك ليالي ، وقد أُخذ لحمه وتوفَّر على أصحابِ أمّه ما كان يرضَعُ من لبنها ، فأيّ ذنب لمن تحرَّج عن ذبح السليل ، ولم يرغب في استعمال اللبن ، ولا يزعم أنه محرم ، وإنما تركه اجتهاداً في التعبّد ورحمةً للمذبوح رغبةً أن يجازى عن ذلك بغفران خالقِ السماوات والأرض ؟! وإذا قيل إن اللّه سبحانه يساوي بين عباده في الأقسام فأيُّ شيء أسْلَفَتْهُ الذبائحُ من الخطأ حتى تُمْنَعَ حظَّها من الرأفة والرفق ؟

فـلا تفجعنَّ الطيـرَ وهي غوافـلٌ   بما وضعتْ فالـظلمُ شرُّ القبـائح

وقد نهى النبي ﷺ عن صيد الليل ، وذلك أحد القولين في قوله عليه الصلاة والسلام : « أقرُّوا الطيرَ في وكناتها » ، وفي الكتاب العزيز : ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْتُلُوا الصَّيْـدَ وَأَنْتُمْ حُـرُمٌ وَمَنْ قَتَلَهُ مِنْكُمْ مُتَعَمِّـداً فَجَـزَاءٌ مِثْـلُ مَـا قَـتَـلَ مِنْ النَّعَمِ** ﴾ (المائدة: 95) إلى غيرها من الآي في المعنى ، فإذا سمع من له أدنى حسٍّ هذا القولَ فلا لومَ عليه إذا طلب التقرُّبَ إلى ربِّ السموات والأرضين بأن يجعل صيدَ الحِلّ كصيد الحَرَم ، وإن كان ذلك ليس بمحظور .

ودعْ ضَرَبَ النحلِ الذي بَكَرَتْ لهُ   كـواسبَ من أزهارِ نبتٍ فـوائـحِ

لما كانت النحلُ تحارب الشائر عن العسل بما تقدر عليه ، وتجتهد أن تردَّه عن ذلك، فلا غرو إن أعرضَ عن استعماله رغبةً في أن تُجْعَلَ النحل كغيرها مما يكرهُ فيه ذَبْحُ الأكيل وأخذ ما كان يعيشُ به لتشربه النساء كي يبدنَّ ، وغيرهـا من بني آدم . وقد وصفت الشعراءُ ذلك فقال أبو ذؤيب يصف مشتار العسل[1] :

إذا لَسَعَتْـهُ النحلُ لم يـرجُ لَسْعَهـا   وخالفَها في بَيْتِ نوبٍ عواسـلِ[2]

وروي عن علي عليه السلام حكايةٌ معناها أنه كان له دقيقُ شعيرٍ في وعاء يختم

(1) شرح أشعار الهذليين 1 : 144 .

(2) لم يرج لسعها : لم يبال به ؛ النوب التي تذهب وتجيء .

عليه ، فإذا كان صائماً لم يختم على شيء من ذلك الدقيق ، وقد كان عليه السلام يصلُ إلى غَلّة كثيرة ، ولكنه كان يتصدَّقُ بها ويقتنع أشدَّ اقتناع . وروي عن بعض أهلِ العلم أنه قال في بعض خطبه إن غلته تبلغ في السنة خمسين ألف دينار . وهذا يدل على أن الأنبياء والمجتهدين من الأئمة يقصرون نفوسهم ويؤثرون بما يفضُلُ منهم أهل الحاجة .

وقد عدل سيدنا الرئيسُ إلى الإيماء بأنّ مَنْ تَرَكَ أكلَ اللحم ذميم ، ولو أخذ بهذا المذهب لوجب على الإنسان أن لا يصلّي صلاةً إلا ما افترض عليه ، لأن ما زاد على ذلك أدَّاه إلى كلفة ، والله تبارك وتعالى لا يريدُ ذلك ، ولوجب [أن] الذي له مال كثير ، إذا أخرجَ عن الذهب رُبْعَ العشر ، لا يحسنُ به أن يزيد على ذلك ، وقد حُثَّ الناسُ على النفقاتِ في غير موضع من الكتاب الأشرف . والعبدُ الضعيفُ العاجزُ قد افتقر الى مثل ذلك ، ولو مثل بحضرته السامية لعلم أنه لم يبق فيه بقيةٌ لأن يُسْأَل ولا أن يجيب لأن أعضاءه متخاذلة ، وقد عجز عن القيام في الصلاة ، فإنما يصلّي قاعداً ، والله المستعان . وكيف له أن يكونَ يصلُ إلا أن يدبَّ على عكاز (ثم استشهد على عجزه بأشعار العرب) وإني لأعجز إذا اضطجعت عن القعود ، فربما استعنتُ بانسان ، فإذا همَّ بإعانتي وبسطَ يديه لنهضتي ضَرَبَتْ عظامي لأنهنْ عارياتٌ من كسوة كانت عليهن .

وأما استشهاده ببيت أبي الطيب فمن استرشد بمثل العبدِ الضعيفِ العاجز مَثَله مَثَلُ مَنْ طَلَبَ في القتادةِ ثمرَ النخلة ، وإنما حَمَلَ سَائِلَهُ على ذلك حسنُ الظنِّ الذي هو دليلٌ على كرم الطبع وشرف النفس وطهارة المولد وخالص الخيم .

وأما ما ذكره من المكاتبة في توسيع الرزق عليَّ فيدلُّ على إفضالٍ ورثه عن أب فأب وجدٌّ في إثر جد حتى يصلَ النسبُ إلى التراب ، فالعبدُ الضعيف العاجزُ ما له رغبةٌ في التوسّع ومعاودةِ الأطعمة ، وتركُها صار له طبعاً ثانياً ، وأنه ما أكل شيئاً من حيوان خمساً وأربعين سنة :

والشيخُ لا يتركُ أخلاقَهُ حتى يوارَى في ثرى رَمْسِهِ[1]

(1) البيت لصالح بن عبد القدوس ، انظر نكت الهميان : 171 وتهذيب ابن عساكر 6 : 371 .

وقد علم أن السيد الأجلَّ تاجَ الأمراء فخر الملك عمدةَ الإمامة وعدَّة الدولة ومجدَها ذا الفخرين نصيفُ أولادِ سام وحام ويافث . وودَّ العبد الضعيف العاجز لو أن قلعة حلب وجميعَ جبال الشام جعلها الله ذهباً لينفقَهُ تاجُ الأمراءِ نصيرُ الدولة النبوية ـ على إمامها السلام وكذلك على الأئمة الطاهرين من آبائه ـ من غير أن يصيرَ إلى العبد الضعيف من ذلك قيراط ، وهو يستحيي من حضرة تاج الأمراء أن ينظر إليه بعين من رغب في العاجلة بعدما ذهب ، وهو رضي أن يلقى اللّه ـ جلت قدرته ـ وهو لا يُطالَبُ إلا بما فعل من اجتناب اللحوم ، فإن وصل إلى هذه الرتبة فقد سعد (ثم اعتذر عن السجع بأخبار أوردها واحتجاجات ذكرها) . وسيدنا الرئيس الأجل المؤيد في الدين ـ لا زالتْ حُجَّتُهُ باهرةً ودولتُهُ عالية ـ كما قال ثعلبة بن صعير[1] :

ولربَّ قومٍ ظالمين ذوي شذًى تغلي صدورهمُ بهترٍ هاترِ[2]
لُدّ ظأرتُهُمُ على ما ساءهم وخسأتُ باطلهم بحقٍّ ظاهرِ[3]

ولو ناظر أرسطاليسَ لجاز أن يفحمه ، أو أفلاطونَ لنبذ حججه خلفه ، والله يجمِّلُ بحياته الشريعة ، وينصرُ بحججه الملة ، وحسبي الله ونعم الوكيل .

5 ـ الجواب من ابن أبي عمران :

ما فاتحتُ الشيخ ـ أحسن الله توفيقه ـ بالقول إلا مفاتحةَ متناكرٍ عليه فيه ، مؤثرٍ لأن يَخْفَى من أين جاء السؤال ، فيكونَ الجوابُ عنه باسترسالٍ ورفضِ حشمة وحذفِ تكلّفٍ للخطاب بسيّدنا والرئيس وما يجري هذا المجرى ، إذ كان حكم ما يُتَجارى فيه موجباً أن لا يتخلله شيءُ من زخارفِ الدنيا ، ولأنني أعتقدُ أن سيدي بالحقيقة من تستفل دون يده يداي أخذاً منه للدنيا ، أو تمتار نفسي من نفسه استفادةً من معالم الأخرى . فما أدري كيف انعكست الحالُ حتى صار الشيخ ـ أدام الله تأييده ـ يخاطبني

(1) ثعلبة بن صعير شاعر جاهلي قديم ، وبيتاه من قصيدة له مفضلية ، انظر شرح ابن الأنباري : 254 ـ 256 .
(2) الشذى : الأذى ، الهتر الهاتر : الكلام القبيح .
(3) لد : شديدو الخصومة ، ظأرتهم : عطفتهم : خسأت : زجرت ودفعت .

بسيدنا والرئيس ، ولستُ مُفْضِلاً عليه في دنيا ولا دين ، بل شادٌّ راحلتي إليه لاستفادةٍ إنْ وردتُ موردَها أو صادفتُ نهلاً أو علاً منها قابلتها بالشكرِ لنعمته والإسجالِ على نفسي بأستاذيته .

وبعد ، فإني أعلمه ـ أدام اللّه سلامته ـ أني شققتُ جَيْبَ الأرض من أقصى دياري إلى مصر ، وشاهدتُ الناسَ بين رجلين : إما منتحل لشريعةٍ صَبَا إليها ولهجَ بها إلى الحدِّ الذي إن قيل له من أخبار شرعه : إن فيلاً طار أو جملاً باض لما قابله إلا بالقَبولِ والتصديق ، ولكان يكفّر من يرى غيرَ رأيه فيه ويسفّهه ويلعنه ، والعقلُ عند مَنْ هذه سبيلُهُ في مهواةٍ وفي مَضْيَعة ، فليس يكاد ينبعثُ [لأن يعلم] ان هذه الشريعة التي هو منتحلها لم يُطَوَّقْ طَوْقَها ولم يُسَوَّرْ سوارهَا الا بعد لموعِ نور العقل منه ، فكيف يصحُ تولّيه أولاً وعزله آخراً ؟ [أو منتحلٍ للعقل يقول إنه حجة للّه تعالى على عباده ، مبطلٍ لجميع ما للناس فيه ، مُسْتَخفٍ بأوضاع الشرائع] . . . [1] .

فلما رمتْ بي المرامي إلى الشام وسمعتُ أن الشيخ ـ وفقه اللّه ـ بفضلٍ في الأدب والعلم قد اتفقت عليه الأقاويلُ ، ووضح به البرهانُ والدليل ، ورأيتُ الناسَ في ما يتعلّق بدينه مختلفين ، وفي أمره متبلبلين ، فكلٌّ يذهبُ فيه مذهباً ، وحضرتُ مجلساً جليلاً أُجري فيه ذكره ، فقال الحاضرون فيه غثاً وسميناً فحفظته في الغيب ، وقلت : إن المعلومَ من صلابته في زهده يحميه من الظنة والريب ، وقام في نفسي أن عنده من حقائق دينِ اللّه سرّاً قد أسبلَ عليه من البقية ستراً ، وأمراً يميز به عن قوم يكفّر بعضهم بعضاً ، ولما سمعت البيتَ : غدوتَ مريض العقل . . . توثقتْ من خَلَدي فيما حدثتْ عقوده ، وتأكدت عهوده ، وقلت : إن لساناً يستطيعُ بمثل هذه الدعوى نطقاً ، ويفتقُ من هذا الفخر العظيم رتقاً ، للسانٌ صامتٌ عنده كلٌّ ناطق ، من ذروةِ جبلٍ للعلم شاهق ، فقصدته قَصْدَ موسى للطورِ أقتبسُ منه ناراً ، وأحاولُ أن أرفع بالفخر مناراً ، لمعرفةِ ما تخلّف عن معرفته المتخلفون ، واختلف في حقيقته المختلفون ، فأدليتُ دلوي بالمسألة الخفيفة التي سألتُ عنها ترقّياً من دونٍ إلى فوق ، وتدرّجاً من

(1) لا بد من هذه الزيادة بناء على قوله من قبل : وشاهدت الناس بين رجلين . . . . الخ .

صغير إلى كبير ، فكان جوابه أنه يصغر عن أن يكون للاسترشاد محلاً ، فقلت : هذه زيادة في فضله ، وما يجوز صدوُر مثله عن مثله . ثم انتهى إلى الإحالة على كَوْنِ الناسِ ممن تقدَّمَ أو تأخرَ في وادي الحيرة تائهين ، وفي أذيالها متعثرين ، من قائلٍ يقول إن الخيرَ والشرَّ من اللّه ، ومجيبٍ يجيبُهُ هل كان ما كان يستعيذ منه رسول اللّه ﷺ من وَعْثِ السفرِ وكلٍّ مستعاذ منه خيراً أو شراً ؟ فإن كان خيراً فالاستعاذة منه باطلة ، وان كان شراً واللّه مريدُه فالاستعاذة منه كذلك فضول وزيادة في المعنى . وسؤال من يسأل هل كان سمُّ الحسنِ وقتلُ الحسينِ عليهما السلام خيراً أو شراً ؟ فإن كان خيراً فاللعنة على القاتلِ من أي جهة ، وان كان شراً واللّه مريده زال اللومُ عن القاتـل . وقائـل يقول : إنَّ الخير من اللّه والشرَّ من غيره ، ومجيب يجيب بالجواب الذي يقطع بـه الأسباب ، وغير ذلك مما أطـال به الخـطاب من أشعار الملحـدة وأقوالهم ، فكـان جوابي ـ أدام اللّه سلامته ـ أنني من هؤلاء الذين [ذكرتهم] تبريتُ اليك ، وتطارحت عليك ، وان كلامهم عندي قبل أن علّلته عليل ، وهو على مسامع القَبولِ منّي ثقيل ، فافتحْ لي إلى ما عندك باباً ، وافسحْ لي من لدنك جناباً ، فلم يفعل .

ثم خاطبته على امتناعه من أكل اللحوم فاحتجَّ بكونه متحرجاً من قصدها ـ أعني البهائم ـ بالمضرَّةِ والايلام ، متعففاً عنها لهذه الجهة ، فقطعتُ لسانَ حجته بعد تناهيها وقلت : إذا كان اللّه تعالى سلَّط بعضها ليأكل بعضاً ، وهو أعرفُ بوجوهِ الحكمة وأرأفُ بالخليقة ، فلا يكنْ أرأفَ بها من ربها ولا أعدلَ فيها من خالقها .

ثم عدل إلى قصور يدِ الاستطاعة دونَ ذلك ، إذ كان القدر الذي هو له في السنة منصرفاً إلى من يتولّى خدمته أكثره وخالصاً له أقلّه ، فقطعتُ الحجة في هذا الباب أيضاً ، وعيَّنْتُ له على جهة كريمةٍ من الذين لا يتبعون ما أنفقوا منّاً ولا أذى مَنْ يقومُ بقدرِ كفايته من أطيبِ ما يأكلون ، وأزكى ما في البيوت يَدَّخِرُون ؛ فتجافتْ نفسـه ـ وقاها اللّه السوء ـ عن هذا الباب أيضاً ، وكتب في الجواب الثاني بأنه لا يؤثر ذلك ولا يرغبُ فيه ولا يخرق عادته المستمرة في الترك ، وابتدأ يقول إني طلبتُ الرشدَ ممن لا رُشْدَ عنده وان البيتَ الذي قاله مما تعلقتُ بـه وجعلته محجـةً إلى استقراء طـريقته ومذهبه ، إنما أراد الإعلامَ باجتهاده في التديّن ، وما حيلته في الآية المنزلة ﴿ مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُـوَ الْمُهْتَدِ وَمَنْ يُضْلِلْ فَلَنْ تَجِـدَ لَهُ وَلِيَّـاً مُرْشِـداً ﴾ (الكهف: 17) فجمـع بين

المتضادّين في كلمة واحدة . إنه إن كانت الآية حقاً كان الاجتهاد باطلاً ، وقال : إن للّه سبحانه أسراراً لا يقفُ عليها إلا الأولياء ، فنحن على ذلك السرِّ ندور ، وعلى بابِ من هو عنده نطوف . فإن قلنا إنه ـ حرسه اللّه ـ من أصحابه بدعوى صحَّتِهِ في دينه وعقلِهِ ومرض الناس على موجب قوله ، قال : لا رُشْدَ عندي ، فنظمه في هذا المعنى يناقضُ نثره ، ونثره يخالف نظمه ، فكيف الحيلة ؟ ثم قال إن البيت المقول :

غدوتَ مريضَ العقل والدين فالقني ... لتعلمَ أنبـاءَ العقـولِ الصحـائـح

يؤدي معناه البيت الثاني :

فلا تأكلنْ مـا أخرجَ المـاءُ ظالمـاً ... ولا تبغ قوتاً من غريضِ الـذبائـح

فكان مرضُ الدينِ والعقلِ من جهة أكل اللحوم وَشُرْبِ الألبانِ وتناول العسل ، فمن تركَ هذه المطاعمَ كان صحيحاً دينه وعقله ، وهو يعلم أن مَصَحَّة الأديان والعقول لا تقومُ بذلك ، ولا يجوزُ أن يكونَ هذا البيت الثاني ناسخاً لحكم الأول ، فيكونَ محصولُ دعواه في فقر الناس إلى أن يصحَّ دينهم وعقلهم هو أن يقول لهم : لا تأكلوا اللحمَ واللبن .

وأما قوله : إنّ الحيوانَ البحريَّ كارهٌ أن يخرجَ إلى البرِّ وأنه ليس يقبحُ في العقول تركُ أكله ، وإن كان حلالاً ، لأن المتدينين لم يزالوا يتركون ما لهم طِلْقٌ ، فما من حيوانٍ بحريّ ولا برّي هو أجلُّ من هذا الانسان الحيِّ العاقل ، وهو كارهٌ للموت ، فيموتُ ، وكارهٌ لأن يأكله شيءُ ، والدود تأكلُهُ في قبره ، فإن كان ذلـك صادراً عن موضع حكمةٍ كان ما ذكره من الحيوان البريّ والبحري جاريـاً في مضمار هـذا مثلاً بمثل ، وان كان معدولاً به عن وجه الحكمة كان محالاً أن يكونَ صانعي سفيهـاً ، وأكونَ وأنا مصنوعُهُ حكيماً .

وأما قوله إن النبي ﷺ صلّى إلى أن تقرَّحَتْ قدماه ، فقيل له فيه فقال : أفلا أحبُّ أن أكون عبداً شكوراً ، فما هذا مما نحن عليه في شيء ، والانسان له أن يصلّي ما شاءَ من الصلوات في الأوقات التي تجوز فيها الصلاة على أن لا يزيدَ في الفرائض ولا ينقص منها ، وهذا الكلامُ شرعيّ ، وكانت النصبة للتكلّم على العقليات .

وأما قوله إنه عليه السلام حرَّمَ صيدَ الحرم ، وان لغيره أن يحرّم صيد الحلّ تقرباً

إلى اللّه سبحانه ، فليس لأحدٍ أن يحلّل أو يحرِّم غيره .

وأما قوله إن علياً عليه السلام لما قُدِّمَ الخبيصُ سأل : هل أكل النبي ﷺ منه ؟ فلما قالوا : لا ، رفعه ولم يأكله ، فهذه الحجة عليه لا له ، فإن الناس مجمعون على أن النبي ﷺ لم يفارقْ أكلَ اللحم ، وهو يهجرُهُ دَهْرَهُ ، وذلك بالضدِّ سواء ، ولو أنه حرسه اللّه لم يستظهرْ عليَّ بالشريعة ولم يتجاوز نصبةَ العقل لصنتُهُ عن هذا الجواب الذي عسى أن يشغلَ سرَّه ، ويعز عليَّ ذلك .

وأما ما شكاه من ضعفه وقصور حركته وأنه لم يبقَ فيه بقية لأن نُسأل ولا أن يجيب ، فما هو ـ حرسه اللّه ـ على علاّته من الضعفِ والقوةِ إلا من محاسن الزمانِ ، وممن سارت بذكرِ فضله الركبان ، إلا أنه على عدوان الدهر عليه عدا على نفسه بحرمانها ملاذَّ دنياها ، فإن وثقتْ نفسه بملاذّ تعتاضُ عنها مما هو خيرٌ وأبقى منها فما خسرتْ صَفْقَتُهُ وقام مصداقُ قوله بالبيت المقدم ذكره ، وان كان يوسَمَ بميسم الشحِّ بمنع المنتجعين وردِّ السائلين . وان كان شقَّ على نفسه من غير بصيرةٍ ، كما يدّعيه الآن ، خوضاً مَعَ ٱلخَائِضينَ ، وتحيراً مع أمثالنا من المتحيرين ، فقد أضاعها وجنَى عليها وادعى في البيت المقدَّم ذكره ما لا برهان له . والغرضُ في السؤال والجواب الفائدة ، وإذا عُدِمَتْ فقد خَفَّفَ اللّه عنه أن يتكلَّفَ جوابا .

واما الأسجاع ومسألتي التخلي عنها فما كانت إلاّ شحاً بالمعاني ان نضلَّ بتتبعها، ولأنني إذا تتبعت فضله بصناعته في الأدب والشعر وجدتُ في أرضه مُراغَماً كثيراً وسعة ، ومن أين لي أن أظهرَ على مكنون جواهر علوم دينه كظهوري على مصنَّفاتِ أدبه وشعره .

وقبل وبعد فأنا أعتذر عن سرٍّ له أدام اللّه حراسته أذعته ، وزمانٍ منه بالقراءة والاجابة شغلته ، لأنني من حيثُ ما نفعتُهُ ضررته ، واللّه تعالى يعلمُ أني ما قصدتُ به غيرَ الاستفادة من علمه ، والاغترافِ من بحره ، والسلام .

وكنا بحضرة القاضي الأكرم الوزير جمال الدين أبي الحسن علي بن يوسف بن إبراهيم الشيباني ـ حرس اللّه مجده ـ وفيه جماعةٌ من أهل الفضل والأدب ، فقال أبو الحسن علي بن عدلان النحوي الموصلي : حضرتُ بدمشق عند محمد بن نصر بن عنين الشاعر وزير المعظم ، فجاءته رقعة طويلة عريضة خاليةٌ من معنى ، فارغةٌ من

فائدة فألقاها إليَّ قائلاً : هل رأيتَ قطُّ رقعةً أسقطَ أو أدبرَ من هذه ، مع طولٍ وعرض ، فتناولتها فوجدتها كما قال ، وشرعتُ أخاطبه فأومأ إليَّ بالسكوت وهو مفكر ، ثم أنشدني لنفسه :

وردتْ منك رقعةٌ أسأمتني ... وثنتْ صدريَ الحمولَ ملولا

كنهارِ المصيفِ ثقلاً وكرباً ... وليالي الشتاءِ برداً وطولا

فاستحسن أهلُ المجلس هذه البديهة وعجبوا من حسن المعنى ، فقال القاضي الأكرم : ما زلتُ أستحسنُ كلاماً وجدته على ظهر كتابِ ديوان الأعشى في مدينة قفط في سنة خمس وثمانين يتضمن لأبي العلاء المعري [شعراً] يشبه ما في هذين البيتين من المقابلة ضداً بضدّ في موضعين ، ولعل هذين البيتين يفضلان على ذلك ، فقلنا له : وما ذلك الكلام ؟ فقال : حكي أن صالح بن مرداس صاحبَ حلب نزل على معرَّةِ النعمان محاصِراً ونصبَ عليها المناجيقَ ، واشتدَّ في الحصارِ لأهلها ، فجاء أهلُ المدينةِ إلى الشيخ أبي العلاء لعجزهم عن مقاومته ، لأنه جاءهم بما لا قبلَ لهم به ، وسألوا أبا العلاء تلافي الأمر بالخروج إليه بنفسه ، وتدبير الأمر برأيه ، إما بأموالٍ يبذلونها أو طاعةٍ يعطونها ، فخرج ويدُهُ في يدِ قائده ، وفتح له باباً من أبوابِ معرّة النعمان وخرج منه شيخٌ قصيرٌ يقودُهُ رجل ، فقال صالح : هو أبو العلاء فجيئوني به ، فلما مثل بين يديه سلَّم عليه ثم قال : الأميرُ أطال اللّه بقاءَهُ كالنهارِ الماتعِ قاظَ وَسَطُهُ وطابَ أبرداه ، وكالسيف القاطع لان متنُهُ وخَشُنَ حَدّاه ، ﴿ خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَاهِلِينَ ﴾ (الأعراف: 199) فقال صالح (لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ) قد وهبتُ لك المعرةَ وأهلَها وأمر بتقويضِ الخيام والمناجيق فَنُقِضَتْ ورحل ، ورجع أبو العلاء وهو يقول :

نجَّى المعرةَ من براثِن صالحٍ ... ربٌّ يعافي كلَّ داءٍ مُعْضِلِ

ما كان لي فيها جناحُ بعوضةٍ ... اللّه ألحفهم جناحَ تفضلِ

قال أبو غالب ابن مهذب المعري في تاريخه : في سنة سبع عشرة وأربعمائة صاحت امرأة يومَ الجمعة في جامع المعرة ، وذكرتْ أن صاحبَ الماخور أراد أن يغتصبها نفسها ، فنفرَ كلُّ مَنْ في الجامع وهدموا الماخور ، وأخذوا خشبه ، ونهبوه .

وكان أسدُ الدولة في نواحي صيدا ، فوصل الأمير أسدُ الدولةِ فاعتقل من أعيانها سبعين رجلاً ، وذلك برأي وزيره تادرس بن الحسن الأستاذ ، وأوهمه أنَّ في ذلك إقامةً للهيبة . قال : ولقد بلغني أنه دُعِيَ لهؤلاء المعتقلين بآمد وميافارقين على المنابر ، وقطع تادرس عليهم ألف دينار ، وخرج الشيخ أبو العلاء المعري إلى أسد الدولة صالح وهو بظاهر المعرة ، وقال له الشيخ أبو العلاء : مولانا السيد الأجلّ أسد الدولة ومقدَّمها وناصحها كالنهار الماتع اشتدَّ هجيره وطاب أبرداه ، وكالسيف القاطع لان صفحه وخشن حداه ، ﴿ خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ ﴾ (الأعراف: 199) فقال صالح : قد وهبتهم لك أيها الشيخ ، ولم يعلمْ أبو العلاء أنَّ المالَ قد قُطِعَ عليهم ، والا كان قد سأل فيه ، ثم قال الشيخ أبو العلاء بعد ذلك شعراً وهو[1] :

تغيبتُ في منزلي برهةً ... ستيرَ العيونِ فقيدَ الحسدْ
فلما مضى العمرُ إلا الأقلَّ ... وَحُمَّ لروحي فراقُ الجسدْ
بُعِثْتُ شفيعاً إلى صالح ... وذاك من القوم رأيٌ فسدْ
فيسمعُ منّيَ سَجْعَ الحمام ... وأسمعُ منه زئير الأسدْ
فلا يعجبنّيَ هذا النّفاقُ ... فكم نَفَّقَتْ محنةٌ ما كسد

ـ 102 ـ

أحمد بن عبد الرحمن بن نخيل الحميري أبو العباس الشنتمري : يقول فيه أبو العباس أحمد بن عبد العزيز بن غزوان[2] الكاتب الشنتمري ، وقد حضر القراءة عليه هو وجماعة من طلبته بشنتمرية :

ومجلسٍ ليس لعمري به ... باغٍ ، وباعُ الخيرِ فيه مديدْ

---

102 ـ نسبته إلى شنتمرية تدل على أنه أندلسي، ولكني لم أستطع الوقوف على المصدر الذي ينقل عنه ياقوت . ولابن غزوان الشنتمري ترجمة في التكملة 1 : 47 .

(1) اللزوميات 1 : 302 (1 : 404 صادر) .

(2) م : غنزوان .

وربمـا تُقْضَى حيـاةٌ بـه ... ويثني العـالم فيـه بليـد
يـزينُـهُ في جَمْعِـهِ فتيـةٌ ... غُرٌّ كما تدري صِباحُ الخـدود
مـا منهمُ في جمعهمْ واحدٌ ... إلا أخـو نبـلٍ وذهنٍ حـديد
تجمعـوا حولَ فقيـهٍ حَوَى ... حلمـاً وعلماً مَـعَ رأي سديـد
إن خانك التفكير في مشكلٍ ... فـانـه يبلغُ مـا قـد تـريـد
وإن يقلْ كـان الـذي قـالـه ... ولم يكنْ فيـه لخلقٍ مـزيـد
كـأنـه بـيـنَ تـلامـيـذه ... بـدرٌ بدا بين نجـومِ السعـود

ـ 103 ـ

أحمد بن عبد الله المهاباذي الضرير : من تلاميذ عبد القاهر الجرجاني ، له شرح كتاب اللمع .

ـ 104 ـ

أحمد بن عبد السيد بن علي يعرف بابن الأشقر النحوي أبو الفضل : متأخرٌ من ساكني قطيعة باب الأزَج ، ذكره أبو عبد الله ابن الدبيثي في كتابه الـذي ذيله على تاريخ السمعاني وقال : هو أديبٌ فاضل ، قرأ على أبي زكريا يحيى بن علي الخطيب التبريزي ولازمه حتى برع في فنه ، وسمع على علوّ سنه من أبي الفضل محمـد بن ناصر السلامي ؛ قال : وسمعت من يذكر أنه رأى أبا محمـد ابن الخشّاب النحـويّ بالقطيعة من باب الازج وهو يسأله عن مسائل من النحو ويباحثه . وقد روى [ابن] الأشقر وأقرأ العربية إلا أن الروايات عنه قليلة .

103 ـ ترجمة المهاباذي في الوافي 7 : 112 ونكت الهميان : 110 وبغية الوعاة 1 : 320 .
104 ـ ترجمة ابن عبد السيد في إنباه الرواة 1 : 87 والوافي 7 : 64 وبغية الوعاة 1 : 324 .

ـ 105 ـ

أحمد بن عبد الملك بن أحمد بن عبد الملك بن عمر بن محمد بن عيسى بن شهيد أبو عامر : أشجعي النسب من ولد الوضاح بن رزاح الذي كان مع الضحاك يوم المرج ، ذكره الحميدي وقال : إنه مات في جمادى الأولى سنة ست وعشرين وأربعمائة بقرطبة ومولده سنة اثنتي عشرة وثلاثمائة ، وأبوه عبد الملك بن أحمد شيخ من شيوخ وزراء الدولة العامرية ومن أهل الأدب والشعر ، وجدُّه أحمد بن عبد الملك ذو الوزارتين من أهل الأدب وكان في أيام عبد الرحمن الناصر له شعر وبديهة ولم يخلف لنفسه نظيراً في علمي النظم والنثر .

قال : وهو من العلماء بالأدب ومعاني الشعر وأقسام البلاغة ، وله حظ من ذلك ، بسق فيه ، ولم ير لنفسه في البلاغة أحداً يجاريه ، وله كتاب « حانوت عطار » في نحوٍ من ذلك ، وسائرُ رسائله وكتبِهِ نافعةُ الجد كثيرةُ الهزل ، وشعره كثيرٌ مشهور . وقد ذكره أبو محمد علي بن أحمد[1] مفتخراً به فقال : ولنا من البلغاء أحمد بن عبد الملك بن شهيد ، وله من التصرُّفِ في وجوه البلاغة وشعابها مقدارٌ ينطق فيه بلسان مركّب من لساني عمرو وسهل[2] ومن شعر أبي عامر المختار[3] :

وما ألان قناتي غمزُ حادثةٍ ... ولا استخفَّ بحلمي قطُّ إنسانُ
أَمضي على الهَوْلِ قِدْماً لا ينهنهني ... وأنثني لسفيهي وهو خَرْدَانُ

105 ـ ترجمة ابن شهيد في الجذوة: 124 (بغية الملتمس رقم :437) والمطمح: 16 والمطرب: 147 والذخيرة 1: 191 واليتيمة 2: 35 واعتاب الكتاب: 203 وابن خلكان 1: 116 والمغرب 1: 78 والخريدة 2: 555 والوافي 7: 144 والمسالك 11: 206 وقد جمع شعره كل من شارل بلا (بيروت 1963) ويعقوب زكي (القاهرة 1969) ولشارل بلا محاضرات عنه (عمان: 1966) وانظر فصلاً عنه في كتابي تاريخ الأدب الأندلسي ـ عصر سيادة قرطبة: 270 (الطبعة الثانية) .

(1) يعني ابن حزم الفقيه ، وقوله هذا في رسالته في فضل أهل الأندلس (رسائل ابن حزم 2: 188) .
(2) أي الجاحظ عمرو بن بحر وسهل بن هارون .
(3) الديوان (زكي) : 161 .

ولا أقارضُ جهالاً بجهلهمُ والأمرُ أمريَ والأيامُ أعوان
أهيبُ بالصبرِ والشحناءُ ثائرةٌ وأكظُم الغيظَ والأحقاد نيران

وقوله[1] :

ألمتُ بالحبِّ حتى لو دنا أجلي لما وجدتُ لطعم الموتِ من ألمِ
وذادني كرمي عمنْ ولهتُ به ويلي من الحبِّ أو ويلي من الكرم

قال ، وقال أبو محمد علي بن أحمد : ولم يعقب أبو عامر ، وانقرض عقب الوزير أبيه بموته ، وكان جواداً لا يُليق شيئاً ولا يأسَى على فائت ، عزيزَ النفس مائلاً إلى الهزل ، وكان له من علم الطبِّ نصيبٌ وافر .

ـ 106 ـ

أحمد بن عبد الملك بن علي بن أحمد بن عبد الصمد بن بكر المؤذن أبو صالح النيسابوري : الحافظ الأمين الخيِّر الثقة المحدّث الصوفي نسيج وحده في طريقته وجمعه وإفادته . ولد في سنة ثمان وثمانين وثلاثمائة ومات لتسع خلون من شهر رمضان سنة سبعين وأربعمائة ، وذكره أبو سعد السمعاني في « المذيل » فقال ، ومن خطه نقلت : كان عليه الاعتماد في الودائع من كُتُبِ الحديث المجموعة في الخزائن الموروثة عن المشايخ ، الموقوفة على أصحاب الحديث ، وكان يصونُها ويتعهَّدُ حفظَها ويتولّى أوقافَ المحدثين من الحبرِ والكاغد وغير ذلك ، ويقوم بتفرقتها عليهم وإيصالها إليهم ، وكان يؤذّن على منارةِ المدرسة البيهقية سنين احتساباً ، ووعظ المسلمين وذكرهم ، وكان يأخذ صدقاتِ الرؤساءِ والتجار ويوصلها إلى ذوي الحاجات ، ويقيم مجالسَ الحديث . وكان إذا فرغ جمع وصنّف وأفاد . وكان حافظاً ثقة ديناً خيراً كثير السماع واسعَ الرواية ، جَمَعَ بين الحفظِ والإفادة والرحلةِ وكتب الكثير بخطه .

---

106 ـ ترجمة المؤذن النيسابوري في تاريخ بغداد 4 : 267 والوافي 7 : 156 .

(1) الديوان : 151 .

ثم ذكر أبو سعد جماعة كثيرة ممن سمع عليه بجرجان والريِّ والعراق والحجاز والشام ثم قال : كما تنطق به تصانيفه وتخريجاته ، ولم يتفرغ للإملاء لاشتغاله بالمهمات التي هو بصددها . ثم ذكر جماعة رووا عنه ، ثم قال : وصنَّف التصانيفَ وجمعَ الفوائدَ وعمل التواريخ ، منها : كتاب التاريخ لبلدنا مرو ، ومسوَّدته عندنا بخطِّه ، وأثنى عليه ثناءً طويلاً ، وذكر أن الخطيبَ أبا بكر ذكره في تاريخه ، وأنه كتب عنه وكتب هو عن الخطيب[1]، ووصفه بالحفظِ والمعرفةِ والذبِّ عن حديث النبي ﷺ، ثم روى عنه أخباراً وأسانيد لغيره منها ما أسنده إليه ، وقال : أنشد الشريف أبو الحسن عمران بن موسى المغربي لنفسه :

جُزِيتُ وفائي منك غدراً وخنتني ... كذاك بدورُ التمّ شيمتُها الغدرُ
وحاولتُ عند البدرِ والشمسِ سَلْوَةً ... فلم يُسلني يا بدرُ شمسٌ ولا بدر
وفي الصدرِ منّي لوعةٌ لو تصورت ... بصورةِ شخصٍ ضاق عن حملها الصدر
أمنت اقتدارَ البينِ من بعد بينكم ... فما لفراقٍ بعد فرقتكم قدر

- 107 -

أحمد بن عبد الوهاب بن هبة الله بن محمد بن علي بن الحسين بن يحيى بن السيبيّ أبو البركات بن أبي الفرج مؤدب الخلفاء : كانت له معرفةٌ حسنةٌ بالآداب ، ومات في سادس عشري المحرم سنة أربع عشرة وخمسمائة عن ست وخمسين سنة وثلاثة أشهر .

قال أبو الفرج ابن الجوزي : كان أبو البرَكات يعلّم أولاد المستظهر، وكان له أنسٌ بالمسترشد ، فلما قبض على ابن الجزري صاحب المخزن ولي ابن السيبي مكانه

107 ـ ترجمة ابن السيبي في المنتظم 9 : 219 ونزهة الألباء : 268 ومرآة الزمان 8 : 91 والوافي 7 : 162 .

(1) قال الخطيب : قدم علينا وهو شاب في حياة أبي القاسم ابن بشران ، ثم عاد إلى نيسابور وقدم علينا مرة ثانية في سنة 434 فكتب عني في ذلك الوقت وكتبت عنه .

النظرَ في المخزن سنةً وثمانيةَ أشهر ، وكان عالماً بالأدب والشعر ، كثيرَ الإفضالِ على أهل العلم ، وخلَّفَ من المال ما حُزِر بمائة ألف دينار ، ووقف وقوفاً على مكة والمدينة .

- 108 -

أحمد بن عبيد بن ناصح بن بلنجر أبو جعفر النحوي الكوفي : يعرف بأبي عصيدة ، ديلمي الأصل من موالي بني هاشم ، حدَّث عن الواقديّ والأصمعي وأبي داود الطيالسي وزيد بن هارون وغيرهم ، وروى عنه القاسم بن محمد بن بشار الأنباري وأحمد بن حسن بن شهير ، ومات فيما ذكره أبو عبد الله محمد بن شعبان بن هارون ابن بنت الفريابي في « تاريخ الوفيات » له في سنة ثلاث وسبعين ومائتين . قالوا : وكان ضعيفاً فيما يرويه .

وله من التصانيف : كتاب المقصور والممدود . وكتاب المذكر والمؤنث . وكتاب الزيادات في معاني الشعر لابن السكيت في إصلاحه . وكتاب عيون الأخبار والأشعار .

وحدث محمد بن إسحاق النديم قال : كان أبو عصيدة وابن قادم يؤدّبان ولد المتوكل ، قال : لما أراد المتوكل أن يتخذَ المؤدبين لولده جعل ذلك إلى إيتاخ ، فأمر إيتاخ كاتبه أن يتولّى ذلك ، فبعث إلى الطوال والأحمر وابن قادم وأبي عصيدة هذا وغيرهم من أدباء ذلك العصر ، فأحضرهم مجلسه وحضر أبو عصيدة فقعد في آخر الناس ، فقال له من قرب منه : لو ارتفعت ، فقال : بل أجلسُ حيث انتهى بي المجلس ، فلما اجتمعوا قال لهم الكاتب : لو تذاكرتم وقفنا على موضعكم من العلم واخترنا ، فألقوا بينهم بيتَ ابن غلفاء[2] الفزاري :

---

108 ـ ترجمة أبي عصيدة في طبقات الزبيدي : 204 والفهرست : 79 ـ 80 ومراتب النحويين : 97 وتاريخ بغداد 4 : 258 وإنباه الرواة 1 : 84 ونزهة الألباء : 142 والوافي 7 : 166 وبغية الوعاة 1 : 333 وتهذيب التهذيب 1 : 60 .

(1) م : عنقاء .

ذريني إنما خطأي وصَوْبي   عليَّ وإن ما أنفقتُ مالُ

فقالوا : ارتفعَ مالُ بانما إذ كانت ما بمعنى الذي ، ثم سكتوا ، فقال لهم أحمد بن عبيد من آخر الناس : هذا الإعرابُ فما المعنى ؟ فأحجم الناسُ عن القول ، فقيل له : فما المعنى عندك ؟ قال : أراد ما لَوْمُكِ إيايَ وإنما أنفقتُ مالاً ولم أنفقْ عرضاً ، فالمالُ لا أُلامُ على إنفاقه ؛ فجاءه خادمٌ من صدر المجلس فأخذ بيده حتى تخطَّى به إلى أعلاه وقال له : ليس هذا موضعَكَ ، فقال : لأنْ أكونَ في مجلسٍ أرتفع منه إلى أعلاه أحبُّ إليَّ من أن أكونَ في مجلس أُحَطُّ عنه . فاختير هو وابن قادم .

قرأتُ بخطّ أبي منصور الأزهري في « كتاب التهذيب في اللغة »[1] له ، أخبرني المنذري عن القاسم بن محمد الأنباري عن أحمد بن عبيد بن ناصح قال : كنا نألف مجلسِ أبي أيوب ابنِ أختِ الوزير ، فقال لنا يوماً ـ وكان ابن السكيت حاضراً ـ ما تقول في الأُدْمِ من الظباء ؟ فقال : هي البيضُ البطون السُّمْرُ الظهور ، يفصل بين لون ظهورها وبطونها جُدَّتانِ مِسْكِيَّتانِ ، قال : فالتفت إليّ وقال : ما تقول يا أبا جعفر ؟ فقلت : الأُدْمُ على ضربين ، أما التي مساكنها الجبالُ في بلاد قيس فهي على ما وصف ، وأما التي مساكنها الرملُ في بلاد تميم فهي البيضُ الخوالصُ البياض [فأنكر يعقوب] . واستأذن ابنُ الأعرابي على أَثَرِ ذلك ، فقال أبو أيوب : قد جاءكم من يَفْصِلُ بينكم ، فدخل فقال له أبو أيوب : يا أبا عبد اللّه، ما تقول في الأُدْمِ من الظباء ، فتكلم كأنما ينطقُ عن لسان ابن السكّيت ، فقلتُ : يا أبا عبد اللّه، ما تقولُ في ذي الرمة ؟ قال : شاعر ، قلت : ما يقولُ في قصيدته صيدح ؟ قال : هو بها أعرفُ منّا بها . قال : فأنشدته قوله :

من المؤلفاتِ الرملِ أُدْمَاءُ حُرَّةٌ   شعاعُ الضُّحَى في متنها يتوضَّحُ

فسكتَ ابن الأعرابي وقال : هي العربُ تقول ما شاءت .

وبخط عبد السلام البصري، حدثنا أبو الحسن محمد بن يوسف بن موسى سبط [. . .] قال حدثنا أبو القاسم عبيد اللّه بن محمد بن جعفر الأزدي قال: سمعتُ أحمد بن

(1) التهذيب 14 : 215 .

عبيد بن ناصح يقول: لما أراد المتوكلُ أن يعقدَ للمعتز ولايةَ العهد حططتُهُ عن مَرْتَبته[1] قليلاً وأخَّرْتُ غداءَهُ عن وقته ، فلما كان وقتُ الانصراف قلتُ للخادم : احمله ، فضربته من غير ذنب ، فكتب بذلك إلى المتوكل ، فأنا في الطريق منصرفاً إذ لحقني صاحبُ رسالةٍ، فقال: أميرُ المؤمنين يدعوك، قال: فدخلتُ على المتوكل وهو جالسٌ على كرسيّ، والغضبُ يتبينُ في وجهه، والفتح بن خاقان قائم بين يديه متكئاً على السيف ، فقال لي : ما هذا الذي فعلته يا أبا عبد الله؟ قلت : أقولُ يا أميرَ المؤمنين ؟ فقال: قل فاني إنما سألتك لتقول، قلت: بلغني ما عَزَمَ عليه أميرُ المؤمنين ـ أطال الله بقاءه ـ فدعوته وحططتُ منزلته ، ليعرفَ هذا المقدار فلا يعجل بزوالِ نعمةِ أحد ، وأخّرتُ غداءَهُ ليعرفَ هذا المقدار من ألم الجوع فإذا شُكِيَ إليه الجوعُ عرف ذلك ، وضربتُهُ من غير ذنبٍ ليعرف مقدارَ الظلم فلا يعجلُ على أحد ، قال فقال لي : أحسنتَ ، وأمر لي بعشرة آلاف درهم ثم لحقني رسولٌ قبيحةَ بعشرةِ آلافٍ أخرى ، فانصرفتُ بعشرين ألفاً .

قال وحدثنا أبو القاسم الأزدي قال : سمعتُ أحمد بن عبيد بن ناصح يحدث أبي قال ، قال لي المعتز يوماً : يا مؤدبي تصلّي جالساً وتضربني قائماً ؟ قال فقلت له : كيف تراني أؤدي فرضي ؟ قائماً أو قاعداً ؟ قال فقال لي : بل تؤدي الفرض قائماً ، فقلت له :وضربك أيضاً من الفروض ولا أؤدي فرضي إلا قائماً .

وقال عبد الله بن عدي الحافظ : أحمد بن عبيد أبو عصيدة النحوي كان بسرّ من رأى يحدِّثُ عن الأصمعيّ ومحمد بن مصعب القرقساني بمناكير . وقال أبو أحمد الحافظ النيسابوري وذكره فقال : لا يتابَعُ على جُلِّ حديثه . قال أبو بكر محمد بن القاسم الأنباري أنشدني أبي قال : أنشدنا أحمد بن عبيد :

ضعفتُ عن التسليم يومَ فراقها ... فودَّعْتُها بالطَّرْفِ والعينُ تَدْمَعُ
وأمسكتُ عن ردِّ السلام فمن رأى ... محباً بطرفِ العين قبلي يودع
رأيت سيوفَ البين عند فراقها ... بأيدي جنودِ الشّوق بالموت تلمع[2]
عليكِ سلامُ اللّه مني مضاعفا ... إلى أن تغيبَ الشمسُ من حيثُ تطلع

---

(1) ر : رتبته

(2) ر : ترفع .

ـ 109 ـ

أحمد بن عبيد الله بن محمد بن عمار أبو العباس الثقفي الكاتب المعروف بحمار العزير : كذا قال الخطيب قال : وله مصنفاتٌ في مقاتلِ الطالبيين وغير ذلك ، وكان يتشيعُ ، ومات في سنة أربع عشرة وثلاثمائة ، حدث عن عثمان بن أبي شيبة وسليمان بن أبي شيخ وعمر بن شبة ومحمد بن داود بن الجراح وغيرهم . روى عنه القاضي الجعابي وابن زنجي الكاتب وأبو عمرو ابن حيويه وأبو الفرج علي بن الحسين الأصفهاني وغيرهم . وفيه يقول ابن الرومي(1) :

وفي ابنِ عمَّارٍ عُسزَيرِيَّةٌ ... يخاصمُ اللَّه بها والقدرْ

ما كان لِمْ كانَ وما لم يكنْ ... لِمْ لَمْ يكنْ فهو وكيلُ البشر

هذا ما ذكره الخطيب .

ووجدت في كتاب ألفه أبو الحسن علي بن عبيد الله بن المسيب الكاتب في « أخبار ابن الرومي » ـ وكان ابن المسيِّب هذا صديقاً لابن الرومي وخليطاً له ـ قال : كان أحمد بن محمد بن عبيد الله بن عمار (هكذا قال في نسبه بتقديم محمد على عبيد الله) صديقاً لابن الرومي كثيرَ الملازمة له ، وكان ابنُ الرومي يعملُ له الأشعار وينحلُه إياها يستعطفُ بها من يصحبه ، وكان ابنُ عمار محدوداً فقيراً وقَّاعةً في الأحرار ، وكان أيامَ افتقاره كثيرَ التسخّط لما تجري به الأقدار ، في آناء الليل والنهار ، حتى عُرِفَ بذلك ، فقال له علي بن العباس بن الرومي يوماً : يا أبا العباس قد سَمَّيْتُكَ العزير ، قال له : وكيف وقعتَ لي على هذا الاسم ؟ قال : لأن العزير خاصمَ ربه بأن أسال من دماءِ بني إسرائيل على يدي بخت نصر سبعين ألف دم ، فأوحى اللَّه [إليه] لئن لم تترك مجادلتي في قضائي لأمحونَّك من ديوانِ النبوة . وقال فيه :

* وفي ابن عمار عزيرية *

109 ـ ترجمة ابن عمار في تاريخ بغداد 4 : 252 والوافي 7 : 171 وقد اعتمد الآمدي في الموازنة على احدى رسائله .

(1) ديوان ابن الرومي 3 : 913 .

وذكر البيتين اللذين في كتاب الخطيب ، وزاد :

لا بـل فتىً خـاصم في نـفسـه   لم لم يفـزْ قـدمـاً وفـازَ البقـرْ
وكـلٌّ مـن كـان لـه نـاظـرٌ   صـافٍ فـلا بـدَّ لـه من نـظر

وكتب ابن الرومي إلى أحمد بن محمد بن بشر المرثدي قصيدةً يمدحه بها ويهنئه بمولودٍ وُلِدَ له ، ويحضه على بِرِّ ابنِ عمار والاقبال عليه ، يقول فيها[1] :

ولي لـديكم صاحبٌ فـاضـلٌ   أحبُّ أن يبقى[2] وأن يُصْحَبا
مبـاركُ الـطائـرِ ميمـونُـهُ   خَبَّـرني عن ذاك مَنْ جَـرَّبـا
بـل عندكم من يُمْنِهِ شـاهـدٌ   قـد أفصحَ القـولَ وقد أعـربا
جـاء فـجـاءت معـه غُـرَّةٌ   تقيَّـلَ النـاسُ بهـا كـوكبـا
إن أبـا العبـاس مستصحبٌ   يرضي أبا العبـاس مُسْتَصحَبا
لكنَّ في الشيـخ عـزيـريـةً   قـد تـركَتْـهُ شَـرِسـاً مِشْغبا
فـاشددْ أبـا العبـاسِ كفّـاً بـه   فقد ثقفتَ المِخْطَبَ المحـربا
بـاقعـةٌ إن أنتَ خـاطـبتَـهُ   أعـربَ أو فـاكهتـه أغـربـا
أدَّبـه الـدهـر بتصـريـفـه   فـأحسنَ التـأديبَ إذ أدبـا
وقـد غـدا ينشـرُ نعمـاءكم   في كـلِّ نـادٍ مـوجـزاً مـطنبـا

والقصيدة طويلة .

قال : وصار محمد بن داود بن الجراح يوماً إلى ابن الرومي مُسَلِّماً عليه ، فصادف عنده أبا العباس أحمد بن محمد بن عمار ، وكان من الضيق والإملاقِ في النهاية ، وكان علي بن العباس مغموماً به ، فقال محمد بن داود لابن الرومي ولأبي عثمان الناجم : لو صرتما إليَّ وكثرتما بما عندي لأنس بعضنا ببعض ، فأقبل ابنُ الرومي على محمد بن داود فقال : أنا في بقيةِ علة ، وأبو عثمان مشغولٌ بخدمة صاحبه

(1) ديوان ابن الرومي 1 : 235 .
(2) الديوان : يرعى .

- يعني إسماعيل بن بلبل - وهذا أبو العباس ابن عمار له موضعٌ من الرواية والأدب، وهو على غايةِ الإمتاع والإيناس بمشاهدته، وأنا أحبُّ أن تعرفَ مثله، وفي العاجلِ خذه معك لتقفَ على صِدْقِ القول فيه. فأقبل محمد بن داود على أحمد بن عمار وقال له: تفضل بالمصير إليَّ في هذا اليوم، وقبله قَبولاً ضعيفاً، فصار إليه ابن عمار في ذلك اليوم، ورجع إلى ابن الرومي فقال له: إني أقمتُ عند الرجل وبتّ، وأريد أن تقصده وتشكره وتؤكّدَ أمري معه، ومحمد بن داود في هذا الوقت متعطّلٌ ملازمٌ منزله، فصار إليه وأكّد له الأمرَ معه، وطال اختلافه إليه إلى أن ولي عبيد اللّه بن سليمان وزارةَ المعتضد واستكتب محمد بن داود بن الجراح وأشخصه معه، وقد خرج إلى الجبل، ورجع وقد زَوَّجَهُ بعضَ بناته وولّاه ديوانَ المشرق، فاستخرج لابن عمار أقساطاً أغناهُ بها وأجرى عليه أيضاً من ماله، ولم يزلْ يختلفُ إليه أيام حياة محمد بن داود، وكان السبب في أن نَعَشَهُ اللّه بعد العثار، وانتاشَهُ من الإقتار ابن الرومي، فما شكر ذلك له، وجعل يتخلّفُهُ ويقعُ فيه ويعيبه، وبلغ ابنَ الروميّ ذلك فهجاه باهاجٍ كثيرة، منها وهو مصحّف(1):

قُــلْ لـعمّــار بـن عَـمَّــارٍ ألا تُـعْـظِمُ قَــدْرِي
بخــراجيـكَ وَخــرؤ الــد يـكَ لَا تَعْـرِضْ لِشِعْــرِي
وَتَــذَكّــرْ حِيـنَ تَـنْـسَــى حــرَّ عَــمَّيْـكَ وَأَثْــري
وأَذِقْــــني فَــرَحَ الــرَّوْ حــةِ مُــنْـقَــاداً لأمــري
حــر حــالاتــك لــلجيــــــــرانِ لَكِنْ لَسْتَ تَـدْرِي

قال ابنُ المُسيِّبِ: ومن عجيبِ أمْرِ عُزَيْرٍ هذا أنه كان يتنقص ابن الرُّومِي في حياتِهِ، وَيُزْرِي على شِعْرِهِ، وَيَتَعَرَّضُ لهجائه، فَلَمَّا مات ابنُ الروميِّ عَمِلَ كتاباً في تَفْضِيلِهِ وَمُخْتَارِ شِعْرِهِ وَجَلَسَ يُمْلِيهِ على النّاسِ.

(1) ديوان ابن الرومي 3: 1126 وبناء الألفاظ على التصحيف، وهو من فاحش القول، ومثال ذلك أن تقرأ البيت الثاني: بحرِ أختك وحر والدتك لا تعرض لشعري، والثالث: وتذكّر حين تنسى حر عمتك الخ؛ وإذا كتبت الأبيات دون التصحيف المقصود جاءت غير موزونة.

وذكره محمد بن إسْحَاقَ النديمُ في كتابِ الفهرست[1] فقال : كان يَصْحَبُ محمد بن داود بن الجراح ويروي عنه ، ثمَّ تَوكَّلَ للقاسم بن عُبَيْدَ الله بن سُلَيْمَانَ وَوَلَدِهِ .

وله من الكتب : كتاب الْمُبَيِّضَةِ ، وهو في مقاتل الطالبيين . كتاب الأنواء . كتابُ مَثالبِ أبي نواس . كتاب أَخبَارِ سُلَيْمَانَ بن أبي شَيْخٍ . كتاب الزِّيَادَةِ في أَخْبَارِ الوزراء لابن الجراح . كتَابُ أخبار حُجْرِ بن عديّ . كتاب أخبارِ أبي نواس . كتاب أَخْبَارِ ابن الرومي وَمُخْتَارِ شعره . كتاب المناقضات . كتاب أخبار أبي العتاهية . كتاب الرِّسَالَة في بني أُمَيَّةَ . كتاب الرسالة في تفضيل بني هاشمٍ ومواليهم وذمِّ بني أُمَيَّةَ وأتباعهم . كتاب الرسالة في الْمُجْدِبِ وَالْمُخْدِثِ ، كتاب أخبار عبد اللَّه بن مُعَاوِيَة الجعدي ، كتاب الرسالة في مثالب معاوية .

وذكره أبو عبد الله[2] المرزباني في « كتاب المعجم » فقال : وذكر أنه مات في سنة عشر وثلاثمائة قال : وهو القائلُ :

وَعَيَّـرْتَني النُّقصانَ والنَّقْصُ شـامِلٌ ... ومن ذا الَّذي يُعْطَى الكمالَ فَيَكْمُلُ؟
وَأُقسِمُ أنّـي نـاقصٌ غَيْـرَ أنـني ... إذا قِيسَ بي قَـوْمٌ كـثيـرٌ تَـقَلَّلُوا
تَفاضَلَ هذا الْخَلْقُ بالعِلمِ والحِجَى ... ففي أيِّمَـا هـذيْن أنْت فَتَـفْضُـلُ
ولـو منح اللَّه الكمـالَ ابنَ آدمٍ ... لَـخَلَّدَهُ والـلَّهُ مـا شـاءَ يَـفْـعَـلُ

وذكر ابن زنجيّ أبو القاسم الكاتب قال : كان الوزير أبو الحسن عليُّ بن مُحمد بن الفرات قد أطلق في وزارته الأخيرةِ لِلمُحَدِّثِينَ عِشْرِينَ أَلْفَ دِرْهَمٍ ، فَأَخَذْتُ لأبي العبَّاسِ أحمدَ بن عبيد اللَّه بن عَمَّارٍ، لأنَّه كان يَجِيئُني ويقيمُ عندي، وسمعْتُ منه أخبارَ الْمُبَيِّضَةِ ، وَمَقْتَلَ حُجْرٍ ، وكتاب صِفِّين ، وكتاب الْجَمَلِ ، وَأَخْبَارَ الْمُقَدَّمِيِّ ، وأخبار سليمان بن أبي شيخ وَغَيْرَ ذَلِكَ ، خَمْسمائة درهم .

(1) الفهرست : 166 .

(2) هنا أبو عبد الله ، وقد ورد أبو عبيد الله من قبل .

ـ 110 ـ

أحْمَدُ بن عبد اللّه بن أحمد أبو الحسين الكلوذاني المعروفُ بابن قرعة : من أهْلِ الأدَبِ والفضلِ الغزير ، كتب بِخَطِّهِ الكثيرَ من المصنَّفاتِ الطِّوال ، ولازمَ أبا بكرٍ الصُّوليَّ ، وَتَضَلَّع عليه من أدبه ، وروى عنه ، وطلب الأدبَ طُولَ عمره ، ثُمَّ عاد إلى بَلدِهِ كَلْواذى ، فَأَقام بها طولَ عمره ، وقصده الناسُ ، فكان أديبَهَا وفَاضلها ، ولم يَزَلْ بها إلى آخر عمره .

ـ 111 ـ

أحمد بن عبيد الله بن الحسن بن شُقَيْر ، أبو العلاءِ البغداديُّ : ذكره الحافظ أبو القاسم في « تاريخ دمشق »(1) وقال : حَدَّثَ عن أبي بكرٍ مُحَمَّد بن هارون بن المحدوِّ(2) ، وحامد بن شعيب البلخيِّ والهيثم بن خلف وأبي بكر الباغندي والبغوي وأبي عمر الزاهد وأبي بكر ابن الأنباري وابن دريد وأحمد بن فارس وأبي بكر أحمد بن عبد الله بن سيف السجستاني . روى عنه تمام الرازي ومكي بن محمد بن الغمر وأبو نصر عبد الوهاب ابن عبد الله بن الحيان ومحمد بن عبد الله بن الحسن الدوري .

110 ـ ترجمة ابن قرعة في تاريخ بغداد 4 : 254 والوافي 7 : 174 .

111 ـ ترجمة ابن شقير في الوافي 7 : 119 (أحمد بن عبد الله بن شقير) وأعاد ترجمته 7 : 175 (أحمد بن عبيد الله بن شقير) وعلى هذا فيمكن الرجوع إلى تاريخ بغداد 4 : 254 وإنباه الرواة 1 : 84 وبغية الوعاة 1 : 333 .

(1) انظر مختصر تاريخ دمشق لابن منظور 3 : 148 (تحقيق رياض مراد) .

(2) ابن عساكر : المجدد .

- 112 -

أحمد بن علي بن يحيى بن أبي منصور المنجم أبو عيسى : نذكر كلَّ واحدٍ من آبائه وأعمامه وأهل بيته في بابه إن شاء اللّٰه تعالى وحده ، وأما نسبهم وولاؤهم وأوليتهم فنذكره في باب جده يحيى بن أبي منصور المنجم إن شاء الله . وكان أحمد هذا نبيلاً فاضلاً ، وذكره محمد بن إسحاق النديم فقال: وله كتاب تاريخ سني العالم .

- 113 -

أحمد بن علي أبو بكر الميموني البرزندي النحوي : ذكره أبو الفتح منصور بن المعذر النحوي الأصفهاني المتكلم ، وقد ذكر جماعة من المعتزلة النحويين ، فذكر أبا سعيد السيرافي وأبا علي الفارسي وعلي بن عيسى الرماني وغيرهم ثم قال : وأبو بكر أحمد بن علي النحوي البرزندي الشافعي النحوي[1] المعتزلي القائل:

إذا مت فـانْعَيني إلى العلم والنهى ... وما حَبَّرْت كفّي بما في المحابرِ
فـانيَ من قوم ٍ بهم يفخـرُ الهـدى ... إذا أظلمتْ بالقوم طُرْقُ البصائر

- 114 -

أحمد بن علي بن وصيف المعروف بابن خشكنانجه : يكنى أبا الحسين ، وكان أبوه علي الملقب بخشكنانجه فاضلاً ، وقد ذكر في بابه[2] . مات أحمد ببغداد . وذكره محمد بن اسحاق النديم[3] وقال : كان كاتباً بليغاً فصيحاً شاعراً ، وله من الكتب : كتاب النثر الموصول بالنظم . كتاب صناعة البلاغة . كتاب الفوائد .

---

112 - ترجمة أبي عيسى ابن المنجم في الفهرست: 161 وانظر ما يأتي رقم 116 .

113 - ترجمة الميموني النحوي في الوافي 7: 236 وبغية الوعاة 1 : 349 .

114 - ترجمة ابن خشكنانجة في الوافي 7: 227 وقال فيه : «كان من متأدبي الكتاب ويذهب مذهب الشيعة ويحضر مجالس النظر ويتكلم، نادم الوزراء ومدحهم منذ أيام المهلبي » وأورد له قصيدة كتب بها إلى أبي اسحاق الصابي .

(1) النحوي : مكررة . (2) ترجمته رقم : 848 . (3) الفهرست : 155 (وكناه أبا الحسن) .

- 115 -

أحمد بن علي القاساني اللغوي أبو العباس : يعرف بلوه وقيل بابن لوه ، لا أعرف من أمره إلا ما قرأته بخطّ بديع بن عبد الله فيما كتبه عن أبي الحسين أحمد بن فارس اللغوي ، أنشدني أحمد بن علي القاساني اللغوي :

اغسلْ يديكَ من الثقاتِ فاصرمهمُ صَرْمَ البتاتِ
واصحبْ أخاك على هواهُ ودارِهِ بالتُرَّهاتِ
ما الودُّ الا باللسانِ فكنْ لسانيَّ الصفاتِ

وقال في موضع آخر منه : سمعت أبا العباس أحمد بن علي القاساني يقول : سمعت أعرابياً بالبادية يقول :

قل لدنيا أصبحتْ تلعبُ بي سلَّط اللّه عليكِ الآخرَهْ

قلت أنا : هذا البيت معروفٌ للحسين بن الضحاك مع بيت آخر هو[1] :

إن أكنْ أبردَ من قنينةٍ أو من الريش فأمي فاجرَهْ

وقال في موضع آخر : أخبرني أبو العباس أحمد بن علي القاساني ، يعرف بلوه ، وقال في موضع آخر : يعرف بابن لوه ، بقزوين قال : كنت بالبصرة وبها أبو بكر ابن دريد ، فبينا نحن في مجلسه ورد علينا رجلٌ من أهل الكوفة فجعل يسأله عن مسائل يظهر فيها لنا أنه يتعنته ويتسقّطه ، فأقبل عليه أبو بكر فقال له : يا هذا قد عرفتُ مغزاك وأحبُّ أن تجمعَ ما تريدُ أن تسألني عنه في قرطاس وتأتيني به وتأخذ مني الجواب بديهة إن شئت أو روية ، فمضى الرجلُ وجاءه بعد ثلاث ، وقد جمع له ، فما سأله عن مسألة إلا وأبو بكر يبادره بالجواب والرجل يكتب ، ثم إنا سألنا الرجلَ فأعطانا المسائلَ والجوابَ فكتبتها وهي هذه سماعي من أبي بكر لفظاً : القهوسة : مشية بسرعة . القعسرة : الصلابة والشدة . القعنسة : الانتصاب في الجلسة ، ويقال

---

115 - ترجمة القاساني في بغية الوعاة 1 : 349 .

(1) البيتان في الأغاني 7 : 200 .

القعنسة : أن يرفعَ الرجلُ رأسه وصدره . القعوسة : التذلل . العرطسة : استرخاء وبلادة في الإنسان . البحدلة : القصر . بهدل : طائر . الكهدل : الشابة الناعمة . غطمش من قولنا تغطمش علينا إذا ظلمنا . هجعم من الهجعمة وهي الجرأة . خضارع من الخضرعة : وهي التسمح بأكثر مما عند الانسان . التخثعم : الانقباض . الخثعمة : التلطخ بالدم . الشغفر . المرأة الحسناء . الكلحبة : العبوس ، ويقال كلحبت النار إذا مدَّت لسانها . سنبس من الصلابة واليبس . البلندي : الغليظ الصلب . القرثعة : تقرّد الصوف ، في حروف نحو هذه .

قال ابن فارس ، أنشدني أبو العباس أحمد بن علي القاساني ، وكان يعرف بابن لوه ، قال أنشدني أبو عبد الله نفطويه لبعض الأعراب :

إذا والــهٌ حَنَّتْ من الليــلِ حَنَّــةً … إلـى إلفـهــا جــاوبتُـهــا بحـنيـنِ
هنـــالــك لا روّادهم يـبلغــونـنــا … ولا خَـبَــرٌ يجـلو العَـمَى بـيقـيـن

وقــال ، قال أبـو العباس : حججت فـوقفتُ على أعرابيـة فقلت لهـا : كيف أصبحتِ ؟ فقالت :

بخيـرٍ على أنَّ النـوى مــطمئنـةٌ … بليلى وان العيـنَ بسادٍ معينـهــا
وإني لبــاكٍ من تفــرُّقِ شملهـم … فَمَنْ مُسْعِـدٌ للعينِ أم مَنْ يعينهـا

قال وأنشدني :

ألا ليتَ شعــري هــل أبيتن ليلة … بـواد به الجثجـاثُ والسَّلَمُ النُّضْـرُ

قال ابن فارس ، وأنشدني أحمد بن علي القاساني :

وأَمْسَتْ أحبَّ النـاسِ قربـاً ورؤيةً … إلى قلبـه سلمى وإن لـم تَحَـبُّبِ
حـبـبـتُ إلـيــه كـــلَّ وادٍ تـــحـلّه … سليمى خصيباً كان أو غيرَ مخصب

قال وأنشدني :

وإذا دعــا داعٍ بهــا فــدَّيتـهـــا … وعضضتُ من جَزَعٍ لفرقتها يدي
لا تبعدنْ تلك الشمائـلُ والحلى … منهــا وإن سكنتْ محـلَّ الأبَّـد

ـ 116 ـ

أحمـد بن علي بن هـارون بن علي بن يحيى بن أبي منصـور المنجم ، أبو الفتح : أحدُ من سلكَ سبيل آبائِهِ في طُرُقِ الأدابِ واهتدى بهم في التـولج إلى الفضائل من كـلِّ فن ، روى عنه أبـو علي التنوخي في « نشـواره » فأكثـر ، ووصفه بـالفضل ومـا قصَّر ، وأنشـد له أشعـاراً قال : أنشـدني أبو الفتـح أحمد بن علي بن هارون بن يحيى المنجم في الوزيـر أبي الفرج محمـد بن العباس بن فسـانجس في وزارته ، وقد عمل على الانحدار إلى الأهواز لنفسه :

قـل للوزيرِ سليـلِ المجدِ والكَـرَم ... ومن لـه قامتِ الـدنيـا على قَـدَمِ
ومن يـداه معاً تجـري ندىً وردىً ... يجريهما عَدْلُ حُكْمِ السيفِ والقلم
ومن إذا همَّ أن تمضي عـزائمـه ... رأيتَ مـا تفعـلُ الأقـدار في الأمم
ومـن عـوارفُـهُ تهـمي وعـادتُـهُ ... في ربِّ بـدأتِـهِ تنمي على القـدم
لأنت أشهر في رَعْيِ الذمامِ وفي ... حُكْمِ التكـرّم من نـار على علم
العبـدُ عبـدك في قُـرْبٍ وفي بُعُـدٍ ... وأنت مـولاه إن تـظعنْ وإن تقم
فَمُـرْهُ يتبعـك أو لا فـاعتمـده بمـا ... تجري به عادةُ الملاّك في الخـدم

قـال : وأنشدني لنفسـه ، وذكر أنـه لا يوجـد لها قـافية رابعـة من جنسها في الحلاوة(1) :

116 ـ انظر رقم: 112 حيث ترجم ياقوت لأحمد بن علي بن يحيى وهو الذي يكنى بأبي عيسى ؛ وقد ترجم الصفدي 7 : 228 لواحد كنيته أبو عيسى وسماه أحمد بن علي بن هارون بن علي بن يحيى والمفروض أنه غير أبي الفتح الذي يترجم له ياقوت هنا ؛ فأبو الفتح هـذا ترجم لـه الخطيب 4 : 318 وذكـره الثعالبي 3 : 394 وهو الذي يروي عنه التنوخي (انظر النشوار 3 : 204 ، 284 ، 285) ؛ وهناك أبو عيسى ابن المنجم (من رجال القرن الرابع ومن ندماء الصاحب) وهو الذي ترجم له الصفدي ، كما ذكرت ، وأشار إليه أبو حيان في الامتاع 1 : 56 ـ 57 وذكر أنه لا يقرض مصراعاً ولا يزن بيتاً ولا يذوق عروضاً. وذكره في أخلاق الوزيرين: 160 (وأخطأ المعلّق في تحديد من هو المقصود هنا من بني المنجم). ولعلَّ أبا عيسى هو أحمد بن يحيى بن علي بن يحيى بن المنجم .

(1) أصل هذا في نشوار المحاضرة 3 : 204 وذكر التنوخي أنها وردت أيضاً في جزء آخر من كتابه (وقد وقعت في الجزء الرابع نقلاً عن معجم الأدباء ، فهو جزء مجموع) .

سيـدي أنت ومـن عـادتُـهُ		بـاعتـداءٍ وبجـورٍ جـاريـهْ
أنصفِ المظلومَ وارحم عبرةً		بـدمـوعٍ ودمـاء جـاريـهْ
ربمـا أكني بقـولي سيـدي		عند شكواي الهوى عن جاريهْ

قال : وأنشدني لنفسه والقافية كلها « عود » باختلاف المعنى :

العيشُ عـافيـةٌ والـراح والعـودُ		فكـلُّ من حاز هـذا فهو مسعـودُ
هـذا الذي لكُمُ في مجلسٍ أنِقٍ		أشجـارهُ العنبـرُ الهنـديُّ والعـود
وقينـةٌ وَعْـدُهَـا بـالخلفِ مقتـرنٌ		بـمـا يـؤمِّـلُهُ راجٍ ومـوعـود
وفتيـة كنجـوم الـليـلِ دأبهـمُ		إعمالُ كأسٍ حذاها النـار والعود
فاغدوا عليَّ بكاسِ الراح مترعةً		عَوْداً وبدءاً فـإن أحمدتمُ عـودوا

ـ 117 ـ

أحمد بن علي أبو الحسن البتي الكاتب : كان يكتب للقادر بالله عند مقامه بالبطيحة ، ولما وصلته البيعة كتب عنه إلى بهاء الدولة . وكان البتي حافظاً للقرآن تالياً له مليحَ المذاكرة بالأخبار والآداب ، عجيبَ النادرة ظريفَ المزح والمجون.

قال ابن عبد الرحيم : كان البتي في بدء أمره يلبس الطيلسانَ ويسمعُ الحديثَ ويقرأ القرآن على شيوخ عصره ، وكان يذكر أنه قرأ القرآن على زيد بن أبي بلال ، وكان غايةً في جميع[1] خلالِ الأدب ، يتعلقُ بصدورٍ وافرة من فنون العلم ، ويكتب خطاً جيداً ، ويترسَّلُ ترسلاً لا بأسَ به ، وينظم شعراً دون ما كان حَظِيَ به من العلم ؛ ثم لبس من بعدُ الدرَّاعةَ وسلكَ في لبسه مذاهبَ الكتاب القدماء ، وكان يلبس الخفَّين والمبطَّنة ويتعممُ العمَّةَ الثغريةَ وإن لبس لالجة[2] لم تكن إلا مربدية[3] ، وكان لا

117 ـ ترجمة البتي في تاريخ بغداد 4 : 320 والمنتظم 7 : 263 والوافي 7 : 231 .

(1) الوافي : في جمع .
(2) اللالجة أو اللالكة : ضرب من النعال .
(3) الوافي : مريدية .

يتعرض لحلق شعره جرياً على السنة السالفة . وكتب من بعدُ في ديوانِ الخلافة ، وكان له حرمةٌ بالقادر بالله رعاها له ، ثم غلب على أخلاقه الهزلُ وتجافى الجدَّ بالواحدة وانقطع إلى اللعب ، وكان شكله ولفظه وما يورده من النوادر يدعو إلى مكاثرته والرغبة إلى مخالطته ، فحضر مجلسَ بهاءِ الدولة في جملة الندماء ، ونفقَ عليه نَفاقاً لا مزيدَ عليه ، ولم يكن لأحدٍ من الرؤساء مسرَّةٌ تتمُّ ولا أنسٌ يكملُ إلا بحضوره ، فكانوا يتداولونه ولا يفارقونه ، ونادم الوزراءَ حتى انتهى إلى منادمة فخر الملك ، وأعجب به غايةَ الإعجاب وأحسن إليه غاية الاحسان ، ومات في أيامه . وكانت له نوادر مضحكةٌ وجواباتٌ سريعة لا يكادُ يلحقه فيها أحد ، وتعرَّض لغيبة الناس تعرضاً قلَّ ما أخلَّ به على الوجهِ المضحك الذي يكون سبباً إلى تدارك تلك المنقصة وطريقاً إلى [تغمد] زلته فيها بما اعتمده من التطايب. وكان يذهب مذهبِ المعتزلة ويميل إلى فقه أبي حنيفة، ويتعصَّبُ للطائيِّ تعصباً شديداً ، ويفضل البحتريَّ على أبي تمام ويغلو فيه غاية الغلو .

فمن نوادره الشائعة أنه انحدر مع الرضيِّ والمرتضى وابن أبي الريان الوزير وجماعةٍ من الأكابر لاستقبال بعضِ الملوك ، فخرجوا عليهم اللصوصُ ورموهم بالحذّافات ، وجعلوا يقولون : ألا حلوا يا أزواجَ القحاب ؛ فقال البتي : ما خرج هؤلاء علينا إلا بعينٍ ، قالوا : ومن أين علمت ؟ قال : وإلا فمن أين علموا أنا أزواجُ قحاب ؟! .

وكان البتي صاحبَ الخبر والبريد في الديوان القادري ومات في شعبان سنة ثلاث وأربعمائة ؛ وله تصانيف منها : كتاب القادري . وكتاب العميدي . كتاب الفخري .

قال الوزير أبو القاسم المغربي : كان أبو الحسن البتي أحدَ المتفننين في العلوم لا يكاد يُجارَى في فنٍّ من فنون العلوم فيعجز عنه ، وكان مليحَ المحاضرة كثيرَ المذاكرة طيِّبَ النادرةِ مقبولَ المشاهدة ، رأيته على باب أحد رؤساء العمال وقد حجب عنه فكتب اليه :

على أي بابٍ أطلبُ الإذنَ بعدما حُجِبْتُ عن الباب الذي أنا حاجبُهْ

فخرج الاذن له في الحال .

وحدث الرئيس أبو الحسين هلال بن المحسن قال : كنتُ مع فخر الملك أبي غالب ابن خلف بالأهواز فكتب الى أبي ياسر عمار بن أحمد الصيرفي : احمل إلى أبي الحسن البتي مائتي دينار مع امرأةٍ لا يعرفها ، واكتبْ معها رقعةً غيرَ مترجمة ، وقلْ فيها : قد دعاني ما آثرته من مخالطتك ، ورغبتُ فيه من مودتك ، الى استدعاء المواصلة منك، وافتتاح بابِ الملاطفة بيني وبينك ، وقد أنفذتُ مع الرسول مائتي دينار . فأخذها أبو الحسن وكتب على ظهر الرقعة : مالٌ لا أعرف مهديه فأشكر له ما يوليه ، إلا أنه صادف إضاقةً دعتْ إلى أخذه والاستعانةِ في بعض الأمور به ، وقلت[1] :

ولم أدرِ من ألقى عليه رداءَهُ سِوَى أنه قد سُلَّ عن ماجدٍ محضِ

وإذا سهَّل الله لي اتساعاً رددت العوضَ موفوراً ، وكان المبتدىء بالبر مشكوراً.

وكان أبو الحسن قد فطن للقصة ، وكتب ما كتب على بصيرة . ولما أنفذ أبو ياسرٍ بالجواب أقرأنيه فخر الملك ، فاستحسنتُ وقوعَ هذا البيت موقعه من التمثل.

ومن شعر الرضيّ الموسوي إليه الأبيات المشهورة[2] :

أبا حسن أتحسبُ أن شوقي يقلُّ على مكاثرةِ[3] الخطوبِ
يهشُّ لكم على العرفانِ قلبي هشاشَتَهُ إلى الزَّوْرِ الغريبِ
وألفظ غيركم ويسوغُ عندي ودادكمُ مع الماءِ الشروبِ

ورثاه الرضيّ الموسوي بقوله[4] :

ما للهموم كأنها نار على قلبي تشبُّ
والدمعُ لا يرقا له غَرْبٌ كأن العين غَرْبُ
ما كنت أحسبُ أنني جَلْدٌ على الأرزاءِ صعب
ما أخطأتك النائبا تُ إذا أصابت من تحبّ

(1) البيت لأبي خراش الهذلي (شرح أشعار الهذليين: 1231) .
(2) ديوان الرضي (بيروت) 1 : 193 .
(3) الديوان : معارضة .
(4) ديوان الرضي 1 : 170 .

ورثاه المرتضى أخو الرضي بقوله(1) :

عـرِّجْ على الـدار مغبرّاً جـوانبُهـا ... فاسأل بها عجلاً عن سـاكنِ الدارِ
وقـلْ لهـا أين مـا كنَّـا نـراهُ على ... مـرِّ المدَى بـكِ من نَقْضٍ وإمرار
وأيـن أوعيــةُ الآدابِ فـاهـقـةً ... تجري خلالكِ جَرْيَ الجدولِ الجاري
يـا أحمدَ بنَ عليّ والـردى عَـرَضٌ ... يـزورُ بـالـرغم منَّـا كـلَّ زوار
علقتُ منـك بحبـلٍ غيـرِ منتكثٍ ... عنـد الحفـاظِ وَعُـودٍ غيـرِ خَـوّار
وقد بلوتُكَ في سُخْطٍ وعنـد رضىً ... وبـيـن طـيٍّ لأنبـاءٍ وإظـهـار
فـلم تُفِـدْنـيَ إلا مـا أضـنُّ بـه ... ولـم تـزدنـيَ إلا طـيـبَ أخـبـار
لا عـارَ فيما شـربتَ اليـومَ غُصّتَهُ ... من المنونِ وهل بـالموتِ من عـار
ولم ينلك سـوى ما نـال كـلَّ فتىً ... عـالي المكـانِ ولاقى كـلُّ جبار

وأمـر بهاء الـدولة أبـا الحسن البتي أن يعمل شعـراً يكتب على تكة إبـريسم فقال(2) :

لم لا أتيــهُ ومضجـعي ... بين الروادفِ والخصورِ
وإذا قُـسِمْتَ فـإنـنـي ... بين التـرائب والنحـورِ
ولقــد نشـأتُ صغيــرةً ... بأكفِّ ربّـات الخــدورِ

وله يصف كوز الفقاع(3) :

يــا ربَّ ثـديٍ مصصتُــهُ بكــراً ... وقــد عــرانـي خُمــارُ مـغبــوقِ
لــه هــديــرٌ إذا شــربــتُ بــه ... مثـلُ هديـرِ الفحـولِ في النـوقِ
كــأن تــرجـيعَــهُ إذا رشـفَ الـ ... ــراشفُ فيــه صيــاحُ مخنــوقِ

(1) ديوان المرتضى 2 : 78 (وفي العنوان أنه يرثي أبا الحسن احمد بن علي البيهقي ، وفي لفظة « البيهقي » تصحيف) .

(2) وردت الأبيات في تاريخ بغداد .

(3) انظر المصدر السابق ، والوافي 7 : 233 .

وله أيضاً :

ما احمرت العينُ من دمعٍ أضرَّ بها في عَـرْصَتَيْ طَلَلٍ أو إثرَ مـرتحـلِ
لكن رآهـا الذي يهـوى وقد نـظرتْ في وجه آخرَ فاحمرَّتْ من الخجلِ

قال ابن عبد الـرحيم : وكان القـادر باللّه استتـر عنده لمـا طلبه الـطائع قبـل انحداره ، وأخذ يده أن يستلينه ، فلما ولي وقضي الأمر صرف ابن حاجب النعمان ورتبه في كتابته ، واتفق أنْ كان ذلك في وقت الأضحى ، فخرج إليه خادمٌ على العادة في مثل ذلك فقال له : رُسِمَ أن تحصَى أَسقاطَ الأضاحي ، فقال لغلامه : خذِ الدواةَ فإنَّ القومَ يريدون كيرعانياً[1] ولا يريدون كاتباً، وانصرف بهذا المزح من الخدمة، وكان الهزلُ قد غلبَ عليه وعزبَ عنه الجِدُّ جملةً .

وكان بينه وبين الرضيِّ مقارضةٌ لكلامٍ جرى بينهما ، فاتفق أن اَجتاز بقرب دار الرضيِّ عند مسجد الأنباري ، فقال لغلامه : ملْ بنا عن تلك الدار فإني أكرهُ المرورَ بها ، فالتفتَ فوقعتْ عينه على الرضي ، فتمم كلامه من غير أن يقطعه وقال : فإنني لا وَجْهَ لي في لقائه لطولِ جفـائه ، فـاستحسن هذا من بـديهته ، ودخـل دار الرضيّ واصطلحا .

ومن نوادره أنه سمع يوماً أصواتَ الملاحين وارتفاعَ ضجـةٍ فقال : مـا هذا ؟ فقالوا : هؤلاء أولاد أبي الفضل ابن حاجب النعمـان وأبي سعيد ابن أبي الخـطاب وجماعة أولادهم ، فقال : ما بيننا وبين هؤلاء إلا موت الآباء ؟

ورأى معلماً قبيحَ الوجه يُعْرَفُ بنفّاط الجن ، وكان وحشاً انكشفتْ سوءته ، فقال له : يا هذا استر عورتك السفلى ، فإنك قد أَدليتَ ولكنْ بغير حُجَّة .

واستقبل أبا عبد اللّه ابن الدرّاع في ميدان بستانِ فخر الدولة ، وهو متكيء على يدِ غلامٍ أسود ، فقال أبو عبد اللّه : هذا الأسودُ يصلح لخدمة سيدنا ، فقال البتي : أي الخدم ؟ فقال : خدمة الفراش ، فقال : اللهم غفراً أُرمى بالبغاء وليس في منزلي خنفساء وَيَعْرَى منه سيدنا وفي داره جميعُ بني حام؟!

---

(1) لعلّه : يريدون كراعياً .

بشر ابن الحواري بمولود ، وكان ابن الحواري سمجَ الخلقة ، فقال له البتي : إن كان هذا المولود يشبهك فويه ثم ويه .

وسقاه الفقاعي في دار فخر الدولة فقاعاً فلم يستطبه ، فردَّ الكوز مفكراً ، فقال له الفقاعي : في أيِّ شيءٍ تفكر ؟ فقال : في دقة صنعتك ، كيف أمكنك أن تَخْرَى في هذه الكيزانِ كلِّها مع ضيقِ رأسها .

واتاه غلامُهُ في مجلسٍ حَفْلٍ فقال له : ان ابنك وقع من ثلاث درج ، فقال : ويلك من ثلاثٍ بقين أو خلون ؟ فلم يَفْهَمْ عنه ، فقال : إن كان خَلَوْنَ فسهلٌ وان بقينَ فيحتاج إلى نائحة .

ودخل الرقي العلويّ على فخر الملك فقال : أطال اللّه بقاء مولانا وأسعده بهذا اليوم ، فقال له : وأيُّ يوم هذا ؟ فقال : أيلون ، فقال البتي ، بالنون ؟ فقال : ما قرأتُ النحو ، فقال البتي : أنت إذاً معذور فإنك ثلاثة أرباع رقيع (أراد رقيّ إذا ألحقتَ به العينَ وهو الحرفُ الرابعُ صار رقيع) .

قال ابن عبد الرحيم : وكان بين البتي وبين أبي القاسم ابن فهد ملاحاةٌ ومنابذة ثم أصلح فخر الملك بينهما ، فعمل فيه أبياتاً يقول فيها :

قلتُ للبتيِّ لما رام صُلْحي من بعيدِ

وكان يُرْمَى بالبخر ويزنّ بالأبنة أيضاً .

وقال فيه أيضاً :

وكلّ شرطٍ للصلح أقبله إن أنتَ أعفيتني من القُبلِ

وحدث ابنُ عبد الرحيم قال : وكان البتي مقبولاً مستملحاً في جميع أحواله ولم يكن فيه أقلّ من شعره ، فإنه كان في غاية البردِ وعدم الطبع ، وكان قد عمل في فخر الملك وهو يسدّ بَثْقَ النهروانِ قصيدةً يصفُ فيها السِّكْرَ قال فيها :

إذا أتاه الماءُ من جانبٍ عاجله بالسدِّ من جانبِ

فقال له : هذا واللّه أيها الاستاذ بارد ، وأعاده فحكى البيت وتأمله ، وقال : نعم واللّه هو بارد ، وجعل يعوج على نفسه ويكرر الانشاد مستبرداً له ، فضحك فخر الملك منه وقطع الإنشادَ ولم يتممه .

قال : ولم يكن يسلم أحدٌ من لسانه وتعويجه وثلبه له ، وإذا اتفق أن يسمعه من يقولُ ذلك فيه التفت إليه كالمعتذر وقال : مولاي ها هنا ؟ ما علمتُ بحضوره ، ويجعل كَوْنَهُ ما عَلِمَ بحضوره اعتذاراً كأنه مباحٌ له ثلبه بالغيبة .

قال : وكان مع ذكائه وتوقده وكثرة طَنْزِهِ وتولّعه أشدَّ النـاس غباوةً في الأمـور الجديات وأبعدهَم من تصورها ، وكان له معرفةٌ تامةٌ بالغناء وصنعته ، ولا تكاد المغنيةُ تغنّي بصوت إلا ذكر صَنْعَتَهُ وشاعرَهُ وجميعَ ما قيل في معناه .

وله من قصيدة في ابن صالحان :

سلِ الربعَ بالخبتين كيف معاهدُهْ — وأنَّى بـرجع القـولِ منه هـوامدُهْ
عفتْ حِقَبـاً بعدَ الأَنيس رسـومُـهُ — فـلم يبـقَ إلا نـؤيُـهُ وخـوالـدهْ
ديارٌ نزفتُ الـدمعَ في عَـرَصاتهـا — تؤاماً إلى أن أقرحَ الجفنَ فـاردهْ
أرقتُ دمـاً بعد الـدموعِ نـزحتُـهُ — من القلب حتى غيَّضته شـواردهْ
سـأستعتبُ الدهـرَ الخؤونَ بسيّدٍ — يـردُّ جِماحَ الـدهرِ إذ هـو قائـدهْ
سواءٌ عليه طارفُ المالِ في الندى — إذا مـا انتحاه السـائلون وتـالـدهْ

وله فيه :

قَـرْمٌ إذا اعتـذرتْ نـوافـلُ بـرِّهِ — لم يُلْفَ دافـعَ حقِّهـا بـمعـاذرِ
من معشرٍ ورثوا المكـارمَ والعـلا — وتقسَّمُـوهـا كـابراً عن كـابـرِ
قـومٌ يقـومُ حـديثُهمْ بقـديمهم — ويسيـرُ أولـهم بـمجـدِ الآخـرِ

وكان أبو إسحاق الصابيء قد عمل لأبي بشر ابن طازاد نسخةَ كتابٍ أراد إنشاءه ونحله اياه ، فكتب إليه أبوالحسن البتي يعرِّضُ بذلك :

زكـاةُ العلومِ زكـاة النـدَى — وَعُرْفُ المعارفِهِ بذلُ الحجى
ولـكـنْ يـجـرّ بـه أهـله — فـأجـرِ بنيلك فَضْـلَ التقى
لئـن كنـتَ أوجبتـه قُـرْبـةً — لمـا وقع المـوقعَ المـرتضى
ومـا صدقـاتُـكَ مقبـولـةٌ — إذا مـا تنكبتَ فيهـا الهـدى

قد عرفت ـ أطال اللّه بقاء سيدي ـ العاريةَ والمستعير وكيف جرى الأمر في ذلك ، وما ظننت أن هذا يجري مجرى الماعون الذي لا يحسن منعه ولا يقع المعرض موقعه بل يُسَلّ لوقته عن لابسه .

ـ 118 ـ

أحمد بن علي بن محمد أبو عبد اللّه الرماني النحوي المعروف بابن الشرابي : ذكره أبو القاسم[1] فقال : سمع عبد الوهاب بن حسن الكلابي وأبا الفرج الهيثم بن أحمد الفقيه وأبا القاسم عبد الرحمن بن الحسين بن الحسن بن علي بن يعقوب بن أبي العقب . حدث بكتاب « اصلاح المنطق » ليعقوب بن السكيت عن أبي جعفر محمد بن أحمد الجرجاني عن أبي علي الحسن بن إبراهيم الآمدي عن أبي الحسن علي بن سليمان الأخفش عن ثعلب عن ابن السكيت . روى[2] عنه ابو نصر ابن طلاب الخطيب . قال ابن الاكفاني : حدثنا عبد العزيز بن أحمد الكناني توفي أبو عبد اللّه احمد بن علي الرماني الشرابي النحوي يوم الجمعة ليومين مضيا من ربيع الآخر سنة خمس عشرة وأربعمائة .

ـ 119 ـ

أحمد بن علي بن خيران الكاتب المصري أبو محمد : الملقب بوليّ الدولة ، صاحب ديوان الانشاء بمصر بعد أبيه ، وكان أبوه أيضاً فاضلاً بليغاً أعظم قدراً من ابنه

118 ـ ترجمة ابن الشرابي في إنباه الرواة 1 : 88 والوافي 7 : 212 وبغية الوعاة 1 : 347 .

119 ـ ترجمة ابن خيران في الوافي 7 : 234 والاشارة لابن الصيرفي : 34، 35، والمغرب (قسم القاهرة) : 244 وانظر صبح الأعشى 1 : 96. وقال ابن سعيد إنه وقع له ديوان شعره وانه وقف على رسائله في مجلدين واكثرها من طبقة المغسول المسبوع لا تقف منها على غريبة ولا تظفر بنادرة (قارن هذا برأي هلال بن المحسن في ما يلي) .

(1) يعني ابن عساكر ، انظر تهذيبه 1 : 411 وكأنه سقط من مختصر ابن منظور .

(2) إنباه : رواه (يعني إصلاح المنطق) .

وأكثرَ علماً ، وكان أبو محمد هذا يتقلَّدُ ديوانَ الانشاءِ للظاهر ثم للمستنصر ، وكان رزقه في كلِّ سنة ثلاثة آلاف دينار ، وله عن كلّ ما يكتبه من السجلات والعهود وكتب التقليدات رسومٌ يستوفيها من كل شيء يحسبه ، وكان شاباً حسنَ الوجه جميلَ المروءةِ واسعَ النعمةِ طويلَ اللسان جيّدَ العارضة . وسلَّم إلى أبي منصور ابن الشيرازي رسول [أبي] كاليجار إلى مصر من بغداد جزءين من شعره ورسائله ، واستصحبهما إلى بغداد ليعرضهما على الشريف المرتضى أبي القاسم وغيره ممن يأنس به من رؤساء البلد ، ويستشيرُ في تخليدهما دارَ العلم ، ليُنْفِذَ بقيةَ الديوان والرسائل إن عَلِمَ أنَّ ما أنفذه منها ارتُضِيَ واستجيد ، وانه فارقه حياً ، ثم ورد الخبر بأنه مات في شهر رمضان سنة إحدى وثلاثين وأربعمائة في أيام المستنصر .

قال ابن عبد الرحيم : ووقع إليَّ الجزءُ من الشعر فتأملته فما وجدته طائلاً ، وعرّفني الرئيس أبو الحسين هلال بن المحسن أن الرسائلَ صالحةٌ سليمة ، قال : وقد انتزعت من المنظوم ، على خُلُوّهِ إلا من الوزن والقافية . فمن شعره :

عشقَ الزمان بنوه جهلاً منهمُ ... وعلمتُ سوءَ صنيعه فشنئتُهُ
نظروه نظرةَ جاهلين فغرَّهُمْ ... ونظرتُهُ نَظَرَ الخبيرِ فخفتُهُ
ولقد أتاني طائعاً فعصيتُهُ ... وأباحني أحلى جَنَاهُ فعفتهُ

ومن شعره أيضاً :

ولي لسانٌ صارمٌ حدُّهُ ... يُدْمِي إذا شئتُ ولا يَدْمَى
ومنطقٌ ينظمُ شَمْلَ العلا ... ويستميلُ العُرْبَ والعُجْما
ولو دجا الليلُ على أهلِهِ ... فأظلموا كنتُ لهم نجما

ومن شعره أيضاً :

أخذ المجدُ يميني ... ليفيضنَّ يميني
ثم لا أرجىء إحسا ... نا إلى [من] يرتجيني

ومن شعره أيضاً :

ولقد سموتُ على الأنام بخاطرٍ ... اللّهُ أجرى منه بحراً زاخرا

فإذا نظمتُ نظمتُ روضاً حالياً   وإذا نثرتُ نثرتُ دراً فاخرا

وقال على لسان بعض العلويين يخاطب العباسيين[1] :

ويُنْطِقنا فضلُ البِدارِ إلى الهدى[2]   وَيُخْرسكم عن ذكرِ فضلٍ [لكم] بَدْرُ
وقد كانت الشورى علينا غضاضةً   ولو كنتم فيها استطاركم الكبرُ

ومن شعره أيضاً :

يا من إذا أبصرتُ طلعتَهُ   سُدَّتْ عليَّ مطالعُ الحزمِ
قد كفَّ لحظي عنكَ مذ كَثُرَتْ   فينا الظنونُ فكفَّ عن ظلمي

ومن شعره أيضاً :

حَيُّوا الديارَ التي أَقْوَتْ مغانيها   واقضوا حقوقَ هواها بالبكا فيها
ديارُ فاترةِ الألحاظِ فاتنةٍ   جَنَتْ عليكَ ولجَّتْ في تجنيها
ظلَّتْ تسحُّ دموعي في معاهدها   سحَّ السحابِ إذا جادت عَزَاليها

ومن شعره أيضاً :

أيها المغتابُ لي حسداً   مُتْ بداءِ البغي والحسدِ
حافظي من كلِّ معتقِدٍ   فيَّ سوءاً حُسْنُ مُعْتَقَدي

ومن شعره أيضاً :

أما ترى الليلَ قد ولَّتْ كواكبُهُ   والصبحُ قد لاح وانبثتْ مواكبُهُ
ومنهلُ العيشِ قد طابتْ مواردُهُ   والدهرُ وسنانُ قد أغفتْ نوائبُهُ
فقم بنا نغتنمْ صَفْوَ الزمانِ فما   صفا الزمانُ لمخلوقٍ يصاحبُهُ

ومن شعره أيضاً[3] :

خُلِقَتْ يدي للمكرماتِ ومنطقي   للمعجزاتِ ومفرقي للتاجِ

---

(1) وردا من جملة أبيات في المغرب : 246 .
(2) المغرب : فضل البدار عليكم .
(3) البيتان في المغرب : 245 .

وسمــوتُ للعليـاءِ أطلبُ غــايـةً يَشْقَى بها الغاوي ويحظَى الراجي

ومن شعره[1] :

أنــا شـيعـيٌّ لآلِ المـصــطفى غيــرَ أني لا أرى سـبَّ السـلفْ
أقصـدُ الإجمـاعَ في الـدين ومن قصـدَ الاجمـاعَ لم يخشَ التلفْ
لي بنفسي شُغُــلٌ عن كــلٍّ من للهــوى قَـرَّظَ قــومـاً أو قــذفْ

ومن شعره :

فقـام يباهي غـرةَ الشمسِ نـورُهُ وتنصفُ من ظلم الزمانِ عـزائمهْ
أغـرُّ له في العـدل شـرعٌ يقيمـه وليس لـه في الفضل نـدٌّ يقاومـهْ

وقال على لسان ذلك الملك يخاطب الظاهر لاعـزاز دين الله حين أمر بالختم على جميع ما له هذين البيتين ، وكانا السبب في الإفراج عما أخذ منه والرضى عنه :

من شيم المـولى الشريف العلي أَلّا يُــرَى مُــطَّرِحــاً عَــبْــدَهُ
ومــا جــزا من جُنَّ مـن حبـكم أن تــسـلبــوهُ فـضـلكـم عـنــدهُ

وكان ابن خيران قد خرج إلى الجيزة متنزهاً ومعه جماعة من أصحابه المتقدمين في الأدب والشعر والكتابة ، وقد احتفوا به يميناً وشمالاً ، فأدَّى بهم السير إلى مخاضةٍ مخوفة ، فلما رأى إحجامَ الجماعة من الفرسان عنها وظهورَ جزعهم منها قَنَّـع بغلته فولَّجها حتى قطعها ، وانثنى قائلاً مرتجلاً :

ومخاضةٍ يلقَى الردى مَنْ خاضها كنتُ الغـداةَ إلى العدا خـوَّاضهَا
وبذلتُ نفسي في مهاولِ خوضها حتى تنـالَ من العلا أغـراضهـا

وله أيضاً :

من كان بالسيف يسطو عند قُـدْرَتِهِ على الأعـادي ولا يُبْقى على أحدِ
فـإن سيفي الـذي أسـطو بـه أبـداً فِعْلُ الجميلِ وتركُ البغي والحسدِ

---

(1) ورد الأول من هذه الأبيات في المغرب : 247 .

وله أيضاً :

قـد علم السيفُ وحـدُّ القنـا   أنَّ لسـاني منهـمـا أقـطعُ
والقلمُ الأشـرفُ لي شـاهـدٌ   بـأنني فـارسُـهُ المصـقـعُ

قال ابن عبد الرحيم : وهو كثير الوصف لشعره والثناء على براعته وَلَسَنه ، وجميع ما في الجزء بعد ما ذكرته لاحظَّ فيه ، وليس فيه مدح إلا في سلطانهم المستنصر ، والباقي على نحو ما ذكرته في مراثي أهل البيت عليهم السلام ، ولو كان فيه ما يختار لاخترته .

ـ 120 ـ

أحمد بن علي بن ثابت بن أحمد بن مهدي الخطيب أبو بكر البغدادي : الفقيه الحافظ أحد الأئمة المشهورين المصنفين المكثرين ، والحفاظ المبرزين ، ومن ختم به ديوان المحدِّثين . سمع ببغداد شيوخَ وقته ، وبالبصرة وبالدينور وبالكوفة ، ورحل إلى نيسابور في سنة خمس عشرة وأربعمائة وقدم دمشق سنة خمس وأربعين وأربعمائة حاجّاً فسمع بها ، ثم قدمها بعد فتنة البساسيري لاضطراب الأحوال ببغداد ، فآذاه الحنابلة بجامع المنصور سنة إحدى وخمسين فسكنها مدة وحدث بها بعامّةِ كتبه ومصنفاته إلى صفر سنة سبع وخمسين ، فقصد صور فأقام بها ، وكان يتردد إلى القدس للزيارة ثم يعود إلى صور ، إلى أن خرج من صور في سنة اثنتين وستين وأربعمائة وتوجه إلى طرابلس وحلب ، فأقام في كل واحدة من البلدتين أياماً قلائل ، ثم عاد إلى بغداد في أعقابِ سنة اثنتين وستين وأقام بها سنة إلى أن توفي وحينئذ روى « تاريخ بغداد » . وروى عنه من شيوخه أبو بكر البرقاني والأزهري وغيرهما .

---

120 ـ ترجمة الخطيب البغدادي في مصورة تاريخ ابن عساكر 7 : 22 وتهذيب ابن عساكر 1 : 399 ووفيات الأعيان 1 : 76 ومختصر ابن منظور 1 : 173 ـ 176 والمستفاد من ذيل تاريخ بغداد (جـ 18 من التاريخ وذيوله) : 54 وطبقات السبكي 4 : 29 والمنتظم 8 : 265 والوافي 7 : 190 وتذكرة الحفاظ : 1135 وعبر الذهبي 3 : 253 والشذرات 3 : 311 والبداية والنهاية 12 : 101 وتبيين كذب المفتري : 268 وطبقات ابن هداية الله : 57 والنجوم الزاهرة 5 : 87 وللأستاذ يوسف العش كتاب عنه بعنوان : الخطيب البغدادي مؤرخ بغداد ومحدثها (دمشق 1945) .

وقال غيث بن علي الصوري[1] : سألتُ أبا بكر الخطيب عن مولده فقال : ولدت يوم الخميس لست بقين من جمادى الآخرة سنة اثنتين وتسعين وثلاثمائة .

وكان[2] الخطيب يذكر انه لما حجَّ شرب من ماء زمزم ثلاث شربات ، وسأل اللّه عز وجل ثلاثَ حاجات ، أخذ بقول النبي ﷺ ماء زمزم لما شرب له ، فالحاجةُ الأولى أن يحدِّثَ بتاريخ بغداد ببغداد ، والثانية أن يملي الحديثَ بجامع المنصور ، والثالثة أن يدفن إذا مات عند قبر بشر الحافي . فلما عاد إلى بغداد حدَّث بالتاريخ بها ، ووقع إليه جزء فيه سماعُ الخليفة القائم بأمر اللّه ، فحمل الجزءَ ومضى إلى باب حجرة الخليفة وسأل أن يؤذن له في قراءة الجزء فقال الخليفة : هذا رجلٌ كبيرٌ في الحديث فليس له إلى السماع مني حاجة ، ولعل له حاجةً أراد أن يتوصَّلَ إليها بذلك ، فسلوه ما حاجته ، فسئل فقال : حاجتي أن يؤذَنَ لي أن أملي بجامع المنصور ، فتقدم الخليفةُ إلى نقيب النقباءِ بأن يؤذن له في ذلك ، فحضر النقيب وأملى . ولما مات أرادوا دفنه عند قبر بشرٍ بوصيّة منه ، قال ابن عساكر[3] : فذكر شيخنا إسماعيل بن أبي سعد الصوفي ـ وكان الموضع الذي بجنب بشر قد حفر فيه أبو بكر أحمد بن علي الطُّريثيثي[4] قبراً لنفسه وكان يمضي إلى ذلك الموضع فيختم فيه القرآن ويدعو، ومضى على ذلك عدة سنين ـ فلما مات الخطيب سألوه أن يدفنوه فيه فامتنع فقال : هذا قبري قد حفرتُهُ وختمتُ فيه عدة ختمات ، ولا أمكنُ أحداً من الدفن فيه ، وهذا مما لا يتصور . فانتهى الخبر إلى والدي فقال له : يا شيخ لو كان بشْرٌ في الأحياء ودخلتَ أنت والخطيب إليه أيكما كان يقعد إلى جنبه أنت أو الخطيب ؟ فقال : لا بل الخطيب ، فقال له : كذا ينبغي أن يكون في حالة الموت ، فإنه أحقّ به منك ، فطاب قلبه ورضي بأن يدفنَ الخطيب في ذلك الموضع فدفن فيه. وقيل إنه كان يذهب إلى مذهب أبي الحسن الأشعري .

---

(1) يعني في تاريخ صور من تأليفه .

(2) النقل مستمر عن ابن عساكر 7 : 24 (وتهذيبه 1 : 400) .

(3) انظر المصدر السابق نفسه .

(4) مسند صوفي يعرف بابن زهراء ، توفي سنة 497 (طبقات السبكي 4 : 39 والمنتظم 9 : 138 والشذرات 3 : 405) .

عن أبي الفرج الاسفرايني ، كان الشيخ أبو بكر الخطيب معنا في طريق مكة ، فكان يختم كل يوم ختمة إلى قرب الغياب ، قراءة ترتيل ، ثم يجتمع عليه الناس وهو راكب يقولون حدثنا فيحدثهم .

وقال المؤتمن الساجي : ما أخرجتْ بغداد بعد الدارقطني أحفظَ من الخطيب .

وذكر في «المنتظم»[1] ان الخطيبَ لقي في مكة أبا عبد اللّه ابن سلامة القضاعي فسمع منه بها ، وقرأ صحيح البخاري على كريمة بنت أحمد المروزي في خمسة أيام ، ورجع إلى بغداد فقرب من رئيس الرؤساء أبي القاسم ابن المسلمة وزير القائم بأمر اللّه تعالى . وكان قد أظهر بعضُ اليهود كتاباً وادَّعى أنه كتابُ رسول اللّه ﷺ باسقاط الجزية عن أهل خيبر ، وفيه شهاداتُ الصحابة ، وأنه خَطُّ عليٍّ بن أبي طالب رضي اللّه عنه ، فعرضه رئيس الرؤساء على أبي بكر الخطيب فقال : هذا مُزَوَّر ، فقيل له : من أين لك ذلك ؟ قال : في الكتاب شهادةُ معاويةَ بن أبي سفيان ، ومعاوية أسلم يوم الفتح وخيبر كانت في سنة سبع ، وفيه شهادة سعد بن معاذ وكان قد مات يوم الخندق في سنة خمس ، فاستحسن ذلك منه .

وذكر محمد بن عبد الملك الهمذاني أن رئيس الرؤساء تقدَّم إلى القُصّاص والوعّاظِ أن لا يوردَ أحدٌ حديثاً عن رسول اللّه ﷺ حتى يعرضَهُ على أبي بكر الخطيب ، فما أمرهم بايراده أوردوه ، وما منعهم منه ألغوه .

ومن « المنتظم »[2] قال : ولما جاءت نوبة البساسيري استتر الخطيب وخرج من بغداد إلى الشام وأقام بدمشق ، ثم خرج إلى صور ثم إلى طرابلس وإلى حلب ثم عاد إلى بغداد في سنة اثنتين وستين فأقام بها سنة ثم مات . قال : وله ستة وخمسون مصنفاً بعيدة المثل منها كتاب تاريخ بغداد . كتاب شرف أصحاب الحديث[3] . كتاب الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع . كتاب الكفاية في معرفة علم الرواية . كتاب المتفق

(1) المنتظم 8 : 265 .
(2) المنتظم 8 : 266 .
(3) طبع شرف أصحاب الحديث ، وكذلك طبع من كتبه : الجامع لأخلاق الراوي والسامع ، وكتاب الكفاية ، وكتاب الرحلة في طلب الحديث ، وكتاب اقتضاء العلم العمل وكتاب تقييد العلم ، وكتاب البخلاء ، وكتاب التطفيل ، وكتاب السابق واللاحق ، وكتاب الفقيه والمتفقه ، وكتاب الأسماء المبهمات . . .

والمفترق . كتاب السابق واللاحق . كتاب تلخيص المتشابه في الرسم . كتاب في التلخيص . كتاب الفصل والوصل . كتاب المكمل في بيان المهمل . كتاب الفقيه والمتفقه . كتاب الدلائل والشواهد على صحة العمل باليمين مع الشاهد . كتاب غنية المقتبس في تمييز الملتبس . كتاب الأسماء المبهمة في الأنباء المحكمة . كتاب الموضح وهو أوهام الجمع والتفريق . كتاب المؤتنف تكملة المختلف والمؤتلف . كتاب نهج الصواب في أن التسمية من فاتحة الكتاب . كتاب الجهر بالبسملة . كتاب الخيل . كتاب رافع الارتياب في القلوب من الأسماء والالقاب . كتاب القنوت . كتاب التبيين لأسماء المدلّسين . كتاب تمييز المزيد في متصل الأسانيد . كتاب من وافق كنيته اسم أبيه . كتاب من حدَّث فنسي . كتاب رواية الآباء عن الابناء . كتاب الرحلة في طلب الحديث . كتاب الرواة عن مالك بن أنس . كتاب الاحتجاج للشافعي فيما أُسند إليه والردّ على الجاهلين بطعنهم عليه . كتاب التفصيل لمبهم المراسيل . كتاب اقتضاء العلم العمل . كتاب تقييد العلم . كتاب القول في علم النجوم . كتاب روايات الصحابة عن التابعين. كتاب صلاة التسبيح. كتاب مسند نعيم بن همار[1] جزء . كتاب النهي عن صوم يوم الشك . كتاب الاجازة للمعلوم والمجهول . كتاب روايات السنة من التابعين . كتاب البخلاء . كتاب الطفيليين . كتاب الدلائل والشواهد . كتاب التنبيه والتوقيف على فضائل الخريف .

قال ابن الجوزي : فهذا الذي ظهر لنا من تصانيفه ، ومن نظر فيها عرف قدر الرجل وما هُـيِّء له مما لم يهيأ لمن كان أحفظ منه كالدارقطني وغيره .

وحدث أبو سعد السمعاني[2] ، قرأتُ بخطِّ والدي ، سمعتُ أبا الحسين ابن الطيوري ببغداد يقول : أكثرُ كتبِ الخطيب سوى التاريخ مستفادٌ من كتب الصوريّ[3] ، كان الصوري بدأ بها ولم يتمها ، وكانت للصوريّ أختٌ بصور ، مات

---

(1) م : هماز ؛ وصاحب المسند هو نعيم بن حماد .

(2) ترجم السمعاني للخطيب البغدادي في مادة « الخطيب » من كتاب الأنساب ، ولكن هذا النص لم يرد فيه ، فهو منقول من مؤلف آخر للسمعاني .

(3) هذا الصوري هو أبو عبد الله محمد بن علي الحافظ ، وكان على صلة بالخطيب لأنه سكن بغداد (انظر الأنساب : الصوري) .

وخلّف عندها اثني عشر عدلاً محزوماً من الكتب، فلما خرج الخطيب إلى الشام حصَّل من كتبه ما صنف منها كتبه. قال: وكان سببُ وفاةِ الصوري أنه افْتَصِدَ، وكان الطبيب الذي فصده قد أُعطي مبضعاً مسموماً ليفصدَ به غيره، فغلط ففصده فقتله. قال ابن الجوزي[1] عند سماع هذه الحكاية: وقد يضع الانسان طريقاً فَتُسلك، وما قصَّر الخطيب على كلِّ حال. وكان حريصاً على علم الحديث، كان يمشي في الطريق وفي يده جزءٌ يطالعه، وكان حسن القراءة فصيح اللهجة عارفاً بالأدب، يقول الشعر الحسن. قال ابن الجوزي[2]: ونقلت من خطه من شعره قوله:

لعمــرك مــا شجــاني رسمُ دارٍ وقفتُ بهــا ولا ذكــرُ المـغــاني
ولا أثــرُ الـخيــامِ أراقَ دمـعـي لأجـلِ تـذكـري عهـدَ الغــواني
ولا مَلَكَ الهــوى يـومــا قيـادي ولا عــاصيتُــهُ فثَنَى عنــاني
رأيتُ فعــالَـهُ بــذوي التصــابي ومــا يَـلْقَــوْنَ من ذلِّ الـهــوانِ
فـلم أُطْمِـعْـهُ فيَّ وكـم قتيــل لـه في النـاس لا يُحْصَى وعـانِ
طلبتُ أخـاً صحيحَ الـودِّ محضـاً سليمَ الغيـبِ مـأمـونَ اللســانِ
فـلم أعــرفْ مـن الإخــوانِ إلا نِفــاقــاً في التبــاعـدِ والتـداني
وعــالَمُ دهــرنـا لا خيــرَ فيــه تـرى صُـوَراً تـروقُ بـلا معــاني
ووصفُ جميعهم هــذا فمــا إنْ أقــولُ ســوى فــلان أو فـلان
ولـمــا لـم أجـدْ حُــرّاً يـؤاتـي على ما ناب من صَـرفِ الزمـانِ
صبـرتُ تكـرمــاً لفـراغ دهــري ولم أُجـزعْ لمــا منـه دهــاني
ولم أكُ في الشــدائـدِ مستكينــاً أقــولُ لـهــا ألَا كفّـي كفــانـي
ولـكنـي صـليـبُ الـعــودِ عَــوْدٌ ربيطُ الجـأشِ مجتمـع الجنــانِ
أبـيُّ الـنـفسِ لا أختــارُ رزقــاً يجيءُ بغيــرِ سيفـي أو سنــانـي

(1) المنتظم 8 : 266 ـ 267 .
(2) المصدر السابق .

لعـزٌّ في لـظىً بـاغيـه يُشْـوى ألـذُّ من المـذلـةِ في الجنـانِ
ومن طلب المعـالي وابتغـاهـا أدار لهـا رحى الحـربِ العـوانِ

ومن شعره أيضاً[1] :

لا تغبـطنَّ أخا الـدنيا لـزخـرفهـا ولا لـلـذةِ وقتٍ عَـجَّلَتْ فـرحـا
فـالـدهـرُ أسـرعُ شيءٍ في تقلُّبِـهِ وفعلُهُ بيّنٌ للخلقِ قـد وضـحـا
كم شـاربٍ عسـلاً فيـه منيَّتُـهُ وكم تقلَّد سيفـاً من بـه ذُبحـا

قال أبو الفرج ابن الجوزي[2] : وكان الخطيبُ قـديماً على مـذهب أحمد بن حنبل ، فمال عليه أصحابنا لما رأوا من ميله إلى المبتدعة وآذوه ، فانتقل إلى مذهب الشافعي وتعصَّب في تصانيفه عليهم ، فرمز إلى ذمّهم وصرَّح بقدر ما أمكنه ، فقال في ترجمة أحمد بن حنبل : سيّد المحدّثين ، وفي ترجمة الشافعي تاج الفقهاء فلم يذكر أحمد بالفقه . وقال[3] في ترجمة حسين الكرابيسي انه قال عن أحمد : أيش نعمل بهذا الصبي ، إن قلنا لفظنا بالقرآن مخلوق قـال بدعـة ، وان قلنا غيـر مخلوق قال بدعة ، ثم التفت إلى أصحاب أحمد فقدح فيهم بما أمكن . وله دسائس في ذمهم عجيبة ، وذكر شيئاً مما زعم أبو الفرج أنه قَدْحٌ في الحنابلة وتأول له ، ثم قال : أنبأنا أبو زرعة طاهر بن محمد بن طاهر المقدسي عن أبيـه قال سمعت إسمـاعيل بن أبي الفضل القومسي ، وكان من أهل المعرفة بالحديث يقول : ثلاثةٌ من الحفاظ لا أحبّهم لشدة تعصبهم وقلة إنصافهم : الحاكم أبو عبد اللّه ، وأبو نعيم الأصبهاني ، وأبو بكر الخطيب . قال أبو الفرج : وصدق إسماعيل ، وكان من أهل المعرفة[4] فإن الحاكم كان متشيعاً ظاهرَ التشيّع ، والآخران كانا يتعصبان للمتكلمين والأشاعرة . قال : وما يليق هذا بأصحاب الحديث ، لأن الحديثَ جاء في ذمِّ الكلام ، وقد أكدَّ الشافعيُّ في هذا حتى قال : رأيي في أصحاب الكلام أن يحملوا على البغالِ وَيُطَافَ بهم . قال :

(1) تهذيب ابن عساكر 1 : 401 .
(2) المنتظم 8 : 267 ـ 268 .
(3) المنتظم 8 : 269 .
(4) المنتظم ، وقد كان من كبار الحفاظ ثقة صدوقاً له معرفة حسنة بالرجال . . . .

وكان للخطيب شيء من المال ، فكتب إلى القائم بأمر اللّه ، إني إذا متّ كان مالي لبيت المال ، وأنا استأذن أن أفرّقه على من شئت ، فأذن له ففرقه على أصحاب الحديث ، وكان مائتي دينار ، ووقفَ كتبه على المسلمين وسلّمها إلى أبي الفضل ابن خيرون فكان يعزها ، ثم صارت إلى ابنه الفضل فاحترقت في داره . ووصّى الخطيب أن يُتصدق بجميع ما عليه من الثياب .

قال ابن طاهر : سألت أبا القاسم هبة اللّه بن عبد الوارث الشيرازي قلت : هل كان أبو بكر الخطيب كتصانيفه في الحفظ ؟ فقال : لا ، كنا إذا سألناه عن شيء أجابنا بعد أيام ، وإن ألحنا عليه غضب ، وكانت له بادرةٌ وحشة . وأما تصانيفه فمصنوعة مهذّبة ، ولم يكن حفظه على قدر تصانيفه .

وذكر أبو سعد السمعاني في ترجمة عبد الرحمن بن محمد بن عبد الواحد القزاز قال : سمع جميع كتاب تاريخ مدينة السلام من مصنفه أبي بكر الخطيب الحافظ إلا الجزء السادس والثلاثين فإنه قال : توفيت والدتي واشتغلتُ بدفنها والصلاةِ عليها ، ففاتني هذا الجزء وما أُعيد لي ، لأن الخطيبَ كان قد شرط في الابتداء أن لا يعادَ الفَوْتُ لأحد ، فبقي الجزءُ غير مسموع .

قال السمعاني : لما رجعت إلى خراسان حصل لي تاريخُ الخطيب بخطّ شجاع بن فارس الذهلي الأصل الذي كتبه بخطّه لأبي غالب محمد بن عبد الواحد القزاز ، وعلى وجه كلّ واحد من الأجزاء مكتوب سماعٌ لأبي غالب ولابنه أبي منصور عبد الرحمن ولأخيه عبد المحسن ، الا هذا الجزء السادس والثلاثين [والجزء . . .] فإنه كتب على وجهيهما إجازة لأبي غالب وابنه أبي منصور ، وشجاع أعرفُ الناس فيكونُ قد فاته الجزءان المذكوران لا جزء واحد .

ونقلت من خط أبي سعد السمعاني ومنتخبه لمعجم شيوخ عبد العزيز بن محمد النخشبي قال(1) : ومنهم أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت الخطيب ، يخطبُ في بعض قرى بغداد ، حافظٌ فهم ، ولكنه كان يُتّهم بشرب الخمر ، كنتُ كلما لقيته بدأني

(1) نقله الصفدي 7 : 194 .

بالسلام ، فلقيته في بعض الأيام فلم يسلّم علي ، ولقيته شبهَ المتغير ، فلما جاز عنّي لحقني بعض أصحابنا وقال لي : لقيتُ أبا بكر الخطيب سكران ، فقلت له : قد لقيته متغيراً واستنكرتُ حاله ولم أعلم أنه سكران ، ولعله قد تاب إن شاء اللّه . قال السمعاني : ولم يذكر عن الخطيب رحمه اللّه هذا إلا النخشبي مع أني لحقت جماعة كثيرة من أصحابه .

وقال في « المذيل »[1] والخطيب رحمه اللّه في درجة القدماء من الحفاظ والأئمة الكبار ، كيحيى بن معين وعلي بن المديني وأحمد بن أبي خيثمة وطبقتهم ، وكان علاّمة العصر ، اكتسى به هذا الشأن غضارةً وبهجة ونضارة ، وكان مهيباً وقوراً نبيلاً خطيراً ثقة صدوقاً متحرياً ، حجةً فيما يصنفه ويقوله وينقله ويجمعه ، حسن النقل والخط ، كثير الشكل والضبط ، قارئاً للحديث فصيحاً ، وكان في درجة الكمال والرتبة العليا خَلْقاً وخُلُقاً وهيئة ومنظراً ، انتهى إليه معرفة علم الحديث وحفظه ، وختم به الحفاظ رحمه اللّه . بدأ سماع الحديث سنة ثلاث وأربعمائة وقد بلغ احدى عشرة سنة من عمره . قال : وسمعتُ بعض مشايخي يقول : دخل بعض الأكابر جامعَ دمشق أو صور ورأى حلقةً عظيمة للخطيب ، والمجلسُ غاصّ ، يسمعون منه الحديث ، فقعد إلى جانبه وكأنه استكثر الجمع ، فقال له الخطيب : القعود في جامع المنصور مع نَفَرٍ يسير أحبّ إلي من هذا .

قال : وسمعت أبا الفتح مسعود بن محمد بن أحمد أبي نصر الخطيب بمرو يقول ، سمعت أبا عمر النسوي يعرف [بابن] ليلى يقول : كنت في جامع صور عند الخطيب ، فدخل عليه بعض العلوية وفي كمه دنانير وقال للخطيب : فلان ، وذكر بعض المحتشمين من أهل صور ، يسلّم عليك ويقول : هذا تصرفه في بعض مهماتك ، فقال الخطيب : لا حاجةَ لي فيه ، وقطّب وجهه ، فقال العلوي : فتصرفه إلى بعض أصحابك ، قال قل له : يصرفه إلى من يريد ، فقال العلوي : كأنك تستقلّه ونفض كمه على سجادة الخطيب وطرح الدنانير عليها وقال : هذه ثلاثمائة دينار ، فقام الخطيب محمر الوجه وأخذ السجادةَ ونفض الدنانيرَ على الأرض وخرج من المسجد .

(١) المصدر السابق .

قال الفضل ابن ليلى : ما أنسى عزَّ خروج الخطيب وذلَّ ذلك العلوي وهو قاعدٌ على الأرض يلتقط الدنانير من شقوق الحصر ويجمعها .

وحدث باسناد رفعه إلى الخطيب قال : حدثت ولي عشرون سنة ، حين قدمت من البصرة كتب عني شيخنا أبو القاسم الأزهري أشياء أدخلها في تصانيفه وسألني فقرأتها عليه وذلك في سنة اثنتي عشرة وأربعمائة . وحدث قال : ذكر أبو الفضل ناصر السلامي قال : كان أبو بكر الخطيب من ذوي المروءات ، حدثني أبو زكريا يحيى بن علي الخطيب اللغوي قال : لما دخلتُ دمشق في سنة ست وخمسين كان بها إذا ذاك الامام أبو بكر الحافظ ، وكانت له حلقةٌ كبيرةٌ يجتمعون في بُكْرَةِ كلِّ يوم فيقرأ لهم ، وكنت أقرأ عليه الكتبَ الأدبيةَ المسموعة له ، فكان إذا مرَّ في كتابه شيءٌ يحتاجُ إلى إصلاح يصلحه ويقول : أنت تريد مني الرواية وأنا أريد منك الدراية ، وكنتُ أسكنُ منارةَ الجامع ، فصعد إليَّ يوماً وسط النهار وقال : أحببت أن أزورَكَ في بيتك ، وقعد عندي وتحدثنا ساعة ، ثم أخرج قرطاساً فيه شيء وقال لي : الهديةُ مستحبَّةٌ وأسألك أن تشتري به الاقلام ، ونهض ففتحتُ القرطاس بعد خروجه فإذا فيه خمسة دنانير صحاحٌ مصرية ، ثم إنه مرةً ثانية صعد وحمل إليَّ ذهباً وقال لي : تشتري به كاغداً ، وكان نحواً من الأول أو أكثر ، قال : وكان إذا قرأ الحديثَ في جامع دمشق يُسمع صوته في آخر الجامع ، وكان يقرأ معرباً صحيحاً .

وقال أبو طاهر أحمد بن محمد بن أحمد السلفي الحافظ الاصبهاني يمدح مؤلفات الخطيب[1] :

تصانيف ابن ثابتٍ الخطيبِ ... ألذُّ من الصبا الغضِّ الرطيبِ
يراها إذ حواها من رواها ... رياضاً تركها رأسُ الذنوب[2]
ويأخذ حُسْنَ ما قد صاغ منها ... بقلبِ الحافظِ الفطنِ الأريب
فأيَّةُ راحةٍ ونعيمِ عيشٍ ... يوازي كتبه أم أيّ طيب

(1) الأبيات في طبقات السبكي وتذكرة الحفاظ والوافي والمستفاد .
(2) السبكي : رياضاً للفتى اليقظ اللبيب .

وحدث محمد بن طاهر المقدسي ، سمعت أبا القاسم مكي بن عبدالسلام الرميلي يقول : كان سبب خروج أبي بكر الخطيب من دمشق إلى صور أنه كان يختلف إليه صبيٌّ صبيحُ الوجه ـ وقد سمّاه مكي أنا نكَّبتُ عن ذكره ـ فتكلَّمَ الناسُ في ذلك ، وكان أميرُ البلدةِ رافضياً متعصباً ، فبلغته القصة ، فجعل ذلك سبباً للفتك به ، فأمر صاحبَ شرطته أن يأخذه بالليل ويقتله ، وكان صاحبُ الشرطةِ من أهل السنة ، فقصده صاحبُ الشرطة تلك الليلة مع جماعةٍ من أصابه ولم يمكنه أن يخالفَ الأمير ، فأخذه وقال له : قد أُمِرْتُ بكذا وكذا ، ولا أجدُ لكَ حيلة ، إلا أني أعبر بك على دار الشريف ابن أبي الحسن العلوي ، فإذا حاذيتَ الباب فادخل الدار ، فإني أرجعُ إلى الأمير وأخبره بالقصة ، ففعل ذلك ودخل دار الشريف ، وذهب صاحبُ الشرطةِ إلى الأمير وأخبره الخبر ، فبعث الأميرُ إلى الشريف أن يبعثَ به ، فقال الشريف : أيها الأمير أنت تعرفُ اعتقادي فيه وفي أمثاله ، ولكن ليس في قتله مَصْلَحة ، هذا رجلٌ مشهورٌ بالعراق وإنْ قتلته قُتِلَ به جماعةٌ من الشيعة بالعراق وَخُرِّبَتِ المشاهد ، قال : فما ترى ؟ قال : أرى ان يخرجَ من بلدك ، فأمر باخراجه فخرج إلى صور وبقي بها مدةً إلى أن رجع إلى بغداد فأقام بها إلى أن مات .

ومن شعر الخطيب أيضاً :

قد شابَ رأسي وقلبي ما يغيّره ... كرُّ الدهورِ عن الإسهاب في الغزلِ
وكم زماناً طويلاً ظلتُ أعذلُهُ ... فقال قولاً صحيحاً صادقَ المثلِ
حكمُ الهوى يتركُ الألبابَ حائرةً ... ويورثُ الصبَّ طولَ السقم والعللِ
وحبُّكَ الشيءَ يُعمي عن مقابحه ... ويمنعُ الأذن أن تُصْغي إلى العذلِ
لا أسمعُ العذلَ في تركِ الصبا أبداً ... جَهْدي فما ذاك من همي ولا شغلي
من ادّعى الحبَّ لم تظهر دلائلُهُ ... فحبُّهُ كَذِبٌ قولٌ بلا عملِ

وله أيضاً :

تغيَّب الخلقُ عن عيني سوى قمرٍ ... حسبي من الخلقِ طراً ذلك القمرُ
محلُّه في فؤادي قد تملَّكَهُ ... وحاز روحي وما لي عنه مُضْطَبرُ
فالشمسُ أقربُ منه في تناولها ... وغايةُ الحظِّ منها للورى النظرُ

أردتُ تقبيله يوماً مخالسةً   فصار من خاطري في خدِّه أثرُ
وكم حليمٍ رآه ظنَّه مَلَكاً   وراجعَ الفكر فيه أنه بشرُ

قال عبد الخالق بن يوسف : أنشدني من لفظه الشيخ أبو العز أحمد بن عبد اللّه بن كادش عن الخطيب ، وقال : هي في أبي منصور ابن النقور[1] :

الشمسُ تشبهه والبدرُ يحكيه   والدرُّ يضحك والمرجانُ من فيهِ
ومن سَرَى وظلامُ الليلِ معتكرٌ   فوجهه عن ضياءِ البدر يغنيه
زُوِيَ له الحسنُ حتى حاز أحسنَهُ   لنفسه وبقي للخلقِ باقيهِ
فالعقلُ يعجز عن تحديدِ غايته   والوهم يقصرُ عن فحوى معانيهِ
يدعو القلوبَ فتأتيه مسارعةً   مطيعة الأمرِ منه ليس تعصيهِ
سألته زورةً يوماً فأعجزني   وأظهر الغضبَ المقرون بالتيهِ
وقال لي دون ما تبغي وتطلبه   تناول الفلكِ الأعلى وما فيهِ
رضيتُ يا معشرَ العشاق منه بأن   أصبحت تعلم اني من محبيهِ
وأن يكونَ فؤادي في يديه لكي   يميتَه بالهوى منه ويحييهِ

وله أيضاً :

بنفسي عاتبٌ في كلِّ حالٍ   وما لمحبه ذنبٌ جناهُ
حفظتُ عهودَهُ ورعيتُ منه   ذماماً مثلُهُ لي ما رعاه
حُرِمْتُ وصاله إن كنتُ يوماً   جرى لي خاطرٌ بهوى سواه
ولو تَلَفي رضاه لهانَ عندي   خروجُ الروحِ في طلبي رضاه

وله أيضاً :

خُمارُ الهوى يُرْبي على نشوةِ الخمرِ   وذو الحزم فيه ليس يصحو من السكرِ
وللحبِّ في الأحشاء حرٌّ أقلّه   وأبردُهُ يوفي على لَهَبِ الجمرِ
أخبركم يا أيها الناسُ أنني   عليمٌ بأحوال المحبين ذو خبرِ

---

(1) البيتان الاولان في طبقات السبكي 4 : 37 والأبيات كلها في المستفاد: 55 ـ 56 .

سبيلُ الهوى سهلٌ يسيرٌ سلوكه ... ولكنه يفضي إلى مسلكٍ وعر
ويجمع أوصافَ الهوى ونعوته ... لحرفين سعدُ الوصلِ أو شقوةُ الهجرِ

وله أيضاً :

إلى اللّه أشكو من زماني حوادثاً ... رمتْ بسهام البينِ في غَرَضِ الوصلِ
أصابتْ بها قلبي ولم أقْضِ منيتي ... ولو قتلتني كان أجملَ بالفعلِ
متى تتمايل بيْن قتلٍ وفرقة ... تجد فرقة الأحباب شراً من القتلِ

قال أبو بكر الخطيب : كتب معي أبو بكر البرقاني إلى أبي نعيم الأصبهاني الحافظ كتاباً يقول في فصل منه : وقد نفذ إلى ما عندك عمداً متعمداً أخونا أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت ـ أيده الله وسلمه ـ ليقتبس من علومك ، ويستفيد من حديثك ، وهو بحمد اللّه ممن له في هذا الشأن سابقة حسنة ، وقَدَمٌ ثابت ، وفهم به حسن . وقد رحل فيه وفي طلبه وحصل له منه ما لم يحصل لكثير من أمثاله الطالبين له ، وسيظهر لك منه عند الاجتماع من ذلك ، مع التورّع والتحفظ وصحةِ التحصيل ، ما يحسن لديك موقعه ، ويجمل عندك منزلته . وأنا أرجو إذا صحت منه لديك هذه الصفة أن يلينَ له جانبك ، وأن تتوفر له وتحتملَ منه ما عساه يورده من تثقيلٍ في الاستكثار ، أو زيادة في الاصطبار ، فقديماً حمل السلفُ عن الخلفِ ما ربما ثقل ، وتوفروا على المستحقّ منهم بالتخصيص والتقديم والتفضيل ما لم ينله الكلُّ منهم .

وقال الرئيس أبو الخطاب ابن الجراح يمدح الخطيب[1] :

فاق الخطيبُ الورى صدقاً ومعرفةً ... وأعجزَ الناسَ في تصنيفه الكتبا
حمى الشريعةَ من غاوٍ يدنّسها ... بوضعه ونفى التدليسَ والكذبا
جلا محاسنَ بغدادٍ فأودعها ... تاريخَهُ مخلصاً للّه محتسبا
وقام في الناس بالقسطاسِ منحرفاً[2] ... عن الهوى وأزال الشكَّ والريبا
سقى ثراك أبا بكر على ظمأ ... جَوْنٌ ركامٌ يسحُّ الواكفَ السربا

---

(1) تهذيب ابن عساكر 1 : 401 (والتاريخ 7 : 27) .

(2) م وابن عساكر : منزوياً .

ونلتَ فوزاً ورضواناً ومغفرةً إذا تحقق وَعْدُ اللّه واقتربا
يا أحمدَ بن عليّ طبتَ مضطجعاً وباء شانيك بالأوزار محتقبا

وقال ابو القاسم : حدثني أبو محمد ابن الاكفاني حدثني أبو القاسم مكي بن عبد السلام المقدسي قال[1] : مرض الشيخ أبو بكر الخطيب ببغداد في نصف رمضان إلى ان اشتد به الحال غرّة ذي الحجة وأيسنا منه ، وأوصى إلى أبي الفضل ابن خيرون ، ووقف كتبه على يده ، وفرّق جميع ما له في وجوه البر وعلى أهل العلم والحديث ، وأخرجت جنازته من حجرة تلي المدرسة النظامية من نهر المعلى ، وحمل جنازته أبو إسحاق الشيرازي[2] وتبعه الفقهاء والخلق العظيم، وعبرت الجنازة على الجسر وحملت إلى جامع المنصور ، وكان بين الجنازة جماعة ينادون : هذا الذي كان يذبّ عن رسول اللّه ﷺ ، هذا الذي كان ينفي الكذب عن رسول اللّه ، هذا الذي كان يحفظُ حديثَ رسول اللّه . وعبرت الجنازة بالكرخ ومعها ذلك الخلق العظيم .

ـ 121 ـ

أحمد بن علي بن قدامة ابو المعالي قاضي الأنبار : أحد العلماء بهذا الشأن المعروفين المشهورين به ، وله من الكتب كتاب في علم القوافي . كتاب في النحو . مات في شوال سنة ست وثمانين وأربعمائة .

ـ 122 ـ

أحمد بن علي بن عمر بن سوار المقرىء أبو طاهر : مات فيما ذكره

121 ـ ترجمته في نزهة الألباء: 254 والوافي 7: 201 وبغية الوعاة 1 : 344 وزاد الصفدي في ترجمته : « روى عنه محمد بن عقيل الكاتب الدسكري وأحمد بن محمد بن غالب العطاردي » .
122 ـ ترجمة ابن سوار المقرىء في طبقات الجزري 1 : 86 وعبر الذهبي 3 : 343 والوافي 7: 204 والشذرات 3 : 403 .

(1) المصدر السابق: 402 .
(2) تاريخ ابن عساكر 7 : 28 .

السمعاني في رابع شعبان سنة ست وتسعين وأربعمائة ودفن عند قبر معروف الكرخي . قال ، وقال ابن ناصر أبو الفضل : أظنّ أن مولد ابن سوار في سنة ست عشرة وأربعمائة . قال : وسمعت أبا المعمر المبارك بن أحمد الأنصاري [يقول] : سألت ابن سوار عن مولده فقال ولدت سنة اثنتي عشرة وأربعمائة . قال: وهو والد شيخينا أبي الفوارس هبة الله ومحمد ، وكان ثقة أميناً مقرئاً فاضلاً ، وكان حسن الأخذ للقرآن العظيم ، ختم عليه جماعةٌ كتابَ الله ، وكتب الكثيرَ بخطه من الحديث ، وصنف في القرآن « كتاب المستنير » وغيره ، سمع [محمد بن] عبد الواحد بن رزمة صاحب أبي سعيد السيرافي النحوي وأبا القاسم علي بن المحسن التنوخي وأبا طالب محمد بن محمد بن إبراهيم بن غيلان البزاز وغيرهم ، وروى عنه عبد الوهاب الأنماطي ومحمد بن ناصر الحافظان وغيرهما . قال : وسألت عنه الأنماطي فقال ثقة مأمونٌ فيه خير ودين . وسألت عنه الحافظ ابن ناصر فأحسن الثناء عليه وقال : شيخٌ نبيل عالم ثبت مُتْقِنٌ ، رحمه الله .

وأنشد السمعاني باسناده إلى ابن سوار المقرىء قال : أنشدني أبو الحسن علي بن محمد السمسار ، أنشدنا أبو نصر عبد العزيز بن نباتة السعدي لنفسه[1] :

نُعَلِّلُ بالدواءِ إذا مرضنا ... وهل يشفي من الموتِ الدواءُ
ونختار الطبيب وهل طبيب ... يؤخر ما يقدمه القضاءُ
وما أنفاسنا إلا حساب ... ولا حركاتنا إلا فناءُ

وذكره أبو علي الحسين بن محمد بن فيرُّهْ الصدفي في شيوخه ، فذكر نسبه ثم قال ، البغدادي الضرير المقرىء ، ولعله أضر على كبر ، فإن المحب ابن النجار أخبرني أنه رأى خطه تحت الطباق متغيراً .

سمع الصدفي منه كتابه المستنير وكتابه في المفردات ، أفرد ما جمعه في المستنير . وقال : هو شيخ فاضل في الحنفية سمع كثيراً وحبس نفسه على إقراء القرآن .

(1) ديوان ابن نباتة 1 : 610 .

وذكره أبو بكر ابن العربي في شيوخه فقال : واقف على اللغة مذاكر ثقة فاضل قرأ على أبوي علي الشرمقاني والعطار وأبي الحسن ابن فارس الخياط وابي الفتح ابن المقدر وأبي الفتح ابن شيطا وغيرهم .

ـ 123 ـ

أحمد بن علي بن مخلد البيّادي الأديب أبو العباس : ذكره عبد الغافر فقال : أحد وجوه أفاضل النواحي المشهورين باللهجة الفصيحة في النظم والنثر ، سمع الأحاديث وعني بجمعها .

ـ 124 ـ

أحمد بن علي بن أبي جعفر محمد بن أبي صالح البيهقي ، أبو جعفر المقرىء اللغوي ويعرف ببو جعفرك ، ومعنى هذه الكاف المزيدة في آخر الاسم الفارسي التصغير ، يقولون في تصغير علي عليك ، وفي تصغير حسن حسنك ، وفي تصغير جعفر جعفرك ، وما أشبهه : مات فيما ذكره أبو سعد السمعاني في مشيخة أبيه في سلخ شهر رمضان سنة أربع وأربعين وخمسمائة ، أخبرني بذلك الشيخ الامام أبو المظفر عبد الرحيم بن أبي سعد السمعاني عن والده ، وأخبرني أيضاً أن مولده في حدود سنة سبعين وأربعمائة .

قال السمعاني : كان إماماً في القراءة والتفسير والنحو واللغة ، صنف التصانيف في ذلك ، وانتشرت عنه في البلاد ، وظهر له أصحاب نجباء وتخرج به خلق وكان

---

123 ـ ينقل ياقوت عن ذيل تاريخ نيسابور ، ولم ترد له ترجمة في المنتخب .

124 ـ ترجمة بو جعفرك في إنباه الرواة 1 : 89 والوافي 7 : 214 وطبقات المفسرين : 4 وبغية الوعاة 1 : 346 .

ملازماً لبيته والمسجد القديم بنيسابور وكان إمامه ، لا يخرج منه[1] إلا في أوقات الصلاة ، وكان لا يزور أحداً إنما يقصده الناس إلى منزله للتعلم منه والتبرك به .

سمع أبا نصر أحمد بن محمد بن صاعد القاضي وأبا الحسن علي بن الحسن بن العباس الصندلي الواعظ وغيرهما ، وذكر وفاته كما تقدم .

وذكر تاج الدين محمود بن أبي المعالي الخُواريّ[2] في مقدمة « كتاب ضالة الأديب » قال : أحمد بن علي البيهقي كان إماماً في القراءات والأدب ، حفظ « كتاب الصحاح » في اللغة عن ظهر قلب بعدما قرأه على أبي الفضل أحمد بن محمد الميداني وكتباً كثيرة ، وله مؤلفات منها : كتاب المحيط بلغات القرآن . كتاب ينابيع اللغة جرَّد فيه صحاح اللغة من الشواهد وضمَّ إليه من تهذيب اللغة والشامل لأبي منصور الجبَّان والمقاييس لابن فارس قدراً صالحاً من الفوائد والفرائد ، وهو كتاب صالح كبير الحجم يقرب حجمه من الصحاح . وله أيضاً كتاب تاج المصادر . كتاب المحيط بعلم القرآن[3] . وقال علي بن محمد بن علي زله الجويني يمدحُ بو جعفرك ويذكر كتابه « تاج المصادر » وقد راعى اللزوم :

أبا جعفر يا من جعافرُ فَضْلِهِ ... مواردُ منها قد صَفَتْ ومصادرُ
كتابُكَ ذا غَيْلٍ تأشَّبَ نبتُهُ ... وأنت به ليثٌ بخفَّانَ خادرُ
لبستَ صدارَ الصبرِ يا خيرَ مُصْدِرٍ ... مصادرَ لا تُنْهى إليها المصادرُ
فقل لرواةِ الفضلِ والأدب انتهوا ... اليها ونحو الريِّ منها فبادروا

- 125 -

أحمد بن علي بن إبراهيم بن الزبير الغساني الأسواني المصري يلقب

125 - ترجمة ابن الزبير الاسواني في وفيات الأعيان 1 : 160 - 164 والخريدة (قسم مصر) 1 : 200 والطالع السعيد : 52 والوافي 7 : 220 والمقفى 1 : 533 وقد طبع باسمه كتاب « الذخائر والتحف » .

(1) يعني من بيته .

(2) الخواري : نسبة إلى خوار بقرب نيسابور .

(3) ذكر قبل ذلك : المحيط بلغات القرآن .

بالرشيد ، وكنيته أبو الحسين : مات في سنة اثنتين وستين وخمسمائة مخنوقاً ـ على ما نذكره . وكان كاتباً شاعراً فقيهاً نحوياً لغوياً ناشياً عروضياً مؤرخاً منطقياً مهندساً عارفاً بالطبّ والموسيقى والنجوم متفنناً .

قال السلفي[1] : أنشدني القاضي أبو الحسين[2] أحمد بن علي بن إبراهيم الغساني الاسواني لنفسه بالثغر :

سمحنا لدنيانا بما بخلتْ به ... علينا ولم نحفلْ بِجُلِّ أمورِها
فيا ليتنا لما حُرِمنا سرورها ... وقينا أذى آفاتِها وشرورها

قال : وكان ابن الزبير هذا من أفراد الدهر فضلاً في فنون كثيرة من العلوم ، وهو من بيت كبير بالصعيد [من] الممولين ، وولي النظر بثغر الاسكندرية والدواوين السلطانية بغير اختياره ، وله تآليف ونظم ونثر التحق فيها بالأوائل المجيدين ، قتل ظلما وعدواناً في محرم سنة اثنتين وستين وخمسمائة . وله تصانيف معروفة لغير أهل مصر منها : كتاب مُنْيَة الالمعي ومنيّة المدعي[3] تشتمل على علوم كثيرة . كتاب المقامات . كتاب جنان الجنان وروضة الاذهان في أربع مجلدات ، يشتمل على شعر شعراء مصر ومن طرأ عليهم . كتاب الهدايا والطرف . كتاب شفاء الغلة في سَمْتِ القبلة . كتاب رسائله نحو خمسين ورقة . كتاب ديوان شعره نحو مائة ورقة .

ومولده باسوان ، وهي بلدة من صعيد مصر ، وهاجر منها إلى مصر فأقام بها ، واتصل بملوكها ومدح وزراءها وتقدّم عندهم ، وأنفذ إلى اليمن في رسالة ، ثم قلد قضاءَها وأحكامها ولقب بقاضي قضاة اليمن وداعي دعاة الزمن . ولما استقرت بها داره سَمَتْ نفسه إلى رتبة الخلافة فسعى فيها ، وأجابه قوم وسُلِّمَ عليه بها ، وضربت له السكة ، وكان نقش السكة على الوجه الواحد : قل هو اللّه أحد اللّه الصمد ، وعلى الوجه الآخر الامام الأمجد أبو الحسين أحمد ، ثم قبض عليه ونفذ مكبلاً إلى قوص ، فحكى من حضر دخوله إليها أنه رأى رجلاً ينادي بين يديه : هذا عدو السلطان

(1) معجم السفر : 47 (رقم : 154) . (2) معجم السفر : الحسن .

(3) هو مقامة طويلة وصف فيها عشرين علماً وشرحها ، ومنه نسخة بالمكتبة الخالدية كتبت 849 وطبع مع شرحه المختصر سنة 1320 .

أحمد بن الزبير وهو مغطّى الوجه حتى وصل إلى دار الامارة ، والأمير بها يومئذ طرخان سليط(1) ، وكان بينهما ذحول قديمة ، فقال : احبسوه في المطبخ الذي كان يتولّاه قديماً ، وكان ابن الزبير قد تولى المطبخ ، وفي ذلك يقول الشريفُ الأخفش من أبيات يخاطب الصالح بن رزيك :

يـولّي على الـشيءِ أشكـالَـهُ ... فـيـصـبـحُ هـذا لـهـذا أخـا
أقـام على المـطبخ ابنَ الـزبيـر ... فـولّى على المـطبـخ المـطبخـا

فقال بعض الحاضرين لطرخان : ينبغي أن تحسنَ إلى الرجل فإن أخاه يعني المهذب حسن بن الزبير قريبٌ من قلب الصالح ، ولا أستبعد أن يستعطفه عليه فتقع في خجلة ؛ قـال : فلم يمض على ذلـك غيـر ليلة أو ليلتين حتى ورد سـاعٍ من الصالح بن رزيك إلى طرخان بكتابٍ يأمره فيه باطلاقه والاحسان إليه ، فأحضره طرخان من سجنه مكرماً . قال الحاكي : فلقد رأيته وهو يزاحمه في رتبته ومجلسه .

وكان السبب في تقدمه في الدولة المصرية في أول أمره ما حدَّثني به الشريف أبو عبد الله محمد بن أبي محمد عبد العزيز الادريسي الحسني الصعيدي قال : حدثني زهر الدولة حدثنا [. . .] أن احمد بن الزبير دخل إلى مصر بعد مقتل الظافر وجلوس الفائز وعليه أطمار رثة وطيلسان صوف ، فحضر المأتمَ وقد حضر شعراء الدولة فأنشدوا مراثيهم على مراتبهم ، فقام في آخرهم وأنشد قصيدته التي أولها :

مـا للريـاضِ تميـلُ سُكْـرا ... هـل سُقِّيت بـالمـزنِ خمـرا

إلى أن وصل إلى قوله :

أفـكـربـلاءٌ بـالـعـرا ... ق وكـربـلاءٌ بمصـرَ أخـرى

فذرفت العيون ، وعج القصرُ بالبكاء والعويل ، وانثالت عليه العطايا من كـلّ جانب ، وعاد إلى منزله بمال وافر حصل له من الأمراء والخدم وحظايا القصر ، وحمل إليه من قبل الوزير جملة من المال ، وقيل له لولا أنه العزاء والمأتم لجاءتك الخلع .

---

(1) الوافي : سليط اللسان .

قال : وكان على جلالته وفضله ومنزلته من العلم والنسب قبيحَ المنظر أسـودَ الجلدة جَهْمَ الوجه سَمِجَ الخلقة ذا شفةٍ غليظة وأنفٍ مبسوط كخلقة الزنوج قصيراً ؛ حدثني الشريف المذكور عن أبيه قال : كنت أنا والرشيد بن الزبير والفقيه سليمـان الديلمي نجتمعُ في القاهرة في منزلٍ واحد ، فغاب عنا الرشيد يوماً وطال انتظارنا له ، وكان ذلك في عنفوان شبابه وإبّان صِباه وهبوب صَباه ، فجاءنا وقد مضى معظم النهار ، فقلنا له : ما أبطأ بك عنا ؟ فتبسم وقال : لا تسألوا عما جرى عليَّ اليوم ، فقلنا : لا بدَّ من ذلك ، فتمنع وألححنا عليه فقال : مررتُ اليوم بالموضع الفلاني وإذا امرأة شابةٌ صبيحة الوجهِ وضيئةُ المنظِر حُسَّانة الخَلْقِ ظريفةُ الشمائل ، فلما رأتني نظرتْ إليّ نظرَ مُطْمِعٍ لي في نفسها ، فتوهمتُ أنني وقعتُ منها بموقع ونسيت نفسي ، وأشارت إليَّ بطرفها فتبعتها وهي تدخل بي سكة وتخرج من أخرى حتى دخلت داراً ، وأشارت إليَّ فدخلتُ ورفَعَتِ النقابَ عن وجهٍ كالقمر في ليلة تمامه ، ثم صفقت بيديها مناديةً يا ستّ الدار ، فنزلت إليها طفلة كأنها فلقة قمر ، فقالت لها : إن رجعت تبولين في الفراش تركتُ سيدنا القاضي يأكلك ، ثم التفتت [إليّ] وقالت : لا أعـدمني اللّه إحسانـه بفضلِ سيدنا القاضي أدام اللّه عزه ، فخرجت وأنا خزيان خجل لا أهتدي الطريق .

وحدثني قال : اجتمع ليلةً عند الصالح بن رزيك هو وجماعة من الفضلاء فألقى عليهم مسألةً في اللغة ، فلم يجب عنها بالصواب سواه ، فأعجب الصالح ، فقـال الرشيد ما سئلت قطّ عن مسألـة إلا وجدتني أتـوقّد فهمـاً ، فقال ابن قـادوس وكان حاضراً :

إنْ قــلتَ مــن نــار خُــلِقْــ ـتُ وفقتُ كـلَّ النـاس فهمـا
قلنـــا صـــدقتَ فمـــا الـــذي أطفــاكَ حتى صـرتَ فحمـا

وأما سبب مقتله فلميله إلى أسد الدين شيركوه عند دخوله إلى البلاد ومكاتبته له ، واتصل ذلك بشاور وزير العاضد فطلبه ، فاختفى بالاسكندريـة ، واتفق التجاء الملك صلاح الدين يوسف بن أيوب إلى الاسكندرية ومحاصرته لها ، فخرج ابن الزبير راكباً متقلداً سيفاً وقاتل بين يديه ، ولم يزل معه مدةَ مقامه بالاسكندرية إلى أن خرج منها ، فتزايد وجدُ شاور عليه ، واشتد طلبه له ، واتفق أن ظفر به على صفة لم تتحقق

لنا فأمر باشهاره على جَمَلٍ وعلى رأسه طرطور ووراءه جلوازٌ ينال منه .

واخبرني الشريف الادريسي عن أبي الفضل بن أبي الفضل أنه رآه على تلك الحال الشنيعة وهو ينشد[1] :

ان كان عندك يا زمانُ بقيةٌ ... مما تُهينُ به الكرامَ فهاتِها

ثم جعل يهمهم شفتيه بالقرآن ، وأمر به بعد إشهاره بمصر والقاهرة ان يُصْلَبَ شنقاً ، فلما وُصل به إلى الشنّاقة[2] جعل يقول للمتولّي ذلك منه : عجِّلْ عجّل ، فلا رغبة لكريم في الحياة بعد هذه الحال ، ثم صلب .

حدثني الشريف المذكور قال : حدثني الثقة حجاج بن المسبح الاسواني أن ابن الزبير دفن في موضع صلبه ، فما مضت الأيام والليالي حتى قُتِلَ شاور وسُحِبَ ، فاتفق أن حفر له ليدفن فوجد الرشيد بن الزبير في الحفرة مدفوناً فدفنا معاً في موضع واحد ، ثم نقل كلٌ واحد منهما بعد ذلك إلى تربةٍ له بقرافة مصر والقاهرة .

ومن شعر الرشيد قوله يجيب أخاه المهذب عن قصيدته التي أولها :

يا ربعُ أين ترى الأحبة يمموا

رحلوا فلا خَلَتِ المنازلُ منهمُ ... ونأوا فلا سلتِ الجوانح عنهمُ
وَسَروْا وقد كتموا العداةَ مسيرهم ... وضياءُ نورِ الشمس ما لا يكتم
وتبدلوا أرضَ العقيقِ عن الحمى ... روَّتْ جفوني أيَّ أرضٍ يمموا
نزلوا العُذَيْبَ وإنما في مهجتي ... نزلوا وفي قلبِ المتيم خيَّموا
ما ضرَّهم لو ودعوا من أودعوا ... نار الغرام وسلَّموا من أسلموا
هم في الحشا إن أعرقوا أو أشأموا ... أو أيمنوا أو أنجدوا أو اتهموا
وهمُ مجالُ الفكرِ من قلبي وإن ... بَعُدَ المزارُ فصفْوُ عيشي معهم
أحبابنا ما كان أعظمَ هجرَكُمْ ... عندي ولكنَّ التفرقَ أعظم
غبتم فلا والله ما طَرَقَ الكرى ... جفني ولكنْ سحَّ بعدكم الدم
وزعمتمُ أني صبورٌ بعدكم ... هيهات لا لُقِّيتم ما قلتم

(1) البيت لمهيار ، ديوانه 1 : 164 .

(2) ر : السياقة .

وإذا سئلتُ بمن أهيمُ صبابــةً قلت الــذينَ هم الـذين هُم هُم
الــنــازلين بمـهجتي ويـمقـلتي وسط السـويـدا والسـوادُ الأكـرم
لا ذنبَ لي في البعد أعرفُهُ سوى أني حفــظتُ العهـدَ لمــا ختنم
فــأقمت حين ظعنتمُ وعـدلت لـــــمـا جرتمُ وسهــدتُ لما نمتم
يـا محـرقـاً قلبي بنـار صـدودهم رفقــاً ففيه نــارُ شــوقٍ تضــرم
أسعــرتمُ فيــه لهيبَ صـبــابــةٍ لا تـنــطفي إلاَّ بـقــرب منكـم
يـا ساكني أرضَ العـذيبِ سقيتم دمعي إذا ضنَّ الغمــام المــرزم
بعـدت منـازلكم وشطَّ مــزاركم وعهــودكم محفـوظــةٌ مـذ غبتم
لا لـومَ للأحبـابِ فيما قـد جنوا حكَّمتهم في مهجتي فتحـكمــوا
أحبـابَ قلبي أُعمـروه بـذكـركمْ فلطالمــا حفظ الــوداد المسلم
واستخبـروا ريحَ الصَّبـا تخبـرْكمُ عن بعضٍ ما يلقى الفؤادُ المغرم
كم تـظلمـونـا قـادرينَ ومــا لنـا جُــرْمٌ ولا ســببٌ بـمــن يتـظلم
ورحـلـتـمُ وبـعــدتـمُ وظـلمـتـمُ ونــأيتمُ وقــطعتــمُ وهـجــرتـم
هيهــات لا أسلوكُم أبـداً وهــل يسلو عن البيتِ الحـرام المحرم
وأنـا الذي واصلتُ حين قـطعتمُ وحفظت أسباب الهوى إذ ختنم
جـار الـزمــانُ عليَّ لمـا جــرتمُ ظلمـاً ومـال الــدهـرُ لمــا ملتم
وغـدوتُ بعـد فــراقكم وكـأنني هَــدَفٌ تمــرُّ بجــانبيــه الأسهم
ونــزلـتُ مقـهــورَ الفـؤادِ ببـلدة قـلَّ الصـديق بهـا وقـلَّ الـدرهم
في معشرٍ خلقوا شخـوصَ بهائم يَـصْــدَا بهـا فكــرُ اللبيب ويبهم
إن كورموا لم يكـرموا أو عُلِّمـوا لم يَعْلَمِوا أو خوطبـوا لم يفهموا
لا تنفُقُ الآدابُ عندهمُ ولا الـ إحسان يُعْرَفُ في كثير منهم
صُمٌّ عن المعروف حتى يسمعوا هُجْـرَ الكلامِ فيقـدموا ويقـدِّمـوا
فــالله يغني عنهمُ ويــزيــدُ في زهـدي لهم ويفكّ أسـري منهم

ـ 126 ـ

أحمد بن علي الصفاري الخوارزمي أبو الفضل : قال محمد بن أرسلان : كان من فضلاء خوارزم وبلغائهم وكتابهم ، وله أشعار مونِقَةٌ لطيفة ، ورسائل لبقة خفيفة ، جمع رسائله أبو حفص عمر بن الحسن(1) بن المظفر الأديبي وجعلها على خمسة عشر باباً ، وذكر في أول جمعه : وبعد فإني رغبتُ في مطالعة رسائل ، تكون إلى التخريج في البراعة وسائل ، ثم تقلبتُ وتطلبت ، فلم أر أعذبَ في السمع وأعلق بالطبع وأجرى في ميدان أهل الزمان من غرر أبي الفضل الصفاري ، ثم ذكرت ما كان بينه وبين والدي رحمه الله من المحبة المشتبكة اشتباك الرحم الجارية في عروقها مجرى الدم ، والأخوة الصافية من الكدر الباقية على الغير ، فاقترحتُ عليه أن يلقي إليَّ ما حصل لديه من رقاعه الصادرة إليه ، فأجابني إلى ملتمسي ، فدونتُ ما ألقاه إليّ من إنشائه ، وألحقتُ به ما وجدته عند غيره من أودّائه ، وهذا أنموذج من كلامه : كتب عن أبي سعيد سهل بن أحمد السهلي إلى عميد الملك أبي نصر الكندري حين أنهض ولده إلى حضرته : كتابي ـ أطال الله بقاء الشيخ السيد ـ وأنا معترفٌ برقّ ولائه ، متصرف في شكرِ سوابق آلائه ، حامدٌ الله تعالى على تظاهر أسباب عزه وعلائه ، ولم أزل منذ حرمت التشرفَ بخدمته أنطوي على مبايعته وأتلظى شوقاً إلى التسعد بخدمة حضرته التي هي مجمع الوفود، ومطلع الجود ، وَعُصْرَةُ المنجود(2) ، وأتمنى على الله تعالى حالاً تدنيني من جنابه الرحب ، ومشرعه العذب ، ومتى تذكرت تلك الأيام التي كانت تسعفني بالتمكن من خدمته التي هي مادة الجمال وغاية الآمال انثنيتُ بحسرةٍ مرّة ، وانطويت على غصّة مستمرة ، وكم كاتبت شريفَ حضرته ـ لا زالت محسودة مأنوسة ـ فلم أؤهلْ لجواب ، ولم أشرف بخطاب ، فأمسكت عن العادة في المعاودة جرياً على طريقة الأصاغر ، في مراعاة حشمة الأكابر ، ولو جريتُ في مكاتبة حضرته

126 ـ ترجمته في الوافي 7 : 215 .

(1) الوافي : الحسين .

(2) عصرة المنجود : ملجأ المكروب .

على حكم الاعتقاد ، والنية الخالصة في الوداد ، لأكثرتُ حتى أضجرت ، وهو بحمد اللّه أحسنُ أخلاقاً وأوفر في الكرم والمجد خَلاقاً ، من أن يرى عن قدماء خدمه متجافياً ، ولخواصّ أصاغره جافياً ، ولو كان رحيلي ممكناً لاستعملتُ في الخدمة قدمي دون قلمي ، وحين عجزتُ عن ذلك لما أنا مدفوع إليه من اختلالِ الحال وتضاعف الاعتلال ، أنهضتُ ولدي أبا الحسين خادمه نائباً عني في إقامة رسم حضرته التي من فاز بها فقد فاز وسعد ، وعلا نجمه وصعد ، فلا زال مولانا منيعَ الأركان ، رفيعَ القدرِ والمكان ، سابغ القدرة والإمكان ، محروس العزّ والسلطان ، تدين المقادير لأحكامه ، وتجري السعود تحت راياته وأعلامه ، آمين إن شاء اللّه .

ـ 127 ـ

أحمد بن علي بن المعمر بن محمد بن المعمر بن أحمد بن محمد بن

محمد بن عبيد الله بن علي بن عبيد الله بن الحسين بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب ، أبو عبد اللّه النقيب الطاهر ، نقيب نقباء الطالبيين ابن النقيب الطاهر أبي الغنائم : أديب فاضل شاعر منشىء ، له رسائل مدونة حسنة مرغوب فيها يتداولها[1] الناس ، في مجلدين، وكان من ذوي الهيئات والمنزلة الخطيرة التي لا يجحدها أحد ، وكان فيه كيس ومحبة لأهل العلم ، وبينه وبين محمد بن الحسن بن حمدون مكاتبات كتبناها في ترجمته[2] ، وكان وقوراً عاقلاً جداً ، تولى النقابة بعد أبيه في سنة ثلاثين وخمسمائة ، ولم يزل على ذلك إلى أن مات في سنة تسع وستين وخمسمائة تاسع عشر جمادى الآخرة ، فيكون قد ولي النقابة تسعاً وثلاثين سنة ، وبداره بالحريم الطاهري كانت وفاته ، وصلّى عليه جمع كثير ، وتقدم في الصلاة عليه شيخ الشيوخ أبو القاسم

127 ـ ترجمته في المنتظم 10 : 60 ، 62 ومختصر ابن الدبيثي : 194 وتاريخ ابن الأثير (حوادث 569) وعبر الذهبي 4 : 205 والوافي 7 : 211 والشذرات 4 : 231 والنجوم الزاهرة 6 : 72 .

(1) م : يتناولها .

(2) هذا يعني أنه سيترجم لمحمد بن الحسن بن حمدون ، ولكن هذه الترجمة مما سقط من معجم الأدباء .

عبد الرحيم بن اسماعيل النيسابوري بوصيةٍ منه بذلك بعد مشاجرة جرت بينه وبين قثم بن طلحة نقيب الهاشميين ، ودفن بداره المذكورة ، ثم نقل بعد ذلك إلى المدائن فدفن بالجانب الغربي منها في مشهد أولاد الحسين بن علي عليه السلام . وكان قد سمع الحديث من أبي الحسين المبارك بن عبد الجبار الصيرفي وأبي الحسن علي بن محمد بن العلاف وأبي الغنائم محمد بن علي الزينبي وغيرهم ، وحدث عنهم . سمع منه أبو الفضل أحمد بن صالح بن شافع وأبو اسحاق إبراهيم بن محمود بن الشعار والشريف أبو الحسن علي بن أحمد اليزيدي وغيرهم . وله كتاب ذيله على « منثور المنظوم » لابن خلف النيرماني ، وكتاب آخر مثله في انشائه . وكانت حرمته في الأيام المقتفوية وأمره لم يَرَ أحدٌ من النقباء مثلهما مقدرةً وبسطة ، ثم مرض مرضةً شارف فيها التلف ، فولي ولده الأسنّ النقابة موضعه ، ثم أفاق من مرضه واستمرَّ ولده على النقابة حتى عزل عنها، ومات ولده في سنة ثلاث وخمسين ولم تعد منزلته إلى ما كانت عليه في أيام المستنجد لأسبابٍ جرت من العلويين .

ـ 127ب ـ

أحمد بن علويه الأصبهاني الكراني: قال حمزة : كان صاحبَ لغةٍ يتعاطى التأديبَ ويقول الشعرَ الجيد ، وكان من أصحاب أبي علي لغذة[1] ، ثم رفض صناعةَ التأديب وصار في ندماء أحمد بن عبد العزيز ولد ابن أبي دلف العجلي ، وله رسائلُ[2] مختارة ، دوَّنها أبو الحسن أحمد بن سعد في كتابه المصنَّف في الرسائل[3] . وله ثمانيةُ كتبٍ في الدعاءِ من إنشائه ، ورسالةٌ في الشيب والخضاب ، وله شعر جيد كثير منه في أحمد بن عبد العزيز العجلي :

127ب ـ ترجمته في الوافي 7 : 235 وبغية الوعاة 1 : 336 وفي المختصر : أحمد بن علي بن علويه .

(1) هو الحسن بن عبد الله أبو علي الأصبهاني يعرف بلغذة ولكذه (وسيترجم له ياقوت رقم: 320) ، وانظر الفهرست : 89 .

(2) الوافي : رسالة .

(3) انظر الترجمة : رقم: 85 .

يــرى مــآخيــرَ مــا يبــدو أوائله حتى كـأنَّ عليـه الـوحيُ قـد نـزلا
ركنٌ من العلم لا يهفــو لمحفـظةٍ ولا يحيــدُ وإن أبــرمتَــهُ جــدلا
إذا مضى العزمُ لم ينكثْ عزيمتَـهُ ريبٌ ولا خِيفَ منـه نقضُ ما قبـلا
بـل يُخْرِجُ الحيّـةَ الصمّاءَ مُطْرِقـةً من جُحْرِها ويحطُّ الأعصمَ الوَعِلا

وله فيه :

اذا مـا جَنَى الجاني عليـه جنـايـةً عفـا كـرمــاً عن ذنبـه لا تكــرُّمـا
ويــوسِعُــهُ رفقــاً يكــادُ لبســطِهِ يــودُّ بريءُ القـومِ لو كـان مجرمـا

وله يهجو زامراً اسمه حمدان :

حذارِ يا قـومُ من حمدانَ وانتبهـوا حـذارِ يـا ســادتي من زامـرٍ زاني
فمــا يبـالي إذا مــا دبَّ مغتلمــاً بــدا بصــاحبِ دارٍ أو بـضيـفــان
يُلهي الـرجالَ بمـزمارٍ فـإن سكروا ألهى النســاءَ بمـزمــارٍ لـه ثــاني

ومن شعره :

حُـكْمُ الـغنــاءِ تـسمُّــعُ ومــدامُ مـا للغنـاءِ مـع الحـديثِ نــظامُ
لــو أنني قـاضٍ قضيتُ قضيــةً إنّ الحـديثَ مـع الغنــاءِ حـرام

قال حمزة : وله وأنشدنيها في سنة عشر وثلاثمائة ، وله ثمان وتسعون سنة :

دنيــا مَغَبَّـةُ من أثــرى بهـا عَــدَمُ ولــذةٌ تنقضي من بعــدهــا نَسدَمُ
وفي المنـون لأهـلِ اللبِّ معتبَــرٌ وفي تــزوُّدهم منهــا التقـى غُنُـمُ
والمرءُ يسعَى لفضلِ الرزقِ مجتهداً ومـا لـه غيـرُ مـا قــد خَـطَّهُ القلمُ
كم خاشعٍ في عيونِ الناس منظرُهُ واللّهُ يعلمُ منــه غيـرَ مــا علمــوا

قال : وقال بعد أن أتت عليه مائة :

حنى الدهرُ من بعد استقامتِهِ ظهري وأفضى إلى ضحضاح عيشته عمري
ودبَّ البلى في كلِّ عضوٍ ومفصلٍ ومن ذا الذي يبقى سليماً على الدهرِ

قال : ولأحمد بن علويه قصيدةٌ على ألف قافية ، شيعية ، عرضت على أبي حاتم السجستاني فأعجب بها وقال : يا أهلَ البصرة غلبكم أهلُ أصبهان . وأول هذه القصيدة :

ما بال عينك ثَرَّةَ الإنسانِ عبرى اللحاظِ سقيمةَ الأجفانِ

وقال أحمد بن علويه يهجو الموفقَ لما أنفذ الأصبغَ رسولاً إلى أحمد بن عبد العزيز العجلي يأمره بانفاذ قطعة من جيشه :

أَدَّى رسالتَهُ وأوصلَ كُتْبَهُ وأتى بأمرٍ لا أبا لك مُعْضِلِ
قال اطّرحْ ملكَ أصبهانَ وعزَّها وابعث بعسكرك الخميسِ الجحفلِ
فعلمتُ أن جوابَهُ وخطابَهُ عضُّ الرسولِ ببظرِ أمِّ المرسلِ

ـ 128 ـ

أحمد بن عمر البصري النحوي : روى عن أبي عبد اللّه محمد بن المعلى بن عبد اللّه الأزدي عن أبي بشر عن أبي المفرج الأنصاري عن ابن السكيت.

ـ 129 ـ

أحمد بن عمران بن سلامة الألهاني أبو عبد اللّه النحوي يعرف بالأخفش[1] : قديم ذكره أبو بكر الصولي في الكتاب الذي ألفه في « شعراء مصر » فقال : كان نحوياً لغوياً ، وأصلُهُ من الشام وتأدَّبَ بالعراق ، فلما قدم مصر أكرمه

128 ـ بغية الوعاة 1 : 350 (عن ياقوت) .
129 ـ ترجمته في تاريخ بغداد 4 : 333 والوافي 7 : 270 وبغية الوعاة 1 : 351 وروضات الجنات 1 : 196 .

(1) ذكر السيوطي أن الأحافش من النحاة أحد عشر .

إسحاقَ بن عبد القدوس وأخرجه إلى طبرية فأدَّبَ ولده ، وله أشعار كثيرة في أهل البيت عليهم السلام ، منها :

إن بني فاطمةَ الميمونَهْ ... الطيبين الأكرمينَ الطينَهْ
ربيعُنَا في السنةِ الملعونَهْ ... كلهمُ كالروضةِ المهتونهْ

قال : وحدثني علي بن سراج قال ، حدثني جعفر بن أحمد قال قال لي أحمد بن عمران ، قال الهيثم بن عدي : ممن أنت ؟ قلت : أنا من ألهان أخي همدان ، قلت : نعم هم غرسُ الجن يُسْمَعُ به ولا يُرَى ، ما رأيتُ ألهانياً قبلك . قال : وكان الألهاني قد نزل على رَعْلٍ ، حيٍّ من بني سليم ، فلم يَقْرُوهُ فقال :

تضيفتْ بغلتي والأرضُ مُعْشِبَةٌ ... رعلاً وكان قراها عندهم عدسِ[1]
وأكلباً كأسودِ الغابِ ضاريةً ... وواقفاتٍ[2] بأيدي أعبدٍ عبسِ
والعامُ أرغدُ والأيامُ فاضلةٌ ... وما ترى في سوادِ الحيِّ من قبسِ
يستوحشون من الضيفِ الملمِّ بهم ... ويأنسون إلى ذي السَّوْءَةِ الشرسِ

وله يمدح جعفر بن جدلة :

إذا استسلم المالُ عند الهذيل ... فمالُ الفتى جعفرٍ خاسرُ
وإنْ ضنَّ جازِرُهُ بالمُدَى ... فإن الحسامَ له حاضرُ

ـ 130 ـ

أحمد بن فارس بن زكريا اللغوي ، وقال ابن الجوزي : أحمد بن زكريا بن

130 ـ ترجمة ابن فارس في إنباه الرواة 1 : 92 والمنتظم 7 : 103 ودمية القصر 3 : 1479 ونزهة الألباء : 219 والمستفاد من ذيل تاريخ بغداد : 65 وترتيب المدارك 7 : 84 ووفيات الأعيان 1 : 100 وسير الذهبي 17 : 103 واليتيمة 3 : 400 والديباج المذهب : 37 (1 : 163) والوافي 7 : 278 والشذرات 3 : 132 وبغية الوعاة 1 : 352 والبلغة : 28 وطبقات المفسرين : 4 وروضات الجنات 1 : 232 وإشارة التعيين : 43 .

(1) عدس : كلمة زجر للبغال خاصة .
(2) الوافي : وواقبات .

فارس ، ولا يعاج به . مات سنة تسع وستين وثلاثمائة ، وقال قبل وفاته بيومين :

يا ربِّ إن ذنوبي قد أحطتَ بها علماً وبي وباعلاني وإسراري
أنا الموحِّدُ لكنّي المقرُّ بها فهبْ ذنوبي لتوحيدي وإقراري

ووجد بخط الحميدي أن ابن فارس مات في حدود سنة ستين وثلاثمائة ، وكل منهما لا اعتبار به ، لأني وجدتُ خطَّ كفه على « كتاب تتمة الفصيح » من تصنيفه ، وقد كتبه في سنة إحدى وتسعين وثلاثمائة .

وذكره الحافظ السلفي في « شرح مقدمة معالم السنن » للخطابي فقال : أصله من قزوين(1) . وقال غيره : أخذ أحمد بن فارس عن أبي بكر أحمد بن الحسن الخطيب راوية ثعلب وأبي الحسن علي بن إبراهيم القطان وأبي عبد الله أحمد بن طاهر المنجم وعلي بن عبد العزيز المكي صاحب أبي عبيد وأبي القاسم سليمان بن أحمد الطبراني . وكان ابن فارس يقول : ما رأيتُ مثلَ أبي عبد الله أحمد بن طاهر ولا رأى هو مثلَ نفسه .

وكان ابن فارس قد حُمِلَ إلى الريّ بأخرة ليقرأ عليه مجدُ الدولة أبو طالب ابن فخر الدولة علي بن ركن الدولة الحسن بن بويه الديلمي صاحب الري ، فأقام بها قاطناً(2) ، وكان الصاحب بن عباد يكرمه ويتتلمذ له ويقول : « شيخنا أبو الحسين ممن رُزِقَ حُسْنَ التصنيف وأمن فيه من التصحيف » . وكان كريماً جواداً لا يبقي شيئاً ، وربما سئل فوهب ثيابَ جسمه وفرشَ بيته . وكان فقيهاً شافعياً فصار مالكياً وقال : دخلتني الحميةُ لهذا البلد ـ يعني الريّ ـ كيف لا يكون فيه رجلٌ على مذهب هذا الرجل المقبولِ القول على جميع الألسنة .

وله من التصانيف : كتاب المجمل . وكتاب متخير الألفاظ . كتاب فقه اللغة . كتاب غريب إعراب القرآن . كتاب تفسير أسماء النبي عليه السلام . كتاب مقدمة [نحو] . كتاب دارات العرب . كتاب حلية الفقهاء . كتاب الفرق . كتاب مقدمة

(1) قال في الإنباه : قيل كان من قزوين ولا يصح ذلك ، وإنما قالوه لأنه كان يتكلم بكلام القزاونة .
(2) ر : قاضياً .

الفرائض . كتاب ذخائر الكلمات . كتاب شرح رسالة الزهري إلى عبد الملك بن مروان . كتاب الحجر . كتاب سيرة النبي ﷺ ، كتاب صغير الحجم . كتابُ الليل والنهار . كتاب العمّ والخال . كتاب أصول الفقه . كتاب أخلاق النبي ﷺ . كتاب الصاحبي صنفه لخزانة الصاحب . كتاب جامع التأويل في تفسير القرآن ، أربع مجلدات . كتاب الشيات والحلى . كتاب خلق الإنسان . كتاب الحماسة المحدثة . كتاب مقاييس اللغة ، وهو كتاب جليل لم يصنف مثله . كتاب كفاية المتعلمين في اختلاف النحويين[1] .

وحدث ابن فارس ، سمعتُ أبي يقول : حججتُ فلقيتُ بمكة ناساً من هذيل فجاريتهم ذِكْرَ شعرائهم فما عرفوا أحداً منهم ، ولكني رأيت أمثلَ الجماعة رجلاً فصيحاً وأنشدني[2] .

إذا لم تحظَ في أرضٍ فَدَعْهَا ... وحثَّ اليَعْمَلاَتِ على وجاها
ولا يَغْرُرْكَ حظُّ أخيك فيها ... إذا صَفِرَتْ يمينك من جَدَاها
ونفسَكَ فُزْ بها إن خفتَ ضيماً ... وخلِّ الدار تحزنُ من بناها[3]
فإنك واجدٌ أرضاً بأرضٍ ... ولستَ بواجدٍ نفساً سواها

ومن شعر ابن فارس :

وقالوا كيف أنت فقلت خيرٌ ... تُقَضَّى حاجةٌ وتفوتُ حاجُ
إذا ازدحمتْ همومُ القلبِ[4] قلنا ... عسى يوماً يكونُ لها انفراجُ
نديمي هرتي وسرور قلبي ... دفاترُ لي ومعشوقي السراجُ

---

(1) من كتبه المطبوعة : الصاحبي ، ومعجم مقاييس اللغة ، وكتاب متخير الألفاظ ، وقد حقق كتاب « المجمل » أيضاً وطبع مرتين .
(2) البيتان الأول والثاني منها في البصائر 4 : 245 (رقم : 874) دون نسبة .
(3) م : بكاها .
(4) ر واليتيمة : الصدر .

ومن شعره في همذان[1] :

سقى همذانَ الغيثُ لستُ بقائلٍ سوى ذا وفي الأحشاء نارٌ تَضَرَّمُ
وما ليَ لا أُصفي الدعاءَ لبلدةٍ أفدتُ بها نسيانَ ما كنتُ أعلمُ
نسيتُ الذي أحسنتُهُ غير أنني مدينٌ وما في جوفِ بيتيَ درهمُ

وله أيضاً :

إذا كنتَ في حاجة مرسلاً وأنت بها كلفٌ مُغْرَمُ
فأرسلْ حكيماً ولا توصِهِ وذاك الحكيمُ هو الدرهمُ

وله أيضاً :

مرَّتْ بنا هيفاءُ مقدودةٌ تركيّة تنمى لتركيٍّ
ترنو بطرفٍ فاترٍ فاتر كأنها حُجَّةُ نحوي

قال الثعالبي : حدثني ابن عبد الوارث النحوي قال : كان الصاحب منحرفاً عن أبي الحسين ابن فارس لانتسابه إلى خدمة آل العميد وتعصبه لهم ، فأنفذ إليه من همذان « كتاب الحجر » من تأليفه ، فقال الصاحب : « ردَّ الحجرَ من حيث جاءك »[2] . ثم لم تطب نفسه بتركه فنظر فيه وأمر له بصلة .

ولابن فارس في « اليتيمة »[3] :

يا ليتَ لي ألفَ دينار موجهةً وأن حَظّيَ منها فَلْسُ فَلاَّسِ
قالوا فما لكَ منها قلتُ تخدمني لها ومن أجلها الحمقى من الناسِ

---

(1) هذه الأبيات في اليتيمة والوفيات وإنباه الرواة والديباج وسير الذهبي .
(2) هو مثل ، انظر الميداني 1 : 206 أي لا تقبل الضيم وارم من رماك .
(3) اليتيمة 3 : 405 ـ 407 والمدارك : 85 (القطعة الأولى) .

وله أيضاً :

اسمــعْ مقـالـةَ نـاصــحٍ جمــع النصيحـةَ والمقَــهْ
إيــاك واحــذرْ أن تــبـيـــــــتَ من الثقـاتِ على ثقـهْ

وله أيضاً :

وصــاحبٍ لي أتــاني يستشيــر وقــد أراد في جَنَبـاتِ الأرضِ مُضْـطَربـا
قلت اطَّلبْ أيَّ شيءٍ شئتَ واسـعَ وَرِدْ مـنــه الـمــواردَ إلا الـعـلم والأدبـا

وله أيضاً :

إذا كــان يؤذيـك حــرُّ المصيف وكــربُ الخـريفِ وبــرد الشتــا
ويلهيــك حُسْنُ زمـانِ الــربيعِ فـأخــذُكَ للعلم قــلْ لـي متـى

وله أيضاً :

عتبتُ عليــه حين ســاءَ صنيعُــهُ وآليتُ لا أمسيتُ طـوعَ يـديــهِ
فلما خبرتُ النـاسَ خُبْرَ مُجَـرِّبٍ ولـم أرَ خيــراً منه عُــدْتُ إليــهِ

وله أيضاً :

تلبَّسْ لبـاسَ الرضـا بـالقضـا وخــلِّ الأمــورَ لـمن يـمـلكُ
تقـدِّرُ أنت وجـاري القضــاءِ مــمــا تـقــدِّرُهُ يــضـحــكُ

قال يحيى بن منده الاصبهاني : سمعت عمي عبد الرحمن بن محمد بن العبدي يقول ، سمعت أبا الحسين أحمد بن زكريا بن فارس النحوي يقول : دخلتُ بغـدادَ طالباً للحديث ، فحضرت مجلسَ بعضِ أصحـاب الحديث وليست معي قـارورة ، فرأيت شاباً عليهِ سِمَةُ جمال ، فاستأذنتُهُ في كَتْبِ الحديث من قـارورته فقـال : من انبسطَ إلى الإخوان بالاستئذان فقد استحقَّ الحرمان .

قال عبد الرحمن بن منده : وسمعت ابن فارس يقول : سمعت أبا أحمد[1] بن

(1) ر : أبا محمد .

أبي التيار يقول : أبو أحمد العسكري يكذب على الصولي ، مثلما كان الصولي يكذب على الغلابي ، مثلما كان الغلابي يكذب على سائر الناس .

قرأت بخط الشيخ أبي الحسن علي بن عبد الرحيم السلمي ، وجدت بخطّ ابن فارس على وجه المجمل ، والأبيات له ، ثم قرأتها على سعد الخير الانصاري ، وأخبرني أنه سمعها من ابن شيخه أبي زكريا عن سليمان بن أيوب عن ابن فارس :

يا دار سُعْدَى بذاتِ الضالِ من إضَمِ   سقاكِ صَوْبُ حياً من واكفِ العَيْنِ

العين : سحاب ينشأ من قبل القبلة .

إني لأذكر أياماً بها ولنا   في كلّ إصباحِ يومٍ قرةُ العين

العين ها هنا : عين الانسان وغيره .

تدني مُعَشّقةٌ منا معتقةً   تشجُّها عذبةً من نابع العين

العين ها هنا : ما ينبع منه الماء .

إذا تمززها شيخٌ به طَرَقٌ   سَرَتْ بقوتها في الساق والعين

العين ها هنا : عين الركبة ، والطرق : ضعف الركبتين .

والزقّ ملآن من ماءِ السرورِ فلا   نخشى تولّه ما فيه من العين

العين ها هنا : ثقب يكون في المزادة ، وتوله الماء أن يتسرب .

وغاب عُذّالنا عنّا فلا كَدَرٌ   في عيشنا من رقيبِ السوءِ والعين

العين ها هنا : الرقيب .

يقسم الودّ فيما بيننا قسماً   ميزان صدقٍ بلا بخسٍ ولا عين

العين ها هنا : العين في الميزان .

وفائضُ المالِ يغنينا بحاضِرِه   فنكتفي من ثقيلِ الدينِ بالعين

العين ها هنا : المال الناضّ .

والمجمل المجتبى تُغْني فوائده   حُفَّاظَهُ عن كتابِ الجيم والعين

قال : وبخطه أيضاً ، سمعتُ أبي يقول : حججتُ فلقيت بمكة ناساً من هذيل فجاريتهم ذكر شعرائهم .

وجدت على نسخة قديمة بكتاب « المجمل » من تصنيف ابن فارس ما صورته : تأليف الشيخ أبي الحسين أحمد بن فارس بن زكريا الزهراوي الأستاذ خُرَذي[1] ، واختلفوا في وطنه فقيل كان من رستاق الزهراءِ من القرية المعروفة كرسف وجيانا باذ ، وقد حضرت القريتين مراراً ، ولا خلاف أنه قرويّ . حدثني والدي محمد بن أحمد ، وكان من جملة حاضري مجالسه قال : أتاه آت فسأله عن وطنه فقال : كرسف ، قال فتمثل الشيخ :

بلادٌ بها شُدَّتْ عليَّ تمائمي　　　وأولُ أرضٍ مسَّ جلدي ترابُها

وكتبه مجمع بن محمد بن أحمد بخطه في شهر ربيع الأول سنة ست وأربعين وأربعمائة . وكان في آخر هذا الكتاب ما صورته أيضاً : قضى الشيخ أبو الحسين أحمد بن فارس رحمه الله في صفر سنة خمس وتسعين وثلاثمائة بالريّ ، ودفن بها مقابلَ مشهد قاضي القضاة أبي الحسنِ عليّ بن عبد العزيز يعني الجرجاني .

أنشد أبو الريحان البيروني في « كتاب الآثار الباقية عن القرون الخالية[2] لأحمد بن فارس :

قد قال فيما مضى حكيمٌ　　　ما المرءُ إلا بأصغريهِ
فقلتُ قولَ امرىءٍ لبيبٍ　　　ما المرءُ إلا بدرهميهِ
من لم يكنْ مَعْهُ درهماه　　　لم تلتفتْ عِرْسُهُ إليهِ
وكان من ذلّه حقيراً　　　تبولُ سِنَّوْرَةٌ عليهِ

وحدث هلال بن المظفر الريحاني قال : قدم عبد الصمد بن بابك الشاعر إلى

---

(1) عند ياقوت في معجم البلدان : الأستاذ خُرَذي والأشتاجردي . وفي الانباه : الاشتاجردي .
(2) الآثار الباقية : 338 .

الري في أيام الصاحب ، فتوقع أبو الحسين أحمد بن فارس أن يزوره ابنُ بابك ويقضي حقَّ علمه وفضله ، وتوقع ابن بابك أن يزوره ابن فارس ويقضي حقَّ مَقْدَمه ، فلم يفعل أحدهما ما ظنَّ صاحبه ، فكتب ابن فارس إلى أبي القاسم ابن حسول :

تعديتِ في وصلي فَعَدِّي عتابَكِ ... وأدني بديلاً من نواكم إيابَكِ
تيقنتُ أنْ لم أحظَ والشملُ جامعٌ ... بأيسر مطلوبٍ فهلا كتابَكِ
ذهبتِ بقلبٍ عيل بعدكِ صبرُهُ ... غداةَ أرتنا المرقلاتُ ذهابَكِ
وما استمطرت عيني سحابةَ ريبةٍ ... لديكِ ولا ثنَّتْ يميني سِخَابَكِ
ولا نقبتْ والصبُّ يصبو لمثلها ... عن الوجنات الغانيات نقابكِ
ولا قلتُ يوماً عن قلىً وسآمة ... لنفسك «سلِّي عن ثيابي ثيابكِ»
وأنت التي شيَّبْتِ قبل أوانِه ... شبابي سقى الغرُّ الغوادي شبابكِ
تجنَّيتِ ما أوفى وعاتبتِ ما كفى ... ألم يأنِ سعدى أنْ تكفّي عتابكِ
وقد نبحتني من كلابك عصبةٌ ... فهلّا وقد حالوا زجرتِ كلابكِ
تجافيتِ من مستحسن البرّ جملةً ... وجرتِ على بختي جفاءَ ابن بابكِ

فلما وقف أبو القاسم الحسولي على الأبيات أرسلها إلى ابن بابك ، وكان مريضاً ، فكتب جوابها بديهاً : وصلت الرقعة أطال اللّه بقاءَ الأستاذ وفهمتها ، وأنا أشكو اليه الشيخ أبا الحسين فإنه صيرني فصلاً لا وصلاً ، وزجاً لا نصلاً ، ووضعني موضعَ الخلال من الموائد ، وتَمَّتْ من أواخر القصائد ، وسحب اسمي منها مَسْحَبَ الذيل ، وأوقعه موقع الذنب المحذوف من الخيل ، وجعل مكاني مكانَ القفل من الباب ، وفذلك من الحساب ، وقد أجبتُ عن أبياته بأبيات أعلم ان فيها ضعفاً لعلتين ، علتي وعلتها ، وهي :

أيا أثلاتِ الشِّعْبِ من مَرْجِ يابسٍ ... سلامُ على آثاركنّ الدوارسِ
لقد شاقني والليلُ في شملة الحيا ... اليكنّ توليعُ النسيم المخالسِ
ولمحةُ برقٍ مُسْتَميتٍ كأنه ... ترددُ لحظٍ بين أجفانِ ناعسِ
فبتُّ كأني صعدةٌ يمنيَّةٌ ... تَزَعْزَعُ في نَقْعٍ من الليلِ دامسِ

ألا حبَّـذا صبـحٌ اذا ابـيضَّ أُفْقُـهُ — تَصَدَّعَ عن قرنٍ من الشمسِ وارسِ
ركبت من الخلصـاء تـركبُ سيلهـا — ورودَ المـطيِّ الحائمات الكـوانسِ
فيـا طارقَ الـزوراءِ قلْ لغيـومها اسـ — ـتهلّي على متنٍ من الـكـرخ آنسِ
وقل لرياض القُفْصِ تُهْدِي نسيمَهـا — فلستُ على بُعْـدِ المـزارِ بـآيسِ
ألا ليتَ شـعـري هـل أبيتنَّ لـيلةً — لقىً بين أقـراطِ المهـا والمحـابسِ
وهـل أرينَّ الـريّ دهليـز بـابـلٍ — وبـابلُ[1] دهليـزٌ إلى أرض فـارسِ
ويصبـحُ ردمُ السدّ قفـلاً عليهمـا — كما صرتُ قفلاً في قوافي ابن فارسِ

فعرض أبو القاسم الحسولي المقطوعين على الصاحب وعـرفه الحـال فقال : البادي أظلم والقادم يزار ، وحسنُ العهدِ من الإيمان .

- 131 -

أحمد بن الفضل بن شبانة الكاتب أبو الصقر النحوي الهمذاني: من أهل همذان، ذكره شيرويه. كان يلقب بساسي دوير، مات سنة خمسين وثلاثمائة، روى عن إبراهيم بن الحسين بن ديزيل وأبي خليفة الفضل بن الحباب الجمحي وأبي القاسم عبد اللّه بن محمد بن عبد العزيز البغوي وأبي سعيد الحسن بن علي بن زكريا العدوي وأبي بكـر محمد بن خلف وكيـع وأبي العباس أحمـد بن يحيى ثعلب وأبي العباس محمد بن يزيد المبرد وأبي بكر ابن دريد النحوي وأبي الحسن علي بن سعيد السكّري وعلي بن الفضل الرشيدي وغيرهم . روى عنه أبو بكر أحمد بن علي بـن لال[2] وأبو العباس أحمد بن إبراهيم بن تركان وأبو الحسن إبراهيم بن جعفر الأسدي وأبو بكـر خلف بن محمد الخياط وأبو عبد اللّه أحمد بن عمر الكاتب وابن روزبه وغيرهم .

حدثنا عبد الملك بن عبد الغفار الفقيه لفظاً ، أخبرنا عبد اللّه بن عيسى الفقيه ،

131 - ترجمة ابن شبانة (بالنون كما ضبطه الصفدي) في الوافي 7 : 287 وبغية الوعاة 1 : 353 (شبابة - بباءين) .

(1) م : بابك   (2) م : بلال .

حدثنا محمد بن أحمد قال ، سمعت أبا الصقر ابن شبانة الكاتب يقول : كنت بالبصرة فاستأذنت على أبي خليفة وعنده جماعة من الهاشميين يتغدون ، فحبسني البواب ، فكتبت في رقعة فناولتها بعضَ غلمانه ، فناولها أبا خليفة :

أبــا خليفــةَ تجفــو من لــه أدبٌ ... وتتحف الغُــرَّ مـن أولادِ عبـاسِ
ما كان قـدرُ رغيفٍ لو سمحتَ بـه ... شيئـاً وتأذنُ لي في جملة النـاسِ

فلما وصلت إليه الرقعة قال : عليَّ بالهمذاني صاحب الشعر ، فأُدْخِلْتُ إليه فقدَّم إليَّ طبقاً من رُطَبٍ وأجلسني معه .

- 132 -

أحمد بن الفضل بن محمد بن أحمد بن محمد بن جعفر الباطرقاني المقرىء : مات في الثاني والعشرين من صفر سنة ستين وأربعمائة بأصبهان ، قال السمعاني : كان مقرئاً فاضلاً ومتحدثاً مكثراً من الحديث ، كتب بنفسه الكثير ، وكان حسنَ الخطِّ دقيقه . قرأ القرآن على جماعةٍ من مشاهير القدماءِ بالروايات وصنَّفَ التصانيف فيه منها : كتاب طبقات القراء . كتاب الشواذ . وصلَّى بالناس إماماً في الجامع الكبير سنين بعد المظفر بن الشبيب . سمع الحديثَ من أبي عبد اللّه محمد بن إسحاق بن إبراهيم بن عبد اللّه بن خرشيدة التاجر وجماعة ، وروى لنا عن جماعة كثيرة .

قال ابن منده : جرى ذكر الباطرقاني عند الامام عمي رحمه اللّه ، والشيخ الحافظ أبو محمد عبد العزيز بن محمد النخشبي وجماعة حاضرون ، فقال عبد العزيز : صنَّفَ مسنداً ضمَّنَهُ ما اشتمل عليه صحيحُ البخاري ، إلا أنه كتبَ المتنَ من الأصل ثم ألحقه الاسناد ، وهذا ليس من شرط أصحاب الحديث وأهله ، يتكلم في مسائل لا يسع الموضع ذكرها ، لو اقتصر على الإقراء والحديث كان خيراً له .

132 ـ ترجمة الباطرقاني المقرىء في طبقات الجزري 1 : 96 وعبر الذهبي 3 : 246 وسير الذهبي 18 : 182 والأنساب (الباطرقاني) والوافي 7 : 288 والشذرات 3 : 308 .

ـ 133 ـ

أحمد بن كامل بن شجرة بن منصور بن كعب بن يزيد أبو بكر القاضي: قال الخطيب: قال القاضي ابن كامل وُلدت في سنة ستين ومائتين، قال: ومات في المحرم سنة خمسين وثلاثمائة. قال الخطيب: وكان ينزل في شارع عبد الصمد، وهو أحد أصحاب محمد بن جرير الطبري، وتقلَّد قضاءَ الكوفة من قبل أبي عمر محمد بن يوسف، وكان من العلماء بالأحكام وعلوم القرآن والنحو والشعر وأيام الناس والتواريخ وأصحاب الحديث، وله مصنفات في أكثر ذلك.

قال النديم منها: كتاب غريب القرآن. كتاب القراءات. كتاب التقريب في كشف الغريب. كتاب موجز التأويل عن محكم التنزيل. كتاب التنزيل. كتاب الوقوف. كتاب التاريخ. كتاب المختصر في الفقه. كتاب الشروط الكبير. كتاب الشروط الصغير. كتاب البحث والحث. كتاب أمهات المؤمنين. كتاب الشعر. كتاب الزمان. كتاب أخبار القضاة.

وكان قد اختار لنفسه مذهباً. قال الخطيب: وحدث ابن كامل عن محمد بن سعد العوفي ومحمد بن الجهم السمري وأبي قلابة الرقاشي وأحمد بن أبي خيثمة وأبي إسماعيل الترمذي. روى عنه الدارقطني وأبو عبد الله(1) المرزباني وحدثنا عنه ابن رزقويه وغيره، وقال ابن رزقويه: لم تر عيناي مثله. ولما بلغ الثمانين أنشدنا:

عقدُ الثمانين عقدٌ ليس يبلغُهُ　　إلا المؤخَّر للأخبارِ والغيرِ

قال: وأنشد القاضي ابن كامل لنفسه:

صَرْفُ الزمانِ تنقلُ الأيام　　والمرءُ بين محلّل وحرامِ
وإذا تقشعتِ الأمور تكشَّفَتْ　　عن فَضْلِ أيام وقُبْحِ أنامِ

133 ـ ترجمة ابن شجرة في الفهرست: 35، 292 وتاريخ بغداد 4: 357 وإنباه الرواة 1: 97 وعبر الذهبي 2: 285 وطبقات الجزري 1: 98 والوافي 7: 298 وتاج التراجم: 14 وبغية الوعاة 1: 354 وسير الذهبي 15: 544 (ويعتمد ياقوت في نقله على تاريخ بغداد والفهرست).

(1) الوافي: أبو عبيد الله.

وسئل الدارقطني عن ابن كامل فقال : كان متساهلاً ربما حدث من حفظه بما ليس عنده في كتابه ، وأهلكه العُجْبُ فإنه كان يختار ولا يضع لأحدٍ من الأئمة أصلاً . قيل له : أكان جريريَّ المذهب ؟ فقال : بل خالفه واختار لنفسه ، وأملى كتاباً في السير وتكلم على الاختيار[1] .

أنبأنا الخطيب أبو الفضل عبيد اللّه بن أحمد بن عبد اللّه المنصوري قال ، حدثنا أبو منصور موهوب بن الجواليقي ، حدثنا ثابت بن بندار ، حدثنا أبو علي الحسن بن أحمد بن شاذان ، حدثنا أبو بكر أحمد بن كامل بن شجرة القاضي في سنة تسع وأربعين وثلاثمائة ، حدثني عبد اللّه بن أحمد بن عيسى المقرىء يعرف بالفسطاطي ، قال حدثنا أحمد بن سهل أبو عبد الرحمن ، قال قدم علينا سعد بن زنبور فأتيناه فحدثنا قال : كنا على باب الفضيل بن عياض فاستأذنّا عليه فلم يؤذن لنا ، قال فقيل لنا : إنه لا يخرجُ اليكم أو يسمعَ القرآن ، قال : وكان معنا رجلٌ مؤذن وكان صيّتاً ، فقلنا له : اقرأ ، فقرأ ﴿ أَلْهَاكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ ﴾ (التكاثر: 1) ورفع بها صوته ، قال : فأشرف علينا الفضيل وقد بكى حتى بلَّ لحيته بالدموع ومعه خرقةٌ ينشّفُ بها الدموعَ من عينه ، وأنشأ يقول :

بلغتُ الثمانين أو جزتُها ... فماذا أؤمّلُ أو أنتظرْ
أتاني ثمانون من مولدي ... وبعدَ الثمانين ما يُنْتَظَرْ ؟
عَلَتْني السنونَ فأبْلَيْنَني

قال : ثم خنقته العبرة ، قال وكان معنا علي بن خشرم فأتمه له فقال :

فدَقّتْ عظامي وكلَّ البصرْ

قال : ثم قال القاضي أحمد بن كامل : ولدت سنة ستين ومائتين ، وأنشدنا :

عقد الثمانين عقد ليس يبلغه ... إلا المؤخر للأخبار والغير

(1) تاريخ بغداد والوافي : الأخبار .

ـ 134 ـ

أحمد بن كليب النحوي : صاحب أسلم ، الأندلسيِّين ، ذكر أبو الفرج عبد الرحمن بن الجوزي في « المنتظم » ان أحمد بن كليب مات سنة ست وعشرين وأربعمائة ، وذكر قصته التي أذكرها فيما بعد بعينها ، ولا أدري من أين له هذه الوفاة ، فإن الحميديّ ذكره في كتابه ولم يذكر وفاته . قال الحميدي : هو شاعرٌ مشهورُ الشعرِ ولا سيما شعره في أسلم ، وكان قد أفرطَ في حبّه حتى أدَّاهُ ذلك إلى الموت ، وخبره في ذلك طريف رواه محمد بن الحسن المذحجي قال : كنت أختلف في النحو إلى أبي عبد اللّه محمد بن خطاب النحويّ[1] في جماعة ، وكان معنا عنده أبو الحسن أسلم بن أحمد بن سعيد ابن قاضي الجماعة أسلم بن عبد العزيز صاحب المزني والربيع ، قال محمد بن الحسن : وكان من أجمل من رأته العيون ، وكان يجيء معنا إلى محمد بن خطاب : أحمد بن كليب ، وكان من أهل الأدب البارع والشعر الرائق ، فاشتدَّ كلفه بأسلم وفارق صبره ، وصرَّف فيه القول متستراً بذلك إلى أن فَشَتْ أشعاره فيه وجرت على الألسنة وتنوشدت في المحافل ، فلعهدي بعرسٍ وفيه زامرٌ يزمر في البوق بقول أحمد بن كليب في أسلم :

أسلمني في هوا ... هُ أسلمُ هذا الرشا
غزالٌ له مقلةٌ ... يصيبُ بها من يشا
وشى بيننا حاسدٌ ... سيسأل عمّا وشى
ولو شاءَ أن يرتشي ... على الوصل روحي ارتشى

فلما بلغ هذا المبلغ انقطع أسلم عن جميع مجالس الطلب ولزم بيته والجلوسَ

134 ـ ترجمة أحمد بن كليب في إنباه الرواة 1 : 96 والبداية والنهاية 12 : 38 والنجوم الزاهرة 4 : 281 والوافي 7 : 299 وبغية الوعاة 1 : 354 وقصته في عشقه لأسلم في صورتها الكاملة إنما هي رواية ابن حزم كما أوردها الحميدي في الجذوة : 134 (وبغية الملتمس رقم : 462) وقد نقلت في المنتظم 8 : 83 ومصارع العشاق 1 : 297 ـ 300 وتزيين الأسواق 2 : 339 .

(1) محمد بن خطاب ، له ترجمة في الجذوة : 50 وبغية الوعاة 1 : 99 .

على بابه ، فكان أحمد بن كليب لا شغلَ له إلاّ المرور على باب أسلم سائراً ومقبلاً نهاره كلّه ، فانقطع أسلم عن الجلوس على باب داره نهاراً ، فإذا صلّى المغربَ واختلط الظلامُ خرج مستروحاً وجلس على باب داره ، فعيل صبر أحمد بن كليب ، فتحيَّل في بعض الليالي ولبس جبةً من جبابِ أهل البادية ، واعتمَّ بمثل عمائمهم ، وأخذ باحدى يديه دجاجاً وبالأخرى قفَصاً فيه بيض ، وتحيَّنَ جلوسَ أسلم عند اختلاط الظلام على بابه ، فتقدم إليه وقبَّل يده وقال : يأمر مولاي بأخذ هذا ، فقال له أسلم : ومن أنت ؟ قال : صاحبك في الضيعةِ الفلانية ، وقد كان تعرَّفَ أسماءَ ضياعه وأصحابه فيها ، فأمر أسلم بأخذ ذلك منه ، ثم جعل أسلم يسأله عن الضيعة ، فلما جاوبه أنكر الكلامَ ، وتأمله فعرفه ، فقال : يا أخي وهنا بلغتَ بنفسك وإلى ها هنا تبعتني ؟! أما كفاك انقطاعي عن مجالس الطلب وعن الخروج جملةً وعن القعود على باب داري نهاراً حتى قطعتَ عليَّ جميعَ ما لي فيه راحة ؟! قد صرتُ في سجنك ، واللّه لا فارقتُ بعد هذه الليلة قعر منزلي[1] ولا قعدت ليلاً ولا نهاراً على بابي ، ثم قام . وانصرف أحمد بن كليب حزيناً كئيباً .

قال محمد بن الحسن : واتصل ذلك بنا فقلنا لأحمد بن كليب : قد خسرتَ دجاجك وبيضك ، فقال : هات كلَّ ليلةٍ قبلةَ يده وأخسر أضعافَ ذلك ، قال : فلما يئس من رؤيته ألبتةَ نهكته العلة وأضجعه المرض ، قال : فأخبرني شيخنا محمد بن خطاب قال : فعدته فوجدته بأسوأ حال ، فقلت له : ولم لا تتداوى؟ فقال : دوائي معروف ، وأما الأطباء فلا حيلة لهم فيَّ البتة ، فقلت له : وما دواؤك ؟ قال : نظرة من أسلم ، فلو سعيتَ في أن يزورني لأعظم اللّه أجرك ، وكان هو واللّه أيضاً يؤجر . قال : فرحمته وتقطعتْ نفسي له ، ونهضتُ إلى أسلم ، فتلقاني بما يجب ، فقلتُ له : لي حاجةٌ قال : وما هي ؟ قلت له : قد علمت ما جمعك مع أحمد من ذمام الطلب عندي ، فقال : نعم ولكن قد تعلم أنه أشهر اسمي وآذاني ، فقلتُ له : كلّ ذلك مغتفر في الحال التي هو فيها ، والرجلُ يموت ، فتفضل بعيادته ، فقال : واللّه ما أقدرُ على ذلك ، فلا تكلّفني هذا ، فقلت له : لا بدَّ ، فليس عليك في ذلك شيء ،

(1) ر : داري .

فإنما هي عيادةُ مريض ، قال : ولم أزلْ به حتى أجاب ، فقلت : فقم الآن فقال لي : لست واللّه أفعل ذلك ، ولكن غداً ، فقلت له : ولا خُلف ، فقال : نعم . قال : فانصرفت إلى أحمد بن كليب وأخبرته بوعده بعد تأبيه ، فسرَّ بذلك وارتاحت نفسه . قال : فلما كان من الغد بكَّرْتُ إلى أسلم وقلت له : الوعد ، فوجم وقال : واللّه لقد تَحْملُني على خُطّة صعبة ، وما أدري كيف أُطيقُ ذلك ، فقلت له : لا بد من أن تفي بوعدك . فأخذ رداءه ونهض معي راجلاً ، فلما أتينا منزلَ أحمد بن كليب ، وكان يسكنُ في آخر دربٍ طويل ، فلما توسط الدربَ وقف واحمرَّ وخجل وقال لي : الساعةَ واللّه أموتُ وما أستطيع أن أنقلَ قدمي ولا أن أُعرِضَ هذا على نفسي ، فقلت : لا تفعل ، بعد أن بلغتَ المنزل تنصرف ؟ قال : لا سبيلَ واللّه إلى ذلك البتة ، قال : ورجع مسرعاً فاتبعته وأخذت بردائه فتمادى وتمزَّق الرداءُ وبقيتْ قطعةٌ منه في يدي ، ومضى ولم أدركه ، فرجعتُ ودخلتُ إلى أحمد بن كليب ، وقد كان غلامُهُ دخل إليه إذ رآنا من أول الدربِ مبشّراً ، فلما رآني دونه تغير لونه وقال : وأين أبو الحسن ؟ فأخبرته بالقصة فاستحال من وقته واختلط ، وجعل يتكلم بكلامٍ لا يعقل منه أكثر من الترجع ، فاستبشعتُ الحال وجعلتُ أترجّع وقمت ، فثاب إليه ذهنه وقال لي يا أبا عبد اللّه : اسمع ، وأنشد :

أسلمُ يا راحةَ العليلِ رفقاً على الهائم النحيلِ
وصلك أشهى إلى فؤادي من رحمةِ الخالقِ الجليلِ

فقلتُ له : اتقِ اللّه ، ما هذه العظيمة ؟! فقال لي : قد كان ما كان . فخرجتُ عنه ، فواللّه ما توسطت الدربَ حتى سمعتُ الصراخَ عليه وقد فارق الدنيا ، هذا قتيل الحبِّ لا دِيَةَ ولا قَوَد . قال : وهذه قصة مشهورة عندنا ، والرواة ثقات . وأسلم هذا من بيت جليل ، وهو صاحبُ الكتابِ المشهور في أغاني زرياب ، وكان شاعراً أديباً .

قال الحميدي : وقد رأيت ابنه أبا الجعد ، قال : وذكرتُ هذه القصة لمحمد بن سعيد(1) الخولاني الكاتب فعرفها وقال لي : أخبرني الثقةُ ، قال : لقد رأيتُ أسلم هذا

(1) ر: لسعيد بن أحمد .

في يومٍ شديدِ المطر لا يكادُ أحدٌ يمشي في طريق ، وهو قاعدٌ على قبر أحمد بن كليب زائراً له وقد تحيَّنَ غفلةَ الناس في مثل ذلك الوقت .

وكان أحمد بن كليب قد أهدى إلى أسلم في أول أمره « كتاب الفصيح » وكتب عليه :

هذا كتابُ الفصيحِ ... بكلِّ لفظٍ مليحِ
وهبتُهُ لكَ طوعاً ... كما وهبتك روحي

وقرأتُ في « كتاب الديارات » للخالدي[1] حكاية أعجبني أمرُ صاحبها ، وأحببت أن يكونَ لها موضعٌ من كتابي هذا ، وكأن المثلَ يُذْكِرُ بالمثل ، ذكرتها عقيبَ خبر أحمد بن كليب فانهما خبران متقاربان ، قال حدثني أبو الحسين يحيى بن الحسين الكندي الحراني الشاعر ، قال حدثني أبو بكر أحمد بن محمد الصنوبري قال : كان بالرها ورّاقٌ يقال له سعيد ، وكان في دكانه مجلسُ كلِّ أديب ، وكان حسنَ الأدب والفهم يعملُ شعراً رقيقاً ، وما كنّا نفارقُ دكانه أنا وأبو بكر المعوّج الشامي الشاعر وغيرنا من شعراء الشام وديار مصر ، وكان لتاجرٍ بالرها نصرانيّ من كبار تجارها ابنٌ اسمُهُ عيسى من أحسن الناس وجهاً وأحلاهم قداً وأظرفهم طبعاً ومنطقاً ، وكان يجلس إلينا ويكتبُ عنا من أشعارنا ، وجميعنا نحبّه ونميل إليه ، وهو حينئذ صبي في الكتّاب ، فعشقه سعيد الوراق عشقاً مبرحاً ، وكان يعمل فيه الأشعار ، فمن ذلك وقد جلس عنده في دكانه :

اجعلْ فؤادي دواةً والمدادَ دمي ... وهاكَ فابرِ عظامي موضعَ القلمِ
وصيّر اللوحَ وجهي وامحُهُ بيدٍ ... فإن ذلك برءٌ لي من السقمِ
ترى المعلّم لا يدري بمن كَلَفي ... وأنت أشهرُ في الصبيان من علمِ

ثم شاع بعشق الغلام في الرها خبره ، فلما كبر وشارف الاحتلام[2] أحبَّ الرهبنة ، وخاطب أباه وأمه في ذلك ، والحَّ عليهما حتى أجاباه وخرجا به إلى دير زكّى بنواحي الرقة ، وهو في نهاية حسنه ، فابتاعا له قلّاية ، ورفعا إلى رأس الدير جملةً من المال عنها ، فأقام الغلام فيها . وضاقت على سعيد الوراق الدنيا بما رَحُبَتْ ، وأغلقَ

(1) وردت في تزيين الأسواق 2 : 354 .

(2) م : الاشلاف ؛ وما أثبته ورد في ر .

دكانه وهجر إخوانه ولزمَ الديرَ مع الغلام ، وسعيد في خلال ذلك يعملُ فيه الأشعار ، فمما عمل فيه وهو في الدير ، وكان الغلام قد عمل شماساً :

يـا جُمَّةً قـد عَلَتْ غصنـاً من البـانِ ... كـأن أطـرافهـا أطـرافُ ريحـانِ
قد قايسوا الشمسَ بالشّماسِ فاعترفوا ... بـانمـا الشمسُ والشمـاسُ سيـانِ
فقـل لعيسى بعيسى كم هـراق دمـاً ... إنسـانُ عينـكَ من عـينٍ لانسـانِ

ثم إن الرهبان أنكروا على الغلام كثرةَ إلمام سعيد به ونَهَوْهُ عنه ، وحرموه إن أدخله قلايته ، وتوعدوه باخراجه من الدير إن لم يفعل ، فأجابهم إلى سا ساموه من ذلك ، فلما رأى سعيد امتناعَهُ منه شقَّ عليه وخضع للرهبـان ورفق بهم فلم يجيبوه وقالوا : في هذا علينا إثمٌ وعار ، ونخاف السلطان ، فكان إذا وافى الديرَ أغلقوا الباب في وجهه ، ولم يدعوا الغلامَ يكلمه فاشتدَّ وجدُهُ وزاد عشقه حتى صار إلى الجنون ، فخرق ثيابه ، وانصرف إلى داره فضرب جميعَ ما فيها بالنار ، ولزم صحراء الدير وهو عريان يهيمُ ويعملُ الأشعار ويبكي .

قال أبو بكر الصنوبري : ثم عبرتُ يوماً أنا والمعوج الشامي من بستانٍ بتنا فيه فرأيناه جالساً في ظلِّ الدير وهو عريان ، وقد طال شعره وتغيرت خلقته ، فسلّمنا عليه وعذلناه وعنّفناه فقال : دعاني من هذا الـوسواس ، أتـريان ذلـك الطائـر الذي على هيكل الدير ـ وأومأ بيده إلى طائر هناك ـ فقلنا : نعم ، فقال : أنا وحقكما يا أخويّ أناشده منـذ الغداة أن يسقطَ فـاحمّله رسالـةً إلى عيسى ، ثم التفت إليَّ وقال : يـا صنوبريّ معك ألواحك ؟ قلت : نعم ، قال : اكتب :

بـدينِـكِ يـا حمـامـةَ ديـرِ زكّي ... وبـالانجيـلِ عنـدكِ والصليبِ
قـفي وتحمّـلي عنـي سـلامـاً ... إلـى قمـرٍ عـلى غُصْـنٍ رطيـبِ
عليـه مسـوحـهُ وأضـاء فيهـا ... وكـان البـدرَ في حـال المغيبِ
حمـاه جمـاعـة الـرهبـان عني ... فقلبي مـا يقـرّ مـن الـوجيـبِ
وقـالـوا رابنـا إلمـامُ سـعـدٍ ... ولا والـلّه مـا أنـا بـالمـريـبِ
وقـولي سَعْـدُكَ المسكينُ يشكـو ... لهيبَ جـوىً أحـرَّ من اللهيـبِ
فَصِلْهُ بـنـظرةٍ لـكَ من بـعيـدٍ ... إذا مـا كنتَ تمنـعُ من قـريبِ

وان أنا متُّ فاكتبْ حول قبري محبٌّ مات من هجر الحبيبِ
رقيبٌ واحدٌ تنغيصُ عيشٍ فكيف بمن له مائتا رقيبِ

ثم تركنا وقام يعدو إلى باب الدير وهو مغلق دونه ، وانصرفنا عنه . وما زال كذلك زماناً ، ثم وجد في بعض الأيام ميتاً إلى جانب الدير ، وكان أمير البلد يومئذ العباس بن كيغلغ ، فلما اتصل ذلك به وبأهلِ الرها خرجوا إلى الدير وقالوا : ما قتله غير الرهبان ، وقال لهم ابن كيغلغ : لا بدّ من ضرب رقبة الغلام واحراقه بالنار ، ولا بد من تعزير جميع الرهبان بالسياط ، وتَصَعَّبَ في ذلك ، فافتدى النصارى نفوسهم وديرهم بمائة ألف درهم . وكان الغلام بعد ذلك إذا دخل الرها لزيارة أهله صاح به الصبيان : يا قاتلَ سعيد الوراق ، وشدُّوا عليه بالحجارة يرجمونه ، وزاد عليه الأمر في ذلك حتى امتنع من دخول المدينة ، ثم انتقل إلى دير سمعان وما أدري ما كان منه .

ومثل هذه الحكاية خبر مدرك بن علي الشيباني(1) ، وكان مدرك شاعراً أديباً فاضلاً ، وكان كثيراً ما يلم بديرِ الروم ببغداد ويعاشر نصاراه ، وكان بدير الروم(2) غلام من أولاد النصارى يقال له عمرو بن يوحنا ، وكان من أحسن الناس وجهاً وأملحهم صورة وأكملهم خلقا ، وكان مدرك بن علي يهواه ، وكان لمدرك مجلس يجتمع فيه الأحداث لا غير ، فإن حضر شيخ أو ذو لحية قال له مدرك : انه قبيح بك ان تختلط مع الأحداث والصبيان ، فقم في حفظ اللّه ، فيقوم . وكان عمرو ممن يحضر مجلسه ، فعشقه وهام به ، فجاء عمرو يوماً إلى المجلس فكتب مدرك رقعةً وطرحها في حِجْره ، فقرأها فإذا فيها :

بمجالسِ العلمِ التي بكَ تمَّ حُسْنُ جموعها
إلا رثيتَ لمقلةٍ غرقتْ بفيضِ دموعها
بيني وبينك حرمةٌ اللّهَ في تضييعها

(1) انظر تزيين الأسواق 2 : 341 وورد طرف من القصة في مصارع العشاق 1 : 242 ، 2 : 258 .

(2) ذكر ياقوت دير الروم (معجم البلدان 2 : 662) وقال : بيعة كبيرة حسنة البناء محكمة الصنعة للنسطورية خاصة ، وهي ببغداد في الجانب الشرقي منها ، وتجاورها بيعة لليعقوبية حسنة المنظر عجيبة البناء ، ثم ذكر لمدرك بن علي شعراً في التغزل بذوي الوجوه الحسان في دير الروم .

فقرأ الأبيات عمرو ، ووقف عليها من كان في المجلس وقرأوها ، فاستحيا عمرو وانقطع عن الحضور ، وغلب الأمر على مدرك فترك مجلسه وتبعه ، وقال فيه قصيدته المزدوجة المشهورة التي أولها :

مـن عـاشق نـاءٍ هـواهُ دانِ ... نـاطق دمـعٍ صـامت اللسـانِ
مـوثق قلبٍ مـطلقُ الجثمـانِ ... معـذّب بـالصـدِّ والهجـرانِ

وهي طويلة . وكتب إليه لما هجره وقطع مجلسه :

فيضُ الـدمـوع وشـدة الأنفـاسِ ... شهـدا على ما في هـواهُ أُقـاسي
لبس الملاحةَ وهـو ألبسني الضنا ... شتـانَ بيـنَ لبـاسِـهِ ولـبـاسي
يـا من يـريـدُ وصـالنـا ويصـدُّهُ ... ما قد يحاذرُ من لباس[1] الناسِ
صلني فـإن سبقتْ إليـك مقـالـةٌ ... منهم فَعَصِّبْ مـا يقـال بـراسي

ثم خرج مدرك إلى الوسواس وسُلَّ جسمه وتغير عقله وترك مجلسه وانقطع عن الاخوان ولزم الفراش . قال حسان بن محمد بن عيسى بن شيخ : فحضرته عائداً في جماعة من إخوانه فقال : ألست صديقكم والقديم العشرةِ لكم ؟ أفما فيكم أحد يسعدني بالنظر إلى وجه عمرو ؟ قال : فمضينا إلى عمرو فقلنا له : إن كان قَتْلُ هذا الرجل ديناً فإن إحياءَهُ مروءة ، قال : وما فعل ؟ قلنا : قد صار إلى حالٍ لا نحسبك تلحقه ، قال : فنهض معنا ، فلما دخلنا عليه سلم عليه عمرو فأخذ بيده وقال : كيف تجدك يا سيدي ، فنظر إليه ثم أغمي عليه وافاق وهو يقول :

أنـا فـي عـافـيـةٍ الّـــــا مـن الـشـوقِ إلـيـكـا
أيـهـا الـعـائـدُ مـا بـي ... مـنـكَ لا يـخـفـى عـلـيـكـا
لا تـعـدْ جسـمـاً وعـدْ قلـــبـاً رهـيـنـاً فـي يـديـكـا
كـيـف لا يـهـلك مـرشـو ... ق بِسَـهْـمَـيْ مـقـلـتـيـكـا

ثم شهق شهقةً فارق فيها الدنيا ، فما برحنا حتى دفناه ، رحمه اللّه .

---

(1) كذا ولعل الصواب : من كياد .

ـ 135 ـ

أحمد المحرر يعرف بالأحول : قديم كان في أيام الرشيد والمأمون وبعد ذلك ، قال أبو عبد اللّه ابن عبدوس : ذكر أبو الفضل ابن عبد الحميد في كتابه أن الأحول المحرر شَخَصَ مع محمد بن يزداد بن سعيد وزيرِ المأمون عند شخوصِ المأمون إلى دمشق ، وأنه شكا يوماً إلى أبي هارون خليفة محمد بن يزداد الوحدةَ والغربةَ وقلةَ ذاتِ اليد ، وسأله أن يكلِّم له محمداً في كلام المأمون في أمره ليبرَّه بشيءٍ ، ففعل أبو هارون ذلك ، ورأى محمد بن يزداد من المأمون طيبَ نفسٍ فكلمه فيه وعطفه عليه ، فقال له المأمون : أنا أعرفُ الناسِ به ، ولا يزال بخير ما لم يكن معه شيء ، فإذا رُزق فوق القوتِ بذَّره وأفسده ، ولكن أعطه لموضع كلامك أربعة آلاف درهم . فدعا ابن يزداد بالأحول وعرَّفه ما جرى ونهاه عن الفساد ، وأمر له بالمال ، فلما قبضه ابتاع غلاماً بمائة دينار ، واشترى سيفاً ومتاعاً ، وأسرف فيما بقي بعد ذلك حتى لم يبق معه شيء ، فلما رأى الغلامُ ذلك أخذ كلَّ ما كان في بيته وهرب ، فبقي عرياناً بأسوأ حال ، وسار إلى أبي هارون خليفة ابن يزداد فأخبره ، فأخذ أبو هارون نصفَ طومارٍ ونشره ووقع في آخره :

فرَّ الغلام فطار قلبُ الأحولِ ... وأنا الشفيعُ وأنت خيرُ مُعَوَّلِ

ثم ختمه ودفعه إليه وقال له : امض به إلى محمد بن يزداد فأوْصِلْهُ إليه ، فلما رآه ابن يزداد قال له : ما في كتابك ؟ قال : لا أدري ، فقال : هذا من حمقك ، تحملُ كتاباً لا تدري ما فيه ، ثم فضَّه فلم يرَ فيه شيئاً ، فجعل ينشره وهو يضحك حتى أتى على آخره ، فوقف على البيت ووقَّع تحته :

لو لا تعبّثُ أحمدٍ بغلامِهِ ... كان الغلامُ ربيطةً بالمنزلِ

ثم ختمه وناوله [إياه] وأمره أن يردَّهُ إلى خليفته ، فقال له : اللّهَ اللّه فيَّ جُعِلْتُ فداك ، ارحمني من الحال التي صرتُ اليها ، فرقَّ له ووعده أن يكلم المأمون ، فلما وجد بعد ذلك خلوةً من المأمون كلمه فيه وشرح له ما جرى أجمع ، ووصف له ضعفَ

135 ـ انظر نصوص ضائعة من كتاب الوزراء والكتاب للجهشياري : 45 وبدائع البدائه : 46 ـ 48 .

عقلِ الأحول ووهْيَ عُقْدته وَسَخَفَه ، فأمر المأمون باحضاره ، فلما وقف بين يديه قال له : يا عدوَّ اللّه تأخذُ مالي فتشتري به غلاماً حتى يفرَّ منك ؟! فارتاع لذلك وتلجلج لسانه فقال : جعلتُ فداك يا أمير المؤمنين ما فعلت ، فقال له : ضع يدكَ على رأسي واحلف أنك لم تفعل ، فجعل ابن يزداد يأخذ بيده لذلك والمأمون يضحكُ ويشير إليه أن ينحيها ، ثم أمر له باجراء رزقٍ واسع في كلِّ شهر ، ووصله مرةً بعد مرة حتى أغناه ، وكان يعجبه خطه .

ـ 136 ـ

أحمد بن محمد بن حميد بن سليمان بن حفص بن عبد اللّه بن أبي الجهم بن حذيفة بن غانم بن عامر بن عبد اللّه بن عبيد بن عوتج بن عدي بن كعب العدوي الجهمي ، أبو عبد اللّه من بني عدي بن كعب القرشي ، ينسب إلى جده أبي الجهم بن حذيفة : حجازي دخل العراق وبها تأدَّبَ ونشأ ، وكان أديباً راوية شاعراً متقناً عالماً بالنسب والمثالب ، ويتناول جلة الناس ، وله في ذلك كتب . مات [. . .] .

ذكره المرزباني ومحمد بن إسحاق النديم فقالا : وقع بينه وبين قوم من العمريين والعثمانيين شر ، فذكر سلفهم بأقبح ذكر ، فكلّمه بعض الهاشميين في ذلك ، فذكر العباس بأمر عظيم ، فانتهى خبره إلى المتوكل فأمر بضربه مائة سوط ، تولى ضربه إياها إبراهيم بن إسحاق بن إبراهيم ، فلما فرغ من ضربه قال فيه :

تبرا الكلومُ وينبتُ الشَّعَرُ ... ولكلِّ مَوْرِدِ غُلَّةٍ[1] صَدَرُ
واللؤمُ في أثواب منبطحٍ ... لعبيدِهِ ما أورقَ الشجرُ

قال : وله من الكتب : كتاب أنساب قريش وأخبارها . كتاب المعصومين . كتاب المثالب . كتاب الانتصار في الردّ على الشعوبية . كتاب فضائل مضر .

136 ـ الفهرست : 124 .

(1) الفهرست : محنة .

- 137 -

أحمد بن أبي عبد اللّه محمد بن خالد بن عبد الرحمن بن محمد بن علي البرقي ، أبو جعفر الكوفي الأصل : وكان يوسف بن عمر الثقفي والي العراق من قبل هشام بن عبد الملك قد حبس جده محمد بن علي بعد قتل زيد بن علي ثم قتله ، وكان خالد صغير السن، فهرب مع أبيه عبد الرحمن إلى برقة قمّ فأقاموا بها ، وكان ثقةً في نفسه غير أنه أكثر الرواية عن الضعفاء واعتمد المراسيل . وصنف كتباً كثيرة منها المحاسن وغيرها ، وقد زيد في المحاسن ونقص، فمما وقع إليَّ منها: كتاب الابلاغ. كتاب التراحم والتعاطف. كتاب أدَبِ النفس. كتاب المنافع. كتاب أدب المعاشرة. كتاب المعيشة . كتاب المكاسب . كتاب الرفاهية . كتاب المعاريض . كتاب السفر . كتاب الأمثال . كتاب الشواهد من كتاب اللّه عزّ وجلّ . كتاب النجوم . كتاب المَرَافق . كتابُ الدواجن . كتاب المشوم[1] . كتاب الزينة . كتاب الأركان . كتاب الزي . كتاب اختلاف الحديث . كتاب المآكل . كتاب الفهم . كتاب الإخوان . كتاب الثواب . كتاب تفسير الأحاديث واحكامها . كتاب العلل . كتاب العقل . كتاب التخويف . كتاب التحذير . كتاب التهذيب . كتاب التسلية . كتاب التاريخ . كتاب التبصرة . كتاب غريب كتب المحاسن . كتاب مذامّ الاخلاق . كتاب النساء . كتاب المآثر والأحساب . كتاب أنساب الامم . كتاب الزهد والموعظة . كتاب الشعر والشعراء . كتاب العجائب . كتاب الحقائق . كتاب المواهب والحظوظ . كتاب الحياة ، وهو كتاب النور والرحمة . كتاب التعيين . كتاب التأويل . كتاب مذامّ الأفعال . كتاب الفروق . كتاب المعاني والتحريف . كتاب العقاب . كتاب الامتحان . كتاب العقوبات . كتاب العين . كتاب الخصائص . كتاب النحو . كتاب العيافة والقيافة . كتاب الزجر والفأل . كتاب الطيرة . كتاب المراشد . كتاب

---

137 - ترجمته في الوافي 7: 390 - 392 وانظر الفهرست 276 ، 277 ويبدو أن النديم ينسب أكثر هذه الكتب (وهي فصول من كتاب المحاسن) إلى أبيه محمد بن خالد البرقي ولم يعد لأحمد إلا ثلاثة كتب .

(1) الوافي : الشؤم .

الأفانين . كتاب الغرائب . كتاب الخيل . كتاب الصيانة . كتاب الفراسة . كتاب العويص . كتاب النوادر . كتاب مكارم الأخلاق . كتاب ثواب القرآن . كتاب فضل القرآن . كتاب مصابيح الظُّلَم . كتاب المنتخبات . كتاب الدعابة والمزاح . كتاب الترغيب . كتاب الصفوة . كتاب الرؤيا . كتاب المحبوبات والمكروهات . كتاب خلق السموات والأرض . كتاب بدء خلق ابليس والجن . كتاب الدواجن والرواجن[1] . كتاب مغازي النبي ﷺ . كتاب بنات النبي ﷺ وازواجه . كتاب الأجناس والحيوان . كتاب التأويل[2] . كتاب طبقات الرجال . كتاب الأوائل . كتاب الطب . كتاب التبيان . كتاب الجمل . كتاب ما خاطب اللّه به خلقه . كتاب جداول الحكمة . كتاب الأشكال والقرائن . كتاب الرياضة . كتاب ذكر الكعبة . كتاب التهاني . كتاب التعازي .

ـ 138 ـ

أحمد بن محمد بن يوسف الاصبهاني : قال حمزة في « كتاب أصبهان » وذكره في جملة الأدباء الذين كانوا بها وقال : له كتاب في طبقات البلغاء . وكتاب في طبقات الخطباء لم يُسْبَقْ إلى مثلهما . وكتاب أدب الكتاب[3] . وأنشد الأصبهاني في القاضي الوليد بن أبي الوليد :

لعمركَ ما حمدنا غبَّ ودٍّ بذلنا الصفوَ منه للوليدِ
رجونا أن يكونَ لنا ثمالاً إذا ما المحلُ أذوى كلَّ عودِ
وَيُحْيِي أحمدَ بن أبي دوادٍ سليلَ المجدِ والشرفِ العتيدِ
فزرناه فلم نحصلْ لديه على غيرِ التهدُّدِ والوعيدِ

---

138 ـ الوافي 7 : 392 (وفيه بوسه ـ في موضع يوسف ـ دون إعجام للحرف الأول) .

(1) الوافي : الدواحن والدواحر (كذا) .
(2) قد مرَّ ذكره .
(3) الوافي : أدب الكاتب .

تـــوَرَّدُ حـــوضَـــهُ الآمـــالُ منّـــا فـــآبتْ غيـــرَ حـــامـــدةِ الـــورودِ
يـــظلُّ عـــدوُّه يـحـــظَى لـــديـــه بـنيـــلِ الـحظِّ من دون الـــوَدودِ
رضينـــا بـالســـلامـــةِ من جَـــدَاه وأعـفـيـنـــاهُ مـــن كَـــرَمٍ وجـــودِ

وقال في مَثَلٍ للفرس قلبه إلى العربية شعراً :

إنـي إذا مـــا رأيـتُ فَـــرْخَ زنـىً فـليس يـخـفـى عـليَّ جـــوهـــرُهُ
لـــو في جـــدارٍ يخطّ صـــورتـــه لـمـــاج في كـفٍّ مـــن يـصـــورهُ

وقال في رجلٍ عَدَلَ عن انتحالِ علم الاسلام إلى علم الفلسفة :

فـارقتَ علمَ الشـافعيِّ ومـــالـكٍ وشرعتَ في الإسلام رأي بُرُقْلُسِ
وأراكَ في دينِ الجمـاعـةِ زاهـداً ترنو إليـه بمثلِ طَرْفِ الأشوسِ

وكتب إلى بعض إخوانه :

نفسي فـــداؤك من خليـــلٍ مُصْقِبٍ لم يَشْفني منـــه الـلقـــاءُ الشـــافي
عنـــدي غـــداً فئـــةٌ تقـــومُ بمثلهـــا لـــلّه حُـجَّـــتُـــهُ عـلى الأَصـــنـــافِ
مثـــل النجـــومِ يُلَذُّ حُسْنُ حـــديثهم لـيـســـوا بـــأوبـــاشٍ ولا أجـنـــافِ
أو روضـــةٍ زهـــراءَ معشبـــةِ الثـــرى كـــال الـــربيـــع لهـــا بكيـــلٍ وافِ
من بين ذي علمٍ يصـــولُ بعـلمـــه أو شـــاعـــرٍ يـعصـى بحـــد قـــوافِ
منهـم أبـــو حَسَـنٍ بُـــرُقلسُ دهـــرِهِ وأبـــو الهـذيـــلِ وليس بـــالعـــلاّفِ
والهـــرمـــزانيُّ الـــذي يـسمـــو بـــه شَـــرَفُ أُنـافَ بـــه على الأَشـــرافِ
فاجعلْ حديثك عندنا يشفي الجوى فـنفـــوسـنـــا وَلْهَـى إلـى الإيـــلافِ
وكنِ الجـــوابَ فـليس يعـجبـني أخٌ في الـــدين شـــابَ وفـــاقَهُ بخـــلافِ

ـ 139 ـ

أحمد بن محمد بن أبي محمد اليزيدي أبو جعفر : ذكره الحافظ أبو القاسم ابن عساكر في « تاريخ دمشق » فقال : أحمد بن محمد بن يحيى بن المبارك بن المغيرة أبو جعفر العدوي النحوي المعروف أبوه باليزيدي : كان من ندماءِ المأمون ، وقدم معه دمشق وتوجه منها غازياً للروم . سمع جده أبا محمد يحيى وأبا زيد الأنصاري ، وكان مقرئاً ، روى عنه أخوه عبيد اللّه والفضل ابنا محمد وابن أخيه محمد بن العباس ومحمد بن أبي محمد وعون بن محمد الكندي ومحمد بن عبد الملك الزيات . مات قبيل سنة ستين ومائتين .

قرأت في كتاب أبي الفرج الاصبهاني[1] : حدثنا محمد بن العباس حدثني أبي عن أخيه أبي جعفر قال : دخلت يوماً على المأمون بقارا وهو يريد الغزو فأنشدته شعراً مدحته به أوله :

يا قصرُ ذا النخلاتِ من بارا[2] إني حننتُ إليك من قارا
أبصرتُ أشجاراً على نَهَرٍ فذكرتُ أنهاراً وأشجارا
للّه أيامٌ نَعِمْتُ بها في القُفْصِ أحيانا وفي بارا
إذ لا أزالُ أزورُ غانيةً ألهو بها وأزورُ خمارا
لا أستجيبُ لمن دعا لهدىً وأُجيبُ شُطَّاراً ودعَّارا
أعصي النصيحَ وكلَّ عاذلةٍ وأطيعُ أوتارا ومزمارا

139 ـ هو أحمد بن محمد بن يحيى بن المبارك بن المغيرة ، انظر الفهرست : 56 والأغاني 20 : 226 ـ 232 وطبقات الزبيدي : 82 ـ 86 وبغية الطلب 2 : 13 وتاريخ بغداد 5 : 117 وانباه الرواة 1 : 127 والوافي 7 : 388 وطبقات ابن الجزري 1 : 133 وبغية الوعاة 1 : 386 وشعر اليزيديين لمحسن غياض : 157 ، 168 . ومصورة تاريخ ابن عساكر 2 : 223 وتهذيب ابن عساكر 2 : 82 ـ 83 ومختصر ابن منظور 3 : 289 .

(1) الأغاني 20 : 229 وبغية الطلب ؛ وقوله « قرأت » هو كلام ابن عساكر نفسه .

(2) بارا : من أعمال كلواذى من نواحي بغداد .

قال : فغضب المأمون وقال : أنا في وجه عدو[1] وأحضّ الناسَ على الغزو وأنت تذكرهم نُزَهَ[2] بغداد ؟! قلت : الشيء بتمامه ، ثم قلت :

فصحوتُ بالمأمون من سَكَري ... ورأيتُ خيرَ الأمر ما اختارا
ورأيتُ طاعته مؤديةً ... للفرْضِ إعلاناً وإسرارا
فخلعتُ ثوبَ الهزلِ من عنقي ... ورضيتُ دارَ الخلد لي دارا
وظللتُ معتصماً بطاعته ... وجوارِهِ وكفى به جارا
إن حلَّ أرضاً فهي لي وطنٌ ... وأسير عنها حيثما سارا

فقال له يحيى بن أكثم : ما أحسن ما قال يا أمير المؤمنين ، أخبر أنه كان في سكر وخسار ، فترك ذلك وارعوى وآثر طاعة خليفته ، وعلم أنّ الرشد فيها فسكن وأمسك .

ولأحمد بن اليزيدي هذا بيت جمع فيه حروف المعجم كلها وهو :

ولقد شجتني طَفْلَةٌ برزتْ ضحىً ... كالشمس خثماء العظام بذي الغضا

وذكره أبو بكر الزبيدي فقال[3] : هو أمثلُ أهل بيته في العلم ، وهو القائل يهجو غلاماً[4] :

[نفسي تحدثني بأنك غادر ... وهواي فيك على ذنوبك ساترُ
تعد الوفاءَ وأنت تظهر غيره ... ولقد يدلُّ على الضمير الظاهر
لك مقلة طماحة مقسومة ... بين الجميع كما يدور الدائر
لو زار بيتك كل يوم عسكرٌ ... أرضاهمُ لحظ بعينك فاتر
ومن البلاء بأن وجهك[5] فاتن ... للعالمين وأن طرفك ساحر
وإذا برزت فكل قلب طائر ... شوقاً إليك وكل طرف ناظر

(1) بغية الطلب : غزو .
(2) بغية الطلب : نزهة .
(3) لم يرد هذا في ترجمته في طبقات الزبيدي .
(4) بعد هذا بياض في م ؛ وقد أضفت الأبيات من طبقات الزبيدي .
(5) م والزبيدي : عينك .

ولـديـك إسعـاف لهم وإجـابـة — وهـو الذي مـا زلت منك أحـاذر
فـي دون هـذا لـلمتيـم سـلوة — عن إلفـه لـو أن قلبيَ صـابـر
ولأهجـرنـك جـازعـاً أو صـابـراً — إنـي إذا إلفُ تـنكـر هـاجـر]

- 140 -

أحمد بن محمد بن عبد الكريم بن سهل، ويقال ابن أبي سهل الأحول أبو العباس : ذكره محمد بن إسحاق النديم فقال : هو من متقدمي الكتاب وأفاضلهم، وكان عالماً بصناعة الخراج متقدماً في ذلك على أهل عصره، مات سنة سبعين ومائتين . وله كتاب الخراج.

- 141 -

أحمد بن محمد بن ثوابة بن خالد الكاتب أبو العباس : قال محمد بن إسحاق النديم : هو أحمد بن محمد بن ثوابة بن يونس أبو العباس الكاتب، أصلهم نصارى وقيل إن يونس يعرف بلبابة، وكان حجاماً، وقيل أمهم لبابة . ومات أبو العباس سنة سبع وسبعين ومائتين . وقال الصولي : مات في سنة ثلاث وسبعين .

قال[1] : وحدثني أبو سعيد وهب بن إبراهيم بن طازاذ قال : كان بين علي بن الحسين وبين أبي العباس ابن ثوابة منازعة في ضيعة، فاجتمعا في مجلس بعض الرؤساء، وأحسبه عبيد الله بن سليمان، فردَّ عليٌّ بن الحسين مناظرةَ أبي العباس إلى أخيه أبي القاسم [جعفر] بن الحسين، فناظر أبا العباس، فأقبل أبو العباس يهاتره ويطنز به، وقال في جملة قوله : من أنتم ؟ إنما نفقتم بالبذيذة[2]، قال : فالتفت

140 ـ ترجمته في الفهرست : 150 وابن خلكان 1 : 84 والوافي 7 : 390 .
141 ـ ترجمة أبي العباس ابن ثوابة في الفهرست : 143 والوافي 7 : 368 .

(1) النقل عن الفهرست .
(2) الفهرست : بالبزبزة (ف : نفقتم بالبربرة) ر: فقتم بالبزبرة .

عليٌّ بن الحسين إلى صبيّ كان معه كأنه الدنيا المقبلة ، فأخذ بيده وقام قائماً في موضعه وكشف عن رأسه وقال بأعلى صوته : يا معشرَ الكتاب قد عرفتموني ، وهذا ولدي من فلانة بنت فلان الفلاني ، وهي مني طالقٌ طلاقَ الحرج والسنة على سائر المذاهب إنْ لم يكنْ هذا الشرطُ الذي في أَخدعي شرطَ جدِّه فلان المزين ، لا يكني عن جد ابن ثوابة ، قال : فاستخذى[1] أبو العباس ولم يحر جواباً ولا أجرى بعد ذلك كلاماً في الضيعة ، وسلَّمها من غير منازعة ولا محاورة .

قال[2] : وكان أبو العباس من الثقلاء البغضاء ، وله كلامٌ مُدَوّنٌ مستهجَنٌ مستثقل ، منه : عليَّ بماء الورد أغسل فمي من كلام الحاجم . ومنه : لما رأى أمير المؤمنين الناسَ قد تدرأسوا وتدقلموا وتدبسقوا وتذوذروا تدسقن . وله من التصانيف . كتاب رسائله المجموعة . كتاب رسالته في الكتابة والخط .

وأخوه جعفر بن محمد بن ثوابة تولَّى ديوان الرسائل في أيام عبيد اللّه بن سليمان الوزير، وابنه أبو عبد اللّه أحمد بن جعفر تولى ديوان الرسائل في أيام المطيع، وله ابن اسمه محمد بن أحمد[3] كان أيضاً مترسلاً بليغاً وله كتاب رسائل .

وأبو الحسين محمد بن جعفر بن ثوابة وابنه أبو عبد اللّه أحمد بن محمد بن جعفر له أيضاً ديوان رسائل ، وهو آخر من بقي من فضلائهم .

ومن كلام أبي العباس : من حقِّ المكاتبة أن يسبقها أُنْسٌ ، وينعقدَ قبلها وُدّ ، ولكن الحاجة أعجلتْ عن ذلك ، فكتبتُ كتابَ من يُحْسِنُ الظنَّ إلى من يحققه .

ومن فصل له إلى عبيد اللّه بن سليمان : لم يُؤْتَ الوزيرُ من عدم فضيلة ، ولم أوت من عدم وسيلة ، وغُلَّة الصادي تأبى له انتظارَ الوِرْدِ وتُعْجِلُ عن تأمل ما بين الغدير والوادي ، ولم أزل أترقَّبُ أن يُخْطِرَني بباله ترقُّبَ الصائم لفطره ، وأنتظره انتظار الساري لفجره ، إلى أن بَرِحَ الخفاءُ ، وكُشِفَ الغطاء ، وشمتَ الأعداء ، وان في تخلفي وتقدّم المقصرين لآيةً للمتوسمين ، والحمد للّه رب العالمين .

وقيل لابن ثوابة : قد تقلد إسماعيل بن بلبل الوزارة فقال : إنّ هذا عجزٌ قبيح من

---

(1) ر : فاستحال .
(2) النقل مستمر عن الفهرست .
(3) ذكره في الفهرست : 144 ولكن لم يذكر الآخرين ، والأرجح أن نسخة الفهرست التي وصلتنا ناقصة .

الأقدار . وكان محمد بن أحمد بن ثوابة [كاتباً] لبايكباك التركي فلما أغري المهتدي بالرافضة قال المهتدي لبايكباك : كاتبك واللّه أيضاً رافضي ، فقال بايكباك : كذبٌ واللّه على كاتبي ما كان يقول هؤلاء ، فشهدت الجماعة عليه ، فقال بايكباك : كذبتم ليس كاتبي كما تقولون ، كاتبي خيّرٌ فاضلٌ يصلّي ويصوم وينصحني ، ونجاني من الموت ، لا أُصَدِّقُ قولكم عليه ، فغضب المهتدي وردَّ الأيمانَ على صحَّةِ القول في ابن ثوابة وهو يقول لا لا . فلما انصرف القومُ من حضرةِ المهتدي أسمعهم بايكباك وشتمهم ونسبهم إلى أخذ الرشا والمصانعات ، وأغلظَ لهم ، وأمر ببعضهم فنيل بمكروهٍ إلى أن تخلصوا من يده . واستتر ابن ثوابة ، وقلَّد المهتدي كتابةَ بايكباك سهلَ بن عبد الكريم الأحول ، ونودي على ابن ثوابة ، ثم تنصَّلَ بايكباك إلى المهتدي واعتذر إليه ، فقبل عذره وصفح عنه . فلما قدم موسى بن بغا سُرَّ مَنْ رأى من الجبل تلقاه بايكباك وسأله التلطفَ في المسألة في الصفح عن كاتبه ابن ثوابة ، فلما جدَّد المهتدي البيعةَ في دار أناجور التركي عاود بايكباك المسألةَ في كاتبه ، فوعده بالرضى عنه وقال : الذي فعلتُهُ بابن ثوابة لم يكنْ لشيءٍ كان في نفسي عليه يخصُّني لكن غضباً للّه تعالى وللدين ، فإن كان قد نزع عما أُنكر منه وأظهر تورعاً فإني قد رضيتُ عنه ، ثم رضيَ عنه الخليفةُ في يوم الجمعة النصف من محرم سنة خمسين ومائتين ، وخلع عليه أربعَ خلع ، وقلَّده سيفاً ، ورجع إلى كتابة بايكباك .

ميمون بن هارون [قال] قال لي أبو الحسن علي بن محمد بن الأخضر : كنا يوماً في مجلس أبي العباس ثعلب إذ جاءه أبو هفان البصري للسلام عليه ، فسأله عن أمره وسبب قدومه من سامرّا وأين يريد ، فقال : أريد ابن ثوابة - يعني أحمد بن محمد بن ثوابة بن خالد - وكان بالرقة ، وكان ذلك في أيام عيد فقال أبو العباس : كيف رضاك عن بني ثوابة ؟ فقال : إني واللّه أكره هجاءهم في يوم مثل هذا ، ولكنّي أقمتُ هجائي لهم مقام الزكاة وقلت :

ملوكٌ ثناهم كأحسابهم ... وأخلاقُهُمْ شِبْهُ آدابهمْ
فطولُ قرونهمُ أجمعين ... يزيدُ على طولِ أذنابهمْ

وقال الصولي : كانت بين أبي الصقر إسماعيل بن بلبل الوزير وبين أبي العباس أحمد بن محمد بن ثوابة وحشة شديدة لأسباب : منها أشياء جرت في مجلس صاعد

في آخر أيامه، فقد حدثني رشيق الموساي الخادم ، وما رأيت خادماً أعقلَ منه ولا أكتبَ يداً ، قال : كنا في مجلس صاعد ، فسأل عن رجلٍ فقال أبو الصقر : قد كان أُنفي - يريد نُفِي - فقال ابن ثوابة : في الخرء ، فسمعها فقال أبو الصقر : كيف نكلّم من حقه أن يُشَدَّ ويحد ؟! فقال ابن ثوابة : من جهلك أنك لا تعلم أن من يُشَدّ لا يُحَد ، ومن يحدّ لا يشد ، ثم ضرب الدهرُ من ضَرْبه فرأيتُ ابنَ ثوابةَ قد دخل إلى أبي الصقر بواسط فوقف بين يديه ثم قال : أيها الوزير ﴿ لَقَدْ آثَرَكَ اللَّهُ عَلَيْنَا وإِنْ كُنَّا لَخَاطِئِينَ ﴾ (يوسف: 91) فقال له أبو الصقر ﴿ لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُم ﴾ (يوسف: 92) يا أبا العباس ، ثم رفع مجلسه وقلّده طساسيج بابل وسورا وَبَرْبِسْما ، فضاعف وزاد في الدعاء له ، فما زال والياً إلى أن توفي في سنة ثلاث وسبعين ومائتين ، هكذا ذكر الصولي ، والأول منقول من كتاب محمد بن إسحاق ، وهذا أولى بالصواب .

قال الصولي(1) وحدثني الحسين بن علي الكاتب قال : كان أبو العيناء في جملة أبي الصقر ، قال : وكان يعادي ابن ثوابة لمعاداة أبي الصقر ، فاجتمعا في مجلس بعقب ما جرى بين أبي الصقر وبين ابن ثوابة في مجلسِ صاعد فتلاحيا ، فقال له ابن ثوابة : أما تعرفني ؟ قال : بلى أعرفُكَ ضيّقَ العَطَن ، كثيرَ الوَسَن ، قليلَ الفطن ، خارّاً على الذقن ، قد بلغني تعدّيك على أبي الصقر ، وإنما حلم عنك لأنه لم ير عزّاً فيذله ، ولا علوّاً فيضعه ، ولا حَجَراً فيهدمه ، فعاف لحمك أنْ يأكله وَسَهكَ دمك أن يسفكه ، فقال له : اسكتْ فما تسابَّ اثنانِ إلا غَلَبَ الأمهما ، قال أبو العيناء : فلهذا غلبتَ بالأمس أبا الصقر ، فأسكته .

ومن «كتاب الوزراء» لهلال بن المحسن ، حدَّث علي بن سليمان الأخفش قال(2) ذكر لي المبرد أنه كان في يوم نوبة له عند أبي العباس أحمد بن محمد بن ثوابة حين دخل عليه غلامه وفي يده رقعة البحتري ، فقرأها أبو العباس ووقّع فيها توقيعاً خفيفاً وأمر باصلاحها ، فأصلحت وأعيدت إليه ، قال المبرد : فرمى بها إليَّ فإذا فيها(3) :

---

(1) وردت في البصائر : 8 رقم 617 (ص: 174) مع بعض اختلاف ، ونثر الدر 3 : 196 .
(2) أدب الكتاب للصولي : 177 .
(3) ديوان البحتري 3 : 1574 .

اسلَمْ أبا العباس وابْـقَ فلا أزالَ اللّه ظلَّكْ
وكنِ الذي يبقى لنا ونموتُ حين نموتُ قبلكْ
لي حاجةٌ أرجو لها إحسانَكَ الأوفى وفضلكْ
والمجدُ مشترِطٌ عليـ ـكَ قضاءها والشرطُ أملكْ
فلئن كَفَيْتَ مُلِمَّها فلمثلها أعددتُ مثلكْ

قال : وإذا قد وقع أبو العباس « مقضيَّةٌ واللّه الذي لا إله إلا هو ولو أتلفتِ المال وأذهبت الحال ، فقل رعاك اللّه ما شئتَ منبسطاً ، وثق بما أنا عليه لك مغتبطاً ، ان شاء اللّه تعالى » .

وقال أحمد بن علي الماذرائي الكاتب الأعور الكردي صديق المبرد يهجو ابن ثوابة من قصيدة :

تَعِسَتْ أبا الفضلِ الكتابَةْ من أجلِ مقتِ بني ثوابَةْ
وسألتُ أهلَ المِهْنَتَيْـ ـنِ من الخطابةِ والكتابه
عن عادلٍ في حكمِهِ فعليكَ أجمعتِ العصابَةْ
فاسمعْ فقد ميزتهم ولكلِّهم طَرْزٌ وبابَةْ
أما الكبيرُ فمن جلا لته يقالُ له لبابَةْ
وإذا خلا فمُدَّدٌ في البيت قد شالوا كعابَةْ
وارفضَّ عنه زهوُهُ وتقشَّعَتْ تلك المهابَةْ

نقلت من خط عبد السلام البصري ، ثنا أبو العباس التميمي ، ثنا جحظة في « أماليه » قال : حضرتُ مجلس أبي العباس ثعلب وعنده جماعة من أصحابه ، وحضر أحمد بن علي الماذرائي ، فسأله عن أبي العباس ابن ثوابة وقال له : متى عهدك به ؟ فقال : لا عهد ولا عقد ، ولا وفاق ولا ميثاق ، فقال له ثعلب : عهدي بك إذا غضبت هجوت ، فهل من شيء ؟ فأنشد :

بني ثوابةَ أنتم أثقلُ الأمم جمعتمُ ثِقَلَ الأوزارِ والتخمِ
أهاضُ حينَ أراكم من بشامتكم على القلوبِ وإن لم أوتَ من بشمِ

كم قائلٍ حينَ غاظَتْهُ كتابتكم لو شئتَ يا ربُّ ما علَّمتَ بالقلمِ

فقال ثعلب : أحسنتَ واللّه في شعرك وأسأتَ إلى القوم .

وعن أبي الفرج الأصبَهاني[1] حدثني أبو الفضل العباس بن أحمد بن محمد بن ثوابة قال : قدم البحتريّ النيلَ على أحمد بن علي الاسكافي مادحاً له فلم يُثِبْهُ ثواباً يرضاهُ بعد أن طالت مدته عنده ، فهجاه بقصيدته التي يقول فيها :

مـا كسبنـا من أحمـدَ بنِ عليٍّ ومن النيـلِ غيـرَ حمّى النيـلِ

وهجاه بقصيدة أخرى أولها :

* قصة النيل فاسمعوها عُجابَهْ *

فجمع إلى هجائه إياه هجاء بني ثوابة . وبلغ ذلك أبي فبعث إليه بألفِ درهم وثياباً ودابة بسرجه ولجامه فردَّه وقال : قد أسلفتكم إساءةً لا يجوزُ معها قبولُ صلتكم ، فكتب إليه أبي : أما الاساءة فمغفورة ، والمعذرة فمشكورة ، والحسناتُ يُذْهِبْنَ السيئات ، وما يأسو جراحَكَ مثلُ يدك ، وقد رددتُ إليك ما رددته عليَّ وأضعفته ، فإن تلافيتَ ما فرطَ منك أثبنا وشكرنا ، وإن لم تفعل احتملنا وصبرنا ، فَقَبِلَ ما بعثَ به وكتب إليه : كلامك واللّه أحسنُ من شعري ، وقد أسلفتني ما أخجلني وحمّلتني ما أثقلني وسيأتيك ثنائي ، ثم غدا عليه بقصيدة أولها :

ضلال لها ماذا أرادت من الصد[2]

وقال فيه بعد ذلك :

بـرق أضـاء العقيق من ضـرمـهْ[3]

وقال فيه أيضاً[4] :

أن دعـاه داعي الهـوى فـأجـابـه

---

(1) الأغاني 21 : 47 ـ 48 والتذكرة الحمدونية 2 : 136 .

(2) عجز البيت : ونحن وقوف من فراق على حدّ .

(3) عجزه : يكشف الليل عن دجى ظلمه .

(4) عجزه : ورمى قلبه الهوى فأصابه .

فلم يزل أبي يصله بعد ذلك ويتابع برّه لديه حتى افترقا .

وكتب أحمد بن محمد بن ثوابة إلى إسماعيل بن بلبل حين صاهر الناصر لدين اللّه الموفق باللّه : بسم اللّه الرحمن الرحيم بلغني للوزير ـ أيده اللّه ـ نعمةٌ زاد شكرُهَا على مقادير الشكر ، كما أربى مقدارُهَا على مقاديرِ النعمة ، فكان مَثَلُها قولَ إبراهيم بن العباس :

بنوك غدوا آل النبيِّ ووارثو الـــــخلافةِ والحاوونَ كسرى وهاشما

وأنا أسألُ اللّه تعالى أن يجعلهَا موهبةً ترتبط ما قبلها ، وتنتظم ما بعدها ، وتصلُ جلالَ الشرف ، حتى يكونَ الوزير ـ أعزه اللّه ـ على سادةِ الوزراء موفياً ، ولجميل العادةِ مستحقاً ، ولمحمودِ العاقبةِ مستوجباً ، وأن يُلْبِسَ خدمَهُ وأولياءَهُ من هذه الحللِ العاليةِ ما يكونُ لهم ذكراً باقياً وشرفاً مخلداً .

وكان يلقب « لبابة » وكان عبيد اللّه بن سليمان قد صرف أحمد بن محمد بن ثوابة عن طساسيج كان يتقلدها بأبي الحسن ابن مخلد، فقال أحمد بن علي الماذرائي الأعور الكردي :

إني وقفتُ ببابِ الجسرِ في نَفَرِ فَوْضَى يخوضونَ في غُرْبٍ من الخبرِ
قالوا لبابةُ أضحتْ وهي ساخطةٌ قد قَدَّت الجيبَ من غيظٍ ومن ضجرِ
فقلتُ حقاً وقد قرَّتْ بقولهمُ عيني وأعينُ إخواني بني عمرِ
لا تعجبوا لقميص قُدَّ مِنْ قُبُلٍ فإن صاحبه قد قُدَّ من دبرِ

ولأبي سهل فيه يخاطب عبيد اللّه بن سليمان :

يا أبا القاسم الذي قَسَمَ اللـــــه له في الورى الهوى والمهابهْ
كدتَ تنفي أهلَ الكتابةِ عنها حين أدخلتَ فيهم ابنَ ثوابهْ
أنت ألحقتَهُ وما كان فيهمْ بهمُ ظالماً به للكتابهْ
هل رأينا مخنثاً كاتباً أو هل يُسَمَّى أديبُ قومٍ لبابهْ

وله فيه :

أقصرتُ عن جِدِّي وعن شُغْلي والمكرماتِ وعدتُ في هَزلي

لما أراني الدهرُ من تصريفه غِيَراً يغيِّرُ مِثْلُها مثلي
بلغَ أحمدُ بنُ ثوابةٍ بجنونه ما ليس يبلغُه ذوو عقلِ
إن كان نقصُ المرءِ يجلبُ حظه فالعقلُ يرفعُ رزقَ ذي فضلِ

قال أبو حيان في « كتاب الوزيرين »[1] : حدثنا أبو بكر الصيمري قال ، حدثنا ابن سمكة قال ، حدثنا ابن محارب قال ، سمعت أحمد بن الطيب يقول : إنَّ صديقاً لابنِ ثوابةَ الكاتبِ أبي العباس يكنى أبا عبيدة قال له ذاتَ يوم : إنك بحمدِ اللّه وَمَنّه ذو أدبٍ وفصاحة وبراعة [وبلاغة] فلو أكملت فضائلك بأن تضيفَ إليها معرفةَ البرهانِ القياسي وعلمَ الأشكالِ الهندسية الدالةِ على حقائق الأشياء ، وقرأتَ أقليدس وَتَدَبَّرْتَه ، فقال لي ابن ثوابة : وما كان اقليدس ومن هو ؟ قال : رجلٌ من علماء الروم يُسَمّى بهذا الاسم وضع كتاباً فيه أشكالٌ كثيرةٌ مختلفة تدلُّ على حقائقِ الأشياءِ المعلومةِ والمغيَّبة يشحذُ الذهنَ ويدقِّقُ الفهمَ ويلطِّفُ المعرفةَ ويصفِّي الحاسةَ ويثبتُ الرويّةَ ، ومنه افتتح الخط وعرفت مقاديرُ حروفِ المعجم ، قال له أبو العباس ابن ثوابة : وكيف ذلك ؟ قال : لا تعلم كيف هو حتى تشاهدَ الأشكالَ وتعاينُ البرهان ، قال : فافعل ما بدا لك ، فأتاه برجل يقال له قُوَيري[2] مشهور ولم يَعُدْ إليه بعد ذلك .

قال أحمد بن الطيب : فاستظرفتُ ذلك وعجبتُ منه ، فكتبتُ إلى ابن ثوابة رقعةً نسختها : بسم اللّه الرحمن الرحيم ، اتصل بي ـ جُعِلْتُ فِداك ـ أن رجلاً من إخوانك أشار عليك بتكميلِ فضائلك وتقويتها بشيءٍ من معرفة القياسِ البرهانيّ وطمأنينتك إليه ، وأنك أصغيتَ إلى قوله وأذنتَ له ، فأحضرك رجلاً كان غايةً في سوءِ الأدب ، مَعْدِناً من معادنِ الكفر ، وإماماً من أئمةِ الشرك ، لاستغرارك واستغوائك ، يخادعُكَ عن عقلكَ الرصين ، وينازلك في ثقافةِ فهمك المبين ، فأبى اللّه العزيز إلا جميلَ عوائدِهِ الحسنةِ قبَلك ، وَمِنَنِهِ السوابقِ لديك ، وفضله الدائم عندك بأن أتى على قواعدِ برهانِهِ من ذروته ، وحطَّ عواليَ أركانه من أقصى معاقدِ أُسّه ، فأحببتُ استعلامي ذلك على كنهه من جهتك ، ليكونَ شكري لك على ما كان منك حَسَبَ لَوْمي لصاحبك على

---

(1) أخلاق الوزيرين : 235 ـ 247 .

(2) قويري : اسمه إسحاق بن إبراهيم (أخبار الحكماء : 55) .

ما كان منه ، ولأتلافى الفارطَ في ذلك بتدبُّر المشيئة ، إن شاء اللّه تعالى .

قال : فأجابني ابن ثوابة برقعة نسختها : بسم اللّه الرحمن الرحيم ، وصلتْ رقعتُكَ ـ أعزك اللّه ـ وفهمتُ فحواها ، وتدبرتُ متضمنها ، والخبرُ كما اتصلَ بك ، والأمرُ كما بلغك ، وقد لَخّصْتُهُ وَبَيَّنْتُهُ حتى كأنك معنا وشاهدنا . وأولُ ما أقول الحمدُ للّه مولي النعم ، والمتوحّد بالقِسَم، إليه يُرَدُّ علمُ الساعةِ وإليه المصير ، وأنا أسألُ إيزاعَ الشكرِ على ذلك ، وعلى ما منحنا من ودّك وإتمامه بيننا بمنّه . ومما أحببتُ إعلامَكَ وتعريفَكَ بما تأدّى إليك أنّ أبا عبيدة لعنه اللّه تعالى ، بنحسِهِ ودسِّهِ وَحَدْسِهِ اغتالني لِيَكْلِمَ ديني من حيثُ لا أعلم ، وينقُلَنِي عما أعتقدهُ وأراهُ وأضمرهُ من الإيمان باللّه عز وجل وبرسوله ﷺ موطِّداً إليَّ الزندقةَ بسوءِ نيته إلى[1] الهندسة ، وأنه يأتيني برجلٍ يفيدني علماً شريفاً تكملُ به فضائلي ، فيما زعم ، فقلت : عسى أفيدُ به براعةً في صناعة ، أو كمالاً في مروءةٍ ، أو فخاراً عند الأكفاء ، فأجبتُهُ بأن هلمَّ ، فأتاني بشيخٍ ديرانيّ شاخصِ النظرِ منتشرِ عَصَبِ البصَر ، طويلٍ مشذّب ، محزومِ الوَسَط ، متزمِّلٍ في مَسْكِهِ ، فاستعذتُ بالرحمن إذ نزغني الشيطان ، ومجلسي غاصٌّ بالأشراف من كلِّ الأطراف ، وكلُّهُمْ يرمقُهُ ويتشوَّفُ إلى رفعي مجلسَهُ وإدنائِهِ وتقريبه ، ويعظمونه ويحيّونه ، واللّه محيطٌ بالكافرين . فأخذ مجلسه ولوى أشداقَهُ وفتح أوساقه ، فتبينتُ في مشاهدته النفاقَ ، وفي ألفاظه الشقاقَ ، فقلت : بلغني أن عندك معرفةً من الهندسة ، وعلماً واصلاً إلى فضل يفيدُ الناظرُ فيه حكمةً وتقدماً في كلِّ صناعة ، فهلمّ أفِدنا شيئاً منها عسى أن يكونَ عوناً لنا على دينٍ أو دنيا ، في مروءةٍ ومفاخرة لدى الأكفاء ، ومفيداً زهداً ونسكاً فذلك هو الفوز العظيم ﴿ **فَمَنْ زُحْزِحَ عَنِ ٱلنارِ وَأُدْخِلَ ٱلْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ** ﴾ (آل عمران: 185) ﴿ **وما ذلك على اللّه بعزيز** ﴾ (فاطر: 17) قال : فأحْضِرْني دواةً وقرطاساً ، فأحضرتهما ، فأخذ القلم ونكتَ نكتةً نقطَ منها نقطةً تخيَّلها بصري وتوهَّمها طرفي كأصغر من حبةِ الذر ، فزمزمَ عليها من وساوسه ، وتلا عليها من مُحْكَمِ أسفارِ أباطيله ، ثم أعلن عليها جاهراً بافكه ، وأقبل عليَّ وقال : أيها الرجل ، إن هذه النقطة شيءٌ لا جزءَ له ، فقلت : أضللتني وربِّ الكعبة ، وما الشيءُ الذي لا

(1) أخلاق الوزيرين : فوطد في الزندقة بتزيينه الهندسة .

جزءَ له ؟ فقال : كالبسيط ، فأذهلني وحيَّرني وكاد يأتي على عقلي لـولا أن هداني ربي ، لأنه أتاني بلغةٍ ما سمعتها واللّه من عربيّ ولا عجميّ ، وقد أحطتُ علماً بلغات العرب وقمتُ بها ، واستبرتها جاهداً ، واختبرتها عامداً ، وصرتُ فيها إلى ما لا أجدُ أحداً يتقدمني إلى المعرفة به ، ولا يسبقني إلى دقيقه وجليله ، فقلت أنا : وما الشيء البسيط ؟ فقال : كاللّه وكالنفس ، فقلت له : إنك من الملحدين ، أتضربُ للّه الأمثالَ واللّه يقول ﴿ فَلَا تَضْرِبُوا لِلَّهِ ٱلْأَمْثَالَ إِن ٱللَّهَ يَعَلمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعلمُون ﴾ (النحل: 74) لعن اللّـه مرشـداً أرشدني إليك ، ودالاً دلّني عليك ، فما ساقك إليَّ إلاّ قضاءُ سوء ، ولا كَسَعَكَ نحوي إلا الحَيْن ، وأعوذ باللّه من الحين وأبرأ اليه منكم ومما تلحدون واللّه وليُّ المؤمنين ﴿ إني بريءٌ مِمَّا تُشْرِكون ﴾ (الانعام: 78) لا حول ولا قوة الا باللّه العلي العظيم . فلما سمع مقالتي كَرِهَ استعاذتي فاستخفَّه الغضبُ ، فـأقبل عليٌّ مستبسـلاً وقال : إني أرى فصاحةَ لسانك سبباً لِعُجْمَةِ فهمك ، وتذرُّعَكَ بقولك آفةً من آفاتِ عقلك ، فلولا من حضـر واللّه المجلس وإصغـاؤهم إليـه مستصـوبين أبـاطيله ، ومستحسنين أكاذيبه ، وما رأيتُ من استهوائه إياهم بخدعه ، ومـا تبينتُ من توازرهم لأمرتُ بسلِّ لسان اللكع الألكن ، وأمرتُ باخراجه إلى أحرِّ نار اللّه وسعيـره وغضبه ولعنته . ونظرتُ إلى أماراتِ الغضب في وجوه الحاضرين فقلت: ما غضبكم لنصرانيّ يُشْرِكُ باللّه ،ويتّخذُ من دونه الأندادَ ويُعْلِنُ بالالحاد ؟ إلولا مكانكم لنهكته عقوبةً ، فقال لي رجل منهم : إنه إنسان حكيم ، فغاظني قوله فقلت : لعنَ اللّه حكمةً مشوبةً بكفر ، فقال لي آخر : إن عندي مسلماً يتقدم أهلَ هذا العلم ، ورجـوتُ بذكـره الاسلام خيـراً فقلت : إيتني به ، فأتاني برجلٍ قصير دحداح آدمَ مجدورِ الوجه أخفشِ العينين أجلحَ أفطسَ سيّء المنظر قبيحِ الزيّ ، فسلم فرددتُ عليه السلام ، فقلت : ما اسمك ؟ فقال : أُعرف بكنية قد غلبت عليَّ ، فقلت : أبو مَنْ ؟ فقال : أبو يحيى ، فتفاءلتُ بملك الموت عليه السلام ، وقلت : اللهم إني أعوذُ بكَ من الهندسة ، اللهم فاكفني شرَّها فإنه لا يصرف السوءَ إلا أنت ، وقرأتُ الحمدُ للّه والمعوذتين وَقُلْ هُوَ ٱللّهُ أَحَدٌ وقلت : إن صـديقاً لي جـاءني بنصرانيّ يتخـذُ الأنـداد ، ويـدَّعي أن للّه الأولاد ، ليغويني ، فهلمّ أفِدْنَا شيئاً من هندستك ، وأَقْبِسْنَا من طرائفِ حكمتك ، ما يكونُ لي سبباً إلى رحمة اللّه ووسيلةً إلى غفرانه ، فإنها أربحُ تجارةٍ وأَعْوَدُ بضاعـة ، فقال :

أَحْضِرني دواةً وقرطاساً ، فقلت : أتدعو بالدواة والقرطاس وقد بُليتُ منهما ببليةٍ كَلْمُها لم يندملْ عن سويداءِ قلبي ؟ فقال : وكيف كان ذلك ؟ فقلت : إن النصراني نقطَ نقطةً كأصغر من سَمِّ الخياطِ وقال لي : إنها معقولةٌ كربِّكَ الأعلى ، فواللّه ما عدا فرعونَ وَكُفْرَهُ وإفكَهُ فقال : إني أعفيك من النقطة ، لعن اللّه قويري ، وما كان يصنعُ بالنقطة ؟ وهل بلغتَ أنت أن تعرف النقطة ؟ فقلت : استجهلني وربِّ الكعبة وقد أخذتُ بأزِمّة الكتابةِ ونهضتُ بأعبائها واستقللتُ بثقلها ، يقولُ لي لا تعرفُ فحوى النقطة ، فنازعتني نفسي في معالجته بغليظ العقوبة ، ثم استعطفني الحلمُ إلى الأخذِ بالفضل ، ودعا بغلامه وقال : ايتني بالتخت ، فواللّه ما رأيتُ مخلوقاً بأسرعَ إحضاراً له من ذلك الغلام ، فأتاه به ، فتخيلته هيئةً منكرةً ولم أدرِ ما هو ،وجعلت أصوّب الفكر فيه [تارة] وأصعّد أخرى وأُجيل الرأيَ مليّاً وأُطرقُ طويلا ، لأعلم أيَّ شيء هو : أصندوقٌ هو فإذا ليس بصندوق ، أتخت [هو] فإذا ليس بتخت ، فتخيلته كتابوت ، فقلت لَحْدٌ لملحدٍ يُلْحِدُ به الناس عن الحق . ثم أخرج من كمه ميلاً عظيماً فظننتُهُ متطبباً وانه لمن شرارِ المتطببين ، فقلت له : إن أمركَ لعجبٌ كله ، ولم أر أميالَ المتطببين كميلك ، أتفقأ به العينَ ؟ قال : لستُ بمتطببٍ ولكن أخطّ به الهندسةَ على هذا التخت ، فقلت له : إنك وإن كنت مبايناً للنصرانيِّ في دينه لمؤازرٌ له في كفره ، أتخطُّ على تختٍ بميل لتعدلَ بي عن وَضَح الفجر إلى غَسَقِ الليل ، وتميلَ بي إلى الكذب باللوح المحفوظ وكاتبيه الكرام ، إياي تستهوي أم حسبتني كمن يهتز لمكايدكم ؟! فقال : لستُ أذكر لوحاً محفوظاً ولا مضيَّعاً ، ولا كاتباً كريما ولا لئيماً ، ولكن أخطّ فيه الهندسةَ وأقيمُ عليها البرهانَ بالقياس والفلسفة ، قلت له : اخطط فأخذ يخطّ وقلبي مُروَّعٌ يَجِبُ وجيباً ، وقال لي غير متعظم : ان هذا الخط طولٌ بلا عرض ، فتذكرت صراطَ ربي المستقيم وقلت له : قاتلكَ اللّه ، أتدري ما تقول ؟ تعالى صراطُ ربّي المستقيم عن تخطيطك وتشبيهك وتحريفك وتضليلك ، انه لصراطٌ مستقيم ، وإنه لأحدُّ من السيف الباتر والحسام القاطع ، وأدقُّ من الشعر وأطولُ مما تمسحون ، وأبعد مما تَذْرَعُون ، ومداه بعيد ، وهوله شديد ، أتطمعُ أن تزحزحني عن صراط ربي وحسبتني غراً غبياً لا أعلم ما في باطن ألفاظِكَ ومكنونِ معانيك ؟! واللّه ما خططتَ الخطّ وأخبرت انه طولٌ بلا عَرْضٍ إلاّ ضلةً بالصراط المستقيم لتزلَّ قدمي عنه وأن ترديني في جهنم ، أعوذُ

باللّه وأبرأ إليه من الهندسة ، ومما تدلُّ عليه وترشد إليه ، إني بريء من الهندسة ومما تُعْلِنُونَ وتسرون ، ولبئسما سوَّلَتْ لك نفسُكَ أن تكون من خَزَنتها بل من وقودها ، وإن لك فيها لأنكالاً وسلاسلَ وأغلالاً ، وطعاماً ذا غصة . فأخذ يتكلم فقلت : سُدّوا فاه مخافةَ أن يبدرَ من فيه مثل ما بدر من المضلل الأول ، وأمرت بسحبه فَسُحِبَ إلى أليم عذاب ﴿ وَنَارٍ وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴾ (التحريم: 6) ثم اخذت قرطاساً وكتبتُ بيدي يميناً آليتُ فيها بكلِّ عهدٍ مؤكّدٍ وعقدٍ مردَّدٍ ويمينٍ ليست له كفّارة أني لا أنظر في الهندسة أبداً ، ولا أطلبها ولا أتعلمها من أحدٍ سراً ولا جهراً ، ولا على وجهٍ من الوجوه ، ولا على سببٍ من الأسباب ، وأكدتُ بمثل ذلك على عقبي وعقب أعقابهم : لا تنظروا فيها ولا تتعلموها ما دامتِ السمواتُ والأرضُ إلى أن تقومَ الساعة لميقاتِ يومٍ معلوم . وهذا بيانُ ما سألتَ ـ أعزك اللّه ـ عنه فيما دُفِعْتُ إليه وامتُحِنْتُ به ، ولتعلم ما كان منّي . ولولا وعكة أنا في عقابيلها لَحَضَرْتُكَ مشافهاً وأخذتُ بحظ المتمني [من الأنس] بك والاستراحة إليك ، فمهّد على ذلك عذري ، فإنك غير مباينٍ لفكري والسلام .

قال عبد الله الفقير إليه مؤلف هذا الكتاب : لا شكَّ أن أكثر ما في هذه الرسالة مفتعلٌ مزوَّرٌ وما أظنّ برجل مثلِ ابن ثوابة ـ وهو بمكانه من العلم بحيث تُلْقَى إليه مقاليد الخلافة فيخاطِبُ عنها بلسانه القاصي والداني ، ويرتضيه العقلاء والوزراء ، بحيث لا يرون له نظيراً في زمانه في براعة لسانه ، تولّى كتابةَ الإنشاء السنين الكثيرة ـ أن يكونَ منه هذا كله ، ولكن عسى أن يكونَ منه ما كان من ابن عبّاد وهو الذي ساق أبو حيان خبرَ ابنِ ثوابةَ لأجله ، وهو أن قال[1] كان ابن عباد يسبُّ أصحابَ الهندسة ويقول : جاءني بعضُ هؤلاءِ الحمقى ورغّبني في الهندسة ، فابتدأ فأثبتَ خمسةً وعشرين وخطَّ خطاً ووضع شكلاً وطوّل وزعم أنه يعملُ برهاناً على ذلك ، فقلتُ له : كنتُ أعرف أنَّ هذا خمسة وعشرون ضرورة ، وقد شككتُ الآن ، فأنا مجتهدٌ حتى أعلم بالاستدلال وهذا هو الخسار.

(1) أخلاق الوزيرين : 234 .

قلت : ومثل هذا لا يبعد أن يقول مثله من لم يتدرب بهذه الصناعة ، فأما ما تقدم من حديث ابن ثوابة فهو غايةٌ في التجلُّفِ ، والرجلُ كان أجلَّ من ذلك ، وإنما أُتي من جهة أحمد بن الطيب لأنه كان فيلسوفاً ، وكان ابن ثوابة متعجرفاً كما ذكرنا ، فأخذ يسخرُ منه ليضحك المعتضد ، فإن أحمد بن الطيب كان من جلساء المعتضد ، وإما أن يكونَ أبو حيان جرى على عادته في وضع ما أكثر من وضعه من مثل ذلك ، والله أعلم .

ـ 142 ـ

أحمد بن علي بن المأمون النحوي اللغوي القاضي صاحب الخط المليح والنقل الصحيح : مات في تاسع عشر شعبان سنة ست وثمانين وخمسمائة ومولده في ذي القعدة سنة تسع وخمسمائة . سألتُ ولده أبا محمد عبد الله بن أحمد عنه فأعطاني جزءاً بخط والده هذا ، وقد ضمَّنه ذكر نفسه وذكر ولده ، فنقلت منه جميع ما أذكره في هذ الترجمة إلا ما أبينه .

قال : « أنا أحمد بن علي بن هبة الله بن علي الزوال (وأصله الزول ، وإنما غيره المتكلمون به وزادوا ألفاً، والزولُ الرجلُ الشجاع، وقد ذكر ذلك في «كتاب الألفاظ » لابن السكيت)[1] ابن محمد بن يعقوب بن الحسين بن عبد الله المأمون بالله الخليفة ، ابن هارون الرشيد بالله الخليفة ، ابن محمد المهدي بالله الخليفة ، ابن عبد الله المنصور بالله الخليفة ، ابن محمد الكامل بن علي السجاد بن عبد الله حبر[2] الأمة، ابن العباس سيد العمومة، ابن عبد المطلب شيبة الحمد ، ابن هاشم عمرو العلى ، ابن عبد مناف بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر ، هو قريش ، بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن

---

142 ـ انباه الرواة 1 : 88 ومختصر ابن الدبيثي : 196 والوافي 7 : 212 وبغية الوعاة 1 : 348 (رقم: 668) (والترجمة يجب أن تكون متقدمة عن هذا الموضع بحسب الترتيب الهجائي) .

(1) تهذيب الألفاظ : 166 .
(2) م : خير .

مضر بن نزار بن معد بن عدنـان بن أد بن أدد بن اليسع بن الهميسـع بن سلامـان بن ثبت بن جميل بن قيدار بن إسماعيل بن إبراهيم الخليل بن آزر بن تارح بن ناحور بن ساروغ بن أرغو بن فالغ بن عابر بن شالخ بن أرفخشـذ بن سام بن نـوح بن لمك بن متوشلخ بن أخنوخ ، وهو إدريس ، بن ليارد بن مهلائيل بن قينان بن أنوش بن شيث بن آدم أبي البشر ، فطرة الله عز وجل . ومولدي في ضحى نهار الثلاثاء ثالث عشر ذي القعدة سنة تسع وخمسمائة ، ولدتُ بدرب فيروز في الدار المعروفة الآن بورثة ابن الثقفي القاضي عز الدين ، قاضي القضاة رحمه الله ، وكان والدي يومئذ كاتبَ الزمام في الأيام المستظهرية وبعد ذلك في الأيام المسترشدية مدةً . وكنت منذ نشأتُ ختمتُ القرآنَ وقرأته للعشرة على المرزوقي رحمه الله الأمين أبي بكر ، أنا وحجة الإسلام أبو محمد إسماعيل بن الجواليقي وفقه الله ، وكنا نترافقُ حينَ الحداثةِ في القراءة على الشيوخ ، ويتكثر بعضنا ببعض ونتعاضَدُ في القراءة . وكتبتُ الخطَّ على أبي سعيد الحسن بن منصور أبي الحسن الجزري رحمه الله ، وكان صالحاً أديباً صائم الدهر عالماً في فنون من العلم فقيهاً ، وكان والدي يؤثـرني من دون إخواني لمـا يراه من اشتغالي بالعلم ، فإنني منذ انفصلتُ من المكتب رجعتُ بقراءة النحو واللغة إلى شيخنا أوحد الزمان أبي منصور ابن الجـواليقي رحمه الله ، وصحبتـه إحدى عشـرة سنة ، وقرأتُ عليه كتباً كثيرة من حفظي وغير حفظي ، حتى توليت القضاء سنة أربع وثلاثين وخمسمائة » .

« وكان الحكم والقضاء على دجيل إلى والدي المقدم ذكره مضافاً إلى الخطابة ، فحين ولي أمرَ ديوانِ الزمام ببغداد رُدَّ القضاء إلى ولده هبة الله الملقب بتاج العلى ، وكان يخاطَبُ من الديوان العزيز مجَّده اللّه بالأجلِّ الأوحد زينِ الإسلام نجم الكفـاة تاج العلى جمالِ الشرف مجدِ القضاة عين الكفـاة ، وكان بعد ذلك أضيفَ إليه نظرُ دُجَيل أجمع مع المخزنيات ، وكان ذا سطوة وشجاعة ، وثروة كبيرة ، ومماليك من الأتراك والاماء والعبيد ، والقرايا والأملاك ، والرياسة التامة ، والصيت والذكر الجميل بين العرب والعجم ، وكان له معروفٌ كبيرٌ ودارُ مضيف بحربيّ[1] يجتمع إليها أمراء

(1) حربي : اسم قرية بين بغداد وتكريت .

العجم على طبقاتهم وغيرهم من الغرباء ، وكان له نوابٌ في القضاة بحربي والحظيرة[1] وغيرهما ، وكانت ولايته من قاضي القضاة الدامغاني إلى أن درج بالموصل مسموماً مخافةً منه لما شوهد من رئاسته وَتَبع العربِ والتركمان له وحَمْلِ السلاحِ والجندِ والاستطالة العظيمة، ونفذ ميتاً في شفارة[2] حتى دفن بحربي في أواخر سنة ثلاث وثلاثين وخمسمائة، وانحدار ولده علي بن هبة الله بن علي طالباً مكانَهُ ببذلِ المالِ الجمّ ، وكان وزير الزمان يومئذ شرف الدين علي بن طراد الزينبي في أوائل الأيام المقتفوية ، فَتُرِكَ مع بذله ، ووليتُ بعد أن أحضرت ، وقيل لي قد رسم توليك من غير قربة لتميزك بالعلم ، وكان لي من العمر يومئذ أربع وعشرون سنة ».

« واعتزى ابن أخي بعد ذلك إلى ديوان السلطنة ، وخاطبَ الديوانَ العزيز في ذلك فلم يُجَبْ ، ودخل في النوبة جماعة من الأهل والأكابر من ولاة الأمر ، فتوسط الحال على أن يكون لولده مجلسٌ وساطةٍ وحكمٍ بحربي في المداينات ، وما عداها إليّ مع الخطابة وذلك نصر يقين ، فكتبت رسالة إلى المواقف المقدَّسة النبوية المقتفوية قدَّسها الله ، ومنها : « ومعاذ الله أن يقارَنَ هذا الفتى بالعبد ولا يَعْرِفُ قبيلاً من دبير ، ولا يؤلّفُ بين كلمتين في تعبير ، لو سيم قراءةَ الفاتحةِ أخجلته ، أو ريم منه التماسُ حاجة في التطهر أخفرته ، وعدَّ عن أسباب لا يمكنُ بسطها ، ولا يروق خطّها . وأما العبد فطرائقُهُ معلومة ، ومآخذُهُ مفهومة ، ومحلُّ الشيء عنده قابل ، والجمهور إليه مائل ، وسحابُ الاستحقاق لما أُهِّلَ له في أرضه هاطل ، ومعاذَ الله أن يتغير من كريم الآراء الشريفة في حقّه رأي ، أو ينفصمَ من تلك الوعودِ فيما أُهِّلَ له وَأْي ، والوعودُ كالعهود ، ومواقعُ الكلم الشريفة كالترتق في الجلمود ، وهو واثقٌ من الانعام ، بما سار بين الأنام ، ليغدو مستحكم الثقة بالإكرام ، والأمر أعلى والسلام».

فبرز التوقيع الأشرف المقتفوي يؤمر فيه بالعمل بسابق التوقيع ، وخرجتُ إلى العمل، وبقيتُ مدةً . فتولى القضاء بمدينة السلام وفاء بن المرخّم وكان على حالةٍ جليلة من الاختصاص واستخدام قضاة الأطراف من جانبه، فأبيتُ ذلك وخاطبتُ في الخروج عن

(1) الحظيرة : قرية من أعمال بغداد من جهة تكريت من ناحية دجيل .

(2) كذا ورد .

يده وإضافةِ باقي دجيل مع ما والاه وقاربه من لدن تكريت إلى الانبار وإلى الجبل وما والاه من بلد خانقين وروشن قبادوا إلى الحربية من الجانب الغربي ببغداد » .

« وكنت أحكم في ذلك أجمع ، حتى ولي المستنجد بالله رضي الله عنه وقَصَرَ القضاةَ[1] وغيرهم ، وأنا في الجملة ، وبقيت إحدى عشرة سنة مقصوراً إلى أن توفي إلى رحمة اللّه بعد أن استوعب ما كنتُ أملكه سائره فلم أضيِّع من زماني شيئاً، وكتبت في الحبس ثمانين مجلدة منها « الجمهرة » لأبي بكر ابن دريد مجلدتان ، « وشرح سيبويه » ثلاث مجلدات ، و « إصلاح المنطق » محشّى مجلدة واحدة ، و « الغريبان » للهروي مجلدة واحدة ، و « أشعار الهذليين » ثلاث مجلدات ، و « شعر المتنبي » مجلدة ، و « غريب الحديث » لأبي عبيد مجلدتان ، وأشياء يطول شرحها من الكتب الكبار ، وحفَّظتُ أولادي الختمة ، وأيضاً حفظتهم كتباً كثيرةً في علم العربية والتفاسير وغريب القرآن والخطب والأشعار ، وشرحت لهم « كتاب الفصيح » ، وجمعت لهم كتاباً سميته « أسرار الحروف » يبين فيه مخارجها ومواقعها من الزوائد والمنقلب والمبدل والمتشابه والمضاعف وتصريفها في المعاني الموجودة فيها والمعاني الداخلة عليها ، وذكرت فيه من اشتقاق الأسماء كلّ ما تكلمت به علماء البصريين والكوفيين وغيرهم من أهل اللغة ، وهو مجلدة ضخمة تحتوي على عشرين كراسة في كلِّ وجهة عشرون سطراً» .

« ولما درج الإمام المستنجد بالله وأتاح اللّه الخروجَ من ذلك الضيق ، وولي بعده الإمام العادل الرحيم المستضيء بالله أمير المؤمنين ، وشملت رحمته من كان في السجن من الأمة حتى لم يُبْقِ فيه أحداً إلاّ أفرج عنه ، ومن وَجَدَ له بخزانته المعمورة من ماله شيئاً عليه اسمه أعاده عليه ، وكل من كان في ولاية أعاده إليها ، ومن وجد من ملكه شيئاً تحت الاعتراض أفرجَ عنه وأعاده إليه ، وأنا ممن أنعم في حقه بإعادة خرقة كان ختمها باقياً عليها واسمي ، فيها ثلاثمائة دينار إمامية صحاح من جملة ما أخذ من مالي ، فأعادها عليّ ، وأعاد عليَّ سهاماً في ثلاث قرايا بالراذان ، وقراحاً ببلدة الحظيرة ، وما كان فات وبيع لم يرجع ، وأنعم في حقي بإعادة ولايتي عليَّ وتقريبي

(1) قصر القضاة : أي حبسهم .

واستخدامي في مهامَّ عدة ، وكان الوسيط في ذلك كله الوزير عضد الدولة أبو الفرج ابن رئيس الرؤساء وكان محباً لاسداء العوارف والاصطناع وجذب الأتباع ، وإدخال المكارم عند الرجال ، وكان كريماً رحبَ الفناء لأرباب الحوائج بعيداً ما ينفصل من بابه محروم» . هذا آخر ما نقلته من خطه . واجتمعت بولده قوام الدين أبي محمد عبد الله ابن أحمد ، وقد أفردتُ له ترجمةً في هذا الكتاب[1] ، فأنشدني لوالده من حفظه :

فؤادُ المشوقِ كثيرُ العنا ... ومن كتم الوجدَ أبدى الضنا
وكم مدنفٍ في الهوى بعدهم ... وكانوا الأماني له والمنى
لقد خَلَّفُوهُ أخا لوعةٍ ... مولَّهَ شوقٍ يعاني المنا
ينادي من الشوقِ في إثْرهم ... إذا آدَهُ ما به قد منا
بيا جسداً ناحلاً بالعراق ... مقيماً وقلباً بوادي منى
تحرّقُهُ زفراتُ الحنينِ ... ويغدو بهنَّ الشجى ديدنا

وهي طويلة قالها في زعيم الدين ابن جعفر عند عوده من مكة .

وقرأت على ظهر كتاب ما صورته لأحمد بن المأمون :

قد كنتُ أركبُ للخيل العتاقِ فما ... أبقى ليَ الدهرُ لا بغلاً ولا فرسا
وكنتُ أنهضُ بالعبء الثقيلِ فقد ... أصدَّني الدهرُ عن نَهْضِي به فرسا
وكم فرستُ أسوداً عنوةً عرضاً ... وعضَّني الدهرُ حتى خلته فرسا
فأفٌ من دهرنا أفٍّ له فلقد ... أضاع حراً كريماً بئسما فرسا

وله :

أهديتُ دَرْجاً مليحاً ... كمثلِ خطِّ ابن مقلَهْ
العينُ فيه كعينٍ ... والميمُ فيه كمقلَهْ
والنونُ فيه كنونٍ ... ما بين صُدْغٍ ومقلَهْ

(1) سقطت ، واستدركتها من ابن الفوطي ، انظر رقم : 633 .

ـ 143 ـ

أحمد بن أبي عمر المقرىء المعروف بأحمد الزاهد أبو عبد اللّه الأندرابي : مات في العشرين من ربيع الأول سنة سبعين وأربعمائة. ذكره عبد الغافر وقال: شيخ زاهد عابد عالم بالقراءات له التصانيف الحسنة في علم القراءات ، سمع الحديث ، وأكثر سماعه مع السيد أبي المعالي جعفر بن حيدر العلوي الهروي الصوفي ، وكان رفيقه، سمعا صحيح مسلم وغيره ، وروى عن محمد بن يحيى بن الحسن الحافظ . روى عنه أبو الحسن الحافظ .

ـ 144 ـ

أحمد بن محمد بن بشر بن سعد المرثدي أبو العباس : ذكره الخطيب فقال : كنيته أبو علي ، ومات في صفر سنة ست وثمانين ومائتين، وذكر ابن بنت الفريابي أنه مات في سنة أربع وثمانين وسمع علي بن الجعد والهيثم بن خارجة في آخرين ، وروى عنه أبو بكر الشافعي وغيره وكان عبد الرحمن بن يوسف يثني عليه . وقال ابن المنادي : هو أحد الثقات .

وذكره محمد بن اسحاق النديم فقال : كنيته أبو العباس الكبير ، وهو الذي كان ابن الرومي يكاتبه في السمك[1] ، وكان المرثدي يكتب للموفق في خاصته[2] . وله من الكتب : كتاب الأنواء في نهاية الحسن . كتاب رسائله . كتاب أشعار قريش ، وعليه عول أبو بكر الصولي في كتاب الأوراق وله انتحل ، وقد ذكرت ذلك في أخبار الصولي .

---

143 ـ المنتخب (الثاني) من السياق ، الورقة: 33 ب .

144 ـ ترجمة المرثدي في الوافي 7: 393 وهو في الفهرست: 143 (أبو أحمد بن بشر المرثدي) وتاريخ بغداد 5 : 41 .

(1) انظر ديوان ابن الرومي : 702 .

(2) الفهرست : في خاص أمره .

قال[1] عبد الله بن المعتز : كتب إليّ [ابن] بشر المرثدي :

يـا بعيـد الشـأو في الحَسَبِ وقـريـعَ النـاسِ في الأدبِ
والـذي مـا مـثـلُهُ بـشـرٌ في صنـونِ الجِـدِّ واللعـبِ
كـنـتَ بـي بَـرّاً وذا صـلةٍ فـي رسـالاتٍ وفـي كـتـبِ
وقـبـيـحٌ بـالـكـريـم إذا حـالَ عن عهـدٍ بـلا سببِ

وقال ابن المعتز : وكتب إليّ المرثدي أيضاً :

لـي اميـرٌ إذا جـفـا يـتـجـنّـى وإذا مَـلَّ قـال كـان وكـنّـا
وإذا غـاب عنـه ذو الـودّ حـولاً لم يقـلْ مـا لـه لقـد غـاب عنّـا

- 145 -

أحمد بن محمد بن عاصم أبو سهل الحلواني : ذكره محمد بن إسحاق النديم وقال : بينه وبين أبي سعيد السكري نسب قريب ، فروى عن أبي سعيد كتبه وكان كثيراً ما توجد بخطه وخطه في نهاية القبح إلاّ انه من العلماء . وله من الكتب كتاب المجانين الأدباء .

- 146 -

أحمد بن محمد ابن بنت الشافعي : هو صحيح الخط متقن الضبط من أهل الأدب يعتمد على خطه وضبطه، لا أعرف من خطه إلا ما رأيته بخطه بكتاب تفسير القرآن لابن جرير الطبري وقد ذكر عند خاتمته : « وكتبه أحمد بن محمد ابن بنت الشافعي ورّاق الجهشياري » .

145 ـ الفهرست : 88 وتاريخ بغداد 5 : 76 وإنباه الرواة 1 : 98 والوافي 7 : 394 . وذكر الخطيب أنه توفي سنة ثلاث وثلاثين وثلاثمائة .

146 ـ طبقات السبكي 2 : 186 وتهذيب الأسماء واللغات 2 : 296 (رقم : 557) .

(1) من هنا إلى آخر الترجمة منقول من المختصر .

- 147 -

أحمد بن محمد بن سليمان بن بشار الكاتب : ذكره محمد بن إسحاق النديم فقال : هو أستاذ أبي عبد اللّه الكوفي الوزير ، وكان أحد الأفاضل من الكتاب بلاغة وفصاحة وصناعة ، وله كتاب الخراج نحو ألف ورقة وكتاب الشراب والمنادمة .

- 148 -

أحمد بن محمد المهلبي أبو العباس : كذا ذكره محمد بن إسحاق النديم في كتابه وقال : هو مقيمٌ بمصر ويعرف بالبرجاني[1] ، وله من الكتب كتاب شرح علل النحو . كتاب المختصر في النحو .

وكان بمصر نحوي يعرف بالمهلبي اسمه علي بن أحمد وكان في هذا العصر ، فإن كان هذا فقد وهم النديم في اسمه ، وإلاّ فهو غيره ، واللّه أعلم . وقد كتبنا لذلك ترجمةً في بابه[2] .

- 149 -

أحمد بن محمد بن نصر الجيهاني أبو عبد اللّه ، وزيرُ نصرِ بن أحمد بن نصر الساماني ، صاحبِ خراسان : كان أديباً فاضلاً ، ذكره محمد بن إسحاق النديم وقال : له من الكتب : كتاب آيين . كتاب العهود للخلفاء[3] والأمراء . كتاب المسالك والممالك . كتاب الزيادات في كتاب الناشىء من المقالات .

---

147 - ترجمته في الفهرست : 150 .
148 - ترجمته في الفهرست : 93 .
149 - الفهرست : 153 والوافي 8 : 53 (وسيترجم ياقوت لمحمد بن أحمد بن نصر الجيهاني أبي عبد اللّه وزير نصر بن أحمد رقم : 963) .

(1) الفهرست : بالرجائي (ف : بالرحابي) ونصّ الفهرست : وآخر يعرف بالرجائي (فكأنه شخص غيره) .
(2) ترجمته رقم : 717 .
(3) م : والخلفاء ، والتصويب عن الفهرست .

ولأحمد ابن أبي بكر الكاتب يهجو أبا عبد اللّه الجيهاني :

أيـا رَبِّ فـرعـونُ لمـا طغـى وتـاهَ وأبـطَرَهُ مـا مَـلَكْ
لـطفتَ وأنت اللطيفُ الخبيـرُ فـأقحمتـه اليـمَّ حتـى هـلكْ
فمـا بـالُ هـذا الـذي لا أراهُ يسـلكُ إلا الـذي قـد سـلكْ
مصـونـاً على نـائبـاتِ الـدهـورِ يـدورُ بمـا يشتهيـه الفـلكْ
ألـسـتَ عـلى أخـذه قـادراً فَخُذْهُ وقـد خلصَ الملكُ لـكْ
فقـد قَـرُبَ الأمـرُ من أن يقالَ ذا الأمـر بيـنـهـمـا مشتـركْ
والا فـلِم صـار يُـمْـلَى لـه وقـد لـجَّ في غيّـه وانـهمـكْ
ولن يصفـوَ الملك ما دام فيـه شـريـكٌ وإن شـك [. . . .]

ذكر هذه الأبيات أبو الحسن محمد بن سليمان بن محمد في « كتاب مزيد[1] التاريخ في أخبار خراسان » .

وقال فيه بعضهم يهجوه قال ، وأظنه اللحام :

لا لـسـانٌ لا رواءٌ لا بـيـانٌ لا عـبـارهْ
لا ولا ردٌّ سـلامٍ مـنـكَ إلا بـالاشـارهْ
أنـا أهـواك ولـكـن أيـن آثـارُ الـوزارهْ

قال : ثم مات السديد منصور بن نوح ، وقام مقامه الرضى أبو القاسم نوح بن منصور ، والجيهاني على وزارته ، ثم صرفت عنه الوزارة في شهر ربيع الأخر سنة سبع وستين وثلاثمائة ، ووليها أبو الحسين عبد اللّه بن أحمد العتبي .

(1) م : فريد ، وأرجح أنه مزيد التاريخ لأنه زاده على تاريخ السلامي في ولاة خراسان ، وسيأتي اسمه كذلك في ترجمة ابن خلاد الرامهرمزي .

- 150 -

أحمد بن محمد بن يزداد[1] **بن رستم** أبو جعفر النحوي الطبري : سكن بغداد ، قال الخطيب : وحدَّث بها عن نصير بن يوسف وهاشم بن عبد العزيز صاحبي علي بن حمزة الكسائي . روى باسناده قال ، قال عبد الله بن مسعود : إني قد سمعت القراء فوجدتهم متقاربين فاقرءوا كما علمتم ، فإنما هو كقول أحدكم هلمَّ وتعال . قال عمر بن محمد بن سيف الكاتب : سمعت من ابن رستم في سنة أربع وثلاثمائة .

قال محمد بن اسحاق النديم : وله من الكتب : كتاب غريب القرآن . كتاب المقصور والممدود . كتاب المذكر والمؤنث . كتاب صورة الهمز . كتاب التصريف . كتاب النحو .

وقرأت في « كتاب الغاية » لأبي بكر ابن مهران النيسابوري في القراءات قرأت على أبي عيسى بكار بن أحمد المقرىء قال : قرأت على أبي جعفر أحمد بن محمد بن رستم الطبراني[2] ، وكان مؤدباً في دار الوزير ابن الفرات ، ووصلنا إليه بالحيل والشفعاء ، وكان بصيراً بالعربية حاذقاً في النحو ، أخذ القراءات عن نصير بن يوسف أبي المنذر النحوي صاحب الكسائي وأخذ نصير عن الكسائي .

- 151 -

أحمد بن محمد بن عبد الله بن صالح بن شيخ بن عمير أبو الحسن ، أحد أصحاب أبي العباس ثعلب : ذكره المرزباني في كتاب « المقتبس » وقال ابن بشران في « تاريخه »: في سنة عشرين وثلاثمائة مات أبو بكر ابن أبي شيخ ببغداد ، وكان

150 ـ ترجمته في تاريخ بغداد 5 : 125 والفهرست: 65 وإنباه الرواة 1 : 128 وطبقات الجزري 1 : 114 والوافي 8 : 111 وبغية الوعاة 1 : 387 .

151 ـ ترجمته في نور القبس: 336 ـ 337 وتاريخ بغداد 5 : 42 والوافي 8 : 31 ، وفي نسبه «عميرة» في ر .

(1) تاريخ بغداد والانباه والفهرست : يزدبار .

(2) نسبه مرة الطبري ومرة الطبراني ولم يفرق بينهما مع أن الطبري نسبة إلى طبرستان ، والطبراني نسبة إلى طبرية .

محدثاً اخبارياً ، وله مصنفات ، ولا أدري أهو هذا أم غيره ، فإن الزمان واحد وكلاهما اخباري ، واللّه أعلم . ولعل ابن بشران غلط في جعله ابن أبي شيخ أو جعله أبا بكر ، واللّه أعلم .

وحدث المرزباني عن عبد اللّه بن يحيى العسكري قال : أنشدني أبو الحسن أحمد بن محمد بن صالح بن شيخ بن عمير الأسدي لنفسه وكتب بها إلى بعض إخوانه :

كنتُ يا سيدي على التطفيلِ أمسِ لولا مخافةُ التثقيلِ
وتذكرتُ دهشةَ القارع البا بَ إذا ما أتى بغير رسولِ
وتخوفتُ أن أكونَ على القو م ثقيلًا فَقَدْتَ كلَّ ثقيلِ
لو تراني وقد وقفتُ أروّي في دخولٍ إليك أو في قفولِ
لرأيتَ العذراءَ حين تحايا وهي من شهوةٍ على التعجيلِ

وحدث عن عمر بن بنان الأنماطي عن أبي الحسن الأسدي قال : تركتُ النبيذ ، وأخبرت أبا العباس ثعلباً بتركي إياه ، ثم لقيتُ محمد بن عبد اللّه بن طاهر فسقاني ، فمررتُ على ثعلب وهو جالسٌ على باب منزله عشياً ، فلما رآني أتكفأ في مشيتي علم أني شارب ، فقام ليدخل إلى منزله ثم وقف على بابه ، فلما حاذيته وسلّمت عليه أنشأ يقول :

فتكتَ من بعد ما نسكتَ وصا حبتَ ابنَ سهلانَ صاحبَ السَّقَطِ
إن كنتَ أحدثت زلةً غلطاً فاللّه يعفو عن زلة الغلطِ

قال عمر : فسألتُ ثعلباً عن ابن سهلان صاحب السَّقط فقال : أهل الطائف يسمون الخمار صاحب السَّقط..

وحدث عن الصولي قال : أنشدني أبو الحسن أحمد بن محمد الانباري لنفسه في قصيدته المزدوجة التي تمم بها قصيدة علي بن الجهم التي ذكر فيها الخلفاء إلى زمانه :

ثم تولى المستعينُ بعدَهْ فحازَ بيتَ ماله وجندَهْ
ثم أتى بغدادَ في محرّمِ إحدى وخمسين برأيٍ مبرمِ

وذكر قطعة من أخباره ثم قال :

وثبتت خلافةُ المعتز ولم يشبْ أمورَهُ بعجزِ

وذكر طرفاً من أموره ثم قال :

وقلدوا محمدَ بنَ الواثق في رجبٍ من غير أمرٍ عائقِ
المهتدي باللّه دونَ الناسِ جاء به الرحمنُ بعد اليأسِ

ثم قال بعد أبيات :

وقام بالأمر الامام المعتمد إمامُ صدقٍ في صلاح مجتهد

وساق قطعةً من سيرته .

ـ 152 ـ

أحمد بن محمد جراب الدولة : هو أحمد بن محمد بن علويه ، من أهل سجستان ، ويكنى أبا العباس ، وكان طنبوريا أحد الظرفاء الطياب ، كان في أيام المقتدر وأدرك دولة بني بويه فلذلك سمى نفسه بجراب الدولة لأنهم كانوا يفتخرون بالتسمية في الدولة ، وكان يلقب بالريح أيضاً ، وله كتاب ترويح الأرواح ومفتاح السرور والافراح لم يصنّف في فنه مثله اشتمالاً على فنون الهزلِ والمضاحك .

ـ 153 ـ

أحمد بن محمد بن إسحاق بن إبراهيم الهمذاني أبو عبد الله : يعرف بابن الفقيه ، أحد أهل الأدب ، ذكره محمد بن إسحاق في كتابه الذي ألفه في سنة سبع وسبعين وثلاثمائة قال : وله كتاب البلدان نحو ألف ورقة أخذه من كتب الناس ، وسلخ كتاب الجيهاني . وكتاب ذكر الشعراء المحدثين والبلغاء منهم والمفحمين .

وقال شيرويه : محمد بن إسحاق بن إبراهيم الفقيه أبو أحمد والد أبي عبيد الأخباري روى عن إبراهيم بن حميد البصري وغيره ، روى عنه ابنه أبو عبد اللّه .

---

152 ـ ترجمة جراب الدولة في الفهرست : 170 والوافي 8 : 7 وكتابه ترويح الأرواح منه نسخة بالمكتبة الوطنية بباريس .

153 ـ ترجمته في الفهرست : 171 وقد طبع مختصر كتاب البلدان (ليدن 1885) بتحقيق دي خويه .

وقال شيرويه : أحمد بن محمد بن إسحاق بن إبراهيم الأخباري أبو عبد الله ، يعرف بابن الفقيه ، ويلقب بحالان ، صاحب « كتاب البلدان » روى عن أبيه وإبراهيم بن الحسين بن ديزيل ومحمد بن أيوب الرازي وأبي عبد اللّه الحسين بن أبي السرح الأخباري ، وذكر جماعة ، قال : وروى عنه أبو بكر ابن لال وأبو بكر ابن روزبة ، ولم يذكر وفاته .

ـ 154 ـ

أحمد بن محمد بن الوليد بن محمد ، يعرف بولاد : من أهل بيت علم ، ولأبيه وجده ذكر في هذا الكتاب وتراجم في مواضعها[1]، وكنية أحمد هذا أبو العباس، مات فيما ذكره الزبيدي في كتابه سنة اثنتين وثلاثمائة. قال: وكان بصيراً بالنحو أستاذاً فيه ، ورحل إلى بغداد من موطنه مصر ، ولقي إبراهيمَ الزجاجَ وغيره ، وكان الزجاج يفضّله ويقدمه على أبي جعفر النحاس ، وكانا جميعاً تلميذيه . وكان الزجاجُ لا يزالُ يُثْني عليه عند كلٍّ من قدم إلى بغداد من مصر ، ويقول لهم : لي عندكم تلميذ من حاله وصفته كذا ، فيقال له : أبو جعفر النحاس ، فيقول : بل أبو العباس ابن ولاد.

قال : وجمع بعضُ ملوك مصر بين ابن ولاد وابن النحاس وأمرهما بالمناظرة ، فقال ابن النحاس لابن ولاد : كيف تبني مثال آفْعَلَوْتَ من رميت فقال ابن ولاد : أقول ارْمَيَيْتَ ، فخطأه أبو جعفر وقال : ليس في كلام العرب آفعلوت ولا افعليت ، فقال أبو العباس : إنما سألتني أن أمثّل لك بناءً ففعلت وإنما تغفّله أبو جعفر بذلك.

قال الزبيدي : ولقد أحسن في قياسه حين قلب الواو ياءً ، وقد كان أبو الحسن سعيد بن مسعدة الأخفش يبني من الأمثلة ما لا مثالَ له في كلام العرب.

وله كتاب المقصور والممدود[2] . وكتاب الانتصار لسيبويه فيما ذكره المبرد .

---

154 ـ ترجمته في طبقات الزبيدي : 219 ـ 220 وإنباه الرواة 1 : 99 والوافي 8 : 101 ومرآة الجنان 2 : 311 وحسن المحاضرة 1 : 531 وبغية الوعاة 1 : 386 وإشارة التعيين : 44 .

(1) ترجمة محمد بن ولاد رقم: 1130 وليس للوليد ترجمة .

(2) طبع كتاب بهذا الاسم يحمل اسم « أحمد » ولكن المؤلف سيذكر كتاباً في المقصور والممدود لمحمد أيضاً .

ـ 155 ـ

أحمد بن محمد البشتي الخارزنجي : قال السمعاني : خارزنج قريةٌ بنواحي نيسابور بناحية بشت ، والمشهور من هذه القرية أبو حامد أحمد بن محمد الخارزنجي ، إمام[1] أهل الأدب بخراسان في عصره بلا مدافعة ، فإن فضلاء عصره لما حجَّ بعد الثلاثين وثلاثمائة شهد له أبو عمر الزاهد صاحب ثعلب ومشايخ العراق بالتقدم ، وكتابه المعروف بـ « التكملة » [هو] البرهان في تقدمه وفضله . ولما دخل بغداد تعجَّب أهلها من تقدمه في معرفة اللغة ، فقيل : هذا الخراساني لم يدخل البادية قط وهو من آدب الناس فقال : أنا بين عربين بشت وطوس .

سمع الحديث من أبي عبد الله محمد بن إبراهيم البوشنجي ، وحدَّث ، سمع منه الحاكم أبو عبد اللّه الحافظ ، ومات في رجب سنة ثمان وأربعين وثلاثمائة ، وهذا كله نقله السمعاني من كتاب الحاكم أبي عبد الله .

قال الأزهري[2] : وممن ألف وجمع من الخراسانيين في زماننا هذا فصحَّف وأكثر فغير ، رجلان : أحدهما يسمَّى أحمد بن محمد البشتي ويعرف بالخارزنجي ، والآخر أبو الأزهر البخاري . فأما الخارزنجي فإنه ألف كتاباً سماه « التكملة » أراد أنه كمل « كتاب العين » المنسوب إلى الخليل بن أحمد بكتابه ، وأما البخاري فإنه سمى كتابه « الحصائل » فأعاره هذا الاسم لأنه أراد تحصيل ما أغفله الخليل ، ونظرت في أول كتاب البشتي فرأيته أثبتَ في صدره الكتبَ المؤلفة التي استخرج كتابه منها ، وعدَّد كتباً ، قال الخارزنجي : استخرجتُ ما وضعتُ في كتابي هذا من الكتب المذكورة ، قال : ولعلَّ بعض الناس يبتغي العيب[3] بتهجينه والقدحَ فيه لأني أسندت ما فيه إلى

155 ـ إنباه الرواة 1 : 107 والوافي 8 : 7 والأنساب واللباب (الخارزنجي) وبغية الوعاة 1 : 388 وروضات الجنات 1 : 220 .

(1) هذا النصّ ينقله القفطي عن تاريخ نيسابور للحاكم : وهذا يؤكده قول ياقوت : « وهذا كله نقله السمعاني من كتاب الحاكم » .

(2) تهذيب اللغة 1 : 32 ـ 33 (ونقله القفطي أيضاً) .

(3) التهذيب : العنت .

هؤلاء العلماء من غير سماع وإنما إخباري عنهم إخبار عن صحفهم ولا يُزْري ذلك على من عرف الغثَّ من السمين ، وميز بين الصحيح والسقيم ، وقد فعل مثل ذلك أبو تراب صاحب « كتاب الاعتقاب » فإنه روى عن الخليل بن أحمد وأبي عمرو بن العلاء والكسائي وبينه وبين هؤلاء فترة ، وكذلك القتيبي روى عن سيبويه والأصمعي وأبي عمرو وهو لم ير منهم أحداً .

قال المؤلف : وردَّ عليه الأزهري في هذا الفصل بما يطول عليّ كتبه[1] . وله من الكتب : كتاب التكملة . كتاب التفصلة . كتاب تفسير أبيات أدب الكاتب .

ـ 156 ـ

أحمد بن محمد بن إسحاق بن أبي خميصة : يعرف بالحرمي بن أبي العلاء ، أبو عبد الله ، من أهل مكة ، سكن بغداد ، ذكره الخطيب فقال : مات سنة سبع عشرة وثلاثمائة وكان كاتب أبي عمر محمد بن يوسف القاضي ، وحدث عن الزبير بـ «كتاب النسب » وغيره [وروى] عنه أبو حفص ابن شاهين وأبو عمر ابن حيويه وأكثر [عنه] أبو الفرج علي بن الحسين الأصبهاني وغيره .

ـ 157 ـ

أحمد بن محمد بن موسى بن العباس أبو محمد : ذكره ابن الجوزي في « المنتظم » وقال : كان معتنياً بأمر الأخبار وطلب التواريخ ، وولي حسبةَ سوق الرقيق ، وكُتب عنه ، ومات في محرم سنة أربع وعشرين وثلاثمائة .

---

156 ـ ترجمة الحرمي في تاريخ بغداد 4 : 390 وعبر الذهبي 2 : 169 والوافي 8 : 9 والشذرات 2 : 275 .
157 ـ المنتظم 6 : 283 والوافي 8 : 130 .

....

(1) قد أطال الأزهري في ما استدركه على البشتي من أخطاء، انظر تهذيب اللغة 1 : 34 ـ 40؛ وأما أبو الأزهر البخاري فقال فيه الأزهري : إنه أقلّ معرفة من البشتي وأكثر تصحيفاً .

ـ 158 ـ

أحمد بن محمد بن عبد الله الزردي اللغوي العلامة النيسابوري أبو عمرو الزردي : والزرد من قرى اسفرائين من رساتيق نيسابور . ذكره الحاكم ، وقال : مات أبو عمرو الزردي في شعبان سنة ثمان وثلاثين وثلاثمائة . قال : وكان واحداً في هذه الديار في عصره بلاغةً وبراعةً وتقدماً في معرفة أصول الأدب ، وكان رجلاً ضعيف البنية مسقاماً ، يركبُ حماراً ضعيفاً ، ثم إذا تكلم تحير العلماء في براعته . سمع الحديثَ الكثير من أبي عبد الله محمد بن المسيب الأرغياني وأبي عوانة يعقوب بن إسحاق وأقرانهما .

قال الحاكم : سمعت الأستاذ أبا عمرو الزردي في منزلنا يقول : إن الله إذا فوَّض سياسةَ خلقه إلى واحدٍ يخصه بها منهم وفَّقه لسداد السيرة ، وأعانه بالهامه من حيث رحمته تسعُ كلَّ شيء ، ولمثل ذلك كان يقول ابن المقفع : تفقدوا كلامَ ملوككم إذ هم موفَّقون للحكمة ، مُيَسَّرون للاجابة ، فإن لم تُحِطْ به عقولكم في الحال فإن تحتَ كلامهم حيّاتٍ فواغرَ وبدائع جواهر . وكان بعضهم يقول : ليس لكلامٍ سبيلٌ أولى من قبول ذلك ، فإن ألسنتهم ميازيب الحكمة والاصابة . قال : وسمعت أبا عمرو الزردي يقول : العلم علمان : علم مسموعٌ وعلم ممنوحٌ(1) .

ـ 159 ـ

أحمد بن محمد بن عبد ربه بن حبيب بن حدير بن سالم مولى هشام بن

158 ـ ترجمة الزردي في الوافي 8 : 30 وبغية الوعاة 1 : 369 وفي المختصر أن وفاته : 333 .

159 ـ ترجمة ابن عبد ربه في تاريخ ابن الفرضي 1 : 49 وجذوة المقتبس : 94 (وبغية الملتمس رقم : 327) ومطمح الأنفس : 51 ووفيات الأعيان 1 : 92 وسير الذهبي 15 : 283 والوافي 8 : 10 وبغية الوعاة 1 : 371 وللدكتور جبرائيل جبور فيه كتاب ابن عبد ربه وعقده وقد عقدت له فصلاً في كتابي : تاريخ الأدب الأندلسي ـ عصر سيادة قرطبة ، كما قام الدكتور رضوان الداية بجمع شعره (بيروت 1979) وكذلك جمعه الدكتور التونجي .

(1) ر : ممنوع .

عبد الرحمن بن معاوية بن هشام بن عبد الملك بن مروان : كنيته أبو عمر ، ذكره الحميدي وقال : إنه مات سنة ثمان وعشرين وثلاثمائة ومولده سنة ست وأربعين ومائتين عن إحدى وثمانين سنة وثمانية أشهر وثمانية أيام ، وهو من أهل بلاد الأندلس .

قال الحميدي : وأبو عمر من أهل العلم والأدب والشعر وهو صاحب « كتاب العقد » في الأخبار ، مقسم على عدة فنون ، وسمَّى كلّ باب منه على نظم العقد كالواسطة والزبرجدة والياقوتة والزمردة وما أشبه ذلك . وبلغني أنَّ الصاحب ابن عباد سمع بكتاب « العقد » فحرص حتى حصل عنده ، فلما تأمله قال : هَذِهِ بِضَاعَتُنَا رُدَّتْ إِلَيْنَا ، ظننتُ أن هذا الكتاب يشتملُ على شيءٍ من أخبار بلادهم ، وإنما هو مشتمل على أخبار بلادنا ، لا حاجة لنا فيه فَرَدَّهْ .

قال الحميدي : وشعره كثير مجموع ، رأيت منه نيفاً وعشرين جزءاً من جملة ما جمع للحكم بن عبد الرحمن الملقب بالناصر الأموي سلطان المغرب ، وبعضها بخطه .

قال : وكانت لأبي عمر بالعلم جلالة وبالأدب رياسة وشهرة ، مع ديانته وصيانته ، واتفقت له أيامٌ ولاياتٍ للعلم فيها نَفَاقٌ ، فتسوَّدَ بعد الخمول وأثرى بعد فقر ، وأشير بالتفضيل إليه ، إلا أنه غلب عليه الشعر .

ومن شعره وكان بعض من يألفه قد أزمع على الرحيل في غداة عيَّنها ، فأتت السماءُ في تلك الغَداةِ بمطرٍ جَوْدٍ منعته من الرحيل ، فكتب إليه أبو عمر ابن عبد ربه(1) :

هلا ابتكرتَ لبينٍ أنت مبتكرُ ... هيهات يأبى عليكَ اللّه والقدرُ
ما زلتُ أبكي حذارَ البينِ ملتهفاً ... حتى رثى ليَ فيكَ الريح والمطر
يا برده من حيا مُزْنٍ على كبدٍ ... نيرانها بغليلِ الشوق تستعر
آليتُ ألاّ أرى شمساً ولا قمراً ... حتى أراكَ فأنت الشمسُ والقمر

(1) انظرها أيضاً في المطرب : 154 والمطمح : 58 والنفح 3 : 447 .

ومن شعره السائر[1] :

الجسمُ في بلدٍ والروحُ في بلدِ   يا وحشةَ الروح بل يا غربةَ الجسدِ
إن تبكِ عيناك لي يا مَنْ كلفتُ به   من رحمةٍ فهما سهماك في كبدي

قال : ووقف ابن عبد ربه تحت روشن لبعضِ الرؤساء فَرُشّ بماءٍ وكان فيه غناء حَسَن ولم يعرف فقال[2] :

[يا من يضنّ بصوتِ الطائرِ الغردِ   ما كنتُ أحسبُ هذا البخل في أحد]
لو أن أسماعَ أهلِ الأرضِ قاطبةً   أصغتْ إلى الصوتِ لم ينقصْ ولم يزد
فلا تضنَّ على سمعي تقلده   صوتاً يجولُ مجالَ الروحِ في الجسد
لو كان زرياب حياً ثم أُسمعه   لذابَ من حَسَدٍ أو مات من كمد
أما النبيذُ فإني لستُ أشربه   ولستُ آتيك إلا كسرتي بيدي

وزرياب عندهم يجري مجرى إسحاق بن إبراهيم الموصلي في صنعة الغناء ومعرفته ، وله أصوات مدونة ألفت الكتب فيها وضربت به الأمثال.

قال : ولأبي عمر أيضاً أشعار كثيرة سماها « الممحصات » وذلك أنه نقض كلَّ قطعة قالها في الصبا والغزل بقطعة في المواعظ والزهد ، وأرى أن من ذلك قوله[3] :

إلا إنما الدنيا غضارةُ أيكةٍ   إذا اخضرَّ منها جانبٌ جفَّ جانبُ
هي الدارُ ما الآمال إلا فجائعٌ   عليها ولا اللذاتُ الا مصائب
وكم سخنتْ بالأمس عينٌ قريرةٌ   وقرَّتْ عيونٌ دَمْعُهَا الآنَ ساكب
فلا تكتحلْ عيناك منها بعبرةٍ   على ذاهبٍ منها فإنك ذاهب

ومن شعره وهو آخر شعر قاله فيما قيل :

بليتُ وأبلتني الليالي بكرِّها   وصرفانِ للأيام معتورانِ
وما بيَ لا أبكي لسبعين حجة   وعشرٍ أتت من بعدها سنتان

وقد أجاز لي رواية كتابه الموسوم بـ«العقد» الحافظ ذو النسبين ، بني دحية

(1) المطمح : 59 والمطرب : 153 والنفح 7 : 51 .
(2) المطرب : 152 ـ 153 والمطمح : 58 .
(3) العقد 3 : 175 والمطرب : 155 .

والحسين ، أبو الخطاب عمر بن الحسن المعروف بابن دحية المغربي السبتي[1] ، فإنه رواه عن شيخه أبي محمد عبد الحق بن عبد الملك بن بونه العبدي ، عن شيخه أبي عبد اللّه محمد بن معمر ، عن شيخه أبي بكر محمد بن هشام المصحفي ، عن أبيه ، عن زكريا بن بكير بن الأشجّ عن المصنف .

وقسم كتاب العقد على خمسة وعشرين كتاباً ، كل كتاب منها جزءان ، فذلك خمسون جزءاً في خمسة وعشرين كتاباً ، كلّ كتاب باسم جوهرة من جواهر العقد ، فأولها كتاب اللؤلؤة في السلطان ، ثم كتاب الفريدة في الحروب ، ثم كتاب الزبرجدة في الأجواد ، ثم كتاب الجمانة في الوفود ، ثم كتاب المرجانة في مخاطبة الملوك ، ثم كتاب الياقوتة في العلم والأدب ، ثم كتاب الجوهرة في الأمثال ، ثم كتاب الزمردة في المواعظ ، ثم كتاب الدرّة في التعازي والمراثي ، ثم كتاب اليتيمة في الأنساب ، ثم كتاب العسجدة في كلام الأعراب ، ثم كتاب المجنبة في الأجوبة ، ثم كتاب الواسطة في الخطب ، ثم كتاب المجنبة الثانية في التوقيعات والفصول والصدور وأخبار الكتبة ، ثم كتاب العسجدة الثانية في الخلفاء وأيامهم ، ثم اليتيمة الثانية في أخبار زياد والحجاج والطالبيين والبرامكة ، ثم الدرة الثانية في أيام العرب ووقائعهم ، ثم الزمردة الثانية في فضائل الشعر ومقاطعه ومخارجه ، ثم الجوهرة الثانية في أعاريض الشعر وعلل القوافي ، ثم الياقوتة الثانية في (علم) الألحان واختلاف الناس فيه ، ثم المرجانة الثانية في النساء وصفاتهن ، ثم الجمانة الثانية في المتنبئين والممرورين والطفيليين ، ثم الزبرجدة الثانية في التحف والهدايا والنتف والمفاكهات والملح ، ثم الفريدة الثانية في الهيئات والبنايين والطعام والشراب ، ثم اللؤلؤة الثانية في طبائع الانسان وسائر الحيوان وتفاضل البلدان[2] . وهو آخر الكتاب .

ومن شعر ابن عبد ربه[3] :

ودَّعتني بزورةٍ[4] واعتناقِ   ثم نادتْ متى يكونُ التلاقي

(1) هو مؤلف كتاب المطرب ، انظر ترجمته في وفيات الأعيان 3 : 448 .

(2) هذه التقسيمات غير متفقة تماماً والعقد المطبوع .

(3) العقد 5 : 412 والمطمح : 52 وابن خلكان 1 : 92 والنفح 5 : 599 .

(4) ر: بزفرة .

وبدتْ لي فأشرقَ الصبحُ منها — بين تلك الجيوبِ والأطواقِ
يا سقيمَ الجفونِ من غير سقم — بين عينيك مصرعُ العشاقِ
إن يومَ الفراقِ أفظعُ يومٍ — ليتني متُّ قبلَ يومِ الفراقِ

ومن شعره أيضاً[1] :

يا ذا الذي خطَّ الجمال بخدّه — خطين هاجا لوعةً وبلابلا
ما صحَّ عندي أن لحظك صارمٌ — حتى لبستَ بعارضيك حمائلا

قال[2] : أخبرني بعض العلية أن الخطيب أبا الوليد ابن عسال[3] حجَّ فلما انصرف ، تطلّع إلى لقاء المتنبي واستشرف ، ورأى أن لقيته فائدة يكتسبها ، وجملة فخر لا يحتسبها ، فصار إليه فوجده في مسجد عمرو بن العاص ففاوضه قليلاً ثم قال : ألا انشدني لمليح الاندلس ـ يعني ابن عبد ربه ـ فأنشده[4] :

يا لؤلؤاً يسبي العقولَ أنيقا — ورشاً بتقطيع القلوبِ رفيقا
ما إن رأيتُ ولا سمعتُ بمثله — دُرّاً يعودُ من الحياءِ عقيقا
وإذا نظرتَ إلى محاسن وجهه — أبصرتَ وجهك في سناه غريقا
يا من تقطَّعَ خصرُهُ من رقةٍ — ما بالُ قلبك لا يكونُ رقيقا

فلما أكمل إنشاده استعادها منه ، ثم صفق بيديه وقال : يا ابن عبد ربه لقد يأتيك العراق حبواً .

ثم ان ابن عبد ربه أقلع في آخر عمره عن صبوته وأخلص للّه في توبته ، فاعتبر أشعاره التي قالها في الغزل واللهو ، وعمل على أعاريضها وقوافيها في الزهد ، وسماها « الممحصات » فمنها القطعة التي أولها :

هلا ابتكرتَ لبينٍ انت مبتكر

(1) المطمح : 52 وابن خلكان 1 : 92 والنفح 3 : 565 .
(2) المطمح : 52 وفيه الأبيات .
(3) ر: عباد .
(4) العقد 5 : 399 .

محّصها بقوله[1] :

يــا قــادراً ليس يعفــو حين يقتــدرُ　　ما ذا الذي بعد شيب الرأسِ تنتظر
عــاينْ بقـلبــكَ إنَّ العـينَ غــافـلةٌ　　عن الحـقيـقــة واَعلمْ أنـهـا سقــر
سـوداءُ تـزفــر من غيظٍ إذا سعـرت　　لـلظالمـين فـمــا تـبـقـي ولا تــذر
لو لم يكنْ لك غيـرَ الموتِ مـوعظةٌ　　لكــان فيــه عن اللذاتِ مُــزْدَجَــر
أنت المقـولُ لـه مــا قلتُ مبتـدئــاً　　«هــلا ابتكــرتَ لبينٍ أنت مبتكــر»

ـ 160 ـ

أحمد بن محمد بن إسماعيل النحاس أبو جعفر : من أهل مصر ، رحل إلى بغداد فأخذ عن المبرد والأخفش علي بن سليمان ونفطويه والزجاج وغيرهم ، ثم عاد إلى مصر فأقام بها إلى أن مات بها فيما ذكره أبو بكر الزبيدي في كتابه في سنة سبع وثلاثين وثلاثمائة .

وأبو جعفر هذا صاحب الفضل الشائـع ، والعلم المتعارف الـذائع ، يستغني بشهرته عن الاطناب في صفته . قال الزبيدي[2] : ولم يكن له مشاهدة فإذا خلا بقلمه جوَّد وأحسن ، وكان لا ينكر أن يسأل أهل النظر والفقه ويفاتشهم عما أشكل عليه في تصانيفه . قال الزبيـدي : فحدثني قـاضي القضاة بـالاندلس وهـو المنذر بن سعيـد البلوطي قال : أتيت ابنَ النحاس في مجلسه فألفيتـه يملي في أخبار الشعـراء شعرَ قيس بن معاذ المجنون حيث يقول :

خليليَّ هـل بالشـام عينٌ حزينـةٌ　　تبكّي على نجـدٍ لعلي أعينـهــا

160 ـ ترجمة ابن النحاس في طبقات الزبيدي : 220 ـ 221 وإنباه الرواة 1 : 101 والمستفاد من ذيل تاريخ بغداد : 72 وابن خلكان 1 : 82 وعبر الذهبي 2 : 246 وسير الذهبي 15 : 401 والشذرات 2 : 346 والوافي 7 : 362 وبغية الوعاة 1 : 362 .

(1) المطرب : 154 والمطمح : 61 والنفح 7 : 53 .
(2) نقله في المستفاد : 73 قائلاً : ذكره أبو عبد الله الزبيدي المغربي في كتابه أخبار أهل الأدب ؛ وهو موهم لأن النقل عن طبقات الزبيدي .

قد آسلمها الباكون إلا حمامةً — مطوقةً باتت وبات قرينها
تجاوبها أخرى على خيزرانة — يكاد يدنّيها من الأرض لينها

فقلت : يا أبا جعفر ماذا أعزك الله باتا يصنعان ، فقال لي : وكيف تقوله أنت يا أندلسي ؟ فقلت : بانت وبان قرينها ، فسكت وما زال يستثقلني بعد ذلك حتى منعني « كتاب العين » وكنتُ ذهبت إلى الانتساخ من نسخته ، فلما قطع بي قيل لي : [أين] أنت عن أبي العباس ابن ولاد؟ فقصدته فلقيتُ رجلاً كاملَ العلم حسن المروءة ، فسألته الكتابَ فأخرجه إليّ ، ثم تندم أبو جعفر لما بلغه إباحةُ أبي العباس الكتابَ لي ، وعاد إلى ما كنت أعرفه منه .

قال : وكان أبو جعفر لئيمَ النفس شديد التقتير على نفسه ، وكان ربما وهبت له العمامة فيقطعها ثلاث عمائم ، وكان يأبى شرى حوائجه بنفسه ، ويتحامل فيها على أهل معرفته . وصنف كتباً حساناً مفيدة منها : كتاب الانوار . كتاب الاشتقاق لأسماء الله عز وجل . كتاب معاني القرآن . كتاب اختلاف الكوفيين والبصريين ، سماه المقنع . كتاب أخبار الشعراء . كتاب أدب الكتاب . كتاب الناسخ والمنسوخ[1] . كتاب الكافي في النحو . كتاب صناعة الكتاب . كتاب إعراب القرآن . كتاب شرح السبع[2] الطوال . كتاب شرح أبيات سيبويه[3] . كتاب الاشتقاق . كتاب معاني الشعر . كتاب التفاحة في النحو . كتاب أدب الملوك . وسمعت من يحكي أن تصانيفه تزيد على الخمسين مصنفاً[4] .

وقد ذكر أبو عبد الله الحميدي القاضي المذكور في قصة ابن النحاس[5] ، وقال : هو أبو الحكم المنذر بن سعيد يعرف بالبلوطي ينسب إلى موضع هناك قريب من

(1) طبع بمصر : 1323 .
(2) كذا وهو شرح التسع كما نشر بتحقيق أحمد خطاب (بغداد 1973) .
(3) حققه زهير زاهد (بيروت 1986) .
(4) طبع له كتاب الوقف والائتناف (بغداد 1978) .
(5) الجذوة : 326 ، والقاضي البلوطي المنذر بن سعيد تتردد ترجمته في المصادر الأندلسية والمشرقية انظر أيضاً : ابن الفرضي 2 : 142 وقضاة الخشني : 175 والمرقبة العليا : 66 والمطمح : 37 وطبقات الزبيدي : 319 وأزهار الرياض 2 : 272 ونفح الطيب 2 : 16 (وفي حاشيته ذكر لمصادر أخرى) .

قرطبة يقال له فحص البلوط ، ولي قضاء الجماعة بقرطبة في حياة الحكم المستنصر ، وذكر له قصة استحسنتها فأثبتها ها هنا إذ لم أجعل له ترجمة[1] لأنه لم يذكره بالتصنيف في الأدب فقال: كان الحكم المستنصر مشغوفاً بأبي علي القالي يؤهله لكلّ مهمٍّ في بابه ، فلما ورد رسولُ ملكِ الروم أمره عند دخول الرسول الحضرة أن يقوم خطيباً بما كانت العادة جاريةً به ، فلما كان في ذلك الوقت وشاهد أبو علي الجمع وعاين الحفلَ جبن ولم تحمله رجلاه ولا ساعده لسانه ، وفطن له أبو الحكم منذر بن سعيد القاضي ، فوثب وقام مقامه وارتجل خطبة بليغة على غير أهبة ، وأنشد لنفسه في آخرها :

هـذا المقالُ الـذي ما عـابـه فَنَـدُ لكنَّ صــاحـبــه أزرى بــه البـلـدُ
لـو كنتُ فيهم غريبـاً كنتُ مطّرفـاً لكنني منهمُ فــاغتــالـني الـنكــدُ
لـولا الخـلافــةُ أبقى اللّه بهجتهـا ما كنتُ أبقى بأرضٍ مـا بها أحـدُ

واتفق الجمع على استحسانه وجمال استدراكه ، وصَلَّبَ العلج وقال : هذا كبشُ رجالِ الدولة ، ثم ذكر قصته مع ابن النحاس بعينها .

ـ 161 ـ

أحمد بن محمد بن حمادة أبو الحسن الكاتب : حسن الأدب ، من أفاضل الكتاب ، صنف الكتب ولقي الأدباء وله : كتاب امتحان الكتاب وديوان ذوي الالباب . كتاب شحذ الفطنة . كتاب الرسائل ، ذكره محمد بن إسحاق .

ـ 162 ـ

أحمد بن محمد بن عبد اللّه بن هارون أبو الحسين : أظنه من عسكر مُكْرَم لأنه اعتنى بشرح مختصر محمد بن علي بن إسماعيل المبرمان ، ثم قرأت في بعض المجموعات : تقدّم رجلان إلى القاضي أبي أحمد ابن أبي علان رحمه اللّه ، فادّعى

161 ـ ترجمته في الفهرست : 144 ـ 145 والوافي 7 : 388 .
162 ـ الوافي 8 : 29 وبغية الوعاة 1 : 368 .

(1) تأمل هذا ؛ فإن له ترجمة برقم : 1160 .

أحدهما على الآخر شيئاً ، فقال المدَّعَى عليه : ما لَهُ عندي حق ، فقال القاضي : من هذا ؟ فقالوا : ابن هارون النحويّ العسكري ، فقال القاضي : فاعطه ما أقررتَ له به[1] . له شرح كتاب التلقين رأيته وسمّاه « البارع » وكتاب شرح العيون . وكتاب شرح المجاري . رأيت كتاب شرح التلقين بخطه وقد كتبه في رجب سنة تسع وستين وثلاثمائة .

ـ 163 ـ

أحمد بن محمد بن أحمد بن نصر بن ميمون بن مروان بن الأسلمي الكفيف النحوي أبو عمرو : قال ابن الفرضي هو من أهل قرطبة ، ويقال له إشكابة ، سمع من قاسم بن أصبغ ومحمد بن محمد الخشني وغيرهما ، وكان صالحاً عفيفاً ، أدب عند الرؤساء والجلة من الملوك ، ومات لأحدى عشرة ليلة خلت من شوّال سنة تسعين وثلاثمائة .

ـ 164 ـ

أحمد بن محمد بن أحمد أبو الحسن العروضي معلم أولاد الراضي باللّه : وجدت على كتابه في العروض بخطه : وقد قرىء عليه في سنة ست وثلاثين وثلاثمائة ، وكان إماماً في علم العروض ، حتى قال أبو علي الفارسي في بعض كتبه وقد احتاج إلى الاستشهاد ببيت قد تكلم عليه في التقطيع : وقد كفانا أبو الحسن العروضي الكلام في هذا الباب .

ولقي أبو الحسن ثعلباً وأخذ عنه ، وروى عنه أبو عبيد اللّه محمد بن عمران المرزباني .

163 ـ تاريخ ابن الفرضي 1 : 72 والوافي 7 : 329 ونكت الهميان : 114 وبغية الوعاة 1 : 358 .
164 ـ تاريخ بغداد 5 : 140 (وذكر أن وفاته سنة 342) والوافي 7 : 328 .

(1) يريد أن «ما» هنا ليست نافية، بل المعنى «الذي له عندي حق»، ويرى الأستاذ النشاشيبي أنه جاء بها عامية أي « مالْهُ » عندي حق ، وما دام نحوياً فهو يؤخذ بلفظه ، إذ ليس يحمل كلامه على اللحن ، قلت : وذلك وجه جيد في التخريج .

نقلت من كتاب ألفه أبو القاسم عبيد اللّه بن جرو الأسدي في العروض ، وكان الكتاب بخطّ أبي الحسن السمسماني ، يقول فيه : وكان أبو الحسن ابن أحمد العروضي عمل كتاباً كبيراً وحشاه بما قد ذكر أكثره ، ونقل كلام أبي إسحاق الزجاج وزاد فيه شيئاً قليلاً ، وضمَّ إليه باباً في علم القوافي ، وذاك علمٌ مفردٌ مثلُ علم العروض ، وفيه مسائلُ لطيفة واختلافٌ كثير يحتاج إلى كشفٍ واستقصاءِ نظر ، ولم أره كبيرَ عمل ، ولو نسخ كتاب أبي الحسن الأخفش في القوافي لكان أعذر عندي . ثم ضمَّ إليه باباً في استخراج المعمَّى وهذا لا يتعلق بالعروض ، وضمَّ إليه باباً في الايقاع ونسبه ، وغيرُه به أحذق ، وختمه بقصيدة في العروض ولم يفد بها غير التكرير ، وكان ينبغي أن يوفِّي صناعته حقها ولا يخلّ بشيء منها ثم [لا] يتعرض لما قد ضمه إليها .

- 165 -

أحمد بن محمد التاريخي الرعيني الاندلسي : قال الحميدي : عالم بالأخبار ألف في مآثر المغرب كتباً جمة ، منها كتاب ضخم ذكر فيه مسالك الأندلس ومراسيها وأمهات مدنها وأجنادها الستة وخواصّ كلٍّ بلد منها ، ذكره أبو محمد علي بن أحمد[1] وأثنى عليه .

- 166 -

أحمد بن محمد ين موسى بن بشير بن حماد[2] بن لقيط الرازي الأندلسي :

165 ـ جذوة المقتبس : 96 (وبغية الملتمس رقم : 329) وقد ترجم الحميدي لاثنين أحدهما هو أحمد بن محمد الرعيني (رقم: 173) والثاني هو أحمد بن محمد التاريخي ، فهل خلط ياقوت بينهما في ترجمة واحدة ؛ وانظر أيضاً الوافي 7 : 402 ، والترجمة التالية (رقم: 166) فلعل الترجمتين لشخص واحد .
166 ـ طبقات الزبيدي : 302 وجذوة المقتبس : 97 وإنباه الرواة 1 : 136 والوافي 8 : 131 وبغية الوعاة 1 : 385 .

(1) في م : ذكره ابن جرير (وهو مصحف عن ابن حزم) .
(2) في م : جناد .

أصله من الري ، ذكره أبو نصر الحميدي قال : لـه كتاب في أخبـار ملوك الأندلس وكتابهم وخططها[1] على نحو كتاب أحمد بن أبي طاهر في أخبار بغداد . وكتاب في أنساب مشاهير أهل الأندلس في خمس مجلدات ضخم من أحسن كتاب وأوسعه . كتاب تاريخه الأوسط . كتاب تاريخه الأصغر . كتاب مشاهير أهل الأندلس في خمسة أسفار من جيد كتبه . وقال ابن الفرضي : أصله رازي قدم أبوه على الإمام محمد، وكان أبوه من أهل اللسن والخطابة ، وولد أحمد هذا بالأندلس يوم الاثنين عاشر ذي الحجة سنة أربع وسبعين ومائتين ومات لاثنتي عشرة ليلة خلت من رجب سنة أربع وأربعين وثلاثمائة .

ـ 167 ـ

أحمد بن محمد بن فرج الجياني الاندلسي : أبو عمر ، وقد ينسب إلى جده فيقال أحمد بن فرج ، وكذلك أخوه . وهو وافر الأدب كثير الشعر معدودٌ في العلماء والشعراء ، وله الكتاب المعروف « بكتاب الحدائق » ألفه للحكم المستنصر ، عارض فيه « كتاب الزهرة » لابن داود الأصبهاني ، إلا أن ابن داود ذكر مائة باب في كل باب مائة بيت ، وأبو عمر ذكر مائتي باب في كل باب مائتي[2] بيت ليس منها باب تكرر اسمه لأبي بكر ، ولم يورد فيه لغير الاندلسيين شيئاً ، وأحسن الاختيار ما شاء . وله أيضاً « كتاب المنتزين والقائمين بالأندلس وأخبارهم » . وكان الحكم قد سجنه لأمر

167 ـ ترجمة ابن فرج صاحب كتاب الحدائق في المطمح : 79 والصلة 1 : 12 واليتيمة 1 : 368 والمغرب لابن سعيد 2 : 56 والوافي 8 : 77 ومسالك الأبصار 11 : 195 (وياقوت يعتمد في الترجمة على جذوة المقتبس: 97 أو بغية الملتمس رقم: 331). وانظر رسالة ابن حزم في فضل الأندلس (رسائل 2 : 183).

(1) في الجذوة : له في أخبار ملوك الأندلس وخدمتهم وركبانهم وغزواتهم كتاب كبير . وألف في صفة قرطبة وخططها ومنازل العظماء بها كتاباً . . . (فهما كتابان لا واحد) والحميدي ينقل عن رسالة ابن حزم في فضل الأندلس (رسائل ابن حزم 2 : 183) وقد جاء فيها: تواريخ الرازي في ملوك الأندلس وخدمتهم وغزواتهم ونكباتهم وكتاب في صفة قرطبة . . . الخ .

(2) في م ورسائل ابن حزم : مائة .

نقمه عليه ، قال الحميدي : وأظنه مات في سجنه . وله في السجن أشعار كثيرة مشهورة ، منها :

ما سمعنا سقماً يداوى بِسُقْمِ ... غير ما في جفون ليلى وجسمي
ناضلتني يومَ الكثيبِ ولكن ... أين من وَقْعِ سهمها وَقْعُ سهمي
لي منها حظّا عتابٍ وإعتا ... بٍ هما معنيا سروري وهمي

- 168 -

أحمد بن محمد بن سعيد بن عبيد اللّه بن أحمد بن سعيد بن أبي مريم ، أبو بكر القرشي الوراق ، وراق ابي الحسن أحمد بن عمير بن جوصا الحافظ الدمشقي : ويعرف بابن فطيس ، قال ابن عساكر في « تاريخ دمشق » : ومات في شوّال سنة خمسين وثلاثمائة ومولده في رمضان سنة احدى وسبعين أو اثنتين وسبعين ومائتين وهو صاحب الخط الحسن المشهور ، مولى جويرية بنت أبي سفيان . روى الحديث عن جماعة من أهل الشام .

قال ابن عساكر[1] وقد ذكره عبد العزيز الكناني وقال : كان ثقة مأموناً يورّق للناس بدمشق ، له خط حسن .

قال المؤلف : وإنما ذكرناه لما اشترطنا في أول الكتاب من ذكر أرباب الخطوط المنسوبة ، فذكرناه لما وصفه به ابن عساكر من جودة الخط ، وأما أنا فلم أر من خطه شيئاً .

---

168 ـ ترجمة ابن فطيس في مصورة تاريخ ابن عساكر 2 : 172 (وتهذيب ابن عساكر 2 : 55 ومختصر ابن منظور 3 : 262) والوافي 7 : 403 .

(1) لم يرد هذا في مصورة ابن عساكر .

محتويات الجزء الأول

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة
13 ـ ابراهيم بن سليمان بن عبد الله النهمي	68
14 ـ ابراهيم بن صالح الوراق	69
15 ـ ابراهيم بن أبي عباد اليمني	70
16 ـ إبراهيم بن العباس الصولي	70
17 ـ إبراهيم بن عبد الله النجيرمي	87
18 ـ إبراهيم بن عبد الله الغزال	89
19 ـ إبراهيم بن عبد الرحيم العروضي	89
20 ـ إبراهيم بن عثمان ابن الوزان القيرواني	89
21 ـ إبراهيم بن علي الفارسي	90
22 ـ إبراهيم بن عقيل بن جيش ابن المكبري	91
23 ـ إبراهيم بن الفضل الهاشمي	92
24 ـ إبراهيم بن قطن المهري القيرواني	93
25 ـ إبراهيم بن ماهويه الفارسي	93
26 ـ إبراهيم بن محمد بن الحارث الفزاري	93
27 ـ إبراهيم بن محمد بن سعدان بن المبارك	97
28 ـ إبراهيم بن القاسم ، **الرقيق**	97
29 ـ إبراهيم بن محمد **ابن المدبر**	102
30 ـ إبراهيم بن محمد بن سعيد الثقفي	104
31 ـ إبراهيم بن محمد **بن أبي عون**	106
32 ـ إبراهيم بن محمد **نفطويه**	114
33 ـ إبراهيم بن محمد الكلابزي	122
34 ـ ابراهيم بن محمد الزهري ، **ابن الافليلي**	123
35 ـ إبراهيم بن محمد بن محمد الشريف	125
36 ـ إبراهيم بن محمد بن إبراهيم النسوي	127
37 ـ إبراهيم بن مسعود بن حسان، الوجيه الصغير	127

الموضوع	الصفحة
38 ـ إبراهيم بن محمد بن حيدر نظام الدين الخوارزمي	128
39 ـ إبراهيم بن ممشاذ المتوكلي الأصبهاني	128
40 ـ إبراهيم بن موسى الواسطي	131
41 ـ إبراهيم بن هلال بن زهرون ، **أبو إسحاق الصابي**	131
42 ـ إبراهيم بن علي الحصري القيرواني	158
43 ـ إبراهيم بن يحيى بن المبارك اليزيدي	160
44 ـ الأثرم الفابجاني الأصبهاني	163
45 ـ أحمد بن أبان بن سيد الأندلسي	164
46 ـ أحمد بن إبراهيم **ابن حمدون النديم**	164
47 ـ أحمد بنْ إبراهيم بن أبي عاصم اللؤلؤي	171
48 ـ أحمد بن إبراهيم بن محمد الفارسي المقرىء	173
49 ـ أحمد بن إبراهيم بن معلّى العمّي	174
50 ـ أحمد بن إبراهيم الضبي ، **الكافي الأوحد**	175
51 ـ أحمد بن إبراهيم **أبو رياش**	181
52 ـ أحمد بن إبراهيم الأديبي الخوارزمي	185
53 ـ أحمد بن إبراهيم بن محمد السجزي	187
54 ـ أحمد بن إبراهيم ، **ابن الجزار القيرواني**	187
55 ـ أحمد بن أحمد بن أخي الشافعي	188
56 ـ أحمد بن اسحاق بن البهلول التنوخي	188
57 ـ أحمد بن اسحاق يعرف بالجفر	199
58 ـ أحمد بن اسماعيل بن سمكة	199
59 ـ أحمد بن اسماعيل ، **نطّاحة**	199
60 ـ أحمد بن أبي الأسود القيرواني	201
61 ـ أحمد بن أعثم الكوفي المؤرخ	202
62 ـ أحمد بن بختيار بن علي الماندائي	202

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع | الصفحة

بسم الله الرحمن الرحيم

ـ 169 ـ

أحمد بن محمد بن الفضل بن جعفر بن محمد بن الجراح ، أبو بكر الخزاز : سمع أبا بكر ابن دريد وأبا بكر ابن السراج وأبا بكر ابن الانباري وروى كثيراً من مصنفاتهم ، ومات في سنة احدى وثمانين وثلاثمائة . وكان ثقةً حسنَ الأدب والخط والاتقان والضبط ، فاضلاً أديباً كثير الكتب ، حسنَ الحالِ ظاهرَ الثروة . روى عنه القاضي أبو العلاء الواسطي والصيمري والتنوخي وأبو الحسين هلال بن المحسن وأولاد الصابىء كلهم كثيراً من كتب الأدب متصلة الرواية إلى الآن ، وقد روى شيخنا تاج الدين أبو اليمن من طريقه عدة كتب أدبية .

قال أبو القاسم التنوخي : سمعت ابن الجراح يقول : كتبي بعشرة آلاف درهم ودوابّي بعشرة آلاف درهم ، [وسلامي بعشرة آلاف درهم] . قال التنوخي : وكان أحد الفرسان يلبس أداته ويركبُ فرسَهُ ويخرجُ إلى الميدان ويطاردُ الفرسان .

ـ 170 ـ

أحمد بن محمد بن أحمد بن الحسن بن سعيد ، أبو علي الاصبهاني المقرىء : سكن دمشق وصنف تصانيف في القراءات ، وقرأ القرآن على أبي القاسم زيد بن علي بن أحمد بن أبي بلال الكوفي وأبي بكر النقاش وأبي العباس الحسن بن

---

169 ـ تاريخ بغداد 5 : 81 والوافي 8 : 80 .

170 ـ تاريخ ابن عساكر (ط) 7 : 161 (مصورة 2 : 88) وتهذيب ابن عساكر 1 : 445 (ولم يرد في مختصر ابن منظور) وطبقات الجزري 1 : 101 والوافي 7 : 307 .

سعيد الفارسي وأبي عبد اللّه صالح بن مسلم بن عبيد اللّه المقرىء وأبي الفتح المظفر بن أحمد بن إبراهيم بن برهان ، وسمع بدمشق أبا محمد عبد اللّه بن عطية وعبد الوهاب بن الحسن الكلابي والحسين بن علي [بن عبيد اللّه الرهاوي وروى عنه] أبو القاسم ابن الفرات وأبو نصر ابن الجبّان، ومات سنة ثلاث وتسعين وثلاثمائة بدمشق في شهر ربيع الآخر ، وكان لجنازته مشهد عظيم .

ـ 171 ـ

أحمد بن محمد بن هاشم بن خلف بن عمرو بن سعيد بن عثمان بن سلمان بن سليمان القيسي القرطبي الأعرج : يكنى أبا عمر ، سمع محمد بن عمر بن لبابة وأسلم بن عبد العزيز وأحمد بن خالد ، ومال إلى النحو وغلب عليه وأدب به ، وكان وقوراً مهيباً لا يُقْدِم [أحدٌ] عليه ولا عنده بالهزل[1] ، وكان يلقب بالقاضي لوقاره، مات سنة خمس وأربعين وثلاثمائة قال ابن الفرضي: ذكره محمد بن حسن[2].

ـ 172 ـ

أحمد بن محمد بن جعفر بن ثوابة ، يكنى أبا عبد اللّه : أحد البلغاء الفهماء وأرباب الاتساع في علم البلاغة ، ولي ديوان الرسائل بعد أبيه محمد بن جعفر في سنة اثنتي عشرة وثلاثمائة في أيام المقتدر ، ولم يزل على ديوان الرسائل إلى أن مات وهو متوليه في أيام معز الدولة في سنة تسع وأربعين وثلاثمائة، فولي ديوانَ الرسائل بعده أبو إسحاق الصابىء .

حدث أبو الحسين علي بن هشام الكاتب قال ، سمعت الوزير أبا الحسن علي بن عيسى يقول لأبي عبد اللّه أحمد بن محمد بن محمد[3] بن جعفر بن ثوابة : ما

171 ـ طبقات الزبيدي : 299 وابن الفرضي 1 : 55 والوافي 8 : 93 وبغية الوعاة 1 : 385 .
172 ـ ترجمة ابن ثوابة في الوافي 7 : 370 .

(1) قال الزبيدي : وكان مهيباً في تأديبه ، وكان لا يجترىء أحد ممن تأدب عنده أن يظهر غير الجدّ .
(2) يعني الزبيدي .
(3) لاحظ أنّه قد زاد « محمد » في نسبه ، فلعلّه سهو .

قال « أما بعد » أحد على وجه الأرض أكتب من جدك ، وكان أبوك أكتب منه ، وأنت أكتب من أبيك .

قال أبو علي المحسن التنوخي : وقد رأيت أنا أبا عبد اللّه هذا في سنة تسع وأربعين[1] وإليه ديوان الرسائل ، وكان نهاية في حسن الكلام والكتبة .

ـ 173 ـ

أحمد بن محمد بن الفضل الأهوازي ، يعرف بابن كثير : صاحب بلاغة وفضل ، ذكره محمد بن إسحاق النديم وقال : له من الكتب كتاب مناقب الكتّاب .

ـ 174 ـ

أحمد بن محمد الافريقي المعروف بالمتيم أبو الحسن : أحد الأدباء الفضلاء الشعراء، له من التصانيف كتاب الشعراء الندماء. كتاب الانتصار المنبي عن فضل المتنبي ، وغير ذلك ، وله ديوان شعر كبير .

قال الثعالبي : رأيته ببخارى شيخاً رثَّ الهيئةِ تلوحُ عليه سيماءُ الحُرفة ، وكان يتطببُ وينجّم ، فأما صناعتُهُ التي يعتمدُ عليها فالشعر ، ومما أنشدني لنفسه :

وفتيةٍ أدباءٍ ما علمتهمُ ... شبهتهمْ بنجوم الليل إذ نجموا
فرُّوا إلى الراح من خَطْبٍ يلمُّ بهم ... فما دَرَتْ نُوَبُ الأيام اين هم

قال وأنشدني أيضاً لنفسه :

تلوم على تركي الصلاةَ حليلتي ... فقلت اعزبي عن ناظري أنتِ طالقُ
فواللّه لا صلّيتُ للّه مفلساً ... يصلّي له الشيخ الجليل وفائقُ
لماذا أصلي اين باعي ومنزلي ... وأين خيولي والحلى والمناطقُ
أصلي ولا فترٌ من الارض تحتوي ... عليه يميني إنني لمنافقُ

---

173 ـ ترجمة ابن كثير في الفهرست : 155 .

174 ـ ترجمة المتيم في اليتيمة 4 : 157 والوافي 8 : 156 والفوات 1 : 150 والزركشي : 62 .

(1) يعني وثلاثمائة . وفي م : 409 وهذا سهو .

بلى إن عليَّ اللّه وسَّعَ لم أزل　　أصلّي له ما لاح في الجو بارقُ

وله في تركي :

قلبي أسير في يَدَيْ مقلةٍ　　تركيةٍ ضاق لها صدري

كأنها من ضيقها عروةٌ　　ليس لها زرٌّ سوى السحرِ

ـ 175 ـ

أحمد بن محمد بن إبراهيم بن الخطاب الخطابي أبو سليمان : من ولد زيد بن الخطاب أخي عمر بن الخطاب ، كذا ذكر أبو عبيد الهروي وكان تلميذه ، وأبو منصور الثعالبي وكان صديقه . مات الخطابي فيما ذكره عبد الرحمن بن عبد الجبار الفامي الهروي في « تاريخ هراة » من تصنيفه (وسماه حمداً) في سنة ثمان وثمانين وثلاثمائة ومولده في رجب سنة تسع عشرة وثلاثمائة .

نقلت من خط أبي سعد السمعاني قال : نقلت من خط الشيخ ابن عمر : توفي الامام أبو سليمان الخطابي ببست في رباط على شاطىء هندمند يوم السبت السادس عشر من شهر ربيع الآخر سنة ست وثمانين وثلاثمائة . وذكر أبو الفرج عبد الرحمن بن الجوزي في « كتاب المنتظم » أنه توفي سنة تسع وأربعين وثلاثمائة وهذا ليس بشيء .

قال السمعاني : كان الخطابي حُجَّةً صدوقاً ، رحل إلى العراق والحجاز ، وجال في خراسان ، وخرج إلى ما وراء النهر ، وكان يتجر في ماله الحلال ، وينفقُ على الصِّلَحاءِ من إخوانه .

وقد ذكره الثعالبي في « كتاب يتيمة الدهر » وقال : كان يُشَبَّهُ في زماننا بأبي عبيد القاسم بن سلام .

---

175 ـ ترجمة الخطابي في اليتيمة 4 : 334 وإنباه الرواة 1 : 125 والمنتظم 6 : 367 وتذكرة الحفاظ : 1018 وسير الذهبي 17 : 23 والعبر 3 : 39 والبداية والنهاية 11 : 236 وطبقات السبكي 3 : 282 والوافي 7 : 317 والشذرات 3 : 127 وخزانة الأدب 1 : 282 وبغية الوعاة 1 : 546 (حمد) والأنساب (الخطابي) والنجوم الزاهرة 4 : 199 (ويعتمد ياقوت على السمعاني والثعالبي والمنتظم وشرح مقدمة السنن للسلفي وتاريخ نيسابور للحاكم وغير ذلك) وسيترجم له ياقوت باسم « حمد » رقم : 428 .

وذكره الحافظ أبو طاهر أحمد بن محمد بن أحمد السلفي في « شرح مقدمة كتاب معالم السنن » له فقال : وذكر الجمُّ الغفيرُ والعددُ الكثير أن اسمه حَمْد ، وهو الصواب وعليه الاعتماد .

قال المؤلف : وإنما ذكرته أنا في هذا الباب لأن الثعالبي وأبا عبيد الهروي وكانا معاصريه وتلميذيه سمياه أحمد[1] وقد سماه الحاكم ابن البيّع في « كتاب نيسابور » حمداً ، وجعله في باب من اسمه حمد ؛ وذكر أبو سعد السمعاني في « كتاب مرو » : سئل أبو سليمان عن اسمه فقال : اسمي الذي سُمِّيتُ به حمد ، لكنَّ الناسَ كتبوه أحمد ، فتركته عليه . قال : ورثاه أبو بكر عبد اللّه بن إبراهيم الحنبلي ببست في شعر فسماه حمداً فقال :

وقد كان حمداً كاسمه حَمَدَ الورى ... شمائلَ فيها للثناءِ ممادحُ
خلائقُ ما فيها معابٌ لعائبٍ ... إذا ذكرت يوماً فهن مدائحُ
تغمّده اللّه الكريم بعفوه ... ورحمته واللّهُ عافٍ وصافحُ
ولا زال ريحانُ الإله ورَوْحُهُ ... قرى رُوحه ما حنَّ في الأيكِ صادحُ

قال : وقد أخذ العلم عن كثير من أهله ، ورحل في طلب الحديث ، وطوّف وألف في فنون من العلم وصنّف ، وأخذ الفقه عن أبي بكر القفال الشاشي وأبي علي ابن أبي هريرة ونظرائهما من فقهاء أصحاب الشافعي .

ومن تصانيفه : كتاب معالم السنن في شرح كتاب السنن لابي داود . كتاب غريب الحديث[2] ذكر فيه ما لم يذكره أبو عبيد ولا ابن قتيبة في كتابيهما ، وهو كتاب ممتع مفيد ، رواه عنه أبو الحسين عبد الغافر بن محمد بن عبد الغافر الفارسي ثم النيسابوري . كتاب تفسير أسامي الرب عزّ وجل . شرح الأدعية المأثورة . كتاب شرح البخاري . كتاب العزلة[3] . كتاب إصلاح الغلط . كتاب العروس . كتاب أعلام

(1) هو في اليتيمة : حمد (بتغيير متعمد من المحقق ، غفر اللّه له) .
(2) قد طبع هذا الكتاب في ثلاثة أجزاء بتحقيق الأستاذ العزباوي وبعناية مركز البحث العلمي بجامعة أم القرى بمكة المكرمة .
(3) هو كتاب لطيف الحجم ، طبع بمصر 1937 .

الحديث . كتاب الغنية عن الكلام . كتاب شرح دعوات لابن خزيمة .

ومن شيوخ الخطابي في الأدب وغيره إسماعيل الصفار وأبو عمر الزاهد وأبو العباس الأصم وأحمد بن سليمان النجار وأبو عمرو السماك ومكرم القاضي وجعفر الخلدي ، كل هؤلاء بغداديون ، وبها كتب عنهم ، سوى الأصم فإنه نيسابوري عالي الاسناد جداً ، وروى عنه خلق منهم عبد بن أحمد بن عفير الهروي وأبو مسعود الحسن بن محمد الكرابيسي البستي ، روى عنه ببست ، وأبو بكر محمد بن الحسن المقرىء ، روى عنه بغزنة ، وأبو الحسن علي بن الحسن الفقيه السجزي ، روى عنه بسجستان ، وأبو عبد الله محمد بن علي بن عبد الله[1] الفسوي ، روى عنه بفارس ، وآخرون . وقد روى عنه الامام الفقيه أبو حامد الاسفرايني فقيه العراق والحاكم أبو عبد اللّه محمد بن البيع النيسابوري ، روى عنه بخراسان . وقد حدث عنه أبو عبيد الهروي في «كتاب الغريبين» .

وأنشد أبو منصور عبد الملك بن محمد الثعالبي لأبي سليمان الخطابي في « اليتيمة »[2] أشعاراً منها :

وما غربةُ الانسانِ في شُقّةِ النوى ... ولكنّها واللّه في عَدَمِ الشكلِ
وإني غريبٌ بين بستَ وأهْلِها ... وإن كانَ فيها أسرتي وبها أهلي

ولأبي منصور الثعالبي في الخطابي شعر منه :

أبا سليمان سِرْ في الأرض أو فأقِمْ ... فأنت عندي دنا مثواك أو شَطَنا
ما أنت غيري فأخشى أن تفارِقَني ... فديتُ روحَكَ بل روحي فأنت أنا

نقلت من خط أبي سعد السمعاني أنبأنا اسماعيل بن أحمد الحافظ أنبأنا أبو القاسم سعد بن علي بن محمد الريحاني إذناً أنبأنا أبو سعد[3] الخليل بن محمد الخطيب قال : كنت مع أبي سليمان الخطابي فرأى طائراً على شجرة ، فوقف ساعة يستمع ثم أنشأ يقول :

يا ليتني كنتُ ذاك الطائرَ الغردا ... من البرية منحازاً ومنفردا

---

(1) سير الذهبي : عبد الملك .	(2) اليتيمة 4 : 335 ـ 336 .	(3) ر : أبو سعيد .

في غصنِ بانٍ زهته الريح تخفضُهُ طوراً وترفعه أفنانُهُ صُعُدا
خِلوَ الهموم سوى حَبٍّ تلمَّسَهُ في الترب أو نغبةٍ يُرْوِي بها كبدا
ما إن يؤرقه فكرٌ لرزقِ غدٍ ولا عليه حسابٌ في المعاد غدا
طوباك من طائرٍ طوباك ويحك طبْ من كان مثلَكَ في الدنيا فقد سعدا

وحدث أبو بكر محمد بن علي بن الحسن بن البراغوثي اللغوي فيما ذكره السلفي قال : أنشدني أبو منصور الثعالبي بنيسابور للخطابي يقوله في الثعالبي :

قلبي رهينٌ بنيسابورَ عند أخٍ ما مثلُهُ حينَ تُسْتَقْرَى البلادُ أخُ
له صحائفُ أخلاقٍ مهذبةٌ منها التقى والنهى والحلم ينتسخُ

قال أبو طاهر السلفي : وقلت أنا فيه في سنة خمسين وخمسمائة لشغفي بتآليفه ، ورغبتي في تحصيل تصانيفه :

ظنَّ هذا الخطَّاءِ في الخطابي شيخِ أهلِ العلومِ والآدابِ
من على كتبه اعتمادُ ذوي الفضـ ـل وَمَنْ قولُهُ كفصلِ الخطابِ
أن يحوز الفردوسَ اذ أتعبَ النفـ ـسَ لذي العرش غايةَ الاتعاب
وتعنَّى في الأخذ جداً وفي التصـ ـنيف من بعد رغبةٍ في الثواب
نَضَرَ اللّه وجهه من إمامٍ ألمعيٍّ أتى بكلِّ ثواب
ولعمري قد فاز بالرَّوْحِ والريحـ ـانِ من غير شُبهةٍ وارتياب
فلقد كان شمسَ متّبعي الشر ع على الزائغين سَوْطَ عذاب

وللسلفي فيه أشعار غير هذا في نهاية الضعف والسقط كما ترى[1] ، ومن شعره في اليتيمة[2] :

(1) أصاب ياقوت في هذا الحكم ، ورحم اللّه السلفي فلو اكتفى بما يحسن وترك الشعر جانباً لكان خيراً له ، ومثل السلفي كثيرون .

(2) في اليتيمة 4 : 335 أن هذا الشعر لعمر بن أبي عمر السجزي ، أخذ معناه من قول الخطابي « وما غربة الإنسان في شقة النوى . . . البيتين » .

وليس اغترابي في سجستان أنني عدمتُ بها الإخوانَ والدارَ والأهلا
ولكنني[1] ما لي بها من مشاكلٍ وإن الغريب الفردَ من يَعْدَمُ الشكلا

وله :

شرُّ السباع العوادي دونه وَزَرُ والناسُ شرهمُ ما دونه وَزَرُ
كم معشرٍ سلموا لم يؤذهم سَبُعٌ وما ترى بشراً لم يؤذِهِ بشر

ومنه أيضاً :

ما دمتَ حياً فدارِ الناس كلَّهم فإنما أنت في دار المداراةِ
من يدرِ دارَى ومن لم يدرِ سوف يُرى عما قليل نديماً للندامات

ومنه أيضاً :

وقائلٍ ورأى من حَجْبتي عجباً كم ذا التواري وأنت الدهرَ محجوبُ
فقلتُ حَلَّتْ نجوم السعد[2] منذ بدا نجم المشيب ودينُ اللّه مطلوب
فلذتُ من وَجَلٍ بالاستتار عن الـ ـأبصار إنَّ غريمَ الموت مرهوب

ومنه أيضاً :

تغنَّمْ سكونَ الحادثاتِ فإنها وإن سكنتْ عما قليل تَحَرَّكُ
وبادرْ بأيام السلامةِ إنها رهونٌ وهل للرَّهْنِ عندك مَتْرَكُ

ومنه أيضاً :

تسامحْ ولا تستوفِ حقَّكَ كلَّه وأبقِ فلم يستقصِ قطُّ كريمُ
ولا تغلُ في شيءٍ من الأمر واقتصدْ كلا طرفي قَصْدِ الأمورِ ذميم[3]

وقال أبو القاسم الداودي الهروي ، قال الثعالبي له في مرثية الخطابي رحمه اللّه :

انظروا كيف تخمد الأنوارُ انظروا كيف تسقطُ الأقمارُ
انظروا هكذا تزولُ الرواسي هكذا في الثرى تغيضُ البحار

(1) ر : ولكنه .
(2) اليتيمة : نجوم العمر ؛ م : نجوم الدهر .
(3) م : سليم .

ـ 176 ـ

أحمد بن محمد بن عبد الرحمن أبو عبيد الهروي الباشاني: المؤدب صاحب «كتاب غريبي القرآن والحديث» والسابق إلى الجمع بينهما في علمنا. قرأ على جماعة منهم أبو سليمان الخطابي وكان اعتماده وشيخه الذي يفتخر به أبا منصور محمد بن أحمد الأزهري صاحب كتاب « التهذيب في اللغة». مات أبو عبيد هذا فيما ذكره المليحي سنة إحدى وأربعمائة في رجبها . روى عنه « كتاب الغريبين » أبو عمرو عبد الواحد بن أحمد المليحي وأبو بكر محمد بن إبراهيم بن أحمد الأردستاني ، وله من الكتب : كتاب الغريبين . كتاب ولاة هراة .

ـ 177 ـ

أحمد بن محمد بن عبد الله بن يوسف بن محمد بن مالك السهلي الأديب ، أبو الفضل العروضيّ الصفّار الشافعي : ذكره عبد الغافر في « السياق » فقال : مات بعد سنة ست عشرة وأربعمائة ومولده سنة أربع وثلاثين وثلاثمائة . وهو شيخ أهل الأدب في عصره ، حدَّث عن الأصم والكازرلي وأبي الفضل المزكي وأبي منصور الأزهري وأقرانهم ، وتخرج به جماعة من الأئمة منهم علي بن أحمد الواحدي وغيره .

وذكره أبو منصور الثعالبي فقال: إمام في الأدب ، خنَّق التسعين في خدمة الكتب ، وأنفق عمره على مطالعة العلوم وتدريس مؤدبي نيسابور وإحراز الفضائل والمحاسن ، وهو القائل في صباه :

---

176 ـ نسبه عند ابن خلكان وغيره أحمد بن محمد بن محمد بن أبي عبيد (وفي م : أحمد بن محمد بن عبد الرحمن . . .) الهروي الباشاني (أو الفاشاني) نسبة إلى فاشان إحدى قرى هراة ؛ واستدرك ابن خلكان بقوله : ورأيت على ظهر كتابه « الغريبين » أنه أحمد بن محمد بن عبد الرحمن ، والله أعلم . انظر ابن خلكان 1 : 95 وعبر الذهبي 3 : 75 وطبقات السبكي 4 : 84 والشذرات 3 : 161 والوافي 8 : 114 وروضات الجنات 1 : 241 .

177 ـ ترجمته في السياق (المنتخب 2) : 24 وتتمة اليتيمة 2 : 23 ـ 24 .

أوفى على الديوانِ بدرُ الدجى   فسلْ نجومَ السعدِ ما حظُّهُ
أخدّه أملحُ أم خطّه[1]   ولحظه أفتنُ أم لفظه

قال : وأنشدني لنفسه :

لعزةِ الفضةِ المبرّهْ   أودعها اللّه قلبَ صخرَهْ
حتى إذا النار أخرجتها   بألف كدٍّ وألف كَرَّهْ
أودعها اللّه كفَّ وغدٍ   أقسى من الصخر ألفَ مره

- 178 -

أحمد بن محمد بن أحمد بن سلمة بن شرام الغساني: أحد النحاة المشهورين بالشام ، صحب أبا القاسم الزجاجي وأخذ عنه وكتب تصانيفه ، وكان جيد الخطّ والضبط صحيحَ الكتابة ، وجدتُ خطَّه في « كتاب أمالي الزجاجي » وقد فرغ من كتابتها في سنة ست وأربعين وثلاثمائة .

ذكره أبو القاسم[2] فقال : أحمد بن محمد بن أحمد بن سلمة أبو بكر بن أبي العباس الغساني المعروف بابن شرَّام النحوي ، سمع أبا بكر الخرائطي وأبا الدحداح أحمد بن محمد بن إسماعيل التميمي وأبا الحسن أحمد بن جعفر بن محمد الصيدلاني وعبد الغافر بن سلامة الحمصي وأبا القاسم عبد الرحمن بن إسحاق الزجاجي وأبا بكر أحمد بن محمد بن سعيد بن عبيد الله بن فطيس والحسن بن حبيب الحظائري[3] وأبا الطيب أحمد بن إبراهيم بن عبادل الشيباني وإبراهيم بن محمد بن أبي ثابت وأبا علي

178 ـ ترجمة ابن شرام في إنباه الرواة 1 : 104 (ابن سرام ـ بالسين المهملة) والوافي 7 : 328 وبغية الوعاة 1 : 357 ويعتمد ياقوت على تاريخ ابن عساكر (ط) 7 : 162 ـ 163 (تهذيب ابن عساكر 1 : 445 ، وفيه بن أبي شرام) .

(1) التتمة : أخطه أملح أم خده .
(2) أي ابن عساكر .
(3) ابن عساكر : الحصائري .

محمد بن القاسم بن أبي نصر . روى عنه رشأ بن نظيف وأبو بكر أحمد بن الحسن بن أحمد بن الطبال[1] وأبو الحسن الربعي وأبو نصر ابن الجبان . قال ابن الأكفاني : رأيت في كتاب عتيق : توفي أبو بكر ابن شرام يوم الثلاثاء لعشر خلون من شعبان سنة سبع وثمانين وثلاثمائة .

ـ 179 ـ

أحمد بن محمد بن الحسن الخلال الوراق الأديب: صاحب الخطِ المليح الرائق ، والضبط المتقن الفائق ، أظنه ابن أبي الغنائم الأديب ، وقد ذكرنا في باب علي بن محمد آخر ونراه أخا هذا ، والله أعلم . وجدت بخطه على كتاب قد كتبه في سنة خمس وستين وثلاثمائة . . .

ـ 180 ـ

أحمد بن محمد بن يعقوب الملقب مسكويه ، أبو علي الخازن صاحب « التجارب » : مات فيما ذكره يحيى بن منده في تاسع صفر سنة إحدى وعشرين وأربعمائة .

قال أبو حيان في : « كتاب الأمتاع »[2] وقد ذكر طائفة من متكلمي زمانه ، ثم قال : وأما مسكويه ففقير بين أغنياء ، وعيِّ بين أبيناء ، لأنه شاذ ، وإنما أعطيته في هذه الأيام « صفو الشرح » لا يساغوجي وقاطيغورياس من تصنيف صديقنا بالريّ ، قال الوزير : ومن هو؟ قلت : أبو القاسم الكاتب غلام أبي الحسن العامري ، وصحّحه

---

179 ـ لم أجد له ترجمة .

180 ـ ترجمة مسكويه في تتمة اليتيمة 1 : 96 وتاريخ الحكماء : 331 وعيون الأنباء 1 : 245 والوافي 8 : 109 وروضات الجنات 1 : 254 .

....

(1) ابن عساكر : الطيان .
(2) الامتاع 1 : 35 ـ 36 .

معي ، وهو الآن لائذ بابن الخمار ، وربما شاهد أبا سليمان المنطقي ، وليس له فراغ لكنه محسٌّ في هذا الوقت للحسرة التي لحقته مما فاته من قبل ، فقال : يا عجبا لرجلٍ صحب ابنَ العميد أبا الفضل ورأى ما عنده ، وهذا حظه ، قلت : قد كان هذا ، ولكنه كان مشغولاً بطلب الكيمياء مع أبي الطيب الكيميائي الرازي ، مملوكَ الهمةِ في طلبه والحرصِ على إصابته ، مفتوناً بكتب أبي زكريا وجابر بن حيان ، ومع هذا كان إليه خدمة صاحبه في خزانة كتبه ، هذا مع تقطيع الوقت في الحاجات الضرورية والشهوية ، والعمر قصير ، والساعات طائرة ، والحركات دائمة ، والفرصُ بروقٌ تأتلق ، والأوطار في عرضها تجتمع وتفترق ، والنفوس على فوائتها تذوب وتحترق . ولقد قَطَنَ العامريُّ الريَّ خمس سنين ودرَّس وأملى وصنَّف وروى فما أخذ عنه مسكويه كلمةً واحدة ، ولا وعى مسألة ، حتى كأنه كان بينه وبينه سد ، ولقد تجرَّع على هذا التواني الصابَ والعلقم ، ومضغ بفمه[1] حنظلَ الندامة في نفسه ، وسمع بأذنه قوارعَ الملامةِ من أصدقائه حين لم ينفع ذلك كله ، وبعد هذا فهو ذكيّ ، حسن الشعر ، نقيّ اللفظ ، وإن بقي عساه أن يتوسَّطَ هذا الحديث ، وما أرى ذلك مع كَلَفه بالكيمياء ، وإنفاقِ زمانه وكدِّ بدنه وقلبه في خدمة السلطان ، واحتراقه في البخل بالدانقِ والقيراطِ والكسرة والخرقة ، نعوذ باللّه من مدح الجود باللسان ، وإيثار الشحِّ بالفعل ، وتمجيد الكرم بالقول ومفارقته بالعمل .

قال أبو منصور الثعالبي[2] : كان في الذروة العليا من الفضل والأدب والبلاغة والشعر ، وكان في ريعان شبابه متصلاً بابن العميد مختصّاً به ، وفيه يقول :

لا يعجبنَّكَ حُسْنُ القصرِ تنزلُهُ فضيلةُ الشمسِ ليست في منازلها
لو زيدتِ الشمسُ في أبراجها مائةً ما زاد ذلك شيئاً في فضائلها

ثم تنقلت به أحوالٌ جليلة في خدمة بني بويه والاختصاص ببهاء الدولة ، وعظم شأنه وارتفع مقداره ، فترفع عن خدمة الصاحب ولم يرَ نفسه دونه ، ولم يخلُ من نوائب الدهر حتى قال ما هو متنازعٌ بينه وبين نفر من الفضلاء :

---

(1) م : لقمة ، وأثبت ما في الأمتاع .
(2) تتمة اليتيمة 1 : 96 .

مَنْ عذيري من حادثاتِ الزمانِ   وجفـاءِ الإخـوانِ والخـلانِ

قال : وله قصيدة في عميد الملك تفنَّن فيها ، وهنأه باتفاق الأضحى والمهرجان في يوم ، وشكا سوء أثر الهرم وبلوغه إلى أرذل العمر :

قـلْ للعميدِ عميـدِ الملكِ والأدبِ   أَسْعَدْ بعيديكَ عيدِ الفرسِ والعربِ
هذا يشيرُ بشربِ ابنِ الغمام ضحىً   وذا يشيـرُ عشيـاً بـابنـة العـنب
خـلائقٌ خُيِّـرَتْ في كـلِّ صـالحـةٍ   فلو دعـاهـا لغيـرِ الخيـر لم تجب
أعـدنَ شرخَ شبـابٍ لستُ أذكـره   بعـداً وردَّتْ عليَّ العمـر من كثب
فطاب لي هَرَمي والموتُ يلحظني   لحظَ المريب ولولا أنت لم يَـطِبِ
فـإن تمرَّس بي خصمٌ تعصَّب لي   وإن أسـاءَ إليَّ الـدهـرُ أحسنَ بي

ومنها :

وقد بلغتُ الى أقصى مدى عمري   وكَـلَّ غـربيَ واستـأنستُ بـالنـوب
إذا تمـلأتُ من غيظٍ على زمـني   وجـدتُني نافخـاً في جـذوة اللهب

ومنها :

وإن تمنيتَ عيشَ الـدهـرِ أجمعَـهُ   وأن تعـاين مـا ولَّى من الحقـب
فانظر إلى سِيَرِ القوم الـذين مَضَوْا   والحظْ كتـابتهم من بـاطنِ الكتب
تجـدْ تفاوتهم في الفضـلِ مختلفاً   وإن تقـاربتِ الأحـوالُ في النسب
هــذا كتـاجٍ على رأسٍ يعـظِّمـه   وذاك كالشَعَر الجـافي على الذنب

قال المؤلف : وكان مسكويه مجوسياً وأسلم ، وكان عارفاً بعلوم الأوائل معرفة جيدة ، وله في ذلك : كتاب الفوز الأكبر . كتاب الفوز الأصغر . وصنف كتاب تجارب الأمم في التاريخ[1] ، ابتداؤه من بعد الطوفان وانتهاؤه إلى سنة تسع وستين وثلاثمائة . وله كتاب أنس الفريد ، وهو مجموع يتضمن أخباراً وأشعاراً وحكماً وأمثالاً غير مبوب .

(1) طبع منه جزءان مع ذيل أبي شجاع عليه .

وكتاب ترتيب العادات . وكتاب المستوفي أشعار مختارة . وكتاب الجامع . وكتاب جاوذان خِرَد[1] . وكتاب السير أجاده ذكر فيه ما يسير به الرجل نفسه من أمور دنياه ، مزجه بالأثر والآية والحكمة والشعر[2] .

وللبديع الهمذاني إلى أبي علي مسكويه يعتذر من شيء بلغه عنه بعد مودة كانت بينهما[3] :

ويا عزَّ إن واشٍ وَشَى بيَ عندكم فلا تمهليه أن تقولي له مهلا
كما لو وشى واشٍ بعزةَ عندنا لقلنا تزحزحْ لا قريباً ولا سهلا

بلغني ـ أطال الله بقاء الشيخ ـ أن قيضة كلبٍ وافتْهُ بأحاديثَ لم يُعرْهَا الحقُّ نورَه ، ولا الصدقُ ظهوره ، وأن الشيخ أُذِنَ لها على حجابِ أذنه ، وفسَحَ لها فِناءَ ظنّه ، ومعاذ اللّه أن أقولها ، وأستجيزَ معقولها . بلى ، قد كان بيني وبينه عتابٌ لا يُنْزَع كَتِفه ، ولا يُجْذَبُ أنفه ، وحديثٌ لا يتعدَّى إلى النفس وضميرها ، ولا يعرف الشفةَ وسميرَها ، وعربدةٌ كعربدة أهلِ الفضل لا تتجاوز الدَّلال والإدلال ، ووحشة يكشفها عيانُ لحظة ، كعتاب جحظة[1] . فسبحان من ربَّى هذا الأمر حتى صار إمراً[4] ، وتأبَّطَ شرّاً ، وأوحش حُرّاً ، وأوجبَ عذراً ، بل سبحانَ من جعلني في حيِّز العذر أشيمُ بارقته ، وأستجلي صاعقته ، أنا المُساءُ إليه ، والمجنيّ عليه ، والمستخَفّ به . لكن من بُلِيَ من الأعداء كما بليت ، وَرُمِيَ من الحَسَدة بما رُميت ، ووقف من الوجد والوحدة حيث وقفت ، واجتمع عليه من المكاره ما وصفت ، اعتذر مظلوماً ، وأحسنَ

(1) هو الحكمة الخالدة ، نشره الدكتور عبد الرحمن بدوي ، القاهرة 1952 .

(2) قلت لم يذكر كتاب تهذيب الأخلاق ، وقد طبع غير مرة ، آخرها بتحقيق الدكتور قسطنطين زريق ، ويعدّ كتاب الهوامل والشوامل مشتركاً بينه وبين أبي حيان لأنَّ الأجوبة فيه لمسكويه ؛ وله رسالةٌ في العدل نشرها الدكتور محمد أركون .

(3) رسائل بديع الزمان : 157 ، والرسالة كثيرة التصحيف كما وردت في مجموع رسائل البديع وفي م أيضاً ؛ وقد وردت في (ر) في ترجمة بديع الزمان .

(4) فيه إشارة الى قول جحظة :

ورق الجو حتى قيل هذا عتاب بين جحظة والزمان

(5) الإمر (بكسر الهمزة) : المنكر .

ملوماً ، وضحك مشتوماً . ولو علم الشيخ عَدَدَ أبناءِ الحَدَد ، وأولاد العِدد[1] ، بهذا البلد ، ممن ليس له همة إلا في شكاية أو حكاية أو سعاية أو نكاية ، لضنَّ بعشرة غريبٍ إذا بدر ، وبعيد إذا حضر ، ولصانَ مجلسه عَمَّن لا يصونه عما رقي إليه ؛ فهبني قلت ما حكي له : أليس الشاتمُ من أسمع ؟ أليس الجاني من أبلغ ؟ فقد بلغ من كيد هؤلاء القوم أنهم حين صادفوا من الأستاذ نفساً لا تُسْتَفَزّ ، وحبلاً لا يُهَزّ ، دسُّوا إلى خدينِهِ[2] بما حَرَّشُوا به نارهم ، وورد عليّ ما قالوه فما لبثت أن قلت :

فإن تكُ حربٌ بين قومي وقومها ... فإني لها في كلِّ نائبةٍ سلمُ

فليعلم الشيخ الفاضل أن في كبد الأعداء مني جمرة ، وأن في أولاد الزنا عندنا كثرة ، قصاراهم نار يشبُّونها ، أو عقرب يُدِبُّونها ، أو مكيدة يطلبونها ، ولولا أن العذرَ إقرار بما قيل ، وأكره أن أستقيل ، لبسطت في الاعتذار شَاذِرْوَاناً ، ودخلت في الاستقالة مَيْداناً . لكنه أمرٌ لم أضع أوله فلا أتداركُ آخره ، وقد أبى الشيخ أبو محمد إلا أن يوصلَ هذا النثر الفاتر بنظمٍ مثلِهِ ، فهاكه يلعنُ بعضُهُ بعضاً :

مولاي إن عدتَ ولم ترضَ لي ... أن أشربَ الباردَ لم أشربِ
امتطِ خدّي وانتعلْ ناظري ... وَصِدْ بكفّي حُمَةَ العقربِ
باللّه ما أنطقُ عن كاذبٍ ... فيك ولا أبرقُ عن خُلّبِ
فالصفو بعد الكَدَرِ المفترى ... كالصحو بعد المطر الصيّبِ
إن أجتنِ الغلظةَ من سيدي ... فالشوكُ عند الثمرِ الطيبِ
أو ينفذِ الزورُ على ناقدٍ ... فالخُمْرُ قد تُعْصَبُ بالثيّبِ[3]

(1) الحدد : الحرام (وكأن قول العامة : أبناء الحرام شبيه بهذا) والعدد : جمع عِدّة وهي الفترة التي تعتد فيها المرأة ، فأولاد العدد هم الذين تحمل بهم أمهاتهم في تلك الفترة ، فهم على ذلك أبناء زنىً ؛ وفي المختصر : وأولاد الغدد .

(2) في الرسائل : خدمه ؛ والمعنى أنهم حين وجدوه لا يهتز للوشايات ، توصلوا إليه عن طريق خدمه (أو خدينه) .

(3) الخمر ، جمع خمرة ، وفيه إشارة إلى المثل إن العوان (وهي الثيب) لا تعلّم الخمرة .

ولعلَّ الشيخ أبا محمد يقوم من الاعتذار بما قعد عنه القلم والبيان فنعم رائد الفضلِ هو ، والسلام :

وجاء الجواب من أبي علي :

وإذا الواشي أتى يسعى بها نَفَعَ الواشي بما جاءَ يضرّ

فهمتُ خطابَ الشيخ الفاضل الأديب البارع الذي لو قلتُ إنه السحر الحلالُ والعذب الزلال لنقصته حظه ، ولم أوفّه حقه . أما البلاغات[1] التي أومأ إليها فواللّه ما أذنتُ لها ولا أذنتُ فيها ، وما أذهبني عن هذه الطريقة وأبعدني عنها ، وقد نزه الله لسانَهُ عن الفحشاءِ وسمعي عن الإصغاء ، وما يتخذُ العدو بينهما مجالاً ؛ وأما الأبيات فقد تكلفت الجواب عنها لا مساجلةً له ، ولكن لأبلغَ المجهودَ في قضاء حقه :

يا بارعاً في الأدب المجتنَى منه ضروبُ الثمرِ الطيبِ
لو قلتُ إنَّ البحرَ مُسْتَغْرَقٌ في بحرك الفياضِ لم أكذب
إذا تبوأتَ محلاً لما نزلتَ إلا منزلَ الكوكب
أحمدتني الشعرَ وأعتبتني فيه ولم أذممْ ولم أعتب
والعذرُ يمحو ذنبَ فعّالِهِ فكيف يمحوهُ ولم يذنب
أنا الذي آتيك مستغفراً من زلةٍ لم تكُ من مذهبي
وأنت لا تمنعُ مستوهباً مسالاً فهبْ ذنباً لمستوهب

قال أبو حيان في « كتاب الوزيرين»[2] : فإن ابن العميد اتخذه خازناً لكتبه ، وأراد أيضاً أن يقدح ابنه به ، ولم يكن من الصنائع المقصودة ، والمهمات اللازمة ، وكان يحتمل ذلك لبعض العزازة بظله والتظاهر بجاهه .

نسخة وصية أبي علي مسكويه[3] :

بسم اللّه الرحمن الرحيم ، هذا ما عاهد عليه أحمد بن محمد ، وهو يومئذ آمنٌ

---

(1) يريد ما أداه المبلغون من سعايات .

(2) أخلاق الوزيرين : 346 .

(3) ورد العهد في المقابسات : 383 ـ 387 واقتبسه الصفدي أيضاً في الوافي 8 : 110 ـ 111 .

في سِرْبه ، معافى في جسمه ، عنده قوتُ يومه ، لا تدعوه إلى هذه المعاهدة ضرورةُ نفسٍ ولا بدن ، ولا يريد بها مراءاة مخلوق ، ولا استجلابَ منفعة ، ولا دفعَ مضرة منهم : عاهده على أن يجاهد نفسه ، ويتفقدَ أمره ، فيعفّ ويَشْجُعَ ويَحكم ، وعلامة عفته أن يقتصد في مآرب بدنه حتى لا يحمله الشره على ما يضرُّ جسمه أو يهتكُ مروءته ، وعلامة شجاعته أن يحاربَ دواعيَ نفسِهِ الذميمة حتى لا تقهره شهوةٌ قبيحة ولا غضبٌ في غير موضعه ، وعلامة حكمته أن يستبصرَ في اعتقاداته حتى لا يفوته بقدر طاقته شيء من العلوم والمعارف الصالحة ، ليصلحَ أولاً نفسه ويهذّبها ، ويحصل له من هذه المجاهدة ثمرتها التي هي العدالة . وعلى أن يتمسك بهذه التذكرة ويجتهدَ في القيام بها والعمل بموجبها ، وهي خمسة عشر باباً : إيثار الحق على الباطل في الاعتقادات ، والصدق على الكذب في الأقوال ، والخير على الشر في الأفعال ، وكثرة الجهاد الدائم لأجل الحرب الدائمة بين المرء وبين نفسه ، والتمسك بالشريعة ولزوم وظائفها ، وحفظ المواعيد حتى ينجزها ، وأولُ ذلك ما بيني وبين اللّه جلّ وعز ، وقلةُ الثقةِ بالناس بتركِ الاسترسال ، ومحبةُ الجميلِ لأنه جميلٌ لا لغير ذلك ، والصمتُ في أوقاتِ حركاتِ النفس للكلام حتى يستشار فيه العقل ، وحفظُ الحالِ التي تحصلُ في شيءٍ شيءٍ حتى تصير مَلَكةً ولا تفسدُ بالاسترسال ، والإقدام على كل ما كان صواباً ، والإشفاق على الزمان الذي هو العمر لِيُسْتَعْمَلَ في المهمِّ دون غيره ، وتركُ الخوف من الموتِ والفقرِ لعملِ ما ينبغي ، وترك التواني ، وترك الاكتراث لأقوال أهلِ الشرِّ والحسد لئلا يشتغل بمقابلتهم ، وترك الانفعال لهم ، وحسن احتمال الغنى والفقر والكرامة والهوان لجهةٍ وجهة ، وذكرُ المرضِ وقتَ الصحة والهمِّ وقتَ السرور والرضى عند الغضب ليقلَّ الطغيُ والبغي ، وقوة الأمل وحسن الرجاء والثقة باللّه عز وجل وصرف جميع البال إليه .

ـ 181 ـ

أحمد بن محمد الصخري أبو الفضل : قتل في أواخر سنة ست وأربعمائة ، هكذا ذكر أبو محمد ابن أرسلان في « تاريخ خوارزم » وقال : هو أحد مفاخر خوارزم ، أديب كامل ، وعالم ماهر ، وكاتب بارع ، وشاعر ساحر .

قال أبو منصور الثعالبي في كتابه : له ظَرْفٌ حجازي ، وخطّ عراقي ، وبلاغةٌ جَزْلَةٌ سهلة ، ومروءةٌ ظاهرة ، ومحاسنُ متظاهرة ، وله شعر كثير يَجْمَعُ فيه بين الإسراع والإبداع ، ويأخذ بطرفي الإتقان والإحسان ، ثم هو في الارتجال فردُ الرجال ، لسرعة خاطره ، وسلامة طبعه ، وحصول أعنّة القوافي في يده . وكان في عنفوان شبابه ألمَّ بحضرةِ الصاحب إسماعيل بن عباد ، فاقتبس من نورها ، واغترف من بحورها ، وانخرط في سلك أعيان أهل الفضل بها ، وتزود من ثمارها ، فَحسُنَ أثره ، وطاب خبره ، ورجع إلى أوطانه ، وأقام بحضرة سلطانه ، في أجلّة الكتّاب ، ووجوهِ العمال ، وهو الآن من أخصِّ جلساءِ الأمير وأقربِ ندمائه ، وأفضلِ كتّابه وأجلِّ شعرائه ، ولا تكاد تخلو منه مجالسُ أنسه ، ولا تتقشعُ عنه سحائبُ جوده ، وما أكثرَ ما يقترحُ عليه الأشعار في المعاني البديعة فيتكفَّل بها[1] ويفي ، ويعلّقها[2] في الوقت والساعةِ بين يديه ، ويعرضُها عليه . وعهدي بذلك المجلس العالي ليلةً من الليالي وقد جرى فيه ذكرُ أبي الفضلِ الهمذاني بديعِ الزمانِ وإعجاز لطائفه وخصائصه في الارتجالات ، وسرعة إتيانه وإثباته بالاقتراحات ، وأنه كان يكتب الكتابَ المقترحَ عليه ويبتدئُ بآخر سطر ثم هلم جرًّا إلى السطر الأول ، حتى يخرجه مستوفَى الألفاظ والمعاني ، كأملح شيء وأحسنه ، فانتدب الصخريّ لهذه البادرة ، وضمن الاستقلال بهذه الغريبة الصعبة، فرُسم له على لسان الشيخ أبي الحسين السهلي[3] أن يكتب في معنى مؤلف الكتاب كتاباً إلى الدهخداه أبي سعيد محمد بن منصور الحوالي يذكر فيه

---

181 ـ ترجمة الصخري في الوافي 8 : 145 ولم أجد له ترجمة بين الخوارزميين في اليتيمة أو التتمة .

(1) م : ويكمل لها .

(2) م : ويعلنها .

(3) م : السهيلي (حيث ورد) .

أن أخبار فلان في محاسن أدبه وبديع تأليفاته لم تزل تأتينا ، ثم تشوقنا إلى مشاهدته . . . الفصل ، فأخذ القلم والقرطاس ، وكتب أولاً السطر الذي يقع في آخره إن شاء اللّه تعالى ، ثم لم يزل يمضي قدماً في الكتاب ويرتفع من عجزه إلى صدره ومن سفله إلى علوه ويصل أواخره بأوائله حتى أتمَّ المعنى المقترح عليه ، مع جودة الألفاظ وسهولتها وحسن مطالعها ، وفرغ من الكتاب في زمانٍ قصير المدة ، وقد أخذ منه الشرابُ وأثرت فيه الكاسات ، فوقع ذلك أحسنَ موقع ، وعُدَّ من محاسنه .

وله : كتاب رسائل مدونة . كتاب ديوان شعر ، مجلد .

فمن منثور كلامه : الشيخ أصدقُ لهجةً ، وأبينُ في الكرم مَحَجَّةً ، من أن يُخْلِفَ برقُ ضمانه ، ولا يمطرَ سحابُ إحسانه ، فليت شعري ما الذي فعله في أمرِ وليِّه القاصِر عليه أَمَلَهُ ، وهل بلغ الكتابُ أَجلَه ، وقد استهل الشهرُ الثامنُ استهلالاً ، ولا بدا لأفقِ مواعده هلالاً .

آخر : طبع كرمه أغلبُ من أن يحتاج إلى هزّ ، وحسامُ فضله أقطعُ من أن يهزّ لحز .

آخر : أما إني لا أرضى من كرمه العِدّ ، أن تجرَّ أولياؤه على شَوْكِ الردّ ، فبحقِّ مجده المحض ، الذي فاق به أهلَ الأرض ، أن يرفعَ عن حاجتي قناعَ الخجل ، ولا يقبرَ أملي فيها قبلَ حلولِ الأجل . وهذا قَسَمٌ أرجو أن يصونَهُ عن الحنث ، وعهدٌ أظنُّ أنه لا يعرّضه للنكث .

آخر : لا أدري أأهنّىء الشيخَ بعوده إلى مركزه ، ومستقرِّ عزه ، سالماً في نفسه التي سلامتها سلامةُ المعالي والمكارم ، وهي أجسمُ المتاع وأنفسُ الغنائم ، أم أهنّىء الحضرةَ به ، فقد عاد إليها ماؤها ، ورجع برجوعه حسنها وبهاؤها ، أم أهنّىءُ الملكَ ـ ثبت الله أركانه ، كما نضر بمكانه منه زمانه ـ فقد آب إليه رونَقُهُ ، وزال عن أمره رَنَقُهُ ، أم أهنّىء الفضلَ فقد كان ذَوَى عوده ثم اخضرَّ وأورق ، وهوى نجمه ثم أنار وأشرق ، أم أهنّىء جماعةَ الأولياء والخدم وكافةَ أنشاءِ الكتّاب فقد عاشوا ، وانتعشوا وارتاشوا ، وارتفعت نواظرهم بعد الانخفاض ، وانشرحت صدورهم غبَّ الانقباض . وأنا أعدُّ نفسي من جملتهم ، ولا أنحرفُ مع طول العهد عن قبلتهم .

وله : كتابي وقد عَرَتْني عِلّةٌ منعتني من استغراقِ المعاني واستيعابها ، وإشباع

الكلم في وجوهها وأبوابها. فاختصرتُ وقصرت، وعلى النُّبَذ القصير[1] اقتصرت، وما أعرفُ هذه العلَّة إلا من عَوَادي فِراقِهِ، ودواعي اشتياقه، ولئن كانت النعمةُ بمكانه خارجةً عن القياس، غيرَ خافيةٍ من جميع الناس، إنها ازدادت الآن ظهوراً، وإن لم يكن قدرها مستوراً، وقدر النعمة لا يعرف إلا بعد الزوال، ولا يتحقق إلا مع الانتقال. أهَّلنا الله لعودها، لنحسن جوارها بالشكر لها وحمدها. وأَصْحَبَهُ السلامةَ حالاًّ ومرتحلاً، ومقيماً ومنتقلاً، إنه خير صاحب، يصحب كلّ غائب.

وله: وصل كتابُ الشيخ فيما حلاَّني به من صفاته التي هو بها حالٍ، وأنا منها خالٍ، وقد كان أعارني منها عاريةً، وجدتُ نفسي منها عاريةً، لكنه نظر إليَّ بعينِ رضاه، وشهد لي بقلبِ هواه. فلا ينظرنّ بعين الرضى فنظرتها ربما تجنح، ولا يشهدنّ بقلب الهوى فإنها شهادة تجرح.

وله: كلُّ مَنْ وردَ جنابَ الشيخ من أمثالي إنما ورد بأملٍ منفسح، ثم صَدَرَ بصدرٍ منشرح، إذ ما امتدت إليه يدٌ فارتدت عاطلاً، ولا توجَّهَ تلقاءَهُ رجاءٌ فعاد باطلاً. وأنا أُجِلُّه أن يفسخَ من بينهم ذريعة رجائي، وينسخَ شريعة ولائي، بل أظنُّ إن لم يُفَضِّلني[2] عليهم في المراتب[3]، لم يَنْقُصْني عنهم في الواجب، ثم ليس طمعي في ماله، فكفاني ما شملني من إفضاله، بل كفاه ما تكلَّفه في هذا الوقت من كُلْفَةِ المروَّة، التي تنوءُ بالْعُصْبةِ أُولي القوَّة، ولكن طمعي في جاهه ومن ضنَّ به ملوم، إذ البخل به لوم.

ومن أشعاره يمدح أبا العباس خوارزمشاه:

أشبهَ البدرَ في السنا والسناءِ ... وحوى رقةَ الهوى والهواءِ
وأتى الشيبُ بعدها منذراً[4] لي ... عن يدِ الدهر بالبلى والبلاء
وإذا شاء بالندى الملكُ العا ... دلُ في المجدِ والعلا والعلاء
أبدل الشينَ منه سيناً وأوطا ... ني الثريا من الثرى والثراء

(1) م: النبذ اليسيرة.
(2) ر: ينقلني مفضلي.
(3) ر: في التراث.
(4) م: منفذاً.

ومن شعره أيضاً في الهجاء :

أيــا ذا الفضــائــل والـلام حــاءُ ... ويــاذا المكــارم والـميـم هــاءُ
ويـا أنجبَ النـاسِ والبــاءُ سينٌ ... ويــاذا الصيـانــةِ والصـادُ خــاءُ
ويــا أكتبَ النــاسِ والتــاء ذالٌ ... ويــا أعلمَ النــاس والعينُ ظــاء
تجــودُ على الكـلِّ والــدالُ راء ... فــأنـت الـسـخـيُّ ويـتـلوه فــاء
لقـد صـرتَ عيبــاً لـداءِ البغــاء ... ومن قبــلُ كـان يعـاب البغــاء

وله يستهدي ماء الورد :

يا من حكى الوردَ الجنيَّ بِعَـرْفِهِ ... وَبِــظَرْفِــهِ وبـلطفــه وبـهــائِــهِ
إن شئتَ والإفضـالُ منك سجيـةٌ ... أهــديتَ لي قـارورةً من مــائــه

وله من قصيدة في أبي الفتح البستي :

نَسَبٌ كــريمٌ فـاضــلٌ أنسى بـه ... من كـان معتمـداً على أنســابـه
قد كنتَ في نُوَبِ الزمانِ وَصَرْفِهِ ... إذ عضَّني صـرفُ الزمـان بنـابـه
فـاليوم جـانبتِ الحوادثُ جـانبي ... إذ قـد نُسِبْتُ إلى كـريم جنـابـه

ومن قصيدة في أبي الحسين السهـلي :

نفس مصـدّقـةٌ جميـعَ عِـداتهـا ... لكن مكــذّبـةٌ ظنـونَ عُـداتهـا
هِمَّـاتُـهُ حكمتْ على هـامـاتهـا ... أن أصبحتْ للوحشِ من أقواتها
يـا أحمد بن محمـد يا خيرَ مَنْ ... وليَ الــوزارةَ عنـد خيــر ولاتهـا
ما دامتِ الأيامُ في الغفلاتِ عن ... عَرَصاتِ مجـدك فاغتنمْ غفـلاتها

وله من قصيدة :

لئن بخلتْ بــإسعــادي سُعــادُ ... فــإنـي بــالـفــؤادِ لـهــا جــوادُ
وإن نفـدَ اصطبـاري في هـواهـا ... فــدمــعُ العينِ ليس لــه نـفــاد
أرى ثـلجــاً بــوجنـتـهــا ونــاراً ... لـتلك الـنــار في قـلبي اتـقــاد
فهبْ من نـارهـا كــان احتـراقي ... فـلمْ بــالـثـلج مــا بَـرَدَ الـفـؤاد

لاجتهـدنَّ في طَلَبِ المعـالي ... بسعيٍ مـا عليـه مستـزاد
فـإن أدركـتُ آمـالـي وإلا ... فـليس علـيَّ إلا الاجتـهـاد

وله في بعض الصدور :

جمعتَ إلى العلا شرفَ الأبوهْ ... وحزتَ إلى الندى فضلَ المروهْ
أتيتُكَ خادمـاً فرفعتَ قـدري ... إلى حـال الصداقـةِ والأخـوهْ
فمـا شبَّهتني إلا بموسى ... رأى نـاراً فَشُرِّفُ بالنبـوهْ

وله من قصيدة :

أسمعتَ يـا مولاي دهـري بعـد بُعدكَ مـا صنعْ
أخنَـى علـيَّ بصرفِـهِ ... فـرأيـتُ هـولَ المطَّلع

ـ 182 ـ

أحمد بن محمد أبو الحسين السهلي الخوارزمي : قال محمود بن محمد الإسلامي في « تاريخ خوارزم » : إنه مات بسرَّ من رأى في سنة ثمان عشرة وأربعمائة على ما نذكره ، قال : وهو من أجلة خوارزم ، وبيته بيتُ رئاسةٍ ووزارة وكرم ومروءة.

قال الثعالبي : وهو وزير ابن وزير :

ورث الوزارةَ كابراً عن كابر ... موصولةَ الإسنادِ بالإسنادِ

قال : وكان يجمعُ بين آلات الرئاسة والآداب والوزارة ، ويضرب في العلوم والآداب بالسهام الغائرة ، ويأخذ من الكرم وحسن الشيم بالحظوظ الوافرة . وله « كتاب الروضة السهلية في الأوصاف والتشبيهات » ، وبأمره والتماسه صنَّف

182 ـ ترجمة السهلي (م ر: السهيلي) في بغية الطلب 2: 49 (وفيه السهلي) أبو الحسن وقيل أبو الحسين وفيه أيضاً نقل عن معجم الأدباء والوافي 8: 147 ؛ وينقل ياقوت عن كتاب للثعالبي لعله اليتيمة أو التتمة ولكني لم أجد فيهما ترجمة للسهلي .

الحسن بن الحارث الحسوني[1] في المذهب « كتاب السهلي » يذكر فيه المذهبين مذهب الشافعي والحنفي .

وله شعر ، فمن ذلك ولم يسبق إلى معناه[2] :

ألا سقّنا الصهباءَ صِرْفاً فإنها ... أعزُّ علينا من عناقِ الترحُّلِ
وإني لأقلي النقلَ حباً لطعمها ... لئلا يزولَ الطعم عند التنقل

وله في النجوم :

والشهبُ تلمعُ في الظلام كأنها ... شررٌ تطاير من دخانِ النارِ
فكأنها فوق السماءِ بنادقُ الـ ... ـكافور فوقَ صَلاَيةِ العطار

وله في النجوم أشعار منها في شعاع القمر على الماء :

كأنما البدرُ فوقَ الماءِ مُطَّلعاً ... ونحن بالشطِّ في لهوٍ وفي طَرَبِ
ملك رآنا فأهوى للعبورِ فلم ... يقدرْ فَمُدَّ له جسرٌ من الذهب

خرج السهلي من خوارزم في سنة أربع وأربعمائة إلى بغداد وتوطنها وترك وزارة خوارزم شاه أبي العباس مأمون [بن مأمون] خوفاً من شره ، فلما قدم بغداد أكرمه فخر الملك أبو غالب محمد بن خلف ، وهو والي العراق يومئذ ، وتلقاه بالجميل ، فلما مات فخر الملك خرج من بغداد هارباً أيضاً حتى لحق بغريب بن مقن[3] خوفاً على ماله ، وكان غريب صاحب البلاد العليا تكريت ودجيل وما لاصقها ، فأقام عنده إلى أن مات ، وخلف عشرين ألف دينار سلّمها غريب إلى ورثته .

---

(1) الوافي : الحنوني ؛ بغية الطلب : الحيوني .

(2) أورد البيتين في بغية الطلب وكذلك مقطوعته التالية في النجوم وفي شعاع القمر على الماء .

(3) الوافي : بعريب بن معن .

ـ 183 ـ

أحمد بن محمد بن الحسن المرزوقي أبو علي : من أهل أصبهان ، كان غاية في الذكاء والفطنة وحسن التصنيف وإقامة الحجج وحسن الاختيار ، وتصانيفه لا مزيد عليها في الجودة . مات فيما ذكره أبو زكريا يحيى بن منده في ذي الحجة سنة إحدى وعشرين وأربعمائة . قال : وكتب عنه سعيد البقال وأخرجه في « معجمه » .

وجدت خطه على كتاب شرح الحماسة من تصنيفه ، وقد قرىء عليه في شعبان سنة سبع عشرة وأربعمائة ، وكان قد قرأ كتاب سيبويه على أبي علي الفارسي وتتلمذ له بعد أن كان رأساً بنفسه .

وله من الكتب : كتاب شرح الحماسة[1] أجاد فيه جداً . كتاب شرح المفضليات . كتاب شرح الفصيح . كتاب شرح أشعار هذيل . كتاب الأزمنة[2] . كتاب شرح الموجز . كتاب شرح النحو .

قال الصاحب بن عباد : فاز بالعلم من أصبهان ثلاثة : حائك وحلّاج وإسكاف ، فالحائك هو المرزوقي ، والحلاج أبو منصور ابن ماشذّة ، والإسكاف أبو عبد اللّه الخطيب بالري صاحب التصانيف في اللغة.

ووجدت في مجموع[3] بخطٍّ بعضِ فضلاءِ العجم نقلتُ من خَطِّ الأبيوردي : أبو علي المرزوقي صاحبُ شرح الحماسة والهذليين قرأ على أبي علي ، وهو يتفاصح في تصانيفه كابن جني ، وكان معلِّمَ أولادِ بني بويه بأصبهان ، ودخل إليه الصاحبُ فما قام له ، فلما أفضت الوزارةُ إلى الصاحب جفاه .

---

183 ـ ترجمة المرزوقي في إنباه الرواة 1 : 106 والوافي 8 : 5 وبغية الوعاة 1 : 365 وروضات الجنات 1 : 244 وسير الذهبي 17 : 475 .

(1) طبع في أربعة أجزاء بتحقيق الأستاذ عبد السلام هارون ، القاهرة .

(2) طبع في حيدر أباد الدكن في جزءين .

(3) م : المجموع .

ـ 184 ـ

أحمد بن محمد بن إبراهيم أبو إسحاق الثعلبي : المفسر ، صاحب الكتاب المشهور بأيدي الناس المعروف بتفسير الثعلبي ، مات فيما ذكره عبد الغني بن سعيد الحافظ المصري ، ونقلته من حاشية « كتاب الإكمال » لابن ماكولا في محرم سنة سبع وعشرين وأربعمائة . وقال : أبو إسحاق الثعلبي المفسر جليلٌ خراساني ، وذكر وفاته .

وذكره عبد الغافر في « السياق » فقال : أحمد بن محمد بن إبراهيم أبو إسحاق الثعلبي المقرىء المفسِّرُ الواعظُ الأديبُ الثقةُ الحافظ ، صاحبُ التصانيفِ الجليلة : من التفسير الحاوي أنواع الفرائد[1] من المعاني والإشارات ، وكلمات أرباب الحقائق ، ووجوه الإعراب والقراءات ، ثم كتاب العرائس والقصص[2] وغير ذلك مما لا يُحْتَاجُ إلى ذكره لشهرته ، وهو صحيحُ النقل موثوقٌ به . حدث عن أبي طاهر ابن خزيمة[3] وأبي بكر ابن مهران المقرىء وأبي بكر ابن هانىء وأبي بكر ابن الطرازي والمخلدي والخفاف وأبي محمد ابن الرومي وطبقتهم . وهو كثير الحديث كثير الشيوخ ، وذكر وفاته كما تقدم . قال : وسمع منه الواحديّ التفسير وأخذه عنه وأثنى عليه ، وحدَّثَ عنه بإسناد رفعه إلى عاصمٍ قال : الرئاسة بالحديث رئاسة نذلة إن صحَّ الشيخ وحفظَ وصدَق فأصمى يقال : هذا شيخ كيّس وإذا وهم قالوا شيخ كذاب . وله كتاب ربيع المذكرين .

---

184 ـ يقال له الثعلبي والثعالبي ، وترجمته في السياق (المنتخب : 2) : 26 وإنباه الرواة 1 : 119 وابن خلكان 1 : 79 وطبقات المفسرين : 5 والوافي 7 : 307 وبغية الوعاة 1 : 356 وطبقات السبكي 4 : 58 والعبر 3 : 161 وطبقات الجزري 1 : 100 والشذرات 3 : 230 والنجوم الزاهرة 4 : 238 وروضات الجنات 1 : 245 واللباب (الثعلبي) وسير الذهبي 17 : 435 .

(1) السياق : الفوائد .

(2) هو كتاب عرائس المجالس في قصص الأنبياء ، وهومطبوع .

(3) هو أبو طاهر محمد بن الفضل بن خزيمة .

ـ 185 ـ

أحمد بن محمد بن أحمد بن محمود بن دلويه أبو حامد الأُستوائي : مات فيما ذكره الخطيب في سنة أربع وثلاثين وأربعمائة ، وقال : يعرف بالدلوي ، وأستوى التي نُسِبَ إليها قرية من قرى نيسابور . قدم بغداد فسمع من الدارقطني واستوطنها إلى حين وفاته ، وولي القضاء بعكبرا من قبل القاضي أبي بكر ابن الطيب الباقلاني ، وكان ينتحل في الفقه مذهبَ الشافعي وفي الأصول مذهب الأشعري . وله حظّ في معرفة الأدب والعربية ، وحدث بشيء يسير .

قال الخطيب : كتبتُ عنه ، وكان صدوقاً ، ولما مات دفن بالشونيزية .

قال المؤلف : كان الدلوي أديباً فاضلاً ، وكثيراً ما توجد كتب الأدب بخطه ، وكان صحيحَ النقلِ جيدَ الضبط معتبرَ الخط في الغالب .

ـ 186 ـ

أحمد بن محمد بن عمـار بن مهدي بن إبـراهيم المهدوي أبـو العباس(1) المقرىء : ذكره الحميـدي فقال : أصله من المهـدية من بـلاد القيروان ، ودخـل الاندلس في حدود الثـلاثين وأربعمائـة أو نحوهـا ، وكان عـالماً بـالقراءات والأدب متقدماً ، ذكره لي بعض أهل العلم بالقراءات وأثنى عليه ، وأنشدني له في ظاءات القرآن :

---

185 ـ ترجمة الدلوي في تاريخ بغداد 4 : 377 والوافي 7 : 351 وطبقات السبكي 4 : 60 وبغية الوعاة 1 : 358 .

186 ـ هو عند الحميدي (106) أحمد بن محمد ، وعلّق محقق الجذوة أنه وجد بحاشية الأصل . . « هو أحمد بن عمار التميمي » ، ولهذا ترجم له في إنباه الرواة 1 : 91 وطبقات الجزري 1 : 92 والوافي 7 : 257 وبغية الوعاة 1 : 351 باسم أحمد بن عمار ؛ وذلك كله اعتماداً على ما ذكره ابن بشكوال في الصلة : 88 وقد جمع ياقوت بينهما ، والمهدوي نسبة إلى بلد المهدية ، وكنيته في المصادر أبو العباس .

(1) م : أبو القاسم .

ظنت عظيمة ظلمنا من حظها ... فظللت أوقظها لتكظمَ[1] غيظها
وظعنت أنظر في الظلام وظله ... ظمآن أنتظر الظهور لوعظها
ظهري وظفري ثم عظمي في لظى ... لاظاهرنّ لحظّها ولحفظها
لفظي شواظ أو كشمسٍ ظهيرة ... ظُفْرٌ لدى غِلَظِ القلوب وفظّها

[وله كتب في علم القرآن منها كتاب التحصيل في تفسير القرآن . وكتاب التفصيل في تفسيره أيضاً ، وله غير ذلك][2] .

ـ 187 ـ

أحمد بن محمد بن أحمد بن برد الأندلسي : ذكره الحميدي وقال : هو مولى أحمد بن عبد الملك بن عمر بن محمد بن شهيد ، أبو حفص الكاتب ، مليح الشعر بليغ الكتابة ، من أهل بيت أدب ورياسة ، له رسالة في السيف والقلم والمفاخرة بينهما ، وهو أول من سبق إلى القول في ذلك بالاندلس . وقد رأيته بالمرية بعد الأربعين وأربعمائة غير مرة .

---

187 ـ هذا هو المعروف بابن برد الأصغر تمييزاً له عن جده ، وقد ترجم له ابن بسام في الذخيرة 1 : 486 وله ترجمة في المطمح : 24 (وعنه نفح الطيب 3 : 545) والمغرب 1 : 86 والوافي 7 : 350 والمسالك 8 : 311 وجذوة المقتبس : 107 (وبغية الملتمس رقم : 354).

(1) ر : أكاظم .

(2) هذه العبارة التي بين معقفين كانت مدرجة في الترجمة التالية (ترجمة ابن برد الأندلسي) ولا نعلم أن لابن برد كتباً في القرآن ، وقد اعتمدنا في ردّها إلى موضعها الصحيح على إنباه الرواة فقد ذكر القفطي ان المهدوي ألف كتاب التفصيل في القرآن ، وهو كتابه الكبير في التفسير ، فقيل لمتولي البلد : ليس الكتاب له ، فامتحنه ذلك الوالي بأن أخذ الكتاب منه وطلب منه تفسيراً غيره فألف له التحصيل . قال القفطي : والكتابان مشهوران في الآفاق سائران على أيدي الرفاق ؛ قلت : وهذا خطأ قديم فيما يبدو لأن الصفدي وقع فيه وهو ينقل عن ياقوت ، ولم أتنبه له عند تحقيق الجزء السابع من الوافي لتباعد ما بين ترجمة ابن برد وابن عمار المهدوي هنالك .

وكان جده أحمد بن برد[1] وزيراً في الأيام العامرية وكاتباً بليغاً أيضاً مات سنة ثماني عشرة وأربعمائة ـ أعني الوزير ـ ومن شعر أحمد بن محمد هذا[2] :

تـأمـلْ فقـد شقَّ البهـارُ مُغَلِّسـاً ... كماميه عن نُوَّارِهِ الخضلِ النديِ
مــداهنُ تبـرٍ في أنــامـل فضــةٍ ... على أذرعٍ مخروطةٍ من زبـرجدِ

ومن شعره أيضاً[3] :

لــمــا بــدا فــي لازَوَرْ ... ديِّ الحــريـر وقــد بَهَــرْ
كَبَــرْتُ من فـرط الجمــا ... لِ وقلتُ مــا هــذا بَشَــرْ
فــأجــابـني لا تـنـكــرنْ ... ثـوبَ السمـاءِ على القمـرْ

ومن شعره أيضاً :

قلبي وقلبـك لا محالـةَ واحدٌ ... شهدتْ بذلـك بيننا الألحـاظُ
فتعال فلنغظِ الحسودَ بـوصلنا ... إنَّ الحسـودَ بمثل ذاك يغـاظُ

ـ 188 ـ

أحمد بن محمد بن هارون النزلي أبو الفتح النحوي : أخذ عن أبي الحسن علي بن عيسى الربعي ، وهو من أقران أبي يعلى ابن السراج .

188 ـ ترجمة النزلي في الوافي 8 : 96 وبغية الوعاة 1 : 385 .

(1) لابن برد الجد ترجمة موجزة في الجذوة : 111 (بغية الملتمس رقم : 387) وعلى الجذوة اعتمد ابن بشكوال في الصلة : 24 ، وانظر الذخيرة 1 : 103 .

(2) هذه المقطعات أوردها الحميدي .

(3) انظر الذخيرة 1 : 505 والمطمح : 24 والنفح 3 : 546 والشريشي 1 : 126 .

ـ 189 ـ

أحمد بن محمد العمركي[1] الهمذاني أبو عبد الله اللغوي : ذكره شيرويه بن شهردار فقال : روى عن عبد الرحمن بن حمدان الجلاب وأبي الحسين محمد بن الحريري[2] صاحب أبي شعيب الحراني وغيرهما ، روى عنه أبو عبد الله الامام وغيره .

ـ 190 ـ

أحمد بن محمد بن أحمد بن شهردار المعلم الأصبهاني : كان أديباً فاضلاً بارعاً في الأدب ، فصيحاً كثيرَ السماع حسنَ الخطِّ صاحبَ أصول ، مات في شوَّال سنة ست وأربعين وأربعمائة. قال يحيى بن منده : سمعت من الثقاتِ ، منهم أبو غالب ابن هارون تلميذه ، أنه كان رجلاً فاضلاً إلا أنه كان لا يصلّي الصلوات كما قيل .

ـ 191 ـ

أحمد بن محمد بن أحمد بن إبراهيم الميداني : أبو الفضل النيسابوري - والميدان محلة من محالّ نيسابور كان يسكنها فنسب إليها ـ ذكر ذلك عبد الغافر . وهو أديب فاضل عالم نحوي لغوي ، مات فيما ذكره عبد الغافر بن إسماعيل الفارسي في « السياق » في رمضان سنة ثماني عشرة وخمسمائة ، ليلة القدر ، ودفن بمقبرة الميدان . قرأ على أبي الحسن علي بن أحمد الواحدي وعلى يعقوب بن أحمد النيسابوري وله من التصانيف كتاب جامع الأمثال جيّد بالغ[3] . كتاب السامي في

189 ـ ترجمته في إنباه الرواة 1 : 129 والوافي 8 : 149 وبغية الوعاة 1 : 388 .

190 ـ ترجمته في الوافي 7 : 362 (وفي نسبه شهمردان بدلاً من شهردار) .

191 ـ ترجمة الميداني في نزهة الألباء : 272 وإنباه الرواة 1 : 121 وابن خلكان 1 : 148 والبداية والنهاية 12 : 194 والوافي 7 : 326 وبغية الوعاة 1 : 356 وإشارة التعيين : 46 وسير الذهبي 19 : 489 .

(1) م : العمودي .

(2) الوافي والانباه : محمد بن الجزري .

(3) طبع مراراً ، دونما تحقيق ثم صدر في خمسة أجزاء أحدها فهارس .

الأسامي[1] . كتاب الأنموذج في النحو . كتاب الهادي للشادي . كتاب النحو الميداني . كتاب نزهة الطرف في علم الصرف . كتاب شرح المفضليات . كتاب منية الراضي في رسائل القاضي .

وفي كتاب السامي في الأسامي يقول أسعد بن محمد المرساني :

هذا الكتابُ الذي سمَّاه بالسامي دَرجٌ من الدرِّ بل كنزٌ من السامِ
مـا صنَّفَتْ مثلَه في فنّـه أبـداً خواطرُ الناسِ من حام ومن سامِ
فيـه قـلائـدُ يـاقـوتٍ مفصّلةٌ لكـل أروعَ ماضي العزم بسامِ
فكعبُ أحمدَ مولاي الامام سما فوق السماكين من تصنيفه السامي

وسمعت في المفاوضة ممن لا أحصي أن الميداني لما صنَّف كتاب الجامع في الأمثال وقف عليه أبو القاسم الزمخشري فحسده على جودة تصنيفه ، وأخذ القلم وزاد في لفظة الميداني سينةً ، فصار النميداني ، ومعناه بالفارسية الذي لا يعرف شيئاً ؛ فلما وقف الميداني على ذلك أخذ بعض تصانيف الزمخشري فزاد في نسبته سينةً فصار الزنخشري ، ومعناه بائع زوجته .

وذكر محمد بن [أبي] المعالي بن الحسن الخواري في كتابه « ضالّة الأديب من الصحاح والتهذيب » وقد ذكر الميداني فقال : وسمعتُ غيرَ مرةٍ من كبار أصحابه يقولون : لو كان للذكاء والشهامة والفضل صورةٌ لكان الميداني تلك الصورة ، ومن تأمل كلامه واقتفى أثره علم صدق دعواهم . وكان ممن قرأ عليه وتخرّج به الامام أبو جعفر أحمد بن علي المقرىء البيهقي وابنه سعيد ، وكان إماماً بعده .

قال عبد الغافر بن اسماعيل : ومن أشعاره :

تنفَّسَ صبحُ الشيب في ليلِ عارضي فـقلتُ عسـاه يكـتفي بعـذاري
فلمـا فشـا عـاتبتـه فـأجـابني ألا هـل يُـرَى صبـحٌ بغيـر نهـارِ

وذكره أبو الحسن البيهقي في كتاب «وشاح الدمية» فقال[2]: الامام أستاذنا صدر الافاضل أبو الفضل أحمد بن محمد بن أحمد الميداني ، صدر الادباء وقدوة

(1) نشر بتحقيق الدكتور محمد موسى هنداوي ، القاهرة 1967 .
(2) نقله القفطي في الانباه 1 : 122 ـ 123 .

الفضلاء، قد صاحب الفضل في أيام نفد زاده ، وفني عتاده [وضاعت] عدته ، وبطلت أهبته ، فقوَّم سنادَ العلوم بعد ما غيَّرتها الأيام بصروفها ، ووضع أناملَ الأفاضلِ على خطوطها وحروفها ، ولم يخلقِ اللّه تعالى فاضلاً في عهده إلا وهو في مائدة آدابه ضيف ، وله بين بابه وداره شتاء وصيف ، وما على من عام لججَ البحرِ الخضمّ واستنزف الدررَ ظلمٌ وحيف . وكان هذا الامام يأكل من كسب يده ، ومما أنشدني رحمه اللّه لنفسه :

حننتُ إليهمْ والديارُ قريبةٌ ... فكيف إذا سار المطيُّ مراحلا
وقد كنتُ قبل البين لا كان بينهم ... أُعاينُ للهجرانِ فيهم دلائلا
وتحت سجوفِ الرقم أغيدُ ناعمٌ ... يميسُ كخوط الخيزرانةِ مائلا
وينضو علينا السيفَ من جفن مقلةٍ ... تريقُ دمَ الأبطالِ في الحبِّ باطلا
ويسكرنا لحظاً ولفظاً كأنما ... بفيه وعينيه سلافةُ بابلا

وله أيضاً :

شفةٌ لماها زاد في آلامي ... في رَشْفِ ريقتها شفاءُ سَقَامي
قد ضمَّنا جنحُ الدجى وللثمنا ... صوتٌ كقطِّكَ أرؤسَ الأقلامِ

ثم ذكر البيتين اللذين أولهما :

* تنفس صبحُ الشيب في ليل عارضي *

وقد مرَّ ذكرهما آنفاً ، ثم قال ، وله :

يا كاذباً أصبح في كِذْبِهِ ... أعجوبةً أيَّةَ أعجوبَهْ
وناطقاً ينطقُ في لفظةٍ ... واحدةٍ سبعين أكذوبهْ
شبَّهك الناسُ بعرقوبهم ... لما رأوا أَخذكَ أسلوبهْ
فقلت كلّا إنه كاذبٌ ... عرقوبُ لا يبلغ عرقوبهْ

ثم ذكر وفاته كما تقدم في رواية عبد الغافر ، ثم ذكر ولده سعيداً ، وقد ذكرناه في بابه[1] .

(1) الترجمة رقم : 528 .

ـ 192 ـ

أحمد بن محمد الصلحي أبو الخطاب : كان أديباً فاضلاً كاتباً حسنَ الخط ، وله شعر رقيق سائر ، ذكره أبو سعد في « المذيل » وأورد له هذين البيتين وهما :

يا راقدَ العينِ عيني فيك ساهرةٌ   وفارغَ القلب قلبي فيكَ ملآنُ
إني أرى منك عذبَ الثغر عذّبني   وأسهرَ الجفنَ جفنٌ منكَ وسنانُ

ـ 193 ـ

أحمد بن محمد بن القاسم بن أحمد بن خذيو الاخسيكثي ، أبو رشاد الملقب بذي الفضائل : مات ليلة الأحد الثامن من جمادى الأولى سنة ثمان وعشرين وخمسمائة ، وأخسيكث مدينة من فرغانة ـ يقال بالثاء والتاء ـ وكان هو وأخوه ذو المناقب محمد أديبي مرو غيرَ مدافعين ، يقرُّ لهما بذلك كلّهم ، قدما مرو وسكناها إلى أن ماتا .

وكان ذو الفضائل هذا شاعراً أديباً مصنفاً كاتباً مترسلاً في ديوان السلاطين ، وله تصانيف منها : كتاب في التاريخ . كتاب في قولهم كذبَ عليك كذا . كتاب زوائد في شرح سقط الزند . وغير ذلك .

قرأت في ديوان شعره بخطّه : أُنشدت لأبي العلاء :

هفتِ الحنيفةُ والنصارى ما اهتدت   ومجوسُ حارت واليهود مضللهْ
اثنان أهل الأرضِ ذو عقلٍ بلا   دينٍ وآخرُ ديِّنٌ لا عقلَ له

فقلتُ مجيباً له :

الدينُ آخذُهُ وتاركُهُ   لم يخفَ رشدهما وغيهما
رجلان أهلُ الأرض قلتَ ، فقل   يا شيخَ سوءٍ أنت أيهما

---

192 ـ ترجمة الصلحي في الوافي 8 : 138 .

193 ـ ترجمة الأخسيكثي في إنباه الرواة 1 : 132 والوافي 8 : 81 وبغية الوعاة 1 : 374 وانظر « الأخسيكثي » في الأنساب واللباب .

ذكره السمعاني في مشيخته فقال : كان أديباً فاضلاً بارعاً له الباعُ الطويلُ في معرفة النحو واللغة، واليدُ العليا الباسطةُ في النظم والنثر، وله ردود[1] على جماعة من قدماءِ الفضلاء، ومشاعراتٌ ومنافرات مع الفحول والكبراء، وكان أكثر فضلاء خراسان قرأوا الأدب عليه وتلمذوا له. سمع بأخسيكث أبا القاسم محمود بن محمد الصوفي، وبمرو جدّي أبا المظفر السمعاني . سمعتُ منه كتاب الآداب والمواعظ للقاضي أبي سعد الخليل بن أحمد السجزي بروايته عن محمود الصيرفي عن أبي عبيد الكرواني عن المصنف . كانت ولادته في حدود سنة ست وستين وأربعمائة ، وتوفي بمرو فجأة ليلة الاثنين لأربع ليال بقين من جمادى الآخرة سنة ثمان وعشرين وخمسمائة .

ـ 194 ـ

أحمد بن محمد الآبي أبو العباس : كان من أهل آبة من ناحية برقة ، وسافر إلى اليمن تاجراً ، واجتمع بأبي بكر السعيدي بعدن . وحدثني المولى المفضل جمال الدين بقصته مع السعيدي عنه أنـه سمعها منه ، ثم قدم الاسكندرية وأقام بها ، فجرى بينه وبين القاضي شرف الدين عبد الرحمن بن [شكر] قاضي الاسكندرية ما أحوجه إلى قدومه إلى القاهرة ، وشكا منه إلى الصاحب صفي الدين ابن شكر فلم يُشْكِهِ ، فأقام بالقاهرة إلى أن مات ، وكان شكواه من قَطْعِ رزقه من مسجدٍ كان يصلّي فيه أو نحو ذلك . وكان قدومه إلى القاهرة في سنة ست وستين وخمسمائة ، ومات بعد ذلك في نحو سنة ثمان وتسعين ، وصنَّف كتاباً في النحو رأيته بخطه ، وهي مسائل منثورة .

حدثني المولى القاضي المفضل جمال الدين قال : دخلتُ إلى الصاحب أبي بشر وهو في مجلسه ، فجلست إلى جانبه فانشدني متمثلاً :

إنّــكَ لا تـشكــو إلـى مُصَـمِّتِ   فاصبرْ على الحملِ الثقيلِ أو مُتِ

إشارةً إلى أنه لم يُشْكِهِ .

---

194 ـ ترجمة الآبي في الوافي 8 : 148 وبغية الوعاة 1 : 387 .

(1) م ر : ورود .

قال أبو زياد الكلابي : ومثلٌ من أمثال العرب « إنك لا تشكو إلى مصمت »[1] والتصميت أن تقول المرأة إذا بكى صبيها الرضيع ، وهي مشغولة عنه لبعض صبيانها أو لزوجها ، صَمِّتْ هذا الصبيَّ ، فيأتيه فيحتضنه[2] بيده حتى يسكت .

قال ، وحدثني قال : دخلت إلى مجلس الشيخ الموفق أبي الحجاج يوسف المعروف بابن الخلال كاتبِ الانشاءِ في أيام المصريين ، وكان الموفقُ قد عمل معمًّى في المرآة نثراً ، فقال لمن بحضرته : ما تقولون في قولي : شيءٌ شديدُ الباس ، يغيره الضعيف الأنفاس ، وذكر كلاماً بعده ، فاستدللت بهذه الفاتحة على أنه المرآة ، لأن الشديدَ الباسِ هو الحديد ، ويغير صقالها النفس ، فقلت له ذلك ، فاستحسن حدة خاطري .

أنشدني مولانا القاضي الإمام جمال الدين أبو الحجاج يوسف ابن القاضي الأكرم علم الدين أبي طاهر إسماعيل بن عبد الجبار بن أبي الحجاج قال : أنشدني أبو العباس أحمد بن محمد الآبي ممتدحاً لي ، وكتبته أنا من خطه بيده :

يا خيرَ من فاق الأفاضلَ سؤددا ... وامتاز خِيماً[3] في الفخارِ ومحتِدا
وسما لأعلام المعالي فاحتوى ... فضلاً به يُهْدَى وفضلا يُجْتَدى
وإذا الرياسة لم تُزَنْ بمعارفٍ ... وعوارفٍ يُسْدَى بها كانت سدى
لا تنسَ من لم ينسَ ذكرك أحمدا ... وافى جنابكم الكريمَ فأَحمدا
يُهدي إلى الأسماع من أوصافكم ... مُلَحاً كزهرِ الروض باكره الندى
مستحسناتٍ كلّما كررتها ... لم تسأم الأسماعُ منها موردا
والفضلُ فيه لكم ومنكم إنما ... يُعْزَى المضاعفُ في الجميل لمن بدا
كالزُّهر تسقي الزَّهر صيِّبَ أفقها ... فيعودُ منه نشره مُتَصعِّدا
جاد الغمامُ على الكِمامِ بمائه ... عذباً فنضَّر ما حوته ونضدا

(1) في أمثال أبي عبيد : 283 إنك لتشكو إلى غير مصمت . وفصل المقال : 400 والرجز في اللسان والتاج (صمت) .
(2) م : فيختصُّه ، وأثبتّ قراءة ر ، ولعل الصواب : فيختضه .
(3) ر : جسماً .

وإذا امرؤ أسدى لحرٍّ نعمة ... بدءاً تملكه بها واستعبدا
دُعِيَ المفضلَ إذ تسامى فضله ... شرفاً على نُظَرائه واستمجدا

ـ 195 ـ

أحمد بن محمد بن جعفر بن مختار الواسطي أبو علي النحوي العدل ابن أخي أبي الفتح محمد بن محمد بن جعفر بن مختار النحوي الذي يأتي ذكره فيما بعد(1) إن شاء الله تعالى: مات بعد سنة خمسمائة وله عَقِبٌ بواسط. أخذ النحوَ عن أبي غالب ابن بشران، وكان منزله مألفاً لأهل العلم، وكان من الشهودِ المعدَّلين، وكان طحاناً بمشرعة التنانيريين بواسط.

حدثني أبو عبد اللّه محمد بن سعد بن الحجاج الدبيثي قال، حدثني عبد الوهاب بن غالب عن الشريف أبي العلاء ابن التقي قال: قدم إلى واسط في بعض الأعوام عسكرُ الأعاجم فنهبوا قطعةً من البلد، ونهبوا دكانَ الشيخ أبي علي ابن مختار ونزلوا بداره، قال الشريف: فدخلتُ معه إليهم نستعطفهم أن يردُّوا عليه بعضَ ما أخذوا منه، فلم نر لذلك وجهاً، وخرجنا وهو يقول:

تذكرتُ ما بين العُذَيبِ وبارقِ ... مجرَّ عوالينا وَمُجْرَى السوابقِ

ثم التفت إليَّ فقال: ما العاملُ في الظرف في هذا البيت؛ فقلت له: يا سيدي ما شغلك ما أنت فيه عن النحو والنظر فيه؟ فقال: يا بني وما يفيدني إذا حزنت؟!

وحدث الحافظ أبو طاهر أحمد بن محمد السلفي قال، أنشدني الشيخ أبو علي أحمد بن محمد بن مختار المعدل بواسط لنفسه، وأفادنيه خميس بن علي الحافظ(2):

---

195 ـ ترجمته في إنباه الرواة 1: 133 وسؤالات الحافظ السلفي: 55 ـ 56 والوافي 8: 14 وبغية الوعاة 1: 364.

(1) ترجمته رقم: 1103.
(2) سؤالات الحافظ السلفي: 108 (وفيه المقطوعتان).

كم جاهلٍ متواضعٍ ستر التواضعُ جَهْلَهُ
ومميّزٍ في علمه هَدَمَ التكبرُ فضله
فدعِ التكبرَ ما حييتَ ولا تصاحبْ أهله
فالكبرُ عيبٌ للفتى أبداً يقبّح فعله

وأنشد له :

ما هذه الدنيا بدارِ مسرَّةٍ فتخوّفي مكراً لها خَدّاعا
بينا الفتى فيها يُسَرُّ بنفسه وبماله يستمتعُ استمتاعا
حتى سقته من المنيةِ شَرْبَةً وحمته منها بعد ذاك رضاعا
فغدا بما كسبتْ يداهُ رهينةً لا يستطيعُ لما عراه دفاعا
لو كان ينطقُ قال من تحت الثرى فليحسنِ العملَ الفتى ما استطاعا

ـ 196 ـ

أحمد بن مروان المؤدّب أبو مسهر : من أهل الرملة، عالم باللغة ، كان في أيام المتوكل ، وهو القائل :

غيثٌ وليثٌ فغيثٌ حين تسألُه عُرفاً وليثٌ لدى الهيجاءِ ضرغامُ
يحيا الأنام به في الجدبِ إن قَحَطُوا جوداً وتشقَى به يومَ الوغى الهامُ
حالان ضدّان مجموعان فيه فما ينفكّ بينهما بُؤْسَى وإنعام
كالمزنِ تجتمع الحالات فيه معاً ماءٌ ونارٌ وإرهامٌ وإضرام

196 ـ الوافي 8 : 175 وبغية الوعاة 1 : 391 .

ـ 197 ـ

أحمد بن مطرّف بن إسحاق القاضي ، أبو الفتح المصري : كان في الدولة المصرية في أيام الحاكم ، وله تآليف في الأدب منها : كتابِ النوائح . كتاب كبير في اللغة . ورسالة في الضاد والظاء ، كتب بها إلى الشريف أبي الحسن محمد بن القاسم الحسيني عامل تنيس .

ـ 198 ـ

أحمد بن مطرّف أبو الفتح العسقلاني : كان يلي القضاء بدمياط ، ومات في سنة ثلاث عشرة وأربعمائة ، ومولده سنة نيف وعشرين وثلاثمائة . وكان أديباً فاضلاً ، وله كتب كثيرة مصنّفة في الأدب وفي اللغة وغيرهما . وديوان شعره جمعه على نسختين إحداهما معربة ، والأخرى مجردة ، يكون دون ألفِ ورقة ـ قال ذلك كله أبو عبد الله الصوري الحافظ ، وحكى أنه أنشده قطعةً من شعره ، وناوله بقيته ، وأذن له في روايته عنه ورواية سائر مصنفاته ، قال : ومما أحفظ له من قطعة أنشدنيها لنفسه أولها :

علمي بعاقبةِ الأيام يكفيني ... وما قضى اللّه لي لا بدَّ يأتيني

يقول فيها :

ولا خلافَ بأن الناس مذ خلقوْا ... فيما يرومون معكوسو القوانينِ

إذ يُنْفَقُ العمرُ في الدنيا مجازفةً ... والمالُ يُنْفَقُ فيها بالموازين

ـ 199 ـ

أحمد بن موسى بن أبي عمار الحناط صاحب أبي عبيد القاسم بن سلام : مات فيما ذكره ابن بنت الفريابي في سنة إحدى وثمانين ومائتين .

197 ـ الوافي 8 : 181 وبغية الوعاة 1 : 391 .

198 ـ الوافي 8 : 181 وبغية الوعاة 1 : 391 وفي ر : العمري من ولد محمد بن زيد بن عبد اللّه بن عبد اللّه ابن عمر .

- 200 -

أحمد بن موسى بن العباس بن مجاهد المقرىء أبو بكر : قال الخطيب : كان شيخ القرّاء في وقته ، والمقدمَ منهم على أهل عصره ، مات فيما ذكره الخطيب في شعبان سنة أربع وعشرين وثلاثمائة ، ودفن في مقبرة باب البستان من الجانب الشرقي ، ومولده في ربيع الآخر سنة خمس وأربعين ومائتين .

قال الخطيب : وحدث عن عبد الله بن أيوب المخرمي[1] ومحمد بن الجهم السمري وخلق غيرهما . وحدث عنه الدارقطني وأبو بكر الجعابي وأبو بكر ابن شاذان وأبو حفص ابن شاهين وغيرهم . وكان ثقةً مأموناً يسكن بالجانب الغربي نحو مربعة الخرسي .

حدث أبو بكر الخطيب قال ، قال ثعلب النحوي في سنة ست وثمانين ومائتين : ما بقي من عصرنا هذا أعلم بكتاب الله من أبي بكر ابن مجاهد .

وحدث أبو بكر المحبري[2] قال : صليتُ خلف أبي بكر ابن مجاهد صلاةَ الغداة فاستفتح بقراءة الحمد ، ثم سكت ، ثم استفتح ثانية ثم سكت ، ثم ابتدأ بالقراءة فقلت : أيها الشيخ رأيتُ اليومَ منك عجباً ، فقال لي : شهدت المكان ؟ فقلت : نعم ، فقال : أشهدك الله إن حدثت به عني إلى أن أوارى تحت أطباق الثرى ، ثم قال لي : يا بني ما هو إلا أن كبّرتُ تكبيرةَ الإحرام حتى كأني بالحجب قد انكشفت ما بيني وبين ربِّ العزة تعالى سرّاً بسرّ ، ثم استفتحت بقراءة الحمد فاستجمع كلّ حمد للّه في كتابه ما بين عينّي فلم أدر بأيِّ الحمدلة ابتدىء .

وحدث عيسى بن علي بن عيسى الوزير قال : أنشدني أبو بكر ابن مجاهد، وقد

---

200 - ترجمة ابن مجاهد في الفهرست: 34 وتاريخ بغداد 5 : 144 - 148 والمنتظم 6 : 282 وطبقات الجزري 1 : 139 وسير الذهبي 15 : 272 وعبر الذهبي 2 : 201 والوافي 8 : 200 والشذرات 2 : 302 ومرآة الجنان 2 : 288 وطبقات السبكي 3 : 57 .

(1) سير الذهبي : محمد بن عبد اللّه المخرمي .
(2) م : النحوي .

جئته عائداً ، وأطال عنده قوم كانوا قد حضروا لعيادته ، فقال لي : يا أبا القاسم عيادة ثم ماذا ؟ فصرف من حضر ، ثم هممتُ بالانصراف معهم فأمرني بالرجوع إليه ، ثم أنشدني عن محمد[1] بن الجهم السمري :

لا تُضْجِرَنَّ مريضاً جئتَ عائدَهُ   إنّ العيادة يومٌ إثرَ يومينِ
بل سَلْهُ عن حاله وادعُ الإله له   واقعدْ بقدرِ فُواقٍ بين حَلْبين
من زار غبّاً أخاً دامتْ مودتُهُ   وكان ذاك صلاحاً للخليلين

وحدث الحسين بن محمد بن خلف المقرىء قال : سمعت أبا الفضل الزهري يقول : انتبه أبي في الليلة التي مات فيها أبو بكر ابن مجاهد فقال : يا بني ترى من مات الليلة ؟ فإني قد رأيت في منامي كأنَّ قائلاً يقول : قد مات الليلة مقوّم وحي الله منذ خمسين سنة . فلما أصبحنا إذا ابن مجاهد قد مات ، آخر ما نقلناه من « تاريخ الخطيب » .

وذكره محمد بن إسحاق في كتابه فقال : كان ابن مجاهد مع ما عرف به من الفضل واشتهر عنه من العلم والنبل كثيرَ المداعبة طيّبَ الخلق ، وله من الكتب : كتاب القراءات الكبير . كتاب القراءات الصغير . كتاب الياءات . كتاب الهاءات . كتاب قراءة أبي عمرو . كتاب قراءة ابن كثير . كتاب قراءة عاصم . كتاب قراءة نافع . كتاب قراءة حمزة . كتاب قراءة الكسائي . كتاب قراءة ابن عامر . كتاب قراءة النبي ﷺ . كتاب السبعة[2] . كتاب انفرادات القراء السبعة . كتاب قراءة علي بن أبي طالب رضي الله عنه .

قال ابن مجاهد : سألني الوزير علي بن عيسى عن الحجة في اظهار الميم عند قوله : لهم فيها ، فقلت : ليس الحجة عليّ ، أنا رأيت ميماً وفاء فنطقت بهما ، الحجة عليّ حين أدغم .

نقلت من خط أبي سعد السمعاني واختياره لتاريخ يحيى بن منده ، سمعت الإمام أبا المظفر عبد الله بن شيث المقرىء يقول ، سمعت أحمد بن منصور المذكّر

(1) م : علي .
(2) نشر بتحقيق أستاذنا الدكتور شوقي ضيف ، القاهرة .

يقول ، سمعت أبا الحسن ابن سالم البصري الصوفيّ يقول ـ وهو صاحب سهل بن عبد الله التستري ـ قال سمعت أبا بكر محمد بن مجاهد المقرىء يقول : رأيت رب العزة في المنام ، فختمت عليه ختمتين ، فلحنتُ في موضعين فاغتممت ، فقال : يا ابن مجاهد الكمالُ لي الكمالُ لي .

قرأت في « تاريخ خوارزم » في ترجمة أبي سعيد أحمد بن محمد بن حمديج الحمديجي قال : كنت أختلف إلى أبي بكر ابن مجاهد المقرىء البغدادي ، فكان يكرمني لفقهي ، فاشتهيت أن أقرأ عليه لما رأيتُ من ولوع الناس بالقراءة عليه ، فقلت له : إني أريد أن أقرأ عليكَ القرآن ، فقال : نعم إن كنت تريد القراءةَ فاجلس مجلس التلامذة ، قال : فتحولت من جنبه إلى بين يديه ، فلما افتتحتُ القراءة على رسم العامة وقلت : بسم الله الرحمن الرحيم قال : أو كذا تقرأ اذهب إلى ذلك الفتى حتى يرشدك ثم اقرأ عليَّ فخجلتُ من ذلك وترك إكرامي كما كان يكرمني قبل ذلك لما عرف بضاعتي في القراءة .

وقال التنوخي : بلغني عن أبي بكر ابن مجاهد أنه قال : الناس أربعة : مليح يتبغض لملاحته فيحتمل ، وبغيض يتملّح فذاك الحمى والداء الذي لا دواء له ، وبغيض يتبغض فيعذر لأنه طبعه ، ومليح يتملح فتلك الحياة الطيبة .

قرأت[1] بخط ابن مختار العلوي قال ابنُ خالويه : كنتُ عند أبي عمر الزاهد فجاء شابٌّ مقرىءٌ من أهلِ باب الشام فقال : سمعتُ ابن مجاهد يقول : رأيتُ رسول اللّه في النوم فقرأتُ عليه سورة الأنعام ، فلما بلغت إلى رأس خمس وثلاثين ﴿ **إنَّما يَسْتَجِيبُ الَّذِينَ يَسْمَعُونَ** ﴾ (الأنعام: 36) أومأ بيده إليَّ أن قِفْ ، فوقفتُ فقلت : لو كان [ابن] مجاهدٍ على مائة فرسخ وجب أن أصيرَ إليه لأسمعَ هذه الحكاية منه ، فصرتُ إليه من جامع المدينة إلى سوق العطش فسألته فقال : لا والله ما كان من هذا شيء ، وهذا بالحقيقة وَقْفٌ حسن .

ومن تاريخ ابن بشران : كان ابن مجاهد كثيراً ما ينشد :

إذا عقد القضاءُ عليكَ أمراً   فليس يحلُّهُ إلاّ القضاءُ

(1) هذه الفقرة زيادة من ر .

قال: وذكر عن ابن مجاهد أنه حضر وجماعة من أهل العلم في بستان، وداعب وقال وقد لاحظه بعضهم : التعاقل في البستان كالتخالع في المسجد .

وروي عن أبي طالب الهاشمي صهرِ أبي بكر ابن مجاهد قال: كنت عند ابن مجاهد وقد حضرته الوفاة ، فقال لي : أَخْرِجْ مَنْ ها هنا مِن أهلنا ، قال : ففعلت ذلك ، ثم قال لي : وتباعد أنت أيضاً ، فوقفتُ عنه بعيداً فاستقبل القبلة وأقبل يتلو آيات من القرآن ثم خفت صوته فلم يزل يتشاهد إلى أن طفي .

قال : وكان له جاه عريض عند السلطان ، وسأله بعض أصحابه كتاباً إلى هلال بن بدر في حاجة له ، فكتب إليه كتاباً وختمه ولم يقف عليه فلما صار إلى هلال وسلَّم إليه الكتاب قضى حوائجه وبلغ له فوق ما أراد ، فلما أراد أن ينصرف قال له : تدري ما في كتابك ؟ قال : فأخرجَهُ وفيه بسم اللَّه الرحمن الرحيم حاملُ كتابي إليك حاملُ كتابِ اللَّه عني ، والسلام ، وصلى اللَّه على سيدنا محمد وآله أجمعين .

- 201 -

أبو أحمد النهرجوري الشاعر العروضي(1): له في العروض تصانيف، وهو به عارف حاذق يجري مجرى أبي الحسن العروضي والعمراني وغيرهما فيه ، وهو مع ذلك شاعر متوسط الطبقة ، وهو من أهل البصرة . حدثني أبو الحسن علي بن محمد بن نصر الكاتب قال : اجتمعت به بالبصرة في سنة تسع وتسعين وثلاثمائة وأنا في جملة أبي العباس ابن ماسرجيس وسافرنا عنها إلى أرَّجان [مع] بهاء الدولة ، وخرج النهرجوري معنا وأقام في مصاحبته إلى أن تقلد أبو الفرج محمد بن علي الخازن البصرة في أواخر سنة اثنتين وأربعمائة فعاد معه إليها ، ثم وردتها في ذي القعدة

201 - الوافي 8 : 301 وقد عده البيهقي في تاريخ حكماء الإسلام: 35 أحد إخوان الصفا ؛ ويرد مكانه في الإمتاع 2 : 5 أبو أحمد المهرجاني (وفي أصل الإمتاع ما يشبه النهرجوري) .

(1) في م : أحمد النهرجوري أبو أحمد .

سنة ثلاث وأربعمائة متصلاً بخدمة شاهنشاه الأعظم جلال الدولة ابن بهاء الدولة وقد مات النهرجوري قبل ذلك بشهور بعلة طريفة لحقته من ظهور القمل في جسمه عند حكه إياه إلى أن مات . وكان شيخاً قصيراً شديدَ الأُدْمَةِ سخيفَ اللبسة وسخَ الجملة سيّءَ المذهب متظاهراً بالإلحاد غير مكاتم له ، ولم يتزوج قط ولا أعقب ، وكان قويَّ الطبقة في الفلسفة وعلوم الأوائل ، ومتوسطاً في علوم العربية وعلمه بها أكثر من شعره . وكان ثلاَّبةً للناس هجاءً قليلَ الشكر لمن يحسنُ إليه غيرَ مراعٍ لجميل يُسْدَى إليه . وأنشدني أشياء كثيرة من شعره ومنه :

من عاذري من رئيسٍ يعدُّ كسبيَ حَسْبِي
لما انقطعتُ إليه حصلتُ منقطعاً بي

فسمع ذلك أبو العباس ابن ماسرجيس فقال : هذا تدليس منه وأنا المقصود بالهجو ، وإنما قال : من عاذري من وزير ، وقد راقبني في تعبيره ، فلما توفي النهرجوري حُمِلَ إلى أبي العباس مُسَوَّداته ، فوجد فيها القطعة منسوبة إليه فأخرجها ووقفني عليها وعرفني صحَّةَ حدسه فيه .

ومن شعره في أبي الوفاء ابن الصيقل :

ما اسْتُخْرِجَ المالُ بمثِل العصا لطالبيه من أبي الغدر
أليسَ قد أخرج موسى بها لقومه الماءَ من الصخر

وله أيضاً :

صاح نديمي وشفَّهُ الطربُ يا قومَنا إنّ أمرنا عجبُ
نارٌ إذا الماء مسَّها زفرتْ كأنها لالتهابها حطبُ

وله يهجو طبيباً من أهل الأبلّة يُعْرَفُ بابن غسان ، وكان قد أُغري بهجائه :

يا طبيباً داوى كسادَ ذوي الأكفا نِ حتى أعادهم في نَفاقِ
إن تكنْ قد وصلتَ رزقهمُ فيـ ـها فكم قد قطعتَ من أرزاق
وقَّع اللَّه في جبينك للأر زاقِ أن ودِّعي وداعَ الفراق

وله فيه أيضاً :

يا ابنَ غسانَ أنت ناقضتَ عيسى فهو يحيي الموتى وأنت تميتُ
يشهدُ القلبُ أنه يقدم الغا سل أو أنّ دَسْتَهُ تابوت

وقال في أبي إسحاق الصابىء يمدحه وهو بالبصرة بقصيدة أولها :

لا يذهبنّ عليكِ في العوّادِ ضعفُ القوى وتفتتُ الأكبادِ
لا تسألي عني سواكِ فإنما ذكراكِ أنفاسي وحبّك زادي
يا سمحةً بدمي على تحريمه فيما يظنّ أصادقٌ وأعادي
حاشاكِ أن ألقاك غيرَ بخيلةٍ أو أن أرى ما لا يزينُ رشادي

وله يهجو امرأة :

تموتُ من شهوةِ الضراط ولا يسعدها دُبْرُهَا بتصويتِ
كأنها إذ تناك خابيةٌ تُغْسَلُ ملقيّةً لتزفيت

وله أيضاً :

لو كان يورث بالمشابه ميّتٌ لملكتَ بالأعضاء ما لا يملكُ
نَغْلٌ مخايلُهُ تخبّر أنه في الناس من نُطَفِ الجميع مُشَبَّكُ

قالوا : ولم يكن وسخه وقذارته عن فقر ، فإن حاله كانت مستقيمة حسنة ، بل كانت لعادة سيئة فيه ، وكان الناس يتقون لسانه وكثرة هجائه .

قال ابن نصر : ومدح أبو أحمد النهرجوري أبا الفرج منصور بن سهل المجوسي عامل البصرة ، فأعطاه صلةً حاضرةً هنية والتفّ به الحواشي فطالبوه ، فكتب رقعة ودفعها إلى بعض الداخلين إليه وقال : تسلّم هذه إلى الأستاذ ، وكان فيها :

أجازني الأستاذ عن مدحتي جائزةً كانت لأصحابِهِ
ولم يكن حظيَ منها سوى جَهْبَذتي يوماً على بابه

فلما وصلت إليه الرقعة خرَّج في الحال مَنْ صَرَفَ الحواشيَ عنه ، وصار معه حتى دخل منزله .

ـ 202 ـ

أحمد بن نصر بن الحسين البازيار أبو علي: كان نديماً لسيف الدولة بن حمدان، وكان أبوه نصر بن الحسين من ناقلة سامرّا، واتصل بالمعتضد وخدمه وخفَّ على قلبه، وأصله من خراسان، وكان يتعاطى لعب الجوارح، فردَّ إليه المعتضد نوعاً من أنواع جوارحه. ومات أبو علي بحلب في حياة سيف الدولة. وله من الكتب: كتاب تهذيب البلاغة، ذكر ذلك كله محمد بن إسحاق النديم[1].

قال ثابت بن سنان[2]: مات أبو علي أحمد بن نصر بن البازيار بالشام في سنة اثنتين وخمسين وثلاثمائة. وحدث أبو جعفر طلحة بن عبد الله بن قناش صاحب «كتاب القضاة» قال: كنا بحضرة سيف الدولة ـ وقد كان من ندمائه ـ قال: كان يحضر معنا مجلسه أبو نصر البنص، وكان رجلاً من أهل نيسابور أقام ببغداد قطعةً من أيام المقتدر وبعدها إلى أيام الراضي، وكان مشهوراً بالطيبة والخلاعةِ وَخِفَّةِ الروح وَحُسْنِ المحاضرة مع العفة والستر، وتقلد الحكم في عدة نواحٍ بالشام، فقيل له يوماً بحضرة سيف الدولة: لم لُقِّبْتَ البنص؟ فقال: ما هذا لقب وإنما هو اشتقاق من كنيتي، كما لو أردنا أن نشتق من أبي علي مثل هذا (وأومأ إلى ابن البازيار) لقلنا البعل، أو اشتققنا من أبي الحسن (وأومأ إلى سيف الدولة) لقلنا البحس، فضحك سيف الدولة منه ولم ينكر عليه. وقد استدللت بهذه الحكاية على عظم قدر ابن البازيار عند سيف الدولة إذ قَرَنَ اسمه باسمه.

قال أبو علي عبد الرحمن بن عيسى بن الجراح في «تاريخه»: لما ورد ناصر الدولة إلى بغداد، وقد رُدّ إليه تدبير العساكر وإمرة الأمراء، قلَّد الوزيرُ أبو إسحاق

---

202 ـ بغية الطلب 2: 88 والوافي 8: 214 ونقل ابن العديم من كتاب «معرفة شرف الملوك» أن سيف الدولة كان يترحم على أبي علي البازيار ويقول: رحمك الله يا أبا علي كان يقول لي وأنا أفوض إلى «نجا» وأعطيه وأرفع منزلته: أيها الأمير إنك تعقد عقداً فانظر كيف تحله (ثم كان من عصيان نجا ما كان).

---

(1) الفهرست: 145 ـ 146 ونقله ابن العديم 2: 89 من خط مظفر الفارقي.

(2) نقله عن ثابت أيضاً ابن العديم 2: 89 وانظر نشوار المحاضرة 1: 95.

أحمد بن محمد القراريطي إبراهيمَ بن أخي أبي الحسن عليِّ بن عيسى أصل ديوانِ المشرق وزمامَ البرّ وزمامَ المغرب وزمام الضياع[1] وديوان الفراتية مدةً من الزمن ، ثم آستشفع أحمدُ بن نصر البازيار إلى الوزير القراريطي[2] بابن مكرم كاتبِ ناصرِ الدولة ، فقلَّده ديوانَ المشرق وزمامَ البرِّ وزمام المغرب[3] وعوَّض أبا نصر إبراهيم بن أخي أبي الحسن مكانَ ما صرفه عنه : ديوانَ البر وديوانَ ضياعِ ورثةِ موسى بن بغا.

الأصل : نقلتُ هذا من خط إبراهيم بن أخي أبي الحسن علي بن عيسى صاحب هذه القصة ، فإن النسخة بالتاريخ كانت بخطه.

وذكر هلال أن أحمد بن نصر البازيار كان ابن أخت أبي القاسم علي بن محمد بن الحواري.

وكان أبو العباس الصفري شاعرُ سيف الدولة قد حُبِسَ لمحاكمةٍ كانت بينه وبين رجلٍ من أهل حلب ، فكتب إلى ابن البازيار من محبسه :

كذا الدهرُ بوسٌ مرةً ونعيمُ ... فلا ذا ولا هذا يكادُ يدومُ
وذو الصبر محمودٌ على كلِّ حالةٍ ... وكلُّ جزوعٍ في الأنام ملومُ

يقول فيها :

أترضى الطهمّانيّ[4] قاض بحبسه ... إذا اختصمتْ يوماً إليه خصومُ
وإنَّ زماناً فيه يَحْبِسُ مثلُهُ ... لمثلي زمانٌ ما علمتَ لئيم
يكادُ فؤادي يستطيرُ صبابةً ... إذا هبَّ من نحو الأمير نسيم
هل آنت ابنَ نصرٍ ناصري بمقالةٍ ... لها في دجى الخطبِ البهيم نجوم
ولائمُ قاضٍ ردَّ توقيعَ مَنْ به ... غدا قاضياً فالأمرُ فيه عظيم
ومتخذُ عندي صنيعةَ ماجدٍ ... كريمٍ نماه في الفخارِ كريم

---

(1) م : المنبع .
(2) هذه الجملة شديدة الاضطراب في م .
(3) نقل ابن العديم من كتاب الأوراق للصولي ما نصّه (في حوادث سنة 330) وقلّد (أي أبو إسحاق القراريطي) أحمد بن نصر البازيار أبا علي زمام السواد إلى ما كان قلّده إياه أحمد بن علي الكوفي .
(4) كذا في ر ؛ وفي م : الطماى .

ـ 203 ـ

أحمد بن هبة الله بن العلاء بن منصور المخزومي أبو العباس الأديب النحوي المعروف بالصدر ابن الزاهد: مات في الثالث عشر من رجب سنة إحدى عشرة وستمائة وقد نيف على الثمانين، وكان له اختصاص عظيم بالشيخ أبي محمد ابن الخشاب لا يفارقه، فحصل منه علماً جماً، وصارت له يدٌ باسطة في العربية واللغة، وكان قرأ قبله على أبي الفضل ابن الأشقر. وكان كيساً مطبوعاً خفيفَ الروح حسنَ الفكاهة، وسمع من عبد الوهاب الأنماطي وابن الماندائي وغيرهما.

أنبأنا أبو عبد الله الدبيثي قال: أنشدني أبو العباس أحمد بن هبة اللّٰه الأديب لفظاً، قال أنشدني الأمير أبو الفوارس سعد بن محمد الصيفي لنفسه[1]:

أُجنّبُ أهلَ الأمرِ والنهي زورتي وأغشى امرءاً في بيته وهو عاطلُ
وإني لسمحٌ بالسلام لأشعثٍ وعند الهمام القَيْلِ بالردِّ باخل
وما ذاك من كبرٍ ولكنْ سجيةٌ تعارِضُ تيهاً عندهم وتساجل

ذكره العماد في الخريدة فقال[2]: هو من الفقهاء بالنظامية، ذو الخاطر الوقاد[3]، والقريحة والانتقاد، وله يد في العربية والنحو، قرأ على شيخنا أبي محمد [ابن] الخشاب، وأنشدني لنفسه:

ومهفهفٍ يسبيك خَطُّ عِذاره ويريك ضوءَ البدرِ في أزرارِهِ
حَسَدتْ شمائلَهُ الشَّمولُ وهجَّنت لطفَ النسيم يهبُّ في أسحاره[4]
وإذا أردت جفاه قال لي الهوى هو في الفؤاد فدارِهِ في داره

203 ـ ترجمته في إنباه الرواة 1: 138 ومختصر ابن الدبيثي: 224 والوافي 8: 223 وبغية الوعاة 1: 395.

(1) سعد بن محمد الصيفي هو الشاعر المشهور بالحيص بيص (توفي سنة 574) وأبياته هذه في ديوانه 2: 323.

(2) الخريدة (قسم العراق) 3/1: 256.

(3) الخريدة: له الخاطر الجواد.

(4) الأبيات الأربعة التالية من ر، وهي عند العماد والصفدي.

لم أضمر السلوانَ عنه ساعةً إلا استعذت وتبت من إضماره
دقَّتْ معاقدُ خصره فكأنها الـ ـمعنى الخفيّ يجول في أفكاره
وكأن وجنته وحمرة خده ورد غذاه الطلّ في أسحاره

وله قصيدة كتبها إلى الملك الناصر يوسف بن أيوب منها[1] :

إنَّ الأكاسرةَ الألى شادوا العلا بين الأنام فَمُفْضِلٌ أو مُنْعِمُ
يشكون أنك قد نَسَخْتَ فعالَهُمْ حتى تُنُوسِيَ ما تقدَّم منهم
وسننتَ في شرعِ المكارم[2] ما عَمُوا عن بعضه وفهمتَ ما لم يفهموا

وله أيضاً[3] :

ماذا يقولُ لك الراجي وقد نفدتْ فيك المعاني وبحرُ القولِ قد نُزفا
وما له حيلةٌ إلا الدعاءُ فإن يُسْمعْ يظلَّ عليه[4] الدهرَ معتكفا

ـ 204 ـ

أحمد بن الهيثم بن فراس بن محمد بن عطاء السامي: قال المرزباني: هو أحد الرواة المكثرين، روى عنه الحسن بن عليل العنزي وأبو بكر وكيع.

قلت: وكان أبوه الهيثم بن فراس شاعراً مكثراً، وكان جده فراس من شيعة بني العباس، وقد أدرك دولة هشام بن عبد الملك، وله في أول الدولة أخبار. فحدَّث المرزباني بإسناد رفعه إلى الهيثم بن فراس قال: أنشدت عمار بن ثمامة:

---

204 ـ تاريخ بغداد 5: 192 والوافي 8: 228 .

(1) الخريدة 3/1 : 257 ـ 258 .
(2) م : الممالك ، والتصويب عن الخريدة .
(3) المصدر السابق .
(4) ر : تسمع . . . عليك .

ينادي الجارُ خادِمَهُ فتسعَى مشمرةً إذا حضر الطعامُ
وأدعو حين يحضرني طعامي فلا أمةٌ تجيبُ ولا غلام

وحدّث عن محمد بن العباس عن المبرد قال، قال الهيثم بن فراس في الفضل بن مروان وزير المعتصم[1] :

تَجَبَّرتَ يا فضلُ بنَ مروان فاعتبر فقبلك كان الفضلُ والفضلُ والفضلُ
ثلاثةُ أملاكٍ مَضَوْا لسبيلهم أبادهم الموتُ المشتّت والقتل

يريد الفضل بن يحيى والفضل بن الربيع والفضل بن سهل

فإنك قد أصبحت في الناس ظالماً ستودي كما أودى الثلاثةُ من قبلُ

ـ 205 ـ

أحمد بن يحيى بن جابر بن داود البلاذري أبو الحسن، وقيل أبو بكر: من أهل بغداد، ذكره الصولي في ندماء المتوكل على الله، مات في أيام المعتمد على الله في أواخرها، وما أبعد أن يكون أدرك أول أيام المعتضد. وكان جده جابر يخدم الخصيب صاحب مصر.

وذكره ابن عساكر في «تاريخ دمشق»[2] فقال: سمع بدمشق هشام بن عمار وأبا حفص عمر بن سعيد، وبحمص محمد بن مُصَفّى، وبأنطاكية محمد بن عبد الرحمن بن سهم وأحمد بن برد الأنطاكيين، وبالعراق عفان بن مسلم وعبد الأعلى بن حماد وعلي بن المديني وعبد الله بن صالح العجلي ومصعباً الزبيري وأبا عبيد القاسم بن سلام وعثمان بن أبي شيبة وأبا الحسن علي بن محمد المدائني

205 ـ الفهرست: 125 وبغية الطلب 2: 116 وسير الذهبي 13: 162 والوافي 8: 239 (ويعتمد ياقوت على ابن عساكر، المصورة 2: 269 وابن النديم: 125 والجهشياري ومعجم المرزباني وأمالي ابن المنجم والوزراء للصولي) وزاد ابن عساكر في كناه: «أبو جعفر».

(1) ابن خلكان 4: 45 ـ 46 (عن المرزباني) وربيع الأبرار 2: 832.
(2) المصورة وتهذيب ابن عساكر 2: 112 ومختصر ابن منظور 3: 319 وبغية الطلب.

ومحمد بن سعد كاتب الواقدي وذكر جماعة . قال : وروى عنه يحيى بن البريم[1] وأحمد بن عبد اللّه بن عمار وأبو يوسف يعقوب بن نعيم [بن][2] قرقارة الأرزني[3] .

قال محمد بن إسحاق النديم : كان جدّه جابر يكتب للخصيب صاحب مصر ، وكان شاعراً راوية ، ووسوس آخر أيامه فشدَّ في المارستان ومات فيه ، وكان سبب وسوسته أنه شرب ثمر البلاذر على غير معرفة فلحقه ما لحقه .

وقال الجهشياري في « كتاب الوزراء»[4] : جابر بن داود البلاذري كان يكتب للخصيب بمصر ، هكذا ذكروا ، ولا أدري أيهما شرب البلاذر أحمد بن يحيى أو جابر بن داود . إلاّ ان ما ذكره الجهشياري يدلُّ على أن الذي شرب البلاذر هو جده لأنه قال : جابر بن داود ، ولعلَّ ابن ابنه لم يكن حينئذ موجوداً ، واللّه اعلم .

وكان أحمد بن يحيى بن جابر عالماً فاضلاً شاعراً راوية نسابة متقناً ، وكان مع ذلك كثيرَ الهجاءِ بذيء اللسان آخذاً لأعراضِ الناس ، وتناول وهب بن سليمان بن وهب لما ضرط فمزَّقه كلَّ ممزّق ، فمن قوله فيه ، وكانت الضرطة بحضرة عبيد الله بن يحيى بن خاقان :

أيا ضرطةً حُسِبَتْ رعدَهْ تنوَّقَ في سلِّها جهدهْ
تقدَّمَ وهبٌ بها سابقاً وصلّى أخو صاعدٍ بعدهْ
لقد هَتَكَ اللّه ستريهما كذا كلُّ من يطعم الفهدهْ[5]

وقال أحمد بن يحيى بن جابر يهجو عافية بن شبيب :

من رآه فقد رأى عربياً مدلّسا
ليس يدري جليسه أفسا أم تنفّسا

---

(1) في م وابن عساكر : النديم ، واعتمدت ما عند ابن العديم .
(2) زيادة من بغية الطلب .
(3) في تاريخ ابن عساكر : ابن قزارة الأزدي .
(4) نقله في نصوص ضائعة : 81 .
(5) الفهدة : الاست .

وحدث علي بن هارون بن المنجم في « أماليه » عن عمه قال ، حدثني أبو الحسن أحمد بن يحيى البلاذري قال : لما أمر المتوكلُ إبراهيمَ بن العباس الصولي أن يكتب فيما كان أُمِرَ به من تأخير الخراج حتى يقعَ في خمسٍ من حزيران ويقعَ استفتاحُ الخراج فيه ، كتب في ذلك كتابه المعروف ، وأحسنَ فيه غايةَ الاحسان ، فدخل عبيدالله بن يحيى على المتوكل فعرَّفه حضورَ إبراهيم بن العباس وإحضارَهُ الكتابَ معه ، فأمر بالاذن له ، فدخل وأمره بقراءة الكتاب فقرأه ، واستحسنه عبيد الله بن يحيى وكلٌّ من حضر ، قال البلاذري : فدخلني حسدٌ له فقلت: فيه خطأ، قال فقال المتوكل : في هذا الكتابِ الذي قرأه عليٌّ إبراهيم خطأ ؟ قال قلت : نعم ، قال : يا عبيد الله وقفت على ذلك ؟ قال : لا والله يا أمير المؤمنين ما وقفتُ فيه على خطأ ، قال : فأقبل إبراهيمُ بن العباس على الكتاب يتدبَّره فلم يرَ فيه شيئاً ، فقال : يا أمير المؤمنين الخطأُ لا يَعْرَى منه الناس وقد تدَّبرتُ الكتابَ خوفاً من أن أكونَ قد أغفلتُ شيئاً وقف عليه أحمد بن يحيى فلم أرَ ما أَنْكَرَهُ ، فليعرِّفنا موضع الخطأ ، قال فقال المتوكل : قل لنا ما هو هذا الخطأ الذي وقفت عليه في هذا الكتاب ، قال فقلت : هو شيءٌ لا يعرفه إلا عليّ بن يحيى المنجم ومحمد بن موسى ، وذلك أنه أرَّخ الشهرَ الروميَّ بالليالي ، وأيام الروم قبل لياليها ، فهي لا تؤرَّخ بالليالي وإنما يؤرخ بالليالي شهور العرب لأن لياليها قبل أيامها بسبب الأهلَّة ، قال فقال إبراهيم : صدق يا أمير المؤمنين هذا ما لا علم لي به ولا أدَّعي فيه ما يَدَّعي ، قال : فغير تاريخه .

قال الجهشياري : وقال أحمد بن يحيى البلاذري في عبيد الله بن يحيى وقد صار إلى بابه فحجبه :

قالوا اصطبارك للحِجَابِ مذلّةٌ ... عارٌ عليك مدى الزمان وعابُ
فأجبتهم ولكلِّ قولٍ صادقٍ ... أو كاذبٍ عند المقال جوابُ
إني لأغتفرُ الحجابَ لماجدٍ ... أمستْ له منَنٌ عليَّ رغابُ
قد يرفع المرءُ اللئيمُ حجابه ... ضعةً ودون العُرْفِ منه حجابُ

وحدث الجهشياري قال ، حدثني ابن أبي العلاء الكاتب ، قال حدثني أبو الحسن أحمد بن يحيى بن جابر البلاذري قال : دخلت إلى أحمد بن صالح بن شيرزاد

فعرضت عليه رقعة لي فيها حاجة ، فتشاغل عني ، فقلت :

تقــدَّمَ وهبٌ ســابقــاً بضــراطِــهِ وصلَّى الفتى عبدونُ والناسُ حُضَّرُ
وإني أرى من بـعــد ذاك وقبـله بـطونـاً لنـــاسٍ آخـرين تقــرقـرُ

فقال : يا أبا الحسن بطن من ؟ فقلت : بطنُ من لم يقضِ حاجتي ، فأخذ الرقعةَ ووقَّع فيها بما أردت .

وقال أحمد بن يحيى يهجو صاعداً وزير المعتمد :

أصاعدُ قـد ملأتَ الأرضَ جـوراً وقــد سُسْتَ الأمــورَ بغيــر لبِّ
وســاميتَ الـرجــالَ وأنت وغـدٌ لئيمُ الـجــدِّ ذو عِـيٍّ وغـبِّ[1]
أضــلُّ عن المكـارم من دليــلٍ وأكــذبُ من سليمــان بن وهبِ
وقــد خُـبِّــرْتُ أنــك حــارثـيٌّ فَــرَدَّ مـقــالـتــي أولادُ كـعــبِ

قلت : أما سليمان بن وهب فمعروف ، وأما دليل فهو دليل بن يعقوب النصراني أحد وجوه الكتاب ، كان يكتب لبغا التركي ثم توكل للمتوكل على خاصه .

وحدث أبو القاسم الشافعي في « تاريخ دمشق » باسناده قال ، قال أحمد بن جابر البلاذري ، قال لي محمود الوراق : قلْ من الشعر ما يَبْقَى ذكره ويزول عنك إثمه ، فقلت[2] :

استعدِّي يا نفسُ للموتِ واسْعَيْ لنجــاةٍ فـالـحــازمُ المـستـعــدُّ
قــد تـبـينتُ[3] أنـه لـيس لـلحـــــــيِّ خلودٌ ولا من الـمـوتِ بــدُّ
إنمــا أنتِ مستـعيــرةُ مــا ســو ف تــردِّيــنَ والــعــواري تُــرَدُّ
أنت تَسْهَيْنَ والحــوادثُ لا تـســـ ـهــو وتلهينَ والمـنــايــا تجــدُّ
لا ترجِّي البقاءَ في معــدن المـو تِ ودارٍ حُــتُــوفُـهــا لــك وِرْدُ

(1) غب بمعنى الفساد ، ولعل صوابها « خب » .
(2) الأبيات في التهذيب والمختصر والمصوَّرة وبغية الطلب 2 : 118 .
(3) ر : تيقنت .

أيّ ملكٍ في الأرض أم أيّ حظٍّ ... لامرىءٍ حظه من الارض لحْدُ
كيف يهوى امرؤ لذاذةَ أيا ... م عليه الانفاسُ فيها تعدُّ

ومن شعر البلاذري الذي رواه المرزباني في « معجم الشعراء »[1] :

يا من روى أدباً ولم يعملْ به ... فيكفَّ عاديةَ الهوى بأديبِ
حتى يكونَ بما تعلَّم عاملاً ... من صالحٍ فيكونَ غيرَ معيبِ
ولقلّما تجدي إصابةُ صائبٍ ... أعمالُهُ أعمالُ غيرِ مصيبِ

قال ابن عساكر في كتابه[2] : وبلغني أن البلاذري كان أديباً راوية له كتب جياد ، ومدح المأمون بمدائح ، وجالس المتوكل ، ومات في أيام المعتمد ووسوس في آخر عمره .

قال المؤلف : هذا الذي ذكره ابن عساكر من كلام المرزباني في « معجم الشعراء » بعينه .

وقال محمد بن إسحاق النديم[3] : وله من الكتب : كتاب البلدان الصغير . كتاب البلدان الكبير لم يتم . كتاب جمل نسب الأشراف ، وهو كتابه المعروف المشهور . كتاب عهد أردشير ترجمه بشعر ، قال : وكان أحدَ النَّقَلَةِ من الفارسي إلى العربي . كتاب الفتوح .

وحدث الصولي في « كتاب الوزراء » حدثني أحمد بن محمد الطالقاني قال قال لي أحمد بن يحيى البلاذري : كانت بيني وبين عبيد اللّه بن يحيى بن خاقان حُرْمَةٌ منذ أيام المتوكل ، وما كنتُ أكلّفه حاجةً لاستغنائي عنه ، فنالتني في أيام المعتمد على اللّه إضاقةٌ فدخلتُ إليه وهو جالسٌ للمظالم ، فشكوتُ تأخُّرَ رزقي وَثِقْلَ ديني ، وقلت : إنَّ عيباً على الوزير ـ أعزَّه اللّه ـ حاجةُ مثلي في أيامه ، وغضَّ طَرْفِهِ عنّي ، فوقّعَ لي ببعض ما أردت وقال : أين حياؤك المانعُ لكَ من الشكوى على الاستبطاء ؟ فقلت :

(1) وردت الأبيات في تاريخ ابن عساكر وتهذيبه وبغية الطلب .
(2) بغية الطلب 2 : 178 .
(3) الفهرست : 126 وكتابه فتوح البلدان طبع مرّات ، كما طبع أجزاء من أنساب الأشراف .

غَرْسُ البلوى يثمر ثَمرَ الشكوى ، وانصرفت وكتبت إليه :

لحاني الوزيرُ المرتضَى في شكايتي زمانـاً أُحِلَّتْ للجدوبِ محارِمُهْ
وقال لقد جاهرتَني بملامةٍ ومن لي بدهرٍ كنت فيه أكاتمهْ
فقلت: حياءُ المرءِ ذي الدين والتقى يقلُّ إذا قلَّتْ لديه دراهمهْ
حياةُ ابنِ يحيى نعمةٌ مُسْتَجَدَّةٌ وحفظٌ لملكٍ قد أُضيعتْ سوائمه
تلائمُهُ النُّعْمَى وتحسنُ عنده وكم من مُعارٍ نعمةً لا تلائمه
لجأتُ إليه من زمانٍ معاندٍ قليلٍ على أحداثه من يسالمه
فكان كظنّي في كريم فعاله وأمطرتِ النعمى عليَّ مكارمه

وحدث الصولي عن محمد بن علي أن البلاذري امتدح أبا الصقر إسماعيل بن بلبل ، وكتب إليه كتاباً حسناً وسأله أن يطلق له شيئاً من أرزاقه ، فوعده فلم يفعل فقال :

تجانفَ إسماعيلُ عنّي بودِّهِ وملَّ إخائي واللئيمُ مَلولُ
وإن امرءاً يغشى أبا الصقرِ راغباً إليه ومغترّاً به لذليلُ
وقد علمتْ شيبانُ أن لستَ منهم فما ذا الذي إنْ أنكروكَ تقولُ
ولو كانتِ الدعوى تُثَبِّتُ بالرُّشا لثبَّتَ دعواكَ الذين تنيلُ
ولكنهم قالوا مقالاً فكذَّبوا وجاءوا بأمرٍ ما عليه دليلُ

وله فيما أورده عبد الله بن أبي طاهر :

لما رأيتُكَ زاهياً ورأيتني أُجْفَى ببابكْ
عدَّيتُ رأسَ مطيّتي وحجبتُ نفسي عن حجابَكْ

- 206 -

أحمد بن يحيى بن زيد بن سيار أبو العباس ثعلب الشيباني مولاهم النحوي اللغوي : إمام الكوفيين في النحو واللغة والثقة والديانة، وُلِد فيما ذكره المرزباني[1] عن مشايخه سنة مائتين ، ومات لثلاث عشرة ليلة بقيت من جمادى الأولى سنة إحدى وتسعين ومائتين في خلافة المكتفي بن المعتضد وقد بلغ تسعين سنة وأشهراً . وكان رأى أحد عشر خليفة أولهم المأمون وآخرهم المكتفي ، وكان قد ثقل سمعه قبل موته ، ودفن في مقابر باب الشام في حجرة اشتريتْ له وبنيت بعد ذلك ، وقبره هناك معروفٌ ، وَرُدَّ ماله على ابنته وكان خلَّف أحداً وعشرين ألف درهم وألفي دينار ودكاكين بباب الشام قيمتها ثلاثة آلاف دينار ، وضاع له قِبَل أبي أحمد الصيرفي ألف دينار ، وكان يتجر له بها ، ذكر ذلك عبد اللّه بن الحسين القطربلي في « تاريخه » .

حدث المرزباني عن أبي العباس محمد بن طاهر الطاهري ـ وكان أبو العباس ثعلب يؤدّبُ أباه طاهر بن محمد بن عبد اللّه بن طاهر ـ قال[2] : كان سبب وفاة أبي العباس ثعلب أنه كان في يوم جمعة قد انصرف من الجامع بعد صلاة العصر ، وكان يتبعه جماعة من أصحابه إلى منزله ، أنا أحدهم ، فتبعناه في تلك العشية إلى أن صرنا إلى درب قد أسماه بناحية باب الشام ، واتفق أن ابناً لابراهيم بن أحمد الماذرائي يسير من ورائنا على دابة ، وخلفه خادم له على دابة ، قد قلق واضطرب ، وكان في تلك العشية بيده دفتر ينظر فيه وقد شغله عما سواه ، فلما سمعنا صوتَ حوافر الدوابِّ خلفنا

---

206 ـ ترجمة ثعلب في طبقات الزبيدي: 141 وتاريخ بغداد 5 : 204 ونور القبس: 334 والفهرست : 80 وإنباه الرواة 1 : 138 ونزهة الألباء: 157 ووفيات الأعيان 1 : 102 وطبقات ابن الجزري 1 : 148 وتذكرة الحفاظ: 214 وسير الذهبي 14 : 5 وعبر الذهبي 2 : 88 والبداية والنهاية 11 : 98 والوافي 8 : 243 والنجوم الزاهرة 3 : 113 واشارة التعيين: 51 (ويعتمد المؤلف في الأكثر على طبقات الزبيدي وتاريخ بغداد والمقتبس والفهرست وكتاب التاريخي ومراتب النحويين وكتاب ابن أبي الأزهر ، وسيشار إلى ذلك في مواضعه) .

(1) نور القبس وطبقات الزبيدي وإنباه الرواة 1 : 150 .

(2) نور القبس : 337 .

تأخرنا عن جادة الطريق ، ولم يَسْمَعْ أبو العباس لصممه صوتَ الحوافر ، فصدمته دابةُ الخادمِ فسقط على رأسه في هوة من الطريق قد أخذ ترابها ، فلم يقدر على القيام ، فحملناه إلى منزله كالمختلط يتأوه من رأسه ، وكان سبب وفاته رحمه اللّه .

وحدث المرزباني عن أحمد بن محمد العروضي قال : إنما فَضَلَ أبو العباس أهلَ عصره بالحفظ للعلوم التي تضيق عنها الصدور ، وقد كان أبو سعيد السكري كثير الكتب جداً ، فكتب بيده ما لم يكتبه أحدٌ ، فكانا في الطرفين لأن أبا سعيد كان غيرَ مفارق للكتاب عند ملاقاة الرجال ، وأبو العباس لا يمسُّ بيده كتاباً اتكالاً على حفظه وثقةً بصفاء ذهنه .

قال الخطيب : سمع ـ يعني ثعلب ـ محمد بن سلام الجمحي ومحمد بن زياد الأعرابي وعلي بن المغيرة الأثرم وإبراهيم بن المنذر الحزامي وسلمة بن عاصم وعبيد اللّه بن عمر القواريري والزبير بن بكار وخلقاً كثيراً . وروى عنه محمد بن العباس اليزيدي وعلي بن سليمان الأخفش وإبراهيم بن محمد بن عرفة نفطويه وأبو بكر ابن الأنباري وأبو عمر الزاهد وأبو الحسن ابن مقسم وأحمد بن كامل القاضي وخلق كثير . وكان يقول : سمعت من القواريري مائة ألف حديث .

قرأت بخط أبي سالم الحسن بن علي قال ، نقلت من خط الحسن بن علي بن مقلة ، قال أبو العباس أحمد بن يحيى : ابتدأت النظر في العربية والشعر واللغة في سنة ست عشرة ومولدي سنة مائتين في السنة الثانية من خلافة المأمون . قال أبو العباس[1]: ورأيت المأمون لما قدم من خراسان في سنة أربع ومائتين وقد خرج من بابِ الحديد ، وهو يريد قصرَ الرصافة ، والناس صفّان إلى المصلّى . قال : وكان أبي قد حملني على يده ، فلما مرَّ المأمون رفعني وقال لي : هذا المأمون وهذه سنة أربع ومائتين ، فحفظت ذلك إلى هذه الغاية ، وحذقت العربية ، وحفظت كتب الفراء كلَّها حتى لم يشذَّ عني حرف منها ولي خمس وعشرون سنة ، وكنت أعنى بالنحو أكثر من عنايتي بغيره ، فلما أتقنته أكببت على الشعر والمعاني والغريب ولزمت أبا عبد اللّه ابن الاعرابي بضع عشرة سنة . وأذكر يوماً وقد صار إلى أحمدَ بن سعيد بن سلم وأنا عنده

(1) هو في الفهرست : 80 ونور القبس : 334 وطبقات الزبيدي : 145 .

وجماعة منهم السدريّ وأبو العالية فأقام وتذاكروا شعر الشماخ ، وأخذوا في البحث عن معانيه والمساءلة عنه ، فجعلتُ أجيب ولا أتوقف ، وابن الأعرابي يسمع ، حتى أتينا على معظم شعره ، فالتفت إلى أحمد بن سعيد يعجّبه مني .

قال أبو العباس : قلت لابن ماسويه في علةٍ شكوتها إليه : ما تقول في الحمام ؟ فقال لي : إن تهيأ لانسان بعد أربعين سنة أن يكون قيّم حمام فليفعل .

قال أبو العباس : « الذي » لا ينسب إليه لأنه لا يتم إلا بصلة ، والعرب لا تنسب إلا إلى اسم تامّ ، والذي وما بعده حكاية ، والحكاية لا ينسب إليها لئلا تتغير . قال أبو العباس : وسئل ابن قادم عنها وأنا غائب بفارس فقال « اللذوي » ، فلما قدمتُ وسئلت فقلت : لا ينسب إليه وأتيتُ بهذه العلة فبلغته ، فلما اجتمعنا تجاذبنا ، ثم رجع إلى قولي .

وقال أبو العباس : كنت أُصيرُ إلى الرياشيّ لأسمع عنه ، وكان نقي العلم ، فقال لي يوماً وقد قرىء عليه :

ما تنقمُ الحربُ العوانُ منّي بسازلِ عامين حديثٍ سني
لمثل هذا ولدتني أمّي

كيف تقول بازلِ أو بازلُ ؟ فقلت : أتقول لي هذا في العربية ؟ إنما أقصدك لغير هذا ، يروى بازلَ وبازلِ وبازلُ : الرفع على الاستئناف ، والخفض على الإتباع ، والنصب على الحال ، فاستحيا وأمسك .

قال أبو العباس(1) : ودخلت على محمد بن عبد اللّه بن طاهر فإذا عنده المبرد وجماعة من أسبابه وكتّابه ، وكان محمد بن عيسى وَصَفَه له ، فلما قعدتُ قال لي محمد بن عبد اللّه : ما تقول في قول امرىء القيس :

لها متنتان خظاتا كما أكَبَّ على ساعديه النمرْ

قال قلت : أما غريب البيت فإنه يقال : لحم خظا بظا إذا كان صلباً مكتنزاً

(1) إنباه الرواة : 145 وطبقات الزبيدي : 145 .

ووصف فرساً ، وقوله : أكب على ساعديه النمر أي في صلابة ساعد النمر إذا اعتمد على يده ، والمتن الطريقة الممتدة من عن يمين الصلب وشماله . وما فيه من العربية أنه [قال] : خظتا ، فلما تحركت التاء أعاد الألف من أجل الحركة والفتحة ، قال : فأقبل بوجهه على محمد بن يزيد ، فقال له محمد : أعزَّ الله الأمير إنما أراد [في] خظاتا الإضافة ، أضاف خظاتا إلى « كما » قال ، فقلت : ما قال هذا أحد ، قال محمد بن يزيد : بلى سيبويه يقوله ، فقلت لمحمد بن عبد الله : لا والله ما قال هذا سيبويه ، وهذا كتابه فليحضر ، ثم أقبلت على محمد بن عبد الله وقلت : ما حاجتنا إلى كتاب سيبويه ؟ أيقال مررتُ بالزيدين ظريفي عمرو فيضاف نعتُ الشيءِ إلى غيره ؟ فقال محمد لصحة طبعه : لا والله ما يقال هذا ، ونظر إلى محمد بن يزيد فأمسك ولم يقل شيئاً ، وقمتُ ونهض المجلس .

قال عبد الله الفقير إليه : لا أدري لم لا يجوزُ هذا وما أظنّ أحداً ينكـرُ قولَ القائل : رأيت الفرسين مركوبي زيد ، ولا الغلامين عبدي عمرو ، ولا الثوبين درّاعتي زيد ، ومثله مررت بالزيدين ظريفي عمرو ، فيكون مضافاً إلى عمرو وهو صفة لزيد ، وهذا ظاهر لكل متأمّل[1] .

قال أبو العباس : لما شاهدني المازني وجاراني النحو وخرج إلى سرٍّ من رأى كان يذكرني ويوجّه إليَّ : أخيك يقرئك السلام .

قال أبو العباس : قال لي محمد بن عيسى بحضرة محمد بن عبد الله : نحن نقدّمك لتقدمة الأمير ، فقلت له : يا شيخ إني لم أتعلم العلم لتقدِّمني الأمراء وإنما تعلمته لتقدّمني العلماء .

قال أحمد بن يحيى : كان محمد بن عبد الله يكتب « ألف درهم واحدة » فإذا مرَّ به « ألف درهم واحد » أصلحه « واحدة » ، فكان كتّابه ينكرون ذلـك ويغلظ عليهم ويهابونه فلا يبتدئونه فيه بشيء ، فقال يوماً : أتدري لم عمل الفراءُ « كتاب البهي » ؟ قلت : لا قال : لعبد الله أبي بأمر طاهر جدي ، قلت له : إنه قد كان عمل له كتباً منها

---

(1) علق القفطي على القصة بقوله : إن القول ما قاله المبرد (وهو رأي البصريين) ولكن المبرد ترك الجواب أدباً .

« كتاب المذكر والمؤنث » قال : وما فيه ؟ قلت : مثل « ألف درهم واحد » ولا يجوز « واحدة » ، ففتح عينيه وتنبّه وأقلع .

وقال أبو العباس : بعث إليَّ عبد اللّه ابن أخت أبي الوزير رقعةً فيها خطّ المبرد « ضربته بلا سيف » قال : أيجوز هذا ؟ فوجهت إليه : لا واللّه ما سمعتُ بهذا ، قال أبو العباس : هذا خطأ بتة[1] لأن التبرئة لا يقعُ عليها خافضٌ ولا غيره ، لأنها أداة وما تقع أداة على أداة .

قال العجوزي : صرتُ إلى المبرد مع القاسم والحسن ابني عبيد اللّه بن سليمان بن وهب ، فقال لي القاسم : سَلْهُ عن شيءٍ من الشعر ، فقلت : ما تقول ـ أعزك اللّه ـ في قول أوس :

وغيَّرها عن وصلها الشيبُ إنه ... شفيعٌ إلى بيض الخدورِ مُدَرَّبُ

فقال بعد تمكث وتمهل وتمطّق : يريد أن النساء أَنِسْنَ به فصرنَ لا يستترن منه . ثم صرنا إلى أبي العباس أحمد بن يحيى ، فلما غصَّ المجلس سألته عن البيت فقال : قال لنا ابن الأعرابي : إنَّ الهاء في « إنه » للشباب وإن لم يجرِ له ذكرٌ لأنه عُلم ، والتفتُّ إلى الحسن والقاسم فقلت : أين صاحبنا من صاحبكم ؟

وقال حمزة : لما مات المازنيّ خلفه أبو العباس المبرد ، وبقي ذكره ببغداد وسامرّا لا يغضّ أحدٌ منه إلى أن ذكره ابنُ الأنباريّ في بعض مصنفاته وأراد أن يضَعَ منه ويرفعَ من صاحبه أبي العباس أحمد بن يحيى ثعلب ، جارياً على عادته في العصبية للكوفيين على البصريين ، فقال : سمعت أبا العباس ـ يعني ثعلباً ـ يقولُ : عزمتُ على المضيِّ إلى المازنيّ لأناظره فأنكرَ ذلك عليَّ أصحابنا وقالوا : مثلك لا يصلحُ أن يمضي إلى بصريّ فيقال غداً إنه تلميذه، فكرهت الخلاف عليهم، فأراد ابن الأنباري أن يرفعَ من ثعلب فوضع منه . ولم يقتصر على ذلك التقصير بالمازنيّ حتى قصَّر بالخليل أيضاً ، وزعم أن أبا العباس أحمد بن يحيى حكى له أن أبا جعفر الرؤاسي

(1) يعتقد بعض الناس أن بتة لا يجوز وأن الصواب « ألبتة » وصوّبها الأستاذ النشاشيبي معتمداً على الصحاح (إذ جاء فيه : لا أفعله بتة ولا أفعله البتة) وغيره ؛ وهذا خلاف قديم ، فقد كان سيبويه لا يجيز إلا « ألبتة » وذكر الفراء أنهما لغتان .

عمل كتاباً في النحو وسماه « الفيصل » فبعث الخليل إليه يستعيره فوجّه به إليه ، فقال : والدليل على أن الخليل تعلّم النحوَ من كتاب الرؤاسي ما يوجَدُ في كتاب سيبويه من ذكره إذ يقول : قال الكوفي ، وهذا متى سُمع عُلم أنه لا يقوله إلا عصبي .

قرأت في كتاب ابن أبي الأزهر بخطّ عبد السلام البصري قال : كان بإزاء دار أبي العباس ثعلب رجلٌ قد غُلِبَ على عقله ، فكان ربما خرج فجلس على الباب ـ باب بيته ـ ينظر إلى الناس ، فرأى يوماً غلام أبي العباس وقد أدخل إلى داره خبزاً أسود ، فقال له : يا أبا العباس لم لا تشتري لك خبزَ حُوَّارى ؟ ما معنى هذا الضيق والشؤم ؟ فقال له : هذا أصلحُ من الحاجةِ وبذلِ الوجه إلى الناس ، فضحك وقال : عجبتُ لكَ من هذا الكلام أمالُكَ هذا إلا من بذل الوجه والحاجة إلى الناس والطلب منهم؟ لا تقبلْ برَّ أحدٍ إن كنت صادقاً، فالتفت إليَّ وقال: قد قال قولاً، ثم أنشدني في الزهد:

زمانـنـا صـعـبٌ وإخـوانـنـا أيـديـهـمُ جـامـدةُ الـبـذلِ
وقـد مضى النـاسُ ولم يبقَ في عـصـرك إلا محـكـمُ الـبـخـل
ومـالـنـا بـلـغـة أقـواتـنـا مـا فيه لـلإسـراف من فضـل
فـضمَّ كـفَّـيـك عـلى مـلـكـهـا وأطْـرِشِ السمـعَ عن العـذل

فتعجبتُ من إنشاده هذا الشعر بعقب ما خوطب به .

قال أحمد بن فارس اللغوي : كان أبو العباس ثعلب لا يتكلّفُ الإعراب في كلامه ، كان يدخل المجلس فنقوم له فيقول : أَقعدوا أَقعدوا ، بفتح الألف .

قال ابن كامل القاضي : أنشدني أبو بكر ابن العلاف لنفسه لما مات المبرد[1] :

ذهب المبـردُ وانقضتْ أيّـامُـهُ ولـيلحـقنَّ مـع الـمبـرّد ثـعلبُ
بيتٌ من الآداب أصبـح نصفـه خَـربـاً وبـاقي ربعـه فسيخـرب
فابكوا لمـا سَلَبَ الزمـانُ ووطّنوا للدهـر أنفسكم على مـا يسلبُ
ذهب المبـردُ حيث لا تـرجـونـه أبـداً وَمَنْ تـرجـونـه فمغيّـب

(1) تاريخ بغداد 5 : 209 (ثلاثة أبيات) وانظر إنباه الرواة : 141 .

فتزوّدوا من ثعلبٍ فبكأسِ ما شرب المبردُ عن قليلٍ يشرب
واستحلبوا ألفاظه فكأنكم بسريره وعليه جمع مُجْلِبُ
وأرى لكم أن تكتبوا أنفاسه إن كانت الأنفاسُ مما يكتب
فليلحقنّ بمن مضى متخلّفٌ من بعده وليذهبنّ ونذهب

وقال أبو الطيب عبد الواحد اللغوي في كتابه المسمى « مراتب النحويين »[1] قال : كان ثعلب يعتمد على ابن الأعرابي في اللغة ، وعلى سلمة بن عاصم في النحو ، ويروي عن ابن نجدة كتب أبي زيد ، وعن الأثرم كتبَ أبي عبيدة ، وعن أبي نصر كتب الأصمعي ، وعن عمرو بن أبي عمرو كتب أبيه ، وكان ثقة متقناً يستغني بشهرته عن نعته .

وقال : وكان ثعلب حجّة ديناً ورعاً مشهوراً بالحفظ والصدق وإكثار الرواية وحسن الدراية ، كان ابن الأعرابي إذا شكَّ في شيء يقول له : ما عندك يا أبا العباس في هذا ؟ ثقةً بغزارة حفظه . وُلد سنة مائتين وطلب اللغة والعربية في سنة ست عشرة ومائتين . قال : وابتدأت بالنظر في « حدود الفراء » وسني ثماني عشرة سنة ، وبلغت خمسا وعشرين سنة وما بقي عليَّ مسألة للفراء إلا وأنا أحفظها وأحفظ موضعها من الكتاب ، ولم يبق شيء من كتب الفراء في هذا الوقت إلا وقد حفظته .

وحدث المرزباني قال عبد الله بن حسين بن سعد القطربلي في « تاريخه »[2] : كان أبو العباس أحمد بن يحيى ثعلب من الحفظ والعلم وصدق اللهجة ، والمعرفة بالغريب ، ورواية الشعر القديم ، ومعرفة النحو على مذهب الكوفيين ، على ما ليس عليه أحد ، وكان يدرس كتب الفراءِ والكسائي درساً ، [ولم يكن يعلم][3] مذهب البصريين ، ولا مستخرجاً للقياس ولا مطالباً له ، وكان يقول : قال الفراء والكسائي ، فإذا سئل عن الحجة والحقيقة في ذلك لم يغرق في النظر . وكان أبو علي أحمد بن جعفر النحوي ختنه زوج ابنته يخرج من منزله ، وهو جالس على باب داره ، فيتخطى أصحابه ويمضي ومعه دفتره ومحبرته فيقرأ على أبي العباس المبرد كتاب سيبويه ،

---

(1) مراتب النحويين : 96 .
(2) طبقات الزبيدي : 141 .
(3) م : وكان متجراً في .

فيعاتبه أحمد بن يحيى على ذلك ويقول له : إذا رآك الناسُ تمضي إلى هذا الرجل تقرأ عليه يقولون ماذا ؟ فلم يكن يلتفت إلى قوله .

قال[1] : وكان ختنه هذا أبو علي يعرف بالدينوري ، وكان حسن المعرفة ، فسمعت إسحاق المصعبي يقول له : كيف صار محمد بن يزيد أعلمَ بكتاب سيبويه من أحمد بن يحيى ؟ قال : لأن محمد بن يزيد قرأه على العلماء ، وأحمد بن يحيى قرأه على نفسه . قال[2] : ولم يزل ثعلب مقدماً عند العلماء منذ أيام حداثته ، وكان ضيِّق النفقة مقتّراً على نفسه ، حدثني أخي ـ وكان صاحبه ووصيه ـ قال : دخلتُ إليه يوماً وقد احتجم ، وبين يديه طبق فيه ثلاثة أرغفة وخمس بيضات وبقلٌ وخلّ ، وهو يأكل ، فقلت له : يا أبا العباس قد احتجمتَ ، ولو أُخِذَ لك رطل لحم وثمن التوابل ومثله للعيال ما له معنى .

قال[3] : وسمعت أحمد بن إسحاق المعروف بابن[4] المدوّر يقول : كنتُ أرى أبا عبد اللّه ابن الأعرابي يشكّ في الشيء فيقول لثعلب : ما عندك يا أبا العباس في هذا ؟ ثقةً بغزارة حفظه . ولم يكن مع ذلك موصوفاً بالبلاغة ، ولا رأيته إذا كتب كتاباً إلى بعض إخوانه من أصحاب السلطان خرج عن طبع العامة ، فإذا أخذته في الشعر والغريب ومذهب الفرّاء والكسائي رأيتَ من لا يفي به أحدٌ ولا يتهيأ له الطعن عليه . وكان هو ومحمد بن يزيد عَلَمين ختم بهما تاريخ الأدب[5]، أو كانا كما قال بعض المحدثين :

أيـا طـالبَ العلم لا تجهلنَّ ... وعـذْ بـالمبـرد أو ثـعلبِ
تجـدْ عند هـذين علمَ الورى ... فـلا تكُ كـالجمـلِ الأجـرب
عـلومُ الخـلائـقِ مقـرونـةٌ ... بهـذين في الشرق والمغـرب

(1) طبقات الزبيدي : 142 .
(2) المصدر السابق .
(3) طبقات الزبيدي : 143 .
(4) م : بأبي .
(5) ر : الأدباء .

قال المرزباني : أخبرني الصولي أنّ عبد اللّه بن الحسين بن سعد القطربلي أنشده هذه الأبيات لنفسه .

وحدث محمد بن أحمد الكاتب قال[1] حدثنا أحمد بن يحيى النحوي قال : سألني ابن الأعرابي كم لك من الولد ؟ فقلت : ابنة وأنشدته :

لـولا أميمـةُ لم أجـزعْ من العَـدَم ... ولم أُجُبْ في الليالي حِنْدِسَ الظُّلَمِ
تهـوى حياتي وأهـوى موتَهـا شَفَقاً ... والمـوتُ أكـرمُ نـزّال على الحـرم

فأنشدني ابن الأعرابي في المعنى :

أميمـة تهـوى عُمْـرَ شيـخٍ يسـرُّه ... لهـا الموت قبـلَ الليل لـو أنها تـدري
يخـافُ عليهـا جفـوةَ النـاسِ بعـده ... ولا خَتَنٌ يُـرْجَـى أودّ مـن القـبـر

وحـدث عن أبي عبد اللّه الحكيمي عن يموت بـن المزرّع قـال : وأراد أبـو العباس ثعلب أن يرحل إلى أبي حاتم السجستاني إلى البصرة ، فبلغه أن أبا حـاتم انتشـر ذكره يوماً لما رأى جماعةً من المرد يكتبونَ في مجلسه ، فرآه غلامٌ منهم فقال له : أصلحك اللّه أي لام هذه ؟ قال : لام كيْ يا بُنيّ ، فلم يخرج أبو العباس إليه .

وحدث الصولي قال[2] : كنا عند أبي العباس أحمد بن يحيى فقال له رجل : المسجدُ هذا المعروف ، فما المصدر ؟ قال : مصدره السجود ، قال : فعرّفني ما لا يجوز من ذا ، فقال : لا يقال مسجد وضحك وقال : هذا يطول إن وصفنا ما لا يجوز ، وإنما يوصَفُ الجائز ليدلَّ على أن غيره لا يجوز . ومثل ذلك أن ماسويه وصف لإنسان دواءً ثم قال له : كل الفرّوج وشيئاً من الفاكهة ، فقال : أريد أن تخبرني بـالذي لا آكل ، فقال : لا تأكلني ولا حماري ولا غلامي ، واجمعْ كثيراً من القراطيس وبكِّر إليَّ ، فإن هذا يكثر ان وصفته لك .

وحدث عن الصولي قال ، قال أبو العباس ثعلب : لم أسمع من جماعةٍ ، كلُّهم قد رأيتُهُ وتمكنتُ منه ، ولو أردتُ ذلك ما فاتني عنهم جميعُ ما أطلب ، منهم أبو عبيد

(1) بعضه في إنباه الرواة 1 : 149 وهو بتمامه في نور القبس : 335 .
(2) نور القبس : 335 .

القاسم ابن سلام وإسحاق الموصلي وأبو توبة والنضر بن حديد ، وإني لأذكر موت الفراء ذكراً جيداً وأنا في الكتّاب .

وحدث قال ، وقال أبو العباس يوماً آخر : الهرمُ علّةٌ قائمة بنفسها ، فإذا كان معه علة فذاك أمر عظيم ، وأنشد :

أرى بصـري في كـلّ يـوم وليلة ... يكـلُّ وخطوي عن مـداهنّ يقصـرُ
ومن يصحبِ الأيـام تسعين حجـةً ... يـغيـرْنـه والـدهـرُ لا يـتـغـيـر
لعمـري لئن أصبحتُ أمشي مقيّداً ... لمـا كنتُ أمشي مُطْلَقـاً قبلُ أكثـر

وحدث أبو بكر محمد بن الحسن الزبيدي[1] قـال ، قال ثعلب : اقعـدني[2] محمد بن عبد اللّه بن طاهر مع ابنه طاهر ، وأفرد لي داراً في داره ، وأقام لنا وظيفة ، فكنت أقعد معه إلى أربع ساعات من النهار ، ثم أنصرف إذا أراد الغداء ، فَنُمي ذلك إلى أبيه ، فكسا البهوَ والأروقة[3] ، وأضعف ما كان يُعَدُّ من الألوان ، فلما حضر وقتُ الانصراف انصرفت ، فنُمِيَ ذلك إليه فقال للخادم الموكّل بنا : قد نمي إليَّ انصرافُ أحمد بن يحيى وقتَ الطعام ، فظننت أنه استقلَّ ما يحضر ولم يستطبِ الموضع فأمرنا بتضعيفه ، ثم نمي إليَّ أنه انصرف ، فقل له عن نفسك : أبيتـك أبردُ من بيتنـا أو طعامك أطيب من طعامنا ؟ وتقول له عني : انصرافك إلى بيتك وقتَ الغداءِ هُجْنَةٌ علينا ، فلما عرَّفني الخادمُ ذلك أقمت ، فكنتُ على هذه الحال ثلاثَ عشرةَ سنة ، وكان يقيم لي مع ذلك في اليوم سبعَ وظائف من الخبز الخشكار ، ووظيفةً من الخبز السميد ، وسبعةَ أرطالٍ من اللحم ، وعلوفةَ رأس ، وأجرى لي في الشهر ألف درهم . ولقد جاءت سنةُ الفتنة وعظم الأمر في الدقيق واللحم فكتب إليه كاتبه على المطبخ يعرِّفه ما هو فيه من عظم المؤونة ، ويسأله إحضار الجـريدة فيقتصـر على ما لا بـدَّ منه[4] ، فأنفذها فكانت مشتملة على ثلاثة آلاف وستمائة إنسان ، فرأيت محمداً قد زاد

---

(1) طبقات الزبيدي : 148 وإنباه الرواة 1 : 147 .

(2) ر : انفذني .

(3) زاد الزبيدي والقفطي : والمجالسّ الخيشَ .

(4) زاد الزبيدي : إذ كانت الجريدة تشتمل على خلق كثير لا يلزمه أمرهم ، ولا سيما في مثل هذه الحال وهذا الوقت .

فيها بخطه قوماً آخرين ووقَّع عليها : لست أقطعُ عن أحدٍ ما عوَّدته ولا سيما من قال لي أطعمني الخبز ، فأجرِ الأمرَ على ما في الجريدة واصبرْ على هذه المؤونة ، فإما عشنا جميعاً وإما متنا جميعا .

قال الزبيدي[1] : وخلف كتباً جليلة، فأوصى إلى علي بن محمد الكوفي أحد أعيان تلاميذه وتقدَّم إليه في دَفْعِ كتبه إلى أبي بكر أحمد بن إسحاق القطربلي ، فقال الزجاج للقاسم بن عبيد اللّه : هذه كتبٌ جليلة فلا تفوتنَّك ، فأحضر خيرانَ الورّاق فقوَّم ما كان يساوي عشرة دنانير : ثلاثةً ، فبلغت أقلَّ من ثلاثمائة دينار ، فأخذها القاسم بها .

وقال أبو الطيب عبد الواحد بن علي اللغوي في « كتاب مراتب النحويين »[2] : وانتهى علم الكوفيين إلى ابن السكّيت وثعلب ، وكانا ثقتين أمينين ، ويعقوب أسنُّ وأقدم موتاً وأحسنُ الرجلين تأليفاً ، وكان ثعلب أعلمهما بالنحو ، وكان يعقوب يُضَعَّفُ فيه . قال ثعلب : كنتُ يوماً عند ابن السكيت فسألني عن شيء فصحت عليه ، وكان ثعلب شديدَ الحدّة ، قال فقال لي : لا تصحْ فواللّه ما سألتك الا مستفهماً .

وحدث أبو أحمد العسكري في « كتاب التصحيف » قال[3] ، وأخبرنا أبو بكر ابن الأنباري قال ، حدثني أبي قال : قرأ القطربلي على أبي العباس ثعلب بيت الأعشى :

فلو كنت في حب ثمانين قامةً ورقّيتَ أسبابَ السماءِ بسُلّم

فقال أبو العباس : خرب بيتك ، هل رأيتَ حباً قط ثمانين قامة ؟! إنما هو جب .

وحدث الخطيب[4] قال ، قال ثعلب : كنت أحبّ أن أرى أحمد بن حنبل فلما دخلتُ عليه قال لي : فيم تنظر ؟ قلت : في النحو والعربية ، فأنشدني أبو عبد اللّه وهو لبعض بني أسد :

---

(1) طبقات الزبيدي : 149 ـ 150 وانظر إنباه الرواة 1 : 148 .

(2) مراتب النحويين : 95 .

(3) التصحيف : 40 .

(4) تاريخ بغداد 5 : 205 وروى القاضي المعافى في الجليس الصالح أن هذه الأبيات مما أملاه أبو نواس .

إذا ما خلوتَ الدهر يوماً فلا تقلْ خلوتُ ولكنْ قلْ عليَّ رقيبُ
ولا تحسبنَّ اللّه يغفلُ ما يرى ولا أن ما يخفي عليه يغيبُ
لهونا عن الآثام حين تتابعتْ ذنوبٌ على آثارهنّ ذنوبُ
فيا ليت أنَّ اللّه يغفرُ ما مضى ويأذن في توباتنا فنتوبُ

وحدث الخطيب[1] قال ، قال أبو محمد الزهري : كان لثعلب عزاء ببعض أهله ، فتأخّرت عنه لأنه خفي عليَّ ، ثم قصدته معتذراً فقال لي : يا أبا محمد ما بك حاجة إلى أن تتكلف عذراً فإن الصديق لا يحاسَبُ ، والعدوّ لا يُحْتَسَبُ له .

وجدت بخط أبي الحسن علي[2] بن عبيد اللّه السمسمي اللغوي ، حدثنا أبو محمد ابن الحسن النوبختي قال ، حدثنا أبو الفتح محمد بن جعفر المراغي النحوي قال ، حدثنا أبو بكر ابن الخياط النحوي قال : كنتُ عند أبي العباس ثعلب في بعض الأيام ، فسأله رجل وقد ساء سمعه فقال له : يا أبا العباس ـ أعزَّك اللّه ـ ما الصوص ؟ فقال له : الصوحُ أصلُ الجبل ، فأعاد الرجل سؤاله لعلمه بأن الشيخ ما فهم ، فقال ثعلب : السوحُ جمع ساحة ، فأعاد سؤاله ثالثة فعلم ثعلب أنه ما فهم عن الرجل ، قال فقال له : ادنُ مني فألقم أذني فاك وقل ، ففعل ذلك ، فلما فهم ثعلب سؤاله قال : نعم العرب تقول : رأيت صوصاً على أصوص أي رجلاً نذلاً على ناقة كريمة .

حدث الزجاجي أبو القاسم عن علي بن سليمان الاخفش قال ، أخبرنا أحمد بن يحيى ثعلب قال : قدم الرياشي بغداد سنة ثلاثين ومائتين فصرت إليه لآخذ عنه ، فقال لي : أسألك عن مسألة ، فقلت : نعم ، فقال : تجيز نعم الرجلُ يقوم ؟ فقلت : نعم هي جائزة عند الجميع ، أما الكسائي فيضمر ، والتقدير عنده نعم الرجل رجلٌ يقوم لأنّ نعم عنده فعل ، والفراء لا يُضْمِر لأنّ نعم عنده اسم فيرفع الرجل بنعم ويقوم صلة للرجل ، وأما صاحبك يعني سيبويه فإنه لا يضمر شيئاً ونعم عنده أيضاً فعل ، ولكن يجعل يقوم مترجماً ، وهو الذي يسمونه البدل ، فسكت فقلت له : فأسألك عن مسألة ، فقال : نعم ، فقلت : [أتجيز] يقوم نعم الرجل فقال : جائز ، فقلت : هذه

(1) تاريخ بغداد 5 : 206 .
(2) ر : أبي علي الحسين .

خطأ عند الجميع ، أما على مذهب الكسائي فإنه لا يولي الفعل فعلا ، فأما على مذهب الفراء فإن يقوم عنده صلة للرجل والصلة لا تقدم على الموصول ، وأما على مذهب سيبويه صاحبك فإنه لا يجوز لأنه ترجمة والترجمة إيضاح وتبيين للجملة التي تتقدمها ولا يجوز تقديمها عليها . فقال : أنا تاركٌ للعربية فخذ فيما قصدتَ له ، ففاتحته أيام الناس والأخبار والاشعار ففتحت به بسَيْح بحر .

وحدث قال ، أخبرنا علي بن سليمان الأخفش قال : كنت يوماً بحضرة ثعلب فأسرعت القيام قبل انقضاء المجلس ، فقال : إلى أين ؟ ما أراك تصبر عن مجلس الخلدي ـ يعني المبرد ـ فقلت له : لي حاجة ، فقال لي إني أراه يقدم البحتريّ على أبي تمام ، فإذا أتيته فقل له : ما معنى قول أبي تمام :

آالفــةَ النجيـب كم افتــراقٍ ... أظـلَّ فكـان داعيــةَ اجتمـاعِ

قال أبو الحسن : فلما صرت إلى أبي العباس المبرد سألته عنه فقال : معنى هذا أن المتحابّين العاشقين قد يتصارمان ويتهاجران إدْلالاً لا عزماً على القطيعة ، فإذا حان الرحيل وأحسّا بالفراق تراجعا إلى الودّ وتلاقيا خوف الفراق وأن يطول العهد بالالتقاء بعده ، فيكون الفراق حينئذ سبباً للاجتماع كما قال الآخر :

مُتّعـا بـالفـراقِ يـومَ الفـراق ... مستجيـرَيْنِ بـالبكـا والعنـاقِ

كم أسـرًا هـواهمـا حـذَرَ النـا ... سِ وكم كـاتمـا غليـلَ اشتيـاقِ

فـأظـلَّ الفـراق فـالتقيـا فيـــه ... فـراقـاً أتـاهـمـا بـاتفـاقِ

كيف أدعـو على الفراق بحتفٍ ... وغـداةَ الفـراق كـان التـلاقي

قال : فلما عدت إلى ثعلب سألني عنه فأعدت عليه الجواب والأبيات فقال : ما أشد تمويهه ، ما صنع شيئاً ، إنما معنى البيت أن الانسان قد يفارق محبوبهِ رجاءً أن يغنم في سفره فيعودَ إلى محبوبه مستغنياً عن التصرف فيطول اجتماعه معه ، ألا تراه يقول في البيت الثاني :

وليست فـرحـةُ الأوبـاتِ إلّا ... لمـوقوفٍ على تَـرْحِ الـوداعِ

وهذا نظير قول الآخر ، بل منه أخذ أبو تمام :

وأطلبُ بُعْـدَ الدارِ عنكم لتقـربوا ... وتسكبُ عينـاي الدمـوعَ لتجمدا

هذا هو ذاك بعينه .

وحكى أن ثعلباً خرج يوماً على أصحابه وليس فيهم إلا كهل أو شيخ فأنشد متمثلاً :

ألا ربمــا سُؤْتُ الغيــورَ وبــرَّحَتْ بيَ الأَعينُ النُّجْلُ المراضُ الصحائحُ
فقــد ساءني أن الغيــورَ يــودُّني وأن نـداماي الكهـولُ الجحاجـحُ

قلت أنا : هذا واللّه مليح جداً .

وحدث جحظة في « أماليه » قال : كنت يوماً في مجلس ثعلب ، فقال له رجل : يا سيدي ما البعجدة ؟ قال : لا أعرفها في كلام العرب ، فقال الرجل : فإني وجدتها في شعر عبد الصمد بن المعذل حيث يقول :

أعــاذلـتـي أقــصــري أبــع جِــدَتي بــالمننْ

فاغتاظ أبو العباس غيظاً عظيماً وقال : يا قوم أجيدوا أذنيه عركاً أو يحلفَ أنه لا يرجعُ يحضرُ حلقتي ففعلنا .

حدث أبو عمر الزاهد قال[1] : كنت في مجلس أبي العباس ثعلب فسأله سائل عن شيء فقال : لا أدري ، فقال له : أتقول لا أدري وإليك تضرب أكباد الأبل ، وإليك الرحلة من كل بلد ؟ فقال لـه ثعلب : لو كـان لأهلي بعدد مـا لا أدري بعرٌ لاستغنيت .

قال أبو محمد عبد الرحمن بن أحمد الزهري[2] : كان بيني وبين أبي العباس ثعلب مودة وكيدة ، وكنتُ أستشيره في أموري ، فجئته يوماً أشاوره في الانتقال من محلّة إلى محلة لتأذيٍّ بالجيران ، فقال : يا أبا محمد ، العرب تقول : صبرك على أذى مَنْ تعرف خيرٌ من استحداثِ ما لا تعرف .

قال أبو عمر الزاهد : أنشدني أبو العباس ثعلب :

إذا مــا شئتَ أن تبلو صــديقــاً فــجــربْ ودَّه عــنــدَ الــدراهــمْ
فعنــد طــلابهــا تبــدو هنــاتٌ وتعــرفُ ثَمَّ أخــلاقَ الـمكــارمْ

(1) هذه الفقرة من ر .

(2) تاريخ بغداد 5 : 206 وانظر إنباه الرواة 1 : 140 .

وحدث الخطيب قال[1] : كان بين المبرد وثعلب منافراتٌ كثيرة ، والناس مختلفون في تفضيل كلٍّ واحد منهما على صاحبه ، قال : وجاء رجل إلى ثعلب فقال له يا أبا العباس قد هجاك المبرد ، فقال : بماذا ؟ فأنشده :

أُقسمُ بالمبتسم العذبِ ومشتكى الصبِّ إلى الصبِّ
لو أَخَذَ النحو عن الربِّ ما زاده الا عَمَى القلبِ

فقال أنشدني من أنشده أبو عمرو بن العلاء :

شاتمني عبدُ بني مسمعٍ فصنتُ عنه النفسَ والعِرْضا
ولم أُجِبْهُ لاحتقاري له من ذا يَعَضُّ الكلبَ إن عضّا

وحدث أيضاً قال[2] قال أبو العباس محمد بن عبيد الله بن عبد الله بن طاهر ، قال لي أبي : حضرت مجلسَ أخي محمد بن عبد الله بن طاهر وحضره أبو العباس ثعلب والمبرد ، فقال لي أخي محمد : قد حضر هذان الشيخان فليتناظرا ، [وأنا أحب أن أعرف أيهما أعلم] قال : فتناظرا في شيءٍ من علم النحو مما أعرفه ، فكنتُ أشركهما فيه إلى أن دقّقا فلم أفهم ، ثم عدت إليه [بعد انقضاء][3] المجلس ، فسألني فقلت : إنهما تكلّما فيما أعرف فشركتهما ثم دقّقا فلم أعرف ما قالا ، ولا والله يا سيدي ما يعرف أعلَمَهما إلا من هو أعلم منهما ، ولستُ ذلك الرجل . فقال لي : يا أخي أحسنتَ والله ، هذا أحسنُ ـ يعني اعترافه بذلك .

وقال لي أبو عمر الزاهد[4] : سألت أبا بكر ابن السراج فقلت : أيُّ الرجلين أعلم ثعلب أم المبرد ؟ فقال : ما أقول في رجلين العالم بينهما .

وحدَّث أبو عمر أيضاً قال[5] : كنت في مجلس أبي العباس ثعلب فضجر ، فقال له شيخٌ خضيب من الظاهرية[6] : لو علمتَ ما لك من الأجر في إفادة الناس لصبرتَ

---

(1) تاريخ بغداد 5 : 208 وانظر إنباه الرواة 1 : 140 ـ 141 .
(2) المصدر السابق .
(3) م : ثم عدت إليه فلم أعرف ما المجلس .
(4) تاريخ بغداد 5 : 209 .
(5) تاريخ بغداد 5 : 210 وإنباه الرواة 1 : 143 .
(6) هكذا هو عند الخطيب ، وفي الإنباه : الطاهرية (بالطاء المهملة) .

على أذاهم ، فقال : لولا ذاك ما تعذبت ، ثم أنشد بعقب هذا :

يعابِن بالقضبانِ كلَّ مفلَّجٍ ... به الظَّلْمُ لم تُفْلَلْ لهن غُرُوبُ
رضاباً كطعم الشّهد يجلو متونه ... من الضِّرو أو غصنِ الأراك قضيبُ
أولائك لولاهنّ ما سقتُ نضوةً ... لحاجٍ ولا استقبلتُ بردَ جنوبِ

وحدث أبو بكر ابن مجاهد قال[1] كنت عند أبي العباس ثعلب فقال لي : يا أبا بكر اشتغل أصحاب القرآن بالقرآن ففازوا ، واشتغل أهل الفقه بالفقه ففازوا ، واشتغل أصحابُ الحديث بالحديث ففازوا ، واشتغلت أنا بزيد وعمرو فليت شعري ما يكونُ حالي في الآخرة ؟ فانصرفت من عنده فرأيت تلك الليلةَ النبيَّ ﷺ في المنام فقال لي : أقرىء أبا العباس عني السلام وقل له : إنك صاحب العلم المستطيل ؛ قال الروذباري[2] : أراد أن الكلام به يكمل والخطاب به يجمل ، وقال مرة أخرى : أراد أن جميعَ العلوم مفتقرةٌ إليه .

وأنشد الخطيب[3] قال أنشد أبو العباس ثعلب :

بلغتُ من عمري ثمانينا ... وكنتُ لا آملُ خمسينا
والحمدُ للّه وشكراً له ... إذ زاد في عمري ثلاثينا
وأسألُ اللّه بلوغاً إلى ... مرضاته آمين آمينا

ونقلت من كتاب محمد بن عبد الملك التاريخي في « أخبار النحويين » قال[4] : أبو العباس أحمد بن يحيى بن زيد بن ثعلب الشيباني النحوي فاروق النحويين ، والمعاير على اللغويين من الكوفيين والبصريين ، أصدقهم لساناً ، وأعظمهم شاناً ، وأبعدهم ذكراً ، وأرفعهم قدراً ، وأصحّهم علماً ، وأوسعهم حلماً ، وأتقنهم حفظاً وأوفرهم حظاً من الدين والدنيا . حدثني المفضل بن سلمة بن عاصم قال : رأَس أبو

---

(1) تاريخ بغداد 5 : 211 وإنباه الرواة 1 : 143 .
(2) هو أبو عبد اللّه أحمد بن عطاء الروذباري راوي الحكاية عن ابن مجاهد .
(3) تاريخ بغداد 5 : 211 ـ 212 .
(4) نقله أيضاً في تاريخ بغداد 5 : 209 ، 210 وإنباه الرواة 1 : 141 ـ 143 .

العباس أحمد بن يحيى ثعلب النحوي واختلف الناسُ إليه في سنة خمس وعشرين ومائتين. قال: وسمعت إبراهيم الحربي يقول، وقد تكلم الناس في الاسم والمسمّى: وقد كرهتُ لكم ولنفسي ما كره أحمد بن يحيى ورضيتُ لكم ولنفسي ما رضي أحمد بن يحيى. قال: وكان أبو الصقر إسماعيل بن بلبل الشيباني قد ذكر أبا العباس ثعلباً للناصر لدين اللّه الموفّق باللّه، وأخرج له رزقاً سنياً سلطانياً، فحسن موقع ذلك من أهل العلم والأدب، وقال قائلهم لأبي الصقر وأبي العباس في أبيات ذكرها:

فيا جبلي شيبانَ لا زلتما لها ... حليفَيْ فخارٍ في الورى وتفضّلِ
فهذا ليوم الجودِ والسيفِ والقنا ... وأنت لبسطِ العلم غيرُ مُبَخَّلِ
عليك أبا العباس كلُّ مُعَوَّلٍ ... لأنك بعد اللّه خيرُ معوّلِ
فككتَ حدودَ النحو بعد انغلاقه ... وأوضحتَهُ شرحاً وتبيانَ مشكلِ
فكم ساكنٍ في ظلِّ نعمتك التي ... على الدهر أبقى من ثَبيرٍ ويذبلِ
فأصبحتَ للاخوان بالعلم ناعشاً ... وأخصبتَ منه منزلاً بعد منزلِ

وذكر التاريخي وفاة ثعلب كما تقدم ؛ قال وقال بعض أصحابنا يرثيه :

مات ابن يحيى فماتت دولةُ الأدب ... ومات أحمد أنحى العجم والعربِ
فإن تولّى أبو العباس مفتقَداً ... فلم يمتْ ذكره في الناس والكتب

وللتاريخي في ثعلب شعر رثاه به ، نذكره في بابه إن شاء اللّه تعالى[2] .

قال التاريخي : وحدثني أبو الحصين البجلي قال : يقول أهلُ الكوفة لنا ثلاثة فقهاء في نَسَق لم ير الناسُ مثلهم : أبو حنيفة وأبو يوسف ومحمد بن الحسن ، ولنا ثلاثة نحويين كذلك وهم أبو الحسن علي بن حمزة الكسائي وأبو زكريا يحيى بن زياد الفراء وأبو العباس أحمد بن يحيى ثعلب.

آخر ما نقلناه من كتاب التاريخي.

وذكره محمد بن إسحاق النديم في « كتاب الفهرست »[1] وقال : له من الكتب : كتاب المصون في النحو جعله حدوداً . كتاب اختلاف النحويين . كتاب

(1) الفهرست : 81 .

(2) سقطت ترجمة التاريخي .

معاني القرآن . كتاب مختصر في النحو سماه الموفّقي . كتاب القراءات . كتاب معاني الشعر . كتاب التصغير . كتاب ما ينصرف وما لا ينصرف . كتاب ما يُجْرَى وما لا يجرى . كتاب الشواذّ . كتاب الوقف والابتداء . كتاب الهجاء . كتاب استخراج الألفاظ من الأخبار . كتاب الأوسط . كتاب غريب القرآن لطيف . كتاب المسائل . كتاب حدّ النحو . كتاب تفسير كلام ابنة الخس . كتاب الفصيح[1] .

وذكر أن « الفصيح » تصنيف ابن داود الرقي وادعاه ثعلب ، وهذا له ترجمة .

قال : ولأبي العباس مجالسات وأمالٍ أملاها على أصحابه في مجالسه تحتوي على قطعة من النحو واللغة والأخبار ومعاني القرآن والشعر رواها عنه جماعة . وعمل أبو العباس قطعةً من دواوين العرب وفسَّر غريبها كالأعشى والنابغتين وغيرهم .

وسئل ثعلب عن معنى قولهم « لا أكلمك أصلاً » فقال : معناه أقطع ذلك من أصله ، وأنشد :

بأهليَ من لا يقطعُ البخلُ رغبتي ... إليه ومن يزداد عن رغبتي بخلا
ومن قد لحاني الناسُ فيه فأكثروا ... عليَّ فكلُّ الناسِ مضطغن ذَحْلا
وأمنحُهُ صفوَ الهوى ولو آنه ... على البحر يسقي ما سُقيت به سَجلا
وما زلتِ تعتادين ودِّيَ بالمنى ... وبالبخل حتى قد ذهبتِ به أصلا

قرأت في « أمالي » أبي بكر محمد بن القاسم الأنباري : أنشدنا أبو بكر لأحمد بن يحيى النحوي :

إذا كنتَ قوتَ النفس ثم هجرتها ... فكم تلبثُ النفسُ التي أنت قوتها
ستبقى بقاءَ الضبِّ في الماءِ أو كما ... يعيشُ لدى ديمومةِ البيدِ حوتها

قال : وزادنا أبو الحسن ابن البراء :

أغرّك أني قد تصبرتُ جاهداً ... وفي النفس مني منك ما سُميتها
فلو كان ما بي بالصخور لهدَّها ... وبالريح ما هبَّتْ وطال خفوتها
فصبراً لعلَّ اللّه يجمعُ بيننا ... فأشكو هموماً منك كنتُ لقيتها

(1) من كتبه المطبوعة : الفصيح ومجالس ثعلب وشرح ديوان زهير .

كذا كان في الكتاب ، ولا أدري أهذا الشعر لثعلب أم أنشده لغيره ، إلا أنه في هذا الكتاب لأحمد بن يحيى كما ترى .

ـ 207 ـ

أحمد بن يحيى بن علي بن يحيى بن أبي منصور المنجم أبو الحسن : قد ذكرنا آباءه في أبوابهم ، وكان أبو الحسن هذا أديباً شاعراً فاضلاً عالماً ، أحدَ رؤساءِ زمانِهِ في علم الكلام وعلوم الدين والافتنان في الآداب ، مات في سنة سبع وعشرين وثلاثمائة عن نيف وسبعين سنة[1] ، وله أخبار مع الراضي في منادمته إياه ، ذكر ذلك كله المرزباني في « المعجم » .

قال ثابت : وفي ذي الحجة كانت وفاته ، ومولده في سنة اثنتين وستين ومائتين[2] وكان يحيى بن علي أبوه قد صنف كتاباً في « أخبار الشعراء المخضرمين » فأتمّه ابنه هذا .

وله من الكتب : كتاب أخبار أهله ونسبهم . كتاب الإجماع في الفقه على مذهب ابن جرير الطبري ، وكان يرى رأيه . . كتاب المدخل إلى مذهب الطبري ونصرة مذهبه . كتاب الأوقات .

وأبو الحسن هذا هو القائل فيما رواه المرزباني :

يا سيّداً قد راح فر ... داً ما له في الفضلِ توأمْ
عُمِّرت أطولَ مدةٍ ... تزدادُ تمكيناً وتسلمْ
في صفوِ عيشٍ لا تزا ... لُ به العدى تَقْذَى وَتُرْغَمْ
ما زلتَ في كلِّ الأمو ... ر موفّقاً للخير ملهم
بكَ إن تذوكرتِ الأيا ... دي يبتدا فيها ويختم

207 ـ ترجمة أبي الحسن ابن المنجم في تاريخ بغداد 5 : 215 والوافي 8 : 246 وانظر الفهرست 160 ـ 161 ، 292 .

(1) الخطيب : وقد جاوز التسعين .

(2) هذا يعني انه توفي عن 66 عاماً .

- 208 -

أحمد بن يحيى بن الوزير بن سليمان بن مهاجر: مولى قيسبة بن كلثوم السومي[1] ، يكنى أبا عبد الله .[روى عن] ابن كليب وعبد الله بن وهب ، وكان فقيهاً من جلساء ابن وهب ، وكان عالماً بالشعر والأدب والأخبار وأيام الناس والأنساب ، يقال كان مولده سنة إحدى وسبعين ومائتين ، وتوفي في حبس ابن المدبر صاحب الخراج بمصر لخراج كان عليه ، ودفن يوم الأحد لاثنتين وعشرين ليلة خلت من شوال سنة خمسين ومائتين ، وكان من أهل مصر ، ذكر ابن يونس في تاريخ مصر ذلك كله .

- 209 -

أحمد بن يحيى بن سهل بن السريّ الطائي أبو الحسن المنبجي الشاهد المقرىء النحوي الأطروش : ذكره ابن عساكر في « تاريخ دمشق » وكان وكيلاً في الجامع مات سنة خمس عشرة وأربعمائة ، روى عن أبي عبد الله ابن مروان[2] وأبي العباس أحمد بن فارس الأديب المنبجي وأبي الحسن نظيف بن عبد الله المقرىء وغيرهم . وكان يحفظ من أخبار أبي عبد الله ابن خالويه النحوي، وكان ثقة . قال ابن عساكر : أنشدني ابن الأكفاني عن ابن الكتاني عن أحمد بن يحيى بن سهل المنبجي ، أنشدني أبو العباس أحمد بن فارس الأديب ، أنشدني ابن طباطبا لنفسه[3] :

---

208 ـ بغية الطلب 2 : 122 وإنباه الرواة 1 : 152 والوافي 8 : 247 وبغية الوعاة 1 : 398 وتهذيب التهذيب 1 : 89 .

209 ـ ترجمته في مصورة ابن عساكر 2 : 270 (وتهذيب ابن عساكر 1 : 112 ومختصر ابن منظور 3 : 319) وإنباه الرواة 1 : 151 والوافي 8: 248 وبغية الوعاة 1 : 395 .

(1) م : السوقي ؛ والسومي نسبة إلى بني سوم ، قبيلة يمنية .

(2) اسمه محمد بن ابراهيم بن مروان .

(3) وردت هذه الأبيات في تاريخ ابن عساكر 2 : 271 ودار جدل حولها في الذخيرة لابن بسام (3 : 390) بين ابن سيده وابن أنقد . وانظر المحاسن والمساوىء : 399 وترد في ترجمة ابن طباطبا .

حسودٌ مريضُ القلبِ يُخْفي أنينَهُ ... ويضحي كئيبَ البالِ مني حَزِينَهُ
يلومُ على أن رحتُ للعلم طالباً ... أقلّبُ من كلِّ الرواة فنونه
وأختار أبكارَ الكلام وَعُونَهُ ... وأحفظُ مما أستفيد عيونه
ويزعمُ أن العلمَ لا يجلبُ الغنى ... ويُحْسِنُ بالجهلِ الذميمِ ظنونه
فيا لائمي دعني أُغالي بقيمتي ... فقيمةُ كلِّ الناس ما يحسنونه

ـ 210 ـ

أحمد بن يزيد بن محمد المهلبي أبو جعفر: أديب شاعر راوية، له قصيدة مدح فيها الموفق وهنأه بفتح البصرة، منها:

قلْ للأمير هناكَ النصرُ والظفرُ ... وفيهما للإله الحمدُ والشكرُ
ما فوق فتحك فتحٌ في الزمانِ كما ... ما فوق فخرك يومَ الفخرِ مفتخر

ـ 211 ـ

أحمد بن يعقوب بن يوسف أبو جعفر النحوي المعروف ببرزويه الأصبهاني: مات فيما ذكره الخطيب سنة أربع وخمسين وثلاثمائة في أيام المطيع فكان يعرف بغلام نفطويه، أخذ عن أبي خليفة الفضل بن الحباب ومحمد بن العباس اليزيدي وغيرهما.

ـ 212 ـ

أحمد بن يعقوب بن ناصح الأصبهاني الأديب أبو بكر النحوي: ذكره الحاكم فقال: هو نزيل نيسابور، وسمع بأصبهان محمد بن يحيى بن منده الأصبهاني

---

210 ـ الوافي 8: 270 (وقال ذكره المرزباني في معجمه، وأورد من رائيته ستة أبيات وشفعها بمقطوعة أخرى).

211 ـ تاريخ بغداد 5: 226 (وعدّ كثيراً من شيوخه). والوافي 8: 275 وبغية الوعاة 1: 400.

212 ـ الوافي 8: 276 وبغية الوعاة 1: 400.

وأقرانه . مات بنيسابور قبل الخمسين وبعد الأربعين والثلاثمائة ، وكتب عنه الحاكم وأسند إليه في كتابه حديثين .

ـ 213 ـ

أحمد بن أبي يعقوب إسحاق بن جعفر بن وهب بن واضح الاخباري العباسي: ذكره أبو عمر محمد بن يوسف بن يعقوب المصري الكندي المؤرخ في تاريخ له ابتدأه بسنة ثمانين ومائتين قال : إن أحمد بن إسحاق بن واضح مولى بني هاشم توفي في سنة أربع وثمانين ومائتين ، وله تصانيف كثيرة منها : كتاب التاريخ كبير[1] . كتاب أسماء البلدان مجلد[2] . وكتاب في أخبار الأمم السالفة صغير . كتاب مشاكلة الناس لزمانهم[3] .

ـ 214 ـ

أحمد بن أبي يعقوب يوسف بن إبراهيم يعرف بابن الداية : كان أبوه ولد داية إبراهيم بن المهدي ، وأظنّ أن المعروف بابن الداية هو يوسف الراوي أخبار أبي نواس ، والله أعلم . وكان أبوه يوسف بن إبراهيم يكنى أبا الحسن ، وكان من جلة الكتاب بمصر ، ولا أدري كيف كان انتقاله إليها عن بغداد . وكان له مروءة تامة وعصبية مشهورة .

قال أبو القاسم العساكري الحافظ[4]: يوسف بن إبراهيم أبو الحسن الكاتب ،

---

213 ـ هو اليعقوبي المؤرخ ، والأرجح أن وفاته متأخرة عن التاريخ المذكور (انظر الأعلام للزركلي 1 : 91) .

214 ـ عيون الأنباء 1 : 190 ، 207 والوافي 8 : 282 .

---

(1) طبع هذا الكتاب طبعة أوروبية وثانية في النجف وثالثة في بيروت (دار صادر 1960) .

(2) وجدت منه قطعة ألحقت بالأعلاق النفيسة لابن رستة (بريل 1982) .

(3) رسالة لطيفة ، طبعت بعناية وليم ميلوورد .

(4) لم ترد هذه الترجمة في مصورة ابن عساكر .

وأظنه بغدادياً كان في خدمة إبراهيم بن المهدي قدم دمشق سنة خمس وعشرين ومائتين ، وحكى عن عيسى بن حكم[1] الدمشقي الطبيب النسطوري وشكلة أم إبراهيم بن المهدي وإسماعيل بن أبي سهل بن نوبخت وأبي إسحاق إبراهيم بن المهدي وأحمد بن رشيد الكاتب مولى سلام الأبرش وجبرئيل بن بختيشوع الطبيب وأيوب بن الحكم البصري المعروف بالكسروي وأحمد بن هارون الشرابي . روى عنه ابنه أبو جعفر أحمد ورضوان بن أحمد بن جالينوس وكان من ذوي المروءات ، وصنف كتاباً فيه أخبار المتطببين .

قال الحافظ : وبلغني عن أبي جعفر أحمد بن يوسف قال : حبس أحمد بن طولون يوسف بن إبراهيم والدي في بعض داره ، وكان اعتقال الرجل في داره يؤيس من خلاصه ، فكاد ستره أن ينهتك لخوف شمله عليه ، وكان له جماعة من أبناء الستر[2] يتحمل مؤنها[3] مقيمة لا تنقطع إلى غيره ، فاجتمعوا وكانوا زهاء ثلاثين رجلاً وركبوا إلى دار أحمد بن طولون ، فوقفوا بباب له يعرف بباب الخيل ، واستأذنوا عليه فأذن لهم ، فدخلوا إليه وعنده محمد بن عبد اللّٰه بن عبد الحكم وجماعة من أعلام مستوري مصر ، فابتدأوا كلامه بأن قالوا : قد اتفق لنا ـ أيد اللّٰه الأمير ـ من حضور هذه الجماعة ـ وأشاروا إلى ابن عبد الحكم والحاضرين مجلسه ـ ما رجونا أن يكون ذريعةً إلى ما نأمله[4] ، ونحن نرغب إلى الأمير في أن يسألها عنّا ليقفَ على أمرنا ومنازلنا ، فسألهم عنهم فقالوا : قد عُرضت العدالة على أكثرهم فامتنع منها ، فأمرهم أحمد بن طولون بالجلوس ، وسألهم تعريفه ما قصدوا له فقالوا : ليس لنا أن نسأل الأمير مخالفةَ ما يراه في يوسف بن إبراهيم لأنه أهدى إلى الصواب فيه ، ونحن نسأله أن يقدمنا إلى ما اعتزم عليه فيه : إن آثر قتله أن يقتلنا ، وإن آثر غيرَ ذلك أن يبلغ مأربه[5] ، فهو في سعة وحلٍ منه ، فقال لهم : ولِمَ ذلك ؟ فقالوا : لنا ثلاثون سنة ما أفكرنا في ابتياع شيءٍ مما احتجنا إليه ، ولا وقفنا بباب غيره ، ونحن واللّٰه يا أمير نرتمض[6] [من] البقاء بعده ومن السلامة من شيء إن مكروه وقع به ، وعجُّوا بالبكاء بين يديه ، فقال أحمد بن

(1) ر: حكم بن عيسى .
(2) ر : أبناء الناس .
(3) م : مؤونة .
(4) م : نسأله .
(5) م : أن يبلغه .
(6) ر : نرفض .

طولون : بارك اللّه عليكم فقد كافأتم إحسانه وجازيتم إنعامه ، ثم قال : أحضروا يوسف بن إبراهيم فأحضر ، فقال : خذوا بيد صاحبكم وانصرفوا ، فخرجوا معه وانصرف إلى منزله .

قال أبو جعفر أحمد بن يوسف بن إبراهيم : وبعث أحمد بن طولون في الساعة التي توفي فيها والدي يوسف بن إبراهيم بخدمٍ فهجموا الدار وطالبوا بكتبه مقدرين أن يجدوا فيها كتاباً من أحدٍ ممن ببغداد ، فحملوا صندوقين ، وقبضوا عليَّ وعلى أخي وصاروا بنا إلى داره ، وأدخلنا إليه وهو جالس وبين يديه رجل من أشراف الطالبيين ، فأمر بفتح أحد الصندوقين ، وأدخل خادم يده فوقع في يده دفتر جراياته على الاشراف وغيرهم ، فأخذ الدفتر بيده وتصفحه ، وكان جيد الاستخراج ، فوجد اسمَ الطالبيِّ في الجراية فقال له وأنا أسمع : كانت عليك جراية ليوسف بن إبراهيم ؟ فقال له : نعم يا أيها الأمير دخلتُ هذه المدينة وأنا مملقٌ فأجرى عليَّ في كلِّ سنة مائتي دينار ومائة اردب قمحاً[1] أسوةَ ابن الأرقط والعقيقي وغيرهما ، ثم امتلأت يداي بطَوْل الامير فاستعفيته منها فقال لي : ناشدتك[2] اللّه أن قطعتَ سبباً لي برسول اللّه ﷺ ، وتدمَّع الطالبي ، فقال أحمد بن طولون : رحم اللّه يوسف بن إبراهيم ، ثم قال : انصرفوا إلى منازلكم[3] فلا بأسَ عليكم ، فانصرفنا فلحقنا جنازة والدنا ، وحضر ذلك العلويّ دفننا[4] وقضى حقنا ، وقد أحسن مكافأة والدنا في مخلَّفيه .

وقال[5] : أبو جعفر أحمد بن أبي يعقوب يوسف بن إبراهيم ، يعرف بابن الداية ، من فضلاء أهل مصر ومعروفيهم ، وممن له علوم كثيرة في الأدب والطب والنجامة والحساب وغير ذلك ، وكان أبوه أبو يعقوب كاتب إبراهيم بن المهدي ورضيعه . ألّف كتاباً في أخبار الطب . مات أحمد بن يوسف في سنة نيف وثلاثين وثلاثمائة وأظنها سنة أربعين وثلاثمائة وله من التصانيف : سيرة أحمد بن طولون[6] .

---

(1) ومائة إردب قمحاً : من ر وهي في الوافي .
(2) م : نشدتك .
(3) م : منزلكم .
(4) دفننا : زيادة من ر .
(5) لعل النقل مستمر عن ابن عساكر .
(6) لخّص ابن سعيد عن كتاب ابن الداية هذا جلّ ما أورده عن ابن طولون في كتابه المغرب (قسم مصر) : 73 وما بعدها .

كتاب سيرة ابنه أبي الجيش خمارويه . كتاب سيرة هارون ابن أبي الجيش وأخبار غلمان بني طولون . كتاب المكافأة[1] . كتاب حسن العقبى . كتاب أخبار الأطبّاء . كتاب مختصر المنطق ألّفه للوزير علي بن عيسى . كتاب ترجمة كتاب الثمرة . كتاب أخبار المنجّمين . كتاب أخبار إبراهيم بن المهدي . كتاب الطبيخ .

وذكره ابن زولاق الحسن بن إبراهيم فقال[2] : كان أبو جعفر رحمه الله في غاية الافتنان ، أحد وجوه الكتّاب الفصحاء والحسّاب والمنجمين ، مجسطيّ أوقليدسيّ ، حسن المجالسة حسن الشعر ، قد خرج من شعره أجزاء . دخل يوماً على أبي الحسن علي بن المظفر الكرخي عامل خراج مصر مسلّماً عليه فقال له : كيف حالك يا أبا جعفر ؟ فقال على البديهة :

يكفيك من سوءِ حالي إن سألتَ به ... أني على طبريٍّ في الكوانين

ـ 215 ـ

أحمد بن يوسف بن القاسم بن صبيح الكاتب القفطي أبو جعفر : من أهل الكوفة ، كان يتولى ديوانَ الرسائل للمأمون ، وكان أخوه القاسم بن يوسف يدَّعي أنه من بني عجل ، ولم يدّعِ أحمد ذلك .

قال المرزباني : هو[3] مولى لبني عجل، ومنازلهم بسواد الكوفة. وزر أحمد

215 ـ ترجمة أحمد بن يوسف الكاتب في كتاب بغداد لابن أبي طاهر: 128 والأغاني 22 : 565 وتاريخ بغداد 5 : 216 والجهشياري: 304 والفهرست: 139 (وعده من بلغاء الناس وأنه اعتمد على أنس بن أبي شيخ ص: 140 وذكر أن أشعاره في خمسين ورقة (ص 188) ومصورة تاريخ ابن عساكر 2 : 287 وتهذيب ابن عساكر 2 : 124 ومختصر ابن منظور 2 : 330 وبغية الطلب 2 : 148 وقال إن ابن الجراح ذكره في الورقة ، والوافي 8 : 279 وانظر صفحات متفرقة من زهر الآداب ، وله أخبار كثيرة قد نثرت في كتب الأدب ، ورسائل أو منتخبات منها . وله ترجمة في كتاب الأوراق (أخبار الشعراء المحدثين) 143 ـ 146 ، 206 ـ 236 .

(1) طبع هذا الكتاب في مصر مرتين إحداهما بتحقيق أستاذنا العلاّمة محمود محمد شاكر .
(2) اطلع ابن زولاق على سيرة ابن طولون وسيرة ابنه أبي الجيش ، وقرأهما على مؤلفهما وحدَّث بهما عنه مع غيرهما من مصنفاته (المغرب ـ قسم مصر : 148) .
(3) م : كان .

للمأمون بعد أحمد بن أبي خالد . مات في قول الصولي في شهر رمضان سنة ثلاث عشرة ومائتين وقال غيره سنة أربع عشرة ومائتين ، وكان أبوه يوسف يكنى أبا القاسم ، وكان يكتب لعبد اللّه بن علي عمِّ المنصور ، وله شعر حسن وبلاغة . وكان أحمد وأخوه[1] القاسم شاعرين أديبين ، وأولادهما جميعاً أهل أدب يطلبون الشعر والبلاغة . حكَى عن المأمون وعبد الحميد بن يحيى الكاتب وحكَى عنه ابنه محمد بن أحمد بن يوسف وعلي بن سليمان الأخفش وغيرهما .

قال الصولي : لما مات أحمد بن أبي خالد الأحول شاور المأمون الحسنَ بن سهل فيمن يكتب له ويقوم مقامه ، فأشار عليه بأحمد بن يوسف وبأبي عباد ثابت بن يحيى الرازي ، وقال : هما أعلم الناس بأخلاق أمير المؤمنين وخدمته وما يرضيه فقال له : اختر لي أحدهما ، فقال الحسن : إنْ صَبَر أحمد على الخدمة وجفا لذَّتَهُ قليلاً فهو أحبُّهما إليَّ لأنه أعرقُ في الكتابة وأحسنُهما بلاغةً وأكثر علماً ، فاستكتبه المأمون ، وكان يعرضُ الكتبَ ويوقّع ، ويخلفه أبو عباد إذا غاب عن دار المأمون مترفعاً عن الحال التي كان عليها أيام أحمد بن أبي خالد ، وكان ديوان الرسائل وديوان الخاتم والتوقيع والأزمّة إلى عمرو بن مسعدة ، وكان أمر المأمون يدور على هؤلاء الثلاثة[2] .

حدث الصولي عن أبي الحارث النوفلي قال : كنت أبغض القاسم بن عبيد اللّه لمكروهٍ نالني منه ، فلما مات أخوه الحسن قلت على لسان ابن بسام[3] :

قل لأبي القاسم المرجَّى ... قابلك الدهرُ بالعجائبْ
مات لك ابنٌ وكان زَيْنا ... وعاش ذو الشَّين والمعايبْ
حياةُ هذا كموتِ هذا ... فليس تخلو من المصائبْ

وإنما أخذه من قول أحمد بن يوسف الكاتب لبعض إخوانه من الكتَّاب ، وقد ماتت له ببغا ، وكان له أخ يضعِّفُ ، فكتب إليه[4] :

(1) تهذيب ابن عساكر 2 : 124 .
(2) بعد هذا في م : الألف أحمد بن يوسف الوزير .
(3) تهذيب ابن عساكر (نفسه) وبغية الطلب 2 : 749 والأوراق : 223 .
(4) تهذيب ابن عساكر 2 : 125 وبغية الطلب (نفسه) والأوراق : 222 .

أنت تبقى ونحن طرّاً فداكا … أحسنَ اللّه ذو الجلالِ عزاكا
فلقد جلَّ خطبُ دهرٍ أتانا … بمقاديرَ أتلفتْ ببّغاكا
عَجَباً للمنون كيف أتاها … وتخطَّتْ عبدَ الحميد أخاكا
كان عبد الحميد أصلحَ للمو … ت من البيغا وأولى بذاكا
شملتنا المصيبتان جميعاً … فقدنا هذه ورؤية ذاكا

حدث أبو القاسم عبد اللّه بن محمد بن ناقيا الكاتب في « كتاب ملح الممالحة » قال : لما خرج عبد اللّه بن طاهر من بغداد إلى خراسان قال لابنه محمد : إن عاشرتَ أحداً بمدينة السلام فعليك بأحمد بن يوسف الكاتب ، فإن له مروءة ، فما عرج محمد حين انصرف من توديع أبيه على شيء حتى هجم على أحمد بن يوسف في داره ، فأطال عنده ، ففطن له أحمد فقال : يا جارية غدينا ، فأحضرت طبقاً وأرغفة نقية وقدَّمَتْ ألواناً يسيرة وحلاوة وأعقب ذلك بأنواع من الأشربة في زجاج فاخر وآلة حسنة وقال : يتناول[1] الأمير من أيها شاء . ثم قال له : إن رأى الأميرُ أن يشرفَ عبده ويجيئه في غد أنْعَمَ بذلك ، فنهض وهو متعجّبٌ من وصف أبيه له ، وأراد فضيحته فلم يترك قائداً جليلاً ولا رجلاً مذكوراً من أصحابه إلا عرفهم أنه في دعوة أحمد بن يوسف ، وأمرهم بالغدوّ معه ، فلما أصبحوا قصدوا دار أحمد بن يوسف ، وقد أخذ أهبته وأظهر مروءته ، فرأى محمد من النضائد والفرش والستور والغلمان والوصائف ما أدهشه ، ونصب ثلاثمائة مائدة وقد حُفت بثلاثمائة وصيفة ، ونقل إلى كل مائدة ثلاثمائة لون في صحاف الذهب والفضة ومثارد الصين ، فلما رفعت الموائد قال ابن طاهر : هل أَكَلَ من بالباب ؟ فنظروا فإذا جميعُ مَنْ بالباب قد نُصِبَت لهم الموائد فأكلوا ، فقال : شتان بين يوميك يا أبا الحسن (كذا في هذه الرواية كناه بأبي الحسن) فقال : أيها الأمير ذاك قوتي وهذه مروءتي .

وحدث الصولي قال[2] : كان من أول ما ارتفع به أحمد بن يوسف أن المخلوع لما قُتل أمر طاهرٌ الكتّاب أن يكتبوا إلى المأمون فأطالوا ، فقال طاهر : أريد أخصر من

(1) ر : ليتناول.
(2) زهر الآداب : 435 .

هذا ، فَوُصِفَ له أحمد بن يوسف فأحضره لذلك ، فكتب : أما بعد فإنَّ المخلوع وإن كان قسيمَ أمير المؤمنين في النَّسَبِ واللحمة فقد فرَّق حُكْمُ الكتابِ بينه وبينه في الولاية والحرمة، لمفارقته عصمةَ الدين، وخروجِهِ عن إجماعِ المسلمين، قال الله عز وجل لنوح عليه السلام في ابنه : ﴿ يَا نُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ ﴾ (هود: 46) ولا صلة لأحد في معصية اللّه ، ولا قطيعة ما كانت في ذات الله . وكتبت إلى أمير المؤمنين وقد قتل اللّه المخلوع ، وأحصد لأمير المؤمنين أمره ، وأنجز له وعده ، فالأرض بأكنافها أوطأ مهاد لطاعته ، وأتبع شيء[1] لمشيئته . وقد وجهت إلى أمير المؤمنين بالدنيا وهو رأسُ المخلوع ، وبالآخرة وهي البردة والقضيب ، والحمد لله الآخذ لأمير المؤمنين بحقه ، والكائد له من خان عهده ونكث عقده حتى رد الألفة ، وأقام به الشريعة ، والسلام على أمير المؤمنين ورحمة اللّه وبركاته . فرضي طاهر ذلك وأنفذه ووصل أحمد بن يوسف وقدمه .

وحدث محمد بن عبدوس[2] أنه لما حُمِلَ رأس المخلوع إليه وهو بمرو أمر المأمونُ بإنشاء كتابٍ عن طاهر بن الحسين ليقرأ على الناس ، فكتبت عدة كتب لم يرضها المأمون والفضل بن سهل ، فكتب أحمد بن يوسف هذا الكتاب فلما عُرِضَتِ النسخةُ على ذي الرئاستين رجع نظره فيها ثم قال لأحمد بن يوسف : ما أنصفناك ، ودعا بقهرمانه وأخذ القلم والقرطاس وأقبل يكتب بما يُفَرَّغُ له من المنازل ، وَيُعَدّ له فيها من الفرش والآلات والكسوة والكراع وغير ذلك ، ثم طرح الرقعة إلى أحمد بن يوسف وقال له : إذا كان في غد فاقعد في الديوان ، وليقعد جميع الكتاب بين يديك ، واكتب إلى الآفاق .

وحدث فيما رفعه إلى إبراهيم بن إسماعيل قال[3] ، قال : كثر الطلاب للصلات بباب المأمون ، فكتب إليه أحمد بن يوسف: داعي نداك يا أمير المؤمنين ومنادي جدواك جمعا الوفودَ ببابك يرجون نائلك المعهود ، فمنهم من يمتُّ بحرمة ، ومنهم من يُدْلي

(1) ر : مهاداً . . . شيئاً .
(2) الجهشياري : 304 ـ 305 .
(3) زهر الآداب : 436 .

بخدمة ، وقد أجحف بهم المقام ، وطالتْ عليهم الأيام ، فإن رأى أمير المؤمنين أن ينعشهم بسببه ، ويحقق حسن ظنهم بطَوْله فعل إن شاء اللّه تعالى .

فوقع المأمون : الخير متبع ، وأبواب الملوك مظانّ لطالبي الحاجات ومواطن لهم ، ولذلك قال الشاعر :

يسقطُ الطيرُ حيثُ يلْتَقطُ الحـبُّ وتُغْشَى منازل الكرماء

فاكتب أسماء من ببابنا منهم ، واحك مراتبهم ليصلَ إلى كلِّ رجل قَدْرُ استحقاقه ، ولا تكدِّرْ معروفنا عندهم بطول الحجاب وتأخير الثواب ، فقد قال الشاعر :

فانك لن ترى طرداً لحرٍّ كالصاقٍ به طَرَفَ الهوانِ

حدث أحمد بن أبي طاهر قال[1] : كتب صديق لأحمد بن يوسف الكاتب في يوم دجن إليه : يومنا ظريف النواحي ، رقيق الحواشي ، قد رعدت سماؤه وبرقت وحنت وارجحنت ، وانت قطبُ السرور ، ونظام الأمور ، فلا تفردنا منك فنقلَّ ، ولا تنفرد عنا فنذلَّ ، فإن المرء بأخيه كثير وبمساعدته جدير . قال : فصار أحمد بن يوسف إلى الرجل وحضرهم من أرادوا ، ثم تغيمت السماء فقال أحمد بن يوسف :

أرى غيماً تؤلفه[2] جنوبٌ وأحسب أنْ سيأتينا بهطْلِ
فعينُ الرأي أن تدعو برطلٍ فتشربه وتدعو لي برطلِ
وتسقيه ندامانا جميعاً فيفترقون منه بغير عقلِ
فيومُ الغيم يومُ الغمِّ إنْ لم تبادرْ بالمدامةِ كلَّ شغلِ
ولا تُكرهْ محرِّمها عليها فإني لا أراه لها بأهلِ

قال : فغنى فيه عثعث اللحن المشهور .

وأهدى أحمد بن يوسف هدية في يوم نوروز إلى المأمون وكتب معها[3] :

(1) الأغاني 14 : 206 وانظر أيضاً 7 : 157 ، 22 : 569 وبغية الطلب 2 : 151 .
(2) ر : يولده .
(3) زهر الآداب : 145 وتهذيب ابن عساكر 2 : 124 والأوراق : 212 .

على العبـد حقٌّ فهـو لا بـد فـاعلهْ وان عَـظُمَ المـولى وجلَّتْ فضـائِلُهْ
ألم تـرنـا نهـدي إلى اللّه مـا لـه وان كـان عنـه ذا غنىً فهـو قـابله
ولـو كـان يُهْـدَى للكـريم بقـدرِهِ لقصَّـر فضـلُ المـال عنـه وسـائله
ولـكننـا نُهـدي إلـى مـن نـعـزه وان لم يكنْ في وسعنا مـا يعـادلـه

وذكر الجهشياري قال[1] كان يكتب لعبد اللّه بن علي : يوسف بن صبيح مولى بني عجل من ساكني سواد الكوفة ، فذكر القاسم بن يوسف بن صبيح أن أباه حدثه أن عبد اللّه بن علي لما استتر عند أخيه سليمان بالبصرة علم أنه لا وَزَرَ له من أبي جعفر . قال : فلم أستتر ، وقصدتُ أصحابنا الكتاب فصرتُ في ديوان أبي جعفر ، وأجرى لي في كل يوم[2] عشرة دراهم ، قال : فبكرت يوماً إلى الديوان قبل فتح بابه ولم يحضر أحد من الكتاب ، وإني لجالسٌ عليه إذ انا بخادم لأبي جعفر قد جاء إلى الباب فلم يَرَ غيري فقال لي : أَجِبْ أمير المؤمنين، فأُسْقِطَ في يدي وخشيت الموت ، فقلت له : إن أمير المؤمنين لم يُرِدْني ، فقال : وكيف ؟ قلت : لأني لست ممن يكتب بين يديه ، فهمَّ بالانصراف عني ، ثم بدا له فأخذني وأدخلني ، حتى إذا كنت دونَ الستر وَكَّلَ بي ودخل ، ولم يلبث أن خرج فقال لي : ادخل فدخلت ، فلما صرت على باب الايوان قال لي الربيع : سلِّم على أمير المؤمنين ، فشممت رائحة الحياة فسلَّمت ، فأدناني وأمرني بالجلوس ، ثم رمى إليَّ بربع قرطاس وقال لي : اكتبْ وقارِبْ بين الحروف ، وفرِّج بين السطور ، واجمع خطك ، ولا تُسْرِفْ في القرطاس . وكانت معي دواة شامية فتوقفت عن إخراجها ، فقال لي : يا يوسف وأنت تقول في نفسك أنا بالأمس في ديوان الكوفة أكتب لبني أمية ثم مع عبد اللّه بن علي وأخْرِجُ الساعةَ دواةً شامية ؟ إنك إنما كنتَ في الكوفة تحت يدي غيرك[3] وكنت مع عبد اللّه بن علي لي ومعي ، والدويّ الشامية أدب جميل ومن أدوات الكتاب ، ونحن أحق بها ، قال : فأخرجتها وكتبت وهو

(1) الجهشياري : 131 ـ 132 والأوراق : 150 ـ 151 .
(2) الجهشياري : شهر .
(3) الجهشياري : غيري .

يملي ، فلما فرغتُ من الكتاب أمر به فأترب وأُصلح وقال : دعه وَكِلِ العنوانَ اليّ ، ثم قال لي : كم رزقك يا يوسف في ديواننا ؟ فقلت : عشرة دراهم ، فقال : قد زادك أمير المؤمنين عشرةَ دراهم أخرى رعايةً لحرمتك بعبد اللّه بن علي ومثوبةً لـك على طاعتك ونقاء ساحتك ، وأشهد أنك لو اختفيتَ باختفائه لأخرجْتُكَ ولو كنتَ في جحرة النمل ، ثم زايلت بين أعضائك . فدعوتُ له وخرجت مسروراً بالسلامة .

كان للمأمون[1] جارية اسمها مؤنسة ، وكانت تعتني بأحمد بن يوسف ، وكان أحمد بن يوسف يقوم بحوائجها ، فأدلَّتْ على المأمون في بعض الأمور فأنكر عليها ، وصار إلى الشماسية ولم يحملها معه ، فاستحضرت نصرة خادم أحمد بن يوسف وحملته رسالة إلى مولاه بخبرها ، وسألته التلطفَ لاصلاح نية المأمون ، فلما عرَّفه الخادمُ ذلك دعا بدواته وقصد الشماسية فاستأذن على المأمون ، فلما وصل اليه قال : أنا رسول فـأْذنْ لي في تأدية الرسالة ، فأنشده هذه الأبيات :

قد كان عتبك مرّةً مكتوما ... فاليومَ أصبحَ ظاهراً معلوما
نال الأعادي سُؤْلَهم لا هُنِّئوا ... لما رأونا ظاعناً ومقيما
هبني أسأتُ فعادةٌ لك أن تُرى ... متجاوزاً متفضلاً مظلوما

قال : قد فهمت الرسالة ، فكن الرسول بالرضى ، ووجَّهَ بياسر الخادم فحملها .

وكان موسى بن عبد الملك في ناحية أحمد بن يوسف ، وهو خرَّجه وقدَّمه ، قال الحسن بن مخلد : حدثني موسى بن عبد الملك قال : وهب لي أحمد بن يوسف (وكان يرمى بأنه كان يعبث بموسى بن عبد الملك يتعشقه) ألف ألف درهم في مرات ، وكان عاتبه فيه محمد بن الجهم البرمكيّ ، فكتب إليه أحمد بن يوسف[2] :

لا تعذلنّيَ يا أبا جعفرٍ ... لَومُ الأخلاَّء من اللُومِ
إن استه مشربةٌ حمرةً ... كأنها وجنة مكلومِ

فتقدم محمد إلى البجلي ، وكان في ناحيته ، فأجابه :

---

(1) قارن بكتاب بغداد : 129 ـ 130 والأغاني 22 : 566 وبغية الطلب 2 : 152 والأوراق : 208 .
(2) الأغاني 23 : 160 والأوراق : 207 .

لستُ بـلاحيـك على حبّـه ولـستَ فـي ذاك بمـذمـومِ
لأنَّ فـي أسـفـله سـخـنـةً كـأنهـا سخـنـةُ محـمـومِ

ذكر غرس النعمة في « كتاب الهفوات »[1] حدثني محمد بن علي بن طاهر بن الحسين قال : كان أحمد بن يوسف يسقط السقطة بعد السقطة فتتلف نفسُهُ في بعض سَقَطاته ، وذلك أنه حكى علي بن يحيى بن أبي منصور أن المأمون كان إذا تبخر طُرِحَ له العود والعنبر ، فإذا تبخر أمر باخراج المجمرة ووضعها تحت الرجل من جلسائه اكراماً له ، وحضر أحمد بن يوسف يوماً ، وتبخَّر المأمونُ على عادته ثم [أمر] بوضع المجمر تحت أحمد بن يوسف فقال : هاتوا ذا المردود ، فقال المأمون : ألنا يقال هذا ونحن نصلُ رجلاً واحداً من خدمنا بعشرة آلاف درهم (قال الصولي في كتاب الوزراء : بستة آلاف ألف دينار ، وهو الصحيح) إنما قَصَدنا إكرامك وأن أكون أنا وأنت قد اقتسمنا بخوراً واحداً ، يُحْضَرُ عنبر ، فأُحضر منه شيء في الغاية من الجودة في كلِّ قطعة ثلاثةُ مثاقيل ، وأمر أن تطرحَ قطعةٌ في المجمر ويبخر بها أحمد ويدخلَ رأسه في زيقهِ حتى ينفذَ بخورها ، وفعل به ذلك بقطعة ثانية وثالثة ، وهو يستغيث ويصيح ، وانصرف إلى منزله وقد احترق دماغه واعتل ومات سنة ثلاث عشرة ومائتين وقيل أربع عشرة ومائتين وكانت له جارية يقال لها نسيم لها من قلبه مكان خطير ، فقالت ترثيه[2] :

ولـو أن ميتـاً هـابـه المـوتُ قبله لمـا جـاءه المقـدارُ وهـو هيـوبُ
ولـو أن حيَّـاً قبله صـابـه الـردى إذاً لم يكن لـلأرضِ فيـه نصيبُ

وقالت أيضاً ترثيه[3] :

نفسي فـداؤك لو بـالنـاسِ كلّهم مـا بي عليك تَمَنَّوْا أنهم مـاتـوا
وللورى مـوتةٌ في الـدهرِ واحـدةٌ ولي من الهمِّ والأحـزانِ مـوتـات

(1) كتاب الهفوات : 253 وقارن بكتاب بغداد : 131 ـ 132 والأوراق : 235 ـ 236 .
(2) مصورة ابن عـساكر 2 : 289 وبغية الطلب 2 : 154 .
(3) بغية الطلب (نفسه) ومصورة ابن عـساكر : 290 .

ومن شعر أحمد بن يوسف ، كتب به إلى صديق له[1] :

تطاولَ باللقاءِ العهدُ منا　　وطولُ العهدِ يقدحُ في القلوبِ
أراك وان نأيتَ بعينِ قلبي　　كأنّك نصبُ عيني من قريب
فهل لك في الرواح إلى حبيبٍ　　يقرُّ بعينه قرب الحبيب

قال أحمد بن يوسف ، وقد شتمه رجل بين يدي المأمون ، للمأمون : قد واللّه يا أمير المؤمنين رأيته يستملي من عينيك ما يلقاني به .

وكتب إلى إسحاق بن إبراهيم الموصلي ، وقد زاره إبراهيم بن المهدي : عندي من أنا عبده وحجتنا عليك إعلامنا اياك والسلام :

عندي من تُبْهَجُ العيونُ به　　فإن تخلَّفتَ كنتَ مغبونا

وأهدى إلى المأمون في يوم عيد هديةً وكتب معها[2] : هذا يومٌ جرت فيه العادة ، باهداء العبيد إلى السادة ، وقد أهديت قليلاً من كثير عندي وقلت :

أهدى إلى سيده العبدُ　　ما ناله الإمكان والوجدُ
وإنما أهدى له ماله　　يبدأ هذا ولذا ردُّ

فقال المأمون : عاقل أهدى حسناً .

ومن شعره اللطيف[3] :

إذا ما التقينا والعيونُ نواظرٌ　　فألسننا حربٌ وأبصارنا سلمُ
وتحت استراق اللحظ منا مودَّةٌ　　تطلّع سراً حيثُ لا يبلغ الوهمُ

وهو القائل في محمد بن سعيد بن حماد الكاتب ، وكان يميل إليه وكان صبياً مليحاً[4] :

صدَّ عني محمد بن سعيد　　أحسنُ العالمين ثانيَ جيدِ
صدَّ عني لغير جُرْمٍ إليه　　ليس الا لحسنه في الصدودِ

---

(1) الأوراق : 215 .
(2) زهر الآداب : 437 والأوراق : 216 .
(3) زهر الآداب : 439 (الأول فقط) .
(4) البيتان في مصورة ابن عساكر 2 : 190 والأوراق : 217 .

قال : وكان محمد بن سعيد يكتب بين يديه ، فنظر إلى عارضه قد اختط في خدّه ، فأخذ رقعة وكتب فيها[1] :

لحاك اللّه من شَعَر وزادا كما ألبستَ عارضَهُ الحدادا

أغرتَ على تورد وجنتيه فصيَّرْتَ احمرارهما سوادا

ورمى بها إلى محمد بن سعيد ، فكتب مجيباً ، عظم اللّه أجرك فيَّ يا سيدي وأحسنَ لك العِوَضَ مني .

ومن شعر أحمد بن يوسف[2] :

كثيرُ هموم النفس حتى كأنما عليه كلامُ العالمين حرامُ

إذا قيل ما أضناك أسْبَلَ دمعَهُ يبوحُ بما يخفي وليس كلامُ

وعاش القاسم أخوه بعد ، فقال يرثيه :

رماك الدهرُ بالحَدَث الجليلِ فعزِّ النفسَ بالصبرِ الجميلِ

أترجو سلوةً وأخوك ثاوٍ ببطنِ الأرضِ تحت ثرىً مَهيلِ

ومثلُ أخيك فلتبكِ البواكي لمعضلةٍ من الخطبِ الجليلِ

وزير الملك يَرْعَى جانبيه بحسنِ تيقظٍ وصوابِ قيلِ

وكتب إلى إبراهيم بن المهدي : قد أحلَّكَ اللّه من الشَّرَفِ أعلى ذروتِهِ ، وبلَّغكَ من الفضلِ أبعدَ غايته ، فما الآمالُ إلا إليك مصروفة ، والأعناقُ نحوكَ معطوفة ، وإليك تنتهي الهمم السامية ، وعليك تقف الظنون الحَسَنة ، وبك تُثْنَى الخناصر، وبعدك تُعَدُّ الأكابر، وببحركَ تسافر الرغائب، وتستفتحُ أَغْلاقُ المطالب، لا يستعطي النجحَ مَنْ رَجَاك ، ولا تعروهُ النوائبُ في ذَراك[3] .

(1) الأوراق : 217 .

(2) زهر الآداب : 439 والأوراق : 227 ـ 228 .

(3) في ر بعد هذا ترجمة « الحسن بن علي بن غسان » وقد نقلت إلى موضعها في حرف الحاء .

- 216 -

أخثاء : هو لقب ولا أعرف اسمه ، ولم أجد له ذكراً إلا ما ذكره أبو بكر المبرمان في الباب من كتابه : « في نكت كتاب سيبويه » في الفرق بين الكلم والكلام فقال : وقال لي الملقب بأخثاء وكان أحدَ من رأينا من النحويين الذين صحت لهم القراءة على أبي عثمان المازني ، وكان موصوفاً في أول نظره بالبراعة مُسَلّماً له استغراقُ الكتاب على أبي عثمان ، ثم أدركته علة فقصر عن الحال الأولى أنا حاكيه ، ورأيت أنا أبا العباس ثعلباً يرومُ ذلك وهو ان كل ما لُفِظَ به ينقسم أقساماً ثلاثة ، قسم منه يكون للحدث ولأسماء المحدثين ولأسماء الأمكنة والأزمنة التي تقع فيها الأحداث ولا اسمَ للجنس فيه وذلك نحو الضرب والقتل والأخذ والكلام وما أشبه ذلك ، فإذا سئلت عن شيء من هذا فقيل لك : ما هو؟ فجوابه أن تذكر الحدث المنقضي مع الزمان . وصنف منه يكون للأجناس ولا اسم للاحداث فيه ولا يكون حدثاً وهو كقولك سفرجلة وسفرجل فإذا سئلت عن ذلك فجوابه ان تخبر عن صفة الشيء فتقول : هو الذي لونه كذا وجسمه كذا ومركّب من كذا . وصنف آخر يجمع الجنسين وذلك نحو تمرة وتمر فهذا من باب سفرجلة وسفرجل ثم تقول أتمر النخلُ يتمر اتماراً ، فهذا إنما هو عبارة عن الحدث ، فإذا سئلت ما التمر فجوابه ان تقول : هو الجسم الذي من صفته كذا ومن قدّه كذا وفي داخله كذا ، وإذا سئلت ما الاتمار فجوابه ان يمرّ الزمان بحرّه وبرده وما فيه على البسر فيتغير من حال كذا إلى حال كذا ، ثم يلين فيصير فيه الدبس . وانما تنبيء عن الاحداث التي تقع ، وكذا كلمة وكلم في باب تمرة وتمر ، فإذا قيل لك ما الكلم ؟ فالجواب : هو الموضوع المتعارَفُ بين الناس استعملوه ، وهو الذي يسمونه اسم وفعل وحرف . فإن قيل : فما الكلام ؟ فجواب ذلك ان تقول : هو إجراء هذا الذي يسمونه كلماً وإخراجُهُ بالصواب من الفم ، فهو حدث فالكلام حدث ، والكلم موضوع الكلام الذي يستعمل كزيد وضرب وهل وبل ، فقد جمع الكلم أمرين ، والكلام ليس كذلك إنما هو لأمرٍ واحد .

216 ـ الوافي 8 : 310 .

ـ 217 ـ

أسامة بن سفيان السجزي النحوي : من نحاة سجستان وشعرائها ، ذكره أبو الحسن البيهقي في كتاب « الوشاح » وأنشد له :

أبى النـأيُ إلاّ أن يجـدِّد لي ذكـرى ... لمن ودعتني وهي لا تملك العبــرا
وقـالتْ رعـاكَ اللّه مـا خلتُ أنني ... أراك تسلَّى أو تـطيقُ لنـا هـجـرا
وكـنـت ترى فـرطَ العـلاقـة سـاعـةً ... تغيِّبهـا عنـا وإن قَصُــرَتْ شـهــرا
وتجـزعُ من وشكِ الفـراقِ فمـا لنـا ... على فرقة الأحباب أن نُظْهـرَ الصبرا

منها في المديح :

وزيـرٌ يرى المعـروفَ يجمُـلُ ذكـرُهُ ... فـأرسل بين النـاس معـروفَـهُ غمـرا
فمـا أقلعتْ يـومـاً غمـامـةُ جـودِهِ ... ولا قَـطَرتْ رشاً ولا أخـطأت قـطرا
وما اختصَّ يوماً حاضـراً دون غائبٍ ... بـرفـدٍ ولا ذا فـاقـةٍ دون مَنْ أثــرى
وقـد أمَّـه الـراجـونَ من كـلّ وجهةٍ ... فـأربى مـرجَّـاهـم بـواحــدة عشـرا
وقـد كان يعـطيهم وهم في ديـارهم ... ولكنْ هوىً أن يجمعَ الرفد والبشـرا
رأى مــالـه مــالَ العـدى فـأبــاده ... فـلم يُبْـقِ منـه لا ولا مـنهـمُ إثــرا

ـ 218 ـ

أسامة بن مرشد بن علي بن مُقَلّد بن نصـر بن مُنْقذ بن محمـد بن منقذ بن

---

217 ـ إنباه الرواة 1 : 237 والوافي 8 : 377 وبغية الوعاة 1 : 437 .

218 ـ لأسامة ابن منقذ ترجمة في مصورة ابن عساكر 2 : 702 وتهذيبه 2 : 403 والخريدة (قسم الشام) 1 : 498 وبغية الطلب 2 : 205 وابن خلكان 1 : 195 والوافي 8 : 378 وسير الذهبي 21 : 164 والمقفى 2 : 40 ويمثل كتاب الاعتبار شيئاً من سيرته الذاتية ، كما قد كتبت عنه في العصر الحديث عدة دراسات ، ونشر من كتبه سوى الاعتبار : لباب الآداب والمنازل والديار وديوان شعره وكتاب العصا والبديع في نقد الشعر . وله كتاب في التاريخ ، وله أزهار الأنهار ينقل عنه ابن العديم .

نصر بن هاشم بن سوار بن زياد بن زُغَيب[1] بن مكحول بن عمرو بن الحارث بن عامر بن مالك بن أبي مالك بن عوف بن كنانة بن بكر بن عذرة بن زيد اللات بن رفيدة بن ثور بن كلب بن وبرة بن ثعلب بن حلوان بن عمرو [بن الحاف] بن قضاعة بن مالك بن حمير بن مرة بن زيد بن مالك بن حمير بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان : هكذا ذكر هو نسبه وفيه اختلاف يسير عند ابن الكلبي . ويكنى أسامة أبا المظفر ، ويلقب مؤيّد الدولة مجد الدين .

وفي بني منقذ جماعة أمراء شعراء ، لكن أسامة أشعرهم وأشهرهم ، وأنا أذكر لكلٍّ واحد من أهله في ترجمته ما يليق ولا أفرّقهم :

ذكره عماد الدين أبو عبد اللّه محمد بن محمد بن حامد الأصفهاني في « كتاب خريدة القصر وجريدة العصر » وأثنى عليه كثيراً فقال[2] : ما زال بنو منقذ هؤلاء مالكي شيزر ، وهي حصنٌ قريبٌ من حماة ، معتصمين بحصانتها ممتنعين بمناعتها ، حتى جاءت الزلزلة في سنة نيف وخمسين فخربتْ حصنها ، وأذهبت حسنها ، وتملكها نور الدين محمود بن زنكي عليهم ، وأعاد بناءها فتشعبوا شُعَباً وتفرقوا أيدي سبا .

قال ابن عساكر[3] : ذكر لي أسامة أنه ولد سنة ثمان وثمانين وأربعمائة وقدم دمشق سنة اثنتين وثلاثين وخمسمائة ومات أسامة في ثالث عشري رمضان سنة أربع وثمانين وخمسمائة ودُفن بجبل قاسيون . قال العماد[4] : وأسامة كاسمه ، في قوة نثره ونظمه ، يلوح في كلامه أمارةُ الإمارة ، ويؤسّسُ بيتَ قريضه عمارة العبارة ، حلو المجالسة ، حالي المساجلة ، ندي النديّ بماءِ الفكاهة ، عالي النجم في سماءِ النباهة ، معتدلُ التصاريف ، مطبوع التصانيف ، أسكنه عشقُ الغوطة ، دمشقَ المغبوطة ، ثم نبت به كما تنبو الدار بالكريم ، فانتقل إلى مصر فبقي بها مؤمّراً مشاراً إليه بالتعظيم ، إلى أيام ابن رزيك ، فعاد إلى الشام ، وسكن دمشق مخصوصاً بالاحترام ، حتى أُخذت شيزر من أهله ، ورشقهم صَرْفُ الزمان بنبله ، ورماه الحدثان

---

(1) زغيب : هكذا وردت مشكولة بخط ابن العديم (وفي الخريدة : رغيب) .

(2) الخريدة (قسم الشام) 1 : 497 .

(3) المصورة 2 : 702 وتهذيب ابن عساكر 2 : 404 .

(4) الخريدة 1 : 498 ونقله أيضاً ابن العديم 2 : 207 .

إلى حصن كيفا مقيماً بها في ولده ، مؤثراً لها على بلده ، حتى أعاد الله دمشق إلى سلطنة الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن أيوب سنة سبعين ، ولم يزل مشغوفاً بذكره ، مشتهراً بإشاعة نظمه ونثره ، والأمير العضد مرهف ولد الأمير مُؤيّد الدولة جليسه ، ونديمه وأنيسه . (قال مؤلف هذا الكتاب : وقد رأيت أنا العضد هذا بمصر عند كوني بها في سنتي إحدى عشرة ، واثنتي عشرة وستمائة وأنشدني شيئاً من شعره وشعر والده) قال : فاستدعاه إلى دمشق ـ يعني مؤيّد الدولة ـ وهو شيخ قد جاوز الثمانين .

قال[1] وأنشدني العامريّ من شعره بأصبهان ، وكنت أتمنى لقياه ، وأشيم على البعد حياه . حتى لقيته في صفر سنة إحدى وسبعين بدمشق ، وسألته عن مولده فقال : وُلدت في السابع والعشرين من جمادى الآخرة سنة ثمان وثمانين وأربعمائة وأنشدني لنفسه البيتين اللذين سارا له في قلع ضرسه[2] :

وصاحب لا أملُّ الدهرَ صحبتَهُ ... يشقى لنفعي ويسعَى سعي مجتهدِ
لم ألقه مذ تصاحبنا فحين بدا ... لناظريَّ افترقنا فُرْقَةَ الأبسد

وأنشدني لنفسه من قديم شعره[3] :

قالوا نهته الأربعون عن الصبا ... وأخو المشيب يجور ثُمَّتَ يهتدي
كم حار في ليل الشباب فدلَّه ... صبحُ المشيب على الطريقِ الأقصد
وإذا عددتَ سنيَّ ثمَّ نقصتها ... زمنَ الهموم فتلك ساعةُ مولدي

قلت أنا : هذا كلام نفيس ومعنى لطيف ، ولكنه أخذ معنى البيت الثاني من قول ابن الرومي[4] .

كفى بسراج الشيب في الرأس هاديا ... إلى من أضلَّتْهُ المنايا لياليا
فكان كرامي الليلِ يرمي فلا يُرَى ... فلما أَضاءَ الشيبُ شخصي رمانيا

(1) يتابع النقل عن الخريدة 1 : 499 .
(2) الخريدة 1 : 499 والديوان : 153 والمقفى 2 : 44 .
(3) الخريدة 1 : 500 والديوان : 347 .
(4) ديوان ابن الرومي 6 : 245 .

وأخذ معنى البيت الأخير من قول أبي فراس ابن حمدان في مزدوجته[1] :

ما العمرُ ما طالتْ به الدهورُ   العمرُ ما تمَّ به السرور
أيامُ عزّي ونفاذِ أمري   هي التي أحسبها من عمري
لو شئتُ مما قد قللنَ جدّا   عددتُ أيام السرور عدّا

ولكنَّ قول أسامة أبلغ في المعنى وهذا ظاهر .

قال وأنشدني من قديم شعره[2] :

لم يبق لي في هواكمُ أَربُ   سلوتكمْ والقلوبُ تنقلبُ
أوضحتمُ لي سُبْل السلوِّ وقد   كانت ليَ الطرْقُ عنه تنشعب
إلامَ دمعي من هجركم سَرِبٌ   قانٍ وقلبي من غدركم يجب
إن كان هذا لأن تعبَّدني الـ   ـحبُّ فقد أعتقتنيَ الرِيَب
أحببتكم فوق ما توهَّمه الـ   ـناسُ وخنتم أضعافَ ما حسبوا

وقوله أيضاً[3] :

يا دهرُ مالك لا يَصُـ   ـدُّكَ عن مساءتيَ العتابُ
أمرضتَ من أهوى ويأ   بى أن أُمَرِّضَهُ الحجاب
لو كنتَ تنصفُ كانت الـ   ـأمراضُ لي وله الثواب

أخذ هذا المعنى من قول الشاعر :

يا ليتَ علّته لي غير أنَّ له   أجرَ المريضِ وأني غيرُ مأجورِ

قال العماد : وهذا الذي أوردته من شعره نقلته من « تاريخ السمعاني » فلما وردت إلى دمشق واجتمعتُ به قلت له : هل لك معنى مبتكر في الشيب ؟ فأنشدني[4] :

(1) ديوان أبي فراس : 435 ـ 436 .
(2) الخريدة 1 : 501 وبغية الطلب 2 : 210 والديوان : 109 .
(3) الخريدة : 502 وبغية الطلب 2 : 209 والديوان: 55 .
(4) الخريدة 1 : 503 ـ 504 والديوان : 265 .

لو كان صدَّ معاتباً ومغاضباً أرضيتُهُ وتركتُ خدّي شائبا
لكن رأى تلك النضارةَ قد ذَوَتْ لما غدا ماءُ الشبيبة ناضبا
ورأى النهى بعد الغوايةِ صاحبي فثنى العنانَ يريغُ غيريَ صاحبا
وأبيه ما ظلم المشيبُ فإنه أملي فقلتُ عساه عني راغبا
أنا كالدجى لما تناهى عمره نشرتْ له أيدي الصباحِ ذوائبا

ومن شعره أيضاً في محبوس[1] :

حبسوك والطيرُ النواطقُ إنما حُبِسَتْ لميزتها على الأندادِ
وتهيّبوك وأنت مودَعُ سجنهم وكذا السيوفُ تهابُ في الأغماد
ما الحبسُ دار مهانة لذوي العلا لكنّه كالغيل للآساد

ومنه قوله في الشمعة[2] :

انظر إلى حُسْنِ صبرِ الشمع يظهر للـ ـرائين نوراً وفيه النارُ تستعرُ
كذا الكريمُ تراه ضاحكاً جذلاً وقلبُهُ بدخيلِ الغمِّ منفطر

وقوله أيضاً[3] :

نافقتُ دهري فوجهي ضاحكٌ جَذِلٌ طَلْقٌ وقلبي كئيبٌ مكمد باكِ
وراحةُ القلبِ في الشكوى ولذّتِها لو أمكَنَتْ لا تساوي ذِلَّة الشاكي

وقوله أيضاً[4] :

لئن غضَّ دهرٌ من جماحيَ أو ثنى عنانيَ أو زلَّتْ بأخمصيَ النعلُ
تظاهرَ قومٌ بالشَّماتِ جهالةً وكم إحنةٍ في الصدر أبرزها الجهلُ
وهل أنا إلا السيفُ فَلَّلَ حَدَّهُ قراعُ الأعادي ثم أرهفَهُ الصقلُ

---

(1) الخريدة 1 : 505 .
(2) المصدر نفسه . والديوان : 250 .
(3) الخريدة 1 : 506 والديوان : 94 .
(4) الخريدة 1 : 506 ـ 507 .

وقوله أيضاً[1] :

لا تحسدنَّ على البقاء معمَّراً فالموتُ أيسرُ ما يؤولُ إليهِ
وإذا دعوتَ بطول عمرٍ لامرىء فاعلم بأنكَ قد دعوتَ عليه

قال العماد[2] وتناشدنا بيت الوزير المغربي في وصف خفقان القلب وتشبيهه بظل اللواء الذي تخترقه الرياح وهو[3] :

كأنَّ قلبي إذا عنَّ آدّكاركمُ ظلُّ اللواء عليه الريح تخترق

فقال لي الأمير مؤيد الدولة أسامة : فقد شبهتُ القلبَ الخافق وبالغتُ في تشبيهه وأربيتُ عليه في قولي من أبيات ، وهي[4] :

أحبابنا كيف اللقاءُ ودونكم عرضُ[5] المهامه والفيافي الفيحُ
أبكيتمُ عيني دماً لفراقكم فكأنّما إنسانها مجروح[6]
وكأن قلبي حين يخطرُ ذكركم لَهَبُ الضرام تعاوَرَتْهُ الريح

فقلت له : صدقت ، فإن المغربي قصد تشبيهه خفقان القلب ، وأنت شبهتَ القلب الواجب باللهيب ، وخفقانه باضطرابه عند اضطرامه لتعاور الريح فقد أربيت عليه .

وأنشدني أيضاً من قوله ، أيام شبابه وهو معتقل ، في الخيال[7] :

ذكر الوفاءَ خيالُك المنتابُ فألمَّ وهو بودّنا مرتابُ
نفسي فداؤك من حبيبٍ زائرٍ متعتِّبٍ عندي له الإعتابُ

---

(1) الخريدة 1 : 508 .
(2) الخريدة 1 : 511 .
(3) الوزير المغربي : 144 (رقم : 70) عن الخريدة ومعجم الأدباء .
(4) مصورة ابن عساكر 2 : 703 .
(5) ابن عساكر : خوض .
(6) رواية البيت في ابن عساكر :
أبكيتم عيني دماً فكأنما إنسانها بيدِ الفراق جريح
(7) الخريدة 1 : 512 والديوان : 3 .

وِدّي كعهدك والديارُ قريبةٌ ... من قبل أن تتقطعَ الأسبابُ
ثَبْتٌ فلا طول الزيارة ناقصٌ ... منه وليس يزيده الإغبابُ
حَظَر الوفاء عليّ هجرك طائعاً ... وإذا اقتُسرت فما عليّ عتابُ

قال وتذاكرنا قول أبي العلاءَ المعرّيّ[1] :

لو حطَّ رحليَ فوقَ النجم رافعُهُ ... ألفيتِ ثمَّ خيالاً منكِ منتظري

وأبلغ من هذا قول المعرّيّ في بعد المسافة[2] :

وذكرتُ كم بين العقيقِ إلى الحمى ... فجزعتُ من أَمَدِ المدى المتطاولِ
وعذرتُ طيفك في الجفاءِ فإنه ... يسري فيصبحُ دوننا بمراحلِ

وأنشدني[3] :

وأعْجَبُ ما لقيتُ من الليالي ... وأيّ فعالها بي لم يسؤني
تقلُّب قلبِ مَنْ مثواه قلبي ... وجفوةُ من ضممتُ عليه جفني

قال[4] : واجتمعنا عند الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن أيوب بدمشق ليلةً ، وكان يلعب بالشطرنج ، فقال لي الأمير أسامة : ألا أُنشدكَ البيتين اللذين قلتهما في الشطرنج ؟ فقلت : هات ، فأنشدني لنفسه :

انظر إلى لاعبِ الشطرنج يجمعها ... مغالباً ثم بعد الجمع يرميها
كالمرءِ يكدحُ للدنيا ويجمعها ... حتى إذا مات خلّاها وما فيها

وأنشدني لنفسه في غرض له في نور الدين محمود رحمه اللّه[5] :

سلطاننا زَاهدٌ والناسُ قد زهدوا ... له فكلٌّ على الخيراتِ منكمشُ
أيامه مثل شهرِ الصوم خاليةٌ ... من المعاصي وفيها الجوعُ والعَطَشُ

---

(1) شروح السقط 1 : 119 .
(2) شروح السقط 2 : 734 .
(3) الخريدة 1 : 514 والديوان : 47 .
(4) الخريدة 1 : 515 ـ 516 وانظر المقفى 2 : 44 .
(5) هذه القطعة والتاليتان لها في الخريدة 1 : 516 والأولى في ديوانه : 158 والثالثة فيه : 31 .

قال وأنشدني لنفسه :

أأحبابنا هلّا سبقتم بوصلنا ... صروفَ الليالي قبل أن نتفرقا
تشاغلتمُ بالهجر والوصلُ ممكنٌ ... وليس إلينا للحوادث مرتقى
كأنّا أخذنا من صروفِ زماننا ... أماناً ومن جور الحوادثِ موثقا

وقال أيضاً :

قمرٌ إذا عاينته[1] شغفاً به ... غَرَسَ الحياءُ بوجنتيه شقيقا
وتلهَّبَتْ خجلاً فلولا ماؤُها ... مترقرقاً فيه لصار حريقا
وازورَّ عني مُطْرِقاً فأضلَّني ... أنْى[2] اهتدى نحو السلوّ طريقا
فَلْيَلْحَني مَنْ شاء فيه فصبوتي ... بهواهُ سُكْرٌ لستُ منه مفيقا

وكتب إليه ابنه أبو الفوارس مرهف إلى حصن كيفا كتاباً على يد مستمنح فلم يمكّن الوقتُ من بلوغ الغرضِ من البر ، فكتب أسامة جوابه :

أبا الفوارسِ ما لاقيتُ من زمني ... أشدُّ من قبضه كفّي عن الجودِ
رأى سماحي بمنزورٍ تجانف لي ... عنه وجودي به فاجتاح موجودي
فصرتُ إن هَزَّني جانٍ تعوَّدَ أن ... يجني نداىَ رآني يابسَ العودِ

وقال أيضاً[3] :

سقوفُ الدورِ في خَرْبَرْتَ[4] سود ... كَسَتْهَا النارُ أثوابَ الحدادِ
فلا تعجبْ إذا ارتفعتْ علينا ... فللحظِ اعتناءٌ بالسوادِ
بياضُ العين يكسوها جمالاً ... وليس النورُ إلا في السوادِ
ونورُ الشيبِ مكروهٌ وتهوى ... سوادَ الشعر أصنافُ العبادِ
وطرسُ الخطِّ ليس يفيد علماً ... وكلُّ العلمِ في وَشْيِ المدادِ

---

(1) ر : عاصيته .
(2) ر : لما .
(3) الخريدة : 526 .
(4) خربرت أو خرتبرت ، في أقصى ديار بكر ويسمّى « حصن زياد » .

وله في مدح صلاح الدين[1] :

هو من عرفن[2] فلو عصاه نهاره ... لرماه نقعُ جيوشِهِ بغياهبِ

وله في الهزل[3] :

خلع الخليعُ عذارَهُ في فسقهِ ... حتى تهتَّكَ في بغا ولواطِ
يأتي ويؤتى ليس ينكر ذا ولا ... هذا كذلك إبرةُ الخياطِ

قال العماد[4] : وكان قد سألني أن أتنجَّزَ له مطلوباً عند الملك الناصر صلاح الدين فكتب إليَّ يستحثني :

عمادُ الدينِ مولانا جوادُ ... مواهبُهُ كمنهلِّ السحابِ
يحكِّمُ في مكارمه الأماني ... ولو كلَّفنَهُ ردَّ الشبابِ
وعذرك في قضا شغلي قضاءٌ ... يصرِّفه فما عذرُ الجوابِ

ولمؤيد الدولة أسامة بن منقذ تصانيف حسان منها كتاب القضاء . كتاب الشيب والشباب ألفه لأبيه . كتاب ذيل يتيمة الدهر للثعالبي . كتاب تاريخ أيّامه . كتاب في أخبار أهله ، رأيته .

ومن شعر الأمير الأجل مؤيّد الدولة مجد الدين أسامة بن منقذ :

صديقٌ لنا كالبحر قد أهلك الورى ... ولم تنههم أخطارُهُ عن ركوبِهِ
مودّته تحكيه صفواً وخُبْرُها ... كمشربه من حُوبِهِ وذنوبِهِ

ومنه أيضاً :

كنت بين الرجاءِ واليأس منه ... أقطعُ الدهر بين سلم وحربِ
ألتقي عتبه بأكرم إعتا ... بٍ ويلقى ذلّي بتيهٍ وعجبِ
فبدا للملوك أني لو رمـ ... ـتُ سلوًّا لما سلا عنه قلبي
فتجنّى ليَ الذنوبَ ولا والـ ... ـله مالي ذنبٌ سوى فرطِ حبي

---

(1) الخريدة 1 : 527 .
(2) الضمير يعود إلى « الأيام » في البيت السابق .
(3) الخريدة 1 : 533 .
(4) الخريدة 1 : 547 .

ومنه أيضاً[1] :

انـظر بـعينـك هـل تـرى أحـداً يـدومُ عـلى المـودَّهْ
لـتـرى أخـلّاء الـصـفـا ءِ عـدىً إذا تـأتيـك شـدّهْ

ومنه أيضاً :

تنكّـرني الإخـوانُ حتى ثقـاتُهُمْ وحـذّرني منهم نـذيـرُ التجاربِ
كـأني إذا أودعتُ سرِّيَ عنـدهمْ رفعتُ بنـارٍ فوق أعلى المَـرَاقبِ

قال العماد[2] وكتبها إلى دمشق بعد خروجه إلى مصر في أيام بني الصوفي يشير إليهم :

ولُـوا فلما رجـونا عـدلهم ظلمـوا فليتهم حكمـوا فينـا بمـا علمـوا
مـا مرَّ يـومـاً بفكـري مـا يـريبهمُ ولا سعتْ بي إلى مـا سـاءهم قَـدَمُ
ولا أضعتُ لهم عـهـداً ولا آطلعـتْ عـلى ودائعـهم فـي صـدريَ التـهمُ
محـاسـني منـذ ملُّوني بـأعينـهم قـذىً وذكـريَ فـي آذانهـم صـممُ
وبعـدُ لـو قيـل لي مـاذا تحبُّ ومـا تختـار من زينـةِ الـدنيـا لقلتُ هُمُ
همُ مجـال الكـرى من مقلتيَّ ومن قلبي محـلُّ المنى جاروا او اجتـرمـوا
تـبـدلـوا بي ولا أبـغي بـهـم بـدلاً حسبي بهم أنصفوا في الحكم أم ظلموا
يـا راكبـاً تقـطعُ البـيـداء همّتـه والعيسُ تعجـزُ عمّـا تُـدْرِكُ الهـممُ
بلّغ أميـري معينَ الـدين مـألكـةً مـن نـازح الـدارِ لكـن ودُّه أَمَـمُ
هـل في القضية يـا مَنْ فَضْـلُ دولتِهِ وعـدلُ سيـرتـه بين الـورى علمُ
تضييـعُ واجب حقّي بعد مـا شهدت بـه النصيحـةُ والإخـلاص والخـدمُ
إذا نـهـضـتَ إلى مـجـدٍ تـؤثـله تـقـاعـدوا وإذا شيّـدتـه هـدمـوا
وإن عـرتـك مـن الأيـام نـائبـة فـكلُّهـمْ لـلذي يُـبـكيـك يـبتسـمُ

---

(1) ديوان أسامة : 223 .
(2) الخريدة 1 : 523 والديوان : 40 والمقفى 2 : 44 ـ 46 .

وكــلُّ من مِلْتَ عنــه قــرّبــوه وَمَنْ — والاكَ فهــو الــذي يُقصَى ويـهتـضمُ
ايـن الحـمـيــةُ والـنـفسُ الأبـيــة إذ — سـامـوك خـطّةَ خسفٍ عـارهــا يصمُ
هــلا أنـفـتَ حيـاءً أو مـحــافـظة — من فعـل ما أنكـرتـه العـرب والعجمُ
أسلمتنــا وسيــوفُ الهنــدِ مغمـدةٌ — ولـم يـروٌ سنــانَ الـسـمـهـري دَمُ
وكنتُ أحسب مـن والاك في حَـرَمٍ — لا يـعـتـريــه بــه شَيْـبٌ ولا هــرمُ
وأنّ جــارك جــارٌ لــلســمــوأل لا — يخشى الأعــادي ولا تغتــالــه النقمُ
هبنــا جنينــا ذنــوبــاً لا يكفّــرهــا — عُــذرٌ فمـاذا جنَى الأطفــال والحـرمُ

ومنها :

لـكـنَّ رأيــك أدنــاهُـمْ وأبـعــدنــي — «فليتَ أنّــا بِـقَــدْرِ الحـبِّ نقتسـمُ»
ولا سخــطتُ بعـادي إذ رضيتَ بــه — «ولا لــجــرحٍ إذا أرضــاكـم ألــمُ»
تعلقتْ بحبـالِ الشمس منكَ يــدي — ثم انثنتْ وهي صفــرٌ مِـلْؤُهَــا نَــدَمُ
لـكنْ فـراقُــكَ آســانـي وآسـفـني — ففي الجــوانــح نــارٌ منــه تضـطرمُ
فاسلم فما عشتَ لي فالدهرُ طوعُ يدي — وكــلّ مــا نــالـني مـن بؤسِــهِ نِـعَمُ

ومن شعره أيضاً :

الْـقَ الــخـطوب إذا طـرقــــنَ بقلبِ مـحتسبٍ صبــورِ
فـسـيـنقـضـي زمـنُ الـهـمــوم كمـا انقضى زمنُ السـرورِ
فـمـن الـمـحــالِ دوام حــالٍ في مـدى العمـر القصيــرِ

وتوفي بعد الثمانين وخمسمائة .

ومنهم أخوه أبو الحسن علي بن مرشد بن علي بن مقلد بن منقذ(1) سيد بني منقذ ، ورد بغدادَ حاجاً بعد العشرين وخمسمائة وقد ذكره السمعانيّ في « تاريخه » وأنشد له(2) :

(1) الخريدة 1 : 548 .
(2) الخريدة 1 : 549 .

ودعتُ صبري ودمعي يومَ فُرْقَتِكُمْ ... وما علمتُ بأنَّ الدمع يُدَّخَرُ
وضلَّ قلبيَ من صدري فَعُدْتُ بلا ... قلبٍ فيا ويحَ ما آتي وما أذر
ولو علمتُ ذخرتُ الصبر مبتغياً ... إطفاءَ نارٍ بقلبي منكَ تستعر

قال الامير علي بن مرشد سمعت دراجاً[1] يصيح بدرب حبيب فقلت فيه :

يا طائراً لعبتْ أيدي الفراقِ به ... مثلي فأصبح ذا همٍّ وذا حزَنِ
داني الأسى نازحَ الأوطان مغترباً ... عن الأحبّةِ مصفوداً عن الوطنِ
بلا نديمٍ ولا جارٍ يُسَرُّ به ... ولا حميمٍ ولا دارٍ ولا سكنِ
لكن نطقتَ فزال الهمُّ عنك ولي ... همٌّ يقلقلُ أحشائي وَيُخْرِسُني
وكلُّ من باح بالشكوى استراح وَمَنْ ... أخفى الجوى بثَّ[2] عنه شاهدُ البدنِ
أرّقتَ عيني بنوحٍ لستُ أفهمه ... معْ ما بقلبيَ من وجدٍ يؤرّقني
وما بكيتُ ولي دمعٌ غواربه ... إذا ارتمت منه لم تنشقّ بالسفنِ

قال وكتب إلى صديق له[3] :

ما فُهْتُ معْ متحدّثٍ متشاغلاً ... إلا رأيتك خاطراً في خاطري
ولو آستطعتُ لزرتُ أرضك ماشياً ... بسواد قلبي لا بأسود ناظري

وكتب إلى أخيه مؤيّد الدولة أسامة وهو بالموصل :

ألا هل لمحزونٍ تذكَّرَ إلْفَهُ ... فحنَّ وأبدى وَجْدَهُ مَنْ يُعينُهُ
وعيشاً مضى بالرغم إذ نحن جيرةٌ ... ترفُّ على روضِ الوصالِ غصونهُ
لدى منزلٍ كان السرور قرينكم ... به فتولّى إذ تولّى قرينهُ
فلو أعشبت من فيض دمعي محولُهُ ... لما رَضِيَتْ عن دمع عيني جفونهُ

---

(1) م : دراباً ، والتصويب عن الخريدة (549) .
(2) الخريدة : نث .
(3) الخريدة 1 : 550 وكذلك المقطوعتان بعدها .

قال : وأنشدني له ابن أخيه الأمير مرهف بن أسامة :

لأشكرنَّ النوى والعيسَ إذ قصدت بي معدنَ الجودِ والاحسانِ والكرمِ
فسرتُ في وطني إذ سرتُ عن وطني فمن رأى صحةً جاءت من السقمِ
وقد ندمتُ على عمرٍ مضى أَسَفاً إذ لم أكنْ لك جاراً فيه في القدمِ
فاسلم ولا زلتَ محروسَ العلا أبداً ما لاحتِ الشهبُ في داجٍ من الظلمِ

وقال أخوه أسامة بن مرشد : ونقلتُ من خطِّ أخي عز الدولة أبي الحسن علي بن مرشد من شعره ، وكان استشهد رحمه اللّه على غزة في شهر رمضان سنة خمس وأربعين وخمسمائة في حرب الفرنج لعنهم اللّه ، قبل أن يكمل من شعره ، وكان تَقَنْطَرَ به فرسه على باب غزة ، واستعلى الفرنج على أصحابه فانكشفوا عنه ، فقتل وبقي في المعركة . وأنشد له أشعاراً منها قوله في مرض طال به :

ظننتُ وظنُّ الألمعيِّ مُصَدَّقٌ بأن سقامَ المرءِ سجنُ حمامِهِ
فإن لم يكنْ موتٌ صريحٌ فإنّه عذابٌ تملُّ النفسُ طولَ مقامِهِ
وكم يلبثُ المسجونُ في قبضة الأذى يجرِّب فيه الموتُ غَرْبَ حسامِهِ

وأنشد له قوله عند رحيله عن بغداد إلى الحجاز :

ترحلتُ عن بغداد لا كارهاً لها وفي القلبِ منها لوعةٌ وحريقُ
فسقياً لأيامٍ تقضَّتْ بربعها إذ العيشُ غضٌّ والزمانُ أنيقُ
باخوان صدقٍ ليس فيهم مشاقِقٌ وكلهمُ حانٍ عليَّ شفيقُ

وأنشد له أيضاً :

ولما أعارتني النوى منك نظرةً أحبَّ إلى قلبي من البارد العذبِ
تعقَّبها البينُ المشتُّ فليتنا بقينا على تأميلنا لذةَ القربِ

وأنشد له :

ليت شعري علامَ صدُّك عنّا بعد ما كنتَ تدَّعي الأشواقا
لا تجارِ الزمانَ سبقاً إلى الهجـ ـرِ فما زَالَ صَرْفُهُ سبّاقا
أنت غرٌّ بغدره فلهذا قد تعجلتَ بالصدودِ الفراقا

وأنشد له :

بني أبي إن عدا دهرٌ ففرّقنا فهمُّ نفسي بكم ما عشتُ مجتمعُ
هل تعلمون الذي في النفس من أَسَفٍ عليكُمُ وحنينٍ ليس ينقطعُ
نزحتمُ أدمعي حتى لقد مَحِلتْ جفونُ عيني ومات اليأسُ والطمعُ
وإنّ دهراً رَمَى عن جيده درراً أمثالكم لزمانٌ عاطلٌ ضَرِعُ

ومنهم جده **سديد الملك أبو الحسن علي بن مقلد بن منقذ**[1] : وكان من شرطه أن يقدَّم على بنيه ، قال : هو جدّ الجماعة ، موفورُ الطاعة ، أحكم آساس مجدِهِ وشادها ، وفَضَلَ أمراءَ ديار بكر والشام وسادها .

قال أبو يعلى حمزة بن أسد[2] : في سنة أربع وسبعين وأربعمائة في رجب ملك الأمير أبو الحسن علي بن المقلد بن منقذ حصنَ شيزر من الأسقف الذي كان فيه بمال بذله له وارغبه فيه إلى أن حصل في يده ، وشرع في عمارته وتحصينه والممانعة[3] عنه إلى أن تمكنت حاله فيه ، وقويت نفسه في حمايته والمدافعة عنه[4] .

والأمير سديد[5] الملك هو ممدوح فحول الشعراء والذي امتدحه ابن حيّوس بقصيدته التي أولها (وكتبها إليه من طرابلس وهو بحلب)[6] :

أما الفراقُ فقد عاصيتُهُ فأبى وطالتِ الحربُ إلاّ أنه غَلَبا
أرانيَ البين لما حُمّ عن قدرٍ وَداعُنا كلَّ جدٍّ بعده لعبا

قال : وسألت ابنَ ابنه الأمير أسامة بن مرشد بن علي عن وفاة جده فقال مات سنة خمس وسبعين وأربعمائة .

قال : وأنشدني مجد العرب العامري باصبهان قال ، أنشدني الأمير أبو سلامة

(1) الخريدة 1 : 552 .
(2) ذيل تاريخ دمشق : 113 .
(3) م : والمصانعة .
(4) ابن القلانسي : والمراعاة دونه .
(5) عاد إلى النقل من الخريدة (553) .
(6) ديوان ابن حيوس 1 : 20 ـ 21 .

مرشد لأبيه الأمير أبي الحسن علي بن مقلد في غلام له ضربه ، وقد أبدع في هذا المعنى وأغرب(1) :

أسطُو عليه وقلبي لو تمكَّنَ من ... كفّيَّ غلَّهما غيظاً إلى عنقي
وأستعزُّ(2) إذا عاتبته حنقاً ... وأين ذلُّ الهوى من عِزَّةِ الحَنَقِ

قال وأنشدني له أيضاً(3) :

ماذا النجيعُ بوجنتيكَ وليس مِنْ ... شرطِ الأنوفِ على الخدود رعافُ
ألحاظنا جَرَحَتْكَ حين تعرَّضتْ ... لك أم أديمك جوهرٌ شفَّافُ

وقرأت له في مجموع :

إذا ذكرتُ أياديكَ التي سَلَفَتْ ... معْ سوءِ فعلي وزلَّاتي ومجترَمي
أكادُ أقتلُ نفسي ثمَّ يمنعني ... علمي بأنكَ مجبولٌ على الكرمِ

وله أيضاً :

من كان يرضى بذلٍّ في ولايتهِ ... من خوفِ عزلٍ فإني لستُ بالراضي
قالوا فتركبُ أحياناً فقلتُ لهم ... تحت الصليب ولا في موضع القاضي

وله أيضاً :

لا تعجلوا بالهجرِ إنَّ النوى ... تحملُ عنكم مِنَّةَ الهجرِ
وظاهرونا بوفاقٍ فقد ... أغناكم البينُ عن الهُجرِ

وله أيضاً :

ألقى المنيّةَ في درعين قد نُسجا ... من المنيّة لا من نَسْجِ داودِ
إن الذي صوَّر الأشياءَ صوَّرني ... ناراً من البأسِ في بحرٍ من الجودِ

---

(1) الخريدة 1 : 555 .

(2) م ر : واستعير .

(3) هذه المقطوعة وما يليها منقول عن الخريدة ، ولكن وقع خرمٌ في الخريدة هنا ، وقد صرَّح ياقوت بقوله : قال العماد أنشدت هذه الأبيات والقطع جميعها الأمير مؤيد الدولة ، وكان بإمكان المحقق أن يعتمد هذا النقل لإكمال ما سقط من الخريدة فلم يفعل .

وهذان البيتان يرويان لعبد المؤمن ملك الغرب .

ولسديد الملك من مجموع أسامة :

كيف السلوُّ وحبُّ من هـو قَاتلي   أدنى إليَّ من الـوريـدِ الأقـربِ
إني لأُعْمِـلُ فكـرتي فـي سلوةٍ   عَنْـهُ فيظهـرُ فيَّ ذلُّ المـذنبِ

وله أيضاً :

بَـكَـرَتْ تـنـظرُ شيـبـي   وثـيـابـي يـومَ عـيـدِ
ثـم قـالـتْ لـي بـهـزءٍ   يـا خليعـاً في جـديـدِ
لا تـغـالـطـني فـمـا تـصـلح إلّا لـلصـدودِ

قال العماد : أنشدت هذه الأبيات والقطع جميعها الأميرَ مؤيد الدولة أسامة في سنة اثنتين وسبعين فأنكر أن يكون لجده سوى البيتين اللذين أولهما :

لا تعجلوا بـالهجـر إن النـوى

وأنشدني لجده ، وكان كتب بها إلى القاضي جلال الملك أبي الحسن علي بن عمّار صاحب طرابلس :

أحبـابنـا لـو لقيتم في مقـامكمُ   من الصبابةِ مـا لاقيتُ في ظعني
لأصبحَ البحرُ من أنفـاسكم يَبَساً   كـالبـرِّ من أدمعي ينشقُّ بـالسفنِ

ومنهم الأمير أبو سلامة مرشد بن علي بن مقلد بن نصر بن منقذ [والد] أسامة ولد المقدم ذِكرُهُ[1] ، له البيتُ القديم ، والفضلُ العميم من فروع الأملاك الفارعي الأفلاك .

قال السمعاني في « تاريخه » : رأيت مُصْحفاً بخطّه كتبه بماءِ الذهب على الطاقِ الصوريِّ ، ما رأيت ولا أظنُّ أن الرائين رأوا مثله ، فقد جمع إلى فضائله حسنَ خطه ، وتقدم بحسن تدبيره على رهطه ، وأسنَّ وعمّر وله أولاد نجباءُ أمجاد ، كرماء أجواد ، وكان مولده سنة ستين وأربعمائة ومات بشيزر سنة إحدى وثلاثين وخمسمائة فيما حكاه ولده أسامة للسمعاني . وذكره مجد العرب أبو فراس العامري وقال : كنتُ مقيماً مدّةً

(1) الخريدة 1 : 558 (وقد سقط أول الترجمة) .

بشيزر في كنفهم ، حاظياً برفدهم سامياً بشرفهم . وأثنى على خَلفَهم وترحَّم على سلفهم . قال : وكان الأمير حينئذ بقلعة شيزر أخوه أبو العساكر سلطان ، وهو ممدوحي الذي حباني الإكرام والاحسان ، والأمير مرشد يقرّبني ويكرمني ، وقال فيَّ أبياتاً منها[1] :

لئن نسي آمروٌ عهداً فإني ... لعهدِ أبي الفوارسِ غير ناسِ
وما عاش الأمير أبو فراسٍ ... فما مات الأمير أبو فراسِ

كنية العامري أبو فراس ، وأبو فراس الآخر هو أبو فراس ابن حمدان ، وكان العامري يتبجّح بالبيتين .

وذكر[2] السمعاني في « تاريخه » أنشدني ولده أبو عبد اللّه محمد بن مرشد بن علي بن مقلد بن منقذ من حفظه ، عند القبة التي فيها قبر أيوب النبي ﷺ ، عند عقبة أفيق بنواحي الأردن قال : وأنا قائم أكتب ، وهو وغلمانه على الخيل ، قال : أنشدني والدي مرشد بن علي لنفسه بشيزر[3] :

ظلومُ أبتْ في الظلم إلا تماديا ... وفي الصدِّ والهجران إلاّ تناهيا
شكتْ هجرنا والذنبُ في ذاك ذنبُها ... فيا عجبا من ظالمٍ جاء شاكيا
وطاوعَتِ الواشين فيَّ وطالما ... عصيتُ عذولاً في هواها وواشيا
ومال بها تيهُ الجمالِ إلى القلى[4] ... وهيهات أن أُمسي لها الدهر قاليا
ولا ناسياً ما آستودعت من عهودها ... وإن هي أبسدت جفوةً وتناسيا

ومنها في العتاب :

وقلتُ أخي يرعى بنيَّ وأسرتي ... ويحفظُ فيهم عُهْدَتي وذماميا
ويجزيهمُ ما لم أُكلِّفْهُ فعلَهُ ... لنفسي فقد أعددتُهُ من تراثيا

---

(1) هنا يتصل الكلام مع المتبقي من نص الخريدة .
(2) النقل مستمر عن الخريدة .
(3) اعترف أسامة أن هذه القصيدة لأخيه محمد منشدها وأنها ليست لأبيه .
(4) م : العلا .

فأصبحت صِفْرَ الكفً ممّا رجوتُهُ أرى اليأسَ قد غطّى سبيلَ رجائيا
فما لك لمّا أن حَنَى الدهرُ صَعْدَتي وثلَّمَ مني صارماً كان ماضيا
تنكّرتَ حتى صار بِرُّك قسوةً وقربُكَ منهم جفوةً وتناسيا[1]
على أنني ما حُلتُ عمّا عهدتَهُ ولا غيَّرتْ هذي الشؤونُ ودادِيا
فلا زَعْزَعَتْكَ الحادثاتُ فإنني أراك يميني والأنامَ شماليا

قال : وقرأت في بعض الكتب كلمةً نظمها الخطيبُ أبو الفضل يحيى بن سلامة الحصكفي في جوابِ رسالةٍ وصلته من الأمير[2] علي بن مرشد من شيزر وهي :

حوى مرشدٌ وابناه غُرَّ المناقبِ وحلُّوا من العلياءِ أعلى المراتبِ
ذوائبُ مجدٍ ما علمتَ بأنهم من العلم أيضاً في الذرى والذوائبِ
أتت من عليٍّ روضةٌ جاد روضَها سحائبُ فَضْلٍ لا كَجَوْدِ السحائبِ
بأبيات شعرٍ أفحمتْ كلَّ شاعرٍ وآياتِ نثر أعجبتْ كلَّ خاطبِ
وغرٍّ معانٍ أعجزت كلَّ عالمٍ وأسطرِ خطٍّ أرعشتْ كل كاتبِ
ربيعٌ بوردٍ وافدٍ لمطالعٍ وربعٌ لوفدٍ واردٍ بمطالبِ
وخودٌ رمت بالسحر عن قَوْسِ حاجبٍ لها في العلا فخرٌ على قوسِ حاجبِ
فلو قَطَبَتْ [راحاً] لما قطَّبَتْ لها وجوهٌ ولا غَطَّتْ على حكم شاربِ

ومنهم **حميد بن مالك**[3] **بن مغيث بن نصر بن منقذ بن محمد بن منقذ** بن نصر بن هاشم ، أبو الغنائم الملقب بمكين الدولة : ولد بشيزر في تاسع جمادى الآخرة سنة إحدى وتسعين وأربعمائة ونشأ بها ، وانتقل إلى دمشق فسكنها مدةً طويلة ، واكتتب في العسكر ، وكان يحفظ القرآن ، وله شعرٌ جيّدٌ وفيه شجاعةٌ وعفاف ، ومات في نصف شعبان سنة أربع وستين وخمسمائة بحلب ، ومن شعره :

---

(1) الخريدة : وتنائيا .
(2) م : اليمين .
(3) ترجمة حميد بن مالك في تهذيب ابن عساكر 4 : 466 والوافي 13 : 202 وسيكرره المؤلف ويخصّه بترجمة مستقلة (انظر رقم : 440 فيما يلي) وليس فيها كبير زيادة عما ورد هنا .

مـا بعـد جلّق للمـرتـادِ منـزلـةٌ ولا كسكّانها في الأرضِ سُكّـانُ
فكلُّهـا لمجـال الـطرفِ منتـزَهٌ وكلُّهم لصـروفِ الـدهـر أقرانُ[1]
وهم وإن بعـدُوا عنّي بنسبتـهم إذا بـلوتـهـمُ بـالـودِّ اخـوانُ

وقال في أخيه يحيى :

بالشام لي جَـذَتٌ وجدتُ بفقـده وجـداً يكـاد القلبُ منـه يـذوبُ
فيه من البأسِ المهيبِ صـواعقٌ تُخشى ومن مـاءِ السمـاءِ قليبُ
فارقتُ حتى حسنَ صبري بعـدَهُ وهجـرتُ حتى النومَ وهـو حبيبُ

قـال الحافظ علي بن الحسن بن هبة اللّه : وأنشدنا لنفسه :

يـذكّرني يحيى الـرمـاحَ شـوارعـاً وبيضَ المواضي جُرِّدَتْ للوقائعِ
وأقسمُ ما رؤياه في العينِ بهجـةً بأحسنَ من أوصافه في المسامعِ

قال : وأنشد لنفسه :

وسـلافةٍ أزرى احمـرارُ شعاعهـا بـالـوردِ والـوَجَنَـاتِ واليـاقـوتِ
جـاءت معَ السـاقي تنيرُ بكـأسها فكـأنّها الـلاهوتُ في النـاسـوتِ

وقال وأنشدنا لنفسه في صديق له يعاتبه :

أدنـو بودّي وحـظّي منـكَ يُبْعِـدُني هـذا لعمـركَ عينُ الغَبْنِ والغَبَنِ
وإن تـوخّيتني يـومـاً بـلائـمـةٍ رجعتُ بـاللوم إبقـاءً على الـزمنِ
وحسنُ ظنّيَ مـوقوفٌ عليـكَ فهـل غيَّرتَ بالظنِّ بي عن رأيك الحسنِ

ومنهم الأمير **شرف الدين**[2] **أبو الفضل إسماعيل بن أبي العساكـر سلطان بن علي بن منقذ**[3] كان أبوه عمَّ مؤيد الدولة أسامة بن مرشد أمير شيزر ، وكان شاباً فاضلاً سكن لما أخذت منهم شيزر بدمشق ، ومات بها سنة إحدى وستين وخمسمائة . قال

---

(1) ر: اعوان .
(2) الخريدة : شرف الدولة .
(3) الخريدة 1 : 564 .

العماد : وسمعت من شعره :

ومهفهفٍ كتب الجمالُ بخدِّه سطراً يحيِّر ناظرَ المتأمِّلِ
بالغتُ في استخراجه فوجدتُهُ لا رأيَ إلاّ رأيُ أهلِ الموصلِ[1]

وذكره ابن عمه الأمير مرهف بن أسامة وأثنى عليه وأنشدني له أشعاراً منها بيتان في النحل والزنبور وهما :

ومغرِّدَيْنِ ترنَّما في مجلس فنفاهما لأذاهما الأقوامُ
هذا يجودُ بما يجود بعكسه هذا فيحمدُ ذا وذاك يذامُ

يعني العسل من النحل وعكسه اللسع من الزنبور[2] .

وأنشدني أيضاً له[3] :

سُقيتُ كأس الهوى علاًّ على نهَل فلا تزدنيَ كأسَ اللوم والعَذَلِ
نأى الحبيبُ فبي من نأيه حُرَقٌ لو لابَسَتْ جبلاً هدَّتْ قوى الجبلِ
ولو تطلّبتُ سلواناً لزدتُ هوىً وقد تزيدُ رسوباً نهضةُ الوَحِلِ
عَفَتْ رسومي فَعُجْ نحوي لِتَنْدُبَنِي فالصبُّ غِبَّ زيالِ الحبِّ كالطللِ
صحوتُ مِن قهوةٍ تُنْفَى الهمومُ بها لكنني ثملٌ من طَرْفِهِ الثملِ
أُصبِّر النفسَ عنه وهي قائلةٌ ما لي بعاديةِ الأشواقِ من قِبَلِ
كم ميتةٍ وحياةٍ ذقتُ طعمهما مذ ذقتُ طعم النوى لليأسِ والأملِ
والنفسُ إن خاطرتْ في غمرةٍ وَأَلَتْ منها وإن خاطرتْ في الوجد لم تَئِلِ

---

(1) يقول ياقوت (في معجم البلدان : الموصل) : وقد ظلم أهل الموصل بتخصيصهم بالنسبة إلى اللواط .

(2) في المختصر تعليق من صانعه هنا جاء فيه : قال كاتبه عفا الله عنه : اتصل بي أن الأمير شرف الدين أبا الفضل المذكور وكان في مخيمه ، فطار عليه الزنبوران وكان على رأسه مملوك وضيء الوجه فضربهما بكمه فكتب هذين البيتين إلى ابن عنين ، فأجابه عنهما :

هذان زنبوران أما جود ذا عسل وذا لذع عليه فدام
كلحاظ من أهوى وريقة ثغره خمر لراشفها وذاك سهام

(3) قد حذف ياقوت أبياتاً ، وهو ينقل عن الخريدة .

لهـا دروعٌ تقيهـا من سهـام يـدٍ فهـل دروعٌ تقيهـا أسهمَ المقـلِ
فـانـظر إليـه تـرَ الأقمـار في قَمَـرٍ وانـظر إليَّ تر العشّـاقَ في رجـلِ
بـأيِّ أمرٍ سـأنجـو من هـوى رشـأ في جفنه سحرُ هاروتٍ وسيف علي
إذا رمى طـرفُـهُ بـاللحظ قـال لـه قلبي أعِـذْ لارمـاكَ اللّه بـالشللِ
أمِنْ بني الروم ذا الرامي الذي فتكتْ سهـامُهُ بـالـورى أم من بني ثُعَـلِ
إن خفتُ روعةَ هجران الحبيب فقد أمِنْتُ في حبّـه من روعـة العـذلِ

ومنهم **الأمير أبو الفتح يحيى بن سلطان بن منقذ**[1] : لقبه فخر الدولة[2]، ذكره الأمير مرهف بن أسامة ، وذكـر أنه قتـل على بعلبك في سنـة أربعين وخمسمائـة ، وأنشدني من شعره ما كتبه إلى أبيه عز الدين يطلب منه رمحاً :

يـا خيـرَ قـومٍ لم يـزلْ مجـدهم في صَفَحـاتِ الـدهـرِ مسـطورا
عـبـدُكَ يـبـغـي أسـمـراً ذِكْـرُهُ مـا زال بين النـاسِ مـذكـورا
مـســدّدٌ والـجـورُ مـن شـأنــه إن نـال وتـراً صـار مـوتـورا
فــإن تـفـضَّـلْـتَ بــه عــاد عـن صـدورِ أعـدائـك مـكـسـورا

ومنهم **الأمير عز الدولة ابو المرهف نصر بن علي بن مقلد بن نصر بن منقذ** : عمّ مؤيد الدولة أسامة ، قال العماد[3] : كنا حضرنا عند الملك الناصر ليلة بدمشق سنة إحدى وسبعين والأمير مؤيد الدولة حاضر ، وتناشدنا ملح القصائد ، ونَشَـدنا ضـالّة الفوائد ، وجرى حديثٌ اقتضى إنشادَ الأمير أسامة بيتين لبعضهم في المشط الأسود والمشط الأبيض ، وهما لأبي الحسين أحمد بن محمد بن الدويدة المعري[4] كان في زمن بني صالح :

كنت أستعملُ السوادَ من الأمـــــــشاط والشعرُ في سواد الدياجي
أتـلقّى مـثـلاً بمـثـل فلمّـا صـار عاجـاً سرَّحته بـالعـاج

(1) الخريدة 1 : 567 .
(2) ر : مجد الدين .
(3) الخريدة 1 : 568 .
(4) ترجم له في الخريدة 2 : 53 وأورد البيتين .

ثم قال الأمير : قد أخذ هذا المعنى عمّي نصر وعكسه وقال :

كنتُ أستعمل البياضَ من الأمشاط عُجْباً بلمّتي وشبابي
فاتخذتُ السوادَ في حالة الشيب سلوًّا عن الصبا بالتصابي

وقال لي الأمير أسامة : كان عمّي نصر قد أخرج حجّةً عن والدته ، فرآها في النوم كأنها تنشده فانتبه والأبيات على حفظه وهي :

جُزيتَ من ولد برٍّ بصالحةٍ فقد كسبتَ ثواباً آخرَ الزمنِ
وقد حججتَ إلى البيت الحرام وقد أتيته زائراً يا خيرَ محتضن
فلا تنلكَ يدُ الأيام ما طلعتْ شمسٌ وما صدحت ورقاء في فنن

وكان نصر هذا صاحب قلعة شيزر بعد والده سديد الملك ، وكان كريماً ذا أريحية . حدثني الأمير مرهف بن أسامة بحضرة والده قال : كتب القاضي أبو مسلم وادع المعرّيّ[1] إلى الأمير نصر في نكبة نالته :

يا نصر يا ابنَ الأكرمين ومن شفعَ التلادَ بطارفِ الفخرِ
هذا كتابٌ من أخي ثقةٍ يشكو إليكَ نوائبَ الدهرِ
فامننْ بما عَوَّدْتَ من حَسَنٍ هذا أوانُ النفع والضر

فكتب إليه نصر إنه لم يحضرني سوى ما هو عندك مودع ، وهو ستة آلاف دينار ، فاصرفها في بعض مصالحك واعذر . وذكر ان نصراً كان براً بوالده سديدِ الملك ، فقال فيه سديد الملك :

جزى اللّه نصراً خيرَ ما جُزِيَتْ به رجالٌ قَضَوْا فرضَ العلاءِ ونفَّلوا
هو الولدُ البَرُّ العطوفُ وإن رمى به حادثٌ فهو الحمام المعَجّل
يفدِّيكَ يا نصرُ رجالٌ محلُّهم من المجد والإحسان ان يتقوّلوا
سأُثني بما أوليتَ بالموقف الذي تقرُّ به الأقدام أو تتزلزل

(1) هو وادع بن سليمان المعري ، كان قاضي المعرة في عصره ، وتوفي سنة 489 انظر ترجمته في الخريدة 2 : 39 (ويعد أبو العلاء المعري عم أبيه) .

وألقاك يوم الحشرِ أبيضَ ناصعاً وأشكر عند اللّه ما كنتَ تفعل

وتوفي نصر بن علي في جمادى الآخرة سنة إحدى وتسعين وأربعمائة بشيزر .

ومنهم **الأمير عضد الدين أبو الفوارس مرهف بن أسامة بن مرشد بن علي بن مقلد بن نصر بن منقذ**[1] : قال مؤلف الكتاب : فارقته في جمادى الأولى سنة اثنتي عشرة وستمائة بالقاهرة يحيا ، ولقيته بها وهو شيخٌ ظريف واسعُ الخلق شائع الكرم جمّاعة للكتب ، وحضرتُ داره واشترى مني كتباً ، وحدثني أنّ عنده من الكتب ما لا يعلم مقداره ، إلا أنه ذكر لي أنه باع منها أربعة آلاف مجلد في نكبة لحقته فلم يؤثر فيها . وسألته عن مولده فقال : وُلدت سنة عشرين وخمسمائة ، فيكون عمره إلى وقتنا هذا اثنتين وتسعين سنة . وكان قد أقعد لا يقدر على الحركة ، إلا أنه صحيحُ العقلِ والذهن والفطنة والبصرِ يقرأ الخطّ الدقيقَ كقراءة الشبان ، إلا أن سمعه فيه ثقل ، وكان ذلك يمنعني من مكاثرته ومذاكرته . وكان السلطان صلاح الدين ، رحمه الله ، قد أقطعه ضياعاً بمصر فهو يصرّفها في مصالحه ، وأجراه الملك العادل أخو صلاح الدين على ذلك ، وكان الملك الكامل بن العادل يحترمه ويعرف له حقه . وأنشدني شيئاً من شعره وشعر أهله لم يحضرني منه في هذا الوقت ما أورده .

وذكر له العماد في « كتاب الخريدة » ما ذكر أنه سمعه منه وهو :

سمحتُ بروحي في رضاكَ ولم يكنْ لِيُعْجِزَني لولا رِضاكَ المذاهبُ
وهانتْ لجرَّاكَ العظائمُ كلها عليَّ وقد جلَّت لديَّ النوائب
فكان ثوابي عن ولائي تجهُّمٌ[2] رمتني به منك الظنونُ الكواذب
فمهلاً فلي في الأرض عن منزل القلى[3] مسار إذا أخرجتني ومسارب
وإن كنت ترجو طاعتي بإهانتي وقسري فإن الرأي عنكَ لعازب

---

(1) ترجم له في الخريدة 1 : 571 وما بعدها .
(2) م : لحبكم .
(3) م : العلى .

وأنشدني أيضاً لنفسه (قال وهو حاضر عند والده وذكر أنه مما كتبه إلى والده) :

رحلتم وقلبي بالولاءِ مشرِّقٌ ... لديكم وجسمي بالعناء مغرِّبُ
فهذا سعيدٌ بالدنوِّ منعَّمٌ ... وهذا شقيّ بالبعاد معذَّب
وما أدّعي شوقاً فسحب مدامعي ... تترجمُ عن شوقي إليكم وتعرب
ووالله ما اخترتُ التأخّرَ عنكمُ ... ولكن قضاءُ اللّه ما منه مهرب

ومات الأمير عضد الدين مرهف في ثاني صفر سنة ثلاث عشرة وستمائة .

ـ 219 ـ

إسحاق بن إبراهيم الموصلي ابن ميمون بن بهمن بن نسك ، وكان اسم ميمون ماهان فقلبوه استثقالاً ؛ قال إسحاق: نحن من أرجان ومَوالينا من الخزيميين[1]، وكانت لهم ضياع عندنا ، وإنما نسبوا إلى الموصل لأن أبا إبراهيم سافر إليها وأقام بها مدة يعلم الغناء ، فلما عاد إلى الكوفة قيل له : كيف أنت يا موصلي ، فلصقت به الموصلي ؛ وكنيته أبو محمد ، وكان الرشيد إذا أراد أن يولع به كناه أبا صفوان، وموضعُهُ من العلم ومكانُهُ من الأدب والشعر لو أردنا استيعابَهُ طال الكتابِ ، وخرجنا عن غرضنا من الاختصار . وَمَنْ وقف على الأخبارِ وتتبع الآثار علم موضعه . وأما الغناء فكان أصغرَ علومِهِ وأدنى ما يُوصَفُ به ، وإن كان الغالبَ عليه ، لأنه كان له في سائر علومه[2] نظراء ولم يكن له في هذا نظير، لحق فيه مَنْ مَضَى وسبق مَنْ بقي، فهو إمامُ هذه الصناعة . على أنه كان أكرَه الناسِ لهذه الصناعة وهي الغناء والتسمّي به ويقول : وددتُ أن أُضْرَبُ كلّما أراد منّي من يندبني أن أغنّي ، وكلّما قال قائلٌ إسحاق

219 ـ ترجمة إسحاق الموصلي نقلها ياقوت عن الأغاني (وستجيء الإشارة إلى مواطن النقل) وانظر أيضاً : نور القبس : 316 وطبقات ابن المعتز: 360 وتاريخ بغداد 6: 338 ومصورة ابن عساكر 2: 724 وتهذيبه 2: 417 وإنباه الرواة 1: 215 وبغية الطلب 2: 237 وذكر أنه مذكور في كتاب الورقة لابن الجراح وابن خلكان 1: 202 والوافي 8: 388 ونزهة الألباء : 116 وسير الذهبي 11: 118 . ودراسة عنه لمحمود أحمد الحفني (في سلسلة أعلام العرب) .

(1) ر : الحطين .
(2) الأغاني : أدواته .

الموصلي المغنّي، عَشْرَ مقارعَ ـ ولا أطيق أكثر منها[1] ـ وأُعْفَى من الغناءِ والنسبة إليه.

وكان المأمون يقول : لولا ما سبق لأسحاقَ على ألسنة الناس وشُهِرَ به من الغناء عندهم لولَّيْتُهُ القضاءَ بحضرتي ، فإنه أولى به وأحقُّ وأعفُّ وأصدقُ تديّناً وأمانـةً من هؤلاء القضاة وأكثر .

قـال[2] : بقيتُ زمانـاً من دهري أُغلِّس في كـل يوم إلى هشيم فـأسمع منـه الحديث ، ثم أصير إلى الكسائي فأقرأ عليه جزءاً من القرآن ، وآتي الفرَّاء فأقرأ عليه جزءًا ، ثم آتي منصور زلزل فيضاربني طريقين[3] أو ثلاثة ، ثم آتي عاتكة بنت شهدة فآخذ عنها صوتاً أو صوتين ، ثم آتي الأصمعي فأناشده ، وآتي أبا عبيدة فأذاكره ، ثم أصير إلى أبي فأعلمه ما صنعتُ ومن لقيت وما أخذت وأتغدَّى معه ، وإذا كان العشاء رُحْت إلى الرشيد .

وقـال الأصمعي[4] : خرجت مـع الـرشيـد [إلى الـرقـة][5] فلقيت إسحـاق الموصلي بها ، فقلت له : هل حملت شيئـاً من كتبك ؟ فقـال : حملت ما خفَّ ، فقلت : كم مقداره ؟ فقال : ثمانية عشر صندوقاً ، فعجبت وقلت : إذا كان هذا ما خفَّ فكم يكون ما ثقل ؟ فقال : أضعاف ذلك .

وكان الأصمعيّ[6] يعجب بقول إسحاق :

إذا كانت الأحرارُ أصلي ومنصبي   وَدَافِعَ ضيمي خـازمٌ وابن خازمِ
عـطستُ بأنفٍ شـامخٍ وتنـاولتْ   يـداي الثريـا قـاعـداً غيـرَ قـائم

وقال[7] جعفر بن قدامة، حدثني علي بن يحيى بن المنجّم قال: سأل إسحاق

---

(1) م : من هذا .
(2) الأغاني 5 : 245 وتهذيب ابن عساكر 2 : 419 (والمصورة: 726) .
(3) الأغاني : طرفين . ابن عساكر : طريقتين .
(4) تهذيب ابن عساكر 2 : 420 (والمصورة : 727) .
(5) زيادة عن مصورة ابن عساكر .
(6) الأغاني 5 : 251 ومصورة ابن عساكر: 727 وبغية الطلب 2 : 241 . وفي هذا يؤكد اسحاق ولاءه لخزيمة بن خازم أحد قوّاد الرشيد .
(7) الأغاني 5 : 258 ـ 259 .

الموصلي المأمونَ أن يكون دخوله إليه مع أهل العلم والأدب والرواة لا مع المغنين ، فإذا أراد الغناءَ غنَّاه ، فأجابه إلى ذلك ، ثم سأله بعد مدَّة أن يكون دخوله مع الفقهاء ، فأذن له في ذلك ، فكان يدخل ويده في يد القضاة حتى يجلسَ بين يدي المأمون. ثم مضت مدة على ذلك فسأله في لبس السواد يوم الجمعة والصلاة معه في المقصورة ، قال : فضحك المأمون وقال : ولا كلّ هذا يا إسحاق ، قد اشتريتُ منك هذه المسألةَ بمائة ألف درهم ، وأمر له بها .

وحدث المرزباني عن محمد بن عطية الشاعر قال(1) : كنت عند يحيى بن أكثم في مجلس له يجتمع إليه فيه أهل العلم ، وحضره إسحاق ، فجعل يناظر أهلَ الكلام حتى انتصف منهم ، ثم تكلم في الفقه فأحسن واحتج ، ثم تكلم في الشعر واللغة ففاق فيها من حضر ، فأقبل على يحيى بن أكثم وقال : أعزَّ اللّه القاضي أفي شيء مما ناظرتك فيه تقصير؟ قال : لا والله ، قال : فما بالي أقومُ بسائرِ العلوم قيامَ أهلها وأُنْسَبُ إلى فَنٍّ واحدٍ قد اقتصر الناسُ عليه ؟ قال العطويّ : فالتفتَ إليَّ يحيى بن أكثم وقال : جوابه في هذا عليك ، قال ـ وكان العطوي من أهل الجدل والكلام ـ فالتفتُّ إلى إسحاق وقلت : يا أبا محمد(2) أخبرني إذا قيل من أعلمُ الناسِ بالشعر واللغة ؟؟ أيقولون إسحاق أم الأصمعي وأبو عبيدة ؟ فقال : بل الأصمعيّ وأبو عبيدة ، قال : فإن قيل من أعلم الناسِ بالنحو؟ أيقولون إسحاق أم الخليلُ وسيبويه ؟ قال : بل الخليل وسيبويه ، قال : فإن قيل من أعلم الناس بالأنساب ؟ أيقولون إسحاق أم ابن الكلبي ؟ قال : بل ابن الكلبي ، قال : فإن قيل من أعلم الناس بالكلام ؟ أيقولون إسحاق أم أبو الهذيل والنظام ؟ قال : بل أبو الهذيل والنظام ، قال : فإن قيل من أعلم الناس بالفقه ؟ أيقولون إسحاق أم أبو حنيفة وأبو يوسف ؟ فقال : بل أبو حنيفة وأبو يوسف ، قال : فإن قيل من أعلم الناس بالحديث ؟ أيقولون إسحاق أم علي بن المديني ويحيى بن معين ؟ قال : بل علي بن المديني ويحيى بن معين ، قال : فإذا قيل من أعلم الناس بالغناءِ أيجوز أن يقول قائل فلان أعلم من إسحاق ؟ قال : لا ، قلت :

(1) وردت في تاريخ بغداد وإنباه الرواة وابن خلكان وتهذيب ابن عساكر والمصورة: 726 وبغية الطلب 2 : 239 .

(2) من هنا ترد القصة بشيء من الإيجاز في مصورة ابن عساكر : 726 ـ 727 .

فمن ها هنا نُسِبْتَ إلى ما نسبتَ إليه لأنه لا نظير لك فيه وأنت في غيره لك نظراء ، فضحك وقام وانصرف . فقال لي يحيى بن أكثم : لقد وَفَّيْتَ الحجةَ وفيها ظلمٌ قليل لإسحاق ، لأنه ربما ماثل أو زاد على من فَضَّلته عليه وإنه ليقل في الزمانِ نظيره . وكان إسحاق قد روى الحديثَ عن جماعةٍ منهم : أبو معاوية الضرير وهشيم وابن عيينة وغيرهم . وكان مع كراهيته للغناء أحذقَ خلقِ اللّه به ممن تقدَّم وتأخر ، وأشدَّ الناس بخلاً به على كل أحد حتى على جواريه وغلمانه ومن يأخذ عنه منتسباً إليه متعصباً له فضلاً عن غيره ، وهو الذي صحَّحَ أجناسَ الغناء وطرائقَهُ وميَّزها تمييزاً لم يقدر عليه أحد قبله ولا تعلَّقَ به أحدٌ بعده ، ولم يكن قديماً مميّزاً على هذا الجنس .

وكان(1) إبراهيم بن المهدي يأكلُ المغنين أكلاً حتى يحضر إسحاق فيداريه إبراهيم ويطلب مكافأته ، ولا يدع إسحاق تبكيته ومعارضته ، وكان إسحاق آفته ـ كما إن لكل شيء آفة ـ وله معه عدةُ مشاهد .

قال إسحاق(2) : كنت يوماً عند الرشيد وعنده ندماؤه وخاصته ، وفيهم إبراهيم ابن المهدي ، فقال لي الرشيد : يا إسحاق تغنَّ :

شربتُ مدامةً وسُقيتُ أخرى ... وراح المنتشونَ وما انتشيتُ

فغنيته ، فأقبل عليَّ إبراهيم بن المهدي فقال : ما أصبتَ يا إسحاق ولا أحسنت ، فقلت له : ليس هذا مما تحسنُهُ ولا تعرفه ، وإن شئتَ فغنه ، فإن لم أُوجِدْكَ أنك تخطىء فيه منذ ابتدائك إلى انتهائك فدمي حلال ، ثم أقبلتُ على الرشيد فقلت : يا أمير المؤمنين هذه صناعتي وصناعة أبي وهي التي قرَّبتنا منك واستخدمتنا إليك وأوطأتنا بساطك ، فإذا نازَعنَاها أحدٌ بلا علم لم نجدْ بدّاً من الإيضاح والذبّ ، فقال : لا غرو ولا لوم عليك ، وقام الرشيد ليبول ، فأقبل عليَّ إبراهيم وقال : ويلك يا إسحاق تجترىء عليَّ وتقول ما قلتَ يا ابن الزانية ؟ فداخلني ما لم أملكْ نفسي معه فقلت له : أنت تشتمني ولا أقدر على إجابتك ، وأنت ابن الخليفة وأخو الخليفة ولولا ذلك لقد كنت أقول لك : يا ابن الزانية كما قلتَ لي يا ابن الزانية ، ولكنَّ قولي في

(1) الأغاني 5 : 264 .
(2) الأغاني 5 : 267 .

ذمّكَ ينصرفُ إلى خالك الأعلم ، ولولاك لذكرتُ صناعته ومذهبه ـ قال إسحاق : وكان بيطاراً ـ وعلمت أنّ إبراهيم يشكوني إلى الرشيد ، وأن الرشيد سيسألُ من حضر عما جرى فيخبرونه[1] ، ثم قلت له : أنت تظنُّ أنّ الخلافةَ تصيرُ إليك ، فلا تزال تهدّدني بذلك وتعاديني كما تعادي سائرَ أولياءِ أخيك حَسَداً له ولولده على الأمر ، وأنت تضعفُ عنه وعنهم ، وتستخفُّ بأوليائهم تشفياً[2] ، وأرجو ألاَّ يخرجها اللّه تعالى عن يدِ الرشيد وولده ، وأن يقتلك دونها ، وإن صارت إليك والعياذُ باللّه فحرامٌ عليَّ العيش يومئذٍ والموتُ أطيبُ من الحياة معك ، فاصنع حينئذ ما بدا لك . فلما خرج الرشيدُ وثب إبراهيم فجلس بين يديه وقال : يا أمير المؤمنين شتمني وذكر أمي واستخفَّ بي ، فغضب الرشيد وقال : ما تقول ويلك ؟ قلت : لا أعلم ، سلْ من حضر ، فأقبل على مسرورٍ وحسينٍ الخادم فسألهما عن القصّة ، فجعلا يخبرانه ووجهه يربدُّ إلى أن انتهيا إلى ذكر الخلافة فَسُرِّيَ عنه ورجع لونُهُ وقال لابراهيم : ما له ذنب ، شتمته فعرَّفَكَ أنه لا يقدر على جوابك ، ارجع الى موضعك وأمسكْ عن هذا . فلما انقضى المجلس وانصرف الناس أمر أن لا أبرح ، وخرج كلُّ من حضر حتى لم يبقَ غيري ، فساء ظنّي وهمّتني نفسي ، فأقبل عليَّ وقال لي : ويحك يا إسحاق ، أتراني لا أعرفُ وقائعك ؟! قد واللّه زَنَّيته دفعاتٍ ، ويحك لا تعد ، ويحك حدِّثْني عنكَ لو ضربك أخي إبراهيم أكنتُ أقتصُّ لك منه فأضربه وهو أخي ؟ يا جاهل أتراه لو أمر غلمانه أن يقتلوك فقتلوك أكنتُ أقتلُهُ بك ؟ فقلت : قد واللّه قتلتني يا أمير المؤمنين بهذا الكلام ، ولئن بلغه ليقتلنّي ، وما أشكّ في أنه قد بلغه الآن ، فصاح بمسرور الخادم وقال : عليَّ بإبراهيم الساعة ، وقال لي : قم فانصرف ، فقلت لجماعةٍ من الخدم ، وكلُّهم كان لي محباً وإليَّ مائلاً : أخبروني بما يجري ، فأخبروني من غدٍ أنّه لما دخل عليه وبَّخه وجهَّله وقال : لم تستخفُّ بخادمي وصنيعتي ونديمي وابن خادمي وصنيعة أبي في مجلسي وتقدمُ عليَّ وتصنع في مجلسي وحضرتي؟! هاه هاه تُقْدِمُ على هذا وأمثاله وأنت ما لك والغناءَ وما يدريك ما هو ومن أخذ لحنه وطارحك إياه حتى تظن أنك تبلغ منه مبلغَ

(1) م : فيخبره .
(2) م : تشيعاً .

إسحاق الذي غُذِيَ به وهو صناعته ، ثم تظنّ أنك تخطّئه فيما لا تدريه ، ويدعوك إلى إقامة الحجة عليك فلا تثبت لذلك وتعتصم بشتمه ، أليس هذا مما يدل على السقوط وضعف العقل وسوء الأدب من دخولك فيما لا يشبهك ثم إظهارك إياه ولم تُحْكِمْهُ؟! أليس تعلم ويحك أن هذا سوءُ رأي وأدبٍ وقلةُ معرفةٍ ومبالاةٍ بالخطأ والتكذيبِ والردِّ القبيح ؟! ثم قال له : واللّه العظيم وحقِّ رسوله الكريم وإلاَّ فأنا نفِيٌّ من أبي لئن أصابه سوءٌ أو سقط عليه حجر من السماء ، أو سقط من دابته ، أو سقط عليه سقفٌ ، أو مات فجأة لأقتلنك به ، واللّه واللّه واللّه ، وأنت أعلم فلا تعرضْ له ؛ قم الآن فاخرجْ ، فخرج وقد كاد يموت . فلما كان بعد ذلك دخلتُ عليه وإبراهيمُ عنده ، فأعرضتُ عنه ، فجعل الرشيد ينظرُ إليَّ مرةً وإلى إبراهيم أخرى ويضحك ، ثم قال له : إني لأعلمُ محبَّتك لإسحاق وميلك إليه والأخذ عنه ، وإن هذا لا تقدرُ عليه كما تريدُ إلا أن يرضى ، والرضى لا يكون بمكروه ، ولكن أَحْسِنْ إليه وأكرمه وَبِرَّهُ وَصِلْه ، فإذا فعلت ذلك ثم خالف ما تهواه عاقبتهُ بيدٍ منبسطةٍ ولسان منطلق ، ثم قال لي : قم إلى مولاك وابنِ مولاك فقبِّلْ رأسه ، فقمتُ إليه وأصلح بيننا .

وحدث[1] المبرِّد قال : حُدِّثتُ عن الأصمعي قال : دخلت أنا وإسحاق بن إبراهيم يوماً على الرشيد فرأيته لَقِسَ النفس ، فأنشده إسحاق [2] :

وآمرةٍ بالبخْل قلتُ لها اقصري ... فذلك شيءٌ ما إليه سبيلُ
أرى الناس خُلاَّنَ الكرامِ ولا أرى ... بخيلاً له حتى المماتِ خليلُ
وانّي رأيتُ البخلَ يُزْرِي بأهله ... فأكرمتُ نفسي أن يقال بخيلُ
ومن خيرِ أخلاق الفتى قد علمته ... إذا نال منها أن يقال[3] يُنيلُ
فعالي فعال الموسرين تكرُّماً ... ومالي كما قد تعلمين قليلُ
وكيف أخاف الفقرَ أو أُحرمَ الغنى ... ورأيُ أميرِ المؤمنين جميلُ

(1) الأغاني 5 : 292 وقارن بنور القبس : 317 وتهذيب ابن عساكر 2 : 423 والمصورة: 729 وبغية الطلب 2 : 250 .

(2) وردت الأبيات أيضاً في بغية الطلب 2 : 59 .

(3) م وابن عساكر : إذا نال شيئاً أن يكون .

قال فقال الرشيد : لأكفينَّك إن شاء اللّه ، ثم قال : للّه دَرُّ أبياتٍ تأتينا بها ما أشدَّ أُصولها ، وأَحسنَ فصولها ، وأقلَّ فضولها ، وأمر له بخمسين ألف درهم ، فقال له إسحاق : وَصْفُكَ واللّه يا أميرَ المؤمنين لشعريَ أحسنُ منه فعلامَ آخذُ الجائزة ؟ فضحك الرشيد وقال : اجعلوها لهذا القول مائة ألف درهم ، قال الأصمعي : فعلمتُ يومئذٍ أن إسحاق أحذقُ بصيدِ الدراهم مني .

وحدث[1] إسحاق قال : قال لي الرشيد يوماً : بأيّ شيءٍ يتحدَّثُ الناسُ ؟ قلت : يتحدثون أنك تقبضُ على البرامكة وتولّي الفضلَ بن الربيع الوزارة ، فغضب وصاح وقال : وما أنت وذاك ؟ فأمسكت ، فلما كان بعد أيام دعا بنا فكان أوَّل شيء غنيته :

إذا نحنُ صَدَقْناكَ   فَضَرٌّ عندكَ الصدقُ
طلبنا النفعَ بالباط   ـل إذ لم ينفعِ الحقُّ
فلو قدَّم صبّاً في   هواهُ الصبرُ والرفق
لقُدِّمْتُ على الناسِ   ولكن الهوى رزق

ـ والشعر لأبي العتاهية ـ قال : فضحك الرشيد وقال لي : يا إسحاق قد صرتَ حقوداً .

وحدثت[2] شهوات جارية إسحاق التي كان أهداها إلى الواثق أن محمداً الأمين لما غنى إسحاق لحنه الذي صنعه في شعره :

يا أيُّها القائمُ الأمينُ[3] فَدَتْ   نفسَك نفسي بالأهلِ والولدِ
بسطتَ للناس إذ وَلِيتَهمُ   يداً من الجود فوقَ كلِّ يد

فأمر له بألف ألف درهم ، فرأيتها قد أدخلت[4] إلى دارنا يحملها مائة فراش .

(1) الأغاني 5 : 364 .
(2) الأغاني 5 : 335 .
(3) م : الأمير .
(4) ر : فرأيتها تدخل ؛ الأغاني : فرأيتها وصلت .

وحدث[1] إسحاق قال: أقام المأمون بعد قدومه عشرين شهراً لم يسمع حرفاً من الأغاني ، ثم كان أولَ من تغنّى بحضرته أبو عيسى ابن الرشيد ، ثم واظب على السماع متستّراً متشبّهاً في أول أمره بالرشيد ، فأقام على ذلك أربع حجَج ، ثم ظهر للندماء والمغنين . وكان حين أحبَّ السماع سأل عني فجرّحْتُ بحضرته ، وقال الطاعن عليَّ : ما يقولُ أمير المؤمنين في رجلٍ يتيه على الخلافة ؟ فقال : ما بقّى هذا شيئاً من التيه إلا استعمله ، فأمسك عن ذكري ، وجفاني من كان يصلني لسوء رأيه الذي ظَهَرَ فيَّ ، فأضرّ ذلك بي ، حتى جاءني علويه يوماً فقال لي : أتأذن لي في ذكرك ، فإنّا قد دعينا اليوم ؟ فقلت : لا ، ولكن غنِّه بهذا الشعر ، فإنه سيبعثه على أن يسألك لمن هذا ؟ فإذا سألك انفتح لك ما تريد ، فكان الجوابُ أسهلَ عليك من الابتداء ، وألقيتُ عليه لحني في شعري :

يا سرحةَ الماءِ قد سُدَّتْ مواردُهُ أما إليكِ طريقٌ غيرُ مسدودِ
لحائمٍ حام حتى لا حِيَامَ له محلأٍ عن طريقِ الماءِ مطرودِ

قال : فلما استقرَّ بعلويه المجلس غنّاه الشعر الذي أمرته ، فما عدا المأمون أن سمع الغناء حتى قال : ويلك يا علويه لمن هذا الشعر ؟ قلت : يا سيدي لعبدك الذي جفوته واطّرحته لغير جرم ، فقال إسحاق تعني ؟ قلت : نعم ، فقال : يحضرني الساعة ، فجاءني رسوله فصرتُ إليه ، فلما دخلتُ عليه قال : آدنُ فدنوت منه فرفع يديه مادَّهما إليَّ فأكببت عليه ، فاحتضنني بيديه وأظهر من بري وإكرامي ما لو أظهر صديقٌ مؤانس لصديق لَسَرَّه .

وقال[2] إسحاق غنّيت المأمون يوماً :

لأحسنُ من قَرْعِ المثاني وَرَجْعِها تواترُ صوتِ الثغر يُقْرَعُ بالثغرِ
وسكر الهوى أروى لعظمي ومفصلي من الشربِ بالكاسات من عاتق الخمر

فقال لي المأمون : ألا أخبرك بأطيبَ من ذلك وأحسن ؟ الفراغُ والشباب والجِدَةُ .

(1) الأغاني 5 : 349 .
(2) الأغاني 5 : 357 .

وحدث[1] إسحاق قال : ذكر المعتصم وأنا بحضرته يوماً بعضَ أصحابه وقد غاب عنه ، فقال : تعالوا حتى نقول ما يصنع في هذا الوقت ، فقال قوم كذا وقال آخرون كذا ، فبلغت النوبة إليَّ فقال : قل يا إسحاق ، قلت : إذاً أقولُ فأصيب ، قال : أتعلم الغيب ؟ قلت : ولكني أفهم ما يصنع وأقدرُ على معرفته ، قال : فإن لم تصبْ ؟ قلت : وإن أصبتُ ؟ قال : لك حكمك ، وإن لم تصب ؟ قلت : لك دمي قال : وجب ، قلت : وجب ، قال : فقل ، قلت : يتنفس ، قال : وإن كان ميتاً ؟ قلت : تحفظ الساعةُ التي تكلمتُ فيها ، فإن كان مات قبلها أو فيها فقد قَمَرْتَني ، قال : قد أنصفتَ ، قلت : فالحكم ، قال : فاحتكم ما شئت ، قلت : ما حكمي إلا رضاك يا أمير المؤمنين ، قال : فإن رضايَ لك وقد أمرت لك بمائة ألف درهم ، أترى مزيداً ؟ فقلت : ما أولاكَ يا أمير المؤمنين بذاك ، قال : فإنها مائتا ألف أترى مزيداً ؟ فقلت : ما أحوجني إلى ذاك ، قال : فإنها ثلاثمائة ألف ، أترى مزيداً ؟ قلت : ما أولاك يا أمير المؤمنين بذاك ، فقال : يا صفيقَ الوجه ما نزيد على هذا .

وحدث[2] إسحاق قال : كنتُ جالساً بين يدي الواثق وهو وليُّ عهد إذ خرجت وصيفة من القصر كأنّها خُوطُ بانٍ ، أحسنُ مَنْ رأته عيني ، يقدُمُها[3] عدةُ وصائف بأيديهن المذابُ والمناديل ونحو ذلك ، فنظرت إليها نَظَرَ دَهِشٍ وهو يرمقني[4] ، فلما تبيَّنَ إلحاحَ نظري إليها قال لي : ما لك يا أبا محمد ، قد انقطع كلامُكَ وبانت الحيرةُ فيك ؟ فلجلجت ، فقال : رمتك واللّه هذه الوصيفة فأصابت قلبك ، فقلت : غير ملوم ، فضحك وقال : أنشدني شيئاً في هذا المعنى فأنشدته قول المرار :

أَلِكْني إليها عَمْرَكَ اللّه يا فتىً ... بآيةِ ما قالت متى أنت رائحُ
وآيةِ ما قالتْ لهنَّ عشيّةً ... وفي الستر حُرَّاتُ الوجوهِ ملائح
تخيرن أرماكنَّ فارمين رميةً ... أخا أسدٍ إذ طوَّحته الطوائح[5]
فلبَّسن مسلاسَ الوشاحِ كأنّها ... مهاةٌ لها طِفْلٌ برمَّانَ راشحُ

(1) الأغاني 5 : 370 .
(2) الأغاني 5 : 354 .
(3) الأغاني : تقدم .
(4) م : وهي ترمقني .
(5) الأغاني : طرحته الطوارح .

فقال الواثق : أحسنت وحياتي وظرفت ، فاصنع فيه لحناً فإن جاء كما أريد فالوصيفة لك ، فصنعتُ فيه لحناً وغنّيتهُ إياه ، فانصرفت بالجارية .

وحدث[1] إسحاق قال : غنّيتُ الواثقَ في شعر قلته عنده بسرٍّ من رأى وقد طال مقامي واشتقت إلى أهلي وهو :

يا حبَّذا ريحُ الجنوبِ إذا بَدَتْ ··· في الصبح وهي ضعيفةُ الأنفاسِ
قد حُمِّلَتْ بَرْدَ الندى وتحمَّلَتْ ··· عَبَقاً من الجثجاثِ والبسباسِ

فاستحسنه وقال لي : يا إسحاق لو جعلت مكانَ الجنوب شمالاً ألم تكن أرقَّ وأعذَى وأصحَّ للأجساد وأقلَّ وخامة وأطيبَ للأنفس ؟ فقلت : ما ذهب عليَّ ما قاله أمير المؤمنين ، ولكن التفسير فيما بعد وهو :

ماذا يَهِيجُ من الصبابةِ والهوى ··· للصبِّ بعد ذهوله والياس

فقال الواثق : فإنما استطبتَ ما تجيءُ به الجنوبُ لنسيم بغداد لا للجنوب ، وإليهم إشتقت لا إليها ، فقلت : أجل يا أمير المؤمنين ، وقمت فقبلت يده ، فضحك وقال : قد أذنت لك بعد ثلاثة أيام فامض راشداً ، وأمر لي بمائة ألف درهم .

وحدث[2] إسحاق قال : ما وصلني أحدٌ من الخلفاءِ قطُّ بمثل ما وصلني به الواثق ، ولا كان أحدٌ يكرمني إكرامَهُ ، ولقد غنّيته :

لعلك إنْ طالتْ حياتُكَ أن تَرَى ··· بلاداً بها مَبْدَى لليلى وَمَحْضَرُ

فاستعاده مني جمعة[3] لا يشرب على غيره ، ثم وصلني بثلاثمائة ألف درهم . ولقد استقدمني إليه فلما قدمتُ عليه قال لي : ويحك يا إسحاق أما اشتقت إليّ ؟ فقلت : بلى واللّه يا سيدي ، وقد قلت في ذلك أبياتاً إن أمرتني أنشدتك إياها ، قال : هات فأنشدته :

أشكو إلى الله بُعْدي عن خليفته ··· وما أُعالجُ من سُقْمٍ ومن كِبَرِ

(1) الأغاني 5 : 371 .
(2) الأغاني 9 : 275 والأبيات الرائية المكسورة فيه 5 : 339 .
(3) الأغاني : ليلة .

لا أستطيعُ رحيلاً إن هممتُ به ... يوماً إليه ولا أقوى على السفر
أنوي الرحيلَ إليه ثمّ يمنعني ... ما أَحْدَثَ الدهرُ والأيامُ في بصري

وإنما قال : ما أحدث الدهر والأيام في بصري ، لأن إسحاق لما كبر ضعف بصره ثم أضرَّ . واستأذنته في إنشاد قصيدة مدحتُهُ بها فأذن لي ، فأنشدته[1] :

لما أمرتَ بإشخاصي إليك هفا ... قلبي حنيناً إلى أهلي وأولادي
ثم اعتزمتُ ولم أحفلْ ببينهمُ ... وطابت النفسُ عن فضلٍ وحمَّادِ
فلو شكرتُ أياديكم وأنعمكم ... لما أحاط بها وصفي وتعدادي

فقال أحمد بن إبراهيم لعلي بن يحيى ، وقد أخبر بهذا الخبر : أخبرْني لو قال الخليفة أحضرني فضلاً وحمَّاداً أليس كان إسحاق يفتضح من دمامة خلقتهما وتجلّف[2] شاهدهما ؟!

قال إسحاق[3] : وانحدرت معه إلى النجف فقلت له : يا أمير المؤمنين قد قلتُ في النَّجف قصيدة ، قال : هاتها فأنشدته :

يا راكبَ العيس لا تعجلْ بنا وقفِ ... نُحَيِّ داراً لسعدى ثم ننصرفِ

حتى انتهيت فيها إلى قولي :

لم ينزلِ الناسُ في سهلٍ ولا جبلٍ ... أصفى هواءً ولا أعْذَى من النجف
حُفَّتْ ببرٍّ وبحرٍ في جوانبها ... فالبرُّ في طَرَفٍ والبحرُ في طرف
وما يزال نسيمٌ من يمانيةٍ ... يأتيك منها بريّا رَوْضَةٍ أُنُفِ

ثم مدحته فقلت :

لا يحسبُ الجودَ يُفْني ماله أبداً ... ولا يرى بذلَ ما يحوي من السَّرف

ومضيت فيها حتى أتممتها فطرب وقال : أحسنت والله يا أبا محمد ، وكناني

(1) وردت الأبيات هذه أيضاً في الأغاني 5 : 339 .
(2) الأغاني : وتخلف .
(3) الأغاني 5 : 324 ، 9 : 276 .

يومئذ ، وأمر لي بمائة ألف درهم . وانحدرت معه إلى الصالحية التي يقول فيها أبو نواس :

* فالصالحية من أطراف كلواذى *

فذكرت الصبيان وبغداد فقلت :

أتبكي على بغدادَ وهي قريبةٌ فكيف إذا ما ازددت منها غداً بعدا
لعمرك ما فارقتُ بغدادَ عن قلىً لو آنا وجدنا من فراقٍ لها بُدّا
إذا ذَكَرَتْ بغدادَ نفسي تقطّعتْ من الشوق أو كادتْ تهيمُ بها وجدا
كفى حَزَناً أن رحتُ لم أستطعْ لها وداعاً ولم أُحدثْ بساحتها[1] عهدا

فقال لي : يا موصلي اشتقتَ إلى بغداد ؟ فقلت : لا واللّه يا أمير المؤمنين ولكن من أجل الصبيان ، وقد حضرني بيتان فقال : هاتهما ، فأنشدته[2] :

حننتَ إلى أصيبيةٍ صغارِ وشاقك منهمُ قُرْبُ المزارِ
وأبرحُ ما يكون الشوق يوماً إذا دنتِ الديارُ من الديار

فقال لي : يا إسحاق صِرْ إلى بغداد فأقم مع عيالك شهراً ثم صِرْ إلينا وقد أمرتُ لك بمائة ألف درهم .

وحدث حمّاد[3] بن إسحاق عن إسحاق قال : دخلتُ يوماً دارَ الواثق باللّه بغير إذن إلى موضع أمر أن أدخله إذا كان جالساً ، فسمعتُ صوتَ عودٍ من بيت وترنماً لم أسمع أحسنَ منه قط ، فأطلع خادمٌ رأسه وصاح فدخلت ، وإذا الواثق ، فقال لي : أي شيء سمعت ؟ فقلت : الطلاق كاملاً لازمٌ لي وكلُّ مملوكٍ[4] لي حرّ لقد سمعتُ ما لم أسمع مثله قط حسناً ، فضحك وقال : ما هو إلا فَضْلةُ[5] أدبٍ وعلمٍ مَدَحَهُ الأوائلُ واشتهاه أصحابُ رسول اللّه ﷺ والتابعون بعدهم وَكَثُرَ في حَرَمِ اللّه عزّ وجلّ وَمُهَاجَرِ

---

(1) الأغاني : بساكنها .
(2) بغية الطلب : 247 .
(3) الأغاني 9 : 268 .
(4) ر: كاملٌ . . . وكل عبد .
(5) م : فضل .

رسوله ﷺ ، أتحبُّ أن تسمعه ؟ قلت : أي والذي شرَّفني بخطاب أمير المؤمنين وجميل رأيه ، فقال : يا غلام هات العودَ وأعط إسحاق رطلاً فدفع الرطلَ إليَّ وضرب وغنَّى في شعرٍ لأبي العتاهية بلحن صنعه فيه :

أضحتْ قبورهُم من بعد عزَّتهم ... تُسْفي عليها الصَّبا والحَرْجَفُ الشَّمَلُ
لا يدفعون هواماً[1] عن وجوههمُ ... كأنهم خَشَبٌ بالقاع منجدلُ

فشربتُ الرطل ثم قمتُ ودعوت له ، فأجلسني وقال : أتشتهي أن تسمعه[2] ثانيةً ؟ قلت : أي واللّه ، فغنَّانيه ثانيةً وثالثةً وصاح ببعض خدمه وقال : احمل إلى إسحاق الساعةَ ثلاثمائة ألف درهم ، قال : يا إسحاق قد سمعتَ ثلاثة أصوات وشربتَ ثلاثة أرطال وأخذت ثلاثمائة ألف درهم ، فانصرف إلى أهلك مسروراً ليسرّوا معك ، فانصرفت بالمال .

وحدث[3] إسحاق بن إبراهيم قال : جاءني الزبير بن دحمان يوماً مسلماً فقلت له : إلى أين ؟ فقال : إن الفضل بن الربيع أمرني أن أبكّر إليه لنصطبح ، فقلت له : أنت تعرف أن صبوح الفضل غبوقُ غيره ، فأقمْ عندي نشرب ، ثم قلت له :

أقم يا أبا العوَّام ويحك نشربِ ... وَنَلْهُ مع اللاهين يوماً ونطربِ
إذا ما رأيتَ اليوم قد بان خيرُهُ ... فخذه بشكرٍ واترك الفضلَ يغضب

قال : فأقام عندي وسررنا يومنا ، ثم صار إلى الفضل فسأله عن سبب تأخره عنه فحدثه الحديث وأنشده الشعر ، فعتب عليَّ وحوَّل وجهه عني ، وأمر عوناً حاجبه بأن لا يُدْخِلني ولا يستأذن لي عليه ولا يوصل لي رقعة إليه ، فقلت وكتبت بها إلى الفضل[4] :

(1) ر: هواناً .
(2) م : تسمع .
(3) الأغاني 5 : 294 .
(4) الأغاني 5 : 316 وهي تتصل بغضب آخر للفضل ، يقول إسحاق : لاعبت الفضل بن الربيع بالنرد فوقع بيننا خلاف فحلف وحلفت فغضب علي وهجرني فكتبت إليه ، وأورد الأبيات .

يقول أناسٌ شامتون وقد رأوا مقامي وإغبابي الرواحَ إلى الفضلِ
لقد كان هذا خُصَّ بالفضل مرَّةً فأصبح منه اليومَ منصرمَ الحبل
ولو كان لي في ذاك ذنبٌ علمته لقطَّعْتُ نفسي بالملامة والعذل

وتوصلت حتى عُرِضَت الأبياتُ عليه ، فلما قرأها قال : أعجبُ من ذنبه وأشدُّ أنه لا يرى من نفسه ذنباً بذلك الفعل ، فقلت في نفسي : لا أرى أمره يصلحه إلا حاجبه عون ، فقلت لعون[1] :

عونُ يا عونُ ليس مثلك عونُ أنت لي عدةٌ إذا كان كَوْنُ
لك عندي واللّه إن رضيَ الفضلُ غلامٌ يرضيك أو برذون

فقال : اكتب رقعة وقل شعراً لأعرضَهُ لك عليه ، فقلت[2] :

حرام عليَّ الراحُ ما دمتَ غضبانا وما لم يعدْ عني رضاك كما كانا
فأحْسِنْ فإني قد أسأتُ ولم تزلْ تُعَوِّدني عند الإساءَةِ إحسانا

قال : فأتى الفضلَ بالشعرين جميعاً فقرأهما وضحك وقال : ويحك إنما عَرَّض بقوله : « غلام يرضيك » بالسوءة ، فقال : قد وعدني بما قد سمعت فإن شئت أن تحرمنيه فأنت أعلم ، فأمره أن يرسلَ إليَّ ، فأتاني رسوله فصرتُ إليه فرضي عني ووفيتُ لعون .

وحدث إسحاق قال[3] : عتب عليَّ جعفر بن يحيى وقال : إني لا أراك ولا تغشاني ، فقلت : إني أتيتك كثيراً فيحجبني خادمك نافذ ، فقال : إذا حجبك عني فنكه ، فكتبت إليه بعد أيام :

جُعِلْتُ فداءَكَ من كلِّ سوءٍ إلى حُسْنِ رأيك أشكو أُناسا
يحولون بيني وبين السلامِ فليس أُسَلِّمُ إلاّ اختلاسا
وأنفذتُ أمرك في نافذٍ فما زاده ذاك إلاَّ شماسا

(1) الأغاني 5 : 294 ، 316 .
(2) الأغاني 5 : 294 .
(3) الأغاني 5 : 296 ـ 297 ، 370 .

قال : فأحضرني ودعا نافذاً وقرأ الأبيات عليه وقال له : فعلتها يا عدوَّ اللّه ؟! فغضب نافذ حتى كاد يبكي وجعفر يضحك ويصفِّق ، ثم لم يَعُدْ بعدها إلى التعرض .

وحدث[1] علي بن الصباح قال : كانت امرأة من بني كلاب يقال لها زهراء تحدِّثُ إسحاق وتناشده ، وكانت تميل إليه وتكني عنه في شعرها إذا ذكرته بـ « جُمْل » قال : فحدثني إسحاق أنها كتبت إليه وقد غابت عنه :

وجدي بِجُمْلٍ على أني أُجَمْجِمُهُ ... وجدُ السقيم ببرءٍ بعد إدنافِ
أو وجدُ ثكلى أصاب الموتُ واحدَها ... أو وجدُ مغتربٍ من بين ألّافِ

قال فأجبتها :

اقرا السلام على زهراء إذ ظعنتْ[2] ... وقل لها قد أذقتِ القلبَ ما خافا
أما أويتِ[3] لمن خلَّفتِ مكتئباً ... يُذري مدامعه سحّاً وتوكافا
فما وجدتُ على إلفٍ فجعت به[4] ... وجدي عليك وقد فارقت أُلّافا

وحدث محمد بن عبد اللّه الخزاعي قال : أنشدني إسحاق لنفسه[5] :

سقى اللّه يوم الماوشانِ ومجلساً ... به كان أحلى عندنا من جَنَى النحلِ
غداةَ آجتنينا اللهوَ غضّاً ولم نُبَلْ ... حجابَ أبي نصرٍ ولا غَضَبَ الفضلِ
غدونا صحاحاً ثم رحنا كأننا ... أُطاف بنا شرٌّ شديدٌ من الخبلِ

فسألته ان يكتبنيها ففعل ، فقلت له : ما حديث يوم الماوشان فقال : لو لم أكتبك الأبياتَ ما سألت عما لا يعنيك ، ولم يخبرني .

قال[6] : وكان ابن الأعرابي يصف اسحاق ويقرظه ويثني عليه ويذكر أدبه وحفظه

---

(1) الأغاني 5 : 300 .
(2) الأغاني : شحطت .
(3) الأغاني : رثيت .
(4) الأغاني : إلف أفارقه .
(5) الأغاني 5 : 301 .
(6) الأغاني 5 : 301 ، وتمام الخبر ص : 346 .

وعلمه وصدقه ويستحسن قوله :

هل إلى أن تنامَ عيني سبيلُ ... إنَّ عهدي بالنوم عهدٌ طويلُ
غاب عنّي من لا أسمي فعيني ... كلَّ يومٍ وجداً عليه تسيلُ
إنَّ ما قلَّ منكَ يكثرُ عندي ... وكثيرٌ ممن تحبُّ القليلُ

وكان اسحاق إذا غنى هذه الأبيات تفيض عيناه ويبكي أحرَّ بكاء فسئل عن بكائه فقال : تعشقتُ جاريةً فقلت لها هذه الأبيات ثم ملكتها وكنتُ مشغوفاً بها حتى كبرت واعتلت عيني ، فإذا غنيت هذا الصوت ذكرتُ أيامه المتقدمة ، وأنا أبكى على دهري الذي كنت فيه .

قال إسحاق[1] وأنشدني بعضُ الأعراب لنفسه :

ألا قاتلَ اللّه الحمامةَ غُدْوَةً ... على الغصن ماذا هيَّجَتْ حين غنَّتِ
تغنَّتْ بصوتٍ أعجميٍّ فهيَّجَتْ ... من الوجد[2] ما كانت ضلوعي أجنَّتِ
فلو قطرت عينُ امرىءٍ من صبابةٍ ... دماً قَطَرَتْ عيني دماً وأبلّتِ[3]
فما سكتتْ حتى أويتُ لصوتها ... وقلت أرى هذي الحمامةَ جُنّتِ
ولي زفراتٌ لو يَدُمْنَ قتلنني ... بشوقٍ إلى هاتي[4] آلتي قد تولّتِ
إذا قلت هذي زفرة اليوم قد مضت ... فمن لي بأخرى في غدٍ قد أظلّتِ
فيا مُنْشِرَ الموتى أعنِّي على التي[5] ... بها نَهِلَتْ نفسي سَقاماً وعلّتِ
لقد بخلتْ حتى لو آني سألتها ... قَذَى العينِ من سافي الترابِ لضنَّتِ
فقلت ارحلا يا صاحبيَّ فليتني ... أرى كلَّ نفسٍ أُعْطِيَتْ ما تمنّتِ
حلفتُ لها باللّه ما أمُّ واحدٍ ... إذا ذكَرَتْهُ آخرَ الليل أنّتِ

---

(1) الأغاني 5 : 327 .
(2) الأغاني : من الشوق .
(3) الأغاني : فألمت .
(4) الأغاني : إلى نأي .
(5) الأغاني : فيا محيي الموتى أقدني من التي .

ولا وجـدُ أعـرابيـةٍ قَـذَفَتْ بهـا   صروفُ النوى من حيث لم تك ظنّتِ
إذا ذكـرتْ مـاء العُـذَيْبِ[1] وطيبَـهُ   وَبَـرْدَ حصـاهُ آخـر الليـل حَنَّتِ[2]
بـأكثـرَ مني لـوعـةً غيـر أنّني   أُجَمْجِمُ أحشـائي على مـا أجنّتِ

وحدث[3] حماد بن إسحاق : لما خرج أبي إلى البصرة وعاد أنشدني لنفسه :

ما كنتُ أعرفُ ما في البين من حَزَنِ   حتى تنـادَوْا بأنْ قـد جِيءَ بالسفنِ
لمـا افترقنـا على كُرْهٍ لفـرقتنا   أيقنتُ أني قتيـلُ الهمّ والحـزنِ
قـامتْ تـودعني والـدمعُ يغلبهـا   فجمجمتْ بعضَ ما قالت ولم تُبِنِ
مـالتْ عليَّ تفـدِّيني وتـرشفـني   كمـا يميلُ نسيمُ الـريح بـالغصنِ
وأعـرضت ثم قـالت وهي بـاكيـةٌ   يـا ليت معـرفتي إيـاك لم تكن

وحدث[4] إسحاق قال : دخلت على الأصمعي فأنشدته أبياتاً قلتها وكتبتها إلى بعض الأعراب ، وهي « هل إلى أن تنام عيني سبيل » . . . الأبيات ، وهي متقدمة ، قال : فجعل يعجب بها ويرددها ، فقلت له : انها بنو ليلتها ، فقال : لا جَرَمَ أن أثر التوليد فيها بيّن ، فقلت : ولا جرم أن أثرَ الحسدِ فيك ظاهر .

وكان[5] إسحاق يقوم على ابن الاعرابي ويبـرُّه ، فكان ابن الأعـرابي يقول : إسحاق واللّه أحقُّ بقول أبي تمام :

تـرمي[6] بـأشبـاحنـا إلى مَلِكٍ   نـأخـذُ من مـالـه ومن أَدَبِـهْ

ممن قد قيل فيه .

وحدث[7] إسحاق قال : بعث إليَّ طلحة بن طاهر وقد انصرف من وقعة الشراة ،

(1) الأغاني : العضاه .
(2) الأغاني : وبرد الحصى من بطن خبتٍ أرنّت .
(3) الأغاني 5 : 377 .
(4) الأغاني 5 : 288 وتهذيب ابن عساكر 2 : 427 (والمصورة : 732) .
(5) قارن بالأغاني 5 : 247 .
(6) ترمي : الضمير عائد إلى العيس في بيت سابق .
(7) الأغاني 5 : 305 .

وقد أصابته ضربة في وجهه فقال : غنّني فغنّيته في شعر بعض الأعراب :

إني لأكني بأجبالٍ عن آجبلها ... وباسم أوديةٍ عن إسمِ واديها
عمداً ليحسبها الواشون غانيةً ... أخرى وتحسبَ أني لستُ أعنيها
ولا يغيّر ودي أن أهاجرها ... ولا فراقُ نوى في الدارِ أنويها
وللقَلوصِ ولي منها إذا بعدتْ ... بوارحُ الشوق تنضيني وأنضيها

فقال : أحسنت واللّه أَعِده ، فأعدتهُ عليه وهو يشرب ، حتى صلى العتمة وأنا أغنّيه إياه ، فأقبل على خادمٍ له فقال له : كم عندك ؟ فقال : مقدار سبعين ألف درهم ، فقال : تحمل معه ، فلما خرجت من عنده تبعني جماعة من الغلمان يسألوني ، فوزّعتُ المالَ بينهم ، فَرُفِعَ الخبرُ إليه فأغضبه ولم يوجه إليَّ ثلاثاً ، فكتبت إليه :

علمني جودُك السماحَ فما ... أبقيتُ شيئاً لديَّ من صلتِكْ
لم أُبْقِ شيئاً إلا سمحتُ به ... كأنَّ لي قدرةً كمقدرتِكْ
تتلفُ في اليوم بالهبات وفي الـ ... ـساعةِ ما تجتبيه في سنتِكْ
فلستُ أدري من أين تنفقُ لو ... لا أن ربّي يجزي على هبتِكْ

فلما كان في اليوم الرابع بعث إليَّ فصرت إليه ، فدخلت فسلمت ، ورفع بصره إليَّ ثم قال : اسقوه رطلاً ، فسُقِيتُهُ(1) ، فأمر لي بآخر وآخر فشربت ثلاثة ثم قال غنني : « إني لأكني بأجبال عن آجبلها » فغنيته إياه ثم أتبعته الأبيات التي قلتها فقال لي : ادنُ فدنوت ، فقال لي : أعد الصوتَ فأعدته ، فلما فهمه وعرف المعنى قال لخادم له : أحضرني فلانا فأحضره ، فقال له : كم قبلك من مالِ الضياع ، قال : ثمانمائة(2) ألف درهم ، فقال : أحضرها الساعة ، فجيء بثمانين بدرة ، فقال : جئني بثمانين مملوكاً ، فأحضروا فقال : احملوا المال ، ثم قال : يا أبا محمد خذ(3) المالَ والمماليكَ حتى لا تحتاجَ إلى أحدٍ تعطيه شيئاً .

---

(1) ر : فأسقيته .
(2) ر : ثمانين .
(3) م : ذر .

حدث(1) علي بن يحيى المنجم أن إسحاق لما انحدر إلى البصرة كتب إلى علي بن هشام القائد : جُعلتُ فداك ، بعث إليَّ أبو نصر مولاك بكتاب منك إليَّ يرتفعُ عن قدري ويقصِّرُ عنه شكري ، فلولا ما أَعرفُ من معانيه لظننتُ أنَّ الرسولَ غَلِطَ بي فيه ، فما لنا ولك يا أبا عبد اللّه ، تدعنا حتى إذا نسينا الدنيا وأبغضناها ورجونا السلامةَ من شرها أفسدتَ قلوبنا وعلَّقْتَ أنفسنا ، فلا أنت تريدنا ولا أنت تتركنا ، وما ذكرته من شوقك إليَّ فلولا أنك حَلَفْتَ عليه لقلت :

يا مَنْ شكا عبثاً إلينا شَوْقَهُ ... شكوى المحبِّ وليس بالمشتاقِ
لو كنتَ مشتاقاً إليَّ تريدني ... ما طبتَ نفساً ساعةً بفراقي
وحفظتني حفظَ الخليلِ خليلَهُ ... ووفيتَ لي بالعهدِ والميثاقِ
هيهات قد حدثت أمورٌ بعدنا ... وشُغلتَ باللذات عن إسحاقِ

قد تركتُ جعلت فداك ما كرهتَ من العتاب في الشعر وغيره ، وقلت أبياتاً لا أزال أخرجُ بها إلى ظهرِ المربد ، وأستقبلُ الشمال وأتنسم أرواحكم فيها ، ثم يكون ما اللّه أعلم به ، وان كنت تكرهُها تركتُها إن شاء اللّه :

ألا قد أرى أنَّ الثواءَ قليلُ ... وأنْ ليس يبقى للخليلِ خليلُ
وأني وإن مُلِّيت في العيش حقبةً ... كذي سَفَرٍ قد حان منه رحيلُ
فهل لي إلى أن تنظرَ العينُ مرةً ... إلى ابن هشام في الحياة سبيلُ
فقد خفتُ أن ألقى المنايا بحسرةٍ ... وفي النفس منه حاجةٌ وغليلُ

وأما بعد ، فإني أعلم أنك وإن لم تسأل عن حالي تحبُّ أن تعلمها وأن تأتيك عني سلامة ، فأنا يومَ كتبتُ إليك سالمُ البدنِ مريضُ القلب ، وبعد فأنا جعلتُ فداك في صنعةِ كتابٍ ظريفٍ مليح فيه تسميةُ القوم ونسبهم وبلادهم وأسبابهم وأزمنتهم ، وما اختلفوا فيه من غنائهم، وبعض أحاديثهم وأحاديث قيان الحجاز والكوفة [والبصرة المعروفات والمذكورات] وقد بعثت إليك بأنموذج فإن كان كما قال القائل : قَبَّحَ اللّه

(1) الأغاني 17 : 62 وطبقات ابن المعتز : 361 ـ 362 وقارن بتهذيب ابن عساكر 2 : 428 .

كلُّ دنٍّ أوَّلُهُ دُرْدِيٌّ ، لم نتجشَّمْ إتمامه ، وإن كان كما قال العربي « إنَّ الجواد عَيْنُهُ فِرَارُهُ » أعلمتنا فأتممناه مسرورين بحسن رأيك فيه .

وكان[1] إسحاق يألف علياً وأحمد بن هشام وسائر أهلهم إلفاً شديداً ، ثم وقعت بينهم نَبْوَةٌ ووحشةٌ في أمرٍ لم يقع إلينا ، فهجاهم هجاءً كثيراً . فحدَّث أبو أيوب المديني عن مصعب الزبيري قال ، قال لي أحمد بن هشام : أما تستحي أنت وصباح بن خاقان المنقري ، وأنتما شيخان من مشايخ المروءة والعلم والأدب ، أن يذكر كما إسحاق في شعره فيقول :

قد نهانا مصعبٌ وصباحٌ ... فعصينا مصعباً وصباحا

عذلا ما عذلا ثم مَلَّا ... فاسترحنا منهما واستراحا

فقلت له : إن كان قد فعل فما قال إلاّ خيراً ، إنما ذكر أننا نهيناه عن خَمْر شربها أو امرأةٍ عشقها ، وقد أشاد باسمك في الشعر بأشدَّ من هذا ، قال : بماذا ؟ قلت : بقوله :

وصافيةٍ تُغْشي العيونَ رقيقةٍ ... رهينةِ عامٍ في الدنانِ وعامِ

أدرنا بها الكأسَ الرويّةَ مَوْهِناً ... من الليل حتى انجابَ كلُّ ظلامِ

فما ذرَّ قرنُ الشمس حتى كأننا ... من العيِّ نحكي أحمد بن هشامِ

قال : أو قد فعل العاضُّ بظرَ أمّه ؟ قلت : إي واللّه قد فعل .

ومن شعر إسحاق عند علوّ سنه :

سلامٌ على سَيْرِ القلاصِ مع الركبِ ... وَوَصْلِ الغواني والمدامةِ والشَّربِ

سلامَ امرىءٍ لم تبقَ منه بقيةٌ ... سوى نظرِ العينين أو شهوةِ القلبِ

لعمري لئن حُلِّئت عن منهلِ الصبا ... لقد كنتُ ورَّاداً لمشرعه العذبِ

لياليَ أغدو بين برديَّ لاهياً ... أميسُ كغصنِ البانة الناعم الرطبِ

وحدث[2] أبو بكر الصولي عن إبراهيم الشاهيني قال : كان إسحاق يسأل اللّه أن

---

(1) الأغاني 17 : 63 وانظر مصورة ابن عساكر 2 : 735 .

(2) الأغاني 5 : 393 .

لا يبتليه بالقولنج لما رأى من صعوبته على أبيه ، فأُري في منامه كأنَّ قائلاً يقول له : قد أجيبت دعوتك ، ولست تموتُ بالقولنج ، ولكن تموت بضدّه ، فأصابه ذرب فمات منه في شهر رمضان سنة خمس وثلاثين ومائتين في خلافة المتوكل على اللّه ، فبلغ المتوكلَ نعيُهُ فغمَّه وحزن عليه وقال : ذهب صدرٌ عظيم من جمال الملك وبهائه وزينته ، ثم نعي إليه بعده أحمد بن عيسى بن زيد بن علي بن الحسين بن علي الخارج عليه فقال : تكافأت الحالان ، ثم قال : قام الفتح بوفاة أحمد وما كنت آمنُ وَثْبَتَهُ عليَّ مقامَ الفجيعة باسحاق ، والحمد للّه على ذلك . ورثاه أودّاؤه وأصدقاؤه بأشعارٍ كثيرة منها قولُ إدريس ابن أبي حفصة[1] :

سقى اللّه يا ابن الموصليِّ بوابلٍ ... من الغيثِ قبراً أنت فيه مقيمُ
ذهبتَ فأوحشتَ الكرامَ فما ينِي ... بعبرته يبكي عليك كريمُ
إلى اللّه أشكو فَقْدَ إسحاقَ إنني ... وإن كنت شيخاً بالعراق يتيمُ

وقال مصعب بن [عبد اللّه] الزبيري يرثي إسحاق[2] :

أتدري لمن تبكي العيونُ الذوارفُ ... وينهلُّ منها مُسْبَلٌ ثم واكفُ
لفقدِ آمرىءٍ لم يبقَ في الناس مثلُهُ ... مفيدٍ لعلم أو صديق يلاطفُ
تجهَّزَ إسحاقُ إلى اللّه رائحاً ... فللّه ما ضُمَّتْ عليه اللفائفُ
وما حمل النعشَ المولّي[3] عشيّةً ... من الناس إلاّ دامعُ العينِ لاهفُ[4]
فلقّيت في يمنى يديكَ صحيفةً ... إذا نُشِرَتْ يومَ الحساب الصحائفُ
تسرُّك يوم البعث عندَ قِرَاتها ... ويفترُّ ضحكا كلُّ من هو واقفُ[5]

(1) الأغاني 5 : 394 .
(2) المصدر نفسه .
(3) الأغاني : المزجى .
(4) م : كالف .
(5) روايته في الأغاني :
يسر الذي فيها إذا ما بدا له ... ويفتر منها ضاحكاً وهو واقف

وحدث الصولي قال: كان[1] لإسحاق من الولد حميد وحماد وأحمد وحامد وإبراهيم وفضل ، ولم يكن في ولد إبراهيم من يغني إلا إسحاق وطياب أخوه . ومات إسحاق وله من التصانيف التي تولّى هو بنفسه تصنيفها[2] كتاب أغانيه التي غنى فيها . كتاب أخبار عزة الميلاء . كتاب أغاني معبد . كتاب أخبار حماد عجرد . كتاب أخبار حنين الحيري . كتاب أخبار ذي الرمّة . كتاب أخبار طويس . كتاب أخبار المغنين المكيين . كتاب أخبار سعيد بن مسجح . كتاب أخبار الدلّال . كتاب أخبار محمد بن عائشة . كتاب أخبار الأبجر . كتاب أخبار ابن صاحب الوضوء . كتاب الاختيار من الأغاني للواثق . كتاب اللحظ والاشارات . كتاب الشراب ، يروي فيه عن العباس بن معن وابن الجصاص وحماد بن ميسرة . كتاب جواهر الكلام . وكتاب الرقص والزفن . كتاب النغم والايقاع . كتاب أخبار الهذليين . كتاب الرسالة إلى علي بن هشام . كتاب قيان الحجاز . كتاب القيان . كتاب النوادر المتخيرة . كتاب الأخبار والنوادر . كتاب أخبار حسّان . كتاب أخبار الأحوص . كتاب أخبار جميل . كتاب أخبار كثيّر . كتاب أخبار نصيب . كتاب أخبار عقيل بن علفة . كتاب أخبار ابن هرمة .

وأما كتاب الأغاني الكبير فقال محمد بن إسحاق النديم : قرأت بخطّ أبي الحسن علي بن محمد بن عبيد بن الزبير الكوفي الأسدي ، حدثني فضل بن محمد اليزيدي قال : كنت عند إسحاق بن إبراهيم الموصلي فجاءه رجل فقال له : يا أبا محمد أعطني كتاب الأغاني ، فقال : أيّما كتاب ؟ الكتابُ الذي صنفته أو الكتاب الذي صُنِّفَ لي ؟ يعني بالذي صنّفه كتاب أخبار المغنين واحداً واحداً ، والكتاب الذي صُنِّفَ له كتاب الأغاني الكبير الذي بأيدي الناس.

قال محمد بن إسحاق : وحدثني أبو الفرج الأصبهاني قال : أخبرني أبو بكر محمد بن خلف وكيع قال ، سمعت حماد بن إسحاق يقول : ما ألّفَ أبي هذا الكتاب قطّ ، يعني كتاب الأغاني الكبير ، ولا رآه ، والدليلُ على ذلك أن أكثر أشعاره المنسوبة إنما جُمِعَتْ لما ذُكِرَ معها من الأخبار ، وما غُنِّي فيها إلى وقتنا هذا ، وإن أكثر نسبة

---

(1) الفهرست : 157 .

(2) الفهرست : 158 ـ 159 .

المغنين خطأ . والذي ألفه أبي من دواوين غنائهم يدلُّ على بطلان هذا الكتاب ، وإنما وضعه وراقٌ كان لأبي بعد وفاته ، سوى الرخصة التي هي أول الكتاب فإن أبي ألفها ، إلا أن أخباره كلها من روايتنا . وقال لي أبو الفرج : هذا سمعته من أبي بكر وكيع [حكاية فحفظته] واللفظ يزيد وينقص .

قال : وأخبرني جحظة أنه يعرف الورَّاق الذي وضعه ، وكان يسمى سندي بن علي ، وحانوته في طاق الزبل ، وكان يورّق لاسحاق ، فاتفق هو وشريك له على وضعه . وهذا الكتاب يعرف في القديم بكتاب السراة ، وهو أحد عشر جزءاً ، ولكل جزء أولُ يعرف به ، فالجزء الأول من الكتاب « الرخصة » هو من تأليف إسحاق لا شك فيه ولا خُلْفَ .

قرأت في كتاب أُلِّفَ في أخبار أبي زيد البلخي أن أبا زيد قال ، وذكر كتاب الأغاني لإسحاق ، فقال : ما رأيتُ أعجبَ من الموصلي ، جمع علمَ العرب والعجم في كتاب ثم أفسده[1] بالاسم . قال : وكان إسحاق أديباً فاضلاً متقدماً في كلِّ شيء ، بلغني أنه دخل على إسحاق بن إبراهيم بن مصعب[2] يعزّيه بعبد اللّه بن طاهر فقال :

لم تُصَبْ أيها الأمير بعبد الـــــله لكنْ بـه أُصيبَ الأنامُ
فسيكفيكم البكـاءَ عليــه أعينُ المسلمينِ والإسـلامُ

ـ 220 ـ

إسحاق بن إبراهيم البربري المحرّر ووالده إبراهيم : ويعرف بالنديم ، كذا قال عبد الرحمن بن عيسى الوزير . قال محمد بن إسحاق النديم : هو إسحاق بن إبراهيم بن عبد الله بن الصباح بن بشر بن سويد بن الأسود التميمي ثم السعدي ،

220 ـ الفهرست : 11 والوافي 8 : 393 .

(1) م : أنشده .

(2) هو ابن عم طاهر بن الحسين ، ولي حلب والعواصم والثغور بأسرها أيام المأمون سنة 214 أو التي بعدها ، ثم عزله في السنة نفسها (بغية الطلب 2 : 235) .

وكان إبراهيم أبوه أحول وكان محرّراً أيضاً.

وكان أول من تكلم على رسوم الخط وقوانينه وجعله أنواعاً رجل يعرف بالأحول المحرّر لا أدري هل هو إبراهيم أو غيره ، وكان من صنائع البرامكة ، وكان يحرّر الكتبَ النافذة من السلطان الى ملوك الأطراف في الطوامير ، وكان في نهاية الحُرفة والوسخ ، ومع ذلك كان سمحاً لا يليق على شيء ، فلما رتب الأقلام جعل أول الأقلام الثقال فمنها قلم الطومار ، وهو أجلُّها يُكْتَبُ في طومارٍ تامّ بسعفة ، وربما كتب بقلم ، وكانت تنفذ الكتب إلى الملوك به . ومن الأقلام قلم الثلثين . قلم السجلات . قلم العهود . قلم المؤامرات . قلم الأمانات . قلم الديباج . قلم المدمَج[1]. قلم المرصّع. قلم التشاجي. فلما نشأ ذو الرياستين الفضلُ بن سهل اخترع[2] قلماً وهو أحسن الأقلام، ويعرف بالرئاسي[3] ،ويتفرع إلى عدة أقلام فمن ذلك قلم الرئاسي الكبير . قلم النصف من الرئاسي . قلم الثلث . قلم صغير النصف . قلم خفيف الثلث . قلم المحقق . قلم المنثور . قلم الوشي . قلم الرقاع . قلم المكاتبات . قلم غبار الحلبة . قلم النرجس . قلم البياض.

فأما إسحاق هذا فإنه كان يعلّم المقتدر وأولاده ، وهو أستاذ ابن مقلة ، ولأبي عليّ إليه رسالةٌ ذكرتها في أخبار أبي علي؛ ويكنى بأبي الحسين[4]، لم يُرَ في زمانه أحسن خطاً منه ولا أعرف بالكتابة.

ولإسحاق كتاب القلم . كتاب تحفة الوامق . رسالة في الخطّ والكتابة.

وأخوه أبو الحسن نظيره ، ويسلك طريقته . وابنه أبو القاسم إسماعيل بن إسحاق بن إبراهيم . وابنه أبو محمد القاسم بن إسماعيل بن إسحاق . ومن ولده أيضاً أبو العباس عبد الله بن إسحاق ، وهؤلاء القوم في نهاية حُسْنِ الخطّ والمعرفةِ بالكتابة .

---

(1) الفهرست : المدبج (فلوجل : المدمج) وما في ر أقرب إلى الفهرست .

(2) ر : اختار .

(3) ر : الرياشي .

(4) ر : أبا الحسن .

ـ 221 ـ

إسحاق بن إبراهيم الفارابي أبو إبراهيم : خال إسماعيل بن حماد الجوهريّ صاحب « كتاب الصحاح في اللغة » ، وأبو إبراهيم هذا هو صاحب « كتاب ديوان الأدب »[1] المشهور اسمُه الذائع ذكرُه.

كتب إلينا القاضي الأشرف يوسف بن إبراهيم بن عبد الواحد الشيباني القفطي[2] من بلاد اليمن ، وكان قد سافر إلى هناك وأقام ، قال : مما أخبركم به أن أبا إبراهيم إسحاق الفارابي مصنف « كتاب ديوان الأدب » كان ممن ترامَى به الاغتراب ، وطوَّح به الزمانُ المنتاب إلى أرض اليمن ، وسكن زَبيد وبها صنَّفَ كتابه « ديوان الأدب » ومات قبل أن يُرْوَى عنه ، وكان أهل زبيد قد عزموا على قراءته عليه ، فحالت المنية دون ذلك . قال : وكانت وفاته فيما يقارب سنة خمسين وأربعمائة[3] واللّٰه أعلم . ووضع كتابه على ستة كتب : الأول السالم ، الثاني المضاعف ، الثالث المثال ـ وهو ما كان في أوله واو أو ياء ، والرابع كتاب ذوات الثلاثة ـ وهو ما كان في وسطه حرف من حروف العلة ، والخامس كتاب ذوات الأربعة ـ وهو ما كان في آخره حرف علة ، والسادس كتاب الهمزة . وكل كتابٍ من هذه الستة أسماء وأفعال يورد الأسماء أولاً ثم الأفعال بعده .

وله : كتاب بيان الإعراب . كتاب شرح أدب الكاتب . كتاب ديوان الأدب .

قرأت بخطّ[4] الشيخ أبي نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي السوى

---

221 ـ ترجمة الفارابي صاحب ديوان الأدب في الوافي 8 : 395 وبغية الوعاة 1 : 437 وانظر إنباه الرواة 1 : 52 ـ 53 (ذكره عرضاً في ترجمة المعري) .

---

(1) نشر هذا الكتاب في أربعة أجزاء بتحقيق الدكتور أحمد مختار عمر (القاهرة 1974) .

(2) هو والد علي صاحب إنباه الرواة ، وما قاله عن الكتاب ومؤلفه من قبيل الأساطير ، يصححه ياقوت كما صححه ابنه (إنباه 1 : 52 ـ 53) .

(3) يبدو أن هذا التاريخ غير دقيق وأن وفاته كانت في غضون القرن الرابع .

(4) في م : قرأت على ، فوضع لفظة « بخط » هنا محاولة قد تكون صحيحة وقد تكون خطأ محضاً إذ يمكن أن تكون العبارة [قال فلان] . . . الخ . أو ما شابه ذلك .

قال : قرأته على أبي إبراهيم رحمه الله بفاراب ، ثم على أبي السري محمد بن إبراهيم الأصبهاني بأصبهان ، ثم عرضته على القاضي أبي سعيد السيرافي ببغداد . قال الحاكم : وكنت قرأت بعضه إلى موضع البلاغ وهو آخر الأسماء على أبي يعقوب يوسف بن محمد بن إبراهيم الفرغاني النريزقاني[1] ، قال : قرأته على أبي علي الحسن بن علي بن سعد الزاميني[2] وقرأه أبو علي على أبي ابراهيم.

قال الحاكم : قول الجوهري عرضتُهُ على القاضي أبي سعيد السيرافي ، يريد أنه قبله ولم ينكره ، فصار عنده من صحاح اللغة ، فأما الردّ من قِبَل أبي محمد يوسف بن الحسن ، بن السيرافي [فلما] أنكره من كلمات أعلم عليها .

بخط الجوهري في آخر الثلث الأخير من نسخة الحاكم : قرأ عليَّ أبو سعد عبد الرحمن بن محمد بن محمد بن عزير هذا الكتاب من أوّله إلى آخره ، وصححته له وكتبه إسماعيل بن حمّاد الجوهريّ . وعلى النسخة أيضاً في موضع آخر : سمعه مني ولداي علي والحسن من أوّله الى آخره بقراءتي إياه إلا أوراقاً قرأها الحسن بنفسه عليَّ ، وصحَّ سماعهما ، والله تعالى يبارك لهما فيه ويوفقهما لصالح الأعمال ، وكتب أبوهما يعقوب بن أحمد غرة المحرم سنة خمس وخمسين وأربعمائة . ثم قرأه عليَّ ولدي الحسن قراءة بحثٍ واستقصاء من أوله إلى آخره بما على حواشيه من الفوائد وشرح الأبيات في شهور سنة ثلاث وستين وأربعمائة . وعلى النسخة أيضاً قبل ذلك ما صورته : سمعه مني بلفظي وصحّحه عرضاً بنسختي صاحبه أبو يوسف يعقوب بن أحمد وفرغ منه في ذي القعدة سنة تسع وعشرين وأربعمائة ، وكتب عبد الرحمن بن محمد بن دوست بخطه.

قال مؤلف الكتاب : فهذا مع وضوحه وكون هؤلاء المذكورين مشهورين معروفين ومعرفتي بالخطوط الموجودة على النسخة كمعرفتي بما لا أشكّ فيه ، يبطل ما كتب إلينا القاضي القفطي من كون هذا الكتاب صُنف بزبيد وأنه لم يُسْمَعْ على مصنِّفه .

(1) كذا في م ؛ وغيرت في الطبعة المصرية إلى الزبرقاني (بايحاءٍ من م) ؛ ونسبة النريزقاني لم ترد في أنساب السمعاني .

(2) الزاميني : نسبة إلى زامين ، قرية بنواحي سمرقند .

قال بعض شعراء خراسان يصف هذا الكتاب :

كتاب ديوان الأدب أحلى جنىً من الضَّرَبْ
أودعه مُنْشِئُهُ أكثر ألفاظِ العربْ
ما ضرَّ من يحسنه خمول ذكر في النسبْ
يرفعه كتابنا فوق أعالٍ في الحسبْ

وجدت بخط الامام أبي يوسف يعقوب بن أحمد النيسابوري اللغوي على « كتاب ديوان الأدب » بخطه ما صورته : سمعت هذا الكتاب من أوله إلى آخره عن الحاكم أبي سعد عبد الرحمن بن محمد بن دوست بقراءته إياه علينا وذلك بنيسابور في شهور سنة تسع وعشرين وأربعمائة ، قال : قرأت على الشيخ أبي نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي السوى قال : قرأته على أبي إبراهيم رحمه الله بفاراب ثم علي أبي السري محمد بن إبراهيم الاصبهاني ثم عرضته على القاضي أبي سعيد السيرافي ببغداد وقرأه جماعة كثيرة ورووه . وله أيضاً كتاب بيان الاعراب . كتاب شرح أدب الكاتب .

- 222 -

إسحاق بن أحمد بن شيث بن نصر بن شيث بن الحكم بن اقلذ بن عقبة بن يزيد بن سلمة بن رؤبة بن خفاتة بن وائل بن هضيم بن ذبيان الصفّار ، أبو نصر الأديب البخاري من أهل بخارى : كان أحدَ أفرادِ الزمانِ في علم العربية ، والمعرفةِ بدقائقها الخفيّة ، وكان فقيهاً ، وورد إلى بغداد وروى بها ومات بعد سنة خمس وأربعمائة فإنه في هذه السنة حدَّث ببغداد . ذكره السمعاني أبو سعد في « تاريخ مرو » والحاكم بن البيع في « تاريخ نيسابور » والخطيب في « تاريخ بغداد » .

قال تاج الإسلام ومن خطه نقلت : ورد أبو نصر الصفّار خراسان ثم خرج إلى العراق والحجاز وسكن الطائف وبها توفي ، وقبره بها معروف . وله تصانيف في

222 ـ ترجمته في تاريخ بغداد 6 : 403 ومنتخب السياق (2) ص: 46 والوافي 8 : 401 وبغية الوعاة 1 : 438 ؛ وفي م في نسبه « شبيب » وغيرته اعتماداً على المصادر المذكورة .

اللغة ، وكان حسن الشعر ، وهو جد الزاهد الصفَّار إبراهيم بن إسماعيل بن إسحاق بن أحمد الذي لقيناه بمرو . وسمع نصرَ بنَ أحمد بن إسماعيل الكشاني ، وروى عنه أبو علي الحسنُ بن علي بن محمد بن المذهب التميمي البغدادي .

وقال الحاكم : أبو نصر الفقيه الأديب البخاري الصفار ـ بعد ما ذكر سنّه كما تقدم ـ قدم علينا حاجّاً وما كنتُ رأيت [مثله] ببخارى في سنّه في حفظ الأدب والفقه ، وقد طلب الحديث في أنواع من العلم ، وأنشدني لنفسه من الشعر المتين ما يطولُ شرحه ، ثم قال : أنشدني لنفسه :

العينُ من زَهَرِ الخضراءِ في شُغُلِ ... والقلبُ من هيبةِ الرحمنِ في وَجَلِ
لو لم تكن هيبةُ الرحمن تردعني ... شرقتُ من قُبَلي في صحنِ خدٍّ ولي
يا دميةً خُلِقَتْ كالشمس في المَثَلِ ... حوريّ جسمٍ ولكنْ صورة الرجلِ
لو كان صَيْدُ الدُّمَى والمردِ من عملي ... لكنتُ من طربٍ كالشارب الثملِ
لكنني من وَثاقِ العقل في عَقَلِ ... وليس لي عن وفاقِ العقل من حِوَلِ
اللّه يرقبني والعقلُ يحجبني ... فما لمثلي إذاً في اللهو والغزلِ
كلفتُ نفسيَ عزّاً في صيانتها ... دينُ الورى لهمُ طراً ودينيَ لي

وقال أبو بكر ابن علي الخطيب : اسحاق بن أحمد بن شيث أبو نصر البخاري ، ويعرف بالصدق ، قدم بغداد في سنة خمس وأربعمائة ، وحدَّث بها عن نصر بن أحمد بن إسماعيل الكشاني صاحب جبريل[1] السمرقندي ، حدثني عنه الحسن بن علي بن محمد بن المذهب وأثنى عليه خيراً .

قال المؤلف : ورأيت أنا له كتاباً في النحو عجيباً سماه « كتاب المدخل إلى سيبويه » ذكر فيه المبنيات فقط ، يكون نحواً من خمسمائة ورقة ، ووقفت منه على كلامٍ من تبحَّر في هذا الشأن واشتمل على غوامضه إلى أقصى مكان ، وله غير ذلك من التصانيف في الأدب ، وكتاب المدخل الصغير في النحو وكتاب الرد على حمزة في حدوث التصحيف .

(1) تاريخ بغداد : جبريل بن مجاع السمرقندي (م : جزيل) .

ـ 223 ـ

إسحاق بن بشر بن محمد بن عبد الله بن سالم ، أبو حذيفة البخاري مولى بني هاشم : ولد ببلخ واستوطن بخارى فنسب إليها ، وهو صاحب « كتاب المبتدأ » وغيره . مات ببخارى سنة ست ومائتين حدث عن محمد بن إسحاق بن يسار وعبد الملك بن جريج وسعيد بن أبي عروبة وجويبر بن سعيد ومقاتل بن سليمان ومالك بن أنس وسفيان الثوري وإدريس بن سنان وخلقٍ من أئمة أهل العلم أحاديثَ باطلة . روى عنه جماعةٌ من الخراسانيين ولم يروِ عنه من البغداديين فيما أعلم سوى إسماعيل بن عيسى العطّار فإنه سمع منه مصنفاته ورواها عنه . وروى الحسن بن علويه القطان أن الرشيد بعث إلى أبي حذيفة فأقدمه بغداد ، وكان يحدث في المسجد المعروف بابن رغبان .

وقال أحمد بن سيار بن أيوب : كان ببخارى شيخ يقال له أبو حذيفة إسحاق بن بشر القرشي ، وكان صنف في « بدء الخلق » كتاباً وفيه أحاديث ليست لها أصول ، وكان يتعرض فيروي عن قوم ليسوا ممن أدركهم مثله ، فإذا سألوه عن آخرين دونهم يقول من أين أدركتُ هؤلاء وهو يروي عن من فوقهم ، وكانت فيه غفلة مع أنه كان يُزَنُّ بحفظ . وسمعت إسحاق بن منصور يقول : قدم علينا ها هنا وكان يحدث عن ابن طاوس ورجالٍ كبار من التابعين ممن ماتوا قبل حميد الطويل ، قال فقلت له : كتبت عن حميد الطويل ؟ قال : ففزع وقال : جئتم تَسْخَرُونَ بي ؟ حميد عن أنس جَدِّي لم يلق حميداً ، قال فقلنا له : أنت تروي عن من مات قبل حميد بكذا كذا سنة . قال : فعلمنا ضعفه وأنه لا يعلم ما يقول .

وقال أبو رجاء قتيبة بن سعيد : بلغني أن أبا حذيفة البخاري قدم مكة فجعل يقول : حدثني ابن طاوس ، فقيل لسفيان بن عيينة ذلك فقال : سلوه عن مولده ،

223 ـ أكثر الترجمة منقول عن تاريخ الخطيب 6 : 326 والفهرست: 106 وانظر مصورة تاريخ ابن عساكر 2 : 745 وتهذيبه 2 : 434 وسير الذهبي 9 : 477 وعبر الذهبي 1 : 349 وميزان الاعتدال 1 : 184 والوافي 8 : 405 والشذرات 2 : 15 .

فسألوه فإذا ابن طاوس مات قبل مولده بسنين . قال : وهو متروك الحديث ساقطٌ رمي بالكذب .

قال المؤلّف : كلّ ما تقدم من كتاب الخطيب .

قال محمد بن إسحاق النديم[1] : وله من الكتب : كتاب المبتدأ . كتاب الفتوح . كتاب الردة . كتاب الجمل . كتاب الألوية . كتاب صفين . كتاب حفر زمزم .

ـ 224 ـ

إسحاق بن سلمة بن إسحاق القيني : أخباريّ عالم أندلسي ، له كتاب يشتمل على أجزاء كثيرة في أخبار رية ـ ناحية بالاندلس ـ وحصونها وولاتها وحروبها وفقهائها وشعرائها ، ذكره أبو محمد ابن حزم .

ـ 225 ـ

إسحاق بن عمار ، يعرف بابن الجصاص : يكنى أبا يعقوب ، من موالي اليمن ، وكان صاحب عيسى بن موسى في أول الدولة ولم يزل معه ، فكان الناس يقرأون عليه الشعر في دار عيسى .

قال المرزباني ، قال عيسى بن جعفر : إسحاق بن عمار من موالي اليمن ، ويقال هو عبد الله بن إسحاق وإسحاق أبوه هو الجصاص ، وقد اختلف في ولائه أيضاً .

وقال الكسائي : إسحاق بن عمار الجصّاص أحد من أخذنا عنه الشعر وكان

224 ترجمته القيني الأخباري في تاريخ ابن الفرضي 1 : 89 وجذوة المقتبس: 159 وبغية الملتمس (رقم: 556) والوافي 8: 413 .

225 ـ نور القبس: 272 والوافي 8: 419 .

(1) الفهرست : 106 .

عالماً به ، ومات في آخر أيام المنصور . قال : وكان إذا تكلم في مجلس صمت الناس .

وقال عبد الله بن جعفر : ذُكِرَ ابن الجصاص الكوفيّ الراوية عند أحمد بن سعيد بن سلم ، قال : ذُكِرَ عند أبي فاختلفوا في ولائه ، فقال أبي : حدثني من رآه وقد دخل إلى عيسى بن موسى بعد أن خُلِعَ وسلّم العهد إلى المهدي فقال : أيها الأمير ، أنت والله كما قال الأحوص (1) :

فمن يك عنّا سائلاً بشماتة لما مسّنا أو ساكتاً غير سائلِ
فما عَجَمَتْ منّا العواجمُ ماجداً صبوراً على حَرّاتِ تلك التلاتلِ
إذا سُرَّ لم يبطرْ وليس لنكبة أَلَمَّتْ به بالخاشعِ المتضائلِ

وحدَّث المبرد عن عبد الله بن صالح المقرىء : كان ابن الجصاص وجناد بن واصل قاعدَيْن فتذاكرا القبور ، فقال ابن الجصاص متمثلاً :

فإن كنتِ لا تدرين ما الموتُ فانظري إلى دَيْرِ هندٍ كيف خُطَّتْ مقابرُهْ

فقال جناد :

تَرَيْ عجباً مما قضى الله فيهمُ رهائنُ حتفٍ أوْجَبَتْهُ مقادره

فردَّ عليه أعرابي فقال :

بيوتٌ تدانى أهلها فوق أهلها ومستأذنٌ لا يدخل الدهرَ زائره

وقال ابن الكلبي : ابن الجصاص الراوية مولى لبشر بن عبد الملك بن بشر بن مروان .

(1) انظر شعر الأحوص (عادل سليمان) : 181 .

ـ 226 ـ

إسحاق بن مرار أبو عمرو الشيباني الكوفي : قال الأزهري[1] : كان يعرف بأبي عمرو الأحمر[2] وَمِرار بكسر الميم ورائين مهملتين مخففتين[3] ، وهو مولىً وليس من بني شيبان ، وإنما كان مؤدباً لأولاد ناسٍ من بني شيبان فنسب إليهم ، كما نسب اليزيدي إلى يزيد بن منصور حين أدَّب ولده .

وقرأت في « أمالي » أبي إسحاق النجيرمي : ذكر أن يوسف الأصبهاني قال : أبو عمرو الشيباني من الدهاقين ، وإنما قيل له الشيباني لأنه كان يؤدّب ولد هارون الرشيد الذين كانوا في حجر يزيد بن مزيد الشيباني فَنُسِبَ إليه . قال عبد اللّه بن جعفر : وأبو عمرو راويةُ أهلِ بغداد واسع العلمِ باللغة والشعر ، ثقة في الحديث كثير السماع ، وله كتب كثيرةٌ في اللغة جياد . مات في أيام المأمون سنة خمس ومائتين أو ست ومائتين وقد بلغ مائة سنة وعشر سنين . وقال ابن السكيت : مات أبو عمرو وله ثمان عشرة ومائة سنة ، وكان يكتب بيده إلى أن مات ، وكان ربما استعار مني الكتب وأنا إذ ذاك صبيٌّ آخذ عنه وأكتب من كتبه .

وقال ابن كامل[4] : مات أبو العتاهية وأبو عمرو الشيباني وإبراهيم الموصلي المغنّي والد إسحاق في يوم واحد سنة ثلاث عشرة ومائتين ببغداد . قال ابن درستويه :

---

226 ـ ترجمته في طبقات الزبيدي: 194 ومراتب النحويين: 91 وتهذيب اللغة 1 : 13 والفهرست: 75 ونور القبس: 277 وإنباه الرواة 1 : 221 ونزهة الالباء: 61 وتاريخ بغداد 6: 329 وابن خلكان 1 : 201 والبداية والنهاية 10: 265 وتهذيب التهذيب 12: 182 والوافي 8: 425 وبغية الوعاة 1: 439 وتاريخ أبي المحاسن: 207 ـ 208 والبلغة: 38 (وسيعتمد المؤلف على مصادر أخرى) وروضات الجنات 2: 2 وللدكتور رزوق فرج رزوق دراسة موجزة عنه (بغداد : 1968) .

(1) تهذيب اللغة 1 : 13 .
(2) م : الأحوص .
(3) ذكر القفطي أنه رأى اسمه بخط الأزهري « مراد » في مقدمة التهذيب ، وروى ياقوت نفسه أنه شاهد نسخة من الكتاب بمرو عند بني السمعاني وفيها « مراد » .
(4) الفهرست : 75 .

وله بنون وبنو بنين يروون عنه كتبه وأصحابٌ علماء ثقات ، وكان ممن يلزم مجلسه ويكتب عنه الحديث أحمد بن حنبل رضي الله عنه .

وحدث الحزنبل عن عمرو بن أبي عمرو الشيباني قال[1] : لما جمع أبي أشعار القبائل كانت نيفاً وثمانين قبيلة ، فكان كلما عمل منها قبيلةً وأخرجها إلى الناس كتب مصحفاً بخطّه وجعله في مسجد الكوفة حتى كتب نيفاً وثمانين مصحفاً .

وكان يقول لبنيه : تعلموا العلم فإنه يُوْطِىءُ الفقراءَ بسطَ الملوك .

وروي عن أبي عمرو الشيباني انه قال يوماً لأصحابه : لا يتمنَّينَّ أحد أمنية سوءٍ ، فإن البلاء موكَّل بالمنطق ، هذا المؤمل[2] قال :

شفَّ المؤملَ يوم الحيرةِ النظرُ ... ليت المؤملَ لم يُخْلَقْ له بَصَرُ

فذهب بصره ، وهذا مجنون بني عامر قال :

فلو كنتُ أعمى أخبطُ الأرض بالعصا ... أصمَّ ونادتني أُجبتُ المناديا

فعمي وصم .

وقال أبو شبل يهجو أبا عمرو الشيباني[3] :

قد كنت أرجو أبا عمرو أخا ثقةٍ ... حتى أَلَمَّتْ بنا يوماً مُلِمَّاتُ
فقلتُ والمرءُ تخطيه مَنيَّتُهُ ... أدنى عطيته إياي ميّاتُ
فكان ما جاد لي لا جاد عن سعةٍ ... ثلاثةٌ ناقصات مدلهماتُ
ما الشعرُ ويحَ أبيه من صناعته ... لكنْ صناعته بخلٌ وبالاتُ
ودنّ خلٍّ بفتلٍ فوق عاتقه ... فيه رُبَيْثاءُ[4] مخلوطٌ وصحناةُ

---

(1) الفهرست : 75 ونزهة الألباء : 62 وتاريخ بغداد 6 : 329 .

(2) هو المؤمل بن أميل المحاربي ، انظر الأغاني 22 : 255 ـ 263 وفيه قصة أمنيته عن غير أبي عمرو .

(3) أبو الشبل عاصم (أو عصم بن وهب) شاعر غزل ماجن أدرك زمن المتوكل ومدحه ، انظر الأغاني 14 : 184 وما بعدها ، وأورد ياقوت في مادة « قنان » بعض الأبيات من رواية ثعلب ، أنشدها رجل في مجلس ابن الأعرابي .

(4) الربيثاء : نوع من صغار السمك وكذلك الصحناة .

فلو رأيت أبا عمرٍو ومشيته كأنه جاحظُ العينينِ نهَّاتُ

نهات أي نهاق .

وقال محمد بن إسحاق النديم[1] : وله من الكتب كتاب الجيم[2] . كتاب النوادر . كتاب أشعار القبائل ، ختمه بابن هرمة . كتاب الخيل . كتاب غريب المصنف . كتاب اللغات . كتاب غريب الحديث . كتاب النوادر الكبير على ثلاث نسخ .

وقال أبو الطيب اللغوي في كتاب « مراتب النحويين »[3] وأما « كتاب الجيم » فلا رواية له لأن أبا عمرو بخل به على الناس فلم يقرأه أحدٌ عليه .

وذكره أبو بكر الخطيب فقال[4] : هو كوفي نزل بغداد وحدَّث بها عن دكين[5] الشامي . روى عنه ابنه عمرو وأحمد بن حنبل وأبو عبيد القاسم ابن سلام وكان ثقة . قال ثعلب[6] : وكان مع أبي عمرو الشيباني من العلم والسماع عشرة أضعاف ما كان مع أبي عبيدة ولم يكن في أهل البصرة مثل أبي عبيدة في السماع والعلم .

قال المؤلف : ولقد أسرف ثعلب فيما فضَّل به أبا عمرو ، فإنني لا أقول إن اللَّه خلق رجلاً كان أوسع روايةً وعلماً من أبي عبيدة في زمانه .

وحدث يونس بن حبيب قال[7] : دخلتُ على أبي عمرو الشيباني وبين يديهِ قِمَطْرٌ فيه أُمناءٌ من الكتب يسيرة ، فقلت له : أيها الشيخ هذا علمك ؟ فتبسم إليَّ وقال : إنه من صِدْقٍ كثير .

وقال الخطيب[8] : كان أبو عمرو نبيلاً فاضلاً عالماً بكلام العرب حافظاً للغاتها ، عمل كتاب شعراء مضر وربيعة ويمن إلى ابن هرمة ، وسمع من الحديث سماعاً واسعاً ، وعمِّر عمراً طويلاً حتى أناف على التسعين ، وهو عند الخاصة من أهل

---

(1) الفهرست : 75 .
(2) حققه ابراهيم الأبياري في أربعة أجزاء (1974) .
(3) مراتب النحويين : 91 .
(4) تاريخ بغداد 6 : 329 .
(5) م : ركين ؛ تاريخ بغداد : ذكن .
(6) هو في تاريخ بغداد : 330 ونقل في عدد من المصادر المذكورة .
(7) تاريخ بغداد 6 : 331 .
(8) تاريخ بغداد (نفسه) .

العلم والرواية مشهور معروف ، والذي قصَّر به عند العامة من أهل العلم أنه كان مستهتراً بالنبيذ والشرب له .

قرأت بخط أبي منصور الأزهري في « كتاب نظم الجمان » للمنذري حدثني أبو بكر محمد بن أحمد بن النضر المنني قال ، حدثني سعيد بن صبيح قال ، حدثني أبوك ـ يعني النضر ـ قال : كنتُ عشيّةَ الخميس عند إسماعيل بن حماد بن أبي حنيفة ، وجاء أبو عمرو الشيباني فقال لي : من هذا الشيخ ؟ قلت : هذا أبو عمرو الشيباني صاحب العربية والغريب ، وكان قد أتى عليه نحو من خمس عشرة ومائة سنة ، فالتفت إليه أسائله عن أيامه وسنه ، ثم قال : ما راح بك ، ألك حاجة ؟ قال : نعم بلغني أنك تقول إن القرآن مخلوق ، قال : نعم ، قال : فمتى خلقه قبل أن يتكلم به أو بعد ما تكلم به ؟ فأطرق طويلاً ثم رفع رأسه وقال : أنت شيخ جَدِلٌ ، هذا قولي وقول أمير المؤمنين ، قال سعيد : فغدوت يومَ الجمعة على أبي عمرو ـ وكان مجلسه وكنت أقرب منه ـ فقلت : يا أبا عمرو وأيش كنت تصنع عند إسماعيل بن حماد ؟ قال : من أخبرك ؟ أحمد بن أبي غالب ؟ اللهُ عن هذا فإن هذا بي عارف ـ يعني المأمون ـ دعوا هذا لا تتكلموا به .

ـ 227 ـ

إسحاق بن نصير الكاتب البغدادي أبو يعقوب كاتب الرسائل بديوان مصر بعد محمد بن عبد الله بن عبد كان: قال ابن زولاق: مات سنة سبع وتسعين ومائتين. قال ابن زولاق : وكان أبو جعفر محمد بن عبد الله بن عبد كان على المكاتبات والرسائل منذ أيام أحمد بن طولون ، ومكاتباتُهُ وأجوبتُهُ موجودة ، إلى أن قدم عليه أبو يعقوب إسحاق بن نصير البغدادي من العراق والتمس التصرّف ، فقال له ابن عبد كان: في ماذا تتصرف ؟ فقال : في المكاتبات والأجوبة والترسل ، وكان بين يدي أبي جعفر كتب قد وردت فقال له : خذ هذه وأجبْ عنها ، فأخذها ومضى إلى ناحية من الدار فأجاب عنها ، ثم وضع خفَّه تحت رأسه ونام ، وقام أبو جعفر إلى الحجرة التي له فاجتاز به

227 ـ الوافي 8 : 428 .

والكتبُ بين يديه ، فأخذها وقرأها ، فلما تأمّلها جعل يروّح إسحاق بن نصير حتى انتبه ، فقال له : عمن أخذت الكتبة ؟ وأجرى عليه أربعين ديناراً في كلِّ شهر ، فلم يزلْ مع أبي جعفر إلى أن توفي أبو جعفر وانفرد بالأمر علي بن أحمد الماذرائي ، فقال لإسحاق : الزم منزلك ، فانصرف ، فوردت كتبٌ فأجاب عنها علي بن أحمد ودخل على أبي الجيش خمارويه بن أحمد بن طولون فعرضها عليه ، فقال له : ما هذه بالألفاظ التي كانت تخرج مني وعني ، فمضى علي بن أحمد وعاد إليه ، فما أراد أبو الجيش الجواب ولا استجاده ، فخرج علي بن أحمد وقال : هاتوا إسحاق بن نصير ، فجيء به فقال : أجب عن هذه ، فأجاب ، ودخل علي بن أحمد على أبي الجيش فقرأ الأجوبة ، فقال : نعم هذا الذي أعرفُ ، أيش الخبر ؟ فقال له : كاتبٌ كان مع أبي جعفر فاعتزل وأحضرته الساعة ، فقال : هاته ، فأحضره ، فقال : كم رزقك ؟ فقال : أربعون ديناراً ، فقال لعلي بن أحمد : اجعلها أربعمائة في السنة ، اجعلها له أربعمائة في الشهر ، وقال لإسحاق بن نصير : لا تفارقْ حضرتي . فبلغ إسحاق حتى صار رزقه ألف دينار في كل شهر ، فكان يجود بذلك ويفضل به على الناس ، ولقد أرسل إلى بغداد إلى ثلاثة أنفس : إلى أبي العباس المبرد وإلى أبي العباس ثعلب وإلى وراق كان يجلس عنده دفعة واحدة ثلاثة آلاف دينار ، لكلٍّ واحدٍ منهم ألف دينار ، وجرى ذلك على يدي أحمد بن الوليد التاجر خالِ القاضي بمصر .

ـ 228 ـ

إسحاق بن يحيى بن سريج الكاتب ، أبو الحسين النصراني : ذكره محمد بن إسحاق النديم وقال : كان جيّدَ المعرفة بأمر الدواوين والخراج ومناظرةِ العمال ، وله معرفة تامة بالنجوم ومولده في شعبان سنة ثلاثمائة . قال : وهو يحيا .

قال المؤلف : وكان قوله هذا في سنة سبع وسبعين وثلاثمائة .

قال : وله من الكتب كتاب الخراج الكبير في ألف ورقة ، جزأه جزءين ، وجعله

228 ـ الفهرست : 151 والوافي 8 : 428 (وفي م في نسبه : شريح) .

ستةَ منازل . كتاب الخراج الذي في أيدي الناس مائتا ورقة . كتاب الخراج صغير نحو مائة ورقة . كتاب عمل المؤامرات بالحضرة . كتاب تحويل سني المواليد نحو مائة ورقة . كتاب جمل التاريخ .

ـ 229 ـ

إسحاق بن موهوب بن أحمد بن محمد بن الخضر الجواليقي يكنى أبا طاهر : وهو أخو إسماعيل ومات في حادي عشر رجب سنة خمس وسبعين وخمسمائة ودفن بباب حرب عند أبيه وأخيه . سمع أبا القاسم ابن الحصين وأباه وغيرهما، وحدث بالقليل ، سمع منه القاضي القرشي قال : وسألته عن مولده فقال في ربيع الأول سنة سبع عشرة وخمسمائة .

ـ 230 ـ

أسعد بن عصمة أبو البيداء الرياحي : أعرابي نزل البصرة ، وكان يعلّم الصبيانَ بالأجرة ، وأقام بها أيام عمره يؤخَذُ عنه العلم ، زوج أم أبي مالك عمرو بن كركرة ، وكان شاعراً ، ومن شعره :

قال فيها البليغ ما قال ذو العـيّ وكلٌّ بوصفها منطيقُ
وكذاك العدوُّ لم يعدُ أن قا ل جميلاً كما يقولُ الصديق

ـ 231 ـ

أسعد بن علي بن أحمد الزوزني المعروف بالبارع : أبو القاسم الأديب الشاعر الفاضل الكاتب المترسل ، مات فيما ذكره عبد الغافر في « السياق » يوم عيد الأضحى سنة اثنتين وتسعين وأربعمائة .

229 ـ إنباه الرواة 1 : 230 والوافي 8 : 427 .
230 ـ الفهرست : 49 وانباه الرواة 4 : 96 والوافي 9 : 30 .
231 ـ ترجمته في السياق (المنتخب 2) : 48 ودمية القصر 2 : 1403 (ألتونجي) والوافي 9 : 28 .

قرأت بخط تاج الاسلام : البارع من أهل زوزن ، سكن نيسابور وورد العراق وأكرم فضلاؤها مورده ، وكان شاعر عصره وأوحد[1] دهره بخراسان والعراق ، وقد شاع ذكره في الآفاق . وكان على كبر سنّه يسمعُ الحديثَ ويكتبُ إلى آخر عمره . سمع أبا عبد الرحمن ابن محمد الداودي وأبا جعفر محمد بن اسحاق البحّاثي ، روى لنا عنه أبو البركات[2] الفراوي وأبو منصور الشحامي وغيرهما .

وذكره الباخرزي في « الدمية » وقال : الأديب أبو القاسم أسعد بن علي البارع الزوزني : هو البارعُ حقاً ، والوافرُ من البراعة حظاً ، وقد اكتسب الأدبَ بجدّه وكدّه ، وانتهى من الفضلِ إلى أقصى حَدِّه ، ولفَّتني إليه نسبةُ الآداب ، ونظمتني وإياه صُحبة الكتاب ، وهلم جرّا إلى الآن ، ارتدينا المشيب ، وخلعنا بُرْدَ الشبابِ ذاك القشيب . ولا أكاد أنسى وأنا في الحضر ، حظّي منه في السفر ، وقد أخذنا بيننا بأطراف الأحاديث، وَرِشْنا المطايا بأجنحة السيرِ الحثيث، حتى سرنا معاً إلى العراق ، ونزل هو من فضلائه بمنزلة السوادِ من الأحداق ، وعنده توقيعاتهم بتبريزه على الأقران ، وحيازته قَصَباتِ الرهان ، وأنا على ذلك من الشاهدين ، لا أكتم من شهادتي دِقًّا ولا جِلاًّ ، بل أعتقد بها صكّاً وعليها سجلاًّ ، ومن يكتمها فإنه آثمٌ قلبُهُ ، وعازبٌ لبه .

قال السمعاني : أنشدني الشحامي ، أنشدنا البارع لنفسه :

قد أقبلَ المعشوقُ فاستقبلتُهُ مستشفياً مستسقياً من ريقِهِ
نشوانَ والإبريقُ في يده ولي من ريقه ما ناب عن إبريقهِ
لو كنتُ أعلم أنه ليَ زائرٌ لرششتُ من دمعي ترابَ طريقهِ
ولكنتُ أُذكي جمرَ قلبي في الدجى بطريقه كي يهتدي ببريقهِ
فزويتُ وجهي عن مدامةِ كأسه وشربتُ كأساً من مجاج عقيقهِ

وله أيضاً :

كأن لونَ الهواء ماءٌ أو سندسٌ رقَّ أو عمامهْ
كأن شكلَ الهلالِ قرطٌ أو عطفةُ النون أو قُلامَهْ

(1) ر : وواحد .

وله أيضاً :

ألا فاشكر لربك كلَّ وقتٍ على الآلاءِ[1] والنعم الجسيمهْ
إذا كان الزمانُ زمانَ سوءٍ فيومٌ صالحٌ منه غنيمهْ

وله أيضاً :

أبو بكر حبا في الله مالا أكان لسانُهُ يجري بلالا
لقد واسى النبيَّ بكلِّ خيرٍ وأعطى من ذخائره بلالا
لو آن السحَر أبغضه اعتقاداً لما أعطى الإله له بلالا

ومما أورده الباخرزي في كتابه للبارع[2] :

قمرٌ سبى قلبي بعقرب صُدْغِهِ لما تجلَّى عنه قلبُ العقربِ
فأجبته أَلْدَيْك قلبي قال لا لكنَّ قلبك عند قلب العقربِ

قرأت في بعض الكتب ، قال : الفضلاء الملقبون بالبارع في خراسان ثلاثة : أحدهم البارع الهروي ، وهو صاحب « كتاب طرائف الطرف » وهو أدونهم في الفضل مرتبةً ، والثاني البارع البوشنجي وهو أوسطهم ، والثالث البارع الزوزني وهو أفضلهم وأشهرهم . قال : وكان تلميذ القاضي أبي جعفر البحاثي[3] ، وهو الذي يقول فيه البحاثي :

عَفَجْتُ على اليُبْسِ البويرعَ مرَّةً فقال لقد أوجعتَ سرمي فَبُلَّهُ
فقلتُ بزاقي لا يفي بجميعه ومن أين لي أن أبزقَ الدربَ كلَّه

قلت أنا : ينبغي أن يكون قد استعمله بمنارة اسكندرية إذا عفجه في شيء كالدرب فأوجعه .

وقال البحاثي فيه أيضاً :

---

(1) بهامش ر : الآلام (أصلٌ) .
(2) دمية القصر : 1412 .
(3) هو أبو جعفر محمد بن إسحاق البحاثي الزوزني (انظر الدمية : 1374) .

للبارع ابنِ العاهرَهْ زوجةُ سوءٍ فاجرَهْ
مؤاجرٌ قد زوَّجو ه كفؤه مؤاجرهْ

وقال البارع هذا يخاطب أبا القاسم علي بن أبي نزار[1] رئيس زوزن :

كفُّ عليٍّ عندها التبرُ هان وللملكِ بها قَدْرُ
كأنما الخالُ على ظهرها عنبرةٌ قد مجَّها البحرُ

- 232 -

أسعد بن مسعود بن علي بن محمد بن الحسن العتبي أبو إبراهيم : من ولد عتبة بن غزوان ، وهو حفيد أبي النصر[2] العتبي ، كذا ذكر السمعاني في « المذيّل » وأبو النصر هو محمد بن عبد الجبار[3] ، وليس في نسب هذا عبد الجبار كما ترى ، ولا أدري ما صوابُهُ إلاّ أن يكونَ ابنَ بنته .

قال السمعاني : قرأت بخط والدي : أسعد بن مسعود العتبي مولده سنة أربع وأربعمائة ، ذكره أبو الحسن البيهقي في « وشاح الدمية » وقال : هو مصنف « كتاب درة التاج » و « كتاب تاج الرسائل » وكان كاتباً في الدواوين المحمودية والسلجوقية ، وعاش إلى آخر أيام نظام الملك ، وقال في الإمام علي الفنجكردي :

يا أوحدَ البلغاءِ والأدباء يا سيدَ الفضلاءِ والعلماءِ
يا من كأنَّ عطارداً في قلبه يُمْلي عليه حقائقَ الأشياءِ

وذكره أبو سعد ، ونقلت من خطّه ، قال بعد ذكر نسبه : كان من أهل نيسابور ،

232 ـ ترجمته في السياق (المنتخب 2 : 47) والوافي 9 : 30 وسير الذهبي 19 : 158 والمنتظم 9 : 125 . وتكرر « محمد » في نسبه (في ر) .

(1) م : توار ، وانظر الدمية : 1453 .
(2) م والسياق : النضر .
(3) ترجمة أبي النصر محمد بن عبد الجبار العتبي في اليتيمة 4 : 397 .

وكان يسكن مدرسة البيهقي ؛ وهو من أولاد المنعّمين[1] ، شاعر كاتب ، تصرف في الأعمال أيام شبابه ، وخرج في صحبة[2] عميد خراسان إلى أسفار ، وصحب الأكابر ، وارتفعت به الأيام وانخفضت حتى تأخّر عن العمل ، وتاب ولزم البيتَ وقنع بالكفاف من العيش ، واستراح من الأمور ، وعُقِدَ له مجلسُ الإملاء في الجامع المنيعي[3] فأملى مدة ، وكان يحضر عنده المحدّثون والأئمة . دخل بغداد وسمع بها من أبي منصور عبد الله بن سعيد بن مهدي الكاتب الخوافي ، وسمع بنيسابور ومرو وغير ذلك ، وسمع جدّه أبا النصر العتبيّ وروى لنا عنه جماعة .

قال : وقرأت بخط أبي جعفر محمد بن علي الحافظ الهمذاني : أسعد بن مسعود العتبي شيخ عالم ثقة ديّن ، كان يثني عليه أبو صالح المؤذن الحافظ . وذكره في موضع آخر وقال : أسعد العتبي تزهّد وكان من الصالحين .

قال السمعاني : أنبأنا أبو البركات الفراوي عن أسعد بن مسعود عن عبد القاهر بن طاهر التميمي ، حدثني شيخ فاضل قال : دخلت المسجد الجامعَ بالبصرة فرأيتُ شيخاً بهياً قد قطع مسافةَ العمر ، فسلّمتُ عليه وقلت : أتفرّس أنك شاعر ، فقال : أجل ، فقلت : أنشدني من مقولك ما يكون لي تذكرةً منك ، فقال : اكتب :

قالوا تغيَّر شعرُهُ عن حاله ... والهمُّ يشغلني عن الأشعارِ
أما الهجاءُ فعنه شيبي زاجري[4] ... والمدح قلَّ لقلَّةِ الأحرارِ

قال السمعاني : أنشدني أبو الحسين أحمد بن محمد السمناني المصري ، أنشدنا أبو إبراهيم أسعد العتبي لنفسه :

قد كنتُ فيما مرَّ من أزماني ... متوانياً لتقاصُرِ الإحسانِ
ورأيتُ خلّاني وأهلَ مودّتي ... متوفّرين معاً على الاخوانِ

(1) السياق : من أولاد النعم .
(2) السياق : خدمة (وعميد خراسان هو أبو سعيد محمد بن منصور) .
(3) السياق : في الحظيرة الشحامية في جامع المنيعي .
(4) م : فمنه شيء زاخر (وأثبتّ ما في ر) .

فتغيّروا لما رأوني تائباً   وعن التصرُّفِ قد صرفتُ عناني
دَعْهُمْ وعادَتَهُمْ فلم أرَ مثلَهُمْ   إلا مجرَّدَ صورةِ الإنسانِ
واغسلْ يديك من الزمانِ وأهله   بالطينِ والصابونِ والأُشنانِ

ـ 233 ـ

أسعد بن المهذب بن أبي المليح مماتي : أحد الرؤساء الأعيان الجلة[1] ، والكتاب الكبراء المنزلة ، ومن تصرف في الأعمال ، ووليَ رئاسةَ الديوان ، وله أدبٌ بارع ، وخاطرٌ وقَّادٌ مُسَارِعٌ ، وقد صنَّف في الأدب وَعُرِفَ ، ومات بمدينة حلب في ثامن عشري جمادى الأولى سنة ست وستمائة ، على ما نذكره إن شاء اللّه تعالى .

وأصله من نصارى أسيوط ـ بليدة بصعيد مصر ـ قدموا مصرَ وخدموا وتقدموا وولوا الولايات ، وهو مع ذلك من أهلِ بيتٍ في الكتابة عريق ، [برز جدّ أبيه ممّاتي أيام بدر الجمالي][2] وهو كالمستولي على الديار المصرية ليس على يده يدٌ ، والمسمَّوْنَ بالخلافة محجوبون ليس لهم غير السكة والخطبة . وكان إلى مماتي كثير من أعماله ، فحدثني الصاحب الكبير الوزير الجليل جمال الدين الأكرم أبو الحسن علي بن يوسف الشيباني القفطي ـ حرس اللّه علاه ـ بمدينة حلب قال : بلغني أن بعضَ تجار الهند قدم إلى مصر ومعه سمكةٌ مصنوعةٌ من عنبر ، قد تُنُوِّقَ فيها وأُجيد وطيِّبت ورصعت بالجواهر ، فعرضها على بدر الجمالي ليبيعها منه فسامها من صاحبها فقال : لا أَنْقُصُهَا من ألفِ دينار شيئاً ، فأُعيدت إليه ، فخرج بها من دار بَدْرٍ ، فقال له أبو المليح : أرني هذه السمكة ، فأراه إياها ، فقال له : كم سُمْتَ فيها ؟ فقال : لا أَنْقُصُها من ألفِ دينار

233 ـ ترجمة ابن مماتي في إنباه الرواة 1 : 231 وبغية الطلب 3 : 28 ووفيات الأعيان 1 : 210 والخريدة (قسم مصر) 1 : 100 والوافي 9 : 19 والنجوم الزاهرة 6 : 178 والشذرات 5 : 20 وحسن المحاضرة 1 : 325 والبداية والنهاية 13 : 53 (وكنيته أبو المكارم) وسير الذهبي 21 : 485 (وانظر مزيداً من التخريج في الحاشية) والمقفى 2 : 83 .

(1) ر : الجلة الأعيان .

(2) لا بد من مثل هذه الزيادة هنا لتوضيح ما يجيء بعد ذلك .

درهماً واحداً ، فأخذ بيده وقبض ألف دينار من ماله وتركها عنده مدةً ، فاتفق أن شرب أبو مليح يوماً وسكر وقال لندمائه : قد اشتهيتُ سمكاً هاتم المقلى والنارَ حتى نَقْلِيَهُ بحضرتنا ، فجاءوه بمقلى حديدٍ وفحم وتركوه علىٰ النار ، وجاء بتلك السمكة العنبر فتركها في المقلى ، فجعلت تتقلى وتفوحُ روائحها حتى لم يبقَ بمصرَ دارٌ إلا ودخلتها تلك الرائحة ، وكان بدر الجمالي جالساً فشمَّ تلك الرائحة وتزايدت ، فاستدعى الخُزَّانَ وأمرهم بفتح خزائنه وتفتيشها خوفاً من حريقٍ قد يكون وقع فيها ، فوجدوا خزائنه سالمة ، فقال : ويحكم انظروا ما هذا ، ففتشوا حتى وقعوا على حقيقة الخبر ، فاستُعْظِم ، وقال : هذا النصرانيُّ الفاعلُ الصانع قد أكل أموالي واستبدَّ بالدنيا دوني حتى أمكنه أن يفعل مثلَ هذا ، وتركه إلى الغداة ، فلما دخل إليه وهو مُغْضَبٌ قال له : ويحك أَسْتَعْظِمُ أنا وأنا ملكُ مصر شِرَى سمكةٍ من العنبر فأتركها استكثاراً لثمنها فتشتريها أنت ، ثم لا يقنعك حتى تقليها وتُذْهِبَ في ساعةٍ ألفَ دينار مصرية ؟! ما فعلتَ هذا الا وقد نقلتَ بيتَ أموالي إليك وفعلت ، فقال له : واللّه ما فعلتُ هذا إلا غَيْرَةً عليكَ ومحبةً لك ، فإنك اليومَ سلطانُ نصفِ الدنيا ، وهذه السمكةُ لا يشتريها إلا ملك ، فخفت ان يَذْهَبَ بها إلى بعض الملوك ويخبرَهُ بأنك استعظمتها ولم تشترها ، فأردتُ أن أعكس الأمرَ وأعلمه أنك ما تركتها إلاّ احتقاراً لها ، وأنها لم يكن لها عندك مقدار ، وأنّ كاتباً نصرانياً من كتابك اشتراها وأحرقها ، فيشيعَ بذلك ذكرك ، ويعظم عند الملوكِ قدرك . فاستحسن بدر ذلك منه وأمر له بضعفي ثمنها وزاد في رزقه .

وكان مماتي مع ذلك كريماً ممدَّحاً قد مدحه الشعراء ، فذكر أبو الصلت[1] في « كتاب الرسالة المصرية »[2] له أن أبا طاهر إسماعيل بن محمد الشاعر المعروف بابن مكنسة كان منقطعاً إليه ، فلما مات مماتي رثاه ابن مكنسة بقصيدة منها :

ماذا أرجِّي من حيا تي بعد موتِ أبي المليحِ

(1) أمية بن أبي الصلت أندلسي هاجر إلى مصر سنة 489 وحبس فيها مدة ثم لما أطلق عاد إلى المهدية وفيها توفي سنة 529 (وسيترجم له ياقوت رقم 260) . وكتابه الرسالة المصرية نشره الأستاذ عبد السلام هارون ، فهو الحلقة الأولى في سلسلة نوادر المخطوطات (الطبعة الثانية : 1972) .

(2) الرسالة المصرية : 43 ـ 44 وانظر بغية الطلب 3 : 185 (في ترجمة ابن مكنسة) .

مـا كـان بـالـنِّكْسِ الـدنـــــيِّ من الرجالِ ولا الشحيحِ
كَـفَـر النـصـارى بـعـدمـا غَـدَروا[1] بـه دينَ المسيـحِ

(كذا قال ، ولعلهم اغتالوه أو قتلوه) . ولما ولي الأفضلُ ابنُ أمير الجيوش بدرٍ الجماليّ بعد أبيه دخل إليه ابنُ مكنسة مادحاً ، فقال له : ذهب رجاؤك بموت أبي المليح فما الذي جاء بك إلينا ؟ وحرمه ولم يَقْبَلْ مديحه .

وأما المهذّب والده ، وكان يلقب بالخطير ، فإنه كان كاتبَ ديوانِ الجيش بمصر في أواخر أيام المصريين وأولِ أيام بني أيوب مدةً ، فقصده الكتاب وجعلوا له حديثاً عند السلطان[2] فهمَّ به صلاح الدين يوسف بن أيوب أو أسد الدين شيركوه ، وهو يومئذٍ المتولي على الديار المصرية ، فخاف المهذّب فجمع أولادَهُ ودخل على السلطان وأسلموا على يده ، فقبلهم وأحسن إليهم وزاد في ولاياتهم وَجَبَّ الاسلام ما قبله .

ووجدتُ على ظَهْرِ كتابٍ من تصانيف ابن مماتي مكتوباً : كان المهـذب أبوه المعروف بالخطير مرتباً على ديوانِ الاقطاعات ، وهو على دين النصرانية ، فلما علم أسد الدين شيركوه في بدءِ أمره بمصر أنه نصراني وأنه يتصرَّفُ في [الديوان] بلا غِيارٍ نهاه ، وأمره بغيار النصارى ، وَرَفْعِ الذؤابةِ وَشَدِّ الزنار ، وصرفه عن الديوان ، فبادر هو وأولاده فأسلموا على يـده ، فأقـرَّه على ديوانـه مدة ثم صـرفه عنـه ، فقال فيـه ابن الذروي[3] :

لم يُسْلمِ الشيـخُ الخـطيـــــرُ لـرغبـةٍ في دينِ أحمـدْ
بـل ظـنَّ أن مِـحَـالَـهُ يُبْقي لـه الـديـوانَ سرمـدْ
والآن قـد صـرفـوهُ عـنـــه فـدينه فـالعـودُ أحمـدْ

قال : ووجدت بخط ابن مماتي :

صـحَّ الـتـمـثـلُ في قـديــــم الـدهـرِ أنَّ العَـوْدَ أحمـدْ

(1) م : عذروا .
(2) ر : عند الملك .
(3) ابن الذروي : الوجيه أبو الحسن علي بن يحيى أحد شعراء الخريدة (قسم مصر 1 : 187) .

ولما أمر شيركوه النصارى بلبس الغيار وأن يُعَمِّمُوا بغير عَذَبة قال عمارة اليمني :

يا أسدَ الدين ومن عَدْلُهُ يحفظُ فينا سُنَّةَ المصطفى
كفى غياراً شدُّ أوساطنا فما الذي يوجبُ كَشْفَ القفا

وجرى معه حديثُ النحويين وأن أحدهم يُنْفِذُ عمره فيه ولا يتجاوزه إلى شيء من الأدب الذي يراد النحو لأجله : من البلاغة وقول الشعر ومعرفة الأخبار والآثار وتصحيح اللغة وضبط الأحاديث ، فقال الأسعد : هؤلاء مثَلُهم مثل الذي يعمل الموازين وليس عنده ما يزن فيه ، فيأخذها غيرهم فيزن فيها الدرَّ النفيسَ والجوهرَ الفاخر والدنانير الحمر والجواهرَ البيض . وهذا عندي من حسن التمثيل .

أنشدنا سعيد بن أبي الكرم بن هبة الله المصري ـ قال ، أنشدني الخطير أبو سعيد ابن مماتي لنفسه في أبي سعيد ابن أبي اليمن النحال وزير العادل ، وكان نصرانياً وأسلم ، وكان أملح الناس وجهاً ـ أعني ابن النحَّال :

وشادنٍ لما أتى مقبلاً سَبَّحْتُ ربَّ العرشِ باريهِ
ومذ رأيتُ النحلَ[1] في خدِّهِ أيقنتُ أنَّ الشهدَ في فيهِ

وأنشدنا سعيد بن أبي الكرم المذكور قال ، أنشدني الخطير أبو سعيد ابن مماتي في ابن النحال أيضاً ، وكان يسكن ابنُ النحّال في أولِ الدرب ، وكان في آخر الدرب صبيٌّ مثله في الحسن يعرف بابن زنبور :

حوى دربُ نورِ الدين كلَّ شمردلٍ مشددة أوساطهم بالزنانيرِ
فأوّله للشهدِ والنحل منزلٌ وآخره يا سادتي للزنابيرِ

ومن عجيب ما جرى للخطير أنه كان يوماً جالساً في ديوانِهِ في حجرةٍ موسومةٍ بديوان الجيش من قصر السلطان بمصر ، وكانت حجرةً حسنةً مرخّمة منمَّقة ، فجاءه قوم وقالوا له : قم من ها هنا : فقال لهم : ما الخبر ؟ فقالوا : قد تقدم الملك العادل أبو بكر بن أيوب بأخذ رخام هذه الحجرة وأن يعمر به موضعاً آخر ، فخرج منكسراً كاسفاً ، فقيل له في ذلك فقال : قد استجيبت فينا دعوةٌ ، وما أظنني أجلسُ في ديوان

---

(1) م والوافي : النمل .

بعدها ، أما سمعتم إذا بالغوا في الدعاء علينا قالوا : خرَّبَ اللّه ديوانه ، وما بعد الخراب إلا اليباب ، ثم دخل منزله وحُمَّ فلم يخرجْ منه إلاّ ميتاً . فلما مات خلفه ابنه الأسعد هذا على ديوان الجيش وتصدَّر فيه مدّةً طويلةً ثمَّ أضيف إليه في الأيام الصلاحية والعزيزية ديوان المال ، وهو أجلُّ ديوان من دواوين مصر ، وتصدَّر فيه واختصَّ بصحبة القاضي الفاضل عبد الرحيم بن علي البيساني ، ونفق عليه وحظيَ عنده وكَرُمَ لديه ، فقام بأمره وأشاع من ذكره ونبَّهَ على فضله ، وصنَّفَ له عدةَ تصانيف باسمه ، ولم يزل على ذلك إلى أن ملك الملك العادل أبو بكر ابن أيوب الديارَ المصرية ، وكان وزيره والمدبّر لدولته الصفي عبد اللّه بن علي بن شكر ، وكان بينه وبين الأسعد ذَحْلٌ قديم أيامَ رئاسته عليه ، ووقعتْ من الأسعد إهانةٌ في حقٍّ ابن شكر فحقدها عليه إلى أن تمكن منه ، فلما ورد مصر أحضر الأسعد إليه وأقبل بكلّيته عليه وفوَّضَ إليه جميع الدواوين التي كانت باسمه قديماً ، وبقي على ذلك سنة كاملة ، ثم عمل له المؤامرات ووضع عليه المحالات وأكثر فيه التأويلات ، ولم يلتفت إلى أعذاره ولا أعاره طرفاً لاعتذاره ، فنكبه نكبةً قبيحةً ، ووجه عليه أموالاً كثيرة وطالبه بها ، فلم يكن له وجهٌ لأنه كان عفيفاً ذا مروءة ، فأحال عليه الأجنادَ فقصدوه وطالبوه وأكثروا عليه وآذوه[1] واشتكوه إلى ابن شكر فحكَّمهم فيه ؛ فحدثني المؤيد إبراهيم بن يوسف الشيباني قال : سمعتُ الأسعد يقول : علقت في المطالبة على باب داري بمصر على ظهر الطريق في يومٍ واحد إحدى عشرة مرة ، فلما رأوا أنه[2] لا وَجْهَ لي قيل لي : تحيَّلْ ونجِّمْ هذا المالَ عليك في نجوم ، فقلت : أما المال فلا وجه له عندي ، ولكنْ إن أُطلقتُ ومَلَكْتُ نفسي استجديتُ من الناس وسألتُ من يخافني ويرجوني فلعلّي أحصِّلُ من هذا الوجه ، فأما من وجهٍ حاصلٍ فليس لي بعدَ ما أخذتموه مني درهم واحد ، فَنُجِّمَ المالُ عليَّ وأُطلقت ، وبقيت مديدةً إلى أن حلَّ بعضُ نجوم المال عليَّ فاختفيت واستترت ، وقصدت إلى القرافةَ وأخفيت نفسي في مقبرة الماذرائيين ،

(1) ر : ولزوه .

(2) م : أنني .

وأقمتُ[1] بها مدَة عام كاملٍ وضاق الأمرُ عليَّ فهربتُ قاصداً للشام على اجتهادٍ من الاستتار[2] ، فلحقني في بعض الطريقِ فارسٌ مُجِدٌ فسلَّم عليَّ وسلَّم إليَّ مكتوباً ففضضته وإذا هو من الصفّي ابن شكر يذكر فيه : لا تحسبْ أن اختفاءك عني كان بحيث لا أدري أين أنت ولا أين مكانك ، فاعلم أن أخبارك كانت تأتيني يوماً يوماً[3] وأنك كنتَ في قبور الماذرائيين بالقرافة منذ يوم كذا ، وأنني اجتزتُ هناك واطّلعت فرأيتك بعيني ، وأنك لما خرجتَ هارباً عرفتُ خبرك ، ولو أردت ردَّك لفعلتُ ، ولو علمتُ أنك قد بقي لك مالٌ أو حال لما تركتك ، ولم يكن ذنبك عندي مما يبلغ أن أُتلفَ معه نفسك ، وإنما كان مقصودي أن أدعك تعيش خائفاً فقيراً غريباً مهجّجاً[4] في البلاد ، فلا تظنَّ أنك هربتَ مني بمكيدة صَحَّتْ لك عليٍّ ، فاذهب إلى غير دعة الله .
قال : وتركني القاصد وعاد ، فبقيتُ مبهوتاً إلى أن وصلتُ إلى حلب .

فحدثني الصاحب جمال الدين الأكرم ـ أدام الله علوّه ـ : لما ورد إلى حلب نزل في داري ، فأقام عندي مدة وذلك في سنة أربع وستمائة ، وعرف الملك الظاهر غازي بن صلاح الدين بن أيوب رحمه الله خبره فأكرمه وأجرى عليه في كلِّ يوم ديناراً صورياً وثلاثة دنانير أخرى في الشهر أجرةَ دار ، فكان يصل إليه في كلِّ شهرٍ ثلاثة وثلاثون ديناراً غير برٍّ وألطاف ما كان يخليه منها ، وأقام عنده على قدم العطلة إلى سنة ست وستمائة كما ذكرنا ، ومات فَدُفِنَ بظاهر حلب بمقام بقرب قبر أبي بكر الهروي .

وله تصانيف كثيرة يقصد بها قصد التأدب وفي معرض وقائع تجري، ويعرضها على الأكابر، لم تكن مفيدة إفادة علمية إنما كانت شبيهةً بتصانيف[5] الثعالبي وأضرابه، فمن ذلك كتاب تلقين اليقين في الفقه . كتاب سرّ الشعر . كتاب علم النثر . كتاب الشيء بالشيء يذكر ، وعرضه على القاضي فسمَّاه « سلاسل الذهب » لأخذِ بعضِهِ بشعب بعض . كتاب تهذيب الأفعال لابن طريف . كتاب قرقرة الدجاج في ألفاظ ابن

(1) ر : وبقيت .
(2) م : الأستاذ .
(3) ر : يوماً بعد يوم .
(4) م : ممجّجاً .
(5) ر : شبه تصانيف .

الحجاج . كتاب الفاشوش في أحكام قراقوش . كتاب لطائف الذخيرة ، لابن بسام . كتاب ملاذ الأفكار وملاذ الاعتبار . كتاب سيرة صلاح الدين يوسف بن أيوب . كتاب أخاير الذخائر . كتاب كرم النجار في حفظ الجار ، عمله للملك الظاهر لما قدم عليه . كتاب ترجمان الجمان . كتاب مذاهب المواهب . كتاب باعث الجلد عند حادث الولد . كتاب الحضّ على الرضى بالحظ . كتاب زواهر السدف وجواهر الصدف . كتاب قَرْص العتاب . كتاب درّة التاج . كتاب ميسور النقد . كتاب المنحل . كتاب أعلام النصر . كتاب خصائص المعرفة في المعمّيات . [كتاب روائع الوقائع][1] .

وكان علم الدين ابن الحجاج شريكه في ديوان الجيش ، وكان بينهما ما يكون بين المتماثلين في العمل ، فعمل فيه الكتاب المتقدم ذكره ، وهجاه بعدة أشعار منها :

حكى نهرينِ ما في الأر ... ضِ من يحكيهما أبدا
ففي أفعالِهِ ثورا ... وفي ألفاظه بردى

وكان له نوادر حسنة حادّة منها ما حدثني به الصاحب القاضي الأكرم قال : ركبت وإياه يوماً[2] وخرجنا نسير بظاهر حلب ، فكان خروجنا من أحد أبوابها ، ودرنا سورَ البلد جميعه ثم دخلنا من ذلك الباب ، فقال : اليوم سيرنا تدليك ، قيل[3] كيف ؟ قال : من برّا برّا .

وكان السديد بن المنذر[4] وهو رجل فقيه اتصل بالسلطان صلاحِ الدين يوسف بن أيوب بعض الاتصال ، فجعل لنفسه بذلك سوقاً ، واستجلب بما يمتُّ به من ذلك - وإن كان باطلاً - رزقاً، وكان أعور رديئاً قليل الدين بغيضاً . ولما أحدث الملك الظاهر غازي قناةَ الماء بحلب وأجراها في شوارعها وَدُور الناس فوَّض إلى ابن المنذر النظرَ في مصالحها ، وَرُزِقَ على ذلك رزقاً حسناً نحو ثلاثمائة درهم في الشهر ، فسأل عنه الأمير فارس الدين ميمون القصري ، والأسعد بن مماتي حاضر ، فقال له مسرعاً :

(1) زيادة من الوافي (وهو ينقل عن ياقوت) .
(2) م : ركبنا وخرجنا يوماً .
(3) م : تسيرنا تدليك من .
(4) هو السديد محمد بن المنذر اليابري ، والحكاية وردت في بغية الطلب 3 : 30 .
(5) بغية الطلب 3 : 29 .

هو اليومَ مستخدمٌ على قناة ، فأُعْجِبَ بحسن هذه النادرة الحاضرين.

وقيل للأسعد يوماً : أي شيء يشبه ابن المنذر ؟ فقال : يشبه الزبَّ ، فاستبردوا ذلك وظنوا أنه إنما ذهب إلى عورةٍ فقط ، فقال : ما لكم لا تسألوني كيف يشبهه ؟ فقالوا : كيف ؟ قال : هو أقرع أصلع أعور يسمعُ بلا أذن ، يدخل المداخل الرديئة بحدّةٍ واجتهادٍ[1] ويرجع منكسراً ، فاستحسن ذلك.

وله شعر ، من ذلك قوله في الثلج في رجب سنة خمس وستمائة :

قد قلتُ لما رأيتُ الثلجَ منبسطاً ... على الطريق إلى أن ضلَّ سالِكُهَا
ما بيَّضَ اللّه وجهَ الأرضِ في حلبٍ ... إلا لأنّ غياثَ الدينِ مالكها

وقال أيضاً فيه :

لما رأت عينيَ الثلـ ... ـجَ ساقطاً كالأقاحي
وصار ليلُ الثرى منـ ... ـه أبيضاً كالصباح
حسبتُ ذلك من ذَوْ ... بِ دُرِّ عِقْدِ الوشاح
أو من حبابِ الحميّا ... أو من ثغورِ الملاح
فما على داخلِ النا ... رِ بعد ذا من جُناح

وقال أيضاً فيه :

بسيفِ غياث الدين غازي بن يوسف بـ ... ـن أيوبَ دام القتلُ واتصل الفتحُ
وشاهدته في الدستِ والثلجُ دونَهُ ... فقلتُ سليمانُ بن داودَ والصرحُ

وقال أيضاً فيه :

مذ رأينا الصبحَ يزدا ... دُ ويزدادُ انفراشا
وحسبنا نوره يط ... ردُ من خلف الفراشا
نثر الثلجُ علينا ... ياسمينا وفراشا

---

(1) ر : بجده واجتهاده .

ورأى أن يرسل الأسـ ـهمَ بالبردِ فراشا
فغدا الكافورُ في عنـ ـبرةِ الأرضِ فراشا

وقال أيضاً فيه :

لما رأت عينيَ الثلـ ـجَ خلتُهُ الياسمينا
وقلتُ من عَجَبٍ منـ ـه أصبح الآسُ مينا
وخلتُهُ من ثغورِ المـ ـلاح للاّثمينا
فما أرادوا من الد رِّ قطّ إلا ثمينا

وقال أيضاً فيه :

لما رأيتُ الثلجَ قد أضحتْ به الأرضُ سما
وأنْستِ الصَّبا الصَّبا وأذكرتْ جهنما
خفتُ فما فتحتُ من تعاظمِ الخوفِ فما
فإن نمى صبريَ وهْـ ـو ناقصٌ فإنما

وقال أيضاً فيه :

لما رأيتُ الثلجَ قد غطّى الوهادَ والقننْ
سألتُ أهلَ حلبٍ هل تمطرُ السما لبن[1]

نُقل من خطه ومن شعره أيضاً :

وحياءِ[2] ذاك الوجه بل وحياتِهِ قسمٌ يُريكَ الحسنَ في قسماتِهِ
لأرابطنَّ على الغرام بثغرِهِ لأفوزَ بالمرجوِّ من حسناته
وأُجاهدنَّ عواذلي في حُبِّه بالمرهفاتِ عليَّ من لحظاته
قد صيغ من ذهبٍ وَقُلِّد جوهراً فلذاك ليس يجوزُ أخْذُ زكاته

---

(1) م : اللبن .
(2) م والوافي : وحياة (والصواب ما أثبته) .

وله أيضاً :

يعاهدني أن لا يخونَ وينكثُ ويحلفُ لي ألّا يصدَّ ويحنثُ
ومن أعجبِ الأشياءِ أنَّكَ ساكنٌ بقلبي وأني عن مكانكَ أبحثُ
وللحسنِ بل للّه طرفٌ مُذَكَّرُ يتيهُ به عجباً وظرفٌ مؤنث

ومنه أيضاً :

يا سالبَ الظبيةِ لحظاً وجيد أجْرِ لمن تهجرُ أُجْرَ الشهيدْ
متى رأى طرفُكَ قَتْلَ آمرىءٍ بأسهمِ اللحظِ فَقِيدَ الفقيدْ

وله دوبيت :

يا غصنُ أراكَ حاملاً عودَ أراكْ حاشاكَ إلى السِّواكِ يحتاجُ سِوَاكْ
قل لي أَنَهَاكَ عن محبِّيكَ نُهاكْ لو تمَّ وفاكَ بُسْتُ خَدَّيْكَ وفاكْ

كذا وجدتُ له في أشعار مجموعة ، وأنشدني هذين الدوبيت بعضُ أهل الأدب وذكر أنهما للعماد الأصبهاني الكاتب ، وهما به أشبه ، لأنّهما في غاية الجودة ، وابن مماتي في طبقة شعره انحطاط جدّاً .

ومن شعره أيضاً :

قد نهانا عن الغرام نُهانا إذ هوانا ألا نذوقَ هوانا
وهجرنا الحبيبَ خيفَةَ أن يهجرَ بدءاً فيستمرَّ عنانا
وتركناه للورى فكأنَّا قد أدرناه بيننا دستكيانا
وأنسنا من وحشةٍ بفراقٍ فافترقنا كما تَرَى برضانا
وسمعنا من العذولِ كلاماً فأنفنا من ضحكهِ لبكانا
أيُّ خيرٍ يكونُ في حبِّ من فوَّق سهماً من لحظِهِ ورمانا
نحن لو لم نكنْ هجرناهُ من قبلُ لأبدى صدودَهُ وجفانا
شيمةٌ في الملاح قد أحسنَ الدهرُ بأعلامها بنا وأسانا

وصباحُ المشيبِ يُظْهِرُ ما كا ... ن ظلامُ الشباب عنه ثنانا
ما مشينا إلى الصبابة إلاَّ ... وخطانا معدودةٌ من خَطانا
فأدِرْهَا مُعَسْجَداتٍ كؤوساً ... مُطْلِعاتٍ من الحبابِ جمانا

ـ 233 ب ـ

أسعد بن علي النحوي : نقلت من خط محمد بن أسعد بن النقيب الجواني النسابة النحوي ، أنشدني مولاي الشريف القاضي الكامل الفاضل المرتضى جمال العلماء تاج الأدباء سناء الملك معتمد الدولة ذو الحسبين أبو المبارك أسعد بن علي الحسيني في مرضه الذي مات فيه ، رضي الله عنه ، وقد أغمي عليه في يوم حمًّى كانت به فأفاق فقال : اكتب عني هذين البيتين بديهاً رأيت كأنني قلتهما في النوم ، وكأني نجوت بهما :

واتخذ حبَّ النبيِّ ملجأً ... ثم أصحاب النبيِّ العَشَرهْ
فبذا أوصى أباك والدٌ ... ثم جدّ الجدُّ حتى حيدرهْ

ومات أسعد بن علي الجواني سنة تسع وخمسين وخمسمائة ، فمن شعره في الثلج(1) :

قد قلت لما رأيت الثلج منبسطاً ... على الطريق إلى أن ضلَّ سالكها
ما بيَّضَ الله وجه الأرض في حلبٍ ... إلا لأنَّ غياثَ الدين مالكها

233 ب ـ هذه الترجمة من (ر) ولم ترد في المطبوعة ؛ والجواني نسبة إلى الجوانية وهي موضع قرب أحد . ولأسعد بن علي ترجمة في إنباه الرواة 1 : 230 وبغية الوعاة 1 : 441 وروضات الجنات 2 : 8 وكنيته أبو البركات أو أبو المبارك ، حدث بمصر عن ابن القطاع ، وأصله من الموصل وهاجر إلى مصر واستوطنها ، وكان ذا منزلة عند الخلفاء الفاطميين .

(1) مرَّ البيتان في ترجمة الأسعد بن مماتي منسوبين له .

ـ 234 ـ

اسلم بن سهل بن أسلم بن زياد بن حبيب الرزاز أبو الحسن المعروف بِبَحْشَل الواسطي : منسوبٌ إلى محلَّةِ الرزَّازين ، المحلةِ السفلى بواسط ، ومسجدُهُ هناك وداره ، وهو ثقةٌ إمام يصلح للصحيح [1] ، وجدُّه لأُمِّهِ أبو محمد وهب بن بقية ، ويقال وهبان .

جمع بحشل « تاريخ واسط » وضبط أسماء أهلها ورتَّب طبقاتهم ، وكان لا مزيد عليه في الحفظ والإتقان . مات في سنة ثمان وثمانين ومائتين قبلها أو بعدها بقليل ، حدَّث عنه بتاريخه أبو بكر محمد بن عثمان بن سمعان المعدَّل ، وكان يضاهيه في الحفظِ والاتقان ، وَشَرِكَهُ في أكثرِ شيوخه ، ومات قبل الثلاثين والثلاثمائة ، ذكر ذلك كله السلفي الحافظ في « السؤالات » التي سألها خميساً الحوزي .

ـ 235 ـ

إسماعيل بن أحمد بن عبد الله الحيري : أبو عبد الرحمن [2] الضرير المفسر المقرىء الواعظ الفقيه المحدّثُ الزاهد أحد أئمة المسلمين ـ والحيرةُ محلَّةٌ بنيسابور هي الآن خراب ـ مات فيما ذكره عبد الغافر بن إسماعيل بعد الثلاثين وأربعمائة ، ومولده سنة إحدى عشرة وثلاثمائة ، قال : وله التصانيف المشهورة في علوم القرآن

---

234 ـ سؤالات السلفي : 90 ـ 91 والوافي 9 : 52 .

235 ـ تاريخ بغداد 7 : 313 والسياق (المنتخب 2) : 38 والمنتظم 8 : 105 وطبقات الشافعية 4 : 265 وطبقات ابن قاضي شهبة 1 : 206 والوافي 9 : 84 ونكت الهميان : 119 وطبقات المفسرين : 7 والشذرات 3 : 246 وسير الذهبي 17 : 539 (وفي م : أن كنيته أبو عبد الله ، وغيرته اتباعاً لما ورد في السياق وفي الوافي ، والثاني ينقل عن ياقوت) .

(1) أي يصلح أن يكون من رواة الحديث الصحيح .

(2) م : أبو عبد الله .

والقراءات والحديث والوعظ والتذكير . سمع « صحيح البخاري » من أبي الهيثم ، سمع منه ببغداد ، وقد روى عن زاهر السرخسي [وأبي الفضل الحدادي وأبي العباس الأنماطي والمخلدي وأبي الحسن العبدوي وطاهر بن خزيمة والخفاف وأبي الحسن الماسرجسي وطبقتهم . وكان نفاعاً للخلق مفيداً مباركاً في علمه][1].

ـ 236 ـ

إسماعيل بن إسحاق بن إسماعيل بن حماد بن زيد بن درهم أبو إسحاق الأزدي مولى آل جرير بن حازم : من أهل البصرة ، مات فيما ذكره الخطيب[2] سنة اثنتين وثمانين ومائتين ومولده سنة مائتين ، مات فجأة .

قال التنوخي ، حدثني أبو الفرج الأصبهاني أن القاضي إسماعيل لبس سواده ليخرج إلى الجامع فيحكم ، ولبس أحدَ خُفَّيْهِ وأراد أن يلبس الآخر فمات ، وهو قاض على جانبي بغداد جميعاً . سمع محمد بن عبد الله الأنصاري ومسدد بن مسرهد وعلي بن المديني وغيرهم . روى عنه موسى بن هارون الحافظ وعبد الله بن أحمد بن حنبل ويحيى بن صاعد وكثيرون . وكان فاضلاً عالماً متقناً فقيهاً على مذهب مالك بن أنس ، شرح مذهبه ولخصه واحتج له ، وصنّف المسند وكتباً عدةً في علوم القرآن ، وجمع كتاب حديث مالك وكتاب يحيى بن سعيد الأنصاري وكتاب أيوب السختياني ، واستوطن بغداد قديماً وولي القضاءَ بها ولم يزل يتقلده إلى حين وفاته .

قال الخطيب[3] ، قال طلحة بن محمد بن جعفر الشاهد : إسماعيل بن إسحاق

---

236 ـ ترجمته في أخبار القضاة 3 : 280 ، 281 ـ 282 وطبقات الشيرازي : 164 وتاريخ بغداد 6 : 284 وترتيب المدارك 4 : 278 ـ 293 والوافي 9 : 91 والمنتظم 5 : 151 وسير الذهبي 13 : 339 وتذكرة الحفاظ : 625 وعبر الذهبي 2 : 67 والديباج المذهب 1 : 282 وطبقات ابن الجزري 1 : 162 وطبقات الحفاظ : 275 وبغية الوعاة 1 : 443 (ويعتمد ياقوت على تاريخ بغداد) .

(1) زيادة من السياق (إذ يشعر القارىء أن النقل مبتور دونها) .
(2) تاريخ بغداد 6 : 290 .
(3) تاريخ بغداد : 285 ـ 286 .

منشأه البصرة ، وأخذ الفقه على مذهب مالك عن أحمد بن المعذّل ، وتقدم في هذا المذهب[1] حتى صار عَلماً فيه ، ونشر من مذهب مالك وفضله ما لم يكنْ بالعراق في وقت من الأوقات ، وصنّف في الاحتجاج لمذهب مالك والشرح له ما صار لأهل هذا المذهب مثالاً يحتذونه وطريقاً يسلكونه ، وانضاف إلى ذلك علمه بالقرآن فإنّه صنَّفَ في القرآن كتباً تتجاوز كثيراً من الكتب المصنفة فيه ، فمنها كتاب في أحكام القرآن ، وهو كتاب لم يسبقه أحد من أصحابه إلى مثله . وكتاب في القراءات ، وهو كتاب جليل القدر عظيم الخطر . وكتاب في معاني القرآن ، وهذان الكتابان يشهد بفضله فيهما واحد زمانه[2] ، ومن انتهى إليه العلم في النحو واللغة في أوانه ، وهو المبرد . ورأيت أبا بكر ابن مجاهد يصف العلم بهذين[3] الكتابين ، وسمعته مرَّات لا أحصيها يقول : القاضي إسماعيل أعلمُ مني بالتصريف . وبلغ من العمر ما صار به واحداً في عصره في علوِّ الإسناد ، لأن مولده في سنة تسع وتسعين ومائة ، فحمل الناسُ عنه من الحديثِ الحسن ما لم يُحْمَلْ عن كثيرِ أحدٍ ، وكان الناس يصيرون إليه فيقتبس منه كلُّ فريقٍ علماً لا يشاركه فيه الآخر فمن قومٍ يحملون الحديثَ ، ومن قوم يحملون علم القرآن والقراءات والفقه إلى غير ذلك مما يطول شرحه ، فأما سَدَادُهُ في القضاء ، وَحُسْنُ مذهبه فيه ، وسهولة الأمر عليه فيما كان يلتبس على غيره ، فشيءٌ شُهْرَتُهُ تغني عن ذكره . وكان في أكثر أوقاته وبعد فراغه من الخصوم متشاغلاً بالعلم لأنه اعتمد على كاتبه[4] أبي عمر محمد بن يوسف فكان يحملُ عنه أكثرَ أمره من لقاء السلطان وينظر في كلِّ أمره ، وأقبل هو على الحديث والعلم . قال أبو العباس محمد بن يعقوب الأصمّ : كان إسماعيل بن إسحاق نيفاً وخمسين سنة على القضاء ما عزل عنه[5] إلا سنتين . قال الخطيب[6] : وهذا القول فيه تسامحٌ ، وذلك أنّ ولاية إسماعيل للقضاء ما

---

(1) الخطيب : العلم .
(2) م : يشهدان . . . وأنه واحد زمانه (وقد أثبت ما عند الخطيب) .
(3) م : يصف هذين .
(4) م : مكاتبة .
(5) م : عنها .
(6) تاريخ بغداد : 287 .

بين ابتدائها إلى حين وفاته لم تبلغ خمسين سنة ، وأول ما ولي في خلافة المتوكل لمَّا مات سوار بن عبد اللّٰه بن سوار بن عبد الله ، وكان قاضي القضاة بسرّ من رأى جعفر ابن عبد الواحد الهاشمي ، فأمره المتوكل أن يولّي إسماعيل قضاءَ الجانب الشرقي من بغداد سنة ست وأربعين ومائتين ، ولم يعزله أحدٌ من الخلفاء غير المهتدي ، فإنه نقم على أخيه حماد بن إسحاق شيئاً فضربه بالسياط وعزل إسماعيل ، إلى أن قُتل المهتدي[1] وولي المعتمد فأعاده إلى القضاء ، فلم يزلْ على قضاءِ بغداد بالجانبين إلى أن مات ، ولم يقلد قضاء القضاة لأنّ قاضي القضاة كان الحسن بن أبي الشوارب وكان يكون حينئذ بسامرّا .

وحدث الخطيب قال[2] ، قال المبرد : لما توفيت والدة القاضي إسماعيل رأيتُ من وجهه[3] ما لم يقدر على ستره ، وكان كلٌّ يعزّيه ، وقد كاد لا يسلو ، فسلَّمتُ عليه ثم أنشدته :

لعمري لئن عالَ ريبُ الزمانِ ... فساء لقد عال نفساً حبيبَهْ
ولكنَّ علمي بما في الثواب ... عند المصيبةِ يُنْسي المصيبهْ

فتفهم كلامي واستحسنه ، ودعا بدواة وكتبه ، ثم انبسط وزالت عنه تلك الكآبة والجزع .

قال إبراهيم بن حماد : أنشدني عمي إسماعيل القاضي :

همَمُ الموتِ عالياتٌ فمن ثَـ ... ـمَّ تخطَّى الى لبابِ اللبابِ
ولهذا قيل الفراقُ أخو المو ... ت لإقدامه على الأَحباب

قال[4] : ودخل إلى القاضي إسماعيل بن إسحاق عبدون بن صاعد الوزير ،

(1) قتل المهتدي في رجب سنة 256 .
(2) تاريخ بغداد : 288 ـ 289 .
(3) ر : والخطيب : ولهه .
(4) تاريخ بغداد : 290 .

وكان نصرانياً ، فقام له ورحب به ، فرأى إنكارَ الشهودِ وَمَنْ حضره ، فلما خرج قال لهم : قد علمتُ إنكاركم وقد قال اللّه تعالى : ﴿ لا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُم فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِنْ دِيَارِكم ﴾ (الممتحنة : 8) وهذا الرجل يقضي حوائجَ المسلمين ، وهو سفيرٌ بيننا وبين خليفتنا ، وهذا من البر ، فسكتت الجماعة .

قرأت بخط أبي سعد السمعاني باسناد له رفعه إلى أبي العباس ابن الهادي قال : كنتُ عند إسماعيل بن إسحاق القاضي في منزله ، فخرج يريدُ صلاةَ العصر ويدي في يده ، فمرَّ بابن البري وكان غلاماً جميلاً فنظر إليه فقال وهو يمشي إلى المسجد :

لـولا الحياءُ وأنني مشهـورُ والعيبُ يعلقُ بالكبيرِ كبيـرُ
لحللتُ منزلها الذي تحتلُّهُ ولكان منزلنا هو المهجـورُ

وانتهى إلى مسجد على باب داره فقال : اللّه أكبر اللّه أكبر ، ثم مرَّ في أذانه ؛ والشعر لابراهيم بن المهدي .

وحكى أبو حيان هذه الحكاية كما مرَّ وزاد فيها : فقيل له افتتحت الأذان بقول الشعر ؟ فقال : دعوني فواللّه لو نظر أمير المؤمنين إلى ما نظرتُ إليه لشغله عن تدبير ملكه ، قيل له : فهل قلتَ شيئاً آخر فيه ؟ قال : نعم أبيات عبثت بي وأنا في المحراب فما استتممت قراءة الحمد حتى فرغت منها ، وهي :

ألحـاظه تـرجمانُ منـطقِـهِ ووجهـه نـزهــةٌ لعـاشقِــهِ
هذّبه الظرفُ والكمالُ فما يمــرُّ عيبٌ على طـرائقــهِ
قد كثرتْ قـالةُ العبـاد فما تسمـعُ إلا سبحان خـالقـهِ

ومن « كتاب القضاة » لابن سمكة قال : لما مات إسماعيل بن إسحـاق بقيت بغدادُ ثلاثةَ أشهر بغير قاض حتى ضجَّ الناس وَرُفِعَ إلى المعتضد ، فاختار عبيدُ اللّه بن سليمـان ثلاثـةَ قضاة : أبـا حـازم وعليَّ بن أبي الشـوارب ويـوسف ، وهـو ابن عم إسماعيل بن إسحاق ، فولّى أبا حازم الكرخ ، وابن أبي الشوارب مدينة المنصور ، ويوسف الجانب الشرقي . قال : وأخبرني الثقة أن إسماعيل دخل على الموفق فقال له : ما تقول في النبيذ ؟ فقال : أيها الأمير إذا أصبح الإنسان وفي رأسه شيء منه يقال له ماذا ؟ فقال الموفق : يقال هو مخمور ، قال : فهو كاسمه .

وحدث المحسن[1] قال : سمعت أبي يحكي عن أبي عمر القاضي قال : عرض القاضي إسماعيل على عبيد اللّه بن سليمان وزير المعتضد رقعةً في حوائج الناس [فوقع فيها] فعرض أخرى وقال : إن أمكن الوزير أن يوقّع وقّع ، وعرض أخرى وقال شيئاً من هذا الجنس ، فقال له عبيد اللّه : يا أبا إسحاق كم تقول : إن أمكن وإن جاز وإن سهل ؟ من قال لك إنه يجلس هذا المجلس أحدٌ ثم يتعذرُ عليه شيء على وجهِ الأرض من الأمور فقد كذبك ، هات رقاعك كلّها في موضع واحد ، قال : فأخرجها إسماعيل من كمه وطرحها بين يديه ، فوقّع فيها فكانت مع ما وقّع فيه قبل الكلام وبعده نحو الستين[2] رقعة ، رحمه اللّه فما أَصْدَقَ ما كانت رغبتُهُ إلى اللّه عزّ وجل .

ـ 237 ـ

إسماعيل بن الحسن بن علي الغازي البيهقي أبو القاسم شمس الأئمة : ذكره البيهقي في « كتاب الوشاح » فقال : يعرف بالشمس البيهقي ، كان جامعاً لفنون الآداب ، حائزاً[3] لمفاتيح الحكمة وفصل الخطاب ، أقام وتوطّن بمرو، وطريقه في الفقه مستقيم ، وأكثر مصنفاته عن المناقص سليم ، ومن منظومه :

كتّاب حضرتنا دامت سلامتهم … يهيّئونَ من الألقاب أسبابا
وينصبون من الأطماع ألـويةً … ويفتحون من الألقاب أبوابا
ويبخلون بما جاد الكريمُ به … وَيُنْفِقُونَ على الأقوام ألقابا
تجشّأوا في نواديهم بلا شِبَعٍ … كأنّهم أكلوا الحلتيتَ والرابا

237 ـ الوافي 9 : 106 .

(1) نشوار المحاضرة 1 : 82 .
(2) النشوار : نحو الثمانين .
(3) الوافي : خازناً ، وهي كذلك في ر دون إعجام .

أخذه من قول الخوارزمي :

قلَّ الدراهمُ في كِيسَيْ خليفتنا فصار ينفق في الأقوام القابا

قال : ومن تصانيفه كتاب نقض الاصطلام . كتاب سمط الثريا في معاني غريب الحديث . كتاب في اللغة . كتاب في الخلاف طريف[1] .

ـ 238 ـ

إسماعيل بن الحسين بن محمد بن الحسين بن أحمد بن محمد بن عزيز[2] بن الحسن بن أبي جعفر محمد الأطروش بن علي بن الحسين بن علي بن محمد الديباج بن جعفر الصادق بن محمد الباقر بن علي زين العابدين بن الحسين بن علي بن أبي طالب رضي اللّٰه عنهم : كنيته أبو طالب بن أبي محمد بن أبي الحسين بن أبي أحمد بن أبي أحمد بن أبي علي بن أبي الحسين بن أبي جعفر بن أبي الفضل بن أبي جعفر الأطروش بن أبي الحسين بن أبي عبد اللّٰه بن أبي الحسين بن أبي جعفر بن أبي عبد اللّٰه الصادق بن أبي جعفر الباقر بن أبي محمد زين العابدين بن أبي عبد اللّٰه السبط بن أبي الحسن أمير المؤمنين ، المروزي العلويّ النسابة الحسيني عزيز الدين حقاً ؛ أول من انتقل من أجداده إلى مرو من قُمّ أبو علي أحمد بن محمد بن عزيز ، وكان انتقل إلى بغداد من المدينة علي بن محمد الديباج ، وكان علي هذا يعرف بالخارص ، وابنه الحسين انتقل إلى قم ، ثم أقاموا بمرو إلى هذا الأوان .

وأخبرني ـ أحسن اللّٰه جزاءه ـ أن مولده ليلة الاثنين الثاني والعشرين من جمادى الآخرة سنة اثنتين وسبعين وخمسمائة . ورد بغداد في سنة اثنتين وتسعين وخمسمائة[3] صحبة الحجاج ولم يحجّ ، وقرأ الأدبَ على الإمام منتجب الدين أبي الفتح محمد بن سعد بن محمد بن محمد بن أبي الفضل الديباجي والإمام برهان الدين أبي الفتح

---

238 ـ الوافي 9 : 108 .

(1) ر : في الخلاف وطريقته .

(2) ر : بن غريب .

(3) الوافي : سنة سبع وتسعين وخمسمائة .

ناصر بن أبي المكارم عبد السيد بن علي المطرزي الخوارزمي وأخيه الامام مجد الدين أبي الرضى طاهر ، وقرأ الفقه على الامام فخر الدين محمد بن محمد بن محمد بن الحسين الطيان الماهَرَويّ الحنفي وقاضي القضاة منتجب الدين أبي الفتح محمد بن سليمان بن إسحاق الفقيهي ، قال : وما علمتُ أنه وليَ القضاءَ بمرو أحسن سيرةً منه ، رحمه الله . وقرأ الحديث على الامام فخر الدين إسماعيل بن محمد بن يوسف القاشاني وأبي بكر محمد بن عمر الصائغي السنجي[1] والامام شرف الدين محمد بن مسعود المسعودي والإمام فخر الدين أبي المظفر عبد الرحيم بن الامام تاج الاسلام عبد الكريم بن محمد بن منصور السمعاني وعبد الرشيد بن محمد بن أبي بكر الزرقي المؤدب ، وبنيسابور على القاضي ركن الدين إبراهيم بن علي بن حمد المعيني والإمام مجد الدين أبي سعد عبد الله بن عمر الصفار والإمام نور الدين فضل الله بن أحمد بن محمد الجليل النوقاني وعبد الرحيم بن عبد الرحمن الشعري ، وبالريّ على مجد الدين يحيى بن الربيع الواسطي ، وببغداد عليه وعلى عبد الوهاب بن علي بن سكينة وغيرهم بشيراز وهراة وتستر ويزد .

وله من التصانيف كتاب حظيرة[2] القدس، نحو ستين مجلداً ولعله يزيد فيما بعد. وكتاب بستان الشرف ، وهو مختصر ذلك يكون عشرين مجلداً . كتاب غُنْيَةُ الطالب في نسب آل أبي طالب ، مجلد . كتاب الموجز في النسب ، مجلد لطيف . كتاب الفخري صنفه للفخر الرازي . كتاب زبدة الطالبية ، مجلد لطيف . كتاب خلاصة العترة النبوية في أنساب الموسوية . كتاب المثلث في النسب . شَجَّرَ عدةَ كتبٍ منها : كتاب أبي الغنائم الدمشقي . كتاب من اتصل عقبه لأبي الحسن محمد بن القاسم التميمي الأصفهاني مُشَجَّر . وكتاب المعارف للسيد أبي طالب الزنجاني الموسوي . كتاب الطبقات للفقيه زكريا بن أحمد البزار[3] النيسابوري . كتاب نسب الشافعي خاصة . كتاب وفق الأعداد في النسب .

وهذا السيد ـ أدام الله فضله ـ اجتمعتُ به في مرو في سنة أربع عشرة وستمائة

(1) م : السبخي .
(2) قد تقرأ في (ر) : حضرة .
(3) الوافي : البزاز .

فوجدته كما قيل :

قد زرتُهُ فرأيت[1] الناسَ في رجلٍ   والدهرَ في ساعةٍ والفضلَ في دارِ

قد طُبِعَ من حُسْنِ الأخلاق وسجاحة[2] الأعراقِ وَحُسْنِ البِشْرِ وَكَرَمِ الطبع وحياءِ الوجه وحبِّ الغرباء على ما لا نراه متفرّقاً في خلق كثير ، وهو مع ذلك أعلم الناس يقيناً بالأنساب والنحو واللغة والشعر والأصول والنجوم . وقد تفرَّد بهذا البلد بالتصدُّرِ لاقراءِ العلوم على اختلافها في منزلٍ ينتابه الناسُ على حَسَبِ أغراضهم ، فمن قارىء للغة ، ومتعلّم في النحو ، ومصحّح للغة ، وناظر في النجوم ، وَمُباحثٍ في الأصول وغير ذلك من العلوم . وهو مع سعة علمه متواضعٌ حَسَنُ الأخلاق لا يردُ غريبٌ إلا عليه ، ولا يستفيد مستفيدٌ إلاّ منه .

وأنشدني أدام علوه لنفسه :

قولوا لمن لُبِّيَ في حُبِّهِ   قد صار مغلوباً ومسلوبا

وفي صميم القلبِ مني أرى   هواهُ والإيمانَ مكتوبا

وصحّتي في عشقه صَيَّرَتْ   جسمِيَ معلولاً ومعيوبا

ومدمعي منهمراً ماؤه   منهملاً في الخدّ مسكوبا

وأنشدني أدام اللّه علوه لنفسه :

والعينُ يحجبها لألاءُ وجنتِهِ   من التأمُّلِ في ذا المنظر الحسنِ

بل عبرتي مَنَعَتْ لو نظرتي عَبَرَتْ   إليه من مقلتي إلا على الشَّفَنِ

لولا تجشُّمُهُ بالإبتسام وما   أمدَّه اللّه عند النطقِ باللسنِ

لما عرفتُ عقيقاً شقَّهُ دررٌ   ولم يُبِنْ فوهُ نطقاً وهو لم يبنِ

حدثني عزيز الدين رحمه اللّه قال: لما ورد الفخر الرازي إلى مرو، وكان من جلالة القدر وعظم الذكر وضخامة الهيبة بحيث لا يُرَاجَعُ في كلامه ، ولا يَتَنَفَّسُ أحدٌ بين يديه لإعظامه على ما هو مشهورٌ متعارف ، دخلت إليه ، وترددت للقراءة عليه ،

(1) م : فوجدت .

(2) م : وسماحة .

فقال لي يوماً : أحبُّ أن تصنِّفَ لي كتاباً لطيفاً في أنساب الطالبيين لأنظرَ فيه فلا أحبُّ أن أموتَ[1] جاهلاً به ، فقلت له : أتريده مشجّراً أم منثوراً ؟ فقال : المشجر لا ينضبطُ بالحفظ ، وأنا أريد شيئاً أحفظه ، فقلت له : السمع والطاعة ، ومضيت وصنَّفْتُ له الكتاب الذي سميته بـ « الفخري » وحملته وجئته به ، فلما وقف عليه نزل عن طراحته وجلس على الحصير وقال لي : اجلس على هذه الطراحة ، فأعظمتُ ذلك وهبته[2] ، فانتهرني نهرةً [عظيمة] مزعجة وزعق فيّ قائلاً[3] : اجلس بحيث أقول لك ، فتداخلني علم الله من هيبته ما لم أتمالك إلا أن جلستُ حيثُ أمرني ، ثم أخذ يقرأ عليَّ ذلك الكتاب وهو جالسٌ بين يديّ ويستفهمني عما يستغلق عليه إلى أن أنهاه قراءة ، فلما فرغ من قراءته[4] قال : اجلس الآن حيث شئت ، فإن هذا علمٌ أنت أستاذي فيه ، وأنا أستفيدُ منك وأتتلمذُ لك ، وليس من الأدب أن يجلسَ التلميذُ إلا بين يدي الأستاذ، فقمتُ من مقامي[5]، وجلس هو في منصبه، ثم أخذتُ أقرأ عليه وأنا جالسٌ بحيث كان أوّلا ، وهذا لعمري من حسن الأدب حَسَنٌ ولا سيَّما من مثل ذلك الرجل العظيم المرتبة .

ـ 239 ـ

إسماعيل الضرير النحوي أبو علي : لا أعرف من أمره الا ما ذُكِرَ أن رجلاً سأل إسماعيل الضرير النحويَّ عن أبي القاسم علي بن أحمد بن الفرج بن الحسين بن المسلمة الملقب برئيس الرؤساء ، وزير القائم : كيف ترى رئيس الرؤساء في النحو ؟ فقال : يتكلَّم فيه بكلامِ أهلِ الصنعة ، وسُئِلَ رئيسُ الرؤساء عن إسماعيل فقال : ما أرى مفتوحَ القلب في النحو إلا هذا المغمّضَ العينين .

---

239 ـ ترجمته في إنباه الرواة 1 : 198 وجعله الصفدي (الوافي 9 : 229 ونكت الهميان : 119) اسماعيل ابن المؤمل، وتابعه السيوطي في البغية 1 : 454 .

(1) م : أكون .
(2) م : وخدمته .
(3) م : وزعق علي وقال .
(4) م : فرغ منه .
(5) ر : مكاني .

- 240 -

إسماعيل بن حماد الجوهري أبو نصر الفارابي : ابن أخت أبي إسحاق الفارابي صاحب « ديوان الأدب » ، وكان الجوهري هذا من أعاجيب الزمان ذكاءً وفطنةً وعلماً ، وأصله من بلاد الترك من فاراب ، وهو إمامٌ في علم اللغة والأدب ، وخطُّهُ يُضْرَبُ به المثلُ في الجودة لا يكادُ يُفَرَّقُ بينه وبين خطِّ أبي عبد اللّه ابن مقلة ، وهو مع ذلك من فرسان الكلام في الأصول . وكان يؤثر السفرَ على الحضر ، ويطوفُ الآفاق ، واستوطن الغربة على ساق ، دخل العراقَ فقرأ علم العربية على شَيْخَيْ زمانه ونورِ عينِ أوانه : أبي علي الفارسي وأبي سعيد السيرافي ، وسافر إلى أرض الحجاز ، وشافَهُ باللغة العربَ العاربة ، وقد ذكر هو ذلك في مقدمه « كتاب الصحاح » من تصنيفه ، وطوَّفَ بلاد ربيعة ومضر ، وأجهد نفسه في الطلب ، ولما قضى وطره من التطواف[1] عاد راجعاً إلى خراسان، وتطرَّف الدامغان، فأنزله أبو علي الحسين بن علي ، وهو من أعيان الكتاب وأفراد الفضلاء ، عنده ، وأخذ عنه وسمع منه ، ثم سرَّحه إلى نيسابور ، فلم يزل مقيماً بها على التدريس والتأليف وتعليم[2] الخط وكتابة المصاحف والدفاتر حتى مضى لسبيله عن آثار جميلة .

وذكره أبو الحسين الباخرزي فقال[3] : هو صاحب « صحاح اللغة » لم يتأخر فيها عن شرط أقرانه ، ولا انحدر عن درجة أبناء زمانه ، أنشدني الأديب يعقوب بن أحمد قال ، أنشدني الشيخ أبو إسحاق إبراهيم بن صالح الوراق تلميذ الجوهري رحمه اللّه له :

---

240 - ترجمة الفارابي اللغوي في دمية القصر (التونجي): 1490 وإنباه الرواة 1: 194 وسير الذهبي 17: 80 وعبر الذهبي 3: 55 ونزهة الألباء: 344 والوافي 9: 111 وبغية الوعاة 1: 446 وإشارة التعيين: 55 ومرآة الجنان 2: 446 ولسان الميزان 1: 400 وحاشية على شرح بانت سعاد 1: 461 وروضات الجنات 2: 44 وياقوت ناظر في نقله الى اليتيمة 4: 406 - 407 .

(1) م : التطواف .

(2) م : وتعظيم .

(3) الدمية : 1490 .

يا ضائعَ العمر بالأماني | أما ترى رونقَ الزمانِ
فقمْ بنا يا أخا الملاهي | نخرجْ إلى نهرِ بشتقانِ[1]
لعلّنا نجتني سروراً | حيث جَنَى الجنتين دانِ
كأننا والقصورُ فيها | بحافتي كوثرِ الجنانِ
والطيرُ فوق الغصونِ تحكي | بحسنِ أصواتها الأغاني
وراسَلَ الوُرْقَ عندليبٌ | كالزير والبمِّ والمثاني
وبركة حولها أناخَتْ | عشرٌ من الدُّلْبِ واثنتانِ
فُرْصَتُكَ اليومَ فاغتنمها | فكلُّ وقتٍ سواه فانِ[2]

وله من التصانيف: كتاب في العروض جيد بالغ سماه «عروض الورقة». كتاب المقدمة في النحو. كتاب الصحاح في اللغة. وهذا الكتاب هو الذي بأيدي الناس اليوم وعليه اعتمادهم، أحسن تصنيفه، وجوّد تأليفه، وقرّب متناوله، وأبرَّ في ترتيبه على من تقدمه، يدلّ وضعه على قريحة سالمة ونفس عالمة؛ فهو أحسن من «الجمهرة» وأوقع من «تهذيب اللغة» وأقرب متناولاً من «مجمل اللغة»، فيه يقول الشيخ أبو محمد إسماعيل بن محمد بن عبدوس النيسابوري[3]:

هذا كتاب الصحاح أحسنُ[4] ما | صُنِّفَ قبل الصحاحِ في الأدبِ
يَشْمَلُ أبوابه[5] ويجمع ما | فُرِّقَ في غيره من الكتبِ

هذا مع تصحيفٍ فيه في مواضع عدة أخذها عليه المحققون وتتبعها العالمون، ومن ذا الذي ما ساء قط؟ ومن له الحسنى فقط؟ فإنه رحمه الله غلط وأصاب، وأخطأ المرمى وأصاب، كسائر العلماء الذين تقدموه وتأخروا عنه، فإني لا أعلم في الدنيا كتاباً سُلِّمَ إلى مؤلفه فيه، ولم يتبعه بالتتبع من يليه.

---

(1) أصله: بشتنقان من قرى نيسابور ومتنزهاتها.
(2) وقع البيت، ثانياً عند الباخرزي.
(3) اليتيمة 4 : 407.
(4) اليتيمة: سيد.
(5) اليتيمة: أنواعه.

وذكره أبو الحسن علي بن فضال المجاشعي في كتابه الذي سماه « بحر الذهب في معرفة أئمة الادب » فقال : كان الجوهري قد صنف « كتاب الصحاح » للأستاذ أبي منصور عبد الرحيم[1] بن محمد البيشكي ، وسمعه منه إلى باب الضاد المعجمة ، واعترى الجوهري وسوسةٌ فانتقل إلى الجامع القديم بنيسابور ، فصعد إلى سطحه وقال : أيها الناس إني عملتُ في الدنيا شيئاً لم أُسْبَقْ [إليه] فسأعمل للآخرة أمراً لم أُسْبَقْ إليه ، وضمَّ إلى جنبيه مصراعي بابٍ وشَّطهما[2] بحبلٍ وصعد مكاناً عالياً من الجامع وزعم أنه يطير ، فوقع فمات ، وبقي بقية الكتاب مُسَوَّدةً غير منقح ولا مبيض ، فبيّضه أبو إسحاق إبراهيم بن صالح الوراق تلميذ الجوهري بعد موته ، فغلط فيه في عدة مواضع غلطاً فاحشاً .

وكان الجوهري يجيد قول الشعر ، فمن ذلك[3] :

رأيتُ فتى أشقراً أزرقاً قليلَ الدماغ كثيرَ الفضولِ
يفضِّلُ من حمقه دائباً يزيدَ بن هندٍ على ابنِ البتولِ

قال المؤلف : وكنت بحلب في سنة إحدى عشرة وستمائة في منزل القاضي الأكرم والصاحب الأعظم أبي الحسن علي بن يوسف بن إبراهيم الشيباني ، فتجارينا أمرَ الجوهريّ وما وفِّقَ له من حسن التصنيف ، ثم قلت له : ومن العجب أني بحثتُ عن مولده ووفاته بحثاً شافياً ، وسألتُ عنهما الواردين من نيسابور فلم أَجِدْ مخبراً عن ذلك ، فقال لي : لقد بحثتُ قبلك عن ذلك فلم أرَ مخبراً عنه ، فلما كان من غدِ ذلك اليوم جئته فقال لي : ألا أُخبركَ بطريفة ؟ إنني رأيتُ في بارحتنا في النوم قائلاً يقول لي : مات إسماعيل بن حماد الجوهري في سنة ست وثمانين وثلاثمائة ولعمري وان كان المنام مما لا يقطع به ولا يعمل عليه فهذا بلا شك زمانه وفيه كان أوانه ، لأن شيخيه أبا علي وأبا سعيد ماتا قبل هذه المدة بسنين يسيرة . ثم وجدتُ نسخةً بديوان الأدب بخطِّ الجوهري بتبريز وقد كتبها في سنة ثلاث وثمانين وثلاثمائة ، ثم وقفت على

---

(1) معجم البلدان (1 : 791) : عبد الرحمن .

(2) م : تأبطهما .

(3) اليتيمة 4 : 407 .

نسخة بالصحاح بخطّ الجوهري بدمشق عند الملك المعظم بن العادل بن أيوب صاحب دمشق وقد كتبها في سنة ست وتسعين وثلاثمائة .

وقد ذكره أبو منصور عبد الملك بن محمد الثعالبي في « كتاب يتيمة الدهر » وأنشد من شعره[1] :

لو كان لي بدٌّ من الناس ... قطعتُ حبلَ الناسِ بالياسِ
العزُّ في العزلةِ لكنّهُ ... لا بدَّ للناسِ من الناسِ

وأنشد له[2] :

وها أنا يونسٌ في بطنِ حوتٍ ... بنيسابورَ في ظُلَلِ الغمام
فبيتي والفؤادُ ويومُ دَجْنٍ ... ظلامٌ في ظلامٍ في ظلام

وأنشد له[3] :

زعم المدامةَ شاربوها أنها ... تنفي الهمومَ وتذهب الغما
صدقوا سَرَتْ بعقولهم فتوهموا ... أن السرورَ بها لهم تما
سَلَبَتْهمُ أديانهم وعقولهم ... أرأيت عادمَ ذين مغتمًّا

ومن شعره[4] :

يا صاحبَ الدعوة لا تجزعنْ ... فكلنا أزهدُ من كُرْزِ
فالماءُ كالعنبرِ في قومسٍ ... من عزّه يُجْعَلُ في الحرزِ
فسقِّنا ماءً بلا مِنّةٍ ... وأنت في حِلٍّ من الخبزِ

قال مؤلف الكتاب: وذكر محمود[5] بن أبي المعالي الحواري في « كتاب ضالة الأديب من الصحاح والتهذيب » ـ بعد أن ذكر قصة الجوهري كما ذكرها المجاشعي

---

(1) يتيمة الدهر 4 : 407 .
(2) المصدر السابق .
(3) لم ترد في اليتيمة المطبوع ، وانظر روضات الجنات 2 : 45 .
(4) اليتيمة 4 : 407 .
(5) ر: محمد .

سواء ، من تصنيفه الكتاب للبيشكي ، وقراءة الناس عليه إلى باب الضاد ، وشذّه مصراعي الباب وطيرانه ، ثم قال : وسألت الإمام سعيد ابن الامام أحمد بن محمد الميداني عن الخلل الواقع في هذا الكتاب فقال مثل ما ذكرناه : إن هذا الكتاب قُرِىءَ عليه إلى باب الضاد فحسبُ ، وبقي أكثرُ الكتابِ على سواده ، ولم يُقَدَّرْ له تنقيحُهُ ولا تهذيبه ، فلهذا يقول في باب السين : قيس أبو قبيلة من مضر ، واسمه الياس بنقطتين تحتها ، ثم يقول في فصل النون من هذا الباب : الناس بالنون اسم قيس عيلان، فالأول سهو[1] والثاني صحيح . ثم قال : ومن زعم أنه سمع عن الجوهري شيئاً من الكتاب زيادةً على أول الكتاب إلى باب الضاد فهو مكذوبٌ عليه . قال : ورأيتُ أنا نسخة السماع وعليها خطّه إلى باب الضاد ، وهي الآن موجودة في بلادنا ، والله أعلم بحقيقته . قال : والكتاب بخط مؤلفه عند أبي محمد إسماعيل بن محمد بن عبدوس النيسابوري وفيه يقول ، وذكر البيتين المتقدمين . قال وقال الثعالبي في أثناء كتابه يعني «يتيمة الدهر»: إن تلك النسخة بيعت بمائة دينار نيسابورية وحملت إلى جرجان ، والعلم عند الله في ذلك .

قال المؤلف : وأما البيشكي الذي صُنِّفَ له الكتاب فقد ذكره عبد الغافر الفارسي في « السياق »[2] فقال : هو عبد الرحيم بن محمد[3] البيشكي الأستاذ الامام أبو منصور بن أبي القاسم الأديب الواعظ الأصولي ، من أركان أصحاب أبي عبد الله - يعني الحاكم بن عبد الله بن البيع - له المدرسة والأصحاب والأوقاف والأسباب والتدريس والمناظرة والنثر والنظم ، توفي في جمادى الأولى سنة ثلاث وخمسين وأربعمائة .

ووجدت على ظهر « كتاب الصحاح » وكانت مجلدةً واحدةً كاملة بخطِّ الحسن بن يعقوب بن أحمد النيسابوري اللغوي الأديب ما صورته : قرأ عليَّ هذا الكتابَ من أوله إلى آخره ، بما عليه من حواشيه من الفوائد ، معارضاً بنسختي

---

(1) ر : مشهور .
(2) السياق (المنتخب 2) : 93 .
(3) السياق : نجم .

مصححاً إياهاً ، صاحبُهُ الفقيهُ الفاضلُ السديدُ الحسين بن مسعود الصرام ، بارك اللّه له فيه ، وهو إجازة لي عن الاستاذ أبي منصور عبد الرحيم بن محمد البيشكي عن المصنف ، وكتبه الحسن بن يعقوب بن أحمد في شهر اللّه الاصم سنة احدى وسبعين وأربعمائة ؛ فهذا كما تراه مخالفٌ لما تقدم من أنّ الجوهري لم يعمل من الكتاب إلا إلى باب الضاد .

ومن كتابه الموسوم بـ « الصحاح »[1] : النخيس : البكرة يتَّسِعُ ثقبها الذي يجري فيه المحور مما يأكله المحور فيعمدون إلى خشبية فيثقبون وسطها ثم يلقمونها ذلك الثقب المتسع ، ويقال لتلك الخشبية النخاس ، وسألت أعرابياً بنجد من بني تميم ، وهو يستقي وبكرته نخيسٌ ، فوضعتُ إصبعي على النخاس فقلت : ما هذا ؟ وأردت أن أتعرف منه الخاء من الحاء فقال : نخاس ، بخاء معجمة ، فقلت : أليس قال الشاعر :

* وبكــرةٍ نحـاسهـا نحـاسُ *

فقال : ما سمعنا بهذا في آبائنا الاولين[2] .

ومن كتابه في باب بقَّم[3] : وقلت لأبي علي الفارسي[4] : أعربيّ هو؟ فقال : معرب ، قال : وليس في كلامهم اسم على فَعل الا خمسة خَضَّم بن عمرو بن تميم وبالفعل سمّي ، وبَقَّم لهذا الصبغ ، وشَلَّم موضع بالشام ، وهما أعجميان وبَذَّر اسم ماءٍ من مياه العرب ، وعَثَّر موضع ، ويحتمل أن يكونا سميا بالفعل ، فثبت أنّ فعّل ليس من أصول أسمائهم وانما يختص بالفِعْل ، فإذا سميتَ به رجلاً لم ينصرف في المعرفة للتعريف ووزن الفعل ، وينصرف في النكرة .

---

(1) الصحاح : 979 .
(2) ر: الأحرار .
(3) الصحاح : 1873 .
(4) الصحاح : الفسوي .

ـ 241 ـ

إسماعيل بن خلف أبو طاهر الصقلي المقرىء : صاحب علي بن إبراهيم بن سعيد الحوفي ، من حوف مصر . وصنّف « كتاب إعراب القراءات » في تسع مجلدات كبار ، وصنف في القراءات كتاب الاكتفاء . وكتاب العيون . وأرى أنه كان فيما بعد سنة عشر وخمسمائة .

ـ 242 ـ

إسماعيل بن عباد بن العباس بن عباد الوزير الملقب بالصاحب كافي الكفاة ، أبو القاسم : من أهل الطالقان ، وهي ولاية بين قزوين وأبهر ، وهي عدةُ قرى يقع عليها هذا الاسم . وبخراسان بلدةٌ تسمى الطالقان غير هذه خرج منها جماعة من أهل العلم ـ هكذا نسبه المحدثون ، وقد قال الرستمي شاعره[1] :

يهني ابن عباد بن عباس بن عبـ ـد الله نعمى بالكرامةِ تردفُ

وقال فيه السلامي يهجوه :

يا ابنَ عباد بن عبا س بن عبد الله جِرْهَا
تنكرُ الجبرَ وأُخْـرِجْـ ـتَ إلى دنياك كرها

241 ـ ترجم ابن خلكان (1 : 233) لمن اسمه اسماعيل بن خلف بن سعيد بن عمران المقرىء الأندلسي السرقسطي (وليس الصقلي كما قال ياقوت) معتمداً على الصلة لابن بشكوال : 105 كما ترجم له ابن الجزري 1 : 164 ؛ ووفاة السرقسطي كانت سنة 455 ؛ وليس من المقطوع به أنه الصقلي ؛ وانظر الوافي 9 : 116 حيث وجه الانتباه إلى الترجمتين .

242 ـ ترجمته في اليتيمة 3 : 192 وابن خلكان 1 : 228 والمنتظم 7 : 179 وإنباه الرواة 1 : 201 وسير الذهبي 16 : 511 ونزهة الألباء : 222 والوافي 9 : 125 ولسان الميزان 1 : 413 وبغية الوعاة 1 : 449 والشذرات 3 : 113 وروضات الجنات 2 : 19 ـ 43 (ويعتمد ياقوت كثيراً على أخلاق الوزيرين والامتاع) وللشيخ محمد آل ياسين دراسة عنه ، وقد نشر عدداً من رسائله كما نشر ديوانه وجزءين من معجم له اسمه « المحيط » ، وحقق مجموعة من رسائله الدكتوران عبد الوهاب عزام وشوقي ضيف (القاهرة 1366) . وأخباره التاريخية متصلة بتاريخ البويهيين .

(1) الرستمي أبو سعيد محمد بن الحسن من أهل أصبهان (انظر اليتيمة 3 : 304) .

قال أبو حيان في « أخلاق الوزيرين »[1] : كان عباد يلقب الأمين، وكان ديناً خيراً مقدماً في صناعة الكتابة . قال : وكتب الأمينُ لركن الدولة ، كما كتب العميد لصاحب خراسان، والأمينُ كان ينصرُ مذهبَ الأشناني[2] تديناً وطلباً للزلفى عند ربه، والعميد كان يعمل لعاجلته . وإن قلت : كان الأمين معلماً بقرية من قرى طالقان الديلم ، قيل : وكان والد العميد نخالاً في سوق الحنطة بقمّ .

والصاحب مع شهرته بالعلوم وأَخْذِهِ من كلِّ فن منها بالنصيب الوافرِ والحظِّ الزائد الظاهر ، وما أُوتيه من الفصاحة ووفِّق لحسن السياسة والرجاحة ، مستغنٍ عن الوصف ، مكتفٍ عن الإخبار عنه والرصف . مولده في ذي القعدة سنة ست وعشرين وثلاثمائة ، ووزر لمؤيد الدولة أبي منصور بويه بن ركن الدولة أبي علي الحسن بن بويه وأخيه فخر الدولة ثماني عشرة سنة وشهراً واحداً . ومات الصاحب ـ فيما ذكره أبو نعيم الحافظ ـ في رابع عشرين من صفر سنة خمس وثمانين وثلاثمائة . وكان أبوه عباد يكنى بالحسن ، وكان من أهل العلم والفضل أيضاً ، سمع أبا خليفة الفضل بن الحباب وغيره من البغداديين والأصفهانيين والرازيين ، وصنف كتاباً في « أحكام القرآن » نصر فيه الاعتزال ، جوَّد فيه . روى عنه ابنه الوزير أبو القاسم ابن عباد وابن مردويه الأصفهاني ، ومات عباد في السنة التي مات فيها ابنه سنة خمس وثمانين وثلاثمائة .

كلُّ ما ذكرناه من خبر عبّاد أبي الوزير فهو منقول من « كتاب المنتظم » في التاريخ من تصنيف أبي الفرج ابن الجوزي[3] .

وبين عباد وبين الحسن بن عبد الرحمن بن حماد القاضي مكاتبات ومراسلات مذكورة مدوّنة .

وكان الصاحب في بدء أمره من صغار الكتاب يخدم أبا الفضل ابن العميد على خاصة ، فترقَّتْ به الحال إلى أن كتب لمؤيد الدولة بن ركن الدولة بن بويه أخي عضد الدولة بن ركن الدولة الديلمي ، ومؤيد الدولة حينئذ أميرٌ ، وأحسن في خدمته وحصلَ له عنده بِقِدَم الخدمة قَدَم ، وأَنِسَ منه مؤيد الدولة كفايةً وشهامة فلقبه بالصاحب كافي

(1) أخلاق الوزيرين : 80 ـ 82 .
(2) الأشناني : عمر بن الحسن بن مالك ، ويبدو أنه كان شيعي المذهب .
(3) المنتظم 7 : 184 .

الكفاة ، فلما مات أبوه ركن الدولة وولي مؤيد الدولة بلاده بالري وأصبهان وتلك النواحي خلع على أبي الفتح ابن العميد وزير أبيه خلع الوزارة وأجراه على ما كان في أيام أبيه إلى أن قتل ـ كما ذكرناه في ترجمته ـ واستوزر الصاحب واستولى على أموره وحكَّمه في أمواله ، ولم يزل على ذلك إلى أن مات مؤيد الدولة . وكان فخر الدولة أخو مؤيد الدولة قد هرب من أخيه عضد الدولة والتجأ بخراسان إلى السامانية هو وقابوس بن وشمكير ـ في أخبار يضيق كتابنا عنها ـ فأنفذ الصاحب إليه وأحضره وملَّكه البلاد ، فأقر الصاحبَ على أمره ، فأراد الصاحبُ اختباره : هل في نفسه عليه شيء مما كان في أيام مؤيد الدولة الذي أوجبَ هرب فخر الدولة ، فاستعفاه من الخدمة والوزارة فقال له فخر الدولة : لك في هذه الدولةِ من إرث الوزارة كما لنا من إرث الإمارة ، فسبيل كلٍّ واحدٍ منا أن يحتفظ بحقه ، ولم يعفه . ولم يزل على أمره معه إلى أن مات الصاحب ، والأمورُ تصدرُ عن أمره ، والملك يتدبر برأيه . وكانَ إذا قال فخر الدولة قولاً وقال الصاحب قولاً امتُثِل قول الصاحب وتُرِك قول فخر الدولة .

وللصاحب أخبار حسانٌ في مكارم الأخلاق مع رقاعةٍ كانت فيه ، ووصفه صاحب « الامتاع » فقال[1] : كان الصاحب كثير المحفوظِ حاضرَ الجواب فصيحَ اللسان ، قد نتف من كلِّ أدب [خفيف] شيئاً وأخذ من كلِّ فنّ طرفاً[2] والغالبُ عليه كلام المتكلمين المعتزلة ، وكتابته مُهَجَّنَةٌ بطرائقهم ، ومناظرته مشوبةٌ بعبارة الكتّاب ، وهو شديدُ التعصُّبِ على أهل الحكمة والناظرين في أجزائها كالهندسة والطبِّ والتنجم والموسيقى والمنطق والعدد ، وليس له من الجزء الإلهي خبر ، ولا له فيه عينٌ ولا أثر . وهو حسن القيام بالعروض والقوافي ويقول الشعر وليس بذاك[3] . و[في] بديهته غزارة ، وأما رويّته فخوارة . وطالعه الجوزاء والشعرى فقريبة منه ، ويتشيع لمذهب أبي حنيفة ومقالة الزيدية ، ولا يرجع إلى التألّه والرقة والرأفة والرحمة ، والناس كلُّهم يحجمون عنه لجراءته وسلاطته واقتداره وبسطته ، شديد العقاب ،

(1) الامتاع 1 : 54 ـ 61 ، 69 ـ 70 .
(2) الامتاع : أطرافاً .
(3) م : بذال (واقترح الأستاذ النشاشيبي : وليس بمبتذل ، وأبعد في التأويل) .

طفيفُ الثواب ، طويلُ العتاب ، بذيءُ اللسان يُعْطِي كثيراً قليلاً (يعني يعطي الكثيرَ القليلَ) ، مغلوبٌ بحرارة الرأس ، سريعُ الغضب بعيدُ الفَيْئَة ، قريبُ الطِّيَرَةِ ، حسودٌ حقود ، وحسده وَقْفٌ على أهل الفضل ، وحقدُهُ سارٍ إلى أهل الكفاية ، أما الكتّاب والمتصرّفون فيخافون سطوته ، وأما المنتجعون فيخافون جفوته ، وقد قتل خلقاً وأهلك ناساً ونفى أمةً نخوةً وبغياً وتجبراً وزهواً ، ومع هذا يخدعُهُ الصبيّ ، ويخلبُهُ الغبيّ ، لأن المدخلَ عليه واسعٌ والمأتى إليه سهل ، وذلك بأن يقال : « مولانا يتقدم بأن أعارَ شيئاً من كلامه ورسائله ، منظومِهِ ومنثورِهِ ، فما جُبْتَ الأرضَ إليه من فرغانة ومصر وتفليس إلّا لأستفيدَ كلامه وأُفْصُحَ به وأتعلَّم البلاغة منه ، لكأنّما رسائلُ مولانا سُوَرُ قرآن ، وَفِقَرُهُ فيها آياتُ فرقان ، واحتجاجُهُ في أثنائها[1] برهان ، فسبحانَ من جمع العالمَ في واحد ، وأبرز جميعَ قدرته في شخص» . فيلينُ عند ذلك ويذوبُ ، وَيَلْهَى عن كلِّ مُهِمٍّ له ، وينسى كلَّ فريضةٍ عليه ، ويتقدَّمُ إلى الخازن بأن يُخْرِجَ إليه رسائِلَهُ مع الوَرَق والوَرِق ، ويسهِّلُ الإذنَ عليه والوصولَ إليه والتمكّنَ من مجلسه ، فهذا هذا ، ثمّ يعملُ في أوقاتٍ كالعيد والفصل شعراً ويدفعه إلى أبي عيسى ابن المنجّم ويقول له : قد نحلتُكَ هذه القصيدة ، امدحني بها في جملة الشعراء ، وكنِ الثالثَ من [الهمج] المنشدين ، فيفعلُ ذلك أبو عيسى وهو بغداديٌّ محكّـك ، قد شـاخ على الخدائـع وتحنَّك ، وينشد ، فيقول له عند سماعه شِعْرَهُ في نفسه ، ووصفَه بلسانه ، ومدحه من تحبيره : أَعِدْ يا أبا عيسى فإنك واللّه مجيدٌ ، زه يا أبا عيسى ، قد صفا ذهنك وزادت قـريحتك وتنقَّحتْ قـوافيك ، ليس هـذا من الطرازِ الأولِ حين أنشـدتنـا في العيـد الماضي ، مجالسنا تخرِّجُ الناسَ وتهبُ لهم الذكاء وتزيدهم الفطنة وتحوِّل الكَـوْدَنَ عتيقاً والمحمَّر جواداً ، ثم لا يصرفُهُ عن مجلسه إلا بجائزةٍ سنيَّةٍ وعطيَّةٍ هنية ، ويغايظُ الجماعةَ من الشعراءِ وغيرهم لأنهم يعلمون أن أبا عيسى لا يقرضُ مصراعاً ولا يزن بيتاً ولا يذوق عروضاً . قال يوماً : من في الـدار ؟ فقيل لـه : أبو القـاسم الكاتب وابن ثابت ، فعمل في الحال بيتين وقال لإنسان بين يديه : إذا أذنتَ لهذين فادخل بعدهما بساعةٍ ، وقل : قد قلتُ بيتين فإن رسمتَ لي إنشادهما أنشدتهما ، وأزعم أنك بدهت

(1) الامتاع : من ابتدائها إلى انتهائها .

بهما ، ولا تجزعْ من تأفّفي بك ولا تَفْزَعْ من نكيري عليك ، ودفع البيتين إليه وأمره بالخروج إلى صَحْنِ الدارِ ، وأذن للرجلين حتى وصلا ، فلما جلسا وأنسا دخل الآخر على تفيئتهما ووقف للخدمة وأخذ يتلَمَّظ ، يُري أنه يقرضُ شعراً ، ثم قال : يا مولانا قد حضرني بيتان فإن أذنتَ أنشدتُ ، قال له : أنت إنسانٌ أخرقُ سخيفٌ لا تقولُ شيئاً فيه خير ، اكفني أمرك وشعرك ، قال : يا مولانا هي بديهتي وإن كسرتني[1] ظلمتني ، وعلى كلِّ حالٍ فاسمع فإن كانا بارعين وإلا فعاملني بما تحبّ ، قال : أنت لجوج هات ، فأنشد :

يا أيها الصاحبُ تاجَ العلا لا تجعلنّي نُهْزَةَ[2] الشامتِ
بملحدٍ يُكْنَى أبا قاسم ومجبرٍ يُعْزَى إلى ثابتِ

فقال : قاتلك اللّه ، لقد أحسنتَ وأنت مسيء . قال لي أبو القاسم : وكدتُ أتفقأ غيظاً لأني علمتُ أنها من فَعَلاته المعروفة ، وكان ذلك الجاهلُ لا يقرضُ بيتاً ، ثم حدثني الخادم الحديثَ بقضه . والذي غلَّطه في نفسه وحمله على الإعجاب بفضله والاستبدادِ برأيه أنه لم يَجْبَهْهُ أحدٌ قطّ بتخطئة ، ولا قُوبلَ بتسوئةٍ ، لأنه نشأ على أن يقال : أصاب سيدنا وصدَقَ مولانا ، ولله درّه ما رأينا مثله ، مَنْ ابن عبد كان مضافاً إليه ، ومن ابن ثوابة مقيساً عليه ؟ ومن إبراهيم بن العباس الصولي ؟ مَنْ صريع الغواني ؟ مَنْ أشجع السلمي ؟ إذا سلك طريقهما ، قد استدرك مولانا على الخليل في العروض ، وعلى أبي عمرو بن العلاء في اللغة ، وعلى أبي يوسف في القضاء ، وعلى الاسكافي في الموازنة ، وعلى ابن نوبخت في الآراء والديانات ، وعلى ابن مجاهد في القراءات ، وعلى ابن جرير في التفسير ، وعلى أرسطاطاليس في المنطق ، وعلى الكندي في الجزءِ ، وعلى ابن سيرين في العبارة ، وعلى أبي العيناء في البديهة ، وعلى ابن أبي خالد في الخطّ ، وعلى الجاحظ في الحيوان ، وعلى سهل بن هارون في الفِقَر ، وعلى يوحنا في الطبّ ، وعلى ابن ربن في الفردوس[3] ، وعلى

(1) الامتاع : نكرتني .
(2) م : نزهة .
(3) يعني علي بن ربن الطبري صاحب كتاب فردوس الحكمة .

عيسى بن دأب[1] في الرواية ، وعلى الواقدي في الحفظ ، وعلى النجار في البدل[2] وعلى بني ثوابة في التقفية[3] ، وعلى السريّ السقطي في الخطرات والوساوس ، وعلى مزبِّد[4] في النوادر ، وعلى أبي الحسن العروضي في استخراج المعمّى ، وعلى بني برمك في الجود ، وعلى ذي الرياستين في التدبير ، وعلى سطيح في الكهانة ، وعلى أبي المحياة خالد بن سنان في دعواه . هو والله أولى بقول أبي شريح أوس بن حجر التميمي في فَضَالةَ بن كَلَدة أبي دليجة[5] :

الألمعيُّ الذي يظنُّ لكَ الظـــنَّ كأنْ قد رأى وقد سمعا

فتراه عند هذا الهذر وأشباهه يتلوّى ويبتسم ، ويطير فرحاً به وينقسم ، ويقول : ولا كذا ، ثمرةُ السبقِ لهم وَقصرُنَا أن نلحقهم أو نقفو أثرهم ، وهو في ذلك يتشاجَى ويتحايك[6] ، ويلوي شدقه ويبتلعُ ريقَهُ ويردُّ كالآخذِ ويأخذُ كالمتمنع ،ويغضُب في عرض الرضى ويرضى في لبوس الغضب ، ويتهالك ويتمالك ويتفاتك[7] ويتمايل ، ويحاكي المومسات ويخرج في أصحاب السماجات ، وهو مع هذا يظن أنه خافٍ على نُقَّاد الأخلاق وجهابذة الأحوال . . . »

« وقد أفسده أيضاً ثقةُ صاحبه به وتعويلُهُ عليه وقلةُ سماعه من الناصح فيه ، وهو في الأصل مجدود لا جرم [ليس] يقلّهُ مكان دلالاً وترفاً وعجباً ، واندراءً على الناس ، وازدراءً للصغار والكبار ، وجبهاً للصادر والوارد . وفي الجملة آفاته كثيرة وذنوبه جمة ، ولكن الغِنَى ربٌّ غَفور : (وهذا عجز بيت لعروة بن الورد من أبيات أولها)[8] :

(1) م : بن كلب .
(2) يعني الحسين بن محمد النجار وله كتاب « البدل » .
(3) الامتاع : وعلى ابن ثوابة في التفقه (وكلتا القراءتين مباعدة للصواب) .
(4) مزبد تجد له نوادر منثورة في البصائر، ومجموعة في الجزء الثالث من نثر الدرّ .
(5) ديوان أوس : 53 .
(6) الامتاع : يتشاكى ويتحايل .
(7) الامتاع : ويتقابل (اقرأ : ويتفاتل) .
(8) ديوان عروة : 91 .

ذريني للغنى أَسْعَى فإني رأيتُ الناسَ شرُّهم الفقيرُ
وأبعدُهُمْ وأهونُهُمْ عليهم وإن أمسى له حَسَبٌ وَخِيرُ
وَيُقْصِيهِ النديُّ وتزدريه حليلتُهُ وينهرُهُ الصغيرُ
وتلقى ذا الغنى وله جلالٌ يكادُ فؤادُ صاحِبِه يطيرُ
قليلٌ ذنبُهُ والذنبُ جمٌّ ولكنَّ الغنى ربٌّ غفورُ

« قال فكيف تتمُّ له الأمور مع هذه الصفات ؟ قلت : واللّٰه لو أنَّ عجوزاً بلهاء أو أمةً ورهاءَ أقيمتْ مقامه لكانتِ الأمورُ على هذا السياق[1] ، لأنه قد أَمِنَ أن يقال له : لِمَ فعلتَ ولِمَ لم تفعل ؟ وهذا بابٌ لا يتّفقُ لأحدٍ من خدم الملوك إلا بِجَدّ سعيد ولقد نصح صاحبُهُ الهرويُّ في أموالٍ تاوية وأمورٍ من النظر عارية ، فقذف بالرقعة إليه حتى عَرَفَ ما فيها ، ثم قتل الرافعَ خنقاً، هذا وهو يدين بالوعيد. وقال لي الثقة من أصحابه : ربما شرع في أمر يَحْكُمُ فيه بالخطأ فيقلبه جَدُّهُ صواباً حتى كأنه عن وحي ، وأسرارُ اللّٰه في خلقه عند الارتفاع والانحطاط خفية ، ولو جَرَتِ الأمور على موضوع الرأي وقضية العقل لكان معلّماً في مصطبةٍ على شارع أو في دار لتانٍ[2] فإنه يُخْرِجُ[3] الانسان بتفيهقه وتشادقه ، واستحقاره واستكباره ، وإعادته وإبدائه ، وهذه أشكالٌ تعجبُ الصبيانَ ولا تنفّرهم عن المعلمين ، ويكون فرحهم بها سبباً للملازمة والحرصِ على التعلم والحفظ والرواية والدراسة » .

هذا قول صاحب « الامتاع » فيه .

ومما وجدت في بعض الكتب من مكارم الاخلاق للصاحب أنه استدعى يوماً شراباً من شراب السكر فجيء بقدح منه ، فلما أراد شربه قال له بعض خواصه : لا تشربه فإنه مسموم ، فقال له : وما الشاهدُ على صحَّةِ ذلك ؟ قال : بأن تجرّبه على من أعطاكه ، قال : لا أستجيز ذلك ولا أستحلّه ، قال : فجرّبه على كلب[4]، قال: إن

(1) م : السياج .
(2) لتان : هذه اللفظة سقطت من الامتاع ، ولا أدري ما وجه الصواب فيها .
(3) الامتاع : يخرّج ؛ ولعل الصواب « يحرج » أي يحرج الإنسان المميز العاقل فأما الصبيان فهم يفرحون بهذه « المظاهر المسرحية » فيقبلون عليه .
(4) م : دجاجة .

التمثيل بالحيوان لا يجوزُ وأمر بصبّ ما في القدح ، وقال للغلام : انصرف عني ولا تدخلْ داري بعدها ، وأقرَّ رزقه عليه وقال : لا تدفعِ اليقينَ بالشكّ ، والعقوبةُ بقطع الرزق نذالة .

قال : ودخل إلى الصاحب رجلٌ لا يعرفه ، فقال له الصاحب : أبو من ؟ فأنشد الرجل :

وتتفق الأسماءُ في اللفظِ والكُنَى كثيراً ولكن لا تَلَاقى الخلائقُ[1]

فقال له : اجلس يا أبا القاسم .

وكان يقول لجلسائه : نحن بالنهار سلطان وبالليل إخوان[2] .

وحدث أبو الحسن النحوي قال[3] : كان مكي المنشد قديمَ الصحبة والخدمة للصاحب ، فأساء إليه غير مرة والصاحبُ يتجاوز له ، فلما كثر ذلك منه أمر الصاحب بحبسه ، فحبس في دار الضرب ، وكانت في جواره ، فاتفق أن الصاحب صعد يوماً سطح داره وأشرف على دار الضرب فناداه مكي : ﴿ **فاطلع فرآه في سواء الجحيم** ﴾ (الصافات: 55) فضحك الصاحب وقال ﴿ **اخسؤوا فيها ولا تُكَلِّمُون** ﴾ (المؤمنون: 108) ثم أمر باطلاقه .

ومن كتاب « أخلاق الوزيرين » لأبي حيان التوحيدي :

قال المؤلف : أما خبر أبي حيان مع ابن عباد فيذكر في أخبار أبي حيان ، وأما غيره فإن أبا حيان كان قصد ابن عباد إلى الري فلم يُرْزَقْ منه ، فرجع عنه ذامّاً له ، وكان أبو حيان مجبولاً على الغرام بثلب الكرام ، فاجتهد في الغضّ من ابن عباد ، وكانت فضائل ابن عباد تأبى الا أن تسوقَهُ إلى المدح وإيضاح مكارمه ، فصار ذمُّه له مدحاً ، فمن ذلك أن قال بعد أن فرغ من الاعتذار من التصدي لثلبه قال[4] : فأولُ ما أذكرُ من ذلك ما أدلُّ به على سَعَةِ كلامه ، وفصاحةِ لسانه ، وقوةِ جأشه ، وشدةِ مُنَّته ،

---

(1) البيت للفرزدق كما في الخزانة وديوانه 2 : 40 .
(2) اليتيمة 3 : 200 .
(3) اليتيمة 3 : 201 .
(4) أخلاق الوزيرين : 94 .

وإن كان في فحواه ما يدل على رقاعته وانتكاث مريرته وضعف حَوْله وركاكة عقله وانحلال عَقْده : لما رجع من همذان سنة تسع وستين وثلاثمائة بعد أن فارقَ حضرةَ عضد الدولة استقبله الناسُ من الريّ وما يليها واجتمعوا بساوة ، وكان قد أعدَّ لكلٍّ واحدٍ منهم كلاماً يلقاه به عند رؤيته ، فأول من دنا منه القاضي أبو الحسن الهمذاني[1] من قرية يقال لها أسداباذ ، فقال له : أيها القاضي ما فارقتُكَ شوقاً إليك ، ولا فارقتني وَجْداً عليك ، ولقد مرَّتْ لي بعدك مجالسُ تقتضيك وتُحْظيكَ وترضيك ، ولو شهدتني بين أهلها وقد علوتهم ببياني ولساني وجدلي وبرهاني لأنشدتَ قولَ حسان بن ثابت[2] في ابن عباس وهو :

إذا ما ابنُ عباسٍ بدا لكَ وجهُهُ ... رأيتَ له في كلِّ مجمعةٍ فضلا
إذا قال لم يترك مقالاً لقائلٍ ... بملتقطاتٍ لا ترى بينها فصلا
كفى وشفى ما في النفوسِ ولم يَدَعْ ... لذي إربةٍ في القول جداً ولا هزلا
سموت إلى العلياءِ من غير خِفَّةٍ ... فنلتَ ذراها لا دنيّاً ولا وَغْلا

ولذكرتَ أيضاً أيها القاضي قولَ الآخر وأنشدته ، فإنه قال في من وقف موقفي ، وقَرِفَ مَقْرَفي ، وتصرَّف تصرُّفي ، وانصرف منصرفي ، واغترف مغترفي :

إذا قال لم يتركْ مقالاً ولم يقفْ ... لعيٍّ ولم يثنِ اللسانَ على هُجْرِ
يصرِّفُ بالقولِ اللسانَ إذا انتحى ... وينظرُ في أعطافه نَظَرَ الصقرِ

ولقد أودعتُ صدرَ عضد الدولة ما يُطيلُ التفاتَهُ إليَّ ويكثرُ حسرته عليَّ ، ولقد رأى منّي ما لم ير قبله مثله ولا يرى بعده شكله، والحمد لله [الذي] أوفدني عليه على ما يسرُّ الوليَّ وأصدرني عنه على ما يسوءُ العدوّ، أيّها القاضي كيف الحال والنفس، [وكيف الامتاع والأنس] ، وكيف المجلس والدرس ، وكيف القرضُ والجرس[3] ، وكيف

(1) هو القاضي عبد الجبار بن أحمد المعتزلي الملقب بقاضي القضاة .
(2) ديوان حسان 1 : 331 .
(3) م : وكيف العرض والحرس (والجرس : أخذ النحلة للرحيق من الزهرة) .

الدسُّ والدعس[1] ، وكيف الفَرْس والمرس[2] . وكاد لا يخرج من هذا الهذيان لتهيجه واحتدامه وشدة خباله[3] وغلوائه ، والهمذاني مثل الفأرة بين يدي السنور ، وقد تضاءل وقمؤ لا يَصْعَدُ له نَفَسٌ الا بنزع تذلّلا وتقلّلا ، هذا على كبره [في مجلسه ونذالته] في نفسه . ثم نظر إلى الزعفراني[4] رئيسِ أصحاب الرأي فقال : أيها الشيخ سرّني لقاؤك ، وساءني عَناؤك ، ولقد بلغني عُدَوَاؤك ، وما خيَّلَهُ إليكَ خيلاؤك ، وأرجو ألّا أعيشَ حتى يُرَدّ عليك غلواؤك ، ما كان عندي أنك تُقْدِمُ على ما أقدمتَ عليه ، وتنتهي في عداوتك لأهل العدل والتوحيد إلى ما انتهيتَ إليه ، ولي معك إن شاء اللّه نهار له ليل[5] وليلٌ يتبعه ليل ، وثبورٌ يتصل به ويل ، وقطر يدفع ومعه[6] سيل ﴿ وَسَيَعْلَمُ الْكُفَّارُ لِمَنْ عقْبَى الدَّار ﴾ (الرعد: 44) فقال له الزعفراني : حسبنا اللّه ونعم الوكيل . ثم أبصر أبا طاهر الحنفي فقال : أيها الشيخ ما أدري أشكوك أم أشكو إليك ؟ أما شكواي منك ، فإنك لم تكاتبني بحرف ، كأنّا لم نتلاحظْ بطرف ، ولم نتحافظ على إلف ، ولم نتلاقَ على ظَرْف ؛ وأما شكواي إليك فإني ذممتُ الناسَ بعدك ، وذكرتُ لهم عهدك ، وعرضتُ بينهم ودك ، وقدحتُ عليهم زَنْدَكَ ، ونشرتُ عليهم غرائبَ ما عندك ، فاشتاقوا إليك بتشويقي ، واستصفوك بترويقي[7] . وأثنوا عليك بتنميقي وتزويقي[8] ، وهكذا عَمَلُ الأحبابِ ، إذا تناءت بهم الركاب ، والتوت دونهم الأعناق ، واضطرمت في صدورهم نار الاشتياق ، فالحمدُ للّه الذي أعاد الشعب ملتئماً ، والشملَ منتظماً ، والقلوبَ وادعة ، والأهواءَ جامعة ، حمداً يتصل بالمزيد ، على عادة السادة مع العبيد ، عند كلٍّ قريب وبعيد . ثم التفت إلى ابن القطّان القزويني

(1) م : والعسّ (والدسّ : الادخال ؛ والدعس : الطعن ، وكلاهما على الكناية والثانية قد فسرت بأنها شدة الوطء) .

(2) الفرس : الدق والكسر ، وفرس النساء مواصلتهن ؛ والمرس : ملاعبة النساء .

(3) أخلاق الوزيرين : خيلائه .

(4) يرجح محقق أخلاق الوزيرين أنه محمد بن أحمد بن عبدوس الحنفي المتوفى سنة 392 .

(5) أخلاق الوزيرين : ذيل .

(6) أخلاق الوزيرين : يدوم معه .

(7) الترويق يتمشى مع قوله « استصفوك » .

(8) م : وتوريقي ؛ أخلاق الوزيرين : وترويقي ، وكلاهما خطأ (لاحظ التناسب بين التنميق والتزويق) .

الحنفي ، وكان من ظرفاء العلماء ، فقال : كدتُ أيها الشيخ أحلمُ بكَ في اليَقَظة ، وأشتمل عليك دونَ الحَفَظة ؛ لأنك قد ملكتَ مني غاية المكانة والحظة[1] ، واللّه ما أسغتُ بعدك ريقاً ، إلا على جَرَض ، ولا سَلَكْتُ دونَكَ طريقاً ، إلا على مضض ، ولا وجدتُ للظرف سوقاً ، إلا بالعرض . سقى اللّه ربعاً أنت ساكنه[2] بنزاهتك ، وطبعاً أنت طابِنُهُ[3] ببراعتك ، ومغرساً أنت يَنْعُهُ[4] بنباهتك [وأصلاً أنت فرعه بفقاهتك] . وقال للعباداني[5] : أيها القاضي أيسرُّكَ ان أشتاقكَ وتسلوَ عني ، وأن أسألَ عنك وتنسلَّ مني ، وأن أكاتبك فتتغافل ، وأطالبك بالجواب فتتكاسل ؟! وهذا ما لا أحتمله من صاحب خراسان ، ولا يطمعُ في مثله مني مَلِكُ بني ساسان . متى كنتُ منديلاً ليدٍ ، ومتى نزلتُ على هذا الحدّ لأحد ؟ إن انكفأتَ عليَّ بالعذر انكفاءً ، وإلاّ اندرأتُ عليك بالعذل اندراءً ، ثم لا يكون لك قرارٌ بحال ، ولا يبقى لك بمكاني استكثار إلا على وبالٍ وخبال . ثم طلع أبو طالب العلوي ، فقال : أيها الشريف جعلتَ حسناتك عندي سيئات ، ثم أضفتَ إليها هنات ، ولم تفكّرْ في ماضٍ ولا آت . أضعتَ العهدَ ، وأخلفتَ الوعد ، وحققتَ النحسَ وأبطلتَ السعد . وحُلْتَ سراباً للحيران ، بعد ما كنت شراباً للحرَّان . وظننتَ أنك قد شبعتَ مني ، واعتضت عنّي هيهات وأنَّى [لك] بمثلي ، أو بمن يعثر في ذيلي ، أو له نهار كنهاري أو ليل كليلي .

* وهل عائضٌ منّي وإن جَلَّ عائضُ *

أنا واحد هذا العالم ، وأنت بما تسمع عالِم . لا إله الا اللّه سبحان اللّه ، أيها الشريف ، أين الحقُّ الذي وكّدناه أيامَ كادت الشمس تزول ، والزمانُ علينا يصول ، وأنا أقول وأنت تقول ، والحال بيننا يحول ؟! سقى اللّه ليلةَ تشييعك وتوديعك ، وأنت

(1) أخلاق الوزيرين : والحظوة .

(2) م : سالته .

(3) م : طابنه ؛ أخلاق الوزيرين (في الأصل) : طانه ؛ وطابنه (مناسب للسجع مع ساكنه) يعني دافنه كي لا يطفأ كأنه النار .

(4) أخلاق الوزيرين : نبعه ؛ واليَنْعُ ، النضج .

(5) م : للعيساباذي ؛ والعيساباذي هو القاضي عبد الجبار فلا مجال للحديث معه مرة أخرى .

متنكّر تنكّراً يسوء الوليّ وأنا متفكّر تفكّراً يسوء العدوّ ، ونحن متوجّهون إلى وَرَامين[1] خوفاً من ذلك الجاهل المهين (يعني بالجاهل المهين ذا الكفايتين حين أخرجه من الريّ بعد أن ألَّبَ عليه وكاد أن يُؤْتَى على نفسه الخبيثة ، وهو حديث له فرش ، وما أنا بصدده يمنع من اقتصاصه ولعله يأتي فيما بعد) . ثم نظر إلى أبي محمد كاتب الشروط فقال : أيها الشيخ الحمدُ للّه الذي كفانا شرَّك ، ووقانا عَرَّك وضرّك . ونآنا فَيْحَـكَ وحرَّك ، دَبَبْتَ الضَّراء الينا ، ومشيت الخَمَر علينا[2] ، ونحن نحيسُ لك الحيسَ[3] ، ونصفُكَ باللبابة والكيس ، ونقول ليس مثله ليس ، وأنت في خلال ذلك تقابلنا بالويح والويس ، لولا أنك قرحـان ، لسقط بك العَشـاءُ على سرحـان[4] . وقال لابن أبي خراسان الفقيه الشافعي : أيها الشيخ ألغيتَ ذكرنا عن لسانك ، واستمررتَ على الخلوة بانسانك ، جارياً على نسيانك ، مشتهراً[5] بفتيانك وافتنانك ، غير عاطف على أخدانك وإخوانك ، لولا أنني أرعى قديماً قد أضعته ، وأعطيك من رعايتي ما قد منعته ، لكان لي ولك حديث ، إما طيب وإما خبيث . خلَّفتك محتسباً ، فخلفتَ مكتسباً ، وتركتك آمراً بالمعروف فلحقتك راكباً للمنكر . قد يفيل الرأي ويخيب الظنّ ويكذب الأمل ، وقد قال الأول :

ألا ربَّ من تغتشـه لـك نـاصـحٌ ومـؤتمـنٍ بـالغيب وهـو ظنيـنُ

ثم نظر إلى الشادياشي[6] فقال : يا أبا علي كيف أنت ، وكيف كنت ؟ فقال : يا مولانا :

لا كنتُ إن كنت أدري كيف كـنتُ ولا لا كنتُ إن كنتُ أدري كـيف لـم أكن

---

(1) ورامين : بليدة في نواحي الريّ .

(2) يقال : هو يدب له الضراء ويمشي له الخمر أي يحاول الكيد والختل .

(3) يحاس له الحيس : يوفّر له ما يتنعم به دون أن يبذل أي جهد ، وفيه إشارة إلى قول الشاعر :

وإذا تـكـون كـريـهـة أدعـى لـهـا وإذا يـحـاس الحـيس يـدعى جنـدب

(4) في المثل : سقط العشاء به على سرحان ؛ أي أنه أعشى فأوقعه عشاه في المكروه ؛ والسرحان : الذئب .

(5) أخلاق الوزيرين : مستهتراً .

(6) م : الشادباشي .

فقال : اغربْ يا ساقط ، يا هابط ، يا من تذهب إلى الحائط بالغائط ، ليس هذا من نَحْتِ يدك ، ولا هو مما نشأ من عندك ، هذا لمحمد بن عبد الله بن طاهر وأوله :

كتبتَ تسأل عني كيف كنتُ وما لاقيتُ بعدكَ من همٍّ ومن حَزَنِ
لا كنتُ إن كنت أدري كيف كنتُ ولا لا كنتُ إن كنتُ أدري كيف لم اكنِ

وكان ينشد وهو يلوي رقبته ، وتجحظ حدقته ، وينزي أطراف منكبيه ، ويتشايل[1] ويتمايل ، كأنه الذي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ . ثم قال : يا أبا علي لا تعوِّلْ على أير في سراويل [غيرك] لا أير إلا أير تمطى تحت عانتك ، فإنك إن عوَّلْتَ على ذلك شانك وخانك ، وفضح حانك ومانك[2] . ثم نظر إلى غلام قد بقل وجهه كان يُتَّهَمُ به على الوجهِ الأقبح ، فالتوى وتقلقل ، وقال ادنُ مني يا بنيّ كيف كنتَ ، ولِمَ حملتَ على نفسك هذا العناء ؟ وجهك هذا الحَسَنُ لا يُبْتَذلُ للشحوب ، ولا يُعَرَّضُ للفحاتِ الشمس بين الطلوع إلى الغروب ، أنت يجبُ أن تكون [في] بذلة ، بين حَجَلة وَكِلّة ، تزاح بك العلة ، وتغلي بك القلة ، وتُشْفَى منك الغُلّة . هذا آخر حديث الاستقبال .●

قال أبو حيان[3] : ودخل يوماً دار الإمارة الفيرزان المجوسي [فقال له] في شيء خاطبه به : إنما أنت مِحَشّ مجش مخش[4] ، لا تهشُّ ولا تبش ولا تمتشّ[5] ، فقال الفيرزان : أيها الصاحب برئتُ من النار إن كنتُ أدري ما تقول ، إن كان رأيك أن تشتمني فقل ما شئت ، بعد أن أُعلم فانّ العرضَ لك ، والنفس فداؤك ، لست من الزنج ولا من البربر ، كلّمنا على العادة التي عليها العمل ، والله ما هذا من لغة آبائك

(1) أخلاق الوزيرين : ويتسايل .
(2) الحان : الفندق ، ومانك بمعنى كذب عليك (ولست مطمئناً إلى هذا التفسير ، وإنما أراه محوّلاً عن وفضح حَيْنَكَ وَمَيْنَكَ أي حمقك وكذبك ، وسجع الصاحب يبيح مثل هذا) والأرجح أنه ناظر إلى المثل العامي : ما بين حانا ومانا . . .
(3) أخلاق الوزيرين : 104 .
(4) إذا كان لهذه الكلمات من معان مقصودة سوى إرسالها مسجوعة : فالمحش : العود تحرك به النار والمجش : آلة الجش أي الطحن ، والمخش : العود الذي يدخل في أنف البعير ؛ وكلها يشير إلى أنه شيء قليل القيمة .
(5) يمتشّ : يمسح يده بالمنديل لينظفها ، أي أنه وسخ .

الفرس ، ولا من لغة أهل دينك من أهل السواد ، وقد خالطنا الناسَ فما سمعنا منهم هذا النمط ، فقام مغضباً .

قال[1]: وكان ابن عباد يقولُ للإنسانِ إذا قدم عليه من أهل العلم: يا أخي تكلَّم واستأنسْ واقترحْ وانبسطْ ولا تُرَعْ ، واحسبني في جَوْفِ مُرَقَّعة ، ولا يروعك هذا الحشمُ والخدمُ والغاشية والحاشية ، وهذه المرتبةُ والمصطبة ، وهذا الطاقُ والرواق ، وهذه المجالسُ والطنافس ، فإن سلطانَ العلم فوق سلطانِ الولاية ، فليفرخ روعك ، ولينعمْ بالك ، وقل ما شئت ، وأنصُرْ ما أردت ، فلستَ تجد عندنا إلا الإنصاف والإسعاف ، والإتحاف والإطراف ، والمواهبة والمقاربة ، والمؤانسة والمقابسة ؛ ومن كان يحفظ ما كان يهذي به في هذا وفي غيره ؟ ويجري في هذا الميدان فيطيل ، حتى إذا استوفى[2] ما عند ذلك الانسان بهذه الزخارف والحيل وسال[3] الرجل معه في حدوره على مذهب الثقة فحاجّه وراجعه[4] وضايقه وسابقه ، ووضع يده على النكتة الفاصلة والأمر القاطع تنمَّر له وتغيَّر عليه ثم يقول[5] : يا غلام خُذْ بيد هذا الكلب إلى الحبس ، وَضَعْهُ فيه بعد أن تصبَّ على كاهلهُ وظهره وجنبيه خمسمائة سوط وعصاً فإنه معاندٌ ضدّ ، يحتاج إلى أن يُشَدَّ بالقِدّ ، ساقطٌ هابط كلبٌ [نباح ، وقاح ، متعجرف] أعجبه صبري ، وغرَّه حلمي ، ولقد أخلفَ ظني ، وعُذْتُ على نفسي بالتوبيخ ، وما خلق اللّه العصا باطلاً . فيقام ذلك البائس على هذه الحالة ، وليس الخبر كالعيان ، فمن لم يحضر ذلك المجلس لم ير منظراً رفيعاً ورجلاً رقيعاً .

قال[6] : وكان أبو الفضل ابن العميد إذا رآه قال : أحسبُ أن عينيه رُكّبتا من زئبق ، وعنقه عُمِلَ بلولب ـ وصدقَ فإنه كان ظريفَ التثني والتلوّي ، شديدَ التفكّك والتفتّل ، كثير التعوُّج والتموُّج ، في شكل المرأة المومسة والفاجرة الماجنة .

---

(1) أخلاق الوزيرين : 111 .
(2) ر : اشتفى .
(3) م : وصار .
(4) وراجعه : زيادة من ر .
(5) م : ثم قال .
(6) أخلاق الوزيرين : 113 .

قال(1) : وحدثني الجرباذقاني(2) الكاتبُ أبو بكر ، وكان كاتبَ داره ، قال : يبلغُ من سُخْنَةِ عَيْنِ صاحبنا أنه لا يسكتُ عمّا لا يعرفُ ، ولا يسالم نفسه فيما لا يفي به ولا يكمل له ، ويظنّ أنه إنْ سكت فُطِنَ لنقصه ، وإن احتال وموّه جاز ذلك وخفيَ واستتر ، ولا يعلم أن ذلك الاحتيالَ طريقٌ إلى الإغراء بمعرفة الحال وصدق القائل : « كاد المريبُ يقولُ خذوني » ؛ قلت : وما الذي حداك على هذه المقدمة ؟ قال قال لي في بعض هذه الأيام : ارفعْ حسابَكَ فقد أخّرته وقصّرتَ فيه وانتهزتَ سكوتي وشغلي بأمر الملك وسياسة الأولياء والجند والرعايا والمدن ، وما عليَّ من أعباء الدولة وحفظ البَيْضَةِ وَمُشَارَفَةِ الأطرافِ النائية والدانية باللسان والقلم ، والرأي والتدبير ، والبَسْطِ والقبضِ ، والتتبعِ والنفض ، وما على قلبي من الفكر في الأمور(3) الظاهرة والغامضة ، وهذا باب لعمري مُطْمِعٌ وإمساكي عنه مُغْرٍ بالفساد مُولِعٌ ، فبادر عافاك اللّه إلى عَمَلِ حسابٍ بتفصيل بابٍ باب ، يبين فيه أمرُ داري وما يجري(4) عليه أمرُ دخلي وخرجي . قلت له : هذا كلّه بسبب قوله : هات حسابك بما نراعيه ؟ فقال : أي واللّه ، ولقد كان أكثر من هذا ولقد اختصرته . قال أبو بكر : فتفردت أياماً وحرَّرتُ الحسابَ على قاعدته وأصله والرسم الذي هو معروف بين أهله ، وحملته إليه ، فأخذه من يدي وأمرَّ عينيه فيه من غير تثبّت أو فحص أو مسألة ، فحذف به إليَّ وقال : أهذا حساب ؟ أهذا كتاب ؟ أهذا تحرير ؟ أهذا تقرير ؟ أهذا تفصيل ؟ أهذا تحصيل ؟ واللّه لولا أني ربّيتك في داري ، وَشَغَلْتُ بتخريجك ليلي ونهاري ، ولك حرمة الصبا ، ويلزمني رعاية الابنا : لأطعمتُكَ هذا الطومار ، وأحرقتُكَ بالنفط والقار ، وأدّبتُ بكَ كلَّ كاتبٍ وحاسب ، وجعلتُكَ مثْلةً لكلِّ شاهدٍ وغائب : أمثلي يموَّهُ عليه ؟ وَيُطْمَعُ فيما لديه ؟ وأنا خلقتُ الحسابة والكتابة ، واللّه ما أنام ليلةً إلاّ وأُحَصِّلُ في نفسي ارتفاعَ العراق ، وَدَخْلَ الآفاق . أغرّك مني أني أجرتُك رَسَنَكَ ؟ وأخفيتُ قبيحك وأبديتُ حسنك ؟ غيِّر هذا الذي رفعت ، واعرف قبلُ وبعدُ ما صنعت ، واعلم أنك من الآخرة

(1) أخلاق الوزيرين : 118 .

(2) أخلاق الوزيرين : الجرفادقاني .

(3) م : الأموال .

(4) م : دخل .

قد رجعت ، فزدْ في صلاتك وصدقتك ، ولا تعوِّل على قِحَتِكَ وصلابةِ حدقتك . قال : فواللَّه ما هالني كلامه ، ولا أحاك فيَّ هذيانه ، لأني كنتُ أعلم جهله في الحساب، ونقصَهُ في هذا الباب ، فذهبت وأفسدت وأخّرت وقدَّمت ، وكابرت[1] وتعمدت ، ثم رددته إليه ، فنظر فيه وضحك في وجهي وقال : أحسنتَ بارك اللَّه عليك ، هكذا أردتُ ، وهذا بعينه طلبتُ ، لو تغافلتُ عنك في أول الأمر لما تيقظتَ في الثاني ، فهذا كما ترى ، اعجبْ منه كيفَ شئت .

قال أبو حيان[2] : ومن رقاعته أيضاً سمعته يقول وقد جرى حديثُ الأبهري المتكلم ، وكان يكنى أبا سعيد فقال : لعن اللَّه ذاك الملعونَ المأبونَ المأفون ، جاءني بوجه مكلَّح ، وأنف مفلطَح ، ورأس مُسَطَّح ، وسرمٍ مفتّح ، ولسان مبلّح[3] ، فكلمني في مسألة الأصلح ، فقلت له : اعزب عليك غضب[4] اللَّه الأترح ، الذي يلزم ولا يبرح .

وشتم يوماً رجلاً فقال[5] : لعن اللَّه هذا الأهوج الأعوج[6] الأفلج الأفحج ، الذي إذا قام تحلّج[7] ، وإذا مشى تدحرج ، وإذا عدا تفجفج[8] . قال أبو حيان : باللَّه يا أصحابنا حدثوني أهذا عقلُ رئيس ، أم بلاغةُ كاتب ، أم كلام متماسك ؟ لم تُجَنُّون به ، وتتهالكون عليه ، وتغيظون أهلَ الفضل به ؟ هل هناك إلا الجَدّ الذي يرفعُ من هو أنذلُ منه ويضع[9] من هو أرفعُ منه ؟! ولقد حدثت هذا الحديث أبا السلم[10] الشاعر فأنشدني لشاعرٍ :

---

(1) أخلاق الوزيرين : وكايدت .
(2) أخلاق الوزيرين : 121 .
(3) م : مكبح .
(4) م : لعنة .
(5) أخلاق الوزيرين : 122 .
(6) ر : الأعرج .
(7) تحلج : تردد (ولعل الصواب : تخلج) .
(8) تفجفج : باعد ما بين رجليه . وفي ر : ترجرج .
(9) م : ويوقع .
(10) ر : أبا سلم .

سبحان من أنزل الدنيا منازلها ... وميَّز الناس مشنوءاً وموموقا
فعاقلٌ فَطِنٌ أعْيَتْ مذاهبُهُ ... وجاهلٌ خَرِقٌ تلقاه مرزوقا
كأنّه من خليج البحرِ مغترفٌ ... ولم يكن بارتزاقِ القوت محقوقا
هذا الذي ترك الألبابَ حائرةً ... وصيَّرَ العاقلَ النحرير زنديقا

قال(1) : وكان كلفه بالسجع في الكلام والقلم عند الجد والهزل يزيد على كَلَفِ كلٍّ من رأيناه في هذه البلاد ، قلت لابن المسيبي(2) : أين يبلغ ابن عباد في عشقه للسجع ؟ قال : يبلغ به ذلك لو أنه رأى سجعةً تنحلُّ بموقعها عُرْوَةُ الملك ويضطربُ بها حبلُ الدولة ويحتاج من [أجلها] إلى غُرْم ثقيل وكلفة صعبة وتجشّم أمورٍ وركوب أهوالٍ لما كان يخفُّ عليه أن يفرج عنها ويخلّيها بل يأتي بها ويستعملها ولا يعبأ بجميع ما وصفتُ من عاقبتها . قال(3) : وقلت للخليلي : أما كان ابن العميد يسمع كلامه ؟ قال : بلى ، وكان يقول : سجعه يدل على الخلاعة والمجانة ، وخطه يدلُّ على الشلل والزمانة ، وصياحه يدلُّ على أنه قد غُلِبَ بالقمار في الحانة . وهو أحمق بالطبع إلّا أنه طيب ، قلت للخليلي : فهل عرفتَ طالعه ؟ فقال حدثني بعض أصحابنا منهم الهرويّ أن طالعه الجوزاء والشعرى اليمانية (كط) وكان زحل في الحادي عشر في الحمل (كز)(4) والقمر فيه (يط) والشمس في السنبلة (يج) والزهرة فيها (ي) والمشتري في الميزان (كد) والمريخ في العقرب (ن) وسهم السعادة في القوس (يد) وسهم الغيب في الجدي (يز) والرأس في الثالث من الأسد (يا) . قال وخفي عليَّ عطارد . وذكر أنه ولد سنة ست وعشرين وثلاثمائة من الهجرة لأربع عشرة ليلة من ذي القعدة ، روز سروش من ماه شهرير(5) . قلت : وأين ولد ؟ قال : كان عندنا أنه ولد بطالقان ، وقال لنا يوماً باصطخر ، وقال غير الخليلي : كان عطارد في السنبلة (ط ي) .

(1) أخلاق الوزيرين : 124 .
(2) أخلاق الوزيرين : قلت للمسيبي .
(3) أخلاق الوزيرين : 126 .
(4) أخلاق الوزيرين : كح .
(5) روز سروش : اليوم السابع عشر من شهر النيروز (وسروش : اسم رقيب الليل من الملائكة) وشهرير : اسم شهر .

قال أبو حيان[1] : وكنت بالريّ سنة ثمان وخمسين وثلاثمائة وابنُ عبادٍ بها مع مؤيّد الدولة قد ورد في مهماتٍ وحوائج ، وعقد ابن عباد مجلس جدل ، وكنا نبيت عنده في داره في باب شير[2] ومعنا الضرير أبو العباس القاضي وأبو الحوراء[3] البرقي وأبو عبد اللّه النحوي الزعفراني وجماعة من الغرباء ، فرأى ليلةً في مجلسه وجهاً غريباً صاحبَ مرقّعةٍ فأحبَّ أن يعرفه[4] ويعرف ما عنده ، وكان الشابُّ من أهل سمرقند يُعْرَفُ بأبي واقد الكرابيسي ، فقال له : يا أخ انبسط واستأنس وتكلم ، فلك منا جانبٌ وطيءٌ وشربٌ مريء ، ولن ترى إلا الخير ، بم تقرف ، فقال : بدقاق قال : تدق ماذا ؟ قال : أدقّ الخصمَ إذا زاغ عن سبيل الحق ، فلما سمع هذا تنكّر وعجب لأنه فجيء ببديعة ، فقال : دع هذا وتكلم ، قال : أتكلم سائلاً ؟ ما بي واللّه حاجة إلى مسألة ، أم أتكلَّم مسؤولاً ؟ فواللّه إني لأكسل عن الجواب ، أم أتكلّم مقرراً ؟ فواللّه إني لأكره أن أبدّد الدرَّ في غير موضعه ، وإني لكما قال الأول :

لقد عجمتني العاجماتُ فلم تجدْ ... هَلوعاً ولا لَيْنَ المجسّةِ في العَجْمِ
وكاشفتُ أقواماً فأبديتُ وَصْمَهُمْ ... وما للأعادي في قناتيَ من وَصْمِ

قال له : يا هذا ما مذهبك ؟ قال : مذهبي ألا أقرَّ على الضيم ولا أنامَ على الهون ولا أعطي صمتي لمن لم يكن وليَّ نعمتي ولم يصلْ عصمتَهُ بعصمتي ، قال : هذا مذهبٌ حسن ، ومن ذا الذي يأتي الضيمَ طائعاً ويركب الهونَ سامعاً ؟ ولكن ما نحلتك التي تنصرها ؟ قال : نحلتي مطوّيةٌ في صدري لا أتقرَّبُ بها إلى مخلوق ، ولا أنادي عليها في سوق ، ولا أعرضها على شاكّ ، ولا أجادل فيها المؤمن ، قال : فما تقول في القرآن ؟ قال : ما أقول في كلام رب العالمين الذي يعجز عنه الخلق إذا أرادوا الاطلاع على غيبه ، وبحثوا عن خافي سره وعجائب حكمته ؟ فكيف إذا حاولوا مقابلته بمثله ، وليس له مثلٌ مظنون فضلاً عن مثلٍ متيقن ؟ فقال له ابن عباد :

(1) أخلاق الوزيرين : 127 ـ 132 .
(2) أخلاق الوزيرين : سين .
(3) م : وأبو الجوزاء .
(4) أخلاق الوزيرين : يفره .

صدقت ، ولكن أمخلوقٌ أم غير مخلوق ؟ فقال : إن كان مخلوقاً [كما تزعم فما ينفعك ؟ وإن كان غير مخلوق] كما يزعم خصمك فما يضرُّك ؟ فقال : يا هذا أبهذا [العقل] تناظر في دين اللّه وتقومُ على عبادة اللّه ؟ قال : إن كان كلامَ اللّه نفعني إيماني به وعملي بمحكمه وتسليمي لمتشابهه ، وإن كان كلامَ غيره ـ وحاش للّه من ذلك ـ ما ضرني ؟ فأمسك عنه ابن عباد وهو مغيظ ، ثم قال : أنت لم تخرج من خراسان بعد . فمكث الرجل ساعة ثم نهض ، فقال له ابن عباد : إلى أين يا هذا ، قد تكسَّر الليل ، بتْ هاهنا ، فقال : أنا بعدُ لم أخرج من خراسان ، كيف أبيتُ بالريّ ، وخرج فارتاب به ابن عباد فقفّاه بصاحب له وأوصاه بأن يتبعَ خطاه ويبلغَ مداه من حيثُ لا يفطنُ به ولا يراه ، فما زاغ الرجل عن باب ركن الدولة حتى وصل ودخل في ذلك الوقت الفائت إليه ، فقيل لابن عباد ذلك فطار نومه وقال : أيّ شيطانٍ هبطَ علينا وأحصى ما كنّا فيه بلسان سليط وطبعٍ مَريد ؟ وكان هذا الكرابيسيُّ عيناً لركن الدولة بخراسان ، فلذلك كان قريباً [منه] وكان أحد رجالات [الدنيا] .

ومما[1] يدلُّ على ولوع ابن عباد بالسجع ومجاوزة الحدّ فيه بالإفراط قوله يوماً : حدثني [ابن] باش ، وكان من سادة الناش ؛ ـ جعل السين شيناً ومرَّ في هذا الحديث وقال : هذه لغة ، وكذب وكان كذوباً .

وقال[2] ابن عباد لشيخ من خراسان في شيء جرى : واللّه لولا شيءٌ لقطّعتك تقطيعاً ، وبضَّعتك تبضيعاً ، ووزعتك توزيعاً ، ومزعتك تمزيعاً ، وجزَّعتك تجزيعاً ، وأدخلتك في حرِ أمك[3] ، ثم وقف ساعة ثم قال : جميعاً . قال وملح هذه الحكاية ينبتر في الكتابة وبهاؤها ينقصُ في الرواية دون مشاهدةِ الحال وسماع اللفظ وملاحة الشكل في التحرك والتثني والترنح والتهادي ومدِّ اليد وليِّ العنق وهزِّ الرأس والأكتاف واستعمال الأعضاء والمفاصل .

قال[4] وحدثنا ابن عباد يوماً قال : ما قطعني[5] إلا شابٌ ورد علينا إلى أصبهان

(1) أخلاق الوزيرين : 139 .
(2) أخلاق الوزيرين : 140 .
(3) م : خزائنك .
(4) أخلاق الوزيرين : 179 .
(5) م : فظعني .

بغدادي فقصدني فأذنتُ له ، وكان عليه مرقعة وفي رجليه نعل طـاق ، فنظرت إلى حاجبي فقال له وهو يصعد إليّ : اخلع نعلك ، فقال : ولم ولعلّي أحتاج إليها بعد ساعة، فغلبني الضحك وقلت : أتراه يريدُ أن يصفعني .

قال أبو حيان : وقال لي علي بن الحسن الكاتب : هجرني في بعض الأيـام هجراً أضرَّ بي وكشف مستور حالي ، وذهب عليَّ أمري ، ولم أهتدِ إلى وجه حيلة في مصلحتي ، وورد المهرجان فدخلتُ عليه في غمـار الناسِ فلمـا أنشدت نـوبتين[1] تقدمت فأنشدتُ فلم يهشَّ لي ولم ينظر إليَّ ، وكنتُ ضمَّنت أبياتي بيتاً له من قصيدة على رويّ قصيـدتي ، فلما مـرَّ به البيتُ هبَّ من كسله ونـظر إليّ كالمنكـر عليَّ ، فطأطأت رأسي وقلت بصوت خفيض : لا تلم ولا تزدْ في القرحة فما عليَّ محمل ، وإنما سرقت هذا من قافيتك لأزيّنَ به قافيتي ، وأنت بحمد اللّه تجود بكلِّ عِلْقٍ ثمين وتهبُ كلَّ درٍّ مكنون ، أتراك تشاحُّني على هذا القدر وتفضحني في هذا المشهد ؟! فرفع رأسه وصوته وقال : يا بني أعد هذا البيت ، فأعدته ، فقال : أحسـنت يا هذا ، ارجع إلى أوّل قصيدتك فقد سهونا عنـك وطار الفكـر بنا إلى شـأن آخر ، والـدنيا مَشْغَلة ، وصار ذلك ظلماً بغير قصدٍ منا ولا تعمد . قال : فأعدتها وأمررتها وفغرتُ فمي بقوافيها ، فلما بلغت آخرها قال : أحسـنتَ ، الزم هذا الفنَّ فإنه حَسَنُ الديباجة وكأنَّ البحتريَّ استخلفك ، وأكثر بحضرتنا وارتفع بخدمتنا وابذلْ نفسك في طاعتنا نكنْ من وراءِ مصالحك بأداء حقك والجذبِ بضَبعك[2] والزيادة في قدرك على أقرانك ، قال : فلم أر بعدَ ذلك إلا الخير حتى عراه مللٌ آخر فوضعني في الحبس سنة ، وجمع كتبي فأحرقها بالنار ، وفيها كتب الفراء والكسائي ومصاحف القرآن وأصول كثيرة في الفقه والكلام ، فلم يميزها من كتب الأوائل ، وأمر بطرح النار فيها من غير تثبّت بل لفرط جهله وشدة نزقه . فهلاً طرح النار في خزانته وفيها كتب ابن الراوندي[3] وكلام ابن أبي العوجاء[4] في معارضة القرآن بزعمه ، وصالح بن عبد القدوس وأبي سعيد

(1) في أخلاق الوزيرين صورة لفظة « نوس » دون إعجام .

(2) جذب بضبعه : أعانه .

(3) هو أحمد بن يحيى المتوفى سنة 298 وهو يُرْمَى بالإلحاد .

(4) عبد الكريم بن أبي العوجاء أحد الزنادقة ، قتل في أيام المنصور .

الحصيري وكتب أرسطاطاليس وغير ذلك ؟! ولكن من شاء حمق نفسه . قال أبو حيان[1] : وحدثني محمد بن المرزبان قال : كنا بين يديه ليلة فنعس وأخذ إنسان يقرأ سورة الصافّات فاتفق أنّ بعض هؤلاء الأجلاف من أهل ما وراء النهر نعس أيضاً وضرط ضرطة منكرة فانتبه وقال : يا أصحابنا نمنا على « والصافّات » وانتبهنا على « والمرسلات » وهذا من نوادره وملاحاته .

وحدثني أيضاً قال[2] : انفلتت ليلةً أخرى ضرطة من بعض الحاضرين وهو في الجدل فقال على حدّته : كانت بيعةَ أبي بكر ، خذوا فيما أنتم فيه ، يعني فلتة ، لأنه قيل في بيعة أبي بكر كانت فلتة .

قال[3] : وقال قوم من أهل أصبهان لابن عباد : لو كان القرآن مخلوقاً لجاز أن يموت ، ولو مات القرآن في آخر شعبان بماذا كنّا نصلّي التراويح في رمضان ؟ قال : لو مات القرآن كان رمضان يموت أيضاً ويقول لا حياة لي بعدك ولا نُصَلِّي التراويحَ ونستريح .

قال أبو حيان[4] واسمع ما هو أعجب من هذا : ناظر بالريّ اليهوديَّ رأس الجالوت في إعجاز القرآن ، فراجعه اليهودي فيه طويلاً وماتنه[5] قليلاً ، وتنكد عليه حتى احتد وكاد يتّقد[6] ، فلما علم أنه قد سَجَرَ تَنُّوره وأسعط أنفه احتال طلباً لمصاداته[7] ورفقاً به في مخاتلته فقال : أيها الصاحب فلم تتقد وتستشيط وتلتهب وتختلط ؟ كيف يكونُ القرآن عندي آيةً ودلالة ومعجزةً من جهة نظمه وتأليفه ؟ فإن كان النظم والتأليف بديعين وكان البلغاء فيما تدّعي عنه عاجزين وله مذعنين وها أنا أصدُقُ عن نفسي وأقول ما عندي : إنَّ رسائلك وكلامك وفقرك وما تؤلفه وتباده به نظماً ونثراً

(1) أخلاق الوزيرين : 227 .
(2) أخلاق الوزيرين : 228 .
(3) أخلاق الوزيرين : 251 .
(4) أخلاق الوزيرين : 299 .
(5) أخلاق الوزيرين : وثابته .
(6) أخلاق الوزيرين : ينقد (وبعد قليل : فلم تتّقد) .
(7) المصاداة : المداراة .

هو فوق ذلك ، أو مثل ذلك وقريب منه ، وعلى كلٍّ حال فليس يظهر لي أنه دونه ، وأن ذلك سيستعلي عليه بوجهٍ من وجوه الكلام أو بمرتبة من مراتب البلاغة . فلما سمع ابن عباد هذا فتر وخمد ، وسكن عن حركته ، وانخمص ورمه به وقال : ولا هكذا يا شيخ ، كلامنا حسن وبليغ ، وقد أخذ من الجزالة حظاً وافراً ، ومن البيان نصيباً ظاهراً ، ولكن[1] القرآن له المزية التي لا تجهل ، والشرف الذي لا يخمل ، وأين ما خلقه اللّه على أتمّ حسن وبهاء مما يخلقه العبد بطلبٍ وتكلف . هذا كله يقوله وقد خبا حَمْيُهُ ، وتراجع مزاجه ، وصارت ناره رماداً ، مع إعجاب شديد قد شاع في أعطافه ، وفرح غالب قد دبَّ في أسارير وجهه ، لأنه رأى كلامه شبهة لليهود وأهل الملل .

وقال[2] بعض الشعراء في ابن عباد يذم سجعه وخطه وعقله :

متلقِّبٌ[3] كافي الكفاة وإنما هو في الحقيقة كافرُ الكفارِ
السجعُ سجع مهوّس والخط خط منقرِسٍ والعقلُ عقلُ حمارِ

وكان ذو الكفايتين ابن العميد يقول[4] : خرج ابن عباد من عندنا من الريّ متوجهاً إلى أصفهان ومنزله ورامين ، وهي قرية كالمدينة ، فجاوزها إلى قرية غامرة وماءٍ ملح لا لشيء إلا ليكتب إلينا : «كتابي هذا من النوبهار، يومَ السبتِ نصفَ النهار» .

قال أبو حيان[5] : وكان ابن عباد يروي لأبي الفضل ابن العميد كلاماً في رقعةٍ إليه حين استكتبه لمؤيد الدولة وهو : بسم اللّه الرحمن الرحيم ، مولاي وإن كان سيداً بهرتنا نفاسته ، وابن صاحب تقدمت علينا رياسته ، فإنه يعدُّني سَنَداً ووالداً ، كما أعدُّه ولداً وواحداً ، ومن حقّ ذلك أن يعضد رأيي برأيه ليزداد استحكاماً ، ويتظاهر عقداً وابراماً . وحضرت اليوم مجلس مولانا ركن الدين ففاوضني ما جرى بينه وبين مولاي طويلاً ووصل به كلاماً بسيطاً وأطلعني على أنّ مولاي لا يزيد بعد الاستقصاء والاستيفاء

---

(1) م : ولو كان .
(2) أخلاق الوزيرين : 373 .
(3) م : متغلب .
(4) أخلاق الوزيرين : 376 .
(5) أخلاق الوزيرين : 417 (وفي النصّ اختلاف عما أورده ياقوت) .

على التقصي والاستعفاء وألزم عبده أن أكره مولاي إكراه المسألة وأجبره إجبار الطلبة ، علماً بأنه إن دافع المجلس المعمور طلباً للتحرز لم يردَّ وساطتي أخذاً بالتطول ، وأقول بعد أن أقدّم مقدمة : مولاي غنيٌّ عن هذا العمل بتصوّنه وتظلّفه[1] وعزوفه بهمته عن التكثر بالمال وتحصيله ، لكن العمل فقيرٌ إلى كفايته ، محتاج إلى كفالته ، وما أقول إن مرادي ما يعقد من حساب ، وينشأ من كتاب ، ويستظهر به من جمع ، ويُقدَّر[2] من عطاء ومنع ، فكل ذلك وإن كان مقصوداً ، وفي آلات الوزارة معدوداً ، ففي كتّاب مولاي من يفي به ويستوفيه ، ويوفي عليه بأيسر مساعيه . ولكن وليَّ النعمة يريده لتهذيبِ وَلَدِهِ وَمَنْ هو وليُّ عهده مِنْ بعده ، والمأمولُ ليومِهِ وغده ـ أدام اللّه أيامه ، وبلّغه فيه مرامَهُ . ولا بدَّ وإن كان الجوهر كريماً ، والسِّنْخُ قويماً ، والمجدُ صميماً ، ومركبُ العقل سليماً ، من منابِ مَنْ يعلم ما السياسة وما الرياسة ، وكيف تدبيرُ العامّةِ والخاصة ، وبماذا تُعْقَدُ المهابة ، ومن أين تجلَبُ الأصالةُ والاصابة ، وكيف تُرَتَّبُ المراتب ، ويعالج الخطبُ إذا ضَاقت المذاهب ، وَتُعْصَى الشهوة لِتُحْرَسَ الحشمة ، وَتُهْجَرُ اللذةُ لِتُحَصَّنَ الامرة . ولا بد من محتشمٍ يقومُ في وجه صاحبه فيرادُّه إذا بدر منه الرأيُ المنقلب ، ويراجعه إذا جمح به اللَّجاجُ المرتكب ، ويعاوده إذا ملكه الغضب الملتهب . فلم يكن السبب في أن فسدت ممالكُ جمة وبلدانٌ عدة إلا أن خُفِّضَتْ أقدارُ الوزارة ، فانقبضت أطرافُ الامارة . وليس يفسد على ما أرى بقيةُ الأرض إلا إذا استعين بأذناب على هذا الأمر . فلا يبخلنَّ مولاي على وليّ نعمته بفضل معرفته ، فمن هذه الدولة جرى ماءُ فضلِه ، وفضلِ الشيخِ الأمين من قبله ، وإن كان مسموعاً كلامي ، وموثوقاً باهتمامي ، فلا يقعنَّ انقباضٌ عني ، وإعراضٌ عما سبق مني . ومولاي محكَّم [بعد] الاجابة إلى العمل فيما يقترحُهُ ، وغيرُ مراجعٍ فيما يشترطه ، وهذا خطّي به وهو على وليِّ النعمة حُجّةٌ لا يبقى معها شبهة ، وسأتْبعُ هذه المخاطبة بالمشافهة ، إما بحضوري لديه ، أو بتجشمه إلى هذا العليل الذي قد ألحَّ النقرسُ عليه . وكان ابن عباد [يحفظ] هذه النسخة ويرويها ويفتخر بها .

قال أبو حيان : وقال لي أصحابنا بالريّ ، منهم أبو غالب الكاتب الأعرج إن هذه

---

(1) م : وتصلفه . (2) م : ويذر .

المخاطبة من كلام ابن عباد افتعلها عن ابن العميد إلى نفسه تشبّعاً[1] بها ونفاقاً بذكرها .

قال[2] : وكان ابن عباد ورد الريَّ سنة ثمان وخمسين مع مؤيد الدولة وحضر مجلسَ ابنِ العميد وجرى بينه وبين مسكويه كلامٌ ووقَعَ تجاذب ، فقال مسكويه : فدعني حتى أتكلم ، ليس هذا نَصَفَة ، إذا أردتَ أن لا أتكلم فدع على فمي مخدة ، فقال الصاحب : بل أدعُ فمك على المخدة ، وطارت النادرة ولصقت وشاعت بين الناس وبقيت . قال[3] : ودخل الناسُ في مذهب ابن عباد وقالوا بقوله رغبةً فيما لديه ، واجتهد بالحسين[4] المتكلّم الكُلاّبي[5] أن ينتقل إلى مذهبه ، فقال الحسين : دعني أيها الصاحب أكون مُسْتَحَدّاً[6] لك فما بقي غيري فإن دخلتُ في المذهب لم يبقَ بين يديك من تنثو عليه قبيحه وتبدي[7] للناس عِواره ، فضحك وقال : قد أعفيناك يا أبا عبد الله، وبعد فما نبخلُ عليك بنار جهنم ، آصلَ بها كيفَ شئت . قال لنا الحسين بعد ذلك : أتراني أصلى بنار جهنم ، وعقيدتي وسريرتي معروفتان ، ويتبوأ هو الجنة مع قتل النفسِ المحرمة وركوب المحظورات العظيمة ؟! إن ظنَّه بنفسه لعجب ، لحا الله الوقاح .

وقال يوماً[8] ما صدر قول الشاعر[9] ؟

* والموردُ العذبُ كثيرُ الزحامْ *

فسكتت الجماعة فقال ابن الرازي[10] :

---

(1) م وأخلاق الوزيرين : تشبعاً (وهو خطأ) والتشبّع : تزين الرجل بما ليس عنده .
(2) أخلاق الوزيرين : 464 .
(3) انظر أخلاق الوزيرين : 467 .
(4) م : بأبي الحسين . (وهو سيكنيه بعد قليل بأبي عبد الله) .
(5) الكلابي : على مذهب ابن كلاب في الكلام .
(6) أخلاق الوزيرين : مشحذاً (وكلتاهما بمعنىً) وفي م : مستجداً .
(7) م : من ينبو عليك . . . ويبدو .
(8) أخلاق الوزيرين : 468 .
(9) انظر البيت في عيون الأخبار 1 : 90 والمختار : 95 وديوان المعاني 2 : 244 .
(10) م : ابن الداري .

يــزدحمُ النــاسُ عـلى بــابِــهِ *

فأقبل عليه بغيظ وقال : ما عرفتك الا متعجرفاً جاهلاً ، أما كان لك بالجماعة أسوة ؟!

قلت[1] لأبي السلم نجبة بن عليّ القحطاني الشاعر : أين ابن عباد من ابن العميد ؟ فقال : زرتهما منتجعاً وَرُزْتُهما جميعاً ، كان ابن العميد أعقل وكان يدّعي الكرم ، وابن عباد أكرم ويدعي العقل ، وهما في دعواهما كاذبان وعلى سجيتهما جاريان . أنشدت يوماً على باب ذاك قول الشاعر :

إذا لم يكنْ للمرءِ في ظلِّ دولةٍ[2] جمــالٌ ولا مـالٌ تمنّى انتقــالهــا

ومـا ذاك من بغضٍ لهـا غيـرَ أنـه يؤمِّـل أخـرى فهـو يـرجـو زوالهـا

فرفع إليه إنشادي فأخذني وأوعدني وقال : انج بنفسك ، فإني إن رأيتك بعد هذا أولغتُ الكلابَ دمك . وكنتُ قاعداً على باب هذا منذ أيام فأنشدتُ البيتين على سهو ، فرفع الحديث إليه فدعاني ووهب لي دريهمات وخريقات وقال : لا تتمنَّ انتقالَ دولتنا بعد هذا .

قال : وأبو السلم هذا من أغزر[3] الناسِ في الشعر يحفظ الطِّمَّ والرِّمَّ .

وقال الخليلي[4] : الرجل مجنون ـ يعني ابن عباد ـ وفي طباع المعلمين ، سمعته يقول للتميمي الشاعر : كيف تقول الشعر ؟ وإن قلت كيف تجيد ؟ وان أجدت فكيف تغزر ؟ وان غزرت فكيف تروم غاية وأنت لا تعرف ما الزهلق وما الهبلع وما العثلط وما الجلعلع وما القهقب وما القهبلس وما الخيسفوج وما الخزعبلة وما القذعملة وما العمرّط وما الجرفاس وما اللووس وما النعثل وما الطربال[5] ، وما الفرق بين العذم

(1) أخلاق الوزيرين : 480 .

(2) أخلاق الوزيرين : في دولة امرىء .

(3) م : أعذر .

(4) أخلاق الوزيرين : 482 .

(5) قد ورد أكثر هذه الكلمات مصحفاً ، وهي من الوحشي ، وللفظة الواحدة عدة معان أحياناً ، فنكتفي هنا بقدر من الإيجاز ضروري في تفسيرها : الزهلق : الحمار السمين ، الهبلع : الشديد البلع ، العثلط : اللبن الخاثر ، الجلعلع : الضبع ، القهقب ، الضخم الصلب ، القهبلس : المرأة الضخمة ، =

والـرذم[1] ، والحـدم والحـذم[2] ، والقضم والخضم[3] ، والنضـح والـرضـح[4] ، والفصم والقصم[5] ، والقصع والفصع[6] ، وما العبنقس وما الفلنقس[7] ، وما الوكواك والـزونك[8] ، ومـا الخيتعور واليستعـور[9] ، وما الستعـون[10] ومـا الحـرذون ومـا الحلزون ، وما القفندر وما الجمعليل[11] قال الشاعر :

جـاءت بحفٍّ وحـنيـنٍ وَزَجَـل   جـاءت تمشّى وهي قدّام الابـل

مَشْيَ الجمعليلة بـالخَـرْقِ النَّقِـلْ

قال : ورأيت بعض الجهال يصحف ويقـول : [بخفٍّ] وحنين ورخل[12] . قلت للخليلي : من عنى بهذا ؟ قال : ابن فارس معلم ابن العميد أبي الفتح . قال الخليلي : أفهذا الضرب من الكلام [مما] يجبُ أن يُفْتَخَرَ بمثله ويتدفّقَ به ؟ إنك يا أبا حيان لو رأيته يمشي وهو يهذي بهذا وشبهه ، ويتفيهق [فيه] ويلوي شدقيه عليه ، ويقذف بالبصاق على أهل المجلس ، لحمدتَ اللّه على العافية مما بلي هذا الرجل

= الخيسفوج : حب القطن ، الخزعبلة : المزاح ، القـذعملة : المرأة القصيـرة ، والعمرط : الخفيف الجسور (م : العرموط ؛ أخلاق : العرومط) ، الجرفاس : الشديد الضخم ، اللووس : الذي يتتبع الحلاوات ويأكلها ، النعثل : ذكر الضبع ، الطربال : البناء المرتفع (وقد أسقط ياقوت عدداً كبيراً مما ورد من هذه الألفاظ في كتاب التوحيدي) .

(1) العذم : العض بالشفة ، والرذم : السيلان والتقطر .

(2) الحدم : الاحماء بشدة ؛ الحذم : القطع .

(3) القضم : الأكل بأطراف الأسنان ، والخضم : الأكل بأقصى الأضراس .

(4) النضح : الرش بالماء ، الرضح : تكسير الحصى .

(5) الفصم : الكسر فيه بينونة ، والقصم : الكسر من غير بينونة .

(6) القصع : العصر بين الظفرين ، الفصع : العصر بين الاصبعين .

(7) العبنقس : السيء الخلق ، الفلنقس : البخيل اللئيم .

(8) الوكواك : الذي يمشي وكأنه يتدحرج ، والزونك : القصير الدميم ، قال الشاعر :

ومـا كنت وكـواكاً ولا بـزونـك

(9) الخيتعور : الخداع ؛ اليستعور : اسم مكان .

(10) وردت في كتاب التوحيدي : السيتعور ، وكلاهما مستبعد .

(11) القفندر : القبيح المنظر ؛ الجمعليلة : الناقة .

(12) كذا هو (على التقدير) ولا أعرف وجه التصحيف فيه على نحو دقيق .

به . وبعد فما بين الشاعر وهذا الضرب ؟ الشاعر يطلب لفظاً حرّاً ، ومعنىً بديعاً ، ونظماً حلواً ، وكلمةً رشيقةً ، ومثلاً سهلاً ، ووزناً مقبولاً .

قال أبو حيان عندما قارب الفراغ من كتابه في أخلاق الوزيرين[1]: ولولا أنّ هذين الرجلين ـ أعني ابن عباد وابن العميد ـ كانا كبيري زمانهما ، وإليهما انتهت الأمور ، وعليهما طلعتْ شمسُ الفضلِ ، وبهما ازدانت الدنيا ، وكانا بحيث يُنْشَرُ الحسنُ منهما نشراً ، والقبيحُ يؤثر عنهما أُثرا ، لكنتُ لا أتسكّعُ في حديثهما هذا التسكع ، ولا أنحي عليهما بهذا الحد ، ولكنَّ النقصَ ممن يدَّعي التمام أشنع ، والحرمانَ من السيد المأمول فاقرة ، والجهلَ من العالم منكر ، والكبيرةَ ممن يدَّعي العصمةَ جائحةٌ ، والبخلَ ممن يتبرأ منه بدعواه عجيب ، ولو أردتَ مع هذا كلّه أن تجدَ لهما ثالثاً في جميع من كَتَبَ للجيل والديلم إلى وقتك هذا المؤرخ في الكتاب لم تجد .

قال[2] : وقال ابن عباد يوماً : كان أبو الفضل ـ يعني ابن العميد ـ سيّداً ولكن لم يشقّ غبارنا ، ولا أدرك شَرارنا[3] ، ولا مَسَحَ[4] عذارنا ، ولا عرف غرارنا ، لا في علم الدين ، ولا فيما يرجع إلى نفع المسلمين ؛ فاما ابنه فقد عرفتم قَدْرَهُ في هذا وفي غيره ، طيَّاش قلاش[5] ، ليس عنده إلا قاش وقماش[6] ، مثل ابن عياش والهروي الحواش . . . وولدتُ والشعرى في طالعي ، ولولا دقيقة لأدركتُ النبوة ، وقد أدركتُ النبوةَ إذ قمتُ بالذبِّ عنها والنصرةِ لها فمن ذا يجارينا ويبارينا ويغارينا ويسارينا ويشارينا[7] .

قال[8] : وسمعته يقول لابن ثابت : جعلك اللّه ممن إذا خرىء شطّر ، وإذا بال

(1) أخلاق الوزيرين : 531 .
(2) أخلاق الوزيرين : 170 ، 172 .
(3) م وأخلاق الوزيرين : شوارنا .
(4) م : فسح .
(5) قلاش : أظن صوابه « فياش » وهو المتفجح النفاخ بالباطل .
(6) فاش وقماش ؛ الصواب : قشاش ، وهو تطلب الأكل من ها هنا وها هنا ، وكذلك القماش .
(7) يغارينا : يوالينا من الموالاة أي يأتي تالياً لنا . ويسارينا : يباهينا في السرو ؛ ويشاري : يلاجج .
(8) أخلاق الوزيرين : 173 .

قطّر ، وإذا فسا غبّر ، وإذا ضرط كبَّر ، وإذا عفج عبَّر . قال : وهذا سخفٌ لا يليقُ بأصحاب الفرضة والذين اختلفوا إلى الخندق ودار بانوكة والزبيدية والرمادة والخلد .

قال[1] : وأنشد أبو دلف الخزرجي :

يـا ابـن عبـاد بـن عبـا ... س بـن عبـد اللّه جِـرْهَـا
تـنكـر الـجـبـر وقـد أُخْـ ... ـرِجْتَ من دنيـاك كَـرْهـا

قال[2] : على أن عطاء ابن عباد لا يزيد على مائة درهم وثوب ، إلى خمسمائة ، وما يبلغ إلى الألف نادر ، وما يوفي على الألف بديع ، بلى قد نال به ناسٌ من عرض جاهه على السنين ما يزيد قدره على هذا بأضعاف ، وعدَدُ هؤلاءِ قليلٌ جدّاً ، وذلك بابتذال النفس وهتك الستر .

قال[3] : ولقد بلغ من ركاكته أنه كان عنده أبو طالب العلوي ، فكان إذا سمع منه كلاماً يسجعُ فيه ، وخبراً ينمّقه [ويرويه] يَبْلُقُ[4] عينيه ، وينشز[5] منخريه ، ويُري أنه قد لحقه غَشْيٌ حتى يُرَشَّ على وجهه ماءُ الورد ، فإذا أفاق قيل : وما أصابك ؟ ما عراك ؟ ما الذي نالك وتغشَّاك ؟ فيقول : ما زال كلامُ مولاي يـروقني ويؤنقني حتى فارقني لبي وزايلني عقلي[6] واسترخت[7] مفاصلي ، وتخاذلت عرى قلبي ، وذهل ذهني[8] ، وحيـل بيني وبين رشـدي ، فيتهلّلُ وجـهُ ابن عبـاد عنـد ذلـك ويتنفَّش ويضحك[9] عجباً وجهلاً ، ثم يأمر له بالحباء والتكرمة ، ويقدّمه على جميع بني أبيه وعمه ، ومن ينخدعُ هكذا فهو بالنساءِ الرُّعْنِ أشبهُ وبالصبيان الضعاف أمثل .

(1) أخلاق الوزيرين : 174 .
(2) أخلاق الوزيرين : 193 .
(3) أخلاق الوزيرين : 195 .
(4) قد تكون « يبرّق » (وهذا اقتراح من الأستاذ النشاشيبي) مع أن يبلق صحيحة . قلت : ويبرق من قولهم : « برق لمن لا يعرفك » .
(5) م : وينشر ؛ والقراءة « وينشز » مما اقترحه الأستاذ النشاشيبي .
(6) أخلاق الوزيرين : ذهني .
(7) م : وانشرحت .
(8) أخلاق الوزيرين : عقلي .
(9) أخلاق الوزيرين : ويضمحل .

وذكر الوزير أبو سعد منصور بن الحسين الآبي في « تاريخه » من جلالةِ قَدْرِ الصاحب وَعِظَمِ قدره في النفوس وحشمته ما لم يُذْكَرْ لوزيرٍ قبله ولا بعده مثله ، وأنا ذاكرٌ ما ذكر على ما نَسَقَهُ ، قال : توفيت أمُّ كافي الكفاةِ بأصبهان ، وورد عليه الخبر فجلس للتعزية يومَ الخميس للنصف من محرم سنة أربع وثمانين وثلاثمائة ، وركب إليه سلطانه ووليُّ نعمتِهِ فخرُ الدولة بن ركن الدولة معزياً ، ونزل وجلس عنده طويلاً يعزِّيه ويسكّن منه ، وبسط الكلام معه بالعربية ، وكان يفصح بها ، فسمعتُهُ يقولُ حين أراد القيام : أيها الصاحب هذا جرحٌ لا يندمل ، فأما سائر الأمراء والقواد مثل مَنُوجِهْرَ بن قابوس ملكِ الجبل وفولاذَ بن مانادر أحدِ ملوك الديلم وأبي العباس الفيروزان بن خالة فخر الدولة وغيرهم من الأكابر والأماثل فانهم كانوا يحضرون حفاةً حُسَّراً ، وكان كلُّ واحدٍ منهم إذا وقعتْ عينه على الصاحب قبَّل الأرض ، ثم يوالي بين ذلك إلى أن يقرب منه ويأمره بالجلوس فيجلس ، وما كان يتحرك ولا يستوفز لأحدٍ ، بل كان جالساً على عادته في غير أيام التعزية ، فلما أراد القيامَ من المعزَّى بعد الثالث كان أولَ من أمر أنْ تُقَدَّمَ إليه اللالكة[1] منوجهر بن قابوس ، فإنه قال : يُحْمَلُ إلى أبي منصور ما يلبسه ، فقدم إليه ومنع من الخروج من الدار حافياً ، ثم قدَّم بعد ذلك الحجّابُ والحاشية اللالكات[2] إلى الجماعة ، فعتب فولاذ بن مانادر والفولاذريدية عليه ذلك وقالوا : ميز منوجهر من بين الجماعة ، فاحتجَّ الصاحب ببيته العظيم ورياسته القديمة .

قال : وخطب كافي الكفاة ابنة أبي الفضل ابن الداعي لسبطه عباد بن الحسين ، ووقع الإملاكُ في داره يومَ الخميس لأربع خلون من شهر ربيع الأول سنة أربع وثمانين وكان يوماً عظيماً احتفل فيه كافي الكفاة ، ونثر من الدنانير والدراهم شيئاً كثيراً ، ولذلك أنفذ فخر الدولة له على يدي أحد حجابه الكبار إلى هناك من النثار ما زاد على مائة طبق عيناً وورقاً ، وحضر الفولاذريدية بأسرهم ، فإن الابنة المزوجة كانت ابنة ديكونه بنت الحسن بن الفيروزان خالة فخر الدولة ، وكان القومُ أخوالَها ، وأضافهم

(1) م : اللكتا .
(2) م : اللكات .

الصاحب ، وَنُصِبَتْ مائدةٌ عظيمة في بيتٍ طوله يزيدُ على خمسين ذراعاً ، وكانت بطول البيت ، وأجلس عليه ستة أنفس ، وكان فولاذ بن مانادر وكبات بن بلقسم في الصدر ، وبجنب فولاذ أبو جعفر ابن الثائر العلوي ، وبجنبه الآخر أبو القاسم ابن القاضي العلوي ، ودون أحد العلويين كاكي بن يشكرزاد ، ودون الآخر مرداويج الكلاري ، ووقف أبو العباس الفيروزان وعبد الملك بن ماكان للخدمة ، ووقف كافي الكفاة أيضاً ساعةً ، ووقف جميعُ أكابر الكتاب والحجاب مثل الرئيس أبي العباس أحمد بن إبراهيم الضبي وأبي الحسين العارض وأخيه أبي علي وابنه أبي الفضل وأبي عمران الحاجب وغيرهم إلى أن فرغ القومُ من الأكل ، ثم أكل هؤلاء مع الصاحب على مائدة مفردة . وأما قاضي القضاة والأشرافُ والعدولُ فإنهم أطعموا على مائدة أخرى في بيت آخر .

قال : وكان نصر بن الحسن بن الفيروزان ، وهو خال فخر الدولة ، مقداماً شجاعاً قليل المبالاة ، قد استعصى على فخر الدولة واقتطع قطعةً من بلاده وتغلب عليها ، واحتال على جماعةٍ منَ عساكره فقتلهم بأنواع القتل ، ثم كسر له عدة عساكر ، إلى أن تكاثرت عساكر فخر الدولة فكسرته وشتتت جموعه ، وهرب نحو خراسان حتى صار إلى إسفرايين ، ثم بدا له أن سلك طريقَ المفازةِ فيها حتى ورد الريَّ ليلة الجمعة لستٍ بقين من شوال سنة أربع وثمانين ، وقصد في الليل بابَ كافي الكفاة مستجيراً به ومستعطفاً له ، فلم يَلِنْ له وَرُدَّ إلى دار بعض حجاب فخر الدولة فحبس فيها .

قال الوزير أبو سعد : وكنتُ في هذه الليلة بحضرة كافي الكفاة ، فأتاه الحاجبُ وقد مضى هزيعٌ من الليل ، فأخبره بوقوف نصر بن الحسن بن الفيروزان على الباب خاشعاً متضرعاً ، فرأيته قد تحيَّر في الأمر ساعةً ثم راسله بأن السلطان الأعظم - يعني فخر الدولة - ساخطٌ عليك ، ولا يجوز لي أن آذنَ لكَ في دخول داري إلا بعد أن ترضاه وتستعطف قلبه ، فإذا عفا عنك ورجع لك فالدار بين يديك وأنا معينٌ لك . فعاد الحاجب إليه بذلك ورجع فقال : إنه امتنع من العود وقال : إنما جئتُ إلى الصاحب لائذاً به ومنقطعاً إليه ، ولا أعرف غيره ، وهو يحتاج أن يدبّر أمري ويجيرني ويحامي عليّ ويذبَّ عنّي ، فرأيتُ الصاحب وقد ميّل رأيه بين إحدى خصلتين : إما أن يستمرَّ على المنع ولا يأذن له ، وإما أن يأذن له ويجعل داره بما فيها من الخزائن له ، وينتقل هو إلى دار كانت لحاجبه الراوندي وكان قد أضافها بعد موت هذا الحاجب إلى داره .

ثم تقرر رأيه على صرفه ، واستمرّ نصرٌ على الالحاح في الخضوع والاجتهاد أن يأذن له في الدخول ، وانتقل من الباب الكبير إلى باب الخاصة ، وسأل واجتهد ، إلى أن جاءه من قبل فخر الدولة علوسةُ الحاجبُ وحبسه وكان هذا الفعلُ من الصاحب مستهجناً تَعَجَّبَ الناسُ منه ، وتحدثوا به واستقبحوه مع ما اظهره نصر من الاستكانة والاستجارة به . وأظنّ أنه لم يفعل ذلك إلا لأنه جَبُنَ عنِ الاجتماع معه في دار واحدة مع العداوة المتأكدة بينهما والضغينة الراسخة في قلبِ كلٍّ واحدٍ منهما .

ثم ذكر وفاةَ الصاحب في الوقت الذي ذكره غيره ، وكما ذكرناه آنفاً ، ثم قال : وتوفي فخر الدولة عشيةَ يوم الثلاثاء عاشر شعبان ، وكان مبلغ عمره أربعاً وأربعين سنة وستة أشهر وأياماً ، ثم وصف أخلاقه وجيوشه وقلاعه وأمواله التي خلفها ثم قال : فاما أمر الوزارة في أيامه فكانت أشهرَ من أن يُحْتَاجَ إلى ذكرها ، فإن أوّلَ وزرائه كان كافي الكفاة ، وأسنّةُ الأقلام وعَذَباتُ الألسنة تكلُّ دون أيسرِ أوصافه وأدنى فضائله ، ولولا ما آل إليه أمر الوزارة في هذه الأيام واعتقاد من لم يعلم حالها في ذلك الزمان بأن الأمر لم يزلْ على ما نراه أو قريباً منه وشبيهاً به لأَمْسَكْنَا عن ذكره ، ولكنا نذكر يسيراً من أحواله ، فإن هؤلاء الذين ذكرناهم من أبناء الملوك والأمراء والقواد وسائر من ساواهم من الزعماء والكبار مثل أولاد مؤيد الدولة وابن عز الدولة ومنوجهر بن قابوس بن وشمكير وأبي الحجاج ابن ظهير الدولة وأسفهبذ بن أسفار وحسن بن وشمكير وفولاذ بن مانادر ونصر بن الحسن بن الفيروزان وأبي العباس الفيروزان بن الحسن بن الفيروزان وكبات بن بلقسم بن الفيروزان وحيدر بن وهسوذان وكيخسرو بن المرزبان بن السلار وجستان بن نوح بن وهسوذان وشيرزيل بن سلار بن شيرزيل ، وكان في يد كلٍّ واحدٍ من هؤلاء من الإقطاع ما يبلغُ ارتفاعُهُ خمسين الف دينار وما دونها إلى عشرين الف دينار ، ومن اكابر القوّاد ما يطول تعدادهم يحضرون باب داره ، فيقفون على دوابهم مطرقين لا يتكلم واحد منهم هيبةً وإعظاماً لموضعه ، إلى أن يخرجَ أحدُ خلفاء حجابه ، فيأذنَ لبعض أكابرهم ويصرفَهم جملة ، فكان من يُؤْذَنُ له في الدخول يظنّ أنه قد بلغ الآمال ونال الفوز بالدنيا والآخرة ، فرحاً ومسرةً وشرفاً وتعظيماً ، فإذا حصل في الدار وأذن له في الدخول إلى مجلسه قبّل الأرضَ عند وقوع بصره عليه ثلاثَ مراتٍ أو أربعاً إلى أن يقربَ منه فيجلس من كانت رتبته الجلوس ، إلى أن يقضي كلٌّ واحدٍ

منهم وَطَرَهُ من خدمته ، ثم ينصرفُ بعد أن يقبّلَ الأرض أيضاً مراراً . ولم يكن يقومُ لأحدٍ من الناس ، ولا يشير إلى القيام ، ولا يطمعُ منه أحد في ذلك . ونزل بالصيمرة عند عوده من الأهواز ، فدخل عليه شيخ من زهاد المعتزلة يعرف بعبد اللّه بن اسحاق ، فقام له ، فلما خرج التفت كافي الكفاة وقال : ما قمتُ لأحدٍ مثلَ هذا القيام منذ عشرين سنة ، وإنما فعل ذلك به لزهده ، فإنه كان أحَدَ أبدالِ دهره ، فأما العلم فقد كان يرى من هو أعلم منه فلا يحفل به ؛ وأما هيبته في الصدور ، ومخافتُهُ في القلوب ، وحشمته عند الصغير والكبير والبعيد والقريب ، فقد بلغتْ إلى أن كان صاحبه فخر الدولة ينقبضُ عن كثيرٍ مما يريده بسببه ، ويمسك عما تَشْرَهُ إليه نفسُهُ لمكانه ، وقد ظهر ذلك للناسِ بعد موته وانبساط فخر الدولة فيما لم يكن من عادته ، فعلم أنه كان يزمُّ نفسه لحشمته ، ثم كان يحله محل الوالد إكراماً وإعظاماً ، ويخاطبه بالصاحب شفاهاً وكتاباً ، فأما أكابر الدولة فكان الواحد إذا رأى أحدَ حجابه ، بل أحدَ الأصاغر من حاشيته ، فإن فرائصَهُ كانت ترتعد ، وجوانحه كانت تصطفق ، إلى أن يعلم ما يريده منه ويخاطبه به . وتظلمت إليه امرأة من صاحبٍ لفولاذ بن مانادر ، وذكرتْ أنه ينازعها في حقّ لها ، فما زاد على أن التفتَ إلى فولاذ ، وكان في موكبه يسير خلفه ، فَبُهِتَ وتحير وارتعد ، ووقف ولم يبرح إلى أن سار كافي الكفاة ، ثم أرسل مع المرأة من أرضاها وأزال ظلامتها ، ومثل هذا كثيرٌ يطولُ الكتابُ ببعضه ، فكيف أن نُوضِعَ(1) في كله . وأما أسبابُهُ وحاشيته وهيبته ورتبته فإن من أيسرها كان له عدةٌ من الحجاب منهم مَنْ على مربطه ثلاثمائة رأس من الدوابّ أو ما يقاربها ، وكانت أحوال بلكا الحاجب تزيد على ذلك زيادة كثيرة ، فإنه كان على مربطِ خليفةٍ له يعرف بيزد مئة(2) من الخيل العتاق الموصوفة ، وكان لا يستغني عنها لأنه كان موصوفاً بحفظ الطرق وَطَلَبِ الأكراد وأهلِ العَيْثِ وصيانةِ السابلة. وكان ما يخرجُ لكافي الكفاة في السنة في وجوه البرِّ والصدقاتِ والمبرّاتِ وَصِلاتِ الأشراف وأهل العلم والغرباء الزوّار ومن يجري مجرى ذلك مما يتكلفه ويريد به صيتَ الدنيا وأجرَ الآخرة يزيد على مائة الف دينار . وانتقلت الوزارة عنه إلى أبي العباس أحمد بن إبراهيم الضبي وأبي علي

(1) م : يضع ، والتصويب تقديري . (2) م : بيزيلة .

الحسن بن أحمد بن حمولة ، والسياسة التي قد سنها هو باقية ، وحشمة الوزارة ثابتة ، والأمورُ على ما عهد في أيامه جارية . وكان لهما من الحشم والحاشية والتجمل والزينة مثلُ ما كان له بل كانا فوقه في الغنى والثروة ، وان لم يلحقاه في الفضل والمكرمة .

قال غرس النعمة : حدث أبو إسحاق إبراهيم بن عيسى النصيبي قال : كان أبو الفتح علي بن أبي الفضل بن العميد قد دبَّر على الصاحب ابن عباد حتى أزاله عن كَتْبَةِ الأميرِ مؤيد الدولة ، وأبعده عن حضرته بالريِّ إلى أصفهان ، وانفرد هو بتدبير الأمور لمؤيد الدولة كما كان يدبرها لأبيه ركن الدولة ، واستدعى يوماً ندماءه وعبأ لهم مجلساً عظيماً ، وأظهر من الزينة وآلات الفضة والذهب والصيني وما شاكله ما يفوتُ الحصر ، وشرب واستفزَّه الطربُ ، وكان قد شرب يومه وليلته ، فعمل شعراً غني به وهو :

دعوتُ المنى ودعوتُ العلا ... فلما أجابا دعوتُ القدحْ
وقلتُ لأيام شَرْخِ الشبابِ ... ألا إنَّ هذا أوانُ الفرحْ
إذا بلغ المرءُ آمالَهُ ... فليس له بعدها مُقْتَرَحْ

فلما غني بالشعر استطابه وشرب عليه إلى أن سكر ، وقال لغلمانه : غطوا المجلس ولا تسقطوا منه شيئاً لأصطبحَ في غد عليه ، وقال لندمائه : باكروني ، وقام إلى بيت منامه ، وانصرف عنه الندماء ، فدعاه مؤيد الدولة في السحر فلم يشكَّ أنه لمهمّ ، فقبض عليه ، وأنفذ إلى داره من استولى على جميع ما فيها وأعاد ابنَ عباد إلى وزارته ، وتطاولت بابن العميد النكبة حتى مات فيها كما ذكرناه في ترجمته . ثم وزر ابن عباد بعد مؤيد الدولة لأخيه فخر الدولة أخي عضد الدولة ، فبقي في الوزارة ثماني عشرة سنة وشهوراً ، وفتح خمسين قلعة سلَّمها إلى فخر الدولة لم يجتمع عَشْرٌ منها لأبيه ولا لأخيه .

وسمع الصاحبُ الحديثَ وأملى ، فحدث أبو الحسن علي بن محمد الطبري الكيا قال : لما عزم الصاحب ابن عباد على الاملاء ، وهو وزير ، خرج يوماً متطلّساً متحنكاً بزيّ أهل العلم فقال : قد علمتم قدمي في العلم ، فأقرّوا له بذلك فقال : وأنا متلبّس بهذا الأمر وجميع ما أنفقته من صغري إلى وقتي هذا من مال أبي وجدي ، ومع

هذا فلا أخلو من تبعات أُشهدُ اللّه وأشهدكم أني تائبٌ إلى اللّه من ذنب أذنبته . واتخذ لنفسه بيتاً وسماه بيت التوبة ، ولبث أسبوعاً على ذلك ، ثم أخذ خطوطَ الفقهاء بصحةِ توبته ، ثم خرج فقعد للاملاء ، وحضر الخلق الكثير ، وكان المستملي الواحد ينضاف إليه ستة ، كلٌ يبلّغ صاحبه ، فكتبَ الناسُ حتى القاضي عبد الجبار .

وأهدى إليه العميدي[1] قاضي قزوين كتباً وكتب معها :

العميدي[2] عبدُ كافي الكفاةِ — وإن اعتُدَّ في وجوهِ القضاةِ
خدم المجلسَ الرفيعَ بكتبٍ — مفعماتٍ من حسنها مترعاتِ

فوقع الصاحب تحتها :

قد قبلنا من الجميع كتاباً — ورددنا لوقتها الباقياتِ
لستُ أستغنمُ الكثيرَ فطبعي — قول خُذْ ليس مذهبي قول هاتِ

حدَّث أبو الرجاء الضرير الشطرنجي العروضي الشاعر الأهوازي بالأهواز قال : قدم علينا الصاحب ابن عباد في السنة التي جاء فيها فخر الدولة ، ولقيه الناس ومدحه الشعراء ، فمدحته بقصيدة قلت فيها :

إلى ابن عبادٍ أبي القاسم الـ — ـصاحب إسماعيلَ كافي الكفاهْ

فقال : قد كنت واللّه أشتهي بأن تجتمع كنيتي واسمي ولقبي واسم أبي في بيت فلما انتهيت إلى قولي فيها :

ويشرب الجيشُ هنيئاً بها

فقال : يا أبا الرجاء أمسك فامسكت فقال :

ويشربُ الجيشُ هنيئاً بها — من بعد ماءِ الريّ ماءَ الصَّراهْ[3]

هكذا هو؟ قلت : نعم ، قال : أحسنت ، قلت : يا مولاي أحسنت أنت ، عملت أنا هذا في ليلة وأنت عملته في لحظة .

---

(1) اليتيمة 3 : 198 .
(2) م واليتيمة : العميري .
(3) الوافي : الفراه .

قال عبد اللّه الفقير إليه : وممن ذكر نسبَ الممدوح كاملاً الحارث الدئلي في عاصم بن عمرو بن عثمان بن عفان :

إليك ابن عثمان بن عفان عاصم بـــــن عمرو سرت عيسي فطال سُرَاها

ومن مستحسن شعر الصاحب :

دعتنيَ عينـاك نحـو الصبـا دعـاءً تكـرَّرَ في كـلِّ سـاعـهْ
فلولا وحقِّـك عُـذْرُ المشيب لقلتُ لعينيـك سمعاً وطـاعَـهْ

وحدث البديع الهمذاني قال[1] : كان بعض الفقهـاء ويعرف بـابن الحضيري يحضر مجلس الصاحب بالليالي فغلبته عينه ليلة فنام وخرجت منه ريح لها صوت ، فخجل وانقطع عن المجلس ، فقال الصاحب : أبلغوه عني :

يا ابن الحضيريِّ لا تذهبْ على خجلٍ لحـادثٍ كـان مثـلَ النـاي في العـودِ
فـإنهـا الـريـحُ لا تسـطيـع تحبسهـا إذ لسـتَ أنـت سـليـمـانَ بـن داودِ

ولأبي بكر الخوارزمي في ابن عباد :

لا تحمـدنَّ ابنَ عبـادٍ وان هـطلت كفَّـاهُ يومـاً ولا تـذْمُمْـهُ إنَ حَـرمَـا
فـإنهـا خـطراتٌ من وسـاوسـه يُعـطي ويمنعُ لا بخـلاً ولا كـرمَـا

فلما مات الخوارزمي بلغ الصاحبَ وفاته فقال :

أقـولُ لركبٍ من خـراسـان رائحٍ أمـات خـوارزميُّكُمْ قيـل لي نعمْ
فقلتُ اكتبوا بالجصِّ من فوق قبره «ألا لعن الـرحمنُ مَنْ كَفَرَ النِّعَمْ»

وحدث أبو الحسن ابن أبي القاسم البيهقي في «كتاب مشارب التجارب» وذكر الصاحب فقال : أبو القاسم إسماعيل بن عباد بن عباس الوزير ابن الوزير ابن الوزير ، كما قال الرستمي فيه :

ورث الـوزارة كـابـراً عن كـابـر مـوصـولـةَ الإسنـادِ بـالاسنـادِ
يـروي عن العبـاس عبـادُ وزا رتـه وإسـمـاعيـلُ عـن عبـادِ

---

(1) اليتيمة 3 : 202 .

قال : وولد بكورة فارس في ذي القعدة سنة ست وعشرين وثلاثمائة ، ومدحه خمسمائة شاعر من أرباب الدواوين . وممن كان ببابه قاضي القضاة عبد الجبار بن أحمد الأسداباذي ، وكان قد فوَّض إليه قضاء همذان والجبال . واستقبل القاضي عبد الجبار الصاحبَ يوماً فلم يترجلْ له ، فقال : أيها الصاحب أريد أن أترجل للخدمة ولكن العلم يأبى ذلك . وكان يكتب في عنوان كتابه « إلى الصاحب : داعيه عبد الجبار بن أحمد » ثم كتب « وليه عبد الجبار بن أحمد » ثم كتب « عبد الجبار بن أحمد » فقال الصاحب لندمائه : أظنه يؤول أمره إلى أن يكتب الجبار .

وأنشد الصاحب لنفسه يرثي :

يقولون لي أودى كثيرُ بن أحمدٍ وذلك رزءٌ ما علمت جليلُ
فقلتُ دعوني والعلا نبكهِ معاً فمثلُ كثيرٍ في الرجالِ قليلُ

وذكر هلال بن المحسن عن أبي طاهر ابن الحمامي عن الانبراني الكاتب ، قال : ورد إلى الصاحب رجلٌ من أهل الشأم فكان فيما استخبره عنه : رسائلُ مَنْ تُقْرأ عندكم ؟ فقال : رسائلُ ابن عبد كان ، قال : ومن ؟ قال : رسائلُ الصابىء ، وغمزه أحد جلسائه ليقول رسائل الصاحب فلم يفطن ، ورآه الصاحب فقال : تغمز حماراً لا يحسُّ .

وكان صاحب خراسان الملك نوح بن منصور الساماني قد أرسل إلى الصاحب في السرِّ يستدعيه إلى حضرته ويرغِّبه في خدمته ، وبذلَ البذولَ السنية ، فكان من جملة اعتذاره أن قال : كيف يحسن بي مفارقةُ قومٍ بهم ارتفع قدري ، وشاع بين الأنام ذكري ، ثم كيف لي بحمل أموالي ، مع كثرة أثقالي ، وعندي من كتب العلم خاصةً ما يحمل على أربعمائة جمل أو أكثر .

قال أبو الحسن البيهقي : وأنا أقول : بيتُ الكتب الذي بالري على ذلك دليل بعد ما أحرقه السلطان محمود بن سبكتكين ، فإني طالعتُ هذا البيت فوجدتُ فهرست تلك الكتب عشر مجلدات ، فإن السلطان محموداً لما ورد إلى الريّ قيل له ان هذه الكتب كتب الروافض وأهل البدع ، فاستخرج منها كلَّ ما كان في علم الكلام وأمر بحرقه .

وللصاحب من التصانيف : كتاب المحيط باللغة عشر مجلدات . كتاب ديوان رسائله عشر مجلدات . كتاب الكافي رسائل . كتاب الزيدية . كتاب الأعياد وفضائل النوروز . كتاب في تفضيل علي بن أبي طالب وتصحيح إمامة من تقدمه . كتاب الوزراء ، لطيف . كتاب عنوان المعارف في التاريخ . كتاب الكشف عن مساوي المتنبيء . كتاب مختصر أسماء اللّه تعالى وصفاته . كتاب العروض الكافي . كتاب جوهرة الجمهرة . كتاب نهج السبيل في الأصول . كتاب أخبار أبي العيناء . كتاب نقض العروض . كتاب تاريخ الملك واختلاف الدول . كتاب الزيدين . كتاب ديوان شعره .

وقال[1] بعض ولد المنجم بعد وفاة الصاحب وقد استوزر أبو العباس الضبي ولقب بالرئيس وضُمَّ إليه أبو علي ولقب بالجليل :

والـلّهِ والـلّهِ لا أفـلحتـمُ أبـداً   بعـد الوزيـر ابن عباد بن عبـاسِ
إن جاء منكم جليلٌ فاقطعوا أجلي   أو جاء منكم رئيسٌ فاقطعوا راسي

ومن شعر الصاحب[2] :

وشـادنٍ جـمالـهُ   تَـقْصُـرُ عـنـه صفـتـي
أهـوى لـتـقـبيـلِ يـدي   فـقـلت لا بـل شـفـتـي

وله :

قـال لـي إنَّ رقـيـبـي   سـيّء الـخـلق فَـدَارِهْ
قـلتُ دعني وَجْهُـكَ الجنـ   ـةُ حُـفَّـتْ بـالـمكـارهْ

وله أيضاً :

أقـولُ وقـد رأيتُ لـه سحـابـاً   من الهجـرانِ مقبلةً إلـينـا
وقـد سَحَّتْ عـزاليهـا بسكبٍ   حـوالينـا الصـدودُ ولا علينـا

---

(1) اليتيمة 3 : 290 .

(2) اليتيمة 3 : 258 (وكذلك القطعتان التاليتان) .

حدث الوزير أبو العلاء ابن حسول قال : كان دينار المجوسي صدراً في ديوان الري ، وكان مُدَنّراً مُدَرْهَماً مموّلاً ، فكتب رجل إلى الصاحب :

لم لا يُفَرِّقُ في ديوانِ عسكره ... كافي كفاةِ الورى دينارَ دينارِ
فإن أيسرَ ما في قَطْعِ شأفته ... تطهيرُ ديوانه من عابدي النارِ

فقبض عليه وصادره واستوفى منه مالاً عظيماً ، والسبب في ذلك البيتان .

وحدث ابن بابك قال : سمعتُ الصاحبَ يقول : مُدِحتُ والعلم عند اللّه بمائة ألف قصيدة شعراً عربية وفارسية ، وقد أنفقتُ أموالي على الشعراء والأدباء والزوار والقصاد ، ما سُررت بشعرٍ ولا سرني شاعر كما سرني أبو سعيد الرستمي الأصفهاني بقوله :

ورثَ الوزارة كابراً عن كابرٍ ... مرفوعةَ الإسنادِ بالاسنادِ
يروي عن العباس عبادٌ وزا ... رته وإسماعيلُ عن عبادِ

وقال أبو الحسن علي بن الحسين الحسني ختن الصاحب يرثيه :

ألا إنها يمنى المكارم شَلَّتِ ... ونفسُ المعالي إثرَ فقدِكَ سُلَّتِ
حرامٌ على الظلماء إن هي قُوِّضَتْ ... وَحِجْرٌ على شمسِ الضحى إنْ تجلتِ
لتبكِ على كافي الكفاة مآثرٌ ... تباهي النجومَ الزهرَ في حيث حلَّتِ
لقد فدحتْ فيه الرزايا وأوجعتْ ... كما عظمتْ فيه العطايا وجلَّتِ
ألا هل أتى الآفاق أيةُ غمةٍ ... أطَلَّتْ ونعمى أيّ دهرٍ تولتِ
وهل تعلم الغبراءُ ماذا تَضَمَّنَتْ ... وأعوادُ ذاك النعشِ ماذا أقلَّتِ
فلا أبصرت عيني تهلُّلَ بارقٍ ... يحاكي ندى كفَّيْكَ إلا استهلّتِ
ولو قُبلت أرواحنا عنك فديةً ... لجدنا بها عند الفداءِ وقلَّتِ

قال أبو حيان[1] : كان ابن عباد يأتي بالسجع في إثر كلامه مع روية طويلة ، وأنفاس مديدة وحشرجة صدر ، وانتفاخ منخريه ، والتواء شدقيه، وتعويج عنقه ،

(1) هذا النقل وما بعده من نقول عن أبي حيان لم ترد في أخلاق الوزيرين .

واللعب بشاربه وعنفقته ، فلو رأيته يقرِّر المسائلَ على هذه الأمثلة العجيبة والبيان الشافي ، لرأيتَ عجباً من العجائب ، وضرباً من الغرائب .

وقال لي يوماً الشاباشي ، وقد خرجنا من مجلس الصاحب : كيف رأيتَ مولانا الصاحب اليومَ مع هذا التقرير وإظهاره البلاغة الحسنة بين الناس ؟ فقلت : السكوت عن مثله احدى الحسنيين وأحرى الحالتين ، ولكن نعوذ باللّه ممن يزين له الشيطان عمله ويزخرف له قوله . قال لي : كأنه لم يخلق هذا الرجلُ إلا غيظاً لأكباد الأحرار وشفاءً لسقم الأنذال ، لحا اللّه دهراً آل بنا إليه ، وأنزلنا عليه ، وأحوجنا إلى مقاساته ، وألجأنا إلى مجالسته ، وأنشد يقول :

يـا مَنْ تبرَّمَتِ الـدنيا بـطلعتِه كمـا تبـرمتِ الأجفـانُ بـالـرمـدِ
يمشي على الأرض مجتازاً فأحسبُهُ من بُغْضِ طلعته يمشي على كبدي
لو كان في الأرض جزءٌ من سماجته لم يُقْدِم الموتُ إشفاقاً على أحـدِ

قال أبو حيان ، قال لي الشاباشي : أهدى ابنُ عباد إلى صاحبه وقتَ ورودهما إلى الأهواز ديناراً من ضربه وزنه ألف مثقال وكتابته(1) :

وأحمرَ يحكي الشمسَ شكلاً وصورةً فـأوصـافُـهُ مشتقةٌ من صفـاتِـهِ
فـإن قيل دينـارٌ فقد صـدق اسمُـهُ وإن قيـل ألفٌ كان بعضَ سمـاتـهِ
بـديعٌ فلم يُـطْبَعْ على الـدهرِ مثلُهُ ولا ضُـرِبَتْ أضـرابُـه لسـراتـهِ
وصـار إلى شـاهـانشـاه انتسـابُـهُ على أنـه مستصـغَـرٌ لعفـاتـهِ
تفـاءلتُ أنْ يبقى سنينَ كـوزنِـهِ لتستمتـعَ الـدنيـا بـطولِ حيـاتِـهِ
تـأنَّـق فيـه عبـدُهُ وابنُ عبـدِهِ وغـرسُ أياديـه وكـافي كفـاتـهِ

فقال أرأيت أكذب منه حيث قال : فلم يطبع على الدهر مثله ؟ ما كان في الدنيا مَنْ خدم ملكاً بألف دينار ثم قال : « وكافي كفاته » واللّه لو كتبت امرأةٌ بمثله إلى زوجها لكان سمجاً قبيحاً ، فكيف إلى فخر الدولة ؟! مـا أحسن ما كفـاه أمر أبي العـلاء

(1) تاريخ ابن الأثير 9 : 59 (حوادث 378) .

النصراني حين هزمه بعدد قليل ، بعد أن كان في جيش عرمرم ثقيل ، ولكن الدنيا حمقاء خرقاء ولا تميل الا إلى مثلها ، لو كتب المطهر أو نصر بن هارون أو أحد وزراء عضد الدولة إليه بشيء من ذلك لأحرقه بالنار والنفط .

ومن كتاب الروزنامجة : قال الصاحب : ما زال أحداثُ بغداد يذكرونني بابن شمعون المتصوف وكلامه على الناس في مكان الشبلي ، فجمّعت يوماً في المدينة وعليَّ طيلسان ومصمتة ، ووقَفْتُ عليه وقد لبس فوطةَ قصبٍ وقعد على كرسيٍّ ساجٍ ، بوجه حسن ولفظٍ عذب ، فرأيته يقطعُ مسائله بِهَوَسٍ يطّيله ويسهبُ فيه ، فقلت : لا بد من أن أسأله عما أقطعه به، وابتدرتُ فقلت : يا شيخ ما تقولُ في قدسيكونيات العلم إذا وقعت قبل التوهم ؟ فورد عليه ما لم يسمع به ، فأطرق ساعةً ثم رفع رأسه وقال : لم أؤخر إجابتك عجزاً عن مسألتك بل لأعطشك إلى الجواب ، وأخذ في ضرب من الهذيان ، فلما سكت قلت : هذا بعد التوهم ، وإنما سألتك قبله ، إلى أن ضجر فانصرفت عنه .

قرأت بمصر في نسخة باليتيمة للثعالبي عليها خطّ يعقوب بن أحمد بن محمد بالقراءة عليه يرويها عن مؤلفها الثعالبي فوجدت فيها زوائد لا أعرفها في النسخ المشهورة بأيدي الناس منها(1) : حدثني عوف بن الحسين الهمذاني التميمي قال كنتُ يوماً في خزانة الخِلَع للصاحب فرأيتُ في ثَبْتِ الحسباناتِ لكاتبها ، وكان صديقي ، مبلغَ عمائم الخز التي صارت في تلك الشتوة في خلع العلويين والفقهاء والشعراء سوى ما صار منها في خلع الخدم والحاشية ثمانمائة وعشرون ؛ قال : وكان يعجبه الخزُّ ويأمر بالاستكثار منه في داره ، فنظر أبو القاسم الزعفراني يوماً إلى جميع ما فيها من الخدم والحاشية عليهم الخزوز الملوّنة الفاخرة فاعتزل ناحيةً وأخذ يكتب شيئاً ، فسأل الصاحب عنه فقيل له : إنه في مجلس كذا يكتب ، فقال : عليَّ به ، فاستمهل الزعفراني ريثما يتم مكتوبه ، فأعجله الصاحب وأمر أن يؤخذ ما في يده من الدرج ، فقام الزعفراني إليه وقال : أيد اللّه الصاحب :

(1) اليتيمة 3 : 194 .

اسمعــه ممن قالــه تَـزْدَدْ بــه　　عُجْباً فحسنُ الوردِ في أغصــانِهِ

فقال : هات يا أبا القاسم فأنشده أبياتاً منها :

ســواكَ يَعُــدُّ الغنى مــا اقتنى　　ويــأمــرُهُ الحــرصُ أن يخــزنــا
وأنــت ابنَ عبــادٍ الـمــرتـجى　　تـعــدُّ نــوالَــكَ نيــلَ الـمـنى
وخيــرك ، مـن بــاسطٍ كـفَّـه　　وممن ثنــاهــا ، قــريبُ الجنى
غمرتَ الـورى بصنـوفِ النـدى　　فــأصـغــرُ مــا ملكــوه الـغنى
وغــادرتَ أشـعــرهم مفحمــاً　　وأشـكــرهــم عــاجــزاً ألـكـنــا
أيــا مَنْ عـطايــاه تُهْــدِي الغنى　　إلـى راحتَيْ مـن نــأى أو دنــا
كســوتَ المقيمين والــزائــرين　　كســاً لم نخــلْ مثلَهــا ممكنــا
وحــاشيــةُ الــدار يمشــون في　　ضــروبٍ مــن الــخــزِّ إلا أنــا

فقال الصاحب : قرأتُ في أخبار معن بن زائدة أن رجلاً قال له : احملني فأمر له بفرسٍ وبغلة وحمار وناقة وجارية ثم قال : لو علمتُ أن اللّه خلق مـركوبـاً غيرهـا لحملتك عليه ، وقد أمرنا لك من الخز بجبة وقميصٍ وسراويلَ وعمامةٍ ومنديل ومطرف ورداء وجورب ، ولو علمنا لباساً آخر يتخذ من الخز لأعطيناكه ، ثم أمر بادخاله إلى الخزانة وصيِّرتْ تلك الخلع عليه ، وسُلِّم ما فضل عن لبسه في الوقت إلى غلامه .

قال(1) وحدثني أبو عبد اللّه محمد بن حامد الحامدي قال : عهدي بأبي محمد [الخازن] ماثلاً بين يدي الصاحب ينشده قصيدة أولها :

هــذا فـؤادك نُهْبَى بـين أهــواءِ　　وذاك رأيُــكَ شــورى بيـن آراءِ
هواكَ بينَ العيونِ النُّجْـلِ مقتسَمٌ　　داءٌ لعمــركَ مــا أبــلاهُ مـن داءِ
لا تستقـرُّ بـأرضٍ أو تسيـرَ إلى　　أخرى بشخصٍ قريبٍ عزمه نـاءِ
يوماً بحـزوى ويومـاً بالعقيق ويـو　　مـاً بالعُـذَيْبِ ويومـاً بـالخليصـاءِ
وتــارةً تـنتـحي نـجـداً وآونــةً　　شعبَ العقيقِ وطـوراً قَصْرَ تيمـاءِ

(1) اليتيمة 3 : 195 .

قال : فرأيت الصاحب مُقبلاً عليه بمجامعه ، حسنَ الإصغاء إلى إنشاده مستعيداً لاكثر أبياته ، مظهراً من الاعجاب به والاهتزاز له ما يعجب الحاضرين ، فلما بلغ إلى قوله :

أُدْعَى بأسماءَ نبزاً في قبائلها كأنَّ أسماءَ أضحت بعضَ أسمائي
أطلعتُ شعري فألقتْ شَعْرَها طرباً فألَّفا بين إصباحٍ وامساءِ

زحف عن دسته طرباً له ، فلما بلغ إلى قوله في المدح :

لو أن سحبانَ باراهُ لأَسْحَبَهُ على خطابته أذيالَ فأفاءِ
أرى الأقاليمَ قد ألقتْ مقالِدَهَا إليه مستبقاتٍ أيَّ إلقاءِ
فساس سبعتها منه بأربعةٍ أمرٍ ونهيٍ وتثبيتٍ وإمضاءِ
كذاك توحيدُهُ ألوى بأربعةٍ كفرٍ وجبرٍ وتشبيهٍ وإرجاءِ

فجعل يحرك رأسه ويقول : أحسنت أحسنت ، فلما أنهى القصيدة أمر له بجائزة وخلع .

قال الأمير أبو الفضل الميكالي(1) : كتب عاملٌ رقعة إلى الصاحب في التماس شغل وفي الرقعة . إن رأى مولانا أن يأمرَ بإشغالي ببعض أشغاله فعل ، فوقع الصاحب تحتها : من كتب إشغالي لا يصلحُ لأشغالي .

وحدث هلال بن المحسن : ما رئي أحدٌ وُفِّيَ من الإعظامِ والاكبار بعد موته ما وُفِّيَهُ الصاحب ، فإنه لما جُهز ووُضِعَ في تابوته وأُخْرِجَ على أكتاف حامليه للصلاة عليه قام الناسُ بأجمعهم فقبلوا الأرضَ بين يديه ، وخرَّقوا عند ذلك ثيابهم ، ولطموا وجوههم ، وبلغوا في البكاء والنحيب عليه جهدهم . وكان يلبس القباء في حياته تحققاً بالوزارة وانتساباً معها إلى الجندية .

وحدث عن أبي الفتح ابن المقدر قال: كان أبو القاسم ابن أبي العلاء الشاعر من وجوه أهل أصبهان وأعيانهم ورؤسائهم ، فحدثني أنه رأى في منامه قائلا يقول له : لو كاثرت الصاحبَ أبا القاسم ابن عباد مع فضلك وكثرة علمك وجودة شعرك فقلت :

---

(1) اليتيمة 3 : 200 .

أفحمتني كثرة محاسنه ، فلم أدرِ بما أبدأ منها ، وخفتُ أن أقصِّرَ وقد ظُنَّ بي الاستيفاء لها ، فقال : أجز ما أقوله ، قلت : قل ، فقال :

ثوى الجودُ والكافي معاً في حفيرةٍ
فقلت : ليأنسَ كلٌّ منهما بأخيهِ
فقال : هما اصطحبا حيَّيْن ثم تعانقا
فقلت : ضجيعين في لحدٍ بباب ذريهِ
فقال : إذا ارتحل الثاوون عن مستقرِّهِمْ
فقلت : أقاما إلى يوم القيامةِ فيهِ

(باب ذريه : المحلة التي فيها تربته أو ما يستقبلك من اصفهان). وحدث في كتاب الروزنامجه : وانتهيت إلى أبي سعيد السيرافي ، وهو شيخُ البلد ، وفردُ الأدب ، حسن التصرف ، وافر الحظ من علوم الأوائل ، فسلمت عليه وقعدت إليه ، وبعضهم يقرأ « الجمهرة » فقرأ أَلْمَقْتُ فقلت إنما هو لَمَقْتُ ، فدافعني الشيخ ساعةً ثم رجع إلى الأصل فوجد حكايتي صحيحة ، واستمرَّ القارىء حتى أنشد وقد استشهد :

رسم دارٍ وقفتُ في طَلَلِهْ كدتُ « أقضّي » الغداةَ من جلله[1]

فقلت : أيها الشيخ هذا لا يجوز والمصراعان على هذا النشيد يخرجان من بحرين لأن :

رسم دار وقفت في طلله
فاعلاتن مفاعلن فعلن
كدت «أقضّي» الغداة من جلله
مفتعلن فاعلاتن مفتعلن

فذاك من الخفيف وهذا من المنسرح ، فقال : لم لا تقول الجميع من المنسرح والمصراع الأول مخزوم ؟ فقلت : لا يدخل الخزمُ هذا البحرَ لأنه أوله مستفعلن

(1) البيت لجميل بثينة ، ورسم مجرور بـ «رب» .

مفاعلن ، هذه مزاحفة عنه ، وإذا حذفنا متحرّكاً بقينا ساكناً ، وليس في كلام العرب ابتداء به وانما هو :

كـــدت أقضي الغـــداة مَن جلله

بتخفيف الضاد فأمر بتغييره ، ورفعني إلى جنبه ، وابتدأ فقرىء عليه من « كتاب المقتضب » باب ما يجرى وما لا يجرى ، إلى أن ذكر وسَحَرَ ، وأنه لا ينصرف إذا كان لسحر بعينه ، لأنه معدول عن الأول ، فقلت : ما علامة العدل فيه ؟ فقال : أنا قلنا السحر ثم قلنا سحر ، فعلمنا أن الثاني معدول عن الأول ، قلت : لو كان كذلك لوجب أن تطّرد العلة في عتمة ، لأنك تقول العتمة ، ثم تقول عَتَمَة ، فضجر واحتدَّ وصاح واربدّ ، وادعيت أنه ناقص والتمس التحاكم ، فكتبت رسالةً أخذت فيها خطوطَ أهل النـظر ، وقد أنفـذت دَرْجَ كتابي نسختهـا ، وفيها خط أبي عبـد الله بن رذامـر عين مشايخهم ، ورأيت الشيخ بعد ذلك عزيزاً فاضلاً متوسعاً عالماً فعلقت عليه ، وأخذتُ عنه وحصلت تفسيره لكتاب سيبويه وقرأت صدراً منه . وهناك أبو بكر ابن مقسم ، وما في أصحاب ثعلب أكثرُ درايةً وما أصحُّ روايةً منه ، وقد سمعتُ مجالسه وفيها غرائبُ ونكت ، ومحـاسنُ وَطُرَفٌ ، من بين كلمـة نادرة ، ومسـألة غـامضة ، وتفسيـرِ بيتٍ مشكل ، وحلِّ عقدٍ معضل . وله قيامٌ بنحوِ الكوفيين وقراءتهم ورواياتهم ولغـاتهم . والقـاضي أبو بكـر ابن كامـل بقية الـدنيا في علوم شتى ، يعْـرِفُ الفقـهَ والشـروطَ والحديث ، وما ليس من حديثنا ، ويتوسع في النحو توسعاً مستحسناً ، وله في حفظِ الشعر بضاعةٌ واسعة ، وفي جَوْدَةِ التصنيف قوةٌ تامة ، ومن كبـار رواة المبرد وثعلب والبحتري وأبي العيناء وغيره ، وقد سمعتُ صدراً صالحاً مما عنده . وكنت أحبُّ أن أسمع كلامَ أهل النظر بالعراق لما تتابع في حذقهم من الأوصاف ، وذكر أبا زكرياء يحيى بن عدّي وغيره ومناظرات جرت هناك يطول شرحها .

وحدث عن أبي نصر ابن خواشاده أنه قال: ما غبطتُ أحداً على منزلة كما غبطتُ الصاحب أبا القاسم ابن عباد ، فانا كنا مقيمين بظاهر جرجان مع مؤيد الدولـة على حرب الخراسانية ، فدخل الصاحب إلى داره في البلد آخر نهار يومٍ لحضور المجلس الذي يعقده لأهل العلم ، وتحته دابّة رهواء وقد أرسل عنانه ، فرأيت وجوهَ الـديلم

وأكابرهم من أولاد الأمراء يَعْدُونَ بين يديه كما تعدو الركابية . وكان عضد الدولة يخاطب شيخنا خطاباً لا يشرك معه فيه إلا أنه كان يقلّ مكاتبته ، وكانت الكتب من عضد الدولة إنما ترد على لسانِ كاتبه أبي القاسم عبد العزيز بن يوسف .

ولما وجدت الشعراء لبضائعها عند ابن عباد نفاقاً وسوقاً أهدوا نتائج أفكارهم إلى حضرته وساقوها نحوه سوقاً . فذكر الثعالبي قال[1] : واحتفَّ بـه من نجوم الأرض وأفرادِ العصر وأبناءِ الفضل وفرسانِ الشعر من يُرْبي عددهم على شعراء الرشيد ، ولا يقصِّرونَ عنهم في الأخذ برقاب القوافي ، ومَلْكِ رقّ المعاني ، فإنه لم يجتمع بباب أحدٍ من الخلفاء والملوك مثلُ ما اجتمع بباب الرشيد من فحولةِ الشعراء المذكورين ، كأبي نواس وأبي العتاهية والعتابي والنمري ومسلم بن الوليد وأبي شيص وابن أبي حفصة ومحمد بن مناذر ، وجمعت حضرةُ الصاحب بأصبهان والري وجرجان مثل أبي الحسين السلامي وأبي سعيد الرستمي وأبي القاسم الزعفراني وأبي العباس الضبي والقاضي الجرجاني وأبي القاسم ابن أبي العلاء وأبي محمد الخازن وأبي هاشم العلوي وأبي الحسن الجوهري وبني المنجم وابن بابك وابن القاشاني والبديع الهمذاني وإسماعيل الشاشي وأبي العلاء الأسدي وأبي الحسن الغويري وأبي دلف الخزرجي وأبي حفص الشهرزوري وأبي معمر الاسماعيلي وأبي الفياض الطبري وغيرهم ممن لم يبلغني ذكره أو ذهب عني اسمه ، ومدحه مكاتبةً الرضيّ الموسوي وأبو إسحاق الصابىء وابن الحجاج وابن سكرة وابن نباتة وغيرهم ممن يطول ذكره .

وكتب أبو حفص الأصفهاني[2] الوراق إلى الصاحب رقعة نسختها : لولا أن الذكرى ـ أطال اللّه بقاءَ مولانا الصاحب الجليل ـ تنفعُ المؤمنين ، وهزَّ الصمصام يعين المصلتين ، لما ذكَّرتُ ذاكراً ، ولا هززتُ ماضياً ، ولكن ذا الحاجة يستعجل النُّجْحَ ، ويكدُّ الجوادَ السمح ، وحالُ عبدِ مولانا في الحنطة متخلفة ، وجرذان داره عنها منصرفة ، فإن رأى أن يخلط عبده بمن أخصب رَحْلُهُ ، فلم يشدَّ رحله ، فَعَلَ إن شاء اللّه تعالى . فوقع على رقعته : أحسنت يا أبا حفص قولاً ، وسنحسن فعلا ، فبشر

---

(1) اليتيمة 3 : 193 .

(2) اليتيمة 3 : 199 .

جرذان دارك بالخصب ، وأمنها من الجدب ، فالحنطة تأتيك في الأسبوع ، ولست عن غيرها من النفقة بممنوع ، ان شاء اللّه تعالى .

قال[1] : وحدثني أبو الحسن الدارمي[2] المصيصي قال : انتحل فلان ـ يعني بعض المتشاعرين ـ بحضرة الصاحب شعراً له ، وبلغه ذلك فقال : أبلغوه عني :

سرقتَ شعري وغيري ... يُضامُ فيه ويُخْدَعْ
فسوف أجزيكَ صفعاً ... يكدّ رأساً وأخدعْ
فسارقُ المال يقطعْ ... وسارقُ الشعرِ يصفعْ

قال : فاتخذ الليل جملاً وهرب من الري .

وحدث عن عون بن الحسين الهمذاني قال[3] : سمعت أبا عيسى ابن المنجم يقول : سمعت الصاحب يقول : ما استأذنت على فخر الدولة وهو في مجلس الأنس إلا وانتقل الى مجلس الحشمة فأذن لي فيه ، وما أذكر أنه تبذَّلَ بين يديَّ أو مازحني قط إلَّا مرة واحدة ، فإنه قال لي : بلغني أنك تقولُ إن المذهبَ مذهبُ الاعتزال ، والنيك نيك الرجال ، فأظهرتُ الكراهةَ لانبساطه وقلت : بنا من الجِدِّ ما لا نفرغُ معه للهزل ، ونهضتُ كالمغاضب ، فما زال يعتذر إليَّ مراسلةً حتى عاودتُ مجلسه ، ولم يعد بعدها إلى ما يجري مجرى الهزل والمزح .

ولما أتت الصاحب[4] البشارةُ بسبطه عباد بن علي الحسني ـ ولم يكن للصاحب ولد غيرها ، وكان قد زوّجها من أبي الحسن علي بن الحسين الحسني الهمذاني ، وكان شاعراً أديباً بليغاً ، وله شعر منه هذان البيتان في دار لبعض الملوك بناها :

دارٌ عَلَتْ دارَ الملوك بهمةٍ ... كعلوِّ صاحبها على الأملاكِ
فكأنها من حسنها وبهائها ... بُنيتْ قواعدُهَا على الأفلاكِ ـ

(1) اليتيمة 3 : 200 .
(2) م : الدلفي .
(3) اليتيمة 3 : 203 .
(4) اليتيمة 3 : 240 .

أنشأ الصاحب يقول :

أحمـدُ اللَّهَ لِبُشْـرَى   أقبلتْ عنـد العشيِّ
إذ حباني اللَّه سبطاً   هـو سِبْطٌ للنبـيّ
مرحباً ثمتَ أهلاً   بغلامٍ هاشمـي
نبويٍّ علـويٌّ   حَسَنـي صاحبـي

ثم قال :

الحمدُ للَّه حمداً دائماً أبـدا   قـد صار سبطُ رسولِ اللَّه لي ولدا

وقد ذكرت ذلك الشعراء في أشعارهم ، فمن ذلك قول أبي الحسن الجوهري في قصيدة منها[1] :

وكـان بعدَ رسـولِ اللَّه كـافلَهُ   فصـار جدًّ بنيـه بعـدَ كـافِلِهِ
هلمَّ للخبـرِ المـأثـورِ مُسْنَـدُهُ   في الطالقـانِ فَقَرَّتْ عينُ نـاقلهِ
فـذلك الكنزُ عبادٌ وقـد وَضَحَتْ   عنه الإمامـةُ في أُولَى مخايلهِ

لما روت الشيعة أن بالطالقان كنزاً من ولد فاطمة يملأ اللَّه الأرضَ به عدلاً كما ملئت جوراً ، والصاحبُ من الطالقان من قرى أصفهان، فلما رزق سبطاً فاطمياً تأولوا له هذا الخبر وأنا بريء من العهدة.

هذا الذي ذكره الثعالبي أن طالقان من قرى أصفهان ، والصواب ما تقدم .

قال[2] : وعرض عليَّ أبو الحسن الشقيقي البلخي توقيعَ الصاحب إليه في رقعته: مَنْ نظر لدينه نظرنا لدنياه ، فإن آثرتَ العدلَ والتوحيد ، بسطنا لك الفضلَ والتمهيد ، وإن أقمتَ على الجبر ، فليس لِكَسْرِكَ من جبر.

وهذه رسالة[3] كتبها الصاحب إلى أبي علي الحسين بن أحمد في شأن أبي عبد الله محمد بن حامد ، قال الثعالبي : وسمعت الأمير أبا الفضل عبيد الله بن أحمد

(1) اليتيمة 3 : 241 .
(2) اليتيمة 3 : 201 .
(3) اليتيمة 3 : 253 .

الميكالي يسردها فزادني جَرْيُها على لسانه وصدورُها عن فمه إعجاباً بها وهي : كتابي هذا يا سيدي صدر من سَحنة(1) وقد أرخى الليلُ سدولَهُ ، وسحب الظلامُ ذيـولَهُ ، ونحن على الرحيل غداً إن شاء اللّه إذا مدَّ الصباحُ غُرَره قبل أن يُسْبغ حجوله ، ولولا ذلك لأطلته كوقوفِ الحجيج على المشاعر ، ولم أقتصرْ منه على زادِ المسافر ، فإن المتحمِّلَ له وسيعُ الحقوق لديّ ، حقيقٌ أن أُتعبَ له خاطري ويديّ ، وهو أبو عبد اللّه الحامدي ـ كان وافى مع ذلك الشيخ الشهيد أبي سعيد الشبيبي السعيد ، رفع اللّه منازله ، وقتل قاتله ، بكتبٍ له فأنسنا بفضله ، وآنسنا الخيرَ من عقله ، فلما فُجِعَ بتلك الصحبة ، وبما كان له فيها من القربة ، لم يرضَ غير بابي مشرعاً ، وغيرَ جَنابي مرتعاً ، وقطع إليَّ الطريقَ الشاقَّ مؤكّداً حقاً لا يُشَقّ فيه غباره ، ولا يُنْسَى على الزمانِ ذماره ، فكنتُ على جناح هذه النهضة التي بنا لم يستقرَّ نواها ، ولم تلقِ عصاها . فإحراج الحرّ المبتدىء الأمر ، القريب العهد بوطأة الدهر ، تحاملٌ عليه بالمركب الوعر ، فرددته إليك يا سيدي لتسهِّلَ عليه حجابك ، وتمهِّدَ له جنابك ، وتترصد [له] عملاً خفيفَ الثقل ، نديَّ الظل ، فإذا اتفق عرضته عليه ، ثم فوضته إليه . وهو إلى أن يتّسق ذلك ضيفي وعليكَ قِراه ، وعندك مَرْبَعُهُ وَمَشتاه ، ويريدُ اشتغالاً بالعلم يزيده استقلالاً ، إلى أن يأتيه إن شاء اللّه خبرنا في الاستقرار ، ثم له الخيار : إن شاء أقام على ما ولّيته ، وإن شاء التحق بنا ناشراً ما أوليته . وقد وقعتُ له إلى فلان بما يعينه على بعض الانتظار ، إلى أن تختار له كلَّ الاختيار ، فأوْعِزْ إليه بتعجيله ، واكفني شُغْلَ القلب بهذا الحرِّ الذي أفردني بتأميله ، إن شاء اللّه تعالى وحده .

وكتب(2) إلى القاضي أبي بشر الفضل بن محمد الجرجاني عند وروده باب الري وافداً عليه :

تحـدثتِ الـركـابُ بسيرِ أَروى ... إلى بلدٍ حـططتُ بـه خيـامي
فكـدتُ أطيـر من شـوقٍ إليهـا ... بقـادمـةٍ كقـادمـةِ الـحمـامِ

---

(1) سحنة : موضع بالقرب من همذان .
(2) اليتيمة 3 : 254 .

أفحقٌّ ما قيل من أمرِ القادم ؟ أم ظنٌّ كأمانيِّ الحالم ؟ لا واللّه بل هو دَرْكُ العيان ، وإنه ونيل المنى سيّان ، فمرحباً أيها القاضي براحلتك ورحلك ، بل أهلاً بك وبكافةِ أهلك ، ويا سرعةَ ما فاح نسيمُ مَسْراك ، ووجدنا ريحَ يوسفَ من رياك ، فحثَّ المطيَّ تُزِلْ غُلَّتي برؤياك ، وتزحْ علتي بلقياك ، وَنُصَّ على يوم الوصول نجعلْهُ عيداً مشرَّفاً ، ونتخذه موسماً وَمُعَرَّفاً[1] ، وردَّ الغلام ، أسرعَ من رَجْعِ الكلام ، فقد أمرته أن يطير على جناح نَسْر ، يترك الصَّبا في عقالِ أسر :

سقى اللّه داراتٍ مررتَ بأرضها فأدَّتْك نحوي يا زيادُ بنَ عامرِ
أصائلُ قربٍ أرتجي أن أنالها بلقياكَ قد زحْزَحْنَ حَرَّ الهواجر

وقال[2] بعض ندماء الصاحب له يوماً : أرى مولانا قد أغار في قوله :

لبسنَ برودَ الوشي لا لتجملٍ ولكنِ لصَوْنِ الحسنِ بين برودِ

على المتنبي في قوله :

لبسنَ الوشيَ لا متجملاتٍ ولكنْ كي يصُنَّ به الجمالا

فقال : كما أغار هو في قوله :

ما بالُ هذي النجوم حائرةً كأنها العُمي ما لها قائدْ

على العباس بن الأحنف في قوله :

والنجمُ في كبدِ السماء كأنه أعمى تحيَّر ما لديه قائدُ

وللصاحب أيضاً[3] :

يقولون لي كم عهدُ عينكَ بالكرى فقلتُ لهم مذ غاب بدرُ دُجَاهَا
ولو تلتقي عينٌ على غيرِ دمعةٍ لصارمْتُهَا حتى يقالَ نفاها

---

(1) المعرّف : الذي يوقف عليه ، مأخوذ من « عرفة » (وأشار إلى ذلك الأستاذ النشاشيبي) .
(2) اليتيمة 3 : 279 .
(3) اليتيمة 3 : 280 .

من قول المهلبي الوزير :

تصارمتِ الأجفانُ منذ صرمتني ... فما تلتقي إلا على دمعةٍ تجري

وللصاحب أيضاً[1] :

ومهفهفٍ حسنِ الشمائلِ أهيفٍ ... يروي النفوسَ بفترتيْ عينيهِ
ما زال يُبْعِدُني ويؤثر هجرتي ... فجذبتُ قلبي من إسار يديهِ
قالوا تراجعُهُ فقلت بديهةً ... قولاً أقيم مع الرويِّ عليهِ
واللّه لا راجعتُهُ ولو أنه ... كالبدرِ أو كالشمسِ أو كبويهِ

أخذه من قول ابن المعتز :

واللّه لا كلّمتها ولو أنها ... كالبدرِ أو كالشمسِ أو كالمكتفي

قال المؤلف : هكذا ذكر الثعالبي ، ونسبَ هذا البيت الى ابن المعتز ، وهو لأبي بكر محمد بن السراج النحوي ، وله قصة طريفة ، وهي مذكورة في أخباره من هذا الكتاب.

ومما هجي به الصاحبُ قول أبي العلاء الأسدي :

إذا رأيتَ مسجّى في مرقعةٍ ... يأوي المساجدَ حرّاً ضرُّهُ بادي
فاعلم بأن الفتى المسكين قد قَذَفَتْ ... به الخطوبُ الى لؤمِ ابنِ عبادِ

وقال السلامي[2] :

يا ابن عباد بن عباس بن عبد اللّه جِرْهَا
تنكر الجبر وأُخرِجْتَ الى دنياك كَرْها

ومرَّ أبو العباس الضبي بباب الصاحب بعد موته فقال[3] :

أيها البابُ لم علاكَ اكتئابُ ... أينَ ذاك الحِجَابُ والحُجَّابُ
أين من كان يفزعُ الدهرُ منه ... فهو الآن في الترابِ تراب

(1) اليتيمة 3 : 281 .
(2) قد مرَّ البيتان لأبي دلف الخزرجي .
(3) اليتيمة 3 : 289 ـ 290 .

ولأبي القاسم ابن أبي العلاء الأصفهاني يرثي الصاحب من قصيدة[1] :

مـا متّ وحـدك لكن مـات من وَلَـدَتْ ... حـوّاءُ طـرّاً بـل الـدنيـا بـل الـدينُ
هـذي نـواعي العـلا مـذ متّ نـادبـةٌ ... من بعـدِ مـا نـدبتـك الخـرَّدُ العين
تبكي عليـك العـطايـا والصـلاتُ كمـا ... تبكي عليـك الـرعـايـا والسـلاطين[2]
قـام السعـاةُ وكـان الخـوفُ أقْعَـدَهُمْ ... واستيقـظوا بعـدمـا نـام المـلاعين
لا يعجب النـاسُ منهم إن هم انتشروا ... مضى سليمـانُ وانحـلَّ الشيـاطيـن

وكتب الصاحب الى أبي العلاء الأسدي من أجود أبياته[3] :

يَقَـرُّ بعيني أنْ يُلِمَّ رسـولـهـا ... ببـابي وَيُهْدِي بـالعشيِّ سَلاَمَهَـا
ويـذكرَ لي دونَ الـرجال حـديثَها ... وينشـرَ عنـدي نـطقهـا وكـلامهـا

ورد يـا شيخي ـ أطال اللّه بقـاءك ـ رسولـك بكتابٍ سبق الأفكـارَ والظنـون ، وحـدتْ عليه القلوبُ العيون ، وترك الواصفين بين قاصرٍ ومقصِّرٍ . ومثَّل ليالينا بين اللوى فمحجّر ، بكلامٍ كالوَرَقِ النضير تتأوّه منه الغصون ، وكالنورِ المنير أفنانُهُ فنون ، فصادفني حليفاً للشوقِ أو رهيناً ، وحنيناً على الحنين وساء قريناً ، وكيف لا وقد ألفنا القربَ حولاً حولنا رياض الأدب ترفّ ، ودوننا رواحلُ الفضلِ تُزَفّ ، نملك رقـابَ المنطق ، ونتنازع أطرافَ الكلام المنمّق ، ونقطع الليالي تناشداً وتذاكراً ، وتحـادثاً وتسامراً ، إلى أن يخلعَ الظلامُ ثيابه ، ويحدرَ المصباحُ نقابه ، هذا دأبنا كان إلى أن جاوزنا الشبابَ مراحل، ووردنا من المشيب مناهل[4]، ثم حان الفراقُ فنحن حتى اليوم منه في جوٍّ كَدِرٍ ، ونجمٍ منكدر ، يقبضنا عن المواردِ العِذَابِ ، ويعرضنا على لواعجِ العَذَاب ، واللّه نسألُ إعادةَ هاتيك الأحوال ، وتلك الأيام الخضراء الظلال ، وإن كان اللّه قد زادنا بعدك مناجحَ ومنائح ، وأيادي غوادي وروائح ، حتى فتحنا الفتوح ، وذللنا القروح ، ورتقنا الفتوقَ ، ونسخنا الفروق ، وأثرنا الآثار ، ووطأنا الرقاب وطلبنا الثار ، واصطنعنا الصنائع ، وجعلنا ودائعَ النعم قطائع ، وعقـدنا في أعنـاقِ الأحرارِ مننـاً ،

(1) اليتيمة 3 : 284 .
(2) ر : والدواوين .
(3) لعل الصواب : في جواب أبياته .
(4) م : مراحل .

وأحيينا من سُبُلِ الاحسان سنناً ، انا قد تحملنا مشاقّ مالت على القوة للضعف ، وتحاملتْ على الأشدّ بالوهن ، ودفعت الى معالجة خطوبٍ تعجَّب الدهرُ من صبرنا عليها فخار ، وَجَبُنَ الزمانُ عند شجاعتنا لها فحار، وها أنا أحوجُ ما كنتُ إلى أن أرفَّه ، ولا أسْتَكْرَهُ ، وقد رميتُ بسهم الأربعين ، وأرميتُ على شَرَف الخمسين ، مدفوعَ الأشغال والأثقال إلى متاعب ومصاعب لو مني [بها] ابنُ ثلاثين قوياً أَزْرُهُ طريّاً حرصه ، لقام عَجْزُهُ وقعدتْ به نفسه ، وأظنني كنت قديماً قلت :

وقائلةٍ لِمْ عَرَتْكَ الهمومُ وأمرُكَ ممتثلٌ في الأمَمْ
فقلتُ دعيني وما قد عرا فان الهمومَ بقدرِ الهمَمْ

وما على الراحة آسَفُ بل على أن لا أكونَ مشغولاً بأخرى أمهد لها وأكدح ، وأدأبُ لنفسي وأنصح ، اللهم وفّقْ وقدّرْ ، وسهّلْ ويسّرْ ، إنك على ما تشاء قدير . والرسالة طويلة كتبت مقدمها .

ذكر محمد ما فعله الصاحب مع القاضي عبد الجبار بن أحمد من حسن العناية والتولية والتمويل ، فلما مات الصاحب كان يقول[1] : أنا لا أترحَّمُ عليه لأنه لم يظهر توبته ، فَطُعِنَ عليه في ذلك ونُسِبَ إلى قلَّة الرعاية ، لا جَرَم أنَّ فخر الدولة قبض عليه بعد موتِ الصاحب ، وصادره فيما قيل على ثلاثةِ آلاف ألف درهم ، وعزله عن قضاء الري ، وولَّى مكانه القاضي أبا الحسن علي بن عبد العزيز الجرجاني العلامةَ صاحبَ التصانيف والفضائل الجمة ، وقد ذكرته أنا في بابه[2]، فقيل إن عبد الجبار باع ألف طيلسان مصري في مصادرته ، وهو شيخ طائفتهم ، يزعم أن المسلم يخلّد في النار على رُبْعِ دينار ، وجميع هذا المال من قضاءِ الظلمة بل الكفرة عنده وعلى مذهبه ، وإنما ذكرتُ هذا للاعتبار .

وقرأت في كتاب هلال بن المحسن بن إبراهيم الصابىء قال : وكان الصاحب أبو القاسم يراعي من ببغداد والحرمين من أهل الشرف وذوي المآثر من السلف ، وشيوخ الكتاب والشعراء ، وأولاد الأدباء والزهاد والفقهاء ، بما يحمله إليهم في كلٍّ

(1) قارن بذيل تجارب الأمم : 262 .
(2) ترجمته رقم : 781 .

سنة مع الحاجّ على مقاديرهم ومنازلهم ، وكان يحملُ إلى أبي إسحاق إبراهيم بن هلال جدي خمسمائة دينار وإليَّ ألفي درهم جبلية مع جعفر بن شعيب ، فأذكر وقد راسله بعد وفاة عضد الدولة بالاستدعاء إلى حضرته بالري ، وبذل له النفقةَ الواسعةَ والمعونة الشاسعةَ عند شخوصه والإرغاب والاكثار عند حضوره ، فكانت عُقلة بالذيل الطويل والظهر الثقيل تمنعه من ترك موضعه ومفارقة موطنه ، فمما كتبه إليه بالاعتذار عن التأخر :

نَكَصَتْ على أعقابهنَّ مطالبي … وتقاعستْ عن شأوهنَّ مآربي
وتبلَّدَتْ مني القريحةُ بعدَ ما … كانت نفاذاً كالشهاب الثاقبِ
وبكيتُ شَرْخَ شبيبتي فدفنتها … دَفْنَ الأعزّةِ في العذار الشائبِ

ومنها :

فلو آن لي ذاكَ الجناحَ لطار بي … حتى أقبِّل ظهرَ كفِّ الصاحبِ
وأعيشَ في سُقْيا سحائبه التي … ضمنتْ سعادةَ كلِّ جَدٍ خائبِ
وأراجعَ العاداتِ حولَ قبابِهِ … حتى السوادَ من الشباب الذاهبِ
وأُعدَّ من جلساءِ حَضْرَتِهِ التي … شُحِنَتْ بكلِّ مُسَائلٍ ومحاربِ
فيقولُ من ذا سائلٌ عني له … مستثبتٌ فيقولُ: هذا كاتبي
أترى أرومُ بهمتي ما فوق ذا … أنَّى وخدمتُهُ أجلُّ مراتبي

ومنها يعتذر :

كثرتْ عوائقِيَ التي تعتاقني … من غيثِ راحتِهِ الملثُّ الساكبِ
ولدٌ لهمْ ولدٌ وبطنٌ ثالث … هو رابعي وعشيرتي وأقاربي
والسنّ تسعٌ بعدها خمسون قد … شامت بوارقَ يومها المتقاربِ
فالجسمُ يضعفُ عن تجشّم راجلٍ … والحال يقصر عن ترفّه راكبِ
وعليَّ للسلطانِ طاعةُ مالكٍ … كانت على المملوك ضربةَ لازبِ
وتعطّلي مع شهوتي كتصرفي … كلٌّ سواءٌ في حساب الحاسبِ

وهي طويلة فلما كانت سنة أربع وثمانين التي توفي فيها جدي أحسَّ بانقضاء مدته ، وحضور منيته ، فكتب إلى الصاحب كتاباً يسأله فيه إقرارَ هذا الرسم المذكور على ولده ، واجراءَهُ لهم من بعده ، وقرن الكتابَ بقصيدةٍ أولها :

تُحَــذَّرُ منـكَ النـائبـاتُ فتحــذَرُ ... وتُـذْكَـرُ للخـطـبِ الجسيمِ فيصغـرُ
وتُكْسَى بـكَ الدنيـا ثيـابَ جمـالهـا ... فيـرجـوكَ معـروفٌ ويخشـاك منكــرُ

يقول فيها :

أسيـدنـا إنَّ المـنيـةَ أَعْـذَرَتْ ... إلـيَّ بـآيـاتٍ تـروعُ وتـذعــر
لـهـا نُـذُرٌ قـد آذنـتـني بـهجـمـةٍ ... على مـوردٍ مـا عنـه للمـرء مصــدر
وإنـي لأستـحـلي مـرارةَ طـعـمـه ... إذا كنتَ بـالتقـديـم لي تـتـأخـر
وَحُقَّ لنفسٍ كـان منـك معـاشهـا ... إذا غمضت عينـاً وعينـك تنـظر
ومـن ورَّثَ الأولادَ بـعـد وفـاتـه ... حضـانَـكَ طـابتْ نفسـه حين يقبـر
تمـرَّدَ منـك الجـودُ حتى تمردتْ ... مـطالبنا والمـاجـدُ الحـرُّ يصبـر
أأطلبُ منـكَ الـرفـدَ عمـريَ كله ... وأطـلبُـهُ والجـنـبُ مـني مـعـفـر
وليستْ بأولى بدعـةٍ لك في النـدى ... لها موقف [في] الحمد [يطوى و] ينشر

وهي طويلة .

قال هلال بن المحسن : وأمرني بأن أنفذ ذلك فأنفذته ، وكتبتُ عن نفسي كتاباً في معناه ، ووصل ونفذ من يحمل الرسم على العادة ، ثم اتفق أن توفي الصاحب في أول سنة خمس وثمانين وثلاثمائة فوقف ، وكانت بين وفاتهما شهور .

قال هلال : وسمعتُ محدثاً يحدّث أبا إسحاق أنه سمع الصاحب يقول : ما بقي من أوطاري وأغراضي إلا أن أملكَ العراق ، وأتصدَّرَ ببغداد ، وأستكتبَ أبا اسحاق الصابىء ، ويكتب عني وأغيّر عليه ، فقال جدي : ويغيّرَ علي وإن أصبتُ !!

قال : وحدثني أبو إسحاق جدي قال : حضر الصاحب أبو القاسم ابن عباد دار الوزير المهلبي عند وروده إلى بغداد مع مؤيد الدولة ، فحجب عنه لشغل كان فيه ، وجلس طويلاً ، فلما تأخر الإذنُ كتب إليَّ رقعة لطيفة فيها :

وأترك محجوباً على الباب كالخصى ويـدخلُ غيـري كالأُيـورِ ويخرجُ

فأقرأتها الوزيرَ المهلبيَّ فأمر بإدخاله .

قال : وكان الصاحب عند دخوله إلى بغداد قصد القاضي أبا السائب عتبة بن عبيد لقضاء حقه ، فتثاقل في القيام له ، وتحفَّز تحفزاً أراه به ضعفَ حركته وقصورَ نهضته ، فأخذ الصاحب بضبعه وأقامه ، وقال : نعينُ القاضي على قضاءِ حقوق إخوانه ، فخجل أبو السائب واعتذر إليه .

وذكر القاضي أبو علي التنوخي في كتاب نشوار المحاضرة[1] : حدثني أبو منصور عبد العزيز بن محمد بن عثمان المعروف بابن أبي عمرو الشرابي حاجب أمير المؤمنين المطيع للّه قال : دخلتُ في حداثتي يوماً على أبي السائب القاضي فتثاقل في القيام لي وأظهر لي ضعفاً عنه للسنِّ والعلل المتصلة به ، قال : فتطاول فجذبت يده بيدي حتى أقمته القيامَ التامَّ وقلتُ له : أُعينُ قاضي القضاة أيده الله على إكمال البر وتوفية الإخوان حقوقهم ، قال : وقد كنتُ عاتباً عليه في أشياء عاملني بها ، وإنما جئته للخصومة ، فبدأت لأخذ[2] الكلام ، فحين رأى الشرَّ في وجهي قال : تتفضل لاستماع كلمتين ثم تقول ما شئت ، فقلت له : قل فقال : روينا عن ابن عباس رضي اللّه عنه في قوله تعالى : ﴿ فَٱصْفَحِ ٱلصَّفْحَ ٱلْجَمِيلَ ﴾ (الحجر: 85) قال : عفوٌ بلا تقريع ، فإن رأيتَ أن تفعل ذلك فافعل ، فاستحييتُ من الاستقصاء عليه وانصرفت .

قال المؤلف : والذي عندي أن الخبر إنما جرى بين هذا والقاضي ، وبلغ أمره الصاحبَ فانتحله لنفسه ، وحكاه في مجلس أنسه ، فشاع عنه ، وكان الصاحب رحمه الله ممن يحبُّ الفخر وانتحالَ الفضائل التي ربما قصَّر عنها .

ومن أشعار الصاحب[3] :

يا خاطراً يخطرُ في تيههِ ذكرُكَ موقوفٌ على خاطري

---

(1) نشوار المحاضرة 1 : 247 .

(2) النشوار : لأصل .

(3) اليتيمة 3 : 261 .

إنْ لم تكن آثر من ناظري عندي فلا مُتِّعْتُ بالناظرِ

وكتبَ إلى أبي الحسين[1] الطبيب[2] :

إنا دعوناك[3] على انبساطِ والجوعُ قد أثَّر في الأخلاطِ

فإن عسى ملتَ إلى التباطي صفعت بالنعلِ قفا بقراطِ

وله[4] :

بعدتَ فطعمُ العيشِ بعدك عَلْقَمُ ووجهُ حياتي مذ تغيبتَ أرقمُ

فما لك قد أدغمتَ قربك في النوى وودُّكَ في غيرِ النداء مرخمُ

وقال لما حضرته الوفاة[5] :

وكم شامتٍ بي عند موتي جهالةً بظلم يسلُّ السيفَ بعد وفاتي

ولو علم المسكينُ ماذا ينالُه من الذلِّ بعدي مات قبل مماتي

وله أيضاً[6] :

بدا لنا كالبدرِ في شروقِهْ يشكو غزالاً لجَّ في عقوقِهْ

يا عجبا والدهرُ في طروقه من عاشقٍ أحسن من معشوقهْ

قال أبو بكر الخوارزمي[7] أنشدنا الصاحب هذه القوافي ليلة وقال : هل تعرفون نظيراً لمعناها في شعر المحدثين ؟ فقلت لا أعرف إلا قول البحتري :

ومن عجبِ الدهرِ أنَّ الأميـر أصبـح أكتبَ من كاتبهْ

قال فقال : جودت وأحسنت هكذا فليكن الحفظ .

(1) م : الحسن .
(2) اليتيمة 3 : 267 .
(3) م : رجوناك .
(4) اليتيمة 3 : 269 .
(5) اليتيمة 3 : 283 .
(6) اليتيمة 3 : 260 .
(7) اليتيمة 3 : 260 .

وله ويروى لغيره[1] :

رشـأٌ غدا وَجْـدي عليـه كَـرِدْفِـهِ ... وغدا اصطباري في هواهُ كخصرِهِ
وكـأنَّ يـومَ وصـالِـهِ من وجهـه ... وكـأن ليلةَ هجـره من شعـرهِ
إن ذقتُ خمـراً خلتُهـا من ريقـه ... أو رمتُ مسكـاً نلتُهُ من نشـرهِ
وإذا تكبَّـر واستـطال بحسنـه ... فَعِـذارُ عـارِضِـهِ يقـومُ بعـذرهِ

وله أيضاً[2] :

دبَّ العِـذارُ على مَيْـدانِ وجنتِـهِ ... حتى إذا كـاد أن يسعى به وقفـا
كـأنـه كـاتبٌ عـزَّ المـدادُ لـه ... أراد يكتبُ لامـاً فـابتـدا ألفـا

وله أيضاً[3] :

وخطٍّ كـأنَّ اللَّه قـال لحسـنِـهِ ... تشبَّـهْ بمن قد خَـطَّكَ اليومَ فائتمرْ
وهيهاتِ أين الخطُّ من حُسْنِ وجهه ... وأين ظلامُ الليلِ من صفحةِ القمرْ

وله أيضاً[4] :

وشـادنٍ قلتُ لـه مـا اسمكـا ... فقـال لي بـالغنـج عبَّـاثُ
فصـرتُ من لثغتـه ألثـغـاً ... فقلتُ أين الكـاث والـطاث

وله يصف الثلج[5] :

هـات المدامـةَ يـا غـلامُ مصيِّـراً ... نَـقْلي عـليهـا قبـلةً أو عـضّـهْ
أو مـا تـرى كـانـونَ ينثـرُ وردَهُ ... وكـأنمـا الـدنيـا سبـائـكُ فِضَّـهْ

---

(1) اليتيمة 3 : 261 .
(2) اليتيمة 3 : 262 .
(3) اليتيمة 3 : 263 .
(4) اليتيمة 3 : 264 .
(5) اليتيمة 3 : 265 .

وله أيضاً[1] :

وصفـــراءَ أو حمـــراءَ فـهي مـخيـلةٌ ... لــرقّـتـهـا إلا عـلى الـمـتـوهّـمِ
تشكّكنـا فـي الكـرم أنّ انـتمـاءَهُ ... إلى الخمر أم هاتا إلى الكرم تنتمي
لكِ الوصف دون القَصْفِ مني فخيِّمي ... بغيـر يـدي وارضَيْ بمـا قـالـه فمي

وكتب إلى أبي الفضل ابن شعيب[2] :

يـا أبا الفضـل لِمْ تـأخَّـرْتَ عنّـا ... فـأسأنـا بحسنِ عهـدك ظنّـا
كم تمنتْ نفسي صـديقاً صـدوقاً ... فـإذا أنـت ذلـك الـمتـمـنّى
فـبغـصنِ الـشبـابِ لـمـا تثنّى ... وبعهـدِ الصِّبـا وإن بـان منّـا
كُنْ جـوابي إذا قـرأتَ كتـابي ... لا تقـلْ للرسـول كـان وكـنـا

وله أيضاً[3] :

يـا ابنَ يعقـوبَ يـا نقيبَ البـدور ... كن شفيعـي إلى فـتى مـســرورِ
قـل لـه إنّ لـلجمـال زكـاةً ... فتصـدَّقْ بهـا على المهـجـورِ

وله يمدح عضد الدولة[4] :

سعـودٌ يحار المشتـري في طـريقهـا ... ولا تتـأتّى فـي حسـاب الـمـنجّمِ
وكم عـالمٍ أحييتَ من بعـد عـالمٍ ... على حين صاروا كالهشيم المحطمِ
فـواللّه لـولا اللّه قـال لـك الـورى ... مقالَ النصارى في المسيح ابن مريم
محامدُ لو فُضَّتْ ففاضَتْ على الورى ... لمـا أبصـرتْ عينـاك وَجْـهَ مـذمّمِ
وكـلاًّ ولكن لـو حَـظُوا بـزكـاتهـا ... لـمـا سمـعتْ أذنـاك ذكـرَ مـلوّم
ولـو قلتُ إن اللّه لم يخلقِ الـورى ... لـغيـرك لـم أُحْـرَجْ ولـم أتـأثـمِ

---

(1) اليتيمة 3: 264 .
(2) اليتيمة 3: 267 .
(3) اليتيمة 3: 268 .
(4) اليتيمة 3: 270 .

وله يهجو[1] :

سبط مَتُّويٍ رقيعٌ سِفَلَهْ   أبداً يبذلُ فينا أسْفَلَهْ
اعتزلنا نيكه في دبره   فلهذا يَلْعَنُ المعتزلهْ

وله في رجل كثير الشرب بطيءِ السكر[2] :

يقال لماذا ليس يسكرُ بعدما   توالتْ عليه من نداماه قَرْقَفُ
فقلتُ سبيل الخمر أن تُنْقِصَ الحجى   فإن لم تجدْ شيئاً فماذا تَحَيَّفُ

وله أيضاً[3] :

شرطُ الشروطيِّ فتىً أيّرٌ   وما سواه غيرُ مشروطِ
أبغَى من الإبرةِ لكنّه   يوهمُ قوماً أنه لوطي

وله أيضاً[4] :

تصدُّ أميمةُ لما رأتْ   مشيباً على عارضي قد فُرِشْ
فقلتُ لها الشيبُ نقشُ الشبابِ   فقالتْ ألا ليته ما نُقِشْ

وله أيضاً[5] :

ولما تناءَتْ بالأحبَّةِ دارهُمْ   وصرنا جميعاً من عيانٍ إلى وهمِ
تمكن مني الشوق غير مسامح   كمعتزليٍّ قد تمكن من خصمِ

حدث القاضي أبو عبد الله ابن الحسن بن علي السميري قال، حدث الصاحب قال[6]: لما عدت من أصبهان بعد القبض على أبي الفتح ابن العميد دعا مؤيد الدولة إلى طعامه وكنت عليه معه، فبينا الألوان توضع وترفع إذ قدمت بين يديّ طنبورية بمكبة، ثم شيلت المكبة فإذا بيد أبي الفتح ابن العميد وفي إصبعه خاتمه الذي أعرفه، فارتعت لذلك ووجمت منه، فقال لي مؤيد الدولة: إنما فعلت هذا لتسكن نفسك

(1) اليتيمة 3 : 272 .
(2) اليتيمة 3 : 275 .
(3) (4) (5) اليتيمة 3 : 276 .
(6) هذا النص من ر .

وتعلم إن الله قد كفاك عدوك ، فدعوت له ولم أنتفع بنفسي أياماً قلقاً وانزعاجاً . قال القاضي : وكانت والدة أبي الفتح في دار الصاحب على أتمّ حال مراعاةً وحراسة فلم يعلمها ولا مكن من إعلامها بقتله حتى ماتت .

ـ 243 ـ

إسماعيل بن عبد الله بن محمد بن ميكال ، أبو العباس الميكالي ، وقد ذكر هذا النسب في عدة مواضع : مات ليلة الاثنين الخامس عشر من صفر سنة اثنتين وستين وثلاثمائة بنيسابور وهو ابن اثنتين وتسعين سنة ، ودفن بمقبرة باب معمر ، وكان شيخَ خراسانَ ووجهَها وعينَها في عصره . سمع بنيسابور أبا بكر محمد بن إسحاق بن خزيمة وأبا العباس محمد بن إسحاق السراج وأبا العباس أحمد بن محمد الماسرجسي ، وبكور الأهواز عبدان بن أحمد بن موسى الجواليقي الحافظ والحسين بن بهار وعليّ بن سعيد العسكري . سمع منه الحفاظ مثل أبي علي النيسابوري وأبي الحسين محمد بن محمد بن الحجاجي وأبي عبد الله محمد بن عبد الله بن البيع الحافظ وذكره في « التاريخ » وقال : ولد أبو العباس بنيسابور ، فلما قلد أمير المؤمنين المقتدر بالله أباه عبد الله بن محمد الأعمالَ بكور الأهواز حُمِلَ إلى حضرة أبيه ، فاستدعى أبا بكر محمد بن الحسن بن دريد لتأديبه ، فأجيب إليه إيجاباً له، وبعث بأبي بكر الدريدي إليه فهو كان مؤدبه، وكان واحد عصره. وفي عبد الله بن محمد بن ميكال وابنه أبي العباس قال الدريدي قصيدته المشهورة(1) في الدنيا التي مدحهم بها .

ثم قال الحاكم : سمعتُ أبا العباس وسئل عن مقصورة الدريدي يقول :

243 ـ يتيمة الدهر 4 : 354 وإنباه الرواة 1 : 199 والوافي 9 : 148 وسير الذهبي 16 : 156 وعبر الذهبي 2 : 327 والشذرات 3 : 41 .

(1) هي مقصورته ومطلعها :

يا ظبيةً أشبهَ شيءٍ بالمها ترعى الخزامى بين أشجار النقا

أنشدنيها مؤدبي أبو بكر الدريدي ثم قرأتها عليه مراراً ، فسألناه أن ينشدناها فقال : أنشدنا أبو بكر ابن دريد[1] :

* إمّـا تَرَيْ رأسيَ حـاكى لونَـهُ *

إلى أن بلغ إلى الأبيات التي مدحهم الدريدي فيها ، فقال : هذه الأبيات قد ذكِرنا فيها ، فلو أنشدها بعضكم ، فقرأها عليه أبو منصور الفقيه وأقرَّ بها وهي[2] :

إنَّ العـراقَ لـم أفـارِقْ أهـلَهُ ... عـن شنـآنٍ صـدّني ولا قِـلى

إلى أن بلغ قوله :

لا زال شكـري لهمـا مـواصـلاً ... دهريَ أو يعتاقني صَرْفُ المَنَى[3]

إلى ها هنا قرىء عليه ، ثم أنشدنا لفظاً إلى آخرها ، وذلك في شهر رمضان سنة ست وأربعين وثلاثمائة .

قال الحاكم : سمعت أبا بكر محمد[4] بن إبراهيم الجوري الأديب وهو يحدثنا عن أبي بكر ابن دريد ، قلت له : أين كتبتَ عنه ولم تدخل العراق ؟ قال : كتبتُ عنه بفارس لما قدم على عبد الله بن محمد بن ميكال لتأديب ولده أبي العباس ، فقلت له : أبو العباس إذ ذاك صبي ؟ فقال : لا والله إلا رجل إمام في الأدب والفروسية بحيث يشار إليه .

قال : وسمعت أبا عبد الله محمد بن الحسين الوضاحي يقول[5] : سمعت أبا العباس ابن ميكال يذكر صلةَ الدريدي في إنشائه المقصورة فيهم ؛ قال الوضاحي : فقلت له : وأيش الذي وصل إليه من خاصة الشيخ ؟ فقال : لم تصل يدي إذ ذاك إلا إلى ثلاثمائة دينار صببتها في طَبَقٍ كاغَدٍ ووضعتها بين يديه .

قال : وسمع الميكـالي من عبدان الاهـوازي ، وسمع « المـوطأ » لمـالك بن أنس ، وسمع لما عاد إلى نيسابور من أبي بكر محمد بن خزيمة وأبي العباس الثقفي

---

(1) يفهم من هذا أن هذا البيت أولها وذلك ما قاله ابن خلكان في ترجمة ابن دريد أيضاً 4 : 323 .

(2) انظر شرح ابن هشام للمقصورة : 80 .

(3) م : الفنا .

(4) م : أبا بكر بن محمد ، وانظر تبصير المنتبه : 370 .

(5) نقله الذهبي في سيره 16 : 157 .

والماسرجسي وأقرانهم وحدث بضع عشرة سنة إملاءً وقراءة . وروى عنه أبو علي الحافظ في مصنفاته وأبو الحسين الحجاجي ومشايخنا رضي اللّه عنهم .

قال الحاكم : سمعتُ أبا محمد عبد اللّه بن إسماعيل يقول [قال أبي] : لما توفي أبي عبد اللّه بن ميكال أمر أمير المؤمنين أن أقلّد الأعمالَ التي كان يتقلّدها أبي ، فأمر لي باللواء والخلعة ، وأخرج في ذلك خادماً من خواصِّ الخدم ، وكوتبتُ فيه فبكيتُ واستعفيت ، والناس يتعجبون من ذلك ، وقلت : لي بخراسان معاشٌ أرجعُ إليه . فلما انصرفتُ إلى نيسابور جاءني أبو نصر ابن أبي حية غداةَ جمعة فقال : ينبغي ان تتأهبَ للركوب إلى الرئيس أبي عمرو الخفاف ، فإنّ هذا رسمُ مشايخ البلدِ معه ، فركبتُ معه إليه فلم يتحرك لي ، فخرجتُ من عنده وأنا أبكي ، فقال لي أبو نصر : ما الذي أبكاك ؟ فقلت : سبحان اللّه ، رددتُ على المقتدر الولايةَ بفارسَ وخوزستان وانصرفت إلى نيسابور حتى أزورَ أبا عمرو الخفاف فلا يتحرك لي ؟ فقال لي : لا تغتمَّ بهذا واعمل على الخروج إلى هراة فإن والي خراسان أحمد بن إسماعيل بها ، وإذا رآك وضَرْبَك بالصولجان وعلم محلَّك أجلسك على رقاب كلّ من بنيسابور . فتأهبتُ وأصلحتُ هديةً له ، وخرجت إلى هراة ، فوصلت إلى خدمة السلطان ورضي خدمتي ودعاني إلى الصولجان ورضي مقامي ، فلما استأذنتُ للانصراف عَرَضَ عليَّ أعمالاً جليلة فامتنعتُ عنها ، فزوّدوني بجهاز وَخِلَعٍ ، وكان الأمر على ما ذكره أبو نصر ابن أبي حية .

قال : وسمعتُ أبا عبد اللّه ابن أبي ذهل يقول : قال لي الوزير أبو جعفر أحمد بن الحسين العتبي : لما أجلسني الأمير الرشيد هذا المجلسَ نظرتُ إلى جميع أهلِ خراسان ممن يؤهل للجلوس معي في مجلس السلطان ـ أيده اللّه ـ فلم أجد فيهم أجلَّ من أبي العباس ابن ميكال ، فسألتُ السلطانَ استحضاره ، فلما حضر امتنع من تقلُّدِ العمل ، فقلت له : ديوانُ الرسائل هو قضاءُ القضاةِ أمرٌ منوطٌ بالعلم والعلماء ، فتقلد ديوان الرسائل ، فصار جليسي في مجلس السلطان ، وكان على كره من أبي العباس .

قال : وسمعت أبا يحيى حماد بن الحمادي يقول : لما قلد أبو العباس ابن ميكال أُمِرَ أن يغير زيه من التعمّم تحت الحنكِ والرداء وغير ذلك فلم يفعل ، وراجع

السلطان فيه حتى أذن فيه ، فكان يجلسُ في الديوان متطلّساً متعمما تحت الحنكة .

قال : وسمعتُ قاضي القضاة أبا الحسن محمد بن صالح الهاشمي يذكر آثار الميكالية ببغداد ، ويصفُ إنشاءَ ابن ميكال ، فوصف له بعض أحوالهم بخراسان فقال : آثارهم عندنا بالعراق أكثر منها بخراسان لأنهم ناقلة من عندنا إلى خراسان .

- 244 -

إسماعيل بن عبد الرحمن بن أبي ذؤيب السُدّي الأعور ، وقيل عبد الرحمن بن أبي كريمة ، مولى زينب بنت قيس بن مخرمة من بني عبد مناف : حجازي الأصل سكن الكوفة ، مات سنة سبع وعشرين ومائة في أيام بني أمية في ولاية مروان بن محمد . روى عن أنس بن مالك وعبد خير[1] وأبي صالح[2] ورأى ابن عمر . وهو السُدّي الكبير ، وكان ثقةً مأموناً . روى عنه الثوري وشعبة[3] وزائدة[4] وسماك بن حرب وإسماعيل بن أبي جذيمة وسليمان التيمي[5] . وكان ابن أبي خالد إسماعيل يقول : السديّ أعلمُ بالقرآن من الشعبي .

وقال أبو بكر ابن مردويه الحافظ : إسماعيل بن عبد الرحمن السدي يكنى أبا محمد ، صاحب التفسير ، إنما سُمّي السدي لأنه نزل بالسدة ، كان أبوه من كبار أهل أصبهان ، أدرك جماعةً من أصحاب رسول اللّه ﷺ منهم : سعد بن أبي وقاص وأبو

244 ـ ترجمة السدّي الكبير في طبقات ابن سعد 6 : 323 وتاريخ البخاري 1 : 360 والجرح والتعديل 2 ؛ 184 وتاريخ الذهبي 5 : 43 وسير الذهبي 5 : 264 وتهذيب التهذيب 1 : 313 وطبقات المفسرين 1 : 109 والوافي 9 : 142 .

(1) عبد خير الهمداني أبو عمارة الكوفي تابعي ثقة (تهذيب التهذيب 6 : 124) .

(2) أبو صالح باذام مولى أم هانىء بنت أبي طالب (انظر ترجمته في طبقات ابن سعد 5 : 302 وتهذيب التهذيب 1 : 416 وسير الذهبي 5 : 37) .

(3) هو شعبة بن الحجاج العتكي الأزدي (تهذيب التهذيب 4 : 338) .

(4) زائدة بن قدامة الثقفي (توفي سنة 160 أو في التي بعدها) .

(5) هو سليمان بن بلال التيمي القرشي (تهذيب التهذيب 4 : 175) .

سعيد الخدري وابن عمر وأبو هريرة وابن عباس . وقال غيره : نسب السدّي إلى بيع الخمُرُ - يعني المقانع - في سدة الجامع - يعني باب الجامع . وقال الفلكي : إنما سُمّي السدي لأنه كان يجلسُ بالمدينة في موضع يقال له السّدّ .

وكان شريك يقول : ما ندمتُ على رجل لقيته أن لا أكونَ كتبتُ كلَّ شيء لَفَظَ به الا السدّي . قال يحيى بن سعيد : ما سمعتُ أحداً يذكر السدّيَّ إلا بخير .

ومحمد بن مروان بن عبد اللّه بن إسماعيل بن عبد الرحمن السدي[1] من أهل الكوفة ، يروي عن الكلبي صاحبِ التفسير وداود بن أبي هند وهشام بن عروة ، روى عنه ابنه علي ويوسف بن عديّ والعلاء بن عمرو وأبو إبراهيم الترجماني وغيرهم ، وهو السدي الصغير . وكان يحيى بن معين يقول : السدي الصغير محمد بن مروان صاحب التفسير ليس بثقة . وقال البخاري : محمد بن مروان الكوفي صاحبُ الكلبيِّ لا يُكْتَبُ حديثُهُ ألبتة . وسئل أبو علي صالح جَزَرة[2] عنه فقال : كان ضعيفاً وكان يضع الحديث ، وكلٌّ ضعّفه .

وذكر الحافظ أبو نعيم في « تاريخ أصبهان »[3] من تصنيفه قال : إسماعيل بن عبد الرحمن الأعور يعرف بالسدّي صاحب التفسير ، كان أبوه عبد الرحمن يكنى أبا كريمة[4] من عظماء أهل أصبهان ، توفي في ولاية مروان ، وذكر كما تقدم[5] ، وكان عريضَ اللحية إذا جلس غطى لحيتُهُ صدرَهُ ، قيل إنه رأى سعد بن أبي وقاص .

وقال أبو نعيم باسناده : إن السدّي قال : هذا التفسير أخذته عن ابن عباس ، فإن كان صواباً فهو قاله ، وان كان خطأ فهو قاله . قال أبو نعيم فيما رفعه إلى السدي أنه قال : رأيتُ نفراً من أصحاب النبي ﷺ منهم : أبو سعيد الخدري وأبو هريرة وابن عمر ، كانوا يرون أنه ليس أحد منهم على الحال التي فارق عليها محمداً إلا عبد اللّه بن عمر .

---

(1) ترجمة السدي الصغير في تهذيب التهذيب 9 : 436 .

(2) م : جهرة . وهو صالح بن محمد بن عمرو وجزرة لقب . توفي سنة : 293 (سير الذهبي 14 : 23) .

(3) ذكر أخبار أصبهان 1 : 204 ـ 206 .

(4) أبو نعيم : يكنى أبا خزيمة (وهو مخالف لما في المصادر) .

(5) يعني ذكر تاريخ الوفاة .

ـ 245 ـ

إسماعيل بن عبد الرحمن بن أحمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن عامر بن عابد، أبو عثمان الصابوني: مات في ثالث محرم سنة تسع وأربعين وأربعمائة. قال عبد الغافر: هو الاستاذ الإمام شيخ الاسلام أبو عثمان الصابوني الخطيب المفسر المحدث الواعظ، أوحد وقته في طريقته، وكان أكثرَ أهلِ العصر من المشايخ سماعاً وحفظاً ونشراً لمسموعاته وتصنيفاته وجمعاً وتحريضاً على السماع وإقامة لمجالس الحديث. سمع الحديث بنيسابور من أبي العباس البالوني[1] وأبي سعيد [محمد بن الحسين بن موسى] السمسار، وبهراة من أبي بكر أحمد بن إبراهيم القرّاب[2] وأبي معاذ شاه بن عبد الرحمن[3] وسمع بالشام والحجاز ودخل معرة النعمان فلقي بها أبا العلاء أحمد بن سليمان، وسمع بالجبال وغيرها من البلاد، وحدَّث بنيسابور وخراسان إلى غزنة وبلاد الهند وجرجان وآمل وطبرستان وبالشام وبيت المقدس والحجاز. روى عنه أبو عبد الله القارىء وأبو صالح المؤذن.

ومن «تاريخ دمشق» ان الصابوني وعظ للناس ستين[4] سنة، قال: وله شعر منه[5]:

ما لي أرى الدهرَ لا يسخو بذي كرمٍ ... ولا يجودُ بمعوانٍ ومفضالِ
ولا أرى أحداً في الناس مشترياً ... حُسْنَ الثناءِ بانعام وإفضالِ
صاروا سواسيةً في لؤمهم شَرَعاً ... كأنما نُسِجُوا فيه بمنوالِ

245 ـ ترجمته في السياق (المنتخب 2): 38 ومصورة ابن عساكر 2: 855 وتهذيبه 3: 30 والوافي 9: 143 (ويعتمد ياقوت على السياق وتاريخ دمشق).

(1) السياق: البالوي؛ م: التابوتي.
(2) م: الفرات، الوافي: ابن الفرات.
(3) ابن عساكر: الشاه بن أحمد الهروي.
(4) م: سبعين.
(5) الأبيات في تاريخ ابن عساكر.

وذكر من فضله كثيراً ثم قال : ومولده ببوشنج للنصف من جمادى الآخرة سنة ثلاث وسبعين وثلاثمائة ، وذكر وفاته كما تقدم .

ـ 246 ـ

إسماعيل بن علي بن إسماعيل بن يحيى بن بنان الخطبي أبو محمد : سمع الحارث بن أبي أسامة والكديمي[1] وعبد الله بن أحمد[2] وغيرهم . وروى عنه الدارقطني وابن شاهين وابن رزقويه ، وكان ثقةً فاضلاً نبيلاً فهماً عارفاً بأيام الناس وأخبار الخلفاء ، وصنف تاريخاً كبيراً على ترتيب السنين ، وكان عالماً بالأدب ركيناً عاقلاً ذا رأي ويتحرّى الصدق . ولد الخطبي في محرم سنة تسع وتسعين ومائتين ومات في جمادى الآخرة سنة خمسين وثلاثمائة في خلافة المطيع لله .

حدث الخطيب قال[3] : سمعت الأزهري يقول : جاء أبو بكر ابن مجاهد وإسماعيل الخطبي إلى منزل أبي عبد الصمد الهاشمي فقدم إسماعيل أبا بكر ، فتأخر أبو بكر وقدّم إسماعيل ، فلما استأذن إسماعيل أُذِن له فقال له : أدخلُ ومن أنا معه[4] ؟

وحدث عن [أبي] الحسن ابن رزقويه عن إسماعيل الخطبي قال : وجَّه إليّ الراضي بالله ليلةَ عيدِ فطرٍ فَحُمِلْتُ إليه راكباً بغلةً ، فدخلتُ عليه وهو جالسٌ في الشموع ، فقال لي : يا إسماعيل إني قد عزمت في غدٍ على الصلاة بالناس في المصلّى فما أقول إذا انتهيت في الخطبة إلى الدعاء لنفسي ؟ قال : فأطرقت ثم قلت :

---

246 ـ ترجمة الخطبي في المنتظم 7 : 3 وتاريخ بغداد 6 : 304 (وفي نسبه : بيان بدل بنان) وطبقات الحنابلة 2 : 118 والوافي 9 : 160 وسير الذهبي 15 : 522 والشذرات 3 : 3 والنجوم الزاهرة 3 : 328 .

(1) م : الكريمي ؛ (وهو أبو العباس محمد بن يونس بن موسى البصري الكديمي المتوفى سنة 286 والنسبة إلى جده كُدَيم) .
(2) يعني عبد الله بن أحمد بن حنبل .
(3) تاريخ بغداد 6 : 305 .
(4) يريد حسن أدبه وأنه لم يقل « أدخل ومن هو معي » .

يقول أمير المؤمنين : ﴿ **ربِّ أَوْزِعْني أنْ أَشْكرَ نعمتَكَ التي أنعمتَ عليَّ وعلى والديّ وأنْ أعملَ صالحاً تَرْضَاهُ وأَدْخِلْني بِرَحْمَتِكَ في عبادِكَ الصَّالحين** ﴾ (النمل: 19) فقال : حسبك ، ثم أمرني بالانصراف وأتبعني بخادم فدفع إليَّ خريطة فيها أربعمائة دينار وكانت الدنانير خمسمائة فأخذ الخادم منها لنفسه مائة ، [أو] كما قال .

ـ 247 ـ

إسماعيل بن علي الحظيري ـ [والحظيرة] من أعمال دجيل ثم من ناحية نهر تاب ـ : كان فاضلاً متميزاً لسناً ذا بلاغة وبراعة ، وله في ذلك تصانيف معروفة متداولة ، إلا أنّ الخمول كان عليه غالباً . قدم بغداد ، وقرأ الأدب على أبي محمد إسماعيل بن أبي منصور موهوب بن الخضر الجواليقي وعلى أبي البركات عبد الرحمن بن الأنباري وعلى علي بن عبد الرحمن السلمي بن العصار ، وأدرك ابن الخشاب أبا محمد وأخذ عنه علماً جماً ، وقرأ على أبي الغنائم ابن حبشي ، وكان ورعاً زاهداً تقياً ، رحل إلى الموصل وأقام بها في دار الحديث عدة سنين ، ثم اشتاق إلى وطنه فرجع إلى بغداد فمات بها في صفر سنة ثلاث وستمائة . وله تصانيفُ ورسائلُ مدوّنة وخطبٌ وديوان شعر وكتابٌ جيّد في علم القراءة ، رأيته . ومن شعره :

لا عالمٌ يبقَى ولا جاهلُ ... ولا نبيهٌ لا ولا خاملُ
على سبيلٍ مَهْيَعٍ لاحبٍ ... يودي أخو اليقظةِ والغافلُ

247 ـ ترجمته في الغصون اليانعة : 76 والوافي 9 : 163 وبغية الوعاة 1 : 452 وفي الجامع المختصر لابن الساعي : 209 أنه إسماعيل بن علي بن محمد بن مواهب (وسماه في الغصون : إسماعيل بن مواهب) .

ـ 248 ـ

إسماعيل بن عيسى بن العطار أبو إسحاق : من أهل السير ، بغدادي روى عنه الحسن بن علويه . ذكره محمد بن اسحاق النديم وقال : له من الكتب كتاب المبتدأ .

ـ 249 ـ

اسماعيل بن القاسم بن عيذون بن هارون بن عيسى بن محمد بن سليمان المعروف بالقالي ، أبو علي البغدادي مولى عبد الملك بن مروان : ولد بمنازجرد[1] من ديار بكر، ودخل بغداد سنة ثلاث وثلاثمائة وأقام بها إلى سنة ثمان وعشرين وثلاثمائة ، مات بقرطبة في ربيع الآخر سنة ست وخمسين وثلاثمائة ومولده في سنة ثمانين ومائتين، وفي أيام الحكم المستنصر كانت وفاته . سمع من أبي القاسم عبد اللّه بن محمد بن عبد العزيز البغوي وأبي سعيد الحسين[2] بن علي بن زكرياء بن يحيى بن صالح بن عاصم بن زُفَر العدوي وأبي بكر عبد الله بن أبي داود سليمان بن الأشعث السجستاني ، وقرأ على أبي بكر ابن دريد وأبي بكر ابن السراج وأبي عبد الله نفطويه وأبي إسحاق الزجاج وأبي الحسن علي بن سليمان الأخفش وأبي عمر الزاهد ، وقرأ كتاب سيبويه على ابن درستويه[3] وسأله عنه حرفاً حرفاً . وأما نسبته فإنه منسوبٌ

248 ـ ذكره ابن النديم في الفهرست : 122 وذكر له كتباً أخرى هي كتاب حفر زمزم . كتاب الردة . كتاب الفتوح . كتاب الجمل . كتاب صفين . كتاب الألوية . كتاب الفتن .

249 ـ ترجمة القالي في طبقات الزبيدي : 185 ـ 186 وجذوة المقتبس : 155 (بغية الملتمس رقم : 547) . وتاريخ ابن الفرضي 1 : 83 وإنباه الرواة 1 : 204 وابن خلكان 1 : 226 وسير الذهبي 16 : 45 والوافي 9 : 190 وبغية الوعاة 1 : 453 ونفح الطيب 3 : 70 والشذرات 3 : 18 ومرآة الجنان 2 : 359 والمقفى 2 : 107 . وانظر مقدمة السمط، وفي فهرسة ابن خير : 395 ثبت بأسماء الكتب التي أدخلها الى الأندلس .

(1) منازجرد أو منازكرد : بلدة من نواحي خلاط .

(2) الجذوة : الحسن .

(3) طبقات الزبيدي : 121 .

إلى قالي قلا ، بلدٍ من أعمال أرمينية . قال القالي[1] . لما دخلتُ [بغداد] انتسبت إلى قالي قلا رجاءَ الانتفاع بذلك لأنها ثغرٌ من ثغور المسلمين لا يزال بها المرابطون . فلما تأدَّب ببغداد ورأى أنه لاحظَّ له بالعراق قصد بلاد الغرب ، فوافاها في أيام المتلقب بالحكم المستنصر[2] بالله بن عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن بن الحكم بن هشام بن عبد الرحمن بن معاوية بن هشام بن عبد الملك بن مروان بن الحكم بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف ـ قالوا : وهذا أول من دُعي من هؤلاء بالغرب أمير المؤمنين[3] ، إنما كان المتولون قبله يدعون ببني الخلائف ـ . فوفد القالي إلى الغرب في سنة ثلاثين وثلاثمائة ، فأكرمه صاحب الغرب وأفضل عليه إفضالاً عمَّه ، وانقطع هناك بقيةَ عمره ، وهناك أملى كتبه أكثرها عن ظهر قلب : منها كتاب الأمالي ، معروف بيد الناس كثير الفوائد غاية في معناه ؛ قال أبو محمد ابن حزم : كتاب نوادر أبي علي مبارٍ للكتاب « الكامل » الذي جمعه المبرد ، ولئن كان كتاب أبي العباس أكثر نحواً وخبراً فإن كتاب أبي علي أكثر لغةً وشعراً . وكتاب الممدود والمقصور رتَّبه على التفعيل ومخارج الحروف من الحلق ، مستقصىً في بابه لا يشذّ منه شيء في معناه ، لم يوضع مثله . وكتاب الإبل ونتاجها وما تصرف معها . وكتاب حلي الانسان والخيل وشياتها . وكتاب فعلت وأفعلت . كتاب مقاتل الفرسان . كتاب تفسير السبع الطوال . كتاب البارع في اللغة على حروف المعجم ، جمع فيه كتب اللغة ، يشتمل على ثلاثة آلاف ورقة ، قال الزبيدي[4] : ولا نعلم أحداً من المتقدمين ألّف مثله . قرأت بخط أبي بكر محمد بن طرخان بن الحكم قال الشيخ الإمام أبو محمد [ابن] العربي : كتاب البارع لأبي علي القالي يحتوي على مائة مجلد لم يُصَنَّفْ مثله في الإحاطة والاستيعاب ؛ إلى كتب كثيرة ارتجلها وأملاها عن ظهر قلب كلها . قال الحميدي[5] : وممن روى عن القالي

(1) الجذوة : 156 وطبقات الزبيدي 188 .

(2) الصحيح أنه وافاها في أيام عبد الرحمن الناصر والد الحكم ، ولكن الحكم كان هو المسؤول في دولة أبيه عن تشجيع العلوم ورعاية أهلها .

(3) أول من دعي أمير المؤمنين في الأندلس هو عبد الرحمن والد الحكم ، وكان ذلك سنة 317 .

(4) طبقات الزبيدي : 186 .

(5) الجذوة : 155 .

أبو بكر محمد بن الحسن الزبيدي النحوي صاحب كتاب « مختصر العين » و« أخبار النحويين » وكان حينئذٍ إماماً في الأدب ، ولكن عرف فضل أبي علي فمال إليه واختصَّ به واستفاد منه وأقرَّ له .

قال الحميدي(1) : وكان أقام ببغداد خمساً وعشرين سنة ثم خرج منها قاصداً إلى المغرب سنة ثمان وعشرين وثلاثمائة ووصل إلى الأندلس في سنة ثلاثين وثلاثمائة في أيام عبد الرحمن الناصر ، وكان ابنه الأمير أبو العاص الحكم بن عبد الرحمن من أحبِّ ملوكِ الأندلس للعلم وأكثرهم اشتغالاً به وحرصاً عليه ، فتلقاه بالجميل وحظي عنده وَقَرُبَ منه وبالغ في إكرامه ، ويقال إنه هو الذي كتب إليه ورغَّبه في الوفود عليه . واستوطنَ قرطبة ونشر علمه بها .

قال(2) : وكان إماماً في علم العربية متقدماً فيها متقناً لها ، فاستفاد الناسُ منه وعوَّلوا عليه ، واتخذوه حجة فيما نقلوه . وكانت كتبه على غاية التقييد والضبط والاتقان . وقد ألَّفَ في علمه الذي اختصّ به تآليف مشهورةً تدلُّ على سعةِ علمه وروايته . وحدَّث عنه جماعة منهم أبو محمد عبد الله بن الربيع بن عبد الله التميمي ، ولعله آخر من حدث عنه ، وأحمد بن أبان بن سيد ، والزبيدي كما ذكرنا آنفاً . قال : وكان أعلم الناس بنحو البصريين وأرواهم للشعر مع اللغة .

قال الزبيدي(3) : وسألته لم قيل له القالي فقال : لما انحدرنا إلى بغداد كنّا في رفقة فيها أهل قالي قلا ، وهي قرية من قرى منازجرد ، وكانوا يُكْرَمُونَ لمكانهم من الثغر ، فلما دخلت بغداد نُسِبْتُ إليهم لكوني معهم ، وثبتَ ذلك عليَّ .

قال الحميدي(4) : وكان الحكم المستنصر قبل ولايته الأمور وبعد أن صارت إليه يبعثه على التأليف ، وينشطه بواسع العطاء ، ويشرح صدره بالإجزال في الإكرام . . . . وكانوا يسمونه بالبغدادي لكثرة مقامه [بها] ووصوله إليهم منها .

قال السلفي بإسناد له : أخبرنا القاضي أبو الحكم منذر بن سعيد البلوطي قال :

---

(1) الجذوة : 155 .

(2) المصدر نفسه .

(3) طبقات الزبيدي : 186 .

(4) الجذوة : 156 .

كتبت إلى أبي علي البغدادي القالي أستعير منه كتاباً من « الغريب » وقلت :

بحقِّ ريمٍ مُهَفْهَفْ وَصُدْغِهِ المتعطِّفْ
ابعثْ إليَّ بجزءٍ من «الغريبِ المصنَّفْ»

قال فأجابني وقضى حاجتي :

وحقّ درّ تألّفْ بفيك أيَّ تألّفْ
لأبعثن بما قد حوى الغريب المصنف
ولو بعثتُ بنفسي إليك ما كنت أسرف

ـ 250 ـ

إسماعيل بن محمد بن إسماعيل بن صالح بن عبد الرحمن الصفار

أبو علي : علامة بالنحو واللغة ، مذكور بالثقة والأمانة ، صحب المبرد صحبة اشتهر بها وروى عنه ، وسمع الكثير وروى الكثير ، أدركه الدارقطني وقال : هو ثقة ، صام أربعة وثمانين رمضان ، وكان متعصّباً للسنة ، مات فيما ذكره الخطيب سنة إحدى وأربعين وثلاثمائة ومولده سنة تسع وأربعين ومائتين، ودفن مقابل[1] قبر معروف الكرخي ، بينهما عرض الطريق ، دون قبر أبي بكر الأدمي وأبي عمر الزاهد . قال أبو عبيد اللّه محمد بن عمران المرزباني : أنشدني الصفار لنفسه :

إذا زرتكم لُقِّيتُ أهلاً ومرحباً وإن غبتُ حولاً لا أرى منكم رُسْلا
وإن جئتُ لم أُعْدَمْ ألَا قد جَفَوْتَنا وقد كنت زوَّاراً فما بالنا نقلى
أفي الحقِّ أن أرضَى بذلك منكمُ بل الضيم أن أُرضى بذا منكمُ فعلا
ولكنّني أعطي صفاءَ مودّتي لمن لا يرى يوماً عليَّ له فضلا

250 ـ ترجمته في تاريخ بغداد 6 : 302 ـ 304 والمنتظم 6 : 371 وإنباه الرواة 1 : 211 ونزهة الألباء : 195 والبداية والنهاية 11 : 226 وسير الذهبي 15 : 440 وعبر الذهبي 1 : 256 والوافي 9 : 204 وبغية الوعاة 1 : 454 والشذرات 2 : 358 والنجوم الزاهرة 3 : 309 .

(1) م : بمقابر .

واستعمل الانصاف في النـاس كلهم فـلا أصـلُ الجـافي ولا أقـطعُ الحبـلا
وأخـضـع لـلّه الـذي هـو خـالـقـي وَلَن أُعـطيَ المخلوقَ من نفسيَ الـذلاَّ

- 251 -

إسماعيل بن محمد بن أحمد الوثّابي أبو طاهر : من أهل أصبهان ، له معرفة تامّة بالأدب وطبع جواد بالشعر مات في سنة ثلاث وثلاثين وخمسمائة .

قال السمعاني ـ ومن خطّه نقلت : ما رأيتُ بأصفهان في صنعة الشعر والترسّل أفضلَ منه ، أضرَّ في آخـر عمره وافتقر ، وظهر الخللُ في أحواله حتى كاد أن يختلط . دخلتُ عليه داره بأصفهان ، وما رأيتُ أسرعَ بديهةً منه في النظم والنثر ، اقترحتُ عليه رسالةً فقال لي : خذ القلم واكتبْ ، وأملى عليَّ في الحال بلا تروٍّ ولا تفكّر كأحسن ما يكون ، إلّا أني سمعت الناس يقولون إنه يخلّ بـالصلوات المفروضـة ، واللّه أعلم بحاله .

وأنشد عنه السمعاني أشعاراً له منها :

أشـاعـوا فقـالـوا وقفـةٌ ووداعُ وَزُمَّتْ مـطايـا للرحيـلِ سـراعُ
فـقلتُ وداعٌ لا أُطيـقُ عيـانَـهُ كفـاني من البين المشتِّ سمـاعُ
ولم يملكِ الكتمـانَ قلبٌ ملكتُـهُ وعنـد النـوى سـرُّ الكَتُـوم مـذاعُ

وأنشد عنه له :

فواللّه لا أنسى مَدَى الـدهرِ قـولَها ونحن على حـدِّ الـوداعِ وقـوفُ
وللنـارِ من تحتِ الضلوعِ تـلهُّبٌ وللمـاءِ من فـوقِ الخـدودِ وكيفُ
ألا قـاتـلَ اللّه الصـروفَ فـإنمـا تفـرُّقُ بين الصـاحبيـن صـروفُ

وأنشد له عنه أيضاً :

طابتْ لعمري على الهجرانِ ذكراها كـأنَّ نفسي ترى الحرمانَ إكرَاها(1)

---

251 ـ ترجمة الوثابي في الوافي 9 : 205 .

(1) م : ذكراها .

تحيا بيأسٍ وَتُفْنيها طَمَاعِيَةٌ ... هل مهجةٌ بَرْدُ يأسِ الوصلِ أحياها
قامتْ لها دون دعوى الحبِّ بيِّنةٌ ... بشاهِدَيْنِ أبانا صدقَ دعواها
إرسالِ شكوى وإجراءِ الدموع معاً ... وإن تحققتَ مَجْرَاها وَمُرْساها

وأنشد عنه له من قصيدة :

فَعُجْ صاحِ بالعُوج الطِّلاح إلى الحمى ... وَزُرْ أَثَلَاتِ القاعِ طال بها العهدُ
تُعوَّضُ عيناً بعد عينٍ أوانساً ... وتوحِشُ أحشاءً تضمَّنها الوجدُ
وما ساءني وجدٌ ولا ضرَّني هوىً ... كما ساءني هجرٌ تعقَّبهُ صَدُّ
تبصَّرْ خليلي من ثنيَّةِ بارقٍ ... بريقاً كَسِقْطِ النارِ عالجه الزندُ
يدقُّ وأحياناً يرقُّ ويرتقي ... ويخفى كرأي الغمر امضاؤه ردّ
فتقضَى بها من ذِكْرِ حُزْوَى لُبانة ... وَيُطْفَى بها من نارِ وجدٍ بها وقدُ
وإن كان عهدُ الوصل أضحى نسيئةً ... فهاك دليلَ البرقِ أنْ عَهْدُهُ نَقْدُ
وَشِمْ لي نسيمَ الريح من أُفُقِ الحمى ... فقد عبق الوادي وفاح بها الرندُ

ـ 252 ـ

إسماعيل بن محمد بن عبدوس الدهان ، أبو محمد النيسابوري : أنفق ماله على الأدب فتقدَّم فيه ، وبرع في علم اللغة والنحو والعروض ، وأخذ عن إسماعيل بن حماد الجوهري فاستكثر منه ، وحصَّلَ كتابه « كتاب الصحاح » في اللغة بخطّه ، واختص بالأمير أبي الفضل الميكالي ومدحه وأباه بشعرٍ كثير ثم آثر[1] الزهدَ والإعراضَ عن أعراض الدنيا ، وقال لما أزمع الحج والزيارة :

أتيتُك راجلاً[2] ووددتُ أني ... ملكتُ سوادَ عيني أمتطيهِ
وما لي لا أسيرُ على المآقي ... إلى قبرٍ رسولُ اللهِ فيهِ

---

252 ـ ترجمته في الوافي 9 : 206 .

....

(1) م : اتى ؛ وما أثبته عن المختصر (ر) . (2) ر : زائراً .

وله أيضاً :

أيا خيرَ مبعوثٍ إلى [خير] أمةٍ نصحتَ وبلَّغْتَ الرسالةَ والوحيا
فلو كان في الإمكان سعيٌ بمقلتي إليكَ رسولَ الله أفنيتها سعيا

وله أيضاً :

عبد عصى ربّه ولكن «[ليس] سوى واحد» يقولُ
إن لم يكنْ فعله جميلاً فإنما ظنُّهُ جميلُ

وقال لصديق له :

نصحتُكَ يا أبا إسحاقَ فاقبلْ فإني ناصحٌ لك ذو صداقهْ
تعلَّم ما بدا لك من علومٍ فما الإدبار إلاّ في الوراقهْ

قال : وسألني أن أورد شيئاً من أشعاره في الغزل والمديح في كتابي هذا ، فانتهيت في ذلك إلى رواية [. . .][1] .

ـ 253 ـ

إسماعيل بن محمد القمي النحوي : ذكره ابن النديم فقال : له من التصانيف كتاب الهمز . كتاب العلل .

ـ 254 ـ

إسماعيل بن محمد بن عامر بن حبيب أبو الوليد[2] الكاتب باشبيلية : له ولأبيه قَدَمٌ في الأدب وله شعر كثير يقوله بفضل أدبه ، وله كتاب في فصل الربيع . مات

253 ـ الفهرست : 93 والوافي 9: 207 .

254 ـ ترجمته في جذوة المقتبس : 152 (بغية الملتمس رقم : 534) والذخيرة 2/1 : 124 والتكملة : 180 والمغرب 1 : 245 والنفح 3 : 427 ومسالك الأبصار 11 : 215 والوافي 9 : 209 وكتابه « البديع في فصل الربيع » نشره هنري بيريس في الرباط : 1940 .

(1) موقع هذه العبارة محيِّر .

(2) م : أبو عبد الحميد .

أبو الوليد ابن محمد بن عامر قريباً من سنة أربعين وأربعمائة باشبيلية ؛ ومن شعره في الربيع :

أَبْشِرْ فقد سَفَرَ الثرى عن بِشْرِهِ ... وأتاك ينشرُ ما طوى من نشرهِ
متحصّناً من حُسْنِهِ في معقلٍ ... عَقَلَ العيونَ على رعايةِ زهره
فضَّ الربيعُ ختامَهُ فبدا لنا ... ما كان من سرَّائِهِ في سرِّهِ
من بعد ما سحب السحابُ ذيولَهُ ... فيه ودرَّ عليه أنْفَسَ درّه
[فاشكر لآذارٍ بدائعَ ما ترى ... من حسن منظره النضير وخبرهِ]
شهرٌ كأنّ الحاجبَ ابنَ محمدٍ ... ألقى عليه مسحةً من بشره

ـ 255 ـ

إسماعيل بن مجمع الأخباري : ذكره محمد بن إسحاق النديم فقال : هو أحد أصحاب السير والأخبار ، ومعروف بصحبة الواقديّ المختصّ به ، مات سنة سبع وعشرين ومائتين . له من التصنيف كتاب أخبار النبي ﷺ ومغازيه وسراياه .

ـ 256 ـ

إسماعيل بن موهوب بن أحمد بن محمد بن الخضر بن الجواليقي : يكنى أبا محمد ، كان إمام أهل الأدب بعد أبيه أبي منصور بالعراق ، واختص بتأديب ولد الخلفاء ، مات في شوال سنة خمس وسبعين وخمسمائة ، وكان مليحَ الخطّ جيِّدَ الضبطِ ، يشبه خطُّه خطَّ والده ، وكانت له معرفةٌ حسنةٌ باللغة والأدب ، وكانت له حلقةٌ بجامع القصر يُقْرِىءُ فيها الأدبَ كلَّ جمعة . سمع منه ابن الأخضر وابن حمدون

255 ـ الفهرست : 112 والوافي 9 : 195 .

256 ـ ترجمة ابن الجواليقي في إنباه الرواة 1 : 210 وذيل طبقات الحنابلة 1 : 346 وتاريخ الدبيثي : 250 والوافي 9 : 230 وبغية الوعاة 1 : 457 والشذرات 4 : 249 .

الحسن تاج الدين[1] وغيرهما ، ومولده في شعبان سنة اثنتي عشرة وخمسمائة ، وكان بينه وبين أخيه إسحاق في المولد سنة ونصف وفي الوفاة ثلاثة أشهر .

حدثت أن أبا الحسن جعفر بن محمد بن فطيرا ناظرَ واسطٍ والبصرة وما بينهما من تلك النواحي دخل يوماً إلى بعض الوزراء في أيام المستضيء بالله ـ سقى الله عهوده صَوْبَ الرضوان ـ فرأى في مجلسه الذي كان يجلسه رجلاً لم يعرفه فهابه ، وجلس بين يدي الوزير ، وكان ابن فطيرا معروفاً بالمزاح والنادرة ، فتقدم حتى قال للوزير مسارًّا : يا مولانا من هذا الذي قد جلس في مجلسي ؟ فقال : هذا الشيخ الإمام أبو محمد ابن الجواليقي . فقال : وأيُّ أرباب المناصب هو ؟ قال : ليس هو من أرباب المناصب ، هذا هو الإمام الذي يصلّي بأمير المؤمنين صلوات اللّه عليه وسلامه ؛ قال : فقام مبادراً وأخذ بيده وأزاحه عن موضعه وجلس في منصبه وقال له : أيها الشيخ أنت ينبغي أن تتشامخ أمامَ الوزير[2] وَمَنْ دونه فتجلسَ فوقهم، لأنك أعلى منه منزلةً، فأما عليَّ أنا ، وأنا ناظر واسط والبصرة وما بينهما فلا ، قال : فما تمالك أهلُ المجلس من الضحك أن يمسكوه .

ـ 257 ـ

إسماعيل بن أبي محمد يحيى بن المبارك اليزيدي : نذكر نسبه وولادته في ترجمة أبيه يحيى[3] إن شاء اللّه تعالى وحده؛ وكان إسماعيل أحد الأدباء الرواة الفضلاء من ولد أبيه ، وكان شاعراً مصنفاً صنّف « كتاب طبقات الشعراء » . فنقلتُ من خطّ عمر بن محمد بن سيف الكاتب ، أنشدنا اليزيدي أبو عبد الله يعني محمد بن العباس بن محمد بن أبي محمد بعد فراغه من « كتاب الوحوش » لعم أبيه إسماعيل بن

257 ـ ترجمته في تاريخ بغداد 6 : 283 وإنباه الرواة 1 : 213 وأنساب السمعاني (اليزيدي) والوافي 9 : 240 وانظر شعر اليزيديين : 149 ـ 153 .

(1) ر : وتاج الدين محمد بن الحسن بن حمدون .
(2) م : علي أمام الوزير .
(3) انظر الترجمة رقم : 1236 .

أبي محمد اليزيدي :

كلَّما رابني من الدهرِ ريبٌ فاتكالي عليكَ يا ربِّ فيهِ
إنَّ مَنْ كان ليس يدري أفي المحبوب صنعٌ له أو المكروهِ
لحريٌّ بأن يفوِّضَ ما يعجِزُ عنه إلى الذي يكفيه
الإلهِ البرِّ الذي هو في الرأفةِ أحنى من أمّه وأبيه
قعدتْ بي الذنوبُ أستغفرُ اللَّه لها مُخْلِصاً وأستوفيهِ(1)
كم يُوالي لنا الكرامةَ والنعمةَ من فضلِهِ وكم نَعْصِيه

ومن شعره عن المرزباني :

أَتَتْ ثمانون فاستمرَّتْ بالنقصِ من قوتي وعزمي
فرقَّ جلدي ودقَّ عظمي واختلَّ بعد التمام جسمي
يا ليت أني صحبتُ دهري صحبةَ ذي تهمةٍ وحزمِ
من لم يكن عاملاً(2) بعلم رواه لم ينتفعْ بعلمِ

وقال يرثي علي بن يحيى المنجم ومات علي في سنة خمس وسبعين وثلاثمائة :

مات السماحُ ومات الجودُ والكَرَمُ إذ ضمَّ شخصَ عليٍّ ذلك الرجمُ(3)
سُقّيتَ من جدثٍ أنْبِلْ(4) بساكنه غيثاً مُلِثّاً توالي صوبه الدِيَمُ
عادتْ لنا بعدك الأيامُ مظلمةً وكنتَ ضوءاً لها تُجْلَى به الظلَم
كان الزمانُ فتياً مُشْرِقاً نَضِراً(5) فاليومَ أَخْلَقَهُ من بعدكَ الهرم
قد كنتَ للخلقِ في حاجاتهم علماً يفرِّجُ الهمَّ عنهم ذلك العلم

(1) ر : وأستعفيه .
(2) م : على علم .
(3) م : في الثرى رجم .
(4) م : انتل .
(5) ر : مشرقاً نظراً .

ـ 258 ـ

الأغز أبو الحسن : ذكره أبو بكر الزبيدي في نحاة مصر وقال : أخذ عن أبي الحسن علي بن حمزة الكسائي ، ولقيه قومٌ من أهل الأندلس وحملوا عنه في سنة سبع وعشرين ومائتين .

ـ 259 ـ

أمان بن الصمصامة بن الطرماح بن حكيم بن الحكم بن نفر بن قيس بن جحدر بن ثعلبة بن عبد رضا بن مالك بن أمان بن عمرو بن ربيعة بن جرول بن ثعل بن عمرو بن الغوث أبي طيء ، والطرماح الشاعر المشهور ، ويكنى أمان هذا أبا مالك ، واطَّرحه ابن الأغلب إذ صار إليه الأمر لهجاء جدِّه الطرماح بني تميم .

قال أبو الوليد المهري[1] : أبطأت على أبي مالك وكان مريضاً فكتب إليّ :

أبلغِ المهريّ عني مألكاً ... أن دائي قد أصار المخَّ ريرا
كنتُ في المرضى مريضاً مطلقاً ... ولقد أصبحتُ في المرضى أسيرا
فإذا ما متُّ فانعمْ سالماً ... وتملَّ العيشَ في الدنيا كثيرا

وأخذ عنه المهري جزءاً من النحو واللغة والشعر .

258 ـ طبقات الزبيدي : 213 (وكتب فيه الأعزّ) ؛ وقال الصفدي (الوافي 9: 294) إن الأعز النحوي اسمه يحيى ؛ وترك السيوطي (بغية الوعاة 2 : 346) موضع ترجمته بياضاً ، فكأنه لم يجد له ترجمة .
259 ـ ترجمته في طبقات الزبيدي : 225 والوافي 9: 380 .

(1) أبو الوليد المهري : هو عبد الملك بن قطن النحوي القروي . (م: المهدي ، خطأ) .

ـ 260 ـ

أمية بن عبد العزيز بن أبي الصلت ، أبو الصلت : من أهل الأندلس كان أديباً فاضلاً حكيماً منجماً ، مات في سنة تسع وعشرين وخمسمائة في المحرم بالمهدية من بلاد القيروان ، وهو صاحب فصاحة بارعة وعلم بالنجوم والطب ، وكان قد ورد إلى مصر في أيام المسمَّى بالآمر من ملوك مصر ، واتصل بوزيره ومدبِّر دولته الأفضل شاهنشاه ابن أمير الجيوش بدر ، واشتمل عليه رجلٌ من خواصّ الأفضل يعرف بمختار ويلقب بتاج المعالي ، وكانت منزلته عند الأفضل عالية ، ومكانته منه بالسعد حالية ، فتحسنت حال أمية عنده ، وقرب من قلبه وخدمه بصناعتي الطب والنجوم ، وأنس تاج المعالي منه بالفضل الذي لا يشاركه فيه أحدٌ من أهل عصره ، فوصفه بحضرة الأفضل وأثنى عليه ، وذكر ما سمعه من أعيان أهل العلم وإجماعهم على تقدمه في الفضل وتميزه عن كتّاب وقته . وكان كاتب حضرة الأفضل يومئذ رجلٌ قد حمى هذا الباب ، ومنع من أن يمرّ بمجلسه ذكرُ أحد من أهل العلم بالأدب ، إلا أنه لم يتمكن من معارضة قولِ تاج المعالي ، فأغضى على قذى ، وأضمر لأبي الصلت المكروه ، وتتابعت من تاج المعالي سقطات[1] أفضت إلى تغيُّرِ الأفضل والقبض عليه والاعتقال ، فوجد حينئذ السبيلَ إلى أبي الصلت بما اختلق له من المحال ، فحبسه الأفضل في سجن المعونة بمصر مدة ثلاث سنين وشهر واحد على ما أخبرني به الثقة عنه[2] ، ثم أطلق فقصد المرتضى أبا طاهر يحيى بن تميم بن المعز بن باديس صاحب القيروان ، فحظي عنده وحسن حاله معه . وقد ذكر ذلك في رسالة له يذمُّ فيها مصر ويصفُ

260 ـ ترجمة أمية في تحفة القادم (دار الغرب الإسلامي) 9 ـ 13 والمغرب 1 : 256 وخريدة القصر (قسم المغرب) 1 : 223 ـ 343 وتاريخ الحكماء : 80 وعيون الانباء 2 : 52 ـ 62 وابن خلكان 1 : 243 والوافي 9 : 402 ونفح الطيب 2 : 105 والمقفى 2 : 297 . وقد أفرد ديوانه بالجمع الأستاذ محمد المرزوقي ، تونس 1974 .

(1) م : السقطات .
(2) ذكر ابن أبي أصيبعة أن الأفضل حبسه لأنه أخفق في استخراج مركب غارق بعد أن زوّده الأفضل بما طلبه من آلات ومعدات أنفق عليها أموالاً طائلة .

حاله ، ويثني على ابن باديس ، واستشهد فيها بهذه الأبيات في وصف ابن باديس(1) :

فلم أستسغْ إلا نداه ولم يكنْ ... ليعدلَ عندي ذا الجناب جنابُ
فما كلُّ إنعامٍ يخفُّ احتماله ... وإن هَمَلَتْ منه عليَّ سحابُ
ولكنْ أجلُّ الصنع ما جَلَّ ربُّهُ ... ولم يأتِ بابٌ دونه وحجابُ
«وما شئتُ إلا أن أدلَّ عواذلي ... على أن رأيي في هواك صوابُ»
«وأعلمَ قوماً خالفوني وشرَّقوا ... وغرَّبتُ أني قد ظفرت وخابوا»

ومن شعره أيضاً(2) :

لا غرو أنْ لحقتْ لهاك مدائحي ... فتدفقتْ نعماك ملءَ إنائها
يُكْسَى القضيبُ ولم يَحِنْ إبّانه ... وتطوَّق الورقاءُ قبل غنائها

ومنه يرثي(3) :

قد كنتُ جارَكَ والأيامُ تُرْهِبُني ... ولستُ أرهبُ غيرَ اللّه من أحدِ
فنافستني الليالي فيكَ ظالمةً ... وما حسبتُ الليالي من ذوي الحسدِ

ولأبي الصلت من التصانيف : كتاب الأدوية المفردة . كتاب تقويم الذهن في المنطق . كتاب الرسالة المصرية . كتاب ديوان شعره كبير . كتاب رسالة عمل بالاسطرلاب . كتاب الديباجة في مفاخر صنهاجة . كتاب ديوان رسائل . كتاب الحديقة في مختار من أشعار المحدثين .

ومن شعر أمية منقولاً من « كتاب سر السرور »(4) :

حسبي فقد بَعُدَتْ في الغيِّ أشواطي ... وطال في اللهو إيغالي وإفراطي
أنفقتُ في اللهو عمري غيرَ مُتَّعِظٍ ... وَجُدْتُ فيه بوفري غيرَ محتاطِ

(1) الرسالة المصرية (في نوادر المخطوطات) : 14 وانظر الديوان : 49 .
(2) الخريدة 1 ، 191 والديوان : 48 .
(3) الديوان : 83 (عن معجم الأدباء) .
(4) الخريدة 1 : 232 والديوان : 115 .

فكيف أخلصُ من بحرِ الذنوب وقد غرقتُ فيه على بعدٍ من الشاطي
يا ربِّ ما ليَ لا أرجو رضاك به إلا اعترافي بأني المذنب الخاطي

ومنه أيضاً[1] :

للّه يومي ببركةِ الحبشِ والصبحُ بين الضياءِ والغَبَشِ
والنيلُ تحتَ الرياح مضطربٌ كقائمٍ في يمين مرتعشِ[2]
ونحن في روضةٍ مفوَّفةٍ دُبِّجَ بالنوْر عِطْفُها وَوُشي
قد نسجتها يدُ الربيعِ لنا فنحن من نسجها على فرش
وأثقلُ الناس كلِّهم رجلٌ دعاه داعي الهوى فلم يطش
فعاطني الراحَ إنَّ تاركها من سَوْرَةِ الهمِّ غير منتعش
وسقِّني بالكبارِ مترعةً فهنّ أَشْفَى لشدة العطشِ

قال محمد بن محمود : حدثني طلحة أن أبا الصلت اجتمع في بعض متنزهات مصر مع وجوه أفاضلها ، ومعهم صبيّ[3] صبيح الوجه عديم الشبه ، قد نُقِّطَ نون صدغه على صفحة خدّه ، فاستوصفوه إياه ، فقال[4] :

منفردٌ بالحسنِ والظَّرْفِ بُحْتُ لديه بالذي أُخفي
لهفي بشكر وهو من تيهه في غفلةٍ عني وعن لهفي
قد عوقبتْ أجفانه بالضنا لأنها أضنت ولم تَشْفِ
قد أزهر الوردُ على خدّه لكنه ممتنعُ القطفِ
كأنما الخالُ به نقطةٌ قد قُطِرَتْ من كُحُلِ الطَّرفِ

قال : وحدثني أبو عبد الله الشامي ، وكان قد درس عليه واقتبس ما لديه ، أن الأفضل كان قد تغير عليه وحبسه بالاسكندرية في دار كتب الحكيم أرسطاطاليس ،

---

(1) الخريدة : 229 والرسالة المصرية : 21 ومعجم البلدان (بركة الحبش) وعيون الأنباء 2 : 58 والديوان : 109 .
(2) عيون : كالسيف سلته كف مرتعش .
(3) م : فقال لصبيّ .
(4) الديوان : 124 (عن ياقوت) .

قال : وكنتُ أختلفُ إليه إذ ذاك ، فدخلتُ إليه يوماً فصادفته مطرقاً ، فلم يرفع رأسه إليَّ على العادة ، فسألته فلم يردَّ الجواب ، ثم قال بعد ساعة : اكتب ، وأنشدني(1) :

قد كان لي سببٌ قد كنتُ أحسبُ أنْ ... أحظى به فإذا دائي من السببِ
فما مُقَلِّمُ أظفاري سوى قلمي ... ولا كتائبُ أعدائي سوى كتبي

فكتبت ، وسألته عن ذلك فقال : إن فلاناً تلميذي قد طعن فيَّ عند الأمير الأفضل ، ثم رفع رأسه إلى السماء واغرورقت عيناه دمعاً ودعا عليه ، فلم يَحُلِ الحولُ حتى استجيب له.

وأنشدني الشيخ سليمان بن الفياض الاسكندراني ، وكان ممن درس عليه واختلف إليه ، في صفة فرس(2) :

صفراءُ إلاَّ حُجُولَ مُؤْخَرِهَا ... فهي مُدامٌ وَرُسْغُها زَبَدُ
تعطيك مجهودَها فراهتُها ... في الحُضْرِ والحضرُ عندها وَتَدُ

وأنشدني له يهجو وما هو من صناعته(3) :

صافٍ ومولاته وسيّدُهُ ... حدودُ شكلِ القياسِ مجموعَهْ
فالشيخُ فوق الاثنين مرتفعٌ ... والستُّ تحت الاثنين موضوعه
والشيخُ محمولُ ذي وحاملُ ذا ... بحشمةٍ في الجميع مصنوعه
شكلُ قياسٍ كانت نتيجتُهُ ... قرينةً في دمشقَ مطبوعه

وقرأت في « الرسالة المصرية » زيادة على البيتين المتقدم ذكرهما قبل :

وكم تمنيتُ أنْ ألقى بها أحداً ... يُسْلي من الهمِّ أو يُعدي على النُّوَبِ
فما وجدتُ سوى قومٍ إذا صدقوا ... كانت مواعيدهم كالآلِ في الكذبِ

(1) عيون الأنباء 2 : 60 والرسالة المصرية : 13 والديوان : 59 .
(2) الديوان : 79 .
(3) الديوان : 120 ، وقوله : وما هو من صناعته : أظن صوابه : [مورداً] ما هو من صناعته ، (أي القياس المنطقي) .

حرف الباء

ـ 261 ـ

بزرج بن محمد أبو محمد العروضي : مولى بجيلة ، وقال الصولي : أظنه من موالي كندة ، وقال ابن درستويه : ومن علماء الكوفة بزرج بن محمد العروضي ، وهو الذي صنف كتاباً في العروض ينقضُ فيه العروضَ في زعمه على الخليل ، ويبطل الدوائرَ والألقاب والعلل التي وضعها الخليل للأوزان في كتابه ، واستشهد على ذلك بأشعارٍ رواها مولدة ، وضعها[1] ، ونسبها إلى قبائل العرب ، وكان كذاباً .

وحدث الصولي ، حدَّث جبلة بن محمد قال : سمعت أبي يقول : كان الناس قد أكبوا[2] على أبي محمد بزرج بن محمد العروضي لكثرة حفظه ، فساء ذلك حمَّاداً وجناداً[3] فدسا إليه من يسقطه ، فإذا هو يحدث بالحديث عن رجل فعل شيئاً ، ثم يحدث به عن رجل آخر بعد ذلك ، ثم حدث به عن آخر ، فتركه الناس حتى كان يجلسُ وحده .

وحدث صعودا قال : سمعتُ سلمة يقول : كان يونس النحوي يقول : إن لم

261 ـ ورد في م والوافي 10 : 112 « برزخ » وضبطه ابن حجر في لسان الميزان 2 : 11 بضم أوله والزاي المنقوطة بعدها راء غير منقوطة ساكنة ثم جيم (أي بُزْرْج) وكذلك هو في إنباه الرواة 1 : 241 وكتب في الفهرست : 78 « نزرّح » (وفي طبعة فلوجل برزخ) غير أن محقق الطبعة الثانية من الفهرست أدرج اسمه في مسرد الأعلام « بزرج » .

(1) الخليل . . . وضعها : لم يرد في م وهو في المختصر وإنباه الرواة .

(2) م : البوا ، والتصويب عن الانباه .

(3) حماد بن ميسرة المبارك المعروف بالراوية وجناد بن واصل أحد رواة الأخبار .

يكن بزرج أروى الناس فهو أكذبُ الناس . قال سلمة : وصدق يونس ، يقول إن كان ما أتى به حقاً وإلا فقد كذب لأنه حدث عن أقوام لا يعرفهم الناس.

وحدث ابن قادم قال : سئل الفرّاء عن بزرج .فأنشد قول زهير[1] :

أضـاعتْ فلم تُغْفَرْ لهـا غَفَلاتُهـا فـلاقتْ بيـانـاً عنـد آخـرِ معهـدِ

يريد أن الناس اجتنبوه لشيء استبانوه منه.

وحدّث المازني قال : روى بزرج شعراً لامرىء القيس ، فقال له جناد : عمَّن رويت هذا ؟ قال : عنّي وحسبك بي ، فقال له جناد : مِنْ هذا أُتيتَ يا غافل.

وحدث الصولي عن أبي عبد الله أحمد بن الحسن السكوني قال : كنا نروي لبزرج أشعاراً منها :

ليس بيـني وبـين قـومِـيَ إلاَّ أنني فـاضلٌ لهم في الـذكـاءِ
حسـدوني فزخـرفوا فيَّ قـولاً تـتلقّـاهُ ألْـسُـنُ الـبُـغَـضَـاءِ
كنتُ أرجو العلاءَ فيهم بعلمي فـأتـاني من الـرجـاءِ بـلائي
شـدةٌ إستفـدتهـا من رخـاءٍ وانتقـاصٌ جَنَيْتُـهُ من وفـاءِ

وحدث الحارث بن أبي أسامة قال : أنشدني عثمان بن محمد لأبي حنش واسمه خضير بن قيس يقوله في بزرج :

بُزُرْجُ فقدتُ كُلَّكَ[2] من ثقيلٍ فـظلُّكَ حين يُوزَنُ وزنُ فيـلِ
تَحبَّبُ بـالتبغّض يـا مقيـتُ وتختارُ القبيحَ على الجميـل
فمـا تنفكّ إنسـانـاً تمـاري[3] جليسـك منه في هم طـويلِ
وبالأشعارِ عِلْمُكَ حين تقضي علينـا بـالقضـاءِ المستحيـل
يكـونُ كعلم[4] سنَّـورٍ إذا مـا أجـاعـوه بـأكـلِ الـزنجبيـلِ

(1) شرح ديوان زهير : 227 .
(2) كلك : بفتح الكاف الأولى أي ثقلك ، وبضمها أي فقدتك كلك .
(3) م : تمادى .
(4) م : كلكم .

ولبزرج من التصانيف : كتاب العروض . كتاب بناء الكلام ، قال محمد بن إسحاق النديم : رأيته في جلود . وكتاب معاني العروض على حروف المعجم . كتاب النقض على الخليل وتغليطه في العروض . كتاب الأوسط في العروض . كتاب تفسير الغريب .

ـ 262 ـ

بشر بن يحيى بن علي القيني النصيبي ، أبو ضياء : من أهل نصيبين ، شاعر قليل الشعر وأديب كثير الأدب ، وله من الكتب فيما ذكره محمد بن إسحاق : كتاب سرقات البحتري عن أبي تمام . كتاب الجواهر . كتاب الآداب . كتاب السرقات الكبير ، لم يتم .

ـ 263 ـ

بقي بن مخلد الأندلسي أبو عبد الرحمن : ذكره الحميدي وقال : مات بالأندلس سنة ست وسبعين ومائتين في قول أبي سعيد ابن يونس ، وقال الدارقطني : مات سنة ثلاث وسبعين والأول أصح .

قال الحميدي : وبقيّ من حفاظ المحدثين، وأئمة الدين ، والزهاد الصالحين ، رحل إلى المشرق فروى عن الأئمة وأعلام السنة ، منهم الإمام أبو عبد اللّه أحمد بن محمد بن حنبل وأبو بكر عبد الله بن محمد بن أبي شيبة وأحمد بن إبراهيم الدورقي

---

262 ـ الفهرست: 166 .

263 ـ ترجمة بقي في جذوة المقتبس : 167 (وبغية الملتمس رقم : 584) وتاريخ ابن الفرضي 1 : 107 والصلة 1 : 116 والمرقبة العليا: 18 ومصورة ابن عساكر 3 : 405 وتهذيبه 3 : 280 والمنتظم 5 : 100 وتذكرة الحفاظ : 629 وعبر الذهبي 2 : 56 وسير الذهبي 13 : 285 وطبقات المفسرين : 9 وطبقات الحفاظ : 277 وطبقات الحنابلة 1 : 120 والنفح 2 : 518 والشذرات 2 : 169 والبداية والنهاية 11 : 56 والنجوم الزاهرة 3 : 75 والوافي 10 : 182 ويستفاد من المختصر أن المؤلف ترجم لبقي بن مخلد مرتين بعنوانين ولذلك علق الكاتب على الثانية منهما بقوله : قال كاتبه أظنه الأول لأنه ذكر وفاته في تاريخ وفاة الأول .

وخليفة بن خياط[1] وجماعة[2] أعلام يزيدون على المائتين ، وكتب المصنّفات الكبار والمنثور الكثير ، وبالغ في الجمع والرواية ، ورجع إلى الأندلس فملأها علماً جماً ، وألف كتباً حساناً تدلّ على احتفاله واستكثاره ؛ قال لنا أبو محمد علي بن أحمد[3] : فمن مصنّفات بقي بن مخلد « كتاب تفسير القرآن » وهو الكتاب الذي أقطعُ قطعاً لا أستثني فيه أنه لم يؤلَّفْ في الاسلام مثله ، ولا تصنيف محمد بن جرير الطبري ولا غيره ؛ ومنها في الحديث كتاب مصنفه الكبير الذي رتّبه على أسماء الصحابة ، فروى فيه عن ألفٍ وثلاثمائة صاحب ونيف ، ثم رتَّبَ حديثَ كلِّ صاحب على أسماء الفقه وأبواب الأحكام ، فهو مصنف ومسند[4] ، وما أعلم هذه الرتبة لأحدٍ قبله ، مع ثقته وضبطه وإتقانه واحتفاله فيه في الحديث وجودة شيوخه ، فإنه روى عن مائة[5] رجل وأربعة وثمانين رجلاً ليس فيهم عشرة ضعفاء وسائرهم أعلام مشاهير ؛ ومنها كتاب في فتاوى الصحابة والتابعين ومَنْ دونَهم الذي أربى فيه على مصنَّف أبي بكر ابن أبي شيبة وغيره ، فصارت تصانيفه قواعدَ الاسلام لا نظيرَ لها ، وكان متخيراً لا يقلّد أحداً ، وكان خاصّاً بأحمد بن حنبل وجارياً في مضمار البخاري ومسلم - كلُّ هذا من كتاب الحميدي . وإنما ذكرته لتصنيفه كتاباً في تفسير القرآن .

وذكر له ترجمةً أخرى فقال فيها : ولد بقي بن مخلد الأندلسي في رمضان سنة إحدى وثمانين وتوفي ليلة الثلاثاء لتسع وعشرين ليلة مضت من جمادى الآخرة سنة ست وسبعين ومائتين ، ودفن في المقبرة المنسوبة إلى بني العباس ، وكانت له رحلتان : أقام في إحداهما نحو العشرين عاماً ، وفي الثانية نحو الأربعة عشر عاماً ، فأخبرني أبي أنه كان يطوفُ في الأمصار على أهل الحديث ، فإذا أتى وقتُ الحج أتى

---

(1) لم يرد ذكر خليفة في الجذوة . .

(2) م : وجماعات .

(3) هذا الذي يرويه الحميدي عن ابن حزم ورد في رسالة ابن حزم في فضل الأندلس (رسائل 2 : 178) .

(4) المصنف : ترتب فيه الأحاديث بحسب أبواب الفقه ، والمسند : ترتب فيه الأحاديث بحسب رواته من الصحابة .

(5) الحميدي ورسائل ابن حزم : مائتي (وهو الصواب ، وإنما أبقيته على حاله لأن المؤلف وجده كذلك ، ثم وجد رواية « مائتي » فأثبتها) .

إلى مكةَ فحج ، هذا كان فعله كلَّ عام في رحلتيه جميعاً . وكان يلتزم صيامَ الدهر ، فإذا أتى يوم جمعة أفطر ، وكانت له عباداتٌ كثيرة من قراءة القرآن وغيرها من الصلوات ونشر العلم .

قال : مشايخه الذين سمع منهم فكانوا مائتي رجل وأربعة وثمانين رجلاً (هكذا ذكر في هذه الترجمة فما أدري أيهما الصحيح) أخبرني أسلم بن عبد العزيز ، أخبرني أبو عبد الرحمن بقي بن مخلد قال : لما وضعت مسندي أتاني عبيد الله بن يحيى [بن يحيى] ومعه أخوه إسحاق فقالا لي : بلغنا أنك وضعتَ مسنداً قدَّمت فيه أبا مصعبٍ وابنَ بُكَيْرٍ وأَخَّرْتَ أبانا ، فقال بقي : أما تقديمي لأبي مصعب فإني قدمته لقولِ رسول اللّه ﷺ : « قدِّموا قريشاً ولا تَقَدَّموها »(1) ، وأما ابن بكير فإني قدمته لسنِّه ، وقال النبي ﷺ : « كَبِّرْ كَبِّرْ »(2) ، مع أنه سمع « الموطأ » من مالك سبع عشرة مرة ولم يسمع أبوكما إلا مرة واحدة ؛ قال بقي : فخرجا عنّي ولم يعودا إليَّ بعد ذلك ، وخرجا إلى حد العداوة .

حدثنا قاسم بن أصبغ قال : خرجت من الأندلس ولم أروِ عن بقي شيئاً ، فلما دخلتُ العراقَ وغيره من البلدان سمعتُ من فضائله وتعظيمه ما أَندمني على تَرْكِ الرواية عنه وقلت: إذا رجعت لزمته حتى أروي جميع ما عنده ، فأتانا نَعْيُهُ ونحن بأطرابلس .

وحدثنا قاسم بن أصبغ قال : سمعت أحمد بن أبي خيثمة يقول ، وذكر بقيّ بن مخلد ، فقال : ما كنا نسميه إلا المكنسة ، وهل احتاج بلدٌ [فيه] بقيّ أن يأتي إلى هاهنا منه أحد ؟ فقلنا له : ولا أنت تحدثنا عن رجال ابن أبي شيبة ؟ فقال : ولا أنا . وذكر بقيٌّ أنه أدرك جماعةً من أصحاب سفيان الثوري فلم يروِ عنهم ، وروى عن رجلين عن سفيان الثوري .

قال : وحدثت عن بقيّ أنه قال يوماً لطلبته : أنتم تطلبون العلم ، أهكذا يطلب العلم ؟ إنما أحدكم إذا لم يكن عليه شغل يقول : أمضي أسمع العلم ، إني لأعرفُ

---

(1) مسند البيهقي 3 : 121 .

(2) أخرجه البخاري ومسلم وأبو داود والترمذي والنسائي (انظر الحاشية رقم: 2 ص 289 من سير الذهبي) .

رجلاً تمضي عليه الأيام في وقت طلبه للعلم لا يكونُ له عيشٌ إلا من ورق الكرنب الذي يلقيه الناس ، وإني لأعرفُ رجلاً باع سراويله غيرَ مرةٍ في شرى كاغدٍ حتى يسوقَ الله عليه من حيث يخلفها .

قال الحميدي[1] : أخبرنا أبو القاسم عبد الكريم بن هوازن القشيري في إجازة وصلت إليه ، وذكر إسناداً ، وقال : جاءت امرأة إلى بقي بن مخلد فقالت : إن ابني قد أسره الرومُ ولا أقدرُ على مالٍ أكثرَ من دُوَيْرَةٍ ، ولا أقدر على بيعها ، فلو أَشَرْتَ إلى من يفديه بشيءٍ فإنه ليس لي ليلٌ ولا نهار ولا نومٌ ولا قرار ، فقال : نعم انصرفي حتى أنظر في أمره إن شاء الله ، وأطرق الشيخ وحرَّك شفتيه ، قال : ولبثنا مدةً فجاءت المرأةُ ومعها ابنها ، فأخذت تدعو له وتقول : قد رجع سالماً ، وله حديثٌ يحدّثك به ، فقال الشاب : كنتُ في يدَيْ بعضِ ملوكِ الروم مع جماعة من الأسارى ، وكان له إنسان يستخدمنا كلَّ يوم ، يخرجنا إلى الصحراءِ للخدمة ثم يردّنا وعلينا قيودنا ، فبينا نحن نجيء من العمل مع صاحبه الذي كان يحفظنا إذ انفتح القيدُ من رجليّ ووقع على الأرض ، ووصف اليوم والساعة ، فوافق الوقتَ الذي جاءت المرأة ودعا الشيخ ، قال : فنهض إليّ الذي كان يحفظني وصاح عليّ وقال : كسرتَ القيد فقلت : لا إلا أنه سقط من رجلي ، قال : فتحير وأخبر صاحبه وأحضر الحداد وقيدوني فلما مشيت خطوات سقط القيد من رجلي[2] فتحيّروا في أمري ودعوا رهبانهم فقالوا لي : أَلَكَ والدة ؟ قلت لهم : نعم ، فقالوا : وافق دعاؤها الإجابة ، وقالوا : أطلقك الله ولا يمكننا تقييدك ، فزودوني وأصحبوني إلى ناحية المسلمين .

---

(1) الجذوة : 168 ـ 169 ووردت القصة في المنتظم والبداية والنهاية وابن عساكر ولخصها الذهبي في السير : 290 .

(2) فتحير . . . من رجلي : ثبت في المختصر ، وهو أيضاً قد سقط من تاريخ ابن عساكر .

ـ 264 ـ

بكر بن حبيب السهمي والد عبد الله بن بكر المحدث : ذكره الزبيدي وغيره في النحويين ، أخذ عن ابن أبي إسحاق ، وقال ابن أبي إسحاق لبكر بن حبيب : ما ألحن في شيء ؟ قال : تفعل ، فقال له : فخذ عليَّ كِلْمةً ، قال : هذه واحدة ، قل كَلِمة . وقربت منه سنورة فقال لها : اخسي ، فقال له : أخطأت إنما هو اخسأي .

وحدث أبو أحمد الحسين بن عبد اللّه العسكري في « كتاب التصحيف »[1] له عن أبيه عن عسل بن ذكوان عن الرياشي قال : توفي ابنٌ لبعضِ المهالبة ، فأتاه شبيب بن شيبة المنقري يعزّيه وعنده بكر بن حبيب السهمي ، فقال شبيب : بلغنا أن الطفلَ لا يزالُ محبنطئاً على باب الجنة يشفعُ لأبويه ، فقال بكر بن حبيب : إنما هو محبنطياً غير مهموز ، فقال له شبيب : أتقول لي هذا وما بين لابتيها أفصحُ مني ؟! فقال بكر : وهذا خطأ ثانٍ ، ما للبصرة وللّوب ؟! لعلك غرَّك قولهم « ما بين لابتي المدينة » يريدون الحرة . قال أبو أحمد : والحرة أرضٌ تركبها حجارةٌ سود ، وهي اللابة وجمعها لابات ، فإذا كثرت فهي اللوب واللاب ، وللمدينة لابتان من جانبيها وليس للبصرة لابةٌ ولا حرة .

. قال أبو عبيدة المحبنطي بغير همز هو المنتصبُ[2] المستبطىء للشيء ، والمحبنطىء بالهمز العظيم البطن المنتفخ .

وقال أبو عبد الله المرزباني في « كتاب المعجم » : بكر بن حبيب السهمي من باهلة أحد مشايخ المحدثين قال ابنه عبد الله بن بكر : كان أبي يقول البيتين والثلاثة ، وهو القائل :

سيرُ النواعجِ في بلادِ مَضَلَّةٍ يمشي الدليل[3] بها على ملمالِ[4]

---

264 ـ ترجمته في طبقات الزبيدي : 46 وإنباه الرواة 1 : 244 والوافي 10 : 203 وبغية الوعاة 1 : 462 .

(1) كتاب التصحيف : 27 وفيه أن شبيباً صحَّف : محبنطياً فجعلها محبنظياً بظاء معجمة .

(2) العسكري : المتغضب .

(3) م : لليل .

(4) الملمال : الرماد أو الرمل الحارّ .

خيرٌ من الطمع الدنيء ومجلسٍ بفناءِ لا طَلْقٍ ولا مِفْضَالِ
فاقصدْ لحاجتك المليكَ فإنه يغنيكَ عن مترفّعٍ مختالِ

وحدث التاريخي عن أبي خالد يزيد بن محمد المهلبي عن البجلي عن قتب بن بشر قال : كنت مع بكر بن حبيب السهمي بموضع يقال له قصر زربي ونحن مشرفون على المربد ، إذ مرَّ بنا يونس بن حبيب النحوي ، فقال : أَمَرَّ بكم الأمير ؟ قال بكر : نعم مرَّ بنا عاصباً فوه ، فرمى يونس بعنانه على عنق حماره ثم قال : أف أف ، فقال له بكر : انظر حسناً ، ثم قال : نعم وإنما ظنَّ يونس بن حبيب النحوي أنه قد لحن ، وأنه كان يجب أن يقولَ عاصباً فاه ، فلما تبين أنه أراد عَصبَ الفمُ صَدَّقه .

قال : ومرَّ بكر بن حبيب بدارٍ فسمع جلبة فقال : ما هذه الجلبة ، أعرس أم خُرْسٌ أم إعذار أم توكير ؟ فقال له قوم : قد عرفنا العرسَ فأخبرنا ما سوى ذاك ، قال : الخرس الطعام على الولادة ، والاعذار الختان ، والتوكير أن يبني الرجلُ القبَّةَ أو يُحْدثَ القُدُرَ الجِماعَ فيقال : وكِّرْ لنا طعاماً . قال : والقُدُر الجِماعُ الكبيرةُ ، وقال ثعلب : الوكيرة مأخوذ من الوكر ، وهي الوليمة التي يصنعها الرجل عند بناء المنزل .

ـ 265 ـ

أبو بكر ابن عياش بن سالم الكوفي الحنَّاط مولى واصل بن حيان الأسدي الأحدب : واختلف في اسمه فقيل : اسمه كنيته ، وقيل شعبة ، وقيل عبد اللّه ، وقيل محمد ، وقيل مطرف ، وقيل سالم ، وقيل عنترة ، وقيل أحمد ، وقيل عتيق ، وقيل رؤبة ، وقيل حماد ، وقيل حسين ، وقيل قاسم ، وقيل لا يعرف له اسم ، وأظهر ذلك شعبة ومطرف . قال الهيثم بن عدي : اسم أبي بكر مطرف بن النهشلي ، ومات ابن عياش في سنة ثلاث وتسعين ومائة في السنة التي مات فيها الرشيد بن المهدي قبله

265 ـ ترجمته في تاريخ البخاري الكبير 9 : 14 وتاريخ خليفة : 466 وطبقات خليفة : 170 وحلية الأولياء 7 : 303 وسير الذهبي 8 : 435 وميزان الاعتدال 4 : 494 وعبر الذهبي 1 : 304 وتهذيب التهذيب 12 : 34 والوافي 10 : 241 والشذرات 1 : 334 .

بشهر ، وفيها مات غندر وعبد الله بن إدريس . وروي أن ابن عياش مات في سنة اثنتين وتسعين والأول أظهر ، ومولده سنة سبع وتسعين في أيام سليمان بن عبد الملك ، وروي سنة أربع وتسعين وروي سنة خمس وتسعين وكان ابن عياش يقول : أنا نصف الإسلام .

وقال الحسين بن فهم ، وقد ذكر جماعة لا تعرف أسماؤهم : منهم أبو بكر بن أبي مريم وأبو بكر بن أبي سبرة وأبو بكر بن محمد بن عمرو بن حزم وأبو بكر بن عبد الرحمن وأبو بكر بن عياش وأبو بكر بن أبي العرامس .

وقال أبو الحسن الأهوازي المقرىء في كتابه : وإنما وقع هذا الاختلاف في اسم أبي بكر لأنه كان رجلاً هيوباً ، فكانوا يهابونه أن يسألوه ، فروى كلٌّ واحدٍ على ما وقع له .

قلت : وقد روى المرزباني في كتابه أن جماعة من أهل العلم سألوه عن اسمه واختلفت أقوالهم على ما تقدم ، ولولا كراهة الإطالة لذكرته .

وكان ابن عياش معظماً عند العلماء ، وقد لقي الفرزدق وذا الرمة وروى عنهما شيئاً من شعرهما .

حدث المرزباني ، حدثنا أحمد بن عيسى عن أحمد بن أبي خيثمة ، حدثنا محمد بن يزيد قال : سمعت أبا بكر ابن عياش يقول[1] : كان أبو بكر خليفة رسول اللّه ﷺ في القرآن ، قال اللّه عزّ وجلّ : ﴿ **لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ** ﴾ إلى قوله : ﴿ **أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُون** ﴾ (الحشر: 8) فهؤلاء سموه خليفة رسول اللّه وهؤلاء لا يَكْذِبون .

وحدث المرزباني بإسناده إلى زكرياء بن يحيى الطائي قال : سمعت أبا بكر ابن عياش يقول : إني أريد أتكلم اليوم بكلامٍ لا يخالفني فيه أحد إلا هَجَرْتُهُ ثلاثاً ، قالوا : قل يا أبا بكر ، قال : ما ولد لآدم عليه السلام مولود بعد النبيين والمرسلين أفضل من أبي بكر الصدّيق ، قالوا : صدقت يا أبا بكر ، ولا يوشَعُ بن نون وصيُّ موسى عليه السلام . قال : ولا يوشع بن نون إلا أن يكون نبياً . ثم فسره فقال : قال

(1) سير الذهبي 8 : 440 .

اللّه تعالى : ﴿ كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاس ﴾ (آل عمران: 110) وقال رسول اللّه ﷺ : « خير هذه الأمة أبو بكر » .

قال زكرياء بن يحيى وسمعت ابن عياش يقول : لو أتاني أبو بكر وعمر وعلي رضي الله عنهم في حاجةٍ لبدأت بحاجةِ عليٍّ قبل حاجة أبي بكر وعمر لقرابته برسول اللّه ، ولأَنْ أخِرَّ من السماء إلى الأرض أَحبُّ إليَّ من أن أُقدِّمَهُ عليهما . وكان يقدم علياً على عثمان ولا يغلو ولا يقول إلا خيراً .

وحدث المرزباني بإسناده عن أبي بكر ابن عياش عن ذر عن عبد اللّه قال : إن الله عزّ وجلّ نظر في قلوبِ العباد فوجد قلبَ محمد ﷺ خيرَ قلوب العباد ، فاصطفاه لنفسه وابتعثه برسالته ، ثم نظر في قلوب العباد بعد قلبه فوجد قلوب أصحابه خيرَ القلوب بعد قلبه ، فجعلهم وزراء نبيه ﷺ يقاتلون عن دينه ، فما رآه المسلمون حسناً فهو عند الله حسن ، وما رآه المسلمون سيئاً فهو عند اللّه سيّء ؛ قال أبو بكر ابن عياش : وأنا أقول : إنهم رأوا أن يولوا أبا بكر بعد النبي ﷺ .

وحدث المرزباني ، حدثنا محمد بن مخلد العطار ، حدثنا أبو عمر العطاردي قال : بعث أبو بكر ابن عياش إلى أبي يوسف الأعشى ، فمضيت مع أبي يوسف ومع عبد الوهاب بن عمر والعباس بن عمير ، فدخلنا إليه وهو في علية له ، فقال لأبي يوسف : قد قرأتَ عليَّ القرآن مرتين ، وقد نقلتَ عني القرآن ، فاقرأ عليّ آخرَ الأنفال ، واقرأ عليَّ من رأس المائة من براءة ، واقرأ عليّ كذا واقرأ كذا ، فقال له أبو يوسف : يا أبا بكر هذا القرآن والحديث والفقه وأكثر الأشياء قد أفدتها بعدما كبرتَ أو لم تزل فيه مذ كنت ؟ ففكر هنيهة ثم قال : بلغتُ وأنا ابن ست عشرة سنة ، فكنت فيما يكون فيه الشبان مما يُعْرَفُ وَيُنْكَر سنتين ، ثم وعظتُ نفسي وزجرتها ، وأقبلت على الخير وقراءة القرآن ، فكنت أختلف إلى عاصم في كلِّ يوم ، وربما مُطِرْنا ليلاً فأنزعُ سراويلي وأخوضُ الماء إلى حقويَّ ، فقال له أبو يوسف : ومن أين هذا الماء كله ؟ قال : كنا إذا مطرنا جاء ماءُ الحيرةِ إلينا حتى يدخلَ الكوفة . وكنتُ إذا قرأتُ على عاصم أتيتُ الكلبيَّ فسألته عن تفسيره . وأخبرني أبو بكر أن عاصماً أخبره أنه كان يأتي زرّ بن حبيش فيقرئه خمسَ آيات لا يزيدُ عليها شيئاً ، ثم يأتي أبا عبد الرحمن السلمي فيعرضُها عليه ، فكانت توافق قراءةُ زرّ قراءةَ أبي عبد الرحمن ، وكان أبعو

عبد الرحمن قرأ على عليّ عليه السلام، وكان زرّ بن حبيش الشكرمي العطاردي[1] قرأ على عبد الله بن مسعود القرآن كلّه في كلّ يوم آية واحدة لا يزيده عليها شيئاً ، فإذا كانت آيةً قصيرة استقلها زرّ من عبد الله ، فيقول عبد الله : خذها ، فوالذي نفسي بيده لهي خيرٌ من الدنيا وما فيها ؛ ثم يقول أبو بكر : وصدق والله ، ونحن نقول كما قال أبو بكر ابن عياش إذا حدثنا عن عاصم عن زر عن عبد الله ، قال : هذا ـ والله الذي لا إله إلا هو ـ حقّ كما أنكم عندي جلوس ، والله ما كذبت ، والله ما كذب عاصم بن أبي النجود ، والله ما كذب زر ، والله ما كذب عبد الله بن مسعود ، وإن هذا لحقّ كما أنكم عندي جلوس .

وحدث عمن أسنده إلى أحمد بن عبد الله بن يونس قال : ذكر النبيذ عند العباس بن موسى فقال : إن ابن إدريس يحرمها ، فقال أبو بكر ابن عياش : إن كان النبيذ حراماً فالناسُ كلّهم أهلُ ردّة .

وحدث المرزباني قال : قال عبد الله بن عياش : كنت أنا وسفيان الثوري وشريك نتماشى بين الحيرة والكوفة ، فرأينا شيخاً أبيضَ الرأس واللحية حسنَ السمت والهيئة ، فظننا أنَّ عنده شيئاً من الحديث وأنه قد أدركَ الناس ، وكان سفيان أَطْلَبَنَا للحديث وأشدَّنا بحثاً عنه ، فتقدم إليه وقال : يا هذا عندك شيء من الحديث ؟ فقال : أما حديثٌ فلا ، ولكنْ عندي عتيقُ سنتين ، فنظرنا فإذا هو خمّار .

وحدث أبو بكر ابن عياش [قال] : رأيت الفرزدق بالكوفة ينعى عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه ، فقال :

كم من شريعةِ عدلٍ قد سننتَ لهم ... كانتْ أُميتتْ وأُخرى منك تُنْتَظَرُ
يا لهفَ نفسي ولهفَ اللاهفين معي ... على العدولِ التي تغتالها الحُفَرُ

وحدث بإسناده عن ابن كناسة قال ، حدثني أبو بكر ابن عياش قال: كنت إذ أنا شابٌ إذا أصابتني مصيبة تصبَّرْتُ ورددتُ البكاء ، فكان ذلك يوجعني ويزيدني ألماً ، حتى رأيت بالكناسةِ أعرابياً واقفاً وقد اجتمع الناس حوله (فأنشد)[2] :

(1) هذه نسبة غريبة ، وزر بن حبيش أسدي كوفي .

(2) ديوان ذي الرمة 2 : 1332 .

خليليَّ عوجا من صدورِ الرواحلِ بِجُمْهورِ حُزْوَى وابكيا في المنازلِ
لعلَّ انحدارَ الدمع يعقبُ راحةً من الوجد أو يشفي نجيَّ البلابلِ

فسألتُ عنه فقيل : ذو الرمة ، قال : فأصابتني بعد ذلك مصائب فكنت أبكي فأجد راحة ، فقلت في نفسي : قاتل الله الأعرابي ما كان أبصره وأعلمه .

وحدث المرزباني عن الحسن النحوي عن محمد بن عثمان بن أبي شيبة قال : سمعت عمّي القاسم بن محمد يقول : حدثني يحيى بن آدم قال : لما قدم هارون الرشيد الكوفةَ نزل الحيرةَ ثم بعث الى أبي بكر ابن عياش ، فحملناه إليه ، وكنت أنا أقتاده بعد ذهاب بصره ، فلما انتهينا إلى باب الخليفة ذهب الحجّابُ يأخذون أبا بكر مني ، فأمسك أبو بكر بيدي وقال : هذا قائدي لا يفارقني ، فقالوا : ادخل أنت وقائدك يا أبا بكر ، قال يحيى : فدخلتُ به وإذا هارون جالساً وحده ، فلما دنا منه أنذرته فسلَّم عليه بالخلافة ، فأحسن هارون الردَّ ، فأجلسته حيث أُمِرْتُ ، ثم خرجتُ فقعدت في مكانٍ أراهما وأسمعُ كلامهما ، قال : فجعلت أنظر إلى هارون يتلمح أبا بكر ، قال : وكان أبو بكر رجلاً قد كبر وضعفت رقبته ، فإنما ذقنه على صدره ، فسكت هارون عنه ساعة ثم قال له : يا أبا بكر ، فقال : لبيك يا أمير المؤمنين ، قال : إني سائلك عن أمر ، فأسألك باللّه لما صدقتني عنه ، قال : إن كان علمه عندي ، قال : إنك قد أدركتَ أمر بني أمية وأمرنا ، فأسألك باللّه أيهما كان أقربَ إلى الحقّ ؟ قال يحيى : فقلتُ في نفسي اللهم وفِّقه وثبّته ، قال : فأطال أبو بكر في الجواب ثم قال له : يا أمير المؤمنين أمّا بنو أمية فكانوا أنفع للناس منكم وأنتم أقومُ بالصلاة منهم . قال : فجعل هارون يشير بيده ويقول : إن في الصلاة ، إن في الصلاة ؛ قال : ثم خرج فتبعه الفضل بن الربيع فقال : يا أبا بكرٌ إن أمير المؤمنين قد أمر لك بثلاثين ألفاً ، فقال أبو بكر : فما لقائدي ؟ فضحك الفضل وقال : لقائدك خمسة آلاف ، قال يحيى : فأخذت الخمسة آلاف قبل أن يأخذ أبو بكر الثلاثين .

وحدث بإسناد رفعه إلى أبي بكر ابن عياش قال : دخلتُ على هارون أمير المؤمنين فسلَّمتُ وجلستُ ، فدخل فتىً من أحسن الناس وجهاً فسلَّم وجلس ، فقال لي هارون : يا أبا بكر أتعرفُ هذا ؟ قلت : لا ، قال : هذا ابني محمد ، ادعُ اللّه له ، فقلت : يا أمير المؤمنين جعله الله أهلاً لما جعلته له أهلاً ، فسكت ثم قال : يا أبا بكر

ألا تحدثني ؟ فقلت : يا أمير المؤمنين حدثنا هشام بن حسان عن الحسن قال ، قال رسول اللّه ﷺ : « إن اللّه فاتحٌ عليكم مشارقَ الأرضِ ومغارِبَهَا ، وإن عمَّال ذلك الزمانِ في النار ، إلا من اتَّقى اللّه وأدَّى الأمانة » ، فانتفض وتغيّر وقال : يا مسرور اكتب ؛ ثم سكت ساعة وقال : يا أبا بكر ألا تحدثني ؟ فقلت : يا أمير المؤمنين حدثنا هشام بن حسان عن الحسن قال : « أتدري ما قال عمر بن الخطاب للهرمزان »[1] قال : وما قال له ؟ قلت : قال له ما منعك[2] من حبِّ المال وأنت كافر القلب طويلُ الأمل ؟ قال : لأني قد علمتُ أن الذي لي سوف يأتيني ، والذي أخلّفه بعدي يكون وباله عليّ ؛ ثم قال : يا مسرور اكتب ويحك . قال : أَلَكَ حاجةٌ يا أبا بكر ؟ قلت : تردّني كما جئتَ بي ، قال : ليست هذه حاجة ، سل غيرها ، قلت : يا أمير المؤمنين لي بناتُ أختٍ ضعافٌ ، فإن رأى أمير المؤمنين أن يأمر لهنّ بشيء ، قال : قَدِّرْ لهن ، قلت : يقولُ غيري قال : لا يقول غيرك ، قلت : عشرة آلاف ، قال : لهن عشرة آلاف وعشرة آلاف وعشرة آلاف وعشرة آلاف ، يا فضل اكتبْ بها إلى الكوفة وألا تُحْبَس عليه ، ثم قال : انصرف ولا تنسنا من دعائك .

وحدث بإسناده عن العباس بن بنان قال : كنا عند أبي بكر ابن عياش يقرأ علينا كتابَ مغيرة فغمض عينيه ، فحرّكه جمهورٌ وقال له : تنام يا أبا بكر ؟ فقال : لا ولكن مرَّ ثقيلٌ فغمضت عيني حتى عبر[3].

وحدث أبو هاشم الدلال قال : رأيت أبا بكر ابن عياش مهموماً فقلت له : ما لي أراك مهموماً ؟ قال : سيف كسرى لا أدري الى من صار.

وقال محمد بن كناسة يذكر أصحاب أبي بكر ابن عياش :

لــلّه مشيخــةٌ فجعتُ بهــم ... كــانت تريــغ إلى أبي بكــرِ
سُــرُجٌ لقــومٍ يهتــدون بهــا ... وفضــائلٌ تنمي ولا تَحْــرِي[4]

(1) م : للهروان .
(2) م : ما يمنعك .
(3) حتى عبر : زيادة من ر .
(4) تحري : تنقص .

وحدث المدائني قال : كان أبو بكر ابن عياش أبرص ، وكان رجل من قريش يُرْمَى بشرب الخمر ، فقال له أبو بكر ابن عياش يداعبه : زعموا أن نبياً قد بُعِثَ بحلِّ الخمرة ، فقال له القرشي : إذاً لا أومن به حتى يبرئ الأكمه والأبرص.

أنشد أبو بكر ابن عياش المحدّث ، ويقال إنهما له :

إن الكريم الذي تبقى مودته ... ويكتم السرَّ ان صافى وإن صَرَمَا
ليس الكريم الذي إنْ زلَّ صاحبُهُ ... أفشى الذي كان من أسراره[1] علِمَا

- 266 -

بكر بن محمد بن بقية المازني أبو عثمان النحوي : وقيل هو بكر بن محمد بن عدي بن حبيب ، أحد بني مازن بن شيبان بن ذهل بن ثعلبة بن عكابة بن صعب[2] بن علي بن بكر بن وائل .

قال الزبيدي ، قال الخشني : المازني مولى بني سدوس نزل في بني مازن بن شيبان فنسب إليهم .

وهو من أهل البصرة ، وهو أستاذ المبرِّد ، روى عن أبي عبيدة والأصمعي وأبي زيد الأنصاري ، وروى عنه الفضل بن محمد اليزيدي والمبرِّد وعبد اللّه بن [أبي] سعد الورَّاق.

وكان إمامياً يرى رأي ابن ميثم ويقول بالإرجاء ، وكان لا يناظره أحدٌ إلا قطعه لقدرته على الكلام ، وكان المبرد يقول : لم يكن بعد سيبويه أعلم من أبي عثمان

---

266 ـ ترجمة المازني في أخبار النحويين البصريين : 74 وطبقات الزبيدي : 87 ومراتب النحويين 77 ونور القبس : 220 وتاريخ بغداد 7 : 93 وإنباه الرواة 1 : 246 ونزهة الألباء : 182 وابن خلكان 1 : 283 وطبقات ابن الجزري 1 : 179 وسير الذهبي 12 : 270 وعبر الذهبي 1 : 448 والبداية والنهاية 10 : 352 والوافي 10 : 211 ولسان الميزان 2 : 57 والنجوم الزاهرة 2 : 329 والشذرات 2 : 113 وإشارة التعيين : 61 (ويعتمد ياقوت على طبقات الزبيدي وتاريخ بغداد والفهرست والأغاني) ولرشيد العبيدي دراسة عنه (بغداد : 1969) .

(1) م : أفشى وقال عليه كل ما .
(2) ر : مصعب .

بالنحو ، وقد ناظر الأخفشَ في أشياءَ كثيرةٍ فقطعه ، وهو أخذ عن الأخفش ، وقال حمزة : لم يقرأ على الأخفش ، إنما قرأ على الجرمي ، ثم اختلف إلى الأخفش وقد برع ، وكان يناظره ويقدمه الأخفش وهو حيٌّ . وكان أبو عبيدة يسميه بالتُّدْرُجِ والنَّقَّار.

مات أبو عثمان فيما ذكره الخطيب في سنة تسع وأربعين ومائتين أو ثمان وأربعين ومائتين وذكر ابن واضح أنه مات سنة ثلاثين ومائتين.

حدث المبرد عن المازني قال : كنت عند أبي عبيدة فسأله رجل فقال له : كيف تقول عُنِيتُ بالأمر ، قال : كما قلتَ « عُنيتُ بالأمر » قال : فكيف الأمر منه ؟ قال : فغلط وقال اعنَ بالأمر ، فأومأت إلى الرجل ليس كما قال ، فرآني أبو عبيدة فأمهلني قليلاً فقال : ما تصنع عندي ؟ قلت : ما يصنع غيري ، قال : لست كغيرك ، لا تجلس إليَّ ، قلت : ولِمَ ؟ قال : لأني رأيتك مع إنسانٍ خوزي سرق مني قطيفة ، قال : فانصرفتُ وتحمَّلْتُ عليه بأخوانه ، فلما جئته قال لي : أدِّبْ نفسك أوَّلاً ثم تعلَّم الأدب.

قال المبرد : الأمرُ من هذا باللام لا يجوز غيره لأنك تأمر غير من بحضرتك كأنّه لِيُفْعَلْ هذا.

وقال الجماز يهجو المازني :

كادني المازنيّ عند أبي العبـــــاس والفضلُ ما علمتُ كريمُ
يا شبيهَ النساءِ في كل فنٍّ   إن كَيْدَ النساء كيدٌ عَظِيمُ
جمع المازنيُّ خمسَ خصالٍ   ليس يقوى بحملهنَّ حليمُ
هو بالشعرِ والعروض وبالنحـــــو وغمز الأيورِ طَبٌّ عليمُ
ليس ذنبي إليك يا بكر إلا   أنَّ أيري عليك ليس يقومُ
وكفاني ما قال يوسفُ في ذا   إنّ ربِّي بِكَيْدِكُنَّ عَلِيمُ

وحدّث المبرد قال : عزَّى المازني بعض الهاشميين ونحن معه فقال :

إني أعزِّيكَ لا أني على ثقةٍ   من الحياةِ ولكن سنةُ الدينِ
ليس المعزِّي بباقٍ بعد ميّته   ولا المعزَّى وإن عاشا الى حينِ

وقد روي عن المبرد أن يهودياً بذل للمازني مائة دينار ليقرئه « كتاب سيبويه » فامتنع من ذلك ، فقيل له : لم امتنعتَ مع حاجتك وعائلتك ؟ فقال : إن في « كتاب سيبويه » كذا وكذا آية من كتاب اللّه ، فكرهت أن أقرىء كتابَ الله للذمّة ، فلم يمض على ذلك إلا مُدَيدةٌ حتى أرسل الواثقُ في طلبه وأخلف اللّه عليه أضعافَ ما تركه للّه ، كما حدث أبو الفرج علي بن الحسين الأصفهاني في « كتاب الأغاني »(1) بإسناد رفعه الى أبي عثمان المازني قال : كان سبب طلب الواثق لي أن مخارقاً غناه في شعر الحارث بن خالد المخزومي :

أظليمُ أن مصابكم رجلاً ... أهدى السلامَ تحيةً ظُلْمُ

فلحّنه قومٌ وصوَّبَهُ آخرون ، فسأل الواثق عمن بقي من رؤساء النحويين فذُكرت له ، فأمر بحملي وإزاحة عللي . فلما وصلتُ إليه قال لي : ممن الرجل ؟ قلت : من بني مازن ، قال : من مازن تميم أم مازن قيس أم مازن ربيعة أم مازن اليمن ؟ قلت : من مازن ربيعة ، قال لي : باسمك ـ يريد ما اسمك ، وهي لغة كثيرة في قومنا ، فقلت على القياس : اسمي مكر ـ وفي رواية فقلت : اسمي بكر ـ فضحك وأعجبه ذلك ، وفطن لما قصدت أنني لم أستجرىء أن أواجهه بالمكر وضحك ، وقال : اجلس فاطبئن أي فاطمئن ، فجلست فسألني عن البيت فقلتُ : صوابه إنَّ مُصَابَكُمْ رَجُلاً ، قال : فأين خبر إنَّ ؟ قلت : ظُلْمُ ، وهو الحرف في آخر البيت ، والبيت كله متعلق به لا معنى له حتى يتمَّ بقوله ظلمُ ، ألا ترى أنه لو قال أظليم إنَّ مُصَابَكُمْ رَجلاً أهدى السلام تحيةً فكأنّه لم يفد شيئاً حتى يقول ظلمُ ، ولو قال أظليم إن مصابكم رجلٌ أهدى السلام تحيةً لما احتاج إلى ظلم ولا كان له معنى إلا أن تجعل التحية بالسلام ظلماً ، وذلك محال ، ويجب حينئذٍ أظليم إن مصابكم رجل أهدى السلام تحية ظلماً ولا معنى لذلك ، ولا هو لو كان له وجه مراد الشاعر فقال: صدقت، ألك ولد ؟ قلت : بنية لا غير ، قال : فما قالت لك حين ودَّعتها ؟ قلت : أنشدتني قول الأعشى :

تقولُ ابنتي حين جدَّ الرحيلُ ... أرانا سواءً ومن قد يتمْ

(1) الأغاني 9: 225 ـ 227 .

أبـانـا فـلا رِمْت مِنْ عنـدنـا ... فـانـا بـخـيـرٍ إذا لـم تَـرِمْ
أرانـا إذا أضـمـرتـكَ الـبـلادُ ... نُـجْفَـى وتُقْـطَعُ منـا الـرَّحِـمْ

فقال الواثق : كأني بك وقد قلت لها قول الأعشى أيضاً :

تقـولُ بنتي وقد قـرَّبتُ مـرتحـلاً ... يا ربَّ جنِّبْ أبي الأوصابَ والوجعا
عليكِ مثلُ الذي صلَّيتِ فاعتصمي ... يوماً فإن لجنب المرءِ مضـطجعا

فقلت : صدق أمير المؤمنين ، قلت لها ذلك وزدتها قول جرير :

ثقي بـالـلّه ليس لـه شـريـكٌ ... ومن عنـدِ الخليفـةِ بـالنجـاحِ

فقال : ثق بالنجاح إن شاء اللّه تعالى ، إن ها هنا قوماً يختلفون إلى أولادنا فامتحنهم ، فمن كان عالماً يُنْتَفَعُ به ألزمناهم إياه ، ومن كان بغير هذه الصفة قطعناه عنهم ، قال : فامتحنتهم فما وجدتُ فيهم طائلاً ، وحذروا ناحيتي ، فقلت : لا بأسَ على أحدٍ منكم ، فلما رجعتُ إليه قال : كيف رأيتهم ؟ فقلت : يفضل بعضهم بعضاً في علومٍ ويفضل الباقون في غيرها وكلٌّ يُحتاجُ إليه ، فقال الواثق : إني خاطبتُ منهم رجلاً فكان في نهاية الجهل في خطابه ونظره ، فقلت : يا أمير المؤمنين أكثر من تقدم فهم بهذه الصفة ، وقد أنشدت فيهم :

إن الـمعـلمَ لا يـزال مُضَـعَّفـاً ... ولـو ابتنى فوق السمـاء سماءَ(1)
من علَّم الصبيـان أَصْبَوْا(2) عقله ... مـمـا يـلاقي بـكـرةً وعـشـاءَ

قال فقال لي : للّه درّك كيف لي بك ؟ فقلت : يا أمير المؤمنين ان الغُنْمَ لفي قربك والأمنَ والفوزَ لديك والنظر إليك ، ولكني ألفتُ الوحدةَ وأنستُ بالانفراد ، ولي أهلٌ يوحشني البعدُ عنهم ويضرُّ بهم ذلك ، ومطالبةُ العادة أشدُّ من مطالبة الطباع ، فقال لي : فلا تقطعنا وان لم نطلبك ، فقلت : السمع والطاعة ، وأمر لي بألف دينار (وفي رواية بخمسمائة دينار) وأجرى عليَّ في كلِّ شهر مائة دينار .

---

(1) الأغاني والزبيدي : بناء .
(2) الأغاني : أضنوا .

وزاد الزبيدي قال[1] : وكنت بحضرته يوماً فقلت لابن قادم أو ابن سعدان وقد كابرني : كيف تقول نَفَقَتُكَ ديناراً أصلح من درهم فقال : دينار بالرفع ، قلت : فكيف تقول ضَرْبُكَ زيداً خير لك فنصب زيداً ، فطالبته بالفرق بينهما فانقطع ، وكان ابن السكيت حاضراً فقال الواثق[2] سَلْه عن مسألة ، فقلت له : ما وزن نَكْتَلْ من الفعل ؟ فقال : نفعل ، فقال الواثق ، غلطت ، ثم قال لي : فَسِّرْهُ ، فقلت : نكتل تقديره نفتعل ، وأصله نكتيل فانقلبت الياء ألفاً لفتحة ما قبلها فصار لفظها نكتال ، فأسكنت اللام للجزم لأنه جواب الأمر ، فحذفت الألف لالتقاء الساكنين ، فقال الواثق : هذا الجواب لا جوابك يا يعقوب . فلما خرجنا قال لي يعقوب : ما حملك على هذا وبيني وبينك المودة الخالصة ؟ فقلت : واللّه ما قصدتُ تخطئتك ولم أظنَّ أنه يعزبُ عنك ذلك ؛ ولهذا البيت قصة أخرى في أخبار ابن السكيت .

قال المبرّد : سألت المازني عن قول الأعشى :

هذا النهارَ بدا لها من همها ... ما بالها بالليل زالَ زوالَها

فقال : نصب النهار على تقدير هذا الصدود بدا لها النهارَ واليومَ والليلةَ ، والعربُ تقول زال وأزال بمعنى ، فتقول زال زوالَها .

وحدث الزبيدي قال ، قال المازني[3] : وحضرت يوماً عند الواثق ، وعنده نحاة الكوفة ، فقال لي الواثق : يا مازني هات مسألة ، فقلت : ما تقولون في قوله تعالى ﴿ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا ﴾ (مريم: 28) لِمَ لم يقل بَغِيَّةً وهي صفة لمؤنث ؟ فأجابوا بجوابات غير مرضية ، فقال الواثق : هات ما عندك ، فقلت : لو كانت بَغِيٌّ على تقدير فعيل بمعنى فاعلة لحقتها الهاء مثل كريمة وظريفة ، وإنما تُحْذَفُ الهاء إذا كانت في معنى مفعولة ، نحو المرأة قتيلٌ وكفٌّ خضيب ، وَبَغِيٌّ ها هنا ليس بفعيل إنما هو فعول ، وفعول لا تلحقه الهاء في وصف التأنيث ، نحو امرأة شكورٌ وبئرٌ شَطُونٌ إذا كانت بعيدة الرشاء ، وتقدير بَغِيّ بَغُوي قلبت الواو ياء ثم ادغمت في الياء فصارت ياءً

(1) طبقات الزبيدي : 88 ـ 89 والانباه 1 : 251 .

(2) إنباه الرواة 1 : 251 .

(3) طبقات الزبيدي : 89 .

ثقيلة نحو سيّد وميّت ، فاستحسن الجواب .

قال المازني[1] : ثم انصرفت إلى البصرة فكان الوالي يجري عليَّ المائة دينار في كل شهر حتى مات الواثق فقطعت عني . ثم ذكرت للمتوكل فأشخصني ، فلما دخلتُ إليه رأيت من العدد والسلاح والأتراك ما راعني ، والفتح بن خاقان بين يديه ، وخشيتُ أن سُئِلْتُ عن مسألة ألاَّ أجيب فيها . فلما مثلت بين يديه وسلمت قلت : يا أمير المؤمنين أقولُ كما قال الأعرابي[2] :

لا تــقـلواهــا وادلــواهــا دلــوا إنَّ مــع الــيــوم أخــاه غــدوا

قال أبو عثمان : فلم يفهم عني ما أردت واستُبْرِدْتُ فأُخرجت (والقلو : أرفع السير ، والدلو أدناه) ثم دعاني بعد ذلك فقال : أنشدني أحسنَ مرثية للعرب[3] فأنشدته قول أبي ذؤيب :

* أمِنَ المنـونَ وريبها تتـوجَّـعُ *

وقصيدة متمم بن نويرة :

* لعمري وما دهري بتأبين هالكٍ *

وقول كعب الغنوي :

* تقول سليمى ما بجسمك شاحباً *

وقصيدة محمد بن مناذر :

كل حيٍّ لاقي الحمامِ فمودِي *

فكان كلما أنشدته قصيدة يقول : ليست بشيء ، ثم قال : من شاعركم اليوم بالبصرة ؟ قلت : عبد الصمد بن المعذل ، قال : فأنشدني له ، فأنشدته أبياتاً قالها في قاضينا ابن رياح[4] :

(1) النقل مستمر عن الزبيدي .
(2) الرجز في اللسان (غدو) .
(3) إنباه الرواة 1 : 252 .
(4) أوردها أيضاً في الإنباه : 253 وابن رياح اسمه أحمد .

أيا قاضية البصرَ ةِ قومي فارقصي قَطْرَهْ
ومرّي برواشنْكِ فما ذا البردُ والفترهْ
أراكِ قد تشيرين عجاجَ القَصْفِ يا حرَّهْ
بتحذيفك خدّيك وتجعيدِكِ للطّرَّهْ

قال: فاستحسنها واستطار لها وأمر لي بجائزة؛ قال فكنت أتعمَّلُ له أن أحفظ أمثالها فأنشده إذا وصلتُ إليه فيصلني، وكان المازني يفضل الواثق.

وللمازني شعر قليل منه ذكره المرزباني:

شيئان يعجز ذو الرياضةِ عنهما رأيُ النساءِ وإمرةُ الصبيانِ
أما النساءُ فانهن عواهرٌ وأخو الصبا يجري بكلِّ عنانِ

ولما مات المازني اجتازت جنازته على أبي الفضل الرياشي فقال متمثلاً:

لا يبعد اللّه أقواماً رزئتهم أفناهمُ حدثانُ الدهرِ والأبَدُ
نمدّهم كلَّ يومٍ من بقيتنا ولا يؤوبُ إلينا منهمُ أحد

قال محمد بن إسحاق[1]: وللمازني من الكتب: كتاب في القرآن كبير. كتاب علل النحو صغير. كتاب تفاسير كتاب سيبويه. كتاب ما يلحن فيه العامة. كتاب الألف واللام. كتاب التصريف. كتاب العروض. كتاب القوافي. كتاب الديباج في جوامع كتاب سيبويه.

قرأت بخط الازهري أبي منصور في كتاب «نظم الجمان» تصنيف المنذري قال: سئل المازني عن أهل العلم فقال: أصحاب القرآن فيهم تخليط وضعف، وأهل الحديث فيهم حَشْوٌ وَرَقَاعة، والشعراءُ فيهم هَوَج، وأصحابُ النحو فيهم ثقل، وفي رواية الأخبار الظَّرْفُ كلّه، والعلم هو الفقه.

وتصانيف المازني كلها لطاف، فإنه كان يقول: من أراد أن يصنّفَ كتاباً كبيراً في النحو بعد «كتاب سيبويه» فليستح. وتخرَّقَ كتابُ سيبويه في كمّه عِدَّةَ نُوَبٍ.

حدث[2] محمد بن رستم الطبري قال، أنبأنا ابو عثمان المازني قال: كنتُ عند

---

(1) الفهرست: 62.

(2) نقل السيوطي هذا في الاشباه والنظائر 6: 199.

سعيد بن مسعدة الأخفش انا وأبو الفضل الرياشي ، فقال الأخفش : إن « منذ » إذا رفع بها فهي اسم مبتدأ وما بعدها خبرها كقولك ما رأيته منذ يومان ، فإذا خفض بها فهي حرف معنى ليس باسم كقولك ما رأيته منذ اليومِ ، فقال له الرياشي : فلِمَ لا تكون في الموضعين اسماً ، فقد نرى الأسماء تخفض وتنصب كقولك هذا ضاربٌ زيداً غداً وضاربُ زيدٍ أمسِ ، فلم لا تكون بهذه المنزلة ؟ فلم يأت الأخفش بمقنع . قال أبو عثمان : فقلت له لا تشبه « منذ » ما ذكرت ، لأنا لم نر الأسماءَ هكذا تلزمُ موضعاً إلا إذا ضارعت حروف المعاني ، نحو أين وكيف ، فكذلك « منذ » هي مضارعة لحروف المعاني فلزمت موضعاً واحداً ؛ قال الطبري ، فقال ابن أبي زرعة للمازني : أفرأيتَ حروف المعاني تعملُ عملين مختلفين متضادّين ؟ قال : نعم كقولك قام القومِ حاشا زيدٍ وحاشا زيداً ، وعلى زيدٍ ثوب وعلا زيدُ الفرس ، فتكون مرة حرفاً ومرة فعلاً بلفظ واحد .

وحدث المبرد قال : سمعت المازني يقول معنى قولهم « إذا لم تستح فاصنعْ ما شئت » أي إذا صنعت ما لا يُستحى من مثله فاصنع منه ما شئتَ وليس على ما يذهب العوام إليه ، قلت : وهذا تأويلٌ حسن جداً .

قال أبو القاسم الزجاجي ، أخبرنا أبو جعفر أحمد بن محمد بن رستم الطبري قال : حضرتُ مجلسَ ابي عثمان المازني وقد قيل له : لم قلَّتْ روايتُكَ عن الأصمعي ؟ قال : رُميت عنده بالقَدَر والميل إلى مذاهب أهل الاعتزال ، فجئته يوماً وهو في مجلسه فقال لي : ما تقول في قول اللّه عز وجل ﴿ إنا كُلَّ شيْءٍ خَلَقْناهُ بِقَدَرٍ ﴾ (القمر: 49) قلت : سيبويه يذهب إلى أنّ الرفع فيه أقوى من النصب في العربية لاستعمال الفعل المضمر ، وأنه ليس ها هنا شيء هو بالفعل أولى ، ولكن أبت عامَّةُ القراءِ الا النصبَ ، ونحن نقرؤها كذلك اتباعاً لأنَّ القراءة سنة ، فقال لي : فما الفرقُ بين الرفع والنصب في المعنى ؟ فعلمت مراده فخشيت أن يغري بي العامة ، فقلت : الرفع بالابتداء والنصب باضمار فعل وتعاميت عليه ،فقال: حدثني جماعة من أصحابنا أن الفرزدق قال يوماً لأصحابه : قوموا بنا إلى مجلس الحسن البصري ، فإني أريد أن أطلّق النوار وأشهدَه على نفسي ، فقالوا له : لا تفعل فلعلَّ نفسك تتبعها وتندم ، فقال : لا بد من ذلك ، فمضوا معه ، فلما وقف على الحسن قال له : يا أبا سعيد

تعلَّمَنْ ان النوار طالقٌ ثلاثاً ، قال : قد سمعت فتتبعتها نفسه بعد ذلك وندم وأنشأ يقول[1] :

نـدمتُ نـدامـةَ الكُسَعيِّ لمـا   غَـدَتْ منِّي مـطلقـةً نـوارُ
وكـانتْ جَنَّتي فخـرجتُ منهـا   كـآدمَ حينَ أخـرجـه الضِّـرارُ
ولـو أني ملكتُ يـدي ونفسي   لكـان عليَّ للقـدر الخيـارُ

ثم قال : والعربُ تقول : لو خُيِّرتُ لاخترت ، تحيل على القدر ، وينشدون :

هيَ المقـاديـرُ فلُمْـني أو فَـذَرْ   إن كنتُ أخطأتُ فلم يُخْطِ القَدَرْ

ثم أطبق نعليه وقال : نعم القناعُ للقدري ، فأقللتُ غشيانه بعد ذلك .

قال المبرد حدثني المازني قال : مررتُ ببني عقيل فإذا رجلٌ أسود قصير أعور أبرص أكشف قائمٌ على تلّ سماد ، وهو يملأ جواليقَ معه من ذلك السماد ، وهو يغنّي بأعلى صوته :

فإن تَصْرِمي حبلي وتستكرهي وَصْلي   فمثلُكِ موجودٌ ولن تجـدي مثلي

فقلت : صدقت واللّه ، ومتى تجد ويحها مثلك ؟! فقال : بارك اللّه عليك ، وسهَّلَ خيراً ، ثم اندفع ينشد :

يـا ربـةَ المـطرفِ والخلخـالِ   مـا أنتِ من همِّي ومن أشكـالي
مثلك مـوجـودٌ ومثلي غـالـي

ـ 267 ـ

بندار بن عبد الحميد الكرخي الأصبهاني يعرف بابن لره : ذكره محمد بن إسحاق في « الفهرست » فقال : أخذ عن أبي عبيد القاسم بن سلام وأخذ عنه ابن كيسان .

---

267 ـ طبقات الزبيدي : 208 والفهرست : 91 وإنباه الرواة 1 : 256 والوافي 10 : 291 وبغية الوعاة 1 : 476 وإشارة التعيين : 63 وروضات الجنات 2 : 143 (ويعتمد ياقوت على الفهرست وكتاب أصبهان لحمزة) .

(1) ديوان الفرزدق 1 : 394 .

وقال ابن الانباري عن أبيه القاسم : كان بندار يحفظ سبعمائة قصيدة أول كل قصيدة بَانَتْ سُعَادُ .

قال المؤلف : وبلغني عن الشيخ الامام أبي محمد الخشاب أنه قال : أنعمت[1] التفتيشَ والتنقيرَ فلم أقعْ على أكثرَ من ستين قصيدة أولها بَانَتْ سُعَادُ .

وفي « كتاب أصبهان » : كان بندار بن لره متقدماً في علم اللغة ورواية الشعر ، وكان ممن استوطن الكرج ، ثم خرج منها إلى العراق فظهر هناك فضله ، وكان الطوسيُّ صاحبُ ابنِ الأعرابي يوصي أصحابَهُ بالأخذِ عن بندار ويقول : هو أعلمُ مني ومن غيري فخذوا عنه .

قال : وحدث أبو بكر ابن الأنباريّ في أماليه ببغداد قال : سمعت أبا العباس الأموي يقول : كان بندار بن لره الأصبهاني أحفظَ أهلِ زمانه للشعر ، وأعلَمهم به ، أنشدني من حفظه ثمانين قصيدة أول كل قصيدة منها بَانَتْ سُعَادُ .

قال حمزة : وحدثني النوشجان بن عبد المسيح ، قال سمعت المبرد يقول : كان سبب غناي بندار بن لره الأصبهاني ، وذلك أني حين فارقتُ البصرة وأصعدتُ إلى سامرّا وردتها في أيام المتوكل ، فآخيت بها بندار بن لره ، وكان واحدَ زمانه في رواية دواوين شعر العرب ، حتى كان لا يشذّ عن حفظه من شعر شعراء الجاهلية والاسلام إلا القليل ، وأصح الناس معرفة باللغة ، وكان له كلَّ أسبوع دخلة على المتوكل ، فجمع بيني وبين النحويين ، فمرَّتْ ليلة في داره مجالس ، فرفع حديثي إلى الفتح بن خاقان ، ثم توصل إلى أن وصفني للمتوكل ، فأمر بإحضاري مجلسه ، وكان المتوكل يعجبه الأخبار والأنساب ، ويروي صدراً منها يمتحن من يراه بما يقع فيها من غريب اللغة ، فلما دنوت من طرف بساطه استدناني حتى صرتُ إلى جانب بندار ، فأقبل علينا وقال : يا ابن لره ويا ابنَ يزيد ما معنى هذه الأحرف التي جاءت في هذا الخبر « ركبتُ[2] الدجوجيّ وأمامي قبيله ، فنزلت ثم سريت الصباح فمررت وليس أمامي إلا نجيم فرقصت أمامي فمنحت النحوص والمسحل والتدمرية ، ثم عطفت ورائي قلّوب فلم أزل به حتى أذقته الحمام ، ثم رجعت إلى ورائي فلم أزل أُمارسُ الأغضف في

(1) م ر : أمعنت .

(2) قارن بروضات الجنات 2 : 144 .

قتله ، فحمل عليَّ وحملت عليه حتى خرَّ صريعاً » قال المبرد : فبقيت متحيِّراً ، فبدر بندار وقال : يا أمير المؤمنين في هذا نظر وروِيّة ، فقال : قد أُجِّلتكما بياضَ يومي ، فانصرِفَا وباكراني غداً ، فخرجنا من عنده وأقبل بندار عليَّ وقال : إن ساعدك الجد ظفرتَ بهذا الخبر ، فاطلب فإني طالبه ، فانقلبتُ إلى منزلي وقلبتُ الدفاتر ظهراً لبطن حتى وقفت على هذا الخبر في أثناء أخبار الأعراب ، فتحفظته وباكرت بندار فأنهضته معي وصبَّحناه ، وبدأت فرويت الخبر ، ثم فسرت ألفاظه فالتفت إلى بندار وقال : ابن يزيد فوق ما وصفتم ، ثم قال يا غلام : عليَّ بالخازن ، فحضر فقال له : أخرج إلى ابن يزيد ألفي دينار وقلْ للحاجب يسهِّلْ إذنه عليّ ، فصار ذلك أصلَ مالي ، وكان بندار رحمه الله أصله وسببه .

قرأت بخط عبد السلام البصري في « كتاب عقلاء المجانين » لأبي بكر ابن محمد الأزهري حدثنا محمد بن أبي الأزهر قال : كنت يوماً في مجلس بندار بن لره الكرخي بحضرة منزله في درب عبد الرحيم الرزامي بدكان الأبناء ، وعنده جماعة من أصحابه ، إذ هجم علينا المسجدَ برذعةُ الموسوِسُ ، ومعه مخلاةٌ فيها دفاتر وجزازات ، وقد تبعه الصبيانُ ، فجلس إلى جانب بندار ، وكأنَّ بنداراً فرق منه ، فقال : اطرد ويلك هؤلاء الصبيان عنّي ، فقال لنا : اطردوهم عنه ، فوثبت أنا من بين أهل المجلس فصحتُ عليهم وطردتهم ، فجلس ساعةً ثم وثب فنظر هل يرى منهم أحداً ، فلما لم يرهم رجع فجلس ساعة ثم قال : اكتبوا : حدثني محمد بن أحمد بن عسكر بن عبد الرزاق عن معمر قال : سئل الشعبي ما اسم امرأة ابليس فقال : هذا عرسٌ لم أُشْهَدْ إملاكه . ثم أقبل على بندار فقال : يا شيخ ما معنى قول الشاعر :

وكنتُ إذا ما جئتُ ليلى تبرقعتْ … فقد رابني منها الغداةَ سفورها

فقال لنا بندار : أجيبوه ، فقال : يا مجنون أسألك ويجيب غيرك ؟! فقال بندار : يقول إنه لما رآها فعلت ما فعلته من سفورها ، ولم تكن تُعْهَدُ به ، علم أنها قد حذرته من بحضرتها ليحجم عن كلامها وانبساطه إليها ؛ فضحك ومسح يده على رأس بندار وقال : أحسنتَ يا كيِّس ، وكان بندار قد قارب في ذلك الوقت تسعين سنة[1] .

(1) يريد أن الشيخ الهرم لا يقال له كيِّس .

ـ 268 ـ

بهزاد بن أبي يعقوب يوسف بن يعقوب بن خرزاد النجيرمي : راوية نحوي في طبقة أبيه ، مات قبل أبيه بما يقارب الثلاثة شهور بمصر ، وذلك لسبع خلون من شوال سنة ثلاث وعشرين وأربعمائة . قال السمعاني في « كتاب الأنساب »[1] نجيرم : محلة بالبصرة إليها ينسب النجيرميون .

268 ـ الوافي 10 : 308 وبغية الوعاة 1 : 477 .

(1) الأنساب (دمج) 12 : 45 وهذا وهم من السمعاني ، وصححه ياقوت في ترجمة النجيرمي .

حرف التاء

- 269 -

تمام بن غالب بن عمرو يعرف بابن التياني أبو غالب المرسي الأندلسي : بخط ابن نحلم[1] ، قال سعد الخير : مرسية بلدة حسنة من بلاد الأندلس ، كثيرة التين يجلب منها إلى سائر البلدان فلعلّه نُسِبَ إليه لبيع التين .

ذكره الحميدي فقال : كان إماماً في اللغة وثقةً في إيرادها ، مذكوراً بالديانة والورع ، مات بالمرية في جمادى سنة ست وثلاثين وأربعمائة . وله « كتاب تلقيح العين » في اللغة[2] ، لم يؤلف مثله اختصاراً وإكثاراً ، وله فيه قصة تدلُّ على فضله[3] ، وذلك أن الأمير أبا الجيش مجاهد بن عبد اللّه العامري - وهو أحد المتغلبين على تلك النواحي - وجه إلى أبي غالبٍ هذا أيام غلبته على مرسية ، وأبو غالب ساكنٌ بها ، ألفَ دينار أندلسية على أن يزيد في ترجمة هذا الكتاب « مما ألفه تمام بن غالب لأبي الجيش مجاهد » فردَّ الدنانير ولم يفعل وقال : واللّه لو بذل لي ملءَ الدنيا ما فعلت ولا استجزت الكذب ، فإني لم أجمعه له خاصةً لكنْ لكلِّ طالبٍ عامةً . قال الحميدي : فاعجبْ لهمةِ هذا الرئيس وعلوِّها ، واعجبْ لنفس هذا العالم ونزاهتها[4] .

269 - ترجمته في جذوة المقتبس : 172 (وبغية الملتمس رقم : 600) والصلة : 479 وإنباه الرواة 1 : 259 وابن خلكان 1 : 300 والوافي 10 : 398 وبغية الوعاة 1 : 478 وإشارة التعيين : 67 وروضات الجنات 2 : 161 (ويعتمد ياقوت على الجذوة والصلة) .

(1) كذا ورد .
(2) الجذوة : وله كتاب مشهور جمعه في اللغة .
(3) هذه القصة التي يوردها الحميدي عن ابن حزم وردت في رسالته في فضل الأندلس (رسائل 2 : 182) .
(4) ر : وزهدها .

وقال أبو القاسم خلف بن عبد الملك بن بشكوال الأنصاري الأندلسي في « كتاب الصلة » من تصنيفه ، وهو كتاب وصل به كتاب ابن الفرضي في تاريخ الأندلسيين ، قال ابن حيان : وله كتاب جامع في اللغة سماه « تلقيح العين » جم الافادة ، وكان بقية شيوخ اللغةِ الضابطين لحروفها ، الحاذقين بمقاييسها ، وكان ثقة صدوقاً عفيفاً ، وذكر وفاته كما تقدم .

ـ 270 ـ

توفيق بن محمد بن الحسين بن عبيد الله بن محمد بن زريق ، أبو محمد الأطرابلسي النحوي : كان جده محمد بن زريق يتولى أمر الثغور من قِبل الطائع للّه ، وانتقل ابنه عبيد اللّه إلى الشام ، وولد توفيق باطرابلس ، وسكن دمشق ، وكان أديباً فاضلاً شاعراً ، وكان يتهم بقلة الدين والميل إلى مذاهب الأوائل ، ومن شعره :

وجلّنارٍ كأعرافِ الديوكِ على ... خُضْرٍ تميس كأذنابِ الطواويسِ
مثل العروسِ تجلَّتْ يومَ زينتها ... حمراء تُجْلَى[1] على خُضْرِ الملابيسِ
في مجلس لعبتْ أيدي السرورِ به ... لدى عريشٍ يحاكي عرشَ بلقيسِ
سقى الحيا أربعاً تحيا النفوسُ بها ... ما بين مُقْرَى[3] إلى بابِ الفراديسِ

مات في صفر سنة عشر وخمسمائة ، ودفن بمقبرة باب الفراديس .

270 ـ ترجمته في مصورة ابن عساكر 3 : 555 وتهذيبه 3 : 363 وإنباه الرواة 1 : 258 وتاريخ الحكماء : 74 والوافي 10 : 448 والفوات 1 : 265 وبغية الوعاة 1 : 479 (ويعتمد ياقوت على ابن عساكر) .

(1) الوافي : حمر الحليّ .
(2) مقرى : قرية من نواحي دمشق .

حرف الثاء

- 271 -

ثابت بن الحسين بن شراعة أبو طالب التميمي الأديب : ذكره شيرويه فقال : روى عن ابن سلمة وابن عيسى وأبي الفضل محمد بن عبد الله الرشيدي ومنصور بن رامش والريحاني وغيرهم ، سمعت منه وكان صدوقاً ، توفي في العشر الأخير من صفر سنة تسع وستين وأربعمائة .

- 272 -

ثابت بن أبي ثابت علي بن عبد الله الكوفي : قال الزبيدي : كان من أمثل أصحاب أبي عبيد القاسم بن سلام ، وقيل اسم أبي ثابت سعيد ، وقال النديم قال السكري : اسم أبي ثابت محمد ، لغوي لقي فصحاءَ الأعراب وأخذ عنهم ، وهو من كبار الكوفيين . قال محمد بن إسحاق : وله من الكتب : كتاب خلق الإنسان . كتاب الفرق . كتاب الزجر والدعاء . كتاب خلق الفرس . كتاب الوحوش . كتاب مختصر العربية . كتاب العروض .

---

271 ـ الوافي 10 : 467 .

272 ـ طبقات الزبيدي : 205 (ولم يورد ما قاله ياقوت) والفهرست: 76 وإنباه الرواة 1 : 261 والوافي 10 : 467 وطبقات ابن الجزري 1 : 188 وبغية الوعاة 1 : 481 (ويعتمد ياقوت على طبقات الزبيدي والفهرست) ونشر الضامن كتاب الفرق (بيروت 1985) ومن قبله نشره الأستاذ محمود الطناحي .

ـ 273 ـ

ثابت بن أبي ثابت عبد العزيز اللغوي الذي له كتاب « خلق الانسان » من علماء اللغة : يروي عن أبي عبيد القاسم بن سلام وأبي الحسن علي بن المغيرة الأثرم واللحياني وأبي نصر أحمد بن حاتم وسلمة بن عاصم التميمي وأبي عبد الله محمد بن زياد وآخرين . روى عنه أبو الفوارس داود بن محمد بن صالح المروزي النحوي المعروف بصاحب ابن السكيت وابنه عبد العزيز بن ثابت .

واسم أبي ثابت أبيه عبد العزيز ، من أهل العراق ، جليل القدر موثوق به مقبول القول في اللغة يعرف بورّاق أبي عبيد .

ـ 274 ـ

ثابت بن عمرو بن حبيب مولى عليّ بن رائطة ، روى عن أبي عبيد القاسم بن سلام .

ـ 275 ـ

ثابت بن سنان بن ثابت بن قرة بن مروان الصابىء أبو الحسن الطبيب المؤرخ : مات فيما ذكره هلال بن المحسن لإحدى عشرة ليلة خلت من ذي القعدة سنة خمس وستين وثلاثمائة ، وكان قد ذكر في تاريخه إلى آخر سنة ستين ، ووصل هلال بن المحسن من أول سنة إحدى وستين وثلاثمائة . وكان أبو الحسن طبيباً حاذقاً وأديباً بارعاً وله « كتاب التاريخ » الذي ابتدأ به من أول أيام المقتدر . وله كتاب مفرد

---

273 ـ بغية الوعاة 1 : 481 وروضات الجنات 2 : 167 وهذه التفرقة بين هذا المترجم والذي قبله ربما لم تكن دقيقة ، فكلاهما تتلمذ على أبي عبيد القاسم بن سلام وكلاهما ألف كتاب « خلق الانسان » (وهو كتاب قد نشر) .

274 ـ هذه الترجمة وردت في (ر) ولم ترد في المطبوع (مرغوليوث) .

275 ـ ابن جلجل : 80 وتاريخ الحكماء : 109 وطبقات صاعد : 37 وعيون الأنباء 1 : 224 والوافي 10 : 463 .

في أخبار الشام ومصر مجلد واحد . وقال أبو إسحاق إبراهيم بن هلال الصابىء يرثي خاله أبا الحسن ثابت بن سنان بن ثابت بن قرة :

أسامعٌ أنت يا مَنْ ضَمَّهُ الجَدَفُ ... نشيجَ باكٍ حزينٍ دمعُهُ يَكِفُ
وزفرةً من صميم القلب صاعدةً ... يكادُ منها حجابُ الصدر ينكشفُ
أثابتَ بنَ سنانٍ دعوةً شهدتْ ... لربها أنه ذو غُلَّةٍ أسفُ
ما بالُ طبّك ما يشفي وكنتَ به ... تشفي العليلَ إذا ما شفَّه الدنفُ
غالتك غولُ المنايا فاستكنتَ لها ... وكنتَ ذائدها والروحُ تُخْتَطَفُ
فارقتني كفراقِ الكفِّ صاحبها ... أطَنَّها ضاربٌ من زندها ثَقِفُ
فتتَّ في عضدي يا من غَنِيتُ به ... أَفُتُّ في عَضُدِ الباغي وأنتصفُ
ثوى بمغناك في لحدٍ سكنتَ به ... الدينُ والعقلُ والعلياءُ والشرفُ
لهفي عليك كريماً في عشيرته ... ممهداً جسمهُ من نعمةٍ ترفُ
قد أسلموه إلى غبراءَ يشملُهُ ... فيها الترابُ فمنها الفرشُ واللحفُ

- 276 -

ثابت بن محمد الجرجاني أبو الفتوح : ذكره الحميدي في كتاب الأندلسيين فقال: دخل إلى الأندلس وجال في أقطارها(1) وبلغ إلى ثغورها واجتمع بملوكها، وكان إماماً في العربية متمكناً في علم العرب .

قال ابن بشكوال : قتل في محرم سنة إحدى وثلاثين وأربعمائة ، قتله باديس بن

276 ـ ترجمته في الذخيرة 1/4 : 124 والجذوة : 173 (وبغية الملتمس رقم: 602) والصلة: 125 وإنباه الرواة 1 : 263 وخبر محنته ورد بتفصيل في الإحاطة 1 : 462 نقلاً عن تاريخ ابن حيان، وبغية الوعاة 1 : 482 وقد درس عليه ابن حزم المنطق ، ووصفه بالإلحاد في الفصل 1 : 17 ، وانظر فهرسة ابن خير: 315 ، 387 .

(1) ر: جال في أقطاع بلاد الأندلس .

حبوس أمير صنهاجة لتهمة لحقته عنده في القيام عليه مع ابن عمه يدّير بن حباسة . ومولده سنة خمسين وثلاثمائة . وكان مع تحققه بالأدب قيماً بعلم المنطق ، ودخل بغداد وأقام بها طالباً ، وأملى بالأندلس كتاب « شرح الجمل » للزجاجي . روى ببغداد عن ابن جني وعلي بن عيسى الربعي وعبد السلام بن الحسين البصريّ ، وروى كثيراً من علم الأدب .

وحدث الحميدي عن أبي محمد علي بن أحمد عن البراء بن عبد الملك الباجي قال : لما ورد أبو الفتوح الجرجاني الأندلس كان أول من لقي من ملوكها الأمير الموفق أبا الجيش مجاهداً العامري ، فأكرمه وبالغ في إكرامه ، فسأله يوماً عن رفيقه : من هذا معك ؟ فقال :

رفيقان شتّى ألّفَ الدهرُ بيننا ... وقد يلتقي الشتّى فيأتلفان

قال أبو محمد : ثم لقيت بعد ذلك أبا الفتوح فأخبرني عن بعض شيوخه أن ابن الأعرابي رأى في مجلسه رجلين يتحادثان ، فقال لأحدهما : من أين أنت ؟ فقال : من أسبيجاب ؟ وقال للآخر : من أين أنت ؟ فقال : من الأندلس ، فعجب ابن الأعرابي وأنشد البيتَ المتقدم ثم أنشدني تمامها(١) :

نزلنا على قيسيّةٍ يمنيةٍ ... لها نَسَبٌ في الصالحين هجانِ
فقالتْ وأرخت جانبَ السترِ دوننا ... لأيّةِ أرضٍ أم مَنِ الرجلانِ
فقلتُ لها أما رفيقي فقومُهُ ... تميمٌ وأما أسرتي فيماني
رفيقان شتّى ألّف الدهرُ بيننا ... وقد يلتقي الشتّى فيأتلفانِ

(١) وردت الأبيات في الجذوة والذخيرة .

ـ 277 ـ

أبو ثروان العكلي : أحد بني عكل ، وعكل اسم امرأة حضنت ولدَ عوفِ بن وائل بن قيس بن عوف بن عبد مناة[1] بن أد بن طابخة بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان ، وهي أمةٌ لهم ، وأمهم بنت ذي اللحية بن حمير ، كان ثطًّا فسمّي بضدّ صفته ، وبنو عوف بن وائل : الحارث وجشم وسعد وعلي وقيس ، دَرَجَ ولا عقبَ له ، فكلّ مَنْ وَلَدَهُ واحدٌ من هؤلاءِ كان عكلياً .

وكان أبو ثروان أعرابياً بدوياً تعلم في البادية ، كذا ذكر يعقوب بن السكيت ووجد بخطّه ، وكان فصيحاً .

قال محمد بن إسحاق : وله من الكتب : كتاب خلق الفرس . كتاب معاني الشعر.

---

277 ـ الفهرست : 52 وإنباه الرواة 4 : 66 والوافي 11 : 7 .

(1) م : عبد مناف .

حرف الجيم

****

ـ 278 ـ

جبر بن علي بن عيسى بن الفرج بن صالح : أبو البركات الربعي الزهيري[1] ، ووالده أبو الحسن علي بن عيسى هو النحوي المشهور صاحب أبي علي الفارسيّ . وكان أبو البركات هذا أحد الأدباء البلغاء الفصحاء .

قال محمد بن عبد الملك الهمذاني : كان ينوب عن الوزراء ببغداد ، وله اليد الطولى في الكتابة ، وَجُنّ في شبيبته فكان يتعمم بحبل البئر ، وادعى النبوة في ذلك الوقت ، وعولج حتى برأ . وللبصروي وغيره فيه مدائح ، ومات في سنة تسع وأربعين وأربعمائة[2] .

ـ 279 ـ

جعفر بن أحمد المروزي ، أبو العباس : ذكره محمد بن إسحاق النديم فقال : هو أحدُ جمَّاعي ومؤلِّفي الكتب في أنواع من العلم ، وكتبه كثيرة[3] جداً ، وهو أول من ألَّف كتاباً في المسالك والممالك ولم يتمّ . مات بالأهواز ، وحملت كتبه إلى

278 ـ ترجمته في الوافي 11 : 44 .
279 ـ الفهرست : 167 والوافي 11 : 96 وأورد له في (ر) القصيدة التائية الآتية في رقم : 281 .

(1) ر: الزهري .
(2) ر: سبع وأربعمائة .
(3) الفهرست : عزيزة (وما هنا يعني غزيرة) .

بغداد وبيعتْ في طاق الحراني سنة أربع وسبعين ومائتين . فمن كتبه : كتاب المسالك والممالك . كتاب الآداب الكبير . كتاب الآداب الصغير . كتاب الناجم . كتاب تاريخ [آي] القرآن لتأييد كتب السلطان . كتاب البلاغة والخطابة .

ـ 280 ـ

جعفر بن أحمد بن عبد الملك بن مروان اللغوي ، أبو مروان الاشبيلي ، يعرف بابن الغاسلة : روى عن القاضي أبي بكر ابن زرب وأبي عون ابنه والمعيطي والزبيدي ، وكان بارعاً في الأدب واللغة ومعاني الشعر والخبر ذا حظ من علم السنّة ، توفي سنة ثمان وثلاثين وأربعمائة ومولده سنة أربع وخمسين وثلاثمائة .

ـ 281 ـ

جعفر بن أحمد بن الحسين بن أحمد بن جعفر السراج أبو محمد القارىء البغدادي : سمع أبا عليّ ابن شاذان وأبا القاسم ابن شاهين وأبا محمد الخلال وأبا الفتح ابن شيطا وأبا الحسين النوري وأبا القاسم التنوخي .

قال ابن عساكر[1] : قرأت [بخطّ] غيث بن علي الصوري : جعفر بن أحمد بن الحسين ذو طريقة جميلة ، ومحبة للعلم والأدب ، وله شعر لا بأس به ، وخرَّج له شيخنا الخطيب فوائد . وتكلَّم عليها في خمسة أجزاء ، وكان يسافر إلى مصر وغيرها ، وتردَّد إلى صور عدة دفعات ، ثم قطن بها زماناً ، وعاد إلى بغداد وأقام بها إلى أن

---

280 ـ الصلة 1 : 127 والوافي 11 : 98 وبغية الوعاة 1 : 485 .

281 ـ المنتظم 9 : 151 والخريدة (قسم العراق) 3/1 : 283 وابن خلكان 1 : 357 وعبر الذهبي 3 : 355 والذيل على طبقات الحنابلة 1 : 100 والوافي 11 : 92 والنجوم الزاهرة 5 : 194 وبغية الوعاة 1 : 485 والشذرات 3 : 411 والبداية والنهاية 12 : 168 والتاج المكلل : 15 وإشارة التعيين : 75 وسير الذهبي 19 : 228 والمستفاد : 93 .

(1) في تهذيب بدران لابن عساكر وفي أصل تاريخ دمشق وقع في حرف الجيم سقط كثير فلم ترد فيه ترجمة السراج .

توفي . كتب عنه ، ولم يكن به بأس ، وله تصانيف منها : مصارع العشاق . كتاب مناقب السودان[1] . ونظم أشعاراً كثيرة في الزهد والفقه وغير ذلك ؛ قال الصوري قال لي : ولدت سنة تسع عشرة وأربعمائة وسمعت الحديث ولي خمس سنين .

وقرأت بخط أبي المعمّر الأنصاري[2] : توفي جعفر السراج في حادي عشر صفر سنة خمسمائة ودفن بمقبرة باب أبرز وكان ثقة ؛ وقال السمعاني : مولده سنة سبع عشرة أو ست عشرة ، ومن شعره :

أفلح عبدٌ عصى هواه　　وفاق في دينه وكاسا
ولم يرحْ مدمناً لخمرٍ　　ينهلُ طاساً يعلُّ كاسا

ومن شعره :

يا من إذا ما رضيتُهُ حكما　　جار علينا في حُكْمِهِ وَسطَا
قد مدح اللّه أمةً جُعِلت　　في محكم الذكرِ أُمَّةً وَسَطَا

وقال جعفر بن أحمد السراج (نقلاً من كتاب الخريدة)[3] :

قَضَتْ وطراً من أرضِ نجدٍ وأمَّتِ　　عقيقَ الحمى مُرْخَىً لها في الأَزِمَّةِ
وخبّرها الروَّادُ أنّ بحاجرٍ　　حياً نوَّرَتْ منه الرياضُ فحنَّتِ
ولاح لها برقٌ من الغورِ مَوْهِناً　　كشعلةِ نارٍ للطوارقِ شبَّتِ
فميّلن بالأعناق[4] عند وميضه　　تراقَصُ في أرسانها واستمرَّتِ
وغنّى لها الحادي فأذكرها الحمى[5]　　وأيامَها فيه وساعاتِ[6] وَجْرَةِ
وقد شركتني في الحنين ركائبي　　وزدنَ علينا رنةً بعد رنَّةِ

---

(1) م : كتاب زهد السودان (وهو وهم) وعند الذهبي : مناقب الحبش .
(2) هو أبو المعمر المبارك بن أحمد الأنصاري صاحب وفيات الشيوخ .
(3) الخريدة 3/1 : 285 والمختصر ص 254 ـ 255 ووردت في ترجمة جعفر بن أحمد المروزي رقم : 279 .
(4) الخريدة : فمدت له الأعناق .
(5) الخريدة : الغضا .
(6) الخريدة : وأيام .

أقـول لركب مجهشين تـطوحوا[1] وعـزَّ بهم مـاءُ ردوا مـاء عبـرتي
ألا ليت شعـري هل تعـودُ رواجعاً ليالي الصبا من بعـد ما قـد تولَّتِ

قرأت بخط الحسن بن جعفر بن عبد الصمد بن المتوكل في كتابه : حدثني الشيخ أبو الفضائل ابن الخاضبة قال : دخل الشيخ أبو سعد ابن أبي عمامة الواعظ إلى المسجد المعلّق ، مقابل دار الخلافة ، وكان فيه الشيخ أبو محمد ابن السراج ليسلّم عليه، فالتقاه الشيخ أبو محمد[2] بالرحب والسعة، وتعانقا وجلسا يتذاكران، فجاء الشيخ أبو نصر الأصبهاني فصعد إليهما ، وقد كان في الحمام ، فكشف رأسه وقعد يستريح من كرب الحمام ، فقال له الشيخ أبو محمد : غطِّ رأسك لا ينالك الهوا فتتأذّى ، فقال الشيخ أبو سعد : لعله يجدُ فيه راحةً .

أنبأنا أبو محمد عبد العزيز بن الأخضر شيخنا رحمه اللّه قال ، سمعت أبا الكرم المبارك بن الحسن الشهرزوري المقرىء يقول : كنتُ أقرأ على أبي محمد جعفر ابن أحمد السراج وأسمع منه ، فضاق صدري منه لحاله ، فانقطعت عنه ثم ندمت وقلت : يفوتني منه بانقطاعي عنه فوائد كثيرة ، فقصدته في مسجده المعلّق المحاذي لباب النوبي ، فلما وقع نظره عليّ رحَّبَ بي وأنشدني لنفسه :

وعـدتِ بـأن تـزوري بعـد شهـرٍ فزوري قد تقضّى الشهـر زُورِي
ومـوعـدُ بيننـا نهـرُ الـمعـلّى إلـى البـلد المـسمـى شهـرزورِ
فـأَشْهُـرُ صَـدِّكِ المحتـومِ حقّ ولكنْ شهـرُ وصلك شـهـرُ زورِ

ومن شعره :

دعِ الدمعَ بالوكف يبلي[3] الخدودا فـإن الأحبَّـة أضْحَـوْا خمـودا
دعـا بهمُ هـاتفُ الحـادثـاتِ فبـدَّلهم بـالقـصـورِ اللحـودا
دنـتْ منـهـمُ نُـوَبُ لـلردى فـأفنتْ ضعيـفهمُ والشـديـدا

---

(1) الخريدة : مخمسين تطرحوا ؛ المختصر : مجهدين تطوحوا .
(2) م : أبو بكر .
(3) م : ينكي .

دمــوعُ يـكـفـكـفـهـنّ الأســى ... عليهم غـزاراً تـروِّي الصعيـدا
دجـاهـم وصبـحـهـمُ واحـدٌ ... وقـد مـزق الـدودُ منهم جلودا

وجعل « كتاب مصارع العشاق » أجزاءً ، وكتب على كلّ جزء أبياتاً من قوله ، فكان على الجزء الأول :

هـذا كتابُ مصـارعِ العشـاق[1] ... صـرعتهمُ أيـدي نـوىً وفـراقِ
تصنيفُ من لـدغ الفـراقُ فؤادَهُ ... وتـطلّبَ الـراقي فعـزَّ الـراقي

وأنشد [له] السمعاني في « المذيل »[2] :

حبـذا طيفُ سليـمى إذ طـوى ... حَذَرَ الواشي السُّرى من ذي طُوى
وأتـى الـحـيَّ طـروقـاً وهـمُ ... بـيـن أجـراع زرودٍ فـالـلوى
بـتُّ أشـكـو مـا ألاقيـه إلى ... طيفها الطارقِ من مسِّ الجوى[3]
أشكـرُ الأحـلامَ لمـا جمعت ... بيننا وهنـاً على رغم النـوى[4]
أيهـا العـاذل دَعْـني والـهـوى ... ليس مشغـولٌ وخـالٍ بـالسَّـوا

وأنشد له[5] :

حبـذا نجـدٌ بـلاداً لـم نَجِـدْ ... راحـةً للقلب في أرضٍ سـواهـا
فـإذا مـا لاح مـنـهـا بـارقٌ ... هـاج أشـواقيَ أو هبَّتْ صبـاهـا
لستُ أنـسى إذ سـليمى جـارةٌ ... تبـذل الـودَّ وتصفينـا هـواهـا
ثـم لـمـا شـطَّتِ الـدار بـهـا ... ورمـاهـا البينُ من حيثُ رمـاهـا
أرسـلتْ طـيـفَ كـرىً لـكـنـه ... زارنـا والعينُ قـد زال كـراهـا

ومن شعره أيضاً :

وقفنـا وقد شـطّتْ بأحبـابنا النـوى ... على الدار نبكيها سقى رَبْعَها المزنُ

---

(1) مصارع العشاق (المقدمة) : 6 .
(2) الخريدة 3/1 : 286 .
(3) م : الطوى .
(4) ر : العدى .
(5) الخريدة 3/1 : 284 .

وزادت دموعُ الواقفين برسمها فلو أُرْسِلَتْ سفنٌ بها جَرَتِ السفنُ
ولم يبق صبرٌ يستعانُ على النوى به بعد توديع الخليطِ ولا جَفْنُ
سألنا الصبا لما رأينا غرامنا يزيدُ بسكّان الحمى والهوى يدنو
أفيكِ لحملِ الشوقِ يا ريحُ موضعٌ فقد ضَعُفَتْ عن حملِ أشواقنا البُدْنُ

ـ 282 ـ

جعفر بن إسماعيل بن القاسم القالي: هو ولد أبي علي القالي الذي تقدم ذكره، وأبو علي والده هو صاحب « الأمالي » وغيرها من التصانيف المشهورة، وكان جعفر هذا أيضاً أديباً فاضلاً أريباً، وهو القائل في المنصور محمد بن أبي عامر أمير الأندلس يمدحه:

وكتيبة للشيب جاءتْ تبتغي قتلَ الشبابِ ففرَّ كالمذعورِ
فكأنّ هذا جيشُ كلِّ مثلِّث وكأنّ تلك كتيبةُ المنصورِ

ـ 283 ـ

جعفر بن الفضل بن جعفر بن محمد بن موسى بن الحسن بن الفرات، أبو الفضل المعروف بابن حنزابة، وحنزابة اسم أمهم، كانت جارية، وكانت حنزابة حماة المحسّن بن الفرات بمصر: كان وزيراً فاضلاً بارعاً كاملاً، وزر بمصر لأنوجور بن أبي بكر الأخشيد ثم لأخيه أبي الحسن علي ثم لكافور إلى أن انقضت دولة الاخشيدية، وإليه رحل أبو الحسن الدارقطني حتى صنّف له ما صنف في مصر. مات في سنة إحدى وتسعين وثلاثمائة ومولده سنة ثمان وثلاثمائة.

---

282 ـ جذوة المقتبس: 175 (وبغية الملتمس رقم: 611) والوافي 11: 98.

283 ـ ترجمة ابن حنزابة في تاريخ بغداد 7: 234 والمنتظم 7: 215 وابن خلكان 1: 346 والمغرب (قسم مصر): 251 والوافي 11: 118 والفوات 1: 203 وعبر الذهبي 3: 49 وسير الذهبي 16: 484 وتذكرة الحفاظ: 212 ومرآة الجنان 2: 239 والنجوم الزاهرة 4: 203 وحسن المحاضرة 1: 164 والشذرات 3: 135 وسقطت ترجمته من ابن عساكر فقد قال ابن خلكان: وذكره الحافظ ابن عساكر في تاريخ دمشق، وانظر المقفى 3: 41.

وفي تـاريخ أبي محمـد أحمد بن الحسين بن أحمـد بن أحمـد بن محمـد بن عبد الرحمن الروذباري[1] أن ابن حنزابة مات في ثالث عشر صفر سنة اثنتين وتسعين وثلاثمائة في أيام الحاكم ، وفي سنة تسع وتسعين قتل الحاكم ابنه أبا الحسين ابن جعفر بن الفضل بن الفرات ، وكان يلقب بسيدوك ، وفي سنة خمس وأربعمائة ولي وزارة الحاكم أبو العباس الفضل بن جعفر بن الفضل بن الفرات ابنه الآخر ، وضَمِنَ ما لم يعرفه فقتل بعد خمسة أيام من ولايته . ويروى لأبي الفضل جعفر هذان البيتان ، ولا يعرف له شعر غيرهما[2] :

من أخمـلَ النفسَ أحياهـا وروَّحها ... ولم يبتْ طـاوياً منهـا على ضَجَـرِ
إنَّ الـرياحَ إذا اشتـدَّت عواصفهـا ... فليس تردي سوى العالي من الشجرِ

قـال يحيى بن منده : قـدم أبـو الفضـل ابن حنـزابـة أصفهـان ، وسمـع من عبد اللّه بن محمد بن عبد الكريم ومحمد بن عمارة بن حمزة[3] والحسن بن محمد[4] الداركي ، وسمع ببغداد من محمد بن هارون الحضرمي[5] ومن في طبقته . وهو أحد الحفاظ ، حسن العقل كثير السماع مائل إلى أهل العلم والفضل ، نزل مصر وتقلَّد الوزارة لأميرها كافور ، وكان أبوه وزير المقتدر باللّه ، وبلغني أنه كان يذكر أنه سمع من عبد اللّه بن محمد البغوي مجلساً ، ولم يكن عنده ، وكان يقـول : من جاءني بـه أغنيته ، وكان يملي الحديث بمصر ، وإليه خرج أبو الحسن الدارقطني إلى هناك ، فإنه [كان] يريد أن يصنف مسنداً ، فخرج الدارقطني إليه وأقام عنده مدة فصنَّف له المسند ، وحصل له من جهته مالٌ كثير ، وروى عنه الدارقطني في « كتاب المدَبَّج » .

قال ابن منده[6] : سمعت أبا القاسم إسماعيل بن مسعدة الجرجاني قال ، قال

---

(1) اسم تاريخه هذا « بلشكر الأدباء » انظر المغرب (قسم القاهرة) : 363 .
(2) ورد البيتان في تاريخ بغداد وابن خلكان والوافي والفوات والمغرب .
(3) م : محمد بن حمزة بن عمارة (وكذلك في الوافي) .
(4) ابن خلكان : بن أحمد .
(5) م : الحصري (وأثبت ما في تاريخ بغداد وابن خلكان) .
(6) نقل الخطيب هذه الرواية في تاريخ بغداد 3 : 211 ـ 212 ؛ ومحمد بن محمد بن سليمان الباغندي هذا هو أبو بكر تفرقة له عن أخيه محمد بن محمد بن سليمان أبي عبد اللّه .

حمزة بن يوسف السهمي : سألت أبا الحسن علي بن عمر الحافظ الدارقطني عن محمد بن محمد بن سليمان الباغندي ، فحكى عن الوزير أبي الفضل ابن الفرات المعروف بابن حنزابة حكايةً ، قال الشيخ حمزة : ثم دخلت مصر وسألت الوزير أبا الفضل جعفر بن الفضل عن الباغندي ، وحكيت له ما كنت سمعتُهُ من الدارقطني ، فقال لي الوزير : لحقت الباغندي محمد بن محمد بن سليمان وأنا ابن خمس سنين ، ولم أكن سمعتُ منه شيئاً ، وكان للوزير الماضي رحمه الله [يعني أباه] حجرتان إحداهما للباغندي يجيئه يوماً ويقرأ له والأخرى لليزيدي . قال أبو الفضل ، سمعتُ أبي رحمه الله يقول : كنت يوماً مع الباغندي في الحجرة يقرأ لي كتبَ أبي بكر ابن أبي شيبة ، فقام الباغندي إلى الطهارة ، فمددت يدي إلى جزء معه من حديث أبي بكر ، فإذا على ظهره مكتوب « مربع » والباقي محكوك ، فرجع الباغندي فرأى الجزءَ في يدي فتغير وجهه ، وسألته وقلت : أيش هذا مربع ؟ فغير ذلك ولم أفطن له ، لأني أول ما كنت دخلت في كتبة[1] الحديث ، ثم سألت عنه فإذا الكتاب لمحمد بن إبراهيم مربع[2] سمعه من أبي بكر ابن أبي شيبة .

قرأت في تاريخ لابن زولاق الحسن بن إبراهيم في « أخبار سيبويه الموسوس »[3] قال : ورأى سيبويه جعفر بن الفضل بن الفرات بعد موتِ كافور ، وقد ركب في موكبٍ عظيم ، فقال : ما بال أبي الفضل قد جمع كتّابه ، ولفق أصحابه ، وحشد بين يديه حجابه ، وأشمَّ[4] أنفه ، وساق العساكر خلفه ؟! أبلغه أن الإسلام طُرِق ، أو أن ركن الكعبة سرق [فخرج لهذا الأمر ينكره] ؟ فقال له رجل : هو اليومَ صاحبُ الأمر ومدبر الدولة ، فقال : يا عجبا أليس بالأمس نهبَ الأتراكُ داره ، ودكدكوا آثاره[5] ، وأظهروا عواره ، وهم اليوم يدعونه وزيراً ، ثم صيَّروه أميراً ، ما عجبي منهم

---

(1) تاريخ بغداد : في كتب .

(2) محمد بن إبراهيم أبو جعفر الأنماطي صاحب يحيى بن معين يعرف بـ «مربع » وهو لقب أجراه عليه يحيى نفسه إذ كان يلقب أصحابه (تاريخ بغداد 1 : 388) .

(3) أخبار سيبويه المصري : 53 .

(4) أخبار سيبويه والوافي ، وشمر ؛ م : وشمم .

(5) أخبار سيبويه : قراره .

كيف نصبوه ، بل عجبي [منه] كيف تولّى أمرَهم وأمن غدرهم[1] .

قال الحافظ أبو القاسم : ذكر بعض أهل العلم ، وأظنه محمد بن أبي نصر الحميدي ، أن الوزير أبا الفضل ابن حنزابة حدث بمصر سنة سبع وثمانين وثلاثمائة مجالس إملاء خرّجها الدارقطني وعبد الغني بن سعيد ، وكانا كاتبيه ومخرّجيه ، وكان كثيرَ الحديث جمَّ السماع ، مكرماً لأهل العلم مطعماً لأهل الحديث ، استجلب الدارقطني من بغداد وبرّ إليه وخرَّج له المسند، وقد رأيت عند أبي إسحاق الحبّال[2] من الأجزاء التي خُرِّجَتْ له جملةً كثيرةً جداً ، في بعضها الموفي ألفاً من مسند كذا ، والموفي خمسمائة من مسند كذا ، وهكذا هي سائر المسندات . وقد أعطى الدارقطني مالًا كثيراً ، وأنفق عليه نفقة واسعة ، ولم يزل في أيام عمره يصنع أشياء من المعروف عظيمةً ، وينفق نفقاتٍ كثيرة على أهل الحرمين من أصناف الأشراف وغيرهم إلى أن تم له أن اشترى بالمدينة داراً إلى جانب المسجد من أقرب الدور إلى القبر ، ليس بينها وبين القبر إلا حائط وطريق في المسجد ، وأوصى أن يدفن فيها ، وقرر عند الأشراف ذلك فسمحوا له بذلك وأجابوه اليه ، فلما مات حمل تابوته من مصر إلى الحرمين ، فخرجت الأشراف من مكة والمدينة لتلقيه والنيابة في حمله ، إلى أن حجُّوا به وطافوا ووقفوا بعرفة ، ثم ردوه إلى المدينة ودفنوه في الدار التي أعدها لذلك .

قرأت بخط الشريف النسابة محمد بن أسعد بن علي الجواني المعروف بابن النحوي : كان الوزير جعفر بن الفضل بن الفرات المعروف بابن حنزابة يهوى النظر الى الحشرات من الأفاعي والحيّات والعقارب وأم أربعة وأربعين وما يجري هذا المجرى ، وكان في داره التي تقابل دار الشنتكاني[3] ومسجد ورش ، وكانت للماذرائي قبل ذلك قاعةٌ لطيفة مرخّمة[4] فيها سلل الحيات[5] ، ولها قيّم فراش حَاوٍ[6]

(1) م : كيف تولى أمر عدوهم ورضوه ؛ وكذلك النقل في الوافي ، ويبدو أنه خطأ في نقل ياقوت أصلاً .

(2) م : الجباني .

(3) الوافي : الشنكاتي ؛ الفوات : الشكالي .

(4) الفوات وأصل الوافي : موجهة .

(5) الفوات وأصل الوافي : تلك الحيات .

(6) الوافي والفوات : ولها قيم وفراش وحاو .

من الحُوَاة ، ومعه مستخدمون برسمِ الخدمة ونقل السلل وحطّها ، وكان كل حاوٍ في مصر وأعمالها يصيد له ما يقدر عليه من الحيات ، ويتباهـون في ذوات العجب من أجناسها وفي الكبار وفي الغريبة المنظر ، وكان الوزير يثيبهم في ذلك أَوْفَى الثواب ويبذل لهم الجزيل حتى يجتهدوا في تحصيلها ، وكان له وقت يجلس فيه على دكة مرتفعة ويدخل المستخدمون والحواة ، فيخرجون ما في السلل ، ويطرحونه في ذلك الرخام ، ويحرشون بين الهوام ، وهو يتعجب من ذلك ويستحسنه ، فلما كان ذات يوم أنفذ رقعة إلى الشيخ الجليل ابن المدبر[1] الكاتب، وكان من أعيان كتّاب أيامه[2] ودولته ، وكان عزيزاً عنده ، وكان يسكن في جوار دار ابن الفرات ، يقول له فيها : نشعر الشيخ الجليل ـ أدام اللّه سلامته ـ أنه لما كان البـارحة وعـرض علينا الحـواة الحشرات ، الجاري بها العادات، انسابت الى داره منها الحية البتراء وذات القرنين الكبرى والعقربان الكبير وأبو صوفة ، وما حصلوا لنا بعد عناء ومشقة ، وبجعلةٍ بذلناها للحواة ، ونحن نأمر الشيخ ـ وفقه اللّه تعالى ـ بالتقدم إلى حاشيته وصبيته بصونِ ما وجد منها إلى أن ننفذ الحواةَ لأخذها وردها إلى سللها . فلما وقف ابن المدبر على الرقعة قلبها وكتب في ذيلها : أتاني أمر سيدنا الوزير ـ أدام اللّه نعمته وحرس مدته ـ بما أشار إليه في أمر الحشرات ، والذي يعتمد عليه في ذلك أن الطلاق يلزمه ثلاثاً إن بات هو أو واحدٌ من أهله في الدار ، والسلام .

أنشدني أبو بكر ابن البر القيرواني[3] التميمي لصالح بن مؤنس المصري يمدح بعض آل الفرات :

قـد مـرَّ عـيـدٌ وعـيـدُ   مـا اخضـرَّ لي فيـه عـودُ
وكـيـف يـخضـرُّ عـودٌ   والـمـاء مـنـه بـعـيـدُ
يـا مَنْ لـه عُـدد المجـــــدِ كـلُّهـا والـعـديـدُ

---

(1) ر : ابن المنذر .

(2) م : آبائه .

(3) هو أبو بكر محمد بن علي بن الحسن بن البر اللغوي الصقلي أستاذ ابن القطاع ، (انظر إنباه الرواة 3 : 190) .

آلُ الفراتِ نداهم على الفراتِ يزيدُ
وأنت فضلك فيهم عليكَ منه شهودُ
وكلّ يومٍ لغيري من راحتيك مديدُ
هل لي إلى الرزقِ ذنبٌ فكان منه صدودُ
ما الناس إلا شقيّ في دهرنا وسعيدُ

قال ابن الأكفاني : أنبأنا أبو محمد عبد الله بن الحسين بن النحاس ، حدثنا أبو محمد عبد اللّه بن يوسف بن نصر من لفظه قال : حضرت عند أبي الحسين المهلبي في داره بالقاهرة فقال لي : كنتُ منذ أيام حاضراً دار الوزير ـ يعني أبا الفرج ابن كلس ـ فدخل عليه أبو العباس الفضل بن أبي الفضل الوزير ابن حنزابة ، وكان قد زوَّجه ابنته وأكرمه وأجله ، فقال له : يا أبا العباس يا سيدي ما أنا بأرجل[1] من أبيك ولا بأعلم ولا بأفضل ، وزاد في وصفه وإكرامه ، ثم قال : أتدري ما أقعد أباك خلف الباب[2] ؟ شَيْلُ أنفِهِ [بأبيه] وأخرج يده فعلا بها رأسه ، وشال أنفه إلى فوق وقال له : باللّه يا أبا العباس لا تشلْ أنفك [بأبيك] تدري ما الإقبال ؟ نشاطٌ وتواضعٌ ، تدري ما الإدبار ؟ كسل وترافع .

قرأت فيما جمعه أبو علي صالح بن رشدين[3] قال : كان أبو الفضل جعفر بن الفضل الوزير قد خرج إلى بستانه بالمقس ، فكتب إليه أبو نصر ابن كشاجم على تفاحة بماء الذهب ، وأنفذها إليه :

إذا الوزيرُ تخلَّى للنيل في الأوقاتِ
فقد أتاه سَميّا ه جعفر بن الفرات

قال محمد بن طاهر المقدسي : سمعت أبا اسحاق الحبال يقول : لما قصد

(1) الوافي : بأجل .
(2) الوافي : الناس .
(3) انظر اليتيمة 1 : 317 والمغرب (قسم مصر) : 253 ويبدو أن الذي جمعه هو كتاب في أخبار شعراء مصر .

هؤلاء[1] مصر ونزلوا قريباً منها لم يبق أحد من الدولة العباسية إلا خرج للاستقبال والخدمة ، غير الوزير أبي الفضل ابن حنزابة ، فإنه لم يخرج ، فلما كان في الليلة التي صبيحتها الدخول اجتمع إليه مشايخ البلد وعاتبوه في فعله ، وقيل له : إنك تغري بدماء أهل السنة ، ويجعلون تأخرك عنهم سبباً للانتقام ، قال : الآن أخرجُ ، فخرج للسلام ، فلما دخل عليه أكرمه وبجّله وأجلسه وفي قلبه منه شيء ، وكان إلى جنبه ابنه وولي عهده ، وغفل الوزير عن التسليم عليه ، فأراد أن يمتحنه بسببٍ يكون إلى الوقيعة به ، فقال له : حجّ الشيخ ؟ فقال : نعم يا أمير المؤمنين ، قال : وزرتَ الشيخين ؟ فقال : شُغلتُ بالنبي ﷺ عنهما ، كما شغلت بأمير المؤمنين عن ولي عهده ، السلام عليك يا وليَّ عهد المسلمين ورحمة اللّه وبركاته ، فأعجب من فطنته وتداركه ما أغفله ، وعرض عليه الوزارة فامتنع ، فقال : إذا لم تلِ لنا شغلاً فيجب أن لا تخرج عن بلادنا فإنّا لا نستغني أن يكون في دولتنا مثلك ، فأقام بها ولم يرجع إلى بغداد.

قال وسمعت أبا إسحاق الحبال[2] يقول : كان يُستعمل للوزير أبي الفضل الكاغد بسمرقند ، ويحمل إليه إلى مصر في كل سنة ، وكان في خزانته عدة من الوراقين ، فاستعفى بعضُهم فأُمِرَ بأن يحاسَبَ ويصرف ، فكمل عليه مائة دينار ، فعاد إلى الوراقة وترك ما كان عزم عليه من الاستعفاء.

قال : وسمعت أبا إسحاق إبراهيم بن سعيد الحبال يقول[3] : خرج أبو نصر السجزي الحافظ على أكثر من مائة شيخ لم يبق منهم غيري ، وكان قد خرج له عشرين جزءاً في وقت الطلب ، وكتبها في كاغد عتيق ، فسألت الحبال عن الكاغد فقال : هذا من الكاغد الذي كان يحمل للوزير من سمرقند ، وقعت إليَّ من كتبه قطعةٌ ، فكنت إذا رأيت فيها ورقةً بيضاء قطعتها إلى أن اجتمع هذا ، فكتبت فيه هذه الفوائد .

(1) هؤلاء : يعني العبيديين .
(2) أبو إسحاق إبراهيم بن سعيد الحبال الحافظ محدث مصر كان ثقة ورعاً خيراً وكانت وفاته سنة 482 (تذكرة الحفاظ : 1191) .
(3) تذكرة الحفاظ : 1194 .

- 284 -

جعفر بن قدامة بن زياد الكاتب أبو القاسم : ذكره الخطيب فقال : هو أحد مشايخ الكتّاب وعلمائهم ، وكان وافر الأدب حسن المعرفة ، وله مصنفات في صنعة الكتابة وغيرها ، حدث عن أبي العيناء الضرير وحماد بن إسحاق الموصليّ والمبرد ومحمد بن عبد اللّه بن مالك الخزاعي ونحوهم ، روى عنه أبو الفرج الأصفهاني .

ونقلت من خط أبي سعيد معن بن خلف البستي مستوفي بيت الزرد والفرش السلطاني الملكشاهي بتولية نظام الملك ، قال قال جعفر بن قدامة الكاتب :

استمعْ باللّه يا ابنَ الـ ـملك والنجدةِ منّي
يومنا في الحسنِ والبهـ ـجةِ قد جاز التمنّي
فأزرني نفسَكَ الحـ ـسرَّةَ أو لا فاستزرْني

ومن خطه ، قال : نقلت من خط عبد الرحمن بن عيسى الوزير لجعفر بن قدامة :

كيف يخفى وإن أتاني نهاراً ... كَسَفَ الشمسَ بالجمال البهيِّ
وإذا زار في الدجى طلع البد ... ر علينا من الجبين المضي
فكلا حالتيه يفضحُ سرّي ... وينادي بكلِّ أمرٍ خفي
بأبي أحسن الأنام جميعاً ... تاه عقلي به وحقِّ النبي

وقال أبو محمد عبيد اللّه بن أبي القاسم عبد المجيد بن بشران الأهوازي في « تاريخه » : مات أبو القاسم جعفر بن قدامة بن زياد يوم الثلاثاء لثمان بقين من جمادى الآخرة سنة تسع عشرة وثلاثمائة . قال ابن بشران : وفي سنة عشر وثلاثمائة أخرج علي بن عيسى الوزير إلى اليمن منفياً ، فقال أبو القاسم جعفر بن قدامة الكاتب في ذلك :

---

284 - ترجمته في الفهرست : 194 (وذكر ان شعره يقع في مائة ورقة) وتاريخ بغداد 7 : 205 والوافي 11 : 124 والفوات 1 : 289 والزركشي : 85 (ويعتمد ياقوت على تاريخ بغداد وينقل عن المحاضرات للتوحيدي) .

أصبح الملكُ واهيَ الأرجاءِ وأمورُ الورى بغيرِ استواءِ
منذ عادت نوى عليّ بن عيسى واستمرَّتْ به إلى صنعاءِ
فوحقِّ الذي يميت ويحيي وهوَ اللّه مالكُ الأشياءِ
لقد اختلّ بعده كلُّ أمرٍ واستبانت كآبة الأعداءِ
ثم صاروا بعد العداوةِ واللّـ ـه جميعاً في صورةِ الأولياءِ
يتألّون كلّهم في عليٍّ أنه قد خلا من النظراءِ

ومن شعره أيضاً :

تسمَّعْ ـ مُتُّ قبلك ـ بعضَ قولي ولا تَتَسَلَّلَنْ مِنّي لِوَاذا
نعم أسقمتَ بالهجران جسمي ومتُّ بغصتي فيكون ماذا؟

ومن « كتاب الوزراء »[1] لهلال بن محسن : ولجعفر بن قدامة يمدح ابن الفرات :

يا ابنَ الفراتِ ويا كريـ ـم الخِيمِ محمودَ الفعالِ
ضُيِّعْتُ بعدك واطُّرِحْـ ـتُ وبان للناس اختلالي
وتغيَّرت مذ غيِّرتْ أحوالَكَ الأيامُ حالي
لهفاً أبا حسنٍ على أيامك الغرِّ الحوالي
لهفاً عليها إنها بليت بأحوالٍ بوالي

قرأت في « كتاب المحاضرات » لأبي حيان[2] : قلت وقلت للعروضي أراك منخرطاً في سِلْكِ ابنِ قدامة ومنصبّاً إليه ومتوفّراً عليه ، وكيف يتفق بينكما وكيف تأتلفان ولا تختلفان ؟ فقال : اعلم أن الزمان وقت الاعتدال ، والرجل كما تعرف على غاية البرد والغثاثة وجباسة الطبع ، وأنا كما تعرفني وتثبتني ، فاعتدلنا إلى أن يتغير الزمان ، ثم نفترق ونختلف ولا نتفق ، وأنشأ يقول :

(1) الوزراء : 233 .

(2) في البصائر 2 : 145 (رقم : 445) وردت الأبيات دون القصة ، كما وردت في أدب النديم : 24 وابن قدامة هنا لا يمكن أن يكون هو الذي ترجم له ياقوت .

وصـاحبٍ أصبـح من بـرده كالماءِ في كانون أو في شباط
نَـدْمـانُـهُ من ضيقِ أخـلاقـه كـأنّـه في مثـلِ سَمِّ الخيـاط
نـادمتُـهُ يـومـاً فـألفيتـه متصلَ الصمتِ قليلَ النشـاط
حتى لـقـد أوهـمـنـي أنـه بعضُ التماثيل التي في البساط

ـ 285 ـ

جعفر بن محمد بن أحمد بن حدار الكاتب، أبو القاسم : ذكره الصولي في « كتاب أخبار شعراء مصر » قال : لم يكن بمصر مثله في وقته ، كثير الشعر حسن البلاغة عالم له ديوان شعر ومكاتبات كثيرة حسنة .

قال : وكان العباس بن أحمد بن طولون قد خرج على أبيه في نواحي برقة عند غيبة أبيه بالشام ، وتابعه أكثر الناس ، ثم غدر به قومٌ وخرج عليه آخرون من نواحي القيروان فظفر به أبوه ، وكان جعفر بن حدار وزيرَ العباس وصاحبَ أمره .

قال ابن زولاق مؤرخ مصر : قُبض على العباس بنواحي الاسكندرية وأدخل إلى الفسطاط على قتب على بغلٍ مقيداً في سنة سبع وستين ومائتين ونصب لكتّابه ومن خرج بهم إلى ما خرج إليه دكةً عظيمة رفيعة السُّمْكِ في يوم الأربعاء ، لا أعرف موقعه من الشهر ، وجلس أحمد بن طولون في علوٍ يوازيها ، وشـرع من ذلك العلو إليهـا طريقاً ، وكان العباس قائماً بين يدي أبيه في خُفْتانٍ مُلْحَم وعمامة وخفّ ، وبيده سيفٌ مشهور ، فضرب ابن حدار ثلاثمائة سوط ، وتقدم إليه العباس فقطع يديه ورجليه من خلافٍ ، وألقي من الدكة إلى الأرض ، وفعل مثـل ذلك بـالمنتوف وبـأبي معشر ، واقتصر بغيرهم على ضرب السوط فلم تمض أيام حتى ماتوا .

وقال الصولي : مثّل أحمد بن طولون بابن حدار لما قتله ، يروى أنه تولّى قَطْعَ يديه ورجليه بيده . ومن شعر ابن حدار إلى صديق له من أبيات :

---

285 ـ ترجمته في المغرب (قسم مصر) : 251 والوافي 11 : 141 والمقفى 3 : 59 وفي سيرة ابن طولون للبلوي أخبار متفرقة ، وخاصة عن دوره في ثورة العباس بن أحمد بن طولون ، وأورد في زهر الآداب ، 433 قطعة في وصف القلم لمن اسمه أحمد بن جدار فلعله جد جعفر هذا . (واسمه يتردد بين حدار وجدار وحذار) .

يــا كِسْرَويــاً في القـديـــــــم وهـاشميـاً في الــولاءِ
يـا ابنَ المقفَّـع في البيــا   نِ ويـا إياسـاً في الـذكـاءِ
يــا نـاظــراً في المشكـلا   تِ المعضلاتِ ويا ضيائي
إيـهــاً جُعِلْتُ فـداك فيـــــم طـويتني طيَّ الـرداءِ
وتــركـتني بيـن الحـجـا   بِ أعـومُ في بحر الجفاءِ
ورغبتَ عـمـا كنت تــر   غبُ فيه من لُطْفِ الإخاءِ
مـن بعــد اني كـنـت عـــــندك وابنَ أملِكِ بـالسـواءِ
فــوحـقِّ كـفـك إنــهـا   كفٌّ كـأخـلاق السمـاءِ
لأخــلّيــنّــك والــهـوى   ولأصـبـرنَّ عـن الـلقـاءِ
ولأشكـونَّـكَ مــا استـطعــــتُ إلى حفـاظك والـوفاءِ
ولأصــبـرنّ عــلى رقـيّـــــك في ذرى دَرَجِ العلاء
فهنـاك أجني مـا غـرســــتُ إليك من ثمر الـرجاء

ومن شعره أيضاً :

جــاءتْ بـوجـهٍ كـأنـه قمرٌ   عـلى قــوامٍ كــأنــه غُصُـنُ
تــرنــو بعينين من يعـاينهـا   من وَسَنٍ في جفـونهـا وسنُ
حتى إذا ما استوتْ بمجلسها   وصــار فيـه من حسنهـا وثنُ
غنَّتْ فلم تبـق فيَّ جـارحـةٌ   إلا تــمــنــيــتُ أنــهـا أذنُ

ومن شعره أيضاً :

زارنــي زورٌ ثـكـلتـهــمُ   وأصيبـوا حيث مـا سلكـوا
أكـلوا حتـى إذا شـبـعــوا   حملوا الفضلَ الذي تركوا

- 286 -

جعفر بن محمد بن الأزهر بن عيسى الأخباري : أحد أصحاب السير ومن عني بجمع الأخبار والتواريخ ، مات سنة تسع وسبعين ومائتين ، ومولده سنة مائتين ، سمع من ابن الأعرابي وطبقته ، وله من الكتب كتاب التاريخ على السنين ، وهو من جيد الكتب ، ذكر ذلك محمد بن إسحاق(1) .

- 287 -

جعفر بن محمد بن خالد بن ثوابة ، أبو الحسين الكاتب : أحد البلغاء الفصحاء . قال أبو علي حدثني أبو الحسين ابن قيراط ، قال حدثني أبو الحسن الإيادي الكاتب صديق الكرخيين ، قال أبو محمد عبد الوهاب بن الحسن بن عبيد الله بن سليمان بن وهب ، وعبيد الله وسليمان هما الوزيران ، قال : كان إلى والدي الحسن بن عبيد الله ديوان الرسائل وديوان المعاون وجملة الدواوين التي كانت إليه في أيام وزارة أبيه للمعتضد ، فأمر عبيد الله ابنه أن يستخلف أبا الحسين ابن ثوابة على ديوان الرسائل وديوان المعاون ، فصار كالمتقلّد له من قبل الوزير لكثرة استخدامه له فيه ، ثم مات أبي فأقره جدّي الوزير عبيد الله على الديوان رئاسةً ، وبقي عليهم يتوارثونه مرةً رئاسةً ومرة خلافةً إلى أن تسلمه الصابىء أبو إسحاق من ابن ابنه أحمد .

وكتب جعفر بن محمد هذا رقعةً إلى عبيد الله بن سليمان الوزير في نسختها : قد فتحتَ للمظلوم بابك ، ورفعتَ عنه حجابك ، فانا أحاكم الأيام إلى عدلك ، وأشكو صُروفَها إلى عطفك ، وأستجير من لؤم غلبتها بكرم قدرتك ، فإنها تؤخّرني إذا قَدَّمَتْ ، وتحرمني إذا قَسَمَتْ ، فإن أعطت أعطتْ يسيراً ، وإن ارتجعت ارتجعت

286 ـ الفهرست : 126 وتاريخ بغداد 7 : 197 والوافي 11 : 142 (وذكر الخطيب أنه توفي سنة 299) .
287 ـ ترجمته في الوافي 11 : 137 .

(1) الفهرست : أبو جعفر محمد بن الأزهر ؛ وفي طبعة فلوجل : جعفر بن أبي محمد .

كثيراً ، ولم أشكها إلى أحدٍ قبلك ، ولا أعددتُ للإنصاف منها إلا فضلك ؛ ودفعُ ذمام المسألة وحقُّ الظلامة حقُّ التأميل وقِدَم صدقِ الموالاة والمحبة . والذي يملأ يدي من النصفة ويسبغُ العدلَ عليَّ حتى تكونَ إليَّ محسناً وأكونَ بك للأيام معدياً أن تخلطني بخواصِّ خدمك الذين نقلتهم من حال الفراغ إلى الشغل ، ومن الخمول إلى النباهة والذكر ، فإن رأيت أن تعديني فقد استعديت ، وتجيرني فقد عذت بك ، وتوسع عليّ كنفك فقد أويت إليه ، وتشملني بإحسانك فقد عوَّلْتُ عليه ، وتستعمل يدي ولساني فيما يصلحان لخدمتك فيه فقد درستُ كتب أسلافك ، وهم الأئمة في البيان ، واستضأت برأيهم ، واقتفيت آثارهم اقتفاءً حصلني بين وحشيّ كلام وأنيسه ، ووقفني منه على جادة متوسطة يرجع إليها الغالي ويسمو نحوها المقصر ، فعلت ، إن شاء اللّٰه تعالى .

فكانت هذه الرقعة سبب استخلافه لأبي .

ـ 288 ـ

جعفر بن محمد بن حمدان الموصلي ، أبو القاسم الفقيه الشافعي : ذكره محمد بن إسحاق فقال : هو حسن التأليف ، عجيب التصنيف ، شاعر أديب ، فاضل ناقد للشعر كثير الرواية ، مات سنة ثلاث وعشرين وثلاثمائة ، ومولده سنة أربعين ومائتين ، له عدة كتب في الفقه على مذهب الشافعي ، فأما كتبه في الأدب فهي : كتاب الباهر في أشعار المحدثين(1) عارض به « الروضة » للمبرد(2) . كتاب الشعر والشعراء لم يتمّ ولو تمّ لكان غايةً في معناه . كتاب السرقات لم يتمّ أيضاً ، وهو كتاب جيد في معناه(3) . كتاب محاسن أشعار المحدثين ، لطيف .

---

288 ـ ترجمته في الفهرست : 166 وطبقات الأسنوي 2 : 430 والوافي 11 : 138 .

(1) الفهرست : في الاختيار من أشعار المحدثين .
(2) عارض . . . للمبرد : لم يرد في الفهرست .
(3) الفهرست : ولو أتمه لاستغنى الناس عن كل كتاب في معناه .

قال أبو عبد الله الخالع : كان أبو القاسم جعفر بن محمد بن حمدان الموصلي ممن عمّر طويلاً ، وكانت بينه وبين البحتري مراسلة[1] ، ورثاه بعد وفاته ، ومدح القاسم بن عبيد الله وأدرك أبا العباس النامي وتكاتبا بالشعر .

وقال أبو علي ابن الزمكدم : كان ابن حمدان كبيرَ المحلِّ من أهل الرياسات بالموصل ، ولم يكن بها في وقته من يُنْظَرُ إليه ويُفَضَّلُ في العلوم سواه ، متقدماً في الفقه معروفاً به ، قوياً في النحو فيما يكتبه ، عارفاً بالكلام والجدل مبرزاً فيه ، حافظاً لكتب اللغة ، راوية للأخبار ، بصيراً بالنجوم ، عالماً مطلعاً على علوم الأوائل عالي الطبقة فيها ، وكان صديقاً لكل من وزراء عصره مدَّاحاً لهم ، آنساً بالمبرد وثعلب وأمثالهما من علماء الوقت مفضّلاً عندهم . وكانت له ببلده دار علم قد جعل فيها خزانةَ كتبٍ من جميع العلوم وقفاً على كلِّ طالبِ لعلم ، لا يُمْنع أحدٌ من دخولها إذا جاءها غريبٌ يطلب الأدب ، وإن كان معسراً[2] أعطاه وَرَقاً وَوَرِقاً ، تفتح في كلِّ يوم ويجلسُ فيها إذا عاد من ركوبه ، ويجتمع إليه الناس فيملي[3] عليهم من شعره وشعر غيره ومصنفاته ، مثل الباهر وغيره من مصنفاته الحسان ، ثم يملي من حفظه من الحكايات المستطابة وشيئاً من النوادر المؤلفة وطرفاً من الفقه وما يتعلق به . وكان جماعة من أهل الموصل حسدوه على محلّه وجاهه عند الخلفاء والوزراء والعلماء ، وكان قد جحد بعض أولاده وزعم أنه ليس منه ، فعاندوه بسببه وزعموا أنه نفاه ظلماً واجتهدوا أن يلحقوه به فما تمَّ لهم ، فاجتمعوا وكتبوا فيه محضراً وشهدوا عليه فيه بكلِّ قبيح عظيم[4] ، ونفوه عن الموصل فانحدر هارباً منهم إلى مدينة السلام ، ومدح المعتضد بقصيدة يشكو فيها ما ناله منهم ، ويصف ما يحسنه من العلوم ويستشهد بثعلب والمبرد وغيرهما ، أولها :

أجِدَّكِ ما ينفكُّ طيفكِ ساريا ... مع الليل مجتاباً إلينا الفيافيا

---

(1) ر : قرابة .
(2) ر : فقيراً .
(3) م : وعلا .
(4) الوافي : بكل قبيحة وعظيمة .

يذكّرنا عهدَ الحمى وزماننا | بنعمانَ والأيام تعطي الأمانيا
ليالِيَ مغنى آلِ ليلى على الحمى | ونعمانَ غادٍ بالأوانس غانيا
وعهدُ الصبا منهنَّ فينانُ مورقٌ | ظليلُ الضحى من حائطِ اللهو دانيا
قريب المدى نائي الجوى دانيَ الهوى | على ما يشاءُ المستهامُ مؤاتيا
حلفتُ بأخياف المخيّم من منى | ومن حلَّ جَمعاً والرعانَ المتاليا
وبالركب يأتمّون بطحاءَ مكةٍ | على أركبٍ تحكي الحنيَّ حوافيا
طواهنّ طيُّ البيد في غَلَسِ الدجى | ونشرُ الفيافي والفيافي كما هيا
ولو أنني أبثثتُ ما بي من الجوى | شماريخَ رضوى أو شمامِ رثى ليا
وإن أطوِ ما تطوي الجوانحُ من هوى | عن الناس تخبرهم بحاليَ حاليا
أأدخلُ تحت الضيم والبيدُ والسرى | وأيدي المطايا الناعجاتِ عتاديا
سأخرجُ من جلبابِ كلِّ ملمةٍ | خروجَ المعلّى والمنيحُ ورائيا
إذا أنا قابلتُ الإمام مناجياً | له بالذي من ريبِ دهري عنانيا
رميتُ بآمالي إلى الملك الذي | أذلّتْ مساعيه الأسودَ الضواريا
وما هي إلا روحةٌ وادّلاجةٌ | تنيلُ الأماني أو تقيمُ البواكيا
ولي في أمير المؤمنين مدائحٌ | ملأتُ بها الآفاقَ حُسْنَ ثنائيا
وأمّتْ بيَ الآمال لا طالباً جدىً | ولا شاكياً إنفاضَ حالي وماليا
ولكنني أشكو عدوّاً مسلَّطاً | عليَّ عداني بغيُهُ عن مجاليا
أيا ابنَ الولاةِ الوارثين محمداً | خلافتَهُ دونَ الموالي مواليا
إذا ما اعتزمتَ الأمر أبرمت فتله | ولم تكُ عن إمضائك العزم وانيا
فلا تكُ للمظلوم ناداك في الدجى | لغربته والدفع للظلم ناسيا
[وعش سالم الأيام للملك راعيا | ودم عاليَ الأحوال تعلي المعاليا]

وهي مائة وخمسون بيتاً ، فيها بعد المدح ما يحسنه من العلوم الدينية والأدبية ، ويتبجح بمعرفته أقليدس وأشكاله ، وزيادات زادها في أعماله .

وله في صفة الليل :

ربَّ ليلٍ كالبحرِ هولاً وكالدهـــــر امتــداداً وكــالمــدادِ ســوادا
خُضْتُـهُ والنجـومُ يــوقِـدْنَ حتى أطفـأ الفـجـرُ ذلـكَ الإيقـادا

قال ابن عبد الرحيم : ونقلت من خط جعفر بن محمد الموصليّ من قصيدة في أبي سليمان داود بن حمدان :

أعيجي بنـا قبل انبتـاتِ حبالِـكِ جَمالَكِ إن الشوقَ شوقُ جِمالكِ
قفي وقفـةً تبللْ عليك أُوامهـا جـوانـحُ لا تَـرْوَى بغيـر نـوالـكِ
فقد طلعتْ شمسُ الندى بأُوارها على مستـظلاتٍ بفيءِ ظـلالـكِ

ومنها :

بـأبنـاء حمــدانَ الـذين كـأنهم مصابيحُ لاحتْ في ليالٍ حوالكِ
لهم نعمٌ لا أستقــلُّ بشكـرهـا وإن كنتُ قد سيَّرته في المسالكِ
وخلّفتُ فيـه من قريضٍ بـدائعاً تُـرى خَلَفاً من كـلِّ باقٍ وهـالكِ

وله من قصيدة في القاسم بن عبيد اللّه :

مـا شــأنُ دارِكِ يـا ليلى نـنـاجيـهـا فمـا تجيبُ ولا تُـرْعِـي لـداعيـهـا
إنّـا عشيـةَ عـجنـا بـالـمـطيِّ بهـا كنّـا نحييـك فيهـا لا نحـييـهـا
لا ترسلي الطيفَ ان الطرفَ في شُغُلٍ عن الكـرى بـدمـوع بـات يُجـريها
لأضـربــنَّ بـآمـالـي إلـى مـلكٍ تقـلُّ في قـدره الـدنيـا بمـا فيهـا
يـا ابنَ الـوزارة والمـأمـولُ بعـدُ لها وسـائـرِ الأرضِ دانيهـا وقـاصيهـا
ما بالُ ما اجتابَ عرضَ الأرضِ من مِدَحي إليـكَ يسـري مـع الـركبـان ساريهـا
لـم يـأتِـنـي نـبـأ عـنـهـا ولا خـبـرٌ واليـومُ كـالحـولِ لي ممـا أراعيهـا

وله أيضاً :

وما الموت قبل الموت عنديَ غيرَ أن يُرَى ضَرِعاً بالعسر يوماً لذي اليسرِ
فدعْ قولهم ليس الثراءُ من العـلا فما الفخرُ إلا أن يقال هو المثري
إذا أنت لم تبلُ الصديقَ فـلا تكنْ لـه آمنـا فيمـا يجـنُّ من الأمـرِ
فإن سترتْ حـالُ امرىءٍ لؤمَ أصله أبى اللؤمُ ألا أن يبين مـع السترِ

وله أيضا :

على الخيف من أكناف برقةَ أطلالُ ... دوارسُ عَفَّتها ببرقةَ أحوالُ
ومبنى خيامٍ من فريقٍ تفرَّقوا ... أيادي سبا والبينُ للشملِ مغتالُ
وهنّ نجومٌ للنجوم ضرائرٌ ... وهنّ لأقمار الحنادس أقتالُ
ألا إن آجال الظباءِ سوانحاً ... لمن عالج الوجدَ المبرِّحَ آجالُ
إلى ابن أبي العباس جاذبنا المنى ... ومن دونه بيدٌ يخبُّ بها الآلُ
وما زالت الأيام تضحكُ عنهمُ ... وتشرقُ عنهمْ بالمكارم أفعالُ
أولئك أرباب العلا وبنو الندى ... وَقُوَّال فضلٍ يوم مجدٍ وَفُعَّالُ
همُ ورّثوه الجودَ والبذلَ والندى ... فزاد على ما ورّثوه ولم يالُ(1)

وله يرثي البحتري :

تعوَّلَتِ البدائعُ والقصيدُ ... وأودى الشعر مذ أودى الوليدُ
وأظلم جانبُ الدنيا وعادتْ ... وجوهُ المكرماتِ وهنَّ سودُ
فقل للدهرِ يجهدْ في الرزايا ... فليس وراءَ فجعته مزيدُ

وله من قصيدة :

تمكّنَ حبُّ علوةَ في فؤادي ... ومُلِّكَ(2) أمر غَيِّي والرشادِ
فوالَى بين دمعي والمآقي ... وعادَى بين جفني والرقادِ
وقد طلب السلامةَ في سليمى ... زماناً والسعادةَ في سُعادِ
فلا هاتيك أحْمَدَها وصالاً ... ولا هذي آرتضاها في الودادِ

وله أيضاً :

أيها القرمُ الذي أعـــوزنا فيه الندودُ(3)

(1) يألو : يقصر .
(2) م : وعلك .
(3) م : التديد .

وأعانَتْهُ على المجدِ مساعٍ وجدودُ
عجِّلِ النُّجْحَ فإنّ المطلَ بالوعدِ وعيدُ

قال عبيد الله الفقير إليه مؤلف هذا الكتاب : هذا معنىً عنَّ لي من قبل أن أقف على هذه الأبيات ، وكنت أعجب كيف فات الأوائل اشتماله على مطابقة التجنيس وحسن المعنى مدةً ، حتى وقفت على ما ها هنا فعلمت أن أكثر ما ينسب إلى الشعراء من السرقات إنما هو توارد خواطر(1) ووقوع حافر على حافر ؛ وأما أبياتي فهي :

يا سيداً بذَّ من يمشي على قدمٍ ... علماً وحلماً وآباءً وأجدادا
ماذا دعاكَ إلى وعدٍ تُصَيِّرُهُ ... بالخُلْفِ والمطلِ والتسويفِ إيعادا
لا تعجلنَّ بوعدٍ ثم تخلفه ... فيثمر المطلُ بعد الودِّ أحقادا
فالوعد بذرٌ ولطفُ القولِ منبته ... وليس يُجْدِي إذا لم يلقَ حَصّادا

ـ 289 ـ

جعفر بن موسى ، يعرف بابن الحداد ، أبو الفضل النحوي : كتب الناس عنه شيئاً من اللغة وغريب الحديث وما كان من كتب أبي عبيد ما سمعه من أحمد بن يوسف التغلبي وغير ذلك ، [وكان](2) من ثقات المسلمين وخيارهم(3) . مات لثلاث خلون من شعبان سنة تسع وثمانين ومائتين ، ودفن بقرب منزله ظَهْرَ قنطرةِ البردان .

ـ 290 ـ

جعفر بن هارون بن إبراهيم النحوي الدينوري أبو محمد : روى عنه ابن

289 ـ تاريخ بغداد 7 : 192 والمنتظم 6 : 36 وإنباه الرواة 1 : 268 والوافي 11 : 155 وبغية الوعاة 1 : 487 .

290 ـ تاريخ بغداد 7 : 225 وإنباه الرواة 1 : 269 ونزهة الألباء : 190 وبغية الوعاة 1 : 487 وقد ذكر القفطي أنه نزل بغداد مؤدباً لأولاد ابن عبد العزيز الهاشمي وسمع عليه الحديث سنة 344 .

(1) م : الخواطر .
(2) زيادة من تاريخ بغداد .
(3) م : وأخبارهم .

شاذان[1] كان علامة بأيام العرب وأخبارها وأشعارها عارفاً بأنسابها، كان[2] في شوال سنة أربع وأربعين وثلاثمائة .

ـ 291 ـ

جلد بن جمل الراوية : ما رأيت أحداً من أهل التصنيف والرواية والتأليف ذكره في كتاب ترجمة إلا أن الإسناد إليه كثير ، والرواية عنه ظاهر شهير ، وكان فيما تدل عليه الأخبار التي يرويها علاَّمةً بأخبار العرب وأشعارها ، عارفاً بأيامها وأنسابها .

ـ 292 ـ

جَنَّاد بن واصل الكوفي : أبو محمد ، ويقال أبو واصل ، مولى بني غاضرة[3] : من رواة الأخبار والأشعار ، لا علم له بالعربية ، وكان يصحّف ويكسر الشعر ولا يميز بين الأعاريض المختلفة فيخلط بعضها ببعض ، وهو من علماء الكوفيين القدماء ، وكان كثير الحفظ في قياس[4] حماد الراوية .

وحدث المرزباني قال[5] قال عبد اللّه بن جعفر : أخبرنا أبو عمرو أحمد بن عليّ الطوسيّ عن أبيه قال : ما كانوا يشكّون بالكوفة في شعر ولا يعزب عنهم اسم شاعر إلا سألوا عنه جناداً فوجدوه لذلك حافظاً وبه عارفاً ، على لحنٍ كان فيه . وكان كثير اللحن جدّاً فوق لحن حماد ، وربما قال من الشعر البيت والبيتين .

وقال التوّزي : اتكل أهلُ الكوفة على حماد وجناد ، ففسدت رواياتهم، من رجلين كانا يرويان لا يدريان ، كثرت رواياتهما وقلَّ علمهما .

291 ـ لم أجد له ذكراً في ما راجعته من مصادر .
292 ـ الفهرست : 104 ونور القبس : 272 والوافي : 189 ولسان الميزان 2 : 140 .

(1) هو أبو علي الفضل بن شاذان .
(2) كان علامة . . . كان : زيادة من ر .
(3) م : عاضدة ؛ ر : عارضة .
(4) الوافي : في رتبة .
(5) لم يرد هذا في نور القبس (ونقله الصفدي) .

وحدث عبد اللّه بن جعفر عن جبلة بن محمد الكوفي عن أبيه قال : مررتُ بجنّاد مولى الغاضريين[1] وهو ينشد :

اعــلمْ بــأنّ الـحــقَّ مــركـبُــهُ إلا على أهــل التقى مستصعـبُ
فاقدُرْ بِـذَرْعِكَ في الأمـور فإنمـا رُزِقَ السـلامـةَ من لهـا يتسببُ

فقلت : أبرقت يا جناد قال : وأنى ذلك ؟ قلت : في هذين البيتين ، قال : فلم يستبنْ ذلك ، فتركته وانصرفت .

قال عبد اللّه : وإنما أنكر عليه أن البيت الأول ينقص من عروضه وتد والثاني تامّ ، فكسره ولم يعلم ، والعرب لا تغلط بمثل هـذا ، وإنما يغلطون بـأن يدخلوا عروضين في ضربٍ واحد من الشعر لتشابههما ، فاما هذا فالصواب فيه ان يقول :

اعلم بــأن الحقَّ مـركب ظهــره إلاّ على أهــل التقى مستصعـبُ

ومعنى قوله « ابرقت » خلطتَ بيتاً مكسوراً ببيت صحيح ، فصار كالحبل الأبرق على لونين ، والبرقاء من الأرض والحجارة : ذاتُ لونين سواد وبياض .

ـ 293 ـ

جُنادة بن محمد بن الحسين الهروي ، أبو أسامة اللغوي النحوي : عظيم القدر شائع الذكر عارف باللغة ، أخذ عن أبي منصور الأزهري وروى عنه كتبه ، وروى عن أبي أحمد العسكري ثم قدم مصر فأقام بها إلى أن قتله الحاكم من الملوك المصرية المنتسبة إلى العلويين في سنة تسع وتسعين وثلاثمائة ، ذكر ذلك أبو محمد أحمد بن الحسين بن أحمد بن محمد بن عبـد الرحمن الـروذباري في تـاريخه الـذي ألفه في حوادث مصر . وأخذ عنه بمصر أبو سهل الهروي وغيره من أهل مصر وغيرهم وكان مجلسه بمصر في جامع المقياس[2]، وهو الذي فيه العمود الذي يعتبرون به زيادة النيل

293 ـ ابن خلكان 1 : 372 والوافي 11 : 192 وبغية الوعاة 1 : 488 والمقفى 3 : 73 .

(1) م : العاضديين . (2) ر : المقيس .

من نقصه ؛ واتفق في بعض السنين أنّ النيل لم يزد زيادة تامة ، فقيل للحاكم حينئذ إن جنادة رجل ميشوم(1) يقعد في المقياس ويلقي النحو ويعزم على النيل فلذلك لم يزد، وكان من حدّة الحاكم وتهوّره وما عُرف من سوء سيرته لا يتثبت فيما يفعله ولا يبحث عن صحة ما يبلغه ، فأمر من ساعته بقتله فقتل رحمه اللّه . سمعت هذا الحديث في مصر مفاوضةً ، حكوه عن الأثير ابن البيساني أخي القاضي الفاضل وغيره ، واللفظ يزيد وينقص ، واللّه أعلم .

ـ 294 ـ

جهم بن خلف المازني الأعرابي ، من مازن تميم : له اتصال في النسب بأبي عمرو بن العلاء المازني المقرىء ، وكان جهم راويةً علاّمة بالغريب والشعر ، وكان في عصر خلف الأحمر والأصمعي ، وكانوا ثلاثتهم متقاربين في معرفة الشعر ، ولجهم شعر مشهور في الحشرات والجوارح من الطير ، وقيل ان ابن مناذر قال يمدح جهماً(2) :

سُمِّيتُم آل العلاء لأنكم ... أهلُ العلاءِ ومعدنُ العلمِ
ولقد بنى آلُ العلاء لمازنٍ ... بيتاً أحلّوه مع النجمِ

وجهم القائل في رواية المازني يصف الحمامة :

مطوّقةٌ كساها اللّه طوقاً لم يكن ذهبا
جَمُودُ العينِ ، مَبْكاها ... يزيدُ أخا الهوى نصبا
مفجّعةٌ بكَتْ شجواً ... فَبِتُّ بشجوها وصبا
على غصنٍ تميلُ به ... جنوبٌ مرةً وصبا

294 ـ الفهرست : 52 وإنباه الرواة 1 : 271 والوافي 11 : 209 وبغية الوعاة 1 : 289 وكتب اسمه في (ر) جعفر (في العنوان) .

(1) م : مشئوم .

(2) وردا في الفهرست والإنباه والوافي .

تــرنّ عــليــه إمّــا مــا ل مـن شــوقٍ أو انـتــصـبــا
ومــا فـغــرتْ فمــاً وبـكـتْ بــلا دمــعٍ لـهــا انسـكـبَـا

قال وله يخاطب المفضل الضبي [حين] قدم البصرة :

أنــت كــوفــيٌّ ولا يــحـــــفظ كــوفــيٌّ صــديــقــا
لــم يكـن وجـهــك يــا كــو فــيُّ لــلـخــيــرِ خــليــقــا

ـ 295 ـ

جودي بن عثمان مولى لآل يزيد بن طلحة العنبسيين(1) : من أهل موررو من بلاد الغرب ، ذكره الحميدي والزبيدي ، رحل إلى المشرق فلقي الكسائي والفراء وغيرهما وهو أوّل من أدخل كتاب الكسائي إلى الغرب ، وسكن قرطبة بعد قدومه من المشرق ، وفي حلقته أُنكر على عباس بن ناصح قوله :

يشهـدُ بـالإخــلاص نـوتيُّهــا لـلّه فيـهــا وهــو نصــرانـي

فَلُحِّنَ حيث لم يشدِّد ياءَ النسب ، وكان بالحضرة رجلٌ من أصحاب عباس بن ناصح ، فساءه ذلك فقصد عباساً ، وكان مسكنه بالجزيرة ، فلما طلع على عباس قال له : ما أقدمك ـ أعزك اللّه ـ في هذا الأوان ؟ قال : أقدمني لحنك ، قال له عباس : وأي لحن ؟ فأعلمه ، فقال له ألا أنشدتهم قول عمران بن حطان :

يــومــاً يمــانٍ إذا لاقيتُ ذا يمنٍ وان لقيتُ معــدِّيــاً فـعــدنــانـي

فلما سمع البيت كرَّ راجعاً ، فقال له عباس : لو نزلتَ فأقمتَ عندنا ، فقال : ما بي إلى ذلك من حاجة ، ثم قدم قرطبة واجتمع بجوديّ وأصحابه فأعلمهم ما قال ووافقوه ؛ ومات سنة ثلاث وتسعين ومائة .

295 ـ ترجمة جودي لم ترد لدى الحميدي كما يقول ياقوت وإنما وردت في طبقات الزبيدي : 256 والتكملة لابن الأبار : 249 وانظر أيضاً إنباه الرواة 1 : 271 وبغية الوعاة 1 : 490 وإشارة التعيين : 77 (وكانت وفاة جودي سنة 198) .

(1) هو في التكملة وبغية الوعاة : عبسي .

حرف الحاء

****

ـ 296 ـ

الحارث بن أبي العلاء عمّار بن العريان أبو سفيان أخو أبي عمرو ابن العلاء .

ـ 297 ـ

حبشي بن محمد بن شعيب الشيباني، أبو الغنائم النحوي الضرير : من أهل واسط ، من ناحيةٍ تُعْرَفُ بالأفشولية ، مات في ذي القعدة سنة خمس وستين وخمسمائة ، وكان قد ورد واسط وقرأ بها القرآن وشيئاً من النحو ، ثم قدم بغداد وأقام بها وقرأ النحو على ابن الشجري العلوي[1] ، واللغة على الشيخ أبي منصور الجواليقي ، وسمع منهما ومن قاضي المارستان . وكان عارفاً بالنحو واللغة والعربية ، تخرج به جماعةٌ من أهل الأدب كمصدق بن شبيب ، وكان يحسن الثناءَ عليه ويقول :

296 ـ أرجح أن ياقوتاً أورد بعد هذا ترجمة :

الحارث بن علي أبو القاسم الوراق البغدادي ، كان من رؤساء المعتزلة في زمانه ، وله مصنفات جيدة وردود على ابن الريوندي ، وله مع أبي علي الجبائي مناظرات ، وكان وراقاً يبيع الكتب ويورق للناس وقد روى عنه أبو علي الكوكبي الاخباري ، وذكره البلخي في « كتاب المحاسن » فقال : كان من أهل الدين والورع والتقى ، قليل النظير في زمانه .

(الوافي 12 : 260) .

297 ـ ترجمته في إنباه الرواة 1 : 337 والوافي 12 : 286 ونكت الهميان : 133 وبغية الوعاة 1 : 492 .

(1) الوافي : وقرأ على الشريف الشجري ولازمه حتى برع في النحو .

به تخرجنا لأنّ الشيخَ ابن الخشاب كان مشغولاً عنّا وكان يضنّ علينا بعلمه ، فكان انعكافنا على خبثي . وكان مع هذا العلم إذا خرج إلى الطريق بغير قائد لا يهتدي كما يهتدي العميان حتى سوق الكتب الذي كان يأتيه في كل ليلة عشرين سنة ولم يكن بعيداً عن منزله(1) .

ـ 298 ـ

حبيش بن عبد الرحمن ، وقيل حبيش بن منقذ أبو قلابة الجرمي : كان أحدَ الرواةِ الفَهَمة ، وكان بينه وبين الأصمعي مماظّةٌ لأجل المذهب لأن الأصمعي رحمه اللّه كان سنّياً حسن الاعتقاد وكان أبو قلابة شيعيّاً رافضيّاً ، ولما بلغه وفاة الأصمعي شمتَ به وقال :

أقولُ لما جاءني نعيُهُ بعداً وسحقاً لكَ من هالكِ
يا شرَّ ميتٍ خرجتْ نفسُهُ وشرَّ مدفوعٍ(2) إلى مالكِ

وله أيضاً فيه :

لعن اللّه أعظماً حملوها نحو دارِ البلى على خَشَباتِ
أعظماً تبغضُ النبيَّ وأهلَ الـ ـبيتِ والطيّبين والطيّباتِ

وكان أبو قلابة صديقاً لعبد الصمد بن المعذّل وبينهما مجالسة وممازحة وله معه أخبار . حدث المرزباني قال : قال عبد الصمد بن المعذل أنشدت أبا قلابة قولي فيه :

يا ربِّ إن كان أبو قلابَهْ يشتمُ في خَلْوته الصحابَهْ

298 ـ نور القبس : 213 والوافي 12 : 287 ولسان الميزان 2 : 175 .

(1) يأتي بعد هذا على شرط المؤلف : حبيب بن أوس أبو تمام فقد ألف الحماسة .

(2) ر : مرفوع .

فابعثْ عليه عقرباً دبّابه   تلسعُهُ في طَرَفِ السبابهْ
واقرنْ إليه حيَّةً منسابه   وابعثْ على جوخانهْ[1] سحابه

قال وأبو قلابة ساكت ، فلما قلت : « وابعث على جوخانه سحابه » قال : اللّه اللّه ليس مع ذهاب الخير عمل .

حدث المبرد في « الروضة » حدثني عبد الصمد بن المعذل قال : جئت أبا قلابة الجرمي ، وهو أحد الرواة الفهمة ، ومعه الأرجوزة التي تنسب إلى الأصمعي وهي :

تهزأ منّي أختُ آلِ طيسله   قالت أراه مملقاً لا شيء له

قال فسألته أن يدفعها إليَّ فأبى ، فعملت أرجوزتي التي أولها :

تهزأ منّي وهي رُؤْدُ طَلَّهْ   أن رأتِ الأحناءَ مقفعلَّهْ
قالت أرى شيبَ القذال احتلَّه   والوردَ من ماءِ اليُرَنَّا حَلَّهْ

قال : ودفعتها إليه على أنها لبعض الأعراب وأخذت منه تلك ، ثم مضى أبو قلابة إلى الأصمعي يسأله عن غريبها ، فقال له : لمن هذه ؟ قال : لبعض الأعراب ، فقال له : ويحك هذه لبعض الدجالين دلَّسها عليك ، أما ترى فيها كيت وكيت وكيت ، قال فخزيَ أبو قلابة واستحيى .

- 299 -

حبيش بن موسى الصيني[2] : صاحب « كتاب الأغاني » ألفه للمتوكل ، وذكر في هذا الكتاب أشياء لم يذكرها إسحاق ولا عمرو بن بانة ، وذكر من أسماء المغنين والمغنّيات في الجاهلية والاسلام كلَّ ظريف غريب . وله : كتاب الأغاني على حروف المعجم . كتاب مجردات المغنيات[3] .

299 ـ الفهرست : 162 والوافي 12 : 288 .

(1) الجوخان : البيدر ، والكلمة فارسية شاعت عند أهل البصرة .
(2) م : الضبي (وفي ط . فلوجل : النصبي) .
(3) الفهرست : المغنين .

ـ 300 ـ

حسان بن مالك بن أبي عبدة اللغوي الأندلسي[1] ، كنيته أبو عبدة ، الوزير : من أئمّة اللغة والأدب وأهل بيت جلالة ووزارة ، مات عن سن عالية قبل عشرين وأربعمائة[2]. له كتاب على مثال كتاب أبي السري سهل بن أبي غالب الذي ألفه في أيام الرشيد وسماه « كتاب ربيعة وعقيل » وهو من أحسن ما ألف في هذا المعنى ، وفيه من أشعاره ثلاثمائة بيت ، وذاك أنه دخل على المنصور بن أبي عامر وبين يديه كتاب السري وهو معجب به ، فخرج من عنده وعمل هذا الكتاب ، وفرغ منه تأليفاً ونسخاً[3] وجاء به في مثل ذلك اليوم من الجمعة الأخرى ، وأراه إياه فَسُرَّ به ووصله عليه .

وكتب أبو عبدة إلى المستظهر عبد الرحمن بن هشام بن عبد الجبار بن عبد الرحمن الناصر[4] المسمَّى بالخلافة أيام الفتنة وكان استوزره :

إذا غبتُ لم أُحْضَرْ وإن جئتُ لم أُسَلْ ... فسيانِ مني مشهدٌ ومغيبُ
فأصبحتُ تيميّاً وما كنت قبلها ... لتيمٍ ولكنَّ الشبيهَ نسيبُ

أشار في هذا البيت إلى قول الشاعر :

وَيُقْضَى الأمر حين تغيبُ تيمٌ ... ولا يستأذنون وهم شهودُ

قال ابن خاقان[5] : وكان لأبي عبدة أيامَ الفتنةِ حين أدجتِ الفتنةُ ليلَها ، وأَزْجَتْ

300 ـ الجذوة 183 (وبغية الملتمس رقم: 662) والصلة 1 : 153 ومطمح الأنفس (شوابكه): 211 والوافي 12 : 361 وبغية الوعاة 1 : 544 (ويعتمد ياقوت على مطمح الأنفس إلى جانب اعتماده على الجذوة) .

(1) ترجم الصفدي (12 : 361) لحسان بن عبد الله بن حسان الأستجيّ الأندلسي المتوفى سنة 334 وقال إنه كان نبيلاً في الفقه معنياً بالحديث متصرفاً باللغة والآداب فلعله أن يكون من شرط المؤلف .

(2) م ر : وثلاثمائة ؛ وكذلك في جذوة المقتبس ، إذ أنه ألف للمنصور بن أبي عامر ، والمنصور توفي سنة 392 .

(3) زاد في الجذوة : وتصويراً .

(4) م : التاجر .

(5) المطمح : 211 (ونفح الطيب 3 : 547) .

إبلَها وخيلَها ، اغترابٌ كاغتراب الحارث بن مضاض[1] ، واضطرابٌ بين العوالي والمواضي كالحيَّة النضناض ، ثم اشتهر بعد ، وافترّ له السَّعد ، وفي تلك المدة يقول يتشوق إلى أهله :

سَقَى بلداً أهلي به وأقاربي ... غوادٍ بأثقالِ الحيا وروائحُ
وهبَّتْ عليهم بالعشيِّ وبالضحى ... نواسمُ من بَرْدِ الظلالِ فوائحُ
تذكرتهم والنأيُ قد حال دونهم ... ولم أنْسَ لكن أوقدَ القلبَ لافحُ
وممّا شجاني هاتفٌ فوق أيكةٍ ... ينوحُ ولم يعلمْ بما هو نائحُ
فقلت اتّئدْ يكفيك أنيَ نازحٌ ... وأنَّ الذي أهواه عنّيَ نازحُ
ولي صبيةٌ مثلُ الفراخ بقفرةٍ ... مضى حاضناها فاطَّحتها الطوائحُ
إذا عَصَفَتْ ريحٌ أقامتْ رؤوسَها ... فلم تلقَها إلا طيورٌ بوارحُ

ـ 301 ـ

الحسن بن إبراهيم بن زولاق أبو محمد : هو الحسن بن إبراهيم بن الحسين بن الحسن[2] بن علي بن خلف بن راشد بن عبد اللّه بن سليمان بن زولاق المصري الليثي ، من أعيان علماء أهل مصر ووجوه أهل العلم فيهم ، وله عدة تصانيف في التواريخ المصرية . مات يوم الأربعاء لخمس بقين من ذي القعدة سنة ست وثمانين وثلاثمائة في أيام المتلقب بالعزيز باللّه ، وقيل إنه مات في ذي القعدة سنة

301 ـ ترجمة ابن زولاق في وفيات الأعيان 2 : 91 وسير الذهبي 16 : 462 والبداية والنهاية 11 : 321 وتاريخ ابن الوردي 1 : 351 والوافي 12 : 370 ولسان الميزان 2 : 191 وحسن المحاضرة 1 : 553 وله كتاب أخبار سيبويه المصري (وفيه حكايات له معه) واحتفظ ابن سعيد في المغرب (قسم مصر) بقطعة وافرة من كتابه « سيرة الأخشيد » وذكر ابن خلكان ان له كتاب قضاة مصر وصل به كتاب الكندي وابتدأه بذكر القاضي بكار بن قتيبة ، واختتمه بذكر محمد بن النعمان (حتى سنة 386) وصرَّح الصفدي بأن ابن عساكر لم يورد له ترجمة ، وانظر المقفى 3 : 284 .

(1) الحارث بن مضاض الجرهمي : غادر الحجاز وطوَّف في الأرض طويلاً فضرب المثل باغترابه .
(2) سير : بن حسن بن الحسين .

سبع وثمانين وثلاثمائة في أيام الحاكم ، والأول أظهر . وكان لمحبته للتواريخ والحرص على جمعها وكتبها كثيراً ما ينشد :

مـا زلتَ تكتبُ في التاريخ مجتهداً حتى رأيتُكَ في التاريخ مكتوبا

وله من الكتب : كتاب سيرة محمد بن طغج الاخشيد . كتاب سيرة جوهر . كتاب سيرة الماذرائيين . كتاب التاريخ الكبير على السنين . كتاب فضائل مصر . كتاب سيرة كافور . كتاب سيرة المعز . كتاب سيرة العزيز ، وغير ذلك .

وكان قد سمع الحديث ورواه ، فسمع منه عبد اللّه بن وهبان بن أيوب بن صدقة وغيره .

وحدث ابن زولاق في « كتاب سيرة العزيز » المتغلّب على مصر ، المنتسب إلى العلويين ، من تصنيفه حاكياً عن نفسه قال : لما خُلِعَ على الوزير يعقوب بن كلس وكان يهودياً فأسلم ، وكان مكيناً من العزيز ، فلما أسلم قلّده وخلع عليه ، قال ابن زولاق : وكنت حاضراً مجلسه فقلت : أيها الوزير روى الأعمش عن زيد بن وهب عن عبد اللّه بن مسعود أنه قال : حدثني الصادق رسول اللّه ﷺ أنَّ الشقيَّ مَنْ شَقِيَ في بطن أمه والسعيدَ مَنْ سَعِدَ في بَطْنِ أمه ، وهذا علوّ سماوي . فقال الوزير : ليس الأمر كذلك ، وإنما أفعالي وتوفيراتي وكفايتي ونيابتي ونيّتي وحرصي الذي كان يُهَجَّن ويعاب ، وقد مات قوم ممن كان وبقي قوم ، وكان هذا القول بحضرة القوم الذين حضروا قراءةَ السجلّ الذي خرج من العزيز في ذكر تشريفه ؛ قال ابن زولاق : فأمسكتُ وقلت : وفّقَ اللّه الوزير ، إنما رويتُ عن رسول اللّه ﷺ حديثاً صحيحاً ، وقمتُ وخرجتُ وهو ينظر إليّ ، وانصرف الوزير إلى داره بما حباه العزيز به ، قال : فحدثني أبو عبد الله الحسين بن إبراهيم الحسيني الزينبي : عاتبتُ الوزيرَ على ما تكلّم به وقلت : إنما رَوَى حديثاً صحيحاً بجميع طرقه وما أراد إلا الخير ، فقال لي ، وَخَفِيَ عنك ؟ إنما هذا مثلُ قولِ المتنبي[1] :

ولـلّه سـرٌّ في عـلاكَ وإنـمـا كلامُ العدى ضربٌ من الهذيانِ

(1) ديوان المتنبي : 472 .

وأجمع الناسُ على أن ذلك هجوٌ في كافور لأنه أعلمه أنه تقدَّمَ بغير سبب ، وابن زولاق هجاني على لسان صاحب الشريعة ﷺ فما أمكنني السكوت ، وكان في نفسي شيء فجعلت كلامه سبباً.

قال أبو عبد الله الزينبي : فأشهدُ أن الوزيرَ لم يَنْقَضِ يومه حتى تكلَّم بمثل كلامي الذي أوردته عن النبي ﷺ وذلك أن رجلاً عَرَضَ عليه رقعةً فقال : كم رقاع ؟ كم حرص ؟ هو ذا الرجل يطوفُ البلدانَ ، ويتقلَّبُ في الدول ويسافر فلا ينجح ، وآخرُ يأتيه أملُهُ عفواً ، قد فرغَ اللَّه من الأرزاق والآجالِ والمراتب ومن الشقاوة والسعادة ، ثم التفت إليَّ وضحك وقطع كلامه.

قال ابن زولاق : وكنتُ هنَّأتُ ابنَ رشيق بهذه التهنئة في مجلسٍ عظيمٍ حَفْلٍ حين جاءته الخِلَعُ من بغداد والتقليدُ وألبسوه ، ورويتُ له هذا الخبر فبكى وشكر ، وحسدني على ذلك أكثر الحاضرين ، وكافأني عليه أحسنَ مكافأة .

ـ 302 ـ

الحسن بن أحمد بن يعقوب ، يعرف بابن الحائك الهمداني ، من

302 ـ رفع القفطي (إنباه 1 : 279) في نسبه وأفاض في ترجمته ، وقال إن تلقيبه بابن الحائك مأخوذ من حوك الشعر ، كما يعرف بالنسابة وبابن ذي الدمينة (أحد اجداده) ، كان آباؤه ينزلون المواشي من بلاد بكيل ثم انتقل داود بن سليمان بن ذي الدمينة إلى الرحبة من نواحي صنعاء ، ثم إلى صنعاء وبها ولد الحسن ونبغ في علوم كثيرة فهو منجم طبيب نسّابة شاعر فقيه عارف بالأحجار ، وأقام زماناً في ريدة ، وفترة أخرى في صعدة ، وتجوّل كثيراً في البلدان ؛ وسجن لأسباب سياسية فيما يبدو ، ومن كتبه التي لم يذكرها ياقوت : كتاب السير والأخبار ، وكتاب اليعسوب في فقه الصيد وحلاله وحرامه ، وكتاب سرائر الحكمة وقد نشره الأستاذ محمد علي الأكوع ؛ وانظر في ترجمته أخبار الحكماء : 113 وطبقات صاعد: 58 وبغية الوعاة 1 : 498 وأعاد ترجمته 1 : 531 (باسم الحسين) ومجلة المجمع العلمي العربي 25 : 62 حيث أثبت الشيخ حمد الجاسر أنه لم يمت في سجن صنعاء وإنما توفي بعد خروجه من السجن ؛ وفي سنة 1981 عقدت جامعة صنعاء مؤتمراً في ذكرى الهمداني ، وألقيت في المؤتمر بحوث قيمة (وحتى الآن لم تظهر مجموعة) ؛ وانظر أيضاً مقدمة الجزء الأول من الاكليل في ترجمته .

مفاخرها : له « كتاب الإكليل[1] في مفاخر[2] قحطان . وذكر اليمن » وله قصيدة سماها « الدامغة في فضل قحطان »[3] أولها :

ألا يا دارُ لولا تنطقينا فإنّا سائلوكِ فخبرينا

وله كتاب جزيرة العرب وأسماءُ بلادها وأوديتها ومن يسكنها[4] .

وقرأتُ بخطِّ الأمير عبد الكريم بن علي البيساني أخي الفاضل عبد الرحيم في فهرست كتبه وذكر خبراً من كتاب الاكليل في أنساب حمير وأخبارها تصنيف الحسن بن أحمد بن يعقوب الهمداني وكان في سنة احدى وثلاثين وثلاثمائة[5] .

ـ 303 ـ

الحسن بن أحمد بن يعقوب بن يوسف بن داود بن سليمان الشاعر المعروف بابن الدمينة[6] ، بن عمرو بن الحارث بن أبي حبش بن منقذ بن الوليد بن الأزهر بن عمرو بن طارق بن أدهم بن قيس بن قيس[7] بن ديبع[8] بن عبد بن عليان بن أرحب ابن الذعّام بن مالك بن ربيعة[9] بن صعب بن دويثان[10] بن جشم بن خيوان بن سرف[11] بن همدان: وكان آباؤه ينزلون المواشي من بلاد بكيل، ثم انتقل داود بن

303 ـ هذه هي الترجمة السابقة ، وقد وردت في المختصر ، كما وردت السابقة ، فهما من أصل الكتاب .

(1) وصف القفطي محتويات كل جزء من أجزاء الأكليل (إنباه 1 : 282) وذكر أنه عزيز الوجود وأنه حصل على الأول والرابع (يعوزه يسير) والسادس والعاشر والثامن ؛ وقد نشر القاضي محمد علي الأكوع الجزءين الأول والثاني ، ونشر العاشر محب الدين الخطيب (1368) والثامن الأب أنستاس الكرملي (بغداد 1931) ثم نبيه فارس (برنستن 1940) .

(2) ر : معادن .

(3) قد نشرت هذه القصيدة ، وشرحها ابن الهمداني .

(4) طبع مرتين مرة بعناية المستشرق مللر ومرة بعناية القاضي الأكوع ومراجعة الشيخ حمد الجاسر .

(5) قال القاضي صاعد : وجدت بخط الحكم المستنصر أن الهمداني توفي . . . سنة 334 .

(6) ضبط النسب بالمقارنة مع إنباه الرواة .

(7) بن قيس (الثانية) لم ترد في الإنباه .

(8) إنباه : ربيع .

(9) إنباه : معاوية .

(10) غير معجمة في ر ؛ وفي م : دومان .

(11) إنباه : نوف .

سليمان ذي الدمينة إلى الرحبة من نواحي صنعاء ، وكان رجلاً عرّيضاً محسّداً في أهل بلدته ، وارتفع له صيت عظيم ، وكان قد صحب أعلامَ أهل زمانه[1] .

ـ 304 ـ

الحسن بن أحمد بن عبد الغفار بن سليمان الفارسي : أبو علي الفارسي ، المشهور في العالم اسمه ، المعروف تصنيفه ورسمه ، أوحد زمانه في علم العربية ، كان كثير من تلامذته يقول : هو فوق المبرد .

قال أبو الحسن علي بن عيسى الربعي : هو أبو علي الحسن بن أحمد بن عبد الغفار بن محمد بن سليمان بن أبان الفارسي ، وأمه سدوسيةٌ من سدوس شيبان من ربيعة الفرس ، مات ببغداد سنة سبع وسبعين وثلاثمائة في أيام الطائع لله عن نيف وتسعين سنة ، أخذ النحوَ عن جماعةٍ من أعيانِ أهلِ هذا الشأن كأبي إسحاق الزجاج وأبي بكر ابن السراج وأبي بكر مبرمان وأبي بكر الخياط ، وطوّف كثيراً من بلاد الشأم ، ومضى إلى طرابلس فأقام بحلب مدة ، وخدم سيفَ الدولة ابن حمدان ، ثم رجع إلى بغداد فأقام بها إلى أن مات .

حدث الخطيب[2] قال ، قال التنوخي : ولد أبو علي الفارسي بفسا ، وقدم

304 ـ ترجمة أبي علي الفارسي في الفهرست: 69 وطبقات الزبيدي: 120 (وهي شديدة الايجاز) ونزهة الألباء: 315 والمنتظم 7: 138 وتاريخ بغداد 7: 275 وإنباه الرواة 1: 273 وبغية الطلب 4: الورقة 145 وابن خلكان 2: 80 وسير الذهبي 16: 379 وعبر الذهبي 3: 4 والوافي 11: 376 ومرآة الجنان 2: 406 والبداية والنهاية 11: 306 وطبقات ابن الجزري 1: 206 والنجوم الزاهرة 4: 151 ولسان الميزان 2: 195 وبغية الوعاة 1: 496 والشذرات 3: 88 واشارة التعيين: 83 وروضات الجنات 3: 76 وقد أورد أبو حيان في الامتاع 1: 129 بعض المعلومات عنه وتعد مؤلفات ابن جني مصدراً هاماً لحياته وآرائه، وكتب دراسة عنه الأستاذ عبد الفتاح شلبي (وياقوت يعتمد تاريخ الخطيب وغيره) وقد نشر من كتبه في الأيام الاخيرة عدد غير قليل ، ومما نشر المسائل العضديات ، تحقيق شيخ الراشد ، دمشق 1986 ؛ وفي مقدمات كتبه دراسات عنه لمحققي تلك الكتب .

(1) اقتصر المختصر على هذا القدر ؛ ومن الواضح أن المؤلف يعتمد على المصدر نفسه الذي اعتمد عليه القفطي ، وعند القفطي (1 : 280 ـ 284) معلومات ضافية ،أعتقد أن ياقوتاً شاركه فيها أو في معظمها .

(2) تاريخ بغداد 7 : 275 وقارن بإنباه الرواة وبغية الطلب ، الورقة : 147 .

بغداد واستوطنها ، وَعَلَتْ منزلَتُهُ في النحو حتى قال قومٌ من تلامذته : هو فوق المبرد وأعلمُ منه ، وصنف كتباً عجيبةً حسنة لم يسبق إلى مثلها ، واشتهر ذكره في الآفاق ، وبرع له غلمانٌ حذّاقٌ مثلُ عثمان بن جني وعلي بن عيسى الربعي ، وخدم الملوكَ ونفق عليهم ، وتقدَّمَ عند عضد الدولة ، فكان عضد الدولة يقول : أنا غلام أبي علي النحوي في النحو وغلام أبي الحسين الرازي الصوفي في النجوم . وكان متهماً بالاعتزال .

وذكر أبو الحسن طاهر بن أحمد بن بابشاذ النحوي في « كتاب شرح الجمل » للزجاجي في باب التصريف منه يحكي عن أبي علي الفارسي أنه حضر يوماً مجلسَ أبي بكر الخياط ، فأقبل أصحابه على أبي بكر يكثرون عليه المسائل ، وهو يجيبهم ويقيم عليها الدلائل ، فلما أنفدوا أقبل على أكبرهم سناً وأكبرهم عقلاً وأوسعهم علماً عند نفسه فقال له : كيف تبني من سفرجل مثل عنكبوت ، فأجابه مسرعاً سفرروت ، فحين سمعها قام من مجلسه وصفق بيديه وخرج وهو يقول سفرروت ، فأقبل أبو بكر على أصحابه وقال : لا بارك اللّه فيكم ولا أحسن جزاءكم ، خجلاً مما جرى واستحياءً من أبي علي .

ومما يشهد بصفاء ذهنه وخلوص فهمه أنه سئل قبل أن ينظرَ في العروض عن خَرْم متفاعلن ، فتفكر وانتزع الجواب فيه من النحو ، فقال : لا يجوز لأن متفاعلن ينقل إلى مستفعلن إذا خبن ، فلو خرم لتعرض للابتداء بالساكن لا يجوز له (الخرم حذف الحرف الأول من البيت والخبن تسكين ثانيه) .

ولما خرج[1] عضد الدولة لقتال ابن عمه عز الدولة بختيار بن معز الدولة دخل عليه أبو علي الفارسي فقال له : ما رأيك في صحبتنا ؟ فقال له : أنا من رجالِ الدعاءِ لا من رجال اللقاء ، فخار اللّه للملك في عزيمته ، وأنجح قصده في نهضته ، وجعل العافيةَ زادَهُ والظفرَ تجاهه والملائكة أنصاره ، ثم أنشده :

وَدَّعْتُهُ حيثُ لا تودِّعه … نفسي ولكنَّها تسيرُ مَعَهْ
ثم تولّى وفي الفؤادِ له … ضيقٌ محلٍ وفي الدموع سعهْ

فقال له عضد الدولة : باركَ اللّه فيك ، فإني واثقٌ بطاعتك وأتيقَّنُ صفاءَ

(1) بغية الطلب ، الورقة : 150 .

طويتك ، وقد أنشدنا بعض أشياخنا بفارس :

قالوا له إذ سار أحبابه ... فبدَّلُوهُ البعدَ بالقربِ
واللّه ما شطّتْ نوى ظاعنٍ ... سارَ من العينِ إلى القلبِ

فدعا له أبو علي وقال : أيأذن مولانا في نقل هذين البيتين ؟ فأذن فاستملاهما منه .

وكان[1] مع عضد الدولة يوماً في الميدان فسأله بماذا ينتصب الاسم المستثنى في نحو قام القوم إلا زيداً ، فقال أبو علي : ينتصب بتقدير أستثني زيداً ، فقال له عضد الدولة : لم قدّرت « أستثني زيداً » فنصبت ؟ هلاّ قدرت « امتنعَ زيد » فرفعت ؟ فقال أبو علي : هذا الذي ذكرتُهُ جوابٌ ميدانيّ فإذا رجعتُ قلتُ لك الجوابَ الصحيح . وقد ذكر أبو علي في «كتاب الإيضاح» أنه انتصب بالفعل المتقدم بتقوية إلاّ .

قالوا : ولما صنف أبو علي « كتاب الإيضاح » وحمله إلى عضد الدولة استقصره عضد الدولة وقال له : ما زدت على ما أعرفُ شيئاً ، وإنما يصلحُ هذا للصبيان ، فمضى أبو علي وصنَّفَ « التكملة »[2] وحملها إليه ، فلما وقف عليها عضد الدولة قال : غضب الشيخ وجاء بما لا نفهمه نحن ولا هو .

وحكى ابن جني عن أبي علي الفارسي : قرأ عليَّ علي بن عيسى الرماني « كتاب الجمل » و« كتاب الموجز » لابن السراج في حياة ابن السراج . وكان أبو طالب العبدي يقول : لم يكن بين أبي علي وبين سيبويه أحدٌ أبصرُ بالنحو من أبي علي .

قرأت بخط سلامة بن عياض النحوي ما صورته : وقفت على نسخة من « كتاب الحجة » لأبي علي الفارسي في صفر سنة اثنتين وعشرين وخمسمائة بالري في دارِ كُتُبِها التي وقفها الصاحبُ ابن عباد رحمه اللّه ، وعلى ظهرها بخط أبي علي ما حكايته : هذا ـ أطال اللّه بقاء سيدنا الصاحب الجليل ـ أدام اللّه عزه ونصره وتأييده وتمكينه ـ كتابي في قراء الأمصار الذين بينت قراءتهم في كتاب أبي بكر أحمد بن موسى المعروف بكتاب السبعة ، فما تضمَّنَ من أثرٍ وقراءةٍ ولغة فهو عن المشايخ الذين

---

(1) قارن بابن خلكان 2 : 80 .

(2) نشر التكملة الدكتور حسن شاذلي فرهود ، الرياض 1981 .

أخذتُ ذلك عنهم وأسندته إليهم ، فمتى آثر سيدنا الصاحبُ الجليلُ ـ أدام اللّه عزه ونصره وتأييده وتمكينه ـ حكايةَ شيءٍ منه عنهم أو عني لهذه المكاتبة فعل ، وكتب الحسن بن أحمد الفارسي بخطه .

ولأبي علي من التصانيف: كتاب الحجة[1]. كتاب التذكرة، قد ذكرت حاله في ترجمة محمد بن طويس القصري. كتاب أبيات الإعراب . كتاب الإيضاح الشعري[2] . كتاب الإيضاح النحوي . كتاب مختصر عوامل الإعراب . كتاب المسائل الحلبية . كتاب المسائل البغدادية . كتاب المسائل الشيرازية . كتاب المسائل القصرية . كتاب الاغفال ، وهو مسائل أصلحها على الزجاج . كتاب المقصور والممدود . كتاب نقض الهاذور . كتاب الترجمة . كتاب المسائل المنثورة[3] . كتاب المسائل الدمشقية . كتاب أبيات المعاني . كتاب التتبع لكلام أبي علي الجبائي في التفسير نحو مائة ورقة . كتاب تفسير قوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ ﴾ (المائدة: 6) كتاب المسائل البصرية . كتاب المسائل العسكرية[4] . كتاب المسائل المصلحة من كتاب ابن السراج . كتاب المسائل المشكلة . كتاب المسائل الكرمانية .

ذكر المعرّيّ في « رسالة الغفران »[5] أن أبا علي الفارسي كان يذكر أن أبا بكر ابن السراج عمل من « الموجز » النصفَ الأولَ لرجلٍ بزَّاز ثم تقدم إلى أبي علي الفارسي بإتمامه ، قال : وهذا لا يقال إنه من إنشاء أبي علي لأن الموضوع في الموجز هو منقول من كلام ابن السراج في « الأصول » وفي « الجمل » ، فكأن أبا علي جاء به على سبيل النسخ لا أنه ابتدع شيئاً من عنده .

نقلت من خطّ الشيخ أبي سعيد معن بن خلف البستي مستوفي بيتي الزرد والفرس الملكشاهي بتولية نظام الملك من كتاب ألّفه بخطه ، وكان عالماً فاضلاً

(1) هو في القراءات ، وقد نشر الجزء الأول منه في القاهرة 1965 والثاني 1983 .
(2) نشر الطناحي كتاب الشعر أو شرح الأبيات المشكلة الاعراب في جزءين ، القاهرة 1988 .
(3) نشر بتحقيق مصطفى الحدري ، مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق 1986 .
(4) نشر بعنوان المسائل العسكريات ، تحقيق اسماعيل أحمد العمايرة . عمان 1981 .
(5) رسالة الغفران : 417 .

حاسباً ، قال الأستاذ أبو العلاء الحسين بن محمدً بن مهرويه في كتابه الذي سماه « أجناس الجواهر » : كنت بمدينة السلام أختلف إلى أبي علي الفارسي النحوي رحمه اللّٰه ، وكان السلطان رسم له أن ينتصب لي كلَّ أسبوع يومين لتصحيح « كتاب التذكرة » لخزانة كافي الكفاة ، فكنا إذا قرأنا أوراقاً منه تجارينا في فنون الآداب ، واجتنينا من فوائد ثمار الألباب ، ورتعنا في رياض ألفاظه ومعانيه ، والتقطنا الدرَّ المنثورَ من سقاط فيه . فأجرى يوماً بعضُ الحاضرين ذِكْرَ الأصمعي ، وأسرف في الثناء عليه وفضَّله على أعيان العلماء في أيامه ، فرأيته رحمه اللّٰه كالمنكر لما كان يورده ، وكان فيما ذكر من محاسنه ونشر من فضائله أنْ قال : من ذا الذي يجسر أن يخطّىء الفحولَ من الشعراء غيرُهُ ؟ فقال أبو علي : وما الذي ردَّ عليهم ؟ فقال الرجل : أنكر على ذي الرمة مع إحاطته بلغة العرب ومعانيها ، وفضل معرفته بأغراضها ومراميها ، وانه سلك نَهْجَ الأوائل في وصف المفاوز إذا لعب السراب فيها ، ورقص الآلُ في نواحيها ، ونَعَتَ الحرباءَ وقد سبح على جِذْله ، والظليمَ وكيف ينفرُ من ظله ، وذكر الركبَ وقد مالت طلاهم من غلبة المنام ، حتى كأنهم صرعتهم كؤوسُ المدام ، فطبَّقَ مَفْصِلَ الإصابةِ في كلِّ باب ، وساوى الصدرَ الأول من أرباب الفصاحة ، وجارى القرومَ البزل من أصحاب البلاغة ، فقال له الشيخ أبو علي : وما الذي أنكر على ذي الرمة ؟ فقال قوله :

* وقفنا فقلنا إيهِ عن أمِّ سالم *

لأنه كان يجب أن ينوّنه، فقال : أما هذا فالأصمعي مخطىءٌ فيه وذو الرمة مصيب ، والعجب أن يعقوبَ بنَ السكيت قد وقع عليه هذا السهو في بعض ما أنشده ، فقلت : إن رأى الشيخ أن يَصْدَعَ لنا بجلية هذا الخطأ تفضَّلَ به . فأملى علينا ، أنشد ابن السكيت لأعرابي من بني أسد :

وقائلةٍ أسيتَ فقلتُ جيرٍ ... أسيٌّ إنني من ذاك إنَّهْ
أصابهم الحمى وهمْ عوافٍ ... وكنَّ عليهمُ نحساً لعنَّه
فجئتُ قبورهم بدءاً ولمّاً ... فناديتُ القبورَ فلم يجبنه
وكيف يجيبُ أصداءٌ وهامٌ ... وأبدانٌ بدرن وما نخرنه

قال يعقوب : هو جيرِ أي حقاً وهي مخفوضة غير منوّنة ، فاحتاج إلى التنوين . قال أبو علي : هذا سهو منه لأنّ هذا يجري مجرى الأصوات ، وباب الأصوات كلها والمبنيات بأسرها إلا ما خصّ منها لعلة الفرقان فيها بين نكرتها ومعرفتها بالتنوين ، فما كان منها معرفةً جاء بغير تنوين فإذا نكرته نوّنته ، من ذلك أنك تقول في الأمر صَهْ ومَهْ تريد : السكوت يا فتى ، فإذا نكرت قلت : صَهٍ ومَهٍ تريد سكوتاً ، وكذلك قول الغراب غاقٍ أي صوْتاً ، وكذلك إيهِ يا رجل تريد الحديث وإيهٍ تريد حديثاً ، وزعم الأصمعي أن ذا الرمة أخطأ في قوله : « وقفنا فقلنا إيهِ عن أم سالم » وكان يجب أن ينوّنه ويقول إيهٍ وهذا من أوابد الأصمعي التي يقدم عليها من غير علم ، فقوله جَيْرِ بغير تنوين في موضع قوله الحق وتجعله نكرة في موضع آخر فتنونه ، فيكون معناه قلت حقاً ، ولا مدخل للضرورة في ذلك إنما التنوين للمعنى المذكور ، وبالله التوفيق . وتنوين هذا الشاعر على هذا التقدير .

قال يعقوب : قوله أصابهم الحمى يريد الحمام ، وقوله : بدرن أي طُعِنّ في بوادرهم بالموت ، والبادرة النحر ، وقوله : فجئت قبورهم بدءاً أي سيداً ، وبدء القوم سيدهم وبدء الجزور خير أنصبائها ، وقوله ولما أي ولم أكن سيداً إلا حين ماتوا فإني سدت بعدهم .

قرأت في « معجم السَّفَر »[1] للسلفي : أنشدني أبو جعفر أحمد بن محمد بن كوثر المحاربي الغرناطي بديار مصر قال ، أنشدنا أبو الحسن علي بن أحمد بن خلف النحوي لنفسه بالأندلس في « كتاب الإيضاح » لأبي علي الفارسي النحوي :

أضِعِ الكرى لتحفُّظِ الإيضاحِ ... وَصِلِ الغدوَّ لفهمه برواحِ
هو بغيةُ المتعلّمين وَمَنْ بغى ... حَمْلَ الكتابِ يَلِجْهُ بالمفتاحِ
لأبي عليّ في الكتابِ إمامةٌ ... شهد الرواةُ لها بفوزِ قِداحِ
يفضي إلى أسراره بنوافذٍ ... من علمه بَهَرَتْ قُوَى الأمداحِ

(1) م : معجم الشعراء ؛ وانظر أخبار وتراجم أندلسية (مستخرجة من معجم السفر) : 26 ومعجم السفر نفسه : 29 ـ 30 وإنباه الرواة 2 : 228 .

فيخاطب المتعلمين بلفظه ويحلُّ مشكله بومضةٍ واحِ
مضت العصورُ فكلّ نحوٍ ظلمةٌ وأتى فكان النحوُ ضوءَ صباحِ
أوصى ذوي الاعراب أن يتذاكروا بحروفه في الصُّحْفِ والألواحِ
فإذا همُ سمعوا النصيحةَ أنجحوا إن النصيحة غبُّها لنجاحِ

وكتب الصاحب إلى أبي علي في الحال المقدم ذكرها : كتابي ـ أطال الله بقاء الشيخ ، وأدام جمالَ العلم والأدبِ بحراسةِ مهجتِهِ وتنفيسِ مهلته ـ وأنا سالمٌ ولله حامد ، وإليه في الصلاة على النبي وآله راغب ، ولبرِّ الشيخ أيده الله بكتابه الوارد شاكر . وأما أخونا أبو الحسين قريبه ـ أعزه الله ـ فقد ألزمني بإخراجه إليَّ أعظمَ منة ، وأتحفني من قربه بِعِلْقٍ مَضِنَّة ، لولا أنه قلَّلَ المقام ، واختصر الأيام ، ومن هذا الذي لا يشتاق ذلك المجلس ، وأنا أحوجُ من كلِّ حاضريه إليه ، وأحقُّ منهم بالمثابرةِ عليه ، ولكنَّ الأمورَ مقدّرة ، وبحسب المصالح ميسرة ، غير أنا ننتسبُ إليه على البعد ونقتبس فوائده عن قرب ، وسيشرح هذا الأخُ هذه الجملةَ حقَّ الشرح بإذن الله ، والشيخ ـ أدام الله عزه ـ يبرِّدُ غليلَ شوقي إلى مشاهدته ، بعمارةِ ما افتتح من البرِّ بمكاتبته ، ويقتصرُ على الخطاب الوَسَطِ دون الخروج في إعطاء الرتبِ إلى الشطّ ، كما يخاطب الشيخ المستفاد منه التلميذَ الآخذَ عنه ، ويبسط إليَّ في حاجاته ، فإنني أظنني أجدرُ إخوانه بقضاءِ مهماته ، إن شاء الله تعالى . قد اعتمدت على صاحبي أبي العلاء أيده اللّه لاستنساخ « التذكرة » وللشيخ ـ أدام الله عزه ـ رأيُهُ الموفَّقُ في التمكين من الأصل ، والإذن بعد النسخ في العرض ، بإذن الله تعالى .

قال حدثني علم الدين أبو محمد القاسم بن أحمد الأندلسي ـ أيده الله تعالى ـ قال(1) : وجدتُ في مسائلَ نحويةٍ تُنْسَبُ إلى ابن جني قال : لم أسمع لأبي علي شعراً قطّ إلى أن دخل إليه في بعض الأيام رجلٌ من الشعراء ، فجرى ذكرُ الشِعر فقال أبو علي : إني لأغبطكم على قول هذا الشعر ، فإن خاطري لا يواتيني على قوله ، مع تحقُّقي للعلوم التي هي من موارده ، فقال له ذلك الرجل : فما قلتَ قطُّ شيئاً منه البتة ؟

(1) قارن بإنباه الرواة : 275 وابن خلكان : 80 ـ 81 .

فقال : ما أعهد لي شعراً إلا ثلاثة أبيات قلتها في الشيب ، وهي قولي :

خضبتُ الشيبَ لما كان عيباً ... وخضبُ الشيبِ أولى أن يعابا
ولم أخضبْ مخافةَ هجر خِلٍّ ... ولا عيباً خشيتُ ولا عتابا
ولكنَّ المشيب بدا ذميماً ... فصيرت الخضاب له عقابا

فاستحسناها وكتبناها عنه ، أو كما قال ، لأني كتبتها في المفاوضة ولم أنقلْ ألفاظها .

أخبركم أبو الحسن علي بن عمر الفرّاء عن أبي الحسين نصر بن أحمد بن نوح المقرىء ، قال : أنبأنا أبو الحسن علي بن عبيد اللّه السمسمي اللغوي ببغداد ، أنبأنا أبو علي الحسن بن أحمد بن عبد الغفار الفارسي النحوي قال : جئت إلى أبي بكر السراج لأسمعَ منه الكتاب ، وحملتُ إليه ما حملت ، فلما انتصف الكتاب عَسُرَ عليه في تمامه ، فقطعتُ عنه لتمكني من الكتاب ، فقلتُ لنفسي بعد مدة : إنْ سرتُ إلى فارس وسئلتُ عن تمامه ، فإن قلت : نعم كذبت ، وإن قلت لا سقطت الرواية والرحلة ، ودعتني الضرورة فحملت إليه رزمةً ، فلما أبصرني من بعيد أنشد[1] :

وكم تجرعتُ من غيظٍ ومن حَزَنٍ ... إذا تجدَّد حُزْنٌ هوَّن الماضي
وكم غضبتُ فما باليتُم غضبي ... حتى رجعتُ بقلبٍ ساخطٍ راضي

قرأت بخط الشيخ أبي محمد الخشاب : كان شيخنا ـ يعني أبا منصور موهوب بن الخضر الجواليقي ـ قلَّ ما يَنْبُلُ عنده ممارسٌ للصناعة النحوية ولو طال فيها باعه ، ما لم يتمكن من علم الرواية وما تشتملُ عليه من ضروبها ، ولا سيما رواية الأشعار العربية وما يتعلق بمعرفتها من لغة وقصة ، ولهذا كان مقدِّماً لأبي سعيد السيرافي على أبي علي الفارسي رحمهما الله ، وأبو علي أبو عليّ في نحوه ، وطريقةُ أبي سعيد في النحو معلومة ، ويقول : أبو سعيد أروى من أبي علي ، وأكثر تحققاً بالرواية ، وأثرى منه فيها ، وقد قال لي غير مرة : لعلَّ أبا علي لم يكنْ يَرَى ما يراه أبو سعيد من معرفة هذه الاخباريّات والأنساب وما جرى في هذا الأسلوب كبير أمر ؛

(1) البيتان لابراهيم الصولي ، وقد مرّا في الترجمة رقم : 16 .

قال الشيخ أبو محمد: ولعمري إنه قد حكي عنه ـ أعني أبا علي ـ أنه كان يقول: لأَنْ أخطىءَ في خمسين مسألة مما بابه الرواية أحبُّ إليَّ من أن أخطىء في مسألة واحدة قياسية، هذا كلامه أو معناه، على أنه كان يقول: قد سمعت الكثير في أول الأمر وكنت أستحي أن أقول أثبتوا اسمي.

قال الشيخ أبو محمد: وكثيراً ما تبنى السقطات على الحذاق من أهل الصناعة النحوية لتقصيرهم في هذا الباب فمنه يذهبون ومن جهته يؤتون ـ تمام هذا الكلام في أخبار ابن الخشاب.

وقرأت[1] في تاريخ أبي غالب ابن مهذب المعري قال، حدثني الشيخ أبو العلاء أن أبا علي مضى إلى العراق وصار له جاهٌ عظيمٌ عند الملك فناخسرو، فوقعتْ لبعض أهل المعرة[2] حاجةٌ في العراق احتاج فيها إلى كتابٍ من القاضي أبي الحسن سليمان إلى أبي علي، فلما وقف على الكتاب قال: إني قد نسيتُ الشامَ وأهله ولم يُعِرْه طرفه.

قال عثمان بن جني رحمه الله: وإن وَجَدْتُ فسحةً وأمكنَ الوقتُ عملتُ بإذن الله كتاباً أذكر فيه جميعَ المعتلَّاتِ في كلام العرب، وأميِّز ذوات الهمزة من ذوات الواو والياء، وأعطي كلَّ جزء منها حظَّه من القول مستقصىً، إن شاء الله تعالى. وذكر شيخنا أبو علي أن بعض إخوانه سأله بفارس إملاءَ شيءٍ من ذلك، فأملى عليه صَدْراً كثيراً وتقصَّى القولَ فيه، وأنه هلك في جملة ما فقده وأصيب به من كتبه. وحدثني أيضاً أنه وقع حريقٌ بمدينة السلام فذهب به جميع علم البصريين قال: وكنت قد كتبت ذلك كلَّه بخطي وقرأته على أصحابنا فلم أجد من الصندوق الذي احترق شيئاً البتة إلا نصف كتاب الطلاق عن محمد بن الحسن، وسألته عن سلوته وعزائه فنظر إليّ معجباً ثم قال: بقيت شهرين لا أكلِّم أحداً حزناً وهَمًّا، وانحدرتُ إلى البصرة لغلبة الفكر عليَّ وأقمت مدة ذاهلاً متحيراً. انقضى كلامه في هذا الفصل.

قرأت في «المسائل الحلبية» نسخةَ كتاب كتبه أبو علي إلى سيف الدولة جواباً

(1) نقله في بغية الطلب، الورقة: 149.

(2) بغية الطلب: وإن بعض الناس وقعت له حاجة . . .

عن كتابٍ ورد عليه منه يردُّ فيه على ابن خالويه في أشياء أبلغها سيفَ الدولة عن أبي علي ، نسخته : قرأ ـ أطال اللّٰه بقاءَ سيدنا الأمير سيف الدولة ـ عبدُ سيدنا الرقعةَ النافذةَ من حضرة سيدنا ، فوجد كثيراً منها شيئاً لم تجرِ عادةُ عبده به ، لا سيما من صاحبِ الرقعة ، إلا أنه يذكر من ذلك ما يدلُّ على قلة تَحَفُّظِ هذا الرجل فيما يقوله ، وهو قوله : « ولو بقي عُمْرَ نوحٍ ما صَلُحَ أن يَقرأ على السيرافي » مع علمه بأن ابن بهزاذ السيرافي يقرأ عليه الصبيان ، هذا ما لا خفاءَ به ، كيف وهو قد خلَّطَ فيما حكاه عني ، وأني قلت إن السيرافي قد قرأ عليَّ ، ولم أقل هذا إنما قلت « تعلَّم مني » أو « أخذ عني » هو وغيره ممن ينظر اليوم في شيءٍ من هذا العلم ، وليس قول القائل : « تعلم مني » مثل « قرأ عليّ » لأنه قد يَقرأ عليه من لا يَتعلم منه وقد يتعلم منه من لا يَقرأ عليه . وتعلُّمُ ابنِ بهزاذ منّي في أيام محمد بن السريّ وبعده لا يخفى على من كان يعرفني ويعرفه كعليٍّ بن عيسى الوراق ومحمد بن أحمد بن يونس ومن كان يطلبُ هذا الشأنَ من بني الأزرق الكتّاب وغيرهم ، وكذلك كثيرٌ من الفرس الذين كانوا يرونه يغشاني في صفِّ شونيز كعبد اللّٰه بن جعفر بن درستويه النحوي ، لأنه كان جاري بيتَ بيتَ قبل أن يموت الحسن بن جعفر أخوه فينتقل إلى داره التي ورثها عنه في درب الزعفراني . وأما قوله : « إني قلت إنَّ ابنَ الخياط كان لا يعرف شيئاً » فغلطٌ في الحكاية ، كيف أستجيز هذا وقد كلمتُ ابنَ الخياط في مجالس كثيرة ؟ ولكني قلت : إنه لا لقاء له لأنه دخل إلى بغداد بعد موت محمد بن يزيد وصادف أحمد بن يحيى وقد صم صمماً شديداً لا يخرق الكلامُ معه سمعَهُ ، فلم يمكن تعلم النحو منه ، وإنما كان يعوّل فيما كان يؤخذ عنه على ما يُمِلّه دون ما كان يُقْرَأ عليه ، وهذا الأمر لا ينكره أهل هذا الشأن ومن يعرفهم . وأما قوله : « قد أخطأ البارحة في أكثر ما قاله » فاعترافٌ بما إن استغفرَ اللّٰه منه كان حسناً . والرقعة طويلة فيها جواب عن مسائل أخذت عليه كانت النسخة غير مرضية فتركتها إلى أن يقع علي ما أرتضيه ، وأكثر النسخ بالحلبيات لا توجد هذه الرقعة فيها .

قرأت بخطّ أبي الفتح عثمان بن جني الذي لا أرتاب به قال : وسألته ـ يعني أبا علي ـ فقلت: أقرأتَ أنت على أبي بكر؟ فقال: نعم قرأت عليه وقرأ أبو بكر على أبي سعيد السكري ، قال : وكان أبو بكر قد كتب من كتب أبي سعيد كثيراً وكتب أبي

زيد . قال : وذاكرته بكتب أبي بكر وقلت : لو عاش لظهر من جهته علم كثير ، وكلاماً هذا نحوه ، فقال : نعم إلا أنه كان يطوّل كتبه ، وضرب لذلك مثلاً قد ذهب عني ، أظنه ، بارك اللّه لأبي يحيى في كتبه أو شيئاً نحوَ ذلك . قال : وفارقت أبا بكر قبل وفاته وهو يشغل بالعلة التي توفي فيها ، وراجعت البلد فارس ثم عدت وتوفي .

ورأيت في آخر كتابه في « معاني الشعر » خطّي الذي كان يملّه عليّ لأكتبه فيه « فعلمتُ أنه لم يزد فيه شيئاً . قال : وكان الأصمعي يُتّهَمُ في تلك الأخبار التي يرويها ، فقلت له : كيف هذا وفيه من التورع ما دعاه إلى ترك تفسير القرآن ونحو ذلك ؟ فقال : كان يفعل ذلك رياءً وعناداً لأبي عبيدة لأنه سبقه إلى عمل كتاب في القرآن ، فجنح الأصمعي إلى ذلك .

- 305 -

الحسن بن أحمد أبو محمد الأعرابي المعروف بالأسود الغندجاني اللغوي النسابة : وغندجان بلدٌ قليلُ الماء لا يخرجُ منه إلا أديبٌ أو حاملُ سلاح ، وكان الأسودُ صاحبَ دنيا وثروة ، وكان علاّمةً نسّابةً عارفاً بأيام العرب وأشعارها ، قيّماً بمعرفة أحوالها ، وكان مستنده فيما يرويه عن محمد بن أحمد أبي الندى[1] ، وهذا رجل مجهول لا معرفة لنا به ، وكان أبو يعلي ابن الهبارية الشاعر يعيره بذلك ويقول : ليت شعري مَنْ هذا الأسود الذي قد وطّن[2] نفسه على الرد على العلماء ، وتصدّى للأخذ على الأئمة القدماء ، بماذا نصحّح قوله ونبطلُ قولَ الأوائل ، ولا تعويلَ له فيما يرويه إلا على أبي الندى ، ومن أبو الندى في العالم ؟ لا شيخ مشهور ولا ذو علم مذكور.

305 - ترجمته في الوافي 11 : 380 ولسان الميزان 2 : 194 وبغية الوعاة 1 : 498 وخزانة الأدب 1 : 21 وانظر بحثاً عنه في مجلة العرب للشيخ حمد الجاسر (السنة التاسعة) ؛ وقد طبع من كتبه فرحة الأديب وأسماء خيل العرب واصلاح ما غلط فيه النمري بتحقيق الدكتور محمد علي سلطاني (دمشق) وغندجان بأرض فارس .

(1) انظر مدى اعتماده عليه في فرحة الأديب (فهرسة الكتاب) .

(2) م : وصف .

قال المؤلف : ولعمري إنَّ الأمر لكما قال أبو يعلى ، هذا رجل يقول : أخطأ ابن الأعرابي في أن هذا الشعر لفلان ، إنما هو لفلان بغير حجّة واضحة ، ولا أدلة لائحة ، أكثر من أن يكون ابن الاعرابي الذي كان يقاوم الأصمعي وقد أدرك صدراً من العرب الذين عنهم أخذ هذا العلم ومنهم استمد أولو الفهم . وكان الأسود لا يقنعه أن يرد على أئمة العلم ردّاً جميلاً حتى يجعله من باب السخرية والتهكم وضرب الأمثال والطنز . والحكاية عنه مستفاضةٌ في أنه كان يتعاطى تسويدَ لونه وأنه كان يَدَّهِنُ بالقطران ويقعدُ في الشمس ليحقّقَ لنفسه التلقيب بالأعرابي . وكان قد رزق في أيامه سعادةً وذاك أنه كان في كنف الوزير العادل أبي منصور بهرام بن مافنّه وزير الملك أبي كاليجار بن سلطان الدولة بن بهاء الدولة بن عضد الدولة بن بويه صاحب شيراز ، قد خطب له ببغداد بالسلطنة ، فكان الأسود إذا صنَّف كتاباً جعله باسمه ، فكان يُفْضِلُ عليه إفضالاً جماً ، فأثرى من جهته ، ومات أبو منصور الوزير في سنة ثلاث وثلاثين وأربعمائة .

وقرأت في بعض تصانيفه أنه صُنِّفَ في شهور سنة اثنتي عشرة وأربعمائة وقرىء عليه في سنة ثمان وعشرين وأربعمائة .

وللأسود من التصانيف : كتابُ السَلِّ والسرقة . كتاب فُرْحَة الأديب في الردِّ على يوسف بن أبي سعيد السيرافي في شرح أبيات سيبويه . كتاب ضالّة الأديب في الردِّ على ابن الأعرابي في النوادر التي رواها ثعلب . كتاب قَيْد الأوابد في الردِّ على ابن السيرافي أيضاً في شرح أبيات إصلاح المنطق . كتاب الردّ على النمريّ في « شرح مشكل أبيات الحماسة » . كتاب نزهة الأديب في الردّ على أبي علي في « التذكرة » . كتاب الخيل مُرَتّب على حروف المعجم . كتاب في أسماء الأماكن .

ـ 306 ـ

الحسن بن أحمد بن عبد الله بن البناء ، أبو علي المقرىء المحدث الحنبلي : ولد سنة ست وتسعين وثلاثمائة ، وقرأ القرآن على أبي الحسن الحمامي وغيره ، وسمع الحديث من ابن بشران [وهلال الحفار] وغيرهما ، وتفقه على القاضي أبي يعلى ابن الفراء و مات في خامس رجب سنة إحدى وسبعين وأربعمائة ، وصنف في كلّ فنّ حتى بلغت تصانيفه مائةً وخمسين مصنفاً ، منها كتاب « شرح الإيضاح » لأبي عليٍّ الفارسيّ في النحو ، رأيته . وكان له حلقة بجامع القصر يفتي فيها ويقرأ الحديث وحلقة بجامع المنصور .

وحدث السمعاني قال[1] : سمعت أبا القاسم ابن السمرقندي يقول : كان واحدٌ من أصحاب الحديث اسمه الحسنُ بن أحمد بن عبد اللّه النيسابوري ، وكان سمع الكثير ، وكان ابن البنّاء يكشط من التسميع « بوري » ويمدُّ السين ، وقد صار الحسن بن أحمد بن عبد اللّه بن البناء ، قال : كذا قيل إنه كان يفعل ؛ قال أبو الفرج[2] : وهذا القول بعيدٌ من الصحة [لثلاثة أوجه، أحدها] أنه قال : « كذا قيل » ولم يحكِ عن علمه بذلك فلا يثبت هذا ، والثاني أن الرجلَ مكثرٌ لا يحتاج إلى الاستزادةِ لما يسمع ، ومتديّنٌ ولا يَحْسُنُ أن يُظَنَّ بالمتدين الكذب ، والثالث أنه قد اشتهرت كثرةُ رواية أبي علي ابن البناء ، فأين هذا الرجل الذي يقال له الحسن بن أحمد بن عبد اللّه النيسابوري ومن ذكره ومن يعرفه ؟ ومعلومٌ أنَّ من اشتهر سماعُهُ لا يخفى .

وقال السمعاني ، ونقلته من خطه : الحسن بن أحمد بن عبد اللّه بن البناء المقرىء الحافظ أبو علي أحد الأعيان ، والمشار إليهم في الزمان ، له في علوم القرآن

306 ـ ترجمته في المنتظم 8 : 319 وإنباه الرواة 1 : 276 وتاريخ ابن الأثير 10 : 112 وسير الذهبي 18 : 380 وعبر الذهبي 3 : 275 ومرآة الجنان 3 : 100 والوافي 11 : 381 وذيل طبقات الحنابلة 1 : 32 وطبقات ابن الجزري 1 : 206 ولسان الميزان 2 : 195 والنجوم الزاهرة 5 : 107 وبغية الوعاة 1 : 495 والشذرات 3 : 338 .

(1) هو في المنتظم : 319 ـ 320 وذيل طبقات الحنابلة : 34 والوافي .
(2) يعني ابن الجوزي صاحب المنتظم .

والحديث والفقه والأصول والفروع عدة مصنفات ، حكى بعض أصحاب الحديث عنه أنه قال : صنف خمسمائة مصنف ، وكان حلو العبارة.

قال السمعاني : وقرأت بخط الامام والدي : سمعت أبا جعفر محمد بن أبي علي الهمذاني بها يقول : سمعت أبا علي ابن البناء ببغداد وقال(1) : ذكرني أبو بكر الخطيب في التاريخ بالصدق أو بالكذب ؟ فقالوا : ما ذكرك في التاريخ أصلاً ، فقال ليته ذكرني في الكذابين.

قال السمعاني أنبأنا أبو عثمان العصائدي أنبأنا أبو علي ابن البناء قال : كتب إليَّ بعضُ إخواني من أهل الأدب كتاباً وضمنه قول الخليل بن أحمد(2) :

إن كنتَ لستَ معي فالذكر(3) منك معي ... يــراك قلبي وإن غُـيِّبْـتَ عن بـصــري
الـعيـنُ تُبْـصِــرُ مــا تهـوى وتـفقــده ... وبــاطـنُ القـلـبِ لا يخـلو من الـنـظرِ

فكتب إليه أبو علي لنفسه(4) :

إذا غُـيِّبَـتْ أشبــاحـنــا كــان بيـنـنــا ... رسـائـلُ صــدقٍ في الضميرِ تــراسـلُ
وأرواحنــا في كــلِّ شــرقٍ ومـغــربٍ ... تُــلاَقَى بـإخــلاصِ الـوداد تُــوَاصِــلُ
وثــمَّ أمــورٌ لــو تحـقـقـتَ بـعـضَـهــا ... لكنتَ لنــا بــالـعــذرِ فيـهــا تقــابــلُ
وكم غــائبٍ والصــدرُ منــه مُسلّم(5) ... وكم زائــرٍ في الـقلب منــه بــلابــلُ
فـلا تجـزعنْ يـومـاً إذا غــاب صــاحبٌ ... أمينٌ فمــا غــاب الصــديقُ المجــامــلُ

(1) إنباه الرواة 1 : 276 وسير الذهبي : 381 .
(2) نسب في نور القبس : 175 لقطرب .
(3) م : فالقلب .
(4) وردت أيضاً في ذيل طبقات الحنابلة .
(5) م : في الصدر ؛ ذيل : والقلب منه سالم .

ـ 307 ـ

الحسن بن أحمد الاسترابادي، أبو علي : النحوي اللغوي الأديب الفاضل حسنة طبرستان وأوحد ذلك الزمان ، وله من التصانيف : شرح الفصيح . كتاب شرح الحماسة .

ـ 308 ـ

الحسن بن أحمد بن الحسن بن أحمد بن محمد بن سهل بن سلمة بن عشكل بن حنبل بن إسحاق العطار الحافظ ، أبو العلاء الهمذاني المقرىء : من أهل همذان ، مات في تاسع عشر جمادى الأولى سنة تسع وستين وخمسمائة ، وذكره بعض الثقات من أهل العلم فذكر له مناقب كثيرة ، وذكر نسبه وولادته فقال : هو أبو العلاء الحسن بن أحمد بن الحسن بن أحمد بن محمد بن سهل بن سلمة بن عشكل بن إسحاق العطار الهمذاني ، وكان عشكل من العرب . وأما ولادته فإنها كانت يوم السبت قبل طلوع الشمس الرابع عشر من ذي الحجة سنة ثمان وثمانين وأربعمائة بهمذان ، وذكر من مناقبه : سمعته رحمه اللّه يقول: سُلّمت في صغري إلى رجل معلم ـ قال : سمَّاه ونسيتُ اسمه ـ قال : وكنتُ أحفظُ عليه القرآن ، فحفظتُ عليه إلى سورة يوسف ، ثم أجرى اللّه لساني بحفظ الباقي من القرآن دفعة واحدة من غير تحفظٍ وتكرارٍ فضلاً منه جل جلاله . وسار في ليلةٍ واحدة في طلب الحديثِ من جرباذقان الى أصفهان ، وسمعته يقول : لما حججتُ كنتُ أمشي في البادية راجلاً قُدَّامَ القافلة أحياناً مع الدليل ، وأحياناً أخلّفُ الدليل ، حتى عرفني الدليل واستأنس بي ومال إليّ وهو

---

307 ـ الوافي 11 : 383 وبغية الوعاة 1 : 499 .

308 ـ المنتظم 10 : 248 وابن الفوطي 2 : 626 ومختصر ابن الدبيثي : 276 وعبر الذهبي 4 : 206 وسير الذهبي 21 : 40 وتذكرة الحفاظ: 1324 والوافي 11 : 384 وطبقات ابن الجزري 1 : 204 ومرآة الجنان 3 : 289 والنجوم الزاهرة 6 : 72 وبغية الوعاة 1 : 494 والشذرات 10 : 248 ويقول الصفدي إنَّ بعضهم جمع كتاباً في أخباره وأحواله وكراماته وما مدح به من الشعر ، وهذا يفسّر الاستفاضة في هذه الترجمة عند ياقوت ، فهو ينقل من كتاب جمعه محمد بن محمود بن إبراهيم بن الفرج في مناقب الشيخ رحمه اللّه .

يسيرُ على ناقةٍ له تكاد تردّ الريح ، وكنت أرى الدليلَ يتعجّبُ من قوّتي على السير ، وكان أحياناً يضربُ ناقته ويمعنُ في السير ، وكنت لا أُخَلّي الناقةَ تسبقني ، فقال لي الدليل يوماً : تقدر أن تسابقَ ناقتي هذه ؟ فقلت : نعم ، فضربها وعدوت معها فسبقتها .

قال : وكان كثيرَ الحفظ للعلوم ، كثيرَ المجاهدة في تحصيلها ، فسمعته يقول رحمه اللّه : حفظتُ « كتاب الجمل » في النحو لعبد القاهر الجرجاني في يوم واحد من الغداة الى وقت العصر . قال : وسمعت الشيخ أبا حفص عمر بن الحسين الوشاء المقرىء يقول : سمعت الإمام الحافظ رحمه اللّه يقول : حفظتُ يوماً ثلاثين ورقة من القراءة . قال : وسمعت الإمام الحافظ أبا بكر محمد بن شيخ الاسلام الحافظ أبي العلاء قال : سمعت الشيخ الصالح إبراهيم المرجي قال : سمعت الشيخ رحمه اللّه يقول : لو أن أحداً أتاني بحديث واحدٍ من أحاديث رسول اللّه ﷺ لم يبلغني لملأتُ فاه ذهباً . قال : وكان الشيخ رحمه اللّه حفظ « كتاب الجمهرة » لأبي بكر ابن دريد و« كتاب المجمل » لابن فارس و « كتاب النسب » للزبير بن بكار . قال : وبلغني عن الثقة أنّ الحافظ أبا جعفر رحمه اللّه كان يقول : لو أن اللّه تعالى يقول لي يوم القيامة : ماذا أتيتني به ؟ أقول ربي وسيدي أتيتك بأبي العلاء العطار .

قال : وكان الحافظ أبو القاسم إسماعيل بن محمد بن الفضل الجوزي ، رحمه اللّه ، يملي يوماً في الجامع بأصفهان ، وعنده جماعة من المحدثين ، إذ دخل الشيخ الحافظ أبو العلاء ، رحمه اللّه ، من باب الجامع ، فلما نظر الحافظ أبو القاسم إليه أمسك من الاملاء ، ونظر إلى أصحابه وقال : أيها القوم إنّ اللّه عز وجل يبعثُ لهذه الأمة على رأس كلِّ مائة سنة من يجدِّدُ لها دينها ، وهذا الرجلُ المقبلُ من جملتهم ، قوموا نسلِّمْ عليه ، فقاموا واستقبلوه وسلّموا عليه واعتنقوه .

قال : وكان يقرأ على الشيخ أبي العز المقرىء[1] القلانسي الواسطي رحمه اللّه ، وكان يفضله على أصحابه ، فشقَّ ذلك عليهم ، فاجتمع بعضهم يوماً وفيهم الشيخ أبو العلاء رحمه اللّه ، فسألهم الشيخ أبو العزّ عن اختلاف القرّاء في قوله

(1) اسمه محمد بن الحسين القلانسي ، وكان مقرىء واسط في عصره .

تعالى : ﴿ كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يوقد ﴾ (النور: 35) وأقاويـل الأئمة فيهـا ، فسقط في أيديهم وتاهوا في شرحها ، وما أجابوا بطائل ، ثم أقبل الشيخ أبو العز على الشيخ رحمه اللّه وقال : تكلم أنت فيها يا أبا العلاء ، فشرع فيها الشيخُ وعدَّ بضعةَ عشر قولاً ، وأدَّى فيها حقَّها بأحسنِ إشارة وأبلغ عبارة ، فلما فرغ نظر الشيـخُ أبو العـز إلى أصحابـه الحاضرين وقال : بهذا أُفَضِّلُهُ عليكم ، لو أمهلتكم مدةً لما قدرتم على الذي ذكر هو بديهةً من غير عزيمة سابقة ورويّة سالفة .

قال : وكان محترماً عند الخلفاء والسلاطين ، كتب إليه المقتفي لأمر اللّه[1] أمير المؤمنين كتاباً من جملته : وبعد فـإن الأب القدّيس النفيس خـامسَ أُولِي الْعَزْمِ ، وسابعَ السبعة على الجزم ، ووارثَ علم الأنبياء ، حافظَ شرع المصطفى أبا العلاء ، ثم ذكر كلاماً واستدعى منه الدعاء .

قال : وسمعت ولده أبا محمد عبد الغني بن الشيخ الحافظ أبي العلاء رحمه اللّه يقول : لما أُدْخِلَ أبي على أمير المؤمنين المقتفي لأمر اللّه ، رضي اللّه عنه ، بعد استدعاء أمير المؤمنين إياه ، كان يأمره خواصُّ الخليفة بتقبيل الأرض في المواضع ، وكان يأبى ذلك ، فلما أكثروا عليه قال : دعوني إنما السجودُ للّه تعالى ، فكفُّوا عنه حتى وصل إليه ، وسلم بالخلافة عليه ، فقام له أمير المؤمنين وأجلسه ، ثم كلَّمه ساعة وسأل منه الدعاء فدعا ، وأذن له في الرجوع فرجع ، وكانوا قد أحضروا الخلعةَ والصلة فاستعفى عن ذلك فأعفي ، وخرج من بغداد حذراً من فتنةِ الدنيا وآفاتها .

وحدثني غير واحـد أن السلطان محمداً[2] لمـا دخل عليـه داره نصحه كثيـراً ووعظه ، وكان السلطان جالساً بين يديه مقبلاً عليه بوجهه مصغياً إلى كلامه ، فلما قام ليخرج أمره بتقدمةِ رجله اليمنى وأخذِهِ الطريقَ من الجانب الأيمن .

وسمعت الإمام أبا بشر الثاني رحمه اللّه يقول : سمعت عبـد الغني بن سرور المقدسي يقول : كنت يوماً في خدمة الحافظ أبي طاهر السلفي بثغر الاسكندرية نقرأ الحـديث ، فجرى ذكـر الحفّاظ إلى أن انتهى الكـلام إلى ذكر الحـافظ أبي العلاء

(1) هو أبو عبد اللّه محمد المقتفي لأمر اللّه بن المستظهر (530 ـ 555) .

(2) هو غياث الدين محمد بن محمود السلجوقي (548 ـ 554) وقد حاصر بغداد سنة 552 .

رحمه اللّه ، فأطرق الحافظ أبو طاهر عند ذكره ، ثم رفع رأسه وقال : قدَّمه دينه ، قدَّمه دينه .

قال : وسمعت أبا بشر محمد بن محمد بن منصور المقرىء الخطيب بشيراز يذكر الحافظ أبا العلاء ، رضي اللّه عنه ، ويثني عليه ، ثم أنشد يقول :

فسارَ مسيرَ الشمسِ في كلِّ موطنٍ وهبَّ هبوبَ الريح في الشرقِ والغربِ

قال : وسمعتُ الامام أبا نصر أحمد بن الامام الحافظ أبي الفرج ابن عبد الملك بن الشعار يقول : سمعتُ الامام أبا الحسن الحراني يقول : كنت أطوفُ بالكعبة فرأيت شيخاً في الطواف ، فلما نظرتُ إليه تفرَّسْتُ فيه الخير والصلاح ، وانتظرته حتى قضى طوافه ، فدنوتُ منه وسلَّمتُ عليه ، فردّ عليَّ السلام ، فسألته عن الوطن فسمَّى لي موضعاً بعيداً ، ذكره أبو الحسن ونسيه أبو نصر ، قال أبو الحسن : أيّ شيءٍ المقصدُ بعد بلوغك بيتَ ربك ؟ فقال : مقصدي الحافظ أبو العلاء ، فتعجبتُ في نفسي وقلت : ستظفر إن شاء اللّه بمقصودك وتنال مطلوبك ، وبكيتُ حتى غلبني البكاء ، فقال : وممَّ بكاؤك ؟ فقلت : ان الحافظ أبا العلاء الذي تقصده وتأملُ بلوغه قد كنتُ مستفيداً منه كذا وكذا سنةً ، قرأت عليه القرآن ختماً ، وسمعتُ منه الحديث الكثير ، فتعجَّبَ من قولي وقام إليَّ وقبّل بين عيني ، وهو يفدّيني بأبيه وأمه ، وغاب عني .

قال : وسمعت أبا بشر يقول : لما دخلت على الامام أبي المبارك المقرىء بشيراز جعل يذكرُ شيخَ الاسلام الحافظ أبا العلاء الهمذاني ، رحمه اللّه ، ويثني عليه ، ثم أنشد متمثلاً :

فسار مسيرَ الشمسِ في كلِّ موطنٍ وهبَّ هبوبَ الريح في الشرقِ والغربِ

قال : رحل إليه رجل من أقصى المغرب ، وكان له حظٌّ في كلِّ علم ، ومدحه بقصيدةٍ هي من غرر القصائد ، وذكر أحوالَهُ في سفرته وما أصابه من التعب والمشاقّ ، ومن شعره فيه أيضاً :

سعى إليكَ على قُرْبٍ ومن بُعُدٍ من كان ذا رغبةٍ في العلم والسَّنَدِ

حتى أناخ بمغناكَ الكـريم وقـد ... كلَّتْ ركائبُهُ في الخَبْتِ والسَّنَدِ[1]
كـذاك أثـرى ومـا أوعتْ أنـامله ... لكنْ وعى قلبُهُ ما شاءَ من مددِ
ومـا أناخ بمغنى غيـرِكُمْ أحـدٌ ... إلا ونُوديَ ما بالربع من أحدِ
وقد قصدتك من أقصى المغارب لا ... أبغي سواك لوحي الواحدِ الصمدِ
ومـا امتطيتُ سوى رجليَّ راحلةً ... وقد غنيتُ عن العَيْرانَـةِ الأُجُدِ
وهـذه رحلةٌ بكـرٌ كشفتُ لها ... عن ساق ذي عَزَماتٍ غير متئدِ
عنايةٌ لم تكنْ قبلي لـذي طلبٍ ... وحظوةٌ لكمُ في غابـر الأبدِ
هل كان قبلك حبرٌ أمَّهُ رجـلٌ ... وسار مدةَ حـولٍ سير مجتهدِ
أبا العلاء العلاء الكلّ إنك في ... أقصى العـراقِ مقيمٌ منه في بلدِ
وقد فشا لك ذكرٌ في البلاد كما ... فاحتْ أزاهرُ روضٍ للغمام ندي

قال : وسمعت الشيخ ، رحمه اللّه ، يقول يوماً لمن حضره : إن خلَّفَ أبو العلاء ديناراً أو درهماً بعد موته فلا تصلّوا عليه . وكان ، رحمه اللّه ، لا يُبْقي على الذهب والفضة ، وكلُّ ما آتاه اللّه منها يصرفه في اليوم ، وينفقه في قضاء الديون ومراعاةِ الناس ، فمات ولم يخلّف ديناراً ولا درهماً ، حتى بيعت داره وقضي منه دينه .

قال : وكان ، رحمه اللّه ، شديد التمسك بسنن رسول اللّه ﷺ ، فكان لا يسمع باطلاً أو يرى منكراً إلاّ غضبَ للّه ولم يصبر على ذلك ولم يداهن ؛ قال : سمعت أبا رشيد راشد بن إسماعيل المعدّل يقول : كنت عند الشيخ يوماً ، فدخل عليه أبو الحسين العبادي الواعظ زائراً ، وجلس عنده زماناً ، وجعل يكلم الشيخ إلى أن جرى في كلامه : وعزمت غيرَ مرةٍ على الاتيان إلى الخدمة لكني منعني كونُ الكوكبِ الفلانيّ في البرج الفلاني ، فزبره[2] الشيخ وقال : السنّةُ أولى أن تُتَّبع ، فقامَ العباديّ خجلاً وخرج .

وكان من ورعه في رواية الحديث عن رسول اللّه ﷺ أنه ما كان يترجم الحديثَ للعامة

---

(1) الخبت : ما اطمأن من الأرض ، والسند : ما ارتفع منها . وفي م : في العنف والسند .
(2) زبره : بمعنى زجره ونهره .

رعاية منه للصدق . واستدعي منه بهمذان أن يفسِّرَ للناسِ حديثاً واحداً فأجاب وقعد لذلك ، فلما شرع في الكلام قال ، قال رسول اللّه ﷺ . واستدعي منه ثانياً بالكرخ كذلك ، فروى حديثاً في فضائل الأعمال وفي بعض ألفاظه « حتى يدخل الجنة » ، ففسر لفظة الجنة قبل أن يفسر لفظة « حتى يدخل » ، كأنه قدم لفظة « الجنة » على لفظة « حتى يدخل » في ترجمته ، فاستغفر ورجع وأتى بها على الوجه المنطوق به في حديث رسول اللّه ﷺ . وكان رحمه اللّه يتحرَّجُ عن القِصَص والكلام فيها والتنميق والتكلّف حذراً من الزيادة والنقصان .

ولما قصد السلطانُ محمد بغدادَ وحاصرها ، وخالف الإمامَ المقتفي لأمر اللّه أميرَ المؤمنين ، رضي اللّه عنه ، كان الشيخ ، رحمه اللّه ، يقرأ « صحيح البخاري » بهمذان على الشيخ عبد الأوّل، رحمه اللّه، على اسليهر[1] يحضره لسماع الكِتَابِ عامَّةُ أهلِ البلد من الأمراء والفقهاء والعلماء والصوفية والعوام ، فصرَّحَ القولَ قائماً على المنبر بأنّ السلطان ومن معه من جنوده خارجةٌ مارقة ، ثم قال : لو أنّ رجلاً من عسكر أمير المؤمنين رمى رجلاً من أصحاب السلطان بسهم ، وجاءه آخر من غير الفريقين فنزع السهم من جراحته ، يكون هو أيضاً خارجياً باغياً ، وكرَّر القول في ذلك مراراً .

قال : وسئل الشيخ رحمه اللّه عن سبب أكثر اشتغاله بعلم الكتاب والسنة فقال : إني نظرت في ابتداء أمري فرأيتُ أكثر الناس عن تحصيل هذين العلمين معرضين ، وعن دراستهما لاهين ، فاشتغلتُ بهما وأنفقتُ عمري على تحصيلهما حسبةً .

قال : ورأى رحمه اللّه قلةَ رغبةِ الخلق في تحصيل العلم والرحلة ولقاء الشيوخ ، فاتخذ مهداً وعزم على المضّي إلى بغداد وأصفهان للرواية ، ورفع منائر[2] العلم وإحياء السنة حسبةً، فمنعه الضعفُ والكبر، وأدركته المنيةُ وهو على هذه النية.

قال : سمعت الثقةَ يقول : سمعت الشيخ رحمه اللّه يقول : كنتُ واقفاً يوماً على باب دار الشيخ أبي العز القلانسي رحمه اللّه في حرّ شديدٍ أنتظر الاذن ، فمرَّ بي إنسان فرآني على تلك الحالِ واقفاً ، فقال لي : أيها الرجل لو أنك تصير إماما يُقْرَأ

(1) هكذا وردت هذه اللفظة ولعلها تعني منبراً أو ما يشبه المنبر .

(2) م : منابر .

عليك وَيُقْتَدَى بك، أهكذا كنت تفعل أنت بطلبة العلم ومن يأتيك من الغرباء؟ فذرفتْ عينايَ فقلت : لا إن شاء اللّه ، وأشهدتُ اللّه تعالى في نفسي في تلك الحال على أني لا آخذ على التعليم والاقراء والتحديث أجراً ، ولا أبخلُ بعلمي على أحدٍ ، وأبذله حسبةً ، فكان كما قال ، ويقعد لطلبة العلم من أول النهار إلى آخره .

قال : وكان الشيخ رحمه اللّه لا يُرى طولَ نهارِهِ إلاّ كاتباً لحديث رسول اللّه ﷺ ، أو مطالعاً له ، أو مشتغلاً به ، أو مصغياً إلى قراءة القرآن وطلبة العلم ، هكذا كان دأبه بالنهار ، ويجعل ليلته ثلاثةَ أثلاثٍ ، يكتب في ثلث ، ويتفكر في ثلث ، وينام في ثلث . وكان كثيراً ما يقول عند انتباهه من النوم : يا كريم أكرمنا ، وكان من كرامته على الناس وإقبال الناس عليه والتبرك به أنه كان يصعبُ عليه المرورُ يومَ الجمعة في مضيّه ورجوعه لازدحام الخلق عليه ، وكان جماعة من الشبان يتحلقون حواليه يدفعون عنه زحمةَ الناس ، وهو يمر في وسطهم مطرقاً لا يشتغل بأحد ، وهو يقول : يا مَنْ أظهر الجميلَ وستر على القبيح .

قال : سمعت العدلَ عمر بن محمد يقول : دخلنا على الإمام الحافظ أبي العلاء رضي اللّه عنه وهو يكتب ، فقعدنا عنده ساعةً ، فوضع ما في يده وقام ليتوضأ ، فنظرنا فيما كتب فإذا هو قد بَيَّضَ كلَّ موضعٍ فيه اسم من أسماء اللّه تعالى أو ذكرٍ لرسول اللّه ﷺ ، فتعجبنا من ذلك ، فلما رجع سألناه عن ذلك فقال : إني لما كنتُ أكتب ذلك شككتُ في الوضوء فما جَوَّزْتُ أن أكتبَ بيدي أسماء اللّه تعالى أو ذكر الرسول ﷺ وأنا شاكٌّ في الوضوء .

وكان الشيخ رحمه اللّه إذا نزل بالناس شدة أو بلاء يجيء إليه الناسُ ويسألونه الدعاءَ فيقول : اللهم إني أخاف على نفسي أكثرَ مما يخافون على أنفسهم . وكان كثيراً ما يقول : ليتني كنت بقّالاً او حلاّجاً ، ليتني نجوتُ من هذا الأمر رأساً برأس لا عليَّ ولا ليا .

قال : وسمعت والدي يحكي عن الامام عبد الهادي بن علي رحمة اللّه عليه أنه قال : كنتُ أمشي يوماً مع الشيخ الامام الحافظ رحمه اللّه في الشتاء في وحلٍ شديد ، وفي رجليه مداسٌ خفيفةٌ يكادُ يدخلُ فيها الطين ، فقلت له : يا أخي لو لبستَ مداساً غيرَ هذا يصلح للشتاء ، فقال : إذا لبستُ غيرها لهتْ عيني عن النظر إليها ، فربما

نظرتُ إلى منكرٍ أو فاحشة ، وفي دوام نظري إليها وحفظي لها عن الوحل شغلٌ عن ذلك وحفظٌ للبصر .

قال : وكراماته مشهورةٌ بين الناس ، منها : ما كتب به إليّ الشيخ أبو عبد اللّه محمد بن إبراهيم المقرىء قال : سمعتُ الأستاذ بهلة الطحان يقول : حملتُ أحمالَ الحنطة من دار الشيخ رضي اللّه عنه لأطحنها لأهله ، فلما طحنتها ووضعتُ بعضها على بعض قصد بعضُ مَنْ في الطاحونة من المستحقين أن يأخذ شيئاً من ذلك الدقيق ليخبز منه رغيفاً ، فصححتُ عليه ومنعته من الأخذ ، فلما رددت الأحمال إلى دار الشيخ من الغد تبسَّم الشيخ في وجهي وقال : ويلك يا بهلة ، لمَ منعتَ الرجلَ أن يأخذَ قبضات من الدقيق ؟! فتحيرتُ من قوله ، وقبّلت في الحال رجليه ، وتبتُ على يديه ، واستغفرتُ اللّه عز وجل عما سَلَفَ مني من الذنوب ، وصرت معتقداً في كرامات أولياء اللّه تعالى .

قال : سمعتُ أبا محمد عبد اللّه بن عمر يقول : كنت يوماً في خدمة الشيخ رضي اللّه تعالى عنه نأكلُ الغداءَ فدقَّ البابَ داقٌّ ، فقمتُ وفتحتُ له الباب ، فإذا بالشيخ الصالح مسعود النَّعال ، فاستأذنت له ، فدخل وقعد عند الشيخ إلى الطعام ، فلما كان بعد ساعة نظر إلى مسعود وقال : يا مسعود لو أن النطفةَ التي قدَّر اللّه عز وجل في سابق علمه أن يخلقَ منها خلقاً صُبَّتْ على الأرض لظهر منها ذلك الخلق ، فلما سمع مسعود النعال هذا الكلام انزعج وبكى وصاح ، فتعجبنا من تلك الحالة ، فلما سكن سألته عن سبب انزعاجه وتواجده من كلام الشيخ ، فقال لي : اعلم أني تزوجتُ امرأة منذ سنين كثيرة وما رزقت منها ولداً ، وأني جئتُ اليومَ لأسأل منه الدعاء حتى يرزقني اللّه عز وجل ولداً صالحاً ، فقبل سؤالي إياه حدَّثني بما في قلبي ، وأظهر لي سري ، وأسمعني ما سمعتم . قال : ثم دعاه الشيخ رضي اللّه عنه ودعا له ، وسأل اللّه عز وجل له الولد ، وناوله شيئاً من بقية الطعام وقال : أطعمها أهلك ، قال : ثم رأيته بعد ذلك بمدةٍ فقال : قد رزقني اللّه عز وجل والحمدُ للّه ابناً وبنتاً ببركةِ دعاءِ الشيخ وهمته .

قال : وسمعتُ الشيخ أبا عبد اللّه يقول : سمعت الشيخ أبا بكر عبد الغفار بن محمد بن عبد الغفار ـ وكان خالَ ولدِ الشيخ رضي اللّه عنه ـ يقول لي : هل علمتَ

سببَ وفاةِ أختي ، يعني التي كانت حليلةَ الشيخ رحمة اللّه عليهما ؟ قلت : لا ، قال قالت أختي : كان للشيخ في الدار بيتٌ مختصٌ به لا يدخله غيره ، وكان يأذنُ لي في بعض الليالي بدخولي فيه ، وفي أكثر الأوقاتِ وأغلب الليالي يغلق البابَ على نفسه ويخلو فيه بنفسه ، وأبِيتُ أنا في الدار وحدي ، فاشتدَّ ذلك عليَّ حتى أُقلقَ نهاري وأسهرَ ليلي ، فبينا أنا متفكرةٌ في بعض تلك الليالي إذ قلتُ في نفسي : لم لا أقومُ فأرتقي الرواقَ وأنظر إليه من كُوَّةِ البيت لأقفَ على حاله ، فقمتُ وارتقيت الرواق ، فقبل بلوغي الكوةَ رأيت نوراً عظيماً وضياءً ساطعاً من البيت أضاء منه شيء ، فتقدمتُ ونظرت في البيت ، فرأيتُ الشيخَ جالساً في مكانه ، وحوله جماعةٌ يقرأون عليه ، وكنتُ أرى سوادهم وأسمع حسَّهم غير أني لا أرى صورهم ، فهالني ذلك ووقعتُ مغشيّاً عليَّ لا أشعر شيئاً ، إلا أني رأيت الشيخَ واقفاً على رأسي ، فأقامني وتلطَّفَ بي وقال لي : ماذا دهاكِ ؟ فقصصتُ عليه قصتي ، فقال لي : كفي عن هذا ولا تخبري بما رأيتِ أحداً من الناس إن كنت تريدين رضاي ، فقبلت منه ذلك وكتمتُ سرَّه حتى أمرضني ، وحُملت مريضةً إلى دار أبي ؛ قال الامام أبو عبد اللّه وقال لي الشيخ أبو بكر واشتدَّ عندنا مرضها ، وكنا نسألها عن سبب مرضها ، وكانت تعلل بأشياء ، إلى أن وقعت في هولِ الموت وسياق النزع ، ثم نظرت إلينا وبكت ثم قالت : أوصيكم بزوجي أبي العلاء واسترضائه ، والآن بدا لي أن أخبركم بسبب موتي ، ثم قصَّتْ علينا هذه القصة ، وفارقت الدنيا ، رحمها اللّه .

قال : وسمعت الشيخ أبا العلاء أحمد بن الحسن الحداد العارف يقول : سمعت الشيخ عمر بن سعد بن عبد اللّه بن حذيفة من نسل حذيفة بن اليمان رضي الله عنه يقول : كنت مع الحافظ أبي العلاء في بعض الأسفار ، فأدركنا شيخاً من أهل الحديث ، وانتخب عليه الحافظ جزءاً من مسموعه وسماعه عليه ، وارتحلنا من عنده فوصلنا إلى نهر عظيم ، فلما عبرنا النهر وقع ذلك الجزءُ منّا وضاع ، وضاق قلبُ الحافظ لذلك ضيقاً شديداً ، فلما كان بعد ذلك بأيام استقبلنا رجلٌ حَسَنُ الوجه حسنُ الشارةِ وسلَّم علينا ، ثم أقبل على الحافظ وقال : ما الذي أصابكم وما سببُ حزنك ؟ فقصَّ عليه الحافظ قصةَ الجزء وكيفية ضياعه ، فقال : خذ القلم واكتبْ عني جميعَ ما ضاع عنك في ذلك الجزء ، وأخذ الحافظ القلم متعجباً ننظر إليه وهو يملي والحافظ

يكتب إلى أن فرغ ، فلما فرغ الحافظ أخذ ببعض ثيابه فقال : أنشدك اللّٰه من أنت ؟ فقال : أنا أخوك الخضر ، وبعثت إليك لهذا الأمر ، ثم غاب عنا فلم نره .

سمعت الشيخ الصالح سنقر بن عبد اللّٰه غلام شيخنا أبي طاهر محمد بن الحسن بن أحمد العطار ، رحمه الله ابن الشيخ رضي الله عنه يقول : إني خدمتُ الشيخ رضي اللّٰه عنه سنين كثيرةً فرأيت العجائبَ الكثيرةَ في خلواته ، منها : أنه قام ليلةً ليتوضأ فقال لي : استقِ الماء من البئر ، فجئتُ وأرسلتُ الدلوَ فيها ، فلما بلغ الدلو إلى رأس البئر نظرتُ فيها فإذا الدلو مملوءةٌ ذهباً أحمرَ أضاءَ الدارَ حمرته ، فصحتُ صيحةً عظيمةً ، فقال لي : أيها الشيخ ماذا أصابك ؟ فأريته الدلو فاسترجع ، ثم استأخر وقال لي : اقلبِ الدلوَ في البئر فإنا نطلب الماءَ لا الذهب ، قال : فقلبتها ، ثم أخذ الدلوَ من يدي واستقى الماءَ وقال لي : يا سنقر إياك إياك أن تخبر بما رأيت أحداً من الناس ما دمتُ حياً .

قال : رأيت بخط الثقة ، ذكر أنه نقل من خط الشيخ أبي الفتح محمد بن الحسين بن وهب : سمعتُ الشيخ أبا عبد الله الحسين بن إبراهيم بن الحسين بن جعفر الجوزقاني يقول : كنتُ نائماً ذاتَ ليلةٍ ، فرأيتُ فيما يرى النائم كأنَّ الناس يُهْرَعُونَ إلى رباط أبي الفرج أحمد بن علي المقرىء رحمة اللّٰه عليه ، قال : فسألتُ ما لهؤلاء ؟ فقالوا : إنَّ أَنَسَ بن مالك رضي الله عنه نزل في رباطِ المقرىء ، ففرحتُ وأسرعتُ وقصدتُ الإمامَ الحافظ أبا العلاء وأخبرته بذلك ، فلما سمع مني فرح ونشط ، وقام وأخذ جزءاً واحداً من أحاديث أنس بن مالك رضي اللّٰه عنه وجاء معي حتى دخلنا الرباط ، فإذا رسول الله ﷺ جالس في الرباط ، ورأينا أنس بن مالك عن يساره ، فقدمنا إلى رسول الله ﷺ وسلَّمنا عليه وجلسنا بين يديه ، فاستأذنه أبو العلاء في قراءة ذلك الجزء عليه فأذن له ، فابتدأ أبو العلاء بالقراءة ، وقرأ ذلك الجزءَ قراءةً حسنة مبينة صحيحة ، ورأيته ﷺ يتبسم من الفرح مرةً إلى وجهه ومرة إلى وجهي ، فلما قرأ الجزء انتبهتُ من النوم وقمتُ وتوضأتُ وصليت الصلاة شكراً للّٰه تعالى على ما رأيت في المنام .

قال : وسمعت الشيخ عمر بن أبي رشيد بن طاهر الزاهد يقول : رآني يوماً الشيخ علي الشاذاني صاحب الكرامات الظاهرة فقال : يا عمر اذهب إلى الحافظ أبي

العلاء وقبِّلْ جبينه عني ، فإني رأيتُ الليلة في المنام مَنْ قبَّل جَبْهَتَهُ مُوفياً محتسباً غفر اللّه له .

قال : وسمعتُ الشيخَ الزاهد ، وكان من الأبدال إن شاء الله يقول : سمعت الشيخ سعيداً المتقي ، وكان من الصالحين يقول : رأيتُ جناتِ عدنٍ مفتوحةً أبوابها ، وإذا الناس كلُّهم وقوفٌ ينظرون دخولَ شخص ، فلما قرب من الباب وكاد يدخل جنة عدن سألتُ من هذا الشخص الذي يدخل جنة عدن قبل دخول الخلائق ؟ فقالوا : الحافظ أبو العلاء ومن كان يحبّه في الله عز وجل ، فتضرعتُ وبكيتُ وقلت : وأنا أيضاً ممن يحبّه في اللّه عز وجل ، دعوني أدخل ، فقال شخص : صدق دعوه يدخل ، فدخلت مع القوم وهم يقولون : ﴿ ادْخُلُوهَا بِسَلَامٍ آمِنِين ﴾ (الحجر: 46) .

قال المصنف : وحكى لي الشيخ الإمام أبو عبد الله زبير بن محمد بن زبير المشكاني رحمه الله قال : رأيتُ ليلةً من الليالي في المنام كأنَّ الإمام أبا العلاء رضي الله عنه يمشي إلى الحجّ ، وهو جالس في المهد متربع ، والمهدُ يمشي في الهواء بين السماء والأرض ، فعدوت خلفه ، فنزل المهد من السماء إلى الأرض ، وشيء مثل الوتد حتى خرج من ذلك المهد ، فتعلّقت به ، فقام المهد يمشي في الهواء وأنا متعلق به حتى وصلنا الفرات ، فأخذني العطش ، فقلت للحافظ ، إني عطشان أريد أشرب ، فقال لي : تعالَ حتى نشرب من زمزم ، فمشينا حتى وصلنا مكة ، فدخلت الحرم ، وشربت من ماء زمزم ، ورأيت في الحرم خلقاً كثيراً ، ورأيت رسول الله ﷺ مع الحافظ أبي العلاء جالساً على تلّ في الحرم أعلى من سطح الحرم ، وما معهما أحدٌ غيرهما ، وهما يستقبلان الكعبةَ وينظران إلى فوق ، ورأيت رسول الله ﷺ يتكلّم مع أحد نحو فوق الكعبة ، وإذا أراد أن يتكلم قام إليه ، ورأيت شيخنا أبا العلاء شاخصاً ببصره إلى الذي يكلم النبي ﷺ فوق الكعبة ، ولا يلتفتُ يميناً ولا شمالاً ، فقلت في نفسي : أذهبُ فأبصرُ من الذي يكلِّمُ النبيَّ ﷺ وينظر إليه الحافظ أبو العلاء ، فتقدمتُ ونظرتُ إلى فوق الكعبة فرأيت عرشَ الرحمن جلَّ جلاله واقفاً فوق الكعبة ، ورأيت الرحمن جلَّ جلاله عليه ، فأشار إليَّ النبي ﷺ أن « أسأل الله تبارك وتعالى » ، فسألت الله تعالى أربع حاجات ، فسمعته يقول بالفارسية ، كردم ، وسألت رسول اللّه ﷺ حاجة ففعل ، فنويتُ الرجوع ، فقال لي

رسول الله ﷺ: أتذهب ؟ فوقفت أنتظر أمره ، فقال لي رسول اللّٰه ﷺ بالفارسية : شكرانه گو ، فوقفت وقرأت : ﴿ قُلْ هُوَ الله أَحَدٌ ﴾ (الإخلاص: 1) خمسمائة مرة ، فقال لي رسول الله ﷺ: حسن ، فرجعت وتركتُ رسولَ اللّٰه ﷺ جالساً مع الحافظ أبي العلاء على ذلك التلِّ وينظران إلى اللّٰه عز وجل .

وقد مدحه أفاضل عصره بأشعار كثيرة ، منهم أبو عبد الله محمد بن عبد الله المغربي وقد خرج الشيخ فحجبت الشمسَ غمامةٌ فقال لي في ذلك :

ظهرتَ فأخفتْ وجهها الشمسُ هيبةً ... وشوقاً إلى مرآك أسبلتِ الدمعا
ولما رأتْ مسعاكَ كفَّتْ شؤونَها ... لئلّا ترى حيّاً يَصُدُّك عن مسعى
وقد كان ذاك القطرُ أيضاً دلالةً ... على أنَّ مولى الجمع قد رحم الجمعا
ولا شكَّ أن اللّٰه يرحمُ أمةً ... حللتَ بها قطعاً أقولُ بذا قطعا

وقد مدحه أبو عبد اللّٰه المغربي هذا بقصائد حسان ، وقد أفردها الشيخ الإمام أبو عبد اللّٰه محمد بن محمود بن إبراهيم بن الفرج مؤلف هذه المناقب رحمه الله ، والأصل يشتمل على ستة أجزاء بخطه كلّها رحمه الله ، وقد ذكر فيه بعد ذكر القصائد التي ذكرتها :

سمعت أبا بشر محمد بن محمد بن محمد بن هبة اللّٰه بن عبد الله بن سهل رحمه اللّٰه يقول : كان أبو عبد الله المغربي بأصفهان في مدرسة النظام وهو يقرأ القرآن ، فلما بلغ قوله عز وجلّ : ﴿ وَٱعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ ٱلْيَقِين ﴾ (الحجر: 99) قام وصرخ وترك أمتعته وكتبه وأقبل إلى الصحراء هائماً ، وما رؤي بعد ذلك ولا سُمِعَ له خبرٌ ولا أثر .

وأنشد موفق بن أحمد المكي الخطيب في مدحه :

حِفْظُ الامامِ أبي العلاءِ الحافظِ ... بالرجل ينكتُ هامَ حِفْظِ الجاحظِ
عمرو بن بحر بحرُهُ من جدولٍ ... متشعِّبٍ من بحرِ بحرِ الحافظِ
ما إن رأينا قَبْلَ بحرِكَ من [له] ... بحرٌ طفوحٌ كالأتيِّ اللافظِ(1)

(1) م : بحر طفوح الأتي لافظ .

أحْيَيْتَ ما قد فاظَ من سُنَنِ العلا والعلمِ قَبْلَكَ في انتزاعِ الفائظِ
بهظَ البرايا عبءُ أدنى علمِهِ أعظِمْ به من عبءِ علمٍ باهظِ
كم واعظٍ لي أن أجاور مجده[1] لو كان ينجعُ فيَّ وعظُ الواعظِ
غاظ الأعادي جاهه كعلومِهِ فرددتُ[2] غيظَهُمُ بهذا الغائظِ

وأنشد أيضاً في مدحه :

وليس اعترافُ الحاسدين بفضله لشيءٍ سوى أنْ ليس يمكنهم جَحْدُ
بدا كعمودِ الفجرِ ما فيه شُبْهَةٌ فهل لهمُ من أنْ يُقِرُّوا به بُدُّ

وأنشد الإمام العلامة أفضلُ الدين أبو عمرو عثمان بن عبد الملك بن عبيد اللّه بن أحمد بن سعيد الدمانخير الكرخي رحمة الله عليه في مدحه :

صبراً فأيامُ الهمومِ تزولُ والدهرُ يُعطيك المنى وينيلُ
ويبين[3] من فَلَكِ السعادة باقياً قمرُ الأماني والنحوسُ أفول
لا تيأَسَنَّ إذا تلمُّ[4] ملمةٌ إن الشدائدَ تعتري وتحول
والفضلُ لا يُزْري به عَدَمُ الغنى أفليس يَحْسُنُ في الرماح ذبول
ما إنْ يُضَرُّ العضبُ بعد مضائِهِ يومَ القراع إذا عَرَتْهُ فلول
لا تشتغلْ بالعُسْرِ وآطوِ مشمّراً بُسْطَ الفيافي والشعاب[5] مقيل
والبسْ سوادَ الليلِ مرتدياً به إنَّ التجلّدَ للرجالِ جميل
حتى تنيخَ العيسَ في كَنَفِ العلا حيث التكرُّمُ بالنجاح[6] كفيل
كَنَفُ الإمامِ القرمِ قُطْبِ الدين مَنْ جَوْبُ الفلا إلا إليه فضول
صدر الزمان أبي العلاءِ سميدعٍ غُرُّ المعالي في ذَراه تَقيل

وهي طويلة .

(1) م : هجوه .
(2) م : لعلومه ردت .
(3) م : ويبدو .
(4) م : ألم ؛ وما أثبته اقترحه النشاشيبي (ش) .
(5) والشباب ؛ وأثبت ما اقترحه (ش) .
(6) م : بالبخيل ؛ وأثبت قراءة (ش) .

ولموفق الدين مكي خطيب خوارزم أشعارٌ كثيرة في مدحه منها :

بقيتَ بقاءَ الدهرِ في الناس خالدا أيا خيرَ مَنْ في الأرضِ خالاً ووالدا
لتروي أحاديثَ النبيِّ محمدٍ وتحيي مسانيداً وتزوي معاندا
فهذا دعائي بالحجونِ وبالصفا وهذا مرامي حيث ما كنتُ ساجدا

قال : وسمعت الثقة يقول : سمعت الشيخ رضي الله عنه يقول : لما مات فلان ـ أحد أصدقائه ذكر اسمه ونسيته ـ شقَّ عليَّ موته ، وأثر فيَّ وفاتُه ، فكنت بعد ذلك أكتبُ كلَّ سنة كتابَ الوصية ، وأنا سمعتُ منه حينئذ صغيراً وهو يقول غداً من شهر رجب ، شهر اللّه الأصم ، وأنا أريد أن أجدِّد مع ربي عهداً . وهذا كتاب وصيته : بسم اللّه الرحمن الرحيم أخبرنا عبد القادر اليوسفي وهبة الله بن أحمد الشيباني قالا ، أخبرنا أبو علي الحسن بن علي التميمي ، أخبرنا أحمد بن جعفر القطيعي ، حدثنا عبد اللّه بن أحمد بن محمد بن حنبل رضي اللّه عنهما ، حدثنا محمد بن عبيد ، حدثنا عبيد الله بن عمر عن نافع عن ابن عمر رضي اللّه عنه أن رسول الله ﷺ قال : ما حقُّ امرىءٍ مسلم يبيت ليلتين وله شيء يوصي فيه إلا ووصيته مكتوبة عنده . وأخبرنا الشيخ أبو القاسم زاهر بن طاهر بن محمد بن محمد الحافظ ، أخبرنا أبو عثمان سعد بن محمد النَّجيرمي ، أخبرنا أبو الخير الحنبلي وأبو بكر محمد بن أحمد بن عقيل قالا ، أخبرنا أبو بكر محمد بن حفص بن جعفر حدثنا إسحاق بن إبراهيم الغضبي ، حدثنا خالد بن يزيد الأنصاري ، حدثني محمد بن أبي ذئب عن نافع عن ابن عمر رضي اللّه عنهما عن النبي ﷺ قال : من لم يُحْسِنْ الوصيةَ عند الموت كان نقصاً في مروءته وعقله ، قيل : وكيف يوصي ؟ قال يقول : اللهم فاطرَ السمواتِ والأرض ، عالم الغيب والشهادة ، الرحمن الرحيم ، إني أعهدُ إليك في دار الدنيا أني أشهد أن لا إله إلا أنت وحدك لا شريك لك ، وأن محمداً ﷺ عبدك ورسولك ، وأن الجنة حقّ ، وأن النار حق ، وأن البعثَ حق ، والحساب والقدر حق والميزان حق ، وأن الدين كما وصفت ، وأن الاسلام كما شرعت ، وأن القول كما حَدَّثْتَ ، وأن القرآن كما أنزلت ، جزى اللّه محمداً ﷺ عنّا خير الجزاء ، وحيّا محمداً منا بالسلام . اللهم يا عدتي عند كربتي ، ويا صاحبي عند شدتي ، ويا وليّ نعمي ،

إلهي وإله آبائي ، لا تَكِلْني إلى نفسي طُرْفَةَ عَيْنٍ ، فإنك إن تكلني إلى نفسي أقربْ من الشرّ وأتباعدْ من الخير ، فآنسني في قبري من وحشتي ، واجعل لي عهداً يوم ألقاك ، ثم يوصي بحاجته . وتصديق هذه الوصية في القرآن ﴿ لَا يملكون ٱلشَّفَاعَةَ إِلَّا مَنِ ٱتَّخَذَ عِنْدَ ٱلرَّحْمَنِ عَهْداً ﴾ (مريم : 87) فهذا عهدُ الميت .

وهذه وصيته سنة إحدى وعشرين وخمسمائة ، ونقلتها من خطه : بسم الله الرحمن الرحيم ، هذا ما أوصى به الحسن بن أحمد بن الحسن بن أحمد بن محمد العطار طوعاً ، في صحة عقله وبدنه وجوازِ أمره ، أوصى وهو يشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له لم يتخذ صاحبةً ولا ولداً ولم يكن لَهُ شريكٌ فِي ٱلْمُلْكِ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ وَلِيٌّ مِنَ ٱلذُّلِّ وخلق كل شيء فقدَّره تقديراً ﴿ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَالَمِينَ ﴾ (الأعراف: 54) ، ويشهد أن محمداً عبده أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدّين كله ولو كره المشركون ، صلى اللّه عليه وعلى أصحابه وسلم تسليماً كثيراً ، ويشهد أن الجنة حق ، والنار حق ، والبعث حق ، وأن الساعة آتيةٌ لا ريبَ فيها وأن الله يبعث من في القبور ، وأنه جلّ وعزّ جامعُ الأولين والآخرين لميقاتِ يوم معلوم ، في صعيد واحد ، يُسْمِعهم الداعي وينفذهم البصر ، ويشهد أن صلاته ونُسُكه ومحياه ومماته للّه ربّ العالمين ، لا شريك له وبذلك أمرت وهو أول المسلمين ، وأنه رضي باللّه رباً ، وبالاسلام ديناً ، وبمحمد ﷺ نبياً ، وبالقرآن إماماً ، وبالمؤمنين إخواناً ، وأنه يَدينُ للّه عزَّ وجلّ بمذهب أصحاب الحديث ، ويتضرَّعُ إلى الله عزّ وجلّ ويتوسَّلُ إليه بجميع كتبه المنزلة وأسمائه الحسنى وكلماتِهِ التامّاتِ وجميع ملائكته المقربين وأنبيائه المرسلين، [أن] يحييه على ذلك حياً ويميته على ذلك إذا توفاه، وأن يبعثه عليه يومَ الدين، وأوصى نفسه وخاصَّتَهُ وقرابته ومن سمع وصيَّتَهُ بتقوى اللّه، وأن يعبدوه في العابدين ، ويحمدوه في الحامدين ، ويذكروه في الذاكرين ، ولا يموتُنَّ إلاَّ وَهُمْ مُسْلِمُونَ ، وأوصى إلى الشيخ أبي مسعود إسماعيل بن أبي القاسم الخازن في جميع تركته وما يخلفه بعده ، وفي قضاء ديونه واقتضاءِ ديونه وإنفاذ وصاياه ، وذكره في ذلك بتقوى اللّه وإيثار طاعته ، وحذَّره أن يبدّلَ شيئاً من ذلك أو يغيّره ، وقد قال الله تعالى ﴿ فَمَنْ بَدَّلَهُ بَعْدَ مَا سَمِعَهُ فَإِنَّمَا إِثْمُهُ على ٱلَّذِينَ يُبَدِّلُونَهُ إن ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾(البقرة: 181) وكتب هذه الوصية موصيها الحسن بن أحمد بن الحسن بن

أحمد بن محمد بن العطار في يوم الثلاثاء السابع من ذي الحجة سنة إحدى وعشرين وخمسمائة .

قال : وحدثني من شهد قبض روح الشيخ رضي الله عنه قال : كنا قعوداً في ذلك الوقت ، وكنا نحبُّ أن نلقنه كلمةَ الشهادة رعايةً للسنة ، ومع هذا كنا نخشى من هيبته ونحذر سوءَ الأدب ، فبقينا متحيِّرين حتى قلنا للرجل من أصحاب الشيخ : اقرأ أنت سورة يسٓ ، فرفع الرجل صوته يقرأ السورة ، وكنا ننظرُ إليه ونراقبُ حاله ، فدهش القارىء وأخطأ في القراءة ، ففتح الشيخُ عينه وردَّ عليه ، فسررنا بذلك وحمدنا الله عز وجل . ثم جيء إليه بقدحٍ فيه شيءٌ من الدواء ، ووضع القدح على شفته فولَّى وجهه وردَّ القدح بفيه وفتح عينه وقال : لا إله إلا اللّه محمد رسول اللّه رافعاً بها صوته ، وفاضت نفسه رحمه اللّه ورضي عنه وأرضاه ، وجعل أعلى الجنان مأواه ، وكان ذلك قبيل العشاءِ الآخرة ليلة الخميس التاسع عشر من جمادى الأولى عام سبعة وستين وخمسمائة ، ودفن يوم الخميس في مسجده ، وصلى عليه ابنه الإمام ركن الدين شيخ الإسلام ابو عبد اللّه أحمد القائم مقامه وخليفته على أولاده وأصحابه واتباعه رحمه اللّه . والكتاب الذي يشتملُ على مناقبه كتابٌ ضخمٌ جليل ، وإنما كتبت هذه النبذة ليستدلَّ به على فضله ومرتبته ، رحمة اللّه عليه ، والحمد للّه رب العالمين ، وصلَّى اللَّه على نبيه محمد وآله أجمعين .

ـ 309 ـ

الحسن بن إسحاق بن أبي عباد اليمني النحوي : من وجوه اليمن ، كان يصحب الفقيه يحيى بن أبي الخير[1] ، وعمه إبراهيم بن أبي عباد نحوي أيضاً يُذكر في موضعه[2]، وصنف الحسنُ هذا مختصراً في النحو مشهوراً باليمن يقرأه المبتدئون،

309 ـ إنباه الرواة 1 : 290 والوافي 11 : 400 وبغية الوعاة 1 : 500 وروضات الجنات 3 : 90 .

(1) الإنباه : يحيى بن أبي الحسين الصبيري (والصبيري منسوب إلى صبر ، اسم جبل باليمن) .
(2) انظر الترجمة رقم : 15 .

وهو قريب العهد تقارب وفاته سنة تسعين وخمسمائة ، وهو القائل :

لعمرُكَ ما اللحنُ من شيمتي ... ولا أنا من خطإٍ ألحنُ
ولكنني قد عرفتُ الأنامَ ... فخاطبتُ كلاًّ بما يحسنُ

- 310 -

الحسن بن أسد بن الحسن الفارقي أبو نصر : شاعر رقيق الحواشي مليح النظم متمكن من القافية كثير التجنيس قلما يخلو له بيتٌ من تصنيع وإحسان وبديع ، كان في أيام نظام الملك والسلطان ملكشاه ، وشمله منهما الجاه بعد أن قبض عليه وأساء إليه ، فإنه كان مستولياً على آمد وأعمالها ، مستبدًّا باستيفاء أموالها ، فخلصه الكامل الطبيب[1] . وكان نحوياً رأساً وإماماً في اللغة يقتدى ، وصنف في الآداب تصانيف تقوم له مقام شاهِدَيْ عدل بفضله وعِظَم قدره ، منها : كتاب شرح اللمع كبير . كتاب الإفصاح في شرح أبيات مشكلة[2] .

حدثني الشيخ الإمام موفق الدين أبو البقاء يعيش بن علي بن يعيش النحوي قال : حدثني قاضي عسكر نور الدين محمود بن زنكي قال : قدم على ابن مروان صاحبِ ديار بكر شاعرٌ من العجم يعرف بالغساني ، وكان من عادة ابن مروان إذا قدم عليه شاعرٌ يكرمه وينزله ولا يجتمع به إلى ثلاثة أيام ليستريحَ من سفره ويصلحَ شِعْره ثم يستدعيه ، واتفق أن الغسانيّ لم يكنْ أعدَّ شيئاً في سفره ثقةً بقريحته ، فأقام ثلاثة أيام فلم يُفْتَحْ عليه بعملِ بيتٍ واحد ، وعلم أنه يستدعَى ولا يليقُ به أن يلقى الأمير بغير مديح ، فأخذ قصيدةً من شعر ابنِ أسد لم يغير فيها إلا اسمه ، فغضب من ذلك وقال :

310 - ترجمته في الخريدة (قسم الشام) 2 : 416 وإنباه الرواة 1 : 294 والفوات 1 : 321 والوافي 11 : 401 وعبر الذهبي 3 : 316 والنجوم الزاهرة 5 : 140 وبغية الوعاة 1 : 500 والشذرات 3 : 380 وإشارة التعيين : 85 .

(1) ذكر القفطي (1 : 294) أن الطبيب الكامل هو الذي توسط في خلاصه ، ثم قال (ص: 295) إلى أن شفع فيه طبيب كان حظيّاً بحضرة ملكشاه .

(2) الوافي : كتاب الإفصاح في العويص (وزاد ذكر كتاب الألغاز له) .

يجيء هذا العجمي فيسخر منا ؟! ثم أمر بمكاتبة ابن أسد ، وأمر أن يكتبَ القصيدةَ بخطّه ويرسلها إليه ، فخرج بعضُ الحاضرين فأنهى القضيةَ إلى الغساني ، وكان هذا بآمد ، وكان له غلامٌ جَلْدٌ ، فكتب من ساعته إلى ابن أسد كتاباً يقول فيه : إني قدمتُ على الأمير فأُرْتِجَ عليَّ قولُ الشعر مع قدرتي عليه ، فادَّعَيْتُ قصيدةً من شعرك استحساناً لها وعجباً بها ومدحتُ بها الأمير ، ولا أبعد أن تُسْأَل عن ذلك ، فإن سئلت فرأيك الموفق في الجواب ، فوصل غلامُ الغساني قبل كتاب ابن مروان ، فجحد ابنُ أسد أن يكونَ عَرَفَ هذه القصيدة أو وقف على قائلها قبل هذا ، فلما ورد الجوابُ على ابن مروان عَجِبَ من ذلك وأساء إلى الساعي وشتمه وقال : إنما قَصْدُكُمْ فضيحتي بينَ الملوك ، وإنما يحملكم على هذا الفعلِ الحسدُ منكم لمن أُحسن إليه ، ثم زاد في الإحسان إلى الغساني وانصرف إلى بلاده . فلم يمضِ على ذلك إلا مديدةٌ حتى اجتمع أهلُ ميافارقين إلى ابن أسد ، ودعوه إلى أن يؤمّروه عليهم ، ويساعدوه على العصيان ، وإقامة الخطبة للسلطان ملكشاه وَحْدَه ، وإسقاط ابن مروان من الخطبة ، فأجابهم إلى ذلك ، وبلغ ذلك ابنَ مروان فحشد له ، ونزل على ميافارقين محاصراً فأعجزه أمرها ، فأنفذ إلى نظام الملك والسلطانِ يستمدّهما ، فأنفذا إليه جيشاً ومدداً مع الغساني الشاعر المذكور آنفاً ، وكان تقدَّم عند نظام الملك والسلطان وصار من أعيان الدولة ، وصدقوا في الزحفِ على المدينة حتى أخذوها عَنْوةً وقُبِضَ على ابنِ أسدٍ وجيء به إلى ابن مروان ، فأمر بقتله ، فقام الغساني وجرّد العناية في الشفاعة ، فامتنع ابنُ مروان امتناعاً شديداً من قبول شفاعته ، وقال : إن ذنبه وما اعتمده من شَقِّ العصا يوجبُ أن يعاقَب عقوبة من عصى وليس عقوبة غير القتل ، فقال : بيني وبين هذا الرجل ما يُوجِبُ قبولَ شفاعتي فيه ، وأنا أتكفَّلُ به ألا يجري منه بعدُ شيء يُكرَه ، فاستحيى منه وأطلقه له ، فاجتمع به الغسّاني وقال له : أتعرفني ؟ قال : لا واللّه ولكني أعرفُ أنك مَلَكٌ من ملائكة[1] السماء مَنَّ اللّه بكَ عليَّ لبقاءِ مهجتي ، فقال له : أنا الذي ادّعيتُ قصيدتك وسترتَ عليّ ، وما جزاءُ الإحسان إلا الاحسان ، فقال ابن أسد : ما رأيتُ ولا سمعتُ بقصيدةٍ جُحِدَتْ فَنَفَعَتْ صاحبَها أكثرَ من نفعها إذا ادّعاها

(1) م : ملوك .

غير هذه ، فجزاك اللّه عن مروءتك خيراً ، وانصرف الغساني من حيث جاء .

وأقام ابن أسد مدة ورقَّتْ[1] حاله ، وجفاه إخوانه وعاداه أعوانه ، ولم يقدم أحد على مقاربته ولا مرافدته حتى أضرَّ بـه العيشُ ، فعمل قصيـدةً مدح بهـا ابنَ مروان وتوصَّل حتى وصلتْ إليه فلما وقف ابنُ مروان عليها غضب وقال : لا يكفيه ان يخلصَ منا رأساً برأس حتى يريـدَ منا الـرفد والمعيشـة ، لقد أذكـرني بنفسه ، فـاذهبوا بـه فاصلبوه ، فذهبوا به فصلبوه ، رحمه اللّه .

ومن شعر الحسن بن أسد الفارقي رحمه اللّه :

بنتم فمـا كَـحَـلَ الكـرى	لي بعـد وَشْـكِ البينِ عينـا	
ولـقـد غـدا كَلَفي بـكـم	أُذنـاً عـليَّ لـكـم وعـيـنـا	(رقيب)
فـأَسَلْتُ بعـد فـراقـكـم	من نـاظـري بـالـدمـع عينا	(عين الماء)
فحكتْ مـدامعهـا الغـزا	رُ من الغيـوم الغـرِّ عـينا	(عين السحاب)
جـادتْ عـلى أثـرٍ شفى	عينـاً لـهم لـم تَلْقَ عـينـا	(شخص)
مـن كـلِّ واضحـة الـتـرا	ئبِ سهلةِ الخـديـن عَيْنَـا	(واسعة العين)
غـراءَ تـحـسـبُ وجـهـهـا	للشمس حين تـراه عينـا	
أمسيـتُ فـي حـيٍّ لـهـا	عبـداً أُضـام وكنتُ عينـا	(سيد)
لا حـركـت ركبُ الـركـا	ئب إذ بهنَّ سـريت عـينـا	(حر من النوق)
غـار الحسـودُ من الـوصـا	ل فـلا رعـاهُ اللّه عـينـا	(مصدر)
فـذممتُ حـرفـاً عـاينتْ	عـينـاي في أُولاه عـيـنـا	(عين الحرف)
كـانـت تنـاصـفنـا وصـا	في الـودّ لا وَرِقـا وعينـا	(ذهب)
لهفـي وقـد أبصـرتُ فـي	ميـزانِ ذاك الـوصـلِ عينا	(نقصان)
كـم من أخٍ فـينـا وعـى	مـا لـم نكـنْ فيـه وعـينـا	(سمعنا)
ومـصـاحـبٍ صنَّفْتُ فـي	عُـدَوائِـهِ لـلعيـن عـيـنـا	(كتاب الخليل)

(1) م : ورخت ؛ الوافي : ونزحت .

وقال في الشمعة[1] :

وندیمةٍ ليَ في الظلام وحيدةٍ مثلي مجاهدةٍ كمثلِ جهادي
فاللونُ لوني والدموعُ كأدمعي[2] والقلبُ قلبي والسهادُ سهادي
لا فرقَ فيما بيننا لو لم يكنْ لهبي خفيّاً وهو منها بادي

وله أيضاً[3] :

أريقاً من رضابك أم رحيقا رشفتُ فلستُ من سكري مفيقا
وللصهباءِ أسماءٌ ولكنْ جهلت بأنَّ في الأسماء ريقا
حمتني عن حميّا الكأسِ نفسٌ إلى غير المعالي لن تتوقا
وما تركي لها شحٌ ولكنْ طلبتُ فما وجدتُ لها صديقا

وله أيضاً[4] :

وإخوانٍ بواطنهم قباحٌ وإن كانت ظواهرهم ملاحا
حسبتُ مياهَ ودهمُ عذاباً فلما ذقتها كانت ملاحا

وله أيضاً[5] :

ووقتٍ غنمناه من الدهر مسعدٍ مُعارٍ وأوقات السرور عواري
معانيه مما نبتغيه جميعه كواسٍ ومما لا نريد عواري
أدار علينا الكأسَ فيه ابنُ أربع وعشرٍ له بالكأس أي مَدارِ
تناولتها منه بكفٍّ كأنها أناملها تحتَ الزجاج مداري

وله أيضاً[6] :

تيّم قلبي شادنٌ أغيدُ مُلِّكَ[7] فالناس له أعبدُ
لو جاز أن يعبدَ في حُسنه وظرفِهِ كنتُ له أعبُدُ

---

(1) إنباه الرواة : 295 والخريدة : 418 .
(2) إنباه : مدامعي .
(3) الخريدة : 418 والفوات : 322 .
(4) الخريدة : 419 .
(5) المصدر نفسه .
(6) الخريدة : 420 .
(7) م : يملك .

وله أيضاً[1] :

هـويتُ بـديـعَ الحسن للغصن قَـدُّه ... ولـلظبـي عـيـنـاه وخـدَّاهُ لـلوردِ
غـزالٌ مـن الغـزلان لـكنْ أخـافُـهُ ... وإن كنتُ مقداماً على الأَسَـدِ الـوردِ

وله أيضاً[2] :

ولـربَّ دانٍ مـنـك يُـكْـرَهُ قُـرْبُـهُ ... وتـراهُ وهـو عَشـاءُ عينـك والقَـذَى
فـاعـرفْ وخـلِّ مجـرِّبـاً هـذا الـورى ... واتـرك لـقـاءك ذا كـفـافـاً والـق ذا

وله أيضاً[3] :

أيـا لـيلةً زار فـيهـا الـحـبـيـبُ ... أعيـدي لنا منـكِ وصلاً وعـودي
فـإنـي شهـدتـكِ مـسـتـمـتـعـاً ... بـه بـيـن رنـةِ نـايٍ وعـودِ
وطيبِ حـديثٍ كزهـر الـريـاضِ ... تضـوَّعَ مـا بين مسـكٍ وعـودِ
سـقتـك الـرواعـدُ مـن لـيـلةٍ ... بهـا اخضرَّ يـابسُ عيشي وعودي
وَفِـي لي بـوعـدٍ ولا تـخـلفيـــه إخلافَ دهرٍ به لي وعـودي
فـلمـا تقـضـيـتِ أمـرضـتـنـي ... فـزوري مريضَـك يومـاً وعـودي

وله أيضاً[4] :

يـا من حكى[5] ثغره الـدرَّ النظيم ومن ... تخـالُ أصـداغـه الـسـودَ العنـاقيـدا
اعـطفْ على مستهـام ضُمّ من أَسَفٍ ... على هـواك وفي حَبْـلِ العنـا قِيـدَا

وله أيضاً[6] :

بنتم فمـا لحظ الـطرفُ الـولـوع بكم ... شيـئـاً يسـرُّ بـه قـلبي ولا لـمـحـا
فلو محـا فَـيْضُ دمـعٍ من تـكـاثـره ... إنـسـانَ عينٍ إذاً إنـسـانـه لـمـحـا

وله أيضاً[7] :

أَيَـا كَم أُعاني الـوجدَ في كـلِّ صاحبٍ ... ولـسـتُ أراه لـي كـوجـديَ واجـدا

---

(1) الخريدة : 421 .
(2) الخريدة : 423 والفوات : 323 .
(3) الخريدة : 423 .
(4) الخريدة : 423 والفوات : 323 .
(5) الوافي والفوات : جلا .
(6) الخريدة : 424 .
(7) المصدر نفسه .

إذا كنتُ ذا عُـدْمٍ فحـربُ مجـانـب … وتـلقـاهُ لي سـلمـاً اذا كنـت واجـدا
أحـاولُ في دهـري خليـلاً مصـافيـاً … وهيهـاتِ خِـلاًّ صـافيـاً لستُ واجـدا

وله أيضاً[1] :

بعـدتَ فـأمـا الـطرفُ مني فسـاهـدُ … لشـوقي وأمـا الـطرفُ منك فـراقـدُ
فَسَلْ عن سهـادي أنجمَ الليـلِ إنهـا … ستشهـدُ لي يـومـاً بـذاك الفـراقـدُ
قـطعتُـكَ إذ أنت القـريبُ لشقـوتي … وواصـلنـي قـومٌ إلـيَّ أبـاعـدُ
فيـا أهـلَ ودّي إن أبى وَعْـدَ قـربنـا … زمـانٌ فـأنتم لـي بـه إن أبى عِـدُوا

وله أيضاً[2] :

لا يصـرفُ الهـمَّ إلا شـدوُ محسنـةٍ … أو مـنـظرٌ حَسَـنٌ تـهـواهُ أو قـدحُ
والـراحُ للهمِّ أنفـاهـا فخـذ طـرفـاً … منهـا ودعْ أمّـةً في شـربهـا قـدحـوا
بكـرٌ تخـالُ إذا مـا المـزجُ خـالطهـا … سقـاتهـا أنهم زنـداً بـهـا قـدحـوا

وله أيضاً[3] :

بعـدتَ فقـد أضـرمتَ مـا بين أضلعي … ببعـدك نـاراً شَجْـوُ قلبـي وقـودهـا
وكلفتَ نـفسـي قَـطْعَ بيـداءِ لـوعـةٍ … تكـلّ بهـا هُـوجُ المهارى وقـودهـا

وله أيضاً[4] :

تـجلَّد عـلى الـدهـر واصبـر بـمـا … عـليـك الإلـه مـن الـرزق أجـرى
ولا يـسخـطنّـك صَـرْفُ الـقـضـاءِ … فـتـعـدمَ إذ ذاك حـظاً وأجـراً
فـمـا زال رزقُ امـرىءٍ طـالـب … بـعيـداً إلـيـه دُجَى الـليـل يُسْـرَى
تـوقـعْ إذا ضـاق أمـرٌ عـليـك خيـراً فـإنَّ مَـع الْعُسْـرِ يُسْـرا

وله أيضاً[5] :

قـد كان قلبي صحيحـاً كـالحمى زمنـاً … فمـذ أبحتَ الهوى منـه الحمى مرضـا
فلم سخـطتَ على من كـان شيمتـه … وقـد أبحت لـه فيـك الحمـام رضى

(1) الخريدة : 425 .
(2) الخريدة : 426 والفوات : 323 .
(3) الخريدة (نفسه) .
(4) الخريدة .
(5) الخريدة والفوات .

يـا مَنْ إذا فـوَّقَتْ سهمـاً لـواحـظُهُ — أضحى لهـا كـلُّ قلبٍ قُلَّبٍ غـرضـا
أنـا الـذي إن يمتْ حبّـاً يمت أسفـاً — ومـا قضى فيك من أغـراضِـهِ غـرضـا
مـا إن قضى اللّه شيئـاً في خليقتِـهِ — أشـدَّ من زفـراتِ الحب حين قضـى
فـلا قـضى كَـلِفٌ نحبـاً فـأوجعـني — إن قيـلَ إن المحبَّ المستهـامَ قـضى

وله أيضاً[1] :

تـراك يـا متلفَ جسمي ويـا — مـكـثـر إعـلالـي وإمـراضـي
من بعـد مـا أضنيتني سـاخطٌ — عـليَّ فـي حـبِّـك أم راضـي

ـ 311 ـ

الحسن بن بشر بن يحيى الآمدي النحوي الكاتب، أبو القاسم : صـاحب «كتاب الموازنة بين الطائيين» : كـان حسـنَ الفهم جيدَ الـدراية والـرواية ، سـريعَ الإدراك ، رأيتُ سماعه على «كتاب القوافي» لأبي العباس المبرد ، وقد سمعه على نفطويه سنة ثلاث عشـرة وثلاثمـائة ، ثم وجـدتُ خطَّه على كتـاب «تبيين [غلط] قدامة بن جعفر في نقد الشعر» وقد ألفه لأبي الفضل محمد بن الحسين بن العميد ، وقد قرأه عليه وكتب خطه في سنة خمس وستين وثلاثمائة .

وقال ابن النديم في «الفهرست»[2] الذي ألفه في سنة سبع وسبعين وثلاثمائة : هو من أهل البصرة قريب العهد ، وأحسبه يحيا إلى الآن ، ثم وجدت «كتاب القوافي» للمبرد بخط أبي منصور الجواليقي ذكر في إسناده أن عبد الصمد بن حنيش النحوي قرأه على أبي القاسم الآمـدي في سنة إحـدى وسبعين وثلاثمـائة . وفي «تـاريخ»

311 ـ الفهرست: 173 وإنباه الرواة 1 : 285 والوافي 11 : 407 وبغية الوعاة 1 : 500 وإشارة التعيين: 87 وروضات الجنات 3 : 75 (ويعتمد ياقوت على الفهرست والنشوار) .

(1) الخريدة والفوات : 323 .
(2) الفهرست : 173 .

هلال بن المحسن : في هذه السنة ـ يعني في سنة سبعين ـ مات الحسن بن بشر الآمدي بالبصرة .

وقال أبو علي المحسن التنوخي[1] حدثني أبو القاسم الحسن بن بشر الآمدي ، كاتب القضاة من بني عبد الواحد بالبصرة ، وله شعر حسن واتساع تامّ في الأدب ، ودراية وحفظ وكتبٌ مصنفة ، قال : حدثني أبو إسحاق الزجاج قال : كنا ليلةً بحضرة القاسم بن عبيد اللّه نشرب ، وهو وزير ، فغنت بدعة جارية عَريب[2] :

أدلَّ فأكرِمْ به من مُدِلّ ... ومن ظالمٍ لدمي مستحلّ
إذا ما تعزز قابلتُهُ ... بذلٍّ وذلك جهد المقلّ
وأسلمتُ خدّي له خاضعاً ... ولولا ملاحَتُهُ لم أذلّ[3]

فأدّت فيه صنعة حسنة جدًّا ، فطرب القاسم عليه طرباً شديداً واستحسن الصنعةَ جدًّاً والشعرَ فأفرط ، فقالت بدعة : يا مولاي إن لهذا الشعر خبراً حسناً أحسن منه ، قال : وما هو؟ قالت : هو لأبي خازم[4] القاضي ، قال : فعجبنا من ذلك، مع شدة تقشف القاضي أبي خازم وورعه وتقبُّضه[5] ، فقال لي الوزير : باللّه يا أبا إسحاق اركبْ[6] إلى أبي خازم واسأله عن هذا الشعر وسببه ، فباكرته وجلستُ حتى خلا وجهه ولم يبقَ إلا رجلٌ بزيِّ القضاة عليه قلنسوة ، فقلت : بيننا شيءٌ أقولُهُ على خلوة ، فقال : ليس هذا ممن أكتمُهُ شيئاً ، فقصصتُ عليه الخبر ، وسألتُ عن الشعر والخبر ، فتبسَّم ثم قال : هذا شيء كان في الحداثة ، قلتُهُ في والدةِ هذا ـ وأومأ الى القاضي الجالس وإذا هو ابنه ـ وكنت إليها مائلاً ، وكانت لي مملوكةً ولقلبي مالكة، فأما الآن

---

(1) نشوار المحاضرة 1 : 89 وانظر الإنباه : 285 ـ 286 .
(2) هي بدعة الكبرى ، انظر الاماء الشواعر : 139 ، والشعر أيضاً في إنباه الرواة 1 : 165 ، 285 ؛ وقد تقدم في الترجمة رقم : 9 .
(3) لم يرد البيت في النشوار أو الإنباه .
(4) م : حازم (حيث ورد) وأبو خازم القاضي هو عبد الحميد بن عبد العزيز ، ولي القضاء بالشام والكوفة ، توفي سنة 292 (المنتظم 6 : 55 وسير الذهبي 13 : 539 والجواهر المضية 1 : 296) .
(5) النشوار : وبغضه ؛ م : وتقصبه (ولعلها : وتعصبه) .
(6) النشوار : بكر .

فلا عهدَ لي بمثله منذ سنين، ولا عملت شعراً منذ دهر طويل ، وأنا أستغفر اللّه مما مضى . قال : فوجم الفتى حتى ارفضَّ عرقاً ، وعدتُ إلى القاسم فأخبرته فضحك من خجل الابن وقال : لو سلم من العشق أحدٌ لكان أبو خازم مع تقبضه[1] وكنا نتعاود ذلك زماناً.

قال المؤلف : كان هذا الخبر بترجمة أبي إسحاق الزجاج أحرى إلا أنّ في أوله من إيضاح حالِ الآمدي ما ساق باقي الحديث[2].

قال أبو علي[3] : كان قد ولي القضاءَ بالبصرة في سنة نيف وخمسين وثلاثمائة رجل لم يكنْ عندهم بمنزلةٍ من صُرِفَ به ، لأنه ولّي صارفاً لأبي الحسن محمد بن عبد الواحد الهاشمي ، فقال فيه أبو القاسم الحسن بن بشر الآمدي كاتب القاضيين أبي القاسم جعفر[4] وأبي الحسن محمد بن عبد الواحد :

رأيت قلنسوةً[5] تستغيثُ ... من فوق رأسٍ تنادي خذوني
وقد قلقتْ فهي طوراً تميلُ ... من عن يسارٍ ومن عن يمينِ
فطوراً تراها فُوَيْقَ القفا ... وطوراً تراها فويقَ الجبينِ
فقلتُ لها أيّ شيءٍ دهاكِ ... فردَّتْ بقولِ كئيبٍ حزينِ
دهانيَ أنْ لستُ في قالبي ... وأخشى من الناس أن يبصروني
وأن يعبثوا بمزاحٍ معي ... وإن فعلوا ذاك بي قطعوني
فقلتُ لها مرَّ مَنْ تعرفين ... من المنكرين لهذي الشؤونِ
[ومن كان يشهق إما رآك ... ويخرج من جوفه كالرنين]
ومن كان يُصْفَعُ في الدين[6] لا ... يملُّ ويشتدُّ في غيرِ لينِ

(1) م : بغضه .
(2) قد ورد جانب من هذه القصة في ترجمة الزجاج رقم: 9 .
(3) نشوار المحاضرة 2 : 157 وإنباه الرواة : 286 ـ 287 .
(4) يعني أبا القاسم جعفر بن عبد الواحد الهاشمي ، وهو أخو أبي الحسن محمد ، وولي قضاء البصرة قبل أخيه .
(5) النشوار والإنباه : قلنسية .
(6) النشوار والإنباه : في اللّه .

ويسلَحُ[1] مِـلأكِ كَيْـلَ التمـامِ إمـا عـلى صـحـةٍ أو جـنـون
فـفـارقـهـا ذلـك الإنـزعـاجُ وعـادتْ إلى حالهـا في السكونِ

وحدث ابن نصر[2] قال : حَدَّثْتُ يوماً أبا الفرج الببغا الشاعر أن أبا الفرج منصور بن بشر النصراني الكاتب ، وكان منقطعاً إلى أبي العباس ابن ماسرجس ، فأنفذه مرةً إلى أبي عمر إسماعيل بن أحمد عامل البصرة في بعض حاجاته ، فعاد من عنده مغضباً لأنه لم يستوفِ له القيامَ عند دخوله ، وأراد أبو العباس إنفاذَهُ بعد أيام فأبى وقال : لو أعطيتني زورقَ ابنِ الخواستيني مملوءاً كيمياء ، كلُّ مثقالٍ منه إذا وضع على ألف مثقالٍ صفراً صار ذهباً إبريزاً ما مضيتُ إليه ، فأمسك عنه مغيظاً (وهذا زورقٌ معروف بالبصرة ، وحمله ثلاثمائة ألف رطل ، وقد رأيت دواتي أبي العباس سهل بن بشر ، وقد حكي له أن ابن علان قاضي القضاة بالأهواز ذكر أنه رأى قَبْجةً[3] وزنُها عشرةُ أرطال ، فقال : هذا محال ، فقيل له : تردّ قولَ ابنِ علان ؟ قال : فإن قال ابن علان إن على شاطىء جيحون نخلاً يحمل غضار صيني مجزّع بسواد أقبلُ) وقلت لأبي الفرج : وللناس عاداتٌ في المبالغات ، وهذا من أعجبها ، فقال لي : كان الآمدي النحويّ صاحب « كتاب الموازنة » يدَّعي هذه المبالغات على أبي تمام ويجعلها استطراداً لعيبه إذا ضاق عليه المجالُ في ذمه ، وأورد في كتابه قوله من قصيدته التي أولها[4] :

مـن سجـايـا الطلـولِ ألا تجـيـبـا
خضبتْ خـدَّهـا إلى لؤلؤ العقـــدِ دمـاً أنْ رأتْ شـواتي خضيبـا
كـلّ داء يُـرْجَى الـدواءُ لـه الـــا الفـظيعـين ميـتـةً ومـشيـبـا

(1) م : ويلّح .
(2) يعني علي بن محمد بن نصر الكاتب صاحب كتاب المفاوضة (وتوفي سنة 437) وانظر شذرات من كتب مفقودة ص: 287 ـ 324 .
(3) القبجة : طائر .
(4) عجز البيت ؛ فصواب من مقلتي أن تصوبا ؛ وقد أورد الآمدي هذه الأبيات في الموازنة 2 : 203 في باب كره النساء للمشيب وأورد فيها رأي من تعصب على أبي تمام ثم قال : ولكن أبا تمام لم يرضَ أن يقول بكت . . . حتى قال : بكت الدم ، على مذهبه في الخروج عن الحدّ في كل شيء .

ثم قال : هذه من مبالغاته المسرفة ؛ ثم قال أبو الفرج : هذه والله المبالغة التي يبلغ بها السماء .

وله من الكتب : كتاب المختلف والمؤتلف في أسماء الشعراء[1] . كتاب نثر المنظوم . كتاب الموازنة بين أبي تمام والبحتري[2] . كتاب في أن الشاعرين لا تتفق خواطرهما . كتاب ما في عيار الشعر لابن طباطبا من الخطأ . كتاب فرق ما بين الخاصّ والمشترك من معاني الشعر . كتاب تفضيل شعر امرىء القيس على الجاهليين . كتاب في شدةِ حاجةِ الإنسان إلى أن يعرفَ نفسه . كتاب تبيين غلط قدامة بن جعفر في « كتاب نقد الشعر » . كتاب معاني شعر البحتري . كتاب الرد على ابن عمار فيما خطأ فيه أبا تمام . كتاب فعلت وأفعلت ، غاية لم يصنف مثله . كتاب الحروف من الأصول في الأضداد ، رأيته بخطه في نحو مائة ورقة . كتاب ديوان شعره نحو مائة ورقة .

وقرأت في كتاب ألفه أحد بني عبد الرحيم الوزراء الذين مدحهم مهيار وغيره ولم يذكر اسمه ، قال أخبرني القاضي أبو القاسم التنوخي[3] عن أبيه أبي علي المحسن أن مولد أبي القاسم الحسن بن بشر الآمدي بالبصرة وأنه قدم بغداد يحمل عن الأخفش والحامض والزجاج وابن دريد وابن السراج وغيرهم اللغةَ والنحو ، وروى الأخبار في آخر عمره بالبصرة ، وكان يكتب[4] بمدينة السلام لأبي جعفر هارون بن محمد الضبي خليفة أحمد بن هلال صاحب عُمان بحضرة المقتدر بالله ووزارته ولغيره من بعده ، وكتب بالبصرة لأبي الحسن أحمد وأبي أحمد طلحة بن الحسن بن المثنى ، وبعدهما لقاضي البلد أبي القاسم جعفر ابن عبد الواحد الهاشمي على الوقوف التي تليها القضاة ويُحْضَرُ به في مجلس حكمه ، ثم لأخيه أبي الحسن محمد بن عبد الواحد لما ولي قضاء البصرة ، ثم لزم بيته إلى أن مات . وكان كثير الشعر حسنَ الطبع جيد الصنعة

(1) نشر مرتين : مرة بتحقيق كرنكو وثانية بتحقيق عبد الستار فراج .
(2) نشر مرات ، وحققه الدكتور السيد أحمد صقر في جزءين (ط . دار المعارف ، القاهرة) .
(3) نقله محقق نشوار المحاضرة 4 : 47 .
(4) قارن بإنباه الرواة 1 : 288 .

مشتهراً بالتشبيهات .

ولأبي القاسم تصانيف كثيرة جيدة مرغوب فيها منها « كتاب الموازنة بين البحتري وأبي تمام » في عشرة أجزاء وهو كتاب حسن ، وإن كان قد عيب عليه في مواضع منه ، ونسب إلى الميل مع البحتري فيما أورده ، والتعصُّبِ على أبي تمام فيما ذكره ، والناس بعدُ فيه على فريقين : فرقة قالت برأيه حسب رأيهم في البحتري وغلبة حبّهم لشعره ، وطائفة أسرفتْ في التقبيح لتعصّبه ، فإنه جدَّ واجتهدَ في طَمْسِ محاسن أبي تمام وتزيين مرذول البحتري . ولعمري إن الأمر كذلك ، وحسبك أنه بلغ في كتابه إلى قول أبي تمام :

* أصمَّ بك الناعي وإن كان أسمعا *

وشرع في إقامة البراهين على تزييف هذا الجوهر الثمين ، فتارة يقول : هو مسروق ، وتارة يقول : هو مرذول ، ولا يحتاج المنصف إلى أكثر من ذلك ؛ إلى غير ذلك من تعصباته ، ولو أنصف وقال في كلّ واحد بقدر فضائله لكان في محاسن البحتري كفاية عن التعصب بالوضع من أبي تمام .

وله أيضاً « كتاب الخاص والمشترك » تكلم فيه على الألفاظ والمعاني التي تشترك العرب فيها ولا يُنْسَبُ مستعملها إلى السرقة وإن كان سُبِقَ إليها ، وبيَّن الخاصَّ الذي ابتدعه الشعراء وتفردوا به ومن اتبعهم ، وما أقصر في إيضاح ذلك وتحقيقه ، إلى غير ذلك من تصانيفه التي ذكرنا منها ما قدرنا عليه فيما تقدم .

ومن شعره[1] :

يا واحداً بان في الزمانِ ... مِمنْ يجاريه أو يداني
دعنيَ من نائلٍ جزيلٍ ... يعجِزُ عن شكرِهِ لساني
فلستُ واللّه مستميحاً ... ولا أخا مَطْمَعٍ[2] تراني
وَهَبْ إذا كنتَ لي وهوباً ... من بعضِ أخلاقك الحسانِ

---

(1) الإنباه : 289 .

(2) م : طمع .

وقال في أبي محمد المافروخي ، وكان عالماً فاضلاً لا يجارى لكنه كان تمتاماً :

لا تنظرنّ إلى تتعتعه إذا   رام الكلامَ ولفظِهِ المعتاصِ
وانظر إلى الحِكَم التي يأتي بها   تشفيكَ عند تطلّقٍ وخلاصِ
فالدرُّ ليس يناله غوّاصُهُ   حتى تَقَطَّعَ أنفسُ الغوّاصِ

وفي « النشوار »[(1)] : حدثني أبو القاسم الحسن بن بشر الآمدي قال ، قال أبو أحمد طلحة بن الحسن بن المثنّى ، وقد تجارينا على خَلْوَةٍ الحديثَ فيما كان بينه وبين أبي القاسم البريدي وتدبير كلّ واحدٍ منهما على صاحبه في القبض عليه ، وأشرتُ عليه بأن يهربَ ولا يقيم ، وأنه لا يجب أن يغترَّ[(2)] ، فقال : لستُ أفكر في هذا الرجل لأمور[(3)] كثيرة منها : رؤيا رأيتها منذ ليال كثيرة ، فقلت : ما هي ؟ فقال : رأيت ثعباناً عظيماً قد خرج من هذا الحائط ، وأومأ بيده إلى حائط في مجلسه ، وهو يريدني ، فطلبته [وضربته] فأثبتُّهُ في الحائط ، فتأولتُ ذلك أن الثعبانَ البريديّ وأني أغلبه ؛ قال : فحين قال : « فأثبتّه في الحائط » سبق إلى قلبي أنّ البريديَّ هو الثابت ، وأن الحائط حياطة له[(4)] دون أبي أحمد ، فأردت أن أقول له إن الخبرَ مستفيضٌ بما كان عبد الملك رأى في منامه كأنه وابن الزبير اصطرعا في صعيدٍ من الأرض ، فطرح ابنُ الزبير عبد الملك تحته على الأرض ، وأوتده بأربعة أوتاد فيها ، وأنه أنفذ راكباً إلى البصرة حتى لقي ابن سيرين فقصَّ عليه الرؤيا كأنها له ، وكتم [ذكر] ابن الزبير ، فقال له ابن سيرين : هذه الرؤيا ليستْ رؤياك فلا أُفَسّرها لك ، فألحَّ عليه فقال له : هذه الرؤيا يجب أن تكونَ لعبد الملك ، فإن صَدَقْتَني فَسَّرْتها لك ، فقال : هو كما وقع لك ، فقال : قل له إن صَحَّتْ رؤياك هذه فستغلب ابنَ الزبير على الأرض ، ويملكُ الأرضَ من صُلْبِكَ أربعةُ ملوك . فمضى الرجل إلى عبد الملك فأخبره ، فعجب من فطنةِ ابن سيرين ، فقال : ارجع إليه فقلْ له من أين قلت ذلك ؟ فرجع الرجل إليه فقال

(1) نشوار المحاضرة 3 : 223 .
(2) م : يغير .
(3) النشوار : لألوان .
(4) النشوار : حائطه .

له : إن الغالبَ في النوم هو المغلوب ، وتمكنه على الأرض غلبته عليها ، والأوتاد الأربعة التي أوتدها في الأرض هم ملوكٌ يتمكنون من الأرض كما تمكنت الأوتاد . قال أبو القاسم الآمدي : فأردت أن أقولَ لأبي أحمد هذا ، وما وقع لي من القياس عليه في تفسير رؤياه ، فكرهت ذلك ، لأنه كان يكون سوءَ أدب وقباحةَ عشرة ونعياً[1] لنفسه ، فما مضت إلا أيام حتى قبض البريديّ عليه وكان من أمره ما كان .

ـ 312 ـ

أبـو الحسن البوراني: معتـزلي نحويّ ذكره المقدر عنـد ذكره لجمـاعـة من المعتزلة النحويين فقال : وأبو الحسن البوراني ، وناهيك تدقيقاً في مسائل الكتاب ، وكان في أيام أبي علي الفارسي وطبقته .

ـ 313 ـ

الحسن بن الحسين بن عبيد الله بن عبد الرحمن بن العلاء بن أبي صفـرة المعروف بالسكري ، أبو سعيد النحوي اللغوي الراوية الثقة المكثر: مات في سنـة خمس وسبعين ومائتين ومولده في سنة اثنتي عشرة ومائتين . سمع يحيى بن معين وأبا حاتم السجستاني والعباس بن الفرج الرياشي ومحمد بن حبيب والحارث بن أبي أسامة وأحمد بن الحارث الخراز وخلقاً سواهم ، وأخذ عنه محمد بن عبد الملك التاريخي . وكان ثقةً صادقاً يقرىء القرآن ، وانتشر عنه في كتب الأدب ما لم ينتشر عن أحد من نظرائه ، وكان إذا جمع جمعاً فهو الغاية في الاستيعاب والكثرة .

---

312 ـ بغية الوعاة 1 : 527 .

313 ـ ترجمة السكري في طبقات الزبيدي: 183 (وفيه أنه توفي سنة 290) والفهرست: 86 وتاريخ بغداد 7 : 296 والمنتظم 5 : 97 وإنباه الرواة 1 : 291 وسير الذهبي 13 : 126 والوافي 11 : 424 ونزهة الالباء: 274 والبداية والنهاية 11 : 154 والبلغة: 56 وبغية الوعاة 1 : 502 واشارة التعيين: 88 .

---

(1) م : وتعباً .

حدث أبو الكرم خميس بن علي الحوزي النحوي الحافظ الواسطي في أماليه ـ وله في هذا الكتاب باب[1] قال : قدم أبو سعيد الحسن بن الحسين السكري بغداد فحضر مجلس أبي زكريا الفراء ، وهو يومئذٍ شيخُ الناسِ بها ، فأملى الفراءُ باباً في التصغير قال فيه : العربُ تقول : هو الهنُ وتصغيره الهُنيُّ ، وتثنيته في الرفع الهُنَيَّان ، وفي النصب والجر الهُنَيَّيْن ، وأنشد عليه قول القتّال الكلابي[2] :

يا قاتلَ اللّه صلعانا تجيءُ بهم　　أمُّ الهنيّين من زندٍ لها واري

فأمسك أبو سعيد حتى إذا انقضى المجلس ولم يبق فيه أحد سوى الفراء تقدم أبو سعيد حتى جلس بين يديه وقال له : أكرمك الله ، أنا رجلٌ غريب ، وقد مرَّ شيءٌ أتأذن لي في ذكره ؟ فقال : اذكره ، فقال : إنك قلتَ هو الهن وتثنيته في الرفع الهنيان وفي النصب والجر الهنيين ، وهذا جميعه كما قلت ، ثم أنشدت قولَ الكلابي :

يا قاتل اللّه صلعاناً تجيء بهم　　أم الهنيين من زند لها واري

وليس هكذا أنشدناه أشياخنا ، قال الفراء : ومن أشياخك ؟ قال : أبو عبيدة وأبو زيد والأصمعي ، قال الفراء : وكيف أنشده أشياخك ؟ قال : فزعموا أن الهنبر بوزن الخنصر ولد الضبع ، وأن القتّال قال :

يا قاتل اللّه صلعاناً تجيء بهم　　أم الهُنَيْبِرِ من زَنْدٍ لها واري

على التصغير ؛ ففكر الفراء ساعة وقال : أحسن الله عن الإفادة وحسنِ[3] الأدب جزاءك .

قال المؤلف ياقوت بن عبد الله : هكذا وجدتُ هذا الخبر في أمالي الحوزي ، وهو ما علمت من الحفاظ ، إلا أنه غلط فيه من وجوه : وذلك أن السكري لم يلقَ الأصمعي ولا أبا عبيدة ولا أبا زيد ، وإنما روى عمن روى عنهم كابن حبيب وابن أبي أسامة والخراز وطبقتهم ، ثم إن السكري ولد في سنة اثنتي عشرة ومائتين ، وأبو عبيدة

(1) يعني أن المؤلف سيترجم له . (انظر رقم : 467) .
(2) ديوان القتال : 57 واللسان والتاج (هنبر ، زند) والقرط : 228 والأغاني 23 : 332 .
(3) م : بحسن .

مات سنة تسع عشرة ومائتين وأبو زيد مات سنة خمس عشرة ومائتين ، والأصمعي مات في سنة ثلاث عشرة ومائتين أو خمس عشرة ومائتين فمتى قرأ عليهم، وهذه الجماعة المذكورة هم في طبقة الفراء لأن الفراء مات في سنة سبع ومائتين، ولعل هذه الحكاية عن غير السكري وأوردها خميس عنه سهواً وأوردتها أنا كما وجدتها .

وللسكري من الكتب على ما ذكره محمد بن اسحاق النديم(1) : كتاب أشعار هذيل . كتاب النقائض . كتاب النبات . كتاب الوحوش ، جوَّدَ في تصنيفه . كتاب المناهل والقرى . كتاب الأبيات السائرة . وعمل أشعار جماعة من الشعراء منهم : امرؤ القيس . النابغة الذبياني . النابغة الجعدي . زهير . الحطيئة . لبيد . تميم بن أبي بن مقبل . دريد بن الصمة . الأعشى . مهلهل . متمم بن نويرة . أعشى باهلة . الزبرقان بن بدر . بشر بن أبي خازم . المتلمس . الراعي . الشماخ . الكميت . ذو الرمة . الفرزدق . ولم يعمل شعرَ جرير ، وعمل شعرَ أبي نواس ، وتكلم على معانيه وغريبه في نحو ألف ورقة ولم يتمّ ، وإنما عمل مقدار ثلثيه ؛ قال محمد بن إسحاق النديم : ورأيته بخط الحلواني ، وكان الحلواني قريب أبي سعيد السكري . وعمل شعر قيس بن الخطيم وهدبة بن خشرم وابن أحمر العقيلي والأخطل وغير هؤلاء . وأما أشعار القبائل فإنه عمل منهم : أشعار بني هذيل . أشعار بني شيبان . أشعار بني ربيعة . أشعار بني يربوع . أشعار بني طيء . أشعار بني كنانة . أشعار بني ضبة . أشعار بجيلة . أشعار بني القين . أشعار بني يشكر . أشعار بني حنيفة . أشعار بني محارب . أشعار الأزد . أشعار بني نهشل . أشعار بني عدي . أشعار بني أشجع . أشعار بني نمير . أشعار بني عبد ودّ . أشعار بني مخزوم . أشعار بني سعد . أشعار بني الحارث . أشعار الضباب . أشعار فهم وعدوان . أشعار مزينة .

وحدث الصولي قال : كنت عند أحمد بن يحيى ثعلب فنعي إليه السكري فتمثل(2) :

---

(1) الفهرست : 86 وانظر أيضاً : 178 .

(2) إنباه الرواة : 292 .

الـمـرءُ يُـخْـلَقُ وَحْـدَهُ ويمـوتُ يـومَ يمـوتُ وحـدَهْ
والـنـاسُ بـعـدك إن هـلكـــــتَ فمن رأيتَ النـاسَ بعـده

ـ 314 ـ

الحسن بن الخطير أبو علي الفارسي المعروف بالظهير : كان فقيهاً لغوياً نحوياً ، مات بالقاهرة من الديار المصرية في شهور سنة ثمان وتسعين وخمسمائة ؛ حدثني بجميع ما أورده عنه ها هنا من خبره ووفاته تلميذه الشريف أبو جعفر محمد بن عبد العزيز الادريسي الحسني الصعيدي بالقاهرة في سنة اثنتي عشرة وستمائة قال : كان الظهير يكتب على كتبه في فتاويه « الحسن النعماني » فسألته عن هذه النسبة فقال : أنا نعماني ، أنا من ولد النعمان بن المنذر ، ومولدي بقريةٍ تُعْرَفُ بالنعمانية ، ومنها ارتحلت إلى شيراز فتفقهت بها فقيل لي الفارسي ، وأنتحلُ مذهب النعمان[1] وأنتصر له فيما وافق اجتهادي . وكان عالماً بفنون من العلم : كان قارئاً بالعشر والشواذّ ، عالماً بتفسير القرآن وناسخه ومنسوخه والفقه والخلاف والكلام والمنطق والحساب والهيئة والطب ، مبرزاً في اللغة والنحو والعروض والقوافي ورواية أشعار العرب وأيامها وأخبار الملوك من العرب والعجم ، وكان يحفظ في كلِّ فن من هذه العلوم كتاباً فكان يحفظ في علم التفسير كتاب « لباب التفسير » لتاج القراء ، وفي الفقه كتاب « الوجيز » للغزالي ، وفي فقه أبي حنيفة كتاب « الجامع الصغير » لمحمد بن الحسن الشيباني نظم النسفي ، وفي الكلام كتاب « نهاية الاقدام » للشهرستاني ، وفي اللغة كتاب « الجمهرة » لابن دريد ، كان يسردها كما يسردُ القارىءُ الفاتحةَ . وقال لي : كنت أكتب ألواحاً وأدرسها كما أدرسُ القرآن ، فحفظتها في مدة أربع عشرة

---

314 ـ في أصل م : الحسن بن الظئر ، وغيرته اعتماداً على الوافي 11 : 427 وبغية الوعاة 1 : 502 والجواهر المضية 1 : 191 وتاج التراجم : 17 وحسن المحاضرة 1 : 314 وروضات الجنات 3 : 92 وهو في هذه المصادر : الحسين بن الخطير بن أبي الحسين النعماني ـ أبو علي الظهير (أو الظهيري) .

(1) هو أبو حنيفة النعمان صاحب المذهب .

سنة . وكان يحفظ في النحو « كتاب الإيضاح » لأبي علي ، وعروض الصاحب ابن عباد ، وكان يحفظ في المنطق أرجوزة أبي علي ابن سينا ، وكان قيّماً بمعرفة قانون الطب له ، وكان عارفاً باللغة العبرانية ويناظر أهلها بها ، حتى لقد سمعت بعضَ رؤساء اليهود يقول له : لو حُلِّفْتُ أنَّ سيدنا كان حبراً من أحبار اليهود لحَلَفْتُ فإنه لا يعرف هذه النصوصَ بالعبرانية إلاّ مَنْ تدرَّبَ بهذه اللغة . وكان الغالبَ عليه علمُ الأدب ، حتى لقد رأيتُ الشيخ أبا الفتح عثمان بن عيسى النحوي البلطي ، وهو شيخُ الناس يومئذ بالديار المصرية ، يسأله سؤالَ المستفيدِ عن حروف من حوشيّ[1] اللغة . وسأله يوماً بمحضري عمَّا وقع في ألفاظ العرب على مثال شقحطب فقال : هذا يسمى في كلام العرب المنحوت ، ومعناه أن الكلمة منحوتة من كلمتين كما ينحت النجار خشبتين ويجعلهما واحدة[2] ، فشقحطب منحوت من شق وحطب ، فسأله البلطي أن يثبتَ له ما وقع من هذا المثال إليه ليعوّل في معرفتها عليه فأملاها عليه في نحو عشرين ورقة من حفظه ، وسماها « كتاب تنبيه البارعين على المنحوت من كلام العرب » .
قال : ورأيت السعيد أبا القاسم هبة اللّه بن الرشيد جعفر بن سناء الملك يسأله على وجه الامتحان عن كلماتٍ من غريب كلام العرب وهو يجيب عنها بشواردها ، وكان القاضي الفاضل عبد الرحيم بن البيساني قد وضعه على ذلك .

قال : وحدثني عن نفسه قال : لما دخلتُ خوزستان لقيتُ بها المجير البغدادي تلميذ الشهرستاني ، وكان مبرزاً في علوم النظر ، فأحبَّ صاحبُ خوزستان أن يجمع بيننا للمناظرة في مجلسه ، وبلغني ذلك فأشفقتُ من الانقطاع لمعرفتي بوفور بضاعة المجير من علم الكلام ، وعرفتُ أنّ بضاعته من اللغة نزرة ، فلما جلسنا للمناظرة والمجلسُ غاصٌّ بالعلماء فقلتُ له بِعُرْضِ الكلام : إذا اشرأبت الطلّة إلى قرينها فأرَّها في وَبْصانَ أو الجماد إذاً تأشَّبَ في المغث[3] ، فاحتاج إلى أن يستفسر ما قلتُ ، فشنَّعْتُ عليه وقلت : انظر إلى المدَّعي رتبةَ الإمامة يجهل لغةَ العرب التي بها نزل كلامُ

---

(1) م والوافي : حواشي .
(2) م : واحداً .
(3) هذه العبارة قد تعمد فيها قائلها غريب اللغة ، سواء قصد إلى معنى أو لم يقصد وهي محرفة كثيراً في م ، وضبطتها قدر المستطاع ؛ اشرأبت : طمحت ، الطلة : الزوجة ، وقرينها زوجها ، فأرَّها أي نكحها في وبصان ـ شهر ربيع الآخر ـ أو الجماد (أحد الجماديين) ، فهذا يورطه في المغث (وهو الشرّ) .

ربِّ العالمين وجاء حديث سيد المرسلين ، والمناظرة إنما اشتقّت من النظير ، وليس هذا بنظيري لجهله بأحد العلوم التي يلزم المجتهدَ القيامُ بها ، وكثر لغط أهل المجلس وانقسموا فريقين : فرقة لي وفرقة عليّ ، وانفكَّ المجلس على ذلك وشاع في الناس أني قطعته .

وكان الظهير قد أقام بالقدس مدة ، فاجتاز به الملكُ العزيز عثمان بن صلاح الدين يوسف فرآه عند الصخرة يدرس ، فسأل عنه فعُرِّفَ منزلته من العلم ، فأحضره عنده ورغَّبه في المصير معه ليقمعَ به شهابَ الدين أبا الفتح الطوسي لشيء نقمه عليه ، فورد معه إلى القاهرة ، وأجرى عليه كلَّ شهرٍ ستين ديناراً ومائةَ رطلٍ خبزاً وخروفاً وشمعة كلَّ يوم ، ومال إليه الناس من الجند وغيرهم من العلماء ، وصار له سوقٌ قائم إلى أن قرَّرَ العزيزُ المناظرةَ بينه وبين الطوسي في غدِ عيد ، وعزم الظهيرُ أنْ يسلكَ مع الطوسيّ وقتَ المناظرة طريقَ المجير من المغالطة ، لأن الطوسيَّ كان قليلَ المحفوظ إلا أنه كان جريئاً مقداماً شديد العارضة ، واتفق أنْ ركب العزيزُ يومَ العيد ، وركب معه الظهير والطوسي ، فقال الظهير للعزيز ، في أثناء الكلام : أنت يا مولانا من أهل الجنة ، فوجد الطوسيُّ السبيلَ إلى مقتله فقال : وما يدريك أنه من أهل الجنة ؟ وكيف تزكّي على اللّه تعالى ؟ فقال له الظهير : قد زكّى رسولُ اللّه ﷺ أصحابه فقال : أبوبكر في الجنة ، وعمر في الجنة ، فقال له : أبيتَ يا مسكين إلا جهلاً ، ما تفرِّقُ بين التزكية عن اللّه والتزكية على اللّه ، وأنت من أخبرك أن هذا من أهل الجنة ؟ ما أنت إلّا كما زعموا أنّ فأرة وقعتْ في دنٍّ خمرٍ فشربتْ فسكرتْ ، فقالت : أين القطاط ؟ فلاح لها هرّ فقالت : لا تؤاخذِ السكارى بما يقولون . وأنت شربتَ من خمر دنِّ نعمةِ هذا الملك ، فسكرت فصرتَ تقولُ خالياً : أين العلماء ؟ فأبلس [الظهير] ولم يحر جواباً ، وانصرف وقد انكسرت حرمته عند العزيز ، وشاعت هذه الحكايةُ بين العوامِّ وصارت تُحْكَى في الأسواق والمحافل ، فكان مآل أمره أن انضوى إلى المدرسة التي أنشأها الأمير تركون الأسدي يدرِّس بها مذهب أبي حنيفة إلى أن مات، وكان قد أملى كتاباً في تفسير القرآن وصل منه بعد سنين إلى تفسير قوله تعالى : ﴿ **تِلْكَ ٱلرُّسُل فَضَّلنا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ** ﴾ (البقرة: 253) في نحو مائتي ورقة، ومات ولم يختم تفسيرَ سورة البقرة .

وله كتاب في شرح الصحيحين على ترتيب الحميدي سمّاه « كتاب الحجة » اختصره من كتاب « الإفصاح في تفسير الصحاح » للوزير ابن هبيرة وزاد عليه أشياء وقع اختياره عليها . وكتاب في اختلاف الصحابة والتابعين وفقهاء الأمصار[1] ولم يتم . وله خُطَبٌ وفصولٌ وعظيّة مشحونة بغريب اللغة وحوشيّها .

ـ 315 ـ

الحسن بن داود الرقي أبو علي : لا أعرف من أمره إلا ما وجدته بخط أبي الحسن علي بن عبيد الله السمسمي اللغوي ، حدثنا النيسابوري قال ، حدثنا أبو الحسن محمد بن يوسف الناقط قال حدثنا القاضي أبو بكر أحمد بن كامل ابن خلف بن شجرة قال ، قال لي أبو أحمد محمد بن موسى البردي : سمعتُ من الحسن بن داود أبي علي الرقي بسرّ من رأى سنة ثمان وثلاثين ومائتين كتابه الذي يسميه « كتاب الحلي » وكان وقت كتبنا عنه قد جاز الثمانين ، وأخرج إليَّ أبو أحمد الكتاب فإذا هو الكتاب الذي سماه أحمد بن يحيى « فصيح الكلام» . قال أبو الحسن الناقط ، قال ابن كامل : وكان الحسن بن داود مؤدّب عبيد الله بن سليمان بن وهب وزير المعتضد .

ـ 316 ـ

الحسن بن داود بن الحسن القرشي المعروف بالنقاد المقرىء ، يكنى أبا علي : أمويّ كوفي ، قرأ على أبي محمد القاسم بن أحمد المعروف بالخياط التميمي المعروف بابن القملي أيضاً ، عن أبي جعفر محمد بن حبيب الشموني

315 ـ ترجمته في الوافي 12 : 5 .

316 ـ الفهرست : 36 والوافي 12 : 5 وبغية الوعاة 1 : 503 وطبقات ابن الجزري 1 : 212 ويتصحف اسمه فيصبح : النقار أو البقار أو النقاد ـ والصيغة الأخيرة بضبط الصفدي .

(1) م : الأنصار .

الكوفي ، عن أبي يوسف يعقوب بن خليفة الأعشى ، عن أبي بكر ابن عياش عن عاصم قراءة عاصم ، ومات بالكوفة سنة اثنتين وخمسين وثلاثمائة وصنف كتباً منها كتاب قراءة الأعشى . كتاب اللغة في مخارج الحروف وأصول النحو .

ذكر الحافظ أبو العلاء الهمذاني في « كتاب القراءات العشر » له في نسب النقاد : الحسن بن داود بن الحسن بن عون بن منذر بن صبيح القرشي النحوي ، وكان موصوفاً بحسن القراءة وطيب النغم جداً .

وقال ابن النجار في « تاريخ الكوفة » : ومن تأريخ رجال عاصم : محمد بن غالب الصيرفي ، وبينه وبين القملي اختلافات في حروف يسيرة ، وقرأ عليه جماعة من أهل الكوفة ، فمنهم أبو علي الحسن بن داود النقاد ، وكان حاذقاً بالنحو لفاظاً بالقرآن صاحب ألحان ، وكان يصلّي بالناس تراويح بالجامع بالكوفة ، وصلى فيه ثلاثاً وأربعين سنة ، وكان أحدَ المجوّدين .

ـ 317 ـ

الحسن بن رشيق القيرواني مولى الأزد : كان شاعراً أديباً نحوياً لغوياً حاذقاً عروضياً كثير التصنيف حسن التأليف ، وكان بينه وبين ابن شرف الأديب مناقضات ومحاقدات ، وصنَّفَ في الردّ عليه عدة تصانيف .

كان أبوه رشيق رومياً ـ ذكر ذلك هو في الردّ على ابن شرف بعد ذكره نسب ابن شرف : هو اسم امرأةٍ نائحة ، ثم قال : وأما أنا فنظر الله في وجهة هذا الشيخ إليّ ، وأتمَّ به النعمةَ عليّ ، فما أبغي به أباً ، ولا أرضى بمذهبه مذهباً ، رضيتُ به رومياً لا دعيّاً ولا بِدْعيّاً .

---

317 ـ ترجمة ابن رشيق في الخريدة 2 : 230 والمطرب : 58 وإنباه الرواة 1 : 298 والذخيرة 4 : 597 وابن خلكان 2 : 85 ومسالك الأبصار 11 : 227 وأنموذج الزمان : 439 والوافي 12 : 11 وبغية الوعاة 1 : 504 والشذرات 3 : 297 ومرآة الجنان 3 : 78 والبلغة : 58 وروضات الجنات 3 : 68 والحلل السندسية 1 : 278 وإشارة التعيين : 89 وعنوان الأريب 1 : 52 وللأستاذ حسن حسني عبد الوهاب كتاب البسيط في تاريخ القيروان وشاعرها ابن رشيق وقد جمع الميمني شعره في « النتف من شعر ابن رشيق وابن شرف » ثم جمع شعره صديقنا الدكتور عبد الرحمن ياغي ، وكلا الجمعين قد أخلّ بأشعار كثيرة له ، وبخاصة ما أورده ابن بسام في الذخيرة وما أورده عياض في ترتيب المدارك .

تأدب ابن رشيق على أبي عبد الله ابن جعفر القزاز القيرواني النحوي اللغوي وغيره من أهل القيروان ، ومات بالقيروان سنة ست وخمسين وأربعمائة عن ست وستين سنة ، ذكر ابن رشيقٍ هذا نَفْسَهُ في كتابه الذي صنفه في شعراء عصره ووسمه بـ « الأنموذج » فقال في آخره : صاحبُ الكتاب هو حسن بن رشيق ، مولى من موالي الأزد ، ولد بالمحمدية سنة تسعين وثلاثمائة ، وتأدّب بها يسيراً وقدم إلى الحضرة سنة ست وأربعمائة ، وامتدح سيدنا خلّد اللّه دولته (قال المؤلف : يعني المعز بن باديس بن المنصور) سنة عشر بقصيدة أوّلها[1] :

دُمِّتْ لعينك أعينُ الغزلانِ ... قمرٌ أقرَّ لحسنه القمرانِ
ومشتْ ولا واللّه ما حِقْفُ النقا ... مما أَرَتْكَ ولا قضيبُ البان
وثنُ الملاحةِ غيرَ أنَّ ديانتي ... تأبى عليَّ عبادةَ الأوثان

منها :

يا ابنَ الأعزّةِ من أكابرِ حميرٍ ... وسلالةِ الأملاكِ من قحطان
من كلِّ أبلجَ واضحٍ بِلسانِهِ ... يضعُ السيوفَ مواضع التيجان

قال : ومن مِدَح القصيدة التي دخل بها في جملته ، ونسب إلى خدمته فلزم الديوان ، وأخذ الصلة والحملان[2] :

لدن الرماحِ لما تُسْقَى أسنّتُها ... من مهجة القَيْلِ أو من ثُغْرَةِ البطلِ
لو أثمرتْ من دمِ الأعداء سُمْرُ قناً ... لأورقتْ عنده سمرُ القنا الذبلِ
إذا توجَّهَ في أولى كتائِبِه ... لم تفرقِ العينُ بين السهل والجبلِ
فالجيشُ ينفض حوليه أسنته ... نفضَ العقاب جناحيها من البللِ
يأتي الأمورَ على رفقٍ وفي دعةٍ ... عجلانَ كالفلكِ الدوار في مَهَلِ

قال : ومن رثائه [3] :

(1) الديوان : 202 وإنباه الرواة 1 : 299 .
(2) الديوان : 152 وإنباه الرواة 1 : 300 والمطرب : 40 .
(3) الديوان : 106 وإنباه الرواة 1 : 301 .

أما لئن صحَّ ما جاء البريدُ به ليكثرنّ من الباكين أشياعي
ما زلتُ أفزعُ من يأسٍ الى طمع حتى ترفَّعَ يأسي فوق أطماعي
فاليوم أُنْفِقَ كنزَ العمرِ أجمعَهُ لمَّا مضى واحدُ الدنيا باجماع

قال : ومن هجائه[1] :

قالوا رأينا فراتاً ليس يوجعه ما يوجعُ الناسَ من هجوٍ إذا قُذِفَا

وله من كتاب « سر السرور »[2] :

معتقةٌ يعلو الحبابُ متونَها فتحسبه فيها نثيرَ جُمانِ
رأتْ من لجينٍ راحةً لمديرها فطافتْ له من عسجدٍ ببنانِ

ومن غير كتابه ، له[3] :

ومن حسناتِ الدهرِ عندِيَ ليلةٌ من العمر لم تتركْ لأيامها ذنبا
خلونا بها ننفي القذى عن عيوننا بلؤلؤةٍ مملوءةٍ ذهباً سَكْبا

قال الأبيوردي : هذا أحسنُ من قول ابن المعتز :

كم من عناقٍ لنا ومن قُبَلٍ مختَلساتٍ حذارَ مرتقبِ
نقرَ العصافيرِ وهي خائفةٌ من النواطيرِ يانعَ الرُّطَبِ

وله أيضاً[4] :

قد أحكمت[5] مني التجار بُ كلَّ شيءٍ غيرَ جودي
أبداً أقول لئن كسبـ ـتُ لأقبضنَّ يدَيْ شديدِ
حتى إذا أثريتُ عد تُ إلى السماحة من جديدِ
إنَّ المقامَ بمثل حا لي لا يتمُّ مع القعودِ
لا بد لي من رحلة تدني من الأمل البعيدِ

(1) الديوان : 117 وإنباه الرواة 1 : 301 .
(2) الديوان : 213 .
(3) الديوان : 32 والمطرب : 41 .
(4) الديوان : 63 .
(5) م : حملت .

وله أيضاً[1] :

في الناس من لا يُرْتَجَى نفعُهُ إلا إذا مُس بـاضـرارِ
كـالعـودِ لا يُـطْمَـعُ في طيبـه إن أنت لم تَمْسَسْـهُ بـالنـارِ

ومما أورده ابن رشيق لنفسه في « الأنموذج »[2] :

أقـول كـالمـأسـورِ في ليلةٍ ألقتْ على الآفـاق كلكـالَهـا
يـا ليلةَ الهجـر التي ليتـهـا قَـطَّعَ سَيْفُ الهجـرِ أوصـالهـا
ما أحسنت جُمْلٌ ولا أَجْمَلَتْ هـذا وليس الحسنُ إلا لهـا

وأنشد لنفسه أيضاً[3] :

أحبُّ أخي وإن أعـرضتُ عنـه وقـلَّ على مسـامعـه كـلامي
ولي في وجهـه تقـطيبُ راضٍ كمـا قـطَّبْتَ في وجـه المـدامِ
وربّ تـجهـمٍ من غيـر بـغض وضغنٍ كـامنٍ تحـت ابتسـامِ

وله أيضاً[4] :

من جفـاني فـإنني غيـرُ جـافِ صـلةٌ أو قـطيعـةٌ فـي عـفـاف
ربمـا هـاجَـرَ الفتى من يصـافيـه ولاقى بـالبشرِ من لا يصـافي

وأنشد لنفسه في كتاب « فسح اللمح »[5] :

المـرءُ في فسحـةٍ كمـا علمـوا حتى يُـرَى شعـرُهُ وتـأليـفُـهْ
فـواحـدٌ منهمـا صفـحتُ لـه عنـه وجـازتْ لـه زخـاريفُـهْ
وآخـر أنـت[6] منـه فـي غـررٍ إنْ لم يـوافقْ رضـاك تـثقيفُـهْ
وقـد بعثنـا كيسين ملؤهـمـا نقـدُ امرىءٍ حـاذقٍ وتـزييفُـهْ

(1) الديوان : 78 وبغية الوعاة : ونكت الهميان : 227 .
(2) الديوان : 151 والوافي 8 : 399 .
(3) الديوان : 171 والغيث 1 : 407 وابن خلكان .
(4) الديوان : 118 والغيث 1 : 409 .
(5) الديوان : 115 (عن معجم الأدباء) .
(6) م : تجري .

فانظر وما زلتَ أهلَ معرفة　　يا مَنْ لنا علمه ومعروفُهْ

ثم قال في ورقة أخرى : تمام الأبيات العينية[1] (وما وجدتها ، أعني الأبيات التي هذه تمامها) :

ولو غيرك الموسوم عندي برتبةٍ　　لأعطيتُ فيه مدعي القوم ما ادَّعى
فلا تتخالجكَ الظنونُ فإنها　　مآثمُ واترك للصنائع موضعا
فوالله ما طوَّلتُ باللوم فيكمُ　　لساناً ولا عرَّضْتُ للذمّ مسمعا
ولا ملتُ عنكم بالودادِ ولا انطوتْ　　حبالي ولا ولَّى ثنائي مودّعا
بلى ربما أكرمتُ نفسي فلم تهنْ　　وأجللتها عن أن تذلَّ وتخضعا
فباينتُ لا أنَّ العداوةَ باينت　　وقاطعتُ لا أنَّ الوفاءَ تقطعا

وختم كتاب « العمدة » بهذه الأبيات[2] :

إن الذي صاغت يدي وفمي　　وجرى لساني فيه أو قلمي
مما عنيتُ بسبكِ خالصه　　واخترته من جوهرِ الكلم
لم أُهْدِهِ إلا لتكسوَهُ　　ذِكْراً يجدده على القدم
لسنا نزيدك فضلَ معرفةٍ　　لكنهنَّ مصايدُ الكرم
فاقبل هديةَ من أشَدْتَ به　　ونسختَ عنه آيةَ العدم
لا تحسنُ الدنيا أبا حَسَنٍ[3]　　تأتي بمثلك فائق الهمم

(1) الديوان : 101 وصرح ابن خلكان بأنه لم يجدها في ديوان ابن رشيق .
(2) العمدة 2 : 298 (2 : 1091 تحقيق قرقزان) والديوان : 173 .
(3) أبو حسن هو علي بن أبي الرجال الذي ألف ابن رشيق له كتاب العمدة .

ـ 318 ـ

الحسن بن شهاب بن الحسن بن علي بن شهاب أبو علي العكبري : قال الخطيب : ولد بعكبرا في سنة خمس وثلاثين وثلاثمائة ، ومات في سنة ثمان وعشرين وأربعمائة ، وسمع الحديثَ على كبر السنِّ من أبي علي ابن الصوّاف وابن مالك القَطيعيّ وغيرهما . وكان فاضلاً يتفقَّهُ على مذهب أحمد بن حنبل.

حدث قال : كسبتُ بالوراقة خمسةً وعشرين ألف درهم ، قال : وكنتُ أشتري كاغداً بخمسة دراهم ، فأكتب فيه ديوانَ المتنبي في ثلاث ليال وأبيعه بمائتي درهم وأقله بمائة وخمسين درهماً ، وكذلك كتب الأدب المطلوبة .

وأخذ السلطان من تركة ابن شهاب ألف دينار سوى ما خلَّفه من العقار والمتجر ، وكان قد أوصى بثلث ماله للمتفقهةِ الحنابلةِ فلم يُعْطَوْا شيئاً .

ـ 319 ـ

الحسن بن أبي الحسن صافي أبو نزار النحوي : وكان أبوه صافي مولى الحسين الأرموي[1] التاجر ، وكان لا يذكر اسم أبيه إلا بكنيته لئلا يعرف أنه مولى ، وهو المعروف بملك النحاة . قال أبو القاسم علي بن عساكر الحافظ[2] : ذكر لي أنه

---

318 ـ ترجمة أبي علي العكبري في تاريخ بغداد 7: 329 وطبقات الحنابلة: 370 والمنتظم 8: 92 والوافي 12: 55 والشذرات 3: 241 ، وهذه الترجمة من ر .

319 ـ ترجمة ملك النحاة سقطت في مصورة ابن عساكر وهي في تهذيبه 4: 169 والخريدة (قسم العراق) 3/1 : 89 وإنباه الرواة 1: 305 وبغية الطلب 4: 229 ومرآة الزمان: 295 وابن الدبيثي :281 وابن خلكان 2: 92 وعبر الذهبي 4: 204 وسير الذهبي 20: 512 وطبقات السبكي 7: 63 وطبقات الاسنوي 2: 496 والوافي 12: 56 والنجوم الزاهرة 6: 68 والبداية والنهاية 12: 272 والبلغة: 59 والشذرات 4: 227 وبغية الوعاة 1: 504 واشارة التعيين: 91 وروضات الجنات 3: 85 (ويعتمد ياقوت أيضاً على ابن عساكر والعماد) وللدكتور حنا حداد دراسة عنه (الأردن : 1982) بعنوان « ملك النحاة » .

(1) بغية الطلب : حسين بن الأرموي .

(2) تهذيب ابن عساكر 4: 169 ونقله أيضاً في إنباه الرواة: 308 وبغية الطلب 4: 230 .

ولد ببغداد سنة تسع وثمانين وأربعمائة في الجانب الغربي بشارع دار الرقيق، ثم انتقل الى الجانب الشرقي الى جوار حرم الخلافة ، وهناك قرأ العلم وتخرج ، وسمع الحديثَ من الشريف أبي طالب الزينبي ، وقرأ الفقه على أحمد [الأشنهي] ، وأصول الفقه على أبي الفتح ابن برهان[1] ، والخلاف على أسعد الميهني[2] ، والنحو على أبي الحسن علي بن أبي زيد الأسترابادي الفصيحي ، وفتح له الجامع ودرّس ، ثم سافر إلى بلاد خراسان وكرمان وغزنة ، ودخل إلى الشام وقدم دمشق ، ثم خرج منها وعاد إليها واستوطنها إلى أن مات بها في تاسع شوال سنة ثمان وستين وخمسمائة ، ودفن بمقبرة الباب الصغير ، وكان قد ناهز الثمانين . كان صحيح الاعتقاد كريم النفس ، ذكر لي أسماء مصنفاته : كتاب الحاوي في النحو مجلدتان : كتاب العمد في النحو مجلدة ، وهو كتاب نفيس . كتاب المقتصد في التصريف مجلدة ضخمة . كتاب أسلوب الحق في تعليل القراءات العشر وشيء من الشواذ مجلدتان . كتاب التذكرة السفرية ، انتهت إلى أربعمائة كراسة . كتاب العروض ، مختصر محرر . كتاب في الفقه على مذهب الشافعي سماه « الحاكم » مجلدتان . كتاب مختصر في أصول الفقه . كتاب مختصر في أصول الدين . كتاب ديوان شعره . كتاب المقامات حذا حذوَ الحريري .

ومن شعره يمدح النبي ﷺ[3] :

يا قاصداً يثربَ الفيحاءَ مرتجياً ... أن يستجيرَ بعليا خاتمِ الرسُلِ
خذْ عن أخيك مقالاً إن صَدَعْتَ به ... مُدِحْتَ في آخر الأعصارِ والأولِ
قل يا مَن الفخرُ موقوفٌ عليه فإن ... تذوكر الفخرُ لم يصدُفْ ولم يَمِلِ
صيتٌ إذا طُلِبَتْ غاياتُهُ خَرَقَتْ ... سبعاً طباقاً فبذَّتْ كلَّ ذي أملِ
علوت وازددت حتى عاد مبتذخاً ... جبريل عمّا له قد كان لم يطلِ

(1) هو أحمد بن علي بن برهان .
(2) هو أسعد بن محمد بن أبي نصر الميهني ، توفي بعد سنة 520 (انظر طبقات الشافعية) .
(3) ابن عساكر : 170 وبغية الطلب 4 : 230 .

وعدتَ والكبرُ قد نافَى عُـلاكَ فما ... عدوتَ شيمةَ سَبْطِ الخُلْقِ مبتهـلِ
أتتـك غُرٌّ قـوافي المدح خـاضعـةً ... لـديـك فـاقبـلْ ثنـاءً غيـرَ منتحـلِ
ثنـاءَ من لـم يجـدْ وجنـاءَ تحمله ... إليـك أو صدّ بـالاقتار عن جمـلِ

ومن شعره أيضاً[1] :

حنانيك إن راعتك[2] يوماً خصائصي ... وهـالـك أصنـافُ الكـلام المسخَّـرِ
فسلْ منصفاً عن قالتي[3] غيرَ جائرٍ ... يُـخَبِّـرْك أنَّ الـفضـلَ لـلمتـأخّـر

وقال أحمد بن منير[4] يهجو ملك النحاة وكان قد كتب أبو نزار إلى بعض القضاة « القاضويّ »[5] :

أيـا ملك النحـوِ والحـاء من ... تهجّيه من تحتُ قد أعجموها
أتـانـا قيـاسُـكَ هـذا الـذي ... يعجم أشيـاء قـد أعـربـوهـا
ولما تصنَّعْتَ[6] في القاضويّ ... غدا وجهُ جهلك[7] فيه وجوها
وقالوا: قفا الشيخ ، إنَّ ٱلْمُلُوكَ ... إِذَا دَخَلُوا قَـرْيَـةً أَفْسَـدُوهـا

فبلغت أبياته ملك النحاة فأجابه بأبيات منها :

أيـا ابنَ منيـرٍ حسبتَ الهجـاءَ ... رتبـةَ فخـرٍ فبـالغتَ فيـهـا
جمعتَ القـوافـيَ من ذا وذا ... وأفسدتَ أشياء قد أصلحوها[8]

وفي آخرها :

فقـالوا قفـا الشيخ إنَّ ٱلْمُلُوكَ ... إِذَا أَخْـطَأَتْ سُـوقَـةٌ أَدَّبُـوهَـا

---

(1) الخريدة (قسم العراق 3/1 : 130) .
(2) الإنبـاه : جاءتك . ر : جادتك (والتصويب عن الخريدة) .
(3) م : حالتي .
(4) أحمد بن منير الطرابلسي أحد شعراء الخريدة (قسم الشام) توفي سنة 548 .
(5) م : العاصوي ، والأبيات وجواب ملك النحاة في الخريدة: 136 .
(6) الخريدة : تصفعنت .
(7) م : وجهك .
(8) الخريدة : وأصبحت متحلاً تدعيها .

قال البلطي : كان ملك النحاة قدم إلى الشام فهجاه ثلاثة من الشعراء ابن منير والقيسراني والشريف الواسطي ، واستخف به ابن الصوفي ولم يوفه قدر مدحه ، فعاد إلى الموصل ومدح جمال الدين وجماعةً من رؤسائها وقضاتها ، فلما نبت به الموصل قيل له : لو رجعت إلى الشام ، فقال : لا أرجع إلى الشام إلا أن يموتَ ابن الصوفي وابن منير والقيسراني والشريف الواسطي ، فقتل الشريف الواسطي ومات ابن منير والقيسراني في مدة سنة ، ومات الصوفي بعدهم بأشهر .

وحدثني شيخنا أبو البقاء يعيش بن علي بن يعيش النحوي قال : بلغني أنه كان لملك النحاة غلام ، وكان سيّء العشرة قليلَ المبالاةِ بمولاه ملك النحاة ، فأرسله يوماً في شغل ليتعجل في إنجازه ، فأبطأ فيه غاية الإبطاء ، ثم جاء بعذرٍ غير جميل ، وكان يحضر ملكَ النحاة جماعةٌ من أصدقائه والتلامذة ، فغضب ملك النحاة وخرج عن حدّ الوقار الذي كان يلتزمه ويتوخّاه وقال له : ويلك أخبرني ما سبب قلةِ مبالاتك بي واطّراحك لقبولِ أوامري ؟ أنكتك قط ؟ فبادر الغلام وقال : لا واللّه يا مولاي معاذَ اللّه أن تفعل ذلك بي فإنك أجلُّ من ذلك ، قال : ويلك فنكتني قط ؟ فحرك الغلام رأسه متعجباً من كلامه وسكت ، فقال له : ويلك أدركني بالجواب ، هذا موضع السكوت لا رعاك اللّه يا ابن الفاعلة ؟ عجّل قلْ ما عندك قل ، فقال : لا واللّه ، قال : فما السبب في أنك لا تقبل قولي ولا تسرع في حاجتي ؟ فقال له : إن كان سبب الانبساط لا يكونُ إلا هذين فسأعدك ولا أعود إلى ما تكره إن شاء اللّه .

قال العماد[1] : أقام ملك النحاة بالشام في رعاية نور الدين محمود بن زنكي ، وكان مطبوعاً متناسبَ الأحوال والأفعال ، يحكم على أهل التمييز بحكم مُلْكِهِ فَيُقْبَلُ ولا يُسْتَقل [2] . وكان يقول : هل سيبويه إلا من رعيتي ؟ ولو عاش ابن جني لم يسعه إلا حَمْلَ غاشيتي ، مرَّ الشيمة حلو الشتيمة ، يضم يده على المائة والمائتين ، ويمشي وهو منها صفر اليدين ، مولعٌ باستعمال الحلاوات السكرية وإهدائها إلى جيرانه وإخوانه ، مغرىً بإحسانه إلى خلصانه وخلانه .

(1) الخريدة : 90 ـ 92 وانظر الإنباه : 309 .

(2) يرى الأستاذ النشاشيبي أن الصواب هنا : فيَقتال ولا يُقتال أي يحكم على غيره ولا يحكم غيره عليه ؛ وما في الخريدة يوافق القراءة التي أثبتها .

قال العماد : أذكره وقد وصلتْ إليه خلعةٌ مصرية وجائزة سنية ، فأخرج القميصَ الدبيقيَّ إلى السوق فبلغ دون عشرة دنانير ، فقال : قولوا هذا قميصُ ملكٍ كبيرٍ أهداه إلى ملك كبير ليعرف الناس قدره فَيَحلُّوا عليه البِدَرَ على البـدار ، وليُجِلُّوا قَدْرَه في الأقدار، ثم قال: أنا أحق به إذا جهلوا حقه ، وتنكبوا فيه سبل الواجب وطرْقه .

ومن طريف ما يحكى عن ملك النحاة أن نور الدين محموداً خلع عليه خلعة سنية ونزل ليمضي إلى منزله ، فرأى في طريقه حلقة عظيمة ، فمال إليها لينظر ما هي ، فوجد رجلاً قد علَّم تيساً له استخراجَ الخبايا ، وتعريفه من يقول له من غير إشارة ، فلما وقف عليه ملك النحاة قال الرجل لذلك التيس : في حلقتي رجلٌ عظيم القدر ، شائعُ الذكر ، ملكٌ في زي سوقة ، أعلم الناس وأكرم الناس وأجمل[1] الناس ، فأرني إياه ، فشقَّ ذلك التيس الحلقةَ وخرج حتى وضع يده على ملك النحاة ، فلم يتمالك ملك النحاة أن خلع تلك الخلعة ووهبها لصاحب التيس ، فبلغ ذلك نور الدين فعاتبه وقال : استخففتَ بخلعتنا حتى وهبتها منْ طُرْقِيّ ؟! فقال : يا مولانا عذري في ذلك واضح لأنَّ في هذه المدينة زيادةً على مائة ألف تيس ، مـا فيهم من عرف قـدري إلا هذا التيس ، فجازيته على ذلك ، فضحك منه نور الدين وسكت .

وحكيَ عنه أنه كان يستخفُّ بالعلماء ، فكان إذا ذكر واحد منهم يقول : هو كلب من الكلاب ، فقال رجل يوماً : فلستَ إذاً ملكَ النحاة ، إنما أنت ملكُ الكلاب ، فاستشاط غضباً وقال : أخرجوا عني هذا الفضولي .

وقال السمعاني : دخل أبو نزار بلاد غزنة وكرمان ، ولقي الأكابر وتلقي مورده بالإكرام ، ولم يدخل بلاد خراسان ، وانصرف إلى كرمان وخرج منها إلى الشـام . قال : وقرأت فيما كتبته بواسط ولا أدري عمن سمعته لأبي نزار النحوي[2] :

أراجـعٌ لي عيشيَ الفـارطُ ... أم هـو عني نـازحٌ شـاحطُ
ألا وهـل تسـعفـني أوبـةٌ ... يسمو بها نجمُ المنى الهـابطُ
أرفـلُ في مرطِ ارتيـاحٍ وهـل ... يـطرق سمعي: هـذه واسطُ

---

(1) ر : وأحمد .
(2) الإنباء : 306 ـ 307 والخريدة : 105 .

يـا زمني عُـدْ لي فقـد رُعْتَني ... حتى عـراني شيبيَ الـواخطُ
كم أقـطعُ البيـداءَ في لـيلةٍ ... يقبضُ ظلّي خـوفُهـا الباسطُ
أأرقبُ الـراحـةَ أم لا وهـل ... يعـدلُ يـومـاً دهـريَ القـاسط
أيـا ذوي ودّي[1] أمـا اشتقتمُ ... إلـى إمـامٍ جـأشُـهُ رابط
وهـل عهـودي عنـدكم غضـةٌ ... أم أنـا فـي ظنـي إذاً غـالطُ
لـتهـنكـم مـا عشـتـمُ واسطُ ... إني لكم يـا سادتي غـابط

وأنشد له[2] :

الخيش والبَـرْمُ الكبيـرُ ... منـظومُ ذلـك والنثيـرُ[3]
ودخـانُ عـودِ الهنـدِ والـ ... ـشمـعُ المكفَّرُ[4] والعبيـرُ
ورشـاشُ مـاءِ الـورد قـد ... عَـرُفَتْ[5] به تلك النحـور
ومثـالث العيـدان يُسـ ... ـعـد جسَّهـا[6] بمٌّ وزيـر
وتخـافقُ النـايـاتِ يخـ ... ـفق[7] بينها الطبلُ القصير
والشـربُ بـالقـدح الصغـ ... ـير يحثّه القـدحُ الكبيـرُ
أحـظى لـديَّ[8] من الأبـا ... عـرِ والحـداةُ بهـا تسير
لـلعبـدِ أن يـلتـذَّ فـي ... دنـيـاه والـلّه الـغـفـور

---

(1) الخريدة : ذوي الودّ .

(2) الخريدة : 106 والإنباه : 307 .

(3) الخيش : كذا في أصل الخريدة ، وغيره المحقق إلى الحش بمعنى البستان ؛ والخيش كانوا يستعملونه في التبريد برشه بالماء ، وهذا يقتضي أن تكون البرم ـ بسكون الراء ـ بمعنى صهريج يجتمع فيه ماء المطر (وهي لفظة فارسية) ؛ وفي م : الكثير ؛ والمنظوم هو الماء المجتمع في الصهريج ، والنثير هو قطرات الماء حين يرش على الخيش لترويح الناس في الصيف ؛ وهذا متسق مع ما سيعدّده الشاعر من لذات يحبها .

(4) المكفر : المخلوط بالكافور .

(5) عرفت : زكا عرفها .

(6) م : جسمها ؛ الإنباه : حسنها .

(7) م : يغلق ؛ الخريدة : يقلق ، وأثبت ما في ر .

(8) ر : إلي .

ومن شعره أيضاً[1] :

يـا ابن الذين تـرفعوا في مجـدهم   وعلت أخـامِصُهُمْ فـروعَ شمـامِ
أنـا عـالم ملِك بكسـر الـلام فيـــمـا أدعيـه لا بـفـتـح الـلامِ

أنشدني عفيف الدين أبو عبد اللّه محمد بن أبي الفضل أحمد بن عبد الوهاب بن الزاكي بن أبي الفوارس السلمي الحراني المعروف بـابن الصيرفي الـدمشقي قال : أنشدني فتيان بن علي بن فتيان الأسدي النحوي في ملك النحاة ، وكانت قد عَضَّتْ يدَ ملكِ النحاة سِنَّوْرٌ فربطها بمنديل عظيم :

عتبت على قطِّ مَلْكِ النحـاةِ   وقلتُ أتيتَ بغيـر الصـوابِ
عضضتَ يـداً خُلِقَتْ للنـدى   وبثِّ العلوم وَضَـرْبِ الرقـابِ
فـأعـرض عني وقـال اتئـدْ   أليس القطاطُ أعادي الكلابِ

قال : فبلغته الأبيات فغضب منها إلا أنه لم يدر من قائلها ، ثم بلغه أنني قلتها فبلغني ذلك ، فانقطعتُ عنه حياء مدة ، فكتبتُ إليه شعراً أعتذر إليه ، فكتب إليّ :

يـا خـليليَّ نـلتمـا الـنعـمـاءَ   وتـسنَّمتـمـا الـعُلا والـعـلاءَ
ألمما بالشـاغورِ والمسجـدِ المعـــمـورِ واستمـطرا بـه الأنـواءَ
وامنحـا صاحبي الـذي كان فيـه   كـلَّ يـومٍ تـحـيـةً وثـنـاءَ
ثم قـولا لـه اعتبـرنـا الـذي فُهْـــتَ بـه مـادحـاً فكـان سمـاءَ
وقـبلنـا فـيـه اعتـذارك عـمَّـا   قـالـه الجـاهلون عنـكَ افتـراءَ

الشاغور : محلة بدمشق بالباب الصغير.

وقال فتيان بن علي بن فتيان الأسدي المعلم الدمشقي : رأيت أبا نزار في النوم بعد موته فقلت له : ما فعل اللّه بك ؟ فقال : أنشدته قصيدة [ما] في الجنة مثلها فتعلق بحفظي منها أبيات وهي :

يـا هذه أقصـري عن العَـذَلِ   فلستِ في الحِلِّ ويلكِ من قبلي

(1) الخريدة : 114 (كتبه إلى الصدر ببعض بلاد خراسان حين وصل إليها) .

يـا ربِّ ها قـد أتيتُ معترفـاً ... بمـا جَنَتْهُ يـدايَ من زلـلِ
مـلآنَ كفٌّ بكـلِّ مـأثمـةٍ ... صفرَ يدٍ من محـاسنِ العملِ
فكيف أخشى نـاراً مسعَّـرةً ... وأنتَ يـا ربِّ في القيامـة لي

قال : فواللّه منذ[1] فرغت من إنشادها ما سمعت حسيس النار .

حدث[2] شمس الدين محمد بن هبة اللّه الشيرازي قاضي دمشق قال : سمعت ملك النحاة يقول : للحيص بيص بيتان لو باعنيهما بجميع شعري :

سأرحل عن بغداد في طلب العلا ... الى بلدة يحنـو عـليَّ أميـرهـا
إلى بلدة فيهـا الكـلابِ تخـالهـا ... كـلابـاً ومـا رُدَّتْ إليهـا أمـورهـا

- 320 -

الحسن بن عبد الله المعروف بلغدة ـ ولكذة أيضاً ، الأصبهاني أبو علي : قدم بغداد ، وكان جيّدَ المعـرفةِ بفنـون الأدب ، حسنَ القيام بـالقياس ، مـوفقاً في كلامه . وكان إماماً في النحو واللغة ، وكان في طبقة أبي حنيفة الدينوري ، مشايخهما سواء ، وكان بينهما مناقضات .

قال حمزة بن حسن الأصبهاني في « كتاب أصبهـان » : وأقدم علي بن رستم الديمرتي[3] من سامرّا إبراهيمَ بن غيث البغدادي ، وكان أصبهانياً ، فخرج في صغره إلى العراق ، فبرع في علم النحو واللغة ، وهو جدّ عبد اللّه بن يعقوب الفقيه ، وروى عن أبي عبيدة وأبي زيد ، وأقدم الخصيبَ بن أسلم الباهليَّ صاحبَ الأصمعي . وعن

320 ـ ترجمته في الفهرست : 89 وإنباه الرواة 3 : 43 (حرف اللام) والوافي 12 : 86 وبغية الوعاة 1 : 509 وروضات الجنات 3 : 59 (ويعتمد ياقوت على كتاب أصبهان لحمزة والفهرست) .

(1) م : ما .
(2) من هنا حتى آخر الترجمة زيادة من ر .
(3) م : الديميري ؛ وديمرت من قرى أصبهان .

أبي إسحاق إبراهيم بن غيث وأبي عمر الخرقي ـ وهو أول من قدم أصبهان من أهل الأدب واللغة ـ وعن الباهلي صاحب الأصمعي وعن الكرماني صاحب الأخفش أخذ أبو علي لغدةُ علم اللغة . وكان أبو علي يحضر مجلس أبي إسحاق ويكتبُ عنه ، ثم خالفه وقعد عنه وجعل ينقض عليه ما يمليه.

قال حمزة : وأنبأنا [. . . أن] من تقدم من أهل اللغة من أصبهان ، وصار فيها رئيساً يؤخَذُ عنه جماعةٌ منهم : أبو علي لغدة ، وكان رأساً في اللغة والعلم والشعر والنحو ، حفظ في صغره كتب أبي زيد وأبي عبيدة والأصمعي ، ثم تتبع ما فيها فامتحن بها الأعرابَ الوافدين على أصبهان، وكانوا يَفِدُونَ على محمد بن يحيى بن أبان فيضربون خيمهم بفناء داره في باغ سلم بن عود ، ويقصدهم أبو علي كلَّ يوم ، فيلقي عليهم مسائل شكوكِهِ[1] من كتب اللغة ويثبت تلك الأوصاف عن ألفاظهم في الكتاب الذي سماه « كتاب النوادر » ثم لم يكن له في آخر أيامه نظيرٌ بالعراق .

قال : وكتاب النوادر هذا كتابٌ كبير يقوم بإزاءِ كلِّ ما خرج إلى الناس من كتب أبي زيد في النوادر . وله من الكتب الصغار : كتاب الصفات . كتاب خلق الانسان . كتاب خلق الفرس . وكتب أخرى كثيرة من صغار الكتب ؛ وله ردود على علماء اللغة وعلى رواة الشعر والشعراء قد جمعناها نحن في كتاب وأنفذناه إلى أبي إسحاق الزجاج رحمه اللّٰه.

قال محمد بن إسحاق النديم[2] : وله من التصانيف كتابُ الردِّ على الشعراء ، نقضه عليه أبو حنيفةَ الدينوري . كتاب النطق . كتاب الرد على أبي عبيد في غريب الحديث . كتاب علل النحو . كتاب مختصر في النحو . كتاب الهشاشة والبشاشة . كتاب التسمية . كتاب شرح معاني الباهلي . كتاب نقض علل النحو . كتاب الرد على ابن قتيبة في غريب الحديث.

وأفرد حمزة الأصبهاني في « كتاب أصبهان » أشعاراً للغدة منها[3] :

---

(1) الوافي : مشكوكة .

(2) الفهرست : 89 .

(3) تنسب أيضاً لبشر بن الحارث (ابن عساكر 3 : 239) ولمرة بن عمرة الخزاعي في معجم المرزباني : 383 وانظر الحماسة البصرية 2 : 298 .

ذهب الرجالُ المقتدى بفعالهم والمنكرون لكلِّ أمرٍ مُنْكَرِ
وبقيتُ في خَلْفٍ يزيِّنُ بعضُهُمْ بعضاً ليستر مُعْورٌ من معورِ
ما أقربَ الأشياءَ حين يسوقها قَدَرٌ وأبعدَها إذا لم تقدرِ
الجدُّ أنهضُ بالفتى من كدّه فانهض بجدٍ في الحوادث أو ذرِ
وإذا تعسرتِ الأمور فأرْجِها وعليكَ بالأمر الذي لم يَعْسُرِ

ومن شعره أيضاً[1] :

خيرُ إخوانِكَ المشاركُ في المـرِّ وأين الشريكُ في المـرِّ أينَا
الذي إن شهدت سرَّك في القـومِ وإن غبتَ كان أذناً وعينا
مِثلُ تبرِ العقيانِ إن مسّه النـارُ جلاه الجلاءُ فازداد زينا
وأخو السوءِ ان يغبْ عنك يَسْبَعْـكَ وان يُحْتَضَرْ يكن ذاك شينا
جيبُهُ غيرُ ناصحٍ وَمُنَاهُ أن يعيبَ الخليلَ إفكاً ومينا
فاصرِمَنْهُ ولا تلهَّفْ عليه إنَّ صرماً له كنقدك دينا

ومن شعره أيضاً :

بذلتُ لك الصفاءَ بكلِّ جهدي وكنتَ كما هويتُ فصرتَ خزّا[2]
فَرُحْتَ بمديةٍ فحززتَ أنفي وحبلَ مودّتي بيديكَ حزّا
ولم تتركْ إلى صلحٍ مجازاً ولا فيه لمطلبه مَهَزّا
ستمكثُ نادماً في العيشِ منّي وتعلم أن رأيك كان عجزا[3]
وتذكرني إذا جربتَ غيري وتعلم أنني لك كنت كنزا

---

(1) تنسب الأبيات لكثير عزة ، ديوانه : 492 وترجمة كثير في تاريخ ابن عساكر وانظر الصداقة والصديق للتوحيدي : 92 وبهجة المجالس 1 : 717 والعقد 2 : 308 وهي في معاهد التنصيص 1 : 304 لبشار بن برد (وهناك خلافات كثيرة في الرواية) وبهامش المختصر : وقيل إن هذه الأبيات لبشار بن برد والله أعلم .

(2) كذلك في اصل م والمختصر ، وفي م : فزا .

(3) البيت في البصائر 5 : 150 (رقم: 480) والصداقة والصديق: 37 وروايته : ستنكت نادماً في الأرض (وذلك أجود) .

وله من أبيات(1) :

يا قصير العمر ما هذا الأمل كل ذا الحرص وقد حان الأجلْ
ارتضِ الدنيا وكن ذا وجلٍ فجنان الخلد حُفَّتْ بالوجل

ـ 321 ـ

الحسن بن عبد الله بن المرزبان السيرافي أبو سعيد النحوي القاضي : وسيراف بليد على ساحل البحر من أرض فارس ، رأيته أنا ، وبه أثرُ عِمارةٍ قديمةٍ وجامعٌ حسنٌ ، إلا أنه الآن الغالب عليه الخراب . وكان قد ولي القضاء على بعض الأرباع ببغداد ، ومات رحمه اللّه يوم الاثنين ثاني رجب سنة ثمان وستين وثلاثمائة في خلافة الطائع ، ودفن في مقابر الخيزران ، وكان أبوه مجوسياً اسمه بهزاد فسمّاه أبو سعيد عبد الله . وكان أبو سعيد يدرس ببغداد القرآن والقراءات وعلوم القرآن والنحو واللغة والفقه والفرائض ، وكان قد قرأ على أبي بكر ابن مجاهد القرآن ، وعلى أبي بكر ابن دريد اللغة ، ودرسا جميعاً عليه النحو، وقرأ على أبي بكر ابن السراج وأبي بكر المبرمان النحو ، وقرأ أحدهما عليه القرآن ودرس الآخر عليه الحساب .

قال الخطيب(2) : وكان رحمه اللّه زاهداً ورعاً لم يأخذ على الحكم أجراً إنما

---

321 ـ ترجمة السيرافي في طبقات الزبيدي: 119 (وزعم أنه معتزلي من أصحاب الجبائي وورد ذلك لدى الخطيب ونفاه عنه بعضهم) وتاريخ بغداد 7: 341 والفهرست: 68 ونزهة الالباء: 307 والمنتظم 7: 95 وإنباه الرواة 1: 313 وبغية الطلب 4: الورقة 266 وابن خلكان 2: 78 وسيرالذهبي 16: 247 وعبر الذهبي 2: 347 والوافي 12: 74 والبداية والنهاية 11: 294 ومرآة الجنان 2: 390 وطبقات ابن الجزري 1: 218 ولسان الميزان 2: 218 والنجوم الزاهرة 4: 133 وبغية الوعاة 1: 507 والجواهر المضية 2: 66 والشذرات 3: 65 والبلغة: 61 ولسان الميزان 2: 218 وروضات الجنات 3: 70 واشارة التعيين: 93 (ويعتمد ياقوت على تاريخ بغداد والفهرست ومؤلفات التوحيدي) .

(1) زيادة من ر .
(2) تاريخ بغداد 7: 341 ونقله في بغية الطلب: 267 .

كان يأكل من كَسْبِ[1] يمينه ، فكان لا يخرجُ إلى مجلس الحكم ولا إلى مجلس التدريس حتى ينسخَ عَشْرَ ورقات يأخذُ أجرتها عشرة دراهم تكون بقدر مؤونته ثم يخرج إلى مجلسه . وصنف كتباً : منها شرح كتاب سيبويه .

قال أبو حيان التوحيدي : رأيت أصحابَ أبي علي الفارسي يكثرون الطلبَ لكتاب « شرح سيبويه » ويجتهدون في تحصيله ، فقلت لهم : إنكم لا تزالون تَقَعون فيه وتُزْرون على مؤلّفه فما لكم وله ؟ قالوا : نريد أن نردَّ عليه ونعرّفه خطأه فيه . قال أبو حيان : فحصّلوه واستفادوا منه ولم يردَّ عليه أحد منهم ، أو كما قال أبو حيان فإني لم أنقل ألفاظَ الخبرِ لعدم الأصل الذي قرأته منه .

وكان أبو علي وأصحابه كثيري الحسد لأبي سعيد ، وكانوا يفضلون عليه الرماني ، فحكى ابن جني عن أبي علي أن أبا سعيد قرأ على ابن السراج خمسين ورقة من أول الكتاب ثم انقطع ، قال أبو علي : فلقيته بعد ذلك فعاتبته على انقطاعه فقال لي : يجب على الانسان أن يقدم ما هو أهم ، وهو علم الوقت من اللغة والشعر والسماع من الشيوخ ، فكان يلزم ابن دريد ومن جرى مجراه من أهل السماع .

وقال أبو الفرج علي بن الحسين الأصفهاني صاحب « كتاب الأغاني » يهجو أبا سعيد السيرافي :

لست صدراً ولا قرأتَ على صد ... رٍ ولا علمك البكيّ بشافِ[2]

لعن اللّه كلَّ شعرٍ ونحوٍ ... وعسروضٍ يجيءُ من سيرافِ

وذكره محمد بن إسحاق النديم فقال[3] : قال لي أبو محمد[4] وَلَدُ أبي سعيد : [ولد أبي] بسيراف، وفيها ابتدأ بطلب العلم ، وخرج عنها قبل العشرين، ومضى إلى عمان فتفقه بها، ثم عاد إلى سيراف ومضى إلى العسكر فأقام بها مدة (قال المؤلف: وبها قرأ فيما أحسبُ على المبرمان) قال : كان فقيهاً على مذهب العراقيين ، وورد إلى

(1) م : من كتب .
(2) م : بكاف ، وصوبته اعتماداً على عدد من مصادر ترجمته .
(3) الفهرست : 68 .
(4) أبو محمد هو يوسف بن أبي سعيد ؛ وفي م : أبو أحمد (كما كان كذلك في طبعة فلوجل) .

بغداد فخلف أبا محمد ابن معروف قاضي القضاة على قضاء الجانب الشرقي ، وكان أستاذه في النحو، ثم استخلفه على الجانبين؛ ومولده قبل التسعين ومائتين، وله من الكتب : كتاب شرح سيبويه[1] . ألفات القطع والوصل . كتاب أخبار النحويين البصريين . كتاب شرح مقصورة ابن دريد . كتاب الإقناع في النحو ، لم يتم ، فتممه ابنه يوسف . وكان يقول : وضع أبي النحوَ في المزابل بـ « الاقناع » يريد أنه سهّله حتى لا يحتاج إلى مفسّر . كتاب شواهد كتاب سيبويه . كتاب الوقفِ والابتداء . كتاب صَنْعةِ الشعر والبلاغة . كتاب المدخل إلى كتاب سيبويه . كتاب جزيرة العرب.

قرأت[2] بخط أبي حيان التوحيدي في كتابه الذي ألفه في « تقريظ عمرو بن بحر » ، وقد ذكر جماعةً من الأئمة كانوا يقدِّمونَ الجاحظ ويفضلونه فقال : ومنهم أبو سعيد السيرافي شيخ الشيوخ وإمام الأئمة معرفةً بالنحو والفقه واللغة والشعر والعروض والقوافي والقرآن والفرائض والحديث والكلام والحساب والهندسة ، أفتى في جامع الرصافة خمسين سنة على مذهب أبي حنيفة فما وُجد له خطأ ولا عُثر منه على زلة ، وقضى ببغداد ، وشرح « كتاب سيبويه » في ثلاثة آلاف ورقة بخطه في السليماني ، فما جاراه فيه أحد ولا سبقه إلى تمامه إنسان ، هذا مع الثقة والديانة والأمانة والرواية ، صام أربعين سنة وأكثر الدهر كله . قال لنا الأندلسي : فارقتُ بلدي في أقصى الغرب طلباً للعلم وابتغاء مشاهدة العلماء ، فكنت إلى أن دخلتُ بغداد ولقيتُ[3] أبا سعيد وقرأت عليه « كتاب سيبويه » نادماً سادماً في اغترابي عن أهلي ووطني من غير جدوى في علم أو حظّ من دنيا[4]، فلما سعدت برؤية هذا الشيخ علمتُ أن سعيي قُرِنَ بسعدي، وغربتي اتصلت ببغيتي، وأن عنائي لم يذهبْ هدراً، وأنَّ رجائي لم ينقطعْ يأساً.

قرأت بخط أبي علي المحسن بن إبراهيم بن هلال الصابىء ، قرأنا على أبي سعيد الحسن بن عبد الله في « كتاب ما يلحنُ فيه العامة » لأبي حاتم « هو الشَّمَعُ مفتوح الشين والميم » فسألناه عما يحكى عن أبي بكر ابن دريد أنه قال : « شمع بكسر

---

(1) للدكتور عبد المنعم فايز كتاب بعنوان : السيرافي النحوي في ضوء شرحه لكتاب سيبويه (دمشق 1983) وهو في الحقيقة تحقيق لفصول من شرح السيرافي .

(2) بغية الطلب : 268 .

(3) م : وتلقيت ، وأثبت ما في بغية الطلب .

(4) م : الدنيا .

الشين » فقال : لا يعاج عليه ، قلنا له : فهو صحيح عن ابن دريد ؟ فقال : نعم هو عنه بخطّي في « كتاب الجمهرة » . قال : وكان أبو الفتح ابن النحوي وأبو الحسن الدريدي سألاني عن ذلك فاستعفيتُ من الإجابة لئلا أُنْسبَ إلى أبي بكر حرفاً أجمعَ الناسُ على خلافه .

وقال أبو حيان في « كتاب محاضرات العلماء » قال : وحضرتُ مجلسَ شيخ الدهر ، وقريع العصر ، العديم المثل ، المفقود الشكل ، أبي سعيد السيرافي ، وقد أقبل على الحسين بن مردويه الفارسي يشرح له ترجمةَ « المدخلِ إلى كتاب سيبويه » من تصنيفه ، فقال له : علّق عليه ، واصرفْ همتكَ إليه ، فإنك لا تدركُهُ إلا بتعب الحواسّ ، ولا تتصوَّرُهُ إلا بالاعتزال عن الناس . فقال : أيَّدَ اللّه القاضي ، أنا مؤثرٌ لذلك ، ولكنَّ اختلالَ الأمر وقصورَ الحال يحولُ بيني وبين ما أريده ، فقال له : ألكَ عيال ؟ قال : لا ، قال : عليك ديون ؟ قال : دريهمات ، قال : فأنت ربِّحُ القلبِ حَسَنُ الحال ناعمُ البال ، اشتغلْ بالدرس والمذاكرة والسؤال والمناظرة واحمدِ اللّه تعالى على خفّة الحاذِ وَحُسْنِ الحال ، وأنشده :

إذا لم يكن للمرءِ مالٌ ولم يكنْ ... له طرقٌ يسعى بهنَّ الولائدُ
وكان له خبزٌ وملحٌ ففيهما ... له بُلْغَةٌ حتى تجيءَ العوائدُ
وهل هي إلا جَوْعَةٌ إن سَدَدْتَها ... فكلُّ طعامٍ بين جنبيك واحدُ

قال : وكان يقرأ على أبي سعيد السيرافي « الكامل » للمبرد فجاءه أبو أحمد ابن مردك(1)، وكان هذا من ساوةَ واستوطن بغداد وولد [له] بها، وكان له قُرْبٌ ومنزلة من أبي سعيد يوجِبُ حقَّه ويرعى له، فقال له يوماً: أيها الشيخ عندي ابنة بلغتْ حدَّ التزويج ، وجماعةٌ من الغرباء والبغداديين يخطبونها ، فما ترى ؟ ممن أزوجها ؟ فقال : ممّن يخافُ اللّه تعالى وأكثرهم تقيةً وخشية منه ، فإن من يخافُ اللّه إن أحبها بالغَ في إكرامها ، وإن لم يحبها تحرَّجَ من ظلمها ، فاستحسنّا ذلك وأثبتناه . ثم قال : لا تنسبوا هذا إليّ إنما هذا قولُ الحسن .

قال : وشبيه هذه الحكاية أن رجلاً وقف على الحسن فقال : علمني ما يقربني

(1) ر : رجل من أهل ساوة يقال له أحمد بن مردك .

إلى الله تعالى وإلى الناس ، قال : أما ما يقربك إلى الله فمسألته ، وأما ما يقرّبك إلى الناس فترك مسألتهم .

وقال : وتأخر بعضُ أصحابه عن مجلسه في يوم السبتِ ، وكان يرعى حَقَّ أبيه فيه لأنه كان وجيهاً شريفاً ، فلما كان يوم الأحد قال له : ما الذي أخَّرك ؟ فأشار إلى شرب الدواء ولأجله تأخر عن المجلس فأنشدنا :

لنعمَ اليومُ يومُ السبتِ حقّاً ... لصيدٍ إن أردتَ بلا امتراءِ
وفي الأحدِ البناءُ فإنّ فيه ... تبدّى اللّه في خَلْقِ السماءِ
وفي الاثنين إن سافرتَ حقاً ... يكون الأَوْبُ فيه بالنماءِ
وان تَرُم الحجامةَ في الثلاثا ... ففي ساعاته دَرْكُ الشفاءِ
وإن شربَ امرؤٌ يوماً دواءً ... فنعم اليومُ يومُ الأربعاءِ
وفي يوم الخميس قضاءُ حاجٍ ... ففيه اللّه آذن[1] بالقضاءِ
ويوم الجمعة التزويجُ فيه ... ولذاتُ الرجال مع النساءِ

قال : ولما قبل ابنُ معروفٍ شهادته عاتبه على ذلك بعضُ المختصين به وقال : أيها الشيخ إنك إمامُ الوقتِ وعينُ الزمان والمنظورُ إليه والصدر ، وإذا حضرتَ محفلاً كنتَ البدر ، قد اشتهر ذكرك في الأقطار والبلاد ، وانتشر علمك في كلِّ محفلٍ ونادٍ ، والألسنةُ مُقِرَّةٌ بفضلك ، فما الذي حملك على الانقياد لابن معروف ، واختلافِكَ إلى مجلسه ، وصرت تابعاً بعد أن كنت متبوعاً ، ومؤتمراً بعد أن كنت آمراً ؟ وضعتَ من قدرك ، وضيَّعْتَ كثيراً من حرمتك ، وأنزلتَ نفسك منزلةَ غيرك ، وما فكّرتَ في عاقبة أمرك ، ولا شاورتَ أحداً من صحبك ، فقال : اعلموا أن هذا القاضي سبب اكتساب ذكر جميل ، وصيت حسن ، ومباهاة لأقرانه ، ومنافسة لإخوانه ، ومع ذلك له من السلطان منزلة ، وبلغني أنه يستضيء برأيه ويعدُّهُ من جملة ثقاته وأوليائه ، وعرَّض لي وصرَّح في الأمر مرةً بعد أخرى وثانيةً عقب أولى ، فلم أُجبْ إليه ، ولم أسْلِسْ قيادي له ، فخفتُ مع كثرة الخلاف اعتمادي بما أستضرُّ به وينتفع به غيري ،

(1) م : ففيه إذن اللّه .

وإذا اتفق أمران فاتّباع ما هو أسلم جانباً وأقلُّ غائلةً أولى ، وقد كان الآن ما كان ، والكلام فيه ضربٌ من الهذيان . فلما كان بعد هذا بأيام ورد عليه من آمد صاحب أبي العباس ابن ماهان بكتابٍ يهنئه فيه بما تلبَّس به من العدالة ، وكان الكتاب يشتملُ على كلماتٍ وجيزة وألفاظ حسنة ومعانٍ منتقاة ، وكان أبو العباس هذا من أصحاب أبي سعيد ، وممن لازمه سنين عدة ، وعلَّق عنه ـ على ما ذكره الشاشي ـ زهاء عشرة آلاف ورقة على شرحه لكتاب سيبويه وغيره درساً ومذاكرةً ، وكانت له أيضاً بضاعةٌ قويةٌ في علم الهيئة وبصرٌ تامّ بمذهب الكوفيين في النحو حتى ما كان يطاق . وكان مَنْ أَصْدَرَ الكتابَ على يده رجلاً كردياً عليه جبة ثقيلة فوقها جُبَّاعة عظيمة ، قد أضرَّتْ به شمسُ الهواجر ، ومقاساةُ السفر ، وقَطْعُ المهامه والمفاوز ، وكان الشيخ يبيِّن لبعض أصحابه الفَرْقَ في قوله تعالى : ﴿ مثل مَا إِنَّكُمْ تَنْطِقُونَ ﴾ (الذاريات: 23) والاحتجاج عمن نصبه ورفعه ، والكرديُّ ما يفهم منه القليلَ ولا الكثير ، ثم التفت إلى أبي سعيد وقال : يا شيخ في أيّ شيء أنت ؟ وفي ماذا تتكلم؟ فقال : أتكلم في شيء لا يعرفه كلُّ أحد ، ولا يتصوره كثير من الناس ، قال : ففسِّرْهُ لي لعلي أفهمه ، قال : لا يكونُ ذلك أبداً ، قال : أنت عالمٌ ومن اقتبس منك علماً لزمك الجواب ، فقال له : عليك بمجلسٍ يجري فيه حديثُ الفَرْضِ والنفل والسنن وظواهر أَمْرِ الشريعة لتستفيد منه وتنتفع به ، فأخذ الكرديُّ في المطاولة وإيراد الهذيان وما لا محصولَ له ، وسكت عنه أبو سعيد وصمتَ هو أيضاً ، وجعل أبو سعيد على عادته يبيّن ويوضّح ويتكلم وينثر الدرّ ولا يهدأ ولا يفتر لسانه ولا يجفُّ ريقه ، والكرديّ ملازمه ، وكأنّه كالمتبرم به والمستثقل لجلوسه وملازمته إياه إلى أن قام ومضى ؛ ثم قال أبو سعيد : ما ظننتُ أن ثقيلاً تمكَّنَ من أحدٍ تمكُّنَ هذا منّا اليوم ، وإنّ ألم ثقله خَلَصَ إلى الروح والبدن كما خلص إليَّ ، لقد هممتُ تارةً بضربه فقلت : ربما ضربني أيضاً ، ثم هممتُ بالقيام فقلت : ضَرْبٌ من الخرق ، ثم كدت أصيح فقلت : نوعٌ من الجنون ، ثم بقيت أدعو سرّاً وأُرغبُ إلى اللّه تعالى في صَرْفه ، فتفضل اللّه الكريم عليَّ بذلك ، ومع هذه الحالة لم تزل أبياتُ محمد بن المرزبان تترددُ بين لهاتي ولساني ، فقلنا له : وما الأبيات ؟ فقال :

أيا شقيقَ الرصاصِ والجبلِ ... ويا قريعَ الأيام في الثقلِ

أرِحْ حيـاتي فقـد هجمتَ علـى نفسـي وأشـرفتَ بـي إلى أجـلي
والـلّه لـو كـنـتَ والـداً حَـدِبـاً وكنتَ تحيي الأمـواتَ في المثـل
وتمزج الثلجَ في العساس لدى الـــقيظِ وعنـد الشتـاءِ بـالعسـل
رحـلـتُ عـن ذاك عـنـد آخـره واخترتُ أن لا أراك في الـرحـل
فخـذ طـريفي وتـالـدي فـإذا لـم يبقَ شيء فـخـذ إذاً سَمَـلي
وارحـل إلى الـظلمـة التي ذُكِـرَتْ من خَلْفِ قـافٍ يـا شـرَّ مـرتحلِ

قال : وكان قد ظهر بالعراق رِجْلٌ من الجراد فأضرَّتْ بالزروع والأثمار وغلت الأسعار وأثَّرت في أحوال الناس، فحضرنا مجلسَ أبي سعيد السيرافي وكلٌّ منا شكا حاله وذكر خَلَّته ، وكان فينا رجلٌ مزارع ذكر أنه زرع بنواحي النهروان[1] أربعة آلاف جريب ملكاً وضماناً وإجارةً رجاءَ الفائدة ، وقد أتى عليها الجراد ، وهلك ذلك الرجلُ لأجله ، ثم قال أبو سعيد : لا يهولنَّكَ أمرها فأنها جندٌ من جنود اللّه مأمور ، بلغنا أن جرادة سقطتْ بين يدي عبد اللّه بن عباس رضي اللّه عنـه فأخـذها ونشـر جناحهـا وقال : أتعلمون ما هو مكتوبٌ عليها[2]؟ قالوا: لا ، قال : مكتوبٌ عليها أنا مغلي الأسعار مع تدفّق الأنهار . وأورد في ذكر الجراد ما حيَّر الناظرين ثم قال : ومن أحسنِ ما وُصِفَ به الجراد قولُ بعضِ الخطباء حيث يقول : إن اللّه سبحانه خلق خلقاً وسمّاها جراداً ، وألبسها أجلاداً ، وجنَّدها أجناداً ، وأدمجها إدماجاً ، وكسـاها من الـوشي ديباجـاً ، وجعل لها ذرية وأزواجاً ، إذا أقبلت خلتها سحاباً أو عجاجاً ، وإذا أدبرت حسبتها قوافلَ وحجاجاً ، مزخرفة المقاديم ، مزبرجة المآخير ، مزوَّقة الأطراف ، منقطعة الأخفاف ، منمنمة الحواشي ، منمقة الغواشي ، ذات أردية مزعفرة ، وأكسية معصفرة ، وأخفية مخططة ، معتدلة قامتها ، مؤتلفة خلقتهـا ، مختلفةٌ حليتهـا ، موصـولة المفـاصل ، مـدرجة الحـواصل ، تسعى وتحتـال ، وتميسُ وتختال ، وتـطوفُ وتجتال ، فتبـارك خالقها ، وتعالى رازقها ، من غير حاجةٍ منها إليها ، رحمةً منه عليها ، أوسعها رزقًا ، وأتقنها خلقاً ، وفتق منها رتقاً ، ووشّح أعراقها ، وألجم أعناقها ، وطوّقها أطواقها ، وقسم معايشها وأرزاقها ، تنظر شزراً من ورائها ، وترقب النازل من سمائها ، وتحرسُ

(1) ر: نهر ملك .
(2) ر: ما على جناحها مكتوب .

الدائر من حوبائها ، سلاحها عتيد ، وبأسها شديد ، ومضرَّتها تعديد ، وتـدبّ على ست وتطير ، فسبحان من خلقها خلقاً عجيباً ، وجعل لها من كلٍّ ثمر وشجر نصيباً ، وجعل لها إدباراً وإقبالاً ، وطلباً واحتيالاً ، حتى دَبَّتْ ودرجت ، وخرجت ودخلت ، ونزلت وعرجت ، مع المنظر الأنيق ، والعصب الدقيق ، والبدن الرقيق : ﴿ **هذا خلق اللّه فَأَرُوني مَاذَا خَلَقَ ٱلَّذِين مِنْ دُونِهِ** ﴾ (لقمان: 11) ثم قال : وماذا تقولون في طير إذا طار بسط ، وإذا دنا من الأرض لطع ، رجلاه كالمنشار ، وعيناه كالزجاج ، عينه في جنبه ، ورجله أطولُ من قامته ، ألا وهي الجرادة . ثم قال : وأحسن منه : جيدها كجيد البقر ، ورأسها كرأس الفرس ، وقرنها كقرن الوعل ، ورجلها كرجل الجمل ، وبطنها كبطن الحية ، تطير بأربعة أجنحة ، وتأكل بلسانها ، فتبارك اللّه ما أحسنها . وأحسن ما فيها أنها طعامٌ ونقلٌ ، طاهـر حياً وميتاً ، تُجْدِبُ أقواماً وتُخْصِبُ آخرين . فقلنا له : ما معنى قولك : « تُجْدِبُ أقواماً وتخصب آخرين » ؟ قال : إنها إذا حلت البوادي والفيافي ومواضعَ الرمال فهي خصبٌ لهم وميرة ، وإذا حلت بمأوى الـزرع والأشجار فهي تجدب ، لأنها تأتي على الشوك والشجر والرطب واليابس فلا تبقي ولا تذر .

قال : وقال أيضاً في تضاعيف كلامه : خادم الملك لا يتقدمُ في رضاه خطوة إلا استفاد بها قُدْمَةً وحظوةً .

قال : وما رأيتُ أحداً من المشايخ كان أذكرَ لحال الشباب وأكثرَ تأسّفاً على ذهابه منه ، فإنه إذا رأى أحداً من أقرانه قد عاجله الشيبُ تسلَّى به ، ولم يزل يسأله عن حاله [كيف] كانت في أيام الشباب وزمنِ الصبا ، وإذا ذكر بين يديـه ما يتعلّق بـالشيب والشباب بكى وجداً وحنَّ ، وشكا وأنَّ ، وتذكر عهد الشباب . وكان كثيراً ما ينشـد مقطعاتِ محمود الوراق في الشيب ويبكي عليها ، وأنشد يوماً :

فـإن يكن المشيبُ طـرا علينـا ... وولَّى بـالبشـاشـةِ والشبـابِ
فـإنـي لا أعـاقبـه بـشـيءٍ ... يكـونُ عليَّ أهـونَ من خضـابِ
رأيـتُ بـأنّ ذاك وذا عـذابٌ ... فينتقـم العـذابُ مـن العـذابِ

قال وأنشدنا لمحمود الوراق في الشيب وعيناه تدمعان :

ولو أن دار الشيب قَرَّتْ بصاحبٍ على ضيقها[1] لم يبغِ داراً بدارِهِ
ولكنّ هذا الشيبَ للموتِ رائدٌ يخبرنا عنه بقربِ مزارِهِ

قال أبو حيان : وكان أبو سعيد يُفْتِي على مذهب الإمام أبي حنيفة وينصره، فجرى حديثُ تحليل النبيذ عنده ، فقال له بعض الخراسانيين : أيها الشيخ دعنا من حديث أبي حنيفة وقول الشافعي ، ما ترى أنت في شرب النبيذ والقدر الذي لا يسكر ويسكر ؟ فقال : أما المذهب فمعروف لا عدولَ عنه[2] ، وأما الذي يقضيه[3] الرأي ويوجبه العقلُ ويلزمُ من حيث الاحتياطُ والأخذ بالأحسنِ والأولى فتركُهُ والعدول عنه ، فقال له : بيِّنْ لنا عافاك اللّه ، فقال : أعلم أنه لو كان المسكر حلالاً في كتاب اللّه تعالى أو سنة رسول اللّه ﷺ لكان يجبُ على العاقل رَفْضُهُ وتركه بحجّة العقل والاستحسان ، فإن شاربه محمولٌ على كلِّ معصية ، مدفوعٌ إلى كلّ بلية ، مذمومٌ عند كلِّ ذي عقل ومروءة ، يحيله عن مراتب العقلاء والفضلاء والأدباء ، ويجعله من جملة السفهاء ، ومع ذلك فيضرُّ بالدماغ والعقل والكبد والذهن ، ويولّد القروحَ في الجوف ، ويسلبُ شاربه ثوبَ الصلاح والمروءة والمهابة حتى يصير بمنزلة المخبِّطِ المِخْرِيقِ والمثبّج[4]، يقول بغير فهم ، ويأمر بغير علم ، ويضحك من غير عجب ، ويبكي من غير سبب ، ويخضع لعدوه ، ويصول على وليه ، ويعطي من لا يستحقّ العطية ، ويمنع من يستوجبُ الصلة ، ويبذّر في الموضع الذي يحتاج فيه أن يمسك ، ويُمْسِكُ في الموضع الذي يحتاجُ فيه أن يبذر ، يصيرُ حامده ذاماً وأفعاله ملومة[5] ، عبده لا يوقره ، وأهله لا تقربه ، وولده يهرب منه ، وأخوه يفزع عنه ، يتمرغ في قيئه ، ويتقلب في سلحه ، ويبولُ في ثيابه ، وربما قتل قريبه ، وشتم نسيبه ، وطلق امرأته ، وكسر آلةَ البيت ، ولفظ بالخنا ، وقال كلَّ غليظة وفحش ، يدعو عليه جاره ، ويزري به

(1) ر : بواحدٍ على رنقها .
(2) ر : فمعروف لا يحل عدول عنه .
(3) ر : يقتضيه .
(4) المثبج : المخلّط المضطرب .
(5) م : وافعاله ملاماً ؛ ر : وفعله ملاماً .

أصحابه ، عند اللّه ملوم ، وعند الناس مذموم ، وربما تستولي عليه في حال سكره مخايل الهموم ، فيبكي دماً ، ويشقُّ جيبه حزناً ، وينسى القريب ، ويتذكر البعيد ، والصبيان يضحكون منه ، والنسوان يفتعلن[1] النوادر عليه ، ومع ذلك فبعيدٌ من اللّه قريبٌ من الشيطان ، قد خالف الرحمن في طاعة الشيطان ، وتمكن من ناصيته ، وزيَّن في عينه إتيانَ الكبائر وركوبَ الفواحش واستحلالَ الحرام وإضاعةَ الصلاة والحنثَ في الايمان ، سوى ما يحلُّ به عند الافاقة من الندامة ، ويستوجب من عذاب اللّه يوم القيامة . فقال الرجل : واللّه إن قولك ووصفك له أعلقُ بالقلب من كلِّ دليل[2] واضح وبرهان لائح ، وحجة وأثر ، وقول وخبر ، فقال له : لولا ذهابُ الوقتِ ولا عِوضَ له لاستدللتُ لكلِّ خصلة ذكرتُها ولفظةٍ أوردتها بـآيةٍ من كتـاب اللّه أو خبر مـأثور عن رسول اللّه ﷺ، حتى يقال: إن هذه الألفاظ مشتقةٌ من ذاك مستنبطة منه[3]، ولكن الأمرَ في ذلك أظهر وأشهر من أن يبيّن ويوضح . ولأبي حنيفة مسائل لا أرتضيها له ، قد خالفه فيها أعيانُ الصحابة والناقلةُ لمذهبـه ، ولكنْ لكلِّ أريبٍ هفـوة ، ولكلِّ جـوادٍ كبوة ، والكلام إذا كثر لا يخلو من الخطأ ، والقولُ إذا تتابعَ لا يَعْرَى من التناقض ، واللّه المعين على أمر الدنيا والدين .

قال أبو حيان ، قال أبو سعيد : دخلتُ مسجداً بباب الشام يوماً أنظر أبا منصور العمدي[4] ، فرأيت عربيّاً قد استلقى ومخلاتُهُ تحتَ رأسه ، وهو يترنَّم بهذه الأبيات ، بحلقٍ أطيبَ ما يكون ، وصوت أندى ما يُسْمَع :

سمـاءُ الحبِّ تهطلُ بـالصـدودِ ... ونــار الحبِّ تحـرقُ من بعيـدِ
وعينُ الحب تـأتي بـالمنـايـا ... فتغـرسهـا[5] على قلبٍ عميـدِ
وأول من عشقتُ عشقتُ ظبيـاً ... لـه في الصـدر قلبٌ من حـديـدِ

(1) م : يفعلن ، وغير معجمة في ر .
(2) دليل : سقطت من م وهي واردة في ر .
(3) ر : منها .
(4) لعل الصواب : العميدي .
(5) م : فتغرسه .

فقلت له : أعد الأبيات ، فقال لي : دخلتَ عليَّ وشغلتني عما كنتُ عليه ، خلوتُ بنفسي في هذا المسجد أتمنى أمانيَّ دونها خرط القتاد ، فأفسدتها عليَّ ، فحفظت الأبيات من قوله وانصرفت وتركته .

قال أبو حيان : وأنشدنا أبو سعيد السيرافي في المشيب :

تفكرتُ في شَيْبِ الفتى وشبابِهِ فأيقنتُ أن الحقَّ للشيب واجبُ
يصاحبني شَرْخُ الشبابِ فينقضي وشيبي إلى حين المماتِ مصاحبُ

ثم قال : ما رأيت أحداً كان أحفظَ لجوامع الزهد نظماً ونثراً ، وما ورد في الشيب والشباب ، من شيخنا أبي سعيد ، وذاك أنه كان ديناً ورعاً تقياً زاهداً عابداً خاشعاً ، له دَأْبٌ بالنهار من القراءة والخشوع ، وَوِرْدٌ بالليل من القيام والخضوع ، صام أربعين سنة الدهرَ كله . قال : وقال لي أبو إسحاق المدائني : ما قرأتُ عليه خبراً ولا شيئاً قطّ فيه ذكر الموت والقبر والبعث والنشور والحساب والجنة والنار والوعد والوعيد والعقاب والمجازاة والثواب والانذار والاعذار وذم الدنيا وتقلّبها بأهلها وتغيرها على أبنائها إلا وبكى منها وجزع عندها ، وربما تنغص عليه يومه وليلته ، وامتنع من عادته في الأكل والشرب . وكان ينشدنا ويورد علينا من أمثاله ما كنا نستعين به ونستفيد منه ما نجعله حظَّ يومنا . ورأيته يوماً ينشد ويبكي :

حنى الدهرُ من بعد استقامته ظهري وأفضى إلى تنغيص عيشته عمري
ودبَّ البلى في كلِّ عضوٍ ومفصلٍ ومن ذا الذي يبقى سليماً على الدهرِ

قال : ووصَّى يوماً بعضَ أصحابه وكان يقرأ عليه « شرح الفصيح » لابن درستويه : كن كما قال الخليل بن أحمد : اجعل ما في كتبك رأسَ مالك ، وما في صدرك للنفقة . قال : وأنشدنا :

وذي حيلةٍ للشيب ظلَّ يحوطُهُ يقرِّضُهُ حيناً وحيناً يُنَتِّفُ
وما لطفت للشيب حيلةُ عالمٍ من الناس إلا حيلة الشيبِ ألطفُ

قال أبو حيان : وشكا أبو الفتحِ القواس إليه طولَ عُطْلَتِهِ ، وكسادَ سوقه ، ووقوفَ أمره ، وذهابَ ماله ، ورقَّةَ حاله ، وكثرةَ ديونه وعياله ، وتجلُّفَ صبيانه ، وسوءَ عشرة أهله معه ، وقلةَ رضاهم به ، ومطالبتهم له بما لا يقوم به ، وأنه يقعُ ويقومُ

ويدخلُ كلَّ مدخل حتى يحصّل لنفسه وعياله بعضَ كفايتهم ، فقال : ثِقْ باللّه خالقك ، وَكِلْ أمرَكَ إلى رازقك ، وأقللْ من شَغبك ، وأجملْ في طلبك ، واعلم أنك بمرأىً من اللّه ومسمع ، قد تكفل برزقك فيأتيك من حيث لا تحتسبه ، وضمنَ لك ولعيالك قوتَهم فيدرُّ عليك[1] من حيث لا ترتقبه ، وعلى حسب الثقة[2] باللّه يكون حُسْنُ[3] المعونة ، وبمقدار عدولك عن اللّه إلى خلقه يكونُ كَلُّ المؤونة ، وأنشد وذكر أنه لبعض المحدثين :

يا طالبَ الرزق إنَّ الرزقَ في طلبك ... والرزقُ يأتي وإن أقللتَ من تعبكْ
لا يملكنّكَ لا حرصٌ ولا تعبٌ ... فيسلماك ولا تدري إلى عطبك
إن تخفَ أسباب رزقِ اللّه عنك فكم ... للرزقِ من سبب يغنيك عن سببكْ
بل ان تكن في أعزّ العزّ ذا أربٍ ... فلا يكنْ زادُ من لم تَبْلُ من أربك
لا تعرضنَّ لزادٍ لستَ تملكُهُ ... واقنعْ بزادك أو فاصبرْ على سغبكْ
ولستَ تحمَدُ أن تُعْزَى إلى نَشَبٍ ... إذا عُزيت إلى بخلٍ على نشبك
هبْ جاهلَ القوم غَرَّتْهُ جهالتُهُ ... ألستَ ذا أدبٍ فاعملْ على أدبك
لا تكلبنَّ على عرضِ الكرام تعشْ ... والكلبُ أحسنُ حالا منك في كَلَبِكْ
ولا تعبْ عرضَ من في عرضه جَرَبٌ ... إلا وأنت نقيُّ العرضِ من جربك
وإنما الناسُ في الدنيا ذوو رتبٍ ... فانهض إلى الرتبة العلياءِ من رتبك

قال أبو حيان : وكان يختلف إلى مجلس أبي سعيد عليٍّ بن المستنير ، وكان هذا ابنَ بنتِ قطرب ، وكان أبو سعيد يعرفُ له تقدُّمَهُ على كثيرٍ من أصحابه ، وكان يرجع إلى وطأة خلق ، وحُسْنِ عشرة ، وحلاوةِ كلام ، وفقرٍ مُدْقع ، وضرٍّ ظاهر ، وحالة سيئة ، وأمرٍ مختلّ ، ومعيشةٍ ضيقة ، وكثرةِ عيال ومؤونة ، مع نشاطِ القلب ، وثبات النفس ، وطلاقة الوجه ، والطرب والارتياح . وقرأ يوماً على أبي سعيد « ديوان

(1) عليك : زيادة من ر .
(2) م : النفقة ، والتصويب من ر .
(3) حسن : زيادة من ر .

المرقش » وأخذ خطَّه بذلك وعجَّل الانصراف من عنده ، فقال له أبو سعيد : أين عزمت ؟ قال : أذهبُ لأصلحَ أمرَ العيال ، وأتمحَّلَ وأحتال ، فدعا له بالرزق والسعة والمعونة والكفاية ، وهو مع ذلك ضاحكُ السنِّ قرير العين ، فلما انصرف قلنا له : هذا الرجل مع ما فيه لا يُعْرَفُ الحزنُ في وجهه ، ولا يشتدُّ همه ، ولا يقدر على دفعه ، فالتفت بعضهم فقال : أيها الشيخ وراءه حالٌ يخفيها عنا ويطويها منا ، قال : ما أظنّ الأمر على ذلك ، لكنّ الرجلَ عاقل ، والعاقلُ يعلو عليه همه وحزنه فيقهرهما بعقله وعلمه ، والجاهل يشتدُّ همه وحزنه وَيُرَى ذلك في وجهه ولا يقدر على دفعه لجهله ، فاستحسنا ذلك وأثبتناه .

قال في « كتاب الامتاع »[1] : فقال لي الوزير أين أبو سعيد من أبي علي ، وأين علي بن عيسى منهما ؟ وأين ابن المراغي[2] أيضاً من الجماعة ؟ وكذلك المرزباني وابن شاذان وابن الوراق وابن حيويه ، فكان من الجواب : أبو سعيدٍ أجمعُ لشملِ العلم ، وأنظمُ لمذاهبِ العرب ، وأدخلُ في كلِّ باب ، وأخرجُ عن كلِّ طريق ، وألزمُ للجادّةِ الوسطى في الدين والخلق ، وأروى للحديث ، وأقضى في الأحكام ، وأفقهُ في الفتوى ، وأحضرُ بركةً على المختلفة[3] ، وأظهر أثراً في المقتبسة ، ولقد كتب إليه نوحُ بن نصر ـ وكان من أدباء ملوك آل سامان ـ سنة أربعين وثلاثمائة كتاباً خاطبه فيه بالإمام ، وسأله عن مسائل تزيد على أربعمائة مسألة ، الغالبُ عليها الحروف وما أشبه الحروف ، وباقي ذلك أمثالٌ مصنوعة على العرب شكَّ فيها فسأله عنها ، وكان هذا الكتاب مقروناً بكتاب الوزير البلعمي[4] خاطبه فيه بامام المسلمين ضمنه مسائلَ في القرآن وأمثالاً للعرب مشكلة . وكتب إليه المرزبان بن محمد ملك الديلم من أذربيجان كتاباً خاطبه فيه بشيخ الاسلام ، سأل عن مائة وعشرين مسألة أكثرها في القرآن وباقي ذلك في الروايات عن النبي ﷺ وعن الصحابة . وكتب إليه ابنُ حنزابةَ من مصر كتاباً خاطبه فيه بالشيخ الجليل وسأله فيه عن ثلاثمائة كلمة من فنون الحديث المرويّ عن

(1) الامتاع والمؤانسة 1 : 129 وانظر بغية الطلب 4 : 268 (وهو ينقله من خط القاضي الفاضل) .
(2) بغية الطلب : ابن الراعي .
(3) م : المختلفين ؛ والمختلفة : الطلبة الذين يختلفون إليه أخذاً للعلم .
(4) بغية الطلب : التغلبي (وفوقها علامة خطأ) .

النبي ﷺ وعن السلف ، وقال لي الدارقطني سنة سبعين : أنا جمعتُ ذلك لابن حنزابة على طريق المعونة . وكتب إليه أبو جعفر ملك سجستان على يد شيخنا أبي سليمان كتاباً خاطبه فيه بالشيخ الفرد ، سأل عن سبعين مسألة في القرآن ومائة كلمة في العربية وثلاثمائة بيت من الشعر ، هكذا حدثني به أبو سليمان ، وأربعين مسألة في الأحكام ، وثلاثين مسألة في الأصول على طريق المتكلمين . قال الوزير[1] : وهذه المسائل والجوابات[2] عندك ؟ قلت : نعم ، قال : في كم تقع ؟ قلت : لعلها تقع في ألف وخمسمائة ورقة لأن أكثرها في الظهور ، قال : ما أحوجنا إلى النظر إليها والاستمتاع بها والاستفادة منها ، وأين الفراغ وأين السكون ونحن في كل يوم نُدْفَعُ إلى طامّة تنسي ما سلف وتوعد بالداهية . ثم قال : صِلْ حديثك ، قلت : وأما أبو علي فأشدّ تفرداً بالكتاب ، وأكثر[3] إكباباً عليه ، وأبعدُ من كل ما عداه مما هو علم الكوفيين ، وما تجاوز في اللغة كتب أبي زيد وأطرافاً لغيره ، وهو متّقد بالغيظ على أبي سعيد وبالحسدِ له : كيف تم له تفسيرُ كتاب سيبويه من أوله إلى آخره بغريبه وأمثاله وشواهده وأبياته ، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء ، لأن هذا شيء ما تمَّ للمبرد ولا للزجاج ولا لابن السراج ولا لابن درستويه ، مع سعة علمهم وفيض بيانهم[4] ، ولأبي علي أطرافٌ من الكلام في مسائل أجاد فيها ولم يأتلِ ، ولكنه قعد عن الكتاب على النظم المعروف . وحدثني [بعض] أصحابنا أن أبا علي اشترى شرح أبي سعيد بالأهواز في توجهه إلى بغداد سنة ثمان وستين لاحقاً بالخدمة المرسومة به والندامة الموقوفة عليه بألفي درهم، وهذا حديثٌ مشهور وإن كان أصحابه يأبون الإقرار به إلا من يزعم أنه أراد النقضَ عليه واظهار الخطأ فيه. وقد كان الملك السعيد[5] همَّ بالجمع بينهما فلم يُقْضَ ذلك لأن أبا سعيد مات في رجب سنة ثمان وستين وثلاثمائة. وأبو علي يشرب ويتخالع[6]

(1) يعني أبا عبد الله العارض المعروف بابن سعدان .

(2) الامتاع : والجواب عنها .

(3) الامتاع : وأشد .

(4) م : وقبض بنانهم (والتصويب أشار إليه الاستاذ النشاشيبي) .

(5) زاد في الامتاع والبغية : رضي الله عنه .

(6) م : ويخالع .

[ويفارق] هديَ سجيةِ[1] أهل العلم وطريقة الديانين[2] ، وأبو سعيد يصومُ الدهرَ[3] ولا يصلّي إلا في الجماعة ، ويُفتِي[4] على مذهب أبي حنيفة ، ويلي القضاء سنين ، ويتألّه ويتحرَّجُ ، وغيره بمعزل عن هذا ، ولولا الإبقاء [على الحرمة][5] لأهل العلم لكان القلم يجري بما هو خافٍ ، ويخبر بما هو مجمجم ، ولكنَّ الأخذَ بحكمِ المروءة أولى ، والإعراضَ عن ما يوجب اللائمة أحرى . وكان أبو سعيد حسنَ الخطّ ، ولقد أراده الصيمري أبو جعفر على الانشاء والتحرير فاستعفى . وقال : هذا يُحْتاجُ فيه إلى دربة وأنا عار منها ، وإلى سياسةٍ وأنا غريب فيها .

* ومن العناءِ رياضةُ الهَرِمِ *

وحدثنا النصري[6] أبو عبد الله وكان يكتب النوبةَ للمهلبي قال : كنتُ أخطّ بين يدي الصيمري أبي جعفر محمد بن أحمد بن محمد ، فالتمسني يوماً لأن أجيبَ ابنَ العميد أبا الفضل عن كتاب فلم يجدني ، وكان أبو سعيد السيرافي بحضرته ، فظنَّ[7] أنه لفضل العلم أقومُ بالجواب من غيره ، فتقدَّم إليه أن يكتبَ ويجيب ، فأطالَ في عمل نسخة كثر فيها الضَّرْبُ والإصلاح ، ثم أخذ يحرّر والصيمري يقرأ ما يكتبه ، فوجده مخالفاً[8] لجاري العادة لفظاً ، مبايناً لما يؤثره ترتيباً ، قال : ودخلت في تلك الحال فتمثل الصيمري بقول الشاعر :

يا باريَ القوسِ بريـاً ليس يصلحُـهُ   لا تظلم القوسَ أعطِ[9] القوسَ باريها

(1) سجية ، سقطت من المصدرين .
(2) الامتاع : الربانيين ؛ وهذا من تغيير المحققين ، والديانين صواب . وزاد في المصدرين : وعبادة (وعادة) المتنسكين .
(3) في م هنا زيادة : كله .
(4) الامتاع والبغية : ويقيم .
(5) الامتاع : على حرمة أهل ؛ البغية : لحرمة العلم .
(6) البغية وأصل الامتاع : النفري (او البقري) .
(7) البغية وأصل الامتاع : فبان .
(8) م : مخلفاً .
(9) البغية : وأعط .

ثم قال لأبي سعيد : خفف عليك[1] أيها الشيخ وادفع الكتاب إلى أبي عبد الله تلميذك ليجيبَ عنه ، فخجل من هذا القول ، فلما ابتدأت الجواب من غير نسخة تحيَّر مني أبو سعيد ثم قال للصيمري : أيها الأستاذ ليس بمستنكر ما كان مني ولا بمستكثر[2] ما كان منه ، إن مالَ الفيء[3] لا يصحُّ في بيت المال إلا بين مستخرجٍ وَجَهْبَذ ، والكتَّابُ جهابذةُ الكلام ، والعلماءُ مستخرجوه ، فتبسم الصيمري وأعجبه ما سمع وقال : على كلٍّ حال ما أخليتنا من فائدة . وكان أبو سعيد بعيدَ القرين لأنّه كان يُقْرَأُ عليه القرآن والتفسير والفقه والفرائض والشروط والنحو واللغة والعروض والقوافي والحساب والهندسة والشعر والحديث والأخبار ، وهو في كل هذا إما في الغاية وإما في الوسط .

وأما علي بن عيسى فعليُّ الرتبة[4] في النحو واللغة والكلام والعروض والمنطق ، وعيب به لأنه[5] لم يسلكْ طريقَ واضعِ المنطق بل أفرد صناعة وأظهر براعة ، وقد عمل في القرآن كتاباً نفيساً ، هذا مع الدين الثخين والعقل الرزين[6] .

وأما ابن المراغي فلا يلحق بهؤلاء ، مع براعة اللفظ وسعة الحفظ ، وقوة النفس ، [وبلل الريق][7] وغزارة النفث ، وكثرة الرواية[8] ، ومن نظر له في « كتاب البهجة » عرف ما أقول واعتقد فوق ما وصفت[9] .

وأما المرزباني وابن شاذان والقرميسيني وابن الخلال[10] وابن حيويه فلهم رواية وجمعٌ[11]، ليس لهم في شيء من ذلك نَقْطٌ ولا إعجام ، ولا إسراجٌ ولا إلجام .

وحدثني الشيخ الامام علم الدين القاسم بن أحمد الأندلسي شيخنا قال :

---

(1) م : عنك .
(2) م : بمستكبر .
(3) م : الغني .
(4) م : الرتب .
(5) م : إلا أنه .
(6) البغية : المتين والعقل الرصين .
(7) البغية : وطل الدين .
(8) إلى هنا ينتهي النقل في بغية الطلب .
(9) الامتاع : أصف .
(10) ابن الخلال : سقط من الامتاع .
(11) الامتاع : فهم رواة وحملة .

حدثني تاج الدين أبو اليمن زيد بن الحسن الكندي شيخنا، قال[1] : بلغني أن أبا سعيد دخل على ابن دريد وهو يقولُ : أولُ من أقوى في الشعر أبونا آدم عليه السلام في قوله :

تغيَّرتِ البلادُ وَمَنْ عليها فوجهُ الأرضِ مغبرٌّ قبيحُ
تغيّر كلّ ذي طعمٍ ولونٍ وقلَّ بشاشةُ الوجهِ المليحِ

فقال أبو سعيد : يمكن إنشاده على وجه لا يكون فيه إقواءٌ ، فقال: وكيف ذلك؟ قال: بأن تنصب بشاشة على التمييز، وترفع الوجه المليح بقَلَّ، ويكون قد حذف التنوين لالتقاء الساكنين كما حذف في قوله :

فألفيته غير مستعتبٍ ولا ذاكرِ اللَّهَ إلا قليلا

وقال أبو حيان[2]: جرى ليلةً ذكر أبي سعيد السيرافي في مجلس ابن عباد، وكان ابن عباد يتعصب له ، ويقدمه على أهل زمانه ، ويزعم أنه حضر مجلسه ، وأبان عن نفسه ، وصادف من أبي سعيد بحرَ علم وطود حلم ، فقال أبو موسى الخشكي[3] : إلاّ أنه لم يعمل في « شرح كتاب سيبويه » شيئاً ، فنظر إليه ابن عباد متنمراً ولم يقل حرفاً ، فعجبتُ من ذلك ، ثم إني توصلتُ ببعض أصحابه حتى سأل عن حلمه عن أبي موسى مع ذبّه عن أبي سعيد فقال : واللّه لقد ملكني الغيظُ على[4] ذلك الجاهل حتى عَزَبَ عنّي رأيي ولم أجدْ في الحال شيئاً يَشْفي غيظي وغلّتي منه ، فصار ذلك سبباً لسكوتي عنه ، فشابهت الحالُ الحلمَ ، وما كان ذلك حلماً ، ولكن طلباً لنوعٍ من الاستخفاف لائقٍ به ، فواللّه ما يدري ذلك الكلبُ ولا أحدٌ ممن خرج من قريته ورقةً من ذلك الكتاب ، وهل سبق أحد إلى مثله من أول الكتاب إلى آخره مع كثرة فنونه وخوافي

(1) انظر رسالة الغفران: 355 وقد علّق أبو العلاء على ذلك بقوله : هذا الوجه الذي قاله أبو سعيد شر من إقواء عشر مرات في القصيدة الواحدة ، وانظر البصائر 4: 220 (رقم: 800) .
(2) أخلاق الوزيرين: 401 ـ 402 .
(3) أخلاق الوزيرين: أبو موسى المعلم شيخ يعرف بالحسنكي؛ ولم ترد هذه النسبة في الأنساب واللباب؛ والخشكي ـ بضم الخاء وسكون الشين .
(4) م : عن .

أسراره ؟! وكان أبو موسى هذا من طبرستان ، فَعُدَّ هذا التعصبُ من مناقب ابن عباد ، وحجب أبا موسى بعد ذلك.

ومن عجيب[1] ما مرَّ بي ما قرأته في « كتاب الانتصار المنبي عن فضائل المتنبي » لأبي الحسين محمد بن أحمد بن محمد المغربي راوية المتنبي وكان قد ردَّ فيه على بعض من زعم أن شعر المتنبي مسروقٌ من أبي تمام والبحتري ، وله قصيدةً عارض بها بعض قصائد المتنبي ، وأخذ المغربي يردّ عليه فقال : ورأيته وقد استشهد بأبي سعيد السيرافي مؤدّب الأمير أبي إسحاق ابن معز الدولة أبي الحسين ابن بويه وذكر أنه أعطاه خطه بأن قصيدته خير من قصيدة أبي الطيب ، قال : ومن جعل الحكم في هذا إلى أبي سعيد ؟ إنما يحكم في الشعر الشعراء لا المؤدّبة ، وبمثل هذا جرت سنة العرب في القديم ، كانت تضرب للنابغة خيمة من أدم بسوق عكاظ وتأتي الشعراء من سائر الآفاق فتعرض أشعارها عليه فيحكم لمن أجاد ، وخبره مع حسان وغيره معروف ، ولو كان أعلم الناس بالنحو أشعرهم لكان أبو علي الفسوي أشعر الناس ، وما عرف له نظم بيت ولا أبيات ولا سمع ذلك منه . وأما إعطاء أبي سعيد خطه فيوشك أن يكون من جنس[2] ما حدثني به المعروف بابن الخزاز الوراق ببغداد وأبو بكر القنطري وأبو الحسين ابن[3] الخراساني ، وهما وراقان أيضاً من جلة أهل هذه الصنعة أن أبا سعيد إذا أراد بيعَ كتابٍ استكتبه بعضَ تلامذته حرصاً على النفع منه ونظراً في دق المعيشة كتب في آخره ، وإن لم ينظر في حرف منه : « قال الحسن بن عبد اللّه قد قرىء هذا الكتاب عليّ وصح » ليشترى بأكثر من ثمن مثله . قلت : وهذا ضد ما وصفه به الخطيب من متانة الدين ، وتأبّيه من أخذ رزق على القضاء ، وقناعته بما يحصل من نسخه هذه ، واللّه أعلم بما كان .

---

(1) بغية الطلب 4 : 267 ـ 268 (وذكر قصة أخرى).

(2) م : جنب .

(3) ابن : سقطت من البغية .

مناظرة جرت بين متى بن يونس القنائي الفيلسوف وبين أبي سعيد السيرافي رحمة الله عليه

قال أبو حيان(1) : ذكرت للوزير مناظرةً جرت في مجلس الوزير أبي الفتح الفضل بن جعفر بن الفرات بين أبي سعيد السيرافي وأبي بشر متى واختصرتها ، فقال لي : اكتب هذه المناظرة على التمام فإن شيئاً يجري في ذلك المجلس النبيه وبين هذين الشيخين بحضرة أولئك الأعلام ينبغي أن يغتنم سماعه ، وتوعَى فوائده ، ولا يتهاون بشيء منه . فكتبت : حدثني أبو سعيد بلمع من هذه القصة ، فأما علي بن عيسى النحوي الشيخ الصالح فإنه رواها مشروحة قال : لما انعقد المجلس سنة عشرين وثلاثمائة(2) قال الوزير ابن الفرات للجماعة ـ وفيهم الخالدي وابن الاخشيد والكندي وابن أبي بشر وابن رباح وابن كعب وأبو عمرو قدامة بن جعفر والزهريّ وعلي بن عيسى بن الجراح وأبو فراس وابن رشيد وابن عبد العزيز الهاشمي وابن يحيى العلويّ ورسول ابن طغجٍ من مصر والمرزباني صاحب بني سامان ـ : أريد أن ينتدبَ منكم إنسانٌ لمناظرة متّى في حديث المنطق ، فإنه يقول : لا سبيلَ إلى معرفة الحقّ من الباطل ، والصدق من الكذب ، والخير من الشر ، والحجة من الشبهة ، والشك من اليقين ، إلا بما حويناه من المنطق ، وملكناه من القيام [به] ، واستفدناه من واضعه على مراتبه وحدوده ، واطلعنا عليه من جهة اسمه على حقائقه . فأحجم القومُ وأطرقوا ، فقال ابن الفرات : واللّٰه إن فيكم لمن يفي بكلامه ومناظرته وكسرِ ما يذهب إليه ، وإني لأعدّكم في العلم بحاراً ، وللدين وأهله أنصاراً ، وللحقِّ وطلابه مناراً ، فما هذا التغامز والتلامز اللذان تَجِلُّونَ عنهما ؟! فرفع أبو سعيد السيرافي رأسه وقال : اعذر أيها الوزير ، فإن العلم المصون في الصدور غير العلم المعروض في هذا

---

(1) الامتاع والمؤانسة 1 : 107 ـ 129 .

(2) في الامتاع : سنة ست وعشرين ، وسيأتي أن أبا سعيد ولد سنة 280 وكان له يوم المناظرة أربعون سنة .

المجلس على الأسماع المصيخة ، والعيون المحدقة ، والعقول الجامَّة[1] ، والألباب الناقدة ، لأن هذا يستصحبُ الهيبة والهيبة مَكْسَرَة ، ويجتلب الحياءَ والحياءُ مَغْلَبـة ، وليس البراز في معركة غاصَّة ، كالصراع في بقعة خاصّة[2] . فقال ابن الفرات : أنت لها يا أبا سعيد ، فاعتذارك عن غيرك يوجب عليك الانتصار لنفسك ، والانتصار لنفسك راجعٌ على الجماعة بفضلك . فقال أبو سعيد : مخالفة الوزير فيما يأمره[3] هُجْنَةٌ ، والاحتجان عن رأيه إخلاد إلى التقصير ، ونعوذ باللّٰه من زلّة القدم ، وإيّاه نسأل حسنَ التوفيق في الحرب والسلم . ثم واجه متّى فقال : حدثني عن المنطق ما تعني به ، فإنا إذا فهمنا مرادك فيه كان كلامنا معك في قبول صوابه وردِّ خطأه على سَنن مَرْضِيٍّ وعلى طريقةٍ معروفة . قال متى : أعني به أنه آلة من الآلات يعرف به صحيح الكلام من سقيمه ، وفاسدُ المعنى من صالحه ، كالميزان فإني أعرف به الرجحان من النقصان والشائل من الجانح . فقال له أبو سعيد : أخطأت لأن صحيح الكلام من سقيمه يُعْرَفُ [بالنظم المألوف والاعراب المعروف إذا كنا نتكلم بالعربية ؛ وفاسد المعنى من صالحه يعرف] بالعقل إن كنا نبحث بالعقل . وهبك عرفت الراجحَ من الناقص من طريق الوزن من لك بمعرفة الموزون أهو حديد أو ذهب أو شبه أو رصاص ، وأراك بعد معرفة الوزن فقيراً إلى معرفة جوهر الموزون ، وإلى معرفة قيمته وسائر صفاته التي يطول عدُّها ، فعلى هذا لم ينفعك الوزنُ الذي كان عليه اعتمادك ، وفي تحقيقه كان اجتهادك ، إلا نفعاً يسيراً من وجهٍ واحد ، وبقيت عليك وجوهٌ ، فأنت كما قال الأول[4] .

* حَفِظْتَ شَيْئاً وَضَاعَتْ مِنْكَ أَشْيَاءُ *

وبعد ، فقد ذهب عليك شيء ها هنا : ليس كلّ ما في الدنيا يوزن، بل فيها ما يوزن ، وفيها ما يكال ، وفيها ما يذرع ، وفيها ما يمسح ، وفيها ما يحزر ، وهذا وإن

(1) في أصل الامتاع : الجامة ، وقرأه المحققان « الحادة » وفي م : الجامدة .
(2) الامتاع : في معركة خاصة ، كالمصاع في بقعة عامة .
(3) الامتاع : رسمه .
(4) عجز بيت لأبي نواس ، وصدره : فقل لمن يدَّعي في العلم معرفة .

كان هكذا في الأجسام المرئية فإنه أيضاً على ذلك في المعقولات المقرّرة[1] . والاحساسات[2] ظلال العقول ، وهي تحكيها بالتبعيد والتقريب ، مع الشبه المحفوظ والمماثلة الظاهرة . ودع هذا : إذا كان المنطق وضعه رجلٌ من يونان على لغة أهلها واصطلاحهم عليها وما يتعارفونه بها من رسومها وصفاتها ، من أين يلزم التركَ والهندَ والفرسَ والعربَ أن ينظروا فيه ويتخذوه حكَماً لهم وعليهم ، وقاضياً بينهم ، ما شهد لهم [به] قبلوه وما أنكره رفضوه؟ .

قال متى : إنما لزم ذلك لأن المنطق بحثٌ عن الأغراض المعقولة والمعاني المدركة ، وتصفّح للخواطر السانحة والسوانح الهاجسة ، والناس في المعقولات سواء ، ألا ترى أن أربعة وأربعة ثمانية عند جميع الأمم وكذلك ما أشبهه .

قال أبو سعيد : لو كانت المطلوبات بالعقل والمذكورات باللفظ ترجع مع شُعَبها المختلفة وطرائقها المتباينة إلى هذه المرتبة البينة في أربعة وأربعة أنهما ثمانية زال الاختلاف وحضر الاتفاق ، ولكن ليس الأمر هكذا ، ولقد موَّهْتَ بهذا المثال ، ولكم عادةٌ في مثل هذا التمويه ، ولكن ندعُ هذا أيضاً : إذا كانت الأغراض المعقولة والمعاني المدركة لا يوصل إليها إلاّ باللغة الجامعة للأسماء والأفعال والحروف أفليس قد لزمت الحاجة إلى معرفة اللغة ؟ قال : نعم ، قال : أخطأت ، قل في هذا الموضع بلى ، قال متى : بلى ، أنا أقلدك في مثل هذا . قال أبو سعيد : فأنت إذن لست تدعونا إلى علم المنطق بل إلى تعلم اللغة اليونانية ، وأنت لا تعرف لغة يونان ، فكيف صرتَ تدعونا إلى لغة لا تفي بها ، وقد عَفَتْ منذ زمان طويل ، وباد أهلها وانقرض القومُ الذين كانوا يتفاوضون بها ويتفاهمون أغراضهم بتصرفها[3] ؟ على أنك تنقل من السريانية فما تقول في معانٍ متحوّلةٍ[4] بالنقل من لغة يونان إلى لغة أخرى سريانية ثم من هذه إلى لغة أخرى عربية ؟

---

(1) م : المقروءة .
(2) م : والاحساس .
(3) الامتاع : بتصاريفها .
(4) م : متهولة ؛ وفي أصل الامتاع : مملوكة .

قال متى : يونان وإن بادت مع لغتها فإن الترجمة قد حفظت الأغراضَ وأدّت المعاني وأخلصت الحقائق .

قال أبو سعيد : إذا سلمنا لك أن الترجمةَ صَدَقَتْ وما كذبت ، وقوَّمت وما حرَّفت ، ووزنت وما جزفت ، وأنها ما التاثت ولا حافت ، ولا نقصت ولا زادت ، ولا قدمت ولا أخرت ، ولا أخلَّت بمعنى الخاصّ والعامّ ولا بأخصِّ الخاصّ ولا بأعمّ العامّ ، وإن كان هذا لا يكون ، وليس في طبائع اللغات ولا في مقادير المعاني ، فكأنك تقول بعد هذا : لا حجة إلا عقول يونان ، ولا برهان إلا ما وصفوه[1] ، ولا حقيقة إلا ما أبرزوه .

قال متى : لا ولكنهم من بين الأمم أصحاب عناية بالحكمة ، والبحث عن ظاهر هذا العالم وباطنه ، وعن كل ما يتَّصلُ به وينفصل عنه ، وبفضل عنايتهم ظهر ما ظهر ، وانتشر ما انتشر ، وفشا ما فشا ، ونشا ما نشا من أنواع العلم وأصناف الصناعة[2] ، ولم نجد هذا لغيرهم .

قال أبو سعيد : أخطأت وتعصبت وملت مع الهوى ، فإن العلم مبثوث في العالم ، ولهذا قال القائل :

العلم في العالم مبثوثُ ونحوَهُ العاقلُ محثوثُ

وكذلك الصناعات مفضوضةٌ على جميع من على جديد الأرض ، ولهذا غلب علم في مكان دون مكان ، وكثرت صناعة في بقعة دون صناعة ، وهذا واضح والزيادة عليه مشغلة ، ومع هذا فإنما كان يصح قولك وتسلم دعواك لو كانت يونان معروفة بين جميع الأمم بالعصمة الغالبة والفطرة[3] الظاهرة والبنية المخالفة ، وأنهم لو أرادوا أن يخطئوا ما قدروا ، ولو قصدوا أن يكذبوا ما استطاعوا ، وأن السكينة نزلت عليهم ، والحقّ تكفَّلَ بهم ، والخطأ تبرأ منهم ، والفضائل لصقتْ بأصولهم وفروعهم ، والرذائل بعدت عن جواهرهم وعروقهم وهذا جهلٌ ممّن يظنه بهم ، وعنادٌ ممّن يدَّعيه

(1) الامتاع : وضعوه .
(2) الامتاع : الصنائع .
(3) الامتاع : والفطنة .

عليهم ، بل كانوا كغيرهم من الأمم يصيبون في أشياء ويخطئون في أشياء ، ويصدقون في أمور ويكذبون في أمور ، ويحسنون في أحوال ويسيئون في أحوال ، وليس واضعَ المنطق يونانُ بأسرها ، إنما هو رجل منهم ، وقد أخذ عمن قبله ، كما أخذ عنه من بعده ، وليس هو حجةً على هذا الخلق الكثير والجمِّ الغفير ، وله مخالفون منهم ومن غيرهم . ومع هذا فالاختلافُ في الرأي والنظر والبحث والمسألة والجواب سِنْخُ وطبيعة ، فكيف يجوز أن يأتيَ رجلٌ بشيء يرفعُ به هذا الخلاف أو يحلحله أو يؤثر فيه ، هيهات هذا محالٌ ، ولقد بقي العالم بعد منطقه على ما كان قبل منطقه ، وامسح وجهك بالسلوةِ عن شيءٍ لا يستطاع ، لأنه مفتَقدٌ بالفطرةِ والطباع ، وأنت فلو فرَّغْتَ بالك وصرفت عنايتك إلى معرفة هذه اللغة التي تحاورنا بها وتجارينا فيها وتدارِسُ أصحابك بمفهوم أهلها وتشرح كتبَ يونان بعبارة[1] أصحابها لعلمت أنك غنيٌّ عن معاني يونان كما أنك غني عن لغة يونان. وها هنا مسألة : أتقول إن الناس عقولهم مختلفة وأنصباؤهم منها متفاوتة ؟ قال متى : نعم ، قال : وهذا التفاوت والاختلاف بالطبيعة أو الاكتساب ؟ قال : بالطبيعة ، قال فكيف يجوز أن يكون ها هنا شيءٌ يرتفعُ به الاختلافُ الطبيعيُّ والتفاوت الأصليّ ؟ قال متى : هذا قد مرَّ في جملة كلامك آنفاً ، قال أبو سعيد : فهل وصلته بجواب قاطع ، وبيان ناصع ؟ ودع هذا : أسألك عن حرف واحد هو دائر في كلام العرب ، ومعانيه متميِّزة عند أهل العقل فاستخرج أنت معانيه من ناحية منطق أرسطاطاليس الذي تُدِلّ به وتباهي بتفخيمه ـ وهو الواو ـ وما أحكامه وكيف مواقعُه ؟ وهل هو على وجهٍ واحد أو وجوه ؟

فبهت متى وقال : هذا نحو ، والنحو لم أنظر فيه لأن لا حاجة بالمنطقي إلى النحو ، وبالنحويّ حاجة إلى المنطق ، لأن المنطق يبحثُ عن المعنى ، والنحو يبحث عن اللفظ ، فإن مرَّ المنطقي باللفظ فبالعرض ، وإن عبر النحوي بالمعنى فبالعرض ، والمعنى أشرفُ من اللفظ ، واللفظ أوضعُ من المعنى .

قال أبو سعيد : أخطأت لأن المنطق والنحو واللفظ والإفصاح والإعراب والإنباء والحديث والاخبار والاستخبار والعرض والتمني والحضّ والدعاء والنداء والطلب كلها

(1) م : بعادة .

من واد واحد بالمشاكلة والمماثلة ، ألا ترى أن رجلاً لو قال : نطق زيد بالحق ولكنْ ما تكلم بالحق ، وتكلَّم بالفحش ولكن ما قال الفحش ، وأعربَ عن نفسه ولكن ما أفصح ، وأبان المراد ولكن ما أوضح أو فاه بحاجته ولكن ما لفظ ، أو أخبر ولكن ما أنبأ ، لكان في جميع هذا مخرِّفاً ومناقضاً وواضعاً للكلام في غير حقه ، ومستعملاً للفظ على غير شهادة من عقله وعقل غيره . والنحو منطق ولكنه مسلوخ من العربية ، والمنطق نحو ولكنه مفهوم باللغة ، وإنما الخلافُ بين اللفظ والمعنى أنّ اللفظ طبيعي والمعنى عقلي ، ولهذا كان اللفظ بائداً على الزمان يقفو أثر الطبيعية بأثر آخر من الطبيعية ، ولهذا كان المعنى ثابتاً على الزمان لأن مستملي المعنى عقل ، والعقل إلهيّ ، ومادّة اللفظ طينية ، وكل طيني متهافت . وقد بقيتَ أنت بلا اسمٍ لصناعتك التي تنتحلها وآلتك التي تزهى بها ،إلا أن تستعيرَ من العربية لها اسماً فتعار، ويسلم لك [ذلك] بمقدار، وإن لم يكن لك بدّ من قليل هذه اللغة من أجل الترجمة فلا بدَّ لك أيضاً من كثيرها من أجل تحقيق الترجمة واجتلاب الثقة والتوقي من الخلة اللاحقة لك .

قال متى : يكفيني من لغتكم هذا الاسم والفعل والحرف ، فإني أتبلّغ بهذا القدر إلى أغراض قد هذَّبَتْها لي يونان .

قال أبو سعيد : أخطأت لأنك في هذا الاسم والفعل والحرف فقيرٌ إلى وصفها وبنائها على الترتيب الواقع في غرائز أهلها ، وكذلك أنت محتاج بعد هذا إلى حركات هذه الأسماء والأفعال والحروف ، فإن الخطأ والتحريف في الحركات كالخطأ والفساد في المتحركات ، وهذا باب أنت وأصحابك ورهطك عنه في غفلة . على أن ها هنا سراً ما عَلِقَ بك ولا أُسفر لعقلك وهو : أن تعلم أن لغةً من اللغات لا تطابقُ لغة أخرى من جميع جهاتها ، بحدود صفاتها في أسمائها وأفعالها وحروفها وتأليفها وتقديمها وتأخيرها واستعارتها وتحقيقها وتشديدها وتخفيفها وسعتها وضيقها ونظمها ونثرها وسجعها ووزنها وميلها وغير ذلك مما يطول ذكره ، وما أظن أحداً يدفع هذا الحكم أو يسأل في صوابه ممن يرجع إلى مسكةٍ من عقل أو نصيب من إنصاف ، فمن أين يجب أن تثق بشيء تُرْجِمَ لك على هذا الوصف ؟ بل أنت إلى أن تعرف اللغة العربية أحوجُ منك إلى أن تعرف المعاني اليونانية . على أن المعاني لا تكون يونانية ولا هندية ، كما

أن اللغات تكون[1] فارسية ولا عربية ولا تركية . ومع هذا فإنك تزعم أن المعاني حاصلة بالعقل والفحص والفكر ، فلم يبق إلا إحكام اللغة ، فلم تزري على العربية وأنت تشرحُ كتب أرسطاطاليس بها مع جهلك بحقيقتها ؟! وحدثني عن قائل قال لك : حالي في معرفة الحقائق والتصفح لها والبحث عنها حالُ قومٍ كانوا قبل واضع المنطق أنظرُ كما نظروا ، وأتدبرُ كما تدبروا ، لأن اللغة قد عرفتها بالمنشأ والوراثة ، والمعاني نَقَّرْتُ عنها بالنظر والرأي والاعتقاب والاجتهاد ، ما تقول له ؟ [أتقول] لا يصحّ له هذا الحكم ولا يستتب هذا الأمر لأنه لم يعرف هذه الموجودات من الطريقة التي عرفتها أنت، ولعلك تفرح بتقليده لك وإن كان على باطل، أكثر مما تفرح باستبداده وإن كان على حقّ ، وهذا هو الجهل المبين والحكم غير المستبين .

ومع هذا : فحدثني عن الواو ما حكمه فإني أريد أن أبيّن أن تفخيمك للمنطق لا يغني عنك شيئاً وأنت تجهل حرفاً واحداً من اللغة التي تدعو بها إلى الحكمة اليونانية ، ومن جهل حرفاً واحداً أمكن أن يجهل اللغة بكاملها ، فإن كان لا يجهلها كلّها ولكن يجهل بعضها فلعله يجهلُ ما يحتاج إليه ولا ينفعه فيه علم ما لا يحتاج [إليه] . وهذه رتبة العامة أو هي رتبةُ مَنْ هو فوق العامة بقدر يسير ، فلِمَ يتأبّى على هذا ويتكبر[2] ويتوهم أنه من الخاصة وخاصة الخاصة ، وأنه يعرف سرّ الكلام وغامض الحكمة وخفيّ القياس وصحيح البرهان ؟ وإنما سألتك عن معاني حرف واحدٍ ، فكيف لو نثرتُ عليك الحروفَ كلها وطالبتك بمعانيها ومواضعها التي لها بالحق والتي لها بالتجوّز ؟ سمعتكم تقولون « في » لا يعلم النحويون مواقعها وإنما يقولون هي للوعاء كما يقولون : إن الباء للإلصاق ؛ وإن « في » تقال على وجوه : يقال الشيء في الوعاء ، والإناء في المكان ، والسائس في السياسة والسياسة في السائس. أترى [أن] هذا التشقيق[3] هو من عقول يونان ومن ناحية لغتها ، ولا يجوز أن يعقل هذا بعقول الهندِ والتركِ والعرب ؟ فهذا جهل من كل من يدّعيه ، وخطل من القول الذي أفاض فيه .

(1) م : لا تكون . . .ولا . . . ولا .
(2) م : وينكر .
(3) م : الشقيق .

النحوي إذا قال : « في » للوعاء فقد أفصح في الجملة عن المعنى الصحيح ، وكنى مع ذلك عن الوجوه التي تظهر بالتفصيل ، ومثل هذا كثير وهو كافٍ في موضع التكنية[1] .

فقال ابن الفرات . أيها الشيخ الموفق ، أجبه بالبيان عن مواقع الواو حتى تكونَ أشد في إفحامه ، وحقِّقْ عند الجماعة ما هو عاجزٌ عنه ومع ذلك فهو متشبّع[2] به .

فقال أبو سعيد : للواو وجوه ومواقع منها : معنى العطف في قولك أكرمت زيداً وعمراً ، ومنها القسم في قولك واللّه لقد كان كذا وكذا ، ومنا الائتناف كقولك : خرجت وزيدٌ قائم ، لأن الكلام بعده ابتداء وخبر ، ومنها معنى ربّ التي هي للتقليل نحو قوله :

وقاتم الأعماق خاوي المخترق[3]

ومنها أن تكون أصلية في الاسم كقولك : واقد واصل وافد ، وفي الفعل كقولك وَجِلَ يَوْجَلُ ، ومنها أن تكون مقحمة نحو قول اللّه تعالى : ﴿ فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ وَنَادَيْنَاهُ ﴾ (الصافات: 13) أي ناديناه ، ومثله قول الشاعر[4] :

فلما أجزنا ساحةَ الحيّ وانتحى بنا بطنُ خَبْتٍ ذي قفافٍ عقنقلِ

المعنى : انتحى بنا ، ومنها معنى الحال في قوله عز وجل : ﴿ وَيُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلاً ﴾ (آل عمران: 46) أي يكلّم الناسَ حالَ صغره بكلام الكهل في حال كهولته ، ومنها أن تكون بمعنى حرف الجرّ كقولك استوى الماء والخشبةَ أي مع الخشبة .

فقال ابن الفرات لمتى : يا أبا بشر أكان هذا في نحوك ؟

ثم قال أبو سعيد : دع هذا ، ها هنا مسألة علاقتها بالمعنى العقلي أكثر من

---

(1) م : السكيت (التبكيت) .

(2) م : متشيع (وغيّر في الامتاع إلى « مشنع ») وما أثبته هو الصواب إذ المتشبع هو الذي يدعي معرفة ما لا يحسنه ، وقد مرَّ توضيحه .

(3) هو لرؤبة بن العجاج ، انظر ديوانه : 104 .

(4) امرؤ القيس ، انظر ديوانه : 15 .

علاقتها بالشكل اللفظي ، ما تقول في قول القائل : زيدٌ أفضل الاخوة ؟ قال : صحيح ، قال فما تقول إن قال : زيد أفضل إخوته ، قال : صحيح ، قال : فما الفرق بينهما مع الصحة ؟ فبلَّح وجنَحَ وَغَصبَ ريقُهُ[1] . فقال أبو سعيد : أفتيتَ على غير بصيرة ولا استبانة . المسألة الأولى جوابك عنها صحيح وإن كنتَ غافلاً عن وجه صحتها ، والمسألة الثانية جوابك عنها غير صحيح وإن كنت أيضاً ذاهباً عن وجه بطلانها . قال متى : بين ما هذا التهجين . قال أبو سعيد : إذا حضرت المختلفة استفدتَ ، ليس هذا مكانَ التدريس ، هو مجلس إزالة التلبيس مع من عادتُهُ التمويهُ والتشبيه ، والجماعةُ تعلم أنك أخطأت ، فلم تدعي أن النحويَّ إنما ينظر في اللفظ لا في المعنى والمنطقي ينظر في المعنى لا في اللفظ ؟ هذا كان يصحّ لو أن المنطقي يسكتُ ويجيل فكره في المعاني ويرتب ما يريد في الوهم السيّاح[2] والخاطرِ العارض والحدس الطارىء، وأما وهو يُريغُ أن يبرزَ ما صحَّ له بالاعتبار والتصفح إلى المتعلم والمناظر فلا بدّ له من اللفظ الذي يشتمل على مراده ، ويكون طباقاً لغرضه ، وموافقاً لقصده .

قال ابن الفرات : يا أبا سعيد تمم لنا كلامك في شرح المسألة حتى تكونَ الفائدة ظاهرةً لأهل المجلس والتبكيتُ عاملاً في نفس أبي بشر . فقال : ما أكرهُ من إيضاح الجواب عن هذه المسألة إلا مَلَلَ الوزير ، فإن الكلام إذا طال مُلَّ . فقال ابن الفرات : ما رغبتُ في سماع كلامك وبيني وبين الملل علاقة ، فأما الجماعةُ فحرصها على ذلك ظاهر . فقال أبو سعيد : إذا قلتَ زيدٌ أفضل إخوته لم يَجُزْ ، وإذا قلت : زيد أفضلُ الاخوة جاز ، والفصلُ بينهما أنّ إخوةَ زيد هم غيرُ زيد ، وزيد خارج من جملتهم ، ودليل ذلك أنه لو سأل سائل فقال : من إخوة زيد لم يجز أن تقول زيد وعمرو وبكر وخالد ، وإنما تقول : بكر وعمرو وخالد، ولا يدخل زيد في جملتهم ، فإذا كان زيد خارجاً عن إخوته صار غيرَهم ، فلم يجز أن يكون أفضلَ إخوته كما لم يجزْ أن يكون حمارك أفضل البغال لأن الحمار غير البغال ، كما أن زيداً غير إخوته ،

(1) عصب ريقه : جف (وجعلها محققا الامتاع : وغص بريقه) .

(2) الامتاع : السانح .

فإذا قلتَ : زيد أفضلُ الاخوة جاز لأنه أحد الاخوة والاسم يقع عليه وعلى غيره فهو بعض الاخوة ، ألا ترى أنه لو قيل من الاخوة ؟ عددته فيهم فقلت : زيد وعمرو وبكر وخالد ، فيكون بمنزلة قولك حمارك أفرهُ الحميرُ ، فلما كان على ما وصفنا جاز أن يضاف إلى واحد منكور يدل على الجنس ، فتقول زيد أفضل رجل وحمارك أفره حمار ، فيدلّ رجل على الجنس كما دل الرجال ، وكما في عشرين درهماً ومائة درهم .

فقال ابن الفرات : ما بعد هذا البيان مزيد ، ولقد جلَّ علم النحو عندي بهذا الاعتبار وهذا الإسفار[1] .

فقال أبو سعيد : معاني النحو منقسمة بين حركات اللفظ وسكناته ، وبين وضع الحروف في مواضعها المقتضية لها ، وبين تأليف الكلام بالتقديم والتأخير وتوخي الصوابِ في ذلك وتجنب الخطأ من ذلك ، وإن زاغ شيء عن هذا النعت فإنه لا يخلو من أن يكون سائغاً بالاستعمال النادر والتأويل البعيد أو مردوداً لخروجه عن عادة القوم الجارية على فطرتهم . فأما ما يتعلق باختلاف لغات القبائل فذلك شيءٌ مسلّم لهم ومأخوذ عنهم[2] ، وكل ذلك محصورٌ بالتتبع والرواية والسماع والقياس المطرد على الأصل المعروف من غير تحريف ، وإنما دخل العُجْبُ على المنطقيين لظنهم أنّ المعاني لا تُعْرَفُ ولا تستوضَح إلا بطريقهم ونظرهم وتكلفهم ، فترجموا لغةً هم فيها ضعفاء ناقصون بترجمةٍ أخرى هم فيها ضعفاء ناقصون ، وجعلوا تلك الترجمة صناعةً وادعوا على النحويين أنهم مع اللفظ لا مع المعنى .

ثم أقبل أبو سعيد على متّى فقال : ألا تعلم يا أبا بشر أن الكلام اسمٌ واقع على أشياء قد ائتلفت بمراتب ؟ مثال ذلك أنك تقول هذا ثوب ، والثوب يقع على أشياء بها صار ثوباً ، لأنه نسج بعد أن غزل ، فَسَداتُهُ لا تكفي دون لحمته ، ولحمته لا تكفي دون سداته ، ثم تأليفه كنسجه ، وبلاغته كقصارته ، ورقة سلكه كرقة لفظه ، وغلظ غزله ككثافة حروفه ، ومجموع هذا كله ثوب ولكن بعد تقدمة كلٍّ ما يحتاج إليه فيه .

(1) م : الانتقاد .
(2) م : عليهم .

قال ابن الفرات : سله يا أبا سعيد عن مسألة أخرى ، فإن هذا كلما توالى عليه بان انقطاعه ، وانخفض ارتفاعه في المنطق الذي ينصره والحق الذي لا يبصره[1] .

قال أبو سعيد : ما تقول في رجل قال : لهذا عليَّ درهم غير قيراط ، ولهذا الآخر عليَّ درهم غير قيراط ؟ قال متى : ما لي علم بهذا النمط . قال : لستُ نازعاً عنك حتى يصحَّ عند الحاضرين أنك صاحبُ مَخْرقةٍ وَزَرْقٍ ، ها هنا ما هو أخفُّ من هذا : قال رجل لصاحبه : بكم الثوبان المصبوغان ؟ وقال آخر : بكم ثوبان مصبوغان ؟ وقال آخر : بكم ثوبان مصبوغين ؟ بيِّن هذه المعاني التي تضمنها لفظ لفظ . قال متى : لو نثرتُ أنا أيضاً عليكَ من مسائل المنطق شيئاً لكان حالك كحالي .

قال أبو سعيد : أخطأتَ لأنك إذا سألتني عن شيءٍ أنظر فيه ، فإن كان له علاقة بالمعنى وصحَّ لفظه على العادة الجارية أجبت ، ثم لا أبالي أن يكونَ موافقاً أو مخالفاً ، وإن كان غيرَ متعلّق بالمعنى رددتُهُ عليك ، وإن كان متصلاً باللفظ ولكن على موضع لكم في الفساد ـ على ما حشوتم به كتبكم ـ رددته أيضاً ، لأنه لا سبيلَ إلى إحداثِ لغة مقررة بين أهلها . ما وجدنا لكم إلا ما استعرتم من لغة العرب كالسلب والإيجاب ، والموضوع والمحمول ، والكون والفساد ، والمهمل والمحصور[2] ، وأمثلة لا تنفع ولا تجدي ، وهي إلى العيِّ أقربُ وفي الفهاهة أذهب ، ثم أنتم هؤلاء في منطقكم على نقص ظاهر لأنكم لا تفون بالكتب ولا هي مشروحة ، وتدعون الشعر ولا تعرفونه ، وتدعون الخطابة وأنتم عنها في منقطع التراب ، وقد سمعت قائلكم يقول : الحاجة ماسَّةٌ إلى كتاب البرهان ، فإن كان كما قال فلم قُطِعَ الزمانُ بما قبله من الكتب ؟ وإن كانت الحاجة قد مَسَّتْ إلى ما قبل البرهان فهي أيضاً ماسة إلى ما بعد البرهان ، وإلا فلم صنّف ما لا يحتاج إليه ويستغنى عنه ؟ هذا كله تخليطٌ وزَرْقٌ وتهويل ورعد وبرق ، وإنما بودكم أن تشغلوا جاهلاً وتستذلّوا عزيزاً ، وغايتكم أن تهولوا بالجنس والنوع والخاصة والفصل والعرض والشخص ، وتقولوا : الهَلّية والأينية والماهية والكيفية

---

(1) م : ينصره .

(2) م : والمخصوص .

والكمية والذاتية والعرضية والجوهرية والهيولية والصورية والأيسية والليسيّة[1] والنفسية، ثم تنمطون وتقولون: جئنا بالسحر في قولنا لا (أ) في شيء من (ب) و(ج) في بعض (ب) فلا (أ) في بعض (ج) و(أ) لا في كل (ب)، و(ج) في بعض (ب) فاذن: لا (أ) في كل (ج)[2]. هذا بطريق الخُلْفِ[3]، وهذا بطريق الاختصاص، وهذه كلها جزافات وتُرّهات ومغالقُ وشبكات[4] ، ومن جاد عقله وحسن تمييزه ولطف نظره وثقب رأيه وأنارت نفسه استغنى عن هذا كلِّه ، بعون اللّه وفضله ، وجودة العقل وحسن التمييز ولطف النظر وثقوب الرأي وإنارةُ النفسِ من منائح اللّه الهنية ومواهبه السنية يختص بها من يشاءُ من عباده ، وما أعرف لاستطالتكم بالمنطق وجهاً ، وهذا الناشىء أبو العباس قد نقض عليكم وتتبَّع طريقكم وبيّن خطأكم وأبرز ضعفكم ، ولم تقدروا إلى اليوم أن تردوا عليه كلمة واحدة مما قال ، وما زدتم على قولكم : لم يعرفْ أغراضنا ولا وقف على مرادنا وإنما تكلم على وهم . وهذا منكم لجاجة[5] ونكول ، ورضى بالعجز والكلول ، وكل ما ذكرتم في الموجودات فعليكم فيه اعتراض : هذا قولكم في فَعَل[6] وينفعل لم تستوضحوا فيهما مراتبهما ومواقعهما ، ولم تقفوا على مقاسمهما ، لأنكم قنعتم فيهما بوقوع الفعل من يَفْعَلُ وقبولِ الفعل من ينفعل ، ومن وراء ذلك غاياتٌ خَفِيَتْ عليكم ومعارفُ ذهبتْ عنكم ، وهذا حالكم في الإضافة ، فأما البدل ووجوهه والمعرفة وأقسامها والنكرة ومراتبها وغير ذلك مما يطول ذكره فليس لكم فيه مقال ولا مجال . وأنت إذا قلت لإنسانٍ كُنْ منطقياً فإنما تريد : كن عقلياً أو عاقلاً أو اعقِلْ ما تقول لأنّ أصحابك يزعمون أن المنطق هو العقل ، وهذا قولٌ مدخول لأن المنطق على وجوه أنتم منها في سهو . وإذا قال لك آخر : كن نحوياً لغوياً فصيحاً فإنما يريد : افهم عن نفسك ما تقول ثم رُمْ أن يفهمَ عنك غيرك وقدِّر اللفظ على المعنى فلا يفضلُ عنه ،

(1) م : والانسية والكسبية .
(2) اضطربت العبارة في م والامتاع .
(3) م : الخلاف .
(4) كذا في م والامتاع ولعلها : وشبهات .
(5) الامتاع : تحاجز .
(6) الامتاع : يفعل .

وقدّر المعنى على اللفظ فلا ينقص منه ـ هذا إذا كنت في تحقيق شيءٍ على ما هو به ، فأما إذا حاولت فَرْشَ المعنى وَبَسْطَ المرادِ فأجلُ[1] اللفظَ بالروادف الموضحة والأشباه المقربة والاستعارات الممتعة ، وشدّ[2] المعاني بالبلاغة ، أعني لوِّح منها شيئاً حتى لا تصابَ إلا بالبحث عنها والشوق إليها لأن المطلوب إذا ظُفِر به على هذا الوجه عز وجلّ ، وكرم وعلا ، واشرح منها شيئاً حتى لا يمكن أن يمتَرى فيه أو يتعبَ في فهمه أو يعرِّجَ[3] عنه لاغتماضه فبهذا المعنى يكون جامعاً لحقائق الأشياء ولأشباه الحقائق ، وهذا باب إن استقصيته خرج عن نَمَطِ ما نحن عليه في هذا المجلس . على أني لا أدري أيؤثر فيك ما أقول أم لا .

ثم قال : حدثنا هل فصلتم قط بالمنطق بين مختلفين ، أو رفعتم بالخلاف بين اثنين ، أتراك بقوة المنطق وبرهانه اعتقدت أن اللّه ثالث ثلاثة ، وأن الواحد أكثرُ من واحد ، وأن الذي هو أكثر من واحد هو واحد ، وأن الشرع ما تذهب إليه والحق ما تقوله ؟! هيهات ، ها هنا أمور ترتفع[4] عن دعوى أصحابك وهذيانهم ، وتدقّ عن عقولهم وأذهانهم . ودع هذا : ها هنا مسألة قد أوقعت خلافاً ، فارفع ذلك الخلاف بمنطقك ، قال قائل : لفلان من الحائط إلى الحائط ، ما الحكم فيه وما قدر المشهود به لفلان ، فقد قال ناس : له الحائطان معاً وما بينهما ، وقال آخرون : له ما بينهما ، وقال آخرون : له النصف من كل واحد منهما ، وقال آخرون : له أحدهما ، هاتِ الآن آيتك الباهرة ، ومعجزتك القاهرة ، وأنى لك بهما، وهذا قد بان بغير نظرك ونظر أصحابك . ودع هذا أيضاً : قال قائل : من الكلام ما هو مستقيم حسن ، ومنه ما هو مستقيم كذب ، ومنه ما هو خطأ ، فَسِّر هذه الجملة ، واعترض عليه عالم آخر فاحكم أنت بين هذا القائل والمعترض ، وأرِنا قوةَ صناعتك التي تميز بها بين الخطأ والصواب وبين الحق والباطل ، فإن قلت : كيف أحكم بين اثنين أحدهما قد سمعت مقالته

---

(1) م : فاحل .
(2) م : وسد ؛ الامتاع : وبين .
(3) م : ينزح .
(4) م : ترفع .

والآخر لم أحصل على اعتراضه قيل لك : استخرج بنظرك الاعتراضَ إن كان ما قاله محتملاً له ، ثم أوضح الحقَّ منهما ، لأن الأصلَ مسموعٌ لك حاصلٌ عندك ، وما يصحّ به أو يطّرد عليه يجب أن يظهر منك ، فلا تتعاسر علينا ، فإن هذا لا يخفى على أحد من الجماعة . فقد بان الآن أن مُركّب اللفظ لا يحوزُ مبسوطَ العقل ، والمعاني معقولة ولها اتصالٌ شديد وبساطة تامّة ، وليس في قوة اللفظ من أيّ لغة كان أن يملك ذلك المبسوط ويحيطَ به وينصبَ عليه سوراً ولا يدع شيئاً من داخله أن يخرج ولا شيئاً من خارجه أن يدخل خوفاً من الاختلاط الجالب للفساد ، أعني أن ذلك يخلط الحقَّ بالباطل ويشبّه الباطلَ بالحق ، وهذا الذي وقع الصحيح منه في الأول قبل وضع المنطق ، وقد عاد ذلك الصحيح في الثاني بهذا المنطق . وأنت لو عرفت العلماءَ والفقهاءَ ومسائلهم ووقفتَ على غَوْرهم في نظرهم ، وَغَوْصهم في استنباطهم وحسن تأويلهم لما يَرِدُ عليهم ، وسعةِ تشقيقهم للوجوه المحتملة والكنايات المفيدة والجهات القريبة والبعيدة ، لحقرتَ نفسك وازدريت أصحابك ، ولكان ما ذهبوا إليه وتابعوا عليه أقلَّ في عينك من السها عند القمر ، ومن الحصى عند الجبل . أليس الكندي ـ وهو عَلَمٌ في أصحابك ـ يقول في جواب مسألة : « هذا من جواب عدة »[1] فعدّ الوجوهَ بحسب الاستطاعة على طريق الإمكان من ناحية الوهم بلا ترتيب حتى وضعوا له مسائل من هذا [الشكل] وغالطوه بها وأروه [أنها] من الفلسفة الداخلة ، فذهب عليه ذلك الوضع ، فاعتقد أنه مريضُ العقلِ فاسدُ المزاج حائل الغريزة مشوّش اللب ، قالوا له : أخبرنا عن الاسطقسات الأجرام واصطكاك تضاغط الأركان[2] هل يدخل في باب وجوب الإمكان أو يخرج من باب الفقدان إلى ما يخفى عن الأذهان ؟ وقالوا له أيضاً : ما نسبة[3] الحركات الطبيعيّة إلى الصور الهيولانية ؟ وهل هي ملابسةٌ للكيان في حدود النظر والبيان أو مزايلة له على غاية الإحكام ؟ وقالوا له : ما تأثير فقدان الوجدان في عدم الإمكان عند امتناع الواجب من وجوبه في ظاهر ما لا وجوب له لاستحالته في إمكان أصله ؟ وعلى هذا فقد حفظ جوابه عن جميع هذا على غاية الركاكة والضعف

(1) الامتاع : هذا من باب عدّ .

(2) الامتاع : عن اصطكاك الاجرام وتضاغط الأركان .

(3) م : تشبيه .

والفساد والفسالة والسخف ، ولولا التوقي من التطويل لسردتُ ذلك كله . ولقد مرَّ بي في خطه : التفاوتُ في تلاشي الأشياء غيرُ محاطٍ به لأنه يلاقي الاختلاف في الأصول والاتفاق في الفروع ، وكل ما يكون على هذا النهج فالنكرة تزاحمُ عليه المعرفة ، والمعرفة تناقض النكرة ، على أن النكرة والمعرفة من باب الألسنة العارية من ملابس الأسرار الإلهية ، لا من باب الإلهية العارضة في أحوال البشرية[1] . ولقد حدثني أصحابنا الصابئون عنه بما يُضْحِكُ الثكلى ، ويُشْمِتُ العدوّ ويغمُّ الصديق ، وما ورث هذا كله إلا من بركات يونان وفوائد الفلسفة والمنطق ، ونسأل اللّه عصمةً وتوفيقاً نهتدي بهما إلى القول الراجع إلى التحصيل ، والفعل الجاري على التعديل ، إنه سميع مجيب .

قال أبو حيان : هذا آخر ما كتبتُ عن علي بن عيسى الشيخ الصالح باملائه ، وكان أبو سعيد روى لمعاً من هذه القصة ، وكان يقول : لم أحفظ عن[2] نفسي كلَّ ما قلت ، ولكنْ كَتَبَ ذلك القومُ الذين حضروا في ألواح كانت معهم ومحابر أيضاً ، وقد اختل [عليّ] كثير منه .

قال علي بن عيسى : وتقوَّضَ المجلس وأهله يتعجبون من جأش أبي سعيد ولسانه المتصرف ووجهه المتهلل وفوائده المتتابعة . وقال له الوزير ابن الفرات : عينُ اللّه عليك أيها الشيخ ، فقد ندَّيْتَ أكباداً ، وأقررت عيوناً ، وبيضتَ وجوهاً ، وحكت طرازاً لا تبليه الأيام ولا يتطرقه الحدثان .

قال : قلت لعلي بن عيسى : وكم كان سن أبي سعيد يومئذ ؟ قال مولده سنة ثمانين ومائتين ، وكان له يوم المناظرة أربعون سنة ، وقد عبث الشيبُ بلهازمه ، هذا مع السمت والوقار والدين والجد ، وهذا شعار أهلِ الفضل والتقدم ، وقلَّ من تظاهر به وتحلى بحليته إلا جلَّ في العيون ، وعظم في الصدور والنفوس ، وأحبته القلوب وجرت بمدحه الألسنة .

---

(1) م : السرية .
(2) م : على .

وقلت لعلي بن عيسى : أكان أبو علي الفسوي حاضراً في المجلس ؟ قال : لا ، كان غائباً وَحُدِّثَ بما كان ، وكان [يكتم] الحسد لأبي سعيد على ما فاز به من هذا الخبر المشهور والثناء المذكور .

قال أبو حيان : وقال لي الوزير عند منقطع هذا الحديث : ذكرتني شيئاً كان في نفسي وأحببتُ أن أسألك عنه وأقف عليه ، أين أبو سعيد من أبي علي وأين علي بن عيسى منهما وأين المراغي أيضاً من الجماعة وكذلك المرزباني وابن شاذان وابن الوراق وابن حيويه ؟ (فكان من الجواب ما تقدم ذكره) .

ونظير خبر أبي سعيد مع متى خبره أيضاً مع أبي الحسن العامري الفيلسوف النيسابوري ، ذكره أبو حيان أيضاً قال : لما ورد أبو الفتح ابن العميد إلى بغداد وأكرم العلماء استحضرهم إلى مجلسه ووصل أبا سعيد السيرافي وأبا الحسن علي بن عيسى الرماني بمال كما ذكرنا في باب أبي الفتح علي بن محمد بن العميد . قال أبو حيان[1] : انعقد المجلس في جمادى الأولى[2] سنة أربع وستين وثلاثمائة وغص بأهله ، فرأيت العامري وقد انتدب فسأل أبا سعيد السيرافي فقال : ما طبيعةُ الباء من بسم اللّه ، فعجب الناسُ من هذه المطالبة ونزل بأبي سعيد ما كاد يُشْدَه[3] به ، فأنطقه اللّه بالسحر الحلال ، وذلك أنه قال : ما أحسن ما أدبنا به بعض الموفقين المتقدمين ، فقال :

وإذا خطبتَ على الرجال فلا تكنْ خَطِلَ الكلام تقوله مختالا
واعلم بأن مع السكون[4] لبابةً ومن التكلّف ما يكون خبالا[5]

واللّه يا شيخُ لَعَيْنُكَ أكبرُ من فِرَارك[6] ، ولمرآك أوفى من دخلتك ، ولمنثورك

(1) أخلاق الوزيرين : 411 .
(2) أخلاق الوزيرين : الآخرة .
(3) م : يشك .
(4) اخلاق : السكوت .
(5) اخلاق : محالا .
(6) أي عندما تُجَرَّب تبدو أقل مما يشاع عنك ويظهر عليك .

أبين من منظومك ، فما هذا الذي طَوَّعَتْ له نفسك ، وَسَدَّدَ عليه رأيك ؟ اني أظنّ أن السلامةَ بالسكوت تعافك ، والغنيمةَ بالقول ترغب عنك ، واللّه المستعان ، فقال ابن العميد وقد أعجب بما قال أبو سعيد :

فتىً كان يعلو مَفْرِقَ الحقِّ قوله ... إذا الخطباءُ الصيد عضَّل قِيلُهَا

جهيرٌ وممتدّ العنان مُناقلٌ ... بصيرٌ بعورات الكلام خبيرها

القائلُ القولَ الرفيعَ الذي ... يُمْرِعُ منه البلدُ الماحلُ

والتفت إلى العامري فقال :

وإنّ لساناً لم تعنه لبابةٌ ... كحاطبِ ليل يجمعُ الرذلَ حاطِبُهْ

وذي خطلٍ بالقول يحسبُ انه ... مصيبٌ فما يلمم به فهو قائله[1]

وفي الصمتِ سترٌ للعيّ وإنما ... صحيفة لبِّ المرء أن يتكلما[2]

وفي الصمت سترٌ وهو أولى بذي الحجى ... إذا لم يكنْ للنطق وَجْهٌ وَمَذْهَبُ

ثم أقبل على ابن فارس معلمه فقال : لسنا من كلام أصحابك في الفرضة[3] والشط[4] .

قال أبو حيان : فلما خرجنا قلت لأبي سعيد : أرأيت أيها الشيخ ما كان من هذا الرجل الخطير عندنا الكبير في أنفسنا ؟ قال : ما دهيت قطّ بمثل ما دهيتُ به اليوم ، لقد جرى بيني وبين أبي بشر صاحب « شرح كتاب المنطق » سنة عشرين وثلاثمائة في مجلس أبي الفضل ابن الفرات مناظرة كانت هذه أشوس[5] وأشرس منها .

(1) البيت لزهير ، ديوانه : 139 .
(2) البيت في البيان 1 : 220 وعيون الأخبار 2: 275 وينسب للخطفي جد جرير (اللسان : خطف) ولغيره .
(3) م : الفريضة .
(4) يعني كلام أهل الكدية .
(5) م : أشوش .

ـ 322 ـ

الحسن بن عبد الله بن سعيد بن إسماعيل بن زيد بن حكيم العسكري ، أبو أحمد اللغوي العلامة : مولده يوم الخميس لست عشرة ليلة خلت من شوال سنة ثلاث وتسعين ومائتين ومات سنة اثنتين وثمانين وثلاثمائة . قال السلفي الحافظ ، على ما سمعتُ أبا عامر غالب بن علي بن غالب الفقيه الاسترابادي بقصر روناش[1] يقول : رأيت بخط أبي حكيم أحمد بن إسماعيل بن فضلان اللغوي العسكري مكتوباً : توفي أبو أحمد الحسن بن عبد الله بن سعيد العسكري يوم الجمعة لسبع خلون من ذي الحجة من سنة اثنتين وثمانين وثلاثمائة .

قال مؤلف الكتاب : ولقد طال تطوافي وكثر تسآلي عن العسكريين أبي أحمد وأبي هلال ، فلم ألقَ من يخبرني عنهما بجليّة خبر ، حتى وردت دمشق في سنة اثنتي عشرة وستمائة في جمادى الآخرة ، ففاوضت الحافظ تقي الدين إسماعيل بن عبد الله بن عبد المحسن بن الأنماطي النضاري المصري ـ أسعده الله بطاعته ـ فيهما ، فذكر لي أن الحافظ أبا طاهر أحمد بن محمد بن أحمد بن إبراهيم السلفي الأصبهاني لما ورد إلى دمشق سُئِلَ عنهما فأجاب فيهما بجواب لا يقومُ به إلا مثله من أئمة العلم وأولي الفضل والفهم ، فسألته أن يفيدني في ذلك ففعل متفضلاً ، فكتبته على صورة ما أورده السلفي ، غير المولد والوفاة فإنه كان في آخر أخبار أبي أحمد ، فقدمته على عادتي . وأخبرني بذلك عن السلفي جماعة منهم الأسعد محمد بن الحسن بن محمد بن عبد الله العامري المقدسي والنبيه أبو طاهر إسماعيل بن عبد الرحمن بن أحمد بن عبد الرحمن الانصاري وغيرهما إجازة، قال أبو طاهر

322 ـ ترجمة أبي أحمد العسكري في ذكر أخبار اصفهان 1 : 272 والمنتظم 7 : 191 والأنساب واللباب (العسكري) وإنباه الرواة 1 : 310 وابن خلكان 2 : 83 وسير الذهبي 16 : 413 وعبر الذهبي 3 : 20 والوافي 12 : 76 ومرآة الجنان 2 : 415 والبداية والنهاية 11 : 312 والنجوم الزاهرة 4 : 163 وبغية الوعاة 1 : 506 والشذرات 3 : 102 واشارة التعيين 95 وروضات الجنات 3 : 60 (وذكر في المختصر أن وفاته كانت سنة ستين وثلاثمائة) .

(1) قصر روناش : من كور الأهواز .

السلفي : دخل إليّ الشيخ الأمين أبو محمد هبة اللّه بن أحمد بن الاكفاني بدمشق سنة عشر وخمسمائة ، وجرى ذكر أبي أحمد العسكري ، فذكرت فيه ما يحتمل الوقت ، وبعد خروجه كتبت إليه بعد البسملة :

أما بعد حمد اللّه العلي ، والصلاة على المصطفى النبي ، فقد جرى اليوم ذكر الشيخ المرضي أبي أحمد العسكري ، وأنشدت للصاحب الكافي للّه شعراً ، خاله سيدي سحراً ، ورام ـ حرس اللّه نعمته وكبتَ بالذلّ عَنَدَتهُ ـ اثباته بتمامه ، فاشتغلت به بعد نهوضه وقيامه ، وأضفت إليه وإلى ذكر الشيخ أبي أحمد زيادةَ تعريف ، ليقفَ على جلية حاله كأنه ينظر إليه من وراء سترٍ لطيف . فليعلم ـ أطال اللّه لكافة الأنام بقاءه ، ولا سلبهم ظله وبهاءه ـ أن الشيخ أبا أحمد هذا كان من الأئمة المذكورين بالتصرف في أنواع العلوم ، والتبحر في فنون الفهوم ، ومن المشهورين بجودة التأليف وحسن التصنيف ، ومن جملته : كتاب صناعة الشعر رأيته . كتاب الحكم والأمثال . كتاب التصحيف . كتاب راحة الأرواح . كتاب الزواجر والمواعظ . كتاب تصحيح الوجوه والنظائر . وكان قد سمع ببغداد والبصرة وأصبهان وغيرها من شيوخ في عدادِ شيخيه أبي القاسم البغوي وابن أبي داود السجستاني ، وأكثر عنهم وبالغ في الكتابة ، وبقي حتى علا به السن ، واشتهر في الآفاق بالدراية والاتقان ، وانتهت إليه رياسة التحديث والاملاء للآداب والتدريس بقطر خوزستان ، ورحل الأجلاَّء إليه ، للأخذ عنه والقراءة عليه ، وكان يملي بالعسكر وتستر ومدن ناحيته ما يختاره من عالي روايته عن متقدمي شيوخه ، ومنهم : أبو محمد عبدان الأهوازي وأبو بكر ابن دريد ونفطويه وأبو جعفر ابن زهير ونظراؤهم ، ومن متأخري أصحابه الذين رووا عنه الحديث ومتقدميهم أيضاً ـ فإني ذكرتهم على غير رتبهم كما جاء لا كما يجب ـ : أبو عباد الصائغ التستري وذو النون بن محمد والحسين بن أحمد الجهرمي وابن العطار الشروطي الأصبهاني وأبو بكر أحمد بن محمد بن جعفر الأصبهاني المعروف باليزدي وأبو الحسين علي بن أحمد بن الحسن البصري المعروف بالنعيمي الفقيه الحافظ وأبو علي الحسن بن علي بن إبراهيم المقرىء الأهوازي نزيل دمشق ، إلا أنه قد انقلب عليه اسمه فيقول في تصانيفه أخبرنا أبو أحمد عبد اللّه بن الحسن بن سعيد النحوي بعسكر مكرم ، قال : أخبرنا محمد بن جرير الطبري وغيره ، وهو الحسن بن عبد اللّه بن سعيد العسكري لا عبد اللّه بن

الحسن . وقد روى عنه أبو سعد أحمد بن محمد بن عبد اللّه بن الخليل الماليني وأبو الحسين محمد بن الحسن بن أحمد الأهوازي شيخا أبي بكر الخطيب الحافظ البغدادي وخلقٌ سواهم لا يحصون كثرة ، لم أثبتَ أسماءهم احترازاً من وهمٍ ما واحتياطاً لبعد العهد بروايات تلك الديار . والنعيميّ والأهوازي روى عنهما الخطيب أيضاً ، وكذلك روى عن أبي نعيم الأصفهاني الحافظ ، وقد روى أبو نعيم عن أبي أحمد كثيراً . وممن روى عن أبي أحمد من أقران أبي نعيم أبو بكر محمد بن أحمد بن عبد الرحمن الوادعي وعبد الواحد بن أحمد بن محمد الباطرقاني وأبو الحسن أحمد بن محمد بن زنجويه الاصفهانيون وأبو عبد اللّه محمد بن منصور بن جيكان التستري والقاضي أبو الحسن علي بن عمر بن موسى الايذجي وأبو سعيد الحسن بن علي بن بحر السقطي التستري . وروى عنه ممن هو أكبر من هؤلاء سناً وأقدم موتاً : أبو محمد خلف بن محمد بن عليّ الواسطي وأبو حاتم محمد بن عبد الواحد الرازي المعروف باللبان ، وهما من حفاظ الحديث . وقد روى عنه الشيخ أبو عبد الرحمن السلمي الصوفي بخراسان بالاجازة وكذلك القاضي أبو بكر ابن الباقلاني المتكلم بالعراق . وقد وقع حديثه لي عالياً من طرق عدة ، فمن ذلك حكاية رأيتها الآن معي في جزء من تخريجي بخطي ، وهي ما أخبرنا الشيخ أبو الحسين المبارك بن عبد الجبار بن أحمد الصيرفي ببغداد ، حدثنا الحسن بن علي بن أحمد التستري من لفظه بالبصرة ، حدثنا الحسن بن عبد اللّه بن سعيد العسكري إملاءً بتستر ، حدثنا العباس بن الوليد بن شجاع بأصبهان ، حدثنا محمد بن يحيى النيسابوري ، حدثنا محمد بن عمرو بن مكرم ، حدثني عتبة بن حميد قال ، قال بشر بن الحارث لما ماتت أخته : « إذا قَصَّرَ العبدُ في طاعةِ ربّه سلبه أنيسه » .

قال أبو أحمد العسكري في كتاب « شرح التصحيف »[1] من تصنيفه ، وقد ذكر باب ما يشكل وَيُصَحَّفُ من أسماءِ الشعراء فقال : وهذا بابٌ صعبٌ لا يكاد يضبطه إلا كثيرُ الرواية غزيرُ الدراية . وقال أبو الحسن علي بن عبدوس الأرجاني رحمه اللّه ، وكان فاضلاً متقدماً ، وقد نظر في كتابي هذا ، فلما بلغ إلى هذا الباب قال لي : كم

(1) ما يقع فيه التصحيف : 370 .

عدة أسماء الشعراء الذين ذكرتهم ؟ قلت : مائة ونيف ، فقال : اني لأعجب كيف استتبَّ لك هذا ، فقد كنا ببغداد والعلماءُ بها متوفّرون ـ وذكر أبا إسحاق الزجاج وأبا موسى الحامض وأبا بكر[1] الأنباري واليزيدي[2] وغيرهم ـ فاختلفنا في اسم شاعر واحد ، وهو حريث بن محفض ، وكتبنا أربعَ رقاع إلى أربعة من العلماء فأجابَ كلّ واحد منهم بما يخالف الآخر ، فقال بعضهم : مخفض بالخاء والضاد المعجمتين ، وقال بعضهم : محفص بالحاء والصاد غير معجمتين . وقال آخر : ابن محفض ، وقال آخر : ابن محقص ، فقلنا ليس لهذا إلا أبو بكر ابن دريد ، فقصدناه في منزله وعرّفناه ما جرى ، فقال ابن دريد : أين يُذْهَبُ بكم ؟ هذا مشهور ، هو حُرَيث بن مُحَفِّض ـ بالحاء غير معجمة مفتوحة والفاء مشددة والضاد منقوطة ـ هو من بني تميم ثم من بني مازن بن عمرو بن تميم ، وهو القائل[3] :

ألم ترَ قومي إنْ دُعُوا لملمةٍ ... أجابوا وان أغضبْ على القوم يغضبوا[4]
همُ حفظوا غيبي كما كنتُ حافظاً ... لقوميَ أخرى مثلها إن تغيبوا
بنو الحربِ[5] لم تقعدْ بهم أمهاتُهُمْ ... وآباؤهم آباءُ صِدْقٍ فأنجبوا

وتمثَّلَ الحجاج بهذه الأبيات على منبره فقال : أنتم يا أهل الشام كما قال حريث بن محفض ، وذكر هذه الأبيات ، فقام حريث بن محفض فقال : أنا واللّه حريث بن محفض ، قال : فما حملك على أن سابقتني[6] ؟ قال : لم أتمالكْ إذ تمثل الأمير بشعري حتى أعلمته مكاني ؛ ثم قال أبو الحسن ابن عبدوس : فلم يفرّج عنا غيره .

قال أبو أحمد[7] : واجتمع يوماً في منزلي بالبصرة أبو رياش وأبو الحسين ابن لنكك ـ رحمهما اللّه فتقاولا ، فكان فيما قال أبو رياش لأبي الحسين : أنت كيف تحكم على الشعر والشعراء ولم تفرق بين الزفيان والرقبان ؟ فأجاب أبو الحسين ولم

(1) التصحيف : وأبا محمد .
(2) التصحيف : والبريدي .
(3) انظر الشعر في طبقات ابن سلام : 194 وذيل الأمالي : 81 والشعر والشعراء : 536 والخزانة 2 : 511 .
(4) ابن سلام : ان دعاهم أخوهم . . . وإن يغضب .
(5) ابن سلام : بنو المجد .
(6) ابن سلام : فما حملك على الردّ عليَّ هكذا .
(7) ما يقع فيه التصحيف : 371 ـ 372 ، 373 .

يُقْنِعْ ذاك أبا رياش وقاما على شَغَبٍ وجدال . قال أبو أحمد : فأما الرقبان - بالراء والقاف ، وتحت الباء نقطة - فشاعر جاهلي قديم يقال له أشعر الرقبان ، وأما الزفيان - بالزاي والفاء وتحت الياء نقطتان - فهو من بني تميم من بني سعد بن زيد مناة بن تميم يعرف بالزفيان السعدي ، راجز كثير الشعر ، وكان على عهد جعفر بن سليمان ، وهو الزفيان بن مالك بن عوانة القائل :

وصاحبي ذاتُ هبابٍ دَمْشَقُ كأنها بعدَ الكلالِ زَوْرَقُ

قال : وذكر أبو حاتم آخرَ يقال له الزفيان وأنه كان مع خالد بن الوليد حين أقبل من البحرين فقال :

تُهْدَى إذا خَوَتِ النجوم صدورها ببناتِ نعش أو بضوءِ الفرقدِ

فقد أخبرنا[1] به أبو الحسين ابن الطيوري ببغداد، قال أخبرنا أبو سعيد السقطي بالبصرة ، قال أخبرنا أبو أحمد الحسن بن عبد الله بن سعيد بن إسماعيل بن زيد بن حكيم العسكري إملاءً سنة ثمانين وثلاثمائة بتستر ، فذكر مجالس من « أماليه » هي عندي . وقرأت على أبي علي أحمد بن الفضل بن شهريار بأصبهان عن السقطي هذا فوائد عن أبي أحمد وغيره . وأما الأبيات المقصودة فعندي في أجزاء أذربيجان على نَسَق لا أذكر موضعها ، إلا أن فيها قصةً معناها أن الصاحب أبا القاسم إسماعيل بن عباد بن العباس الوزير كان يتمنى لقاء أبي أحمد العسكري ويكاتبه على ممرِّ الأوقات ويستميلُ قلبه ، فيعتلّ عليه بالشيخوخة والكبر إذا عرف أنه يعرّض بالقصد إليه والوفود عليه ، فلما يئس منه الصاحب احتال في جذب السلطان إلى ذلك الصوب ، وكتب إليه حين قَرُبَ من عسكر مكرم كتاباً يتضمَّنُ علوماً نظماً ونثراً ، ومما ضمنه من المنظوم قوله[2] :

ولما أبيتم أن تزوروا وقلتمُ ضعفنا فما نَقْوَى على الوَخَدَانِ
أتيناكمُ من بُعْدِ أرضٍ نزوركم إلى[3] منزلٍ بكرٍ لنا وعوانِ

---

(1) النقل مستمر عن السلفي .
(2) الابيات في عدد من المصادر المذكورة في الترجمة .
(3) م : على ؛ وفي ابن خلكان : وكم .

نسـائلكم هل من قـرىً لنزيلكم   بمـلءِ جفونٍ لا بمـلءِ جفانِ

فلما قرأ أبو أحمد الكتاب أقعد تلميذاً له فأملى عليه الجواب عن النثر نثراً وعن النظم نظماً ، وبعث به إليه في الحال ، وكان في آخر جوابه أبياته التي ذكرها على الحال :

* وقد حيل بين العير والنزوان *

وهو تضمين إلا أن الصاحب استحسنه ووقع ذلك منه موقعاً عظيماً وقال : لو عرفتُ أن هذا المصراع يقع في هذه القافية لم أتعرضْ لها ، وكنتُ قد ذهلت عنه وذهب علي . ثم إن أبا أحمد قصده وقتَ حلوله بعسكر مكرم بلده ، ومعه أعيان أصحابه وتلامذته في ساعة لا يمكن الوصولُ إليه إلا لمثله، وأقبل عليه بالكلية بعد أن أقعده في أرفع موضع من مجلسه ، وتفاوضا في مسائل فزادت منزلته عنده ، وأخذ أبو أحمد منه بالحظ الأوفر وأدرَّ على المتصلين به إدراراً كانوا يأخذونه إلى أن توفي وبعد وفاته أيضاً فيما أظنّ . ولما نعي إليه أنشد فيه :

قـالـوا مضى الشيـخُ أبـو أحمـدٍ   وقـد رثـوه بـضـروبِ النُّـدَبْ

فقلتُ مـا ذا فَقْـدُ شيـخٍ مضى   لـكـنـه فـقـدُ فـنـون الأدَبْ

ثم ذكر السلفي وفاته كما تقدم . هذا آخر ما ذكره من خبر أبي أحمد، هذا كلّه من كتاب السلفي .

ثم وجدت مما أنبأني به أبو الفرج ابن الجوزي عن ابن ناصر عن أبي زكريا التبريزي وعن أبي عبد الله ابن الحسن الحلواني عن أبي الحسن علي بن المظفر البندنيجي قال : كنت أقرأ بالبصرة على الشيوخ فلما دخلتُ سنة تسع وسبعين وثلاثمائة إلى الأهواز بلغني حالُ أبي أحمد العسكري فقصدته وقرأت عليه ، فوصل فخر الدولة والصاحب ابن عباد ، فبينا نحن جلوس نقرأ عليه وصل إليه ركابيٌّ ومعه رقعة ، ففضها وقرأها وكتب على ظهرها جوابها ، فقلت : أيها الشيخ ما هذه الرقعة ؟ فقال : رقعة الصاحب ، كتب إليّ :

ولمـا أبيـتم أن تـزوروا وقـلتمُ   ضَعُفْنَا فما نَقْـوَى على الوَخَـدانِ

الأبيات الثلاثة المتقدمة ، قلت : فما كتبت إليه في الجواب ؟ قال : قلت :

أرومُ نهوضاً ثم يثني عزيمتي ... تعوذ[1] أعضائي من الرجفانِ
فضمَّنْتُ بيتَ ابنِ الشريدِ[2] كأنما ... تعمَّدَ تشبيهي به وعناني
«أهمُّ بأمرِ الحزمِ لو أستطيعه ... وقد حِيلَ بين العَيْرِ والنزوانِ»

قال : ثم نهض وقال لابد من الحمل على النفس ، قال : فإن الصاحب لا يقنعه هذا ، وركب بغلةً وقصده ، فلم يتمكن من الوصول إلى الصاحب لاستيلاء الحشم ، فصعد تلعةً ورفع صوته بقول أبي تمام :

ما لي أرى القبةَ الفيحاءَ مقفلةً ... دوني وقد طال ما استفتحتُ مُقْفَلَها
كأنها جنة الفردوس معرضةً ... وليس لي عملٌ زاكٍ فأدخلها

قال : فناداه الصاحب : ادخلها يا أبا أحمد فلك السابقةُ الأولى ، فتبادر إليه أصحابه فحملوه حتى جلس بين يديه ، فسأله عن مسألة ، فقال أبو أحمد : الخبيرَ صادفت ، فقال الصاحب : يا أبا أحمد تغربُ في كلّ شيء حتى في المثل السائر فقال : تفاءلتُ عن السقوط بحضرة مولانا ـ وإنما كلام العرب سقطت ـ . ووجدت بعد ذلك أنه توفي في سنة سبع وثمانين وثلاثمائة.

وحدث ابن نصر قال : حدثني أبو أحمد العسكري بالبصرة قال : كان أبو جعفر المجوسي عامل البصرة رجلاً واسع النفس ، وكان يتعاهد الشعراءَ ويراعيهم مثل العصفري والنهرجوري وغيرهم ، وهم يهجونه ، وكان هذان خصوصاً من أوضعهم ، وقد رأيت النهرجوري . قال : فلما مات أبو جعفر رثاه النهرجوري بقوله :

يا ليتَ شعري وليتَ ربتما ... صحَّتْ فكانت لنا من العبرِ
هل أرَيَنْ شوثناً وأُمَّتَهُ ... راكبةً حوله على البقرِ
يقدمهم أربعون لبسهمُ ... مع حليةِ الحرب حُلَّةُ النمرِ
وأنت فيهم قد ابترزتَ لنا ... كالشمس في نورها أو القمرِ
قد نكحوا الأمهاتِ واتكلوا ... على عتيقِ الأبوال في الطهرِ

---

(1) ر : تعرض .

(2) هو صخر بن عمرو أخو الخنساء ، وأبياته هذه مشهورة ترد عند إيراد المثل : حيل بين العير والنزوان .

وشـارفوا والنسـاء قـد ولـدت غَشْـلَ مضاريـطها من الـوضرِ
وأصبحـوا أشبـه البـريـة بـالـــــظرفِ وأولى بكـلِّ مفتخـرِ

شوثن عند المجوس يجري مجرى المهدي ، ويزعمون أنه يخرج وقدامه أربعون نفساً على كل منهم جلد النمر فيعيدون دين النور ؛ قال فقلت : يـا أبا أحمـد هذه بالهجاء أشبه منها بالمرثية بكثير ، قال : هكذا قصد النهرجوري لا بارك اللّه فيه وقد عاتبته وقلت له : ما استحق أبو جعفر هذا منك ، فقال : ما تعديتُ مذهبه الذي يعترف به .

ووجدت في « تاريخ أصفهان »[1] من تأليف الحافظ أبي نعيم قال : الحسن بن عبد اللّه بن سعيد بن الحسين أبو أحمد العسكـري[2] الأديب أخو أبي علي ، قـدم أصبهان مراراً ، أول قدمة قدمها سنة تسع وأربعين ، وقدمها أيضاً سنة أربع وخمسين ، وكان قدم أصبهان قديماً وسمع من الفضـل بن الخصيب وسمع عنـه أبي وابن زهير وغيرهما ، تأخر موته ، توفي في صفر سنة ثلاث وثمانين .

ـ 323 ـ

الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران ، أبو هلال اللغوي العسكري : قال أبو طاهر السلفي : وكان لأبي أحمد تلميذ وافق اسمُه اسمَه ، واسمُ أبيه اسمَ أبيه ، وهو عسكري أيضـاً ، فربمـا اشتبه ذكـره بذكـره إذا قيل الحسن بن عبد اللّه العسكري الأديب ، فهو أبو هلال الحسن بن عبد اللّه بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران اللغوي العسكري ؛ سألتُ الرئيس أبا المظفر محمد بن أبي العباس الأبيوردي ، رحمه اللّه ، بهمذان عنه فأثنى عليه ووصفه بالعلم والعفة معاً وقال : كان

323 ـ ترجمة أبي هـلال العسكري في : دمية القصر 1 : 506 والـوافي 12 : 78 وبغية الـوعاة 1 : 506 وطبقات المفسرين للسيوطي : 10 وطبقات الداودي 1 : 134 واشارة التعيين 96 وروضات الجنات 3 : 72 .

(1) ذكر أخبار أصبهان 1 : 272 .
(2) م : العكبري .

يتبزّز[1] احترازاً من الطمع والدناءة والتبذل ، وذكر فيه فصلاً هو في سؤالاتي عنه ، وكان الغالب عليه الأدب والشعر ، وله كتاب في اللغة وسمه بالتلخيص[2] كتاب مفيد . وكتاب صناعتي النظم والنثر[3] وهو أيضاً كتاب مفيد جداً . ومن جملة من روى عنه أبو سعد السمّان الحافظ بالريّ ، وأبو الغنائم ابن حماد المقرىء إملاءً بالأهواز ، وأبو حكيم أحمد بن إسماعيل بن فضلان اللغوي بالعسكر ، وآخرون . ومن شعره ما أنشدنا أبو طالب محمد بن [. . .] المقرىء إملاءً ، أنشدني أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل العسكري لنفسه :

قد تعاطاك شبابٌ وتغشّاكَ مشيبُ
فأتى ما ليس يمضي ومضى ما لا يؤوبُ
فتأهبْ لِسَقامٍ ليس يشفيه طبيبُ
لا تَوَهَّمْهُ بعيداً إنما الآتي قريبُ

ومما أنشدنا القاضي أبو أحمد الموحد بن محمد بن عبد الواحد الحنفي بتستر ، قال أنشدنا أبو حكيم أحمد بن إسماعيل بن فضلان العسكري ، أنشدناه أبو هلال الحسن بن عبد اللّه بن سهل اللغوي لنفسه بالعسكر[4] :

إذا كان مالي مالَ مَنْ يلقطُ العَجَمْ وحاليَ فيكم حالَ من حاكَ أو حَجَمْ
فأين انتفاعي بالأصالةِ والحجى وما ربحتْ كفي على العلم والحكَمْ
ومن ذا الذي في الناس يبصرُ حالتي فلا يلعنُ القرطاسَ والحبر والقلمْ

ومما أنشدنا القاضي أبو أحمد الحنفي بتستر ، قال أنشدنا أبو حكيم اللغوي ، قال أنشدنا أبو هلال العسكري لنفسه :

جلوسيَ في سوقٍ أبيعُ وأشتري دليلٌ على أنَّ الأنام قرودُ

---

(1) يتبزز : يبيع البز (من غير احتراف كامل) ولعلّ ما يقوي ذلك قوله : جلوسي في سوق أبيع وأشتري . . . . البيت .

(2) نشر بدمشق سنة 1969 بتحقيق الدكتور عزة حسن .

(3) هو المعروف بالصناعتين ، وقد طبع مرات ، أجودها بتحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم .

(4) هذه القطعة والتي تليها في دمية القصر .

ولا خيرَ في قومٍ تـذلُّ كـرامُهُمْ ... ويعـظمُ فيهم نـذلهمْ ويسـودُ
ويهجـوهمُ عني رثـاثـةُ كسـوتي ... هجـاءً قبيحـاً مـا عليـه مـزيـدُ

ومما أنشدناه أبو غالب الحسين بن أحمد بن الحسين القاضي بالسوس ، قال أنشدنا المظفر بن طاهر بن الجراح الأستراباذي ، قال أنشدني أبو هـلال الحسن بن عبد اللّه بن سهل اللغوي العسكري لنفسه :

يـا هـلالاً من القصـور تـدلَّى ... صـام وجهي لمقـلتيـه وصـلَّى
لـستُ أدري أطـال لـيليَ أم لا ... كيف يـدري بـذاك من يتـقلَّى
لـو تفـرغتُ لاستـطالـةِ ليـلي ... ولـرعي النـجـوم كنتُ مخـلّى

هذا آخر ما ذكره السلفي من حال أبي هلال .

قال مؤلف الكتاب : وهذه الأبيات الأخيرة التي منها « لست أدري أطال ليلي أم لا » والبيت الذي بعده رأيته في بعض الكتب منسوباً إلى خالد الكاتب[1]، واللّه أعلم.

هذا عن السلفي . وذكر غيره أن أبا هلال كان ابن أخت أبي أحمد وله من الكتب بعد ما ذكره السلفي : كتاب جمهرة الأمثال[2] . كتاب معاني الأدب[3] . كتاب من احتكم من الخلفاء إلى القضاة . كتـاب التبصرة ، وهـو كتاب مفيـد . كتاب شـرح الحماسة[4] . كتاب الدرهم والدينار . كتـاب المحاسن في تفسيـر القرآن ، خمس مجلدات . كتاب العمدة . كتـاب فضل العَطاء على العسر . كتـاب ما تلحن فيـه الخاصة . كتاب أعلام المعاني في معاني الشعر . كتاب الأوائل[5] . كتاب ديـوان شعره . كتاب الفرق بين المعاني . كتاب نوادر الواحد والجمع .

---

(1) انظر ديوان خالد : 525 .

(2) طبع على هامش الميداني ، ثم قام بتحقيقه الأستاذ محمد أبو الفضـل إبراهيم وعبـد المجيد قـطامش (القاهرة : 1964) .

(3) نشره القدسي بعنوان « ديوان المعاني » ـ القاهرة 1352 .

(4) هو فيما أعتقد استدراكات وتصحيحات على الحماسة ، وهو مع مجموعة أخرى من رسائل العسكري بمكتبـة البودليان بأكسفورد .

(5) خير طبعاته ظهر بدمشق في جزءين بتحقيق محمد المصري ووليد قصاب (1975 ، 1976) .

قال المؤلف : وأما وفاته فلم يبلغني فيها شيء ، غير أني وجدتُ في آخر « كتاب الأوائل » من تصنيفه : وفرغنا من إملاء هذا الكتاب يوم الأربعاء لعشر خلت من شعبان سنة خمس وتسعين وثلاثمائة .

ولبعضهم :

وأحسنُ ما قرأتُ على كتابٍ بخطِّ العسكريِّ أبي هلالِ
فلو أني جُعِلْتُ أميرَ جيشٍ لما قاتلتُ إلا بالسؤالِ
فإن الناسَ ينهزمون منه وقد ثبتوا[1] لأطراف العوالي

وقال أبو هلال العسكري في تفضيل الشتاء على غيره من الأزمنة :

فترتْ صَبْوَتي وأقصرَ شَجْوِي وأتاني السرورُ من كلِّ نحوِ
إنّ رَوْحَ الشتاءِ خلَّص رُوحي من حَرورٍ تشوي الوجوهَ وتكوي
بَرَدَ الماءُ والهواءُ كأنْ قد سُرِقَ البردُ من جوانح خِلْوِ
ريحه تلمسُ الصدوَر فتشفي وغماماتُهُ تَصوبُ فتروي
لست أنسى منه دماثةَ دَجْنٍ ثم من بعده نضارةَ صحوِ
وجنوباً تبشّر الأرضَ بالقَطْـرِ كما بُشِّرَ العليلُ ببرْوِ
وغيوماً مطرزاتِ الحواشي بوميضٍ من البروقِ وخَفْوِ
كلما أرختِ السماء عراها جمع القطرُ بين سفلٍ وعلْوِ
وهي تعطيك حين هبَّتْ شمالاً بردَ ماء فيها ورقةَ جوِّ
وترى الأرضَ في مُلاءة[2] ثلجٍ مثلِ رَيْطٍ لبستَهُ فوق فرْوِ
واستعار العرارُ منها لباساً سوف يمنى من الرياح بنضْوِ
فكأنّ الكافورَ موضعُ تربٍ وكأنّ الجمانَ موضع قَرْوِ
وليالٍ أطلن مدةَ درسي مثلما قد مددن في عمر لهْوِي

(1) ر : صبروا .
(2) ر : يلامس ؛ ولعل الصواب « يلامق » .

مـرَّ لي بعضُهـا بفقـهٍ وبعضٌ بين شعـرٍ أخـذتُ فيـه ونحْـوِ
وحــديثٍ كـأنــه عقــد ريـا بتٌّ أرويـه للرجـالِ وتــروي
في حديثِ الرجال روضةُ أنسٍ بات يُرْعَى بأهلِ نُبْـلٍ وسرِوِ

وقال أبو الحسين محمد بن محمد بن أركل[1] في ضد ذلك[2] :

قلت إذ فضّلوا الشتاءَ على الـــــصيفِ ولجّوا وأكثروا الهذرا
يا ربّ حرُّ المصيف[3] يحرقنا ولا نـريـدُ الشتـاءَ والمـطرا
غيمٌ ووحـلٌ والـزمهـريـرُ فمـا نَعْـدَمُـهُ رائحـاً ومـبتـكـرا
يحبسنـا[4] الشهرُ في منـازلنـا هَلْكَى نقاسي الهمومَ والفكرا
أطــولُ ليــلٍ لــه وأهــولُــهُ نـهــاره لا نـحـسّـه قِـصَــرا
يا ربِّ عجل لنا المصيفَ ولو أَسـلمنــا حــرُّهُ إلـى سـقــرا
دعني مع الصيف والشمال فما أكـرهُـهُ بُكْــرةً ولا سحـرا[5]

ـ 324 ـ

الحسن بن عبد الله العثماني ، أبو علي النيسابوري : ذكره عبد الغافر في « كتاب السياق » وقال : إنه مات في شهور سنة نيف وسبعين وأربعمائة ، ووصفه فقال : هو الإمامُ الكاملُ البارعُ في فنه ، المعجز في نُكَته ، له التصانيف المشهورة في التذكير والخطب وطُرَفِ الأشعار والرسائل والموشّحات الغريبة والصناعات البـديعة والترصيعات الرشيقة في النظم والنثر ، بحيث يستفيد منها الأكابر والأماثل ، ويستضيء

324 ـ ترجمته في السياق (المنتخب: 2): 54 والوافي 12 : 87 .

(1) م : أركالا .
(2) هذه القطعة سقطت من الطبعة المصرية .
(3) م : يا رب حي ان الصيف .
(4) م : يسحبنا .
(5) م : ومستحرا .

بنورها البلغاء في المحافل ، تفقَّه على الجويني ثم انتقل إلى ناحية بست وسكنها ، ووافى بها قبولاً بالغاً ، فصار مشاراً إليه في عصره تحترمه الصدور . قال : وافيتُ الناحيةَ فرأيتُ ازدحاماً على قبره في الموسم وتناحراً عليه ، وكان أكثر ميله إلى مقولاته في تصانيفه ومجموعاته ، نظماً ونثراً ، دون المنقول .

ـ 325 ـ

الحسن بن عبد الرحمن بن خلاد الرامهرمزي ، أبو محمد القاضي : ذكره محمد بن إسحاق النديم وقال : هو حسنُ التصنيف مليحُ التأليف ، يسلك طريقة الجاحظ ، وكان شاعراً ، وقد سمع الحديث ورواه ، مات في حدود ستين وثلاثمائة .

قال : وله من الكتب : كتاب ربيع المتيم في أخبار العشاق . كتاب الفلك في مختار الأخبار والأشعار . كتاب أمثال النبي ﷺ . كتاب الريحانتين الحسن والحسين . كتاب إمام التنزيل في علم القرآن . كتاب النوادر والشوارد . كتاب أدب الناطق . كتاب الرِّثْي[1] والتعازي . كتاب رسالة السفر . كتاب مباسطة الوزراء . كتاب المناهل والأعطان والحنين إلى الأوطان . كتاب الفاصل بين الراوي والواعي[2] .

وكان القاضي الخلادي من أقران القاضي التنوخي ، وقد مدح عضد الدولة أبا شجاع بمدائح ، وبينه وبين الوزير المهلبي وأبي الفضل ابن العميد مكاتبات ومجاوبات منها ما نقلته من « مزيد التاريخ » لأبي الحسن محمد بن سليمان بن محمد الذي زاده على « تاريخ السلامي » في ولاة خراسان ؛ قال : حدثني عبد اللّه بن إبراهيم قال : لما استوزر أبو محمد المهلبي كتب إليه أبو محمد الخلادي في التهنئة :

---

325 ـ ترجمته في الفهرست: 172 وتذكرة الحفاظ: 905 والأنساب 6: 47 واليتيمة 3: 423 والوافي 12: 64 والشذرات 3: 30، 37 (ويعتمد ياقوت على الفهرست واليتيمة والأنساب للسمعاني) .

(1) الفهرست : كتاب الرثاء .
(2) لم يذكر كتاب الشيب والشباب وكتاب أدب الموائد .

بسم اللّه الرحمن الرحيم ، الحمد للّه مانح الجزيل ، ومعوّد الجميل ، ذي المن العظيم ، والبلاء الجسيم :

الآن حين تعاطى القوسَ باريها ... وأبصر السمتَ في الظلماءِ ساريها[1]
الآن عاد إلى الدنيا مُهَلّبها ... سيفُ الخلافةِ بل مصباحُ داجيها
أضحى الوزارةُ تُزْهَى في مواكبها ... زَهْوَ الرياض إذا جادت غواديها
تاهتْ علينا بميمونٍ نقيبتُهُ ... قلَّتْ لمقداره الدنيا وما فيها
موفّقُ الرأي مقرونٌ بغرّته ... نجمُ السعادة يرعاها ويحميها
معزّ دولتها هنئتَها فلقد ... أيدتها بوثيقٍ من رواسيها

تهنئة مثلي من أولياء الوزير ـ أطال اللّه بقاءه ـ الدعاء ، وأفضله ما صدر عن نيةٍ لا يرتابُ بها ولا يخشى مَذْقها ، وكان غيب صاحبه أفضلَ من مشهده ، فهنأ اللّه الوزير كرامته ، وأحلى له ثمرة ما منحه ، وأحمدَ بدأه وعاقبته ومُفْتَتَحه وخاتمته ، حتى تتصلَ المواهبُ عنده اتصالاً في مستقبله ومستأنفه ، يوفي على متقدمه بمنّه . وكتابي هذا ـ أيد اللّه الوزير ـ من المنزل برامهرمز ، وأنا عقيب علّة ومحنة ، ولولا ذلك لم أتأخر عن حضرته ـ أجلّها اللّه ـ مهنّئاً ومسلّماً ، فإن رأى الوزير شرفني بجواب هذا الكتاب .

فكتب إليه المهلبي جوابه : بسم اللّه الرحمن الرحيم ، وصل كتابك يا أخي ـ أطال اللّه بقاءك ، وأدام عزك وتأييدك[2] ونعماءك ـ المتضمن نفيسَ الجواهر من بحار الخواطر ، الحاوي ثمارَ الصفاءِ من منبت الوفاء ، وفهمته ووقع ما أهديته من نظم ونثر ،وخطاب وشعر، موقعَ الريّ من ذي الغلّة ، والشفاء من ذي العلّة ، والفوز من ذي الخيبة، والأوب من ذي الغَيْبَة، وما طابت بي حال[3] إلا وأنت الأولى بسرورها والأغبط بحبورها ، إذ كنت شريكَ النفسِ في السراء ومواسيها في الضرَّاء . وتكلفتُ الإجابةَ عما نظمتَ على كثرةٍ من الشغلِ إلاّ عنك ، وزهدٍ في المطاولة إلاّ فيك ، والعذر في تقصيرها عن الغاية واضحٌ ، ودليلُ العجلة فيها لائح ، وأنت بمواصلتي بكتبك وأخبارك

---

(1) أورد الثعالبي هذه الأبيات في اليتيمة 3 : 423 في ترجمة ابن خلاد .
(2) ر : وتمكينك .
(3) م : ضاءت بحال .

وأوطارك مسؤول ، والجري على عادتك المأثورةِ وسيرتك[1] المشكورة مأمول ، وأنا والله على أفضل عهدك وأحسن ظنك وأوكد ثقتك ، ومشتاق إليك :

مواهبُ اللَّه عندي لا يوازيها ... سعيٌ ومجهودُ وُسْعِي لا يدانيها[2]
لكنَّ أقصى المدى شكري لأنعمه ... وتلك أفضلُ قُرْبَى عند مؤتيها
واللَّهَ أسألُ توفيقاً لطاعتِهِ ... حتى يوافقَ فعلي أَمْرَهُ فيها
وقد أتتْنيَ أبياتٌ مهذَّبة ... ظريفةٌ جزلةٌ رقَّتْ حواشيها
ضَمَّنْتَها حُسْنَ أوصافٍ[3] وتهنئةً ... أنت المهنّى بباديها وتاليها
ودعوةً صدرت عن نيةٍ خلصتْ ... لا شكَّ فيها أجاب اللَّه داعيها
وأنت أوثقُ[4] موثوقٍ بنيّته ... وأقربُ الناسِ من حالٍ نرجيها
فثقْ بنيل المنى في كلِّ منزلةٍ ... أصبحتَ تعمرها عندي وتبنيها

وكتب أبو الفضل محمد بن الحسين بن العميد إلى القاضي أبي محمد الخلادي : بسم اللّه الرحمن الرحيم ، أيها القاضي الفاضل ـ أطال اللّه بقاءك ، وأدام عزك ونعماءك ـ من أسرَّ داءه، وستر ظماءَه ، بَعُدَ عليه أن يبلّ من غلته ، وقد غمرني منذ قرأتُ كتابك إلى الشريف ـ أيده اللّه ـ شوقٌ استجذبَ نفسي واستفزّها ومدَّ جوانحي وهزها ، ولا شفاء إلا قربك ومجالستك ، ولا دواءَ إلا طلعتك ومؤانستك ، ولا وصولَ إلى ذلك إلا بزيارتك واستزارتك ، فإن رأيتَ أن تؤثر أخفهما عليك ، وتعلمني آثرهما لديك، وتقدم ما استنسبته[5] في ذلك، فعلت، فإني أراعيه أشد المراعاة ، وأتطلعه في كلِّ الأوقات ، وأعدّ على الفوز به الساعات .

فأجابه الخلادي : بسم اللّه الرحمن الرحيم ، قرأت التوقيع ـ أطال اللّه بقاء الأستاذ الرئيس ـ فشحذَ الفطنةَ وآنسَ الوحدةَ ، وألبس العزة وأفاد البهجة ، وقلت كما قال رؤبة لما استزاره أبو مسلم صاحب الدعوة :

---

(1) ر : وويرك .
(2) أبيات المهلبي في اليتيمة 3 : 424 .
(3) اليتيمة : إبداع .
(4) اليتيمة : أول .
(5) م : ما اليسته .

لبيــكَ إذ دعـوتني لبيكــا   أحمدُ رباً ساقني[1] إليكا

فأما الإجابة عن أفصح بيان ، خُطَّ بأكرمِ بنان ، واضحٍ كالزهر المؤنق، مالك لرقاب المنطق ، فما أنا منها بقريب ، وهيهات أنى لِيَ ٱلتَّنَاوُش مِنْ مَكانٍ بَعِيد ، لكني على الأثر، ولا أتأخر عن الوقت المنتظر، إن شاء اللّه تعالى .

قال : وكان أبو محمد الخلادي ملازماً لمنزله قليل البروز لحاجته ، وقيل له في ذلك فروى عن أبي الدرداء[2] : نعم صومعةُ الرجلِ بيته ، يكفّ فيه سمعه وبصره . وروى عن ابن سيرين أنه قال : العزلةُ عبادة ، وقال : خلاؤُكَ أَقْنَى لحيائك ، وقال : عِزُّ الرجل في استغنائه عن الناس ، والوحدةُ خيرٌ من جليس السوء[3] ، وأنشد لابن قيس الرقيات[4] :

اهربْ بنفسكَ واستأنس بوحدتها   تلقَ السعودَ إذا ما كنتَ منفردا
ليتَ السباعَ لنا كانت مُعاشِرَةً   وأننا لا نرى ممن نرى أحدا
إن السباع لتهدا في مرابضها   والناسُ ليس بهادٍ شرُّهُمْ أبدا

ثم صار الخلادي إلى أبي الفضل ابن العميد ، فلما فتشه شدا منه علماً غزيراً ، وقبس أدباً كثيراً ، وقال الخلادي : إن أعجبَ الأستاذَ معرفتي صَحِبْتُهُ وتعلقتُ به وأقمت عنده وبين يديه .

وكتب الخلادي إلى منزله برامهرمز : بسم اللّه الرحمن الرحيم ، قد وردتُ من الأستاذ الرئيس على ضياء باهر ، وربيعٍ زاهر ، ومجلسٍ قد استغرق جميعَ المحاسن ، وَحُفَّ بالأشرافِ والأكارم ، وجلساءٍ أقرانٍ أعدادٍ عام ، كأنهم نجومُ السماء ، من طالبيٍّ رخو المعاطف ، صُلْبِ المكاسر ، جامعٍ إلى شَرَفِ الحسب ديناً

---

(1) م : ربي سابقاً ؛ والتصويب عن ديوان رؤبة: 181 (ونبه عليه الأستاذ النشاشيبي) .

(2) العزلة للخطابي : 12 وزاد فيه : « يكف سمعه وبصره ودينه وعرضه ، وإياكم والجلوس في الأسواق فإنها تلهي وتلغي » .

(3) الوحدة خير من جليس السوء : نسب لأبي ذر في العزلة: 56 .

(4) لم ترد هذه الأبيات في ديوانه ، وهي ليست من جنس شعره .

وظرفاً ، وإلى كَرَمِ المحتدِ حرمةً وفضلاً ، وكاتبٍ حصيفٍ ، وشاعر مفلق ، وسمير أنيق[1] ، وفقيه جَدِلٍ ، وشجاع بطل :

كرامُ المساعي لا يَخافُ جليسهم إذا نطقَ العوراء غَرْبَ لسانِ
إذا حُدِّثوا لم تخشَ سوءَ استماعهم وإن حَدَّثوا أدَّوْا بحسن بيانِ

ووضعنا الزيارة حيث لا يُزْري بنا كَرمُ المزور ، ولا يعاب الزور ، يجدّ الأستاذ عندي كلَّ يوم مكرمة وميرة ، تطويان مسافة الرجاء ، وتتجاوزان غايات الشكر والثناء ، والبشر والدعاء ، فزاد اللّه في تبصيره حقوق زوّاره ، وتيسيري لشكر مبارّه .

قال الثعالبي[2] : ومن ملح ابن خلاد قوله :

قل لابن خلّادٍ إذا جئته مستنداً في المسجدِ الجامع
هذا زمانٌ ليس يحظَى به «حدثنا الأعمش عن نافع»

وقوله وقد طولب بالخراج[3] :

يا أيها المكثرُ فينا الزَّمْجَرَهْ ناموسُهُ دفترُهُ والمحبرَهْ
قد أبطل الديوانُ كُتْبَ السحره والجامِعَيْنِ وكتابَ الجمهرهْ
هيهات لن يَعْبُرَ تلك القنطره نحوُ الكسائيِّ وشعرُ عنترهْ
ودغفلٌ وابنُ لسان الحمَّرةَ ليس سوى المنقوشةِ المدوَّرهْ

ذكر السمعاني في «كتاب النسب»[4] قال : القاضي أبو محمد الحسن بن عبد الرحمن بن خلاد الرامهرمزي كان فاضلاً مكثراً من الحديث ، ولي القضاء ببلاد الخوز ، ورحل قبل التسعين ومائتين ، وكتب عن جماعة من أهل شيراز ، ذكره أبو عبد اللّه محمد بن عبد العزيز الشيرازي القصّار في «تاريخ فارس» وقال : بلغني أنه [عاش] برامهرمز إلى قرب الستين وثلاثمائة .

---

(1) أنيق : بمعنى مؤنق اي معجب ؛ وفي م : آنق .
(2) اليتيمة 3 : 424 .
(3) المصدر نفسه .
(4) الأنساب : 6 : 47 (حيدر أباد) .

ـ 326 ـ

الحسن بن عثمان بن حماد بن حسان بن عبد الرحمن بن يزيد، أبو حسان الزيادي البغدادي القاضي : من أعيان أصحاب الواقدي ، روى عن الهيثم بن عدي وهشيم بن بشير وغيرهما ، وكان أديباً فاضلاً نسابة أخبارياً جواداً كريماً سمحاً ، مات سنة اثنتين وأربعين ومائتين أو ثلاث وأربعين عن تسع وثمانين سنة ، مات هو والحسن بن علي بن الجعد في وقت واحد ، وكان الزيادي حينئذ على قضاء مدينة المنصور.

وكان الزيادي يصنِّفُ الكتبَ ويصنَّفُ له ، وكانت له خزانة كتب حسنة كثيرة ، وله من الكتب على ما ذكر محمد بن إسحاق[1] ، كتاب عروة بن الزبير . كتاب طبقات الشعراء . كتاب الآباء والأمهات.

وقال الحافظ أبو القاسم : سمع بدمشق الوليد بن مسلم وشعيب بن إسحاق وعمر بن عبد الواحد وعمر بن سعيد والوليد بن محمد الموقري ومعروف بن عبد الله الخياط[3] وهارون بن عمر الدمشقي ومحمد بن إسحاق بن بلال بن أبي الدرداء وسفيان[2] بن عيينة وشعيب بن صفوان[4] ومعتمر بن سليمان وجرير بن عبد الحميد وحماد بن زيد ووكيع بن الجراح وأبا داود الطيالسي . روى عنه أبو العباس الكديمي وإسحاق بن الحسن الحربي ومحمد بن محمد الباغندي وأبو بكر ابن أبي الدنيا.

---

326 ـ ترجمة الزيادي في الفهرست: 123 ومصورة ابن عساكر 4 : 468 وتهذيب ابن عساكر 4 : 194 وتاريخ بغداد 7 : 356 والأنساب 6 : 359 وعبر الذهبي 1 : 437 وسير الذهبي 11 : 496 وتاريخ الطبري 3 : 1117 والجرح والتعديل 3 : 25 والوافي 12 : 98 والبداية والنهاية 10 : 244 ومرآة الجنان 2 : 134 والجواهر المضية 1 : 197 والشذرات 2 : 100 (ويعتمد ياقوت على الفهرست والجهشياري وابن عساكر) .

(1) الفهرست : 123 وزاد فيه « كتاب ألقاب الشعراء » .
(2) ابن عساكر : الحناط .
(3) م : وسعيد .
(4) زاد في م هنا : وابن عيينة .

وذكر الجهشياري في « كتاب الوزراء »[1] أن رجلاً من أهل خراسان أودعَ أبا حسان الزياديّ القاضي عشرة آلاف درهم ، وأنها صادفت منه خَلّة فأنفقها ، وقدَّر أن يأتي ما يُرَدُّ على الخراساني مكانَها إلى أن ينصرف الخراساني من الحج ، فحدث للخراساني أمرٌ قطعه عن الحج ، وعزم على الانصراف إلى بلده ، فصار إلى أبي حسان يلتمسُ منه ماله ، فتعلَّل عليه ودافعه وتحيَّر وضاقت الحيلةُ عليه ، وعاد الخراساني مراراً فدافعه ، ثم وعده في يوم بعينه ، واشتد غمُّه وقلقه وأجمع على بَذْلِ وجهه إلى بعض إخوانه ، فلما كان في ليلة اليوم الذي وعد الرجلَ فيه امتنع عليه النوم من شدة قلقه ، فقام في بعض الليل فقصد دينار بن عبد الله ، فلما صار في بعض الطريق تلقّاه رسولٌ لدينار يسأل عن أبي حسان ، فلما سمع ذكره سأله عن سببه وتعرَّف إليه ، فقال له : أبو علي دينار يقرأ عليك السلام ويقول لك : قسمت شيئاً على عيالنا وذكرت من في منزلك منهم فوجهتُ إليهم بعشرة آلاف درهم ، فقبلها وحمد الله ، وصار إلى منزله فسلمها إلى الخراساني ، وصار إلى دينار بن عبد الله شاكراً له وعرَّفه خبره ، فقال له دينار : فأرانا إنما وجّهنا بمال الخراساني فعلى ماذا يعتمد العيال ؟ وأمر له بعشرة آلاف درهم أخرى.

وفي سنة ثماني عشرة ومائتين كتب المأمون من الثغر إلى إسحاق بن إبراهيم المصعبي والي بغداد في امتحان القضاة والشهود والفقهاء والمحدثين بالقرآن ، فمن أقرَّ أنه مخلوق مُحْدَثٌ خلَّى سبيله ، ومن أبى عليه أعلمه به ليأمرَ فيه برأيه ، فأحضر إسحاقُ أبا حَسّان الزيادي وبشر بن الوليد الكندي وعلي بن أبي مقاتل والفضل بن غانم والذيال بن هيثم وسجّادة والقواريري وأحمد بن حنبل وقتيبة وسعدويه الواسطي وعلي بن الجعد وسعد بن أبي إسرائيل وابن الهرش وابن علية الأكبر ويحيى بن عبد الرحمن الرياشي[2] ، وشيخاً آخر من ولد عمر بن الخطاب كان قاضي الرقة ، وأبا نصر التمار وأبا معمر القطيعي ومحمد بن حاتم بن ميمون ومحمد بن نوح المضروب

(1) قارن بما أورده التنوخي في النشوار 2 : 234 ـ 239 وتاريخ بغداد 7 : 358 ـ 359 وابن عساكر (المصورة) : 471 .
(2) في الطبري (3 : 1121) : العمري .

وابن الفرُّخان وجماعة منهم : النضر بن شميل وأبو علي[1] ابن عاصم وأبو العوام البزاز وابن شجاع وعبد الرحمن بن إسحاق ، فأدخلوا على إسحاق فقرأ عليهم كتاب المأمون مرتين حتى فهموه ، ثم كلّم رجلاً رجلاً منهم ، فيجيب بما يغالطُ به أو يصرّح ، حتى قال لأبي حسان الزيادي[2] ما عندك ؟ وقرأ عليه كتاب المأمون ، فأقرَّ بما فيه ، ثم قال : من لم يقل هذا القولَ فهو كافر ، فقال له إسحاق : القرآن مخلوق هو ؟ قال : القرآن كلام اللّه ، واللّه خالق كل شيء[3] ، وأمير المؤمنين إمامنا ، وبسببه سمعنا عامة العلم ، وقد سمع ما لم نسمع وعلم ما لم نعلم ، وقد قلّده اللّه أمرنا ، فصار يقيم حجّنا وصلاتنا ، ونؤدي إليه زكوات أموالنا ، ونجاهد معه ونرى إمامته ، فإن أمرنا ائتمرنا وإن نهانا انتهينا ، قال : القرآن مخلوق ، فأعاد مقالته ، قال إسحاق : فإن هذه مقالة أمير المؤمنين ، قال : قد تكون مقالتَه ولا يأمرُ بها الناس ، وإن أخبرتني أن أميرَ المؤمنين أمرك أن أقولَ قلتُ ما أمرتني به ، فإنك الثقةُ فيما أبلغتني عنه . قال : ما أمرني أن أبلغك شيئاً ، قال أبو حسان : وما عندي إلا السمع والطاعة فأمرني آتمر ، قال : ما أمرني أن آمرك ، وإنما أمرني أن أمتحنكم ، فتركه والتفت إلى أحمد بن حنبل فسأله .

قال الحافظ أبو القاسم : وليس كما يظنه الناس من ولد زياد بن أبيه ، وإنما تزوج [أحد] أجداده أم ولد لزياد فقيل له الزيادي ، قال ذلك أحمد بن أبي طاهر صاحب « كتاب بغداد » .

---

(1) الطبري : وابن علي .
(2) الطبري : 1122 .
(3) زاد في الطبري : وما دون اللّه مخلوق .

ـ 327 ـ

الحسن بن علي الحرمازي أبو علي : هو مولى بني هاشم ثم مولى آل سليمان بن علي بن عبد الله بن عباس ، وإنما نزل بالبصرة في بني الحرماز فنسب إليهم ، والحرماز لقبٌ واسمه الحارث[1] بن مالك بن عمرو بن تميم بن مُرّ . نشأ بالبادية ثم قدم البصرة فأقام بها .

وحدث المبرد قال : كان التوزي والحرمازي والجرمي يأخذون عن أبي عبيدة وأبي زيد سعيد بن أوس الأنصاري والأصمعي ، وكان هؤلاء الثلاثة أكبر أصحابهم ، وكان من دون هؤلاء في السن إبراهيم الزيادي والمازني والرياشي .

قال أبو الطيب اللغوي صاحب كتاب «مراتب النحويين»[2] : كان الحرمازي في ناحية عمرو بن مسعدة فخرج عمرو إلى الشام فقال الحرمازي :

أقام بأرضِ الشام فاختلَّ جانبي ومطلبه بالشام غيرُ قريبِ
ولا سيما من مفلسٍ حلفِ نقرسٍ أما نقرسٌ في مفلسٍ بعجيبِ

وحدث أبو العيناء قال : اعتلّ الحرمازي وكان له صديق من الهاشميين فلم يَعُدْهُ ، فكتب إليه[3] :

متى تنفكُّ واجبةُ الحقوقِ إذا كان اللقاءُ على الطريقِ
إذا ما لم يكنْ إلاَّ سلامٌ فما يرجو الصديقُ من الصديقِ
مرضتُ فلم تَعُدْني عمرَ شهرٍ وليس كذاك فعلُ أخٍ شقيقِ

وقال الحرمازي ، وكتب بها إلى محمد بن عبيد الله العتبي :

بنفسي أنت قد جاء ك ما عنديَ من كُتْبِكْ

327 ـ ترجمة الحرمازي في الفهرست 54 ومراتب النحويين: 75 ونور القبس: 208 والوافي 12 : 142 وبغية الوعاة 1 : 515 .

(1) ر : الحافظ .
(2) انظر أيضاً نور القبس .
(3) نور القبس : 209 .

فـلا تبعـدْ مـن الإفضـا ... ل مـا نـرجـوه من قـرْبِـكْ
فـمـا زلـتَ أخـا جـودٍ ... وإفضـالٍ على صحبـكْ
وسـلْ قـلبـك عـمـا لـ ... ـك في قلبيَ من حبـكْ
فـقـد أخبـرنـي قـلبـ ... ـيَ عمـا ليَ فـي قلبـكْ
وأنـي لـكَ راضٍ بـي ... وأنـي لـيَ راضٍ بـكْ

وكان بعض الهاشميين قد وعد الحرمازي وعداً فأخّره ، فكتب إليه(1) :

رأيتُ النـاس قد صـدقوا ومـانوا ... ووعـدُكَ كـلّه خُـلْفٌ وَمَـيْـنُ
وعـدتَ فمـا وفيتَ لنـا بـوعـدٍ ... ومـوعـودُ الكـريمِ عليـه دينُ
ألا يـا ليتني استبـقيـت وجهـي ... فـإن بـقـاءَ وجـهِ الحـرِّ زيـنُ

ـ 328 ـ

الحسن بن علي المدائني النحوي : قال أبو إسحاق إبراهيم بن سعيد الحبال : مات لثلاث بقين من جمادى الأولى سنة تسع وسبعين وثلاثمائة ، وكان إماماً فاضلاً تخرج به جماعةٌ وافرةُ العدد .

ـ 329 ـ

الحسن بن علي بن عمر ، ويقال عمار ، المعروف بابن المصحح ، أبو محمد التيمي النحوي : سمع أبا بكر عبد اللّه بن محمد بن عبد اللّه الحنائي وأبا بكر ابن أبي الحديد وأبا نصر حديد بن جعفر الرماني . روى عنه عبد العزيز الكتاني ونجاء بن

---

328 ـ إنباه الرواة 1 : 315 والوافي 12 : 142 وبغية الوعاة 1 : 516 وقال فيه القفطي : متحقق بهذا الشأن (أي النحو) متصدر للافادة مذكور بين أهله ، كنيته أبو محمد .

329 ـ مصورة ابن عساكر 4 : 559 (وفيه التميمي) وتهذيب ابن عساكر 4 : 232 والوافي 12 : 143 وبغية الوعاة 1 : 512 .

(1) نور القبس (نفسه) .

أحمد وأبو القاسم النسيب[1] ، وسئل عنه فقال : ثقة ، ومات لسبع بقين من رجب سنة أربع وأربعين وأربعمائة ، ذكر ذلك كلّه أبو القاسم علي بن الحسن بن عساكر في « تاريخ دمشق » .

ـ 330 ـ

الحسن بن علي بن الحسن بن عبد الله بن مقلة : أبو عبد الله ، ومقلة اسم أم لهم كان أبوها يرقّصها فيقول يا مقلة أبيها فغلب عليها ، وأبو عبد اللّه هو أخو الوزير أبي علي محمد بن علي ، وهو المعروف بجودة الخط الذي يضرب به المثل . كان الوزير أوحد الدنيا في كَتْبِهِ قَلَمَ الرقاع والتوقيعات ، لا ينازِعُهُ في ذلك منازع ، ولا يسمو إلى مساماته ذو فضل بارع ، وكان أبو عبد الله هذا أكتبَ من أخيه في قلم الدفاتر والنسخ ، مسلماً له فضيلته ، غير مفاضِل في كتبته . ومولد أبي عبد اللّه في سلخ رمضان سنة ثمان وسبعين ومائتين ، ومات في شهر ربيع الآخر سنة ثمان وثلاثين وثلاثمائة ، ومات أبوه أبو العباس علي بن الحسن في ذي الحجة سنة تسع وثلاثمائة ، وله يوم مات سبع وستون سنة وأشهر ، وصلى عليه ابنه أبو علي (ولأخيه أبي علي ترجمة في بابه مفردة لما اشترطنا في ذكر أرباب الخطوط المنسوبة)[2] وكان أبوهما الملقب بمقلة أيضاً كاتباً مليحَ الخطِّ ، وقد كتب في زمانهما وبعدهما جماعة من أهلهما وولدهما فلم يقاربوهما وإنما يندرُ للواحدِ منهم الحرفُ بعد الحرف والكلمةُ بعد الكلمة ، وإنما كان الكمال لأبي علي وأبي عبد الله أخيه .

فممن كتب من أولادهما أبو عبد الله وأبو الحسن ابنا أبي علي وأبو أحمد سليمان بن أبي الحسن ، وأبو الحسين علي بن أبي علي ، وأبو الفرج العباس بن علي بن مقلة ، ومات أبو الفرج هذا في سنة إحدى وعشرين وثلاثمائة ، ومات أبو

330 ـ الوافي 12 : 143 .

(1) ابن عساكر : وأبو القاسم علي بن إبراهيم .

(2) انظر الترجمة رقم : 1085 .

الحسين علي بالفالج والسكتة في سنة ست وأربعين وثلاثمائة ومولده سنة خمس وثلاثمائة.

حدث ابن نصر قال : وجدتُ بخطٍّ أبي عبد الله ابن مقلة على ظهر جزء : وغنتني ابنة الحفار :

إلى سامع الأصواتِ من أبعد المسرى ... شكوتُ الذي ألقاه من ألم الذكرى
فيا ليتَ شعري والأمانيُّ ضلَّةٌ ... أيشعر بي من بتُّ أرعى له الشعرى

قال ابن نصر : فقلت كفى ابنةَ الحفار هذا الصوت أن يذكرها ، ويكتبه أبو عبد اللّه ابن مقلة بخطه .

وحدث ابن[1] نصر قال ، حدثني أبو القاسم ابن الرقي منجم سيف الدولة قال : كنتُ في صحبة سيفِ الدولة في غَداةِ المصيبة المعروفة[2] وكان سيف الدولة قد انكسر يومئذٍ كسرةً قبيحة ، ونجا بحشاشته بعد أن قُتِلَتْ عساكره ، قال : فسمعت سيف الدولة يقول وقد عاد إلى حلب : هلك مني من عرض ما كان في صحبتي خمسة آلاف ورقة بخطٍّ أبي عبد اللّه ابن مقلة، قال : فاستعظمت ذلك وسألت بعضَ شيوخِ خَدمه الخاصة عن ذلك ، فقال لي : كان أبو عبد اللّه منقطعاً إلى بني حمدان سنين كثيرة يقومون بأمره أحسنَ القيام ، وكان ينزل في دار قوراء حسنة ، وفيها فروش ، يشاكلها مجلس دست ، وله شيء للنسخ وحَوْضٌ فيه محابر وأقلام ، فيقوم ويتمشى في الدار إذا ضاق صدره ، ثم يعود فيجلسُ في بعضِ تلك المجالس وينسخ ما يخفُّ عليه ، ثم ينهض ويطوف على جوانب البستان ، ثم يجلس في مجلس آخر وينسخ أوراقاً أخر على هذا ، فاجتمع في خزائنهم من خطِّه ما لا يحصى .

وجدت بخطٍّ بعضِ أهل الفضل عن بعضهم قال : حضرتُ مجلس أبي علي محمد بن علي بن مقلة في أيام وزارته ، وقد عُرِضَتْ عليه رقاعٌ وتوقيعات وتسبيبات قد زَوَّر على خطِّه أخوه أبو عبد اللّه وارتفق عليها ، فكان ينظرُ فيها ويمضيها وقد عَرَفَ

(1) م : أبو .
(2) الوافي : كنت في صحبة سيف الدولة في غزاة .

صورتها ، وكان أبو عبد اللّه حاضراً ، فلما كثرت عليه التفتَ إليه فقال : يا أبا عبد اللّه قد خَفَّفْتَ عنا حتى ثَقُلْتَ ، وخشينا أن نثقل عليك ، فأحبّ أن تخفّفَ عن نفسك هذا التعب ، فضحك أبو عبد اللّه وقال : السمع والطاعة .

وقال ثابت بن سنان : لما ولي أبو علي ابن مقلة [الوزارة قلد أخاه أبا عبد اللّه] ديوانَ الضياع الخاصّة ، وديوان الضياع المستحدثة ، وديوان الدار الصغيرة . وصودر أبو عبد اللّه في أيام القاهر على خمسين ألف دينار بعد أن حلف أنه لا يملك إلا بساتين وما ورثه من زوجته ، وقيمة الجميع نحو مائة ألف درهم[1] .

ـ 331 ـ

الحسن بن عليل بن الحسين بن علي بن حبيش بن سعد العنزي[2] : واسمُ عليل عليّ ، وعليل لقبٌ غلب عليه ، وكنيته أبو علي . لقي يحيى بن معين وأحمد بن [إبراهيم الموصلي] وأبا خيثمة [زهير بن حرب] وحدث عنهم ، وكان صاحبَ أدبٍ وأخبار . مات في سنة تسعين ومائتين ، وكان أحدَ الرواة الثقات الذين لا مَطْعَنَ عليهم في الصدق ، وكان مقيماً بسرَّ من رأى وبها دفن .

فمن شعره :

كلُّ المحبين قد ذَمُّوا السهاد وقد ... قالوا بأجمعهم طوبى لمن رقدا
وقلتُ يا ربّ لا أبغي الرقادَ ولا ... أَلهو بشيءٍ سوى ذكري له أبدا
إن نمتُ نام فؤادي عن تذكرهم ... وإن سهرتُ شكا قلبي الذي وجدا

331 ـ هذه الترجمة وردت في المختصر . ولابن عليل ترجمة في إنباه الرواة 1 : 317 وتاريخ بغداد 7 : 398 . ولكن اضطراب التصوير جعلها في 6 : 398 ، وهذا الاضطراب يشمل عدة تراجم ، وقد أفسد مصدراً مهماً .

(1) أورد له الصفدي بعد هذا مقطوعتين ، وهو يعتمد على ياقوت في الترجمة كلها ، فلعلهما سقطتا في هذه الترجمة ، وحقهما أن يثبتا في موضعهما .
(2) غير معجمة في ر ؛ وقد تقرأ « العرني » .

ـ 332 ـ

الحسن بن علي بن إبراهيم بن يزداد بن هرمز بن شاهويه ، أبو علي الأهوازي المقرىء صاحب التصانيف المشهورة : قال ابن عساكر : قدم دمشق في ذي الحجة سنة إحدى وتسعين وثلاثمائة وسكنها ، وقرأ القرآن بروايات كثيرة وأقرأه ، وصنف كتاباً في القرآن(1) ، وحدَّث عن خلقٍ كثير منهم : نصر بن أحمد المرجى وأبو حفص الكتاني والمعافى بن زكريا بن طرارا وروى عنه الخطيب أبو بكر ابن ثابت وغيره .

قال ابن عساكر(2) : أنبأنا أبو طاهر ابن الحنّائي ، أنبأنا أبو علي الأهوازي ، حدثنا أبو زرعة أحمد بن محمد بن عبد اللّه بن سعيد القشيري ، حدثني جدّي لأبي الحسن بن سعيد ، حدثنا أبو علي الحسين بن إسحاق الدقيقي ، حدثنا أبو زيد حماد بن دليل عن سفيان الثوري عن قيس بن مسلم عن عبد الرحمن بن سابط عن أبي أمامة الباهلي قال ، قال رسول اللّه ﷺ : إذا كانت عشية عرفة هبط اللّه عز وجل إلى السماء الدنيا ، فيطلعُ إلى أهلِ الموقف فيقول : مرحباً بزوّاري الوافدين إلى بيتي ، وعزّتي لأنزلن إليكم ولأساوينَّ مجلسكم بنفسي ، فينزل إلى عرفة فيعمهم بمغفرته ، ويعطيهم ما يسألون إلا المظالم ، ويقول : يا ملائكتي أُشهدكم أني قد غفرتُ لهم ، ولا يزال كذلك إلى أن تغيب الشمس ، ويكون امامهم إلى المزدلفة ، ولا يعرج إلى السماء تلك الليلة ، فإذا أسفر الصبح ووقفوا عند المشعر الحرام غفر لهم حتى المظالم ، ثم يعرج إلى السماء وينصرف الناس إلى منىً .

---

332 ـ ترجمته في بغية الطلب 4 : 278 ومصورة تاريخ ابن عساكر 4 : 475 وتهذيب ابن عساكر 4 : 197 وميزان الاعتدال 1 : 512 (ولسان الميزان 2 : 237) وسير الذهبي 18 : 13 وعبر الذهبي 3 : 210 وطبقات ابن الجزري 1 : 220 والوافي 12 : 122 والنجوم الزاهرة 5 : 56 ومرآة الجنان 3 : 63 والشذرات 3 : 274 (ويعتمد ياقوت على تاريخ ابن عساكر) وذكر ابن العديم من كتبه : الموجز في القراءات السبعة . كتاب في القراءات العشرة . كتاب الوجيز في القراءات الثمانية ، وله كتاب يطعن فيه على الأشعري ويعد كتاب تبيين كذب المفتري لابن عساكر رداً عليه .

(1) ابن عساكر : كتباً في القراءات .
(2) المصورة : 476 .

هذا الحديث[1] منكرٌ وفي إسناده غير واحدٍ من المجهولين . وللأهوازي أمثاله في كتاب جمعه في الصفات سماه « كتاب البيان في شرح عقود أهل الايمان » أودعه أحاديثَ منكرة كحديث : إنّ اللّه تعالى لما أراد أن يخلق نفسه خَلَقَ الخيل ، فأجراها حتى عرقت ، ثم خلق نفسه من ذلك العرق ، مما لا يجوز أن يُـرْوَى ولا يحلّ أن يعتقد .

وكان[2] مذهبه مذهبَ السالمية ، يقول بالظاهر ويتمسك بالأحـاديث الضعيفة التي تقوّي له رأيه . وحديث إجراء الخيل موضوع ، وضعه بعض الزنادقة ليشنّع به على أصحاب الحديث في روايتهم المستحيل[3]، فيقبله بعض من لا عقل له[4]، وهو مما يقطع ببطلانه شرعاً وعقلاً .

قال الأهوازي : ولدت في سابع عشر محرم سنة اثنتين وستين وثلاثمائة ، ومات في رابع ذي الحجة سَنة ست وأربعين وأربعمائة .

قال ابن عساكر[5] : وسمعت أبا الحسن علي بن أحمد بن منصور يحكي عن أبيه قال : لما ظهر من الأهوازي الاكثارُ من الروايات في القراءات اتهم في ذلك ، فسار رشأ بن نظيف وأبو القاسم ابن الضراب[6] وابن القماح إلى العراق لكشفِ ما وقع في نفوسهم منه ، ووصلوا إلى بغداد ، وقرأوا على بعض الشيوخ الذين روى عنهم الأهوازي ، وجاءوا بالاجازات عنهم وبخطوطهم ، فمضى الأهوازي إليهم وسألهم أن يُروه تلك الخطوط التي معهم ، ففعلوا ودفعوها إليه ، فأخذها وغيَّر أسماءَ من سمَّى ليستر دعواه ، فعادت عليه بركة القرآن فلم يفتضح . وبلغني أنهم سألوا عنه بعض المقرئين الذين ذكر أنه قرأ عليهم وحكوه له فقال : هذا الذي تذكرونه قد قرأ عليَّ جزءاً أو نحوه .

(1) النقل مستمر عن ابن عساكر .
(2) عن ابن عساكر أيضاً .
(3) ابن عساكر : ليتنحل .
(4) زاد في م : ورواه .
(5) مصورة ابن عساكر : 476 ـ 477 وتهذيبه : 198 وانظر بغية الطلب 4 : 281 .
(6) م وابن عساكر : ابن الفرات .

قال[1] وقال حدثني أبي قال : عاتبت ـ أو عوتب ـ أبو طاهر الواسطيّ المقرىء في القراءة على الأهوازي فقال : أقرأ عليه العلم ولا أصدقه في حرف واحد .

قال : وحدثني أبو طاهر محمد بن الحسن بن علي بن المليحي[2] قال : كنت عند رشأ بن نظيف في داره على باب الجامع وله طاقة إلى الطريق ، فاطلع فيها وقال : قد عبر رجلٌ كذّاب ، فاطلعت فوجدته الأهوازي. قال، وقال ابن الاكفاني ، قال لنا الكتاني : كان الأهوازي مكثراً من الحديث ، وصنف الكثير في القراءات ، وكان حسنَ التصنيف ، وجمع في ذلك شيئاً كثيراً ، وفي أسانيد القراءات غرائب ، كان يذكر في مصنفاته أنه أخذها رواية وتلاوة ، وأن شيوخه أخذوها رواية وتلاوة ، ولما توفي كانت له جنازة عظيمة .

ـ 333 ـ

الحسن بن علي بن إبراهيم الصقلي النحوي : مات بمكة في ذي الحجة سنة إحدى وتسعين وثلاثمائة ، ودفن بها . روى عن الزجاجي وأبي بكر الأنباري وغيرهما .

فمن شعره :

في سبيل اللّه ودٌّ حسنٌ ... دام من قلبي لوجه حسنِ
وهوى ضيَّعته في سكنٍ ... ليس حظي منه غيرَ الحزنِ
يرقد الليلَ ويستعذبه ... وإذا ما رمتُ طيبَ الوسنِ
زارني منه خيالٌ ما له ... أربٌ في غير أن يوقظني

وقيل إنه مات بمكة بعد أن حج ودخل مكة ، وطيف بتابوته حول البيت وذلك لاثنتي عشرة ليلة من ذي الحجة سنة اثنتين وتسعين وثلاثمائة .

333 ـ هذه الترجمة وردت في المختصر ، وللصقلي ترجمة في مصورة ابن عساكر 4 : 570 ، وكنيته أبو علي .

(1) هو في بغية الطلب 4 : 282 .
(2) بغية الطلب : الملحي .

- 334 -

الحسن بن علي بن بركة بن عبيدة : أبو محمد[1] المقرىء النحوي الفرضي، من ساكني الكرخ بدرب رياح. مات في ثامن عشر شوال سنة اثنتين وثمانين وخمسمائة، وكان فاضلاً قارئاً نحوياً لغوياً فرضياً، قرأ القرآن بالروايات على الشيخ أبي محمد ابن بنت الشيخ، وبالكوفة على عمر بن إبراهيم العلوي، وقرأ النحو على أبي السعادات ابن الشجري، ولازمه حتى برع في فنه، وتصدَّر مدةً طويلة لإقراء القرآن والنحو واللغة والفرائض، وأنشد له العماد في «الخريدة» شعراً قاله في المستضيء بأمر الله أمير المؤمنين وهو:

يا خيرَ مستخلَفٍ عَمَّتْ نوافلُهُ ... وطبَّقَ الأرضَ بعد المحلِ نائلُهُ
أحيتْ لنا سيرةَ المهدي سيرتُهُ ... عدلاً وبذلاً فما تُحْصَى فواضلهُ
إمامُ حقّ بعهدِ اللّه محتفظٌ ... وكلُّ شيء حواه فهو باذلُهُ
خيرُ الخلائفِ[2] أضحى لا ينازعُهُ ... منهم إمامٌ وان جلَّت أوائلُهُ
كالمصطفى[3] جاءَ بعد الأنبياء وما ... فيهم على فضلهم خَلْقٌ يعادلُهُ

وله في المستضيء أيضاً:

هذهِ دولةٌ تخيَّرها الـلـ ... ـهُ فدامتْ لنا سجيسَ الليالي
دولةٌ روَّضتْ[4] رباها وجادتْ ... من لُهاها بوابلٍ متوالي
واستقادتْ صعبَ المقادة بالعد ... لِ ودانت لها قلوبُ الرجالِ

334 - الخريدة (قسم العراق) 3/1: 216 - 218 وإنباه الرواة 1: 316 ومختصر ابن الدبيثي 1: 285 والوافي 12: 130 ومرآة الزمان: 390 وطبقات ابن الجزري 1: 224 وبغية الوعاة 1: 224 والنجوم الزاهرة 6: 104 (ويعتمد ياقوت على الخريدة) وقد ضبط اسمه في بعض المصادر بفتح العين.

(1) ر: أبو عبيدة.
(2) م: الخلائق.
(3) م: فالمصطفى.
(4) م: روضة.

وأضـاءَتْ بالمستضيءِ بـأمـرِ اللـ ـه لا زال مُلْكُـهُ في اتـصـالِ
مـلكٌ عـمَّ بـرُّهُ كـلَّ بَـرٍّ وأبـاح الآمـال في الأمـوالِ (1)
وأغـاث الأنـامَ مـنـه سجـالٌ بعـد إمحـالهم عقيبَ سجـال
طبَّقَ الأرضَ منه فضلٌ وعـدلٌ (2) وكـفـاهـا بـوائقَ الـزلـزال
جعـل اللّه ودَّكـم يـا بنـي العـ ـباس فرضاً من أشرفِ الأعمال
وعليكم صـلاتنـا فـي التـحيـا تِ تَـوَالـى لأنكـم خيـرُ آل (3)
يـا بني عمّ أحمـدٍ طـاب محيـا كم ومن قبلُ طبتمُ في الظلالِ (4)

ـ 335 ـ

الحسن بن علي الجويني الكاتب، أبو علي صاحب الخط المليح المنسوب: كان مقيماً ببغداد ولا أدري أوُلد بها أم انتقل اليها، لأنه لما انتقل إلى مصر كان يعرف بها بالبغدادي، وكان يلقب فخر الكتاب. مات بمصر لعشر خلون من صفـر سنة ست وثمانين وخمسمائة. سمعت جماعةً من أهل الكتابة المتحققين بها يقولون: لم يكتب

335 ـ ترجمته في بغية الطلب 4: 275 وسيـر الذهبي 21: 233 وابن خلكـان 2: 131 وتلخيص مجمع الآداب 3/4: 143 والوافي 12: 127 (وفيه نقل عن ابن النجار) وقال ابن خلكان: وذكره العماد الكاتب في الخريدة (قسم العراق 3/2: 58) وكان من ندماء أتابك زنكي بالشام، وأقام بعده في ظل محمود نور الدين، ثم سافر إلى مصر وتوطّن بها. ولم يورد العماد من شعره إلا أبياتاً يتشوق فيها إلى القاضي الفاضل، وأورد له ابن العـديم عدداً من مقـطعاتـه. وأورد المنذري تـرجمته في وفيـات سنة 584 ثم قال: وقيل انه توفي سنة 586 وقال الذهبي يعرف بابن اللعيبة؛ وراجع تعليق محقق سير الذهبي هنا ففيه فوائد مهمة.

(1) م: الأحوال.
(2) الخريدة: عدل وفضل.
(3) م: خير وال.
(4) من قول العباس في مدح الرسول:
من قبلهـا طبت في الظلال وفي مستـودع حيث يخصـف الـورق

أحدٌ بعد أبي الحسن علي بن هلال بن البواب أجود من الجويني ، وكان أستاذه في الكتابة يعقوب الغزنوي ، كتب عليه ببغداد إلا أنه أبرَّ عليه وزاد حتى لا تناسُبَ بين خطيهما . وكان من شيمة الجويني أنه قطُّ ما كتبَ شيئاً بخطّه كثر أو قلَّ ، دق أو جلّ ، إلا ويكتب في آخره : كتبه الحسن بن علي الجويني . وكتب عليه جماعة من الكتاب وافتخروا بأستاذيته كابن القيسراني وغيره ، وكان يتنقل في البلاد ، حتى حطَّ بَرْكَهُ بالديار المصرية ، ونفق بها سوقه ، وعلا على أبناء جنسه قَدْرُهُ ، وعظم شانه وارتفع مكانه ، وكان مع ذلك لا يترك هيئته وسمته ، فإنه كان يتزيا زيَّ أهل التصوف . وبلغ من علو قدره بالديار المصرية إلى أن ولي ولده عز الدين إبراهيم ولاية القاهرة بعدما ولي ولاية اسكندرية مدة ، وكان محمود السيرة ، رأيتُ أهلَ مصر ممن شاهد ولايته يحسن الثناء عليه ، وكان ملوكيَّ الهمةِ شريفَ النفس ، أعني عز الدين إبراهيم . وكان فخر الكتاب يقول الشعر ويتعاناه إلا أنه لم يكن فيه بذاك ، ومن شعره يمدح القاضي الفاضل وهو من أجود شعره :

لولا انقطاعُ الوحي كان منزّلاً ... في الفاضلِ بن عليٍّ البيساني
نثني عليه بمثلِ ما يثني على ... أفعالـه المرضيَّةِ الملكانِ

ومن شعره في الزهد :

كم كادت الأوطان تشغلنا ... بزخارفِ الدنيا عن اللّهِ
حتى تَغُرَّ بنا فكم غِيراً ... يَقْطَعْنَ عقلَ الغافلِ اللاهي

- 336 -

الحسن بن علي بن إبراهيم بن الزبير ، أبو محمد المصري ، أخو الرشيد أحمد بن علي - وقد تقدم ذكره[1] -: وكان من أهل أسوان من غسان، وكان الحسن هذا

336 - ترجمته في الخريدة (قسم مصر) 1 : 204 وكتاب الروضتين 1 : 147 والوافي 12 : 131 والفوات 1 : 243 والطالع السعيد: 100 وطبقات الداودي 1 : 135 وحسن المحاضرة 1 : 242 والشذرات 4 : 197 والمقفى 3 : 346 .

(1) انظر الترجمة رقم : 125 .

يلقب بالقاضي المهذب ، مات في ربيع الآخر سنة إحدى وستين وخمسمائة بمصر ، وكان كاتباً مليح الخطّ ، فصيحاً جيد العبارة ، وكان أشعر من أخيه الرشيد ، وكان قد اختص بالصالح ابن رزيك وزير المصريين ، وقيل إن أكثر الشعر الذي في ديوان الصالح إنما هو عمل المهذب ابن الزبير، وحصل له من الصالح مالٌ جمّ ، ولم ينفق عنده أحد مثله . وكان القاضي عبد العزيز بن الجباب[1] المعروف بالجليس هو الذي قرَّظه عند الصالح حتى قدمه ، فلما مات الجليس شمت به ابن الزبير ، ولبس في جنازته ثياباً مذهبة ، فنقص عند الناس بهذا السبب واستقبحوا فعله ، ولم يعشْ بعد الجليس إلا شهراً واحداً .

وصنف المهذب « كتاب الأنساب » وهو كتاب كبير أكثر من عشرين مجلّداً ، كل مجلد عشرون كراساً ، رأيت بعضه فوجدته مع تحقّقي هذا العلم وبحثي عن كتبه غايةً في معناه لا مزيد عليه يدلّ على جودة قريحة مؤلفه وكثرة اطلاعه ، إلا أنه حذا فيه حذو أحمد بن يحيى بن جابر البلاذري ، وأوجز في بعض أخباره عن البلاذري ، إلا أنه إذا ذكر رجلاً ممن يقتضي الكتاب ذكره لا يتركه حتى يُعَرِّفَهُ بجهده مع إيراد شيء من شعره وخبره . وكان المهذب قد مضى إلى بلاد اليمن في رسالةٍ من بعضِ ملوكِ مصر ، واجتهد هناك في تحصيل كتب النسب ، وجمع منها ما لم يجتمع عند أحدٍ حتى صحَّ له تأليفُ هذا الكتاب .

وكان أخوه الرشيد لما مضى إلى اليمن وادَّعى الخلافة ـ كما ذكرناه في ترجمته ـ نمي خبره إلى المعروف بالداعي ، فقبض عليه قبضاً لا نعلم كيفيته وهمَّ بقتله ، فكتب المهذّب هذا إلى الداعي بقصيدته المشهورة يمدحه ويستعطفه حتى أطلقه ، والقصيدة[2] :

يا ربعُ أين تَرَى الأحبَّةَ يمموا ... هل أنجدوا من بعدنا أم أتهموا

---

(1) في بعض المصادر ابن الحباب ، وهو فيما أقدر خطأ وصوابه « الجبّاب » بالجيم والباء المشددة ، ثم وجدت الصفدي (18 : 473) ضبطه كذلك .

(2) وردت في الفوات (والوافي طبعاً) والطالع السعيد .

نزلوا من العينِ(1) السوادَ وإن نأوْا(2)　　ومن الفؤادِ مكانَ ما أنا أكتم
رحلوا وفي القلبِ المعنَّى بعدهم　　وجدٌ على مرِّ الزمانِ مخيِّمُ
رحلوا وقد لاح الصباحُ وإنما　　تسري إذا جَنَّ الظلامُ الأنجمُ
وتعوَّضَتْ بالأُنس روحي وحشةً　　لا أُوحشَ اللَّه المنازلَ منهمُ
لولاهمُ ما قمتُ بين ديارهم　　حيرانَ أستافُ الترابَ(3) وألثمُ
أمنازلَ الأحباب أين هُم وأيـــن الصبرُ من بعد التفرُّق عنهمُ
يا ساكني البلدِ الحرام وإنما　　في الصدر مع شَحْطِ المزارِ سكنتمُ
يا ليتني في النازلين عشيةً　　بمنىً وقد جمع الرفاقَ الموسمُ
فأفوزَ إنْ غفل الرقيبُ بنظرةٍ　　منكم إذا لبَّى الحجيجُ(4) وأحرموا
إني لأذكركم إذا ما أشرقت　　شمسُ الضحى من نحوكم فأسلِّمُ
لا تبعثوا لي في النسيم تحيةً　　إني أغارُ من النسيم عليكمُ
إني امرؤٌ قد بعتُ حظي راضياً　　من هذه الدنيا بحظِّي منكمُ
فسلوتُ إلا عنكمُ وقنعتُ الا منكمُ وزهدتُ إلا فيكمُ

ورأيتُ كلَّ العالمين بمقلةٍ　　لو ينظرُ الحسادُ ما نظرتْ عَمُوا
ما كان بعد أخي الذي فارقتُهُ　　ليبوحَ إلا بالشكاية لي فمُ
هو ذاك لم يملكْ علاه مالكٌ　　كلا ولا وجدي عليه مُتَممُ(5)
أقوتْ مغانيه وَعُطِّلَ ربعُه　　ولربما هَجَرَ العرينَ الضيغمُ
ورمتْ به الأهوالُ همةَ ماجدٍ　　كالسيف يمضي غَرْبُهُ ويصمِّمُ
يا راحلاً بالمجد عنّا والعلا　　أترى يكونُ لكم إلينا مَقْدَمُ

(1) م : العز .
(2) م : نووا .
(3) م : الديار .
(4) م : الحجاج .
(5) الاشارة إلى مالك ومتمم ابني نويرة .

يفديك قومٌ كنتَ واسطَ عقدهم ... ما إن لهم مذ غبتَ شملٌ يُنْظَمُ
لك في رقابهمُ وإن هم أنكروا ... مِنَنٌ كأطواقِ الحمام وأنعمُ
جهلوا فظنّوا أنّ بعدك مَغْنَمُ ... لما رحلتَ وإنما هو مغرمُ
فلقد أقرَّ العينَ أن عداك قد ... هلكوا ببغيهمُ وأنت مُسَلَّمُ
لم يعصم اللّه ابنَ معصوم من الـ ... ـآفات واخْتُرِمَ اللعينُ الأَخْرَمُ[1]
واعتضتَ بعدهمُ بأكرمِ معشرٍ ... بدأوا لك الفعلَ الجميل وتمّموا
فلعمرُ مجدكَ إنْ كرمتَ عليهمُ ... إن الكريم على الكرام مكرمُ
أقيالُ بأسٍ خيرُ من حملوا القنا ... وملوكُ قحطانَ الذين هُمُ هُمُ
متواضعون ولو ترى ناديهِمُ ... ما آسطعتَ من إجلالهم تتكلمُ
وكفاهمُ شرفاً ومجداً باذخاً[2] ... أن أصبح الداعي المتوَّجُ منهمُ
هو بدرُ تِمٍّ في سماءِ علاهم ... وبنو أبيه بنو زُرَيْعٍ[3] أنجمُ
مَلِكٌ حِماهُ جَنّةٌ لِعُفاتِهِ ... لكنّه للحاسدين جهنمُ
أُثني عليك بما مننتَ وأين مِنْ ... أوصافِ مجدك يا مليكاً أعظمُ
فاغفر ليَ التقصيرَ فيه وَعُدَّهُ ... معَ ما تجودُ به عليَّ وتنعمُ
مع أنني سيرتُ فيك شوارداً ... كالدرِّ بل أبهى لدى من يفهمُ
تغدو وهوجُ الذارياتِ رواكدٌ ... وتبيتُ تسري والكواكبُ نوَّمُ
وإذا المآثر عُدِّدَتْ في مشهدٍ ... فبذكرها يُبْدَا المقالُ ويختمُ
وإذا تلا الراوون مُحْكمَ آيها[4] ... صلّى عليك السامعون وسلّموا
وكفى برأي إمام عصركَ ناقضاً ... ما أحكم الأعداءُ فيك وأبرموا

(1) ر : المجرم .
(2) م : أنهم قد (بدل باذخاً أن) .
(3) م : رويع .
(4) م : وإذا بدا . . . . أن يحكوا بها .

وأنشدني أبو طاهر إسماعيل بن عبد الرحمن الأنصاري المصري بمصر في سنة اثنتي عشرة وستمائة قال : أنشدني أبو محمد الحسن بن علي بن الزبير مطلع قصيدة :

أعلمتَ حين تجاورَ الحيَّانِ ... أنّ القلوبَ مواقدُ النيرانِ
وعلمتَ أن صدورنا قد أصبحتْ ... في القوم وهي مرابضُ الغزلانِ
وعيوننا عوضَ العيون أمدَّها ... ما غادروا فيها من الغدرانِ
ما الوجدُ هزَّ قناتهم بل هزَّها ... قلبي لما فيه من الخفقانِ
وتراه يكرهُ أن يرى أظعانهم ... فكأنّما أصبحتُ في الاظعانِ

وكان لما جرى لأخيه الرشيد ما جرى من اتّصاله بالملك صلاح الدين يوسف بن أيوب عند كونه محاصراً بالاسكندرية - كما ذكرناه في بابه - قبض شاور على المهذب وحبسه ، فكتب إلى شاور شعراً كثيراً ليستعطفه فلم ينجع ، حتى التجأ إلى ولده الكاملِ أبي الفوارس شجاع بن شاور ومدحه بأشعار كثيرة ، وهو في الحبس ، حتى قام بأمره واستخرجه من حبسه ، وضمّه إليه واصطنعه ، فمن ذلك قوله من قصيدة :

يا صاحبيْ سجنِ الخزانةِ خلِّيا ... نسيمَ الصبا ترسلْ إلى كبدي نفحا
وقولا لضوءِ الصبح هل أنت عائدٌ ... إلى ناظري أم لا أرى بعدها صبحا
ولا تيأسا من رحمةِ اللّه أن أرى ... سريعاً(1) بفضل الكاملِ العفوَ والصفحا
فإن تحبساني في النجوم تجبّراً ... فلن تحبسا مني له الشكرَ والمدحا

وكتب إليه :

وما كنتُ أخشى قبل سجنكما على ... دموعيَ أن يقطرنَ خوفَ المقاطر
وما ليَ مَنْ أشكو إليه أذاكما ... سوى ملكِ الدنيا شجاع بن شاور

ومما قاله فيه ، وهو لعمري من رائق الشعر وجيّده :

إذا أحرقتْ في القلب موضعَ سكناها ... فمن ذا الذي من بعدُ يُكْرِمُ مثواها
وإن نزفتْ ماءَ العيون بهجرها(2) ... فمن أيّ عينٍ تأملُ العيسُ سقياها

(1) م : مريعاً .
(2) م : لحرها .

وما الـدمـعُ يـومَ البيـنِ إلّا لآلىءٌ ... على الرسم في رسمِ الديـار نثرنـاهـا
ومـا أطلع الـزهـرَ الـربيـعُ وإنمـا ... رأى الـدمـعُ أجيـادَ الغصـونِ فحلّاهـا
ولـمّـا أبـان البيـنُ سـرَّ صـدورنـا ... وأمكن فيهـا الأعينُ النُّجْـلُ مـرمـاهـا
عـددنـا دمـوعَ العينِ لمـا تحـدرت ... دروعـاً من الصبـرِ الجميـل نـزعنـاهـا
ولـمـا وقـفـنـا لـلوداع وتـرجـمـتْ ... لعينيَّ عمّـا في الضمـائـر عينـاهـا
بـدتْ صـورةٌ في هيكـلٍ فلو آنـنـا ... نـدينُ بـأديـان النصـارى عبـدنـاهـا
ومـا طربـاً صُغنـا القـريضَ وإنمـا ... جـلا اليومَ مـرآةَ القـرائـح مـرآهـا
ولـيلةَ بـتنـا : فـي ظـلامِ شبيبـتي ... سُرَايَ، وفي ليـل الـذوائب مسـراهـا
تـأرَّجُ أرواحُ الـصَّبـا كـلمـا سـرى ... بـأنفـاس ريـا آخـرَ الليـل ريـاهـا
ومهمـا أدرنـا الكـأسَ بـاتت جفـونهـا ... من الـراح تَسقينـا الـذي قـد سقينـاهـا

[ومنها] :

ولـو لم يجـدْ يـومَ النـدى في يمينـه ... لـسـائله غـيـرَ الشـبيـبـة أعـطاهـا
فـيـا ملكَ الـدنيـا وسـائسَ أهلهـا ... سياسةَ من قـاس[1] الأمـور وقـاسـاهـا
ومـنْ كـلَّفَ الأيـام ضـدَّ طبـاعـهـا ... وعـاينَ أهـوالَ الخـطوب فعـانـاهـا
عسى نـظرةٌ تجلو بقلبي ونـاظـري[2] ... صـداه فـإنـي دائـمـاً أتـصـداهـا

وحدثني الشريف أبو جعفر محمد بن عبد العزيز الادريسي أن السبب في حبسه كان أنه كاتب شيركوه الملقب بأسد الدين ، وهو نازلٌ على بلبيس بعساكره في محاربة شاور ، فلما رحل أسد الدين عن بلبيس وجدت الكتب في منزله ، فحملت إلى شاور فحبسه وهمَّ بصلبه لو لم يستنقذه ابنه الكامل .

وأنشدني المصريون للمهذب في رفّاء :

بُليتُ بـرفّـاء[3] لـواحظُ طَـرْفِـهِ ... بنـا فَعَلَتْ ما ليس يفعلهُ النَّصْـلُ

(1) الوافي والمختصر : ساس .
(2) الوافي : وخاطري .
(3) م : بكيت لرفاء ، والتصحيح عن الوافي والفوات والمختصر .

يجور على العشّاقِ والعـدلُ دأبه ويقطعني ظلماً وصنعتُـهُ الوصـلُ

ومن شعره أيضاً[1] :

ولئن تـرقـرق دَمْعُـهُ يـومَ النـوى في الـطرفِ منه ومـا تناثـر عقدُهُ
فالسيف أقطعُ مـا يكون إذا غـدا متحيّـراً في صفحتيـه فِـرِنْـدهُ

ومنه أيضاً[2] :

لقـد طال هـذا الليلُ بعـد فـراقِهِ وعهـدي بـه قبـلَ الفراقِ قصيـرُ
فكيف أرجّي الصبحَ بعدهمُ وقـد تـولَّتْ شمـوسٌ بعـدهمْ وبـدورُ

ومنه أيضاً :

يعنّفني من لـو تحقّقَ مـا الهـوى لكـان إلى من قد هـويتُ رسـولي
بـنفسـيَ بـدرٌ لـو رآه عـواذلـي على الحبِّ فيـه فـاد كـلّ عـذولِ

ومنه أيضاً[3] :

أَقصرْ فـديتـك عن لـومي وعن عَـذَلي أو لا فخـذْ لي أمـانـاً من ظبـا المقـلِ
من كـلّ طرفٍ مـريض الجفن ينشدني «يـا ربَّ رامٍ بنجـدٍ من بني ثعـلِ»
إن كـان فيـه لنـا وهـو السقيم شفـاً «فـربّمـا صَحَّت الأجسـام بـالعللِ»[4]

وقال يرثي صديقاً له وقد وقع المطر يوم موته[5] :

بنفسيَ من أبكى السمـاواتِ فقـدُهُ بـغيـثٍ ظنَنّـاه نـوالَ يـمـينـهِ
فمـا استعبـرتْ إلا أسىً وتـأسّفـاً وإلا فمـا ذا القـطرُ في غيـر حينـهِ

(1) انظرهما في الخريدة والوافي والفوات .
(2) وردا في المصادر المذكورة .
(3) الأبيات في الخريدة وابن خلكان «الطالع السعيد .
(4) تضمين من قول المتنبي :
لعـلَّ عتبـك محمـود عـواقبـه فربما صحت الأجسـام بالعلل
(5) هذه القطعة والتاليتان لها في الخريدة والوافي والفوات .

وله أيضاً:

لا تـرجُ ذا نقصٍ ولـو أصبحتْ　　من دونـه في الـرتبـة الشمسُ
كيـوانُ أعلى كـوكـبٍ مـوضعـاً　　وهـو إذا أنـصـفـتـه نـحسُ

وله أيضاً:

فدعِ التمدحَ بـالقديم فكم عفـا　　في هـذه الآكـامِ قصـرٌ داثـرُ
إيـوانُ كسرى اليـومَ عند خـرابـه　　خيـرٌ لعمـرك منـه خصٌّ عـامـرُ

محتويات الجزء الثاني

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع الصفحة

الموضوع | الصفحة

الموضوع	الصفحة

بسم الله الرحمن الرحيم

ـ 337 ـ

الحسن بن علي بن أبي سالم المعمر بن عبد الملك بن ناهوج الاسكافي الأصل البغدادي المولد والدار ، أبو البدر ابن أبي منصور : من أهل باب الأزج ، أحد الكتاب المتصرفين في خدمة الديوان الامامي هو وأبوه ، وكان فيه فضل وأدب بارع وعربية وتصرف في فنونها ، ويكتب خطاً على طريقة أبي علي ابن مقلة قلَّ نظيره فيه ، وله خصائص ، ولقي المشايخ ، وصنف عدّةَ تصانيفَ في الأدب حسنة ، وتنقَّلَ في الولايات إلى أن رُتِّبَ مشرفاً بالديوان العزيز في سادس شهر رمضان سنة ست وثمانين وخمسمائة ، فكان على ذلك إلى أن عزل في سابع ذي الحجة سنة ثمان وثمانين . وكان صحب أبا محمد ابن الخشاب النحوي ، وقرأ عليه وبحث معه وعلَّق عنه تعاليق وقفت على بعضها فوجدتها منبئة عن يد باسطة في هذا الفن من العلم ، ورأيت بخطه في حلب تعاليق وكتباً واختياراتٍ ونظماً ونثراً تدلّ على قريحة سالمة ، ونفس عالمة ، تقلل النظير ، وتؤذن بالعلم الغزير ، ومما بلغني من شعره :

وعلى الكثيب مُخَمَّـرٌ من تيهـهِ ... كـالبـدرِ من حُسْنٍ وليس بـآفـلِ
حجبوه بالبيضِ القواصلِ ما دَرَوْا ... من حسنـه وسيوفهم كـالقاصـلِ
رشـأ كـأنَّ لحـاظـه مـطرورةٌ ... قـذفت بها غَـرَضـاً حَنِيَّة نـابـلِ

---

337 ـ ترجمته في مختصر ابن الدبيثي 2 : 19 والوافي 12 : 139 وبغية الوعاة 1 : 514 وقال الصفدي : «وطوّل ياقوت ترجمته إلى الغاية وأورد من رسائله إلى القاضي الفاضل جملة» وهذا القول قد يشير إلى أن الصفدي اطلع على نسخة اختلطت فيها ترجمة الاسكافي بترجمة القطان بعده . وقد فصلت بينهما ، ولكني أقدر أن هذا الاختلاط كان السبب في سقوط رسائل أخرى في ترجمة الاسكافي .

وكـأنّ سحـرَ بـلاغـةٍ في لفـظه　　أُخَـذٌ تعقّـدهـا نـوافثُ بـابـلِ

وكان خرج من بغداد حاجّاً في سنة تسع وثمانين وخمسمائة أو نحوها فجاور بمكة ، ثم صار منها إلى الشام وأقام بحلب مدة ، ثم انتقل إلى مصر فسكنها إلى أن مات بها في ثامن عشر رمضان سنة ست وتسعين وخمسمائة عن سبع وستين سنة ، ودفن بالقرافة ، حدث بذلك ابنه أبو منصور علي .

وقرأت بخط ابن أبي سالم الذي لا أرتاب به ما صورته : نسخة كتاب كتبته إلى القاضي الفاضل عند قدومي من الحجاز إلى مصر في جمادى الآخرة سنة اثنتين وتسعين وخمسمائة : لو كانت المودات ـ أطال اللّه بقاءَ المجلس السامي في نعمة خصيبة المرتع ، وعيشة عذبة المنبع ، وأدام علاه في سعادة لا تتطرق إلى ضافي بردها السابغ حوادثُ الأقدار ، ولا يتطرَّق صافي وِرْدِها السائغ بحوادثِ الأكدار ، وحرس مواهبه لديه ما لزم السكون أولَ المشدَّدَيْنِ ، ولا زالتْ ثاويةً بجنابه حتى يلتقي المخفّفان من كلمتين ، ولا فتئت مِنَحُ التوفيق مصاحبةً له ما اشتبه الذاتي بالعرض اللازم ، وذم المفرط أمره وأحمده الحازم ـ لا تُقْرَعُ أبوابها ، ولا يتدرع زينة لبوسها وأثوابها إلا عن معرفة في المشاهد سابقة ، أو ماتَّةٍ قائدة أو ذريعة سائقة . . .[1] .

التعاضد والتضافر . . .[1] سابق للصفة ، وإنما للنفوس سرائر أهواء تحنُّ إلى التداني وإن تباعدت الشعوبُ وتنازحت الديار ، كما لتباينها أسبابٌ تتنافر من أجلها وإن تقاربت الأنسابِ وتناوحتِ المقارّ ، والفضائل الفاضلية القريرة ، والمناقب الشهيرة ، التي قد سار ذكرها في الآفاق سير القمر ، وعطل مزيتُها مرويَّ السِيَر ، وتُلِيَتْ محاسنها كما تتلى السُوَر ، وصار الفوز بمناسمة ريَّاها من أفضل ما أسفر عنه سفر ، ولو عاينها الصَّدْرُ الأول لمدحَ في دراستها السهر ، وما جُدِبَ السمر ، فلا غرو أن تحنَّ النفوس إلى محلّ كمالها ، ومأوى توافر أضدادها التي انفرد بجمالها ، ومثوى مواهبها التي هبطت اليه من المحلّ الأرفع لما سُمِّي لها وسما لها ، ومن هو أمينها المصدق لظنونها ويمينها إذا كان غيره يمينها وشمالها ، وقد زادها إفراط حبِّ التبيان ، فللّه درُّ ذلك

---

(1) بياض في م .

البيان ، فلكم استفاءت حجته إلى أمر اللّه من الطوائف والفرق ، وكم فضَّ كتابه من كتائب الضلال وفرق .

ثم ذكر وصف بلاغته بما أطال فيه ووصفَ البحر الذي ركبه حتى خلص إلى مصر ثم قال : وقد أرسل هذه الخدمةَ مستخرِجةً للإذن في الحضور والتشرف بميمون اللقاء ، وإن زاحم به أوقاتَ الطاعات ومواقيتَ الأذكار ، وشغل على اختصاره عن شيء من المهام والأوطار ، فللمتوكل لنفسه أن يدَّعي أنّ في ذلك ضرباً من ضروب البرّ ، فإنه قد أصبح ولِلّه الحمد في هذا الطرف لقاطنيه وطارقيه كالأبِ البرّ . والمنشودُ من الأريحية الكريمة إكرامُ مثوى خدمته وتلقّيها بما يزيل عنها انقباضَ الغريب ووحشته ، وحيرةَ القادم ودهشته ، فعنده حياءٌ طبيعيّ لعلة متجاوزة للقدر المحدود .

غـذيتُ به طفـلاً فـإن رمتُ غيـره عصـاني وأغرتني بـه أُلْفَـةُ المهـدِ

وكتب إليه بعد الحضور عنده رقعة منها : وحضر الشيخ النفيس وصحبته ما قابل كريمَ الاهتمام الذي صدر عنه من الأدعية والأثنية بما لا يزال يواليه ويرفعه ويهديه ، ولقد أخجله أن يرى نفسه في صورةِ مُثَقِّل ، أو يُرَى بعينِ غيرِ موحّد في دينِ هواهُ مُتَنَقِّل . وَمُقْتَرَحُهُ أن يُخَصّ من حُسْنِ الرأي العالي بشعارٍ يُبهج ولا يُنْهِجُ ، وَيَشْرَعُ له سبيلاً في الفخر وَيَنْهَج ، وأن يشيرَ بأسطرٍ بالخط الكريم تَفوقُ المال ، وتبقي الجمال ، فأبقى السماتِ ما خطّته يمينه ، وأثبتُ الصفات ما دلَّ عليه تزيينه ، وأزكى الشهادات ما تطوَّع به كرمه ، وأعطر رياضِ الحمد ما أنبته دِيَمُه . وقد حصل الخادمُ بين نزاع يحضّه على حضور الخدمة وينشطه ، وخوفِ إبرام يقبضه ويثبّطه ؛ وقد ترجم عن حاله هذه بأبيات الشاعر أبي عبد اللّه وهي :

حـالـةٌ قـد حصلتُ أخبط[1] منهـا حـول دارِ الأستـاذِ في عـشـواءِ
إن تـأخّـرْتُ أو تقـدَّمْتُ فـيهـا سـاءَ ظنّي في المـوضعين بـرائي
لـست أدري مـن الضـلال أقـدّا مِيَ خيـرٌ فـي ذاك أم من ورائـي
أوثـر الخدمـةَ التي تثبتُ[2] اسمي عـنـدكم فـي جـريـدة الأوليـاءِ
ثم أخشى من أن[3] أعـدَّ إذا جئـــــت مـن المبـرمـيـن والـثـقـلاءِ

(1) م : للخوف . (2) م : تونر . (3) م : أني .

قد تحيرتُ فاجعلوا أنتم اسمي حيث شئتم من هذه الأسماءِ

ومن خطه : ومن عبثِ الخاطر وهوسه أبيات تشوقْتُ فيها الحجاز بعد مجاورتي بالحرم الشريف بمكة ، قدسها اللّه سنة اثنتين أو ثلاث وسبعين :

خليليَّ هل تشفي من الوجد وقفةٌ بخيفِ منىً والسامرونَ هجوعُ
وهل لِلُبيلات[1] المحصّب عودةٌ وعيشٍ مضى بالمأزمين رجوعُ
وهل سرحةٌ بالسفح من أيمن الصفا رَعَتْ من عهودي ما أضاع مضيعُ
وهل قُوِّضَتْ خَيْمٌ على أبرقِ الحمى وما ذاك من غدْرِ الزمانِ بديع
وهل تردنْ ماءً بشعبِ ابنِ عامرٍ حوائمُ لو يُقْضَى لهنَّ شروعُ
وما ذاك إلا عارضٌ من طماعة له بقلوبِ العاشقين ولوعُ
وإني متى أُعْصِ التجلُّدَ والأسى فللشوق مني والغرام مطيع
فيا جيرتي إذ للزمان نضارةٌ وعودي نُضارٌ والخيامُ جميع
بنَعمانَ والأيامُ فينا حميدةٌ ووادي الهوى للنازلين مَريع
وما أزمعَ الحيُّ اليمانسون نيَّةً ولا ريع بالبين المشتُّ مروعُ
كفى حزناً أني أبيتُ وبيننا من البيد ممتدٌّ[2] الفجاج وسيعُ
أعالجُ نفساً قد تولّى بها الأسى وطرفاً يجفُّ المزنُ وهو هَموع

ومن خطّه أيضاً : بيتان صدرت بهما كتاباً في هذه الرقعة إلى بعض الإخوان بمكة حرسها اللّه تعالى :

ألا قلْ لجيران الصفا ليت داعيَ الـ ـتفرق أعمى يسومَ راح مناديا
لعمري لقد ودَّعْتُ يومَ وداعكم بشعب المنقّى شُعْبَةً من فؤاديا

ومن خطّه رسالة كتبها إلى الفاضل أيضاً يسأله شيئاً من رسائله ، قال في آخرها : فصار مثلُ هذه العوارفِ التي أقتصرُ في ذكرها على الإيماء وقوفاً مع مجد سيدنا ـ أطال

(1) م : لليلات .
(2) الوافي : معروض ؛ م : معد .

اللّه بقاءه مبسوطَ اليد في عباد اللّه بالفرض ، مقرضاً له عناء همه فيهم أحسنَ القرض ، منجزاً لهم ما وعد : ﴿ وأمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ في الأَرْضِ ﴾ (الرعد: 17) - عند الخادم ، ومثله كالبيت من القريض قبل القافية ، والمريض الذي مَطَلَتْهُ الأيامُ بالعافية ، فلا يكملُ ذلك ولا يروقُ ، ولا يتطرَّبُ به المشوق ، ولا يترنَّمُ به الكئيب ، ولا يتسلَّى به الغريب ، دون تمامه ، وتكافي أجزاء نظامه ، وعبقه بمسك ختامه ، ولا يحسُّ هذا بلذةٍ على الحقيقة ، وإن شرفت ، حتى تجدَ روحُهُ رَوْحَ الشفاءِ فيدركَ مزيتها بطرق الصحة ومروءتها بحاسة سمعها ، وتساعفه الأقدارُ بتكميلها لك وجمعها :

وما أسفي إلاّ عليها فإنني ... بقرطاسها لا بالدنانير أَكْلَفُ
فجدْ لي بما أهواه منها فإنني ... سألحفُ في استيهابها وأكلّفُ
وما هذه الأهواءُ إلا غرائزٌ ... قبيحٌ لدى نقادها المتكلفُ

وإن كان الخادم عن حالٍ من شُرِّفَ بهذا من أفناء الناس ، ولم يكمل بعدته الاستئناس ، فليس له أن يكونَ معترضاً ، ولا أن يتلقى ذلك بغير التسليم والرضى ، فإن الخدمة السامية هي التي تبين لديها الأقدار ، وبأفعالها تترتب المنازلُ وتتفاوتَ الأخطار .

- 338 -

الحسن بن علي بن محمد بن إبراهيم بن أحمد القطان ، أبو علي المروزي : أصله من بُخارى ، وولد بمرو سنة خمس وستين وأربعمائة . ومات مقتولاً ، قتله الغُز لما وردوا خراسان وتغلّبوا على مَرْو، فقبضوا عليه في من قبضوا، فجعل يشتُمهم وجعلوا يَحْثُون التراب في فمه ، حتى مات سنة ثمان وأربعين وخمسمائة .

---

338 - سقط أول هذه الترجمة من ياقوت ، واختلطت بترجمة الاسكافي السابقة ونبّه على ذلك الدكتور مصطفى جواد رحمه الله (ص: 19) فاعدت صَدْرَ الترجمة اعتماداً على المختصر والصفدي (الوافي 12: 140 - 141) وبغية الوعاة 1: 513 وانظر ترجمة أخرى له في تاريخ الحكماء للبيهقي: 156 (ط . دمشق) وقال البيهقي : إن له رسائل في الطبّ ، واكثر معالجاته يؤول إلى تقليل الطعام وتلطيفه ، وربما ينهى المريض عن الدواء الغذائي فضلاً عن الغذاء ، وأورد له أقوالاً حكمية .

وكان شيخاً فاضلاً ، كبيراً محترماً ، قد أخذ بأطراف العلوم على اختلافها ، وغلب عليه اسم الطّبّ، وله في كل نوع تصنيفٌ مأثور. وكان له دكانٌ برأس المربَّعةِ يقعدُ فيه للتطبب يؤذي الناس ويشتمهم إذا سئل عن شيء من المداواة . وكان ينظر في الخزانة التي عملت برسم الكتب في المدرسة الخَاتُونِيَّة وهي يومئذ معمورةٌ بالكتب ينتابها الفضلاءُ ويلتذ بها العلماء، حتى أغار خوارزمشاه على مرو وفي صحبته الرشيد الوطواط كاتبه فدخلها وانتخب من محاسن كتبها ونقلها الى خوارزم وتركها صفراً . وكان القطان قد وقف فيها من كتب نفسه الكثير ، فبين القطان والوطواط في ذلك رسائل معروفة وأجوبة مشهورة يدعي القطان عليه أنه انتهب كتبه وأغار على ثمرة عمره وما جمعه في سالف أيامه ، والرشيد يتبرأ من ذلك ويحلف له أنه ما فعل .

وكنت عند كوني بمرو عَرَضَ عليّ شيخنا فخر الدين أبو المظفر عبد الرحيم بن تاج الاسلام أبي سعد السمعاني ـ تغمدهما اللّه برحمته ـ جزءاً يشتملُ على رسائل للحسن القطان إلى الرشيد الوطواط ، محشوة بالسبِّ له والثلبِ تصريحاً لا تعريضاً ، ويُلْزِمُهُ الحجةَ في أنه نهب كتبه وسلبه نتيجة عمره ، ويستحسب اللّه عليه ، وضاق نطاقُ الزمان من تحصيلها وكتبها ، وقلت :

وكم مُنْيَةٍ خلَّفْتُ خلفي وبغيةٍ ... ومن حاج نفسٍ حالَ من دونها التركُ
إذا ذَكَرتها النفسُ حَنَّتْ وأرزَمَتْ ... ووَدَّتْ لفرطِ الوجدِ أدركها الفتكُ
سلامٌ على تلك الديارِ وَقُدِّسَتْ ... نفوسٌ بمثواها ثَوَى العلم والنسكُ

وبقيتْ نفسي إليها متطلعة ، وإلى مكنونها ملتفتة ، فظفرتُ برسائل الرشيد محمد بن محمد بن عبد الجليل العمري البلخي المعروف بالوطواط متضمنةً الأجوبة عنها يدلُّ آخرها على إضرابِ الحسن القطّانِ عن تهمته والإذعان بابراء ساحته .

نسخة الرسالة الأولى[1] : بسم اللّه الرحمن الرحيم ، قرع سمعي من أفواهِ الواردين وألسنةِ الطارئين على خوارزم أنّ سيدنا ـ أدام اللّه فضله ـ كلّما تَفَرَّغ من مهمّاتِ نفسه ، ووظائفِ درسه ، يُقْبل بمجامعه على أكلِ لحمي ، والإطناب في سبّي

---

(1) راجع رسائل الوطواط 2 : 18 (ط. مصر 1315) .

وشتمي ، وينسبني إلى الإغارة على كتبه ، ويبالغ في هَتْكِ أستارِ الكَرَم وَحُجُبِهِ . أهذا يليق بالفضل والمروّة ؟ أو يَجْمُلُ بالكَرَم والفتوة أن يفتريَ على أخيه المسلم ، بمثل هذا الكذبِ المقلقِ والبهتانِ المؤلم ؟ والله إذا نفخ في الصور يومَ النشور ، وَبُعِثَتْ هذه الرممُ البالية ، من الأجداث متدرعةً ملابسَ الحياة الثانية ، وَجُمِعَتْ عبادُ اللّه في مواقف العَرَصات ، وتطايرت صحائفُ الأعمال إلى أربابها ، وسئلتْ كلُّ نفسٍ عما كسبت ، فمن مسيء يُسْحَبُ على وجهه إلى النار ، ومن مُحْسنٍ يُحْمَلُ على أعطافِ الملائكة إلى الجنة ، لم يتعلق في ذلك المقام الهائل أحدٌ بذيلي طالباً مني ملكاً غصبته ، ولا مالاً نهبته ، أو دماً سفكته ، أو ستراً هتكته ، أو شخصاً قتلته ، أو حقاً أبطلته . وها أنا ذا قد آتاني اللّه من الوجه الحلال قريباً من ألف مجلد من الكتب النفيسة ، والدفاتر الفائقة والنسخ الشريفة ، وقد وقفت الكلّ[1] على خزائن الكتب المبنية في بلاد الاسلام ـ عمرها اللّه ـ لينتفع المسلمون بها ، ومن كانت عقيدته هكذا كيف يستجيز من نفسه أن يغير على كُتُبِ إمامٍ من شيوخ العلم ، أنفق جميع عمره حتى حَصَّلَ أوراقاً[2] يسيرة لو بيعت في الأسواق لما أحضر بثمنها مائدة لئيم؟! الله الله لا يفترينَّ سيدنا ـ أدام الله فضله ـ فافتراء الكذب على مثلي ذنبٌ[3] يتعثر في أذياله يوم القيامة ، وليخافنَّ الله[4] الذي لا إله إلا هو ، وليتذكرن يوماً يثاب الصادق فيه على صدقه ، ويعاقب الكاذب على كذبه ، والسلام .

فورد على الرشيد جوابٌ عن هذه الرسالة يكون في نحو كراستين يُغْلِظُ له في القول ، ويصرِّح فيه بالسبِّ والتهمة ، فكتب إليه الرشيد[5] : بسم اللّه الرحمن الرحيم ، ورد كتابُ سيدنا ـ أطال اللّه بقاءه في دولة مفترَّةِ المباسم ، ونعمة متجددة المراسم ـ مشتملاً من الإيذاء والإيحاش ، والإبذاء والإفحاش[6] ، على كلمات ، بل

---

(1) الرسائل : وأنا وقفت الكلّ ؛ م : ووقفت كلها .
(2) الرسائل : أويراقاً .
(3) الرسائل : واللّه لا إله إلا هو ليقترفن . . . بافتراء الكذب . . . ذنباً .
(4) ر : وليخشَ من اللّه .
(5) الرسائل 2 : 19 .
(6) الرسائل : مشتملاً من الإيذاء والافحاش .

على ظلمات ، لو أطفأ أدام الله علوّه بعضَ لهبه ، وسكّنَ نائرة غضبه ، ثم عاد إليه متصفحاً لألفاظه ومعانيه ، متفحّصاً عن مقاطعه ومبانيه ، لما ارتضى ذلك من دينه وعقله ، ولما استحسنه من كرمه وفضله . إلا أني أعذره فيما قال ، قَصُرَ كلامه أو طال ، لعلمي أنه أدام الله علوّه مسلوب مغلوب ، جريحُ أسنّةِ القهر ، طريحُ صَدَماتِ الدهر ، عضّته أنيابُ النوائب ، وخدشته أظفار المصائب . نهبت كتبه وأمواله ، وغُصِبَتْ رحاله وأثقاله ، وطالبُ الثأرِ يقصدُ كلَّ راجلٍ وفارس ، وصاحب الضالّة يتّهم كل قائم وجالس . ولقد علم سيدنا ـ أدام اللّه علوه ـ أن وقعة مرو عمرها اللّه كانت واقعةً عامّة شملتْ كلَّ جبهة وحافر ، وطبقت كلَّ صائح وصافر ، وكان قد لحقت في ذلك الوقت بعسكر خوارزمشاه مِنْ طبقاتِ الناس أوزاعٌ وأخياف ، ومن حشرات[1] الأرض أنواعٌ وأصناف ، قصارى همِّهم القتلُ والإغارة ، ومنتهى أَرَبهم الإحراق والإبارة ، وأوباش مرو أيضاً كانوا يخرجون من مكامنهم في الليالي ، ويتعرضون لبيوتِ الساداتِ والموالي ، فليس بمستبعدٍ أن يكون قد ظفر بكتبه من أولئك الأقوام أحدٌ لا يُعْرَفُ شانه ، ولا يعلم مكانه . أما أنا فاللّه تعالى يعلم ـ وقد خاب من استشهده باطلاً ـ أني ما فتحت للإغارة باباً ، ولا نهبت كتاباً[2] ، بل ذهبت يوماً على مقتضى إشارته الكريمة لأحملَ كتبه إلى المعسكر[3] ، فلما دخلتُ داره الرفيعة ، ورأيت كتباً كثيرةً فوق ما يحيط به عدّ ، أو يشتملُ عليه حدّ ، فقلت : نقل هذه أمرٌ مشكل ، وحملُ هذه خطبٌ معضل، فتركتها بحالتها[4] في أماكنها، وخليتها برمتها في معادنها، وخرجتُ كما دخلتُ خاليَ الحقائب، فارغَ الزكائب. فإن كنت غصبتُ[5] يومَ وقعة مرو أو قبلها أو بعدها من كتبه ـ أدام اللّه علوه ـ كتاباً أو جزءاً أو دفتراً[6]، أو من سائر أمواله شيئاً صغر أو جل ، كثر أو قلّ ، أو رضيتُ أن يغصبه أحدٌ من أتباعي والمنتمين إليّ ، أو عرفتُ غاصباً غصبه ، أو ناهباً نهبه ، فأخفيت ذلك عنه ، أو كتمته منه ، فأنا بريء من اللّه وهو بريء مني ، وإن كنتُ فعلت بنفسي شيئاً مما ذكرتُ ، أو رضيت أن يفعله أحد من

---

(1) المختصر : ومن خُرّاب .
(2) م ر : بابه . . . كتابه .
(3) الرسائل : العسكر .
(4) ر : بحالها .
(5) ر : أصبت .
(6) ر : رقاً .

المتعلقين بي ، أو عرفتُ فاعلاً فعله ، فعليَّ للّه أن أحجَّ بيته المعظم المكرم راجلاً حافياً وعلى عاتقي الزادُ والمزادة عَشْرَ مرات ، وإن كنتُ فعلتُ شيئاً من ذلك ، أو رضيت أن يفعله أحد من المتعلقين بي أو عرفت فاعلاً فعله ، فكلُّ مالٍ ملكتْهُ يميني فهو في سبيل اللّه على مساكين الحرمين ، وإن كنتُ فعلتُ شيئاً من ذلك ، أو رضيتُ أن يفعله أحدٌ من المتعلقين بي ، أو عرفت فاعلاً فعله ، فكلُّ عبد ملكته أو أملكه فهو حرٌّ ، وإن كنتُ فعلت شيئاً من ذلك ، أو رضيت أن يفعله أحد من المتعلقين بي ، أو عرفت فاعلاً فعله ، فكلُّ امرأة تزوّجتها أو أتزوّجها فهي طالقٌ مني ثلاث تطليقات[1] ؛ هذه الأيمان والنذور كتبتها بناني ، وأجريتها على لساني ، لا خوفاً من غوائله ، ولا هرباً من حبائله ، فإن الصلح آمَن أهله ، والإسلام جبٌّ ما قبله ، ولكن إظهاراً لخلوّ راحتي ، وبراءة ساحتي ، وشفقة عليه ـ أدام اللّه علوّه ـ وصيانة لفاضل مثله [وهو] الذي لا مثيل له في أقطار الشرق والغرب وأقاصي البر والبحر ، أن يسلك طريقةً غيرَ مستصوبة ، ويختار شريعةً غير مستعذبة . عصمنا اللّه وإياه مما يورث ذمًّا ، ويعقب إثماً . وقد بعثتُ في قران هذه الخدمة خدمةً أخرى مفرطة في الطول ، مجررة الذيول[2] ، منسوجةً على منوال آخر كالكي للداء إذا استحكمت شدته ، وتطاولت مدته ، وعجز الأُساةُ عن معالجته ، والأطبّاء عن مداواته ، وهديته ـ أدام اللّه علوه ـ فيها النَّجْدَين ، وأريته الطريقين ، ودفعتُ عنانَ الاختيار إليه ، ووضعت زمامَ الإيثار في يديه ، ليسلك منهما ما يشاء ، إما ما يُسَرُّ [به] وإما ما يساء ، وفقه اللّه للأصوب والأصلح ، وأسعده بالأرشد والأنجح ، وجعله من الصالحين المصلحين ، والفائزين المفلحين ، والسلام .

وكتب إليه مع الكتاب المتقدم ذكره[3] : بسم الله الرحمن الرحيم ، صادفني ـ أطال اللّه بقاءك في دولة مشرقة الكواكب ، ونعمة هاطلة السحائب ، وسلامة طيبة المشارع والمشارب ـ خطابُهُ الكريم وكتابه الشريفُ بخوارزم وأنا ناعمُ البال ، منتظم

(1) م ر : طلقات .
(2) م : الذيل .
(3) رسائل الوطواط : 21 .

الحال ، من النفس في دعة ، ومن العيش في سعة ، والحمد لله على ذلك وبه الثقة والحوْل ، وله المنّة والطوْل ، وحين تنسمتُ من يد حامله رياه ، وَثَبْتُ من مكاني مستقبلاً إياه ، ومددت إليه يميني مَدَّ مُعِزٍّ مُكْرِم ، وأخذته بطرف كمي أخذَ مُجِلّ معظم ، وقلت في نفسي : كرامة ساقها اللّٰه تعالى إليّ ، وسعادة ألقت أنوارها عليّ ، وأرسلت في الحال قاصداً إلى دارات[1] الأشراف وسَرَواتِ الأطراف ، وبعثت في الساعة مسرعاً إلى رجالات الأخبية والأبنية ، وساكنة الأباطح والأودية ، ودعوت من كل حلقةٍ رئيسها وزعيمها ، ومن كل خطّة كبيرها وعظيمها ، حتى اجتمع عندي البدويّ والحضري ، واحتشد في رِبعي الرَّبَعِي والمضري ، ثم عرضتُ عليهم كتاباً شريفاً[2] بختمه ، وحنيتُ ظهري لتقبيله ولثمه ، وطلبت خطيباً مصقعاً من بلغاء بني معدّ صحيحَ اللسان ، فصيح البيان ، ووضعتُ له في منزلي منبراً من الساج ، مُغَشًّى بالأطلس[3] والديباج ، ليصعد به ذرى الأعواد ، ويقرأه على رؤوسِ الأشهاد ، فرفع الكلُّ أبصارهم[4] يمنة ويسرة ، وسألوني خفيةً وجهرة ، ما هذا الذي تظهره لنا وتعرضه ، وتوجب علينا سماعَهُ وتفرضه ؟ فقلت : كتاب إمام[5] لم تلمحْ عينُ الزمانِ بمثله ، ولم تسمح يدُ الليالي[6] بشكله ، كتاب إمام هو في العلم صاحبُ آيات ، وفي الفضل سابقُ غايات ، إمام تطلعُ نجومُ الجوِّ دون قدره ، وتحسد رياضُ الخلد أطايبَ صدره ، كتاب إمام تمَّ به حساب العلماء ، كما تمَّ برسول اللّٰه ﷺ حسابُ الأنبياء ، صحيفةُ فخرٍ حررتها يد بيضاء ، وقلادةُ مجدٍ رصَّعتها همة روعاء . ونشرتُ من معالي سيدنا ـ أدام اللّٰه علوه ـ ومفاخِره ، وذكرتُ من مناقبه ومآثره ، ما امتلأ بنشرِهِ النادي ، وسال من ذكره الوادي ، فسكنوا وسكتوا ، وأنصفوا وأنصتوا ، فلما فضضتُ ختامه ، وحدرتُ لثامه ، شاهدت في أثنائه من الفزع الأكبر ، وعاينت في أدراجه من أهوالِ يوم المحشر ، ما أطال السهاد ، وأطار الرقاد ، وشقَّ جلبابَ الصبر ومُرَيْطاءَ الجَلَد ، وجرح سوادَ العين وسويداءَ الخَلَد ، حسبته حُلّةً خسروانية ، فوجدته حربةً هندوانية . كتابٌ لا

(1) م : دروات .
(2) ر : كتابه الشريف .
(3) م : مغشياً بالدرر .
(4) م : أصواتهم .
(5) إمام : سقطت من م .
(6) م ر : الزمان .

بل كتائب تفلُّ كلَّ جيش ، وخطابٌ لا بل خطوب تكدِّرُ كلَّ عيش ، وكَلامٌ لا بل في الأضالع ِكِلام ، وفصول لا بل في الجوانح نصول ، وأسجاع مؤنقة ، لا بل أوجاع موبقة ، كأنّه نازلة الدهر ، وقاصمة الظهر ، كأنما ألفاظه أنيابُ الأراقم ، ولمعانيه أظفار الضراغم . هو ـ أدام اللّه علوه ـ دفّاعُ الأمراض بطبّه ، فلِم أمرضني بفضائح سبّه ؟ ونطاسيُّ الجراح بعلمه ، فلِم جرحني بقبائح ظلمه ؟

وممّن أرجّي شفاءَ السقام * ومسقمتي جفوات الطبيبِ

ما هذا الإنذار والإيعاد ؟ وما هذا الإبراق والإرعاد ؟ كأنه صاحب دلدل ، أو فارس بلبل[1] ، أو كأنه من أقيال اليمن ، وأبطال الزمن ، أو كأنه ثعبانُ الحرب ، وشيطانُ الطّعنِ والضرب[2] ، وذِكْرُ البولِ أولى به من ذكرِ الهول ، وحديثُ البراز أولى به من حديث البراز :

إن للهجرِ رجالاً ورجالاً للوصالِ

قال ـ أدام اللّه علوّه ـ مصصتَ دمي من عرقي ، أوليس يدري أنَّ امتصاصَ الدماء من خصائص بضاعته، والتصرفَ في اللحوم والعظام[3] من لوازم صناعته؟! رحم اللّه امرءاً عرف قدره ، ولم يتعدَّ طوره . وشر ما في بني آدم من الخصال الذميمة ، والأفعال اللئيمة ، إيذاء الصغارِ للكبار ، وإيحاش العبيدِ للأحرار[4] . وهذا له ـ أدام اللّه فضله ـ جِبِلّة فُطِرَ عليها ، وطبيعة استرسل معها ، وسجية شُهِرَ بين العامة والخاصة بها، يشتم كلَّ يوم[5] في منزله ومكانه، وعلى سُدَّةِ داره وطَرَفِ دكانه، خلقاً كثيراً، وجماً غفيراً، من الرافعين قصصهم إليه، والعارضين عللهم عليه، فيرجعون وجفونهم تتصوَّبُ عبراتها ، وقلوبهم تتصعَّدُ زفراتها ، لما يلاقون من سوء خُلْقه ،

(1) الرسائل : يلبل .
(2) الرسائل ، ثعبان الحرب والطعن ، وشيطان الطغي والظعن .
(3) ر : والطعام .
(4) الرسائل : والكبار . . . والأحرار ؛ ر : الصفاء للأكابر . . . للاحتراز .
(5) ر : كل من .

ويقاسون من خشونة نُطْقه ، وَيَقْفلون وألمُ ذلك التهجم[1] والإعراض ، والوقيعةِ في الأحساب والأعراض ، أشدُّ عليهم من ألم الأسقام والأمراض . ولهذا جعل شخصه ، وصيَّر نفسه ـ مع أنه أفضل زمانه ، وأعلم أولاد أقرانه ـ ضحكة الأداني والأقاصي ، وسخرة للأذناب والنواصي ، حتى صار بحيث إذا مشى في الأسواق تعادى صبيان البلد حوله فيسخرون منه ويضحكون عليه وينعرون في قفاه . ولا أقول فيه ـ أدام اللّه علوه ـ إلا ما قال الخليل بن أحمد الفراهيدي في ابن المقفع حين رأى كمال فضله ، ونقصان عقله . « علم وافر ، وعقل قاصر » . ومن قصور عقل ابن المقفع أنه مَرَّ ببيت النار ، وكان من أولاد كسرى ، فتنفس الصعداء وتمثَّل ببيت الأحوص بن محمد الأنصاري :

يـا بيت عاتكـةَ الـذي أتعـزلُ　　حذرَ العدى وبه الفؤادُ موكّـلُ

فاتهم بالمجوسية ، فألقي في تنور مسجور ، فأحرق . وما أَصْـدَقَ مَنْ قال : قيراط عقل ، خير من قنطار فضل ، ومثقال حلم ، أنفع من مكيال علم . أنكر ـ أدام اللّه علوه ـ رشاد مذهبي وإنكاره ضلال ، وجحد سدادَ سيرتي وجحوده باطلٌ محال ، فيا طيَّر اللّه جمجمةً فرَّخَتْ فيها الأضاليل وباضَتْ ، ويا أسكتَ اللّه شقشقةً دفقتْ منها الأباطيل وفاضت . ولا أعني بهذه الجمجمة إلا جمجمته التي لا عقل فيها ، ولا أريد بهذه الشقشقة إلا شقشقته التي يباينها الصدق وينافيها . حتى متى يتهمني بظنّه ؟ وإلى كم يجرّعني دُرْدِيَّ دنّه ؟ أيحسبُ ـ أدام اللّه علوّه ـ أن ظنّه الباطلَ وخياله الفاسدَ ووهمه الكاذبَ وحيٌ من السماء إلهي ؟ أو إلهام في الحقيقة رباني ؟ أو آية نَفَثَ بهـا روحُ القدس في رُوعه ؟ لا بل هو واحدٌ من أبناء زماننا وهذا شرُّ الأزمنة ، عَجَمَ الشيطان عودَهُ فاستلانه ، فصير خزانة خياله مكانه ، فهذه الخطرات التي تختلجُ في جنانه ، وتدور حول حسبانه ، من تلك الخيالات الشيطانية ، لا من الإلهامات الربانية . ولقد بلغني من أفواه الرواة ، وألسنة الثقات أنـه ـ أدام اللّه علوّه ـ أخذ بعينِ هـذه التهمةِ الكاذبةِ قبل هذا واحداً من أعيان أهل جلدته ، وسكّان بلدته ، وهو مسعود بن المنتجَب ـ رحمه اللّه ـ فأغار على أهله وبيته ، وتعرَّضَ لحيّه وميتـه ، وخرَّب دوره وربـاعه ،

(1) الرسائل : التجهم .

وغصب أثاثه ومتاعه[1] ، من غير حُجّةٍ صحَّحها ، ولا بيّنة أوضحها . اللهم أصرع الظالم على الهامة ، وخذْ منه للمظلوم حتى يرضى عنه يوم القيامة . ومما أقضي منه العجبَ أن عهدي به ـ أدام اللّه عزه ـ قد كان يُخْرِبُ الأبدان ، فها هـو الآن يخرب الأوطان ، وما أسرعَ الدهرَ إلى تغيير البشر ، وما أقدره على تبديل الصور والسير . قرأت في بعض الكتب[2] أنَّ خليفة من الخلفاء رأى في منامه أن واحداً من ندمائه وثب عليه ليقتله ، فلما أصبح استدعى النديمَ وأمر بقتله ، فقال له النديم : ماذا فعلتُ حتى استوجبتُ هذه العقوبة ، قال الخليفة : ما فعلتَ شيئاً ، ولكني رأيتُ في المنام أنك تقتلني وأنا أقتلك لذلك، فقال له النديم: إن يوسف بن يعقوب ـ صلوات اللّه عليهما ـ مع كونه صدّيقاً نبياً احتاجت رؤياه إلى تعبير ، وافتقرت أحاديثُهُ إلى تأويل وتفسير ، أفتستغني رؤياك عن مثل ذلك ؟ فضحك الخليفة وخلاه . وأنا أقول : هكـذا ظنونُ جميع ذوي الألباب ، معرضة للخطأ والصواب . كأنّه ـ أدام اللّه علوه ـ تفرَّدَ من بينهم بذاته ، وتوَّحدَ بعظمة صفاته[3] ، فتنزهَتْ ظنونه عن السهو ، وتقدَّسَتْ أحاديثـه عن اللغو . عصمنا اللّه من الكبرِ البائن ، والعُجْبِ الشائن . أما حان أن ينتبه ـ أدام اللّه علوه ـ من غفلته ، ويستيقظ من رقدته ، وقد بلغ غايةَ شيبه ، وأخذ المـوت بلحيته وجيبه ، يقرعُ كلَّ ساعة منادي الفناء ، في أذنه الصمّاء : أن اُتركْ أوطانك ، واهجرْ أهلك وجيـرانك ، وارحـلْ إلى جهنم بخيلك ورَجْلك ، فإنهـا قد أُوْقَـدَتْ نيـرانهـا لأجْلِك . وما حرص جهنم على شي ، كحرصها على إحراق[4] شيخٍ غويّ ، وهِمٍّ غبي ، سـيّء الخليقة ، مذموم الطريقة ، يتظاهر بالإثم والعـدوان ، ويتبع خـطواتِ الشيطان . هو ـ أدام اللّه علوّه ـ بلغ ساحلَ الحياة ووقف على ثنية الوداع ، وهمَّ بحرُ عُمْرِهِ بالنضوب ، ومال نجمُ بقائه للغروب ، فما ظنّه : هل في الحياة مطمعٌ وقد بليت جِدَّتهُ ، وفنيت مدتهُ ، وتراجع أمره ، وأتى على الثمانين عمره ؟!

أيـرجـو الفتى عَـوْداً إلى طيّبـاتـه ... وقـد جاوزتْ رأسَ الثمـانين سنُّهُ

(1) م : ويباعه .
(2) الرسائل : في كتب أهل الأدب .
(3) ر : بعظمته وصفاته .
(4) الرسائل : احتراق .

كتبت هذه الأحرفَ على سبيل الأنموذج ، والجواب بعدُ في الجراب ، والسيف لم يسلَّ من القراب ، فإن انزجر ـ أدام اللّه علوه ـ واتعظ ، وترك الفظاظة والغلظ ، وعاد إلى كَرَمِ العهدِ وصفاء الود ، فانا خادمٌ مخلصٌ وعبد مطيع وتلميذ معتقد :

والا فعندي للعدوّ وقائعٌ تريه المنايا لا ينادَى وليدُهَا

فجاء جواب القطان بالاعتذار وبراءة ساحته من التهمة[1] .

ومن تصانيفه : كتاب دَوْحة الشَّرف في نسب أبي طالب ـ ثماني مجلدات ، كتاب بخطّه مشجّر . رسالة سارحة الرُّموز وفاتحة الكُنوز . سبائك الذهب . العَرُوض ـ مُشَجَّر . كتاب « كيِهَان شِنَاخْت » في الهيئة ؛ وقد رأيتُه وهو جيّد في بابه . ومن شعره في كتاب : « الدَّوْحَة في النسب » :

حَدَانِي لحصر الطالبيِّين حُبُّهم وشدَّ إلى مَرْقَى عُلاهم تَشَوُّفي
ففيهم ذراريُّ النبيِّ محمد فهم خيرُ أخلاف تَلَوْا خيرَ مُخْلِفِ
مَضَى بعد تبليغ الرّسالات مُوصِياً بإكرام ذي القُربى وإعظام مُصْحَفِ
وما رام أجراً غير وُدِّ أقاربٍ وأهون به أجراً فهل مَنْ به يَفِي

قال أبو سعد السّمعاني ؛ كان فاضلاً عالماً بالطِّبّ واللغة والأدب ، وعلوم الأوائل المهجورة ، وكان ينصر مذهبهم ويميل إليهم ، واشتغل بالفقه والحديث في ابتداء عمره ، ثم أعرض عنه ، وكان يسمع الحديث على كِبر سِنّه ويشتغل به ، ويصححه على من يعلم من الغُرَباء الواردين إلى مَرْو تَستُّراً وإظهاراً للرغبة في العلوم الشرعية ، واللّه أعلم بالعقيدة الباطنة .

سمع كتاب فضائل القرآن من أبي القاسم عبد اللّه بن محمد بن عليّ القرشي .

ومن شعر أبي علي القطان :

كانوا يعيشون دهراً في ديانتهم لا يلفتون إلى شيء من السرتبِ
فرقٌ دين فعاشوا في مروءتهم حتى خلت عنهم الأوطان عن كثبِ
فالآن عيشٌ مداراةٍ وتزجية إما إلى رغبٍ إما إلى رهبِ

---

(1) من هنا حتى آخر الترجمة مأخوذ عن الوافي .

ـ 339 ـ

الحسن بن علي بن غسان أبو عمرو ويعرف بالشاكر[1] [البصري] : كان من أكبر أهل البصرة فضلاً ، وأوفرهم حجىً وعقلاً ، له في جميع العلوم اليدُ البيضاء والهمة العلياء ، وكان يغشى مجلسَهُ رؤساءُ أهل البصرة وفضلاؤها وعلماؤها يقرأون عليه الحديثَ والفقهَ وعلومَ القرآنِ وكتبَ الأدب . وكان حسنَ الهيئة ، نظيفَ الثوب ، مليحَ الخطّ ، ظريف الشكل ، حَسَنَ الخلق ، أبيَّ النفس ، متين الدين ، كثير الورع . وكان شافعيَّ المذهب ، وله عدةُ مُصنَّفات في عدّةِ فنون ، وله شعر في فنون مختلفة وغير ذلك من الأدعية والخطب ما ليس لغيره من أبناء عصره وأهل زمانه .

وكان يبذل جهده في تأديب ولدٍ اسمه عبد الرحمن ويحسنُ تربيته ، فأبى اللّه إلا أن ينشأ على أقبح صفة ، واشتغل في حياة أبيه مع الكناسين ومن أشبههم . وبالغ أبوه في استنقاذه من ذلك فلم يصلْ إلى مقصوده ، ومات أبوه وهو على تلك الحال .

فمن كلامه في مخاطبة ولده هذا : أما بعد فإن العلمَ أفضلُ ما التُمِس ، وأنفعُ ما اقْتُبِس ، به يُحازُ الجمالُ والأجر ، وهو الغايةُ في الشرف والفخر :

إذا ما فاخر المثرون يوماً ... بما حازوه من مالٍ وَوَفْرِ
فخرتُ عليهم بالعلم إني ... وجدتُ العلمَ غايةَ كلِّ فخرِ

وقال أيضاً : أما بعد فإن الأدبَ قوامُ اللسانِ وقيمةُ الانسان ، صاحبُهُ محبَّبٌ مكرَّم ، جليلٌ في العيون مفخم ، إن قال أصغى إليه الأقوام ، وإن صال صال بنطقٍ كالحسام :

لسانيَ أمضى من سنا السيفِ مُرْهفاً ... وأبعدُ في الأغراض من ظُبَةِ السهمِ
به أتَّقي قَذْعَ الغواةِ وأرتقي ... بسلطانه يومَ الفخارِ إلى النجمِ

أما بعد فإن الأدب ملبسٌ جميل ، ومَفَخرٌ جليل ، يعلو بصاحبه إلى أشرفِ

---

339 ـ هذه الترجمة من المختصر وانظر إنباه الرواة 1 : 316 والوافي 12 : 140 وطبقات الداودي 1 : 137 .

(1) ر : بالشاكرة .

الرتب ، وينهضُ به إلى أقعد الحسب :

إذا الفتى فاتَهُ مالٌ يجمّلُهُ ففي التأدّبِ مما فاته خَلَفُ
هو اللباسُ الذي لا شيءَ يعدلُهُ والمفخرُ الزينُ فيه العزُّ والشرفُ

- 340 -

الحسن بن عمر بن المراغي ، أبو علي الأديب : أحد محاسن أذربيجان فضلاً عن المراغة ، له الأدب البارع والفضل الذائع ، والتصانيف المفيدة والاشعار الرائقة . وجدت من تصانيفه : كتاب في رسائل من إنشائه . وكتاب الديباجة في النحو ، مفيد حسن .

ومن منثور كلامه مشفوعاً بشيء من نظمه : حررتُ هذا الخطابَ - أطال اللّه بقاء سيدنا الأستاذ الرئيس، وأدام علوه - عن سلامةٍ مشفوعة بصبابة، وزفرات للفراق مقرونة بكآبة ، فأنا أسيرها ، وفرط الأسى أميرها ، أجودُ بالدمعة ، من شدة اللوعة ، على خدٍّ مخدّد لما أُقاسيه من شوقٍ مجدد ، إلى حضرته ، آنسها اللّه تعالى ، وعزته حرسها اللّه .

وهذا من غاية [الجودة] في الرسائل ولا أدري أهو من كلامه أو كلام غيره ولو تحققت انه من [. . .][1] .

- 341 -

الحسن بن عمرو الحلبي النحوي المعروف بابن دهن الحصى: أقام بحلب واتخذها داراً وصار له بها أهلٌ وولد ، بقي مدةً يقرىء النحو بجامعها ، ومات بحلب

340 - ترجمة المراغي . لم ترد في الطبعة المصرية ، وهي في م .

341 - يعتمد ياقوت في هذه الترجمة على ابن العديم ، وبنهاية الجزء الرابع من بغية الطلب يسقط عدد ممن اسمه « حسن » ويبدأ الجزء الخامس بمن اسمه « الحسين » . ولهذا لم ترد ترجمة ابن دهن الحصى في بغية الطلب الموجود بين أيدينا . وانظر في ما يلي الترجمة رقم : 405 والحصى بالحاء المهملة أو المعجمة إذ ترد الصورتان .

(1) بياض بالأصل .

سنة ثلاث وستمائة ، وله تصانيف منها : [. . .] .

أنشدني كمال الدين عمر بن أبي جرادة ـ أدام اللّه علوه ـ قال أنشدني ابن دهن الحصى لنفسه عقيب بُرْئِهِ من نقرسٍ كان يعتريه :

مَنْ لصبٍّ فوق فَرْشٍ ضنا أبسدا يبرا وينتكسُ
جفنُهُ بالدمعِ منطلقٌ وكَراهُ عنه محتبسُ
جَهِلَ العوّادُ موضعَهُ فهداهم نحوه النفسُ

وأنشدني أيضاً ، قال أنشدني المذكور لنفسه :

بردٌ ولا قلبُ من أهوى إذا ذكرت له حرارةُ قلبِ الهائمِ الدنفِ
جسمي دقيقٌ به عارٍ كما عَرِيَتْ من نَقْطها ثم دَقَّتْ صورةُ الألفِ

وأنشدني ، قال أنشدني المذكور لنفسه :

وما أنا في الشكوى عن البينِ عاجزٌ ولا ضاق في حَمْلِ الرزايا بكم صدري
ولا خانني حُسْنُ اصطباري وإنما رُميتُ من البلوى بأكثرَ من صبري

قال وأنشدني لبعضهم :

ما شانها واللّه زُرْقَةُ عينها بل كان ذاك زيادةً في زَيْنها
كادت أساودُ شعرِها تسطو على مُهَجِ الورى لولا زمرّدُ عينها

قال وأنشدني لبعضهم [. . .][1] .

أنشدني بدر الدين بن الشيزري أبو الحسن محمد بن هبة اللّه بن علي التميمي ، أنشدنا ضياء الدين الحسن بن عمرو بن دهن الحصى لنفسه في التجنيس :

ولما تجلّى الدارُ عنا وقد جَرَتْ حميّا الغوادي في معاطفِ عودِ
وأخفى وميضُ البرقِ دمعَ مدامةٍ وأخرسَ صوتُ الرعدِ ناطقَ عودِ
أعادت سماءُ الدَّجْنِ فينا نبيذَها مباخرَ عودٍ في مباخرِ عودِ

(1) بياض بالأصل .

وله ، أنشدني له عنه :

إذا كنتَ ذا علم فكن ذا سماحة   فما أنت فيما قلته بملوم ِ
ولاتكُ ممن يبرز القالَ وهو في   مدارِ علوم ٍ في مدارع ِ لوم ِ

وله أيضاً ، أنشدنيه له :

بأبي مِنْ شادنٍ فمُهُ   لحميا ريقِهِ قَدَحُ
قاتل اللّه الوشاةَ بنا   كم سعوا فينا وكم قدحوا

وأنشدنيه له :

مرضى من الهجر لا يعتادهم أحدٌ   ما كان أسعدهم لو أنهم عيدوا
صاموا لغيبةِ بدرِ التم عن غضبٍ   ويومَ يبدو لهم وَجْهُ الرضى عيدُ

وأنشدنيه له :

تطالبني عيني بكم بعد بُعْدِكُمْ   وأنتم على حكم الهوى في سوادها
وتطمعني في طيفكم برقادِها   وإذخرها كحلاً بميل ِ سهادها
إذا لم تكونوا عون عيني على الكرى   فلا حاجةٌ لي في لذيذ رقادها
ولي مهجةٌ لم تبق منها بقيةٌ   سوى ما سكنتم من صميم ِ فؤادها

وله :

حاكمتني إليك أطماعُ نفسي   أنت ما بينهنّ خصمٌ وقاض ِ
إن أكنْ أمس بالتواصل حياً   فأنا اليوم بالقطيعةِ راض ِ

وأنشدني أيضاً له رحمه الله :

تمثلتمُ لي والديارُ بعيدةٌ   فخيِّل لي ان الفؤاد بكم مغنى
وناجاكُمُ قلبي على البعد بيننا   فأوحشتمُ لفظاً وآنستمُ معنى

وكان له جامكية فأُخِّرت ، فكتب إلى السلطان ، أنشدنيه بدر الدين المذكور ، قال أنشدني ابن دهن الحصى لنفسه :

ابني الندى من آل أيوبَ الأُولى   بنوالهم فاقوا على الأمطارِ

من كــلِّ منبجسِ البنـانِ كـأنمـا يهمـي عليــك بـديمــةٍ مـدرارِ
لا غــار دركم العـميـم ولا خَلَتْ يــومــاً صـحـائفـكمُ مـن الإدرارِ

فأطلقها في الحال ، وكتب : يوفّى على سياقةِ قبضه .

وأنشدني قال أنشدني لنفسه :

مِنِّيَ لا منــكَ الــذي أشـتـكي يــا مَنْ لـه العتبى أنــا المــذنبُ
مــا غبتَ عن عيني ولم تحتجبْ لـكـن بـعـيـنـيَّ قــذىً يـحـجـبُ
فخـذ يـدي في الحبِّ يـا مَنْ بـه مـنــه إليــه فـي الهــوى أهــربُ

ـ 342 ـ

الحسـن بن القاسم الرازي ، أبـو علي : كان يـلازم مجلس الصاحب ابن عباد ، وكان نحوياً لغوياً ، وله « كتاب المبسوط » في اللغـة .

ـ 343 ـ

الحسن بن مالك أبو العالية الشامي : مولى العمّيين ، وبنو العمّ قومٌ من فارس نزلوا البصرةَ في بني تميم أيامَ عمر بن الخطاب رضي اللّه عنه ، وأسلموا وغزوا مع المسلمين فحمدوا بلاءَهم فقالوا لهم : أنتم وإن لم تكونوا من العرب إخوتنا وأهلنا ، وأنتم الأنصارُ وبنو العم ، فلقبوا بذلك .

وقـدم [أبو العـالية] بغـداد وأدَّبَ العباسَ بن المـأمون ، وكـان من أصحاب الاصمعي . فمن شعره :

فلو أنني أُعطيتُ من دهريَ المنى ومـا كلّ من يُعْـطَى المنى بمسدَّدِ
لقلتُ لأيــامٍ مضيـن ألا آرجعـي إلينــا وأيــامٍ مضيـن ألا آبعــدي

---

342 ـ الحسن بن القاسم الرازي أبو علي : سقطت هذه الترجمة من م ر ، وهي مما نبه عليه الدكتور جواد (ص: 20) وقد أشار السيوطي في بغية الوعاة (1: 517) إلى أنه ينقل عن ياقوت ، وانظر الوافي 12: 203 .

343 ـ ترجمة أبي العالية الشامي من المختصر ، وانظر نور القبس: 210 والوافي 12: 209 والفوات 1: 254 .

وحدث محمد بن يزيد المبرد : [قال] قال الجماز لأبي العالية : كيف أصبحتَ ؟ قال : أصبحتُ على غير ما يحبُّ اللّه وغيرِ ما أُحبُّ أنا وغيرِ ما يحبُّ إبليس ، لأن اللّه عز وجل يحبُّ أن أطيعَهُ ولا أعصيه ولست كذلك ، وابليسُ يحبّ أن أعصيَ اللّه عز وجل وأطيعه ولست كذلك ، وأنا أحب أن أكون على غاية الجِدَةِ والثروة ولستُ كذلك .

وأنشد المبرد لأبي العالية :

أذمُّ بغدادَ والمقامَ بها ... من بعد ما خبرةٍ وتجريبِ
ما عند سكّانها لمختبطٍ ... رِفْدٌ ولا فُرْجَةٌ لمكروبِ
قومٌ مواعيدهم مطرَّزةٌ ... بزخرفِ القولِ والأكاذيبِ
خَلَّوْا سبيلَ العلا لغيرهمُ ... ونازعوا في الفسوقِ والحوبِ
يحتاج راجي النوالِ عندهمُ ... إلى ثلاثٍ بغير تكذيبِ
كنوز قارون أن تكون له ... وعمرُ نوح وصبرُ أيوبِ

ـ 344 ـ

الحسن بن محمد المهلبي الوزير : هو أبو محمد الحسن بن محمد بن هارون بن إبراهيم بن عبد اللّه بن يزيد بن حاتم بن قبيصة بن المهلب بن أبي صفرة ، وزير معزّ الدولة أبي الحسين ابن أحمد بن بويه ، ومات وهو على الوزارة في سنة اثنتين وخمسين وثلثمائة .

وكان المهلبيّ من ارتفاع القدرِ واتساع الصَّدْرِ ونُبْلِ الهمّةِ وفيضِ الكفّ على ما هو مذكور مشهور ، وأيامه معروفةٌ في وزارته لمعزّ الدولة وتدبيره أمورَ العراق ، مع أنه [كان] غايةً في الأدب والمحبة لأهله والإقبال عليهم والاحسان إليهم ، وكان يترسّل ترسلاً بليغاً ويقولُ الشعر قولاً لطيفاً يُضْرَبُ بحسنه المثل ، كما قال بعض أهل العصر :

---

344 ـ سقط صدر هذه الترجمة في م وهي واردة في المختصر والصفدي 12 : 223 وانظر ترجمة المهلبي أيضاً في اليتيمة 2 : 223 والمنتظم 7 : 9 وابن خلكان 2 : 124 والفوات 1 : 353 والبداية والنهاية 11 : 241 وعبر الذهبي 2 : 294 والشذرات 3 : 9 وله أخبار كثيرة في نشوار المحاضرة .

بـأبـي مـن إذا أراد سـراري ... عَبَّـرتْ لي أنفـاسُـهُ عن عبيـرِ
وسبـاني ثـغـرٌ كَـدُرٍّ نـظيـمٍ ... تـحتـه مـنـطقٌ كـدرٍّ نـثيـرِ
ولـه طـلعـةٌ كنيـلِ الأمـاني ... أو كـشعـرِ الـمهـلبيِّ الـوزيـرِ

وقال ابن الحجاج في ضد ذلك :

قيـل إن الـوزيـر قـد قـال شعـراً ... يجمـع الجهـل شَمْلَهُ ويضمُّـهْ
ثم أخفـاه فهـو كـالهـرّ يخـرا ... في زوايـا البيـوتِ ثم يَـطُمُّـهْ
ليتني كنتُ حـاضـراً حين يـرويـ ... ـه فـأفسو في راحتي وأُشِمُّـهْ

قـال [الثعالبي][1] : وحـدثني أبو بكـر الخوارزمي وأبـو نصر ابن سهـل بن المـرزبان وأبـو الحسن المصيصي ، دخل حـديث بعضهم في بعض فزاد ونقص ، قالوا : كانت حال المهلبي قبل الاتصالِ بالسلطان حالَ ضعفٍ وقلّة ، وكان يقاسي منها قذى عينه وشجى صدره ، فبينا هـو ذاتَ يوم في بعض أسفـاره مع رفيقٍ لـه[2] من أصحاب الحراب والمحراب ، إلا أنه من أهل الأدب ، إذ لقي من سفره نصباً واشتهى اللحم فلم يقدر على ثمنه ، فقال ارتجالاً :

ألا مـوت يـبـاع فـأشتـريـه ... فهـذا العيشُ مـا لا خيـرَ فيـهِ
إذا أبـصـرتُ قبـراً مـن بعيـدٍ ... وددتُ لـو آنـني فيـمـا يـليـهِ
ألا رحـم المـهيـمن نـفسَ حـرٍّ ... تصـدَّقَ بـالـوفـاة على أخيـهِ

فاشترى له رفيقه بدرهم واحد ما سكَّنَ قَرَمَهُ ، وتحفَّظَ الأبيات وتفارقا ؛ وضرب الدهر ضربانَهُ حتى ترقَّتْ حال المهلبي إلى أعظم درجة من الوزارة فقال :

رقَّ الـزمـانُ لفـاقتي ... ورثى لـطولِ تحـرقي
فـأنـالني مـا أرتجي ... وأفـاتـني مـا أتـقي

---

(1) اليتيمة 2 : 223 وانظر ابن خلكان والوافي والفوات .
(2) اسم هذا الرفيق أبو عبد الله الصوفي وقيل أبو الحسن العسقلاني .

فلأصفحنْ عن ما أتا ... ه من الذنوب السبَّق
حتى جنايتُهُ لما ... فَعَلَ المشيبُ بمفرقي

وحصل الرفيق تحت كلكلٍ من كلاكل الدهر ثقل عليه بَرْكُهُ ، وهاضَهْ عَرْكه ، فقصد حضرته وتوصل إلى إيصال رقعة تتضمن أبياتاً منها :

ألا قل للوزير بلا احتشامٍ[1] ... مقالةَ مُذْكرٍ ما قد نَسِيهِ
أتذكر إذ تقول لضنكِ عيشٍ ... « ألا موتٌ يباعُ فأشتريهِ»

فلما نظر فيها تذكره وهزته أريحية الكرم للحنين إليه،ورعاية[2] حق الصحبة فيه، والجري على حكم من قال :

إنَّ الكرام إذا ما أسهلوا ذكروا ... من كان يألفهم في المنزلِ الخشنِ

فأمر له في العاجل بسبعمائة درهم ، ووقع في رقعته : ﴿ مَثَلُ ٱلَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِائَةُ حَبَّةٍ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴾ (البقرة: 261) [ثم دعا به، وَخلع عليه وقلده عملاً يرتفق به ويرتزق منه][3] .

قيل[4] : كان لمعز الدولةِ غلامٌ تركيّ يدعى تكين الجمدار ، أمرد وضيء الوجه ، فلفرط [مَيْل] معزِّ الدولةِ إليه وشدةِ إعجابه به جعله رئيسَ سَرِيَّةٍ جرَّدها لحرب بعضِ بني حمدان ، وكان المهلَّبي يستظرفُهُ ويستحسن صورته ويرى أنه من عُدَدِ الهوى لا من عُدَد الوغى ، فقال فيه :

طفلٌ[5] يرقُّ الماءُ في ... وَجَناتِهِ وَيَرِفُّ عودُهْ
ويكاد من شبه العذا ... رى فيه أن تبدو نهوده

(1) م واليتيمة : فدتك نفسي ، وأثبت ما في (ر) .
(2) م : ورعي .
(3) زيادة من اليتيمة .
(4) اليتيمة 2 : 226 عن كتاب التاجي .
(5) اليتيمة : ظبي .

نــاطــوا بــمـعـقِـدِ خَـصْـرِهِ سـيـفـاً ومـنـطقـةً تـؤودُهْ
جـعـلوه قـائـدَ عـسـكـرٍ ضـاع الـرعـيـلُ ومن يـقـوده

فما كان بأسرع من أن كانت الدائرة على هذا القائد .

وكتب إلى ابن العميد في جواب كتابٍ ورد منه[1] :

طلع الفجرُ من كتابِكَ عندي فمتى باللقاءِ يبدو الصباحُ
ذاك إن تمَّ لي فقد عَذُبَ العيـ ـشُ ونيلَ المنى وريشَ الجناحُ

وكتب القاضي أبو القاسم علي بن محمد التنوخي إلى المهلبي ، وقد منعه المطرُ عن زيارته :

سحابٌ أتى كالأمنِ بعد تخوّف له في الثرى فعلُ الشفاءِ بمدنفِ
ومدَّ جناحيه على الأرضِ جانحاً فراح عليها كالغراب المرفرفِ
غدا البرُّ بحراً زاخراً وانثنى الضحى بظلمته في ثَوْبِ ليلٍ مُسَجَّفِ
تحاولُ منه الشمسُ في الجوّ مَخْرجاً كما حاول المغلوبُ تجريدَ مرهفِ
فأفرغ ماءً قال واردُ حوضِهِ أسلسالُ ماءٍ أم سلافةُ قرقفِ
أتى رحمةً للناس غيري فإنه عليَّ عذابٌ ماله من تكشُّفِ
سحابٌ عدا بي عن سحابٍ وعارضٍ مُنِعْتُ به عن عارضٍ متكفكفِ

فأجابه المهلبي :

أتت رقعةُ الشيخ[3] الجليلِ فكشَّفتْ وساوسَ محزونِ الفؤادِ مُلَهَّفِ
فأهدت نظاماً من قريضٍ كأنه نظامُ لآلٍ أو كَوَشْيٍ مُفَوَّفِ
تكاملَ فيه الشكلُ والظَّرفُ مثلما تكاملَ في مهديه كلُّ التظرفِ
حوى منتهى الحسنَى بأولِ خاطرٍ تكلُّفُه في الشعرِ تركُ التكلّفِ

(1) اليتيمة 2 : 232 .
(2) اليتيمة 2 : 341 ـ 342 .
(3) اليتيمة : القاضي .

ودخل رسول معز الدولة على المهلبي يدعوه وهو على شرابه فقال بديهاً :

إذا قيلَ طعمُ الوصلِ ثَمَّ تنمرت ... عليك بوجهٍ لم يكنْ يعرفُ القطبا
وما جاءني منه رسولٌ وإن أتى ... بما سرَّني إلا ملئتُ به رعبا

قيل : صحب أبو محمد المهلّبي في أول أمره أبا زكريا يحيى بن سعيد السوسي ونظر في ضياعه بالأهواز وكانت جليلة القدر ، ثم اتصل بأبي الحسن عليّ بن محمد الطبري وكان والياً كبيراً من قبل معز الدولة وناب عنه على باب معزّ الدولة بحضرة أبي جعفر الصيمريّ ، وكانت فيه مداخلةٌ ومعرفةٌ بخدمة الرؤساء . وكان بين أبي جعفر وأبي الحسن الطبري عداوة ، فجرى بين المهلبي وبين أبي الحسن منافرةٌ نَكَبَهُ لأجلها ثم رضي عنه بعد ذلك . ثم لازم أبا جعفر وصحبه إلى بغداد والجبل ، وشرع في سدّ بَثْقِ النهروان ، فندب له المهلبي ، فقام فيه أحسنَ قيام .

ولأبي [. . . .] قصيدة يخاطب فيها أبا جعفر الصيمري ويذكر المهلبي وكان في صحبته :

ماذا لقينا من القاطولِ لا هَطَلَتْ ... فيه السحابُ ولا سَقَّتْهُ تهتانا
فقد سددناهُ وارتدَّتْ غواربُهُ ... حَسْرَى ولم نألُ إحكاماً وإتقانا
وقد دعمنا له سِكْراً سما وطما ... حتى توهَّمَهُ راءوهُ ثهلانا
واستفرغ الوسعَ حتى طمَّ خا ... دمك المهلَّبي وقاسَى فيه أشجانا
نجاه منه بآراءٍ مُشَقَّقةٍ ... تخالها في ظلام الليل نيرانا
رميتَ بحراً بِطَوْدٍ فاستكانَ له ... كَرْهاً وأيقظتَ فيما ناب يقظانا
وما تقابل بالإقبال ممتنعاً ... إلا تبدَّلَ بالعصيانِ إذعانا

ثم خرج معزّ الدولة والصيمري إلى الموصل لقتال ناصر الدولة ، فاستخلف الصيمريُّ المهلبيَّ وأبا الحسن طازاد بن عيسى على الأمور بمدينة السلام إلى أن عاد . ثم خرج الصيمريّ إلى البطيحة لطلب عمران بن شاهين ، فاستناب بحضرة معزّ الدولة أبا محمد وحده في سنة ثمان وثلاثين وثلاثمائة ، فخدم أبو محمد بين يدي معز الدولة خدمةً حسنةً خفَّفَ بها عنه وخفَّ على قلبه بها ، فمال إليه وقربه ، وبلغ أبا جعفر ذلك

فثقل عليه ، فتطلَّب لأبي محمد الذنوبَ ، وتمحَّل ما أنكره عليه ، وأطلق فيه لسانَهُ بالوقيعة والتهدد ، وبلغ أبا محمد ذلك فقلق له واستشعر النكبةَ والهلكة لأنه لم يطمعْ من معز الدولة في نُصْرتِهِ عليه وعصمته منه ، فما راعه إلا ورودُ كتابِ الطائر بوفاة الصيمري ، فجلس له في العزاء وأظهر له الحزنَ الشديد ولزم منزله ، فاستدعاه معز الدولة وأمره بالحضور وتمشيةِ الأمور إلى أن يُقَلِّدَ من يرى تقليدَهُ الوزارةَ . وترشح للوزارة جماعةٌ منهم : أبو علي الحسن بن هارون بن نصر وأبو علي الحسن بن محمد الطبري وأبو الحسن محمد بن أحمد المافروخي وأبو عبد الله محمد بن أحمد الخوميني ، وبذلوا البذول وضمنوا الأموال، ووسَّطَ أبو عليّ الطبري في أمره والدةَ عز الدولة وبذل مائتي ألف درهم عاجلة على سبيل الهدية فطالبه معز الدولة بالمال ، فُحمل منه مائة وثمانين ألف درهم وقال : قد بقي بقيةٌ يسيرة إذا ظهر حملتها ، فقال معز الدولة : لا أفعل إلا بعد استيفاء المال ، فعلم الطبري أنه خُدِعَ ، وندم على ما فعله . ثم حضر الجماعة المترشحون الخاطبون وكل يعتقد أنه المختار المقلّد ، وجلسوا في خركاه ينتظرون الإذن ، ثم أُوصلَ القوم ووقفوا على مراتبهم ، ودخل أبو محمد بعدهم وقام في أخرياتهم ، فلما تجمع الناسُ أسرَّ معز الدولة إلى أبي علي الحسن بن إبراهيم الخازن قولاً لم يسمع ، فمشى إلى أبي محمد المهلبي وقبَّلَ يده وخاطبه بالاستاذية ، على ما كان أبو جعفر يخاطب به ، وحمله إلى الخزانة فخلع عليه الخلعة التي هي رسم أمثاله : القباء والسيف والمنديل والمنطقة . قال هلال ، قال جدي : فواللَّه يا بنيّ لقد رأيتُ الناسَ على طبقاتهم ممن أسميناه ، ومن يتلوهم من الجند وغيرهم ، والسعيدُ منهم مَنْ وصل إلى يده فقبَّلها . وعاد أبو محمد إلى حضرة معز الدولة فخاطبه بالتعويلِ عليه في تَقَلُّدِ وزارته وتدبير دولته ، وشكره أبو محمد شكراً

---

(1) م : حمله .
(2) ر : يتوقعون .
(3) الخلعة . . . أمثاله : زيادة من ر .
(4) ر : ممن كان مترشحاً للوزارة .
(5) ر : أبو نصر .
(6) ر : وغشي عليه .

أطال فيه وخرج منصرفاً إلى داره ، فقدِّم له شهريّ بمركب ذهب ، وسار أبو محمد وسبكتكين الحاجب بين يديه ، والقوادُ والناس في موكبه ، وذلك لثلاث بقين من جمادى الأولى سنة تسع وثلاثين وثلاثمائة ، ثم جددت له الخلع من دار الخلافة بالسواد والسيف والمنطقة فأثقلته هذه الخلع وكان ذا جُثّة ، والزمان صيف ، وقد مشى في تلك الصحون الكثيرة ، فسقط عند دخوله إلى حضرة المطيع للّه ووقع على ظهره ، وظُنّ أنه يَحْصَرُ لما جرى ، فقال يا أمير المؤمنين :

خرسنوه وما درى ما خراسا   نُ بلبسِ القَباء والموزَجَيْنِ

ثم أكثر الشكر وأطال فيه ، فاستحسنت منه هذه البديهة على تلك الصورة ، وركب إلى داره وجميع الجيش معه ، وحجاب الخلافة ومعز الدولة بين يديه .

فلما كانت سنة إحدى وخمسين وثلاثمائة لهج معز الدولة بذكر عمان ، وحدَّث نفسه بأخذها ، وأغراه بذلك المعروف بكرك ، أحد النقباء الأصاغر[1] ، فأمر المهلبيَّ بالخروج إليها ، فدافعه ووضع عليه من يزهّده فيها ، فلم يزددْ إلا لجاجاً ، وكاد أبو محمد الوزير[2] حاشيةَ معز الدولة إذ ألزمهم تقسيطاً في نفقة البناء الذي استحدثه من غير أن يخرج بأحدٍ منهم إلى عَسْفٍ ، فأحفظهم فعلُهُ ، فبعثوا معزَّ الدولة على إخراجه ، فلما ألحَّ عليه ضمنَ له أن يستخرج من هؤلاء جملةً كبيرة يستعين بها في هذا الوجه ، فمكَّنه من ذلك بعد أن شرط عليه أَخْذَ العفو وتجنُّبَ الإجحاف ، فقبض على جماعة وأخذ منهم ألفي ألف درهم ، منها خمسمائة ألف درهم من أبي علي الحسن بن إبراهيم النصراني الخازن ، ومعزُّ الدولةِ على غاية العناية بأمره والثقة بأنه لا مالَ له ، وأظهر أبو علي الفقر وسوءَ الحال وأنه اقترضَ المالَ الذي أدَّاه من الناس ، فشقَّ ذلك على معزّ الدولة وظنه حقاً ، واعتلَّ أبو علي عقيب ذلك ومات ، فاعتقد معزّ الدولة أن أبا محمد قتله لما عامله به ، وأقبل عليه يلومه ويحلف له أنه يَقِيدُهُ به ، فلم يلتفت أبو محمد إلى ذلك ، وبادر إلى دار أبي علي وقبض على خادمٍ له صغيرٍ

---

(1) ر : وأغراه بذلك أحد النقباء الأصاغر .

(2) م : وكان أبو محمد وزير حاشية معز الدولة بأن ألزمهم .

كان يختصُّهُ ويثق به ، ومنَّاه ووعده ، فدلَّه على دفين كان لأبي علي في الدار[1] ، فاستخرج منه عدة قماقم فيها نيف وتسعون ألف دينار وحملها إلى معز الدولة وقال له : هذا قدرُ أمانةِ خازنك الذي ظننتَ أني قد قتلته باليسير الذي أخذتُهُ لك منه ، وما فيه درهم من ماله[2]، وإنما افترصه[3] من أولادك وحُرَمِكَ وغلمانك وشنَّع عليك، ثم تتبع أسبابه فأخذ منهم تمام مائتي ألف دينار ، وقدّر أبو محمد أن معز الدولة يمكنه من الحاشية الباقين ويعفيه من الخروج فلم يقبل[4] ، وجدَّ به جِدّاً شديداً في الانحدار فانحدر في جمادى الآخرة من سنة اثنتين وخمسين وثلاثمائة ، وتمادت أيامه بالبصرة للتأهب والاستعداد ، وامتنع العسكر المجرد من ركوب البحر ، فبلغ معزَّ الدولة ذلك ، فاتهمه بأنه بعثَ العسكرَ على الشغب[5] ، فكاتبه بالجِدّ والإنكار عليه في توقفه وألزمه بالمسير[6] ، ووجد أعداؤه طريقاً للطعن عليه ، فاغتنموا تنكُّرَ معز الدولة عليه ، وأقاموا في نفسه أنه انحدر من مدينة السلام وهو لا يعتقد العود إليها ، وأنه سيغلبُ على البصرة كما تغلَّب البريديون ، وأن العسكر الذي معه والعشائر هناك على طاعته[7] ، وعظَّموا عنده أمواله ، فتدوخ معزُّ الدولة بأقاويلهم ، وعرف أبو محمد ذلك فأطلق لسانه فيهم ، وخرق السترَ بينه وبينهم ، وتطابقتِ الجماعةُ في المشورة على معز الدولة بالقبض عليه ، والاعتياض بأمواله عما تعذَّر[8] حصوله من عمان ، وجعلوه على ثقة من أنهم يسدون مسدَّه ، فمال إلى قولهم ، وكتب إلى أبي محمد يعفيه من الانحدار[9] إلى عمان ، ويرسم له الانكفاء إلى مدينة السلام ، وعلم أبو محمد بالحال ووطَّن نفسه على الصبر وركوب أصعب المراكب فيه ، وأن يدخلَ فيما دخل فيه القوم ، ويتولى هو

---

(1) ر : في داره .
(2) ر : من مالك .
(3) م ، اقترضه .
(4) م : يفعل .
(5) ر : بأن ذلك من غائلته وامتناع العسكر من جهته .
(6) م : والزام المسير .
(7) م : طاعة له .
(8) م : يقدر .
(9) م : الاتمام .

مصادرة نفسه وأصحابه وخصومه وأعدائه ، وكان مليّاً بذلك ، فهجمت عليه علته التي مات منها ، وتردد بين إفاقةٍ ونكسةٍ إلى أن وردت الكتبُ باليأس منه ، فأنفذ معزّ الدولة حينئذ أحدَ ثقاته على ظاهر العيادة له وباطن الاستظهار على ماله وحاشيته ، فألفاه في طريقه محمولاً في محفة كبيرة مملوءة بالفرش الوثيرة ، ومعه فيها من يخدمه ويعلّله ، ويتناوبُ في حملها جماعةٌ من الحمالين ، فلما انتهى إلى زاوطا[1] قضى نحبه ومضى لسبيله ، وسقط الطائر بمدينة السلام بذلك ، فقُبض على أسبابه وَحُرَمِهِ وولده ، فصودرت الجماعة ، ووقع السَّرَفُ في الاستقصاء عليهم ، فلم يظهر لأبي محمد مالٌ صامتٌ ولا ذخيرةٌ باطنة ، وبانتْ لمعزّ الدولة نصيحته وبطلان التكثيرات[2] عليه ، وقد كان يصل إليه من حقوق الرقاب في ضياعه وما يأخذه من إقطاعه ويستثني به على عماله مالٌ كثير يستوفيه جهراً ، من غير أن توقع فيه أمانة ، ويصرف جميعه في مؤونته ونفقاته وصلاته وهباته ، إلى هدايا جليلة كان يتكلّفها لمعز الدولة في أيام النواريز والمهاريج ، وعطف معز الدولة على الجماعة يطالبهم بالضمانات التي ضمنوها ، فاحتجوا بوفاته ، ووعدوا بالبحث عن ودائعه ، وتدافعت الأيام واندرج الأمرُ فكان الذي صحَّ من مال أبي محمد ومال حرمه وأولاده وأسبابه خمسة آلاف ألف درهم ، فيها الصامت والناطق والباطن وأثمانُ الغلات وارتفاع الأملاك والأموال وأموال جماعة من التجار أخذت بالتأويلات ، وكانت وفاته سبباً لصيانته عن عاجل ابتذالهم له ، وصيانتهم عن آجلِ بلواهم به . وكانت مدة وزارته ثلاث عشرة سنة وثلاثة أشهر ، ووفاته في يوم السبت لثلاث ليالٍ بقين من سنة اثنتين وخمسين وثلاثمائة . ولأبي محمد :

قضيتُ نحبي فَسُرَّ قومُ حمقى لهم غفلةٌ ونومُ
كأنَّ يومي عليَّ حتمُ وليس للشامتين يومُ

قال هلال بن المحسن بن أبي إسحاق الصابي : وحدثني أبو إسحاق جدي

(1) ر : رواطه (ويقال فيها زاوطة) .
(2) ر : النكرات .

قال : صاغ أبو محمد دواة ومرفعاً وحلاَّهما حلية كثيرةً مشرقة ، وكانت ذراعاً وكسراً في عَرْض شبرٍ ، وكذلك كانت آلاته عظاماً حتى إن مخادَّ دسته مثل مساند الدسوت ، إلى ما يجري هذا المجرى من آلات الاستعمال ، وقُدِّمَت الدواةُ بين يديه في مرفعها وأبو أحمد الفضلُ بن عبد الرحمن الشيرازي وأنا إلى جانبه ، فتذاكرنا سرّاً حُسْنَ الدواةِ وجلالتها وعظمها ، ثم قال لي : ما كان أحوجني إليها لأبيعها وأتسعَ بثمنها ، فقلت : وأي شيء يعمل الوزير ؟ قال : يدخل في حِرِ أمه . وسمع أبو محمد ما جرى بيننا بالإصغاء منه إلينا وذهب ذاك علينا(1) ، فاجتمعت مع أبي أحمد من غدٍ فقال لي : عرفتَ خبر الدواة ؟ قلت : لا ، قال : جاءني البارحة رسولُ الوزير ومعه الدواة ومرفعها ومنديل فيه عشر قطع ثياباً حساناً وخمسة آلاف درهم ، وقال : الوزيرُ يقول أنا عارفٌ بأمرك في قصورِ الموادّ عنك ، وتضاعُفِ المؤنِ عليك ، وأنت تعرفُ شغلي وانقطاعي به عن كل حق يلزمني ، وقد آثرتك بهذه الدواة لما ظننته من استحسانك إياها اليوم عند مشاهدتك ، وحملتُ معها ما تجدَّدُ به كسوتك وتصرفه في بعض نفقتك(2) ، وانصرف الرسول وبقيتُ متحيّراً متعجباً من اتفاق ما تجارينا به أمس وحدوثِ هذا على أثره . وتقدم أبو محمد بصياغة دواةٍ أخرى على شكلها ومرفع مثل مرفعها ، فصيغت في أقرب مدة ، ودخلنا إلى مجلسه وقد فُرغ منها وتركت بين يديه وهو يوقع منها ، ونظر أبو محمد إليّ وإلى أبي أحمد ونحن نلحظها فقال : هيه مَنْ منكما يريدها بشرط الإعفاءِ من الدخول في حِرِ الأمّ ؟ فخجلنا وعلمنا أنه كان قد سمع قولنا ، وقلنا : بل يمتع اللّه مولانا وسيدنا الوزير بها ويبقيه حتى يهبَ ألفاً مثلها ، اللهم أنت جدد الرحمة والرضوان عليه في كلّ ساعة ، بل لحظة ، بل لمحة ، وعلى كل نفس شريفة وهمة عالية ، إنك العلي تحب معالي الأمور وأشرافها وتبغضُ سَفْسَافها .

قال : وحدث إبراهيم بن هلال قال : كان أبو محمد المهلبي يناصف العِشْرَةَ أوقاتَ خلوته ، ويبسطنا في المزح إلى أبعد غاية ، فإذا جلس للعمل كان امرءاً وقوراً مهيباً محذوراً آخذاً في الجد الذي لا يتخوَّنه نقص ، ولا يتداخله ضعف ، فاتفق أن

---

(1) ر : وذهب ذلك عنا .

(2) ر : نفقاتك .

صعد يوماً من طيّاره إلى داره وقد حقنه البول وما كان يعتريه من سَلَسِهِ ، فقصد بعضَ الأخلية فوجده مقفلاً ، وكذلك كانت عادته جاريةً في أخلية داره حفاظاً لها عن الابتذال ، فأبى أن يدعو الفرَّاش ويحضر فقال لي مَتنادِراً على نفسه :

فهبك طعامُكَ استوثقتَ منه فما بالُ الكنيفِ عليه قُفْلُ

فقلت : لعمري إنه موضع عجب ، وإذا وقع الإحتياط في الأصل فقد استغني عنه في الفرع ، فضحك وقال : أوسعتنا هجاء ، فقلت : وجدتُ مقالاً ، فقال : اسكت يا فاعل يا صانع .

قال أبو إسحاق : وأجلسني معز الدولة لأكتبَ بين يديه ، وأبو محمد المهلبي قائم فحجبني عن الشمس ، فقال : كيف ترى هذا الظل ؟ فقلت : ثخين ، فقال واعجبا أُحْسِنُ وَتُسِيءُ ، وضحك .

ومن شعر المهلبي[1] :

يا هلالا يبدو فيزداد شوقي[2] وهزاراً يشدو فيزداد عشقي
زعمَ الناسُ أن رقَّكَ ملكي كذبَ الناسُ أنتَ مالكُ رِقِّي

وحدث أبو محمد المهلبي قال : كنت أيام حداثتي وَقِصَرِ حالي وَصِغَرِ تصرّفي أسكنُ داراً لطيفة ، ونفسي مع ذلك تنازع في الأمور العظيمة ، إلا أن الجد قاعدٌ والمقدور غير مساعد ، فأصبحت يوماً وقد جاء المطر ، وازدادت الحجرة إظلاماً وصدري بها ضيقاً ، فقلت :

أنا في حجرةٍ تجلُّ عن الوصـ ـف ويعمَى البصيرُ فيها نهارا
هي في الصبح كالظلام وفي الليـ ـل يُوَلِّي الأنامُ عنها فرارا
أنا منها كأنني جوفَ بئرٍ أتقي عقرباً وأحذرُ فارا
وإذا ما الرياحُ هَبَّتْ رُخاءً خِلْتُ حيطانها تَميد انتشارا

(1) اليتيمة 2 : 239 .
(2) م : لتهتاج نفسي .

ربِّ عَجِّلْ خرابها وأرِحْني من حِذاري فقد مللتُ الحذارا

وتحدث أبو الحسين هلال بن المحسن قال : حدث القاضي أبو بكر ابن محمد بن عبد الرحمن بن قريعة(1) قال : كنتُ مع الوزير أبي محمد المهلبي بالأهواز فاتفق أن حضرتُ عنده في يومٍ من شهر رمضان ، والزمانُ صائفٌ والحرُّ شديد ، ونحن في مجلسٍ بارد ، فسمع صوتَ رجل ينادي على الناطف فقال : أما تسمع أيهذا(2) القاضي صوتَ هذا البائس في مثلِ هذا الوقت ، والشمسُ على رأسه وحرُّها تحت قدمه ، ونحن نقاسي في مكاننا هذا البارد ما نقاسيه من الحر ؟! وأمر بإحضاره فأحضر ، فرآه شيخاً ضعيفاً عليه قميصٌ رثّ ، وهو بغير سراويل ، وفي رجله تاسومة مخلقة ، وعلى رأسه مئزر ، ومعه نبيخة فيها ناطف لا يساوي خمسةَ دراهم ، فقال له : ألم يكن لك أيها الشيخ في طرفي النهار مندوحة عن مثل هذا الوقت ؟! فتنفس وقال : ما أهونَ على الراقد سهرَ الساهد ، وقال :

ما كنتُ بائعَ ناطفٍ فيما مضى لكنْ قضتْ لي ذاك أسبابُ القضا

وإذا المعيلُ تعذَّرَتْ طلباته رام المعاشَ ولو على جمرِ الغضا

فقال له الوزير : أراك متأدّباً فمن أين لك ذلك ؟ فقال : إني أيها الوزير من أهل بيت لم يكن فيهم مَنْ صناعته ما ترى ، وأسرَّ إليه أنه من ولد معن بن زائدة ، فأعطاه مائة دينار وخمسةَ أثواب ، وجعل ذلك رسماً له في كلّ سنة .

وحدث القاضي أبو علي التنوخي قال(3): شاهدت أبا محمد المهلبي وقد ابتيع له في ثلاثة أيام ورد بألف دينار فُرِشَ به مجالسه(4) وطرحه(5) في بركة عظيمة كانت في داره ، ولها فوّارات عجيبة يطرح ورق الورد في مائها وتنفضه ، وبعد شربه عليه وبلوغه ما أراده منه أنهبه .

ولأبي عبد الله الحسين بن أحمد بن الحجاج يرثي أبا محمد :

يا معشر الشعراءِ دعوةَ موجَعٍ لا يُرْتَجى فَرَحُ السلوِّ لديْهِ

---

(1) م : خزيمة .
(2) م : أيها .
(3) النشوار 1 : 303 .
(4) م : مجالس .
(5) ر : وتركه .

عـزُّوا القـوافي بـالـوزيـر فـإنهـا ... تبكي دماً بعـد الـدمـوع عليـهِ
مـات الـذي أمسى الثنـاءُ وراءه ... وجميـلُ عفـوِ الله بين يـديـهِ
هدم الزمانُ بموته الحصنَ الذي ... كنّـا نفـرُّ مـن الـزمـانِ إليـهِ
وتضـاءلت هممُ المكارم والعـلا ... وانبتَّ حبـلُ المجـدِ من طـرفيـهِ
عمري لئن قادتـه أسبابُ الـردى ... مثـلَ الجـواد يقـاد في شَـطَنيـهِ
فـليعـلمـنَّ بنـو بـويـه أنمـا ... فُجِعَـتْ بـه أيـامُ آلِ بـويـه

ولأبي محمد المهلبي[1] :

أمثلي يـا أخـي وقسيمَ نـفسـي ... يُـفَـارَقُ عهـدُهُ عـنـد الفـراقِ
ويـسلو سـلوةً مـن بـعـد بُـعْـدٍ ... وينسبـه الشقيـقُ إلى الـشقـاقِ
فـأقسمُ بـالعنـاق وتلك أُشْفَى ... وأوفـى من يـمينـي بـالـعـتـاقِ
لقـد ألصقتَ بي طلبـاً قبيحـاً ... تجـافى جـانبـاه عن التصـاقِ

وحدث أبو النجيب شداد بن إبراهيم الجزري الشاعر الملقب بالظاهر قال : كنتُ كثيرَ الملازمة للوزير أبي محمد المهلبي ، فاتفق أني غسلتُ ثيابي ، وأنفذ إليَّ يدعوني ، فاعتذرتُ بعذر فلم يقبله وألحَّ في استدعائي ، فكتبت إليه :

عبـدك تحت الحبـلِ عـريـانُ ... كـأنـه لا كـان شـيـطانُ
يـغسِـلُ أثـوابـاً كـأن الـبلى ... فـيـهـا خـليطٌ وهـي أوطـانُ
أرقُّ مـن ديـنـيَ إن كـان لـي ... ديـنٌ كـمـا لـلنـاس أديـان
كـأنـهـا حـاليَ مـن قبـل أن ... يصبـحَ عـنـدي لـك إحسـان
يقـولُ من يبصـرني معـرضـاً ... فـيـهـا ولـلأقـوال بـرهـان
هـذا الـذي قـد نسجتْ فـوقـه ... عـنـاكـبُ الـحيـطان إنـسـانُ

فأنفذ لي جبةً وقميصاً وعمامةً وسراويلَ وكيساً فيه خمسمائة درهم وقال : قد أنفذتُ لك ما تلبسه وتدفعه إلى الخياط ليصلحَ لك الثياب على ما تريده ، فإن كنت

(1) النشوار 3 : 187 .

غسلت التكّة واللالكة عرّفني لأنفذ لك عوضها .

ولأبي محمد المهلبي :

ويومٍ كأن الشمسَ والغيمُ دونها حجابٌ به صينتْ فما يتهتكُ
عروسٌ بدتْ في زرقةٍ من ثيابها تجلّلها فيها رداءٌ ممسَّك

قرأت بخط المحسن بن إبراهيم الصابىء ، أنشدني والدي قال : أنشدني الوزير أبو محمد المهلبي لنفسه :

إذا تكامل لي ما قد ظفرتُ به من طيبِ مُسْمعةٍ وظرفِ رمّانِ
وقهوةٍ لو تراها خلتَ رقتها ديني وحافر من ان شئت غناني
فما أبالي بما لاقى الخليفةُ من بُغا الخصيّ وعصيانِ ابن حمدانِ

وقال الصاحب ابن عباد : أنشدني الأستاذ أبو محمد المهلبي لنفسه[1] :

قال لي من أُحبُّ والبينُ قد جـ ـدَّ وفي مهجتي لهيبُ الحريقِ
ما الذي في الطريق تصنعُ بعدي قلتُ أبكي عليك طولَ الطريقِ

حدث أبو علي التنوخي قال[2] : كان أبو محمد المهلبي يكثر الحديث على طعامه ، وكان طيب الحديث ، وأكثره مذاكرة بالأدب وضروب الحديث على المائدة لكثرة من يجمعهم عليها من العلماء والكتاب والندماء ، وكنت كثيراً ما أحضر ، فقدّم إليه في بعض الأيام [طيهوج][3] فقال لي: أذكرني هذا حديثاً ظريفاً، وهو ما أخبرني به بعضُ مَنْ كان يعاشِرُ الراسبيّ الأمير[4]، قال: كنت آكل معه يوماً وعلى المائدة خلق عظيم فيهم رجل من رؤساء الأكراد المجاورين لعمله ، وكان ممن يقطع الطريق ، ثم استأمن إليه فأمنه واختصّه وطالت أيامه ، وكان في ذلك اليوم على مائدته إذ قدم حجل فألقى الراسبي منه واحدةً إلى الكردي كما يلاطف الرؤساء مؤاكليهم ، فأخذها الكردي وجعل يضحك ، فتعجب الراسبي من ذلك وقال : ما سبب هذا الضحك وما جرى ما يوجبه ؟ فقال : خبر كان لي ، فقال : أخبرني به ، فقال : شيء ظريف ذكرته لما رأيت

(1) اليتيمة 2 : 239 .
(2) نشوار المحاضرة 3 : 208 .
(3) طيهوج : ذكر الحجل .
(4) هو علي بن أحمد (توفي 301) .

هذه ، قال : فما هو ؟ قال : كنت أيامَ قطع الطريق قد اجتزتُ في المحجة الفلانية في الجبل الفلاني ، وأنا وحدي في طلب من آخذ ثيابه ، فاستقبلني رجلٌ وحده ، فاعترضته وصحت عليه فاستسلم إليّ ووقف ، فأخذت ما كان معه ، وطالبته أن يتعرّى ففعل ، ومضى لينصرف فخفت أن يلقاه في الطريق من يستفزّه عليّ ، فأُطلَبُ وأنا وحدي فأوخذ ، فقبضت عليه وعلوته بالسيف لأقتله ، فقال : يا هذا أي شيء بيني وبينك ؟ أخذت ثيابي ولا فائدة لك في قتلي ، فكتفته ولم ألتفتْ إلى قوله ، وأقبلتُ أقنّعه بالسيف ، فالتفتَ كأنه يطلب شيئاً ، فرأى حجلة قائمة على الجبل ، فصاح يا حجلة اشهدي ليَ عند اللّه تعالى أني أُقْتَلُ مظلوماً ، فما زلت أضربه حتى قتلته ؛ وسرت فما ذكرت هذا الحديث حتى رأيت هذه الحجلة فذكرت حماقةَ هذا الرجل فضحكت ، فانقلبت عينا الراسبيِّ في رأسه حرداً وقال : لا جرمَ واللّه أن شهادة الحجلة عليك لا تضيعُ اليومَ في الدنيا قبل الآخرة ، وما أمنتك إلا على ما كان منك من إفساد السبيل ، فأما الدماء فمعاذ اللّه أن أُسْقِطهَا عنك يا ابن الفاعلة بالأمان ، وقد أجرى اللّه على لسانك الاقرارَ عندي ، يا غلمان اضربوا عنقه ، قال : فبادر الغلمان إليه بسيوفهم يخبطونه حتى تدحرج رأسه بين أيديهم على المائدة وَجُرَّتْ جثته ، ومضى الراسبي حتى أتمَّ غداءه .

قال أبو علي(1) : حضرت أبا محمد في وزارته وقد دفع إليه شاعر رقعة صغيرة فقرأها وضحك ، وأمر له بألف درهم ، وطرح الرقعة فقرأتها وإذا فيها :

يا من إليه النفعُ والضرُّ ... قد مسَّ حالَ عبيدك الضُرُّ
لا تتركنَّ الدهر يظلمني ... ما دام يقبلُ قولك الدهرُ

قال إبراهيم بن هلال الصابىء : كان أبو محمد يخاطب بالاستاذية .

قال أبو علي : كنت في سنة اثنتين وخمسين وثلاثمائة ببغداد، فحضر أول يوم من شهر رمضان فاصطحبت أنا وأبو الفتح عبد الواحد بن أبي علي الحسين بن هارون الكاتب(2) إلى دار أبي الغنائم الفضل بن الوزير أبي محمد المهلبي لتهنئته بالشهر ،

---

(1) نقله محقق النشوار 3 : 49 .

(2) ر : مع أبي الفتح عبد الواحد بن مروان الكاتب (وسيرد كما هو في م بعد قليل) .

عند توجه أبيه إلى عمان، وبلغ أبو محمد إلى موضعٍ من أنهار البصرة يعرف بعلياباذ ففترتْ نِيَّتُهُ عن الخروج إلى عمان، واستوحش معز الدولة منه وفسد رأيه فيه، واعتلّ المهلبي هناك ، ثم أمره معز الدولة بالرجوع عن علياباذ وان لا يتجاوزه ، وقد اشتدت علته ، والناسُ بين مرجف بانه يقبض عليه إذا حصل بواسط أو عند دخوله إلى بغداد ، وقوم يرجفون بوفاته ، وخليفته إذ ذاك على الوزارة ببغداد أبو الفضل العباس بن الحسين بن عبد اللّه وأبو الفرج محمد بن العباس بن فسانجس. فجئنا إلى أبي الغنائم ودخلنا إليه وهو جالس في عرضيّ بداره التي كانت لأبيه على دجلة على الصراة عند شباكٍ على دجلة ، وهو في دست كبير عالٍ جالس ، وبين يديه الناس على طبقاتهم ، فهنأناه بالشهر وجلسنا وهو إذا ذاك صبي غير بالغ إلا أنه محصّل ، فلم يلبث أن جاء أبو الفضل وأبو الفرج خليفتا أبيه فدخلا إليه وهنآه بالشهر ، فأجلس أحدهما عن يمينه والآخر عن شماله ، على طرف دسته في الموضع الذي فيه فضلة المخادّ إلى الدست ، ما تحرك لأحد منهما ولا انزعج ، ولا شاركاه في الدست ، وأخذا معه في الحديث ، وزادت مطاولتهما ، وأبو الفضل يستدعي خادم الحرم فيسارّه ، فيمضي ويعود ويخاطبه سرّاً إلى أن جاءه بعد ساعة فسارَّه فنهض أبو الفضل ، فقال له أبو الفرج : إلى أين يا سيدي ؟ فقال : أهنيء من يجب تهنئته وأعودُ إليك ، وكان أبو الفضل زوج زينة ابنة الوزير المهلبي أخت أبي الغنائم من أبيه وأمه تجنّي ، فحين دخل واطمأنّ قليلاً وقع الصراخ ، وتبادر الخدم والغلمان ، ودعي الصبي وكان يتوقع أن يردَ عليه خبر موت أبيه لأنه كان عالماً بشدة علته ، فقام فمسكه أبو الفرج وقال : اجلس اجلس وقبض عليه ، وخرج أبو الفضل وقد قبض على تجني أم الصبي ووكّلَ بها خدماً وختم الأبواب ، ثم قال للصبي : قم يا أبا الغنائم إلى مولانا يعني معز الدولة فقد طلبك ، وقد مات أبوك ، فبكى الصبيّ وَسَعَى إليه وَعَلِقَ بدراعته وقال : يا عم اللّه اللّه فيَّ ، يكررها ، فضمَّه أبو الفضل إليه واستعبر وقال : ليس عليك بأس ولا خوف ، وانحدروا إلى زبازبهم ، فجلس أبو الفرج في زبزبه ، وجلس أبو الفضل في زبزبه ، وأجلس الغلام بين يديه ، وأصعدت الزبازب تريد معزَّ الدولة بباب الشماسية ، فقال أبو الفتح ابن الحسين بن هارون : ما رأيتُ مثل هذا قط ولا سمعت ، لعن اللّه الدنيا ، أليس الساعة كان هذا الغلامُ في الصدر معظّماً ، وخليفتا أبيه بين يديه ، وما افترقا حتى

صار بين أيديهما ذليلاً حقيراً . ثم جرى من المصادرات على أهله وحاشيته ما لم يجر على أحد . وله[1] :

لقد واظبتْ نفسي على الحبِّ والهوى بجـاريـةٍ تـرعَى الهـوى وتـواظِبُ
صفـا ليَ منهـا الـودُّ والشيبُ شـامـلٌ كمـا كان يصفـو والشبـابُ مصـاحبُ

وله :

إني ليعصمني هـواكِ عن الهوى حتى كـأنَّ عـلي منـكِ رقيبـا
وأجولُ في غَمَراتِ حبّك جاهداً طـوراً فيحسبني الجليسُ رهيبـا
ما إن هممتُ بشمّ نحركِ سـاعةً إلا مـلأت من الـدمـوع جيـوبـا

قال أبو حيان ، قال ابن أبي طرخان : دخلتُ إلى المهلبيِّ في أيام نكبته ، فرأيته يذمُّ صنائعه ومن قدَّمه في أيامه وأولاهم الجميل ، وقال : ما علمتُ أن الدهر بهذه الأفعال يعامل الأحرار ، وإلا كنتُ أحسنتُ لنفسي الاختيار ، وبكى وقال :

لئن قعـدت بي قلةُ المـال قعـدةً فما أنا عن كسبِ المعـالي بقاعـدِ
وما أنا بالسـاعي إلى الجهلِ والخنا ولا عن مكـافـاةِ الصـديق بـراقـدِ
أكـافي أخي بـالـودّ أضعـافَ وده وأبـذلُ للمـولى طـريفي وتـالـدي
وما صاحبي عنـد الرخـاءِ بصاحبٍ إذا لم يكنْ عنـد الأمور الشـدائـدِ

فقلت له : أدام اللّه حراسةَ الوزير كَفْكِفْ عبرتك ، وَهَوِّنْ على نفسك ، فمذ كـانت الدنيـا كانت غـدّارة مكارة ، تقصـدُ الأحرارَ بالمكاره، وتلقى أهـلَ المروات بالنوائب ، وترميهم بالأوابد ، وأكثر من ترى من هذا الوري فهم عبيد الطمع وأسراء الجشع ، يخونون الاخوان ويميلون مع الرجحان ، فدمعت عيناه وأنشد :

النـاسُ أتبـاعُ من دامتْ لـه النعمُ والـويلُ للمـرءِ ان زلَّتْ بـه القَـدَمُ
مـالي رأيتُ أخـلائي وحـاصلهم اثنـان مستكبـرٌ عنّي ومحتشـمُ
لما رأيتُ الذي يجفـون قلت لهم أذنبتُ ذنبـاً؟ فقالـوا ذنبـك العـدمُ

(1) اليتيمة 2 : 237 .

قال أبو علي محمد بن وشاح الكاتب ، قال لي أبو الحسن محمد بن عبيد اللّه ابن سكرة الهاشمي ، من ولد المهدي : خرجت إلى الأهواز قاصداً للوزير أبي محمد الحسن بن محمد المهلبي مادحاً له فلما وصلت إليه أنشدته :

قفي حيث انتهيتِ من الصدودِ ... ولا تتعمدي قتلَ العميدِ
فقد وهواكِ وهو أجلُّ حلفي ... حميتُ نظيرتيك من الهجودِ
هجرتِ مقيمة وظعنتِ غضبى ... فحربت الحديدَ على الحديدِ
فراقُ ظعينةٍ وفراقُ رأي ... يكرّهما عليَّ فراق جودِ
ثلاث ما اجتمعن على ابن حبّ ... صدودٌ في صدودٍ في صدودِ

قال : وانصرفت ، فلما كان من الغد استدعاني وقال : اسمع وأنشدني لنفسه :

أتاني في قميص اللاذِ يمشي ... عدوٌّ لي يلقَّبُ بالحبيبِ
وقد عبث الشرابُ بوجنتيه ... فصير خده كسنا اللهيبِ
فقلت له فديتك كيف هذا ... بلا واشٍ أتيتَ ولا رقيبِ
وما هذا الذي أحدثت بعدي ... لقد أمسيت في زي عجيبِ
فقال الشمس أهدتْ لي قميصاً ... رقيقَ الجسم من شفق الغروبِ
فثوبي والمدامُ ولونُ خدي ... قريبٌ من قريبٍ من قريبِ

- 345 -

الحسن بن محمد بن وكيع التنيسي أبو محمد : أديب فاضل شاعرٌ مجيد عارفٌ بفنون العلم ؛ مات في سنة تسعين وثلاثمائة ، وكان سمساراً في بلده متأدباً ظريفاً ، وكان قد صنف « كتاب سرقات المتنبي » وحافَ عليه . وعذله بعضُ أهلِ

345 ـ ترجمة ابن وكيع في اليتيمة 1 : 372 وابن خلكان 2 : 104 والشذرات 3 : 141 والمقفى 3 : 410 وقد جمع ديوانه الدكتور حسين نصار (مصر 1953) جمعاً لا يفي إلا ببعض شعره ، ولهلال ناجي استدراك عليه (المورد 2/1 (1973) 198 ـ 205 وطبع كتابه المصنف مرتين : مرة بتحقيق د. محمد رضوان الداية ، دمشق 1984 ومرة بتحقيق د. محمد يوسف نجم ، بغداد 1984 (وهذه الترجمة من ر) .

الأدب فلم يرجعْ عن ذلك ، فقال له : هل تثقل عليك الموافقة ؟ قال : لا ، قلت : هذه الأبيات التي لك مأخوذةٌ من قول المتنبي ؛ وأبيات ابن وكيع :

لو كان كلُّ عليلٍ يزداد مثلك حُسْنا
لكان كلُّ مريضٍ يودُّ لو كان مضنى
يا أكملَ الناسِ حسناً صلْ أكملَ الناسِ حزنا
غنيتَ عني وما لي وجهٌ به عنك أغنى

وأبيات المتنبي[1] :

فلو كان المريضُ يزيد حسناً كما تزداد أنت على السقامِ
لما عيد المريضُ إذن وَعُدَّتْ شكايتُهُ من النِّعمِ العظامِ

فقال : واللّه ما سمعتُ هذا ، فقلت : إذا كان الأمر على هذا فاعذر بمثله المتنبي .

ومن شعره :

وحديثٍ كأنه أوبةٌ من مسافرِ
كان أحلى من الرقا دِ إلى طرفِ ساهرِ

وله :

من أين للظبي الغريرِ الأحورِ في الخدّ مثلُ عذارِهِ المتحدّرِ
رشأ كأن بعارضيه كليهما مسكاً تساقَطَ فوق وردٍ أحمرِ

قيل ان ابن وكيع كان قد مال إلى غلام أمرد حسنِ الوجه ، فقيل لأبيه : إنه قد شغف بمن لا يستحقّ أن يشغف به ، فعاتبه على ذلك ، واتفق أنَّ الغلام اجتاز عليه وهو لا يعرفه ، فقال : لو هويتَ مثل هذا كنتَ معذوراً ، فقال في الحال[2] :

أبصرَهُ عاذلي عليه ولم يكن قبلها رآهُ
فقال لي لو هويتَ هذا ما لامكَ الناسُ في هواهُ

---

(1) لم يردا في ديوان المتنبي .
(2) الأبيات في اليتيمة ١ : 396 ـ 397 والمقفى : 413 .

قــل لي إلى مَنْ عــدلتَ عـنــه فــليس أهــلُ الــهــوى ســواهُ
وظــلَّ مـن حيـثُ ليس يــدري يــأمــرُ بــالــحبِّ مــن نــهــاهُ

ـ 346 ـ

الحسن بن محمد السهواجي أبو علي : أديب أريب ، شاعر لبيب مشهور مذكور . وسهواجُ من قرى مصر ، ومات بمصر سنة أربعمائة ، فمن شعره :

كرامُ المساعي في اكتسابِ محامدٍ وأهدىَ إلى طُرْق المعالي من القَطَا
وأبــوابُـهمْ مـعـمــورةٌ بِـعُـفَــاتـهـم وأيـديهمُ مـا تستريـحُ من العــطا

وله :

وقد كنتُ أخْشَى الحبَّ لو كان نافعي من الحب أن أخشـاهُ قبـلَ وقـوعِـهِ
كمـا حَـذِرَ الانسـانُ من نـوم عينـه ونـــام ولم يشـعــرْ أوانَ هجــوعــهِ

وله :

نطقت بالضحى حمـامةُ أيـكٍ فأثارت أسىً وأجـرت دموعـا
ذكــرتْ إلفَهــا فحنـت إليــه فبكينــا من الفــراق جميعــا

وله :

قــومٌ كــرامٌ إذا ســلُّوا ســيــوفَــهُــمُ في الرَّوْعِ لم يُغْمدوها في سوى المهجِ
إذا دَجَــا الخـطبُ أو ضـاقتْ مـذاهبُـهُ وجــدتَ عنـدهمُ مــا شئت من فَـرَجِ

346 ـ هذه الترجمة لم ترد في (م) ووردت في المختصر ، وصرَّح الصفدي (12 : 243) بنقلها عن ياقوت ، ولهذا مزجت بين ما ورد في المختصر وما أورده الصفدي . وانظر أيضاً ترجمة السهواجي في يتيمة الدهر 1 : 397 والفوات 1 : 262 .

- 347 -

الحسن بن محمد بن الحسن بن حبيب أبو القاسم : الواعظ المفسر ذكره عبد الغافر فقال : إمام عصره في معاني القرآن وعلومه ، وقد صنف التفسير المشهور به ، وكان أديباً نحوياً عارفاً بالمغازي والقصص والسير ، مات في ذي القعدة سنة ست وأربعمائة وصنف في القراءات والأدب وفي عقلاء المجانين .

وكان يدرس لأهل التحقيق ويعظ العوام ، وانتشر عنه بنيسابور العلم الكثير ، وسارت تصانيفه في الآفاق . حدث عن الأصم وعبد اللّه بن الصفار وأبي الحسن الكارزي ، وكان أبو إسحاق الثعلبي من خواص تلاميذه؛ وكان كرامي المذهب ثم تحول شافعياً . ومن شعره :

في علمِ علَّامِ الغيوب عجائبُ ... فاصبر فللصبرِ الجميلِ عواقبُ
ومصائبُ الأيام إن غاديتَها ... بالصّبر رُدَّتْ عنك وهي مواهبُ
لم يدجُ ليلُ العُسْرِ قطُّ بغمةٍ ... إلا بدا لليسرِ فيه كواكبُ

وله أيضاً :

بمن يستغيثُ العبدُ إلا بربِّه ... ومن للفتى عند الشدائدِ والكربِ
ومن مالكُ الدنيا ومالكُ أهلها ... ومن كاشفُ البلوى على البعد والقرب
ومن يدفعُ الغماءَ وقتَ نزولها ... وهل ذاك إلا من فعالك يا ربي

[وجدت على حاشية الأصل المنقول منه هذا الاختيار :

إذا ضاقت بك الأسباب يوماً ... فثق بالواحد الصمد العليِّ
فكم للّه من لطفٍ خفيّ ... يدقُّ خَفَا عن الفهم الذكي
وكم أمرٍ تُسَاءُ به صباحاً ... فتعقبه المسرَّةُ بالعشي

347 - ترجمة ابن حبيب هذه تمثل الجمع بين ما ورد في المختصر وما أورده الصفدي (الوافي 12 : 239) وانظر بغية الوعاة 1 : 519 وطبقات المفسرين للسيوطي : 11 وعبر الذهبي 3 : 93 وسير الذهبي 17 : 237 وطبقات الداودي 1 : 140 .

وكم عسرٍ أعاد اللَّه يسراً يفرِّجُ همَّ ذي قلب شجيّ]

وقيل إنه كان ذا ثروة ، وكان في داره بستان وبئر ، وكان إذا قصده إنسان من الغرباء إن كان ذا ثروة طمع في ماله ، وإن كان فقيراً أمره بنزح الماء لبستانه حتى يقيده ، وكان لا يفعلُ بأهل بلده ذلك .

ـ 348 ـ

الحسن بن محمد [بن علي] بن رجا بن الدهان اللغوي : أخذ عن الربعي والسيرافي ، وأخذ عنه أبو زكريا التبريزي ، مات في سنة سبع وأربعين وأربعمائة ، وكان من أصحاب الرماني ، وكان سيّء الحال قشفاً محالفاً للفقر . وذكروا أنه كان يوماً جالساً لأصحابه وعليه ثوب خلق تبدو منه عورته فقال له بعض أصحابه مشيراً إلى ذلك العضو : أيها الشيخ غرمولك ، أي آستر ذكرك ، فتجمع الدهان ثم استرسل فبدا العضو ، فقال له ذاك الرجل : أيها الشيخ قُمدُّك ، فعاد وتجمع مستتراً ثم مرَّ في الإقراء وعاد مسترسلاً ، فبدا العضو فقال له : أيها الشيخ قَهْبَلَسك ، وجرى معه في هذا الميدان من التنبيه على الاستتار بذكر الغريب من أسماء الذكر ، فأقبل عليه الشيخ الدهان متضجراً وقال له : ويلك ما أتقنت من الغريب إلا حفظَ أسماءِ هذا المردريك؟! فتضاحك الجماعة من قوله وانقطع المجلس.

قال المصنف : هذه حكاية مشهورة صحيحة عن هذا الصدر الذي يتعذر أن يكون في زماننا مثله ، وقد كان يُقْصَدُ وتقرأُ عليه علومُ الأدب ، وأهل زماننا يذمون زمانهم ، ولم يكن له ثوبٌ يواريه ، ولا في تلاميذه ذو أريحية يواسيه ، فضلاً عن أن يفضل عليه ويبره . ولكن ذم الناس لزمانهم لقلة رضاهم بأرزاقهم وأن كلّ أحد يرجو الغاية لا الكفاية ، ويرى أنه مستحق للملك ، لا لما يمشّي أمره في دار الهلك ، واللَّه المستعان .

---

348 ـ ترجمة ابن الدهان من المختصر ، ولم يصرح الصفدي بنقلها عن ياقوت ، ولهذا لم أجمع بينهما ؛ وانظر ترجمة ابن الدهان في إنباه الرواة 1 : 304 والجواهر المضية 1 : 202 والبلغة : 64 والوافي 12 : 230 وبغية الوعاة 1 : 523 .

ـ 349 ـ

الحسن بن محمد التميمي القاضي التاهرتي : يعرف بابن الربيب ، أصله من تاهرت ، وطلب العلم بالقيروان ومات بها سنة عشرين وأربعمائة وقد جاوز الخمسين ، وتولّى القضاء.

وكان محمد بن جعفر القزاز معنياً به محباً له ، فبلغ النهاية في الأدب وعلم الخبر والنسب وله في ذلك تأليف مشهور . وكان خبيراً باللغة شاعراً مقدماً قويّ الكلام يتكلف بعض التكلف ، وكان عبد الكريم بن إبراهيم النهشلي يروي له ما لا يروي لأحد من الشعراء ، سئل عن أشعر أهل بلده فقال : أنا ثم ابن الربيب . ومن شعره[1] :

فلما التقى الجمعان واستمطر الأسى ... مدامعَ منا تمطرُ الموتَ والدما
لدى مأتمٍ للبين غنّى به الهوى ... بشجوٍ وحنَّ الشوقُ فيه فأرزما
تصدَّتْ فأشجت ثم صدَّت فأسلمت ... ضميرك للبلوى عقيلةُ أسلما

ومن شعره يرثي المنصور بن محمد بن أبي العرب[2] :

للَّهِ أيّ محافظٍ ومحامي ... فُجِعَتْ به الدنيا وأيّ همامِ
ومصرّفٍ للملك راح مُصَرَّفاً ... في الترب بين صفائح ورجامِ
حَلَّتْ عليه الحادثاتُ وطالما ... نزلتْ به قسراً على الأحكامِ
وتناولته يدُ الردى ولربما ... نالتْ به الأرواح وهي سوامي
يا قبرُ لا تظلمْ عليه فطالما ... جلّى بغُرَّتِهِ دُجَى الاظلامِ
أعجبْ بقبرٍ قِيسَ شبرٍ قد حوى ... ليثاً وبحرَ ندى وبدرَ تمامِ

349 ـ ترجمة ابن الربيب من المختصر ، وانظر إنباه الرواة 1 : 318 والوافي 12 : 237 وبغية الوعاة 1 : 525 وأنموذج الزمان : 111 واستدركه جواد في الضائع : 18 .

(1) أنموذج الزمان : 112 والانباه والوافي .
(2) منها بيتان في الانموذج والانباه والوافي .

ومنها :

ولطالما اصطكت لدى أبوابه رُكَبُ الملوك وَجِلَّةُ الأقوامِ
يا ويحَ أيدٍ أسلمتك إلى الثرى ما كنت تسلمها إلى الاعدامِ

- 350 -

الحسن بن محمد بن عزيز أبو منصور اللغوي : لا أعرف من حاله شيئاً ، غير أني وجدت له كتاباً في اللغة في عشر مجلدات مرتباً على حروف المعجم سماه « ديوان العرب وميدان الأدب » وخطّه عليه بالقراءة في شعبان سنة سبع وثلاثين وأربعمائة .

- 351 -

الحسن بن القاسم بن علي الواسطي المعروف بغلام الهراس : أبو علي المقرىء ، إمام الحرمين ، مات سنة ثمان وستين وأربعمائة بواسط . سافر في طلب الاسناد للقراءات وأتعب نفسَهُ في التجويد والتحقيق حتى صار طبقةَ أهلِ العصر ، ورحل إليه الناسُ من أقطار الأرض ، وكُفَّ بصره بأخرة ؛ وقد قدح قوم في قراءته وقالوا : ادّعى الاسناد في شيء لا حقيقةَ له ، ذكر ذلك عن ابن خيرون الأمين وغيره .

- 352 -

الحسن بن محمد بن عبد الصمد بن أبي الشخباء ، أبو علي العسقلاني : صاحب الرسائل ، مات في ما ذكره علي بن بسام في كتاب الذخيرة في سنة اثنتين

---

350 ـ هذه الترجمة من الوافي (12 : 244) وهو يصرح بالنقل عن ياقوت ، وانظر بغية الوعاة 1 : 523 .

351 ـ ترجمة غلام الهراس من الوافي (12 : 204) وقد صرح الصفدي بالنقل عن ياقوت وانظر مصورة ابن عساكر 4 : 578 وتهذيب ابن عساكر 4 : 239 وعبر الذهبي 3 : 266 وميزان الاعتدال 1 : 518 ولسان الميزان : 245 وطبقات ابن الجزري 1 : 228 والشذرات 3 : 329 .

352 ـ ترجمته في ابن خلكان 2 : 89 والوافي 12 : 68 وذكره العماد في الخريدة في العسقلانيين وهو قسم =

وثمانين وأربعمائة معتقلاً بمصر في خزانة البنود ، وكان يلقب بالمجيد ذي الفضيلتين ، أحد البلغاء الفصحاء الشعراء ، له رسائل مدونة مشهورة قيل إن القاضي الفاضل عبد الرحيم بن [علي] البيساني منها استمدَّ وبها اعتدّ ، وأظنه كتب في ديوان الرسائل للمستنصر صاحب مصر لأن في رسائله جوابات إلى الفساسيري ، إلا أن أكثرَ رسائله إخوانيات وما كتبه عن نفسه إلى أصدقائه ووزراء وأمراءِ زمانه ، وها أنا أكتبُ منها ما سنح لتعرف قدر بضاعته ومغزى صناعته ، نظماً ونثراً ؛ قال من قصيدة :

أَخَذَتْ لحاظي من جَنَى خديك ... أَرْشَ الذي لاقيتُ من عينيكِ
هيهات إني إن وزنت بمهجتي ... نظري إليكِ فقد ربحتُ عليكِ
غضّي جفونك وانظري تأثيرَ ما ... صنعتْ لحاظُكِ في بنانِ يديك
هو ويلكِ نضحُ دمي وعزَّ عليَّ أن ... ألقاكِ في عُرْضِ الخطاب بويكِ
وسلكتِ في فيضِ الدموع مسالكاً ... قصرتْ بها يدُ عامرٍ وَسُلَيكِ
صانوك بالسمرِ اللدان وصنتهم ... بنواظرٍ فحميتهم وَحَمَوْكِ
لو يشهرون سيوفَ لحظك في الورى[1] ... ما استنفروا[2] فيها قنا أبويك
وهم المغاوير الكماة وإنما ... ألقوا مقاليد القلوب إليك[3]

وقد كتب إلى صديق له : لما حُدِيَتْ ركابُ مولاي ، أخذ صبري معه ، وصحبه قلبي وتبعه :

فعجبتُ من جسمٍ مقيمٍ سائر ... كمسيرِ بيتِ الشعرِ وهو مُقَيَّدُ

وبقيتُ بعده أقاسي أموراً تُخِفّ الحليم وتُرعي الهشيم ، إن رجوتُ منها غفلة

تابع لشعراء مصر . الورقة 14 (نسخة باريس رقم: 3328) ويعتمد ياقوت على الذخيرة (4/2 : 627) وهناك مجموعة من رسائله في جمهرة الاسلام للشيزري ، ومجموعة من رسائله وخطبه في الريحان والريعان ؛ وذكره المقريزي (في اتعاظ الحنفا 2 : 328) وذكر أنه توفي سنة 486 .

(1) الوغى . (2) م : استقرأوا . (3) البيت من ر .

اقتحمت ، وإن رمتُ منها فُرْجةً تضايقت والتحمت . وأما الوحشة فقد اصطبحت منها كأساً مترعة ، وتجرعتُ من صابها أمرَّ جرعة . ورأيت فؤادي إذا مرَّ ذكرُ مولانا به[1] يكاد يخرجُ من خدره ، ويرغب في مفارقة صدره ، حنيناً يجدّده السماع ، وصدوداً تنتقض منه الأضلاع ، وزفرة تدمي في عذارها ، ويطلع في الترائب شرارها :

أداري شجاها كي تخلّي مكانَها وهيهات ألقتْ رحلَها واطمأنتِ

وأما ما أعاني بعد مسيره فأشياءُ منها عَيْثُ الألم مرة بعد مرة[2]، وزوال الاستمتاع بما يعرفه من تلك المسرة ؛ ومنها اضطراري إلى كثرة مكاثرة من أعلم دِخْلَ سرائره ، واختلاف باطنه وظاهره ، وتكلف اللقاء له بصفحة مستبشرة، وأخلاق غير متوعرة . والله يعلم نفورَ طباعي ممن رآه أهلُ الأدبِ من الأدب غُفْلاً ، ومن ذخائره مقفلاً ، لكن السياسة تقتضي اعتمادَ ما ذكرت ، وتوجب قصد ما شرحت ، وإن كان مورداً غيرَ عذب ، وثقيلاً على العين والقلب :

ولربما ابتسم الفتى وفؤادُهُ شَرِقُ الضلوعِ برنّةٍ وعويلِ

ومنها انعكاس كثيرٍ من الآمال، وارتشاف الزمن[3] الصُبابة الباقية من الحال، بجوائح مصرية وشآمية ، وفوادحَ أرضيةٍ وسمائية . ولا أشكو بل أُسَلِّم له مذعناً ، وأرى فعله كيف تصرفت الأحوال جميلاً حسناً :

ومن لم يسلِّم للنوائبِ أصبحتْ خلائقه طرّاً عليه نوائبا

واللّه تعالى المسؤول أن يهبَ لي من قُرْبِ مولاي ما يأسو هذه الكلوم ، ويجدد من المسرّةِ عافيَ الرسوم ، فجميع الحوادث ، وسائر النوائب الكوارث ، إذا قربت الخطوة ، واستجيبت هذه الدعوة ، تمسي غير مذكورة ، وبجناح التجاوز مكفورة .

وكتب[4] إلى أبي الفرج الموفقي جواباً عن رقعة : وصلت رقعة مولاي والصبح

(1) م : مولاي .
(2) بعد مرة : زيادة من ر .
(3) الزمن : زيادة من ر .
(4) وردت الرسالة في الذخيرة 4/2 : 654 ، ولأبي الفرج ترجمة في الدمية 1 : 185 والخريدة (قسم مصر) 2 : 218 (وفيه الموقفي ـ بتقديم القاف) .

قد سل على الأفق مِقْضَبَه ، وأزال بأنوارِ الغزالة غيهبه ، فكـانت بشهادة اللّه صُبْـحَ الآدابِ ونهارها ، وثمارَ البلاغة وأزهارها ، قد توشحت بضروبٍ من الفضل تقصر[1] قاصية المدى ، وتجري به في مضمار الأدب مفرداً :

فكأن روضَ الحَزْنِ تنشـره الصبا ما ظلتُ من قرطاسها أتصفـح[2]

فأما ما تضمنته من وصفي فقد صارت حضرته السامية تتسمح في الشهادة بذلك مع مناقشتها في هذه الطريقة ، وأنها لا توقع ألفاظها إلا مواقع الحقيقة ، فإن كنت قد بهرجت عليها فلتراجعِ نقدها ، تجدني لا أستحق من ذلك الإسهاب فصلاً ، ولا أُعَدّ لكلمةٍ واحدةٍ منه أهلاً . وبالجملة فاللّه ينهضني بشكر هذا الانعام الذي يقف عند الثناء ويظلع ، ويحصر دونه الخطيب[3] المصقع :

هيهات تعيي الشمس كلَّ مرامِق ويعـوقُ دون منـالهـا العيُّـوقُ

وأما الفصل الذي أودعه الرقعة الكريمة من قوله : « فأما فلان فيحلّ في قومه ويفرح بالضيوف فرحَ حنيفةَ بابن الوليد ، قدوره عمارية ، وعطـات جواريه أسدية ، [تراهنّ أبداً يمشين[4] في حلل الشبـاب] ويَهوين لـو خُلِقَ الرجـال خلق الضباب ، يتضوّعن النشر العبقسي ، ويرضعن مراضـعَ ثعالـة المجاشعي » ومـا أمرت حضـرته السامية من ذكر ما عندي فيه ، فقد تأمّلته طويلاً وعثر الخادم فيه بما أنا ذاكره ، راغباً في الرضى بما بلغت اليه المقدرة ، وتجليل ذلك بسجوف الصفح .

أما قوله : « يفرح بالضيوف فرح حنيفة بابن الوليد » فيقع لي أنه أراد خالد بن الوليد المخزومي ، وذلك أن مسيلمة الحنفي كان قد تنبأ بعد رسول اللّه ﷺ ، وحديثه مشهور ، فبعث إليه أبو بكر رضي اللّه عنه خالد بن الوليد المقدم ذكره في جيشٍ كثيف من المسلمين ، ففتح اليمامة وقتل مسيلمة وأباد جماعة كثيرة من بني حنيفة .

---

(1) الذخيرة : تعطيه .
(2) البيت مضطرب في م .
(3) الذخيرة : البليغ .
(4) هكذا في الذخيرة ، وأرجح « يَمِسْنَ » .

وأما قوله « قدوره عَمّاريّة » فإن هذا الفصل لما كان مبنياً على الذمّ وجب أن يتطلب لهذا السبب معنىً يجب حمله عليه ، ولم يجد ما ينسب إليه إلا قول الفرزدق(1) :

لو أن قدراً بكتْ من طولِ ما حُبِسَتْ ... على الحقوقِ بكتْ قدرُ ابنِ عمارِ

ما مسَّها دسم مذ فُضَّ معدنها ... ولا رأتْ بعد نارِ القينِ من نار

وأما قوله « عطسات جواريه أسدية » فيقوى في وهمي أنه أراد قول الأول في هجائه(2) :

إذا أسدية عطست فنكها ... فإن عطاسها طَرَفُ الوداقِ

وأما قوله : « يهوين لو خُلِقَ الرجالُ خَلْقَ الضباب » فإن الجاحظ ذكر في « كتاب الحيوان » أن للضب أيرين وللضبة حرين ، وحكى أن أير الضبّ أصله واحد ، وإنما يتفرق فيصير أعلاه اثنين ، واستشهد على ذلك بقول الفزاري(3) :

رعينَ الدبا والبقلَ حتى كأنما ... كساهن سلطانٌ ثيابَ مراجلِ(4)

سِبَحْلٌ له نَزْكانِ كانا فضيلةً ... على كلِّ حافٍ في البلاد وناعلِ(5)

والنزك : اسم أير الضب ، وأنشد الأصمعي لأبي درماء فيما رواه أبو خالد النميري(6) :

تفرقتمُ لا زلتمُ قرنَ واحدٍ ... تَفَرُّقَ أير الضبِّ والأصلُ واحدُ

ومن ها هنا قالت حُبَّى المدنية لما عذلها أبوها في تزوجها ابن أم كلاب(7) :

---

(1) ديوان الفرزدق 1 : 326 .

(2) هو في الأغاني 12 : 181 لكثير ، وانظر ديوانه : 389 وروايته « إذا ضمرية » .

(3) م : الفرزدق : والتصويب عن الحيوان 6 : 73 ونسبت الأبيات في اللسان (سبحل) لأبي الحجاج ، وقال ابن بري إنها لحمران ذي الغصة .

(4) الدبا : الجراد ؛ والمراجل ، ثياب يمنية فيها صور ، ويقال فيها أيضاً مراحل .

(5) السِّبَحْلُ : المسن من الضباب .

(6) الحيوان 6 : 74 بإنشاد الكسائي ، والخبر كله (لا البيت وحده) رواية أبي خالد (أو أبي خلف) النميري عن أبي حية النميري .

(7) الحيوان 6 : 75 (2 : 200) ، وعند الجاحظ أن الذي عذلها هو ابنها (لا أبوها) .

وددتُ بـأنـه ضـبٌّ وأنـي ضُبَيْبَـةُ كـديـةٍ وجـدتْ خـلاءَ

وأما قوله : « يتضوعن النشر » فمن أمثال العرب : « هو أخسر صفقةً من شيخ مهوٍ »[1] وهو بطنٌ من عبد القيس بن أفصى بن دعميّ بن جديلة بن أسد بن نزار بن معد بن عدنان ، وكان من خبره أن إياداً كانت أفسى العرب ، فوفد وافدهم إلى الموسم بسوق عكاظ ومعه حلة نفيسة ، فقال : يا معشر العرب مَنْ يشتري مني مثلبةَ قوم لا تضرُّه بحلتي هذه ؟ فقال الشيخ المهوي : أنا أشتريها ، فقال الإيادي : أشهدكم يا معشر العرب أني قد بعتَ فساءَ إياد لوافدِ عبد القيس بحلّتي هذه ، وتصافحا وافترقا متراضيين ، وقد شهد عليهما أهل الموسم فصارت عبد القيس أفسى العرب . وقيل لابن مناذر : كيف الطريقُ إلى عبد القيس ؟ فقال : شمَّ وَمُرّ :

فـإن عبـدَ القـيس من لـؤمهـا تـفسـو فـسـاءً ريـحُـهُ تـعـبقُ
من كـان لا يـدري لهـا منزلاً فـقـلْ لـه يمـشي ويسـتـنشـقُ

وأما قوله : « أعطش من ثُعالةَ المجاشعيّ »[2] فمن أمثال العرب فيما ذكره الكلبي قال : هما رجلان من بني مجاشع عطشا ، فالتقم كلّ واحدٍ منهما أير صاحبه يشرب بوله ، فلم يغن عنهما شيئاً وماتا عطشاً ، ووجدا على تلك الحال ، قال جرير يهجو بني دارم[3] :

رضعتم ثم سـال على لحـاكم ثعالـة حين لم تجـدوا شـرابـا

هذا ما وقع لي في هذا الفصل ، وأرجو أن تكونَ قد ذهبتَ إلى ما قصده قائله .

ومن كلامه يهنيء بكسر أتسز الغُزّي ، وكان ذلك لثمان ساعات مضين من يوم الاثنين في العشر الأخير من جمادى الآخرة سنة تسع وستين وأربعمائة : ﴿ **الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيماناً وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ فَٱنْقَلَبُوا بِنِعْمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ لَمْ يَمْسَسْهُمْ سُوءٌ وَٱتَّبَعُوا رِضْوَانَ اللَّهِ وَاللَّهُ ذُو**

(1) المثل في الدرة الفاخرة : 140 (أحمق من . . .) وجمهرة العسكري 1 : 388 والمستقصى 1 : 82 وثمار القلوب : 106 واللسان (فسا) واسم الشيخ : عبد الله بن بيدرة .
(2) المثل في الدرة الفاخرة : 309 وجمهرة العسكري 2 : 70 والميداني 2 : 49 والمستقصى 1 : 248 .
(3) ديوان جرير : 818 .

فَضْلٍ عَظِيمٍ ﴾ (آل عمران: 173) قد ارتفع الخلاف بين الكافة أن الله ذَخَرَ للدولة الفاطمية ـ ثبَّتَ اللّه أركانها ـ من الحضرةِ العليّة المنصورةِ الجيوشية ـ خلد الله سلطانها ـ مَنْ حَمَى سوادها ، ونصر أعلامها ، وضمَّ نشرها ، وحفظ سريرها ومنبرها ، بعد أن كان الأعداء الذين ارتضعوا دَرّ إنعامها ، وتوسموا بشرف أيامها ، فطردتْ يدُ الاصطناع إملاقهم ، وأثقلت قلائدُ الإحسان أعناقهم ، خفروا ذمم الولاء ، وكفروا سوابغ الآلاء ، ففجأتهم الحوادثُ من كلِّ طريق ، ونعب بهم غرابُ الشتاتِ والتفريق ، واستباحتهم يد الشدائد ﴿ **أَتَى اللَّهُ بُنْيَانَهُمْ مِنَ الْقَوَاعِدِ** ﴾ (النحل: 26) . ولم تزل النفوس منذ طرق أتسز بن أوق اللعين هذه البلاد ، وأنجم فيها أنجمَ الفساد ، وتعدَّى حدود اللّه وكلماته ، وتعرض لمساخطته ونقماته ، عالمة بأن إملاء الحضرة العلية ـ مد اللّه ظلها على الكافة ـ لم يكن عن استعمال رخصة في هذه الحال ، ولا سكون الى عوارضَ من الإغفال والإهمال، بل هو أمر رُكِبَ فيه مَتْنُ التدبير ، وجرت بنقله المقادير . واتبع فيه قوله تعالى : ﴿ **فَأَمْلَيْتُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ** ﴾ (الحج: 44) وحين خَدَمَتْهُ المطالعُ المردية إلى الأعمال القاهرة مؤملاً انفصامَ عروة اللّه المتينة ، وأفولَ ما توقَّد من شجرة مباركة زيتونة ، سكنت النفوسُ إلى [أن] الحضرة العلية ـ ثبت الله مجدها ـ ستجرِّدُ له من عزماتها الباقية ما يعجِّل دماره ، وتنتضي له [من] آرائها الكاملة ما يعفِّي آثاره . وحين توالت الأنباء ، واصطلمت الرجال بانكسار اللعين ، وما مُنِحَتْهُ الحضرة من النصر المبين ، حتى نهبت الأموال وتحكّمتِ السيوفُ بحكم القادر الغالب ، وأكلتهم الحرب أكلَ الغرثانِ الساغب ، وأنشبت فيهم أظافرها المنية ، وكسيت الأرضُ من دمائهم حُلّةً عسجدية ، وولَّى المخذول على أدباره ، ونكص على أعقابه بوبيل أوزاره ، يخاف من نجوم الليل أن ترجمه ، ومن شمس النهار [أن] تصطلمه ، وترك ما معه يُقَسَّم يميناً وشمالاً ، ومن حَشَدَهُ يُقَتَّلُ ركباناً ورجالاً ، علم أن للّه تعالى عناية بالدولة الزاهرة ، وتحقق أن له سبحانه رعاية بالملة الطاهرة ، تحوط أقطارها ، وتضاعف أنوارها ، ولطفاً خفياً بهذه الرعية ، ومشيئته نافذة في هذه البرية ، التي لولا مقام الحضرة العلية لمزِّق أديمها ، واستُبيحَ حريمها . واللّه المحمود على ما منح الأمة من هذه النعمة ، والمسؤول أن يشدّ ببقاء الحضرة العلية قواعد الاسلام ، ويسم بمحامدها أغفالَ الأيام ، ويستخدم لها

السيوفَ والأقلام ، حتى لا يبقى على الأرض مَفْحَصُ قطاةٍ إلا وقد دوخها سنابك خيولها ، ولا مسقطُ نواةٍ إلّا وقد ركزت فيه صدورُ رماحِها ونصولها .

فقد دفعَتْ ـ أدام الله جمال الدنيا ببقائها ، وأعز كمالَ الدين بأسها وأصالة رائها ـ خطباً جسيماً ، واستلقحت من السياسة أمراً عقيماً ، وأعادت شملَ الأمة ملموماً نظيماً . ذلك فضلُ اللّه يؤتيه من يشاء وكان فضل الله عليك عظيماً . فأما العبدُ المملوك فقد تلاعبتْ به أيدي الأقدار ، وقذفته العطلة في هُوّةٍ بعيدةِ الأقطار ، وهو يعِدُ نفسه ويوفيها ، ويسوِّفها ويمنيها ، أنَّ مراحمَ الحضرةَ ـ نصر اللّه أعلامها ـ تعيد كسادَ بضاعته نَفَاقاً ، واضطرابَ حاله انتظاماً واتساقاً ، وسكونَ ريحه خفوقاً ، وغروبَ حظه شروقاً ، إن شاء الله تعالى .

وكتب الى بعض إخوانه : أغبّ كتابُ مولاي حتى أضرم ناراً في الفؤاد ، وحالف بين جفني والسهاد :

ثم وافى بلفظه الرائقِ العذ ... ب وأغنَى عن الزلالِ البَرُودِ
وقرأتُهُ متنزهاً ... في روضِهِ وغديرِهِ
جَمَعَ البلاغةَ كلَّها ... تختالُ بين سطورِهِ
فالدرُّ في منظومه ... والسحرُ في منثورِهِ

وعرفتُ ذكر الشوقِ الذي هيَّج أحزاناً ، ونكأ قرحاً لا يندملُ زماناً ، وإن عندي بشهادة اللّه ما يضرم ناره ، ويشب أواره ، والله تعالى يسهل من ألطافه الخفية ما يجمعُ الشملَ ، ويصلُ الحبل ، ويقرّب الدار ، ويدني المزار ، بمحمد وآله والأئمة الأطهار . وأما حالي بعده ، وارتياحي إلى ما عنده ، وتأسفي على الفائت من أخلاقه التي هي من الحسن أدقّ ، ومن الماء أصفى وأرقّ ، فحالُ صبٍّ أُخِذَ ما في فؤاده ، وَحُولِفَ بين طرفه وسهاده ، فحرم لذلك لذيذ رقاده . وأما عَتْبُهُ عليَّ لتأخّرِ كتبي عنه ، وبعدها منه ، فهو يعلم ـ حرس اللّه مدته ـ أنني إذا واصلت أو أغببت ، أنه سمير خاطري ، وإن غاب عن ناظري ، وهو نازل بضمائري ، وإن بان من بين مخالطي ومعاشري :

يـا غائبـاً عن نـاظـري وحـاضراً في خـاطـري
لا تـخشَ منـي جفـوةً فبـاطنـي كـظاهـري[1]

والله يعلم أني لم أغفل كتابه صَرْماً وهجراً ، ولا أهملتُ مجاوبته نقضاً لمودته الكريمة ولا غدراً ، فإنه من العينِ بمكانِ السواد ، ومن الصدر بموضع الفؤاد ، وبسبب هذا الاعتقاد ، وما ذكرت من محضِ الوداد ، أبثُّه أشجاناً ، وأُطلعه على أسراري إسراراً واعلاناً ، ثقةً بودّه ، وتمسكاً بوثيق عهده وعقده ، لو رآني فسح الله مدته ، وضاعف عليّ مودَّته ، لرأى صباً قلبه خفيق ، ودمعه طليق :

قلق الضميـر بـظبيـة وهنـانـة فـلهـا بـقـلبي هـزةٌ وعـلوقُ
الـوجـهُ طلقٌ والـوشـاحُ مهفهفٌ والـردفُ دِعْصٌ والقـوام رشيقُ
وتبسمتْ عن واضـح فضحتْ به سَـطْعَ البـروق ونمَّ منـه رحيقُ

هذه الأبيات تغني عما أردت أن أشرحه ، وتنبيء عن مكنونِ ما سبيلي أن أثبته وأوضحه ، والله المسؤول أن يقضي مأربي بسعادة جده ، ويزيل عني ما أخشاه بتمام إقباله ومجده ، وكتابه هو فسحةٌ للصدر ، ومنيةُ ما يُطْلَبُ من الدهر ، ولرأيه علوه في إمضائه إليّ ، ووفوده عليّ .

وكتب إلى ابن المغربي يهنئه بالفتوح : أطال الله بقاءَ سيدنا الوزيرِ الأجلّ ما سطع الصبحُ بعموده ، وهمهمَ السحابُ برعوده ، وطلعت في الافق أنجم سعوده :

نعتـدُّهُ ذُخْـرَ العـلا وعتـادَهَـا ونـراه من كَـرَمِ الـزمـانِ وجـودِهِ
والدهرُ يضحكُ من بشاشـةِ بشره والعيشُ يَـطْرَبُ من نَضارةِ عـودِهِ

فقد ألبس الله الدهرَ من مناقب الحضرة السامية ما أخرس اللائمة[2]،وأفاض على الكافة من آلائها ما تملك به رقَّ المآثر ، ويعجز عنه كلُّ ناظمٍ وناثر :

يقصّـر عنـه لسـان البليـغ ويفضُـلُ عن مقلة النـاظـر

(1) م : كالظاهر .
(2) ر : لائمه .

فما تنفكُّ ـ خلد الله أيامها ـ تذود[1] عن الدولة برأي صائب، وحساب قاضب، يتحاسد عليه الدرع والدراعة ، ويتنافس فيه الصمصامة واليراعة ، والملك بين هذين متين العماد ، مستبحر[2] الثماد :

مـا زال قـائـدَ كتبـةٍ وكتيبـةٍ   بـأصيـل رأيَيْ مُنْصُـلٍ وفـؤادِ
شبهـان من قلم ومن صمصـامـة   شُهِـرا ليـوم نـدىً ويـوم جـلادِ

وما وقفتْ في هذا المقام موقفاً وحشياً ، ولا وقع عندها موقعاً أجنبياً ، بل اقتفتْ آثار أسلافٍ خفقت عليهم ألويةُ المعالي وبنودُهَا ، وَوُسِمَتْ بأسمائهم جباهُ الممالكِ وخدودها ، وتحيف الكرم أموالهم وهي أثيثةُ الجناح ، وذللت عزائمهم من النُّوَب وهي شديدة الجماح :

كُتَّـابُ مُلْكٍ يستـقيـمُ بـرأيهـم   أَوَدُ الخـلافـةِ أو أسـود صبـاحِ
بـصـدورِ أقـلام يُـرَدُّ إليـهـمُ   شـرفُ الريـاسة أو صـدورِ رماح

قد كان العبد خدم المجلس السامي بخدمةٍ قصرها على[3] التهنئة بما فتح الله تعالى من الظفر بالعدو الذي أطاع شيطانه ، ومدَّ في مضمار الغيِّ أشطانه ، واتبع ما أسخط اللّه وكره رضوانه ، وجرى الله تعالى على جميل عادته في زلـزلة أطـواده ، واستئصال أحزابِهِ وأجناده ، الذين غَدَت الرماحُ تستقي مياه نحورهم ، والسيوفُ تنتهبُ ودائعَ صدورهم ، والحِمامُ يجولُ عليهم كلَّ مجال ، ويستدني إليهم نوازح الآجال :

مـا طـال بغيٌ قطُّ إلا غـادرتْ   فَعَـلاتُـهُ الأعمـارَ غيـرَ طـوالِ
فتـحٌ أضـاءَ بـه الـزمـانُ وفتَّحتْ   فيـه الأسنـةُ زهـرةَ الآمـالِ

وأرجو أن يكون التوفيق قضى بوصولها ، وأذن في قبولها ، فيمتدَّ ظل ، ويثري مقلّ ، ويصوب عارض مستهل :

أيعـجـز فـضـلك عـن خـادمٍ   وأنت بـأمـرِ الـورى مستـقـلْ

(1) ر : الضمير يعود على « الحضرة » .
(2) م : مستجير .
(3) م : قصدها عن .

وبحكم ما العبدُ عليه من تطلُّع الأمل القويّ ، وتوقع الإنعام الكسروي ، عززها بهذه المناجاة ، وإن كان على ثقة أن رِشاه قد أُلقي في الغدير القريب ، ورائده قد خيَّم بالمرتع الخصيب :

لو رأينا التوكيدَ خطةَ عجزٍ ما شفعنا الأذانَ بالتثويبِ

وله ـ أدام اللّه عزه ـ الرأي العالي فيه ، إن شاء اللّه تعالى .

وكتب إلى صارم الدولة ابن معروف : أطال الله بقاء الحضرة الصارمية يجري القَدَرُ على حَسَبِ أهويتها ، وَيُعْقَدُ الظفرُ بعزائمِ ألويتها ، وتُحلَّى بذكرها ترائب الأيام العاطلة ، وتُنْجَزُ بكرمها عِداتُ الحظوظ المماطلة ، ما أصحبَ الجامح ، وأضاء السماكُ الرامح ، وعافت الماءَ الإبلُ القوامح[1] :

وما سحبتْ في مفرقِ الأرض ذيلها خوافقُ ريحٍ للسحاب لواقحُ
إذا رفض الناسُ المديحَ وطلَّقوا بناتِ العلا زُفَّتْ إليه المدائحُ

أيامُ الناس شهودٌ مختلفة الأقوال ، وصنوفٌ متباينة الأحوال ، فيوم تؤرخ السير بسؤددِهِ وسنائه ، وينطق بمحامد قومٍ ألسنةُ أبنائه ، ويومٌ يخبو في موقفِ الجد شهابه ، ويعبق بمسك المدام إهابه ، فالحمد للّه الذي جعل الحضرةَ السامية عقالَ الخطوبِ العوارم ، ونظامَ المحاسنِ والمكارم ، يعتدها الزمنُ نسيمَ أصائله ، وَزَهْرَ خمائله ، وشموسَ مشارقه ، وتيجانَ مفارقه ، فيجب على كلٍّ من ضمَّ اليراعةَ بنانه ، وأُطْلِقَ في ميدان البراعة عنانُهُ ، أن لا يخلي مجلسَهُ من مِدَحٍ معروضةٍ ، وَخِدَمٍ مفروضة ، يُسْهِب فيها الواصف ، ويوجبها الإنعام المتراصف[2] :

عسى مُنَّةٌ تقوى على شُكْرِ مِنَّةٍ وهيهات أعيا البحرَ من هو راشفُ
ولو كنتَ لا تولي يداً مستجدةً إلى أن توفَّى شكرَ ما هو سالفُ
حميتَ حريمَ المالِ من سطوةِ الندى وغاضتْ وحاشاها لديكَ العوارفُ
وكم عزمةٍ في الشكر كانت قويةً فأضعفها إحسانُكَ المتضاعفُ

(1) م : الطوامح ، وصوبته . والقوامح التي ظمئت حتى فترت .
(2) لعل الأصوب : المترادف .

رعى اللّه من عَمَّ البريةَ عدلُهُ فأُنْصِف مظلومٌ وأُومنَ خائفُ
له مِنَنٌ في حربِ خطبٍ معاطفٌ دماثٌ وفي صدرِ الخطوبِ عواطفُ

فكم داهل[1] هدته ـ نصر الله عزائمها ـ بعد الضلال، وحرّ استنقذته من حبائل الإقلال، ومرهق خَفَّفَتْ عنه وطأةَ الزمن المتثاقل، وطريقٍ[2] بَوَّأتْهُ من حَرَمِها أمنعَ المعاقل :

منازلُ عزٍّ لو يحلُّ ابن مزنةٍ[3] بها لسلا عما له من منازلِ
فيا صارماً يعطي وينسَى عطاءَهُ ولم نرَ سيفاً ذا وفاءٍ ونائلِ
يكادُ يفيضُ البرقُ من وجناته إذا ما أتاه سائلٌ بوسائلِ
إذا هو عرَّى سيفه من غموده وأفضى بفضفاضٍ من السَّرْدِ ذابلِ
وقد صبغ النقعُ النهارَ بصبغةٍ ترى ناصلاً منها بياضَ المناصلِ
رأيتَ متونَ الخيل تحملُ ضيغماً مريرَ مذاقِ الكيدِ حُلْوَ الشمائلِ
يلذُّ له طعنُ الكماةِ كأنما جرى الشَّنَبُ المعسول فوقَ العواسلِ[4]
وكم أخرست أطرافُها من غماغمٍ لأقرانه واستنطقتْ من ثواكلِ
من القوم لم تترك لهم عند كاشحٍ طوالُ ردينياتهم من طوائلِ
إذا ما سَرَوْا خلفَ العدوِّ وهجَّروا تظلَّلَ من أرماحهم في ظلائلِ
وما ذبلت يوماً خميلةُ عزةٍ إذا زرعتْ فيها كعوبُ الذوابلِ
أوائلُ مجدٍ لم يزل فاخراً بها تميمُ بن مرٍّ أو كليبُ بن وائلِ

ثم جاءته مناقب الحضرة العلية فتمَّ بها مناقبُ تميم ، وحكم لآل القعقاع أمْرُ حكيم ، ونصر لواءُ بني نصر ، وأبدرت أهلةُ بني بدر ، ونبه منبه هوازن ، وظهرت

(1) م : أهل ؛ وصوبته . والداهل : المتحير ، وربما كانت « ذاهل » .
(2) طريق هنا بمعنى مطروق : وهو الضعيف (ولعلها « وطريد ») .
(3) ابن مزنة : الهلال .
(4) العواسل : الرماح لأنها تعسل أي تهتز ؛ م : طعم الكماة (وصوّبه النشاشيبي) .

مزينة ومازن، وضحك لعبس عابسُ الدهر، وراحت الكملة[1] كاملةَ الفخر، وزادت مغايظُ الأزد ، وقشرت قشيراً عن بلوغ المجد ، وأغمدت سيوف بني غامد ، وصارت همدان كالجمر الهامد ، وعنسُ مذحج كالعُنْسِ[2] مذللة ، وحميرُ بالرايةِ الحمراءِ متظللة ، وطَوَتْ طيءٌ عملها استخذاء ، وغضت جفنةُ جفونَها استحياء ، فحرس الله محاسنَ الحضرة السامية التي جِباهُ الأنامِ بها موسومة ، وتمم نعمها التي هي بينها وبين الناس مقسومة . ولا زالت الدولةُ الفاطمية تحمد عزائمها التي شهدت لها بمداومة الكُفَاة ، وأنشرت من النصائح كلَّ رميمٍ رفات :

كأنك حين ضلَّ الناسُ عنها ... هُدِيتَ إلى رضى هادي الدعاة[3]
مزيلُ المالِ من مُلْكِ الاعادي ... وناظمُ شملِهِ بعد الشتات
سينطقُ بالثناء على عليٍّ ... وعترته المنابرُ صامتات
فقاد له إلى بغداد قُوداً ... تجلّى لحمها جنبَ الفرات
عليها كلّ داني الحلم ثبتٍ ... سفيه[4] السيف من بعد الثبات
كأنهمُ [وهم][5] لحم المنايا ... يفيدون الحياة من الممات

يسابقون إلى العدوّ الأعنة ، فتطعن عزائمهم قبل الأسنة ، ويقتدون بالحضرة السامية في خوض الرَّهج ، وإرخاصِ المهج ، وتحمّل الأعباء ، في موالاة أصحاب العباء[6] ؛ ولا سلب الله هذا الثغر وأهله ما وهب لهم من إنعامه الذي يتهافتُ إليهم متناسقاً ، ويعيد غصن مجدهم ناضراً باسقاً :

إذا ما قلى الناسُ السماحَ عشقتَهُ ... وأحسن من يسدي المكارمَ عاشقا

(1) الكملة جمع كامل وهم أولاد بنت الخرشب الأنمارية .
(2) العنس : النوق .
(3) م : الرعاة ، وصوبته .
(4) م : سيفه .
(5) زيادة لازمة .
(6) أصحاب العباء : آل الرسول .

حمى الله من كيدِ الزمان خلائقاً ... وسعتَ بها يا ابنَ الكرام خلائقا
إذا أظلموا كانت شموساً طوالعاً ... وان أجدبوا كانت غيوثاً دوافقا
وقد زار شهرُ الصوم رَبْعَكَ صابحاً ... له بأفاويقِ السعودِ وغابقا
تُنَوِّرُ بالقرآنِ أسداف ليله ... فيبيضُّ منها كلُّ ما كان غاسقا
تأرَّجُ من تقواك فيه لطائمٌ ... يظلُّ لها عرنينُ عامِكَ ناشقا
فعشْ أبداً ما شوهد الأفقُ أورقاً ... وراح قضيبُ الأيكِ أخضر وارقا[1]
إذا عُدَّ قومٌ للمعالي أخامصاً ... عددناك تيجاناً لها ومفارقا

ـ 353 ـ

الحسن بن محمد بن الحسن بن محمد بن حمدون أبو سعد بن أبي المعالي بن أبي سعد الكاتب : قد تقدَّم ذكر أبيه[2] صاحب الديوان بهاء الدين أبي المعالي وذكر عمه أبي نصر محمد بن الحسن كاتب الإنشاء . وكان أبو سعد هذا يلقب تاج الدين . مات أبو سعد هذا في حادي عشر محرم سنة ثمان وستمائة كما نذكره فيما بعد ، ومولده في صفر سنة سبع وأربعين وخمسمائة . وكان رحمه الله من الأدباء العلماء الذين شاهدناهم ، زكيَّ النفس ، طاهرَ الأخلاق ، عالي الهمة ، حسن الصورة ، مليح الشيبة ، ضخم الجثة ، كث اللحية طويلها ، طويل القامة ، نظيف اللبسة ، ظريف الشكل . وهو ممن صحبته فحمدت صحبته وشكرت أخلاقه ، وكان قد ولي عدة ولايات عاينتُ منها النظر في البيمارستان العضدي ، وكانت هيبته فيه ومكانته منه أعظمَ من مكانة أرباب الولايات الكبار ، لأن الناس يرونه بعين العلم

353 ـ ترجمته في مختصر ابن الدبيثي 2 : 23 وذيل الروضتين : 79 وعبر الذهبي 5 : 27 والوافي 12 : 221 وتكملة المنذري 2 : 220 وهو ابن مؤلف التذكرة الحمدونية ، وقد حققت منها ـ حتى كتابة هذه السطور ـ عدة أجزاء ، صدر منها جزءان . بيروت 1983 ـ 1984 .

(1) م : أورقا .

(2) بل سيأتي في المحمدين ، ولعل « تقدم » تشير إلى ما قبل الترتيب النهائي .

والبيت القديم في الرئاسة . ثم ولي عند الضرورة كتابةَ السكة بالديوان العزيز ببغداد ، يرزق برزقٍ مقداره عشرة دنانير في الشهر ، وسألته فقلت : من هو حمدون الذي تنسبون إليه ؟ أهو حمدون نديم المتوكل وَمَنْ بعده من الخلفاء ؟ فقال : لا نحن من آل سيف الدولة بن حمدان بن حمدون من بني تغلب ، هذا صورة لفظه .

وكان من المحبين للكتب واقتنائها ، والمبالغين في تحصيلها وشرائها ، وحصل له من أصولها المتقنة وأمهاتها المعينة ما لم يحصل لكثير أحد ، ثم تقاعد به الزمان[1] وبطل عن العمل ، فرأيته يخرجها ويبيعها وعيناه تذرفان الدموع عليها كالمفارق لأهله الاعزّاء ، والمفجوع بأحبابه الأودّاء ، فقلت له : هوِّنْ عليك ـ أدام اللّه أيامك ـ فإن الدهر ذو دُوَلٍ ، وقد يُصْحِبُ الزمان ويساعد ، وترجع دولة العز وتعاود ، فتستخلف ما هو أحسن منها وأجود ؛ فقال : حسبك يا بني هذه نتيجةُ خمسين سنة من العمر أنفقتها في تحصيلها، وهب أن المال يتيسر والعمر[2] يتأخر، وهيهات، فحينئذ لا أحصل من جمعها بعد ذلك إلا على الفراق الذي ليس بعده تلاق ، وأنشد بلسان الحال :

هبِ الدهر أرضاني وأعتبَ صرفُهُ ... وأعقب بالحسنى وفكَّ من الأسرِ
فمن لي بأيسام الشبابِ التي مَضَتْ ... ومن لي بما قد مرَّ في البؤس من عمري

ثم أدركته منيته ولم ينل أمنيته .

وكان حريصاً على العلم ، فجمع من أخبار العلماء ، وصنَّف من أخبار الشعراء ، وألف كتباً كان لا يجسر على إظهارها خوفاً مما طرق أباه مع شدة احتراز . وبالجملة فعاش في زمن سوء وخليفة غشوم جائر ، كان إذا تنفس خاف أن يكونَ على نفسه رقيب يؤدي به إلى العطب ، وهو كان آخرَ من بقي من هذا البيت القديم والركن الدعيم ، ولم يخلّف إلا ابنةً مزوجة من ابن الدوامي ، وما أظنها معقبةً أيضاً . وكان مع اغتباطه بالكتب ومنافسته ومناقشته فيها جواداً باعارتها ، ولقد قال لي يوماً ، وقد عجبت من مسارعته إلى إعارتها للطلبة : ما بخلتُ باعارة كتاب قط ولا أخذت عليه رهناً . ولا

(1) م : الدهر .
(2) م : والأجل .

أعلم أني مع ذلك فَقَدتُ كتاباً في عارية قط ، فقلت : الأعمال بالنيات ، وخلوص نيتك في إعارتها للّه حفظها عليك .

وكتب بخطه الرائق الكتب الكثيرة الكبار والصغار المروية ، وقابلها وصححها وسمعها على المشايخ ، فكان ممن لقي من المشايخ أبو بكر محمد بن عبيد الله الزاغوني والنقيب أبو جعفر أحمد بن محمد بن العباس المكي وأبو حامد محمد بن الربيع الغرناطي ، مغربيّ قدم عليهم ، وأبو المعالي محمد بن محمد بن اللحاس[1] العطار ووالده أبو المعالي ابن حمدون وأبو الفتح محمد بن عبد الباقي بن سليمان المعروف بابن البطي[2]، وجماعة بعدهم كثيرة: كابن كليب الحراني[3] وابن بوش[4] وغيرهم . وروى شيئاً من مسموعاته يسيراً . وكان مؤيد الدين محمد بن محمد القمي نائب الوزارة ببغداد قد خرج إلى ناحية خوزستان حيث عصى سنجر مملوك الخليفة بها حتى قبض عليه وعاد به وفي صحبته عز الدين نجاح الشرابي ، فخرج الناس لتلقيه عند عوده في محرم سنة ثمان وستمائة ، وكان تاج الدين في من خرج لتلقيه ، وكان عبلاً ترفاً معتاداً للدعة والراحة ، ملازماً لقعر داره وكان الحر شديداً والوقت صائفاً ، فلما انتهى إلى المدائن اشتدَّ عليه الحر وتكاثف حتى أفضى به إلى التلف ، فمات رحمه اللّه في الوقت المقدم ذكره بالمدائن ، بينه وبين بغداد سبعة فراسخ ، فحمل إلى بغداد ودفن بمقبرة موسى بن جعفر بباب التبن ، رحمه الله ورضي عنه .

---

(1) م : النحاس ؛ وهو أبو المعالي محمد بن محمد بن الجبان الحريمي العطار ، كان صالحاً ثقة ، وتوفي سنة 562 وعمره أربع وتسعون سنة (عبر الذهبي 4 : 179) .

(2) في الوافي : محمد بن أحمد بن البطي ؛ وهو خطأ ؛ وابن البطي هو أبو الفتح محمد بن عبد الباقي بن أحمد بن سليمان البغدادي مسند العراق ، توفي سنة 564 (عبر الذهبي 4 : 188) .

(3) هو مسند العراق أبو الفرج عبد المنعم بن عبد الوهاب الحراني الحنبلي، توفي سنة 596 (عبر الذهبي 4 : 293) .

(4) ابن بوش اسمه يحيى بن أسعد ، توفي سنة 593 (عبر الذهبي 4 : 283) .

ـ 354 ـ

الحسن بن محمد الصغاني النحوي: ويقال صاغان من بلاد ما وراء النهر: قدم العراق وحجَّ ثم دخل اليمن ونفق له بها سوق ، وكان وروده إلى عدن سنة عشر وستمائة. وله تصانيف في الأدب منها : تكملة العزيزي . وكتاب في التصريف . ومناسك الحج ختمه بأبيات قالها وهي :

شوقي الى الكعبةِ الغرَّاءِ قد زادا … فاستحملِ القُلُصَ الوخَّادةَ الزادا
أراقك الحنظل العاميُّ مُنْتَجَعاً … وغيرك انتجعَ السّعدان وارتادا[1]
أتعبتَ سَرْحَكَ حتى آض عن كَثَبٍ … نياقُها رزَّحاً والصعبُ منقادا
فاقطعْ علائقَ ما ترجوه من نَشَبٍ … واستودع اللّه أموالاً وأولادا

وكان يُقْرأ عليه بعدن « معالم السنن » للخطابي ، وكان معجباً بهذا الكتاب وبكلام مصنفه ويقول : إن الخطابيَّ جمع لهذا الكتاب جراميزه[2] . وقال لأصحابه : احفظوا غريب أبي عبيد القاسم بن سلام فمن حفظه ملك ألف دينار ، فإني حفظته فملكتها ، وأشرت على بعض أصحابي بحفظه فحفظه وملكها . وفي سنة ثلاث عشرة وستمائة كان بمكة وقد رجع من اليمن وهو آخر العهد به .

وكان الغالب عليه علم اللغة والأحاديث النبوية وصنف كتاباً في اللغة سماه

354 ـ ترجمة الصغاني في عبر الذهبي 5 : 205 والوافي 12 : 240 والفوات 1 : 358 والنجوم الزاهرة 7 : 26 ومرآة الجنان 4 : 121 وبغية الوعاة 1 : 519 والشذرات 5 : 250 والجواهر المضية 1 : 201 والعقد الثمين 4 : 176 وإشارة التعيين : 98 والبلغة : 63 والبدر الطالع 1 : 210 والفوائد البهية : 63 وقد رفعت بعض المصادر في نسبه فهو الحسن بن محمد بن الحسن بن حيدر بن علي الصغاني ولقبه رضي الدين وكنيته أبو الفضائل وهو قرشي عدوي عمري حنفي المذهب ؛ وهو مصنف مجمع البحرين والعباب الزاخر (وهذا الثاني طبعت منه أجزاء) وقال الذهبي إنه ولد بمدينة لوهور سنة 577 ونشأ بغزنة ودخل بغداد . . . وكانت وفاته سنة 650 وقد ذكر الصفدي عدداً كبيراً من مؤلفاته .

(1) م : والرادا ؛ والحنظل العاميّ : الذي أتى عليه عام .
(2) جمع له جراميزه : استعدّ له وشمر عن ساق .

« مجمع البحرين » جمع له فيه ما لم يجمع لأحد من أهل هذا العلم ، وله من الفضائل ما شاع وذاع وما نرى ذكر له شيء في ذلك[1] .

ـ 355 ـ

الحسن بن المظفر النيسابوري ، أبو علي : أديب نبيل شاعر مصنف ، ذكره أبو أحمد محمود بن أرسلان في « تاريخ خوارزم » فقال : مات أبو علي الحسن بن المظفر الأديب الضرير النيسابوري ثم الخوارزمي في الرابع من شهر رمضان سنة اثنتين وأربعين وأربعمائة ، وأثنى عليه ثناء طويلاً زعم فيه أنه كان مؤدب أهل خوارزم في عصره ومخرِّجهم وشاعرهم ومقدمهم والمشار إليه منهم ، وهو شيخ أبي القاسم الزمخشري[2] قبل أبي مضر ، وله نظم ونثر وتصانيف ، وذكر أن له ولداً اسمه عمر وكنيته أبو حفص أديب فقيه فاضل ، وله شعر منه :

سبحان من ليس في السماء ولا ... في الأرض ندٌّ له وأشباهُ
أحاط بالعالمين مقتدراً ... أشهدُ أن لا إله إلا هو
وخاتم المرسلين سيدنا ... أحمدُ ربُّ السماء سماهُ
أشرقتِ الأرضُ بعد بعثته ... وحصحصَ الحقُّ من محياهُ

ومات أبو حفص هذا في شعبان سنة اثنتين وثلاثين وخمسمائة .

ووجدت للحسن بن المظفر من التصانيف : كتاب تهذيب ديوان الأدب . وكتاب تهذيب إصلاح المنطق . وكتاب ذيله على تتمة اليتيمة لم أقف على اسمه . كتاب ديوان شعره مجلدتان . كتاب ديوان رسائله . كتاب محاسن من اسمه الحسن . كتاب زيادات أخبار خوارزم .

---

355 ـ ترجمته في الوافي 12 : 271 (ولم يذكره في نكت الهميان) وبغية الوعاة 1 : 526 .

(1) وكان الغالب . . . من ذلك : زيادة من (ر) .
(2) توفي ابن المظفر هذا قبل أن يولد الزمخشري بسنوات .

نقلت من الكتاب الذي وصل به « تتمة اليتيمة » وذكر فيه أشياء من شعره ورسائله ختم بها كتابه وهو أنه قال : الحسن بن المظفر النيسابوري مؤلف الكتاب نيسابوري المحتد خوارزمي المولد ، وممن كان عارفاً بنفسه غير مفتون بنظمه ونثره ، فإنه سلك طريق أبي منصور الثعالبي رحمه اللّه فيما أورده من شعره في آخر كتاب « تتمة اليتيمة » ، فأورد نبذاً مما يستحسن من كلامه ويستبدع من نظامه :

فمن نثره الساذج رقعة له : عرَّف الله الشيخ الرئيس بركةَ شهر رمضان ، ووفقه من طاعته لما يكتسب به العفو والغفران ، ولولا العذرُ الواقع من الوحول ، لقصدتُ مجلسه أعلاه اللّه بالتهنئة والتسليم ، وقضاء حقه العظيم ، هذا أدام اللّه تمكينه وعهدي به يعدّني من جملة عياله ، ويخصّني كلَّ وقت بأفضاله ، فليت شعري لم عدل إلى الفطام عن ذلك الانعام ؟ فإن كان نسيان فقد جاءه ذكري ، وإن كان هجران فحاشاه من هجري .

وله من أخرى : الشيخ يسترقُّ الأحرارَ بعوائد فضله وبواديه ، حتى لا حُرَّ بواديه[1] .

ومن نظمه :

أهلاً بعيشٍ كان جِدَّ مُواتِ ... أحيا من اللذات كلَّ مَواتِ
أيامَ سِرْبُ الأُنْسِ غيرُ منفَّرٍ ... والشملُ غيرُ مروَّعٍ بشتاتِ
عيشٌ تحسَّرَ ظلّه عنّا فما ... أبقى لنا شيئاً سوى الحسراتِ
ولقد سقاني الدهرُ ماءَ حياته ... والآن يسقيني دم الحيّاتِ
لهفي لأحرارٍ مُنيتُ بفقدهم[2] ... كانوا على غير الزمان ثقاتي
قد زالتِ البركاتُ عنّي كلُّها ... بزيالِ سيدنا أبي البركاتِ
ركن العلا والمجد والكرم الذي ... قد فات في الحَلَبات أيَّ فواتِ
فارقتُ طلعتَهُ المنيرةَ مكْرهاً ... فبقيتُ كالمحصورِ في الظلماتِ

(1) أخذه من المثل : لا حُرّ بوادي عوف .

(2) الوافي : ببعدهم .

أُضحي وأُمسي صاعداً زفراتي لفراقه متحدراً عبراتي

وأنشد فيه لنفسه :

جبينُكَ الشمسُ في الأضواءِ والقمرُ يمينكُ البحرُ في الإرواء والمطرُ
وظلُّكَ الحرمُ المحفوظُ ساكنُهُ وبابُكَ الركنُ للقصّاد والحجرُ
وَسَيْبُكَ الرزقُ مضمونٌ لكلِّ فمٍ وسيفك الأَجَلُ الجاري به القدرُ
أنت الهمام بل البدرُ التمام بل الـ ـسيفُ الحسام الهذام الصارمُ الذكرُ
وأنت غيثُ الأنامِ المستغاثُ به إذا أغارت على أبنائها الغيرُ

وأنشد لنفسه :

أريّا شمالٍ أم نسيمٌ من الصَّبا أتانا طروقاً أم خيالٌ لزينبا
أم الطالع المسعودُ طالعَ أرضنا فأطلع فيها للسعادة كوكبا(1)

قال أبو علي الضرير : رأيت ابن هودار في المنام بعد موته فقلت له : لقد تحوَّلْتَ من دار إلى دار ، فهل رأيت قراراً يا ابن هودار ؟ قال : فأجابني

لا بل وجدتُ عذاباً لا انقطاعَ له مدى الليالي ورباً غير غفّارِ
ومنزلاً مظلماً في قَعْرِ هاويةٍ قُرِنْتُ فيها بكفّارٍ وفجارِ
فقلْ لأهليَ موتوا مسلمين فما للكافرين لدى الباري سوى النارِ

ـ 356 ـ

الحسن بن ميمون النصري : أحد بني نصر بن قعين بن طريف بن أسد بن خزيمة ، روى عنه محمد بن النطاح ، وكان أخبارياً عارفاً . ذكره محمد بن إسحاق وقال : له من الكتب كتاب الدولة . كتاب المآثر .

356 ـ الوافي 12 : 281 (والاعتماد على الفهرست : 121) .

(1) م : للسعاد كواكبا .

ـ 357 ـ

الحسن بن وهب بن سعيد بن عمرو بن حصين بن قيس بن قنان[1] بن متى ، أبو علي الكاتب السديد العالم : ولي الولايات الجليلة ، وتقلد الأعمال النبيلة ، وكان يكتب أولاً لمحمد بن عبد الملك الزيات الوزير وولي ديوان الرسائل . وسليمان بن وهب الوزير هو أخوه . مات الحسن بن وهب في آخر أيام المتوكل بالشام وهو يتقلد البريد بنواحيها ومولده سنة ست وثمانين ومائة .

قال محمد بن إسحاق النديم[2] : كتب قنان بن متى جد الحسن ليزيد بن أبي سفيان أخي معاوية لما ولي الشام من قبل عمر بن الخطاب ، ثم كتب لأخيه معاوية بعده ، ثم وصله معاوية بابنه يزيد وفي أيامه مات ، فاستكتب يزيد ابنه قيس بن قنان ثم كتب قيس بعد يزيد لمروان بن الحكم ، ثم لابنه عبد الملك ، ثم لهشام بن عبد الملك ، وفي أيامه مات ، فاستكتب هشام ابنه الحصين بن قيس ثم استكتبه مَنْ بَعْدَه إلى أيام مروان ، وخرج معه إلى مصر ، فلما قتل مروان صار ابن هبيرة إلى المنصور وأخذ للحصين أماناً ، فخدم المنصور والمهديَّ ، وتوفي مع المهدي في طريق الريّ ، فاستكتب المهدي ابنه عمراً ، ثم كتب لخالد بن برمك ، ثم توفي وخلَّف سعيداً ، فما زال في خدمة آل برمك ، وتحرك ابنه وهب فكتب بين يدي جعفر بن يحيى ، ثم صار في جملة ذي الرياستين الفضل بن سهل ، فكان ذو الرياستين يقول : عجبت لمن معه وهب كيف لا تهمه نفسه ، فلما قتل الفضل استكتبه أخوه الحسن بن سهل بعده ، وقلَّده كرمان وفارس فأصلحها ، ثم وجَّه به إلى المأمون في رسالة من فم الصِّلْح ، فغرق في طريقه بين بغداد وفم الصلح ، وكتب ابنه

357 ـ ترجمة الحسن بن وهب في الفهرست: 136 والأغاني: 22، 533 ، والسمط: 506 وابن خلكان 2 : 15 ـ 18 ومصورة ابن عساكر 4 : 604 وتهذيب ابن عساكر 4 : 256 والوافي 12 : 297 والفوات 1 : 367 (ولم ترد في طبعة دار المأمون) .

(1) م : قيان .
(2) الفهرست : 136 .

سليمان بن وهب للمأمون وهو ابن أربع عشرة سنة ، ثم كتب لإيتاخ التركي ، ثم لأشناس التركي ، وكانا عظيمي القدر ، ثم ولي وزارة المعتمد على الله .

وللحسن ولسليمان ابني وهب شعرٌ مليح ورسائل بليغة مدونة ؛ قال المرزباني : بنو وهب أصلهم نصارى من خسرو سابور من أعمال واسط ، تعلقوا بنسب في اليمن في بني الحارث بن كعب ، وكان عبيد الله وابنه القاسم يدفعان ذلك . والحسن بن وهب هو القائل [في بنات جارية محمد بن حماد كاتب] راشد ، وغنّت عليها :

سأُكرمُ نفسي عنكِ حَسْبَ إهانتي لها فيكِ إن قَرَّتْ وَكَفَّ نزاعها[1]
هي النفسُ ما كلَّفْتِها قطُّ خطةً من [الأمر] إلا قلَّ عنها آمتناعها
صدقتِ لعمري أنتِ أكبر همِّها فما جهدها إذ قلَّ منكِ انتفاعها

وقال في رواية المرزباني أيضاً :

أما الفراقُ فحين جدَّ ترحلتْ مُهَجُ النفوس له عن الأجسادِ
من لم يبتْ والبين يَصْدَعُ قلبه لم يدرِ كيف تفتُّتُ الأكبادِ

قال بعضهم : مررتُ بقبر الحسن بن وهب بدمشق وعليه مكتوب[2] :

مقيمٌ بالمجازةِ من قَنَوْنا وأهلك بالأجيفر والثمادِ[3]
ألا فاصبر[4] فكلُّ فتى سيأتي عليه الموتُ يطرق أو يغادي

قال الصولي : كان من أول أمر الحسن بن وهب اتصاله بمحمد بن عبد الملك الزيات في آخر أيام المأمون ، وكان محمد يلي النفقات وغير ذلك ، ثم علا أمره في أيام المعتصم فكان لا يبرح من داره إلى أن وزر ابنُ عمار للمعتصم ، وكان محمد بن عبد الملك ينوب عنه ، وأمَّر محمد على الكتابة الحسن بن وهب .

(1) م : مراعها .
(2) البيتان لكثير ، ديوانه : 222 ومعجم البلدان 4 : 1007 والأغاني 12 : 173 - 174 .
(3) البيت في م : شديد الاضطراب .
(4) الديوان : فلا تبعد .

ولما نكب الواثق سليمانَ بن وهب ، كما هو مذكور في بابه ، قال الحسن بن وهب[1] :

خليليّ من عبد المدان تروَّحا ... ونُصّا صدورَ العيس حَسْرَى وطلّحا
فإن سليمانَ بن وهبٍ بمنزلٍ ... أصاب صميمَ القلب [مني فأقرحا]
أسائل عنه الحارِسَيْنِ بحبسه ... إذا ما أتوني [كيف أمسى وأصبحا]

وكتب إلى أخيه سليمان وهو بالحبس ، ونكبه الواثق[2] :

اصبر أبا أيوب صبراً يرتضى ... فإذا جزعت من الخطوب فمن لها
الله يُفْرِجُ بعد ضيق كربها ... ولعلها أن تنجلي ولعلها

وقال وقد رآني فارغاً من الهوى والشرب : نراك فارغاً في هذا اليوم، فقال: نعم ، ولذلك لا أعده من عمري :

إذا كان يومي غير يومِ مدامة ... ولا يوم فتيان فما هو من عمري
وإن كان معموراً بعود وقهوة ... فذلك مسروق لعمري من الدهرِ

وكان أشد الناس شغفاً ببنات جارية محمد بن حماد ، فجاءت يوماً إليه وهو مخمور ، فسلمت عليه وقبلت يده ، فأراد تقبيل يدها فارتعش فقال :

أقول وقد حاولت تقبيل كفها ... وبي رعدة أهتزّ منها وأسكنُ
فديتك إني أشجع الناس كلهم ... لدى الحرب إلا أنني عنك أجبن

وكان في أهل الحسن بن وهب عجوز اسمها منى ، فعذلته في بنات هذه ، فأحضرها مجلسه وسمعت غناءها ، فقال الحسن :

ويوم سها عنه الزمان فأصبحت ... نواظره قد حار عنها بصيرها
خلوت بمن أهوى به فتكاملت ... سعوداً ودار النحسَ عنها مديرها
أما تعذريني يا منى في صبابتي ... بمن وجهها كالشمس يلمع نورها

فقالت : لست أعاود لومك بعدها .

---

(1) الأغاني 22 : 537 ، (535) .
(2) ما سيجيء حتى آخر الترجمة مأخوذ عن المختصر .

وحدث أحمد بن سليمان بن وهب قال : رآني عمي الحسن وأنا أبكي لفراق بعض من ألفته ، فقال وجوّد :

آبكِ فما أنفعَ ما في البكا لأنه للوجد تسهيلُ
وهو إذا أنت تأملته حزن على الخدين محلولُ

وحدث أيضاً قال قال لي عمي في يوم غيم : اكتب إلى فلان فادعه ، فأطلت الخطاب ، فقال دع ذاك واكتب :

بحسن هذا الضباب وحرمة الأصحابِ
وطيب يوم التلاقي بطاعة الأحباب
إلّا أطعت رسولي وكنت أنت جوابي

وكتب الحسن إلى مالك بن طوق في حاجة : كتابي هذا بخطي بعد أن فرَّغت له ذهني ، فما ظنك بحاجة هذا موقعها مني ؟ فإن أحسنت لم أقصر في الشكر ، وإن قصرت لا أقبل العذر .

ولأحمد بن الدورقي يهجو الحسن بن وهب :

لا بدَّ يا نفسُ من سجودي للقرد في دولة القرودِ
هبت لك الريح يا ابن وهب فخذ لها أهبةَ الركود

وللحسن بن وهب :

بنفسي وأهلي فاتنُ الطرف فاتره محكمة أجفانه ومحاجرُهْ
يباشر خدي خده فكأنني بناظر أحشائي وقلبي أباشره

وقيل: كان على باب الحسن مسجد يصلى فيه أيام، فاتفق أن بنات التي كان يتعشقها جاءت إليه واشترطت عليه أن تمضي وقت صلاة عشاء الآخرة ، فكتب إلى الإمام :

قل لداعي الصلاة أخِّر قليلا قد قضينا حقَّ الصلاة طويلا
ليس في ساعة تؤخرها إثـ ـم يجازى بها وتحيي قتيلا
وتراعي حق المودة فينا وتعافى من أن تكون ثقيلا

فحلف أن لا يؤذن العتمة شهراً .

ـ 358 ـ

الحسن بن وهب الموصلايا ، أبو علي ، الكاتب المجرد النصراني : أصله من الموصل ، كاتب ديوان الإنشاء في أيام القائم والمعتمد ، وكان يكتب خطاً [يحكي] خطَّ أبي عبد اللّه ابن مقلة . مات سنة سبع وعشرين وأربعمائة .

ـ 359 ـ

الحسن بن يسار البصري : هو الحسن بن أبي الحسن البصري الفقيه القارىء العابد المشهور ، مات في سنة عشر ومائة ، وهو مولى أم سلمة ، يكنى أبا سعيد ، وكان مولده لسنتين خلتا من خلافة عمر رضي اللّه عنه ، فعمره ست وتسعون سنة . وقيل إنه كان من سبي ميسان ، سبي لما فتحها المغيرة بن شعبة في عهد عمر رضي اللّه عنه . وقيل إنَّ عَرْضَ زندِهِ كان شبراً . وكان يتكلم في شيء من القدر ثم رجع عنه ، وكان يأتيه أصحابه فيقولون له : يا أبا سعيد ، إن هؤلاء الملوك يسفكون دماءَ المسلمين ويأخذون الأموال ويقولون : إنما نجري على قدر اللّه عز وجل ، فيقول : كذبوا أعداء اللّه .

كان فصيحاً بليغاً زاهداً عابداً عالماً عاملاً واعظاً صادقاً قائلاً فاعلاً ، تؤخذ عنه فنون الشرع ، ويشبه رؤبة بن العجاج في فصاحة لهجته ، وكان أوحدَ زمانه في معناه .

وقيل ليونس : أتعرفُ أحداً يعمل مثلَ عملِ الحسن ؟ فقال : واللّه ما أعرف أحداً يقولُ مثلَ قوله فكيف يعملُ بعمله ؟!

وقال : كان إذا أقبل فكأنه أقبل من دفن حميمه ، وإذا جلس فكأنه أسيرٌ يُضْرَبُ

358 ـ ترجمة ابن الموصلايا من المختصر .

359 ـ ترجمة الحسن البصري في ابن خلكان 2 : 69 وحلية الأولياء 2 : 131 ـ 161 وطبقات ابن سعد 7 : 156 وذكر أخبار أصبهان 1 : 254 وطبقات الشيرازي : 68 والوافي 12 : 306 وطبقات الجزري 1 : 235 والشذرات 1 : 136 ، وأخباره وأقواله منثورة في كتب الأدب ، وانظر كتابي الحسن البصري (القاهرة 1952) وكتاب الحسن البصري مفسراً لأحمد البسيط (عمان 1985) والحسن البصري لمصلح بيومي (القاهرة 1980) وهذه الترجمة من المختصر .

عنقه ، وإذا ذُكِرَتْ له النار فكأنها لم تخلق إلا له ، وكان من فزعه قولُهُ الحقَّ عند من يخافُ شرَّه .

قيل : وكان الحسن ابن جارية لأمّ سلمة ، فكانت أم سلمة تبعث بأمه في الحاجة ، فتأخذه أم سلمة وترضعه ، فيرون أنْ تلك الحكمة إنما كانت من لبن أم سلمة .

قال الشيخ : أم سلمة هذه ليست أمَّ المؤمنين زوجةَ رسول اللّه ﷺ ، تلك أم سلمة بنت أمية بن المغيرة المخزومية ، وهذه أمّ سلمة بنت مطية بن عامر بن كعب بن سلمة ، كانت عند زيد بن ثابت .

قال حماد بن زيد : جالستُ الحسن أربع سنين فما سألته عن شيءٍ هيبةً له .

وقيل إنه أدرك من الصحابة مائة وثلاثين .

وكان بعض الأعراب يجالسُ الحسن ولا يسأله عن شيء ، فقال له يوماً : ما أراك تسأل شيئاً من أمر دينك ، فقال :

مهما جهلتُ فقد علمـــتُ بأنني عبدٌ أموتُ
والناسُ في طلب الغنى وغناؤهم في ما يفوتُ
شاءوا لغيرهم ونا دوا والقبورُ هي البيوتُ

فكان الحسن يتمثل بهذه الأبيات غدوةً وعشية .

قيل : كان بين الحسن البصري وبين ابن سيرين هجرة ، فكان إذا ذكر ابن سيرين يقول : دعونا من ذكر الحاكة ؛ وكان بعض أهل سيرين حائكاً . فرأى الحسن في منامه كأنما [هو] عريان قائماً على مزبلة يضربُ بالعود ، فأصبح مهموماً برؤياه، فقال لبعض أصحابه: امضِ إلى ابن سيرين فقصَّ عليه رؤياي على أنك أنت رأيتها، فدخل على ابن سيرين وذكر له الرؤيا ، فقال له ابن سيرين : قل لمن رأى هذه الرؤيا لا يُسْأَلُ الحاكةُ عن مثل هذا ، فأخبر الرجلُ الحسنَ بمقاله فعظم لديه وقال : قوموا بنا إليه ، فلما رآه ابن سيرين قام له وتصافحا وسلَّم كلُّ واحدٍ منهما على صاحبه وجلسا يتعاتبان ، فقال له الحسن : دعنا من هذا فقد شغلت الرؤيا قلبي ، فقال له ابن سيرين : لا تشغلْ قلبك فإن العري عريٌ من الدنيا ، ليس عليكَ منها عُلْقَةٌ ، وأما

المزبلةُ فهي الدنيا قد انكشفت لك أحوالها ، فأنت تراها كما هي في ذاتها ، وأما ضربُكَ العود فإنها الحكمة التي تتكلم بها وتنفعُ بها الناس . فقال له الحسن : فمن أين لك أني رأيت هذه الرؤيا ؟ قال ابن سيرين : لما قصَّها عليّ فكرتُ فلم أَرَ أحداً يصلحُ أن يكون رآها غيرك .

قيل : فَقَدَ أصحابُ الحسنِ الحسنَ فجعلوا يطلبونه حتى وجدوه جائياً من خارج البصرة فقالوا : يا أبا سعيد أين كنت فقد طال طلبنا لك ؟ فقال : كنت عند إخوانٍ لي جلستُ إليهم ، إن قمت عنهم لا يغتابوني ، وإن جلستُ إليهم ذكّروني ، قال : فنظرنا فإذا هو قد جاء من الجبانة .

وقيل له : فلانٌ في النزع ، قال : وما معنى النزع ؟ قالوا : خروجُ النفس ، قال : هو في هذا مُنْذُ خُلِقَ .

وكتب عمر بن عبد العزيز إلى الحسن أن عظني ، فكتب إليه : أما بعد فلو كان لك عمرُ نوحٍ وملكُ سليمانَ وتفنن إبراهيم وحكمةُ لقمان فإن وراءك عقبةً وهي الموت ، ومن ورائها داران إن أخطأتك هذه صرت إلى هذه ، والسلام .

وقيل إنه كان ممن خرج مع ابن الأشعث على الحجاج وولي معه .

وكتب للربيع بن زياد والي خراسان ، وكتب لأنس بن مالك بسابور .

- 360 -

الحسن بن يحيى بن أبي منصور المنجم : كان فاضلاً أديباً شاعراً ، مات في سنة تسع وتسعين ومائتين في أيام المقتدر ، لما مات أخوه علي بن يحيى رثاه ابن المعتز بقصيدة ، فكتب الحسن إلى ابن المعتز : قرأتُ لك يا مولاي شعراً رثيتَ به وليَّكَ المحبَّ لك القائل بفضلك ، أخي ، فبعثني استحسانه على أن أجيبَ عنه بجوابٍ إن قصَّرت فيه فلم تقصّر نيتي ومحبتي وإخلاصي ، وقد كتبتُ به إليك آخر كتابي هذا ، واجترأت على إجابتك ثقةً بفضلك أن لا تصرف عيباً إن أتى به وليّك إلا إلى الذي هو أجمل ، وهو :

---

360 ـ هذه الترجمة من المختصر ولم ترد في م .

لا قطعتَ الأيامَ إلا بعيشٍ ترتضيه ونعمةٍ وسرورِ
وأطال الاله عمرك للعلـ ـم وطلّابِهِ وجبرِ الكسيرِ
يا ضياءً ذلَّتْ له الشمسُ والبد ر ونَوراً أوفى على كلِّ نورِ
يا جمال الدنيا ويا زينةَ الـ ـمُلْكِ ومفتاحَ كلِّ أمرٍ عسيرِ
يا كريماً يفوقُ كلَّ كريمٍ وجواداً يَفيضُ فَيْضَ البحورِ
قد نظمتَ الأبيات نظمَ مجيدٍ ونسجتَ القريضَ نَسْجَ قديرِ
ورثيتَ الميْتَ الذي كان في ودّ ك مستبصراً صحيحَ الضميرِ
قائلاً بالذي يقولُ به الـ أحرار من بثِّ فضلك المشكورِ
ناصحَ الجيبِ صادعاً فيك بالحـ ـقِّ بمدحٍ محبَّرٍ مشهورِ
أينما كنتَ فهو منكَ قريبٌ في مقامٍ أزمعته أو مسيرِ
لا تبالي إذا بقيتَ سليماً أن تُرَى في جوارِ أهل القبورِ
وقليلٌ لك المديحُ وأن نـ ـدعو لك الله بالبقا والحبورِ
وتكونَ النفوسُ منا فدا نَفْـ ـسكَ من كلِّ حادثٍ محذورِ

فكتب إليه ابن المعتز :

لئن جذَّ منه الموت فرعَ أراكةٍ فمزق ظلَّ الودِّ منه فعرَّاني
لقد نُشِرَتْ أوراقُ آخر بعده عليَّ فعاد الظلُّ منه فغطاني

ومن شعر الحسن بن يحيى :

رأيت الهلالَ على وجهه فلم أدرِ أيهما أنورُ
سوى أن ذاك بعيدُ المزارِ وهذا قريبٌ لمن ينظرُ
وذاك يغيبُ وذا حاضرٌ وما مَنْ يغيبُ كمن يحضرُ
ونفعُ الهلالِ قليلٌ لنا ونفعُ الحبيبِ لنا أكثرُ

* * *

- 361 -

الحسن بن يعقوب بن أحمد بن محمد أبو بكر الأديب ابن الأديب : كان أستاذَ أهلِ نيسابور في عصره . كان عالماً في الاعتزال داعياً إلى الشيعة . رأيت شيئاً من خطه وصورةَ سماع تاريخه سنة سبع عشرة وخمسمائة وفيها مات .

- 362 -

الحسن بن أبي المعالي بن مسعود بن الحسين أبو علي الحلّي المعروف بابن الباقلاني النحوي : ولد سنة ثمان وستين وخمسمائة ، وهو أحد أئمة العربية في العصر ، سمع من أبي الفرج أبن كليب وغيره ، وقرأ العربية على أبي البقاءِ العكبريّ ، واللغةَ على أبي محمد ابن المأمون(1) ، وقرأ الكلامَ والحكمةَ على الامام نصير الدين الطوسي(2) ، وانتهت إليه الرياسة في هذه الفنون وفي علم النحو ، وأخذ فقه الحنفية عن أبي المحاسن يوسف بن إسماعيل اللمغاني(3) الحنفي ، ثم انتقل إلى مذهب الإمام الشافعي ، وكان ذا فهمٍ ثاقبٍ وذكاءٍ وحرصٍ على العلم ، وكان كثيرَ المحفوظ ، وكتب الكثير بخطه ، ذا وقارٍ مع التواضع ولينِ الجانب ، لقيته ببغداد سنة ثلاث وستمائة وكان آخرَ العهد به .

361 ـ ترجمته في الوافي 12 : 308 ولسان الميزان 2 : 259 وما أثبته هنا نص المختصر ، والترجمة موجزة ، ولكن الصفدي لم يصرّح بنقله عن ياقوت ، وإنما نقل عن دمية القصر ، ولذلك لم أغير في نص المختصر .

362 ـ ترجمته في تلخيص مجمع الالقاب 4/3 : 151 والوافي 12 : 273 والجواهر المضية 1 : 205 وبغية الوعاة 1 : 526 وفيه « الحسن بن معالي » وكانت وفاته سنة 637 ؛ وفي ابن الفوطي أنه توفي سنة 683 والأغلب أن هذا ابن المترجم هنا .

(1) هو أبو محمد عبد الله بن أحمد بن المأمون .

(2) في الوافي أنه قرأ الكلام على النصير الطوسي وقرأ الحكمة على المسعودي غلام عمر بن سهلان الساوي .

(3) م : الدامغاني ؛ الوافي : اللامغاني .

ـ 363 ـ

أبو الحسن البوراني النحوي : ذكره محمد بن إسحاق[1] في نحاة المعتزلة ووصفه بالتدقيق في مسائل الكتاب لسيبويه ، وكان من طبقة أبي علي الفارسي .

ـ 364 ـ

الحسين بن إبراهيم بن أحمد النطنزي أبو عبد الله النحوي اللغوي : منسوب إلى نَطَنْزَةَ ، بليدٍ بنواحي أصبهان ، مات سنة سبع[2] وتسعين وأربعمائة ، وكان يلقب بذي اللسانين ، قرأ عليه أبو سعد السمعاني ، وأنشد من شعره :

قالوا يزورك أحمدٌ وتزورُهُ ... قلتُ الفضائلُ لا تفارقُ منزلَهْ
إن زارني فبفضله أو زرته ... فلفضلِهِ فالفضلُ في الحالين لَهْ

وله :

أيا لَهْفي على زمنِ التصابي ... إذ الرشأُ الرشيقُ لنا عشيقُ
وغصنُ شبابنا غضّ وريقٌ ... ونقلُ شرابنا عضٌّ وريقُ[3]

ـ 365 ـ

الحسين بن إبراهيم بن خطاب أبو عبد الله : أحدُ العلماء البلغاء الفضلاء

363 ـ ترجمته في بغية الوعاة 1 : 527 .

364 ـ ترجمة النطنزي في إنباه الرواة 1 : 320 والأنساب واللباب (النطنزي) والوافي 12 : 319 وبغية الوعاة 1 : 528 وهذه الترجمة من المختصر ، وأورد له في الوافي عدداً غير قليل من المقطعات .

365 ـ ترجمته في الوافي 12 : 316 وسير الذهبي 20 : 295 ولسان الميزان 2 : 272 وذكر الصفدي أنه كان صاحب الخبر بالديوان الزمامي وكان كاتباً حاذقاً ؛ أنشأ احدى وخمسين مقامة حاكى بها بديع الزمان وصنف كتاب « جوامع الانشاء » وكان يلقب « خطير الدولة » . وقد سقطت هذه الترجمة من م ووردت في المختصر .

(1) لم أعثر على ذكر له في الفهرست .
(2) الوافي : تسع .
(3) الشطران معكوسان في الوافي .

الثقلاء[1]. بغداديُّ الأصلِ والمنشأ، قرأ الأدبَ على أبي زكريا يحيى بن علي التبريزي وتخرَّج به، وسمع مصنفاتِهِ. مات سنة اثنتين وخمسين وخمسمائة.

ـ 366 ـ

الحسين بن أحمد بن محمد السلامي أبو علي البيهقي الحواري، الأديبُ المؤرِّخ: مات في سنة ثلاثمائة، وهو من تلاميذ إبراهيم بن محمد البيهقي، وكان أبو بكر الخوارزمي من تلاميذه. فمن شعره من قصيدة:

لهفي على عُمُرٍ أفْنَيْتُهُ هَدَراً ... في خدمةٍ لكَ لم أكسبْ به غُنُما
ما اعتضتُ من طول أيامي التي سَلَفَتْ ... في صحبتي لك إلا الخُسْرَ والندما
لأجشمنَّ اختراقَ الأرضِ ذا خَبَبٍ ... يشجُّ بي في بعادي دونك الأكما
محوِّلاً عنكَ آمالي برمَّتها ... مستغنياً بعطاءِ اللّه معتصما
حتى يهيِّءَ ربُّ العرشِ لي سبباً ... في حين لا ذلة أخشى ولا غُرُما
فالحرُّ يبذلُ دون الذلِّ مهجتَهُ ... والعبدُ يخنعُ مهما ضيم واهْتُضِما
الله يُعْقبُ من يرجوه خيرَ غنىً ... واللّه أعون ذي نصرٍ لمن ظُلما

ومن أبيات:

فراقكمُ أبقى بقلبي حرارةً ... وضاق بها عنّي مقامي ومقعدي
وكيف يطيبُ العيشُ لي في مغيبكم ... وأنتم مُنَى نفسي وغايةُ مقصدي

ورد أبو القاسم جعفر بن الحسين الأُطروش العلوي الملقب بالناصر جرجان مستولياً عليها، وكان أديباً شاعراً خطيباً ومعه ابن أبي دهمان الأديب، فقال ابن أبي

366 ـ ترجمة السلامي هذه من المختصر؛ وأرجح أنه أبو علي السلامي الذي ترجم له الثعالبي في اليتيمة 4: 95 فهو بيهقي وهو مؤرخ وله كتاب في أخبار ولاة خراسان.

(1) كذا، ولعلها النبلاء.

دهمان يوماً للسلامي : إن الناصر مائلٌ إليك مقرِّبٌ لك فَضْلَ تقريب ، فأهدِ إليه من قولك هديةً تكونُ لكَ عنده تحية ، فأنفذ إليه السلامي بهذين البيتين :

شكا الدينُ والجودُ حاليهما فأشكاهما اللّه بالناصرِ
فأيَّدَ ركنَ الهدى بالتقى وعمَّ الورى بالندى الغامرِ

فلما دخل السلاميّ من الغد إلى أبي القاسم قال : قد حملوا إليَّ هديتك وتحيتك ، ووجدت حروفها قليلةً جامعة ، ومعانيها جليلةً رائعة ، كالجوهر الخفيف وزنُهُ الغالي ثمنه ، فَبِرُّكَ بها عندنا مقبول ، وَحَبْلُكَ موصول ، وذمامك محفوظ . فقال السلامي : إيهاً أيها السيد ، قد زينتَ تلك الهديةَ بجميل وصفك ، وشهَّرتها بلطيف رصفك ، وأعطيتني بها غايةَ الأعطية ، وحبوتني بها نهايةَ الأَحبية ، فما ربح أحدٌ من مُتَحَلِّي[1] هذه الصناعة ما ربحتُهُ على هذه الصناعة ، فعملٌ مبرور ، وسعي مشكور ، فأنا بحسن العوضِ مغمور ، وبكريم المثوبةِ مبهور ، فالتفت أبو القاسم إلى من حضره وقال :

لا يكملُ الفضلُ للمذكورِ بالحسب إلا بزينةِ فضلِ العلمِ والأدبِ

ـ 367 ـ

الحسين بن أحمد بن خالويه بن حمدان أبو عبد اللّه اللغوي النحوي : من كبار أهل اللغة والعربية أصله من همذان ، ودخل بغداد طالباً للعلم سنة أربع عشرة

367 ـ ترجمة ابن خالويه في الفهرست: 92 وإنباه الرواة 1 : 324 (وفيه الحسين بن محمد) ويتيمة الدهر 1 : 107 ونزهة الألباء: 214 وابن خلكان 2 : 178 وطبقات ابن الجزري 1 : 237 وعبر الذهبي 2 : 356 والبداية والنهاية 11 : 297 والوافي 12 : 323 وبغية الوعاة 1 : 529 ولسان الميزان 2 : 267 ومرآة الجنان 2 : 394 وطبقات السبكي 3 : 269 والشذرات 3 : 71 وطبقات الداودي 1 : 148 والنجوم الزاهرة 4 : 139 وروضات الجنات 3 : 152 وقد أضاف المختصر زيادات كثيرة إلى الترجمة التي وردت في الأصل .

(1) ر : مستحلي .

وثلاثمائة فلقي فيها أكابر العلماء وأخذ عنهم ، فقرأ القرآن على الإمام ابن مجاهد ، والنحو والأدبَ على أبي بكر ابن دريد وأبي بكر ابن الأنباري ونفطويه، وأخذ اللغة عن أبي عمر الزاهد ، وسمع من محمد بن مخلد العطار وغيره ، وقرأ على أبي سعيد السيرافي وأخذ عنه المعافى بن زكريا النهرواني وآخرون ، وانتقل إلى الشام ثم إلى حلب فاستوطنها ونفق بها سوقه وتقدم في العلوم حتى كان أحدَ أفرادِ عصره ، وكانت الرحلةُ إليه من الآفاق ، واختصَّ بسيف الدولة بن حمدان فحظي لديه ونفق عليه وأفضلَ عليه أفضالاً ، وعاش في بلهنية إلى أن مات في سنة احدى وسبعين وثلاثمائة، وقرأ عليه آل حمدان وكانوا يجلونه ويكرمونه فانتشر علمه وفضله وذاع صيته ، وله مع أبي الطيب المتنبي مناظرات .

ودخل يوماً على سيف الدولة فلما مثل بين يديه قال له : اقعد ولم يقل اجلس ، قال ابن خالويه : فعلمتُ بذلك اعتلاقَهُ بأهداب الأدب ، واطّلاعه على أسرار كلام العرب .(قلت: قال ابن خالويه هذا لانه يقال للقائم اقعد وللنائم والساجد اجلس) .

وقال أبو عمرو الداني في « طبقات القراء » : كان ابن خالويه عالماً بالعربية حافظاً للغة بصيراً بالقراءة ثقة مشهوراً روى عنه غير واحد من شيوخنا : عبد المنعم بن غلبون والحسن بن سليمان وغيرهما .

وروي أنَّ رجلا جاء إلى ابن خالويه وقال له أريد أن أتعلَّم من العربية ما أقيم به لساني فقال : أنا منذ خمسين سنة أتعلم النحو فما تعلمت ما أقيم به لساني .

وذكر ابن خالويه في « أماليه »[1] أن سيف الدولة سأل جماعة من العلماء بحضرته ذاتَ ليلةٍ : هل تعرفون اسماً ممدوداً وجمعه مقصور فقالوا لا ، فقال لي : ما تقولُ أنت ؟ قلت : أنا أعرف اسمين ، قال : ما هما ؟ قلت : لا أقول لك إلا بألف درهم لئلا تؤخذ بلا شكر وهما صحراء وصحارى وعذراء وعذارى .

وقال : سمعت ابنَ الأنباري يقول : اللئيم الراضع الذي يتخلّل ويأكل خلاله .

وقال : حدثنا نفطويه عن أبي الجهم عن الفراء أنه سمع أعرابياً يقول : قضتْ

---

(1) ينقل ابن العديم عن أمالي ابن خالويه في أماكن مختلفة من بغية الطلب ، وقد وردت هذه القصة في 1 : 24 .

علينا السلطان ، قلت : السلطان يذكر ويؤنث والتذكير أعلى ، ومن أنثه ذهب به إلى الحجة .

وحكى عن أبي عمر الزاهد أنه قال في معنى قوله ﷺ : « إذا أكلتم فرازموا » أي افصلوا بين اللقمة والطعام باسم اللّه تعالى .

وحكى عنه أبو بكر الخوارزمي وهو من تلامذته أنه قال : كل عطر مائع فهو الملاب ، وكل عطر يابس فهو الكباء ، وكل عطر يدق فهو الألَنْجُوج . وكان إذا تكلم قصد التقعيرَ في كلامه ، واستعمل وحشيَّ اللغة : وجدت على ظهر كتاب بإسناد مرفوع إلى أحمد بن كاشقر قال : جئت أبا عبد اللّه ابن خالويه فلما نظرني من بعيد قال لي : ما تبغي من علومنا نحواً أم لغة ؟ فقلت : لا أُخْرَمُ شيئاً ، فقال : اجعل خُنْدورَتَكَ في قَهْبَلي ، وخذِ المزبرَ بشناترك ، فلا أنغو بنغوة إلا جعلتها في حَمَاطةِ جُلْجلانك، ونحِّ الكَنْفَشَة على الحُذُنّة، واجعل اللَّمَصَ في العرين[1]، واشرب ثم اشرب . فقلنا : إن رأى الأستاذ ، أيده اللّه ، أن يأمر غلامه بإسراج الشمعة فقد ادلهمَّ النهار فاندفع ، فقال[2] : حدثنا أبو العباس الأزرق قال : جئت الشافعي رحمة اللّه عليه ، فقلت له : يا أبا عبد اللّه تتحقق هذا الفقه فتأخذ الجوائز عليه ، والأرزاق السنية ، ونحن ، فليس لنا إلا هذا الشعر وقد جئت تداخلنا فيه، والآن جئتك بأبيات قلتها إن أجزتها ببيت من الشعر فلك الحكم ، وإن عجزت عنها تتوب . فقال لي الشافعي : إيه ، قال أبو العباس : فأنشدته :

ما همتي إلا مقارعَة العدا ... خَلُق الزمانُ وهمتي لم تَخْلَقِ
والناسُ أعينُهُمْ إلى سَلَب الغنى ... لا يسألونَ عن الحجى والأَوْلَقِ
لكنَّ من رزق الحجى حُرِمَ الغنى ... ضدان مفترقان أيَّ تفرّقِ
لو كان بالحيل الغنى لوجدتني ... بنجوم أقطار السماء تعلقي

فقال الشافعي ، رضي اللّه عنه : ألا قلت كما أقول ارتجالاً :

---

(1) كذا ورد ؛ ولعله : العُرْش .

(2) القصة (بإيجاز) والشعر في طبقات السبكي 1 : 304 ـ 305 وفيه عياش الأزرق . وانظر ديوان الشافعي (يكن) : 132 ـ 133 ومناقب الشافعي : 198 .

إن الـذي رُزِقَ اليسارَ ولم يُصِبْ حمْـداً ولا أجـراً لغيـرُ مـوفَّقِ
فـالجدُّ يـدني كلَّ أمـرٍ شـاسـعٍ والجـدُّ يفتـح كـلَّ بـابٍ مغلقِ
فـإذا سمعتَ بـأن مجـدوداً أتى عـوداً فـأورق في يـديـه فصدِّقِ
ومتى سمعتَ بأن مجدوداً حـوى مـاءً ليشـربـه فغـاضَ فحـقِّقِ
ومن الدليل على القضـاءِ وكونـه بؤسُ اللبيب وطيبُ عيشِ الأحمقِ

تفسيـر غريب هـذه الحكايـة : الحندورتـان : العينان . والقهبـل : الوجـه . والمزبر : القلم . والشناتر : الأصابع . ولا أنغو نغوة : أي لا ألفظ بلفظة إلا جعلتها في حماطة جلجلانك : يعني في سويداء قلبك . والكنفشة : العمامة . والحُذُنّة : الأذن . واللمَصُ : الفـالوذ . والعـرين : اللهوات . وآشـرب : احفظ . واشرب : اجعله في وعاء .

قيـل : حضر المتنبي مجلسَ أبي علي الحسن بن نصـر البازيـار وزيـر سيف الدولة ، وهناك ابن خالـويه ، فتمـاريا في أشجـع السلمي وأبي نواس ، فقـال ابن خالويه : أشجع أشعر إذ قال في هارون الرشيد[1] :

وعلى عـدوِّكَ يا ابن عمِّ محمـدٍ رَصَـدانِ ضوءُ الصبـح والإظـلامُ
فـإذا تـنبّـه رُعْـتَـهُ وإذا غـفـا سَلَّتْ عليـه سيوفَـكَ الأحـلامُ

فقال المتنبي : لأبي نواس ما هو أحسن من هذا ، قولُه في آل برمك[2] :

لـم يـظلم الـدهـرُ إذ تـوالتْ فـيـهـم مـصـيـبـاتُـهُ دراكـا
كـانـوا يجيـرون مـن يُعـادي مـنـه فـعـاداهـمُ لـذاكـا

ثم قال المتنبي : أبو نواس أشهر في الدنيا من الدنيا :

قـل لـلذي قـاس بـه غيـره أَقِسْتَ يُسـراكَ إلى اليـمنـى
فـابكِ على عقلك من نقصِـهِ بكـاءَ قيسٍ مـن هـوى لبنـى

نقلتُ من خطّ ابن خالويه في نسخة كتاب كتبه إلى سيف الدولة يخبره بما يقرىء ولديه : أبا المكارم وأبا المعالي ، قال في أثنائه : فإن قيل لنا كيف صرّفت الفعل من

(1) انظر اشجع السلمي : 253 .
(2) لم أجدهما في ديوان أبي نواس .

بسم اللّه ، والأسماء لا تتصرف حيث قلت :

لقـد بَسْمَلَتْ ليلى غـداةَ لقيتُهـا فيـا حبذا ذاك الحبيبُ المبسمـلُ

فالجوابُ أنَّ العربَ فعلتْ ذلك في سبع كلماتٍ شذَّتْ وكثر استعمالهم إياهن ، وهن : بَسْمَلَ إذا قال : بسم اللّه ، وحمْدَلَ إذا قال : الحمد للّه ، وحيْعل إذا قال : حيَّ على الفلاح ، وجعْفل إذا قال : جُعِلْتُ فداك ، وحَوْلَقَ : إذا قال : لا حول ولا قوة إلا باللّه . وأما حوقل الشيخ فمعنـاه دنا للفنـاءِ إذا ادرهمَّ(1) وخرف وصـار هِمّاً إنقحلا(2) ونيّف على المائة شررى قال الراجز :

يـا قـومُ قـد حَـوْقَلْتُ أو دنــوتُ

والحرف السابع : هيْلل إذا قال : لا إله إلا اللّه ، لا ثامنَ لها .

قال المؤلف ، رفق اللّه به : الذي ذكره ابن خالويه سبْعة ، ونسي الثامن وهو حسْبَلَ إذا قال : حَسْبُنا اللّه .

وفي الخبر المنقول من خطّه ما يدلُّ على أن ابن خالويه جاوز المائة من عمره ، واللّه أعلم .

ومما مُدِحَ به ابن خالويه :

إن غـابَ عنّـا شخصُ سيبـويـهِ وثـعـلـبٍ أو فـادَ نـفـطويـهِ
فنحن نَغْنَى بـابـن خـالـويـه زمـامُ هـذا الأمـرِ في يـديـهِ
ومـرجـعُ الـحكـمُ بـنـا إلـيـه أُثـني بـمـا أعلمـه عـليـهِ

وكتب إلى سيف الدولة في أول رقعة :

أصبحتَ كـالوالـد البرِّ الـرحيم بنا وهـل يخافُ جفـاءَ الوالـد الـولـدُ
يا غرةَ الدين إنَّ الناسَ قـد علموا أنْ لا يـقـومُ بهـم إلا بـكَ الأودُ
لولا تراث [من الإسـلام] وسطهمُ لكفّـروا لك معـذورين أو سجـدوا

قال كمال الدين أبو القاسم عمـر بن أحمد بن هبة اللّه بن أبي جرادة أدام اللّه علوه : وجدت بخطٍّ بعض أصحاب ابن خالويه على جزء ، وعليه خطه : سأل سيفُ

(1) ادرهمَّ : سقط من الكبر .

(2) انقحلا : يبس ، وفي الأصل : انحلا .

الدولة جماعةً من العلماء بحضرته ذاتَ ليلةٍ : هل تعرفون اسماً ممدوداً وجمعه مقصور ؟ فقالوا : لا . فقال : يا ابنَ خالويه ، ما تقولُ أنت ؟ فقال : أنا أعرف اسمين [ممدودين] وجمعهما مقصور . قال : ما هما ؟ قال : صحراء وصحارى وعذراء وعذارى . فلما كان بعد شهر كتبتُ إليه : إني قد أصبتُ حرفين آخرين ذكرهما الجرمي في كتاب [التثنية والجمع] وهما صَلْفَاءُ وصلافى، وهي الأرض الغليظة، وخبراء وخَبَارى ، وهي أرض فيها ندوة . فلما كان بعد عشرين سنة من هذا الحديث : أمليتُ هذه الأحرف على أبي القاسم العقيقي ، أيده الله ، فلما مضي إلى دمشق كتبتُ إليه : إنه بإقبال الشريف ويمنه لما استعبر[ت] هذه الأحرف وجدتُ حرفاً خامساً ذكره ابن دريد في « الجمهرة » وهو سبتاء وسباتى وهي الأرض الخشنة[1] .

ومن شعر ابن دريد يصف برد همذان[2] :

إذا همذانُ اعتادها القرُّ وانثنى ... برغمك أيلولٌ وأنت مقيمُ
فعينُك عمشاءٌ وأنفكَ سائلٌ ... ووجهك مسودُّ البياضِ بهيمُ
وأنت أسيرُ البردِ تمشي تعلةً ... على [الأَيْن] تحبو مرةً وتقومُ
بلادٌ إذا ما الصيفُ أقبل جَنَّةٌ ... ولكنها عند الشتاءِ جحيمُ

قرأت بخط ابن خالويه نسخة كتاب إلى سيف الدولة : ذكْر الله أكبر ، والشعر أحقر وأصغر ، وثناءُ الله أسنى وأشرف ، وبقاؤه أولى وأطرف ، ومديح مولانا سُنَّةٌ بل واجب فرض :

مَلِكٌ كأنّ الله قبلَ كتابه ... أعطاه مما شاءَ فوقَ مرادِهِ
أحيا الندى كرماً ونفَّق محسناً ... بالجودِ سُوقَ العلم بعد كسادِهِ
وسما بهمَّتِهِ التي لو أنها ... للصبح ما انتفعَ الدجى بسوادِهِ
فالدهرُ حين يصولُ من خُدّامه ... والبدرُ حين يلوحُ من حسّادِهِ
ألفَ الثناءَ فما يقرّ نداهُ مِنْ ... إتهامِهِ في الأرضِ أو إنجادِهِ

(1) انظر كتاب « ليس » : 131 .

(2) لا معنى لورود شعر ابن دريد هنا إلا أن يكون مما رواه ابن خالويه ولم ترد الابيات في ديوان ابن دريد (جمع ابن سالم) أو لعله أراد ابن خالويه فوهم .

والمجدُ ليس يصونُ طارفَهُ امرؤٌ ما لم يُهِنْ بالجود عزَّ تلادهِ
من لم ينلْ رُتَبَ العلاء لنفسه لم يعلم الميراثَ من أجدادهِ
أعطى فخلنا الغيثَ من سؤّاله وسطا فقلنا الموتُ من أنجادهِ
هو غايةُ الأمل الذي ما خلفه طلبٌ لطالبه ولا مُرْتادهِ
فإذا دهيتَ من الزمان فَوَالِهِ وإذا سئمتَ من الزمانِ فَعَادِهِ

ولابن خالويه من التصانيف كتاب أسماء الأسد ، ذكر له فيه خمسمائة اسم . وكتاب إعراب ثلاثين سورة[1] . وكتاب البديع في القراءات[2] . وكتاب اشتقاق خالويه . وكتاب ليس وهو كتاب جيد نفيس[3] يدل على سعة علم مؤلفه ، وذاك أنه يقول : ليس في كلام العرب على مثال كذا إلا كذا ، وهذا تحكم عظيم . وكتاب الاشتقاق. وكتاب الجمل في النحو. وكتاب أطرغش وأبرعش. وكتاب في القراءات[4] . وكتاب المبتدأ . وكتاب المقصور والممدود . وكتاب المذكر والمؤنث . وكتاب شرح مقصورة ابن دريد. وكتاب شرح السبع الطوال. وكتاب الألفات . وكتاب الآل ، ذكر في أوله ان الآل ينقسم إلى خمسة وعشرين قسماً وذكر فيه الأئمة الاثني عشر ومواليدهم ووفياتهم. وكتاب في غريب القرآن قيل إنه صنّف في خمس عشرة سنة. وكتاب ديوان أبي فراس ابن حمدان جمعه وذكر فيه جملة من أخباره وفسر أشعاره[5] . وكتاب الأفق فيما تلحن فيه العامة . وكتاب شرح الفصيح ، وغير ذلك[6] .

---

(1) ظهر عن مطبعة دار الكتب سنة 1941 .

(2) نشر منه « مختصر في شواذ القرآن » بعناية برجشترامر ، مصر 1934 ، وقد نقل ابن العديم خاتمة هذا الكتاب في بغية الطلب 4 : 259 .

(3) لعلّ آخر تحقيق له تمّ على يد أحمد عبد الغفور عطار ، مكة المكرمة 1979 وقد تعقب هذه الطبعة د. محمود جاسم محمد الدرويش في كتابه : ابن خالويه وجهوده في اللغة (بغداد) ص 39 ـ 80 .

(4) لعله « الحجة » حققه د. عبد العال سالم مكرم (بيروت 1977) .

(5) ورد بعض هذا الشرح في الطبعة التي أصدرها الدكتور سامي الدهان رحمه الله ، وفي نقول ابن العديم زيادات عما ورد في تلك الطبعة .

(6) حقق الدكتور محمود جاسم محمد الدرويش لابن خالويه شرح مقصورة ابن دريد في كتابه « ابن خالويه وجهوده في اللغة » .

ومن شعره :

الجودُ طبعي ولكنْ ليس لي مالُ فكيف يبذلُ من بالقرض يحتالُ
فهاك خطّي فخذه اليومَ تذكرةً إلى اتساعي فلي في الغيبِ آمالُ

وقال :

إذا لم يكن صَدْرُ المجالسِ سيداً فلا خيرَ في من صَدَّرَتْهُ المجالسُ
وكم قائلٍ ما لي رأيتك راجلاً فقلتُ له من أجلِ أنكَ فارسُ

وقال :

أيا سائلي عن قدِّ محبوبيَ الذي كلفتُ به وجداً وهمتُ غراما
رأى قِصَر الأغصان ثم رأى القنا طوالاً فأضحى بين ذاكَ قَواما

ـ 368 ـ

الحسين بن أحمد بن يعقوب بن يوسف بن داود بن سليمان المعروف بابن دمينة : مصنف كتاب « الإكليل »[1] وهو الكتاب المؤلف في أنساب حمير وأيام ملوكها ، عظيم القدر والفائدة يشتمل على عشرة فنون : الفن الأول في اختصار المبتدأ وأصول أنساب العرب والعجم ، وأنساب ولد حمير . الفن الثاني : في نسب ولد الهميسع بن حمير . الفن الثالث : فضائل قحطان إلى عهد أبي كرب أسعد الكامل ، وهو الأوسط . الفن الخامس : في السيرة الوسطى من عهد أبي كرب إلى عهد ذي نواس . الفن السادس : في السيرة الآخرة من عهد ذي نواس إلى عهد الإسلام . الفن

368 ـ وردت له ترجمتان من قبل (302 ، 303) باسم : الحسن بن أحمد بن يعقوب ، ويلاحظ هنا أنه وصف محتويات الاكليل ولكن أغفل الجزء التاسع ، وهو يضمّ « النقوش » ، وهذا يعني أن النساخ من بعد أهملوه لعجزهم عن نسخه ؛ وكذلك أغفل الحديث عن محتويات الجزء الرابع .

(1) قال مختار هذه الأجزاء : لست بصدد ذكر هذه الكتب المصنفة ، وإنما ذكر هذا الكتاب العظيم الشأن يجب ، لأنه من غرائب الكتب .

السابع : في التنبيه على الأخبار الباطلة والحكايات المستحيلة. الفن الثامن : في ذكر قصور حمير وحكمها وحروبها . الفن العاشر : في معارف همدان، وفي أثناء هذا الكتاب جمل حسان من حساب القرانات وأوقاتها ، ونبذ من علم الطبيعة وأحكام النجوم ، وآراء الأوائل في قدم العالم وحدوثه ، واختلافهم في أدواره وفي تناسل الناس ومقادير أعمارهم ، وغير ذلك .

وله بعد هذا تواليف حسان ، ومات في سنة أربع وثلاثين وثلاثمائة .

ـ 369 ـ

الحسين بن أحمد الزوزني النحوي الضرير أبو عبد اللّه : ويخاطب بالقاضي . مات في سنة ست وثمانين وأربعمائة ومن مليح منظومه :

فتىً لا يقتني غيرَ المعالي ... ولا يرضى سوى العلياءِ جارا
حوى من كلِّ مكرمةٍ نصيباً ... فأنجد في العلوم كما أغارا
فلو كانت مكارمُهُ هلالاً ... لما لاقى مُحاقاً أو سرارا
ولو كانت فضائلُهُ نجوماً ... لما رضيتْ لها الفلك المدارا
ولو كانت شمائله شمولاً ... لما ألقتْ لساريها الخمارا

مصنفاته : كتاب المصادر . كتاب القانون في علم الأصول . كتاب « شرح نحو أبي الحسن الضرير النحوي » . كتاب شرح السبع الطوال .

ـ 370 ـ

الحسين بن أحمد بن بطويه أبو عبد اللّه النحوي : لا أعلم من أمره شيئاً. ومما أنشدت من شعره :

---

369 ـ ترجمة الزوزني هذه من المختصر ، ولم يترجم له الصفدي في نكت الهميان ، وهذا قد يعني عدم ورودها في الوافي أيضاً . وهو شارح المعلقات السبع ، وشرحه طبع كثيراً ، ومخطوطاته كثيرة جداً .

370 ـ ترجمته في الوافي 12 : 330 (وهو ينقل عن ياقوت) وبغية الوعاة 1 : 529 .

وماذا عليهم لو أقاموا فسلموا وقد علموا أني مشوقٌ متيَّمُ
سَرَوْا ونجومُ الليل زُهْرٌ طوالعٌ على أنهم في الليل للناسِ أنجمُ
وأخْفَوْا على تلك المطايا مسيرَهُمْ فَنَمَّ عليهم في الظلام التبسمُ

وقال :

وإذا الدرُّ زان حُسْنَ وجوهٍ كان للدرِّ حسنُ وجهك زَينا
وتزيدين أطيبَ الطيبِ طيباً إن تمسيه أين مثلكِ أينا

وحدث أبو عبد اللّه نفطويه قال[1] : كنت بالكوفةِ ملازماً للشريف أبي علي عمر بن محمد بن عمر فقدم علينا فتىً من أهل الحجاز أديبٌ ظريف ، وقصد أبا علي وتردد إليه ونادمه ، وكان يقول شعراً مطبوعاً فخاطبتُهُ في معناه وقلتُ له : هذا فتى غريب وقد دخل دارك وتحرَّمَ بطعامك ، فبرَّه وتفقده فقال : ما مدحني ، فقلت : ليس الرجلُ منتدباً لهذا ، وإنما يقول الشعر تأدّباً لا تكسباً ولعلك إذا أحسنتَ إليه أن يقول ؛ فأعرض عني ، ونُقِلَ المجلس إلى الرجل فحضرني واستخبرني عما جرى فذكرته له وجمّلت الحال . فقال : قد بلغني الحالُ على وجهه ، واللّه يُحْسِنُ جزاءك ، وأنشدني :

عثمانُ يعلمُ أن الحمد ذو ثمنٍ لكنه يشتهي حمداً بمجّانِ
والناسُ أكيسُ من أن يحمدوا رجلاً حتى يروا عنده آثار إحسانِ

وانصرف من الكوفة وكان آخر عهدي به .

(1) هذه الحكاية من المختصر ، ولا أدري لم أوردها في ترجمة ابن بطويه إلا أن تكون مما رواه ابن بطويه ؛ أو كتب نفطويه بدلاً من بطويه سهواً . وصاحب المختصر يحذف السند في كثير من الأحيان .

- 371 -

الحسين بن أحمد بن محمد بن جعفر بن محمد المعروف بابن الحجاج الكاتب الشاعر أبو عبد الله : شاعر مفلق ، قالوا إنه في درجة امرىء القيس ، لم يكن بينهما مثلهما ، وإن كان جلُّ شعره [مبنيّاً على] مجون وسَخَف . وقد أجمع أهلُ الأدب على أنه مخترع طريقته في الخلاعة والمجون ولم يسبقه إليها أحد ولم يلحقْ شأوَهُ فيها لاحق ، قدير على ما يريده من المعاني [التي هي] الغاية في المجون مع عذوبة الألفاظ وسلاستها . وله مع ذلك في الجدّ أشياء حسنة لكنها قليلة ، ويدخل شعره في عشر مجلدات أكثره هزل مشوب بألفاظ المكدين والخُلديين والشطّار ولكنه يسمعه أهل الأدب على علاته ، ويتفكهون بثمراته ، ويستملحون بنات صدره المتهتكات ، ولا يستثقلون حركاتهن لخفتها وان بلغت في الخفة غاية الغايات . وإني لأقول كما قال أبو منصور[1] : لولا قول إبراهيم بن المهدي إن جِدَّ الأدب جدّ وهزله هزل ، لصنتُ كتابي هذا عن مثل هذا المجون ، وحديث كله ذو شجون . ولقد مدح الملوكَ والأمراءَ ، والوزراء والرؤساء ، فلم يخلُ شعره فيهم مع هيبة المقام من هزل وخلاعة . فلم يعدّوه مع ذلك من الشناعة . وكان عندهم مقبولاً مسموعاً غالي المهر والسعر ، وكان يتحكم على الأكابر والرؤساء بخلاعته . ولا يُحْجَبُ عن الأمراء والوزراء مع سخافته : يستقبلونه بالبشاشة والاكرام ، ويقابلون إساءته بالاحسان والانعام . وناهيك برجل يصف نفسه بمثل قوله[2] :

371 ـ ترجمة ابن حجاج في تاريخ بغداد 8 : 14 ويتيمة الدهر 3 : 31 والامتاع 1 : 137 والمنتظم 7 : 216 وابن خلكان 2 : 168 وعبر الذهبي 3 : 50 والبداية والنهاية 11 : 329 والوافي 12 : 331 ومرآة الجنان 2 : 444 ومطالع البدور 1 : 39 والشذرات 3 : 136 وروضات الجنات 3 : 158 ؛ وهذه الترجمة دخيلة على معجم الأدباء ، لأن المؤلف جعل للشعراء معجماً آخر ، ويبدو أن كثيراً من تراجم الجزء الرابع (بحسب طبعة مرغوليوث) إنما هي في الأصل من « معجم الشعراء » كما قال الأستاذ مصطفى جواد رحمه الله ، بحقّ ، وسأشير إلى ذلك بإيجاز في التراجم اللاحقة .

(1) يتيمة الدهر 3 : 31 ـ 32 .
(2) اليتيمة 3 : 33 .

رجلٌ يدَّعي النبوّةَ في السُّخْـ ـفِ ومن ذا يشك في الأنبياءِ
جاء بالمعجزاتِ يدعو إليها فأجيبوا يا معشرَ السخفاءِ
حَدَثُ السنِّ لم يزل يتلقّى علمه بالمشايخ الكبراءِ
خاطرٌ يصفعُ الفرزدقَ في الشعـ ـر ونحوٌ ينيك أمَّ الكسائي
غير أني أصبحتُ أضيعَ في القو م من البَدْرِ في ليالي الشتاءِ

وقوله في وصف شعره[1] :

بالله يا أحمدُ بن عمرو تعرفُ للناسِ مثلَ شعري
شعر يفيضُ الكنيفُ منه من جانبي خاطري وفكري[2]
فلفظه مُنْتِنُ المعاني كأنه فلتةٌ بجحرِ
لو جدَّ شعري رأيتَ فيه كواكبَ الليل كيف تسري
وإنما هزلُهُ مجونٌ يمشي به في المعاشِ أمري

وقال[3] :

فإنَّ شعري ظريفٌ من بابةِ الظرفاءِ
ألذّ معنىً وأشهى من استماعِ الغناءِ

وقال[4] :

إن عاب ثعلبُ شعري أو عاب خفةَ روحي
خريتُ في باب أفعلـ ـت من كتابِ الفصيحِ

وقال في الأمير عز الدولة بختيار[5] :

فديتُ وَجْهَ الأميرِ من قمرِ يجلو القَذَى نورُهُ عن البصرِ

---

(1) المصدر نفسه .
(2) اليتيمة : ونحري .
(3) اليتيمة 3 : 32 .
(4) اليتيمة 3 : 33 .
(5) اليتيمة 3 : 48 .

فـديتُ مَنْ وجهُـهُ يشكّكني ... في أنّـه من سـلالـةِ البشـرِ
إن زليخـا لـو أبصـرتـك لمـا ... ملَّتْ إلى الحشـرِ لـذةَ النـظرِ
ولم تَقِسْ يـوسفاً إليـكَ كمـا ... نجمُ السُّهى لا يُقاسُ بالقمـرِ
وكـان يـا سيـدي قميصُـكَ إن ... هـرَبتَ منهـا ينقـدُّ من دبـرِ
بـل وحياتي لـو كنتَ يـوسُفَهـا ... لم تـكُ من تهمةِ العزيـزِ بَـرِي
لأنـنـي عـالـمٌ بـأنـك لـو ... شممت ريّـا نسيمهـا العـطرِ
سَبَقْتَهـا وانـزبقتَ تتبعهـا ... مـا بين تلك البيوتِ والحجـرِ
وقـد علمنـا بـأن سيـدنـا الـ ... أميـرَ ممنْ يقـول بـالبَـظَرِ
ولـم تكنْ تلك تشتكـي أبـداً ... مـا كـان من يـوسفٍ من الحذرِ
طبُعَـكَ كـالمـاءِ في سهولتـه ... لكنْ أبـو الزبـرقـانِ من حَجَـرِ
إن الملوكَ الشبـابَ مـا خُلِقُـوا ... إلا صـلابَ الفيـاشِ والكَمَـرِ

وقال يشكو سوءَ حاله وبعث بها إلى ابن العميد(1) :

فـداؤك نفسُ عبـدٍ أنت مـولىً ... لـه يـرجـوكَ يـا خيـرَ المـوالي
حـديثي منـذ عهـدكَ بي طـويـلٌ ... فهـل لكَ في الأحـاديثِ الطوالِ
فـاني بيـن قـومٍ ليس فيهـم ... فتىً يُنْهِي إلى الملكِ اختـلالي
فلحمي ليس تـطبُخُهُ قـدوري ... وَحُـوتي ليس تقليـه المقـالـي
ومـائي قـد خَلَتْ منـه حبـابي ... وخبـزي قـد خَلَتْ منـه سـلالي
وكيسي الفـارغُ المطروحُ خلفي ... بعيـدُ العهـدِ بـالقِطَعِ الحـلالِ
أفكّـر في مقـامي وهـو صعبٌ ... وأصعبُ منـه عن وطني ارتحـالي
فبي مَـرَضـانِ مختلفـان حالي الـ ... ـعليلةُ منهمـا تمسـي بحـالِ
إذا عـالجتُ هـذا جفَّ كبـدي ... وان عـالجتُ ذاك ربـا طحـالي

(1) اليتيمة 3 : 57 .

وقال في مثل ذلك أيضاً[1] :

يا سيدَ الناسِ عشتَ في نعمٍ تأوي إليها موابذُ العجمِ
بديهتي في الخصام حاضرةٌ أشهرُ في الفَيْلَقَيْنِ من عَلمِ
والخطُّ خطي كما تراه ولا الـ ـزهرة بين القرطاسِ والقلمِ
هذا وخبزي حافٌ بلا مَرَقٍ فكيف لو ذقتُ لذةَ الدسمِ
ما لي وللحم إنَّ شهوتَهُ قد تركتني لحماً على وَضَمِ
وما لحلقي والخبزُ يجرحُهُ بالملح يشكو مرارةَ اللقمِ

وقال في مثل ذلك[2] :

خليلي قد اتسعتْ محنتي عليَّ وضاقتْ بها حيلتي
عذرتُ عِذَاريَ في شيبه وما لمتُ إذ شمطتْ لمتي
إلى كم يخاصمني دائماً زماني المقبَّحُ في عشرتي
تَحيَّفني ظالماً غاشماً وكدَّر بعد الصفا عيشتي
وكنتُ تماسكتُ فيما مضى فقد خانني الدهرُ في مسكتي
إلى منزلٍ لا يواري إذا تربعتُ فيه سوى سوأتي
مقيماً أروحُ إلى حجرةٍ كقبري وما حضرَتْ ميتتي
إذا ما ألمَّ صديقي به على رغبةٍ منه في زورتي
فرشتُ له فيه بُسْطَ الحديثِ من باب بيتي إلى صُفَّتي
ومعدتُهُ في خلالِ الكلامِ تشكو خَوَاها إلى معدتي
وقد فَتَّ في عَضُدي ما به ولكنْ به غَلَبَتْ علتي
وأغدو غدوّاً مليّاً بأنْ يزيدَ به اللّه في شقوتي
فأيَّةُ دارٍ تيمَّمتُها تيمَّم بوابُها حَجْبَتي

(1) اليتيمة 3 : 61 ـ 62 .

(2) اليتيمة 3 : 58 ـ 59 .

وإن أنا زاحمتُ حتى أموتَ دخلتُ وقد زهقتْ مهجتي
فيرفعني الناسُ عند الوصولِ إليهم وقد سقطتْ عِمتي
وإن نهضوا بعدُ للإنصرافِ أسرعتُ في إثرهم نهضتي
وإن قدَّموا خيلهم للركوبِ خرجتُ فقدمتُ لي رُكبتي
وفي جُمَلِ الناسِ غلمانهم وليس سوائيَ في جُملتي
ولا لي غلامٌ فأدعو به سوى من أبوه أخو عَمَّتي
وكنتُ مليحاً أروقُ العيونَ قبلًا فقد قَبُحَت خِلقتي
وقوَّسني الهمُّ حتى انطوَيتُ فصرتُ كأني أبو جدَّتي
وكان المزَيِّن فيما مضى تُكسِّرُ أمشاطَهُ طُرتي
وكنتُ برأسٍ كلَوْن الغداف فقد صرتُ أصلعَ من فَيشتي
ويا رُبَّ بيضاءَ رُوْد الشباب كانت تحنّ إلى وصلتي
فصارت تصدّ إذا أبصرتْ مشيبي وتغضبُ من صلعتي
على أنني قلتُ يوماً لها وقد أمضتِ العزمَ في هجرتي
دعي عنكِ ما فوقه عمَّتي فإن جمالي ورا تِكّتي
هنالك شيءٌ يَسرُّ العيون طويلٌ عريضٌ على دِقّتي

وقال[1] :

وَيْحكم يا كهولُ أو يا شيوخَ الـ ـفسق أو يا معاشرَ الفتيانِ
اشربوها حمراءَ مما اقتناها آلُ ديرِ القابون للقربانِ
بكؤوسٍ كأنها وَرَقُ النسـ ـرين فيها شقائقُ النعمانِ
اشربوها وكلُّ إثم عليكم إن شربتم بالرطل في ميزانِ
في ليالٍ لو أنها دفعتني وسطَ ظهري وقعتُ في رمضانِ

(1) الوافي 12 : 337 .

وقال يستهدي أبا تغلب ابن حمدان فرساً[1] :

اسمع المدحَ الذي لو قيل في أحدٍ غيرِكَ قالوا سُرِقا
جاء يستهديك مهراً أدهماً يركبُ الفارسُ منه غسقا
كالدجى تبصر من غرَّته فوق أطباقِ دجاه فلقا
جلَّ ان يُلْحَقَ مطلوباً ومن طلب الرِّيحَ عليه لحقا
فتراه واقفاً في سرجه يتلظَّى من ذكاهُ قلقا
فإذا طاب به المشيُ مضى وهو كالرِّيح يشقُّ الطرقا
كالسحابِ الجَوْن إلا أنه ليس يسقي الأرضَ إلا عرقا
جمع الأمرين يعدو المَرَطَا في مَدَى السبقِ ويمشي العَنَقا

واستدعاه الوزير للخروج معه إلى القتال فقال من قصيدة[2] :

يا سائلي عن بكايَ حين رأى دموعَ عيني تسابقُ المطرا
ساعةَ قيل الوزيرُ منحدرٌ أسرعَ دمعي وفاض منحدرا
وقلتُ يا نفسُ تصبرين وهل يعيشُ بعد الفراق من صبرا
شاورتُهُ والهوى يفتِّنُهُ والرأيُ رأيُ الصوابِ قد حضرا
أهوى انحداري والحزمُ يكرهُهُ وتاركُ الحزمِ يركبُ الغَرَرا
لأنني عاقلٌ وَيُعْجِبني لزومُ بيتي وأكرهُ السفرا
الخيشُ نصفَ النهار يعجبني والماءُ بالثلج بارداً خَصِرا
والشربُ في رَوشني أقولُ به كيما أرى الماءَ منه والقمرا
ولا أقودُ الخيلَ العتاقَ بلى أسوقُ بين الأزقةِ البقرا
من كلِّ جاموسةٍ لعُنبلها رأسٌ بقرنيه يفلق الحجرا
قد نفخ الشحمُ جوفَها فغدا كأنه بطنُ ناقةٍ عُشَرا

(1) اليتيمة 3 : 101 .

(2) اليتيمة 3 : 45 ـ 46 .

تركضُ مثل الحصانِ نافرةً ومن يردّ الحصان إن نفرا
أحسنُ في الحرب من صفوفكمُ غداً قعودي أصفّفُ الطُّرَرا
هيهات أن أحضرَ القتالَ وأن ترى بعينيك فيه لي أثرا
بل الذي لا يزالُ يُعْجبني الـ ـدبيبُ بالليلِ خائفاً حذرا
الدفّ عند الصباح دبدبتي وبوقيَ النّايُ كلّما زمرا
هذا اعتقادي وهكذا أبداً أرى لنفسي وأنت كيف ترى

ومن مقطعاته[1] :

ملكٌ لو لم يكنْ من ملكه غيرُ دارٍ وُشِّحتْ بالنِّعمِ
لو رمى شدادُ فيها طَرْفَهُ زهّدته بعدها في إرَمِ

وقال :

صنعتَ في دارِكَ فوّارةً أغرقتَ في الأرض بها الأنجما
فاض على نجمِ السُّهى ماؤها فأصبحتْ أرضُكَ تسقي السّما

وقال[1] :

واستوفِ عُمْرَ الدهر في نعمةٍ دون مداها موقفُ الحشرِ
مصيبةُ الحاسدِ في مكثها مصيبةُ الخنساءِ في صخرِ

وقال[1] :

هذا حديثي تنمي عجائبُهُ بكثرةِ القالِ فيه والقيلِ
أعجزني دفنُه فشاع كما أعجز قابيلَ دفنُ هابيلِ

وقال[2] :

قد وقع الصلحُ على غلّتي واقتسموها كارَةً كارَهْ
لا يُفلسُ البقالُ إلا إذا تصالح السِّنَّوْرُ والفارَهْ

---

(1) اليتيمة 3 : 52 ، 51 ، 51 .

(2) وردت المقطعات هذه في اليتيمة 3 : 54، 56، 82، 92، 92، 103، 48، 52 .

وقال :

عجبتُ من الـزمـانِ وأيُّ شيءٍ عـجيـبٍ لا أراهُ مـن الـزمـانِ
يصـادرُ قـوتَ جـرذانٍ عجافٍ فـيـجـعـله لأوعـالٍ سِـمـانِ

وقال :

يـا رائـحـاً فـي داره غـاديـاً بـغـيـر معـنـىً وبـلا فـائـدهْ
قـد جُنَّ أضيـافُـكَ من جـوعهم فـاقـرأ عليهم سـورةَ المـائـدهْ

وقال :

فـديـتُ مَنْ لـقَّبني مثـلَ مـا لـقـبتُـهُ والـحقُّ لا يُـغْـضِـبُ
إن قلت يـا عـرقـوبُ خـادعتني يقـول لُمْ نَـفْسَـكَ يـا أشعبُ

وقال :

قد قلتُ لما غدا مدحي فما شكروا وراح ذمِّي فمـا بـالـوا ولا شعـروا
«عليَّ نحتُ القـوافي من معادنهـا ومـا عليَّ إذا لم تفهـمِ البـقـر»

وقال :

الصبـحُ مثـلُ البـصيـرِ نـوراً والليـلُ في صـورةِ الـضـريـرِ
فـليـت شـعـري بـأيِّ رأيٍ يُـختـار أعـمـى عـلى بـصيـرِ

وقال :

إن بني بـرمـكَ لـو شـاهـدوا فعلَكَ بـالغـائبِ والشـاهـدِ
مـا اعترف الفضـلُ بيحيى أباً ولا انتمى يحيى إلى خـالـدِ

وقال :

مـولاي يـا مَنْ كـلُّ شيءٍ سـوى نـظيـره في الحسنِ مـوجـودُ
إن كـنتُ أذنـبتُ بـجهـلي فقـد أذنـبَ واسـتـغـفـر داوُدُ

ولطائفُ ابنِ الحجاج كثيرةٌ وفيما أوردناه منها كفاية . توفي يوم الثلاثاء سابع عشري جمادى الآخرة سنة إحدى وتسعين وثلاثمائة ، ودفن في بغداد عند مشهد موسى

الكاظم بن جعفر الصادق رضي الله عنهما ، وكان أوصى أن يدفن عند رجليه ويكتب على قبره ﴿ وَكَلْبُهُمْ بَاسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِالْوَصِيد ﴾ (الكهف: 18) وكان من كبار شعراء الشيعة ، وقد رآه بعض أصحابه في المنام بعد موته فقال له : ما حالك ؟ فأنشد :

أفسد سوءُ مذهبي ... في الشعر حسنَ مذهبي
لم يرضَ مولاي علي ... سبّي لأصحاب النبي

ورثاه الشريف الرّضيّ الموسوي بقصيدةٍ ارتجلها حين أتاه نعيه فقال[1] :

نعوه على ضنٍّ قلبي به ... فللّه ماذا نعى الناعيانِ
رضيعُ صفاءٍ[2] له شعبةٌ ... من القلب مثلُ رضيع اللبانِ
بكيتك للشُّرَّد السائراتِ ... تعبث[3] ألفاظها بالمعاني
مواسم ينهلُّ منها الحيا[4] ... بأشهرَ من مَطْلع الزبرقانِ
جوائفُ تبقى أخاديدها ... عماقاً وتعفو ندوبُ الطعانِ[5]
تبضُّ إلى اليوم آثارها ... بأحمرَ من عاندِ الطعنِ قاني[6]
قعاقعهنَّ تشنُّ الحتوفَ ... إذا هنَّ أوعدن لا بالشنانِ
وما كنتُ أحسب أن المنون ... تفلُّ مضاربَ ذاك اللسانِ
لسانٌ هو الأزرقُ القَعْضَبيّ ... تمضمض في ريقهِ الأفعوانِ[7]
له شفتا مِبردِ الهالكيّ ... أنحى بجانبه غيرَ واني[8]
إذا لَزَّ بالعَرْضِ مِبراتَهُ ... تصدَّعَ صَدْعَ الرِّداءِ اليماني

---

(1) ديوان الشريف الرضي 2: 441 ـ 442 .
(2) الديوان : ولاء .
(3) الديوان : تعيق .
(4) الديوان : تعلط منها الجباه ، وتعلط : توسم ، والزبرقان : القمر .
(5) الجوائف : جمع جائفة وهي الطعنة تنفذ في الجوف ، يشبه شعره بها .
(6) تبضّ : تنزف ، العائد : العرق الذي لا يرقأ دمه .
(7) القعضبي : الشديد ، شبهه بالنصل .
(8) الهالكي : الحداد .

يرى الموتَ أن قد طوى مضغةً ... ولم يطوِ إلا غِرارَ السنانِ
فأين تسرُّعُهُ للنضالِ ... وهبَّاته للطوال اللِّدانِ
يشلُّ الجوائحَ شلَّ السياطِ ... ويلوي الجوامحَ ليَّ العنانِ
فإن شاء كان جِرانَ الجماح ... وإن شاء كان جماحَ الحرانِ
يهابُ الشجاعُ غذاميرَهُ ... على البعدِ منه مَهَابَ الجبانِ[1]
وتعنو الملوكُ له خيفةً ... إذا راع قبل اللظى بالدُّخانِ
وكم صاحبٍ كمناطِ الفؤادِ ... عنانيَ من يومه ما عناني
قد انتزعَتْ من يديَّ المنون ... ولم يغن ضمّي عليه بناني
فزال زيال الشبابِ الرطيبِ ... وخانك يومَ لقاء الغواني
ليبكِ الزمانُ طويلاً عليكَ ... فقد كنتَ خِفّةَ روحِ الزمانِ

ـ 372 ـ

الحسين بن الحسن بن واسان بن محمد أبو القاسم الواساني الدمشقي توفي سنة أربع وتسعين وثلاثمائة شاعر مجيد برع وبرز في الهجاء، وله فيه نفس طويل، فهو في عصره كابن الرومي في زمانه، وله أهاجٍ كثيرةٌ في ابن القزاز لعداوة تأصَّلَتْ بينهما، وكان هجاؤه له سبباً لعزلِ الواساني عن عمله. ومن أجود شعره قصيدته النونيّة التي وصف بها دعوةً عملها في خمرايا من قرى دمشق قال[2]:

372 ـ هذه الترجمة أيضاً موضعها «معجم الشعراء» وترجمة الواساني في اليتيمة 1: 351 وفيه «الحسين بن الحسين بن واسانة» وذكره صاحب جمهرة الاسلام: 158 وسمّاه «الحسين بن محمد» وأورد له قصيدة طويلة في هجاء القصيصي، مطلعها:

ويلك يا وجه الخشب ... يا جرذاً بلا ذنب

(1) الغذامير: الغضب.
(2) اليتيمة 1: 355 ـ 364.

من لِعينٍ تجودُ بالهَمَلانِ ولقلبٍ مُدَلَّهٍ حيرانِ
يا خليليَّ أقصرا عن ملامي وارثيا لي من نكبتي وارحماني
ومتى ما ذكرتُ دعوةَ أبناء[1] البغايا والعاهراتِ الزواني
فانتفا لحيتي وجزًّا سِبَالي وبنعلِ الكنيفِ فاستقبلاني
ما الذي ساقني لِحَيْني إلى حتـ ـفي وما غالني وماذا دهاني
من عذيري من دعوةٍ أوهنت عظـ ـمي وهدَّت بوقعها أركاني
كنتُ في منظرٍ ومستمعٍ منـ ـها ومن ذا ينجو من الحدثان[2]
فَنَزَتْ بِطنتي وهاجَتْ على نفـ ـسي بلاءً ما كان في حسباني
كان عيشي صافٍ فكدَّره أهـ ـلُ صفائي بنو أبي صفوانِ
فارثوا لي يا معاشر الناس من ضُـ ـرّي ومن طولِ محنتي وامتحاني
ضُربُ البوق في دمشقَ ونادَوْا لشقائي في سائرِ البلدان
النفيرَ النفيرَ بالخيلِ والرَّجْـ ـلِ إلى قفر ذا الفتى الواساني
جمعوا لي الجموعَ من جيلِ جيلا نَ وفرغانةٍ ومن دَيْلَمانِ
ومن الرومِ والصقالبِ والتر كِ وبعضِ البلغار واليونانِ
ومن الهندِ والأعاجم والبر بر والكيلجوجِ والبيلقانِ
لم يحاشوا ممن عَدَدْتُ من الآ فاقِ من مسلمٍ ولا نصراني
والبوادي من الحجازِ إلى نجـ ـدٍ مَعَدِّيُّها مع القحطاني
كلّ شكلٍ ما بين حُدْبٍ وَحُولٍ وأصمٍّ والعمْيِ والعوران[3]
وشيوخ قُبِّ البطونِ[4] وشبّا نٍ رحابِ الأشداق والمصرانِ

---

(1) اليتيمة : أولاد .
(2) اليتيمة : يغتر بالحدثان .
(3) روايته في اليتيمة :
كل ضرب فمن طوال ومن حد ب قصار والحول والعوران
(4) اليتيمة : مثل الفراخ .

كل ذي معدةٍ تقعقعُ جوعاً وهو شاكي السلاح بالأسنانِ[1]
كل ذي آسم مستغرب أعجميٍّ مَنَعَتْ صَرْفَ إسمه علتانِ[2]
كمرنـدٍ وطغتكين وطرخا ن وكسرى وخرَّمٍ وطوغانِ
وخمار وزيرك وَخُوَندٍ ومميشٍ وطشتم وجوانِ
وطرادٍ وجهبلٍ وزناد وشهاب وعامر وسنانِ
غمرٌ جُمِّعُوا بغيرِ عقولٍ وازعات عنّي[3] ولا أديانِ
هل سمعتم بمعشرٍ جمعوا الخيـ ـلَ وساروا بالرَّجل والفرسانِ
رحلوا من بيوتهم ليلةَ المر قع من أجل أكلةٍ مجانِ
شَرَهٌ باردٌ وحرصٌ على الأكـ ـل فويلي من معشرٍ مُجّانِ
لستُ أنسى مصيبتي يومَ جاءو ني وقد ضاق عنهم الوادیانِ
وردوا ليلةَ الخميسِ علينا في خميس ملء الربى والمغاني
متوالٍ كالسيل لا يلتقي منـ ـه لفرطِ انتشاره الطرفانِ
أشرفوا بي على زروع وأحطا بٍ وبيت بخيره ملآنِ
لبنٌ قارسٌ وخبزٌ طريٌّ وقدورٌ تغلي على الداركانِ[4]
وشواء من الجداءِ ومعلو فُ دجاجٍ وفائقُ الحملانِ
وشرابٌ ألذُّ من زورةِ المعـ ـشوقِ بعد الصدودِ والهجرانِ
يُخْجِلُ الوردَ في الروائح والطعـ ـم ويحكي شقائقَ النعمانِ
أذكرتني جيوشهم يومَ جاءو ني بيومِ الكُلابِ والرَّحرحانِ
يقدُمُ القومَ أرحبيٌّ[5] هَرِيتُ الـ ـشدقِ رحبُ المعى طويلُ اللسانِ
هو نِمْسَ الدجاجِ والبطِّ والو ز وذئب النعاج والخرفانِ

---

(1) معد جوعت ثلاثين يوماً بسلاح شاكٍ من الأسنان
(2) سقط هذا البيت من اليتيمة .
(3) اليتيمة : قمش جمعوا . . . ردعتهم عني .
(4) الداركان : نوع من الخشب .
(5) اليتيمة : هاشمي .

بســوادٍ من عــظمــه طـبَّقَ الأرضَ وخيـلٍ يهـوين كـالـظلمـانِ
وأبــو القـاسم الكبيـرُ على طِـرْفٍ كميـتٍ أقبَّ كـالســرحـانِ
وأخــوه الصغيـر يعتــرضُ الخيـلَ على قـارحٍ عـريض اللبـانِ
وهمـا يهـويـان بـالسـاقِ والـرجـل إلى مـا يسوءُني مسـرعـانِ
والسريُّ الذي سرى في جيوشٍ أضعفتني وقصَّـرَتْ من عنـاني
بـفـمٍ واسـعٍ وشـدقٍ رحـيـبٍ وبكفّ تجـولُ كـالصـولجـانِ
وأخـوه الفضـل الـذي بـان للعـالم من فضله شفـا النقصـانِ[1]
والشمــوليُّ خلقُـهُ خـلقُ حَمّـالٍ عريض الأكتاف عبلِ الجرانِ
لستّ أنسـاهُ جاثيـاً جـاحظَ العيـن عَبـوساً في صـورةِ الغضبـانِ
كـالعقاب الغـرثانِ يقتنصُ اللحـمَ ويهـوي إلى طيـور الخـوانِ
والأديـبُ الـذي بـه كنـت أعتـدُّ غزاني في الحين في من غزاني
وكذا الكاتبُ الـذي كان جـاري وصـديقي ومشتـكى أحـزانـي
وصديقُ الأشرافِ أخنى على خمـري وأفنى بالكَرْعِ ما في دناني
كلمـا شقَّـقَ الفـراريـجَ شَـقَّقْـتُ لغيـظي من فعله قمصـاني
وهــو في أمــره مجــدٌّ رخيُّ الـبـالِ لم يَعْنِهِ الـذي قـد عنـاني
مُجْرَهِدٌّ[2] كالسوسِ في الصـوفِ في الصيف بقلبٍ خالٍ من الإيمـان
قلتُ قل لي يا ابنَ المبشّر ما شأنُـكَ من بين من غـزاني وشـاني
ليس هذا من شهوةِ الأكـلِ هذا من طـريقِ البغضـاءِ والشنـآنِ
قلتُ للفيلسوف لما غـدا في الأكـلِ أعني فتى أبـي عـدنـانِ
واستحثَّ الكؤوسَ صِرفاً بـلا مزجٍ ولاءً كـالـهـائـم الـظمـآنِ
ليت شعـري أذاكَ من طبٍّ بقراطَ تعلمتــه وَسَمْـعِ الكيـانِ[3]

(1) اليتيمة : من فضل أكله نقصاني .
(2) مجرهد : مسرع .
(3) سمع الكيان : أحد كتب أرسطاطاليس .

وبهـذا تـزدادُ بـالعـالم الجسـ ـميِّ علماً والعـالم الـروحـاني
ثـم لا تنسَ مـا لـقيتُ ومـا مـرَّ لشـؤمي مـن عسكـر الـفـرغـان
أعجميّ اللسـانِ أفصـح من قَـ ـسٍّ إذا مـا انتشى ومن سحبانِ
قـال قمْ فـأتنـا بخبـزٍ ولـحمٍ ونـبيـذٍ مـعتّـقٍ فـي الـدنـانِ
وغـلام مهفهفٍ[1] حَسَنِ الـوجـ ـه يحـاكي قـوامُـهُ غُصْنَ بـانِ
لم تُـوَكّـلْ فـرغـانُ إلا بتفـريـ ـغ دنـاني وصبّها في القنـاني[2]
إنّ من أعـظم المصـائب يـا قـو مُ بـلائي بـذلـك الـطرمـذانِ
رجـلٌ كـالفنيق فَـدْمٌ بـلا لـ ـبٍّ طـويلٌ في صـورة الشيطان
بقفـاً كالحـديد[3] يَصْمُـدُ للصَّفْـ ـعِ ورأسٍ أصـمَّ كـالسـنـدانِ
واسع الحلقِ ناقصُ الخُلْقِ والديـ ـنِ غليظُ القَـذَالِ كـالـقلتـانِ
يبلع المطُجْنَاتِ[4] بلعاً بلا مضـ ـغٍ ويحسـو النبيـذَ كـالعـطشـان
وأتـونـي بـزامـر زمـره يـحـ ـكي ضـراطَ العبيـدِ والـرُّعيـانِ
ومـغنٍّ غـنـاؤُهُ يُجْشِيءُ الـنـفـ ـسَ[5] ويـأتي بـالقيءِ والغثيـان
قصـدت هـذه الـطوائفُ خمـرا يـا ابتـلاءً ونكبـةً لامتحـاني[6]
قلتُ : مـا شأنكم فقـالـوا أغثنـا مـا طَعِمنـا الـطعـامَ منـذ ثمـانِ
وأنـاخـوا بنـا فيـا لـكَ من يـو مٍ عصيبٍ من حادثات الزمان[7]
نـزلـوا سـاحتي وأُطْلِقَتِ الخيـ ـلُ بـزرعِ الحقولِ والبستـانِ[8]

---

(1) اليتيمة : مقين .
(2) اليتيمة : الجفان .
(3) اليتيمة : كالعمود .
(4) اليتيمة : الطيبات .
(5) اليتيمة : يطلق البطن .
(6) اليتيمة : لهتكي وذلتي وامتحاني .
(7) اليتيمة : عبوس عصبصب أرونان .
(8) اليتيمة : نـزلـوا حجـرتي وأُطـلقت الأفـ ـراس بين الـرطـبـان والفـصـلان

أفقروني وغادروني بلا دا ... ر ولا ضيعةٍ ولا صيوانِ[1]
أدهشوني وحيّروني وقد صر ... تُ ذهولاً أهيمُ كالسكرانِ
أسمعُ اللفظَ كالطنين فألفا ... ظهمُ ما لها لديَّ معاني
تركوني يا قومُ أجردَ من فر ... خٍ وأعرى ظهراً من الافعوانِ
أكلوا لي من الجرادق ألفيـ ... ـن بدبسٍ يسيلُ كالقطرانِ[2]
أكلوا لي ما حولها ثم مالوا ... كذئاب إلى سميد الفَرَاني[3]
أكلوا لي من الجداء ثلاثيـ ... ـن وسبعاً بالخلّ والزعفرانِ
أكلوا ضعفها شواءً وضعفيـ ... ـها طبيخاً من سائر الألوانِ
أكلوا لي تبالةً تَبَّلتْ عقـ ... ـلي بعشرٍ من الدجاج سمانِ[4]
أكلوا لي مضيرةً ضاعفت ضُرِّ ... ي بروسِ الجداءِ والحملانِ
أكلوا لي كشكيةً كشكشتْ قلـ ... ـبي وهاجتْ بفقدها أشجاني[5]
أكلوا لي سبعين حوتاً من النهـ ... ـر طرياً من أعظم الحيتانِ
أكلوا لي عدلاً من المالح المقـ ... ـلوِّ ملقىً في الخلِّ والأنجذانِ[6]
أكلوا لي من القريشاءِ والبَر ... نيِّ والمعقليِّ والصرفانِ[7]
ألفَ عدلٍ سوى المصقَّر والبُرْ ... دِيِّ واللؤلؤيِّ والصَّيْحَاني[8]

---

(1) اليتيمة : بستان . (وأكتفي بهذا القدر نموذجاً للاختلاف بين اليتيمة ونص معجم الأدباء) .
(2) الجردق : الرغيف .
(3) الفراني : جمع فرنية ، وهي خبزة مستديرة ضخمة .
(4) التبالة : أكلة يدخل في تركيبها التابل وهو مجموعة من ما نسميه اليوم « البهارات » .
(5) الكشكية : أكلة تصنع بالكشك ، وهو نوع من اللبن « الجميد » .
(6) الأنجذان : نوع من النبات .
(7) القريشاء : لعله نوع من التمر .
البرني : ضرب من التمر أحمر .
المعقلي : نوع من الرطب بالبصرة ينسب إلى نهر معقل بها .
الصرفان : ضرب من التمر واحده صرفانة وهي حمراء مثل البرنية إلا أنها علكة .
(8) في م المصغر ؛ والمصقر هو رطب جيد يصب عليه الدبس .

أكلوا لي من الكوامخ والجو ... زِ معاً والخلاطِ والأجبانِ
ومن البيضِ والمخلّل ما تعـ ... ـجزُ عن جمعه قُرى حَوْرانِ
فتّتوا لي من السفرجل والتفّـ ... ـاح والرّازقيِّ والرمّانِ(1)
والرياحينِ ما رهنتُ عليه ... جُبَّتي عند أحمدَ الفاكهاني
أذبلوا لي من البنفسج والنر ... جسِ ما ليس مثله في الجنانِ
ذبحوا لي بالرغم يا معشرَ النا ... سِ ثمانين رأس معزٍ وضانِ
ما كفاهم تذبيحهم غنمَ القر ... يةِ حتى أتَوْا على الثيرانِ
أكلوا كلَّ ما حوته يميني ... وشمالي وما حوى جيراني
ثم قالوا هلُمَّ شيئاً فناديـ ... ـتُ غلامي قم ويكَ فاخبأْ حصاني
لم تدعْ لي بطونكم يا بني البُظـ ... ـرِ سواه وذا شُطُوبٍ يماني
فتمالوا عليَّ شتماً ولعناً ... واستباحوا عرضي بكلِّ لسانِ
ثم جاء المعقّبون من السا ... سةِ والشاكريِّ والعُبدانِ(2)
فرأيتُ الصراعَ والدفعَ واللطـ ... ـمَ وَخَرْمَ الأنوف والآذانِ
ثم لما أتوا على كلِّ شيء ... ختموا محنتي بكسرِ الأواني
ثم قاموا مثلَ البُزاةِ إلى العصـ ... ـفورِ والعصفريِّ والزّربطانِ(3)
فرأيتُ الطيور بعضاً على بعـ ... ـض وبعضاً ملقىً على الأغصانِ
أكلوا ما ذكرتُ ثم أراقوا ... يا صحابي كُرًّا من الأُشنانِ(4)

= البردي : من جيد التمر يشبه البرني .
اللؤلؤي : لعله صفة لنوع من التمر .
الصيحاني : أجود أنواع التمر .

(1) الرازقي : نوع من العنب .

(2) المعقبون : الفوج التالي ؛ الساسة : الموكلون بسياسة الدواب ؛ الشاكري : الخدم .

(3) العصفري : لعله طائر له لون العصفر .
الزربطان : آلة تصاد بها العصافير ، ولعل المراد هنا العصافير نفسها التي تصاد بهذه الطريقة .

(4) الكرّ : مكيال يساوي أربعين اردباً .
الأشنان : المواد التي تتخذ لغسل الأيدي .

ومن المحلبِ المطيّب بالبَا ... نِ وماءِ الكافور سبعَ براني[1]
شربوا لي عشرين ظرفاً من الرا ... ح لذيذ المذاقِ أحمرَ قاني
فأقاموا سُوَّاسهم والمُكاري ... نَ إلى أنْ سمعتُ صوتَ الأذانِ
يجمعون الأحطابَ من حيث وافَوْ ... هَا فللطُّهرِ ضاع لي غيضتانِ

ومنها :

قطعوا اللوزَ والسفرجلَ أحطا ... باً ومالوا بها على غلماني
والنواطيرَ مدَّدُوا وعلَوْهم ... خَنَقاً بالعصيِّ والقضبانِ
طالبوني بالنيك في آخر الليـ ... ـل وجمعِ النساءِ والمُردانِ
قمْ فأسرعْ فبعضنا يطلبُ المر ... دَ وبعضٌ مستهتَرٌ بالغواني
فتوهَّمتُه مزاحاً فجدُّوا ... قلتُ هذا ضَرْبٌ من الهذيانِ
ليس يبقى على أراملِ خمرا ... يا سوى بَذلهنَّ للضيفانِ
لو سمعتم يا قومُ في غَسَقِ الليـ ... ـل بكاءَ النسوان والولدانِ
يتنادَوْنَ بالعويلِ وبالويـ ... ـلِ وراءَ الأبواب والجدرانِ

ومنها :

ثم راحوا بعد العشاء إلى دا ... ري فلم يتركوا سوى الحيطانِ
كان لي مفرشٌ وكَلٌّ مليحٌ ... فوقه مَطرحٌ من الميسانِ[2]
وبساطٌ من أحسن البُسْطِ مذخو ... رٌ لعُرْسٍ أو دعوةٍ أو ختانِ
غرَّقوه بسالبصق والقيءِ والبو ... ل فأضحى وَقَذْرُهُ بعرتانِ
أوقدوا زيتنا جُزافاً بلا كيـ ... ـلٍ يكيلونه ولا ميزانِ
خِلتُ داري يا إخوتي المسجدَ الجا ... مع ليلاً للنصف من شعبانِ
ثم لما انتهت بهم شدّةُ الكِظَّـ ... ـةِ خرُّوا صَرْعَى إلى الأذقانِ

(1) البراني : جمع برنية وهي فخارة خضراء ضخمة .
(2) الكل : أرجح أنه نوع من البسط . الميساني : مفارش تشتهر بها ميسان .

هوَّموا ساعةً كتهويمة الخا ... ئفِ في غير أرضهِ الفزعانِ
ثم قاموا ليلاً وقد جنح النسـ ... ـرُ ومال السِّماكُ والفرقدانِ
يصرخون الصَّبوحَ يا صاحبَ البيـ ... ـتِ فأبكَوْا عيني وراعوا جناني
سحبوني من عُقْرِ داري على وجـ ... ـهي كأني أُدْعَى إلى السلطانِ

ومنها :

هل سمعتم فيما سمعتم بانسا ... نٍ عراهُ في دعوةٍ ما عراني
أسعدوني يا إخوتي وثقاتي ... بدموعٍ تجري من الأجفانِ
إخوتي مَنْ لواكفِ الدمع محزو ... نٍ كئيبٍ مولَّهٍ حيرانِ
هائمِ العقلِ ساهرِ الليل باكي الـ ... ـعينِ واهي القوى ضعيفِ الجنانِ
لم يكن ذا القرانُ إلا على شؤمـ ... ـي فويلي من نَحْسِ ذاك القرانِ

والقصيدةُ كلُّها غُرَرٌ ولطائفُ أجاد وأحسنَ فيها كلَّ الإحسان ، وأبان عن مقاصده بها أحسنَ بيان .

ومن شعر أبي القاسم أيضاً قوله :

لا تُصْغِ للوم إنَّ اللومَ تضليلُ ... واشربْ ففي الشرب للأحزانِ تحويلُ
فقد مضى القيظُ واحتُثَّتْ رواحلُهُ ... وطابتِ السراحُ لما آل أيلولُ
وليس في الأرض نبتٌ يشتكي رمداً ... إلاّ وناظرُهُ بالطلِّ مكحولُ

وقال :

ولما نضا وجهُ الربيع نقابَهُ ... وفاحتْ بأطرافِ الرياضِ النسائمُ
فطارت عقولُ الطيرِ لما رأيته ... وقد بُهِتَتْ من بينهنَّ الحمائمُ
وخفنَ جنوناً بالرياضِ وحسنها ... صَدَحْنَ وفي أعناقهنَّ التمائمُ

وقال :

أنِلْني بالذي استقرضتَ خطّاً ... وأشْهِدْ معشراً قد شاهدوهُ
فإن اللّه خلاقَ البرايا ... عنتْ لجلالِ هيبته الوجوهُ
يقولُ إذَا تَدَايَنْتُمْ بِدَيْنٍ ... إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى فَاكْتُبُوهُ

وقال :

إذا دنتِ السُّحْبُ الثقالُ وحثُّها ... من الرعد حادٍ ليس يبصرُ أَكْمَهُ
أحاديثُه مُسْتَهوَلاتٌ وصوتُهُ ... إذا انخفضت أصواتهنّ مقهقهُ
إذا صاح في آثارهنَّ حسبتَهُ ... يجاوبُهُ من خلفه صاحبٌ لَهُ

وقال يهجو منشّا بن إبراهيم القزاز[1] :

إنّ منشًّا قد زاد في التيهِ ... وزاد في شامنا تعدِّيهِ
فلا ابنُ هندٍ ولا ابنُ ذي يزنٍ ... ولا ابن ماءِ السما يدانيهِ
وهو مغيظٌ على الوصيِّ وَمَنْ ... يُعْزَى إليه وَمَنْ يواليهِ
يذكرُ أيامَ خيبرٍ بهمُ ... فهم قذىً جال في مآقيهِ
وقد حكى أنّ فاه أطيبُ من ... سُرْمي وأني ممن يعاديهِ
ومن يقولُ القبيحَ فيه ومن ... أصبحَ بالمعضلاتِ يرميهِ
فسوّكوه بكلِّ طيّبةِ الـ ... ـريح تعفّي على مساويهِ
ومضمضوه بالخلِّ واجتهدوا ... معاً بكلِّ اجتهادكم فيهِ
وأطعموه من الجوارشِ ما ... يُعمَلَ بالمسكِ والأفاويه[2]
وأنْهِلوُهُ خمراً معتقةً ... قد صانها القَسُّ في خوابيهِ
واستفقحوني واستنكهوه تروا ... أنَّ لسرمي فضلاً على فيهِ
ثم احملوا الكلبَ والحمارَ على ... عيالِه واصفعوا مُحبّيهِ

وقال يهجو أبا الفضل يوسف بن علي ويعرِّض فيها أيضاً بمنشّا بن إبراهيم القزاز ، وكانت هذه القصيدة سبب عزله عن عمله[3] :

---

(1) منشًّا : له أخبار في ذيل تاريخ دمشق 25، 26، 28، 33، كان في أول أمره كاتباً للعسكر الشامي ثم جعله الخليفة الفاطمي نائباً في الشام ، فحكم اليهود في الوظائف والأعمال ، ثم قبض عليه لما تظلم الناس منه .

(2) الجوارش أو الجوارشنات : الموادّ التي تسعف على الهضم .

(3) اليتيمة : 365 .

يا أهل جيرونَ هل أُسامركُمْ إذا استقلتْ كواكبُ الحملِ
بِمُلَح كالرياضِ باكَرَهَا نوءُ الثريّا بعارضٍ هطلِ
أو مثلِ نظم الجمانِ يُنْظَمُ في الـ ـعِقدِ ووشي البرودِ والحلل
يلذّ للسامع الغناءُ بها على خفيف الثقيلِ والرمل
كنتُ على باب منزلي سَحَراً أنتظرُ الشاكريَّ يُسْرِجُ لي[(1)]
وطال ليلي لحاجةٍ عَرَضَتْ باكرتُها والنجومُ لم تَزُلِ
فمرَّ بي في الظلام أسودُ كالـ ـفيلِ عريضُ الأكتافِ والعضلِ
أشْغَى له مِنْخَرٌ ككوّةِ تَنُّـ ـورٍ وعينٌ كمقلةِ الجمل[(2)]
ومِشْفَرٌ مُسْبَلٌ كَجُبٍّ رحىً على نيوبٍ مثل المُدى عُصُلِ
مشقّقُ الكعب أفدع اليدِ والـ ـرجل طويلُ الساقينِ كالسبلِ
فأهدت الريحُ منه لي أرجاً مثلَ جنى الروضِ في ندىً خضل
مسكاً وقفصيةً[(3)] معتقةً شيبا ببانٍ وعنبرٍ شملِ
فقلتُ ما هكذا يكونُ إذا انـ ـفضَّ الندامى روائحُ السفلِ
أسودُ غادٍ من الأتون له عَرْفُ أميرٍ نشوانَ ذي ثملِ
هذا وربِّ السماءِ أعجبُ من حمارِ وحشٍ في البرِّ منتعلِ
اردده يا نصرُ كي أسائلَهُ فشأنه عُضْلَةٌ من العُضَلِ
فقال نخشى فواتَ حاجتنا وليس هذا من أكبر الشغل
فقلتُ تركُ الفضولِ فهو وإن أنجاك[(4)] عينُ الخمولِ والكسل
بادِرْهُ من قبلِ أن يفوتَكَ في مسيره بين هذه السُّبلِ

---

(1) أي يعد لي السرج على الفرس .

(2) اليتيمة : وعين سجراء كالشعل .

(3) القفصية : خمرة تنسب إلى قفص وهي بين بغداد وعكبرا .

(4) اليتيمة : فقلت ترك الفضول يا ناقص الهمة .

فصدَّ عني تغافلاً ومضى يَعْجَبُ من عقله ومن خللي
وصاح من خلفه رويدَكَ يا أسودُ مالي بالعدوِ من قبلِ
ارجعْ إلى ذلك الرقيع وإن أطال في هَذْرِهِ فلا تُطِلِ
أجبْ إذا ما سئلتَ مقتصداً في القول واسكتْ ان أنت لم تُسَلِ
وهو بتركِ الفضول أجدرُ لو يسلمُ من خِفَّةٍ ومن خَطَلِ
فكرَّ نحوي عجلانَ يعثر في مرطٍ كُسِيهِ[1] مُبَرْغِثٍ قَمِلِ
وقد مَذى والمذيُّ يقطرُ من غُرموله في الذيولِ كالوشلِ
وظنَّ أني صيدٌ فأبرز لي فيشلةً مثلَ ركبةِ الجملِ
وقال لجْ داركم لأولجها فيك وإن كنتَ لم تَبُلْ قَبُلِ

ومنها :

قلتُ له لا عدمتُ برَّك قد بذلتَ ما لم يكنْ بمبتذلِ
لكنني والذي يمدُّ لك الـ ـعمر ويعطيك غايةَ الأملِ
ماشقَّ دبري مذ كنتُ فيشلةٌ ولا انتخابُ الأيورِ من عملي
ولا لهذا دعيتَ فابغ لميـ ـلوخِك من يستلذّه بذلي
وهات قل لي من اين جئت وقلْ من أين أقبلت يا أبا جُعَلِ[2]
فقال لي بتٌّ عند عاملكم هذا أبي الفضلِ يوسفَ بن علي
فصاك بي طيبُهُ وصكتُ به منّي صناناً في حِدَّة البصلِ
تركتُهُ في النهار أخفشَ لا ينظرُ في خدمةٍ ولا عملِ
قلتُ تطاولتَ وافتريتَ على شيخٍ نبيلٍ يُنْمَى إلى نُبُلِ
أبوه قسطا وجدُّهُ صَمَعٌ[3] يُدعى حنيناً وعمُّهُ الصملي

---

(1) اليتيمة : كساء .

(2) اليتيمة :

وهات قل لي باللّه من أيـ ـن أقبلت ودعني من هذه العلل

(3) اليتيمة : أبوه سمح وجده ملك .

لعلَّ ذا غيره فصِفْهُ فما ... يُخدَعُ مثلي بهذه الحيلِ
فإن تكنْ صادقاً نجوتَ وأنـ ... ـحيتُ عليه باللوم والعذلِ
وان تكنْ كاذباً صفعتُك بالـ ... ـنعل فإن كنتَ قائلاً فقلِ
فقال يا سيدي عجلتَ بمكـ ... ـروهي وكان ٱلإنْسَانُ مِنْ عَجَل
هذا الذي بتُّ عنده نَصَفٌ ... دون عجوزٍ وفوق مكتهل
في فيه نَتْنٌ وتحتَ عُصْعُصِهِ ... عينٌ تمجُّ الصديدَ في دَغلِ
أنتنُ من كلِّ ما يقال إذا ... بالغ في الوصف ضاربُ المثل
وهو على ذاك مولعٌ أبداً ... لشؤم بختي بالعضِّ والقُبَل
له إذا ما علوته نفسٌ ... أمضى من السيفِ في يدَيْ بطل

والقصيدة طويلة نحو مائة وأربعين بيتاً وفيها من الفحش ما لا يجمل بالأديب ذكره ، وفيما أوردناه كفاية .

وقال متغزلاً ومعرّضاً بابن بسطام[1] :

ومهفهفٍ يزهو عليَّ بجيدِهِ ... وبخصره وبردفِهِ وَبساقِهِ
وافى إليَّ وقلبُهُ مُتَخَوِّفٌ ... كتخوُّفِ المعشوقِ من عشاقِهِ
حتى إذا مدَّدته وحللتُ عن ... كَفَلٍ مباحِ الحَلِّ بعد وَثاقه
فاحتْ عليَّ أصنَّةٌ من رِدْفِهِ ... بخلافِ ما قد فاح من أطواقه
فسألتُهُ ماذا فقال بحُرْقةٍ ... ودموعُهُ تنهلُّ من آماقِهِ
هذا ابن بسطامٍ أتاني طارقاً ... بلطيفِ حيلته وَحُسْنِ نفاقه
وعلا على ظهري وبلغم مثقبي ... بريالهِ المنهلِّ من أشداقه
فبقي صنانُ رضابه في فقحتي ... زمناً لحاه اللّه بعد فراقِهِ
فاللّه يحرمُهُ معيشته كما ... قد سدَّ مَسْكَبَ مثقبي ببصاقه

(1) اليتيمة 1 : 355 .

ـ 373 ـ

الحسين بن سعد بن الحسين بن محمد أبو علي الآمدي اللغوي الشاعر الأديب : توفي ليلة الخميس خامس ربيع الآخر سنة أربع وأربعين وأربعمائة . وُلد بآمد ونشأ بها ، ثم قدم بغداد فأخذ بها عن أبي يعلى الفرَّاء وأبي طالب ابن غيلان(1) ، وأخذ بالشام عن جماعة ، ودخل أصبهان فاستوطنها ، ومات ودفن بها ، وله مؤلفات ، ومن شعره :

وأهيفَ مهزوزِ القوام إذا انثنى ... وهبتُ لعذري فيه ذنبَ اللوائمِ
بثغرٍ كما يبدو لك الصبحُ باسمٍ ... وشعرٍ كما يبدو لك الليلُ فاحمِ
مليحُ الرِّضا والسُّخطِ تلقاه عاتباً ... بألفاظِ مظلومٍ وألحاظِ ظالمِ
ومما شجاني أنني يومَ بَيْنِه ... شكوتُ الذي ألقى إلى غير راحمِ
وحمَّلْتُ أثقالَ الهوى غيرَ حاملٍ ... وأودعتُ أسرارَ الهوى غيرَ كاتمِ
وأبرحُ ما لاقيتُه أنَّ مُتلِفي ... بما حلَّ بي في حُبِّهِ غيرُ عالمِ
ولو أنني فيه سهرتُ لساهرٍ ... لهانَ ولكنّي سهرتُ لنائمِ

وقال :

أتنسبُ لي ذنباً ولم أكُ مذنباً ... وحمَّلتني في الحبِّ ما لا أُطيقُهُ
وما طلبي للوصل حرصٌ على البقا ... ولكنّه أجرٌ إليكَ أسوقُهُ

وقال :

توهَّم واشينا بليلٍ مزارَهُ ... فهمَّ ليسعى بيننا بالتباعدِ
فعانقتُهُ حتى اتحدنا تعانقاً ... فلما أتانا ما رأى غيرَ واحدِ

---

373 ـ ترجمة أبي علي الآمدي في إنباه الرواة 1 : 323 والوافي 12 : 368 وبغية الوعاة 1 : 533 ، وذكر القفطي والصفدي أن وفاته كانت سنة 499 ، وهذا يعني أن ما جاء هنا قد يكون خطأ من قبيل السهو .

(1) يعني محمد بن الحسين الفراء ومحمد بن محمد بن غيلان .

وقال :

بنفسي وروحي ذلك العارضُ الذي ... غدا مسكُهُ تحت السوالفِ سائلا
دَرَى خدُّه أني أُجَنّ من الهوى ... فهيأ لي قبل الجنونِ سلاسلا

وقال :

تصدَّر للتدريسِ كلُّ مهوَّسٍ ... بليدٍ تسمَّى بالفقيه المدرِّسِ
فحقٌّ لأهلِ العلم أن يتمثلوا ... ببيتٍ قديم شاع في كلّ مجلس
«لقد هُزِلتْ حتى بدا من هُزالها ... كُلاها وحتى سامها كلُّ مُفلس»

ـ 374 ـ

الحسين بن الضحاك بن ياسر البصري المعروف بالخليع ، أبو علي :
أصله من خراسان ، وهو مولى لولد سلمان بن ربيعة الباهلي الصحابي ، فهو مولى لا باهلي النسب كما زعم ابنُ الجراح ، بصريُّ المولدِ والمنشأ ، وهو شاعرٌ ماجن ولذلك لقب بالخليع ، وعداده في الطبقة الأولى من شعراء الدولة العباسية المجيدين .

ولد سنة اثنتين وستين ومائة وتوفي في بغداد سنة خمسين ومائتين وقد ناهز المائة ، وكان شاعراً مطبوعاً حسنَ التصرف في الشعر ، وكان أبو نواس يغيرُ على معانيه في الخمر ، وإذا قال شيئاً فيها نسبه الناس إلى أبي نواس ، وله غزل كثير أجاد فيه ، وهو أحد الشعراء المطبوعين الذين أغناهم عفو قرائحهم عن التكلّف .

وقد اتصل الحسين بن الضحاك بالخلفاء من بني العباس ونادمهم ، وأول من جالس منهم محمد الأمين بن هارون الرشيد وكان اتصاله به في سنة ثمان وتسعين ومائة وهي السنة التي قتل فيها الأمين ، وتنقل بعده في مجالس الخلفاء ونادمهم إلى الحين الذي مات فيه في زمن المستعين ، وقيل في زمن المنتصر .

374 ـ الأغاني 7 : 143 وتاريخ بغداد 8 : 54 وابن خلكان 2 : 162 ومصورة ابن عساكر 4 : 672 وتهذيبه 4 : 300 والوافي 12 : 379 والشذرات 2 : 123 (والحسين بن الضحاك شاعر وحسب فهو دخيل على هذا الكتاب) .

حدث الصولي عن عبد الله بن محمد الفارسي عن ثمامة بن أشرس قال[1] : لما قدم المأمون من خراسانَ وصار إلى بغداد أمر بأن يُسَمَّى له قومٌ من أهل الأدب ليجالسوه ويسامروه ، فذكر له جماعةً فيهم الحسين بن الضحاك ، فقرأ أسماءهم حتى بلغ إلى اسم الحسين فقال : أليس هو الذي يقول في الأمين ، يعني أخاه :

هلا بقيتَ لسدِّ فاقتنا ... أبداً وكان لغيرك التلفُ
فلقد خلفتَ خلائفاً سلفوا ... ولسوف يعوزُ بعدك الخلفُ

لا حاجة لي فيه ، والله لا يراني أبداً إلاّ في الطريق ، ولم يعاقب الحسين على ما كان من هجائه له وتعريضه به .

قال : وانحدر الحسين إلى البصرة فأقام بها طولَ أيام المأمون ، واستقدمه المعتصم من البصرة حين ولي الخلافة بعد موت المأمون ، فلما دخل عليه استأذن في الإنشاد ، فأذن له فأنشده يمدحه[2] :

هلا رحمتَ تلدُّدَ[3] المشتاقِ ... ومننتَ قبل فراقه بتلاقِ
إنّ الرقيبَ ليستريبُ تنفسَ الـ ... ـصُّعَدا إليك وظاهرَ الإقلاق
ولئن أربت لقد نظرتُ بمقلةٍ ... عبرى عليك سخينةِ الآماقِ
نفسي الفداءُ لخائفٍ مترقّبٍ ... جعل السوداعَ إشارةً بعناقِ
إذ لا جوابَ لمفحمٍ مُتَحَيِّرٍ ... إلا الدموعُ تُصَانُ بالإطراقِ

ومنها :

خيرُ الوفودِ مبشّرٌ بخلافةٍ ... خَصَّتْ ببهجتها أبسا إسحاقِ
وافتْهُ في الشهرِ الحرام سليمةً ... من كلِّ مشكلةٍ وكلِّ شقاقِ
أعطته صفقتَها الضمائرُ طاعةً ... قبل الأكفِّ بأوكد الميثاقِ

---

(1) الأغاني 7 : 145 وابن خلكان 2 : 162 ـ 163 .

(2) الأغاني 7 : 150 واشعار الخليع : 83 .

(3) م : هلا سألت تلذذ (وكذلك هو في الأغاني) .

سكن الأنامُ إلى إمامِ سلامةٍ   عفِّ الضميرِ مهذَّبِ الأخلاقِ
فحمى رعيَّتَهُ ودافعَ دونها   وأجار مملقَها من الإملاقِ
قل للأولى صرفوا الوجوهَ عن الهدى   متعسِّفين تعسُّفَ المرَّاقِ
إني أحذِّركم بوادرَ ضيغمٍ   دربٍ بخطمِ موائلِ الأعناقِ
متأهبٍ لا يَسْتَفِزُّ جنانَهُ   زَجَلُ الرعودِ ولامعُ الإبراقِ
لم يبقَ من متعرِّمين توثبوا   بالشام غيرُ جماجمٍ أفلاقِ
من بين منجدلٍ تمجُّ عروقُهُ   عَلَقَ الأخادعِ أو أسيرٍ وثاقِ
وثنى الخيولَ إلى معاقلِ قيصرٍ   تختال بين أجِزَّةٍ ورقاقِ
يحملن كلَّ مشمِّرٍ متغشِّمٍ   ليثٍ هزبرٍ أهرتِ الأشداقِ
حتى إذا أمَّ الحصونَ منازلاً   والموتُ بين ترائبٍ وتراقِ
هَرَّتْ بطارقُها هريرَ ثعالبٍ   بُدِهَتْ بزأرِ قساورٍ طُرَّاقِ[1]
ثم استكانتْ للحصارِ ملوكهم   ذلًّا ونيط حلوقهم[2] بخناقِ
هربتْ وأسلمتِ البلادُ[3] عشيةً   لم تبقَ غيرُ حُشاشةِ الأرماقِ

فلما أتمها قال له المعتصم : ادنُ مني فدنا منه ، فملأ فمه جوهراً من جوهر كان بين يديه ، ثم أمره بأن يخرجه من فيه فأخرجه ، فأمر بأن ينظم ويدفع إليه ويخرج إلى الناس وهو في يده ليعلموا موقعه منه ويعرفوا له فضله .

وحدث الصوليّ عن عون بن محمد الكندي قال : لما ولي المنتصر الخلافةَ دخل عليه الحسين بن الضحاك فهنأه بالخلافة وأنشده[4] :

تجدَّدتِ الدنيا بملكِ محمدٍ   فأهلاً وسهلاً بالزمان المجدَّدِ
هي الدولةُ الغراءُ راحتْ وبكَّرتْ   مُشَمِّرةً بالرشدِ في كلِّ مشهدِ

(1) الأغاني : هرير قساور بدهت بأكره منظر ومذاق .
(2) الأغاني : وناط حلوقها .
(3) الأغاني : الصليب .
(4) الأغاني 9 : وأشعار الخليع : 47 .

لعمري لقد شَدَّتْ عُرَى الدِّين بيعةٌ أعــزَّ بها الــرحمن كـلَّ مــوحـدِ
هنتــك أميــرَ المؤمنـين خــلافــةٌ جمعتَ بهــا أهـواءَ أمــةِ أحمــدِ

فأظهر إكرامَهُ والسرورَ به وقال له : إن في بقائك بهاءً للملك ، وقد ضعفتَ عن الحركة فكاتبني بحاجاتك ولا تحملْ على نفسك بكثرة الحركة ، ووصله بثلاثة آلاف دينار ليقضيَ بها ديناً بلغه أنه عليه .

وقال في المنتصر أيضاً وهو آخر شعر قاله[1] :

ألا ليت شعــري أبــدرٌ بــدا نهــاراً أم الملكُ المـنـتـصــرْ
إمــامٌ تــضــمَّــنُ أثــوابُــهُ على سـرجـه قمــراً من بشـرْ
حـمى الـلَّه دولــةَ سـلطانــه بجنـدِ القضـاءِ وجنــد القـدرْ
فــلا زال مــا بـقـيـتْ مــدةٌ يـروحُ بهـا الـدهـر أو يبتكــرْ

واصطبح عند عبد الله بن العباس بن الفضل وخادمٌ له قائمٌ بين يديه يسقيه ، فقال عبد الله : يا أبا عليّ قد استحسنتُ سقي هذا الخادم ، فإن حضرك شيء في هذا فقل ، فقال[2] :

أحيتْ صبوحي فكاهةُ اللاهي وطـاب يومي بقـربِ أشباهي
فــآثـرِ اللهــو في مكــامنــه من قبــل يــومٍ منغصٍ نــاهِ
بـابنـةِ كـرمٍ من كفِّ منتـطقٍ مـؤتــزرٍ بــالـمـجــون تـيــاهِ
يسقيـك من طـرفـه ومن يـدهِ سَـقْيَ لــطـيـفٍ مجــرِّبٍ داهِ
طـاساً وكـأسـاً كـأنَّ شـاربهـا حيـرانُ بين الذِّكـور والساهي

وذكر الصولي في « نوادره » قال : حدثني عليّ بن محمد بن نصر ، قال حدثني خالي أحمد بن حمدون ، قال قال الحسين بن الضحاك من أبيات وقد عُمِّر[3] :

أمــا فـي ثمــانـينَ وفَّيْـتُـهــا عــذيـرٌ وإن أنــا لم أعتــذرْ

---

(1) الأغاني 9 : وأشعار الخليع : 51 .
(2) الأغاني 7: 157، 186، 211، 216 وأشعاره : 122 .
(3) الأغاني 7: 219 وابن خلكان 2: 166 وأشعاره : 52 .

وقــد رفــع الــله أقــلامَــهُ عن ابنِ ثمــانينَ دون البشــرْ
وإنـي لـمـــن أُسَـــراءِ الإلـــه في الأرض نصبَ حروفِ القدرْ
فـإن يقضِ لي عملاً صـالحاً أثـاب وإن يقضِ شـراً غفـرْ

وقال[1] :

أصبحتُ من أُسَــراءِ اللّه محتسباً في الأرض نحو قضاءِ اللّه والقـدرِ
إن الثمــانين إذ وفَّيْتُ عِـدَّتـهـا لم تُبْـقِ بـاقيـةً منّي ولـم تـذرِ

قلت : والأصل في قول الحسين بن الضحاك هذا الحديث الذي رواه ابن قتيبة في « غريب الحديث »[2] قال حدثنا أبو سفيان الغنوي ، حدثنا معقل بن مالك عن عبد الرحمن بن سليمان عن عبيد اللّه بن أنس عن أنس عن النبي ﷺ قال : إذا بلغ العبدُ ثمانين سنة فإنه أسيرُ اللّه في الأرضِ تُكْتَبُ له الحسناتُ وتمحى عنه السيئات .

وقال[3] :

وصف البدرُ حُسْنَ وجهكَ حتى خِلْتُ أني ومـا أراكَ أراكـا
وإذا مـا تنفَّسَ النـرجسُ الغَـ ـضُّ تـوهمتُـهُ نسيمَ شـذاكـا
خُــدَعُ لـلمنى تعـللنـي فيـ ـك بـإشراقِ ذا وبهجـةِ ذاكـا

وقال[4] :

لا وحُــبِّيــك لا أُصــا فــحُ بـالـدمع مـدمعـا
من بكى شَجْــوَهُ استــرا ح وإن كـان مــوجـعـا
كـبــدي فـي هــواك أسـ ـقــمُ مـن أن تَــقَــطَّعـا
لم تــدعْ صــورةُ الضـنى فـيَّ لـلسـقـم مـوضـعـا

---

(1) الأغاني 7 : 221 وأشعاره : 62 .
(2) لم يرد في غريب الحديث لابن قتيبة ، حسبما تنبيء فهارسه .
(3) الأغاني 7 : 165 ، 166 ، وأشعاره : 88 ـ 89 .
(4) الأغاني 7 : 172 وأشعاره : 76 وابن خلكان 2 : 164 .

وقال[1] :

ألا إنما الدنيا وصالُ حبيبِ وأخذُكَ من مشمولةٍ بنصيبِ
ولم أر في الدنيا كخلوةِ عاشقٍ وبذلةِ معشوقٍ ونوم رقيبِ

وقال يمدح الوزير الحسن بن سهل[2] :

أرى الآمالَ غيرَ مُعَرِّجاتٍ على أحدٍ سوى الحسنِ بن سهلِ
يباري يومَه غدُهُ سماحاً كلا اليومين بانَ بكلِّ فضلِ
أرى حَسناً تقدم مستبدًّا بِبَعْدٍ من رياسته وَقَبْلِ
فإن حضرتك مشكلةٌ بشكٍّ شفاك بحكمةٍ وخطاب فصل
سليلُ مرازبٍ برعوا حلوماً وراع صغيرهم بسدادِ كهل
ملوكٌ إن جريتَ بهم أبرُّوا وعزّوا أنْ توازِيَهُمْ بعدل
ليهنك أنَّ ما أرجيتَ رشداً وما أمضيتَ من قول وفعل
وأنك مؤثرٌ للحقِّ فيما أراك الله في قَطْعٍ ووصل
وأنك للجميع حيا ربيعٍ يصوبُ على قرارةِ كلِّ مَحْلِ

وقال يمدح الواثق لما ولي الخلافة[3] :

أُكَتِّمُ وجدي فما ينكتمْ بمن لو شكوتُ إليه رَحِمْ
وإني على حُسْنِ ظنّي به لأحذرُ إنْ بُحْتُ أن يحتشمْ
ولي عند لحظته روعةٌ تحقّقُ ما ظنَّه المتهمْ
وقد علم الناسُ أني له محبٌّ وأحسبه قد علم
وإني لمغضٍ على لوعةٍ من الشوق في كبدي تضطرم
عشيةَ ودعتُ عن مدمعٍ سفوحٍ وزفرةِ قلبٍ سدم

(1) نهاية الأرب 4 : 115 وأشعاره : 29 .
(2) الأغاني 7 : 174 وأشعاره : 93 .
(3) الأغاني 7 : 191 وأشعاره : 96 .

فمـا كـان عنـد النوى مسعـدٌ سـوى الدمع يغسلُ طـرفاً كلِمْ
سـيـذكـرُ مـن بـان أوطـانَـهُ ويبكي المـقيـميـن من لـم يقـم

ومنها في المديح :

إلى خـازنِ الـله فـي خـلقـهِ سـراجِ الـنهـارِ وبـدرِ الـظُّلَمْ
ركـبـنـا غـرابـيـبَ زفّـافـة بـدجلةَ في مـوجهـا الملتـطمْ[1]
إذا مـا قصـدنـا لقـاطـولهـا ودهـمٌ قـراقيـرهـا تـصـطدم
وصـرنـا إلى خيـر مسكـونـةٍ تَـيَـمَّـمَـهـا راغـبٌ أو مـلـمّ
مـبـاركـةٍ شـاد بـنـيـانـهـا بـخيـرِ الـمـواطن خيـرُ الأمم
كـأنَّ بـهـا نَـشْـرَ كـافـورةٍ لـبـردِ نـداهـا وطيـبِ النَّسَـم
كـظهـر الأديم إذا مـا السحـابُ صـاب على متنهـا وانسجم
مـبـرّأةٌ مـن وحـولِ الـشـتـاء إذا مـا طـمى وحـله وارتكـم
فـمـا إن يـزالُ بـهـا راجـلٌ يمـرُّ الـهـويـنـا ولا يـلتـطم
ويـمـشـي عـلى رِسْـلِهِ آمـنـاً سـليمَ الـشِّـراك نقيَّ الـقـدمْ
وللنـونِ والضـبِّ في بـطنـهـا مـراتـعُ مسكـونـةٌ والـنَّعَـمْ[2]

ومنها :

يـضيـقُ الفـضـاءُ بـه إن غـدا بـطوْدَي أعـاريبـه والـعـجمْ
تـرى النصـرَ يـقـدُمُ رايـاتِـهِ إذا مـا خـفـقـن أمـامَ الـعَـلم
وفـي الـلّه دوّخَ أعـداءَهُ وجـرَّدَ فـيهـم سيـوفَ الـنقـمْ
وفي الله يـكـظمُ مـن غيـظه وفـي اللّه يـصفـحُ عـمن ظلم
رأى شِـيَـمَ الـجـودِ مـحـمـودةً ومـا شيـمُ الـجـودِ إلا قِـسَم
فـراح عـلى نـعـمٍ واغـتـدى كـأنْ لـيس يُـحْسِـنُ إلاّ نَـعـم

---

(1) الغرابيب : نوع من القوارب ، زفافة : مسرعة .

(2) النون والضبّ : كناية عن حاصلات البحر (النون : السمك) والبرّ .

وقال[1] :

أتاني منك ما ليس ... على مكروهِهِ صَبْرُ
فأغضيتُ على عمدٍ ... وقد يُغْضِي الفتى الحرُّ
وأدبتُك بالهجرِ ... فما أدَّبكَ الهجر
ولا ردَّكَ عما كا ... ن منك النصحُ والزجر
فلما اضطرَّني المكرو ... هُ واشتدَّ بيَ الأمر
تناولتُكَ من ضُرِّي ... بما ليس له قدر
فحركتَ جناحَ الذُّ ... لِّ لمّا مسَّك الضرُّ
إذا لم يُصلح الخيرُ امْـ ... ـرَءًا أصلحه الشرُّ

وغضب عليه المعتصم لشيء جرى منه على النبيذ فكتب إليه يسترضيه[2] :

غضبُ الإمام أشدُّ من أدبِهْ ... وقد استجرتُ وَعُذْتُ من غَضَبِهْ
أصبحتُ معتصماً بمعتصمٍ ... أثْنَى الإلهُ عليه في كتبهْ
لا والذي لم يُبْقِ لي سبباً ... أرجو النجاةَ به سوى سببه
ما لي شفيعٌ غيرُ حُرْمَتِهِ ... ولكلٍّ من أشفى على عطبه

ـ 375 ـ

الحسين بن عبد الله بن سينا أبو علي الفيلسوف : مات في سادس شعبان

375 ـ ترجمته في عيون الانباء 2 : 1 ـ 20 وتاريخ الحكماء : 413 وابن خلكان 2 : 157 والجواهر المضية 1 : 195 والبداية والنهاية 12 : 42 ولسان الميزان 2 : 291 والوافي 12 : 391 والنجوم الزاهرة 5 : 25 وروضات الجنات 3 : 170 . وهذه الترجمة من المختصر وهي مما أخلّت به (م) . والاعتماد في مقارنة هذه الترجمة على ما جاء في عيون الأنباء ؛ ولكن صاحب المختصر حذف كثيراً ، وهذا شيء لا يفعله ياقوت ؛ لأن الحذف هنا يخل بتتابع السياق .

(1) أشعار الخليع : 55 .

(2) الأغاني : 164 وأشعاره : 31 .

سنة ثمان وعشرين وأربعمائة عن ثمان وخمسين سنة . حدث بخبره صاحبه أبو عبيد الجوزجاني عنه قال : كان أبي رجلاً من أهل بلخ فانتقل إلى بخارى ، وتولّى عملاً في أيام نوح بن منصور الساماني بقرية يقال لها خَرْمَيْثَن[1] ، وتزوج أبي من قرية تلاصقها يقال لها أفْشَنَة ، وبها ولدت . ثم انتقلنا إلى بخارى ، وأحضرت معلم القرآن والأدب ، فأكملت العشر وقد حفظت القرآن . وقدم علينا أبو عبد اللّه الناتلي ، وكان يدّعي معرفة علم الفلسفة ، وقبل قدومه كنت أشتغلُ بالفقه ، فقرأت عليه كتاب « إيساغوجي » . فكان إذا مرَّتْ مسألةٌ تصورتها خيراً منه حتى قرأتُ عليه ظواهرَ المنطق ، ثم أخذت أقرأ الكتب على نفسي وأطالع الشروحَ حتى أحكمتُ علمَ المنطق وإقليدس ، ثم انتقلت إلى المجسطي فقال لي الناتلي : تولَّ حلَّه بنفسك ، ثم أعرضه عليَّ لأبين لك صوابه من خطئه ، فحللتُ الكتابَ وعرضته عليه فكم من مشكل ما عرفه إلا وقت عرضي عليه ، ثم رغبتُ في علم الطبِّ ، وصرتُ أقرأ الكتبَ المصنفةَ فيه ، وعلمُ الطب ليس من العلوم الصعبة ، فلا جرم أنني برزت فيه في أقلِّ مدة حتى بدأ فضلاء الطبّ يقرأون عليَّ ، وتعهدتُ المرضى فانفتح لي من المعالجات المقتبسة من التجربة ما لا يوصف . هذا وأنا أختلفُ إلى الفقه وأناظر فيه وأُحكمه . وكنتُ حينئذٍ من أبناء ست عشرة سنة ، وما نمتُ في هذه المدة ليلةً بطولها . وكان إذا أشكل عليَّ شيءٌ بتُّ وأنا مهموم فأراه في المنام فيتضحُ لي في الأحلام حتى أحكمت علم المنطق والطبيعي والرياضي . ثم عدت إلى العلم الإلهي ، وقرأتُ منه كتاب « ما بعد الطبيعة » فما كنتُ أفهمه ، والتبس عليّ غرضُ واضعه حتى أعدتُ قراءته أربعين مرة ، فصار لي محفوظاً وأنا لا أفهمه ، ويئستُ منه وقلتُ : هذا كتابٌ لا سبيلَ إلى فهمه ألبتة . فحضرتُ يوماً في الوراقين والمنادي ينادي على كتاب في الحكمة ، وعرضَهُ عليَّ فأعرضتُ عنه ، فقال لي : اشتره فصاحبُهُ محتاجٌ فاشتريته بثلاثة دراهم ، وإذا هو كتابٌ لأبي نصر الفارابي في أغراض كتاب « ما بعد الطبيعة » فطالعتُهُ ففهمت الكتاب وتصدقتُ على الفقراء بشيءٍ كثير ، شكراً للّه تعالى على ذلك . وكان إذا استغلق عليَّ شيءٌ من العلوم ، قصدتُ الجامع ، وصلَّيتُ وتضرعتُ إلى مُبْدع الكلِّ حتى يُسهِّلَهُ

---

(1) ر : جريمس .

عليّ . وكان سلطان بخارى نوح بن منصور قد مرض في تلك الأيام مرضاً عجز عنه أطباؤه ، وكان اسمي قد اشتهر بينهم فحضرني وشكرني في مداواته وصلُح . فسألته يوماً الإذن لي في دخول دار كتبهم ومطالعتها فأذِن لي فدخلتُ داراً عظيمة فيها كتب كثيرة تفوت العدَّ والحصر ، وطالعتُ كتبَ الحكمة التي بها ووقع لي بها ما لم أكن رأيتُ قبلها ولا بعدها ، وظفرتُ بفوائدها . فلما بلغت ثماني عشرة سنة أتقنت هذه العلوم كلَّها . وكان في جيراننا رجل يقال له أبو الحسن العروضي[1] يسألني أن أصنّفَ له كتاباً جامعاً في هذه العلوم، فصنفتُ له المجموع ، وسميته به ، وأتيت فيه على جميع العلوم ،ولي حينئذ إحدى وعشرون سنة،وصنّفْتُ كتاب « الحاصل والمحصول » في قريب من عشرين مجلدة . وصنفتُ في الأخلاق كتاباً سمَّيتُهُ كتاب « البر والإثم » وهذان الكتابان قلّ أن يوجدا . ثم مات والدي وتصرفت في أعمال السلطان ، ودعتني الضرورة إلى الانتقال عن بخارى إلى كركانج ، وأبو الحسن السهلي المحبّ لهذه العلوم بها وزير، ثم انتقلت إلى نسا وقصدت الأمير قابوس بن وشمكير صاحب جرجان فاتفق أني وصلتها وقد مات ، فرجعت إلى دهستان[2] ، ثم عدت إلى جرجان ، وأنشأت في حالي قصيدة شعرٍ منها :

لما عظُمْتُ فليس مصرٌ واسعي ... لما[3] غلا ثمني عدمْتُ المشتري

ولأبي علي أشعار منها :

تنفسَ عن عذاركَ صبحُ شيْبٍ ... وعسعس ليلهُ فلم التصابي
شبابُكَ كان شيطاناً رجيماً ... فَيُرْجَمُ من مشيبك بالشهابِ

وكان بجرجان رجلٌ يقال له أبو محمد الشيرازي أنزل الرئيس في دار له في جواره ، فصنّف له كتاب « المبدأ والمعاد » وكتاب « الأرصاد » . وصنف كتباً كثيرة كأول « القانون » و« مختصر المجسطي » وكثيراً من الرسائل . ثم صنف في أرض الجبل بقيةَ كتبهِ ، ثم انتقل إلى الري ، واتصل بخدمة السيدة وابنها مجد الدولة ،

---

(1) عيون الأنباء : أبو الحسين العروضي .
(2) ر : دهيان .
(3) ر : حتى .

وكانت السوداء تغلب على مجد الدولة فاشتغل بمداواته . وصنف هناك كتاب « المعاد » . ثم اتفقتْ أسباب أوجبت خروجه إلى همذان واتصل بخدمة كذيانويه والنظر في أسبابها . وأصاب شمس الدولة أبا طاهر ابن مجد الدولة أبي الحسن بن ركن الدولة أبي علي الحسن بن بويه قولنج كان سبباً لاتصال الرئيس به فعالجه حتى شفاه الله تعالى ففاز من مجلسه بخلع ودنانير ، وصار من ندمائه . واتفق نهوض الأمير بويه إلى قرمسين لحرب عناز[1] والشيخ صحبته ، ثم توجّه إلى همذان منهزماً والشيخ صحبته ، وسألوه تقليدَ الوزارة فتقلدها ، ثم اتفق شَغْب العسكرِ عليه ، وكبسوا داره ، وأغاروا على أمواله ، وساموا الأمير قتله ، فامتنع عنه ، وعدلَ إلى نفيه عن حضرته طلباً لمرضاتهم، فتوارى في دار لبعض أصحابه أربعين يوماً، فعاوَدَ الأمير شمس الدولة علةُ القولنج ، وطلبه فحضر مجلسه ، واعتذر إليه ، ثم عالجه حتى صلح ، وأعيدت الوزارة إليه ثانياً . وكان مع ذلك يجتمعُ إليه في كل ليلةٍ طلاب العلم فيقرأون ، فإذا فرغوا حضر المغنون وهيء[2] المجلس للشراب ، ويشتغل به ، ثم توجَّه الأمير شمس الدولة إلى طارم لحربها ، وعاوده القولنج ، وانضاف إلى ذلك أمراضٌ أُخر جلبها سوءُ تدبيره ، وقلة قبوله من الشيخ ، ومات في الطريق ، وولّوا ابنه أمير الأمراء أبا الحسن علياً ، وهو طفل ، وطلبوا إلى الرئيس أن يتولّى وزارته فأبى عليهم ، وكاتب علاءَ الدولة أبا جعفر محمد بن أبي العباس المعروف بابن كاكويه سرّاً يطلبُ خدمته ، والانضمامَ إليه ، وكان خال السيدة أم مجد الدولة ، وابنه أبو جعفر من قبلها بأصبهان مستولٍ عليها ، ثم نمي إلى تاج الملك بهرام بن شيرزاد ، وكان مستولياً على شمس الدولة وهو متقدم الختلية وصاحب جيشه والمستولي بعده على الأمر والقائم بأمر ولده ، أنه قد كاتب علاء الدولة فجدَّ في طلبه حتى أخذه وأودعه قلعة بردوان[3] ، فقال قصيدة فيها :

دخولي كاليقينِ كما تراه وكلُّ الشكِّ في أمر الخروجِ

(1) ر : عمار .
(2) ر : وعى ؛ وفي الوافي وتاريخ الحكماء : وعبىء .
(3) عيون الأنباء : فردجان .

وبقي هناك أربعة أشهر حتى قصد علاءُ الدولـة همذان وأخـذها ، وهـزم تاجَ الملك ، ومضى إلى تلك القلعة بعينها ، ورجع علاءُ الدولة عن همذان ، وعاد تاجُ الملك وابن شمس الدولة إلى همذان ، وحملوا معهم أبا علي فأقام هناك ، وخرج متنكراً وأنا وأخوه وغلامان في زيِّ الصوفية إلى أصبهان ، واستقبلنـا أصحاب عـلاءِ الدولة والوجوه ، وحمل إلينا الثياب والمال ، وأنزلنا أكرم منزل . وكان يحضر مجلس المناظرة بين يدي علاء الدولة ، فما كان يطاق في شيءٍ من العلوم . واختص بعلاء الدولة وصار من ندمائه . وكان الشيخ يوماً بين يدي الأمير وأبو منصور الجبائي حاضرٌ فجرى في اللغة مسألة تكلم الشيخ فيها بما حضره ، فالتفت إليه الشيخ أبو منصور ، وقال له : أنتَ فيلسوف وحكيم ، وليس الكلام في هـذا من صناعتـك ، فاستنكف الشيخ من هذا الكلام ، وتوفر على درس كتب اللغة ثلاث سنين ، واستدعى كتاب « تهذيب اللغة » من تصنيف أبي منصور الأزهري من خراسان ، فبلغ الشيخ في اللغة طبقةً قلّما يتفقُ مثلها ، وصنّف ثلاثة كتب وكتبها : أحدها على طريقة ابن العميد ، والثـاني على طريقـة الصاحب ، والثـالث على طـريقـة الصـابي ، وجلّدهـا وأخلق جلودها . وسأل الأميرَ عَرْضَ تلك المجلدات على أبي منصور الجبائي ، وذكر أنه ظفر بتلك المجلدات في الصحراء وقت الصيد ، فنظر فيها الجبائي ، وأشكل عليه كثير مما فيها . فقال له الشيخ : إن الذي جهلته من هذا الكتاب مذكورٌ في الكتاب الفلاني من كتب اللغة ، وذكر له كتباً معروفة ، ففطن الجبائي لما أريد ، وأن الذي حمله على ذلك ما جبهه به فتنصل واعتذر إلى الشيخ ، ثم صنّف الشيخ كتاباً في اللغـة سماه « لسان العرب » لم يصنف في اللغة مثله ، ولم ينقله إلى البياض حتى توفي ، فبقي على مُسَوَّدته لا يَهْتَدي أحدٌ إلى موضعه[1] .

وكان قد حصل له تجاربُ كثيرة فيما باشره من المعالجات عزم على تدوينها في كتاب « القانون » وكان قد علّقها على أجزاء ، فضاعت قبل تمام الكتاب ، منها أنه صُدِّعَ يوماً فتصوّر أنه من مادةٍ تريدُ النزول إلى حجاب رأسه ، وأنه لا يأمن ورماً يحصلُ فيه . فأمر بإحضار ثلج كثير ودقّه ولفّه في خرقةٍ ، وغطىّ رأسه بها، ففعل ذلك حتى

(1) عيون الأنباء : ترتيبه .

قوي الموضع ، وامتنع عن قبول تلك المادة ، وعوفي من ذلك . ووضع في حال الرصد آلات ما سُبِقَ إليها .

وكان قويَّ القوى كلها، وكانت قوةُ المجامعةِ من قواه الشهوانية أقوى وأغلب. وكان كثيراً ما يشتغلُ به فأثر في مزاجه حتى صار في السنة التي حارب فيها علاء الدولة ابن فراس[1] على باب الكرخ أخذ الشيخَ قولنج، ولحرصه على برئه إشفاقاً من هزيمة يُدْفَعُ إليها لا يتأتى له المسير فيها مع المرض حقن نفسه في يوم واحد ثماني مرات حتى تقرَّحَ بعضُ أمعائه ، وظهر به سحج وأحْوجَ إلى المسير مع علاء الدولة نحو إيذج فظهر به علة الصرع الذي يتبع علة القولنج ، ومع ذلك كان يدير نفسه ويحقنُ نفسه لأجل السحج ولبقية القولنج، فأمر يوماً باتخاذ دانقين [من] بزر الكرفس في جملة ما يحقن به ، وخلطه بها لكسر ريح القولنج به ، فقصد بعض الأطباء الذي كان يتقدم إليه يعالجه وطرح [من] بزر الكرفس خمسة دراهم إما عمداً أو خطأ، فازداد السحج بذلك [من] حدة التبرز . وكان يتناول مثرودطوس لأجل الصرع ، فقام بعضُ غلمانه ، وطرح شيئاً كثيراً من الأفيون فيه وناوله فأكله ، وكان سبب ذلك خيانتهم في مالٍ كثيرٍ من خزانته ، فتمنوا هلاكه ليأمنوا عاقبةَ أفعالهم .

ونقل الشيخ إلى أصفهان فاشتغل بتدبير[2] نفسه ، وكان من الضعف بحيث لا يقدر على القيام ، فلم يزل يعالج نفسه حتى قدر على المشي ، وحضر مجلسَ علاء الدولة ، لكنه مع ذلك لا يتحفظ ، ويكثرُ من التخليط في أمرِ المجامعة ، ولم يبرأ من العلة كلَّ البرء ، فكان ينتكس ويبرأ كلَّ وقت . فلما قصد علاءَ الدولة سار معه إلى همذان فعاودته تلك العلة ، فلما استقر بهمذان وعلم أن قوته قد سقطت ، وأنها لا تفي بدفع المرض فأهمل مداواة نفسه ، فأخذ يقول : المدبّر الذي [كان] يدبّر [بدني] قد عجز عن التدبير ، والآن فلا تنفع الحكمة والمعالجة . وبقي على هذا أياماً ، ثم انتقل إلى جوار ربه .

ومن شعره :

محرّكَ الكلِّ أنت القصدُ والغرضُ وغـايـةٌ مـا لهـا حـدٌّ ولا عِـوَضُ

---

(1) عيون : تاش فراش . (2) ر : يدبر .

إن دار في خَلَدي مقدارُ خَرْدلةٍ ... سوى جلالك فاعلم أنه مرضُ

وله أيضاً :

هبطتْ إليكَ من المحلِّ الأرفع ... ورقاء ذات تعزُّزٍ وتمنُّعِ
محجوبةٌ عن كلِّ مقلةِ عارفٍ ... وهي التي سَفَرَتْ فلم تتبرقعِ
وصلتْ على كَرْهٍ إليكَ وربما ... كَرِهَتْ فراقك وهي ذاتُ تفجعِ
أَنِفَتْ وما سكنتْ فلما واصلت ... ألفت مجاورة الخراب البلقع
وأظنها نسيتْ عهوداً بالحمى ... ومنازلاً بفراقها لم تقنعِ
حتى إذا اتصلت بهاءِ هبوطِها ... من ميم مركزها بذاتِ الأجرع
علقت بها ثاءُ الثقيل فأصبحَت ... بين المعالم والطلول الخشّعِ
تبكي إذا ذكرت عهوداً بالحمى ... بمدامعٍ تهمي ولم تتقطعِ[1]
وتظلُّ ساجعةً على الدمنِ التي ... دَرَسَتْ بتكرارِ الرياح الأربع
إذ عاقها الشركُ الكثيفُ وصدَّها ... قفصٌ عن الأوج الفسيح المربعِ
حتى إذا قَرُبَ المسيرُ من الحمى ... ودنا الرحيلُ إلى الفضاءِ الأوسع
وغدتْ مفارقةً لكلِّ مخلف ... عنها حليف الترب غير مشيّعِ
سَجَعَتْ وقد كُشِفَ الغطاءُ فأدركت ... ما ليس يُدْرَكُ بالعيون الهُجّعِ[2]
وغدت تغرّدُ فوق ذروةِ شاهقٍ ... سامٍ على قَعْرِ الحضيضِ الأوضعِ
إن كان أرسلها الإلهُ لحكمةٍ ... طويتْ عن الفذ اللبيب الأروع
فهبوطها إن كان ضربةَ لازبٍ ... لتكونَ سامعةً بما لم تسمعِ
فتعودَ عالمةً بكلِّ حقيقةٍ ... في العالمين وخرقُها لم يُرْقعِ
فهي التي قطع الزمانُ طريقها ... حتى لقد غربت بغير المطلع
فكأنها برقٌ تعرَّضَ بالحمى ... ثم انطوى فكأنَّه لم يلمعِ

(1) الوافي : ولما تقلع .

(2) جمع هنا بيتين مما ورد في العيون .

ومصنفاته : كتاب المجموع مجلدة[1] . كتاب الحاصل والمحصول عشرون مجلدة . كتاب البر والإثم مجلدتان . كتاب الشفاء ثماني عشرة مجلدة[2] . كتاب القانون في الطب ثماني عشرة مجلدة[3] . كتاب الأرصاد الكلية مجلدة . كتاب الإنصاف عشرون مجلدة . كتاب النجاة ثلاث مجلدات[4] . كتاب الهداية مجلدة . كتاب الإشارات[5] مجلدة . كتاب المختصر الأوسط مجلدة . كتاب العلائي مجلدة . كتاب القولنج . كتاب لسان العرب في اللغة عشر مجلدات . كتاب الأدوية القلبية مجلدة . كتاب الموجز مجلدة . كتاب بعض الحكمة المشرقية مجلدة . كتاب بيان ذوات الجهة مجلدة . كتاب المعاد مجلدة . كتاب المبدأ والمعاد مجلدة [6] .

ورسائله : رسالة القضاء والقدر . رسالة في الآلة الرصدية . رسالة عرض قاطيغورياس . رسالة المنطق بالشعر . قصائد في العظة والحكمة . رسالة في نعوت المواضيع الجدلية . رسالة في اختصار إقليدس . رسالة في مختصر النبض بالفارسية . رسالة في الحدود . رسالة في الأجرام السماوية . كتاب الإشارة في علم المنطق . كتاب أقسام الحكمة . كتاب النهاية . كتاب عهد كتبه لنفسه . كتاب حي بن يقظان[7] . كتاب في أن أبعاد الجسم ذاتية له . كتاب خطب . كتاب عيون الحكمة .

---

(1) له بهذا الاسم كتاب المجموع أو الحكمة العروضية، تحقيق د . محمد سليم سالم ، مكتبة النهضة المصرية ، ثم طبعة ثانية بمطبعة دار الكتب 1969 .

(2) نشرت منه أقسام رأيت منها أجزاء في المنطق وفي الآثار العلوية .

(3) هو في ثلاثة أجزاء ، صورته دار صادر ببيروت .

(4) في مجلدة واحدة طبع القاهرة 1938 وأعيد طبعها بتحقيق د . ماجد فخري ، بيروت 1985 .

(5) الإشارات والتنبيهات (مع شرح الطوسي) ، طهران 1378 .

(6) له في هذا الموضوع رسالة أضحوية في أمر المعاد ، تحقيق سليمان دنيا ، القاهرة 1949 .

(7) طبعت مع رسائل أخرى في ليدن 1889 بعناية (Mehren) .

وقد طبعت له كتب ورسائل أخرى مثل : التعليقات تحقيق د . عبد الرحمن بدوي ، القاهرة 1973 . وأحوال النفس ، تحقيق د . أحمد فؤاد الأهواني ، القاهرة 1952 وعيون الحكمة ، تحقيق د . عبد الرحمن بدوي (الكويت ـ لبنان) 1980 وأفرد أحمد آتش رسالة العشق بالتحقيق (استانبول 1953) وكانت قد ظهرت في مجموعة مهرن المذكورة سابقاً ، ورسالة أسباب حدوث الحروف ، تحقيق محمد حسان الطيان ويحيى مير علم ، دمشق 1983 ؛ وفي مرحلة مبكرة نشرت له تسع رسائل معاً ، مصر 1908 وغير ذلك مما فاتني الاطلاع عليه .

كتاب في أنه لا يجوز أن يكون شيء واحد جوهرياً وعرضياً . كتاب في أن علم زيد غير علم عمرو . رسائل إخوانية وسلطانية . مسائل جرت بينه وبين بعض العلماء[1] .

ـ 376 ـ

الحسين بن عبد الله بن يوسف بن أحمد بن شبل أبو علي البغدادي : ولد في بغداد وبها نشأ وبها توفي سنة أربع وسبعين وأربعمائة . كان متميزاً بالحكمة والفلسفة خبيراً بصناعة الطب أديباً فاضلاً وشاعراً مجيداً . أخذ عن أبي نصر يحيى بن جرير التكريتي وغيره . وهو صاحب القصيدة الرائية التي نسبت للشيخ الرئيس ابن سينا وليست له ، وقد دلَّتْ هذه القصيدة على علوِّ كعبه في الحكمة والاطلاع على مكنوناتها ، وقد سارت بها الركبان وتداولها الرواة ، وهي[2] :

بربِّكَ أيّها الفلكُ المدارُ ... أقصدٌ ذا المسيرُ أم اضطرارُ
مدارُكَ قلْ لنا في أيِّ شيءٍ ... ففي أفهامنا منك انبهارُ
وفيك نرى الفضاءَ وهل فضاءٌ ... سوى هذا الفضاءِ به تدارُ
وعندك تُرْفَعُ الأرواحُ أم هل ... مع الأجسادِ يدركها البوار
وموجٌ ذي المجرّةُ أم فِرِندٌ ... على لُجَجِ الذراعِ لها مدار
وفيك الشمسُ رافعةٌ شعاعاً ... بأجنحةٍ قوادِمُها قصار

376 ـ ترجمة ابن شبل في عيون الأنباء 1 : 247 واسمه فيه كما ذكره ياقوت ، وترجم له آخرون باسم محمد بن الحسين بن عبد الله كما هي الحال في الفوات 3 : 340 والوافي 3 : 11 والمحمدون من الشعراء : 270 ـ 290 (وأورد منتخبات من شعره مرتبة على حروف المعجم) وانظر المنتظم 8 : 328 وابن خلكان 4 : 393 والنجوم الزاهرة 5 : 111 ودمية القصر 1 : 352 (ط. مصر) والبدر السافر : 91 والبداية والنهاية 12 : 121 .

(1) من أمثلة ذلك المراسلات بينه وبين البيروني ، تحقيق سيد حسين نصر ومهدي محقق ، تهران 1352 .
(2) الوافي والفوات وعيون الأنباء .

وطـوقٌ للنجـوم إذا تـبـدى[1] هـلالُـكَ أم يـدٌ فيهـا سـوارُ
وأفـلاذٌ[2] نجـومُـكَ أم حبـابٌ تُـؤَلِّـفُ بـيـنـه لـجـجٌ غـزارُ
وَتُنْشَرُ في الفضا[3] ليلاً وتُطْوَى نـهـاراً مـثـلـمـا يُـطْوَى الإزار
فكم بصقـالهـا صدىءَ البـرايـا ومـا يَصْـدا لهـا أبـداً غـرارُ
تـبـادى ثم تـخـنسُ راجـعـاتٍ وتكنسُ مـثلمـا كَـنَسَ الصّـوار
فبينا الشـرقُ يقـدمها صعـوداً تلقّـاهـا من الـغـرب انحـدارُ
على ذا قـد مضى وعليه يمضي طـوالُ مُـنـىً وآجـالٌ قـصـار
وأيـامٌ تَـعـرَّقُـنَـا مُـدَاهـا لـهـا أنفـاسـنـا أبـداً شِـفـارُ
ودهـرٌ يـنـشـرُ الأعـمـارَ نـشـراً كمـا للوردِ في الـروض انتشـار
ودنـيـا كلمـا وضـعتْ جنينـاً غَـذَتْـهُ مـن نـوائـبـهـا ظئـارُ
هي العشـواءُ مـا خبـطتْ هشيمٌ هي العجمـاءُ مـا جَـرَحَتْ جُبـارُ
فـمن يـومٍ بـلا أمسٍ ويـومٍ بـغيـرِ غـدٍ إلـيـه بنـا يـسـارُ
ومـن نـفـسـيـن فـي أَخْـذٍ وردٍّ لـروح المـرء في الجسم انتشـار
وكم من بعـد مـا كـانت نفوسٌ إلى أجسـامهـا طـارت وطـاروا
ألم تـكُ بـالجـوارح آنسـاتٍ فـأعقب ذلـك الأنسَ النفـارُ[4]
فـإن يـك آدمٌ أشـقـى بـنـيـه بـذنـبٍ مـا لـه منـه اعتـذارُ
ولـم ينفعـه بـالأسـمـاءِ علـمٌ ومـا نفـع السجـودُ ولا الجـوار
فـأُخْـرِجَ ثـم أُهـبطَ ثـم أُوْدَى فَتُـرْبُ السـافيـاتِ لـه شعـار
فـأدركـه بـعـلـم الـلّه فـيـه من الكلمـاتِ للذنـبِ اغتفـار
ولـكـنْ بـعـد غـفـرانٍ وعـفـوٍ يُـعَـيِّـرُ مـا تـلا لـيـلاً نـهـار

---

(1) عيون : من الليالي .
(2) عيون : وترصيع .
(3) عيون : تمدّ رقومها .
(4) عيون : فكم بالقرب عاد لها نفار .

لقد بلغ العدوُّ بنا مُناهُ … وحلَّ بآدمٍ وبنا الصغارُ
وتهنا ضائعين كقوم موسى … ولا عجلٌ أضلَّ ولا خوارُ
فيا لكِ أكلةً ما زال منها … علينا نقمةٌ وعليه عار
نعاقَبُ في الظهورِ وما وُلِدْنا … وَيُذْبَحُ في حَشَا الأمِّ الحوار
وننتظر البلايا والرزايا … وبعدُ فللوعيد لنا انتظار
ونخرجُ كارهين كما دخلنا … خروجَ الضبِّ أخرجه الوجار
فماذا الإمتنانُ على وجودٍ … لغير الموجدين به الخيار
وكان وجودنا خيراً لو آنا[1] … نخيَّرُ قبله أو نستشارُ
أهذا الداءُ ليس له دواءٌ … وهذا الكسرُ ليس له انجبار
تحيَّرَ فيه كلُّ دقيقِ فهم … وليس لعمقِ جرحهم انسبارُ
إذا التكويرُ غالَ الشمسَ عنّا … وغال كواكبَ الأُفْقِ انتثارُ
وَبُدِّلْنا بهذي الأرض أرضاً … وطوِّحَ بالسموات انفطارُ
وأُذْهِلَتِ المراضعُ عن بنيها … لدهشتها وَعُطِّلَتِ العشار
وغشّى البدرَ من فَرَقٍ وذعرٍ … خسوفٌ ليس يُجْلَى أو سرار
وَسُيِّرَت الجبالُ فكنَّ كثباً … مَهيلاتٍ وَسُجِّرَتِ البحار
فأين ثباتُ ذي الألباب منا … وأين مع الرجوم لنا اصطبار
وأين عقولُ ذي الأفهام مما … يُرادُ بنا وأينَ الإعتبار
وأين يغيبُ لبٌّ كان فينا … ضياؤك من سناه مستعار
ولا أرضٌ عَصَتْهُ ولا سماءٌ … ففيم يغولُ أنجمَها انكدارُ
وقد وافته طائعةً وكانت … دخاناً ما لقاتِرِه شرارُ
قضاها سبعةً والأرضَ مهداً … دحاها فهي للأمواتِ دارُ
فما لسموٍّ ما أعلى انتهاءٌ … وما لعلوٍّ ما أرسَى قرار

---

(1) عيون : وكانت أنعماً لو ان كونا .

ولكن كـلُّ ذا التهـويـلِ فيـه لمن يَـخْشـى اتعـاظٌ وازدجـارُ

وقال[1] :

بنا إلى الدير من كوثَى[2] صباباتُ فلا تلمني فما تغني[3] الملاماتُ
لا تبعدنَّ وإن طال الـزمانُ بها أيـامُ لهـوٍ عهـدنـاهـا وليـلاتُ
فكم قضينا لبانـاتِ الشباب بها غُنْمـاً وكم بقيتْ عندي لبـانـات
مـا أمكنـت دولـةُ الأيـام مقبـلةً فـانعمْ ولـذَّ فـإن العيشَ تـاراتُ
قبلَ ارتجاعِ الليالي فهي عاريةٌ فـإنما مُنَـحُ الـدنيـا غـرامـات
قم فاجلُ في فَلَكِ البستان شمسَ ضحىً بـروجُها الـزُّهْـرُ والجامـاتُ داراتُ
لعله إن دعـا داعي الحِمـامِ بنـا نـقضـي وأنفسُنـا منهـا رَوِيّـات
بـمَ التعللُ لـولا الـراحُ في زمنٍ أحيـاؤه في سبـاتِ الهمِّ أمـواتُ
بـدتْ تحيِّي فقـابلنـا تحيَّتـهـا وقـد عراهـا لخوفِ المـزج روعات
مـدَّت أشعـةَ بـرقٍ من أبـارقهـا على مقـابلهـا منهـا شعـاعـاتُ
فلاح في ساق ساقيها خلاخلُ مِنْ تِبـرٍ وفي أوْجُـهِ النـدمـانِ شـارات
قـد وقَّع الصفـوُ سطراً من فـواقعها «لا فارقتْ شاربَ الـراح المسراتُ»
خُذ ما تعجَّلَ واترك ما وُعِدْتَ به وكـنْ لبيبـاً فـللتـأخيـر آفـات
ولـلسـعـادةِ أوقـاتٌ مـقـدَّرةٌ فيهـا الـسـرورُ ولـلأحـزانِ أوقـات

وقال[6] :

أيـا جبلي نـعمـانَ بـالله خلِّيـا نسيمَ الصبـا يخلصْ إليَّ نسيمُهـا
أجـدْ بـردهـا أو تَشْفِ منّي حرارةً على كبـدٍ لم يبـقَ إلا صميمهـا

(1) الوافي والفوات وعيون الانباء .
(2) الوافي : درتا ؛ الفوات : درنا .
(3) الفوات : تجدي .
(4) الفوات : وفي حشاها لقرع المزج .
(5) الفوات : ملاءات .
(6) تنسب لمجنون ليلى وقد وردت في ديوانه : 252 .

فإن الصَّبا ريحٌ إذا ما تنفستْ ... على كبدٍ حرَّاءَ قَلَّتْ همومها

وقال[1] :

ليكفكمُ ما فيكمُ من جوىً نَلْقَى ... فمهلاً بنا مهلاً ورفقاً بنا رفقا
وحرمةِ وجدي لا سلوتُ هواكمُ ... ولا رُمْتُ منه لا فكاكاً ولا عتقا
سأزجرُ قلباً رام في الحبِّ سلوةً ... وأهجره إن لم يمتْ بكمُ عشقا
صحبتُ الهوى يا صاحِ حتى أَلِفْتُهُ ... فأضناه لي أشقَى وأفناهُ لي أبقى
فلا الصبرُ موجودٌ ولا الشوقُ بارحٌ ... ولا أدمعي تطفي لهيبي ولا ترقا
أخافُ إذا ما الليلُ أرخى سدولَهُ ... على كبدي حرقاً ومن مقلتي غرقا
أَيَجْمُلُ أن أُجْزَى عن الوصلِ بالجفا ... فينعمَ طرفي والفؤادُ بكم يشقى
أحظيَ هذا أم كذا كلُّ عاشق ... يموتُ ولا يحيا ويظمَا فلا يُسقى
سلِ الدهرَ علَّ الدهرَ يجمعُ شملنا ... فلم أرَ ذا حالٍ على حاله يبقى

وقال :

إذا كان دوني مَنْ بُليتُ بجهله ... أَبَيْتُ لنفسي أن أُقابلَ بالجهلِ
وإن كنتُ أدنى منه في الحلم والحجى ... عرفتُ له حقَّ التقدمِ والفضلِ
وإن كان مثلي في الفطانةِ والحجى ... أردتُ لنفسي أن أجلَّ عن المثلِ

وقال[2] :

وفي اليأس إحدى الراحتين لذي الهوى ... على أن إحدى الراحتين عذابُ
أعفُّ وبي وجدٌ وأسلو وبي جوىً ... ولو ذاب مني أعظمٌ وإهابُ
وآنفُ أن تصطادَ قلبيَ كاعبٌ ... بلحظٍ وأن يُرْوي صدايَ رضاب
فلا تنكروا عزَّ الكريم على الأذى ... فحين تجوعُ الضارياتُ تُهاب

(1) عيون الأنباء 1 : 251 .
(2) عيون الأنباء 1 : 252 .

وقال[1] :

وكأنما الانسانُ منّا غيرُه ... متكوِّناً والحسنُ فيه مُعَارُ
متصرفاً وله القضاءُ مُصَرِّفٌ ... ومكلفاً[2] وكأنه مختارُ
طوراً تصوِّبه الحظوظُ وتارةً ... خطأ تُحيلُ صوابَهُ الأقدار
تَعْمَى بصيرته ويبصرُ بعدما ... لا يستردّ الفائتَ استبصار
فتراه يؤخذ قلبُهُ من صدره ... ويُرَدُّ فيه وقد جرى المقدار
فيظلُّ يوسِعُ[3] بالملامةِ نفسَهُ ... ندماً إذا عبثتْ به الأفكار
لا يعرفُ الإفراطَ في إيراده ... حتى يُبيِّنه له الإصدار

وقال[4] :

تلقَّ بالصبر ضيفَ الهمِّ حيث أتى ... إنَّ الهمومَ ضيوفٌ أكْلها المهجُ
فالخطبُ إن زاد يوماً فهو منتقصٌ ... والأمر إن ضاق يوماً فهو منفرجُ
فروِّحِ النفسَ بالتعليلِ ترضَ به ... واعلم إلى ساعةٍ من ساعةٍ فرجُ

وقال[5] :

احفظْ لسانَكَ لا تَبُحْ بثلاثةٍ ... سرٍّ ومالٍ ما استطعتَ ومذهبِ
فعلى الثلاثةِ تُبتَلى بثلاثةٍ ... بمكفِّرٍ وبحاسدٍ ومكذِّبِ

وقال[6] :

وعلى قَدْر عقله فاعتب المر ... ءَ وحاذر بَرّاً يصيرُ عَقُوقا
كم صديقٍ بالعَتْبِ صار عدوّاً ... وعدوٍّ بالحلم صار صديقا

---

(1) عيون الأنباء 1 : 250 والوافي 3 : 14 والفوات 3 : 342 .
(2) م : ومخير ، (وما قبلها على الرفع : متكون ، متصرف) .
(3) في المصادر : يضرب .
(4) عيون الأنباء 1 : 251 والمحمدون : 276 .
(5) عيون الأنباء 1 : 252 .
(6) عيون الانباء 1 : 251 .

وقال[1] :

ثَقُلَتْ زجاجاتٌ أتتنا فرَّغاً حتى إذا مُلئتْ بصرفِ الرَّاحِ
خَفَّتْ فكادتْ أن تطيرَ بما حَوَتْ وكذا الجسومُ تخفُّ بالأرواحِ

وقال[2] :

تسلَّ عن كلِّ شيءٍ بالحياةِ فقد يهونُ بعد بقاءِ الجوهرِ العَرَضُ
يعوِّضُ اللّه مالاً أنت مُتْلِفُهُ وما عن النفسِ إن أتلفتها عِوَضُ

وقال[3] :

قالوا القناعةُ عزٌّ والكفافُ غِنىً والذلُّ والعارُ حرصُ المرءِ والطمعُ
صدقتُمُ مَنْ رِضاهُ سدُّ جوعتهِ إنْ لم يُصِبْهُ بماذا عَنْهُ يقتنعُ؟

وقال[4] :

إن تكنْ تجزعُ من دمـ ـعي إذا فاض فَصُنْهُ
أو تكن أحمدت[5] يوماً سيداً يعفو فكُنْهُ
أنا لا أصبرُ عمَّن لا يجوزُ الصبرُ عنهُ
كلُّ ذنبٍ في الهوى يُغـ ـفر لي ما لم أخُنْهُ

وقال يرثي أخاه أحمد بن عبد اللّه بن يوسف[6] :

غايةُ الحزنِ والسرورِ انقضاءُ ما لحيٍّ من بعدِ مَيْتٍ بقاءُ
لا لبيدٌ بأرْبَدٍ مات حزناً وَسَلَتْ صخراً الفتى[7] الخنساءُ

---

(1) وردت منسوبة له في عيون الأنباء 1 : 251 ـ 252 وهي تنسب لادريس بن اليمان في المصادر الاندلسية ، انظر الذخيرة 3/1 : 344 والمغرب وجذوة المقتبس (في ترجمته) .
(2) عيون الأنباء 1 : 252 والمحمدون : 281 أنشدهما لابن الموصلايا لما حرقت داره .
(3) عيون الأنباء 1 : 251 .
(4) المصدر نفسه .
(5) م : جحدت .
(6) عيون الأنباء 1 : 349 والوافي 3 : 12 والفوات 3 : 340 .
(7) المصادر : وسلت عن شقيقها .

مثل ما في التراب يَبْلَى الفتى فالـ ـحزنُ يَبْلَى من بعده والبكاءُ
غير أنّ الأمواتَ زالوا وأبْقَوْا غُصَصاً لا يُسيغها الأحياء
إنما نحن بين ظُفْرٍ ونابٍ من خطوب أسودُهُنَّ ضِراءُ
نتمنّى وفي المنى قِصَرُ العمْـ ـرِ فنغدو بما نُسَرُّ نُسَاءُ
صحةُ المرءِ للسقامِ طريقٌ وطريقُ الفناءِ هذا البقاء
بالذي نغتذي نموتُ ونحيا أقتلُ الداءِ للنفوسِ الدواءُ
ما لقينا من غدرِ دنيا فلا كا نتْ ولا كان أخذها والعطاءُ
راجعٌ جودها عليها فمهما يَهَبِ الصبحُ يستردُّ المساءُ
ليت شعري حُلماً تمرُّ بنا الأيـ ـامُ أم ليس تعقلُ الأشياءُ
من فسادٍ يجنيه للعالم الكو نُ فما للنفوس منه اتقاءُ
قبَّحَ اللّه لذةً لشقانا نالها الأمهاتُ والآباءُ
نحن لولا الوجودُ لم نألم الفقـ ـدَ فايجادنا علينا بلاءُ
وقليلاً ما تصحب المهجةُ الجسـ ـمَ ففيم الأسَى وفيمَ العناءُ
ولقد أيَّد الالهُ عقولاً حجةُ العَوْدِ عندها الابداءُ
غير دعوى قومٍ على الميت شيئاً أنكرته الجلودُ والأعضاءُ
وإذا كان في العيان خلافٌ كيف في الغيب يستبينُ الخفاءُ
ما دهانا من يوم أحمدَ إلا ظلماتٌ وما استبان ضياء
يا أخي عاد بعدك الماءُ سمّاً وسَموماً ذاك النسيمُ الرُّخاءُ
والدموعُ الغزارُ عادتْ من الأنـ ـفاس ناراً تُثيرها الصُّعَداءُ
وأَعُدُّ الحياةَ غدراً وإن كا نت حياةً يرضَى بها الأعداءُ
أين تلك الخلالُ والحزمُ أين الـ ـعزمُ أين السناءُ أين البهاءُ
كيف أودى النعيمُ من ذلك الظـ ـلِّ وشيكاً وزال ذاك الغناءُ
أين ما كنتَ تنتضي من لسانٍ في مقام ما للمواضي انتضاءُ
كيف أرجو شفاءَ ما بي وما بي دون سكنايَ في ثراك شفاء

أين ذاك الـرُّواءُ والمنـطقُ الجـز لُ وأيـن الحـيـاءُ أيـن الإبـاء
إن محـا حُسْنَـكَ التـرابُ فمـا للـ ـدمع يوماً من صحنِ خدي انمحاءُ
أو تـبـنْ لـم يـبـنْ قـديـمُ ودادي أو تمتْ لم يمتْ عليـك الثنـاءُ
شَـطْرَ نفسي دفنتُ والشطرُ بـاقٍ يـتـمـنّى ومـن منـاه الـفـنـاء
إن تكنْ قَـدَّمَتْهُ أيـدي المنـايـا فـإلى السـابقين تمضي البـطاءُ
يـدركُ المـوتُ كـلَّ حيٍّ ولـو أخـ ـفته عنه في بـرجها الجـوزاءُ
ليت شعـري وللبلى كـلُّ مخلو قٍ بـمـاذا تـمـيـز الأنـبـيـاءُ
موتُ ذي الحكمةِ المفضـل بالنط ـقِ وذي العجمـة البـهيم سـواءُ
لا غـويّ لـفـقـده تـبـسـمُ الأر ض ولا لـلتقـيِّ تبكي السـمـاء
كم مصـابيـح أوجـهٍ أطفـأتهـا تحت أطبـاقِ تـربهـا البيـداءُ
كم بـدورٍ وكم شمـوسٍ وكم أطـ ـواد مجـدٍ أمسى عليهـا العفـاءُ
كم محـا غـرةَ الكـواكبِ غيمٌ[1] ثـم أخـفـت ضـيـاءَهـا الأنـواء
إنمـا النـاسُ قـادمٌ إثْـرَ مـاضٍ بـدءُ قـومٍ لـلآخـرين انتهـاءُ

وقال[2] :

قـالـوا وقـد مـات محبوبٌ فُجِعْتُ بـه وفـي الصبـا وأرادوا عـنـه سُلْواني
ثـانيـه في الحسنِ مـوجـودٌ فقلتُ لهم من أين لي في الهوى الثاني صبا ثاني

وقال :

ولـو أنني أعـطيت من دهـريَ المنى ومـا كـلُّ من يُعْطَى المنى بمسـدَّدِ
لـقـلتُ لأيـامٍ مـضـيـنَ ألا ارجعـي وقـلتُ لأيـامٍ أتـيـن ألا ابـعـدي

---

(1) عيون : صبح .
(2) عيون الانباء 1 : 252 .

ـ 377 ـ

الحسين بن عبد الله بن رواحة بن ابراهيم بن عبد الله بن رواحة ، أبو علي الأنصاري الحموي الأديب الفقيه الشاعر المجيد : وُلد بحماة ونشأ بها ، ورحل إلى دمشق فأقام بها مدة واشتغل بالفقه وسمع الحديث من الحافظ أبي القاسم ابن عساكر ومن عمه وآخرين ، ورحل إلى مصر فسمع بها وبالاسكندرية . ثم عاد إلى دمشق فشهد واقعةَ مرج عكا فقتل فيها شهيداً يوم الأربعاء من شعبان سنة خمس وثمانين وخمسمائة . وله من قصيدة مهنئاً بها الملك الناصرَ صلاح الدين بن أيوب بعيد النحر سنة اثنتين وسبعين وخمسمائة وكان السلطان مخيماً بمرج فاقوس[1] :

لقد خبر التجاربَ منه حَزْمٌ ... وقلَّب دهرَه ظهراً لبطنِ
فساق إلى الفرنج الخيلَ برّاً ... وأدركهم على بحرٍ بِسُفْنِ
وقد جَلَبَ الجواريَ بالجواري ... يَمِدْنَ بكلِّ قدٍّ مرجحنِّ
يزيدهم اجتماعُ الشملِ بؤساً ... فمرنانٌ ينوحُ على مُرِنِّ
زهتْ اسكندرية يومَ سيقوا ... ودمياطٌ إلى الميناء بِغَبْنِ
يَرَوْنَ خيالَهُ كالطيفِ يسري ... فلو هجعوا أتاهمْ بعدَ وهن
أبادهمُ تخوُّفه فأمسى ... مُناهم لو يبيِّتُهُمْ بأمن
تملَّكَ جيشَهم شرقاً وغرباً ... فصاروا بين مملوكٍ ورهن
أقام بآل أيوبٍ رباطاً ... رأتْ منه الفرنجةُ ضيقَ سجن
رجا أقصى الملوكِ السلم منهم ... ولم يَرَ جهدَهُ في الحرب يُغني
فألقى السلمَ بعد الحربِ كَرْهاً ... ولم يَرَ من مناه سوى التمني

377 ـ ترجمة ابن رواحة في تهذيب ابن عساكر 4 : 305 وخريدة القصر (قسم الشام) 1 : 481 والوافي 12 : 413 والفوات 1 : 376 ومن المفروض أن تكون في مصورة ابن عساكر 4 : 678 غير أن هناك اختلاطاً بين ترجمة الحسين بن الضحاك وترجمة ابن رواحة ضاعت فيه المعالم المهمة لكلّ من الترجمتين ، وانظر المقفى 3 : 517 .

(1) الشعر في الروضتين 1 : 270 وانظر الوافي 12 : 416 والخريدة .

وقال يرثي الحافظ أبا القاسم ابن عساكر وأنشدها بجامع دمشق سنة إحدى وسبعين وخمسمائة[1] :

ذرا السعيَ في نيلِ العلا والفضائلِ | مضى من إليه كان شدُّ الرواحلِ
فقولا لساري البرقِ إني معينُهُ | بنارِ أسىً أو سُحْبِ دمعٍ هواطلِ
وتمزيقِ جلبابِ العزاءِ لفقدِهِ | بزفرةِ باكٍ أو بحسرةِ ثاكلِ
فأعلنْ به للركبِ واستوقف السُّرى | لقصَّادِهِ من قبلِ طيِّ المراحلِ
وقلْ غاب بدرُ التِمِّ عن أنجم الدجى | وأشرقَ منهمْ بعدَهُ كلُّ آفلِ
وما كان إلا البحرَ غار ومن يَرِدْ | سواحِلَهُ لم يلقَ غيرَ الجداول
وهبكم رويتم عِلْمَه عَن رواته | فليس عوالي صَحْبه بنوازل
فقد فاتكم نورُ الهدى بوفاتِهِ | ونورُ التقى منه ونجحُ الوسائل
وما حظّ من قد غرَّه نَصْلُ صارمٍ | رجا نَصْرةً من غمدِهِ والحمائلِ
ليبكِ عليه من رآه وَمَنْ حوَى | هداهُ بأيامٍ لديه قلائل
ويقضِ أسىً من فاته الفضلُ عاجلاً | برؤيته والفوزُ في كلِّ آجلِ
أسفتُ لارجائي قدومَ أعزَّةٍ | عليه وتسويفي إلى عسام قابل
ولو أنهم فازوا بإدراكِ مثلِهِ | لأَزْرَوا على سنِّ الصبا بالأماثل
فيا لمصابٍ عمَّ سُنةَ أحمدٍ | وأُحْرِمَ منها كلُّ راوٍ وناقلِ
خلا الشامُ من خيرٍ خَلَتْ كلُّ بلدةٍ | بها من نظيرٍ للإمام مُماثل
وأصبح بعد الحافظ العلمُ شاغراً | بلا حافظٍ يهذي به كلُّ باقلِ
وكم من نبيهٍ قلَّ مذ مات جاهُهُ | وقُدِّمَ لما أن مضى كلُّ خاملِ
خَلَتْ سُنَّةُ المختارِ من ذبِّ ناصرٍ | فأيسرُ ما لاقَتْهُ بِدْعَةُ جاهل
نحا للإمام الشافعيِّ مقالةً | فأصبح يثني عنه كلُّ مجادلِ
وأيَّدَ قولَ الأشعريِّ بسنَّةٍ | فكانت عليه من أدلِّ الدلائل

(1) تهذيب ابن عساكر 4: 305 ـ 307 (وثبت بعضها في المصورة: 679).

وكم قد أبان الحقَّ في كلِّ محفلٍ فأروى بما يَروي ظماءَ المحافلِ
وسدَّ من التجسيم بابَ ضلالةٍ وردَّ من التشبيه شُبْهَةَ باطلِ
وإن يكُ قد أودى فكم من أسنّةٍ مركّبةٍ من قوله في عواملِ
وإن مال قومٌ واستمالوا رعاعهم بإضلالهم عنه فلستُ بمائلِ
أرى الأجر في نوحي عليه ولا أرى سوى الإثم في نوح البواكي الثواكلِ
وليس الذي يبكي إماماً لدينه كباكٍ لدنياه على فَقْدِ راحلِ
فيا قلبُ واصله بأعظمِ رحمةٍ ويا عينُ فاسقيه بأغزرِ وابلِ
وحيٍّ ثراه الدهر أهنى تحيةٍ مكررةٍ عند الضحى والأصائلِ
أعنّي على نوحي عليه فإنه قريبُ ثواءٍ في الثرى والجنادلِ
ولو لم يكنْ بالدمع سَيْلٌ لحبّه لضنَّ على لحدٍ به كلِّ باخلِ
مضى مَنْ حديثُ المصطفى كان شاغلاً له باجتهادٍ فيه عن كلِّ شاغلِ
لقد شمل الإسلامَ فيه رزيةٌ وكان له بالنصح أفضلَ شاملِ
وفضَّلَ بين السالفين اطّلاعُهُ عليهم فذبَّ النقصَ عن كل فاضلِ
وأصبح في نقدِ الرجال مميزاً بغيرِ نظيرٍ في الورى ومساجلِ
وأكملَ تاريخاً لجلَّقَ جامعاً لمن حلَّها من كلِّ شهمٍ وكاملِ[1]
فأزرى بتاريخ الخطيبِ وقد غدا بخطبته في الكتبِ أخطبَ قائلِ

ومنها :

طوى الموتُ منه العلمَ والزهدَ والنُّهى وكسبَ المعالي واجتنابَ الرذائلِ
وأفجعَ منه العالمين بمقدمٍ صبورٍ على حَرْبِ الضلالِ[2] حُلاحلِ
وكان غيوراً ذبَّ عن دين أحمدٍ وأدفع عنه من[3] شجاع مقاتلِ

(1) ابن عساكر : لمن حلها يا ليته غير كامل .
(2) ابن عساكر : على كيد العتاة .
(3) ابن عساكر : بحق لأحمى من .

وأحـرم فيـه الـدّينُ أشـرفَ صـائن لـه ولـدفـع الـزَّيْـغِ أعـظمَ صـائـلِ
ولم أر نقصَ الأرضِ يـومـاً كنقصهـا بمـوتِ إمـامٍ عـالمٍ ذي فضـائـلِ
أبـا القـاسم الأيـامُ قسمـةُ حـاكمٍ قضى بـالفَنَـا فينـا قـضيـةَ عـادلِ
بمـاذا أعـزّي المسلميـن ولا أرى عـزاءً سوى مَنْ قـد مضى من أفاضـل
عليـك سلام الله مـا انتفـع الـورى بعلمـك واستعـلى على المتـطاولِ

وقال[1] :

إن كـان يحلو لـديـكَ قتلي فـزدْ من الهجـر في عـذابي
عسى يـطيـلُ الـوقـوفَ بيني وبينـكَ اللّهُ في الحسـابِ

وقال[2] :

لامـوا عليـكَ ومـا دَرَوْا أنّ الهـوى سببُ السعـادهْ
إن كـان وصـلٌ فـالمنى أو كـان هجـرٌ فـالشهـادهْ

وعكسه فقال[3] :

يـا قلبُ دعْ عنك الهـوى قسـرا مـا أنـت منـه حـامـدٌ أمـرا
أضَـعْـتَ دنـيـاكَ بـهـجـرانِـهِ إن نلتَ وصـلاً ضـاعتِ الأخـرى

وقال :

وللزنبـورِ والبـازي جميعـاً لـدى الطيـرانِ أجنحـةٌ وَخَفْقُ
ولكن بين مـا يصـطاد بـازٍ ومـا يصطادُهُ الـزنبـورُ فـرقُ

---

(1) البيتان في الوافي والفوات والخريدة .
(2) هما في الوافي والفوات .
(3) هما أيضاً في المصدرين السابقين .

ـ 378 ـ

الحسين بن عبد الرحمن الغريبي الكوفي : غلب عليه طلب الغريب فنسب إليه ويكنى أبا علي ، وهو راوية فصيح ، فمن شعره يمدح الكتّاب :

إن كنتَ تقصدني بظلمك عامداً ... فحرمتَ نَفْعَ صداقةِ الكتابِ
السائقين إلى الصديق ثرى الغنى ... والناعشين لعثرة الأصحابِ
والناهضين بكلِّ عبءٍ مُثْقِلٍ ... والناطقين بفصل كلِّ خطابِ
والعاطفين على الصديق بفضلهم ... والطيبين روائحَ الأثوابِ
ولئن جحدتهم الثناءَ لطالما ... جحد العبيدُ تفضُّلَ الأربابِ

ـ 379 ـ

الحسين بن علي أبو عبد الله الباقطائي الأخباري الكاتب : مات في شعبان سنة اثنتي عشرة وثلاثمائة . وكان أعلمَ الناسِ بأمور الكتّاب وأولادهم وبيوتاتهم . قرأت بخط بعض الفضلاء قال ، قال أبو عبد اللّه الباقطائي : انصرفت من بستاني عشيةً ، فرأيتُ بالعباسةِ رجلاً جالساً فتأملتُهُ فإذا هو ماني الموسوس ، فلمّا حاذيْتُه سلَّمَ علي ، ووثب إليّ ومسك لجامَ دابتي ، وقال : ما كان اسمُ زوجةِ النبيِّ ﷺ ؟ فقلت : أيتهن يا أبا الحسن ؟ فقال : التي ركبت ذاك الكبير الكبير الذي له عنقٌ طويل . قلت : عائشة . قال : أتحفظ عني ما أقول ؟ قلت : هاتِ ، فقال :

ركبتْ أمّنا البعيرَ وقالت ... اضربوا بالسيوفِ وَجْهَ الوصيِّ
قاتلوا الطاهرَ المطهَّرَ قدماً ... واطعنوا بالرماح وجْهَ عليِّ
أتراها رَوَتْ أحاديث في ذا ... ك عن الصادق الصدوق النبي

---

378 ـ ترجمة الغريبي هذه من المختصر ، وقد تصحفت نسبته في البصائر 2 : 149 إلى « القدسي الكوفي » حيث أورد له الأبيات البائية .

379 ـ قال ياقوت في معجم البلدان (مادة باقطايا 1 : 476) باقطايا من قرى بغداد على ثلاثة فراسخ من ناحية قطربل ينسب إليها الحسين بن علي الكاتب ، ذكرته في كتاب معجم الأدباء . وهذه النسبة لم يوردها السمعاني وابن الأثير . والترجمة من المختصر .

ليس يخفى عن الذي يعلم السـ ـرَّ من العالمين فعلُ المسيّ

ثم ترك اللجام ، وولّى عني ، فسرْتُ وجعلت أُردِّدُ الأبيات لأحفظها ، وقال لي غلامي : هذا ماني يعدو طالباً لنا ، فالتفتّ إليه ، وقلت : حاجة يا أبا الحسن ؟ فقال : نعم . قلت : ما هي ؟ قال : احفظْ . قلت : هاتِ . قال :

أفكر فيما جنى بعضهم على بعضهم فأطيلُ الفِكَرْ
معاشرُ قد صحبوا المصطفى وكانوا أئمتنا في الأثرْ
فإنْ كان دينهمُ فاسداً فأديانُنا كلنا في قذرْ

ومما أنشده(1) :

لا يكون السريُّ مثل الدنيّ لا ولا ذو الذكاء مثل الغبيّ
قيمةُ المرءِ قدر ما يحسن المر ءُ قضاءً من الإمام عليّ

أراد قول علي عليه السلام : قيمة كل امرىء ما يحسن .

ـ 380 ـ

الحسين بن علي بن [ ] أبو عبد الله النمري صاحب التصانيف : وكان شاعراً جيداً ، قرأ على أبي عبد الله الأزدي . مات في سنة خمس وثمانين وثلاثمائة . وكان من أصحاب أبي رياش وابن لنكك . وكان من صدور البصرة في الأدب والشعر . فمن شعره في شكاية عين المحبوب ما أبدع فيه وأحسن ، هكذا قال الشيخ :

يا مَنْ تشكى عينه وبلاؤه منها وفيها
الناس شاكوها إليـ ـك وأنت أيضاً تشتكيها

380 ـ ترجمة النمري في يتيمة الدهر 2 : 359 ونزهة الألباء : 224 وإنباه الرواة 1 : 323 والوافي 13 : 21 وبغية الوعاة 1 : 537 وروضات الجنات 3 : 156 وقد ورد في المختصر « النميري » وترك قبل الكنية فراغاً مصدراً بلفظة « بن » ليرفع في نسبه ، وليس في المصادر شيء من ذلك .

(1) قد مرَّ هذان البيتان في مقدمة الكتاب وسيردان في ترجمة الخليل بن أحمد .

ولـــه :

ذكــرتــك والأمــواه تنثــر طلَّهــا بــدجلةَ والأشجــار تنشــرُ ظلَّهــا
وقد دارت الصهباء من كفِّ شادن [ ] عــيــنــه وأجــلهــا
فأسبلْتُ دمعَ العين حين استراب بي جليسي وقــالــوا عبــرة لن يملها
فقلت لهم لم تبــك عيني وإنمــا أصاب اضطراب الماء عيني فبلَّها

قيـل : وكان أخفش العين ، سـيِّءَ المنـظر ، قوي الـطبقة بـالأدب ، عـارفـاً بالشعـر يتكلم على معانيه . فمن شعره أبيات كتبها إلى ابن صالحان يهنئه بقـدومه الأهواز :

بــك تَشْرُفُ الـدنيـا وأنت نعيمـهــا والــدهـرُ أنت وكــلُّ يــومٍ صــالــحِ
مـا البحـرُ أغـزرُ منـكَ في يـوم النـدى أزْرى نــداك بـكــلِّ بـحــرٍ طــافــحِ
لا زلْــتَ فــي نــعــم وعــزٍّ ثــابــتٍ غــادٍ عـلـيـك بـمــا تـشــاءُ ورائــحِ
وأُعيــدَ هـذا العيــد نحـوك مــا دَعَتْ ورقــاءُ صــادحــةٌ بــأورقَ صــادحِ

ولـــه :

إذا مـرضْنـا نـوينـا كـلَّ صـالحـةٍ وإن شفينـا فمنـا الـزيْـغُ والــزَّلَـلُ
نـرضي الإلـه إذا خفنـا ونُسْخطه إذا أمِنَّــا فـلا يــزكـو لنــا عمــلُ

ـ 381 ـ

الحسين بن علي بن الحسين بن علي بن محمـد بن يـوسف بن بحـر بن بهرام بن المرزبان بن ماهان بن باذام بن ساسان بن الحرون بن بلاس بن جاماسب بن

381 ـ ترجمة الوزير المغربي في تتمة اليتيمة 1 : 24 ودمية القصر 1 : 94 (ط. مصر) والمنتظم 8 : 32 ومصورة ابن عساكر 5 : 9 ـ 11 وتهذيب ابن عساكر 4 : 312 وتاريخ ابن الأثير 9 : 362 وابن خلكان 2 : 172 وبغية الطلب 5 : 14 ـ 30 والذخيرة 4/2 : 475 واعتاب الكتاب : 206 ورجال النجاشي : 55 والاشارة إلى من نال الوزارة : 47 ولسان الميزان 2 : 301 والوافي 12 : 440 والشذرات 3 : 210 وطبقات الداودي 1 : 654 وروضات الجنات 3 : 166 وراجع أخباره أيضاً في ذيل ابن القلانسي : 61 ـ 64 وصفحات متفرقة من اتعاظ الحنفا (جـ : 2) والدرة =

فيروز بن يزدجرد بن بهرام جور بن يزدجرد ملك فارس ، أبو القاسم المعروف بالوزير المغربي (وليس بمغربي الدار) : ولد فجرَ يوم الأحد ثالث عشر ذي الحجة سنة سبعين وثلاثمائة ، وحفظ القرآن وعدةً من الكتب المجردة في النحو واللغة ، وخمسة عشر ألف بيت من الشعر ، وأتقن الحسابَ والجبر والمقابلة ، وله في حسابِ المواليد اليدُ العظمى ، هذا كلّه ولم يَكْمُلْ له من العمر أربعةَ عشر ربيعاً . وكان حسنَ الخطِّ سريعَ البديهة في النظم والنثر .

وكان جده علي بن محمد يتولى ديوانَ المغرب فنسب إليه ، ويشهدُ بفضله أبو العلاء المعري ، وحسبك وقد نفذ إليه قصيدة فقال : واللّه لولا أن يقالَ غاليت ، لكتبت تحت كل بيت ، فليعبدوا ربّ هذا البيت .

مات في ثالث عشر رمضان سنة ثماني عشرة وأربعمائة .

ولما قتل الحاكم أباه وعمه وأخويه هرب من مصر فلما بلغ الرملةَ استجار بصاحبها حسَّان بن المفرج بن دَغْفَل بن الجراح الطائي ومدحه فأجاره وسكَّنَ جأشه وأزالَ وحشته ، فأقام عنده مدةً أفسد في خلالها نيته على الحاكم صاحب مصر ، ثم رحل عنها متوجهاً إلى الحجاز مجتازاً بالبلقاء من أعمال دمشق ، فلما وصل إلى مكة أطمعَ صاحبها بالحاكم ومملكة الديار المصرية ، وجدَّ في ذلك حتى أقلق الحاكم وخاف على ملكه . واستدعى ابا الفتوح الحسين بن جعفر العلوي ويلقب بالراشد باللّه بعد أن سهَّلَ عنده سهولةَ الأمر ، فأصغى إلى ذلك وبايعه شيوخُ العلويين . وحسَّن إليه أبو القاسم أَخْذَ قبلة البيت وما فيه من فضةٍ وَضَرْبَهُ دراهم . واتفق أن توفي رجلٌ من الفرس يدعى بالمطوعي وعنده أموالُ الهند والصين ، وخلَّف مالاً عظيماً ، وأوصى

= المضية 6 : 309 ـ 312 والنجوم الزاهرة 4 : 266 ، وقد ذكره ابن القارح وحكى شيئاً من أخباره معه (رسالة الغفران : 51 ـ 58) وانظر مقدمة أدب الخواص تحقيق صديقنا الشيخ حمد الجاسر ، ومقدمة كتاب في السياسة تحقيق الدكتور سامي الدهان وفيما يتعلق بالعلاقة بينه وبين أبي العلاء ، انظر مقالة لي عنه بمجلة الفكر العربي (بيروت 1982) العدد : 25 (274 ـ 282) ؛ وكذلك كتابي عنه (بيروت 1988) وفيه دراسة لسيرته وما تبقى من شعره ونثره . وقد أورد المختصر زيادات كثيرة على ما ورد في م ، وله ترجمة في المقفى 3 : 536 .

لأبي الفتوح بمائة ألف دينار ليصونَ بها تركته والودائع التي عنده . فحمله أبو القاسم على أخْذِ الجميع ؛ وخطب [أبو الفتوح] لنفسه بمكة ، وسار حتى لحق بآل الجراح . ولما قرب من الرملة تلقّاه المفرجُ وسائرُ العرب ، وقبّلوُا الأرض بين يديه ، وسلّموا عليه بامرة المؤمنين ، ولقيهم راكباً فرساً متقلداً سيفاً زعم أنه ذو الفقار ، وفي يده قضيب ، زعم أنه قضيب النبي ﷺ ، وحوله جماعة من بني عمه ، وألف عبْدٍ أسود ، وخُطِبَ له بالرملة وما لاصقها . ثم بلغ الخبرُ الحاكمَ فأرسل الأموال إلى آل الجراح ، واستفسدهم بما بذل لهم ، وبلغ ذلك أبا الفتوح ، فدخل إلى المفرج وسأله إعانَتَهُ على العَوْدِ إلى مكة ، فأنفذ معه مَنْ حَمَلَهُ إلى وادي القرى ، فتلقّاه أصحابُهُ ، ومضوا به . وقيل : إنه ندم بعد ذلك ، فتركه المغربي وقصد العراقَ على طريق السماوة حتى وصل الأنبار ، وقصد فخر الملك أبا غالب محمد بن خلف ، وهو يومئذٍ يتولى العراقَ من قبل بهاء الدولة أبي نصر بن عضد الدولة ، فاتهمه القادر باللّه أنه ورد في إفساد الدولة ، فراسل فخرَ الملك حتى أخرجه من واسط ، وكان قد أقام عنده مكرماً . فلما توفي فخر الملك مقتولاً عاد الوزيرُ المغربيّ إلى بغداد ، ثم شَخَصَ إلى الموصل، فاتفق وفاة أبي الحسن ابن هانىء كاتبِ قرواش أمير بني عقيل فتولّى الكتابة مكانه وَوَزَرَ لقرواش . وسمتْ نفسه إلى وزارة بغداد فلم يزلْ يراسل فيها حتى تمّت له ، فوزر لشرف الدولة أبي علي بن بهاء الدولة أبي نصر بن عضد الدولة فناخسرو بن بويه سنة أربع عشرة ومائة بغير خِلَعٍ ولا لقب ، وبقي في الوزارة عشرةَ أشهر وخمسة أيام . فشغب الأمراءُ عليه ، وطالبوه بأقساطهم ، فاستشعر منهم وهرب ليلاً حتى لحق بعريب بن مقن العقيلي . ومضى من فوره إلى ميّافارقين ، واتصل بنصير الدولة أبي نصر ابن مروان صاحب ديار بكر ، فوزر له ، ومات بميافارقين وهو وزيره .

وكتب إلى أصحاب الأطراف ما بينه وبين الكوفة قبلَ موته بأن حظيّةً له قد ماتت ، وقد نقلها إلى الكوفة، وأوصى أصحابَهُ إذا مات أن يحملوه إلى الكوفة فحمل ، فكان إذا وصل التابوت إلى أحد الأمراء يعطونه الكتابَ فيكرم أصحابَ الجنازة ، ويسيرها وهو يظنها حظيته حتى وصل إلى الكوفة ، فدفن بها في تربة مجاورة لمشهد علي رضي اللّه عنه وإنما فعل ذلك خوفاً أن يُمْنَعَ من الإجازة لسوء فعله ، وَحِقْدِ الأمراءِ عليه . وتمّ تدبيره عليهم ، وبلغ مراده بعد مماته ، وأوصى أن يكتب

على قبره[1] :

كنتُ في سَفْرةِ الغَوايةِ والجهـ ـلِ مقيماً فحان مني قدومُ
تبتُ من كلِّ مأثمٍ فعسى يُمْـ ـحَى بهذا الحديثِ ذاك القديمُ
بعد خمس وأربعين لقد ما طلتُ إلا أن الغريم كريمُ

وكان خبيث الباطن ، شديد الحسد على الفضائل وإن أظهر الميل إليها. وكان إذا دخل إليه الفقيه سأله عن النحو ، وإذا دخل إليه النحوي سأله عن الفرائض ، وإذا دخل إليه الشاعر سأله عن القرآن عبثاً قصداً لتأنيب المسؤول ، حتى قال فيه بعض الشعراء :

ويلي وعولي وويهِ لدولة ابن بويهِ
سياسة الملك ليستْ ما جاء عن سيبويهِ

وللوزير أبي القاسم رواية عن الوزير أبي الفضل جعفر بن الفضل بن الفرات المعروف بابن حنزابة ، حكى عنه بسنده إلى المدائني أنه قال[1] : كان رجل بالمدينة من بني سليم يقال له جَعْدة كان يتحدَّث إليه النساء بظهر المدينة ، فيأخذ المرأة فيعلقها إلى الحيطان ويثبت العقال ، فإذا أرادت ان تثب سقطت وتكشفت ، فبلغ ذلك قوماً في بعض المغازي فكتب رجل منهم إلى عمر رضي الله عنه بهذه الأبيات :

ألا أبلغ أبا حفصٍ رسولاً فدًا لك من أخي ثقة إزاري
قلائصَنا هداك الله إنا شُغِلْنا عنكمُ زمنَ الحصارِ
لمن قُلُصٌ تُركْنَ مُعَقَّلاتٍ قَفَا سلع بمختلفِ النجارِ
يعقّلهنّ جَعْدةُ من سليمٍ وبئسَ مُعَقِّلُ الذَّوْدِ الطوارِ
يعقلهن أبيضُ شيظميٌّ معيداً يبتغي سقط العذار

فلما قرأ عمر الأبيات قال عليَّ بجعدة من سليم ، فأتوه به ، فكان سعيد يقول :

(1) وردت الأبيات في كثير من المصادر المذكورة في ترجمته ، والأول والثاني منها وردا في الشريشي 5 : 357 منسوبين لابن المعتز ، وهي القطعة رقم: 95 في كتاب الوزير المغربي .
(2) القصة والابيات في تهذيب ابن عساكر 4 : 312 وابن سعد 3 : 286 .

إني لفي الأغيلمة إذ جرُّوا جعدةَ إلى عمر ، فلما رآه قال : أشهد أنك شيظميّ كما وُصِفْتَ ، فضربه مائةً ونفاه إلى عمان .

ومن شعر الوزير المغربي[1] :

خَف اللّه واستدفع سُطَاهُ وَسُخْطَهُ ... وسائِلْهُ فيما تسألُ اللّه تُعْطَهُ
فما تقبضُ الأيام من نيل حاجةٍ ... بنانَ فتىً أبدى إلى اللّه بسطهُ
وكنْ بالذي قد خُطَّ باللوح راضياً ... فلا مهربٌ مما قضاه وَخَطَّهُ
وإنَّ مع الرزق اشتراطَ التماسه ... وقد يتعدَّى إنْ تعدَّيْتَ شرطهُ
ولو شاء ألقى في فم الطير قوتَهُ ... ولكنّه أوحى إلى الطير لَقْطَهُ
إذا ما احتملتَ العبءَ فانظر قبيلَ أن ... تنوءَ به أن لا تروم مَحَطّهُ
وأفضلُ أخلاقِ الفتى العلم والحجى ... إذا ما صروفُ الدهرِ أخلقْنَ مِرْطهُ
فما رفع الدهرُ امرءاً عن محلّه ... بغير التقى والعلم إلا وحطّهُ

وقال[2] :

حلقوا شعره ليكسوه قبحا ... غيرةً منهمُ عليه وشحّا
كان صبحاً عليه ليلٌ بهيمٌ ... فمحوا ليله وأبقوه صبحا

وقال[3] :

لي كلما ابتسم النهار تعلة ... بمحدث ما شان قلبي شانُهُ
فإذا الدجى وافى وأقبل جنحه ... فهناك يدري الهمُّ أين مكانه

وقال[4] :

إذا ما الأمور اضطربن اعتلى ... سفيه تضام العلا باعتلائِهْ

---

(1) الأبيات في تهذيب ابن عساكر (والقطعة رقم : 63) .
(2) وردت في عدد من المصادر المذكورة آنفاً وفي الشريشي 1 : 431 (دون نسبة) وفي المسلك السهل : 464 والوافي في نظم القوافي : 148 (منسوبة للمرادي) وانظر القطعة رقم: 23 .
(3) وردا أيضاً في الوافي 12 : 444 (القطعة رقم : 99) .
(4) وردا في تتمة اليتيمة وغرر الخصائص : 80 (القطعة رقم 2) .

كـذا المـاءُ ان حـركتـه يـدٌ طغـا عكـر راسب في إنـائـهْ

وقال[1] :

أرى الناسَ في الدنيا كراعٍ تنكرتْ مـراعيـه حتى ليس فيهنَّ مـرتـعُ
فمـاءٌ بلا مـرعىً ومرعى بغيـر مـا وحيث تـرى مـاءً ومـرعى فمسبـعُ

وقال[2] :

سـأعـرضُ كـلَّ مـنـزلـة تـعـرّضَ دونـهـا الـعـطبُ
فـإن أسـلمْ رجـعـت وقـد ظـفـرت وأنْـجـح الـطلبُ
وإن أعـطبْ فـلا عـجـبٌ لـكـلِّ مـنـيـةٍ سـبـبُ

وقال[3] :

لو كنت أعرفُ فـوق الشكر منـزلةً أعلى من الشكر عند اللّه في الثمنِ
إذاً مـنحـتكـهـا مـنـي مـهـذبـةً حذواً على حذو ما واليتَ من حسنِ

وقال[4] :

أقـول لها والعيسُ تُحـدَجُ للسـرى اعدي لفقدي ما استطعت من الصبرِ
سـأنفقُ ريعـانَ الشـبيبـة آنفـاً على طلب العليـاء أو طلب الاجرِ
اليس من الخسـران أنَّ ليـاليـاً تمرّ بلا نفـعٍ وتحسب من عمري

وقال[5] :

الـدهـرُ سَـهْـلٌ وصـعـبٌ والـعـيشُ مُـرٌّ وعـذبُ
فـاكسبْ بـمـالـك حمـداً فـليس كـالـحـمـدِ كـسـبُ

---

(1) وردا في ابن خلكان والوافي (القطعة رقم : 66) .
(2) وردت الأبيات في غرر الخصائص : 9 (القطعة رقم : 12) .
(3) القطعة رقم : 103 .
(4) الأبيات في ابن خلكان وطبقات الداودي ، ووردت في الذخيرة 2/4 : 518 منسوبة لعبد الوهاب المالكي (القطعة رقم : 43) .
(5) وردت في تهذيب ابن عساكر والنجوم الزاهرة (القطعة رقم : 11) .

ومـا يـدومُ سـرورٌ فـاختـمْ وطـينُـكَ[1] رطـبُ

وقال[2] :

من بعـد ملكي رمتمُ أن تغـدروا ما بعـد فـرقـةِ مـا مَلَكْتُ تخيُّـرُ
ردُّوا الفؤادَ كمـا عهـدتم للحشـا ولطرفيَ الساهي الكرى ثم اهجروا

وقال[3] :

لا تشـاورْ من ليس يُصْفيـك ودًّا إنـه غيـرَ سـالـكٍ بـكَ قصـدا
واستشـرْ في الأمـورِ كـلَّ لبيبٍ ليس يـألوك في النصيحـةِ جهـدا

وقال[4] :

تـأملَ من أهـواه صفـرةَ خـاتمي فقـال بلطفٍ لمْ تجنبت أُحْمَـرَهْ
فقلتُ لعمـري كان أحمـرَ لـونـه ولكنْ سقـامي حـلَّ فيـه فغيـرهْ

وقال[5] :

إنـي أبـثُّـكَ مـن حـديـ ـثي والحـديثُ لـه شجـونُ
فـارقتُ مـوضـعَ مـرقـدي لـيـلًا ففـارقـني الـسكـونُ
قـلْ لـي فـأولَ لـيـلةٍ في القبـرِ كيف تـرى أكـونُ

وحدث[6] أنه كان للوزير المغربي مملوكٌ ، وكان شـديدَ المحبـة له ، وكـان روميًا ، وكان أحدَ أولاد بطارقة الروم ، فبلغ خبره أباه ، فسأل ذلك البطريقُ ملكَ الروم أن يرسل من يستخلصُ ولده ، ففعل وأنفذ رسولاً إلى ابن مروان صاحب ديار بكر ، فلما وصل الرسول استدعاه الوزير المغربي وسقاه الخمر عنده تكرمةً له . فلما عملت

(1) م : وقلبك .
(2) البيتان في بغية الطلب 5 : 21 وتهذيب ابن عساكر (القطعة رقم : 40) .
(3) القطعة رقم : 28 .
(4) البيتان في بغية الطلب وتهذيب ابن عساكر (القطعة رقم : 36) .
(5) وردت في كثير من المصادر المذكورة في ترجمته ، وفي طراز المجالس : 228 ونفح الطيب 1 : 120 (القطعة رقم : 101) .
(6) من هنا حتى آخر الترجمة ورد في المختصر ، ولم يرد في م .

الخمر في الوزير ، قال ذلك الرسول : أريد من إنعام الوزير يبيعني هذا الغلام . فقال : هو لك . فأخذه من ساعته ، ونفذه على خيل قد أُعِدَّتْ في كل فرسخ فرس . فلما أصبح الوزير استدعى الغلام ، فقيل له : إنك قد وهبته من رسول ملك الروم . فاستدعاه من ساعته ، وطلب منه الغلام ، فقال: أيها الوزير ، قد قارب بلادَ أبيه ، بلى مهما أردت من الثمن أعطيتك . فقال الوزير : ما كنتُ لأُذهب نخوتي ومروءتي ، قد وهبته منك خالصاً ، ثم قال[1] :

يا من غدا جبل الرَّيَّان يحجبُهُ ليس التصبُّر عن قلبي بمحجوبِ
أَفْلَتُّ قلبيَ من صدري وأطلبُهُ من بعد ما صار في الشمِّ الشناخيبِ
فاصْمت ولا ترثِ لي مما أكابده يدي لعمرك كانت أصلَ تعذيبي
علَّمْتني الحزْمَ لكن بعد مؤلمة إن المصائب أثمان التجاريبِ

وكان في بعض الأحايين قد اعتزل خدمة السلطان ، فقيل له : تركت المناصب في عنفوان شبابك . فقال :

كنت في سفرة البطالة والجهل . . . الأبيات

وقيل : إنه زار بعض الصالحين المنقطعين ، فقال : لو صحبتنا لنستفيد منك فقال : يردّني عن هذا بيت شعر[2] :

إذا شئتَ أن تحيا غنياً فلا تكنْ بمنزلةٍ إلا رضيتَ بدونها

فأنا أكتفي بعيشي هذا . فقال : يا شيخ ، هذا بيتُ مالٍ ، ليس هو بيتَ شعر.

قال أبو الحسن علي بن منصور الحلبي المعروف بدوخلة[3] ، قال لي الوزير المغربي ليلة : أريد أن أجمع أوصاف الشمعة السبعة[4] في بيت واحد ، وليس يَسْنح لي ما أرضاه ، فقلت : أنا أفعل هذه الساعة . فقال : أنت جُذَيْلُها المحكّك وَعُذَيقها

(1) منها بيتان في لباب الآداب: 327 (وانظر القطعة رقم: 14) .

(2) استشهد والد ابن حزم بهذا البيت في نصحه لابنه ، انظر جذوة المقتبس: 118 .

(3) هو ابن القارح الذي جاوبه المعري برسالة الغفران ؛ انظر رسالة ابن القارح (في رسالة الغفران) 55 ـ 56 .

(4) لم يورد إلا ستة أوصاف .

المرَجّب ، فأخذت القلم من دواته ، وكتبت بحضرته :

لقد أشبهتني شمعةٌ في صبابتي وفي هولِ ما ألقى وما أتوقَّعُ
نحولٌ وحرْقٌ في فناءٍ ووحدة وتسهيد عينٍ واصفرارٌ وأدْمُعُ

فقال : كنتَ عملتَ هذا قبل هذا الوقت ، فقلت تمنعني سرعة الخاطر ، وتُعطيني علم الغيب ؟ ومن شعره في بلوغ الغاية من السلوّ[1] :

حبيبٌ ملكتُ الصبرَ بعد فراقه على أنني عُلِّقْته وألِفْتُهُ
محا حسنُ يأسي شخصَهُ من تفكري فلو أنني لاقيتُهُ ما عرفتهُ

وله[2] :

قطعتُ الأرض في شهري ربيع إلى مصْرٍ وعدْتُ إلى العراقِ
فقال ليَ الحبيبُ وقد رآني سَبُوقاً للمضمّرةِ العتاقِ
ركبتَ على البراق فقلتُ كلا ولكني ركبتُ على اشتياقِي

وله[3] :

يا صاحبيَّ إذا أعياكما سقمي فلقّياني نسيمَ الريح من حلبِ
من الديار التي كان الصبا وطري فيها وكان الهوى العذريّ من أربي

حدث العطيري[4] الشاعر قال : دخلت يوماً على الوزير المغربي بالموصل ، وهو جالس على ضفة نهر يخرقُ عَرْصَةَ داره ، وبين يديه جارية كأنها فلقة قمر تسقيه وتنادمه ، وهو يقول[5] :

نديمتي جاريةٌ ساقيهْ ونزهتي ساقيةٌ جاريهْ

فحكيتُ هذه الحكاية لأبي العلاء المعري ، وأنشدته البيت فقال : هذا هو الطبع

(1) البيتان في الذخيرة 4 : 512 وأدب الخواص : 75 وتتمة اليتيمة 1 : 24 (القطعة رقم : 21) .
(2) وردت في دمية القصر 1 : 96 والذخيرة 4 : 528 وابن خلكان 3 : 221 (منسوبة لعبد الوهاب المالكي) ، وانظر القطعة رقم : 74 .
(3) دمية القصر 1 : 96 (القطعة رقم : 15) .
(4) لعل الصواب : العطوي .
(5) الأفضليات : 80 وبديع أسامة : 50 (القطعة رقم : 113) .

لا ما ينعقه ذلك الرجل الذي يقول :

أبى ريقــه/ أباريقــه أوكــارهــا/ أوكــارهــا

يعني البستي . وقيل : إنه كان يقول دائماً : ما سُررت قط بشعرٍ مُدحت به مع كثرة ما قيل كما سُرِرْت بقول النامي :

وإذا علي بن الحسين لقيتَــهُ فالقَ العظيمَ القدْرِ بالإعظامِ
تلقَ امــرءاً سلطانُــهُ في عقله وجنــوده في ألســنِ الأقــلام

قال المؤلف : هكذا وجدت هذه الحكاية . والمغربي اسمه الحسين بن علي ، وفي الشعر بالعكس ، فلعل الممدوح أبوه .

ومن شعر الوزير أبي القاسم المغربي[1] :

غــزالٌ حبُّــهُ للصبــر غــرْبُ ولكنْ وجهــه للحُسْن شــرْقُ
ردَدْتُ وقــد تبسَّمَ عنــه طــرفي وقلتُ لــه ترى لي منــك رزقُ
فأرجو الوصل لا أني جديرٌ ولا قــدري لقــدرك فيــه وفقُ
ولكن لســتُ أول مَنْ تمنّى من الــدنيــا الــذي لا يستحقُّ

حدّث الصاحب الوزير جمال الدين الأكرم ، وناهيك به معرفة لأخبار الأيام ، خصوصاً ما يتعلق بحوادث مصر قال : لما قدم أبو الحسن علي بن الحسين ، وولده أبو القاسم إلى مصر وبها الحاكم ، تلقاهما وأنزلهما وأكرمهما ، وعرف لهما حقَّ الكفاية والبيتِ والأدب ، وعيَّنَ لأبي الحسن علي بن الحسين خَدَمَةً ، واتفق أن دخل أبو القاسم يوماً إلى الحاكم ، وكان أبو القاسم ذا هيئة وَرُواءٍ وجسمٍ وشارة ، فأعجب الحاكم ما رآه من فخامة منظره ، فخاطبه فوجده لَسِناً حسنَ المحاورة ، أديبَ الألفاظ ، فخفَّ على قلبه ونفق عليه ، وأمره بملازمة مجلسه ، فتكلم أبو القاسم يوماً بشيء استحسنه الحاكم ، فقال له : يا أبا القاسم ، احتكم فيما شئت حتى أبلغكه . فقال : نعم يا مولانا ، أحبُّ أن تهبَ لي نفسي ، ولا تقتلني ، فتبسم الحاكم ، وقال : ما مُوجبُ هذا الاقتراح ؟ فقال : يعلم مولانا أن العصمة تفرَّدَ بها الأنبياء ، وأنا بشرٌ

(1) بغية الطلب 5 : 21 والوافي 4 : 445 (القطعة رقم : 71) .

أخطىءُ وأصيبُ فأخاف بادرةَ خطأً يكونُ فيها حتفي ، وقد رأيت ذلك في جماعة من أولياء مولانا ، والسعيدُ من وعظ بغيره . فقال: لك ذلك . فقال أبو القاسم : أحبُّ أن يكتب لي مولانا خطَّه بذلك ، ويعطيني توثقةً من نفسه به ، فقد أوجب هذا الانبساط وسوءَ الأدب في الخطاب تحكيمُ مولانا إياي . فوجد من الحاكم وقفةً في ذلك . فقال له : لا بأس ، نحن عبيد ، والمولى مالك . وأرجو أن لا آتي بما يكره مولانا ، وأعيش في نعمته على رضاه وما يهواه . ولكن لي أخت لها من قلبي منزلةٌ أخافُ عليها من الريح إذا هبّت ، إن رأى أمير المؤمنين أن يكتبَ لها أماناً على نفسها ، ويوثقها على بقاءِ مهجتها وصيانتها فعَل ، فقال له : لك ذلك ، على أن تعطيني موثقاً أن لا تفارق حضرتي إلا بإذْني . فقال له : لك ذلك . وكتب كلّ واحد منهما بذلك خطَّهُ ، وأيّده بيمينٍ حلفها . وخرج أبو القاسم من مجلسه وتهيأ من وقته للاستتار ، فأحضر عجوزاً ممن يوثق بعقلها وديانتها ، وأمرها أن تكتري داراً في بعض المحالِّ النائية ، وتتردَّدَ إليها ، وتبيت فيها تارةً ، وتنقطعَ أخرى ، ولا تخالط أحداً من الجيران ، ورتّب ذلك مدةَ سنتين أو ثلاث . فاتفق أنه استدعي يوماً إلى القصر ، فدخل والحاكمُ جالسٌ في مستشرف الدار ، ولم يره أبو القاسم ، وكان في اجتيازه قد وطىءَ نواةَ تمرة ، فلما صار بحيث الحاكم جعل ينفض نعله عِدَّةَ نُوَبٍ ، حتى سقطت النواة ، ثم التفت فرأى الحاكم فقبَّلَ الأرض بين يديه ، فوجد التغيرَ في وجهه ، والإنكارُ بادٍ في نطقه ، وإن أظهر التجمّل والانبساط ، فعلم أبو القاسم أن الحاكم قد ظن أن نفض نعله كان استهانةً به واحتقاراً له ، وعلم أن الحاكم لا يقيل العثرةَ ، ولما خرج من حضرته ، مضى إلى الدار التي أعدتها تلك المرأة ، واستتر فيها ، وطلبه الحاكم فلم يوجد [واستخبر عنه] من أبيه ، فأنكر أن يكون عرف له خبراً ، أو وقف منه على أثر ، فاعتقل أباه وجميعَ أهله ، وأوقع بهم القتل ، وجاء بأخته المذكورة ، فعلقها وطلب منها أخاها ، وضربها ضرباً وجيعاً ونادى في البلد بالتماسه ، فلم يوقف له على خبر ، فأخرج أباه وأخاه وجماعة من أهله إلى المقطم ، جبل مطلّ على القاهرة ، وضرب أعناقهم صبراً ، ثم خرج بنفسه حتى وقف عليهم ، وأمر برفعهم وغسلهم وتكفينهم ودفنهم ، ورجع إلى داره بالقصر ، وجلس للعزاء بهم ، وحضرهم الناس ، وعليهم ثيابُ الحزن ، وهذا من أعجب تلوّن هذا الرجل ـ يعني الحاكم ـ فإنه كان متناقضَ

الأحوال ، متباينَ الأقوال والأفعال.

واتفق أن حضر بمصر جماعةٌ من شرفاءِ الحجاز على عادةٍ لهم كانت بالحضور بمصر للاستجداء وطلبِ الصلة ، فوصلهم الحاكم بما جَرَتْ عادتهم ، وخرجوا إلى ظاهر القاهرة مبرزين قصداً للعَوْدِ إلى بلادهم ، وبلغ ذلك أبا القاسم فسيّر من اشترى له مَهْرِياً مثلَ جمالهم ، ولبس لبسهم ، وخرج حتى اختلط بهم وهو متلثم . وخرج الحاكم لوداعهم ، فتقدموا إليه وخدموه واستأذنوه في الرحيل ، فقال لهم : امضوا على بركة الله . وكان في من تقدم إليه أبو القاسم ، فلما رأى مشيته قال لواحد من جانبه : ما أشبهَ مشيةَ هذا الشريف بمشية ابن المغربي . ورحلوا ورحل معهم.

قال الصاحب : فبلغني أن ابن المغربي فارق الجماعة ، وجلس في جبل المقطم بموضع يقال له : الجبل الأحمر حتى ركب الحاكم على عادةٍ كانت له منفرداً مع غلامين له إلى ذلك الجبل ، فلقيه أبو القاسم في جماعةٍ ممن كان يثق إليهم ، وقد خرجوا إليه معدين ، فلما رآهم الحاكم خاف واستشعر وعرف أبا القاسم المغربي . فقال له : يا أبا القاسم : غدرت بك . فقال : لا بأس عليك . وإنما أحببتُ أن لا أفارقك حتى أواقعك على غدرك ، أما أعطيتني موثقاً من اللّه أن لا تسيءَ إلى تلك الحرمة المسكينة ؟ فقال : حملني الغضبُ عليك لكونك فارقتني بغير إذن ، وقد حلفتَ ألا تفعل إلا بأمري وإرادتي . فقال له : أما أنا فما فارقتك حتى استأذنتك . فقال له : ومتى استأذنتني ؟ قال : في يوم كذا لما أذنتَ للشرفاء فإني تقدمت حتى سمعتُ خطابك ، وأنت تقول : امضوا مُصَاحَبين على بركة اللّه ، فدخلت في العموم . فقال له الحاكم : إذا كنتَ قد خرجت من هذه بحجة فلك عليَّ عهدُ اللّه أن أطلق أختك وألحقها بك فتركه المغربي ، وتوجه إلى العراق ، ورجع الحاكم إلى القاهرة وجهز خلفه من يردّه ، فلم يظفر به حتى لحق ببني الجراح وأغراهم بخلع الحاكم ، وقتل المتولي لبلاد الشام منجوتكين . وبلغ الحاكمَ خبرُهُ وما أزمع عليه من قلْب دولته ، ومضيه إلى أبي الفتوح ، فكتب الحاكم إلى أبي القاسم أماناً بخطه ، وأتبعه بيمينه ، وأيده بتوثقةٍ ، وبذل له فيه البذول ، ووعده بوزارته ومؤازرته ، وبسط القولَ في ذلك غايةَ جهده وطاقته ، فكان جواب الوزير أبي القاسم أن أخذ رقعة ، وكتب فيها :

أأُنْشِبُ كفي في الرَّحى ثمَّ أرتجي خلاصاً لها إني إذن لرقيعُ

قال : فأيس منه الحاكم حينئذ . فمما أنشده في حال خروجه من مصر :

ونفسَك فُزْ بها إن خفتَ ضيماً وخلِّ الدار تندب من بكاها[1]
فإنك واجدٌ أرضاً بأرض ولسْتَ بواجدٍ نَفْساً سواها

وله[2] :

اللَّه يعلم ما إثمٌ أردت به إلا ونغَّصه خوفي من النارِ
وإنّ نفسيَ ما همَّت بمعصيةٍ إلا وقلبي عليها عاتب زارِ

ـ 382 ـ

الحسين بن علي بن الحسين المعروف بابن الخازن الكاتب أبو الفوارس صاحب الخط المليح المشهور بالجودة : كان يسكن بغداد بدرب حبيب . وكان مشتهراً بلعب النرد . مات فجأة في سنة اثنتين وخمسمائة . وعرفت أنه كتب خمسمائة نسخة لكتاب الله عز وجل ما بين جامع وَرَبْعَة . وكتب بالأغاني الكبير ثلاث نسخ . ومن العجائب أن دار ابن الخازن بدرب حبيب طلبت منه في سنة ثمانين وأربعمائة بألف دينار فلم تسمح نفسه ببيعها ، ثم التمس بعد ذلك من يشتريها بثلاثمائة دينار فلم يتهيأ له ذلك ، فلما توفي حصلت من حقوق بيت المال فبيعت بمبلغ ستمائة وخمسين ديناراً . وهذه حال التركات ، فمن شعره :

لا تركننَّ إلى الزمان فما بقي من كان قبلك واثقاً بزمانِ
صُنْ قَدْرَ ما أُوليته من نعمةٍ فالدهرُ والأيامُ ذو حدثانِ

---

382 ـ هذه الترجمة من المختصر وانظر ترجمته في تاريخ ابن الأثير 10 : 415 وقال إنه توفي عن سبعين سنة ؛ والوافي 12 : 440 ووفيات الأعيان 2 : 191 وكتاب الروضتين 1 : 29 والبداية والنهاية 12 : 170 .

(1) لعل الصواب : من بناها .

(2) الذخيرة 4 : 513 ونسبها الشريشي (5 : 358) لابن المعتز (القطعة : 49) .

لا تَخْـدَعَنَّـكَ مهلةٌ بقضـائـهـا فـالـطبـعُ مُسْتـولٍ على الإنسـانِ
ارفقْ بنفسـك واجتنب ظلم الورى مـا دمتَ مقتـدراً على الإمكـانِ

ـ 383 ـ

الحسين بن علي بن الوليد المعروف بابن الحلاب النحوي : قرأ عليه أبو غالب ابن بشران النحوي كتاب « الحماسة » عن أبي رياش أحمد بن أبي هاشم عن أبي المظفر[1] الأنطاكي عن أبي تمام .

ـ 384 ـ

الحسين بن علي بن داعي بن زيد العلوي النيسابوري أبو عبد الله الحسني النسابة : فاضل معروف ، مات في المحرم سنة ثلاث عشرة وخمسمائة بنيسابور .

ـ 385 ـ

الحسين بن علي بن محمد بن عبد الله بن عبد الصمد الأستاذ مؤيد الدين أبو إسماعيل الأصبهاني : صاحب الفضائل المشهورة والأشعار السائرة، صدر العراق وشهرة الآفاق المعروف بالطغرائي نسبة إلى من يكتب الطغراء وهي الطرّة التي تكتب

---

383 ـ هذه الترجمة من المختصر ، وانظر الوافي 13 : 15 وبغية الوعاة 1 : 537 (وقال : ذكره ابن النجار) وذكره القفطي في ترجمة محمد بن أحمد ابن بشران 3 : 45 وقال إنه كان صاحباً لأبي علي الفارسي ، وأوردت المصادر الأخرى مديحاً له في عضد الدولة البويهي ؛ وانظر روضات الجنات 3 : 157 حيث ذكره عرضاً .

384 ـ هذه الترجمة من المختصر .

385 ـ ترجمة الطغرائي في الأنساب واللباب (المنشىء) وابن خلكان 2 : 185 والوافي 12 : 431 ومقدمة الغيث المسجم في شرح لامية العجم ومرآة الزمان: 92 والبداية والنهاية 12 : 190 ومرآة الجنان 3 : 210 والشذرات 4 : 41 وروضات الجنات 3 : 192 . وبغية الطلب (زكار) 6 : 2683 وللدكتور علي جواد الطاهر دراسة عنه (بغداد: 1963) .

(1) الإنباه: أبي المطرف .

في أعلى المناشير فوق البسملة بالقلم الجلي تتضمن اسم الملك وألقابه ، وهي كلمة أعجمية محرفة من الطرّة .

كان آية في الكتابة والشعر حسن المعرفة باللغة والأدب ، أقوم أهل عصره بصنعة الأدب . وكان محترماً كبير الشأن جليل القدر خبيراً بصناعة الكيمياء له فيها تصانيف أضاع الناس بمزاولتها أموالاً لا تحصى ، وخدم السلطان ملك شاه بن الب أرسلان ، وكان منشيء السلطان محمد مدة ملكه متولي ديوان الطغراء وصاحب ديوان الإنشاء ، تشرفت به الدولة السلجوقية ، وتشوَّفت إليه المملكة الأيوبية ، وتنقل في المناصب والمراتب ، وتولى الاستيفاء وترشح للوزارة ، ولم يكن في الدولتين السلجوقية والإمامية من يماثله في الإنشاء سوى أمين الملك أبي نصر العتبي ، وله في العربية والعلوم قدر راسخ ،وله البلاغةُ المعجزة في النظم والنثر .ورد بغداد وأقام بها مدة طويلة وكان يسافر مع العسكر إلى الجبال والري وأصبهان إلى أن شرف بفضله وكماله .

قال الإمام محمد بن الهيثم الأصفهاني : كشف الأستاذ أبو إسماعيل بذكائه سرَّ الكيمياء وفك رموزها واستخرج كنوزها وله فيها تصانيف منها: جامع الأسرار. وكتاب تراكيب الأنوار . وكتاب حقائق الاستشهادات . وكتاب ذات الفوائد . وكتاب الردّ على ابن سينا في إبطال الكيمياء . ومصابيح الحكمة . وكتاب مفاتيح الرحمة . وله ديوان شعر وغير ذلك .

ولد سنة ثلاث وخمسين وأربعمائة وقتل في الوقعة التي كانت بين السلطان مسعود بن محمد وأخيه السلطان محمود سنة خمس عشرة وخمسمائة صبراً بهمذان وقد جاوز الستين . وكان[1] السبب في ذلك أنه كان كاتب الطغراء ، والطغراء التوقيعات ، لمحمد بن ملكشاه ، ثم ولاّه الإشراف على المملكة ، وعزل عن ذلك ، وأمره بملازمة بيته . وكان ابنه أبو محمد برسم الكتابة للطغراء للملك مسعود بن محمد ، فقصده أبوه أبو إسماعيل من أصبهان راكباً في الجاوة[2]وتبع، فلم يلحق بيعة المتولي بأصبهان من قبل السلطان محمود أخي مسعود . وكانت الحال بين الأخوين مسعود ومحمود غير

(1) من هنا حتى آخر الفقرة من المختصر .

(2) كذا وردت . وإذا صحت اللفظة فهي تعني حاشية .

مستقيمة ، وهما على الحرب والمنافسة على الملك ، ووصل إلى السلطان محمود وهو على باب خُويّ فولّاه وزارته ، وعزم مسعود على محاربة أخيه ، فكتب إليه يدعوه إلى الصلح ويخوّفه وبالَ الخلف ، ويبذلُ له البذولَ والإقطاعات ، وبلوغ الأغراض والطلبات . فأجاب الأستاذ أبو إسماعيل عن مسعود بجواب يجلب المنافرة والمباينة ، ويزيل الطاعةَ والموافقة ، وخطب لمسعودٍ بالسلطنة ، وخوطب الأستاذ أبو إسماعيل بالوزير قوام الدين ، وكان محمود في قلّ من العسكر ، ووقعت بينهما وقعة بهمذان ، فانهزم عسكر مسعود ، ومضوا على وجوههم متمزقين ، وأسر أصحاب السلطان محمود خلقاً من أعيان أصحاب مسعود منهم الأستاذ أبو إسماعيل الطغرائي ، فأمر السلطانُ بقتله لما في نفسه عليه مما تقدم ذكره ، وقال : لم أقتله إلا لقلّةِ دينه وسوء معتقده .

وروي أنه لما عزم السلطان محمود على قتل الطغرائي أمر به أن يُشَدَّ إلى شجرةٍ وأن يقفَ تجاهَهُ جماعةٌ بالسهام ، وأن يقفَ إنسان خلف الشجرة يكتب ما يقول ، وقال لأصحاب السهام لا ترموه حتى أشير إليكم، فوقفوا والسهام مفوَّقة لرميه ، فأنشد الطغرائي في تلك الحالة[1] :

ولقد أقولُ لمن يسدِّدُ سَهْمَهُ … نحوي وأطرافُ المنيةِ شُرَّعُ
والموتُ في لحظاتِ أحورَ طَرْفُهُ … دوني وقلبي دونَهُ يتقطعُ
باللَّه فَتِّشْ عن فؤادي هل يُرى … فيه لغير هوى الأحبةِ موضعُ[2]
أهْون به لو لم يكن في طيِّه … عهدُ الحبيب وسرُّه المستودَعُ

فرقَّ له و أمر بإطلاقه ، ثم إن الوزير أغراه بقتله بعد حين فقتله ، وكان أكبر أسبابِ قتله حَسَدُ أصحاب السلطان له على فضله فحسّنوا للسلطان قتله ، فمن أشعاره[3] :

إذا ما لم تكن ملكاً مطاعاً … فكن عبداً لمالكه مطيعا
وإن لم تملك الدنيا جميعاً … كما تختار فاتركها جميعا

---

(1) الأبيات في الوافي 12 : 432 وديوانه : 249 وبغية الطلب : 2685 ، 2687 .

(2) رواية الديوان :

باللّه فتش عن فؤادي أولاً … هل فيه للسهم المسدد موضع

(3) ديوانه : 245 وبغية الطلب : 2686 .

همـا سببـان من ملك ونسْكٍ ينيـلان الفتى الشـرف الـرفيعـا
فمن يقنـع مـن الـدنيـا بشيء سـوى هـذين يحيَ بهـا وضيعـا

ولـه[1] :

لا تجزعنَّ[2] إذا بالأمـر ضقت به ذرعـاً ونم وتوسّـد خـاليَ البـالِ
فبين غفـوة عين وانتبـاهـتهـا تنقل الأمـر[3] من حـال إلى حـال
وما اهتمامك بالمجدي عليك وقد جـرى القضـاءُ بـأرزاقٍ وآجـال

وكتب إلى الحكيم أبي الحسن ابن أبي الغنايم الطبيب[4] :

يـا سيـدي[5] والـذي مـودَّتُـهُ عنـديَ روحٌ يحيا بهـا الجسـدُ
من ألَم الـظهـرِ أستغيثُ وهـل يـألـمُ ظهـرٌ إليـك يستنـد

ولـه[6] :

إني لأذكـركم وقـد بلغ الـظمـا مني فـأشـرقُ بـالـزلالِ البـاردِ
وأُري العـدا أن الإسـاءةَ منكمُ خـطأ وتلك سجيَـةُ من عـامـدِ
مـا زلْتُ أزهـدُ في مـودةِ راغبٍ حتى ابتليتُ بـرغبـةٍ في زاهـدِ
إن لم يكن سحـراً هـواك فـإنـه والسحـر قـدّا مـن أديم واحـدِ

ولـه[7] :

ذكـرتكمُ عنـد الـزلالِ مـع الـظمـا فـلم أنتـفـعْ مـن بـرده ببـلاَلِ
وحـدثتُ نفسي بـالأمـانيِّ فيكم[8] وليس حـديثُ النفس غيـرَ ضـلالِ
يَقَـرُّ بعيني الركبُ من نحـو أرضكم يُـزَجُّـونَ عيسـاً قيّـدت بكـلالِ
أطـارحهم جدَّ الحـديث وَهَـزْلَـهُ لأقـطعهم[9] عن سيـرهم بمقـالِ
وأسـألُ عمن لا أريـدُ[10] وإنـمـا أريـدكمُ مـن بينـهـم بسـؤالـي

(1) ديوانه : 313 (بيتان فقط) .
(2) الديوان : لا تسهرن .
(3) الديوان : يقلب الدهر .
(4) الديوان : 147 .
(5) الديوان : يا سندي .
(6) ديوانه : 141 .
(7) ديوانه : 317 .
(8) الديوان : ضلة .
(9) الديوان : لأحبسهم .
(10) الديوان : أسائل عمن لا أحب .

فيعثـرُ مـا بين الحـديث ورجعـه   لسـاني بكم حتى ينمَّ بحـالي
وأطـوي على ما تعلمـون جـوانحي   وأظـهـر للعـذّال أنـيَ سـالِ
فـلا والـذي عـافـاكمُ وابتلى بكم   فـؤاديَ مـا مَـرّ[1] السلوُّ ببـالي
وقد عشتُ دهراً لا أبـالي من النوى   فعلمـني الـهجـران كيف أبـالي

[وقال يعاتب مؤيد الملك أبا بكر عبيد اللّه][2] :

لـك الخير قـد عودتني منـك عادةً   نشـأتُ عليهـا منـذ أول حـالي
وكنت أرجّي أن حـالـك تـرتقي   فينمـو بها حـالي نمـوَّ هـلالِ
وأسمـو إلى نيلِ الأمـاني وأقتضي   مـواعيدَ دهـرٍ مـولَـعٍ بمـطالِ
فقـد رابني منـك الصـدودُ وليتَـهُ   صـدودُ اشتغالٍ لا صـدودُ مـلالِ
وإن كـان هذا منـك دأبـاً تـديمـه   فـإذنَـكَ لي حتـى أزمَّ جمـالي
وإلا فعـد لي بالجميـل فقد عَفَتْ   معـالمُ آمـالي وضـاق مجـالي
فمثليَ لا يـرضى مقـامـاً بـذلـةٍ   وصبـراً على جاهٍ لـديك مـذالِ
ومثلك لا يرضى بتضييع حرمتي[3]   وتخييبِ آمـالٍ لـديـكَ طـوالِ

ومن شعر مؤيد الدين الطغرائي قصيدتـه التي تداولهـا الرواة وتنـاقلتها الألسن المعروفة بلامية العجم وقد رأيت ان اوردها بتمامها إعجاباً بها ، قال[4] :

أصـالةُ الـرأي صـانتني عن الخَـطَلِ   وحليـةُ الفضلِ زانتني لـدى العَـطَلِ
مجـدي أخيـراً ومجـدي أولاً شَـرَعٌ   والشمسُ رأدَ الضحى كالشمسِ في الطَّفَلِ
فيمَ الاقـامـةُ بـالـزوراءِ لا سَكَنـي   فيهـا ولا نـاقـتي فيهـا ولا جـملي
نـاءٍ عن الأهـلِ صِفْـرُ الكفِّ منفـردٌ   كـالسيفِ عُـرِّيَ متنـاهُ عن الخللِ

(1) الديوان : ما اجتاز .
(2) القصيدة التالية وردت موصولة بما قبلها، وهما في الديوان قصيدتان لا واحدة، انظر ص: 287 .
(3) الديوان : خدمتي .
(4) هي في الديوان : 301 ـ 309 وأثبتها الصفدي في صدر شرحه لها كما أثبتها في الوافي 12 : 436 ـ 439 ؛ ولست أرى أن أتتبع الخلاف في الروايات .

فلا صديقٌ إليه مُشْتَكى حَزَني ... ولا أنيسٌ إليه منتهى جذلي
طال اغترابيَ حتى حنَّ راحلتي ... ورحلُها وَقرى العسَّالةِ الذُّبلِ
وضجَّ من لَغَبٍ نِضْوي وعجَّ لما ... يلقى ركابي ولجَّ الركبُ في عذلي
أريدُ بسطةَ كفٍّ أستعينُ بها ... على قضاءِ حقوقٍ للعُلا قِبَلي
والدهرُ يعكسُ آمالي ويُقنعني ... من الغنيمةِ بعد الجِدِّ بالقَفَلِ
وذي شَطاطٍ كصدرِ الرمح معتقلٍ ... لمثله غيرَ هيَّابٍ ولا وكِلِ
حلوِ الفكاهة مُرِّ الجِدّ قد مُزِجَتْ ... بشدَّةِ البأسِ منه رقةُ الغزل
طردتُ سَرْحَ الكرى عن وِرْدِ مقلته ... والليلُ أغرى سوامَ النوم بالمقل
والركبُ مِيلٌ على الأكوارِ من طَرَبٍ ... صاحٍ وآخرَ من خمر الهوى ثمل
فقلتُ أدعوك للجلَّى لتنصرني ... وأنت تخذلني في الحادث الجلل
تنامُ عيني وعينُ النجمِ ساهرةٌ ... وتستحيلُ وصبغُ الليلِ لم يَحُلِ
فهل تعينُ على غيٍّ هممتُ به ... والغيُّ يزجر أحياناً عن الفشلِ
إني أريدُ طروقَ الحيِّ من إضَمٍ ... وقد حماه رُماةٌ من بني ثعلِ
يحمون بالبيض والسمرِ اللدانِ به ... سودَ الغدائر حُمْرَ الحلي والحللِ
فسرْ بنا في ذمام الليل معتسفاً ... فنفحةُ الطيب تهدينا إلى الحِلَلِ
فالحبُّ حيث العدا والأسدُ رابضةٌ ... حول الكناسِ لها غابٌ من الأَسَلِ
نؤمُّ ناشئةً بالجزع قد سُقيتْ ... نصالها بمياهِ الغُنْجِ والكَحَلِ
قد زاد طيبَ أحاديثِ الكرام بها ... ما بالكرائم من جُبنٍ ومن بخلِ
تبيتُ نارُ الهوى منهنَّ في كبدٍ ... حرَّى ونارُ القرى منهم على القلل
يقتلنَ أنضاءَ حبٍّ لا حراكَ به ... وينحرون كرامَ الخيل والابل
يَشْفَى لديغُ العوالي في بيوتهمُ ... بنهلةٍ من غديرِ الخمر والعسلِ
لعلّ إلمامةً بالجزع ثانيةً ... يدبُّ منها نسيمُ البرءِ في عللي
لا أكرهُ الطعنةَ النجلاءَ قد شُفِعَتْ ... برشقةٍ من نبالِ الأعين النجلِ

ولا أهابُ الصفاحَ البيضَ تسعدني ... باللمح من خلل الاستارِ والكللِ[1]
ولا أخلُّ بغزلانٍ تغازلني[2] ... ولو دهتني أسود الغيل بالغيلِ
حبُّ السلامة يثني همَّ صاحبه[3] ... عن المعالي ويغري[4] المرءَ بالكسل
فإن جنحتَ إليه فاتخذ نفقاً ... في الأرضِ أو سُلماً في الجوّ فاعتزل
ودعْ غمارَ العلا للمقدمين على ... ركوبها واقتنعْ منهنَّ بالبلل
رضا الذليل بخفضِ العيشِ مَسْكَنَةٌ ... والعزُّ تحت رسيمِ الأَيْنُقِ الذللِ
فادرأ بها في نحورِ البيدِ جافلةً ... معارضاتٍ مثاني اللجم بالجدل
إن العلا حدثتني وهي صادقةٌ ... فيما تحدث أنّ العزَّ في النقلِ
لو أنّ في شَرَفِ المأوى بلوغَ منىً ... لم تبرحِ الشمسُ يوماً دارةَ الحملِ
أهبتُ بالحظّ لو ناديتُ مستمعاً ... والحظ عنيَ بالجهَّالِ في شغلِ
لعلّه إن بدا فضلي ونقصهمُ ... لعينه نام عنهم أو تنبَّهَ لي
أُعلِّلُ النفسَ بالآمال أرقبها ... ما أضيقَ العيشَ لولا فُسْحَةُ الأملِ
لم أرضَ بالعيشِ والأيامُ مقبلةٌ ... فكيف أرضى وقد ولَّتْ على عجل
غالى بنفسيَ عرفاني بقيمتها ... فصنتها عن رخيصِ القدرِ مبتذل
وعادةُ النصل أن يُزْهَى بجوهره ... وليس يعملُ إلا في يديْ بطل
ما كنتُ أوثر أن يمتدَّ بي زمني ... حتى أرى دُولةَ الأوغادِ والسفلِ
تقدمتني أناسٌ كان شوطهُمُ ... وراءَ خَطْوِيَ لو أمشي على مهلِ
هذا جزاءُ امرىءٍ أقرانُهُ درجوا ... من قبله فتمنَّى فسحةَ الأجلِ
وإن علانيَ من دوني فلا عجبٌ ... لي أسوةٌ بانحطاطِ الشمسِ عن زحل
فاصبر لها غيرَ محتالٍ ولا ضجرٍ ... في حادثِ الدهرِ ما يغني عن الحيل

(1) في أصل المختصر: باللمح من صفحات البيض في الكلل.
(2) ر: أغازلها.
(3) ر: صاحبها.
(4) ر: ويرضي.

أعــدى عــدِّوكَ أدنى من وثقتَ بــه فحـاذرِ الناسَ وآصحبهم على دخلِ
وإنمــا رجــلُ الــدنيــا وواحــدهــا مَنْ لا يعـوِّلُ في الـدنيـا على رجلِ
وحسنُ ظنـك بـالأيـام مَعْجَـزَةٌ فـظنَّ شـراً وكنْ منهـا على وجـلِ
غاض الوفـاءُ وفاض الغَـدْرُ وانفرجتْ مسـافـةُ الخُلْفِ بين القـول والعمـلِ
وشـانَ صِدْقَـكَ عنـد النـاسِ كـذبُهُمُ وهـل يـطابَـقُ معـوجٌ بـمعـتـدل
إن كـان ينجـعُ شيءٌ في ثبـاتهـمُ على العهـودِ فسبقُ السيفِ للعـذلِ
يـا وارداً سُـؤْرَ عـيشٍ كـلُّهُ كَـدَرٌ أنفقتَ صفـوكَ فـي أيـامِـكَ الأول
فيم اقتحـامُـكَ لُـجَّ البحـرِ تـركبُهُ وأنت يكفيـك منـه مَصَّـةُ الـوَشَـلِ
ملكُ القنـاعـةِ لا يُخْشَى عليـه ولا يُحْتـاجُ فيـه إلى الأنصـار والخـول
تـرجـو البقـاءَ بـدارٍ لا ثبـاتَ لهـا فهـل سمعتَ بـظلٍّ غيـر منـتقـلِ
ويـا خبيـراً على الأسـرار مـطلعـاً اصمت ففي الصمتِ منجاة من الزلل
قـد رَشَّحَـوك لأمـرٍ إن فـطنتَ لـه فـاربأ بنفسـك أن تَرْعَى مـع الهمـلِ
اقـنـع تعـزَّ ولا تـطمـع تـذلَّ ولا تكثـر تملَّ ولا تغتـرَّ بـالمهـلِ [1]

وقال يسلي معين الملك [أبا المحاسن بن] فضل اللّه في نكبته ويحضه على الصبر[2] :

تصـدَّى وللحيِّ المنيع[3] رحيـلُ غـزالٌ أحـمُّ المقلتين كـحيـلُ
تصـدَّى وأمرُ البينِ قـد جـدَّ جـدُّه وَزُمَّتْ جِمـالٌ واستقـلَّ حُمـولُ
وفي الصدرِ من نار الصبابةِ جاحمٌ وفي الخدِّ من ماءِ الجفـونِ مسيل
غزال له مرعىً من القلب مُخْصِبٌ وظـلٌّ صفيقُ الجـانبيـن ظليـل
تنـاصَفَ فيـه الحسنُ أما قَـوامُـهُ فَشَـطْبٌ وأمـا خصـرُهُ فنحيـلُ

(1) هامش المختصر : هذا البيت لم يذكره أحد من الشراح وهي به عدة 65 واللّه أعلم .
(2) الديوان : 296 .
(3) الديوان : الجميع .

قَريبٌ من الرائين يُطْمِعُ قربُهُ ... وليس إليه للمحبِّ سبيلُ
إذا سار لحظ المرءِ في وجناته[1] ... تضاءَلَ عنه الطَّرْفُ وهو كليل
ولما استقلَّ الحيُّ وانصدعتْ به ... نوىً عن وَدَاعِ الظاعنين عَجول
تراءى لنا وجهٌ من الخدّ نير ... وضاءَتْ علينا نضرةٌ وقبولُ[2]
فصبراً مُعينَ الملك إنْ عنَّ حادثٌ ... فعاقبةُ الصبرِ الجميل جميلُ
ولا تيأسنْ من صُنْعِ ربِّك إنه ... ضمينٌ بأنَّ اللّه سوف يُديلُ
فإنّ الليالي إذ يزولُ نعيمها ... تبشِّرُ أنَّ النائباتِ تزول
ألم ترَ أن الليلَ بعد ظلامه ... عليه لإسفارِ الصباح دليل
ألم تر أن الشمسَ بعد كسوفها ... لها منظرٌ يعشي العيونَ صقيلُ
وان الهلالَ النضوَ يقمرُ بعد ما ... بدا وهو شَخْتُ الجانبين ضئيل
ولا تحسبنَّ السيف يقصر[3] كلما ... تعاوره بعد المضاءِ كلولُ
ولا تحسبنَّ الدوح يُقْلَعُ كلّما ... يمر به نفحُ الصَّبا فيميل
فقد يعطفُ الدهرُ الأبيُّ عنانَهُ ... فيَشْفَى عليلٌ أو يُبلُّ غليلُ
ويرتاشُ مقصوصُ الجناحين بعدما ... تساقطَ ريشٌ واستطار نسيل
ويستأنفُ الغصنُ السليبُ نضارةً ... فيورقُ ما لم يعتوره ذبولُ
وللنجم من بعد الرجوع استقامةٌ ... وللحظِّ من بعد الذهاب قفول
وبعضُ الرزايا يوجبُ الشكرَ وَقْعُها ... عليكَ وأحداثُ الزمانِ شُكُولُ
ولا غروَ أن أخنتْ عليكَ فإنما ... يصادَمُ بالخطبِ الجليل جليل
وأيّ قناةٍ لم تُرَنَّحْ كُعُوبها ... وأيُّ حسامٍ لم يُصِبْهُ فلولُ
أسأتَ إلى الأيام حتى وترتها ... فعندك أضغانٌ لها وذحول

---

(1) الديوان : إذا سافر الألحاظ في وجناته .
(2) رواية الديوان :
تراءت لنا لمع الغمامة أوجه ... وضاءة علتها نضرة وقبول
(3) الديوان : يقضب .

وصارفتها[1] فيما أرادتْ صروفها ... ولولاك كانت تنتحي وتصولُ
وما أنت إلا السيفُ يسكنُ غِمْدَهُ ... ليُرْدَى به يومَ النزالِ قتيلُ
أما لك بالصدّيق يوسفَ أسوةٌ ... فتحملَ وطءَ الدهرِ وهو ثقيلُ
وما غضَّ منك الحبسُ والذكر سائرٌ ... طليقٌ له في الخافقين زميلُ
فلا تُذْعِنَنْ للخطبِ آدَكَ ثِقْلُهُ ... فمثلك للأمرِ العظيم حمولُ
ولا تجزعنْ لِلكَبْلِ مَسَّكَ وَقْعُهُ ... فإن خلاخيلَ الرجالِ كبول
وصنعُ الليالي ما عَدَتْكَ سهامها ... وإن أجحفتْ بالعالمين جميلُ
وإن امرءاً تعدو الحوادثُ عرضَهُ ... ويأسَى لما يأخذنه لبخيل

وقال[2] :

أما العلومُ فقد ظفرتُ ببغيتي ... منها فما أحتاجُ أنْ أتعلَّما
وعرفتُ أسرارَ الخليقةِ كلِّها ... علماً أنار ليَ البهيمَ المظلما
وورثتُ هِرْمِسَ سرَّ حكمته الذي ... ما زال ظناً في الغيوب مرجما
وملكتُ مفتاحَ الكنوز بحكمةٍ ... كشفتْ ليَ السرَّ الخفيَّ المبهما
لولا التقيةُ كنتُ أظهر معجزاً ... من حكمتي تشفي القلوبَ من العمى
أهوى التكرُّمَ والتظاهرَ بالذي ... عُلِّمْتُهُ والعقلُ ينهى عنهما
وأريدُ لا ألقى غبياً موسراً ... في العالمين ولا لبيباً معدما
والناسُ إما جاهلٌ أو ظالمٌ ... فمتى أُطيقُ تكرُّماً وتكلما

وقال[3] :

أيكيةٌ صَدَحَتْ شجواً على فَنَنِ ... فأشعلتْ ما خبا من نارِ أشجاني
ناحتْ وما فقدتْ انساً[4] ولا فُجِعَتْ ... فذكرتنيَ أوطاري وأوطاني

---

(1) الديوان : وعارضتها .
(2) الديوان : 366 .
(3) الديوان : 389 .
(4) الديوان : إلفاً .

طليقــةٌ مـن إســارِ الهـمِّ نــاعمــةً أضحتْ تجـدِّدُ وجدَ المـوثَقِ العاني
تشبهتْ بيَ في وجــدٍ وفي طَــرَبٍ هيهـاتِ ما نحن في الحـالين سيـانِ
مـا في حشـاهـا ولا في جفنهـا أثَـرٌ من نـارِ قلبي ولا من مـاءِ أجفــاني
يــا ربـةَ البــانـةِ الغنّــاءِ تحضنهــا خضـراءُ تلتفُّ أغصـانــاً بـأغصــانِ
إن كـان نَـوْحُـكِ إسعـاداً لمغتــربٍ نــاءٍ عن الأهــل منيٍّ بـهجــرانِ
فقـارضيني إذا مـا اعتــادني طـربٌ وجــداً بــوجــدٍ وسلوانــاً بسـلوانِ
مـا أنتِ مني ولا يعنيكِ مـا أخـذَتْ منّي الليـالي ولا تـدرينَ مــا شـاني
كلي إلى السُّحْبِ إسعادي فإن لها[1] دمعــاً كـدمعي وإرنــانـاً كــارنـاني

وقال[2] :

أقـول لنضوي وهي من شَجَني خِلْوُ حنـانيـكِ قـد أدميتِ كلميَ يا نضـوُ
تعــالَيْ أقـاسمْــكِ الهمـومَ لتعلمي بــأنــك ممــا تشتكي كبــدي خلوُ
تريدين مَـرْعَى الريفِ والبـدوَ أبتغي ومـا يستوي الـريفُ العراقيُّ والبـدوُ
هنـاك هبـوبُ الــريـح مثلك لاغبٌ ومثليَ مــاءُ المــزنِ مــورده صفــوُ
ومحجـوبـةٍ لـو هبَّتِ الـريـحُ أرقلتْ إليها المهاري[3] بالعوالي ولم يلووا
صبـوتُ إليها وهي ممنـوعـةُ الحمى فحتَّـامَ أصبـو نحـو من لا لـه نحـوُ
هوىً ليس يُسْلي القربُ عنه ولا النوى وشجــوٌ قـديم ليس يشبهــهُ شجــو
فــأسـرٌ ولا فــكٌّ ووجــدٌ ولا أسىً وسقمٌ ولا بُــرْءٌ وسكــرٌ ولا صحــوُ
عـنــاءٌ مُعَـنٍّ وهــو عنــديَ راحــةٌ وسمٌّ زُعــافٌ طعمــهُ في فمي حلوُ
ولـولا الهوى مـا شاقني لمـعُ بـارقٍ ولا هـدَّني شَجْـوٌ ولا هــزَّني شـدوُ

وقال[4] :

خَبَّــروهـا أني مــرضتُ فقـالتْ أضنىً طــارفــاً شكــا أم تليــدا

---

(1) الديوان : الغيم . . . فإن له .
(2) الديوان : 410 .
(3) الديوان : الغيارى .
(4) الديوان : 143 .

وأشــاروا بــأنْ تـعــودَ وســادي فــأبتْ وهي تشتـهي أن تـعــودا
وأتتني في خفيــةٍ وهي تشكــو رقبــةَ الحيِّ والمــزارَ البعيــدا
ورأتـني كــذا فـلم تـتـمـالــكْ أن أمـالت عليَّ عـطفـاً وجيـدا
ثم قــالتْ لتــربهــا وهي تبـكي ويحَ هذا الشبـاب غضاً جـديدا
زورةٌ مــا شـفتْ غـليــلاً ولكـنْ زَيَّـدَتْ[1] جمـرةَ الفؤادِ وَقـودا
وتــولَّتْ بحسـرةِ البينِ[2] تُخْفي زفـراتٍ أبـيــنَ إلا صــعــودا

وقال[3] :

انــظرْ تَــرَ الجنــةَ في وجهــه لا ريــبَ فــي ذاك ولا شــكُّ
أمــا تـرى فيــه الـرحيقَ الـذي ختــامُــهُ من خــالــه مـســكُ

وله[4] :

بــالله يـا ريـح إن مُكّنْتِ ثـانيــةً من صُدْغِهِ فأقيمي فيه واستتـري
وراقبي غـفلةً مــنــه لتنتـهــزي لي فـرصةً وتعـودي منه بـالظفـرِ
وإن قدرتِ على تشويشِ طُـرَّتِهِ فشـوِّشيهـا ولا تبقي ولا تـذري
ولا تمسّي عــذاريــه فتفتضحي بنفحة المسك بين الوردِ والصدرِ
وبــاكـري عــذبَ وِرْدٍ من مُقَبَّلِهِ مقابَلَ الطعم بين الطيب والخصرِ
ثم اسلكي بين برديه على عَجَلٍ واستبْضعي الطيبَ وأتيني على قدرِ
ونبهيني دُوَيْنَ القــوم وانـتـفضـي عليَّ والليلُ في شكٍّ من السحرِ
لعـلَّ نفحـةَ طيب منــك ثـانيــةً تقضي لبـانةَ قلبٍ عـاقـرِ الـوطـرِ

وكتب إلى بعض أصحابه وهو على مسرة[5] :

فــديتُــكَ قــد تَنَبَّهْنَــا لــدهــرٍ عــيــونُ صــروفِــهِ عنّــا نـيــامُ

---

(1) الديوان : علمت .
(2) الديوان : اليأس .
(3) الديوان : 267 .
(4) الديوان : 168 وبغية الطلب : 2688 .
(5) الديوان : 354 وبغية الطلب : 2686 .

وجـاد لنا الـزمـانُ بجمـع شمْـل ... تــألَّفَ بعـدمــا انقـطع النــظامُ
مــدامٌ تـشبــهُ الـتـفــاحَ ذَوْبــاً ... وتـفــاحٌ كمــا جَـمَــدَ المــدام
ومن نسْـج الــربيـع مُحَبَّــراتٌ ... تــأنَّقَ في حــواشيهــا الـغمــامُ
وريَّــان الـصِّبـا لـلحُسْـن فيــه ... بــدائِعُ لا يحيطُ بهــا الكــلام
لنـا من مسك[1] صـدغيـه نجـادُ ... ومن ألحــاظ مقلتــه[2] حســامُ
ومجلسنـا على مـا فيـه يـومي[3] ... بـنـقـصــانٍ وأنـت لــه تــمــام
فـلا تعتـلَّ بــالأشغـال واحضــرْ ... عـلى عَـجَــلٍ وإلَّا والســـلامُ

ـ 386 ـ

الحسين بن عبد اللّه بن أحمد بن عبد الجبار، الأمير أبو الفتح المعروف بابن أبي حصينة المعري الأديب الشاعر : توفي بسروج في منتصف شعبان سنة سبع وخمسين وأربعمائة، وكان سبب تقدمه ونواله الامارة أن الامير تاج الدولة ابن مرداس أوفده إلى حضرة المستنصر العبيديّ رسولاً سنة سبع وثلاثين وأربعمائة فمدح المستنصر بقصيدة قال فيها[4] :

ظهـر الهـدى وتجمَّــلَ الاسـلامُ ... وابنُ الــرسـولِ خليفــةٌ وإمــامُ
مستنصــرٌ بــاللَّه ليس يـفــوتُــهُ ... طلبٌ ولا يعتــاصُ عنــه مــرامُ

---

386 ـ ترجمة ابن أبي حصينة في مصورة ابن عساكر 4 : 5/462 : 2 وتهذيب ابن عساكر 4 : 190 وبغية الطلب 4 : 248 والوافي 12 : 82 والفوات 1 : 332 ومعظمها ذكره باسم « الحسن بن عبد اللّه » وتاريخ ابن الوردي 1 : 365 وله ديوان شرح بعضه أبو العلاء (دمشق 1956) .

(1) الديوان : له من فتل .
(2) الديوان : عينيه .
(3) الديوان : يُرْمَى .
(4) هي أيضاً في تاريخ ابن الوردي ، وفي ملحقات الديوان (وكل القصائد التي أوردها ياقوت وقعت في الملحقات) .

حـاط العبـادَ وبـات يُسْهِـرُ عينَـهُ وعيـونُ سكّـانِ البـلادِ نيـامُ
قَصْـرُ الإمـام أبي تميمٍ كعبـةٌ ويمينُـهُ ركـنٌ لهـا ومقـام
لولا بنو الـزهراءِ مـا عُرِفَ التقى فينـا ولا تَبِـعَ الهـدى الأقـوام
يـا آلَ أحمـدَ ثُبِّتَتْ أقـدامُكُمْ وتـزلـزلـتْ بعـداكم الأقـدام
لستمْ وغيـرَكُم سـواءً ، أنتـمُ للـذيـن أرواحٌ ، وهـم أجسـامُ
يـا آلَ طـه حبـكم وولاؤكـم فـرضٌ وإنْ عذلَ اللحـاةُ ولامـوا

وهي طويلة .

ثم مدحه سنة خمسين وأربعمائة فوعـده بالإمـارة وأنجز لـه وعده سنـة إحدى وخمسين فتسلم سجلَّ الإمارة من بين يدي الخليفة في ربيع الآخر من السنة ، فمدحه بقصيدة منها[1] :

أمـا الامـامُ فقـد وفى بمقـالِـهِ صلَّى الإلـهُ على الامـام وآلـهِ
لـذنـا بجـانبـه فـعمَّ بفضـله وببـذلـه وبصفـوهِ وجمـالـهِ
لا خُلْقَ أكـرمُ من معـدٍّ شيمـةً محمـودةً في قـولـه وفعـالـه
فـاقصدْ أميـرَ المؤمنين فما تـرى بـؤسـاً وأنت مـظلَّلٌ بـظلالـه
زاد الامـامُ على البحـورِ بفضله وعلى البـدورِ بحسنه وجمـالـه
وعلا سريرَ الملك من آل الهدى من لا تمـرُّ الفـاحشـاتُ ببـالـه
النصـرُ والتـأييـدُ في أعـلامـه ومكـارمُ الأخـلاقِ في سـربـالـه
مستنصـرٌ بـاللّه ضـاق زمـانُـهُ عن شبهـهِ ونـظيـرِهِ ومثـالِـهِ

وكان الذي سعى في تأميره وكتب له سجلَّ الامارة أبو علي صدقة بن إسماعيل بن فهد الكاتب ، فمدحه الأمير أبو الفتح بقصيدة منها :

قـد كان صبـري عيـلَ في طَلَبِ العـلا حتى استنـدتُ إلى ابن إسمـاعيـلا
فـظفـرتُ بـالخـطرِ الجليـل ولم يـزلْ يحـوي الجليـلَ من استعـان جليـلا

(1) الأبيات أيضاً في تاريخ ابن الوردي وفي ملحقات الديوان .

لولا الوزيرُ أبو عليٍّ لم أجِدْ أبداً الى الشرف العليِّ سبيلا
إن كان ريبُ الدهرِ قبَّح ما مضى عندي فقد صار القبيحُ جميلا
وأجلُّ ما جعل الرجالُ صِلاتهم للراغبين العزَّ والتبجيلا
اليومَ أدركتُ الذي أنا طالبٌ والأمس كان طلابُهُ تعليلا

وقال يمدح أسد الدولة عطية بن صالح بن مرداس(1) :

سرى طيفُ هندٍ والمطيُّ بنا تسري فأخفى دُجَى ليلٍ وأبدى سنا فجرِ
خليليَّ فكاني من الهمِّ واركبا فجاجَ البوادي الغبرِ في النُّوَبِ الغمرِ
إلى ملكٍ من عامرٍ لو تمثَّلَتْ مناقبُهُ أغنتْ عن الأنجم الزهر
إذا نحن أثنينا عليه تلفتتْ إلينا المطايا مصغياتٍ الى الشكر
وفوق سريرِ الملك من آلِ صالح فتىً ولدته أمُّهُ ليلةَ القدر
فتىً وجهه أبهى من البدرِ منظراً وأخلاقُهُ أشهى من الماءِ والخمر
أبا صالحٍ أشكو إليكَ نوائباً عرتني كما يشكو النباتُ إلى القطر
لتنظرَ نحوي نظرةً إن نظرتها إلى الصخرِ فجرتَ العيونَ من الصخرِ
وفي الدار خلفي صبيةٌ قد تركتهم يُطِلُّونَ إطلالَ الفراخ من الوكرِ
جنيتُ على روحي بروحي جنايةً فأثقلتُ ظهري بالذي خفَّ من ظهري
فهب هبةً يبقى عليك ثناؤُها بقاءَ النجومِ الطالعاتِ التي تسري

قال الأمير أسامة بن منقذ : فلما فرغ من إنشاده أحضر الأمير أسدُ الدولةِ القاضي والشهود ، وأشهد على نفسه بتمليك الأمير أبي الفتح ابن أبي حصينة ضيعةً من ضياعه لها ارتفاع كبير ، وأجازه فأحسن جائزته فأثرى وتمول .

ولما ملك محمود بن نصر بن صالح بن مرداس(2) حلب سنة اثنتين وخمسين

(1) تولى عطية أمر حلب بعد أخيه ثمال سنة 454 وأخرجه منها محمود بن نصر بن صالح فذهب إلى الرقة وتملكها ، ثم أخرجه منها مسلم بن قريش ، فالتحق بالروم وتوفي بالقسطنطينية سنة 465 .

(2) محمود بن نصر المرداسي تملك حلب سنة 452 ثم انتزعها منه عمه ثمال سنة 453 ولما مات ثمال وتملك عطية أخوه هاجم محمود مدينة حلب واستولى عليها وخلع طاعة الفاطميين ودعا للعباسيين واستمرَّ في ولايته حتى وفاته سنة 468 .

وأربعمائة مدحه بقصيدة منها :

كفّي ملامَكِ فالتبريحَ يكفيني ... أو جرِّبي بعضَ ما ألقَى ولوميني
برملِ يبرينَ أصبحتم فهل علمتْ ... رمالُ يبرين أن الشوق يبريني
أهوى الحسانَ وخوفُ اللَّه يردعني ... عن الهوى والعيونُ النجلُ تغويني
ما بال أسماءَ تلويني مواعدها ... أكلُّ ذاتِ جمالٍ ذاتُ تلوينِ
كان الشبابُ إلى هندٍ يقربني ... وشاب رأسي فصار اليومَ يقصيني
يا هندُ إن سوادَ الرأسِ يَصْلُحُ للـ ... ـدنيا وإن بياضَ الرأسِ للدينِ
لستُ امرءاً غيبةُ الأحرارِ من شيمي ... ولا النميمةُ من طبعي ولا ديني
دعني وحيداً أعاني العيشَ منفرداً ... فبعضُ معرفتي بالناسِ تكفيني
ما ضرَّني ودفاعُ اللَّه يعصمني ... مَنْ باتَ يهدمني واللَّه يبنيني
وما أبالي وصرفُ الدهر يُسْخِطني ... وَسَيْبُ نعماك يا ابنَ الصِّيدِ يرضيني
أبا سلامةَ عشْ واسلم حليفَ علاً ... وسؤددٍ بشعاع الشمسِ مقرونِ
أشنا عداكم وأهوى أن أدينَ لكم ... فللعدى دينهم فيكم ولي ديني

فلما أتم إنشادها قال له : تمنَّ ، قال : أتمنى أن أكونَ أميراً ، فجعله أميراً يجلس مع الأمير ويخاطَب بالأمير وقرَّبه ، وقد تقدم أن الإمارةَ وجهت إليه سنة إحدى وخمسين من ديوان المستنصر بمصر ، ولا منافاة بين الروايتين إذ يكون توجيهُ الإمارة إليه من الأمير محمود بن نصر تالياً لتوجيهها إليه من جانب المستنصر ومؤكداً مؤيداً له . ووهبه صاحبُ حلب محمود أيضاً مكاناً بحلب تجاه حمام الواساني فجعله داراً وزخرفها ، فلما تمَّ بناؤها نقش على دائرة الدرابزين فيها[1] :

---

(1) انظر بغية الطلب : 249، 250، 251 وقال بعضهم إن الأبيات في نصر بن محمود ، وعلَّق ابن العديم بأن ابن أبي حصينة لم يدرك زمان نصر بن محمود ؛ وقيل إن الحكاية جرت مع نصر بن صالح أخي ثمال ، قال ابن العديم : ودفع إلي مدائح نصر بن صالح مدونة وفيها قصائد مدحه بها أبو الفتح وليس فيها القصيدة الرائية ولا الأبيات السينية ، والصحيح أنه مدح بها معز الدولة ثمال بن صالح وأكثر مديحه فيه .

دارٌ بنيناها وعشنا بها في دعةٍ من آلِ مرداسِ
قومٌ مَحَوْا بؤسي ولم يتركوا عليَّ في الأيام من باسِ
قُلْ لبني الدنيا ألا هكذا فليحسنِ الناس إلى الناسِ

ولما تكامل البناءُ عمل دعوةً حضرها الأمير محمود بن نصر فلما رأى حُسْنَ الدار وقرأ الأبياتَ المتقدمة قال : يا أبا الفتح كم صرفتَ على بناء الدار ؟ قال : يا مولانا هذا الرجل تولّى عمارتها ولا أدري كم صرف عليها فسأل المعمار [فقال]: غرم عليها ألفي دينار مصرية فأمر باحضار ألفي دينار وثوب أطلس وعمامة مذهبة وحصان بطوق ذهب وسرفسار ذهب فسلمها إلى ابن أبي حصينة وقال له :

قل لبني الدنيا ألا هكذا فليحسنِ الناسُ الى الناسِ

وحضر بعد أيام رجلٌ من أهل المعرة يقال له الزقوم من رعاع الناس وأسافلهم فطلب رزقَ جنديّ فأعطي ذلك وجعل من أجنادِ المعرة فقال أحمد بن محمد المعروف بابن الدويدة المعري في ذلك[1] :

أهلُ المعرةِ تحتَ أقبحِ خطةٍ وبهم أناخ الخطبُ وهو جسيمُ
لم يكفهم تأميرُ إبنِ حصينةٍ حتى تجنَّدَ بعده الزقومُ
يا قومُ قد سئمتْ لذاك نفوسنا يا قومُ أين التركُ أين الرومُ

فشاعت الأبياتُ وسمعها الأمير أبو الفتح ، فذهب إلى بيت ابن الدويدة فلما دخل عليه قال له ابن الدويدة : الآن واللّٰه كان عندي الزقوم وقال لي : واللّٰه ما بي من الهجو ما بي من أنك قرنتني بابن أبي حصينة ، فقال له ابن أبي حصينة : قبحك اللّٰه وهذا هجوٌ ثان .

وقال يمدح قريش بن بدران بن المقلد بن المسيب صاحب نصيبين[2] :

---

(1) انظر ترجمة ابن الدويدة في الخريدة (قسم الشام) 2 : 53 ودمية القصر 1 : 152 (ط. مصر) وابن خلكان 4 : 440 .

(2) كان قريش بن بدران أمير بني عقيل ، وقد توفي في سنة 453 ، وابنه مسلم هو الذي انتزع حلب من يد المرداسيين ، وقضى على دولتهم .

أبَتْ عبراتُهُ إلاّ انهمالا ... عشيةَ أزمعَ الحيُّ ارتحالا
أجِدَّكَ كلّما همّوا بنأيٍ ... ترقرق ماءُ عينك ثم سالا
تقاضينا مواعدَ أم عمرو ... فضنَّتْ أن تُنيلَ وأن تنالا
وسار خيالها الساري إلينا ... فلو علمتْ لعاقبتِ الخيالا

ومنها :

إذا بلغت ركائبُنا قريشاً ... فقد بلغتْ بنا الماءَ الزلالا
فتىً لو مدَّ نحوَ الجوِّ باعاً ... وهمَّ بأن ينالَ الشهبَ نالا
إذا انتسب ابنُ بدرانٍ وجدنا ... مَنَاسِبَه العليَّةَ لا تُعالى
تتيهُ بها إذا ذُكِرَتْ معدٌّ ... وتُكسبُ كلَّ قيسيٍّ جمالا
أيا علمَ الهدى نجوى محبٍّ ... يُحبكم اعتقاداً لا انتحالا
مننتَ فلم تجشّمني عناءً ... وُجدتَ فلم تكلّفني سؤالا
إذا عدم الزمانُ مُسَيّبياً ... أتاح اللّه للدنيا وبالا

وهي طويلة اكتفينا منها بما ذكرناه .

وقال يرثي زعيم الدولة أبا كامل بركة بن المقلّد بن المسيّب(1) ، وتوفي بتكريت سنة ثلاث وأربعين وأربعمائة :

من عظيم البلاءِ موتُ العظيم ... ليتني متُّ قبلَ موتِ الزعيمِ
يا جفوني سحّي دماً أو فحمِّي ... صحنَ خدّي بعبرةٍ كالحميمِ
بعد خِرْقٍ من الملوكِ كريمٍ ... ما زمانٌ أوْدَى به بكريم
جعفريّ النصابِ من صفوة الصفـ ... ـوةِ في الفخرِ والصميم الصميم
يا أبا كاملٍ برغميَ أن يُشْـ ... ـقيك سُكْنَى الترابِ بعدَ النعيمِ
أو تبيتَ القصورُ خاليةً منـ ... ـكَ ومن وجهكَ الوضيءِ الوسيمِ
وانقراضُ الكرامِ من شيم الدهـ ... ـر ومن عادةِ الزمانِ اللئيم

(1) كان بركة يشارك أخاه قرواشاً في ملك الموصل .

قـد بكت حسْرَةً عليـه المـذاكي وشكتْ فَقْـدَهُ بنـات الـرسيمِ

وهي قصيدة طويلة .

وقال يرثي أبا العلاء المعرّي :

العلمُ بعـد أبي العـلاءِ مُضَيَّـعُ والأرضُ خـاليـةُ الجـوانبِ بَلْقَـعُ
أودى وقـد مـلأ البـلاد غـرائبـاً تسري كما تسري النجومُ الـطلَّعُ
ما كنتُ أعلمُ وهو يُودَعُ في الثرى أن الثـرى فيـه الكـواكبُ تـودَعُ
جَبَـلٌ ظننتُ وقـد تـزعـزعَ رُكْنُـهُ أنّ الجبـالَ الـراسيـاتِ تـزعـزع
وعجبتُ أن تسـعَ المعـرَّةُ قَبْـرَهُ ويضيقَ بطنُ الأرضِ عنه الأوسع
لـو فاضتِ المُهَجَـاتُ يومَ وفـاتِهِ مـا استكثرتْ فيـه فكيفَ الأدمـع
تتصـرَّمُ الـدنيـا ويـأتي بعـدَه أمَـمٌ وأنت بـمثـلهِ لا تـسـمـع
لا تجمـع المالَ العتيـدَ وجُدْ بـه من قبل تركـكَ كلَّ شيء تجمـعُ
وإن استطعتَ فسِرْ بسيـرةِ أحمدٍ تـأمنْ خديعـةَ من يَضُـرُّ ويخـدعُ
رفض الحيـاةَ ومات قبـلَ مماتِـهِ متـطوّعـاً بـأبسرٍّ مـا يُتـطوَّعُ
عينٌ تَسَهَّـدُ لـلعفـافِ ولـلتقـى أبـداً وقلبٌ للمهيـمنِ يـخشـعُ
شـيمٌ تـجـمّـله فـهنَّ لـمـجـده تـاجٌ ولكنْ بـالـثنـاءِ يـرصـعُ
جـادت ثراك أبـا العلاءِ غمـامـةٌ كَنَـدَى يـديـكَ ومُـزْنـةٌ لا تُقلِع
مـا ضيَّع البـاكي عليـكَ دمـوعَـهُ إن البكـاءَ على سـواكَ مُضيّـع
قصدتك طُلّابُ العلومِ ولا أرى للعلم بـابـاً بعـدَ بـابـك يقـرع
مـات النُّهى وتعـطلتْ أسبـابُـهُ وقَضَى العلا والعلمُ بعدكَ أجمعُ

وقال يرثي أبا يعلى حمزة بن الحسين بن العباس الحُسيني الدمشقي وكان يوم وفاته بدمشق[1] :

---

(1) هو حمزة بن الحسن عند ابن عساكر (المصورة 5 : 2 ـ 3 والتهذيب 4 : 445) وكان قاضياً بدمشق ، وتوفي سنة 434 .

هَوَى الشرفُ العالي بموتِ أبي يعلى ... ولا غَرْوَ أن جلَّتْ رزيةُ من جَلاَّ
سيصلى بنارِ الحُزْنِ مَنْ كان آمناً ... به أنّه في الحشرِ بالنّار لا يصلى
تحلَّتْ بهِ الدنيا فحلَّ به الردى ... فعطَّلها من ذلك الحليِ منْ حلَّى
فقدناه فَقْدَ الغيثِ أقلعَ وَبْلُهُ ... عن الأرضِ لما أنفدت ذلك الوبلا
لقد فلَّ منه الدهرُ حدَّ مهنَّدٍ ... تركنا به في كلِّ حدٍّ له نصلا
فلستُ أبالي بعدَهُ أيَّ عابر ... من الناس أملى اللّه مدته أم لا
تقلُّ دموعي والهمومُ كثيرةٌ ... كذاك دخانُ النارِ ان كَثُرَتْ قلاَّ
وآنفُ أن أبكي عليكَ بعبرةٍ ... إذا لم يكن غرباً من الدمع أو سَجْلا

وقال يرثي معتمدَ الدولة قرواشَ بن المقلّد بن المسيّب العقيلي صاحبَ الموصل ، توفي مسجوناً بقلعة الجراحية ، وقيل قتله ابنُ أخيه قريش في مستهل رجب سنة أربع وأربعين وأربعمائة ودفن بتلّ توبة من مدينة نينوى :

أمثلُ قرواشٍ يذوقُ الرَّدى ... يا صاحِ ما أوقحَ وَجْهَ الحمامْ
حاشا لذاك الوجهِ أن يعرفَ الـ ... ـبؤسَ وأن يُخْشَى عليه الرَّغامْ
وللجبينِ الصلْتِ أن يُسلَبَ الـ ... ـبهجةَ أو يَعْدَمَ حُسْنَ الوسام
يا أسفَ الناسِ على ماجدٍ ... مات فقال الناسُ مات الكرام
غيرَ بعيدٍ يا بعيدَ الندى ... ولا ذميمٍ يا وفيَّ الذمام
زُلتَ فلا القصرُ بهيٌّ ولا ... بابك معمورٌ كثيرُ الزحامْ
ولا الخيامُ البيضُ منصوبةٌ ... بوركتَ يا ناصبَ تلك الخيام
قبحاً لدنيا حطَّمَتْ أهلَها ... وأخذتهم باكتسابِ الحُطامْ
تأخذُ ما تعطي فما بالنا ... نُكْثِرُ فيما لا يدومُ الخصامْ
يا قبرَ قرواشٍ سُقيتَ الحيا ... ولا تَعَدَّتْكَ غوادي الغمامْ
قضى ولم أقضِ على إثرهِ ... إني لمن تركِ الوفا ذو احتشام
أنظمُ شعراً والجوى شاغلي ... يا عجبا كيف استقامَ الكلام

ولما وصل أرمانوس[1] ملك الروم إلى حلب سنة إحدى وعشرين وأربعمائة ومعه ملك الروسِ وملكُ البلغار والألمان والبلجيك والخزر والأرمن في ستمائة الف من الفرنج قاتلهم شبل الدولة نصر بن صالح صاحب حلب ، فهزمهم وتبعهم إلى عزاز وأسر جماعةً من أولاد ملوكهم ، وغنم المسلمون منهم غنائم عظيمة ، فقال ابن أبي حصينة في ذلك ، وأنشدها شبل الدولة بظاهر قنسرين :

دِيارُ الحيِّ مقفرةٌ يبابُ ... كأن رسومَ دِمْنَتِها كتابُ
نأتْ عنها الربابُ وبات يهمي ... عليها بعدَ ساكنها الرَّبابُ
تعاتبني أُمامةُ في التصابي ... وكيف به وقد فاتَ الشباب
نضا مني الصبا ونضوتُ منه ... كما ينضو من الكفِّ الخضاب

ومنها :

إلى نصرٍ وأيُّ فتىً كنصرٍ ... إذا حلَّت بمغناه الركابُ
أمنتهكَ الفرنجِ غداةَ ظلَّتْ ... حطاماً فيهم السُّمْرُ الصِّلابُ
جنودُكَ لا يحيطُ بهنَّ وَصْفٌ ... وجودك لا يحصِّلُهُ حساب
وذكرك كلُّهُ ذكرٌ جميلٌ ... وفعلُكَ كلُّهُ فعلٌ عُجابُ
وأرمانوس كان أشدَّ بأساً ... وحلَّ به على يدك العذاب
أتاك يجرُّ بحراً من حديدٍ ... له في كلِّ ناحيةٍ عبابُ
إذا سارت كتائبُهُ بأرضٍ ... تزلزلت الأباطحُ والهضاب
فعاد وقد سلبتَ الملكَ عنه ... كما سُلِبَتْ عن الميتِ الثيابُ
فما أدناه من خيرٍ مجيءُ ... ولا أقصاهُ عن شرٍّ ذهاب
فلا تسمعْ بطنطنةِ الأعادي ... فإنهمُ إذا طنُّوا ذبابُ
ولا ترفعْ لمن عاداك رأساً ... فإن الليثَ تنبحُهُ الكلاب

(1) انظر ابن الأثير 9 : 404 ـ 405 ، وكان امبراطور الروم حينئذ هو رومانس (Romanus) الثالث .

وقال :

أشـدُّ من فـاقـةِ الـزمـانِ … مـقـام حُـرٍّ عـلى هـوانِ
فـاسـتـرزقِ اللّه واستعنْهُ … فـإنـه خـيـرُ مسـتـعـانِ
وان نـبـا مـنـزلٌ بـحـرٍّ … فـمن مكـانٍ إلى مكـان

وقال :

بكتْ عليَّ غـداةَ البينِ حين رأتْ … دمعي يفيضُ وحالي حالُ مبهوتِ
فـدمعتي ذوبُ ياقـوتٍ على ذهبٍ … وَدَمْعُهـا ذوبُ درٍّ فـوق يـاقـوتِ

وقال :

لا تخـدعنَّك بعـد طـولِ تجـاربٍ … دنيـا تغـرُّ بـوصلهـا وستقـطعُ
«أحـلامُ نـومٍ أو كـظلٍّ زائـلٍ … إنَّ اللبيبَ بمثلهـا لا يُخْـدَعُ»[1]

وقال يمدح ثابت بن ثمـال بن صالح بن مرداس[2] :

لـو أنَّ داراً أخبـرتْ عن نـاسِهـا … لسـألتُ رامةَ عن ظبـاءِ كنـاسهـا
بـل كيف تخبرُ دمنـةٌ ما عنـدهـا … علمٌ بـوحشتهـا ولا إينـاسهـا
ممحـوةُ العرصـات يَشْغَلُها البِلَى … عن ساحباتِ المِرْطِ فوقَ دهاسها

ومنها :

وزمـانُ لهـوٍ بـالمعـرةِ مـونقٍ … بسيـاثها وبجـانبي هـرمـاسهـا[3]
أيـامَ قلتُ لـذي المـودَّةِ أسقني … من خندريسِ حناكِها أو حاسها[4]
حمـراءَ تغنينـا بسـاطـع لـونهـا … في الليلةِ الظلماءِ عن نبـراسهـا
وكـأنمـا حَبَبُ المـزاج إذا طفـا … درٌّ تـرصَّـعَ في جـوانب طـاسهـا
رقَّتْ فمـا أدري أكأسُ زجـاجهـا … في جسمها أم جِسْمُها في كاسها

(1) بيت لعمران بن حطان ، انظر شعر الخوارج : 173 .
(2) ورد بعضها عند ابن عساكر وبغية الطلب .
(3) سياث والهرماس من ضواحي المعرة .
(4) حناك : حصن بالمعرة ، وحاس في أرضها .

وكأنما زُرْجُونةٌ جاءتْ بها سُقِيَتْ مُذابَ التبرِ عند غراسها
فأتت مشعشعةً كجذوةِ قابسٍ راعت أكفَّ القوم عند مساسها
للّه أيامُ الصِّبا ونعيمُها وزمانُ جِدّتها ولينُ مراسها
ما لي تعيبُ البيضُ بيضَ مفارقي وسبيلها تصبو إلى أجناسها
نورُ الصباحِ إذا الدجنةُ أظلمتْ أبهى وأحسنُ من دجى أَغلاسها
إن الهوى دَنَسُ النفوسِ فليتني طَهَّرْتُ هذي النفس من أدناسها
ومطامعُ الدنيا تُذِلّ ولا أرى شيئاً أعزَّ لمهجةٍ من ياسها
من عفَّ لم يُذْمَمْ ومن تبع الخنا لم تُخْلِهِ التبعاتُ من أوكاسها
زيِّنْ خصالَكَ بالسماح ولا تردْ دنيا تراك وأنت بعضُ خساسها
ومتى رأيتَ يدَ امرئٍ ممدودةً تبغي مواساةَ الكريم فواسها
خيرُ الأكفِّ السابقاتِ بجودها كفٌّ تجودُ عليكَ في إفلاسها

ومنها في المدح :

أما نزارُ فكلُّها لكريمةٍ لكنَّ أكرمَها بنو مرداسها

وقال :

إذا المرء لَمْ يرْضَ ما أمكَنَهْ ولم يأتِ من أمره أَحْسَنَهْ
فدعه فقد ساءَ تدبيرُهُ سيضحكُ يوماً ويبكي سنهْ

وقال :

الدهرُ خَدَّاعةٌ خَلُوبُ وصفوُهُ بالقذى مَشُوبُ
فلا تغرنَّكَ الليالي فبرقها خُلَّبٌ كَذوبُ
وأكثرُ الناسِ فاعتزلهم قوالبٌ ما لها قلوبُ

ـ 387 ـ

الحسين بن عبد الرحيم بن الوليد بن عثمان بن جعفر أبو عبد الله الكلابي المعروف بابن أبي الزلازل، من بني جعفر بن كلاب، اللغويّ الأديب الكاتب الشاعر: أخذ عن أبي القاسم الزجاجي وأبي بكر محمد بن جعفر الخرائطي وأبي يعقوب النجيرمي وغيرهم. توفي في رمضان سنة أربع وخمسين وثلاثمائة. وله مصنفات منها، كتاب أنواع الأسجاع وهو ما جاء من أخبار العرب مسجوعاً، ابتدأ بتأليفه في دمشق سنة ثلاث وأربعين وثلاثمائة روى فيه عن شيوخه وغيرهم، وهو كتابٌ ممتع أجاد وضعه وتأليفه.

ومن شعر ابن أبي الزلازل:

لقد عَرَّفتكَ الحادثاتُ بِفَرْسِها[1] ... وقد أدَّبَتْ ان كان ينفعكَ الأدبْ
ولو طلب الأنسانُ من صَرْفِ دهره ... دوامَ الذي يخشى لأعياهُ ما طلبْ

وقال[2]:

فتىً لرغيفه قُرْطٌ وَشِنْفٌ ... وإكليلان من خَرَزٍ وشَذْرِ
إذا كُسِرَ الرغيفُ بكى عليه ... بكا الخنساءِ إذ فُجِعَتْ بصخرِ

وقال مهنئاً بعض الأمراء بالعيد[3]:

عيدُ يُمْنٍ مؤكدٌ بأمانِ ... من تصاريفِ طارقِ الحدثانِ
جعل الله عيدَ عامِكَ هذا ... خيرَ عيدٍ يحويه خيرُ زمانِ[4]
ثم لا زلتَ من زمانك في يسـ ... ـرٍ ومن طيب عيشهِ في أمانِ[5]

---

387 ـ ترجمته في مصورة ابن عساكر 5: 3 وتهذيب ابن عساكر 4: 309 والوافي 12: 418.

(1) م: نفوسها.
(2) ورد البيتان في بخلاء الخطيب: 169 وديوان المعاني 1: 185 والشريشي 5: 151 وغرر الخصائص: 289 والتذكرة الحمدونية 2: 320 ونهاية الأرب 3: 310.
(3) الأبيات عند ابن عساكر والصفدي.
(4) م: وذاك خير التهاني.
(5) م: صفر ومن شر صرفه في أمان.

آخـذاً ذمـةً من الـدهـر لا تُخْـ ـفَـرُ معقـودةً بـأوفى ضمـانِ
نـافذَ الأمـرِ عـاليَ القـدرِ محمـو دَ المسـاعـي مؤيـدَ السلطانِ

وقال :

• ثمـانيـةٌ قـام الـوجـودُ بهـا فهـل ترى من محيصٍ للورى عن ثمانيهْ
سـرورٌ وحـزنٌ واجتمـاعٌ وفـرقـة وعسـرٌ ويسـرٌ ثم سقم وعـافيـهْ
بهنَّ انقضـتْ أعمـارُ أولادِ آدمٍ فهـل مَنْ رأى أحوالهم متسـاويهْ

ـ 388 ـ

الحسين بن عبد السلام أبـو عبد الله المصـري المعروف بـالجمل الشـاعر المشهور : كان شاعراً مفلقاً مدح الخلفاءَ والأمراء . توفي في ربيع الآخر سنة ثماني وخمسين ومائتين ، قدم دمشق وافـداً على أحمد بن المـدبر ، وكـان أحمد يقصـده الشعراء ، فَمَنْ مَدَحَهُ بشعرٍ جيّدٍ أجزلَ صلته ، ومن مدحه بشعرٍ رديء وَجَّهَ به مع خادمٍ له إلى الجامع فلا يفارقه حتى يصلّي مائة ركعـة ثم يصرفـه ، فدخـل عليه الجمـل وأنشده[1] :

أردنـا في أبي حسنٍ مـديحـاً كمـا بـالمـدحِ تُنْتَجَعُ الـولاةُ
فـقـالـوا أكـرمُ الثقلين طـرًّاً وَمِـنْ جـدواهُ دجلةُ والـفـراتُ
وقـالـوا يقبـلُ الشعـراءَ لـكن أجـلُّ صِـلاتِ مـادحـه الصـلاةُ
فقلتُ لهم ومـا يـغني عيـالـي صـلاتي إنمـا الشـأنُ الـزكـاةُ
فيـأمـرُ لي بكسـرِ الصـاد منهـا فتصبح لي الصَّلاة هي الصِلاتُ

388 ـ ترجمة الجمل المصري في مصورة ابن عساكر 5 : 4 وتهذيب ابن عساكر 4 : 309 ويتيمة الدهر 1 : 440 والـوافي 12 : 419 والمغرب (قسم مصـر) : 270 والنجـوم الـزاهـرة 3 : 30 والمقفى 3 : 514 وهذا هو الجمل الأكبر ، أما الجمل الأصغر فهو مشبه له في الاسم أيضاً (انظر المغرب : 271) .

(1) الأبيات عند ابن عساكر والصفدي .

وروى الجمل عن بشر بن بكر عن الأوزاعي أنه قال : كان قوم كسالى ينامون تحت شجرة كمثرى ، [ويقولون] إن سقط في أفواهنا شيء اكلنا وإلا فلا ، فسقطت كمثراةٌ إلى جانب أحدهم ، فقال له الذي يليه : ضعها في فمي ، قال : لو استطعتُ أن أضعها في فمك وضعتها في فمي .

قال ابن يونس في « تاريخ مصر » : كان الجمل شرهاً في الطعام دنيءَ النفسِ وسخَ الثوب هجاءً ، ولد قبل سنة سبعين ومائة وعلت سنه ، ومدح المأمون بمصر لما ورد إليها لجوب البيمارستان ، ومدح الأمراء مثل عبد اللّه بن طاهر وغيرهم ، وتوفي في ربيع الآخر سنة ثماني وخمسين ومائتين . ومن شعر الجمل أيضاً :

إذا أظمـأتْـكَ أكـفُّ الـلئـامِ ... كَفَتْـكَ القنـاعـةُ شِبْعـاً وريّـا
فكنْ رجـلاً رجلُهُ في الـثـرى ... وهـامـةُ هِـمَّتِـهِ فـي الـثـريـا
أبـيـاً لـنـائـل ذي ثـروةٍ ... تـراه بـمـا فـي يـديـه أبـيـا
فـإنَّ إراقـةَ مـاءِ الـحـيـاةِ ... دونَ إراقـةِ مـاءِ الـمـحـيـا

- 389 -

الحسين بن عقيل بن محمد بن عبد المنعم بن هاشم البزار الواسطي القرشي : كان أديباً شاعراً وله عناية بالحديث ، روى عنه الخطيب البغدادي والحافظ أبو القاسم ابن عساكر ؛ توفي سنة إحدى وسبعين وأربعمائة ، ومن شعره :

لقد كمَّل الرحمنُ شَخْصَك في الورى ... فـلا شانَ شيئـاً من كمالـك بـالنقصِ
ومن جَمَـعَ الآفـاقَ في العينِ قـادرٌ ... على جمع أشتاتِ الفضائلِ في شخصِ

وقال[1] :

ولـمـا حدا البينُ المشتُّ بشملنا ... ولـم يبـقَ إلا أن تثـارَ الأيـانـقُ

389 ـ ترجمته في مصورة ابن عساكر 5 : 8 وتهذيب ابن عساكر 4 : 311 .

(1) الأبيات عند ابن عساكر .

ولم نستطعْ عند الوداع تصبّراً وقد غالنا دمعٌ عن الوجدِ ناطقُ
وقفنا لتوديعٍ فكادتْ نفوسنا لأجسادنا قبلَ الوداع تفارقُ
فباكٍ لما يلقاهُ من فَقْدِ إلفِهِ وشاكٍ له قلبٌ به الوجد عالقُ

وقال :

أقلي النهار إذا اضاءَ صباحُهُ وأظلُّ أنتظرُ الظلامَ الدامسا
فالصبحُ يَشْمَتُ بي فَيُقْبِلُ ضاحكاً والليلُ يرثي لي فَيُدْبِرُ عابسا

وقال :

على لام العذار رأيتُ خالاً كنقطةِ عنبر بالمسكِ أفرطْ
فقلتُ لصاحبي هذا عجيبٌ متى قالوا بأنَّ اللام تنقط

- 390 -

الحسين بن علي بن أحمد بن عبد الواحد بن بكر بن شبيب الطيبي النديم : نديم المستنجد بالله، ولد سنة خمسمائة وتوفي سنة ثمانين وخمسمائة . كان أديباً كاتباً شاعراً له اليد الطولى في حلّ الألغاز العويصة ، فتفاوض أبو منصور محمد بن سليمان بن قتلمش وأبو غالب ابن الحصين في سرعة خاطر ابن شبيب وتقدمه في حلّ الألغاز فعمل ابن قتلمش أبياتاً على صورة الالغاز ولم يلغز فيها بشيء أرسلاها إلى ابن شبيب يمتحنانه بها وهي :

وما شيء له في الرأس رِجْلٌ وموضعُ وجهه منه قَفَاهُ
إذا غَمَّضْتَ عينَكَ أبْصَرْتَهُ وان فَتَّحْتَ عينَكَ لا تراهُ

390 ـ ترجمته في الخريدة (قسم العراق) 1 : 187 والوافي 12 : 447 والفوات 1 : 377 (ولقبه سعد الدين) والطيبي نسبة إلى الطيب بين واسط وكور الأهواز؛ م : النصيبي .

ونظم أيضاً :

وجارٍ وهو تيارُ ضعيفُ العقلِ خوّارُ
بلا لحمٍ ولا ريشٍ وَهْوَ في الرمزِ طيارُ
بطبعٍ باردٍ جداً ولكنْ كلُّهُ نارُ

فكتب ابن شبيب على الأول : هو طيف الخيال ، وكتب على الثاني : هو الزئبق ، فجاء أبو غالب وأبو منصور إليه وقالا : هب اللغز الأول طيف الخيال ، والبيتُ الثاني يساعدُكَ على ما قلت ، فكيف تعملُ بالبيت الأول؟ فقال : لأنّ المنامَ يُفَسَّر بالعكس ، لأنَّ من بكى يفسر بكاؤهُ بالضحك والسرور ، ومن مات يُفَسَّرُ موتُهُ بطولِ العمر . وأما اللغز الثاني فإن أصحاب صناعة الكيمياء يرمزون للزئبقِ بالطيّار والفرّار والآبق وما أشبه ذلك ، لأنه تناسب صفته ، وأما بَرْدُهُ فظاهر ، ولإفراطِ برده ثُقُلَ جسمه وجرمه ، وكله نار لسرعة حركته وتشكله في افتراقه والتئامه ، وعلى كلّ حال ففي ذلك تسامح يجوز في مثل هذه الصور الباطلة إذا طبقت على الحقيقة .

ودخل[1] ابن شبيب يوماً على الخليفة المستنجد بالله فقال الخليفة : أين شتيت ؟ فقال : عندك يا أمير المؤمنين ، فأعجبه هذا التصحيف منه .

ومن شعر ابن شبيب في المستنجد[2] :

أنت الإمامُ الذي يحكي بسيرته من نابَ بعدَ رسولِ اللّه أو خَلَفَا
أصبحتَ لبَّ بني العباسِ كلهم إن عُدِّدَتْ بحروفِ الجمَّلِ الخلفا

فإن جُمّل حروف (لب) اثنان وثلاثون ، والمستنجد هو الثاني والثلاثون من الخلفاء .

ومن شعره أيضاً :

ومحترسٍ من نفسه خوفَ زلّةٍ تكونُ عليه حجةً هيَ ماهيا
يصونُ عن الفحشاءِ نفساً كريمة أبتْ شرفاً إلا العلا والمعاليا

---

(1) وردت القصة في الخريدة .

(2) الخريدة : 195 .

صبورٌ على ريبِ الزمانِ وَصَرْفِهِ كتومٌ لأسرارِ الفؤادِ مداريا
له همةٌ تعلو على كلِّ همةٍ كما قد علا البدرُ النجومَ الدراريا

وقال :

أغصانُ وردٍ زَيَّنَتْ دُرَرُ الندى أجيادَها بمخانقٍ وعقودِ
فتوهجتْ كمسارجٍ وتأرجَتْ كنوافجٍ وتدبجت كبرودِ
وتبلَّجتْ ككواكبٍ وتَبَرَّجَتْ ككواعبٍ وَتَضَرَّجَتْ كخدودِ

وقال :

تبوحُ بسرك ضيقاً به وتبغي لسرِّكَ مَنْ يكتمُ
وكتمانُكَ السرَّ ممن تخافُ وَمَنْ لا تخافُ هُوَ الأَحْزَمُ
وإن ذاع سرُّكَ من صاحبٍ فأنت وإن لُمتَهُ أَلْوَمُ

ـ 391 ـ

الحسين بن علي بن محمد بن ممويه ، أبو عبد الله المعروف بابن قُم الزَّبيدي اليمني : ولد بزبيد سنة ثلاثين وخمسمائة، وتوفي سنة إحدى وثمانين وخمسمائة . كان أديباً كاتباً شاعراً من أفاضل اليمن المبرزين في النظم والنثر والكتابة ، ومن شعره :

أأحبابَنا مَنْ بالقطيعةِ أغراكمْ وعن مُسْتَهامٍ في المحبَّةِ ألهاكمْ
صددتمْ وأنتم تعلمونَ بأننا لغيرِ التجنّي والصدودِ وددناكمْ
كشفتُ لكم سرّي على ثقةٍ بكم فصرتُ بذاكَ السرِّ من بعض أسراكمْ
جعلناكمُ للنائباتِ ذخيرةً فحين طلبناكم لها ما وجدناكم
قطعتمْ وصلناكم، نسيتم ذكرناكم عققتم بررناكم ، أضعتم حفظناكم
وفي النفس سرٌّ لا تبوحُ بذكرِهِ ولو تلفتْ وَجْداً إلى يومِ لقياكمْ

---

391 ـ ترجمته في الخريدة (قسم الشام) 3 : 74 والوافي 13 : 5 والفوات 1 : 381 .

فـإن تجمـعِ الأيـامُ بيني وبينكم غفـرتُ خطايـاكم لحرمـةِ رؤيـاكمْ

وقال :

خيـر ما ورَّث الـرجـالُ بنيهم أدبٌ صـالـحٌ وحسنُ ثنـاءِ
ذاك خيـرٌ من الـدنـانيـر والأو راقِ في يـومِ شِـدَّةٍ ورخـاءِ
تلك تَفْنَى والدينُ والأدبُ الصا لـحُ لا يفنيـان حتى اللقـاءِ

ولابن قُم رسالةٌ كتب بها إلى أبي حمير سبأ بن أبي السعود أحمد بن المظفر بن علي الصليحي اليماني بعد انفصاله عن اليمن ، رواها عنه الحافظ أبو طاهر السلفي سنة ثمان وستين وخمسمائة[1] وهي[2] :

كتب عبدُ حضرةِ السلطانِ الأجلّ مولاي ربيعِ المجدبين ، وقريعِ المتأدبين ، جلوة الملتبس ، وجـذوة المقتبس ، شهاب المجـد الثاقب ، ونقـاب ذوي الـرشـدِ والمناقب ـ أطال الله بقاءه ، وأدام علوّه وارتقاءه ، ما قُدِّمَتِ العارية للمستعير[3] ، ولزمتْ الياءُ للتصغير ، وجعل رتبته في الأوليةِ عاليةَ المقام[4] ، كحرف الاستفهام ، وكالمبتدأ إن تأخرَ في البنية ، فإنه مقدَّمٌ في النية ، ولا زالت حَضْرَتُهُ في الحـادثاتِ حِمَى ، وللوفودِ مزدَحماً وملتزَماً ، حتى يكون في العلا ، بمنزلة حرف الاستعلا ، وهو من حروف اللين في حصون ، وما جاورها من الإمالةِ مصون ، ولا زال عدوُّهُ كالألف حالها يختلف ، تسقطُ في صِلَةِ الكلام ، لا سيما مع اللام ، فإنه أدام اللّه علوه أحسنَ إليَّ ابتداءً ، ونشرَ عليَّ من فضله رداءً ، أراد أن يَخْفَى وكيف يخفى ، لأنَّ من شَرَفِ الإحسان ، سقوطَ ذِكْرِهِ عن اللسان ، كالمفعول رُفِعَ رَفْعَ الفاعل الكامل ، لما حُذِفَ من الكلام ذكرُ الفاعل ـ يهدي إليه سلاماً ما الروض : ضاحَكَه النَّـوْض[5] ، غُرِسَ وحُرِسَ ، وسُقِيَ ووُقي ، وغِيبَ وصِيب ، فأخذ من كل نوءٍ بنصيب ، زهاه الزهر ،

(1) الوافي : سنة اثنتين وستين وخمسمائة .
(2) نقلها الصفدي في الوافي والكتبي في الفوات .
(3) الوافي والفوات : ما أجابت العادية المستغير .
(4) الفوات : وافرة السهام .
(5) النوض : سرب الماء .

وسقاه النهر ، جاور الاضا[1] ، فَحَسُنَ وأضا ، رتعَ فيه الشّحرور[2] ، وَمَرِحَ العصفور، فنظر إلى أقاحيه ، تفترُّ في نواحيه ، وإلى البهار ، يضاحك شمسَ النهار ، فجعل يلثمُ من ورده خدوداً ، ويضمّ من أغصانه قدوداً ، ويقتبسُ النار ، من الجلّنار ، ويلتمس العقيق ، من الشقيق ، فتثنّى ثملاً ، وغنّى خفيفاً ورَمَلاً ، بأطيبَ من نفحته المسكية ، وأعطرَ من رائحته الذكية . وإني وإن أهديتُهُ في كلٍّ أوان ، من أداء ما يجبُ غيرَ وَان ، أعدُّ نفسي السُّكَيْتَ في السَّبْقِ ، لتقصيري لما وجب عليَّ من الحق ، أَثَرْتُ فعثرت ، وجهدتُ فما سَعِدْتُ ، فأنا بحمد اللّه بخنوع وقنوع ، وجناب عن غين الغين[3] ممنوع ، فارقتُ المشولَ ولا أزال[4] ، ولزمتُ الخمولَ والاعتزال ، سعيي سعيُ الجاهد ، وعيشي عيشُ الزاهد ، ببلدٍ الأديبُ فيه غريب ، والأريبُ مُرِيب ، إن تكلَّمَ استثقل ، وإن سكتَ استقلل ، منزلُهُ كبيوتِ العناكب ، ومعيشته كعُجَالةِ الراكب ، فهو كما قال أبو تمام[5] :

أرضُ الفلاحةِ لو أتاها جَرْوَلُ ... أعني الحطيئةَ لاغتدى حَرَّاثا
ما جئتها من أيِّ بابٍ جئتها ... إلا حسبتُ بيوتَها أجداثا
تصدا بها الأفهامُ بعد صقالها ... وتردُّ ذكرانَ العقولِ إناثا
أرضٌ خلعتُ اللهوَ خلعي خاتَمي ... فيها وطلقتُ السرورَ ثلاثا

وأما حالُ عبده بعد فراقه في الجَلَد ، فما حالُ أمٍّ تسعةٍ من الولد ، ذكور ، كأنهم عِقبانٌ وصقور ، كنّوا في وكور ، اخْتُرِمَ منهم ثمانية ، وهي على التاسع حانية ، نادى النذيرُ العريان في البداية ، يا للعادية يا للعادية ، فلما سَمِعَت الداعِ ، ورأتِ الخيلَ وهي سِرَاع ، جعلت تنادي ولدها الأناةَ الأناةَ ، وهو ينادي القناةَ القناة[6] :

---

(1) الأضا : جمع أضاة ، وهو بركة الماء .
(2) الوافي : رتعت فيه الفور (والفور : الظباء) .
(3) م : عين الغين .
(4) الوافي : فارقت المتوج بأزال .
(5) ديوان أبي تمام 1 : 325 .
(6) م : العياه العياه .

بــطلٌ كـأنَّ ثيــابَـهُ في سَــرْحـةٍ يُحَذى نِعالَ السِّبْتِ ليس بتوأم[1]

فحين رأته يختال في غضون الزرد الموضون ، أنشأت تقول :

أَسَــدٌ أضْبَطُ يمشي[2] بين طـرفـاءٍ وغيــلِ[3]

لـبُسُــهُ مـن نـسـج دا ود كضحضاح المسيلِ

فعرض له في البادية أسدٌ هَصُور ، كأن ذراعه مَسَدٌ معصور[4] :

فتـطاعنا وتـواقَفَتْ خيـلاهمـا وكلاهما بطلُ اللقاءِ مُقَنَّع[5]

فلما سمعتْ صياحَ الرعيل ، بـرزت من الخدر بصبـرٍ قد عيـل . فسألت عن الواحد ، فقيل لها لَحَدَهُ اللاحد :

فكــرَّت تبتغيــه فصــادفـتْــهُ على دَمِهِ وَمَصْرَعِهِ السباعا[6]

عـبِثـنَ بــه فلم يـتــركـنْ إلا أديمـاً قـد تَمـزَّقَ أو كُـرَاعــا

بأشد من عبدٍ له تأسفاً ، ولا أعظم كمداً ولا تلهفاً . وإنه ليعنّفُ نفسه دائماً ، ويقول لها لائماً : لو فطنتِ لقطنتِ ، ولو عقلتِ لما انتقلت ، ولو قنعت لرجعت وما هجعت :

يقيم الرجالُ الموسرون بـأرضهم وترمي النوى بالمقترين المراميا[7]

ومـا تركـوا أوطـانَهُمْ عن مـلالـةٍ ولكن حذاراً من شماتِ الأعـاديا

أيها السيد أمِنَ العدلِ والإنصاف ، ومحاسنِ الشيم والأوصاف ، إكرامُ المهان ، وإذلالُ جوادِ الرهان . يشبعُ في ساجورِهِ كَلْبُ الزِّبْل ، ويسغبُ في خِيسه أبو الشبل :

إذا حـلَّ ذو نقص مكانـة فـاضـلٍ وأصبــح ربُّ الجـاهِ غيــرَ وجيــهِ

---

(1) انظر ديوان عنترة : 212 .

(2) م : أنشد . . . يميل .

(3) انظر التاج (ضبط) والأضبط : الأسد يعمل بيساره كما يعمل بيمينه .

(4) م : مهصور ، ولعل الصواب : « مضفور » .

(5) لأبي ذؤيب ، انظر ديوان الهذليين 1 : 38 (وفيه : مخدع) .

(6) للقطامي ، ديوانه : 41 (باختلاف في الرواية) .

(7) ورد هذا البيت وحده في حماسة المرزوقي : 1133 لاياس بن القائف .

فإن حياة الحرّ غيرُ شهيةٍ إليه وطعمُ الموتِ غير كريهِ

أقول لنفسي الدنية : هبّي طال نومُكِ ، واستيقظي لا عزَّ قومُكِ . أرضيتِ بالعطاءِ المنزور ، وقنعت بالمواعيد الزور ؟! يقظةً فإن الجد قد هجع ، ونجعةً فمن أجدبَ انتجع ، أعجزت في الإباء ، عن خُلُقِ الحرباء ؟ أدلى[1] لساناً كالرشاء ، وتَسَنَّمَ أعلى السماء . ناطَ همته بالشمس ، مع بُعدها عن اللمس ، [أنِفَ من] ضيقِ الوجار ، ففرَّخ في الأشجار ، فهو كالخطيب ، على الغصن الرطيب :

وإن صريحَ الرأي والحزم لامرئٍ إذا بلغتْهُ الشمسُ أن يتحولا[2]

وقد أصحبَ عبدُهُ هذه الأسْطرَ شعراً يقصِّرُ فيه عن واجب الحمد ، وإن بُنيت قافيته على المدّ ، وما يعدّ نفسه إلا كمهدي جلدِ السبنتَى الأنمر[3] إلى الديباج الأحمر : أين درُّ الحباب ، من ثغور الأحباب ؟ وأين الشراب ، من السراب ، والركي البكي من الواد ، ذي المواد ؟ أتُطْلَبُ الفصاحةُ من الغُتْم ، والصباحةُ من العتم ؟ غلط من رأى الآل في القيّ[4] ، فشبَّهه بهلهالِ الدبيقي ، هيهات مناسجُ الرياط ، تسبق تنيسَ ودمياط ، ولا أقول إلا كما قال القائل :

من يساجلْني يساجلْ ماجداً يملأ الدلو إلى عَقْدِ الكَرَبْ[5]

بل أضع نفسي في أقل المواضع ، وأقول لمولاي قول الخاضع : فأسبل عليها ستر معروفك المواتي ، الذي سترت به قدماً عوراتي[6] :

فيكَ برَّحتُ بالعذولِ إباءَ وَعَصَيْتُ اللوَّامَ والنصحاءَ

فانثنى العاذلون أخْيَبَ منّي يومَ أزمعتم السرحيلَ رَجاءَ

---

(1) م : ولي .

(2) البيت لأبي تمام ، ديوانه 3 : 106 .

(3) م : القسيّ الأسمر .

(4) القي : الأرض القفر .

(5) البيت للفضل بن العباس اللهبي في الأغاني 16 : 121 .

(6) جاء هذا في الوافي شعراً كما يلي :

فأسبل عليها ستر معروفك الذي سترت به قدماً على عوراتي

مَنْ مجيري من فاترِ اللحظِ ألمى   جَمَعَ النارَ خدُّهُ والماءَ
فيه لليلِ والنهارِ صفاتٌ   فلهذا سرَّ القلوبَ وساءَ
لازمٌ شيمةَ الخلافِ فإن لِنْـ   ـتُ قسا أو دنوتُ منه تناءى
يا غريبَ الصفاتِ حُقّ لمن كا   ن غريباً أن يرحمَ الغرباءَ
مُعْرِضاً عن صدودِهِ وتجنّيـ   ـه وإشماتِهِ بيَ الأعداءَ
وإذا ما كتمتُ ما بيَ من وجـ   ـدٍ أذاعتْهُ مقلتايَ بكاءَ
كعطايا سبَا بن أحمدَ يخفيـ   ـها فتزدادُ شهرةً ونماءَ
أريحيٌّ يهزُّه المَدْحُ للجو   دِ[1] وإن لم نمدحه جاد ابتداءَ
المعيٌّ يكادُ يُنبيك عمَّا   كان في الغيب فطنةً وذكاءَ
وإذا أخلفَ السماءُ بأرضٍ   أخلفت راحتاه ذاكَ السماءَ
بندىً يُخْجِلُ الغيوث انهمالاً   وشذاً[2] يُنهِلُ الرماحَ الظماءَ
ما أُبالي إذ أحسنَ الدهرُ فيه   أحسنَ الدهرُ للورى أم أساءَ
أيها المجدبُ الضريكُ انتجعْهُ   فعطاياهُ تسبقُ الأنواءَ
تلقَ منه المهذبَ الماجدَ النَّدْ   بَ الكريمَ السَّمَيْدَعَ الأبَّاءَ
راحةٌ في الندى تُنيل نضاراً   وحسامٌ في الروع يَهْمِي دماءَ
يا أبا حميرٍ دعوتك للدهـ   ـرِ فكنتَ امرءاً يجيبُ الدعاءَ
فأبى البخلُ أن يكونَ أماماً   وأبى الجود أن يكونَ وراءَ
أنا أشكو إليكَ جَوْرَ زمانٍ   دأبه أن يعاندَ الأدباءَ
أهملتني صروفُهُ وكأني   أَلِفُ الوصلِ أُلْقِيَتْ إلقاءَ
إن سطا أرهبَ الضراغم في الآ   جام أو جاد بخَّلَ الكرماءَ
شيمٌ من أبيه أحمدَ لا ينـ   ـفكُّ عنها تتبعاً واقتفاءَ

(1) م: نرتجيه بهذه المدح الجود.
(2) م: وشذاً.

قد تعاطى في المجد شأوَكَ قومٌ عجزوا واحتملتَ فيه العناءَ
شرفاً شامخاً ومجداً منيفاً حميرياً وعزّةً[1] قَعْساءَ
مال عنّي بما أؤمل فيه كلّما قلتُ سوفَ يأسُو أساءَ
رهنُ بيتٍ لو استقرَّ به اليربوعُ لم يَرْضَهُ له نافقاءَ
نقصتني نقصَ المرخَّم[2] حتى خِلْتُني في فم الزمانِ نداءَ
منعتني من التصرُّف مَنْعَ الـعلل التسع صَرْفَها الأسماءَ
يا أبا حميرٍ وحرمةِ إحسانِكَ عندي ما كان حبّي رياءَ
ما ظننتُ الزمانَ يبعدني عنك إلى أن أفارقَ الأحياءَ
غير أني فدتك نفسي من السُّوءِ وإن قلَّ[3] أن تكون فداءَ
ضاع سعيي وخبتُ خابتْ أعاديكَ وَمَنْ يبتغي لكَ الأسواءَ
واحتملتُ الحرمانَ[4] والنقصَ والإبعادَ والذلَّ والعنا والجفاءَ
وتجملتُ واصطبرت[5] فما أبقَى على عوديَ الزمانُ لِحَاءَ
أعلى هذه المصيبةِ صبرٌ لا ولو كنتُ صخرةً صماءَ
ولو اني لم أُعْتَمَدْ دونَ غيري لتناسيتُ أن أموتَ وفاءَ
غيرَ أن التصريحَ ليس بخافٍ عند من كان يفهمُ الإيماءَ
غير أني مُثْنٍ عليكَ وما لمتُ على ما لقيتُ إلا القضاءَ
وسيأتيكَ في البعادِ وفي القربِ مديحٌ يستوقفُ الشعراءَ
فبشكرٍ رحلتُ عنك وألقاكَ به إن قضَى الإلهُ لقاءَ
ليس يبقى في الدهر غيرُ ثناءٍ فاكتسبْ ما استطعتَ ذاك الثناءَ

(1) م : وغيرة .
(2) م : نقضتني نفض المرجم .
(3) م : قلت .
(4) م : الزمان .
(5) م : واضطربت .
(6) الفوات : يجمل .

وقال :

تشكّى المحبّـونَ الصبـابَـة ليتني ... تحملتُ ما يَلْقَوْنَ من بينهم وَحْدِي
فكـانت لنفسي لـذةُ الحبِّ كلُّهـا ... فلم يَدْرِهَا قبلي محبٌّ ولا بعـدي

وقال :

هدايا الناسِ بعضُهُمُ لبعضٍ ... تُـوَلِّـدُ في قلوبهم الـمـودَّهْ
وتزرعُ في النفوسِ هوىً وحبّاً ... لصرفِ الدهرِ والحدثـانِ عُدَّه
وتصـطادُ القلوبَ بـلا شـراكٍ ... وَتُسْعِـدُ حظَّ صاحبهـا وَجَـدَّهْ

- 392 -

الحسين بن محمـد بن أحمد بن محمـد بن إسحاق بن محمـد بن مبارك التبرجيدي[1] الملقب بالأصمعي الصغير .

- 393 -

الحسين بن محمد بن عبد الوهاب بن أحمد بن محمد بن الحسين بن عبيد الله بن القـاسم بن عبيد الله بن الـوزير سليمـان بن وهب الحارثي البكـري الدبـاس المعروف بالبارع البغدادي : كان لغوياً نحوياً مقرئاً ، قرأ القرآن على أبي علي ابن البناء وغيره ، وأقرأ خلقاً كثيراً ، وسمع من القاضي أبي يعلى الموصلي وغيره ، وروى

392 ـ وردت في المختصر .

393 ـ ترجمة البارع في إنباه الرواة 1 : 328 والخريدة (قسم العراق) 3/1 : 61 ـ 88 والمنتظم 10 : 16 وابن خلكـان 1 : 435 ومرآة الزمان: 134 ومعـرفة القـراء الكبار 1 : 386 وطبقـات ابن الجزري 1 : 251 وتلخيص مجمع الآداب 1 : 504 وسير الذهبي 19 : 533 وعبر الذهبي 4 : 56 والبدايـة والنهـاية 12 : 201 والـوافي 13 : 33 والنجوم الـزاهرة 5 : 236 والشـذرات 4 : 69 وبغية الـوعاة 1 : 539 وروضات الجنات 3 : 195 . وبغية الطلب (زكار) 6 : 2759 .

(1) غير معجمة في الأصل .

عنه الحافظ أبو القاسم ابن عساكر . وكان حَسَنَ المعرفةِ بصنوفِ الآداب فاضلاً ، وله مصنفاتٌ حسانٌ في القراءات وغيرها ، وله ديوان شعر جيد .

وهو من بيت الوزارة فإن جدَّه القاسم بن عبيد الله كان وزير المعتضد والمكتفي بعده ، وعبيد الله بن القاسم كان وزير المعتضد أيضاً قبل ابنه القاسم . وكان بين البارع وابن الهبارية الأديب الشاعر مداعبات ، فإنهما كانا رفيقين منذ نشآ . وأضرَّ البارع في آخر حياته .

وسمع منه الحافظ أبو الفرج ابن الجوزي وأبو عبد الله الحسين بن علي بن مهجل الضرير الباقدرائي ، وقرأ عليه بالروايات أبو جعفر عبد اللّه بن أحمد بن جعفر الواسطي المقرىء الضرير وغيره . وكان مولده سنة ثلاث وأربعين وأربعمائة ببغداد وتوفي صبيحة يوم الثلاثاء سابع عشر جمادى الآخرة سنة أربع وعشرين وخمسمائة .

ومن شعره :

لم لا أهيمُ إلى الرياضِ وَحُسنها ... وأظلُّ منها تحتَ ظلٍّ ضافي
والزهرُ حيَّاني بثغرٍ باسم ... والماءُ وافاني بقلبٍ صافي

وقال :

يومٌ من الزمهرير مقرورُ ... عليه ثوبُ الضبابِ مزرورُ
كأنما حشوُ جوِّه إبَرٌ ... وأرضُهُ فَرْشُهَا قواريرُ
وشمسُهُ حُرَّةٌ مُخَدَّرَةٌ ... ليس لها من ضبابِهِ نورُ

ومن شعره[1] :

يا بأبي الريم الذي زارني ... كالبدر يجلُوهُ القبا الأسودُ
وافى إليّ السُّكرُ ليلاً به ... ولم يكنْ عندي له موعدُ
فجاءَ يهتزّ كريحانةٍ ... يكادُ من لينته يُعْقَدُ
وقال: ضيف قلتُ أهلاً به ... يدخلُ فالعيش به أرغدُ

(1) من هنا زيادة من المختصر .

عَــرَّضَ بــالـجَــذر فـنــاولـتــه ... في الـوقت ما امتـدت إليه اليـدُ
حــتــى إذا أوفَـيـتــه نـقــده ... والنقــد سـمــاع لــه الجـلمـدُ
بتنــا مـعــاً في مــرقــد واحــدٍ ... يضمّنــا تحت الــدجى مسجــدُ
يَــؤُمُّــنــي لا لــصــلاة فــمــا ... أركــعُ إلا بـعــد مــا يـسـجــدُ
حتى انجلى الليـل بُصبـح ولم ... أرقــد ولا خــلّيـتــه يَــرْقــدُ

ومن شعره أيضاً :

يــا همَّ نفسيَ فـي قُــرْبٍ وفي بُـعُــدٍ ... وضـمنَ قـلبيَ فـي حِــلٍّ وفـي ظَـعَـنِ
حُـرِمْتُ منكِ الـرضـا إن كـان غـيَّرني ... عـمــا عهــدتيــه شيءٌ أو يـغيــرنـي
لـو قيل لي نـلْ من الـدنيـا مُناكَ لمـا ... جعلتُ غيــركِ لي حــظاً مـن الــزمنِ
منحتــكِ القـلبَ لا أبغـي بــه ثمنــاً ... إلا رضــاكِ ووافـقــري الى الـثمـنِ(1)

وحج(2) البارع ابن الدباس فلمّا رجع من الحج ذهب إليه الشريف أبو يعلى ابن الهبارية ، وكان صديقاً له مرة بعد مرة فلم يصادفه ، فكتب إليه بقصيدة يعاتبه فيها :

يـا ابن ودّي وأينَ منّـي ابـنُ ودي ... غَيَّـرَتْ طُرْقَـه(3) الـرئـاسـةُ بعـدي
عـقــدتْ أنـفَــهُ عــليَّ و[حـلَّتْ] ... فهــو ضــدَّان بيـن حــلٍّ وعقْــدِ
صَــدَّ عــنــي ولــيس أوّلَ خــلٍّ ... راعَ قـلبي مـنــه بـهـجــر وصــدِّ
شَغَلَتْـهُ عـني الـرئـاسـةُ فــاســـــتعلى فخلَّيتُـهُ وذلــك جهــدي
كنت بَــرّاً كمـا عهــدتُ وصــولاً ... ليَ تَــرْعـى عهــدي وتـحـفظُ ودي
أفـلمــا حَجَـجْـتَ لا قَـبِــلَ اللّه ... تعــالى مسعـاكَ أنكــرْت عهـدي
أيُّ فــرقٍ بيني وبيـنــك هــل أنــ ... ـت ســوى شـاعــرٍ وأني مُكَـدّي
وحــرِ أمِّ الــزمــانِ فـهي يـمـيـنٌ ... بــرَّةٌ أنــنـي ســأفـتــح جـنــدي

---

(1) إلى هنا تنتهي الزيادة من المختصر .
(2) نقل الشعر الصفدي في الوافي ، ولم تورد م من قصيدة ابن الهبارية سوى بيت واحد .
(3) م : طبعه .

وأجــازيــك بــالتبــظرم والتيــ ـه وكَيْــلِ الهجــاءِ مُــدّاً بمُــدِّ
أنــا أَهْــدَى إلى التبــظرم لــو شئتُ بــأصــلٍ زاكٍ وفضْــلٍ ومجــدِ
لــو تبــظرمتُ جــاز ذاك ولكــن حــدُّ ظَـرْفي ألا أجــاوزَ حــدي
أي شــيء يعــود رسمي يعــاني في حروب الهجاءِ ليِّي ومدِّي[1]
ووحقِّ الهــوى لئـن لم تـعـدني بـاعتـذار يـزيـلُ ضغني وحقْــدي
لأميــلنْ عــلى هــواك ومــالــي فيه شيء سوى حروري وبردي[2]
كــان عـزمي أني أعــاتِبُ صفعــاً فاستحال العتـاب شتماً لبعدي[3]
ومتى مــا قــدمت وفيتــك الصفـ ـعَ فثقْ بي فإن وعدي كنقدي[4]

فأجابه أبو عبد اللّه البارع بقصيدة طويلة أيضاً ، وهي :

وَصَلَتْ رقعــةُ الشــريفِ أبي يعــ ـلى فقــامت مقامَ لقيــاه عندي
فـتـلقـيـتـهـا بـأهـلاً وسهــلاً ثــم ألْصقْتـهـا بـطرفي وخــدي
وفضضتُ الختـامَ عنهـا فمـا ظنُّـ ـك بـالصـاب إذ يُشَـابُ بشهـدِ
بيـن حـلو مـن الـعـتـاب ومُــرٍّ هــو أولــى بـه وهــزْلٍ وجِــدّ
وتـجـنٍّ عــليَّ فـي غـيــرِ ذنـبٍ بـعتـابٍ يكـاد يحــرقُ جـلدي
يــدَّعي أنني احـتـجبْتُ وقــد زا ر مــراراً حــاشــاه مـن قُبْـح رَدّ
ثـم دع ذا مـا للريـاسـة والحـ ـجِّ أَبِنْ لي في حلِّ أنف وعقْدِ[5]
وبـمــاذا عـلمـتَ بـاللّه أنــي قــد تكبـرتُ[6] أو تغيَّـر عهــدي
مَــنْ تــراني أعــامــلٌ أم وزيــرٌ لأميــرٍ أو عــارضٌ لـلجـنــدِ[7]

---

(1) هذا البيت غير صحيح القراءة .
(2) الوافي : فيه حظ لولا جنوني وردّي .
(3) ر : لعبدي .
(4) الوافي : نقدي .
(5) م : دعك من ذمك الرياسة والحج وقل لي بغير حل وعقد .
(6) م : تنكرت .
(7) م : أم قائد جيش جند .

أنـا إلا ذاك الخليـع الـذي تعـ ـرف أرضـى ولـو بـجـرَّة دردي
وإذا صـحَّ لـي عليـق فـذاك الـ ـيوم عيدي وصاحبُ الدست عبدي
أتـراني لـو كنتُ في النـار مـع هـامـان أنسـاك أو جنـان الخلدِ
أو لـو آني عُصِّبتُ بـالتـاج أسلا كَ ولـو كنتُ عـانيـاً في القدّ[1]
أنـا أضعافُ مـا عهـدت على العَـهْـدِ وإن كنت لا تجازي بـودّي
رب ليـل بتنـاه وجهـي إلى وجـ ـهـك نُـدْمي عُمَيْـرَةً بـالجلدِ
ونـهـارٍ سـرنـاه كِتْـفي إلـى كتـ ـفك نحتـال في حصـولِ المردِ
ثم عـدنـا بخيبـةٍ أنـا مثـلُ الـ ـكلبِ أعـدو وأنت مثـلُ القـردِ
وكـأني أراك بـالأمس كـالمجـ ـنون تـطغى على محبـة حمـدِ
تـتمنى أن لـو صُـفِعْـتَ بنعليـ ـه ثـمـانيـنَ ثـم فُـزْتَ بفـردِ
أتـراني لم أقض حقـك بـالإسـعـاف فيمـا وقعت فيـه بجهـدي
أو مـا كنـتُ ثـانيـاً لـك إذ نُلْجِمُ في السـوقِ حَلْفَـةً ونُسَـدّي
أفهـذا إلى التبـظرم منسـو بٌ إلى كم تجني وكم تستعـدي
ألأنـي قنـعـتُ مـن سـائـر النـاس بـفـذٍّ من الـمـكـارم فـردِ
صـان وجهي عن اللئـام وأولانـي جمـيـلاً منـه إلى غيـر حـدّ
فـتـعـفـفـت واقـتـنـعـت بـتـدفـيـع زمـانـي وقـلـتُ إنـيَ وحـدي
لا لأني مـع ذا أنفتُ من الـكـد يـة أيـن الكـرام حتى أكـدي
كـل هـذا عـذر إليك فـإن تقـ ـبلْ وإلا فاقعد على رأس قردي
قد تناهيتَ في المزاح إلى الغاية حـتـى كـأنـه عَـيْـن حـقـدِ
ووحقِ العبـاس جـدِّك مـا أنْسـب شيئـاً مـنـه إلى غيـر جـدّ
فَـأَقِلْني بحقٍّ مـا بيننـا منـ ـه فهـذا نهـايـةُ في البَـرْدِ

---

(1) م : ولو كنت غائباً عن رشدي .

وقال :

إذا المرء أعطى نَفْسَهُ كلَّ ما اشتهتْ ولم ينههـا تـاقتْ إلى كـلِّ بـاطـلِ
وسـاقت إليه الاثمَ والعـارَ بـالـذي دعتـه إليـه مـن حـلاوةِ عـاجـلِ

وقال أيضاً[1] :

أفنيتُ مـاءَ الوجـه من طـول مـا أسـألُ من لا مـاءَ في وجـهِـهِ
أنهي إليـه شـرحَ حـالي الـذي يـا ليـتنـي متّ ولـم أنـهـهِ
فـلم يُـنـلنـي أبـداً رِفْـدَهُ ولـم أكـدْ أسْـلَمُ مـن جبـهـهِ
والـدهـرُ إذ مـات نحـاريـرُهُ قـد مـدَّ أيـديـه إلـى بُـلْهِـهِ

وقال :

تنـازعني النفسُ أعلى مقـامٍ ولـيس مـن العجـزِ لا أنْـشَطُ
ولـكـنْ بـقـدرِ عـلوِّ المـكـانِ يـكـونُ هبـوطُ الـذي يـسقطُ

ـ 394 ـ

الحسين بن محمد بن جعفر بن محمد بن الحسين الرافقي المعروف بالخالع : أحد كبار النحاة ، كان إماماً في النحو واللغة والأدب ، وله شعر ، توفي سنة ثمان وثمانين وثلاثمائة . أخذ عن أبي علي الفارسي وأبي سعيد السيرافي وغيرهما ، ويقال إنه من ذرية معاوية ابن أبي سفيان رضي الله عنه ، وله من التصانيف كتاب

394 ـ ترجمة الخالع في الأنساب واللباب وتاريخ بغداد 8 : 105 وميزان الاعتدال 1 : 547 ولسان الميزان 2 : 310 والوافي 13 : 48 وبغية الوعاة 1 : 538 (وفيه ترجمة منقولة عن الصفدي ولا تشابه بينها وبين ما أورده الصفدي نفسه في الوافي) ؛ ووفاته في تاريخ بغداد سنة 422 وبعد جعفر في نسبه يرد : ابن الحسن بن محمد بن عبد الباقي أبو عبد الله . وفي المختصر أن وفاته 422 عن سنّ عالية وفقر بادٍ وقيل إنه كفن في قبائه ، وله تصانيف كثيرة ، وكان له ابن أديب يشبه خطه خط ابن أبي نواس وتلك الطبقة .

(1) الأبيات في الوافي 13 : 36 .

الأودية والجبال والرمال . وكتاب الأمثال . وكتاب تخيلات العرب . وشرح شعر أبي تمام . وكتاب صناعة الشعر ، وغير ذلك .

ومن شعره :

رأيتُ العقلَ لم يكن انتهاباً ولم يُقْسَمْ على قَدْرِ السنينا
فلو أنَّ السنين تَقَسَّمَتْهُ حَوَى الآباءُ أنصبةَ البنينا

وقال :

خَطَرتْ فقلتُ لها مقالةَ مغرم ماذا عليكِ من السلام فسلّمي
قالت بمن تُعْنَى فحبُّكَ بيِّنٌ من سُقْم جسمكَ قلتُ بالمتكلمِ
فتبسمتْ فبكيتُ قالت لا تُرَعْ فلعلَّ مثلُ هواكِ بالمتبسمِ
قلتُ اتفقنا في الهوى فزيارةً أو موعداً قبل الزيارةِ قدمي
فتضاحكتْ عجباً وقالت يا فتى لو لم أَدَعْكَ تنامُ بي لم تحلمِ

وقال :

أما لظلامِ ليلي من صَباحِ أما للنجمِ فيه من بَراحِ
كأن الأفقَ سُدَّ فليس يُرْجَى به نهجٌ إلى كلِّ النواحي
كأن الشمسَ قد مُسِخَتْ نجوماً تسيرُ مسيرَ أذوادٍ[1] طلاحِ
كأن الصبحَ مهجورٌ طريدٌ كأن الليلَ ماتَ صريعَ راحِ
كأن بناتِ نَعْشٍ مُتْنَ حُزْناً كأنَّ النسرَ مكسورُ الجناحِ

وقال :

لا تعبسنَّ بوجهِ عافٍ سائلٍ خيرُ المواهبِ أن تُرَى مَسؤولا
لا تجبهنْ بالردِّ وَجْهَ مؤمِّلٍ فبقاءُ عزِّك أن تُرَى مأمولا
يُلْقَى الكريمُ فيُسْتَدَلُّ ببشرِهِ وَيُرَى العُبوسُ على اللئيم دليلا
واعلم بأنك لا محالةَ صائرٌ خَبَراً فَكُنْ خبراً يروقُ جميلا

---

(1) م : رواد ؛ وصوبته بحسب المعنى .

ـ 395 ـ

الحسين بن محمد بن الحسين بن حيّ التجيبي القرطبي : كان أديباً فاضلاً عالماً بالهندسة والهيئة كلفاً بصناعة التعديل ، أخذ علم العدد والهندسة والهيئة عن أبي عبد الله محمد بن عمر بن محمد المعروف بابن برغوث الرياضي الفلكي المتوفى سنة أربع وأربعين وأربعمائة[1]. وخرج ابن حيٍّ من الأندلس سنة اثنتين وأربعين وأربعمائة ولحق بمصر بعد أن نالته بالأندلس ، وفي طريقه بالبحر ، محنٌ شديدة ، ثم رحل من القاهرة إلى اليمن واتصل بأميرها الصليحي[2] القائم بالدعوة للمستنصر باللّه معدّ بن الظاهر علي فحظي عنده ، وبعثه رسولاً إلى أمير المؤمنين القائم بأمر الله الخليفة العباسي في هيئة فخمة ، فنال هناك إقبالاً ودنيا عريضة ، وتوفي باليمن بعد انصرافه من بغداد إليها سنة ست وخمسين وأربعمائة.

وله من التصانيف : زيج مختصر على طريقة السند هند وغير ذلك .

ومن شعره :

تـأمـلْ صـورةَ العـددِ ... فمن ينـظرْ إليـه هُـدِي
كمـا الأعـدادُ راجعـةٌ ... وإن كثـرتْ إلى الأحدِ
كـذاك الخلقُ مرجعهم ... لـربٍّ واحـدٍ صمـدِ

وقال :

تحفظ من لسـانك فهـو عضوٌ ... أشَـدُّ عليكَ من وَقـعِ السنانِ
فـلا واللّهِ ما في الخلقِ خَلْق ... أحقُّ بـطولِ سَجْنٍ من لسانِ

وقال :

ورأيت السمـاءَ كـالبحـر إلا ... أن مـا وسطه من الـدرِّ طافي
فيـه مـا يمـلأ العيـونَ كبيـرٌ ... وصغيـرٌ ما بين ذلـك صـافي

---

395 ـ انظر نفح الطيب 3 : 376 وطبقات صاعد : 73 .

(1) انظر ترجمة ابن برغوث في طبقات صاعد : 71 .

(2) م : السخي ويشبه أن تكون كذلك نقلاً عن طبعة طبقات صاعد ، تحقيق شيخو .

وقال[1] :

ودَّعتــه حيـثُ لا تُــوَدِّعُــهُ   روحي ولكنَّهــا تسيــر مَـعَــهْ
ثم تــولَّى وفـي القـلوبِ لــه   ضيقُ مجالٍ وفي القلوبِ سعهْ

وقال :

إذا مـا كَثُـرْتَ على صـاحبٍ   وقـد كـان يـدنيـك من نَفْسِـهِ
فــلا بُــدَّ مـن مـللٍ واقـعٍ   يغيِّــرُ مـا كــان مـن أُنْسِــهِ

- 396 -

الحسين بن محمد بن الحسين القمي الكاتب أبو عبد الله : والد الأستاذ أبي الفضل ابن العميد . ذكر أبو إسحاق الصابي أن رسائل العميد لا تقصر في البلاغة عن رسائل ابنه أبي الفضل ، قال المؤلف[2] : وعندي أن هذا الحكم من أبي اسحاق فيه حيف شديد على أبي الفضل ، والقاصّ لا يحب القاص . وتقلد ديوان الرسائل لنوح بن نصر الساماني ، ولقب بالشيخ العميد .

- 397 -

الحسين بن محمد أبو علي السهواجي : أديب شاعر لبيب مشهور ، وسهواج من قرى مصر ، صنَّف كتاب القوافي ، وتوفي بمصر سنة أربعمائة رحمه اللّه تعالى .

---

396 ـ أضيفت هذه الترجمة من تلخيص مجمع الآداب 4/2 : 911 وقد نبه على ذلك الأستاذ مصطفى جواد ، وفي أخبار العميد وعلاقته بابنه أبي الفضل انظر كتاب أخلاق الوزيرين .

397 ـ قد مرَّت له ترجمة باسم الحسن (رقم : 346) ومعنى ذلك أن المؤلف قد ترجم له مرتين ؛ وقال ياقوت في معجم البلدان (سهواج) 3 : 205 سهواج ـ بفتح أوله وسكون ثانية ثم واو وآخره جيم ، قرية من قرى مصر ينسب إليها أبو علي الحسن بن محمد الأديب الشاعر صاحب كتاب القوافي ، قد ذكرته في « أخبار الأدباء » ، وانظر الوافي 12 : 243 فإن اسمه فيه « الحسن » أيضاً وكذلك في الفوات 1 : 361 واليتيمة 1 : 413 (وفي نسبته « الشهواجي » خطأ) .

(1) وردا منسوبين لابن دريد في الترجمة رقم : 23 .

(2) في مجمع الآداب : قال ياقوت الحموي في كتابه .

ومن شعره[1] :

وقد كنتُ أخشى الحبَّ لو كان نافعي ... من الحبِّ أن أخشاهُ قبلَ وقوعِهِ
كما حَذِرَ الانسانُ من نومِ عينه ... ونام ولم يشعرْ أوانَ هجوعِهِ

وقال :

كرامُ المساعي في اكتسابِ محامدٍ ... وأهْدى إلى طُرْقِ المعالي من القطا
وأبوابهم معمورةٌ بِعُفَاتِهِمْ ... وأيديهمُ لا تستريحُ من العطا

ومن شعره أيضاً :

وهتوفٍ أيكيةٍ ذات شجوٍ ... سَجَعَتْ ثم رجَّعَتْ ترجيعا[2]
ذكرتْ إلفها فحنَّتْ إليه ... فبكينا من الفراق جميعا

ومنه أيضاً :

قومٌ كرامٌ إذا سلُّوا سيوفَهُمُ ... في الرَّوْعِ لم يُغْمدوها في سوى المهجِ
إذا دَجَا الخطبُ أو ضاقتْ مذاهبُهُ ... وجدتَ عندهُمُ ما شئتَ من فرجِ

وقال :

شخوصُ الفتى عن منزلِ الضيم واجبُ ... وإن كان فيه أهلُهُ والأقاربُ
وللحرِّ أهلٌ إن نأى عنه أهلُهُ ... وجانبُ عزٍّ إن نأى عنه جانبُ
ومن يرضَ دارَ الضيم داراً لنفسه ... فذلك في دعوى التوكّلِ كاذبُ

وقال :

تَوَخَّ من الطرق أوساطَهَا ... وَعَدِّ عن الجانبِ المشتَبِهْ
وسمعَكَ صُنْ عن سماع القبيح ... كصونِ اللسانِ عن النُّطْقِ بِهْ
فإنك عندَ سماعِ القبيح ... شريكٌ لقائله فانتبهْ

---

(1) وردت المقطعات الأربع الأولى في ترجمته رقم: 346 .

(2) رواية الوافي والفوات ، أو هو بيت آخر :

نطقت بالضحى حمامة أيك ... فأثارت أسى وأجرت دموعا

- 398 -

الحسين بن محمد أبو الفرج النحوي المعروف بالمستور : كان نحوياً لغوياً أديباً شاعراً حدث عن الزجاجي ، توفي سنة اثنتين وتسعين وثلاثمائة . ومن شعره :

أمسى يحنُّ لوجهه قمرُ الدجى وغدا يلينُ لِلحنه الجلمودُ
فإذا بدا فكأنما هو يوسفٌ وإذا شدا فكأنه داودُ

وقال :

فكأنما الشمسُ المنيرة إذا بدت والبدر يجنحُ للغروب وما غَرَبْ
متحاربان لذا مجنٌّ صاغه من فضةٍ ولذا مجن من ذهبْ

وله مزدوجة أنشدها بعض الدمشقيين سنة خمس وثمانين وثلاثمائة :

الحبُّ بحرٌ زاخرُ راكبُهُ مُخاطِرُ
جنودُهُ المحاجِرُ والحَدَقُ السواحرُ

* * *

رَكِبْتُهُ على غَرَرْ وخَطَرٍ على خَطَرْ
في واضحٍ يحكي القمر وكان حتفي في النظر

* * *

خَلَّفْتُه لما بدا كَغُصُنٍ غِبَّ ندى
ريّان بالحسنِ ارتدى وبالبها تفرَّدا[2]

* * *

398 ـ ترجمة المستور النحوي في مصورة ابن عساكر 5 : 126 وتهذيب ابن عساكر 4 : 362 وإنباه الرواة 1 : 328 وبغية الوعاة 1 : 540 .

(1) وردت هذه المزدوجة عند ابن عساكر .
(2) ابن عساكر : بالحسن ظل مفردا .

بحقِّ بيتِ المقدسِ والبلدِ المقدَّسِ
وبالتي لم تَدْنَسِ لا تكُ منكَ مؤيسي

* * *

بحقِّ قُدْسِ مريمِ وبطرسَ المعظَّمِ
بعادلٍ لم يَظْلِمَ رِقَّ لصبٍّ مغرمِ

* * *

بالديرِ بالرهبانِ بحرمةِ القربانِ
ببولصٍ ذي الشانِ كُنْ حَسَنَ الإحسانِ

* * *

بالطورِ بالزبورِ بساكنِ القبورِ
بشاهدٍ مشهورِ اعطفْ على المهجورِ

* * *

بحرمةِ المسيحِ وبالفتى الذبيحِ
بالفصحِ بالتسبيحِ أَبْقِ عليَّ روحي

* * *

بليلةِ الميلادِ وحرمةِ الأعيادِ
ولابسي السوادِ اجعل رضاكَ زادي

وهي طويلة اكتفينا منها بهذا المقدار .

ومن شعره أيضاً :

كانت بلهنيةُ الشبيبةِ سَكْرَةً فصحوتُ واستبدلتُ سيرةَ مُجْمِلِ
وقعدتُ أنتظرُ الفناءَ كراكبٍ «عرف المحلَّ فبات دونَ المنزلِ»

ـ 399 ـ

الحسين بن محمد بن عبد الرحمن بن فهم بن محرز أبو عبد الله : مات سنة تسع وثمانين ومائتين . سمع مصعباً الزبيري وخلف بن هشام والبزار ومحمد بن سلام الجمحي وابن النطاح . وروى عنه أبو الفرج الأصفهاني وأبو الفضل محمد بن أبي جعفر المنذري ، وكان يقول : أبو مسلم صاحب الدولة جدي ، كان جده لأمه . وكان ابن فهم ثقة عدلاً في الرواية . وكان يسكن الرصافة . قال أحمد بن كامل القاضي : سمعت الحسين بن فهم يقول : اشهدوا علي بأنني منذ فعلت خلة من ثلاث خلال فأنا مجنون : إن شهدت عند الحاكم ، أو حدثت العوام ، أو قبلت الوديعة .

ـ 400 ـ

الحسين بن محمد بن الحسين بن سهلويه الكاتب الأصبهاني أبو العلاء أحد أصحاب الصاحب بن عباد ، مات [. . .] . ذكر في كتابه الذي صنفه ، وسماه « أجناس الجواهر » عن نفسه قال : حدثني أبو الفرج الببغاء الشاعر قال : أمرني سيف الدولة ممتحناً أن أكتب رقعة إلى رجل تزوجت أمه أُحسِّنُ ذلك[1] ، وَرَسَمَ أن أكتبها بحضرته ارتجالاً ، فكتبت : مَنْ سَلَكَ إليك ، أعزَّكَ الله ، سبيلَ الانبساط لم يستوعرْ مسلكاً من المخاطبة فيما يَحْسُنُ الانقباضُ عن ذكر مثله ؛ واتصل بي ما كان من أمر واجبة الحقِّ عليك ، المنسوبة بعد نسبتك إليها إليك ، أقرَّ الله صيانتها في اختيارها ولو أن [. . .] يتناكره وشرع المروّة يحظره ، لكنت في مثله بالرضا أولى ، وبالاعتذار مما جدده الله من صيانتها أحرى . فلا يسخطنَّك ، أعزك الله من ذلك ، ما رضيه

399 ـ هذه الترجمة من المختصر ، وانظر المنتظم 6 : 36 ـ 37 (وذكر أنه ولد سنة 211) وقال : كان عسراً في الرواية متمنعاً إلا لمن أكثر ملازمته ، وكان متقناً في العلوم كثير الحفظ للحديث ولأصناف الأخبار والنسب والشعر .

400 ـ وردت هذه الترجمة في المختصر .

(1) كانت كتابة رسالةٍ إلى من تزوجت أمه محكٌ براعة عند الكتاب ، انظر زهر الآداب : 346 ، 347 .

واجب الشرع وحسّنهُ أدَبُ الديانة ، فمباحُ اللّه أحقُّ أن يتبع ، وإياك أن تكونَ ممن إذا حُرِمَ اختياره تسخط اختيار القدر له ، والسلام .

قال ابن سهلويه : فلما عدت من مدينة السلام إلى الري عرضتها على الصاحب ، كافي الكفاة ، فاستحسن المغزى ، وقال : قد أصاب غرةَ الهدف في المرمى ، وَقَرْطَسَ ثُغْرَةَ الغَرَضِ في المعنى ، ولكنَّ في ألفاظه ليناً ، وفي عبارته ضعفاً ، ثم قال لي ولجماعة من كتابه على سبيل الامتحان : اكتبوا رقعةً إلى رجل آخر دعته الضرورة إلى تزويج أمه ، فلما قرر الأمر ، وأمضى العقد ندم وتذمم ، وهمَّ بأن يهيمَ على وجهه ، ولفّ رأسه حياءً من فعله . فتفادت الجماعة من ذلك ، وضمنتُ إنشاءها ، وعملتُ الرسالةَ على ما اقترحه عليَّ ، وبكرتُ إليه والشمسُ لم تجلّلِ الأرضَ بضيائها ، ولم تخلع عليها صفرة ردائها ، فلما قرأها أعجب بها جداً ، وقرظني بما لا أرى [وجهاً] في إعادة ذكره فأكون كمن يزهى بما يصدر عن صدره، فيقال: فلان كالمفتون بابنه وبشعره؛ والرسالة: قد عرفتُ، أعزك اللّه، ما شكوته مما اتفق عليك من حادثة الزمن الصماء ، ونائبة الغيَر الشنعاء ، ووقعتُ على ما قلتَ من أن أُمَّ طبق طَرَّقَتْ إليك ببكرها ، وَبِنْتَ الدهر برزتْ إليك من خدرها ، فسعَّرتْ جوانبك لهيباً ، وملأت جوانحك ندوباً ، حين أحوجتك إلى تزويج كبيرتك على طريق الاقتار ، وأوجبتْ عليك ضمّها إلى كفءٍ كريم من بني الأحرار ، وإنك رأيت ذلك عاراً تجلل لباسه ، وشناراً أعيا عليك مراسه ، وإنك تحسب ان دون محو هذه الغضاضة شيبَ المفارق ، وأن وَصْمَتها لا تُرَحَضُ عنك بأُشنانٍ بارق ، حتى خفَّ عليك أن تضع كفك في يد الدهر ، وطاب لك التفصي من العمر ، وتصورتَ أن العيش مع الذام عِدلُ الموتِ الزؤام ، فهممتَ أن تنفض يدك مما أنت فيه من عيش ندي ناعم الأطراف ، وعمر هنيء سائغ القطاف ، ووددتَ بأن تلحقَ بمنقطع التراب ، فلا تأتي أهلك إلا بعد شمط الغراب ، راضياً بأن تتقلب في الأبارق على الرمضاء ، وتدور في الأجارع مع الشمس كالحرباء ، وأن تحصل بحيث لا تحسّ بنبأة من إنسان ، ولا تأنس إلا بعزيف الجنان، وتقتصر من طعامك على كُشَى الضباب، بل على سفّ التراب. وتجعل كفَّك قِيعَةً للأبوال ، فتتجرعها عوضاً عن الماء الزلال ، كلّ ذلك لكيلا يقعَ طرفك على معيّر شامت ، ومستهزىء متهافت . وهذا الذي استشعرته مما لا أرتضيه من عقلك

الرصين ، ورأيك الوثيق ، فإن فيما أتيته ضروباً من المصالح وفنوناً من المرافق ، فمنها أنك سترتَ عورة واستفدت طهراً وعصمة ، وقضيت لمن ارتكضت في حشاها ذماماً وحرمة ، ومنها أنك نزَّهْتَ نفسك عن التوسم بالعقوق للذهاب مع الأنفة ، وصنتها عن أن تتبع فيها المقالة للائمة ، لا سيما وفيها علالة من الشباب تنطلق معها ألسنة الاغتياب ، فلا تملكنك دواعي الهمِّ والحسرة ، فقد جَدَعَ الحلالُ أنفَ الغيرة . وإن ساءتك هذه الحال من جانب إنها لتسرُّ من جوانب ، وكذاك رياح الأيام تختلف فتارة تهب شمائل وأخرى جنائب . جعل اللّه عز وجل نعمه عليك مُصَفَّاةً من سوءٍ يكدرها ، ومواهبَهُ لديك مبرأةً من شائبةٍ ترنّقها ، وجعل ما يوليك بعدها جامعاً للعزّ الأشد والنظر الأشوس ، وحرسه عما يغري القذى بطرفك ، ويوكل الأذى بلبّك ، بمنّه وسعة طوله .

ولما مات الصاحب قال أبو العلاء ابن سهلويه يرثيه[1] :

يا كافي الملك ما أوفيكَ حقك[2] من ... وصفي وإن طال تمجيدٌ وتأبينُ
فُتَّ الصفاتِ فما يرثيك من أحدٍ ... إلا وتزيينُهُ إياك تهجينُ
سقى الحيا قبرك الثاوي بمصرعه ... ليث وغيث وصمصام وتنّينُ
بناظريّ ثرى أرض حَلَلْتَ بها ... فرداً وفرشك فيه الترب والطينُ
ما مُتّ وحدك لا بل مات من ولدت ... حوّاء طراً بل الدنيا بل الدينُ
تبكي عليك العطايا والصلات كما ... تبكي عليك الرعايا والسلاطينُ
هذي نواعي العلا قد قمن[3] نادبةً ... أضعاف ما ندبتك الخسرّد العينُ
لم يبقَ للسؤدد اسمٌ مذ نأيتَ ولا ... للجود رسمٌ ولا للمجد آيين[4]

(1) أورد الثعالبي هذه الأبيات في اليتيمة (3 : 284) ونسبها لأبي القاسم ابن أبي العلاء الأصبهاني ، ثم ترجم في الكتاب نفسه (3 : 324) لمن اسمه أبو القاسم غانم بن أبي العلاء الأصبهاني ، ولا يتضح من هذا صلة هذا الشاعر بابن سهلويه أبي العلاء ، وبعض هذه الأبيات ورد في ترجمة الصاحب ابن عباد .
(2) اليتيمة : ما وفيت حظك .
(3) اليتيمة : مذ مت .
(4) لم يرد هذا البيت في اليتيمة .

قـام السعاةُ وكـان الخـوفُ أقعـدهم	واستيقـظوا بعـدمـا نـام المـلاعينُ
لا يعجبِ الناسُ لما متّ وانتشروا[1]	مضى سليمـانُ فـانحـلَّ الشيـاطينُ

ـ 401 ـ

الحسين بن محمد بن الحسين ، أبو عبد الله الضراب الصوري : نحوي دمشق ومدرسها ، مات سنة أربع عشرة وأربعمائة .

ـ 402 ـ

الحسين بن محمد الراغب أبو القاسم الأصبهاني : أحد أعـلام العلم ، ومشاهير الفضل متحقق بغير فن من العلوم وله تصانيف كثيرة : كتاب تفسير القرآن . كتـاب أحداق عيـون الشعر . كتـاب المحاضـرات[2] . كتاب الـذريعة إلى معـالم الشريعة[3] . كتاب المفردات من تفسير القرآن[4] .

401 ـ هذه الترجمة من المختصر ؛ وانظر مصورة ابن عساكر 5 : 119 وتهـذيب ابن عساكـر 4 : 359 ، (وفيـه : ابن صواب) وبغية الوعاة 1 : 539 وقد كان ذا عناية بالحديث وكان في وقته نحوي البلد ومدرسه .

402 ـ للراغب الأصبهـاني ترجمـة في سير الـذهبي 18 : 120 وتاريـخ الحكمـاء للبيهقي : 112 والـوافي 13 : 45 وروضات الجنات 3 : 197 وللدكتـور عمر عبـد الرحمن السـاريسي دراسة عنـه ، عمان 1986 ؛ وهذه الترجمة من المختصر .

(1) اليتيمة : الناس منهم إن هم انتشروا .

(2) طبع غير مرة ، آخرها في أربعة أجزاء (في مجلدين) بدار الحياة ـ بيروت .

(3) طبع بمصر سنة 1308 وهناك طبعة أخرى حديثة .

(4) من كتبه المطبوعة : تفصيل النشأتين وتحصيل السعادتين ، تحقيق د . عبد المجيد النجار ، دار الغرب الإسلامي ـ بيروت 1988 ؛ ومجمع البلاغة في جزءين تحقيق د . عمر الساريسي ، عمان 1986 .

- 403 -

الحسين بن محمد بن الحسين بن الحسن الهروي، أبو عبد الله الحاكم : مات سنة ست وتسعين وأربعمائة .

- 404 -

الحسين بن مطير بن مكمل الأسدي ، مولى بني أسد بن خزيمة : وكان جده مكمّل عبداً فعتق وقيل كوتب . وابن مطير من مخضرمي الدولتين الأموية والعباسية فصيحٌ متقدم في الرجز والقصيد ، يُعَدّ من فحول المحدثين ، يشبه كلامه كلامَ الاعراب وأهل البادية ، وفد[1] على الأمير معن بن زائدة الشيباني لما ولي اليمن ، فلما دخل عليه أنشده :

أتيتك إذ لم يبقَ غيرك جابرٌ ... ولا واهبٌ يعطي اللها والرغائبا

فقال له : يا أخا بني أسد ليس هذا بمدحٍ ، إنما المدح قول نهار بن توسعة في مسمع بن مالك :

قَلَّدَتْهُ عُرَى الأمورِ نزارٌ ... قبل أن يهلك السَّراةُ البحورُ

فغدا إليه بأرجوزة يمدحه بها[2] فاستحسنها وأجزل صلته .

---

403 ـ هذه الترجمة من المختصر .

404 ـ ترجمة الحسين بن مطير في طبقات ابن المعتز : 114 والأغاني 15 : 331 ومصورة ابن عساكر 5 : 129 وتهذيب ابن عساكر 4 : 365 ومختصر ابن منظور 7 : 176 والسمط ، 409 وسير أعلام النبلاء 7 : 81 والوافي 13 : 63 والفوات 1 : 388 والخزانة 2 : 485 وقد جمع ديوانه كلّ من الدكتور حسين عطوان ، ومحسن غياض (والإحالة على الثاني منهما) وهذه الترجمة بمعجم الشعراء أليق وأوفق .

(1) القصة والشعر في الأغاني 15 : 332 وقارن بما في التذكرة الحمدونية 2 : 65 وانظر الخزانة 2 : 485 .

(2) مطلع الأرجوزة :

حدثتها يا حبذا دلالها ... تسأل عن حالي وما سؤالها

وحدث جعفر بن منصور قال : حدثني أبي قال : حجَّ المهديّ فنزل زبالة فدخل الحسين بن مطير الأسدي عليه فقال[1] :

أضحت يمينُـك من جـودٍ مصـوَّرةً ... لا بـل يمينُك منهـا صـورةُ الجـودِ
من حُسْنِ وجهك تُضْحِي الأرضُ مشرقةً ... ومن بنـانـك يجـري المـاءُ في العـودِ

فقال المهدي : كذبت ، قال : ولم ذاك يا أمير المؤمنين ؟ قال : هل تركت في شعرك موضعاً لأحد بعد قولك في معن بن زائدة[2] :

أَلِمَّـا على معـنٍ وقـولا لقبـرِهِ ... سَقَتْـكَ الغـوادي مـربعـاً ثم مـربعـا
فيـا قبـرَ معنٍ أنـت أولُ حفـرةٍ ... من الأرض خُطَّتْ للمكارم مضجعـا
ويـا قبرَ معن كيف واريتَ جـودَهُ ... وقـد كان منـه البـرُّ والبحـرُ متـرعـا
بلى قد وَسِعْتَ الجودَ والجـودُ ميّتٌ ... ولـو كان حيـاً ضقتَ حتى تصـدَّعـا
ولما مضى مَعْنٌ مضى الجودُ وانقضى ... وأصبـح عـرنينُ المكـارم أجـدعـا
ومـا كـان إلا الجـودَ صـورةُ وجهـه ... فعـاش ربيعـاً ثـم ولَّـى وودَّعـا
وكنتَ لـدار الجـودِ يـا معنُ عـامـراً ... وقـد أصبحتْ قفراً من الجـود بلقعا
فتىً عيش في معـروفـه بعـد مـوتـه ... كما كان بعـد السيلِ مجـراه مرتعـا
تمنى أنـاسٌ شـأوَهُ من ضـلالـهم ... فأَضْحَوْا على الأذقانِ صَرْعَى وَظُلَّعا
تعـزَّ أبـا العبـاسِ عنـه ولا يكنْ ... جـزاؤك من معنٍ بـأن تتضعضعـا
أبى ذكـرُ معنٍ أن يُميتَ فَعـالَـهُ ... وان كـان قد لاقى حمـاماً ومصـرعا
فما مات من كنتَ ابنه لا ولا الذي ... لـه مثـلُ مـا أبقى أبـوك ومـا سعى

فقال: يا أمير المؤمنين إنما معن حسنة من حسناتك وفعلة من فعلاتك، فأمر له بألف دينار ثم قال : سل حاجتك ، فقال[3] :

(1) الديوان : 48 (وفيه تخريج كثير) .
(2) انظر ابن خلكان 4 : 340 وأمالي المرتضى 1 : 228 وأمالي القالي 1 : 275 وزهر الآداب: 794 والديوان : 60 ـ 62 وفيه مزيد من التخريج .
(3) الديوان : 72 .

بيضاءُ تسحبُ من قيامٍ فَرْعَها ... وتغيبُ فيه وهو جَعْدٌ أسحمُ
فكأنّها منه نهارٌ مُشْرِقٌ ... وكأنه ليلٌ عليها مظلمُ

قال : خذ بيدها ، لجارية كانت على رأسه ، فأولدها مطير بن الحسين بن مطير .

وقال الرياشي حدثني أبو العالية عن أبي عمران المخزومي قال[1] : أتيت مع أبي والياً كان بالمدينة من قريش وعنده ابن مطير ، وإذا بمطرٍ جَوْدٍ فقال له الوالي : صفْ لي هذا المطر ، قال : دعني أشرف عليه ، فأشرف عليه ثم نزل فقال[2] :

كثرتْ لكثرةِ قَطْرِهِ أطباؤُهُ ... فإذا تحلَّبَ فاضتِ الأطباءُ
وله ربابٌ هَيْدَبٌ لذفيفه ... قَبْلَ التبعُّقِ ديمةٌ وطفاءُ[3]
وكأن رَيِّقَهُ ولمّا يحتفل ... وَدْقُ السماءِ عجاجةٌ كدراء[4]
وكأن بارقه حريقٌ تلتقي ... ريحٌ عليه وعرفجٌ وألاءُ[5]
مستضحكٌ بلوامعٍ مستعبرٌ ... بمدامعٍ لم تُمْرِهَا الأقذاءُ
فله بلا حَزَنٍ ولا بمسرّةٍ ... ضَحِكٌ يؤلفُ بينه وبكاءُ
حيرانُ متّبعٌ صبَاهُ تقودُهُ ... وجنوبُهُ كَنَفٌ له ووعاءُ
غَدِقٌ يُنَتِّجُ في الأباطح فُرَّقاً ... تلدُ السيولَ وما لها أسلاءُ[6]
غُرٌّ محجلة دوالحُ ضُمِّنَتْ ... حَمْلَ اللقاح وكلُّها عذراءُ[7]
سُحْمٌ فهنّ إذا كظمنَ سواجمٌ ... سودٌ وهنّ إذا ضحكن وضاءُ

---

(1) الأغاني 15 : 337 .
(2) الأبيات في الشعر والشعراء : 34 والأزمنة والأمكنة 2 : 98 وانظر الديوان : 27 ـ 30 .
(3) الرباب : السحاب ، الهيدب : المتدلي ، التبعق : اندفاع المطر ، الوطفاء : الديمة المسحّ الحثيثة .
(4) الريق : أول دفقة من المطر ؛ الودق : المطر .
(5) العرفج والألاء : نوعان من الشجر .
(6) ينتج : يولد ؛ فُرَّقاً : سحباً متفرقة ؛ الأسلاء : جمع سلا وهو الجلد الذي يغشي الولد حين يخرج من بطن أمه .
(7) الدوالح : جمع دلوح وهي السحابة البطيئة لأنها مثقلة بالماء .

لو كان من لجج السواحلِ ماؤه لم يبقَ في لجج السواحل ماءُ

وقال ابن دريد : أنشدنا أبو حاتم السجستاني وعبد الرحمن بن أخي الأصمعي عن عمه للحسين بن مطير الأسدي ، وقال عبد الرحمن قال عمي : لو كان شعر العرب هكذا ما أثم مُنْشِدُهُ[1] :

ألا حبّذا البيتُ الذي أنتَ هاجِرُهْ وأنت بتلماحٍ من الطرفِ ناظرُهْ
لأنك من بيتٍ لعينيَّ معجبٌ وأملحُ في عيني من البيت عامرُهْ
أصدّ حياءً ان يُلِمَّ بيَ الهوى وفيك المنى لولا عدوٌ أحاذرُهْ
وفيك حبيبُ النفسِ لو تستطيعُهُ لماتَ الهوى والشوقُ حين تجاوره
فإن آتِهِ لم أنجُ إلا بِظِنَّةٍ وإن يأته غيري تُنَطْ بي جرائره
وكان حبيبُ النفسِ للقلب واتراً وكيف يحبُّ القلبُ مَنْ هو واتره
فإن يكنِ الأعداءُ أَحْمَوْا كلامَهُ علينا فلن تُحْمىَ علينا مناظره
أُحبُّكِ يا سلمى على غيرِ ريبةٍ ولا بأس في حبٍّ تعفُّ سرائره
ويا عاذلي لولا نفاسةُ حبِّها عليكَ لما باليتَ أنك خابِرُه
بنفسيَ من لا بدَّ أنِّيَ هاجِرُهْ ومن أنا في الميسورِ والعُسْرِ ذاكره
ومن قد لحاه الناسُ حتى اتقاهمُ ببغضيَ إلا ما تجنُّ ضمائره
أحبّك حباً لن أعنِّفَ بعده محبّاً ولكنّي إذا ليم عاذره
لقد مات قبلي أول الحبِّ فانقضى ولو متّ أضحى الحبُّ قد مات آخرهْ
كلامُكِ يا سلمى وإنْ قلَّ نافعي فلا تحسبي أني وإنْ قلَّ حاقرهْ
ألا لا أبالي أيَّ حيٍّ تحملوا إذا إثمدُ البرقاءِ لم يخلُ حاضرهْ

وحدث المرزباني عن الأخفش قال : أنشدنا أبو العباس ثعلب عن ابن الأعرابي لحسين بن مطير الأسدي[2] :

---

(1) انظر أمالي المرتضى 1 : 431 وتهذيب ابن عساكر وأمالي القالي 1 : 78 والزهرة: 119 والديوان : 54 ـ 57 .

(2) الديوان : 44 ـ 47 (وفيه تخريج كثير) .

لقد كنت جلداً قبل أن توقدَ النوى على كبدي ناراً بطيئاً خُمُودُهَا
ولو تُرِكَتْ نارُ الهوى لتصرَّمتْ ولكنَّ شوقاً كلَّ يومٍ وَقُودها
وقد كنتُ أرجو أن تموتَ صبابتي إذا قَدُمَتْ أيامُها وعهودها
فقد جعلتْ في حبةِ القلبِ والحشا عهادُ الهوى تُوْلَى بشوقٍ يُعيدها
بمرتجةِ الأردافِ هيفٍ خُصُورُها عذابٍ ثناياها عجافٍ قيودها[1]
وَصُفْر تراقيها وحُمْرٍ أكفها وسودِ نواصيهُا وبيضٍ خدودها
مُخَصَّرة الأوساطِ زانتْ عقودَها بأحسنَ مما زَيَّنَتْهُ عقودها
يمنّيننا حتى ترفَّ قلوبنا رفيفَ الخزامى بات طلٌّ يجودُها
وفيهن مقلاقُ الوشاحِ كأنها مهاةٌ بتربانٍ[2] طويلٌ عقودها
وكنتُ أذودُ العينَ أن تردَ البكا فقد وَرَدَتْ ما كنتُ عنه أذودها
هل اللَّهُ عافٍ عن ذنوبٍ تَسَلَّفَتْ أم اللّه إن لم يعفُ عنها مُعيدهَا

وقال[3] :

رأت رجلاً أودى بوافرِ لحمِهِ طلابُ المعالي واكتسابُ المكارمِ
خفيفَ الحشا ضَرْباً كأنَّ ثيابَهُ على قاطعٍ من جوهرِ الهندِ صارمِ
فقلتُ لها لا تَعْجبنّ فإنني أرى سِمَنَ الفتيانِ إحدى المشائمِ

وأنشد له ابن قتيبة[4] :

يُضَعِّفُنِي حلمي وكثرةُ جهلهمْ عليَّ وأني لا أصولُ بجاهلِ
دفعتكمُ عنّي وما دفعُ راحةٍ بشيءٍ إذا لم تَسْتَعِنْ بالأناملِ

---

(1) هكذا في أمالي المرتضى ؛ والقيود : أصل الأسنان فلعلّ وصفها بأنها عجاف له مغزاه عندهم ، إذا صحت الرواية .
(2) تربان : واد .
(3) البيان والتبيين 2 : 171 والديوان : 74 .
(4) أمالي الزجاجي : 129 والديوان : 69 (ونسبا في حماسة الخالديين 2 : 190 للأحوص بن جعفر وفي البيان 3 : 335 لملاعب الأسنة) .

وأنشد له المبرد[1] :

ولي كبدٌ مقروحةٌ من يَبيعُني بها كبداً ليست بذاتِ قروحِ
أباها عليَّ الناسُ لا يشترونها ومن يشتري ذا علَّةٍ بصحيحِ

ـ 405 ـ

الحسين بن هبة الله ضياء الدين أبو علي ابن زاهر الموصلي الملقب بدهن الحصى : أحد نحاةِ العصر ، تصدر لإقراءِ العربيـة في بلده ، وتقدم عنـد صاحب الموصل ، ثم تغير عليه فرحل إلى الملك الناصر صلاح الدين ، ثم وفد على ابنه في حلب فقربه ورتَّب له معلوماً على إقراء العربية . وكان أديباً شاعراً متفنناً لقيته بحلب وبها مات سنة ثمان وستمائة .

ومن شعره :

مرضتُ ولي جيرةٌ كلهم عن الرُّشْدِ في صحبتي حائدُ
فأصبحتُ في النقصِ مثلَ الذي ولا صلةٌ لي ولا عائدُ

وقال :

يبتهجُ النّاسُ بأعيادِهِمْ لأجلِ ذَبْحٍ أو لإفطارِ
وإنما عُظْمُ سروري بها للثم مَنْ أهوى بلا عارِ
أرقبها حولاً إلى قابلٍ لأنها غايةُ أوطاري

وقال :

وإني وإنْ أخَّرْتُ عنكم زيارتي لِعُذْرٍ فإني في المودةِ أوّلُ
فما الودُّ تكريرُ الزيارةِ دائماً ولكنْ على ما في القلوبِ المعوَّلُ

405 ـ قد مرَّت ترجمة الحسن بن عمرو الحلبي النحوي المعروف بابن دهن الحصى (أو الخصى) وهو معاصر للمترجم به هنا ، وكلا الرجلين له صلة بحلب ، وكلاهما نال جامكية من السلطان . وانظر : بغية الوعاة 1 : 541 (وهو ينقل عن البدر السافر للأدفوي) .

(1) أمالي المرتضى 1 : 436 والديوان : 43 (وقد ينسبان لغيره) .

ـ 406 ـ

الحسين بن هداب بن محمد بن ثابت الديري الأصل ، نسبـةً إلى الدير ـ قرية من قرى النعمانية ـ ويعرف بالنوري ، والنورية قرية من قرى الحلة السّيْفية من سِيفِ الفرات، نزل بها، أبو عبد اللّه الضرير: توفي يوم الأربعاء ثاني عشر رجب سنة اثنتين وستين وخمسمائة . كان نحوياً لغوياً مقرئاً فقيهاً شاعراً متفنناً ، قرأ بالروايات على أبي العز محمد بن الحسين بن بندار الواسطي وأبي بكر محمد بن الحسين بن علي المزرفي . سكن بغداد منعكفاً على نشر العلم والاقراء ، فكان يقرىء النحو واللغة والقراءات ، وكان يحفظ عدة دواوين من شعر العرب ، وكان كثير الافادة والعبادة عفيفاً ديناً ، وله شعر جيد منه :

فيـكَ يـا أغلوطةَ الفِكَـرِ ... تـاهَ عقلي وانقضى عُمُـري
سافـرتْ فيكَ العقـولُ فمـا ... ربحـتْ إلا عَنَـا السـفـرِ
رجعتْ حَسْـرَى ومـا وَقَفَتْ ... لا عـلى عـيـنٍ ولا أثـرِ

وقال :

بـأبـي ريـم تـبـلَّجَ لـي ... عن رضىً في طـيِّهِ غَضَبُ
وأرانـي صُبْـحَ طَـلْعَـتِـهِ ... بـظلامِ الصُّـدْغِ يَنْتَقِبُ
وسقى بـالكـاسِ متـرعـةً ... خـمـرة صهبـاءَ[1] تلتـهـبُ
فهي شمسٌ في يَـدَيْ قمـرٍ ... وكـلا عقـديهـمـا الشُّهُبُ
ولـهـا مـن ذاتِـهـا طَـرَبٌ ... ولـهـذا يسرقصُ الحـبـبُ

وقال :

قـال لي من رأى صبـاحَ مشيبي ... عن شمـالٍ من لمتي ويـمـيـنِ
أيُّ شـيءٍ هـذا فقلتُ مجيبـاً ... ليـلُ شـكٍّ محـاه صُبْـحُ يقينِ

---

406 ـ ترجمته في مختصر ابن الدبيثي 2 : 46 والوافي 13 : 80 ونكت الهميان : 145 وبغية الوعاة 1 : 542 .

(1) م : صهباء مثل الشمس (وغيرته بحسب الوزن) .

ـ 407 ـ

الحسين بن الوليد بن نصر أبو القاسم المعروف بابن العريف النحوي الأديب الشاعر: له «شرح كتاب الجمل في النحو» للزجاج. وكتاب «الرد علي أبي جعفر النحاس في كتابه الكافي» وغير ذلك. وكان مقدّماً في العربية إماماً فيها عارفاً بصنوفِ الآداب. أخذ العربيةَ عن ابن القوطية وغيره، ورحل إلى المشرق فأقام بمصرَ مدةً طويلةً وسمع فيها من الحافظ ابن رشيق وأبي طاهر الذهلي وغيرهما، ثم عاد إلى الأندلس فاختاره المنصور محمد بن أبي عامر صاحبُ الأندلس مؤدباً لأولاده، وكان يحضر مجالسه. ومناظراته مع أبي العلاء صاعد اللغوي البغدادي مشهورة، فمن ذلك أنَّ المنصور جلس يوماً وعنده أعيانُ مملكته من أهل العلم كالزبيدي صاحب الطبقات، والعاصمي وابن العريف صاحب الترجمة وغيرهم[1] فقال لهم المنصور: هذا الرجلُ الوافدُ علينا يزعمُ أنه متقدّمٌ في هذه العلوم، وأحبُّ أن يُمْتَحَنَ، فوجَّه إليه، فلما مثل بين يديه والمجلسُ قد غَصَّ بالعلماء والأشراف خَجِل صاعد واحتشم، فأدناه المنصور ورفع محلَّه وأقبل عليه، وسأله عن أبي سعيد السيرافي فزعم أنه لقيه وقرأ عليه كتاب سيبويه، فبادره العاصميّ بالسؤال عن مسألةٍ من الكتاب فلم يَحْضُرْهُ جوابها، واعتذر بأنَّ النحوَ ليس جلَّ بضاعته، فقال له الزبيدي: فما تحسنُ أيها الشيخ؟ فقال: حفظ الغريب، قال: فما وزن أولق؟ فضحك صاعد وقال: أمثلي يُسْأَلُ عن هذا، إنما يسأل عنه صبيان المكتب، قال الزبيدي: قد سألناك ولا نشكّ أنك تجهله، فتغيَّر لونه فقال: وزنه أفعل فقال الزبيدي: صاحبكم ممخرق، فقال له صاعد: إخال الشيخَ صناعتُهُ الأبنية، فقال له: أجل، فقال صاعد: وبضاعتي أنا حفظُ الأشعار ورواية الأخبار وفكُّ المعمَّى وعلم الموسَقي، قال: فناظره ابن العريف

407 ـ ترجمة ابن العريف النحوي في جذوة المقتبس: 182 (وبغية الملتمس: رقم: 653).
وابن الفرضي 1: 134 والوافي 13: 81 وبغية الوعاة 1: 542 وإشارة التعيين: 105.

(1) الذخيرة 4/1: 14 والزبيدي هو اللغوي المشهور والعاصمي هو محمد بن عاصم النحوي القرطبي (الجذوة: 74 والصلة: 453).

(صاحب الترجمة) فظهر عليه صاعد وجعل لا يجري في المجلس كلمة إلا أنشد عليها شعراً شاهداً ، وأتى بحكايةٍ تناسبها ، فأعجب المنصور فقربه وقدمه .

وكان يوماً[1] بمجلس المنصور أيضاً فأحضرت إليه وردة في غير أوانها لم يكمل فتح ورقها فقال فيها صاعد مرتجلاً :

أَتَتْكَ أبا عامرٍ وَرْدَةٌ   يذكّرُكَ المسكُ أنفاسَها
كعذراءَ أبصرها مبصرٌ   فغطَّتْ بأكمامها راسَها

فَسُرَّ بذلك المنصور ، وكان ابن العريف حاضراً فحسده وجرى إلى مناقضته وقال للمنصور : هذان البيتان لغيره ، وقد أنشدنيهما بعضُ البغداديين لنفسه بمصر ، وهما عندي على ظهر كتاب بخطه ، فقال له المنصور : أرنيه ، فخرج ابن العريف وركب وحرَّك دابته حتى أتى مجلسَ ابنِ بدر ، وكان أحسنَ أهلِ زمانه بديهةً ، فوصف له ما جرى ، فقال ابن بدر هذه الأبيات ، ودسَّ فيها بيتي صاعد :

غدوتُ إلى قصرِ عبّاسةٍ   وقد جدَّلَ النومُ حُرَّاسَها
فألفيتها وهيَ في خِدْرِهَا   وقد صَدَعَ السكرُ أنّاسها
فقالتُ أَسِرْتَ على هجعةٍ   فقلتُ بلى فسرمتْ كاسها
وَمَدَّتْ يَدَيْها إلى وردةٍ   يحاكي لك الطيبُ أنفاسَها
كعذراءَ أبصرها مبصرٌ   فغطَّتْ بأكمامها راسها
وقالتْ خفِ اللّه لا تفضحنَّ   في ابنةِ عمِّك عباسها
فوليتُ عنها على خَجْلَةٍ   وما خُنْتُ ناسي ولا ناسها

فطار ابن العريف بها وعلَّقها على ظهر كتاب بخطٍّ مصري ومداد أشقر ، ودخل بها على المنصور ، فلما رآها اشتد غيظه وقال للحاضرين : غداً أمتحنه ، فإن فضحه الامتحان أخرجته من البلاد ، ولم يَبْقَ في موضعٍ لي عليه سلطان ، فلما أصبح أرسلَ

---

(1) الخبر في الجذوة والذخيرة 4/1 : 17 ونفح الطيب 3 : 79 وبدائع البدائه : 229 والريحان والريعان 1 : 154 والشريشي 1 : 118 .

إليه فأحضر وحضر جميعُ الندماءِ والجلساء ، فدخل بهم إلى مجلس قد أُعَدَّ فيه طبقاً عظيماً فيه سقائفُ مصنوعة من جميع النواوير ، وَوُضِعَ على السقائف لُعَبٌ من ياسمين في شكل الجواري ، وتحت السقائفِ بركة ماء قد ألقي فيها اللآلىء مثل الحصباء ، وفي البركة حية تسبحُ فلما دخل صاعدٌ ورأى الطبق قال له المنصور : إن هذا يوم إما أن تسعدَ فيه معنا وإما أن تشقى ، لأنه قد زعم هؤلاء القومُ أن كلَّ ما تأتي به دعوى ، وهذا طبق ما توهمتُ أنه حضر بين يدي ملكٍ قبلي شكلُهُ فَصِفْهُ بجميعِ ما فيه ، فقال له صاعد على البديهة :

أبا عامرٍ هل غيرُ جدواكَ واكفٌ ... وهل غيرُ مَنْ عاداكَ في الأرضِ خائفُ
يسوقُ إليك الدهرُ كلَّ غريبةٍ ... وأعجبُ ما يلقاهُ عندكَ واصفُ
وشائعُ نَوْرٍ صاغَها هامرُ الحيا ... على حافتيها عبقرٌ ورفارفُ
ولما تناهى الحسنُ فيها تقابلت ... عليها بأنواع الملاهي وصائفُ
كمثلِ الظباءِ المستكنّةِ كنّساً ... تظللها بالياسمينِ السقائفُ
وأعجبُ منها أنّهنَّ نواظرٌ ... إلى بركةٍ ضُمَّتْ إليها الطرائفُ
حصاها اللآلي سابحٌ في عُبَابِهَا ... من الرُّقْشِ مسمومُ الثعابينِ زاحفُ
ترى ما تراه العينُ في جنباتها ... من الوحشِ حتى بينهن السلاحفُ

فاستغربوا له تلك البديهة في مثل ذلك الموضع ، وكتبها المنصور بخطه ، وكان إلى ناحيته من تلك السقائف سفينة فيها جارية من النوار تجذِّفُ بمجاذيفَ من ذهب لم يرها صاعد ، فقال له المنصور : أحسنتَ إلا انك أغفلتَ ذكر السفينة والجارية ، فقال للوقت :

وأعجبُ منها غادةٌ في سفينةٍ ... مُكَلَّلةٌ تَصْبُو إليها المهاتفُ
إذا راعها موجٌ من الماءِ تتقي ... بِسُكّانها ما هَيَّجَتْهُ العواصفُ
متى كانت الحسناءُ ربّانَ مركبٍ ... تُصَرِّفُ في يمنى يديه المجاذفُ
ولم ترَ عيني في البلادِ حديقةً ... تُنَقِّلُها في الراحتينِ الوصائفُ
ولا غروَ أن انشت معاليكَ روضةً ... وَشَتْها أزاهيرُ الربى والزخارفُ

فأنت امرؤٌ لو رمتَ نقلَ مُتالعٍ ... ورَضْوَى ذرتها من سُطَاك نواسفُ
إذا قلتَ قولاً أو بدهتَ بديهةً ... فكلني له إني لمجدك واصفُ

فأمر له المنصور بألف دينار ومائة ثوب ، ورتب له في كل شهر ثلاثين ديناراً وألحقه بندمائه .

توفي أبو القاسم ابن العريف بطليطلة في رجب سنة تسعين وثلاثمائة .

- 408 -

حرملة بن المنذر بن معد يكرب بن حنظلة بن النعمان بن حية بن سعنة بن الحارث بن ربيعة ، ويتصل نسبه بيعرب بن قحطان ، أبو زبيد الطائي : شاعر مُعَمَّر عاش خمسين ومائة سنة ، وعداده في المخضرمين ، أدرك الإسلام ولم يسلم ومات نصرانياً . وكان أبو زبيد طوالاً من الرجال ينتهي إلى ثلاثة عشر شبراً ، وكان حسنَ الصورة ، فكان إذا دخل مكةَ دخلها متنكراً لجماله . وكان أبو زبيد يزور الملوكَ ، وملوكَ العجم خاصة ، وكان عالماً بسيرهم ، ووفد على الحارث بن أبي شمر الغساني والنعمان بن المنذر .

حدث عمارة بن قابوس قال[1] : لقيتُ أبا زبيد الطائي فقلت له : يا أبا زبيد هل أتيتَ النعمان بن المنذر؟ قال: أي واللّه لقد أتيته وجالسته، قلت: فصفه لي، فقال: كان أحمرَ أزرقَ أبرشَ قصيراً، فقلت له: أيسرُّكَ أنه سمع مقالتَكَ هذه وأنّ لك حُمْرَ النَّعَم ؟ قال : لا واللّه ولا سودها ، فقد رأيتُ ملوكَ حمير في ملكها ، ورأيت ملوكَ غسّان في ملكها ، فما رأيت أشدَّ عزاً منه : كان ظهرُ الكوفةِ يُنْبِتُ الشقائقَ فحمى ذلك المكانَ فنسب إليه فقيل شقائق النعمان ؛ فجلس ذاتَ يومٍ هناك وجلسنا بين يديه كأن

---

408 ـ ترجمة أبي زبيد الطائي في طبقات ابن سلام 2 : 593 والشعر والشعراء : 219 (المنذر بن حرملة) والأغاني 12 : 118 ومصورة ابن عساكر 4 : 321 وتهذيب ابن عساكر 4 : 111 وبغية الطلب (زكار) 5 : 2188 والوافي 11 : 335 والسمط : 118 والخزانة 2 : 155 والإصابة 2 : 60 وهذه الترجمة أقرب إلى معجم الشعراء .

(1) الأغاني 12 : 125 .

على رؤوسنا الطير[1] ، فقام رجلٌ من الناس فقال له : أبيتَ اللعنَ أعطني فإني محتاج ، فتأمَّله طويلاً ثم أمر به فأُدْنِيَ حتى قَعَدَ بين يديه ، ثم دعا بكنانةٍ فاستخرج منها مشاقصَ فجعل يجأ بها وجهَهُ حتى سمعنا قَرْعَ العظام ، وخُضِبَ بالدم ، ثم أمر به فَنُحّي . ومكثنا ملياً فنهض رجل آخر فقال له : أبيتَ اللعن أعطني ، فتأمله ساعةً ثم قال : أعطوه ألف درهم ، فأخذها وانصرف ، ثم التفت النعمانُ عن يمينه ويساره وخلفه فقال : ما قولكم في رجل أزرقَ أحمرَ يُذْبَحُ على هذه الأكمة ، أترونَ دَمَه سائلاً حتى يجري في هذا الوادي ؟ فقلنا له : أنت أبيتَ اللعن أعلى برأيك ، فدعا برجلٍ على هذه الصفة فأمر به فذبح ، ثم قال : ألا تسألوني عما صنعت ؟ فقلنا : ومن يسألكَ عن أمرك وما تصنع ؟ فقال : أما الأول فإني خرجتُ مع أبي نتصيَّدُ فمررنا به وهو بفناءِ بابه وبين يديه عُسٌّ من لبن ، فتناولته لأَشْرَبَ منه فثار إليَّ فهراقَ الإناء ، فملأ وجهي وصدري ، فأعطيتُ اللّه عهداً لئن أمكنني منه لأخضبنَّ لحيتَهُ وصدره من دم وجهه ، وأما الآخرُ فكانت له عندي يدٌ فكافأته بها ، وأما الذي ذبحته فإن عيناً لي بالشام كتب إليَّ أنّ جبلة بن الأيهم بعث إليك برجلٍ صفته كذا وكذا ليقتلك[2] فطلبته فلم أقدرْ عليه حتى كان اليوم ، فرأيتُهُ بينَ القوم فأخذته .

وكان عثمان بن عفان رضي اللّه عنه يقرِّبُ أبا زبيد وَيُدْنِي مجلسه لمعرفته بسيرِ مَنْ أدركهم من ملوك العرب والعجم ، فدخل عليه يوماً وعنده المهاجرون والأنصار ، فتذاكروا مآثرَ العرب وأخبارَهَا وأشعارها ، فالتفتَ إليه عثمان وقال له : يا أخا تبع المسيح أَسْمِعْنَا بعضَ قولك ، فقد أنبئت أنك تجيدُ الشعر ، فأنشده قصيدته التي أولها[3] :

من مبلغٌ قَوْمَنا النائينَ إذ شَحَطُوا ... أنَّ الفؤادَ إليهم شَيِّقٌ وَلِعُ

ووصف فيها الأسد ، فقال له عثمان : تاللّه تفتأ تذكرُ الأسدَ ما حييتَ ، واللّه إني

---

(1) زاد في الأغاني : وكأنه باز .

(2) الأغاني : ليغتالك .

(3) طبقات ابن سلام : 593 ـ 599 والأغاني 118 ـ 122 وشعر أبي زبيد : 108 .

لأحسبك جباناً هِداناً[1] قال : كلا يا أمير المؤمنين ، ولكني رأيتُ منه منظراً وشهدتُ مشهداً لا يبرحُ ذكرُهُ يتجدَّدُ في قلبي ، ومعذورٌ أنا بذلك يا أمير المؤمنين غيرُ ملوم ، فقال له عثمان : وأين كان ذلك وأنى ؟ فقال : خرجتُ في صُيَّابةٍ[2] من أشرافِ العرب وفتيانهم ذوي هيئةٍ وَشَارَةٍ حسنة ، ترتمي بنا المهارى بأكسائها[3] القيروانات على قنو البغال تسوقها العبدان[4] ، ونحن نريدُ الحارثَ بن أبي شمر الغساني ملكَ الشام ، فاخروَّطَ[5] بنا السير في حمارَّةِ القيظِ ، حتى إذا عَصَبَتْ[6] الأفواهُ وذبلت الشفاهُ وشالت المياه[7] وأذكتِ الجوزاءُ المعزاء[8] ، وذاب الصَّيْهَد[9] وصرَّ الجندب ، وضاف العصفورُ الضبَّ في وكره ، وجاوره في جحره ، قال قائل : أيها الركب غوروا[10] بنا في ضوج[11] هذا الوادي ، وإذا وادٍ قد بدا لنا[12] كثيرُ الدغلِ دائمُ الغلل[13] ، شجراؤه مُغِنَّة[14] وأطياره مُرِنَّة ، فحططنا رحالَنا بأصولِ دوحاتٍ كَنَهْبَلات[15] وأصبنا من فَضَلاتِ المزاودِ[16] وأتبعناها الماء البارد . فلما انتصفَ حرُّ يومنا ذلك وبينا نحن كذلك[17] ، إذ صرَّ أقصى الخيل أذنيه[18] وفحصَ الأرضَ بيديه ،

(1) الهدان : الأحمق .
(2) الصيابة : الخيار والسادة .
(3) الاكساء : جمع كسأ ، وهو مؤخر كل شيء .
(4) القيروانات . . . . العبدان : سقط من الطبقات والأغاني .
(5) اخروط : امتد .
(6) م : نضبت ؛ وعصبت : يبس ريقها وجف .
(7) شالت : نشفت .
(8) المعزاء : الأرض الغليظة .
(9) الصيهد : شدة الحر .
(10) م : تجوزوا ، وغوروا : انزلوا للقيلولة .
(11) الضوج ، منعرج الوادي .
(12) الطبقات : قديديمتنا (يعني قدامنا) .
(13) الدغل : الشجر الملتف ؛ الغلل : الماء الذي يتغلل الأشجار .
(14) م : صحراؤه ؛ والشجراء : الأشجار المتكاثفة ، مُغِنَّة : فيها غُنَّة لطيران الذباب وتصويته .
(15) الكنهبلة : الشجرة العظيمة من العضاه .
(16) المزاود : أوعية الزاد .
(17) الطبقات : فإنا لنصف حرّ يومنا ذلك ومماطلته .
(18) صرّ أذنيه : حددهما .

فواللّه ما لبث أن جال ثم حمحم فبال ، ثم فَعَلَ فعله الذي يليه واحداً فواحداً ، فتضعضعت الخيل وتكعكعت الإبل[1] وتقهقرت البغال ، فمن نافرٍ بشِكاله وشاردٍ[2] بعقاله ، فعلمنا أنه السبع ، ففزعَ كلٌّ منّا إلى سيفه فسلّه من قِرابه[3] ثم وقفنا رزدقا[4] ، فأقبل أبو الحارث من أجمته يتظالَعُ في مشيته[5] كأنه مجنوب أو في هجار معصوب[6] لطرفه وميض ، ولصدره نحيط[7] ، ولبلعومه غطيط ، ولأرساغه نقيض[8] كأنما يخبطُ هشيماً أو يطأ صريماً[9] له هامةً كالمِجنّ وخدٌّ كالمسن ، وعينان سجراوان كأنهما سراجان يقدان ، وَقَصِرَةٌ رَبِلة وَلِهْزِمَةٌ رَهِلة ، وكتدٌ مُغْبَط ، وزور مُفْرَط ، وساعدٌ مجدول ، وعضدٌ مفتول[10] وكفٌّ شثنة البراثن إلى مخالب كالمحاجن ، فضرب بيديه فأَرْهَج[11] ، وكشّر فأفرج ، عن أنيابٍ كالمعاول مصقولة غير مفلولة ، وفمٍ أشدقَ كالغارِ الأخرق[12] ثم تمطى [فأشرع] بيديه وحفز بوركيه حتى صار ظلُّه مثليه ، ثم أقعى فاقشعرَّ ، ثم أقبل[13] فاكفهر ، ثم تجهم فازبأر[14] ، فلا وذو بيته في السماءِ ما اتقيناه إلا بأخٍ لنا من فزارة كان ضخمَ الجزارة[15] ، فوقصه

(1) تكعكعت : أحجمت .

(2) الطبقات : وناهض .

(3) الطبقات : فاستله من جربانه .

(4) الرزدق : الصف المستوي .

(5) الطبقات : في بغيه ، يعني يختال .

(6) م : كأنه مجنون أو في وجار مسجون ؛ والمجنوب : المصاب بذات الجنب ، والهجار : الحبل يشدّ به . (وسقطت معصوب من الطبقات) .

(7) م : خطيط ؛ والنحيط : الزفير .

(8) م : قضيض ؛ والنقيض : صوت المفاصل .

(9) م : رميما ؛ والصريم : الرمل .

(10) العين السجراء : التي تخالط بياضها أو سوادها حمرة خفيفة ، القصرة : العنق ؛ ربلة : كثيرة اللحم ، واللهزمة : مجتمع اللحم بين الماضغ والأذن ، رهلة : مسترخية ، والكتد : مجتمع الكتفين ، مغبط : مرتفع ممتلىء ؛ والزور (وفي م : زند) ملتقى أطراف عظام الصدر ، مفرط : ممتلىء اللحم .

(11) أرهج : أثار الغبار .

(12) الأخرق : الواسع الخرق .

(13) الأغاني : مثل ؛ الطبقات : تميل .

(14) ازبأر : انتفش شعره .

(15) الجزارة : اليدان والرجلان والعنق .

ثم نفضه نفضة فقضقض متنيه وجعل يلغ في دمه [1] ، فذمرت أصحابي فبعد لأي ما استقدموا ، فهجهجنا به ، فكرَّ مقشعراً بزبرته كأن به شيهماً حولياً فاختلج رجلاً أعجزَ ذا حوايا فنفضه نفضة تزايلت بها مفاصله [2] ، ثم همهم ففرفر وزفر فبربر ، ثم زأر فجرجر ، ثم لحظ فأشزر[3] ، فواللّه لخلتُ البرقَ يتطاير من تحت جفونه ، من عن شماله ويمينه ، فأُرْعِشَتِ الأيدي واصطكتِ الأرجل ، وأطَّت الأضلاع وارتجت الأسماع ، وشخصت العيون وتحققت الظنون وانخزلت المتون[4] . فقال له عثمان اسكتْ قطع اللّه لسانك فقد أرعبتَ قلوبَ المسلمين .

وقال يصف الأسد[5] :

فباتوا يُدْلجون وبابَ يَسْرِي ... بصيرٌ بالدجى هادٍ هَموسُ[6]
إلى أن عرَّسوا وأغبَّ عنهم ... قريباً ما يُحَسُّ له حسيسُ[7]
خلا أنّ العتاقَ من المطايا ... حَسَسْنَ به فهنَّ لذا شُمُوسُ[8]
فلما أن رآهم قد تدانَوْا ... أتاهم وَسْطَ رَحْلِهم يميسُ
فثار الزاجرون فزاد قرباً ... إليهم ثم واجهه ضبيسُ[9]
بنصلِ السيف ليس له مِجَنٌّ ... فصدَّ ولم يصادفه جبيسُ[10]
فيضرب بالشمال إلى حشاهُ ... وقد نادى فأخلفه الأنيسُ

(1) وقصه : دق عنقه ؛ قضقض : كسر ؛ ولغ : أخذ الدم بلسانه .
(2) ذمر : شجع وحض ؛ بعد لأي : بعد جهد . استقدموا : أقدموا ، الهجهجة : زجر السبع ؛ الزبرة : شعر مجتمع على كاهل الأسد ، اقشعرت : انتفشت ؛ الشيهم (في م : شحما) القنفذ ؛ الحولي : أتى عليه حول كامل ؛ اختلج : انتزع ؛ أعجز : ضخم البطن ، الحوايا : الأمعاء .
(3) الطبقات ، ثم نهم فقرمز ؛ والتهيم أشد من الزئير ؛ فرفر : صاح ؛ جرجر : ردد الصوت في حنجرته ؛ .
(4) م : فظنت المتون .
(5) شعر أبي زبيد : 94 ـ 99 (وفيه تخريج كثير) .
(6) هموس : يمشي مشياً خفياً .
(7) عرسوا : نزلوا آخر الليل للراحة ؛ أغب عنهم : تأخر ؛ الحسيس : الحسّ أو الصوت الخفي .
(8) الطبقات : فهن إليه شوس ؛ أي أمالت أعناقها وهي تنظر إليه ؛ شموس : قد حرنت .
(9) ضبيس : شرس صعب المراس .
(10) الجبيس : الجبان الضعيف (وفي م : جسيس) .

بسمْـرٍ كالمحـاجن في قنـوب يقيها قِضَّةَ الأرضِ الدخيسُ[1]
فخـرَّ السيفُ واختلفتْ يـداه وكان بنفسه وُقِيَتْ نفـوسُ[2]

وطـار القـومُ شتَّى والمـطايـا وَغُودِرَ في مكرهم الرئيسُ[3]
وجـال كـأنـه فَـرَسٌ صنيـع يجرُّ جِلالـه ذَبِلٌ شمـوسُ[4]

كـأن بنحـره وبسـاعـديـه عبيـراً ظـلَّ تعبؤه عـروسُ[5]
فـذلـك إن تـلاقـوه تفـادوا ويحدث عنكم أمرٌ شكيسُ[6]

وقال ابن الأعرابي[7] : كان لأبي زبيد كلب يقال له أكدر[8] ، وكان له سلاح يلبسه إياه ، فكان لا يقوم له الأسد ، فخرج ليلةً ولم يلبسه سـلاحه ، فلقيـه الأسد فقتله ، فقال أبو زبيد :

أحـال أكـدرُ مختـالاً[9] كعـادتـه حتى إذا كـان بين البئـر والعَطَنِ[10]
لاقى لـدى ثُلَلِ الأطـواءِ داهيـةً سـرت وأكدر تحتَ الليـل في قَـرَنِ

---

(1) م : فشمر كالمحالق في عيون تقيه . وهو يصف مخالبه المعقفة ، يدخلها في القنوب وهو الغطاء الذي يدخل فيه الأسد مخالبه . ورواية المحالق قد تصحّ ؛ ومعنى المحالق : المواسي التي تحلق الشعر . القضة : الحصى الصغار ؛ الدخيس : اللحم المكتنز .

(2) اختلفت يدا المتصدي للأسد ووجد نفسه فريسة ، وبنفسه وقى نفوس الآخرين .

(3) م : الرسيس .

(4) الصنيع : المضمّر ؛ ذبل : ضامر .

(5) م : تعنوه عروس ، وعبأ الطيب خلطه وصنعه .

(6) هكذا هو ، وقال الأستاذ محمود شاكر ، وهو غير صحيح وليس له معنى يعتد به ، وقرأ البيت :

فـذلـك إن تَـفَـادَوْهُ تَفَـادَوْا وَيُصْـرَفْ عنكمُ أمـرٌ شكيس

تفادوه : تتحاموه ؛ وتضادوا : فدى بعضكم بعضاً ، أي قال الواحد للآخر : جعلت فداك ويصرف : يرد ؛ شكيس : صعب عسير .

(7) الأغاني 12 : 124 .

(8) م : الأكدر .

(9) م : مشيا لا . وأحال : أقبل .

(10) العطن : مناخ الابل عند الماء .

حَفَّتْ بـه شيمـةٌ ورهـاءُ تـطرده حتى تناهى إلى الحولات[1] في سَنَنِ
إلى مُقَابَلِ فُتْلِ السـاعـدين لـه فوق السُّراة كذفرى الفالج القمنِ[2]
رئبـال غـابٍ فـلا قَحْمٌ ولا ضَـرَعٌ كالبغل يحتطم العجلين[3] في شطنِ

وهي قصيدة طويلة ، فلامه قومه على كثرة وصفه للأسد وقالوا : قد خفنا أن تسبنا العربُ بوصفك له ، فقال : لو رأيتم منه ما رأيت أو لقيتم منه ما لقي أكدر لما لمتموني . ثم أمسك عن وصفه فلم يصفه حتى مات .

وقال[4] ابن الأعرابي : كان أبو زبيد يقيم أكثر أيامه في أخواله بني تغلب ، وكان له غلامٌ يرعى إبله ، فغزت بهراءُ ، وهم من قضاعة ، بني تغلب فمروا بغلامه فدفع إليهم إبل أبي زبيد وانطلق معهم يدلّهم على عَوْرَةِ القوم ويقاتل معهم ، فهزمت تغلبُ بهراء وقُتِلَ الغلام ، فقال أبو زبيد في ذلك :

هـل كنتَ في منـظرٍ وَمُسْتَمَـعٍ عن نصرِ بهراءَ غيرَ ذي فَرَسِ[5]
تَسْعَـى إلى فـتيـة الأراقـم واسـ ـتعجلتَ قَيْلَ الجمانِ والقَبَسِ[6]
في عارضٍ من جبال بهـرا بها الأ لَ مَـرْيَنَ الحـروب عن دُرَسِ[7]
فَنُـهْـزَةٌ مَنْ لـقـوا حـسبتَـهُـمُ أحلى وأشهى من باردِ الدِّبسِ[8]
لا تِـرَةٌ عـنـدهـم فـتـطلبَـهـا ولا هـمُ نـهـزةٌ لـمـخـتـلسِ

(1) م : الجولان ؛ والحولات : الدواهي .
(2) السراة : الظهر ؛ الفالج : البعير ذو السنامين ، القمن : السريع .
(3) الأغاني : العلجين .
(4) طبقات ابن سلام : 606 والأغاني 12 : 127 وشعر أبي زبيد : 102 ـ 107 .
(5) في منظر ومستمع : أي في معزل عن الأمر ، وهل بمعنى قد .
(6) م : قبل الجمان ؛ القيل : شرب نصف النهار ؛ والجمان والقبس : ناقتان لأبي زبيد .
(7) م : جبال بهرائها الأولى مرين الحرور ؛ العارض : السحاب وهو هنا كناية عن الجيش الكثيف ؛ الأل : جمع ألة وهي الحربة ؛ مرين : حلبن ؛ والحرب تشبه بالنوق ، والدرس : جمع درسة وهي الدربة والتجربة .
(8) أي هل حسبت من لقوا نهزة (أي غنيمة باردة) والدبس : عسل التمر .

جُــودٌ كــرامٌ إذا هــمُ نُــدبــوا غيــرُ لئـامٍ ضُجْــرٍ ولا كسسٍ[1]
صُمْتٌ عــظامُ الحلوم إن سكتــوا من غيــر عــيٍّ بهـم ولا خــرسِ
تـقــوتُ[2] أفــراسَهُــمْ نســاؤُهُــمْ يُــزْجـون أجمــالهمْ مــعَ الغلسِ
صــادفتَ لمـا خــرجتَ منطلقــاً جَهْمَ المحيـا كبـاســلٍ شَــرِسِ
تــخــالُ فــي كــفّــه مثــقّــفــةً تــلمــعُ فيهــا كشـعـلةِ الـقـبسِ
بــكــفِّ حــرَّانَ ثــائــرٍ بــدمٍ طلَّابِ وتــرٍ في المــوت منغمسِ
إمـا تقـاذفْ[3] بـك الـرمـاحُ فـلا أبكيــك إلا للدلــو والمــرسِ[4]
حمــدتُ أمــري ولمتَ أمــرك إذ أمْسَــكَ جَلْزُ السنـانِ بــالنفسِ[5]
وقــد تــصلَّيْــتَ حَــرَّ نــارِهــمُ كما تصلَّى المقرور من قَــرَسِ[6]
تــذبُّ عــنــه كــفٌّ بــهــا رَمَقٌ طيـراً عكـوفـاً كَـزُوَّرِ العُــرُسِ[7]
عــمــا قـليــلٍ عَــلَوْنَ جُــثَّــتَــهُ فــهــنَّ مــن والــغٍ ومــنــتــهسِ

فلما بلغ شعره بني تغلب بعثوا إليه بدية غلامه وما نهب من إبله ، فقال في ذلك[8] :

ألا أبــلغْ بــنــي عــمــرو رســولاً فــإنــي فــي مــودتــكــم نــفــيسُ
فمــا أنـا بــالضعيف فتظلمــوني ولا جــافــي اللقــاءِ ولا خــسيسُ

(1) جود : جمع جواد ؛ وكسس : قال الأستاذ محمود شاكر : لا معنى له ؛ وغيره إلى كُبُسٍ وهو جمع كباس وهو الرجل الذي إذا سألته حاجة كبس برأسه في جيب قميصه .
(2) في م : تقود ، والتصويب عن الطبقات .
(3) الأغاني : تقارن ؛ الطبقات : تقارش ، يريد تداخلت واصطك بعضها ببعض .
(4) يقول لا أبكيك إلا لأنك كنت خادماً ماهراً في استعمال الدلو والمرس أي الاستقاء .
(5) جلز السنان : المستدير كالحلقة في أسفل سنان الرمح .
(6) المقرور : الذي يحس ببرد شديد ؛ القرس : أشد البرد .
(7) أي أن كفه وفيها بقية من حياة تدفع عنه الطيور العاكفة على جسده ، كأنها لاحتشادها نساءٌ يحتشدن في عرس .
(8) الطبقات : 612 وشعر أبي زبيد: 100 والأغاني 12 : 129 .

أفي حقٍّ مواساتي أخاكم … بمالي ثم يظلمني السَّريسُ[1]

وحدث ابن الأعرابي قال : كان أبو زبيد الطائي نديماً للوليد بن عقبة والي الكوفة من قبل عثمان ، فلما شهدوا عليه بشرب الخمر وعزل عن عمله وخرج من الكوفة قال أبو زبيد[2] :

مَنْ يرى العِيَر لابنِ أروى على ظهـ … ـرِ المروري حُدَاتُهُنَّ عِجالُ[3]
مُصْعِداتٌ والبيتُ بيتُ أبي وهـ … ـبٍ خلاءٌ تحنُّ فيه الشَّمالُ
يعرفُ الجاهلُ المضلَّلُ أن الـ … ـدهرَ فيه النكراءُ والزلزالُ
ليت شعري كذاكم العهد أم كا … نوا أناساً ممن يزولُ فزالوا
بعد ما تعلمين يا أمَّ زيدٍ … كان فيهم عزٌّ لنا وجمالُ
ووجوهٌ بودِّنا مشرقاتٌ … ونوالٌ إذا أُريدَ النوالُ
أصبحَ البيتُ قد تبدَّلَ بالحـ … ـيِّ وجوهاً كأنها الأقتالُ[4]
كلّ شيءٍ يحتالُ فيه الرجالُ … غيرَ أنْ ليس للمنايا احتيالُ
ولعمرُ الإلهِ لو كان للسيـ … ـفِ مَصَالٌ أو للسانِ مَقَالُ
ما تناسيتُكَ الصفاءَ ولا الو … دَّ ولا حالَ دونكَ الأشغالُ
ولحرَّمْتُ لحمَكَ المتعضَّى[5] … ضلةً ضلَّ حلمهم ما اغتالوا
قولهم شُرْبُكَ الحرامَ وقد كا … ن شرابٌ سوى الحرامِ حلالُ
وأبى الظاهرُ العداوةِ إلا … شنآناً وقولَ ما لا يقالُ
من رجالٍ تقارضوا مُنْكَراتٍ … لينالوا الذي أرادوا فنالوا

(1) السريس : الضعيف الذي لا ولد له .
(2) انظر تهذيب ابن عساكر 4 : 113 ونسب قريش : 139 والأغاني 5 : 122 ـ 123 وشعر أبي زبيد : 127 (وفيه تخريج كثير) .
(3) ابن أروى : الوليد ، وأروى أمه وأم عثمان ؛ المروري : الصحاري .
(4) الأقتال : الأعداء .
(5) م : المتقصى : والمتعضى : المفرَّق .

غيـر ما طـالبين ذَحْـلاً ولكنْ ... مـالَ دهـرٌ على أنـاس فمـالـوا
من يَخُنْـكَ الصفـاءَ أو يتبـدلْ ... أو يَـزُلْ مثـلَ ما تـزولُ الـظلالُ
فـاعلمنْ أنني أخـوك أخـو الـو ... دِّ حيـاتي حتى تـزولَ الجبـالُ
ليس بخلٌ عليكَ عندي بمالٍ ... أبـداً ما أقـلَّ نعـلاً قِبـالُ[1]
ولـك النصـرُ بـاللسـانِ وبـالكـ ... ـفِّ إذا كـان لليـدين مَصَـالُ

ولأبي زبيد في مدح الوليد بن عقبة شعرٌ كثيرٌ تركناه خوفَ الإطالةِ . ومن جيد شعره[2] :

إنّ نيـلَ الحيـاةِ[3] غيـرُ سعودِ ... وضـلالٌ تـأميـلُ نيـلِ الخلودِ
عُلِّلَ المرءُ بالأماني[4] ويضحي ... غـرضـاً للمنـون نَصْبَ العـودِ
كـلَّ يـومٍ تـرميه منهـا بِـرَشْقٍ ... فمصيبٌ أو صـافَ غيـر بعيـدِ[5]
كـلَّ ميتٍ قد اعتـرفت[6] فـلا أو ... جـعُ[7] من والـدٍ ومن مـولـودِ
غيـر أن اللجلاج[8] هـدَّ جناحي ... يـومَ فـارقتـه بـأعلى الصعيـدِ

وكان أبو زبيد يحملُ في كل أحدٍ إلى البيع مع النصارى ، فبينا هو يومَ أحـدٍ يشرب والنصارى حوله رفع بصره إلى السماء ، فنظر نظراً طويلاً ثم رمى الكأس من يده وقال[9] :

إذا جُعِـل المرءُ الـذي كان حـازمـاً ... يُحَـلُّ بـه حـلَّ الحـوارِ ويُحْمَـلُ

---

(1) أقل : حمل ؛ القبال : زمام النعل .
(2) انظر شعر أبي زبيد : 115 (وفيه تخريج) .
(3) الديوان : طول الحياة .
(4) الديوان : بالرجاء .
(5) صاف السهم : حاد عن الهدف .
(6) الديوان : اغتفرت .
(7) م : واجع .
(8) م : الحلاج : واللجلاج ابن أخت أبي زبيد .
(9) تهذيب ابن عساكر 4 : 113 .

فليس لـه في العيشِ خيرٌ يُـريـدُهُ وتـكفينـه ميتـاً أعفُّ وأجمـلُ
أتـاني رسولُ المـوتِ يا مـرحباً بـه وانـي لآتيـه أمـا سـوفَ أفـعـلُ

ثم مات فجأة ودفن هناك .

ـ 409 ـ

حسنون بن جعفر بن حسنون بن عبد الرحمن بن مروان السهمي الشاعر : من أهل مصر .

ـ 410 ـ

حصن بن ربيعة بن صُعَير بن كلابِ بن عامر بن مالك بن تيم الله بن ثعلبة بن عكابة بن صعب بن علي بن بكر بن وائل ، المعروف بلسان الحمَّرة . وابنه أبو كلاب عبد اللّه ، كانا من أعلم الناس بعلم النسب ، وأخبار الأوائل . قال لرؤبة بن العجّاج : للعلم آفة وهُجْنَة وإضاعة . فأما آفته فنسيانه ، وأما هجنته فالكذب فيه ، وأما إضاعته فوضعه عند من لا يستأهله .

ـ 411 ـ

حفص الأموي مولاهم : شاعر من شعراء الدولة الأموية عاش حتى أدرك دولة

---

409 ـ من المختصر .

410 ـ من المختصر . وقد ذكر ابن النديم (ص: 102) أن لسان الحمرة اسمه ورقاء بن الأشعر بن كلاب ، وكان أشد الناس تيهاً وكبراً . أما الذي روى عنه العجاج ـ والد رؤبة ـ إن للعلم آفة وهجنة ونكداً فهو النسابة البكري وكان نصرانياً (انظر ابن النديم) وذكر ابن قتيبة في عيون الأخبار (2 : 118) أن النسابة البكري هو الذي قال : إن للعلم آفة وهجنة ونكداً ، مخاطباً رؤبة بن العجاج حين زاره . ويبدو من نسب المترجم به هنا أنه بكري . وفي جمهرة ابن حزم (315) أن لسان الحمرة هو حصن بن ربيعة ـ ونسبه كما ورد هنا ـ قال : والنسابة هو عبد اللّه بن لسان الحمرة .

411 ـ ترجمة حفص الأموي في مصورة ابن عساكر 5 : 194 وتهذيب ابن عساكر 4 : 391 ومختصر ابن منظور 7 : 212 (وهو يلحق بمعجم الشعراء) .

بني العباس ولحق بعبد اللّه بن علي فاستأمنه ، فهو من مخضرمي الدولتين ، وكان يختلف إلى كثيّر بن عبد الرحمن المعروف بكثير عزة الشاعر يروي عنه شعره ، وكان هجّاءً لبني هاشم فطلبه عبد اللّه بن علي فلم يقدر عليه ، ثم جاءه حفص مستأمناً فقال : أنا عائذٌ بالأمير ، فقال له : ومن أنت ؟ قال : حفص الأموي ، فقال : أنت الهجّاء لبني هاشم ؟ فقال : أنا الذي أقول أعز اللّه الأمير :

وكانت أميةُ في ملكها ... تجورُ وتكثر عُدوانَها
فلما رأى اللّه أنْ قد طَغَتْ ... ولم يحملِ الناسُ طغيانَها
رماها بسفاح آلِ الرسولِ ... فجذَّ بكفَّيه أعيانها
ولو آمنتْ قبل وَقْعِ العذابِ ... فقد يقبلُ اللّه إيمانها

فلما أتم الإنشاد قال له عبد الله بن علي : اجلس ، فجلس فتغدّى بين يديه ، ثم دعا عبد الله خادماً له فساره بشيء ، ففزع حفص وقال : أيها الأمير قد تحرمتُ بك وبطعامك وفي أقلَّ من هذا كانت العربُ تهبُ الدماءَ ، فقال له عبد اللّه : ليس شيء مما ظننتَ ، فجاء الخادم بخمسمائة دينار فقال : خذها ولا تقطعنا وأصلحْ ماشَعَّثْتَ منا .

وروى ابن السائب الكلبي أن هشام بن عبد الملك قال يوماً لقوَّامه على خيله كم أكثر ما ضَمَّتْ حَلْبَةٌ من الخيل في الجاهلية والاسلام ؟ قالوا : ألف فرس وقيل ألفان ، فأمر أن يؤذّن بالناس بحلبةٍ تضمُّ أربعةَ آلاف فَرَس ، فقيل له : يا أمير المؤمنين يحطمُ بعضها بعضاً فلا يتسعُ لها طريق ، فقال : نطلقها ونتوكل على اللّه واللّه الصانع ، فجعل الغايةَ خمسين ومائتي غلوة ، والقصبَ مائة ، والمقوّسَ ستة أسهم ، وقاد إليه الناس من كلِّ أوب ، ثم برز هشام إلى دهناءِ الرصافةِ قبيل الحلبة بأيام ، فأصلح طريقاً واسعاً لا يضيقُ بها ، فأُرْسِلَتْ يومَ الحلبةِ بين يديه وهو ينظر إليها تدور حتى ترجع ، وجعل الناس يتراءَوْنَها حتى أقبل الزابد[1] كأنه ريح لا يتعلَّقُ به شيءٌ حتى دخل سابقاً وأخذ القصبة ، ثم جاءتِ الخيلُ بعد ذلك أفذاذاً وأفواجاً ، ووثب الرجّاز يرتجزون

(1) في ابن عساكر يرد أحياناً الزايد وأحياناً الذائد .

منهم المادحُ للزابد ، ومنهم المادح لفرسه ، ومنهم المادحُ لخيل قومه ، فوثب حفصٌ الأموي مولاهم وقام مرتجزاً يقول :

إنَّ الجوادَ السابقَ الامامُ — خليفةُ اللّه الرِّضَى الهمامُ
أنجبَهُ السوابقُ الكرامُ — من مُنْجِباتٍ ما لهنَّ ذامُ
كرائمٌ يُجْلَى بها الظلامُ — أمُّ هشامٍ جدُّها القمقامُ
وعائشٌ يسمو بها الأقوامُ — خلائفٌ من نجلها أعلامُ
إن هشاماً جدُّه هشامُ — مقابَلٌ مدابَرٌ هضَّامُ
جرى به الأخوالُ والأعمامُ — نجلٌ كنجلٍ كلُّهم قدَّامُ
سنُّوا له السبقَ وما استقاموا — حتى استقام حيثما استقاموا
وأحرز المجدَ الذي أقاموا — أطلقَ وهو يَفَعٌ غلامُ
في حلبةٍ تمَّ لها التمام — من آل فِهرٍ وهم السنامُ
فبذَّها سبقاً وما ألاموا — كذلك الزابدُ يوم قاموا
أتى ببدءِ الخيل ما يُرَامُ — مُجلِّياً كأنهُ حسامُ
سبَّاق غاياتٍ لها ضِرام — لا يقبلُ العفوَ ولا يضامُ
ويلُ الجيادِ منه ماذا راموا — سهمٌ تفرُّ دونه السهامُ

فأعطاه هشامٌ يومئذ ثلاثة آلاف درهم وخلع عليه ثلاثَ حُلَلٍ من جيِّدِ وَشْيِ اليمن وحمله على فَرَسٍ من خيله السوابق ، وانصرف معه ينشده هذا الرجز حتى قعد في مجلسه ، وأمره بملازمته فكان أثيراً(1) عنده .

وقال حفص أيضاً(2) :

لا خيرَ في الشيخ إذا ما اجْلَخَّا — وسال غربُ دَمْعِهِ فلَخَّا(3)

(1) م : أسيراً .

(2) الشطران الأولان في اللسان (جلخ ، لخخ ، طلخ) وهناك خمسة أشطار في اللسان (دخخ) وانظر البصائر 4 : 149 .

(3) اجلخ : فترت عظامه ؛ ولخت عينه : التزقت من الرمص ، ويروى : واطلخا : أي تفرق دمعه .

وكـان أكـلاً كُـلُّهُ وَشَـخَّـا تحت رواقِ البيتِ يَغْشَى الـدخَّـا(1)

- 412 -

حفص بن سليمان بن المغيرة أبو عمر بن أبي داود الأسدي الكوفي الغاضري(2) البزاز، نسبة لبيع البز: الإمام القارىء راوي عاصم بن أبي النجود، كان ربيبَ عاصم ابن زوجته فأخذ عنه القراءةَ عَرْضاً وتلقيناً؛ قال حفص قال لي عاصم: القراءة التي أقرأتك بها فهي التي قرأتُها عَرْضاً على أبي عبد الرحمن السلمي عن علي والتي أقرأتها أبا بكر ابن عياش فهي التي كنتُ أعرضها على زرّ بن حبيش عن ابن مسعود.

وُلد حفص سنة تسعين ونزل بغداد فأقرأ بها وأخذ عنه الناس قراءة عاصم تلاوةً، وجاور بمكة فأقرأ بها أيضاً. قال يحيى بن معين: الرواية الصحيحة من قراءة عاصم رواية حفص، وكان أعلمهم بقراءةِ عاصم، وكان مرجحاً على شعبة بضبط القراءة. توفي حفص بن سليمان سنة ثمانين ومائة.

- 413 -

حفص بن عمر بن عبد العزيز بن صهبان بن عيسى بن صهبان، ويقال صهيب، أبو عمر الدوري الأزدي البغدادي المقرىء النحوي الضرير، نزيل سامرّا،

412 - ترجمته في الفهرست: 31 وتاريخ بغداد 8: 186 وطبقات ابن الجزري 1: 254 وتهذيب التهذيب 2: 400 وميزان الاعتدال 1: 558 والوافي 13: 98.

413 - الفهرست: 287 وتاريخ بغداد 8: 203 وميزان الاعتدال 1: 566 وسير الذهبي 11: 541 والعبر 1: 446 وتذكرة الحفاظ: 406 وطبقات الداودي 1: 162 وطبقات ابن الجزري 1: 255 وتهذيب التهذيب 2: 408 والوافي 13: 102 ونكت الهميان: 146 والنجوم الزاهرة 2: 323 وشذرات الذهب 2: 111.

(1) في رواية: عند سعار النار يغشى الدخا؛ والدخ: الدخان.

(2) م: الفاخري.

راوي الامامين أبي عمرو والكسائي : إمام القراء وشيخ العراق في زمانه ، ثقة ثبت كبير ضابط ، رحل في طلب القراءات وقرأ بالحروف السبعة وبالشواذّ ، وسمع من ذلك شيئاً كثيراً ، وقرأ على أبي عمرو بن العلاء والكسائي وروى عنهما ، وقرأ العربية على أبي محمد يحيى بن المبارك اليزيدي .

قال أبو داود : رأيت أحمد بن حنبل يكتب عن أبي عمر الدوري . وصنف « كتاب ما اتفقت ألفاظه ومعانيه من القرآن » و « كتاب أجزاء القرآن » وغير ذلك .

والدوري نسبته إلى الدور ، موضع ببغداد ومحلة بالجانب الشرقي . توفي أبو عمر الدوري سنة ست وأربعين ومائتين .

ـ 414 ـ

حفص بن عمر العنبري : صاحب الهيثم بن عديّ ، له مصنفات ، حكي عنه قال : أراد عيسى بن موسى أن يضمه إلى أولاده فقيل له إنه مأبون فتركه ، فلقيه حماد الراوية ، فقال له : يا ابن أبي ودة ، ألم يكن الأمير أراد ضمَّك إلى ولده ؟ قال : بلى . قال : فما الذي ثناه عن ذلك ؟ قال : سُعي بي عنده ، وأخبر أني خائن قال : إن امرأ فررت منه إلى الخيانة لشديد .

ـ 415 ـ

أبو حفص الزكرمي العروضي الأديب الشاعر : قال الحافظ أبو طاهر السلفي في معجم السفر[1] أنشدني أبو القاسم ذوبان بن عتيق بن تميم الكاتب[2] قال :

---

414 ـ ترجمته في الفهرست : 113 ؛ وكنيته أبو عمر وذكر له كتباً منها : كتاب النساء ، كتاب ذكر أدعياء الجاهلية ، وهذه الترجمة من المختصر .

415 ـ معجم السفر: 75 (وفيه الزكرمي ـ بزاءين) وأخبار وتراجم أندلسية (وهو مستخرج من معجم السفر) : 37 ومعجم البلدان « زكرم » وقد ذكر ابن حمديس الزكرمي وسماه عمر (ديوانه : 294) .

(1) م : معجم الشعراء .

(2) قال السلفي : كان ذوبان ـ واسمه أيضاً عبد الرحمن ـ كثير الحفظ وقد علقت عنه من شعر شعراء أفريقية مقطعات .

أنشدني أبو حفص الزكرمي بافريقية مما قاله بالأندلس وقد طولب بمكس يتولاه يهودي :

يا أهلَ دانيةٍ لقد خالفتمُ … حكمَ الشريعةِ والمروءةِ فينا
ما لي أراكم تأمرون بضدِّ ما … أَمَرَتْ تُرَى نَسَخَ الاله الدينا
كنا نطالِبُ لليهودِ بجزيةٍ … وأرى اليهودَ بجزيةٍ طلبونا
ما إن سمعنا مالكاً أفتى بذا … كلَّا ولا من بعده سحنونا
لا هؤلاء ولا الأئمة كلّهم … حاشاهمُ بالمكس قد أمرونا
أيحوزُ مثلي أنْ يُمَكَّسَ عدله[1] … لو كان يَعْدِلُ وَزْنُهُ قاعونا[2]
ولقد رجونا أن ننال بعدلكم … رفداً يكون على الزمان معينا
فالآن نقنعُ بالسلامة منكمُ … لا تأخذوا منا ولا تعطونا

- 416 -

حفصة بنت الحاج الركوني : شاعرة أديبة من أهل غرناطة مشهورة بالحسب والأدب والجمال والمال ، جيدة البديهة رقيقة الشعر أستاذة وليت تعليمَ النساءِ في دار المنصور [حفيد] أميرِ المؤمنين عبد المؤمن بن علي ، وسألها يوماً أن تنشده فقالت ارتجالاً :

يا سيدَ الناسِ يا مَنْ … يؤمِّلُ الناسُ رِفْدَهْ

---

416 ـ ترجمة حفصة في تحفة القادم: 240 والمقتضب من تحفة القادم: 167 والتكملة رقم 2891 وصلة الصلة: 278 والمغرب 2: 138، 166 ورايات المبرزين: 61 ونفح الطيب (انظر فهرسته) والمطرب: 10 والاحاطة 1: 499 ونزهة الجلساء: 32 والوافي 13: 107 والركونية نسبة إلى قرية ركونة وهي من عمل البَشُرَّاتَ . (ترجمة حفصة تقع في معجم الشعراء) .

(1) معجم السفر : ما واجب مثلي يمكس عدله .
(2) قاعون : جبل شاهق عند دانية .

امــــنْ عــلي بــطرسٍ يــكــونُ لــلدهــرِ عــده
تــخطّ يــمــنــاك فــيــه « الــحــمــدُ لــلّه وحــده »

أشارت بذلك إلى العلامة السلطانية ، فإن السلطان كان يكتب بيده في رأس المنشور بخط غليظ « الحمد للّه وحده » فمنَّ عليها وكتب لها بيده ما طلبت .

وتولع بها [عثمان بن][(1)] أمير المؤمنين عبد المؤمن المذكور وتغير بسببها على أبي جعفر أحمد بن عبد الملك بن سعيد العنسي ، وكان عاشقاً لها متصلاً بها يتبادلان رسائل الغرام ويتجاوبان تجاوُبَ الحمام ، وقد أدى [عثمان بن] عبد المؤمن ولعه بها إلى قَتْلِ أبي جعفر .

ومما كتبته حفصة إلى أبي جعفر :

رأستَ فما زال العُداةُ بظلمهم وحقدهم النامي يقولون لِمْ رَأَسْ
وهل منكرٌ أنْ سادَ أهلَ زمانه جموحٌ إلى العليا نقيٌّ من الدنَسْ

وبات معها أبو جعفر في بستانٍ بحوز مؤمل فلما حان وقت التفرق قال :

رَعَى اللّه ليلاً لم يَرُعْ بمذممٍ عشيةَ وارانا بحوزِ مؤمَّلِ
وقد خفقتْ من نحو نجدٍ أريجةٌ إذا نفحتْ جاءتْ بريا القرنفلِ
وغرَّدَ قمريٌّ على الدوح وانثنى قضيبٌ من الريحان من فوق جدولِ
يرى الروضَ مسروراً بما قد بدا له عناقٌ وضمٌّ وارتشافُ مقبَّلِ

فقالت :

لعمرك ما سُرَّ الرياضُ بوصلنا ولكنه أبدى لنا الغلَّ والحسدْ
ولا صفَّق النهرُ ارتياحاً لقربنا ولا غرَّد القمريُّ إلا لما وجدْ
فلا تحسنِ الظنَّ الذي أنت أهله فما هُوَ في كلِّ المواطنِ بالرَّشَدْ
فما خلتُ هذا الأفقَ أبدى نجومَهُ لأمرٍ سوى كيما تكونَ لنا رصدْ

(1) هذه الزيادة ضرورية ؛ وكان عثمان بن عبد المؤمن والياً على غرناطة، حينئذ ، وكان أبو جعفر ابن سعيد (عم ابن سعيد أبي الحسن مؤلف المغرب) وزيراً له ، وكان عثمان أسود اللون ، فبلغه أن أبا جعفر قال لحفصة : ما تحبين في ذلك الأسود وأنا أقدر أشتري لك من السوق بعشرين ديناراً خيراً منه (المغرب 2 : 164) .

وقالت :

سلوا البارقَ الخفَّاقَ والليلُ ساكنٌ   أظَلُّ بأحبابي يذكّرني وهنا
لعمري لقد أهدى لقلبي خفوقَهُ   وأمطر كالمنهلِّ من مزنه الجفنا

وبلغها أن أبا جعفر ابن سعيد عَلِقَ بجاريةٍ سوداء فأقام معها أياماً فكتبت إليه :

يا أظرفَ الناسِ قبلَ حالٍ   أوقعه وسطه القدرْ
عشقتَ سوداءَ مثلَ ليلٍ   بدائعَ الحسنِ قد سترْ
لا يظهر البشرُ في دجاها   كلا ولا يُبْصَرُ الخفرْ
بالله قلْ لي وأنت أدرى   بكلٍّ من هامَ في الصورْ
من الذي حبَّ قبلُ روضاً   لا نور فيه ولا زهرْ

فكتب إليها معتذراً :

لا حُكْمَ إلا لأمرِ ناهٍ   له من الذنب يُعْتَذَرْ
له محيا به حياتي   أُعِيذُ مَجْلاهُ بالسُّوَرْ
كضحوةِ العيد في ابتهاجٍ   وطلعةِ الشمسِ والقمرْ
بسعده لم أمِلْ إليه   إلا طريفاً له خبرْ
عدمتُ صبحي فاسودَّ عشقي   وانعكسَ الفكرُ والنظرْ
إنْ لم تلحْ يا نعيمَ روحي   فكيف لا تَفْسُدُ الفِكَرْ

وكتبت إلى بعض أصحابها :

أزوركَ أم تزورُ فإن قلبي   إلى ما تشتهي أبداً يميلُ
فثغري موردٌ عذبٌ زلالٌ   وفرعُ ذؤابتي ظلٌّ ظليلُ
وهل تخشى بأن تظمَا وَتَضْحَى   إذا وافى إليك بيَ المقيلُ
فعجِّلْ بالجواب فما جميلٌ   إباؤك عن بثينةَ يا جميلُ

وكان أبو جعفر ابن سعيد يوماً في منزله وقد خلا ببعض أصحابه وجلسائه ، فَضُرِبَ الباب فخرجت جاريته تنظر من بالباب ، فوجدت امرأة فقالت لها : ما تريدين ؟ فقالت : ادفعي لسيدك هذه البطاقة ، فإذا فيها :

زائــرٌ قــد أتى بجيــدِ غــزالِ طــامعٌ من محبِّــهِ بـالــوصـالِ
بلحـاظٍ من سحـرِ بـابـلَ صيغت ورضــابٍ يفــوقُ بنتَ الــدوالي
يفضـحُ الوردَ مـا حوى منـه خدٌّ وكــذا الثغــرُ فــاضــحٌ لــلآلي
أتــراكـم بــاذنكـم مـسـعـفيــه أم لكم شــاغــلٌ من الأشغــالِ

فما قرأ الرقعة قال : وربِّ الكعبة ما صاحب هذه الرقعة إلا حفصة ، فبادر إلى الباب فلم يجدها ، فكتب إليها :

أيُّ شغــلٍ عن المحبِّ يعــوقُ يـا صباحـاً قد آن منه الشـروقُ
صـلْ وواصلْ فـأنت أشهى إلينـا من لـذيـذِ المنى فكم ذا نشـوقُ
لا وحبيــك لا يــطيـبُ صَبُــوحٌ غبتَ عنــه ولا يــطيبُ غَبــوقُ
لا وذلِّ الجفــا وعــزِّ التــلاقي واجتمــاعٍ إلـيــه عــزَّ الــطريقُ

وقالت :

أغــار عليــكَ من عينـي وقلبـي ومنــكَ ومن زمـانــك والمكـانِ
ولــو أني جعلتــك في عيــوني إلى يــومِ القيـامــةِ مـا كفــاني

ماتت حفصة بمراكش سنة ست وثمانين وخمسمائة .

- 417 -

حفصويه : من أفاضل كتاب الخراج وهو أول من صنف في الخراج.

- 418 -

الحكم بن عبدل بن جبلة بن عمرو بن ثعلبة بن عقال بن بلال بن سعد بن

---

417 ـ من المختصر ؛ وذكر ابن النديم حفصويه (ص: 150) وقال إنه كان جد عبد العزيز الشاعر العسجدي من قبل أمه ، وكان متقدماً في صناعة الخراج وله إلى جانب كتاب الخراج ، كتاب الرسائل .

418 ـ ترجمة الحكم بن عبدل في الأغاني 2: 360 والسمط: 899 ومصورة ابن عساكر 5: 208 وتهذيب ابن عساكر 4: 399 ومختصر ابن منظور 7: 219 والمؤتلف والمختلف: 242 والوافي 13: 114 =

حبال بن نصر بن غاضرة، وينتهي نسبه إلى خزيمة بن مدركة الأسدي الغاضري[1] الكوفي : شاعر مجيدٌ هجّاء من شعراءِ الدولة الأموية ، كان ممن نفاه ابنُ الزبير من العراق كما نفى منها عُمّالَ بني أميـة ، فقدم دمشقَ ونـال من عبد الملك بن مـروان حظوة ، فكان يدخل عليه ويسمر عنده ، فقال ليلة لعبد الملك[2] :

يـا ليتَ شِعْري وليتُ ربَّمـا نفعت — هل أبصرنَّ بني العـوام قد شُمِلوا
بـالـذلِّ والأَسْــرِ والتشـريـدِ إنهمُ — على البـريـة حَتْفُ حيثمـا نـزلــوا
أم هـل أراكَ بأكنـافِ العراقِ وقـد — ذَلَّـتْ لعــزك أقــوامٌ وقــد نـكلوا

فقال عبد الملك :

إن يمكنِ اللّهُ من قيسٍ ومن جُرَشٍ[3] — ومن جـذامَ ويقتـلْ صــاحبُ الحـرمِ
تُضْــرَبْ جمـاجمُ أقــوامٍ على حَنَقٍ — ضــربــاً يُنَكِّــلُ عنَّــا غــابــرَ الأممِ

ودخل[4] يوماً على عبد الملك فقعد بين السماطين وقال : أصلح اللّه الأمير رؤيا رأيتها بالمنام أقصُّها عليكَ ؟ فقال : هاتِ ، فأنشأ يقول :

طلعتْ عليَّ الشمسِ بعد غضارةٍ — في نـومـةٍ مـا كنتُ قبـلُ أنـامهـا
فـرأيتُ أنـك جُـدْتَ لي بـوليـدةٍ — مغنــوجــةٍ حَسَنٍ علي قيــامهــا
وبـبـــدرةٍ حُـمِـلَتْ إلـيَّ وبـغـلةٍ — شهبـاءَ نـاجيـةٍ يصـلُّ لجــامهـا
فســألتُ ربّي أن يثيبَــكَ جَـنَّــةً — يلقـاك فيهـا رَوْحُهــا وسـلامهــا

فقال : كلُّ ما رأيتَ عندنا إلا البغلة فإنها دهماء فارهة ، فقال : امرأته طالق إن

= والفوات 1 : 390 وقد وردت له ترجمة في ابن خلكان 2 : 201 وهي ليست من شرط ابن خلكان لأنه لا يعرف سنة وفاته ؛ وورود ترجمته في معجم الأدباء مستغرب ، فإنه بمعجم الشعراء أليق) .

(1) م : الفاخري .
(2) الأغاني 2 : 375 .
(3) الأغاني : جدس .
(4) الأغاني 2 : 363 وعبد الملك هو ابن بشر بن مروان ، وفي رواية الأبيات بعض الاختلاف ، كما أن في القصة اختلافاً كذلك .

كان رآها إلا دهماء ولكنّه نسي ، فأمر عبد الملك أن يُحْمَلَ إليه كلُّ ما ذكره في شعره .

ودخل[1] ابن عبدل على محمد بن حسان بن سعد وكان على خراج الكوفة ، فكلمه في رجل من العرب أن يضعَ عنه ثلاثين درهماً من خراجه ، فقال محمد بن حسان : أماتني اللّه إن كنت أَقْدِرُ أن أضعَ من خَراجِ أميرِ المؤمنين شيئاً ، فانصرف ابن عبدل وهو يقول :

دَعِ الثلاثينَ لا تَعْرِضْ لصاحبها ... لا باركَ اللّه في تلك الثلاثينا
لما علا صوتُهُ في الدارِ مبتكراً ... كأشتفانٍ[2] يرى قوماً يدوسونا
أَحْسِنْ فانَكَ قد أُعْطِيتَ مملكةً ... إمارةً صرتَ فيها اليوم مفتونا
لا يُعْطِكَ اللّه خيراً مثلَها أبداً ... أقسمتُ باللّه إلا قلتَ آمينا

فلم يضعْ من خراج الرجل شيئاً فقال ابن عبدل فيه :

رأيتُ محمداً شَرِهاً ظلوماً ... وكنتُ أراهُ ذا وَرَعٍ وقَصْدِ
يقولُ أماتني ربّي خداعاً ... أماتَ اللّه حسانَ بنَ سعدِ
ركبتُ إليه في رجلٍ أتاني ... كريمٍ يبتغي المعروفَ عندي
فقلتُ له وبعضُ القول نصحٌ ... ومنه ما أُسِرُّ له وأبدي
توقَّ كرائمَ البكريِّ إني ... أخافُ عليك عاقبةَ التعدّي
فما صادفتَ في قحطانَ مثلي ... ولا صادفتُ مثلَكَ في معدّ
أقلَّ براعةً وأشدَّ بخلاً ... وألأمَ عندَ مسألةٍ وحمدِ
فَقَدْتُ محمداً ودخسانَ فيه ... كريح الجَعْرِ فوق عَطينِ جلدِ[3]
فأقسمُ غيرَ مُسْتَثْنٍ يميناً ... أبا بَخْرٍ لتَتَّخِمَنَّ ردّي
فلو كنتَ المهذبَ من تميمٍ ... لخفتَ ملامتي وَرَجَوْتَ حمدي

---

(1) الأغاني 2 : 367 ـ 368 .

(2) اشتفان : (بهامش م) كلمة يونانية وفارسية معناها : تاج .

(3) الجعر : بخر ذوات المخالب ؛ العطين : المنتن .

نكهتَ عليَّ نكهةَ أخدريٍّ ... شتيمٍ أعْصَلِ الأنْيابِ وَرْدِ[1]
فما يدنو إلى فمِهِ ذبابٌ ... ولو طُلِيَتْ مشافرُهُ بِقَنْدِ[2]
فإن أهديتَ لي من فيك حتفاً ... فإني كالذي أهديتَ مُهدي
ولولا ما وليتَ لكنتَ فَسْلاً ... لئيمَ الكَسْبِ شأنُكَ شأنُ عبدِ

وخطب[3] محمد بن حسان هذا بنتاً لِطَلِبَةَ بن قيس بن عاصم المنقريّ فقال ابن عبدل :

لعمريَ ما زوجتها لكفاءة ... ولكنما زوجتها للدراهم[4]
وما كان حسّان بن سعدٍ ولا ابنه ... أبو البخر[5] من أكفاء قيس بن عاصم
ولكنه رُدَّ الزمان على استِهِ ... وَضُيِّعَ أمرُ المحصَناتِ الكرائم
له ريقةٌ بخراءُ تَصْرَعُ مَنْ دنا ... وَتُنتِنُ خيشومَ الضجيعِ الملازم
خذي ديةً منه تكوني غنيةً ... وروحي[6] إلى باب الأمير فخاصمي

وكان بالكوفة[7] امرأة موسرةٌ لها على الناس ديون كثيرةٌ بالسواد ، فأتت الحكم بن عبدل وعرَّضتْ له بأنها تتزوجه إذا اقتضى لها ديونها ، فقام ابن عبدل بدينها حتى اقتضاه ، ثم طالبها بالوفاء فكتبت إليه :

سيخطيكَ الذي حاولتَ مني ... فقطِّعْ حَبْلَ وصلك من حبالي
كما أخطاك معروفُ ابن بشرٍ ... وكنتَ تعدُّ ذلك رأسَ مالِ

---

(1) الأخدري : الأسد ؛ الشتيم : العبوس ؛ الأعصل : المعوج الأنياب ، ورد : أحمر .
(2) القند : العسل من قصب السكر .
(3) الأغاني 2 : 364 .
(4) رواية الأغاني :
أباع زياد سود الله وجهه ... عقيلة قوم سادة بالدراهم
(5) الأغاني : أبو المسك .
(6) الأغاني : تكن لك عدة وجيئي .
(7) الأغاني 2 : 370 .

وكان ابن عبدل يأتي ابنَ بشر بن مروان بالكوفة فيسأله ، فيقول له : أخمسمائة أحبُّ إليكَ العامَ أم ألفُ في قابل ؟ فيقول : ألف في قابل ، فإذا أتاه من قابل قال له : ألفُ أحبّ إليك العامَ أم الفان في قابل ؟ فيقول : ألفان فلم يزل كذلك حتى مات ابن بشر ولم يعطه شيئاً .

فدخل ابن عبدل على عبد الملك بن مروان[1] بعد ما جرى مع المرأة فقال له عبد الملك : ما أحدثتَ بعدي ؟ قال : خطبتُ امرأة من قومي فردَّت عليَّ بيتي شعر ، قال : وما هما ؟ قال قالت : سيخطيك الذي حاولتَ مني . . . البيتان ، فضحك عبد الملك وقال له : لحاكَ اللّه أذكرتَ[2] بنفسك وأمر له بألفي درهم .

وعن ابن الكلبي[3] قال كان الحكم بن عبدل منقطعاً إلى بشر بن مروان ، وكان يأنسُ به ويقربه ، وأخرجه معه إلى البصرة لما وليها ، فرأى منه الحكم جفاءً لشغلٍ عَرَضَ له فانقطع عنه شهراً ثم أتاه ، فلما دخل عليه قال له بشر : يا ابنَ عبدل ما لك انقطعت عنا وقد كنت لنا زواراً ؟ فقال ابن عبدل :

كنتُ أُثني عليكَ خيراً فلما أضمرَ القلبُ من نوالكَ ياسا
كنت ذا منصب قنيت حيائي لم أقلْ غيرَ أن هجرتك باسا
لم أُطِقْ ما أردتَ بي يا ابنَ مروا ن ستلقى إذا أردتَ أناسا
يقبلونَ الخسيسَ منكَ ويثنو ن ثناءً مدخمساً دخماسا[4]

فقال له : لا نسومك الخسيسَ ولا نريدُ منك ثناءً مدخمساً ، ووصله وكساه .

ولما مات بشر جزع عليه ابنُ عبدل فقال يرثيه[5] :

أصبحتُ جمَّ بلابلِ الصدرِ متعجباً لتصرُّفِ الدهرِ
ما زلتُ أطلبُ في البلاد فتًى ليكونَ لي ذخراً من الذخرِ

(1) الأغاني : عبد الملك بن بشر (بن مروان) .
(2) الأغاني : لجاد ما أذكرت .
(3) الأغاني 2 : 371 .
(4) مدخمس : غير جاد .
(5) الأغاني 2 : 374 .

ويظلّ يسعدني وأُسعدُهُ   في كلِّ نائبةٍ من الأمرِ
حتى إذا ظفرتْ يدايَ به   جاء القضاءُ بحينه يجري
إني لفي هَمٍّ يباكرني   منهُ وهمٍّ طارقٍ يسري
فلأصبرنَّ وما رأيتُ دوا   للهمِّ غيرَ عزيمةِ الصبرِ
واللّه ما استعظمتُ فرقته   حتى أحاط بفضله خُبري

وعن النضر بن شميل قال : دخلتُ على أمير المؤمنين المأمون بمرو فقال أنشدني أقنعَ بيتٍ للعرب ، فأنشدته قول الحكم بن عبدل[1] :

إني امرؤ لم أزل وذاك من اللّـ   ـه أديباً أعلّمُ الأدبا
أقيمُ بالدارِ ما اطمأنتْ بيَ الـ   ـدارُ وإن كنتُ نازعاً طربا
لا أجتوي خُلَّةَ الصديقِ ولا   أُتبعُ نفسي شيئاً إذا ذهبا
أطلبُ ما يطلب الكريمُ من الـ   ـرزق بنفسي وأُجْمِلُ الطلبا
وأحلبُ الثَّرَّةَ الصفيَّ ولا   أُجْهِدُ أخلافَ غيرِها حَلَبا
إني رأيتُ الفتى الكريمَ إذا   رغَّبتَهُ في صنيعةٍ رغبا
والعبدُ لا يُحْسِنُ العطاءَ ولا   يعطيكَ شيئاً إلا إذا رهبا
مثل الحمار المعقب[2] السَّوْءِ لا   يُحْسِنُ مشياً إلا إذا ضربا
ولم أجدْ عزةَ الخلائق إلـ   ـا الدينَ لما اعتبرتُ والحسبا
قد يُرْزَقُ الخافضُ المقيمُ وما   شَدّ لعيسٍ رحلاً ولا قتبا
ويحرمُ الرزقَ ذو المطيةِ والـ   ـرحلِ وَمَنْ لا يزال مغتربا

وكان الحكم بن عبدل أعرج فدخل على عبد الحميد بن عبد الرحمن بن زيد بن الخطاب وهو أعرج أيضاً ، وكان صاحب شُرَطِهِ أعرج كذلك ، فقال[3] :

ألقِ العصا وَدَعِ التخامع[4] والتمسْ   عَمَلاً فهذي دولةُ العرجانِ

---

(1) الأغاني 16 : 154 .
(2) الأغاني : الموقع .
(3) الأغاني 2 : 362 .
(4) م : التخادع .

لأميرنا وأميرِ شرطتنا معاً ... لكليهما يا قومنا رِجْلانِ

فإذا يكونُ أميرنا ووزيرنا ... وأنا فجيء بالرابعِ الشيطانِ

وقال في بشر بن مروان :

ولو شاء بشرٌ كان من دون بابه ... طماطم سودٌ أو صقالبةٌ حُمرُ

ولكنَّ بشراً سهَّل الباب للتي ... يكونُ لبشرٍ بعدها الحمدُ والأجرُ

بعيدُ مَرادِ العينِ ما ردَّ طرفَه ... حذارَ الغواشي بابُ دارٍ ولا سترُ

- 419 -

الحكم بن معمر بن قنبر بن جحاش بن سلمة بن ثعلبة بن مالك بن طريف بن محارب الخضري : شاعر إسلامي ، وكان مع تقدمه في الشعر سَجَّاعاً كثيرَ السجع ، وكان هجَّاءً خبيثَ اللسان ، وكان بينه وبين الرمَّاح بن أبرد المعروف بابن ميادة مهاجاةٌ ومواقفُ كان الغَلَبُ في أكثرها على الرماح ، فتهاجيا زماناً طويلاً ، ثم كفَّ ابنُ ميَّادةَ وسأله الصلح فصالحه الحكم .

وكان[1] أول ما بدأ الهجاء بينهما أن ابنَ ميادة مرَّ بالحكم وهو ينشد في مصلى النبي ﷺ في جماعة من الناس قوله :

لمن الديارُ كأنها لم تُعْمَرِ ... بين الكناسِ وبين بُرْقِ مُحَجَّرِ

حتى انتهى إلى قوله :

يا صاحبيَّ ألم تشيما بارقاً ... نُضِحَ المزار[2] به فَهَضْبُ المنحَرِ

---

419 - ترجمة الحكم الخضري مما أخذ من معجم الشعراء وأدخل في معجم الأدباء ، وانظر مصورة ابن عساكر 5 : 220 وتهذيب ابن عساكر 4 : 407 ومختصر ابن منظور 7 : 228 والأغاني 2 : 248 (في ترجمة ابن ميادة) والوافي 13 : 125 .

(1) الأغاني 2 : 248 .

(2) الأغاني : الصراد (وفي رواية : المزاد) .

قـد بتُّ أرقبـه وبـات مُصَعِّـداً نَهْضَ المقيَّد في الدَّهاسِ الموقرِ(1)

فقال له ابن ميادة : ارفعْ إليَّ رأسك أيها المنشد ، فرفع الحكم إليه رأسه فقال له : من أنت ؟ قال : أنا الحكم بن مَعْمَرٍ الخضري ، قال : فوالله ما أنت في بيتِ حَسَبٍ ولا في أرومة شعر(2) فقال له الحكم : وماذا عبتَ من شعري ؟ قال : عبتُ أنك أدهستَ وأوقرت ، قال له الحكم : ومن أنت ؟ قال : أنا ابن ميادة ، قال : ويحك فلم رغبتَ عن أبيك وانتسبت إلى أمك ، قبح الله والدين خيرهما ميادة ، أما والله لو وجدتَ في أبيك خيراً ما انتسبت إلى أمك راعيةِ الضأن ، وأما إدهاسي وإيقاري فإني لم آتِ خيبر إلّا ممتاراً لا متحاملاً(3) ، وما عدوت أن حكيتَ حالك وحالَ قومك ، فلو سكتَّ عن هذا كان خيراً لك وأبقى عليك ، فلم يفترقا إلا عن هجاء .

وقال الحكم يهجو أم جحدر بنت حسان المرية وكانت فضلت ابن ميادة عليه(4) :

ألا عـوقبت(5) في قبرهـا أم جَحْدَرٍ ولا لقيتْ إلا الكلاليبَ والجمـرا
كما حـادثتْ عَبْـداً لئيمـاً وخلتُـهُ من الـزاد إلا حَشْـوَ رَيْـطَاتِـهِ صِفْـرا
فيـا لَيتَ شعـري هـل رأتْ أمُّ جحـدرٍ أكشّـكَ أو ذاقتْ مغـابِنَـكَ القشـرا(6)
وهـل أبصـرتْ أرسـاغَ أبـردَ أو رأتْ قفـا أمِّ رمَّـاحٍ إذا مـا استقت ذَفْـرا(7)
وبـالغَمْـرِ قـد صَـرَّتْ لِقـاحـاً وحـادثتْ عبيـداً فسلْ عن ذاك زَبَّـانَ والغَمْـرا(8)

---

(1) يريد نهض الجمل المقيد الموقر (المحمل) في الدهاس وهي الأرض السهلة اللينة .

(2) م : الشعر .

(3) م : لا ممتاراً ولا متحاملاً ؛ والممتار الذي يجلب الميرة ، والمتحامل : الذي يحمل للناس بأجر .

(4) الأغاني 2 : 252 .

(5) الأغاني : لا عوفيت .

(6) أكشك : هكذا ورد ، ولعل صوابه : كـبِّك يعني لحمه المتغير الرائحة ؛ أو نثيثك وهو رشح السقاء ، ويعني هنا رشح عرقه . والمغابن : الأرفاغ والآباط ؛ القشرا : التي انقشر عنها جلدها .

(7) الذفر بفتح الفاء وسكنه هنا للشعر : الصنان وخبث الرائحة .

(8) يريد أنها أمة تصر أضراع النوق ؛ وتختلط بالعبيد من أمثالها ، وفي الأغاني : نيَّان فالغمرا .

ومما قاله الحكم في ابن ميادة[1] :

خليليَّ عوجا حيّيا الدارَ بالجفرِ وقولا لها سَقْياً لِعَصْرِكِ من عَصْرِ
وماذا تحيّي من رسومٍ تلاعبتْ بها حَرْجَفٌ تذري بأذيالها الكُدْرِ
إذا يبستْ عيدانُ قومٍ وجدتنا وعيداننا تُغْشَى على الورق الخضرِ
إذا الناسُ جاءوا بالقروم أتيتهم بقرمٍ يساوي رأسُهُ غرَّةَ البدرِ
لنا الغَوْرُ والأنجادُ والخيلُ والقنا عليكم وأيامُ المكارم والفخرِ
فيا مُرَّ قد أخزاك في كلِّ موطنٍ من اللؤم خلّاتٌ يزدن على العشرِ
فمنهنَّ أن العبدَ حامي ذماركم وبئس المحامي العبدُ عن حَوْزَةِ الثغرِ
ومنهن أن لم تمسحوا وَجْهَ سابقٍ جوادٍ ولم تأتوا حَصَاناً على طهرِ
ومنهن أن الميتَ يُدفَنُ منكمُ فيفسو على دُفّانِهِ وهو في القبرِ
ومنهن أن الجارَ يسكنُ وسطكم بريئاً فَيُرْمَى بالخيانة والغدرِ
ومنهن أن عُذْتُمْ بأرقطَ كَوْدنٍ وبئس المحامي أنت يا ضَرْطَةَ الجفرِ[2]
ومنهن أن الشيخَ يوجدُ منكمُ يدبُّ إلى الجارات محدودبَ الظهرِ
تبيت ضبابُ الضغن يُخْشَى احتراشُها وان هي أمستْ دونها ساحلُ البحرِ

ـ 420 ـ

الحكم بن موسى السلولي: هو أبو يزيد الحكم بن موسى بن الحسين بن يزيد السلولي الكوفي أحد الرواة .

420 ـ من المختصر .

(1) الأغاني 2 : 262 وقد وضح الأصفهاني أن ما يورده منتخب وليس قصيدة بكاملها .
(2) الكودن : البرذون : الجفر : ولد المعزى ، وذلك يعني أنه مثال الهوان .

- 421 -

أبو الحكم ابن غلندو الاشبيلي : وُلد باشبيلية وبها نشأ ، وكان أديباً شاعراً جيد الشعر متفنناً متميزاً بصناعة الطب ، خدم بها المنصور [حفيد] أمير المؤمنين عبد المؤمن بن علي(١) فحظي عنده وَقُدِّم ، وكان أبوه أيضاً في خدمةِ أبي يعقوب والد المنصور . وكان أبو الحكم حَسَنَ الخطِّ يكتبُ الخطين الأندلسي والمشرقي ، وتوفي بمراكش سنة سبع وثمانين وخمسمائة ومن شعره :

ماستْ فأَزْرَتْ بالغصونِ الميَّسِ ... وأتتك تخطُرُ في غلالةِ سندسِ
وتبرجَتْ جنحَ الظلامِ كأنها ... شمسٌ تجلت في دياجي الحندسِ
تختالُ بين لِداتِها فتخالها ... بدراً بدا بين الجواري الكُنَّسِ
أَرِجَتْ برياها الصَّبا فَتَضَوَّعَتْ ... أنفاسُها والصبحُ لم يتنفَّسِ
وسرتْ إلينا في مُلاءَةِ سُنْدُسٍ ... بترفُّلٍ وتدلّلٍ وتبهنسِ
وتزلفت والليل مسبلُ جنحِهِ ... والجوُّ داجٍ من ظلام الحندسِ

وله :

لئن غبتَ عن عيني وشطَّ بك النوى ... فأنت بقلبي حاضرٌ وقريبُ
خيالك في وهمي وذكرك في فمي ... ومثواك في قلبي فأين تغيبُ

421 - ترجمة ابن غلندو في تحفة القادم: 94 والمقتضب من تحفة القادم: 71 والتكملة: 937 ونفح الطيب 3 : 597 وعيون الانباء 2 : 597 ويكتب أيضاً « غلندُهْ » وسمّاه صاحب التحفة « عبيد اللّه بن علي بن غلنده » وذكر أنه ولد بسرقسطة ونشأ باشبيلية - وهو مخالف لما يقوله ياقوت ، وجعل وفاته سنة 581 .

(١) م : سعيد (وهو خطأ) .

ـ 422 ـ

حكيم بن عياش المعروف بالأعور الكلبي : شاعر مجيد ، كان منقطعاً إلى بني أمية بدمشق وسكن المزّة بها ثم انتقل إلى الكوفة ، وكان بينه وبين الكميت بن زيد مفاخرة[1] . وقدم أسامة خال الأعور على معاوية فقال له : اختر لكَ منزلاً ، فاختار المزّة واقتطع فيها هو وعترته ، فقال الأعور :

إذا ذُكِرَتْ أرضٌ لقومٍ بنعمةٍ ... فبلدةُ قومي تزدهي وتطيبُ
بها الدينُ والإفضالُ والخيرُ والندى ... فمن ينتجعها للرشادِ يُصيبُ
ومن ينتجعْ أرضاً سواها فإنه ... سيندمُ يوماً بعدها ويخيبُ
تأتّى بها خالي أسامةُ منزلاً ... وكان لخير العالمين حبيبُ
حبيبُ رسولِ اللّه وابنُ رديفه ... له ألفةٌ معروفةٌ ونصيبُ
فأسْكَنَها كلباً فأضحتْ بليدةً ... لنا منزلٌ رحبُ الجنابِ خصيبُ
فنصفٌ على بَرٍّ فسيحٍ رحابُهُ ... ونصفٌ على بحرٍ أغرَّ يطيبُ

وكان الأعور يتعصّب لليمن على مضر فقال[2] :

ما سرَّني أن أمّي من بني أَسَدٍ ... وأن ربيَ نجّاني من النارِ
وأنهم زوجوني من بناتهمُ ... وأنَّ لي كلَّ يوم أَلفَ دينارِ

وجاء رجل إلى عبد الله بن جعفر فقال له : يا ابنَ رسول اللّه هذا حكيم الكلبي يُنشدُ الناسَ هجاءكم بالكوفة ، فقال : هل حفظت منه شيئاً ؟ قال : نعم ، وأنشده[3] :

---

422 ـ ترجمته في مصورة ابن عساكر 5 : 268 وتهذيب ابن عساكر 4 : 425 ومختصر ابن منظور 7 : 240 والوافي 13 : 131 وياقوت يتابع ابن عساكر في هذه الترجمة ، وهي أدخل في معجم الشعراء .

(1) انظر الأغاني 16 : 341 ، 356 حيث ذكر أن الأعور الكلبي هو الذي بدأ بهجاء القيسية ، فردّ عليه الكميت بقصيدته « ألا حييت عنا يا مدينا » في ثلاثمائة بيت ، ولجَّ الهجاء بينهما .

(2) ورد البيتان أيضاً في الأغاني 16 : 357 .

(3) انظر البصائر 8 : 16 (رقم : 12) وشرح النهج 15 : 238 .

صلبنـا لكم زيداً على جـذعِ نخلةٍ ... ولم نَـرَ مهديـاً على الجـذع يُصْلَبُ
وقستـمْ بعـثـمـانٍ عـليـاً سفـاهـةً ... وعـثمـانُ خـيـرٌ من عـليّ وأطيـبُ

فرفع عبد الله يديه إلى السماء وهما تنتفضان رعدةً فقال : اللهم إن كان كاذباً فسلِّطْ عليه كلباً ؛ فخرج حكيم منَ الكوفة فأدلج فافترسه الأسد فأكله ، وأتى البشير عبد الله وهو في مسجد رسول اللّه ﷺ فخرَّ للّه تعالى ساجداً وقال : الحَمْدُ للّه الَّذي صَدَقَنَا وَعْدَهُ .

ـ 423 ـ

حماد بن إسحاق بن إبـراهيم الموصلي أبـو الفضل : [كـان] أديباً راويـة فاضلاً ، شارك أباه إسحاق في كثير من سماعاته ، وسمع من أبي عبيدة والأصمعي . وألف كتباً كثيرة في الأدب . وأصابه في آخر عمره صمم ، ومات [ ] وكان يلقب بالبارد ، لأنه كان يجالس أباه ، وكان أبوه كالنار الموقدة ، ولم يكن كذلك ، ولم يكن بعد أبيه من أهله مثله .

ـ 424 ـ

حماد بن عمر بن يونس بن كليب الكوفي المعروف بحماد عجرد ، مولى بني سواءة بن عامر بن صعصعة : شاعر مجيد من طبقة بشار ، وكان بينهما مهاجاة ، وهو أحدُ الحمادين الثلاثة. قال إبراهيم العامري : كان بالكوفة ثلاثـةُ نَفَرٍ يقـال لهم

---

423 ـ ترجمته في المختصر والفهرست : 159 ـ 160 (وترك تاريخ وفاته بياضاً) وعدَّ له كتباً كثيرة منها كتاب الأشربة . كتاب أخبار الحطيئة . كتاب أخبار ذي الرمة . كتاب مختار غناء جده إبراهيم . كتاب أخبار رؤبة . كتاب أخبار عبيد اللّه بن قيس الرقيات . كتـاب الندامى ؛ وتختلط أخبـاره بأخبـار أبيه في الأغاني .

424 ـ ترجمة حماد عجرد (وهي دخيلة هنا ويجب أن تكون في معجم الشعـراء) وردت في طبقات ابن المعتـز : 67 والشعـر والشعـراء : 663 والمؤتلف والمختلف : 157 وأنسـاب الاشـراف 3 : 180 والأغاني 14 : 304 وتاريخ بغداد 8 : 148 ومصورة ابن عساكر 5 : 273 وتهذيب ابن عساكر 4 : 427 وسير الذهبي 7 : 156 وأمالي المرتضى 1 : 133 وابن خلكان 2 : 210 والوافي 13 : 142 وروضات الجنات 3 : 248 .

الحمادون : حماد عجرد وحماد الراوية وحماد بن الزبرقان يتنادمون ويتعاشرون معاشرةً جميلة ويتناشدون الأشعار ، وكانوا كأنهم نفسٌ واحدة ، وكانوا يُرْمَوْنَ بالزندقة جميعاً .

وحماد عجرد من مخضرمي الدولتين ، نادم الوليد بن يزيد ولم يشتهر إلا في الدولة العباسية ، قدم بغداد في أيام المهدي هو ومطيع بن إياس ويحيى بن زياد فاشتهروا بها . وكان حماد ماجناً ظريفاً متهماً في دينه ، وكان أحدُ الأئمةِ يَتَنَقَّصُهُ ، فلما بلغه ذلك كتب إليه[1] :

إنْ كـان نسكُـكَ لا يتـ ـمُّ بغيـر شتمي وانتقاصي
فـاقعـدْ وقمْ بي حيثُ شئـ ـتَ لدى الأداني والأقاصي
فـلطالـمـا زكَّـيتـنـي وأنا المقيمُ على المعاصي
أيـامَ تـأخـذهـا وتـعـ ـطي في أباريق الرصاصِ

وسبب تسميته بعجرد أن أعرابياً مرَّ به وهو غلام يلعبُ مع الصبيان في يوم شديد البرد وهو عريان ، فقال له الأعرابي : تعجردتَ يا غلام ، فسمي عجرداً ، والمتعجرد المتعري .

وكتب[2] أبو النضير الجمحي الشاعر إلى حماد يسأله عن حاله في الشراب ومن يعاشِرُ عليه ، فكتب إليه حماد :

أبـا النضيـر اسمـع كـلامي ولا تجعلْ سوى الإنصافِ في بالكـا
سـألتَ عن حالي ومـا حـالُ مَنْ لم يُلْفَ إلا عـابـداً نـاسكـا
يُـظْهِـرُ نسكـاً ومتى يفتـرصْ يـكـن عـليٌّ عـاديـاً فـاتـكـا

ومرض حماد فعاده أصدقاؤه جميعاً إلا مطيع بن إياس ، فكتب إليه حماد[3] :

كفـاكَ عيـادتي من كـان يـرجـو ثـوابَ اللّه في صلةِ المـريضِ

---

(1) الأغاني 14 : 316 وتهذيب ابن عساكر : 428 وقد صرَّح الأصفهاني أن المقصود هو أبو حنيفة الفقيه . وفي رواية أخرى أنه يحيى بن زياد .

(2) الأغاني 11 : 272 وقال إنه يعني (في البيت الثالث) حريث بن عمرو ، وكان حماد نزل عليه ، وكان حريث مشهوراً بالزندقة .

(3) الأغاني 14 : 335 .

فـإن تُحْـدِثْ لـكَ الأيـامُ سقمـاً يحـول جـريضُـهُ دون القـريضِ
يكنْ طـولُ التـأوُّهِ منـكَ عنـدي بمنـزلـة الـطنينِ من البعـوضِ

ومن شعر حماد عجرد[1] :

إني أحبّـكِ فـاعلمي إن لم تكوني تعلمينا
حـبـاً أقـلُّ قـليـلِهِ كجميـع حبِّ العالمينا

وقال[2] :

فأقسمتُ لو أصبحتَ في قبضـة الهوى لأقصرتَ عن لومي وأطنبتَ في عذري
ولكنْ بـلائـي منـك أنـك نـاصـحٌ وأنـك لا تـدري بـأنـك لا تـدري

وقال في أبي العباس الطوسي[3] :

أرجـوك بعـد أبي العبـاسِ إذ بـانـا يـا أكـرمَ النـاسِ أعـراقـاً وعيـدانـا
فـأنت أكـرمُ من يـمشـي على قـدمٍ وأنضـرُ الناسِ عنـد المحـلِ أغصـانـا
لـو مجَّ عـودٌ على قـومٍ عصـارتَـهُ لمـجَّ عـودك فينـا المسكَ والبـانـا

وكان بين حماد وبشار بن برد ومطيع بن إياس أهاج كثيرة أعرضنا عن ذكرها لما فيها من السخف والمجون.

وتوفي حماد عجرد بالبصرة سنة إحدى وستين ومائة في أصح الروايات .

ـ 425 ـ

حماد بن سلمة بن دينار الإمام أبو سلمة البصري : مولى بني تميم ، وهو

425 ـ ترجمة حماد بن سلمة في طبقات ابن سعد 7 : 282 والمعارف : 503 والمعرفة والتاريخ 2 : 193 ـ 204 ومراتب النحويين : 66 وأخبار النحويين البصريين : 60 والفهرست : 283 =

(1) تهذيب ابن عساكر 4 : 428 والأغاني 14 : 339 .
(2) الأغاني 14 : 345 وسير الذهبي 7 : 156 .
(3) الأغاني 14 : 303 وتهذيب ابن عساكر : 428 .

ابن أخت حميد الطويل شيخ أهل البصرة في الحديث والعربية والفقه وأخذ النحو عن الخليل ، وكان الخليل يجلس صحبة حماد بن زيد وجرير بن حازم وحماد بن سلمة ، وكان حماد بن زيد إذا أخذ نعلَهُ للقيام قال القوم : قد ضرب بالطبل ، فلا يجلسون . وحماد بن سلمة كان السبب في اشتغال سيبويه بالنحو وذلك أن سيبويه كان في أول أمره يطلب الحديث - أخذ عنه يونس بن حبيب النحوي ، وسئل أيما أسنّ أنت أو حماد فقال : حماد أسنُّ مني ومنه تعلمت العربية . فكان سيبويه يستملي على حماد فقال حماد : قال رسول اللّه ﷺ : « ما من أحد من أصحابي إلا من لو شئتُ لأخذتُ عنه علماً ليس أبا الدرداء » فقال سيبويه : ليس أبو الدرداء ، فقال له حماد : لحنت يا سيبويه ، ليس أبا الدرداء ، فقال : لا جرم لأطلبنَّ علماً لا تلحنني فيه أبداً ، فطلب النحو ولزم الخليل بن أحمد حتى بلغ منه ما بلغ . وجاء سيبويه الى حماد بن سلمة فقال له : أحدثك هشام بن عروة عن أبيه في رجل رُعِفَ في الصلاة ، فقال : أخطأت إنما هو رَعَفَ ، فانصرف إلى الخليل بن أحمد فشكا إليه ما لقيه من حماد فقال : صدق حماد ، ألمثل حماد يقال هذا ؟

وكان يقول من يطلب الحديث ولا يعرف النحو مثل الحمار عليه مخلاة ليس فيها شعير .

قال موسى بن اسماعيل المنقري قلت : لحماد بن سلمة أطال الله بقاءك ، فقال : مه ، هذه تحية الشباب ، ما أصنع بالبقاء يجيئني ويجيئني الدجال .

وقال : كنا إذا صرنا إلى حماد قبل أيدينا وقربنا ويقول : بأبي أنتم إذا غبتم عني فإنما أنا صبي ألعب مع الصبيان فإذا رأيتكم أحيا برؤيتكم .

حضر الأصمعي مجلسه فأدناه ورحب به ثم قال : كيف تنشد هذا البيت :

أولئك قوم إن بنوا أحسنوا البنا   وإن عاهدوا أوفوا وان عقدوا شدوا

وطبقات الزبيدي : 51 وحلية الأولياء 6 : 249 ونزهة الألباء : 26 وإنباه الرواة 1 : 329 وسير الذهبي 7 : 444 والعبر 1 : 248 وتذكرة الحفاظ 1 : 202 وميزان الاعتدال 1 : 590 وطبقات ابن الجزري 1 : 258 والوافي 13 : 145 والبلغة : 73 وتهذيب التهذيب 3 : 11 وبغية الوعاة 1 : 548 والشذرات 1 : 262 وروضات الجنات 3 : 249 والجواهر المضية 1 : 225 وقد دخلت الترجمة هنا تحشية من المختصر أخلّت بها المطبوعة م .

فقلت : أولئك قوم إن بنوا أحسنوا البنا بكسر البـاء ، فقال لي : انـظر جيداً فنظرت فقلت : لست أعرف إلا هذا ، فقال لي يا بني : أولئك قوم إن بنوا أحسنوا البُنَى ، القوم إنما بنوا الكلام ولم يبنوا اللبن الطين ، قال : فلم أزل أهابه ولزمته .

وكان أبو عمـر الجرمي يقول : ما رأيت فقيهاً قط أفصحَ من عبد الوارث إلا حماد بن سلمة .

وكان حماد يقول : من لحن في حديثي فقد كَذَبَ عليَّ .

وكان حماد يمرُّ بالحسن البصري في الجامع فيدعه ويذهب إلى أصحاب العربية يتعلم منهم ؛ وكان مع تقدمه في العربية إماماً في الحديث ثقة ثبتاً حتى قالوا : إذا رأيت الرجلَ يقعُ في حماد فاتهمه على الإسلام .

روى حماد عن ثابت[1] وأبي عمـران الجوني وعبـد الله بن كثير وابن [أبي] مليكة وخلق ، وعنه مالك وسفيان وشعبة وابن مهدي وعفان وأمم .

وقال عمرو بن سلمة[2] : كتبت عن حماد بن سلمة بضعةَ عشر ألف حديث .

وقال ابن المديني : كان عند يحيى بن الضرير عن حماد عشرة آلاف حديث .

وقال يحيى بن معين : هو أعلم الناس بثابت .

وقال أحمد بن حنبل : حماد أعلم الناس بحديث خاله حميد الطويل وأثبتهم فيه .

وقال أحمد ويحيى : هو ثقة .

وقال رجل لعفان : أحدثك عن حماد ؟ قال : من حماد ، ويلك ؟ قال : ابن سلمة ، قال : هلاَّ قلتَ أمير المؤمنين ؟

وقال ابن عدي : حماد إمامٌ جليل وهو مفتي أهـل البصرة مـع سعيد بن أبي عروبة .

وقال إسحاق بن الطباع ، قال لي سفيان بن عيينة : العلماء ثـلاثة عـالم باللّه

---

(1) يعني ثابتاً البناني .

(2) كذلك هو في ميزان الاعتـدال والصواب عمـرو بن عاصم (انـظر الحاشيـة رقم 3 ص 446 من سير الذهبي) .

وبالعلم ، وعالم بالله ليس بعالم بالعلم ، وعالم بالعلم ليس بعالم بالله ، قال ابن الطباع : الأول كحماد بن سلمة ، والثاني مثل أبي الحجاج ، والثالث كأبي يوسف .

وقال ابن المديني : من سمعتموه يتكلّم في حماد فاتهموه .

واحتجَّ مسلم بحماد بن سلمة في أحاديث عدة في الأصول من حديثه عن ثابت ، وأخرج له الأربعة إلا البخاري ، فنكت ابن حبّان على البخاري ولم يسمّه حيث احتجَّ بابن دينار وابن عياش وابن أخي الزهري وترك حماداً فقال : لم ينصف مَنْ جانَبَ حديثَ حماد ، واحتجَّ بأبي بكر ابن عياش وعبد الرحمن بن دينار وابن أخي الزهري .

وقال حماد بن زيد : ما كنا نرى أحداً يتعلم بِنيَّةٍ غير حماد ، وما نرى اليوم من يعلِّم بنيّةٍ غيره .

وقال وهيب : كان حماد بن سلمة سيدنا وأعلمنا ، وكان إماماً في العربية فصيحاً مفوهاً مقرئاً فقيهاً شديداً على المبتدعة . وله تآليف ، ولم يكن له كتاب غير كتاب قيس بن سعد ، يعني كان يحفظ علمه . مات حماد في ذي الحجة سنة سبع وستين ومائة وقيل سنة تسع وستين في خلافة المهدي ورثاه اليزيدي بأبيات أولها[1] :

يا طالبَ النحوِ ألا فابكهِ   بعدَ أبي عمروٍ وحماد

يعني حماد بن سلمة وأبي عمرو بن العلاء .

ـ 426 ـ

حماد بن ميسرة بن المبارك بن عبيد الديلمي ، مولى بني بكر بن وائل ،

426 ـ ترجمة حماد الراوية في طبقات ابن المعتز: 69 والمعارف: 541 والفهرست: 104 ومراتب النحويين: 72 وطبقات الزبيدي: 209 وأمالي المرتضى 1 : 131 ومصورة ابن عساكر 5 : 273 وتهذيب ابن عساكر 4 : 430 ومختصر ابن منظور 7 : 244 ونزهة الألباء: 23 والأغاني 6 : 68 وابن خلكان 2 : 206 وسير الذهبي 7 : 157 والوافي 13 : 137 ولسان الميزان 2 : 352 وبغية الوعاة 1 : 549 والخزانة 4 : 129 ويرد أحياناً باسم حماد بن سابور ، وأحياناً باسم حماد بن هرمز .

(1) الإنباه 1 : 330 وميزان الاعتدال 1 : 592 وسير الذهبي : 451 والذي رثاه هو يحيى بن المبارك اليزيدي .

وقيل مولى مكنف بن زيد الخيل ، الكوفي المعروف بالراوية : قال المدائني كان من أعلم الناس بأيام العرب وأخبارها وأشعارها وأنسابها ولغاتها . وكانت ملوك بني أمية تقدّمُهُ وتُؤْثِرُهُ وتستزيدُهُ فيفدُ عليهم ويسألونه عن أيام العرب وعلومها ويُجْزِلُونَ صلته .

وعن الهيثم[1] بن عدي صاحِبِهِ وراويته قال ، قال الوليد بن يزيد لحماد الراوية : بم استحققتَ هذا اللقبَ فقيل لك الراوية ؟ فقال : بأني أروي لكلِّ شاعرٍ تعرفُهُ يا أميرَ المؤمنين أو سمعتَ به ، ثم أروي لأكثر منهم ممن أعرفُ أنك لم تَعْرِفْهُ ولم تسمعْ به ، ثم لا أنشد شعراً لقديم ولا مُحْدَثٍ إلا ميَّزتُ القديمَ منه من المحدث ؛ فقال : إن هذا لعلمٌ وأبيك كثير ، فكم مقدارُ ما تحفظ من الشعر ؟ قال : كثيراً ، ولكني أنشدك على كلِّ حرفٍ من حروف المعجم مائةَ قصيدة كبيرة ، سوى المقطعات ، من شعر الجاهلية دون شعرِ الإسلام ، قال : سأمتحنك في هذا ، وأمره بالانشاد فأنشد حتى ضجر الوليد ، ثم وكل به من استحلفه أن يَصْدُقَهُ عنه ويستوفيَ عليه ، فأنشده ألفين وتسعمائة قصيدة للجاهليين ، وأخبر الوليدَ بذلك فأمر له بمائة الف درهم .

وروي[2] عن حماد الراوية أنه قال : كنتُ منقطعاً إلى يزيد بن عبد الملك وكان أخوه هشام يجفوني لذلك دون سائر أهله من بني أمية ، فلما مات يزيد وأفضتِ الخلافةُ إلى هشام خفتُهُ فمكثتُ في بيتي سنةً لا أخرجُ إلا لمن أثقُ به من إخواني سرّاً ، فلما لم أسمعْ أحداً يذكرني أمنتُ فخرجت وصلَّيتُ الجمعةَ في الرصافة ، ثم جلستُ عند باب الفيل ، فإذا شرطيان قد وقفا عليّ فقالا : يا حماد أجب الأميرَ يوسف بن عمر ، فقلت في نفسي : هذا الذي كنتُ أحذره ، ثم قلتُ لهما : هل لكما أن تدعاني حتى آتي أهلي فأودعهم وداعَ مَنْ لا ينصرفُ إليهم أبداً ثم أصير معكما إلى الأمير ؟ فقالا : ما إلى ذلك سبيل ، فاستسلمتُ إليهما وصرتُ إلى يوسف بن عمر وهو في الايوان الأحمر ، فسلمتُ عليه فرمى إليَّ كتاباً فيه : بسم اللّه الرحمن الرحيم ، من عبد اللّه هشام أمير المؤمنين إلى يوسف بن عمر ، أما بعد : فإذا قرأتَ كتابي هذا

(1) متابع للأغاني : 68 ـ 69 .

(2) الأغاني : 72 ـ 74 وتهذيب ابن عساكر 4 : 431 (نقلاً عن الجليس الصالح 3 : 357) والشريشي 3 267 ودرة الغواص : 110 ونزهة الألباء : 23 والوافي 13 : 139 .

فابعثْ إلى حمادٍ الراويةِ من يأتيكَ به غيرَ مروَّع ولا مُتَعْتَعٍ ، وادفع إليه خمسمائة دينار وجملاً مَهْرِيّاً يسيرُ عليه اثنتي عشرة ليلةً إلى دمشق ، فأخذت الدنانيرَ ونظرتُ فإذا جملٌ مرحولٌ فركبْتُهُ وسرتُ اثنتي عشرة ليلة حتى وافيتُ بابَ هشام ، فاستأذنتُ فأذن لي ، فدخلتُ عليه في دارٍ قوراءَ مفروشةٍ بالرخام وهو في مجلسٍ مفروش بالرخام ، بين كل رخامتين قضيب ذهب ، وهشامٌ جالسٌ على طنفسةٍ حمراءَ وعليه ثيابُ خزٍّ حمر ، وقد تضمَّخَ بالمسك والعنبر ، وبين يديه مسكٌ مفتوتٌ في أواني ذهب يقلّبه بيده فيفوح ، فسلمت عليه بالخلافة فردَّ عليّ السلام ، واستدناني فدنوتُ منه حتى قَبَّلْتُ رجله ، فإذا جاريتان لم أر مثلهما قطّ ، في أذني كلّ واحدةٍ منهما حلقتان فيهما لؤلؤتان تتقدان . فقال لي : كيف أنت يا حماد وكيف حالك ، فقلت : بخير يا أمير المؤمنين ، قال : أتدري فيم بعثتُ إليك ، قلت : لا ، قال : بعثت إليك بسبب بيتٍ خطر ببالي لا أعرف قائله ، قلت : وما هو ؟ قال :

وَدَعَوْا بالصَّبوحِ يوماً فجاءتْ قينةٌ في يمينها إبريقُ

فقلتُ : هذا يقولَه عديّ بن زيد العباديّ في قصيدة له ، قال : فأنشدنيها فأنشدته :

بَكَرَ العاذلونَ في وَضَحِ الصبـ ـح يقولونَ لي ألا تستفيقُ
ويلومونَ فيكِ يا ابنةَ عبد اللّـ ـه والقلبُ عندكمْ موهوقُ
لستُ أدري إذ أكثروا العذلَ فيها أعدوٌّ يلومني أم صديقُ
زانها حسنها وفرعٌ عميم وأثيثٌ صَلْتُ الجبين أنيقُ[1]
وثنايا مفلّجاتٌ عِذابٌ لا قصار ترى ولا هُنَّ رُوق[2]
وَدَعْوا بالصبوح يوماً فجاءتْ قينةٌ في يمينها إبريقُ
قَدّمته على عُقارٍ كعينِ الـ ـديك صفّى سلافَها الراووقُ[3]

---

(1) صلت : واضح .
(2) روق جمع أروق وهو الطويل .
(3) قدّمته بالقاف جائز ، والأرجح فدّمته بالفاء أي جعلت له فداماً ، الراووق : المصفاة .

مُـزّةٌ قبـلَ مـزجهـا فـإذا مـا ... مُـزِجَتْ لذَّ طعمَهـا من يـذوقُ
وطفـا فـوقهـا فقـاقيـعُ كـالـد ... رِّ صـغـارٌ يثـيـرهـا التـصفيـقُ
ثم كـان المـزاجُ مـاءَ سحـابٍ ... لا صَـرَى آجـنٌ ولا مـطروقُ[1]

قال : فطرب هشام ثم قال : أحسنت يا حماد ، يا جارية اسقيه ، فسقتني شربةً ذهبت بثلث عقلي ، وقال : أعد فأعدت فاستخفه الطرب حتى نزل عن فرشه ، ثم قال للجارية الأخرى : اسقيه ، فسقتني شربة ذهبت بثلث عقلي الثاني ، فقلت : إن سقتني الثالثة افتضحت ، فقال لي هشام : سل حاجتك ، قلت : كائنةً ما كانت ؟ قال : نعم ، قلت : إحدى الجاريتين ، فقال : هما جميعاً لك بما عليهما وما لهما ، ثم قال للأولى : اسقيه فسقتني شربة لم أعقلْ بعدها حتى أصبحت ، فإذا بالجاريتين عند رأسي وعدَّةٌ من الخدم مع كلٍ واحدٍ منهم بدرة ، فقال لي أحدهم : أمير المؤمنين يقرأ عليك السلام ويقولُ لك : خُذْ هذه فأَصلحْ بها شأنك ، فأخذتها والجاريتين وانصرفتُ إلى أهلي .

قال الهيثم بن عدي : ما رأيت رجلاً أعلم بكلام العرب من حماد .

وقال الأصمعي : كان حماد أعلمَ الناس إذا نصح ، يعني إذا لم يزد وينقص في الأشعار والأخبار فإنه كان متهماً بأنه يقول الشعر وينحله شعراءَ العرب .

وقال المفضل الضبي[2]: قد سُلط على الشعر من حماد الراوية ما أفسده فلا يَصْلحُ أبداً ، فقيل له : وكيف ذلك ؟ أيخطىء في رواية أم يلحن ؟ قال : ليته كان كذلك ، فإنَ أهلَ العلم يردُّون مَنْ أخطأَ إلى الصواب ، ولكنه رجل عالمٌ بلغات العرب وأشعارها ومذاهبِ الشعراء ومعانيهم ، فلا يزال يقولُ الشعرَ يشبه بـه مذهبَ رجلٍ ويدخله في شعره وَيُحْمَلُ ذلك عنـه في الآفاق ، فتختلط أشعـارُ القدمـاءِ ولا يتميز الصحيحُ منها إلا عند عالم ناقد وأين ذلك .

وذكر أبو جعفر أحمد بن محمد النحاس[3] أن حمـاداً هو الـذي جمع السبـع

---

(1) الصرى : الماء الذي طال استنقاعه (م : صدى) والآجن : المتغير الطعم ، والمطروق : الذي طرقته الدواب ، فراثت وكدرت .

(2) الأغاني 6 : 85 .

(3) انظر شرح القصائد التسع : 682 .

الطوال ، ولم يثبت ما ذكره الناسُ من أنها كانت معلقةً على الكعبة .

ولحماد اخبار طوال اقتصرنا على ما ذكرناه منها ، وكانت ولادته في سنة خمس وتسعين وتوفي سنة خمس وخمسين ومائة ، ورثاه ابن كناسة الشاعر بقوله :

لـو كـان يُنجي من الـردى حَـذَرٌ　　نجَّـاكَ مما أصـابـك الحَـذَرُ
يـرحمـكَ اللّه مـن أخي ثـقـةٍ　　لـم يـكُ في صـفـوِ ودِّه كـدرُ
فهكـذا يَفْسُـدُ الـزمـان ويـفـنى العلمُ فيـه ويـدرُسُ الأثـرُ

ـ 427 ـ

حماس بن ثامل مولى عثمان بن عفان : شاعر إسلامي من مخضرمي الدولتين أدرك أيام السفاح ، وكان يوماً في مجلسه ، فذكر إسماعيلُ بن عبد اللّه القسري بني أمية فذمَّهم وسبهم ، فقال حماس للسفاح : يا أميرَ المؤمنين أيسبُّ هذا بني عمك وعمالهم وهو رجل اجتمع والخرّيتَ في نَسَب ؟ إن بني أمية لحمك ودمك ، فكلهم ولا تُؤْكِلْهُمْ ، فقال له : صدقتَ ، وأمسك إسماعيل فلم يحرْ جواباً .

ومن شعر حماس :

اللّه نجَّى قلوصي بعـد ما علقتْ　　من الأميـر ومن عمـرو بن سيَّـارِ
بحلفـةٍ من يمينٍ غيـرِ صـادقـةٍ　　حلفتهـا ثم لم تلحقني بـالنـارِ
إحلفْ يميناً إذا ما خفتَ مضلعةً　　وَتُبْ إلى غـافـرٍ للذنب غَفَّـارِ

ـ 428 ـ

حمد بن محمد بن إبراهيم بن الخطاب الخطابي من ولد زيد بن الخطاب ،

---

427 ـ لم أجد احداً ترجم له ، وقد ورد عرضاً في الأغاني 22 : 26 ـ 27 وذكر حكايته مع إسماعيل العشري عند السفاح ، وكتبه محقق الأغاني (ط. دار الثقافة) جماس ـ بالجيم ـ (وهو خارج عن شرط المؤلف في معجم الأدباء وحقه أن يكون في معجم الشعراء) .

428 ـ قد مرَّت ترجمة الخطابي برقم : 174 في الأحمدين ؛ وقد ذكرت هنالك مصادر ترجمته . 175 ✓

أبو سليمان البستي ، نسبةً إلى مدينة بُسْت من بلادِ كابل : كان محدثاً فقيهاً أديباً شاعراً لغوياً أخذ اللغة والأدبَ عن أبي عمر الزاهد وأبي علي إسماعيل الصفار وأبي جعفر الرزاز وغيرهم من علماء العراق ، وتفقّه بالقفال الشاشي ، وروى عنه الحافظُ أبو عبد الله ابن البيع المعروف بالحاكم النيسابوري والحافظ المؤرخ عبد الغافر بن محمد الفارسي صاحب « السياق لتاريخ نيسابور » وأبو القاسم عبد الوهاب الخطابي وخلق .

قال الحافظ أبو المظفر السمعاني[1] : كان حجة صدوقاً رحل إلى العراق والحجاز وجال في خراسان وخرج إلى ما وراء النهر .

وقال الثعالبي[2] : كان يشبه في عصرنا بأبي عبيد القاسم بن سلام في عصره ، علماً وأدباً وزهداً وورعاً وتدريساً وتأليفاً ، إلا أنه كان يقول شعراً حسناً وكان أبو عبيد مفحماً .

ولأبي سليمان كتبٌ من تآليفه أشهرها وأسيرها : كتاب غريب الحديث وهو في غاية الحسن والبلاغة . وله أعلام السنن في شرح صحيح البخاري . ومعالم السنن في شرح سنن أبي داود . وكتاب إصلاح غلط المحدثين . وكتاب العزلة . وكتاب شأن الدعاء . وكتاب الشجاج وغير ذلك .

ولد في رجب سنة تسع عشرة وثلاثمائة وتوفي ببلده بُست سنة ثمان وثمانين وثلاثمائة وقيل سنة ست وثمانين والاول أصح .

ومن شعره :

إذا خلوتُ صفا ذهني وعارضني ... خواطرٌ كطرازِ البرقِ في الظلمِ
وإن توالى صياحُ الناعقين على ... أذني عرتنيَ منه لُكْنَةُ العجمِ

وقال[3] :

لعمرك ما الحياةُ وإن حرصنا ... عليها غيرُ ريحٍ مستعارَهْ
وما للريحِ دائمةً هبوبُ ... ولكن تارةً تجري وتارهْ

---

(1) ذكر هذا النص في ترجمته السابقة .
(2) عن اليتيمة 4 : 334 وقد تكرّر هنا .
(3) اليتيمة 4 : 335 .

وقال[1] :

وما غُمَّة الانسانِ من شُقَّة النوى ... ولكنها واللّه من عدم الشكلِ
وإني غريبٌ بين بُست وأهلها ... وإن كان فيها أسرتي وبها أهلي

وقال[2] :

تسامحْ ولا تستوفِ حقَّك كلَّه ... وأبقِ فلم يستقصِ قطُّ كريمُ
ولا تغلُ في شيء من الأمر واقتصد ... كلا طرفي قصد الأمور ذميمُ

وقال[3] :

قد أولع الناسُ بالتلاقي ... والمرءُ صبٌّ إلى هواهُ
وإنما منهمُ صديقي ... من لا يراني ولا أراهُ

وقال[4] :

شرُّ السباع الضواري[5] دونه وَزَرُ ... والناسُ شرُّهُمُ ما دونه وَزَرُ
كم معشرٍ سلموا لم يؤذهم سَبُعٌ ... وما نرى بشراً لم يؤذِهِ بشرُ

وقال[6] :

ما دمت حياً فدارِ الناسِ كلهم ... فإنما أنتَ في دارِ المداراةِ
من يدرِ دارى ومن لم يدرِ سوف يُرى ... عما قليل نديماً للنداماتِ

(1) تكرر ذكر هذين البيتين نقلاً عن اليتيمة ، وانظر طبقات السبكي 3 : 284 .
(2) اليتيمة 4 : 336 (وهما قد وردا في الترجمة السابقة) وطبقات السبكي 3 : 285 .
(3) اليتيمة 4 : 336 .
(4) اليتيمة 4 : 335 (وقد تكررا في الترجمة السابقة) .
(5) اليتيمة : العوادي .
(6) اليتيمة 4 : 335 (وهما مكرران) .

ـ 429 ـ

حمدان بن عبد الرحيم ، أبو الفوارس الأثاربي : من قرية من أعمال حلب تدعى معراثا الأثارب . وكانت ملكه ، ومن أولاده انتقلت إلى ملاكها الآن . أحد الأدباء الشعراء الخلعاء الأطباء الكتاب ، كان دائباً في طلب العلم يحضر مجالس العلماء وأهل الأدب ويصحب من لقيه منهم ويلازمه . ولي للسلطان نور الدين أعمالاً منها معرة النعمان . ودخل بغداد ، وقال فيها :

إن بغداد لمن أبصرها ورآها طرفةٌ بين البلادِ
فتأمَّلْهَا تراها عجباً نعمٌ بيض على قوم سوادِ

توفي سنة اثنتين وأربعين وخمسمائة[1] .

حدث حمدان بن عبد الرحيم ابن أخي هذا حمدان المذكور قال : جلس يوماً عمي حمدان وجماعة من وجوه المعرة ، منهم الرئيس نعمان ، رئيسُ المعرة ، وكان خالَ المحدّث حمدان ، على مجلسِ أُنْسٍ بمعرة النعمان ، ومعهم مغنّيةٌ تسمى

429 ـ ترجمة حمدان الأثاربي في مصورة ابن عساكر 5 : 284 وتهذيب ابن عساكر 4 : 434 (وعليه يعتمد ياقوت) وبغية الطلب 5 : 276 وذكره ياقوت في « الأثارب » 1 : 114 ـ 115 وقال إنه كان في أيام طغتدكين صاحب دمشق وصنف تاريخاً ، قال : وقد ذكرته في معراثا بأتمّ من هذا ، ولم يفعل ، غير أنه ذكره في مادة : جزر . حربنوش . دير حشيان . دير عمان . دير مرقس . عرشين القصور . معرة مصرين . ورفع ابن العديم في نسبه : حمدان بن عبد الرحيم بن حمدان بن علي بن خلف بن هلال بن نعمان بن داود أبو الموفق التميمي من ولد حاجب بن زرارة ، وقال : أصله من قرية من قرى حلب تعرف بمعراثا الاثارب ، وكانت جارية في ملكه ، ومن أولاده انتقلت إلى ملاكها الآن ، ثم انتقل هو وأبوه إلى الأثارب فسكنا بها ، وكان اكثر مقامه بالجزر يتردد في نواحيه في الدولتين الاسلامية والفرنجية ، وولي في الجزر أعمالاً للديوان في دولة أتابك زنكي بن آق سنقر . . . ووهبه صاحب الأثارب الفرنجي قرية تعرف بمعربونية من ناحية معرة مصرين ودامت في يده بعد أخذ المسلمين البلاد من يد الفرنج . قلت : وأورد ابن العديم عنه معلومات مفيدة وذكر أن له كتاباً في أخبار بني تميم وكتاباً في التاريخ من سنة 490 ضمنه أخبار الفرنج وأيامهم وخروجهم إلى الشام من السنة المذكورة وما بعدها ، وسماه « المفوف » . ومعظم هذه الترجمة من المختصر .

[1] هكذا هو في المختصر ، وفي المطبوعة سنة أربع وخمسين وخمسمائة .

« ست النظر » ثم افترقوا بعد هزيع من الليل ، فقام عمي حمدان إلى فراش قد هيّأه له الرئيس أبو الفتح ابن أبي حصينة في قبة له ، وانتبه في أثناء الليل وأراد الخروج من القبة ، فسقط من أعلاها إلى ناحية الدار، فعلم به الرئيس نعمان فجاءه في طائفةٍ من أصحابه ، وحملوه إلى فراشه . وأمر نعمان أصحابَهُ ألا يخبرَهُ أحدٌ بما جرى ، ونام ساعةً وهم حوله ، ثم دعوا المغنية ، فجلستْ عند رأسه تغني فانتبه من نومه ، وجلس واستطاب وقته ، فسألوه أن ينظم في ذلك شعراً ، فعمل للوقت :

أيا صاح قد صاح ديكُ الصباح ... وهبَّت تغنيك ستُّ النَّظَرْ
بلفظٍ هو السحرُ سحرُ الحلالِ ... ووجهٍ حوى الحسْنَ مثل القمرْ
وتشدوك قمْ وتنبّهْ لها ... وباكرْ صبوحك قبل البكرْ
أفق كم تنامُ وهاتِ المدامَ ... ورقرقْ لنا الجامَ وُقِّيتَ شرْ
أما تنظرُ الفجرَ خلفَ الظلام ... محثاً وأعلامَهُ قد نشرْ
وقد سامحتك صروفُ الزمانِ ... وكُفَّتْ أكفُّ القضا والقدرْ
فما العذرُ في ترك شرب الشَّمول ... ونهب الأباريق كراً وفرْ
فشربُ الشمول بخفقِ الطبولِ ... ونفخ الزماري وقرع الوترْ
فما رونقُ الدهر باقٍ عليك ... فخذ ما صفا واجتنبْ ما كدرْ

قال : فبقي مدةً لا يعلم ما جرى إلى أن قلت له يوماً : ما تقولُ في من سقط من هذا المكان ؟ وأشرت إلى (المكان) الذي سقط منه إلى أسفل فقال : ما يجمع اللّٰه به شملاً . فقلتُ له : أتذكر ليلة « أيا صاح قد صاح ديك الصباح » ؟ فقال : وما جرى ؟ فقصصتُ عليه القصة . فقال : لهذا تؤلمني أعضائي . ثم وقع مريضاً لوقته وبقي مطروحاً على الفراش شهرين .

واتفق له الخروجُ إلى معراثا الأثارب ، وكانت حينئذ بيد الإفرنج ، فمرض صاحبُ الاثارب منويل ، وهو ابن أخت صاحب أنطاكية ، فدخل إليه حمدان فعالجه إلى أن عوفي ، فمنّاه فطلب منه قريةً فأعطاه معربونية فسكن بها مدة ثلاثين سنة ، فسيّر إليه أبو الحسن ابن أبي جرادة مَن يعتبُهُ على مُقامِهِ بين الفرنج ، وسوءِ اختياره في المكوث بينهم ، فكتب إليه :

وقـائـلٍ عـائبٍ لي إذ رأى شغفي بقـريةٍ ليس سكنـاهـا من الشـرفِ
مـاذا دعـاك إلى هـذا؟ فقلتُ لـه صروفُ دهرٍ وصرفُ الدهر غير خفي
بخلُ الوفيّ وإعراضُ الرضي وتقـ ـصير الصفي وظلمُ المشرف الجنفِ
فـإن أقمتُ بها فـالمسـكُ مـوطنُهُ في جلدةٍ ومقـرُّ الدرِّ في الصَّـدَفِ

ومن شعره(1) :

لا جلقٌ رُقْنَ لي معـالـمهـا ولا اطّبتني أنـهـارُ بُـطْنـانِ
ولا ازدهتني بمنبـجٍ فُـرَصٌ راقتْ لغيري من آلِ حمدانِ
لكنْ زمـاني بـالجـزرِ ذكـرني طيبَ زمـاني وفيـه أبكـاني(2)
يا حبذا الجـزرُ كم نعمتُ به بيـن جـنـانٍ ذواتِ أفـنـانِ

واجتاز(3) بحمدان في بعض السنين الأميرُ مهند الدولة بن الحنشي(4) فأنزلـه بداره في الأثارب وأقام عنده أشهراً ، فلما وافى هلال رمضان قال الأمير :

لـلّهِ مـن قـمـرٍ رآنـي مـعـرضـاً عنـه وإعـراضي حـذارَ وشـاتِـهِ
طلع الهـلالُ فقلتُ أعمـلُ حيلةً في قبلـةٍ تجنـي جَنَـى وجنـاتـهِ
فمضى وقال تَصُدُّ عنْ قمـرِ الهوى لتـرى الهـلال رَقى إلى درجـاتـهِ
فـأنـا وحقِّ هـواك أبعـدُ مـرتقىً منـه وتـأثيـري كـتـأثيـراتـهِ
أنـا كـامـلٌ أبـداً وذلـك نـاقصٌ فـاجهدْ بـوصفي ممعناً(5) وصفـاتهِ

(1) الأبيات في معجم البلدان 2 : 71 (جزر) 655 (دير خَشيان) وبغية الطلب: 279 .
(2) الجزر ـ بالفتح ثم السكون ـ كورة من كور حلب .
(3) متابع لابن عساكر وهو في بغية الطلب: 277 .
(4) م : الخشيني (والتصويب عن بغية الطلب) .
(5) البغية : جاهداً .

- 430 -

حمد بن الحسين وزير منوجهر ، يكنى أبا علي ، وأصله من همذان : وزر لمنوجهر بن قابوس بن وشمكير بجرجان ، إلى أن قبض عليه ، واستصفى ماله . ومات في اعتقاله سنة عشر وأربعمائة . وكان أديباً فاضلاً كاملاً بليغاً ، وله أشعار منها :

عابوه لما التحى فقلنا عبتمْ وغبتم عن الجمالِ
هذا غزالٌ وهل مَعيبٌ تولُّدُ المسكِ في غزالِ

وله :

إذا ولَّتِ الدنيا عن المرء أقبلت إليه مَذَمَّاتُ العدى والأصادقِ
وإن هو لم يدلج إلى المال لم يزل على المال مقطوع العُرى والعلائق
تصفحْتُ أحوال الزمان فلم أجد أعسز وجوداً من صديق موافق

- 431 -

حمدة ويقال حمدونة بنت زياد بن بقي ، من قرية بادي من أعمال وادي آش : كان أبوها زياد مؤدّباً ، وكانت أديبةً نبيلة شاعرة ذات جمال ومال مع العفاف والصون إلا أنَّ حُبَّ الأدب كان يحملها على مخالطة أهله مع نزاهة موثوق بها، وكانت تلقب بخنساء المغرب وشاعرة الأندلس .

---

430 ـ هذه الترجمة من المختصر .

431 ـ ترجمة حمدة بنت زياد الواديآشية في التكملة رقم: 2120 (ط. مدريد) وتحفة القادم: 234 والمقتضب من تحفة القادم: 162 والمغرب 2: 145 ورايات المبرزين: 63 والمطرب: 11 والاحاطة 1: 497 والسفر الثامن من الذيل والتكملة: 485 (رقم: 250) ونفح الطيب 4: 287 وعيون التواريخ 12: 9 والوافي 13: 163 والفوات 1: 394 ومطالع البدور 1: 272 ونزهة الجلساء: 38 (وهو ينقل عن ابن سعيد وعن تذكرة الصلاح الصفدي) .

روى عنها أبو القاسم ابن البراق[1] قال: أنشدتنا حمدةُ العوفيةُ لنفسها وقد خَرَجَتْ متنزهةً بالرملة من نواحي وادي آش فرأت ذاتَ وجهٍ وسيم أعجبها ، فقالت :

أباح الدمعُ أسراري بوادي ... له في الحسنُ آثار بَوَادي
فمن نهرٍ يطوفُ بكلِّ روضٍ ... ومن روض يرفُّ بكلِّ وادي
ومن بين الظباءِ مهاةُ أُنْسٍ ... سَبَتْ لبى وقد ملكتْ فؤادي
لها لحظٌ تُرَقِّدُهُ لأمرٍ ... وذاك الأمرُ يمنعني رقادي
إذا سدلتْ ذوائبَها عليها ... رأيتَ البدرَ في أفق السوادِ
كأن الصبحَ مات له شقيقٌ ... فمن حزنٍ تسربل بالسوادِ

وقد نَسَبَ إليها أهل المغرب الأبيات الشهيرة المنسوبة للمنازي الشاعر المشهور وهي[2] :

وقانا لفحةَ الرمضاءِ وادٍ ... سقاه مضاعَفُ الغيثِ العميمِ
حللنا دوحه فحنا علينا ... حُنوَّ المرضعاتِ على الفطيمِ
وأرشفنا على ظمإٍ زلالاً ... ألذَّ من المدامة للنديمِ
يصدُّ الشمسَ أنى واجهتنا ... فيحجبها ويأذن للنسيمِ
يروعُ حصاهُ حاليةَ العذارى ... فتلمسُ جانبَ العقدِ النظيمِ

أجمع أدباء المشرق على نسبة هذه الأبيات للمنازي ، وهو أحمد بن يوسف المنازي المتوفى سنة سبع وثلاثين وأربعمائة وأنه عرضها على أبي العلاء المعري[3] ، فجعل المنازي كلما أنشده المصراع الأول من كل بيت سبقه أبو العلاء إلى المصراع

---

(1) هو أبو القاسم محمد بن علي بن البراق ، له ترجمة في الذيل والتكملة 6 : 457 ـ 483 .

(2) المنازي هو أحمد بن يوسف ونسبته إلى منازكرد وكان وزيراً للمروانية ملوك ديار بكر ، وسيّره نصر الدولة أحمد بن مروان رسولاً عنه إلى مصر ، فزار المعرة واجتمع بأبي العلاء ، وهو شاعر مقل مجيد .

(3) انظر بغية الطلب 2 : 156 وزاد ابن العديم : أن المنازي لما أنشد المعري قوله « نزلنا دوحه فحنا علينا » بادر أبو العلاء فقال : حنو الوالدات على الفطيم ، فقال المنازي : إنما قلت : حنو الوالدات على اليتيم ، فقال أبو العلاء : الفطيم أحسن .

الثاني كما نظمه المنازي . ونسبها أدباء الأندلس ومؤرخوها إلى حمدة ، وجزم بذلك طائفةٌ منهم ، وفيهم من رواها لها قبل أن يُخْلَقَ المنازي ، والله تعالى أعلم .

ومن شعر حمدة أيضاً :

ولما أبى الواشون إلا فراقَنا وما لهمُ عندي وعندكَ من ثارِ
وشنُّوا على أسماعنا كلَّ غارةٍ وقلَّ حُماتي عند ذاكَ وأنصاري
غزوتَهمُ من مقلتيكَ وأدمعي ومن نَفَسي بالسيفِ والسيلِ والنارِ

ـ 432 ـ

حمران بن أعين بن سنبس مولى الطائيين ، يكنى أبا عبد الله : نحوي قارىء حسن الصوت ، وكان يتشيع . لقي أبا الأسود الدؤلي ، وأخذ عنه حمزة الزيات . وكان يقول : لا تأمننَّ قارئاً على صحيفة ، ولا جمّالاً على حَبْل .

ولما مات جعفر بن محمد الصادق عليه السلام ، رثاه بمرات منها :

بكيتُ على خير ما لاحقٍ بسالفِهِ صفوةِ الخالقِ
بكيتُ على ابن نبيِّ الهدى بدمعٍ على وجنتي سابقِ
ربيع البلاد وغيث العباد لشارد[1] صُبْحٍ وللشارقِ
ووارثِ علم نبيِّ الهدى وميزانِ حقٍّ به ناطقِ
فصلّى الإله على روحه وأكرمَ مثواهَ من صادقِ

وقيل : حضر ابن أعين عند جعفر بن محمد ، عليهم السلام ، يقرأ وساءله عن ضروب من العلوم ، وكان مقدماً ، وكان عنده جماعة من القرشيين ، فلما خرجوا قالوا : إنما أحبَّ أن يرينا أنَّ في شيعته مثلَ هذا .

---

432 ـ هذه الترجمة من المختصر ؛ وقد ترجم له المرزباني في نور القبس : 267 والقفطي في إنباه الرواة 1 : 339 وانظر طبقات ابن الجزري 1 : 261 وتهذيب التهذيب 3 : 25 .

(1) الإنباه : لسارب .

ـ 433 ـ

حمزة بن أسد بن علي بن محمد أبو يعلى المعروف بابن القلانسي التميمي : العميد الأديب الكاتب الشاعر المؤرخ صاحب الخط الحسن وله نثر ونظم رائق . كان من أعيان دمشق ومن أفاضلها المبرزين ، وليَ رياسةَ ديوانها مرتين وكان يكتب له في سماعه أبو العلاء المسلم بن القلانسي وبذلك كان يسمى . وبها توفي في ربيع الأول سنة خمس وخمسين وخمسمائة ودفن بجبل قاسيون ، وله تاريخ للحوادث ابتدأ به من سنة إحدى وأربعين وأربعمائة إلى حين وفاته(1) ، وكانت له عناية بالحديث ، وله كتبٌ عليها سماعه . ومن شعره :

إياك تقنطُ عند كلِّ شديدةٍ … فشدائدُ الأيام سوف تهونُ
وانظر أوائلَ كلِّ أمرٍ حادثٍ … أبداً فما هو كائنٌ سيكونُ

وقال أيضاً :

يا من تملَّكَ قلبي طرفُهُ فغدا … معذَّباً بين أشواقٍ وأشجانِ
امننْ بوصلٍ لعلِّي أستجيرُ به … من سطوةِ البين في صدٍّ وهجرانِ
ما لي مُنِيتُ بممنوعٍ يعذبني … ولا يزيدُ فؤادي غيرَ أحزان
لا بَرَّدَ اللَّه قلبي من تحرّقه … إن شُبْتُ حبِّي له يوماً بسلوانِ
إذا ترنم قمريٌّ على فَنَنٍ … في ليلةٍ زاد في حزني وأشجاني
وكم أُسِرُّ غرامي ثم أُعْلِنُهُ … وليس يخفى بكم سرّي وإعلاني
لا برَّد اللَّه شوقي إنْ نويتُ لكم … تغيُّراً ما بأشكالٍ وألوانِ

---

433 ـ ترجمة ابن القلانسي في مصورة ابن عساكر 5 : 298 ومختصر ابن منظور 7 : 259 وتهذيب ابن عساكر 4 : 442 (وعليه اعتماد ياقوت) وعبر الذهبي 4 : 156 وسير الذهبي 20 : 388 وتلخيص مجمع الآداب 1 : 912 والشذرات 4 : 174 .

(1) ابتداؤه بتاريخه « ذيل تاريخ دمشق » قد يكون سنة 448 إذا اعتبرنا ترتيب السنين ولكنه بدأه قبل ذلك ، وجاء في طبعة 1908 (ص: 3) ان أول ما وجد من تاريخ ابن القلانسي : ذكر الحرب بين المعز لدين الله والقرامطة سنة 363 .

وقال :

يا نفسُ لا تجزعي من شدةٍ عظمتْ   وأيقني من إله الخلقِ بالفرجِ
كم شدةٍ عرضتْ ثم انجلتْ ومضت   من بعدِ تأثيرِها في المالِ والمهجِ

ـ 434 ـ

حمزة بن بيض الحنفي الكوفي أحد بني بكر بن وائل : شاعر مقدم مجيد من شعراء الدولة الأموية كان منقطعاً إلى المهلب وولده ، ثم انقطع إلى الأمير بلال بن أبي بردة ، ووفد على سليمان بن عبد الملك وامتدحه قبل الخلافة ، فقال[1] :

أتينا سليمانَ الأميرَ نزورُهُ   وكان امرءاً يُحْبَى وَيُكْرَمُ زَائِرُهْ
إذا كنتَ بالنجوى به متفرداً   فلا الجودُ مُخْلِيهِ ولا البخلُ حاضرهْ
كفى سائليه سُؤْلَهم من ضميره   عن البخلِ ناهيه وبالجودِ آمرهْ

ودخل عليه وعنده يزيد بن المهلب ، فقال[2] :

حاز الخلافةَ والداك كلاهما   ما بين سخطةِ ساخطٍ أو طائعِ
أبواك ثم أخوك أصبح ثالثاً   وعلى جبينك نورُ ملكٍ رابعِ
سرَّيتَ خوفَ بني المهلب بعدما   نظروا السبيلَ بسمٍّ موتٍ ناقعِ
ليس الذي أولاك ربك فيهم   عندَ الإله وعندهم بالضائعِ

فأمر له بخمسين ألف درهم .

434 ـ ترجمة حمزة بن بيض في مصورة ابن عساكر 5 : 299 ومختصر ابن منظور 7 : 258 وتهذيب ابن عساكر 4 : 443 والأغاني 16 : 142 والمعارف : 591 والمؤتلف والمختلف : 141 وبغية الطلب 5 : 287 وسير الذهبي 5 : 267 والوافي 13 : 185 والفوات 1 : 395 وأخبار الحمقى : 43 ؛ (وحمزة بن بيض شاعر وحسب ، فترجمته هذه يجب أن تذهب إلى معجم الشعراء) .

(1) عن تاريخ ابن عساكر .
(2) الأغاني 16 : 150 ـ 151 وابن عساكر .

وقال في سليمان أيضاً[1] :

لم تـدر ما « لا » فلستَ قـائلها عُمْـرَكَ مـا عشتَ آخـرَ الأبـدِ
ولـم تؤامـرْ بتـلك مـمتـريـاً فيهـا وفـي أختـهـا ولم تـكـدِ
وهـي عـلى أنـهـا أخـفّـهـمـا أثقـلُ حمـلاً عليـك من أُحُـدِ
لـمـا تعـودتَ مـن نعـمْ فنعمْ ألـذُّ في فيـك من جَنَى الشهـدِ
إلا يـكـنْ عـاجـلٌ تـعـجّـله لـنـا لئـلا تقـولـهـا فـعـدِ
ومـا تعدْ في غـدٍ يكنْ غـدُكَ الـواجبَ للسـائلين خيـرَ غـدِ

ودخل[2] على يزيد بن المهلب يوم جمعة وهو يتأهب للمضيّ إلى المسجد وجاريته تعممه فضحك فقال له يزيد : ممّ تضحك ؟ قال : من رؤيا رأيتها إن أذن لي الأمير قصصتها ، قال : قل ، فأنشأ يقول :

رأيتـك في المنـام سننت خـزًّا عليَّ بنفسـجاً وقضيتَ دَيـني
فصـدِّقْ يـا هُـدِيتَ اليـومَ رؤيـا رأتهـا في المنـام كـذاك عيني

قال : كم دَينك ؟ قال : ثلاثون ألفاً ، قال : قد أمرنا لك بها ومثلها ، ثم قال : يا غلمان فتِّشُوا الخزائنَ فجيئوه بكل جبةِ خَزٍّ بنفسجٍ تجدونها ، فجاءوا بثلاثين جبة ، فنظر إليه يلاحظ الجارية فقال : يا جارية عاوني عمك على قبض الجباب فإذا وصلتِ إلى منزله فأنت له ، فأخذها والجباب وانصرف.

وقال في يزيد بن المهلب أيضاً[3] :

ومتـى يـؤامـر نـفـسـه مسـتـخـليـاً في أن تجـود لدى السؤالِ تقـولُ جُـدْ
أو أن يـعـودَ لنـا بـنـفـحـةِ نـائـلٍ بعـد الكـرامـةِ والحِبـاءِ تقـولُ عُـدْ
أو في الـزيـادة بعـد جزلِ عـطائه لـلمسـتـزيـد من العُفـاةِ تـقـول زِدْ

(1) تهذيب ابن عساكر ومختصر ابن منظور .
(2) تهذيب ابن عساكر : 443 ـ 444 وقارن بالأغاني : 163 .
(3) تهذيب ابن عساكر (والنقل عن الجليس الصالح) .

أو في الـوفـودِ على أسيـر مـوثق[1]   بـخلت أقـاربـه عـليـه تـقـول فِـدْ
أو فـي ورودِ شـريـعـةٍ مـحـفـوفـة   بـالـمشـرفـيـة والـرمـاح تقـولُ ردْ
ونـعم بـفـيـه ألـذُّ حـيـن يـقـولـهـا   طعمـاً من العسـل المـدوفِ بمـاءِ وَرْدْ

ولما خرج زيد بن علي على هشام منع أهل مكةَ والمدينة أعطياتهم سنة ، فقال حمزة بن بيض في ذلك[2] :

وصلتَ سماءَ الضرِّ بالضرِّ بعدما   زعمتَ سمـاءَ الضـرِّ عنـا سَتُقْلِعُ
فليتَ هشـاماً كـان حيّاً يسـوسنـا   وكنّـا كمـا كنّـا نُـرَجّي وَنَـطْمَـعُ

ولمـا ولي أبو لبيـد البجلي ابنُ أختِ خالـد القسري أصبهـان ، وكـان رجـلاً متنسكاً ، خرج حمزة بن بيض في صحبته ، فقيل له إن مثل حمزة لا يصحب مثلك لأنه صاحب كلابٍ ولهو ، فبعث إليه ثلاثة آلاف درهم وأمره بالانصراف فقال :

يـا ابنَ الـوليـد المـرتجَى سَيْبُـهُ   ومن يُجَلِّي الحنـدسَ الحـالكـا
سبيـلُ معـروفِـكَ منّـي على   بـالٍ فمـا بـالي على بـالكـا
حَشْـوُ قميصـي شـاعـرٌ مُفْلِقٌ   والجـودُ أمسى حَشْوَ سـربـالكـا
يلومُـكَ النـاسُ على صحبتي   والمسـكُ قد يستصحبُ الـرامكا
إن كـنتَ لا تـصحـبُ إلاّ فـتـىً   مـثلك لـن تُؤْتـى بـأمثـالكـا
إني امـرؤٌ حيثُ يـريـد الهـوى   فعـدِّ عن جهلي بـاسـلامكـا

قال له أبو لبيد : صدقت ، وقرَّب منزلته .

وقال النضر بن شميل[3] : دخلت على المأمون بمرو فقال : يا نضر أنشدني أخلَبَ بيتٍ للعرب ، قلت : هو قول ابن بيض في الحكم بن مروان :

---

(1) م : فقير موبق ؛ والفداء يكون للأسير الموثق .
(2) في هذا الخبر اضطراب واضح ، فإن الذي وعد الناس بأن سماء الضرّ عنهم ستقلع هو الوليد بن يزيد ، وزيد ثار في زمن هشام ؛ ويفهم من البيت الثاني ان هشاماً قد توفي « فليت هشاماً كان حياً يسوسنا » ولعل البيتين في الردّ على الوليد ، ولا علاقة لهما بثورة زيد .
(3) الأغاني 16 : 153 .

تقولُ لي والعيونُ هاجعةٌ أقمْ علينا يوماً فلم أُقِمِ
أيُّ الوجوهِ انتجعتَ قلتُ لها وأيُّ وجهٍ إلا إلى الحكمِ
متى يَقُلْ حاجبا سُرادِقِهِ هذا ابنُ بيض بالباب يبتسمِ
قد كنتُ أسلمتُ قبل مقتبلاً والآن أَرْحِلْ وأعطني سَلَمي

فقال المأمون : للّه درك فكأنما شُقَّ لك عن قلبي .

وأودع[1] حمزة عند ناسك ثلاثين ألفاً ومثلها عند نبّاذ ، فأما الناسك فبنى بها داراً وزوّج بناته فأنفقها وجحدها ، وأما النباذ فأدّى إليه ماله ، فقال في ذلك :

ألا لا يَغُرَّنْكَ ذو سجدةٍ يظلُّ بها دائباً[2] يخدعُ
كأن بجبهته حبةً[3] تسبِّحُ طوراً وتسترجعُ
وما للتقى لزمتْ وجهه ولكن ليغترَّ مستودِعُ
ولا تنفرنّ من أهلِ النبيذ وإن قيل يَشْرَبُ لا يقلعُ
فعنديَ علمٌ بما قد خَبَرْتُ إن كان علمي بها ينفعُ
ثلاثون ألفاً طواها السجودُ فليستْ إلى أهلها ترجعُ
بنى الدارَ من غيرِ أمواله فأصبح في بيته يرتعُ
مهائرُ من مالهم قد حرمـ ـن ظلماً فهم سغَّبٌ جُوَّعُ
وأدّى أخو الكاسِ ما عنده وما كنتُ في ردِّه أطمعُ

ونزل[4] بقوم فأساءوا ضيافته وطرحوا لبغلته تبناً رديئاً فعافته ، فأشرف عليها فشحجت حين رأته ، فقال :

احسبيها ليلةً أدلجتها فكلي إن شئت تبناً أو ذري
قد أتى مولاك خبزٌ يابسٌ فتغدّى فتغدَّيْ واصبري

---

(1) الأغاني 16 : 147 .
(2) م : لا يغرك . . . دائماً .
(3) الأغاني : حلية .
(4) تهذيب ابن عساكر 4 : 444 .

ولحمزة بين بيض أخبار حسان مع عبد الملك بن مروان وابنه وآل المهلب يطول ذكرها . توفي سنة ست عشرة ومائة وقيل سنة عشرين ومائة والأول أصح .

- 435 -

حمزة بن حبيب بن عمارة بن اسماعيل ، الإمام أبو عمارة التيمي ، تيم الله ولاءً وقيل نسباً ، الكوفي المعروف بالزيات ، وقيل له الزيات لأنه كان يجلبُ الزيتَ من الكوفة إلى حلوان ويجلبُ من حلوان الجبنَ والجوز إلى الكوفة : وهو الإمام الحبر شيخ القراء وأحد السبعة الأئمة ولد سنة ثمانين [في خلافة عبد الملك بن مروان] ، وأدرك الصحابة بالسن فيحتمل أن يكون رأى بعضهم .

أخذ القراءة عرضاً عن الأعمش والإمام جعفر بن محمد الصادق وابن أبي ليلى وحمران بن أعين . وروى عن الحكم وعدي بن ثابت وحبيب بن أبي ثابت وطلحة بن مطرف . وأخذ القراءة عنه إبراهيم بن أدهم وسفيان الثوري وشريك بن عبد الله وعلي بن حمزة الكسائي وغيرهم . وروى عنه يحيى بن آدم وحسين الجعفي وخلق . وإليه المنتهى في الصدق والورع والتقوى ، وإليه صارت الامامةُ في القراءة بعد عاصم والأعمش . وكان إماماً حجةً ثقة ثبتاً رضياً ، قيماً بكتاب اللّه ، بصيراً بالفرائض ، خبيراً بالعربية ، حافظاً للحديث ، عابداً زاهداً خاشعاً قانتاً للّه ورعاً عديم النظير .

قال الأعمش يوماً ، وقد رأى حمزة مقبلاً : ﴿ **وَبَشِّرِ الْمُخْبِتِين** ﴾ (الحج : 34) وقال ابن فضيل : ما أحسبُ أنَّ اللّه يدفعُ البلاءَ عن أهل الكوفة إلا بحمزة . وعن شعيب بن حرب أنه قال : ألا تسألوني عن الدرِّ يعني قراءة حمزة . وكان شيخه إذا رآه مقبلاً يقول : هذا حبر القرآن . وقال سفيان الثوري : غلب حمزةُ الناسَ على القرآن

---

435 - ترجمة حمزة بن حبيب في طبقات ابن سعد 6 : 385 وطبقات الزبيدي : 139 والفهرست : 32 والمعارف : 529 والمعرفة والتاريخ 2 : 256 وابن خلكان 2 : 216 وعبر الذهبي 1 : 226 وتاريخ الذهبي 6 : 174 وميزان الاعتدال 1 : 605 وسير الذهبي 7 : 90 وطبقات ابن الجزري 1 : 261 والوافي 13 : 172 وتهذيب التهذيب 3 : 27 والشذرات 1 : 240 . وفي ترجمته المذكورة في المختصر زيادات واختلافات عما هنا ، ولذلك سأثبتها في ملحقات الكتاب لصعوبة المزج بين الترجمتين .

والفرائض . وقال له أبو حنيفة : شيئان غلبتنا عليهما لسنا ننازعك فيهما : القرآن والفرائض . وقد وثّقه يحيى بن معين وقال : حسن الحديث عن أبي إسحاق يعني ابن أبي ليلى ، ووثقه آخرون ، وقال النسائي : ليس به بأس.

وأما ما ذكر عن أحمد بن حنبل وأبي بكر ابن عياش ويزيد بن هارون وعبد الرحمن بن مهدي وعبد اللّه بن إدريس وحماد بن زيد من كراهتهم لقراءة حمزة لما فيها من المدِّ المفرط والسَّكْتِ واعتبارِ الهمزة في الوقف والامالة ونحو ذلك من التكلف فإن حمزة أيضاً كان يكرهُ ذلك وينهَى عنه ، وروي أنه كان يقولُ لمن يفرط في المدّ والهمز : لا تفعل ، أما علمت أن ما فوق البياض فهو بَرَص ، وما فوق الجعودةِ فهو قَطَط ، وما فوق القراءة فهو ليس بقراءة.

وبعد فقد انعقد الإجماع على تلقي قراءة حمزة بالقبول ، والإنكار على من تكلم فيها . توفي حمزة بحلوان ، مدينة في آخر سواد العراق سنة ست وخمسين ومائة [في خلافة المنصور] وقيل سنة ثمان وخمسين وله ست وسبعون سنة .

- 436 -

حمزة بن الحسن الأصفهاني أبو عبد اللّه : مشهور بالفضل ، شائع الذكر ، له تصانيف جيدة ، إلا أنه [ ] وكان مع ذلك رقيعاً ناقص العقل ، غير ثبت ، ولم يُرَ في عصره أعرفُ منه بالفارسية ، ولا أحسنُ تصرفاً فيها منه . وله مصنّفات كثيرة : كتاب تاريخ أصفهان . كتاب الأمثال على أفعل[1] . كتاب أصبهان وأخبارها . كتاب التشبيهات . كتاب الأمثال الصادرة عن بيوت الشعر . كتاب أنواع الدعاء . كتاب التنبيه على حدوث التصحيف[2] . كتاب رسائل . كتاب التماثيل في تباشير السرور .

---

436 - ترجمته في الفهرست: 154 وذكر أخبار أصبهان 1 : 300 وإنباه الرواة 1 : 335 ؛ وهذه الترجمة من المختصر ؛ وذكر السمعاني في الأنساب أنه توفي قبل 360 ويستنتج من كتاب سني ملوك الأرض والأنبياء (طبعه جوتوالد ثم أعيد طبعه في بيروت) أنه كان حياً سنة 351 .

(1) حققه عبد المجيد قطامش ، ويقع في جزءين ، طبع دار المعارف بمصر 1972 .

(2) من مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق ، تحقيق محمد أسعد طلس 1968 .

كتاب جمع فيه أخبار عشرة من الشعراء المحدثين أولهم بشار . كتاب ديوان شعر أبي نواس[1] . كتاب ديوان شعر أبي تمام . كتاب مضاحك الأشعار . كتاب أعياد بغداد الفرس .

ـ 437 ـ

حمزة بن علي أبو يعلى بن العين زربي ، نسبة إلى عين زربى[2] الأديب الشاعر : قتل في الوقعة التي كسر فيها أتسز بن أوق بمصر سنة ست وخمسين وخمسمائة . ومن شعره هذه القصيدة وهي من بحر السلسلة[3] ، قال :

هل تأمنُ يُبْقي لكَ الخليطُ إذا بان ... للهمِّ فؤاداً وللمدامع أجفانْ
أتطمعُ في سلوةٍ وجسمُكَ حالٍ ... بسالسُّقْمِ ومن حبّهم فؤادك ملآنْ
تبغي أملاً دونه حُشاشةُ نفسٍ ... وهوىً في الحشا يضاعفُ أشجانْ
اعتلَّ لأجفاني القريحة أجفان ... إذ بان ركابٌ من العقيق إلى البانْ
فالدمعُ إذا ما استمر فاض نجيعاً ... والحبُّ إذا ما استمر ضاعفَ أشجانْ
للّه وجوهٌ بَدَتْ لنا كبدورٍ ... حُسْناً وقدودٍ غَدَتْ تَميسُ كاغصانْ
إذا عزموا عزمةَ الفراقِ أعاروا ... للقلب هموماً تحلُّ فيه وأحزانْ
سقياً لزمانٍ مضى ففرَّق شملاً ... أيام خلا لي العيشُ والوصلُ بحلوانْ
يا ساكنةً في الحشا ملكتِ فؤاداً ... أضحتْ حُرَقُ الوجدِ فيه تضرم نيرانْ
حَتّامَ تمنّي الفؤادَ منكِ بوعدٍ ... هل يَنْقَعُ لمعُ السرابِ غُلَّةَ عطشانْ
حتامَ أُرىَ راجياً وصالَ حبيبٍ ... قد أسرف في هجره وأصبح خوّانْ

437 ـ ترجمته في تهذيب ابن عساكر 4 : 449 (وأكثر ما أورده ياقوت عنه) وبغية الطلب 5 : 296 (وهو ممن يلحق بمعجم الشعراء) .

(1) في « أربعة » أجزاء ، تحقيق فاغنر .
(2) عين زربى (وعند ابن العديم : عين زربه) بلدة من الثغور من نواحي المصيصة .
(3) بحر السلسلة : مستفعلتن فاعلن مقاعلتن فل . والشعر عند ابن عساكر .

وقال(1) :

تناسيتم عَهْدَ الوفا(2) بعد تذكارِ ... فأجرى حديثي عنكمُ(3) مدمعي الجاري
وأنكرتموني بعد عرفان صبوتي(4) ... فهيَّجْتُمُ وجدي وأضرمتمُ ناري
وهل دام في الأيام وصلٌ لهاجرٍ ... وودٌّ لخوَّانٍ وعهدٌ لغدّارِ
ألا حاكمٌ لي في الغرام يُقيلني ... ألا آخذٌ لي بعد سفكِ دمي ثاري
وإني لصبَّار على ما ينوبني ... ولكنْ على هجرانكم غيرُ صبارِ

وقال(5) :

يا راكباً عَرْضَ الفلاة ألا ... بَلِّغ أحبّاي الذي تسمعْ
قل لهمُ ما جفَّ لي مدمعٌ ... ولم يطبْ لي بعدكم مضجعْ
ولا لقيتُ الطيفَ مذ غبتمُ ... وإنما يلقاه من يهجعْ

وقال :

المالُ يرفعُ ما لا يرفعُ الحسبُ ... والودُّ يعطفُ ما لا يعطفُ النَّسَبُ
والحلمُ آفتُهُ الجهلُ المضرُّ به ... والعقلُ آفته الإعجابُ والغضبُ

- 438 -

حميد بن ثور بن عبد الله ، وقيل ابن حزن بن عامر بن أبي ربيعة بن نهيك بن هلال الهلالي ، ويتصل نسبه بنزار بن معدّ ، أبو المثنى : أحد المخضرمين من

438 - لا وجه يسوّغ وضع حميد بن ثور في معجم الأدباء ؛ انظر ترجمته في طبقات ابن سلام : 192 والشعر والشعراء : 306 والأغاني 4 : 358 والاستيعاب 1 : 377 وأسد الغابة 2 : 53 ومصورة ابن عساكر 5 : 339 (وقد نشر صديقنا العلامة الدكتور شاكر الفحام هذه الترجمة في مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق 64 (1989) وتعقيب الشيخ الجاسر 65 (1990) ومختصر ابن منظور 7 : 272 وتهذيب ابن عساكر 4 : 459 والوافي 13 : 193 والاصابة 1 : 355 .

(1) الشعر عند ابن عساكر وابن العديم .
(2) البغية : الهوى .
(3) م : فيكم ؛ ابن عساكر : عندكم .
(4) البغية : وانكرتمُ بعد اعترافِ مودّتي .
(5) الأبيات عند ابن عساكر .

الشعراء ، أدرك الجاهلية والاسلام ، وقيل إنه رأى النبي ﷺ .

قال ابن منده : لما أسلم حميد أتى النبي ﷺ فأنشده[1] :

أصبح قلبي من سُليمى مُقْصَدَا[2] إن خطأً منها وإن تعمّدا
تحمّلِ الهمّ كلازاً جَلْعَدا تَرَى العليفيَّ عليها مُؤكدا[3]
وبين نِسْعَيْهِ خِدَبّا مُلْبِدا إذا السراب بالفلاة اطّردا[4]
ونَجِدَ الماءُ الذي تَوَرَّدا تورُّدَ السيِّدِ أراد المرصدا[5]
حتى أرانا ربُّنا محمّدا

وقيل إن حميداً قال الشعرَ في أيام عمر رضي اللّه عنه .

حدّث[6] محمد بن فَضَالة النحويّ قال : تقدّم عمر بن الخطاب إلى الشعراء ان لا يشبّب أحدٌ بآمرأة ، فقال حميد بن ثور :

أبى اللّه إلا أنَّ سرحةَ مالكٍ على كلِّ أفنانِ العضاهِ تروقُ
فقد ذهبتْ عرضاً وما فوقَ طولها من السَّرحِ الاّ عَشَّةٌ وَسَحُوقُ[7]
فلا الظلُّ من بردِ الضحى تستطيعُهُ ولا الفيءَ من بعدِ العشيِّ تذوقُ
فهل أنا إن علّلتُ نفسي بسرحةٍ من السَّرْحِ موجودٌ عليَّ طريقُ

كنى عن المرأة التي أرادها بالسرحة ، والعرب تكني عن النساء بها . وقال[8] :

لقد أمرتْ بالبُخلِ أمُّ محمدٍ فقلتُ لها حُثّي على البخلِ أحمدا

---

(1) الأبيات في ديوانه : 77 (وفيه تخريج) .
(2) مقصداً : قد أصيب بطعنة أو رمية سهم .
(3) الكلاز : الناقة المجتمعة الخلق ؛ الجلعد : الضخمة ، العليفي : المنسوب إلى علاف ، وهو أول من عمل الرحال ، المؤكد : الشديد الأسر .
(4) النسع : سير من جلد ؛ الخدب : الضخم يريد السنام ، ملبد : عليه لبدة من الوبر .
(5) نجد الماء : سال (يريد به العرق) تورّد : تلوّن ، شبه تلونه بتلون السيد والسيد : الذئب ، المرصد : الطريق الذي يرصد الذئب فيه فريسته .
(6) الأغاني 4 : 358 وانظر الديوان : 38، 39، 40 .
(7) العشة : القليلة الأغصان والورق ، والسحوق : المفرطة في الطول .
(8) الحماسة 4 : 123 والديوان : 76 .

فــإني امـرؤٌ عــوَّدتُ نفسيَ عـادةً ... وكـلُّ امرىءٍ جـارٍ على مـا تعوَّدا
أحينَ بدا في الرأس شيبٌ وأقبلتْ ... إليَّ بنــو غيـلانَ مَثْنَى ومَــوْحـدا
رجـوتِ سقاطي واعتـلالي ونبوتي ... وراءَك عني طـالقـاً وارحلي غــدا

وقال[1] :

فـلا يُبعـد اللّه الشبـابَ وقـولنـا ... إذا مـا صبـونـا صبـوةً سنتـوبُ
ليـاليَ سمعُ الغـانيـاتِ وطـرفهـا ... إليَّ وإذ ريـحي لهنَّ جَنــوبُ[2]

وقال[3] :

لــو لــم يُــوكَــلْ بــالــفــتــى ... إلاّ الــسـلامـةُ والـنـعـمْ
وتـنـــاوبـــاه لأوشـكـــا ... أن يُـسْــلمــاهُ إلــى الـهَــرمْ

وقال[4] :

ومـا هاج هـذا الشوقَ إلاّ حمـامـةٌ ... دَعَتْ سـاقَ حُـرّ مغـرمـاً فتـرنّمـا
بكت مثل ثكلى قد اصيب حميمُها ... مخـافـة بين يتـرك الحبلَ أُجْـذَمـا
فلم أر مثلي شـاقـه صـوتُ مثلهـا ... ولا عـربيـاً شـاقَـهُ صـوتُ اعجمـا

وقال أيضاً لما حظر عمرُ على الشعراء ذكرَ النساءِ[6] :

تجــرَّمَ أهلوهــا لأن كنتُ مُشْعِـراً ... جنونـاً بهـا يا طـولَ هذا التجـرُّمِ[7]
ومــا لـيَ من ذنـب إليـهم عـلمتــهُ ... سوى أنني قد قلتُ يا سرحةُ اسلمي
بلى فاسلمي ثم اسلمي ثمتَ اسلمي ... ثــلاثَ تـحيــاتٍ وإن لـم تَكَـلَّمـي

---

(1) الديوان : 52 من قصيدة طويلة (وتخريجها ص : 60) .
(2) تقول العرب للاثنين إذا كانا متصافيين : ريحهما جنوب .
(3) الديوان : 134 عن معجم الأدباء .
(4) الأبيـات في الديـوان : 24 ، 27 وانظر شـرح شواهـد الكشاف : 292 ومعـاني العسكري 1 : 336 والزهرة: 245 وسرور النفس: 95 والوحشيات: 193 .
(5) م : شوق حر مغرم ؛ وساق حر : ذكر الحمام .
(6) الديوان : 133 .
(7) تجرم : ادعوا جرماً : مشعراً جنوناً : خالطه الجنون .

وقال لزوجته[1] :

فاقسمُ لولا أنَّ حُدباً تتابعت ... عليَّ ولم أبرحْ بدَيْنٍ مُطرَّدا[2]
لزاحمتُ مكسالاً كأن ثيابها ... تجنُّ غزالاً بالخميلةِ أغيدا
إذا أنت باكرتَ المنيئةَ باكرتْ ... مَدَاكا لها من زعفرانٍ وإثمدا[3]

- 439 -

حميد بن مالك الأرقط، ولقب بالأرقط لآثارٍ كانت بوجهه : وهو شاعرٌ إسلامي مُجيدٌ، وكان بخيلاً ؛ قال أبو عبيدة[4] : بخلاء العربَ أربعة : الحطيئة وحميد الأرقط وأبو الأسود الدؤلي وخالد بن صفوان .

ومن شعر حميد :

قد أغتدي والصبحُ محمرُّ الطُّرَرْ ... والليلُ تحدوه تباشيرُ السمرْ
وفي تواليه نجومٌ كالشَّرَرْ ... بسُحُقِ المَيْعَةِ ميالِ العُذَر
كأنه يومَ الرهانِ المحتضَرْ ... وقد بدا أولَ شخصٍ يُنتظر
دونَ أثابيِّ من الخيلِ زُمَر ... ضارٍ غدا ينفضُ صيبان المطر
عن زِفٍّ ملحاحٍ بعيدِ المنكدر ... أقنى تظلُّ طيره على حذر
يَلُذْنَ منه تحتَ أفنانِ الشَّجَرْ ... من صادقِ الوُرْقِ طروحٍ بالبصر

---

439 - ترجمة حميد الأرقط في الخزانة 2 : 454 والسمط : 659 وفرحة الأديب : 42، 44 وبعض خبره في التذكرة الحمدونية 2 : 313 - 314 (وهو دخيل على معجم الأدباء) وكان معروفاً بهجاء الضيفان .

....

(1) الديوان : 80 .
(2) الحدب : السنوات المجدبة .
(3) المنيئة : دباغة الجلود ؛ المداك : الحجر يسحق عليه الطيب .
(4) ورد القول في الأغاني 2 : 136 ونور القبس : 146 والتذكرة الحمدونية 2 : 313 ونهاية الأرب 3 : 297 والمستطرف 1 : 171 .

بعيـد تَوْهِيمِ الـوقـاع والنـظرْ كـأنمـا عيناه في حَـرفَيْ حَجَـرْ
بين مـآقٍ لـم تُخَـرَّقْ بـالإبَـرْ

وقال في وصف أفعى[1] :

منهرتِ الشدقِ رقـودِ الضحى سـارٍ طمـورٍ بـالـدجنـاتِ
وتـارةً تـحـسـبُـهُ ميّـتـاً من طـول إطراقٍ وإخبـاتِ
يُسْبِتُـهُ الصبـحُ وطـوراً لـه نفحٌ ونفثٌ[2] في المغـاراتِ

ـ 440 ـ

حميد بن مالك بن مغيث بن نصر بن منقذ بن محمد بن منقذ ، مكين الدولة أبو الغنائم الكناني : ولد بشيزر سنة إحدى وتسعين وأربعمائة وبها نشأ ثم انتقل إلى دمشق وسكنها ، واكتتب في الجيش وكان يحفظ القرآن ، وكان أديباً شاعراً ، توفي بحلب في شعبان سنة أربع وستين وخمسمائة . ومن شعره :

أدنـو بودّي وحـظّي منـك يُبعـدني هـذا لعمـرك عينُ الغَبْنِ والغَبَنِ
وإن تـوخيَّتَني يـومـاً بـلائـمـةٍ رجعتُ باللوم إبقـاءً على الـزمنِ
وحسنُ ظنيَ مـوقوفٌ عليـكَ فهـل عدلتَ في الظنِّ بي عن رأيك الحسنِ

وقال :

وقهـوةٍ كـدمـوع الصبِّ صـافيـةٍ تكادُ في الكأس عند الشربِ تلتهبُ
يطفو الحبابُ عليها وهي راسبـةٌ كـأنـه فضـةٌ من تحتهـا ذهبُ

---

440 ـ ترجمة ابن منقذ هذا قد مرّت من قبل ضمن ترجمة أسامة بن منقذ التي ذكر فيها المؤلف عدداً من المناقذة ؛ وانظر مصورة ابن عساكر 5 : 356 وتهذيبه 4 : 466 ومختصر ابن منظور 7 : 276 وكل ما أورده ياقوت من مقطعات منقول عن ابن عساكر .

(1) ورد الشعر في الحيوان للجاحظ 4 : 180 ، 282 ـ 283 (ولم ينسبه) .
(2) م : ونقب .

وقال :

وسلافةٍ أزرى آحمرارُ شعاعِها ... بالوردِ والوجَناتِ والياقوتِ
جاءت مع الساقي تنيرُ بكأسها ... فكأنها اللاهوتُ في الناسوتِ

وقال :

ما بعد جلَّقَ للمرتادِ منزلةٌ ... ولا كسكانها في الأرضِ سكانُ
فكلُّها لمجالِ الطرفِ منتزهٌ ... وكلهم لصروفِ الدهر أقرانُ
وهم وإن بعدوا منّي بنسبتهم ... إذا بلوتهمُ بالودِّ إخوانُ

وقال :

وبلدةٍ جمعت من كلِّ مبهجةٍ ... فما يفوتُ لمرتادٍ بها وَطَرُ
بكلِّ مشترفٍ من ربعها أفقٌ ... وكلِّ مشترفٍ من أفقها قمرُ

ـ 441 ـ

حميدة بنت النعمان بن بشير الأنصاري : شاعرة ابنة شاعر ، كانت تحت خالد بن المهاجر بن خالد بن الوليد ، تزوّج بها بدمشق لما قدم على عبد الملك بن مروان ، فقالت فيه(1) :

نكحتُ المدينيَّ إذ جاءني ... فيا لكِ من نكحةٍ غاوِيَهْ
كهولُ دمشقَ وشبانها ... أحبُّ إلينا من الجاليهْ
صنانٌ لهم كصنانِ التيوسِ ... أعيا على المسك والغاليهْ

فقال يجيبها(2) :

441 ـ انظر الأغاني 9 : 218 (في أخبار الحارث بن خالد) 220 ـ 225 ؛ 16 : 21 وانظر البحث القيم الذي كتبه صديقنا العلاّمة أحمد راتب النفاخ في مجلة المجمع العربي بدمشق [3 (1984) 587 ـ 615] وحميدة هذه إنما يترجم لها في معجم الشعراء .

(1) الأغاني 9 : 218 .

(2) الأغاني 9 : 218 ـ 219 .

أسنا ضوءِ نارٍ ضِمرةَ بالقفـ ـرة أبصرتُ أم سنا ضوءِ برقِ
قاطناتُ الحجون أشهى إلى قلـ ـبيَ من ساكناتِ دورِ دمشقِ
يتضوَّعْنَ لو تضمخن بالمسـ ـكِ صُناناً كأنه ريحُ مَرْقِ

ثم طلقها فخلف عليها روح بن زنباع، فنظر إليها يوماً تنظر إلى قومه جِذام وقد اجتمعوا عنده، فلامها فقالت: وهل أرى إلا جذاماً فوالله ما أحبُّ الحلال منهم فكيف بالحرام؟ وقالت تهجوه[1]:

بكى الخزُّ من روحٍ وأنكر جلدَهُ وعَجَّتْ عجيجاً من جذامَ المطارفُ
وقال العبا قد كنتُ حيناً لباسهم وأكسيةٌ كرديةٌ وقطائفُ

فقال روح يجيبها:

فإن تبكِ منا تبكِ ممن يهينها وما صانها إلا اللئامُ المقارفُ[2]

وقال لها[3]:

أثني عليَّ بما علمتِ فإنني مثنٍ عليك لبئسَ حَشْوُ المِنْطَقِ

فقالت:

أثني عليكَ بأنَّ باعك ضيقٌ وبأن أصلك في جذامٍ مُلْصَقُ

فقال روح:

أثني عليَّ بما علمتِ فإنني مثنٍ عليك بنتنِ ريحِ الجوربِ

---

(1) الأغاني 9: 220.
(2) الأغاني: وإن تهوكم تهو اللئام المقارفا.
(3) الأغاني 9: 221.

- 442 -

حيان بن خلف بن حسين بن حيان بن محمد بن حيان بن وهب بن حيان أبو مروان القرطبي ، صاحب تاريخ الأندلس : مات سنة سبع وستين وأربعمائة ، وكان من موالي الأمير عبد الرحمن بن معاوية بن هشام بن عبد الملك بن مروان . قال : التهنئة بعد ثلاث استخفاف بالمودة ، والتعزية بعد ثلاث إغراءٌ بالمصيبة .

- 443 -

[. . . . .]

حيدرة بن أبي الغنائم المعمر بن محمد بن المعمر بن أحمد بن محمد بن أبي علي بن محمد بن الحسين بن عبد الله بن علي بن عبد الله الأعرج بن الحسين الأصغر بن علي زين العابدين بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليهم السلام : مات سنة إحدى وخمسمائة وولي النقابة .

442 ـ مؤرخ الأندلس وترجمته هذه من المختصر وله ترجمة في الجذوة ؛ 188 (وبغية الملتمس رقم : 679) والصلة : 150 والذخيرة 1 : 573 (وانظر الحاشية ففيها حديث عما ظهر ونشر من كتابه المقتبس ، وعن أهم الدراسات الحديثة التي تناولته) : وابن خلكان 1 : 457 والوافي 13 : 224 والبداية والنهاية 12 : 117 وعبر الذهبي 3 : 270 والشذرات 3 : 333 .

443 ـ هذه الترجمة من المختصر ؛ وانظر الوافي 13 : 228 والجواهر المضية 2 : 228 وكنية حيدرة أبو الفتوح ولقبه الرضي ، حفظ القرآن في صباه وقرأ الأدب وكتب بخطه كثيراً من كتب التفسير والحديث والسير والأنساب والأدب ، وكان خطه مليحاً ؛ وجعل الصفدي وفاته سنة 502 .

حرف الخاء

****

ـ 444 ـ

خالد الزبيدي اليمني : شاعرٌ إسلامي مقلٌّ ، قال أبو عبيدة معمر بن المثنى : قدم خالد الزبيدي في جماعة معه من زَبيد إلى سنجار ومعه ابنا عمٍّ له يقال لأحدهما ضابىء وللآخر عُويد ، فشربوا يوماً من شراب سنجار فحنُّوا إلى بلادهم ، فقال خالد :

أيا جبلي سنجارَ ما كنتما لنا   مَقِيظاً ولا مَشْتَى ولا مُتَرَبَّعا
ويا جبلي سنجارَ هلَّا بكيتما   لداعي الهوى منا شتيتين أدمعا
فلو جبلا عُوجٍ شكونا إليهما   جَرَتْ عبراتٌ منهما أو تصدَّعا
بكى يومَ تلِّ المحلبيةِ ضابىءُ   وأَلهى عُويداً بثُّهُ فتقنعا

فانبرى له رجلٌ من النمر بن قاسط يُقال له دثار أحد بني حُيي فقال :

أيا جبليْ سنجارَ هلَّا دققتما   بركنيكما أَنْفَ الزبيديِّ أجمعا
لعمرك ما جاءت زبيدُ لهجرةٍ   ولكنَّها كانت أُرامِلَ جُوَّعا
تبكّي على أرض الحجازِ وقد رأت   جرائبَ خَمْساً في جُدالَ فأَربعا(1)

فأجابه خالد يقول :

وسنجار تبكي سوقُها كلما رأتْ   بها نَمَرِياً ذا كساوَيْن أيفعا

---

444 ـ كرَّر المؤلف ما ورد هنا في مادة « سنجار » من معجم البلدان . (وخالد الزبيدي يلحق بمعجم الشعراء) .

(1) جرائب : جمع جريب ، وجدال : قرية قرب سنجار كأنه يتعجب من ذلك ويقول : كيف تحنّ إلى أرض الحجاز وقد شبعت بهذه الديار (عن معجم البلدان) .

إذا نمــريٌّ طـالبَ الــوتــرَ غــرَّه — من الـوترِ أن يلقى طعـاماً فيشبعـا
إذا نمـريّ ضـاف بيتــك فـاقــرِهِ — مع الكلبِ زاد الكلب واسجرهما معا
أمِنْ أجـل مُـدٍّ من شعيـرٍ قَـرَيتَــهُ — بكيتَ وناحتْ أمُّك الحـولَ أجمعا
بـكى نـمــريٌّ أرغـم الـلّه أنـفَــهُ — بسنجــارَ حتى تُنْفِـدَ العينُ أدمعــا

ـ 445 ـ

خالد بن خداش بن عجلان أبو الهيثم ، مولى المهلب بن أبي صفرة : مات سنة ثلاث وعشرين ومائتين ، أخذ [الحديث عن مالك بن أنس والمغيرة بن عبد الرحمن وغيرهما . . .] [وله من الكتب : كتاب الازارقة وحروب المهلب . كتاب أخبار آل المهلب] .

ـ 446 ـ

خالد بن صفوان بن عبد الله بن عمرو بن الأهتم ، أبو صفوان التميمي المنقري البصري ، أحد فصحاء العرب وخطبائهم : كان راوية للأخبار خطيباً مفوّهاً بليغاً ، وكان يجالس هشام بن عبد الملك وخالداً القسريّ .

حدث العتبي قال[1] قال هشام بن عبد الملك لشبَّةَ بن عقال ، وعنده الفرزدق

445 ـ من المختصر ، وانظر ترجمته في الفهرست: 121 وتاريخ بغداد 8: 304 وابن خلكان 2: 231 وتهذيب التهذيب 3: 85 وطبقات أبي يعلى 1: 152 وسير الذهبي 10: 488 وميزان الاعتدال 1: 629 وعبر الذهبي 1: 386 وتهذيب الكمال 1: 351 (وفي حاشيته تخريج كثير) والوافي 13: 276 وقد أورد المزي جريدة طويلة بأسماء شيوخه ومن روى عنه ، وما قاله العلماء في توثيقه أو تضعيفه .

446 ـ ترجمة خالد بن صفوان في مصورة ابن عساكر 5: 465 وتهذيب ابن عساكر 5: 56 ومختصر ابن منظور 7: 353 والمعارف: 403 وسير الذهبي 6: 226 والوافي 13: 254 وأخباره منثورة في كتب الأدب مثل البيان والتبيين والكامل والعقد وأمالي المرتضى والبصائر والتذكرة الحمدونية. جمع خطبه د . يونس أحمد السامرائي ، بغداد: 1990 .

(1) الأغاني 8: 81 وخطب خالد : 82 ـ 83 .

وجرير والأخطل ، وهو يومئذ أمير : ألا تخبرني عن هؤلاء الذين قد مزَّقوا أعراضهم ، وهتكوا أستارهم ، وأغْرَوْا بين عشائرهم في غير خيرٍ ولا برٍّ ولا نفع ، أيهم أشعر ؟ فقال شبة : أما جرير فيغرفُ من بحر ، وأما الفرزدق فينحتُ من صخر ، وأما الأخطل فيجيدُ المدحَ والفخر . فقال هشام : ما فَسَّرْتَ لنا شيئاً نحصّله ، فقال : ما عندي غير ما قلت ، فقال لخالد بن صفوان : صفهم لنا يا ابن الأهتم ، فقال : أما أعظمهم فخراً ، وأبعدهم ذكراً ، وأحسنهم عذراً، وأسيرهم مثلاً[1] ، وأقلهم غزلاً ، وأحلاهم عللاً ، الطامي إذا زخر ، والحامي إذا زأر ، والسامي إذا خطر ، الذي إن هَدَرَ قال ، وإن خطر صال ، الفصيح اللسان ، الطويل العنان ، فالفرزدق . وأما أحسنهم نعتاً ، وأمدحهم بيتاً ، وأقلهم فوتاً ، الذي إن هجا وضع ، وإن مدح رفع فالأخطل . وأما أغزرهم بحراً ، وأرقهم شعراً ، وأهتكهم لعدوه ستراً ، الأغر الأبلق ، الذي إن طَلَبَ لم يُسْبَقْ ، وإن طُلِب لم يُلْحَقْ فجرير ، وكلهم ذكيّ الفؤاد ، رفيع العماد ، واري الزناد . فقال له مسلمة بن عبد الملك : ما سمعنا بمثلك يا خالد في الأولين ولا رأينا في الآخرين وأشهد أنك أحسنهم وصفاً ، وألينهم عطفاً ، وأعفّهم مقالاً ، وأكرمهم فعالاً . فقال خالد : أتمَّ الله عليكم نعمه ، وأجزل لديكم قِسَمَه، وآنس بكم الغربة ، وفرَّج بكم الكربة ، وأنتم والله ما علمتُ أيها الأمير كريمُ الغراس، عالم بالناس ، جوادٌ في المحل ، بسَّام عند البذل ، حليمٌ عند الطيش ، في ذروة قريش ، ولباب عبد شمس ، ويومك خيرٌ من أمس . فضحك هشام وقال : ما رأيتُ كتخلصك يا ابن صفوان في مدح هؤلاء ووصفهم حتى أرضيتهم جميعاً .

وعن عمر بن شبة[2] قال مرَّ خالد بن صفوان بأبي نخيلة الشاعر الراجز وقد بنى داراً ، فقال له أبو نخيلة : يا أبا صفوان كيف ترى داري ؟ قال : رأيتك سألت فيها إلحافاً ، وأنفقت ما جمعتَ لها إسرافاً ، جعلتَ إحدى يديك سطحاً ، وملأت الأخرى سلحاً ، فقلتَ من وضع في سطحي ، وإلاّ ملأته بسلحي . ثم ولّى وتركه ، فقيل له ألا تهجوه ؟ فقال : إذن والله يركبُ بغلته ويطوف في مجالس البصرة ويصفُ أبنيتي بما يعيبها .

(1) م : وأشدهم ميلاً .

(2) الأغاني 20 : 363 وخطب خالد : 108 ـ 109 .

وعن يونس بن حبيب النحوي قال قال رجل لخالد بن صفوان : كان عبدة بن الطبيب لا يحسنُ أن يهجو، فقال: لا تقلْ ذاك ، فواللّه ما أبى عن عيّ ، ولكنه كان يترفّعُ عن الهجاء ويراه ضعةً كما يرى تركه مروءةً وشرفاً ، ثم قال :

وأجــرأ من رأيتُ بــظهــر غيبٍ على عَيْبِ الرجالِ أولـو العيوبِ

وحدّث شبيب بن شبة[1] عن خالد بن صفوان قال : أوفدني يوسف بن عمر الثقفي إلى هشام بن عبد الملك في وفد العراق ، فقدمتُ عليه وقد خرج متبدياً بأهله وقرابته وحشمه وجلسائه وغاشيته ، فنزل في أرض قاع صَحْصَح متنايف أفيح ، في عامٍ قد بكر وسميّه وتتابع وليُّه وأخذت الأرضُ فيه زينتها من اختلاف ألوان نبتها من نور ربيع مونق ، فهو في أحسن منظر ومخبر وأحسن مستمطر ، بصعيدٍ كأن تـرابه قـطع الكافور ، حتى لو أن قطعة ألقيت فيه لم تترب ، وقد ضُرِبَ له سرادق من حِبَرٍ كان صنعه له يوسف بن عمر باليمن ، فيه فسطاطٌ فيه أربعة أفرشة من خزّ أحمر ، مثلها مرافقها ، وعليه دراعة من خز أحمر ، مثلها عمامتها ، وقد أخذ الناسُ مجالسهم ، فأخرجتُ رأسي من ناحية السمـاطِ ، فنظر إليّ مثـل المستنطق لي فقلت : أتمَّ اللّه عليك يا أمير المؤمنين نعمه وسوغكها بشكره ، وجعل ما قلّدك من هذا الأمر رشداً ، وعاقبة ما تؤول إليه حمداً ، وأخلصه لك بالتقى ، وكثره لك بالنما ، ولا كدَّر عليك منه ما صفا ، ولا خلط سروره بالردى ، فلقد أصبحتَ للمسلمين ثقة ومستراحاً ، إليك يفزعون في مظالمهم ، وإياك يقصدون في أمورهم ، وما أَجِدُ يا أمير المؤمنين - جعلني اللّه فداءك - شيئاً هو أبلغُ في قضاء حقّك وتوقير مجلسك ومـا منَّ اللّه به عليَّ من مجالستك والنظرِ إلى وجهك من أن أذكّرك نعمةَ اللّه عليك ، فأنبهك على شكرها ، وما أجد في ذلك شيئاً هو أبلغُ من حديثِ مَنْ سلف قبلك من الملوك ، فإن أذن لي أمير المؤمنين أخبرته ، وكان متكئاً فاستوى قاعداً وقال : هات يا ابن الأهتم ، فقلت : يا

(1) الأغاني 2 : 113 - 115 وتهذيب ابن عساكر 5 : 57 - 59 (وهناك رواية أخرى 59 - 60 عن الجليس الصالح) وانظر عيون الأخبار 2 : 341 والامامة والسياسة 2 : 105 والمصباح المضيء 2 : 110 والتذكرة الحمدونية 1 : 154 - 156 والذهب المسبوك : 183 - 186 وقصيدة عدي في ديوانه : 84 (وفيه تخريج كثير) .

أمير المؤمنين إن ملكاً من الملوك قبلك خرج في عام مثلِ عامنا هذا إلى الخورنق والسدير ، في عام قد بكّر وسميُّه وتتابع وليُّه ، وأخذت الأرض زينتها من اختلاف ألوان نبتها من نور ربيع مونق في أحسن منظر وأحسن مخبر ، بصعيدٍ كأن ترابه قِطَعُ الكافور ، وقد كان أعطي فَتاءَ السنِّ مع الكثرة والغلبة والقهر ، فنظر فأبعد النظر فقال لمن حوله : هل رأيتم مثلَ ما أنا فيه ؟ وهل أعطي أحدٌ مثل ما أعطيت ؟ فكان عنده رجل من بقايا حَمَلَةِ الحجّة والمضيّ على أدب الحق ومنهاجه ، ولم تخل الأرضُ من قائم للّه بالحجة في عباده فقال أيها الملك ، إنك سألتَ عن أمر أفتأذنُ في الجواب عنه ؟ قال : نعم ، قال أرأيت هذا الذي أنت فيه : أشيء لم تزلْ فيه أم شيء صار إليك ميراثاً ، وهو زائل عنك ، وصائر إلى غيرك كما صار إليك ميراثاً من لدن غيرك ؟ قال : كذلك هو . قال : فلا أراك إلا أُعجبت بشيء يسير تكونُ فيه قليلاً وتغيبُ عنه طويلاً ، وتكون غداً بحسابه مرتهناً . قال : ويحك فأين المهرب وأين المطلب ؟ قال : فإما أن تقيم في ملكك وتعمل فيه بطاعة ربك على ما ساءك وسرَّك ومضَّك وأرْمَضك ، وإما أن تضعَ تاجك وتخلع أطمارك وتلبس مسوحك ، وتعبد ربك في جبل حتى يأتيك أجلك . قال : فإذا كان السحر فاقرعْ عليَّ بابي فإني مختارٌ أحدَ الرأيين ، فإن اخترت ما أنا فيه كنتَ وزيراً لا يُعْصَى ، وإن اخترتُ خلواتِ الأرض وَقَفْرَ البلادِ كنتَ رفيقاً لا يخالَف . فلما كان السحر قَرَعَ عليه بابه ، فإذا قد وضع تاجه وخلع أطماره ولبس المسوحَ وتهيأ للسياحة ، فلزما واللّه الجبل حتى أتاهما أجلهما ، فذلك حيث يقول أخو بني تميم عديُّ بن زيد العبادي :

أيها الشامتُ المعيِّر بالدهـ ... ـرِ أأنت المبرأ الموفورُ
أم لديك العهدُ الوثيقُ من الأيـ ... ـام بل أنت جاهلٌ مغرورُ
من رأيتَ المنون خَلَّدْنَ أم مَنْ ... ذا عليه من أن يُضَامَ خفير
أين كسرى كسرى الملوك أنوشر ... وانَ أم أينَ قبله سابور
وبنو الأصفرِ الكرامُ ملوكُ الـ ... ـروم لم يبقَ منهمُ مذكور
وأخو الحَضْر إذ بناه وإذ دجـ ... ـلةُ تُجْبَى إليه والخابور
شاده مرمراً وجلَّله كِلـ ... ـساً فللطيرِ في ذَراهُ وُكُور

لم يهبه ريبُ المنونِ فباد الـ ـملكُ عنه فبابُهُ مهجور
وتذكَّرْ ربَّ الخورنق إذ أشـ ـرفَ يوماً وللهدى تفكير
سَرَّهُ مالُهُ وكثرةُ ما يمـ ـلُكَ والبحرُ معرضاً والسدير
فارعوى قلبُهُ وقال وما غبـ ـطةُ حيٍّ إلى الممات يصير
ثم بعد الفلاح والملك والنعـ ـمة وارتهمُ هناك قبور
ثم صاروا كأنهم ورقٌ جـ ـفَّ فألْوَتْ به الصَّبا والدَّبور

قال : فبكى هشام حتى اخضلت لحيته وبلت عمامته ، وأمر بنزع أبنيته ونقل قرابته وأهله وحشمه وجلسائه وغاشيته ، ولزم قصره . فأقبلت الموالي والحشم على خالد بن صفوان فقالوا : ما أردت بأمير المؤمنين ؟ نغصت عليه لذته وأفسدت مأدبته . فقال لهم : إليكم عني فإني عاهدتُ اللّه عز وجل ألا أخلو بملك إلا ذكّرته الله عز وجل .

وتقدم في ترجمة حميد الأرقط[1] من كلام أبي عبيدة أن خالد بن صفوان مع فضله وجلالته أحد بخلاء العرب الأربعة : روي[2] أنه أكل يوماً خبزاً وجبناً ، فرآه أعرابيٌّ فسلم عليه ، فقال له خالد : هلمّ إلى الخبز والجبن فإنه حمض العرب ، وهو يُسيغُ اللقمةَ ويفتقُ الشهوة وتطيبُ عليه الشربة ، فانحطَّ الأعرابي فلم يبقِ شيئاً منهما ، فقال خالد يا جارية زيدينا خبزاً وجبناً ، فقالت : ما بقي عندنا منه شيء ، فقال خالد : الحمدُ للّه الذي صرفَ عنا معرته ، وكفانا مؤونته ، واللّه إنه ما علمته ليقدحُ في السنّ ، ويخشِّنُ الحلقَ ، ويربو في المعدة ، ويعسر في المخرج . فقال الأعرابي : واللّه ما رأيتُ قط قُرْبَ مدحٍ من ذمّ أقربَ من هذا .

ومن حكم خالد بن صفوان [3] :

إن جعلك الأمير أخاً فاجعله سيداً ، ولا يحدثنَّ لك الاستئناسُ به غفلةً عنه ولا تهاوناً .

---

(1) انظر الترجمة رقم : 439 .

(2) تهذيب ابن عساكر : 62 ـ 63 وخطب خالد : 62 .

(3) تهذيب ابن عساكر 5 : 63 وقارن بما ورد في التذكرة الحمدونية 1 : 327 (رقم 2/885) وفيه تخريج .

وقال(1) : ابذل لصديقك مالك ، ولمعرفتك بشرك وتحيتك ، وللعامة رفدك وحسن محضرك ، ولعدوك عدلك ، واضننْ بدينك وعرضك عن كلِّ أحد .

وقال(2) : إن أولى الناس بالعفو أقدرهم على العقوبة وأنقصُ الناس عقلاً من ظلم من هو دونه .

وقال(3) : لا تطلبوا الحوائج في غير حينها ، ولا تطلبوها إلى غيرأهلها ، ولا تطلبوا ما لستم له بأهل فتكونوا للمنع أهلاً .

توفي خالد بن صفوان سنة خمس وثلاثين ومائة .

ـ 447 ـ

خالد بن طليق بن محمد بن عمران بن حصين الخزاعي: اخباري راوية نَسَّابة ، وكان معجباً تياهاً . ولاه المهدي قضاء البصرة . وبلغ من تيهه أنه كان إذا أقيمت الصلاة قام في موضعه ، فربما قام وحده ، فقال له إنسان مرة : سوِّ الصف . فقال : بل يستوي الصف بي . مصنفاته : كتاب المآثر ، كتاب المتزوجات، كتاب المنافرات ، كتاب الرهان .

ـ 448 ـ

خالد بن كلثوم بن سمير الكلبي [الكوفي] : مولى شُريح بن بسطام [لغوي

---

447 ـ هذه الترجمة من المختصر . وانظر : الفهرست : 107 (وياقوت ينقل عنه) وقضاة وكيع 2 : 123 ـ 133 .

448 ـ هذه الترجمة من المختصر ، وانظر الفهرست : 73 ومراتب النحويين : 72 ونور القبس : 291 (ذكره عرضاً) وطبقات الزبيدي 194 (ذكر اسمه وموضع ترجمته بياض) وإنباه الرواة 1 : 352 والبلغة : 76 (بإيجاز شديد) وبغية الوعاة 1 : 550 وإشارة التعيين : 111 .

---

(1) تهذيب ابن عساكر : 64 .

(2) تهذيب ابن عساكر : 65 .

(3) تهذيب ابن عساكر : 65 .

راوية لأشعار القبائل وأخبارها وعارف بالأنساب والألقاب وأيام الناس] . حدث المرزباني بما رفعه إلى عمر بن الأنصاري قال : قرأت على خالد بن كلثوم شعر الفرزدق بين يدي خالد بن يزيد بن مزيد ، ومرّت قصيدة الفرزدق التي مدح بها بني شيبان ، فاستقصيت عليه في المسألة عن معانيها وغريبها . فلما فرغت منها ، وحضر الغداء وغمسنا أيدينا في الطعام، قال: يا أنصاري، أنت تظن أنك قد استقصيت ما في هذه القصيدة ؟ فقلت : كذلك عند نفسي . قال : فأي شيء معنى قوله :

أناسٌ إذا ما أنكر الكلبُ أهله   أناخوا فعاذوا بالسيوف الصوارم

متى ينكر الكلب أهله ؟ قال : فقلت : لا والله ما أدري ، وامتنع من تفسيره ، فأومأت إلى خالد حتى سأله أن يفعل . فقال : ينكر الكلب أهله إذا تقنعوا بالحديد . مصنفاته : كتاب الشعراء المذكورين ، كتاب أشعار القبائل .

ـ 449 ـ

خالد بن يزيد بن أبي سويد بن أسد أبو الهيثم المراري اللغوي : مات سنة ست وسبعين ومائتين ، وهو ابن تسعين سنة . قيل : رُئي على باب المسجد الجامع يشتري الفانيذ والسكر والعسل والتمر . فقيل له : يا أبا الهيثم ، تشتري أربعة من الحلوى في وقت واحد ، وأنت ليس لك شيء وإنما تأخذ من الناس ؟ فقال :

فليس يحفظ العلم إلا بالحلواء والمرقة .

وكان إماماً في اللغة وعلم العربية ، والصلابة في السنة . وقال : رأيت ربَّ العزة في النوم ، فقال لي : يا خالد ، أيش علَّمْتَ عبادي ؟ فقلت : يا رب ، علمتهم التشهد .

وقال : كان عندنا بالري قاضٍ ، فورد عليه كتاب عزْله ، فلما نظر فيه مات مكانه .

---

449 ـ هذه الترجمة من المختصر .

قال أبو الهيثم[1] ، قال لي أبو ليلى الأعرابي ولصاحبٍ لي كنا نختلف إليه : أنت بُلْبُلٌ قُلْقُلٌ ، وصاحبك هذا عِثْوَلٌ قِثْوَل ـ القلقل والبلبل ، الخفيف من الرجال . والعثول والقثول الفدم[2] .

ـ 450 ـ

خالد بن يزيد بن معاوية بن أبي سفيان، الأمير أبو هاشم الأموي : كان من رجالات قريش المتميزين بالفصاحة والسماحة وقوةِ العارضة ، علّامةً خبيراً بـالطبِّ والكيمياء شاعراً .

قال الزبير بن مصعب : كان خالد بن يزيد بن معاوية موصوفاً بالعلم حكيمـاً شاعراً ؛ وقال ابن أبي حاتم : كان خالد من الطبقة الثانية من تابعي أهل الشام ، وقيل عنه قد عَلِم علم العرب والعجم .

روى خالد الحديثَ عن أبيه وعن دحية بن خليفة الكلبي رضي الله عنه ، وروى عنه الزهري وغيره . وأخـرج البيهقي والخطيب البغـدادي والعسكري والحـافظ ابن عساكر عنه عدة أحاديث . وكان إذا لم يجد أحداً يحدثه حدَّث جواريه[3] وكان من صالحي القوم ، وكان يصومُ الجمعةَ والسبت والأحد .

---

450 ـ ترجمة خالد بن يزيد في مصورة ابن عساكر 5 : 579 ومختصر ابن منظور 8 : 33 وتهذيب الكمال 8 : 201 وتهذيب ابن عساكر 5 : 119 وأنساب الأشراف 4/1 : 359 ـ 367 وابن خلكان 2 : 224 وتاريخ الحكمـاء : 440 والمعارف : 352 ونسـب قـريش : 128 ـ 130 والفهرست : 419 والـوافي 13 : 270 وسير الذهبي 9 : 411 والعبر 1 : 105 والبداية والنهاية 9 : 60 وتهذيب التهذيب 3 : 128 وكتب التاريخ مثل الطبري وابن الأثير والمعرفة والتاريخ وتاريخ أبي زرعة وتاريخ خليفة ؛ وكتب الأدب كالبيان وغيره ، وانظر أيضاً المقفى 3 : 774 .

(1) هذا النص في اللسـان (بلل) (عثل) (قثل) . قال أبو الهيثم قال لي أبو ليلى الأعرابي : أنت قلقل بلبل أي ظريف خفيف ؛ والعثول : الأحمق ، والقثول : العيي الفدم .

(2) هذا الشرح ورد في الحاشية بخط ناسخ المختصر .

(3) زاد ابن عساكر : ثم يقول إني لأعلم أنكن لسنن له بأهل ، يريد بذاك الحفظ .

وكان يقول : كنتُ مَعْنِيّاً بالكتب وما أنا من العلماء ولا من الجهال.

وكان خالد جواداً ممدَّحاً ، جاءه رجل فقال له : إني قد قلتُ فيك بيتين ولست أنشدهما إلا بحكمي ، فقال له : قل ، فقال :

سألتُ الندى والجود حُرَّان أنتما فقالا لي بل عبدان بين عبيدِ[1]
فقلتُ ومن مولاكما فتطاولا عليَّ وقالا خالد بن يزيد

فقال له : تحكَّم ، فقال : مائة ألف درهم ، فأمر له بها.

وكان خالد شجاعاً جريئاً ، وكان بينه وبين عبد الملك بن مروان مناظرات ، تهدده عبد الملك مرةً بالسطوة والحرمان ، فقال له : أتتهددني ويدُ اللّٰه فوقك مانعة ، وعطاؤه دونك مبذول؟!.

وأجرى[2] أخوه عبد اللّٰه بن يزيد الخيلَ مع الوليد بن عبد الملك فسبقه عبد الله ، فدخل الوليد على خيل عبد اللّٰه فنفَّرها ولعب بها ، فجاء عبد الله إلى أخيه خالد فقال : لقد هممتُ اليومَ بقتلِ الوليد بن عبد الملك، فقال له خالد : بئس ما هممتَ به في ابن أمير المؤمنين وولي عهد المسلمين ، قال : إنه لقي خيلي فنفَّرها وتلاعب بها ، فقال له خالد : أنا أكفيكه ، فدخل خالد على عبد الملك وعنده الوليد فقال له : يا أمير المؤمنين إن الوليد بن أمير المؤمنين لقي خيلَ ابن عمه عبد الله فنفرها وتلاعبَ بها ، فشقَّ ذلك على عبد الله ، فقال عبد الملك ﴿ إِنَّ ٱلْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا أَعِزَّةَ أَهْلِهَا أَذِلَّةً وَكَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ ﴾ (النمل: 34) فقال له خالد : ﴿ وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنا مُتْرَفِيها فَفَسَقُوا فِيها فَحَقَّ عَلَيْهَا ٱلْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاهَا تدميراً ﴾ (الإسراء: 16) فقال له عبد الملك : أما واللّٰه لنعم المرء عبد الله على لحنٍ فيه ، فقال له خالد : أفعلى الوليدِ تُعَوّل في اللحن ؟ فقال عبد الملك . إن يكن الوليدُ لحاناً فأخوه سليمان ، قال خالد : وإن يكن عبد الله لحاناً فأخوه خالد ، فقال عبد الملك : مدحتَ والله نفسك يا خالد ، قال : وقبلي واللّٰه مدحتَ نفسك يا أمير المؤمنين ، قال : ومتى ؟ قال : حين قلت أنا قاتل عمرو بن سعيد ، [قال] حقٌّ واللّٰه لمن قتل عمراً أن

(1) ابن عساكر : فقالا جميعاً إننا لعبيد ؛ واقرأ « لي » بخطف الياء .

(2) تهذيب ابن عساكر 5 : 121 ـ 122 والمصورة : 584 .

يفخر بقتله ، قال : أما والله لمروان كان أطولها باعاً، قال: أما إني أرى ثأري في مروان صباح مساء ، ولو شاء أن أديله لأدلته[1] . قال : ما أجرأك عليَّ يا خالد ، خلّني عنك ، قال : لا والله ما قال الشاعر :

ويجــرُّ اللســانُ من أَسَــلاَت الـ ـحـربِ ما لا يجـرُّ منهـا البنـانُ

فقال عبد الملك : يا وليد أكرم ابنَ عمك ، فقد رأيتُ أباه يكرمُ أباك وجدَّه يكرمُ جدَّك .

وقيل لخالد[2] ما أقرب شيء ؟ قال الأجل ، قيل فما أرجى شيء ؟ قال العمل ، قيل فما أوحش شيء ؟ قال الميت ، قيل فما آنس شيء ؟ قال الصاحب المؤاتي .

وقيل[3] ما الدنيا ؟ قال ميراث ، قيل فالأيام ؟ قال دول ، قيل فالدهر ؟ قال أطباق ، والموت يكمل سبيله ، فليحذر العزيز الذلَّ والغنيُّ الفقر ، فكم عزيز قد ذل وكم من غني قد افتقر.

وقال[4] إذا كان الرجل ممارياً لجوجاً معجباً برأيه فقد تمت خسارته .

ولما[5] لزم بيته قيل له كيف تركت الناس ولزمت بيتك ؟ فقال : هل بقي إلا حاسدُ نعمةٍ أو شامتٌ بنكبة ؟!

ومن شعر خالد بن يزيد[6] :

أتـعـجـب أن كـنـتَ ذا نـعـمـةً وأنــك فـيـهـا شـريـفٌ مـهـيبُ
فـكم ورد الـمـوتَ من نـاعـمٍ وَحُـبُّ الحـيـاةِ إليـه عـجـيـبُ
أجـابَ الـمـنـيـةَ لـمـا دَعَـتْ وكَـرْهـاً يجيبُ لهـا من يجيبُ
سقتـه ذَنـوبـاً من آنفـاسـهـا وَيُـذْخَـرُ للحيِّ مـنهـا ذَنـوبُ

---

(1) ابن عساكر : أن أزيله لأزلته .
(2) تهذيب ابن عساكر 5 : 122 والمصورة : 585 .
(3) يتابع النقل عن ابن عساكر .
(4) المصورة : 585 .
(5) عن ابن عساكر ، المصورة : 586 .
(6) هذه القطعة والقطعة التالية لها في ابن عساكر ، المصورة : 586 .

وقال في رملة بنت الزبير بن العوَّام [1] :

أليس يــزيــدُ السيــرُ في كــلِّ ليلةٍ | وفي كــلِّ يــومٍ من أحبتنـا قــربــا
أحِنُّ إلى بنتِ الــزبيــر وقــد عَلَتْ | بنا العيسُ خَرْقــاً من تهامـةَ أو نقبا
إذا نــزلتْ أرضــاً تحبَّبَ أهــلهــا | إلينـا وإن كـانت منـازلهـا حــربـا
وإن نــزلتْ مـاءً وإن كــان قبلهـا | مليحـاً وجـدنـا مـاءَهُ بـارداً عـذبـا
تجـولُ خـلاخيـلُ النسـاءِ ولا أرى | لــرملةَ خلخـالاً يجــولُ ولا قُلبــا
أقِـلُّوا عليَّ الـلومَ فيـهـا فـإنـني | تخيــرتها منهم زبيــريــةً قَلْبــا [2]
أُحِبُّ بني العــوّام طــراً لحبـهــا | ومن حُبِّهـا أحببتُ أخـوالهـا كلبـا

وقال [3] :

إنْ سرَّك الشرفُ العظيمُ مع الغنى | وتكـونَ يـوم أشــدِّ خـوفٍ وائــلا
يومَ الحسابِ إذا النفوسُ تفاضلتْ | في الوزنِ إذ غبط الأخفُّ الثاقلا [4]
فاعملْ لمـا بعد الممـاتِ ولا تكنْ | عن حظِّ نفسك في حياتِكَ غافـلا

ومما نسبوا إليه من التصانيف في الكيمياء : السر البديع في فك الرمز المنيع . وكتاب الفردوس . ورسائل أخرى .

توفي خالد بن يزيد سنة تسعين وقيل سنة خمس وثمـانين ، وشهده الـوليد بن عبد الملك وقال : لتلقِ بنو أمية الأرديةَ على خالد فلن يتحسروا على مثله أبداً .

ـ 451 ـ

خالد بن يزيد مولى بني المهلب ، ويقال له خالويه المُكدي : كان أديباً ظريفاً

451 ـ هو خالويه المكدي أحد « شخصيات » كتاب البخلاء : 39 ـ 46 ، ووصيته لابنه فيه .

(1) منها ثلاثة أبيات في ابن خلكان 2 : 224 ـ 225 وخمسة في المقفى .
(2) قلباً : خالصة .
(3) مصورة ابن عساكر : 587 .
(4) م : الأثقلا .

بلغ في البخل والتكدية وكثرة المال المبلغَ الذي لم يَبْلُغْهُ أحدٌ ، وكان متكلماً بليغاً قاصّاً داهياً ، وكان أبو سليمان الأعور وأبو سعيد المدائني القاصان من غلمانه ، وله أخبار حسان .

ومن لطائفه وصيته لابنه عند موته وفيها لطائف وغرائب قال فيها : إني قد تركت لك ما تأكُله إن حفظته ، وما لا تأكله إن ضيعته . وَلَمَا أورثتك من العرف الصالح ، وأشهدتُكَ من صواب التدبير ، وعوَّدْتك من عيش المقتصدين ، خيرٌ لك من هذا المال . وقد دفعتُ إليك آلةً لحفظِ المال عليك بكلِّ حيلة ، ثم إن لم يكن لك معينٌ من نفسك لما انتفعت بشيء من ذلك ، بل يعود ذلك النهي كله إغراءً[1] لك ، وذلك المنع تهجيناً لطاعتك : قد بلغتُ في البرِّ منقطعَ العمران[2] ، وفي البحر أقصى مَبْلَغِ السفن ، فلا عليك إذ رأيتني ألا ترى ذا القرنين ، ودعْ عنك مذاهبَ ابن شَرْيَةَ فانه لا يعرف إلّا ظاهر الخبر ، ولو رآني تميم الداريّ لأخذ عني صفة الروم ، ولأنا أهدى من القطا ومن دُعيميص ومن رافع المخشّ[3] ، إنّي قد بتُّ في القفر مع الغول ، وتزوجتُ السِّعْلاةَ ، وجاوبتُ الهاتف ، ورغتُ عن الجن إلى الحِنّ ، واصطدت الشقَّ ، وحاورت النسناس ، وصحبني الرِّئي ، وعرفتُ خُدَعَ الكاهِن وتدسيسَ العرَّاف ، وإلى ما يذهبُ الخطّاط والعياف ، وما يقول أصحابُ الأكتاف ، وعرفتُ التنجيمَ والزّجْرَ والطَّرْقَ والفكر . إن هذا المال لم أجمعه من القَصَصِ والتكدية ، ومن احتيال النهار ومكابدة الليل ، ولا يُجْمَعُ مثله أبداً إلا من معاناة ركوب البحر ، ومن عمل السلطان ، أو من كيمياء الذهب والفضة ، قد عرفت الأسّ[4] حَقَّ معرفته ، وفهمتُ كَسْرَ الاكسير على حقيقته ، ولولا علمي بضيق صدرك ، ولولا أن أكونَ سبباً لتلف نفسك لعلَّمتكَ الساعةَ الشيءَ الذي بلغ بقارون ، وبه تبنَّكَتْ خاتون ، واللّه ما يتسع صدرك عندي لسرٍّ

(1) م : اعتزالاً .

(2) البخلاء : التراب .

(3) يعني عبيد بن شرية الجرهمي ، ولا نعرف ما هي مذاهبه ، ولعله يعني أحاديثه الأسطورية ، وتميم الداري كان يعرف الروم لأنه كان يسكن في فلسطين ؛ ودعيميص الرمل مضرب المثل في الهداية ، وكذلك رافع الطائي الذي كان دليل خالد في اجتياز المفازة .

(4) البخلاء : الرأس .

صديق ، فكيف ما لا يحتمله عزمٌ ولا يتَّسِعُ له صدر. وخزن[1] سرٍّ الحديث وحبس كنوز الجواهر أهونُ من خزن العلم. ولو كنتَ عندي مأموناً على نفسك لأجريتُ الأرواح في الأجساد وأنت تبصر ما كنتَ لا تفهمه بالوصف ولا تَحُقُّهُ بالذكر ، ولكنّي سألقي عليك علم الإدراك وسَبْكَ الرخام وصنعةَ الفسيفساء وأسرارَ السيوف القلعية ، وعقاقيرَ السيوف اليمانية ، وعمل الفرعوني ، وصنعةَ التلطيفِ على وجهه ، إن أقامني اللّه من صرعتي هذه ، ولستُ أرضاك وإن كنتَ فوق البنين ، ولا أثق بك وإن كنتَ لاحقاً بالآباء ، لأني لم أبالغ في محبتك[2] . إني قد لابستُ السلاطين والمساكين ، وخدمتُ الخلفاءَ والمكدين ، وخالطتُ النساكَ والفتاك ، وعمرت السجونَ كما عَمَرْتُ مجالسَ الذكر ، وحلبتُ الدهر أشطره ، وصادفتُ دهراً كثيرَ الأعاجيب ، فلولا أني دخلتُ من كلِّ باب ، وجريتُ مع كلِّ ريح [وعرفت] السرَّاءَ والضرَّاء ، حتى مثلتْ لي التجاربُ عواقبَ الأمور ، وقربتني من غوامض التدبير ، لما أمكنني جَمْعُ ما أخلّفه لك ، ولاحفظُ ما حبسته عليك ، ولم أحمد نفسي على جمعه كما حمدتها على حفظه ، لأن بعضَ هذا المال لم أنله بالحزم والكيس ، وإنما حفظته لك من فتنة الأبناء[3] ، ومن فتنة النساء ، ومن فتنة الثناء ، ومن فتنة الرياء ، ومن أيدي الوكلاء ، فإنهم الداء العياء .

والوصية كلها على هذا النمط ، وفيها غرائب ، وهي طويلة تقع في كراسة .

- 452 -

خالد بن يزيد الكاتب أبو الهيثم : من أهل بغداد ، وأصله من خراسان ،

452 - ترجمة خالد الكاتب في تاريخ بغداد 8 : 308 وطبقات ابن المعتز : 405 والأغاني 20 : 234 والمنتظم 5 : 35 والوافي 13 : 278 والفوات 1 : 401 وبغية الطلب 6 : 121 وله ترجمة في ابن خلكان 2 : 232 (وهي من مزيدات طبعة بيروت وليست من شرط المؤلف) والنجوم الزاهرة 3 : 36 (وحقه أن يلحق بمعجم الشعراء) .

(1) م : وحرز .
(2) البخلاء : محنتك (ولعلها هي الصواب) .
(3) البخلاء : فتنة البناء .

شاعر مشهور رقيق الشعر ؛ كان من كتاب الجيش ، ثم ولاه الوزير محمد بن عبد الملك الزيات عملاً ببعض الثغور ، فخرج فسمع في طريقه مغنية تغني :

من كان ذا شَجَنٍ بالشام يطلبُهُ ... ففي سوى الشام أمسى الأهلُ والشَّجَنُ

فبكى حتى سقط على وجهه مغشياً عليه ، فأفاق مختلطا ووسوس .

وقال قوم : كان يهوى جاريةً لبعض الوجوه ببغداد فلم يقدر عليها فاختلط ، وقيل إن السوداء غلبت عليه ، وقيل[1] كان خالد مغرماً بالغلمان يُنفق عليهم كلَّ ما يستفيد ، فهوي غلاماً يقال له عبد الله ، وكان أبو تمام الطائي الشاعر يهواه ، فقال فيه خالد :

قضيبُ بانٍ جناهُ وردُ ... تحمله وجنةٌ وخدُّ

لم أثنِ طرفي إليه إلا ... مات عزاءٌ وعاش وجدُ

مُلِّكَ طَوْعَ النفوسِ حتى ... علَّمه الزهوُ حين يبدو

واجتمع الصدُّ فيه حتى ... ليس لخلقٍ سواه صدُّ

فبلغ ذلك أبا تمام فقال فيه أبياتاً منها :

شعرك هذا كلُّه مفرطُ ... في بَرْدِهِ يا خالدُ البارِدُ

فعلقها[2] الصبيان ، فما زالوا يصيحون به يا خالد البارد حتى وُسوس . وهجا أبا تمام في هذه القصة فقال :

يا معشرَ المرُد إني ناصحٌ لكمُ ... والمرءُ في القول بين الصدق والكذبِ

لا ينكحنَّ حبيباً منكمُ أحد ... فَذَاهُ وجعائِهِ[3] أعدى من الجربِ

لا تأمنوا أن تعودوا بعد ثالثةٍ ... فتركبوا عمداً ليستْ من الخشبِ

وحدث ابن أبي سلالة الشاعر قال[4] : دخلتُ بغداد في بعض السنين فبينا أنا مارّ في طريق إذا أنا برجلٍ عليه مُبَطَّنَةٌ وعلى رأسه قلنسوة سوداء ، وهو راكبٌ على

(1) الأغاني 20 : 241 وديوانه : 502 .

(2) م : فعلمها .

(3) م : فإن عجانه .

(4) هو حمزة بن أبي سلالة الكوفي كما في الأغاني 20 : 242 .

قصبة ، والصبيانُ خلفه يصيحون يا خالد البارد ، فإذا آذوه حمل عليهم بالقصبة ، فلم أزل أطردهم عنه حتى تفرقوا ، وأدخلته بستاناً هناك ، فجلس واستراح ، واشتريتُ له رطباً فأكل ، واستنشدته فأنشدني[1] :

قد حاز قلبي فصار يملكه ... فكيف أسلو وكيف أَتركُهُ
رطيبُ جسمٍ كالماء تحسبُهُ ... يخطرُ في القلبِ منه مسلكُهُ
يكاد يجري من القميص من الـ ... ـنعمة لولا القميصُ يمسكُهُ

ومن شعر خالد أيضاً[2] :

كبدٌ شفَّها غليلُ التصابي ... بين عَتْبٍ وَجَفْوَةٍ وعذابِ[3]
كلَّ يومٍ تَدْمَى بجرح من الشو ... قِ ونوعٍ مجددٍ من عتابِ
يا سقيمَ الجفون أسقمتَ جسمي ... فاشفني كيف شئتَ لابك ما بي
إن أكن مذنباً فكن حَسَنَ العفـ ... ـوِ أو اجعل سوى الصدودِ عقابي[4]

وقال[5] :

يا تاركَ الجسم بلا قَلْبِ ... إن كنتُ أهواكَ فما ذنبي
يا مُفْرَداً بالحسنِ أفردتني ... منكَ بطول الشوق والحبِ
إن تك عيني أبصرتْ فتنةً ... فهل على قلبيَ من عتبِ
فحسبك اللّه لما بي كما ... أنك في فعلك بي حسبي

توفي خالد الكاتب سنة تسع وستين ومائتين ببغداد .

(1) ديوانه : 522 .
(2) الأغاني 20 : 244 .
(3) الأغاني : بين هجر وسخطة وعتاب .
(4) م : عتابي .
(5) الأغاني 20 : 248 وديوانه : 482 .

ـ 453 ـ

خداش بن بشر بن خالد بن الحارث ، أبو يزيد التميمي المعروف بالبعيث البصري : كان خطيباً شاعراً مجيداً ، وكان بينه وبين جرير مهاجاة ، فلجَّ الهجاء بينهما نحواً من أربعين سنة ولم يتغلب واحدٌ منهما على صاحبه ، ولم يتهاج شاعران في العرب في جاهلية ولا إسلام بمثل ما تهاجيا به ، وكان الفرزدق يعين البعيث والبعيث يعين ابنَ أمّ غسان على جرير ؛ فمما قاله البعيث لجرير[1] :

إذا طلع العيُّوقُ أوَّلَ كوكبٍ ... كفى اللؤمَ عند النازحين جريرُ
ألستَ كليبياً وأمك كلبةٌ[2] ... لها بين أطنابِ البيوتِ هريرُ
ولو عند غسَّانَ السليطِيِّ عَرَّسَتْ ... رغا قَرَنٌ منها وكاسَ عقيرُ[3]
أتنسى نساءُ باليمامةِ منكمُ ... نكحنَ عبيداً ما لهنَّ مهورُ

وقال له أيضاً[4] :

كليبٌ لئامُ الناسِ قد تعلمونه[5] ... وأنت إذا عُدَّتْ كليبٌ لئيمها
أترجو كليبٌ أن يجيء حديثها ... بخيرٍ وقد أعيا كليباً قديمها[6]

وقال له أيضاً :

إذا أيسرت مِعْزَى عطيةَ وارتعتْ ... بلاغاً من الموتِ اجتواها حميمها

---

453 ـ ترجمة البعيث في طبقات ابن سلام : 121 والشعر والشعراء 1 : 405 ومصورة ابن عساكر 5 : 590 وتهذيب ابن عساكر 5 : 125 (وأسقطه ابن منظور في اختصاره) والوافي 13 : 293 وانظر البيان والتبيين 1 : 211 ، 351 وألقاب الشعراء : 305 والسمط : 296 (ومكانه الصحيح معجم الشعراء) .

(1) الأبيات في الأغاني 8 : 27 وتهذيب ابن عساكر 5 : 126 والمؤتلف : 241 للأعور النبهاني ، وردّ جرير عليه يدلّ على ذلك إذ يقول :

وأعور من نبهان يعوي ودونه ... من الليل بابا ظلمة وستور

(2) الأغاني : وهل يكرم الأضياف كلب لكلبة .

(3) القرن : البعير المقرون : كاس البعير : وقف على ثلاث .

(4) الأغاني 8 : 16 .

(5) م : يعلمونها .

(6) ورد البيت وحده في المؤتلف والمختلف : 241 .

تعرَّضتَ لي حتى صَكَكْتُكَ صكةً على الوجْهِ يكبـو لليدين أُميمهـا
أليست كليبٌ ألأمَ النـاسِ كلِّهم وأنت إذا عُـدَّتْ كُلَيْبٌ لئيـمهـا

وقال له أيضاً[1] :

أشـارَكْتَنِي في ثعلبٍ قـد أكلتَـهُ فـلم يبـقَ إلا رأسُـهُ وأكـارِعُـهْ
فدونَكَ خصييه وما ضمَّتِ آستُـهُ فـأنـك رمَّـامٌ[2] خبيثٌ مـراتعـهْ

وقال جريرٌ له[3] :

ألم تـرَ أني قـد رميتُ ابنَ فَـرْتَنَى بصمَّـاءَ لا يـرجُـو الحيـاةَ أميمهـا
لـه أمُّ سـوءٍ بئسَ مـا قـدمت لـه إذا فُـرُط الأحسـابِ عُـدَّ قـديمهـا

وأهاجيهما ونقائضهما كثيرة اكتفينا بما أوردناه منها .

توفي البعيث سنة أربع وثلاثين ومائة بالبصرة في خلافة الوليد بن عبد الملك[4] .

ـ 454 ـ

خراش بن إسماعيل الشيباني العجلي : أخذ عنه ابن محمد بن السائب الكلبي ، وهو أحد النسابة ، صاحب كتاب ربيعة وأنسابها .

ـ 455 ـ

خرقة بن نباتة بن الزّبد بن عمرو بن عبد مناة الكلبي : شاعر إسلامي ، قدم

454 ـ هذه الترجمة من المختصر . وانظر الفهرست : 108 ، 121 (وعنه ينقل ياقوت) .

455 ـ ترجمته في مصورة ابن عساكر 5 : 594 وتهذيب ابن عساكر 5 : 128 وأسقطه ابن منظور من مختصره . (وهو ملحق بالشعراء في معجمهم) والمؤتلف والمختلف : 145 واسمه فيه « خرقة بن نتافة » ويقال له خرقة بن شعاث ، وشعاث أمه ؛ واسم جده قد يكون الزبد والزند والزيد .

(1) هما في المؤتلف والمختلف : 72 .
(2) المؤتلف : قمقام .
(3) الأغاني 8 : 16 .
(4) هذا خطأ واضح ، فان خلافة الوليد بن عبد الملك كانت بين سنتي 86 ـ 96 ، وانتهت الدولة الأموية سنة 132 .

على حرب بن خالد بن يزيد بن معاوية في دمشق فجفاه حـرب ولم يصله بشيء ، فهجاه فقال :

كأني ونضوي عند حَرْب بن خالدٍ ... من الجـوع ذئبـاً قفـرةٍ عَلِزَانِ[1]
وبـاتتْ علينـا جفـوةٌ مـا نحبهـا ... وبـتنـا نـقـاسي لـيلةً كـثـمـانِ

وقال[2] :

أعـزّي يا جُبَيـل[3] دمي وهُـزي ... سنـانـاً تـطعنينَ بـه ونـابـا
لتعلمَ عـامـرُ الأجـدار[4] أنـا ... إذا غضبتْ نبيتُ لهـا غضـابـا

وقال :

وأرهبنـا الخليفـةَ واستمـرتْ ... وجوهُ الأرضِ تعتصبُ اعتصابا
وقتَّلنـا القبـائـلَ من عُلَيْـمٍ ... وبيَّحنـا قُنـافَـةَ والـرّبـابـا

وقال[5] :

كُسِـعَ الشتـاءُ بسبعـةٍ غُبـرِ ... أيـام شَهْلَتنـا من الشهـرِ[6]
فـإذا انقضتْ أيـام شهلتنـا ... صِـنٌ وصنَّبـرٌ مـع الـوَبْـرِ
وبـآمـرٍ وأخيـه مـؤتـمـرٍ ... ومعلّلٍ وبـمـطفىء الـجمـرِ
ذهب الشتـاءُ موليـاً عجـلاً ... وأتتـك واقـدةٌ مـن الـحـرِّ

وقال :

إلى اللّه أشكـو عبـرةً قـد أظلَّتِ ... ونفسـاً إذا ما عـزَّها الشـوقُ ذلَّتِ

---

(1) العلز : المكروب .
(2) البيتان في المؤتلف والمختلف .
(3) م : أعرني يا جميل ؛ وجبيل من أجداد الشاعر (يعني يا قبيلة جبيل) .
(4) هكذا في المؤتلف وابن عساكر ؛ م : الأجواد .
(5) نسبت الأبيات في اللسان (عجز) لابن أحمر ، وأورد صاحب التاج البيت الأول في تسع ونسبه لأبي الشبل الأعرابي وكذلك قال ابن برّي ونفى نسبتها لابن أحمر . وهذه الأيام التي بعدها تسمى أيام العجوز وهي خمسة : صن وصنبر ووبر ومطفىء الجمر ومكفىء الظعن ، وقيل هي سبعة (وزاد : آمر ومؤتمر) كما ورد في الأبيات .
(6) كسع : تلي ؛ الشهلة : العجوز .

تحنُّ إلى أرض العــراقِ ودونهــا   تنائفُ لو تسري بها الريحُ ضَلَّتِ

وقال :

يـا عامـر بن عقيل كيف كفـركمُ   كعبـاً ومنكم إليـه ينتهي الشـرفُ
أفنيتم الحــرَّ من سَعْدٍ ببــارقـةٍ   يـومِ الغرابـة ما في بَـرْقِها خَلَفُ

مات سنة خمس عشرة ومائة .

ـ 456 ـ

خُزَيمةُ بن محمد بن خزيمة الأسدي النحوي : من أهل الحلة المزيدية : تَخَرَّجَ به خلقٌ كثير . وكان جيد الشعر . من ذلك يهجو ابن ناكيرا :

قـل لابن نـاكيـرا أبي طـاهـرٍ   وليس يُجْــدِي عنــده نفـعــا
أحـرجتني والمـرءُ مَعْ غَيْـظِهِ   يـرى على عـرنينـهِ جَـدْعــا
تحيّــل النــاسُ لمنفــوعـهم   وأنــت لا مــالٌ ولا مــرعـى
كـأنـك العقـربُ في شـرِّهـا   تلســعُ من مَـرَّتْ بــه طبعــا

ـ 457 ـ

الخضر بن ثروان بن أحمد بن أبي عبد الله الثعلبي ، أبو العباس الضرير التوماثي : ـ بضم التاء المثناة وسكون الواو بعدها ميم وألف ثم ثاء مثلثة ـ بلد من بلاد الجزيرة ، الفارقي الجَزَرِي : ولد بالجزيرة ، ونشأ بميافارقين ، وأصله من تومـاثا . وكان عالماً بالنحو مقرئاً فاضلاً أديباً عارفاً حَسَنَ الشعرِ كثيرَ المحفوظ ، قرأ اللغةَ على

---

456 ـ من المختصر ؛ وانظر الوافي بالوفيات 13 : 314 وبغية الوعاة 1 : 551 (وينقل عن ابن النجار) وهذه الترجمة في موضعها من معجم الأدباء لأن خزيمة الأسدي كان نحوياً ، ويقال إنه أول من انتشر عنه بتلك البلاد وتخرج به جماعة . ولم يورد الصفدي والسيوطي له شعراً .

457 ـ ترجمة التـومائي الضـرير في إنبـاه الرواة 1 : 356 والأنسـاب واللباب (التـومائي) ومعجم البلدان (توماثا) والوافي 13 : 326 ونكت الهميان : 149 والخريدة (قسم الشام) 2 : 466 وطبقات السبكي 7 : 82 وبغية الوعاة 1 : 551 وروضات الجنات 3 : 279 .

ابن الجواليقي ، والنحوَ على ابن الشجري[1] ، والفقه على أبي الحسن الأبنوسي[2] ، وكان ببغداد . وله محفوظاتٌ كثيرةٌ منها المجمل وشعر الهذليين وشعر رؤبة وذي الرمة . لقيته بمرو وسرخس ونيسابور في سنة أربع وأربعين وخمسمائة[3] ، وسألته عن مولده فقال سنة خمس وخمسمائة ، وأنشدني لنفسه[4] :

كتبتُ وقد أودى بمقلتيَ البكا ... وقد ذاب من شوقٍ إليك سوادُهَا
فما وردتْ لي نحوكم من رسالةٍ ... وحقِّكمُ إلَّا وذاك سوادُها

وقال أيضاً[5] :

أنت في غمرةِ النعيم تعومُ ... لستَ تدري بأنَّ ذا لا يدومُ
كم رأينا من الملوكِ قديماً ... همدوا فالعظام منهم رميمُ
ما رأينا الزمانَ أبقى على شخـ ... ـصٍ شقاءً فهل يدومُ النعيمُ
والغنى عند أهله مستعارٌ ... فحميدٌ به ومنهم ذميمُ

وقال :

مواعظُ الدهر أدَّبتني ... وإنما يوعَظُ الأديبُ
لم يمضِ بؤسٌ ولا نعيمٌ ... إلا ولي فيهما نصيبُ

بلغتنا وفاته ببخارى سنة ثمانين وخمسمائة .

ـ 458 ـ

الخضر بن هبة الله ابن أبي الهمام الطائي الشاعر البغدادي : دخل مصر

458 ـ ترجمة ابن أبي الهمام في مصورة ابن عساكر 5 : 659 وتهذيب ابن عساكر 5 : 169 (وأسقطه ابن منظور في المختصر) والوافي 13 : 328 .

(1) اسمه هبة الله بن علي بن محمد .
(2) اسمه أحمد بن عبد الله بن علي الأبنوسي .
(3) هذا لا يقوله ياقوت ، لأن التاريخ المذكور قبل مولده بكثير ، وإنما هو قول السمعاني .
(4) معجم البلدان وإنباه الرواة وبغية الوعاة والخريدة .
(5) الإنباه والوافي ونكت الهميان والخريدة .

وحضر بين يدي أمير المؤمنين الراشد بالله ابن المسترشد بالله فأنشده على البديهة(1) :

ولما شأوتُ الحاسدينَ إلى مدىً رفيعٍ تزلُّ العُصْمُ دونَ مرامِهِ
ورُفِّعَتِ الأستارُ لي دونَ سيِّدٍ(2) شَفَى غُلَّتي من بشره وسلامهِ
سطوتُ على صَرْفِ الزمانِ بيأسه وَصُلْتُ على كيدِ العدى بانتقامهِ

ودخل على الأمير علي بن صدقة فقال على البديهة أيضاً(3) :

سأشكرُ ما أوليتني من منائحٍ زماني وإن كنتُ العييَّ المقصِّرا
نمتك قرومٌ في الملاحم والندى إذا انتسبت كانت أسوداً وأبحرا
فكلّ كريمٍ غادَرْتَهُ مبخَّلاً وكلّ قديم غادرته مؤخرا

وقدم الطائي إلى دمشق وامتدح بها واليها محمد بن بوري بن طغتكين ، ومدح أبا الفتح نصر الله بن صالح الهاشمي ، ودخل عليه يوماً وقد افتصد فقال بديهة(4) :

لما مددتُ إليه راحةَ راحةٍ من شأنها الإعطاءُ والإعدامُ
وحسرتُ رُدْنَ ملاءَةٍ(5) عن ساعد لا ساعدتْ أعداءَهُ الأيامُ
أكبرتُ ما فعلَ الطبيبُ وهالني من فعلهِ التغريرُ والاقدامُ
وعجبت كيف فرى الحديد بمنصلٍ(6) في مَدْحِهِ تتفاخرُ الأوهامُ
لكن أمرتَ ولو أشرت(7) بنقمةٍ يوماً لذابَ بغمده الصمصامُ
يا مَنْ له في كلِّ قلبٍ هيبةٌ وله بكلِّ رواجبٍ إنعامُ
أغنيتَ زينَ الدين طُلَّابَ الندى وتباشرتْ بقدومك الأيتامُ
مَضَّ العراقَ فراقُ ظِلِّك عنهمُ وتهنأتْ بكَ جِلَّقُ والشامُ

(1) ابن عساكر وبدائع البدائه : 383 ـ 384 .
(2) ابن عساكر : دون ماجد .
(3) مصورة ابن عساكر : 660 .
(4) مصورة ابن عساكر : 660 .
(5) م : رد ملامة .
(6) م : بمفصل .
(7) م : أثرت .

فبنو المكارم في البرية كلِّها صنفٌ وأنت مُقَدَّمٌ وإمامُ

ولد الخضر البغدادي سنة تسع وتسعين وأربعمائة ومات سنة أربع وستين وخمسمائة .

ـ 459 ـ

خلاد بن يزيد الأرقط الباهلي أبو عمرو : كان به أَثَرُ جُدَرِيٍّ فسمِّي الأرقط . وهو مولى لبني فراص من آل عطية بن عماد ، وكان راوية لأخبار العرب وأشعارها . أخذ عن أبي عمرو بن العلاء وغيره من العلماء.

حدث خلاد قال : كنا جلوساً على باب عمرو بن عبيد والمعتزلة معنا إذ جاء طبيبٌ نصرانيٌّ يطبّ له ، فدعاه المعتزلة إلى الإسلام ، ودعوناه إلى الإسلام ، فقال للمعتزلة إن أسلمتُ وقلت بمقالتكم ، كيف أكون عند هؤلاء ؟ قلنا : كافر . فالتفت إلينا وقال : إن أسلمتُ وقلتُ بقولكم ، كيف أكون عند هؤلاء ؟ قلنا : كافر . فقال : مُرُّوا حتى تجتمعوا ثم أتبعكم . قال : فانكسرنا . وخرج عمرو بن عبيد فرأى فينا تغيّراً . فقال: ما شأنكم ؟ فأخبرناه الخبر ، فقال : إنه قال ولم يقل ، وأخطأتم في الجواب ، ألا قلتم له : نحن قد اجتمعنا على الشريعة والفريضة ، وافترقنا فيما فرقته أهواؤنا ، فاجتمعْ على ما اجتمعنا عليه ، ودعْ ما اختلفنا فيه حتى ترى من رأيك.

وحدث خلّاد قال(1) ، قال عمر بن هبيرة أمير العراق : وفد عبد الله بن جعفر بن أبي طالب على يزيد بن معاوية ، فقال له : كم كان أمير المؤمنين يعطيك ؟ قال : كان ، رحمه الله ، يعطيني ألف ألف . فقال يزيد : قد زدناك على ترحمك عليه ألف

459 ـ من المختصر ؛ وانظر الفهرست : 119 (قال : ولا مصنف له نعرفه) وطبقات فحول الشعراء : 7 ونور القبس : 180 وتهذيب التهذيب 3 : 176 وطبقات ابن الجزري 1 : 275 وميزان الاعتدال 1 : 657 (وكانت وفاة خلاد سنة عشرين ومائتين) وتهذيب الكمال 8 : 363 والوافي 13 : 373 .

(1) انظر أنساب الأشراف 1/4 : 289 (رقم: 774) وتهذيب ابن عساكر 7 : 327 ونور القبس : 181 ومعجم المرزباني : 314 والبداية والنهاية 8 : 230 .

ألف . فقال : بأبي أنت وأمي . فقال يزيد : ولهذه ألف ألف . قال : أما إني لا أقولها لأحد من بعدك . قال : ولهذه ألف ألف . قال : ما يمنعني من الإطناب في وصفك [إلا] الإشفاقُ عليك من جودك . فقال : ولهذه ألف ألف . وحمل المال معه ، فقيل ليزيد : فرَّغْتَ بيتَ مالِ المسلمين على رجل واحد . فقال : إنما دفعتُهُ إلى أهل المدينة أجمعين . ثم وكَّلَ به من يعرِّفه خبرَهُ من حيثُ لا يعلم ، فلما دخل المدينة فرّق المال فيها ، فاحتاج بعد شهر إلى القرض فلامه الناس ، فقال :

لا تبخلنَّ بدنيا وهي مقبلة ... فليس ينقصها التبذير والسَّرفُ
فإن تولّتْ فأحرى أن تجود بها ... فالحمدُ منها إذا ما أدبرت خَلَف

قال المؤلف : ما سمعت أن أحداً نسب إلى عبد الله بن جعفر شعراً غير خلاد هذا فإنه روى له هذين البيتين والله أعلم هل هما له أم لا .

وقال خلاد[1] : كنّا يوماً جلوساً عند أبي أيوب المورياني وزير المنصور ، فأتاه رسولُ المنصور فقام إليه وقد امتقع لونه ، وتغيّر ومضى وعاد ، فقال له بعض أصحابه في ذلك ، فقال : سأضربُ لكم مثلاً في ذلك يقوله العامة ، وهو أن البازي قال للديك : ما شيء أقلّ وفاءً منك لأهلك ، أخذوك وأنت بيضةٌ فحضنوك وخرجتَ على أيديهم ، فأطعموك على أكفهم ونشأتَ بينهم حتى إذا كبرتَ [جعلت] لا يدنو منك واحدٌ منهم إلا طرْتَ يمنةً ويسْرةً وصحْتَ وصوَّتَّ ، وأنا أُخذتُ كبيراً من الجبال ، فعلموني وألِفُوني ثم يخلُّون عني فآخذ صيْدتي فآتي بها إلى أصحابي . فقال له الديك : لو رأيتَ في سفافيدهم من البزاة ما رأيتُ فيها من الديوك هربْتَ أشدَّ من هربي .

(1) وردت هذه القصة برواية خلاد في الجهشياري : 102 ـ 103 .

- 460 -

خلف بن أحمد القيرواني الشاعر ، قال ابن رشيق في « الأنموذج » : شاعر مطبوع ، تأدب بأفريقية ودخل مصر ، وله شعر معروف جيد . مات بزويلة المهدية سنة أربع عشرة وأربعمائة ، ومن شعره :

هل الدهر يوماً بليلى يجودُ ... وأيامُنَا باللوى ستعودُ
عهودٌ تقضَّت وعيشٌ مَضَى ... بنفسيَ والله تلك العهودُ
ألا قلْ لسكانِ وادي الحمى ... هنيئاً لكم في الجنان الخلودُ
أفيضوا علينا من الماء فيضاً ... فنحن عطاشٌ وأنتم ورودُ

- 461 -

خلف بن حيان بن محرز ويكنى أبا محرز ، البصري المعروف بالأحمر : كان مولى أبي بردة بلال بن أبي بردة بن أبي موسى الأشعري ، من سبي السغد الذين سباهم قتيبة فوهبهم سلم بن قتيبة لبلال بن أبي بردة الأشعري ، وأعتق بلال أبويه وكانا فرغانيين ومات خلف بعد وفاة الرشيد ، والرشيد مات سنة ثلاث وتسعين ومائة ، وروى بعضهم أنه مات سنة خمس وسبعين ومائة . وكان خلف راوية نفسه علامة يسلك الأصمعي طريقه ويحتذي حذوه حتى قيل هو معلم الأصمعي ، وهو والأصمعي فتقا المعاني وأوضحا المذاهب وبينا المعالم .

---

460 - ترجم الصفدي في الوافي 13 : 362 لمن اسمه أحمد بن خلف السعدي (نسبة إلى قرية السعديين بجوار المهدية) نقلاً عن الأنموذج لابن رشيق ؛ وذكر أنه صحب الأمير تميم بن معد وإخوته بالمنصورية ودخل مصر في أيام العزيز ؛ ولعلّه هو الذي ترجم له ياقوت نفسه لاشتراكهما في النشأة والهجرة إلى مصر ، وهما في حدود زمن واحد . وانظر الأنموذج : 126 ومعجم البلدان 3 : 93 .

461 - ترجمة خلف الأحمر في طبقات ابن سلام : 9 : 21 والشعر والشعراء : 673 والمعارف : 544 وطبقات ابن المعتز : 146 ومراتب النحويين : 46 - 47 وأخبار النحويين البصريين : 52 ونور القبس : 72 - 80 وطبقات الزبيدي : 177 والفهرست : 55 ونزهة الألباء : 58 وإنباه الرواة 1 : 348 والوافي 13 : 353 وبغية الوعاة 1 : 554 وله أخبار في الكامل للمبرد وأمالي المرتضى والمزهر للسيوطي والحيوان للجاحظ وأمالي القالي وتهذيب اللغة للأزهري والسمط . . . وانظر مجمع الذاكرة 1 : 41 - 189 .

قال أبو عبيدة معمر بن المثنى : خلف الأحمر معلم الأصمعي ومعلم أهل البصرة . وقال الأخفش : لم أدرك أحداً أعلم بالشعر من خلف الأحمر والأصمعي . وقال ابن سلام[1] : أجمع أصحابنا أن الأحمر كان أفرسَ الناسِ ببيت شعر ، وأصدق لساناً ، وكنا لا نبالي إذا أخذنا عنه خبراً أو أنشدنا شعراً أن لا نسمعه من صاحبه . وقال شمر : خلف الأحمر أول من أحدث السماع بالبصرة ، وذلك أنه جاء إلى حماد الراوية فسمع منه وكان ضنيناً بأدبه .

ولم يكن فيه ما يعاب . إلا أنه كان يعمل القصيدة ، يسلك فيها ألفاظ العرب القدماء ، وينحلها أعيانَ الشعراء كأبي دواد الإيادي وتأبط شراً والشنفرى وغيرهم ، فلا يفرق بين ألفاظه وألفاظهم ، فترويها جلّة العلماء لذلك الشاعر الذي نحله إياها ، فمما نحله إلى تأبط شراً :

إن بالشِّعْبِ الذي دونَ سَلْعٍ لقتيلاً دَمُهُ لا يُطَلُّ

ومما نحله الشنفرى القصيدة المعروفة بلامية العرب ، أولها :

أقيموا بني أمي صدورَ مطيكم فإني إلى قومٍ سواكم لأَمْيَلُ

حدث يونس قال[2] : كنا عند أبي عمرو بن العلاء ومعنا خلف الأحمر ، فقرأ عليه رجل :

قالت أميمةُ ما لَهُ بعدي قد ابيضتْ شَوَاتُهْ

فقال له أبو عمرو : عظمت الراء فظننتها واواً ، وإنما هي سَرَاته أي عاليته ، فقال لي خلف بالفارسية : أصاب الرجل ووهم أبو عمرو . شواته جلدة رأسه . قال الصولي : والبيت لسعيد بن عبد الرحمن بن حسان بن ثابت من قصيدة ، وبعده :

فأراه ليس كما علمـ ـت صحا وأقصر عاذلاته
ماذا نكرت من امرىء أن شاب مذ شابت لداته

قال يونس : سمعت أعرابياً يقول : قد قال لي أعرابي آخر كبرت والله . فقال :

(1) طبقات فحول الشعراء : 23 .
(2) ما يقع فيه التصحيف (عبد العزيز أحمد) : 74 .

أجل ، لقد طالت حياتي ونحتت قناتي وابيضت سراتي ؛ وإذا كان ذلك مما يقوله العرب فالذي قاله أبو عمرو صواب .

قال الرياشي : سمعت الأخفش يقول : لم ندرك ها هنا أحداً أعلم بالشعر من خلف الأحمر والأصمعي . قلت : أيهما كان أعلم ؟ قال : الأصمعي . قلت : لِمَ ؟ قلت : لأنه كان أعلم بالنحو .

قال خلف : أنا وضعت على النابغة القصيدة التي منها :

خيلٌ صيامٌ وخيلٌ غيرُ صائمة ... تحت العجاجِ وخيلٌ تعلكُ اللجما

وقال أبو الطيب عبد الواحد اللغوي[1] : كان خلف يصنع الشعرَ وينسبه إلى العرب فلا يعرف ، ثم نسك وكان يختم القرآن في كل يوم وليلة ، وبذل له بعضُ الملوك مالاً عظيماً خطيراً على أن يتكلم في بيت شعر شكُّوا فيه فأبى ذلك وقال : قد مضى لي فيه ما لا أحتاج أن أزيد عليه . وكان قد قرأ أهل الكوفة عليه أشعارهم وكانوا يقصدونه لما مات حماد الراوية ، فلما نسك خرج إلى أهل الكوفة يعرفهم الأشعار التي أدخلها في أشعار الناس ، فقالوا له : أنت كنت عندنا في ذلك الوقت أوثقَ منك الساعةَ ، فبقي ذلك في روايتهم إلى الآن . واختص به أبو نواس وله فيه مراثٍ مشهورة .

ولخلف ديوان شعر حمله عنه أبو نواس و « كتاب جبال العرب » .

حدث الأصمعي[2] قال : حضرنا مأدبةً ومعنا أبو محرز خلف الأحمر ، وحضرها ابن مناذر الشاعر ، فقال لخلف الأحمر : يا أبا محرز إن يكن النابغة وامرؤ القيس وزهير قد ماتوا فهذه أشعارهم مخلدة ، فقس شعري إلى شعرهم واحكم فيها بالحق ، فغضب خلف ثم أخذ صحفة مملوءة مرقاً فرمى بها عليه فملأه ، فقام ابن مناذر مغضباً وأظنه هجاه بعد ذلك .

وحدث ابن سلام قال[3] قال لي خلف الأحمر : كنت أسمع ببشار بن برد قبل أن

(1) مراتب النحويين : 47 .
(2) الأغاني 18 : 108 .
(3) الأغاني 3 : 185 ونور القبس : 75 .

أراه ، فذكروه لي يوماً وذكروا بيانَهُ وسرعَةَ جوابه وجَوْدَةَ شعره ، فاستنشدتهم شيئاً من شعره فأنشدوني شيئاً لم أحمده ، فقلت : واللّه لآتينه ولأطأطئنَّ منه ، فأتيته وهو جالسٌ على بابه ، فرأيته أعمى قبيحَ المنظر عظيم الجثة ، فقلت : لعن الله من يبالي بهذا ، فوقفت أتأمله طويلاً ، فبينا أنا كذلك إذ جاءه رجل فقال : إن فلاناً سبَّكَ عند الأمير محمد بن سليمان ووضع منك ، فقال : أو قد فعل ؟ قال : نعم ، فأطرق ، وجلس الرجل عنده وجلست ، وجاء قوم فسلَّموا عليه فلم يردْ عليهم ، فجعلوا ينظرون إليه وقد دَرَّتْ أوداجه ، فلم يلبثْ إلا ساعةً حتى أنشدنا بأعلى صوته وأفخمه ، فقال :

نُبِّئتُ نائكَ أمِّه يغتابني ... عند الأمير وهل عليَّ أميرُ
ناري محرِّقةٌ وبيتي واسعٌ ... للمعتفين ومجلسي معمورُ
وليَ المهابةُ في الأحبة والعدا ... وكأنني أسدٌ له تامورُ[1]
غَرِثَتْ حليلته وأخطأ صيده ... فله على لَقَمِ الطريقِ زئيرُ[2]

قال : فارتعدت والله فرائصي واقشعرَّ جلدي ، وعظم في عيني جداً حتى قلت في نفسي : الحمد للّه الذي أبعدني من شرك .

وكان بين خلف الأحمر وبين أبي محمد اليزيدي مهاجاة ، فقال أبو محمد فيه[3] :

زعم الأحمرُ المقيتُ لدينا ... والذي أُمُّهُ تقرُّ بمقتِهْ
أنه علَّم الكسائي نحواً ... فلئن كان ذا كذاك فبأَسْتِهْ

وهجا خلف أبا محمد اليزيدي بقصيدةٍ فائية تداولها الأفواه والأسماع نسبه فيها إلى اللواطة مطلعها[4] :

إني وَمَنْ وَسَجَ[5] المطيُّ له ... حُدْبَ الذُّرى إرقالها[6] رجفُ
والمحرمين لصوتهم زَجَلٌ ... بفناءِ كعبته إذا هتفوا

---

(1) التامور : عرين الأسد .
(2) غرثت : جاعت : لقم الطريق : متن الطريق .
(3) الأغاني 20 : 192 .
(4) الأغاني 20 : 198 .
(5) وسج : أسرع .
(6) الأغاني : أذقانها .

مـنّـي إلـيــه غـيــرَ ذي كــذبٍ ... مــا إن رأى قــومٌ ولا عــرفــوا
في غـابـر الـنـاسِ الـذين بقــوا ... والفَــرَطِ المــاضين مَنْ سلفــوا
أحداً كيحيى في الطعـان إذا افـ ... ـترش القنا وتضعضع الحجفُ[1]
فـي معــركٍ يُـلْقَى الـكمـيُّ بــه ... لـلوجــه منبــطحــاً وينـحــرفُ
وإذا أكــبَّ الـقِــرْنُ يـتـبـعــه ... طعنــاً دوين صَــلاهُ ينخسفُ[2]

وهي طويلة نحو أربعين بيتاً اكتفينا بهذا المقدار منها . وله من المصنفات كتاب حيات العرب وما قيل فيها من الشعر .

ـ 462 ـ

خلف بن أحمد بن محمد بن خلف بن الليث بن خلف بن فرقد أبو أحمد الغربي ملك سجستان في أيام السلطان محمود بن سبكتكين : كان عالماً فاضلاً أديباً تقصده الشعراء . وكان ملكَ سجستان . وكان في أول أمره على مذهب أهل الرأي . وكان أهلُ مذهبه يُغْرونَهُ بقتلِ من خالفَ مذهبه ، فقتل ألوفاً كثيرة على ذلك الرأي . وكان يحيى بن عمارة بسجستان في ذلك الوقت ، فخاف على نفسه ، فالتحف بملحفةٍ كالنسوان ، ولحق ببعض السيّارة فتحمل معهم على تلك الحال قاصداً هراة . ثم إن الأمير خلف بن أحمد رجع عن مذهب أهل الرأي إلى مذهب أهل الحديث ، فقتل خلقاً كثيراً من أهل الرأي . وصنف في تفسير القرآن كتاباً كبيراً نحواً من مائة وعشرين مجلداً . وله كتاب تعبير الرؤيا سماه « تحفة الملوك » .

مات سنة تسع وتسعين وثلاثمـائة . وكـان سبب موتـه أن السلطان محمود بن سبكتكين قبض عليـه ، وحبسه في قلعـة ، فشرب دواءً حتى غـاب رشده ، وخيـل للموكلين به أنه قد مات فسُلّم إلى أهله فجعلوه في تابوت ، ومضوا به ، وبلغ ذلك

462 ـ هذه الترجمة من المختصر . وانظر الوافي 13 : 364 ـ 365 (وقد صرَّح بنقله عن ياقوت وأورد كل ما جاء هنا) وسير الذهبي 17 : 116 وعبر الذهبي 3 : 70 ومعجم البلدان (سجستان) والأنساب واللباب (السجزي) والشذرات 3 : 156 وتاريخ ابن الأثير (صفحات من الجزء التاسع) .

(1) الحجف : التروس .
(2) الصلا : وسط الظهر .

محموداً فقبض عليه مرةً أخرى ، وفعل فعلته الأولى . فأمر السلطان أن يُجعل في تابوت ويغلق حتى مات .

ـ 463 ـ

خلف بن المختار الأطرابلسي المغربي: صاحب نحو ولغة ، وكان بخيلاً بعلمه . مات سنة تسعين ومائتين .

ـ 464

خلف بن هشام بن ثعلب البزار أبو محمد : كان من أهل قمّ ، وصار إلى بغداد حتى صار كأنه من أهلها . مات في أيام الواثق سنة تسع وعشرين ومائتين . وكان يكره أن يقال له البزار. وكان يقول في حرح[1] من يقول لي البزار، وإنما قُولوا المقرىء . قال أبو علي الأهوازي : ليس للبغداديين قارىء غير خلف بن هشام ، ولا كان قط من أهلها فاضل يشار إليه في العلم فيما أراه إلا قليل ، وكان خلف قد قرأ على الكسائي .

جاء إليه سليم بن عيسى الحنفي وقرأ عليه من أول القرآن إلى رأس « الستين » من سورة النور ولم يغلط . فلما بلغ إلى قوله : ﴿ **ليس على الأعمى حرج ولا على الأعرج حرج ولا على المريض حرج** ﴾ ترك الأعرج ، فأخرج سليم رجله وقال : وأين أنا ؟ فقال خلف : « ولا على الأعرج حرج » . فقال له سليم حينئذ : أما إنك لو ختمتَ ولم تغلط لقلت إنك منافق .

مصنفاته : كتاب اختيار القراءات للكسائي . كتاب القراءات .

---

463 ـ هذه الترجمة من المختصر ؛ وانظر : طبقات الزبيدي : 259 والوافي 13 : 360 وبغية الوعاة 1 : 556 .

464 ـ هذه الترجمة من المختصر ؛ وانظر : طبقات ابن سعد 7 : 348 وتاريخ بغداد 8 : 322 ومعرفة القراء الكبار 1 : 171 وسير الذهبي 10 : 576 وعبر الذهبي 1 : 404 وطبقات ابن الجزري 1 : 273 وتهذيب التهذيب 3 : 156 والوافي 13 : 358 (وفيه مزيد من التخريج) . والشذرات 2 : 67 وورد ذكره في الفهرست: 34 ـ 42 (وترجمته هنالك ص: 34) .

(1) كذا ولعله : « في حر أم » .

- 465 -

الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي، ويقال الفرهودي نسبة إلى فراهيد بن مالك بن فهم بن عبد الله بن مالك بن مضر الأزدي البصري، العروضي النحوي اللغوي: سيد الأدباء في علمه وزهده. قيل: أول من سمي في الإسلام أحمد أبو الخليل. ويكنى أبا عبد الرحمن وهو من أعمال عُمان من قرية من قراها، وانتقل إلى البصرة. مات سنة خمس وسبعين ومائة عن أربع وسبعين سنة. وقيل إنه مولى الفراهيد، وأصله من الفرس.

قال المؤلف[1]: وهذا القول عندي صحيح، وذاك لأنه لم يذكر أحد في نسبه أكثر من الخليل بن أحمد لم يزد أحدٌ عليه، ولو كان عربياً لم يخفَ ذلك عن الأئمة العلماء الذين كتبوا أنسابَ الأراذل الخاملي الذكر، فكيف مثل هذا الإمام مع كثرة تلاميذه المتقنين، أما كان منهم رجلٌ سأله عن نسبه فيكتبه فيما كتب من أخباره وأشعاره؟!

قال حمزة بن الحسن الأصبهاني في كتاب «الموازنة بين العربية والعجمية»: وللعرب فضلٌ على غيرهم من الأمم بما اتفق لعلماء لغتهم من تقييد ألفاظهم في بطون

---

465 - ترجمة الخليل بن أحمد في المعارف: 541 وطبقات ابن المعتز: 95 ومراتب النحويين 27 وأخبار النحويين البصريين: 38 والتهذيب للأزهري 1: 10، 28 - 29 وطبقات الزبيدي: 43 والفهرست: ونزهة الألباء: 45 والتنبيه لحمزة: 124 ونور القبس: 56 - 72 وتاريخ أبي المحاسن: 123 وإنباه الرواة 1: 341 وابن خلكان 2: 244 وتهذيب الأسماء واللغات 1: 177 وعبر الذهبي 1: 268 وسير الذهبي 7: 429 وطبقات ابن الجزري 1: 275 ومرآة الجنان 1: 362 والبداية والنهاية 10: 161 وتهذيب التهذيب 3: 163 والوافي 13: 385 وسرح العيون: 268 والبلغة: 79 وبغية الوعاة 1: 557 والشذرات 1: 275 وروضات الجنات 3: 289 وله أخبار كثيرة منثورة في كتب الأدب واللغة تطلب في مظانّها؛ ولكوركيس عواد وميخائيل كتاب ببليوغرافي عنه (بغداد: 1972) ومعظم هذه الترجمة من المختصر وبعضها من المطبوعة م.

(1) هذا الترجيح من المؤلف غير مقنع؛ وفراهيد بن مالك أزدي، ويقول المرزباني: «وكان من أنفسهم صحيح النسب معروف الأهل»، ويقول ابن سلام: لم يكن في العرب أذكى من الخليل (ولا في العجم أذكى من ابن المقفع)؛ وهذا القول سيرد في ما يلي.

الكتب ، وعلماءُ الفرس تدَّعي مشاركتهم في هذه الفضيلة ، ويزعمون أن لغتهم كانت منتشرةً ذاهبة في الضياع على غير نظام ، إلى أن ظهر بجمعها بعد انتشارها فيلسوف دولة الإسلام الخليل بن أحمد الفرهودي ، ومن الفرس كان أصله لأنه من فراهيد اليمن ، وكانوا من بقايا أولاد الفرس الذين فتحوا بلاد اليمن لكسرى . وكان جدّ الخليل من أولئك ، فضمه إلى وهرز لتدبير جيشه ، وحصل باليمن فتناسل بها أولاده ، وصاهروا قبائلَ الأزد ، فادعاهم الأزد ، وبالبلدية والقرابة ضم الخليل سيبويه إلى نفسه حتى خرَّجه ، فمن أجل أنَّ الخليل كان من الفرس صارت لنا شركةٌ في مفاخر العرب بما أثَّلَهُ الخليل لهم ، فزعموا أن للخليل ثلاثة أياد عند العرب كبار لم يُسْدِ مثلها إليهم عربي منهم : أحدها ما نهج لتلميذه سيبويه من التأتي لتأليف كتابه حتى علَّمه كيف يُفَرِّق جمهورُ النحو أبواباً ، وتجنس الأبواب أجناساً ، ثم تنوع الأجناس أنواعاً حتى أخرجه مُعْجِزَ التأليف، فقيد به على العرب منطقهم حتى سلم أعقابهم للإعراب وتقويم اللسان من هجنة اللحن وخطأ القول .

الثانية : اختراعه لأشعارهم ميزاناً حذاه على غير مثال ، وهو العَروض التي إليها مفزع من خذله الطبع ، ولم يساعده الذوق من الشعراء ورواة الأشعار ، فصار أثره لاختراع هذا العلم كأثر الفيلسوف أرسطاطاليس في شرح علم حدود المنطق .

الثالثة : ما منحهم في لغتهم من حصره إياها في الكتاب الذي سماه كتاب « العين » فبدأ فيه بسياقةَ مخارج الحروف ، وأظهر فيه حكمةً لم يقع مثلها للحكماء من اليونانيين . فلما فرغ من سرد مخارج الحروف عدل إلى إحصاء أبنية الأشخاص وأمثلة أحداث الأسماء ، فزعم أن مبلغ عدد أبنية كلام العرب المستعمل والمهمل على مراتبها الأربع من الثنائي والثلاثي والرباعي والخماسي من غير تكرير ينساق إلى اثني عشر ألف ألف وثلاثمائة ألف وخمسة آلاف وأربعمائة واثني عشر . الثنائي منها ينساق إلى سبعمائة وستة وخمسين ، والثلاثي إلى تسعة عشر ألف وستمائة وستة وخمسين . والرباعي إلى أربع مائة وواحد وتسعين ألفاً وأربعمائة . والخماسي إلى أحد عشر ألف ألف وسبعمائة وثلاثة وتسعين ألفاً وستمائة . قالوا : فقد شاركنا في فضيلة لغتها ومزية نحوها ، وحلية عروض قريضها شرك العنان إذ كان الخليل مثيرها من مكمنها وهو منَّا .

قال السيرافي : كان الغاية في تصحيح القياس واستخراج مسائل النحو وتعليله .

أخذ عن أبي عمرو بن العلاء وروى عن أيوب وعاصم الأحول وغيرهما ، وأخذ عنه الأصمعي وسيبويه والنضر بن شميل وأبو فيد مؤرج السّدوسيّ وعلي بن نصر الجهضمي وغيرهم . وهو أول من استخرج العروض وضبط اللغة وحصر أشعار العرب ، يقال إنه دعا بمكة أن يرزقه اللّه تعالى علماً لم يسبق به ، فرجع وفتح عليه بالعروض ، وكانت معرفته بالايقاع ، وهو الذي أحدث له علم العروض وكان يقول الشعر فينظم البيتين والثلاثة ونحوها .

قال الخليل بن أحمد : دخلت على سليمان بن علي بن عبد اللّه بن عباس ووجدته يسقط في كلامه ، فجلست حتى انصرف الناس ، فقال : هل حاجة يا أبا عبد الرحمن ! قلت أكبر الحوائج . قال : قل فإن مسائلك مقضية ووسائلك قوية . قلت : أنت سليمان بن علي ، وكان علي في العالم علياً وكان عبد اللّه بن العباس الحبر والبحر ، وكان العباس بن عبد المطلب إذا تكلم أخذ سامعه ما يأخذ النشوان على نقر العيدان ، وأراك تسقط في كلامك ، وهذا لا يشبه محتدك ومنصبك ، قال فكأنما فقأ في وجهه الرمّانَ خجلاً فقال : لن تسمعه بعدها . ثم احتجب عن الناس ، وأكبّ على النظر ثم أذن للناس في مجلس عامّ ، فدخلت في لمة الناس فوجدته يفصح حتى خلته معدّ بن عدنان ، فجلست حتى انصرف الناس . فقال : كيف رأيت أبا عبد الرحمن ؟ فقلت رأيت كلَّ ما سرني في الأمير ، وأنشدت[1] :

لا يكون السريّ مثل الدني ... لا ولا ذو الذكاء مثل الغبيِّ
لا يكون الألدّ ذو المعول المر ... هف عند الخصام مثل العيي
قيمة المرء قدر ما يحسن المر ... ء قضاء من الإمام علي
أي شيء من اللباس على ذي السرّ ... و أبهى من اللسان السري
ينظم الحجة الشتيتة في السلـ ... ـك من القول مثل نظم الهدي
وترى اللحن في لسان أخي الهيـ ... ـبة مثل الصدا على المشرفي
فاطلب النحو للقران وللشعـ ... ـر مقيماً والمسند المروي

(1) ورد منها بيتان في المقدمة .

كـل ذي الجهـل بـالفنـون يعـاديـ ـهـا ويـزري منهـا بغيـر الـزري

وانصرفت فاستتبعني غلام على كتفه بدرة فرددتها عليه وكتبت إليه[1] :

أبلغ سليمـان أني عنـه في سعـة وفي غنى غيـر أني لست ذا مـالِ
سخًى بـنفسيَ أنـي لا أرى أحـداً يمـوتُ هُـزْلاً ولا يبقى على حـالِ
والفقر في النفس لا في المال نعرفُهُ ومثلُ ذاك الغنى في النفسِ لا المالِ
والـرزق عن قَـدَرٍ لا العجـزُ يُنْقِصُـهُ ولا يـزيـدك فيـه حَـوْلُ مـحـتـالِ

سأل رجل الخليل بن أحمد : من أي العرب أنت ؟ فقال : فراهيدي ، وسأله آخر فقال : فرهودي . قال المبرد : قوله فراهيدي انتسب إلى فـراهيد بن مـالك بن فهم بن عبد اللّه بن مالك بن مضر بن الأزد . وقوله فـرهودي انتسب إلى واحـد من الفراهيد ، وهو فرهود ، والفراهيد صغار الغنم .

وكان الخليل أعلمَ الناس وأذكاهم وأفضلَ الناس وأتقاهم ، وكانوا يقولون : لم يكن في العرب بعد الصحابة أذكى من الخليـل بن أحمد ولا أجمـع ، ولا كان في العجم أذكى من ابن المقفع ولا أجمع . وكان الخليل أشد الناس تعففاً . ولقد كان الملوك يقصدونه ويتعرضون له لينالَ منهم فلم يكن يفعل ، وكان يعيش من بستانٍ له خَلَّفَهُ عليه أبوه بالحربية . وكان يحجُّ سنةً ويغزو سنة حتى جاءه الموت ، وأول من جمع الحروف في بيت واحد الخليل ، فقال :

صِفْ خَلْقَ خَوْدٍ كمثل الشمس إذ بزغت يحـظى الضجيعُ بهـا نجلاءُ معـطارُ

قيل : كان عند رجل دواء لظلمة العين ينتفع به الناس فمات وأضرَّ ذلك بمن كان يستعمله . فقال الخليل بن أحمد : ألَهُ نسخة معروفة ؟ قالوا : لم نجد نسخته . قال فهل له آنية يعمله فيها ؟ قالوا : نعم، إناء كان يجمع الأخلاط فيه . قال : فجيئوني به . فجعل يشمُّهُ ويخرج نوعاً نوعاً حتى ذكر خمسة عشر نوعاً ، ثم سأل عن جمعها ومقدارها ، فعرف ذلك ممن يعالج مثله ، فعمله فأعطاه الناس فانتفعوا به مثل تلك المنفعة ، ثم وُجِدَت النسخة في كتب الرجل فوجدوا الأخلاط ستة عشر خلطاً كما ذكر

(1) الأبيات في مصادر كثيرة ، انظر نور القبس : 66 .

الخليل لم يغفل منها إلا خلطاً واحداً .

وقال الخليل(1) : كنت أخرجُ من منزلي فألقى رجلاً من أربعة : رجلاً أعلم مني فهو يوم فائدتي ، ورجلاً مثلي فهو يوم مذاكرتي ، ورجلاً متعلماً مني فهو يوْمُ ثوابي ، ورجلاً دوني في الحقيقة ، وهو يرى أنه فوقي ويحاول أن يتعلم مني وكأنه يعلمني فذاك الذي لا أكلمه ولا أنظر إليه .

وقال(2) : الرجال أربعة : رجل يدري ويدري أنه يدري ، فذاك عالم فاتبعوه ، ورجل يدري ولا يدري أنه يدري فذاك غافل فنبهوه ، ورجل لا يدري ويدري أنه لا يدري فذاك جاهل فعلموه ، ورجل لا يدري ولا يدري أنه لا يدري فذاك مائق فاحذروه .

وقال الناشىء يهجو داود بن علي الأصبهاني الفقيه(3) :

أقول كما قال الخليلُ بن أحمد ... وإن شئت ما بين النظامين في الشعرِ
عذلت على من لو علمتَ بقدره ... بسطت وكان العذل واللوم من عذري
جهلتَ ولم تعلم بأنك جاهلٌ ... فمن لي بأن تدري بأنك لا تدري

وأنشد علي بن هارون عن أبيه في معناه :

يدعي العلم بالنجوم كما قد ... يدعي مثل ذاك في كل أمرِ
وهو في ذاك ليس يدري ولا يد ... ري من النوك أنه ليس يدري

وقال الخليل(4) : تكلم أربعة أملاك بأربع كلمات كأنها رميةٌ واحدة . قال كسرى : أنا على ردّ ما لم أقلْ أقدرُ مني على ردّ ما قلت . وقال قيصر : لا أندم على ما لم أقل ، وقد أندمُ على ما قلت . وقال ملك الصين : إذا تكلمتُ بالكلمة ملكتني ، وإذا لم أتكلم بها ملكتها . وقال ملك الهند : عجبتُ لمن يتكلم بالكلمة إن وقعتْ عليه ضَرَّتْهُ ، وإن لم تُرْفَعْ عليه لم تنفعه . قال الخليل : وطلبت لها نظائر في أشعار العرب فوجدت منها في قول الشاعر :

---

(1) نور القبس : 60 .

(2) نور القبس : 61 وعيون الأخبار 2 : 126 .

(3) نور القبس : 61 .

(4) نور القبس : 61 ـ 62 .

حَبْسُ ما لم أقل عليّ يسيرٌ ... وعسيرٌ ردُّ الكلامِ المقولِ

وقال الآخر :

ما لم أقله لم أسعه ندامة ... ومتى أقلْ يكثرْ عليَّ تندّمي

وقال الآخر :

كلامُكَ مملوكٌ إذا لم تَفُهْ به ... وتلقاهُ إن أطلقته لك مالكا

وقال الآخر :

عجبتُ للقائل قولاً هَذَرَا
متى يشع يُدْنِ إليك ضررا
وليس بالنافع إمّا سترا

وقال الخليل : ثلاثة ينسين المصائب : مرُّ الليالي ، والمرأة الحسناء ، ومحادثة الرجال .

وقال(1) :

وما بقيت من اللذات إلا ... محادثة الرجال ذوي العقول
وقد كنا نعدهم قليلاً ... فقد أضحوا أقلَّ من القليل

وله(2) :

وما هي إلا ليلة ثم يومها ... وحولٌ إلى حول وشهر إلى شهرِ
مطايا يقرّبْن الجديد من البلى ... ويدنين أشلاءَ الكرام من القبر
ويتركن أزواجَ الغيور لغيره ... ويقسمنَ ما يحوي الشحيحُ من الوفر

كان عبد الله بن الحسن العنبري قاضي البصرة يأتي جاراً له يقول بالنجوم ، فدخل قلبَهُ شيءُ ، فجاء الخليل فسأله ، فقال له الخليل : أخبرني عن الحاء من أين مخرجها ؟ قال : من الحلق . قال : فأخبرني عن الباء من أين مخرجها ؟ قال : من طرف اللسان . قال : أفتقدر أن تخرج هذه من مخرج تلك ؟ قال : لا . قال : قم

---

(1) نور القبس : 63 .
(2) نور القبس : 63 .

فإنك مائق ، ثم أنشأ يقول[1] :

أبلغا عنيَ المنجم أني ... كافر بالذي قضته الكواكبْ
عالم أن ما يكون وما كا ... ن فَحَتْمٌ من المهيمن واجبْ

وأنشد للخليل :

يقولون لي دارُ الأحبة قد دَنَتْ ... وأنت كئيبٌ إن ذا لعجيبُ
فقلت وما تغني الديار وقربها ... إذا لم يكن بين القلوب قريب

وله في وصف البصرة ، ويروى لأبي عيينة :

يا جنة فاقت الجنان فما ... تبلغها قيمة ولا ثَمَنُ
ألفتها فاتخذتها وطناً ... إن فؤادي لأهلها وطن
من سفن كالنعام مقبلة ... ومن نعام كأنها سفن
صاهَرَ حيتانها الضباب بها ... فهذه كنّة وذا ختن

قال وهب بن جرير[2] : خرج أبي والخليل والفضل بن المؤتمن العبلي إلى سليمان بن حبيب بن المهلب بن أبي صفرة إلى الأهواز فبدأ بعطاء الاثنين قبل الخليل . فكتب إليه بأبيات تمثل بها :

ورد العفاة المعطشون فأصدروا ... ريّاً وطابَ لهم لديكَ المكرعُ
ووردتُ بحرَكَ ظامئاً مُتَدَفِّقاً ... فرددتُ دلوي شنها يتقعقعُ
وأراك تمطر جانباً عن جانب ... وَفِناءُ أرضي من سمائك بلقعُ
أَلِبَخْسِ منزلتي تؤخرُ حاجتي ... أوليس عندك لي بخيرٍ مطمعُ

ورحل عنه فوجه إليه ألف دينار فردها عليه ، وقال : هيهات أفلتت قائبة عن قُوبها . القائبة البيضة ، والقُوب : الفرخ ، وهو مثل ضربه .

وروي[3] أن سليمان بن حبيب وجّه إلى الخليل وهو يومئذ والي فارس والأهواز

---

(1) البيتان في نور القبس : 65 .
(2) نور القبس : 67 .
(3) قارن بنور القبس : 66 ـ 67 .

يستدعيه لتأديب ولده ، فأخرج الخليل إلى رسوله خبزاً يابساً ، وقال له : كل ، فما عندي غيره ، وما دمت أجده فلا حاجة لي إلى سليمان ، وقال :

أبلغ سليمــانَ أني عنــه في سعــةٍ وفي غنىً غيــر أني لسـت ذا مــالِ
سخًى بنفسيَ أني لا أرى أحــداً يموتُ جوعاً ولا يبقى على حـال
وإن بين الغنى والفقــر منزلــةً مخطومةً بجـديدٍ ليس بــالبالي
فـالرزق عن قـدر لا العجـز ينقصـه ولا يـزيـدك منـه حـول محتـال
إن كــان ضــنَّ سليمــان بنــائله فــاللّه أفضــل مسؤول لِسُـؤال
والفقر في النفس لا في المال نعرفه ومثل ذاك الغنى في النفس لا المال

قيل : قطع سليمان جارياً كان يجريه عليه ، فقال الخليل :

إن الــذي شق فمي ضــامن لـلرزق حـتـى يتـوفـانـي
حــرمتني خيـراً قليــلاً فمـا زادك في مــالـك حــرمـاني

فبلغت سليمان فأقامته وأقعدته ، وكتب إلى الخليل يعتذر إليه ، وأضعف جاريه ، فقال الخليل[1] :

وزلـةٍ يكثـر الشيـطان إن ذكـرت منها التعجبَ جاءت من سليمانا
لا تعجبنَّ لـخيـرٍ زلَّ عـن يــده فالكوكب النحس يسقي الأرض أحيانا

ولــه[2] :

اعمـلْ بعلمي ولا تنظر إلى عملي ينفعْك علمي ولا يضررْك تقصيري

حدث علي بن نصر الجهضمي قال[3] : رأيت الخليل بعدما مات في النوم ، فقلت له : ما صنع اللّه بك ؟ قال : رأيت ما كنا فيه لم يكن شيئاً ، وما وجدتُ أفضلَ من « سبحان اللّه والحمد للّه واللّه أكبر » .

---

(1) نور القبس : 67 .
(2) نور القبس : 61 .
(3) نور القبس : 72 .

قيل[1] : وكان الخليل يحب أن يرى عبد الله بن المقفع ، وكان عبد اللّه يحب ذلك ، فجمعهما عبّاد بن عبّاد المهلبي فتحادثا ثلاثة أيام ولياليهن ، ثم افترقا . فقيل للخليل : كيف رأيت ابن المقفع ؟ فقال : ما رأيت مثله قط ، وعلمه أكثر من عقله . وقيل لابن المقفع : كيف رأيت الخليل ؟ فقال : ما رأيت قط مثله ، وعقله أكثر من علمه . وصدق في ذلك ، أدى عقل الخليل إلى أن مات وهو أزهد الناس ، وأدى جهل ابن المقفع إلى أن قتل على ما ذكرناه في بابه من هذا الكتاب .

وسئل الخليل[2] ، فقيل له : ما الجود ؟ قال : بذل الموجود . قيل : فما الزهد ؟ قال : ألا تطلب المفقود حتى يفقد الموجود . وقال الخليل : الناس في سجن ما لم يتمازحوا ، وأنشد لنفسه :

يكفيك من دهرك هذا القوت ... ما أكثرَ القوتَ لمن يموتُ

وكان يقول : إذا نسخ الكتاب ثلاث مرات ، ولم يقابل انقلب بالفارسية .

وكان[3] الخليل صديقاً لسليمان بن حبيب . وكثر الزوار عليه فتشاغل عنهم ، فقدم الخليل بن أحمد فسألوه أن يذكره أمرهم فكتب إليه :

لا تقبلنَّ الشعرَ ثم تعيدُهُ ... وتنامُ والشعراءُ غيرُ نيامِ

واعلمْ بأنهمُ إذا لم يُنْصَفُوا ... حكموا لأنفسهم على الحكام

وجنايةُ الجاني عليهم تنقضي ... وعقابُهم يَبْقَى على الأيام

وله ، وقد رويت للأحنف بن قيس وقد لامه قومه على كثرة الحلم[4] :

سألزمُ نفسي الصفحَ عن كلِّ مجرمٍ ... وإن كَثُرَتْ منهم إليَّ الجرائمُ

فما أنا إلا واحدٌ من ثلاثة ... شريفٌ ومشروف ومثْلٌ مقاوم

فأما الذي فوقي فأعرفُ قَدْرَهُ ... وأتبع فيه الحقَّ والحقُّ قائم

وأما الذي مثلي فإن زلَّ أو هفا ... تفضلتُ إن الفضلَ للحر لازم[5]

---

(1) قارن بنور القبس : 57 .

(2) بعضه في نور القبس : 63 .

(3) نور القبس : 67 .

(4) نور القبس : 56 .

(5) نور القبس : بالعز حاكم .

وأما الذي دوني فإن قال صُنْتُ عَنْ ... إجابته نفسي وإن لام لائم

مولد الخليل سنة مائة ، وتوفي سنة خمس وسبعين ومائة . قيل : أقام الخليل في خص من أخصاص البصرة لا يقدر على فلْسَيْن وأصحابه يكسبون بعلمه الأموال . ولقد سمعه النضر بن شميل يقول : إني لأغلق عليَّ بابي فما يجاوزه همي .

وقد روي في سبب وضع الخليل كتاب العروض ما ذكره عبد الله بن المعتز أن الخليل مرّ في سكّة القصّارين في البصرة فسمع دق الكوادين بأصوات مختلفة ، فوقف يسمع اختلافه، ثم قال: واللّه لأصنعنّ على هذا المعنى علماً غامضاً، فوضع العروض.

وحدث النضر بن شميل قال[1] : كان أصحاب الشعر يمرون بالخليل فيتكلمون في النحو ، فقال الخليل : لا بدَّ لهم من أصل ، فوضع العروض . وخلا في بيت ، ووضع بين يديه طستاً أو ما أشبه الطست ، فجعل يقرعه بعود ويقول : فاعلن مستفعلن فعولن ، قال : فسمعه أخوه ، فخرج إلى المسجد ، فقال إن أخي قد أصابه جنون ، فأدخلهم عليه وهو يضرب الطست ، فقالوا : يا أبا عبد الرحمن، ما لك ؟ أصابك شيء ؟ أتحب أن نعالجك ؟ فقال : وما ذاك ؟ قالوا : أخوك زعم أنك قد خولطت، فأنشأ يقول :

لو كنتَ تعلمُ ما أقولُ عذرتني ... أو كنتُ أجهلُ ما تقولُ عذلتكا
لكنْ جهلْتَ مقالتي فعذلتني ... وعلمْتُ أنك جاهل فعذرتكا

قال أبو محمد اليزيدي : قصدت الخليل في بعض الأيام ، فلما دخلت عليه ألفيته جالساً على طنفسة صغيرة ، فأوسع لي فكرهت التضييق عليه ، فقال : لا يضيق سمُّ الخياط مع متحابين ، ولا تسعُ الدنيا متباغضين ، وأنشد[2] :

ما اتسعت أرضٌ إذا كان مَنْ ... تُبْغِضُ في شيءٍ من الأرضِ

كتب سليمان بن حبيب إلى الخليل أن اكتب لي النحو في ثلاث كلمات ولا تزد عليها ، فكتب إليه : الرفع موسوم بالوصف ، والخفض مجرور الإضافة ، وما لا سبيل إليه فهو نصب .

---

(1) نور القبس : 58 .
(2) نور القبس : 61 .

وأنشد للخليل :

مـا ازددتُ في أدبي حـرفـاً أُسرّ بـه   إلا تـزيـدت حـرفـاً تـحتـه شُـومُ
إن الـمقـدم فـي حـذقٍ بصنـعتـه   أنـى تـوجّـه فيـهـا فـهـو مـحـروم

وقال الخليل : من أخطأته المنايا قيدته الليالي والسنون .

حدّث الخليل بن أحمد قال : اجتزت في بعض أسْفاري براهب في صومعة فدققت عليه والمساءُ قد أزفتْ جداً ، وقد خفت من الصحراء وسألته أن يدخلني ، فقال : من أنت ؟ قلت : أنا الخليل بن أحمد . فقال : أنت الذي يزعمه الناس وجهاً واحداً في العلم بأمر العرب ؟ فقلت : كـذا يقولـون ، ولست كذلـك . فقال : إذا أجبتني عن ثلاث مسائل جواباً مقنعاً فتحْتُ لك الباب ، وأحسنْتُ ضيافتك [وإن لم تجب] لم أفتح لك . قلت : وما هي ؟ قال : ألسْنا نستدل على الغائب بالشاهد ؟ فقلت : بلى . قال : فأنت تقول : اللّه عز وجل ليس بجسم ولا عرض، ولا نرى شيئاً بهذه الصفة . وأنت تزعم أن الناس في الجنة يأكلون ويشربون ، ولا يتغوّطون ، وأنت لم تر آكلاً شارباً إلا متغوّطاً ، وأنت تقول : إن نعيم أهل الجنة لا ينقضي ، وأنت لم تر شيئاً إلا منقضياً . قال : فقلت له ، بالشاهد الحاضر استدللْتُ على ذلك كله . أما اللّه تعالى فإنما استدللت عليه بأفعاله الدالّة عليه ، ولا مثل له . وفي الشاهد مثل ذلك ، وهي الروح التي فيك وفي كل حيوان تعلم أنك تحسّ بها تحت كل شعرة منها ، ونحن لا ندري أين هي ، ولا كيف هي ، ولا ما صفتها ، ولا جوهرها ، ثم ترى الإنسان يموت إذا خرجت ، ولا يحس بشيء خرج منه . وإنما استدللنا عليها بأفعالها وبحركاتها ، وتصرفنا بكونها فينا . وأما قولك إن أهل الجنة لا يتغوطون مع الأكل ، فالشاهد لا يمنع ذلك ، ألا ترى الجنين يغتذي في بطن أمه ولا يتغوط ؟ وأما قولك إن نعيم أهل الجنة لا ينقضي مع أن أوله موجود ، فإنا نجد أنفسنا نبتدىء الحساب بالواحد ، ثم إذا أردنا ألا ينقضي إلى ما لا نهاية له لم نكرره وأعداده تضعيفه إلى انقضائها . قال : ففتح لي الباب ، وأحسن ضيافتي .

قال المؤلف : هذا الجواب كما شرط الراهب إقناعيّ لا قطعيّ .

وكان سفيان الثوري يقول : من أحب أن ينظر إلى رجل خلق من الذهب

والمسك فلينظر إلى الخليل بن أحمد .

ويروى عن النضر بن شميل أنه قال : كنا نميّلُ بين ابن عون والخليل بن أحمد أيهما نقدّم في الزهد والعبادة فلا ندري أيهما نقدم . وكان يقول : ما رأيت رجلاً أعلم بالسنة بعد ابن عون من الخليل بن أحمد . وكان يقول : أكلتُ الدنيا بعلم الخليل بن أحمد وكتبه ، وهو في خصّ لا يُشْعَر به . وكان يحجُّ سنة ويغزو سنة ، وكان من الزهاد المنقطعين إلى اللّه تعالى . وكان يقول : إن لم تكن هذه الطائفة أولياءَ الله تعالى فليس للّه وليّ .

وللخليل من التصانيف : كتاب الإيقاع . وكتاب الجمل . وكتاب الشواهد . وكتاب العروض . وكتاب العين في اللغة ، ويقال إنه لليث بن نصر بن سيار ، عمل الخليل منه قطعةً وأكمله الليث . وله كتاب فائت العين[1] . وكتاب النغم . وكتاب النقط والشكل ، وغير ذلك .

ومن شعره أيضاً :

وقبلك داوى الطبيبُ المريضَ ... فعاش المريضُ ومات الطبيبُ
فكنْ مستعداً لداءِ[2] الفناء ... فإن الذي هو آتٍ قريبُ

توفي سنة ستين ومائة وقيل سبعين ومائة وله أربع وسبعون سنة .

- 466 -

الخليل بن أحمد بن محمد بن الخليل بن موسى بن عبد الله بن عاصم بن جبل السجزي ، أبو سعيد : إمام في كل علم ، شائع الذكر مشهور الفضل معروف

466 - ترجمة الخليل بن أحمد السجزي في يتيمة الدهر 4 : 338 والأنساب (السجزي) . والتحبير 1 : 546 ومصورة ابن عساكر 5 : 679 وتهذيب ابن عساكر 5 : 175 ومختصر ابن منظور 8 : 85 والجواهر المضية 1 : 324 وتاج التراجم : 27 والوافي 13 : 392 والبداية والنهاية 11 : 306 والنجوم الزاهرة 4 : 153 والشذرات 3 : 91 وقد جمعت هنا بين ما جاء في المختصر والمطبوعة م .

(1) يعني فائت حرف العين لا الكتاب كله لأنه لم يكمله .

(2) م : لدار (والتصويب من ش) .

بالإحسان في النظم والنثر ؛ وكان فقيهاً شاعراً محدثاً رحل في طلب الحديث إلى نيسابور ودمشق وأدرك الأئمة والعلماء وسافر في البلاد ، وصنف التصانيف ، وولي القضاء ببلدان شتى من وراء النهر.

حدّث قال(1) : قدم علينا بسجستان وأنا قاضيها صاحبُ جيش من خراسان من قبل نصر بن أحمد ، ومعه خلقٌ عظيمٌ من الجيش ، فملك سجستان فأكثر أصحابُهُ الفسادَ في البلد ، وامتدت أيديهم إلى النساءِ في الطرقات قهراً ، فاجتمع الناس إليَّ وإلى الفقيه فلان وشكوا إلينا الحال ، فدخلتُ أنا والفقيه وجماعة من وجوه البلد إليه . وكان المبتدىء الخطاب الفقيه ، فوعظه وعرَّفه ما يجري . فقال له : يا شيخ ، ما ظننتك بهذا الجهل ، معي ثلاثون ألف رجل نساؤهم ببخارى ، فإذا قامت أيورهم كيف يصنعون ، ينفذونها بسفاتج إلى حرمهم ، لا بدَّ لهم أن يضعوها فيمن ها هنا ، كيف استوى لهم . هذا أمر لا يمكنني إفسادُ قلوبِ الجيش بنهيهم عنه . فانصرف . قال : فخرجنا ، فقالت لنا العامة : أيش قال الأمير ؟ فأعاد عليهم الفقيه الكلامَ بعينه . فقالوا : هذا القول منه فسق وأمْرٌ به ومكاشفةٌ بمعصية الله ، فهل يحلُّ لنا عندك قتالُهُ بهذا القول ؟ فقال لهم الفقيه : نعم ، قد حلَّ لكم قتالُهُ . فتبادرت العامة ، وانسللنا من الفتنة فلم نصلِّ المغرب من تلك الليلة وفي البلد أحدٌ من الخراسانية لأنه اجتمع من العامة ما لا يُضْبَطُ عدده ، فقتلوا خلقاً عظيماً من الخراسانية ، وَنُهِبَتْ دار الأمير فطلبوه ليقتلوه ، فأفلت على فرسه ، ومعه كل من قدر على الهرب ، ومضوا على وجوههم ، فما جاءنا بعدهم جيش من خراسان.

قال الحاكم أبو عبد الله في « تاريخ نيسابور » : كان الخليل شيخَ أهلِ الرأي في عصره ، وكان من أحسنِ الناسِ كلاماً في الوعظ والذكر ، مع تقدُّمِهِ في الفقه والأدب ، وكان ورد نيسابور ، قديماً مع محمد بن إسحاق بن خزيمة وأقرانه ، وسمع بالريّ والعراق والحجاز ، وورد نيسابور محدّثاً ومفيداً سنة تسع وخمسين وثلاثمائة ، وسكن سجستان ثم انتقل إلى بلخ وسكنها ، ومن شعره في مدح أبي حنيفة النعمان بن ثابت وصاحبيه والأئمة القراء :

---

(1) من هنا حتى قوله « من خراسان » آخر الفقرة مزيد من المختصر .

سأجعلُ لي النعمانَ في الفقهِ قدوةً وسفيانَ في نَقْلِ الأحاديثِ سيدا
وفي تركِ ما لم يعنني من عقيدةٍ سأتبعُ يعقوبَ العلا ومحمدا
وأجعلُ حزبي من قراءة عاصمٍ وحمزةَ بالتحقيقِ درساً مؤكدا
وأجعلُ في النحوِ الكسائيَّ عمدتي ومن بعده الفراءَ ما عشتُ سرمدا
وإن عدتُ للحجِّ المباركِ مرةً جعلتُ لنفسي كوفةَ الخيرِ مشهدا
فهذا اعتقادي وهو ديني ومذهبي فمن شاء فليبرز ليلقى موحدا
ويلقى لساناً مثل سيفٍ مهنّدٍ يفلُّ إذا لاقى الحسامَ المهندا

وقال :

إذا ضاقَ بابُ الرزقِ عنكَ ببلدةٍ فثمَّ بلادٌ رزقها غيرُ ضيِّقِ
وإياكَ والسكنى بدارِ مَذَلَّةٍ فَتُسْقَى بكأسِ الذلةِ المتدفقِ
فما ضاقتِ الدنيا عليكَ برحبها ولا بابُ رزقِ اللَّه عنكَ بمغلقِ

وقال :

ليس التطاولُ رافعاً من جاهلٍ وكذا التواضعُ لا يضرُّ بعاقلِ
لكن يُزَادُ إذا تواضع رفعةً ثم التطاولُ ما له من حاصلِ

وقال :

رضيتُ من الدنيا بقوتٍ يُقيمني ولا أبتغي من بعده أبداً فضلا
ولستُ أرومُ القوتَ إلا لأنه يُعينُ على علمٍ أردُّ به جهلا
فما هذه الدنيا يكونُ نعيمها لأصغرِ ما في العلم من نكتةٍ عدلا

وقال :

اللَّه يجمعُ بيننا في غبطةٍ ويزيلُ وحشتنا بوشكِ تلاقِ
ما طاب لي عيشٌ فديتكَ بعدما ناحتْ عليَّ حمامةٌ بفراقِ
إن الإلـه لقد قَضَى في خلقه أن لا يطيبَ العيشُ للمشتاقِ

توفي القاضي السجزي بسمرقند وهو قاض بها سنة ثمان وسبعين وثلاثمائة ومولده سنة إحدى وسبعين ومائتين ، وقيل توفي بفرغانة وهو على مظالمها . وقال أبو

بكر الخوارزمي يرثيه :

ولما رأينا الناسَ حيرى لهدةٍ بَدَتْ بأساسِ الدينِ بعد تأطُدِ[1]
أفضنا دموعاً بالدماءِ مشوبةً وقلنا لقد مات الخليلُ بن أحمدِ

ـ 467 ـ

خميس بن علي بن أحمد بن علي بن الحسين بن إبراهيم بن الحسن بن سلامويه أبو الكرم الواسطي الحوزي ، والحوز محلة بأعلى الجانب الشرقي من واسط ، الحافظ النحوي الأديب الشاعر المحدث : من الفضلاء النبلاء العلماء النحاة ، جمع بين حفظ القرآن وعلمه والحديث وحفظه ومعرفة رجاله ، وإليه انتهت الرياسة في وقته بواسط .

حدث عن أبي القاسم عبد العزيز بن علي الأنماطي وأبي منصور محمد النديم العكبري وأبي القاسم علي بن أحمد البشري وغيرهم من البغداديين والواسطيين .

قال الحافظ أبو طاهر السلفي : كان خميس من حُفّاظ الحديثِ المحققين بمعرفة رجاله ، ومن أهل الأدب البارع ، وله شعر غايةٌ في الجودة ، وفي شيوخه كثرة ، وقد علَّقْتُ عنه فوائد ، وسألتُهُ عن رجالٍ من الرواة فأجاب بما أثبته في جزء ضخم ، (وهو عندي) . وقد أملى عليَّ نسبه وهو : خميس بن علي بن أحمد بن علي بن الحسين بن إبراهيم بن الحسن بْن سلامويه الحوزي ، ومولده سنة سبع وأربعين وأربعمائة وكان اتقانه مما يعوَّلُ عليه . وفي كتاب ابن نقطة مولده سنة اثنتين وأربعين وأربعمائة في

467 ـ ترجمة خميس الحوزي في معجم البلدان (الحوز) والأنساب واللباب (الحوزي) وإنباه الرواة 1 : 358 وعبر الذهبي 4 : 20 وتذكرة الحفاظ : 1262 والخريدة (قسم العراق) 2/4 : 469 والوافي 13 : 420 وعيون التواريخ للكتبي 12 : 68 ومرآة الجنان 3 : 199 وبغية الوعاة 1 : 561 وطبقات الحفاظ للسيوطي : 458 والشذرات 4 : 27 ومقدمة سؤالات الحافظ السلفي لخميس الحوزي تحقيق مطاع الطرابيشي .

(1) يقترح (ش) أن تقرأ : توطد .

شعبان ومات في شعبان أيضاً بواسط سنة عشر وخمسمائة . ومن شعره[1] :

تركتُ مقالاتِ الكلام جميعَها ... لمبتدعٍ يدعو بهنَّ إلى الردى
ولازمتُ أصحابَ الحديثِ لأنهم ... دعاةٌ إلى سُبْلِ المكارم والهدى
وهل تركَ الإنسانُ في الدين غايةً ... إذا قال قلدتُ النبيَّ محمدا

وقال :

من كان يرجو أن يرى ... من ساقطٍ أمراً سنيا
فلقد رجا أن يجتني ... من عَوْسَجٍ رُطَباً جنيا

وأنشد عنه :

وحرمةِ ما حُمِّلْتُ من ثِقْلِ حبكم ... وأشرفُ مَحْلُوفٍ به حُرْمَةُ الحبِّ
لأنتم وإن ضنَّ الزمانُ بقربكم ... ألذُّ إلى قلبي من البارِدِ العذبِ
فلا تحسبوا أن المحبَّ إذا نأى ... وغاب عن العينين غاب عن القلب

ـ 468 ـ

خويلد بن خالد بن محرز بن زبيد بن أسد بن مخزوم بن صاهلة بن كاهل بن الحارث بن غنم بن سعد بن هذيل الهذلي، أبو ذؤيب : شاعر مجيد مخضرم أدرك الجاهلية والاسلام ، قدم المدينة عند وفاة النبي ﷺ فأسلم وحسن إسلامه .

روي عنه أنه قال : قدمتُ المدينة ولأهلها ضجيج بالبكاء كضجيج الحجيج أهلُّوا بالإحرام ، فقلت : مه ؟ فقالوا : توفي رسول الله ﷺ .

468 ـ ترجمة أبي ذؤيب الهذلي في الشعر والشعراء: 547 وطبقات ابن سلام: 131 والأغاني 6 250 والمؤتلف: 173 ومصورة ابن عساكر 5 : 690 ومختصر ابن منظور 8 : 92 وتهذيب ابن عساكر 5 : 182 والاستيعاب 4 : 1648 وأسد الغابة 5 : 188 والإصابة 7 : 63 والوافي 13 : 437 والخزانة 1 : 203 وشرح شواهد المغني : 10 والعيني 1 : 295 ، 298 ومعاهد التنصيص 2 : 165 والدميري 2 : 47 (وترجمة أبي ذؤيب أليق بمعجم الشعراء) .

(1) الخريدة : 473 .

وفي رواية أنه قال : بلغنا أن رسول اللّه ﷺ عليلٌ ، وقع ذلك إلينا عن رجل من الحيّ قدم مُعْتِماً فأوجس أهلُ الحيّ خيفة وأشعرنا حزناً ، فبتُّ بليلةٍ باتت النجوم بها طويلةَ الأناة لا ينجاب ديجورها ولا يطلع نورها ، فظللت أقاسي طولها وأقارع غولها حتى إذا كان دوين السفر وقرب السحر خفت ، فهتف هاتف وهو يقول[1] :

خطبٌ أجلُّ أناخ بالإسلام ... بين النخيل ومقعد الآطام
قُبِض النبيُّ محمدٌ فعيوننا ... تذري الدموعَ عليه بالتسجام

قال أبو ذؤيب : فوثبت من نومي فزعاً ، فنظرت إلى السماء فلم أر إلا سعد الذابح ، فتفاءلت به ذبحاً يقع في العرب ، وعلمت أن النبي ﷺ قد قبض أو أنه ميت ، فركبتُ ناقتي فسرت ، فلما أصبحت طلبت شيئاً أزجره ، فعنَّ لي القنفذ قد قبض على صلّ ، يعني حية ، فهي تلتوي عليه والقنفذ يقضمه حتى أكله ، فزجرت ذلك وقلت : تلوي الصل انفتال الناس عن الحقّ على القائم بعد رسول الله ، ثم أوَّلْتُ أكلَ القنفذ له غلبة القائم على الأمر . والحديثُ طويل ذكر فيه حضوره في سقيفة بني ساعدة ومبايعةَ أبي بكر رضي الله عنه .

وروى ابن سلام عن أبي عمرو بن العلاء أنه قال : سئل حسان بن ثابت من أشعر الناس ؟ قال : أحياً ؟ قالوا : حياً ؟ قال : أشعرُ الناسِ حياً هذيل ، وأشعر هذيل غيرَ مدافع أبو ذؤيب .

وقال ابن شبة : تقدم أبو ذؤيب جميعَ شعراءِ هذيل بقصيدته العينية التي يرثي فيها بنيه ومطلعها[2] :

أمِنَ المنون وريبها تتوجعُ ... والدهرُ ليس بمعتبٍ من يجزعُ
قالت أُميمةُ ما لجسمِكَ شاحباً ... منذ ابتذلتَ ومثلُ ما بك ينفعُ
أم ما لجسمك لا يلائمُ مضجعاً ... ألا أقضَّ عليكَ ذاك المضجعُ
فأجبتها أما لجسمي إنه ... أودى بنيَّ من البلادِ فودعوا

(1) الخزانة 1 : 203 .
(2) ديوان أبي ذؤيب : 4 وهي مفضلية .

أودى بنيَّ فأعقبوني حسرةً | بعد السرور وعبرة ما تقلعُ

ومنها :

ولقد حَرَصْتُ بأن أدافعَ عنهمُ | وإذا المنية أقبلتْ لا تُدْفَعُ
وإذا المنيةُ أنشبتْ أظفارها | ألفيتَ كلَّ تميمةٍ لا تنفعُ
وتجلّدي للشامتين أريهمُ | أني لريب الدهر لا أتضعضعُ
لا بدَّ من تَلَفٍ مقيم فانتظر | أبأرضِ قومٍ أم بأخرى المضجعُ

ومنها :

والنفسُ راغبةٌ إذا رغَّبتها | وإذا تُرَدُّ إلى قليلٍ تقنعُ
كم من جميعي الشمل ملتئمي الهوى | كانوا بعيشٍ ناعم فتصدّعوا

وهي نحو سبعين بيتاً أورد ابن رشيق أبياتاً منها في « العمدة » وعدّها في المطبوع من شعر العرب .

ومن شعره ما أنشده له ثعلب[1] :

وعيَّرها الواشون أني أحبها | وتلك شَكاةٌ ظاهرٌ عنكَ عارُهَا
فإن أعتذرْ منها فإني مكذّبٌ | وإن تعتذرْ يُرْدَدْ عليَّ اعتذارها

وشعر أبي ذؤيب كله على نمطٍ في الجودة وحسن السبك . وتوفي في غزوة أفريقية مع ابن الزبير ، وقال وهو يجود بنفسه مخاطباً ابن أخيه أبا عبيد :

أبا عبيدٍ وَقَعَ الكتابُ | واقترب الوعيدُ والحسابُ
وعند رحلي جملٌ مِنْجَابُ | أحمرُ في حاركِهِ انصبابُ

ثم قضى نحبه ودلّاهُ ابن الزبير في حفرته .

(1) ديوانه : 70 ـ 71 .

- 469 -

خيار بن أوفى النهدي : شاعر إسلامي دخل على معاوية فقال له : ما صنع بك الدهر ؟ فقال : يا أمير المؤمنين ضعضع قناتي ، وشيب شواتي[1] ، وأفنى لذاتي ، وجرأ عليّ عداتي ، ولقد بقيتُ زماناً آنسُ بالأصحاب ، وأُسْبِلُ الثياب ، وآلف الأحباب ، فبادوا عني ، ودنا الموتُ مني . فقال له : أنشدني ما قلت في الخمر والنهي عنها فقال :

أنهدُ بنَ زيدٍ ليس في الخمر رفعةٌ فلا تقربوها إنني غيرُ فاعلِ
فإني وجدتُ الخمرَ شيناً ولم يزلْ أخو الخمرِ حلّالاً شرارَ المنازلِ
فكم قد رأينا من فتىً ذي جهالةٍ صحا بعد أزمانٍ وطول تجاهلِ
ومن سيدٍ قد قَنَّعَتْهُ مَذَلَّةً فعاش ذليلاً ضحكةً في المحافلِ
فللّه أقوامٌ تمادَوْا بشربها فأضحوا وهم أُحدوثةٌ في القوافلِ

فقال معاوية : صدقت ، واللّه لكَم من سيدٍ أدمنها فتركَتْهُ ضحكةً وأُحدوثة ، ومن ذي رغبةٍ فيها قد صحا عنها فصار سيدَ قومه . واللّه ما وضع شيءُ الرّجلَ كما وَضَعَهُ الشراب ، واللّه لهي الداءُ العَياءُ .

مات خيار النهدي في خلافة يزيد بن معاوية .

---

469 - ترجمته في مصورة ابن عساكر 5 : 695 وتهذيب ابن عساكر 5 : 188 ومختصر ابن منظور 8 : 97 .

(1) ابن عساكر : وشنت شراتي .

حرف الدال

****

ـ 470 ـ

داود بن القاضي أحمد بن أبي دواد : كان أديباً شاعراً فاضلاً ، وكان صديقاً لمحمد بن يسير[1] الرياشي الشاعر المشهور ، وكان ابن يسير كثير التردّد عليه ، ففقد ابنَ يسير يوماً أهلوه وطلبوه فلم يجدوه ، وكان مع أصحاب له خرج معهم للنزهة ، فجاءوا إلى القاضي داود بن أحمد يسألونه عنه ، فقال لهم : اطلبوه في منزل « حُسْن » المغنية ، فإن وجدتموه وإلاّ فهو في حبس أبي شجاع صاحب شرطة « خمار » التركي . فلما كان بعد أيام جاء ابن يسير إليه فقال له : ايه أيها القاضي كيف دللت عليَّ أهلي ؟ قال : كما بلغك ، وقد قلتُ في ذلك أبياتاً ، قال : أو فعلت ذلك أيضاً ؟ زدني من برّك ، هاتِ أيَّ شيء قلتَ ، فأنشده :

ومرسلةٍ تُوَجِّهُ كلَّ يومٍ ... إليّ وما دعا للصبح داعِ
تسائلني وقد فقدوه حتى ... أرادوا بعده قسم المتاعِ
إذا لم تلقه في بيت «حُسْن» ... مقيماً للشراب وللسماعِ
ولم يُر في طريقِ بني سدوس ... يخطُّ الأرض منه بالكراعِ

---

470 ـ الأغاني 14 : 38 ـ 39 ، وترجم له الآمدي في المؤتلف والمختلف وسمّاه « دواد » ـ بتقديم الواو على الألف ـ وهو الأقرب إلى الصواب ، يعني أنه سمّي باسم جده وأورد له رثاء في أخيه ثم قال : وله في كتاب اياد أشعار وأخبار وقصته مع أبيه حيث فارقه وعاد إليه .

(1) م : بشير (حيثما ورد) .

يدقُّ حزونها بالوجه طوراً وطوراً باليدين وبالذراعِ
فقد أعياك مطلبُهُ وأمسى بلا شكٍّ[1] بحبس أبي شجاعِ

فجعل ابن يسير يضحك ويقول : أيها القاضي لو غيرك يقول لي هذا لَعَرَفَ مصيره . ثم لم يبرحْ حتى أعطاه داودُ مائتي درهم وخلع عليه .

- 471 -

داود بن أحمد بن يحيى بن الخضر ، أبو سليمان الداودي الضرير الملهمي البغدادي المقرىء الأديب : قرأ القرآن بالروايات على أبي الحسن علي بن عساكر البطائحي وأبي الفضل أحمد بن محمد بن شُنَيف ، وبرع في الأدب ، وكان مولعاً بشعر أبي العلاء المعرّي يحفظُ منه جملة صالحة ، ولذلك كان الناس يرمونه بسوء العقيدة . توفي أبو سليمان ببغداد سنة خمس عشرة وستمائة ومن شعره :

أُعَلِّلُ القلبَ بذكراكمُ والقلبُ يأبىَ غيرَ لقياكمُ
حللتمُ قلبي وبنتمْ فما أدناكمُ منّي وأقصاكمُ
يا حبذا ريحُ الصَّبا إنها تروِّحُ القلبَ برياكمُ

وقال :

إلى الرحمن أشكو ما ألاقي غداةَ غَدَوْا[2] على هُوجِ النياقِ
نشدتكمُ بمن زمَّ المطايا أمرُّ بكم أمرُّ من الفراقِ
وهل داءٌ أَمَرُّ من التنائي وهل عيشٌ ألذُّ من التلاقي

471 - ترجمته في ذيل الروضتين : 110 ومرآة الزمان : 593 ومختصر ابن الديبثي 2 : 64 وطبقات ابن الجزري 1 : 278 وتكملة المنذري 2 : 420 والوافي 13 : 458 (وينقل عن ابن النجار) ونكت الهميان : 150 ولسان الميزان 2 : 424 .

(1) الأغاني : فلا تغلط .

(2) م : غدٍ ، والتصويب عن الوافي .

ـ 472 ـ

داود بن الجراح : جد الوزير أبي الحسن علي بن داود . وكان داود من أعيان الكتاب وفضلائهم . مات سنة [إحدى وتسعين ومائتين] وقد كتب للمستعين بالله .

كتب أبو سليمان داود إلى إبراهيم بن العباس الصولي وكان كاتباً ، رقعةً فيها : « قد كثرت ذنوبي ، واتصلت اعتذاراتي بتأخري عنك وإخلالي بخدمتك ، وطال لذلك عتبُكَ عليَّ ، وما هو إلا لتنقلي من منزلٍ إلى منزل ، ونزولي داراً بعد دار لا أجدُ في قريبها ما أريد فأفزعُ إلى البعيد ، وكلما أجمعْتُ على شراء منزل ووجَّهْتُ له وجهاً قصدني الزمان بنائبةٍ فيما أَعْدَدْتُهُ حتى يجتاحه ويحوجني إليه ، وأنا حريصٌ مُجِدّ في بيع أوفر ضياعي غلة وأنضّها ثمناً لاتخاذ منزلٍ يقربُ منك لأقضيَ الحقَّ في خدمتك ، وأنزل [على] الصغير والكبير من أمرك ، وأستغني عمن افتقرت إليه في النيابة عني ، أعانني اللّه على طاعتك ، ووفر عليَّ حسْن رأيك ، وأعاذني من الغير فيك » .

فوقع إبراهيم بن العباس في كتابه « فهمتُ ما كتبته ، وتأملتُ ما شكوته ، فرأيتُ الذنبَ لك في سَتْرِ أمرك عني ، وإخفائِهِ مني،وطيّك أيامَكَ على ذلك ، وَدَرْجها دونه عظيمٌ منك قبيحٌ عندي، وأنت فيه تضيع حقك وحقي، فحجتك في قولك ذا حرمة، وعذرك فيه وعرفه[1]، وجنايتك على نفسك أعظم من جناية الزمان عليك ، وما أنكرت منك ، ولا استقبحت أثرك ، ولا أغفلت مراعاتك . وكان عليكَ الإذكارُ بما نُسِيَ ، والإظهارُ لما خفي ، والكشفُ لما يستتر ، واللّه يوفقك ، ويهدي الرشد لك ، وقد أمرت الجهبذ حامداً أن يحمل إليك خمسة آلاف دينار لتتخذ بها منزلاً لا غير، فأصيّر عليك مقدارها ، ولا تؤيس مما يضعف عليها فقدم ذلك ، واحرص على القرب منا ، إن شاء اللّه تعالى » .

---

472 ـ هذه الترجمة من المختصر ؛ وانظر الفهرست: 142 والوافي 13 : 465 وصنف كتاب التاريخ . وأخبار الكتاب . وكتاب الأمم السالفة .

---

(1) فحجتك . . . وعرفه : هذا النص مضطرب ولم أتمكن من تصويبه .

ـ 473 ـ

داود بن سلم مولى بني تيم[1] بن مرة: شاعر من مخضرمي الدولتين الأموية والعباسية كان يسكن المدينة ،وكان يقال له الآدم[2] لشدة سواده، وكان من أقبح الناس وجهاً وأشدهم بخلاً ، طَرَقَهُ قومٌ بالعقيق فصاحوا به العشاء والقرى يا ابن سلم ، فقال لهم : لا عشاء لكم عندي ولا قِرى ، قالوا : فأين قولك إذ تقول :

يــا دارَ هنـــدٍ ألاَ حُيِّيتِ من دارِ   لم أقضِ منك لباناتي وأوطاري
عُودتُ فيها إذا ما الضيف نبهني   عَقْرَ العشاري على يُسْرٍ وإعسارِ

قال : لستم من أولئك الذي عنيت .

وقدم[3] داود دمشق فنزل على حرب بن خالد بن يزيد بن معاوية ، فلما دخل داره قام غلمانه إلى متاعه فأدخلوه وحطوا عن راحلته ، ثم دخل على حرب فأنشده :

فـلمــا دُفِـعْـتُ لأبـوابـهـم   ولاقيتُ حـرباً لقيتُ النجـاحا
وجـدنـاه يَحْمَـدُهُ المجتـدون   ويأبى على العُسْرِ إلا سمـاحا
ويُغْشَــوْنَ حتى تـرى كلبهم   يهـابُ الهريرَ وينَسى النباحـا

فأنزله وأكرمه وأجازه بجائزة عظيمة ثم استأذنه للخروج فأذن له وأعطاه ألف دينار وقال له : لا إذن لك عليَّ متى جئتَ، فودعه وخرج من عنده وغلمانه جلوس ، فلم يقم إليه منهم أحد ، فظنَّ أن حرباً ساخطٌ ، فرجع فقال له : أبِكَ عليَّ موجدة ؟ قال : لا ،

473ـ ترجمته في الأغاني 6: 11 ـ 21 والسمط: 550 ومصورة ابن عساكر 6: 19 وتهذيب ابن عساكر 5 : 203 ومختصر ابن منظور 8: 148 والوافي 13: 467 (وهو بمعجم الشعراء يلحق لا بمعجم الأدباء) .

(1) م : تميم .
(2) الأغاني : وكان يقال له داود الأرمك .
(3) الأغاني 6 : 20 وتهذيب ابن عساكر 4: 108 (ترجمة حرب) وأمالي القالي 1 : 242 والتذكرة الحمدونية 2 : 197 وقارن بالمحاضرات 1: 653 وشرح النهج 11 : 223 والكامل 2 : 144 والأبيات في رسائل ابن أبي الدنيا : 87 .

وما ذاك ؟ فأخبره أنَّ غلمانه لم يعينوه على رحله فقال له : ارجع إليهم فسلهم ، فرجع إليهم فقالوا له : إنا ننزل من جاءنا ولا نخرج من خرج من عندنا .

وكان داود منقطعاً إلى قثم بن العباس وفيه يقول[1] :

نجوتِ من حلٍّ ومن رحلةٍ　　يا ناقُ إن قَرَّبتني من قُثَمْ
إنك إن بلغتنيه غداً　　حالفني اليسرُ وماتَ العَدَمْ
في كفّه بحرٌ وفي وجهه　　بدرٌ وفي العِرْنينِ منه شَمَمْ
لم يدرِ ما «لا» وبلى قد درى　　فعافها واعتاض منها نعمْ
أصمّ عن قيل الخنا سمعُهُ　　وما عن الخير به من صممْ

توفي داود بن سلم في حدود سنة عشرين ومائة .

- 474 -

داود بن الهيثم بن إسحاق بن البهلول بن حسان بن حسان بن سنان أبو سعد التنوخي الأنباري: قال الخطيب البغدادي في «تاريخ مدينة السلام»: كان نحوياً لغوياً حسن المعرفة بالعروض واستخراج المعمى فصيحاً كثير الحفظ للنحو واللغة والأدب والاشعار وله شعر جيد. أخذ عن ابن السكيت وثعلب وسمع من جده إسحاق وابن شبة وأخذ عنه ابن الازرق وجماعة ، وله كتاب في النحو على مذهب الكوفيين وكتاب خلق الانسان في اللغة وغير ذلك . مات بالأنبار سنة ست عشرة وثلاثمائة وله ثمان وثمانون سنة . ومن شعره :

بساتينها للمسك فيها روائح　　وأشجارها للريح فيها ملاعبُ

---

474 - ترجمته في تاريخ بغداد 8: 379 والمنتظم 6: 217 وسير الذهبي 14: 483 والجواهر المضية 1: 240 والوافي 13: 496 وتاج التراجم: 21 والنجوم الزاهرة 3: 221 وبغية الوعاة 1: 563 وروضات الجنات 3: 302 .

(1) الأغاني 6: 21 وانظر تهذيب ابن عساكر 5: 203 .

كـأن هزيـز الريـح بين غصونهـا ضـرائـر أضحى بينهن تعـاتبُ
كـأن القباب الغـر فيهـا مـواكب تضيء كما أمست تضيء الكواكبُ
كـأن فتيت المسـك بين تـرابهـا إذا مـا تهادتـه الصبـا والجنـائبُ
ومن تحتها الأنهار تجري مياههـا ففـائضـة منهـا ومنهـا سـواكبُ
كـأن مجـاريهـا سبـائـك فضـة تـذاب وأسيـافٌ تهـزُّ قـواضبُ

ـ 475 ـ

دعبل بن علي بن رزين بن سليمان بن تميم بن نهشل بن خداش بن خالد بن عبد بن دعبل بن أنس بن خزيمة : كـذا قال أبـو الفرج ، وقـال آخرون : دعبـل بن علي بن رزين بن عثمان بن عبد اللّه بن بديل بن ورقاء ، يتصل نسبه بمضر ، أبو علي الخزاعي ، وعلى هذا الأكثر : شاعر مطبوع مفلق ، يقال إن أصله من الكوفة ، وقيل من قرقيسيا ، وكان أكثر مقامه ببغـداد ، وسافـر إلى غيرهـا من البلاد فـدخل دمشق ومصر ، وكان هجاء خبيث اللسان لم يسلم منه أحدٌ من الخلفاء ولا من الوزراء ولا أولادهم ولا ذو نباهة أحسنَ إليه أو لم يحسن ، وكان بينه وبين الكميت بن زيد وأبي سعد المخزومي مناقضات ، وكان من مشاهير الشيعة ، وقصيدته التائية في أهل البيت من أحسن الشعر وأسنى المدائح ، قصد بها علي بن موسى الرضا بخراسان فأعطاه عشرة آلاف درهم وخلع عليه بردة من ثيابه فأعطاه بها أهلُ قمّ ثلاثين ألف درهم فلم يبعها ، فقطعوا عليه الطريق ليأخذوها فقال لهم : إنها تراد للّه عز وجل وهي محرمة عليكم ، فدفعوا له ثلاثين ألف درهم فحلف أن لا يبيعها أو يعطوه بعضها ليكونَ في

475 ـ تـرجمـة دعبـل في الأغـاني 20 : 67 والشعـر والشعـراء : 727 وطبقـات ابن المعتـز : 224 والفهرست : 183 وتاريخ بغداد 8 : 328 ومصورة ابن عساكر 6 : 68 وتهذيبه 5 : 230 ومختصر ابن منظور 8 : 172 ورجال الكشي : 313 والموشح : 299 . وابن خلكان 2 : 266 وسير الذهبي 11 : 519 والوافي 14 : 12 ولسان الميزان 2 : 430 ومعاهد التنصيص 2 : 190 والشذرات 2 : 11 وروضات الجنات 3 : 306 وقد قام كل من زولنديك والدكتور محمد يوسف نجم والدكتور عبد الكريم الأشتر بجمع شعره (1961 ، 1962 ، 1964) ، وعلى الأخير نعتمد في الإحالة .

كفنه، فأعطوه كماً واحداً فكان في أكفانه. ويقال إنه كتب القصيدة في ثوب وأحرم فيه وأوصى بإن يكونَ في أكفانه ، وَنُسَخُ هذه القصيدة مختلفة في بعضها زيادات يظن أنها مصنوعة ألحقها بها أناسٌ من الشيعة ، وإنا موردون هنا ما صحَّ منها قال[1] :

مدارسُ آياتٍ خَلَتْ من تلاوةٍ   ومنزلُ وحيٍ مقفرُ العَرَصاتِ
لآلِ رسولِ اللّه بالخيفِ من منىً   وبالركن والتعريفِ والجمراتِ
ديارُ عليٍّ والحسينِ وجعفرٍ   وحمزةَ والسجَّادِ ذي الثفناتِ[2]
ديارٌ عفاها كلُّ جَوْنٍ مبادرٍ   ولم تعفُ للأيام والسنواتِ
قفا نسألِ الدارَ التي خفَّ أهلها   متى عَهْدُهَا بالصوم والصلواتِ
وأين الأولى شَطَّتْ بهم غربةُ النوى   أفانينَ في الآفاق مفترقاتِ
همُ أهلُ ميراثِ النبيّ إذا اعتزوا   وهم خيرُ قاداتٍ وخير حماةِ
وما الناسُ إلا حاسدٌ ومكذِّبٌ   ومضطغنٌ ذو إحْنَةٍ وتراتِ
إذا ذكروا قتلى ببدرٍ وخيبر   ويومَ حنينٍ أسبلوا العبراتِ
قبورٌ بكوفانٍ وأخرى بطَيْبَةٍ   وأخرى بفخٍّ نالها صلواتي
وقبر ببغدادٍ لنفسٍ زكيّةٍ   تضمنها الرحمنُ في الغرفاتِ
فأما المصمَّاتُ التي لستُ بالغاً   مبالغها مني بِكُنْهِ صفاتِ
إلى الحشر حتى يبعثَ اللّه قائما   يفرِّجُ منها الهمَّ والكرباتِ
نفوسٌ لدى النهرين من أرض كربلا   مُعَرَّسُهُمْ فيها بشطِّ فراتِ
تقسَّمهمْ ريبُ الزمانِ كما ترى   لهم عِقْوةٌ مغشيَّةَ الحجراتِ
سوى أنَّ منهم بالمدينة عصبةً   مدى الدهر أنضاءً من الأزماتِ
قليلةَ زوّارٍ سوى بعضِ زُوّرٍ   من الضبع والعِقبانِ والرَّخَماتِ
لهم كلَّ حين نومةٌ بمضاجع   لهم في نواحي الأرض مختلفاتِ

(1) ديوانه : 71 .

(2) السجاد ذو الثفنات : علي بن الحسين زين العابدين .

وقد كان منهم بالحجاز وأهلها مغاوير نحّارون في السنواتِ[1]
تنكّبُ لأواءُ السنين جوارَهم فلا تصطليهم جمرةُ الجمراتِ
إذا أوردوا خيلاً تَشَمَّسُ بالقنا مساعرُ جمرِ الموتِ والغمراتِ
وان فخروا يوماً أتوا بمحمدٍ وجبريلَ والفرقانِ ذي السُّوَراتِ
ملامَكَ في أهلِ النبيِّ فأنهم أحبّايَ ما عاشوا وأهلُ ثقاتي
تخيرتُهُمْ رشداً لأمري فانهم على كلِّ حالٍ خِيرةُ الخِيَراتِ
فيا ربِّ زدني من يقيني بصيرةً وزد حبَّهم يا ربّ في حسناتي
بنفسيَ أنتم من كهولٍ وفتيةٍ لفكِّ عناةٍ أو لحملِ دياتِ
أحبُّ قصيَّ الرحم من أجل حبكم وأهجرُ فيكم أُسرتي وبناتي
وأكتم حُبِّيكمْ مخافةَ كاشحٍ عنيدٍ لأهلِ الحقّ غيرِ مواتِ
لقد حَفَّتِ الأيامُ حولي بشرِّها وإني لأرجو الأمنَ بعد وفاتي
ألم تر أني من ثلاثينَ حجةً أروحُ وأغدو دائمَ الحسراتِ
أرى فَيْئَهم في غيرهم متقسَّماً وأيديَهُمْ من فيئهم صَفِراتِ
فآلُ رسولِ اللّه نُحْفٌ جسومُهُمْ وآلُ زيادٍ حُفَّلُ القَصراتِ
بناتُ زيادٍ في القصور مصونةٌ وآلُ رسولِ اللّه في الفلواتِ
إذا وُتروا مَدُّوا إلى أهلِ وترهم أكفّاً من الأوتار منقبضاتِ
فلولا الذي أرجوه في اليوم أو غدٍ لَقَطَّعَ قلبي إثرهم حَسَراتي
خروجُ إمامٍ لا محالةَ خارجٍ يقومُ على اسم اللّه والبركاتِ
يميّز فينا كلَّ حقٍّ وباطلٍ ويجزي على النعماءِ والنقماتِ
سأقصرُ نفسي جاهداً عن جدالهم كفانيَ ما ألقى من العبراتِ
فيا نفسُ طيبي ثم يا نفس أبشري فغيرُ بعيدٍ كلُّ ما هو آتِ
فإن قرَّبَ الرحمن من تلك مدتي وأخَّرَ من عمري لطول حياتي

(1) م: يختارون في السروات.

شفيتُ ولم أتركْ لنفسي رزيةً ... وَرَوَّيْتُ منهم مُنْصُلي وقناتي
أحاولُ نقلَ الشمسَ من مستقرها ... وأُسْمِعُ أحجاراً من الصَّلِداتِ
فمن عارفٍ لم ينتفع ومعاندٍ ... يميلُ مع الأهواء والشبهاتِ
قصارايَ منهم أن أموتَ بغصةٍ ... تُرَدَّدُ بين الصدرِ واللهواتِ
كأنك بالأضلاع قد ضاق رحبها ... لما ضُمِّنَتْ من شدَّةِ الزفراتِ

ومما يختار من شعر دعبل قصيدته العينية التي رثى بها الحسين عليه السلام ، قال[1] :

رأسُ ابنِ بنتِ محمدٍ ووصيِّه ... يا لَلْرِجالِ على قناةٍ يُرْفَعُ
والمسلمون بمنظرٍ وبمسمعٍ ... لا جازعٌ من ذا ولا متخشعُ
أيقظتَ أجفاناً وكنتَ لها كرى ... وأنمتَ عيناً لم تكنْ بك تهجعُ
كحلت بمنظرك العيونُ عمايةً ... وأصم نعيك كلَّ أذنٍ تسمعُ
ما روضةٌ إلا تمنتْ أنها ... لك مضجعٌ ولخطِّ قبرك موضعُ

ومن مختاراته أيضاً قوله[2] :

خليليَّ ماذا أرتجي من غد امرىءٍ ... طوى الكشحَ عني اليوم وهو مكينُ
وان امرءاً قد ضنَّ منه بمنطقٍ ... يسدُّ به فقرَ امرىءٍ لضنينُ

ومن مختار شعره قوله[3] :

أين الشبابُ وأيةً سلكا ... لا أين يُطْلَبُ ضلَّ بل هلكا
لا تعجبي يا سلمَ من رجلٍ ... ضحك المشيبُ برأسه فبكى
يا ليت شعري كيف نومكما ... يا صاحبيَّ إذا دمي سفكا
لا تأخذا بظلامتي أحداً ... قلبي وطرفي في دمي اشتركا

ولدعبل كتاب طبقات الشعراء . وديوان شعر . مات سنة ست وأربعين ومائتين .

---

(1) ديوان دعبل : 141 .
(2) ديوانه : 356 (وهما لوالد دعبل) .
(3) ديوانه : 160 .

- 476 -

دغفل النساب هو دغفل بن حنظلة بن زيد بن عبدة بن عبد الله بن ربيعة بن عمرو بن شيبان بن ذهل بن ثعلبة بن عكابة بن صعب بن علي بن بكر بن وائل بن قاسط بن هيث بن أفصى بن دعمي بن جديلة بن أسد بن ربيعة بن نزار بن معد بن عدنان الشيباني: اختلف فيه، هل له صحبة برسول الله ﷺ، أم لا. وقد روى عن النبي ﷺ، وروى عنه الحسن البصري ومحمد بن سيرين وغيرهما. ذكر أبو الفرج الأصفهاني في كتاب «الأغاني» في وقعة دولاب[1] مع الخوارج في سنة خمس وستين قال: وانهزم أهل البصرة فغرق منهم في دجيل خلقٌ منهم دغفل بن حنظلة الشيباني.

حدث الحسن عن دغفل قال: كان على النصارى صوم شهر رمضان، فمرض ملك فيهم فقال: لئن شفاه الله ليزيدنَّ عشرة أيام، ثم كان ملك بعده فأكل لحماً فوقع فوه، فقال: لئن شفاه الله ليزيدن سبعة أيام، ثم ملك بعده فقال: ما يدع هذه الثلاثة أيام أن يتمها ونجعل صومنا في الربيع، ففعل، فكانت خمسين يوماً.

قيل للإمام أحمد بن حنبل، رضي الله عنه، دغفل بن حنظلة له صحبة؟ قال: ما أعرفه.

واستقدمه معاوية إلى دمشق ليعلِّم ولده يزيد.

وحدّث معاذ بن هشام عن دغفل أنه قال: قبض رسول الله ﷺ وهو ابن خمس وستين سنة.

قال معاوية لدغفل وقد أرسل إليه ليعلِّمَ يزيد، وسأله عن أنساب العرب وعن النجوم والعربية وعن أنساب قريش فأخبره فإذا رجلٌ عالم، فقال: من أين حفظتَ هذا يا دغفل؟ قال: حفظته بلسان سؤول وقلب عقول، وإن آفة العلم النسيان. وقال له يوماً: بم ضبطت ما أرى؟ قال: بمفاوضة العلماء. قال: وما مفاوضة العلماء؟

---

476 - هذه الترجمة من المختصر؛ وانظر: الفهرست: 101 (وذكر أن اسمه الحجر بن الحارث ودغفل لقب) ومصورة ابن عساكر 6: 89 وتهذيبه 5: 242 ومختصر ابن منظور 8: 198 وطبقات ابن سعد 7: 140 والاستيعاب: 462 والإصابة 1: 475 وميزان الاعتدال 2: 27 والوافي 11: 18.

(1) الأغاني 6: 138.

قال : كنتُ إذا لقيتُ عالماً أخذتُ ما عنده وأعطيته ما عندي .

حدث عكرمة عن ابن عباس قال[1] : حدثني علي بن أبي طالب ، عليه السلام ، من فيه ، قال : لما أمر اللّه رسوله أن يعرضَ نفسَهُ على قبائل العرب خرج وأنا معه وأبو بكر[2] ، قال : فرفعنا إلى مجلسٍ من مجالس العرب ، فتقدَّم أبو بكر ، وكان مقدَّماً في كلِّ خير ، وكان رجلاً نسّابةً ، فسلَّم وقال : ممّن القوم ؟ قالوا : من ربيعة . قال : وأيّ ربيعة أنتم ؟ أمن هامتها أم من لهازمها ؟ فقالوا : بل من الهامة العظمى . فقال أبو بكر : وأيّ هامتها العظمى أنتم ؟ فقالوا : من ذهل الأكبر . قال : من عوفٍ الذي يُقالُ لا حرَّ بوادي عوف ؟ قالوا : لا . قال : فمنكم جسّاس بن مرة حامي الذمار ، ومانع الجار ؟ قالوا : لا . قال : فمنكم بسطام بن قيس أبو اللواء ، ومنتهى الأحياء ؟ قالوا : لا . قال : فمنكم الحوفزان قاتلُ الملوك ، وسالبها أنفسها ؟ قالوا : لا . قال : فمنكم المزدلف صاحب العمامة الفردة ؟ قالوا : لا . قال : فمنكم أصهار الملوك من كندة ؟ قالوا : لا . قال : فمنكم أصهارُ الملوكِ من لخم ؟ قالوا : لا . قال أبو بكر : فلستم ذهلاً الأكبر ، إنما أنتم ذهل الأصغر . فقام إليه غلام من بني شيبان ، يقال له دغفل حين بقل وجهه وهو يقول :

إن على سائلنا أن نسألَهْ والعبءُ لا تعرفُه أو تحمِلَهْ

يا هذا إنك قد سألتنا فأخبرناك ، ولم نكتمك شيئاً ، فممن الرجل ؟ قال أبو بكر الصديق : أنا من قريش . فقال الفتى : بخٍ بخٍ أهلُ الشرفِ والرياسة ، من أيّ القرشيين أنت ؟ قال : من ولد تيم بن مرة . فقال الفتى : أمكنت واللّه الرامي من سواءِ الثغرة ، أمنكم قصيّ الذي جمع القبائلَ من فهر وكان يدعى في قريش مجمّعاً ؟ قال : لا . قال : فمنكم هاشم الذي هشم الثريد لقومه ورجال مكة مسنتون عجاف ؟ قال : لا . قال : فمنكم شيبة الحمد عبد المطلب مطعمُ طير السماء ، الذي كأنَّ وجهه القمر يضيءُ في الليلة الداجية الظلماء ؟ قال : لا . قال : فمن أهل الإفاضة أنت ؟ قال :

---

(1) الخبر في المجلس السابع والخمسين من الجليس الصالح (3 : 22) ودلائل النبوة للبيهقي : 96 ، وتهذيب ابن عساكر 5 : 246 والعقد 3 : 327 والفائق للزمخشري 3 : 83 ومحاضرات اليوسي 2 : 530 .

(2) بعد هذا : رضي اللّه عنهما ، ولا وجه لإثباته .

لا . قال : فمن أهل الحجابة أنت ؟ قال : لا . قال : فمن أ هل السقاية أنت ؟ قال : لا . قال : فمن أهل الندوة أنت ؟ قال : لا . قال : فمن أهل الرفادة أنت ؟ قال : لا . واجتذب أبو بكر زمام الناقة راجعاً إلى رسول اللّه ﷺ، فقال الغلام :

صادف دَرْءُ السيلِ درءاً يدفعُهْ يهيضه حيناً وحيناً يَصْدَعُهْ

أما والله لو ثبتَّ لأخبرتك أنك من زَمَعات قريش . قال وتبسم رسول اللّه ﷺ، قال عليّ : فقلت يا أبا بكر لقد وقعت من الأعرابي على باقعة ، قال : أجل أبا الحسن ، ما من طامّةٍ إلا وفوقها طامة ، والبلاءُ موكّلٌ بالمنطق .

قيل : جاء قوم من سعد بن زيد بن مناة إلى دغفل النسابة فسلموا عليه ، وهو مولٍّ ظهره للشمس في مَشْرَفَةٍ له ، فردَّ عليهم من غير أن يلتفت إليهم ثم قال لهم : مَن القوم ؟ قالوا : نحن سادةُ مضر . قال : أنتم إذن قريش الحرم ، أهل العزّ والقدم ، والفضل والكرم ، والرأي في البُهَم؟ قالوا : لسنا منهم . قال : لا . قالوا : لا . قال : فأنتم إذن هوازن أجرأها فوارس ، وأجملها مجالس . قالوا : لسنا منهم قال : لا ، قالوا: لا. قال: فأنتم إذن سليم، موارس عضاضها، ومنّاع أعراضها. قالوا: لسنا منهم . قال : لا . قالوا : لا . قال : فأنتم إذن بنو حنظلة ، أكرمها جدوداً ، وأسهلها خدوداً ، وألينها جلوداً . قالوا : لسنا منهم . قال : لا . قالوا : لا . قال : فلا أراكم إلا من زمعات مضر ، وأنتم تأبون إلا [ان] ترقوا إلى الغلاصم منهم . اذهبوا لا كثر اللّه بكم من قلة ، ولا أعزَّ بكم من ذلة .

قال الأصمعي : الناسبون أربعة : دغفل وأبو ضمضم وصبيح والكيس النمري .

قال أبو عمرو بن العلاء : أرسل معاوية إلى دغفل النسابة فقال له : كيف علمك بقريش ؟ فقال : عالمٌ يا أمير المؤمنين . قال : هاتِ إذن . قال : ما أنتم يا بني عبد شمس من قريش إلا كواسطة القلادة ،في الشِّرك أشرافٌ وسادةٌ،وفي الإسلام ملوكٌ وقادة . وأما بنو هاشم فأنجاد أمجاد ، ذوو ألْسنةٍ حداد . وأما بنو المطلب بن عبد مناف فإنه غامض ذكرهم ضحل نجرهم . وأما بنو نوفل فنقرة أصابتها نعرة لا تقطع بعرة ولا تجود بذرة . وأما بنو عبد الدار فإنهم أوساط الأشراف لا أجواد ولا سقاط . وأما بنو عبد العزى فأهل بأس وفيهم أحلام وفيهم أعلام . وأما بنو زهرة فأهل فحش

فَاش ، أحلام كالقسي ، إن سكتوا فبغير حلم ، وإن نطقوا فبغير علم . وأما بنو مخزوم فمعزى مطيرة ، أصابتها قشعريرة ، إلا بني المغيرة فإن فيهم تشادقَ الكلام ، ومصاهرة الكرام . وأما بنو تيم فكثير عددهم ، غُير ظاهر جَلَدهم ، وهم عبيد مَنْ سادهم ، ولا يزال فيهم قائدٌ يقتادهم . وأما بنو جمح فأهل خفّة وصلف ، ما خلا بني خلف . وأما بنو سهم فأهل عزّ في الحرم ، ليس لهم في سواها موضع قدم . وأما بنو عامر بن لؤي فيقودون الخيول ، ويدركون الذحول ، وليست لهم عقول . وأما بنو عدي فأهل لؤم أعراق ، ودقة أخلاق ، إن استغنوا شحوا ، وإن افتقروا ألحّوا . فقال له معاوية : لقد حملتَ أضغانَ قريش . فقال : يا أمير المؤمنين ، إني لا أستطيع أن أتقرَّبَ إليك بفساد ما أعلم ، وهذا علمي بقومك ، فإن كان غير هذا فهات علمك بهم حتى آخذَ به . قال معاوية : يا أخا بكر بن وائل ، إني ألبسُ قريشاً على أخلاقها ، وأزوي عن مشاربها . فلما خرج دغفل نظر معاوية إلى وجوه مَن عنده من قريش على وجه الشماتة وقال : يا معشر قريش إنه عابكم جهده ، وقال :

لعمر أبيكم فلا تُكْذَبُوا ... لقد عابكم جهدَهُ دغفلُ
ونحن أناسٌ على ما بنا ... لآخرُنا الأوّلُ الأوّلُ
فإن يك حقاً كما قاله ... فما غاب من عاركم أطوْلُ
فإن كان كذباً فعلامة ... دعاه إليه هوىً أمْيلُ
ألا إنه أعلمُ الآخرين ... وكلُّ مقال له يحملُ

وفي رواية أخرى تختلف ، فقال القوم : ما عاب سواك، إنك استمعْتَ وهو يذكر بني عبد شمس فلم تبال بما قال في أحياء قريش .

ـ 477 ـ

دعوان بن علي بن حماد بن صدقة الجبائي ، أبو محمد الضرير المقرىء : كان من أعيان القراء ببغداد متميزاً بالقراءة بصيراً بالعربية حسن الطريقة والسمت . قرأ

477 ـ ترجمة دعوان في المنتظم 10 : 127 وطبقات ابن الجزري 1 : 280 وذيل ابن رجب 1 : 212 والوافي 14 : 18 .

القرآن بالروايات على أبي طاهر أحمد بن علي بن سوار وأبي الخطاب علي بن عبد الرحمن بن الجراح وأبي القاسم يحيى بن أحمد السيبي ، وسمع من الحسين بن أحمد بن محمد بن طلحة النعالي والحسين بن علي بن أحمد بن البسري وأبي المعالي ثابت بن بندار ، وقرأ عليه القرآن خلق كثير ، وروى عنه عبد الرزاق بن عبد القادر الجيلي ، توفي سنة اثنتين وأربعين وخمسمائة .

- 478 -

أبو الدقّيس الاعرابي : كان أفصحَ الناسِ ؛ حدَّث الأحفش قال ، قال الخليل : دخلنا على أبي الدقيس الأعرابي نعوده ، فقلت : كيف تجدك ؟ [قال] : أجدني أَجد ما لا أشتهي ، وأشتهي ما لا أجد ، ولقد أصبحتُ في زمان سوء [قلت : وما زمان السوء ؟ قال]: مَنْ جاد لم يَجِد ، ومن وَجَدَ لم يَجُد . قلت : فما الدقيس ؟ قال : لا أدري . قلت : فاكتنيت بما لا تدري ما هو؟ قال : إنما الكنى والأسماء علامات(1) .

أخذ عنه أعيان أهل العلم كأبي عبيدة ويونس والأصمعي والخليل بن أحمد .

قال أبو عبيدة الدقيش : دُوَيبة رقطاء أصغر من العظاءة ، والدقش شبيه بالنقش .

- 479 -

دكين بن رجاء الفقيمي : راجز مشهور ، وفد على الوليد بن عبد الملك ،

---

478 - هذه الترجمة من المختصر ؛ وانظر ابن النديم : 53 حيث ذكر أنه قناني غنوي ؛ وإنباه الرواة 4 : 115 وينقل ياقوت عن مراتب النحويين: 40 (ويكتب أحياناً بالشين: أبو الدقيش). والوافي 14 : 22 واللسان (دقش).

479 - ترجمة دكين الفقيمي الراجز في الشعر والشعراء: 508 والأغاني 9 : 252 (ولعله الدارمي) والسمط: 652 ومصورة ابن عساكر 6: 99 وتهذيب ابن عساكر 5 : 250 وهو غير دكين بن سعيد الدارمي ، قال ياقوت : واشتبها على ابن قتيبة في طبقات الشعراء فجعلهما واحداً ، والدارمي هو الذي مدح عمر بن عبد العزيز كما سيأتي في الترجمة التالية وفي التمييز بينهما يتبع ياقوت تاريخ ابن عساكر.

---

(1) مراتب النحويين : 41 إنما هي أسماء تسمعها فتتسمى بها .

وكان الوليد متأهباً لسباق الخيل ، فقاد دكين فرسه للسباق ، فلما رآه الوليد ـ وكان الفرس دميماً ـ قال : أخرجوه من الحلبة ، قبح اللّه هذا ، فقال دكين : يا أمير المؤمنين واللّه ما لي مالٌ غيره ، فإن لم يسبق خيلك فهو حبيسٌ في سبيل اللّه . فضحك الوليد وأمر بختمه ، وأرسلت الخيل فجاء سابقاً ، فقال دكين :

قَد أغتدي والطيرُ في أُكْناتِ ... تحدو بيَ الشمألُ في الفلاةِ
والليلُ لم يَحْسَرْ عن القُنَّاتِ ... وللندى لَمٌّ[1] على لماتي
بذي شنيبٍ سابغِ الصَّلْعاتِ ... نابي[2] المقدِّ مُشْرِفِ القَطَاةِ
من قارحٍ واءٍ ومن وآت ... ومن رباعٍ ورباعياتِ
ومن ثنيٍّ ومثنَّياتِ ... وجَذَعٍ عَبْلٍ وَمُجْذِعَاتِ
بتنَ على الخيل مُسَطَّرات ... حتى إذا انشقتْ دُجَى الظُّلْمَاتِ
ووُضِعَ الحبلُ[3] على اللبَّاتِ ... وَفُرِّقَ الغلمانُ بالوَصَاةِ
من كلِّ ذي قُرْطٍ وَقُزَّعَاتِ ... أُرْسِلْنَ يغبطن ذُرَى الصَّعْدات
تسري دوينَ الشمسِ مُلْحَفَاتِ ... من قسطلانِ القاعِ مُسْحَلاتِ[4]
حتى إذا كنَّ بمهويَّاتِ ... بالنّصفِ بين الخطِّ والغاياتِ
عضَّ بنابيه على الشباتِ ... وسط شماطيط[5] مجلّحاتِ[6]
مثلَ السراحينَ مُصَلّيات ... جاء أمامَ سُبَّقِ الغاياتِ
منهن من عرّض للزماتِ

---

(1) ابن عساكر : ماء .

(2) م وابن عساكر : ناتي .

(3) م : الخيل ؛ والحبل يوضع أمام الخيل قبل الانطلاق .

(4) القسطلان : الغبار الساطع ؛ ومسحلات : تضرب بالسياط ، وقد يكون معناها ملجمات .

(5) م : سناظيط ؛ والشماطيط : هي الخيل تجيء متفرقة أرسالاً .

(6) م : ملححات ؛ ابن عساكر : ملحلحات ؛ ومجلحات : يسرن سيراً شديداً .

وقال يمدح مصعب بن الزبير :

يـا نـاقُ خُبّي بـالقيـودِ خَبَبَـا حتى تـزوري بـالعـراقِ مصعبـا
قـد عـلم الإمـامُ إذ تـنـخَّـبـا بـيـانَـهُ ورأيـه الـمـجـرَّبـا
وفـي الأمـور عَـقْـلَهُ الـمؤدَّبـا يا مُرْسِلَ الريح الجنوبِ والصَّبـا
وآذنـاً لـلفُلكِ تـجـري خببـا وخـالقَ المـاءِ وشيجـاً نـسبـا
يُعيـد خلقاً بعـد خَلْقٍ عجبـا عـظمـاً ولحمـاً ودمـاً وعصبـا
خـالاً وعـمـاً وابنَ عـمٍّ وأبـا أعطِ الأميرَ مصعبـاً مـا احتسبـا
واجعـل له من سلسبيـل مَشْرَبـا فـرعـاً يـزينُ المنبـرَ المنصّبـا
قلبـاً دهيّاً ولسـانـاً قعضبـا[1] هـذا وإن قيـل لـه هَبْ وهبـا
جـواريـاً وفـضـةً وذهـبـا والخيـلَ يعلكنَ الحديـدَ المنشبا
قـوداً يُلَجْلِجْنَ أبـازيم الشبـا[2] قـد جعـل النـاسُ إليـه سببـا
مـن صـادرٍ ووارِدٍ أيـدي سَبَـا

ـ 480 ـ

دكين بن سعيد الدارمي التميمي الراجز : وهو غير دكين بن رجاء المتقدم ، واشتبها على ابن قتيبة في « طبقات الشعراء » فجعلهما واحداً . ودكين بن سعيد هذا هو الذي كان منقطعاً إلى عمر بن عبد العزيز حين كان والياً بالمدينة يـامره مع أبي عون

480 ـ انظر مصورة ابن عساكر 6 : 100 وتهذيب ابن عساكر 5 : 251 ومختصر ابن منظور 8 : 205 والشعر والشعراء والأغاني (في الترجمة السابقة) ويقال فيه أيضاً دكين بن سعد (وهذا الراجز والذي قبله يلحقان بمعجم الشعراء) .

(1) م : قصعبا ؛ والقعضب : الجريء .
(2) م : فوراً تلجلجن أباريم الشبا ؛ والقود : جمع قوداء وهي الفرس الطويلة العنق ؛ يلجلجن ، يحركن في أفواههن ؛ أبازيم : جمع إبزيم وهي الحلقات ؛ والشبا : أطراف الحديد .

وسالم بن عبد الله ، فلما ولي عمر بن العزيز الخلافة قصده ، فلما استأذن عليه قال له الحاجب : إنه في شغل بردِّ المظالم ، فترقَّبَ خروجَ عمرَ للصلاةِ فلما خرج ناداه فقال :

يا عمرَ الخيراتِ والمكارمِ ... وعمرَ الدسائعِ العظائمِ
إني امرؤٌ من قَطَنِ بن دارم ... أسدُّ حقَّ المسلم المسالمِ
بَيْعَ يمينٍ بالإخاءِ الدائم ... إذ ينتحي واللّه غيرُ نائمِ
ونحن في ظلمةِ ليلٍ عاتم ... عند أبي عونٍ وعند سالمِ

فدخل عمر على أمهات أولاده فما زال يجمع من عندهنّ العشرة والعشرين حتى جمع له ثلاثمائة فأعطاه إياها . مات دكين هذا سنة تسع ومائة .

حرف الذال

****

ـ 481 ـ

ذو القرنين بن ناصر الدولة أبي محمد الحسن بن عبد الله ، أبو المطاع ابن حمدان التغلبي المعروف بوجيه الدولة : كان أديباً فاضلاً شاعراً ولي إمرة دمشق سنة اثنتي عشرة وأربعمائة ثم عزل ثم وليها سنة خمس عشرة وأربعمائة وبقي إلى سنة تسع عشرة وأربعمائة ، ومن شعره[1] :

لو كنتَ ساعةَ بَيْننا ما بَيْنَنَا ... وشهدتَ حين نكررُ التوديعا
أيقنتَ أنَّ من الدموعِ محدّثا ... وعلمتَ أنَّ من الحديثِ دموعا

وقال[2] :

يا غانياً عن خُلّتي ... أنا عنكَ إن فكّرتَ أغنى
إن التقاطعَ والعقو ... قَ هما أزالا الملكَ عنّا
وأظنُّ أن لن يتركا ... في الأرضِ مُؤْتَلِفَيْنِ منّا
يَفْنَى الذي وقع التنا ... زعُ بيننا فيه ونفنى

481 ـ ترجمة ذي القرنين ابن حمدان في مصورة ابن عساكر 6 : 127 ومختصر ابن منظور 8 : 230 وتهذيب ابن عساكر 5 : 262 (وعليه يعتمد ياقوت) ويتيمة الدهر 1 : 74 وتتمة اليتيمة 1 : 3 ودمية القصر 1 : 221 وابن خلكان 2 : 279 والوافي 14 : 42 والنجوم الزاهرة 5 : 27 والشذرات 3 : 238 .

(1) وردا في تتمة اليتيمة وابن عساكر وابن خلكان .
(2) وردت القطعة بروايتين عند ابن عساكر .

وقال[1] :

بـأبي من هَـوِيتـهُ فـافتـرقنـا وقضى اللّه بعـد ذاك اجتمـاعـا
فـافتـرقنـا حـولاً فلمـا التقينا كـان تـسـليـمُـهُ عـليَّ وداعـا

وقال[2] :

أفدي الذي زرته بالسيف مشتملاً ولحظُ عينيـه أمضى من مضاربِـهِ
فمـا خلعتُ نجـادي للعنـاقِ لـه حتى لبستُ نجـاداً مـن ذوائبـهِ
فبـات[3] أسْعَدَنـا في نيلِ بغيتـه من كان في الحبِّ أشقانا بصاحبهِ

وقال[4] :

من كـان يَـرْضَى بـذلٍ في ولايتـه خوفَ الزوالِ فـإني لستُ بالـراضي
قـالـوا فتـركبُ أحيـانـاً فقلتُ لهم تحت الصليبِ ولا في موكبِ القاضي

توفي أبو المطاع بمصر في صفر سنة ثمان وعشرين وأربعمائة[5] .

(1) وردا في ابن عساكر والوافي .
(2) الأبيات في اليتيمة وابن عساكر وابن خلكان والوافي .
(3) م : فان .
(4) وردا في ابن عساكر والوافي ، وهما لمرشد بن منقذ 2 : 585 .
(5) من الواضح أن الصفدي لم ينقل هذه الترجمة عن ياقوت .

حرف الراء

ـ 482 ـ

راشد بن إسحاق بن راشد أبو حُكَيْمةَ الكاتب : كان أديباً كاتباً شاعراً ، ذكره ابن المرزبان في « طبقات الشعراء » وقال : كان أكثر شعره في رثاء متاعه ، وإنما كان يقول ذلك لتهمةٍ لحقته من الأمير عبد الله بن طاهر أيام كتابته له في خادم لعبد الله . واتصل راشد بالوزير محمد بن عبد الملك الزيات ، وله معه أخبار حسان : حدّث يحيى بن عبّاد قال : حج محمد بن عبد الملك في آخر أيام المأمون ، فلما قدم من الحج كتب إليه راشد الكاتب يقول[1] :

لا تنسَ عهدي ولا مودتيَهْ　　واشتقْ إلى طلعتي ورؤْيَتِيَهْ
فإن تجاوزتَ ما أقولُ إلى الـ　　ـعَصْبِ فذاكَ المأمولُ منكَ لِيَهْ

فأجابه محمد بن عبد الملك :

إنك منّي بحيثُ يطَّرِدُ النـ　　ـاظرُ من تحتِ ماءِ دمعتيَهْ
ولا وَمَنْ زادني تودُّدهُ　　على صحابي بفضلِ غيبتيَهْ
ما أُحْسِنُ التَّرْكَ والخلافَ لما　　تريدُ منّي وما تقولُ ليَهْ

482 ـ طبقات ابن المعتز : 389 والوافي 14 : 59 والفوات 2 : 15 وثمار القلوب : 180 وهو عند ياقوت « أبو حليمة » باللام ، وموضعه الصحيح معجم الشعراء .

(1) هو في طبقات ابن المعتز والأغاني 22 : 479 .

يــا بـأبي أنت مــا نسيتُــكَ في ... يــوم دعــائي ولا هــديتــيَــهْ
ناجيتُ بالـذكرِ والـدعاءِ لـكَ الـــــلّه لــكَ الـلّه رافعــاً يــديَــهْ
حتى إذا مــا ظننتُ بــالملك الــــقــادرَ أنْ قـد أجــاب دعـوتيَــهْ
قمتُ إلى مـوضـع النعــالِ وقـد ... أقمتُ عشـرين صـاحبــاً معيَــهْ
وقلتُ لي صــاحـبٌ أريــدُ لــه ... نعــلاً ولــو من جـلودِ راحتيــهْ
فــانقـطع القــولُ عنـد واحــدةٍ ... قـال الـذي اختــارهـا بشــارتيــهْ
فقلتُ عنـدي لـك البشــارةُ والـــــشكـر وقـلاًّ في جنب حـاجتيــهْ
ثم تخيَّــرتُ بعــد ذاك مـن الــــعَضْب اليمـاني بفضل خبـرتيــهْ
مَـوْشيَّــةً لـم أزلْ ببــائـعـهــا ... أُرْغِـبُ حتـى زهــا عـليَّ بيــهْ
يــرفــعُ فــي سَــوْمِــهِ وأُرغـبــه ... حتـى الـتقى زهــدُهُ ورغبـتيــهْ
وقــد أتـاك الــذي أمــرتَ بــه ... فــاعــذر بِكُثْــرِ الإنعــام قلتيــهْ

وقال راشد الكاتب وهو يجود بنفسه في مرضه الـذي مات فيه بطريق مكة . ولم ولم أقف له على شعرٍ خالٍ من الفحش والمجون غيرها :

أطبقتُ للنـوم جفنـاً ليس ينـطبقُ ... وبتُّ والـدمـعُ في خـديَّ يستبقُ
لم يستــرحْ من لـه عينٌ مؤرَّقــةٌ ... وكيف يعرفُ طعمَ الراحـةِ الأرِقُ
وددتُ لو تمَّ لي حَجّي ففزتُ به ... مـا كـلُّ مـا تشتهيـه النفسُ يتفقُ

- 483 -

ربيعة بن عامر بن أُنَيف بن شُرَيح بن عمرو بن زيد بن عبد اللّه بن عدس بن دارم بن مالك بن حنظلة بن مالك بن زيد مناة بن تميم الملقب بمسكين : قال أبو عمرو

---

483 ـ ترجمة مسكين في الشعر والشعراء : 455 والأغاني 20 : 169 والسمط : 186 وتهذيب ابن عساكر 5 : 303 والوافي 14 : 97 والخزانة 3 : 60 وله أشعار في أمالي المرتضى وأنساب الأشراف وشرح النهج وتاريخ الطبري ، وقد قام بجمع شعره خليل ابراهيم العطية وعبد اللّه الجبوري (بغداد 1970) وإليه الإحالة (والأرجح أن مسكيناً يجب أن يكون في معجم الشعراء) .

الشيباني : وإنما لقب مسكيناً لقوله[1] :

أنا مسكينٌ لمن أنكرني ولمن يعرفني جدُّ نَطِقْ

لا أبيعُ الناسَ عرضي إنني لو أبيعُ الناسَ عرضي لَنَفَقْ

وقال ابن قتيبة : وسمي المسكين لقوله[2] :

وسميتُ مسكيناً وكانتْ لجاجةً وإني لمسكينٌ إلى اللّه راغبُ

وكان مسكين شاعراً مجيداً سيداً شريفاً ، وكان بينه وبين الفرزدق مهاجاة ، فدخل بينهما شيوخ بني عبد اللّه وبني مجاشع فتكافّا ، واتقاه الفرزدق خشيةَ أن يستعين عليه بجرير ، واتقى مسكين الفرزدق خوفاً من أن يعينه عليه عبد الرحمن بن حسان .

وقال الفرزدق : نجوتُ من ثلاثة أشياءَ لا أخافُ بعدها شيئاً : نجوت من زياد حين طلبني ، ونجوت من ابني رميلة وقد نذرا دمي وما فاتهما أحدٌ طلباه ، ونجوت من مهاجاة مسكين الدارمي لأنه لو هجاني اضطرني أن أهدمَ شَطْرَ حسبي لأنه من بحبوحة نسبي وأشراف عشيرتي ، فكان جرير حينئذ ينتصف مني بيدي ولساني .

ومن مختارات شعر مسكين الدارمي قوله[3] :

ولستُ إذا ما سرَّني الدهرُ ضاحكاً ولا خاشعاً ما عشتُ من حادثِ الدهرِ

ولا جاعلاً عِرْضِي لمالي وقايةً ولكنْ أَقي عرضي فيحرزُهُ وفري

أعفّ لدى عسري وأُبدي تجملاً ولا خيرَ في من لا يعفُّ لدى العسرِ

وإني لأستحيي إذا كنتُ مُعْسِراً صديقي وإخواني بأن يعلموا فقري

وأقطعُ إخواني وما حالَ عهدُهُمْ حياءً وإعراضاً وما بيَ من كبرِ

ومن يفتقرْ يعلمْ مكانَ صديقِهِ ومن يَحْيَ لا يَعْدَمْ بلاءً من الدهرِ

ومن مستحسن شعره[4] :

اتّقِ الأحمقَ أن تصحبه إنما الأحمقُ كالثوبِ الخَلَقْ

(1) ديوان مسكين : 56 .
(2) ديوانه : 24 .
(3) ديوانه : 41 .
(4) ديوانه : 55 ـ 56 .

كلما رَقَّعْتَ منه جانباً   حركتْهُ الريحُ وَهْناً فانخرقْ
أو كَصَدْعٍ في زجاجٍ بَيِّنٍ   أو كفتقٍ هو يعيي من رَتَقْ
وإذا جالستَهُ في مجلسٍ   أفسد المجلسَ منه بالخُرُقْ
وإذا نهنهته كي يرعوي   زاد جهلاً وتمادَى في الحمقْ
وإذا الفاحشُ لاقى فاحشاً   فهناكم وافقَ الشنُّ الطبقْ
إنما الفحشُ ومن يعتادُهُ   كغرابِ السوءِ ما شاء نعقْ
أو حمارِ السوءِ إن أشبعته   رَمَحَ الناسَ وإن جاع نهقْ
أو كعبدِ السوء إن جَوَّعْتَهُ   سرقَ الجارَ وإن يشبعْ فسقْ
أو كَغَيْرَى رفعتْ من ذيلها   ثم أرْخَتْهُ ضِراراً فانمزقْ
أيها السائل عما قد مضى   هل جديدٌ مثلُ ملبوسٍ خَلَقْ

وقدم على معاوية فسأله ان يفرض له فأبى ، فخرج من عنده وهو يقول[1] :

أخاكَ أخاكَ إنَّ من لا أخا له   كساعٍ إلى الهيجا بغير سلاحِ
وان ابنَ عمِّ المرء فاعلمْ جناحُهُ   وهل ينهضُ البازي بغير جناحِ

وقال[2] :

ناري ونارُ الجارِ واحدةٌ   وإليه قبلي تُنْزَلُ القِدْرُ
ما ضرَّ جاراً لي أجاوِرُهُ   أنْ لا يكونَ لبيته سترُ
أُغْضِي إذا ما جارتي بَرَزَتْ   حتى يواريَ جارتي الخدرُ
ويصمّ عما كان بينهما   سمعي وما بي غيره وقرُ

مات مسكين الدارمي سنة تسع وثمانين .

(1) ديوانه : 29 .
(2) ديوانه : 45 .

ـ 484 ـ

ربيعة بن يحيى بن معاوية بن جشم بن بكر بن حبيب بن عمرو بن تغلب المعروف بأعشى بني تغلب : شاعر من شعراءِ الدولةِ الأموية ، كان نصرانياً وعلى النصرانية مات سنة اثنتين وتسعين ، وكان يتردَّدُ بينَ البداوةِ والحضارة ، فإذا حضر سكن الشام ، وإذا بدا نزل بنواحي الموصل وديار ربيعة حيث منازل قومه .

ومن شعره قوله يمدح بني عبد المدان الحارثيين[1] :

فكعبةُ نجرانَ حتمٌ عليـ ـكِ حتى تُناخي بأبوابها
تزورُ يزيدَ وعبدَ المسيح وقيساً هُمُ خيرُ أربابها
يبادرنا الوردُ والياسمـ ـن والمسمعاتُ بأقصابها
وَبَرْبطنا دائمٌ مُعْمَلٌ فأيُّ الثلاثةِ أزرى بها
ولما التقينا على آلةٍ ومدَّتْ إليَّ بأسبابها
إذا الحبراتُ تَلَوَّتْ[2] بهم وَجَرُّوا أسافلَ هُدّابها

وقال[3] :

ما روضةٌ من رياضِ الحَزْنِ[4] معشبةٌ خضراءُ جادَ عليها مُسْبِلٌ هطِلُ
يضاحكُ الشمسَ فيها كوكبٌ شَرِقٌ مُؤَزَّرٌ بعميمِ النبتِ مشتملُ
يوماً بأطيبَ منها نَشْرَ رائحةٍ ولا بأحسنَ منها إذ دنا الأُصُلُ

---

484 ـ ترجمة أعشى بني تغلب في الأغاني 11 : 263 وبغية الطلب 7 : 58 واسمه عنده ربيعة بن نجوان وقيل اسمه النعمان بن نجوان وقال ابن حبيب : اسمه النعمان بن يحيى ؛ وفي ديوان الأعشين : 270 أن أعشى تغلب هو عمرو بن الأهيم ؛ أما ربيعة بن يحيى التغلبي فسمّاه أعشى نجوان (ديوان الأعشين : 289) وقد أخطأ ياقوت (أو لعل في النسخة سقطاً) حين نسب له شعراً ليس له ، ولم يورد من شعره الذي أثبته أبو الفرج شيئاً . ومهما يكن من شيء ، فمكان الأعشى معجم الشعراء .

(1) هذا الشعر لأعشى قيس كما في الأغاني 6 : 282 وديوانه : 122 .
(2) م : اذا الخير آت فلوت .
(3) وهذه الأبيات أيضاً لأعشى قيس ، انظر ديوانه : 43 .
(4) م : في رياض الحسن .

- 485 -

ربيعة بن ثابت بن لجأ بن العيزار بن لجأ الأسدي أبو ثابت الرقي الشاعر : استقدمه أمير المؤمنين المهدي فمدحه بعدة قصائد مشهورة فأجازه وأجزل صلته ، وهو الذي قال في يزيد بن حاتم المهلبي ويزيد بن أسيد السلمي[1] :

لشتَّانَ ما بين اليزيدين في الندى ... يـزيـدِ سُلَيمٍ والأغـرِّ ابنِ حـاتـمِ
يزيدُ سُلَيْمٍ سـالمُ المالِ والغنى ... أخو الأزدِ للأمـوالِ غيرُ مسـالـمِ
فهمُّ الفتى الأزديِّ إتـلافُ مـالِـهِ ... وهمُّ الفتىَ القيسيِّ جمعُ الدراهمِ

وهو الذي يقول في العباس بن محمد بن علي بن عبد اللّه بن العباس قصيدته المشهورة التي لم يسبق إليها إجادة ، منها[2] :

لـو قيل للعبـاس يـا ابنَ محمـدٍ ... قـلْ لا وأنت مخلَّدٌ مـا قـالهـا
مـا إن أعـدُّ من المكـارم خصلةً ... إلا وجـدتُـكَ عمَّهـا أو خـالهـا
وإذا الملوكُ تسـايـروا في بلدةٍ ... كـانـوا كـواكبهـا وكنتَ هـلالهـا
إن المكـارمَ لم تـزلْ معقـولـةً ... حتى حللتَ بـراحتيك عقـالهـا

فبعث إليه العباس بدينارين فقال[3] :

مـدحتُكَ مِـدْحةَ السيفِ المحلَّى ... لتجـريَ في الكرام كمـا جـريتُ
فهبهـا مـدحـةً ذهبتْ ضيـاعـاً ... كـذبتُ عليـك فيهـا وافتـريتُ
فـأنت المـرءُ ليس لـه وفـاءٌ ... كـأني إذ مـدحتـك قـد رثيتُ

485 ـ ترجمة ربيعة الرقي في طبقات ابن المعتز: 157 والأغاني 16 : 189 والوافي 14 : 95-ونكت الهميان: 151 وقد جمع شعره صديقنا الدكتور يوسف حسين بكار (بغداد 1980) وموضعه الصحيح هو « معجم الشعراء » .

(1) الأغاني 16 : 189 ومجموع شعره: 97 .
(2) الأغاني 16 : 191 ومجموع شعره : 87 .
(3) الأغاني 16 : 192 ومجموع شعره : 67 .

فلما بلغت العباسَ غضب وتوجه إلى الرشيد فقال : إن ربيعة الرقي قد هجاني ، فأحضره الرشيد وهمَّ بقتله ، فقال : يا أمير المؤمنين مُرْهُ باحضار القصيدة فأحضرها فلما سمعها استحسنها وقال : واللّه ما قال أحدٌ في الخلفاء مثلها فكم أثابك ؟ قال : دينارين ، فغضب الرشيد على العباس وقال : يا غلام أعطِ ربيعة ثلاثين ألف درهم وخلعة واحمله على بغلة . وقال له : بحياتي لا تذكره في شعرك لا تعريضاً ولا تصريحاً . . وكان الرشيد قد هم بان يزوج العباس ابنته ففتر عنه لذلك . توفي ربيعة الرقي سنة ثمان وتسعين ومائة .

ـ 486 ـ

رزق اللّه بن عبد الوهاب التميمي البغدادي : أديب شاعر مجيد لا أعرف من أمره غير هذا ، توفي ببغداد سنة ثمان وثمانين وأربعمائة ومن شعره :

بأبي حبيبٌ زارني متنكّراً ... فبدا الوشاةُ له فولّى معرضا
فكأنني وكأنه وكأنهم ... أملٌ ونيلٌ حالَ بينهما القضا

وقال :

شارعُ دارِ الرقيقِ أرّقني ... فليتَ دارَ الرقيقِ لم تَكُنِ
به فتاةٌ للقلب فاتنةٌ ... أنا فداءٌ لوجهها الحسنِ

ـ 487 ـ

رزين بن زندورد العروضي : مات في أيام المتوكل على اللّه ، أبو زهير مولى طيفور بن منصور الحميري خال المهدي . ويقال هو مولى بني هاشم ، وهو بغدادي

---

486 ـ ترجمته في طبقات الحنابلة 2 : 250 والمنتظم 9 : 88 وبغية الطلب 7 : 70 وطبقات ابن الجزري 1 : 284 وذيل ابن رجب 1 : 77 والوافي 14 : 112 ومعرفة القراء 1 : 356 وقد أوردت المصادر عنه معلومات تكفي لتوضيح ما جهله ياقوت من أمره ؛ ولدى الصفدي معلومات عنه وشعر له ، غير الذي أورده ياقوت .

487 ـ ترجمة رزين العروضي في الورقة لابن الجراح : 32 وتاريخ بغداد 8 : 436 والوافي 14 : 116 (وهو ينقل عن ياقوت) وانظر التذكرة الحمدونية 2 : 280 .

كثير الشعر ، وأكثر شعره يخرج عن العروض .

أخذ عن عبد اللّه بن هارون بن السميدع البصري العروضي مؤدب آل سليمان ، وكان عبد اللّه بن هارون يقول أوزاناً غريبة من العروض فنحا رزين نحوه في ذلك فأتى فيه ببدائع جمة ، وكان رزين من أصحاب دعبل الخزاعي الشاعر .

حدث دعبل أنه نزل هو ورزين بقوم من بني مخزوم فلم يقروهما ولا أحسنوا ضيافتهما ، قال دعبل : فقلتُ فيهم[1] :

عصابةٌ من بني مخزومَ بتُّ بهم ... بحيثُ لا تطمعُ المسحاةُ في الطينِ

ثم قلت لرزين أَجِزْ ، فقال :

في مَضْغِ أعراضهم من خبزهم عِوَضٌ ... بني النفاق وأبناءِ الملاعين

وهو القائل[2] لآل جعفر بن محمد بن الأشعث الخزاعي[3] :

إني أتيتك مرات لتأذنَ لي ... فكان عندك سهل الاذن محجوبا

إن كنت تحجبني بالذنب مزدهياً ... فقد لعمري أبوكم كلَّمَ الذيبا

فكيف لو كلّم الليثَ الهصورَ إذنْ ... تركتم الناسَ مأكولاً ومشروبا

هذا السُّنَيْدي لا يسوى إتاوتَهُ ... يكلِّمُ الفيلَ تصعيداً وتصويبا

فاذهب إليك فإني لا أرى أحداً ... بباب دارك طلّاباً ومطلوبا

قال الشيخ أبو محمد ابن الخشاب النحوي : أنشدني أبو المظفر محمد بن محمد بن قزما الاسكافي هذه الأبيات ، ثم قال[4] : يا سيدي ، هذا هجاء خبيث ، وأخبث ما فيه أنه قال : كلم الذئب ، ولم يقل : كلمه الذئب ، ليسلم له سلخ الفضيلة بما تمثل به في قوله : هذا السنيدي . . .

---

(1) الأغاني 20 : 121 .

(2) من هنا حتى قوله : « بعد هذا » مزيد من المختصر .

(3) هذا الشعر للعروضي في الجهشياري : 193 ـ 194 وفي الورقة : 33 نقلاً عن ابن أبي طاهر وفي الحيوان 7 : 217 وفي ثمار القلوب: 387 ونسب في طبقات ابن المعتز: 295 لأبي سعد المخزومي ، كما نسب في الأغاني 20 : 90 لدعبل .

(4) للجاحظ تعليق مسهب على هذا الشعر ، وتعليق الاسكافي مشبه له وإن كان موجزاً .

حدّث ابن العروضي قال[1] : لقيتُ أبا الحارث جمين فقلت له : ما أغراك إلى هجاء محمد بن يحيى بن خالد البرمكي ، وتصفه بالبخل ؟ فقال : دع ذا عنك ، فإني دخلت عليه الساعة ، وبين يديه خوان لـه من نِصْفِ خشخاشةٍ سوى مـا يسقط من الحت . قال : قلت له : أما تستحي من هذا الكلام ؟ فقال : واللّه الذي لا إله إلا هو لو أن عصفوراً بقي من بيدره حبة من حنطة ما رضي أو جاء بالعصفور مشوياً بين رغيفين من عند العصفور . قلت له : أما تستحي من هذا الكلام ؟ فقال : واللّه لأن يرقى إلى السماء على سُلّم من زبد حتى يتناول بنات نعش كوكباً كوكباً أيسر عليه من أن يهب لك رغيفاً في المنام . قال : فقلت له : أما تستحي ، وعذلته ، فقال : وأزيدك ، واللّه لو أن له ثمانين طرزاً[2] طول كلِّ طرزٍ ما يدخل أوله النهر فلا يبلغ آخره حتى يصير مملوءاً إبراً في كل إبرة خيط[3] ثم جاء يوسف النبي عليه السلام ، ومعه الأنبياء والشهداء يسألونه أن يُعيره إبرة يخيط بها قميصه الذي قُدّ من دُبر ما أعارهم . قال : قلت له : حرم كلامك بعد هذا .

ومن شعر رزين أيضاً[4] :

كـأنَّ بـلادَ اللّه وهي عـريضـةٌ ... على الخائف المطلوبِ كِفَّةُ حابلِ
تـؤدي إلـيـه أنَّ كـلَّ ثـنـيـةٍ ... تيممهـا تَـرْمِي إليـهِ بقـاتـلِ

وقال :

خيرُ الصديقِ هو الصدوقُ مقالةً ... وكـذاك شرُّهُمُ المنـونُ الأكـذبُ
فـإذا غـدوتَ لـه تـريـدُ نجـازَهُ ... بـالوعـدِ راغَ كمـا يـروغُ الثعلبُ

توفي رزين العروضي سنة سبع وأربعين ومائتين .

(1) هذه القصة في نثر الدر 3 : 249 ـ 250 وهي هناك شديدة الإسهاب ، وفي النص اختلافات .
(2) الطرز : البيت .
(3) صورة ما في ر : فاردنه لا حـاطيه .
(4) هما في الأغاني 13 : 163 ـ 164 لعبد اللّه بن الحجاج .

ـ 488 ـ

رسته بن أبي الأبيض الأصبهاني الضرير الشاعر : ذكره حمزة بن الحسن الأصبهاني في « تاريخ أصفهان » فقال : كان مليحَ الشعرِ أشبهَ الناسِ شعراً ببشار بن برد ، حُمِلَ من أصفهان إلى بغداد وأدخل على زبيدة بنت جعفر زوج الرشيد وكان دميماً ، فلما رأته قالت : تسمعَ بالمُعَيْدِيِّ خيرٌ من ان تراه ، فقال رسته : أيتها السيدة إنما المرء بأصغريه ، ثم أنشدها وأخذ جائزتها ، وله شعر كثير ومنه قوله :

أيها الإخوةُ الذين لساني ... من قديمِ الزمانِ عنهم كليلُ
جئتكم للسلام حتى إذا ما ... صحتُ شهراً كما يصيح الدليلُ
قيل قد أُدْخِلَ الخوانُ عليهم ... قلتُ ما لي إذن إليهم سبيلُ

وقال :

قد مات كلُّ نبيلٍ ... ومات كلُّ نبيهِ
ومات كلُّ أديبٍ ... وفاضلٍ وفقيهِ
لا يوحشنْكَ طريقٌ ... كلُّ الخلائقِ فيهِ

مات رسته سنة خمس وسبعين ومائة .

ـ 489 ـ

رفيع بن سلمة بن مسلم بن رفيع أبو غسان دماذ العبدي اللبابي : كاتب أبي عبيدة معمر بن المثنى وصاحبه المختص به ، ودماذ لقب ومعناه الفسيلة . وقيل إن المازني مشى إلى أبي غسان يسمع منه الأخبار . وكان شاعراً هجّاء خبيث اللسان فلمّا أسنّ أنكر ما هجا به الناس ، فمن شعره :

---

488 ـ ترجمته في الوافي 14 : 121 ونكت الهميان : 152 .

489 ـ هذه الترجمة من المختصر ؛ وانظر الفهرست : 60 وإنباه الرواة 2 : 5 وطبقات الزبيدي : 181 والوافي 14 : 139 والبلغة : 80 وبغية الوعاة 1 : 568 .

شغلي عن الناسِ بإنسانٍ عَلَّقَ قلبي وتناساني
موَّه باب الحبّ حتى إذا سقطت في الصبوة خلّاني

- 490 -

رمضان بن رستم بن محمد بن علي بن رستم بن هردوز ، فخر الدين ابن الساعاتي الخراساني الأصل الدمشقي : وهو أخو بهاء الدين أبي الحسن علي بن رستم بن الساعاتي الشاعر المشهور . وكان فخر الدين هذا طبيباً فاضلاً أديباً شاعراً ، وله معرفة تامة بالمنطق والعلوم الحكمية ، وكان يكتبُ خطاً منسوباً في غاية الجودة ، وتلقَّى صناعة الطب عن رضي الدين أبي الحجاج يوسف بن حيدر الرحبي الموجود الآن في دمشق ولازمه زماناً طويلاً ، والعلومَ الأدبية عن تاج الدين زيد الكندي ، وكان خبيراً بعلم الموسيقى ويحسن الضربَ بالعود ، لقيته بدمشق وحضرتُ مجالسه غير مرة ، وبلغنا وفاته سنة ثمان عشرة وستمائة . وله من التصانيف حواشٍ على القانون لابن سينا . وتكملة كتاب القولنج له . والمختار من الأشعار ، وغير ذلك .

ومن شعره :

وروضةٍ زاد بالأترجِّ بهجتها في صفرةِ اللون يَحكي لونَ مسكينِ
عجبت منه فما أدري أصفرته من فرقة الغصنِ أم من خوف سكينِ

وقال[1] :

يحسدُني قومي على صَنْعَتِي لأنني بينهمُ فارسُ
سهرتُ في ليلي واستنعسوا لن يستوي الدارسُ والناعسُ

490 ـ ترجمة ابن الساعاتي في عيون الانباء 2 : 183 ـ 184 (وقد خدم بالطب الملك الفائز بن العادل أبي بكر ابن أيوب وتوزر له ، كما خدم الملك المعظم عيسى وتوزر له كذلك، وكان ينادمه ويلعب بالعود) والوافي 14 : 128 والدارس للنعيمي 2 : 388 .

(1) وردا في عيون الانباء: 184 والوافي .

وقال :

حسبُ المحبّ تلذذُ بغرامه   من كلِّ ما يُهوى وما يُتَحَبَّبُ
راحُ المحبةِ لا تُريحُ بِرَوْحِها   من كان في شيءٍ سواها يرغبُ

ـ 491 ـ

الرماح بن أبرد بن ثوبان بن سراقة بن قيس بن سلمى بن ظالم بن جذيمة بن يربوع ، أبو شرحبيل المرّي المعروف بابن ميادة : وهي أمه ، وكانت صقلبية[1] وكان يزعم أنها فارسية . وهو شاعر مجيد من مخضرمي الدولتين الأموية والعباسية ، مات في خلافة المنصور سنة تسع وأربعين ومائة ، ومن شعره يفخر بنسب أبيه في العرب ونسب أمه في العجم[2] :

أليس غلامٌ بين كسرى وظالمٍ   بأكرم مَنْ نيطتْ عليه التمائمُ
لو أنَّ جميعَ الناسِ كانوا بِتَلْعَةٍ   وجئتُ بجدّي ظالم وابن ظالمِ
لظلَّتْ رقابُ الناسِ خاضعةً لنا   سجوداً على أقدامنا بالجماجمِ

ومن مختار شعره قصيدته البائية التي مدح بها الوليد بن يزيد ومطلعها[3] :

هل تعرفُ الدارَ بالعلياءِ غيَّرها   سافي الرياح ومستنٌّ له طُنُبُ
دارٌ لبيضاءَ مسودٌّ مسائحها   كأنها ظبيةٌ تَرْعَى وَتَنْتَصِبُ

---

491 ـ ترجمة ابن ميادة في الأغاني 2 : 227 والشعر والشعراء : 655 وطبقات ابن المعتز : 106 ومصورة ابن عساكر 6 : 279 وتهذيب ابن عساكر 5 : 331 والمؤتلف : 180 والسمط : 306 وكتاب من نسب إلى أمه : 91 وألقاب الشعراء : 308 والوافي 14 : 143 (وهو بمعجم الشعراء أليق) . وقد جمع شعره محمد نايف الدليمي (الموصل 1970) ود . حنا جميل حداد ، دمشق 1982 وإلى الثاني أشير .

(1) زعم الذين نشروا الأغاني (طبعة دار الثقافة) أن صقلبية تنسب إلى صقلب وهي بلد في الأندلس من أعمال شنترين ، وهذا خطأ أو إمعان فيه .

(2) شعر ابن ميادة : 227 وانظر الأغاني : 233 .

(3) شعره : 57 وانظر الأغاني : 267 .

تحنــو لأكحــلَ أَلْقَتْــهُ بِمَضْيَعَــةٍ فقلبهــا شفقــاً من حَــوْلِــهِ يــجبُ
يا أطيبَ الناسِ ريقاً بعد هجعتها وأملحَ النــاسِ عينــاً حين تـنتـقبُ
ليست تجــودُ بِنَيْـلٍ حينَ أســألهـا ولستُ عنــد خــلاءِ اللهــو أغتصبُ
في مرفقيها إذا مـا عونقت حَجَم(1) على الضجيـعِ وفي أنيـابهـا شَنَبُ

ولـيـلةٍ ذاتِ أهــوالٍ كــواكــبـهـا مثلُ القناديلِ فيها الزيتُ واللهبُ(2)
قد جبتها جَوْبَ ذي المقراضِ مِمْطَرةً إذا استوى مُغْفَلَاتُ البيدِ والحَدَبُ(3)
بعنتــريسٍ كـأن الــدَّبْــرَ يَلْسَعُهــا إذا تــرنَّمَ حــادٍ خَلْفَهــا طَــرِبُ(4)
إلى الـوليد أبي العبـاس قد عجلتْ ودونــه المُعْطُ من لبنـانَ والكُثُبُ(5)

أعــطيتني مـائـة صُفْـراً مَــدامعها كـالنخلِ زَيَّنَ أعلى نبتِـهِ الشَّرَبُ(6)
يســوقهـا يــافــعٌ جَعْــدٌ مفــارِقُــهُ مثـلُ الغـرابِ غـذاه الصـرُّ والحلبُ
وذا سَـبيـبٍ صهـيبيــاً لــه عُــرُفٌ وهـامـةٌ ذاتُ فَرْقٍ مـا بهـا صَخَبُ
لمــا أتيتــكَ من نجــدٍ وســاكنــه نفحتَ لي نفحةً طارت بهـا العربُ

إني امـرؤ أعتفي الحاجـاتِ أطلبهـا كما اعتفى سَنِقٌ يُلْقَى له العشبُ(7)
ولا أُلــحُّ عـلى الخــلَّانِ أســألـهم كمــا يلحُّ بعــظم الغــاربِ القتبُ
ولا أخــادعُ نــدمــاني لأخــدعهــم عن مـالهم حين يسـترخي بهم لببُ
وأنت وابنـاك لم يـوجــدْ لكم مَثَلٌ ثــلاثــةٌ كلُّهُمْ بــالتــاجِ مُعْتَصِبُ
الــطيبــون إذا طــابتْ نـفــوسهـمُ شوسُ الحواجبِ والأبصار إن غضبوا

---

(1) الأغاني : جمم (وهو كثرة اللحم) .
(2) الأغاني : والعطب (وهو القطن) .
(3) المقراض : المقص ، الممطرة : ثوب يتقى به المطر ، الحدب : المرتفع من الأرض .
(4) العنتريس : الناقة الصلبة ؛ الدبر : الزنابير أو النحل .
(5) المعط : الأراضي التي لا نبات فيها ؛ وفي الديوان : من نيان والكثب .
(6) الشرب : ما يحفر حول النخلة ويملأ ماءً .
(7) أعتفي : أطلب ؛ السنق : الذي شبع إلى حد البشم ، يقول : أعتفي الحاجات بغير حرص ولا كلب .

قِسْني إلى شعراءِ الناس كلِّهم ... وادعُ الرواةَ إذا ما غَبَّ ما احتلبوا[1]
إني وإن قال أقوامٌ مديحَهُمُ ... فأحسنوهُ وما مالوا وما كذبوا
أجري أمامهمُ جَرْيَ امرىءٍ فَلِجٍ ... عنانُهُ حينَ يجري ليس يضطربُ

وقال أيضاً[2] :

لقد سَبَقَتْكَ اليومَ عيناك سَبْقَةً ... وأبكاكَ من عهدِ الشبابِ ملاعبُهْ
وتذكارُ عيشٍ قد مضى ليس راجعاً ... لنا أبداً أو يُرجعَ الدَّرَّ حالبه
كأن فؤادي في يدٍ ضَبَثَتْ[3] به ... محاذرةً أن يقضبَ الحبلَ قاضبه
وأشفق من وشكِ الفراقِ وإنني ... أظنُّ لمحمولٌ عليه فراكبه
فوالله ما أدري أيغلبني الهوى ... إذا جدَّ جِدُّ البينِ أم أنا غالبه
فإن استطع أغلبْ وإن يغلب الهوى ... فمثلُ الذي لاقيتُ يُغْلَبُ صاحبه

وشعر ابن ميادة كثير اكتفينا بما ذكرناه منه .

ـ 492 ـ

رؤبة بن العجاج واسم العجاج عبد الله بن رؤبة بن أسد بن صخر بن كنيف بن عميرة ، يتصل نسبه بزيد بن مناة : الراجز المشهور من مخضرمي الدولتين ومن أعراب البصرة ، سمع من أبي هريرة رضي الله عنه والنسابة البكري ، وعداده في

---

492 ـ ترجمة رؤبة في الأغاني 20 : 323 وطبقات ابن سلام 761 ـ 767 والشعر والشعراء : 495 وابن خلكان 2 : 63 وبغية الطلب 7 : 114 وسير الذهبي 6 : 162 والوافي 14 : 147 وله أخبار منثورة في كتب الأدب كنثر الدر والبيان والتبيين وعيون الأخبار والعقد والبصائر والتذكرة الحمدونية . . . إلخ . (وموضعه الصحيح معجم الشعراء) .

(1) غبَّ : فسد .
(2) الأغاني : 265 وشعر ابن ميادة : 71 .
(3) م : خبثت ؛ ضبثت : قبضت .

التابعين . وروى عنه أبو عبيدة معمر بن المثنى والنضر بن شميل وخلف الأحمر وغيرهم . وله ديوان رجز مشهور . مات في زمن المنصور سنة خمس وأربعين ومائة ومن رجزه[1] :

اذا العجوزُ غضبتْ فطلِّقِ ولا تَرَضَّاها ولا تَمَلَّقِ
واعمد لأخرى ذاتِ دلٍّ مونق لينةِ المسِّ كمسِّ الخِرْنِقِ
اذا مضتْ مثلَ السياط المشَّق

ومنه وهو مشهور[2] :

من يكُ ذا بتٍّ فهذا بتّي مُقَيِّظٌ مصيِّفٌ مُشَتّي
أخذته من نَعَجاتٍ سِتٍّ

وله شعر قليل منه[3] :

أيها الشامتُ المعير بالشيـ ـبِ أقلنَّ بالشباب افتخارا
قد لبست الشبابَ غضّاً طريفاً فوجدت الشبابَ ثوباً معارا

ـ 493 ـ

روح بن عبد الأعلى المؤدّب : بصري يكنى أبا همام ، متهم في دينه ، يعلم أولاد المسلمين العربية والشعر ، ويعلم أولاد المجوس خط الفرس وكتاب مَزْدك ، وعهد أردشير ، وهو القائل[4] :

وعين السخط تبصرُ كل عَيْب وعيْن أخي الرضا عن ذاك تعمى

---

493 ـ هذه الترجمة من المختصر ، وانظر الوافي 14 : 152 (وينقل عن المرزباني وهو مصدر ياقوت أيضاً) .

(1) مجموع أشعار العرب (ديوان رؤبة) : 179 .
(2) مجموع أشعار العرب : 189 .
(3) يقال إن رؤبة لم يقل من الشعر إلا هذين البيتين ؛ انظر بغية الطلب : 124 ، 126 .
(4) وردا في الوافي ، وكذلك القطعة التالية .

ولـــو يُــمْنـى يــديّ تكـــرّهـتنـي إذن لحسمتهــا بــالنـــار حسـمـــا

وله أيضاً :

فمـــا لـزمـــان الســـوء لا درَّ درُّه وللبين فينـا كيفَ قد طـال عُمْرُهُ
فـــراقٌ وَبُعْـــدٌ واشتيـــاقٌ وزفـــرة كحـرٍّ سعيـرٍ قـــد تضـرَّم جمــرهُ
سأصبرُ دهري ما حييتُ ومن يعش بحلوِ مَعَـــاشٍ يعقب الحلوَ مــرُّهُ

حرف الزاي

- 494 -

زاكي بن كامل بن علي ، أبو الفضائل ، المعروف بالمهذّب الهيتيّ القطيفي الملقب بأسير الهوى : كان أديباً فاضلاً شاعراً رقيق الشعر، مات سنة ست وأربعين وخمسمائة ، ومن شعره :

عينـاك لحـظهمـا أمضى من القَـدَرِ ... ومهجتي منهمـا أضحتْ على خَـطَرِ
يـا أحسنَ النـاسِ لـولا أنت أبخلهم ... مـاذا يـضـرُّكَ لـو مَتَّعْتَ بـالـنـظرِ
جُـدْ بـالخيـالِ وإنْ ضنَّتْ يـداكَ بـه ... لا تبتلي مقـلتي بـالـدمـع والـسهـرِ
يـا من تمكن فـي قلبـي الغـرامُ بـه ... فقـد حَـذِرْتُ ومـا وُقِيتُ من حـذرِ
زَوِّدْ بـتـوديعـةٍ أو وقـفـة فـعـسـى ... تحيي بهـا نِضْـوَ أشـواقٍ على سفـرِ

وقال :

أفعـالُ ألحاظِـهِ المرضَى الصحـاحِ بنا ... أضعـافُ ما يفعـلُ الصَّمْصَامةُ الـذَّكَرُ
عجبتُ من جَفْنِـهِ بـالضعفِ منتصـراً ... على القلوبِ وَيَقْـوَى وهـو مـنكـسـرُ
ومـن لهيـبِ خـدودٍ كلّمـا سُقِيَتْ ... مـاءَ الشبـاب بنـارِ الحسنِ تـستـعـرُ
ان مجَّ في الشرقِ من فيه الرضابَ ترى ... من عَرْفِ رياه أهـلَ الغرب قـد سكروا
شهـودُ صـدقِ غـرامي فيـك أربعـةٌ ... الـوجـدُ والـدمـعُ والأسقـامُ والسهـرُ

494 - ترجمته في الوافي 14 : 163 والفوات 2 : 27 والشذرات 4 : 140 وبغية الطلب (زكار) 8 : 3728 وفيه القطيعي ، وأورد له المقطوعة الضادية .

وقال :

سيدي ما عنك لي عوضُ   طال بي في حبِّكَ المرضُ
كم بلا ذنبٍ تُهَدِّدُني   فجفوني ليسَ تغتمضُ
أبغيرِ الهجرِ تقتلني   لا أبالي هَجْرُكَ الغرضُ
ورضائي في رضاكَ فقلْ   ما تشاءُ لستُ أعترضُ
أنت لي داءٌ أموتُ به   كم أداويهِ وينتقضُ

ـ 495 ـ

زائدة بن نعمة بن نعيم ، أبو نعمة القشيري[1] المعروف بالمجفجف[2] : كان شاعراً جيدَ الشعر نقيَّ الألفاظ مختارها رقيقَ المعاني يمدحُ السادات وأهلَ البيوتات ، لقيته بحلب سنة ثمانين وخمسمائة وتوفي سنة ست وثمانين وخمسمائة ، ومن شعره[3] :

أصبح الربعُ من سميةَ خالي   غَيْرَ هَيْقٍ وناشطٍ وغزالِ[4]
وثلاثٍ كأنهنّ حَمامٌ   في رمادٍ وأشعث الرأس بالي
هَلْهَلَتْه الرياح مما توالى   نَسْجُها بالغدوِّ والآصالِ
من قَبولٍ ومن دَبورٍ سَنُوحٍ   وَجَنُوبٍ ومن صَباً وشمالِ

---

495 ـ مصورة ابن عساكر 6 : 325 وتهذيب ابن عساكر 5 : 351 وبغية الطلب 7 : 139 والوافي 14 : 168 ، وقال ابن العديم : هو شاعر بني مالك ، قدم حلب ومدح بها الملك رضوان بن تتش وغيره ، وكان يتردد إليها كثيراً ؛ ومدح صدقة بن مزيد ، ومدح أتابك بدمشق فخلع عليه خلعة تامة وحمله على فرس عتيق .

(1) م : التستري ، والتصويب عن بغية الطلب .
(2) م : بالمحفحف ، وضبطه الصفدي بجيمين وفاءين .
(3) بغية الطلب : 191 (والقصيدة شديدة التصحيف في م وتهذيب ابن عساكر) .
(4) م : هين . . . وغوال .

تجلبُ الغيثَ غَيْرَ ريثٍ[1] حياه بـرسـوم الـديـار والأطـلال
كـلّ نبتٍ من الـربيـع وزهـرٍ مثـل جيدٍ من العـرائس حـالي
أو كـزيّ[2] الذي عُهِـدْنَ[3] لديـه في ظلال الخيام أو في الحجال
كـلّ بـراقـةِ الثنـايـا تـراءى بـرقيق الغُـروب[4] عـذبٍ زلال
وكـأن الغمـامَ من بعـد وَهْـنٍ مـازجتـه بقَـرْقَـفٍ جـريـال
كنتُ في عينهـا كمـرودِ كُحْـلٍ صِرْتُ في عينها كشـوكِ السَّيال
حيث صـار السـوادُ مني بيـاضـاً وتـبـدلـتُ أرذلَ الأبـدال[5]

ـ 496 ـ

زبان بن العلاء بن عمار بن العريان بن عبد الله بن الحصين بن الحارث بن

---

496 ـ ترجمة أبي عمرو بن العلاء في نور القبس : 25 والمعارف : 531 ، 540 وأخبار النحويين البصريين : 22 ومراتب النحويين: 13 ـ 20 ونزهة الألباء : 15 وطبقات الزبيدي : 35 والفهرست : 30 وابن خلكان 3 : 466 وإنباه الرواة 4 : 125 وعبر الذهبي 1 : 223 وسير الذهبي 6 : 407 وطبقات ابن الجزري 1 : 288 والبداية والنهاية 10 : 113 والوافي 14 : 171 والفوات 2 : 28 والشذرات 1 : 237 وبغية الوعاة 2 : 231 وتهذيب التهذيب 12 : 178 والنجوم الزاهرة 2 : 22 وروضات الجنات 3 : 388 .

---

(1) م : ريب .
(2) م : وكذاك .
(3) م : عهدنا .
(4) م : العزوف .
(5) زاد في بغية الطلب وابن عساكر أبياتاً وهي :

فـإذا الخيـل أصبحت بي قـيـامـاً صـافـنـات وأينـقـى وجـمـالـي
بـجـنـاب ابـن سـالـم وحـمـاه احتمى جـانبي وجـاهي ومـالـي
مـثـلمـا كـنـت فـي عـراق دبيس لـم تكـن تخـطر الـهـمـوم ببـالـي
فـإذا سـاءلت قـشـيـر بـمـصـر ونـمـيـر بن عـامـر كيـف حـالـي
وكـلاب وفـتـيـة مـن عـقـيـل ورجـال بـبـرقـة مـن هـلال
كـان ردّ الـجـواب أني بـخـيـر مـا عـدت مـالكـاً صـروف الليـالي

ومالك المذكور هنا هو مالك بن سالم بن مالك العقيلي صاحب قلعة جعبر .

جلهمة بن حجر بن خزاعي بن مازن بن مالك بن عمرو بن تميم بن مر بن أدّ بن طابخة بن الياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان: الإمام أبو عمرو بن العلاء التميمي المازني البصري أحد القراء السبعة . واختلف في اسمه على أحد وعشرين قولاً . فقيل ربان ، وقيل زبان ، وقيل يحيى ، وقيل العريان وقيل جزء ، وقيل اسمه كنيته . قال الأصمعي : قلت لأبي عمرو ما اسمك ؟ قال : أبو عمرو . وقيل للمبرد إن قوماً يزعمون أن اسم أبي عمرو زبان . فقال : قد فتشت عن هذا بالبصرة ، وسألت مَنْ هناك من أهله وولده ، فلم يثبت له ولا لأخيه أبي سفيان اسم ، ولهما أخ آخر يقال له معاذ ، وقيل لجلالته عندهم كان يُهَابُ لأن يُسْأَلَ عن اسمه فلا يعرف إلا بكنيته[1] .

والصحيح انه زبّان لما روي أنّ الفرزدق جاء معتذراً إليه من أجل هجو بلغه عنه ، فقال له أبو عمرو :

هجوتَ زبانَ ثم جئتَ معتذراً   من هجو زبان لم تهجُ ولم تَدَعِ

ولد أبو عمرو بمكة سنة ثمان أو خمس وستين ومات بالكوفة سنة أربع وخمسين ومائة ، أخذ بمكة والمدينة والكوفة والبصرة عن شيوخ كثيرة منهم أنس بن مالك والحسن البصري وسعيد بن جبير وعكرمة ومجاهد ، وأخذ النحو عن نصر بن عاصم الليثي . وأخذ عنه القراءة عرضاً وسماعاً جماعةٌ كثيرون منهم عبد الله بن المبارك واليزيدي ، وأخذ عنه النحوَ الخليلُ بن أحمد ويونُس بن حبيب البصري وأبو محمد اليزيدي ، وأخذ عنه الأدب وغيره طائفة منهم أبو عبيدة معمر بن المثنى والأصمعي ومعاذ بن مسلم النحوي وغيرهم ، وروى عنه الحروفَ سيبويه ، وكان أعلمَ الناسِ بالعربية والقرآن وأيام العرب والشعر .

حدث أبو عبيدة[2] عن أبي عمرو قال[3] : طلب الحجاج أبي فخرج منه هارباً إلى اليمن فإنّا لنسير بصحراء اليمن فلحقنا لاحقٌ ينشد :

---

(1) فقيل ربان . . . إلا بكنيته : من المختصر ؛ وانظر نور القبس : 25 .

(2) هذه الفقرة مزيدة من المختصر حتى قوله : في كل يوم .

(3) قارن بنور القبس : 30 وإنباه الرواة 4 : 128 ـ 129 .

ربمـا تكرهُ النفـوسُ من الأَمْـــــرِ لها فَـرْجَةٌ كحـلِّ العقـالِ

(الفَرْجَةُ بالفتح في الأمر وبالضم في الحائط وغيره) .

قال : فقال أبي : ما الخبر ؟ فقالوا : مات الحجاج . قال أبو عمرو : فأنا بقول « فَـرْجة » أشـدُّ سروراً منّي بمـوت الحجاج . قـال ، فقال أبي : آصـرف ركابنـا إلى البصرة .

حدث الأصمعي قال[1] : كان لأبي عمرو كلَّ يوم فلسان من غلّته : فِلْسٌ يشتري به ريحاناً ، وفلسٌ يشتري به كوزاً فيشم الريحان ، ويشرب في الكوز يومه ، فإذا أمسى تصدق بالكوز وأمر الجارية أن تجفف الريحان وتدقه في الأشنان ، ثم يستجد غير ذلك في كل يوم .

وكان[2] أبو عمرو يقرىء الناس في مسجد البصرة والحسنُ البصري حاضر . ويروى أن الحسن لأجله قال : كاد العلماء يكونون أرباباً .

قيل : كان نقش خاتم أبي عمرو بن العلاء :

وإن امـرءاً دنيـاه أكبـر همـه لمستمسكٌ منها بحبلِ غـرورِ

وقيل : إنه لا يعرف له شعر إلا ما رواه بعضهم[3] :

وأنكرتني وما كـان الذي نكـرت من الحوادث إلا الشيبَ والصلعا

وكان أبو عمرو يقول: هذا البيت أنا قلته وألْحقته بشعر الأعشى. قال أبو عمرو بن العلاء : كنت معجباً به حتى لقيت أعرابياً فصيحاً فهماً فأنشدته إياه ، فقال : أخطأَتْ است صاحبه الحفرة ، ما الـذي يبقى بعد الشيب والصلع ؟ فعلمتُ أنّي لم أصنـع شيئاً . قال أبو عبيدة : سمعت بشاراً قبل ذلك بعشر سنين يقول : ما يشبهُ هذا شعر الأعشى .

حدث سفيان الثوري قال[4] : كنّا عند الأعمش وعنده أبو عمرو يحدث : كان

---

(1) إنباه الرواة 4 : 128 والمختصر .

(2) هذه الفقرة وبعدها فقرات حتى قوله . . . الشهيدة تؤجر : مزيد من المختصر .

(3) قارن بمراتب النحويين : 14 .

(4) مراتب النحويين : 16 ـ 17 .

رسول اللّه ، ﷺ يتخولنا بالموعظة . قال الأعمش : ومعنى يتخولنا ، يتعاهدنا ، فقال له أبو عمرو : إن كان يتعاهدنا فيتخوننا[1] ، فأما يتخوّلنا فيستصلحنا . فقال له الأعمش : وما يدريك ؟ فقال له أبو عمرو : إن شئتَ يا أبا محمد أن أعلمك الساعة أن اللّه ما علمك شيئاً مما تدعيه فعلت . قال أبو الطيب : والصحيح [ما] ذهب إليه أبو عمرو .

وقال الأصمعي : لقد ظلمه أبو عمرو . قال : يتخولنا ويتخوننا جميعاً ، فمن قال : يتخولنا يستصلحنا ، ومن قال يتخوننا يتعهدنا ؛ قال : والرواية باللام والمعنى متقارب .

وحدث أبو الطيب قال[2] : كان أبو عمرو يميل إلى القول بالإرجاء ، فحدث الأصمعي قال : قال عمرو بن عبيد لأبي عمرو : يا أبا عمرو ؟ وهل يخلفُ الله وعده ؟ قال لا ، قال : أفرأيت من أوعده اللّه عقاباً أيخلفُ وعده ؟ قال من العجمة أُتيت يا أبا عثمان ، إن الوعد غير الوعيد ، لأن العرب لا تعد عاراً ولا خلفاً أن تَعِدَ شراً ثم لا تفعله ، ترى ذلك كرماً وفضْلاً وإنما الخلف أن تعدَ خيراً ولا تفعله . قال له : أَوُجدَ هذا في كلامهم ، فأنشده :

ولا يرهبُ ابنُ العمِّ ما عشتُ صولتي ولا يختتي[3] من خشيةِ المتهدِّدِ
وإني وإنْ أوعدته أو وَعَدْتُهُ لمخلفُ إيعادي ومنجزُ موعدي

قال المؤلف : هذا جملة ما جرى بينهما من المناظرة على ما توجه في كتب العلماء ، ثم أضاف إليها بعض المعتزلة شعراً مولداً أتمّ الخبرَ به ، وجعل الحجةَ له فيهما . فقال عمرو بن عبيد : بل أنت يا أبا عمرو شغلك الإعرابُ عن طلب

---

(1) يتخوننا عند الأصمعي بمعنى يتعهدنا ؛ وفي رواية يتحولنا ـ بالحاء المهملة ـ أي يطلب الأحوال التي ننشط فيها .

(2) مراتب النحويين 17 ـ 18 والنقل هنا أوفى ، وفي المراتب المطبوع نقص ، وانظر إنباه الرواة 4 : 133 وأورد الصفدي جانباً من الخبر ثم قال : وهو خبر فيه طول استوفاه ياقوت في معجم الأدباء .

(3) يختتي : يستحي .

الصواب ، أما سمعت قول الآخر :

إن أبـا ثـابتٍ لمشتـرَكُ الـ ـخيـرِ شـريفُ الآبـاءِ والبيتِ
لا يُخلف الوعدَ والـوعيدَ ولا يبيتُ من ثـاره عـلى فَـوْتِ

حدث أبو حمزة الشحام قال : وقف علينا أبو عمرو بن العلاء في السوق يساومنا ببعض ما عندنا ، ثم قال : الغبن غبنان . قلنا : وما هما يا أبا عمرو ؟ قال : الغبن والغلاء ، فإذا استجدت ذهب أحدهما .

وحدث الأصمعي قال : سألت أبا عمرو بن العلاء عن أرهبته ورهبته ، فقال : ليستا سواء . فقلت : رهبته فرقته وأرهبته أدخلت الفَرَقَ قلبَه . فقال أبو عمرو : ذهب من يحسن هذا من ثلاثين سنة .

سئل أبو عمرو[1] : متى يحسن بالمرء أن يتعلم ؟ قال : ما دامت الحياة تحسن به .

أنشد أبو الحسن علي بن الحسن بن علي الشيرازي لأبي عمرو بن العلاء المقرىء :

دعِ الهمَّ بالرزق يا عاقلاً فـرَبُّكَ منه لنا قد فَرَغْ
فما لك منه إذا ما افتكرْتَ بعقل صحيح سوى ما مُضِغْ
أجاز التراقي[2] بلا مانعٍ وقابل بسالخوف لما بلغْ
فدع ذكرْ دنيا تبدّت لنا كسمِّ الشجاع إذا ما لدغْ
فإني خلوت بذكري لها وفارقْتُ إبليس لما نزغْ
فألفيتها مثل ماء الإناء وكلب العشيرةِ فيها يلغْ
فخلَّيْتُها عن قليً كلِّها وعلّلْتُ نفسي بأخذ البلغْ

سأل رجل[3] أبا عمرو بن العلاء حاجة فوعده بها ، ثم إن الحاجة تعذرت على

(1) إنباه الرواة 4 : 128 .
(2) هذا هو شكل الكلمة في ر ولا معنى لها ؛ والبيت كله غير واضح المعنى .
(3) إنباه الرواة 4 : 126 .

أبي عمرو ، فلقيه الرجل بعد ذلك ، فقال له : وعدتني يا أبا عمرو وعداً لم تنجزه . قال له أبو عمرو : فمن أَوْلَى بالغمّ أنا أو أنت ؟ قال الرجل : أنا . قال أبو عمرو : لا واللّه بل أنا . قال : وكيف ذلك أصلحك اللّه ، وأنا المدفوع عن حاجتي ؟ فقال : لأني وعدتك ، فأنت بفرح الوعد ، وأنا بهمّ الإنجاز ، وبتّ ليلتك فرحاً مسروراً ، وبتّ ليلتي مفكراً مهموماً ، ثم عاق القَدَرُ عن بلوغ الإرادة ، فلقيتَني مُدِلاً ، ولقيتكَ محتشماً ، فأنا أولى بالغم منك . قال : صدقت .

وحدث الأصمعي قال : غاب أبو عمرو عن البصرة عشرين سنة ثم رجع ففقد إخوانه الذين كانوا يجلسون إليه في مجلسه بجامع البصرة ، فأنشأ يقول :

يا منزلَ الحيِّ الذيـ ... ـن تَفَرَّقَتْ بهم المنازلْ
أصبحتَ بعد عمارة ... قفراً تهبُّ بكَ الشمائلْ
فلئن رأيتك موحشاً ... فبما رأيت وأنت آهِلْ

وحدث الأصمعي قال : كنا عند أبي عمرو بن العلاء فسأله رجل : لِمَ سُميت الخيل خيلاً ؟ فسكت أبو عمرو ، فقال فتى في المجلس : سميت خيلاً لاختيالها . فقال أبو عمرو : اكتبوا الاختيال من الخُيلاء ، وهو العُجْب .

قال الأصمعي : صنع أبو عمرو بن العلاء هريسة فكتب إليّ :

هلمّ إلى من عُذِّبَتْ طولَ ليلها ... بأضيق حبْسٍ في وطيسٍ مُسَعَّرِ
وقد جُلِدَتْ حدين وهي بريّة ... فحيّ على دفْنِ الشهيدة تؤجر

وكان يونس بن حبيب يقول : لو كان أحد ينبغي أن يؤخذ بقوله في كلّ شيء كان ينبغي أن يؤخذ بقول أبي عمرو بن العلاء .

وقال أبو عبيدة : أبو عمرو أعلم الناس بالقراءات والعربية وأيام العرب والشعر ، وكانت دفاتره ملءَ بيته إلى السقف ، ثم تنسك فأحرقها . وأما حاله في أهل الحديث فقد وثقه يحيى بن معين وغيره وقالوا : صدوق حجة في القراءة ، وله أخبار حسان ، ورُوي عنه فوائد كثيرة يطول ذكرها .

- 497 -

الزبير بن بكار بن عبد الله بن مصعب بن ثابت بن عبد الله بن الزبير بن العوام، أبو عبد الله القرشي الأسدي: كان علاّمة نسّابةً أخبارياً أعلم الناس قاطبة بأخبار قريش وأنسابها ومآثرها وأشعارها، وعلى كتابه في أنساب قريش الاعتماد في معرفة أنساب القرشيين. أخذ عن سفيان بن عيينة وغيره، وروى عنه ابن ماجة وابن أبي الدنيا وغيرهما، وكان ثقةً من أوعية العلم، ولا يلتفت لقول أحمد بن علي السليماني فيه إنه منكر الحديث.

وولد ونشأ بالحجاز ومات بمكة وهو قاضٍ لها، ليلة الأحد لسبع بقين من ذي القعدة سنة ست وخمسين ومائتين عن أربع وثمانين سنة. وكان أبوه أبو بكر بكار على قضاء مكة، ثم ولّى المتوكل الزبير ابنَه القضاءَ بعد أبيه، فلم يزل قاضيها إلى أن مات على ذلك. ودخل بغداد عدة دفعات.

حدث موسى بن هارون قال[1]: كنت بحضرة الأمير محمد بن عبد الله بن طاهر فاستأذن عليه الزبير بن بكار، فلما دخل عليه أكرمه وعظمه وقال له: إن باعدت بيننا الأنساب فقد قرّبت بيننا الآداب، وان أمير المؤمنين أمرني أن أدعوك وأقلدك القضاء[2] فقال له الزبير بن بكار: أبعد ما بلغت هذه السن ورويت أن من وُلي القضاء فقد ذبح بغير سكين أتولى القضاء؟ فقال له: فتلحق بأمير المؤمنين بسر من رأى، فقال له: أفعلُ، فأمر له بعشرة آلاف درهم وعشرة تخوت ثياب وظهر يحمله ويحمل ثَقَله إلى حضرة سُرَّ من رأى. فلما أراد الانصراف قال له: ان رأيت يا أبا عبد الله أن تفيدنا شيئاً نرويه عنك ونذكرك به، قال: نعم، انصرفتُ من عُمْرَةِ المحرَّم فبينا أنا بأثاية

397 - ترجمة الزبير بن بكار في الفهرست: 123 ونور القبس: 321 وتاريخ بغداد 8: 467 وبغية الطلب 7: 143 وابن خلكان 2: 311 وتذكرة الحفاظ وانظر مقدمة جمهرة نسب قريش حيث ذكر المحقق اثنين وعشرين مصدراً ترجمت له، وفي هذه الترجمة هنا زيادات كثيرة مأخوذة من المختصر، ورفع في المختصر نسبه إلى عدنان.

(1) ابن خلكان ومصارع العشاق 2: 56 وتاريخ بغداد: 469 مع اختلافات أساسية في الرواية.
(2) في المصادر السابقة: اختارك لتأديب ولده.

العَرْجِ إذا أنا بجماعة مجتمعة ، فأقبلتُ اليهم ، وإذا برجل كان يقنصُ الظباءَ وقد وقع ظبي في حبالته فذبحه فانتفض في يده ، فضرب بقرنه صدره فنشب القرن فيه فمات ، وإذا بفتاة أقبلت كأنها المهاة ، فلما رأت زوجها ميتاً شهقت ثم قالت :

يا خشنَ لو بَطَلٌ لكنّه أجلُ ... على الأثاية ما أودى به البطلُ
يا خشن جمع أحشائي وأقلقها ... وذاك يا خشن لولا غيرُهُ جللُ
أضحتْ فتاةُ بني نهدٍ علانيةً ... وبعلها في أكفِّ القوم محتملُ
وكنتُ راغبةً فيه أضنُّ به ... فحال من دون ظبي الريمة الاجلُ

ثم شهقت فماتت ، فما رأيت أعجب من الثلاثة : الظبي مذبوح ، والرجل جريح ميت ، والفتاة ميتة . فلما خرج قال الأمير محمد بن عبد اللّه : أيّ شيءٍ أفدنا من الشيخ ، قالوا : الأمير أعلم ، قال : قوله « أضحتْ فتاةُ بني نهدٍ علانيةً » أي ظاهرةً ، وهذا حرف لم أسمعه في كلام العرب قبل اليوم .

حدث المرزباني فيما أسنده إلى الزبير بن بكار قال[1] عادلت المتوكل على اللّه من الجوسق إلى المحمدية فلما سرنا قال لي : يا زبير ، من أفضل الناس بعد رسول اللّه ﷺ؟ قال : فورد عليَّ شيء لم أروِّ فيه ، فخفْتُ أن أقول : عليّ ، فيقول : تقدِّمُه على أبي بكر ، وخشيت أن أقول أبا بكر فيقول : فضلت على آل رسول اللّه ﷺ ، غيرهم . قال : فسكتّ فاقتضاني الجواب ، فسكتُّ . فقال : ما لك لا تجيب ؟ فقلت : يا أمير المؤمنين ، سمعت الناس بالمدينة يقولون : أبو بكر خير الصحابة ، وعليٌّ خير القرابة . قال : فأرضاه ذلك وكفّ .

حدّث ثعلب قال : كتب رجل إلى الزبير بن بكار يستجفيه ، فكتب إليه الزبير :

ما غيّر الدهر وداً كنتَ تعرفه ... ولا تبدلْتُ بعد الذكر نسيانا
ولا حمدت وفاءً من أخي ثقة ... إلا جعلتُكَ فوق الحمد عنوانا

قال الزبير : شيعني إسحاق بن إبراهيم التميمي ، وقال :

فراقُكَ مثلُ فراقِ الحياةِ ... وفقدُكَ مثلُ افتقادِ الديمْ

(1) نور القبس : 321 .

عليك السلامُ فكم من وفاءٍ أفارقُ منكَ وكم من كرمْ

وحدث الزبير قال : شكرت بعضَ الملوك على عارفةٍ له فما رأيته يقبل الشكر حق قبوله ، فأنشدته :

فلو كان يستغني عن الشكرِ ماجدٌ لعزّةِ مُلْكٍ أو علوِّ مكانِ
لما ندبَ اللّه العبادَ لشكرِهِ فقال اشكروني أيها الثقلان

قال المؤلف : هذا قول بشع شنع ، فإن اللّه تعالى ليس به فاقة إلى شكر عباده ، وإنما أدبهم بما أمرهم ، قلت : وإنما هذه استعارة حسنة .

قال الزبير : تشوّقْتُ إلى المدينة وأنا بالعراق فقلت :

ليت شعري وللّيالي صروفُ هل أرى مرّةً بقيعَ الزبيرِ
ذاك مغنىً ألذّه وقطينٌ تشتهي النفس أن تراه بخيرِ

قال الزبير[1] : جئت إلى الفتح بن خاقان أسأله أن يستأذن لي أمير المؤمنين المتوكل في الحج فوعدني ، فقلت له أنشدك ، وأنشدته :

ما أنت بالسبب الضعيف وإنما نُجْحُ الأمورِ بقوةِ الأسْبابِ
فاليومَ حاجتنا إليك وإنما يُرْجَى الطبيبُ لساعةِ الأَوْصَابِ

قال فاستأذن لي على المتوكل فخرج سعيد بن مسكين فقال : ادخل ، فدخلت فودعت أمير المؤمنين ، ثم خرجت وخرج الفتح ، فقال : جائزتك تلحقك ، وعهدك بالقضاء على مكة لاحِقٌ بك ، فلما صرتُ إلى منزلي إذا خادمٌ معه ثلاثون ألف درهم فقبضتها وخرجت إلى مكة ، فلما أردت الدخول إليها إذا رسولُهُ ومعه عهدي بالقضاء ، فدخلتها والياً عليها .

ثم مات بمكة في الوقت المقدم ذكره . وكان سبب موته أنه سقط من سطحٍ عُلُوُّهُ عشرةُ أذرع فانكسرت ترقوته ووركه فمات ، وصلى عليه ابنه مصعب ، وحضر جنازته محمد بن عيسى بن المنصور ودفن إلى جانب قبر علي بن عيسى الهاشمي في نقرة الحجون .

---

(1) نور القبس : 321 ـ 322 .

وقال الزبير : دخلتُ على المعتزّ باللّه وهو محموم فقال لي : يا أبا عبد اللّه ، إني قد قلتُ في ليلتي هذه أبياتاً ، وقد أعيا عليّ إجازة بعضها ، ثم أنشدني :

إني عرفتُ علاجَ القلب من وجع ... وما عرفتُ علاج الحبِّ والجزع
جزعتُ للحبِّ والحمّى صبرتُ لها ... إنّي لأعجبُ من صبري ومن جزعي
من كان يَشْغَلُهُ عن حبِّهِ وَجَعٌ ... فليس يشغلني عن حبكم وجعي

قال : فقلت :

وما أملَّ حبيبي ليلتي أبداً ... مع الحبيب ويا ليت الحبيب معي

قال : فأمر لي على البيت بألف دينار .

وقال الزبير : خطب إليَّ محمد بن الفضل بن الحسن العلوي أختاً لي فرددته ردّاً جميلاً فكتب إليَّ يفخر ويكثر فكتبت إليه : وصل كتابك يهدرُ بشقشقةٍ صلْماء (بشقشقة صلماء أي مشقوقة) عن شفة علماء (شفة علماء : الأعلم المشقوق الشفة العليا) تزعم أنك وأني، فَدُمْ حيث أنت، ودعني حيث أنا، فلعمري لَيُبطئن بي عنك الذي أسرع بك إلي ، والسلام .

قال : وتزوجت امرأةً ، وعندي أخرى فما زالت بي حتى طلقتها ، وأقبلت على بيت فيه كتب ، فجاءت المرأة فأخذت بعضادتي الباب، وقالت : لَكُتُبُكَ أشرُّ عليّ من أربع ضَرّات .

وللزبير بن بكار من التصانيف : كتاب نسب قريش وأخبارها . وكتاب أخبار العرب وأيامها . وكتاب نوادر أخبار النسب . وكتاب الموفقيات في الأخبار ألفه للموفق باللّه[1] . وكتاب أزواج النبي ﷺ . وكتاب وفود النعمان على كسرى . وكتاب الأوس والخزرج . وكتاب النحل ، قال ابن النديم : رأيته بخط ابن السكري . وكتاب نوادر المدينيين . وكتاب الاختلاف . وكتاب العقيق وأخباره . وكتاب إغارة كُثيِّر على الشعراء . وأخبار ابن ميادة . وأخبار ابن الدمينة . وأخبار ابن قيس الرقيات . وأخبار أبي دهبل الجمحي . وأخبار أبي السائب . وأخبار الأشعث . وأخبار الأحوص .

---

(1) نشره د . سامي مكي العاني ، بغداد 1972 .

وأخبار ابن هرمة . وأخبار توبة بن الحميّر وليلى الأخيلية . وأخبار أمية بن أبي الصلت . وأخبار حاتم . وأخبار حسان . وأخبار جميل . وأخبار عبد الرحمن بن حسان . وأخبار العرجي . وأخبار عمر بن أبي ربيعة . وأخبار كثيّر . وأخبار المجنون . وأخبار نُصيب . وأخبار هدبة بن الخشرم وزيادة ، وغير ذلك .

- 498 -

زكريا بن أحمد بن محمد بن يحيى بن محمد بن يحيى بن حمويه النسابة البزاز أبو يحيى : فاضل مشهور له معرفة بالأنساب . مات سنة ثمان وأربعين وثلاثمائة . له تصانيف في علوم الزيدية(1) وأخبارهم ، منها كتاب « الابانة عن الإمامة » .

- 499 -

زكريا بن يحيى بن عبد الرحمن الساجي البصري أبو يحيى : من أئمة أهل العلم والفضل . مات سنة سبع وثلاثمائة بالبصرة . وكان فيه فكاهةٌ زائدةٌ حتى قيل إنَّ له مجلساً للعلم ومجلساً للهو . وكان يقول : أصلحتُ سريرتي بيني وبين اللّه ، عز وجل ، لما بلغتُ الأربعين ، فما أبالي من طَعَنَ عليَّ . وكان يلقِّبُ الناسَ ، وقال : ما لقبتهم حتى لقبت نفسي وأهلي ، لقبي أنا الساقول ، وابني زيرك .

ذكر عنه أن رجلاً صار إليه ، فقال له قد مُحِنْتُ فَخُذْ بيدي ، فأراني رَجُلاً في ثقل

498 ـ هذه الترجمة من المختصر ؛ وانظر الوافي 14 : 201 (وهو ينقل عن ياقوت دون أن يصرّح بذلك) .

499 ـ هذه الترجمة من المختصر ؛ وانظر الفهرست: 266 وطبقات الشيرازي : 104 وسير الذهبي 14 : 197 وتذكرة الحفاظ: 709 وعبر الذهبي 2 : 134 وميزان الاعتدال 2 : 79 وطبقات السبكي 3 : 299 وطبقات الأسنوي 2 : 22 والبداية والنهاية 11 : 131 والوافي 14 : 205 وتهذيب التهذيب 3 : 334 ولسان الميزان 2 : 488 والشذرات 2 : 250 .

(1) ر : اليزيدية .

روح المعروف بفلان ، وكان هذا الرجل يُنْسَبُ إلى ثقل الروح ، فحلفْتُ بالطلاق أن حمار بن رزقويه أخف روحاً منه ، فقال له أبو يحيى : جئني بالحمار فجاءه به ، وكان جذعاً مربوعاً، فخرج من مجلسه في الجامع إلى بابَ الأحنف، ومعه أهل مجلسه ينظر إلى الحمار ، فقال اركبوه فركب ، وشوّر بين يديه فقال للرجل : أَقِمْ على زوجتك فهذا في الحمير أخف روحاً من ذاك في الناس .

له من الكتب كتاب في أخبار البصرة ، كتاب الأبلة ، كتاب في الجرح والتعديل .

ـ 500 ـ

زند بن الجون المعروف بأبي دلامة الكوفي : أسود من موالي بني أسد ، أدرك آخر أيام بني أمية ونبغ في أيام بني العباس ، وانقطع إلى السفاح والمنصور والمهدي ، ومات في خلافة المهدي سنة إحدى وستين ومائة . وله مع الخلفاء والأمراء أخبار كثيرة ونوادر جمة ، فمن ذلك ان أبا جعفر المنصور أمر اصحابه بلبس السواد وقلانس طوال ودراريع كتب عليها ﴿ **فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللَّهُ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ** ﴾ (البقرة: 137) وأن يعلقوا السيوفَ في المناطق ، فدخل عليه أبو دلامة في هذا الزيّ ، فقال له المنصور : كيف أصبحتَ يا أبا دلامة قال : بشرٍّ حالٍ يا أمير المؤمنين ، قال : كيف ذلك ويلك ؟ قال : وما ظنك يا أمير المؤمنين بمن أصبح وجهُهُ في وسطه ، وسيفه على استه ، ونبذ كتاب اللّه وراء ظهره ، وصبغ بالسواد ثيابه !! فضحك المنصور ووصله وأمر بتغيير ذلك الزي ، وفي ذلك يقول أبو دلامة[1] :

---

500 ـ ترجمة أبي دلامة في الشعر والشعراء: 660 وطبقات ابن المعتز: 54 والأغاني 10: 247 وتاريخ بغداد 8: 488 وابن خلكان 2: 320 وسير الذهبي 7: 374 والوافي 14: 216 والمؤتلف والمختلف: 231 والبداية والنهاية 10: 134 ومعاهد التنصيص 2: 211 والدميري 1: 163 والشذرات 1: 249 وله طرائف منثورة في كتب الأدب (ومكانه معجم الشعراء) وقد جمع ديوانه الدكتور رشدي علي حسن (بيروت 1985) .

(1) الأغاني 10 : 248 وديوانه : 60 (وفيه تخريج) .

وكنا نرجّي من إمامٍ زيادةً … فجادَ بطولٍ زادَهُ في القلانسِ
تراها على هامِ الرجالِ كأنها … دنانُ يهودٍ جُلِّلَتْ بالبرانسِ

وخرج[1] أبو دلامة مع روح بن حاتم المهلبي في بعث لقتال الشراة ، فلما نشبت الحرب أمره روح بمبارزة فارس من الشراة يدعو إلى البراز ، فقال أبو دلامة :

إني أعوذُ بِرَوْحٍ أن يقدّمني … إلى البراز فتخزى بي بنو أسدِ
إن البرازَ إلى الأقران أعلمه … مما يفرِّقُ بين الروح والجسدِ
قد حالفتك المنايا أن صمدتَ لها … وأنها لجميع الخلق بالرصدِ
إن المهلبَ حُبَّ الموتِ أورثكم … وما ورثتُ اختيار الموت عن أحدِ
لو أنَّ لي مهجةً أخرى لجدتُ بها … لكنها خُلِقَتْ فرداً فلم أجدِ

فضحك منه روح وأعفاه .

ولأبي دلامة شعر كثير كله جيد ، وفيما أوردناه منه كفاية .

ـ 501 ـ

زهير بن ميمون الفرقبي الهمداني [أبو محمد] : كان من أهل الكوفة ، وقيل له الفرقبي لأنه كان يتّجرُ إلى ناحية فرقب فنسب إليها وكان من أهل القرآن . مات في سنة خمس وخمسين ومائة في زمن المنصور وكان عالماً بالنسب .

501 ـ هذه الترجمة من المختصر ، وانظر الفهرست : 103 ونور القبس: 267 وإنباه الرواة 2 : 18 والوافي 14 : 228 . وقد وردت نسبته القرقبي ، والفرقبي (الأولى فاء) وقيل فيه : كان نحوياً قارئاً أخذ النحو عن أصحاب أبي الأسود ، وذكر المرزباني في نور القبس أن وفاته كانت سنة ست وخمسين ومائة ؛ ولم يذكر ياقوت قرقب في معجم البلدان وإنما ذكر فرقب (3 : 881) وقال : فُرْقُب موضع قال الفراء : ينسب إليه زهير الفرقبي من أهل القرآن. وقال الأزهري: الفرقبية : ثياب بيض من كتان والقرقبية كذلك .

(1) الأغاني 10 : 256 وديوانه : 44 .

ـ 502 ـ

زياد بن سلمى بن عبد القيس أبو أمامة العبدي المعروف بزياد الأعجم مولى عبد القيس : قيل له الأعجم للكنة كانت فيه ، أدرك أبا موسى الأشعري وعثمان بن أبي العاص وشهد معهما فتح اصطخر ، عدّه ابن سلام في الطبقة السادسة(1) من شعراء الاسلام .

وهمَّ الفرزدق بهجاء عبد القيس فأرسل إليه زياد لا تعجلْ حتى أهدي إليك هدية ، فبعث إليه :

فما ترك الهاجون لي إن هجوته ... مَصحّاً أراه في أديمِ الفرزدقِ
وما تركوا عظماً يُرَى تحت لحمه ... لكاسره أبقَوْهُ للمتعرقِ
سأكسرُ ما أبقوه لي من عظامه ... وانكتُ مخَّ الساقِ منه وأنتقي
وإنا وما تهدي لنا إن هجوتنا ... لكالبحر مهما يُلْقَ في البحرِ يغرقِ

فلما بلغ الفرزدق الشعر قال : ما إلى هجاء هؤلاء من سبيل ما عاش هذا العبد.

ودخل زياد على عبد الله بن جعفر فسأله في خمس ديات فأعطاه ، ثم عاد فسأله في خمس ديات أخر فأعطاه ، ثم عاد فسأله في عشر ديات فأعطاه ، فأنشأ يقول :

سألناه الجزيلَ فما تلكَّا ... وأعطى فوقَ مُنْيَتِنَا وزادا
وأحسنَ ثم أحسنَ ثم عُدْنا ... فأحسنَ ثم عُدْتُ له فعادا
مراراً لا أعودُ إليه إلاّ ... تبسَّمَ ضاحكاً وَثَنَى الوسادا

وقال يرثي المغيرة بن المهلّب :

502 ـ ترجمة زياد الأعجم في طبقات ابن سلام : 693 ـ 699 والشعر والشعراء : 343 والأغاني 15 : 307 والمؤتلف والمختلف : 193 ، 195 والكامل 2 : 226 والوافي 14 : 244 والفوات 2 : 29 ومعاهد التنصيص 2 : 173 وتهذيب التهذيب 3 : 370 والخزانة 4 : 192 وانظر التذكرة الحمدونية 2 : 157 (والتخريج) 342 (والتخريج) (وموقعه الصحيح في معجم الشعراء) .

(1) بل هو في الطبقة السابعة .

إنَّ السمــاحــةَ والمــروءةَ ضُمِّنـا … قبراً بمروَ على الطريقِ الواضـحِ
مات المغيرةُ بعد طولِ تَعَـرُّضٍ … للمــوتِ بين أسنـةٍ وصفــائـحِ
فـإذا مـررتَ بقبـره فـاعقـرْ بـه … كُومَ الهجانِ وكـلَّ طرف سـابحِ
وانضـحْ جـوانبَ قبـره بـدمـائهـا … فلقـد يكـون أخـا دمٍ وذبـائـحِ

وهي من أحسن المراثي .

توفي زياد في حدود المائة .

ـ 503 ـ

زياد بن عبد العزيز بن أحمد بن زياد الجذامي الأندلسي : [كان] بليغاً راوية للأخبار ، توفي سنة ثلاثين وأربعمائة . له من المصنفات : كتاب منار السراج في الردّ على القبري[1] . كتاب في الردِّ على منذر القاضي . أرجوزة .

ـ 504 ـ

زيد بن الحسن بن زيد بن الحسن بن زيد بن الحسن بن سعيد بن عضيهة ابن عمير بن الحارث الأصغر: ذي رعين ، تاج الدين أبو اليمن الكندي البغدادي ثم الدمشقي النحوي اللغوي المقرىء الحافظ المحدث الجامع لأسباب الفضائل ، محط الركبان ، حسنة الزمان : ولد ببغداد في شعبان سنة عشرين وخمسمائة ، وتوفي بدمشق

503 ـ هذه الترجمة من المختصر ؛ وانظر الصلة 1 : 186 والوافي 15 : 17 .

504 ـ ترجمة تاج الدين الكندي في إنباه الرواة 2 : 10 وابن خلكان 2 : 339 وذيل الروضتين : 95 والخريدة (قسم الشام) 1 : 100 ومرآة الزمان : 575 وتكملة المنذري 2 : 383 والوافي 15 : 50 وسير الذهبي 22 : 34 ومرآة الجنان 4 : 25 والبداية والنهاية 3 : 71 والجواهر المضية 1 : 246 والنجوم الزاهرة 6 : 216 وطبقات ابن الجزري 1 : 297 وبغية الوعاة 1 : 570 وإشارة التعيين (وراجع حاشية تكملة المنذري وحاشية سير الذهبي ففي التخريج استقصاء) ؛ وفي هذه الترجمة زيادات كثيرة من المختصر .

(1) م : القبرني (والنسبة إلى مدينة قبرة) .

سنة سبع وتسعين وخمسمائة[1]. وكان أبوه من كبار التجار وذوي الجِدَةِ واليسار، فاتفق له الشيخ الإمام أبو محمد عبد الله بن علي بن أحمد المقرىء المعروف بابن بنت الشيخ سبط أبي منصور الخياط فألقى اللّٰه محبّته في قلبه فلقّنَهُ القرآن وهو طفلٌ صغير، وأقرأه القراءات العشر، وله من العمر عشر سنين وأربعة أشهر، وشاهدَهُ خطُّ الشيخ له بذلك. فلما رأى الشيخ ذكاءه وحُسْن تقبُّله للعلم ازداد له حباً، وربّاه تربيةَ الولد البار، ونصحه وحمله إلى مشايخ وقته وعلماء أوانه، فقرأ عليهم القرآن، وصنَّفَ له كتباً في قراءاتهم، وأسمعه الحديث من نفسه ومن أهله في وقته، ووهب له جملةً من كتبه، واستجاز له من المشايخ ببغداد واستدعى له من مشايخ الأقطار، وكان ذلك سراً اطّلع عليه الشيخ أبو محمد ظهر به نبأُهُ بعد حين. وكان كلما قرأ عليه القراءات بروايةٍ دعا له تارةً بطول العمر وتارة بحسن القبول، وتارة بالإفادة، وتارة بالتوفيق والسعادة، إلى غير ذلك من الدعوات، فما منها شيء إلا وقد استجيب له فيه. وبلغ عددُ مَنْ قرأ عليه من الشيوخ الذين لقيهم وسمع منهم، وأجازوا له من الأقطار سبعمائة ونيّفاً وستين شيخاً من رجل وامرأة.

ومن عجائب ما وقع له من الأسانيد ما أخبرنا به ـ أيده الله ـ قال: أخبرنا القاضي أبو بكر ابن محمد بن عبد الباقي بن محمد بن عبد اللّٰه الأنصاري العدل قاضي البيمارستان قراءةً عليه وأنا أسمع في صفر سنة اثنتين وثلاثين وخمسمائة قال: أنبأنا أبو إسحاق إبراهيم بن عمر بن أحمد الفقيه الحنبلي الرملي قراءة عليه، وأنا أسمع، قال: أنبأنا أبو محمد عبد اللّٰه بن إبراهيم بن أيوب بن ناس البزار قراءة عليه في المحرم سنة ثمان وستين وثلاثمائة، قال: أنبأنا أبو مسلم إبراهيم بن عبد اللّٰه البصري اللخمي قال: أنبأنا محمد بن عبد اللّٰه الأنصاري عن ابن عون عن الشعبي قال: سمعتُ النعمان بن بشير قال: سمعت رسول اللّٰه، ﷺ، يقول: «إن الحلال بيّنٌ، وإن الحرام بيّن، وإن بين ذلك أموراً مشتبهات، وربما قال مشتبهة، وسأضرب لكم في ذلك مثلاً: إن للّٰه حمىً، وإن حمى الله ما حَرَّم الله، وإن من يَرْعَ حَوْلَ الحمى

(1) أجمعت المصادر على أنه توفي سنة 613.

يوشكُ أن يخالطَ الحمى ، وربما قال : يخالطَ الريبة ، يوشك أن يحشر . وهذا حديثٌ مُجْمَعٌ على صحته ، وهو أحد الأحاديث التي اتفق أئمة الحديث على أن مدار السنة عليها ، وقد أخرجه البخاري ومسلم في صحيحيهما ، وأبو داود والنسائي في سُنَنه ، وغيرهم من الأئمة في كتبهم من عدة طرق . وأخرجه مسلم بن الحجاج في العدد إلى الشعبي . وقد مات مسلم سنة إحدى وستين ومائتين ، فيكون من سمعه من تاج الدين أبو اليمن كمن سمعه من مسلم .

وله عوالٍ كثيرة يعجز عن تعدادها . وتفرد برواية كثيرٍ من الكتب لا يشركه فيها أحد ، وفي كثرة ما صحبته وحضرت مجلسه ما رأيتُ القارئَ قرأ عليه كتاباً من مروياته وعلى الخصوص الأدبية واللغوية والنحوية ونحوها إلا وهو يسابقُ القارئَ إلى ما يقرأه بالإشارة إلى المعنى أو إيراد اللفظ . وقلَّما سُئلَ عن مسألة إلا وأجاب فيها ، ثم استدعى الكتاب في الحال وأخرج المسألةَ منه توافق ما أجاب به ، فقيل له : أيّ حاجة إلى إحضار الكتاب وقولك حجةٌ بالغة ؟ فقال كلاماً معناه يزيدُ تثبتُ السائِل وتحقّقُ المسؤول .

وتفرّد بالسماع والرواية من جماعة مشايخ ، وخرج من بغداد وقصد همذان ، وتفقّه على سعد الراوي . واتفق أن والده حجَّ وتوفي ، فلما بلغه خبر والده عاد إلى بغداد ، وأقام بها مدة ، ثم أصعد إلى الشام ، واتصل بعز الدين فروخ شاه وصحبه عشر سنين ما فارقه ساعة واحدة ثم التحق بأخيه من بعده تقي الدين .

وقد قرأ النحو على أبي محمد سبط أبي منصور الخياط وعلى أبي السعادات هبة الله ابن الشجري وابن الخشاب ، واللغةَ على أبي منصور موهوب الجواليقي وسمع الحديث من ابن عبد الباقي وآخرين .

ولما قدم دمشق تقدَّم فيها وتصدَّر وازدحم عليه الطلاب ، وانتقل من مذهب الحنابلة إلى مذهب الحنفية فتوغل فيه وأفتى ، واستوزره فروخ شاه ، ثم اتصل بأخيه صاحب حماة واختص به . وقرأ عليه الملك المعظم عيسى العربية فأقرأه « كتاب سيبويه » و « الإيضاح » لأبي علي الفارسي و « شرح سيبويه » لابن درستويه وقرأ عليه جماعةٌ القراءةَ والنحوَ واللغة ، وكتب الخطَّ المنسوبَ ، وكانت له خزانة كتب جليلة في

جامع بني أمية . وله تعليقات على ديوان المتنبي وأخرى على خطب ابن نباتة . وكتاب نتف اللحية من ابن دحية ردّ فيه على ابن دحية الكلبي في كتابه الذي سماه « الصارم الهندي في الردّ على الكندي » وكتاب في الفرق بين قول القائل طلقتكِ إن دخلتِ الدار وبين إن دخلتِ الدار طلقتك ، ألفه جواباً لسؤالٍ ورد عليه ، وله غير ذلك .

وقال لي تاج الدين : كنت في صغري وقت اشتغالي بالعلم أبغضَ إخوتي إلى أبي لأنه كان يُريدني أشتغلُ بالمتجر ، وكنت أنا أشتغل بالعلم ، وكان ذلك سعادةً منحني اللّه تعالى بها ، فإنني اكتسبت بالعلم مقدار أربعين ألف دينار وهبتُها جميعها لمن يلوذ بي حتى إن الدار التي أنا مقيمٌ فيها كتبتها لهم .

وكان لتاج الدين غلامان أحدهما اسمه ياقوت ، وسمي فيما بعد يعقوب ، والآخر يحيى ، وهو ابن غلامٍ له فخوّلهما جميع ما يملك .

وأقول : ما أظن أن أحداً نال من العلم ، وبلغ منه ما بلغ تاج الدين ، فإني رأيتُ الملك المعظم ابن الملك العادل ، وهو صاحبُ الشام ، والمتملك عليها ، وهو يقصدُ منزله راجلاً ليقرأ عليه النحو ، ولا يكلّفه مشقةَ المجيء إلى خدمته . ورأيتُ على بابه من المماليك الأتراك وغيرهم ما لا يكون إلا على باب ملك ، ومن الآدر والبساتين ما لا يحصى .

وكان الكندي يكثر الجلوس في دكان رجل عطّار يتطبّب ، فجاءته امرأةٌ تستوصفه شيئاً فطلبت منه حاجةً فأعطاها ، وأخرى وأخرى إلى أن ضجر ، فقال لها في كلام دار بينهما : يا امرأة ، أخذتي واللّه مُخّي ، فقال الكندي مسرعاً : لا تلمها ، فإنها محتاجةٌ إليه تريد تطعمه لزوجها (جعله حماراً) .

ومدح الشيخ أبا اليمن شجاع بن الدهان البغدادي ، فقال[1] :

يا زيدُ زادَكَ ربّي من مواهبه نعماءَ يَقْصُرُ عن إدراكها الأَمَلُ
لا غيّر اللّه حالاً قد حباك بها ما دار بين النحاة الحال والبدلُ
النحوُ أنت أحقُّ العالمين به لأن باسمك فيه يُضْرَبُ المثلُ

(1) سير الذهبي : 39 .

ومن شعر تاج الدين[1] :

لامني في اختصار كتبي حبيبٌ فرَّقَتْ بينه الليالي وبيني
كيف لي لو أطلتُ لكنَّ عذري فيه أنَّ المدادَ إنسانُ عيني

وكتب إلى القاضي محيي الدين ابن الشهرزوري من أبيات[2] :

إني علقت بمحيي الدين معتضداً فعاد تقبيحُ دهري وهو إحسانُ
وكم رأيتُ لغيري غَيْرَهُ عضداً لكنْ أولئك مرعىً وهو سَعْدانُ

ووجدت له مقطعات كثيرة من الشعر ، إلا أنه كان في باقي الفضائل أطول يداً من الشعر ؛ وفيه يقول علم الدين السخاوي[3] :

لم يكن في عصرِ عمرٍو[4] مثلُهُ وكذا الكنديُّ في آخرِ عصرِ
فهما زيدٌ وعمرو إنما بُنِيَ النحوُ على زيد وعمرو

ـ 505 ـ

زيد بن الحسن الأحاظي التميمي : أديب شاعر كان بعد الخمسمائة ، ومن شعره قوله في سلطان شاحط من بلاد اليمن :

قالوا لنا السلطان في شاحطِ يأتي الزنا من موضعِ الغائطِ
قلتُ هل السلطانُ من فوقه؟ قالوا بل السلطانُ من هابطِ

505 ـ ذكره ياقوت في معجم البلدان « شاحط » وأورد البيتين .

(1) الوافي 14 : 54 .
(2) المصدر السابق .
(3) سير الذهبي : 39 والوافي 14 : 52 .
(4) عمرو هو سيبويه .

- 506 -

زيد بن الربيع بن سليمان الحجري : يعرف بزيد البارد ، من أهل الأندلس . مات سنة ثلاث وثلاثمائة .

- 507 -

زيد بن عبد الله بن رفاعة الهاشمي أبو الخير : أحد الأدباء العلماء الفضلاء . كان معاصر الصاحب بن عباد ، وكان يعتقد رأي الفلاسفة . أقام بالبصرة زمناً طويلاً ، وصادف بها جماعة جامعة لأصناف العلم منهم أبو سليمان محمد بن مسعر البستي ، ويعرف بالمقدسي ، وأبو الحسن علي بن هارون الزنجاني ، وأبو أحمد النهرجوري والعوفي وغيرهم فصحبهم وخدمهم ، وكانت هذه العصابة قد تآلفت بالعشرة ، وتصافَتْ بالصداقة ، واجتمعت على القدس والطهارة والنصيحة ، فوضعوا بينهم مذهباً ، وزعموا أنهم قَرَّبُوا به الطريقَ إلى الفوز برضوان الله والمصير إلى جنته وذلك أنهم قالوا : الشريعةُ قد دُنِّسَتْ بالجهالات ، واختلطت بالضلالات ، ولا سبيل إلى غَسْلها وتطهيرها إلا بالفلسفة ، لأنها حاويةٌ للحكمة الاعتقادية والمصلحة الاجتهادية ، وزعموا أنه متى انتظمت الفلسفة اليونانية والشريعة العربية فقد حصل الكمال ، وصنفوا خمسين رسالة في جميع أجزاء الفلسفة علمها وعملها ، وأفردوا لها

---

506 - هذه الترجمة من المختصر ؛ وانظر طبقات الزبيدي : 284 والمقتبس لابن حيان (انطونية) : 48 والتكملة 1 : 331 وإنباه الرواة 2 : 15 والوافي 15 : 50 وبغية الوعاة 1 : 573 وقال الزبيدي وابن الأبار : كان له حظ من العربية واللغة وقرض الشعر ، وكان حسن الضبط للكتب متقناً لها ، وهو الذي جمع بين الأبواب في كتاب الأخفش فاقتدى به الناس ، وكانت مفرقة . ووفاته عند الزبيدي وابن الأبار : سنة ثلاثمائة .

507 - هذه الترجمة من المختصر ، وانظر الامتاع والمؤانسة 2 : 4 (وعنه ينقل ياقوت) وعن ياقوت ينقل الصفدي مصرحاً بذلك في الوافي 15 : 48 وتاريخ بغداد 8 : 450 وميزان الاعتدال 2 : 103 ولسان الميزان 2 : 506 وتاريخ حكماء الإسلام للبيهقي 35 - 36 ونزهة الأرواح 2 : 20 . وقد حدث زيد ببلاد الجبال وخراسان عن ابن دريد وابن الأنباري بكتب الأدب ، وذكره القاضي التنوخي وقال : أعرفه ، كان يتولى العمل لمحمد بن عمر العلوي على بعض النواحي ، ولم نعرفه بشيء من العلم ولا سماع الحديث ، وكان يذكر لنا عنه أنه يذهب مذهب الفلاسفة .

فهرستاً ، وسَمَّوْهَا « رسائل إخوان الصفا » وكتموا أسماءهم ، ونشروها في الوراقين ووهبوها للناس ، وادَّعَوْا أنهم ما فعلوا ذلك إلا ابتغاءَ وَجْه اللّه ، وطلبَ رضوانه ، وحشوا هذه الرسائل بالكلمات الدينية والأمثال الشرعية ، والحروف المحتملة ، والطرق المموهة ، وحيث اعتبرت هذه فَوُجِدَتْ متنوِّقةً من كل فن نتفاً بلا إشباع ولا كفاية ، وفيها خرافاتٌ وكنايات وتلفيقات وتلزيقات ، وقد غرق الصواب فيها لغلبة الخطأ عليها ، وحملت إلى الشيخ أبي سليمان محمد بن بهرام المنطقي السجستاني ، ونظر فيها أياماً وتبحرها طويلاً ، وقال : تَعِبُوا وما أَغْنَوْا ، ونَصِبُوا وما أَجْدَوْا ، وحاموا وما وردوا ، وغنَّوا وما أطربوا ، ظنوا ما لم يكن ولا يكون ولا يستطاع ، ظنُّوا أنهم يدسُّونَ الفلسفة التي هي علم النجوم والأفلاك والمقادير والمجسطي وآثار الطبيعة والموسيقا الذي هو معرفة النغم والإيقاعات والنقرات والأوزان ، والمنطق الذي هو اعتبار الأقوال بالإضافات والكميات والكيفيات في الشريعة . وأن يطفئوا الشريعة بالفلسفة ، وهذا مَرامٌ دونه حَدَد ، قد تورَّك على هذا قبل هؤلاءِ قومٌ كانوا أحدَّ أنياباً وأحضرَ أسباباً ، وأعظمَ أقداراً ، فلم يتمَّ لهم ما أرادوه ، ولا بلغوا ما أمّلوه ، وحصلوا على لُوثاتٍ قبيحة ،وعواقبَ مُخْزِيةٍ،إلى كلام طويل من هذا الباب .

قال زيد بن رفاعة الهاشمي : سمعت أبا بكر الشبلي ينشد في جامع المدينة والناس حوله :

يقولُ خليلي كيف صَبْرُكَ عنهمُ   فقلت وهل صبْرٌ فيسألُ عن كيفِ
بقلبي هوىً أذكى من النارِ حَرّهُ   وأحلى من التقوى وأمضى من السيفِ

ومما رواه عن ابن عباس ، رضي اللّه عنه ، في قوله تعالى : ﴿ خُلِقَ الإنسانُ ضعيفاً ﴾ قال : أي شيء أضعف من الإنسان ؟ ينطق بلحم ، ويبصر بشحم ، ويسمع بعظم . أي شيء أضعف من الإنسان ؟ يهلك إن فارق الهواء ، أو عدم الغذاء ، أو فقد المأوى . أي شيء أضعف من الإنسان؟ تبطره النعمة، وترضيه اللقمة ، وتصرعه النقمة .

ـ 508 ـ

زيد بن عبد الوهاب بن محمد الأردستاني : القاضي أبو الطيب ، وكان من ملازمي مجلس نظام الملك .

ـ 509 ـ

زيد بن علي بن عبد اللّه ، أبو القاسم الفارسي الفسوي : كان علّامة فاضلاً نحوياً لغوياً مشاركاً في عدة علوم ، أخذ النحو عن أبي الحسين ابن أخت أبي علي الفارسي وروى عنه « الايضاح » لخاله ، وقرأ على الشريف أبي البركات عمر بن إبراهيم الكوفي[1] ، وأخذ الحديث عن أبي ذر الهروي[2] وغيره . وأقرأ العربية بحلب ودمشق . وله « شرح الإيضاح في النحو » لأبي علي الفارسي . وشرح الحماسة لأبي تمام ، وغير ذلك . مات بطرابلس في ذي الحجة سنة سبع وستين وأربعمائة .

ومما أنشده لأربون[3] الفارسي :

الـزمْ جفـاءَكَ لي ولـو فيـه الضنـا   وارفـعْ حـديثَ البينِ عمـا بيننـا
فَسَمـومُ هجرك في هـواجره الأذى   ونسيمُ وصلك في أصـائله المنى

ـ 510 ـ

زيد بن كثرة : أعرابي قدم البصرة ، وأقام بمربدها ، وأُخِذَتْ عنه اللغة .

---

508 ـ هذه الترجمة من المختصر ، وانظر دمية القصر 1 : 463 وتلخيص مجمع الآداب 4 : 460/3 والوافي 15 : 49 . وأورد له الصفدي ثلاث مقطعات .

509 ـ ترجمة زيد بن علي الفارسي في مصورة ابن عساكر 6 : 657 وتهذيبه 6 : 28 (ولم يورده ابن منظور في مختصره) وإنباه الرواة 2 : 17 وبغية الطلب 8 : 124 وبغية الوعاة 3 : 393 وزعم القفطي في انباه الرواة أنه ابن أخت أبي علي الفارسي ، والصحيح أنه يروي عن ابن أخت أبي علي . والبيتان من المختصر .

510 ـ هذه الترجمة من المختصر .

(1) كان ذلك في عام 455 .

(2) في بغية الطلب : عن أبي عبيد نعيم بن مسعود الهروي .

(3) بغية الطلب : لأبزون .

- 511 -

زيد بن مرزكّة الموصلي : [كان] نحوياً شاعراً أديباً إلا أنه كان رافضياً دجالاً ، وكان أصله من قرية من قرى الموصل تدعى « عين سعي » ومن شعره الذي أبان عن سوء مذهبه قوله يستطرد بأبي بكر ، رضي اللّه عنه :

وإذا لـزمتَ زمـامَـهـا قَـلِقَـتْ قـلقَ الخـلافـة فـي أبـي بـكـر

ومن جيد شعره قوله يرثي الحسين بن علي ، صلوات اللّه عليهما من قصيدة :

فلولا بكاء المزن حزناً لفقده لما جاءنا بعد الحسين غمامُ
ولو لم يشقَّ الليلُ جلبابَهُ أسىً لما انجابَ من بعدِ الحسينِ ظلامُ

---

511 ـ هذه الترجمة من المختصر ، وقد قال ياقوت في ترجمة علي بن دبيس النحوي الموصلي : وأخذ عنه زيد مرزكة ، وهو مذكور في بابه . وقد وردت ترجمة زيد هذا في الوافي 15 : 58 وخريدة القصر (قسم الشام) 2 : 301 وبغية الوعاة 1 : 574؛ ومرزكة بفتح الميم وسكون الراء وفتح الزاي وتشديد الكاف .

حرف السين

\- 512 -

ساتكين [بن] أرسلان التركي ، أبو منصور المالكي الأديب : لـه كتاب في النحو لطيف ، مات سنة ثمان وثمانين وأربعمائة [بالقدس] .

\- 513 -

سالم بن أحمد بن سالم شيخنا أبو المرجي بن أبي الصقر التميمي الحاجب المعروف بالمنتجب ، الأديب النحوي العروضي البغدادي : مات ببغداد يوم الأحد خامس ذي القعدة سنة إحدى عشرة وستمائة .

هذا أول شيخ قرأت عليه بدمشق(1)، وكان تاجراً ذا ثروةٍ حسنة مُبَخَّلاً . وكان قد قرأ النحو على أبي البقاء العكبري وغيره وكان أديباً فاضلاً نحوياً متفرداً بالعروض ، سمع صحيح مسلم من المؤيد الطوسي ، وكان محبوبـاً حسن الأخلاق قـرأت عليه العربية والعروض ببغداد، وله تصانيف: كتاب « أرجوزة في النحو » على مثال أرجوزة

512 ـ هذه الترجمة من المختصر . وانظر إنباه الرواة 2 : 69 ومصورة ابن عساكر 7 : 8 وتهذيبه 6 : 44 (ولم يورده ابن منظور في مختصره) والوافي 15 : 75 .

513 ـ هذه الترجمة موجودة في م ، ولكنها موجزة ، ومعظم مادتها من المختصر وانظر إنباه الرواة 2 : 67 ، 68 (ترجم له مرتين) والوافي 15 : 78 وبغية الوعـاة 1 : 574 وروضات الجنـات 4 : 28 . وذكر القفطي تاريخ وفاته كما ورد هنا ، وقال : كان من ساكني درب القرنفليين ببغداد وأنه قرأ على الشيخ أبي البقاء النحوي (يعني العكبري) وأبي الخير مصدق بن شبيب وأبي البركات ابن الأنباري وصحب الوجيه النحوي .

(1) لعل ذكر دمشق هنا سهو ، لأنه سيذكر في ما يلي أنه قرأ عليه ببغداد .

الحريري . كتاب في صناعة الشعر جيد نافع . كتاب في القوافي . كتاب في العروض ، فمن شعره :

يا ماجداً جَلَّ أن يُهْدَى لمكرمةٍ … لأنه بالدنايا غير موصوفِ
إن قلت جُدْ بعد دَعْوَايَ التي سبقت … من عفتي وإبائي خفت تعنيفي
هَبْ أنني تبتُ لا أرجو ندى أحدٍ … يوماً فهل تُبْتَ عن إسداءِ معروف

وأنشدني له يرثي الإمام مجد الدين أبا سعيد عبد الله بن عمر بن أحمد بن منصور الصَّفَّار :

عليكَ فتى الصفّار في كلِّ ليلةٍ … صلاةٌ من الرحمن دائمة تترى
أفدت الورى حياً بعلمك والنهى … وزاروك ميتاً فاستفادوا بك الأجرا
وكنت لهم في الأرضِ ذخراً لفاقةٍ … فصرْتَ لهم في يوم بعثهمُ ذخرا
مضيتَ وأبقيتَ الشهابَ أخا التقى … ففارقنا خيرٌ وأبقى لنا خيرا
أيا زائري قبر الإمام هُديتمُ … إذا أنتمُ عاينتمُ ذلك القبرا
فقولا له من بعد كلِّ تحيةٍ … فديناك من قبرٍ حوى لحدُهُ بحرا

- 514 -

سالم بن عبد الله ، ويقال ابن عبد الرحمن أبو العلاء ، مولى هشام بن عبد الملك وكاتبه على ديوان الرسائل : وكان سالم أستاذَ عبد الحميد بن يحيى الكاتب ، كاتب مروان بن محمد وختنه . حدث زياد الأعجم قال : حضرت جنازة هشام بن عبد الملك فسمعت أبا عبد الأعلى ينشد :

وما سالمٌ عما قليلٍ بسالمٍ … وإن كَثُرَتْ أَحْرَاسُهُ ومواكِبُهْ

---

514 ـ هذه الترجمة من المختصر . انظر الفهرست : 131 وأنساب الأشراف (المخطوط) ومصورة ابن عساكر 7 : 39 وتهذيبه 6 : 57 وبغية الطلب 8 : 188 والجهشياري : 62 والوافي 15 : 86 وانظر كتابي : عبد الحميد بن يحيى الكاتب ، ففيه دراسة عن سالم ورسائل له .

وإن كان ذا بابٍ شديدٍ وحاجبٍ فَعَمّا قليلٍ يَهْجُرُ البابَ حاجبهْ
ويصبحُ بعد الحجبِ للناسِ مفرداً رهينةَ بيتٍ لم تُسَتَّر جوانبهْ
فنفسَكَ فاكْسِبْهَا السعادةَ جاهداً فكلُّ امرىءٍ رَهْنٌ بما هو كاسبهْ
وما كان إلا الدفن حتى تفرَّقَتْ إلى غيره أفراسُهُ ومراكبهْ
وأصبح مسروراً به كلُّ كاشحٍ وأسْلمه أصحابُهُ وحبائبهْ

له كتاب رسائل مدوّنة نحو مائة ورقة .

515 ـ

السائب بن فروخ أبو العباس الضرير المكي الشاعر ، مولى بني جذيمة بن عليّ بن الديل : سمع عبد اللّه بن عمرو بن العاص ، وروى عنه عطاء[1] وحبيب بن أبي ثابت وعمرو بن دينار . ووثقه أحمد ، وروى له البخاريّ ومسلم والترمذي وأبو داود والنسائي وابن ماجة . وكان منحرفاً عن آل أبي طالب مائلاً إلى بني أمية مادحاً لهم ، وهو القائل لأبي الطفيل عامر بن واثلة وكان شيعياً :

لعمرك إنني وأبا طفيلٍ لمختلفانِ واللّهُ الشهيدُ
لقد ضلوا بحبِّ أبي ترابٍ كما ضلَّتْ عن الحقِّ اليهودُ

وهو القائل يرثي بني أمية عند انقضاء دولتهم :

آمتْ نساءُ بني أميةَ منهم[2] وبناتهم بمضيعةٍ أيتامُ
نامتْ جدودهُم وأُسْقِطَ نجمهم والنجمُ يسقطُ والجدودُ تنامُ
خلتِ المنابرُ والأسرَّةُ منهم فعليهمُ حتى المماتِ سلامُ

توفي أبو العباس الأعمى بعد ست وثلاثين ومائة .

---

515 ـ ترجمة السائب بن فروخ في الأغاني 16 : 228 والوافي 15 : 106 ونكت الهميان : 153 والفوات 2 : 41 وتهذيب التهذيب 3 : 449 والتاريخ الكبير للبخاري 4 : 154 .

(1) يعني عطاء بن أبي رباح .
(2) م : امست . . . أيماً .

ـ 516 ـ

سحيم بن حفص أبو اليقظان الراوية الأخباريّ النسابة : كان أمياً لا يكتب ، وكان أنسب الناس وكان عاراً على أبي عبيدة وكان أبو عبيدة عاراً على الناس. توفي سنة تسعين ومائة . ذكره ابن النديم وذكر له من المصنفات : كتاب أخبار تميم . كتاب حلف تميم بعضها بعضاً . كتاب نسب خندف وأخبارها . كتاب النسب الكبير . كتاب النوادر .

ـ 517 ـ

سراج بن عبد الملك بن سراج أبو الحسين بن أبي مروان النحوي اللغوي الأخباري الأديب الشاعر : كان عالمَ الأندلسِ في وقته ، كان يجتمعُ إليه مَهَرَةُ النحاة كابن الابرش وابن الباذش ومن في طبقتهما يتلقون عنه لوقوفه على دقائق النحو ولغات العرب وأشعارها وأخبارها ، روى عنه القاضي عياض وابن خير وغيرهما ، ومن شعره :

بثَّ الصنائعَ لا تَحْفَلْ بموقعها ... في آملٍ شَكَرَ المعروفَ أو كفرا
كالغيثِ ليس يبالي حيثما انسكبتْ ... منه الغمائمُ ترباً كان أو حجرا

مات ابن أبي مروان سنة ثمان وخمسمائة .

---

516 ـ الفهرست : 106 ـ 107 والمختصر (وقيل سحيم لقب واسمه عامر بن حفص، وقال أبو اليقظان : سمتني أمي خمسة عشر يوماً عبيد الله . قال المدائني : فاذا قلت حدثنا أبو اليقظان أو سحيم بن حفص وعامر بن حفص وعامر بن أبي محمد وعامر بن الأسود وسحيم بن الأسود . . . فهو أبو اليقظان) .

517 ـ ترجمة أبي الحسين ابن سراج في الصلة : 222 والذخيرة 1/2 : 821 والقلائد : 202 والغنية : 201 والمغرب 1 : 116 ومعجم شيوخ الصدفي : 305 وأخبار وتراجم أندلسية : 132 والمطرب : 123 وإنباه الرواة 2 : 66 والوافي 15 : 128 وبغية الوعاة 1 : 576 والديباج المذهب : 126 وترتيب المدارك 8 : 142 والخريدة 3 : 484 والمسالك 11 : 414 ومعجم السفر : 411 .

- 518 -

السريّ بن أحمد بن السريّ أبو الحسن الكندي المعروف بالسريّ الرفاء الموصلي الشاعر المشهور: أسلمه أبوه صبياً للرفائين بالموصل فكان يرفو ويطرز، وكان مع ذلك ينظم الشعر ويجيد فيه، كتب إليه في ذلك الحال صديقٌ له يسأله عن خبره وحاله في حرفته، فكتب إليه[1]:

يكفيك من جملة أخباري ... يُسْري من الحبِّ وإعساري
في سوقةٍ أفضلُهُمْ مرتدٍ ... نقصاً ففضلي بينهم عاري
وكانت الابرةُ فيما مضى ... صائنةً وجهي وأشعاري
فأصبح السرزقُ بها ضيّقاً ... كأنه من ثقبها جار

فلما جاد شعره انتقل من حرفة الرفو إلى حرفة الأدب، واشتغل بالوراقة فكان ينسخ ديوان شعر كشاجم وكان مُغْرىً به، وكان يَدسُّ فيما يكتبه منه أحسنَ شعر الخالديين ليزيد في حجم ما ينسخه وينفّقَ سوقه ويشنع بذلك على الخالديين لعداوة كانت بينه وبينهما، فكان يدعي عليهما سرقة شعره وشعر غيره، فكان فيما يدسُّه من شعرهما في ديوان كشاجم يتوخى اثبات مدّعاه.

ولم يزل السريّ في ضنك من العيش إلى أن خرج إلى حلب واتصل بسيف الدولة ومدحه وأقام بحضرته، فاشتهر وبعُد صيته ونفق سوق شعره عند أمراء بني حمدان ورؤساء الشام والعراق. ولما مات سيف الدولة انتقل السريُّ إلى بغداد ومدح الوزير المهلبي[2] وغيره من الأعيان والصدور، فارتفق وارتزق وحسنت حاله وسار

518 - ترجمة السريّ الرفاء في الفهرست: 195 (ونقلها ابن العديم في البغية 8: 229) واليتيمة 2: 117 وتاريخ بغداد 9: 194 وبغية الطلب 8: 227 وابن خلكان 2: 104 والوافي 15: 136 ومعاهد التنصيص 3: 280؛ قلت: ويبدو أن هذه الترجمة موجزة لأن ابن العديم ينقل عن ياقوت أخباراً لم ترد هنا.

(1) اليتيمة 2: 117 (قال الثعالبي: وهذه الأبيات ليست في ديوان شعره الذي في أيدي الناس وإنما هي في مجلدة بخط السري استصحبها أبو نصر سهل بن المرزبان من بغداد) وبغية الطلب: 228.

(2) علق مرغليوث هنا بقوله: هذا من أغلاط الثعالبي فإن الوزير المهلبي توفي سنة 352 وسيف الدولة سنة 356.

شعره في الآفاق .

وللسريّ تصانيف : كتاب الدّيرة وكتاب المحب والمحبوب والمشموم والمشروب[1]. وديوان شعر يدخل في مجلدين. وكانت وفاته ببغداد سنة اثنتين وستين وثلاثمائة .

ومن مدائحه لسيف الدولة قوله[2] :

أَعَزْمَتُكَ الشهابُ أم النهارُ ... وراحتك السحابُ أم البحارُ
خُلِقْتَ منيةً وَمُنىً وَتُضحي ... تمورُ بك البسيطةُ أو تمارُ
تحلّي الدين أو تحمي حماه ... فأنت عليه سورٌ أو سوارُ

ومنها :

حضرنا والملوكُ له قيامٌ ... تغضُّ نواظراً فيها انكسار
وزرنا منه ليثَ الغابِ طلقاً ... ولم نرَ قبله ليثاً يزارُ
فعشتَ مخيراً لكَ في الأماني ... وكان على العدو لك الخيارُ
وضيفك للحيا المنهلِّ ضيفٌ ... وجارك للربيع الطلق جارُ

ومن غرر شعره في الغزل قوله[3] :

بلاني الحبُّ فيك بما بلاني ... فشاني أن تفيضَ غروبُ شاني
أبيتُ الليلَ مرتقباً أناجي ... بصدقِ الوجدِ كاذبةَ الأماني
فتشهدُ لي على الأَرَقِ الثريا ... ويعلمُ ما أُجِنُّ الفرقدانِ
إذا دنتِ الخيامُ به فأهلاً ... بذاك الخيم والخيم الدواني
فبين سجوفها أقمارُ تمٍّ ... وبين عمادها أغصانُ بانِ
ومذهبةِ الخدودِ بجلنارٍ ... مفضضةِ الثغورِ بأقحوانِ
سقانا اللّه من رياك ريّاً ... وحيانا بأوجهك الحسانِ

(1) نشر في أربعة أجزاء تحقيق مصباح غلاونجي ، وماجد حسن الذهبي ، دمشق 1986 .

(2) ديوانه 2 : 221 .

(3) اليتيمة 2 : 159 وديوانه 2 : 711 .

ستصرف طاعتي عمن نهاني دموعٌ فيك تلحى من لحاني
ولم أجهلْ نصيحته ولكن جنونُ الحبِّ أحلى في جناني
فيا ولعَ العواذلِ خَلِّ عني ويا كفَّ الغرام خذي عناني

وقال في الورد(1) :

لو رَحَّبَتْ كاسٌ بذي زَوْرَةٍ لرحبتْ بالوردِ إذ زارها
جاء فخلناها خدوداً بدتْ مُضْرِمَةً من خَجَلٍ نارها
وعطَّر الدنيا فطابتْ به لا عَدِمَتْ دنياه عَطَّارها

وقال(2) :

وروضةٍ بات طلُّ الغيثِ ينسجها حتى إذا نُسِجَتْ أضحى يدبجها
إذا تنفس فيه ريحُ نرجسها ناغى جنيَّ خُزاماها بنفسجها
أقول فيها لساقينا وفي يده كاسٌ كشعلةِ نارٍ إذ يؤججها
لا تمزجنْها بغير الريق منكَ وإن تبخلْ بذاك فدمعي سوف يمزجها
أقلُّ ما بيَ من حُبِّيكَ أن يدي إذا دنت من فؤادي كاد ينضجها

- 519 -

سعد الرابية بن شداد: كوفي، وهو من بني يربوع ، وإنما سمي الرابية بموضع كان يعلّم فيه النحو . أخذ عن أبي الأسود الدؤلي ، وكان مزاحاً مضحكاً ، اجتمعت بنو راسب والطفاوة إلى زياد بن أبيه في مولود فقال سعد الرابية : أيها الأمير ، يُلْقَى هذا المولود في الماء ، فإن رسب فهو من راسب ، وإن طفا فهو من الطفاوة ، فأخذ زياد

519 - هذه الترجمة من المختصر وانظر أنساب الأشراف 4/1 : 178 والوافي 15: 164 وبغية الوعاة 1: 579 .

(1) اليتيمة 2: 169 والديوان 2: 241 .
(2) هي للخباز البلدي في اليتيمة 2: 211 وانظر ديوان السري 2: 788 .

نعله وقام ضاحكاً ، وقال : ألم أَنْهَكَ عن هذا الهزلِ في مجلسي ؟

وفي سعد الرابية يقول الفرزدق :

إنـي لأبغض سـعـداً أن أجـاوِرَهُ ولا أحبُّ بني عمـرو بن يـربـوعِ
قـومٌ إذا غضبـوا لـم يَخْشَهُمْ أحـدٌ والجـارُ فيهم ذليـلٌ غيـرُ ممنوعِ

وكان عبيد الله بن زياد يستظرفه ويقربه ، فأبطأ عبيد الله عن صلته أشهراً ، فقال يوماً عبيد اللّه : ما أحوجني إلى وصفاء لهم قدودٌ وحلاوة ورشاقة يقـومون على رأسي ويكونون يدي . فقال سعـد : حاجَتُكَ عندي أيها الأمير ، أنا أعرفُ الناس بموضعهم وأنا أجيئك بهم ، فعمد إلى أصلح مَنْ قَدَرَ عليه من الغلمان الذين في مكتبه فألبسهم ثيابَ الوصفاء ، فلما رآهم عبيد اللّه أُعْجِبَ بهم واشتراهم وغالى بهم ، ومضى سعد فاختفى في منزل بعضِ أصحابه ، فلما جاء الليلُ بكى الصبيان ، فقال لهم : أي شيء تريدون ؟ فقال كلٌ واحد منهم : أريد بيتنا . فقال : وأين بيتكم ؟ فقالوا : في موضع كـذا وكذا ، وأنـا ابن فلان ، وهـذا ابن فلان . ففـطن عبيد اللّه أنهـا حيلةٌ وسخرية ، وأنه أخذ المالَ باطلاً ، فوضع عليه الرَّصَدَ ، فلما جيء به ، قال له : ما حملك على ما فعلت ؟ قال : أبطأتْ صلتُكَ عني ، وَقَطَعْتَنِي ما عوَّدتني فأعملتُ في الحيلة عليك . فضحك منه ، وترك المال عليه .

ـ 520 ـ

سعدان بن المبارك أبو عثمان الضرير النحوي الراوية ، مولى عاتكةَ مولاةِ المهدي امرأة المعلى بن طريف الذي يُنْسَبُ إليه نهرُ المعلَّى ببغداد : كان من رواة العلم والأدب كوفي المذهب ، روى عن أبي عبيـدة معمر بن المثنى ، وروى عنه محمد بن الحسن بن دينار الهاشمي .

وله من المصنفات : كتاب خلق الانسان . وكتاب الوحوش . وكتاب الأرض

---

520 ـ ترجمته في الفهرست : 77 وتاريخ بغداد 9 : 203 ونـزهة الألبـاء : 94 والوافي 15 : 190 ونكت الهميان : 157 وبغية الوعاة 1 : 581 .

والمياه والبحار والجبال . وكتاب النقائض . وكتاب الأمثال . مات سنة عشرين ومائتين .

ـ 521 ـ

سعد بن أحمد بن مكي النيلي المؤدب الشيعي : كان نحوياً فاضلاً عالماً بالأدب ، مغالياً في التشيع ، له شعر جيّدٌ أكثره في مديح أهل البيت ، وله غزل رقيق . مات سنة خمس وستين وخمسمائة وقد ناهز المائة ؛ ومن شعره :

قمرٌ أقام قيامتي بقوامِهِ ... لم لا يجودُ لمهجتي بذمامِهِ
مَلَّكْتُهُ كبدي فأتلفَ مهجتي ... بجمالِ بَهْجَتِهِ وَحُسْنِ كلامِهِ
وبمبسمٍ عذبٍ كأنّ رضابَهُ ... شهدٌ مُذابٌ في عبيرِ مدامِهِ
وبناظرٍ غَنِجٍ وَطَرْفٍ أحورٍ ... يُصْمي القلوب إذا رمى بسهامه
وكأن خطَّ عذاره في حسنه ... شمسٌ تجلَّتْ وهي تحت لثامِهِ
فالصبحُ يُسْفِرُ من ضياءِ جبينه ... والليلُ يُقْبِلُ من أثيثِ ظلامه
والظبيُ ليس لحاظُهُ كلحاظه ... والغصنُ ليس قوامه كقوامِهِ
قمرٌ كأن الحسنَ يعشقُ بعضُهُ ... بعضاً فساعده على قسامه
فالحسنُ من تلقائه وورائه ... ويمينه وشماله وأمامِهِ
ويكاد من ترفٍ لدقَّةِ خصره ... ينقدُّ بالأرداف عند قيامه

ـ 522 ـ

سعد بن الحسن بن سليمان أبو محمد التوراني الحراني النحوي الأديب

---

521 ـ ترجمة النيلي في الخريدة 1/4 : 203 والوافي 15 : 198 ونكت الهميان : 157 والفوات 2 : 50 والشذرات 4 : 309 (وجاء اسمه في المصادر ما عدا معجم الأدباء « سعيد » ويؤيده قوله : دع يا سعيد هواك واستمسك بمن . . . (الخريدة: 206) .

522 ـ ترجمته في الوافي 15 : 178 وبغية الوعاة 1 : 577 ، والتوراني نسبة إلى « تور » وهي قرية على باب حران (قاله السيوطي في بغية الوعاة ؛ ولم يذكر ياقوت « تور » في معجم البلدان) .

الشاعر : كان تاجراً يسافرُ إلى الشام والعراق ومصر وخراسان ، وسكن ببغداد مدةً وأخذ فيها عن أبي منصور موهوب الجواليقي وغيره ، وكان عارفاً بالنحو جيد النظم والنثر . مات سنة ثمانين وخمسمائة ، ومن شعره :

ولست كمن أخنى عليه زمانُـهُ فـظلَّ على أحـداثِـهِ يتعتَّـبُ
تلذُّ له الشكوى وإن لم يَجِدْ بها شفـاءً كما يلتـذُّ بالحكِّ أجربُ

وقال :

جـاءت تسائـلُ عن ليلي فقلتُ لهـا وصـورةُ الهمِّ تمحو صورةَ[1] الجـذلِ
ليلي بِكَفَّيْكِ[2] فاغْنَيْ عن سؤالـكِ لي إن بنتِ طـال وإن واصلتِ لم يَـطُلِ

ـ 523 ـ

سعد بن الحسن بن شداد ، أبو عثمان المعروف بالناجم : كان أديباً فاضلاً شاعراً مجيداً ، وكان بينه وبين ابن الرومي صحبة ومودة ومخاطبات ، توفي سنة أربع عشرة وثلاثمائة . ومن شعره :

شـدوٌ ألـذُّ من ابتـدا ءِ العينِ في إغفـائِهَـا
أحلى وأشهَى من مُنَى نفسٍ ونيـلِ رجـائهـا

وقال :

عـلمـي بـأنـكَ جـاهـلٌ هـو جُنَّـةٌ لـك من غيـابي
والصمتُ عنـك وَصَـرْمُ حبـ ـلي منـك أبلغُ من عتـابي

523 ـ اسمه سعيد عند الصفدي في الوافي 15 : 208 والكتبي في الفوات 2 : 51 وقد خلط البكري في السمط : 525 بين هذا الناجم صديق ابن الرومي وبين الناجم المصري واسمه محمد بن سعيد (انظر المحمدون : 353) .

(1) الوافي : وسورة الهم . . . سيرة .
(2) م : بكفك .

وجـوابُ مـثـلك أن يـقـا بَـلَ بالسكوتِ عن الجوابِ ،
مـا زلتُ أحلم عـن كـلا ب الناس فعل أخي اجتنابِ
وأبيحهم صفحَ الذنو بِ فكيف عن كَلْبِ الكلابِ

وقال :

لئن كان عن عينيَّ أحمدُ غائباً فما هو عن عينِ الضميرِ بغائبِ
له صورةٌ في القلب لم يُقْصِها النوى ولم تتخطفها أكفُّ النوائبِ
إذا ساءني منه نزوحُ ديارِهِ وضاقتْ عليَّ في نواه مذاهبي
عطفتُ على شخصٍ له غيرِ نازحٍ مَحَلَّتُهُ بين الحشا والترائبِ

وقال :

قالوا اشتكتْ نرجستا[1] وجهه قلتُ لهم أحسنُ ما كانا
حمرةُ وردِ الخدّ أعدتهما والصبغُ قد ينفذُ أحيانا

ـ 524 ـ

سعد بن علي بن القاسم بن علي بن القاسم ، أبو المعالي الأنصاري الحظيري ثم البغدادي المعروف بالوراق دلال الكتب : من أهل الحظيرة وكان قد قدم بغداد واستوطنها إلى حين وفاته . كان أديباً فاضلاً شاعراً رقيق الشعر وله اليد[2]

524 ـ ترجمة الحظيري الوراق في المنتظم 10 : 241 والخريدة (قسم العراق) 4/1 : 28 وبغية الطلب 8 : 264 وابن خلكان 2 : 109 والوافي 15 : 169 ، والحظيري نسبة إلى الحظيرة من نواحي دجيل من سواد بغداد . صحب العبادي الواعظ وكتب عنه شيئاً من محاسن كلامه في الوعظ في كتاب سماه « النور البادي من كلام العبادي » وصحب الشيخ محمد الفارقي الزاهد وجمع ما استحسنه من كلامه في « الكلم الفارقية في الكلم الالهية » ، ومن كتبه التي لم يذكرها ياقوت « كتاب الإعجاز في معرفة الألغاز » ألفه باسم مجاهد الدين قايماز ، وكتاب « حاطب ليل » ضمنه فوائد ونوادر .

(1) م : وجنتا ، والتصويب عن الفوات .
(2) من هنا حتى آخر الفقرة من المختصر .

الباسطة في النظم والنثر . صحب أبا القاسم علي بن أفلح الشاعر ، وجالس الشريف أبا السعادات ابن الشجري، وأبا منصور ابن الجواليقي وأبا محمد ابن الخشاب وتفقّه على مذهب أبي حنيفة، وأحب الخلوة والانقطاع فخرج سائحاً، وطاف بلاد الشام، ثم عاد إلى بغداد ، وكان وجيهاً عند أهلها . وكان دلالاً في الكتب والدفاتر، وبلغني أنه اتهم في دينه وسعي به أنه يرى رأي الأوائل ، ونُمي ذلك عنه وخشي على مهجته ، ففارق وطنه وخرج بزيّ السيّاح ، وتغرَّب في البلاد مدة حتى سكنت نفسه ، ومات من يخافه ثم رجع إلى بغداد ، وبنى له بظاهر البلد صومعة أقام بها مدة ، ثم عاد إلى ما كان عليه من بيع الدفاتر والكتب والتصنيف والاشتغال بالعلوم والتأليف إلى أن أدركته منيته فمات على هيئته. وله مصنفات منها : زينة الدهر وعصرة أهل العصر في ذكر لطائف شعراء العصر ذيَّل به « دمية القصر » للباخرزي الذي جعله ذيلاً على « يتيمة الدهر » للثعالبي . وله كتاب لمح الملح وكتاب الايجاز في معرفة الالغاز وديوان شعر . توفي ببغداد يوم الاثنين خامس عشري صفر سنة ثمان وستين وخمسمائة .

قرأت بخط[1] الشيخ أبي محمد ابن الخشاب ، أنشدني صديقنا الشيخ الزاهد أبو المعالي الحظيري الوراق لنفسه هجواً :

يقول لي الأنقا علامَ هجوتني ... وأبديتَ لي بعد الصفاءِ المساويا
ولو أنني أخفيتُ عنه عيوبَهُ ... ولم أبدِ ما فيه لما كنتُ صافيا

وله ديوان شعر صغير الحجم إلا أن أكثر شعره مصنوع يُقْرَأ على جهاتٍ عدة ، وهو من عجيب البديع ، فمن ذلك ، وهو يُستخرج[2] به الضمير من حروف المعجم ، وذاك أن تعلم أن كل بيت منها له عدد ، فالأول واحد ، والثاني اثنان ، والثالث أربعة ، والرابع ثمانية ، والخامس ستة عشر . [وصورة العمل بذلك أن تقول] لإنسان اضمر حرفاً فإذا قرأت عليه بيتاً ، فسْله هذا الحرف الذي أضمره في ذلك البيت أم لا ؟ فإذا أعلمك فاحفظ ما لذلك البيت من العدد ، ثم أنشده الآخر فإن

(1) قرأت بخط . . . وهذي الدموع القانيات شرارها : مزيد من المختصر .
(2) انظر الوافي 15 : 173 .

اعترف له بكونه فيه فأضف العدد الثاني إلى الأول ، وإن لم يكن في البيت فألغه ، كذلك إلى آخرها فإذا اجتمع لك شيء من العدد فعدَّ من أول الحرف إلى أن تصل إلى ذلك العدد الذي حَصَّلته[1] ، فإن ذلك الحرف هو المضمر ، وإن جاء في الجميع فهو الألف . والأبيات التي يستخرج بها ضمير الحروف هي هذه :

قل لهذا الغزالِ إن ظلَّ يجني أنـا أضنى إن ختنتني لشقائي (1)
خاب صبٌّ أغراه عَتْبُكَ بالحبّ ولو ضرَّهُ بزورِ البكاءِ (2)
صِلْ خليلي حَثَّ السُّلافِ إلي كلّ شفيق قضى لحيفِ الجفاءِ (4)
وأدم ذمَّ من يَصُدّ وَمنْ يُضْمِرُ زهداً من سائر الأشياءِ (8)
وأمِطْ عنك ظلمَ كلِّ غنيٍّ عنك فيه قلىً لأهلِ العلاءِ (16)

ومن شعره أيضاً :

شكوتُ إلى من شَفَّ قلبيَ بُعْدُهُ توقُّدَ نارٍ ليس يُطْفَى سعيرها
فقال بعادي عنك أكبرُ راحةٍ ولولا بعادُ الشمس أحرقَ نورها

وله في غلام محموم :

ولما حَمِيْ جمرُ الحبيب تزايدتْ شجوني ولم أملكْ سوابقَ أدمعي
وما ذاك إلا حين حلَّ بخاطري تلهَّبَ منه الجسمُ من نارِ أضلعي

وله :

أحدقتْ ظلمةُ العذارِ بخدَّيـ ـه فظنُّوا جمالَهُ ذا مماتِ
قلت ماءُ الحياةِ في فمه العذ ب فطاب الدخولُ في الظلماتِ

وله :

وقد أنكروا سلواي نيرانَ حبِّهم وفي كبدي إضرامُها واستعارُهَا
تنفَّسْتُ من حرِّ الجوى وتبادرت دموعُ حكى وهي العقيق احمرارُهَا
فقلت لهم هذا التنفسُ حرُّهَا وهذي الدموعُ القانياتُ شَرَارها

ومن شعره أيضاً :

(1) الوافي : ثم اجمع عدد الأبيات التي أعلمك بها وعدَّ من ألف ب ت ث ج ح خ إلى آخره ، فعلى أيها انقطع العدد فهو الحرف المضمر .

اشربْ على طَرَبٍ من كفّ ذي طربِ قد قام في طرب يسعى إلى طربِ
من خندريسٍ كعينِ الديكِ صافيةٍ مما تخيَّرها كسرى من العنبِ
فالراحُ من ذهبٍ والكاسُ من ذهب يا مَنْ رأى ذهباً يُسْقَى على ذهبِ

وقال :

ومعذَّرٍ في خدِّهِ وردٌ وفي فمِهِ مُدَامُ
ما لان لي حتى تغشّى صبحَ طلعتِهِ ظلامُ
كالمهر يجمحُ تحت راكبه ويعطفُهُ اللجامُ

وقال :

وددتُ من الشوق المبرِّح أنني أعارُ جناحَيْ طائرٍ فأطيرُ
فما لنعيم لستَ فيه لذاذةٌ ولا لسرورٍ لستَ فيه سرورُ

وقال :

قلْ لمن عابَ شامةً لحبيبي دونَ فيه دَعِ الملامةَ فيهِ
إنما الشامةُ التي قلتَ عنها فصُّ فيروزجٍ بخاتم فيهِ

ـ 525 ـ

سعد بن محمد بن سعد بن الصيفي التميمي ، شهاب الدين أبو الفوارس المعروف بحيص بيص ، الفقيه الأديب الشاعر : كان من أعلم الناس بأخبار العرب ولغاتهم وأشعارهم ، أخذ عنه الحافظُ أبو سعد السمعاني وقرأ عليه ديوانَ شعره وديوانَ

---

525 ـ ترجمة الحيص بيص في الخريدة (قسم العراق) 1 : 202 وبغية الطلب 8 : 271 (هو ينقل عن السمعاني وابن النجار) والمنتظم 10 : 288 وابن خلكان 2 : 106 وسير الذهبي 21 : 61 وعبر الذهبي 4 : 219 ومرآة الزمان 8 : 352 وطبقات السبكي 7 : 91 والبداية والنهاية 12 : 301 ولسان الميزان 3 : 19 والوافي 15 : 165 وروضات الجنات 4 : 32 وقد نشر ديوانه في ثلاثة أجزاء بتحقيق مكي السيد جاسم وشاكر هادي شكر (بغداد 1974 ـ 1975) . وقد ولد الحيص بيص بكرخ بغداد ، واشتغل بالفقه والأدب ، وكان يتعاظم في نفسه ويترفع على أبناء جنسه .

(1) م : سعيد .

(2) بغية الطلب : 279 .

رسائله ، وذكره في « ذيل مدينة السلام » وأثنى عليه ، وأخذ الناس عنه علماً وأدباً كثيراً ، وكان لا يخاطبُ أحداً إلا بكلام مُعْرَب .

وإنما قيل له حيص بيص لأنه رأى الناس يوماً في أمرٍ شديد فقال : ما للناسِ في حيص بيص ؟ فبقي عليه هذا اللقب .

مات ليلة الأربعاء سادس شعبان سنة أربع وسبعين وخمسمائة ببغداد .

ومن تَقَعُّرِ الحيص بيص في كتابه ما حدَّث به بعض أصحابه أنه نقه من مرض فوصف له صاحبه هبة الله البغدادي الطبيب[1] أكلَ الدراج ، فمضى غلامُهُ واشترى دراجاً واجتاز على باب أميرٍ وغلمانُهُ يلعبون ، فخطف أحدهم الدراج ، فأتى الغلامُ الحيصَ بيص وأخبره الخبر ، فقال له : ائتني بدواةٍ وقرطاس ، فأتاه بهما فكتب إلى ذلك الأمير : لو كان مبتزُّ دراجةٍ فتخاءَ كاسر ، وقف بها السَّغَبُ بين التدويم والتمطر ، فهي تعقي وَتُسِفّ ، وكان بحيث تُنْقَبُ أخفافُ الإبل لوجب الإغـذاذ إلى نصرتـه ، فكيف وهو ببحبوحة كرمك ، والسلام . ثم قال لغلامه : امضِ بها وأحسنِ السفارةَ بايصالها للأمير ، فمضى بها ودفعها للحاجب ، فدعا الأمير بكاتبه وناوله الرقعةَ فقرأها ثم فكر ليعبّر له عن المعنى ، فقال له الأمير : ما هو ؟ فقال : مضمونُ الكلام أن غلاماً من غلمان الأمير أخذ دراجاً من غلامه ، فقال : اشترِ له قفصاً مملوءاً دراجاً واحمله إليه ، ففعل .

وكتب[2] إلى أمين الدولة ابن التلميذ يطلب منه شيافَ أبـار : أزكنـك[3] أيها الطبّ اللبُّ الآسي النطاسي النفيسُ النقريس ، أَرْجَنَتْ عندك أُمُّ خنّور[4] ، وسكعتْ عنك أمُّ هوبر[5] ، أني مستأخَذٌ أشعرُ في حنادري رطساً ليس كلسبِ شَبْوة[6] ، ولا

---

(1) هو أبو القاسم هبة اللّه بن الفضل البغدادي الطبيب ، وكان بينه وبين الحيص بيص شنآن وتهاتر ، وكانا قد يصطلحان وقتاً ثم يعودان إلى ما كانا فيه . والقصة والرسالة في عيون الانباء 1 : 283 ـ 284 .

(2) عيون الانباء 1 : 284 .

(3) أزكنك : أعلمك وأعرّفك .

(4) أرجنت : حبست ، وأم خنور : الداهية .

(5) سكعت : ضلت وتحيرت ، وأم هوبر : الهوبر : الفهد أو القرد ؛ ولعل أم هوبر تعني الداهية .

(6) الحنادر : جمع حندورة وهي سواد العين ؛ الرطس : الضرب ؛ واللسب : اللدغ ؛ وشبوة : العقرب .

كنخزِ المنصحة ، ولا كنكزِ الحِضْب[1] ، بل كسفع الزخيخ[2]، فأنا من التباشير إلى الغباشير لا أعرف ابنَ سمير من ابنَ جَمير ، ولا أحسّ صفوان من همام[3] بل آونةً أرْجَحِنُّ شاصياً ، وفينةً أحبنطي مقلولياً ، وتارة أعْرَنْزِم ، وطوراً أسْلَنقي[4] ، كل ذلك مع أحّ وأخ ، وتهمُّ قَرونتي أن أرفع عقيرتي بيعاطِ عاطِ إلى هياطِ ومياط ، وها لي أول وأهون وجبار ودبار ومؤنس وعروبة وشبار ، ولا أحيصُ ولا أكيص ، ولا أغرنديِ ولا أسرنديِ[5] فبادرني بشياف الأبار النافع لعلتي ، الناقع لغلتي . فلما قرأ أمين الدولة رقعته نهض لوقته وأخذ حفنةَ شيافِ أبار وقال لبعض أصحابه : أوصلها إليه عاجلاً ولا تتكلفْ قراءة ورقة ثانية .

ومن شعره يمدح المقتفي لأمر الله[6] :

ماذا أقولُ إذا الرواةُ ترنموا ... بفصيحِ شعري في الإمامِ العادلِ
واستحسنَ الفُصَحاء شأنَ قصيدةٍ ... لأجلِّ ممدوحٍ وأفصحِ قائلِ
وترنَّحَتْ أعطافهم فكأنما ... في كلِّ قافيةٍ سُلافة بابلِ
ثم انثنوا غبَّ القريضِ وضمنه ... يتساءلون عن الندى والنائلِ
هبْ يا أميرَ المؤمنين بأنني ... قسُّ الفصاحةِ ما جوابُ السائلِ

ودخل ابن القطان يوماً على الوزير الزينبي وعنده الحيص بيص فقال: قد عملت بيتين هما نسيج وحده وأنشده :

(1) المنصحة : الإبرة ؛ والحضب : ضرب من الحيات .
(2) الزخيخ : النار ؛ وسفعها : لفحها .
(3) التباشير : طرائق ضوء الصبح في الليل ؛ الغباشير : لعلها حلول الظلام . وابنا سمير : الليل والنهار ، وابن سمير : الليلة التي لا قمر فيها ، وابن جمير الليل المظلم وقيل ابن جمير الهلال ؛ والصفوان : اليوم الصافي الشديد البرد ، وعلى هذا يكون « الهمام » اليوم الشديد الحرّ الذي يذيب الشحم .
(4) من أمثال العرب ؛ إذا أرجحن شاصياً فاكفف يدا ومعناه : إذا ألقى الرجل نفسه وغلبته فرفع رجليه فاكفف يدك عنه ؛ وشصا برجله رفعها . والمحبنطي : المتغضب ؛ والمحبنطىء : المنتفخ ، واقلولى : انكمش وتجافى واستوفز . واعرنزم : اجتمع وتقبّض : واسلنقى : نام على ظهره .
(5) أحيص : أحيد فأسلم ؛ ويكيص عن الأمر : يكع ؛ ومن معاني لا يكيص : لا يأكل ؛ يغرندي : يعلو ويغلب ؛ وكذلك يسرندي . ومن معاني يسرندي : يمضي قدماً .
(6) عيون الانباء : 284 وديوانه 3 : 413 (عن معجم الأدباء) .

زار الخيالُ بخيلاً مثلَ مُرْسِلِهِ فما شفانيَ منه الضمُّ والقبلُ
ما زارني قطّ إلا كي يوافيني على الرقادِ فينفيه ويرتحلُ

فقال الوزير للحيص بيص : ما تقول في دعواه هذه ؟ فقال : إن أنشدهما ثانيةً سمع لهما ثالثاً فأنشدهما فقال الحيص بيص :

وما درى أن نومي حيلةٌ نُصِبَتْ لطيفةٌ حين أعيا اليقظةَ الحيلُ

وحدث نصر الله بن مجلى(1) قال : رأيت في المنام علي بن أبي طالب رضي اللّه عنه فقلت له : يا أميرَ المؤمنين تفتحون مكةَ فتقولون من دخل دارَ أبي سفيان فهو آمن ثم يتمُّ على ولدك الحسين يوم الطفِّ ما تم ؟ فقال : أما سمعتَ أبيات ابن الصيفي في هذا ؟ فقلت : لا ، فقال : اسمعها منه . فلما استيقظتُ بادرتُ إلى دار الحيص البيص ، فخرج إليّ فذكرت له الرؤيا فأجهش بالبكاء وحلف باللّه أنه ما سمعه منه أحد وأنه نظمها في ليلته هذه ، ثم أنشدني(2) :

مَلَكْنَا فكان العفوُ منا سجيةً فلما ملكتمْ سال بالدمِ أبطحُ
وَحَلَّلتمُ قَتْلَ الأسارى وطالما غَدَوْنَا عن الأسرى نعفُّ ونصفحُ
فحسبكمُ هذا التفاوتُ بيننا وكلُّ إناءٍ بالذي فيه ينضحُ

ومن شعره أيضاً(3) :

• العينُ تبدي الذي في قلب صاحبها من الشناءةِ أو حبٍّ إذا كانا
إنّ البغيضَ له عينٌ تُكَشِّفُهُ لا تستطيعُ لما في القلب كتمانا
فالعينُ تنطقُ والأفواهُ صامتةٌ حتى ترى من ضمير القلب تبيانا

(1) بغية الطلب : 274 .
(2) انظر ديوانه 3 : 404 .
(3) ديوانه 3 : 415 (عن معجم الأدباء) .

ـ 526 ـ

سعد بن محمد بن علي بن الحسين بن معبد بن مطر بن مالك بن الحارث بن سنان بن خزاعة بن حييّ الأزدي الحوال ، يعرف بالوحيد ، أبو طالب من أهل البصرة : كان شاعراً حَسَنَ الشعر ، وَعِلْمُهُ أكثر من شعره ، وأدبُهُ أظهرُ من نباهته ، وكان جيد التصنيف مليح التأليف ؛ لقي أبا رياش وأبا الحسين ابن لنكك ، وأخذ عنهما وعن طبقاتهما .

مات سنة خمس وثمانين وثلاثمائة .

وانتقل إلى جبّل وأقام بها من أجل الروزيين[1] لأنهم أكبروا أمره، وأجروا عليه. وكانت بضاعته في الأدب قوية ، ومعرفته بالشعر جيدة وقد ردَّ على المتنبي في عدة مواضع ، وكان مع هذا ضيِّقَ الرزق محارفاً يمدح بالشيء اليسير ولا يبالي . وسافر إلى مصر ، ومدح بني حمدان ، وكان له خط مليح صحيح النقل ، فاتفق أنه مدح أحد التنّاءِ يُعْرَفُ بأبي الحسن ابن هرثمة متقدم بالنيل بقصيدةٍ فاستزاره، ودفع إليه عشرين درهماً قيمتها نصف دينار وسأله أن يزيده فلم يفعل ، فهجاه بأبيات منها :

وقيل بحرُ فجئته فإذا ... أعجوبةٌ من عجائبِ البحرِ

وله من أبيات :

أما ترى أن الهمومَ مولعةْ ... بكلِّ روح ليست الراحُ معهْ
فادلف إلى اللهو بكأسٍ مترعَةْ ... وَمِزْهرٍ أصواتُهُ مرجّعةْ

ولـه :

تُعدِّدُ لُوّامي عليَّ ذنوبَها ... ويأبى شفيعُ الحسنِ أن يُحْسَبَ الذنبُ
وقالوا إذا شطت نوى دارها سلا ... وما شطَّ من أمْسَى ومنزلُهُ القلبُ

---

526 ـ معظم هذه الترجمة من المختصر ؛ وانظر بغية الطلب 8: 278 والوافي 15: 176 وبغية الوعاة 1: 580 ؛ وقد جاء في م بعد ذكر نسبه : كان عالماً بالنحو واللغة والعروض بارعاً في الأدب ، أخذ عنه أبو غالب ابن بشران النحوي وغيره ، وذكر تاريخ وفاته ومقطعتين له ، أوردتهما قبل ذكر كتبه ؛ وما ورد في المختصر يتفق مع ما أورده الصفدي .

(1) كذا ، ولم أدر ما صوابه .

وله في صفة الخطاطيف :

وسود في مذابحها احمرارٌ فتحسبها مذبَّحةً تطيرُ
كأن ظهورَها ليلٌ بهيمٌ وتحت بطونها صبحٌ منيرُ
كأن شظيتيْ عنقودِ كرمٍ أعارهما لساقيها معيرُ
يخافُ الليلَ طائرُها فيُلْفَى إذا وَلَّى بسهميه يشيرُ

قال المؤلف : هذه أبيات غاية في جودة اللفظ وصحة المعنى ، لا سيما البيت الأخير فانه لم يسبق إلى معناه .

وله يمدح بختيار :

ألا فاسألوا الأيامَ عن مأثراته فما جاءت الأيام إلا لتشهدا
كثيرٌ عديدُ الحاسدين وإنما على قَدْرِ جَدِّ المرءِ يُلْفَى محسَّدا

وله يهجو حمدان بن ناصر الدولة :

فقر بوجهك ليس يبرح شاكياً فتكون مبتسماً كأنك عابسُ
وإذا بسطتَ يداً كأنك قابض وإذا تقومُ حسبتَ أنك جالس
مستوحشٌ من كلِّ خير يرتجى وبكل مُخْزِيَةٍ وعارٍ آنس

ومن شعره :

ليس الأديبُ أخا الروا يةِ للنوادرِ والغريبْ
ولشعر شيخ المحدثـ ين أبي نواس أو حبيبْ
بل ذو التفضل والمرو ءة والعفافِ هو الأديبْ

وقال :

لو تجلَّى ليَ الزمانُ للاقى مِسْمَعَيْهِ منّي عتابٌ طويلُ
إنما نكثرُ الملامةُ للدهـ ـر لأن الكرامَ فيه قليلُ

وله من الكتب : كتاب العدناني . كتاب القحطاني . كتاب معاني شعر المتنبي . ديوان شعره نحو مائة ورقة . كتاب الردّ على ابن جني في تفسيره لشعر المتنبي .

- 527 -

سعيد بن إبراهيم المعروف بابن التستري أبو الحسين : كان نصرانياً من صنائع بني الفرات هو وأبوه ، يلزمُ السجعَ في كلامه . وكان يكتب لعلي بن محمد بن الفرات ، وهو القائل :

وَعَدَ البدرُ بالزيارةِ ليلاً ... فإذا ما وَفَى قضيتُ نذوري
قلت يا سيدي ولم تؤثر الليلَ على بهجة النهار المنير
قال لي لا أحبُّ تغيير رسمي ... هكذا الرسم في طلوع البدور

وله في ضده :

قلت زوري فأرسلت ... أنا آتيك سُحْرَهْ
قلتُ فالليل كان أخـ ... ـفى وأدنى مَسَرَّهْ
فأجابت بحجة ... زادت القلبَ حسرهْ
أنا شمسٌ وإنما ... تطلعُ الشمسُ بكرهْ

وله وقد نكب بنكبة بني الفرات :

ما لكَ قد هَيَّمكَ الهمُّ ... وضلَّ عنكَ الحزمُ والفهمُ
لو رمتَ أن تبقي الأذى ما بقي ... لا فرحٌ دام ولا غمّ

وله من الكتب : كتاب المقصور والممدود . كتاب المذكر والمؤنث ، على حروف المعجم . كتاب الرسائل في الفتوح على هذا الترتيب . كتاب رسائله المجموعة من كل فن .

527 - هذه الترجمة من المختصر . وانظر الوافي 15 : 195 (وهو ينقل عن ياقوت) وتاريخ الوزراء للصابي : 240 .

ـ 528 ـ

سعيد بن أحمد بن محمد بن أحمد بن إبراهيم بن أحمد الميداني ، وأبوه أبو الفضل هو صاحب كتاب مجمع الأمثال : مات سعيد سنة تسع وثلاثين وخمسمائة . له من التصانيف كتاب الأسما في الأسما . كتاب غرائِب اللغة . كتاب نحو الفقهاء ، وله كتاب اشتق له اسماً من كتاب أبيه المسمى بالسامي في الأسامي .

ـ 529 ـ

سعيد بن أوس بن ثابت بن بشير بن قيس بن زيد بن النعمان بن مالك بن ثعلبة بن كعب بن الخزرج ، أبو زيد الأنصاري الخزرجي البصري النحوي اللغوي الإمام الأديب ، وإنما غلبت عليه اللغة والغريب والنوادر فانفرد بذلك : أخذ عن أبي عمرو بن العلاء ، وأخذ عنه أبو عبيد القاسم بن سلام وعمرو بن عبيد وأبو العيناء وأبو حاتم السجستاني وعمر بن شبة ورؤبة بن العجاج وغيرهم ، وروى الحديث عن ابن عون وجماعة . وكان ثقة ثبتاً قرأ عليه خلف البزار ، وكان يُرْمَى بالقَدَرِ ولكن دفع عنه ذلك أبو حاتم وقال : هو صدوق . وروى الحسين بن الحسن الرازي عن ابن معين أنه صدوق ، ووثقه جزرة وغيره ، وليَّنه ابن حبّان لأنه وهم في سند حديث « اسفروا بالفجر » وروى له أبو داود في سننه والترمذي في جامعه .

وكان سفيان الثوري يقول ، قال لي ابن مناذر : أصفُ لك أصحابك ، أما الأصمعي فأحفظُ الناس ، وأما أبو عبيدة فأجمعهم ، وأما أبو زيد الأنصاري فأوثقهم .

---

528 ـ هذه الترجمة من المختصر وانظر الأنساب (الميداني) وإنباه الرواة 2 : 51 وابن خلكان 1 : 130 والوافي 15 : 199 (وهو ينقل عن ياقوت) وبغية الوعاة 1 : 582 .

529 ـ ترجمة أبي زيد في الفهرست : 60 وأخبار النحويين البصريين : 52 ونور القبس : 104 وتهذيب اللغة للأزهري 1 : 5 وطبقات الزبيدي : 165 والمعارف : 545 وتاريخ بغداد 9 : 77 ونزهة الألباء : 173 وتاريخ أبي المحاسن : 224 وإنباه الرواة 2 : 30 وابن خلكان 2 : 378 وعبر الذهبي 1 : 367 وميزان الاعتدال 2 : 126 وسير الذهبي 9 : 494 والكاشف 1 : 355 والوافي 15 : 200 ومرآة الجنان 2 : 58 والبداية والنهاية 10 : 269 وطبقات ابن الجزري 1 : 305 وتهذيب التهذيب 4 : 3 والنجوم الزاهرة 2 : 210 وبغية الوعاة 1 : 582 والشذرات 2 : 34 والبلغة : 84 وطبقات الداودي 1 : 179 وروضات الجنات 4 : 48 .

وقال صالح بن محمد : أبو زيد النحوي ثقة .

ويروى عن أبي عبيدة والأصمعي أنهما سئلا عن أبي زيد الأنصاري فقالا : ما شئتَ من عفاف وتقوى وإسلام .

وكان سيبويه إذا قال : سمعت الثقة ، يريد به أبا زيد الأنصاري .

وقال المبرد : كان أبو زيد عالماً بالنحو ، ولم يكن مثل الخليل وسيبويه ، وكان يونس من باب أبي زيد في العلم واللغات ، وكان أعلم من أبي زيد بالنحو ، وأبو زيد أعلم من الأصمعي وأبي عبيدة بالنحو . وقال أبو عثمان المازني : كنا عند أبي زيد فجاء الأصمعي وأكبَّ على رأسه يقبِّلُهَا ، وجلس وقال : هذا عالمنا ومعلمنا منذ عشرين سنة .

وتوفي أبو زيد بالبصرة سنة خمس عشرة ومائتين في خلافة المأمون وقد جاوز التسعين .

وقال الأخفش[1] . أبو زيد أعلم من أبي عمرو . وقال أبو علي القالي : كان أبو زيد أنحى من أبي عبيدة والأصمعي وأغزر في اللغة منهما ، وله كتب كثيرة ونوادر في اللغة مشهورة . وأخذ أبو زيد عن العرب وعن أبي عمرو بن العلاء . وأخذ منه أبو عبيد القاسم بن سلام وسيبويه والرياشي وأبو حاتم السجستاني . ولما كبر أبو زيد اختل حفظه ولم يختل عقله . قال أبو حاتم : قلت لأبي زيد نسأ اللّه في أجلك ، فقال : يا بني وما النسأ بعد الثمانين .

وحدث المبرد قال[2] : كان أبو زيد يلقب الناس فلقب الجرمي بالكلب لجدله واحمرار عينيه ، ولقب المازني بالتدرج لأن مشيه كان يشبه مشي التدرج . ولقب أبا حاتم رأس البغل لكبر رأسه . ولقب التوزي أبا الوزواز لخفة حركته وذكائه . ولقب الزيادي طارقاً لأنه كان يأتيه ليلاً .

حدث عن أبي زيد الأنصاري أن شيخاً جاءه بصبيّ معه فقال : يا أبا زيد ، ما أعلمَ هذا الغلام بالغريب ! فاسأله عما شئت . فقال له أبو زيد : ما الجهوة يا بني ؟

(1) هذا النص حتى آخر الشعر من المختصر .

(2) إنباه الرواة 2 : 34 ـ 35 .

قال : لا أدري . قال : هي دوارة فقحتك .

وحدث أبو زيد قال: قدمت علينا البصرة أعرابية ومعها ابنان لها كأنهما مهران، فما [قضيا] أشهرا حتى دفنتهما ، فكانت تأتي قبرهما فتبكيهما . فأتيتها ذات يوم وهي بين القبرين ، وقد وضعتْ يدها عليهما وهي تقول :

ولله جاراي اللذان أراهما ... قريبين مني والمزارُ بعيدُ
مقيمين بالبيداء لا يبرحانها ... ولا يسألان الركبَ أين يريدُ
كما تركا عينيَّ لا ماء فيهما ... وشكا سوادَ القلبِ وهو عميدُ
أطوفُ فاستبرى القبور فلا أرى ... سوى جدث أحجارُهُنّ ركودُ
كواتم أسرار ضوامنُ أعظمٍ ... بلين وباقي حدّهن حديدُ

قال أبو زيد : فوالله لبكيت حتى كان المازني يظن أني أبوهما .

ومن شعر أبي زيد(1) :

إذا أنت لم تعفُ عن صاحب ... أساءَ وعاقبْته إن عَثَرْ
بقيت بلا صاحب فاحْتمل ... وكن ذا وفاءٍ وإنْ هُوْ غدَرْ

وله في أبي محمد اليزيدي(2) :

وجه يحيى يدعو إلى البصق فيه ... غير أني أصونُ عنه بصاقي

وله من الكتب : كتاب إيمان عثمان . كتاب حيلة ومحالة . كتاب التثليث . كتاب القوس والترس . كتاب مسائية ، كتاب المعزى ، كتاب الإبل والشاء . كتاب خلق الإنسان . كتاب الأبيات . كتاب المطر . كتاب النبات والشجر . كتاب اللغات . كتاب قراءة أبي عمرو . كتاب النوادر . كتاب الجمع والتثنية . كتاب اللبن . كتاب بيوتات العرب . كتاب تخفيف الهمزة . كتاب الواحد . كتاب الجود والبخل . كتاب التمر . كتاب جبأة . كتاب المقتضب . كتاب الغرائز . كتاب الوحوش . كتاب

(1) نور القبس : 108 .
(2) من هنا حتى آخر الترجمة (ما عدا أسماء الكتب) مزيد من المختصر .

الفرق . كتاب الورد . كتاب فعلت وأفعلت . كتاب نعت الغنم . كتاب المشافهات . كتاب غريب الأسماء . كتاب الهمز . كتاب الأمثال . كتاب المصادر . كتاب الحلبة . كتاب نابه ونبيه . كتاب المنطق . كتاب الملتزم . كتاب التصاريف .

قال ابن دريد : أخبرنا أبو حاتم قال ، أخبرنا أبو زيد قال : بينما أنا في المسجد الحرام إذ وفد علينا أعرابيّ فقال : يا مسلمون ، إن الحمد لله والصلاة على نبيه ، أنا امرؤ من أهل هذا الملطاط الشرقي المواصي أسياف تهامة ، عكفت علينا سنون مُحْشٌ فاجتبَّتِ الذرى وهشّمت العرى ، وحمشت النجم ، وأَعجتِ البهم ، وَهَمَتِ الشحم ، والتحبت اللحم ، وأحجنت العظم ، وغادرت التراب موراً ، والماء غوراً ، والناس أوزاعاً ، والنبط قعاعاً ، والضَّهْلَ خراعا ، والمقام جعجاعا ، يصبحنا الهاوي ، ويطرقنا العاوي ، فخرجت لا أتلفع بوصيدة ، ولا أتقوت بهبيدة ، فالنحصات وَقِعة ، والركبات زلعة ، والأطرف قَفعة ، والجسم مُسْلَهِمّ ، والنظر مُدْرهِمّ ، أعشو فأغطش ، وأضحي فأخفش ، أُسْهِلُ طالعاً ، وأُحْزِنُ راكعاً ، فهل من أمير يَمير ، أو داعٍ لخير . وقاكم الله سطوة القادر ، وملكة الكاهر ، وسوء الموارد ، وتَصَرُّحَ المصادر .

قال أبو زيد : فأعطيته ديناراً وكتبت كلامه ، واستفسرته ما لم أعرف . تفسير ذلك :

الملطاط أشد انخفاضاً من الغائط وأوسع منه ، والمواصي الملاصق ، تواصى النبت إذا لصق بعضه ببعض . أسياف : جمع سيف وهو ساحل البحر . عكفت : أقامت . مُحْش جمع مَحُوش وهي السنة التي تمحش الشجر الذي يبقى على الجذْب . حَمَشَتَ استأصلت واحتلقت . أَعْجَتْ جعلتها عجايا وهو السيّء الغذاء أي هزلى . وهمت الشحم : أذابته . والتحبت اللحم : قشرته عن العظم . وأحجنت العظم : أي صيرته معوجاً كالمحجن . والمور الذي يجيء ويذهب على وجه الأرض . والغور : الماء الغائر في الأرض . والأوزاع المتفرقون . والنبط : الماء المستنبط . والقعاع : الملح المر ، يقال : ماء قُعاع ، والضهل : الماء القليل على وجه الأرض ، وكذلك الضحل . والجعجاع : المقام على غير طمأنينة . والهاوي :

الجراد . والعاوي : الذئب . والتلفع : الاشتمال ، وكلّ نسيجة وصيدة . والهبيدة حَبُّ الحنظل . والنحص : باطن القدم ، والوقع الذي ييجعه باطن قدمه ، فلا يطيق المشي ، والركبات جمع ركبة . والتزلع : تشقق الجلد ، والقفع الذي تجمعت أنامله والمسلهم : الضامر هزالاً ، والمدرهم الذي قد أظلمت عليه عينه من جوع أو مرض . وأغطش : أظلم . وأعشو : أنظر ، ويقال : عشوت إلى النار إذا أحددت طرفك بالليل لتنظر إليها . وأخفش : لا يبصر بالنهار مثل الخفاش . أسهل ظالعاً : إذا مشيت في السهل ظلعت فكيف في الجبل . وأحزن راكعاً : أي إذا ركبت الحَزْنَ من الأرض ، وهو الغليظ منها ، ركعت أي كبوتُ على وجهي . يمير أي يعطيه . الكاهر مثل القاهر

ـ 530 ـ

سعيد بن جبير ، أبو عبد الله : مولى والبة من بني أسد . وكان أسودَ اللون . كتب لعبد الله بن عتبة بن مسعود ، ثم كتب لأبي بردة بن أبي موسى الأشعري وهو على القضاء وبيت المال بالكوفة . وخرج مع عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث . ولما انهزم ابنُ الأشعثِ من دير الجماجم هرب سعيد بن جبير إلى مكة ، فأخذه عبد الله القسري ، وكان والياً للوليد بن عبد الملك على مكة ، فبعثه إلى الحجاج بن يوسف . فلما رآه الحجاج قال له : اختر أي قتْلَةٍ شئت . فقال سعيد : بل أنت اختر لنفسك فإن القصاصَ أمامك . فقال له الحجاج : يا شقيّ بن كُسَير ، ألم أقدم إلى الكوفة ولم يؤمَّ بها إلا عربي فجعلتك إماماً ؟ قال : بلى . قال: أو لم أولِّك القضاء فضجَّ أهلُ الكوفة وقالوا ، لا يصلحُ للقضاء إلا العربي ، فاستقضيت أبا بردة وأمرته ألا يقطع أمراً دونك ؟ قال : بلى . قال : أو ما جعلتك من سماري ؟ قال : بلى . قال :

530 ـ هذه الترجمة من المختصر ؛ وانظر طبقات ابن سعد 6 : 256 وطبقات خليفة : (العمري): 280 والمعارف: 445 والمعرفة والتاريخ 1 : 712 وحلية الأولياء 4 : 272 وأخبار أصبهان 1 : 324 وطبقات الشيرازي: 82 وابن خلكان 2 : 371 وتذكرة الحفاظ: 71 وسير الذهبي 4 : 321 وعبر الذهبي 1 : 112 والبداية والنهاية 9 : 96 وطبقات ابن الجزري 1 : 305 وتهذيب التهذيب 4 : 11 والنجوم الزاهرة 1 : 228 وطبقات الحفاظ: 31 وطبقات المفسرين: 181 والشذرات 1 : 108 .

أو ما أعطيتك من المال كذا وكذا تفرّقه في ذي الحاجة ، ثم لم أسألك عن شيء منه ؟ قال : بلى . قال : فما أخرجك عليّ ؟ قال : بيعةٌ كانت لابن الأشعث في عنقي . قال : فغضب الحجاج ، ثم قال : أما كانت بيعة أمير المؤمنين عبد الملك في عنقك قبله ؟ والله لأقتلنّك ، فقتله سنة أربع وتسعين في أيام الوليد .

وكان أخذ القراءة عن عبد الله بن عياش . وروي أنه لما دخل على الحجاج ، وأمر بقتله بكى ابن لسعيد صغير ، فقال له سعيد : لا تبكِ ، فما بقاءُ أبيك بعد خمس وستين سنة ؛ ونظر إلى جموع الحجاج وخيله ورجله فأنشأ يقول :

يا دولةَ الجور قد طالت لياليها   وطال تعذيبنا من فِسْقِ واليها
يُسَار فينا بما لو سير في جزرٍ   لاشتد محميةً منها لواليها
فلا نحامي على دين فننصره   ولا نحامي على دنيا فنحويها
فلو شركناهمُ في لين عيشهمُ   لقلتُ دنيا وقوم أترفوا فيها
لكنهم صرفوا عنا لذاذتها   وألبسونا بلايا لست أحصيها

ثم ضرب عنقه فسال منه دم كثير ، فعجب الحجاج منه ، وسأل الأطباء عنه ، فقالوا : هذا رجل لم يخفِ القتل ولا هابك .

- 531 -

أبو سعيد بن حرب بن غورك القيرواني : [كان] عارفاً بالقرآن والنحو ، كثير الوقار ، قليل الكلام .

- 532 -

سعيد بن الحكم أبو عبد الله بن أبي مريم النسابة : ذكره ابن النديم وقال : له من التصانيف : كتاب المآثر . وكتاب النسب . وكتاب نواقل العرب .

---

531 - من المختصر ؛ وانظر طبقات الزبيدي : 233 وإنباه الرواة 4 : 123 ؛ قال : وكان ينسب من أجل وقاره إلى الكبر ، وكان لا يبتسم في مجلسه فضلاً عن أن يضحك . وكانت له أشعار كثيرة فصيحة .

532 - انظر الفهرست : 107 .

ـ 533 ـ

سعيد بن حميد بن بحر : وقيل سعيد بن حميد بن مهرمار الواسطي الشاعر يكنى أبا عثمان وله رسائل وأشعار . جيد التناول للسرقة ، كثير الإغارة ، وكان يدَّعي أنه من أولاد ملوك الفرس . ومن شعره(1) .

فداكِ أبي ما لي أراكِ بخيلةً ... مقيمٌ على الحرمانِ من يستزيدها
فأصبحتِ كالدنيا تذمُّ صروفها ... ونوسعها عيباً ونحن عبيدها

وله أيضاً(2) .

لا تعتبنَّ على النوائبْ ... فالدهرُ يُرْغِمُ كلَّ صاحبْ
واصبرْ على حَدَثَانِهِ ... إن الأمورَ لها عواقبْ
ما كلّ من أنكرته ... ورأيتَ جفوتَهُ تعاتبْ
الدهر أولَى ما صبر ... تَ له على رَنْقِ المشاربْ
كم نعمة مطوية ... لك بين أثناءِ المصائبْ
ومسرّةٍ قد أقبلتْ ... من حيث تنتظر النوائبْ

ومن رائق شعره قوله(3) :

تقول أَنِلْ عينيك حظاً من الكرى ... فقد لاح أو قد كاد يبدو سنا الفجرِ
فقلتُ لها فيه لقاءُ معاشرٍ ... تعافهمُ نفسي ويعيا بهم صبري
فواللّه ما في الأرض خلقٌ علمتُهُ ... يُرَجَّى لِعُرْفٍ أو يُقَصِّرُ عن نُكْرِ
فلا تنكري أني صدفتُ عن الكرى ... فإن سوادَ الليل حظيَ من عمري

---

533 ـ هذه الترجمة من المختصر ، وانظر الفهرست : 137 والأغاني 18 : 89 والوافي 15 : 213 وهو سعيد ابن حميد بن سعيد بن حميد بن بحر . وليونس السامرائي ، رسائل سعيد بن حميد وأشعاره ، بغداد 1971 .

(1) السامرائي : 125 .
(2) السامرائي : 123 ـ 124 والبصائر 3 : 158 .
(3) لم ترد في مجموع السامرائي .

وله[1] :

لجت عواذلُهُ تعاتبه ... وَخَلَوْنَ دونَ مواقع العُذْرِ
وتصرَّمت أيامُ لذته ... فمضينَ عنه بجدّة العمرِ
وخلت منازلُ من أحبَّتِهِ ... قذفتْ بهم عنها يدُ الدهرِ
وأشد ما لاقيت بعدهمُ ... أني فجعت بهم مع الصبرِ

وولي ديوان الرسائل في أيام المستعين رئاسة ، فقال فيه بعض الكتاب[2] :

يا حجةَ اللّه في الأرزاق والقسم ... ومحنةً لذوي الأخطار والهمم
تراك أصبحتَ في نعماءَ سابغة ... إلَّا وربّك غضبانٌ على النعم

وله من الكتب : كتاب انتصاف العجم من العرب، ويعرف بالتسوية . كتاب رسائله . كتاب ديوان شعره .

- 534 -

سعيد بن حميد بن البختكان : يكنى أبا عياض ، كاتب شاعر مترسل وله أصل في الفرس قديم ، شديد العصبية على العرب ، له من الكتب كتاب افتخار العجم على العرب . وكتاب رسائله .

- 535 -

سعيد بن سعيد الفارقي ، أبو القاسم النحوي : أخذ عن الربعي وابن

534 ـ من المختصر ؛ والفرق بين هذا وسابقه في الكنية ، ولكنهما في الشعوبية متشابهان ، وقد فرَّق بينهما ابن النديم ، انظر الفهرست : 137 .

535 ـ ترجمة سعيد الفارقي في بغية الطلب 8 : 297 والوافي 15 : 223 وبغية الوعاة 1 : 584 وروضات الجنات 3 : 154 (في ترجمة ابن خالويه) .

(1) لم ترد في مجموع السامرائي .

(2) لم ترد في المجموع المذكور .

خالويـه ، وكان بارعا في العربية أديباً فاضلاً له تصانيف منها كتاب تقسيمات العوامل وعللها . وكتاب تفسير المسائل المشكلة في أول « المقتضب » للمبرد ، وغير ذلك . مات مقتولاً بالقاهرة عند بستان الخندق يوم الجمعة لسبع بقين من جمادى الأولى سنة إحدى وتسعين وثلاثمائة ومن شعره :

مـن آنسـتـه البـلادُ لم يَـرِمِ ... منهـا ومن أوحشتـه لم يُقِمِ
ومن يبت والهمـومُ قـادحـةٌ ... في صـدره بـالـزنـادِ لم ينمِ

ـ 536 ـ

سعيد بن طلحة بن الحسين بن أبي ذر بن إبراهيم بن علي الصالحاني : تخرج به أكثر أهل أصبهان ، وسمع الحديث . مات سنة إحدى وثلاثين وخمسمائة .

ـ 537 ـ

أبو سعيد ابن عبد الصمد المقري : له تواليف في تفسير القرآن جيدة ، منها التبصرة في القراءات ، كتاب شرح الغاية . كتاب قراءة يعقوب خاصة .

ـ 538 ـ

سعيد بن عبد الله بن دحيم : سكن إشبيلية والأندلس ، أبو عثمان . [كان] عالماً بالنحو إماماً في كتاب سيبويه ، ذا حظ وافر من علم اللغة وشرح الأشعار . مات سنة تسع وعشرين وأربعمائة .

---

536 ـ هذه الترجمة من المختصر ، وانظر الوافي 15 : 227 .

537 ـ هذه الترجمة من المختصر .

538 ـ هذه الترجمة من المختصر وانظر الصلة : 216 وإنباه الرواة 2 : 55 والوافي 15 : 233 وبغية الوعاة 1 : 584 .

ـ 539 ـ

سعيد بن عبد العزيز بن عبد الله بن محمد بن إبراهيم بن عبد المؤمن بن طيفور ، أبو سهل النيلي : كان أديباً نحوياً فقيهاً طبيباً عالماً بصناعة الطب ، وله من التصانيف : اختصار كتاب المسائل لحنين . تلخيص شرح فصول بقراط لجالينوس مع نكت من شرح أبي بكر الرازي ، وغير ذلك . مات سنة عشرين وأربعمائة ، ومن شعره :

يا مُفَدَّى العذارِ والخدِّ والقدِّ بنفسي وما أراها كثيرا
وَمُعيري من سُقْم عينيه سُقْماً دمتُ مضنىً به ودمتَ مُعيرا
اسقني الراحَ تشفِ لوعةَ قلبٍ باتَ مذ بنتَ للهموم سميرا
هي في الكاس خمرة فإذا ما أفرغت في الحشا استحالت سرورا

ـ 540 ـ

سعيد بن عثمان بن سعيد بن محمد بن سعيد بن عبد الله بن يوسف البربري اللغوي المعروف بابن القزاز ويلقب بلحية الزبل : وهو من أهل قرطبة من بلاد الأندلس . روى عن أبي علي القالي ، ومات في سنة أربع وسبعين وثلاثمائة[1] . وكان من أهل الأدب البارع .

539 ـ ترجمته في عيون الانباء 1 : 253 والوافي 15 : 240 وبغية الوعاة 1 : 585 .

540 ـ هذه الترجمة من المختصر ، وانظر الصلة . 204 وإنباه الرواة 2 : 44 والوافي 15 : 242 وبغية الوعاة 1 : 585 ؛ وكان ابن القزاز حافظاً للغة والعربية ، حسن القيام بهما ، وله كتاب في الرد على صاعد اللغوي في مناكير كتابه المسمى بـ «الفصوص» . ونشر له كتاب بعنوان «العشرات في اللغة» تحقيق يحيى جبر (عمان : 1984) .

(1) ذكر بعضهم أن وفاته كانت سنة أربعمائة ، وذكر آخرون انها كانت في سنة أربع وتسعين وثلاثمائة (أو خمس وتسعين) .

ـ 541 ـ

سعيد بن عيسى الأصفر أبو عثمان النحوي : سكن طليطلة من بلاد الأندلس . [كان] عالماً بالنحو واللغة والأشعار ، ومشاركاً في المنطق وكتب الأخبار . له شرح كتاب الجمل ، يسير . توفي سنة ستين وأربعمائة .

ـ 542 ـ

سعيد بن الفرج أبو عثمان الرشاش مولى بني أمية : كان أديباً فاضلاً عالماً باللغة والشعر ، وكان يحفظ أربعة آلاف أرجوزة للعرب ، ويضرب المثل بفصاحته ، إلا أنه كان كثير التقعر في كلامه ، رحل إلى المشرق ودخل بغداد ومصر فأقام بها مدة ؛ توفي سنة اثنتين وسبعين ومائتين .

ـ 543 ـ

سعيد بن المبارك بن علي بن عبد الله بن سعيد بن محمد بن نصر بن عاصم بن عباد بن عاصم وينتهي نسبه إلى كعب بن عمرو الأنصاري ، أبو محمد المعروف بابن الدهان النحوي : كان من أعيان النحاة وأفاضل اللغويين ، كثير التصنيف جيد الشعر ، أخذ عن الرماني اللغة والعربية ، وسمع الحديث من أبي غالب أحمد بن البناء وأبي القاسم هبة الله بن محمد بن الحصين وغيرهما ، وأخذ عنه الخطيب التبريزي وجماعة . ولد سنة أربع وتسعين وأربعمائة بنهر طابق ، وكان أصله من بغداد من محلة المقتديّة ، وانتقل إلى الموصل وأقام بها إلى أن مات بها في

---

541 ـ هذه الترجمة من المختصر ، وانظر الصلة لابن بشكوال 1 : 222 والذيل والتكملة 4 : 39 وإنباه الرواة 2 : 47 وهو رعيني قصيري (نسبة إلى قصير عطية) وكتابه في شرح الجمل يسمى الحلل وله رسائل . وجعل ابن عبد الملك وفاته سنة : 462 .

542 ـ ترجمته في طبقات الزبيدي : 261 والمغرب 2 : 57 وبغية الوعاة 1 : 586 .

543 ـ ترجمة ابن الدهان في إنباه الرواة 2 : 47 وابن خلكان 2 : 142 والوافي 15 : 250 ونكت الهميان : 158 والنجوم الزاهرة 6 : 72 وبغية الوعاة 1 : 587 ومرآة الجنان 3 : 390 وطبقات الداودي 1 : 183 وروضات الجنات 4 : 54 والشذرات 4 : 233 وطبقات الاسنوي 1 : 537 .
وهذه الترجمة موجزة نسبياً في م ؛ وقد أضيف إليها أجزاء كثيرة من المختصر .

رمضان ـ ليلة عيد الفطر ـ سنة تسع وخمسين وخمسمائة .

وكان سبب إصعاده من بغداد أن ابن الصوفي صاحب دمشق سمع به فكتب إليه عدَّة مكتوبات يسألهُ إصعادَهُ وقَصْدَه ويرغّبُهُ في رفده، وهو يدافعُ إلى أن حركه القدرُ فأصعد إلى الموصل ليفد عليه ، فأقام بها مديدةً حتى قدم جمال الدين أبو الفرج محمد بن علي بن أبي منصور الأصبهاني الجواد صحبةَ سيف الدين غازي بن زنكي ، واستقرت قدمه في الوزارة له ، والتحكم في أمواله فسمع به جمال الدين الوزير فأحضره مجلسه ، واصطفاه لنفسه ، وأفاض عليه من إنعامه ما منعه عن قصد سواه ، وأجرى عليه الجرايات ، وقال له : جميع ما ترجوه من ابن الصوفي عندي أضعافه . وجَعَله من جملة جلسائه .

فمما أنشدت من شعره ما ألقاه إليّ أمين الدين أبو محمد ياقوت الموصلي الكاتب ، وكان من أعيان تلاميذه ، وسمع أكثر تصانيفه ، في مدح الفقر(1) :

أتعجب أنني أمسي فقيراً ويحظى بالغنى الغمرُ الحقيرُ
كذا الأطواق يُكْسَاهَا حمامٌ وتعطلُ حكمةً منها الصقورُ

وله أيضاً(2) :

أهوى الخمولَ لكي أعيشَ مرفّهاً مما يعانيه بنو الأزمانِ
إن الرياحَ إذا عصفن رأيتها تولي الأذيَّةَ شامخَ الأغصانِ

وله(3) :

بادر إلى العيش والأيام راقدةٌ ولا تكنْ لصروفِ الدهرِ تنتظرُ
فالعمر كالكأس يبدو في أوائِلِهِ صفواً وآخرُهُ في قعرِهِ كدرُ

وله :

ومسائلي ماذا المقام كذا فذاً بلا مالٍ ولا نشبِ
فأجبته هو ما علمتَ به أنا في عزاءِ مصيبةِ الأدبِ

(1) الوافي : 253 .
(2) الوافي : 252 .
(3) الوافي : 252 .

وله[1] :

قـيـل لـي جـاءَكَ نـجـلٌ ولـد شـهـمٌ وسـيـمُ
قـلـت عـزُّوهُ بـفـقـدي ولـدُ الـشـيـخ يـتـيـمُ

قال المؤلف : وكان ابن الدهان هذا مع ما أوتي من سعة العلم وشياع الذكر والفهم ، سقيم الخطّ ، كثيرَ الغلط فيما يكتبه ، وهذا عجب من أمره .

وقيل : إن ابن الدهان قال : رأيت في المنام شخصاً أعرفه وهو ينشد شخصاً كأنه حبيب له[2] :

أيـهـا الـمـاطـل ديني أَمَـلِيٌّ وتـمـاطـلْ
عـلِّلِ الـقـلبَ فـإنـي قـانـعٌ مـنـك بـبـاطـلْ

وقيل : إن هذين البيتين كان ابن الدهان ينشدهما دائماً وينسبهما إلى نفسه .

وسألت أمين الدين ياقوت عن مصنفاته فأملى عليّ : كتاب شرح الإيضاح لأبي علي الفارسي ثلاث وأربعون مجلدة . كتاب الغرة ، وهو شرح اللمع في العربية لابن جني ثلاث مجلدات . كتاب تفسير القرآن أربع مجلدات . كتاب النهاية في العروض . كتاب الدروس مقدمة في النحو . كتاب الفصول في النحو . كتاب الدروس في القوافي والعروض . كتاب العقود في المقصور والممدود . كتاب المآخذ الكندية من المعاني الطائية ، وهو ما أخذ المتنبي من أبي تمام . كتاب فيه شرح بيت واحد من شعر الملك الصالح ابن رزيك وزير صاحب مصر ، عشرين كراسةً ، أرسله إليه إلى مصر إذ لم يقدر على قصده ومدحه . كتاب إزالة المراء في الغين والراء . كتاب الغنية في الضاد والظاء . كتاب الأضداد . كتاب النكت والاشارات على ألْسُن الحيوانات . كتاب في شرح « قل هو الله أحد » مجلد . كتاب في شرح الفاتحة مجلد . كتاب رسائله . وكتاب ديوان شعره[3] .

ولما غرقت بغداد في سنة ثمان وستين وخمسمائة في أيام المستضيء بالله ،

---

(1) الوافي : 252 .
(2) الوافي : 253 .
(3) نشر له فايز فارس « باب الهجاء » (بيروت 1986) .

وقعت دارُهُ على كتبه التي كان قد جمعها في مدة عمره ، وكان أكثرها بخطه ، فبلغه ذلك فوجّه مملوكه إلى بغداد فوجدها وقد بقيت تحت الهدم أياماً كثيرة ، وقد تعفّنتْ وذهب أكثرها ، فقد كان من الاتفاق السيء في أمرها أنه كان في جواره مدبغة فسرى إليها روائح الجلود ، فصارت آية في النتن وسوء الحال ، وجاءوا بها على تلك الصفة . وكان فيما ذهب منها شرح الإيضاح ، ولم يبق منه إلا ست عشرة مجلدة لأنها كانت صحبته لما أصعد ، وقال : لقد بَخّرْت كتبي بأربعين رطلاً لاذناً لتزول منها روائح العفونة فلم تزل، وأصيب على كتبه مصاباً عظيماً، وعالجها بالبخرات حتى كان سبباً لذهاب بصره ، فما مات حتى أضر .

ومن شعره :

لا تحسبنْ أنَّ بالكتـ ـب مثلنا ستصيرُ
فللدجاجةِ ريشٌ لكنّها لا تطيرُ

وقال :

وأخٍ رخصتُ عليه حتى ملّني والشيءُ مملولٌ إذا ما يرخصُ
ما في زمانك من يعزُّ وجوده إن رُمْتَهُ إلا صديقٌ مخلصُ

ـ 544 ـ

سعيد بن محمد بن جريج أبو عقال القيرواني : الكاتب الأديب ، كاتب القاضي سليمان بن عمران قاضي افريقية[1] ، مات سنة تسع وسبعين ومائتين ، ومن شعره أبيات رثى بها القاضي سليمان المذكور قال :

عجباً لموضع لحده في قبره للعلم والعرفان كيف توسعا

---

544 ـ لم أجد له ترجمة .

(1) تولى قضاء القيروان بعد وفاة سحنون (سنة 240) .

رجع الخصومُ وخلَّفوا عَلَمَ الهدى　　في بـاب سلمٍ لا يـزال ممتعـا
أتت المنيـةُ مَنْ تلبَّبَ قـاضيـاً　　خمسين عـامـاً واثنتين وأربعـا

ـ 545 ـ

سعيد بن محمد الغساني أبو عثمان المعروف بابن الحداد القيرواني : [كان] عالماً بالعربية واللغة ، وكان الجدل غالباً عليه ، مات في سنة أربعمائة شهيداً في بعض الوقائع . وكان له في أول دخول الشيعة إلى القيروان مقامات محمودة ناضل فيها عن الدين وذبّ عن السنن حتى شبّهه الناس بأحمد بن حنبل أيام المحنة . وكان يناظرهم ويقول : قد أربيت على التسعين ، وما بي إلى العيش من حاجة ، وذلك أنهم لما ملكوا البلد أظهروا تبديل الشرائع والسنن وبدروا إلى رجلين من أصحاب سحنون قتلوهما وعرّوا أجسادهما ونودي عليهما : هذا جزاء من ذهب مذهب مالك .

وله من الكتب : كتاب توضيح المشكل في القرآن . كتاب المقالات ردّ فيه على المذاهب جميعها . كتاب الاستيعاب . كتاب الأمالي . كتاب عصمة الأنبياء[1] . كتاب العبادة الكبرى . كتاب العبادة الصغرى . كتاب الاستواء والاحتجاج على الملاحدة .

ـ 546 ـ

سعيد بن محمد بن علي بن محمد السلامي القرشي الكوفي : [كان] أديباً فاضلاً حسن الخط ، جيد الضبط .

545 ـ هذه الترجمة من المختصر : وانظر طبقات الزبيدي : 239 وعلماء أفريقية للخشني : 201 ، 257 ، 239 وترتيب المدارك 5 : 78 وإنباه الرواة 2 : 53 والوافي 15 : 179 ، 256 (ترجم له مرتين) ومعالم الايمان 2 : 295 وبغية الوعاة 1 : 589 وروضات الجنات 4 : 53 ورياض النفوس 2 : 57 ـ 115 .

546 ـ من المختصر .

(1) طبقات الزبيدي : كتاب عصمة المسلمين ؛ الانباه : عصمة الدينيين .

ـ 547 ـ

سعيد بن محمد المعافري أبو عثمان القرطبي يعرف بابن الحداد : أخذ عن أبي بكر ابن القوطية .

ـ 548 ـ

سعيد بن مسعدة أبو الحسن المعروف بالأخفش الأوسط البصري ، مولى بني مجاشع بن دارم ـ بطن من تميم: وقيل إنه كان من أهل بلخ، وكان أجلعَ والأجلع الذي لا تنطبق شفتاه وقيل الأجلع : القصير الشفة العليا ، وكان معتزليا ، غلام أبي شمر وعلى مذهبه . أحد أئمة النحاة من البصريين ، أخذ عن سيبويه ، وهو أعلم من أخذ عنه ، وكان أخذ عمن أخذ عنه سيبويه لأنه أسنّ منه ثم أخذ عن سيبويه أيضاً ، وهو الطريق إلى كتاب سيبويه فإنه لم يقرأ الكتابَ على سيبويه أحدٌ ، ولم يقرأه سيبويه على أحدٍ ، وإنما قرىء على الأخفش بعد موت سيبويه. قال المبرد[1]: لم يقرأ أحد كتاب سيبويه على سيبويه وانما قرىء بعده على الأخفش . وكان الأخفش أسن من سيبويه . وكان ممن قرأه عليه أبو عمر صالح بن اسحاق الجرمي وأبو عثمان المازني . وكان الأخفش يستحسن كتابَ سيبويه كل الاستحسان فتوهم الجرميّ والمازني أن الأخفش قد همَّ أن يدّعي الكتابَ لنفسه فتشاورا في منع الأخفش من ادعائه ، فقالا : نقرأه عليه ، فإذا قرأناه عليه أظهرناه وأشعنا أنه لسيبويه فلا يمكن أن يدعيه ، فأرغبا الأخفش وبذلا له شيئاً من المال على أن يقرآه عليه فأجاب ، وشرعا في القراءة ، وأخذا الكتاب عنه وأظهراه للناس . وكان الأخفش يقول : ما وضع سيبويه في كتابه

547 ـ من المختصر ، وانظر : الصلة : 209 وبغية الوعاة 1 : 589 وذكر ابن بشكوال أنه بسط في كتاب الأفعال لابن القوطية وزاد فيه ، وأنه توفي بعد الأربعمائة شهيداً في بعض الوقائع .

548 ـ ترجمة الأخفش الأوسط في أخبار النحويين البصريين: 50 والمعارف: 545 والفهرست: 58 وطبقات الزبيدي: 72 ومراتب النحويين: 68 ونور القبس: 97 ونزهة الألباء: 91 وإنباه الرواة 2 : 36 وابن خلكان 2 : 380 وسير الذهبي 10 : 206 والوافي 15 : 258 وبغية الوعاة 1 : 590 والبداية والنهاية 10 : 293 والشذرات 2 : 36 ومرآة الجنان 2 : 61 وروضات الجنات 4 : 51 .

(1) نور القبس : 95 .

شيئاً إلا وعرضه علي وهو يرى أني أعلم منه وكان أعلم به مني ، وأنا اليوم أعلم به منه .

وحكى ثعلب أن الفراء دخل على سعيد بن سلم فقال : قد جاءكم سيد أهل اللغة وسيد أهل العربية ، فقال الفراء : أما ما دام الأخفشُ يعيش فلا .

وحكى الأخفش قال : لما ناظر سيبويه الكسائيَ ورجع وجَّه إليَّ فعرَّفني خبره معه ومع البغداديين وودعني ومضى إلى الأهواز ، فرددت ؛ جلست في سميرية حتى وردت بغداد فوافيت مسجد الكسائي ، فصليت خلفه الغداة ، فلما انفتل من صلاته وقعد في محرابه وبين يديه الفراء والأحمر وابن سعدان سلمت وسألته عن مائة مسألة ، فأجاب بجوابات خطأته في جميعها ، فأراد أصحابه الوثوبَ عليَّ فمنعهم ، ولم يقطعني ما رأيتهم عليه عما كنت فيه ، فلما فرغت من المسائل قال لي الكسائي باللّه أنت أبو الحسن سعيد بن مسعدة ؟ قلت : نعم ، فقام إليَّ وعانقني وأجلسني إلى جنبه ، ثم قال : لي أولاد أُحبُّ أن يتأدبوا بك ويتخرجوا على يديك وتكونَ معي غيرَ مفارقٍ لي ، فأجبته إلى ذلك ، فلما اتصلت الأيام بالاجتماع سألني أن أؤلف له كتاباً في معاني القرآن فألفته[1]، فجعله إماماً له وعمل عليه كتاباً في المعاني، وعمل الفراء كتابه في المعاني عليهما ، وقرأ عليَّ كتاب سيبويه سراً ووهب لي سبعين ديناراً .

قال أبو حاتم[2] : أخذ الأخفش كتاب أبي عبيدة في القرآن فأسقط شيئاً وزاد شيئاً ، وجعله لنفسه ، وقال : الكتاب لمن أصلحه ، وليس الكتاب لمن أفسده .

سأل المؤرّج سعيد بن مسعدة عن قوله تعالى : ﴿ **والليل إذا يسر** ﴾ ما العلة في سقوط الياء منه ، وإنما تسقط عند الجزم ؟ فقال : لا أجيبك ما لم تَبِتْ على باب داري مدة . قال : فبتُّ على باب داره مدّة ، ثم سألته ، فقال : اعلم أن هذا مصروف على جهته ، وكل ما كان مصروفاً على جهته فإن العرب تبخس حظه من الإعراب نحو قوله : ﴿ **وما كانت أمك بغياً** ﴾ أسقط الهاء لأنها مصروفة من فاعلة إلى فعيل . قلت : وكيف صرفه ؟ قال : الليل لا يسري ، وإنما يُسْرى فيه .

قيل : أدَّبَ الأخفشُ أولادَ المعدل بن غيلان العبدي فكتب الأخفش إلى

---

(1) نشر في جزءين بتحقيق د. فائز فارس ، الكويت 1981 .

(2) من هنا حتى آخر الشعر مزيد من المختصر .

المعدل : يَستجفي ابنه عبد الله :

أبلغ أبا عمرو حليفَ الندى ... بأن عبد الله لي جافي

قد أحكم الآدابَ طرّاً فما ... يجهلُ شيئاً غير ألطافي

لم تندَ من كفيه لي قطرةٌ ... وليس ذا منه بإنصافِ

فكتب إليه المعدل :

إن يجفُ عبد الله أو يعتدي ... يَكْفِكَ إنصافي وألطافي

فأجابه الأخفش :

ما بعد إنصافك لي غايةٌ ... وبعضُ إنصافِكَ لي كافِ

وكان أبو العباس ثعلب يفضل الأخفش ويقول : هو أوسع الناس علماً . وقال المبرد : أحفظُ من أخذ عن سيبويه الأخفش ثم الناشىء ثم قطرب . وكان الأخفش أعلم الناس بالكلام وأحذقهم بالجدل . توفي سنة خمس عشرة ومائتين وقيل سنة إحدى وعشرين .

وله من التصانيف : كتاب الأربعة . كتاب الاشتقاق . كتاب الأصوات . كتاب الأوسط في النحو . كتاب تفسير معاني القرآن . كتاب صفات الغنم وألوانها وعلاجها وأسبابها . كتاب العروض . كتاب القوافي[1]. كتاب المسائل الكبير . كتاب المسائل الصغير . كتاب معاني الشعر . كتاب المقاييس . كتاب الملوك . كتاب وقف التمام . ووضع الأخفش كتباً في النحو ومات قبل اتمامها .

ـ 549 ـ

سعيد بن هارون، أبو عثمان الاشناندانى مولى عبد الله بن معمر التيمي : كان نحوياً لغوياً من أئمة اللغة ، أخذ عن أبي محمد التوّزي ، وأخذ عنه أبو بكر ابن

---

549 ـ ترجمة الأشناداني في الفهرست: 66 ونزهة الألباء: 139 ومراتب النحويين: 84 وطبقات الزبيدي 182 (ذكر الاسم ولم يورد ترجمة) وبغية الوعاة 1 : 591 ؛ 2 : 136 .

(1) حققه صديقنا أحمد راتب النفاخ ، بيروت 1974 .

دريد . قال ابن دريد : سألت أبا حاتم السجستاني عن اشتقاق ثادق اسم فرس فقال : لا أدري ، وسألت الرياشي فقال : يا معشر الصبيان إنكم تتعمقون بالعلم ، وقال : سألت أبا عثمان الاشناندانى فقال هو من ثدق المطر من السحاب إذا خرج خروجاً سريعاً نحو الودق .

وحكى ابن دريد أيضاً قال : سألت أبا حاتم السجستاني عن قول الشاعر :

وَجَفَرَ الفحلُ فأضحى قد هَجَفْ واصفرَّ ما اخضرَّ من البقل وجف

فقلت : ما هجف ؟ فقال : لا أدري ، فسألت الاشناندانى فقال : هجف اذا التحقت خاصرتاه من التعب وغيره .

وله من التصانيف : كتاب معاني الشعر يرويه عنه ابن دريد[1] . وكتاب الأبيات[2] ، وغير ذلك . مات سنة ثمان وثمانين ومائتين . والاشنانداني نسبة إلى أشنان محلة ببغداد وزادوا الدال فيها كما زادوا الهاء في الأشنهي نسبة إلى أشنا .

ـ 550 ـ

سعيد بن هاشم بن سعيد وينتهي نسبه إلى عبد القيس ، أبو عثمان الخالدي البصري : كان [هو] وأخوه أبو بكر أديبي البصرة وشاعريها في وقتهما، وكان بينهما وبين السري الرفاء الموصلي ما يكون بين المتعاصرين من التغاير والتضاغن ، فكان يدعي عليهما سرقة شعره وشعر غيره ، ويدس شعرهما في ديوان كشاجم ليثبت مدَّعاه كما بينا ذلك في ترجمة السري .

وقال ابن النديم : قال لي الخالدي وقد تعجبت من كثرة حفظه : أنا أحفظ ألف سفرٍ ، كل سفر مائة ورقة . وكان هو وأخوه مع ذلك إذا استحسنا شيئاً غصباه صاحبه

550 ـ ترجمة الخالدي سعيد بن هاشم في الفهرست : 195 واليتيمة 2 : 183 والوافي 15 : 263 والفوات 2 : 52 ؛ وانظر مقدمة التحف والهدايا ، ومقدمة الأشباه والنظائر وقد جمع د. سامي الدهان ديوان الخالديين (دمشق 1969) ، والخالديان نسبة إلى الخالدية وهي من قرى الموصل .

(1) طبع غير مرة ، احداها بعناية د. صلاح الدين المنجد ، بيروت 1964 .
(2) ر: كتاب الأثبات .

حيّاً كان أو ميتاً لا عجزاً منهما عن قول الشعر ولكن كذا كان طبعهما ؛ وكلام ابن النديم هذا فيه موافقة للسري الرفاء أو مجاراة له والله أعلم .

ثم قال ابن النديم : وقد عمل أبو عثمان شعره وشعر أخيه قبل موته ، وله تصانيف منها حماسة شعر المحدثين وغير ذلك . توفي أبو عثمان سنة إحدى وسبعين وثلاثمائة ، ومن شعره[1] :

يا قضيباً يميسُ تحتَ هلالِ ... وهلالاً يرنو بعيني غزالِ
منك يا شمسنا تعلمتِ الشمـ ... ـسُ دنوَّ السنا وَبُعْدَ المنالِ

وقال[2] :

هتفَ الصبحُ بالدجى فاسقنيها ... قهوةً تتركُ الحليمَ سفيها
لستَ تدري لرقةٍ وصفاءٍ ... هي في كأسها أم الكأسُ فيها

وقال[3] :

بغدادُ قد صار خيرها شرًّا ... صيَّرها اللّه مثلَ سامرًّا
اطلبْ وفتشْ واحرصْ فلستَ ترى ... في أهلها حرةً ولا حرا

وقال[4] :

فهاتها كالعروس قانيةَ الـ ... ـخدين في معجرٍ من الحببِ
كادتْ تكون الهواءَ في أرج الـ ... ـعنبر لو لم تكنْ من العنبِ
فلو ترى الكأسَ حين يمزجها ... رأيتَ شيئاً من أعجب العجبِ
نارٌ حواها الزجاجُ يلهبها الـ ... ـماءُ ودرّ يدورُ في لهبِ

وقال[5] :

يا راقداً عارياً من ثوب أسقامي ... هبِ الرقادَ لعينٍ جفنها دامي
لاخلَّص اللّه قلبي من يَدَيْ رشأٍ ... رؤيا رجائي له أَضغاثُ أحلامِ

(1) اليتيمة 2 : 202 والديوان : 146 .
(2) اليتيمة 2 : 203 والفوات : 54 والديوان : 150 .
(3) اليتيمة 2 : 207 والديوان : 127 .
(4) اليتيمة 2 : 199 والديوان : 111 .
(5) الديوان : 148 .

وقال[1] :

أما ترى الغيمَ يا من قلبه قاسي كأنه أنا مقياساً بمقياسِ
قطرٌ كدمعي وبرقٌ مثل نار جوى في القلب مني وريحٌ مثل أنفاسي

ـ 550 ب ـ

سعيد بن هريم الكاتب : كان شريك سهل بن هارون في بيت حكمة المأمون. كان بليغاً فصيحاً مترسلاً. له كتاب الحكمة ومنافعها. كتاب رسائله المجموعة.

ـ 551 ـ

سكن بن سعيد الأندلسي : له كتاب في طبقات الكتاب بالأندلس .

ـ 552 ـ

أبو سفيان بن العلاء : أخو أبي عمرو ، مات أبو سفيان في سنة خمس وستين ومائة بعد أخيه ، وقيل إن اسمه الحارث .

ـ 553 ـ

سلامة بن عبد الباقي بن سلامة أبو الخير الانباري المقرىء النحوي الضرير : كان عالماً بالقراءات والعربية وفنون الأدب ، قرأ على ابن طاوس المقرىء ، وحدث عنه بجزء هلال الحفار عن طراد الزينبي عن هلال ، ثم رحل إلى مصر وسكن بها وتصدّر بجامع عمرو بن العاص يقرىء القرآن والنحو . وله مصنفات منها شرح على

550ب ـ من المختصر ، وانظر الفهرست : 134 ، والوافي 15 : 269 .
551 ـ من المختصر ؛ وانظر جذوة المقتبس ؛ 219 (بغية الملتمس رقم: 843) .
552 ـ من المختصر ؛ وانظر طبقات الزبيدي وإنباه الرواة 4 : 122 وبغية الوعاة 1 : 592 .
وكان أبو سفيان نحوياً قائماً بالغريب وعلم النسب ، وقد وثقه يحيى بن معين .
553 ـ ترجمة أبي الخير الأنباري في الوافي 15 : 329 وبغية الوعاة 1 : 593 .

(1) اليتيمة 2 : 202 والديوان : 135 .

مقامات الحريري . ولد سنة ثلاث وخمسمائة ومات بمصر في ذي الحجة سنة تسعين وخمسمائة .

- 554 -

سلامة بن غَيَّاض بن أحمد أبو الخير الكفرطابي النحوي : كان عالماً حاذقاً بصيراً بعلوم الأدب ، صحيح الكتب جيد الحفظ، ذكره صاحبنا ابن النجار في « تاريخه » فقال : قدم بغداد سنة ست وعشرين وخمسمائة ، وكتب عنه أبو محمد ابن الخشاب ، وقرأ الأدب بمصر على أبي القاسم علي بن جعفر بن القطاع السعدي المصري . وله مصنفات في النحو منها التذكرة عشر مجلدات. وكتاب في النحو لطيف . وكتاب ما تلحن فيه العامة في زمانه . والرسالة الأدبية في الحض على تعليم العربية . مات سنة ثلاث وثلاثين وخمسمائة ومن شعره :

اقنع لنفسك فالقناعة ملبسٌ لا يطمعُ الاشرار في تخريقهِ
فلرُبَّ مغرورٍ غدا تغريقه في حرصه سبباً إلى تغريقهِ

قرأت[1] بخط الشيخ أبي محمد ابن الخشاب : حكى لي سلامة بن غياض الكفرطابي عفا اللّه عنا وعنه ، وكان ممن ينسب إلى الصناعة النحوية أنه سأل صبية من العرب ، وقد احتاج إلى خيط يخيط به شيئاً فقال لها : أعطني خويطاً ، فجاءته بغصن صغير من شجرة . فقال : ما هذا ؟ فقالت : ما طلبت . فقال : إنما أردت خيطاً . قالت : فهلاّ قلت خُيَيْطاً ؟ وصدقت : الخويط تصغير خوط ، وهو الغصن ، والخُيَيْط تصغير الخيط .

---

554 - ترجمة أبي الخير الكفرطابي في إنباه الرواة 2 : 67 وبغية الوعاة 1 : 593 وإشارة التعيين: 133 ؛ (وبعد أن درس الكفرطابي بمصر رحل إلى بغداد بعد سنة عشرين وخمسمائة وقرأ عليه قوم بها ثم سار إلى واسط ودرَّس النحو في جامعها ، علقه عنه أبو الفتح بن زريق الحداد وغيره ، ثم رحل إلى البصرة ثم إلى بلاد العجم وجال في أقطارها وبعد ذلك عاد إلى الشام واستوطن حلب وبها توفي) .

(1) من هنا حتى آخر الترجمة مزيدٌ من المختصر .

ـ 555 ـ

سلامة بن محمد النحوي الحلبي : له أشعار منها :

أراني في انتقاصٍ كلَّ يومٍ ولا يبقى على النقصان شيُّ
طوى العصران ما نشراه مني فكم أبقى على نشر وطي
علاماتُ الفناءِ تحتَّ جسمي وحرْصٌ ثابت في الجسم حي[1]

ـ 556 ـ

سلمان بن عبد اللّه بن محمد أبو عبد اللّه بن أبي طالب الحلواني النهرواني : قال صاحبنا ابن النجار : قدم بغداد وقرأ بها النحو على الثمانيني ، واللغة على ابن الدهان وغيره ، وبرع في النحو ، وكان إماماً فيه وفي اللغة ، وسمع الحديث من القاضي أبي الطيب الطبري وغيره ، وجال في العراق ونشر بها النحو ، واستوطن أصبهان ، وروى عنه السلفي .

وصنف تفسير القرآن . وكتاباً في القراءات . والقانون في اللغة عشر مجلدات لم يصنف مثله . وشرح الإيضاح لأبي علي الفارسي . وشرح ديوان المتنبي . والأمالي ، وغير ذلك . مات في ثاني عشر صفر سنة ثلاث وتسعين وأربعمائة وقيل أربع وتسعين وأربعمائة ، ومن شعره :

---

555 ـ من المختصر ، وبما أنه حلبي فمن المتوقع أن ترد ترجمته في بغية الطلب ، ولكن كثيراً من تراجم حرف السين قد سقطت .

556 ـ ترجمة أبي عبد اللّه الحلواني في الوافي 15 : 311 وبغية الوعاة 1 : 595 وترجم له القفطي في الإنباه 2 : 26 باسم سليمان (ونقل عن تاريخ أصبهان ليحيى بن منده وعن الاكمال لابن ماكولا) ودمية القصر 1 : 387 وقال : عاشرته بنيسابور سنة 363 فوجدته لطيف العشرة رقيق القشرة . . (ويتردد اسمه بين سليمان وسلمان) وانظر الشذرات 3 : 399 ومرآة الجنان 3 : 156 وطبقات الداودي 1 : 192 وطبقات المفسرين للسوطي : 13 ؛ وانظر الترجمة رقم : 567 في ما يلي .

(1) بهامش المختصر : لم أجد له في الأصل ترجمة إلا هذه القطعة ، وقطعة أخرى لم تقع في الاختيار .

إن خانك الدهرُ فكن عائذاً ... بالبيض والادلاج والعيسِ
ولا تكنْ عبد المنَى إنها ... رؤوسُ أموالِ المفاليسِ

وقال :

تقول بنيّتي أبتي تقنَّعْ ... ولا تطمحْ إلى الأطماع تعتدْ
ورضْ باليأسِ نفسَكَ فهو أحرى ... وأزينُ في الورى وعليك أعودْ
فلو كنتَ الخليل وسيبويه ... أو الفرَّاءَ أو كنت المبرّدْ
لما ساويتَ في حيٍّ رغيفاً ... ولا تبتاع بالماء المبرَّدْ

ـ 557 ـ

سَلْم بن عمرو بن حماد مولى بني تيم بن مرّة : شاعر مطبوع من شعراء الدولة العباسية ، كان منقطعاً إلى البرامكة ، وكان يلقب بالخاسر لأن أباه خلَّف له مالاً فأنفقه على الأدبِ ، فقال له بعض أهله : إنك لخاسرُ الصفقة فلُقّبَ بذلك ؛ ثم مدح الرشيد فأمر له بمائة ألف درهم وقال له : كذّبْ بهذا المال من لقّبك بالخاسر ، فجاءهم بها وقال : هذا ما أنفقته على الأدب ثم ربحتُ الأدبَ فأنا سلم الرابح لا سَلم الخاسر . وقيل في تلقيبه بهذا غير ما ذكر[1] .

وكان سَلم تلميذاً لبشار بن برد وصديقاً لأبي العتاهية ، فلما قال بشار قصيدته التي يقول فيها :

من راقب الناسَ لم يظفرْ بحاجتِهِ ... وفاز بالطّيِّباتِ الفاتكُ اللَّهِجُ

فقال سَلم أبياتاً أدخل فيها معنى هذا البيت فقال :

من راقب الناسَ مات غمَّا ... وفاز باللذةِ الجسورُ

557 ـ ترجمة سلم الخاسر في طبقات ابن المعتز : 99 والأغاني 19 : 214 وتاريخ بغداد 9 : 136 وابن خلكان 2 : 350 (سالم الخاسر) والوافي 15 : 302 .

(1) قيل إنه ورث من أبيه مصحفاً فباعه واشترى بثمنه طنبوراً ، وقيل وقع في قسطه من الميراث مصحف ، فردّه وأخذ مكانه دفاتر شعر .

فبلغ بيته بشاراً فغضب وقال : سار والله بيتُ سلم وخمل بيتنا ، وكان الأمر كذلك ، لهجَ الناسُ ببيت سلم ولم يُنْشِدْ بيتَ بشار أحد ، فكان ذلك سبباً للنفور بينهما ، فكان سلم بعد ذلك يقدّم أبا العتاهية ويقول : هو أشعر الجنّ والانس ، إلى أن قال أبو العتاهية يخاطب سلماً(1) :

تعالى اللّه يا سلم بنَ عمرو ... أذلَّ الحرصُ أعناقَ الرجالِ

هبِ الدنيا تصيرُ إليك عفواً ... أليسَ مصيرُ ذلك للزوالِ

فلما بلغ ذلك سلماً غضب على أبي العتاهية وقال : ويلي على الجرَّار بن الفاعلة الزنديق ، زعم أني حريص وقد كنز البِدَرَ وهو لا يزال يطلب وأنا في ثوبيَّ هذين لا أملك غيرهما ، ثم كتب إليه :

ما أقبحَ التزهيدَ من واعظٍ ... يزهِّدُ الناسَ ولا يزهدُ

لو كان في تزهيده صادقاً ... أضحى وأمسى بيته المسجدُ

ورفض الدنيا ولم يَلْقَها ... ولم يكن يَسْعَى ويسترفدُ

يخاف أن تنفدَ أرزاقه ... والرزقُ عند الله لا ينفدُ

الرزقُ مقسومٌ على من ترى ... يناله الأبيضُ والأسودُ

كلٌّ يوفَّى رزقه كاملاً ... من كفَّ عن جهدٍ ومن يجهدُ

وذكر من اقتدار سلم الخاسر على الشعر أنه اخترع شعراً على حرف واحد ولم يسبق إلى مثل ذلك لأن أقل شعر العرب على حرفين نحو قول دريد بن الصمة :

يا ليتني فيها جذَعْ ... أخبُّ فيها وأَضَعْ

فقال سلم الخاسر لأمير المؤمنين موسى الهادي شعراً على ضرب واحد منه :

موسى المطَرْ ... غيث بكَرْ

ثم انهمر ... لمَّا اعتَفَرْ

ثم غفَرْ ... لما قَدَرْ

ثم اقتصر ... عدل السِّيَرْ

(1) الأغاني 19 : 222 ـ 223 .

باقي الأثر خير البشر
فرع مضر بدر بدَرْ
لمن نظر هو الوزَر
لمن حضَرْ والمفتخَرْ

ولما بويع الهادي بالخلافة وهو بجرجان دخل عليه سلم الخاسر وأنشده :

لما أتت خيرَ بني هاشمٍ خلافةُ اللّه بجرجانِ
شمَّر للحزم سرابيله برأيٍ لا غمرٍ ولا وانِ
لم يُدْخِلِ الشورى على رأيه والحزمُ لا يمضيه رأيانِ

وقال لهارون الرشيد حين ولي الخلافة :

بهارون قرَّ الملك في مستقرِّهِ وأشرقتِ الدنيا وأينع نورُها
وليس لأيامِ المكارم غايةٌ تتمُّ بها إلا وأنت أميرُها

وقال في يحيى بن خالد بن برمك :

وفتى خَلاَ من ماله ومن المروءةِ غيرُ خالِ
وإذا وأى[1] لك موعداً كان الفَعالُ مع المقالِ
للّه دَرُّكَ من فتىً ما فيك من كَرمِ الخلالِ
أعطاك قبلَ سؤاله فكفاكَ مكروهَ السؤالِ

ولسلم شعر كثير أجاد في أكثره، وتوفي في خلافة الرشيد سنة ست وثمانين ومائة.

ـ 558 ـ

سلمويه بن صالح الليثي : هو من رواة الأخبار والأنساب ، له كتاب الدولة .

558 ـ من المختصر ؛ وانظر سير الذهبي 9: 433 ـ 434 وفيه أنه يكنى أبا صالح ويسمى سليمان أيضاً وهو مولى الليثيين حافظ معمر مروزي ، عاش مائة سنة . فإن كان هو المقصود هنا ، فينظر تخريج ترجمته في المصدر المذكور .

(1) وأى : وعد .

ـ 559 ـ

سلمة بن عاصم أبو محمد النحوي : أخذ عن أبي زكريا يحيى الفرّاء ، وروى عنه كتبه ، وأخذ عن خلف الأحمر وسمع منه « كتاب العدد » ، وأخذ عن سلمة أبو العباس أحمد بن يحيى ثعلب ، وكان يقول : كان سلمة حافظاً لتأدية ما في الكتب، والطوال حاذقاً بالعربية ، وابن قادم[1] حسن النظر في العلل. ولسلمة من التصانيف : كتاب معاني القرآن . وكتاب المسلوك في العربية . وكتاب غريب الحديث ، وغير ذلك .

ـ 560 ـ

سلمة بن عباس العامري أبو حفص ، مولى بني حسل بن عامر بن لؤي بن غالب بن النضر بن كنانة : أحد العلماء النبلاء الرواة الفهماء ، كان كأنه أبو عمرو بن العلاء في علمه وملاقاته الناس ، يكنى أبا حفص . ولقي الفرزدق ، وكان يصاحب أبا حية النميري . أخذ العلم عن ابن أبي اسحاق الحضرمي ، وكان صالحاً ديِّناً شاعراً مجيداً ، مات سنة ثمان وستين ومائة في خلافة المهدي . فمن شعره يرثي بعض خلانه ، وقيل هو أبو سفيان بن العلاء أخو أبي عمرو :

صحبت أبا سفيان عشرين حجة ... خليلي صفاء ودنا غير كاذبِ
فأمسيت لما حالت الأرض بيننا ... على قربه مني كأن لم أصاحب
أجدك ما تغني كلومٌ مصيبةٍ ... على صاحب إلا فجعت بصاحب
تقطع أحشائي إذا ما ذكرتهم ... وتنهلُّ عيني بالدموع السواكب

559 ـ ترجمة سلمة بن عاصم في الفهرست: 74 ومراتب النحويين: 149 وإنباه الرواة 2: 56 وطبقات الزبيدي: 137 وتاريخ أبي المحاسن: 182 وتاريخ بغداد 9: 143 ونزهة الألباء: 101 وطبقات ابن الجزري 1: 311 وبغية الوعاة 1: 596 والبلغة : 89 ووردت ترجمته في المختصر مختلفة عما هنا وسأوردها في الملحق .

560 ـ من المختصر ، وانظر الأغاني 20 : 255 والوافي 15 : 325 (وفيهما ابن عياش ، وهو الصواب) .

(1) الطوال نحوي كوفي من أصحاب الفراء ، وابن قادم أحمد أو محمد بن عبد الله .

ـ 561 ـ

سلمة بن عبد الله أبو بكر الهذلي : كان عالماً بأيام العرب وسيرها وأحَد أصحاب الحديث ، وكان قد لقي الزهري والحسن البصري ومحمد بن سيرين ، وكان بصرياً مات في سنة تسع وخمسين ومائة .

ـ 562 ـ

سليمان بن أيوب بن محمد ، أبو أيوب المديني : من ظرفاء أهل المدينة المنورة ، كان أديباً أخبارياً فاضلاً ذا غرام بالغناء وأخبار المغنين . ذكره ابن النديم وقال : له من المصنفات : أخبار عزة الميلاء . كتاب أخبار ابن مسجح . طبقات المغنين . كتاب النغم والايقاع . كتاب المنادمين . كتاب الاتفاق . كتاب أخبار قيان الحجاز . كتاب قيان مكة . كتاب أخبار ظرفاء المدينة . كتاب أخبار ابن عائشة . كتاب أخبار حنين الحيري . كتاب أخبار ابن أبي عتيق . كتاب أخبار الغريض . كتاب أخبار ابن سريج .

ـ 563 ـ

سليمان بن بنين بن خلف بن عوض ، تقي الدين الدقيقي المصري النحوي الأديب الفرضي العروضي العلامة : اجتمعت به في عدةٍ مجالس بحضرة القاضي الاكرم ، وأجازني برواية مصنفاته وهي : الأحكام الشوافي في إحكام القوافي . أخلاق الكرام وأخلاق اللئام . أعذب العمل في شرح أبيات الجمل . الأفلاك السوائر في انفكاك الدوائر . الأقوال العربية في الأمثال النبوية . آلات الجهاد وأدوات الصافنات

---

561 ـ من المختصر ، وانظر الوافي 15 : 325 (وينقل عن ياقوت) .

562 ـ ترجمته في الفهرست : 156 .

563 ـ ترجمة سليمان بن بنين في الوافي 15 : 356 وبغية الوعاة 1 : 597 (وهو ينقل عن الذهبي) . وقد نشر كتابه اتفاق المباني وافتراق المعاني بتحقيق د. يحيى عبد الرؤوف جبر ، عمان 1985 .

الجياد . تحبير الأفكار في تحرير الأشعار . الاعجاز والايعاز في المعاني والألغاز . البسط في أحكام الخط . بذل الاستطاعة في الكرم والشجاعة . أنوار الأزهار في معاني الأشعار . استنجاز المحامد في انجاز المواعد . اتفاق المباني وافتراق المعاني . التنبيه على الفرق والتشبيه . الحلّ[1] الكافي في خلل القوافي . الدرّة الأدبية في نصرة العربية . الدِّيم الوابليّة في الشِّيم العادلية . الدرر الفردية في الغرر الطردية . دلائل الأفكار[2] في فضائل الأشعار . الروض الأريض في أوزان القريض . سلوان الجلد عند فقدان الولد . الشامل في فضائل الكامل . فرائد الآداب وقواعد الاعراب . فضائل البذل مع العسر ورذائل البخل مع اليسر . عنوان السلوان . كمال المزية في احتمال الرزية . الكواكب الدّرّية في المناقب الصدرية . لباب الألباب في شرح الكتاب (كتاب سيبويه) . منتهى الأدب في منتهى[3] كلام العرب . محض النصائح ومخض القرائح . معادن التبر في محاسن الشعر . مكارم الأخلاق وطيب الأعراق . الوافي في علم القوافي . الوضاح في شرح أبيات الايضاح .

توفي تقي الدين الدقيقي بالقاهرة سنة ثلاث عشرة وستمائة[4] .

- 564 -

سليمان بن خلف بن سعد بن أيوب بن وارث ، القاضي أبو الوليد الباجي ، الفقيه المتكلم المحدث المفسر الأديب الشاعر : أصل آبائه من بَطَلْيَوْس ، انتقلوا إلى

564 - ترجمة أبي الوليد الباجي في الصلة : 197 والقلائد : 188 والذخيرة 2/1 : 94 والمغرب 1 : 404 وترتيب المدارك 8 : 117 والمرقبة العليا : 95 والديباج المذهب : 120 وبغية الملتمس رقم : 777 وتهذيب ابن عساكر 6 : 251 والاكمال 1 : 486 وتذكرة الحفاظ : 1178 وعبر الذهبي 3 : 280 وابن خلكان 2 : 408 ومرآة الجنان 3 : 108 والوافي 15 : 372 والفوات 2 : 64 والشذرات 3 : 334 والروض المعطار : 75 ونفح الطيب 2 : 67 وباجة التي ينسب إليها تقع اليوم في البرتغال على بعد مائة وأربعين كيلومتراً إلى الجنوب الشرقي من لشبونة .

(1) البغية : المجمل .

(2) البغية : الأذكار .

(3) البغية : مبتدا .

(4) في بغية الوعاة أن وفاته كانت سنة 614 نقلاً عن الذهبي .

باجة ـ باجة الأندلس ، وثم باجة أخرى بافريقية وأخرى بأصبهان . ولد أبو الوليد سنة ثلاث وأربعمائة ، وأخذ بالأندلس عن أبي الاصبغ ومحمد بن إسماعيل وأبي محمد مكي بن حموش وأبي شاكر[1] وغيرهم، ورحل سنة ست وعشرين وأربعمائة إلى المشرق ، فأقام في الحجاز مجاوراً ثلاثة أعوام ملازماً للحافظ أبي ذر المحدث يخدمه ويسمع منه ، وحج أربع حجج ، وسمع هناك من ابن سنجويه وابن محرز والمطوعي ، ورحل إلى بغداد فأخذ فيها عن أبي الطيب الطبري وأبي إسحاق الشيرازي والدامغاني وابن عمروس، وأخذ عن الخطيب البغدادي وأخذ الخطيب عنه . ورحل إلى الشام فأخذ فيها عن السمسار ، ودخل الموصل فأخذ بها علم الكلام عن السمناني ، ثم رجع إلى الأندلس فحاز الرياسة فيها ، وسمع منه خلق كثير منهم : الحافظان الصدفي والجياني ، والمعافري والسبتي والمرسي وغيرهم ، وولي القضاء بمواضع من الأندلس .

وله مصنفات منها : الاستيفاء شرح الموطأ . والمنتقى مختصر الاستيفاء . والايماء مختصر المنتقى . والسراج في ترتيب الحجاج . والتعديل والتجريح لمن خرَّج عنه البخاري في الصحيح . وإحكام الفصول في أحكام الأصول . والتسديد إلى معرفة التوحيد . والمعاني في شرح الموطأ ، عشرون مجلداً . وكتاب اختلاف الموطآت . وتفسير القرآن . والمقتبس من علم مالك بن أنس . والمهذب في اختصار المدونة . وكتاب مسائل الخلاف . والحدود في الأصول . والاشارة في الأصول . وكتاب فِرق الفقهاء . وكتاب الناسخ والمنسوخ . وكتاب السنن في الرقائق والزهد . وكتاب النصيحة لولده ، وغير ذلك . مات بالمرية سنة أربع وتسعين وأربعمائة ، ومن شعره[2] :

ما طال عهدي بالديار وانما ... أنسى معاهدَها أسىً وتبلّدُ
لو كنت أنبأتُ الديار صبابتي ... رقَّ الصفا بفنائها والجلمدُ

وله في المعتضد بالله عباد[3] :

(1) أبو الأصبغ بن أبي درهم ومحمد بن إسماعيل بن فورتش وأبو محمد مكي بن أبي طالب المقرىء المشهور وأبو شاكر القبري خال الباجي .

(2) الذخيرة 2/1 : 99 ونفح الطيب .

(3) الذخيرة 2 : 100 والنفح 2 : 76 .

عبادُ استعبد البرايا ... بأنعُم فاقت النعائمْ
مديحه ضمنَ كلِّ قلبٍ ... حتى تغنَّت به الحمائم

وقال(1) :

إذا كنتُ أعلمُ علم اليقين ... بأنَّ جميع حياتي كساعَهْ
فلم لا أكون ضنيناً بها ... فأجعلها في صلاحٍ وطاعَهْ

وقال :

ليس عندي شخصُ النوى بعظيم ... فيه غمٌّ وفيه كشفُ غمومِ
ان فيه اعتناقةً لوداع ... وانتظارَ اعتناقةٍ لقدومِ

وقال يرثي ولديه وقد ماتا غريبين(2) :

رعى اللّه قبرين استكانا ببلدةٍ ... هما أُسكناها في السوادِ من القلبِ
لئن غُيِّبا عن ناظري وتبوّآ ... فؤادي لقد زاد التباعدُ في القرب
يَقَرُّ بعيني أن أزورَ ثراهما ... وألصقَ مكنونَ الترائبِ بالترب
وأبكي وأُبكي ساكنيها لعلّني ... سأنجد من صحبٍ وأسعد من سحب
ولا استعذبت عيناي بعدهما كرىً ... ولا ظمئت نفسي إلى البارد العذب
أحنُّ ويثني اليأسُ نفسي عن الأسى ... كما اضطر محمولٌ على المركب الصعب

ـ 565 ـ

سليمان بن صالح النحوي الكتبي أبو صالح : أحد أصحاب السير والأخبار الأتقياء . له كتاب فتوح خراسان وهو كتاب الدولة .

---

565 ـ هذه الترجمة من المختصر . وسمّاه في الفهرست: 120 سلمويه وقد مرَّ رقم 558 .

(1) وردت في معظم المصادر المذكورة آنفاً .
(2) وردت الأبيات في الذخيرة والقلائد والمغرب وترتيب المدارك .

ـ 566 ـ

سليمان بن أبي شيخ ، واسم أبي شيخ منصور بن سليمان أبو أيوب : أخباري راوية لقي جلة الناس ، مات سنة ست وأربعين ومائتين . له كتاب الأخبار المجموعة .

ـ 567 ـ

سليمان بن أبي طالب عبد الله بن الفتى الحلواني النهرواني أبو عبد الله، والد الحسن بن سليمان الفقيه المدرس بالنظامية . له حظ من العربية وافر وآداب تامة . مات بأصبهان سنة ثلاث وتسعين وأربعمائة ، وأكثر أئمة أصبهان وفضلائها قرأوا عليه الأدب . سمع ببغداد أبا الطيب طاهر بن عبد اللّه الطبري وغيره .

وأمّا الفتى أوله فاء مفتوحة بعدها تاء معجمة فهو أبو عبد اللّه سليمان بن عبد الله يعرف بابن الفتى من أهل النهروان . دخل بغداد سنة ثلاثين وأربعمائة فتشاغل بالأدب فقرأ على أبي الخطاب الجبلي والثمانيني وغيرهما ، فمن شعره(1) :

يا ظبيةً حلَّتْ بباب الطاقِ ... بيني وبينكِ أوكدُ الميثاقِ
فوحقِّ أيامِ الحمى ووصالنا ... قسماً بها وبنعمةِ الخلاق
ما مرَّ من يومٍ ولا من ليلةٍ ... إلا إليكِ تجددتْ أشواقي
سقياً لأيام جنى لي طيبها ... ورْدَ الخدود ونرجسَ الأحداق
فإذا أضرَّتْ بي عقاربُ صُدْغها ... كانت مراشفُ ريقها ترياقي

---

566 ـ هذه الترجمة من المختصر ؛ وانظر الفهرست : 256 .

567 ـ هذه الترجمة قد وردت في م شديدة الإيجاز ، وهي هنا مأخوذة من المختصر . وقد تقدمت ترجمة الحلواني النهرواني برقم: 556 باسم « سلمان » ؛ وهي هنا أكثر اسهاباً ، وفيها ينقل المؤلف عن مصادر غير التي اعتمدها في الترجمة السابقة .

(1) إنباه الرواة 2 : 28 والوافي 15 : 312 .

وأنشد الأديب [ابن] الفتى لنفسه[1] :

تـذلّـلْ لـمن إن تـذلّلْتَ لَـهْ يـرى ذاك للفضـل[2] لا للبلَهْ
وجـانبْ صـداقـةَ من لا يـزال على الأصـدقاءِ يَـرَى الفضلَ لـه

وأنشد ابن الفتى لغيره :

لا تحقـرنْ فـاضـلاً وإنْ قصـرت آلـتُـهُ عـن عـيـون رامـقِـهِ
فـالمسـكُ بينـا تـراه ممتهنـاً فـي فِـهْـرِ عـطاره وسـاحـقـهِ
حتـى تـراه بـعـارضـي مَـلكٍ أو مـوضـع التـاجِ من مفـارقـهِ

وكان ابنه الحسن بن سليمان بن عبد اللّه بن الفتى فقيهاً عالماً ، سكن بغداد ، وفوّض إليه التدريس بالمدرسة النظامية . وكان عالماً فاضلاً يعظ في الأحايين . لـه معرفة تامة بالنحو واللغة ، وينشيء الخطب والشعر . مات في شوال سنة خمس وعشرين وخمسمائة ، ودفن بجنب الشيخ أبي إسحاق الشيرازي بباب أبرز .

وكان لابن الفتى هذا ابن آخر يُقال له أبو الحسن علي ، كان أديباً فـاضلاً ، وبالأديب كان يخاطب ، وكان وجيهاً بالريّ إما وزيراً لبعض أمراء السلجوقية أو شبيهاً بالوزير ، مدحه أبو يعلى ابن الهبارية عند وروده إلى الري فلم يحمده فكتب إلى بعض أصدقائه وساءله في ذمّه فأبى .

وأما الرسالة التي كتبها إلى ابن أبي الفتى فهي : للأسماع ـ أطال اللّه بقاء الشيخ الأديب ، العالم اللبيب ، الكامل الأريب ، الفاضل الحسيب، غرة الدهر البهيم ، وواسطة العقد النظيم ، وجامع عناديد الشرف وأشتاته ، ومحيي رسم الأدب ورفاته :

الألـمعـيّ الـلوذعـيّ الأريحيّ أبـي الحسَنْ
ربّ السمـاحة والـرجـا حة والفصاحة واللسن

منها : وقد كنت أيام تشريفه بأصبهان ، بمقدمه السعيد ومقامه المديد ، أجتهد

(1) الوافي 15 : 312 .
(2) الوافي : للظرف .

في لقائه كلَّ الاجتهاد ، وأعتد بخدمته غاية الاعتداد ، ولم أجدْ طريقاً إلى ذلك إلا بحسن سفارة السيد الوالد ، الإمام الماجد ، بقية المشايخ والصدور ، ومالك أزمة المنظوم والمنثور ، عَلَم العلم والأدب ، وطود الحلم والحسب ، أبي الأدباء ، وموئل الغرباء ، الذي دقَّ فكرُهُ ، وجلَّ قدرُهُ :

سلمان أوحدُ عصرِهِ وزمانِهِ في كلِّ فَنْ
شيخ العلوم وكعبةٌ للفضل يقصدها الفطنْ

فيعتذر أنه حرسه اللّه مشغولٌ بأمورٍ مُهِمَّة ، وحوادث ملمة ، ولما نزلنا الريَّ أيقنت بالريِّ من رؤيته ، والتعاطي من بديهته العذِّ ورويّته ، ووثقتُ بالظفر بخدمته ، فكنت الوامقَ الخجل لأنني ترددتُ إلى أن ملَّني بواب دار الوزارة ، وشكاني دهليز دار الإمارة ، والحجابُ كثيف ، والحاجبُ عنيف :

لكن غرامي بالأديب أباح لي خلْعَ الرسنْ
فكتبتُ منبسطاً لأظهرَ من غرامي ما بَطَنْ
يا سيِّد الأدباء قلبُ الصبِّ عندك مُرْتَهَنْ

قلت : فهذا من هذه الرسالة يدل على أنه كان أديباً ذا مكانة من السلطان ، وتمكُّنٍ من علوِّ القدر والشان .

فلما لم يحمد ما كان منه ، كتب إلى الفقيه أبي بكر محمد بن الشافعي المعروف بالعيثوري : لو وجدت إلى لقاء الشيخ الفقيه ، أطال اللّه بقاءه ما اهتزَّ غصنٌ كَعِطْفِهِ ، وجاد سحابٌ ككفِّه ، وتبلَّج صبحٌ كبشره ، وتأرَّجَ روضٌ كذكره ، وزخر بحر كعلمه ، وشمخ طَوْدٌ كحلمه ، ونفذ قَدَر كعزمه ؛ بل أطال اللّه بقاءَهُ ما قام أيْرٌ واسبطرّ ، واختلج بظرٌ فاقشعر ، وتجهَّمَ عيشُ أديبٍ فاكفهر ، واطرد القياس ببؤسِ الفاضل واستمر ؛ بل أطال الله بقاءه لتبادل الصبيان في المكاتب والمعالم ، وتساحق النسوان في المقابر والمآتم . بل أطال اللّه بقاءه ما قُدِحَتْ زنود الأفراح بالأقداح ، وَعَدَلَ طريقٌ إلى الفقاح عن الأحراح ، واتهم كاتب بحامل دواته ، وغلام بمولاه أو بمولاته ؛ بل أطال اللّه بقاءه ما خابَ أمل عند لئيم ساقط ، وحَبِطَ عملٌ في سوق زنيم هابط ؛ بل أطال بقاءه ما بذل لئيم فقحته ، وكشخان زوجته ، وصفعان هامته ؛ وأرِيَ

البخل كيساً وفطنة ، ونسب السخاء خرقاً وهجنة ، وفديت الدراهم بالمحارم ، والمائدة بالوالدة، والفَلْس بالعِرس، سبيلاً[1] لأخفيتُ القدم، وأعفيت القلم، ولكنت ملياً بمحامده في كعبة فضائله حاجاً إلى بابه ، عاجلاً بالاستئذان على حجّابه ، فسقى الله [. . . .] وكان الشريف البصري ، وكان يجمع شملنا ، ويصلُ حبلنا ، ويضم أشتاتنا ، ويعمُّ بالاجتماع أوقاتنا ، فنرتبع من مجلس الشيخ الفقيه في روض أريض ، ونشفي بلقائه داءَ كلِّ قلبٍ مريض، ونتجارى في حلبات الفضل،فنتجاذب أطرافَ الجِدِّ من الحديث والهزل . وبعداً لهذه الأيام التي منعتنا مشاهدته ، وحرمتنا مجاورته ومحاورته ، وحجبته عنا ، وأخذت له بانقطاعنا عنه فوق حقه منا .

وعلم الله أنني وصلتُ غُرَّةَ ذي الحجة إلى مدينة الري التي أقفر من المروءة جَنابها ، وَصَفِرَتْ من الفتوّةِ وِطابُها ، وترأسَ أذنابها ، وتذأب كلابها ، ونُسِخَ شرعُ الافضالِ في ربوعها ، ومُسِخَ كلّ من عرفناه من تابع أهلها ومتبوعها ، وكان أولَ ما بدأتُ به السؤالُ عن أخباره ، أجراها اللّه على إيثاره ، والشيخ الإمام الحافظ بذلك شاهد ، وليس في إقامةِ هذه الشهادة بواحد ، فعرَّفني من سلامته ما سكنتْ إليه نفسي ، وشكرتُ اللّه عليه ، ثم عدتُ إليها بعد الرحيل ، ونزلتُ منها بربعٍ مُحيلٍ ، فبلغني ما ساءني وأقلقني ، وأزعجني وأرَّقني ، وجدّد سوء ظني بالزمان الجاهل ، وأكد قبيح رأيي في الدهر الخامل ، إلاّ بما يسوءُ الأحرار ، ويَسُرُّ الأغمار ، وما استبْدعته من ذميم عادته ، ولئيم جبلته ، وقديم خُرْقِهِ ، وعظيم هَوَجه :

دفن ابنِ سلمانَ كان أولى لو وفَّق الدهرُ للصوابِ
ودفن من يصطفيه أيضاً من المخانيث والقحابِ
لكنَّ هذا الزمانَ كلبٌ يفْترسُ الأُسْدَ بالكلابِ

وما تلك الحلية إلا من جملة الناس ، ورب عارٍ أحسن من كاس ، وإذا تبلّجت الأرض فالروض يعود ، وما دامت السماء فالشهب تطلعُ على الرسم المعهود . وسلْبُ الحِجْل خيرٌ من قطع الرِجْل ، وما هو إلا نصل جُرِّدَ من غمده ، وجيد عطل من عقده ، وغصن عُرِّيَ من ورقه ، وَوِرْدُه على غير جريمة ، ولا إتيان عظيمة ولا غشيان كريمة :

(1) اقرأ : لو وجدت الى لقاء الشيخ الفقيه سبيلاً (وما بينهما جمل معترضة) .

ومن نـال الكـريمـةَ مستعيـراً لفـرطِ تغـافُـل الشيخـان عنـهُ
جـديـرٌ والأمـور إلـى مَعَـادٍ وإن قـطبت بِحَزّ الـرأسِ منهُ

فذاك الذي منعني من الحضور ، ومواصلةِ الرواح بالبكور . ولما قيل قد فُتِحَ الباب ، ورفع الحجاب ، واجتمع الإخوان والأصحاب ، وقعت هـذه الواقعة التي أرغب إلى اللّه في صَرْفها ، وقَشْعِ سُحُبِ غمامها وكَشْفِها ، وأزف انصرافي ، وقصر الليل علي تحت زفافي ، فحررت هذه السطور مع كثرة الموانع ، وغَلَبة الصوارفِ والدوافع ، واللّه تعالى يديمُ له النعمة الصافية ، والمنحة الوافية ، ويكفيه المحذور ، ويسخّرُ له الأمور ، ويُجري المقدارَ على إرادته ، ويحيل لأجله الفلك الأحمقَ عن عادته . وبعد ذلك فبلغني حرس اللّه نعمته أنه أنكر قديمَ مودتي ، وسأل عني بعد طول صحبتي، سؤال مُتَعَرِّفٍ لأمري و[ ] حبرته من شعري، وذلك عند إطرائه شيخ الظِّرافِ ، وإمام اللطاف ابن حجاج . وأين الجدول من البحر ، والكوكبُ من الفجر، والبعرة من الدرّة ، والعرة من الغرّة ، والعانة من الطرّة ، والسُّرْم من السُّرَّةَ ، والسُّحْنة من القرة ، والحلوة من المرة ، والأَمَةُ من الحرّة :

كـان ابـنُ حجـاجَ فـي زمـانٍ يـنـطقُ من ظـرفـه الـجـمـادُ
كـل ولـيّ لـه بـقـولٍ سـمـحٌ ومـوجـوده جـوادُ
طَـبٌّ بـداء الـقـريض يُـعْـنَـى مـن كـل أمـرٍ بـهـا يـرادُ

كابن عباد وابن العميد ، والمهلبي والمجيد ، وبني حمدان في إمارتهم ، وآل المقتدر أيام خلافتهم ، وعضد الدولة وعزها ، وبني ركنها ومعزها ، وغير هؤلاء من كبار القواد وأعيان الأمر الذين لو تعاطوا مساجلته لفضلوه ، أو ادّعوا مناضلته لنَضَلوهُ ، أو جَارَوْهُ في حلبة الجد والهزل في العلم والفضل لشآهُ راجلهم ولسبقه ، ونتف سبالَهُ وَحَلقه :

عـبيـدك الـقـن فـي زمـانٍ بالجهل قد أخْرَسَ الشقـاشقْ
بـيـن كـلاب بـلا عـقـول مسا فـيـهـمُ واحـدٌ مـوافـقْ
عُمْيٌ عن المكـرمـاتِ صُمٌّ تـعـوقهـم دونهـا الـعـوائقْ
من كـلّ تيْسٍ جهْم المحيّا فـجٍّ حـديث العـلا منـافقْ

همّتُــهُ في الحضيض لـؤمــاً　　وفَــرْقُهُ في السمــاك بـاسقْ
قـد كسد الجهـل في ربـاهـا　　جـهــلًا لأن النفــاق نــافـقْ
فـكــل بـيـتٍ أُجـيــد فـيــه　　يشهـَدُ أني بـالشعــر حـاذقْ
فــاستكثر الـدرَّ من كـلامي　　فـالعُـذْر فيمـا ذكـرْتُ صـادقْ

وكفـاني محـرسـاً ، وحسبي مقحمـاً ومؤنسـاً ، أنني دخلت فكـان ممـدوحي ومقصودي من أهلها ، ومعتمدي من أعيانها :

عليُّ بن سلمان الأديب ومن يكن　　علي بن سلمــانَ الأديب عتـادَهُ
فقـد خاب ممـا يرتجيـه وَحَرَّمَتْ　　عليــه الليـالي أن ينــال مــرادهُ

فأولاني آلا ، وأعاد ألفى دالًا ، وقراني عرضَهُ المبذول ، وكذبه المملول :

ولستُ بـراتعٍ في عِـرْضِ كلبٍ　　وبئس الــزادُ أعـراضُ الكــلابِ
فــإن غـرَّتْ بشــاشته مــديحي　　فكم قـد عـاد صــادٍ بـالشــرابِ
ومــا هــان الهجــاءُ عليَّ حتى　　أدَنِّــسَـــهُ بــأزواج الــقــحــابِ
وأولاد الــوزيــر وأنـــت أدرى　　ســـواسيــةٌ كــأسنــان الــدوابِ
فمــا عُــرِفــوا جميعهمُ بعُــرْفٍ　　ولا وُصفــوا بـأفعــال الصــوابِ
ولا حَـفِـظوا لـلؤمـهـم ذمــامــاً　　ولا طُبعـوا على رَعْي الصحـابِ
فكيف وأنت أفـطن لـلمعــانـي　　رعى منصــورهم حـق الغــرابِ

ثم ذكر قوماً لا حاجة لنا بذكرهم ولا أعرفهم . ثمّ رجعنا إلى حديث الكلبي بغير يَاء ، والاشتغال بذكره أولى ، وتقـطيع عـرضه أحلى وأحـرى . ومن أين للمسلمين عرضٌ فيمزق ، أو مجدٌ فيهدّم ، أو حسبٌ فيوصم ، ولكن ذم الزمان الذي قدم مثله وسوَّده ، وأباح جهله وروَّجه :

كـلَّ يـوم يـأتي الـزمـانُ غـريبـاً　　وبــديعــاً من الفعــال عجيبــا
وقـع السفلة ابن سلمـان [. . .]　　ومـن الـظلم أن يسـمى أديبـا
أي معنى فيه سوى الجهل والخـر　　ق فـيلفـى إلى الأمـيـر حبيبــا
ناسب الدهر في الحماقة والخسّـ　　ـة فـالـدهـر منه يـدعى نسيبـا

ولقد عرفنا أباه ، سلمه اللّه ، بريأ من هذه البظرمة ، عَرِيّاً من هذه العجرفة ، سليم الصدر ، نقي الجيب ، ليِّن الجانب ، حلو الحركة ، دمث التفصيل ، لا يتعدىّ طوره ، ولا يتجاوز حده :

يعلم أولاد الوزير ففخره ... إذا تاهَ فخراً أن يقالَ معلِّمُ
فما بالُ هذا الجرو لادرَّ درُّهُ ... على نقصهِ مستأسداً يتبظرمُ
ومن أين وافته الوزارة فاغتدى ... بخسّته في عصرها يتحكّمُ
وهب أن منصوراً دعاه بجهله ... وزير دعاء بالعظائم يرجمُ
أصار وزيراً أو يجوز لمثله ... يتيه على الأكفاء أو يتقدمُ

ولولا أن الري مسخت وأهلها ، ونسخت وأعيانها ، ﴿ **وَضُرِبَتْ عليهم الذلة والمسكنة ، وباءوا بغضب من اللّه ، وقيل لهم كونوا قردة خاسئين** ﴾ (البقرة: 61) لما تصدر المعلّم في دستها ، ولا ترأس في ملكها وَمَلكوتها ، وجمعَ بين ناسوتِ الرياسة ولاهوتها ، ولا تحكم في أهلها ، ولا تكلم في مجالسها ، ولكان بحيث أنزل اللّه المعلمين ، وجعل المؤدبين ، أو أنه يرجع إلى مُسْكَةٍ من عقل ، أو يعتصم بيسير من لبِّ وحزم ، أو يتعلق بقليل من تمييز ، أو يعود إلى نزْرٍ من تحصيل ، يعرف محله ، ويلتزم حدّه ، ولم يتعدّ طوره :

ولكن المعلم ذقن سُرْمٍ ... خفيف الرأس ليس له دماغُ
وقد دبغت رؤوسهم فأضحت ... نواشف قد تحيَّفها الدباغ
وما إن كان فيها قط شيء ... فكيف تقول أدركها الفراغ
فما لعلوّ مثلهم مجارٍ ... ولا لنَفاق مثلهم مساغ
وقد صُنعوا من الحمقِ المنقَّى ... ففيهم كلُّ فاحشة تصاغ

هذا ، على أنه نشأ في الفقر والفاقة ، وربي في البؤس والإضاقة ، وولد في الهجرة ، وقطعت سُرَّتُهُ في المصاطب ، وَكُدِّيَ عليه في المساجد ، فإن شيخنا أباه ـ أبقاه اللّه ـ امتحن بالغربة في الرساتيق ، وباع الشعر بالقراريط لا الدوانيق . وكانت

معه والدة هذا الرقيع من شقاع وشلاق، وحراب وسرماط[1]، ولعلها حملت به في ليلة غير مزءودة طوعاً ، وَعَقْدُ نطاقها محلول ، والسُّقاعُ لشهوتها مبلول ، في محراب مسجد أو إسطبل قرية ، أو خرق شحاذين ، أو مسطبة مقيفين. وقد حكى لي الرئيس أبو الحسين علي بن الحسين بن الراحل ، وكان صادق اللهجة صحيح الرواية متحرياً فيما يورده، مستحرزاً فيما يذكره ويسنده، وهو تِرْبُ شيخنا أبي عبد الله سلمان والد هذا الأحمق الرقيع، وأبي هذا الخسيس الوضيع : كنّا جميعاً في خدمة الأمير حسام الدولة ابن أبي الشوال [فذكر] أن عبد الله الفتى النهرواني والد الشيخ سلمان كان شيخاً اصطيلاً يتطايب بين يدي حسام الدولة ويتمصفع مع أدب كان فيه وفضل ، وجدّ من معرفة وهزل ، وظرف مقول ، ولطف مقبول ، وكان موصوفاً بطول الأير ، وكان يدسّ عليه بعض الفراشين إذا سكر فيشد في إحليله خيطاً ، ويقوده في الدار قودة شوطاً ، فينشد وهو عريان سكران يضرب جنبيه بإبطيه :

أقام قيامتي ذَكَري ... وأعمى فيشتى بصري
قمدٌ وافرٌ حَسَنٌ ... شديد اللمس كالحجرِ
فما يَقْوَى عليه فتىً ... ولا لمياءُ ذاتُ حرِ
لو أن الفيل وهو الفيـ ... ـل يدخل رأسه لخري
وما يقوى عليه سوى ... عروسي ضرّةُ القمرِ
بنفسي أمّ سلمانَ الـ ... ـذي تعطيه في الدبرِ
وتأخذه بلا غَضَبٍ ... ولا سخط ولا ضجرِ
وتخرجه بمذرعةٍ ... وطرطور من القذرِ
ولولا أنها صفرا ... ءُ تحكي صبغة الصُّفرِ
لقال الناس إذ وافى ... أتى القاضي أبو عمرِ

ثم ينخر ويضرط ويقول :

[إن] رأيت لها شبهاً فلا تدعني أبا جعل .

---

(1) أظنه يستعمل لغة المكدين ؛ فالسرماط عندهم هو الكتاب .

فمن أين جاءتك الرياسة والعلا ... وهـذا أبـوك الألمعي وجـدكـا
وأمـك لا أغتـابهـا أنت عـالم ... بهـا فبماذا طـال ويلك مجـدكـا
ولو كنت إنسانـاً يعود إلى حجىً ... لحـدّك عن هذا التبـظرم جـدّكـا

تبـظرمُ هذا الفتى الـزائد ، على لؤم عنصـره شاهـد ، ومَن أمُّـه أليست تلك الضروط ، ووالدة ذلك الوالد ، فكيف يتيه وأنّى له ؟!

مهلاً مهلاً أيها الفتى ، علام وحتى متى ، تعقد أنفك تيهـاً ، ولا ترى لـك في الرياسة شبيهاً ، وتجري في ميدان حمقك ، وتتبع شيطان خرقك ؟ كأنك لم تدر أن المعلمين أخسُّ خلق اللّه أقداراً ، وأوضعهم فخاراً ، وأقلُّهم عقولاً ، والأمهم فروعاً وأصولاً ، وأن الإجماع منعقد ، والقول متفق ، والاتفاق واقع ، على أن المعلمين ـ وإن رجعوا إلى أدب وعلوم ، ومعرفة المنثور والمنظوم ـ لا عقولَ لهم ولا حلوم ، ولا يذكرون في عِير ، ولا يُعَدُّون في نَفير :

وأن ألأم خـلق الـلّه كـلهـمُ ... من كـان للفضـل بسالتعليم مشتغـلا
الـلّه صـاغهـمُ حمـقى ، وأوْجـدهـم ... نـوكى ، وصيـرهم دون الـورى سفـلا
شاعت حماقاتهم في الناس ، فاشتهرت ... بين البـريـة حتـى أصبحـوا مثـلا

هذا ، أطال اللّه بقاء الشيخ الفقيه الأديب حالي ، وصورة آمالي ، فكيف ينطق لساني بمقال مرضيّ ، أو يسمح خاطري بمعنى زكي :

لـو آنَّ ابنَ حجّـاج رأى من رأيتـه ... وشاهدَ من شـاهدتـه لم يقلْ شعـرا
وعـاصَتْـهُ أبكـارُ المعـاني وَعُـونهـا ... فلم يستـطع نظمـاً بـديعـاً ولا نثـرا
وأمسـك إمسـاك الغبيّ ولم يَفُـه ... بحـرفٍ ولم يكتبْ إلى أحد سـطرا
أنـا فاعـرفـوني أشعـرُ النـاس كلهم ... علوتُ بأشعاري وقد سفلوا الشعرى
لأني أعـاني مـا تـرون وخـاطـري ... يجيش فيبـدي كـل قـافيـةٍ بكـرا
ولـو أنهم نـاس أجـدتُ مـديحهم ... ولم أقتنعْ بالـدون في مدحهم ذكـرا
ولكنْ على قـدر العطاء وقـدرهم ... أقـولُ فـلا أخشى عتـابـاً ولا نُكـرا
نـظمت لهم بعـراً يشـاكـلُ لؤمهم ... ولـو أنهم نـاسٌ نـظمتُ لهـم دُرّا

ولم أتعاطَ جيّدَ الشعر فيهم فأبقي لهم من بعد فَوْتهمُ فخرا
وأجهد نفسي ظالماً في امتداحهم وسيان مَنْ ذمَّ الليالي ومَن أطرى
لقد ناكني دهري فشقق مبعري بأيْر كبير كدتُ من رهْزه أخْرا
فإن أك في نظمي ونثري مقصِّراً فلا تَعْذُلَنِّي سيدي واعذل الدهرا

فهذا ، أطال اللّه بقاءه في نعمة كَرَوِيَّتِهِ صافية ، ورتبة كهمَّته حالية ، ودولة كأيره قائمة ، وسعادة كظرفه لازمة دائمة ، فرقُ ما بيني وبين الشعراء السابقين ، والأدباء السالفين ، وقد رضيت حكماً مع شرّة التحكيم على بني هاشم بدفع كل ظالم :

بحياة رأسك أيها الـ ـشيخ الفقيه وأنت تدري
أنصف أخاك ولا تَمِلْ ظلماً عليه كمثل دهري
لو عايَنَ الشعراء ممـ ـدوحيَّ من أعيان عصري
نطقوا ببيتٍ واحدٍ حلوٍ رشيق مثل شعري
أو أتعبوا أفكارهم للقول في نظم ونثرِ
وسِبالُ من لم يُفْتني بالحقِّ في ظلمات جحري

ـ 568 ـ

سليمان بن عيسى الشنتمري النحوي ، له تصانيف منها : كتاب شرح الشعراء الفحول الستة .

ـ 569 ـ

سليمان بن الفياض الاسكندراني أبو الربيع من أهل الاسكندرية : تلميذ الحكيم أبي الصلت أمية بن أبي الصلت المصري وعليه قرأ [وتوفي] سنة ست عشرة وخمسمائة . كان أحد الشعراء المجودين [وشعره] كالسحر يدخل الأذن بغير إذن ، خرج من مصر ووافى العراق وخرج منها إلى بلاد خراسان ووصل إلى بلاد الهند وتوفي

568 ـ هذه الترجمة من المختصر .

569 ـ هذه الترجمة من المختصر ؛ وانظر خريدة القصر (قسم مصر) 2 : 200 والوافي 15 : 419 .

بها . ومن منثور كلامه إلى بعض فلاسفة الهند يستأذنه في المصير إليه : ماذا عسى يصف من شوقه مشتاق يقدم قدماً ويؤخر أخرى بين أمر أمير الشوق ونَهْيِ نُهَى الهيبة ، فإن رأيت أن تُقِلَّه من علله بالاذن له فما أولاك به وأحوجه إليه . واللّه المسؤول في بلوغ المأمول بك ولك ومنك .

ومن شعره قصيدة يمدح بها الإمام القاضي البستي :

تــوجعت إذ رأتـني ذاويَ الـغصـن ... وكم أمـالتْ صَبا عهـدِ الصِّبـا فَنَني
مـاذا يَريبُـكَ من نِضْـوٍ حليفِ نـوىً ... لسنَّـةِ الـبينِ مـطروحٍ على سننِ
رمى به الغربَ عن قوس النوى عرضاً ... بـالشرق أعيـا على المهريّـةِ الهُجُنِ
أرض سحبتُ وأتـرابي تمـائمنـا ... طفـلًا وجررتُ فيهـا مـا أشـا رسني
أنّى التفتّ فكم روضٍ عـلى نهـرٍ ... أو استمعت فكم داعٍ عـلى غصـنِ
كم لي بظاهر ذاك الـربع من فُـرَجٍ ... ولي ببـاطنِ ذاك القـاع من حـزنِ
ولي بـألاف هـاتيـك المنـازل من ... إلف وسكـان تلك الـدار من سكنِ
مـا اخترت قط على عهـدي بقربهمُ ... حـظاً ولا بعت يـومـاً منه بـالـزمنِ
كـأن أيـام عـيشـي كنَّ لـي بـهـمُ ... جمعن من خلق القاضي أبي حسنِ
الفـارج الكرب قـد سدت مـطالعـه ... والكاشف الخطب قد أعيا بمن ومنِ
والموسع القول في فصل الخطاب إذا ... ضاق المجال على المهـذارة اللسنِ

ـ 570 ـ

سليمان بن محمد بن أحمد ، أبو موسى المعروف بالحامض البغدادي : أحد ائمة النحاة الكوفيين ، أخذ عن أبي العباس ثعلب وخلفه في مقامه وتصـدّر بعده ، وروى عنه أبو عمر الزاهد المعروف بغلام ثعلب وأبو جعفر الأصبهاني برزويه ، وقرأ عليه أبو علي النقار « كتاب الادغام » للفرّاء ، فقال له أبو علي : أراك يا أبا موسى

570 ـ ترجمة أبي موسى الحامض في الفهرست : 86 ـ 87 وطبقات الزبيدي : 152 ومراتب النحويين : 87 وتاريخ بغداد 9 : 61 والمنتظم 6 : 145 ونزهة الألباء : 165 وإنباه الرواة 2 : 21 وابن خلكان 2 : 406 والنجوم الزاهرة 3 : 193 والوافي 15 : 426 وبغية الوعاة 1 : 601 .

تلخص البيان تلخيصاً لا أجده في الكتب ، فقال : هذا ثمرة صحبة أبي العباس ثعلب أربعين سنة .

وقال أبو الحسن ابن هارون : أبو موسى أوحد الناس في البيان والمعرفة بالعربية واللغة والشعر ، وكان جامعاً بين المذهبين الكوفي والبصري ، وكان يتعصب للكوفيين ، وكان شرسَ الأخلاق ولذا قيل له الحامض ، مات في خلافة المقتدر لسبع وقيل لست بقين من ذي الحجة سنة خمس وثلاثمائة ، ووصى بدفاتره لابن فاتك المعتضدي ضناً بها أن تصير إلى أحد . وله من التصانيف : كتاب خلق الإنسان . كتاب السبق والنضال . كتاب المختصر في النحو . كتاب النبات . كتاب الوحوش . كتاب غريب الحديث . وغير ذلك[1] .

حدث الصولي[2] في « أخبار أبي نواس » قال : كنت يوماً عند أبي سهل ابن نيبخت ومعنا أبو موسى الحامض فعاب أبا نواس وثلبَهُ وأزرى على شعره ، فقلت : ما الذي يُسْتَقْبَحُ من شعره وما الرديءُ منه ، وأنا اقدِّرُ أنه يأتي عليَّ بشيءٍ مما طُعِنَ به على أبي نواس فأحتجُّ له عنه ، فقال : تريد أردى وأقبح من أبياته :

ودارِ ندامى عطلوها وأدلجوا ... بها أثَرٌ منهم جديدٌ ودارسُ
مساحبُ من جرِّ الزقاقِ على الثرى ... وأضغاثُ ريحانٍ طريّ ويابسُ
أقمنا بها يوماً ويوماً وليلةً ... ويوماً له يومُ الترحل خامسُ
تدور علينا الراحُ في عسجديةٍ ... حَبَتْهَا بأنواعِ التصاويرِ فارسُ
قرارتها كسرى وفي جَنَبَاتها ... مهاً تدَّريها بالقسيِّ الفوارسُ
فللخمر ما زرت عليه جيوبها ... وللماء ما دارت عليه القلانسُ

فقلت : ويحك ، هذا جيد شعره ، بل خير أشعار الناس ، قال : ما هو عندي كذلك ، فقلت له : صدقت ، وما يدريك ما علم الشعر ، وهو مختل الذهن جداً .

---

(1) نشر له د. ابراهيم السامرائي « ما يذكر وما يؤنث » ضمن (رسائل في اللغة) .

(2) من هنا زيادة من المختصر .

ـ 571 ـ

سليمان بن محمد بن طراوة الشيباني المالقي النحوي أبو الحسين : إمام عظيم في النحو ، قرأ عليه أكثر أهل الأندلس ، وكان نحوي الأندلس في عصره . قرأ على أبي الحجاج يوسف الأعلم ، ومات سنة ثلاث وخمسمائة وعاش نيفاً وتسعين سنة ، وكان يعرف بالأستاذ ، وذكروا أنه لا يلقب بالغرب بالاستاذ إلا النحوي الأديب ؛ أُنْشِدَ لأبزون بن مهيروز الكاتب :

وقالوا أَفِقْ من سَكْرَةِ اللهوِ والصبا ... فقد لاح شيبٌ في دُجَاكَ عجيبُ
فقلتُ أخلائي دعوني ولذتي ... فإن الكرى عند الصباحِ يطيبُ

فقال : هذا وهمٌ ، فإن هذين البيتين لأبي العباس ، وأما التي لأبزون :

وقائلةٍ خلِّ الصبا لرجاله ... فإن الصبا بعد المشيب جنونُ
فقلتُ لها لا تعذليني فإنما ... ألذُّ الكرى عند الصباح يكونُ

ومما هجاه به أبو الحسن علي بن عبد الغني الحصري :

ولابن طراوةَ نحوٌ طري ... إذا شمَّه الناسُ قالوا خري

ـ 572 ـ

سليمان بن مسلم بن الوليد الشاعر الضرير ، وهو ابن مسلم بن الوليد المعروف بصريع الغواني الشاعر المشهور : كان كأبيه شاعراً مجيداً ، وكان ملازماً

---

571 ـ هذه الترجمة من الموجز ؛ وانظر التكملة (مدريد) رقم 1979 والذيل والتكملة 4: 79 وتحفة القادم : 18 والمقتضب من تحفة القادم : 11 وبغية الملتمس رقم: 779 والمغرب 2: 208 وصفحات متفرقة من نفح الطيب (انظر الفهرس) وبغية الوعاة 1: 602 والخريدة (قسم المغرب) 3 : 571 وله أخبار وشعر في معجم السفر للسلفي وأدباء مالقة وعيون التواريخ 12: 284 . ونشر له د. الضامن رسالته في أخطاء الايضاح (بغداد 1990) .

572 ـ الحيوان 4: 195 والوافي 15: 427 ونكت الهميان : 160 ، وقد عدّه الجاحظ في الحيوان 4: 195 والبيان (1 : 31) أخاً لمسلم بن الوليد .

لبشار بن برد يأخذ عنه ولذا كان متهماً بدينه . مات سنة تسع وسبعين ومائة ، ومن شعره[1] :

إنَّ في ذا الجسم معتبراً لمريدِ العلم ملتمسهْ[2]
هيكلٌ للروح يُنْطِقُهُ عِرْقُهُ والصوتُ من نَفَسهْ
ربَّ مغروس يُعاشُ به عدمته كفُّ مغترسهْ
وكذاك الدهرُ مأتمه أقربُ الأشياءِ من عُرُسِهْ

وقال :

جَلدي عميرةَ فيه العارُ والحُوبُ والعجز مُطَّرَحٌ والفحشُ مسبوبُ
وبالعراق نساءٌ كالمها خُطُفٌ بأرخصِ السَّوْمِ جذلاتٌ مناجيبُ
وما عميرة من ثدياء حاليةٍ كالعاج صَفَّرها الإكنانُ والطيبُ

وله :

تبارك الله ما أسخى بني مطرٍ همُ كما قيل في بعضِ الأقاويلِ
بيضُ المطابخ لا تشكو ولائدهم غَسْلَ القدورِ ولا غَسْلَ المناديلِ

وله شعر غير هذا اكتفينا بهذا المقدار منه .

- 573 -

سليمان بن معبد ، أبو داود السنجي المروزي المحدث الحافظ النحوي : دخل بغداد فأخذ عن الأصمعي والنضر بن شميل وغيرهما ، ورحل إلى مصر والحجاز واليمن ، وخرّج له مسلم بن الحجاج في « صحيحه » ، وكان ثقة ثبتاً له معرفة تامة بالعربية واللغة . مات في ذي الحجة سنة سبع وخمسين ومائتين وقيل ثمان وخمسين ومائتين .

573 ـ ترجمته في الجرح والتعديل 4 : 147 وتاريخ بغداد 9 : 51 والوافي 15 : 428 وبغية الوعاة 1 : 603 وتهذيب التهذيب 4 : 219 .

(1) انظر الحيوان والبيان وعيون الأخبار 3 : 61 والكامل 4 : 95 .
(2) الحيوان : لطلوب العلم مقتبسه .

ـ 574 ـ

سليمان بن موسى ، برهان الدين أبو الفضل بن شرف الدين المعروف بالشريف الكحال المصري : كان أديباً فاضلاً بارعاً في العربية وفنون الأدب عارفاً بصناعة الكحل ، خدم بها الملك الناصر صلاح الدين بن أيوب وتقدم عنده وحظي لديه ونال عنده منزلة عالية وقبولاً تاماً ، وكان بينه وبين القاضي الفاضل عبد الرحيم بن علي البيساني وبين شرف الدين محمد بن نصر المعروف بابن عنين الشاعر المشهور صحبة ومودة ومزاح ومداعبة ، فأهدى الشريف الكحّال إلى ابن عنين خروفاً وكان مهزولاً ، فكتب إليه ابن عنين يداعبه[1] :

أبو الفضل وابنُ الفضلِ أنتَ وأهلُهُ[2] ... فغيرُ عجيبٍ أن يكونَ لك الفضلُ
أتتني أياديكَ التي لا أعدها ... لكثرتها لا كُفْرُ نُعْمَى ولا جهلُ
ولكنني أنبيك عنها بطرفةٍ ... تروقُكَ ما وافى لها قبلها مثلُ
أتاني خروف ما شككتُ بأنه ... حليفُ هوىً قد شفَّه الهجر والعذلُ
إذا قام في شمسِ الظهيرة خِلْتَهُ ... خيالاً سرى في ظلمةٍ ما له ظلُّ
فناشدته ما تشتهي ؟ قال قَتَّةٌ ... وقاسمته ما شَفَّهُ ؟ قال لي الأكلُ
فأحضرتها خضراء مجّاجة الثرى ... مسلَّمة ما حصَّ أوراقها الفتلُ
فظلَّ يراعيها بعينٍ ضعيفة ... وينشدها والدمع في العين منهلُّ
«أتت وحياضُ الموتِ بيني وبينها ... وجادت بوصلٍ حين لا ينفع الوصلُ»

وكتب إليه القاضي الفاضل يداعبه وكان قد كحله :

رَجُلٌ توكَّلَ بي وكحلني ... فذهيتُ في عيني وفي عيني
وخشيتُ تنقلُ نقطُ كُحْلَتِهِ ... عينيَّ من عينٍ إلى غينِ

574 ـ ترجمة الشريف الكحال في عيون الانباء 2 : 182 ـ 183 .

(1) عيون الانباء 2 : 183 وديوان ابن عنين : 134 ونهاية الأرب 10 : 131 .

(2) الديوان : وتربه .

ومن شعر الشريف الكحال :

ومذ رمدتْ أجفانه لامني العدا على حبّه يا ليتَ عيني لها فدا
فقلت لهم كفوا فإن لحاظه سيوف وشرط السيف أن يحمل الصدا

وقال :

كأن لحظ حبيبي في تناعسه وقد رماني بسقمٍ في الهوى وكمدْ
من المجوسِ تراه كلما قَدَحَتْ نيرانُ وجنته أومى لها وسجدْ

توفي الشريف الكحال سنة تسعين وخمسمائة .

ـ 575 ـ

سنان بن ثابت بن قرة أبو سعيد : كان أديباً فاضلاً مؤرخاً عارفاً بعلم الهيئة ماهراً بصناعة الطب ، كان في خدمة المقتدر ثم القاهر والراضي ، قال ابن النديم : ان القاهر باللّه أراد سنان بن ثابت بن قرة على الإسلام فهرب ثم أسلم وخاف القاهر فمضى إلى خراسان ثم عاد ، وتوفي ببغداد مسلماً صبيحة يوم الجمعة مستهل ذي القعدة سنة إحدى وثلاثين وثلاثمائة .

وله من التصانيف : التاجي[1] في أخبار آل بويه ومفاخر الديلم وأنسابهم وألفه لعضد الدولة ابن بويه . رسالة في أخبار آبائه وأجداده وسلفه . إصلاح كتاب اقليدس في الأصول الهندسية . كتاب تاريخ ملوك السريان . الرسائل السلطانيات والاخوانيات . رسالة في شرح مذهب الصابئة . رسالة في الاشكال ذوات الخطوط المستقيمة التي تقع في الدائرة ، صنفها لعضد الدولة . إصلاح كتب أبي سهل القوهي . رسالة في الفرق بين المترسل والشاعر . رسالة في الاستواء . رسالة في النجوم . رسالة في سهيل . رسالة في قسمة أيام الجمعة على الكواكب السبعة ، الفها لأبي إسحاق الصابىء ، وغير ذلك .

---

575 ـ ترجمة سنان بن ثابت في الفهرست: 359 وتاريخ الحكماء: 190 وعيون الانباء 1: 220 والوافي 15: 462 . 15: 462 ولوالده كتاب الذخيرة في علم الطب، القاهرة 1928 .

---

(1) التاجي أيضاً من مؤلفات أبي إسحاق الصابي .

- 576 -

سهل بن محمد بن عثمان بن القاسم أبو حاتم السجستاني البصري : أصلهم من تستر ، تجروا إلى سجستان وكرمان فأصابوا مالاً ثم استوطنوا سجستان فرأسوا أهلها بالمال . وكان أبو حاتم يؤم الناس بمسجد الجامع بالبصرة ويقرأ الكتب على المنبر ، وكان حسنَ الصوتِ جهيراً حافظاً للقرآن والقراءات والعروض والتفسير . وكان جماعةً للكتب حتى انه لم يكن بالبصرة مثل كتبه ، وكان يعنى باللغة والأخبار، وتوفي على ما حققه ابن دريد سنة خمس وخمسين ومائتين وقد قارب التسعين بالبصرة .

وكان إماماً في غريب القرآن واللغة والشعر ، أخذ عن أبي زيد الأنصاري والأصمعي وأبي عبيدة وعمرو بن كركرة وروح بن عبادة، وقرأ كتاب سيبويه مرتين على الأخفش أبي الحسن سعيد بن مسعدة ، وأخذ عنه المبرد وابن دريد وغيرهما .

[وكان] يقال : لأهل البصرة ثلاثة كتب يفتخرون بها على أهل الأرض : كتاب النحو لسيبويه وكتاب الحيوان للجاحظ وكتاب أبي حاتم في القراءات .

وقيل : خلف أبو أبي حاتم مائة ألف دينار عيناً غير الضياع والمنازل ، فأنفقها أبو حاتم في طلب العلم وعلى العلماء . ولما مات أبو حاتم بلغت قيمة كتبه أربعة عشر ألف دينار فوجه يعقوب بن الليث الخارجي بسجستان من اشتراها ونقلت إليه .

حدث أبو حاتم قال : كنت بمسجد الجامع بالبصرة في يوم جمعة وأنا إذ ذاك غلام ، إذ دخل أبو نواس فجلس إليّ وجعل يعبث بي وينشدني ، فقلت : اللهم خلصني منه ، فدخل غلام ثقفي من أجمل الناس فلما بصر به دهش وتحلحل عن مكانه وأجلسه بينه وبيني وجعل يحادثه وينشده إلى أن أقيمت الصلاة ، فالتفت إليّ

---

576 - ترجمة أبي حاتم السجستاني في الفهرست: 64 وأخبار النحويين البصريين: 93 ومراتب النحويين: 130 ونور القبس: 225 ونزهة الألباء: 129 وإنباه الرواة 2: 58 وطبقات الزبيدي: 94 وتاريخ أبي المحاسن: 73 وابن خلكان 2: 430 وطبقات ابن الجزري 1: 320 وعبر الذهبي 1: 455 وسير الذهبي 12: 268 والوافي 16: 14 ومرآة الجنان 2: 156 والبداية والنهاية 11: 2 وتهذيب التهذيب 4: 257 والنجوم الزاهرة 2: 332 والبلغة : 93 وبغية الوعاة 1: 606 والشذرات 2: 121 وطبقات الداودي 1: 210 ؛ وما ورد في م من هذه الترجمة مقتصر على الفقرة الثانية وعدّ بعض مؤلفاته ، وما تبقى فهو مزيد من المختصر .

وقال :

أتيح لي يا صاح مستظرف ... تسحر عيني عينه السَّاحِرَهْ

ثم التفت إلى الغلام وقد قام ينظر إلى كفله فإذا هو راسح فقال :

ما شئت من دنيا ولكنه ... منافق ليست له آخره

قال فقلت له : سمعت بهذا الشعر فأنشدته الساعة ؟ فحلف أنه ما سمعه وأنه ارتجله الساعة .

وقيل : كان أبو حاتم يميل إلى الأحداث ميلاً كثيراً ويمازحهم ويفرط ، وربما وضع يده يلمسهم ، فعاتبه بعض البصريين وقال له : إنك لتفعل هذا وتقوم إلى الصلاة . وفي ذلك يقول :

نفسي فداؤك يا عبيد اللّه حل بك اعتصامي

فارحم أخاك فانه ... نَزْرُ الكرى بادي السقامِ

وأَنِلْهُ ما دونَ الحرا ... م فليس يطمعُ في الحرامِ

ومما يروي لأبي حاتم :

الدمعُ من عينيَّ مُرْفَضُّ ... وللهوى في كَبِدي عضُّ

أَخْلَقَ وجهي شادنٌ وجهه ... عندي جديدٌ أبداً غضُّ

أرعدُ أن أبصرَهُ مُقْبِلاً ... كأنما ترجفُ بي الأرضُ

وحضر يوماً مجلسه غلامٌ من بني هاشم أحسن الناس فقال أبو حاتم :

لا تظنن بي فجوراً فما يزكى فجور بحاملي القرآنِ

أنا عفُّ الضمير غيرُ مريبٍ ... غير أني متيم بالحسانِ

وله من المصنفات : كتاب ما تلحن فيه العامة . كتاب في النحو على مذهب سيبويه والأخفش . كتاب المذكر والمؤنث . كتاب الشجر والنبات . كتاب المقصور والممدود . كتاب المقاطع والمَبادي . كتاب الفرق . كتاب القراءات . كتاب الفصاحة . كتاب النخلة . كتاب الاضداد . كتاب القسيّ والنبال . كتاب السيوف والرماح . كتاب الوحوش . كتاب الحرار . كتاب الهجاء . كتاب الزرع . كتاب خلق

الإنسان . كتاب الادغام . كتاب النحل والعسل . كتاب الإبل . كتاب الكرم . كتاب الشتاء والصيف . كتاب اللبأ واللبن والحليب . كتاب الشوق إلى الوطن . كتاب الخصب والقحط . كتاب اختلاف المصاحف . كتاب الجراد . كتاب الحر والبرد والقمر والليل والنهار . كتاب الفرق بين الآدميين وبين كل [ذي] روح . كتاب إعراب القرآن . كتاب الطير[1] .

ـ 577 ـ

سهل بن محمد أبو داود النحوي مؤدب سيف الدولة أبي الحسن علي بن حمدان : وله شعر حسن ، وفضل ظاهر ، منه :

يا لائمي كُفَّ الملام عن الذي ... أضناه طولُ سَقامِهِ وشقائِهِ
إن كنت ناصحَهُ فداوِ سَقامَهُ ... وأعنه ملتمساً لأمرِ شفائِهِ
حتى يقالَ بأنك الخلُّ الذي ... يُرْجَى لشدةِ دهره ورخائِهِ
أو لا فَدَعْهُ فما به يكفيه من ... طولِ الملام فلستَ من نصحائِهِ
نفسي الفداءُ لمن عَصَيْتُ عواذلي ... في حبّه لم أخشَ من رقبائِهِ
الشمسُ تطلع من أسرّة وجهه ... والبدرُ يطلُعُ من خلالِ قَبائِهِ

فاستحسن سيف الدولة هذه الأبيات وأمر المتنبي بإجازتها ، فقال :

عذل العواذل حول قلبي التائه[2]

له كتاب في المذكر والمؤنث كبير .

ـ 578 ـ

سهل بن المرزبان ، أبو نصر : أصله من أصبهان ، ومنشأه بقاين ، ومستقره

577 ـ هذه الترجمة من المختصر ؛ وانظر الوافي 16 : 21 وبغية الوعاة 1 : 607 .
578 ـ هذه الترجمة من المختصر ؛ وانظر دمية القصر : 964 والوافي 16 : 21 ـ 22 .

(1) نشر له الدكتور إبراهيم السامرائي « كتاب النحل » (بيروت : 1985) وخليل إبراهيم العطية : كتاب « فعلت وأفعلت » (البصرة : 1979) .
(2) عجز البيت : وهوى الأحبة منه من سودائه . انظر ديوان المتنبي : 342 .

نيسابور . قد جمع من الكتب الكثير ، وله أشعار كثيرة النكت منها :

كم ليلةٍ أحييتها ومؤانسي طُرَفُ الحديث وطيبُ حثّ الأكؤسِ
شبّهْتُ بَدْرَ سمائِها لما دَنَتْ منهُ الثريا في قَميصَيْ سندسِ
ملكاً مهيباً قاعداً في روضة حيَّاهُ بعض الزائرين بنرجسِ

وله من الكتب : كتاب أخبار أبي العيناء ، كتاب أخبار ابن الرومي . كتاب جحظة البرمكي ، كتاب ذكر الأحوال في شعبان ورمضان وشوال . كتاب آداب في الطعام والشراب .

ـ 579 ـ

سهل بن هارون بن راهبون، أبو عمرو الفارسي الأصل الدستميساني : دخل البصرة واتصل بالمأمون فولّاه خزانةَ الحكمة . وكان أديباً كاتباً شاعراً حكيماً شعوبياً يتعصب للعجم على العرب شديداً في ذلك ، وكان الجاحظ كثيراً ما يحكي عنه ويصف براعته ويثني على فصاحته ، وكان مشهوراً بالبخل وله في ذلك أخبار كثيرة ، وله رسالة في مدح البخل أرسلها إلى بني عمه من آل راهبون وأرسل نسخة منها إلى الوزير الحسن بن سهل فوقّع عليها الوزير : يا سهل لقد مدحت ما ذمَّ الله ، وحسَّنتَ ما قبّح الله ، وما يقوم صلاح لفظك بفساد معناك ، وقد جعلنا ثوابَ عملك سماعَ قولك[1] فما نعطيك شيئاً ، وقد أورد هذه الرسالة الجاحظ في كتاب البخلاء وقد تجنبنا الاطالة بذكرها .

توفي سهل بن هارون سنة مائتين وخمس عشرة .

ومن شعره :

فواحسرتا حتى متى القلبُ مُوجَعٌ بفقدِ حبيبٍ أو تعذّرِ إفضالِ

579 ـ ترجمة سهل بن هارون في الفهرست: 133 واعتاب الكتاب: 85 والوافي 16: 18 والفوات 2: 84 وسرح العيون: 242 وشرح البسامة: 152 وله أخبار في كتب الأدب والتاريخ كالبيان والتبيين ومروج الذهب والعقد والتذكرة الحمدونية : وقطع الشعر في هذه الترجمة مزيدة من الموجز .

(1) ر: بقبح معناك وقد جعلنا جائزتك عليه الأخذ برأيك فيه .

وما الفضلُ إلا أن تجودَ بنائلٍ ... والا لقاء الأخ ذي الخلقِ العالي

وله يعتذر :

إن كنتُ أخطأتُ أو أسأتُ ففي ... مثلك مأوى للعفو والمننِ

أتيتُ ما أستحق من خطأٍ ... فَعُدْ بما تستحقُّ من حَسَنِ

وله يمدح :

بذولٌ تلاد المال فيما ينوبُهُ ... منوعٌ إذا ما مَنْعُهُ كان أحْزَمَا

مذلّل نفسٍ قد أَبَتْ غيرَ أن يَرَى ... مكارمَ ما يأتي من الحق مغنما

وكتب سهل بن هارون إلى المأمون رقعة مختصرة قال فيها : وكرهت أن يكثر الكلام فيتفرق فيه الذهن .

له من التصانيف : كتاب ديوان رسائله . كتاب ثعلة وعفراء . كتاب الهذلية[1] والمخزومي . كتاب النمر والثعلب[2]. كتاب الوامق والعذراء[3]. كتاب بدود لدود ردود . كتاب الضربين[4] . كتاب اسباسيوس في اتخاذ[5] الأخوان . كتاب الغزالين . كتاب أدب أسل بن أسل[6] ، وكتاب شجرة العقل . كتاب إلى عيسى بن أبان في القضاء . كتاب تدبير الملك والسياسة ، وغير ذلك .

ـ 580 ـ

سهم بن ابراهيم الوراق : من شعراء القرن الثاني ، ومن أدباء القيروان ، قال في حصار أبي يزيد مخلد الخارجي لسوسة :

إنّ الخوارج صدَّها عن سوسةٍ ... منّا طعانُ السُّمر والإقدامُ

وجِلادُ أسيافٍ تطاير دونها ... في النقع دونَ المحصَّنات الهامُ

580 ـ معجم البلدان (سوسة) 3 : 192 .

(1) م : الهتيلية .
(2) نشره عبد القادر المهيري في حولية الجامعة التونسية ، العدد الأول 1964 .
(3) م : والعذار .
(4) الفهرست : كتاب الضرتين .
(5) م : اتحاد .
(6) الفهرست : أشك بن أشك .

حرف الشين

- 581 -

شاهفور بن طاهر بن محمد الاسفرايني ، أبو المظفر الفقيه الأصولي المفسّر : جامع بارع ، صنف كتاب التفسير الكبير ، كتاب في الأصول . مات سنة إحدى وسبعين وأربعمائة .

- 582 -

شبل بن عبد الرحمن ، الأديب النحوي النيسابوري : سمع عبد الملك بن قريب الأصمعي .

- 583 -

شبيب بن شبة الأخباري الأديب الشاعر : صاحب خالد بن صفوان الذي تقدمت ترجمته في حرف الخاء[1]، ولهما أخبار ومواقف مشهورة عند الخلفاء والأمراء. وكان بين شبيب وأبي نخيلة الراجز الشاعر صحبة ومودة . حدّث الأصمعي قال : رأى أبو نخيلة على شبيب حلّة فأعجبته فسأله إياها فوعده فقال فيه :

يا قومُ لا تسوِّدوا شبيبا   الخائنَ ابنَ الخائنِ الكذوبا
هل تلدُ الذئبةُ إلا ذيبا

581 ـ هذه الترجمة من المختصر .
582 ـ هذه الترجمة من المختصر ، وانظر بغية الوعاة 2 : 3 (وهو ينقل عن الحاكم) .
583 ـ الأغاني 20 : 362 وأخبار شبيب منثورة في كتب الأدب .

(1) انظر الترجمة رقم : 446 .

فلما بلغ ذلك شبيباً بعث إليه بالحلة وكتب إليه :

إذا غَـدَتْ سعدُ على شبيبهـا على فتـاهـا وعلى خـطيبهـا
من مَطلعِ الشمسِ إلى مغيبها عجبتُ من كثـرتهـا وطيبهـا

مات شبيب بعد المائتين .

ـ 584 ـ

شبيب بن يزيد بن جمرة بن عوف بن أبي حارثة المعروف بابن البـرصاء المرّي : والبرصاء أمه ، واسمها قرصافة بنت الحارث، وهو ابن خالة عقيل بن علّفة الآتية ترجمته في حرف العين[1]، وهو شاعر مجيد من شعراء الدولة الأموية وكان بينه وبين ابن خالته عقيل منافرة ومهاجاة ، وكان من سـادات قومـه وأشرافهم ، وله أخبار وأشعار كثيرة ذكرها أبو الفرج في كتابه منها[2] :

وإني لسهـلُ الوجـهِ يُعْـرَفُ مجلسي إذا أحـزنَ الـقـاذورةُ الـمـتـعـبّسُ
يُضيء سنا جودي لمن يبتغي القِرى وقد حال دونَ النّارِ ظلماءُ حنـدسُ
ألين لـذي القـربى مـراراً وتلتـوي بـأعنـاق أعـدائي حبـال فتمـرسُ

ـ 585 ـ

شبيل بن عزرة الضبعي : أعرابي راوية نسابة عالم بالغريب والشعر . وكان شاعراً ، وكان يتشيع سبعين سنة ، ثم صار بعد ذلك خارجياً . كنيته أبو عمرو . يروي عن أنس بن مالك ، وروى عنه شعبة.

584 ـ ترجمة شبيب بن البرصاء في الأغاني 12 : 273 وخزانة الأدب 1 : 190 والوافي 16 : 105 والبرصان والعرجان : 96 وطبقات ابن سلام : 709، 732 (وموضعه الصحيح هو معجم الشعـراء) .

585 ـ هذه الترجمة من المختصر ؛ وانظر الفهرست : 51 والبيان والتبيين 1 : 343 والاشتقاق 119 ، 318 والسمط : 194 والخزانة 1 : 43 وديوان شعر الخوارج : 226 .

(1) لم ترد لعقيل ترجمة لأن موضعه الصحيح معجم الشعراء .
(2) الأغاني 12 : 283 .

حدث شبيل الضبعي قال: سمعت أبا حمزة قال، قلت لابن عباس: أأقصر إلى الأبلّة؟ قال: تجيء من يومك؟ قلت: نعم. قال: لا تقصر.

وحدث شبيل قال: انطلقنا إلى أنس بن مالك ونحن أُغيْلمة فسمعته يحدث أن رسول الله ﷺ قال: «مثل الجليس الصالح مثل العطار إن لم يعطك من طيبه أصبت من ريحه، ومثل الجليس السوء مثل القين إن لم يحرقك أصابك من ريحه».

حدث الأصمعي قال[1]: كنت في مجلس أبي عمرو بن العلاء فجاءه شبيل بن عزرة الضبعي فلما دخل عليه رفعه أبو عمرو، وألقى له لبدَ بغلته، فلما جلس قال: ألا تعجبون لرؤبتكم هذا، يعني رؤبة بن العجّاج. سألته عن اشتقاق اسمه فلم يدر ما هو، فوثب يونس بن حبيب النحوي حتى جلس بين يدي شبيل، وكان يونس شديد التعصّب لرؤبة، فقال له: لعلك تظن أن معد بن عدنان كان أفصح من رؤبة، أنا غلام رؤبة، فما الروبة والروبة والروبة والروبة والرؤبة، الخامسة مهموزة فقط؟ فغضب شبيل بن عزرة وقام، فقال أبو عمرو ليونس: ما أردت بهذا رجل شريف قصدنا في مجلسنا فرددت عليه قوله وأحفظته، فقال يونس: ما تمالكت إذ ذكر رؤبة أن قلتُ ما قلت. ثم فسّر يونس فقال: الروبة الحاجة. والروبة جمام الفحل، يقال أعطني روبة فحلك، والروبة القطعة من الليل، والروبة القطعة من اللبن الحامض يروب به الحليب، والروبة النوم، وفلان لا يقوم بروبته أي بما هو فيه. الرؤبة بالهمزة القطعة من الخشب يربّ بها القعب، وبها سمّي الرجل.

وقد حكي أن رؤبة قال لشبيل: والله ما أدري لأيِّها سماني، فهذا الذي عناه شبيل لم يدر ما اسمه.

وقد روي أن يونس قال لرؤبة: لم أسماك أبوك رؤبة، أبروبة الليل أم بروبة الفرس أم بروبة القدح أم روبة اللبن؟ فهذا يدل على صحة قول شُبيل في رؤبة.

قرأت بخط أبي إسحاق ابراهيم بن محمد الطبري المعروف بتوزون ما يرفعه إلى شُبيل الضبعي أنه أنشد للمتلمس، وكان عالماً بالمتلمس لأنهما من ضبيعة:

---

(1) نور القبس: 53 ـ 54 والاشتقاق: 119 وأمالي القالي 1: 48.

إذا كنت في كلِّ الأمور معاتباً صديقك لا تلقى الذي لا تعاتبه
فعشْ واحداً أوصِلْ أخاك فإنه مقارف ذنب مرة ومجانبه
إذا أنت لم تشرب مراراً على القذى ظمئت وأي الناس تصفو مشاربه

قال أبو عبيدة : فأنشدني بشار هذه الأبيات لنفسه في قصيدته التي يقول فيها :

رويداً تصاهلْ بالعراق جيادُنا كأنك بالضحاكِ قد قام نادبه

فقلت لبشار : إن شبيلاً أنشدني هذه الأبيات للمتلمس . فقال : كذب شبيل ، هذه والله شعري ، ولقد أعطاني ابن هبيرة عليه أربعين ألفاً .

ـ 586 ـ

شداد بن إبراهيم بن حسن ، أبو النجيب الملقب بالطاهر الجزري : شاعر من شعراء عضد الدولة ابن بويه ، ومدح الوزير المهلبي ، كان دقيق الشعر لطيف الأسلوب مات سنة إحدى وأربعمائة ، ومن شعره :

إذا المرءُ لم يرضَ ما أمكنَهْ ولم يأتِ من أمرِهِ أحسَنَهْ
فدعه فقد ساء تدبيرُهُ سيضحكُ يوماً ويبكي سَنَهْ

ومنه[1] :

أيا جيلَ التصوُّفِ شرَّ جيلِ لقد جئتمْ بأمرٍ مستحيلِ[2]

586 ـ ترجمة شداد الجزري الملقب بالطاهر (أو الظاهر) في تتمة اليتيمة 1 : 46 ودمية القصر 1 : 126 والاكمال 5 : 240 وبغية الطلب 8 : 221 وابن خلكان 5 : 265 (7 : 341) والوافي 16 : 125 وضبطه السلفي بالشين (شداد) وقيل اسمه سداد (ورجح ابن العديم ذلك) أو أبو السداد (بالمهملة) قال ابن العديم : وذكر لي أبو السعادات ابن المرحل أنه بالسين المهملة ، وكذلك ذكره رفيقنا ابن النجار في حرف السين المهملة في التاريخ الذي ذيل به تاريخ أبي بكر الخطيب ، وشاهدت اسمه بخط الحافظ السلفي مضبوطاً بالشين المعجمة في بعض تعاليقه .

(1) بغية الطلب : 222 . (وقد مرّا منسوبين للمعري في ترجمته) .

(2) روايتهما عند ابن العديم :

أرى جيلَ التصوف شرّ جيل فقل لهمْ وأهون بالحلول
أقال الله حين عشقتموه كلوا أكل البهائم وارقصوا لي

أفـي القـرآن قـال لـكم إلـهي كلوا مثـلَ البهـائم وارقصُـوا لي

وقال :

قلت للقلب مـا دهـاكَ أبِنْ لي قـال لِي بـائـعُ الفـراني فَـرَاني
نـاظـراه فيمـا جَنَتْ نـاظِـرَاهُ أو دَعـاني أمُتْ بمـا أودعـاني

وقال :

بـلادُ اللّهِ واسعـةٌ فـضـاهـا ورزقُ اللّه في الـدنيـا فسيـحُ
فقُـل للقـاعـدين على هـوانٍ إذا ضـاقت بكم أرضٌ فسيحـوا

وقال(1) :

أفسـدتمُ نـظري عليَّ فمـا أرى مـذ غبتمُ حَسَنـاً إلى أن تقـدْمـوا
فدعوا غـرامي ليس يمكن أن ترى عينُ الرضى والسخطِ أحسنَ منكمُ

- 587 -

الشرقي بن القطامي الكلبي : الشرقي والقطامي لقبان ، وإنما ذكرناه في هذا الباب لشهرته بهذا الاسم ، وهو الوليـد بن الحصين بن حماد بن حبيب بن جـابر بن فراس، وهو مـالك بن عمرو بن امرىء القيس بن النعمـان بن عامـر بن عبد ود بن عوف بن كنانة بن عفيف بن عذرة بن زيد اللات بن رفيدة بن ثور بن كلب بن وبرة بن تغلب بن حلوان بن عمران بن الحاف بن قضاعة .

كان علاّمة نسَّابة أخبارياً إلا أنه كان ضعيفاً في روايته ، وكان من أهل الكوفة ، وكنية شرقي أبو المثنى ، وكان أعور ، وكان لا يشرب من النبيذ إلا قدحاً واحداً .

---

587 ـ هذه الترجمة من المختصر ؛ وانظر نور القبس : 275 والمعارف: 539 والفهرست : 102 وتاريخ بغداد 9 : 278 ونزهة الألباء: 22 واللباب (القطامي) وميزان الاعتدال 2 : 268 والمغني في الضعفاء 1 : 297 ولسان الميزان 3 : 142 والوافي 16 : 132 .

(1) بغية الطلب 8 : 223 .

حدث ابن دريد ما يرفعه إلى ابن الكلبي عن أبيه قال[1] : كنت يوماً عند الشرقي ابن القطامي ، فقال : من يعرف منكم أسد بن عبد مناف بن شيبة بن عمرو بن المغيرة بن زيد ، وهو من أشرف الناس بعد رسول اللّه ﷺ ؟ فقالوا : ما نعرفه . فقال : هو علي بن أبي طالب . كانت أمه سمته أسداً ، وأبوه غائب لما ولدته ، واسم أبي طالب عبد مناف ، واسم عبد المطلب شيبة ، واسم هاشم عمرو ، واسم عبد مناف المغيرة ، واسم قصي زيد .

قال الشرقي : دخلت على المنصور فقال لي : يا شرقي ، علام يزار المرء ؟ فقلت : يا أمير المؤمنين على خلال أربع : على معروف سلف أو مثله يؤتنف أو قديم شرف أو علم مطرف . قال غيره : فما وراء ذلك فولوع وكلف .

ومن مسند الشرقي[2] ما رواه عن ابن عباس أن عبد اللّه بن رواحة الأنصاري أتى رسول اللّه ﷺ فقال : يا رسول اللّه ، إني أتيت جارية لي في بعض الليل وإن صاحبتي انتبهت ، فأحسَّت بذلك ، فبكتتني ، فجحدت ذلك . فقالت : إن كنت صادقاً فاقرأ آيات من القرآن ، فأنشأت أقول :

وفينا رسول اللّه يتلو كتابه ... كما لاح معروفٌ من الصبح ساطعُ[3]
تراه يجافي جنبه عن فراشه ... إذا وطِّئت بالمشركين المضاجعُ
أغرّ وهوبٌ ماجد متكرّمٌ ... رحيم حليم واضح اللون ناصعُ
أرانا الهدى بعد العمى فقلوبنا ... به موقنات أن ما قال واقعُ
وأعلم علماً ليس بالظن أنني ... إلى اللّه محشور هناك وراجعُ

قال ، فضحك رسول اللّه ﷺ ، حتى ردَّ يده على فيه ، ثم قال : لعمري هذا من معاريض الكلام ، فما قالت لك ؟ قال : قالت لي : أما إذ قرأت القرآن فإني أتهم بصري وأصدق كتاب اللّه . فقال رسول اللّه ، ﷺ : لقد وجدتها ذات فقه في الدين .

حدث المرزباني بإسناد عن الشرقي قال : أرسل لي أمير المؤمنين المنصور

---

(1) ورد في الوافي .
(2) انظر الاستيعاب : 900 ـ 901 واستشهد بأبيات أخرى .
(3) ديوان عبد اللّه بن رواحة (قصاب) : 162 (ما عدا البيت الثالث) .

فأتيته ، فدخلت عليه وهو قاعد في مشرفة في داره التي فيها مجلس الخضراء ، فسلمت عليه بالخلافة فأدناني وقربني حتى كدتُ أن تمسَّ ركبتي ركبته . وسألني عن جميع أحوالي في بدني ومعاشي وعيالي ، ثم بسطني وأنَّسني بالحديث ساعة ، ثم قال : لو أتيت فتانا محمداً ، يعني المهدي ، فحدثته من طرائف ما عندك ، وخبرته بشرف أهله في جاهليتهم وإسلامهم ، وأيامهم وأنسابهم ، ومن يقرب إليه من نسبه في قريش ، وصهره من جميع العرب ، وما يحتاج إليه من منازل أهله وأقاربه منه والأقرب فالأقرب منهم لم يضع ذلك لك عندي . فقلت : أفعل ذلك وأبالغ فيه واستجزل حظي في القربة من أمير المؤمنين ـ أطال اللّه بقاءه في ذلك ، ومن المهدي ، أكرمه اللّه . فحسن موقع قولي عنده ، وسُرَّ به ، وأمر لي بألفي دينار ، وقال : اتخذها عقدةً من معاش لك ولعقبك من بعدك ، ولا تبسطْ يدَكَ بالإسراف في إنفاقها ، ولم يَعلم أني أحوطُ لها منه ، فقلت : نعم يا أمير المؤمنين ، وأزيد على ذلك . قال : إذاً أزيدك ، وأعلمني كلَّ وقت تصير فيه إلى محمد ، وما يكون منك ومنه من إلقائك إليه وقبوله منك ، ولا تُخْفِ عليَّ من أمركما شيئاً يبلغنيه غيرك ، فقد وثقْتُ بقولك واستنمت إلي كفايتك . فقلت : أفعل من ذلك ما يحسن لي به الموقع من قلب أمير المؤمنين . وتبعني رسوله بالمال ، فقبضته وغدوت على المهدي ، فأعلمته بعثة أمير المؤمنين إليّ ، وما أمر به . فأمرني بالملازمة ، ولم أرَ له في ذلك النشاط لما ألقيت إليه ، وأقبلت عليه بالحديث والكلام ، فلم أرهَ يَهَشّ لذلك ، ولا يحسن له الاستماع ، فغمني ذلك ، وتخوفت أن أعلمه أباه فأغمّه ، فلبثت منه على خطر عظيم، وأمسكت المال عندي مخافة أن يسترجعه إذا بلغه ذلك . فلم أحدث في شيء منه حدثاً ، وأقبلت آتيه، فلا يأذن لي إلا في الأيام، ثم يأمر أن لا أطيل في الجلوس، وأراه يميل إلى اللهو ، وإلى الحديث المطرب الملهي ، فعزمت على أن أسلك ذلك الطريق بقدر ما أقرب من قلبه ، ثم أُشرب ذلك ببعض ما أمرت به . فدخلت عليه يوماً ، فرأيته على الحالة التي كنت أراه عليها، وأجرى بعض من عنده حديثاً من حديث بعض الملوك فنشط له وضحك . فقلت : أصلح اللّه الأمير ، عندي ما هو أحسن من هذا وأطيب ، فإن أذن الأمير حدثته ، فاستوى على سريره جالساً ثم قال : هات ما عندك . فقلت : إنه كان في الزمن الأول ملك من الملوك ، وكان على بابه غسّال يغسل ثيابَ حشمه

فيعيش بأحسن حال حتى مات ذلك الملك وتفرّق حشمه فساءت حال الغسّال وافتقر فقال لامرأته : ويحك قد ترين ما قد أُصبنا به من موت الملك ، وقد رأيت رأياً فما ترين ؟ قالت : ما هو ؟ قال : نرتحل فنطلب بابَ ملكٍ مثله ، فإنه يحتاج إلى مثلي ، فعسى اللّه أن يصنع لي ولك ؛ قالت : نِعْمَ ما رأيتَ فافْعل . فعمد الغسال إلى ما عنده من متاع وخزائن فباعه ، وخرج وهو وامرأته قد حمل قرازمه في كساء على ظهره ، والقرازم التي تدق بها الثياب وتسمى الكودينات ، حتى أتيا بلدةً فيها جبار على باب مدينته صنمٌ على علم ، لا يدخل مدينته أحدٌ إلا نهاراً ، فمن دخلها من الناس فسجد لذلك الصنم لم يعْرِضْ له ، ومن لم يسجد له قُتِلَ ولُطِّخَ ذلك العلم بدمه بعد أن تقضى له ثلاثُ حوائج ، ثم يقتل . فدخل الغسّال وامرأته ، فلم يسجدا للصنم ، وللملكِ مَنْظرةٌ في قصره يشرف منها على الصنم فيرى من يسجد ومن لا يسجد ، فلما رآهما الملك لم يسجدا ، دعا بهما ليقتلا ، وقال لهما : ما منعكما أن تسجدا للصنم ، وقد رأيتما الناس يسجدون له ؟ قالا : لم نعلم أنه من أمر الملك فيأمر الملك أن نسجد له بقية يومنا . قال : ليس إلى ذلك سبيل ، ولا بد من قتلكما بعد أن أقضي لكلٍّ واحد منكما ثلاث حوائج فاسألاها ، فبكيا وتضرعا وسجدا له ، فأبى إلا قتلهما . فلما يئسا من الحياة ومن عفوه ، قال الرجل : يأمر لي الملك بعشرة آلاف درهم فأتوه بها . ثم قال : هات الثانية . قال : دار يسكنها ولدي من بعدي ، فدفعت إليه دار . ثم قال: هات الثالثة ، فوضع كساءه على ظهره كهيئة المثقل ، ثم أخرج أعظم قرزوم معه فأمسكه بيده ، ومسحه بكمه . فقال الملك : هاتِ حاجتك ، قال : أضرب رأس الملك بهذا ثلاثاً . قال فضحك المهدي حتى انقلب عن سريره ، ثم قال : إيه . قلت : فبقي الملك مكبّاً مطرقاً لا يدري ما يصنع ، وعرض على الغسال من الأموال ما لا يُحصى ، فأبى وقال : ما ينفعني المال بعد موتي ؟ فقال الملك لجلسائه : ما ترون ؟ فقالوا : إما أن تقضي حاجته أو تبطل هذه السنة . فقال : ما إلى ابطالها سبيل . ودعا الملك بوسادة كبيرة ، فوضعت على رأسه لتقيه من الضرب . فقال الغسال : ليس هذا شرطي أفتدعوني أتّقي من القتل كما تتقي من ضربي ؟ قالوا : صدق ، فبقي الملك ساعة يفكر ثم قال : نحّوها ، وقال له : اضرب ، فضرب ضربة ألصقت رأس الملك بالأرض ، وتصايح الناس والحشم ، والملك مغشيّ عليه . قال :

فضحك المهدي أكثر من ضحكه الأول . ثم قال : إيه . قلت : والغسال قائم ، وقرزومه بيده رافع له ، وقد فلق رأس الملك والدم يسيل ، وقد حضر العشاء وأفاق الملك والغسال بعينه ، فلما رآه قائماً بقرزومه تغاشى ، فلم يزل كذلك ، فلما طال به المكث ، وحضر المساءُ ، رفع رأسه إلى الغسّال فقال له : ويلك أيُّ ضرباتك هذه ؟ قال : هذه الهوينا . قال : فازداد المهدي ضحكاً ، واستزادني في الحديث . قلت : فقال الملك في نفسه : هذه أهون ضرباته ، فإن عاودني بأشدَّ منها قتلني . فرفع رأسه متحاملاً ، وقال : قد رأيتُهُ حين سجد ، ولكني أردتُ أن استخرجه وأعلم طاعته ، اذهبْ يا غسّالُ فقد سوغتك ما وهبت لك ، ولك عشرة آلاف درهم أخرى على أن لا تضربني الضربتين . فقال الغسال : لا واللّه لا أبطلها ما سجدت للصنم ، فاما أن تبطله أو تقضي حاجتي . فقال الملك لجلسائه : ما ترون ؟ قالوا : الرأي الوفاء . فلما علم الملك أن لا منجى له من الغسّال ، قال لجلسائه قد كان أبي تقدم إلي وقال : إن رَابك من أمر الصنم رَيْبٌ فاكسره . فأمر بكسره وإبطال السنة . قال : والغسال قائم بقرزومه . فقال له : اخرج عني ، ما قيامك ؟ قال : العشرة آلاف الأخرى . قال : اعطوه ، لا بارك اللّه له فيها . قال : بلى واللّه ، [. . .] والمهدي يضحك ويتعجب ، ويقول له إيه ، فضرب الغسّال رأس الملك وكسر صنمه ، وانصرف سالماً ؟! قلت : نعم، أعز اللّه الأمير. قال: كم كان أمر لك أمير المؤمنين سمِّ عداه ولا تسمِّ حقه. قال : قلت بألفين ، قال : فأمر لي بألف دينار ، وقال لي لولا أني أكره أن أبلغ عطية أمير المؤمنين فأساويه ما قصرت بك عنها إن سألك أمير المؤمنين ليكون أعذر لي عنده . قال : وأمر لي بكسوة وحملان ، ثم قال : لا تُغِبَّني يوماً واحداً ، قلت : أفعل أعز اللّه الأمير . فكنت إذا جئته بعد ذلك أكاد أن أحمل أنا ودابتي حتى ندخل ، فقلت في نفسي : أنت هاهنا واللّه لأوسعنّك من هذا ، ولأوسعنّ معاشي معك . قال : فما خرجت من عنده يوماً إلا بصلةٍ أو تحفة من طيب ولطف وغيرهما . فكنت في خلال ذلك أشوبُه ببعض ما أمرت به فيَهَشّ له قلبه، وانتفعت به وبالمنصور .

- 588 -

شَهْفيروز بن سعد[1] **بن عبد السيد** أبو الهيجاء الأصبهاني : كان أديباً فاضلاً شاعراً مجيداً في النظم والنثر له مقامات أنشأها سنة تسعين وأربعمائة ، وأخذ عن أبي جعفر محمد بن أحمد بن مسلمة وغيره ، مات سنة ثلاثين وخمسمائة ، ومن شعره :

لا أستلذُّ العيشَ لم أدأبْ له ... طلباً وسعياً في الهواجرِ والغلسْ
وأرى حراماً أن يواتِيَني الغنى ... حتى يُحَاوَلَ بالعناءِ وَيُلْتَمَسْ
فاحبسْ نوالَكَ عن أخيك موفَّراً ... فالليثُ ليس يُسِيغُ إلا ما افترسْ

وقال[2] :

وساقٍ بتُّ أشربُ من يديه ... مشعشعةً بلونٍ كالنجيعِ
فحمرتها وحمرةُ وجنتيه ... ونورُ الكاسِ في نور الشموعِ
ضياءٌ حارتِ الأبصار فيه ... بديعٌ في بديعٍ في بديعِ

- 589 -

شمر بن حمدويه أبو عمرو الهروي اللغوي : أحد الأثبات للغات الحفاظ للغريب وعلم العرب ، كان عالماً فاضلاً ثقة نحوياً لغوياً راوية للأخبار والأشعار ، رحل إلى العراق في شبيبته فأخذ عن جماعة من أصحاب أبي عمرو الشيباني وأبي زيد الأنصاري وأبي عبيدة والفراء ، منهم : الرياشي وأبو حاتم السجستاني ومات سنة

588 - ترجمته في الوافي 16 : 196 والفوات 2 : 107 وعيون التواريخ 12 : 323 .
589 - هذه الترجمة وردت في م ؛ ولكنها في المختصر تمثل شكلاً مختلفاً بعض الشيء ، وقد زاوجت بينهما ، وانظر : إنباه الرواة 2 : 77 وتهذيب اللغة 1 : 21 ونزهة الألباء : 135 والوافي 16 : 180 - 181 والبلغة : 94 وبغية الوعاة 2 : 4 .

خمس وخمسين ومائتين في أيام المعتز أو المهتدي لأن في هذه السنة خلع المعتز وولي المهتدي . ثم رجع إلى خراسان وأخذ عن أصحاب النضر بن شميل والليث .

وصنف كتاباً كبيراً رتَّبه على حروف المعجم ابتدأ فيه بحرف الجيم وطوّله بالشواهد والروايات الجمة وأودعه تفسير القرآن وغريب الحديث شيئاً لم يسبقه إلى مثله أحد تقدمه . ولما كمل الكتاب ضنَّ به في حياته فلم يبارك الله له فيما فعله ولم ينسخه أحدٌ حتى مضى لسبيله ، واختزن بعد وفاته بعضُ أقاربه ذلك الكتاب وغرق في جملة ما غرق من [مال] ذلك الرجل فلم ينتفع به . قال أبو منصور الأزهري : أدركت من ذلك الكتاب تفاريقَ أجزاء فتصفحتُ أبوابها فوجدتها على غايةٍ من الكمال ، والله يغفر لنا ولأبي عمرو ويتغمد زلته ، فإن الضن بالعلم غير محمود ولا مبارك فيه . وقيل اتصل أبو عمرو بيعقوب بن الليث الأمير فخرج معه إلى نواحي فارس وحمل معه كتاب الجيم ، فطغى الماء من النهروان على معسكر يعقوب ، فغرق الكتاب في ما غرق من المتاع .

قال أبو العباس ابن حمويه : سمعت شمر بن حمدويه يقول : دخلت على الياس بن أسد الساماني يوم ورد نعي عبد الله بن طاهر فقال لي : خذ يا شمر ، الموت فوت الأبدان وموت الأقران .

ولأبي عمرو من التصانيف غير كتاب الجيم ، كتاب غريب الحديث كبير جداً . وكتاب السلاح . وكتاب الجبال والأودية ، وغير ذلك .

ـ 590 ـ

شهيد بن الحسين البلخي أبو الحسين الوراق المتكلم : مات سنة خمس عشرة وثلاثمائة . وكان أبو زيد وأبو القاسم وشُهيد البلخيون في عصر واحد ، كلّ منهم كان إماماً في العلوم الحكمية ، وكان بينهم مودة وكيدة وعشرةٌ حسنة ، وماتوا في مدة قريبة ، وكان شهيد هذا أسبقهم موتاً ، ثم تلاه أبو القاسم ، ثم تلاه أبو زيد . وكان صحيحَ الحفظ مستظهراً فيما يكتبه حتى انه إذا اشتبهت عليه كلمة تتبعها في كثير من

590 ـ هذه الترجمة من المختصر ، وانظر الفهرست : 357 وعيون الأنباء 1 : 311 والوافي 16 : 197 .

النسخ والكتب ، ويعلِّم على تلك الكلمة علامات يشهرها بها ، وقلما وقع شيء من خطه إلا بُولِغَ في ثمنه وبيع بأوفر الأثمان بطريق ذلك . وكان مع غزارة علمه وجلالة قدره شكسَ الأخلاق محروماً عن سعة الأرزاق . وكان يشكو الدهر ويزجي الأيام بالوراقة ويعاني مضض الفاقة .

وحكى شهيد قال : كنت ببغداد مرة في سنة ست وثلاثمائة ، وكان بقرب الموضع الذي أنزله صوفي مليح ، فكان يشتري الخرق فيتخذ منها المرقعات ويبيعها على الصوفية . فجاءه يوماً صوفي يطلبُ منه مرقعة فقال له : ليس عندي غير هذه التي علي . قال : فبعنيها . فقال له : يا أحمق إذا باع الصياد شبكته كيف يصطاد .

وكان شهيد قد تغرب في البلاد كثيراً بطريق أنه هجا أحمد بن سهل فطلبه فهرب منه ، ولم يعد إلى بلخ إلى أن هلك أحمد بن سهل ، فعاد إلى بلخ .

وله أشعار كثيرة منها في أبي نصر أحمد بن أبي ربيعة وزير عمرو بن الليث :

كنا نرى أن التوسلَ بالأدب ... من أكرم الشفعاءِ عند ذوي الحسبْ
حتى استبان لنا ببابك أنه ... سخف وأن الأمر فيه قد انقلبْ
إن كان جداً فيه ما هو عندكم ... والعلمُ هزلاً إن ذا لمن العجبْ
إني لأرجو أن أرى من يشتري ... ما تزدريه من الفوائد بالذهبْ
وكأنما العز الذي أوتيته ... يا أحمد بن أبي ربيعة قد ذهبْ
إن التي تزهو بها غرّارةٌ ... فارمقْ بطرفك نحو سوء المنقلبْ

- 591 -

شُهدة بنت أحمد بن أبي الفرج بن عمر الدينوري المعروف بابن الإبري ، المدعوة فخر النساء ، الكاتبة : امرأة من أولاد المحدثين متميزة فصيحة حسنةُ الخط ، تكتبُ على طريقة الكاتبة بنت الأقرع ، وما كان ببغداد في زمانها من يكتب مثل

591 - هذه الترجمة من المختصر ؛ وانظر المنتظم 10 : 289 وانساب السمعاني واللباب (الابري) ومشيخة ابن الجوزي : 208 وابن خلكان 2 : 477 وسير الذهبي 20 : 542 وتاريخ ابن الأثير 11 : 454 وعبر الذهبي 4 : 220 ومرآة الزمان 8 : 352 والوافي 16 : 190 ومرآة الجنان 3 : 400 ونزهة الجلساء : 61 والشذرات 4 : 248 .

خطها ، وكانت مختصةً بأمير المؤمنين المقتفي لأمر الله . سمَّعها أبوها الكثير من المشايخ ، وعمرت حتى حدثت وأخذ عنها الحديث ، سمعت أباها أبا نصر أحمد والنقيب أبا الفوارس طراد بن محمد بن علي الزينبي وأبا الخطاب نصر بن أحمد بن عبد الله بن البطر القارىء ، وأبا الحسن علي بن محمد بن علي بن العلاف المقرىء وغيرهم . ماتت في المحرم سنة أربع وسبعين وخمسمائة .

ـ 592 ـ

شيبان بن عبد الرحمن ، أبو معاوية التميمي مولى بني تميم : كان من أكابر القراء والمحدثين والنحاة ، كان مقيماً بالكوفة فانتقل عنها إلى بغداد وأخذ عن الحسن البصري وحدث عنه وعن ابن أبي كثير ، وحدَّث عن شيبان الحافظ الثقة عبد الرحمن بن مهدي وغيره . وقرأ على عاصم بن أبي النجود وأبي إسحاق السبيعي وعطاء ابن أبي السائب وقرأ [هؤلاء] على أبي عبد الرحمن السلمي ، وأبو عبد الرحمن قرأ على علي بن أبي طالب عليه السلام . وكان معلماً لأولاد داود بن علي بن عبد الله بن عباس .

سئل ابن معين عن شيبان فوثقه وقال : ثقة في كل شيء ، وسئل عنه أحمد بن حنبل وعن الدستوائي وحرب بن شداد فقال : شيبان أرفعُ عندي ، شيبان صاحب كتاب صحيح . وقال ابن عمار : أبو معاوية شيبان النحوي ثقة ثبت .

توفي شيبان ببغداد سنة أربع وستين ومائة وقيل سنة سبعين ومائة في خلافة الهادي ودفن في مقابر قريش بباب التبن، قاله ابن سعد كاتب الواقدي في «طبقاته»(1).

---

592 ـ ترجمته في طبقات ابن سعد 6 : 262 (الطبعة الأوروبية) وطبقات خليفة : 850 والتاريخ الكبير للبخاري 4 : 254 والجرح والتعديل 4 : 355 وتاريخ بغداد 9 : 271 ونزهة الألباء : 190 والأنساب واللباب (النحوي) وإنباه الرواة 2 : 72 وميزان الاعتدال 2 ؛ 285 وعبر الذهبي 1 : 243 وتذكرة الحفاظ : 218 وسير الذهبي 7 : 406 والوافي 16 : 200 وتهذيب التهذيب 4 : 373 وطبقات ابن الجزري 1 : 329 والشذرات 1 : 259 وترجمته في المختصر موجزة .

(1) وقال ابن سعد إنه دفن بمقبرة الخيزران .

ـ 593 ـ

شيث بن إبراهيم بن محمد بن حيدرة ضياء الدين ، المعروف بابن الحاج القناوي القفطي النحوي اللغوي العروضي أبو الحسن : أحد أكابر الأدباء المعاصرين ، برع في العربية واللغة وفنون الأدب وتقدم فيها ، وسمع من الحافظ أبي طاهر السلفي وغيره ، وحدث ودرَّس ، وكان ذا هيبة ووقار ، وله مقامات معروفة ومواقف بين يدي السلاطين والأمراء ، وكانوا يحترمونه ويوقرونه .

ومن تصانيفه : كتاب الاشارة في تسهيل العبارة . والمعتصر من المختصر . وتهذيب ذهن الواعي في إصلاح الرعية والراعي ، صنفه للملك الناصر صلاح الدين يوسف . وحزّ الغلاصم وإفحام المخاصم . وتعاليق في الفقه على مذهب الامام مالك . واللؤلؤة المكنونة واليتيمة المصونة ، وهي قصيدة في الأسماء المذكرة ، أبياتها سبعون بيتاً ، منها :

وصفتُ الشعرَ من يفهمْ ... يخبّرني بما يعلمْ
يخبرني بألفاظ ... من الأعراب ما الدهثمْ
وما الإقليد والتقليـ ... ـد والتهنيد والاهتمْ
وما النهاد والاهدا ... مُ والأسمال والعيهمْ
وما الالغاد والاخرا ... د والاقراد والاكدمْ[1]
وما الدقراس والمردا ... س والفداس والاعلمْ
وما الاوخاص والادرا ... ص والقراص والاثرمْ
وما اليعضيد واليعقيـ ... ـد والتدمين والارقمْ

593 ـ إنباه الرواة 2 : 73 والوافي 16 : 203 ونكت الهميان : 168 والفوات 2 : 108 والطالع السعيد : 262 والديباج المذهب : 127 وبغية الوعاة 2 : 6 وحسن المحاضرة 1 : 214 والبلغة : 95 وقصيدته التي يورد ياقوت بعض أبياتها شديدة التصحيف في المصادر ولذا كان من العناء الباطل محاولة شرحها .

(1) الفوات : والمكدم .

وما الانكار والانكا ث والاعلام والاقضمْ
وما الأوغال والأوغا د والأوغاب والأقصمْ

ومضى على هذا النمط إلى أن قال :

ألا فاسمع لألفاظٍ جَرَتْ عَلماً لمن يعلمْ
فقد أنبأتُ في شعري بألفاظي لمن يفحمْ
وعارضتُ السجستانـ ـيَّ في قولي ولم أعلمْ
فضعَّفْتُ قوافيه على المثلِ الذي نَظَّمْ
فهذا الشعر لا يدريـ ـه إلا عالمٌ همهمْ

توفي أبو الحسن ابن الحاج سنة ثمان وتسعين وخمسمائة وقيل سنة تسع وتسعين وخمسمائة ومن شعره :

اجهدْ لنفسك إن الحرصَ متعبةٌ للقلب والجسم والايمانُ يمنعُهُ
فإن رزقَك مقسومٌ سَتُرْزَقُهُ وكلُّ خَلْقٍ تراه ليس يدفعهُ
فإن شككتَ بأن الله يقسمُهُ فإن ذلك بابُ الكفرِ تقرعهُ

محتويات الجزء الثالث

الموضوع | الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

(1) انظر رقم : 346 .

الموضوع | الصفحة

الموضوع | الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع | الصفحة

الموضوع	الصفحة

بسم الله الرحمن الرحيم

حرف الصاد

****

- 594 -

صاعد بن الحسن بن عيسى الربعي الموصليّ الأصل البغداديّ اللغويّ الأديب أبو العلاء: دخل بغداد وأخذ عن السيرافي وأبي علي الفارسي والخطابي وغيرهم، وكان عارفاً باللغة وفنون الأدب والأخبار، سريع الجواب حسن الشعر طيب المعاشرة ممتع المجالسة. دخل الأندلس في أيام هشام بن الحكم المؤيد وولاية المنصور أبي عامر محمد بن أبي عامر واتصل بالمنصور بن أبي عامر فأكرمه وأفرط في الاحسان إليه والإقبال عليه، ثم استوزره.

وكان محسناً للسؤال حاذقاً في استخراج الأموال طبًّا بلطائف الشكر. أخبر بعض المشايخ بالأندلس أن أبا العلاء دخل على المنصور أبي عامر يوماً في مجلس أنس، وقد اتخذ قميصاً من رقاع الخرائط التي وصلت إليه فيها صلاته، ولبسَهُ تحت ثيابه، فلما خلا المجلسُ وجد فرصةً لما أراد، وتجرَّدَ وبقي في القميص المتخذ من الخرائط، فقال له: ما هذا؟ فقال: هذه رقاعُ صلاتِ مولانا اتخذتها شعاراً، وبكى وأتبع ذلك من الشكر بما استوفاه. فأعجب ذلك المنصور، وقال له: لك عندي مزيد، ونفق عليه.

---

594 - ترجمة صاعد البغدادي في جذوة المقتبس: 223 (وبغية الملتمس رقم: 852) والصلة: 232 والذخيرة 4/1: 8 والمعجب: 75 وإنباه الرواة 2: 85 وابن خلكان 2: 488 وعبر الذهبي 3: 124 وميزان الاعتدال 2: 287 والوافي 16: 226 وبغية الوعاة 2: 7 والشذرات 3: 206 ونفح الطيب 3: 77 والتشبيهات من أشعار أهل الأندلس: 291 وبدائع البدائه: 354 وروضات الجنات 4: 130 واكثر هذه الترجمة مزيد من المختصر.

قال الحميدي : من عجائب الدنيا التي لا يكاد يتفق مثلها أن صاعد بن الحسن هذا أهدى إلى المنصور أبي عامر أيّلاً وكتب معه أبياتاً وهي :

يا حرْزَ كلِّ مخوّفٍ وأمانَ كلِّ مشـــرِدٍ ومعـزّ كـلِّ مـذلّـلِ

جدواكَ إن تخصصْ به فلأهلِهِ وتعمُّ بالإحسان كلَّ مؤمّلِ

كالغيث طبَّقَ فاستوى في وَبْلِهِ شَعِثُ البلادِ مع المَرَاد المبقلِ

اللّه عونك ما أبرّكَ بالهدى وأشدَّ وقعك في الضلالِ المشغلِ

ما إن رأت عيني وعلمك شاهدي شروى علائِكَ في معمٍّ مُخْولِ

أندى بمُقْرَبةٍ كسرحان الغضا ركضاً وأوغل في مُثار القسطلِ

مولاي يؤنس غربتي بتخطفي من ظفر أيامي بممنع معقلِ

عبد نَشَلْتَ بِضَبْعِهِ وغرسته في نعمة أهدى إليك بأيّلِ

سميتُهُ غرسيّةً وبعثته في حبله ليتاحَ فيه تفؤّلي

فلئن قبلتَ فتلك أسنى نعمةٍ أسدى بها ذو منحة وتطوّلِ

صبحَتْك غاديةُ السرور وجلّلتْ أرجاء ربعك بالسحاب المخْضِلِ

فقضي في سابق علم اللّه ، عز وجل ، وتقديره أن غرسية بن شانْجُهْ من ملوك الروم ، وهو أمنع من النجم ، أسرَ في ذلك اليوم بعينه الذي بعث فيه صاعدُ بالأيل ، وسماه غرسيه متفائلاً بأسره ، وهكذا فليكن الجَدّ للصاحبِ والمصحوب .

قال ابن حيّان : وجمع أبو العلاء للمنصور أبي عامر كتاباً سمّاه « الفصوص في الآداب والأشعار » على حكم « كتاب النوادر » لأبي علي القالي فأثابه عليه خمسة آلاف دينار في دفعةٍ واحدة ، وأمر أن يسمعه الناس في المسجد الجامع بالزاهرة ، واحتشد له جماعة من أهل الأدب ووجوه الناس بسماعه في سنة خمس وثمانين وثلاثمائة .

واتفق لهذا الكتاب حادثة غريبة وهي أنَّ أبا العلاء لما أتمه دفعه لغلام له يحمله بين يديه وعبر نهر قرطبة ، فزلت قدمُ الغلام فسقط في النهر هو والكتاب ، فقال في ذلك ابن العريف ، وكان بينه وبين أبي العلاء شحناء ومناظرات :

قد غاص في البحر كتابُ الفصوصْ وهكذا كلُّ ثقيلٍ يغوصْ

فضحك المنصور والحاضرون ، فلم يَرُعْ ذلك صاعداً وقال على البديهة مجيباً لابن العريف :

عاد إلى معدنِهِ إنما تُوجَدُ في قَعْرِ البحارِ الفصوصْ

وصنف له أيضاً كتاب « الجواس بن قعطل المذحجي مع ابنة عمه عفراء » وهو كتاب لطيف ممتع جداً انخرم في الفتن التي كانت بالأندلس فسقطت منه أوراق لم توجد بعد ، وكان المنصور كثير الشغف بهذا الكتاب حتى رتب له من يخرجه أمامه كل ليلة[1] وكان كتاباً مليحاً جداً وصنف له أيضاً كتاب « الهجفجف بن غيدقان بن يثربي مع الخنّوت بنت مخرمة بن أنيف » وهو على طراز كتاب أبي السري سهل بن أبي غالب الخزرجي .

ولم يحضر صاعد بعد موت المنصور مجلس أنسٍ لأحدٍ ممن ولي الأمر بعده من ولده ، وإلى ذلك يشير في قصيدته التي قالها للمظفر بن المنصور الذي ولي بعد أبيه وأولها :

إليك حدوتُ ناجيةَ الركابِ محملةً أمانيَ كالهضابِ
وبعتُ ملوكَ أهلِ الشرق طراً بواحدها وسيدها اللبابِ

وفيها يشير إلى مرض لحق بساقه فمنعه من حضور مجالسه ، وهو وجع ادعاه وكان يمشي على عصا واعتذر به من التخلف والخدمة إلى أن ذهبت دولتهم فقال :

إلى اللّه الشكيةُ من شكاةٍ رَمَتْ ساقي فجلَّ بها مصابي
وأقصتني عن الملكِ المرجَّى وكنت أرُمُّ حالي باقترابي

ومنها :

حسبت المنعمين على البرايا فألفيتُ اسمه صَدْرَ الحسابِ
وما قَدَّمْتُهُ إلا كأني أقدِّم تالياً أمَّ الكتابِ

وأنشد هذه القصيدة بين يدي المظفر في عيد الفطر سنة ست وتسعين وثلاثمائة .

ولصاعد مع المنصور أخبار ولطائف يطول ذكرها .

---

(1) م : من يقرأه بحضرته كل ليلة ؛ و « يخرجه أمامه » تعني إخراجه في خيال الظلّ ، على الأرجح .

وحدّث السلفي عن أبي بكر يحيى بن محمد بن زيدان القرطبي قال : حضرت مجلس أبي الحسين سراج بن عبد الملك بن سراج اللغوي فقرىء عليه في الموطأ : لا قطع في ثمر ولا كَثَر ، فأنشد لصاعد بن الحسن الربعي :

ومهفهف أبهى من القمر   قمر الفؤاد بفاتن النظرِ
خالسته تفاح وجنته   فأخذتها منه على غرر
فأخافني قوم فقلت لهم   لا قطع في ثمر ولا كثر

وخرج أبو العلاء في أيام الفتنة من الأندلس وقصد صقلية فمات بها في سنة سبع عشرة وأربعمائة عن سنٍّ عالية .

- 595 -

صالح بن إبراهيم بن رشدين المخزومي يكنى أبا علي : كان من أهل الأدب البارع والشعر الجيد ، روى كثيراً من أخبار المصريين . مات في ذي القعدة سنة عشر وأربعمائة ، وله أخ اسمه أبو الحسين محمد ، مات قبله في سنة أربعمائة ، أنشد لصالح بن يونس مولى بني تميم فيه ، وكان يميل إليه في حداثته :

يا قاتلي علماً بأن الحب مُطَّرَحُ القصاصِ
أمّا هواك فزائدٌ   والصبرُ عنك ففي انتقاص
قلبي رهينٌ في يديـ   ـك فهل لقلبي من خلاصِ

- 596 -

صالح بن إسحاق أبو عمر الجرمي النحوي: فهو مولى جرم بن زبان، وجرم

595 ـ هذه الترجمة من المختصر ؛ وانظر يتيمة الدهر 1 : 399 والمغرب (قسم مصر) : 253 والوافي 16 : 246 .

596 ـ ترجمة أبي عمر الجرمي في الفهرست: 62 ومراتب النحويين: 122 والجرح والتعديل 4: 394 وطبقات الزبيدي: 46 وأخبار النحويين البصريين: 39 ونور القبس: 214 وتاريخ أبي المحاسن: 72 =

من قبائل اليمن ، وقيل هو مولى بجيلة بن أنمار بن إراش بن الغوث ، وإنما قيل له الجرمي لأنه كان ينزل فيهم . وقيل إنه مولى قريش . مات سنة خمس وعشرين ومائتين في أيام المعتصم، وكانت وفاته بأصبهان، وكان يلقب بالكلب النبّاح لأنه كان يذهب إلى أبي زيد الأنصاري فيناظره ويصايحه فلقب بذلك . وكان يلقب بالمهارش لأنه كان لا يُرى إلا ناظراً أو مناظراً . وهو بصري قدم بغداد فأخذ عن يونس بن حبيب العربية وأخذ اللغة عن أبي عبيدة وأبي زيد الأنصاري والأصمعي ومن في طبقتهم وقرأ كتاب سيبويه على أبي الحسن الأخفش سعيد بن مسعدة وكان رفيقاً لأبي عثمان المازني ، وأخذ منه المبرد والمازني وغيرهما وناظر الفراء ، وانتهى إليه علم العربية في وقته فكان عالماً بالعربية واللغة فقيهاً ورعاً ، وخولط في آخر عمره لأنه كان توأماً ومن خولط في الرحم يصيبه شيء .

وقال الجرمي : أنا منذ ثلاثين سنة أُفتي الناس في الفقه من كتاب سيبويه ، فقيل له : وكيف ذاك ؟ قال : أنا رجل مكثر من الحديث ، وكتاب سيبويه يعلمني القياس ، وأنا أقيس الحديث ، وأفتي به .

قال أبو عمر الجرمي يوماً في مجلسه : من سألني عن بيت من جميع ما قالته العرب لا أعرفه ، فَله عليّ سبق . فسأله بعض من حضر ، فقال : كيف تروي (السائل : أبو عثمان المازني) :

من كان مسروراً بمقتل مالكٍ فليأت نسْوتنا بِوَجْهِ نهارِ
يجد النساءَ حواسراً يندبْنه قد قمن قبل تبلّج الأسحارِ
قد كُنَّ يخبأن الوجوه تستّراً فاليوم حين بدون للنظارِ

فقال : كيف تروي « بدأن » أو « بدين » ؟ فقال له : بدأن . فقال : أخطأت ،

وتاريخ بغداد 9 : 313 والأنساب واللباب (الجرمي) وأخبار أصبهان 1 : 346 ونزهة الألباء : 143 وإنباه الرواة 2 : 80 وابن خلكان 2 : 485 وعبر الذهبي 1 : 394 وسير الذهبي 10 : 561 والوافي 16 : 249 ومرآة الجنان 2 : 90 والبلغة : 96 وطبقات ابن الجزري 1 : 332 وبغية الوعاة 2 : 8 والشذرات 2 : 57 وروضات الجنات 4 : 133 ؛ وترجمة الجرمي في م موجزة جداً ، وقد أضيف إليها مادة غزيرة من المختصر .

ففكر ، ثم قال : إنا لله ، هذا عاقبة البغي . قال أبو القاسم الزجاجي : تعني هذه الأبيات أن العرب كانت لا تندب ميّتها ، ولا تبكي عليه حتى يُقْتَلَ قاتله ، فإذا قتل بكت عليه النساء وناحت . يقول : من كان مسروراً بمصرع مالك فقد قتلنا قاتله ، وهؤلاء نساؤنا يندبنه . والصواب أن يقال « بدون » ، ولا يقال : بدأن ولا بدين ، لأنه من « بدا يبدو » إذا ظهر ، وكذلك يقال : بدا الرجل يبدو إذا خرج إلى البدو .

وصنف كتباً كثيرة منها مختصره في النحو كان كلّما صنَّف منه باباً صلى ركعتين بالمقام ودعا بأن ينتفع به . وله كتاب التثنية والجمع . وكتاب السير . وكتاب الأبنية . وكتاب العروض ، وكتاب القوافي ، وكتاب الفرخ يعني فرخ كتاب سيبويه وغير ذلك .

ـ 597 ـ

صالح بن جعفر بن عبد الوهاب(1) **بن أحمد** بن جعفر بن أحمد بن محمد بن علي بن صالح بن علي بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب الهاشمي الصالحي الحلبي القاضي أبو طاهر : أحد أعيان أهل حلب المشهورين بالأدب والدين ، روى عن ابن خالويه وتأدب به ، وأخذ عنه أبو الفتح أحمد بن علي المدائني المعروف بالهائم . مات سنة خمس وتسعين وثلاثمائة ، وكان يلقب بالمحبرة لأنه كان قصيراً ، وكان أكثر لبسه السواد.

له من الكتب : كتاب الحنين إلى الأوطان . وكتاب الصبر والعزاء .

ـ 598 ـ

صالح بن حَسّان : أحد رواة الأخبار العالمين بالآثار والأشعار، روى عنه من

---

597 ـ هذه الترجمة من المختصر وانظر : مصورة ابن عساكر 8 : 190 وتهذيبه 6 : 369 وزبدة الحلب 1 : 196 والوافي 16 : 253 .

598 ـ هذه الترجمة من المختصر ؛ وانظر الشعر والشعراء: 305 والأغاني 3 : 176 والوافي 16 : 255 ـ 256 .

(1) ر : ابن عبد المطلب .

ذلك خلق كثير من أربابه كالهيثم بن عدي وابن الكلبي وغيرهما .

حدث الهيثم بن عدي قال ، قال لي صالح بن حسّان : هل تعرف بيتاً من الشعر نصفه أعرابي في شملة والنصف الآخر مخنث من أهل العقيق يتقصف تقصفاً ؟ قلت : لا واللّه . قال : قد أجّلتك حولاً قلت له : لو أجلتني حولين ما علمت ما سألتني عنه . فقال : أفّ لك ، قد كنت أحسبك أعْوَدَ علماً من ذلك . قلت : ما هو ؟ قال لي : أما سمعت قول جميل :

ألا أيها النوّام ويحكم هُبّوا

أعرابي واللّه يهتف في شملة ثم أدركه النسيب وصريح الحب وما يدرك العاشق ، فقال : أسائلكم هل يقتلُ الرجلَ الحبُّ ؟ فكان واللّه من مخنثي العقيق ، يتفكك ، وبعد هذا البيت :

فقالوا: نعم، حتى تُسَلّ عظامه ويتركه حيرانَ ليس له لبّ

ـ 599 ـ

صالح بن شعيب القاري أبو بكر : أحد أصحاب العربية المتقدمين ، وقار هذه التي نسب إليها من قرى الري . قدم بغداد أيام ثعلب .

ـ 600 ـ

صالح بن عبد القدوس بن عبد الله : كان حكيماً أديباً فاضلاً شاعراً مجيداً ، كان يجلس للوعظ في مسجد البصرة ويقصُّ عليهم ، وله أخبار يطول ذكرها ، اتّهم بالزندقة فقتله المهدي بيده، ضربه بالسيف فشطره شطرين وعلّق بضعة أيام للناس ثم

---

599 ـ هذه الترجمة من المختصر .

600 ـ ترجمة صالح بن عبد القدوس في طبقات ابن المعتز: 89 وتاريخ بغداد 9: 303 وتهذيب ابن عساكر 6: 376 وابن خلكان 2: 492 وميزان الاعتدال 2: 297 والوافي 16: 260 ونكت الهميان: 171 والفوات 2: 116 ولسان الميزان 3: 172 ولم ترد له ترجمة في ر .

دفن . وأشهر شعره قصيدته البائية التي مطلعها :

صرَمَتْ حبالَكَ بعد وصلك زينبُ والدَّهرُ فيه تصرُّمٌ وتقلُّبُ
وكذاك ذكرُ الغانياتِ فإنه آلٌ ببلقعةٍ وبرقٌ خُلَّبُ
فدع الصبا فلقد عداك زمانُهُ واجهد فعمرك مَرَّ منه الأطيبُ

ومنها :

واحذر معاشرةَ الدنيّ فإنها تُعْدِي كما يُعدي الصحيحَ الأجربُ
يلقاك يحلِف أنّه بك واثقٌ وإذا توارى عنك فهو العقربُ

ومن شعره أيضاً :

ليس من مات فاستراح بميتٍ إنما الميتُ ميِّتُ الأحياءِ
إنما الميتُ من يعيشُ كئيباً كاسفاً بالُهُ قليلَ الرجاءِ

وقال :

إذا قلتَ قَدِّرْ أنَّ قولك عُرضة لبادرةٍ أو حجَّةً لمُخاصمِ
وان امرءاً لم يخشَ قبل كلامه الـ ـجوابَ فينهى نفسه غيرُ حازم

وقال :

لا أخونُ الخليلَ في السرِّ حتى يُنقَلَ البحرُ في الغرابيل نَقْلا
أو تمورَ الجبالُ مَوْرَ سَحابٍ مُثقَلاتٍ وَعَتْ من الماءِ حملا

- 601 -

صُحَار العبدي : هو صحار بن العباس ، كان خارجياً ناسباً خطيباً ، وكان في أيام معاوية بن أبي سفيان ، روى عن النبي ﷺ حديثين أو ثلاثة . له كتاب الأمثال .

---

601 ـ هذه الترجمة من المختصر وانظر البيان والتبيين 1 : 96، 97 والاصابة 3 : 235 .

ـ 602 ـ

صدقة بن الحسن بن الحسين بن بختيار أبو الفرج الحداد الناسخ البغدادي : كان فقيهاً حنبلياً ، تفقّه على أبي الوفاء ابن عقيل ، وسمع الحديث وحدّث ، وأقرأ الناس الفقه والحساب وعلم الكلام ، وكان قيماً بجميع ذلك . مات سنة ثلاث وستين وخمسمائة ، وكان صدقة مع سعة حلمه محدوداً خاملاً يسكن في المسجد الذي بباب البدرية ، وكان يتردد إليه عالم من الطالبيين ، فيقرأون عليه فنون العلم . وكان مع ذلك لا يتقوت إلا من أجرة نسخه ، وكان لا يؤبه إليه ، فلما كان آخر أيامه جرت بين يدي الوزير عضد الدولة أبي الفتوح محمد بن عبد اللّه بن هبة اللّه بن المظفر بن رئيس الرؤساء وزير الإمام المستضيء مسألة في العلم ، وهل هو واحد أم أكثر ، وكان عنده جماعة من أهل العلم كأبي الفرج ابن الجوزي وغيره ، فسألهم عن ذلك فكلٌ كتب خطه أن العلم واحد ، فلما فرغوا قال : نرى ها هنا من هو قيّم بهذا العلم غير هؤلاء ؟ فقال له بعض الحاضرين : هاهنا رجل يعرف بصدقة الناسخ يعرف هذا الفن معرفة لا مزيد عليها ، فنفّذ [رقعة] وفيها خطوط الفقهاء ، وقال له : انظر في هذه ، وقل ما عندك ، فلما وقف عليها فكر طويلاً متعجباً من اتفاقهم على ما لا أُصْلَ له ، ثم أخذ القلم وكتب : العلم علمان علم غريزي ، وعلم مكتسب ، فأما الغريزي فهو الذي يدرك على الفور من غير فكرة كقولنا واحد وواحد ، فهذا يعلم ضرورةً أنه اثنان . وعلم مكتسب وهو ما يدرك بالطلب والفكرة والبحث ، أو كلاماً هذا معناه لأنه حدث بذلك مفاوضة . وأنفذ الخط إلى الوزير ، فلما وقف عليه أعجب به ، وقال : أين يكون هذا الرجل ؟ فعرف حاله وفقره ، فاستدعاه إليه ، وتلقاه بالبشر ، وخلع عليه خلعةً حسنة ، وأعطاه أربعين ديناراً ، ففرح فرحاً عظيماً ، وقال : يا مولاي ، قد حضرني بيتان ، فقال له أنشدهما ، فقال :

---

602 ـ هذه الترجمة من المختصر ، وانظر المنتظم 10 : 276 وذيل ابن رجب 1 : 339 ومختصر ابن الدبيثي 2 : 109 وميزان الاعتدال 2 : 310 وسير الذهبي 21 : 66 وتاريخ ابن الأثير 11 : 449 والبداية والنهاية 12 : 298 وذيل الروضتين : 12 والوافي 16 : 292 والنجوم الزاهرة 6 : 81 ولسان الميزان 3 : 184 والشذرات 4 : 245 (ووفاته عند الذهبي سنة 573) .

ومن العجائب والعجائب جمّة شكرٌ بطيء عن ندىً متسرّعِ
ولقد دعوتُ ندى سواك فلم يجب فلأشكرنّ ندىً أجاب وما دُعي

فاستحسن ذلك منه ، وما زال يبرّه إلى أن مات .

وحدث عنه العدل أبو يعلى ابن الفراء قال : دخلت إليه يوماً قبل أن يموت بيسير ، وإلى جانبه طبق مغطى ، فقال لي : اكشف ذلك الطبق ، وكشفته وإذا فيه دجاج مطبوخ ألوان وسنبوسج وحلاوة وغير ذلك من الأطعمة الطيبة ، فقال : ما أراد اللّه عز وجل أن يبعث لي هذا ، وأنا أقدر على أكله في أيام شبابي ، وإنما بعثه إليَّ الآن لأبصره حسرة .

وكان سيّء الاعتقاد تارة يميلُ إلى مذهب الفلاسفة وتارة يعترض على القضاء والقدر .

وقال أبو يعلى : كتب صدقة كتاب « الشفاء » لابن سينا فتغيّر اعتقاده ، قال يوماً : واللّه ما أدري من أين جاءوا بنا ، ولا إلى أي مطبق يريدون أن يحملونا .

وحكى عنه أبو يعلى قال : كنت عنده فسمع صوت الرعد فقال : فوق خباط وأسفل خباط . قال أبو يعلى ، وقال أبياتاً أخذتها منه :

نظرتُ بعين القلب ما صنع الدهرُ فألفيته غراً وليس له خُبْرُ
فنحن سدىً فيه بغير سياسة نروح ونغدو قد تكنفنا الشرُّ
فلا من يحل الزيج وهو منجمٌ ولا من عليه الوحي ينزلُ والذكرُ
يحلّ لنا ما نحن فيه فنهتدي وهل يهتدي قوم أضلهم السكرُ
عمىً في عمىً في ظلمة فوق ظلمة تراكمها من دونه يعجز الصبرُ

ـ 603 ـ

صفوان بن ادريس بن إبراهيم بن عبد الرحمن بن عيسى التجيبي ، أبو

603 ـ ترجمة صفوان بن إدريس في التكملة : 768 والذيل والتكملة 4 : 140 وتحفة القادم : 119 والمقتضب من تحفة القادم : 82 والمغرب 2 : 260 ورايات المبرزين : 79 وشرح مقصورة حازم 1 : 57 =

بحر : كان أديباً كاتباً شاعراً سريع الخاطر ، أخذ عن أبيه والقاضي ابن ادريس وابن غلبون وأبي الوليد ابن رشد ، وهو أحد أفاضل الأدباء المعاصرين بالأندلس ، ولد سنة ستين وخمسمائة وتوفي بمرسية سنة ثمان وتسعين وخمسمائة ولم يبلغ الأربعين . وله تصانيف منها كتاب زاد المسافر . ورحلته . وكتاب العجالة مجلدان يتضمنان طرفاً من نثره ونظمه . وديوان شعر .

ومن شعره[1] :

قد كان لي قلبٌ فلما فارقوا … سوَّى جناحاً للغرامِ وطارا
وجرتْ سحابٌ للدموع فأوقدتْ … بين الجوانح لوعةً وأُوارا
ومن العجائب أنَّ فيضَ مدامعي … ماءٌ ويثمرُ في ضلوعيَ نارا

وقال في مدح النبي ﷺ :

تحيةُ اللّه وطيبُ السلامْ … على رسولِ اللّه خيرِ الانامْ
على الذي فتَّحَ بابَ الهُدى … وقال للناس ادخلوا بالسلامْ
بدرُ الهدى سحب الندى والجدا … وما عسى أن يتناهى الكلامْ
تحية تهزأ أنفاسُها … بالمسكِ لا أرضى بمسك الختامْ
تخصُّهُ منّي ولا تنثني … عن آلهِ الصِّيدِ السَّراةِ الكرامْ
وقدرهم أرفعُ لكنني … لم ألفِ أعلى لفظةً من كرامْ

وقال[2] :

احمى الهوى قلبَه وأوقَدْ … فهو على أن يموتَ أو قَدْ
وقال عنه العذول سالٍ … قلّده اللّه ما تقلّدْ

والاحاطة 3 : 349 وقلائد الجمان لابن الشعار 3 : 177 والوافي 16 : 321 والفوات 2 : 117 وصفحات متفرقة من نفح الطيب ، ومقدمة زاد المسافر (ط. بيروت 1970) .

(1) الإحاطة 3 : 357 .
(2) انظر الفوات .

وبـالـلوى شـادنٌ عـليـه   جيـدُ غـزالٍ ووجـهُ فـرقَـدْ
أسـكـره ريـقـه بـخـمـرٍ   حتى انـثنى قـدُّهُ وعـربـدْ
لا تعجبـوا لانهـزام صبـري   فـجيـش أجـفـانـه مـؤيَّـدْ
أنـا لـه كـالـذي تـمـنَّـى   عـبـدٌ نَـعَـمْ عـبـده وأزيـدْ
لـه عـليَّ امـتـثـال أمـرٍ   ولي عليـه الجفـاءُ والصَّـد
إن سـلَّمت عـيـنـه لـقـتـلي   صـلَّى فؤادي عـلى محـمَّـد

وقال[1]:

يـا قمـراً مـطلعـه أضلعي   لـه سـوادُ القلبِ فيهـا غسَقْ
وربمـا استـوقـد نـارَ الهـوى   فنـاب فيهـا لـونهـا عن شفَقْ
ملكتَـني بـدولـة من صِبـاً   وصِـدْتَني بشَـركٍ من حـدَقْ
عنديَ من حُبّك ما لو سرَتْ   في البحـرِ منه شعلةٌ لاحتـرقْ

وقال:

يقـولـون لي لـمّـا ركبتُ بـطالتي   ركـوبَ فتى جمِّ الغـوايـةِ مُعتـدي
أعندك ما ترجو الخـلاصَ به غـداً   فقلت: نعم، عندي شفاعة أحمدِ

(1) الإحاطة 3: 357 .

حرف الضاد

****

ـ 604 ـ

الضحاك بن سلمان بن سالم بن دهاية(1) أبو الأزهر المرئي ـ نسبة إلى امرىء القيس بن مالك ـ الألوسي(2) الأديب النحوي اللغوي الشاعر ، أصله من قرية يقال لها الألوس من سقي الفرات بهيت ، قدم نهر عيسى ونزل بغداد وسكن المحول ونظر في النحو واللغة والغريب وقال الشعر ، فمما أورده له الكمال أبو البركات عبد الرحمن بن محمد الأنباري النحوي قوله(3) :

مـا أنـعم الـلّه على عـبـده ... بنعمـةٍ أوفى مـن العـافيـهْ
وكـلُّ من عُـوفِي في جسمـه ... فـإنـه فـي عيشـةٍ راضيـهْ
والـمـال حلوٌ حسنٌ جيّـد ... على الفـتى لـكنـه عـاريـهْ
وأسعـد العـالم بـالمـال مَنْ ... أدّاه لـلآخـرة الـبـاقـيـهْ

604 ـ ترجمته في الخريدة (قسم العراق) 4/1 : 120 ومختصر ابن الدبيثي 2 : 118 ونزهة الالباء : 268 والوافي 16 : 361 وبغية الوعاة 2 : 12 والألوسي نسبة إلى آلوس مدينة بالفرات تحت الحديثة ؛ (وفي م : الضحاك بن سليمان ، وأثبت ما في المصادر) وهذه الترجمة مزجت بين ما في م وما في المختصر .

(1) م : دهاية ؛ بغية الوعاة : دهاية ؛ الوافي : وهابة .

(2) م : الأوسي ؛ وقد ضبط الصفدي الألوسي وشرح نسبته لألوس ؛ ولكن نسبته إلى امرىء القيس بن مالك بن أوس تجعله أيضاً أوسياً ، ولعل الصفدي قد وهم إذ أثبت العماد أنه من أهل المحول ، وكان أبو الأزهر يعلم الصبيان بها ، وهي قرية على فرسخين من بغداد .

(3) الخريدة : 121 .

مــا أحسنَ الــدنيــا ولكنهــا   مــع حسنهــا غــدَّارةٌ فــانيــهْ

مات الضحاك في سنة ثلاث وستين وخمسمائة .

ـ 605 ـ

الضحاك بن مخلد بن مسلم ، أبو عاصم النبيل الشيباني البصري الحافظ الثبت النحوي اللغوي : كان إماماً في الحديث سمع من جعفر الصادق وابن جريج والأوزاعي وابن أبي عروبة ، وأخرج له البخاري في « صحيحه » وأجمعوا على توثيقه . قيل له يحيى بن سعيد يتكلم فيك فقال : لستُ بحيٍّ ولا ميت إذا لم أُذكَرْ . مات أبو عاصم سنة اثنتي عشرة ومائتين .

ـ 606 ـ

الضحاك بن مزاحم ، أبو القاسم البلخي المفسر المحدّث النحوي : كان يؤدب الأطفال فيقال كان في مكتبه ثلاثة آلاف صبي ، وكان يطوف عليهم على حمار .

لقي الضحاكُ ابنَ عباس وأبا هريرة وأخذ عن سعيد بن جُبَير التفسير ، وكان عبد الملك بن ميسرة يقول : لم يلقَ الضحاك ابنَ عباس وإنما لقي سعيد بن جبير بالريّ فأخذ عنه التفسير . وقال شعبة : قلت لمشاش هل سمع الضحاك من ابن عباس ؟

605 ـ ترجمته في طبقات ابن سعد 7/2 : 49 وطبقات خليفة : 545 والتاريخ الكبير للبخاري 4 : 336 والمعارف : 520 والجرح والتعديل 4 : 463 وطبقات الزبيدي : 54 والأنساب واللباب (النبيل) وتذكرة الحفاظ : 366 وسير الذهبي 9 : 480 وميزان الاعتدال 2 : 324 وعبر الذهبي 1 : 362 وإنباه الرواة 2 : 91 والوافي 16 : 359 ومرآة الجنان 2 : 53 والبلغة : 98 وتهذيب التهذيب 4 : 450 وبغية الوعاة 2 : 12 والنجوم الزاهرة 2 : 207 والشذرات 2 : 28 .

606 ـ ترجمة الضحاك بن مزاحم في طبقات ابن سعد 6 : 210 ، 7/2 : 102 والمحبر : 475 وطبقات خليفة : 797 ، 832 والتاريخ الكبير للبخاري 4 : 332 والمعارف : 457 والجرح والتعديل 4 : 458 وسير الذهبي 4 : 598 وميزان الاعتدال 2 : 325 وعبر الذهبي 1 : 124 وتاريخ الاسلام 4 : 125 والوافي 16 : 359 ومرآة الجنان 1 : 213 والبداية والنهاية 9 : 223 وطبقات ابن الجزري 1 : 337 وتهذيب التهذيب 4 : 453 والشذرات 1 : 124 .

قال : ما رآه قط . ووثقه أحمد بن حنبل وابن معين وأبو زرعة وضعفه يحيى بن سعيد .

مات الضحاك سنة خمس ومائة وقيل سنة ست ومائة .

ـ 607 ـ

أبو ضمضم النسابة البكري أحد بني عمرو بن مالك بن ضبيعة بن قيس بن ثعلبة بن عكابة بن صعب بن علي بن بكر بن وائل .

حدث المرزباني ما رفعه إلى رؤبة بن العجاج قال : أتينا النسابةَ البكري وكان نصرانياً ، فقال : من أنت يا غلام ؟ قلت : رؤبة بن العجاج . قال : قصَّرت أو قال أقصرت وعرَّفت ، فما جاء بك ؟ قلت : العلم . قال : لعلك كقوم عندي ، إن حدثتهم لم يفهموا ، وإن سكتّ لم يسألوا . قلت : أرجو ألا أكون منهم . قال : فما أعداء المرء ؟ قلت : أخبرني . قال : بنو عمّ السّوء إن رأوا حسناً دفنوه ، وإن رأوا قبيحاً أذاعوه . قال : للعلم آفة ونَكَدٌ وهجنة ، فآفته نسيانه ، ونكده الكذب ، وهجنته نشره عند غير أهله . ثم ضرب بيده على صدره ، ثم قال : [تاموري] هذا ما استودعته شيئاً قط ففقدته .

حدث المرزباني فيما رفعه : النُّسَّابُ أبو بكر وعمر بن الخطاب وأبوه وجدّه نفيل بن عبد العزى وإليه تنافر عبد المطلب وحرب بن أمية فنفَّر عبد المطلب ، ثم دغفل ، ثم حنظلة وعميرة أبو ضمضم ، وصبيح الحنفي ، والكيس النمري ، والنخار العذري ، وابن القرية ، وهؤلاء كلهم أميون .

وحدث المرزباني فيما رفعه إلى الأصمعي قال : قعد فتيان أحداث إلى أبي ضمضم فقال : ما جاء بكم يا خبثاء ؟ قالوا : جئنا لنحدثك ونؤنسك . فقال : كلا ، ولكن قلتم كبر الشيخ نتلعب به ، عسى أن نأخذ عليه سقطاً . قال فأنشدَ لمائة شاعر

607 ـ هذه الترجمة من المختصر ، وانظر الشعر والشعراء : 8 والفهرست : 101 ونور القبس : 348 والوافي 16 : 369 .

كلهم اسمه عمرو . قال الأصمعي : فقعدت أنا وخلف الأحمر فلم نقدر على أكثر من ثلاثين شاعراً .

وحدث المرزباني فيما رفعه إلى الأصمعي قال : قيل للنسابة البكريّ : إنك قد نسبت الجنَّ والإنس ، حتى لو قيل لك : انسب النمل نسبتهم ، فقال : أجل ، هم ثلاثة أبطن : فاذر[1] ، والذر وعقفان . قال : الذر النمل الصغار ، وفاذر التي رأسها كبير ومؤخرها صغير ، وعقفان الطوال القوائم .

---

(1) الوافي : مازر .

حرف الطاء

****

- 608 -

طالب بن عثمان بن محمد أبو أحمد بن أبي غالب الأزدي النحوي البصري : أخذ عن أبي بكر محمد بن القاسم الأنباري ، وكان بارعاً في العربية عارفاً باللغة وكفَّ بصره في آخر عمره ، ولد سنة تسع عشرة وثلاثمائة ، توفي في خلافة القادر بالله سنة ست وتسعين وثلاثمائة .

- 609 -

طالب بن محمد بن نشيط[1] **أبو أحمد المعروف** بابن السراج النحوي : كان عارفاً بالعربية قيماً بها أخذ عن أبي بكر ابن الأنباري . وله : مختصر في النحو . وكتاب عيون الأخبار وفنون الأشعار . مات سنة إحدى وأربعمائة .

- 610 -

طاهر بن أحمد بن بابشاذ بن داود بن سليمان بن إبراهيم أبو الحسن المصري

---

608 - تاريخ بغداد 9 : 365 وإنباه الرواة 2 : 92 والوافي 16 : 387 وطبقات ابن الجزري 1 : 338 وبغية الوعاة 2 : 16 .

609 - الوافي 16 : 387 وبغية الوعاة 2 : 16 .

610 - المنتظم 8 : 103 وإنباه الرواة 2 : 95 وابن خلكان 2 : 515 وعبر الذهبي 3 : 271 وسير الذهبي 18 : 439 والوافي 16 : 390 ومرآة الجنان 3 : 98 والبلغة : 100 وحسن المحاضرة 1 : 254 =

(1) م : قشيط .

المعروف بابن بابشاذ النحوي اللغوي : أحد الأئمة في هذا الشأن والاعلام في علوم العربية وفصاحة اللسان . ورد العراق تاجراً في اللؤلؤ وأخذ عن علمائها ثم رجع إلى مصر وولي متأملاً في ديوان الانشاء بالقاهرة يتأمل ما يصدر منه من السجلات والرسائل فيصلح ما فيها من خطأ ، ورزق في كل شهر على ذلك خمسين ديناراً . تزهد في آخر عمره فاستعفى من ذلك ولزم منارة الجامع ـ جامع عمرو بن العاص ـ بمصر .

وكان سبب تزهده أنه كان إذا جلس لأكل الطعام جاء سنّور فوقف بين يديه ، فكان إذا ألقى إليه شيئاً من الطعام لا يأكلُهُ بل يحملُهُ ويمضي . وكثر ذلك منه فتبعه يوماً لينظرَ أين يذهبُ بما يطعمه فإذا هو يذهب إلى موضعٍ مظلم في داره وفيه سنور أخرى عمياء فيلقيه لها فتأكله ، فعجب من ذلك فقال في نفسه : إن الذي سخّر هذا السنّور لذلك ليجيئه بقوته ولم يهمله لقادرٌ على أن يغنيني عن هذا العالم . فلزم منارة الجامع ـ كما ذكرنا ؛ ثم خرج في بعض الليالي لشيءٍ عرض له والليل مقمر ، وفي عينيه بقية من النوم ، فسقط من المنارة إلى سطح الجامع فمات ، رحمه اللّه ، وذلك صبيحة اليوم الرابع من رجب سنة تسع وستين وأربعمائة .

وله من التصانيف : كتاب شرح الجمل للزجاجي . كتاب المحنة[1] ، مختصر في النحو . كتاب شرح المحنة . كتاب التعليق في النحو خمسة عشر مجلداً ، سماه تلامذته من بعده تعليق الغرفة ، وغير ذلك .

ـ 611 ـ

طاهر بن أحمد بن محمد القزويني يعرف بالنجار ، ويكنى أبا محمد : أديب فاضل متفنن ، له تصانيف جمة في عدة فنون ، وكان يغلب عليه علم الكلام . مات سنة ثمانين وخمسمائة .

= وبغية الوعاة 2 : 16 والنجوم الزاهرة 5 : 105 والشذرات 3 : 333 ؛ وقد أضيف إلى هذه الترجمة إضافات من المختصر .

611 ـ هذه الترجمة من المختصر ، وانظر طبقات ابن الجزري 1 : 339 والوافي 16 : 391 .

(1) الوافي : المحسبة (وأضاف : وشرح المحسبة) .

ـ 612 ـ

طاهر بن الحسين أبو الوفاء البندنيجي الهمذاني: كان شاعراً مبرزاً ، له معرفة تامة بالنحو واللغة والعروض ، لم يمدح أحداً ابتغاء جائزةٍ[1] ، وكان يعد ذلك عاراً . مات سنة ثمانين وأربعمائة .

ـ 613 ـ

طراد بن علي بن عبد العزيز أبو فراس السلمي الدمشقي المعروف بالبديع : كان نحوياً كاتباً أديباً بارعاً في النظم والنثر ، ومن شعره[2] :

قيل لي لم جلستَ في آخر القو　　م وأنت البديع رب القوافي
قلت آثرتُهُ لأن المناديـ　　ـل يُرَى طرزها على الأطرافِ

وقال :

يا صاح آنسني دهري وأوحشني　　منهم وأضحكني دهري وأبكاني
قد قلتَ أرض بأرض بعد فرقتهم　　فلا تقل لِيَ جيران بجيرانِ

وقال[3] :

يا نسيماً هبّ مسكاً عبقا　　هذه أنفاسُ ريَّا جلَّقَا
كفَّ عني ذا الهوا ما زادني　　بردُ أنفاسك إلا حُرَقا

612 ـ هذه الترجمة من المختصر ، وانظر المنتظم 9 : 39 وتاريخ ابن الأثير 10 : 163 والوافي 16 : 393 (وأورد له الصفدي شعراً) وبغية الوعاة 2 : 18 .

613 ـ ترجمة طراد السلمي في الخريدة (قسم مصر) 2 : 105 ومصورة ابن عساكر 8 : 503 وتهذيب ابن عساكر 7 : 54 والوافي 16 : 420 والفوات 2 : 131 وعيون التواريخ 12 : 217 وبغية الوعاة 2 : 19 والشذرات 4 : 90 .

(1) ر: لا حمداً والتصحيح عن الوافي .

(2) الوافي : 421 والفوات : 132 .

(3) الوافي والفوات .

ليتَ شعـري نقضوا أحبـابنـا ... يـا حبيبَ النفس ذاك المـوثقـا
يـا رياحَ الشـوقِ سـوقي نحـوهم ... عـارضاً من سُحْبِ دمعي غَـدِقـا
وانثـري عقـدَ دمـوعٍ طـالمـا ... كـان منـظومـاً بـأيـام اللِّقا

وقال (1) :

هكـذا في حبكـم أستـوجبُ ... كبـداً حـرَّى وقلبـاً يـجبُ
وجـزا مـن سهـرت أجفـانـه ... حُجَّـةٌ تمضي وأخـرى تـعقبُ
زفـراتٌ في الحشـا محـرقـةٌ ... وجفـونٌ دمعهـا ينسكـبُ
قـاتـل اللّه عـذولي مـا درى ... أنَّ فـي الأعيـن أسْـداً تـثـبُ
لا أرى لـي عن حبيبي سلوةً ... فـدعـوني وغـرامي واذهبـوا

وقال :

إذا كنت عني في العيـان مغيَّبـاً ... فمـا أنت عن سمعي وقلبي بغـائـبِ
إذا اشتـاقت العينـان منـك لنـظرةٍ ... تمثلتَ لي في القلب من كـل جـانب

مات البديع الدمشقي سنة أربع وعشرين وخمسمائة .

ـ 614 ـ

طريح بن إسماعيل بن عبيد بن أسيد بن علاج بن أبي سلمة بن عبد العزى الثقفي ، وأمه خزاعية بنت عبد اللّه بن سباع ، أبو الصلت الشاعر المشهور : نشأ في دولة بني أمية واستنفد شعره في الوليد بن يزيد ، وأدرك دولة بني العباس ، ومات في

614 ـ ترجمة طريح الثقفي في الشعر والشعراء: 568 والأغاني 4: 304 والسمط: 705 ومصورة ابن عساكر 8: 506 وتهذيب ابن عساكر 7: 56 ومختصر ابن منظور 11: 175 والوافي 16: 432 والاصابة 3: 300 (وهو يلحق بمعجم الشعراء) ومن اللافت للنظر أن الأشعار التي أوردها ياقوت له لم ترد في المصادر المذكورة ، فهل هنا اضطراب في الأصل ، وتكون الأشعار لغيره ؟.

(1) الوافي والفوات .

أيام المهدي سنة خمس وستين ومائة ، ومن مختار شعره قوله :

ألم ترَ المرءَ نصباً للحوادث ما ... تنفكُّ فيه سهامُ الدهرِ تنتضلُ
إن يعجل الموتُ يَحْمِلْهُ على وَضَحٍ ... لَحْبٍ مواردُهُ مسلوكةٌ ذُلُلُ
وان تَحَادَثْ به الأيام في عُمُرٍ ... يخلَقْ كما رثَّ بعد الجدّة الحللُ
ويستمرَّ إلى أن يستقلَّ به ... ريبُ المنون ولو طالت به الطِيَلُ
والدهرُ ليس بناجٍ من دوائره ... حيٌّ جبان ولا مستأسدٌ بطلُ
ولا دفينُ غياباتٍ له نَفَقٌ ... تحت التراب ولا حوتٌ ولا وَعَلُ
بل كلُّ شيءٍ سيُبلي الدهر جدَّتَه ... حتى يبيدَ ويبقى الله والعملُ

وقال :

وترى المشيبَ بدا وأقبل زائراً ... بعد الشباب فنازلٌ ومُودِّعُ
والشيبُ للحكماءِ من سَفَه الصِّبا ... بَدَلٌ تُنالُ به الفضيلة مُقنِعُ
والشيبُ زينُ بني المروءةِ والحجى ... فيه لهم شرفٌ ومجدٌ يُرفعُ
والبِرُّ تَصْحَبُهُ المروءةُ والتُّقَى ... تبدو بأشيبَ جسمُهُ متضعضعُ
أشهى إليَّ من الشباب مع المنى ... والغيّ يتبعه القويُّ المهرَعُ
إن الشبابَ عمىً لأكثرِ أهلِهِ ... وتعرُّضٌ لمهالكٍ تُتَوَقَّعُ
إنْ تَغْتَبِطْ في اليوم تُصْبِحْ في غدٍ ... ممّا جُني لك واجماً تتوجَّعُ

وقال :

حلّ المشيبُ ففرقُ الرأسِ مشتعِلُ ... وبان بالكَرْهِ منّا اللهوُ والغزَلُ
فحلَّ هذا مقيماً لا يريد لنا ... تركاً وهذا الذي نهواه مرتحلُ
هذا له عندنا نَوْرٌ ورائحةٌ ... كنشرِ روضٍ سقاهُ عارضٌ هَطِلُ
وجدَّةٌ وقبولٌ لا يزالُ له ... من كلِّ خُلْقٍ هوًى أو خلّة نَفَلُ
والشيبُ يطوي الفتى حتى معارفُهُ ... نُكرٌ ومن كان يهواه به مَلَلُ
يبلى بِلى البردِ فيه بعد قوّته ... وهنٌ وبعد تناهي خطوه رَمَلُ

ـ 615 ـ

طلحة بن محمد النعماني أبو محمد ، وقيل أحمد بن طلحة ، من أهل النعمانية : [كان] فاضلاً عارفاً باللغة والأدب ، حسن الشعر ، ورد إلى بغداد ، وخرج منها إلى خراسان وأقام ببلادها مدةً .

سمعت أبا عمرو عثمان بن محمد البقال بخوارزم يقول : كنت أنا والشيخ أبو محمد طلحة نمشي ذاتَ يومٍ في السوق ، واستقبلنا عجلة عليها حمارٌ ميِّت يحمله الدبّاغون إلى الصحراء ليسلخوا جلده ، فقلت مرتجلاً :

يا حاملاً صرت محمولاً على عجلهْ

فقال أبو محمد مجيباً :

وافاك موتُكَ متناباً على عجلهْ

ومضت على ذلك أيام قلائل ، فلقيني السيد أبو القاسم الفخر بن محمد اليزيدي[1] العلوي ، فحكيت له هذه القصة ، ففكر سويعة وقال :

والموت لا تتخطى الحيَّ رَمْيَتُهُ ... ولو تباطأ عنه الحيُّ أُزْعِجَ لَهُ

ومن شعر أبي محمد طلحة :

يا مَلِكاً في أُفُقِ الدَّسْتِ لاحْ ... فخاله الناظرُ ضوءَ الصباحْ
ليس على من رام نيلَ الغنى ... بالمدح من جودك يوماً جُناحْ
يا خاتمَ الحمدِ بأوصافه ... جُدْ لي كما كان بك الافتتاحْ
ما بالُ حظي كلما رُضْتُهُ ... بالمدح أعياني بطول الجماحْ

615 ـ ترجمته في الخريدة (قسم العراق) 2 : 3 ـ 51 وإنباه الرواة 2 : 93 ونزهة الألباء : 267 والوافي 16 : 486 (وهو ينقل عن ابن النجار) والفوات 2 : 135 وبغية الوعاة 2 : 20 والنعماني نسبة إلى النعمانية وهي بلدة بين بغداد وواسط (والترجمة في م موجزة كثيراً ، وما ها هنا اكثره من المختصر) .

(1) الفوات : الزيدي .

وله يرثي :

فقلبيَ لا يأوي إلى ذكر سلوة ... وإنسان عيني بعد أدمعها يجري
ولم يحلُ إلاّ ذكر علياه في فمي ... ولا راق إلا في مدائحه شعري
ولم أر بدراً قبله غاب في الثرى ... ولا زاخراً تيّارُهُ غاص في قبرِ
تصاعَدُ أنفاسي عليه كأنها ... شواظٌ ترامَى عن ذكيٍّ من الجمر

وكاتبه الحريريّ صاحب « المقامات » وكان كثير الحفظ جيد الشعر سريع البديهة ؛ مات سنة عشرين وخمسمائة . ومن شعره :

إذا نالك الدهرُ بالحادثاتِ ... فكن رابطَ الجأشِ صعبَ الشكيمةْ
ولا تُهِنِ النفسَ عند الخطوبِ ... إذا كان عندك للنفس قيمةْ
فواللّه ما لُقِيَ الشامتون ... بأحسنَ من صبرِ نفسٍ كريمةْ

ـ 616 ـ

طلحة بن محمد بن عبد الله بن إسماعيل بن إبراهيم بن محمد بن طلحة بن عبد اللّه التيمي الطلحي : من أهل البصرة . نادم الموفق الناصر لدين اللّه . وكان راوية أخبارياً . مات سنة إحدى وتسعين ومائتين . له من المصنفات كتاب أخبار المتيمين . كتاب جواهر الأخبار .

---

616 ـ هذه الترجمة من المختصر ، وانظر الفهرست : 88 حيث قيد اسمه « الطلحي » ولم يرد عنه شيء هنالك .

حرف الظاء

****

ـ 617 ـ

ظافر بن القاسم بن منصور بن عبد الله بن خلف الجذامي الاسكندري المعروف بالحداد الشاعر الأديب : روى عنه الحافظ السلفي وطائفة من الأعيان ، وتوفي بمصر في المحرم سنة تسع وعشرين وخمسمائة ومن شعره[1] :

حكمُ العيونِ على القلوب يجوز ودواؤها من دائهنّ عزيزُ
كم نظرةٍ نالت بطرفٍ ذابل ما لا ينالُ الذابل المهزوزُ
فحذارِ من تلك اللواحظِ غيرةً فالسحرُ بين جفونها مكنوزُ

وكتب إلى أبي الصلت أمية بن عبد العزيز الأندلسي بعد أن توجه من مصر إلى المهدية يتشوق إليه[2] :

ألا هل لدائي من فراقك إفراقُ هو السمُّ لكنْ لي لقاؤكَ درياقُ
فيا شمسَ فضلٍ غرَّبَتْ ولضوئها على كلِّ قطرٍ بالمشارق إشراقُ

617 ـ ترجمة ظافر الحداد في رسالة أبي الصلت (نوادر المخطوطات 1 : 35) والخريدة (قسم مصر) 2 : 1 ـ 17 وابن خلكان 2 : 540 وعبر الذهبي 4 : 78 والنجوم الزاهرة : 376 وحسن المحاضرة 1 : 269 والشذرات 4 : 91 وانظر بدائع البدائه : 385 والمقفى 4 : 39 وقد نشر ديوانه الدكتور حسين نصار (القاهرة : 1969) .

(1) وردت في الخريدة والديوان : 161 .
(2) الديوان : 226 ـ 228 .

سقى العهدُ عهداً منك عمَّر عهده ... بقلبيَ عهداً لا يضيعُ وميثاقُ
يُجدِّده ذكرٌ يطيبُ كما شدَتْ ... وُريقاء كنَّتها من الأيك أوراقُ
لك الخُلُق الجذلُ الرفيعُ طرازه ... وأكثر أخلاقِ الخليقة أخلاقُ
لقد ضاءلتني يا أبا الصلتِ مذ نأتْ ... ديارُكَ عن داري همومٌ وأشواقُ
إذا عزَّني إطفاؤها بمدامعي ... جَرَتْ ولها ما بين جفنيَّ إحراقُ
سحائبُ يحدوها زفيرٌ يجرُّهُ ... خلالَ التراقي والترائبِ تشهاقُ
وقد كان لي كنزٌ من الصبر واسعٌ ... ولي منه في صعب النوائب انفاقُ
وسيف إذا جَرَّدْتُ بعضَ غِرارِهِ ... لجيشِ خطوبٍ صدَّها منه إرهاقُ
إلى أن أبان البينُ أنَّ غرارَهُ ... غرورٌ وان الكنزَ فقرٌ وإملاقُ
أخي سيدي مولاي دعوةَ مَنْ صفا ... وليس له من رقٍّ ودِّكَ إعتاقُ
لئن بَعُدَتْ ما بيننا شُقَّةُ النوى ... ومطَّرِدٌ طامي الغواربِ خفَّاقُ
وبيدٌ إذا كلَّفتها العيسَ قَصَّرَتْ ... طلائحُ أنضاها ذَميلٌ وإعناقُ
فعندي لك الودُّ الملازمُ مثل ما ... يلازمُ أعناقَ الحمائم أطواقُ

وهي طويلة نحو ثلاثين بيتاً :

ومن لطائفه وغرر قصائده أيضاً قوله[1] :

لو كان بالصبر الجميل ملاذُهُ ... ما سحَّ وابلُ دمعِهِ ورذاذُهُ
ما زال جيشُ الحبِّ يغزو قلبه ... حتى وَهَى وتقطعتْ أفلاذهُ
لم يبقَ فيه مع الغرام بقيةٌ ... إلا رسيسٌ يحتويه جذاذهُ
من كان يرغبُ في السلامة فليكنْ ... أبداً من الحدق المراض عياذهُ
لا تخدعنَّك بالفتور فإنه ... نظرٌ يضرُّ بقلبك استلذاذهُ
يا أيها الرشأ الذي من طرفه ... سهمٌ إلى حَبِّ القلوب نفاذهُ

(1) الديوان : 127 والمقفى .

درٌّ يلوحُ بفيك مَن نظَّامُه   خمرٌ به قد جال مَنْ نبّاذُهُ
وقناةُ ذاك القد كيف تَقَوَّمَتْ   وسنانُ ذاك اللحظِ ما فولاذُهُ
هاروتُ يعجز عن مواقع سحره   وهو الإمامُ فمن تُرى استاذُه
تاللّه ما علقت محاسنك آمرءاً   إلا وعزَّ على الورى استنقاذُهُ
أغريتَ حبَّكَ بالقلوب فأذعنت   طوعاً وقد أودى بها استحواذُهُ

وهي نحو عشرين بيتاً كلّها غرر . ومن مقطعاته قوله في الأقحوان(1) :

انظر فقد أبدى الأقاحي مبسماً   يفترُّ ضِحْكاً فوق قدٍّ أملدِ
كفصوص دُرّ لُطِّفت أجرامه   وتنظمتْ من حول شمسةِ عسجدِ

وقال في كرسي النسخ ويُكتب عليه(2) :

انظر بعينكَ في بديع صنائعي   وعجيب تركيبي وحكمةِ صانعي
فكأنني كفًّا محبٌّ شَبَّكَتْ   يومَ الفراقِ أصابعاً بأصابعي

ـ 618 ـ

ظالم بن عمرو أبو الأسود الدؤلي : هو أبو الأسود ظالم بن عمرو بن سفيان بن

618 ـ ترجمة أبي الأسود في طبقات ابن سعد 7/1 : 70 وطبقات خليفة: 452 والمعارف: 192 والجرح والتعديل 4: 502 والتاريخ الكبير للبخاري 6 : 334 ومراتب النحويين : 10 وتاريخ أبي المحاسن : 164 وأخبار النحويين البصريين : 13 والفهرست : 46 ونور القبس : 7 وطبقات الزبيدي: 21 والسمط: 66 ومصورة ابن عساكر 8: 604 وتهذيب ابن عساكر 7: 107 ونزهة الألباء 1 : 8 والأغاني 12: 300 ـ 339 والأنساب واللباب (الدؤلي) وأسد الغابة 3: 69 وابن خلكان 2: 535 وإنباه الرواة 1: 13 وتاريخ الإسلام 3: 94 وعبر الذهبي 1: 77 وسير الذهبي 4: 81 والوافي 16: 533 ومرآة الجنان 1: 144 وطبقات ابن الجزري 1: 345 والاصابة 3: 304 وتهذيب التهذيب 12: 10 والنجوم الزاهرة 1: 184 وبغية الوعاة 2: 22 وخزانة الأدب 1: 136 ؛ وهذه الترجمة من م والمختصر ، وهي في الثاني مسهبة .

(1) الديوان : 369 (عن ياقوت) .
(2) الخريدة وابن خلكان والديوان : 195 .

جندل بن يعمر بن حِلْس بن نفاثة بن عدي بن الدئل بن بكر بن عبد مناف بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر ، وأمه الطويلة من بني عبد الدار بن قصيّ . وأما نسبه فيقال فيه الدؤلي منسوب إلى الدئل بكسر الهمزة ، وإنما فتحوها للنسبة كما نسبوا إلى تغلب تَغْلَبي ، وإلى يثرب يَثْرَبي ، والدئل دابة بين ابن عرس والثعلب ، واختلفوا في ذلك.

وفي بني ضبة[1] الدُّئل ، وفي الهون الدئِل ، وفي ربيعة الديل غير مهموز ، وفي الأزد الديل ، وفي تغلب الديل ، وفي إياد الديل ، وفي غيره الدول ، وفي الرباب الدول ، والنسبة إليهم الدول .

ولد أبو الأسود في الجاهلية ، ومات في الطاعون الجارف سنة تسع وستين على الأصح في أيام ابن الزبير . وهو أحد سادات التابعين وفقهائهم ومحدثيهم، روى عن عمر وعثمان وعلي ، عليهم السلام ، والزبير ، وأبي ذرٍّ وأبي موسى وابن عبَّاس وغيرهم ، وعنه أمية ويحيى بن يعمر واستعمله كل واحد منهم . وهو أول من تكلم في النحو ، وهو من أهل البصرة . أسلم على عهد النبي ، ﷺ ، وقاتل مع علي يوم الجمل وشهد معه صفين . وكان من وجوه شيعة علي بن أبي طالب ، استعمله على البصرة بعد ابن عباس.

قال الجاحظ[2] : أبو الأسود معدود في طبقات الناس ، وهو في كلِّها مقدمٌ مأثورٌ عنه في جميعها . كان معدوداً في التابعين والفقهاء والمحدثين والشعراء والأشراف والفرسان والأمراء والدهاة والنحويين والحاضري الجواب والشيعة والبخلاء والصلع الأشراف والبخر الأشراف . وكان أول من وضع علم العربية ، وأسس قواعده علي بن أبي طالب ، عليه السلام ، وأخذه عنه أبو الأسود.

حدث أبو عثمان المازني[3] ما رفعه إلى يحيى بن يعمر الليثي أن أبا الأسود الدئلي دخل على ابنته بالبصرة فقالت : يا أبه ، ما أشدُّ الحرِّ ، ورفعت أشد ، فظنها

(1) قارن بما ورد في إنباه الرواة 1 : 14 .

(2) البيان والتبيين 1 : 324 والأغاني 12 : 304 .

(3) نقله الصفدي 16 : 536 وانظر الأغاني 12 : 303 .

تسأله وتستفهم منه أي زمان الحر أشد ؟ فقال لها : شهرا ناجر . فقالت : يا أبه إنما أخبرتك ، ولم أسألك ، فأتى أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام ، فقال : يا أمير المؤمنين ، ذهبت لغة العرب لمّا خالطت العجم ، ويوشك إن طال عليها زمانٌ أن تضمحلّ . فقال له : وما ذاك ؟ فأخبره خبر ابنته . فأمر فاشترى صحفاً بدرهم وأملى عليه: الكلام كله لا يخرج عن اسم وفعل وحرف جاء لمعنى. وهذا القول هو أول كتاب سيبويه . ثم رسم أصول النحو كلها ، فنقلها النحويون وفرعوها . فلما كان أيام زياد بن أبيه بالبصرة جاءه أبو الأسود فقال له : أصلح اللّه الأمير إني أرى العرب قد خالطت الحمراءَ فتغيرتْ ألسنتهم . وقد كان علي بن أبي طالب ، عليه السلام ، وضع شيئاً يُصْلِحُ به ألسنتهم ، أفتأذنُ لي أن أُظْهِرَهُ . فقال: لا . ثم جاء زياداً رجل فقال : أصلح اللّه الأمير ، مات أبانا وخلّف بنون ، فقال زياد كالمتعجب : مات أبانا وخلّف بنون ! هذا ما ذكره أبو الأسود . ثم مرّ برجل يقرأ القرآن حتى بلغ إلى قوله تعالى : ﴿ إن اللّه بريء من المشركين ورسوله ﴾ (التوبة: 3) ، بكسر اللام من رسوله ، فقال : لا حولَ ولا قوة إلا باللّه العلي العظيم . هذا واللّه الكفر . رُدُّوا إليَّ أبا الأسود ، فردوه إليه . فقال له : ضع للناس ما كنت نهيتك عنه . فقال : ابغني كاتباً يفهم عني . فجيء برجل من عبد القيس فلم يرضه ، فأتي برجل من قريش ، فقال له : إذا رأيتني قد فتحت فمي بالحرف فانقط على أعلاه نقطة ، وإذا ضممتُ فانقطْ بين يدي الحرف ، وإذا كسرت فمي فاجعل النقطة تحت الحرف ، فإن أتبعت ذلك شيئاً من الغنّة فاجعل النقطة نقطتين ففعل . فكان هذا نقطَ أبي الأسود ، وذكر أنه لم يضع إلا باب الفاعل والمفعول به فقط . فجاء بعده ميمون الأقرن فزاد عليه في حدود العربية . ثم زاد فيها عنبسة بن معدان الفيل وعبد اللّه بن أبي إسحاق الحضرمي . فلما كان عيسى بن عمر وضع في النحو كتابين[1] ، ثم أبو عمرو بن العلاء ، ثم الخليل بن أحمد ثم سيبويه .

وحدث آخرون[2] في سبب وضع النحو أن أبا الأسود دخل على عليّ ، عليه السلام ، فوجد في يده رقعة . قال أبو الأسود : فقلت : ما هذه يا أمير المؤمنين ؟

---

(1) الوافي : كناشاً ، وفي بعض أصوله : كتاباً .

(2) قارن بإنباه الرواة 1 : 4 ، 5 ونور القبس : 7 .

فقال : إني تأملتُ كلامَ الناس فوجدته قد فسد بمخالطة هذه الحمراء ، يعني الأعاجم ، فأردت أن أضع لهم شيئاً يرجعون إليه ، ويعتمدون عليه ، ثم ألقى إليَّ الرقعة ، وفيها مكتوب : الكلام كلُّهُ اسمٌ وفعل وحرف ، فالاسم ما أنبأ عن المسمى ، والفعل ما أنبىء به ، والحرف ما جاء لمعنى ؛ وقال لي : انحُ هذا النحو ، وأضفْ إليه ما وقع إليك . واعلم يا أبا الأسود أن الأسماء ثلاثة : ظاهر ومضمر واسم لا ظاهر ولا مضمر . أراد بذلك الاسم المبهم . قال أبو الأسود : فكان ما وقع إليَّ إنَّ وأخواتها ، خلا لكن . فلما عرضتها على عليّ عليه السلام ، قال لي : وأين لكن ؟ فقلت : ما حسبتها منها . فقال : هي منها ، فألحقتها ، ثم قال : ما أحسن هذا النحو الذي نحوته . فلذلك سمي نحواً . ثم إن ابنته أُخِذَتْ في يوم قائظ شديد الحر فقالت : يا أبت ، ما أشدُّ الحر ، وهي تريد التعجب . فقال : القيظ ، وما نحن فيه يا بنية ، جواباً عن كلامها ، لأنه استفهام عنده ، فتحيَّرت ابنته منه ، فعلم أنها أرادت التعجب ، فقال : قولي يا بنية ما أشدَّ الحرَّ . فعمل باب التعجب.

وكان أبو الأسود غاية في الفصاحة ، جلس إليه غلام ، فقال له أبو الأسود : ما فعل أبوك ؟ قال : أخذته الحمّى ففضخته فضخاً ، وطبخته طبخاً ، وفتخته فتخاً، فتركته فرخاً . قال : فما فعلت امرأته التي كانت تشاره وتهارّه وتضارّه وتجاره وتزارّه ؟ قال : طلّقها فتزوجت غيره فرضيت وحظيت وبضيت . فقال أبو الأسود : وما بضيت يا بني ؟ فقال الغلام : حرفٌ من اللغة لم يبلغك . قال أبو الأسود : يا بني ما لم يبلغ عمك فاستره كما تستر الهرة خُرْءَها.

وأخذ النحو عن أبي الأسود جماعة منهم عطاء بن أبي الأسود ، ويحيى بن يعمر العدواني ، ثم ميمون الأقرن ، ثم عنبسة الفيل.

وزوج أبو الأسود بنتاً له ، فلما أراد إهداءها قالت له : أوصني . فقال : أكرمي عينيه وأنفه وأذنيه.

وقال أبو الأسود لولده[1] : يا بني ، إني قد حفظتكم قبل أن تولدوا وبعد مولدكم . فحفظي إياكم قبل أن تولدوا أني لم أضعكم في أرحام تُسَبُّون بها . وحفظي

(1) قارن بنور القبس : 11 .

إياكم بعد مولدكم أني لم أخلّف عليكم ديناً . فإذا وسّع عليكم فوسّعوا ، وإذا أمسك عنكم فاقتصدوا ، ولا تجاودوا اللّه فإنه لا يجاوَدُ.

وساوم أبو الأسود ببردٍ فقال له صاحبه : اشترِ حتى أُقاربك . فقال له أبو الأسود : إن لم تقاربني تباعدت . قال : إني قد أعطيت به كذا وكذا . قال أبو الأسود : ما يزال أحدهم يحدث عن خير فاته.

وقال أبو الأسود[1] : ليس شيء أعز من العلم ، لأن الملوك حكام على أهل الأرض ، والعلماء حكام على الملوك.

دخل أبو الأسود على عبيد اللّه بن زياد فقال[2] : لقد أصبحت جميلاً فلو عَلّقْت معاذة . فعلم أنه يهزأ به ، فقال[3] :

أفنى الشباب الذي أبليت جدّته ... مَرّ الجديدين من آتٍ ومنطلقِ
لم يبقيا ليَ في طول اختلافهما ... شيئاً يخاف عليه لقعة الحدق

قال أبو الأسود لابنته[4] : إياك والغيرة فإنها مفتاح الطلاق ، وعليك بالزينة ، وأزين الزينة الكحل . وعليك بالطيب ، وأطيب الطيب إسباغ الوضوء ، وكوني كما قلت لأمك :

خذي العفو مني تستديمي مودتي ... ولا تنطقي في سَوْرتي حين أغضبُ
فإني وجدْتُ الحب في الصدر والأذى ... إذا اجتمعا لم يلبثِ الحبّ يذهب

وقال أبو الأسود[5] : لو أطعنا المساكين في أموالنا كنّا أسوأ حالاً منهم .

وقال[6] : لا تجاودوا اللّه فإنه أجود وأمجد . ولو شاء أن يوسّع على الناس كلهم لفعل ، فلا تجهدوا أنفسكم في التوسع فتهلكوا هزلاً .

---

(1) الوافي 16 : 537 .
(2) نور القبس : 10 (ودخل على معاوية) وكذلك الأغاني 12 : 327 وابن عساكر 8 : 620 .
(3) أنظر أيضاً الشعر في ديوانه : 161 .
(4) الوافي 16 : 537 .
(5) الوافي 16 : 538 .
(6) المصدر السابق .

وحدث المدائني قال[1] : كان أبو الأسود جالساً في دهليزه وبين يديه رطب ، فجاز به رجل أعرابي فقال : السلام عليك . فقال أبو الأسود : كلمة مقولة . فقال : أدخل ؟ فقال : وراءك أوسعُ لك . قال : إن الرمضاء أحرقت رجلي . قال : بُلْ عليها أو ائت الجبل يفيء عليك . قال : هل عندك شيء تطعمنيه ؟ قال : نأكل ونطعم العيال فإن فضل شيء فأنت أحقّ من الكلب . فقال الأعرابي : ما رأيت الأمَ منك . قال : بلى ولكنك قد أنسيت ، قال : أنا ابن الحمامة . قال كن ابن الطاووس ، وانصرف . قال : أسألك بالله إلا أطعمتني مما تأكل . فألقى إليه ثلاث رُطبات ، فوقعت إحداهن في التراب ، فأخذ يمسحها بثوبه . فقال أبو الأسود : دعها ، فإن الذي تمسحها منه أنظف من الذي تمسحها به . قال : إنما كرهتُ أن أدعها للشيطان . فقال : لا والله ، ولا تدعها لجبريل وميكائيل .

وحدث عنه أنه كان مبخلاً ، وأنه كان يوماً على باب داره وبين يديه طبق فيه رطب تمر ، فإنه ليأكل من ذلك التمر إذ وقف به أعرابي قد أوغل في البؤس ، فسلّم عليه، ثم قال : أصلحك الله ، شيخ هِمٌّ غابر ماضين ووافد محتاجين ، أكله الفقر وأذله الدهر فأعن ضيفاً ضعيفاً . فمد أبو الأسود يده فناول الشيخ تمرة فرماها الشيخ في وجهه ، وولّى وهو يقول : جعلها الله حظك من حظك ، وألجأك إليّ كالجائي إليك ليبلوك بي كما بلاني بك .

كانت[2] له امرأة له منها ولد ، فخاصمته إلى زياد بن أبيه ، فقال أبو الأسود : أصلح الله الأمير ، أنا أحق بالولد منها . فقال زياد : ولِمَ ؟ فقال أبو الأسود : حَمَلْتُهُ قبل أن تحمله ، ووضعته قبل أن تضعه . قالت : أصلح الله الأمير ، وضعه شهوة ووضعته كرهاً ، وحمله خفاً وحملته ثقلاً . قال زياد : صدقت ، أنت أحق بالولد منه .

وحدث المدائني[3] عن أبي بكر الهذلي أن أبا الأسود كان يحدث معاوية يوماً فتحرك فضرط ، فقال لمعاوية : استرها عليّ . فقال : نعم . فلما خرج حدث بها

---

(1) المصدر السابق نفسه وانظر الأغاني 12 : 308 ، 309 .
(2) الوافي 16 : 538 والأغاني 12 : 323 .
(3) الوافي 16 : 539 والأغاني 12 : 314 .

معاوية عمرو بن العاص ومروان بن الحكم ، فلما غدا عليه أبو الأسود قال له عمرو : ما فعلت ضرطتك يا أبا الأسود بالأمس ؟ قال : ذهبت كما يذهب الريح من شيخ ألان الدهر أعصابه ولحمه عن إمساكها ، وكل أجوف ضروط ، ثم أقبل على معاوية وقال : إن امرءاً ضعفت أمانته ومروءته عن كتمان ضرطة لحقيق بأن لا يؤمن على أمور المسلمين .

وبالإسناد قال[1] : كان لأبي الأسود جار يؤذيه ويرميه بالحجارة ، فشكا أبو الأسود ذلك إلى قومه وغيرهم ، فكلموه ولاموهُ فقال : لم أرمه ، وإنما يرميه اللّه لقطعه الرحم وسُرعته إلى الظلم في بخله بماله ، فقال أبو الأسود : ما أجاور رجلاً يقطع رحمي ويكذب على اللّه ربي . فقيل له : وكيف يكذب على ربك ؟ فقال : لأنه عز وجل ، لو رماني ما أخطأني ، وهذا فلا يصيبني . ثم باع داره ، واشترى داراً في هذيل . فقيل لأبي الأسود : أبِعْتَ دارك ؟ قال : ما بعت داري وإنما بعت جاري فأرسلها مثلاً .

ومن شعر أبي الأسود[2] :

وإني ليثنيني عن الشتم والخنا ... وعن سبّ أقوام خلائقُ أربعُ
حياء وإسلام وبقيا وأنني ... كريم ومثلي قد يضر وينفع
فإن أعف يوماً عن ذنوب أتيتها ... فإن العصا كانت لذي الحلم تقرع
وشتان ما بيني وبينك إنني ... على كل حال أستقيم وتظلع

وقال أبو الأسود لابنه أبي حرب وأمره بالسعي في التجارة فأبى وقال : إن كان لي رزق فسيأتيني . فقال[3] :

وما طلب المعيشة بالتمني ... ولكن ألْقِ دلوك في الدلاءِ
تجيء بملئها طوراً وطوراً ... تجيء بحمأة وقليل ماءِ

---

(1) إنباه الرواة 1 : 21 ـ 22 .
(2) الأغاني 12 : 324 .
(3) الأغاني والديوان : 126 وابن عساكر 8: 621 .

ولا تقعـد على كسـل التمني تحيـل على المقـادر والقضـاءِ
فـإن مقـادر الـرحمن تجـري بـأرزاق الـرجـال من السمـاءِ
مـقـدرة بـقـبض أو بـبـسط وعجـز المـرء أسبـاب البـلاءِ

وأهدى إليه المنذر بن الجارود العبدي ثياباً فقال أبو الأسود[1] :

كسـاك ولم تستكسـه فحمـدتـه أخ لـك يعطيـك الجزيـل وناصـر
وإنّ أحق النـاس إن كنت حـامـداً بحمدك من أعطاك والعـرض وافر

وحدث قال : خرج أبو الأسود إلى طلحة الطلحات وهو على سجستان فأقام ببابه أياماً لا يصل إليه فلما طال عليه كتب إليه :

ورد السعـاة العـاطشـون فـأنهلوا ريّـاً وطـاب لهم لـديـك المكـرعُ
ووردتُ بحـرك ظـامئـاً متـدفقـاً فـرددت دلـوي شنّهـا يتقـعقـع
وأراك تمـطر جـانبـاً عن جـانب ومحـلّ بيتي من سمـائـك بلقـع
ويـردني طمعـاً إلى مـا ارتـجي مَن قـد وصلت فـإن لبـك مشبـع

فأذن له فدخل وفي يد طلحة حجران يقلبهما فقال : يا أبا الأسود ، اختر أحد هذين الحجرين أو عشرة آلاف درهم . فقال : أصلح اللّه الأمير ، ما كنت لآخذ حجراً على عشرين ألف درهم . فأمر له بعشرين ألفاً . فلما قبضها قال : أصلح اللّه الأمير وأكرمه ، إن رأى أن يعطيني أحد هذين الحجرين فليفعـل . فرمى إليـه بالحجـرين جميعاً ، فقدم بهما العراق فباعهما بمائة وخمسين ألف درهم .

وأنشد لمروان بن أبي حفصة[2] :

ثـلاثـة أحـدثـوا فينـا بفـطنتهم مـا ليس يـدفعـه علم ولا أدبُ
أخـو بني الـديـل دلتنا هـدايتـه على إقـامة مـا قـد قـالت العـرب
والشعـر صـاغ لنـا ميـزان قسمتـه ذهن الخليـل فـلا عيب ولا عتب
وللغنـاء بـوزن الشعـر تسـويـة كمـا تُثَقَّفُ في عيـدانهـا القُضُب
فقـد أتـانـا بنقـر المـوصلي لـه إيقـاع حذق بـه يستجمع الـطرب

(1) الأغاني 12 : 336 .
(2) لم ترد في شعر مروان .

وعن الأصمعي قال[1] : كان أبو الأسود يكثر الركوب فقيل له : يا أبا الأسود ، لو قعدت في منزلك كان أودع لبدنك وأروح . فقال أبو الأسود : صدقتم ، ولكن الركوب أتفرج فيه وأستمع من الخبر ما لا أسمعه في منزلي ، واستنشق الريح فترجع إليَّ نفسي ، وألاقي الإخوان . ولو جلست في منزلي اغتمَّ بي أهلي ، واستأنس بي الصبي ، واجْترأتْ عليّ الخادم ، وكلمني من أهلي من يهاب أن يكلمني .

وقيل : أصاب أبا الأسود الفالج فكان يخرج إلى السوق يجر رجله وكان موسراً ذا عبيد ، فقيل له : فقد أغناك اللّه عن السعي في حاجاتك ، لو جلست في بيتك . فقال : لا ، ولكني أخرج ، ثم ادخل ، فيقول الخادم قد جاء ، ويقول الصبي قد جاء ، ولو جلست في البيت فبالت عليَّ الشاة ما منعها أحد عني .

أراد علي بن أبي طالب[2] ، عليه السلام ، أن يبعث بأبي الأسود حكماً ، فقال له معاوية بعد ذلك : ما كنت قائلًا يا أبا الأسود لو بعثت حكماً ؟ فقال : ليَ الأمانُ على نفسي ؟ قال : نعم . قال : وعلى صديقي وأهلي وولدي ومالي ؟ قال : نعم . قال : كنت قائلًا : يا معشر المسلمين ، المهاجرون الأولون أحقّ بها أم أولاد الطلقاء ؟ قال له معاوية : اسكت .

دخل أبو الأسود على عبد الملك بن مروان فلما اطمأن به المجلس قال له : يا أبا الأسود ، ما مالك ؟ فقال : اعفني يا أمير المؤمنين ، إنّ خَبَرَ القرشي عن ماله على إحدى منزلتين : إن كان فقيراً حُقر ، وإن كان غنيّاً حسد . قال : أقسمت عليك إلا أخبرتني . قال : فأما إذ أبيت فإني أورث ، وإرثي ما ورث حاتم طيء وارثه حيث يقول[3] :

متى ما يَجيء يوماً إلى المال وارثي ... يَجدْ جمع كفٍّ غير ملْءٍ ولا صفرِ
يجد فرساً مثل العنان وصارماً ... حساماً إذا ما هز لم يرض بالهبر
وأسمر خطياً كأنّ كعوبه ... نوى القَسْبِ قد أربى ذراعاً على العشر

(1) الأغاني 12 : 306 .
(2) إنباه الرواة 1 : 23 .
(3) ديوان حاتم : 253 .

قال : فلا يفيدك مع هذا مال ، قال إني إلى ذلك لمحتاج ، فأمر له بعشرة آلاف درهم .

وقال[1] :

العلم زينٌ وتشـريفٌ لصـاحبـه فاطلبْ هُديتَ فنونَ العـلمِ والأدبـا
كـم سيّـدٍ بـطلٍ آبـاؤه نُـجُـبٌ كانوا رؤوساً فأضحى بعدهم ذنبا
ومُقْـرِفٍ خـامـلِ الآبـاء ذي أدبٍ نـال المعـاليَ بـالآداب والرُّتبـا
العلم ذخـرٌ وكـنـزٌ لا نفـادَ لـه نعم القرينُ ونعم الخدن إن صُحِبا
قد يجمع المالَ شخصٌ ثم يُحرمُه عمّا قليـل فيلقى الـذلّ والحـربـا
وجـامـعُ العلم مغبـوطٌ بـه أبـداً فـلا يحـاذرُ فيـه الفـوتَ والسّلبـا
يا جامعَ العلم نعم الذخـرُ تجمعه لا تـعـدلـنَّ بـه دُرًّا ولا ذهـبـا

وقال[2] :

فـلا تُشعِـرنَّ النفسَ يـأسـاً فـإنمـا يـعـيشُ بـجـدٍّ حـازمٌ وبـليـدُ
ولا تـطمعن في مالِ جـارٍ لقُـربـه فـكـلُّ قـريبٍ لا يُـنـال بعيـدُ

وقال[3] :

تعـوّدتُ مسَّ الضُّـرّ حتى ألفتُـه وأسلمني طـولُ البـلاء إلى الصبرِ
ووسَّـع صدري لـلأذى كثرةُ الأذى وكان قديمـاً قد يضيق بـه صدري
إذا أنا لم أقبلْ من الـدّهرِ كـلَّ ما أُلاقيه منه طـال عتبي على الدهـرِ

وقال[4] :

ذهب الـرجـال المُقْتَـدَى بفعـالهم والمنكـرون لكـلِّ أمـرٍ مُـنكَـرِ
وبقيتُ في خَلْفٍ يـزكّي بعضـهم بعضـاً ليـدفـعَ مُعورٌ عن مُعـورِ
فـطنٌ لكـلِّ مصيبـةٍ في مـالـه وإذا أُصيبَ بعـرضـه لم يـشعُـرِ

---

(1) نور القبس والديوان : 149 ـ 150 وابن عساكر 8 : 623 .
(2) الديوان : 152 والثاني في عيون الأخبار 3 : 186 .
(3) ديوانه : 156 (عن ياقوت)
(4) ديوانه : 155 ـ 156 .

حرف العين

ـ 619 ـ

عاصم بن أبي النجود : المقرىء ، أحد القراء السبعة ، واسم أبي النجود بَهْدلة ، وقيل بهدلة اسم أمه ، وأبو النجود اسمه كنيته . حدث عن أبي وائل وأبي بردة وأبي صالح السمان وزر بن حبيش ، والمسيب بن رافع ، وأبي رزين وأبي الضحى . وروى عنه جماعة منهم سليمان الأعمش ، وشعبة ، وحمّاد بن زيد ، وحمّاد بن سلمة والثوري ، وشريك بن عبد اللّه ، وسفيان بن عُيَيْنة ، وأبو بكر ابن عياش . ووفد على عمر بن عبد العزيز .

قال أبو الحسين ابن فارس : قال لي علي بن إبراهيم القطان : عاصم بن أبي النّجود من أي شيء أُخِذَ ؟ قلت : لا أدري . فقال : من قال النَّجود بفتح النون فهي الأتان ، ومن قال النُجود بالضم فهو جمع نجد ، وهو الطريق .

مات سنة تسع وعشرين ومائة ؛ ومولده في حرّة بني سليم بن منصور ، وهو مولى لبني جذيمة بن مالك بن نصر بن قعين ثم من بني أسد بن خزيمة بن مدركة . وهو من أهل الكوفة . قرأ على أبي عبد الرحمن السلمي ، وقرأ أبو عبد الرحمن على علي بن أبي طالب ، عليه السلام . قال عاصم : كنت أقرأ على أبي عبد الرحمن ، فإذا رجعت

---

619 ـ هذه الترجمة من المختصر وانظر : طبقات ابن سعد 6 : 224 وطبقات خليفة 369 ومراتب النحويين : 24 والمعارف : 530 وتاريخ أبي المحاسن : 231 ومصورة ابن عساكر 8 : 627 وتهذيبه 7 : 122 ومختصر ابن منظور 11 : 235 وابن خلكان 3 : 9 وسير الذهبي 5 : 256 وميزان الاعتدال 2 : 357 وعبر الذهبي 1 : 167 والوافي 16 : 572 ومرآة الجنان 1 : 271 وطبقات ابن الجزري 1 : 346 وتهذيب التهذيب 5 : 38 والشذرات 1 : 175 .

من عنـده عرضت ذلـك على زر بن حبيش . وكان زر قـد قرأ على عبـد اللّه بن مسعود .

وكان أبو عبد الرحمن السلمي جليلَ القَدْرِ ، عظيمَ الخطر ، أقام بالكوفة سنة أربعين يقرىء الناس في مسجدها الأعظم في أيام عثمان بن عفان ، ثم عرضه على علي بن أبي طالب ، وعبد اللّه بن مسعود وأبيّ بن كعب وزيد بن ثابت . وكان معلماً للحسن والحسين ، صلوات اللّه عليهما ، وكذلك زر بن حبيش الأسدي فإنه كان قد جمع بين العلم والعمل ، وكان عارفاً بالنحو والغريب ، عالماً بالتأويل والتنزيل . قرأ على عثمان وعلى عبد اللّه بن مسعود . وكان فصيحاً ، وبلغ من السنّ عشرين ومائة سنة ، وهو معدود في جلة التابعين .

ولما مات السلمي جلس عاصم مكانه في المسجد الجامع بالكوفة ، وعاصم معدود في الطبقة الثالثة من التابعين بالكوفة . مات بأرض السّماوة يريد الشام . وكان عاصم صاحب همْزٍ ومدٍّ ، وقراءة شديدة ، وكان شديد التنطع .

ـ 620 ـ

عالي بن عثمان بن جنّي ، أبو سعد البغدادي : كان نحوياً أديباً حسن الخط ، أخذ عن أبي الفتح ابن جنّي والوزير عيسى بن عليّ ، وأخذ عنه الأمير أبو نصر ابن ماكولا وغيره . مات سنة سبع أو ثمان وخمسين وأربعمائة .

ـ 621 ـ

عامر بن شراحيل بن مسعود بن قيس ذي لعوة الشعبي ، منسوب إلى ذي

620 ـ مصورة ابن عساكر 8 : 670 وتهذيب ابن عساكر 7 : 137 ومختصر ابن منظور 11 : 245 وإنباه الرواة 2 :385 والوافي 16 : 574 وبغية الوعاة 2 :24 ؛ وفي (ر) : وسكن عالي صور ، وكان مثل أبيه نحوياً أديباً حسن الخط جيد الضبط ، كتب بخطه كثيراً من تصانيف أبيه ، وكان له أخوان : علي والعلاء .

621 ـ هذه الترجمة من المختصر وانظر : طبقات ابن سعد 6 : 171 وطبقات خليفة : 363 والمحبر : 379 ، 475 والمعرفة والتاريخ 2 : 592 والمعارف : 449 وقضاة وكيع 2 : 413 ونور القبس : 237 وتاريخ بغداد 12 : 227 وطبقات الشيرازي : 81 وحلية الأولياء 4 : 310 وصفة الصفوة 3 : 40 والسمط : 751 =

الشعبين جبل باليمن ، وهم من ولد حسان بن عمرو بن قيس بن معاوية بن جشم بن عبد شمس بن وائل بن عوف بن قطن بن غريب بن زهير بن أيمن بن الهميسع بن حمير.

كان الشعبي أعلمَ خلق اللّه بأشعار العرب وأنسابها وأيامها ووقائعها ، وأما الفقه والأخبار النبوية ، فكان فيه أوحدَ زمانه وفرْدَ أوانِهِ ، وهو من أهل الكوفة ، وولي القضاء بها ، وكان يقول : ولدت عام جلولاء سنة تسع عشرة ، لسبع سنين مضت من خلافة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ، رضي اللّه عنه . وكانت أمه من سبي جلولاء ، ومات بالكوفة سنة أربع ومائة . وكان الشعبي كاتباً لعبد اللّه بن مطيع العدوي ، وكتب أيضاً لعبد اللّه بن يزيد الحطمي عامل ابن الزبير على الكوفة ، وكان الشعبي في من خرج من القراء على الحجاج ، وشهد دير الجماجم مع عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث ، وكان في من أفلت .

ولّي ابن هبيرة الشعبيَّ القضاء وكلفه أن يَسْمُرَ معه ، فقال الشعبي : لا أستطيع هذا ، أفردني بأحد الأمرين ، لا أستطيع القضاءَ وَسَمرَ الليالي .

عامر بن مسلم قال : إني لجالس في مسجد الكوفة ، ومعنا هذيل الأشعبيّ والشعبي جالس في مجلس القضاء إذ مرَّت بنا أم جعفر بنت عيسى بن جراد ، وكانت امرأة حسنة وعليها كساءُ خزٍّ إلى مجلس القضاء في خصومة لها ، فذهبت إليه ثم رجعت ، فقال لها هذيل : ما صنعت ؟ فقالت : سألني البينة ، ومن يسأل البيّنة فقد فلج ، قال هذيل : عليّ بدواةٍ وقرطاس ، وكتب إلى الشعبي :

بنتُ عيسى بن جراد ... ظُلِمَ الخصمُ لديها
فُتِنَ الشعبيُّ لمّا ... رفع الطرف إليها
فتنته بحديثٍ ... وبياضي معصميها
ومشت مشياً رويداً ... ثم هزت كتفيها

ومصورة ابن عساكر 8 : 638 وتهذيب ابن عساكر 7 : 141 ومختصر ابن منظور 11 : 249 وابن خلكان 3 : 12 وسير الذهبي 4 : 294 وتذكرة الحفاظ : 79 وعبر الذهبي 1 : 127 وطبقات المعتزلة : 130 ، 139 ، والوافي 16 : 587 وطبقات ابن الجزري 1 : 350 وتهذيب التهذيب 5 : 65 والشذرات 1 : 126 .

وقضى جوراً على الخصـ ـم ولم يقضِ عليها
قال للجلواز قدِّمـ ـها وأحضرْ شاهديها
كيف لو أبصر منها نحرها أو ساعديها
لسعى حتى تراه ساجداً بين يديها

فلما قرأ الشعبي الأبيات قال : أرغم اللّه أنفه ما قضينا إلا بالحق . وفي رواية أن الشعبي قال : إن كنت كاذباً فأعمى اللّه بصرك ، فعمي الرجل .

ومن طريف الأخبار قال ابن شاهين ، ما رفعه إلى إسماعيل بن مسلم قال : رأيت الشعبي قد قمر في الشطرنج ، وقد أقيم في الشمس وفي لحيته ريشة .

وحدث الشعبي قال[1] : أرسلني عبد الملك بن مروان إلى ملك الروم فلما قدمت إليه ودفعت إليه كتابه جعل يسألني عن أشياء فأخبره بها فأقمت عنده أياماً ، ثم أخذت جواب كتابي ، فلما انصرفت دفعت الكتبَ إلى عبد الملك فجعل يقرأها ، ويتغير لونه ويصفر ويخضر ، قال : يا شعبي : علمت ما كتب الطاغية ؟ قلت : يا أمير المؤمنين كانت الكتب مختومة ، ولو لم تكن مختومة لما قرأتها ، وهي إليك . قال : إنه كتب إليّ أنه لم يكن ينبغي للعرب أن تملّك عليها إلا من أرسلتَ به إليّ . قال : فقلت : يا أمير المؤمنين ، إنه لم يرك قال : فسرّيَ عنه ما كان به ، وضحك .

قدم الشعبي من البصرة فقالوا له : كيف تركت إخواننا ؟ قال : تركتهم وقد سادهم مولاهم ، يعني الحسن البصري . وذلك أنه استغنى عنهم في دنياهم ، فاحتاجوا إليه في دينهم .

وقال الشعبي : البسْ من الثياب ما لا يزدريك فيه السفهاء ولا يعيبه عليك العلماء .

وقيل : حضر عبد اللّه بن عمر رضي اللّه عنهما والشعبي يورد المغازي فقال ابن عمر : إنه يحدث بأمر قد شهدناه وغاب فكأنه قد شهد وغبنا .

وحدث الأعمش قال ، قال لي الشعبي : يا أعمش ، إن أكرم الناس أسرعهم

(1) ابن عساكر 8 : 709 .

مودة وأبطأهم عداوة مثل الكوز من الفضة بطيء الانكسار سريع الانجبار ، وإن لئام الناس أبطأهم مودة ، وأسرعهم عداوة مثل الكوز من الفخار يسرع الانكسار ويبطىء الانجبار .

وحدث داود بن أبي هند عن الشعبي قال : صاد رجل قنبرة ، فلما صارت في يده قالت : ما تريد أن تصنع بي ؟ قال : أريد أن أذبحك لآكلك . قالت : فإني لا أشفي من قَرَمٍ ، ولا أُشْبعُ من جوع ، وإن تركتني علَّمْتُكَ ثلاث كلمات هي خير لك من أكلي . أما الأولى فأعلمك وأنا في يدك ، وأما الثانية فأعلمك وأنا على الشجرة ، وأما الثالثة فأعلمك وأنا على الجبل . فقال : هات . قالت : لا تتلهفنَّ على ما فاتك ، ثم تركها ، فصارت على الشجرة ، ثم قالت : لا تصدق بما لا يكون حتى يكون ، ثم قالت : يا شقي لو ذبحتني لأخرجت من حوصلتي درّتين هما خير كنز لك . فعض على شفته وتلهّف . ثم قال علميني الثالثة فقالت : [لقد علمتك] الاثنتين فكيف أعلمك الثالثة؟ ألم أقل لك : لا تتلهف على ما فاتك، ولا تصدق ما لا يكون أنه يكون . أما ريشي ولحمي وزن درهمين فكيف يكون في حوصلتي درتان؟ ثم طارت فذهبت .

قال الشعبي : كنت مع قتيبة بن مسلم بخراسان على مائدته فقال لي : يا شعبي ، من أي شراب تريد أن أسقيك ؟ قلت : أهونه موجوداً وأعزه مفقوداً ، فقال : يا غلام : اسقه الماء .

قال الشعبي لبعض أصحابه يوماً : تعال حتى نفر من أصحاب الحديث قال : فمضينا حتى أتينا الجبانة . قال : فلزم كوماً من التراب ثم اتكأ عليها ، فمر بنا شيخ من أهل الحيرة عبادي ، فقال له الشعبي : يا عبادي ما صناعتك ؟ قال له : رفّاء . قال : عندنا دنّ مكسور ترفوه لنا ؟ قال : إن هيأت لي سلوكاً من رمل رفيت لك ذلك . فضحك الشعبي حتى استلقى ، ثم قال : هذا أحب إلينا من مجالسة أصحاب الحديث البغضاء .

وكان الشعبي ينشد[1] :

---

(1) تهذيب ابن عساكر 7 : 158 .

أرى أناساً بأَدنَى الدين قد قنعوا ولا أراهم رضوا بالعيش بالدونِ
فاستغن بالله عن دنيا الملوك كما آستغنى الملوك بدنياهم عن الدين

قال خالد : تذاكرنا الشعر بحضرة الشعبي فأنشدنا[1] :

خليليَّ مهلاً طالما لم أقلْ مهلا وما سَرَفاً مني أقولُ ولا جهلا
وإن صبا ابنِ الأربعين سفاهةٌ فكيف مع اللاتي مثلن به مثلا
يقول لي المفي وهنَّ عشيةً بمكةَ يسحبن المهذَّبةَ السُّحْلا
[تقِ الله لا تنظر إليهنَّ يا فتى وما خلتني في الحج ملتمساً وصلا]

منها :

فوالله لا أنسى وقد شطت النوى عرانينهن الشمَّ والأعين النُّجلا
ولا المسك من أعرافهن ولا البُرَى جواعل في أعناقها قصباً خَدْلا
خليليّ لو ما الله ما قلتُ مرحبا لأوّل شيباتٍ طلعن ولا أهلا
خليليَّ إن الشيبَ داء كرهته فما أحسن المرعى وما أقبح المحلا

ـ 622 ـ

عامر بن عمران بن زياد أبو عكرمة الراوية الضبي السرمري ، من أهل سُرَّ من رأى : كان نحوياً لغوياً أخبارياً حدث عن العتبي وأخذ عن ابن الأعرابي وإسحاق بن إبراهيم الموصلي وعنه القاسم بن محمد بن بشار الأنباري . وكان أعلم الناس بأشعار العرب وأرواهم لها ، وكان في أخلاقه شراسة . وصنف كتاب الخيل . وكتاب الابل والغنم . مات سنة خمسين ومائتين .

622 ـ الوافي 16 : 592 وبغية الوعاة2 : 24 . وقد طبع كتابه في الأمثال بتحقيق د. رمضان عبد التواب، دمشق وله ترجمة في المختصر .

(1) الشعر في أمالي القالي 2 : 124 .

ـ 623 ـ

عامر بن محمد بن كسنين أبو العلاء رجل أديب عالم بالنحو واللغة وأخبار الناس . من شعره :

وفتيانِ صدقٍ صباحِ الوجوه ... لا يجدونَ لشيءٍ أَلَمْ
ولا ينظرون لذي نعمةٍ ... إذا نظر الناسُ عند النعمْ
منَ آل المغيرة لا يشهدون ... عند المجازر لحمَ الوضمْ
فإما تريني عز [يز الرقاد] ... طويل السهاد كثير السقمْ
كثير التقلب فوق الفراش ... وما إن أُقِلُّ لساقٍ قدمْ
فذاك لفقدان أهل الوفاءِ ... وأهل السماح وأهل الكرمْ

ـ 624 ـ

عبادة بن عبد الله بن ماء السماء أبو بكر : من فحول شعراء الأندلس متقدم فيهم . مات سنة تسع عشرة وأربعمائة ، وسبب موته أنه ضاعت منه مائة دينار فاغتمّ عليها غمّاً كان سبب وفاته . ومن شعره يستأذن على الوزير أبي عمر أحمد بن سعيد بن حزم بديهة ، ويسأله الوصول إليه :

يا قمراً ليلةَ إكمالِهِ ... ومغرقي في بحرِ أفضالِهِ
عبدُ أياديكَ وإحسانِها ... يسألكَ المنَّ بإيصاله
فإن تفضلتَ فكم نعمةٍ ... جدت بها لصلحِ أحواله
وإن يكنْ عذرٌ فيكفيه أن ... عرَّفَ مولاه بإقباله

له كتاب في أخبار شعراء الأندلس .

---

623 ـ هذه الترجمة من المختصر .

624 ـ هذه الترجمة من المختصر ، وانظر : الصلة : 426 وجذوة المقتبس : 274 (بغية الملتمس رقم : 1123) والمطمح : 84 والذخيرة 1 : 468 وأدباء مالقة : 145 والمسالك والممالك 11 : 397 والتشبيهات من أشعار أهل الأندلس : 293 وأزهار الرياض 2 : 253 والنفح (صفحات متفرقة) والوافي 16 : 621 والفوات 2 : 149 .

ـ 625 ـ

العباس بن أحمد بن مطروح بن سراج بن محمد الأزدي أبو عيسى الأحمدي الأديب : من أهل مصر . مات سنة ثلاث وخمسين وثلاثمائة .

ـ 626 ـ

العباس بن أحمد بن موسى بن أبي موسى أبو الفضل النحوي اللغوي : من أصحاب أبي علي الفارسي وأبي سعيد السيرافي في طبقة أبي الفتح ابن جنّي . مات سنة إحدى وأربعمائة .

ـ 627 ـ

العباس بن الأحنف بن الأسود بن طلحة ، أبو الفضل الحنفي اليمامي : شاعر مجيد رقيق الشعر من شعراء الدولة العباسية إلا أن كل شعره غزل لا مديح فيه ولا هجاء ولا شيئاً من سائر ضروب الشعر ، توفي سنة اثنتين وتسعين ومائة ببغداد ، ومن شعره[1] :

لا بدّ للعاشقِ من وقفةٍ ... تكونُ بين الصدّ[2] والصرمِ

625 ـ هذه الترجمة من المختصر ، وانظر الوافي 16 : 651 وطبقات ابن الجزري 1 : 352 وبغية الوعاة 2 : 26 .

626 ـ هذه الترجمة من المختصر ، وانظر تاريخ بغداد 12 : 161 والوافي 16 : 651 وبغية الوعاة 2 : 26 .

627 ـ ترجمته في الشعر والشعراء : 707 وطبقات ابن المعتز : 269 والأغاني 8 : 354 والسمط : 313 ، 497 والموشح : 290 وتاريخ بغداد 12 : 127 وابن خلكان 3 : 20 وعبر الذهبي 1 : 312 وسير الذهبي 9 : 98 والوافي 16 : 638 والبداية والنهاية 10 : 209 والشذرات 1 : 334 ومعاهد التنصيص 1 : 54 وليس له ترجمة في المختصر .

(1) ديوان العباس : 251 وهما في الشعر والشعراء والزهرة : 58 أيضاً .

(2) الديوان : الوصل .

حتى إذا الهجرُ تمادَى به راجعَ مَنْ يهوى على رَغْمِ

وقال(1) :

قلبي إلى ما ضرني داعي يكثر أشجاني وأوجاعي
كيف احتراسي من عدوي إذا كان عدوي بين أضلاعي

وقال(2) :

وإني ليرضيني قليلُ نوالكم وان كنتُ لا أرضى لكم بقليلِ
بحرمةِ ما قد كان بيني وبينكم من الودِّ إلا عدتمُ بجميلِ

وقال(3) :

يا فوز يا منية عبّاسِ قلبي يفدي قلبك القاسي
أسأتُ إذ أحسنت ظني بكم والحزم سوء الظن بالناسِ
يقلقني الشوق فآتيكمُ والقلب مملوء من الياسِ

وقال(4) :

أبكي الذين أذاقوني مودّتهم حتى إذا أيقظوني في الهوى رقدوا
واستنهضوني فلما قمت منتصباً بثقل ما حملوني منهمُ قعدوا

وشعره كله غاية في الجودة والانسجام والرقة ، وله ديوان لطيف يتداوله الناس وفي بعض نسخه اختلاف .

(1) الأغاني : 366 والديوان : 178 والشعر والشعراء وخزانة الأدب 3 : 596 وديوان المعاني 1 : 282 وأمالي المرتضى 2 : 112 .
(2) الديوان : 231 (عن ياقوت) .
(3) الأغاني : 361 والديوان : 158 .
(4) الديوان : 84 .

- 628 -

العباس بن الفرج أبو الفضل الرياشي: كان مولى لبني رياش ، ورياش مولى عباسة زوجة محمد بن سليمان الهاشمي ، وقيل إنما قيل له الرياشي لأن أباه كان عند رجل يقال له رياش فبقي عليه نسبه . كان من كبار النحاة وأهل اللغة راوية للشعر ، أخذ عن الأصمعي وكان يحفظ كتبه وكتب أبي زيد ، وقرأ على المازني النحو ، وقرأ عليه المازني اللغة .

قال المبرد : سمعتُ المازني يقول : قرأ الرياشي عليَّ « كتاب سيبويه » فاستفدت منه أكثر مما استفاد مني ، يعني أنه أفاد منه لغته وشعره ، وأفاده هو النحو .

وأخذ عنه أبو العباس المبرّد وأبو بكر محمد بن دريد . وكان الرياشي ثقة فيما يرويه وله تصانيف منها : كتاب الخيل . وكتاب الإبل . وكتاب ما اختلفت أسماؤه من كلام العرب ، وغير ذلك . مات مقتولاً في واقعة الزنج بالبصرة في خلافة المعتمد على اللّه سنة سبع وخمسين ومائتين .

حدث ابن دريد قال(1) : سألت الرياشي عن الوامق والعاشق ، وكان شكساً لا سيما إذا سئل عن الشعر والغريب . فقال : أخبرنا الأصمعي عن أبي عمرو بن العلاء قال : نزل عثمان بن قيس مكة على أروى بنت كريز أم عثمان بن عفان ، وأمها البيضاء بنت عبد المطلب وهي توأمة عبد اللّه أبي النبي ، ﷺ ، فأكرمت مثواه ، فرحل عنها وأنشأ يقول :

---

628 - ترجمة أبي الفضل الرياشي في الفهرست: 63 وأخبار النحويين البصريين: 89 ومراتب النحويين: 75 وطبقات الزبيدي: 97 ونور القبس: 228 والجرح والتعديل 6: 213 وتاريخ ابي المحاسن: 75 وتاريخ بغداد 12: 138 والأنساب واللباب (الرياشي) والمنتظم 5: 5 ونزهة الالباء: 136 وابن خلكان 3: 27 وإنباه الرواة 2: 367 وعبر الذهبي 2: 14 وسير الذهبي 12: 372 والوافي 16: 652 والبلغة: 102 والبداية والنهاية 11: 29 وتهذيب التهذيب 5: 124 وبغية الوعاة 2: 27 وطبقات الحفاظ: 502 والنجوم الزاهرة 3: 27 والشذرات 2: 136 واشارة التعيين: 158 .

(1) من هنا حتى آخر الترجمة مزيد من المختصر ؛ وهذا الخبر في نور القبس: 229 .

خلِّفْ على أروى السلامَ فإنما جزاء الثَّويِّ أن يعفَّ ويحمدا
سأرحلُ عنها وامقاً غيرَ عاشقٍ جزى اللّه خيراً ما أعفَّ وأمجدا

قال ابن دريد : ولم يزدني على هذا الجواب ، فسألت أبا حاتم فقال : المقة محبة الوالد لولده والأخ لأخيه ، والصاحب لصاحبه . والعشق عشق الرجل المرأة للحب والنكاح .

وحدث المبرد قال ، قال الرياشي : خرجت يوماً نصف النهار في يوم صائف بالبصرة فإذا أنا بحبشي متلفّف بكسائه فضربته برجلي فثار كما يثور البعير[1] ، قلت : ما قرأ لي أحد خوف البين ، (فقلت له) فهل قلت في ذلك شعراً ؟ قال : نعم ، وأنشدني :

نـمَّت بـأسرارِ القلوبِ عيونُ ونفَى ظنونَ ذوي الظنونِ يقينُ
وتحدثت فِرَقٌ بأن فراقنا لا كان بعد تواصلٍ سيكونُ
فبليتُ من ألم الفراقِ ولم تحنْ أسبابُ ذاك فكيف حين تحينُ

وأنشدوا للرياشي[2] :

أنكرت من بصري ما كنت أعرفه واسترجع الدهر ما قد كان يعطينا
أبعد سبعين قد ولَّتْ وسابعةٍ أبغي الذي كنت أبغيه ابن عشرينا

وكان الرياشي ديّناً . وكان لأبي حاتم إلى الأمير الفضل بن إسحاق حاجة وكان يرى أنه واجد عليه ، فأتى أبو حاتم إلى الرياشي وقال له : لم آت أحداً غيرك ، قال الرياشي : فكتبت عن أبي حاتم إلى الأمير :

أبت لكَ أن يخشَى عدوُّك صولةً عليه إذا ما أمكنتك مَقَاتِلُهْ
سما بك عفوٌ من أبيك ورثته ومن حسن أخلاق الرجال شمائله[3]

قال الرياشي : وما جاءت إلا بتعب ، ثم قال : وأستغفر اللّه منها .

فأما مقتله[4] فإن الزنج لما دخلوا البصرة دخلوا مسجده بأسيافهم ، وكان

(1) هكذا في ر ولعل في الخبر نقصاً .
(2) الوافي 16 : 654 .
(3) ر: لايله .
(4) تاريخ بغداد 12 : 139 ـ 140 .

الرياشي قائماً يصلي ، فضربوه بالسيوف ، وقالوا : هات المال ، فجعل يقول : أي مال ، أي مال ؟ حتى مات . فلما دخلوا بعد سنتين دخلوا ذلك المسجد وهو ملقى مستقبل القبلة كأنما وُجّه إليها ، وجميع خلقه صحيح لم يتغير له حال ، إلا أن جلده قد لصق بعظمه ويبس .

وقال الحسن بن عليل العنزي : ثم رأيته في النوم بعد قتله فقلت : ما صنع اللّه بك يا أبا الفضل ؟ قال : غفر لي ورحمني وأدخلني جنته . فقلت له : أدخلك الجنة ؟ فقال : إي واللّه ، وأقعدني بين سفيان الثوري والأعمش .

حدث المبرد قال(1) : كان الرياشي واللّه أحمق ، ومن حمقه أنه كان إذا صام لا يبلع ريقه .

ـ 629 ـ

العباس بن محمد بن أبي محمد اليزيدي : قد مرّ ذكر أبيه وجده ، وذكر جماعة من أهل هذا البيت فإنه نسب معروف بالأدب . مات هذا العباس سنة إحدى وأربعين ومائتين .

ـ 630 ـ

العباس بن محمد أبو الفضل : يعرف بعَرَّام . كان رقيقاً ، له رسيلات تجري مجرى الطنز واللهو .

---

629 ـ هذه الترجمة من المختصر ، وانظر الوافي 16 : 652 وطبقات ابن الجزري 1 : 354 .
630 ـ هذه الترجمة من المختصر ، وانظر الوافي 16 : 652 والفهرست: 94 وبغية الوعاة 2 : 28 واضطرب فيه القفطي (2 : 384) فذكر أنه عرام وأن اسمه المفضل بن العباس بن محمد .

(1) الوافي 16 : 653 .

- 631 -

عبد الله بن إبراهيم بن عبد الله بن حكيم أبو حكيم الخَبْري - بفتح المعجمة ، وسكون الموحدة - المعلم ، وخبر في بلاد فارس : كان يسكن درب الشاكرية ، عارفاً بالنحو والأدب واللغة والفرائض .

قال القاضي الأكرم أبقى الله مهجته في «أخبار النحاة»:[1]: كان متمكناً من علم العربية ويكتب الخط الحسن، تفقه على الشيخ أبي إسحاق الشيرازي، وبرع في الفرائض والحساب وصنف فيهما ، وشرح الحماسة وديوان البحتري وعدة دواوين ، وسمع الحديث من أبي محمد الجوهري[2] وجماعة ، وحدّث باليسير . وكان مرضيَّ الطريقة ديّناً صدوقاً . روى عنه سبطه أبو الفضل ابن ناصر أنه كان يكتب يوماً وهو مستند فوضع القلم من يده وقال : إن هذا موت مهنّأ طيّب ، ثم مات ، وكان ذلك يوم الثلاثاء ثاني عشرين ذي الحجة سنة ست وسبعين وأربعمائة .

- 632 -

أبو هفان عبد الله بن أحمد بن حرب بن خالد بن مهزم بن العرد بن مهزم بن الجوين بن مخاشن بن الصيق بن مالك بن مرة بن عامر بن الحارث بن أنمار بن عمرو ابن وديعة بن لكيز بن أفصى بن عبد القيس بن أفصى بن دعمي بن جديلة بن حاشد بن

631 - ترجمة أبي حكيم الخبري في المنتظم 9: 99 وإنباه الرواة 2: 98 والوافي 17: 5 وطبقات الاسنوي 1: 471 وطبقات السبكي 5: 62 والبداية والنهاية 12: 153 والنجوم الزاهرة 5: 159 وبغية الوعاة 2: 29 .

632 - ترجمة أبي هفان موجزة كثيراً في م؛ ومعظم ما يرد هنا مأخوذ من المختصر ، وانظر طبقات ابن المعتز: 409 والفهرست: 144 وتاريخ بغداد 9: 370 ونزهة الألباء: 204 والوافي 17: 27 ولسان الميزان 3: 249 وبغية الوعاة 2: 31 وله أخبار ونوادر في زهر الآداب وثمار القلوب وديوان المعاني والأمالي والكنايات ومحاضرات الأدباء والبصائر وغيرها ؛ وقد نشر عبد الستار فراج له أخبار أبي نواس ، القاهرة 1953 .

(1) النص هنا غير مطابق تماماً لما ذكره القاضي الأكرم في إنباه الرواة .
(2) هو أبو محمد الحسن بن علي الجوهري .

ربيعة بن نزار بن معد بن عدنان ، [ ] وهو جد أبي هفّان المهزمي لأمّه ، وهو شاعر خطيب ، كان على البصرة أيام المأمون ، وهو القائل :

كــريـم لــه نفس تـثـنّى بلينـهـا لتـدفع عن سلطانها عـظم القـدرِ
إذا مـا دعتـه نفســه عـظم قــدره دعـاه إلى تسكينها عـظم القدرِ[1]

أبو هفان نحوي لغوي أديب راوية من أهل البصرة ، وكان مقتراً عليه ضيق الحال متهتكاً شراباً للنبيذ ، روى عنه جماعة من أهل العلم منهم يموت بن المزرع وروى هو عن الأصمعي .

قيل : زار أبو هفان سعيد بن حميد إلى عمل قد كان تولاه فأقام عنده واشتغل عنه ابن حميد أياماً بقوم من أهل عمله إلى منازلهم فأجابهم ، فقال أبو هفان :

وأغــرَّ مـن وَلَــدِ المـلوك كـأنــه في عينِ حاسده الربيعُ المبقـلُ[2]
قـد كـان أنـزلني ففـرَّ من القِـرى وغـدا على أهـل القُـرَى يتنــزلُ

فأكرمه سعيد وأرضاه وأقام عنده مدة . ثم أنكر أبو هفان تغيراً من أُنْسٍ كان منه ، فانصرف عنه عاتباً عليه ، وقال :

قــل لابن كسـرى سعيــدٍ في تتـايهــه مـا كان كسـرى على هـذا من الصلفِ
سعيــد يــا ابنَ حميــدٍ كنتَ واســطةً من جوهر العقد فاستأخرت في الطرفِ
قد كنتَ تُشْرِفُ في ذكـري وفي صفتي فـاليوم صـرتَ ترى ذكـري من السَّرَفِ
أراك ذا كـلف بــالـمــال تـجـمـعُـهُ وإنـنـي بــالـمـعــالـي دائـم الـكـلفِ
فـاذهبْ فما أنت من شكلي فتصحبني ولا تــدانيَ فـي نــفـس وفـي ســلفِ
حُجبتُ عنــكَ ولم أحسبــك تحجبني عن حــرمـةٍ مــا حمي أنف من الأَنَفِ
تيــه الفـتى بــالـغنـى لؤمٌ ومـفـســدةٌ للدين والعــرض مـاحٍ آيــة الشــرفِ
لقــد عهـدتُــكَ لي دهــراً أخــا ثقــةٍ تــودُّ أنــك تـفـديـنــي مـن الــتـلفِ
فـغـيَّــرَتْ ودَّكَ الــدنـيـا وَزُخْــرُفُـهـا وكــان ذاك بــأدنــاهـا عــلى نَــطَفِ

---

(1) هذان البيتان مضطربان .
(2) ر : المقبل .

مـا زلتُ مذ كنت مسمـومِ السهـام ومـا قَصَّرْتُ عن غُرَّةِ القرطاسِ في الهـدفِ
إني أعيـذك بي من مـجتَنَى غـضبـي كـمـا أعـوذُ بـودٍّ مـنـك مُـؤْتَـنَـفِ
لي منـك في كـلٍّ من أحببتـه خَلَفٌ وليس مني لـو استـخلفتَ من خَـلَفِ

حدث أحمد بن أبي طاهر قال : لما قدم أبو هفان من البصرة اشتملنا عليه فلم يكن يفارقنا ، وكنا إذا تمازحنا ذهب بنفسه وقال : أنا لا أمزحُ باليدين ولا الوالدين ، فغاظنا ذلك منه ، وكنا نجلّه لمكانه من الأدب والرواية ، فلما كثر ذلك علينا من قوله شربنا معه يوماً حتى عمل فينا النبيذُ وفيه ، وكنا نتهيَّبُ الإقدامَ عليه ، فلم نزلْ حتى صفعناه وصافعنا وترك ما كان عليه .

ومن شعر أبي هفان في إبراهيم بن المدبّر[1] :

يـا ابن المدبّـر أنت علَّمتَ الورى بَـذْلَ النـوالِ وهمْ بـه بـخـلاءُ
لـو كـان مثلك في البـريـةِ آخـرُ في الجـودِ لم يـك بينهم فقـراءُ

ومن شعره من أبيات :

ألا يـا عـاشقَ الـظَبيَـاتِ جهـلاً أترضى أن تكون أبـا السُّفولِ[3]
أتـرضَى للهوى من ليس يـرضى على ضيق الهـوى أُلْفَيْ خليـلِ

ومن شعره[2] :

لعمـري لئن بَيَّعْتُ في دارِ غـربـةٍ ثيـابيَ لمّـا أعـوزتني المـآكـلُ
فمـا أنـا إلا السيف يـأكـلُ جَفْنَـهُ لـه حليـةٌ من نفسـه وهـو عـاطـلُ

ولـه :

ومـغـن يـورث الـنـدمـانَ بـالـبـردِ زكـامـا
لـو تغنّى في حـريـقٍ صـار بـرداً وسـلامـا

وجـدت[4] في بعض الكتب أن دعبل بن علي الخزاعي دعا أبا هفان في دعوة أطعمه ألواناً كثيرة من الحبوب ، وسقاه نبيذاً حلواً ، وغمز الجواري أن لا يَدْلُلْنَهُ على

(1) الوافي 17 : 28 .
(2) الوافي 17 : 28 .
(3) صورة الكلمة في ر: الشعـول .
(4) نقل الصفدي الحكاية في الوافي 17 : 28 ـ 30 .

الخلاء ، ثم تركه وتناوم فلما أجهده الأمر قال لبعض الجواري : أين الخلاء ؟ فقالت لها الأخرى : ما يقول سيدي قالت : يقول غنوني :

خَلا من آل عاتكةَ الديارُ　　فَمَثْوَى أهلها منها قِفَارُ

فغنت هذه وزمرت هذه وضربت هذه ، وشربوا أقداحاً وسقوه فقال : أحسنتم وَجَوَّدْتُم غير أنكم لم تأتوا على ما في نفسي وسكت . فلما أجهده الأمر قال : لعلَّ الجارية بغدادية ، فالتفت إلى الأخرى فقال لها : فداكِ أبوك ، اين المستراح ؟ فقالت الأخرى : ما يقول سيدي ، فقالت : يقول غني :

وأستريحُ إلى من لستُ آلفُهُ　　كما استراح عليلٌ من تشكّيهِ

فغنت هذه وضربت هذه وزمرت هذه وشربوا أقداحاً وسقوه فقال : أحسنتم ، غير أنكم لم تأتوا على ما في نفسي ، ثم أجهده الأمر فقال : لعلَّ الجارية بصرية لم تفهم ما قلت ، فقال للأخرى : أين المتوضا ؟ فقالت الأخرى : ما يقول سيدي ؟ قالت : يقول غنوني :

توضأْ للصلاةِ وصلِّ خمساً　　وباكرْ بالمدامِ على النديمِ

فضربت هذه وزمرت هذه وغنت هذه وشربوا أقداحاً وسقوه فقال : أحسنتم وجودتم ، غير أنكم لم تأتوا على ما في نفسي ، ثم قال : لعلهن حجازيات ، فقال لاحداهن : فداك أبوك أين الحشّ ؟ فقالت الأخرى : ما يقول سيدي ؟ فقالت : يقول غنوني :

وحاشاكِ أن أدعو عليكِ وإنما　　أردتُ بهذا القولِ أن تقبلي عذري

فغنت هذه وضربت هذه وزمرت هذه وشربوا أقداحاً وسقوه فقال : أحسنتم وجودتم ، غير أنكم لم تأتوا على ما في نفسي ، ثم أجهده الأمر فقال : لعلهن كوفيات فقال : فداكن أبوكن ، أين الكنيف ؟ فقالت واحدة للأخرى ، ما يقول ؟ قالت : يقول غنوني :

تكنَّفني الواشون من كلِّ جانبٍ　　ولو كان واشٍ واحدٌ لكفاني

فغنت هذه وضربت هذه وزمرت هذه وشربوا أقداحاً ، فما تمالك حتى وثب قائماً

وحلَّ سراويله وزرق على وجوههن ، فتصارخن ، فانتبه دعبل فقال : ما شأنك يا أبا هفان ؟ فقال :

تكنَّفني السُّلاحُ وأضجروني على ما بي بنيَّاتُ الزواني
فلما قلَّ عن حملٍ اصطباري رميتُ به على وجه الغواني

فقام دعبل فدلَّه على الخلاء ، فدخل واغتسل ، وخلع عليه خلعاً ، وتضاحكوا ملياً .

قال سعيد بن حميد لأبي هفان[1] : لئن ضرطت عليك ضرطة لابلغنك إلى فَيْد ، فقال له أبو هفان : بادرني بأخرى تبلغني إلى مكة فإني صرورة[2] .

ـ 633 ـ

عبد الله بن أحمد بن علي بن هبة الله بن المأمون الهاشمي البغدادي القاضي الأديب ، [قوام الدين] :

« اجتمعت[3] به ببغداد سنة اثنتي عشرة وستمائة . وسمع كتاب الجمهرة لابن دريد عن أبي المعالي أحمد بن عبد الغني بن حنيفة الباجسري بروايته عن ثابت بن إبراهيم البقال عن ابن رزمة . وله أشعار حسنة فصيحة » [وكانت وفاته بمدينة السلام في المحرم سنة عشرين وستمائة] .

633 ـ هذه الترجمة لم ترد في المختصر كما لم ترد في م ؛ ولكن المؤلف ذكره في ترجمة أبيه أحمد بن علي (رقم :142) وقال : واجتمعت بولده قوام الدين أبي محمد عبد الله بن أحمد وقد أفردت له ترجمة في هذا الكتاب ، وعن ياقوت ينقل ابن الفوطي 794/4/4 (وأوردت هنا ما نقله) وترجم له أيضاً ابن الدبيثي وذكر أن مولده سنة 548 وأنه كان يتولى قضاء دجيل وعزل عنه وأعيد إليه ، ولم يكن محمود الطريقة في شهادته وقضائه ، وذكر الذهبي في تاريخه أنه توفي سنة 620 .

(1) الوافي 17 : 30 .
(2) الصرورة هنا : الرجل الذي لم يحج .
(3) قائل هذا هو ياقوت نفسه .

ـ 634 ـ

عبد اللّه بن أحمد بن محمود الكعبي أبو القاسم البلخي المتكلم ، المفسر ، الأديب شيخ المعتزلة ورئيسهم في زمانه وراعيتهم ، من نظراء أبي علي الجبائي ،مات سنة تسع عشرة وثلاثمائة .

وكان يكتب الانشاء لبعض الأمراء وهو أحمد بن سهل متولي نيسابور ، فثار أحمد ورام الملك فلم يتم له ، وأخذ الكعبي وسجن مدة ثم خلصه وزير بغداد علي بن عيسى ، فقدم بغداد وناظر بها ، وأقام بها مدة طويلة وانتشرت كتبه ، ثم عاد إلى بلخ وأقام بها إلى حين وفاته .

وناهيك من فضله وتقدمته إجماع العالم على حسن تآليفه من الكتب الكلامية ، وتصانيفه الحكمية التي بذت أكثر كتب الحكماء ، وصارت ملاذاً للبصراء ، وعمدة للأدباء ، ونزهة في مجالس الكبراء التي هي أشهر في ديار العراق منها في ديار خراسان . وأئمة الدنيا مولعون بها ، مغرمون بفوائدها ، حتى إنه لما دخل أبو الحسن علي بن محمد الحَشّائي البلخي تلميذه ، لما دخل مدينة السلام حاجاً ، جعل أهلها يقول بعضهم لبعض : قد جاء غلام الكعبيّ ، فتعالوا ننظر إليه ، فاحتوشه أهلُ الفضل ، وعصابةُ الكلام ، وجعلوا يتبركون بالنظر إليه ، ويتعجبون منه ، وينظرون إلى وجهه ، ويسألونه عن الكعبي ، ويسألونه عن خصاله وشمائله . وكان مدة مقامه بها كأنه نبي مرسل ، بلغهم على لسانه وحي منزل .

---

634 ـ عبد اللّه بن أحمد بن محمود أبو القاسم الكعبي : ذكر ياقوت في ترجمة أحمد بن سهل البلخي (رقم: 90) أنه سيكتب أخبار أبي القاسم عبد اللّه بن أحمد الكعبي البلخي في موضعها وقد سقطت ترجمته وثبت قسم كبير منها في المختصر وللكعبي ترجمة في الفهرست: 219 وتاريخ بغداد 9 : 384 ومادة « الكعبي » في أنساب السمعاني ولسان الميزان لابن حجر 3 : 255 والمنتظم 6 : 238 وابن خلكان 3 : 45 (وفيه أنه توفي سنة 317) وطبقات المعتزلة: 88 والوافي 17 : 25 والشذرات 3 : 281 والجواهر المضية 1 : 271 وعبر الذهبي 2 : 176 وسير الذهبي 14 : 313 والفرق بين الفرق: 165 والفصل 4 : 203 والملل والنحل 1 : 76 والبداية والنهاية 11 : 174 ومرآة الجنان 2 : 278 والتبصير في الدين: 51 ومقالات الإسلاميين (انظر فهرست الكتاب) . وما أثبته هنا من ترجمته يعتمد على ما أورده المختصر ، مع بعض زيادات من المصادر . وقد ضاع من هذه الترجمة ما نقله ياقوت عن كتاب جمع أخبار أبي زيد وأبي القاسم ، حسبما وعد .

وكان الكعبي يذهب مذاهبَ المعتزلة لا يخفي ذلك ، وكان صُلَحاءُ أهلِ بلخ ينالون منه لذلك ، ويقدحون في دينه ومعتقده ، ويرمونه بالزندقة .

لما صنف أبو زيد « كتاب السياسة » لـيـانِسَ الخادم ، وهو إذ ذاك والي بلخ ، قال أبو القاسم الكعبي : قد جمع اللّه تعالى السياسة كلها في آية من القرآن ، حيث يقول : **﴿ يا أيّها الذين آمنوا إذا لقيتم فئةً فاثبتوا * واذكروا اللّه كثيراً لعلكم تفلحون وأطيعوا اللّه ورسوله ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم * واصبروا إن اللّه مع الصابرين ﴾** (الأنفال : 45 ـ 46) .

وذكر المرزباني قال[1] : كانت بيننا وبين أبي القاسم البلخي صداقة قديمة وكيدة ، وكان إذا ورد مدينة السلام قصد أبي وكثر عنده ، وإذا رجع إلى بلده لم تنقطع كتبه عنا .

وحضر البلخي[2] مجلس أبي أحمد يحيى بن علي الذي يحضره المتكلمون ، وهم مجتمعون ، فأعظموه ورفعوه ، ولم يبق أحد إلا وامر إليه ، ودخل يهودي ، وقد تكلم بعضهم في نسخ الشرع فبلغوا إلى موضع حكموا فيه أبا القاسم ، وكان الكلام على اليهودي ، فقال أبو القاسم : الكلام عليك ، فقال له اليهودي : وما يدريك ما هذا ؟ فقال له أبو القاسم : انتظر يا هذا ، أتعرف ببغداد مجلساً للكلام أجلَّ من هذا ؟ قال : لا ، قال : أفتعلم من المتكلمين أحداً لم يحضره ؟ قال : لا ، قال : فرأيت أحداً منهم لم يقم إليّ ويعظمني ، فتراهم فعلوا ذلك وأنا فارغ ؟! .

ومما أنشد أبو القاسم لمحمد بن عبد اللّه بن طاهر :

يا طالب النار في زناد　　وقادح النار بالسزنادِ
دع عنك شكاً وخذ يقيناً　　واقتبس النار من فؤادي

وكان إذا أنشد شيئاً من شعر أبي العباس عبد اللّه بن طاهر يقول : هذا شعر شريف بنفسه وبقائله .

وأنشد لمحمد بن يسير ، وكان يستحسنه ، في البرامكة :

وما الدهرُ إلا دولةٌ بعد دولة　　تخوِّل ذا نعمى وتعقبُ ذا بلوى

---

(1) هذه الفقرة من تاريخ الخطيب .　(2) هذه الفقرة من الفهرست .

إذا أنــزلت هــذا منــازلَ رفـعــةٍ — من الملك حطته إلى الغاية السفلى
على أنهــا ليست تــدومُ لأهلهــا — ولـو أنها دامت لكنتم بهـا أحـرى

وله من المصنفات[1] :

كتاب تفسير القرآن على رسم لم يسبق إليه ، اثنتا عشرة مجلدة . كتاب مفاخر خراسان ومحاسن آل طاهـر . كتاب عيـون المسائـل تسع مجلدات . كتـاب أوائل الأدلـة . كتاب المقـالات . كتاب جـواب المسترشـد في الإمـامـة . كتـاب الآلاء والأحكـام . كتاب نقض النقض على المجبـرة . كتاب الجـوابات . كتـاب تحديـد الجدل . كتاب نقض كتاب أبي علي الجبائي في الارادة . كتاب أدب الجدل . كتاب السنة والجماعة . كتاب الفتاوى الواردة من جـرجان والعـراق . كتاب انتقـاد العلم الإلهي على محمد بن زكريا . كتاب تحفة الوزراء[2] . [كتاب الغرر والنوادر . كتاب الاستـدلال بالشـاهد على الغـائب . كتاب في الـرد على متنبىء خراسـان . كتـاب المجالس الكبير . كتاب المجالس الصغير . كتاب نقض كتاب الخليل على برغوث . كتاب مسائل الخجندي فيما خالف فيه أبا علي . كتاب المضاهاة على برغوث . كتاب تأييد مقالة أبي الهذيل في الجزء . كتاب النهاية في الأصلح على أبي علي] .

- 635 -

عبد اللّه بن أحمد بن جعفر بن خذيان بن حامس أبو محمد الفرغاني ، الأمير القائد ، صاحب أبي جعفر الطبري : مات بمصر سنة اثنتين وستين وثلاثمائة . روى عن أبي جعفر الطبري وذيّل على تاريخ الطبري . وقدم دمشق ، وحدث بها ، وروى عنه جماعة من أهلها ، وجده خذيان جلب من فرغانة إلى المعتصم فـأسلم ، ونزل عبد اللّه مصر ، وحدث بها ، وكان ثقة ، وأرسله الراضي إلى مصر ، وحمّله الخلع

635 ـ هذه الترجمة من المختصر ، وانظر مصورة ابن عساكر 8 : 1004 وتهذيبه 7 : 277 ومختصر ابن منظور 12 : 15 وسير الذهبي 16 : 132 والوافي 17 : 30 .

(1) وردت هذه الكتب في حاشية المختصر بخط الأصل .

(2) هنا انتهى ما ذكر في المختصر ، وما بعده مأخوذ عن المصادر .

إلى أبي بكر محمد بن طغج الإخشيد، وتفسير طغج عبد الرحمن ، وكان ابن طغج يحب الطيب حباً مفرطاً حتى كانت خزانة طيبه على نيِّفٍ وخمسين جملاً .

ـ 636 ـ

عبد الله بن أحمد بن الحسين الساماني الأديب أبو الحسين: مات في رجب سنة خمس وسبعين وأربعمائة ، مشهور بالتأديب بنيسابور ، وصنف كتاب شرح [ديوان] المتنبي . كتاب شرح الحماسة . كتاب مواد أمثال أبي عبيد .

ـ 637 ـ

عبد الله بن أحمد بن أحمد بن أحمد بن عبد الله بن نصر ، أبو محمد بن الخشاب : قال القاضي الأكرم أيضاً[1] : كان أعلم أهل زمانه بالنحو حتى يقال إنه كان في درجة أبي عليّ الفارسي ، وكانت له معرفة بالحديث والتفسير واللغة والمنطق والفلسفة والحساب والهندسة ، وما من علم من العلوم إلا وكانت له فيه يدٌ حسنة . قرأ الأدب على أبي منصور موهوب الجواليقي وغيره ، والحساب والهندسة على أبي بكر ابن عبد الباقي الأنصاري، والفرائض على أبي بكر المرزوقي ، وسمع الحديث من أبي الغنائم النرسي وأبي القاسم ابن الحصين وأبي العز ابن كادش وجماعة . ولم يزل يقرأ حتى علا أقرانه ، وقرأ العالي والنازل ، وكان يكتب خطاً مليحاً ، وجمع كتباً كثيرة جداً ، وقرأ عليه الناس وانتفعوا به وتخرج به جماعة .

وروى كثيراً من الحديث : سمع منه الحافظ أبو سعد السمعاني وأبو أحمد ابن

636 ـ هذه الترجمة من المختصر ، وانظر الوافي 17 : 31 (وفيه الشاماني ؛ وفي بعض أصوله الساماني) وبغية الوعاة 2 : 32 .

637 ـ ترجمة ابن الخشاب في المنتظم 9 : 238 وإنباه الرواة 2 : 99 ومرآة الزمان 8 : 288 وابن خلكان 3 : 102 وسير الذهبي 20 : 523 وعبر الذهبي 4 : 196 والوافي 17 : 14 ومختصر ابن الدبيثي 2 : 127 والفوات 2 : 156 ومرآة الجنان 3 : 381 والبداية والنهاية 12 : 269 والذيل على طبقات الحنابلة 1 : 316 وتاريخ ابن الفرات 4 : 189 وبغية الوعاة 2 : 29 والشذرات 4 : 220 .

(1) ليس هذا النقل مطابقاً تماماً لما ذكره القاضي الأكرم .

سكينة وأبو محمد ابن الأخضر ، وكان ثقة في الحديث صدوقاً نبيلاً حجة ، إلا أنه لم يكن في دينه بذاك ، وكان بخيلاً متبذِّلاً في ملبسه وعَيشه ، قليل المبالاة بحفظ ناموس العلم ، يلعب بالشطرنج مع العوام على قارعة الطريق ، ويقف في الشوارع على حلق المشعوذين واللاعبين بالقرود والدّباب ، كثير المزاح واللعب طيب الأخلاق ، سأله شخصٌ وعنده جماعة من الحنابلة : أعندك كتاب الجبال ؟ فقال له : يا أبله أما تراهم حولي ؟! وسأله آخر عن القفا يُمد أو يُقصر فقال له : يُمد ثم يُقصر . وقرأ عليه بعض المعلّمين قول العجاج :

أَطَرباً وأنت قنسريّ وإنما يأتي الصِّبا الصبّيُّ

فقال وإنما يأتي الصبيُّ الصبّيُّ ، فقال له ابن الخشاب : هذا عندك في المكتب وأما عندنا فلا ، فخجل المعلّم وقام .

وكان يتعمم بالعمامة فتبقى مدة على حالها حتى تسودَّ مما يلي رأسها وتنقطع من الوسخ ، وترمي عليها الطيور ذَرْقها . ولم يتزوَّجْ قط ولا تسرَّى . وكان إذا حضر سوق الكتب وأراد شراءَ كتاب غافل الناس وقطع منه ورقة وقال : إنه مقطوع ليأخذه بثمن بخس ، وإذا استعار من أحد كتاباً وطالبه به قال : دخل بين الكتب فلا أقدر عليه .

وصنف : شرح الجمل للزجاجي . وشرح اللمع لابن جنّي لم يتم . والردّ على ابن بابشاذ في شرح الجمل . والردّ على الخطيب التبريزي في « تهذيب إصلاح المنطق » . وشرح مقدمة الوزير ابن هبيرة في النحو ، يقال إنه وصله عليها بألف دينار . والردّ على الحريري في مقاماته(1) .

توفي عشية يوم الجمعة ثالث رمضان سنة سبع وستين وخمسمائة ، ووقف كتبه على أهل العلم ، ورؤي بعد موته بمدة في النوم على هيئة حسنة فقيل له : ما فعل اللّه بك ؟ قال : غفر لي ، قيل : ودخلتَ الجنة ؟ قال : نعم إلا أن اللّه أعرض عني ، قيل : أعرض عنك ؟ قال : نعم ، وعن كثير من العلماء ممن لا يعمل بعلمه .

ومن شعره :

لَذَّ خُمولي وحلا مُرُّهُ إذ صانني عن كلِّ مخلوقِ

(1) نشر له علي حيدر « المرتجل » (دمشق : 1972) .

نفسيَ معشوقي ولي غيرةٌ ... تمنعني من بذلِ معشوقي

وقال ملغزاً في كتاب(1) :

وذي أوجه لكنه غير بائحٍ ... بسرٍّ وذو الوجهين للسرّ مظهرُ
يناجيك بالأسرار أسرارِ وجهه ... فتفهمها ما دمتَ بالعين تَنْظرُ

وله في شمعة(2) .

صفراءُ لا من سَقَمٍ مَسَّها ... كيف وكانت أمها الشافيَهْ
عريانةٌ باطنها مكتسٍ ... فاعجبْ لها كاسيةً عاريهْ

وقيل :

إذا عنّ أمر فاستشر فيه صاحباً ... وان كنتَ ذا رأي تشير على الصحبِ
فإني رأيت العينَ تجهل نفسها ... وتدرك ما قد حلَّ في موضع الشهبِ

ـ 637 ب ـ

عبد اللّه بن أحمد بن أحمد بن أحمد بن الخشاب النحوي : أوحدُ زمانه ، وفريدُ أوانه . مولده ومنشأه بغداد : مولده سنة اثنتين وتسعين وأربعمائة . مات سنة سبع وستين وخمسمائة ، ودفن بباب حرب ، خَلْفَ قبرِ بشر الحافي . وذكر جماعة من أهل الحديث منهم الحافظ أبو عبد اللّه محمد بن محمد بن النجار أنهم قرأوا [عليه] جزءاً من أمالي أبي الحسن محمد بن محمد بن مخلد البزار ، وقد سمع على أبي القاسم علي بن الحسين الربعي ، وقد سمعه في سنة سبع وتسعين وأربعمائة ، وقد سمي فيه بأبي محمد بن أبي الكرم الكريدي الخشاب .

637ب ـ هذه الترجمة من المختصر ، ولم أتمكن من ضمها إلى الترجمة السابقة للتباعد الكثير بين الترجمتين ، ولهذا أفردتها هنا . وهي نموذج لمدى البون بين م وبين المختصر فالمشترك بينهما هنا قليل .

(1) في الإنباه : 101 .

(2) في الإنباه والوافي : 16 .

أما علمه فكان غاية في الذكاءِ والفهم ، آيةً في علم العربية خاصةً ، وفي سائر العلوم عامة . ورأيتُ قوماً من نحاةِ بغداد يفضلونه على أبي عليّ الفارسي - زعموا أنه كان يعرفُ جميع ما عرفه أبو علي الفارسي ، وزاد عليه في علم الأدب وغيره ، لتفننه في جميع العلوم . وقد سمع حديث النبي ، ﷺ وأكثر ، وتفقّهـه وعـرف صحيحَهُ من سقيمـه ، وبحث عن أحكامـه ، وتبحَّرَ في علومـه . ورأيت بخـطه كثيـراً من كتب الحكمة . وكان حسنَ السيرة ، سالكاً طريقَ الأوائل في هَدْيِهِ وَسَمْتِهِ ، لا يتكلَّفُ في شيءٍ من أمر ملبوسه وهيئته . وإذا سمعتَ كلامه ظننته عامياً لا يفقه شيئاً . فمما يحكى عنـه أنه كـان له تلميـذ يُعْرَفُ بـابن الزاهـد ، أرسله يومـاً إلى السـوق ليشتـري لـه نوركوش(؟) فقال له ابن الزاهد: تعرفه يا سيدي؟ فقال له: إلا بعَـرفه ؟ أراد لفـظة العامة ، وترك التفاصح . وكان مع ما شاع من فضله مشتهراً بلعب الشطرنج ، وكان رؤساء زمانه ووزراءُ وقته يودُّون مجالسته ، ويتمنَّوْنَ مـحاضرته ، فيتركهم ويمضي إلى حريف له زنجي قبيح الصورة سمج الألفاظ، يعرف بشبيل، فيجلسُ معه على قارعة الطريق في بعض الدكاكين، ويلاعبه ويسافهه، ويهزأ به ، أو يمضي إلى الرحبة ، أو إلى شاطىء دجلة فيقف على حلق أرباب الحكايات والشعبذة وما ناسبهم فكان إذا لاموه على ذلك يقول: إنه يندر منهم نـوادر لا يكونُ أحسنَ منهـا ولا ألطف، في صحـة قرائحهم وتـصديقهم لما هم بصدده ، وتراح النفس لذلك . وكان مع ذلك لا يخلو كمه قطّ من الكتب وأنواع العلوم ، وكان بينما هو يمشي في الطريق يخطر له قراءةُ شيءٍ ، فيجلسُ كيف اتفق ، ويخرج الدفاتر ، فيطلع فيها ، وكان معدوداً في القذري الملبس والزي . وسمعتُ عنه ممن لا أحصي أنه كان يعتمُّ العمّة فتبقى أشهراً معتمـة حتى تتسخَ أطرافها من عرقه فتسودّ . وكان إذا رفعها عن رأسه ثم أراد لبسها تركها على رأسه كيف اتفق ، فتارةً تجيء عَذَبتها من تلقاءِ وجهه ، وتارة عن يمينه ، وتارة عن شماله فلا يغيرها ، فإذا قيل له في ذلك ، فيقول : ما استوت العمةُ على رأس عاقل . هذه كانت حجته . وكان يعجبُ بمناداة عامـة بغداد على معـايشهم ، وتفنّنهم فيها ، وإتيـانهم بالمعاني الغريبة . وكان يقول : كم خلف هذه الطرازدانات من الخواطر المظلومة لو اشتغلت بالعلوم برّزت على العلماء . وكان الوزير عون الدين بن هبيرة وزعيم الدين ابن جعفر ، صاحب المخزن يعاتبانه على تبذله ، ويلومانه على ما قدمنـا ذكره ، فلا

يلتفتُ إلى لومهما ، ولا يترك سجيَّته .

ومن نوادره أن بعض من كان يحضرُ مجلسه قال له يوماً : القفا يُقْصَرُ أو يُمَدُّ ؟ فقال : يُمد ويُقصر . ومنها أنه لما صنف الكمال عبد الرحمن بن الأنباري كتاب « الميزان » في النحو ، وعرض على ابن الخشاب ، قال : احملوا هذا الميزان إلى المحتسب ، ففيه عيب .

وكان بينه وبين ابن الشجريّ العَلَوي النحوي مفاوضة ، وصنَّفَ في الردّ عليه كتباً . وكان يشنأ أصحابه ، ويقع فيهم ، وكان من أصحاب ابن الشجري محمد بن علي العتابي النحوي ، فاتفق أن أهدى ملك كيس إلى بغداد هدايا في جملتها حمار عتابي ، فجعل من حضر مجلسه يتفاوضون في [أمره] ويعجبون من حسنه ، فقال يا قوم : لا تعجبوا من الحمار العتابي فهوذا عندنا عتابي حمار فلا تعجبون منه .

ومنها أنه كان يوماً في داره في وقت القيلولة ، والحرُّ شديدٌ وقد نام ، إذ طُرِقَ البابُ عليه طرقاً مزعجاً فانتبه وخرَج مبادراً ، وإذا رجلان من العامة ، فقال : ما خطبكما ؟ فقالا : نحن شاعران ، وقد قال كل واحد منا قصيدة ، وزعم أنها أجودُ من قصيدة صاحبه ، وقد رضينا بحكمك . فقال : ليبدأ أحدكما . قال : فأنشد أحدهما قصيدته ، وهو مصغٍ إليه ، إلى أن فَرَغَ منها ، وهمَّ الآخر بالإنشاد ، فقال له ابن الخشاب : على رسلك ، شعرُكَ أجود ، فقال : كيف خبرت شعري ولم تسمعه ؟ فقال : لأنه لا يمكن أن يكون شيء أنْحسَ من شعر هذا .

وجدت على ظهر كتاب بخط ابن الخشاب : أنشدني ابن الخازن الكاتب لابن الحجاج :

والسعيد الرشيد مَنْ شَكَرَ النا ... سُ له سَعْيَهُ بمالِ الناسِ

فقلت في الحال هادماً ومقابلاً :

والشقيُّ الشقي من ذمَّهُ النا ... سُ على بخله بمالِ الناس

فأنشدته ذلك ، فقال ابن الخازن : هذا واللّه خير من قول ابن الحجاج . وصدق هو خير منه ، هكذا قال الشيخ عن شعر نفسه .

ومن شعره ملغزاً في الكتابة :

وذي أوجهٍ لكنه غير بائح ... ... البيتان

ومما قيل : إن الإمام أبا شجاع عمر بن أبي الحسن البسطامي قال ببخارى : لما دخلت بغداد ، قرأ عليَّ أبو محمد ابن الخشاب كتاب « غريب الحديث » لأبي محمد القتبي قراءةً ما سمعت قبلها مثلها في السرعة والصحة . وحضر جماعة من الفضلاء سماعها ، وكانوا يريدون أن يأخذوا عليه فلتةَ لسانٍ ، فما قدروا على ذلك .

وسمعتُ جماعةً كثيرةً من أهل بغداد ينسبون إلى الشيخ أبي محمد ابن الخشاب هذه القصيدة في التصحيف والتحميض ، وسمعت من يقول إنها منحولة إليه :

ما بال عينك يَجري دمعها درراً	لما علا الرأسَ شيبٌ لاح كالقُطُنِ
تبكي وقد سَلَبَتْكَ الغانياتُ به	عيشاً رغيداً فأضحى القلبُ في رهَنِ
تبكي الشبابِ وقد أَخْلَقْتَ جِدَّتَهُ	ويهلكُ الدهر منكَ العظمَ بالوهنِ
كم قد تجرَّعتَ من شرخ الصبا قدحاً	من خمرِ عانةَ ينفي طارقَ الوسنِ
فالآن قد قرعتك الحادثاتُ وقد	جرَّبتَ فيها أعاجيباً من الزمنِ
جربت فيما خلا ما حنكتكَ به	يدُ التجاربِ حتى العمر منك فني
فأصبح الشيبُ فاشٍ في العذارِ وهل	من بعد ذلك من أمرٍ لذي فطنِ
سارت بقلبك أظعان هوادجها	فيها حرائر لم تُبْذَلْ ولم تهُنِ
نواهدٌ قاصرات الطرف إن طرقت	وهناً عليك أزالت لذةَ الوسنِ
وربَّ جارية فيها إذا انتسبت	تُعْزَى إلى خير بطن من بني الحسنِ
تسقيك من يدها في القحف صافيةً	حمراء تنسيك طعمَ الخمر واللبنِ
قَسَتْ عليك فأضحى قلبها حجراً	فاخضع لتحرزَ حسن الوصْل فامتنن
تشتمُّ من ثغرها مسكاً إذا فتقت	نوافج المسكِ شابته ولم تَزِنِ
دع ذا وكن بالذي أوصيك محتفظاً	إن كنتَ حراً فخذ وصلاً بلا ثمنِ
اصْبِرْ لطارقِ أيامٍ نوازلها	تزعزعُ الطُّوْدَ من ثهلانَ أو حَضَنِ
وإن جرى قَدَرٌ فيها بنازلةٍ	ساءت فعن قَدَرٍ يأتيك بالحسنِ
لا تلْوِ رأسك للأضياف إن طرقوا	واخفض جناحكَ من ذلٍّ لهم وَلِنِ

واذكر إذا قمتَ يومَ العرض منتفضاً   من التراب بلا قُطْنٍ ولا كَفَنِ
وجيء بالنار قد مدوا السراط على   حافاتها تتلظى فعلَ مضطغنِ
وتُنشر الصحف فيها كلُّ محتقب   من المخازي وما قدمتَ من حسنِ
قد كنتَ تنسى وتلك الصحفُ مُحْصِيةٌ   ما كنتَ تأتي ولم تُظْلَمْ ولم تخنِ
احرزْ لسانَكَ في استجلاب فائدة   فالصامتُ البَرُّ خيرٌ من ذوي اللسنِ
هناك إن كنتَ قد قَدَّمْتَ مدّخراً   تُسْقَى من الحوض ماءً غير ذي أَسَنِ
عند الجزاء تعضُّ الكفَّ من ندمٍ   على تخطيك في سرٍّ وفي علنِ
بالبذل تُعْرَفُ فابْذلْ ما حَوَيْتَ تحز   ذكراً جميلاً فثقْ باللّه واستعنِ
واستصفِ عمرك واحذر أن تكدِّرَهُ   تَسلمْ بذلك من غَبْنٍ ومن غَبَنِ
وإن أتى باسطاً كفيه مختبطاً   لما وراءك من مالٍ ومختزنِ
فَجُدْ فبالجود تُعْطَى الحقَّ في غُرَفٍ   فيها مقاعدُ صدقٍ عند ذي المننِ
لا تركننّ إلى الدنيا ففي جَدَثٍ   يكونُ دفنك بين الطين واللَّبِنِ
واستغنِ بالكفّ كالماضي وكنْ رجلاً   مبرءاً من دواعي الغيِّ والفتنِ
ودعْ مذاهبَ قوم أحدثتْ إثماً   فيها خلافٌ على الآثار والسننِ
كُلْ من جرابك واقنع بالذي قسم الـ   ـقسّام فاللّه ذو فضلٍ وذو مننِ
لا تحسدنّ فما للحاسدين سوى   عضِّ الأناملِ من غيظ ومن إحنِ

ومن شعره قصيدة نظمها في زعيم الدين ابن جعفر صاحب المخزن ، وكان قد ورد من مكة ، يعتذر فيها عن تأخره عن قصده بطريق مرض عرض له في رجله :

لئن قَعَدَتْ بي عن تلقّيكَ علّةٌ   غدوتُ بها حلساً لربعيَ من شهرِ
رمتنيَ في رجلي بقيدٍ تقاصرت   خطاي له والقيدُ ما زال ذا قَصْرِ
إذا قلتُ قد أفْرَقْتُ منها تجدَّدَتْ   فأودى بها نهضي وهيض لها كسري
فما قعدتْ بي عن دعاءٍ أفيضه   ولا قصّرت بي عن ثناءٍ وعن شكرِ
قدمتَ علينا مثل ما قدم الحيا   على بلد ميت فقير إلى القطرِ

فأصبح مغبرُّ البلاد مؤزّراً به زَهَرٌ غضٌّ كأخلاقك الزُّهْرِ
وعدتَ وبالبيت الحرام صبابةٌ إليك وبالركنِ المعظم والحجرِ
وللحجر المسودُّ نحوكَ صبوةٌ للثمك إياه بأبيضَ ذي نَشْرِ
وقد صحب الحُجاجُ منك مباركاً غزيرَ الندى طلقاً محيّاهُ ذا بشرِ
أخا كرم إن أخلفَ الغيثُ أخلفتْ يَداه بمنهلٍّ من البيضِ والصُّفْرِ
فكلُّهمُ مُثْنٍ عليكَ وشاكرٌ لنعماك مغمورٌ بنائلك الغمرِ
خصصْتكَ بالمدح الذي أنت أهله فجاءك من صدرِ امرىء ناحلِ الصدرِ
وأيسر ما أُخفيه ما أنا مظهرٌ فدع عنك شعري ، جلَّ قدْرُك عن شعري

ومن شعره في زعيم الدين المذكور ، من أبيات وقد ورد كتابه من فيد[1] :

فإن تك محرماً من ذاتِ عرقٍ فقد حرَّمْتُ غُمْضي بالعراقِ
فها فتوى أتتك فقلْ سريعاً تبرّزْ سابقاً يومَ السباقِ
شمائلك الشَّمولُ فكيف تقضي فروضَ الحج بالكأس الدهاقِ
وأنت الطيبُ إن صافحت كفاً تحلل محرماً بدمٍ مراقِ
ولما جاءت البشرى بكتب فكانت كالقميص على الحداقِ
ضممتُ إلى الفؤاد كتابَ فيدٍ فضاعف بَرْدُهُ حرَّ اشتياقي
وقبلتُ المدادَ فخلتُ أني أُقبِّل ذا لمى حلو العناقِ
فخبّر بالسلامة ثم نبيء فإن الماءَ ضاق عن الرفاقِ
وكيف يضيق ماءٌ عن حجيج وسُحْبُ يديك ماءٌ ذو انبعاقِ
سلمتَ على الأنام ولي خصوصٌ وَحَاطَكَ رافعُ السبعِ الطباقِ

اجتمع جماعة من الحنابلة بمسجد ابن شافع الحنبلي برأس درب المطبخ يسمعون كتاب ابن مندة في فضائل أحمد بن حنبل ومحنته في القرآن ، وما جرى له مع الخلفاء من بني العباس ، فذموهم ولعنوهم ، وذموا أبا حنيفة والأشعري ، وكان

---

(1) في الأصل : قبل .

الكتاب يقرأ على ابن الخشاب ، فأنكر عليهم إنسان دمشقي فقيه وقال : هذا لا يجوز . تلعنون أئمة المسلمين ، وفقهاء الدين . فقاموا إليه وسبّوه ، وهموا به . ووصل الخبر إلى الخليفة ، فتقدم إلى حاجب الباب بأخذهم وأخذ ابن الخشاب ، وأن يركبوا بقراً ويُشَهَّرُوا بالبلد . فقبض على جماعة منهم ، وهرب ابن الخشاب ، فلحق بالحلة إلى أن شُفِعَ فيه ، فعاد ، فقال ابن الخشاب في غيبته :

إذا دار السلام نَبَتْ بمثلي ... فَجُنِّبَتِ السلامةَ والسلاما
ولا جرت الصَّبا إلا سموماً ... بها وهَمَتْ سحائبها سماما

وكتب إلى الخليفة يستعطفه ، وهو المستنجد بالله :

ألا قل لمستنجد بالإله ... بعدلك أصبحتُ مستنجدا
وما ليَ ذنبٌ سوى أنني ... شأوت بني زمني أمردا
وإني وإن عُدَّتِ المشكلاتُ ... كنت الهزارَ وكانوا الصدى

حدث الإمام الحافظ أبو عبد الله محمد بن محمود النجار في مجلس مفاوضة ، قال : حدثني شيخنا مصدق بن شبيب الواسطي النحوي قال : قدمت من واسط إلى بغداد في طلب العلم والنحو ، وكان الشيخ أبو محمد هو المشار إليه في الدنيا بهذا الشأن ، فأحببتُ مكاثرته والأخذ عنه ، ولم يكن له مجلس في وقت معلوم فأقصده إليه ، وإنما كان على حسب أغراضه تارةً يلعب بالشطرنج ، وتارة يجلس إلى عطار في السوق ، وتارة في دار الوزير والأكابر ، فكنت له بالرصد ، ليس همي إلا تتبعه . فقال لي يوماً : يا هذا قد أبرمتني وآذيتني بكثرة اتباعك لي ، وما مثلي ومثلك إلا رجل من أبناءِ الثروة والصلاح ، وكان له ولد في غاية التخلف والإدبار ، قد ألهم محبة القمار ، وكان يفسد أموالَ أبيه ، ولا يزال يجيئه عريان وقد قمر ثيابه وجميع ما عنده ، ويسرقُ أمواله ، ويفسدها في ذلك ، فحضرت الشيخَ الوفاةُ فاستدعى ولده ، وقال له : يا بُنَيّ ، يُقال أنفكُ منك وإن كان أجدَع ، واللهِ ما كنتُ أحبُّ أن يكونَ لي ولدٌ مثلك ، ولكنَّ أمر الله لا يُرفع ، وقد علمتُ أنك لا تتركُ هذه العادةَ السيئة بعد موتي إذ كنتَ لم تتركها في حياتي ، ولكن أحب أن تطيعني في شيءٍ واحد ، وتقسم لي بالله وبأيمان البيعة أنك تعملُ بها : إذا أنا مت وملكْتَ مالي فلا تقامر إلا مع من يُجْمِعُ الناسُ على

أنه أحذقُ الناسِ بالقمار وأعرفهم به ، فهذا ما لا ضرر عليك فيه ، وتكون قد بَرَرْتَني بقبولك قولي . فحلف له الغلامُ على ذلك ، وتوثق منه بجهده . ثم مات الشيخ ، واستولى الغلامُ على أمواله ، وحازها ، وشرع فيما يحبُّ ، وجعل يسأل عن أحذق الناس به ، فدُلّ على رجل بالكرخ ، فجاءه وسأله أن يلاعبه . فقال : ما بيني وبينك من المودة ما يقتضي هذا فما سبب اختيارك ملاعبتي من دون الناس ؟ فخبره بوصية أبيه واليمين التي أخذها عليه . فقال له : إذا كان الأمر على هذا فلا يجوز لـك اللعبُ معي ، فإن أستاذي بواسط وهو أحذق مني ، ومنه تعلمْتُ فسِرْ إليه . فانحدر إلى واسط فلقي كهلاً من الرجال مُحَارَفاً ضيِّقَ المعيشة ، فسأله الملاعبةَ فجرى الأمر معه كما جرى مع الأول . فقال له : لا يحلّ لك ملاعبتي ، فإن أستاذي وأستاذ الناس كلهم بالبصرة ، فآمـضِ إليه ، وبرّ يمينك . فسار الغلام حتى دخـل البصرة ، وسـأل عن الرجل فَدُلَّ عليه فـوجده يـوقد في بعض أتـاتين الحمامـات ، فسلّم عليه ، وسـأله الملاعبة ، فقال : دعني حتى أتفرغَ مما أنا بصدده ، فجلس ينتظره حتى إذا تمَّ أَخَذَهُ ودخل إلى منزله ، فوجده على غاية الحرفة والشَّعَثِ وسوءِ الحال ، ومدَّ يده فأخذ آلة القمار وهي في زاوية البيت قد علاها الغبار ، ثم قال له : يا ولدي ، أضاقت الدنيا عليك ما وجدتَ غيري يلاعبك ؟ فأخبره بالقصة ، فرمى الشيخ الفصَّ من يده ، وأفكر ساعةً ، ثم قال : يا ولدي أتدري ما أراد والدك بما أحلفك عليه ؟ فقال : لا . قال : إنه أراد أن يُعَرفك أن مثلي وهو أستاذ الدنيا في هذا الشأن يوقد في الأتون ، ومنزله وحاله كما ترى . وإن عاقبةَ أمرك تصير إلى الوقيد في الحمام . فارتدع يا ولدي ، وانظر فيما تصلحُ به أمرَ دنياك . قال فانتفع الغلام بذلك ، وتاب إلى اللّه منه ، وراجع التجارة في دكان أبيه وصلح حاله . وكذا يـا مصدق أنـا ، وأنت تتبعني وتضجرني حتى تصيرَ مثلي ، وأنا بزعمك شيخُ الدنيا ، فأيش أعجبك من أحوالي واكتسابي : أحشمي ؟ أغلماني ؟ أدوري أم عقاري ؟ اعلم يا ولدي أنَّ طلبَ النحو أكثر من إصلاح اللسان حُرْفة .

قال الشيخ أبو محمد : قصَدْتُ الغريَّ في بعض الأعـوام لزيـارة مشهد أميـر المؤمنين علي ، عليه السلام ، وكان خروجنا من الحلّة السيفية ، وكان في الصحبة علويّ يُعْرَفُ بابن الشوكية ، وهو من سكان المشهد ، وكان نعْمَ المصاحب ، فنزل بنا

ليلاً على بطنٍ من خفاجة ليستصحبَ معنا منهم خفيراً ، فأكرموا نزلنا ، وجاء منهم في الليل صبيٌّ ما أظنه بلغ سبعاً ، وعليه آثارُ مرضٍ قد نهكه فسلَّم علينا ، فقال له العلوي : ما بك يا فلان وسمَّى الصبيَّ ، فقال مجيباً له : بي أنّ لي كذا وكذا ـ وعدَّ مدةً ـ أُجْهَدُ وأُمْعَدُ . يريد بأجهد أفعل من قولك : رجل مجهود ومن جهد الحمى ، وأُمْعَدُ أي يصيبني وَجَعٌ في المعدة . يقال : مُعِدَ فهو ممعود ، كما يقال كُبِدَ فهو مكبود إذا أصاب كبدَهُ مرضٌ ، وكذا فُئِدَ فهو مفؤود ، وباقي الأعضاء على ذاك . وكذا يقال في من أصيبَ هذا العضو منه برمَّته . يقال في الصيد: أَمُيدَّى أم مرجول أي أصيبتْ يده أم رجله ، فتعجبت من فصاحة الصبي . وكان معنا في الرفقة شيخ من أهل المشهد ، فسمعته ، وقد أعيا من السير يقول لعبدٍ له : يا مقبل فَرِّكْني ، فقلت لبعض من معنا : ما معنى قوله : فركني ؟ فقال : يريد غمّزني ليزول تعبي . فقلت : لا إله إلا اللّه ، خالقُ ذلك الصبيِّ وهذا الشيخ واحد ، فكم بين اللسانين والسنَّيْن .

وكان الشيخ أبو محمد يؤدبُ أولادَ المستنجد : المستضيء وأخاه الأمير أبا القاسم . وكان يشتدّ عليهما في التعليم . فلما أفضى الأمر إلى المستضيء رضي ابن الخشاب أن يخلُصَ منه رأساً برأس ، وذلك أنه كان يَظْهَرُ منه تفضيلُ أخيه عليه ، فلم يذكّره بنفسه . قال العدلُ مسعود بن يحيى بن النادر : وكنت يوماً بين يدي المستضيء فقال : كلّ من نعرفه قد ذكّرنا بنفسه ، ووصل إليه برُّنا إلا ابن الخشاب . فما خبره ؟ فاعتذرتُ عنه بعذر اقتضاه الحال . ثم خرجت فعرَّفتُ ابنَ الخشاب ذلك ، فكتبَ إليه هذين البيتين :

ورد الورى سلسالَ جُودِكَ فارتوى ... ووقفتُ دونَ الوِرْدِ وِقْفَةَ حائمِ
ظمآنَ أطلبُ خِفَّةً من زحمة ... والوردُ لا يزداد غيرَ تزاحمِ

قال ابن النادر : فأخذتها منه ، وعرضتها على المستضيء ، فأمر له بمائتي دينار ، فقال لو زادنا لزدناه .

وما أنشد لنفسه :

أفديه من مُتَعجِّبٍ متجنبٍ ... قد ضنَّ ضناً بالخيال الطارقِ
ما زال يمطلني بوعدٍ كاذبٍ ... حتى تكشَّفَ عن صدودٍ صادقِ

وله :

أقــطِّعُ الــليــل بــلا رقــاد بــل بــسـهــاد دائــمــا ســهــادِ
لــذا تــرانــي أرقــاً أنــادي قــد أُسِـرَ النـومُ فهـل من فــادي

كان أبو محمد ابن الخشاب كثير الكتب جداً ، وكان له دار في باب المراتب ، وكان عنده صُفَّةٌ عظيمة ملأى جزازاً ودفاتر ، وقطُّ ما استعار من أحدٍ كتاباً فردَّهُ عليه ، وكان إذا طلبه صاحبه منه يقول له : هو في هذا الجزاز ، ومن يقدر على تخليصه منه ؟ فيأيس صاحبه ويسكت .

وكان حادَّ الخاطر جداً ، جاءه يوماً الشيخ مكي بـن أبي القاسم الحافظ ، وهو في مجلسه ، وبين يديه جماعة يقرأون عليه ، فقال : يا سيدي ، بلغني أن للأصمعي كتاباً سماه « الجبال » ، هـل هو عنـدك ؟ فقال لـه : أنت أعمى ، أما تـرى الجبالَ قدامي ؟ أشار به إلى تلك الجماعة التي تقرأ عليه .

قرأت بخطّ النقيب قثم بن طلحة بن الأنفي ، قال لي الصدر بن الزاهد : دخلت على الفخر بن المطلب يوماً فقال لي : من أين جئت ؟ فقلت : من العودة . فقال : واجتزت بعقد المصطنع ؟ قلت : نعم ، فقال : من أي عَقْدَيْها دخلتَ ؟ فتوقفت ، لأنه كان كثير الولع بالناس . فقال : من العقد الذي حَزُّوا فيه رأس الحسين بن علي ، عليه السلام ، وتكره الشيعةُ الدخول فيه أم العقد الآخـر ؟ فقلت : العقد الآخـر . قال : يا سبحان اللّه ، أنا أذكر بناء هذين العقدين في أيام المستظهر باللّه ، وأعرفُ هذا الموضع ، وليس به عقد أصلاً ، فما أعلمُ من أين أحدث الناسُ هذا الخبـر ، والحسين ، عليه السلام ، قتـل قبل بنـاءِ بغداد بـأعوام كثيـرة . فقلت : حكى ابن الخشاب قال ، قالت أمي : ما أراك تصلي صلاةَ الرغائب على عادة الناس . فقلت : يا أمي ، إنما أوثر من الصلوات ما ورد عن النبي ﷺ ، أو صحابته ، وهذه الصلاة لم تُرْوَ عن النبي ، ﷺ ، ولا عن أحد من أصحابه . فقالت : لا أسمع ذلك منك ، فاسأل لي ابن عمتي ـ وكان الحافظ أبو الفضل محمد بن ناصر السلامي ابن عمتها ـ فاتفق أني لقيته ، فقلت له : الوالدةُ تسلِّم عليك ، وتسألك عن صلاة الرغائِب ، هل وردت عن الرسول أو صحابته ؟ فقال لي : فهلا أخبرتها بحقيقة ذلك ؟ فقلت : قد أبتْ إلاّ أن

أخبرها عنك . فقال : سلِّم عليها ، وقل لها ، أنا أسنّ منها ، فإنها أحدثت في زمني وعصري ، وقد مضت برهة ، ولا أرى أحداً يصليها ، وإنما وردت من الشام ، وتداولها الناس حتى أجروها مُجْرَى ما ورد من الصلوات المأثورة .

كان بعض المعلمين يقرأ على الشيخ أبي محمد شيئاً من الأدب فجاء فيه قول العجاج :

أطرباً وأنت قنَّسريٌّ وإنما يأتي الصبا الصبيُّ

فقال المعلم : إنما يأتي الصبيَّ الصبُي . فقال له : هذا عندك في الكتاب ، وفقك اللَّه ، وأما عندنا فلا . فاستحيا المعلم .

ومن تصانيفه : كتاب شرح اللمع إلى باب النداء في ثلاث مجلدات ضخمة رأيتها بخطه . كتاب شرح المقدمة التي ألفها الوزير ابن هبيرة . وبلغني أنه وصله بألف دينار حتى شرحها له . كتاب هادية الهادية في الرد على ابن بابشاذ في شرح الجمل . كتاب الرد على أبي زكريا التبريزي في تهذيب « إصلاح المنطق » ، ردود على العلماء كثيرة ، لم تتم إذا تأملها العالم عرف موضعه من العلم . كتاب ما غلط فيه أبو القاسم ابن الحريري في المقامات . كتاب المرتجل في شرح جمل عبد القاهر .

ـ 638 ـ

عبد اللّه بن إسحاق بن سلام المكاري ، أبو العباس : كان جيد العلم بالغريب والأشعار والرواية والآثار ، فقيهاً شاعراً صدوقاً ، مات سنة إحدى وسبعين ومائتين . وكان يتشيع . وهجا المتوكل بقصيدة[1] ، فأمر بقتله ، فعوجل بالحادث عليه ،

638 ـ هذه الترجمة من المختصر وانظر الفهرست : 126 ، 127 وقد ترجم له الصفدي تحت اسم « عبيد اللّه » (انظر 17 : 65) وعدَّ له ابن النديم من الكتب : كتاب الأخبار والأنساب والسير ؛ قال ابن النديم : رأيت بعضه ولم أره كاملاً .

(1) أورد ابن النديم قوله في هجاء المتوكل :

يا نقمة اللّه حلي في ثرى ملك لا يصلح الدين والدنيا بقيراط

وأفلت . وهو القائل يرثي أبا الحسن بن يحيى عمر الطالبي :

فإن يَكُ يا ابنَ المصطفى قبرُ سيدٍ تُعَقَّرُ خيلٌ حولَهُ ونجائبُ
فقبرك أولى أن تُعَقَّرَ حوله رجالُ المعالي والنساء الكواعبُ

وله يهجو ابن أبي حكيم :

وتكيد ربَّك في مغارسِ لحية اللّه يَزْرعُها وكفُّك تحصُدُ
تأبى السجودَ لمن براكَ تمرداً وترى الأيورَ المنعظاتِ فتسجدُ

ـ 639 ـ

عبد اللّه بن إسماعيل بن عبد اللّه بن محمد بن ميكال بن عبد الواحد بن جبريل بن القاسم بن بكر بن سور بن سور بن سور بن سور ـ أربعة من الملوك ـ بن فيروز بن يزدجرد بن بهرام جوبين . كنيته أبو محمد ، وهو عم أبي الفضل عبد اللّه بن أحمد الميكالي : كان رئيس نيسابور ، مات بمكة في ذي الحجة سنة تسع وسبعين وثلاثمائة وكان مذكوراً بالأدب والكتابة ، وحفظ دواوين العرب ، ودرس الفقه على قاضي الحرمين وغيره . وكان أوحدَ زمانه في معرفة الشروط . أُكْرِهَ غيرَ مرة على وزارة السلطان فامتنع وتضرع حتى أعفي ، وكان يختم القرآن في ركعتين ، ويعولُ المستورين ببلده سراً . تقلد الرياسة وبقي منفرداً بها بلا مانع ولا منازع نيفاً وعشرين سنة فلم يُرَ شاكٍ بجميع خراسان . وكان يفتح بابه بعد فراغه من صلاة الصبح إلى أن تُصَلَّى العَتَمة ، فلا يحجب عنه أحد .

عقد له مجلس الذكر في حياة إمامي المذهب أبي الوليد القرشي وأبي الحسين القاضي ، وحضرا جميعاً مجلسه . ثم تقلد الرياسة سنة ست وخمسين وثلاثمائة ،

---

639 ـ هذه الترجمة من المختصر ، وانظر يتيمة الدهر 4 : 417 والوافي 17 : 73 .

....

وليس ينفذ أمراً في رعيته حتى يشاور فيها بنت بقراط

وهو يعني قبيحة أم المعتز .

وكان قد حج سنة سبع وأربعين وثلاثمائة ، ثم تأهب للخروج ثانياً سنة سبع وسبعين وثلاثمائة ، واستصحب شيئاً من مسموعاته من أبي حامد ابن الشرقي وأقرانه ، وحدث بنيسابور والدامغان والري وهمذان وبغداد والكوفة ومكة . ودخل مكة وهو ابن اثنتين وسبعين سنة ، وقد حكم المنجمون أنه يموت وهو ابن أربع وسبعين فدعا بمكة في المشاعر الشريفة يقول : اللهم إن كنتَ قابضي بعد سنتين فاقبضني في حَرَمك ، فاستجاب اللّه دعاءه وتوفي بمكة في آخر أيام الموسم . وحكي أنه نام على فراشه في الليلة التي مات فيها ، وأن كلّ من كان في رحله ناموا وأصبحوا فوجدوه ميتاً مستقبلَ القبلة ، فغسلوه وكفنوه ، وصلى عليه أكثر من مائة ألف رجل ، ودفن بالبطحاء بين سفيان بن عيينة والفضيل بن عياض[1] :

قال الحاكم : قصدني أبو محمد الميكالي ، وأنا بباب جنيد في دارٍ لي جديدة ، فقال : بلغني أنك هممتَ ببيع دارك بباب عزيز ، فقلت : هو كما بلغ الشيخ الرئيس . فقال : إني قصدتك لأمنعك من هذا ، وأبيّن لك عوارَ ما هممتَ به : دار كان فيها سلفك ، ثم ولدت فيها ، ومجلسٌ ختمت في محرابه وَنُسِبَ إليك ، ألم تسمع أبيات ابن الرومي[2] :

ولي وطنٌ آليتُ ألا أبيعَهُ ... وأن لا أرى غيري له الدهر مالكا
عهدتُ به شرخَ الشباب ونعمةً ... كنعمة قوم أصبحوا في ظلالكا
فقد أَلِفَتْهُ النفسُ حتى كأنه ... لها وطن إن فات غودرْت هالكا
وحبَّبَ أوطانَ الرجال إليهمُ ... مآربُ قضاها الشباب هنالكا
إذا ذكرت أوطانهم ذكّرتهمُ ... عهودَ الصبا فيها فحنّوا لذلكا

ثم لم يفارقني، رحمه اللّه، حتى أخذ عهدي[3] على أن أرجع إلى الدار القديمة وأبيع تلك الحديثة ، رضي اللّه عن ذلك الشيخ ، وجزاه عن دينه وشفقته على إخوانه خيراً .

(1) إلى هنا انتهت ترجمته في الوافي ، وهي تكاد تكون نقلاً حرفياً مما ورد هنا .
(2) ديوان ابن الرومي 5 : 1825 ـ 1826 .
(3) ر: بيدي .

ـ 640 ـ

عبد اللّه بن أسعد بن عيسى بن علي بن الدهان الجزري ثم الموصلي الفقيه الشافعي الأديب الشاعر أبو الفرج : مات بحمص سنة إحدى وثمانين وخمسمائة ، فمما أنشدت من شعره :

كـأن مقلتَـهُ صـادٌ وحـاجبـه نـونٌ ومـوضـعَ تقبيلي لـه ميمُ
فصرتُ أعشق منه في الورى صنماً وعـاشقُ الصنم الإنسيِّ محـرومُ

وقيل إن هذين البيتين لرجل من أهل الأندلس يقال له ابن أسعد أيضاً .

وحكي أنه دخل يوماً على نور الدين محمود بن زنكي ، فقال له : كيف أصبحت ؟ فقال : كما لا يريد اللّه ولا رسوله ولا أنت ولا أنا ولا ابن عصرون ، فقال له : كيف ؟ فقال : لأن اللّه يريد مني الإعراض عن الدنيا والإقبال على الآخرة ، ولستُ كذلك . وأما رسوله فإنه يريد مني ما يريده اللّه مني ، ولستُ كذلك . وأما أنت فإنك تريد مني أن لا أسألك شيئاً من الدنيا ، ولست كذلك . وأما أنا فإنني أريد من نفسي أن أكون أسعدَ الناس ، وملكَ الدنيا بأجمعها ، ولي الدنيا بأسرها ، ولستُ كذلك . وأما ابن عصرون فإنه يريد مني أن أكون مُقَطّعاً إرباً إرباً ، ولست كذلك . فكيف يكون من أصبح لا كما يريد اللّه ولا رسوله ولا سلطانه ولا نفسه ، ولا صديقه ولا عدوّه . فضحك منه ، وحباه حباءً حسناً . ومن شعره[1] :

مـولاي لا بتَّ في ضُـرّي ولا سهـري ولا لـقيـتَ الـذي أُلقـى من الـفِكَـرِ
بـاتَتْ لـوعـدكَ عيني غيرَ سـاجعـةٍ والليـلُ حيٌّ الـديـاجي ميِّتُ السحـرِ

640 ـ هذه الترجمة من المختصر ، وانظر : خريدة القصر (قسم الشام) 2 : 279 ومصورة ابن عساكر 8 : 1038 وتهذيبه 7 : 292 وإنباه الرواة 2 : 103 وابن خلكان 3 : 57 والروضتين 2 : 67 وسير الذهبي 21 : 176 وعبر الذهبي 4 : 243 والوافي 17 : 67 ومرآة الجنان 4 : 35 وطبقات الأسنوي 2 : 440 وطبقات السبكي 7 : 120 والبداية والنهاية 12 : 317 والشذرات 4 : 270 وقد أطال الصفدي في ترجمته بإكثاره من الشعر ولعله تابع ياقوتاً في ذلك ، وانظر المقفى 4 : 576 .

(1) ديوان ابن الدهان : 132 والوافي : 70 .

أودُّ من قمرٍ في الأفق غَيْبَتَهُ وأرقبُ الشمسَ من شوقي إلى القمرِ
هذا وقد بتُّ من وعدٍ على ثقةٍ فكيف لو بتُّ من هجرٍ على خطر

- 641 -

عبد الله بن بَرّي بن عبد الجبّار بن برّي أبو محمد المقدسي الأصل المصري المولد والمنشأ ، عرف بابن بري النحوي اللغوي الأديب : كان نحوياً لغوياً شائع الذكر ، مشهوراً بالعلم. قال القاضي الأكرم في « أخبار النحاة » شاع ذكره واشتهر ولم يكن للمصريين ممن تقدم أو تأخر مثله . مات بمصر سنة اثنتين وثمانين وخمسمائة . قرأ كتاب سيبويه على أبي بكر محمد بن عبد الملك الشنتريني المغربي النحوي ، وتصدَّر للإقراءِ بجامع عمرو بن العاص . وكانت عنايته تامة في تصحيح الكتب وكَتْبِ الحواشي عليها بأحمر ، فإذا رأيت كتاباً قد ملكه فهو الغاية في الصحة والإتقان . وله على كتاب « الصحاح » لأبي نصر إسماعيل بن حماد الجوهري حواشٍ [له] أَخْذٌ عليه في بعضها وشرحٌ في بعضها وزياداتٌ فيما أخل به ، ولو تمَّتْ كان عجيباً[1] .

وكان مع علمه وغزارة فهمه ذا غفلة وسلامة صدْر ، وكان وسخَ الثوب ، زريَّ الهيئة واللبسة . يحكي المصريون عنه حكايات عجيبة ، منها أنه اشترى لحماً وخبزاً وبيضاً وحطباً ، وحمل الجميع في كمه ، وجاء إلى منزله ، فوجد أهله قد ذهبوا لبعض شأنهم والبابَ مغلقاً ، فتقدم إلى كوةٍ هناك تفضي إلى داره ، فجعل يلقي منها الشيء بعد الشيء ، ولم يفكر في كسر البيض وأكل السنانير اللحم والخبز إذا خلت به .

---

641 - ترجمة ابن بري آخر ترجمة في الجزء الرابع من طبعة م وقد أشار المحقق إلى سقوط أوراق من المخطوطة ضاع بسببه تراجم كثيرة ، وقد استوفيت هذه الترجمة من المختصر وانظر إنباه الرواة 2 : 110 وابن خلكان 3 : 108 وسير الذهبي 21 : 176 وعبر الذهبي 4 : 247 والوافي 17 : 80 ومرآة الجنان 3 : 424 وطبقات الاسنوي 1 : 267 وطبقات السبكي 7 : 121 والبداية والنهاية 12 : 319 والنجوم الزاهرة 6 : 103 وبغية الوعاة 2 : 34 واشارة التعيين : 161 وحسن المحاضرة 1 : 533 والشذرات 4 : 273 والمقفى 4 : 450 وقد طبعت حواشيه على الصحاح في جزءين .

(1) قوله لو تمت يفيد أنها جاءت غير تامة ؛ وهناك شواهد تدل على عكس ذلك ؛ انظر مقدمة د. مصطفى حجازي محقق كتاب التنبيه والإيضاح .

وحدثني بعض المصريين قال : كنت يوماً أسير مع الشيخ محمد بن برّي وقد اشترى عنباً ، وجعله في كمه ، فجعل يحادثني وهو يعبث بالعنب ويقبضه حتى جرى على رجليه ، فقال لي : تحسُّ المطر ، فقلت : لا . فقال لي : فما هذا الذي ينقط على رجليّ ؟ فتأملته فإذا هو ماء العنب . فأخبرته ، فخجل واستحيا ومضى .

ويحكون عنه من الحذق وحسن الجواب عما يسأل عنه ، ومواضع المسائل من كتب العلماء ما يتعجّب منه . فسبحان الجامع بين الأضداد . وله حواش انتصر فيها للحريري على ابن الخشاب[1] ، وكان له تصفح ديوان الانشاء فيما يكتبونه ليزيل الغلط واللحن فيه كما كان ابن بابشاذ .

وقرأ عليه جماعة منهم أبو العباس ابن الحطيئة ، وكان ثقة ، والجزولي من تلامذته ، وأجاز لجميع من أدرك عصره من المسلمين .

ـ 642 ـ

عبد الله بن جعفر بن درستويه بن المرزبان أبو محمد الفارسي النحوي ، من أهل فسا : أحد من اشتهر اسمه ، وعلا قدره ، وكثر علمه . جيد التصنيف ، مليح التأليف ، قرأ على المبرد وصحبه ، ولقي ابن قتيبة ، وأخذ عنه . مات سنة سبع وأربعين وثلاثمائة في خلافة المطيع .

قال أبو محمد ابن درستويه النحوي ، قال البحتري ، وقد اجتمعنا على خلوة عند المبرد ، وسلكنا مسلكاً في المذاكرة : أشعرتَ أنني سبقتُ الناسَ إلى قولي[2] :

642 ـ هذه الترجمة من المختصر ، وانظر الفهرست : 68 وطبقات الزبيدي : 116 وتاريخ بغداد 9 : 428 ونزهة الألباء: 197 والمنتظم 6: 388 وإنباه الرواة 2: 113 وابن خلكان 3: 44 وسير الذهبي 15: 531 وعبر الذهبي 2: 276 وميزان الاعتدال 2: 400 والوافي 17: 103 والبداية والنهاية 11: 233 ولسان الميزان 3ـ 267 وبغية الوعاة 2: 36 وطبقات الداودي 1: 223 والشذرات 2: 375 وإشارة التعيين : 162 . ولعبد الله الجبوري دراسة عنه ، بغداد 1974 .

(1) اللباب في الرد على ابن الخشاب ، طبع في الآستانة 1320 ثم ملحقاً بمقامات الحريري ط. /1326 . ومن كتبه التي طبعت شرح شواهد الإيضاح لأبي علي الفارسي ، تحقيق د . عيد مصطفى درويش ، القاهرة 1985 .

(2) ديوان البحتري 1 : 623 والمختار من شعر بشار: 299 .

سقى الغيثُ أكنافَ الحمى من محلةٍ إلى الخيف[1] من رمْل اللوى والمعاهد
ولا زال مخضرٌّ من الأرض يانع عليه بمحمرٍّ من الأرض[2] جاسد
يذكّرنا ريّا الأحبةِ كلّما تنفّس في جنحٍ من الليل بارد
شقائقُ يحملنَ الندى وكأنها دموعُ التصابي في خدود الخرائد
ومن لؤلؤٍ في الأقحوان منظّمٍ على لمةٍ[3] مصفرّةٍ كالفرائد
كأن يدَ الفتح بن خاقان أقبلت إليها بتلك البارقات الرواعد

فاستحسن المبرّد ذلك استحساناً أسرف فيه [وقال] ما صيغت مثل هذه الألفاظ الرطبة ، والعبارة العذبة لأحد تقدمك أو تأخر عنك ، فاعترته أريحية جرَّ بها رداءَ العُجْب ، فكأنه أعجبني ما يُعجبُ الناسَ من مراجعة القول . فقلت : يا أبا عبادة ، لم تسبق إلى هذا ، بل سبقك إلي قولك : « شقائق يحملن الندى » سعيدُ بن حميد الكاتب في قوله[4] :

عَذُبَ الفراق لنا قبيل وداعنا وكم اجترعناه كسمٍّ ناقعِ
فكأنما أثر الدموع بخدها طلٌّ سقيطٌ فوق ورد ناصع

وشركك فيه صاحبنا أبو العباس الناشيء مما أنشدنيه آنفاً[5] :

بكت للفراق وقد راعني بكاءُ الحبيب لبُعد الديارِ
كأن الدموعَ على خدها بقيةُ طلٍّ على جلنّارِ

وما أساء ابنُ الرومي بل أحسن في زيادته عليك حيث يقول[6] :

لو كنتَ يومَ الفراقِ شاهدنا وهنَّ يطفئن لوعةَ الوجد

---

(1) الديوان : الحقف .
(2) الديوان : النور .
(3) الديوان : نكت .
(4) ورد بيتا سعيد في المختار من شعر بشار: 301 وزهر الآداب: 530 .
(5) شعر الناشيء في المختار: 300 وزهر الآداب .
(6) ديوان ابن الرومي 2 : 767 والمختار من شعر بشار: 299 وزهر الآداب: 530 .

لـم تَـرَ إلا دمـوعَ بـاكـيـةٍ تُـسْفَـحُ مـن مـقـلةٍ عـلى خـد
كـأن تلك الـدمـوعَ قـطر نـدىً يَـقـطـر من نـرجسٍ عـلى ورْد

وسبقك أبو تمام الطائي إلى الخروج فقال(1) :

من كـل زاهرة تَـرقْـرَقُ بـالنـدى فـكـأنهـا عـينٌ عـليـه تَحـدَّرُ
تبـدو ويحجبهـا الجمِيمُ كـأنهـا عـذراءُ تـبـدو تـارةً وتـخـفّـرُ
خلقٌ أطـل من الـربيـع كـأنـه خلقُ الإمـام وهـديـه المستبشـرُ
في الأرض من عدل الإمام وجوده ومن الـربيع الغضِّ سُـرْجٌ تزهـرُ

فشق ذلك عليه وحلَّ حبوته ونهض ، وكان آخر عهدي بمؤانسته ، وغَلُظَ ذلك على المبرد وكدح في حالي عنده(2) .

ـ 643 ـ

عبد الله بن الحسن بن محمد بن الحسن بن الحسين بن عيسى بن يحيى بن زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليه السلام ، أبو الغنائم النسـابة بن القاضي أبي محمد الـزيدي : تصانيفه تدل على التشيع والاعتزال ، وصنّف كتاباً في النسب يزيد على عشر مجلدات ، سماه « نزهة عيون المشتاقين إلى وصف السادة الغرِّ

643 ـ هذه الترجمة من المختصر ، وانظر مصورة ابن عساكر 9 : 137 وتهذيبه 7 : 365 والوافي 17 : 129 .

(1) ديوان أبي تمام 1 : 195 ، 196 .

(2) لم تعدّ هنا مؤلفات ابن درستويه ، وليس هذا مما يهمله ياقوت ؛ فمن أهم مؤلفاته (نقلاً عن القفطي 2 : 113 ـ 114) تفسير كتاب الجرمي . الإرشاد في النحو . الهجاء . شرح الفصيح . ردّ على المفضل في الردّ على الخليل . الهداية . المقصور والممدود . غريب الحديث . معاني الشعر . الحي والميت . التوسط بين الأخفش وثعلب في تفسير القرآن . شرح المفضليات . شرح المقتضب . تفسير السبع الطوال . كتب في الرد على العلماء . شرح قصيدة شبيل بن عزرة ، ومؤلفات أخرى كثيرة . وقد نشر له كتاب بعنوان « تصحيح الفصيح » تحقيق عبد الله الجبوري ، بغداد 1975 .

الميامين »[1] .

لقي جماعة من النسابين ، أخذ عنهم علم النسب ، وسافر [في] البلاد ، ولقي الأشراف والعلويين ، واستقصى أنسابهم[2] . قال الشريف أبو الغنائم : أردت المسير إلى دمشق ، فودَّعت الشريف أبا يعلى حمزة بن الحسن بن العباس القاضي المعروف بفخر الدولة ، وكان إذ ذاك بمصر ، وقلت وقت توديعي :

استودعُ اللّه مولايَ الشريفَ وما ... يحويه من نِعَمٍ يبقى ويبليها
كأنني وقت توديعي لحضرته ... وَدَّعْتُ من أجله الدنيا وما فيها

فلما سمع البيتين أقسم عليَّ أن أقيم فأقمت ، وأنعم عليّ .

ـ 644 ـ

عبد الله بن الحسين بن سعد القطربلي ، صاحب التاريخ : تقلد عمالة بلد إسكاف ، وكان من أهل العلم والأدب ، وقد حفظ وسمع ، وكان راوية لأشعار المحدثين ، وكانوا يقصدونه لبره لهم وصلاته ، فمما أنشدت من شعره :

جاريةٌ أذهلها اللعبُ ... عما يلاقي الهائمُ الصبُّ
شكوتُ ما ألقاه من حبّها ... فأقبلت تسألُ ما الحب

644 ـ هذه الترجمة من المختصر ؛ وانظر الفهرست : 138 وعدَّ له سوى كتاب التاريخ : كتاب فقر البلغاء . كتاب المنطق ، والوافي 17 : 138 (وأورد الصفدي ما جاء هنا تماماً ، وزاد له ثلاثة أبيات صنعها في عبدون بن مخلد النصراني لما جلس للمظالم بسرّ من رأى) .

(1) ينقل عنه ابن العديم في بغية الطلب ؛ وقد ذكر فيه أنه طوَّف ببلاد خراسان وفارس والعراق والشام ومصر والمغرب .

(2) إلى هنا ينتهي التطابق بين المختصر والوافي .

ـ 645 ـ

عبد الله بن الحسين بن عبد الله بن الحسين أبو البقاء العكبري البغدادي الأزجي الحنبلي النحوي اللغوي الفرضي ، محب الدين : شيخ زمانه ، وفرد أوانه ، منحة الدهر ، وحسنة العصر ، إمام في كل علم من النحو واللغة والفقه والفرائض والكلام ، يقرىء ذلك كله وهو ضرير ، أضرَّ وهو في صباه بالجدري ، إمام مسجد ابن حمدون ببغداد بالريحانيين ومتقدم الاقراء به ، ولد سنة ثمان وثلاثين وخمسمائة ومات في سنة ست عشرة وستمائة . أدرك ابن الخشاب وأخذ عنه ، وقرأ الأدب على عبد الرحيم بن العصار . وقرأ الفقه على الشيخ أبي حكيم إبراهيم بن دينار النهاوندي وسمع في صباه من أبي الفتح ابن البطي وأبي زرعة طاهر بن محمد بن طاهر المقدسي وأبي بكر عبد اللّٰه بن النقور وأبي العباس أحمد بن المبارك بن المرقعاني وغيرهم . وكان الشيخ أبو الفرج ابن الجوزي يفزع إليه فيما يشكل عليه من علم الأدب . واستنشدته من شعره فقال : وقتي أعزّ من أن أفكر في قول شعر . ولا أعرف لي شعراً إلا أربعة أبيات أُنسيتُ بيتاً منها ، فاستنشدته ذلك فأنشدني يمدح الوزير نصير الدين بن مهدي العلوي وزير الإمام الناصر لدين اللّٰه :

بك أضحى جيدُ الزمان محلًّى ... بعد أن كان من حُلاه مُخلَّى
لا يجاريك في نجاريك خلقٌ ... أنت أعلى قدراً وأعلى محلاّ
دُمْت تحيي ما قد أُميت من الفضـ ... ـل وتنفي فقراً وتطردُ مَحْلا

---

645 ـ عبد اللّٰه بن الحسين أبو البقاء العكبري : وردت ترجمته في المختصر ونقل ابن الفوطي (5 رقم: 675) ترجمته عن ياقوت (انظر الضائع : 80 (رقم: 15) ومن هذين المصدرين تألف ما أثبته هنا . وترجم له ابن الدبيثي في تاريخه (المختصر 2 : 140) والصفدي في الوافي 17 : 139 ونكت الهميان : 178 وانظر أيضاً إنباه الرواة 2 : 116 والتكملة للمنذري 4 : 378 وذيل الروضتين: 119 وابن خلكان 3 : 100 ومرآة الجنان 4 : 32 وسير الذهبي 22 : 91 وعبر الذهبي 5 : 61 والبداية والنهاية 13 : 85 وذيل ابن رجب 2 : 109 وبغية الوعاة 2 : 38 والشذرات 5 : 67 ومعجم البلدان 3 : 705 وإشارة التعيين: 163 والمستفاد من ذيل تاريخ بغداد: 141 ومقدمة المحقق لكتاب التبيين .

وكان الشيخ أبو البقاء رحمه اللّه ديناً ورعاً صالحاً حسن الخلق قليل الكلام فيما لا يجدي نفعاً[1] . وكان رحمه اللّه رقيق القلب سريع الدمع . رأيته مراراً ينشد من أشعار المتأدبين الرقيقة وأدمعه تتحدر على شيبته ، فما أذكر ذلك منه أبداً إلا ويخشع قلبي ، وأترحّمُ عليه . وكان قد تفرّد في عصره بالعلوم خصوصاً علم العربية والفرائض ، وكان الناس يقصدونه من أقصى الشرق والغرب لأجلها .

وكان إذا أراد أن يصنِف شيئاً أحضرت إليه مصنفات ذلك الفن وقرئت عليه ، فإذا حصل ما يريد في خاطره أملاه . فكان يقال : أبو البقاء تلميذ تلامذته .

وقال : جاء إلي جماعة من الشافعية وقالوا : انتقل إلى مذهبنا ونعطيك تدريس النحو واللغة بالنظامية ، فقلت : لو أقمتموني وصببتم الذهب عليّ حتى واريتموني ما رجعت عن مذهبي .

وله من التصانيف : تفسير القرآن . إعراب القرآن[2] . إعراب الشواذ من القراءات ، متشابه القرآن ، عدد آي القرآن ، إعراب الحديث[3] ، المرام في نهاية الأحكام في المذهب . الكلام على دليل التلازُم . تعليق في الخلاف . المُلَقّح من الخَطَل في الجَدَل . شرح الهداية لأبي الخَطّاب . الناهض في علم الفرائض ، البُلْغَة في الفرائض . التلخيص في الفرائض . الاستيعاب في أنواع الحساب. مقدّمة في الحساب . شرح الفَصيح . المشوف المُعْلم في ترتيب كتاب إصلاح المنطق على حروف المُعْجَم . شرح الحماسة . شرح المقامات الحريريّة . شرح الخُطَب النُباتيّة . المصباح في شرح الإيضاح و التكملة . المُتّبع في شرح اللّمَع . لُباب الكتاب . شرح أبيات كتاب سيبويه . إعراب الحماسة . الإفصاح عن معاني أبيات الإيضاح . تلخيص أبيات الشعر لأبي عليّ . المحصّل في إيضاح المفصّل . نزهة الطَرْف في إيضاح قانون الصَرْف . الترصيف في علم التصريف . اللّباب في عِلَل البناءِ والإعراب . الإشارة في

---

(1) وقال ابن النجار : كان ثقة صدوقاً فيما ينقله ويحكيه غزير الفضل كامل الأوصاف كثير المحفوظ ، وذكر لي أنه بالليل تقرأ له زوجته .

(2) طبع إعراب القرآن عدة طبعات ، منها طبعة بالقاهرة بعنوان : التبيان في إعراب القرآن .

(3) حققه عبد الإله نبهان وطبع في دمشق 1397 .

النحو ـ مختصر . مقدمة في النحو ، أجوبة المسائل الحلبيّات . التلخيص في النحو . التلقين في النحو . التهذيب في النحو . شرح شعر المُتَنَبِّي[1] . شرح بعض قصائد رُؤبَة . مسائل في الخلاف في النحو . تلخيص التنبيه لابن جنّي . العروض ـ مُعَلّل . العروض ـ مُخْتَصَر . مختصر أصول ابن السرّاج . مسائل نحو مُفْرَدة . مسألة في قول النبيّ ﷺ : « إنّما يرحم اللّه من عباده الرحماءَ » المنتخب من كتاب المحتَسَب . لغة الفقه[2] .

ـ 646 ـ

عبد الله بن حَمّود الزبيدي أبو محمد الأندلسي : من مشاهير أصحاب أبي علي إسماعيل بن القاسم البغدادي . رحل إلى الشرق ، ولم يعد إلى الأندلس . لازم ببغداد أبا سعيد السيرافي إلى أن توفي السيرافي فلازم أبا علي الفارسي ، واتبعه إلى فارس . وكان إذا سمع كلام الجاحظ تخدَّر وتسدَّرَ عجباً به . وكان يقول : قد رضيتُ في الجنة بكتب الجاحظ عوضاً من نعيمها . وكان من فرسان النحو والشعر واللغة[3] . وأنشد لبعض شعراء المغرب بيتاً ذكر فيه أشياء زعم أنه لا حقيقة لها ، وهو[4] :

الجودُ والغولُ والعنقاءُ ثالثة ... أسماءُ في الناسِ لم تُخْلَقْ ولم تكنِ ١

646 ـ هذه الترجمة من المختصر ، وانظر : التكملة : 439 وإنباه الرواة 2 : 118 والوافي 17 : 151 وبغية الوعاة 2 : 41 وإشارة التعيين : 165 والبلغة : 109 ويذكره أبو علي الفارسي في مؤلفاته مشيراً إليه بـ « الأندلسي » وكذلك يفعل أبو حيان ، وابن جني ؛ وكانت وفاة الأندلسي سنة اثنتين وسبعين وثلاثمائة .

(1) طبع في أربعة أجزاء بتحقيق مصطفى السقا ورفيقيه 1938 ، 1970 (القاهرة) ولكن مصطفى جواد ينفي أن يكون هذا الشرح للعكبري (مجلة المجمع العلمي بدمشق 22 : العددان الأول والثاني) .

(2) له أيضاً كتاب التبيين عن مذاهب النحويين البصريين والكوفيين ، تحقيق ودراسة د . عبد الرحمن بن سليمان العثيمين (دار الغرب الإسلامي ـ لبنان 1986) .

(3) إلى هنا ينتهي التطابق بين الصفدي والمختصر .

(4) أخلاق الوزيرين : 397 .

وأنشد[1] :

وأحورَ إن كلمته فهو شاعر ... بياناً، وإن لاحظتَهُ فهو ساحرُ
على خدّه للياسمين غلائلٌ ... عليها من الورد النضير ظهائرُ
حسامٌ بجفنيه ونطعٌ بخده ... وصبغُ دمِ العشاقِ في النطع ظاهرُ

ـ 647 ـ

عبد الله بن خُلَيْد أبو العميثل ، مولى جعفر بن سليمان : والعَمَيْثل من صفات الخيل ، وهو السبط الذيال المتبختر في مشيته . وكان يؤدب ولد عبد اللّه بن طاهر . وأصله من الري . مات سنة أربعين ومائتين . كان يفخّم كلامه ويعربه ويتقعر فيه ، ويجيد قول الشعر . فمن شعره ، وقد حجب في باب عبد اللّه بن طاهر[2] :

سأتركُ هذا البابَ مادام إذنه ... على ما أرى حتى يخفَّ قليلا
إذا لم أجد يوماً إلى الإذنِ سلّما ... وجدتُ إلى تركِ اللقاء سبيلا

وهو القائل[3] :

أمَّا والراقصاتِ بذات عرْقٍ ... ومن صلَّى بنعمان الأراكِ
لقد أضمرْتُ حُبَّكِ في فؤادي ... وما أضمرْتُ حباً من سواكِ
أطعْتِ الآمرين بقطع حبلي ... مُريهِمْ في أحبتهم بذاكِ
فإن هم طاوعوك فطاوعيهم ... وإنْ عاصَوْك فاعصي مَن عَصاكِ

647 ـ هذه الترجمة من المختصر ، وانظر البيان والتبيين 1 : 280 وكتاب بغداد لابن أبي طاهر طيفور : 164 وطبقات ابن المعتز: 287 وأمالي القالي 1 : 98 والفهرست: 48 والسمط 1 : 308 وابن خلكان 3 : 89 وإنباه الرواة 4 : 143 والوافي 17 : 160 .

(1) أخلاق الوزيرين: 400 ويؤخذ من السياق أن الأبيات للرمادي .
(2) طبقات ابن المعتز والوافي .
(3) الوافي : 161 .

دخل أبو العميثل[1] يوماً على عبد اللّه بن طاهر ، فقبّل يده ، فقال له ممازحاً : خدشْتَ كفّي بخشونة شاربك . فقال له أبو العميثل : إن شوك القنفذ لا يؤلم كف الأسد . فأعجبه قوله ، وأمر له بجائزة .

قال الصولي : ولأبي العميثل ديوان شعر في خمسمائة ورقة . ومصنفاته : كتاب البسالة ، كتاب الأبيات السائرة ، كتاب معاني الشعر ، كتاب ما اتفق لفظه واختلف معناه .

ـ 648 ـ

عبد الله بن ذكوان الفارسي ، قرشي فهري : وهو قارىء ، مات سنة اثنتين وأربعين وثلاثمائة ، وكان يصلي بالناس في الجامع الخمس ، وكان متبسطاً مرحاً ، ولم يكن في زمانه أقرأ منه .

ـ 649 ـ

عبد الله بن رستم : مستملي ابن السكيت .

ـ 650 ـ

عبد الله بن الزبير وهو ابن المعتز ، قيل ، واسم المعتز محمد بن جعفر بن المتوكل بن أبي إسحاق المعتصم بن هارون الرشيد بن محمد المهدي بن عبد اللّه

---

648 ـ هذه الترجمة من المختصر .

649 ـ هذه الترجمة من المختصر .

650 ـ هذه الترجمة من المختصر ، وانظر أشعار أولاد الخلفاء : 107 والأغاني 10 : 286 والفهرست : 129 وتاريخ بغداد 10 : 895 ونزهة الألباء : 160 والمنتظم 6 : 84 وابن خلكان 3 : 76 وعبر الذهبي 2 : 104 والوافي 17 : 447 (وأسهب في ترجمته) ومرآة الجنان 2 : 225 والبداية والنهاية 11 : 108 والفوات 2 : 239 والشذرات 2 : 221 .

(1) طبقات ابن المعتز والوافي : 161 .

المنصور بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف ، ويكنى أبا العباس . مات في ربيع الآخر سنة ست وتسعين ومائتين مقتولاً . زعموا أن مولده في شعبان سنة سبع وأربعين ومائتين.

كان غزير الأدب وافر الفضل ، نفيس النفس ، حسن الأخلاق ، وقد أخذ من كل فن من العلوم بنصيب . فأما شعره فهو الغاية في الأوصاف والتشبيهات ، يقر له بذلك كل ذي فضل ، وقد لقي طائفة من جلة العلماء كأبي العباس المبرد وثعلب ، وتأدب عليهما ، ولقي أبا علي الحسن بن عليل العنزي ، وروى عنه . وروى عنه شعره جماعة منهم أبو بكر الصولي . فمن أشعاره ما كتبه إلى أبي العنبس بن أبي عبد اللّه بن حمدون المغني :

حتَّامَ يا مَنْ أَهْوَى مودتَهُ	ينقطعُ الوصلُ حين يتصلُ
إذا التقينا فالهجرُ ناحيةً	يضحك منا والوصلُ محتفلُ

فأجابه :

لم ينأَ مَنْ لم تزل مَوَدَّتُهُ	ولا افترقنا والحبلُ متصلُ
وليس ودّي مما يغيِّرُهُ الد	هرُ بأحداثِهِ فينتقلُ

وكتب إلى أبي الطيب القاسم بن محمد النميري في يوم عيد ، وكان النميري من أهل الأدب والعقل ، مليح الشعر ، رقيق الطبع ، وكان له نعمة واسعة ، وكان ابن المعتز يأنس به :

بأبي هل حلا بعينيك شيء	هو أسلاكَ يا خليليَ بعدي
كلُّ شيءٍ مرٌّ إذا لم تزرني	وهو عذْبٌ إذا رأيتك عندي

فأجابه :

سيدي أنت لم تردني فماذا	حيلتي إذ شقيتُ منكَ بصدٍّ
يعلم اللّه ما أعالجُ من شو	قي ومن حسرتي وغمّي ببعدي

وكتب إليه أيضاً ابن المعتز :

يا أبا العباس قد شمـ	ـمّر شعبانُ إزارَهُ

ومضى يسعى فما يلـ ـحق إنسان غباره
فاغْدُ نشربْ صفوةَ الكأ س ونسلبه وقاره
وإذا ذكر العذ ل شربنا بادكاره

قال ابن المعتز وقد تواترت أمطار كثيرة :

روينا فما نزداد يا ربّ من حيا وأنت على ما في النفوس شهيدُ
سقوف بيوتي صرن أرضاً أدوسها وحيطان داري ركَّعٌ وسجود

حدث جعفر بن قدامة قال[1] : كنا يوماً عند عبد اللّه بن المعتز ، وكان له جارية اسمها مسرّة ، وكان يحبّها ويهيم بها ، فخرجت علينا من صدر البستان في زَمَنِ الربيع ، وعليها غلالةٌ مُعَصْفَرَةٌ ، وفي يدها حيّاني من باكورة باقلاء ، فقالت له : يا سيدي ، تلعب معي حياني ؟ فالتفت إلينا ، وقال على بديهته من غير توقفٍ ولا تفكّرٍ :

فديْتُ من مرّ يمشي في معصفرة عشيةً فسقاني ثم حياني
وقال تلعبُ حياني فقلتُ له من جاد بالوصل لم يلعب بهجران

عن المبرد قال[2] : كان لعبد اللّه غلام اسمه نشوان ، وكان يهواه ويحبه حباً مفرطاً ، وكان من أحسن الناس وجهاً وغناء ، فجدر ثم عوفي . قال المبرد : فدخلت على ابن المعتز ذات يوم ، فقال لي : قد عوفي نشوان ، وعاد إلى أحسن ما كان ، وقد قلت فيه بيتين :

لي قمر جَدَّر لما استوى فزاده حسناً وزالت همومْ
أظنه غنّى لشمس الضحى فنقّطتْهُ طرباً بالنجوم

قال المبرد[3] : وغضب نشوان هذا عليه ، فاجتهد في إصلاحه فأعياه فقال :

بأبي أنت قد تماديـ ـت في الهجر والغضبْ

(1) الأغاني 10 : 291 .
(2) الأغاني : 291 ـ 292 .
(3) الأغاني 10 : 292 والشعر في الديوان 3 : 254 .

واصطباري على صدو دك يوماً من العجبْ
ليس لي إن فقدت وجـ ـهك في العيش من أربْ
رحم اللَّه من أعا ن على الصلح واحتسبْ

قال المبرد : فمضيت إلى الغلام فلم أزل أداريه وأرفق به حتى ترضَّيْته ، وجئت به ، فجلس يغني وغنَّتْ ارياف جارية ابن المعتز في هذا الشعر ومرَّ لنا يومٌ ما رأيت أحسن منه ولا أطيب.

وكانت[1] بنت الكراعة المغنية تألَفُ ابن المعتز ، ثم انقطعت عنه ، فقال :

ليت شعري بمن تشاغلْتِ عني فهو لا شكَّ جاهلٌ مغرورُ
هكذا كنت مثله في سرور وغداً بالهموم مثلي يصير

وحدث أبو منصور الثعالبي قال : لما ورد أبو حفص السهروردي على الصاحب ابن عباد ، وقدمه إليه بعضُ كتابه فجاراه الصاحب في مسائل لم يحمد أثره فيها ، وكان في بصره سوء ، فقال الصاحب يداعبه :

وكاتب جاءنا بأعمى لم يحوِ علماً ولا نفاذا
فقلت للحاضرين كفوا فقلب هذا كعين هذا

ثم استنشده فأنشده أبياتاً :

دعوت على ثغره بالقلحْ وفي شعر طرته بالجَلَحْ
لعل غرامي به أن يقلّ فقد برَّحَتْ بيَ تِلك الملحْ

فقال الصاحب : نسجت على منوال جميل في قوله :

رمى اللَّه في عيني بثينة بالقذى وفي الغرّ من أنيابها بالقوادح

وما أحسنت بعض إحسان ابن المعتز في قوله[2] :

يا ربّ إن لم يكن في وصله طَمَعٌ وليس لي فرجٌ من جوْر هِجْرَتِهِ
فاشف السقام الذي في سحر مقلته واستر ملاحة خديهِ بلحيته

(1) الأغاني 10 : 294 .
(2) ديوان ابن المعتز 1 : 232 .

ولعبد اللّه بن المعتز في عبيد الله بن سليمان وزير المعتضد وولده القاسم أشعار كثيرة ، منها في الوزير[1] :

عليمٌ بأعقاب الأمور كأنه   بمختلسات الظنِّ يسمعُ أو يرى
إذا أخذ القرطاس ظلت يمينه   تُفتّح نوراً أو تنظّمُ جوهرا

وله[2] :

لآل سليمانَ بن وهب صنائعٌ   إليَّ ومعروفٌ لديَّ تقدّما
همُ علّموا الأيام كيف تبرّني   وهم غسلوا من ثوب والدتي الدما

ومن شعره :

إني غريبٌ بدارٍ لا أنيسَ بها   كغربة الشعرة السوداءِ في الشَّمَطِ
ما أُطلقُ العينَ في شيءٍ أُسرّ به   فلسْتُ أبدي الرضى إلا على سخطِ

وله :

أليس من الحرمان حظٌّ سلبته   وأحوجني منه البلاءُ إلى العذرِ
فصبراً فما هذا بأول حادث   رمتني به الأيامُ من حيث لا أدري

وحدث ابن المعتز ، قال : كانت جدتي أم المعتز باللّه لما تعرضتُ للشعر تعيبه عندي وتقبّحه إلي ، وأنشدتني[3] :

الكلبُ والشاعر في حالة   يا ليتَ أني لم أكنْ شاعرا
هل هو إلا باسط كفّه   يستمطرُ الوارِدَ والصادرا

أول ما صنف في صنعة الشعر عبد اللّه بن المعتز كتاباً صغيراً سماه كتاب البديع[4] . وذكر أن البديع اسم لفنون الشعر يذكرها الشعراء ونقاد المتأخرين منهم . فأما العلماء باللغة والشعر القديم الجاهلي والمخضرمي والعربي ، فلا يعرفون هذا

(1) ديوان ابن المعتز 1 : 438 .
(2) ديوانه 1 : 504 .
(3) محاضرات الراغب 1 : 37 .
(4) نشره كراتشكوفسكي (لندن 1935) وهذا الاقتباس الذي يشبه المقدمة لم يرد في الكتاب .

الاسم ، ولا يدرون ما هو ، قال : وما جمع فنون البديع غيري ، وما سبقني إليه أحد .

ومن شعره[1] :

والريح تجذب أطراف الرداء كما　　أفضى الشفيق إلى تنبيه وسنانِ

ومن منثور كلامه[2] : الحكمة شجرة تنبت في القلب ، وتثمر في اللسان . النصح بين الملأ تقريع . المتواضع من العلماء أكثرهم علماً ، كما أن المنخفض من الأرض أكثر البقاع ماءً . إذا زاد العقل نقص الكلام . الشفيع جناح الطالب . الدار الضيقة العمى الأصغر. المرض حبس البدن ، والهم حبس الروح . المعرفة بالفضيلة عليك فضيلة منك . من لم يتعرض للنوائب تعرضت له . النار لا ينقصها ما أخذ منها ، ولكن يخمدها أن لا تجد حطباً ، وكذلك العلم لا يفنيه الاقتباس منه ، ولكن فقد الحاملين سبب عدمه . المعروف غلٌّ لا يفكُّهُ إلا شكر أو مكافأة . ما عفا عن الذنب من قرّع به . ما أدري ماذا أَمَرُّ ، موت الغنيِّ أو حياةُ الفقير ؟ كلما حسنت نعمة الجاهل ازداد قبحاً فيها . العلماء غرباء لكثرة الجهال بينهم .

وكتب النميري إلى ابن المعتز في يوم خميس صامه :

أبا العباس يا خير الأنام　　تصوم وليس ذا وقت الصيامِ

فهل لك في نِدامِ أخٍ ظريف　　يساعد في الحلال وفي الحرام

قال ابن المعتز : وكتب إليّ بعض أهلي من النساء :

فهبني مسيئاً كالذي قلت ظالماً　　فعفْواً جميلاً كي يكون لكِ الفضْلُ

وهذا الشعر مقولها فأجبتها :

غفرْتُ ولو كانت ذنوبك كالحصى　　وعندي إذا جربتني خُلُقٌ سهْلُ

وفي القلب مني شافع من هواكُمُ　　وجيهٌ فلا قول يعاب ولا فِعْلُ

قرأت بخط أبي علي بن أبي إسحاق الصابي لابن المعتز[3] :

---

(1) الوافي 17 : 465 .

(2) أورد الصفدي في الوافي 449 ـ 452 مجموعة كبيرة من حكم ابن المعتز وأقواله المأثورة .

(3) انظر أشعار أولاد الخلفاء : 147 والوافي : 453 .

دعوا الأُسْدَ تفرس في غابها ... ولا تدخلوا بين أنيابها
قتلنا أمية في دارها ... وكنا أحقّ بأسلابها
ورثنا ثيابَ نبيّ الهدى ... فَلِمْ تجذبون بأهدابها
لكم حقكم يا بني بنته ... ولكنْ بنو العم أولى بها

ولابن المعتز في أبي تمام[1] :

لست تنفكُّ طالباً لوصالٍ ... من حبيب أو راغباً في نوالِ
أيّ ماءٍ لحرٍّ وجهك يبقى ... بين ذلِّ الهوى وذل السؤال

وله :

أيا أسفا على ما فات مما ... أشاهد من خلائقك الكرامِ
وما في القربِ منك من المعاني اللـ ... ـواتي قد فقدن من الأنام

ومن شعره :

كم تائهٍ بولايةٍ ... وبعزله يغدو البريدُ
سكر الولاية طيب ... وخماره صعب شديدُ

كان عبد اللّه بن المعتز يقول : لو لم تقل العرب إلا هذا البيت الواحد لكان لها الفضل على الناس :

أمسْتوحشٌ أنت لما أسأتُ ... فأحْسنْ متى شئتَ واسْتأنسِ

ولما قتل قال فيه ابن بسّام يرثيه[2] :

للّه درك من ميْتٍ بمضيَعَةٍ ... ناهيك في العلم والآداب والحَسَبِ
ما فيه لولا ولا ليتٌ فتنقصه ... وإنما أدركته حرفة الأدب

ومن شعره :

أشكو إلى اللّه أحداثاً من الزمن ... بريني مثل بري الدرج بالسَّفَنِ
لم تبق في العيش لي إلا مرارته ... إذا تذوقته والحلو منه فني
يا نفسُ صبراً وإلا فاهلكي جزعاً ... إن الزمانَ على ما تكرهين بني

---

(1) ينسبان إلى خالد الكاتب .

(2) الوافي : 449 .

لا تحسبي نعماً سرّتك صحبتها إلا مفاتيحَ أبوابٍ من الحزنِ
ما المرءُ إلا كعنزِ السوء يضربُه سوط الزمان ولا يمشي على سَنَنِ

قال بعض من كان يخدمه : إن عبد اللّه بن المعتز ، خرج يوماً يتنزه ومعه ندماؤه وقصد باب الحديد وبستان الناعورة ، وكان ذلك آخر أيامه ، فأخذ خزفةً وكتب بالجص[1] :

سقيا لظل زماني ودهريَ المحمودِ
وَلَّى كليلةِ وصلٍ قُدّامَ يومِ صدود

قال : وضرب الدهر ضَرَبانَهُ ، ثم عدت بعد قتل ابن المعتز ، فوجدت خطه خفيّاً ، وتحته مكتوب :

أف لظل زماني وعيشيَ المنكودِ
فارقت أهلي وإلفي وصاحبي وودودي
ومن هويتُ جفاني مطاوعاً لحسودِ
يا رب موتاً وإلا فراحةً من صدودِ

ومصنفاته : كتاب الزهر والرياض . كتاب البديع في صناعة الشعر . كتاب مكاتبات الإخوان بالشعر . كتاب الجوارح والصيد . كتاب الرقات . كتاب أشعار الملوك . كتاب الآداب. كتاب حلى الأخبار. كتاب التفات الشعراء المحدثين ، كتاب الجامع في الغناء . كتاب أرجوزة في ذم الصبوح .

ـ 651 ـ

عبد الله بن سعيد بن أبان بن سعيد بن العاص بن سعيد بن العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف أبو محمد : أحد الفضلاء العلماء ، وكان من علماء الكوفيين . له من المصنفات : كتاب النوادر . كتاب رحل البعير .

651 ـ هذه الترجمة من المختصر ؛ وانظر الفهرست: 54 .

(1) الوافي : 452 .

ـ 652 ـ

عبد الله بن سعيد بن مهدي الخوافي ، أبو منصور : أديب شاعر فاضل لغوي مصنف في فنون من الأدب ، فرضي حاسب من أتمِّ الناس مروءة وأكثرهم نفعاً. دخل بغداد واستوطنها وسكنها ، وحدث بها . وكان أكثر رواياته الكتب الأدبية .

قال الرئيس أبو منصور الخوافي : أنشدْتُ لأبي فراس ابن حمدان :

لا عيبَ للطِّرْفِ إن زلَّتْ قوائمُهُ وليس ينقصه من عائبٍ دنسُ
حملت حلماً وبأساً فوقه وندى وليس يحمل هذا كله فرسُ

فعملت في معنى ذلك ، وكتبت بها إلى العميد أبي الفتح المظفر بن محمد بن الحسين الكندري :

فَدَتْكَ عميدَ الحضرتين نفوسُنَا من السوءِ إذ لم تألُ فضلاً وإنعاما
أإن عثر الطرفُ المعثر لُمْتَهُ ظَلَمْتَ فهذا عُذْرُهُ منه قد قاما
ولم يستطع بحراً وبدراً وشاهداً وليثاً وإنساناً وغيثاً وصمصاما

ومن شعره :

بقاؤك لي يُمْنٌ وأمْنٌ ونعمةٌ وعزٌّ وتأييد وسعدٌ وإقبالُ
فماذا من الأيام أرجو وأتقي وجاهك لي مال ووجهُك لي فالُ

ومن مصنفاته : كتاب خلق الإنسان مرتبة على حروف المعجم . كتاب رجم العفريت ردَّ فيه على أبي العلاء المعري في كتبه في الفصول والغايات ولزوم ما لا يلزم وغير ذلك .

ـ 653 ـ

عبد الله بن السِّيد البطليوسي وقيل عبد الله بن محمد بن السِّيْد النحوي ،

652 ـ هذه الترجمة من المختصر وانظر أنساب السمعاني (الخوافي) ونزهة الألباء : 246 وإنباه الرواة 2 : 120 والوافي 17 : 196 (وأورد له أشعاراً لم ترد في المختصر) وبغية الوعاة 2 : 43 .

653 ـ هذه الترجمة من المختصر ، وانظر قلائد العقيان : 708 والصلة : 282 وبغية الملتمس (رقم : 892) والمغرب 1 : 385 ونفح الطيب 1 : 643 وأزهار الرياض 3 : 101 وإنباه الرواة 2 : 141 وابن خلكان =

وبطليوس مدينة في جزيرة الأندلس : إمام في علم العربية ، محقق في فنون الأدب ، متقدم على أهل عصره في بلاده . مات سنة إحدى وعشرين وخمسمائة . من شعره :

أخـو العلم حيّ خالـدٌ بعد موتـه وأوصـالـه تحت التـراب رميـمُ
وذو الجهل مَيْتٌ وهو ماش على الثرى يُظَنّ من الأحيـاء وهـو عـديـمُ

وكان بقرطبة[1] مقيماً في أيام ابن الحاج صاحب قرطبة ، وكان لابن الحاج بنون ثلاثة ، يُسمَّى أحدهم عزون ، والثاني رحمون ، والثالث حسنون . وكانوا صغاراً في حدّ الحلم ، وكانوا من أجمل الناس صورة ، وكانوا يقرأون القرآن على المقرىء ، ويختلفون إليه في الجامع . وكان أبو محمد البطليوسي قد أولع بهم ، ولم تمكنه صحبتهم إذ كان من غير صنفهم وشكلهم . وكان يجلس في الجامع تحت شجرة كانت في وسط الجامع ، بكتاب يقرأ فيه يتحيّن وقت دخولهم وخروجهم من الجامع ، ولم يكن له حظ منهم غير ذلك ، فقال فيهم :

أخفيت سُقْميَ حتى كاد يخفيني وهمْتُ في حبِّ عزونٍ فعزُّوني
ثم ارحموني برحمونٍ فإن ظمئت نفسي إلى ريق حسْنونٍ فحسوني

ثم خاف على نفسه بسبب أبيهم ، ففرّ من قرطبة ، وخرج من حينه إلى بلنسية ، فأقرأ بها ، وألف تواليفه إلى أن مات .

وحكي عنه أنه قال : كان سبب طلبتي للعلم أن والدي كان رجلاً من أهل القرى ، وكان له ثروة ، فسلّم إليّ مالاً لأدخل به إلى الحاضرة للتجارة ، فدخلت إلى [قرطبة] فاتفق أني اجتزت في السوق فوجدت حلقة تباع فيها الكتب ، فوقفت عليها ، واستحسنت الكتب ، وشريت منها بمقدار مائتي دينار للتجارة ، فلما خلوت بها جعلت أفتقدها وأقول : هذا جيد لا ينبغي أن يباع ، وهذا جيد إلى أن اخترت

= 3 : 96 وسير الذهبي 19 : 532 والوافي 17 : 598 (عبد الله بن محمد بن السيد) ومرآة الجنان 3 : 228 والبداية والنهاية 12 : 198 والديباج المذهب 1 : 441 وبغية الوعاة 2 : 55 والشذرات 4 : 64.

(1) وردت الحكاية في الإنباه والوافي وانظر أزهار الرياض 3 : 102 .

لنفسي أكثرها ، ثم جعلت أطالعها فلا أفهم معانيها ، فيضيق صدري . فسألت بعض الطلبة ، وقلت له : أي العلوم أنفق ؟ فقال : الناسُ في الأدب أرغبُ منهم في غيره . قلت له : وأيّ الكتب أشهر من كتب الأدب ؟ فقال : كتاب العين . فشرعْتُ فيه على شيخ هناك . فلم تمض لي شهور حتى حفظته ، ثم حفظتُ كتاباً في النحو . ولذَّ لي العلم ، فلم تمض إلا مدة قليلة حتى صرت ممن يشار إليه . فاشتقت إلى أهلي بعد أن أنفقت جميعَ ما كان معي ، فخرجت إليهم واجتمعت بوالدي ، فسألني عن الحال ، فأخبرته بقصتي ، فلم ينكره عليّ بل سرّه ، وقال : يا ولدي ، هذه نعمةٌ من اللّه في حقك حيث ألهمك بالعلم . وأمدني بشيء آخر من المال ، ورجعت إلى المدينة ، وطلبت المشايخ حتى بلغت إلى ما ترون .

وكان يقول : المتأدب أحوج إلى تأديب نفسه وخلقه منه إلى تأديب لسانه . وكذلك : إنك تجد في العامة الذين لم ينظروا في شيء من الأدب من هو حَسنُ اللقاء ، جميل المعاملة ، حلو الشمائل ، مكرم لجليسه ، وتجد في ذوي الأدب من أفنى دهره في القراءة والنظر ، وهو مع ذلك قبيحُ اللقاء سيء المعاملة ، جافي الشمائل ، غليظ الطبع . والأدبُ نوعان : أدبُ خبرة ، وأدبُ عشرةٍ ، قال الشاعر :

يا سائلي عن أدب الخبرهْ ... أحسنُ منه أدب العِشْرهْ
كم من فتىً تكثر آدابه ... أخلاقه من علمه صِفْرَهْ

ـ 654 ـ

عبد الله بن سليمان بن يخلف الصقلي أبو القاسم الكلبي أحد الأدباء المجيدين ، والشعراء المعدودين : وله تأليفات وكتب مصنفات في الرد على العلماء . فمن مختار شعره قوله :

نعيميَ أحلى بتلك الديار ... رواحي إلى لذة وابتكاري
فليتَ ليالي الصدودِ الطوالِ ... فداءُ ليالي الوصال القصارِ

654 ـ هذه الترجمة من المختصر، وانظر الوافي 17 : 202 والفوات 2 : 176 وأصل هذه الترجمة في المنتخل من الدرة الخطيرة لابن القطاع .

زمانَ أبيتُ طليقَ الرقاد وأغدو خلياً خليعَ العذارِ
ولمْ يكنِ الهجرُ مما أخافُ ولا العاذلُ الفظ ممن أُداري
أُسابق صبحي بصُبْحِ الدنان وأصرفُ ليلي بصرف الكبارِ
ألا ربَّ يومٍ لنا بالمروج بخيل الضياءِ جواد القطارِ
كأن الشقيقَ بها وجنة بآخرها لمعةٌ من عذارِ
كأن البنفسجَ في لونِهِ اختلاطُ الظلام بضوءِ النهارِ
وسوسنها مثل بيضِ القباب بأوساطها عُمَدٌ من نضارِ
ترى النرجس الغض فوق الغصون مِثْلَ المصابيح فوق المنارِ
ونارنجها كحقاق النضار تصفف أو كثديّ الجواري
أقمنا نسابقُ صَرْفَ الزمانِ بداراً إلى عيشنا المستعارِ
نجيبُ بِصَوْتِ القناني القيان إذا ما أجابت غناءَ القَماري
وتصبحُ عيداننا في اصطخاب يلذّ وأطيارنا في اشتجارِ
نشمّ الخدودَ شميمَ الرياض ونجني النهودَ اجتناءَ الثمارِ
ونسقى على النُّوْر مثل النجوم ومثل البدور اعتلت للمدارِ
عقاراً هي النار في نورها فلولا المزاجُ رَمَتْ بالشرارِ
إذا ما لقيتَ الليالي بها فأنت على صرفها بالخيارِ
نعمنا بها وكأن النجومَ دراهمُ من فضةٍ في نثارِ

وله من أخرى :

شربْتُ على الرياض النيِّرات وتغريد الحمام الساجعاتِ
معتقةً ألذَّ من التصابي وأشرفَ في النفوس من الحياةِ
تسير إلى الهموم بلا ارتفاعٍ كما سار الكميّ إلى الكماةِ
وتَجري في النفوس شفاءَ داءٍ مجاري الماء في أصل النباتِ
كأن حبابها شبكٌ مُقيمٌ لصيد الألسنِ المتطايراتِ
لنا من لونها شَفَقُ العشايا ومن أقداحها فَلَقُ الغُداةِ

عـلى روض يـدلّـهُ مـن رآه بـأصناف المنـاظر واللغـاتِ
ويبكيـه ابتسـامُ الصبـح فيـه ويضحكـهُ عبوسُ المُـدْجِنَاتِ
كـأن الأقحوان فصـوص تبـر تُـرَكَّبُ في اللجينِ مـوسـطاتِ
ونارنجاً على الأغصان يحكي كؤوسَ الخمـر في أيدي السُّقـاةِ
إذا مـا لـم تنـعّمنـي حيـاتـي فما فضلُ الحيـاةِ على المماتِ
شـربْتُ بسـدفـةٍ كـظلام جـدِّي وأحـداث الـزمـان المبهمـاتِ
إلى أن بـانَ فتق مثل لفـظي وأخـلاقي الحسـان المشـرقـاتِ

وله أيضاً :

أرحْـتُ النفس من همٍّ بـراحِ وهـانَ عـليّ إلحـاحُ اللواحـي
وصـاحبتُ المـدامَ وصـاحبتني على لـذّاتهـا وعلى سمـاحـي
فمـا يَبْقَى على طـربٍ مصـون ولا أُبْقـي عـلى مـالٍ مبـاحِ
ثـوت في دنّهـا ولهـا هـديـرٌ هـديـرَ الفحـلِ ما بين اللقـاحِ
وصـفّتْهـا السـنـون ورقّقتهـا كمـا رقَّ النسيمُ مـع الـرواحِ
إلى أنْ كشّفَتْ عـنهـا الـليـالي ونـالتهـا يـدُ القَـدَرِ المتـاحِ
فـأبْـرزهـا بـزالُ الـدنّ صـرفـاً كمـا انبعث النجيعُ من الجـراحِ

ـ 655 ـ

أبو عبد اللّه العروضي الصقلي : أحد العلماء الرواة الحفاظ الثقات العالمين بجميع التواريخ والأخبار ، وملح الآداب والأشعار . كان مسـامر الملوك والأمـراء ، ومنادم السادات والوزراء ، عالماً بالغناء ، أرْبى فيه على المتقدمين . وعلمه بالعروض والقوافي والأوزان كعلم الخليل، وله شعر منه من أبيات :

وسْنـان طـرف يبيتُ في دعـةٍ وليس طـرفي عنـه بـوسنـانِ
كـأنّ أجفـان عينـه حَلَفَـتْ أن لا تـذوقَ الـرقـادَ أجفـاني

655 ـ هذه الترجمة من المختصر .

[ومنه][1] :

لما نظرت إليَّ من حدق المها ... وبسمتِ عن مُتَفَتِّح النوّارِ
وحللت أطرافَ الخمار كأنه ... عن جنح ليلٍ فاحمٍ ونهارِ
وشددتِ بين قضيب بانٍ ناعمٍ ... وكثيب رمل عقدةَ الزنّارِ
عفّرْتُ وجهي في الثرى لك ساجداً ... وعزمت فيك على دخول النارِ

- 656 -

عبد الله بن عامر المقري: يحصبيٌّ منسوب إلى يحصب: بن دهمان بن عامر بن حمير بن سبأ بن يشجب ، ويقال يحصُب بضم الصاد وكسرها . واختلف في كنيته ، فقيل أبو نعيم . وهو أحد القراء السبعة . قيل إنه قرأ على عثمان بن عفان ، رضي اللّه عنه ، وقيل : إنه قرأ على أبي الدرداء . وقيل : على معاذ بن جبل . وقيل : إن قراءة أهل الشام موقوفة على ابن عامر اليحصبي . وقيل : قرأ على معاوية بن أبي سفيان ، وروى الحديث عن عثمان وأبي الدرداء وزيد بن ثابت ، وكان شيخاً كبيراً ، وكان إماماً عالماً حافظاً قيماً بالعلوم ، وشهرته تغني عن وصفه . روى القرآن[2] عن عبد اللّه بن ذكوان ، وهشام بن عمار السلمي ، والوليد بن عتبة الأشجعي وغيرهم . مات سنة ثماني عشرة ومائة وعمره تسع وتسعون سنة في أيام هشام بن عبد الملك ، وهو من الطبقة الثانية من التابعين . وكان على بناء مسجد دمشق وكان رئيس المسجد لا يرى فيه بدعة إلا غيرها . وقيل : إنه كان راوية لعثمان بن عفان ، رضي اللّه تعالى عنه .

656 ـ هذه الترجمة من المختصر ، وانظر تاريخ الاسلام للذهبي 4 : 266 وطبقات ابن سعد 7 : 449 وقضاة وكيع 3 : 203 والفهرست : 31 ـ 32 ومصورة ابن عساكر 9 : 469 ومختصر ابن منظور 12 : 291 وسير الذهبي 5 : 292 وعبر الذهبي 1 : 149 ومعرفة القراء الكبار 1 : 67 وميزان الاعتدال 2 : 449 والوافي 17 وطبقات ابن الجزري 1 : 423 والشذرات 1 : 156 .

(1) تنسب هذه الأبيات لديك الجن ، ديوانه : 165 .

(2) يعني القراءة .

ـ 657 ـ

عبد الله بن عبد الله الصفري ، يكنى أبا العباس : أديب فاضل أريب شاعر ناثر . لقي أعيان المشايخ وأخذ عنهم الأدب ، منهم ابن خالويه ، وأبو علي الفارسي [والزجاجي] وكان من شعراء سيف الدولة بن حمدان .

مرض أبو فراس ابن حمدان فلم يعده أبو العباس الصفري فكتب إليه أبو فراس يستبطئه عن عيادته(1) .

إني مرضتُ فلم يَعُدْني عائدٌ ممن قضيتُ حقوقَهُ فيما مضى
إن الحقوقَ وإن تطاولَ عهدها دَيْنٌ يَحُلّ وواجباتٌ تقتضى
لولا الجميلُ وحفظُ ما أسلفتمُ يا ظالميَّ لقلتُ لا بعد الرضى
يا تاركين عيادتي بتعمدٍ إن تمرضوا لا تعدموا مني القضا

فأجابه أبو العباس الصفري :

شكوى الأمير لما شكاه مُودِعٌ أحشاءَنا وقلوبَنا جمرَ الغضا
ما في السويّة أن نراه يشتكي ما العدلُ إلا أن تصحَّ ونمرضا
عُوِّضتَ من ألمٍ ألمَّ سلامةً إن السلامةَ خير شيء عُوّضا
فانهض بمجدٍ أنت محيي رَسْمِهِ فالمجدُ ليس بناهضٍ أو تنهضا

وحضر مجلس سيف الدولة ، وعنده القاضي أبو حفص قاضي حلب وجرى ذكر هذين البيتين المشهورين :

وليس صريرُ النعشِ ما تسمعانه ولكنه أصلابُ قومٍ تَقَصَّفُ
وليس نسيم المسك ريّا حَنُوطِهِ ولكنه ذاك الثناءُ المخلَّفُ

---

657 ـ هذه الترجمة من المختصر ، وانظر الوافي 17 : 297 (وهو متابع لما أورده ياقوت دون إخلال بشيء) .

(1) ليس لأبي فراس في ديوانه أبيات على الضاد .

فاستحسنها الجماعة ، وقال سيف الدولة هما لبعض المحدثين قد ذهب عني اسمه ، فقال أبو حفص : هما للخنساء . فقال سيف الدولة للصفري : أتعرف لمن هما ؟ قال : نعم ، هما لأبي عبد الرحمن العطوي ، قال : صدقت . وأمره بإجازتهما. فقال ارتجالاً ، وذكر فيها أباه أبا الهيجاء :

لقد ضمَّ منه قبرُهُ كلَّ سُؤْدَدٍ ... وكلَّ علاءٍ حدُّه ليس يوصَفُ
وأضحى الندى مذ غاب عنّا خيالُهُ ... وأركانه من شدة الوجدِ تَضْعُفُ
على أن صَرْفَ الدهرِ لا درَّ درُّهُ ... يسرُّ أناساً بالحِمام ويسعفُ
ألا يا أميراً عمَّ ذا الخلقَ جودُه ... وأضحى به شعري على الشعر يشرفُ
حسامُك يجري من دم القرن حدُّهُ ... ورمحك في يوم الكريهة يرعفُ
وأنت إذا عُدّ الكرامُ مُقدَّمٌ ... وغيرك إن عُدَّ الكرام مخلَّفُ

ـ 658 ـ

عبد الله بن عبد العزيز البكري أبو عبيد الأندلسي : كان أميراً بساحل كورة لبلة ، وصاحب جزيرة شلطيش ، بلد صغير من قرى اشبيلية على البحر . وكان مقدماً من مشيخة أولي البيوتات وأرباب النعم بالأندلس ، فغلبه ابن عباد صاحب اشبيلية على سلطانه ببلده المذكور ، فلاذ بقرطبة ، ثم صار إلى محمد بن معن صاحب المرية ، فاصطفاه لصحبته ، وآثر مجالسته والأُنْسَ به ، ووسَّعَ راتبه.

قال ابن خاقان : رأيته وأنا غلام في مجلس ابن منظور وله شيبة يروق العيون إيماضها ، ويفوق السوادَ بياضُها ، وقد بلغ سن ابن محلم[1] ، وهو يتكلم فيفوق كلَّ

658 ـ هذه الترجمة من المختصر ، وانظر الصلة 1 : 277 والذخيرة 2 : 232 وقلائد العقيان : 615 والحلة السيراء 2 : 180 والمغرب 1 : 347 والخريدة (قسم المغرب 3 : 475) وسير الذهبي 19 : 35 والوافي 17 : 290 . ومقدمة السمط والجغرافية والجغرافيون في الأندلس للدكتور حسين مؤنس .

(1) بهامش المختصر :
وقوله : سن ابن محلم ، يريد عوف بن محلم القائل :

إن الثمانين وبلغتها ... قد أحوجت سمعي إلى ترجمان

متكلم . فجرى ذكر ابن مقلة وخطّه ، وأفيض في رفعه وحطه ، فقال :

خطّ ابـن مقـلةَ من أرعـاه مـقلتـه   ودّت جـوارحُـهُ لـو أصبحت مُقَـلا

وكان ملوك الأندلس تتهادى مصنفاته تهادي المقل للكرى ، والآذان للقرى[1] .

ومن شعره :

أجدّ هـوىً لم يبـل دهـراً تجـددا   ووجـداً إذا ما أتْهَمَ الـوجْـدُ أنجـدا
وما زال هذا الدهرُ يلحنُ في الورى   فيـرفـعُ مجـروراً ويخفضُ مبتـدا
ومن لم يُحِطْ بـالنـاس علمـاً فـإنني   بـلوتـهـمُ شتَّـى مَسُـوداً وسيِّـدا

وكان ، رحمه اللّه ، معاقراً للراح لا يصحو من خُمارها ، ولا يمحو رسمَ داره[2] من مضمارها ، ولا يريح إلا على تعاطيها ، ولا يَستريحُ إلا إلى معاطيها ، وقد اتخذ إدمانها هجيراه ، فلما دخل رمضان طالبته نفسه بها ، وخاف واشياً يشي بـه ، فقال يخاطب نديمين له[3] :

خليلي إني قـد طربت إلى الكـاس   وتُقْتُ إلـى شمّ الـبنـفسـج والآس
فقـومـا بنـا نلهـو ونستمـع الغنـا   ونسـرق هذا اليـوم سِـرّاً من النـاس
فـإن فـطنـوا كنـا نصـارى تـرهّبـوا   وإن غفلوا عـدنـا إليهم من الـراس
وليس علينـا في التعـلّلِ سـاعـة   وإنْ وقعت في عقب شعبان من باس

بيت[4] :

متى تخـطىء الأيـامُ فيَّ بـأن أرى   بغيضـاً تنـائي أو حبيبـاً تـقـرّبُ

فصل من كلامه يهنىء الوزير أبا بكر ابن زيدون بالوزارة : أسعد اللّه بوزارة سيدنا الدنيا والدين ، وأجرى لهـا الطيـرَ الميامين ، ووصـل بها التـأييدَ والتمكين ، والحمدُ للّه على أمل قد بلغه ، وجَذَلٍ قد سُوِّغَه ، وضمانٍ حقّقَه ، ورجاء صدقه ، وله المنّة في ظلام كان أعزه اللّه صبحه ، ومُشْتبهم غدا شرحه ، وعطل نحر عاد حليه ،

---

(1) قلائد : للبشرى .   (2) قلائد : إدمانه .
(3) الذخيرة 2 : 238 .
(4) ورد البيت في رسالة له (القلائد : 617) وهو من إنشاده لا من نظمه .

وضلال دهرٍ صار هديه :

فقــد عمـر اللّه الــوزارة بــاسمــه ورَدّ إليهـا أهلهـا بعـد إقصــارِ

جمع كتاباً في أعلام نبوة نبيّنا ، عليه السلام ، أخذه الناس عنه إلى غير ذلك من تواليفه .

توفي في شوال سنة سبع وثمانين وأربعمائة .

ـ 659 ـ

عبد الله بن عبد الأعلى [النحوي] : هو أحد أصحاب أبي علي الفارسي . صحبه وخرج في صحبته إلى فارس وأصبهان . وكان عبد الأعلى أبوه من كبار أصحاب الحديث ببغداد . قال أبو الفضل الفسوي : حضرنا جنازة عبد الأعلى ببغداد ، وحضر جنازته الكبير والصغير ، وتقدم ابنه عبد اللّه ، فصلّى عليه ، وكبَّر عليه خمساً . فلما انصرف من الصلاة عليه ، قيل له : أظهرْتَ اليوم خلاف مذهبك . فقـال للناس : اعلموا أنني لو تركت ورأيي لم أزلْ أكبّر عليه تكبيرةً بعد أخرى ، وأخصّه بأدعية بعد أدعية من نيةٍ صادقة ، وطويّة صافية ، فقد وقذني فراقه ، ولذعني انطلاقه ، ثم بكى وأفرط ، وشهق شهقة ، وأنشأ يقول :

صحبتـك قبلَ الـروح إذ أنـا نـطفـةٌ مُصَـانٌ فـلا يبــدو لخلْقٍ مصـونُهـا

فمـاذا بقـاءُ الفــرعِ من بعـدِ أصله ستلقى الذي لاقى الأصولُ غصونُها

ـ 660 ـ

عبد الله بن عبد الرحمن الدينـوري ، أبو القـاسم : من رؤساء الأدبـاء ، ورؤوس الكتاب ، ووجوه العمال بخراسان ، قيل إنه من أولاد العباس بن عبد المطلب .

---

659 ـ هذه الترجمة من المختصر ، وانظر الوافي 17 : 237 (وهو لا يزيد على ما ورد هنا) وبغية الـوعاة 2 : 46 .

660 ـ هذه الترجمة من المختصر وانظر يتيمة الدهر 4 : 136 (ومنه يستمد ياقوت هـذه الترجمـة) والوافي 17 : 343 والفوات 2 : 178 .

له مصنفات وأشعار، منها في وصف الخمر:

كأنَّها في يدِ الساقي المديرِ لها   عُصارةُ الخدِّ[1] في ظَرْفٍ من الآلِ
لم تُبقِ منها الليالي في تصرفها   إلا كما أبقتِ الأيامُ من حالي

وله:

يا لعَصْرِ الخلاعَةِ المحمودِ[2]   ولظلِّ الشبيبةِ الممدودِ
وَلِلهَوْيِ ولذَّتي وسروري   ولسفكي دمَ ابنةِ العنقود
وارتشافي الرضابَ من بَرَدِ الثغْـ   ـرِ وشمي عليه وردَ الخدود
وغُدوِّي إلى مجالسِ علمٍ   ورواحي إلى كواعبَ غيد
في قميصٍ من السرورِ مُذالٍ   ورداءٍ من الشباب جديد
ولأيامِيَ القصارِ اللواتي   كنَّ بيضاً قد حلِّيتْ بالسعود
غيَّر الدهرُ حالها فاستحالت   مظلماتٍ من الليالي السود
وأتاني من المشيبِ نذيرٌ   غضَّ مني وفتَّ في مجلودي
وتدانَتْ له خطايَ برغمي   وتحانَى لها خضوعاً[3] عمودي
وتيقّنْت أنني من مسيري   إثرَ شرخ الشباب غير بعيد

وله:

شوقي إليكَ كشوقِ المُدْنَفِ الحَرِضِ   إلى الطبيب الذي يشفي من المرضِ
فإن يكنْ لك عني يا أخي عوضٌ   فلا وحقك ما لي عنك من عِوَضِ

وله من أبيات يسترجع بها كتاباً معاراً[4]:

أنا أشكو إليكَ فقْدَ نديمٍ   قد فقدتُ السرورَ منذ تولَّى
كان لي مؤنساً يسلِّي همومي   بأحاديثَ من مُنَى النفسِ أحلى
فتفضَّلْ به عليَّ فإني   لستُ إلا بمثله أتسلى

(1) اليتيمة: الخمر (وهو خطأ).
(2) اليتيمة: المورود.
(3) اليتيمة: خصوصاً.
(4) هي خمسة أبيات في اليتيمة.

وله(1) :

أشكــو إلى اللّه ضيق ذاتِ يـدي   قـد مـات صبـري وخـانني جَلَدي
وقـد جـفـاني الأنـامُ قـاطبـةً   حتى عـبيـدي وعقَّـني ولـدي

وله في ولده طاهر :

لـو كنت أعـلمُ أني والـدٌ ولـداً   يكـونُ لا كان في عينيَّ كـالـرَّمَدِ
فـلا أُسـرُّ على طـول الحيـاة بـه   جبيتُ نفسيَ كي أبقى بـلا ولـدِ
وقـد تمنيتُ لـو أن المنى نَفَعَتْ   ولا مـردَّ لحكم الـواحـد الصمـدِ
وقلتُ لـو أن قـولي كـان ينفعني   يـا ليت أنيَ لم أولـد ولـم أَلِـدِ

وله في النارنج :

أمـا تـرى شجـرَ النـارنـج طـالعـةً   نجـومُها في غصـونٍ لـدنـة مِيـلِ
كـأنـهـا بيـن أوراقٍ تحـفُّ بهـا   زهرُ المصابيح في خضر القناديلِ

وله :

بـأبـي أنـت وقـد طـبْـ   ـتَ لـنـا ضـمّـاً وشـمّـا
طـاب فُـوكَ الـعـذبُ والـعـيـنُ   وشـيءٌ لا يـسـمّـى

- 661 -

عبد اللّه بن عطية بن عبد اللّه بن حبيب ، أبو محمد المفسّر المقرىء المعدل . مات سنة ثلاث وثمانين وثلاثمائة .

قيل : إنه كان يحفظ خمسين ألف بيت من الشعر للاستشهاد على معاني القرآن

661 - هذه الترجمة من المختصر ، وانظر مختصر ابن منظور 13 : 141 والوافي 17 : 320 ومعرفة القراء الكبار 1 : 271 وطبقات ابن الجزري 1 : 433 وطبقات المفسرين : 15 وطبقات الداودي 1 : 239 والدارس 2 : 335 .

(1) هذه القطعة وما يليها من قطع في اليتيمة : 140 ، 141 .

وغيره . وكان ثقة ، وقرأ القرآن على أبي الحسن الأخرم .

حدث عبد اللّه بن عطية قال : حدثني أبو عبد اللّه محمد بن أحمد الزبيدي قال : سمعت أبي يقول ، سمعت أحمد بن العبدي يقول : سمعت قنان الذراع يقول : الطلاق الثلاث له لازم إن لم يكن سمع أبا عبيدة معمر بن المثنى يقول : الطلاق الثلاث لازم له ، إن كانت العرب قالت أحكم من هذه الأبيات :

كنْ للمكاره بالعزا متلقياً ... فلعل يوماً لا ترى ما تَكْرَهُ
ولربما استتر الفتى فتنافست ... فيه العيون ، وإنه لمموّهُ
ولربما خَزنَ البليغُ لسانَهُ ... حَذَرَ الجوابِ ، وإنه لمُفَوَّهُ
ولربما ابتسم الكريم مع الأذى ... وفؤاده من حرّه يتأوّهُ

وله :

احذر مودةَ ماذقٍ ... مزج الحلاوةَ بالمرارهْ
يحصي الذنوبَ عليك أيا ... م الصداقةِ للعداوهْ

وله من أبيات :

كنتُ الضنين بمن فجعتُ به ... فسلوتُ حين تقادمَ الأمرُ
ولخيرُ حظك في المصيبة أن ... يلقاك عند نزولها الصبرُ

ـ 662 ـ

عبد اللّه بن علي بن أحمد بن عبد اللّه المقرىء ، أبو محمد ابن بنت الشيخ أبي منصور الخياط ، إمام مسجد ابن جَرْدَةَ :

قرأ القرآن بروايات ، وتخرج عليه جماعة كبيرة . وله معرفة بالنحو واللغة

662 ـ هذه الترجمة من المختصر ، وانظر المنتظم 10 : 122 ونزهة الألباء : 282 ومرآة الزمان 8 : 193 وإنباه الرواة 2 : 122 وعبر الذهبي 4 : 113 ومعرفة القراء الكبار 2 : 403 وسير الذهبي 20 : 130 وذيل ابن رجب 1 : 209 والبداية والنهاية 12 : 222 والوافي 17 : 331 (وصرح الصفدي بأنه ينقل عن ياقوت) وطبقات ابن الجزري 1 : 434 .

يقرئهما الناس . مات سنة إحدى وأربعين وخمسمائة في أيام المقتفي .

كان متواضعاً ، حسن القراءة والتلاوة في المحراب ، خصوصاً في ليالي رمضان . وكان يحضر عنده الناسُ لاستماع قراءته ، وتخرج عليه جماعات كثيرة ختموا كتاب الله . قرأ القرآن على جماعة منهم الشريف عبد القاهر بن عبد السلام العباسي المكي ، وأبو الحسن ابن الفاعوس . وروى الحديث عن أبي الحسن ابن النقور واللالكائي . وكان يتعاطى قول الشعر . وصنف تصانيف في القرآن وعلومه وأغرب فيها وخولف في بعضها ، وشنعوا عليه ، ورجع عن ذلك . ومن مصنفاته : المبهج والكفاية والاختيار والإيجار[1] .

فمما أنشده السمعاني من شعره :

وَمَنْ لم تؤَدِّبْهُ الليالي وَصَرْفُهَا   فما ذاك إلا غائبُ العقل والحسِّ
يظن بأن الأمر جارٍ بحكمه   وليس له علم أيصبح أم يُمْسي

ومنه :

تقول أميمةُ لما رأت   بياضاً أُبَهْرِجُهُ بالخِضابِ
وقد صار شيبيَ بعد البياض محلولكَ اللون مثل الغراب
فهبْك رددْتَ سواد العذارِ   فكيف تردُّ زمانَ الشباب

ومنه :

أرى ظاهرَ الودِّ الذي كان بيننا   تقضَّى وقد كانت به النفسُ تُخْدَعُ
وغرّك ما غرَّ السراب لذي الظما   فلما أتاه خانَهُ وهو يطمعُ

وهو شيخ شيخنا تاج الدين أبي اليُمْن زيد بن الحسن الكندي ومُخَرِّجُه .

قال الشيخ أبو الفرج ابن الجوزي ، كان أبو محمد يقول : لو قلت إنه ليس بالعراق مقرىء إلا وقد قرأ عليّ أو على جدي ، أو قرأ على من قرأ علي لظننت أنني صادق .

وأمّ بمسجد ابن جردة خمساً وخمسين سنة لم يسمع قط أطيب من صوته ، ولا

---

(1) قال في المختصر في آخر الترجمة : وله مصنفات لم أذكرها إذ قد ردّ عليه فيها .

أحسن على كبر سنّه . وكان لطيفَ الأخلاق ، ظاهرَ الكَيْسِ والظرافة ، حسن المعاشرة للعوام والخواص .

وقال الشيخ أبو الفرج : وقد رأيت جماعة من الأعيان ماتوا ، فما رأيت أكثر جمعاً من جنازته ، وغلّقت الأسواق لأجله ، ودفن عند جده أبي منصور الخياط بدكة الإمام أحمد بن حنبل ، رضي اللّه عنه .

ومن شعره :

أيها الزائرون بعد وفاتي جدثاً ضمَّني ولحداً عميقا
سترون الذي رأيت من المو ت عياناً وتسلكون الطريقا

وله أيضاً :

أأنصحكم على أوفى يقيني وسوء الظن منكم يعتريني
إذا ما جئتكم لأداء نصحٍ أتاني الغشّ منكم في الكمينِ
سأَصْبِرُ ما حييت على أذاكم وأحفظ ودكم في كل حينِ

ـ 663 ـ

عبد اللّه بن عيّاش المنتوف الهمداني الكوفي كنيته أبو الجراح : حدث عن الشعبي وغيره ، وروى عنه الهيثمُ بن عديّ فأوعب ، وكان أحد أصحاب الأخبار ورواة الأنسابِ والأشعار مع دراية وفهم . وكان كيِّساً مطبوعاً صاحب نوادر . وكان ينتف لحيته ، وكان أبرص . مات سنة ثمان وخمسين ومائة في السنة التي مات فيها أمير المؤمنين المنصور باللّه .

كتب معن بن زائدة إلى المنتوف من اليمن : قد بعثتُ إليك بخمسمائة دينار ، ومن ثيابِ اليمن بخمسين ثوباً أشتري بها دينك . فكتب إليه عبد اللّه : قد بعتُكَ ديني كلَّه ما خلا التوحيد لعلمي بقلّة رغبتك فيه ؛ قال ابن عياش : فحدثت بها المنصور ،

663 ـ هذه الترجمة من المختصر وانظر نور القبس : 264 وتاريخ الاسلام للذهبي 6 : 214 وعبر الذهبي 1 : 229 وميزان الاعتدال 2 : 470 والوافي 17 : 393 ولسان الميزان 3 : 322 والشذرات 1 : 243 .

فما زالَ يضحك منها ويعجب لها .

قال ثعلب : كان ابن عيّاش المنتوف عالماً بالمثالب والأنساب شاعراً هجاء ، وكان يُتقَى لسانه ، وكان ينتف لحيته كلما طالت . فقال المنصور له يوماً : انظر إلى لحية عبد اللّه بن الربيع ، ما أحسنها ! فحلف ابن عياش أنه أحسن منه . فقال ابن الربيع : ما أجراك على اللّه ، أيها الشيخ . فقال : يا أمير المؤمنين : احلق لحيته ، وأقمني إلى جنبه حتى ترى .

وقيل : إنه كان يطعن في الربيع الحاجب في نسبه طعناً قبيحاً ، ويقول له : فيك شبه من المسيح ، يخدعُهُ بذلك . فكان يكرمه لذلك ، حتى أخبر المنصور بما قاله . فقال له المنصور : إنه يريد أنه لا أب لك . فتنكّر له بعد ذلك .

وحدث ابن عياش أن رجلاً أخذ من لحية عمر بن الخطاب ، رضي اللّه عنه شيئاً . فقال له : لِيَكُنْ لسانُكَ أطولَ من يديك .

قال رجل لابن عياش : لي إليك حاجة صغيرة ؟ قال : اطلب لها صغيراً مثلها .

وحدث ابن شبرمة قال[1]: بكرت على أبي جعفر المنصور ذات يوم، وقد خرج عليه إبراهيمُ بن عبد اللّه بن حسن بن حسن فدخلْتُ عليه في آخر الليل ، فإذا ابنُ عياش المنتوف واقف ، وهيلانة جاريته ، فقال لها : يا لخناء ، ما وراءك ؟ قالت : يا أمير المؤمنين : إن هاتين العروستين اللتين جاء بهما إسحاق الأزرق من الكوفة : الطلحية والتميمية ، قد ساءت ظنونهما ، وخبثت أنفسهما إذ لم يَدْعُهُمَا أميرُ المؤمنين فيبسطَ من آمالهما ، وينظرَ في حوائجهما ، فقال : أخسئي يا لخناء ، لا واللّه ، لا أطعم الطعام الطيب ، ولا أشربُ الشرابَ البارد حتى أعلمَ رأسي في يد إبراهيم ، أو رأس إبراهيم في يدي . ثم التفتَ فلحظ ابن عياش يبتسم ، فقال : ما هذا التبسّم ، ويلك يا ابن عياش ؟ فقال : يا أمير المؤمنين : ذكرتُ بيتَ الأخطل في عبد الملك بن مروان . قال : وما هو ؟ قال : قوله[2] :

---

(1) انظر المقفى 4 : 200 ، 203 .

(2) ديوان الأخطل : 120 .

قـومٌ إذا حاربـوا شـدّوا مـآزرهـم دونَ النسـاءِ ولـو بـاتت بـأطهـار

قال : يا مسيّب ، إذا خرج ابن عياش فادفع إليه درهمين .

وحدث ابن طاهر عن أبيه عن سلمان البرمكي قال : كان المنصور قد أخذ عهد عبد اللّه بن عياش بإعفاءِ لحيته ، فلما كان اليوم الذي مات فيه المنصور جعل يصرخُ عليه ، وينتفُ لحيته ، ويقول : وا أمير المؤمنيناه ، حتى أتى عليها فهلبها .

قـال المرزبـاني : لم يرو شيء من الشعـر لابن عياش ، بلى قـوله في أخي أبي عمرو بن العلاء :

صحبتُ أبـا سفيـان ستين حجـةً خليلَيْ صفـاءٍ وُدُّنـا غيـرُ كـاذبِ

فـأمْسَيْتُ لما حـالتِ الأرض بيننـا على قـربه مني كمن لم أصـاحبِ

وقيل : إن هذا الشعر لسلمة بن عياش القرشي البصري .

وحدث ابن عياش قال ، قال لنا المنصور : أخبروني عن خليفة جبّار أول اسمه عين قتل ثلاثة جبابرة أول أسمائهم عين . قال ، فقلت له : عبد الملك بن مروان قتل عمـرو بن سعيد بن العـاص ، وعبد اللّه بن الـزبيـر ، وعبـد الـرحمن بن محمـد بن الأشعث . قال : فخليفة أول أسمه عين فعل ذلك بثلاثة جبابرة أول أسمائهم عين ، فقلت : أنت يـا أميـر المؤمنين ، عبـد اللّه بن محمـد قتلت أبـا مسلم ، واسمـه عبد الرحمن وقتلت عبـد الجبار بن عبـد الرحمن . قـال : وأدركني ذهني ، قلت : وسقط البيت على عمك عبد اللّه بن علي فقتله . فضحك ، وقال : ويلك ، وما ذنبي إذا سقط البيت عليه فقتله(2) ؟ فسكت وكأني آنست منه ليناً فقلت : أي واللّه ، وهذا الآخر حائطه مائلٌ عليه أريد عمده بشيء وإلاّ خفتُ أن يسقط عليه البيت فيقتله أعني عيسى بن موسى عمّه(3) . فلما قلت : وحائطه مائل ، تبسّم حتى كاد يغلبه الضحك ، واستتر مني بكمّه ، وتغافل كأنه لم يفهم ما قلت .

---

(1) في الهامش بخط كخط المتن : وكان عبد اللّه بن علي دعا إلى نفسه بالشام فوجه إليه الجنود ، واختفى ولحق بإخوته بالبصرة ، سليمان وغيره ، فراسلوا المنصور في معناه حتى أعطاه أماناً متى وقع نظره عليه ، فلما وصل إلى بغداد لم يدخل عليه وبنى له بيتاً وجعل في أساسه الملح ، فلما دخل إليه بعد أيام وتحلل الملح فسقط البيت عليه فمات .

(2) في الهامش بخط كخط المتن : وكان عيسى عنده محبوساً في ذلك اليوم في بيت قد اعتقله يريغه على =

ـ 664 ـ

عبد الله بن القاسم بن علي بن محمد بن عثمان ابن صاحب المقامات المعروف بالحريري :

يكنى أبا القاسم ، من أهل البصرة . سكن بغداد بباب المراتب . له حظ وافر من الأدب واللغة ، مليح الخط ، قليل الخطأ . مولده سنة تسعين وأربعمائة . مات [. . .][1] قال عبد الله بن القاسم : أنشدني والدي لنفسه :

لا تـخـطونَّ إلـى خطء ولا خـطأ   من بعد ما الشيب في فوديْك قد وخَطَا
فـأي عـذْرٍ لمن شـابـت ذوائبُـهُ   إذا جـرى في ميـادين الصِّبـا وخـطا

ـ 665 ـ

عبد الله بن كثير القـارىء بن عمرو بن عبـد الله بن زاذان بن فيروزان بن هرمز : أحد القراء السبعة المشهورين . واختلفوا في كنيته ، وأشهرها أبو معبد . مات بمكة سنة عشرين ومائة في أيام هشام بن عبد الملك . وكان واعظاً يعظ الناس . وهو مولى عمرو بن علقمة الكناني ، ويقال لابن كثير « الداري » ، لأنه كان عطاراً ، وقيل هو منسوب إلى بطن من لخم ، منهم تميم الداري . والأول أصح .

واختلف العلماء في قراءة عبد الله بن كثير ، فزعمت طائفه أنها موقوفة عليه لم يجاوزها إلى أحد ، وقيل موقوفة على مجاهد بن جبر لم يجاوز بها أحداً فوقه ، وقيل موقوفة على ابن عباس لم تتجاوزه ، وقيل موقوفة على أبيّ بن كعب . وقيل : قرأ على

---

664 ـ هذه الترجمة من المختصر وانظر : إنباه الرواة 2 : 126 والوافي 17 : 406 .

665 ـ هذه الترجمة من المختصر وانظر تاريخ الإسلام للذهبي 4 : 268 وسير الذهبي 5 : 318 وعبر الذهبي 1 : 152 ومعرفة القراء الكبار 1 : 871 والفهرست : 31 وابن خلكان 3 : 41 والوافي 17 : 409 وتهذيب التهذيب 5 : 367 .

خلع نفسه من العهد ليجعل الخلافة بعده للمهدي ، فامتنع عيسى فاعتقله في بيت من القصر ولا علم لي بذلك .

(1) ترك الصفدي موضع تاريخ وفاته بياضاً ، ولم يذكره القفطي .

درباس عن ابن عباس ، وأهل مكة تقول درباس خفيفة ، وأهل الحديث يقولـون : درّباس ، مشددة . وقيل : قرأ على درباس عن مجاهد عن ابن عباس عن أُبيّ عن النبي ، ﷺ . وقرأ أبو عمرو ابن العلاء وعيسى بن عمر والخليل بن أحمد وحماد بن سلمة وحماد بن زيد البصري على ابن كثير . وكان إمام أهل مكة وقارئهم ، وكان يبيع العطرَ قديماً ، وأهل مكـة يسمون العـطار الداريّ . وقيـل : سمي دارياً نسبـة إلى دارين . وقيل : سمّي دارياً من الدراية ، لأنه كان عالماً . وقيل : سمّي دارياً لمقامه في داره بجدّة وطاعة ربه(1) .

وقيل : إنه تصدق بماله مراراً .

وكان يؤم بالصلوات الخمس بالمسجد الحرام . وكان إذا أراد أن يقرىء أصحابه جمعهم ووعظهم ، ثم أخذ عليهم بعد ذلك . وكان يقول : إنما أفعلُ ذلك حتى يقدموا على قراءة كتاب اللّه بقلوبٍ خاشعة ، وأنفسٍ خاضعة ، وأعين دامعة .

وقد نظم بعض الشعراء أسماء القراء السبعة :

يـحلّي كتابَ اللّه في الأرض سبعةٌ　　　مصـابيـحُ أنـوارٌ كـرامٌ سَمَـادِعُ
عليّ وعبـد اللّه منـهم وعـاصـمٌ　　　وحـمـزة وابن لـلعـلاء ونـافـعُ

وقد جمعهم أيضاً محمد بن الحسين البرياني ، فقال :

ألا إن قـرّاءَ الأئـمـة سـبـعـةٌ　　　بهم يهتـدي في الذكـر كـلُّ كبيـرِ
عليٌّ أبـو عمرو وحمـزةُ عـاصمٌ　　　ونـافـع عـبـد اللّه وابـن كثيـرِ

أنشد عنه ما كان يقوله في ذم نفسه حين سأله أهل مكة أن يقرئهم القرآن :

بُـنَـيّ كـثـيـرٍ كـثيـرُ الـذنـوبِ　　　ففي الحـلِّ والبـلّ مَنْ كَـان سَبَّـهْ
بـنـيّ كـثـيـر دهـتـه اثـنـتـانِ　　　ريـاءٌ وعـجب يـخـالـطن قَلْبَـهْ
بـنـيّ كـثـيـر أكـولٌ نـؤومٌ　　　وليس كـذلـك مَنْ خـاف ربَّـهْ
بـنـيّ كـثـيـرٍ تـعـلّم عـلمـاً　　　لقـد أعوز الصـوفَ من جـزَّ كلبـهْ

(1) عن الأصمعي أن الداري الذي لا يبرح داره ولا يطلب معاشاً (الصفدي) .

ـ 666 ـ

عبد اللّه بن أبي مالك القيسي الصقلي ، أبو المصيب : أحد رجال اللغة والعربية المطابيع في أجناس القريض ، العالمين بالأوزان والأعاريض ، فمنه قوله :

غلِط الذي سمّى الحجارة جوهراً إن الكريمَ أحقُّ باسم الجوهرِ
إن الجواهر قد علمْتَ صوامتٌ والمرءُ جوهره جميلُ المحضر

ـ 667 ـ

عبد الله بن محمد بن هارون التوّزي: ويقال التوجي ، أبو محمد ، مولى قريش . وإنما قيل له التوزي لنزوله في أصحاب التوزي بالبصرة . مات سنة ثمان وثلاثين ومائتين .

أخذ عن أبي عبيدة والأصمعي وأبي زيد . وهو من أكابر أهل اللغة . قرأ على أبي عمر الجرمي كتاب سيبويه ، وكان في طبقته في غير ذلك من العلوم . قال المبرد : كان التوزي أعلم من الرياشي والمازني .

حدث محمد بن يزيد المبرد ، قال[1] : قرأت على عمارة بن عقيل بن بلال بن جرير بن الخطفى ، وأبو محمد التوّزي حاضر ، كلمةَ جرير التي أولها :

طرب الحمامُ بذي الأراكِ فشاقني لا زلتَ في فَنَنٍ وأيْكٍ ناضرِ

---

666 ـ هذه الترجمة من المختصر ، وانظر معرفة القراء الكبار 1 : 188 وعبر الذهبي 2 : 134 والوافي 17 : 417 وطبقات ابن الجزري 1 : 445 والشذرات 2 : 251 (وهذه الترجمة تطابق تماماً ما أورده الصفدي) .

667 ـ هذه الترجمة من المختصر وانظر أخبار النحويين البصريين (صفحات متفرقة) ومراتب النحويين: 69 ، 122 ونور القبس : 215 والفهرست: 63 وطبقات الزبيدي: 99 ونزهة الألباء: 119 وإنباه الرواة 2 : 126 والوافي 17 : 521 وبغية الوعاة 2 : 61 .

(1) نقلاً عن الفهرست .

حتى صرتُ إلى قوله :

أمـا الفؤاد فـلا يـزال مـوكّـلاً   بهـوى حمـامـة أو بـريّـا العـاقـر

قال عمارة للتوّزي : ما يقول صاحبكم ، يعني أبا عبيدة ، في حمامة والعاقر ؟ قال التوزي : يقول : إنهما امرأتان . فضحك عمارة ، ثم قال : هما والله رملتان عن يمين بيتي وشماله . فقال لي التوزي : اكتب ما قال ، قال : فتوقفت إجـلالاً لأبي عبيدة ، فقال : اكتب ، فإن أبا عبيدة لو حضـر لأخذ هـذا الضرب عنـه [هذا بيت الرجل][1] .

قال خالد النجاد يهجو التوجي :

يـا من يـزيـد تمقّتـاً   وتباغضاً في كلٍّ لحظهْ
واللّه لـو كنتَ الخـليـ   ـل لما كتبنا عنكَ لَفْظَهْ

وحكى المبرد قال : سألتُ التوجي عن معنى قول العامة : تغافـل واسطيـة ، وتغافل كـأنك واسـطيّ ، فقال : أصـل ذلك أن الحجـاج كتب إلى عبد الملك بن مروان: إني قد بنيت لك مدينـة في كرش، وكـان يصابح الـواحد إذا دخـل البصرة بالرشا ، فيتغافل ولا يلتفت.

وأنشد لفضل الرقاشي[2] :

---

(1) زيادة من الفهرست . وعدَّ له من الكتب : كتاب الخيل . كتاب الأمثال . كتاب الأضداد . كتاب فعلت وأفعلت . كتاب النوادر .

(2) إلى هنا ينتهي ما جاء في الجزء الأول من المختصر، وما يزال ما بعده مفقوداً .

ـ 668 ـ

عبد الله بن محمد ، أبو العبّاس الناشيء الشاعر المتكلّم المعروف بابن شِرْشير : أصْلُهُ من الأنبار وسكن مصر وبغداد ، وهو معدودٌ في طبقة البحتري وابن الرومي ، وله قصيدةٌ نحو من أربعة آلاف بَيْتٍ فيها فنونٌ من العلم وهي على رويٍّ واحدٍ وقافيةٍ واحدةٍ . (قال ياقوت في «معجم الأدباء») : وقد قرأت بعض كتبه فدلّتني على هَوَسه واخْتلاطه لأنّه أخذ نفسه بالخلاف على أهل المنطق والشعر والعروضيّين وغيرهم ، ورام أن يُحْدِثَ لنفسه أقوالاً يَنْقُض بها ما هم عليه ، فسقط في بغداد فلَجأ إلى مصر وأقام بها بقيّة عُمُره إلى أن مات سنةَ ثلاثٍ وتسعين ومائتين . قيل إنّ سببَ مَوْته كان عَجَباً ، وهو أنّه كان في جماعةٍ على شرابٍ فجرى ذكر القرآن وعَجيبُ نظمه فقال ابن شرْشير : كم تقولون ؟! لو شئتُ . . . وتكلّم بكلامٍ عظيمٍ فأنكروا عليه ذلك فقال : إيتوني بقرطاسٍ ومحْبرةٍ فأُحْضرَ له ذلك فقام ودخل بيتاً فانتظروه ، فلمّا طال انتظاره قاموا ودخلوا إليه فإذا القرطاس مبسوطاً وإذا الناشيء فوقه ممتدّاً فحرّكوه فإذا هو ميّت .

وكان السبب في تلقّبه بالناشيء أنّه دخل مَجْلساً فيه أهْلُ الجدل فتكلّم فأحسن على مذهب المُعْتَزلة فجوّد وقطع مَنْ ناظره فقام شيخٌ منهم فقبّل رأسَه وقال : لا أعْدَمَنَا الله مثل هذا الناشيء أنْ يكون فينا فَيَنْشأ في كلّ وقتٍ لنا مثْلُه ، فاستحسن أبو العباس هذا الاسم وتلقّب به .

ومن شعره :

بَكَتْ للفراقِ وقد راعني ... بكاءُ الحبيبِ لبُعْدِ الديارِ
كأنّ الدموعَ على خدّها ... بقيّةُ طَلٍّ على جُلّنارِ

---

668 ـ صرح الصفدي (الوافي 17 : 522) أنه ينقل في ترجمة الناشيء الأكبر عن ياقوت ، وانظر مراتب النحويين : 85 والفهرست : 217 وتاريخ بغداد 10 : 92 والمنتظم 6 : 57 وإنباه الرواة 2 : 128 وابن خلكان 3 : 91 وعبر الذهبي 2 : 95 وسير الذهبي 14 : 40 والبداية والنهاية 11 : 101 وطبقات المعتزلة : 92 ولسان الميزان 3 : 334 والنجوم الزاهرة 3 : 158 وحسن المحاضرة 1 : 559 والشذرات 2 : 214 والترجمة المثبتة هنا عن الوافي للصفدي .

وله في داود بن عليّ الظاهري(1) :

أقولُ كما قال الخليلُ بن أحمدٍ ... وإن قستُ بين اللفظ واللفظ في الشعرِ
عَذَلتَ على ما لو علمتَ بقَدْره ... بسطتَ مكان اللوم والعذل من عذري
جهلتَ ولم تدرِ بأنّك جاهلٌ ... فمَنْ لي بأن تدري بأنك لا تدري

وقال :

أُشدد يديك بمن تهوى فما أحدٌ ... يمضي فيدرك حيٌّ بعده خَلَفا
واستَعتب الحُرَّ إنْ أنكرتَ شِيمَتَهُ ... فالحرُّ يستأنف العُتْبى إذا أنفا
مَنْ ذا الذي نال حظّاً دون صاحبه ... يوماً فأنصفه في الودّ وانتصفا

قال محمد بن خلف بن المَرْزُبان : اجتمع عندي أحمد بن أبي طاهر والناشىء ومحمد بن عروسٍ ، فدعوتُ لهم مغنيةً فجاءتْ ومعها رقيبةٌ لم يرَ الناس أحسن منها ، فلمّا شربوا أخذ الناشىء رُقعَةً وكتب فيها :

فديتكِ لو أنّهُمْ أنصفوكِ ... لرَدُّوا النواظرَ عن ناظرَيْكِ
تَرُدّيْنَ أعيننا عن سواكِ ... وهل تنظُرُ العينُ إلا إلَيْكِ
وهم جعلوكِ رقيباً علينا ... فَمَنْ ذا يكون رقيباً عليكِ
ألم يقرأوا ويحهم ما يَرَوْنَ ... من وَحْيِ حُسنِك في وجْنَتيكِ

وقال الناشىء يَصفُ أصحابَه :

ولو شَهِدْتِ مقاماتي وأنديتي ... يومَ الخصام وماءُ الموتِ مُطّردُ
في فتيةٍ لم يلاقِ الناسُ مذ وُجدوا ... لهم شبيهاً ولا يلقون إن فُقدوا
مجاورو الفضلِ أفلاكُ العلا سُبلُ التـ ... ـقوى محلُّ الهدى عُمْدُ النهى الوُطُدُ
كأنهم في صدور الناس أفئدةٌ ... تُحسّ ما أخطأوا فيها وما عَمَدوا
يبدون للناس ما تُخفي ضمائرهم ... كأنهم وجدوا منها الذي وجدوا

---

(1) وردت الأبيات في ترجمة الخليل ، رقم : 465 .

دُلّوا على باطن الدنيا بظاهرها وَعِلْمِ ما غاب عنهم بالذي شهدوا
مطالعُ الحقّ ما منْ شُبْهةٍ غَسقتْ إلا ومنها لَديهم كوكبٌ يقدُ

ومن شعر الناشىء :

وشادنٍ ما تولّى وصْفَهُ أحدٌ إلا تَلَجْلَجَ في الوصف الذي وصفا
يلوح في خدّه وردٌ على زَهَرٍ يعودُ من حسنه غضّاً إذا قُطفا
لا شيء أعْجبُ من جَفْنيه إنهما لا يُضعفانَ القوى إلا إذا ضَعُفا

ـ 669 ـ

عبد الله بن محمد بن علي بن الحسن بن علي الميانجي أبو المعالي ، من أهل خراسان : يعرف بعين القضاة .

كان جدّه علي بن الحسن قاضي همذان واستشهد بها . وحفيده عين القضاة عبد اللّه كان له فضل وفقه فإنه كان بليغاً شاعراً متكلماً ، تمالأ عليه أعداء له فقتل صبراً (كما ذكرنا في كتابنا أخبار الأدباء) سنة خمس وعشرين وخمسمائة .

وقال فيه ابن السمعاني : أحد فضلاء العصر ومن يضرب به المثل في الذكاء والفضل ، وكان يميل إلى الصوفية ويحفظ من كلامهم وإشاراتهم ما لا يدخل تحت الوصف . صنف في فنون من العلم ، وكان حسن الكلام والجمع فيها .

قال : وكان الناس يعتقدونه ويتبركون به ، وظهر له القبول التام عند الخاص والعام حتى حسد وأصابته عين الكمال ، وكان العزيز يعتقد فيه اعتقاداً خارجاً عن الحد ولا يخالفه فيما يشير به ، وكانت بينه وبين أبي القاسم الوزير الدركزيني منافسة ، فلما نكب العزيز قصده الوزير وكتب عليه محضراً والتقط من أثناء تصانيفه ألفاظاً شنيعة تنبو عن الاسماع ، ويحتاج في كشفها إلى المراجعة لقائلها ، فكتب جماعة من العلماء

---

669 ـ عين القضاة الميانجي : ذكره ياقوت في مادة « ميانة » من معجم البلدان وأحال على كتابه « أخبار الأدباء ـ يعني هذا المعجم ؛ وترجم له ابن الفوطي في تلخيص مجمع الآداب 4/2 : 1130 والبيهقي في تاريخ الحكماء: 123 وطبقات السبكي 7: 128 ومرآة الجنان 3 : 244 وطبقات الاسنوي 2 : 405 والوافي 17 :541 ولسان الميزان 4: 411 والشذرات 4: 75 وهذه الترجمة من معجم البلدان ولسان الميزان .

خطوطهم بإباحة دمه ، فقبض عليه أبو القاسم وحمل إلى بغداد مقيداً ثم ردّ إلى همذان وصلب بها في اليوم السابع من جمادى الآخرة من السنة المذكورة .

قال : وسمعت أبا القاسم محمود بن أحمد الروياني بأندرابه يقول : لما قرب قتل عين القضاة وقدم إلى الخشبة ليصلب قال : ﴿ **وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون** ﴾ .

وله رسالة كتبها من بغداد إلى أصحابه وإخوانه بهمذان ، لو قرئت على الصخور لانصدعت من الرقة والسلاسة .

ومن شعر عين القضاة :

أقول لنفسي وهي طالبة العلا ... لك اللّه من طلابة للعلا نفسا
أجيبي المنايا إن دعتك إلى الردى ... إذا تركت للناس ألسنة خرسا

ومنه :

فما خدعَ الأجفانَ بعدك غفوةٌ ... ولا وطىء الأجفانَ قبلك أدمعُ

ومن تصانيفه : الرسالة العلائية . وأمالي الاشتقاق . والبحث عن معنى البعث . وكتاب زبدة الحقائق خلط فيه كلام الصوفية بكلام الحكماء . ومقدمة في الحساب الهندي . وغير ذلك .

ـ 670 ـ

عبد الله بن محمد بن علي بن محمد بن عبد الله أبو القاسم الملقب بالكامل : خوارزمي الأصل ، وهو من أهل زاوطا في بلاد واسط ، ولد بها وقرأ الأدب على أبيه وعلى أبي سعد أحمد بن علي بن الموصلية ، وحدث بواسط سنة خمسمائة ، وقدم بغداد سنة عشر وخمسمائة ، وروى بها شيئاً من شعره وتصانيفه . وكان معاصراً لأبي محمد الحريري صاحب المقامات ، وكان عنده قوة في البلاغة فاخترع أن عمل

670 ـ ترجمة الكامل الخوارزمي في ابن الفوطي (5 : 88 ط. لاهور) نقلاً عن ياقوت ، وانظر إنباه الرواة 2 : 136 والوافي 17 : 541 وتاريخ ابن الدبيثي وترجم له العماد في الخريدة وأورد مقتطفات كثيرة من رحله ، ونقل الدكتور مصطفى جواد بعض ترجماته في الضائع : 44 (رقم: 14) وهذه الترجمة من ابن الفوطي .

كتاباً سماه « الرحل » وهي ست عشرة رحلة ، أهداها إلى هبة اللّه بن الفضل بن صاعد بن التلميذ في سنة اثنتين وخمسمائة ، بنى كل رحلة منها على حادثة تمت ونادرة اتفقت له أو لوالده .

فمن رحله[1] :

« وصية لكل لبيب ، متيقظ أريب ، عالم أديب ، يكره مَواقف السقطات ، ويتحفظ من مصادف الغلطات ، ويتلطف من مخزيات الفرطات ، أن يدَّعي دون مقامه ، ويقتصر من تمامه ، ويغضّ من سهامه ، ويظهر بعض شكيمته ، ويساوم بأيسر قيمته ، ويستر كثيراً من بضاعته ، ويكتم دقيق صناعته ، ولا يبلغ غاية استطاعته ، وأن يعاشر الناس بصدق المناصحة ، وجميل المسامحة، وأن لا يحمله الاعجاب بما يحسنه ، على الازراء بمن يستقرنه ، والافتراء على من يعترضه ويُلسنُه ، ليكون خُبرُه أكثر من خَبَره ، ونظرته أروع من منظره ، ويكون أقرب من الاعتذار ، وأبعد من الخجلة والانكسار :

فليس الفتى من قال إني أنا الفتى ... ولكنه من قيل : أنت كذلكا
وكم مُدَّعٍ ملكاً بغير شهادةٍ ... له خجلةٌ إن قيل أن لستَ مالكا

ولقد نُصرتُ بالاتضاع ، على ذي نباهة وارتفاع ، وذلك أني أصعدتُ في بعض الأعوام ، مع جماعة من العوام ، بين تاجر وزائر ، إلى الغريِّ والحائر ، حتى انتهينا إلى قرية شارعة ، آهلة زارعة ، وما منا إلا من أملَّتْهُ السُمَيْريّة فأغرضَتْهُ ، وأسقمته وأمرضته ، وفَتّرتْهُ فقبضته ، وكثر منا الجؤار ، واستولى علينا الدُّوار ، فخرجنا منها خروجَ المسجون ، وقد تقوسنا تقوُّسَ العُرجون ، فاسترحنا بالصعود ، من طول القعود :

كأننا الطيرُ من الأقفاصِ ... ناجيةً من أحبُلِ القَنّاصِ
طيّبةَ الأنفسِ بالخلاص ... منفِّضاتِ الريش والنواصي

---

(1) أوردت رحلة واحدة لأن ذلك هو ما نصّ عليه الفوطي والصفدي (الوافي 17 : 541) ؛ ولكني لست على يقين من أن هذه هي الرحلة نفسها التي أوردها ياقوت ، غير أنها رحلة مشهورة أوردها ابن حمدون في تذكرته (6 رقم : 745) وصبح الأعشى 14 : 128 ـ 138 .

فما استتمت الراحة ، ولا استقرت بنا الساحة ، حتى وقف علينا واقف ، وهتف بنا هاتف : أيُّكم الخوارزمي ؟ فقالُوا له : ذلك الغلام المنفرد ، والشاب المستند ، فأقبل إليَّ ، وسلَّم عليّ ، وقال : إن الناظر يستزيرك ، فليعجلْ إليه مَصيرُك ، فقمتُ معه ، يتقدَّمني وأتبَعُه ، حتى انتهى بي إلى جلَّةٍ من الرجال ، ذوي بهاءٍ وجلال ، وزينةٍ وجمال ، من أشرافِ الأمصار ، وأعيانِ ذوي الأخطار ، من أهل واسط وبغداد ، والبصرةِ والسواد :

تـرى كلَّ مـرهوبِ العمـامةِ لاثمـاً على وَجْـهِ بدرٍ تحتـه قلبُ ضيغمِ

فقام إليَّ ذو المعرفة لاكرامه ، وساعده الباقون على قيامه ، وأطال في سؤالـه وسلامه ، وجذبوني إلى صـدر المجلس فأبيت ، ولـزمتُ ذُناباه واحتبيب ، وأخذوا يستخبرونني عن الحال ، والمعيشةِ والمال ، وداعية الارتحال ، وعن النية والمقصد ، والأهل والولد ، والجيران والبلد :

ومـا منهم إلا حفيٌّ مُسـائـلٌ وواصِفُ أشواقٍ ومُثْنٍ بصالحِ
ومستشفـعٌ في أن أقيمَ لياليـاً أروحُ وأغـدو عنده غيـرَ بارح

ثم قال قائلهم : هل لقيتَ عَينَ الزمان وقلبه ، ومالكَ الفضلِ وربّه ، وقليبَ الأدب وغَرْبَهُ ، إمـامَ العراق ، وشمسَ الآفـاق ؟ فقلتُ : ومن صاحبُ هـذه الصفة المهولة ، والكناية المجهولة ؟

فقالوا : أو ما سمعتَ بكامل هِيْت ، ذي الصوت والصيت ؟

ذاك الـذي لو عـاش [قس] إلى زمـانـه ذا وابـن صُـوْحـان
وابـن دُريـد وأبـو حـاتـم وسـيـبـويـه وابـنُ سـعـدانِ
وعـامـر الشعبيّ وابـن العَـلا وابـن كُـريـز وابـن صـفـوانِ
قـالُـوا مـحـابٍ كلهـم : إنـه سيـدنـا . إذ قـال : غلمـاني

فقلت لهم : قد قلّدتُم المنَّة ، وهيجتم الحنّة ، إلى لقاء هذا العالم المذكور ، والسيد المشهور ، وقد كانت الرياح تأتيني بنفحاتِ هذا الطِّيب ، وهدرِ هذا الخطيب . فالآن لا أثرَ بعد عين ، سأصبح لأجله عن سُرى القَيْن ، اغتنـاماً للفـائدة ، والنعم

الباردة ، ووجداناً للضالة الشاردة :

أين أَمضي وما الذي أنا أبغي   بعد إدراكيَ المنى والطِّلابا
فإذا ما وجدتُ عندكم العلــ   ـمَ قريباً فما أريدُ الثوابا
اذهبوا أنتمُ فزوروا علياً   لأزورَ الهيتيَّ والآدابا
لَن أبالي إن قيل [إن] الخوارز   ميَّ أخطا [في] فعله أو أصابا

فقالت الجماعة : بل أصبتَ ، ووجدتَ ما طلبت ، وقديماً كنّا ننشرُ أعلاقَكَ ، ونتمنى اتفاقك ، ونتداولُ أوصافَكَ ، ونحبُّ مضافك ، ونُكبر لديه ذكرك ، ونعظّمُ لديه قدرك ، فيتحرك منك ساكنُهُ ، وتتقلقلُ بكَ أماكنه ، ونسأل اللَّه ـ سبحانه ـ أن يجمعَ بينكَ وبينه بمحضرنا ، وتُلامح عينُكَ عينَهُ بمنظرنا ، ويلتفَّ غبارك بغُباره ، ويمتزجَ تيارُك بتياره ، ويختلط مضمارك بمضماره ، فيعرفَ منكما السابقُ والسُّكَيْت ، والسُّوذانق والكُعَيت ، ويتبين من الذي يحوي القصب ، فانكما كما قال الشاعر :

هما رمحان خطيّان كانا   من السُّمر المثقَّفَةِ الصعادِ
تهال الأرض أن يطَئا عليها   بمثلهما نسالم أو نُعادي

فقلت : لقد تنكبتم الانصاف ، وأخطأتم الاعتراف ، وأبعدتُم القياس ، وأوقعتم الالتباس ، أين ابن ثلاثين إلى ابن ثمانين ، وابن اللبون ، من البازل الأمون ؟ والرمح الرازح ، من الجواد القارح ؟ والكودن المبروض ، من المجرّب المروض :

وابن اللَّبون إذا ما لُزَّ في قرنٍ   لم يستطع صولة البُزل القناعيسِ

كيف لربيب بطائح وسباخ، وساكن صرائف وأكواخ، بين يديه سوادية أنباط، وعلوج أشراط ، ورعاع أخلاط ، وسِفَل سُقاط ، في بلدة إن رأيت سورها ، وعبرت جسورها ، صحت واغربتاه ، وإن رأيت وجهاً غريباً ناديت : وا أبتاه . لا أعرف غير النبطية كلاماً ، ولا أُلفي سوى والدي إماماً ، في معشر ما عرفُوا الترحال ، ولا ركبوا السروج والرحال ، ولا فارقوا الجدار والظلال :

أولئك معشر كبنات نعش   خوالف لا تغورُ مع النجومِ

بمصاولة رجل جَوّال ، رحّال حَلال ، بهيت وُضع ، وبالكوفة أرضعَ ، وببغداد أثغر ، وبواسط أحفر ، وبالحجاز وتهامة فطامه ، وبمصر والمغرب كان احتلامه ، وبنجد والشام بقل عارضه ، وباليمن وعُمان قويَتْ نواهضه ، وبخراسان بلغ أشدَّه ، وببخارى وسمرقند تناهى جدُّه ، وبغزنة والهند شاب واكتهل ، ومن سيحون وجيحون عَلَّ ونهل ، وبميسان والبصرة عَوَّد وقرحَ ، وبالجبال جلِهَ وجَلِح ، فهو يعدُّ المازني إمامه ، وابن جني غلامه ، والمتنبي من رُواته ، والمعرّي حامل دواته ، والصابي باري قلمه ، والصاحب رافع علمه ، وابن مُقلة من ناقلي غاشيته ، وابن أبي حفصة بعض حاشيته، وقد قرأ الكتب وتلاها ، وحفظ العلوم ورواها ، ودرس الآداب ووعاها ، ودوَّن الدواوين وألّفها ، وأنشأ الحكم وصنفها ، وفصَّل المشكلات وشرحها ، وارتجل الخطب ونقحها ، فهو البحر المورود ، والامام المقصود ، والعلم المصمود ، هذا بون بعيد ومرتقى شديد :

أتلقون بالأعزل الرامحا وبالأكشف الحاسر الدارعا
وبالكودن السابق السابحا وبالمنجل الصارم القاطعا

فما استتم كلامنا حتى أقبل ، فإذا نحن به قد طلع مهرولا ، وأقبل مستعجلا ، فرأيت رجلاً أجلح ، أهتم أفلح ، أفطح أردح ، طويلاً عنطنط ، يحكي ذئباً أمعط ، أخمع أخبط ، فتلقوه معظمين ، وله مفخمين ، فقصد من المجلس صدره ، وأسند إلى المخدة ظهره ، فما استقر به المكان حتى قيل له : هذا فلان . فقبض من أنفه ، ونظر إليّ بشطر من طرفه ، وقال ببعض فيه : هلموا ما كنتم فيه ، تعساً للشوهاء وجالبيها ، والقرعاء وحالبيها .

قد جاء زيد مجرّراً رسنه فحل فلا تَمْنَعُنَّهُ سَنَنَهْ
أحبه قومه على شوهٍ إن القرنبى في عين آمّها حسنه

[فقال] : كان لنا شيخ بالأنبار ، كثير الأخبار ، قد بلغ من العمر أملاه ، ومن السنّ أعلاه ، قرأت عليه جميع الكتاب ، وعلم الأنساب ، ومسائل ابن السرّاج ، وديوان العجاج ، وكتاب الاصلاح ، وشروح الإيضاح ، وشعر الطرماح ، والعين للفرهودي ، والجمهرة للأزدي . وأكثر من [ذكر] المصنفات ، المجهولات

والمعروفات ، ينفخ في شقاشقه ، ويزبد في بقابقه ، ويتعاظم في مخارقه . وجعل القوم يقسمون بيننا الألحاظ ، ويحسبون الألفاظ ، وما منهم إلا من اغتاظ لسكوتي وكلامه ، وتأخري وإقدامه . ثم هذى الشيخ إذ وصف له رجل على الغيب ثم رآه ، فاحتقره وازدراه ، وأنشد متمثلاً :

لعمر أبيك تسمعَ بالمعيدي بعيد الدار خير أن تراه

فقال : هذا المعيدي هو ضمرةُ بن ضمرة بن جابر بن قَطَن بن نَهْشَل بن دارم بن مالك بن حنظلة بن مالك بن زيد مناة بن تميم بن مُرّة بن أدّ بن طابخة بن الياس بن مُضر بن نزار بن معد بن عدنان . والمعيديّ تصغير مَعْدي وهو الذي قالت فيه نادبته :

أنعى الكريم النهشلي المصطفى أكرم من خامر أو تخندفا

فقلت : ما بعد هذا المقال ، وجه للاحتمال ، وما يجب لي بعد هذه المواقحة ، غير المكافحة ، ولم يبق لي بعد المغالبة ، من مراقبة .

ما عِلتي وأنا جَلْدٌ نابلْ والقوس فيه وَتَر عُنابلْ
تَزِلُّ عن صفحته المعابلْ
ما عِلّتي وأنا [رجل] جَلْدٌ والقوس فيه وَتَر عُرُدُّ
مثل ذراع البكر أو أشدُّ

فعطفت عليه عطف الثائر العاسف ، والتفتُّ إليه التفات الطائر الخاطف ، فقلت له : يا أخا هِيْت ، قد قلتَ ما شِيت ، فأجب الآن إذ دُعيت ، والزم مكانك ، وغُض عنانك ، وقصِّر لسانك ، إنَّ نادبة ضمرة خندفته ، لما وصفته ، وما سمعتُ في نسبتك إياه لخنْدفَ ذكرا ، فأبن عن ذلك عذراً . فقال : إن خندف هي امرأة الياس بن مُضر غلبت على بنيها ، فنسبوا إليها ، كطهيّة ومزينة ، وبَلعدوية وعُرينة ، والسلكة وجهينة ، ونُدْبة وأُذينة ، وكَشبيب بن البَرصاء ، وابن الدَّعماء . فقلت له : سئلتَ ، فأجبت وأصبت ، فأخبرني عن خندف هل هو اسمٌ موضوع ؟ فوقف عند ذلك حمارُه ، وخمدت ناره ، وركد جريانه ، وسكن هذيانه ، وفتر غليانُه ، وظهر حِرانُهُ ، وذَلَّ وانقمع ، وانطوى واجتمَع ، فاضطره الحياء ، وألجأه الاستخذاء إلى أن قال وهو

يخفي لفظه ، ويطرق لحظَه : أظنُّه لقباً . فقلت : هو كما ظننت فما معناه وما سببه ؟ وكيف كان موجبُه . فلم يجد بداً من أن يقول : لا أدري فقال وقد أذقته مُرّ الاماتة ، وأحسّ من القوم بتظاهر الشماتة :

ودَّ بجدع الأنفِ لو أن صحبَه　　تنادَوا وقالوا في المناخ له قُم

ثم أقبلوا إليّ ، وعكفوا عليّ ، بأوجه متهلّلة ، وألسنة متوسلة ، في شرح الحال ، والقيام بجواب السؤال . فقلت : هذا بديع عجيب ، أنا أسأل وأنا أجيب ، إن إلياس بن مضر تزوج ليلى بنت ثعلبة بن حلوان بن الحاف بن قضاعة بن معدّ (في بعض النسب) ، فولد له منها : عمرو وعامر وعُميرَ ، ففقدهم ذات يوم ، فألحى على ليلى باللوم ، فقال : اخرجي في أثرهم ، وأتيني بخبرهم ، فأمعنت في طلبهم ، وعادت بهم ، فقالت : ما زلت أخندف في اتباعهم ، حتى ظفرت بلقائهم ، فقال لها إلياس : أنتِ خندف . والخندفة في الاتباع ، تقارب الخطو في إسراع ، وقال عمرو : يا أبتي أنا أدركت الصيد فلويته . فقال له : أنت مدركة ، إذ حويته ، وقال عامر : أنا طبخته وشويته ، فقال : أنت طابخة إذ شويته ، فقال عمير : أنا انقمعت في الخِباء ، فقال له : أنت قمعة للاختباء ، فلصقت بها وبهم هذه الألقاب ، وجرت بها إليهم الأنساب . فقال حينئذ : هذا علم استفدته ، وفضل استزدته ، وقد قال الحكيم : مذاكرة ذوي الألباب ، نماء في الآداب ، فقلت له متمثلاً :

أقول له والرمحُ يأطر متنَهُ　　تأمّل خفافاً إنني أنا ذالكا

ثم لم يحتبس إلا قليلاً ، ولم يُمسك طويلِاً ، حتى عاد إلى هديره ، وأخذ في تهذيره ، طمعاً بأن يأخذ بالثار ، ويعود الفصّ له في القمار ، فعدل عن العلوم النسبية ، وجال في ميدان العربية ، ولم يُحسَّ أن باعه فيها أقصر ، وطرفه دون حقائقها أحسر ، فقال : حضرت يوماً حلبة من حلبات العلوم ، وموسماً من مواسم المنثور والمنظوم ، وقد غصَّ بكل خطيب مصقع ، وَحكم مُقنِع ، وعالم مصدع ، ومُليء من كل عتيق صهّال ، وفَنيق صَوّال ، ومنطبق جوال ، فأخذوا في فنون المعارضات ، وصنوف المناقضات، وسلكوا في معاني القريض ، كل طويل عريض ، حتى أخذ السائل منهم بالمخنّق ، بيت [الفرزدق] :

وعضّ زمـان يـا ابن مـروان لم يـدَعْ   مـن المـال إلا مُـسحَـتـاً أو مُـجلَّفُ

فكثر فيه الجدال ، وطال المقال ، وما منهم أحد إلا أجاد القياس ، وأصاب القرطاس ، ووقع على الطريق وأتى بالتحقيق ، فلما رأيتُهم في غمرتهم ساهون ، وفي ضلالتهم يعمهون ، ناديتـهم إليّ فـأرعوا ، ومنّي فاسمعوا ، فإني أنا ابن بجدتها ، وعالم ما تحت جلدتها ، ثم إني أبديتُ لهم سراره ، وأثقبتُ ناره ، وحللتُ عقدَهُ ، ومخضتُ زَبدَهُ ، وأطرت لبده ، وبجست حَجَرَه ، وأبثثتُهم عُجَره وبُجَره ، فقالوا : للّه أبوك ، فانك أسبقنا إلى غاية ، وأكشفنا لغيايَـة ، وأجلانا لشبهة ، وأضوأنا في بدهة ، وما أعلم اليوم على ظهرها من يقـوم بعلم ما فيـه ، ويطلع على خـافيه . فـأدركني الامتعاض ، وأخذني الانتفاض ، فأنشدته :

من ظن أن عقـول الناس نـاقصـة   وعقله زائـد أزرى بـه الـطمـعُ

وقلت له : ادعيتَ ، فوق ما وعيت ، فأخبرني عن أول هذا البيت ، يا مُجري الكميت ، وكيف ننشده : وعَضَّ ، بالفتح أو : وعَضُّ ، بالضمّ ، فقـال : كلاهمـا مَرويّ . فقلت : نبتدىء بالفعل ثم نعود إلى الاسم يا ذا الاعجاب ، تهيأ للسائل في الجواب ، وأخبرني لم فتحت آخر الماضي ؟ فأسرع من غير التغاضي ، وقال : لأنه مبني عليه ، لا يضاف سواه إليه . فقلت : هذا جواب نعلمه ، ومن صبيان المكتب لا نعدَمُه ، وإنما أَلتمسُ منك الفائدة فيها ، وأطلب كشف خافيها ، فقال : ما جاء عن أئمة النحاة ، وسائر الرواة في هذا غير ما شرحته ، ولا زاد على ما أوضحته ، فقلت : دع عنك هذا وأخبرني عن هذا البناء ألعلّة أم لغيرها ؟ فأقبل يتردد ويتزحزح ، ويتثاءب تارة ويتنحنح ، فلما سُدّ عليه من طريقه ، وحصل في مضيقه ، وغَصَّ بريقه ، قال : لا أعلم . فقالت الجماعة : أعذر إليك من ألقى سَلاحه ، وغَضَّ جِماحه ، ومن أدبَر بعد إقباله ، عُدل عن قتاله :

والحق أبلجُ لا يُحـدُّ سبيـله   والحق يعـرفـه ذوو الألبـاب

والآن فقـد فازت قـداحُك ، وبـانت غُررك وأوضـاحك ، وأجـدتَ النضال ، وأدركت الخصال ، فأوضح لنا عما سألت ، وأرشدنا إلى ما دللت ، لئلا يقال : هذا بَهْت ، ومُحال بحت ، فقلتُ : حباً وكرامة ، اسمع أنت يا طغامة ، إن الفعـل من

فاعله ، كالولد من ناجله ، لا يخلو الفعل من علامة الفاعل ، في لفظ كل قائل ، وهي الفتحة من ماضيه وواقعه ، والزوائد في مستقبله ومضارعه ، وبيان ذلك أن الفتحة من ماضيه لا تكون مع التاء والنون تقول : أخرج فتثبت الفتحة ، ثم تقول : أخرجتُ وأخرجنا ، فيسقط ما ذكرنا ، وعلامتان لمعنى مُحال ، لا يوجبهما الحال ، فإن كانت النون التي مع الألف ضمير المفعول عادت الفتحة ، فتقول : أخرجنا الأمير ، فهذا بيّن منير . فصفقت الجماعة وشمحت ، وحسَّنت وبخبخت ، وجعل الأديب يضطرب اضطراب العصفور ، ويتقلب تقلب المصغور ، متيقناً أنَّ أسده صار جُرذاً ، وبازيه عاد صُرداً ، ودُرره انقلبت مَخْشَلباً ، وزيتونه تحوَّل غَرَباً ، وقناه تغيّر قصباً ، وأن مستقيمه تعوَّج ، وجيده تبهرج ، وصحيحه تدحرج ، وجديده تكرَّج ، فقال منشدهم :

ترى الرجل النحيف فتزدريه ... وتحت ثيابه أسد مَزِيْرُ
ويعجبك الطريرُ فتبتليه ... فيخلف ظنك الرجل الطَريرُ
فما عظم الرجال لهم بفخر ... ولكنْ فخرهم كرمٌ وخيرُ

فأخذه الإبلاس ، وضاقت به الأنفاس ، وسكنت منه الحواس ، ورفضه الناس ، وجعل ينكت الأرض ، ويواصل بكفّه العضّ ، ويتشاءم ببومه ، ويعود على نفسه بلومه ، يمسح جبينه ، ويكثر أنينه ، فقمت فقامت معي الجماعة وتركته ، واستهانت به وفركته ، فلما بَقيَ وحده ، تمنّى لحده ، وأسبل دمعته ، وود أن الأرض بلعته :

وكان كمثل البَوّ ما بين روَّم ... تلوذ بحقْوَيه السَّراة الأكابرُ
فأصبح مثل الأجربِ الجلد مُفرداً ... طريداً فما تدنو إليه الأباعرُ

فقام فتبعني ، ووقف وودَّعني ، وأطال الاعتذار ، وأظهر التوبة والاستغفار ، وقال : مثلك من ستر الخلل ، وأقال العثرة والزلل ، فقد اغتررتُ من سنك بالحداثة ، ومن أخلاقك بالدماثة . فقلت : كل ذلك مفهوم معلوم ، وأنت فيه معذور لا ملوم ، وما جرى بيننا فهو منسيّ غير مذكور ، ومطوي غير منشور ، ومخفيّ غير مشهور :

[وجدال] أهل العلم ليس بقادح ... ما بين غالبهم إلى المغلوب

ثم سكت فما أعاد ، ونزلتُ وعاد ، وكان ذلك أول عهدٍ به وآخره ، وباطن لقاء وظاهره ، وكلَّ اجتماع وسائره .

ومن شعره غير ما أودعه رحله :

أطاع الهوى فاستعبدته المطامع ... ومالت به له نحو الحبيب النوازعُ
وكان تمادي البعد أنساه وجده ... فهيج ذكراه الحمام السواجع
نوائحُ يبكي شجوُها كلَّ سامع ... لهن وإن لم تجر منها المدامع
كتمتُ الهوى ما اسطعت فازداد كثرة ... بقلبي حتى لم تسَعه الأضالع
فواكبدي ما لي أحنُّ إلى الصِّبا ... وهيهات ما عهد الصِّبا ليَ راجع
وإن أكُ قد ناهزتُ سبعين حجة ... فقلبيَ في طبع الصبابة يافع
يغيّرُ مَرُّ الدهر أجسام أهله ... وتبقى على حالاتهن الطبائع

وقوله :

رب ليلٍ فريت فروته ... أحسبه وهو بارد باردْ
على سناءٍ سناءُ كلكلها ... عند الونى مثل ساعد ساعد
وما افتقرت المطيَّ مفتقراً ... عمري وما كل واجد واجد
إن تنكري يا قتيل قتلك لي ... فلي على ذاك شاهدٌ شاهد
تغيير لوني ولمتي شهدا ... أن الذي طُلَّ عامد عامد
أقول إذ زارني وودعني ... قل لي متى أنت عائد عائد

ـ 671 ـ

عبد الله بن محمد بن الحسين بن ناقيا أبو القاسم الأديب الشاعر اللغوي :

---

671 ـ يرد اسمه تارة عبد اللّه وتارة عبد الباقي وتارة عبد العزيز ، وقال ياقوت في ترجمة علي بن سليمان من هذا المعجم : ومن مليح ما أسمعنيه أنه قال سألنا أبا القاسم عبد العزيز بن أحمد بن ناقيا البغدادي . . . ثم علق على ذلك بقوله: «هكذا قال ـ عبد العزيز ـ وصوابه عبد اللّه ـ **ذكرناه في بابه من هذا الكتاب** » وهذا يقطع بأنه ترجم له ؛ وقد وردت ترجمته في تاريخ ابن الدبيثي والوافي للصفدي (18 : 16) وذكره في عبد اللّه 17 : 472 والمنتظم 9: 68 وانباه الرواة 2: 133 وابن خلكان 3 : 98 وميزان الاعتدال 2 : 533 والجواهر المضية 1 : 283 ولسان الميزان 3: 335 وتاج التراجم: 39 وبغية الوعاة 2 : 67 وتاريخ الذهبي (وفيات: 485) وقد طبع من كتبه الجمان في تشبيهات القرآن بتحقيق عدنان زرزور ورضوان الداية الكويت 1968 .

كان يعرف بالبندار وتوفي ليلة الأحد رابع محرم سنة خمس وثمانين وأربعمائة ببغداد ودفن في مقابر باب الشام ، ومولده في ذي القعدة سنة عشر وأربعمائة .

وقد صنف عدة كتب منها ملح الممالحة . وأغاني المحدثين . وملح المكاتب . وتفسير فصيح ثعلب . واختصار الأغاني . وشرح كتاب الوسيط شرحاً متوسطاً ممتعاً ، وله مقامات أدبية .

وكان مطعوناً عليه في دينه وعقيدته ، وكان كثير الهزل والمجون ، كان يقول : في السماء نهر من خمر ونهر من لبن ونهر من عسل لا ينقط منه شيء ، وينقط هذا الذي يخرب البيوت ويهدم السقوف . وكانت بينه وبين ابن الشبل منافرة ومباعدة شائعة ظاهرة ، قيل له ألم تكن قرأت على ابن الشبل ؟ فقال : بلى وإلا من أين اكتسبت هذه البلادة التي فيّ .

وقال أبو الحسن علي بن أحمد الدهان : دخلت على ابن ناقيا بعد موته لأغسله فوجدت يده اليسرى مضمومة ، فاجتهدت حتى فتحتها وفيها كتابة بعضها على بعض فتمهلت حتى قرأتها فإذا فيها مكتوب :

نزلت بجار لا يُخَيِّبُ ضيفه ... أرجّى نجاتي من عذاب جهنمِ
وإني على خوفي من اللّه واثق ... بانعامه واللّه أكرم منعم

وله شعر سائر فمن شعره :

أخلاي ما صاحبت في العيش لذة ... ولا زال قلبي عن حنين التذكرِ
ولا طاب لي طعم الرقاد ولا اجتنت ... لحاظيَ مذ فارقتكم حسن منظر
ولا عبثت كفي بكأس مدامة ... يطوف بها ساق ولا جسّ مزهر[1]

(1) قد تأتي هنا ترجمة عبد اللّه بن محمد الايجي ، فقد ذكره ياقوت في معجم البلدان (إيج) ووصفه بالنحوي الأديب صاحب ابن دريد، ولما لم يكن لدينا من مرجع سوى ذلك أرجأنا ذكره إلى «الملحق» .
وكذلك تقع هنا نصاً ترجمة عبد الجبار بن أحمد الديناري لأن المؤلف وعد بإيرادها في ترجمة والده رقم : 75 وقد فاتني اثباتها في موقعها ، فأدرجتها في الملحق .

ـ 671 هـ ـ

عبد الحميد بن عبد الله بن أسامة بن أحمد ، أبو علي ابن التقي الهاشمي العلوي الحسيني الزيدي الشريف النقيب : حدث النقيب شرف الدين يحيى بن أبي زيد نقيب البصرة أنه لم يكن تحت السماء أحد أعرف من ابن التقي بالأنساب وكان يحدث عن معرفته بالعجائب ، وكان مع ذلك عارفاً بالطب والنجوم وعلوم كثيرة من الفقه والشعر وغيره[1] .

ـ 672 ـ

عبد الرحيم بن القاضي الأشرف بهاء الدين أبي المجد ابن القاضي السعيد أبي محمد الحسن بن الحسن ، المعروف بالقاضي الفاضل الملقب مجير الدين : كان أوحد دهره وفريد عصره عقلاً ونبلاً وفصاحة وبياناً ، لم يكن أحد يضاهيه في صناعة الانشاء ، وكان هيوباً وقوراً نزه المجلس على شراسة كانت في خلقه وتقلل في ملبسه ، فإنه كان لا يزيد لباسه على النصفية البغدادية ، والدنيا تدبّر برأيه وصلاح الدين سلطان البلاد لا يرد له أمراً . وكان يترفع عن التسمية بالوزارة ويعمل عملها سراً .

وتوفي في سابع عشر ربيع الآخر سنة ست وتسعين وخمسمائة ، ومولده وأصله بعسقلان في جمادى الآخرة سنة تسع وعشرين وخمسمائة ، وذكروا أن الكتب التي

671هـ ـ هذه الترجمة من الوافي للصفدي (18 : 72 ـ 73) وقد صرَّح أنه ينقل عن ياقوت .

672 ـ صرَّح ابن الفوطي (4/3 : 24) بأنه ينقل جانباً من ترجمة القاضي الفاضل عن معجم الأدباء ؛ وفي ترجمته انظر أيضاً : عبر الذهبي 4 : 293 وابن خلكان 3 : 158 والنجوم الزاهرة 6 : 156 والوافي للصفدي 18 : 335 (وفيه تصريح بالنقل عن ياقوت) والشذرات 4 : 324 والكتب التاريخية التي تتحدث عن الفترة الصلاحية كابن الأثير وسيرة السلطان يوسف والروضتين ومفرج الكروب . وله مياومات ينقل عنها ابن العديم والمقريزي ورسائل في مجموعات متعددة ، وديوانه في جزءين ، طبع بتحقيق الدكتور أحمد أحمد بدوي ، القاهرة1961 . وقد اكتفيت في ما أثبته هنا بما نقله ابن الفوطي والصفدي ، وإلا فإنني أقدر أن المؤلف أسهب كثيراً في ترجمته .

---

(1) لا بد أن تكون ترجمة الأخفش الأكبر عبد الحميد بن عبد المجيد قد سقطت من ياقوت ، ولكن لا أجد نقلاً صريحاً عن ياقوت في المصادر (انظر الوافي 18 : 80 والتخريج) .

خلفها مائة ألف وعشرون ألف مجلدة ، وزادت سيرته على عدة مجلدات[1] .

مولده[2] وأصله بعَسْقَلان ، وإنما قيل له البَيْساني لأن والده وَلِيَ القضاء ببَيْسان . قيل لما وُلِد أخذ طالعه القاضي ابن قريش ، وكان خبيراً بعلم النجوم ، فقال : هذه والله سعادة لا تَسَعُها الدنيا فضلاً عن عسْقَلان . كان السبب في تقدُّمه أن أباه كان يتولَّى بعسقلان بعد القضاء ببَيْسان ، وكاتبَه السلطان بمصر بالأخبار ، فاتَّفق أنَّ والي عسقلان أطْلَق أسيراً له قيمة فتعلَّل عليه المصريون كونه لم يُخبر بخَبَره ، فاستُحضر إلى القاهرة وصودر حتى استصفي ماله ولم يبق له شيء ، فأصابته فَجْعة فمات ، وبقي الفاضل وأختٌ له وأخٌ على غاية من الاختلال وسوء الحال والفقر ، فألجأه الحال إلى أن مشى راجلاً إلى الإسكندرية ، وقَصَد بها القاضي ابن حَديد فالتجأ إليه وعرَّفه بنفسه وشكا إليه فاقته ، فتوجَّع له وفرض له في كل شهر ثلاثة دنانير واستنابه في الكتابة عنه .

وفَتَحَت الفَرَنجُ عسقلان وخرج أخوه وأخته حتى لحقا به وأقاما عنده ، فاختَبَره القاضي فوجده على غاية من الفَصاحة والبلاغة وحُسْن المقاصد ، وكان إذا أراد مكاتبة ديوان مصر أمره بالكتابة عنه ، وكانت كتبُه تَرِدُ كالدرِّ النظيم ، فحَسَده الكُتَّابُ الذين تردُ كتبه عليه وخافوا منه على منزلتهم ، فسعوا به إلى الظَّافر بن الحافظ ، فحدَّث محمد بن محمد بن محمد بن بَنان الأَنْباري كاتب الإنشاء يومئذ ، قال : فأَحْضَرَني الظافر وأمَرَني أن أكتبَ إلى الوالي بالإسكندرية أن يتسلَّم ابن البَيْساني من القاضي ابن حَديد ويقْطَع يده ويسيِّرَها إلينا ، قال : فما علمتُ السبب ولا عرفتُ ابن البيساني ، وَوَدَدْت لو كان هذا الكتاب بخط غيري ، فأَخَذْتُ الدواة والقلم والدَّرْج وكتبت : « بسم الله الرحمن الرحيم ، وبطَّلت الكتابة ، فنظر إليَّ وقال : ما تَنْظُر ؟ قلت : عفو مولانا ، قال : تعرف هذا الرجل ؟ قلت : لا والله ، قال : هذه رقعة وَرَدت من

---

(1) هكذا ورد ، ويعلق المحقق بأنه كتبه على ما تراءى له لأنه مستبهم ، قلت : ولعل الصواب : وزادت فهرسته (يعني فهرسة مكتبته) على عدة مجلدات .

(2) بداية نقل الصفدي عن ياقوت ، وقد صدره بقوله ، وقال ياقوت في معجم الأدباء .

الديوان تُخبر بسوء أدبه واستخفافه ، وذاك أنه كتب كتاباً وجعل بين السطر والسطر شبراً وهذا لا يكون إلاّ من الفاضل إلى المفضول . وبلَغني أيضاً أنه يرى انتقاصنا وذهاب دولتنا ديناً ، فقلت : إن رأى استحضار المكتوب والوقوف عليه ، فأُحْضِرَ فرأيت أبْلَغ كتابٍ وأحْسَن عبارة فقلت : هذا كتابٌ معدومُ المثال وكاتبُه أوحـدُ عصره ، وما كتبوا في أمره بما كتبوا إلاّ حَسَداً له ، فإن رأى إحضار كاتبه وسماع لفظه والعمل بموجب المشاهدة رجوت أن يكون ثواباً وصواباً . فكتبت بتسييره مُكرَّماً ، فما كان إلاّ مسافة الطريق حتى أُحْضر إلى مجلس الظافر وأنا حاضرٌ ، فرأيت شاباً ظريفاً بثيـابٍ قصار وأكمام لطيفة وطَيْلَسان ، فوقَف بين يديّ الظافر ، فقال الظافر : اختبره في شيء من الرسائل، فقلت له: مولانا يأمرك أن تكتب منشوراً لأحدِ أولياء دولته يتضمَّنُ توليته ما وراء بابه ، فقال : السمع والطاعة ، فقرَّبت منه دواةً فأخذ يكتب وهو قائم ، وكان إذا أرادَ أن يستمدَّ انكبَّ إلى الدواة ثم وقف فكتب ، فلما أن رأى الظافر جَـريان قلمه وثَبات جنانه ، أمرَ خادماً أن يحمل له الدواة ، ثم فَرَغَ من الكتابة وهو قائمٌ على رجله ، فتناوله الخادم وعَـرَضه على الظافر ، فاستحسن خطَّه وكان خطّاً مليحاً رائقاً على طريقة ابن مُقْلَة ، وقال لي : اقرأه ، فقلت : يا مولانا اسمعه من منشئه فهو أحسن ، فقرأه بلسانٍ حادٍّ وبيانٍ صادقٍ ، فلما استتم قراءَتَهُ أمر الظافرُ بقَلْع طيلسانه وأخْذِ عَذَبةِ عمامته وفتْلِها وتَحْنيكه بها ، ففُعل به ذلك . ولم يزل في الديوان مدَّة أيـام الظافـر والفائـز والعاضد .

فلما استعلى الضِرْغام على شاور وتولّى الوزارة ، وهرَبَ شاور إلى الشام وقبض على ولده الكامل وأوْدَعه السجن خَدَمَهُ الفاضل ومتَّ إليـه بخِدْمـة قديمـه . ثم إن الضِّرْغام تنكَّر على الفاضل فمضى من فَوْرِهِ إلى مُلْهم أخي ضِرْغام واستجار به ، وكان ملهم هو الكبير وكان تَرفَّع عن الولاية ، فأمره بملازمة داره حتى يُصْلح أمره ، فاتَّفق أن قُرِنَ بالكامل بـن شاور في محبسه وحُبِسَ معه وحصل له بذلك يدٌ بيضاء عنده . ورجَع شاور إلى الديار المصرية بصُحْبة شِيرْكوه ، وقُتل الضرغام وأخوه ملهم وبنوه ، وعادت الوزارة إلى شاور . وركب ابنه الكامل من دار ملهم ومعه القاضي الفاضل حتى دخلا على شاور وعرَّف الكامل أباه شاور حقوق الفاضل عليه وحُسْن ولائه .

واختصَّ الفاضلُ بالكاملِ اختصاصاً كلّيّاً ، وكان أولاً يُدْعى بالأسْعَد فغيَّره ولَقَّبه بالفاضل ، ولم يَزَلْ معهما على أحسن حال إلى أن عادَ أسد الدين إلى مصر في المرَّة الأخرى واستولى على الديار المصرية وتولَّى الوزارة وقَتَل شاور وابنه الكامل وطَلَب الفاضل . وكان في نفسه منه أشياءُ نَقَمَها عليه في مكاتباته عن شاور ، وكان يُغلظ القول فيها . ولجأ القاضي إلى القصر مستجيراً ومستخفياً ، وطَلَبه شيركوه من العاضد فشفع فيه فلم يقبل الشفاعةَ وألَحَّ في طلبه ، فاتفق أنَّ العاضدَ أهدى إلى شيركوه هدايا نفيسةً وقَعَتْ منه موقعاً لطيفاً ، وسأله مع قبولها أمانَ الفاضل فأمَّنه ، فلما حضَر أكرمه شيركوه وأمره بالجلوس في حضرته وقال : اكتب كتاباً إلى نور الدين محمود بن زنكي عرِّفْهُ ما فعل اللّه بهذا الطاغيةِ الفاسقِ ، يعني شاوراً ، فكتب ولم يذْكُره إلَّا بالخير فغضب أسدُ الدين وقال : ما لَكَ لا تكتب بما آمرك به ؟ فقال : ما يَسَعُني ذلك أيها الوزير لحقوقٍ له عليَّ ، فأغلظ له وتهدَّده إن لم يكتب وحَلَف ليوقعنَّ به ، فوثب حتى صار بين يديه وقال : قد انبسط الآن عذري فيما كنت أُكاتِبُ به المولى فإنما أنا آلةُ أكتبُ حسبما أُومر ، فبسط عذره وأعْجَبَه مخرجه من الحُجَّة وأنس به أُنساً تاماً .

فلما مات أسدُ الدين شيركوه ترشَّح أكابرُ الدولةِ لمكانه وطمع فيها من هو أهلٌ لذلك ، ولم يكن صلاح الدين ممن تطمعُ نفسه في تلك الرتبة ، واتفق أنه اجتمع بالفاضل في دارِ السلطان وجرى حديثُ مَنْ ترشَّح للولاية ، وبَسَط صلاح الدين الحديث في ذكرهم ولم يذكر نفسه ، فجَذَبه الفاضل إليه وقال له سراً : هل عندك قوة لأن تلي هذا الأمر ؟ فقال صلاح الدين : وأنَّى لي بذلك وهنا مثل فلان وفلان وعدَّدَ الأكابر ، فقال له : لا عليك فإني أُدَبِّر أمْـرَك فاستعدَّ لذلك . فبينا هما في الحديث ، استُدْعي الفاضل إلى مجلس العاضد واسْتُشير فيمَن يُـوَلَّى ، ولم يكن شيركـوه دُفِن بعد ، لأن من عادَتِهم أنَّ الذي يتولى يلْبسُ في الجنازةِ أخضَرَ دونَ كلِّ من فيها وهي إمارةُ الولاية ، فقال الفاضل : رأيُ أمير المؤمنين أعلى وهو أعْرَف ، فقال العاضد : ما تقول في فلان فوهَّى أمره وذَكَر شيئاً صَدَفَهُ عنه ، إلى أن ذكر جماعةً كلُّهم كذلك ، فقال للفاضل : فمن ترى أنت ؟ قال : ما رأيتُ في الجماعة أحسَن طريقة من يوسف ابن أيوب ابن أخي المَيِّت ، فإني اختبرتُهُ ورأيتُهُ يرجعُ إلى دينٍ وأمانة ، فقال العاضد :

إني أخافُ أن لا يرْضَى به القوم ، فقال الفاضل : يا أميرَ المؤمنين أنت أَلْبِسْهُ وأَجْلِسْهُ وهو يَبْذلُ الأموالَ ويُصْلِحُ حال الرجال ، ففعل ذلك . وخَرَجَ الناسُ وعلى صلاح الدين الأخضر من دون الجماعة فعَرفوا أنه صاحبُ الأمر ، وساعدته السعادة فلم يقلْ أحدٌ كلمةً ، وفرَّق خزائن شيركوه ، وعامَلَ الناس بالإحسان ، وبَذَل المال فأحبُّوه ، وتمَّ أمره وصار القبضُ والبسط إلى الفاضل . وفوَّض صلاحُ الدين إليه أمورَ دولته وصار لا يصدر إلَّا عن رأيه ، واستنابه في جميع أموره ، ورعى له تلك الحال ، فجرى في تصاريفه على أحسن قانون ، وأحْسَنَ إلى أربابِ البيوت ، وجمع كتباً مشهورة بَلَغني أنها تكون سبعين ألف مجلد في فنون العلم وأنواعه . وأما ابن بَنان الذي كان السببَ في خلاصه وعلوِّ منزله فإنه اَطُّرِحَ في دولة بني شادي حتى احتاج إلى الناس ، فدخل يوماً إلى الفاضل وقد انقادت الدولةُ لأمره ونهيه ، فعدَّد إحسانه إليه واشتماله في الدولة الذاهبة عليه ، فاعترف الفاضل بذلك واستخلص له رِزْقاً كان يقوم عليه إلى أن مات .

وكان القاضي الفاضل شاباً مليحاً من أظرفِ الرجالِ ، فلما كانت وقعة الباب بين شيركوه وشاور بالصعيد ، نَفَرَت به فرسُه فوقع على ظهره على قربوس السرج فأوْهَنه ، فلما رجع إلى القاهرة عمل عليه وكان يمَرِّضه ويداويه وقد مُدَّ وانتفخ ، فلما كان يوم جلوسه بين يدي أسد الدين وهو يكتب انفجرت عليه وهو بين يديه فما راعه إلَّا والمِدَّة والدم يسيلان بين يديّ أسد الدين ، فارتاع من ذلك وقال : احملوه ورقَّ له وعولج وانفسدت إحدى خرزات ظهره ثم اندملت وكانت له حَدْبة ، وفي ذلك يقول ابن عُنَيْن :

قد أصبحَ المُلْك ما له سبَبُ ... في الناسِ إلَّا البغاءُ والحَدَبُ
سلطانُنا أعْرَجٌ وكاتبُهُ ... ذو عَمَشٍ والوزيرُ مُنْحَدِبُ
معايبٌ كلُّها لو اجتمعتْ ... في فَلَكٍ لم تحلَّهُ الشُّهُبُ

- 673 -

(1) **عبد العزيز بن إبراهيم بن بيان بن داود** أبو الحسين المعروف بابن حاجب النعمان ، وكان أبوه حاجب النعمان أبي عبد اللّه الكاتب ؛ وكان عبد العزيز أبو الحسين أحد افراد الزمان في الفضل والنبل ومعرفة الكتابة بالدواوين ، وكان إليه أيام معز الدولة ديوان السواد . وكانت وفاته يوم الجمعة لسبع بقين من شهر رمضان سنة إحدى وخمسين وثلاثمائة .

قال المحسن التنوخي « ولقد شاهدت مجلساً في شهر رمضان سنة إحدى وخمسين وثلاثمائة كأنه من مجالس البرامكة ، ما شهدت مثله قط ، قبله ولا بعده ، وذلك أن كاتب الوزير أبي محمد الحسن المهلبي على ديوان السواد أبا الحسين عبد العزيز بن إبراهيم المعروف بابن حاجب النعمان سقط من روشن(2) في دار أبي محمد على دجلة فمات في اليوم الثامن من السقطة ، فجزع عليه أبو محمد وجاء من غد إلى أولاده لأنهم كانوا دفنوه عشياً ، وكنت معه ، فعزاهم بأعذب لسان ، وأحسن بيان ، ووعدهم الاحسان وقال : أنا أبوكم وما فقدتم من ماضيكم غير شخصه . ثم قال لابنه الأكبر أبي عبد اللّه : قد وليتك موضعَ أبيك ورددتُ إليك عمله ؛ ووليت أخاك أبا الحسين - وكان هذا صبياً سنه عشر سنين أو نحوها كتبة ابن أبي الغنائم - وأجريت عليه كذا وكذا (رزقاً كبيراً وقد ذهب عني) ، فليلزمه

673 - ذكره ياقوت في ترجمة ابنه علي بن عبد العزيز (رقم : 782) وقال : قد ذكرت معنى تسميتهم بحاجب النعمان في ترجمة أبيه ، وكان أبوه يكتب لأبي محمد المهلبي وزير معز الدولة . وقد اعتمدت في هذه الترجمة على ابن النديم : 149 وتاريخ بغداد 10 : 456 ونشوار المحاضرة 1 : 69 وله ترجمة في المنتظم 7 : 9 والوافي للصفدي 18 : 465 (ونقل منه الدكتور مصطفى جواد ، انظر الضائع : 88 (رقم : 18) .

(1) تقع قبل هذه الترجمة ترجمة عبد السلام الجبائي أبي هاشم ، فقد ذكره ياقوت في معجم البلدان (جبا) 2 : 13 وقال : كان كأبيه في علم الكلام وفضل عليه بعلم الأدب فإنه كان إماماً في العربية ، مات سنة 321 ببغداد ، وقال ياقوت في معجم الأدباء في ترجمة علي بن عيسى الصايغ « وقد ذكرت قصته (أي ابن درستويه) مع أبي هاشم بكمالها في ترجمة أبي هاشم عبد السلام » فهو قد ترجم له ، وسأنقل ترجمته عن الفهرست لأن ذلك مما درج عليه ياقوت في النقل ، وأوردها في الملحق .

(2) الروشن : الكوة .

فإن سنيهما متقاربة ليتعلم بتعلمه وينشأ بنشوئه فيجب حقه عليه . ثم قال لأبي العلاء صاعد بن ثابت خليفته على الوزارة : اكتب عهداً لأبي عبد اللّه واستدع كل من كان أبو الحسين ـ رحمه اللّه ـ مستأجراً منه شيئاً فخاطبه في تجديد الاجارة للورثة ، فانّ أكثر نعمه إنما كانت دخالات وإجارات ومزارعات قد انحلت الآن بموته ، ومن امتنع فزده من مالي واسأله ولا تقنع إلا بتجديد العقد كيف جرت الحال . ثم قال لأبي المكارم ابن ورقاء ـ وكان سلف[1] الميت ـ : إن ذيل أبي الحسين طويل، وقد كنت أعلم أنه يُجري على أَخَواتِهِ وأولادهنّ وأقاربه شيئاً كثيراً في كلّ شهر ، وهؤلاء الآن يهلكون بموته ، ولا حصةَ لهم في إرثه ، فقم إلى ابنة أبي محمد الماذرائي ـ يعني زوجة المتوفَّى ـ فعزِّها عني ، واكتب عنها جريدةً بأسماء جميع النساء اللواتي كان أبو الحسين يُجري عليهنّ وغيرهن من الرجال وضعفاء حاشيته ، وقال لأبي العلاء : إذا جاءك بالجريدة فأطلقها عاجلاً لشهر ، وتقدم باطلاقها على الادرار ، فبلغت الجريدة ثلاثة آلاف وكسراً في الشهر ، وعملت في المجلس وأطلق مثلها وامتثل جميع ما رسم به أبو محمد . فلم يبقَ أحد إلا بكى رقة واستحساناً لذلك . . . وقلت أنا لأبي محمد في ذلك اليوم : لو كان الموت يستطاب في وقت من الأوقات لطاب لكلّ ذي ذيلٍ طويل في أيام سيدنا الوزير ، فإن هذا الفعل تاريخ الكرم ، وبه يتحقق ما يروى عن الأسلاف من الأجواد ، والماضين من الكرماء الأفراد ، وغير ذلك مما حضر في الحال . ثم نهض أبو محمد ـ رحمه اللّه ـ فارتفعت الضجة من النساء والرجال وأهل الدار والشارع بالدعاء له والشكر .

قال ابن النديم : ولم يشاهد خزانة للكتب أحسن من خزانته لأنها كانت تحتوي على كل كتاب عين وديوان فرد بخطوط العلماء المنسوبة . وله من الكتب كتاب نشوة النهار في أخبار الجوار . كتاب الصبوة . كتاب أشعار الكتاب . كتاب أخبار النساء ويعرف بكتاب ابن الدكاني . كتاب الغرر ومنتهى الزهر . كتاب أنس ذوي الفضل في الولاية والعزل[2] .

---

(1) سلف الرجل : زوج أخت امرأته ، وهو الذي يقال له « عديل » بلغة هذه الأيام .

(2) تقع بعد هذه الترجمة ترجمة عبد العزيز بن أحمد المغربي الأخفش ، وقد وعد المؤلف بها في الترجمة رقم 764 ، ولكني لم أجد له ذكراً في المصادر .

- 674 -

عبد الغافر بن إسماعيل بن عبد الغافر عين الدين أبو الحسين الفارسي المحدث المؤرخ :

كان أديباً فاضلاً لم ير بخراسان والعراق أجمع منه للفضائل وهو سبط أبي القاسم القشيري ، مولده سنة إحدى وخمسين وأربعمائة وتوفي سنة تسع وعشرين وخمسمائة .

وقد خرج له الحفاظ الفوائد كالإمام أبي الفضل محمد بن أحمد الجارودي ؛ وهو الذي صنف الذيل على تاريخ الحاكم منذ وفاة الحاكم سنة خمس وأربعمائة ، وقرأ الكثير على المشايخ ، وكتب عن الإمام أبي الحسن علي بن فضال المجاشعي ، واختلف إلى إمام الحرمين الجويني ، وخرج إلى النواحي ونسا ، ودخل خوارزم وغزنة ومنها إلى لوهور ، وقرأ عليه الناس تصانيف القشيري ، وصنف كتباً منها : المفهم لصحيح مسلم وغير ذلك .

وله شعره حسن منه قوله :

من يبغ مالاً في الورى فأنا إلى ... طلب المعالي رائح [أو] غادي
نفسي وإن فقدت أمانيها فقد ... أبت أن تلين لخدمة الأوغادِ

- 675 -

عبد الكافي الهاروني اليهودي : صاحب الخط المليح إلى الغاية على طريقة ابن البواب ؛ كان موجوداً بعد الأربعمائة ، وأنشدت من شعره :

---

674 - صرّح ابن الفوطي (4/2 : 1133) بأنه ينقل ترجمة عبد الغافر الفارسي عن ياقوت ؛ وأثبت هنا ما أورده . ولعبد الغافر ترجمة في ابن خلكان 3 : 225 وطبقات السبكي 7 : 171 وتذكرة الحفاظ : 1275 وعبر الذهبي 4 : 79 والبداية والنهاية 12 : 235 ومرآة الجنان 3 : 259 والشذرات 4 : 93 وكانت ولادة عبد الغافر سنة451 ومن كتبه أيضاً مجمع الغرائب في غريب الحديث ؛ وقد تولى الخطابة فترة بنيسابور وكان محدثاً لغوياً فصيحاً ماهراً وبنيسابور توفي . وكتابه السياق لتاريخ نيسابور بقي منه منتخبان نشرهما فراي مصورين فيما أسماه (The Histories of Nishapur) وقد فرغ من كتابة السياق سنة 528 .

675 - صرح الصفدي أنه ينقل ترجمته عن ياقوت (انظر الضائع ، 97 رقم : 20) .

قلبي معنًّى عميدٌ بين الهوى والهواءِ
هذا يقودِ زمامي وذا يصد هوائي

وله أيضاً :

يا من يقرب وصلي منه موعده لولا عوائق من خلف تُبَاعِدُهُ
لا تحسبنَّ دموعي البيض غير دمي وإنما نفسي الحامي يصعّده

ـ 676 ـ

عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك بن طلحة بن محمد ، أبو القاسم القشيري النيسابوري ، شيخ خراسان وأُستاذ الجماعة ومقدم الطائفة ، توفي سادس عشر شهر ربيع الآخر سنة خمس وستين وأربعمائة . مات أبوه وهو طفل فنشأ وقرأ الأدب والعربية ، وكان يميل إلى أبناء الدنيا ، فدخل على أبي علي الدقاق فأعجبه حاله فصحبه فَجَذْبُهُ من ذلك ، أخذ طريق التصوف عن الأستاذ أبي علي وأخذ هو عن أبي القاسم الفيروزبادي ، وأخذ هو عن الشبلي ، عن الجنيد عن السري عن معروف الكرخي عن داود الطائي عن التابعين . وتفقه على أبي بكر محمد بن بكر الطوسي وأخذ علم الكلام عن ابن فورك ، وكان يحب الصوفية وأهل الدين والطريقة ، عظيماً عند أهل نيسابور ، يعظ ويتكلم بكلام الصوفية ؛ وكان ثقة حسن الوعظ مليح الإشارة .

ودخل بغداد وعقد مجلس التذكير فروى عن النبي ﷺ قوله : السفر قطعة من العذاب ، فقام إليه سائل فقال : لم سماه ﷺ قطعة من العذاب؟ فأجاب بديهاً : لأنه

676 ـ ذكر الصفدي أنه ينقل ترجمة القشيري عن ياقوت (الضائع : 98 رقم : 21) وقد لخصت ما أثبته من الصفدي ومن ترجمته في مرآة الزمان (وفيات 465)واستخرجت شعره من الدمية. وله ترجمة في تاريخ بغداد 11 : 83 والأنساب (القشيري) والمنتظم 8 : 280 وابن خلكان 3 : 205 وطبقات السبكي 5 : 153 والنجوم الزاهرة 5 : 81 والشذرات 3 : 319 وتاريخ ابن الأثير 10 : 88 وإنباه الرواة 2 : 193 وطبقات المفسرين : 21 وعبر الذهبي 3 : 259 وتبيين كذب المفتري : 271 ودمية القصر 2 : 993 والبداية والنهاية 12 : 107 وقد أورد له السبكي في طبقاته شعراً غير الذي أثبته عن دمية القصر ؛ وينقل السبكي جانباً من ترجمته عن السياق لعبد الغافر .

سبب فراق الأحباب ، فصاح الناس وماجوا ولم يقدر على إتمام المجلس .

وله من الكتب : كتاب آداب الصوفية . وكتاب بلغة الفاضل . وكتاب التحبير في علم التذكير ، وله أيضاً الرسالة في رجال الطريقة . والتفسير الكبير المسمَّى التيسير في علم التفسير . وكتاب لطائف الإشارات . وكتاب الجواهر . وكتاب عيون الأجوبة . وكتاب أحكام السماع ، وغير ذلك .

ومن شعره قوله :

يا من تشكى رمداً مسَّه ... لا ترفع الشكوى إلى خالقكْ
موجب ما مسَّك من عارضٍ ... أنك لم تنظر إلى وامقك

وقوله :

الأرض أوسع رقعةً ... من أن يضيق بك المكانُ
وإذا نبا بك منزل ... ويظل يلحقك الهوانُ
فاجعل سواه معرَّساً ... ومن الزمان لك الأمانُ

وله أيضاً :

قالوا بثينة لا تفي بعداتها ... روحي فداء عداتها وَمِطَالِهَا
إن كان تجز عداتها مستأخراً ... فلقد تَشَوَّقْنَا بنقد مقالها

ـ 677 ـ

عبد اللطيف بن يوسف بن محمد بن علي الموصلي البغدادي موفق الدين الأديب الحكيم المتكلم الفيلسوف أبو محمد ، المعروف قديماً بابن اللبان ، ولقبه تاج

677 ـ ينقل ابن الفوطي (تلخيص معجم الألقاب الترجمة 198 من حرف الميم كما جاء في الضائع : 100 رقم: 22) جانباً من ترجمته عن ياقوت ، كما ترجم له الصلاح الصفدي في الوافي مرتين (انظر الضائع) وعن هذين الكتابين أثبت ترجمته موجزة : ولكن له ترجمة ضافية في عيون الانباء 2 : 201 ـ 213 كما ترجم له الدبيثي والمنذري (في وفيات 629 من كتاب التكملة) والمستفاد من ذيل تاريخ بغداد: 173 وذيل مرآة الزمان 1 : 180 والفوات 2 : 385 وطبقات السبكي 8 : 313 والاسنوي 1 : 273 وإنباه الرواة 2 : 193 وعبر الذهبي 5 : 115 وحسن المحاضرة 1 : 541 وبغية الوعاة 2 : 106 والشذرات 5 : 132 ومرآة الجنان 4 : 68 والنجوم الزاهرة 6 : 279 وانظر كتابه « مقالتان في =

الدين الكندي بالجدي المطجن لرقة وجهه وتجعده ويبسه ؛ ولد ببغداد سنة تسع وخمسين وخمسمائة ؛ وأسمعه والداه الكثير في صباه من أبي الفتح ابن البطي وأبي زرعة طاهر بن محمد بن طاهر المقدسي ، وقرأ العربية على ابن الانباري وصحب أبا النجيب الضرير النحوي ، وبرع في النحو وتميز على أقرانه ، وقرأ الطب والحكمة ، وكان يكتب خطاً مليحاً ، وسافر إلى الشام ودخل مصر ولقي قبولاً ، وقرأ الناس عليه الأدب والطب ، ودخل بلاد الروم وأقام بها مدة وكان يطبب ملكها ، ولما توفي الملك عاد إلى حلب وحدث بها ، وحجَّ وأقام ببغداد مريضاً بعلة الذرب .

لبس الخرقة من ضياء الدين أبي النجيب عبد القاهر السهروردي ، وقرأ على الشيخ الحسن بن علي بن عبيدة الكرخي ، وكان دميم الخلقة نحيلها قليل لحم الوجه .

وذكره الفاضل في رسالة كتبها إلى الوزير نجم الدين بن المجاور يقول فيها في حق الشيخ موفق الدين : أديب ملأ فنه الأسماع ، وفاضل لا بأخبار الآحاد ولكن بتواطؤ الاجماع ، عينه فراره ، وفي لسانه من العبارة عياره ، وفي قلبه من الذكاء ناره .

وله من التصانيف : كتاب غريب الحديث . وكتاب الواضحة في الفاتحة . وشرح بانت سعاد . وذيل الفصيح . وخمس مسائل نحوية . وشرح مقدمة ابن بابشاذ . وشرح الخطب النباتية . وشرح سبعين حديثاً . وشرح أربعين حديثاً طبية . والرد على فخر الدين الرازي في تفسير سورة الإخلاص . وكتاب شرح نقد الشعر لقدامة . وكتاب قوانين البلاغة . وكتاب الانصاف بين ابن بري وابن الخشاب في كلامهما على المقامات . وكتاب قبسة العجلان في النحو . وكتاب اختصار العمدة لابن رشيق . وكتاب أخبار مصر (الكبير) . وكتاب الافادة في أخبار مصر[1] . ومقالة في الرد على اليهود والنصارى . ومقالة في النفس . ومقالة في العطش . وكتابه في العلم

= الحواس » (الكويت 1972) ففيه عدد من رسائله ودراسة له وتعريف به وبمؤلفاته وذكر عدد من الدراسات الحديثة عنه .

(1) طبع بعنوان « الإفادة والاعتبار » عدة مرات .

الإلهي . وكتاب الجامع الكبير في المنطق والطبيعي والإلهي . واختصار مادة البقاء للتميمي . وكتاب بلغة الحكيم . واختصار كتاب النبات . واختصار كتاب الحيوان لأرسطاطاليس ، واختصر كتباً كثيرة في الطب ، وله كتاب يتضمن سيرته ، وغير ذلك كثير[1] .

ـ 678 ـ

عبد الواحد بن محمد بن علي بن زكريا أبو القاسم : قال ياقوت : وقفت على كتاب شرح فيه أشعار أبي الطيب المتنبي فأجاده وكبره ، وهو من أهل أصبهان .

ـ 679 ـ

عبيد اللّه بن أحمد بن خرداذبه أبو القاسم الكاتب : كان جده خرداذبه مجوسياً فأسلم على يد البرامكة ، وتولى عبيد اللّه هذا البريد والخبر بنواحي الجبل . ونادم المعتضد وخصَّ به ، وكان راوية للأخبار والآداب ، ويأتي في تصانيفه بالغرائب حتى قال بعضهم في شيء نقله عنه : كذا زعم ابن خرداذبه وإن يكن كاذباً فعليه كذبه ؛ وكان أبو الفرج الأصبهاني إذا أورد عنه شيئاً في كتابه أرفقه بالوقيعة فيه والتنقص له بقوله إنه قليل التصحيح لما يرويه ويضمنه كتبه .

وفي كتاب أحمد بن أبي طالب الكاتب أنبأنا أبو عبد اللّه حمد بن أحمد بن إبراهيم الحكيمي ، أنبأني عبيد اللّه بن أحمد بن خرداذبه قال حدثني أبي قال : كان

(1) قد تأتي هنا ترجمة عبد الواحد بن علي بن عمر بن إسحاق بن إبراهيم بن برهان (بفتح الباء) لأنه نحوي صاحب عربية ؛ ولكن لم أجد ما يثبت نقلاً في ترجمته عن ياقوت : وقد استشهد مصطفى جواد على وجود ترجمة له في ياقوت من نصٍ ورد فيه ذكر اسمه نقله الذهبي (في وفيات 456) عن ياقوت،ولكن هذا النص موجود في ترجمة علي بن الحسين الشريف المرتضى (رقم: 748) .

678 ـ هذه الترجمة مأخوذة عن الوافي للصفدي (الضائع : 111 رقم: 24) .

679 ـ لابن خرداذبه ترجمة في الفهرست: 165 والوافي (الضائع: 111) وتاريخ ابن النجار (المصدر السابق) ويصرّح الصفدي بالنقل عن ياقوت؛ وما أثبته هنا ملخص من الكتب المذكورة ؛ أما عبارة « قليل التصحيح لما يرويه ويضمنه كتبه » فمأخوذة عن الأغاني (دار الكتب 1 : 36) وقد طبع من كتبه : كتاب المسالك ، وكتاب اللهو والملاهي .

كسرى ابرويز قد قال له منجموه إنك تقتل ، فقال : لأقتلن الذي يقتلني ، فأمر بسم فخلط له في أدوية ثم كتب عليه : « دواء للجماع مجرب ، من أخذ منه وزن كذا وكذا مرة . . وصيره في خزانة الطب ، فلما قتله ابن شيرويه وفتش خزائنه مرَّ به فقال في نفسه : أبهذا الدواء كان يقوى على شيرين ؟ فأخذ منه فمات ، فقتله أبوه وهو ميت .

ومما أنشده أبو بكر محمد بن خلف المرزبان لابن خرداذبة :

في مثل وجهك يحسن الشعر ... ويكون فيه لذي الهوى عُذْرُ
ما إن نظرت إلى محاسنه ... إلا تداخلني له كبر
تتزين الدنيا بطلعته ... ويكون بدراً حين لا بدر

وله من الكتب : كتاب أدب السماع . كتاب جمهرة أنساب الفرس والنواقل . كتاب المسالك والممالك . كتاب الطبيخ . كتاب اللهو والملاهي . كتاب الشراب . كتاب الأنوار . كتاب الندام والجلساء .

ـ 680 ـ

عبيد اللّه بن أحمد بن محمد ، أبو الفتح النحوي المعروف بجخجخ (بجيم ثم خاء ثم جيم ثم خاء) : سمع البغوي وابن دريد ، وكان ثقة صحيح الكتابة ، وصنف : مجالسة العلماء ، والعزلة والانفراد . وأخبار جحظة وغير ذلك . [ومولده سنة ست وثمانين ومائتين ، وتوفي سنة ثمان وخمسين وثلاثمائة] .

ـ 681 ـ

عبيد اللّه بن عبد الرحيم أبو القاسم الأصبهاني : أحد فضلاء أصبهان وأدبائها ، له تصانيف منها كتاب أخبار أبي الطيب ، وكتاب استدرك فيه على ابن جني في كتابه الصغير المسمى بالواضح ؛ ولا أعرف من حاله شيئاً إلا أنه كان حياً سنة إحدى وأربعمائة .

---

680 ـ عن بغية الوعاة 2 : 126 وفيه تصريح بالنقل عن ياقوت ؛ وانظر : إنباه الرواة 2 : 152 ونزهة الألباء : 210 .

681 ـ ترجمته عن الوافي (الضائع : 114 رقم : 26) وفيه يصرح الصفدي بنقله عن ياقوت .

ـ 682 ـ

عبيد الله بن محمد بن أبي بـردة أبو محمـد القصري : من قصـر الزيت بالبصرة ، قاضي فارس ، نحوي لغوي معتزلي ، ذكره أبو الفتح منصور بن المقدر[1] النحوي المعتزلي محتجاً به وبأمثاله على أبي بكر الباقلاني لأنه قال : إن الكلابية[2] تقول إن النظر إذا قُرِنَ بإلى لم يحتمل إلا الرؤية ، وان المعتزلـة تبطل ذلـك بقول الشاعر :

إني إليـكَ لمـا وعـدتَ لنـاظـرٌ   نَـظَرَ الفقيـرِ إلى الغنيِّ المـوسِـرِ

قال : هذا اعتراض باطل ، لأن الشاعر قال إليك ، واللّه قال : ﴿ **إلى رَبِّها** ﴾ (القيامَة: 23) وأحدهما غير الآخر لأن أحدهما بالياء والآخر بالألف ؛ قال : من يخاصم المعتزلة الذين هم ذوو اللسن والفصاحة بهذا الكلام لا يكون غبياً بل أنقص حالةً من الأغبياء . وقد كان يحضرُ منهم في زمنِ أمراء المؤمنين المطيع والطائع والقادر نحو من مائة المجالسَ ، كلّ منهم أو جمهورهم قد قرأ كتاب سيبويه وإليه انتهى ، كعلي بن عيسى الرماني وأبي سعيد السيرافي ، وذكر جماعة ، ثم قال : وأبو محمد عبيد اللّه بن محمد بن أبي بردة القصري ، من قصر الزيت بالبصرة ، قاضي فارس ، وله الانتصار لسيبويه على أبي العباس في كتاب الغلط ، ولـه مسائـل سألهـا الشيخ أبـا عبد اللّه البصري[3] في إعجاز القرآن وغير ذلك .

682 ـ بغية الوعاة 2 : 127 .

(1) هو منصور بن محمد بن عبد اللّه بن المقدر التميمي ، من أصحاب الصاحب ابن عباد ، توفي سنة 442 وسيترجم له ياقوت .

(2) اتباع أبي محمد ابن كلاب عبد اللّه بن سعيد بن كلاب القطان البصري ، رأس المتكلمين في زمـانه بالبصرة ، شهر بالرد على المعتزلة (انظر سير الذهبي 11 : 174 وذكر مصادر أخرى) .

(3) هو الحسين بن علي أبو عبد اللّه البصري المعتزلي (ـ 369) وهو صاحب كتاب المعتمد . انظر طبقات المعتزلة: 325 ـ 328 .

ـ 683 ـ

عبيد الله بن محمد بن أبي محمد اليزيدي واسم أبي محمد يحيى بن المبارك بن المغيرة، وكنية عبيد اللّه أبو القاسم، يعرف بابن اليزيدي، ذكره الخطيب فقال: مات في سنة أربع وثمانين ومائتين قال: وسمع محمد بن منصور الطوسي وعبد الرحمن بن أخي الأصمعي. وروى عن عمّه إبراهيم بن يحيى وأخيه أحمد بن محمد عن جده أبي محمد اليزيدي عن أبي عمرو بن العلاء حروفه في القرآن. حدث عنه ابن أخيه محمد بن العباس وأحمد بن عثمان الأدمي، وكان ثقة.

حدث عبيد اللّه عن عمه إبراهيم قال حدثني أبي قال: كنت مع أبي عمرو بن العلاء في مجلس إبراهيم بن عبد اللّه بن حسن بن حسن بن علي بن أبي طالب عليهم السلام، فسأل عن رجل من أصحابه فقده، فقال لبعض من حضره: اذهب فسل عنه، فرجع فقال: تركتُهُ يريدُ أن يموت، قال: فضحكَ منه بعضُ القوم وقال: في الدنيا إنسان يريد أن يموت؟! فقال إبراهيم: لقد ضحكتم منها عربيةً، إنّ يُريد في معنى يكاد قال اللّه تعالى: ﴿ جِدَاراً يُرِيدُ أَنْ يَنْقَض ﴾ (الكهف: 77) أي يكاد، قال فقال أبو عمرو: لا نزال بخير ما كان فينا مثلك.

قال أبو القاسم الزجاجي: أنشدني أبو عبد اللّه اليزيدي لعمه عبيد اللّه بن محمد(1):

قد ضقتُ ذرعاً بكَ مستصلحاً وأنت مزورٌّ عن الواجبِ
من لي بأن تعقل حتى ترى كم لك في العالم من عائبِ

ـ 684 ـ

عبيد الله بن محمد بن جعفر بن محمد بن عبد الله الأزدي أبو القاسم

683 ـ تاريخ بغداد 10: 338 وطبقات ابن الجزري 1: 492 وانباه الرواة 2: 153.
684 ـ تاريخ بغداد 10: 358.

(1) شعر اليزيديين: 201 (عن معجم الأدباء).

النحوي : ذكره الخطيب فقال : مات في سنة ثمان وأربعين وثلاثمائة في أيام المطيع ، قال : وحدَّث عن محمد بن الجهم السمري بكتاب « المعاني » للفراء وعن مسلم بن عيسى الصفار وأبي بكر ابن أبي الدنيا وابن قتيبة . روى عنه المعافى بن زكرياء الجريري وأبو إسحاق إبراهيم بن أحمد الطبري وغيرهما .

حدثنا عنه ابن رزقويه قال : وسألتُ أبا يعلى محمد بن الحسين السراج المقرىء عن الأزدي فقال ضعيف ، وقال غير الخطيب : له كتاب الاختلاف . وكتاب النطق .

ـ 685 ـ

عبيد الله بن محمد بن جرو الاسدي أبو القاسم النحوي العروضي المعتزلي : ذكره ابن المقدر في المعتزلة من أهل الموصل ، قدم بغداد وقرأ على شيوخها ، فأخذ علم الأدب عن أبي علي الفارسي وأبي سعيد السيرافي وغيرهما ، وكان ذكياً حاذقاً جيد الخط صحيح الضبط صنف كتباً ، ومات فيما ذكره هلال بن المحسن في يوم الثلاثاء لأربع بقين من رجب سنة سبع وثمانين وثلاثمائة وكان يقول الشعر ، فوجدت له في بعض الكتب :

قطعتَ من السنين مدىً طويلاً ... ولم تعرف عدوَّكَ من صديقِكْ
فسرتَ على الغرور ولست تدري ... أماءٌ أم سرابٌ في طريقكْ

قرأت في كتاب « الموضح في العروض » من تصنيف ابن جرو هذا أخباراً أوردها عن نفسه فيه ومناظرات جرتْ له مع الشيوخ في العروض منها : قرأت على شيخنا أبي سعيد رحمه اللّه كتاب « الوقف والابتداء » عن الفراء روايته عن أبي بكر ابن مجاهد عن ابن الجهم عنه فمضى فيه بيت أنشده الفراء :

بأبي امرؤ ألشامُ بيني وبينه ... أتتني ببشرى بردُهُ ورسائِلُهْ

685 ـ ترجمة ابن جرو في إنباه الرواة 2 : 154 وبغية الوعاة 2 : 127 (وفيه تصريح بالنقل عن ياقوت) وطبقات المفسرين للسيوطي : 22 وانظر تاج العروس 10 : 71 .

فقلت : هذا البيت لا يستقيم ، فقال أبو سعيد : كذا أنشده ابن مجاهد عن الفراء ، وهو كما قال ، أنشدناه غيره من شيوخنا عن أبي بكر وعن ابن بكير عن ابن الجهم وعن ابن الأنباري عن أحمد بن يحيى عن سلمة عن الفراء هكذا . فقال أبو سعيد : ما عندك فيه ؟ فقلت : رأيت هذا البيت بخط أبي سهل النحوي في هذا الكتاب بأَبْوي آمرؤ وقال : ردَّ الأب إلى أصله لأنه في الأصل عند الكوفيين أَبْوٌ على فَعْل مثل نحو وغزو ، فقال لي أبو سعيد : لا ينبغي أن تلتفتَ إلى هذا لأنّ الرواة والناقلين أجمعوا على أنه مكتوب بأبي ، وكذلك لفظوا به ، ولكن إصلاحه أن يكون بأبي امرؤ فيكون بأَبْيَمْ فعولن ، وسكن كسرة الباء من أبي لأنه قدَّرَهُ تقديرَ فَخِذٍ ، وهذا لعمري تشبيه حسن لأنهم قد أجروا هذا في المنفصل مجرى المتصل فقالوا اشترِلْنا ، جعل تَرِل بمنزلة فَخِذ ، وأشدّ من هذا قراءة حمزة وَمَكْرَ السَّيِّءْ وَلَا ، جعل سَيِءًا بمنزلة فَخِذ ثم اسكن كما يقال فَخْذٌ ، والحركة في السيء حركة إعراب ، ففي هذا ضربان من التجوز جَعْلُهُ المنفصل بمنزلة المتصل وتشبيهُهُ حركةَ الإعراب بحركة البناء .

وله من التصانيف كتاب الموضح في العروض جوّد في تصنيفه . وكتاب المفصح في القوافي . وكتاب الأمد في علوم القرآن ، لا أدري هل تم أم لا ، لأنه قال في كتاب الموضح في العروض « وقد شرعنا في كتاب الأمد في علوم القرآن » ثم وجدت في فوائد نُقِلَتْ عن أبي القاسم المغربي أن كتابه في تفسير القرآن لم يتم وأنه ذكر في « بسم اللّه الرحمن الرحيم » مائةً وعشرين وجهاً . قال : ومات قبل الأربعمائة .

ذكر الشيخ أبو محمد ابن الخشاب في بعض كتبه[1] في معرض كلام : وحكى بعض الأشياخ من أهل صناعة النحو أنّ عضد الدولة الديلمي التمس من أبي علي الفارسي إماماً يصلّي به ، واقترح عليه أن يكونَ جامعاً إلى العلم بالقراءة العلمَ بالعربية ، فقال : ما أعرف من قد اجتمعت فيه مطلوبات[2] الملك إلا ابن جرو ، لأحد

(1) بهامش كوبريللي (ك) : هو المسائل الاسكندريات .

(2) نسخة كوبريللي (ك) : مطلوب .

أصحاب أبي علي ، وهو أبو القاسم عبيد الله بن جرو الأسدي ، فقال : ابعثه إلينا ، فجاء به وصلّى بعضد الدولة ، فلما كان الغدُ وافى أبو علي وسأل الملك عنه فقال : هو كما وصفتَ إلا أنه لا يقيم الراء ، أي يجعلها غيناً ، كعادة البغداديين في الأغلب ، فقال أبو علي لابن جرو ورآه كما قال عضد الدولة : لِمَ لا تقيم الراء ؟ فقال : هي عادةُ للساني لا أستطيعُ تغييرها ، فقال له أبو علي : ضع ذبابة القلم تحت لسانك لترفعه به ، وأكثر مع ذلك ترديد اللفظ بالراء ، ففعل واستقام له إخراجُ الراء من مخرجها .

قال : هذا معنى الحكاية التي حكيت لي في هذا ، فقلت للشيخ الحاكي لي رحمه اللّه ، وأنا إذ ذاك حدث : ما أحسن ما تلطف أبو علي في طبّه هذا ، فما الذي دلّه على هذه المعالجة ؟ ومن أين استنبط هذه المداواة ؟ وكيف احتال لهذا البُرْءِ ؟ فقال : هذا الذي حكي لنا فما عندك فيه ؟ فأجبتُ بما استحسنه الشيخ وحاضروه فقلتُ : لا شبهةَ بأنّ الغين حرفُ حَلْقي لا عملَ للسان فيه ، والراء حرفٌ من حروف اللسان ، وله فيه عمل ، فمن نَطَقَ بالغين مكانَ الراء لم يكنْ للسان فيه عمل بل هو قارٌّ في فجوته ، والحرف الحلقي منطوقٌ به مع سكون اللسان واستقراره ، فإذا رفعه بطرف القلم أو غيره مما يقوم مقامه في رفعه ولَفَظَ بالحرف جعل له عملاً في الحرف فبطل أن يكون حلقياً أي غيناً ، لأن حروف الحلق لا عمل للسان فيها ، وإذا بطل أن يكون غيناً كان راءً وهو الحرف الذي تُلفِّظَ بالغين بدلاً منه ، فافهمه وداوِ به ما جرى هذا المجرى من الحروف ، فلو كان واصل بن عطاء الغزالَ حاذقاً حذقَ أبي علي رحمه اللّه فداوى رأرأته ولثغته بهذا الدواءِ لأراحه من تكلفه إخراجَ الراء من كلامه حتى شاع عنه من إبدالِ بعض الكَلِمِ ما شاع .

قال : وقد حكي أن الزجاج أبا إسحاق كان بهذه الصفة ، أعني رأراء ، وذلك فيما قرأته بخط ابن برهان النحوي .

ـ 686 ـ

عبيد الله أبو بكر الخياط الأصبهاني : ذكره حمزة فقال : هو واحد زمانه في

686 ـ بغية الوعاة 2 : 130 (وهو ينقل عن ياقوت) .

علم النحو ورواية الشعر ، أتقن « كتاب سيبويه » صغيراً ثم « كتابَ مسائل الأخفش » ثم « كتاب حدود الفراء » . وهو في الأخبار والأيام وسائر الآداب متقدم على كل من تفرد بفن[1] منها وله كتابان في النحو : أحدهما بسيط والآخر لطيف ، لم يُصَنَّفْ مثلهما في الزمان .

ولما مات أبو بكر الخياط رثته الشعراء ، فمن ذلك قول أبي مسلم ابن جحا الكوفاني :

سـآتي بـاكيـاً شطَّ الفراتِ لعيني أستمدُّ مدى حياتي
فـأبكي ثم أبكي ثم أبكي على من قد توسَّدَ جَنْدَلاتِ
على قمرِ الزمانِ وزينِ علمٍ عبيـدِ اللّه كنزِ الفـائـداتِ

وله يرثيه[2] :

وَدَّعْـتُ بعـدَ أبـي بكـر ودنـيـاه ديـوانَ شعـرٍ ونحـواً ملكَ يمنـاهُ
طـوى الثرى معـه كلَّ العلوم فـلا نشـرٌ يُـرَجَّى لـه من بعد مثـواهُ
من لي بمثـل عبيد اللّه يـومَ ثـوى رهن الحمام وهل في الناس شَرْواهُ

ومن كتاب الوزراء لهلال[3] بن المحسن : حدثني أبو السري الأصبهاني ابن أخت أبي بكر الخياط الأصبهاني قال : كان أبو بكر خالي يحفظ دواوين العرب ويقوم عليها قياماً تاماً ، ويتصرف في كتاب سيبويه ومسائل الأخفش تصرفاً قوياً ، فحدثني أن أبا الفضل ابن العميد كان يقرأ عليه « كتاب الطبائع » لأبي عثمان الجاحظ ، فاتفق أن كان في بعض الأيام عنده وقد نـزع نعله ، فأخـذه كلبٌ زيني في الدار وأبعـده عن موضعه ، وأراد أبو بكر الطهارة فقام ولم يره ، وطلبه فلم يجده ، فتقدم أبو الفضل أن يُقَدَّمَ إليه نعلُ نفسه ، فاستسرف ذلك من فعله استسرافاً بلغه ، فقال : أُلامُ على تعظيم رجلٍ ما قرأتُ عليه شيئاً من « الطبائع » إلاّ عرف ديوان قائله وقرأ القصيدة من أولها

(1) بفن : سقطت من ك .
(2) سقطت هذه الأبيات من نسخة ك .
(3) ك : لهليل .

حتى ينتهي إليه ؟! ولقد كنتُ وغيري نتهم أبا عثمان الجاحظ فيما يستشهدُ به من غريب الشعر حتى دلَّنا على مواضعه وأنشد القصيدة حتى انتزع منها من حفظه ، أفما يستحقُّ مَن هذه الصفة صفته هذه الكرامةَ اليسيرةَ في جنب هذه الفضيلة الكبيرة ؟!

وذكر ابن العميد يوماً أبا بكر الخياط النحوي فقال : أفادني في نقد الشعر ما لم يكن عندي ، وذاك أنه جاءني يوماً باختياراتٍ له ، فكنتُ أرى المقطوعة بعد المقطوعة لا تدخلُ في مُرْتَضَى الشعر ، فأعجبُ من إيراده لها واختياره إياها ، فسألته عنها فقال : لم يُقَلْ في معناها غيرها ، فاخترتها لانفرادها في بابها .

ـ 687 ـ

عبيد اللّه بن محمد بن علي بن شاهمردان أبو محمد : لا أعرف من حاله شيئاً إلا أنني وجدتُ له كتاباً في اللغة في مجلّدٍ سمَّاه « حدائق الآداب » .

ـ 688 ـ

عبيد بن سَرْيةَ ، ويقال ابن سارية ، ويقال ابن شرية الجرهمي : ذكره ابن عساكر في « تاريخ دمشق » وقال : وفد على معاوية ، وقيل إنه لم يفد عليه وإنه لقيه بالحيرة لما توجّه معاويةُ إلى العراق ، ثم حدث باسناد رفعه إلى أبي حاتم السجستاني قال : وعاش عبيد بن سارية الجرهمي ثلاثمائة سنة ، وقال بعضهم مائتين وعشرين سنة ، إلا أننا نظن أنه عاشها في الجاهلية وأدرك الإسلام فأسلم ، وقدم على معاوية بن أبي سفيان فبلغنا أن معاوية قال له : كم أتى عليك ؟ قال : مائتان وعشرون سنة ، قال : ومن أين علمت ذاك ؟ قال : من كتاب اللّه ، قال : ومن أي كتاب اللّه ؟ قال من قول اللّه سبحانه ﴿ وَجَعَلْنَا ٱللَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ آيَتَيْنِ فَمَحَوْنَا آيَةَ ٱللَّيْلِ وَجَعَلْنَا آيَةَ ٱلنَّهَارِ

---

687 ـ بغية الوعاة 2 : 129 (وهو ينقل عن ياقوت) .

688 ـ يعتمد ياقوت في هذه الترجمة على تاريخ ابن عساكر (المصورة 11 : 17) ومختصر ابن منظور 16 : 36 والفهرست لابن النديم : 102 والنصّ الذي يرفعه إلى أبي حاتم السجستاني ورد في « المعمرون والوصايا » : 50 ـ 53 وله في مروج الذهب أخبار (انظر الفهرس) وينسب له أخبار عبيد بن شرية وقد نشر تالياً لكتاب التيجان (حيدر أباد الدكن 1347) .

مُبْصِرَةً لِتَبْتَغُوا فَضْلاً مِنْ رَبِّكُم ﴾ (الإسراء: 12) الآية ؛ فقال له معاوية : وما أدركت ؟ قال : أدركتُ يوماً في أثر يوم وليلةً في أثر ليلة متشابهاً كتشابه الحذف يحدوان بقومٍ في ديار قوم يكدحون[1] ما يبيد عنهم ، ولا يعتبرون بما مضى منهم ، حيُّهم يتلف ، ومولودهم يخلف ، في دهر يُصَرَّف ، أيامه تقلَّبُ بأهلها كتقلبها دهرها ، بينا أخوها في الرخاء إذ صار في البلاء ، وبينا هو في الزيادة إذ أدركه النقصان ، وبينا هو حرّ إذ أصبح قِنّاً لا يدوم على حال ، من مسرور بمولود ، ومحزون بمفقود ، فلولا أن الحيَّ يتلف لم يسعهم بلد ، ولولا أن المولود يخلف لم يبق أحد . قال معاوية : أخبرني عن المال أيه أحسنُ في عينك ؟ قال : أحسن المال في عيني وأنفعه غناءً ، وأقله عناءً ، وأجداه على العامة عينٌ خرارة في أرضٍ خوّارة ، إذا استُودعت أدَّت ، وإذا استحلبتها دَرَّتْ وأفعمت ، تعول ولا تعال . قال معاوية : ثم ماذا ؟ قال : فرسٌ في بطنها فرس تتبعها فرس قد ارتبطتَ منها فرساً . قال معاوية : فأيّ النعم أحبُّ إليك ؟ قال : النعم لغيرك يا أمير المؤمنين ، قال : لمن ؟ قال : لمن فلاها بيده وباشرها بنفسه . قال معاوية : حدثني عن الذهب والفضة ، قال : حجران إن أخرجتهما نفدا وإن خزنتهما لم يزيدا . قال معاوية : فأخبرني عن قيامك وقعودك ، وأكلك وشربك ، ونومك وشهوتك للباءة ، قال : أما قيامي فان قمت فإن السماء تبعد ، وان قعدت فالأرض تقرب ، وأما أكلي وشربي فان جعتُ كَلِبْتُ ، وإن شبعتُ بهرت ، وأما نومي فإن حضرتُ مجلساً حالفني ، وان خلوتُ أطلبه فارقني ، وأما الباءة فإن بذل لي عجزت ، وإن منعته غضبت . قال معاوية : فأخبرني عن أعجب شيء رأيته ، قال : إني نزلت بحيّ من قضاعة فخرجوا بجنازة رجلٍ من عذرة يقال له حُرَيث بن جَبَلة ، فخرجت معهم ، حتى إذا واروه انتبذت جانباً عن القوم وعيناي تدمعان[2] ثم تمثلت بأبيات شعرٍ كنت رويتها[3] قبل ذلك :

يا قلبُ إنك في أسماءَ مغرورُ ... اذكرْ وهل ينفعنْكَ اليومَ تذكيرُ

(1) المعمرون : يكذبون .

(2) ابن عساكر والمعمرون : تذرفان .

(3) المعمرون : تمثلت شعراً كنت رويته .

قد بحتَ بالحبِّ ما تُخْفيهِ من أحدٍ حتى جرت بك أَطلاقاً محاضيرُ[1]
تبغي أموراً فما تدري أعاجلها خيرٌ لنفسك أم ما فيه تأخيرُ
فاستقدرِ اللّه خيراً وآرْضَيَنَّ به فبينما العسرُ إذ دارت مياسيرُ
وبينما المرءُ في الأحياء مغتبطاً إذ صار في الرمس تعفوهُ الأعاصيرُ
حتى كأنْ لم يكنْ إلا تذكّره والدهرُ أيتما حالٍ دهاريرُ
يبكي الغريبُ عليه ليس يعرفُهُ وذو قرابته في الحيِّ مسرورُ
وذاك آخر عهدٍ من أخيك إذا ما المرء ضمنه اللحدَ الخناسيرُ

(الواحد خنسير والجمع الخناسير ويقال الخناسرة وهم الذين يتبعون الجنازة)[2] فقال رجل إلى جانبي يسمع ما أقول : يا عبد اللّه من قائل هذه الأبيات ؟ قلت : والذي أحلف به ما أدري إلا أني[3] قد رويتها منذ زمان ، قال : قائلها الذي دفنّاه آنفاً ، وأنا هذا ذو قرابته أسرُّ الناس بموته ، وانك للغريبُ الذي وصف تبكي عليه ، قال : فعجبت لما ذكر في شعره والذي صار إليه من قوله ، كأنه كان ينظر إلى موضع قبره ، فقلت : إن البلاءَ موكلٌ بالمنطق .

قال المؤلف : وذكره محمد بن إسحاق النديم في « كتاب الفهرست » فقال : عبيد بن شرية الجرهمي أدرك النبي ﷺ ولم يسمع منه شيئاً ، ووفد على معاوية بن أبي سفيان فسأله عن الأخبار المتقدمة وملوك العرب والعجم وسبب تبلبل الألسنة وأمر افتراق الناس في البلاد ، وكان استحضره من صنعاء اليمن ، فأجابه بما أمر به معاوية أن يدوَّن وَيُنْسَبَ إلى عبيد بن شرية ، ثم عاش عبيد إلى أيام عبد الملك بن مروان . وله من الكتب : كتاب الأمثال . كتاب الملوك وأخبار الماضين .

وقال غير النديم : كان عبيد بن شرية يروي عن الكيس النمري وابنه زيد بن الكيس وعن الكسير الجرهمي وعبد ودّ الجرهمي .

---

(1) الأطلاق : الأشواط ، المحاضير : الخيول السريعة .
(2) في اللسان : الخناسير : الهلاّك .
(3) إلاأني : سقطت من ك وابن عساكر .

ـ 689 ـ

عبيد بن مسعدة يعرف بابن أبي الجليد ، قال المرزباني : أبو الجليد الفزاري المنظوري المدني اسمه مسعدة، وابنه ابن أبي الجليد نحويّ أهل البصرة(1) اسمه عبيد بن مسعدة ، وكان أبو الجليد أعرابياً بدوياً علامة ، وكان الضحاك بن عثمان يروي عنه ؛ وأبو الجليد هو القائل ورأى جارية سوداء غليظة الجسم :

إن لا يُصِبْني أجلي فأُخْتَرَمْ أشترِ من مالي صناعاً كالصَّتَمْ(2)
عريضةَ المعطس خشناءَ القدمْ تكونُ أمَّ ولدٍ وتختدمْ
إذا ابنها جاء بشرٍّ لم يُلَمْ يقتّلُ الناسَ ولا يوفي الذممْ

ـ 690 ـ

عتاب بن ورقاء الشيباني: نقلت من خط أبي سعد السمعاني : أنبأنا إبراهيم بن نبهان الغنوي ، حدثنا أبو عبد اللّه الحميدي عن أبي العباس أحمد بن عمر العذري بالمغرب عن أبي البركات محمد بن عبد الواحد الزبيري بالأندلس عن أبي سعيد السيرافي عن أبي إسحاق الزجاج عن المبرد قال : لما وصل المأمونُ إلى بغداد وقرَّ بها قال ليحيى بن أكثم : وددتُ لو أني وجدتُ رجلاً مثلَ الأصمعيّ ممن عرف أخبارَ العرب وأيامها وأشعارها فيصحبَني كما صحب الأصمعيّ الرشيد . فقال له يحيى : ها

689 ـ بغية الوعاة 2 : 131 (وهو ينقل عن ياقوت) ويعتمد المؤلف على المرزباني ، ولكن ترجمة ابن أبي الجليد لم ترد في نور القبس .

690 ـ لا يمكن أن يكون هو عتاب بن ورقاء الذي كان يعدُّ أحد الثلاثة من أجواد أهل الكوفة (ذيل الأمالي : 20) والذي تتردد أخباره في الكتب الأدبية وينسب له من النوادر ظنه أنَّ « كتب القتل والقتال علينا . . . » من القرآن (البيان والتبيين 2 : 235 ـ 236) وله مواقف مع المهلب بن أبي صفرة ، ذلك لأن عتاباً هذا قتله شبيب الخارجي (الكامل 3 : 382) والأبيات التي أنشدها للمأمون وردت في الأغاني (14 : 100) منسوبة لمحمد بن حازم الباهلي حين أراده ابراهيم بن المهدي على الشرب .

(1) ك : المدينة .

(2) الصتم : ما عظم واشتد من كل شيء . م : الصنم .

هنا شيخ يعرف هذه الأخبار يقال له عتاب بن ورقاء من بني شيبان ، قال : فابعث لنا فيه . فحضر فقال له يحيى : إن أمير المؤمنين يرغبُ في حضورك مجلسه ومحادثته ، فقال : أنا شيخ كبير ولا طاقةَ لي لأنه ذهب مني الأطيبان ، فقال له المأمون : لا بد من ذلك ، فقال الشيخ ، فاسمع ما حضرني ، فقال اقتضاباً :

أبعدَ ستينَ أصبو والشيبُ للمرءِ حربُ
شيبٌ وسنٌّ وإثمٌ أمرٌ لعمرك صعبُ
يا ابنَ الإمام فهلاّ أيامَ عوديَ رطبُ
وإذ مشيبي قليلٌ ومنهلُ العيشِ عذبُ
فالآن لما رأى بي عواذلي ما أحبوا
آليتُ أشربُ راحاً ما حجَّ للّه ركبُ

فقال المأمون: ينبغي أن تكتب بالذهب، وأعفى الشيخ وأمر له بجائزة .

- 691 -

عثمان بن جني أبو الفتح النحوي : وكان جني أبوه مملوكاً رومياً لسليمان بن فهد الأزدي الموصلي : من أحذق أهل الأدب وأعلمهم بالنحو والتصريف ، وصنَّفَ في ذلك كتباً أبرَّ بها على المتقدمين وأعجز المتأخرين ، ولم يكن في شيء من علومه أكمل منه في التصريف ، ولم يتكلم أحد في التصريف أدقَّ كلاماً منه ، ومات لليلتين بقيتا من صفر سنة اثنتين وتسعين وثلاثمائة ، في خلافة القادر ، ومولده قبل الثلاثين وثلاثمائة ؛ وهو القائل :

691 - ترجمة ابن جني في اليتيمة 1 : 124 وتاريخ بغداد 11 : 311 ونزهة الالباء: 228 والفهرست: 95 ودمية القصر 3 : 1481 والمنتظم 7 : 220 وانباه الرواة 2 : 335 وابن خلكان 3 : 246 وسير الذهبي 17 : 17 وعبر الذهبي 3 : 53 ومرآة الجنان 2 : 445 والبداية والنهاية 11 : 331 وبغية الوعاة 2 : 132 والنجوم الزاهرة 4 : 205 والشذرات 3 : 140 واشارة التعيين: 200 وروضات الجنات 5 : 176 وحاشية البغدادي على شرح بانت سعاد 1 : 199 وأشار الذهبي في السير إلى أن له ترجمة طويلة في « تاريخ الأدباء » لياقوت ، وفي مادة « ابن جني » من الموسوعة الاسلامية (الطبعة الثانية) 3 : 754 إشارة إلى بعض الدراسات عنه بغير العربية .

فإن أُصبحْ بلا نسبٍ ... فعلمي في الورى نسبي
على أني أؤولُ إلى ... قرومٍ سادةٍ نجبِ
قياصرةٍ إذا نطقوا ... أَرَمَّ الدهرُ في الخطبِ
أُلاك دعا النبيُّ لهم ... كفى شرفاً دعاءُ نبي

وحدث غرس النعمة أبو الحسن محمد بن هلال بن المحسن قال : حدثني أبي قال : كان من كتّاب الانشاء في أيام عضد الدولة وبعدها في أيام صمصام الدولة ابنِهِ كاتبٌ يعرف بأبي الحسين القمي ، قال : وشاهدته في ديوان الإنشاء يكتب بين يدي جدي أبي إسحاق لما ولاه صمصام الدولة ، فاتفق أن حضر يوماً عند جدي أبي إسحاق أبو الفتح عثمان بن جني النحوي في الديوان ، وجلس يتحدث مع جدي تارة ومعي - إذا اشتغل جدي ـ أخرى ، وكانت له عادة في حديثه بأن يميلَ بشفته ويشيرَ بيده ، فبقي أبو الحسين القميّ شاخصاً ببصره يتعجَّبُ منه ، فقال له ابن جني : ما بك يا أبا الحسين تحدّقُ إليَّ النظر[1] وتكثرُ مني التعجبَ ؟ قال : شيء طريف ، قال : ما هو ؟ قال شبهتُ مولاي الشيخَ وهو يتحدث ويقول ببوزِهِ كذا وبيده كذا بقردٍ رأيتُهُ اليومَ عند صعودي إلى دار المملكة وهو على شاطىء دجلة يفعلُ مثلَ ما يفعلُ مولاي الشيخ ، فامتعض أبو الفتح وقال : ما هذا القولُ يا أبا الحسين أعزَّك اللّه ؟ ومتى رأيتني أمزحُ فتمزح معي أو أمجنُ فتمجن بي؟! فلما رآه أبو الحسين قد حرد واشتاط[2] وغضب قال : المعذرةُ أيها الشيخ إليك وإلى اللّه تعالى عن أن أشبهك بالقرد وإنما شبهتُ القردَ بك ، فضحك أبو الفتح وقال : ما أحسنَ ما اعتذرت !! وعلم أبو الفتح أنها نادرةٌ تشيعُ فكان يتحدث بها هو دائماً .

قال : واجتاز أبو الفتح يوماً وأبو الحسين في الديوان وبين يديه كانونٌ فيه نار ، والبردُ شديد ، فقال له أبو الحسين : تعال أيها الشيخ إلى النِير فقال : أعوذ باللّه ، والنِير هو صماد البقر .

وذكره أبو الحسن علي بن الحسن الباخرزي في « دمية القصر » فقال : ليس

(1) ك : بالنظر .
(2) ك : واشتط .

لأحد من أئمة الأدب في فتح المقفلات وشرح المشكلات ما له ، ولا سيما في علم الاعراب ، فقد وقع منها على[1] ثمرة الغراب[2] . ومن تأمَّلَ مصنفاته ، وقف على بعض صفاته ، فوربّي إنه كشف الغطاءَ عن شعره ، وما كنتُ أعلم أنه ينظم القريض ، أو يُسيغُ ذلك الجريض ، حتى قرأت له مرثيةً في المتنبي أولها :

غـاض القريضُ وأودت نَضْـرَةُ الأدبِ ... وصـوَّحَتْ بعـد ريٍّ دَوْحَـةُ الكتبِ

[منها] :

سُلبتَ ثـوبَ بهـاءٍ كنتَ تلبسـه ... لمّـا تُخُـطِّفْتَ بـالخـطيّـةِ السُّلُبِ
ما زلتَ تصحبُ في الجلى إذا انشعبتْ ... قلبـاً جميعـاً وعـزمـاً غيـرَ منشعبِ
وقـد حلبتَ لعمري الـدهرَ أشـطره ... تـمـطو بـهـمـةٍ لا وانٍ ولا نَـصِـبِ
من للهـواجـلِ يحيي مَيْتَ أرسمهـا ... بكـلِّ جـائلةِ التصـديـرِ والـحَقَـبِ
قبّـاءُ خَـوْصـاءُ محمـودٌ عُـلالتهـا ... تنبـو عـريكتهـا بـالحِلْسِ والقَتَبِ
أم مَنْ لبيض الـظبـا تـوكـافهنَّ دمٌ ... أمْ من لسمـر القنـا والـزَّغْفِ واليَلَبِ
أم للجحـافل يـذكي جَمْـرَ جـاحمهـا ... حتى يـقـرّبهـا مـن جـاحم اللهبِ
أم للمحـافـل إذ تبـدو لتعمـرهـا ... بـالنـظم والنثـر والأمثـالِ والخـطبِ
أم للصـواهـلِ محمـرّاً سـرابلُهـا ... من بعد ما غَبَـرَتْ[3] معروفـةَ الشهبِ
أم للمنـاهـل والـظلمـاءُ عـاكفـةٌ ... تـواصـل الكـرَّ بين الـوِرْدِ والقَـرَبِ
أم للقسـاطـل تعتمُّ الحـزون[4] بهـا ... أمْ من لِضَغْـم الهزبر الضيغم الحـربِ
أم لـلملوكِ تـحلّيـهـا وتـلبـسهـا ... حتى تمـايَسَ في أبـرادهـا القُشُبِ

(1) ك : عليها من .
(2) إذا أصاب الرجل عند صاحبه أفضل ما يريد من الخير والخصب قالوا : وجد ثمرة الغراب (ثمار القلوب : 463) وقد كان النص صحيحاً في دمية القصر فغيره المحقق إلى « ثمرات الأعراب » حسبما وجده في الطبعة المصرية من معجم الأدباء ؛ وفي طبعة مرغوليوث : فقد وقع عليها من ثمرة العراب ؛ وكل ذلك خطأ ، والمحققون ومدعو التحقيق يتلاعبون بالنصّ على حسب أهوائهم .
(3) ك : غيرت ؛ م : غربت .
(4) ك : الحروب .

نــابـت وســاديَ أطــرابٌ تـؤرِّقـنـي   لمـا غدوتُ لقىً [1] في قبضـة النوبِ
عَمرْتَ خِدْنَ المسـاعي غيرَ مضـطهدٍ   كالنصل لم يَـدَّنِسْ يومـاً [2] ولم يُعَبِ
فاذهب عليك سلامُ المجدِ مـا قلقتْ   خُـوصُ الـركـائبِ بـالأكـوار والشعبِ

وحدث أبو الحسن الطرائفي قال : كان أبو الفتح عثمان بن جني يحضر بحلب عند المتنبي كثيراً ويناظره في شيء من النحو من غير أن قرأ عليه شيئاً من شعره أنفةً وإكباراً لنفسه ، وكان المتنبي يقول في أبي الفتح : هذا رجلٌ لا يعرفُ قَدْرَهُ كثيرٌ من الناس .

وسئل المتنبىء بشيراز عن قوله :

وكــان ابنـا عــدوٍّ كـاثــراه   لـه ياءَيْ حـروفِ أُنيسيـانِ

فقال : لو كان صديقنا أبو الفتح حاضراً لفسَّرَهُ .

وحدث أبو إسحاق إبراهيم بن علي الحصـري في « كتاب النـورين » : وقال بعض أهل العصر وهو أبو الفتح عثمان بن جني النحوي [3] :

غــزالٌ غـيــرُ وحشـيٍّ   حكى الـوحشيُّ مقلتَـهُ
رآه الــوردُ يجني الـور   دَ فــاستكســاهُ حُلَّتــهُ
وشمَّ بــأنفـه الــريحـا   نَ فــاستهـداهُ زهــرتـهُ
١ وذاقت ريحُهُ [4] الصهبا   ءَ فــاختلسـتـه نكهتـهُ

وكان أبو الفتح ابن جني ممتّعاً باحدى عينيه ، فلذلك يقول في صديق له [5] :

صدودك عنّي ولا ذنبَ لي   دليــلٌ على نيةٍ فــاسـدَهْ
فقـد وحياتِـكَ ممـا بكيتُ   خشيتُ على عينيَ الواحدهْ
ولـولا مخـافـةُ أنْ لا أراكَ   لمـا كان في تـركها فـائدهْ

---

(1) ك : لها .
(2) في رواية : ومت كالنصل لم يدنس .
(3) الأبيات في اليتيمة 1 : 124 .
(4) اليتيمة : ريقه .
(5) أوردها ابن خلكان وأضاف : وقيل إن هذه الأبيات لأبي منصور الديلمي .

وحدثت[1] أنه صحب أبا علي الفارسي أربعين سنة ، وكان السبب في صحبته له أن أبا علي اجتاز بالموصل ، فمرَّ بالجامع وأبو الفتح في حَلْقَةٍ يُقْرِىءُ النحوَ وهو شابّ ، فسأله أبو علي عن مسألة في التصريف فقصَّر فيها ، فقال له أبو علي : زبَّبتَ قبل أن تحصرم ، فسأل عنه فقيل له : هذا أبو علي الفارسي ، فلزمه من يومئذٍ واعتنى بالتصريف ، فما أحدٌ أعلمُ منه به ، ولا أقومُ بأصوله وفروعه ، ولا أحسنَ أحدٌ إحسانَهُ في تصنيفه . فلما مات أبو علي تصدر أبو الفتح في مجلسه ببغداد فأخذ عنه الثمانيني وعبد السلام البصري وأبو الحسن السمسمي .

وكان لابن جني من الولد عليّ وعالٍ وعلاء ، وكلهم أدباء فضلاء قد خَرَّجهم والدهم وحسَّنَ خطوطهم ، فهم معدودون في الصحيحي الضبط وحسن الخط .

ومن « كتاب سرّ السرور » لأبي الفتح ابن جني :

رأيتُ محاسنَ ضحكِ الربيع ... أُطال عليها بكاءَ السحابِ
وقد ضحك الشيبُ في لمتي ... فلم لا أُبكِّي ربيعَ الشبابِ
أأشربُ في الكأسِ كلا وحاشا ... لأبصره في صفاء الشرابِ

وأنشد له :

تجبَّبْ أو تَدَرَّعْ أو تقبَّا ... فلا واللَّه لا أزدادُ حُبَّا[2]
أخذتَ ببعض حبك كلَّ قلبي ... فان رمتَ المزيدَ فهاتِ قلبا

قرأت بخط أبي علي ابن إبراهيم الصابىء : ولأبي نصر بشر بن هارون في ابن جني النحوي ، وقد جرى بينه وبينه في معنى شيطان يقال إنه يظهر بالراية اسمه العُدار ، وإذا لقي إنساناً وطئه ، فقال له ابن جني : بودك لو لقيك فإنه إن كان لأمنيتك ، فقال أبو نصر :

زعمتَ أن العُدار خدني ... وليس خدنساً ليَ العدارُ
عِفرٌ من الجنِّ أنت أولى ... به وفيهم لك افتخارُ

(1) انظر ابن خلكان أيضاً .

(2) تجبب : البس الجبة ، وتدرع : البس الدراعة ، وتقبا : البس القباء .

فالجنّ جنٌّ ونحن إنسٌ شتانِ هذان يا حمارُ
ونحن من طينةٍ خلقنا ما خلق الجن منه نارُ
العزّ والعارُ فيك تمّا والعَوَر التام والعِوارُ

ونقل من خط أبي الفتح ابن جني خطبة نكاح من إنشائه : الحمد للّه فاطر السماءِ والأرض ، ومالك الإبرام والنقض ، ذي العزةِ والعلاء ، والعظمة والكبرياء ، مبتدع الخلق على غير مثال ، والمشهود بحقيقته في كل حال ، الذي ملأت حكمته القلوبَ نوراً ، فاستودع علم الأشياء كتاباً مسطوراً ، وأشرق في غياهب الشبه خصائص نعوته ، واغترقت[1] أرجاءَ الفكر بَسْطَةُ ملكوته ؛ أحمده حمدَ معترفٍ بجزيل نعمه ، وأخاطيه ملتبساً بسنيِّ قسمه ، وأعاطيه وأومن به في السرِّ والعلنِ ، واستدفع بقدرته ملماتِ الزمن ، وأستعينه على نوازل الأمور ، وادّارأهُ في نحرِ كلِّ محذور ، وأشهد شهادةً تخضع لعلوها السمواتُ وما أظلّت ، وتعجز عن حملها الأَرَضُون وما أقلَّتْ ، إنه مالكُ يومِ البعثِ والمعاد ، والقائمُ على كلِّ نفسٍ بالمرصاد ، وأن لا معبود سواه ، ولا إلـه إلّاه[2] ، وأنَّ محمداً ﷺ ، وبجَّلَ وكرَّم ، عبده المنتخب ، وحجته على العجم والعرب ، ابتعثه بالحقِّ إلى أوليائه ضياءً لامعاً ، وعلى المرَّاقِ من أعدائه شهاباً ساطعاً ، فابتذل في ذات اللّه نفسه وجهدها[3] ، وانتحى مناهج الرشدِ وقصدها ، مستسهلاً ما يراه الأنام صعباً ، وَمُسْتَخْصِباً ما يَرْعَوْنَهُ بينهم جدباً . يغافسُ[4] أهلَ الكفر والنفاق ، وُيمارس البغاةَ وأولي الشقاق ، بقلبٍ غيرِ مذهول ، وعزمٍ غيرِ مَفْلُول ، يستنجزُ اللّه صادقَ وَعْدِه ، ويسعى في خلود الحقِّ من بعده ، إلى أن وطد بواني الدين وأرساها ، وشاد شُرَفَ الاسلام وأسماها ، فصرَّم مدته التي أوتيها في طاعةِ اللّه موفّقاً حميداً ، ثم انكفأ إلى خالقه مطمئناً به فقيداً ، صلى اللّه عليه ما ومضَ في الظلام برق ، أو نبض[5] في الأنام عرق ، وعلى الخيرةِ المصطفين من آله ، والمقتدين بشرفِ فَعاله .

---

(1) م : واعترفت .
(2) م : إلا هو .
(3) ك : وجاهدها .
(4) ك : يغامس .
(5) ك : وأنبض .

وإن مما أفرط اللّه تعالى به سابقَ حكمه ، وأجرى بكونه قَلَمَ علمه ، ليضمَّ بوقوعه متباينَ الشمل ، ويزمَّ به شاردَ الفرع إلى الأصل ، أن فلان بن فلان ، وهو كما يعلم من حضر ، من ذوي الستر وصدق المختبر ، مسجوحُ الخليقة ، مأمونُ الطريقة ، متمسكٌ[1] بعصام الدين ، آخذٌ بسنّةِ المسلمين ، خطب للأمرِ المحموم ، والقَدَر المحتوم ، من فلان بن فلان الظاهرِ العدالةِ والعفاف ، أهلِ البرّ وحسن الكفالة والكفاف ، عقيلَتَهُ فلانةَ بنتَ فلان خيرةَ نسائها ، وصفوة آبائها ، في زكاء منصبها ، وطيب مُرَكَّبها ، وقد بذل لها من الصداق كذا وكذا فليشهدْ على ذلك أهل مجلسنا ، وكفى باللّه شهيداً (ثم تقريرهما) ثم يقال : لاءم اللّه على التقوى كلمتيكما ، وأَدَمَ[2] بالحسنى بينكما ، وخار لكما فيما قضى ، ولا ابتزّكما صالح ما كسا . وهو حسبنا وكفى .

قرأت بخط الشيخ أبي منصور موهوب بن الخضر الجواليقي رحمه الله ، أنشدنا الشيخ الامام أبو زكرياء يحيى بن علي التبريزي قال : أنشدنا عال بن عثمان بن جني ، قال أنشدنا أبي لنفسه :

وحلوِ شمائلِ الأدبِ ... منيفِ مراتبِ الحسبِ
أخي فخرٍ مفاخرُهُ ... عقائلُ عُقْلَةِ الإرَبِ
له كَلَفٌ بما كلفتْ ... به العلماء م العربِ
يبيتُ يفاتشُ الأنقا ... بَ عن أسرارها الغُيُبِ
فمن جَدَدٍ الى جَلَدٍ ... الى صُعُدٍ إلى صَبَبِ
ويسربُ في مغابنها[3] ... بضيضُ رواشحِ الثَّغَبِ
ويفرعُ فكره الأبكا ... ر منها من حمى الحجبِ
فيبرزها[4] كأنَّ بها ... وإن خفيتْ سنا لهبِ
يغازلُ من تأمّلها ... غِزالَ الخرَّد العُرُبِ

(1) ك : ممسك .
(2) ك : وأدام .
(3) م : معانيها ، وأثبت ما في ك .
(4) م : فيبردها .

يجدُّ بها وتحسبه لـلطفِ الفكرِ في لعبِ
سباطةُ مذهبٍ سُكِبَتْ[1] عليه ماءَةُ الذهبِ
ورقّةُ مأخذٍ شهدت بغلظةِ كلِّ منتجبِ
وطرداً[2] للفروع على أصولٍ وُطّدٍ رتبِ
إذا ما انحطّ غائرها سما فرعاً على الرتَبِ
قياساً مثلَ ما وَقَدَتْ بليلٍ برزةُ الشهبِ
وألفاظاً مهذّبةَ الحواشي ثرَّةَ السحبِ
فطوراً من ذُرَى عَلَمٍ وطوراً من ذرى طُنُبِ
إذا حازت لنا سَلَباً فعدِّ عن القنا السُّلُبِ
تركتُ مساجلي أدبي طوالَ الدهر في تعبِ
إذا أَجْرَوا إلى أمدٍ فقلْ في هافةٍ لُغُبِ
وإن راموا مبادهتي سبقتُ وأوطأوا عقبي
وكيف يرومُ منزلتي نزيلُ أخابثِ[3] التربِ
وهل يسمو لفارعتي خفيضُ الخدِّ ذو حدبِ
وهل ينتاطُ بي سبباً ضعيفُ معاقدِ السببِ
أغرة وجهِ سابقها تُقاسُ بشعلةِ الذنبِ
شكرتُ اللّه نعمَتَهُ وما أولاه من أربِ
زَكَتْ عندي صنائعُهُ فوفقني وأحسنَ بي
تخوَّلني وخوَّلني ونوَّلني ونوَّه بي
وأخَّر من يقادمني وأعلاني وأرغم بي
فيا بأبي منائحُهُ وقلَّ لهن يا بأبي

(1) ك : سبكت .
(2) ك : وطردٍ .
(3) م : خبائث .

ضفون عليَّ عِطْفَ عُلاً بـرفـلٍ جِـدٍّ مـنسـحبِ
فـإن أصبـحْ بـلا نَسَبٍ فعلمي في الـورى نسبي
عـلى أنـي أؤولُ إلـى قـرومٍ سـادةٍ نـجـبِ
قـيـاصـرةٍ إذا نـطقـوا أرمَّ الـدهـر ذو الخـطبِ
أولاك دعـا النبيُّ لـهـم كفى شـرفـاً دعـاءُ نـبي
وإمـا فـاتـني نَـشَبٌ كـفـاني ذاك مـن نـشبِ
وإن اركـب مَـطَا سَـفَـرٍ مـجـدَّ الـوردِ والقـربِ
كـأني[1] مخـلدٌ خـلفـاً يضـاوي الشمس من كثبِ
إذا لـم يبـقَ لـي عـقـب أقـامت خيـرَ مـا عـقبِ
مـوشـحـةً مـرشـحـةً لنيـل الغـايِ[2] مِنْ كَثَبِ
يصمُّ صدى الحسودِ لها ويخـرق أطـرق الـركبِ
إذا اهـتـزت كـتـائبـهـا هَفَتْ خـفـاقـةَ العَـذَبِ
أزولُ وذكـرهـا بـاقٍ عـلى الأيـام والـحـقـبِ
تـنـاقـلهـا الـرواةُ لـهـا على الأجفـان من حـدبِ
فيـرتـعُ[3] في أزاهـرهـا مـلوكُ العُـجْـم والـعـربِ
فـمـن مـغـنٍ الـى مـدنٍ الـى مُـثْـنٍ الى طـربِ
كفـاهـا أن يقـولَ لـهـا بهـاءُ الـدولـة اقتـربي
إلى اللّه الـمصيـرُ غـداً وعـنـد الـلّه مـطلبـي
لـه ظهـري ومعـتـملي ومـتَّـجـهي ومـنـقـلبي
فقـل للغـامـطي نِعَمي ومـا راعيتَ مـن قُـربي

---

(1) ك : فاني .
(2) ك : لليل الغافي .
(3) ك : فترتع .

وتشميري وتنشئتي ومحتالي ومضطربي
ونهضي عنك أطعنُ في نحور أوابدِ النوبِ
ورفعي من رذائلك الـ ـلواتي بعضُها سببي
ولولا أنت كان أديـ ـمُ مأثرتي بلا نُدَبِ
ألمّا أن أشرتَ وان نزتْ بك بِطنة الكلِبِ
وأكرمك الأكابر لي وخالطتَ الأماثل بي
ورفّعتَ الذلاذلَ عن معاطفِ تائهٍ حربِ
وأنسيت الأوائل بالـ أواخر نِزْقَةَ العجبِ
وقلت أنا وأين أنا وَمَنْ مثلي وحسبك بي
وقال لي الوزير : هنا وأدناني ورحّبَ بي
وقدّمني ولقّمني ووسّطني وصدّر[1] بي
أسأتَ جوار عارفتي فثقْ بطوارق العُقَبِ
وحسبي أن ألم بـبكـ ـر مثلك جارحاً حسبي
ولكن الدواءَ على كراهتِهِ شِفَا الوَصِبِ

حدث أبو الحسن الطرائفي ببغداد قال : كان أبو الفتح عثمان بن جني في حلب يحضر عند المتنبي الكثير ويناظره في شيء من النحو من غير أن قرأ عليه ديوانَ شعره إكباراً لنفسه عن ذلك ، وكان المتنبي يعجب بأبي الفتح وذكائه وحذقه ويقول : هذا رجل لا يعرف قدره كثير من الناس ؛ وسئل أبو الطيب بشيراز عن قوله :

وكان ابنا عدوٍ كاثراه له ياءَيْ حروفِ أُنيسيانِ

فقال : لو كان صديقنا أبو الفتح ابن جني حاضراً فسّره . قلت : وتفسيره أن لفظة إنسان خمسة أحرف إذا كانت مكبرة ، فإذا صغر قيل أنيسيان ، فزاد عدد حروفه وصغر معناه ، فيقول للممدوح ان عدوك الذي له ابنان فيكاثرك بهما كانا زائدين في

(1) ك : وصادر .

عدده ناقصين من فضله وفخره لأنهما ساقطان خسيسان كياءَيْ أنيسيان تزيدان في عدد الحروف وتنقصان من معناه .

قرأت بخط الشيخ ابي منصور ابن الجواليقي قال لنا أبو زكرياء[1] : رأيت بخط ابن جني ، أنبأنا أبو إسحاق إبراهيم بن أحمد القرميسيني عن أبي بكر محمد بن هارون الروياني عن أبي حاتم سهل بن محمد السجستاني قال : قرأ عليّ أعرابي « طِيبَى لَهُمْ وَحُسْنُ مَآبٍ » فقلت : « طُوبَى » ، فقال : « طِيبَى » فقلت ثانياً : « طوبى » ، فقال : « طيبى » فلما طال عليَّ قلتُ « طوطو » ، فقال : الأعرابي : « طي طي » ، أما ترى إلى هذه النحيزة ما أبقاها وأشد محافظة هذا البدوي عليها حتى إذا استكره على تركها فأبى إلا إخلاداً إليها ، ونحو ذلك قال عمار[2] الكلبي وقد أُنشد بعضُ أهل الأدب بيتاً قاله ، وهو :

بانتْ نُعَيْمَةُ والدنيا مفرقةٌ وحال من دونها غيرانُ مزعوجُ

فقيل له : لا يقال مزعوج ، إنما يقال مُزْعَج ، فجفا ذلك عليه وقال يهجو النحويين :

ماذا لقينا من المستعربين ومن قياسِ نحوهمُ هذا الذي ابتدعوا
إن قلتُ قافيةً بكراً يكونُ بها بيتٌ خلافَ الذي قاسوه أو ذرعوا
قالوا لحنتَ وهذا ليس منتصباً وذاك خفضٌ وهذا ليس يرتفعُ
وحرَّضوا بين عبد الله من حُمُقٍ وبين زيد فطال الضربُ والوجعُ
كم بين قومٍ قد احتالوا لمنطقهم وبين قوم على إعرابهم طُبعوا
ما كلّ قوليَ مشروحاً لكم فخذوا ما تعرفونَ وما لم تعرفوا فدعوا
لان أرضيَ أرضٌ لا تُشَبُّ بها نارُ المجوسِ ولا تُبْنَى بها البيَعُ

قال ابن جني[3] : وعلى نحو ذلك فحضرني قديماً بالموصل أعرابي عُقَيلي جُوثيّ تميمي يقال له محمد بن العساف الشجري ، وقلَّما رأيتُ بدوياً أفصحَ منه ،

---

(1) وردت الحكاية في الخصائص 1 : 75 ـ 76 وبين الروايتين بعض اختلاف .

(2) م : عمرو ، وأثبت ما في الخصائص 1 : 239 ـ 240 .

(3) انظر الخصائص 1 : 250 .

فقلت له يوماً ، شغفاً بفصاحته والتذاذاً بمطاولته وجرياً على العادة معه في إيقاظ طبعه واقتداح زَنْدِ فطنته : كيف تقول : « أكرمَ أخوك أباك » . فقال كذاك ، فقلت له : أفتقول « أكرم أخوك أبوك » فقال : لا أقول « أبوك » أبداً ؛ قلت فكيف تقول : « أكرمني أبوك » فقال : كذاك ، قلت ألست تزعم أنك لا تقولُ « أبوك » أبداً ؟ فقال : أيش هذا ، اختلفت جهتا الكلام . فهل قوله « اختلفت جهتا الكلام » إلا كقولنا نحن « هو الآن فاعل وكان في الأول مفعولاً » فانظر إلى قيام معاني هذا الأمر في أنفسهم وإن لم تطع به عبارتهم .

أخبرني أبو علي عن أبي بكر عن أبي العباس قال[1] : سمعت عمارةَ بن عقيل بن بلال بن جرير يقرأ « ولا الليل سابقُ النهارَ » فقلت له : ما أردت ؟ قالَ : أردتُ « سابقٌ النهارَ » . فقلت له : فهلا قلته ؟ فقال : لو قلته لكان أوزن ، أي أقوى وأفصح . ففي هذه الحكاية من فقه العربية ثلاثة أشياء : أحدها أنهم قد يراعون من معانيهم ما ننسبه إليهم ونحمله عليهم ، والثاني أنهم قد ينطقون بالشيء وفي أنفسهم غيره ، ألا ترى أنه لما نصَّ أبو العباس عليه واستوضح ما عنده قال : « أردت كذا » وهو خلاف ما لفظ به ، والثالث أنهم قد ينطقون بالشيء غيرُهُ أقوى منه استلانةً وتخفيفاً ، ألا تراه كيف قال : لو قلته لكان أوزن ، أي أقوى وأعرب .

قال ابن جني : وسألت الشجريَّ صاحبنا هذا الذي قد مضى ذكره ، قلت له : كيف يا أبا عبد الله تقول : « اليوم كان زيد قائماً » فقال : كذلك ، فقلت : فكيف تقول « اليوم انّ زيداً قائمٌ » فأباها البتة ، وذلك أن ما بعد « إن » لا يعمل فيما قبلها لأنها إنما تأتي أبداً مستقبلة قاطعة لما قبلها عما بعدها وما بعدها عما قبلها .

قلت له يوماً ولابن عم له يقال غصن ، وكان أصغر منه سنًّا وألين لساناً[2] : كيف تحقّران « حمراء » ؟ فقالا : « حميراء » ، قلت : « فصفراء » ؟ قالا : « صفيراء » قلت : « فسوداء » ؟ قالا « سويداء » ، واستمررتُ بهما في نحو هذا فلما استويا عليه دسستُ بين ذلك « عِلْباء » فقلتُ « فعلباء » ؟ فأسرع ابن عمه على طريقته فقال

---

(1) الخصائص 1 : 249 .

(2) الخصائص 2 : 26 .

« علبياء » ، وكاد الشجريّ يقولها معه ، فلما همَّ بفتح الباء استرجع مستنكراً فقال : اه « عليبي » وأشمَّ الضمة دائماً للحركة في الوقف وتلك عادةٌ له .

قال ابن جني : فسألته يوماً يا أبا عبد اللّه كيف تجمع محرنجماً ؟ وكان غرضي من ذلك أن أعلم ما يقوله أيكسر فيقول حراجم أم يصحّح فيقول محرنجمات ، فذهب هو مذهباً غيرَ ذين فقال : وايش فَرَّقه حتى أجمعه ، وصدق ، وذلك أنَّ المحرنجم هو المجتمع ، يقولها ماراً على شكيمته غير محسٍّ لما أريده منه ، والجماعةُ معي على غاية الاستغراب لفصاحته ، قلت له : فدع هذا ، إذا أنت مررتَ بابل محرنجمة ، وأخرى محرنجمة ، وأخرى محرنجمة ، تقول مررتُ بابل ماذا ؟ فقال ، وقد أحس الموضع : يا هذا هكذا أقول : مررت بابل محرنجمات ، وأقام على الصحيح البتة استيحاشاً من تكسير ذوات الأربعة لمصاقبتها ذوات الخمسة التي لا سبيل إلى تكسيرها لا سيما إذا كان فيها زيادة ، والزيادة قد تعتدّ في كثير من المواضع اعتداد الأصول ، حتى إنها لتلزم لزومها نحو كَوْكَب وَحَوْشَب وَضَيْوَن وَهَزَنْبَران وَدَوْدَرَى وَقَرَنْفُل ، وهذا موضع يحتاج إلى إصغاء إليه وإرعاء عليه ، والوقت لتلاحمه وتقارب أجزائه مانعٌ منه ، ويعين اللّـه فيما يليه على المعتقد المنوي فيه بقدرته .

وسألته يوماً كيف تجمع سرحاناً ؟ فقال سراحين ، قلت : فدكاناً ، قال دكاكين ، قلت : فقرطاناً ، قال : قراطين ، قلت : فعثمان ، قال : عثمانون ، قلت : هلا قلت عثامين كما قلت سراحين وقراطين ؟ فأباها البتة وقال : أيش ذا ، أرأيت انساناً يتكلم بما ليس من لغته ، واللّه لا أقولها أبداً ، استوحشَ من تكسير العلَم إكباراً له لا سيما وفيه الألف والنون اللتان بابُهما فعلان الذي لا يجوز فيه فعالين نحو سكران وغضبان .

فهرست كتب ابن جنيّ :

كتب ابن جني إجازة بما صورته . بسم اللّه الرحمن الرحيم : قد أجزت للشيخ أبي عبد اللّه الحسين بن أحمد بن نصر ـ أدام اللّه عزه ـ أن يروي عني مصنفاتي وكتبي مما صححه وضبطه عليه أبو أحمد عبد السلام بن الحسين البصري ـ أيد اللّه عزه : عنده منها كتابي الموسوم بالخصائص[1] وحجمه ألف ورقة . وكتابي التمام في تفسير

---

(1) هو في ثلاثة أجزاء بتحقيق محمد علي النجار (القاهرة 1952 ـ 1956) .

أشعار هذيل[1] مما أغفله أبو سعيد الحسن بن الحسين السكري رحمه الله وحجمه خمسمائة ورقة بل يزيد على ذلك . وكتابي في سرِّ الصناعة[2] وهو ستمائة ورقة . وكتابي في تفسير تصريف أبي عثمان بكر بن محمد بن بقية المازني[3] وحجمه خمسمائة ورقة . وكتابي في شَرْح مستغلق أبيات الحماسة واشتقاق أسماء شعرائها[4] ومقداره خمسمائة ورقة . وكتابي في شرح المقصور والممدود عن يعقوب بن إسحاق السكيت وحجمه أربعمائة ورقة . وكتابي في تعاقب العربية وأطرف به وحجمه مائتا ورقة . وكتابي في تفسير ديوان المتنبي الكبير[5] وهو ألف ورقة ونيف . وكتابي في تفسير معاني هذا الديوان وحجمه مائة ورقة وخمسون ورقة . وكتابي اللمع في العربية وان كان لطيفاً[6] . وكذلك كتابي مختصر التصريف على إجماعه . وكتابي مختصر العروض والقوافي[7] . وكتاب الألفاظ المهموزة[8] . وكتابي في اسم المفعول المعتل العين من الثلاثي على إعرابه في معناه وهو المقتضب . وما بدأت بعمله من كتاب تفسير المذكر والمؤنث ليعقوب أيضاً أعان الله على إتمامه . وكتاب ما خُرِّج عني من تأييد التذكرة عن الشيخ أبي علي أدام الله عزه . وكتابي في المحاسن في العربية وإن كان ما جرى أزال يدي عنه حتى شذ عنها ومقداره ستمائة ورقة . وكتابي النوادر الممتعة في العربية وحجمه ألف ورقة ، وقد شذَّ أيضاً أصله عني فإن وقعا كلاهما أو شيء منهما فهو لاحق بما أجزتُ روايته هنا . وكتاب ما أحضرنيه الخاطر من المسائل المنثورة مما أمللته أو حصل في آخر تعاليقي عن نفسي وغير ذلك مما هذه حاله وصورته . فليروِ-

(1) كان قد طبع بأوربة قديماً ثم أعيد نشره في بغداد سنة 1962 .

(2) نشر الجزء الأول منه بعناية مصطفى الحلبي وتحقيق مصطفى السقا (القاهرة : 1954) .

(3) طبع في ليبزغ سنة 1885 ثم في مصر 1331 .

(4) له المبهج في تفسير أسماء شعراء ديوان الحماسة ، وقد طبع في مصر ، ثم في بيروت 1983 .

(5) هو الفسر ، وقد نشرت منه ثلاثة أجزاء بتحقيق غاية في الرداءة وسوء القراءة للنصّ .

(6) نشر اللمع في الكويت 1972 بتحقيق فايز فارس الحمد ثم في القاهرة 1979 بتحقيق حسين محمد شرف .

(7) نشر حسن الشاذلي فرهود كتاب مختصر القوافي ، القاهرة 1975 وكتاب العروض ، بيروت 1972 .

(8) نشره وجيه كيلاني (القاهرة 1923) ومعه رسالتان أخريان هما عقود الهمز والمقتضب (وفي ك : المغتصب) .

أدام اللّه عزه ـ ذلك عني أجمع إذا صحَّ عنده وأنس بتثقيفه وتسديده ، وما صح عنده أيده اللّه من جميع رواياتي مما سمعته من شيوخي رحمهم اللّه وقرأته عليهم بالعراق والموصل والشام وغير هذه البلاد التي أتَيتها وأقمت بها مباركا له فيه منفوعاً به بإذن اللّه ؛ وكتب عثمان بن جني بيده حامداً للّه سبحانه في آخر جمادى الآخرة من سنة أربع وثمانين وثلاثمائة .

والحمد للّه حق حمده عوداً على بدءٍ .

ومن كتبه ما لم تتضمنه هذه الاجازة : كتاب المحتسب في شرح الشواذ(1) . وكتاب تفسير أرجوزة أبي نواس(2) . وكتاب تفسير العلويات وهي أربع قصائد للشريف الرضي كل واحدة في مجلد وهي : قصيدة رثى بها أبا طاهر إبراهيم بن ناصر الدولة أوّلها(3) :

ألقي الـرمـاحَ ربيعـةَ بـن نـزار … أودى الـردى بقـريعـكِ المغـوارِ

ومنها قصيدته التي رثى بها الصاحب بن عباد وأولها(4) :

أكـذا المنـون تقنـطرُ(5) الأبـطالا … أكـذا الـزمـانُ يضعضـعُ الأجبـالا

وقصيدته التي رثى بها الصابيء وأولها(6) :

أعلمتَ من حمـلوا على الأعـوادِ … أرأيتَ كيف خبـا زنـاد النـادي

وكتاب البشرى والظفر صنعه(7) لعضد الدولة ومقداره خمسون ورقة في تفسير بيت واحد من شعر عضد الدولة :

أهلاً وسهلاً بـذي البشرى ونـوبتها … وبـاشتمالِ سـرايـانـا على الـظفـرِ

---

(1) طبع في جزءين (القاهرة 1386) .
(2) حققه محمد بهجة الأثري ، وظهر في مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق 1966 .
(3) كانت وفاة إبراهيم سنة 382 وقد قتله أبو الذواد العقيلي ، انظر ديوان الرضي 1 : 490 .
(4) ديوان الرضي 2 : 201 وتوفي الصاحب سنة 385 .
(5) ك : تقطر .
(6) ديوان الرضي 1 : 381 وكانت وفاة الصابي سنة 384 .
(7) ك : صنّفه .

وكتاب رسالة في مدد الأصوات ومقادير المدات كتبها إلى أبي إسحاق إبراهيم بن أحمد الطبري مقدارها ست عشرة ورقة بخط ولده عالي . كتاب المذكر والمؤنث . كتاب المنتصف . كتاب مقدمات أبواب التصريف . وكتاب النقض على ابن وكيع في شعر المتنبي وتخطئته . كتاب المغرب في شرح القوافي . كتاب الفصل بين الكلام الخاصّ والكلام العامّ . كتاب الوقف والابتداء . كتاب الفرق . كتاب المعاني المجرّدة . كتاب الفائق . كتاب الخطيب . كتاب مختار الأراجيز . وكتاب ذي القد في النحو . وكتاب شرح الفصيح . وكتاب شرح الكافي في القوافي[1] .

وجد على ظهر نسخة ذكر ناسخها أنه وجد بخط أبي الفتح عثمان بن جني ، رحمه اللّه ، على ظهر نسخة « كتاب المحتسب في علل شواذّ القراءات » : أخبرني بعض من يعتادني للقراءة عليّ والأخذ قال : رأيتك في منامي جالساً في مجلس لك على حالٍ كذا وبصورةٍ كذا ، وذكر من الجلسة والشارة جملاً[2] وإذا رجل له رُواء ومنظر وظاهر نبلٍ وقدر قد أتاك ، فحين رأيته أعظمتَ مورده وأسرعت القيام له ، فجلس في صدر مجلسك وقال لك : اجلس ، فجلست ، فقال كذا (شيئاً ذكره) ثم قال لك : أتمم كتاب الشواذ الذي عملته فإنه كتاب يصل إلينا ، ثم نهض ، فلما ولّى سألت بعض من كان معه عنه فقال : علي بن أبي طالب عليه السلام ، ذكر هذا الرائي لهذه الرؤيا لي ، وقد بقيتْ من نواحي هذا الكتاب أميكنات تحتاجُ إلى معاودةِ نظر وأنا على الفراغ منها . وبعده ملحقٌ في الحاشية بخطه أيضاً : ثم عاودتها فصحّحْتُ بلطفِ اللّه ومشيئته . تمت الحكاية .

وقرأت بخط الشيخ أبي الحسن علي بن عبد الرحيم السلمي ، أنشدني الرئيس أبو منصور ابن دلال ، قال أنشدنا أبو زكرياء يحيى بن علي التبريزي ، قال أنشدني أبو العباس محمد بن الفضل بن محمد القصباني النحوي البصري بها لابن الزمكدم

---

(1) نشر له الصديق علي ذو الفقار شاكر كتاباً لطيفاً بعنوان الخاطريات ، وهو مجموعة من المسائل (دار الغرب الإسلامي ـ بيروت 1988) ولعله هو ما أحضرنيه الخاطر وقد تقدم ذكره ، كما نشر علل التثنية صبيح التميمي ، بيروت 1987 .

(2) ك : جميلاً .

الموصلي يهجو أبا الفتح ابن جني النحوي :

يا أبا الفتح قد أتيناك للتد ريس والعلمُ في فنائك رَحْبُ
فوجدنا فتاةَ بيتك أنحى منك والنحوُ مؤثَرٌ مستحبُ
قدماها مرفوعةٌ وهي خفض فلم الأيرُ فاعلٌ وهو نصبُ
مذهبٌ خالفتْ شيوخَكَ فيه فهي تُصبي به الحليمَ وتصبو

- 692 -

عثمان بن ربيعة الأندلسي : ذكره الحميدي فقال : هو مؤلف « كتاب طبقات الشعراء بالأندلس » مات قريباً من سنة عشر وثلاثمائة .

- 693 -

عثمان بن سعيد بن عدي بن غزوان بن داود بن سابق المصري القبطي المعروف بورش المقرىء : وقيل هو عثمان بن سعيد بن عبد الله بن عمرو بن سليمان بن إبراهيم القرشي مولى لآل الزبير بن العوام ، وقبط بلد بصعيد مصر ، وأصله من القيروان ، وقيل من ناحية أفريقية ، والأول أشهر ، وأما كنيته فقيل أبو سعيد وقيل أبو القاسم وقيل أبو عمرو ، وأشهرها أبو سعيد . مات فيما نقلناه من كتاب الحافظ أبي العلاء الهمذاني عن أبي سعيد عبد الرحمن بن يونس بن عبد الأعلى الصدفي المصري وأبي علي الحسن بن علي الأهوازي في سنة سبع وتسعين ومائة في أيام المأمون (الأهوازي خاصة) ، ومولده بمصر سنة عشر ومائة في أيام هشام بن عبد الملك ، وقرأ على نافع في سنة خمس وخمسين ومائة في أيام المنصور ، ومات وعمره سبع وثمانون سنة .

---

692 ـ جذوة المقتبس : 286 (وبغية الملتمس رقم : 1184) .

693 ـ ترجمة ورش المقرىء في سير الذهبي 9 : 295 وعبر الذهبي 1 : 324 ومعرفة القراء 1 : 126 وطبقات ابن الجزري 1 : 502 والنجوم الزاهرة 2 : 155 وحسن المحاضرة 1 : 485 وتاج العروس 4 : 364 .

وأما تلقيبه بورش فقيل إنما لقّب به لأنه كان في حداثة سنّه رآساً[1] ثم إنه اشتغل بقراءة القرآن وتعلّم العربية ورحل إلى المدينة فقرأ بها على نافع القرآن ، وكان أزرق أبيض اللون قصيراً ذا كدنة ، وكان نافع يلقبه بالورشان وهو طائر معروف لأنه كان على قصره يلبس ثياباً قصاراً فكان إذا مشى بدت رجلاه مع اختلاف ألوانه ، وكان نافع يقول له : اقرأ يا ورشان وهات يا ورشان وأين الورشان، ثم خفّف فقيل ورش ولزمه ذلك حتى صار لا يُعْرَفُ إلاّ به ؛ وقيل إن الورش شيء يصنع من اللبن لقّب به لبياضه .

وحدث الحافظ بإسناده ورفعه إلى محمد بن سلمة العثماني قال ، قلت لأبي سلمة : أكان بينك وبين ورش مودة ؟ قال : نعم . قلت : كيف كان يقرأ[2] ورش على نافع ؟ قال قال لي ورش : خرجتُ من مصر إلى المدينة لأقرأ على نافع ، فإذا هو لا تطاق القراءة عليه من كثرة أبناء المهاجرين والأنصار ، وإنما يقرأ ثلاثين آية ، فجلست خلفَ الحلقة فقلت لانسان : من أكبرُ الناسِ عند نافع ؟ فقال : كبير الجعفريين ، قال قلت : فكيف لي به ؟ قال : أنا أجيءُ معكَ إلى منزله ، فقام الرجلُ معي حتى جاء إلى منزل الجعفري[3] ، فدقَّ الباب ، فخرج إلينا شيخ تامٌّ من الرجال ، قال فقلت : أعزك اللّه أنا رجلٌ من مصر جئتُ لأقرأ على نافع فلم أصلْ إليه ، وأُخْبِرْتُ أنك من أصدقِ الناس له ، وأنا أريد أن تكونَ الوسيلةَ إليه ، فقال : نعم وكرامة ، وأخذ طيلسانَهُ ومضى معنا إلى منزل نافع ، وكان نافع له كنيتان : كان يكنى بأبي رويم وأبي عبد اللّه فبأيتهما نودي أجاب ، فقال له الجعفري : إن هذا وسَّلني إليك ، جاءك من مصر ليقرأَ عليك ليس معه تجارةٌ ولا جاء لحجّ إنما جاء للقراءة خاصة ، فقال نافع لصديقه الجعفري : هلاّ[4] ترى ما ألقى من وَلَدِ المهاجرين والأنصار؟ قال فقال له صديقه: تحتالُ له ، فقال له نافع : يمكنك أن تبيتَ في المسجد ؟ قال قلت : نعم إنما أنا إنسانٌ غريب ، قال : فبتُّ في المسجد ، فلما كان الفجر تقاطَرَ الناسُ ثم قالوا : قد جاء نافع ، فلما أن قعد قال : ما فعل الغريب ؟ قال قلت :هذا أنا رحمك اللّه ، قال قال : أبتَّ في المسجد ؟ قلت : نعم ، قال : فأنت أَوْلَى بالقراءة ، قال : وكنتُ مع

(1) كذلك هو عند ابن الجزري أيضاً .
(2) ك : كيف مقرأ .
(3) ك : الجعفريين .
(4) ك : هذا .

ذلك حَسَنَ الصوت مدَّاداً به ، قال : فاستفتحتُ فملأ صوتي مسجدَ رسول الله ﷺ فقرأت ثلاثين آية فقال لي بيده : أن اسكت ، فسكتُّ ، فقام إليه شابٌ من الحلقة فقال : يا معلم أعزك الله ، نحن معك ، وهذا رجلٌ غريب ، وإنما رحل للقراءة عليك وأنت تقرىء ثلاثين ، وأنا أحبُّ أعزك الله أن تجعلَ لي فيه نصيباً فقد وهبتُ له عشراً وأُقتصرُ أنا على عشرين ، وكان ذلك ابنَ كبير المهاجرين ، فقال له : نعم وكرامة ، ثم قال لي: اقرأ فقرأت عشراً ثم أومأ إليَّ بيده بالسكوت فسكتُّ، فقام إليه فتىً آخر فقال: يا معلم أعزك الله إني أحبُّ أن أهبَ لهذا الرجل الغريب عشراً وأقتصرَ على عشرين فقد تفضل عليه ابن كبير المهاجرين وأنت تعلم أَني ابنُ كبيرِ الأنصار فأحببتُ أن يكونَ لي أيضاً مثلُ ما له من الثواب ، قال لي : اقرأ ، فلما أن قرأت خمسين آية قعدتُ حتى لم يبقَ أحدٌ ممن له قراءة إلا قال لي : اقرأ ، فأقرأني خمسين ، فما زلت أقرأ عليه خمسين في خمسين حتى قرأت عليه ختمات قبل أن أخرج من المدينة .

ـ 694 ـ

عثمان بن سعيد بن عثمان الأندلسي أبو عمرو المقرىء يعرف بابن الصيرفيّ : ذكره الحميدي فقال : مُحَدِّثٌ مُكْثِرٌ ومقرىء مُقَدَّم ، سمع بالأندلس محمد بن عبد الله بن أبي زمنين الالبيري وغيره ، ورحل إلى المشرق قبل الأربعمائة فسمع خلقاً وطلب علم القراءات وقرأ وسمع الكثير ، وعاد إلى الأندلس فتصدر للقراءات ، وألَّف فيها تواليفَ معروفةً ونظمها في أرجوزة مشهورة ، ومات في شوال سنة أربع وأربعين وأربعمائة بدانية من بلاد الأندلس ؛ ومن مذكور شعره :

قد قلتُ إذ ذكروا حالَ الزمانِ وما ... يجري على كلِّ من يُعْزَى إلى الأَدبِ
لا شيءَ أبلغُ من ذلٍّ يُجَرِّعُهُ ... أهلُ الخساسةِ أهلَ الدينَ والحسب

694 ـ ترجمة أبي عمرو الداني في جذوة المقتبس : 286 (وبغية الملتمس رقم: 1185) والصلة: 385 وطبقات ابن الجزري 1: 503 وتذكرة الحفاظ: 1120 وعبر الذهبي 3: 207 وسير الذهبي 18: 77 وانباه الرواة 2: 341 والديباج المذهب: 188 والشذرات 3: 272 ومرآة الجنان 3: 62 والنجوم الزاهرة 5: 53 ونفح الطيب 2: 135 وطبقات الداودي 1: 373 ومصنفاته تبلغ مائة وعشرين .

القــائمين بمــا جــاءَ الــرســولُ بــه والمبغضين لأهــل الــزيــغ والــريــب

ولـه كتب منها : كتـاب التيسير في القـراءات السبع وكتـاب الاقتصـاد في القراءات السبع[1] .

ـ 694 ب ـ

عثمان بن سعيد بن عثمـان أبو عمـرو الداني المقـرىء : قرأت في فـوائد أحمد بن سلفة المنقولة من خـطه ما صـورته : قـرأتُ على أبي عبد اللّه محمـد بن الحسن بن سعيد المقرىء الداني بالاسكندرية عن أبي داود سليمان بن نجاح المقرىء المؤيدي ، قال : كتبت من خط أستاذي أبي عمرو عثمان بن سعيد بن عثمان المقرىء بعد سؤالي عن مولده : يقول عثمان بن سعيد بن عثمـان بن سعيد بن عمـر الأموي القرطبي الصيرفي أخبرني أبي أني ولدت في سنة اثنتين وسبعين وثلاثمائة وابتدأت في طلب العلم سنة ست وثمانين وتوفي أبي في سنة ثلاث وتسعين في جمادى الأولى ، فرحلتُ إلى المشرق في اليوم الثاني من المحرم يوم الأحـد في سنة سبـع وتسعين ومكثت بالقيروان أربعة أشهر ، ولقيتُ جماعةً وكتبتُ عنهم ، ثم تـوجهتُ إلى مصر ودخلتها اليومَ الثاني من الفطر من العام المؤرخ، ومكثتُ بها باقيَ العام والعام الثاني. وهو عام ثمانية [وتسعين]، إلى حين خروج الناس إلى مكة، وقرأت بها القرآن وكتبت الحديث والفقه والقراءات وغير ذلك عن جماعة من المصريين والبغداديين والشاميين وغيرهم ، ثم توجهت إلى مكة وحججت ، وكتبت بها عن أبي العباس أحمد البخاري وعن أبي الحسن ابن فـراس ، ثم انصرفت إلى مصـر ومكثت بها أشهـراً ، ثم انصرفت إلى المغرب ومكثت بالقيروان أشهراً ، ووصلت إلى الأندلس أول الفتنة بعد قيام البرابر

694 ب ـ أعطيت هذه الترجمة رقماً مكرراً لأنها هي الترجمة السابقة عينها .

(1) من كتبه أيضاً « المحكم في نقط المصاحف » حققه الدكتور عزة حسن ، دمشق 1960 ؛ وقد طبع كتابه « التيسير » في سلسلة النشريات الإسلامية لجمعية المستشرقين الألمانية سنة 1930 وكذلك طبع كتابه « المقنع » في السلسلة نفسها 1932 وفي دمشق 1944 .

على ابن عبد الجبار بستة أيام في ذي القعدة سنة تسع وتسعين ، ومكثت بقرطبة إلى سنة ثلاث وأربعمائة ، وخرجت منها إلى الثغر فسكنت سرقسطة سبعة أعوام ، ثم خرجت منها إلى الوُطة ودخلت دانية سنة تسع وأربعمائة ، ومضيت منها إلى مَيُرْقَةَ في تلك السنة نفسها فسكنتها ثمانية أعوام ، ثم انصرفت إلى دانية سنة سبع عشرة وأربعمائة . قال أبو داود : وتوفي رضي اللّٰه عنه يوم الاثنين للنصف من شوال سنة أربع وأربعين وأربعمائة ودفن بالمقبرة عند باب اندارة وقد بلغ اثنتين وسبعين سنة .

ـ 695 ـ

عثمان بن عبد الله بن إبراهيم بن محمد أبو عمرو الطرسوسي الكاتب القاضي : كان من الأدباء الفضلاء ، رأيت بخطه الكثير من كتب الأدب والشعر ، وجمع شعرَ جماعة من أهلِ عصره منهم أبو العباس الصفري وأبو العباس الناشىء وغيرهما من شعراء سيف الدولة وابنه شريف ، وصنف كتباً منها : كتاب في أخبار الحجّاب .

وكان متقن الخط سريع الكتابة ، وولي القضاء بمعرة النعمان ، وسمع الحديث الكثير ورواه ، فسمع بدمشق أبا علي محمد بن أحمد بن آدم الفزاري وأبا هاشم عبد الجبار بن عبد الصمد السلمي ، وبأطرابلس خيثمة بن سليمان ، وبطرسوس أبا عبد اللّٰه محمد بن عيسى التميمي البغدادي المعروف بابن العلاف وأبا بكر محمد بن سعيد بن الشفق وأبا الحسن أحمد بن محمد بن سلام الطرسوسي والقاضيين : أبا عمران موسى بن القاسم الأشيب وأبا العباس أحمد بن أبي بكر الطبري المعروف بالقاص[1] وأبا الفرج أحمد بن القاسم البغدادي الخشاب الحافظ وجماعة غير هؤلاء كثيرة .

---

695 ـ لأبي عمرو الطرسوسي ترجمة في مصورة ابن عساكر 11 : 125 ومختصر ابن منظور 16 : 102 وقد عرف بكتابه سير الثغور وعنه ينقل ابن العديم في بغية الطلب كثيراً ، انظر الجزء الأول من بغية الطلب وشذرات من كتب مفقودة 37 ـ 48 ، 439 ـ 459 .

(1) ابن عساكر : بابن القاضي .

وسمع منه أبو حصين عبد الله بن محسن بن عبد الله بن محسن[1] بن عبد الله ابن عمرو المعرّي وعبد الرحمن[2] بن محمد بن الحسين الكفرطابي وأبو علي الأهوازي والقاضي أبو الفضل ابن السعدي .

قال أبو القاسم الدمشقي : قرأت على أبي القاسم نصر بن أحمد بن مقاتل عن سهل بن بشر قال : سمعت القاضي أبا الفضل محمد بن أحمد بن عيسى السعدي يقول : توفي شيخنا أبو الحسين ابن جميع في رجب سنة اثنتين وأربعمائة ، وتوفي شيخنا عثمان الطرسوسي القاضي بكفر طاب قبله بسنة أو نحوها .

ـ 696 ـ

عثمان بن علي بن عمر السرقوسي النحوي الصقلي أبو عمرو : قال السلفي : كان من العلم بمكان ، نحواً ولغة ، وقرأ القرآن على ابن الفحام وابن بليمة[3] وغيرهما ، وله تواليف في القراءات والنحو والعروض ، وصارت له في جامع مصر حلقة للاقراء وانتفع به ، ولازمني مدةَ مقامي بمصر ، وقرأ عليَّ كثيراً وعلى من كنت أقرأ عليه كأبي صادق وابن بركات والفراء الموصلي وآخرين ؛ وأنشدني لنفسه[4] :

إنَّ المشيبَ من الخطوب خطيبُ ... إلاّ هوىً بعد الشباب يطيب

أبيات غير جيدة .

قال أحمد بن سلفه[5] : كتبت إلى المقرىء أبي عمرو عثمان بن علي بن عمر

---

696 ـ ترجمته في انباه الرواة 2 : 342 وبغية الوعاة 2 : 134 واشارة التعيين : 202 ويعتمد ياقوت على معجم السفر للسلفي : 231 ـ 232 .

(1) ك : ابن المحسن ؛ وسقط هذا من ابن عساكر .

(2) ابن عساكر : وعبد الواحد .

(3) ضبطه ابن الجزري بفتح الباء وتشديد اللام المكسورة وهو : الحسن بن خلف القيرواني نزيل الاسكندرية ، وكانت وفاته سنة 514 .

(4) وردت الأبيات الستة في إنباه الرواة ، وهي في معجم السفر .

(5) من هنا حتى آخر الترجمة لم يرد في معجم السفر المطبوع .

الصقلي الانصاري بالاسكندرية كتاباً يشتمل على نظم ونثر من جملته :

مــا وقعتْ عـيـنـي على مـثله   في فضلِهِ الــوافي وفـي نُبْـلِهِ
وليس بِـدْعـاً مثــلُ أخـلاقــه   منــه وممن كــان في شـكلهِ
فــإنــه مـن عـنـصـرٍ طـيـبٍ   ويــرجــعُ الفــرعُ إلى أصلهِ

فأجاب بهذه الورقة : وقفتُ على ما تفضَّلَتْ به حضرته ، وانتهت إليه من الآداب همته ، فمن نثر رأيتُ العلم مضمونه ، والدرَّ مكنونه ، والحكمةَ قرينه ، ومن نـظم كانت الفصاحةُ يمينه ، وفصل الخطاب عرينه ، ووَدَّ فصيحُ الكلام أن يكونـه ، وأحيـا القلوب ، وكشف لها المحجوب ، من كل حكمة لم تكن لتصلَ إليه لولاه ، وسحرِ بلاغة له منحه إياها اللّه ، فقلت والخاطر لسفري خاطر ، وماءُ مزني بعد شآبيبه قاطر :

تَــوَّجـنـي مــولاي مـن قــولــهِ   تــاجــاً عــلا التيجــانَ من قبلهِ
لأنــهــا تَــبْــلَى وهـــذا إذا   مَــرَّتْ بــه الأيــامُ لــم تـبـلِهِ
فـنـثـره الإكـلـيــلُ فـي فـرعــه   ونــظمــه الجــوهــرُ من أصـلهِ
وهـــو فقيهٌ حـــافظ في الــورى   مـهــذَّبٌ يـجـري عـلى رِسْـلِهِ
كــلَّا وأمـا إن جـرى فـالــورى   عــذرٌ لهم مــا جــاب من سبلهِ
فـعـلمــه يُـشْـتَـقُّ مـن لـفـظه   ولـفـظه يُـشْـتَـقُّ مــن فـضــلهِ
تــكــامــلتْ أوصــافُـهُ كــلُّهــا   ومــثــلُهُ مـــن كــان من مـثـلهِ
ومــا أنــا إلا كــمــهــدٍ إلــى   بـغــدادَ والـبـصــرةِ مـن نـخـلهِ

وأما ما ذَكَرَتْ حرسها اللّه تعالى من كتاب الهدى لأولي النهى في المشهور من القراءات وما تضمن من الروايات :

فــلو تــفــرغــتُ إلــى نــقــله   أو كــان عنــدي الأمّ من شكلهِ
عــذري إلى مـولاي أني امـرؤٌ   مـســافـرٌ والشغــلُ من فـعـلهِ
لـكـلِّهِ مِـنْ بـعـضــه شــاغــلٌ   وبـعضــه الـمشـغــولُ من كـلهِ

وأما ما يتعلق ببيتِ الأحوصِ من كلام ، وما قلت فيه من نثر ونظام ، فأنا آتي إليها ، وأتلوه لديها ، واللّه يديم النعمة عليها .

ـ 697 ـ

عثمان بن علي بن عمر الخزرجي الصقلي أبو عمرو النحوي : روى عنه الحافظ أبو طاهر أحمد بن محمد بن أحمد السلفي وأبو محمد ابن بري النحوي وأبو البقا صالح بن عادي العذري الانماطي المصري نزيل قفط ، وقال : أنشدني أبو عمرو عثمان بن علي الصقلي لنفسه :

هَيْنٌ عليهـا أن تـرى الصبَّـا ... يتجـرَّعُ الأوصـابَ والكَـرْبـا
من لم يصـدْ بتكلّفٍ قنصـاً ... وتعمّـدٍ لـلصيـدِ لـم يعْبَـا
لا تـعبثي يـا هـذه بـفتـىً ... أخـذتْ جفونُـكِ قلبه غَصْبـا
أو مـا علمتِ بـأنـه رجـلٌ ... لـمـا دعـاه هـواكـمُ لـبَّى

وقال في « مختصر العمدة » وقد ذكر قول الشماخ :

* إذا بلّـغتنـي وحملـت رحلـي *

وما ناقضه به أبو نواس من قوله :

أقـول لـنـاقتـي إذ بلَّغـتنـي ... لقـد أصبحتِ مني بـاليمينِ
فلم أجعلك للغـربـانِ نُحْـلاً ... ولا قلتُ اشـرقي بدم الـوتينِ

وذكر غير ذلك من هذا الباب ثم قال : ولي قصيدة أولها :

رحلتْ فعـلَّمتِ الـفؤادَ رحـيـلا ... وبكتْ فصيـرت الأسيـلَ مسيـلا
وحـدا بها حـادٍ حـدا بي للنـوى ... لـكـنَّ منّـا قـاتـلاً وقـتـيـلا
وإذا الحبيب أراد قَـتْـلَ محبـه ... جعل الفراقَ إلى الممـات سبيلا

---

697 ـ يعتمد ياقوت في هذه الترجمة على السلفي . ويتطابق الاسم والنسب والنسبة للمترجم هنا بالمترجم قبله ؛ وليس في معجم السفر زيادة على ما ورد في الترجمة السابقة .

اذكر فيها خطابي الناقة ، واحترستُ مما يؤخذ على الشماخ بأخذٍ من مذهب أبي نواس :

وإذا بلغتِ المـرتضـى فتـسيـبي إذ ليس يحـوجني أسـومُ رحيـلا

والمرتضى يحيى بن تميم بن المعز بن باديس .

وله كتاب مختصر في القوافي رواه عنه السلفي في سنة سبع عشرة وخمسمائة . وله كتابِ مخارج الحروف مختصر أيضاً . وكتابِ مختصر العمدة لابن رشيق . وكتاب شرح الايضاح .

وقال عثمان الصقلي في « مختصره للعمدة » وقد ذكر السرقات فقال : لي من قصيدة أولها (ونقلتها من خطه وقد أعلم عليه ع وهي علامة لنفسه) .

دمـعٌ رأى بـرقَ الـحـمـى فـتـحـدَّرا وجـوىً ذكـرتُ لـه الحمى فتسعَّـرا
لـو لم يكنْ هجرٌ لمـا عَـذُبَ الهـوى أنـا أشتهي من هـاجـري أن يهجـرا
بـيـني وبيـن الحـبِّ نسـبـةُ عـنـصـرٍ فمتـى وصلتُ وصـلتِ ذاك العـنصـرا

قال : ثم وجدت للموصلي :

إذا لم يكن في الحبِّ سخطٌ ولا رضىً فـأين حـلاوات الـرسـائـلِ والكتبِ

قال : ولله در القائل :

بُنِيَ الحبُّ على الجـورِ فـلو أنْصَفَ المحبوبُ فيه لسمُـجْ
ليس يُسْتَحْسَنُ في دينِ الهوى عـاشقٌ يُحْسِنُ تلفيقَ الحججْ

ومما ذكره الصقلي لنفسه في هذا الكتاب أيضاً ، وقد ذكر الموارده قال : وهو ما ادّعي في شعر امرىء القيس وطرفة في كونهما لم يفرق بين بيتيهما إلا بالقافية ، قال امرؤ القيس « تجمَّلِ » وقال طرفة « تجلَّدِ » قال الصقلي ومن أعجب من ذلـك أني صنعت قصيدة أولها :

يهـونُ عليهـا أن أبيتَ متيمـا وأصبحَ محزوناً وأضحيَ مغرما

ومنها :

صلي مـدنفـاً أو واعـديـه وأخلفي فقـد يترجَّى الآلَ من شفَّـه الظمـا

ضمانٌ على عينيك قتلي وإنما ضمانٌ على عينيَّ أن تبكيا دما
ليفدِكِ ما أسأرتِ مني فإنها حُشاشةُ صبٍّ أزمعت أن تصرما

قال : ثم قرأت بعدُ ديوانَ البحتريِّ فوجدتُ معظمَ هذه الألفاظ مبدّدة فيه . قال : فإذا كانت أكثر المعاني يشترك فيها الناس حتى قطع ابن قتيبة ان قوله تعالى : ﴿ يُرِيدُ أَنْ يَنْقَضَّ ﴾ (الكهف: 77) لا يعبر عنه إلا بهذه العبارة ونحوها فغير مستنكر أن يشتركوا وتتفق ألفاظهم في العبارة عنها ولكن أبى المولدون إلا أنها سرقة .

قلت : لو قال في موضع « أضحي » من البيت الأول « أمسي » كان أجود ليقابل به « أصبح » ، ولو قال في البيت الثاني « وقد يشتفي بالآل من شفَّه الظما » كان أحسن في الصنعة وأجود .

- 698 -

عثمان بن عيسى بن منصور بن محمد البلطي ، أبو الفتح النحوي : هكذا ينسبونه وهو من بلد(1) التي تقارب الموصل . ذكره العماد في « كتاب الخريدة » فقال: انتقل إلى الشام وأقام بدمشق برهة يتردد إلى الزبداني للتعليم، فلما فتحت مصر انتقل إليها فحظيَ بها ، ورتَّبَ له صلاح الدين يوسف بن أيوب على جامع مصر جارياً يقرىء به النحو والقرآن حتى مات بها لعشر بقين من صفر سنة تسع وتسعين وخمسمائة ، وهي آخر سني الغلاء الشديد بمصر ، لأن أولها كان في أواخر سنة ست وأشدها في سنة سبع وأخفّها سنة تسع . وبقي البلطي في بيته ميتاً ثلاثة أيام لا يعلم به أحد لاشتغالهم بأنفسهم عنه وعن غيره ، وكان يحب الانفراد والوحدة ، فلم يكن له من يخبر بوفاته ، وكان قد أخذ النحوَ عن أبي نزار وأبي محمد سعيد بن المبارك بن الدهان .

قال المؤلف : لم يذكر العماد وفاته ، وإنما أخبرني بوفاته وما بعده الشريف أبو

698 ـ ترجمة البلطي في الخريدة (قسم الشام) 2 : 385 وانباه الرواة 2 : 344 والفوات 2 : 443 وبغية الوعاة 2 : 135 (وهو ينقل عن ياقوت) ، وانظر معجم البلدان « بلط » .

(1) بلد ، ويقال لها « بلط » بلغة النبط ، كذا قال القفطي .

جعفر محمد بن عبد العزيز بن أبي القاسم بن عمر بن سليمان بن الحسن بن إدريس بن يحيى العالي بن علي المعتلي ـ وهو الخارج بالمغرب والمستولي على بلاد الأندلس ـ ابن حمود بن ميمون بن أحمد بن عمر بن إدريس بن إدريس بن عبد اللّه بن الحسن بن علي بن أبي طالب عليه السلام . وأخبرني الشريف المذكور وكان من تلاميذه[1] قال : كان البلطي رجلاً طوالاً جسيماً طويلَ اللحية واسعَ الجبهة أحمر اللون يعتمُّ بعمةٍ كبيرة جدّاً ويتطلَّسُ بطيلسان لا على زيّ المصريين ، بل يلقيه على عمامته ويرسله من غير أن يديره على رقبته ، وكان يلبسُ في الصيف المبطَّنةَ والثيابَ الكثيرةَ حتى يُرَى كأنه عِدْلٌ عظيم ، وكان إذا دخل فصلُ الشتاء اختفى حتى لا يكاد يظهر ، وكان يقال له أنت في الشتاء من حشرات الأرض ، وكان إذا دخل الحمامَ يدخلُ إلى داخله وعلى رأسه مزدوجة مبطَّنة بقطن ، فإذا حصل عند الحوض الذي فيه الماء الحارُّ كشف رأسه بيده الواحدة وصبَّ على رأسه الماءَ الحارَّ الشديدَ الحرارة بيده الأخرى ، ثم يغطيه إلى أن يملأ السطل ، ثم يكشفه ويصبّ عليه ، ثم يغطيه ، يفعل ذلك مراراً ، فإذا قيل له في ذلك قال : أخاف من الهواء .

قال الإدريسي : هذه كانت حاله في هيئته وسمته ، فأما علمه فكان عالماً إماماً نحويَّاً لغويَّاً أخباريَّاً مؤرخاً شاعراً عروضيَّاً قلَّ ما سئل عن شيءٍ من العلوم الأدبية إلا وأحسنَ القيام بها، وكان يخلطُ[2] المذهبين في النحو ويحسنُ القيامَ بأصولهما وفروعهما ، وكان مع ذلك خليعاً ماجناً شِرّيباً للخمر منهمكاً على اللذّات .

قال الشريف الإدريسي : فحدثني الفقيه ابن أبي المالك قال : خرجتُ إلى بعض المتنزهات بضواحي مصر فلقيتُ البلطيَّ مع جماعةٍ من أهل الخلاعة ، ومطربٌ يغنّيهم ببعضِ الملاهي ، وهو ثملٌ يتمايلُ سكراً ، فتقدمتُ إليه وقلت له ، وكانت بيني وبينه مباسطة تقتضي ذلك ، فقلت له : يا شيخ أما آن لك أن ترعوي وتقلعَ عن هذه الرذائل مع تقدمك في العلم وفضلك ؟! فنظر إليّ شزراً ولم يكترث بقولي ، وأنشدني بعدما نَتَرَ يدَهُ من يدي شعرَ أبي نواس[3] :

---

(1) م : تلامذته .

(2) ك : يحسن .

(3) ديوان أبي نواس (الحديثي) : 168 .

كَفَيْتُ الصبا من لا يهشُّ إلى الصبا وجمَعتُ منه ما أضاع مضيعُ
لعمرك ما فرطتُ[1] في جنبِ لذةٍ ولا قلتُ للخمارِ كيف تبيعُ

وحدثني الإدريسي قال : ومن نوادره ما أخبرني به صاحبنا الفقيه أبو الجود ندى بن عبد الغني الحنفي الأنصاري قال : حضر يوماً عند البلطي بعضُ المطربين المحسنين فغناه صوتاً أطربه به ، فبكى البلطي فبكى المطرب ، فقال له البلطي : أما أنا فأبكي[2] من استفزاز الطرب ، أنت ما أبكاك ؟ فقال له : تذكرتُ والدي فإنه كان إذا سمع هذا الصوت بكى ، فقال له البلطي : فأنت واللّه إذن ابن أخي ، وخرج فأشهد على نفسه جماعةً من عدول مصر بأنه ابنُ أخيه ولا وارثَ له سواه ، ولم يزل يُعْرَفُ بابن أخي البلطي إلى أن فرق الدهر بينهما .

وللبلطي من التصانيف : كتاب العروض الكبير في نحو ثلاثمائة ورقة . كتاب العروض الصغير . كتاب العظات الموقظات . [كتاب النير في العربية . كتاب أخبار المتنبي . كتاب المستزاد على المستجاد من فعلات الأجواد] . كتاب علم أشكال الخط . كتاب التصحيف والتحريف . كتاب تعليل العبادات .

قال العماد في « كتاب الخريدة » : وللبلطي موشحةٌ عملها في القاضي الفاضل بديعة مليحة سلك فيها طريق المغاربة وحافظ فيها على أحرف الغين والضاد والذال والظاء ، وصَرَّع التوشيح ، وهي :

ويلاهُ مِنَ روَّاغْ بجورِهِ يقضي
ظبيٌ بني يزدادْ منه الجفا حظّي

قد زاد وسواسي مذ زاد في التيهِ
لم يلقَ في الناس ما أنا لاقيهِ
من قيّمٍ قاسي بالهجرِ يغريهِ
أرومُ إيناسي به ويثنيهِ

(1) الديوان : أعاذل ما فرطت .
(2) ك : فبكيت .

إذا وصالٌ ساغْ بقربه يرضي
أبعده الأستاذ لا حِيْطَ بالحفظِ
وكلُّ ذا الوجدِ بطولِ إيراقِهْ
مضرجُ الخدِّ من دم عشّاقِهْ
مصارعُ الأسد في لحظ أحداقهْ
لو كان ذا ودّ رقَّ لعشاقه
شيطانُهُ النزاغْ[1] علَّمه بغضي
واستحوذ استحواذ بقلبه الفظِّ
دع ذكره واذكرْ خلاصةَ المجدِ
الفاضلَ الأشهرْ بالعلم والزهدِ
والطاهرَ المئزرْ والصادقَ الوعدِ
وكيف لا أشكر مولىً له عندي
نعمىً لها إسباغْ صائنةٌ عرضي
من كفِّ كاسٍ غاذْ والدهر ذو عظٍّ[2]
منةُ مستبقي ضاقَ بها ذرعي
قد أفحمتْ نطقي واستنفدتْ وسعي
ومَلَكَتْ رقي لِمُكْمِلِ الصُّنْعِ
دافع عن رزقي في موطن الدفعِ
لما سعى إيتاغ دهريَ في دحضي[3]
أنقذني إنقاذ مَنْ همُّهُ حفظي

(1) ك : الرواغ .
(2) العظّ بمعنى العض ؛ والكاسي الغاذي : الذي يكسو ويغذو .
(3) الايتاغ : الاهلاك ، أي دهره سعى في إهلاكه ودحضه .

ذو المنطق الصائبْ في حومةِ الفصلِ
ذكاؤه الثاقبْ يجلُّ عن مثلِ
فهو الفتى الغالبْ كلَّ ذوي النبلِ
مَنْ عمرو والصاحبْ ومَنْ أبو الفضلِ[1]

لا يستوي الافراغ بواحدِ الأرضِ
أين من الآزاذ نُفَايةُ المظِّ[2]

يا أيها الصدرُ فتَّ الورى وصفا
قد مسني الضرُّ والحالُ ما تخفى
وعبدك الدهرُ يسومني الخسفا
وليس لي عذرُ ما دمتَ لي كهفا

من صَرْفِ دهرٍ طاغْ أنَّى له أغضي
مَنْ بِكَ أمسى عاذْ لم يخشَ من بهظِ
قد كنتُ ذا إنفاق أيامَ ميسوري
فَعِيلَ لما ضاق رزقيَ تدبيري
والعسرُ بي قد حاق عقيبَ تبذيري
يا قاسمَ الأرزاق فارثِ لتقتيري
لا زلتَ كهفَ الباغ ودمتَ في خَفْضِ
أمرك للانفاذْ والسعدُ في لظِّ[3]

ومن جيد شعر البلطي[4] :

دَعُوه على ضعفي يجورُ ويشتطُّ فما بيدي حلٌّ لذاك ولا ربطُ

---

(1) عمرو بن بحر الجاحظ والصاحب بن عباد وأبو الفضل ابن العميد .

(2) الأزاذ : نوع جيد من التمر ، المظ : الرمان البري .

(3) في لظ : ملازماً .

(4) الخريدة : 388 .

ولا تعتبوه فالعتابُ يزيده ملالاً وإني لي اصطبارٌ إذا يسْطُو
فما الوعظُ فيه والعتابُ بنافعٍ وان يشرط الإحسان لا ينفعِ الشرطُ
ولما تولّى معرضاً بجنابه وبان لنا منه الاساءةُ والسخطُ
بكيتُ دماً لو كان ينفعني البُكا ومزقت ثوبَ الصبرِ لو نفع العطُّ
تنازعت الآرامُ والدرُّ والمها لها شبهاً والغصنُ والبدرُ والسقطُ
فللرئم منه اللحظُ واللونُ والطلى وللدرِّ منه اللفظ والثغر والخطُّ
وللغصنِ منه القدُّ والبدر وجهه وعينُ المها عين بها أبداً يسطُو
وللسقط منه ردفه فإذا مَشَى بدا خلفه كالموج يعلو وينحطُّ

قال العماد الكاتب وأنشدني البلطي لنفسه[1] :

حكَّمتُهُ ظالماً في مهجتي فسطا وكان ذلك جهلاً شُبتُهُ بخطا
هلا تجنبتُهُ والظلمُ شيمته ولا أُسامُ به خسفاً ولا شططا
ومن أضلُّ هدىً ممن رأى لهباً فخاض فيه وألقى نفسه وسطا
ويلاه من تائهٍ أفعالُهُ صَلَفٌ ملوَّنٌ كلّما أرضيتُهُ سَخِطا
أبثّه ولهي صدقاً ويَكْذِبني وعداً وأُقْسِطُ عدلاً كلما قَسَطا

وله في القاضي الفاضل وكان قد أسدى إليه معروفاً من قصيدة[2] :

لله عبدٌ رحيمٌ يدعى بعبدِ الرحيمِ
على سراطٍ سويٍّ من الهدى مستقيمِ
نسكُ ابنِ مريمَ عيسى وَهَدْيُ موسى الكليمِ
رأى التهجدَ أنساً في جنح ليلٍ بهيمِ
مُسَهَّدُ الطرفِ يتلو آيَ القران العظيمِ

(1) الخريدة : 385 ـ 386 .
(2) الخريدة : 386 ـ 387 .

ومن أطبع ما قاله في طبيب ، وكان ابن عمه[1] :

لِيَ ابنُ عمّ حوى[2] الجهالةَ للـ ـحكمة أضحى يطبُّ في البلدِ
قد اكتفى مذ نشا به مَلَكُ المـ ـوتِ فما إنْ يبقي على أحدِ
تجسُّ نبضَ المريضِ منه يدٌ أسلمُ منها براثنُ الأسدِ
يقول لي الناسُ خلِّهِ عضداً فقلت يا ليتني بلا عضدِ[3]

ومن شعره في غلام أعرج[4] :

أنا يا مشتكي القَزَلْ منكَ في قلبيَ الشُّعَلْ
أصبح الجسمُ ناحلاً بكَ والقلبُ مشتغلْ
دُلَّني قد عدمتُ صبـ ـري وضاقتْ بيَ الحِيَلْ
آن أن تجفو الجفا ءَ وان تملَّ الملَلْ

وقال عثمان بن عيسى بن منصور البلطي ، وسئل أن يعمل على وزن بيتي الحريري اللذين وصفهما فقال : « اسكتا كل نافث . وأمنا أن يعززا بثالث » ، وهو[5] :

سِمْ سمةً تُحْمَدُ[6] آثارها واشكر لمن أُعطى ولو سمسمةْ

فقال :

محلمةُ العاقلِ عن ذي الخنا توقظُهُ إنْ كان في محلمةْ
مكلمةَ الخائضِ في جهله لقلبِ من يردعه مكلمةْ
مَهْدمةَ العُمْرِ لحرّ إذا أصبح بين الناس ذا مَهْدَمَةْ (الثياب الخلقة)
محرمةَ الملحفِ أولى به إياك ان ترعى له مَحْرَمَةْ (أي حرمة)
مُسْلِمةً يمنعها غاصبٌ حقّاً فأمسى جوره مُسْلِمةْ (أي خاذله)

(1) الخريدة : 387 .
(2) ك : حكى .
(3) م: يا ليتني أبقا بلا عضد (ورجّح: باقياً) .
(4) الخريدة : 388 ـ 389 .
(5) هي المقامة الحلبية (رقم : 46) ص : 499 .
(6) المقامات : تحسن .

مظلمةٌ يفعلها عامداً تلقيه يوم الحشر في مظلمهْ (أراد قوله للظالم ظلمات يوم القيامة)

أعلمه الحسن فيا ليتَ من أغراه [بالجفوة] بي أعلمهْ (من العلامة)

من دمه أهدره الحبّ لا غرو إذا حلّت به مندمهْ

أسلمه الحبُّ إلى هلكه فإن نجا منه فما أسلمهْ

أشأمه البينُ وقد أعرقوا أفّ لهذا البين ما أشأَمَهْ

مكتمة الأحزان في أدمعي يبدو نصول الشيب من مكتمهْ (من الكتم الذي يصبغ به الشعر)

محرمة الدهر أفيقي ففي ذرى جمال الدين لي مَحْرَمَهْ (الاحترام)

مقسمة الارزاق في كفّه أبلج زانت وجهه مقسمهْ

وهي خمسون بيتاً هذا أنموذجها .

وقال على مثال أبيات الحريري التي أولها[1] :

أُسْ أرملاً إذا عرا وارعَ إذا المرء أسا[2]

فقال :

اسعَ لابقاءِ سنا أنسأ قُبًّا لُعُسا

(السناء : الشرف وقصره ضرورة ، انسأ : أخِّر ، القُبّ الضوامر البطون ، واللعس : العذبات الأرياق ، أي أخر عنه محبة هذا الشرف هذه النسوة الموصوفات) .

اسخَ بمولى عَرِد دَرْعَاءَ لوم بخسا

(المولى ابن العم)

أَسْدِ ندى عفّ نما مَنَّ فعاد ندسا

(1) هي المقامة المغربية (رقم : 16) ص : 157 .

(2) أُس : أعطِ (من الأوس وهو العطية) الأرمل : الذي نفد زاده وافتقر ؛ عرا : أتى طالباً للرفد ، أسا : من الاساءة .

(أَسْدِ : أعطِ ، والندس : الجميل الأخلاق) .

اسمـح بصـدٍّ نـاعمٍ معـانـدٍ صُبْـحَ مسـا

(يقول : إذا كان لك حبيب ناعم حسن وكان كثير الخلاف فلتسمح نفسك به وبالبعد عنه) :

اسمـر تَيّمْـك آس ايـــــاسـاً كـميـتٍ رمسـا

(يقول : بلغ من حالك أن تترك الأسمر ، اذ لو كان غير الأسمر كنت معذوراً كأنه يستقبح السمر أي آسٍ منه إياساً وعُدَّه ميتاً في رمسه ، وسكن تَيّمَكْ ضرورة كقوله :

شكونا إليـه خرابَ القـرى فحـرّمْ علينـا لحـومَ البقـرْ

وله أبيات يحسن في قوافيها الرفع والنصب والخفض[1] :

إنــي امــرؤٌ لا يــطبـيــــني الشادنُ الحسنُ القوامُ (مَا)

رفع القوام بالحسن صفة مشبهة باسم الفاعل والتقدير الحسن قوامه كما تقول مررتُ بالرجلِ الحسن وجهه ، ونصبه على الشبه بالمفعول به ، وخفضه بالاضافة .

فــارقــتُ شــرةَ عـيـشـتـى إذ فــارقتني والعـرامُ (مَـا)

رفع العرام لأنه عطف على الضمير في فارقتني ، ونصبه عطفاً على شرة ، وخفضه عطفاً على عيشتي .

لا أسـتـلـذ بـقـيـنـةٍ تشـدو لديَّ ولا غـلامُ (مَا)

رفعه عطفاً على الضمير في تشدو ، ونصبه بلا ، وخفضه عطفاً على قينة .

ذو الــحــزن لـيس يـســرُّهُ طيبُ الأغاني والمدامُ (مَا)

رفعه عطفاً على طيب ، ونصبه بأن يجعل الواو بمعنى مع ، وخفضه عطفاً على الأغاني .

أمــسـي بــدمــعٍ ســافــحٍ في الخد منسكبٍ سجامُ (مَا)

---

(1) قلت : وكذلك يمكن التسكين .

رفعه باضمار هو ، ونصبه باضمار فعل ، وجرّه نعتاً للدمع .

هـمٌّ أرى في بـثّـه ذلاًّ ومـلء فمي لجامُ (مَـا)

ملء فمي لجام مبتدأ وخبر ، ونصبه باضمار أرى دلت عليه أرى الأولى ، وجره بالاضافة .

قَـدَرٌ عـليَّ مـحـتَّـمٌ من فوق يأتي أو أمامُ (مَا)

مبنيّ على الضم ، ونصبه بجعله نكرة ويكون ظرفاً ، وجره بالإضافة .

لا يـستـفـيق الـقـلبُ مـن كمـدٍ يلاقي أو غـرامُ (مَـا)

غرام خبر مبتدأ محذوف ، والنصب جعله مفعولاً ليلاقي ، وخفضه على كمد

كـم حـاسـدين مـعـانـديـن غدوا عليّ وكم لئامُ (مَا)

كم تنصب وتخفض ، ورفعه كأنه قال : مرَّ وغدا عليّ لئامٌ

إنـي أرى الـعيشَ الـخـمـو ل وصحبةَ الأشرارِ ذامُ (مَـا)

صحبة الأشرار مبتدأ وخبر ، ويجوز نصبها عطفاً على ما تقدم .

فـي غـفـلة أيـقـاظـهـم عن سؤددٍ بَلْهَ النيـامُ (مَـا)

بَلْهَ لفظة معناها دع وتكون بمعنى كيف ويرتفع ما بعدها ، وتكون كالمصدر فيخفض بها ، والنصب لأنها بمعنى دع .

رُبَّ امـرىءٍ عـايـنـتـه لهجاً بسبّي مستهامُ (مَـا)

مستهام منصوب بعاينته ، ورفعه على موضع ربَّ لأن رب وما يدخل عليه في موضع رفع ، وخفضه نعتاً لامرىء .

عـين الـعـدو غـدوت مـضـطرّاً بصحبته اسامُ (مَـا)

أُسامي أفاعِل من المساماة ، وأسامُ اتكلف من قوله سمتُه الخسف ، وأسامَا أُفاعَل من المساماة أيضاً .

مـالـي ولـلـحـمـق الأثـيـ ـيم الجاهلِ الفدمِ العبامُ (مَا)

رفعه باضمار مبتدأ ، ونصبه باضمار اعني .

إنّ الـمـمـوَّه عـنـد فـد م الناسِ يعلو والطغامُ (مَا)

رفعه عطفاً على موضع إنّ ، ونصبه عطفاً على المموه ، وخفضه عطفاً على فدم .

وأعـيشُ فـيـهـم اذ بـلـو تهمُ وقد جهلوا الأنامُ (مَـا)

البدل من الواو في جهلوا ويكون فاعلاً في لغة من قال أكلوني البراغيث ، ونصبه على البدل[1] من الضمير في بلوتهم ، وجره بدلاً من الهاء في فيهم .

حتى متى شـكـوى أخي الـبثِّ الكئيب المستضامُ (مَا)

رفعه بتقدير أن يشكو المستضام لأن شكوى مصدر وأخي البث في موضع رفع المستضام ورفع أخي البث على الموضع ، ونصبه على أن يكون مشكوًّا ، وخفضه نعتاً للكئيب .

مـا مـن جـوى الا تـضـمنه فؤادي أو سقامُ (مَـا)

رفعه عطفاً على موضع من جوًى ، وجره على لفظة جوى ، ونصبه عطفاً على الضمير في تضمنه .

لـيس الـحـيـاة شـهـيَّـةً لي في الشقاءِ ولا مرامُ (مَا)

رفعه بلا ولا ، ونصبه بلا أيضاً ، وجره علـى شهية بتقدير الباء كأنه قال بشهية كما أنشد سيبويه :

مشائيم ليسوا مصلحين عشيرةً ولا نـاعب إلا ببين غـرابهـا

(اراد بمصلحين)

وكـرهتُ في الـدنيـا البقـا ءَ وقـد تنكَّدَ والمقـامُ (مَـا)

رفعه على الضمير في تنكد ، ونصبه عطفاً على البقاء ، وجره بالقسم .

مـا في الـورى من مـكـرَمٍ لذوي العلوم ولا كرامُ (مَا)

(1) ك : النداء .

جره على لفظ مكرم (بفتح الميم) .

إنـي وددت وقـد سئـمـت العيشَ لو يدنو حمامٌ (مَا)

رفعه بالفاعل ، ونصبه بوددت ، وجره بالاضافة .

وقال أيضاً أبياتاً حصر قوافيها ومنع أن يزاد فيها :

بأبي من تهتكي فيه صونُ ربَّ وافٍ لغادرٍ فيه خَوْنُ
بين ذلِّ المحبِّ في طاعةِ الحبِّ وعزِّ الحبيب يا قومُ بونُ
اين مُضْنًى يحكي البهارةَ لوناً من غريرٍ له من الورد لونُ
لي حبيبٌ ساجي اللواحظِ أحوى مُتْرَفٌ زانه جمالٌ وصَوْنُ
يلبس الوشيَ والقباطيُّ جونٌ فوق جونٍ ولونُ حاليَ جَوْنُ
إن رماني دهري فإن جمال الدين ركني وجودُهُ ليَ عَوْنُ
عنده للمسيء صفحٌ وللأسرار مستودعٌ وللمالِ هَوْنُ
زانه نائلٌ وحلمٌ وعدلٌ ووفاء جمٌّ وَرِفْقٌ وأوْنُ[1]
أنا في ربعه الخصيبِ مقيمٌ لِيَ من جوده لباس ومَوْنُ
لا أزالَ الإلٰه عنه نعيماً وسروراً ما دام للخلقِ كَوْنُ

ـ 699 ـ

عريب بن محمد بن مطرف بن عريب القرطبي ، أبو مروان : له سماع بالمشرق على أبي الحسن ابن جهضم بمكة ، وكان من أهل الأدب والشعر ، حَسَنَ الايراد[2] للأخبار ، واستقضي في الفتنة على كورة بونه ، وقتل خطأً على باب داره في ربيع الآخر سنة تسع وأربعمائة ، ذكر وفاته ابن حيَّان .

699 ـ ترجمة عريب في الصلة : 426 وقد وقعت في ك قبل ترجمة عبيد بن مسعدة .

(1) الأون ، الرفق .

(2) الصلة : الأدب والمعرفة حسن الايراد . . .

- 700 -

عزيز بن الفضل بن فضالة بن مخراق بن عبد الرحمن بن عبيد الله بن مخراق الهذلي ، يعرف بابن الأشعث : أخباريّ راوية لغويّ نحويّ ، ذكره محمد بن إسحاق ، مات [. . .][1] وله من الكتب : كتاب صفات الجبال والأودية وأسمائها بمكة وما والاها[2] ، قال الأزهري في مقدمة كتابه : وله كتاب لغات هذيل .

- 701 -

عسل بن ذكوان العسكري ، من أهل عسكر مكرم ، يكنى أبا علي : روى عن المازني والرياشي ودماذ ، ذكره محمد بن اسحاق وقال : كان في أيام المبرد مات [. . .] . وله من الكتب : كتاب الجواب المسكت . كتاب أقسام العربية .

- 702 -

عطاء [. . .] الملط : قرأت بخط أبي منصور الأزهري في « كتاب نظم الجمان » ، حدّثنا أبو جعفر محمد بن الفرج الغساني قال حدثنا أحمد بن عيسى مؤدّب ولد إسحاق بن إبراهيم قال : كان أستاذ الأصمعي وأبي عبيدة عطاء الملط ، رجل من أهل البصرة ، وكانوا يقعدون إليه ويتعلمون منه ، فبلغه أن الأصمعي اتخذ حلقةً واجتمعت إليه جماعة ، فغاظه ذلك ، فلما انصرف من حلقته استتبع أصحابه فقال :

---

700 ـ ترجمة ابن مخراق الهذلي في الفهرست : 127 (وكتب فيه : عزيز ـ بزاءين ـ) وبغية الوعاة 2 : 137 وانظر تهذيب اللغة للأزهري 1 : 33 .

701 ـ انظر في ترجمته الفهرست : 65 (وورد فيه : عبيد بن ذكوان خطأ) وانظر تهذيب الأزهري 1 : 13 وبغية الوعاة 2 : 137 (وأحال على ياقوت) .

702 ـ بغية الوعاة 2 : 137 (وقيل ان اسم أبيه مصعب) .

(1) بياض في لك ؛ وكتب فوقه بخط دقيق حيث ورد « أخلي موضع الوفاة » .

(2) الفهرست : وما وراءها .

مُرُّوا بنا إلى ظاهر البصرة ، فخرجنا حتى مررنا بشيخٍ معه أعنزٌ يرعاهنّ ، وعليه جبة صوف ، فقال له : يا قُرَيب فقال : لبيك قال : ما فعل الأصمعي ابنك ؟ فقال : هو عندكم بالبصرة ؛ فقال : هذا أبو الأصمعي ، لا يقول غداً انه من بني هاشم .

ـ 703 ـ

عطاء بن يعقوب بن ناكل : أحد أعيان فضلاء غزنة ، وهو من أولاد التنّاء ، وكان ابن عمه الكوتوال[1] ، وهو مستحفظ القلعة ، يلقب بهذا ، وهو بالهندية ، وإليه مصادرُ الأمور ومواردها عند غيبة سلطان البلاد .

قال صاحب « سر السرور »[2] : إذا اجتمع الأفاضل في مضمار التفاضل ، واتزنوا بمعيار التساجل ، كان هذا الشيخ هو الأبعدَ إحضاراً ، والأرجحَ مقداراً ، أقرَّ له بالتقديم رجالاتُ الآفاق ، واذعن له بالترجيح فضلاءُ خراسانَ والعراق ، حتى أشرق شمساً وهم ما بين كوكبٍ وشهاب ، وأعذبَ بحراً وهم ما بين نهرٍ وسراب ؛ يجلو عليه الفضلُ نفسَهُ في مَعْرِض الإحسان ، ويناغيه أهلُ الفضل بلسانِ القصورِ والاذعـان ، وتشرئبُّ إلى قلائده أجيادُ الأنام ، وتتباهى برسائله مواقعُ الأقلام ؛ ولم يزل منذ شبَّ إلى أن اشتعل الشيبُ برأسه ، ورسب قذى العمرِ في آخر كأسه ، بين اقتباسٍ يصطاد به وحوشَ الشوارد ، وإقباسٍ ينثرُ منه لآلىء القلائد ، وإبداعِ صنعةٍ في الشعر ما جمَّش الأديب بأظرف من بدائعها . واختراع نادرة ما أُتحفَ الفضلُ بأطرفَ من روائعها . وقد سافر كلامه من غزنة إلى العراق ، ومن ثَمَّ إلى سائر الآفاق ، حتى إني حُدِّثْتُ أن ديوان شعره بمصر يُشْتَرَى بمائين من الحمر ، الراقصات على الظفر . والمشهور أن ديوان شعره العربي والفارسي يُشْتَرَى بخراسان بأوفرِ الأثمان ، وكيف لا وما من كلمـة من كلماته إلا وحقُّها أن تُمْلَكَ بالأنفُس وتقتنى ، وتباع بالأنفَسِ وتشترى.

---

(1) ك : الكوتال .

(2) مؤلفه معين الدين محمد بن محمود الغزنوي ويعتمده ياقوت كما نقـل عنه ابن العـديم في كتابـه بغية الطلب .

وهذا أنموذج من نثره ، مردف بما وقع عليه الاختيار من شعره :

صدر كتابٍ صدر منه إلى بعض الصدور : أطال اللّه بقاء الشيخ في عزّ مرفوع كاسم كان وأخواتها ـ إلى فلك الأفلاك ، منصوبٍ كاسم إنَّ وذواتها إلى سَمْكِ السِّماك ، موصوفٍ بصفة النماءِ ، موصولٍ بصلةِ البقاء ، مقصور على قضية المراد ، ممدود إلى يوم التناد ، معرفة به مضاف إليه ، مفعول له موقوف عليه ، صحيح سالم من حروف العلة ، غير معتلّ ولا مهموز هَمْزَ الذلة ، يثنّى وَيُجْمَعُ دائماً جَمْعَ السلامة والكثرة لا جمع التكسير والقلة ، ساكن لا تغيره يدُ الحركة ، مبنيٌّ على اليمن والبركة ، مضاعَفٌ مكرَّرٌ على تناوب الأحوال ، زائدٌ غير ناقص على تعاقُبِ الأحوال ، مبتدأ به خبره الزيادة ، فاعلٌ مفعوله الكرامة ، مستقبلَهُ خيرٌ من ماضيه حالاً ، وغدُهُ أكثرُ من يومه وأمسه جلالاً ، له الاسم المتمكن من إعراب الأماني ، والفعل المضارع للسيف اليماني ، لازمٌ لربعه لا يتعدَّى ، ولا ينصرفُ عنه إلى العدى ، ولا يدخله الكسر والتنوين أبداً . يقرأ بابَ التعجب من يراه ، منصوباً على الحال إلى أعلى ذراه ، متحركاً بالدولة والتمكين ، منصرفاً إلى ربوةٍ ذاتِ قرارٍ وَمَعين . وهذا دعاءٌ دعوتُ له على لسان النحو ، وأنا داعٍ له بكلِّ لسان على هذا النحو . ولولا الاحترازُ العظيمُ ، من أن يملَّ الأستاذُ الكريمُ ، لسردتُ أفراده سرداً ، وجعلت أوراده ورداً ، وجمعتُ أعداده عَقْداً ، ونظمت أبداده عِقْداً ، ذلك ليعلم أني لم أَخُنْهُ بالغيب إنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي كَيْدَ الخائِنينَ .

فصل من كتاب : منذ تورّدتُ هذه الناحية لم يرد عليَّ سحاءةٌ أُروي بها كبدي الصادية ، وأُجلو حالي الصادية ، وأستظهرُ بها على دهرٍ يقصدني حيثما قصدت ، ويضربني أينما ضربت ، ولم أخلصْ بعد من ألسنة أبنائه في ذلك الحيِّ ، حتى ابتليتُ بأسنّة بناته في هذا الفي ، وطلعتْ علينا عارضةُ داجيةُ الجو ، باكية النوّ ، وأمطرتنا مَطَرَ السَّوْ ، بوفاة الظعينة المسكينة فتضاعف سَقَمٌ برَّح بي فلا يبرح ، وترادفَ أَلَمٌ ألحَّ عليَّ فلا يتلحلح[1] ، وما حالُ أفقٍ أفَلَ نهارُهُ ، وروض ذَبُلَتْ أزهارُهُ ، وقلبٍ زالَ قرارهُ ، وَخِلْبٍ[2] زاد أُوَارُهُ ، وكثير فارق أَعِزَّتَه ، ثم فقد عِزّته ، والمصيبة في الغربة أقطع ،

---

(1) م : لحلح ؛ ك : نحلح .

(2) الخلب : حجاب القلب .

ونكءُ القَرْح بالقَرْح أوجع ، وأكثر ما جرَّ عليَّ هذه الفادحة القادحة تطيّري بفلان ، فإنه بكَّرَ عليَّ يوم النوروز متأبطاً طوماراً أطولَ من يوم الحشر ، قد أربى ذراعاً على العشر ، يضيق عنه نطاقُ النشر ، ملأه نظماً ونثراً في مَرْثِيَةٍ جاريةٍ له قد ماتت منذ خمسين سنة ذكر فيه غرتها ونُقْرَتها[1] ، وطُرّتها وَدُرّتها ، وعُمْرتها[2] وخمرتها ، وسُرّتها وصُرّتها ، فتشفعت إليه ، وتضرعتُ بين يديه ، وقلت لـه : أنشدكُ اللّه إلا طَـوَيْتَهُ وأَدْرَجْتَـهُ ، وأدخلته من حيث أخرجته ، فأبى إلا جماحاً في المسحل[3] ، وسلَّ مقولاً كالمعول ، وجعل يكيلُ من تلك الأهـواس ، إذا قرأ سـطراً عاد إلى الـراس ، وحكى أساطيـر الأولين ، ورفع العويل والأنين ، وأرسل المخاط والذنين[4] ، كلّما قال لفظة سعل ، وأخرج من قعر حلقه جُعَل ، وأنا أنزوي كما تنزوي الجلدة في النار ، وألتوي كما تلتوي الحية في الأوار[5] ، لا يمكنني أن أقرّ ، ولا يتركني[6] حتى أفرّ ، إلى نصف النهـار ، ولم يُنْصَفْ بعدُ الـطومار ، وقمنـا إلى المفروض وكمـا انفصلتُ من ذلـك المكان ، وصل كتاب التحويل إلى المولتان ، وَحُمَّت المسكينةُ في الحال ، ووقعنا في الأوجال ، واللّه نصيري على الزمان والاخوان وحسيبي ، وقد قل منه ومنهم حـظي ونصيبي .

فصل من كتاب : الصحبة نسبةٌ في شرع الكرم ، والمعرفة عند أهل النهى أوفى الذمم[7] ، والأخوَّةُ لُحْمَةٌ دانية ، والمصافاةُ قرابةٌ ثانية ، ولو كان ما بين ذات البين ما بين القطبين ، لوجب أن يقطعا عَـرْضَ السماء كـالمجرة مـواصلةً ، ويتصلا اتصـالَ الكواكب مراسلة ، ولكن الأقوام[8] في العقوقِ سواسية ، والقلوب في رعاية الحقوق قاسية .

(1) ك م : ونعرتها ؛ والنقرة في قفا الرأس وتقابل الغرة .
(2) العمرة هنا ما تلبسه على رأسها ، ومن معاني العمرة أيضاً بناء الرجل بامرأته وهي في أهلها .
(3) المسحل : اللجام .
(4) الذنين : المخاط الرقيق .
(5) الاوار : شدة حر الشمس .
(6) م : تركني .
(7) من قول المتنبي : « ان المعارف في أهل النهى ذمم » .
(8) ك : الأقدام .

ومن شعره :

أأحلبُ من دنيـاي جـدَّاء مـا بهـا ... على كثرة الإبسـاس درٌّ ولا جَـدَى[1]
وأسبـحُ في بحـرِ السـراب ضـلالـةً ... وأتـرك صـدّاءً وبي حُـرَقُ الصـدى[2]

ولـه :

قـريضٌ تجلَّى مثـل مـا ابتسمت أرْوَى ... تـرشفتُ من فيـه الـرضـابَ فمـا أُروى
تجلى كـأُروى فـي حجـالِ سـطوره ... وأنـزل مـن شـمِّ الـجبـال لـنـا أُروى
كغصن الشبـاب الغضِّ غـاض بهـاؤه ... وعهـدُ اللوى ألـوى بـه زمن ألـوى
إذ الـدهـرُ غضٌّ نـاضـرُ العـودِ نـاظـرٌ ... إلينـا بمـا يهـوى ولم يلق في المهـوى
قـريضٌ بـه زادت لـقـلبـيَ غـلةٌ ... وغيـري بـه يـروي الغليـل إذا يـروى

ولـه :

يـا ظبيـة سلَّتْ ظبـاً من جفنهـا ... تفـري بهـا أعنـاقَ آسـادِ الـورى
ما كنتُ أدري قبل جفنـك أنّ أجـفـان الظِبـاءِ تكون أجفـان الـظُّبـا

ولـه :

إذا مـا نبـا حـدُّ الأسنةِ والـظُّبـا ... فمـا نـابُهـا في الحـادثـات بنـابِ
تقصفَ رمـحُ الخطِّ وسط كتـائبٍ ... إذا هُـزَّ رُمْـحُ الخطِّ وسط كتـابِ

ولـه :

وكم حـلَّ عقداً للحـوادث عَقْدُهُ ... وكم فـلَّ نـابـاً للنـوائب نـابُـهُ
كمخلبِ ليثِ الغابِ حَدًّا وحـدَّةً ... ومخلب ليثِ الفضلِ والعلم غابه
إذا صـاد ليثُ العنكبـوتِ ذبـابـةً ... فهـذا حسـام صـاد ليثـاً ذبـابـه

وله أيضاً مما أورده ابن عبد الرحيم عن العميد أبي سعد عبد الغفار بن فاخر البستي :

---

(1) الابساس : مسح الضرع حتى تدر الحلوبة .
(2) صداء : اسم ماء يضرب به المثل فيقال : ماء ولا كصداء .

أيــا مــن إن رآه البــد ... ر ظـلّ لوجهـه يسجـدْ
ويــا مَـنْ غيـمُ نــائلِهِ ... يجـودُ لنـا ولا يــرعـدْ
ويــا مَنْ فَضْلُهُ يـدنــو ... ولكن وَصْـفُـهُ يبـعـدْ
ومن إن قـام للجـدوى ... فحــاتمُ طـيّءٍ يقـعــدْ
أتــذكــرنـي إذا أخـلو ... ومالِيَ لا أرى الهدهد

ولــه :

اللّه جــارُ عصــابــةٍ ودّعـتـهـم ... والــدمـعُ يهمـي والفـؤادُ يهـيمُ
قـد كـان دهـري جَنَّةً في ظلهم ... ساروا فأضحى الدهرُ وهو جحيمُ
كـانـوا غيـوثَ سمـاحـةٍ وتكـرّمٍ ... فـاليـومَ بعـدهم الجفـونُ غيــومُ
رحلوا على رغمي ولكنْ حبهـم ... بـينَ الـفؤادِ الـمستهـام مـقيـمُ
قـد خانهم صـرفُ الزمـانِ لأنهم ... كــانـوا كــرامـاً والــزمــانُ لئيمُ
طلّقتُ لــذاتي ثــلاثــاً بعــدهم ... حتى يعــودَ العقـدُ وهــو نــظيمُ
الــلّهُ حيـثُ تحـمَّلوا جــارٌ لـهم ... والأمـنُ دارٌ والـســرورُ نــديــمُ
والعيشُ غَضٌ والمنــاهـلُ عـذبـةٌ ... والجــوُّ طَلْقٌ والــريــاحُ نـسيـمُ

ـ 704 ـ

عكرمة مولى ابن عباس ، يكنى أبـا عبد الله : سمـع عبد الله بن عبـاس وأبا سعيد وعائشة وأبا هريرة وعبد الله بن عمر وروى عنه جمـاعة من التـابعين منهم الشعبيُّ وإبراهيم النَّخعيّ ومحمد بن سيرين وجابر بن زيد ، ومات فيما قـرأت بخط الصولي من كتاب البلاذري سنة خمس ومائة وقيل ست ومائة ، وهو ابن ثمانين سنة .

704 ـ ترجمته في طبقات ابن سعد 5 : 287 وطبقات خليفة : 280 وطبقات الشيرازي : 70 وحلية الأولياء 3 : 326 وابن خلكان 3 : 265 وميزان الاعتدال 3 : 93 وعبر الذهبي 1 : 131 وسير الذهبي 5 : 12 وتاريخ الذهبي 4 : 156 والعقد الثمين 6 : 123 وتهذيب التهذيب 7 : 263 والشذرات 1 : 130 .

قال : وكان موته وموتُ كثيِّرِ عزةَ في يومٍ واحد فوضعا جميعاً وصلي عليهما ، وكان كثير شيعياً وعكرمة يرى رأي الخوارج .

ذكره الحاكم أبو عبد اللّٰه محمد بن عبد الله بن البيع في « تاريخ نيسابور » وقال باسناده : كان جوّالاً وفاداً على الملوك ، أتى خراسان فنزل مرو زماناً ، وأتى اليمن ومات بالمدينة ، وورد خراسان مع يزيد بن المهلب .

وحدث بإسناد رفعه إلى عبد الله بن أبي روّاد قال : رأيت عكرمة بنيسابور فقلت له : تركتَ الحرمين وجئت إلى خراسان ؟! قال : جئت أسعى على بنيَّاتي .

وحدث باسناد رفعه إلى أبي خالد عبد المؤمن بن خالد الحنفي قال : رأيت عكرمةَ يخرجُ من البيت وقد جاء الثلجُ فقال : اللهم أرحني من بلدةٍ رزقها في عذابها .

قال الحاكم : وقد حدَّث عكرمةُ بالحرمين ومصر واليمن والشام والعراق وخراسان .

وحدث باسناد رفعه إلى يزيد النحوي عن عكرمة قال ، قال لي ابن عباس : انطلق فأفتِ الناس [فأنا لك عون . قال قلت : لو أن هذا الناس مثلهم مرتين[1] لأفتيتهم . قال : انطلق فأفتِ الناسَ] فمن جاءك يسألك عما يعنيه فأفْتِهِ ، ومن سألك عما لا يعنيه فلا تُفْتِهِ فإنك تطرحُ عنك ثلثي مؤونة الناس .

وذكر القاضي أبو بكر محمد بن عمر الجعابي في « كتاب الموالي » عن ابن الكلبي قال : وعكرمةُ هَلَكَ بالمغرب ، وكان قد دخل في رأي الحرورية الخوارج فخرج يدعوهم بالمغرب إلى الحرورية .

حدث أبو علي الأهوازي قال : لما توفي عبد الله بن عباس كان عكرمة عبداً مملوكاً فباعه علي بن عبد الله بن عباس على خالد بن يزيد بن معاوية بأربعة آلاف دينار ، فأتى عكرمة علياً فقال له : ما خِيرَ لك ، أتبيع علم أبيك ؟! فاستقال خالداً فأقاله وأعتقه . وكان يرى رأي الخوارج ويميل إلى استماع الغناء ، وقيل عنه إنه كان يكذب على مولاه ، والله أعلم .

---

(1) م : بين .

وقال عبد الله بن الحارث : دخلت على علي بن عبد الله بن عباس وعكرمة موثق على باب الكنيف فقلت: أتفعلون هذا بمولاكم ؟! فقال : إنّ هذا يكذب على أبي . وقد قال ابن المسيب لمولاه لا تكذب عليّ كما كذب عكرمة على ابن عباس .

وقال يزيد بن هارون : قدم عكرمة مولى ابن عباس البصرة فأتاه أيوب السختياني وسليمان التيمي ويونس بن عبيد ، فبينا هو يحدثهم إذ سمع غناءً ، فقال عكرمة : اسكتوا ، فتسمَّعَ ثم قال : قاتله اللّه فلقد أجاد ، أو قال : ما أجودَ ما قال ، فأما سليمان ويونس فلم يعودا إليه وعاد إليه أيوب ، فقال يزيد بن هارون : لقد أحسن أيوب .

الرياشي عن الأصمعي عن نافع المدني قال : مات كثير الشاعر وعكرمة في يوم واحد ، قال الرياشي ، فحدثنا ابن سلام أن أكثر الناس كانوا في جنازة كثير لأن عكرمة كان يرى رأي الخوارج ، وتطلَّبه بعضُ الولاةِ فتغيب عند داود بن الحصين حتى مات عنده سنة سبع ومائة في أيام هشام بن عبد الملك وهو يومئذ ابن ثمانين سنة .

وعن أبي عبد الله المقدمي : كان عكرمة مولى ابن عباس يكنى أبا عبد الله ، وكان لحصين بن أبي الحرّ العنبري جد عبيد اللّه بن الحسين العنبري قاضي البصرة ، فوهبه لابن عباس حين جاء والياً على البصرة لعليٍّ بن أبي طالب عليه السلام .

وقال أبو أحمد الحافظ : عكرمة مولى ابن عباس أصله بربري من أهل المغرب ، احتج بحديثه عامَّةُ الأئمةِ القدماءِ ، لكنَّ بعضَ المتأخرين أخرج حديثَهُ من حيِّزِ الصحاح .

وعن عكرمة قال : طلبت العلم أربعين سنة ، وكنت أفتي بالباب وابن عباس في الدار .

وعن إسماعيل بن أبي خالد : سمعت الشعبي يقول : ما بقي أحد أعلم بكتاب اللّه من عكرمة .

وعن زيد بن الحباب : سمعت سفيان الثوري يقول بالكوفة : خذوا التفسير عن أربعة : سعيد بن جبير وعكرمة ومجاهد والضحاك .

علي بن المدائني : لم يكن في موالي ابن عباس أغزر من عكرمة ، كان عكرمة من أهل العلم .

وعن هشام بن عبد الله بن عكرمة المخزومي : سمعت ابن أبي ذئب يقول : كان عكرمة مولى ابن عباس ثقة . وقال المروزي : قلت لأحمد بن حنبل : يُحتجُّ بحديث عكرمة ؟ فقال : نعم يُحتجُّ به . عثمان بن سعيد الدارمي : قلت ليحيى بن معين ، فعكرمة أحبّ إليك عن ابن عباس أو عبيد اللّه عن عبد الله ؟ فقال : كلاهما ولم يختر ، فقلت : وعكرمة أو سعيد بن جبير ؟ فقال : ثقة وثقة ولم يختر . قال عثمان بن سعيد : عبيد الله أجلُّ من عكرمة . قال : وسألته عن عكرمة بن خالد فقال : ثقة ، قلت : هو أصحُّ حديثاً أو عكرمة مولى ابن عباس ؟ فقال : كلاهما ثقتان . وعن يحيى بن معين : إذا رأيتَ إنساناً يقع في عكرمة وفي حماد بن سلمة فاتهمه على الاسلام .

حماد بن زائد : حدثنا عثمان بن مرة قلت للقاسم إن عكرمة مولى ابن عباس قال : حدثنا ابن عباس أنَّ رسول اللّه ﷺ نهى عن المزفّت والمقيّر والدباء والحنتم والجرار ، فقال : يا ابن أخي إن عكرمة كذاب يحدّث غدوة حديثاً يخالفه عشياً .

يحيى بن البكاء : سمعت ابن عمر يقول لنافع : اتق اللّه ويحك يا نافع ولا تكذب عليّ كما كذب عكرمة على ابن عباس ، لما أحلّ الصرف وأسلم ابنه صيرفياً .

يزيد بن زياد قال : دخلت على علي بن عبد اللّه بن عباس وعكرمة مقيد على باب الحش قلت : ما لهذا كذا ؟ قال : إنه يكذب على أبي .

- 705 -

علاقة بن كُرْسُم الكلابي ، أحد بني عامر بن كلاب : ذكره محمد بن إسحاق وقال : كان في أيام يزيد بن معاوية ، وله علم بالأنساب والأخبار وأحاديث العرب القديمة ، وقد أخذ عنه من ذلك شيء كثير ، وكان يزيد بن معاوية قد أدخله في سمّاره . مات [. . .] وله كتاب الأمثال في نحو خمسين ورقة . قال محمد بن إسحاق : رأيت هذا الكتاب .

---

705 ـ الفهرست : 102 (وفيه : كرشم) وعن علاقة ينقل البكري في مواضع من كتابه فصل المقال (ونسبته عنده الكلبي) وهو يروي عن عبيد بن شرية أيضاً (انظر فهرسة فصل المقال) .

- 706 -

علّان الورّاق الشعوبي: ذكره محمد بن اسحاق فقال: أصله من الفرس وكان علّامةً بالأنساب والمثالب والمنافرات منقطعاً إلى البرامكة، وينسخ في بيت الحكمة للرشيد والمأمون والبرامكة، مات [...] .

قال: وعمل «كتاب الميدان» في المثالب الذي هتك فيه العربَ وأظهر مثالبها، وكان قد عمل كتاباً لم يتمه سماه «الحلية» انقرض أثره. قال: كذا قال ابن شاهين الاخباري.

وله من الكتب: كتاب الميدان في المثالب يحتوي على جميع مثالب العرب ابتدأ ببني هاشم ثم قبيلة بعد قبيلة على الترتيب إلى آخر قبائل اليمن على ترتيب كتاب ابن الكلبي. وله أيضاً: كتاب فضائل كنانة. كتاب النمر بن قاسط. كتاب نسب تغلب بن وائل. كتاب فضائل ربيعة. كتاب المنافرة. وذكر محمد بن أبي الأزهر: كان في جوارنا بباب الشام فتىً يعرف بالفيرزان، وكان يورِّقُ في دكّان علّان الشعوبي، وأورد خبراً دَلّ به على أن علاناً كان ورّاقًا له دكانٌ يبيعُ فيه الكتبَ وينسخ.

وحدث أبو عبد الله محمد بن عبدوس الجهشياري في «كتاب الوزراء والكتاب» من تصنيفه قال[1]: كان بعض أصحاب أحمد بن أبي خالد الأحول قد وصف له علاناً الشعوبي الوراق، فأمر باحضاره وبأن يستكتب له، فأقام في داره، فدخلها أحمد بن أبي خالد يوماً فقام إليه جميع من فيها غير علان الوراق فانه لم يقم له، فقال أحمد: ما أسوأ أدبَ هذا الوراق!! وسمعه علان فقال: كيف أُنْسَبُ أنا إلى سوءِ الأدب ومنّي تُتَعَلَّم الآدابُ وأنا معدنها؟! ولماذا أردتَ مني القيام لك ولم آتك مستميحاً لك ولا راغباً إليك ولا طالباً منك وإنما رغبتَ إليَّ في أن آتيك فأكتبَ عندك، فجئتك لحاجتي إلى ما آخذه من الأجرة، وقد كنتُ بغير هذا منك أولى، ثم حلف

706 ـ الفهرست: 118.

(1) لم ترد في ما وصلنا من كتاب الجهشياري، وأدرجها ميخائيل عواد في نصوص ضائعة: 49 نقلاً عن ياقوت.

أيماناً مؤكدة ألاّ يكتبَ بعد يومه حرفاً في منزل أحد من خلق اللّه تعالى .

وَجدت في بعض الكتب[1] : قال علان ـ وكان قبيحاً ـ : مررت بمخنث يغزل على حائط فقال لي : من أين ؟ قلت : من البصرة ؟ قال : لا إله إلا اللّه تغير كلُّ شيء حتى هذا ، كانت القرود تُجْلَبُ من مكة واليمن والآن تجيءُ من العراق .

قال المؤلف : هكذا وجدت هذا الخبر قال فيه « علان » ولم يقل « الشعوبي » فإن كان هو فهو المراد ، وان كان غيره فقد مرتْ بكَ حكاية ممتعة فالهُ بها ، وإن تحقق عندكَ أنه هو هو[2] فأصلحه مأجوراً مثاباً .

وذكره المرزباني في « المعجم » فقال : علان الوراق المعروف بعلان الشعوبي وكان شعوبيّاً وله في المثالب كتاب سوء ، وهو مأموني ، لما قال عبد اللّه بن طاهر قصيدته التي أولها[3] :

مُـدْمِنُ الإغضاءِ مـوصـولُ ... ومـديـمُ الـعَـتْـبِ مـملولُ

وفخر فيها بقتل أبيه طاهر محمداً الأمين فأجابه محمد بن يزيد الحصني بقصيدته التي أولها :

لا يَـرُعْـكَ القـالُ والقيـلُ ... كـلُّ مـا بُـلِّغْتَ تـحـمـيـلُ

وردَّ عليه فيها وهجاه هجاءً قبيحاً ، قال عـلاّن الشعوبي قصيـدةً ردَّ فيها على المَسْلَميّ وهجاه ومدح عبد اللّه بن طاهر ، وفضل العجم على العرب يقول فيها :

أيهـا الـلاطي بِحُفْـرَتِـهِ ... في قـرارِ الأرض مجعـولُ
قـد تجـاللتَ على دَخَـل ... واستخفَّتْـكَ الـتهـاويـلُ
وأبـو الـعبـاس غـاديـة ... لـعـزاليـه أهـاليـلُ[4]
تمـطر العقيـانَ راحـتُـهُ ... ولـه بـالجـودِ تهـطيـلُ

(1) قارن بما ورد في البصائر 3 : 62 (رقم : 180) .
(2) لعل الصواب : أنه غيره (وذلك اقتراح محقق م) .
(3) قصة عبد اللّه بن طاهر وردّ محمد بن يزيد الحصني المسلمي (لأنه من ولد مسلمة بن عبد الملك) عليه مذكورة في الأغاني 12 : 95 والفرج بعد الشدة 1 : 350 ـ 354 (وبرواية أخرى 1 : 339 ـ 350) والعقد 2 : 198 والتذكرة الحمدونية 2 : 133 ـ 135 .
(4) ك : تهاليل .

رستميٌّ في ذرى شـرفٍ زانـه تـاجُ وإكـليـلُ
وعـليـه مـن جـلالـتـه كـرمٌ عِـدٌّ وتـبـجـيـلُ
إن لـي فخـراً مبـاءَتُـهُ في قـرارِ النجمِ مأهـولُ
ورجـالاً شـربهم غَـدِقٌ هم لمـا حـازوا مبـاذيلُ
كـسـرويـاتٌ أبـوتـنـا غـررٌ زُهْـرٌ مـنـاويـلُ

ـ 707 ـ

العلاء بن الحسن بن وهب بن الموصلايا، أبو سعد، من أهـل الكرخ: أحد الكتابِ المعروفين ومن يضرب بـه المثل في الفصـاحة وحسن العبـارة، وكان نصرانياً فأسلم في زمان الوزير أبي شجاع وحسن إسلامه.

قال الهمذاني: في رابع عشر صفر سنة أربع وثمانين وأربعمائة خـرج توقيـعُ الخليفةِ بالزام أهلِ الذمة بلبسِ الغيارِ والتزام ما شرطـه عليهم عمر بن الخـطاب، فهربوا كلَّ مَهْرَبٍ، وأسلم بعضهم، وأسلم أبو غالبِ ابن الأصباغي، وفي ثاني هذا اليوم أسلم الرئيسان أبو سعد العلاء بن حسن بن وهب بن الموصلايا صاحبُ ديـوانِ الإنشـاء وابن أخته أبو نصر صاحب الخبر[1] على يدي الخليفة بحيث يريانه ويسمعان كلامه.

وكان يتولّى ديوان الرسائل منذ أيام القائم بأمر اللّه، وناب في الوزارة، وأضرّ في آخر عمره. وكان ابتداء خدمته لـدار الخلافـة القائميـة في سنة اثنتين وثـلاثين وأربعمائة، فخدمها خمساً وستين سنة يزداد في كلِّ يومٍ من أيامها جاهـاً وحظوة،

707 ـ ترجمته في الخريدة (قسم العراق) 1: 123 ـ 132 والمنتظم 9: 141 وابن الأثير 10: 377 ومرآة الزمان: 11 وابن خلكان 3: 480 ونكت الهميان: 201 والنجوم الزاهرة 5: 189.

(1) هو تاج الرؤساء هبة اللّه بن الحسن بن علي الكاتب، كان فاضلاً له معرفة بالأدب والبلاغة والخط الحسن ذا رسائل جيدة، توفي سنة 498 ببغداد (انظر ابن خلكان 3: 480 والخريدة 1: 132). ك: ابن صاحب الخبر.

وناب عن الوزارة عدةَ نُوَبٍ مع ذهاب بصره . وكان أبو نصر هبة الله بن الحسن ابن أخته يكتب الانهاءات عنه إذا حضر ، وكان كثيرَ الصدقةِ والخير . ورسائله وأشعاره مدوَّنةٌ يُتداوَلُ بها وَيُرْغَبُ فيها . أخذ عنه الشيخ أبو منصور موهوب بن الخضر الجواليقي ، وأنشد عنه(1) :

أحنُّ إلى روض التصابي وأرتاحُ ... وأمتحُ من حوض التصافي وأمتاحُ
وأشتاقُ رئماً كلّما رمْتُ صَيْدَهُ ... تصدُّ يدي عنه سيوفٌ وأرماحُ
غزالٌ إذا ما لاح أو فاح نشرُهُ ... تُعَذَّبُ أرواح وتعذُبُ أرواحُ
بنفسي وإن عزَّتْ وأهلي أهلّةٌ ... لها غُرَرٌ في الحسنِ تبدو وأوْضاحُ
نجومٌ أعاروا النورَ للبدرِ عندما ... أغاروا على سِرْبِ الملاحةِ واجتاحوا
فتتضحُ الأعذار فيهم إذا بَدَوْا ... وَيُفْتَضَحُ اللاحون فيهم إذا لاحوا
وكرخيةٍ عذراءَ يُعْذَرُ حبها ... ومن زَنْدِهَا في الدهر تُقْدَحُ أفراحُ
إذا جُلِيَتْ في الكأس والليلُ ما انجلى ... تقابَلَ إصباحٌ لديك ومصباحُ
يطوفُ بها ساقٍ لسوقِ جماله ... نَفَاقٌ لإفسادِ الهوى فيه إصلاحُ
به عُجْمَةٌ في اللفظ تُغْرِي بوصله ... وإن كان منه بالقطيعةِ إفصاحُ
وَغُرَّتُهُ صُبْحٌ وَطُرَّتُهُ دجىً ... وَمَبْسِمُهُ درٌّ وريقتُهُ راحُ
أباح دمي مذ بُحْتُ في الحبِّ باسمه ... وبالشجو من قبلي المحبون قد باحوا
وأوعدني بالسوءِ ظلماً ولم يكنْ ... لإشكالِ ما يفضي إلى الضيم إيضاحُ
وكيف أخافُ الضيم أو أحذرُ الردى ... وَعَوْني على الأيّام أبلجُ وضاحُ
وَظِلُّ نظامِ الملكِ للكسرِ جابرٌ ... وللضرُّ مناعٌ وللنفع منّاحُ

ومن شعره(2) :

يا خليليَّ خلّياني ووجدي ... فملامُ المحبِّ ما ليس يُجْدي

---

(1) الخريدة 1 : 127 ـ 128 .

(2) الخريدة 1 : 126 .

ودعـاني فقـد دعـاني إلى الحكـ ـم غـريمُ الغـرامِ للدَّيْنِ عنـدي
فـعـســاه يــرقُّ إذ مـلـك الــر قَّ بنقـدٍ من عـذلـه أو بـوعـدِ
ثم من ذا يجيـر منـه إذا جـا ر ومن لي على تعـدّيـه يُعْـدي

ومات العلاء في ثاني عشرين جمادى الأولى سنة سبع وتسعين وأربعمائة ومولده سنة اثنتي عشرة وأربعمائة ودفن في تربة الطائع .

قال أبو الفرج في « المنتظم » : نال أبو سعد ابن الموصلايا من الرفعة في الدنيا ما لم ينله أبناء جنسه ، فانه ابتدأ في خدمة دار الخلافة في أيام القائم سنة اثنتين وثلاثين وأربعمائة فخدمها خمساً وستين سنة ، وأسلم في سنة أربع وثمانين ، وناب عن الوزارة في أيام المقتدي وأيام المستظهر نوباً كثيرة ، وكان كثيرَ الصدقة كريمَ الفعال حسنَ الفصاحة ، ويدلّ على فصاحته وغزارة علمه ما كان ينشئه من كتابات الديوان والعهود .

وحكى بعض أصحابه قال : شتمتُ يوماً غلاماً لي فوبخني وقال : أنت قادر على تأديب الغلام أو صرفه ، فأما الخنا والقذف فاياك والمعاودة له ، فان الطبع يَسْرِقُ من الطبع والصاحب يستدل [به][1] على المصحوب . وكانت وفاته فجاءة .

وقال محمد بن عبد الملك الهمذاني : لما عزل المقتدي الوزير أبا شجاع خلع على الأجلِّ أبي سعد ابن الموصلايا ، وكانت الخلعة درَّاعةً وعمامة ، وحُمِلَ على فرسٍ بمركبِ ذهب ، ووُسم بنيابة الوزارة ، وخلع على ابن أخته تاج الرؤساء أبي نصر هبة اللّه صاحب الخبر ابن الحسن بن عليّ جبة وعمامة وحمل على فرس .

ومدح الأديب أبو المظفر الأبيوردي الأجلَّ أبا سعد ، وقد لقبه الخليفة بأمين الدولة ، بقصيدةٍ منها[2] :

وزعزع الصبحُ سلكَ النجم فانتثرتْ منـه كما تستـطيـر النـارُ بـالشعـلِ

قال : ومن علم السير علم أن الخليفة والملوك لم يثقوا بأحد ثقتهم بأمين الدولة ولا نصحهم أحد نصحه . وتولّى ديوانَ الإنشاء بعد سنة ثلاثين وأربعمائة ، والناظر إذ

(1) ما بين معقفين زيادة من المنتظم .
(2) لم أجدها في ديوان الأبيوردي .

ذاك عميد الرؤساء أبو طالب ابن أيوب ، وناب عن الوزارة المقتدية والمستظهرية .

ومن شعره[1] :

يـا هـنـد رقي لـفتىً مـدنـفٍ يـحـسـن فـيـه طـلـبُ الأجـرِ
يـرعى نجـومَ الليـلِ حتى يـرى حَـلَّ عُـراهـا بـيـد الـفـجـرِ
ضـاق نـطاقُ الصبـرِ عن قلبـه عـنـد اتسـاع الخـرق في الهجـرِ

قال العماد ـ وقد ذكر هذه الأبياتَ الثلاثة ـ : قد راقتني[2] هذه الأبيات برقتها ، وحلاوة الاستعارة في معناها مع دقتها ، وقد ساعده التوفيق في هذا التطبيق ، وما كلّ شاعر يتخلَّص من هذا المضيق ، وهكذا شعر الكتّاب يجمع إلى اللطافة ظرافة ، وإلى الحلاوةِ طلاوة .

وله[3] :

وكأسٍ كساهـا الحسنُ ثَوْبَ مـلاحةٍ فحازت ضياءً يشبه الحسنَ والشمسا[4]
أضاءت على[5] كفّ المدير وما درى وقد دَجَتِ الظلمـاءُ أصبح أو أمسى

وله[6] :

أقـول لـلائمي فـي حبِّ لـيلى وقـد سـاوى نهـارٌ منـه ليـلا
أقِـلَّ فـمـا أقـلَّتْ قطّ أرضٌ محبّـاً جـرَّ في الهجـرانِ ذيـلا
ولـو ممن أُحبُّ مـلأتَ عينـاً لكنـتَ إلى هـواه أشـدَّ ميـلا

(1) الخريدة 1 : 124 (وقد سقطت هذه الفقرة من ك) .
(2) م : أرقني ، والتصويب عن الخريدة (وفي بعض أصول الخريدة : قد أرقتني) .
(3) الخريدة 1 : 125 .
(4) الخريدة : ضياء مشرقاً يشبه الشمسا .
(5) م : أضاءت له .
(6) الخريدة 1 : 125 .

ـ 708 ـ

أبو علقمة النحوي النميري : وأراه من أهل واسط .

حدَّث أحمد بن الحارث الخراز عن المدائني قال : أتى أبو علقمة الأعرابي أبا زلازل الحذاء فقال : يا حذّاء احذُ لي هذه النعل، قال : وكيف تريد أن أحذوها ؟ فقال[1] : خَصِّر نطاقها وغَضِّفْ معقّبها وأقبَّ مقدَّمها ، وعرج ونية الذؤابة بحزم دون بلوغ الرصاف ، وانحل مخازم خزامها وأوشك في العمل . فقام أبو زلازل فتأبط متاعه ، فقال أبو علقمة : إلى أين ؟ قال : إلى ابن القرّية ليفسِّرَ لي ما خفي عليَّ من كلامك .

وقال أبو أحمد ابن أبي خليفة الجمحي قال : سمعت أبي يحدث عن أبيه قال قال أبو علقمة لغلام له : خذ من غريمنا هذا كفيلاً ، ومن الكفيل أميناً ، ومن الأمين زعيماً ، ومن الزعيم عزيماً، فقال الغلام للغريم : مولاي كثير الكلام ، فمعك شيء ؟ فأرضاه وخلاّه ، فلما انصرف قال : يا غلام ما فعل غريمنا ؟ قال : سقع ، قال : ويلك ما سقع ؟ قال : بقع ؟ قال : ويلك وما بقع ؟ قال : استقلع ، قال : ويلك ما استقلع ؟ قال : انقلع ، قال : ويلك لم طَوَّلْتَ عليّ ؟ قال : منك تعلمت .

الهيثم بن عدي : ركب أبو علقمة النميري بغلاً فوقف على أبي عبد الرحمن القرشي فقال : يابا علقمة ان لبغلك هذا منظراً فهل مع حُسْنِ هذا المنظر من خُبْر ؟ قال : سبحان اللّه أوما بلغك خبره ، قال : لا ، قال : خرجتُ عليه مرة من مصر فقفز بي قفزة إلى فلسطين ، والثانية إلى الأردن ، والثالثة إلى دمشق ، فقال له أبو عبد الرحمن : تقدم إلى أهلك يدفنوه معك في قبرك فلعله يقفز بك الصراط .

ذكر أبو بكر محمد بن خلف بن المرزبان في « كتاب الثقلاء » من تصنيفه ، أخبرنا إسحاق بن محمد بن أبان الكوفي ، حدثني بشر بن حجر قال : انقطع إلى أبي

---

708 ـ ترجمته في انباه الرواة 4 : 146 وبغية الوعاة 2 : 139 وترد نوادر تقعره في كتب الأدب كالبيان والتبيين والعقد وعيون الأخبار والبصائر ونثر الدر وغيرها .

(1) قارن بالمخصص 4 : 114 والقصة عن أبي محلّم نقلاً عن ابن جني .

علقمة النحوي غلامٌ يخدمه ، فأراد أبو علقمة الدخولَ في بعض حوائجه فقال له : يا غلام أصَقَعتِ العتاريف ؟ فقال له الغلام : زقفيلم . قال أبو علقمة : وما زقفيلم ؟ قال له : وما معنى صقعت العتاريف ؟ قال قلت لك : أصاحت الديوك ؟ قال : وأنا قلت لك لم يصحْ منها شيء .

قال محمد بن خلف حدثنا أبو بكر القرشي حدثني جعفر بن نصير قال[1] : بينما أبو علقمة النحوي في طريقٍ من طرق البصرة إذ ثار به مرار[2] فسقط وظنَّ من يراه أنه مجنون ، وأقبل رجل يَعَضُّ أُصْلَ أذنه ويؤذن فيها فأفاق ، فنظر إلى الجماعة حوله فقال : ما لكم تكأكأتم عليَّ كما تتكأكئون على ذي جِنَّة ؟! افرنقعوا عني ؛ قال فقال بعضهم لبعض : دعوه فإن شيطانه يتكلم بالهندية .

قال ابن المرزبان حدثني عبد اللّه بن مسلم[3] : دخل أبو علقمة النحوي على أعين الطبيب فقال له : أمتع اللّه بك إني أكلت من لحوم هذه الجوازل فطسئت طسأة فأصابني وجع بين الوابلة إلى دأية العنق ، فلم يزل ينمي حتى خالط الخلب وألمت له الشراسيف ، فهل عندك دواء ؟ قال أعين : خذ حرقفاً وسلقفاً فزهزقه ورقرقه واغسله بماء روث واشربه بماء الماء ، فقال أبو علقمة : أعِدْ ويحك عليَّ فإني لم أفهم عنك ، قال له أعين : لعن اللّه أقلّنا إفهاماً لصاحبه ، ويحك وهل فهمتُ عنك شيئاً مما قلت ؟!

قرأت في كتاب « النوادر الممتعة » جمع ابن جني عن محمد بن المرزبان قال : حدثني عبد اللّه بن أحمد بن عبد الصمد ، قال حدثني محمد بن معاذ البصري قال[4] : بينا أبو علقمة النحوي يسير على بغلةٍ إذ نظر إلى عبدين أحدهما حبشي والآخر صقلبي ، فإذا الحبشيُّ قد ضرب بالصقلبيِّ الأرضَ ، وأدخل ركبتيه في بطنه ، وأصابعه في عينيه ، وعضّ أذنيه وضربه بعصا كانت معه فشجَّه وأسال دمه ، فجعل الصقلبي يستغيثُ فلا يغاث ، فقال لأبي علقمة : اشهد لي ، فقال : قَدِّمْهُ إلى الأمير

(1) المحاسن والاضداد : 11 والمحاسن والمساوىء : 441 (ببعض اختلاف) .
(2) هامش ك : إذ زحمه بغل .
(3) المحاسن والأضداد : 10 والمحاسن والمساوىء : 440 .
(4) وردت الحكاية في بغية الوعاة .

حتى أشهدَ لك ، فمضيا إلى الأمير ، فقال الصقلبي : إن هذا ضربني وشجَّني واعتدى عليَّ ، فجحد الحبشيّ ، فقال الصقلبي : هذا يشهد لي ، فنزل أبو علقمة عن بغلته وجلس بين يدي الأمير فقال له الأمير : بم تشهد يا أبا علقمة ، فقال : أصلح اللّه الأمير ، بينا أنا أسير على كَوْدني هذا إذ مررت بهذين العبدين ، فرأيت هذا الأسحمَ قد مال على هذا الأبقع فحطأهُ على فدفدٍ ثم ضغطه برضفتيه في أحشائه حتى ظننت أنه تدمج جوفه ، وجعل يلجُ بشناتره في جحمتيه يكاد يفقأهما ، وقبض على صنّارتيه بمبرمه وكاد يجذهما جذّاً ، ثم علاه بمنسأة كانت معه فعفجه بها ، وهذا أثر الجريال عليه بيناً ، وأنت أمير عادل . فقال الأمير : واللّه ما أفهم مما قلتَ شيئاً ، فقال أبو علقمة : قد فَهَّمْناك إن فهمت ، وعلّمناك إن علمت ، وأديت إليك ما علمت ، وما أقدر أن أتكلم بالفارسية ؛ فجعل الأمير يجهد أن يكشفَ الكلامَ فلا يفعل حتى ضاق صدره ، فقال للصقلبي : أعطني خنجراً ، فأعطاه وهو يظن أنه يريد أن يستقيد له من الحبشي ، فكشف الأمير رأسه وقال للصقلبي : شُجَّني خمساً وأعفني من شهادة هذا .

(الصنارتان : الأذنان بلغة حمير . الكودن : الغليظ من الدوابّ . وحطأه صرعه . والفدفد : الغليظ من الأرض . ورضفتاه : ركبتاه . وشناتره : أصابعه والجحمتان : العينان لغة يمانية . والمنسأة : العصا . عفجه : أي ضربه بها . والجريال : الأحمر فاستعاره للدم) .

قال ابن جني : وأخبرنا عثمان بن محمد ، حدثنا محمد بن القاسم ، قال حدثني محمد بن المرزبان وأبو الحسين علي بن محمد المقرىء قال : تبيَّغ بأبي علقمة الدم وهو في بعض القرى ، فقال لابنه[1] جئني بحجام ، فأتاه به فقال له : لا تعجلْ حتى أصفَ لك ولا تكن كامرىء خالف ما أُمر به ومال إلى غيره ، اشدد قُصْبَ المحاجم ، وأرهفْ ظُبَةَ المشارط ، وأسرع الوضع وعجّل النزع ، وليكن شرطك وخزاً ومصُّك نهزاً ، لا تردّنَّ آتياً ولا تكرهن آبياً ؛ فوضع الحجام محاجمه في قُفّته وقال :

---

(1) المحاسن والأضداد : 11 والبيان والتبيين 2 : 380 والمحاسن والمساوىء : 441 وإنباه الرواة (ببعض اختلاف) والصناعتين : 27 .

كلامك يقطعُ الدم ، وقام وانصرف . وفي رواية علي بن إبراهيم قال : فلما سمع الحجامُ الكلامَ قال : يا قوم هذا رجل قد ثار به المرار ولا ينبغي أن يخرج دمه في هذا الوقت وانصرف.

(قال أبو بكر : القُصب : الموضع الذي يجتمع فيه الدم ، وتبيغ : هاج وهو من البغي أصله تبغى فقدمت الياء وأخرت الغين).

كان[1] أبو علقمة النحوي لا يدع الإعرابَ في كلامه ، فقال للطبيب : أجدُ رسيساً في أسناخي وأحسُّ وجعاً فيما بين الوابلة إلى الأطرة من دأياتِ العنق ، فقال له الطبيب : خذ خزاناً وسلقفاً وشربقاً فزهزقه وزقزقه واغسله بماء روث واشربه ، فقال له أبو علقمة : أَعِدْ فاني لم أفهم ، فقال : أخزى اللّه أقلنا إفهاماً لصاحبه.

وجمش امرأة كان يهواها فقال : يا خريدة قد كنت إخالك عَرُوباً فإذا أنت نَوار ، مالي أمقك فتشنئيني ؟ فقالت : يا رقيع ما رأيتُ أحداً يحبُّ أحداً فيشتمه سواك .

وقال[2] لحجامٍ حجمه : أشدد قصب الملازم ، وأرهف ظبات المشارط ، وأمرّ المسح واستنجل الرشح ، وخفف الوطء وعجّل النزع ، ولا تكرهنَّ آبيّاً ولا تمنعن آتياً.

ورأى رجل[3] أبا علقمة على بغل مصري حسن فقال له : إن كان مخبر هذا البغل كمنظره فقد كمل ، فقال أبو علقمة : واللّه لقد خرجتُ عليه من مصر فتنكبت الطريقَ مخافةَ السرّاق وجور السلطان ، فبينا أنا أسير في ليلةٍ ظلماءَ قتماء طخياء مدلهمّةٍ حِنْدِس داجية في ضحضح أملس واذا حسُّ نَبْأةٍ من صوتِ نُعَر أو طَيَرانِ ضُوَع أو نقض سبد ، فحاص عن الطريق متنكباً بعزة نفسه وفضل قُوَّته ، فبعثته باللجام فعسل ، وحركته بالركاب فنسل ، وانتعل الطريق يغتاله معتزماً ، والتحف الليل لا يهابه مظلماً ، فواللّه ما شبهته إلا بظبيةٍ نافرة تحفزها فتخاءُ شاغية ، فقال الرجل : يا هذا ادعُ اللّه واسأله أن يحشرَ هذا البغلَ معك يوم القيامة ، قال : ولم ؟ قال ليجيزَكَ الصراطَ بطَفرة .

---

(1) تكرار هذه الحكاية ربما دلَّ على اضطراب أو زيادات نقل من مصادر متعددة لبعض اختلاف في الرواية .

(2) هذا نموذج آخر من التكرار .

(3) وهذا نموذج ثالث من التكرار (لاختلاف كبير بين الروايتين) .

ـ 709 ـ

علي بن إبراهيم بن هاشم القمي : ذكره ابن النديم ، وذكره أبو جعفر في مصنفي الامامية وقال : له كتب منها : كتاب التفسير . وكتاب الناسخ والمنسوخ . وكتاب المغازي . وكتاب الشرائع . وكتاب الاسناد[1] . وكتاب المناقب . وكتاب اختيار القرآن ورواياته .

ـ 710 ـ

علي بن إبراهيم بن محمد بن إسحاق الكاتب : كان من أهل المعرفة ، وله : كتاب في نسب بني عقيل جوَّده ، صنفه للأمير أبي حسان المقلد بن المسيب بن رافع العبادي في شهر رمضان سنة أربع وثمانين وثلاثمائة .

ـ 711 ـ

علي بن إبراهيم بن محمد الدِّهَكي : هكذا وجدته بخط عبد السلام مكسور الدال[2] ، والمحدّثون يفتحونها ، وهي نسبة إلى قرية من قرى الري يقال لها دَهَك ، ويكنى أبا القاسم : أحد رواة الأخبار وجماعي الأشعار.

وجدت بخط عبد السلام البصري « كتاب أشعار بني ربيعة الجوع » وقد قرأه عليه ، وكان الدِهَكي قد كان قرأ على أبي الفرج علي بن الحسين الأصبهاني « كتاب الأغاني » وقعتْ لنا إجازة متصلة إليه عنه ، وهي ما أخبرنا الشيخ ذو النسبتين بين دحية والحسين عليه السلام أبو الخطاب عمر بن الحسن المعروف بابن دحية المغربي

709 ـ الفهرست : 277 وفهرست الطوسي (كلكتا) : 209 .

710 ـ لم أجد له ترجمة .

711 ـ لم أجد له ترجمة .

(1) الفهرست : قرب الاسناد .

(2) ضبطه ابن الأثير في اللباب (1 : 519) بفتح الدال والهاء .

السبتي بمصر سنة اثنتي عشرة وستمائة إجازة ، قال أخبرنا شيخي أبو عبد الله محمد بن أبي القاسم بن عميرة المروزي ، قال أخبرنا أبو الحسن يونس بن محمد بن مغيث ويعرف بابن الصفار ، عن الشيخ أبي عبد الله محمد بن محمد بن بشير ، عن أبي الوليد هشام بن عبد الرحمن الصابوني ، عن أبي القاسم علي بن إبراهيم الدهكي ، عن أبي الفرج الأصبهاني ، وقد وقعت لنا بهذا الكتاب إجازة أحسن من هذه.

وكان أبوه أبو الفرج إبراهيم من أعيان الكتاب من أهل شيراز ، وكان صهراً لأبي الفضل العباس بن الحسين الشيرازي وزير بختيار ؛ قال إبراهيم بن هلال الصابىء : خلع على أبي الفرج محمد بن العباس للوزارة لثلاث خلون من جمادى الأولى سنة تسع وخمسين وثلاثمائة وسلِّم إليه أبو الفضل وجميع أصحابه وأسبابه ، فاستصفى أموالهم ، وجدَّ في مطالبة كتّابه وأسبابه على ضروب من رفقٍ وعسف حين حصلوا في يده ، وتوفي منهم صهرٌ كان لأبي الفضل من أهل شيراز يقال له أبو الفرج إبراهيم بن محمد الدهكي ، وكان أبو الفضل يدَّعي عليه أنه اعتمد قتله .

ـ 712 ـ

علي بن إبراهيم بن سلمة بن بحر القطان القزويني أبو الحسن : أديب فاضل ومحدث حافظ ، لقي المبرد وثعلباً وابن أبي الدنيا ، وهو شيخ أبي الحسين أحمد بن فارس القزويني ، وكتبه محشوّة بالرواية عنه ، وكان يصفه بالدراية.

وذكره أبو يعلى الخليل بن أحمد الخليلي في « كتاب الارشاد في طبقات البلاد » فقال : أبو الحسن علي بن إبراهيم بن سلمة بن بحر الفقيه ، عالم بجميع العلوم : التفسير والنحو واللغة والفقه القديم ، لم يكن له نظير ديناً وديانة وعبادة ، سمع أبا حاتم الرازي ، ارتحل اليه ثلاث سنين ، ومحمد بن الفرج الأزرق والحارث بن أبي أسامة والقاسم بن محمد الدلال ، وذكر جماعة ، ثم قال : وخلقاً من القزوينيين والرازيين

712 ـ ترجمة القطان القزويني في التدوين في أخبار قزوين 3 : 318 ـ 322 وتذكرة الحفاظ : 856 وعبر الذهبي 2 : 267 وسير الذهبي 15 : 463 وطبقات ابن الجزري 1 : 516 والنجوم الزاهرة 3 : 315 والشذرات 2 : 370 وذكر الذهبي انه سمع من ابن ماجة سننه .

والبغداديين و[علماء] الكوفة ومكة وصنعاء اليمن وهمذان وحلوان ونهاوند . سمع منه من القدماء أبو الحسن[1] النحوي والزبير بن عبد الواحد الحافظ ثم عُمِّرَ حتى أدركه الأحداث ، ولد سنة أربع وخمسين ومائتين ومات سنة خمس وأربعين وثلاثمائة . سمعت جماعة من شيوخ قزوين يقولون : لم ير أبو الحسن مثله في القضاء والزهد ، أدام الصيام ثلاثين سنة وكان يفطر على الخبز والملح ، وفضائله أكثر من أن تعدّ ، وكان له بنون ثلاثة : محمد أبو إبراهيم والحسن والحسين ، سمعوا أبا علي الطوسيّ والقدماء وماتوا ولم يبلغوا الرواية . ولأبي إبراهيم ابنان سمعا جدهما ولم يسمع منهما وبقي له أسباط ليسوا من أهل العلم . وأما الحسن والحسين فقد انقطع نسلهما.

وقرأت في « أمالي ابن فارس » قال[2] : سمعت أبا الحسن القطان بعد ما عَلَتْ سنُّهُ وضعف يقول : كنت حين خرجت إلى الرحلة أحفظ مائة ألف حديث ، وأنا اليوم لا أقوم على حفظ مائة حديث . قال : وسمعته يقول : أُصِبْتُ ببصري وأظنُّ أني عوقبت بكثرة بكاء أمي أيام فراقي لها في طلب الحديث والعلم .

قال ابن فارس : حدثني أبو الحسن علي بن ابراهيم بن سلمة القطان رحمه الله بقزوين في مسجدهم يوم الأحد منتصف رجب سنة اثنتين وثلاثين وثلاثمائة ، وذكر تمام الاسناد .

ـ 713 ـ

علي بن إبراهيم بن سعيد بن يوسف الحوفي : أصله من قرية تسمى شبرا اللنجة[3] من حوف بلبيس من الديار المصرية[4] أخذ عن أبي بكر محمد بن علي

713 ـ ترجمة الحوفي في الأنساب (الحوفي) وإنباه الرواة 2 : 219 ومعجم البلدان (حوف) وابن خلكان 3 : 300 وطبقات المفسرين: 25 وحسن المحاضرة 1 : 532 وبغية الوعاة 2 : 140 والشذرات 3 : 247 والبلغة: 141 ـ 142 .

(1) م : أبو الحسين .

(2) أورده الذهبي في سيره 15 : 464 .

(3) م: شبرا النخلة ؛ وما أثبته ورد عند ابن خلكان والقفطي وانظر الانتصار لابن دقماق 5 : 62 .

(4) قال ابن خلكان : الناحية المعروفة بالشرقية التي قصبتها مدينة بلبيس جميع ريفها يسمونه الحوف .

الأدفوي صاحب النحاس ، وكان نحوياً قارئاً مات في مستهل ذي الحجة سنة ثلاثين وأربعمائة . وله من التصانيف : كتاب الموضح في النحو وهو كتاب كبير حسن . وكتاب البرهان في تفسير القرآن بلغني أنه في ثلاثين مجلداً[1] بخط دقيق .

- 714 -

علي بن أحمد العقيقي العلوي : ذكره أبو جعفر الطوسي في مصنفي الامامية وقال : له من الكتب كتاب المدينة . كتاب بين المسجدين . كتاب المسجد . كتاب النسب .

- 715 -

علي بن أحمد بن أبي دجانة المصري ، أبو الحسن الكاتب الوراق : جيد الخط كثير الضبط إلا أنه مع ذلك لا يخلو خطه من السقط وإن قلَّ . وهو من أهل مصر ومقامه ببغداد وبها كتب ونسخ الكثير ، وجدت بخطه زحر سور الذنب[2]، وقد كتبه ببغداد سنة أربع وثمانين وثلاثمائة .

- 716 -

علي بن أحمد الدريدي ، يكنى أبا الحسن : ذكره الزبيدي فقال : أصله من فارس وكان وَرَّاقَ ابن دريد وإليه صارت كتبُ ابن دريد بعد موته ، مات [. . .] .

---

714 ـ فهرست الطوسي (كلكتا) : 211 وذكر من كتبه أيضاً : كتاب الرجال ؛ وروى عن أحدهم أن في أحاديثه مناكير .

715 ـ سقطت هذه الترجمة من ك .

716 ـ طبقات الزبيدي : 185 وانباه الرواة 2 : 222 وبغية الوعاة 2 : 147 .

(1) عند ابن خلكان : في عشر مجلدات .

(2) كذا هو ولم أهتد لتصويبه .

ـ 717 ـ

علي بن أحمد المهلبي اللغوي ، أبو الحسن : كان إماماً في النحو واللغة ورواية الأخبار وتفسير الأشعار . أخذ عن أبي إسحاق إبراهيم النجيرمي وأخذ عنه أبو يعقوب يوسف بن يعقوب النجيرمي وابنه بهزاد وخلقٌ كثير ، ومات بمصر في سنة خمس وثمانين وثلاثمائة . وذكر علي بن حمزة البصري النحوي في « كتاب الرد على ابن ولاد في المقصور والممدود » أن أبا الحسن المهلبي كان لقيطاً وكان له اختصاص بالمتلقب بالمعز والعزيز المستوليين على الديار المصرية ومن جلسائهما الخواصّ ، وأدرك دولة كافور الاخشيدي ، وله مع أبي الطيب أحمد بن الحسين المتنبي قصة حدَّثَ بها أبو جعفر الجرجاني قال ، قال أبو الحسن المهلبي النحوي : وقع بيني وبين المتنبي في قول العدوانيّ[1] :

يا عمرو إلَّا تدعْ شتمي ومنقصتي أضربْكَ حتى تقولَ الهامةُ اسقوني

وذلك أن المتنبي قال : إن الناس يغلطون في هذا البيت والصواب اشقوني من شقوتُ[2] رأسه بالمشقاة وهو المشط ، قال المهلبي : فقلت له أخطأت في وجوه : أحدها أنه لم يُرْوَ كذلك ، والآخر أنه يقال شقأت بالهمزة ، وأيضاً فإني أظنك لا تعرفُ الخبر فيه وما كانت العربُ تقوله في الهامة أنها إذا لم يثأر بصاحبها لا تزال تقول اسقوني ، فإذا ثأروا به سكن كأنه شرب ذلك الدم . قال : وكان المهلبي من جلساءِ العزيز وخواصّه .

---

717 ـ إنباه الرواة 2 : 222 وبغية الوعاة 2 : 147 (وكنيته فيه أبو الحسين ، وثبتت الكنيتان في انباه الرواة) ويبدو أنه ليس بأبي الحسين المهلبي صاحب كتاب العزيزي في الجغرافيا ، وعنه ينقل ياقوت كثيراً في معجم البلدان ، فذلك اسمه الحسن بن أحمد (أو الحسن بن محمد) لـ : أبو الحسين .

(1) هو ذو الأصبع العدواني ، والبيت من قصيدة له مطلعها .

يا من لقلب طويل البث محزون أمسى تذكر ريا أخت هارون

وهي مفضلية وردت أيضاً في أمالي القالي والأغاني ، وانظر ديوانه : 88 .

(2) م لـ : شقأت .

ـ 718 ـ

علي بن أحمد بن سلّك الفالي : ـ بالفاء ـ وليس بأبي علي القالي بالقاف ، ذلك آخر اسمه إسماعيل له ترجمة في بابه ، وكنية هذا أبو الحسن ، يعرف بالمؤدّب ، من أهل بلدة فالة ـ موضع قريب من إيذج .

انتقل الى البصرة فأقام بها مدة وسمع بها من عمر بن عبد الواحد الهاشمي وغيره ، وقدم بغداد فاستوطنها ، وكان ثقةً له معرفةٌ بالأدب والشعر ، ومات في ما ذكره الخطيب في ذي القعدة سنة ثمان وأربعين وأربعمائة ودفن بمقبرة جامع المنصور . وكان يقول الشعر ومنه :

تصدَّر للتدريس كلُّ مهوسٍ ... بليدٍ يُسَمَّى بالفقيهِ المدرّس
فحقٌّ لأهل العلم أن يتمثلوا ... ببيتٍ قديم شاع في كلٍّ مجلس
« لقد هُزِلَتْ حتى بدا من هزالها ... كُلَاها وحتى سامها كلُّ مفلس»

وكتب عنه الخطيب .

قال أبو زكرياء يحيى بن علي الخطيب التبريزي : أنشدنا أبو الحسن الفالي لنفسه :

لما تبدلتِ المنازلُ أوجهاً ... غيرَ الذين عهدتُ من علمائها
ورأيتها محفوفةً بسوى الألى ... كانوا ولاةَ صدورها وفنائها
أنشدتُ بيتاً سائراً متقدماً ... والعينُ قد شَرِقَتْ بجاري مائها
«أما الخيامُ فانها كخيامهم ... وأرى نساءَ الحيِّ غيرَ نسائها»

وحدث أبو زكرياء التبريزي قال[1] : رأيت نسخة بـ « كتاب الجمهرة » لابن دريد

718 ـ ترجمة الفالي في تاريخ بغداد 11 : 334 ومعجم البلدان : (فاله) والمنتظم 8 : 174 وعبر الذهبي 3 : 216 وسير الذهبي 18 : 54 والبداية والنهاية 12 : 69 والنجوم الزاهرة 5 : 60 والشذرات 3 : 278 (وأخطأ فجعله القالي) .

(1) انظر وفيات الأعيان 3 : 316 وأورد الأبيات ، كما وردت في سير الذهبي والمنتظم .

باعها أبو الحسن الفالي بخمسة دنانير من القاضي أبي بكر ابن بُدَيْل التبريزي وحملها إلى تبريز ، فنسخت أنا منها نسخة ، فوجدت في بعض المجلدات رقعة بخط الفالي فيها :

أنستُ بها عشرين حولاً وبعتها　　فقد طال شوقي بعدها وحنيني
وما كان ظنّي أنني سأبيعها　　ولو خلَّدتني في السجون ديوني
ولكن لضعفٍ وافتقارٍ وصبيةٍ　　صغارٍ عليهم تستهلُّ شؤوني
فقلتُ ولم أملكْ سوابقَ عَبرةٍ　　مقالةَ مشويِّ الفؤاد حزينِ
«وقد تخرج الحاجاتُ يا أمَّ مالك　　كرائمَ من ربٍّ بهنَّ ضنينِ»

فأريت القاضي أبا بكر الرقعة والأبيات فتوجع وقال : لو رأيتها قبل هذا لرددتها عليه ، وكان الفالي قد مات .

قال المؤلف : والبيت الأخير من هذه الأبيات تضمين قاله أعرابيّ في ما ذكره الزبير بن بكار عن يوسف بن عياش قال : ابتاع حمزة بن عبد اللّه بن الزبير جملاً من أعرابي بخمسين ديناراً ثم نقده ثمنه ، فجعل الأعرابي ينظر إلى الجمل ويقول :

وقد تخرج الحاجاتُ يا أم مالكٍ　　كرائمَ من ربّ بهنَّ ضنينِ[1]

فقال له حمزة : خُذْ جَمَلَكَ والدنانيرُ لك ، فانصرف بجمله وبالدنانير .

وله أرجوزة في عدد آي القرآن أولها :

قال عليٌّ مذ أتى من فالهْ　　قصيدةً واضحةَ المقالهْ

وأنشد له السمعاني في « المذيل » باسناد له لأبي الحسن الفالي :

فَرَّحْتُ صبياني ببستانكم　　فأكثروا التصفيقَ والرقصا
فقلتُ يا صبيانُ لا تفرحوا　　فَبُسْرُهُمْ في نخلهم يُحْصَى
لو قَدِمَ الليثُ على نخلهم　　لكان من ساعته يُخْصَى
لو أن لي من نخلهم بُسْرَةً　　جعلتها في خاتمي فصَّا

(1) في حاشية ك أن البيت للمجنون وأن الأعرابي تمثل به أيضاً .

وأنشد أبو القاسم الدمشقي الحافظ باسناد له لأبي الحسن الفالي :

رمى رمضانٌ شملنا بالتفرقِ فيا ليته عنّا تقضّى لنلتقي
لئن سرَّ أهلَ الأرضِ طرّاً قدومُهُ فإنّ سروري بانسلاخِ الذي بقي

- 719 -

علي بن أحمد بن سيده اللغوي الأندلسي أبو الحسن الضرير وكان أبوه أيضاً ضريراً ، من أهل الأندلس .

هكذا قال الحميدي « علي بن أحمد » ، وفي كتاب ابن بشكوال « علي بن إسماعيل » ، وفي كتاب القاضي صاعد الجياني « علي بن محمد » في نسخة ، وفي نسخة « علي بن إسماعيل » فاعتمدنا على ما ذكره الحميدي لان كتابه أشهر .

مات ابن سيده بالأندلس سنة ثمان وخمسين وأربعمائة عن ستين سنة أو نحوها .

قال القاضي الجياني : كان مع إتقانه لعلم الأدب والعربية متوفراً على علوم الحكمة وألف فيها تأليفات كثيرة ، ولم يكن في زمانه أعلم منه بالنحو واللغة والأشعار وأيام العرب وما يتعلق بعلومها ، وكان حافظاً ، وله في اللغة مصنفات منها : كتاب المحكم والمحيط الأعظم مرتب على حروف المعجم اثنا عشر مجلداً[1] . وكتاب المخصص مرتبٌ على الأبواب كغريب المصنف[2] . وكتاب شرح إصلاح المنطق . وكتاب الأنيق في شرح الحماسة عشرة أسفار . وكتاب العالم في اللغة على الأجناس

---

719 ـ ترجمة ابن سيده في جذوة المقتبس : 293 (بغية الملتمس رقم : 1205) وطبقات الأمم : 77 والصلة : 396 ومطمح الأنفس : 291 والمغرب 2 : 259 وانباه الرواة 2 : 225 وابن خلكان 3 : 330 وعبر الذهبي 3 : 243 وسير الذهبي 18 : 144 والبداية والنهاية 12 : 95 ومرآة الجنان 3 : 83 ولسان الميزان 4 : 205 ونكت الهميان : 204 وبغية الوعاة 2 : 143 والشذرات 3 : 305 والديباج المذهب : 204 ونفح الطيب 4 : 27 .

(1) قد طبع بالقاهرة ابتداءً من سنة 1958 وقام بتحقيقه عدد من المحققين وقد رأيت منه ستة أجزاء .

(2) قد طبع في سبعة عشر جزءاً (القاهرة 1321 ثم صور في بيروت) .

في غاية الإيعاب نحو مائة سفر بدأ بالفلك وختم بالذرّة[1] . وكتاب العالم والمتعلم على المسألة والجواب . وكتاب الوافي في علم أحكام القوافي . وكتاب شاذ اللغة في خمس مجلدات . وكتاب العويص في شرح إصلاح المنطق . وكتاب شرح كتاب الأخفش وغير ذلك .

قال الحميدي وابن بشكوال : روى ابن سيده عن أبيه وعن صاعد بن الحسن البغدادي . قال أبو عمر الطلمنكي : دخلتُ مرسيةَ فتشبث بي أهلها ليسمعوا عليَّ « غريب المصنف » فقلت لهم : انظروا من يقرأ لكم وأمسك كتابي ، فأتوني برجل أعمى يعرف بابن سيده فقرأه عليَّ من أوّله إلى آخره من حفظه فعجبت منه .

وقال الحميدي : كان ابن سيده منقطعاً إلى الأمير أبي الجيش مجاهد بن عبد اللّه العامري ثم حدثت له نَبْوَة بعد وفاته في أيام إقبال الدولة بن الموفق فهرب منه ، ثم قال يستعطفه[2] :

ألا هل إلى تقبيل راحتك اليمنى ... سبيلٌ فإن الأمنَ في ذاك واليمنا
ضَحِيْتُ فهل في بَرْدِ ظلك نومةٌ ... لذي كبدٍ حرَّى وذي مقلة وَسْنى
ونضوِ هموم[3] طلَّحته ظباته ... فلا غارباً أبقينَ منه ولا متنا
غريبٌ نأى أهلوه عنه وشفَّه ... هواهم فأمسى لا يقرُّ ولا يهنا
فيا مَلِكَ الأملاك إني مُحَلأ ... عن الوِرْد لا عنه أُذادُ ولا أُدْنى
تَحَيَّفَني دهري فأقبلتُ شاكياً ... لعمري أمأذون لعبدك أن يعنى[4]
فإن تتأكد في دمي لك نيةٌ ... بسفك[5] فإني لا أحبُّ له حقنا[6]

(1) كتاب العالم في اللغة . . . وختم بالذرة : أخطأ في عدّه هذا الكتاب من كتب ابن سيده وإنما هو من تأليف ابن سيّد وهو أحمد بن أبان بن سيد الأندلسي المتوفى سنة 382 ، وقد صرَّح بذلك ابن حزم (رسائله 2 : 182) وهو أعرف بذلك ، وانظر الجذوة : 110 ، 381 (ترجم له مرتين) والصلة : 14 وكان ابن سيد صاحب الشرطة بقرطبة وانظر ما تقدم رقم : 45 .

(2) أورد الأبيات في المطمح وعنه نفح الطيب ، وهي أيضاً في الجذوة ونكت الهميان . .

(3) م : همام .

(4) م ك : أما دون شكواي لغيرك أن يعنى .

(5) م ك : بصدق . .

(6) المطمح : فإني سيف لا أحب له جفنا .

إذا مـا غـدا من حَـرِّ سيفـك بـارداً ... فقدماً غـدا من بردِ نعمـائكم سخنا
وهــل هيَ إلّا ساعــةٌ ثم بعـدهــا ... سَتَقْـرَعُ مـا عُمِّـرْتَ من نَـدَمٍ سنـا
ومـا ليَ من دهـري حيــاةٌ أَلَـذُّهــا ... فـتعـتــدُّهــا نعـمى عـليَّ وتمـتنّــا
إذا ميتــةٌ أرضتــك منــا فـهــاتهــا ... حبيبٌ إلينـا مـا رضيـتَ بـه عنّـا

وهي طويلة ، وقع عنه الرضى مع وصولها إليه فرجع .

ـ 720 ـ

علي بن أحمد بن سعيد بن حزم بن غالب بن صالح بن خلف بن سفيان بن يزيد الفارسي مولى يزيد بن أبي سفيان بن حرب بن أمية بن عبد شمس، القرشي الأندلسي الإمام العلامة ، يكنى أبا محمد ، مات فيما ذكره صاعد بن أحمد الجياني في « كتاب أخبار الحكماء » في سلخ شعبان سنة ست وخمسين وأربعمائة . قال : وكتب إليَّ بخط يده أنه ولد بعد صلاة الصبح في آخر يوم من شهر رمضان سنة ثلاث

---

720 ـ ترجمة ابن حزم في جذوة المقتبس، 290 (بغية الملتمس رقم: 1204) والذخيرة 1/1 : 167 وطبقات صاعد: 86 والصلة: 395 ومطمح الأنفس: 279 والمغرب 1 : 354 والمعجب: 30 وتاريخ الحكماء: 156 وتذكرة الحفاظ: 1146 وعبر الذهبي 3: 239 وسير الذهبي 18 : 184 والاحاطة والشذرات 3 : 299 والنفح 2 : 77 ، 3 : 555 والنجوم الزاهرة 5 : 75 ولسان الميزان 4 : 198 وفي رسالته طوق الحمامة معلومات كثيرة عنه وعن نشأته وحياته بقرطبة ، وانظر صفحات متفرقة من فهرسة ابن خير والعواصم من القواصم لابن العربي وقد استخرج الأستاذ سعيد الأفغاني ترجمته من سير الذهبي ونشرها على حدة ، كما قام أبو عبد الرحمن ابن عقيل بجمع تراجمه وأخباره من المصادر القديمة معلقاً على ما جاء في كل مصدر (انظر ابن حزم خلال ألف عام 1 ـ 4 دار الغرب الاسلامي ، بيروت 1982) ؛ وكتبت عنه دراسات حديثة كثيرة منها : دارسة للدكتور عبد الكريم خليفة وأخرى للدكتور طه الحاجري وثالثة للدكتور زكريا إبراهيم ورابعة للدكتور حليم عويس وخامسة لمحمد أبو زهرة وسادسة لسالم يفوت ودراسات بغير العربية في صورة كتب (مثل كتاب أرنالديز) ، ونشر من كتبه عدد غير قليل ، وأعيد نشر بعضها مراراً (كما في حال رسالته في الأخلاق ؛ وانظر عدداً من رسائله بتحقيقي جـ 1 ـ 4 (بيروت 1980 ـ 1984) ومن أهم كتبه المطبوعة المحلى (في 11 جزءاً) والأحكام في أصول الأحكام (في 8 أجزاء) والفصل (في 5 أجزاء) وحجة الوداع . والتقريب لحد المنطق (نشرته أولاً سنة 1959 ثم عدت إلى نشره اعتماداً على نسخة أدق من الأولى ، انظر الجزء الرابع من رسائل ابن حزم) والأصول والفروع . والنبذ في الفقه . ومراتب الاجماع . وجوامع السيرة ، وغير ذلك .

وثمانين وثلاثمائة وهو ابن اثنتين وسبعين سنة إلا شهراً .

قال : وأصل آبائه من قرية منت ليشم من إقليم الزاوية من عمل أونبة من كورة لبلة من غرب الأندلس ، وسكن هو وآباؤه قرطبة ونالوا فيها جاهاً عريضاً . وكان أبو عمر أحمد بن سعيد بن حزم أحدَ العلماءِ من وزراء المنصور محمد بن أبي عامر ووزراء ابنه المظفر بعده والمدبرين لدولتيهما ، وكان ابنه الفقيه أبو محمد وزيراً لعبد الرحمن المستظهر بالله بن هشام بن عبد الجبار بن عبد الرحمن الناصر لدين الله ثم لهشام المعتد بالله بن محمد بن عبد الملك بن عبد الرحمن الناصر ، ثم نبذ هذه الطريقة وأقبل على قراءة العلوم وتقييد الآثار والسنن فعني بعلم المنطق وألّف فيه كتاباً سماه « كتاب التقريب لحدود المنطق » بسط فيه القولَ على تبيين طرق المعارف ، واستعمل فيه مُثُلاً فقهية وجوامع شرعية ، وخالف أرسطاليس واضعَ هذا العلم في بعض أصوله مخالفةَ من لم يفهم غرضه ولا ارتاضَ في كتبه ، فكتابه من أجلِ هذا كثيرُ الغَلَط بيِّنُ السقط ، وأوغل بعد هذا في الاستكثار من علوم الشريعة حتى نال منها ما لم ينله أحدٌ قطُّ بالأندلس قبله ، وصنَّفَ فيه مصنفاتٍ كثيرةَ العدد شرعيةَ المقصد معظمها في أصول الفقه وفروعه على مذهبه الذي ينتحله وطريقه الذي يسلكه ، وهو مذهب داود بن علي بن خلف الأصبهاني ومن قال بقوله من أهل الظاهر ونفاة القياس والتعليل .

قال : ولقد أخبرني ابنه الفضل المكنيّ أبا رافع أن مبلغَ تواليفه في الفقه والحديث والأصول والنِّحَلِ والملل وغير ذلك من التاريخ والنسب وكتب الأدب والردّ على المعارض نحو أربعمائة مجلد تشتمل على قريب من ثمانين ألف ورقة ، وهذا شيء ما علمناه لأحدٍ ممن كان في دولة الإسلام قبله إلا لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري فإنه أكثرُ أهلِ الإسلام تصنيفاً ، فذكر ما ذكرناه في ترجمة ابن جرير من أن أيام حياته حُسبت وحسبت تصانيفه فكان لكلِّ يوم أربع عشرة ورقة .

ثم قال : ولأبي محمد ابن حزم بعد هذا نصيب وافر من علم النحو واللغة ، وقسمٌ صالح من قرض الشعر وصناعة الخطابة .

ذكر أن ابن حزم اجتمع يوماً مع الفقيه أبي الوليد سليمان بن خلف بن سعيد بن أيوب الباجي صاحب كتاب « المنتقى » و « الاستغناء » وغيرهما من التواليف ، وجرت

بينهما مناظرة ، فلما انقضت قال الفقيه أبو الوليد : تعذرني فإن أكثرَ مطالعتي كانت على سُرُجِ الحرّاس ؛ قال ابن حزم : وتعذرني أيضاً فإن أكثر مطالعتي كانت على منائر الذهب والفضة ، أراد أن الغنى أمنع لطلبِ العلم من الفقر .

قرأت بخطِّ أبي بكر محمد بن طرخان بن يلتكين بن بجكم ، قال الشيخ الإمام أبو محمد عبد اللّه بن محمد بن العربي الأندلسي : توفي الشيخ الإمام أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم بقريته ، وهي من غرب الأندلس على خليج البحر الأعظم في شهر جمادى الأولى من سنة سبع وخمسين وأربعمائة ، والقرية التي له على بُعد نصف فرسخ من أونبه يقال له متليجم ، وهي ملكه وملك سلفه من قبله .

قال : وقال لي أبو محمد ابن العربي : إن أبا محمد ابن حزم وُلد بقرطبة ، وجده سعيد وُلد بأونبه ثم انتقل إلى قرطبة وولي فيها الوزارة [ابنه أحمد] ثم ابنه علي الإمام ، وأقام في الوزارة من وقت بلوغه إلى انتهاء سنه ستاً وعشرين سنة[1] وقال : إنني بلغت إلى هذا السن وأنا لا أدري كيف أجبر صلاةً من الصلوات .

قال : قال لي الوزير أبو محمد ابن العربي أخبرني الشيخ الإمام أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم أنّ سببَ تعلّمه الفقه أنه شهدَ جنازةً لرجل كبير من إخوان أبيه ، فدخل المسجد قبل صلاة العصر والحفلُ فيه ، فجلس ولم يركع ، فقال له أستاذه ـ يعني الذي رباه ـ باشارة ـ أنْ قُمْ فصلِّ تحيةَ المسجد فلم يفهم ، فقال له بعض المجاورين له : أبلغتَ هذه السنَّ ولا تعلم أن تحية المسجد واجبة ؟! وكان قد بلغ حينئذ ستة وعشرين عاماً ، قال : فقمت وركعت وفهمت إذن إشارة الأستاذ إليَّ بذلك ؛ قال ، فلما انصرفنا من الصلاة على الجنازة إلى المسجد مشاركة للأحياء من أقرباء الميت دخلتُ المسجد فبادرت بالركوع فقيل لي اجلس اجلس ليس هذا وقتَ صلاة ، فانصرفتُ عن الميت وقد خَزيتُ ولحقني ما هانت عليَّ به نفسي ، وقلت للأستاذ ، دلني على دار الشيخ الفقيه المشاور أبي عبد اللّه ابن دحون ، فدلّني فقصدته من ذلك المشهد وأعلمته بما جرى فيه ، وسألته الابتداء بقراءة العلم واسترشدته فدلّني على « كتاب الموطأ » لمالك بن أنس رضي اللّه عنه ، فبدأتُ به عليه

(1) هذا نص مضطرب .

قراءة من اليوم التالي لذلك اليوم ، ثم تتابعت قراءتي عليه وعلى غيره نحو ثلاثة أعوام وبدأت بالمناظرة .

قال : وقال لي الوزير الإمام أبو محمد ابن العربي : صحبتُ الشيخ الإمام أبا محمد علي بن حزم سبعةَ اعوام ، وسمعتُ منه جميعَ مصنفاته حاشا المجلد الأخير من « كتاب الفصل » وهو يشتمل على ست مجلدات من الأصل الذي قرأنا منه ، فيكون الفائت نحو السدس . وقرأنا من « كتاب الإيصال » أربع مجلدات من كتاب الإمام أبي محمد ابن حزم في سنة ست وخمسين وأربعمائة ، ولم يفتني من تواليفه شيء سوى ما ذكرته من الناقص وما لم أقرأه من « كتاب الإيصال » ، وكان عند الإمام أبي محمد ابن حزم كتاب الإيصال في أربع وعشرين مجلدةً بخطّ يده وكان في غاية الادماج .

قال : وقال لي الوزير أبو محمد ابن العربي : وربما كان للإمام أبي محمد ابن حزم شيء من تواليفه ألفه في عير بلده في المدة التي تجوَّلَ فيها بشرق الأندلس فلم أسمعه ، ولي بجميع مصنفاته ومسموعاته إجازة منه مراتٍ عدة كثيرة ؛ آخر ما كان بخط البجكمي رحمه الله .

وأورد له صاحب « المطمح » أشعاراً منها :

وذي عَذَلٍ فيمن سباني حُسْنُهُ ... يطيلُ ملامي في الهوى ويقولُ
أمن حُسْنِ وجهٍ لاح لم تَرَ غيره ... ولم تدرِ كيف الجسمُ أنت قتيلُ
فقلتُ له أسرفتَ في اللوم فاتئد ... فعنديَ ردٌّ لو أشاءُ طويلُ
ألم ترَ أني ظاهريٌّ وأنني ... على ما بدا حتى يقومَ دليلُ

وأنشد له :

هل الدهرُ إلاّ ما عرفنا وأدركنا ... فجائعُهُ تَبْقَى ولذاتُهُ تفنَى
إذا أمكنتْ فيه مَسَرَّةُ ساعةٍ ... تولّت كمرِّ الطرف واسْتَخْلَفَتْ حزنا
إلى تَبِعاتٍ في المعاد وموقفٍ ... نودُّ لديه أننا لم نكن كنا
حصلنا على همٍّ وإثم وحسرةٍ ... وفات الذي كنّا نلذُّ به عنا
حنينٌ لما[1] ولّى وَشُغْلٌ بما أتى ... وغمٌّ لما يرجى فعيشك لا يَهنا[2]

(1) ك : بها .

(2) ك : وهمّ بها يغشى فعينك لا تهنا .

كـأنَّ الـذي كنّـا نُسَـرُّ بكـونـهِ ... إذا حققته[1] النفسُ لفظٌ بلا معنى

ولـه :

ولي نحـو أكنـاف العـراقِ صبـابـةٌ ... ولا غَرْوَ أن يستوحشَ الكَلِفُ الصبُّ

فـإن ينـزلِ الـرحمن رحليَ بينهم ... فحينئـذ يبـدو التـأسفُ والكـربُ

هنـالـك تـدري أن للبعـدِ قصـةً ... وأنَّ كسـادَ العلم آفتـه القـربُ

ولـه :

لا تشمتنْ حاسدي إن نكبةٌ عَرَضَتْ ... فـالدهـرُ ليس على حـالٍ بمتَّـرَكِ

ذو الفضل كالتبرِ طوراً تحت ميقعةٍ ... وتـارةً قـد يُـرَى تـاجـاً على ملكِ

ولـه :

لئن أصبحتُ مرتحلاً بشخصي ... فـروحي عنـدكم أبـداً مقيمُ

ولكنْ للعيـانِ لـطيفُ معنىً ... لـه سـأل المعـاينـةَ الكليمُ

ومن شعر أبي محمد ابن حزم :

أنـا العلق الـذي لا عَيْبَ فيـه ... سـوى بلدي وأني غيـر طـاري

تـقـرُّ ليَ الـعـراقُ ومن يـليهـا ... وأهـلُ الأرض إلا أهـلَ داري

طَـوَوْا حَسَـداً على أدبٍ وفهمٍ ... وعـلم مـا يُشَـقّ لـه غبـاري

فمهمـا طـار في الآفـاق ذكـري ... فمـا سَـطَعَ الـدخـانُ بغيـر نـارِ

قال[2] أبو مروان ابن حيان[3] : كان أبو محمد حاملَ فنونٍ من حديث وفقه وَجَدَلٍ ونَسَب وما يتعلَّقُ بأذيال الأدب ، مع المشاركة في كثير من أنواع التعاليم القديمة من المنطق والفلسفة ، وله في بعض تلك الفنون كتبٌ كثيرة ، غير أنه لم يخلُ فيها من غَلَطٍ وسَقَط لجراءته في التسوّر على الفنون لا سيما المنطق فانهم زعموا أنه زلَّ هنالك وضل في سلوك [تلك] المسالك[4]، وخالف أرسطاطاليس واضعه مخالفة من لم يفهم

---

(1) ك : إذا احتقبته .

(2) قبل هذا وضع في نسخة ك عنوان ينبيء بترجمة ثانية لابن حزم .

(3) ورد هذا النص في الذخيرة لابن بسام 1/1 : 167 ـ 172 .

(4) ك : شكول المسالك .

غرضه ولا ارتاض [في كتبه] . ومال أوّلاً النظر به في الفقه إلى رأي محمد بن إدريس الشافعيّ رحمه اللّه ، وناضل عن مذهبه وانحرف عن مذهب سواه حتى وُسم به ونسب إليه ، فاستهدف بذلك لكثيرٍ من الفقهاء وعيب بالشذوذ ، ثم عدل في الآخر إلى قول أصحاب الظاهر مذهبِ داود بن علي ومن اتبعه من فقهاء الأمصار ، فنقّحه ونَهجه وجادل عنه ووضع الكتب في بسطه وثبت عليه إلى أن مضى لسبيله ، رحمه الله .

وكان يحملُ علمه هذا ويجادلُ مَنْ خالفه فيه ، على استرسالٍ في طباعه وَمَذْلٍ بأسراره واستناد إلى العهد الذي أخذه اللّه على العلماء من عباده ﴿لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ﴾ ، لم يكُ يُلَطِّفُ صَدْعَه بما عنده بتعريضٍ ، ولا يزفُّه بتدريج ، بل يصكُّ به معارضه صكَّ الجندل ، وينشقه متلقيه[1] إنشاقَ الخردل ، فينفر[2] عنه القلوب ، ويوقع به الندوب ، حتى استهدف إلى فقهاء وقته فتمالأوا على بغضه وردِّ أقواله[3] ، فأجمعوا على تضليله وشنَّعوا عليه ، وحذروا سلاطينهم من فتنته[4] ، ونهوا عوامّهم عن الدنّو إليه والأخذ عنه ، وطفق الملوكُ يقصونه عن قربهم ويسيّرونه عن بلادهم إلى أن انتهوا به [إلى] منقطع أثره بتربة بلده من بادية لبلة ، وبها توفي رحمه الله سنة ست وخمسين وأربعمائة ، وهو في ذلك غير مرتدع ولا راجع إلى ما أرادوا به ، يبثُّ علمه فيمن ينتابه من بادية بلده من عامة المقتبسين منهم من أصاغر الطلبة الذين لا يَخْشَوْنَ فيه الملامة ، يحدّثهم ويفقههم ويدارسهم ولا يدعُ المثابرَة على العلم والمواظبَة على التأليف والإكثارَ من التصنيف حتى كمل من مصنفاته في فنون من العلمِ وِقْرُ بعيرٍ لم يَعْدُ أكثرُهَا عَتَبَةَ باديته[5] لتزهيد الفقهاء طلابَ العلم فيها حتى لأُحرِقَ بعضها باشبيلية وَمُزِّقَتْ علانيةً ، لا يزيد مؤلفَها في ذلك إلا بصيرةً في نشرها وجدالاً للمعانِدَةِ[6] فيها ، إلى أن مضى لسبيله .

---

(1) م : متلفعه .
(2) م : فنفر .
(3) الذخيرة : وردّوا قوله .
(4) ك : فتنه .
(5) الذخيرة : عتبة بابه ؛ ك : لم تعد باديته .
(6) ك : للمعاند .

وأكثر معايبه ـ زعموا ـ عند المنصف له جَهْلُهُ بسياسةِ العلم التي هي أعوصُ من إتقانه[1] ، وتخلفه عن ذلك على قوة سَبْحِهِ [في] غماره[2] ، وعلى ذلك كلِّه فلم يكن بالسليم من اضطراب رأيه ومغيب شاهدِ علمه عنه عند لقائه إلى أن يُحَـرَّكَ بالسؤال فيفجر منه بحرَ علم لا تكدّره الدلاء ويقصّر عنه الرّشاء ، له على كلٍّ ما ذكرنا دلائلُ ماثلةٌ وأخبار مأثورة .

وكان مما يزيد في شنآنه تشيعه لأمراء بني أمية ، ماضيهم وباقيهم ، بالشـرق والأندلس ، واعتقاده لصحة إمامتهم وانحرافه عن سواهم من قريش حتى نُسِبَ إلى النَّصْبِ[3] لغيرهم .

وقد كان من غرائبه انتماؤه في فارس واتباع أهل بيته له في ذلك بعد حقبةٍ من الدهر تولَّى فيها أبوه الوزير المعقّل في زمانه الراجحُ في ميزانه أحمد بن سعيد بن حزم لبني أمية أولياءِ نعمته لا عن صحّةِ ولايةٍ لهم عليه ، فقد عهده الناسُ خاملَ الأبوة مولَّد الأرومة من عجم لبلة جَدّه الأَدنى حديث الاسلام[4] لم يتقدم لسلفه نباهةٌ ، فـأبوه أحمد على الحقيقة هو الذي بنى بيتَ نفسه في آخر الـدهر بـرأسِ رابية ، وعمَّـده بالخلالِ الفاضلة من الرجاحة والمعرفة والدهاء والرجولة والرأي ، فاغتدى جرثومـةَ سَلَفٍ لمن نماهم أغنتهم عن الرسوخ في أول السابقة ، فما من شَرَفٍ إلا مسبوقٌ[5] عن خارجية ، ولم يكن إلا كلا ولا[6] حتى تخطى عليٌّ هذا رابيةَ لبلةَ فارتقى قلعةَ إصطخر من أرضِ فارس ، فاللّه أعلم كيف تـرقاهـا إذ لم يكن يؤتَى من خَطَلٍ ولا جهالة ، بـل وصله بها وُسْـعُ علم وَشُجْنَةٌ[7] رحم معقـومة بِلَّهـا بمستأخـر الصلة ، رحمه اللّه ؛ فتناهت حاله مع فقهاء عصره إلى ما وصفته ، وحسابه وحسابهم على الله

---

(1) الذخيرة : أعرض من إيعابه .

(2) م : شيخه عمارة .

(3) م : التعصب .

(4) الذخيرة : حديث عهد بالإسلام ؛ ك : حديث بالإسلام .

(5) ك م : مسوق .

(6) كلا ولا : كناية عن السرعة الخاطفة .

(7) الذخيرة : ووشيجة .

الذي لا يظلم الناسَ مثقالَ ذرةٍ ، عزَّ وجهه .

ولهذا الشيخ أبي محمد مع يهود لعنهم الله ومع غيرهم من أولي المذاهب المرفوضة من أهل الاسلام مجالسُ محفوظة وأخبارٌ مكتوبة . وله مصنفاتٌ في ذلك معروفة من أشهرها في علم الجدل : كتابه المسمى كتاب الفصل بين أهل الآراء والنحل . كتاب الصادع والرادع على من كفَّر أهل التأويل من فرق المسلمين والردّ على من قال بالتقليد . وله كتاب في شرح حديث الموطأ والكلام على مسائله . وله كتاب الجامع في صحيح الحديث باختصار الأسانيد والاقتصار على أصحّها واجتلاب أكمل ألفاظها وأصح معانيها . وكتاب التلخيص والتخليص في المسائل النظرية وفروعها التي لا نصَّ[1] عليها في الكتاب ولا الحديث . وكتاب منتقى الاجماع وبيانه من جملة ما لا يعرف فيه اختلاف . وكتاب الامامة والسياسة في قسم سير الخلفاء ومراتبها والندب والواجب منها . وكتاب أخلاق النفس . وكتابه الكبير المعروف بالايصال إلى فهم كتاب الخصال . وكتاب كشف الالتباس ما بين أصحاب الظاهر وأصحاب القياس ، إلى تواليف غيرها ورسائل في معانٍ شتى كثير عددها .

ومن شعره يصف ما أُحْرِقَ له من كتبه ابنُ عبّاد قوله :

وان تحرقوا القرطاسَ لا تحرقوا الذي ... تضمنه القرطاسُ بل هو في صدري
يسيرُ معي حيث استقلَّتْ ركائبي ... وينزلُ إن أنزلْ ويدفنُ في قبري
دعونيَ من إحراق رَقٍّ وكاغدٍ ... وقولوا بعلمٍ كي يرى الناس من يدري
وإلا فعودوا في المكاتب بدأةً ... فكم دون ما تبغون للَّه من سترِ

ولـه :

كأنك بالزوّار لي قد تبادروا[2] ... وقيل لهم أَوْدَى عليُّ بن أحمدِ
فيا رُبَّ محزونٍ هناك وضاحكٍ ... وكم أدمعٍ تُذْرَى وخدٍّ مخددِ
عفا اللَّه عني يوم أرحلُ ظاعناً ... عن الأهل محمولاً إلى ضيق ملحدِ
وأترك ما قد كنتُ مغتبطاً به ... وألقى الذي آنست منه بمرصدِ

(1) ك : نقف .

(2) ك : تناذروا .

فواراحتي إن كان زادي مقدَّماً ويا نَصَبي إن كنتُ لم أتزودِ

ويا لبدائع هذا الحبر ، على وعورة ماء أوضحنا(1) ، على كثرة الدافنين لها والطامسين لمحاسنها ، وعلى ذلك فليس ببدع فيما أضيع منه ، فأزهد الناسِ في عالمٍ أهله وقبله أردى العلماء تبريزهم(2) على من يقصر عنهم ، والحسدُ داء لا دواء له ؛ (آخر كلام ابن حيان) .

ولأبي محمد قصيدة يخاطب بها قاضي الجماعة بقرطبة عبد الرحمن بن بشر(3) يفخر فيها بالعلم ويذكر أصنافَ ما علم ، يقول فيها(4) :

أنا الشمسُ في جوِّ السماءِ منيرةً ولكنَّ عيبي أن مَطْلَعِيَ الغربُ

ولو أنني من جانب الشرقِ طالعٌ لجدَّ على ما ضاع من ذكريَ النهب

ولي نحو أكنافِ العراقِ صبابة ولا غرو أن يستوحشَ الكَلِفُ الصبّ

فإن ينزلِ الرحمنُ رحليَ فيهمُ فحينئذ يبدو التأسُّفُ والكرب

فكم قائلٍ أغفلتُهُ وهو حاضرٌ وأطلبُ ما عنه تجيء به الكتب

هنالك تدري أن للبعد قصةً وأن كسادَ العلم آفته القرب

فواعجبا من غاب عنهم تشوقوا له ودنوُّ المرءِ من دارهم ذنب

وإن مكاناً ضاق عنّي لضيّقٌ على أنه فِيحٌ مذاهبه سهب

وإن رجالاً ضيعوني لَضُيَّعٌ وإن زماناً لم أنلْ خصبَهُ جدب

ولكنَّ لي في يوسف خيرَ أسوةٍ وليس على من بالنبيّ ائتسى ذنب

يقول مقالَ الحقِّ والصدقِ «إنني حفيظٌ عليم» ما على صادقٍ عتب

وله :

لا تشتمن حاسدي ..... البيتان

(1) الذخيرة : ويا لبدائع هذا الحبر علي بن حزم وغرره ما أوضحها .

(2) م : رزىء العلماء بتزهدهم . ك : ردي العلماء بتبريزهم .

(3) هو أبو المطرف عبد الرحمن بن أحمد بن سعيد بن بشر ، ويعرف بابن الحصار ، ولي قضاء الجماعة سنة 407 وبقي في منصبه حتى سنة 419 (الصلة : 313 والجذوة : 251) .

(4) قد مرّت أبيات منها في هذه الترجمة .

وله :

لئن أصبحت مرتحلاً . . . . .   البيتان

وله مثله :

يقول أخي شجاك رحيلُ جسمٍ   وروحُـك ما لـه عنّـا رحيـلُ
فـقلتُ لـه الـمعـايـنُ مـطمئنٌ   لـذا طلب المعـاينـةَ الخليـل

قال الحميدي وأنشدته قول أبي نواس[1] :

عَرِّضَنْ للذي تحبُّ بحبٍّ   ثم دَعْـهُ يـروضُـهُ إبليسُ

فقل[2] أنت في طريق التحقيق ، فقال :

أبِنْ قـولَ وجهِ الحقِّ في نفس سـامـعٍ   ودعـه فنـورُ الحقِّ يسـري ويشـرقُ
سيـؤنسُـهُ رفقـاً وَيَـنْسَـى نِـفـارَهُ   كمـا نسـي القَـيْـدَ المـوثَّـقَ مـطلَقُ

ـ 721 ـ

علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي ، أبو الحسن : أصلهم من ساوة ، وهم أولاد التجار ، وكانا أخوين : علي هذا وعبد الرحمن ، وكلٌ قد روى العلم وحدث .

ذكرهما عبد الغافر بن إسماعيل في « السياق » قال : مات أبو الحسن عليّ الواحدي سنة ثمان وستين وأربعمائة ، ومات أخوه عبد الرحمن سنة سبع وثمانين

721 ـ ترجمة الواحدي في إنباه الرواة 2 : 223 وابن خلكان 3 : 303 ودمية القصر 2 : 1017 والبداية والنهاية 12 : 114 وطبقات ابن الجزري 1 : 523 ومرآة الجنان 2 : 96 وبغية الوعاة 2 : 145 وطبقات المفسرين : 23 والشذرات 3 : 330 وطبقات السبكي 5 : 240 والاسنوي 2 : 538 وروضات الجنات 5 : 244 والبلغة : 145 وعبر الذهبي 3 : 267 وسير الذهبي 18 : 339 والنجوم الزاهرة 5 : 104 وكتاب السياق لعبد الغافر (المنتخب : 2) ص : 113 (من تواريخ نيسابور) . واشارة التعيين : 209 .

(1) ورد البيت في الأغاني 22 : 52 منسوباً لأبي حفص الشطرنجي .

(2) م ك : فقال .

وأربعمائة كلاهما بنيسابور .

قال عبد الغافر : فأما أبو الحسن فهو الامام المصنف المفسر النحوي أستاذ عصره وواحد دهره ، أنفق صباه وأيامَ شبابه في التحصيل ، فأتقن الأصولَ على الأئمة ، وطاف على أعلام الأمة ، فتلمذ لأبي الفضل العروضي الأديب ، وقرأ النحو على أبي الحسن الضرير القهندزي ، وسافر في طلب الفوائد ، ولازم مجالس الثعالبي[1] في تحصيل التفسير ، وأدرك الزيادي[2] وأكثر عن أصحاب الأصم . وأخذ في التصنيف فجمع كتاب الوجيز[3] . وكتاب الوسيط . وكتاب البسيط ، كلّ في تفسير القرآن المجيد ، وأحسن كل الاحسان في البحث والتنقير . وله كتاب أسباب النزول[4] . وكتاب الدعوات والمحصول[5] . وكتاب المغازي . وكتاب شرح [ديوان] المتنبي[6] . وكتاب الإغراب في الاعراب في النحو . وكتاب تفسير النبي ﷺ . وكتاب نفي التحريف عن القرآن الشريف .

وقعد للافادة والتدريس سنين ، وتخرج به طائفة من الأئمة سمعوا منه وقرأوا عليه وبلغوا محلَّ الافادة . وعاش سنين ملحوظاً من النظام وأخيه بعين الاعزاز والاكرام ، وكان حقيقاً بكلّ احترام وإعظام ، لولا ما كان فيه من غمزه وإزرائه على الأئمة المتقدمين ، وبسطه اللسانَ فيهم بغير ما يليق بمناصبهم ، عفا الله عنا وعنه . قال عبد الغافر : وأجاز لي جميع مسموعاته .

ذكره الحسن بن المظفر النيسابوري فقال : أبو الحسن علي بن أحمد الواحدي النيسابوري هو الذي قيل فيه :

قد جُمِع العالم في واحدِ عالِمنا المعروفِ بالواحدي

---

(1) في حاشية ك هنا : هكذا قال « الثعالبي » وهو أبو اسحاق أحمد صاحب التفسير ، وأكثر الناس يقولون الثعلبي وكذا وجدته بخطه .

(2) ك م : الرمادي .

(3) طبع بمصر سنة 1305 بهامش « التفسير المنير لمعالم التنزيل » .

(4) طبع بمصر سنة 1315 وأعيد بحمص 1966 .

(5) ك : والفصول .

(6) طبع في برلين سنة 1858 ويعد من أجل الشروح لشعر المتنبي .

قال : ومن غرر شعره :

أيا قادماً من طوسَ أهلاً ومرحبا بقيتَ على الأيام ما هبَّتِ الصَّبا
لعمري لئن أحيا قدومُكَ مُدْنَفاً بحبِّكَ صباً في هواك معذبا
يظلُّ أسيرَ الوجدِ نَهْبَ صبابةٍ ويمشي على جمر الغضا متقلبا
فكم زفرةٍ قد هجتَها لو زفرتها على سدِّ ذي القرنين أمسى مذوّبا
وكم لوعةٍ قاسيتُ يوم تركتني أُلاحِظُ منك البدرَ حين تغيبا
وعاد النهارُ الطَّلْقُ أسودَ مظلماً وعاد سنا الإصباح بعدك غيهبا
وأصبح حُسْنُ الصبرِ عنِّيَ ظاعناً وحدَّدَ نحوي البين ناباً ومخلبا
فأقسمُ لو أبصرتَ طرفيَ باكيا لشاهدتَ دمعاً بالدماء مخضبا
مسالك لهوٍ سدَّها الوجد والجوى وروضُ سرورٍ عاد بعدك مجدبا
فِداؤك روحي يا ابنَ أكرمِ والدٍ ويا مَنْ فؤادي غيرَ حُبِّهِ قد أبى

وأنشد له :

تشوَّهَتِ الدنيا وأبدتْ عِوارها وضاقت عليَّ الأرض بالرُّحْبِ والسعهْ
وأظلم في عيني ضياءُ نهارها لتوديع من قد بان عني بأربعهْ
فؤادي وعيشي والمسرة والكرى فإن عاد عاد الكلُّ والأُنسُ والدعهْ

وقال أبو الحسن الواحدي في مقدمة « البسيط » : وأظنّني[1] لم آلُ جهداً في إحكام أصولِ هذا العلم على حسب ما يليقُ بزماننا هذا وَتَسَعُهُ سنو عمري على قلة أعدادها ، فقد وفق الله وله الحمد حتى اقتبستُ كلَّ ما احتجتُ إليه في هذا الباب من مظانّه ، وأخذته من معادنه . أما اللغة فقد درستها على الشيخ أبي الفضل أحمد بن محمد بن عبد اللّه بن يوسف العروضي رحمه الله ، وكان قد خنّق التسعين في خدمةِ الأدب ، وأدرك المشايخَ الكبار وقرأ عليهم وروى عنهم ، كأبي منصور الأزهري روى عنه « كتاب التهذيب» وغيره من الكتب،وأدرك أبا العباس العامري وأبا القاسم الأسدي

(1) ك : ولعلني .

وأبا نصر طاهر بن محمد الوزيري وأبا الحسن الرخّجي ، وهؤلاء كانوا فرسانَ البلاغة وأئمة اللغة ، وسمع أبا العباس الأصمّ وروى عنه ، واستخلفه الأستاذ أبو بكر الخوارزمي على درسه عند غيبته ، وله المصنفات الكبار والاستدراكات على الفحول من العلماء باللغة والنحو ، وكنتُ قد لازمته سنين أُدخلُ عليه عند طلوع الشمس وأخرجُ لغروبها ، أسمع وأقرأ وأعلّق وأحفظ وأبحث وأذاكر أصحابه ما بين طرفي النهار . وقرأت عليه الكثير من الدواوين واللغة حتى عاتبني شيخي رحمه الله يوماً وقال : إنك لم تبقِ ديواناً من الشعر إلا قضيتَ حقه ، أما آن لك أن تتفرَّغَ لتفسير كتاب اللّه العزيز تقرأه على هذا الرجل الذي يأتيه البعداء من أقصى البلاد وتتركه أنت على قرب ما بيننا من الجوار ـ يعني الأستاذ الامام أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي ، فقلت : يا أبت إنما أتدرج بهذا إلى ذلك الذي تريد ، وإذا لم أُحكم الأدبَ بِجِدّ وتعب ، لم أَرْمِ في غرض التفسير من كثب ، ثم لم أغبَّ زيارته يوماً من الأيام ، حتى حال بيننا قدر الحمام .

وأما النحو فإني لما كنتُ في مَيْعة صباي وشرخ شبيبتي وقعتُ إلى الشيخ أبي الحسن علي بن محمد بن إبراهيم الضرير ، وكان من أبرع أهل زمانه في لطائف النحو وغوامضه ، وأعلمهم بمضايق طرق العربية وحقائقها ، ولعله تفرَّس فيَّ وتوسَّم الخير لديّ ، فتجرَّدَ لتخريجي ، وصرف وكده إلى تأديبي ، ولم يدّخر عني شيئاً من مكنون ما عنده حتى استأثرني بأفلاذه ، وسعدتُ به أفضل ما سعد تلميذ بأستاذه ، وقرأتُ عليه جوامعَ النحو والتصريف والمعاني ، وعلقتُ عنه قريباً من مائة جزء في المسائل المشكلة ، وسمعت منه أكثر مصنفاته في النحو والعروض والعلل ، وخصَّني بكتابه الكبير في « علل القراءة المرتبة في كتاب الغاية » لابن مهران . ثم ورد علينا الشيخ أبو عمران المغربي المالكي ، وكان واحدَ دهره وباقعةَ عصره في علم النحو ، لم يلحق أحد ممن سمعنا شأوه في معرفة الاعراب ، ولقد صحبتُهُ مدةً في مقامه عندنا حتى استنزفت غرر ما عنده .

وأما القرآن وقراءات أهلِ الأمصار واختيارات الأئمة فإني اختلفتُ إلى الأستاذ أبي القاسم علي بن أحمد البستي رحمه الله ، وقرأت عليه القرآن ختماتٍ كثيرةً لا تحصى ، حتى قرأت عليه أكثرَ طريقةِ الأستاذ أبي بكر أحمد بن الحسين بن مهران ،

ثم ذهبت إلى الامامين أبي عثمان سعيد بن محمد الحيري وأبي الحسن علي بن محمد الفارسي ، وكانا قد انتهت إليهما الرياسة في هذا العلم وأشير إليهما بالأصابع في علوّ السن ورؤية المشايخ وكثرة التلامذة وغزارة العلوم وارتفاع الأسانيد والوثوق بها ، فقرأتُ عليهما وأخذتُ من كلٍّ واحدٍ منهما حظاً وافراً بعون اللّه وحسن توفيقه . وقرأت على الأستاذ سعيد مصنفاتِ ابن مهران ، وروى لنا كتب أبي علي الفسوي عنه ، وقرأتُ عليه بلفظي كتابَ الزجاج بحقِّ روايته عن ابن مقسم عنه ، وسمع بقراءتي الخلق الكثير . ثم فرغت للأستاذ أبي إسحاق أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي رحمه الله وكان حَبْرَ العلماء بل بحرهم ، ونجم الفضلاء بل بدرهم ، وزينَ الأئمة بل فخرهم ، وأوحد الأمة بل صدرهم . وله التفسير الملقب بـ « الكشف والبيان عن تفسير القرآن » الذي رَفَعَتْ به المطايا في السهل والأوعار ، وسارت به الفلكُ في البحار ، وهبت هبوبَ الريح في الأقطار :

فسار مسيرَ الشمسِ في كلِّ بلدةٍ وهبَّ هبوب الريح في البرِّ والبحرِ

وأصفقتْ عليه كافَّةُ الأمة على اختلاف نحلهم ، وأقرّوا له بالفضيلة في تصنيفه ما لم يُسْبَقْ إلى مثله ، فمن أدركه وصحبه علم أنه منقطعُ القرين ، ومن لم يدركه فلينظر في مصنفاته ليستدلَّ بها أنه كان بحراً لا يُنْزَفُ ، وغمراً لا يُسْبَرُ . وقرأت عليه من مصنفاته أكثر من خمسمائة جزء منها تفسيره الكبير وكتابه المعنون بـ « الكامل في علم القرآن » وغيرهما .

ولو أثبتُّ المشايخَ الذين أدركتهم واقتبستُ عنهم هذا العلمَ من مشايخ نيسابور وسائر البلاد التي وطئتها طال الخطب ، وملَّ الناظر . وقد استخرتُ اللّه العظيم في جمعِ كتاب أرجو أن يمدّني الله فيه بتوفيقه مشتملٍ على ما نقمتُ على غيري إهمالَهُ ، ونعيتُ عليه إغفالَهُ ، لا يدعُ لمن تأمله حازَّةً في صدره حتى يخرجه عن ظلمة الريب والتخمين ، إلى نور العلم واليقين ، هذا بعد أن يكونَ المتأملُ مرتاضاً في صنعةِ الأدب والنحو ، مهتدياً بطرق الحجاج ، قارحاً في سلوك المنهاج ، فأما الجَذَع المُرْخى من المقتبسين ، والرَّيِّض الكزّ[1] من المبتدئين ، فإنه مع هذا الكتاب كمزاولٍ غَلَقاً ضاع

(1) الكز : الصلب ، وفي ك : الكر .

عنه المفتاح ، ومتخبطٍ في ظلماءِ[1] ليلٍ خانه المصباح :

يحـاول فَتْقَ غيم وهـو يـأبى   كعنّين يـريـدُ نـكـاحَ بكـرِ

ثم قال بعد كلام : ثم إن هذا الكتاب عجالة الوقت ، وقبسة العجلان ، وتذكرة يستصحبها الرجلُ حيث حلّ وارتحل ، وان أنسىءَ الأجل ، وأُرْخِيَ الطِّوَل ، وأنظرني الليلُ والنهار ، حتى يتلفع بالمشيب العذار ، أردفته بكتابٍ أُنْضِجُهُ بنارِ الرويّة ، وأردِّده على رواق الفكرة ، وأضمنه عجائب ما كتبته ولطائف ما جمعته ، وعلى الله المعوّل في تيسير[2] ما رمت ، وله الحمد كلما قعدت أو قمت .

ـ 722 ـ

علي بن أحمـد الفنجكردي : وفنجكـرد قريـة من قرى نيسـابـور على حـدّ الدرب ؛ كان أديباً فاضلاً ذكره الميداني في خطبة « كتاب السامي »[3] وأثنى عليه ، ومات سنة اثنتي عشرة وخمسمائة عن ثمانين سنة .

وذكره البيهقي في « الوشاح » فقال : الامام علي بن أحمد الفنجكردي الملقب بشيخ الأفاضل أعجوبة زمانه وآية أقرانه وشيخ الصناعة والممتطي غوارب البراعة .

وذكره عبد الغافر الفارسيّ فقال : علي بن أحمـد الفنجكردي الأديب البـارع صاحب النظم والنثر الجاريين في سِلْكِ السلاسة ، قرأ اللغة على يعقوب بن أحمد الأديب وغيره وأحكمها وتخرج فيها ، وأصابته علة لزمته في آخر عمره ، ومات بنيسابور في ثالث عشر رمضان سنة ثلاث عشرة وخمسمائة .

قال البيهقي : وأنشدني لنفسه :

722 ـ ترجمة الفنجكردي في السياق (المنتخب الأول) : 71 والانسـاب (دمج) 9 : 334 وبغيـة الوعـاة 2 : 148 وأورد له عبد الغافر مقطعات في مدح الحديث .

(1) م : في ظلمة .

(2) م : تفسير (والتصويب من محقق م) .

(3) انظر السامي : 9 .

زمـــاننـــا ذا زمـــانُ سَـــوْءٍ   لا خيـرَ فيـه ولا صـلاحـا
هـل يُبْصِرُ المُلْبِسُـونَ فيـه   لِلَيْـلِ أحـزانهم صبـاحـا
وكـلهم منـــه فـي عَـنــاءٍ   طوبى لمن مات فاستراحا

ولــه :

ولَّى الشبـاب بحسنه وبهـائِـهِ   وأتى المشيبُ بنوره وضيائِـهِ
الـشيـبُ نـورٌ للفتى لـكنــه   نـورٌ مَهيـبٌ مؤذنٌ بـفنــائــهِ
فالهجْ بذكر اللّه وارضَ بحكمه   لا رَوْحَ للفقـراء دون لقـائــهِ

وله :

الـحكـمُ للّه مـا لـلعبـد مُـنْـقَلبُ   إلا إلـيــه ولا عن حُـكْمِــهِ هَــرَبُ
والمرءُ ما عاش في الدنيا أخو محنٍ   تصيبـه الحـادثـاتُ الـسـودُ والنـوبُ
فــإن يسـاعِــدْهُ في أثنـائهـا فَـرَجٌ   تســارعتْ نحــوه في إثـره كُـرَبُ
حتى إذا مـلَّ مـن دنيـاه فـاجـأه   في أرضه كان أو في غيرها العطبُ

ـ 723 ـ

علي بن أحمد بن محمد بن الغزّال النيسابوري أبو الحسن : ذكره عبد الغافر في « السياق » فقال : مات في شعبان سنة ست عشرة وخمسمائة ووصفه فقال : الامام المقرىء الزاهد العامل ، من وجوه أئمة القراءة المشهورين بخراسان والعراق ، العارف بوجوه القراءات واختلاف الروايات ، الامام في النحو وما يتعلق به من العلل ، وإليه الفتوى فيه ، عهدناه شابًّا كثير الاجتهاد مقبلاً على التحصيل ملازماً لأستاذه أبي نصر الرامشي المقرىء حتى تخرج به فزاد عليه في الفقه والورع وَقِصَرِ اليدِ عن الدنيا ، ولزم طريقَ العبادة وطريقَ التصوف والزهدِ حتى كان يُقصد من البلاد ويستفاد منه ، وقلَّ ما كان يخرج من بيته إلا في الجنائز ثم اختلّ بصره في آخر عمره ، ثم

---

723 ـ ترجمة الغزال في السياق (المنتخب الأول) : 72 وبغية الوعاة 2 : 146 .

أصابه مرضٌ طويلٌ فبقي فيه مدةً إلى أن سقطت قوته وَضَعُفَ وأدركه قضاءُ اللّه عديمَ النظير فمات . وله تصانيف مفيدة في النحو والقراءات . سمع [من] الحفصي وأحمد بن منصور بن خلف المغربي .

- 724 -

علي بن أحمد بن بكري - وقيل علي بن عمر بن أحمد بن عبد الباقي بن بكري - أبو الحسن خازن دار الكتب بالنظامية : مات في ثامن عشري شهر رمضان سنة خمس وسبعين وخمسمائة ، ودفن في الوردية ، ولم يعقب ، وكان من أهل باب الأزج . له معرفة جيدة بالأدب ، قرأ النحو على أبي السعادات ابن الشجري ، وقرأ اللغة على أبي منصور الجواليقي وغيره ، وكان فاضلاً عارفاً حسنَ الأمر مليحَ الخطّ جيد الضبط ، قد كتب من كتب الأدب الكثير الذي يفوت الحصر .

- 725 -

علي بن بُرَيْد أبو دعامة القيسي[1] **أبو الحسن** : أحد الكبراء من الأدباء الرواة النبلاء ، مات [. . .] ذكره الأمير أبو نصر فقال : وعلي بن بريد أبو دعامة القيسي صاحب أدب ، وهو بكنيته مشهور ، وله أخبار كثيرة ، روى عن أبي نواس وأبي العتاهية ، روى عنه ابن أبي طاهر وعون بن محمد الكندي وغيرهما[2] .

---

724 - لم أجد له ترجمة .

725 - الفهرست : 53 (وقال فيه : علامة راوية وأصله من البادية ، أطال المقام بالحضر وانقطع إلى البرامكة ، وله من الكتب : كتاب الشعر والشعراء) والاكمال لابن ماكولا 1 : 229 وانباه الرواة 4 : 117 .

(1) إنباه ، العبسي .

(2) زاد في الاكمال : ويزيد بن محمد المهلبي .

ـ 726 ـ

علي بن بسام أبو الحسن : من أهل الأندلس ، له كتاب الذخيرة في محاسن أهلِ الجزيرة ، يعني جزيرة الأندلس ، في سبعة أسفار .

ـ 727 ـ

علي بن ثروان بن الحسن الكندي أبو الحسن ، وهو ابن عم تاج الدين أبي اليمن زيد بن الحسن الكندي شيخنا . ذكره العماد في « الخريدة » قال : وأصله من الخابور ، قال : ورأيته بدمشق مشهوداً لفضله بالوفور ، مشهوراً بالمعرفة بين الجمهور ، موثوقاً بقوله ، مصبوحاً مغبوقاً من نور الدين بطَوْله . وكان أديباً فاضلاً ، أريباً كاملاً ، قد أتقن اللغة وقرأ الأدب على أبي منصور ابن الجواليقي وغيره من معاصريه ، وله شعر كثير . قال : ولم يقع إليَّ ما أشدُّ يدَ الانتقاد عليه . ومات بدمشق بعد سنة خمس وستين وخمسمائة ، وكان قد قصد الأمير حجي بن عبيد الله بالزبداني[1] فلم يجده وكتب على بابه هذين البيتين[2] :

حضر الكنديُّ مغناكم فلم ... يَرَكُمْ من بعد كدٍّ وتعبْ
لو رآكم لتجلَّى همُّهُ ... وانثنى عنكم بحسنِ المنقلبْ

726 ـ لم تهتم كتب التراجم بإفراد ترجمة له ، ما عدا المغرب لابن سعيد 1 : 417 ، وتستفاد بعض المعلومات عنه من كتابه الذخيرة (وقد أتممت تحقيقه في ثمانية أجزاء 1975 ـ 1980) فهو شنتريني هاجر من بلده على أثر فتنة ، واستوطن اشبيلية ، وبدأ يجمع مادة كتابه في حدود سنة 493 واستمر على ذلك سنوات ، وكانت وفاته سنة 542 ، وفي الذخيرة نماذج من نثره وشعره . وللأستاذ علي بن محمد المدرس بجامعة الجزائر كتاب عنه بعنوان : ابن بسام الأندلسي وكتاب الذخيرة (الجزائر 1989) .

727 ـ ترجمته في الخريدة (قسم الشام) 1 : 310 ـ 312 وذيل تاريخ بغداد 17 : 230 ومختصر ابن الدبيثي 3 : 120 وانباه الرواة 2 : 235 وذيل ابن رجب 1 : 313 وبغية الوعاة 2 : 152 وروضات الجنات 5 : 253 والشذرات 4 : 216 .

(1) م : الزيدي ؛ وفي الخريدة : بعض رؤساء الزبداني .
(2) ذيل تاريخ بغداد : 232 .

وله من قصيدة :

هتك الدمع بصوب هتنٍ[1] كلَّ ما أضمرتُ من سرٍّ خفي
يا أخلائي على الخيف أما تتقون اللّه في حتِّ المطي

ـ 728 ـ

علي بن جعفر الكاتب ، أبو الحسن الفارسي الكاتب النحوي الشاعر : قال الحاكم في « كتاب نيسابور » وكان من أعيان الأدباء ، ومن أهل العلم ، عَلَّقْتُ عنه من كلامه ولم أعرفه بالرؤية[2] ؛ سكن نيسابور .

قال الحاكم : سمعت أبا الحسن الفارسي يقول : إن اللئيم إذا لم يُصْطَنَعْ تجنَّى كما أنشدونا لعلي بن الجهم[3] :

وخافوا أن يقال لهم خَذَلتمْ أخاكم فادَّعَوْا قِدَمَ الجفاءِ

قال : سمعت أبا الحسن الكاتب يقول : كتب حميد بن مهران إلى أبي أيوب الهاشمي يستزيره :

أقيكَ الردى يا قريعَ الورى ومن حلَّ من هاشمٍ في الذرى
ويفديك مَنْ وُدُّهُ في المغيبِ إذا امتحن الودّ واهي القوى
وُصالك يعدلُ صدقَ الرجاءِ وصفوَ المدام وطعمَ الكرى
فقد تاقتِ النفسُ من وامقٍ إلى أن يراك فماذا ترى؟

---

728 ـ ترجمته في انباه الرواة 2 : 239 وبغية الوعاة 2 : 154 .

(1) ك م : الهتن .
(2) قد تقرأ بالرواية كما هي في ك .
(3) ديوان ابن الجهم : 83 .

ـ 729 ـ

علي بن جعفر بن علي السعدي ، يعرف بابن القطّاع الصقلي ، وكان مقيماً بالقاهرة من مصر يعلّم وَلَدَ الأفضل ابن أمير الجيوش بدر الجمالي وزير المتلقب بالآمر باللّه الذي كان بمصر متغلّباً . ومات ابن القطاع سنة أربع عشرة وخمسمائة بمصر ومولده سنة ثلاث وثلاثين وأربعمائة ، وكان إمام وقته ببلده وبمصرَ في علم العربية وفنون الأدب . قرأ على أبي بكر محمد بن البر الصقلي ، وكان مما روى عنه « كتاب الصحاح » لإسماعيل بن حماد الجوهري ، ومن طريقه اشتهرت رواية هذا الكتاب في جميع الآفاق . ولابن القطاع عدة تصانيف منها : كتاب الدرّة الخطيرة في شعراء الجزيرة يعني جزيرة صقلية ، اشتملت على مائة وسبعين شاعراً وعشرين ألف بيت شعر[1] . وكتاب الأسماء في اللغة جمع فيه أبنيةَ الأسماء كلها . وكتاب الأفعال هذَّب فيه أفعالَ ابن القوطية وأفعال ابن طريف وغيرهما في ثلاث مجلدات[2] . وله حواشٍ على كتاب الصحاح نفيسة وعليها اعتمد أبو محمد ابن بريّ النحوي المصري في ما تكلم عليه من حواشي الصحاح . وكتاب فرائد الشذور وقلائد النحور في الأشعار . وكتاب العروض والقوافي . وكتاب ذيل تاريخ صقلية . وكتاب الأبنية ، أبنية الأسماء والأفعال . ولابن القطاع أشعار ليست على قدر علمه ومن أجودها قوله :

إيـاكَ أن تـدنـوَ مـن روضـةٍ بـوجـنـتـيـه تـنـبـتُ الـوردا
واحـذرْ على نفسِكَ من قـربهـا فـإنَّ فـيـهـا أسـداً وَرْدا

729 ـ ترجمة ابن القطاع الصقلي في الخريدة (قسم المغرب) 1 : 51 وانباه الرواة 2 : 236 وابن خلكان 3 : 322 ومرآة الجنان 2 : 212 ومرآة الزمان 8 : 56 وبغية الوعاة 2 : 153 ـ 154 وحسن المحاضرة 1 : 532 والبلغة : 151 والشذرات 4 : 45 وروضات الجنات 5 : 248 ولسان الميزان 4 : 209 وصفحات من المكتبة الصقلية ؛ واشارة التعيين : 203 .

(1) لم يصلنا حتى اليوم كتاب الدرة الخطيرة ولكن اختار منه العماد في الخريدة وابن سعيد في المغرب ، وهنالك اختيار ثالث لأبي اسحاق ابن الأغلب يسمى « المتخل من الدرة . . » .
(2) طبع بحيدر أباد الدكن في مجلدين .

ومنه :

ألا إنّ قلبي قـد تضعضـع للهجـرِ وقلبيَ من طول الصدودِ على الجمرِ
تصـارمتِ الأجفـانُ منـذ صـرمتني فمـا تلتقي إلا على دمعةٍ تجـري

ومنه :

يـا رُبَّ قـافيـةٍ بِكْـرٍ نـظمتُ بهـا في الجيد عقداً بدرٍّ المجد قد رُصِفَا
يـودُّ سـامعهـا لـو كـان يسمعهـا بكـلِّ أعضـائـه من حسنهـا شغفـا

ـ 730 ـ

علي بن الحسن الأحمر صاحب الكسائي: قال الجعابي، قال محمد بن يحيى الصولي : الأحمر أبو الحسن علي بن الحسن مؤدب الأمين لم يَصِرْ إلى أحدٍ قطّ من التأديب ما صار إليه . وقال محمد بن داود : الأحمر اسمه علي بن المبارك . ومات الأحمر فيما ذكره الصولي عن أحمد بن فرج قال سمعت أبا سعيد الطوال يقول : مات الأحمر قبل الفرّاء بمدة ، قال : أحسبه سنة أربع وتسعين ومائة ومات الفرّاء سنة أربع ومائتين .

وحدث المرزباني قال : روى عبد اللّه بن جعفر عن علي بن مهدي الكسروي عن ابن قادم صاحب الكسائي قال : كان الأحمر صاحب الكسائي رجلاً من الجند من رَجَّالة النَّوْبَةِ على باب الرشيد ، وكان يحبُّ علم العربية ، ولا يقدر على مجالس الكسائي إلا في أيام غير نوبته ، وكان يرصدُ مصيرَ الكسائي إلى الرشيد ويعرض له في طريقه كلَّ يوم ، فإذا أقبل تلقاه وأخذ بركابه ثم أخذ بيده وماشاه إلى أن يبلغ الستر ، وساءله في طريقه عن المسألة بعد المسألة ، فإذا دخل الكسائي رجع إلى مكانه ، فإذا خرج الكسائي من الدار تلقاه إلى الستر وأخذ بيده ، وماشاه يسائله[1] حتى يركبَ

730 ـ ترجمة الأحمر صاحب الكسائي في نور القبس: 301 وانباه الرواة 2 : 313 وتاريخ بغداد 12 : 104 وطبقات الزبيدي: 134 وسير الذهبي 9 : 92 وبغية الوعاة 2 : 158 (وفيه نقل عن ياقوت) ويرد في معظم المصادر باسم : علي بن المبارك الأحمر .

(1) م : إلى أن آن له . وما وضع بعيد عن صورة الأصل ؛ وهو من تغييرات الطبعة المصرية .

ويجاوزَ المضارب ، ثم ينصرف إلى الباب . فلم يزل كذلك يتعلم المسألة بعد المسألة حتى قوي وتمكن ، وكان فطناً حريصاً ، فلما أصاب الكسائيَّ الوَضَحُ في وجهه وبدنه كره الرشيدُ ملازمته أولاده ، فأمر أن يرتادَ لهم من ينوبُ عنه ممن يرتضي به وقال : إنك قد كبرتَ ونحن نحبُّ أن نودّعك ، ولسنا نقطع عنك جاريك ، فجعل يدافعُ بذلك ويتوقّى أن يأتيهم برجلٍ فيغلب على موضعه ، إلى أن ضُيّق عليه الأمر وشُدِّد ، وقيل له إن لم تأتنا أنت من أصحابك برجل ارتدنا نحن لهم من يصلح ، وكان قد بلغه أن سيبويه يريد الشخوصَ إلى بغداد والأخفش ، فقلق لذلك ، ثم عزم على أن يُدْخِلَ إلى أولاد الرشيد مَنْ لا يخشى ناحيتَه ، ومن ليس ممن اشتد من أصحابه ، فقال للأحمر : هل فيك خير ؟ قال : نعم ، قال : قد عزمتُ أن أستخلفَكَ على أولاد الرشيد ، فقال الأحمر : لعلي لا أفي بما يحتاجون إليه ، فقال الكسائي : إنما يحتاجون في كلّ يومٍ إلى مسألتين في النحو وثنتين من معاني الشعر وأحرفٍ من اللغة ، وأنا ألقنك في كلّ يوم قبل أن تأتيهم ذلك فتتحفظه وتعلّمهم ، فقال : نعم ، فلما ألحّوا عليه قال : قد وجدتُ من أرضاه ، وإنما أخَّرْتُ ذلك حتى وجدته ، وأسماه لهم . فقالوا له : إنما اخترتَ لنا رجلاً من رجالِ النَّوْبة ولم تأتِ بأحدٍ متقدّم في العلم ، فقال : ما أعرفُ أحداً في أصحابي مثله في الفهم والصيانة ، ولست أرضى لكم غيرَهُ ، فأُدخل الأحمر إلى الدار وَفُرِشَ له البيت الذي [يؤدّبُ] فيه بفرشٍ حَسَن ، وكان الخلفاءُ إذا أدخلوا مؤدِّباً إلى أولادهم فجلس أولَ يوم أمروا بعد قيامه بحملِ كلّ ما في المجلس إلى منزله مع ما يُوصَلُ به ويوهَبُ له ، فلما أراد الأحمر الانصرافَ إلى منزله دعي له بحمالين فحمل معه ذلك كله مع بزٍّ كثير ، فقال الأحمر : واللّه ما يسعُ بيتي هذا ، وما لنا إلا غرفة ضيقة ، ليس فيها من يحفظه غيري ، في بعض الخانات ، وإنما يصلح مَثْلُ هذا لمن له دارٌ وأهل وكلُّ شيء يشا كله ، فأمر بشراء دار له وجارية ، وَحُمِلَ على دابة ، ووهب له غلام ، وأقيم له جارٍ ولمن عنده . فجعل يختلفُ إلى الكسائي كلَّ عشيةٍ ويتلقَّنُ ما يحتاج إليه أولادُ الرشيد ويغدو عليهم فيلقّنهم ، وكان الكسائي يأتيهم في الشهر مرةً أو مرتين فيعرضون عليه بحضرة الرشيد ما علّمهم الأحمر ، ويرضاه ، فلم يزل الأحمر كذلك حتى صار نحوياً وجلَّتْ حاله وَعُرِفَ بالأدب حتى قُدِّمَ على سائر أصحاب الكسائي ، ولم يكن له قبل ذلك ذكر ولا يعرف .

وحدث محمد بن الجهم السمري قال : كنا إذا أتينا الأحمر تلقانا الخدم فندخل قصراً من قصور الملوك فيه من فَرْشِ الشتاءِ في وقته ما لم يكن مثله إلا في دار أمير المؤمنين ، ويدفع إلينا دفاتر الكاغد والجلود قد صُقِلَتْ والمحابر المخروطة والأقلام والسكاكين ، ويخرج إلينا وعليه ثياب الملوك تنفح منها رائحة المسك والبخور ، فيلقانا بوجهٍ منطلق وَبِشْرٍ حَسَن ، حتى ننصرفَ ونصير إلى الفرّاء ، فيخرج إلينا معبّساً قد اشتمل بكسائه ، فيجلس لنا على بابه ونجلس في التراب بين يديه ، فيكون أحلى في قلوبنا من الأحمر وجميل فعله .

وحدث سلمة قال : كان الأحمر قد أملى على الناس شواهد النحو ، فأراد الفَرّاء أن يتممها فلم يجتمع له أصحابُ الكسائي كما اجتمعوا للأحمر ، فقطع ولم يعرض له .

قال عبد اللّه بن جعفر : أخبرنا غيرُ واحدٍ عن سلمة بن عاصم صاحب الفرَّاء قال : كان بين الفرَّاء والأحمر تباعد وجفاء ، فحجَّ الأحمر فمات في طريق مكة ، فقيل للفراء : إن الأحمر قد نعي إلى أهله ، فاسترجع وتوجَّع وترحَّم عليه وجعل يقول : أما واللّه لقد علمته صدوقاً سخياً ذكيّاً عالماً ذا مروءة ومودة ، رضي اللّه عنه ، فقيل له أين هذا مما كنتَ تقول فيه بالأمس ؟ قال : واللّه ما يمنعني ما كان بيني وبينه أن أقولَ فيه الحقَّ ، وما تعديتُ فيه قط في قول ولا تحريتُ فيه إلا الصدق قبلُ وإلى الآن .

وأنشد إسحاق الموصلي قال : أنشدني الأحمر غلام الكسائي لنفسه :

وفتيانِ صدقٍ دَعَوْا للندى ... رياضَ السرورِ بأرضِ الطربْ

وهي أربعة أبيات . قال : وقرأت له أيضاً أبياتاً يسيرة ضعيفة .

وقال أبو محمد اليزيدي يهجو الكسائي والأحمر :

أفسد النحوَ الكسائيُّ ... وثنَّى ابنُ غزالَهْ

وأرى الأحمر تيساً ... فاعلفوا التيسَ النخالَهْ

وقال ثعلب : كان الأحمر يحفظ الأربعين ألف بيت شاهد في النحو سوى ما كان يحفظ من القصائد ، وكان مقدَّماً على الفرّاء في حياة الكسائي ، وله من التصانيف : كتاب التصريف . كتاب تفنن البلغاء .

- 731 -

علي بن الحسن الهُنائي المعروف بكراع النمل : منسوب إلى هُناءَةَ بنِ مالك بن فهم بن غَنْم بن دَوْس بن عُدْثان بن عبد اللّه بن زهران بن كعب بن الحارث بن كعب بن عبد اللّه بن مالك بن نصر بن الأزد ، أبو الحسن اللغوي ، مات [. . .] . وجدت خطه على « المنَضَّد » من تصنيفه وقد كتبه في سنة سبع وثلاثمائة متقدم العصر في أيام ابن دريد .

ذكره محمد بن إسحاق النديم فقال : هو من أهل مصر ، وكان كوفياً وأخذ عن البصريين ويعرف بالرؤاسي[1] ، قبيلة من الأزد . وكُتُبُه بمصرَ موجودةٌ مرغوبٌ فيها .

وقال غيره : له من التصانيف « كتاب المنضد » أورد فيه لغة كثيرة مستعملة وحوشية ، ورتبه على حروف ألف باء تاء ثاء إلى آخر الحروف ، ثم اختصره في كتاب المجرد ، ثم اختصره في كتاب المنجد . وله كتاب أمثلة الغريب على أوزان الأفعال أورد فيه غريب اللغة . وكتاب المصحف . وكتاب المنظم .

- 732 -

علي بن الحسن بن فضيل بن مروان : فارسيّ الأصل ، ذكره محمد بن إسحاق النديم وقال : له من الكتب كتاب الأصنام وما كانت العرب والعجم تعبدُ من دون اللّه تعالى اللّه عزّ وجلّ .

731 ـ ترجمة كراع النمل في الفهرست : 91 ـ 92 وإنباه الرواة 2 : 240 وبغية الوعاة 2 : 158 وإشارة التعيين : 215 .

732 ـ الفهرست : 138 واسمه أبو الحسن علي بن فضيل بن مروان (وفي ك : مزون) .

(1) الفهرست : الدوسي .

- 733 -

علي بن الحسن بن عبد الرحمن المقرىء : ذكره محمد بن جعفر التميمي المعروف بابن النجار في « تاريخ الكوفة » فقال : وانتهى تاريخ قراءة عاصم إلى الطبقة الثامنة ، وهو علي بن الحسن بن عبد الرحمن المقرىء ، وكان شيخاً مباركاً تلقّن عليه خلقٌ عظيم ، وحدثني أبو الحسن ابن سعيد قال : كان يحضر مجلسه فوق ألفِ نفسٍ في كلّ يوم ، وكان السبق من العصر يبيت الناس للسبق ، وحفّظ خلقاً عظيماً القرآن . وآخر من شاهدنا منهم أبو العباس محمد بن الحسن بن يونس الهذلي[1] . وكان عجيب المعنى لفاظاً بالقرآن متمكّناً من اللسان ، وقد قرأ بالسبعة من عدة وجوه ، وقرأ بالشواذ وعليه قرأ بالشواذ أبو الحسين بن أبي بلال البندار ، وهو ألّف قراءة علي بن حسن أحسنَ تأليفٍ وصنّفها أتقنَ تصنيف . ومن رجال علي بن الحسن أبو العباس المعروف بابن المزرفي المخزومي الخراز ، وكان أحد الأبدال الزهاد .

وختم عليه خلقٌ عظيم منهم أبو الحسن ابن السمسماني المعدل .

- 734 -

علي بن الحسن ، يلقب بابن الماشطة الكاتب ، يكنى أبا الحسن : ذكره محمد بن إسحاق وقال : يلقب بابن الماشطة ظلماً ، كان في أيام المقتدر ، وله صناعة في الخراج وتقدم في الحساب ، وله من التصانيف : كتاب جواب المعنت . كتاب الخراج لطيف . كتاب تعليم نقض[2] المؤامرات .

---

733 - طبقات ابن الجزري 1 : 530 (رقم 2189) .

734 - الفهرست : 150 وفيه « ولقبه المظلوم بابن الماشطة » وفي تعليقات مرغوليوث أن « المظلوم » هو الخليفة المقتدر .

(1) محمد بن الحسن بن يونس الهذلي مقرىء ثقة مشهور ، توفي سنة 332 (ابن الجزري 2 : 125 - 126) .

(2) الفهرست : بعض .

قال المرزباني : أبو الحسن علي بن الحسن بن الماشطة الكاتب أحد مشايخ الكتـاب المتصرفين في أعمال السلطان ، العالمين بأمور الكتبة والخراج ، ورأيته شيخاً كبيراً بعد العشر والثلاثمائة وجاوز التسعين ، وقال :

إذا عمـر الإنسـانُ تسعين حجـةً ... فـأبلغْ به عمـراً وأجـدرْ بـه شكـرا
لأنَّ رسـول اللّه قـد قـال معلنـاً ... ألا إنَّ ربـي واعـدٌ مـثـله غـفـرا

وقال وكان قد عزل عن عمل كان إليه وحبس :

قالوا حُبستَ فقلتُ الحبسُ لا عَجَبٌ ... حَبسُ الكرامة لا حبسُ الجنـاياتِ
حبس العمـالة بعـد العزلِ عـادتنا ... ريث التتبـع أو رفـع الجمـاعـاتِ

وله :

إذا ضاق صدري بالحديث أفضته ... إلى الأخ والإخوان كي أجد الرشدا
فـان كتمـوه كـان حـزمـاً مؤيـداً ... وان أظهـروه لم أخنْ لهمُ عهـدا
وقلت اشتركنا في الخـطايا بـذكره ... فـألـزمتهـا نفسي لأنَّ لهـا المبـدا

قال أبو علي التنوخي : حدثني أبو الحسين علي بن هشام ، سمعت علي بن الحسن الكاتب المعروف بابن الماشطة ، وهو صاحب الكتاب المعروف بـ « جواب المعنت » في الكتابة ، وعاش حتى بلغ مائة سنة ، وكان قد تقلد مكان أبي في أيام حامد لما غلب عليّ بن عيسى على الأمور ، قال : سمعت الفضل بن مـروان وزير المنتصر باللّه ابن المتوكل وذكر خبراً .

وقال في موضع آخر(1) : حدثني أبو الحسن الكاتب المعروف بابن الماشطة ، وكان يتقلّد قديماً العمالات ، ثم صار من شيوخ الكتاب ، وتقلد في أيام حـامد بن عباس ديوانَ بيت المال .

(1) نشوار المحاضرة 8 : 17 (وفيه تمام القصة الذي حذفه ياقوت استغناء) .

ـ 735 ـ

علي بن الحسن بن محمد بن يحيى : يعرف بعلّان المصري ، ذكره أبو بكر الزبيدي في كتابه فقال : كان نحوياً من ذوي النظر والتدقيق في المعاني ، وكان قليل الحفظ لأصول النحو ، فإذا حفظ الأصل تكلّم عليه فأحسن وجوَّد في التعليل ودقق القول ما شاء ، مات في شوال سنة سبع وثلاثين وثلاثمائة .

ـ 736 ـ

علي بن الحسن بن حبيب اللغوي ، أبو الحسن الصقلي : ذكره ابن القطاع فقال : أحد رجال اللغة المعدودين والعلماء بها المبرّزين ، وممن تناول المدى البعيد بقرب فهم ، وأوضح المبهماتِ بنور علم ، وكان مضطلعاً بنقد الشعر ومعانيه ، ناهضاً بأعباء الغريب ومبانيه ، فمن شعره قوله :

أهابُ الكأس أشربها وإني ... لأجرأ من أسامةَ في النزالِ
أراوغها مراوغةً كأنّي ... ألاقي عند ذاك شبا العوالي

ـ 737 ـ

علي بن الحسن بن حسول ، أبو القاسم : من كلام ابن حسول رقعة كتبها إلى الصاحب ابن عباد يسترضيه في شيءٍ وجده عليه : مولانا الصاحب الأجلّ كافي الكفاة كالبحر يتدفّق ، والعارض يتألّق ، فلا عَتْبَ على من لا يُرْويه سَيْبُ غواديه أن يستشرفَ للرائحاتِ الرواعدِ من طَوْلِهِ فيشيمَ بوارقها ويستمطر سحابها ، والله تعالى يديمُ إحياءَ الخلق بِصَوْبِ حَيائه ، وَدِيَمِ أنوائه ، المنهلّة من فتوقِ سمائه ، وكان غاية

---

735 ـ طبقات الزبيدي : 222 وبغية الوعاة 2 : 157 .

736 ـ سمّاه القفطي في إنباه الرواة 2 : 255 علي بن حبيب ؛ وكنيته في بغية الوعاة 2 : 155 أبو الفضل (مع أنه ينقل عن ياقوت) وقد وردت ترجمته نقلاً عن الدرة الخطيرة في المنتخل من الدرة لأبي إسحاق ابن أغلب (الترجمة التاسعة عشرة) .

737 ـ انظر ترجمة ابنه في تتمة اليتيمة 1 : 107 «محمد بن علي بن الحسين» ففيها ذكر لأبي القاسم وبعض نثره .

ما رجّاه خادمه وتمنّاه أنْ يَسْلَم على بلايا أحدقت به ، ومنايا حَدَّقَتْ إليه ، وأجلٍ نازلَ أمله ، وسيفٍ صقيل تلمَّظَ له ، وحين كفاه مولانا من ذلك ما كفاه آخذاً بيديه ، وباسطاً جناحَ رحمته عليه ، طالبته نفسُهُ بتوقيعه العالي ، ليتوقَّى به وقائعَ الليالي ، فتصدقَ أدام اللّه تمكينه عليه بتوقيعين في مدة أسبوعين ، أنقذاه مغموراً ، وأنشراهُ مقبوراً ، وقد أبطرتْهُ الآن النعمةُ ، وَنَزَتْ به البِطْنة ، وأطْمعَتْهُ في توقيعٍ ثالثٍ فطمع وأصدر كتابه هذا وانتظر ، فإن رأى مولانا أن يحقِّقَ رجاءَهُ ، ويستغنمَ دعاءه ، ودعاءَ مَنْ وراءه ، فعل إن شاء اللّه عز وجل .

فوقّع الصاحب على ظهرها : سيدي أبو القاسم أيده اللّه قدَّمَ حُرْمةً وأتبعَ عثرةً وأظهر إنابة فاستحقَّ إقالةً فعاد حقُّه طريّاً كأن لم يخلق ، وظنُّهُ قوياً كأن لم يُخْفِقْ ، ولو حضر لأظهرتُ مِيسَمَ الرضى عليه ، بما أصرفه من مزيد البسطة إليه ، وإذ قد غبت فأنت لي يدُ حقٍّ ولسانُ صدق ، فَنُبْ في ذلك مناباً يمحو آثارَ السَّخَط حتى كأنْ لم تشهد ، وَيَرْحَضُ أخبارَ العتبِ كأن لم تُعْهَدْ ؛ هذا وأحسب توقيعي كافياً فيما أمّله ، ومغنياً فيما أناله أمله ، إن شاء اللّه عزَّ وجل .

ـ 738 ـ

علي بن الحسن القهستاني ، أبو بكر العميد : أحد من أشرقت بنورِ الآدابِ شمسه ، وتقدم ـ وإن تأخر زمانُهُ ـ بالفضل يومُهُ وأمسه ، وسما بفضل أدبه كُلَّ أفاضلِ جنسه ، مشهورٌ في أهل خراسانَ مذكورٌ معروف بينهم لا يُجْهَلُ قدره ، ولا يُطْمَسُ بدره . وكان قد اتصل في أيام السلطان محمود بن سبكتكين بولده محمد بن محمود[1] في أيام أبيه لما قلده الخوزستان[2]، وكان يميل إلى علوم الأوائل ويدمن النظر

738 ـ علي بن الحسن القهستاني : التقى به الباخرزي سنة 435 وهو على اشراف خراسان ومدحه (انظر الدمية 2 : 778 ـ 791) .

(1) تولى السلطنة سنة 432 وكان لقبه جلالة الدولة وخطب له من أقاصي الهند إلى نيسابور ثم خالفه أخوه مسعود ، وتحارب الأخوان ، وبعد وفاة مسعود قام ابنه مودود وقتل عمه محمداً (في السنة نفسها) .

(2) ك : الجوزجان .

في الفلسفة ، فَقُدِحَ في دينه وَمُقِتَ لذلك . وكان كريماً جواداً ممدَّحاً ، ولي الولايات الجليلة ، وله أشعارٌ فائقة ورسائل رائقة . وكانَ كثيرَ المزاح راغباً في اللهو والمراح ، له في ذلك خاطرٌ وقَّاد وحكاياتٌ متداولة ، وقد دُوِّنَتْ رسائله وشاعت فضائله ، وكان يُدْمِنُ المزاح حتى في مجلس نظره ، وكان يعاتَبُ على ذلك فلا يدعه لغلبة طبعه عليه ، وكان قد تولّى العرض ، فجرى يوماً بين يديه في مجلس العرض ذكر المعمَّى فقال : قد كان عندي البارحة جماعة ـ سماهم ـ من أهل الأدب فألقيتُ عليهم مثالاً يصعبُ استخراجُ مثله فوقفوا فيه وهو :

مليحةُ القدِّ والأعطافِ قد جَعَلَتْ ... في الحِجْرِ طفلاً له رأسان في جسدِ
قد ضيقتْ منه أنفاسَ الخناقِ بلا ... جرمٍ وتضربُهُ ضرباً بلا حَرَدِ
فتسمعُ الصوتَ منه حين تضربه ... كأنه خارجٌ من ماضغ الأسدِ

ثم قال : لقد ساءني والله فلان ـ لرجل أسماه ـ إذ لم يفهم هذا القدر ، فقال له غلام أمرد من أولاد الكتاب كان يتعلّم في ديوانه : قد عرفتُ ـ أطال الله بقاءَ الشيخ العميد ـ هذا المعمَّى ، وهو الطبل ؛ فقال له مبادراً ، كأنه كان قد أعدّ له ذلك : عهدي بك تستدخلُ الأعور فكيف صرتَ تستخرجُ الأعمى ؟! فخجل الغلام وضحك الحاضرون .

قال ابن عبد الرحيم : وحدثني أبو الفضل قال : بلغني أن القهستاني أنشد مرة بحضرةِ السلطان محمد بن محمود بيتاً من المعمَّى فلم يعرفه هو ولا ندماؤه وهو :

دقيقةُ الساقِ لا عروقَ لها ... تدوسُ رزقَ الورى بهامتها

فقال له محمد : ما نفهمُ هذا ولا نعرفُ شيئاً يشبهه فَفَسِّرْهُ . قال : هو مغرفة الباقلاني ، يغرفُ بها الماء ، ويهشم برأسها الخبزَ والثريد وهو رزق الورى . فاستبرده وثَقُلَ عليه عَدَمُ فهمه له ، وهو لعمري مستبرَدٌ حقيقةً .

قال : وحدثني أن هذا الرجل كان يتميز على أهلِ خراسانَ بحسن الأخلاق والسخاء ، وكثرةِ المعروفِ والعطاء ، وكان الشعراءُ يقصدونه دائماً لما اشتهر من سماحته وفائِضِ مروءته ، فأنشده بعضُ الشعراء قصيدةً باردةً غيرَ مرضيّة ، فغفل عنه

وأخّر صلته ، فكتب بيتين في رقعةٍ وسأل الدواتي أن يتركها في دواته ففعل ، وكان البيتان :

أبا بكرٍ هجوتك لا لطبعي فطبعي عن هجاءِ الناس نابي
ولكنّي بلوتُ الطبعَ فيه فإن السيفَ يُبْلَى في الكلابِ

فوقعت بيد العميد بعد أيام ، فلما وقف عليها استحسنها ، وسأل الدواتي عن الرجل فعرَّفه إياه ، فأمر بطلبه ، فقيل له إنه سافر ، فأرسل خلفه من استعاده من عدَّة فراسخ ، فلما دخل إليه قام له وأكرمه وتلقاه بالاجلال وقال : لو كان مديحك كهجائك لقاسمتك نعمتي ، فإني ما سمعتُ بأحسنَ من هذين البيتين ، ووصله وأحسن جائزته ، فاستجرأ الناسُ عليه وقالوا إنه لا يثيب إلا على الهجاء.

قال : وكان أبو بكر القهستاني لهجاً بالغلمان شديدَ الميل إليهم ، وكان لمحمد بن محمود سبعمائة غلام في خيله ، فعلق العميدُ أحدَهم وأحبه حباً مفرطاً ، ولم يستجرىء أن يبديَ ذلك لما فيه من سوءِ العاقبة ، فاتفق أن عاد الغلمان يوماً من بعض المتصيَّدات ، فلقيهم العميد في صحن الدار فسلَّموا عليه ، وقرب ذلك الغلام منه ، وكان قد عرف ميله إليه ، فقرص فخذه ، وكان محمد مشرفاً عليهم ينظر إلى ذلك ، فنزل واستدعى الخدم وأمرهم بضربه فضربوه ضرباً مُسْرِفاً ، ثم أنفذه إلى العميد وقال له : قد وهبناه منك وصفحنا عن ذنبك ، فلو لم يساعدك هذا الفاجر على ذلك لما أمكنك فعله ، ولكن لا تعدْ إلى مثل هذا ، فاستحيا العميد وقال : هذا أعظمُ من الضربِ والأدب ، وتأخر عن داره حياءً ، فأنفذ محمد واستدعاه وبسطه حتى زال انقباضه ، وكان محمد لا رأي له في الغلمان ولا ميلَ عنده إليهم ، وكان لمعرفته بمحبة العميد لهم لا يزال يهبُ منه واحداً بعد واحد . وشكا الخدم إلى محمد أن بعض الغلمان الدارية يمكِّن باقي الغلمان من وطئه ولا يمتنعُ عليهم من الغَشَيان ، فقال : أيفعلُ هذا طبعاً أم يَسْتَجْعِلُ عليه ؟ فقالوا : بل يستجعل عليه ، فتقدم باخراجه وإنفاذه الى العميد وقال : قولوا له هذا بك أشبه لا بنا فخذه مباركاً لك فيه .

وقال أبو بكر العميد في الميمندي(1) وزير محمود :

(1) الميمندي الوزير اسمه عبد الرزاق بن أحمد أبو الفتح .

ولقــد سئمتُ من الــوزيـــــــرِ ومــن ذويــه زائــدَهْ
وغــسلتُ مــن معــروفـهم كــلتــا يــديَّ بــواحــدهْ
وضــربتهم عُــرْضَ الجــدا رِ فــليس فـيـهـم فــائــدهْ

ومن مشهور قوله :

ومعقــربِ الأصــداغ فــي خَــدَّيْـهِ وردٌ يــنــتــشــرْ
لاعــبتُــهُ بــالـكـعـبتـيــــــن مسـامحاً حتى قَمَــرْ
فــازداد حــسنــاً وجـهُــهُ لمــا رأى حُسْنَ الــظفــرْ
فـنعــرتُ نـعــرةَ عــاشقٍ قَمَــرَ القَمَـرْ قمــر القمرْ

وله :

ومقرطقٍ في صحنِ غُرَّةِ وجهه مُتَصَرفُ صرف الجمال وتحتهُ
عــاقـرتــه أَسْكَــرْتُــهُ قبلتــه جَــدَّلتــه فَقَّحتــه سَــرَّحْتُــهُ

وله من أبيات كان يغنى بها في حضرة الأمير محمد بن محمود :

قــم يــا خليـلي فــاسـقـنـي كشعــاع خــدِّك من شــرابِ
فـلقــد يـمــرُّ الـعـيشُ مـنــــــقــرضـاً ولا مــرَّ السحــابِ
فـانعم بعيشـكَ مــا استـطعــــــتَ ولا تُضِـعْ شرخَ الشبـابِ
فـلكم أضـعـتُ مـن الـشـيــا ب وما استفدتُ سوى اكتئابِ

قال ابن عبد الرحيم : ثم ورد العميدُ إلى بغداد في أوائل سني نيف وعشرين وأربعمائة ، ومدح أمير المؤمنين القادر بالله والأجلَّ عميدَ الرؤساء أبا طالب ابن أيوب كاتبه ، ثم خرج من بغداد وبلغني الآن في سنة خمس وثلاثين أنه اتصل بـالملوك السلجوقية الغُزِّ المتملكين على خراسان وخوارزم والجبل ، وأنهم عرضوا عليه الخدمَ الجليلة ، فاختار منها ما يظنُّ معه سلامةَ العاقبة والخلاصَ من التبعة .

ومن قصيدته في القادر :

ولم يــرني ذو منــةٍ غيــرُ خــالـقي وغـيــرُ أميــرِ الـمؤمـنيـن بـبــابِــهِ
غنيــاً بــلا دنيــا عن الخلقِ كـلهمْ وان الغنـى إلا عن الـشيءِ لا بــهِ

ومما بلغني من شعره :

رأيت عمَّاراً ولو لم أرهْ حاز لتلك الطلعة المنكرَهْ
لا أحمدُ اللّه على خلقه فلو أراد الحمدَ ما صوَّرَهْ

وله يهجو ابن كثير العارض :

فلسنا نرجّي الخير من إبنِ واحدٍ فكيف نرجّيه من ابن كثيرِ

وله فيه :

* وطُولٌ بلا طَوْلٍ وعَرْضٌ بلا عِرْضِ *

وهجاه بأبيات تصحف :

مالي وهذا العارض ابن كثيرٍ الشيخ العميد وما له يشناني
وهو الفؤاد بروحه وأحبّه ويتيه أين رأيته ورآني
ويغضُّ من قدري ويخملُ جاهداً ذكري ويخفي في الجنان جناني

يريد في الختان ختاني .

ـ 739 ـ

علي بن الحسن بن الوحشي النحوي الموصلي أبو الفتح : قال السلفي : أنشدني أبو الفرج هبة اللّه بن محمد بن المظفر بن الحداد الكاتب بثغر آمد ، قال : أنشدني ابن الوحشيّ النحوي لنفسه :

أبكي على الربع قد أقوى كأنّيَ من سكانِهِ أو كأنْ ما زلتُ أعمُرُهُ
لا تَلْحَني في بكائِهِ فساكنُهُ لم ألفه هاجري يوماً فأهجرهُ

739 ـ ترجمة ابن الوحشي الموصلي في إنباه الرواة 2 : 247 وبغية الوعاة 2 : 157 (وهو ينقل عن ياقوت) .

- 740 -

علي بن الحسن بن علي بن أبي الطيب الباخرزي السنخي أبو الحسن : - وقال أبو الحسن البيهقي : كنية الباخرزي أبو القاسم وهو الصحيح ؛ وباخرز من نواحي نيسابور - ذكره العماد الكاتب في « الخريدة » فقال : وهو الذي صنّف « كتاب دمية القصر في شعراء العصر » . قال : وطالعتُ هذا الكتابَ بأصفهان في دار الكتب التي لتاج الملك بجامعها وبعثني ذلك على تأليف كتابي هذا - يعني كتابه الذي نقلت هذا منه وسماه « خريدة القصر في شعراء العصر » . قال : ومات في سنة سبع وستين وأربعمائة قال : قُتِلَ في مجلس أُنسٍ بباخرز وذهب دمه هَدَراً . قال : وكان واحدَ دهره في فنه ، وساحرَ زمانه في قريحته وذهنه ، صاحب الشعر البديع ، والمعنى الرفيع ، وأثنى عليه قال : ولقد رأيتُ أبناءَ العصر بأصفهان مشغوفين بشعره ، متيمين بسحره ، وورد إلى بغداد مع الوزير الكندري[1] ، وأقام بالبصرةِ برهة ، ثم شرع في الكتابة معه مدة ، واختلف إلى ديوان الرسائل ، وتنقّلَتْ به الأحوال في المراتب والمنازل ، وله ديوان كبير .

ومما أورده في « دمية القصر » لنفسه :

ولقد جذبتُ إليَّ عقربَ صُدْغِهَا ... فوجدتها جَرَّارةً مجرورَهْ
وكشفتُ ليلةَ خلوةٍ[2] عن ساقها ... فرأيتها مكّارةً ممكورهْ

---

740 - ترجمة الباخرزي في الأنساب 2 : 17 واللباب (الباخرزي) وعبر الذهبي 3 : 265 وسير الذهبي 18 : 363 وذيل تاريخ بغداد 17 : 295 وابن خلكان 3 : 387 والمستفاد من ذيل تاريخ بغداد : 185 وطبقات السبكي 5 : 256 والأسنوي 1 : 234 والشذرات 3 : 327 والبداية والنهاية 12 : 112 ومرآة الجنان 3 : 95 والنجوم الزاهرة 5 : 99 ؛ وقد نشر كتابه « دمية القصر » بتحقيق د. محمد التونجي ، وحقق مرة أخرى بمصر ومرة ثالثة بالعراق ، وللدكتور التونجي كتاب بعنوان : الباخرزي حياته وشعره .

(1) هو أبو نصر عميد الملك الكندري ، أصبح في سلطنة طغرلبك وزيراً متمكناً ، وقد عزل حين ولي الوزارة نظام الملك ؛ وكان الباخرزي شريكه في مجلس الإمام الموفق النيسابوري (أخبار الدولة السلجوقية : 23) .

(2) م : جلوة .

قال ومما أنشدت من شعره قوله :

زكاةُ رؤوسِ الناسِ في عيد فطرهم بقولِ رسولِ الله صاعٌ من البُرِّ
ورأسُكِ أَغْلَى قيمةً فتصدَّقي بفيكِ علينا فهو صاعٌ من الدرّ

وقال في عذار غلام يكتب خطاً مليحاً :

قد قلتُ لما فاق خطُّ عذارِهِ في الحسن خطَّ يمينه المستملحا
من يكتبِ الخطَّ المليحَ لغيره فلنفسه لا شكَّ يكتبُ أملحا

وله :

قالوا التحى ومحا الإله جمالَهُ وكساهُ ثوبَ مذلةٍ وَمُحاقِ
كتب الزمانُ على محاسنِ خدِّهِ هذا جزاء معذِّبِ[1] العشاقِ

وله[2] :

ما أنت بالسبب الضعيفِ وإنما نُجْحُ الأمورِ بقوةِ الأسبابِ
فاليومَ حاجتنا إليك وإنما يُدْعَى الطبيبُ لكثرةِ الأوصابِ

وله :

يروقك بشراً وهو جذلانُ مثلما تخافُ شباهُ وهو غضبانُ مُحْنَقُ
كذا السيفُ في أطرافه الموتُ كامنٌ وفي متنه ضوءٌ يروقُ ورونقُ

وله :

قالتْ وقد ساءلتُ عنها كلَّ مَنْ لاقيتُهُ من حاضرٍ أو بادي
أنا في فؤادك فارمِ طرفَكَ نحوَهُ تَرَني فقلتُ لها وأينَ فؤادي

وقال يصف الشتاء والبرد :

لبس الشتاءُ من الجليدِ جلودا فالبس فقد برد الزمانُ برودا
كم مؤمنٍ قرصته أظفارُ الشتا فغدا لأصحاب الجحيم حسودا

---

(1) م : معزب .

(2) في حاشية ك : هذان البيتان للزبير بن بكار يقولهما للفتح بن خاقان ، وانظر مقدمة الأخبار الموفقيات : 16 .

وترى طيورَ الماءِ في أرجائها تختار حَرَّ النارِ والسفّودا
فإذا رميتَ بسؤر كأسك في الهوا عادتْ عليكَ من العقيق عقودا
يا صاحبَ العودين لا تهملهما حَرِّقْ لنا عوداً وحرِّكْ عودا

ومن غير « كتاب الخريدة » مما روي له :

إنسان عيني قطّ ما يرتوي من ماءِ وجهٍ مَلُحَتْ عَيْنُهُ
كذلك الإنسانُ ما يرتوي من شُرْبِ ماءٍ ملحت عينه

قال السمعاني : ولما ورد إلى بغداد مدح القائم بأمر اللّه بقصيدته التي صدّرها ديوانه ، وهي :

عشنا إلى أن رأينا في الهوى عجبا كلَّ الشهور ، وفي الأمثالِ «عِشْ رَجبا»
أليس من عَجَبٍ أني ضحى ارتحلوا أوقدتُ من ماءِ دمعي في الحشا لهبا
وأنّ أجفانَ عيني أمطرتْ ورقاً وأن ساحةَ خدّي أنبتت ذهبا
وإن تلهَّبَ برقٌ من جوانبهمْ توقَّدَ الشوقُ في جنبيَّ والتهبا

قال : فاستهجن البغداديون شعره وقالوا : فيه برودة العجم ، فانتقل إلى الكرخ وسكنها وخالط فضلاءها وَسُوقَتَها مدة ، وتخلَّقَ بأخلاقهم واقتبس من اصطلاحاتهم ، ثم أنشأ قصيدته التي أولها :

هَبَّتْ عليَّ صبا تكادُ تقولُ إني إليكَ من الحبيب رسولُ
سكرى تجشَّمَتِ الربى لتزورني من علَّتي وهبوبها تعليلُ

فاستحسنوها وقالوا : تغير شعره ورقَّ طبعه .

ومن شعره :

حملُ العصا للمبتلَى بالشيبِ عنوانُ البلى
وُصِفَ المسافر أنه ألقى العصا كي ينزلا
فعلى القياس سبيلُ مَنْ حمل العصا أنْ يرحلا

وذكر أبو الحسن ابن أبي القاسم زيد البيهقي في كتاب « مشارب التجارب » و « أخبار الوزير أبي نصر محمد بن منصور الكندري » ـ وكندر قرية من أعمال

طريثيث ـ قال[1] : كان الشيخ علي بن الحسن الباخرزي شريكه في مجلس الإفادة من الإمام الموفق النيسابوري في سنة أربع وثلاثين وأربعمائة فهجاه الشيخ علي بن الحسن فقال مداعباً :

أقبل من كُنْدُرٍ مُسَيْخِرَةٌ ... للنحس في وجهه علاماتُ
يحضر دارَ الأميرِ وهو فتى ... موضعُ أمثاله الخراباتُ
فهو جحيمٌ وَدُبْرُهُ سعةً ... كجَنَّةٍ عَرْضُها ٱلسَّمَاوَاتُ

قال : وكان أول عمل الكندري حجبة الباب ، ثم تمكن في مدة أيام السلطان طغرلبك وصار وزيراً محكّماً ، فورد عليه الشيخ علي بن الحسن وهو ببغداد في صدر الوزارة في ديوان السلطان ، فلما رآه الوزير قال له : أنت صاحب « أَقْبَلَ » ؟ فقال له : نعم ، فقال الوزير : مرحباً وأهلاً فإني قد تفاءلت بقولك « أقبل » ، ثم خلع عليه قبل إنشاده وقال له : عد غداً وأَنْشِدْ ، فعاد في اليوم الثاني وأنشد هذه القصيدة[2] :

أَقْوتْ معاهدهم بشطِّ الوادي ... فبقيتُ مقتولاً وشطَّ الوادي
وسكرتُ من خمر الفراق وَرَقَّصَتْ ... عيني الدموعَ على غناء الحادي

منها :

في ليلةٍ من هجره[3] شتويةٍ ... ممدودةٍ مخضوبةٍ بمدادِ
عقمت بميلادِ الصباح وإنها ... في الإمتدادِ كليلة الميلادِ

منها :

غرَّ الأعاديَ منه رونقُ بِشْرِهِ ... وأفادهم برداً على الأكبادِ
هيهات لا يَخْدَعْهُمُ إيماضُهُ ... فالغيظُ تحت تبسُّم الآسادِ
فالبهو منه بالبهاءِ موشّحٌ ... والسَّرْجُ منه مُورقُ الأعوادِ
وإذا شياطين الضلالِ تمردوا ... خلّاهمُ قرناءَ في الاصفادِ

(1) ذيل تاريخ بغداد 17 : 296 .
(2) الأبيات في أخبار الدولة السلجوقية : 24 .
(3) ك : هجرها .

فلما فرغ من إنشاد هذه القصيدة قال عميد الملك لأمراءِ العرب : لنا مثله في العجم فهل لكم مثله في العرب ؟ ثم أمر له بألف دينار مغربية[1] .

قال : وكان السلطان طغرلبك قد بعث وزيره الكندري وكيلاً في العقد على بنت خوارزمشاه ، فوقع إرجاف ، وَرُفِعَ إلى السلطان أن عميد الملك زَوَّجَها من نفسه وخان ، وكان من أمرهما ما كان ، فتغير رأيُ السلطانِ عليه فحلق عميدُ الملكِ لحيته وجبَّ مذاكيره حتى سَلِمَ من سياسة السلطان ، فمدحه الشيخ علي بن الحسن بهذا النقصان ، وما سبقه بهذا المعنى أحدٌ حيث قال[2] :

قالوا محا السلطانُ عنه بعدكم سِمةَ الفحولِ وكان قَرْماً صائلا
قلتُ اسكتوا فالآن زاد فحولةً لما اغتدى عن أنثييه عاطلا
فالفحلُ يأنف أن يُسَمَّى بعضُهُ أنثى لذلك جَذَّهُ مستاصلا

ولما قتل السلطان الب ارسلان الوزير أبا نصر الكندري قال الباخرزي يخاطب السلطان[3] :

وعمُّكَ أدناهُ وأعلى محلَّه وبوَّأَهُ من ملكه كنفاً رحبا
قضى كلُّ مولى منكم حقَّ عبده فخوَّله الدنيا وخوَّلْتَهُ العقبى

قال المؤلف : وهذا معنىً لطيف ، ومقصد ظريف ، فللّه در الشعراء وقرائحهم ، والأدباء ومنائحهم .

قال البيهقي : ومن العجائب أن آلات تناسلِ الكندري مدفونة بخوارزم ، ودمه مصبوبٌ بمرو الروذ ، وجسده مقبورٌ بقريةِ كندر من طريثيث ، وجمجمته ودماغه مدفونان بنيسابور ، وشواته محشوَّة بالتبن وقد نقلت إلى كرمان فدفنت هناك .

وقال علي بن الحسن الباخرزي في ذلك :

مفترقاً في الأرض أجزاؤه بين قرىً شتى وبلدانِ

(1) كذا في م ك ، ولعل الصواب « معزية » كما رجح مرغوليوث .
(2) ابن خلكان وأخبار الدولة السلجوقية : 24 .
(3) أخبار الدولة السلجوقية : 26 .

جَبٌّ بخوارزم[1] مذاكيرُهُ طُغْرُلُ ذاك الملكُ الفاني
ومصَّ مرو الروذ من جيده معصفراً يخضبها قاني
والشخصُ في كندر مستبطَنٌ وراءَ أرماسٍ وأكفانِ
ورأسه طارَ فلهفي على مَجْثِمِهِ في خيرِ جثمانِ
خَلَّوا بنيسابور مضمونَهُ وقحفَهُ الخالي بكرمانِ
والحكم للجبار فيما مضى وَكُلَّ يَوْمٍ هُوَ في شانِ

وقال من قصيدة له فائقة يمدح فيها الشريف السيد ذا المجدين أبا القاسم علي بن موسى بن إسحاق بن الحسين بن إسحاق بن موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليهم السلام نقيب الطالبيين بمرو ـ وفيها ما يدل على أن كنية الباخرزي أبو القاسم ـ أولها :

حبا لك من تحتِ ذيل الحبى شعاعٌ كحاشيةِ المشرفي

يقول فيها :

وسقتَ السركائبَ حتى أنخْنَ بِسَبْطِ الأنامل سِبْطِ النبي
عليِّ بن موسى مُواسي العفاةِ أبي القاسم السيد الموسوي

ومنها :

نماه الفخارُ إلى جدِّه عليٍ ففاز بجدِّ علي
ولا يتأشبُ عيصُ السريِّ إذا هو لم يكن ابنَ السري
أبا قاسمٍ يا قسيمَ السخاء إذا جفَّ ضَرْعُ الغمام الحبي
وفدتُ إليك مع الوافدين وُفودَ البشارةِ غِبَّ النعي
وزارك مني سميٌّ كنيٌّ فراعِ حقوقَ السمي الكني
فهاكَ القصيدةَ بكراً تصلُّ على نحرها حَصَياتُ الحلي

(1) اقرأ « بخارزم » بحسب النطق الفارسي .

جعلتُ هـداكَ(1) جهـازاً لهـا ... فجـاءتـك مـائسـةً كـالهـدي
سحـرتُ بهـا ألسنَ السـامـرين ... ولم أتـركْ السحـرَ للسـامـري
ولـمـا نـشـرتُ أفـاويـقَـهـا ... طـوى النـاسُ ديباجـةَ البحتـري

وقرأت بخط أبي سعد لأبي القاسم الباخرزي وكنّاه أبا الحسن(2) :

يـا فـالقَ الصبـح من لألاءِ غُـرَّتِـهِ ... وجـاعلَ الليـلِ من أصداغِـهِ سكنـا
لاغروَ أن أحرقت نارُ الهوى كبـدي ... فـالنـار حقٌّ على من يعبـدُ الـوثنـا

وأنشد له وكناه أبا القاسم :

كتبتُ وخطي حاشَ وجهـك شاهـدٌ ... بـأن بنـاني من أذى السقم مُـرْتَعِشْ
ونفسيَ إنْ تـأمـرْ تعشْ في سـلامـةٍ ... فـأهدِ لهـا منـكَ السـلام ومُـرْ تَعِشْ

ـ 741 ـ

علي بن الحسن بن علي بن صدقة ، الوزير بن الـوزير أبـو الحسن بن أبي علي : لم يستقلَّ بالوزارة إنما ناب عن أبيه ، وكان أبوه وزير المسترشد ، وكان في أبيه كفايةٌ وشهامة ، وهو أول من ولي الوزارة من بني صـدقة ، وكـان أبوه يلقب جـلال الدولة(3) ، وهو يلقب شرف الدولة . ولما مات جـلال الدولـة دخل ابن الأقفـاصي الشاعر الموصلي إلى قبره وقال وهو يبكي :

نـزورك في ثَـوْبَيْ خشـوعٍ وَذِلَّـةٍ ... كأنك تُـرْجَى في الضريـح وَتُرْهَبُ

---

741 ـ ترجمة الوزير ابن صدقة في ذيل تاريخ بغداد 17 : 304 وفيه أن وفاتـه كانت سنـة اثنتين وخمسين وخمسمائة ؛ وفي ترجمة الوزير أبيه الحسن بن علي بن صدقة انظر الفخري : 269 ـ 271 (وكانت وفاته سنة 522) والمنتظم 10 : 9 والشذرات 4 : 66 .

(1) م : هواك .
(2) البيتان في ابن خلكان وطبقات الشافعية .
(3) ورد في ر بعض المصادر أن لقبه « جلال الدين » ، انظر عبر الذهبي 4 : 51 .

ونلثم تــربــاً من رفيــع محجَّبٍ كمـا يُلْثَمُ البيتُ الرفيـع المحجّبُ
وَتُـرْثَى بما قـد كنتَ ممتـدَحـاً بـه فيحـزننا منـك الذي كـان يـطربُ

ومات جلال الدولة في جمادى الآخرة سنة اثنتين وعشرين وخمسمـائة .

وأما شرف الدولة فقال السمعاني في « تاريخه » : هـو عزيز الفضل وافر العقل ، له معرفة تامة باللغة ، حسن الخط مليحه ، ديّنٌ خيّرٌ مشغولٌ بالعبادةِ والعزلة ، سمع بقراءتي بمكة والمدينة وبغداد على المشايخ : سمع أبا القاسم الربعي ، كتبت عنه وسألته عن مولده فقال : في محرم سنة تسع وتسعين وأربعمائة .

قلت أنا : وهو الذي بنى الرباط المعروف برباط الدرجة على دجلة بالجانب الغربي واعتزل فيه مع جماعة من الفقراء وترك الولايات إلى أن مات ، وهو صاحب الخط المليح المنسوب على طريقه علي بن هلال بن البواب ومات في سابع صفر سنة أربع وخمسين وخمسمائة .

ـ 742 ـ

علي بن الحسن بن عنتر بن ثابت المعـروف بشميم الحلي ، أبـو الحسن النحوي اللغوي الشاعر : مات في ربيع الآخـر سنة إحـدى وستمائـة ، أخبرني بـه العماد بن الحدوس العدل ، وبمنزله مات بالموصل عن سن عالية ، وهو من أهل الحلة المَزْيَدِيَّة ، قدم بغداد وبها تأدب ، ثم توجه تلقاءَ الموصل والشام وديار بكر ، وأظنه قرأ على أبي نزار ملك النحاة .

قال مؤلف الكتاب : وكنتُ قـد وردت إلى آمد في شهـور سنة أربـع وتسعين وخمسمائة فرأيت أهلها مطبقين على وصف هذا الشيخ ، فقصدته إلى مسجد الخضر

742 ـ ترجمة شميم الحلي في ذيل تاريخ بغداد 17 : 311 وإنباه الرواة 2 : 243 وابن خلكان 3 : 339 والبدر السـافـر ، الـورقـة : 13 والجـامـع المختصـر : 157 وذيـل الـروضتين : 52 وعبـر الـذهبي 5 : 2 والشذرات 5 : 4 والنجوم الزاهرة 6 : 188 وبغية الوعاة 2 : 156 (وفيه نقل عن ياقوت) . وقد نقل القفطي حكاية رواها ياقوت نفسه عن شميم الحلي (إنباه 2 : 244) لم ترد هنا .

ودخلت عليه فوجدته شيخاً كبيراً قضيفَ الجسم في حجرة من المسجد ، وبين يديه جامدان مملوء كتباً من تصانيفه فحسْبُ ، فسلمتُ عليه وجلستُ بين يديه ، فأقبل عليَّ وقال : من أين أنت ؟ قلت : من بغداد . فهشَّ بي وأقبل يسائلني عنها وأخبره ، ثم قلت له : إنما جئتُ لأقتبسَ من علوم المولى شيئاً ، فقال لي : وأيَّ علمٍ تحبّ ؟ قلت له : أحبُّ علومَ الأدب ، فقال : إن تصانيفي في الأدب كثيرة ، وذاك أن الأوائل جمعوا أقوالَ غيرهم وأشعارهم وبَوَّبُوها ، وأنا فكلُّ ما عندي من نتائج أفكاري ، وكنتُ كلما رأيتُ النـاسَ مجمعين على استحسان كتـابٍ في نوع من الآداب استعملتُ فكـري وأنشأتُ من جنسه ما أَدْحَضُ به المتقدم ، فمن ذلك أن أبا تمام جمع أشعار العرب في حماسته وأنا فعملت حماسة من أشعاري وبنات أفكاري (ثم سَبَعَ أبا تمام وشتمه) ، ثم رأيتُ الناسَ مجمعين على تفضيل أبي نواس في وصف الخمر ، فعملت كتـاب الخمريات من شعري، لو عاش أبو نواس لاستحيى أن يَذْكُرَ شعرَ نفسِهِ لو سمعها. ورأيت الناس مجمعين على تفضيل خُطَب ابن نباتة ، فصنفت كتابَ الخطب فليس للناس اليوم اشتغال إلا بخطبي . وجعل يُزْري على المتقدمين ويصفُ ويجهِّل الأوائل ويخاطبهم بالكلب ، فعجبت منه وقلت له : فأنشدني شيئاً مما قلت ، فابتدأ وقرأ عليَّ خطبة كتاب الخمريات ، فعلق بخاطري من الخطبة قوله : « ولما رأيت الحكميَّ قد أبدع ولم يدع لأحد في اتباعه مطمعاً ، وسلك في إفشاء سرِّ صفات الخمرة [مَهْيعا] آثرت أن أجعل لها نصيباً من عنايتي مع ما أنني علم الله لم ألمم لها بلثم ثغر إثم ، مذ رضعتُ ثدي أمّ » أو كما قال . ثم أنشدني من هذا الكتاب .

امـزج بمسبـوكِ اللجينِ ... ذهباً حَكَتْهُ دمـوعُ عيني
لمـا نعى نـاعي الـفـرا ... ق ببين من أهـوى وبيني
كـانت ولم يُـقْـدَرْ لشـي ... ءٍ قبلهـا إيجـابُ كـونِ
وأحـالهـا التشبيـهُ لمـا ... شُبِّهَتْ بـدم الحسينِ
خَفَقَتْ لنـا شمسـان من ... لألائهـا في الـخـافقينِ
وبـدتْ لنا في كـاسهـا ... مـن لـونهـا فـي حُلَّتـينِ
فـاعجبْ هـداك الله من ... كَـوْنِ اتفـاق الضـرَّتـينِ

فـي لـيـلـةٍ بـدأ الـسـرو ... رُ بهـا يـطالبـنـا بـديـنِ
ومضى طـليقَ الـراح مَـنْ ... قـد كـان مغلولَ اليـديـنِ
هي زينـةُ الأحيـاء في الـ ... ـدنيـا وزينـةُ كـلِّ زيـنِ

فاستحسنت ذلك ، فغضب وقال لي : ويلك ما عندك غير الاستحسان ؟! قلت له : فما أصنع يا مولانا ؟ فقال لي : تصنع هكذا ، ثم قام يـرقص ويصفّق إلى أن تعب ، ثم جلس وهو يقول : ما أصنعُ وقد ابتليتُ ببهائمَ لا يفرّقون بين الدر والبعر ، والياقوت والحجر ؟! فاعتذرتُ إليه وسألته أن ينشدني شيئاً آخر ، فقال لي : قد صنفتُ كتاباً في التجنيس (سماه : أنيس الجليس في التجنيس) في مدح صلاح الدين لما رأيتُ استحسانَ الناس لقول البستي ، فأنا أنشدك منه ، ثم أنشدني لنفسه[1] :

لـيت مـن طـوَّل بـالـشـ ... ـام نـواهُ وثـوى بـهْ
جعـل العَـوْدَ إلى الـزو ... راءِ مـن بـعض ثـوابـهْ
أتـرى يـوطئـني الـدهـ ... ـرُ ثـرى مسـكِ تـرابـهْ
وأرى أيْ نـورَ عـيـنـي ... مـوطـنـاً لي وتُـرَى بـهْ

ثم أنشدني لنفسه في وصف ساقٍ :

قـل لي فـدتـك النفسُ قـل لي ... مـاذا تـريـدُ إذن بـقـتـلي
أأدرتَ خـمـراً فـي كـؤو ... سـك هـذه أم سـمَّ صِـلِّ

وأنشدني غير ذلك مما ضاع مني أصله .

ثم سألته عمن تقدم من العلماء فلم يحسن الثناءَ على أحد منهم ، فلما ذكرتُ له المعري نهرني وقال لي : ويلك كم تسيءُ الأدب بين يديّ ؟! مَنْ ذلك الكلبُ الأعمى حتى يُذكرَ بين يديَّ في مجلسي ؟! فقلتُ : يا مولانا ما أراك ترضى عن أحد ممن تقدَّم ، فقال : كيف أرضى عنهم وليس لهم ما يرضيني ؟ قلت : فما فيهم قط أحد جاء بما يرضيك ؟ فقال : لا أعلمه إلا أن يكونَ المتنبي في مديحه خاصة ، وابن نباتة في

---

(1) وردت الأبيات في بغية الوعاة وذيل تاريخ بغداد 17 : 313 .

خطبه ، وابن الحريري في مقاماته ، فهؤلاء لم يُقَصِّروا . قلتُ له : يا مولانا قد عجبتُ إذ لم تصنّف مقاماتٍ تدحضُ بها مقامات الحريري ، فقال لي : يا بني اعلم أن الرجوعَ إلى الحقّ خيرٌ من التمادي على الباطل ، عملتُ مقاماتٍ مرتين فلم ترضني فغسلتها ، وما أعلم أن اللّه خلقني إلا لأُظْهِرَ فضلَ ابن الحريري . ثم شطح في الكلام وقال : ليس في الوجود إلا خالقان : واحدٌ في السماء وواحدٌ في الأرض ، فالذي في السماء هو اللّه ، والذي في الأرض أنا ، ثم التفت إليَّ وقال : هذا كلامٌ لا يحتمله العامّة لكونهم لا يفهمونه ، أنا لا أقدر على خلق شيءٍ إلا خلقَ الكلام ، فأنا أخلقه ، ثم ذكر اشتقاق هذه اللفظة . فقلت له : أيا مولانا أنا رجلٌ محدث ، وإن لم يكن في المحدث جرأةٌ مات بغصّته ، وأحبُّ أن أسأل مولانا عن شيء إن أذن لي ، فتبسم وقال : ما أراك تسألُ إلا عن معضلة ، هات ما عندك . قلت : لِم سميتَ بالشميم ؟ فشتمني ثم ضحك وقال : اعلم أنني بقيت مدة من عمري ـ ذكرها هو وأنسيتها أنا ـ لا آكل في تلك المدة إلا الطين فحسبُ قصداً لتنشيف الرطوبة وحدَّةِ الحفظ ، وكنتُ أبقى أياماً لا يجيئني الغائط فإذا جاء كان شبهَ البندقة من الطين ، وكنت آخذه وأقول لمن أنبسط إليه : شُمَّه فإنه لا رائحةَ له ، فكثر ذلك حتى لُقِّبْتُ به ، أرضيتَ يا ابن الفاعلة ؟ هذا آخر ما جرى بيني وبينه .

ثم أَنْشِدْتُ له من حماسته :

لا تسرحنَّ الطرفَ في بَقَر المها ... فمصارعُ الآجال في الآجال[1]
كم نظرةٍ أردتْ وما أخذت يدُ الـ ... ـمصمي لمن قتلتْ أداةَ قتال
سنحتْ وما سمحت بتسليمٍ وإغـ ... ـلالُ التحيةِ فعلةُ المغتال[2]
أضللتُ قلبي عندهنَّ ورحت أَنْـ ... ـشُدُهُ بذاتِ الضال ضَلَّ ضلالي
أَلوي بألويةِ العقيقِ على الطلو ... ل مسائلاً من لا يجيبُ سؤالي
تربتْ يدي في مقصدي من لا يدي ... قَوَدي وأولى لي بها أولى لي[3]

(1) الآجال (الثانية) : جمع إجل ، وهو قطيع البقر .
(2) الاغلال : الخيانة والسرقة ، ولعله يعني هنا « إخفاء » التحية .
(3) يدي : يدفع الدية ، والقود : الدية .

يـا قَـاتَـلَ اللَّه الـدُّمَى كَمْ من دم ... أجـرينَ حِـلاًّ كـان غيـرَ حـلال
أشـلين ذلَّ الـيـتـم فـي الأشـبـالِ ... وفتكـن بـالآسـادِ في الأغيـال[1]
ونفـرن حين نكـرن إقبـالي ولـو ... أنـي نفـرتُ لـكـان من إقبـالي
لـكن أبـى رعيـي ذمـامَ الحبِّ أن ... أولي الـوفـاءَ قـطيعـةً من قـالي

وأنشدني تقي الدين أبو عبد الله محمد بن علي بن أبي النجم المعروف بابن الحجاج ، وأبو محمد هو الحجاج ، من شرقي واسط قال ، أنشدني أبو الحسن علي بن عنتر بن ثابت الحلّي[2] المعروف بشميم . وكان [أن] قلت : إني لا أراك تذمُّ أحداً من أهل العصر ، فقال لي : ليس لأحدٍ منهم عندي قيمة فإنه لا يصلحُ للذمِّ إلا من يصلح للمدح ، أما سمعتَ قولي في الحماسة :

أَصِـخْ إنمـا مـدحُ الفتى وهـجـاؤه ... لدى الطَّبِنِ النقريسِ ذا تـوأم لـذا[3]
فحيث انتوى مُلْقي المديح عصا الثوى ... تـراح بهـا من أينهـا قُـلُصُ الهـجـا
ومن ليس أهـلاً للمـديـح ولا الهجا ... فعينـاه في عين الـرضـا ظلمـةُ العمى
ويـزري بضـرغـام الغـريـفِ زئيـره ... على ذيخ عثوا هـرَّ أو أغضفٍ عوى[4]

وأنشدني أيضاً له :

قـالـوا نـراك بكـلِّ فنٍّ عـالمـاً ... فعـلام حَـظُّكَ من دُنـاكَ خسيسُ
فـأجبتـهم لا تـعجبـوا وتفـهمـوا ... كـم ذاد نُهْـزَةَ لـيثٍ خـيسٍ خـيسُ

حدثني ابن الحجاج تقي الدين قال : اجتمـع جماعـةٌ من التجار الـواسطيين بالموصل على زيارة شميم ، وتوافقوا على أن لا يتكلموا بين يديه خوفاً من زلل يكون منهم ، فلما حصلوا بين يديه قال أحدهم : أدام اللّه أيامُكَ ، فالتفت إليّ وقال : أيش هؤلاء ؟ فإني أرى عمائم كباراً ظننتها على آدميّين ، فسكتوا ، فلما قاموا قال له آخر

(1) الاشلاء : الدعاء والاغراء .
(2) ك : الحلوي .
(3) الطبن : الفطن ؛ النقريس : الداهية الفطن .
(4) الغريف : الأجمة أو الشجر الملتف ؛ الذيخ : الذكر من الضباع ؛ العثواء : انثى الضبع الكثيرة الشعر ؛ الأغضف : مسترخي الأذن ، وهو الكلب .

منهم : يا سيدي ادعو لنا بشمل الجمع ، فغضب وقال : ايش هؤلاء وكيف خلقهم الله ؟ ثم حلف بمحلوفه وقال : لو قدرت على خلقة مثل هؤلاء أنفت من خلق مثلهم .

قال المؤلف : حدثني محمد بن حامد بن محمد بن جبريل بن محمد بن منعة بن مالك الموصلي الفقيه فخر الدين بمرو في سنة خمس عشرة وستمائة في ربيع الأول منها قال : لما ورد شميم الحلي إلى الموصل بلغني فضله فقصدته لأقتبسَ من علومه ، فدخلتُ عليه فجرى أمري معه على ما هو معروف به من قلة الاحتفال بكلّ أحدٍ ، وجرت خطوب ومذاكرات إلى أن قال : ومن العجائب استحسانُ الناسِ قولَ عمرو بن كلثوم :

مشعشعةً كأن الحُصَّ فيها ... إذا ما الماءُ خالطها خَزِينا

ـ كذا قال تهكماً ـ[1] ، ألا قال كما قلت :

وسالت نطافُ الراح في الراح فاعتدى الـ ... ـسماحُ إلى راحاتنا فسخينا

ثم أخرج رقعةً من تحت مصلّاه وقال لي ما معنى قولي « قَلْبُ شَطْرِ أعاديك حظُّ مَنْ كَفَرَ أياديك » فقلت : أكتبها وأفسرها ، فقال : اكتب ، فكتبتها وقلت : نعم شطر « أعاديك » « ديك » وقلبه « كيد » أردت أن الكيد حظّ من كفر أياديك ، فقال : أحسنت ، وكان ذلك سببَ إقباله عليَّ بعد ما تقدم من إهماله إياي .

وأنشدني أبو حامد المذكور قال : أنشدني أبو الحسن علي بن الحسن بن عنتر الحلي لنفسه :

أقيلي عثرةَ الشاكي أقيلي ... فَسُؤْلي في سماعِ نثارِ سُولي
وإن لم تأذني بفكاك أسري ... فدليني على صبرٍ جميلِ

حدثني الآمدي الفقيه قال : بلغني أنه لما قدم الحلي إلى الموصل انثال إليه الناس يزورونه ، وأراد نقيبُ الموصل ـ وهو ذو الجلالة المشهورة بحيث لا يخفى أمره على أحد ـ زيارتَهُ ، فقيل له : إنه لا يعبأ بأحدٍ ولا يقومُ من مجلسه لزائرٍ أبداً ، فجاءه رجلٌ وعرَّفه ما يجبُ من احترام النقيب لحسبه ونسبه وعلوِّ منزلته من الملوك فلم يردَّ

---

[1] تهكما : لأنه بدل القافية « سخينا » وجعلها « خزينا » بالزاي أو بالراء .

جواباً ، وجاءه النقيب ودخل وجرى على عادته من تَرْكِ الاحتفال له ولم يقمْ عن مجلسه ، فجلس النقيبُ ساعةً ثم انصرف مُغْضَباً ، فعاتبه ذلك الرجلُ الذي كان أشار عليه باكرامه فلم يردَّ عليه جواباً ، فلما كان من الغد جاءه وفي يد الحلّيّ كسرةُ خبز يابسة وهو يَعَضُّ من جنبها ويأكل ، فلما دخل الرجل عليه قال له : بسم الله ، فقال له : وأيُّ شيء هاهنا حتى آكل ؟ فقال له : يا رقيع من يقنعُ من الدنيا بهذه الكسرة اليابسة لأيّ معنىً يذلُّ للناس مع غناه عنهم واحتياجهم إليه ؟!

وحدثني الفقيه قال : بلغني أن الحلي قدم إلى أسْعَرْتَ[1] فتسامع به أهلها فقصدوه من كلّ فوج ، وكان فيهم رجل شاعر ، فأنشده الرجل شعراً استجاده الحلي فقال لقائله ، إني أرفع هذا الشعر عن طبقتك ، فإن كنتَ في دعواك صادقاً فقل في معناه الآن شيئاً آخر ، ففكر ساعة فقال :

وما كلّ وقت فيه يسمحُ خاطري ... بنظم قريضٍ يقتضي لفظُهُ معنى
ولم يبح الشرعُ المبينُ تيمُّماً ... بتربٍ وبحرُ الأرضِ في ساحةٍ معنا

فقال له الحلي : ويحك اسجد ، ويلك اسجد ، فإن هذا موضع من مواضع سجدات الشعر ، وأنا أعرفُ الناس بها .

ومما سمعته من فِلْقِ فيه وهو من إنشاء خطبة له هي : الحمد للّه فالقِ قمم حبِّ الحصيدِ بحسام سَحِّ السحب ، صابغ خدِّ الأرض بقاني رشيقِ يانع العشب ، نافخِ روحِ الحياةِ في صورِ تصاويرها بسائح القراح العذب ، محيي ميت الأرض باماتة كالح الجدب ، لابتسام ثغرِ نسيم أنفاح الخصب ، محيل جسم طبيعة الماء المبارك في أشكال الحب ، والعنب والزيتون والقَضْب ، جاعله للانام والأنعام ذات الحمل والحلب ، محلّي جيد الأفلاك بقلائد دراريّ النجوم الشهب ، ومخلّي جند الأملاك عن مباشرة التصرف والكسب ، وللقيام بواجب واصل التسبيح والتقديس للرب ، قابل التوبة من المذنب المنيب وغافر الذنب ، الواحد المتفرد بوحدانيته عن ملاءمة أعداد قسمه الحساب والضرب ، المستغني بصمديته عن مسيس الحاجة إلى دواعي الأكل والشرب ، الشاهد على خلقه بما يفيضون فيه لا لاتصاف بعد ولا قرب ، الدهيمن على

(1) اسعرت : مدينة بديار بكر قرب أرزن الروم .

سرِّ اجتراح كلِّ جارحة وخاطرِ خاطرٍ وتقلُّبِ قلب . أحمده على ما منح من موضح بيان بما البِ في سويداء لب ، وأشكره على ما جلا من مُظْلِمِ ظُلَمِ جهل وكشف من كثيفِ رُكامِ كَرْب ، وأشهد أن لا إله إلا اللّه وحده لا شريك له شهادةً سالمة من شوائب النفاق والخبّ ، مؤمّنة قائلَها يومَ الفزع الأكبر من إيحاش الرَّهَبِ والرعب ، وأشهد أن محمداً عبده المحبو بِعَقْدِ حُبًا خاتم الأنبياء من جميع أصحاب الصحف والكتب ، وصفيه المنتجب لنصر الدين وإقامة دعوة الاسلام بالبيض القضب والجرد القب والأسْدِ الغُلْب ، صلى اللّه عليه وعلى آله وأصحابه ما سنحت الغزالةُ بأفق شرقٍ وَحُجِبَتْ بغاربِ غرب ، صلاةً يفني تكرار عديدها صُمَّ الحصا الصلب ، ويبيدُ أربَد الترب . عباد اللّه من اختلف عليه الآباد باد ، ومن تمكنت يد المنون من عنقه انقاد ، ومن تزود التقوى استفاد خيرَ الزاد ، ومن بدأ ببره وعاد للمعاد فاز بالإحماد ﴿ **يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُحْضَراً وَمَا عَمِلَتْ مِنْ سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أنَّ بيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَداً بَعِيداً وَيُحَذِّرُكُمُ اَللّهُ نَفْسَهُ وَاَللّهُ رَؤُوفٌ بِالْعِبَادِ** ﴾ (آل عمران: 30) اللهم نوِّلْ آمالنا مناها ، وكفِّل أعمالنا تُقَاها ، وخوِّل أطماعنا رضاها ، ولا تُشْرِبْ قلوبنا هوى دنياها ، فإن المعاطبَ في حبها ، وشينَ المعايب مزرٍ بها ، فلا تجعل اللهم مهامَّنا فيها المنى ، وأمِّنّا بأمننا من كيد أمّنا الدنا ، برحمتك يا أرحم الراحمين ، أستغفر اللّه العظيم لي ولكم ولسائر المسلمين ولوالديَّ ولمن علمني .

أسماء تصانيف الشيخ علي بن الحسن الشميم الحلي(1) :

كتاب النُكَت المعجمات في شرح المقامات . وكتاب أُرْيِ المشتار في القريض المختار . وكتاب الحماسة من نظمه مجلد . وكتاب مناح المنى في إيضاح الكنى أربع كراريس . وكتاب نزه التأميل في عيون المجالس والفصول مجلدان . وكتاب نتائج الاخلاص في الخطب مجلد . وكتاب أنيس الجليس في التجنيس مجلد . وكتاب أنواع الرقاع في الأسجاع . وكتاب التعازي والمرازي مجلد . وكتاب خطب نسق حروف المعجم كراسان . كتاب الأماني في التهاني مجلد . وكتاب المفاتيح في الوعظ كراسان . وكتاب معاياة العقل في معاناة النقل مجلد . كتاب الاشارات المعرّبة

---

(1) تقارن هذه القائمة بأسماء الكتب بما ورد في ذيل تاريخ بغداد : 314 ـ 316 .

مجلد. وكتاب المرتجلات في المساجلات أربع كراريس. كتاب المخترع في شرح اللمع مجلد . وكتاب المحتسب في شرح الخطب مجلد . كتاب المهتصر في شرح المختصر ، مجلد . وكتاب التحميض في التغميض ، كراسان . كتاب بدائه الفكر في بدائع النظم والنثر ، مجلدان . كتاب خلق الآدمي كراسان . وكتاب رسائل لزوم ما لا يلزم ، كراسان . كتاب اللزوم مجلدان . وكتاب لهنة الضيف المصحر في الليل المسحر ، كراسان . كتاب متنزه القلوب في التصحيف ، كراس . وكتاب المنائح في المدائح ، مجلدان . كتاب نزهة الراح في صفات الافراح ، كراسان . كتاب الخطب المسْتَضِيَّة . كتاب حرز النافث من عيث العائث . كتاب الخطب الناصرية . كتاب الرحوبات[1]، مجلدان. كتاب شعر الصِّبا، مجلد. كتاب القام الالحام في تفسير الأحلام . كتاب سمط الملك المفضل في مدح المليك الأفضل . كتاب مناقب الحكم في مثالب الأمم مجلدان . كتاب اللماسة في شرح الحماسة . كتاب الفصول الموكبية ، يشتمل على أربعين[2] فصلاً . وكتاب مجتنى ريحانة الهم في استئناف المدح والذم . كتاب المناجاة .

ـ 743 ـ

علي بن الحسن بن عساكر الحافظ الدمشقي : نقلتُ من جزءٍ عَمِلَهُ ولدُهُ أبو محمد القاسم بن علي في أخبار والده فقال : هو أبو القاسم علي بن الحسن بن

743 ـ للحافظ ابن عساكر ترجمة في المنتظم 10 : 261 وابن الأثير 12 : 357 وابن خلكان 3 : 309 ومرآة الزمان : 336 ومختصر ابن الدبيثي 3 : 121 وتذكرة الحفاظ : 1328 وعبر الذهبي 4 : 212 وسير الذهبي 20 : 554 وطبقات السبكي 7 : 215 وطبقات الاسنوي 2 : 216 وخريدة القصر (قسم الشام) 1 : 274 والبداية والنهاية 12 : 294 والمستفاد: 186 وكتاب الروضتين 2 : 261 والشذرات 4 : 239 ومرآة الجنان 3 : 393 والنجوم الزاهرة 6 : 77 وطبقات الحفاظ : 474 والدارس 1 : 100 ومقدمة الجزء الأول من التاريخ ، والبحوث التي ألقيت في ذكراه وجمعت في كتاب (دمشق:1979) ومقدمة المعجم المشتمل (1980) والموسوعة الاسلامية (الطبعة الثانية بالانجليزية) 3 : 713 .

(1) م : الركوبات .

(2) ك : عشرين .

هبة الله بن عبد الله بن الحسين أبو القاسم بن أبي محمد بن أبي الحسن بن أبي محمد بن أبي علي الشافعي الحافظ ، أحد أئمة الحديث المشهورين والعلماء المذكورين ، ولد في المحرم سنة تسع وتسعين وأربعمائة ومات في الحادي عشر من رجب سنة إحدى وسبعين وخمسمائة وقد بلغ من السن اثنتين وسبعين سنة وستة أشهر وعشرة أيام ، وحضر جنازته بالميدان والصلاة عليه الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن أيوب رحمه الله . قال العماد(1) : وكان الغيث قد احتبس في هذه السنة فدرَّ وسمح(2) عند ارتفاع نعشه، فكأنّ السماء بكت عليه بدمع وبله وطشّه . وسمّعه أخوه سنة خمس وخمسمائة ، وسمع هو بنفسه من والده وأبي محمد الأكفاني ، وذكر خلقاً من شيوخ دمشق ، ورحل إلى العراق في سنة عشرين وخمسمائة وأقام بها خمس سنين ، وسمع ببغداد من أبي القاسم بن الحصين وغيره وحج في سنة إحدى وعشرين ، وسمع بمكة ومنى والمدينة ، وبالكوفة وأصبهان القديمة واليهودية ومرو الشاهجان ونيسابور وهراة وسرخس وأبيورد وطوس وبسطام والريّ وزنجان ، وذكر بلاداً كثيرة يطول عليَّ ذكرها من العراق وخراسان والجزيرة والشام والحجاز . قال : وعدَّة شيوخه ألف وثلاثمائة شيخ ، ومن النساء بضع وثمانون امرأة . وحدث ببغداد ومكة ونيسابور وأصبهان ، وسمع منه جماعةٌ من الحفاظ ممن هو أسنّ منه ، وروى عنه أبو سعد ابن السمعاني فأكثر ، وروى هو عنه . ولما دخل بغداد سمع الدرس بالنظامية مدةَ مقامه بها ، وعلّق مسائلَ الخلافِ على الشيخ أبي سعد إسماعيل بن أبي صالح الكرماني وانتفع بصحبة جده أبي الفضل في النحو والعربية .

وجمع وصنَّف فمن ذلك : كتاب تاريخ مدينة دمشق وأخبارها وأخبار من حلّها أو وردها في خمسمائة وسبعين جزءاً من تجزئة الأصل ، والنسخة الجديدة ثمانمائة جزء . كتاب الموافقات على شيوخ الأئمة الثقات ، اثنان وسبعون جزءاً . كتاب الإشراف على معرفة الأطراف ، ثمانية وأربعون جزءاً . كتاب تهذيب الملتمس من

(1) الخريدة 1 : 278 .

(2) الخريدة : وسحّ .

عوالي مالك بن أنس ، أحد وثلاثون جزءاً . كتاب التالي لحديث مالك العالي ، تسعة عشر جزءاً . كتاب مجموع الرغائب مما وقع من أحاديث مالك الغرائب ، عشرة أجزاء . كتاب المعجم لمن سمع منه أو أجاز له ، اثنا عشر جزءاً . كتاب من سمع منه من النسوان ، جزء واحد . كتاب معجم أسماء القرى والأمصار التي سمع بها ، جزء واحد . كتاب مناقب الشبان ، خمسة عشر جزءاً . كتاب فضل أصحاب الحديث ، أحد عشر جزءاً . كتاب تبيين كذب المفتري على الأشعري ، عشرة أجزاء . كتاب المسلسلات ، عشرة أجزاء . كتاب تشريف يوم الجمعة ، سبعة أجزاء . كتاب المستفيد في الأحاديث السُّبَاعية الأسانيد ، أربعة أجزاء . كتاب السُداسيات ، جزء واحد . كتاب الأحاديث الخُماسيات وأخبار أبي الدنيا ، جزء واحد . كتاب تقوية المنة على إنشاء دار السنة ، ثلاثة أجزاء . كتاب الأحاديث المتخيرة في فضائل العشرة ، جزءان . كتاب من وافقت كنيته كنية زوجته ، أربعة أجزاء . كتاب الأربعين الطوال ، ثلاثة أجزاء . كتاب أربعين حديثاً عن أربعين شيخاً من أربعين مدينة ، جزءان . كتاب الأربعين في الجهاد ، جزء واحد . كتاب الجواهر واللآلي في الأبدال العوالي ، ثلاثة أجزاء . كتاب فضل عاشوراء والمحرم ، ثلاثة أجزاء . كتاب الاعتزاز بالهجرة جزء واحد . كتاب المقالة الفاضحة للرسالة الواضحة ، جزء واحد ضخم . كتاب رفع التخليط عن حديث الأَطيط ، جزء واحد . كتاب الجواب المبسوط لمن أنكر حديث الهبوط، جزء واحد. كتاب القول في جملة الأسانيد في حديث [يوم] المزيد، ثلاثة أجزاء. كتاب طرق حديث عبد الله بن عمرو، جزء. كتاب من ما يكون مؤتمناً لا يكون مؤذناً ، جزء واحد . كتاب ذكر البيان عن فضل كتابة القرآن ، جزء واحد . كتاب دفع التثريب على من فسر معنى التثويب ، جزء . كتاب فضل الكرم على أهل الحرم ، جزء واحد . كتاب الاقتداء بالصادق في حفر الخندق ، جزء واحد . كتاب الانذار بحدوث الزلازل ، ثلاثة أجزاء . كتاب ثواب الصبر على المصاب بالولد ، جزءان . كتاب معنى قول عثمان « ما تغنيت ولا تمنيت » ، جزء . كتاب مسلسل العيدين ، جزء واحد . كتاب حلول المحنة بحصول الابنة ، جزء واحد . كتاب ترتيب الصحابة في مسند أحمد ، جزء واحد . كتاب ترتيب الصحابة الذي في مسند أبي يعلى ، جزء . كتاب معجم الشيوخ النبلاء ، جزء واحد . كتاب أخبار أبي عمرو الأوزاعي وفضائله ،

جزء . كتاب ما وقع للأوزاعي من العوالي ، جزء . كتاب أخبار أبي محمد سعيد[1] بن عبد العزيز وعواليه ، جزء . كتاب عوالي حديث سفيان الثوري وخبره ، أربعة أجزاء . كتاب إجابة السؤال في أحاديث شعبة ، جزء واحد . كتاب روايات ساكني داريا ، ستة أجزاء . كتاب من نزل المزة وحدَّث بها ، جزء واحد . كتاب أحاديث جماعة من كفر سوسية ، جزء واحد . كتاب أحاديث صنعاء الشام ، جزآن . كتاب أحاديث أبي الأشعث الصنعاني ، ثلاثة أجزاء . كتاب أحاديث حنش والمطعم وحفص الصنعانيين ، جزء . كتاب فضل الربوة والنيرب ومن حدث بها ، جزء . كتاب حديث أهل قرية الحميريين[2] وقبيبة ، جزء واحد . كتاب حديث أهل فذايا[3] وبيت أرانس[4] وبيت قوفا[5] جزء . كتاب حديث أهل قرية البلاط ، جزء . كتاب حديث مسلمة بن علي الخشني[6] البلاطي ، جزءان . ومن حديث يسرة بن صفوان[7] وابنه وابن ابنه جزء واحد . ومن حديث سعد بن عبادة جزء . ومن حديث أهل زبدين[8] وجسرين جزء واحد. ومن حديث أهل بيت سوا[9] جزء. ومن حديث دومة ومسرابا[10] والقصر جزء . ومن حديث جماعة من أهل حرستا جزء . ومن حديث أهل كفر بطنا جزء. ومن حديث أهل دقانية وجخراء وعين توما وجديا وطرميس[11] جزء واحد. ومن

(1) م : سعد ؛ وهو سعيد بن عبد العزيز التنوخي الدمشقي (تهذيب التهذيب 4 : 59) .
(2) م : الحمربين .
(3) انظر هذه القرية في تاريخ دمشق 1/2 : 81 ، 142 .
(4) بيت أرانس : من قرى الغوطة (ياقوت) .
(5) بيت قوفا : من قرى دمشق ، والنسبة إليها قوفاني (انظر بيت قوفا ، قوفا عند ياقوت) .
(6) ك م : سلمة بن علي الحسني ؛ وهو مسلمة بن علي بن خلف الخشني أبو سعيد الدمشقي البلاطي (والبلاط قرية من قرى دمشق) ، ضعفوه وكانت وفاته قبل سنة 190 (تهذيب التهذيب 10 : 146) .
(7) يسرة بن صفوان بن جميل اللخمي أبو صفوان وقيل أبو عبد الرحمن الدمشقي البلاطي ، ثقة توفي سنة 215 (تهذيب التهذيب 11 : 377) .
(8) لعلها : الزبداني ؛ أما جسرين فهي من قرى الغوطة .
(9) بيت سوا : ذكرها ياقوت وذكر المنسوبين إليها نقلاً عن الحافظ .
(10) مسرابا ، ذكرها ياقوت اعتماداً على تاريخ دمشق .
(11) دقانية : من قرى دمشق ذكرها ياقوت ، كما ذكر جديا وطرميس والثانية من قرى دمشق ، وفي كل نقل عن الحافظ .

حديث جماعة من أهل جوبر جزء واحد . ومن حديث جماعة من أهل بيت لهيا جزء واحد . ومن حديث يحيى بن حمزة البتلهي وعواليه جزء . ومجموع من حديث محمد بن يحيى بن حمزة الحضرمي البتلهي جزءان . وفضائل مقام إبراهيم . ومن حديث أهل برزة جزء . من حديث أبي بكر بن[1] محمد بن رزق الله المنيني المقرىء ، جزء . ومجموع من أحاديث جماعة من أهل بعلبك[2] ، جزءان .

قال : وأملى رحمه الله أربعمائة مجلس وثمانية مجالس في فنّ واحد ، وخرج لشيخه أبي غالب ابن البناء أحد عشر مشيخة ، ومشيخةً لشيخه أبي المعالي عبد الله بن أحمد الحلواني الأصولي في جزءين ، وخرَّج أربعين حديثاً مساواة الإمام أبي عبد الله الفراوي في جزء . ومصافحة لأبي سعد السمعاني أربعين حديثاً في جزء . وخرَّج لشيخه الإمام أبي الحسن السلمي سبعة مجالس وتكلم عليها . وجزء آخر ما صنعه تكميل الانصاف والعدل بتعجيل الاسعاف بالعزل . وكتاب فيه ذكر ما وجدت في سماعي مما يلتحق بالجزء الرباعي . ووجدت في أصوله علامات له على مصنفات عدة منها : كتاب الابدال ولو تم كان مقداره مائتي جزء أو أكثر . وكتاب فضل الجهاد . ومسند مكحول وأبي حنيفة . وكتاب فضل مكة . وكتاب فضل المدينة . وكتاب فضل البيت[3] المقدس . وكتاب فضل قريش وأهل البيت والأنصار والأشعريين وذم الرافضة . وكتاب كبير في الصفات ، وأشياء غير ذلك تبلغ عدتها أربعين مصنفاً .

ولما أملى رحمه الله في فضائل الصديق رضي الله عنه سبعة مجالس ثم قطعها باملاء مجالس في ذم اليهود وتخليدهم في النار فجاء إليه صديقنا أبو علي ابن رواحة وقال له : رأيتُ الصديقَ في النوم وهو راكبٌ على راحلة فقلت : يا خليفةَ رسول الله قد أملى علينا الحافظ أبو القاسم سبعةَ مجالس في فضائلك ، فأشار إليَّ بأصابعه الأربع ، فقال له والدي : قد بقي عندي مما خرجته ولم أُمْلِهِ أربعة مجالس ، فأملاها ، ثم أملى في كلِّ واحد من الخلفاء أحد عشر مجلساً .

وكان رحمه الله مواظباً على صلاة الجماعة ، ملازماً لقراءة القرآن ، وكان يختم

(1) بن : سقطت من ك .
(2) ك : أهل بك .
(3) البيت : سقطت من ك .

في رمضان والعشر كلَّ يوم ختمة ، ولم يُرَ إلا في الاشتغال بعلم وعبادة يحاسب نفسه على لحظة . وكنت أسمع والدي يحكي أن أباه رأى في منامه رؤيا ووالدي حَمْلٌ أنه يولد لك مولود يحيى اللّه به السنة .

ولما قدم إلى بغداد أعجب به البغداديون وقالوا : قدم علينا من دمشق ثلاثة ما رأينا مثلهم : الشيخ يوسف الدمشقي ، والصائن أبو الحسين هبة اللّه بن الحسن ، وأخوه أبو القاسم .

وحدثني أبي رحمه اللّه قال : كنت يوماً أقرأ على شيخنا أبي الفتح المختار بن عبد الحميد وهو يتحدث مع جماعة بالعجمية فقال : قدم علينا الوزير أبو علي فقلنا ما رأينا مثله ، ثم قدم علينا أبو سعد ابن السمعاني فقلنا ما رأينا مثله ، حتى قدم علينا هذا فلم نر مثله .

وقال لنا صاحبه الحافظ أبو المواهب الحسن بن هبة اللّه بن صصرى ، قال الحافظ أبو العلاء الحسن بن أحمد المقرىء الأديب اللغوي إمام همذان وتلك الديار - غير مدافع : أنا أعلم أنه لا يساجل الحافظ أبا القاسم في شأنه أحدٌ ، فلو خالط الناس ومازجهم كما أصنع إذن لاجتمع عليه المخالف والموالف . وقال لي يوماً آخر : أيّ شيء فُتِحَ له وكيف بِرُّ الناسِ له ؟ فقلت : هو بعيدٌ من هذا كله ، لم يشتغل منذ أربعين سنة إلا بالجمع والتصنيف والمطالعة والتسميع حتى في نزهه وخلواته فقال : الحمد اللّه ، هذا ثمرة العلم ، إلا أنّا قد فُتِحَ لنا ما حصَّلنا به الدار والكتب وبناءَ المسجد ما يقرب من اثني عشر ألف دينار ، هذا يدلُّ على قلَّةِ حظوظ العلماء في بلادكم . ثم قال لي : ما كنا نسمي الشيخ أبا القاسم ببغداد إلا شعلة نار من توقده وذكائه وحسن إدراكه .

قال، وقال لي والدي: لم أر بدمشق أفهمَ للحديث من أبي محمد ابن الأكفاني، ولا ببغداد مثل أبي الفضل محمد بن ناصر وأبي عامر العبدري ، وكان العبدري أحفظهما ، ولم أر بخراسان مثل أبي القاسم الشحامي ، ولا بأصبهان مثل أبي القاسم التيمي الحافظ وأبي نصر البوياري[1] فقلت له : ما إخالك إلا أفضل منهما فسكت ؛

(1) ك : اليوناري .

هذا آخر ما نقلت من هذا الجزء الذي ألفه ابنه وتركت منه ما اختصرته .

وكان الحافظ ابو القاسم ابن عساكر يقول شعراً ليس بالقوي ، وسمعه تاج الدين أبو اليمن زيد بن الحسن الكندي النحوي اللغوي فقال : هذا شعر أضاع فيه صاحبه شيطانه .

قال السمعاني في « المذيّل » وأنشدني الحافظ أبو القاسم بالمزة من أرض دمشق[1] :

أيا نفسُ ويحكِ جاء المشيبُ ... فما ذا التصابي وما ذا الغزلْ
تولّى شبابي كأن لم يكنْ ... وجاء مشيبي كأنْ لم يزلْ
فيا ليتَ شعريَ ممن أكون ... وما قدَّر اللّه لي في الأزلْ

قال السمعاني : وأنشدني لنفسه ببغداد[2] :

وصاحبٍ خانَ ما استودعتُهُ وأتى ... ما لا يليقُ بأربابِ الدياناتِ
وأظهر السرَّ مختاراً بلا سببٍ ... وذاك واللّه من أوفى الجناياتِ
أما أتاهُ عن المختار في خبرٍ ... أن المجالسَ تُغْشَى بالأماناتِ

قال السمعاني : وأنشدني لنفسه بنيسابور :

لا قَدَّسَ اللّه نيسابورَ من بلدٍ ... ما فيه من صاحب يُسْلي ولا سَكَنِ
لولا الجحيمُ الذي في القلب من حُرَقٍ ... لفرقةِ الأهلِ والأحبابِ والوطنِ
لمتُّ من شدةِ البرد الذي ظهرتْ ... آثارُ شدَّته في ظاهر البدنِ
يا قومُ دوموا على عهدِ الهوى وثقوا ... منّي على العهد لم أغدرْ ولم أخنِ
ولا تدبرتُ عيشي بعدَ بُعْدِكمُ ... إلا تمثلت بيتاً قيل من زمنِ
«فإن أعِشْ فلعلَّ اللّه يجمعنا ... وإنْ أمتْ فقتيلُ الهمِّ والحزنِ»

---

(1) الأبيات في الخريدة 1 : 275 وابن خلكان .
(2) الخريدة 1 : 275 .

- 744 -

علي بن الحسن بن إسماعيل بن أحمد بن جعفر بن محمد بن صالح بن حسان بن حصن بن معلى بن أسد بن عمرو بن مالك بن عامر بن معاوية بن عبد اللّه بن مالك بن عامر بن الحارث بن أنمار بن وديعة بن الكيد بن أفصى بن عبد القيس بن أفصى بن دعمي بن جديلة بن لبد بن ربيعة بن نزار بن معد بن عدنان أبو الحسن العبدري ، من أهل البصرة ، يعرف بابن المعلمة[1] : هكذا أملى نسبه عليَّ جماعة ، وهو شيخٌ فاضلٌ له معرفة بالأدب والعروض ، وله كتب وتصانيف في ذلك ، ويقول الشعر ويترسل . مات بالبصرة في رابع عشر شعبان سنة تسع وتسعين وخمسمائة ومولده سنة أربع وعشرين وخمسمائة ؛ سمع بالبصرة أبا محمد جابر بن محمد الأنصاري وأبا العز طلحة بن علي بن عمر المالكي وأبا الحسن علي بن عبد اللّه بن عبد الملك الواعظ وأبا إسحاق إبراهيم بن عطية الشافعي إمام الجامع بالبصرة وغيرهم ، وقرأ بها الأدب على أبي علي الأحمر وأبي العباس ابن الحريري وأبي العز ابن أبي الدنيا ، وقدم بغداد مراراً وسمع بها من أبي الكرم المبارك بن الحسن الشهرزوري وأبي الفضل محمد بن ناصر السلامي وأبي بكر الزاغوني وغيرهم ، وعاد إلى بلده ، وخرَّج لنفسه فوائد في عدة أجزاء عن شيوخه وحدَّث بها ، وأقرأ الناس الأدب . وكان متحققاً بعلم العروض ، ونِعْمَ الشيخ ، كان محمود الطريقة .

قال أبو عبد اللّه : أنشدني أبو الحسن علي بن الحسن العبدري لنفسه :

شيمتي أن أغضَّ طرفيَ في الدا ... ر إذا ما دخلتها لصديقِ
وأصونَ الحديثَ أودعهُ صو ... نيَ سرّي ولا أخونُ رفيقي

744 - سقطت هذه الترجمة من ك : وقد وردت ترجمة أبي الحسن العبدري في التكملة للمنذري 1 : 462 وابن الساعي 9 : 112 ومختصر ابن الدبيثي 3 : 123 وانباه الرواة 2 : 242 ومرآة الزمان 8 : 516 وذيل الروضتين : 35 والوافي (خ) .

(1) في م : بابن المقلة .

قال : وأنشدني أيضاً لنفسه :

لا تسلك الطرْق إذا أخطرتْ فإنها تفضي إلى المهلكهْ
قد أنزل اللّه تعالى «وَلاَ تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إلَى التَّهلُكَهْ»

ـ 745 ـ

علي بن الحسين بن علي المسعودي المؤرخ أبو الحسن ، من ولد عبد اللّه بن مسعود صاحب النبيّ ﷺ . ذكره محمد بن إسحاق النديم فقال : هو من أهل المغرب ، مات فيما بلغني في سنة ست وأربعين وثلاثمائة بمصر .

قال مؤلف الكتاب : وقول محمد بن إسحاق إنه من أهل المغرب غلط ، لأن المسعودي ذكر في السفر الثاني من كتابه المعروف بـ « مروج الذهب » وقد عدَّدَ فضائلَ الأقاليم ووصف هواءها واعتدالها وانحرافها ثم قال[1] : « وأوسط الأقاليم إقليم بابل الذي مولدنا به ، وإن كانت رِيَبُ الأيام أنأت[2] بيننا وبينه ، وساحقت مسافتنا عنه ، وولّدت في قلوبنا الحنينَ إليه ، إذ كانت وطنَنا ومسقطَنا ، وقد كان هذا الأقليم عند ملوك الفرس جليلاً[3] ، وكانوا يَشْتُونَ بالعراقِ وَيصيفون بالجبال[4] ، فقال أبو دلف العجلي :

إني امرؤ كسرويّ الفَعالِ أُصيفُ الجبالَ وأشتو العراقا

745 ـ ترجمة المسعودي المؤرخ في الفهرست : 171 وسير الذهبي 15 : 569 وعبر الذهبي 2 : 269 والفوات 3 : 14 وطبقات الشافعية 3 : 456 ولسان الميزان 4 : 224 والنجوم الزاهرة 3 : 315 والشذرات 2 : 371 ورجال النجاشي : 178 وبروكلمان (الترجمة العربية) 3 : 57 وكتاب الدكتور طريف الخالدي Muslim Historiography وكتاب أحمد شبول Al- Mas'udi and his World (لندن 1979) .

(1) مروج الذهب 2 : 184 (الفقرة : 986 ، 987) .
(2) مروج : أبانت .
(3) زاد في المروج : وقدره عظيماً ، وكانت عنايتها إليه مصروفة .
(4) يتصرف المؤلف في نقله عن المروج بالحذف والايجاز .

وقد كانت الأوائل تشبهه بالقلب في الجسد لأن أرضه هي التي كشفت الآراء عن أهله بحكمة الأمور كما يرتفع ذلك عن القلب ، ولذلك اعتدلت ألوانُ أهله وامتدت أجسامهم ، فَسَلِمُوا من شُقْرة الروم والصقالبة وسواد الحبشة وغلظ البربر ، واجتمعت فيهم محاسنُ جميع الأقطار . وكما اعتدلوا في الخلقة لطفوا في الفطنة . وأشرف هذه الأقاليم مدينة السلام . وأعززْ[1] عليّ بما أصارتني إليه الأقدار من فراق هذا المصر الذي عن بقعته فصلنا ، لكنه الدهر الذي من شيمتهِ التشتيت والزمن الذي من شرطته الآفات ، ولقد أحسن أبو دلف في قوله :

أيا نكبةَ الدهر التي طَوَّحَتْ بنا أيادي سبا في شرقها والمغارب

ومن علامةِ وفاءِ المرءِ دوامُ عهده وحنينُهُ إلى إخوانه ، وشوقُهُ إلى أوطانه ، ومن علامة الرشدِ أن تكونَ النفسُ إلى مولدها تائقة ، وإلى مسقط رأسها شائقة » . فهذا يدلك على أن الرجل بغداديّ الأصل وإنما انتقل إلى ديار مصر فأقام فيها ، وهو يحكي في كتبه كثيراً ويقول : رأيت أيام كوني بمصر كيت وكيت .

وله من الكتب : كتاب مروج الذهب ومعادن الجوهر في تحف الأشراف والملوك[2] . كتاب ذخائر العلوم وما كان في سالف الدهور . كتاب الرسائل . كتاب الاستذكار لما مرَّ في سالف الأعصار . كتاب التاريخ في أخبار الأمم من العرب والعجم . كتاب التنبيه والاشراف[3] . كتاب خزائن الملك وسرُّ العالمين . كتاب المقالات في أصول الديانات . كتاب أخبار الزمان ومن أباده الحدثان . وكتاب البيان في أسماء الأئمة . وكتاب أخبار الخوارج .

(1) ك م : ويعزز .
(2) طبع عدة مرات بمصر ، كما طبع في باريس وترجمه باربيه دي مينار إلى الفرنسية ، وآخر طبعة في خمسة أجزاء واثنين للفهارس بعناية شارل بلا (ط . الكاثوليكية ببيروت 1965 ـ 1979) .
(3) طبع في المكتبة الجغرافية بعناية دي خويه (ليدن) .

- 746 -

علي بن الحسين بن محمد بن الهيثم بن عبد الرحمن بن مروان بن عبد اللّه بن مروان بن الحكم بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف ، أبو الفرج الأصبهاني العلامة النساب الأخباري الحُفَظَة الجامع بين سعة الرواية والحذق في الدراية : لا أعلم لأحدٍ أحسنَ من تصانيفه في فنّها وحسن استيعاب ما يتصدّى لجمعه ، وكان مع ذلك شاعراً مجيداً ، مات في رابع عشر ذي الحجة سنة ست وخمسين وثلاثمائة في خلافة المطيع للّه ومولده سنة أربع وثمانين ومائتين . روى عن أبي بكر ابن دريد وأبي بكر ابن الانباري والفضل بن الحباب الجمحي وعلي بن سليمان الأخفش وإبراهيم نفطويه .

وجدت على الهامش بخط المؤلف تجاه وفاته ما صورته : وفاته هذه فيها نظر وتفتقر إلى تأمّل لأنه ذكر في « كتاب أدب الغرباء » من تأليفه : حدثني صديق قال : قرأت على قصر معزّ الدولة بالشماسية : يقول فلان بن فلان الهروي : حضرت هذا الموضع في سماط معز الدولة ، والدنيا عليه مقبلة وهيبة الملك عليه مشتملة ، ثم عدت إليه في سنة اثنتين وستين وثلاثمائة فرأيت ما يعتبر به اللبيب يعني من الخراب . وذكر في موضع آخر من كتابه هذا قصة له مع صبيّ كان يحبه ذكرتها بعد هذا يذكر فيها موتَ معزّ الدولة وولاية ابنه بختيار ، وكان ذلك في سنة ست وخمسين وثلاثمائة ويزعم في تلك الحكاية أنه كان في عصر شبابه ، فلا أدري ما هذا الاختلاف . (آخر ما كان على الهامش) .

وقال الوزير أبو القاسم الحسين بن علي المغربي في مقدمة ما انتخبه من كتاب الأغاني الذي ألفه أبو الفرج الأصبهاني إن أبا الفرج أهدى كتاب الأغاني إلى

---

746 - ترجمة أبي الفرج الأصبهاني في الفهرست : 127 - 128 وتاريخ بغداد 11 : 398 واليتيمة 3 : 114 وتاريخ أصبهان 2 : 11 والمنتظم 7 : 40 وإنباه الرواة 2 : 251 وابن خلكان 3 : 307 وابن الأثير 8 : 581 وعبر الذهبي 2 : 305 وميزان الاعتدال 3 : 123 وسير الذهبي 16 : 201 ومرآة الجنان 2 : 359 والبداية والنهاية 11 : 263 ولسان الميزان 4 : 221 والنجوم الزاهرة 4 : 15 والشذرات 3 : 19 ؛ وقد طبع كتابه الأغاني عدة مرات كما طبع من كتبه ، أدب الغرباء (المنسوب إليه) وما تبقى من كتاب الاماء الشواعر وكتاب مقاتل الطالبيين .

سيف الدولة ابن حمدان فأعطاه ألفَ دينار ، وبلغ ذلك الصاحب أبا القاسم بن عباد فقال : لقد قَصَّر سيف الدولة وإنه يستأهل أضعافها ، ووصف الكتاب فأطنب ثم قال : ولقد اشتملت خزائني على مائتين وستة آلاف مجلد ما منها ما هو سميري غيره ولا راقني منها سواه .

قال : وقال أبو القاسم عبد العزيز بن يوسف كاتب عضد الدولة : لم يكن كتابُ الأغاني يفارق عضدَ الدولة في سفره ولا حضره ، وانه كان جليسه الذي يأنس إليه وخدينه الذي يرتاح نحوه .

قال : وقال أبو محمد المهلبي : سألت أبا الفرج في كم جمعتَ هذا الكتاب ؟ فقال في خمسين سنة ، قال : وانه كتبه مرةً واحدة في عمره ، وهي النسخة التي أهداها إلى سيف الدولة .

قال المؤلف : ولعمري إن هذا الكتاب لجليلُ القَدْرِ شائعُ الذكر ، جمُّ الفوائد عظيمُ العلم ، جامعٌ بين الجد البحت والهزل النحت ، وقد تأملتُ هذا الكتاب وعنيتُ به وطالعته مراراً وكتبتُ منه نسخة بخطّي في عشر مجلدات ، ونقلتُ منه إلى كتابي الموسوم بـ « أخبار الشعراء » فأكثرت ، وجمعت تراجمه فوجدته يَعِد بشيءٍ ولا يفي به في غير موضع منه ، كقوله في أخبار أبي العتاهية : « وقد طالت أخباره هاهنا وسنذكر خبره مع عتبة في موضع آخر » ولم يفعل . وقال في موضع آخر : « أخبار أبي نواس مع جنان إذ كانت سائر أخباره قد تقدَّمَتْ » ولم يتقدم شيء ، إلى أشباهٍ لذلك . والأصوات المائة هي تسع وتسعون ، وما أظنّ إلا أن الكتاب قد سقط منه شيء أو يكون النسيانُ غلب عليه والله أعلم .

قال المؤلف : وتصانيفه كثيرة ، وهذا الذي يحضرني منها: كتاب الأغاني الكبير . كتاب مجرد الأغاني . كتاب التعديل والانتصاف في أخبار القبائل وأنسابها ، لم أره وبودّي لو رأيته ، ذكره هو في كتاب الأغاني . كتاب مقاتل الطالبيين . كتاب أخبار القيان . كتاب الاماء الشواعر . كتاب المماليك الشعراء . كتاب أدب الغرباء . كتاب الديارات . كتاب تفضيل ذي الحجة . كتاب الأخبار والنوادر . كتاب أدب السماع . كتاب أخبار الطفيليين . كتاب مجموع الأخبار والآثار . كتاب الخمارين والخمارات . كتاب الفرق والمعيار في الأوغاد والأحرار ، وهي رسالة عملها في

هارون بن المنجم . كتاب دعوة التجار . كتاب أخبار جحظة البرمكي . كتاب جمهرة النسب . كتاب نسب بني عبد شمس . كتاب نسب بني شيبان . كتاب نسب المهالبة . كتاب نسب بني تغلب . كتاب الغلمان المغنين . كتاب مناجيب الخصيان ، عمله للوزير المهلبي في خصيين مغنيين كانا له . وله بعدُ تصانيف جياد فيما بلغني كان يصنفها ويرسلها إلى المستولين على بلاد المغرب من بني أمية وكانوا يحسنون جائزته لم يعد منها إلى الشرق إلا القليل ، واللّه أعلم .

وحدث الرئيس أبو الحسين هلال[1] بن المحسن بن إبراهيم بن هلال[1] الصابىء في الكتاب الذي ألفه في «أخبار الوزير أبي محمد المهلبي» واسمه الحسن بن محمد بن هارون بن إبراهيم بن عبد الله بن زيد بن حاتم بن قبيصة بن المهلب بن أبي صفرة، وزير معز الدولة بن بويه الديلمي قال: وكان أبو الفرج الأصفهاني صاحب « كتاب الأغاني » من ندماء الوزير أبي محمد الخِصِّيصين به ، وكان وسخاً قذراً لم يغسل له ثوباً منذ فصَّله إلى أن قطّعه، وكان المهلبي شديدَ التقشّفِ عظيمَ التنطّس، وكان يحتمل له ذلك لموضعه من العلم. فقال فيه: كان أبو الفرج علي بن الحسين الاصفهاني ، وكان أمويَّ النسب ، غزيرَ الأدب عاليَ الرواية حسنَ الدراية ، وله تصنيفات منها « كتاب الأغاني » وقد أورد فيه ما دلَّ به على اتساع علمه وكثرة حفظه ، وله شعر جيد ، إلا أنه في الهجاء أجود وإن كان في غيره غير متأخر . وكان الناس على ذلك العهد يحذرون لسانه ويتقون هجاءه ، ويصبرون في مجالسته ومعاشرته ومواكلته ومشاربته على كلّ صعب من أمره، لأنه كان وسخاً في نفسه ثم في ثوبه وفعله حتى إنه لم يكن ينزع دراعةً يقطعها إلا بعد بلائها وتقطيعها ، ولا يعرف لشيء من ثيابه غسلاً ، ولا يطلب منه في مدة بقائه عوضاً ؛ فحدثني جدي ، وسمعت هذا الخبر من غيره ، لأنه متفاوَضٌ متعاود ، أن أبا الفرج كان جالساً في بعض الأيام على مائدة أبي محمد المهلبي ، فَقُدِّمَتْ سكباجةٌ وافقتْ من أبي الفرج سَعْلَة ، فبدرت من فمه قطعةٌ من بلغم فسقطتْ وسطَ الغضارة ، فتقدم أبو محمد برفعها وقال : هاتوا من هذا اللون في غير هذه الصحفة ولم يبنْ في وجهه إنكار ولا استكراه ، ولا داخَلَ أبا الفرج في هذه الحال استحياءٌ ولا انقباض ؛ هذا إلى ما يجري هذا المجرى على مضيّ الأيام . وكان

(1) ك : هليل (حيث ورد) .

أبو محمد عزوفَ النفس بعيداً من الصبر على مثل هذه الأسباب ، إلا أنه كان يتكلّفُ احتمالها لورودها من أبي الفرج ، وكان من ظَرفه في فعله ونظافته في مأكله أنه كان إذا أراد أكلَ شيءٍ بملعقة كالأرز واللبن وأمثاله وقـف من جانبه الأيمن غلامٌ معه نحو ثلاثين ملعقة زجاجاً مجروداً ، وكان يستعمله كثيراً ، فيأخذ منه ملعقة يأكلُ بها من ذلك اللون لقمة واحدة ، ثم يدفعها إلى غلام آخر قائم من الجانب الأيسر ، ثم يأخذ أخرى فيفعل بها فعلَ الأولى ، حتى ينالَ الكفاية ، لئلاّ يعيد الملعقة إلى فيه دفعة ثانية ، فلما كثر على المهلبي استمرار ما قدَّمنا ذكره جعل له مائدتين إحداهما كبيرةٌ عامّة وأخرى لطيفة خاصة وكان يواكله عليها من يدعوه إليها .

قال مؤلف الكتاب : وقد ذكر مثل هذا عن أبي رياش أحمد بن إبراهيم اللغوي وقد ذكرناه في بابه .

قال هلال : وعلى صنع أبي محمد بأبي الفرج مـا كان يصنعـه فما خـلا من هجوه ، قال فيه[1] :

أبـعيـن مفـتقــر إلـيــكَ رأيتـني ... بعد الغنى فرميتَ بي من حـالقِ
لستَ الملومَ أنـا الـملومُ لأنـني ... أمَّلْتُ لـلإحسـانِ غيــرَ الخـالقِ

قال ابن الصابىء : وحدثني جدي أيضاً قال : قصدت أنا وأبو علي الأنباري وأبو العلاء صاعد دار أبي الفرج لقضاءِ حقهِ وتعرُّفِ خبرهِ من شيءٍ وجده ، وموقعها على دجلة في المكان المتوسط بين درب سليمان ودرب دجلة وملاصقة لدار أبي الفتح البريدي ، وصعد بعض غلماننا لإيذانه بحضورنا ، فدقَّ البابَ دقاً عنيفاً حتى ضجر من الدقّ وضجرنا من الصبر ، قال : وكان له سنّور أبيض يسميه يققاً ومن رسمه إذا قرع الباب قارع أن يخرجَ ويصيح إلى أن يتبعه غلام أبي الفرج لفتح الباب ، أو هو نفسه ، فلم نر السنور في ذلك اليوم ، فأنكرنا الأمرَ وازددنا تشوّقاً إلى معرفة الخبر ، فلما كان بعد أمدٍ طويل صاح صائح أن « نعم » ، ثم خرج أبو الفرج ويدُهُ متلوثةٌ بما ظنناه شيئاً كان يأكله ، فقلنا له : عققناك بأن قطعناك عما كان أهمَّ من قصدنا إياك ، فقال : لا

(1) روى تاج الدين أبو اليمن الكندي هذين البيتين للمتنبي ولم يردا في ديوانه ، انظر الغيث المسجم 1 : 40 (ط. دار الكتب العلمية 1975) .

والله يا ساداتي ما كنتُ على ما تظنون ، وإنما لحق يققاً ـ يعني سنوره ـ قولنج فاحتجتُ إلى حقنه ، فأنا مشغولٌ بذلك ، فلما سمعنا قوله ورأينا الفعلَ في يده ورد علينا أعظم مورد من أمره ، لتناهيه في القذارة إلى ما لا غاية بعده ، وقلنا : ما يجوز أن نصعد إلى عندك فنعوقك عن استتمام ما أنت فيه ، وإنما جئناك لتعرُّفِ خبرك ، وقد بلغنا ما أردناه ، وانصرفنا .

قال : واختاره في كل شيء نديماً[1] ، وكانت صحبته له قبل الوزارة وبعدها إلى أن فرقَّ بينهما الموت .

وكتب أبو الفرج إلى المهلبي يشكو الفأر ويصف الهرّ :

يا لَحُدْبِ الظهورِ قُعْصِ الرقابِ ... لدقاقِ الأنيابِ والأذنابِ
خلقتْ للفساد مذ خُلق الخلـ ... ـق وللعَيْثِ والأذى والخرابِ
ناقبات في الأرض والسقف والحيـ ... ـطان نقباً أعيا على النُّقّابِ
آكلات كلَّ المآكل لا تأ ... منها شاربات كلِّ الشرابِ
آلفات قَرْضَ الثياب وقد يعـ ... ـدل قرضَ القلوب قَرْضُ الثيابِ
زال همي منهنّ أزرق تركـ ... ـيّ السبالين أنمرُ الجلبابِ
ليثُ غاب خَلقاً وخُلقا فمن لا ... ح لعينيه خالهُ ليثَ غابِ
ناصبٌ طرفه إزاءَ الزوايا ... وإزاءَ السقوفِ والأبوابِ
ينتضي الظفرَ حين يظفرُ للصيـ ... ـدِ وإلا فظفره في قرابِ
لا يري أخبثيه عيناً ولا يعـ ... ـلم ما جنَّتاه غير الترابِ
قَرْطِقوه وشنِّفوهُ وحلّو ... ه أخيراً وأولاً بالخضابِ
فهو طوراً يمشي بحلي عروسٍ ... وهو طوراً يخطو على عُنَّابِ
حبذا ذاك صاحباً هو في الصحـ ... ـبة أوفى من أكثر الأصحابِ

وحدث القاضي أبو علي المحسن بن علي التنوخي في « كتاب نشوار المحاضرة » قال[2] : ومن طريف أخبار العادات أني كنتُ أرى أبا الفرج علي بن

(1) في م ك : مربحاً .

(2) نشوار المحاضرة 4 : 56 (نقلاً عن معجم الأدباء) .

الحسين الأصفهاني الكاتب نديم أبي محمد المهلبي صاحب الكتب المصنفة في الأغاني والقيان وغير ذلك دائماً إذا ثقل الطعام في معدته ، وكان أكولاً نهماً ، يتناول خمسةَ دراهم فلفلاً مدقوقاً فلا تؤذيه ولا تدمعه ، وأراه يأكل حمّصة واحدة أو يصطبغ بمرقة قدر فيها حمص فيشرى[1] بدنه كله من ذلك ، وبعد ساعة أو ساعتين يفصد ، وربما فصد لذلك دفعتين ، وأسأله عن سبب ذلك فلا يكون عنده علم منه . وقال لي غير مرة : إنه لم يَدَعْ طبيباً حاذقاً على مرور السنين إلا سأله عن سببه فلا يجد عنده علماً ولا دواءً . فلما كان قبل فالجه بسنوات ذهبت عنه العادة في الحمص فصار يأكله فلا يضرّه وبقيت عليه عادة الفلفل .

ومن «كتاب الوزراء» لهلال بن المحسن[2]: وحدث أبو الفرج علي بن الحسين الأصفهاني قال : سكر الوزير أبو محمد المهلبي ليلةً ولم يبقَ بحضرته من ندمائه غيري فقال لي : يا أبا الفرج ، أنا أعلم أنك تهجوني سرّاً فاهجني الساعة جهراً ، فقلت : اللّه اللّه أيها الوزير فيّ ، إن كنتَ قد مللتني انقطعتُ ، وان كنتَ تؤثر قتلي فبالسيف إذا شئت . قال : دع ذا لا بدَّ أن تهجوني . وكنت قد سكرت فقلت :

أير بغلٍ بلولبِ

فقال في الحال مجيزاً :

في حِرِ آم المهلَّبي

هات مصراعاً آخر ، فقلت : الطلاق لازمٌ للأصفهاني إن زاد على هذا وان كان عنده زيادة .

قرأت بخط أبي علي المحسن بن هلال الصابىء صاحب الشامة لأبي الفرج الأصفهاني يهجو أبا الحسن طازاد النصراني الكاتب :

طازاد مشتقٌّ من الطيز ... فعدِّ عن ذكر فتى الخوزِ
كأن رجليه إذا ما مشى ... مخنَّثٌ يلعبُ بالشيزِ

قرأت بخط هلال بن المظفر الكاتب الزنجاني ، حدثني الأستاذ أبو المظفر

(1) م : فتسرهج .

(2) وردت القصة في ترجمة المهلبي .

عبد الغفار بن غنيمة قال : كان أبو الفرج الكاتب الأصبهاني صاحب « كتاب الأغاني » كاتباً لركن الدولة حظياً عنده محتشماً لديه ، وكان يتوقع من الرئيس أبي الفضل ابن العميد أن يكرمه ويبجله ويتوفر عليه في دخوله وخروجه ، وعدم ذلك منه فقال :

مالُكَ موفورٌ فما بالُهُ   أكسبك التيهَ على المعدمِ
ولِمْ إذا جئتَ نهضنا وإن   جئنا تطاولتَ ولم تتممِ
وإن خرجنا لم تقلْ مثل ما   نقول: قدِّم طِرْفَه قَدِّمِ
إن كنتَ ذا علمٍ فمن ذا الذي   مثلَ الذي تعلمُ لم يعلَمِ
ولستَ في الغارب من دولةٍ   ونحن من دونك في المنسمِ
وقد وَلينا وَعُزِلنا كما   أنت فلم نَصْغُرْ ولم تعظمِ
تكافأت أحوالنا كلُّها   فصلْ على الإنصاف أو فاصرمِ

وقد روى أبو حيان في « كتاب الوزيرين »(1) من تصنيفه من خبر هذه الأبيات غير هذا وقد ذكرناها في أخبار ابن العميد من هذا الكتاب .

قرأتُ في بعض المجاميع لأبي الفرج الأصبهاني :

حضرتكمُ دهراً وفي الكم تحفةٌ   فما أَذِنَ البوابُ لي في لقائكمْ
إذا كان هذا حالُكُمْ يومَ أخذكم   فما حالكم تاللّه يومَ عطائكمْ

قال ابن عبد الرحيم : حدثني أبو نصر الزجاج قال : كنت جالساً مع أبي الفرج الأصبهاني في دكانٍ في سوق الوراقين ، وكان أبو الحسن علي بن يوسف بن البقال الشاعر جالساً عند أبي الفرج ابن الخراز الوراق وهو ينشد أبيات إبراهيم بن العباس الصولي التي يقول فيها :

رأى خَلَّتي من حيثُ يخفَى مكانُها   فكانت قذى عينيه حتى تجلَّتِ

فلما بلغ إليه استحسنه وكرره ، ورآه أبو الفرج فقال لي : قم إليه فقل له قد

(1) أخلاق الوزيرين : 421 وذكر أبو حيان أن الذي كان مكيناً عند ركن الدولة هو أبو الفرج حمد بن محمد الكاتب ، وكان أبو الفضل ابن العميد لا يوفيه حقه فعاتبه حمد مراراً مصرحاً وكاتباً ثم كتب إليه رقعة طواها على هذه الأبيات .

أسرفتَ في استحسان هذا البيت ، وهو كذاك ، فأين موضع الصنعة فيه ؟ فقلت له ذاك ، فقال : قوله « وكانت قذى عينيه » ، فعدتُ إليه وعرَّفته ، فقال : عد إليه فقل له : أخطأت ، الصنعة في قوله « من حيث يخفى مكانها » .

قال عبيد اللّه الفقير إليه مؤلف هذا الكتاب : وقد أصاب كلٌّ واحدٍ منهما حاقَّةَ الغرض ، فإن الموضعين معاً غاية في الحسن ، وان كان ما ذهب إليه أبو الفرج أحسن .

قال أبو الفرج في « كتاب الغرباء »[1] : وخرجت أنا وأبو الفتح أحمد بن إبراهيم بن علي بن عيسى رحمه اللّه ماضيين إلى دير الثعالب في يوم ذكر أنه من سنة خمس وخمسين وثلاثمائة للنزهة ، ومشاهدة اجتماع النصارى هناك ، والشرب على نهر يزدجرد الذي يجري على باب هذا الدير ، ومعه جماعة من أولاد كتّاب النصارى من أحداثهم ، وإذا بفتاةٍ كأنها الدينار المنقوش تتمايل وتنثني كغصن الريحان في نسيم الشمال ، فضربت بيدها إلى يد أبي الفتح وقالت : يا سيدي تعال اقرأ هذا الشعر المكتوب على حائط هذا الشاهد[2] فمضينا معها وبنا من السرور بها وبظرفها وملاحة منطقها ما اللّه به عليم ، فلما دخلنا البيت كشفتْ عن ذراعٍ كأنه الفضة وأومأت إلى الموضع فإذا فيه مكتوب :

خرجتْ يومَ عيدها ... في ثيابِ السرواهبِ
فتنتْ[3] باختيالها ... كلَّ جاءٍ وذاهبِ
لشقائي رأيتها ... يومَ ديرِ الثعالبِ
تتهادى بنسوةٍ ... كاعبٌ في كواعبِ
هي فيهم كأنها الـ ... ـبدرُ بين الكواكبِ

فقلت لها : أنت واللّه المقصودة بهذه الأبيات ، ولم نشكَّ أنها كتبت الأبيات ، ولم نفارقها بقيةَ يومنا ، وقلت فيها[4] هذه الأبيات وأنشدتها إياها ففرحت :

---

(1) كتاب الغرباء : 34 ـ 36 .
(2) الغرباء : بيت الشاهد ، وهو البيت الذي يبنى عن يمين الدير لتوضع فيه رفات الشهداء .
(3) الغرباء : فسبت . (4) م ك : لها .

مَرَّتْ بنا في الدير خُمْصَانَهْ ... ساحرةُ[1] الناظرِ فتَّانهْ
أبرزها الذكران[2] من خدرها ... تعظِّمُ الديرَ ورهبانهْ
مرتْ بنا تخطرُ في مشيها ... كأنما قامتها بانهْ
هبَّتْ لنا ريحٌ فمالت بها ... كما تثنَّى غصنُ ريحانهْ
فتيمتْ قلبي وهاجتْ له ... أحزانه قدماً وأشجانهْ

وحصلت بينها وبين أبي الفتح عشرة بعد ذلك ، ثم خرج إلى الشام وتوفي بها ولا أعرف لها خبراً بعد ذلك .

قال أبو الفرج[3] : وكنت انحدرت إلى البصرة منذ سنيَّات ، فلما وردتها صعدت من الفيض إلى سكّة قريش أطلب منزلاً أسكنه لأني كنتُ غريباً لا أعرف أحداً من أهلها إلا من كنت أسمع بذكره ، فدلني رجلٌ على خان فصرتُ إليه واستأجرت[4] فيه بيتاً ، وأقمت بالبصرة أياماً ، ثم خرجت عنها طالباً حصن مهديّ[5] ، وكتبت هذه الأبيات على حائط البيت الذي أسكنه :

الحمدُ للّه على ما أرى ... من ضيعتي[6] من بين هذا الورى
أصارني الدهرُ إلى حالةٍ ... يَعْدَمُ فيها الضيفُ عندي القِرَى
بُدِّلْتُ من بعد الغنى حاجةً ... إلى كلابٍ يلبسون الفرا
أصبحَ أُدْمُ السوقِ لي مأكلاً ... وصار خبزُ البيتِ خبزَ الشرا
وبعد ملكي منزلاً مبهجاً ... سكنتُ بيتاً من بيوتِ الكرا
فكيف أُلْفَى لاهياً ضاحكاً ... وكيف أُحظى بلذيذ الكرى
سبحانَ مَنْ يعلم ما خلفنا ... وبين أيدينا وتحت الثرى

(1) ك : ساهرة .
(2) الغرباء : الرهبان .
(3) الغرباء : 37 ـ 38 .
(4) الغرباء : واكتريت .
(5) حصن مهدي بلد من خوزستان .
(6) م : صنعتي .

والـحـمـدُ لـلّه عـلى مـا أرى وانـقـطع الخـطبُ وزال الـمـرا

قال أبو الفرج[1]: وكنت في أيام الشبيبة والصبا آلف فتىً من أولاد الجند في السنة التي توفي فيها معز الدولة وولي بختيار، وكانت لأبيه حال كبيرة ومنزلة من الدولة ورتبة، وكان الفتى في نهاية حُسْنِ الوجه وسلاسة الخلق وكرم الطبع ممن يحبُّ الأدب ويميلُ إلى أهله، ولم يترك قريحته[2] حتى عرف صدراً من العلم وجمع خزانةً من الكتب حسنة، فمضت لي معه سِيَرٌ لو حُفِظَتْ لكانت في كتابٍ مُفْردٍ من مكاتبات ومعاتبات وغير ذلك مما يطول شرحه؛ منها ما يشبه ما نحن فيه أنني جئته يوم جمعة غدوةً فوجدته قد ركب إلى الحلبة، وكانت عادته أن يركب إليها في كلِّ يوم ثلاثاء ويوم جمعة، فجلست على دكةٍ على باب دار أبيه في موضع فسيح كان عَمَرها وَفَرَشها، فكنا نجلسُ عليها للمحادثة إلى ارتفاع النهار ثم ندخل إذا أقمتُ عنده إلى حجرةٍ لطيفة كانت مفردةً له لنجتمعَ على الشراب والشطرنج وما أشبههما، فطال جلوسي في ذلك اليوم منتظراً له فأبطأ، وتصبّح من أجلِ رهانٍ كان بين فرسين لبختيار، فعرض لي لقاءُ صديقٍ فقمت لأمضي ثم أعود إليه، فهجس لي أن كتبتُ على الحائط الذي كنا نستند إليه هذه الأبيات:

يـا مَـنْ أظـلُّ بـبـابِ دارهْ ويـطولُ حـبـسـي لانـتـظارِهْ
وحـيـاةِ طـرفِـكَ واحـورارِه ومجـالِ صُـدْغِـكَ في مَـدارهْ
لا حُـلْتُ عـمـري عـن هـوا كَ ولـو صَـلِيتُ بـحـرِّ نـارهْ

وقمت، فلما عاد قرأ الأبيات وغضب من فعلي لئلا يقفَ عليه[3] من يحتشمه، وكان شديد الكتمان لما بيني وبينه ومطالباً بمثل ذلك، مراقبةً لأبيه، إلا أن ظرفه ووكيد محبته لي وميله إليَّ لم يدعه حتى أجاب عنها بما كتب تحتها، ورجعتُ من ساعتي فوجدته في دار أبيه، فاستأذنت عليه، فخرج إليّ خادم لهم فقال: يقول لك لا التقينا حتى تقفَ على الجواب عن الأبيات فانه تحتها، فصعدتُ الدكةَ فإذا تحت الأبيات

(1) الغرباء: 83 ـ 86.
(2) الغرباء: ولم يزل يعمل به قريحته.
(3) الغرباء: وخشي أن يقف عليها.

بخطه : ما هذه الشناعة ، ومن فَسَحَ لك في هذه الإذاعة ، وما أوجبَ خروجَكَ عن الطاعة ؟! ولكن أنا جنيتُ على نفسي وعليك ، ملكتك فطغيت ، وأطعتك فتعديت ، وما أحتشم أن أقول : هذا تعرض للاعراض عنك والسلام . فعلمتُ أنني قد أخطأتُ ، وسقطت ـ شهد اللّه ـ قوتي وحركتي(1) فأخذتني الندامة والحيرة ، ثم أذن لي فدخلت فقبلتُ يده ، فمنعني ، وقلت : يا سيدي غلطةٌ غلطتها وهفوةٌ هفوتها فإن لم تتجاوز عنها وتعفُ هلكت ، فقال لي : أنت في أوسع العذر بعد أن لا يكونَ لها أخت ، وعاتبني على ذلك عتاباً عرفتُ صحته ، ولم تمض إلا مديدة حتى قُبض على أبيه ، وهرب ، فاحتاج إلى الاستتار ، فلم يأنس هو وأهله إلا بكونه عندي ، فأنا على غفلةٍ إذ دخل في خفٍّ وإزار ، وكادت مرارتي تنفطر فرحاً ، فتلقيته(2) أقبِّلُ رجليه وهو يضحكُ ويقول : يأتيها رزقها وهي نائمة ، هذا يا حبيبي بختُ مَنْ لا يصومُ ولا يصلّي في الحقيقة ، وكان أخفَّ الناس روحاً وأمتعهم(3) لنادرة ، وبتنا في تلك الليلة عروسين لا نعقل سكراً ، واصطبحنا وقلت هذه الأبيات :

بت وبات الحبيبُ نَدماني ... من بعد نأي وطولِ هجرانِ
نشربُ قفصيَّةً معتّقةً ... بحانةِ الشطِّ منذ أزمانِ
وكلما دارت الكؤوسُ لنا ... ألثمني فاه ثم غناني
الحمدُ للّه لا شريكَ له ... أطاعني الدهرُ بعد عصيانِ

ولم يزل مقيماً عندي نحو الشهر حتى استقام أمر أبيه ثم عاد إلى داره .

وحدث الحسن بن الحسين النعال قال ، قال أبو الفرج الأصبهاني : بلغ أبا الحسن جحظة أن مدرك بن محمد الشيباني الشاعر ذكره بسوء في مجلس كنت حاضرَهُ فكتب إليّ :

أبا فرجٍ أُهْجَى لديكَ وَيُعْتَدى ... عليَّ فلا تحمَى لذاك وتغضبُ
لعمرك ما أنصفتني في مودتي ... فكنْ مُعتباً إن الأكارمَ تُعتبُ

---

(1) الغرباء : وسقطت ـ علم اللّه ـ قوتي وركبتني البلادة .

(2) م ك : فلقيته . (3) م : وأقلعهم .

قال أبو الفرج : فكتبت إليه :

عجبتُ لمـا بُلّغتَ عَنِّيَ بـاطـلاً ... وظنُّـكَ بي فيـه لعمـرك أعجبُ
ثكلتُ إذن نفسي وعزِّي وأسرتي ... بفقدي ولا أدركتُ ما كنت أطلبُ
فكيف بمن لا حظَّ لي في لقائه ... وسيـان عنـدي وصله والتجنـبُ
فثقْ بـأخٍ أصفـاك مَحْضَ مـودةٍ ... تشـاكَـلَ منهـا مـا بـدا والتغيبُ

قال غرس النعمة : حدثني أبي قال ، حدثني جدي قال : كان أبو القاسم الجهني القاضي ـ وأظنه من أهل البصرة وتقلَّدَ الحِسْبَةَ بها ومنها عرف أبا محمد المهلبي وصحبه ـ يشتمل على آداب يتميز بها ، إلا أنه كان فاحشَ الكذب ، يورد من الحكاياتِ ما لا يَعْلَقُ بِقَبولٍ ولا يدخلُ في معقول ، وكان أبو محمد قد ألف ذلك منه ، وقد سلك مسلكَ الاحتمال ، وكنا لا نخلو عند حديثه من التعجّب والاستطراف والاستبعاد ، وكان ذلك لا يزيده إلا إغراقاً في قوله وتمادياً في فعله . فلما كان في بعض الأيام جرى حديثُ النعنع وإلى أيّ حدٍّ يطول ، فقال الجهني : في البلد الفلاني نعنعٌ يتشجَّر حتى يُعْمَلَ من خشبه السلاليم ، فاغتاظ أبو الفرج الأصبهاني من ذاك وقال : نعم عجائب الدنيا كثيرة ، ولا يُدْفَعُ مثلُ هذا ، وليس بمستبدع ، وعندي ما هو أعجب من هذا وأغربُ ، وهو زوجُ حمام راعبيّ يبيضُ في نيّفٍ وعشرين يوماً بيضتين ، فأنتزعهما من تحته وأضع مكانهما صنجةً مائةً وصنجةً خمسين ، فإذا انتهى مدة الحضان تفقست الصنجتان عن طست وإبريق أو سطل وكرنيب ، فعمَّنا الضحك ، وفطن الجهنيّ لما قصده أبو الفرج من الطنز ، وانقبض عن كثير مما كان يحكيه ويتسمَّح فيه ، وإن لم يخلُ في الأيام من الشيء بعد الشيء منه .

ومن عجيب ما مرَّ بي من الكذب حكاية أوردها غرس النعمة عقيب هذه ، قال : كان لوالدي تاجر يعرف بأبي طالب وكان معروفاً بالكذب ، فأذكر وقد حكى في مجلسه ، والناسُ حضورٌ عنده ، أنه كان في معسكر محمود بن سبكتكين صاحب خراسان ببخارى معه ، وقد جاء من البرد أمرٌ عظيم جمد منه المريُ حتى قُدَّ وَفُرِيَ وعملت منه خفافٌ ، وأن الناس كانوا ينزلون في المعسكر فلا يُسْمَعُ لهم صوتٌ ولا حديثٌ ولا حركة حتى ضَرْبَ الطبلِ في أوقاتِ الصلوات ، فإذا أصبح الناسُ وطلعت

الشمس وحميتْ ذاب ذلك الكلام ، فَسُمِعَتْ الأصواتُ الجامدة منذ أمس من أصواتِ الطبول والبوقات وحديثِ الناس وصهيل الخيل ونهيق الحمير ورغاء الابل.

قرأت على ظهر جزء من نسخة بكتاب الأغاني لأبي الفرج : حدث ابن عرس الموصلي ـ وكان المترسل بين عز الدولة وبين أبي تغلب ابن ناصر الدولة ، وكان يخلف أبا تغلب بالحضرة ـ قال : كتب إليَّ أبو تغلب يأمرني بابتياع « كتاب الأغاني » لأبي الفرج الأصبهاني ، فابتعته له بعشرة آلاف درهم من صَرْفِ ثمانية عشر درهماً بدينار ، فلما حملته إليه ووقف عليه ورأى عظمه وجلالةَ ما حوى قال : لقد ظُلِمَ ورَّاقُهُ المسكين ، وإنه ليساوي عندي عشرة آلاف دينار ، ولو فقد لما قدرت عليه الملوك إلا بالرغائب ، وأمر أن تكتب له نسخة أخرى ويخلّد عليها اسمه ، فابتديء بذلك ، فما أدري أتمت النسخة أم لا.

قال أبو جعفر محمد بن يحيى بن شيرزاد : اتصل بي أن مُسَوَّدة « كتاب الأغاني » ـ وهي أصل أبي الفرج ـ أخرجت الى سوق الوراقين لتباع ، فأنفذتُ إلى ابن قرابة وسألته إنفاذ صاحبها لأبتاعها منه لي ، فجاءني وعرَّفني أنها بيعت في النداء بأربعة آلاف درهم ، وأن أكثرها في ظهور وبخطِّ التعليق ، وأنها اشتريت لأبي أحمد ابن محمد بن حفص ، فراسلت أبا أحمد فأنكر أنه يعرف شيئاً من هذا ، فبحثت كلَّ البحث فما قدرت عليها.

كان الراضي باللّه في سنة سبع وعشرين وثلاثمائة قد ولّى أبا عبد اللّه البريدي ـ وكان قد خرج عليه بنواحي البصرة ـ الوزارة ، فتحدث الناسُ أنَّ الراضي إنما قصد بتقليد أبي عبد اللّه الوزارة طمعاً في إيقاع الحيلة عليه في تحصيله ، فقال أبو الفرج علي بن الحسين الأصبهاني في ذلك قصيدةً طويلة تزيد على مائة بيت يهجو فيها أبا عبد اللّه ويؤنب الراضي في توليته وطمعه فيه ، أولها[1] :

يا سماءُ اسقُطِي ويا أرضُ ميدي ... قد تولّى الوزارةَ ابنُ البريدي
جلَّ خطبٌ وحلَّ أمرٌ عُضالٌ ... وبلاءٌ أشابَ رأسَ الوليدِ

(1) تكملة تاريخ الطبري : 113 والفخري : 256 .

هُـدَّ رُكْنُ الاسلام وانهتك الملــــــك وَمَحَّتْ آثـاره فهــو مــودي
أخلقتْ بهجـة(1) الزمـانِ كما أنـــــهج طولُ اللبـاس وَشْيَ البـرود

يقول فيها :

وتــوهمتَ أنْ سيخــدعــه ذا ك فيغتالـه اصـطيـادُ الصيـود
هــو أزنى ممــا تـقــدِّرُ أمَّــا ليس ممن يُصــادُ بــالتقليــد

وانتهت هذه القصيدة إلى أبي عبد اللّه البريدي ، فلما بلغ الى البيت الأخير ضحك وضرب بيديه ورجليه وقال : لو عرف أبو الفرج ما في نفسي وأزال الوحشة وصار إليَّ لبالغت في صلته والإفضال عليه من أجل هذا البيت.

قال الحميدي : وقد ذكر صاحب « كتاب النشوار »(2) أبو علي المحسن بن علي القاضي أنه حضر مجلس أبي الفرج الأصبهاني صاحب « كتاب الأغاني » فتـذاكروا موت الفجاءة ، فقال أبو الفرج : أخبرني شيوخنا أن جميع أحوال العالم قد اعترت من مات فجاءة إلاَّ أنني لم أسمع من مات على منبر ؛ قال أبو علي المحسن : وكان معنا في مجلس أبي الفرج شيخٌ أندلسيّ قدم من هناك لطلب العلم ولزم أبا الفرج يقال له أبو زكريا يحيى بن مالك بن عائذ(3) ، وكنت أرى أبا الفرج يعظِّمُهُ ويكرمُهُ ويذكرُ ثقته ، فأخبرنا أبو زكريا أنه شاهد في مسجد الجامع ببلدةٍ من الأندلس خطيبَ البلد وقد صعد يوم الجمعة ليخطب فلما بلغ يسيراً من خطبته خرَّ ميتاً فوق المنبر حتى أنزل به ، وَطُلِبَ في الحال من رقيَ المنبر فخطب وصلَّى الجمعة بنا . إلاَّ أنّ أبا علي قلب نسبة أبي زكريا فقال : يحيى بن عائذ بن مالك الأندلسي ، والصواب ما قلنا.

قال الثعالبي(4) : ومن قوله في المهلبي :

---

(1) ك م : مهجة .

(2) نشوار المحاضرة 4 : 57 (عن معجم الأدباء) .

(3) يحيى بن مالك بن عائذ من أهل طرطوشة سمع بها وبوشقة ثم رحل إلى المشرق سنة 347 وحج في التي بعدها . وسمع من مئات الرجال وتردد بالمشرق نحواً من اثنتين وعشرين سنة وعاد إلى الأندلس سنة 369 وسمع منه ضروب من الناس ، وكانت وفاته سنة 375 (ابن الفرضي 2 : 191) .

(4) اليتيمة 3 : 114 .

ولما انتجعنا عائذين[1] بظلّه أعان وما عنّى ومنَّ وما منّا
وردنا عليه مقترينَ فراشَنا ورُدنا نداهُ مُجْدِبينَ فأخصبنا

وقوله من قصيدة يهنئه بمولود من سُرِّيةٍ رومية[2] :

اسْعَدْ بمولودٍ أتاك مباركاً كالبدر أشرق جنحَ ليلٍ مقمرِ
سَعْدٌ لوقتِ سعادةٍ جاءت به أمٌّ حَصَانٌ من بنات الأصفرِ
متبخبخٌ في ذروتَيْ شرفِ العلى بين المهلّب منتماه وقيصرِ
شمسُ الضحى قُرِنَتْ إلى بدرِ الدجى حتى إذا اجتمعا أتتْ بالمشتري

وأنشد له فيه عيدية[3] :

إذا ما علا في الصدر للنهي[4] والأمر وبثّهما في النفع منه وفي الضُّرِّ
وأجرى ظبا أقلامِهِ وتدفقت بديهتُهُ كالمستمدِّ من البحر
رأيتَ نظامَ الدرِّ في نظم قوله ومنثورَهُ الرقراقَ في ذلك النثر
ويقتضب المعنى[5] الكثيرَ بلفظةٍ ويأتي بما تحوي الطواميرُ في سطر
أيا غرةَ الدهرِ ائتنف غُرَّةَ الشهر وقابلْ هلالَ الفطر في ليلة الفطر
بأيمنِ إقبالٍ وأسعدِ طائر وأفضلِ ما ترجوه من أفسح العمر
مضى عنك شهرُ الصوم يشهدُ صادقاً بطهرك فيه واجتنابكَ للوزر
فأكرمْ بما خَطَّ الحفيظان منهما وأثنى به المثني وأَطْرَى به المطري
وزكّتك أوراقُ المصاحفِ وانتهى إلى اللّه منها طولُ درسك والذكر
وقبضك كفَّ البطش عن كلِّ مجرم وبطشكها بالعُرْفِ والخير والبرّ
وقد جاء شوالٌ فشالت نعامة الـ ـصيام وأُبدلنا النعيم من الضرّ

---

(1) اليتيمة : لائذين .
(2) المصدر نفسه .
(3) اليتيمة : 115 .
(4) ك م : والنهي
(5) ك : المال .

وضجت حبيسُ الدنِّ من طول حبسها ... ولامتْ على طول التجنّبِ والهجر
وأبرزها من قعر أسودَ مظلمٍ ... كاشراق بدرٍ مشرقُ اللون كالبدر
إذا ضمَّها والوردَ فوهُ وكفُّه ... فلا فَرْقَ بين اللون والطعم والنشر
وتحسبه إذ سلسل الكأسَ ناظماً ... على الكوكب الدرّيِّ سمطاً من الدرّ

وله فيه يهنئه بابلاله من مرض[1] :

أبا محمدٍ المحمود يا حَسَنَ الاحـ ... ـسان والجودِ يا بحرَ الندى الطامي
حاشاك من عَوْدِ عُوَّادٍ إليك وَمِنْ ... دواء داءٍ ومن إلمام آلامِ

وله[2] :

يا فُرْجةَ الهمِّ بعد اليأس من فرج[3] ... يا فرحةَ الأمن بعد الروع من وَهَلٍ[4]
اسلم ودم وابقَ واملِكْ وانمُ واسمُ وَزِدْ ... وأعطِ وآمنعْ وضر وانفعْ وصُلْ وصِلِ

وله في القاضي الايذجي وكان التمس منه عكازة فلم يعطه إياها[5] :

اسمع حديثيَ تسمعْ قصةً عجباً ... لا شيءَ أظرف منها[6] تبهرُ القصصا
طلبتُ عكّازةً للوحلِ تحملني ... ورمتها عند من يخبا العصا فعصا
وكنتُ أحسبه يهوى عصا عَصَبٍ ... ولم أكنْ خلته صبّاً بكلِّ عصا

وله من قصيدة يستميح المهلبي[7] :

رهنتُ ثيابي وحال القضاءُ ... دون القضاءِ وصدَّ القدرْ
وهذا الشتاءُ كما قد ترى ... عسوفٌ عليَّ قبيحُ الأثرْ[8]

(1) اليتيمة : 115 .
(2) اليتيمة : 117 .
(3) اليتيمة : بعد اليأس والوجل .
(4) اليتيمة : بعد الروع والوهل .
(5) اليتيمة : 118 .
(6) اليتيمة : أعجب منها .
(7) اليتيمة : 116 ـ 117 .
(8) اليتيمة :
وهذا الشتاء عسوف علي ... كما قد تراه قبيح الأثر

يغـادي بصـرٍّ من العـاصفا ... ت أو دمقٍ مثل وَخْزِ الابـرْ[1]
وسـكـانُ دارِكَ ممـن أعـو ... لُ يُلَقَّيْنَ من بَـرْدِهِ كـلَّ شـرّ
فـهـذي تحـنّ وهـذي تئـنّ ... وأدمـعُ هـاتيـك تجـري دِرَرْ
إذا مـا تململن تحتَ الظلام ... يُعَلِّلْنَ منـكَ بحسن النـظر
ولاحـظن ربعك كـالممحلين ... شـاموا البـروقَ رجـاءَ المـطر
يؤمّلنَ عَـوْدي بمـا ينتـظرنَ ... كمـا يـرتجى آيبٌ من سفـر

- 747 -

علي بن الحسين بن هندو أبو الفرج ، الكاتب الأديب المنشىء الشاعر : من أهل البراعة ومستخدمي اليراعة وأعيان أهل البلاغة ، له رسائل مدوّنة وفضائل متعينة مختارة ، يفضّله أهلُ بلده على كثير من أقرانه .

قال أبو عليّ التنوخي : كان أحدَ كتّاب الإنشاء في ديوان عضد الدولة ، قال : وشاهدت عدةَ كتب كتبها عنه بخطه .

وقال أبو الفضل البندنيجي الشاعر : هو من أهل الريّ ، قال : وشاهدته بجرجان في سني بضع عشرة وأربعمائة كاتباً بها وأنه مشهور في تلك البلاد بجودة الشعر وكثرة الأدب والفضل .

قال أبو جعفر أحمد بن محمد بن سهل الهروي[2] كان أبو الفرج ابن هندو صاحب أبوة في بلده ، ولسلفه نباهة بالنيابة[3] وخدمة السلطان هناك ، وكان متفلسفاً

---

747 - ترجمة ابن هندو في اليتيمة 3 : 397 وتتمة اليتيمة 1 : 134 وذيل تاريخ بغداد 17 : 351 وابن أبي أصيبعة 1 : 323 والفوات 3 : 13 وتاريخ الحكماء للبيهقي : 93 .

(1) الدمق : الثلج مع الريح .
(2) ورد في ذيل تاريخ بغداد : 352 .
(3) ك : بالتناية (اقرأ : بالتناءة) .

قرأ كتب الأوائل على أبي الحسن الوائلي بنيسابور ثم على أبي الخير ابن الخمار[1] وورد بغداد في أيام أبي غالب ابن خلف الوزير فخر الملك ومدحه ، واتفق اجتماعي معه وأنسي به ، وكان يلبس الدراعة على رسم الكتاب ، وأنشدني لنفسه[2] :

لا يؤيسنَّكَ من مجدٍ تباعُدُه ... فإن للمجدِ تدريجاً وترتيبا
إن القناة التي شاهَدْتَ رفعتها ... تنمي وتنبتُ أنبوباً فأنبوبا

قال أبو الفضل البندنيجي : سمعته ينشد لنفسه :

يا سيفُ إن تُدْرِكْ بحاشيةِ اللوى ... ثأراً أكنْ لمديح طبعك ناظما
اجعلْ قرابَكَ فضةً مسبوكةً ... واصنع عليك من الزبرجدِ قائما
ما أرضعتك صياقلي ماءَ الردى ... إلا لترضعني الدماءَ سواجما

قال : وحضرت معه في مجلس أبي غانم القصري الناظر ، كان ، في الدواوين بجرجان على البريد ، فعمل بديهاً ما دفعه إلى المغني فغنى فيه :

يا هاجراً لي بغير جرمٍ ... مستبدلَ الوصل بالصدودِ
أضنيت جسمي فلم تغادرْ ... مني دليلاً على الوجودِ

وله أيضاً[3] :

كلُّ مالي فهو رهنٌ ما له ... من فكاكٍ في مساءٍ وابتكارِ
ففؤادي أبداً رهن هوى ... وردائي أبداً رهنُ عقارِ
فدع التفنيدَ يا صاح لنا ... إنما الربح لأصحابِ الخسارِ
لو ترى ثوبيَ مصبوغاً بها ... قلت ذِمّيٌّ تبدّى في غيارِ
ولقد أمرحُ في شَرْخِ الصبا ... مَرَحَ المهرةِ في ثني العذارِ

---

(1) هو أبو الخير الحسن بن سوار بن بابا بن بهنام المعروف بابن الخمار الطبيب النصراني ، كان خبيراً بالنقل من السرياني إلى العربي ، وكان فيلسوفاً حسن التعقل (انظر ابن أبي أصيبعة 1 : 322 ـ 323)

(2) وردت المقطوعة في اليتيمة والفوات .

(3) انظر الفوات .

وله أيضاً[1] :

ضعتُ بأهل الريِّ في أهلها ضياعَ حرف الراء في اللثغهْ
صرتُ بها بعد بلوغ المنى أحمدُ أنْ تبلغَ بي البلغهْ

وله أيضاً :

إذا ما عقدنا نعمةً عند جاحدٍ ولم نره إلا جموحاً عن الشكرِ
رجعنا فعفَّينا الجميلَ بضده كذاك يجازى صاحبُ الشرِّ بالشر

هذا عكس قول ابن الرومي[2] :

أَحْسِنْ إليه إذا أساء فأنتما من ذي الجلال بمسمعٍ وبمنظرِ

وله أيضاً :

وكافرٍ بالمعاد أمسى يخلبني قولُهُ الخلوبُ
قال اغتنم لذةَ الليالي وعدٌ عن آجلٍ يريبُ
ضلَّ هواه وجاء يهذي طبّ لعينيك يا طبيبُ
أأخطأ العالمون طرّاً وأنت من بينهم مصيبُ

وله أيضاً :

كدأبك كلٌّ لا يرى غيرَ نفسِهِ فعشْ واحداً واضربهمُ بفراقِ
زمانٌ تجافَى أهلُهُ فكأنهم سياتُ قِسِيٍّ ما لهنَّ تلاقي

وله أيضاً[3] :

تعانقنا لتوديعٍ عِشاءً وقد شرقتْ بمدمعها الحداقُ
وضيقنا العناقَ لفرطِ شوقٍ فما ندري عناقٌ أم خناقُ

وتحدث أبو الفضل البندنيجي الشاعر قال : كان بابن هندو ضرب من السوداء ،

---

(1) انظر تتمة اليتيمة والفوات .
(2) ديوان ابن الرومي 3 : 983 .
(3) هما في تتمة اليتيمة .

وكان قليل القدرة على شرب النبيذ لأجل ذلك ، واتفق أنه كان يوماً عند أبي الفتح بن أبي علي حمد كاتب قابوس بن وشمكير وأنا معه ، على عادة كانت لنا في الاجتماع ، فدخل أبو علي إلى الموضع ونظر إلى ما كان بأيدينا من الكتب وتناشد هو وابن هندو الشعر ، وحضر الطعام فأكلنا ، وانتقلنا إلى مجلس الشراب ، ولم يطق ابن هندو المساعدة على ذلك ، فكتب في رقعة كتبها إليه :

قد كفاني من المدام شميمُ صالحتني النُّهى وثابَ الغريمُ
هي جهدُ العقولِ سمّي راحاً مثلَ ما قيل للّديغ سليمُ
إن تكن جنةَ النعيم ففيها من أذى السكر والخمار جحيمُ

فلما قرأها ضحك وأعفاه من الشرب .

وأنشد أبو الفضل له :

قالوا اشتغلْ عنهمُ يوماً بغيرهمُ وخادعِ النفسَ إن النفسَ تنخدعُ
قد صيغ قلبي على مقدار حبهمُ فما لحبّ سواهمْ فيه متسعُ

وحدث أبو الفضل البندنيجي قال : أنشدت يوماً أبا الفتح بن أبي علي حمد قول ابن المعتز[1] :

سعى إلى الدنّ بالمبزال يبقرُهُ ساق توشّحَ بالمنديل حين وَثَبْ
لما وجاها بدتْ صهباء[2] صافيةً كأنما قدَّ سيراً من أديم ذهبْ

ومثله قول ابن سكرة :

ثم وجاها بشبا مِبْزَلٍ فاستلَّ منها وتراً مذهبا

فقال قول ابن هندو أحسن[3] :

وساق تقلّد لما أتى حمائلَ زقّ ملاه شَمولا
فلله درُّكَ من فارسٍ تقلّدَ سيفاً يقدُّ العقولا

قال : فجاريتُ ابن هندو من بعد ، وقد اجتمعتُ معه ، الأبياتَ ، وقلت له : إن

(1) ديوان ابن المعتز 2 : 21 .
(2) الديوان : صفراء .
(3) هما في الفوات : 15 .

قولك « حمائل الزق » فيه بشاعة ، وما رأيت أحداً تقلد زقاً ، فقال : أهل العراق يصرفون الكلام ونحن نورده على أصله .

وحدث أبو الفضل البندنيجي قال : كان ابن هندو يشربُ يوماً عند أبي غانم القصري ، واقتصر على أقداح يسيرة ثم أمسك ، فسأله الزيادة فلم يفعل ، وقال[1] :

أرى الخمر ناراً والنفوسَ جواهراً ... فإن شربتْ أبدتْ طباعَ الجواهرِ
فلا تفضحنَّ النفسَ يوماً بشربها ... إذا لم تثق منها بحسنِ السرائرِ

وله أيضاً :

تعرضتِ الدنيا بلذةِ مَطْعَم ... وزخرفِ موشيٍّ من اللبس رائقِ
أرادت سفاهاً أن تموِّه قبحها ... على فِكَرٍ خاضتْ بحار الدقائقِ
فلا تخدعينا بالسراب فاننا ... قتلنا نُهانا في طِلابِ الحقائقِ

وحدث البندنيجي قال : كان الناس يظنون بمنوجهر بن قابوس ما كان في أبيه من الأدب والفضل ، ولم يكن كذلك ، فلما انتقل الأمر إليه قُصِدَ بما يُقْصَدُ به مثله ، وكان لا يوصَلُ إليه إلا القليل ، ولا يتقبل ما يمدح به ، ولا يهش لشيء من هذا الجنس لتباعده عنه ، وكان مع هذه الحالة فروقةً قليلَ البطش ، فمدحه ابن هندو بقصيدة وتأنق فيها وأنشده إياها ، فلم يفهمها ولم يثبه عليها ، فقال :

يا ويحَ فضلي أما في الناس من رجلٍ ... يحنو عليَّ أما في الأرضِ من ملكِ
لأكرمنَّكَ يا فضلي بتركهمُ ... وأستهيننَّ بالأيام والفلكِ

فقيل لمنوجهر : إنه قد هجاك لأن لقبه كان فلك المعالي ، فطلبه ليقتله فهرب إلى نيسابور وانفلت منه .

وله[2] :

حللتُ وقاريَ في شادن ... عيونُ الأنام به تُعْقَدُ
غدا وجهه كعبةً للجمالِ ... ولي قلبُهُ[3] الحجرُ الأسودُ

---

(1) الفوات : 14 .
(2) هما في تتمة اليتيمة والفوات .
(3) ك : قبله .

- 748 -

علي بن الحسين بن موسى بن محمد بن موسى بن إبراهيم بن موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليهم السلام ، نقيب العلويين ، أبو القاسم الملقب بالمرتضى علَم الهدى ، السيد المشهور بالعلم المعروف بالفهم : ولد سنة خمس وخمسين وثلاثمائة ومات سنة ست وثلاثين وأربعمائة ، وهو أكبر من أخيه الرضي .

وقال أبو جعفر الطوسي : توحّد المرتضى في علوم كثيرة ، مجمع على فضله ، مقدم في العلوم مثل : علم الكلام والفقه وأصول الفقه والأدب والنحو والشعر ومعاني الشعر واللغة وغير ذلك ، وله ديوان شعر يزيد على عشرة[1] آلاف بيت ، وله من التصانيف ومسائل البلدان شيء كثير ، يشتمل على ذلك فهرسته ، غير أني أذكر أعيانَ كتبه وكبارها منها : كتاب الشافي في الامامة [وهو نقض] كتاب المغني لعبد الجبار بن أحمد وهو كتاب لم يصنف مثله في الامامة . كتاب الملخص في الأصول لم يتمه . كتاب الذخيرة في الأصول تامّ . وكتاب جمل العلم والعمل تام . وكتاب الغرر [والدرر] وكتاب التنزيه . كتاب المسائل الموصلية الأولى . وكتاب المسائل الموصلية الثانية . كتاب المسائل الموصلية الثالثة . وكتاب المقنع في

---

748 ـ للشريف المرتضى ترجمة في تاريخ بغداد 11 : 402 ودمية القصر 1 : 299 والذخيرة (القسم الرابع) : 465 والمنتظم 8 : 120 وإنباه الرواة 2 : 249 وابن الأثير 9 : 526 وتتمة اليتيمة 1 : 53 وابن خلكان 3 : 313 وسير الذهبي 17 : 588 والعبر 3 : 186 وميزان الاعتدال 3 : 124 وعيون التواريخ 12 : 204 ومرآة الجنان 3 : 55 والبداية والنهاية 12 : 53 ولسان الميزان 4 : 223 والنجوم الزاهرة 5 : 39 وبغية الوعاة 2 : 162 (وفيه نقل عن ياقوت) وفهرست الطوسي : 97 (219) والشذرات 3 : 256 وروضات الجنات والدرجات الرفيعة : 458 والذريعة 2 : 401 ولعبد الرزاق محيي الدين كتاب بعنوان أدب المرتضى (بغداد : 1957) وانظر مقدمة أمالي المرتضى « غرر الفوائد ودرر القلائد » وديوانه في ثلاثة أجزاء (القاهرة : 1958) ومن كتبه المطبوعة أيضاً : الشهاب في الشيب والشباب ، وكتاب طيف الخيال (1962) وكتاب عصمة الأنبياء ومجموعة من الرسائل في ثلاثة أجزاء .

---

(1) الطوسي : عشرين ألف .

الغيبة . وكتاب مسائل الخلاف في الفقه لم يتم . كتاب الانتصار فيما انفردت به الامامية . كتاب مسائل مفردات في أصول الفقه . كتاب المصباح في الفقه لم يتم . وكتاب المسائل الطرابلسية الأولى . وكتاب المسائل الأخيرة . وكتاب مسائل أهل مصر الأولى . وكتاب مسائلهم الأخيرة . وكتاب المسائل الحلبية الأولى . وكتاب المسائل الحلبية الأخيرة . كتاب المسائل الناصرية في الفقه . وكتاب المسائل الجرجانية . وكتاب المسائل الطوسية لم يتم . وكتاب البرق . وكتاب طيف الخيال . وكتاب الشيب والشباب . كتاب تتبع أبيات المعاني للمتنبي التي تكلم عليها ابن جني . وكتاب النقض على ابن جني في الحكاية والمحكي . وكتاب نصر[1] الرواية وإبطال القول بالعدد . وكتاب الذريعة في أصول الفقه . وكتاب تفسير قصيدة السيد . وله مسائل مفردات نحو مائة مسألة في فنون شتى . وكتاب المسائل الصيداوية . قال أبو جعفر الطوسيّ : قرأت أكثر هذه الكتب عليه وسمعت سائرها .

ومن شعره المذكور في « تتمة اليتيمة »[2] :

يـا خليليَّ مـن ذؤابـة بكـرٍ ... في التصابي رياضةُ الأخلاقِ
غنّياني بـذكـرهم تـطربـاني ... واسقياني دمعي بكأسٍ دهاقِ
وخذا النومَ عن جفوني فإني ... قد خلعتُ الكرى على العشاقِ

وله في ذم المشيب[3] :

يقـولـون لا تجـزعْ من الشيب ضَلَّةً ... وأسـهمُـهُ إيـايَ دونـهمُ تُـصـمـي
ومـا سـرَّني حلمٌ يفيءُ إلى الـردى ... كفـانيَ ما قبـلَ المشيب من الحلمِ
إذا كـان ما يعـطينيَ الحـزمُ سـالبـاً ... حياتي فقل لي كيف ينفعني حزمي
وقـد جـربتْ نفسي الغـداةَ وقـاره ... فما شدَّ من وهني ولا سدَّ من ثلمي
وإنّيَ مـذ أضحى عِـذاري قـرارَهُ ... أُعـادُ بـلا سُقْمٍ وأُجْفَى بـلا جـرمِ

(1) الطوسي : نصرة ، ك : نصّ .
(2) لم يرد هذا في ك . وانظر تتمة اليتيمة 1 : 54 وابن خلكان 3 : 314 وديوانه 2 : 342 .
(3) الشيب والشباب : 60 وديوانه 3 : 229 .

وله في مرثية[1] :

كم ذا تطيشُ سهامُ الموت مخطئةً ... عني وتصمي أخلائي وإخواني[2]
ولو فطنتُ وقد أردى الزمان أخي ... علمتُ أن الذي أصماه أصماني
سودٌ وبيضٌ من الأيام لونهما ... لا يستحيلُ وقد بَدَّلْنَ ألواني
هيهاتَ حُكْمُ فينا أزلمٌ جَذَعٌ ... يُفْني الورى بين جذعان وقرحانِ

ذكر غرس النعمة أبو الحسن محمد بن هلال بن المحسن الصابىء في « كتاب الهفوات » قال[3] : اجتاز المرتضى أبو القاسم يوم جمعة على باب جامع المنصور بحيث تباع الغنم ، فسمع المنادي يقول : نبيع هذا التيس العلويّ بدينار ، فظنَّ أنه قصده بذلك ، فعاد إلى داره وتألم إلى الوزير مما جرى عليه ، فكشف فوجد أن التيس إذا كان في رقبته حلمتان متدليتان سُمِّي علوياً تشبيهاً بضفيرتي العلويّ المسبلتين على رقبته .

نقلت من خط الحافظ الامام أبي نصر عبد الرحيم بن النفيس بن وهبان وفقه اللّه ، قال نقلت من خط الامام أبي بكر محمد بن منصور السمعاني رحمه الله ، قال سمعت أبا الحسين المبارك بن عبد الجبار الصيرفي يقول ، سمعت أبا القاسم ابن برهان يقول : دخلت على الشريف المرتضى أبي القاسم العلوي في مرضه الذي توفي فيه فإذا قد حَوَّلَ وجهه إلى الجدار ، فسمعته يقول : أبو بكر وعمر وليا فعدلا واسْتُرْحما فرحما ، وأنا أقول ارتدّا بعد أن أسلما ؛ قال : فقمت وخرجتُ فما بلغتُ عتبةَ الباب حتى سمعتُ الزعقةَ عليه .

ومن شعره ما نقلته من خط تاج الاسلام في « المذيل »[4] :

وزارت وسادي في المنام خريدةٌ ... أراها الكرى عيني ولستُ أراها
تمانِعُ صبحاً أن أراها بناظري ... وتبذلُ جنحاً أن أقبّلَ فاها
ولما سرتْ لم تخشَ وهناً ضلالةً ... ولا عرف العذّالُ كيف سُراها

---

(1) ديوانه 3 : 315 .
(2) ك : وأخداني .
(3) الهفوات النادرة : 59 وأخبار الحمقى والمغفلين : 71
(4) طيف الخيال : 150 وديوانه 3 : 365 .

فما ذا الذي من غير وعدٍ أتى بها ومن ذا[1] على بُعْدِ المزارِ هداها
وقالوا عساها بعدَ زورةِ باطلٍ تزورُ بلا ريبٍ فقلت عساها

وأنشد له فيه[2] :

وطرقنني وهناً بأجواز الفلا وطروقهنَّ على الفلا تخييلُ
في ليلةٍ وافى بها متمنّعٌ ودنتْ بعيداتٌ وجاد بخيلُ
يا ليتَ زائرنا بفاحمةِ الدجى لم يأتِ إلا والصباحُ رسولُ
فقليلُهُ وَضَحَ الضحى مستكثَرٌ وكثيره غَبَشَ الظلام قليلُ
ما عابه ، وبه السرورُ ، زوالُهُ فجميعُ ما سرَّ القلوبَ يزولُ

ومن خطه : سمعت أبا العلاء أحمد بن محمد بن الفضل الحافظ بأصبهان يقول : ذكر شيخنا أبو الفضل محمد بن طاهر [المقدسي][3] الحافظ ونقلت من خطه : سمعت الكيا أبا الحسين يحيى بن الحسين العلوي الزيدي ، وكان من نبلاء أهل البيت ، ومن المحمودين في صناعة الحديث وغيره من الأصول والفروع ، يقول وقد دخل عليه بعض الشعراء فمدحه بقصيدة ، فلما خرج قال : يا أبا الفضل ، الناسُ ينظرون إليَّ وإلى المرتضى ولا يفرّقون بين الرجلين ، المرتضى يدخل عليه من أملاكه كلَّ سنة أربعة وعشرون ألف دينار ، وأنا آكل من طاحونة لأختي ليس لي معيشةٌ غيرها .

قال أبو الفضل المقدسي : وذكر بين يديه يوماً الامامية فذكرهم بأقبح ذكر وقال : لو كانوا من الدوابّ لكانوا الحمير ، ولو كانوا من الطيور لكانوا الرخم ، وأطنب في ذمهم . وبعد مدة دخلت على المرتضى ، وجرى ذكر الزيدية والصالحية أيهما أفضل ، فقال : يا أبا الفضل تقول أيهما خير ولا تقول أيهما شرّ ، فتعجبت من إمامي الشيعة في وقتهما ومن قول كلٍّ واحدٍ منهما في مذهب الآخر ، فقلت : قد كفيتما أهل السنة الوقيعة فيكما .

---

(1) ك : ولم ذا ؛ الديوان : وماذا .
(2) طيف الخيال : 152 وديوانه 3 : 32 .
(3) المقدسي : سقطت من ك .

قرأت بخط الشيخ أبي محمد ابن الخشاب ، حدثني الشيخ الصالح أبو صالح قرطاس بن ألطنطاش الظفري الصوفي التركي من لفظه قال: سمعت ابن الرملي يقول وكان مسنًّا : حضرتُ مجلسَ أبي القاسم المرتضى وأنا إذ ذاك صبيّ ، فدخل عليه بعض أكابر الديلم ، فتزحزح له وأجلسه معه على سريره ، وأقبل عليه مسائلاً ، فسارَّه الديلمي بشيء لم نعلم ما هو ، فقال له متضجراً : نعم ، وأخذ معه في كلام كأنه مدافعه ، فنهض الديلمي ، فقال المرتضى بعد نهوضه : أهؤلاء يريدون منا أن نزيل الجبالَ بالريش ؟! وأقبل على من في مجلسه فقال : أتدرون ما قال هذا الديلمي ؟ فقالوا : لا يا سيدي ، فقال قال : بيِّنْ لي هل صحَّ إسلام أبي بكر وعمر ؟

قلت أنا رضي الله عنهما .

قرأت في بعض كتب(1) الحسن بن جعفر بن عبد الصمد بن المتوكل بخطّه : حدثني الفصيحي النحوي قال : اطلع المرتضى من روشنه فرأى المطرز الشاعر وقد انقطع شراك نعله وهو يصلحه ، فقال له : فديتُ ركائبك ، وأشار إلى قصيدته التي أولها :

سرى مُغْرَماً بالعيس ينتجعُ الركبا ... يسائلُ عن بدرِ الدجى الشرقَ والغربا
على عَذَباتِ الجزع من ماءِ تغلبٍ ... غزالٌ يرى ماءَ القلوب له شربا

إلى قوله :

إذا لم تبلّغني إليكم ركائبي ... فلا وردتْ ماءً ولا رعتِ العشبا

فقال مسرعاً : أتراها ما تشبه مجلسك وخلعك وشربك ؟ أشار بذلك إلى أبياته التي أولها :

* يا خليليَّ من ذؤابة قيسٍ *

مذكورة في أول ترجمته قيل إنه لما خَلَعَ وهب النوم(2) .

---

(1) ك : قرأت في كتاب .

(2) لعل الصواب ما أورده ابن خلكان ، وهو قول البصروي الشاعر : المرتضى قد خلع ما لا يملك على من لا يقبل .

وللمرتضى :

تجافَ عن الأعداءِ بقيا فربما[1] كُفيتَ فلم تُجْرَحْ بنابٍ ولا ظفرِ
ولا تبرِ منهم كلَّ عودٍ تخافه فإنَّ الأعادي ينبتون مع الدهرِ

ـ 749 ـ

علي بن الحسين بن علي العبسي ، يعرف بابن كوجك الوراق : كان أديباً فاضلاً يورِّق ، سمع بمصر من أبي مسلم محمد بن أحمد كاتب أبي الفضل ابن حنزابة الوزير . صنف كتباً منها كتاب الطنبوريين . كتاب أعز المطالب إلى أعلى المراتب في الزهد ، كتب به إلى الشابشتي صاحب « كتاب الديارات » ومات في أيام الحاكم قرابة سنة أربع وتسعين وثلاثمائة وكان بالشام والساحل ، ومدح سيف الدولة لما فتح الحدث فقال :

رام هَدْمَ الإسلامِ بالحدث المؤ ذن بنيانها بهدمِ الضلالِ
نكلت عنك منه نفسُ ضعيفٍ سلبته القوى رؤوس العوالي
فتوقَّى الحمامَ بالنفس والما لِ وباع المقامَ بالارتحالِ
ترك الطيرَ والوحوشَ سغاباً بين تلك السهول والأجبالِ
ولكم وقعةٍ قريتَ عفاةَ الـ ـطير فيها جماجمَ الأبطالِ

وكان أبوه الحسين بن علي من أهل الأدب والشعر . قال الحافظ أبو القاسم الدمشقي : الحسين بن علي بن كوجك أبو القاسم الكوجكي حدث بطرابلس سنة تسع وخمسين وثلاثمائة عن أبي مسعود كاتب حسنون المصري وعن أبيه علي وأبي القاسم ابن المنتاب العراقي ، كتب عنه بعضُ أهل الأدب . وأنشد له هذه الأبيات :

749 ـ لوالده الحسين بن علي ترجمة في مصورة ابن عساكر 5 : 93 وتهذيبه 4 : 346 .

(1) ك : وانما .

وما ذاتُ بعلٍ مات عنها فجاءةً وقد وجدت حملاً دوين الترائبِ
بأرضٍ نأت عن والديها كليهما تعاورها الوراثُ من كلِّ جانبِ
فلما استبان الحملُ منها تنهنهوا قليلاً وقد دبوا دبيبَ العقاربِ
فجاءت بمولودٍ غلامٍ فأحرزت تراثَ أبيه الميت دونَ الأقاربِ
فلما غدا للمال ربّاً وَنَافَست لإعجابها فيه عيونُ الكواعبِ
وكاد يطول الذّرعَ في القدّ جسمه وقارب أسباب النهى والتجاربِ
واصبح مأمولاً يخاف ويرتجي جميلَ المحيا ذا عذارٍ وشاربِ
أُتيح له عبلُ الذراعين مُخْدَرٌ جريءٌ على أقرانِهِ غيرُ هائبِ
فلم يُبْقِ منه غيرَ عظمٍ مجزّر وجمجمةٍ ليست بذاتِ ذوائبِ
بأوجعَ منى يومَ ولَّتْ حدوجُهُمْ يَؤُمُّ بها الحادونَ وادي غَباغبِ

ـ 750 ـ

علي بن الحسين بن بلبل العسقلاني أبو الحسن :

من شعره في محبوب أزرق العينين :

قدُّك كالذابل[1] حسناً وفي طرفك ما في طَرَفِ الذابلِ
أزرقُ كالأزرقِ يومَ الوغى كلاهما يُوصَفُ بالقاتلِ

وله أيضاً[2] :

---

750 ـ ترجمة ابن بلبل العسقلاني في الخريدة (قسم العسقلانيين الورقة 198 من نسخة باريس رقم : 3328) وكنيته أبو الحسين ؛ وهو في إنباه الرواة 2 : 254 أبو الحسن (وكلاهما ذكر أنه أستاذ كبير الشأن في علم العربية والنحو) وأخذ النحو عن علي بن عيسى بن فرج صاحب أبي علي الفارسي وتصدر للإقراء بعسقلان ، فاستفاد منه الطلبة ونبغ له عدة أصحاب ؛ وانظر أيضاً بغية الوعاة 2 : 160 (وقال : كذا ذكره الصفدي) .

(1) م : تدل بالذابل ؛ ك : تدل بالزايد ، والتصويب عن الخريدة وانباه الرواة .

(2) وردت في الخريدة والانباه .

شَعْـرُ الـذؤابـة والعـذارِ قـامـا بعـذري واعتـذاري
بـأبـي الـذي في خـدّه مـاء الصبـا ولهيبُ نـارِ
سـكـرتْ لـواحـظه وقلـ ـبي مـا يفيقُ من الخمـارِ
عـابـوا امتهـاني في هـوا ه كأنني أنـا[1] بـاختيـارِ
ومن الصـوابِ وهـا عـذا ري شـائبُ خَلْعُ العـذارِ

وله أيضاً[2] :

تـعـرفُ في وجـهـه إذا مـا رأيتـه نـضـرةَ الـنـعـيـمِ
كـأنـمـا خـدُّه[3] حـبـابٌ بـتٌّ بـه لـيـلةَ الـسـلـيمِ
ولـي غـريمٌ لـوى ديـونـي ليتَ غـرامي على غـريـمي

ـ 751 ـ

علي بن الحسين الآمدي النحوي أبـو الحسن : ذكـره محمـد بن إسحـاق النديم ، وذكر أنه خرج إلى مصر فأقام بها ، وكان منقطعاً إلى أبي الفضل ابن حنزابة الوزير ، وخطه صحيح مليح ، ولم يثبت له مصنفاً .

قلت أنا : وهو من مشايخ عبد السلام بن الحسين البصري اللغوي[4] وجدت

751 ـ هذا الآمدي الذي يترجم له ياقوت سمّاه ابن النديم في الفهرست : 89 محمد بن عبد اللّه بن صالح الآمدي (وهو في طبعة فلوجل : الأسدي) وقال فيه : خرج عن بغداد إلى مصر ، وكان منقطعاً إلى ابن حنزابة وخطه مليح صحيح ؛ فلا أدري كيف وقع الاضطراب ؛ قلت : والسيوطي في بغية الوعاة 2 : 162 ينقل عن ياقوت ، فلا خلاف .

(1) في الانباه والخريدة : في الهوى/ حتى كأني ، وفي ك : في هواه حتى كأني (وهو ضعيف) .
(2) في الانباه والخريدة (وقوله في ابن حباب) .
(3) الخريدة : صدغه .
(4) عبد السلام بن الحسين البصري لغوي كان يتولى ببغداد النظر في دار الكتب وإليه حفظها والاشراف عليها ، واتصل به المعري حين دخل بغداد ، وذكره في تائيته ، وكانت وفاته سنة 405 (انباه الرواة 2 : 175) .

بخطه وقد أنشد عنه بيتاً لأبي الهيذام كلاب بن حمزة العقيلي ـ وهو مذكور في بابه[1] ـ وقال : أنشدناه جماعة من مشايخنا منهم أبو الحسن علي بن الحسين الآمدي .

وحدث ابن نصر[2] قال ، حدثني أبو الحسن المبدع ، وكنت أعرفه قديماً ، ودخل إلى بغداد خضيباً وقصدني فأنكرته ثم عرفته ، فجرى ذكر شعراء المصريين فقلت له : ما رأيت لهم شيئاً ناصعاً ، فقال لي : كان الآمدي يتولى أرزاق الشعراء والمتعطلين والأشراف والكتّاب ، وكان خضيباً ، ولم يسمّه لي ولا كناه ، ولا أعلم هل هو النحوي صاحب « كتاب الموازنة » أو غيره[3] إلا أني أذكر ما حكاه ، قال : منع الحسين بن بشر الكاتب المصري أرزاقَهُ فعمل فيه قطعة أولها :

إن طغى الآمديُّ طغيانَ مثرٍ ... راشَهُ الدهرُ فالمَريشُ يُحَصُّ
أيها الآمديُّ عقلُكَ قد د ... لَّ على أنَّ آمدَ اليومَ حمصُ
إن حرصاً يدعو إلى قطعك الأر ... زاقَ فينا على هلاكك حرصُ
بسوادِ السماد تخضبُ يا شيـ ... ـخُ فمن ذا سواده ما يبصُّ
ألْقِ فيه عَفْصاً فإنك تحتا ... جُ إلى العَفْصِ حين يعكس عفصُ

فقلت : تنشد هذا وأنت خضيب ؟ فقال : الجيد يُرْوَى وإن كان على الراوي فيه دقّ الباب .

ـ 752 ـ

علي بن الحسين بن علي الضرير الأصفهاني النحوي ، أبو الحسن الباقولي المعروف بالجامع : ذكره أبو الحسن البيهقي في « كتاب الوشاح » فقال : هو في النحو والاعراب كعبةٌ لها أفاضلُ العصرِ سَدَنة ، وللفضل فيه بعد خفائه أسوةٌ حسنة ، وقد

752 ـ بغية الوعاة 2 : 160 .

(1) ترجمته رقم : 920 .
(2) هو علي بن محمد بن نصر صاحب كتاب « المفاوضة » وعنه ينقل ياقوت في مواضع .
(3) المعروف أن صاحب الموازنة هو الحسن بن بشر الآمدي وكنيته أبو القاسم (انظر انباه الرواة 1 : 285) .

بعث إلى خراسان بيت الفرزدق المشهور في شهور سنة خمس وثلاثين وخمسمائة وهو :

فليست خراسانُ التي كان خالدٌ　　بها أسداً إذ كان سيفاً أميرها

وكتب كلُّ فاضل من فضلاء خراسان لهذا البيت شرحاً . ثم قال : وهذا الإمام استدرك على أبي علي الفسوي وعبد القاهر وله هذه الرتبة ، ومن نظر في تصانيفه علم أنه لاحقٌ سَبَقَ السابقين .

وقيل من منظومه :

أحببِ النحوَ من العلم فقد　　يدركُ المرءُ به أعلى الشرفْ
إنما النحويّ في مجلسه　　كشهابٍ ثاقبٍ بين السُّدَفْ
يخرجُ القرآن من فيه كما　　تخرج الدرةُ من جوفِ الصدفْ

قال البيهقي : وبعد ذلك تحقق أن هذه الأبيات من إنشاده لا من إنشائه .

له من التصانيف : كتاب شرح اللمع . وكتاب كشف المشكلات وإيضاح المعضلات في علل القرآن .

قرأت في خاتمة « كتاب المشكلات » للجامع هذا ما صورته : « وقد أمللته بعد تصنيف كتاب الجوهر ، وكتاب المجمل ، وكتاب الأستدراك على أبي علي ، وكتاب البيان في شواهد القرآن ، وسأجمع لك كتاباً أذكر فيه الأقاويلَ المجردة في معنى الآية دون الاعراب وما يتعلق بالصناعة منها » .

ـ 753 ـ

علي بن حمزة الكسَائي : هو أبو الحسن علي بن حمزة بن عبد الله بن

753 ـ ترجمة الكسائي في المعارف : 545 ومراتب النحويين : 74 وطبقات الزبيدي : 138 والفهرست : 72 وتاريخ بغداد 11 : 403 ونور القبس : 283 ونزهة الألباء : 67 وتاريخ أبي المحاسن : 190 وإنباه الرواة 2 : 256 وابن خلكان 3 : 295 وسير الذهبي 9 : 131 وعبر الذهبي 1 : 302 ومرآة الجنان 1 : 421 والبداية والنهاية 11 : 201 وتهذيب التهذيب 7 : 313 وطبقات ابن الجزري 1 : 535 وطبقات الداودي 1 : 399 والنجوم الزاهرة 2 : 130 وبغية الوعاة 2 : 162 والشذرات 1 : 321 وإشارة التعيين : 217 .

عثمان ، من ولد بهمن بن فيروز ، مولى بني أسد ، النحوي أحد الأئمة في القراءة والنحو واللغة ، وأحد السبعة القراء المشهورين ، وهو من أهل الكوفة استوطن بغداد وروى الحديث وصنف الكتب ، ومات بالريّ صحبةَ الرشيد ـ على ما نذكره فيما بعد ـ سنة اثنتين أو ثلاث وثمانين ومائة وقيل بعد ذلك في سنة تسع وثمانين ، وقال مهدي بن سابق : في سنة اثنتين وتسعين ومائة هو ومحمد بن الحسن الفقيه صاحب أبي حنيفة ، فقال الرشيد : اليوم دفنت الفقه والعربية ، قال الخطيب[1] إن عمر الكسائي بلغ سبعين سنة .

وكان الكسائي مؤدّباً لولد الرشيد ، وكان أثيراً عند الخليفة حتى أخرجه من طبقة المؤدبين إلى طبقة الجلساء والمؤانسين . وكان الكسائي قد قرأ على حمزة الزيات ثم اختار لنفسه قراءة ، وسمع من سليمان بن أرقم وأبي بكر ابن عياش . (وفي القرَّاء آخر يقال له الكسائي الصغير واسمه محمد بن يحيى روى عنه ابن مجاهد عن خلف بن هشام البزار) .

حدث الخطيب قال قال الفراء[2] : إنما تعلم الكسائي النحوي على كبر ، وسببه أنه جاء إلى قوم من الهبّاريين ، وقد أعيا ، فقال لهم : قد عييتُ ، فقالوا له : أتجالسنا وأنت تلحن ؟ فقال : كيف لحنت ؟ قالوا : إن كنتَ أردتَ من انقطاع الحيلة والتحير في الأمر فقل عَيِيتُ مخففاً ، وإن كنت أردتَ من التعب فقل أَعْيَيْتُ ، فأنف من هذه الكلمة ، ثم قام من فوره ذلك فسأل من يعلّم النحو ، فأرشدوه إلى معاذ الهراء ، فلزمه حتى أنفد ما عنده ، ثم خرج إلى البصرة فلقي الخليلَ وجلس في حلقته ، فقال له رجلٌ من الأعراب : تركتَ أسد الكوفة وتميمها وعندها الفصاحةُ وجئتَ إلى البصرة ؟! فقال للخليل : من أين أخذتَ علمك هذا ؟ قال : من بوادي الحجاز ونجد وتهامة ، فخرج ورجع وقد أنفد خمس عشرة قنينةً حبراً في الكتابة عن العرب سوى ما حفظ ، فلم يكن له هم غير البصرة والخليل ، فوجد الخليلَ قد مات وجلس في موضعه يونس النحوي ، فمرت بينهما مسائل أقرَّ له يونس فيها وصدَّره موضعه .

---

(1) تاريخ بغداد 11 : 414 ونور القبس : 283 .

(2) تاريخ بغداد 11 : 404 وانباه الرواة 2 : 257 ـ 258 وبغية الوعاة : 163 .

وحدث الخطيب أيضاً بإسناد رفعه إلى عبد الرحيم بن موسى قال[1] : قلت للكسائي لِمَ سُمِّيت الكسائي ، قال : لأني أحرمتُ في كساء ، قال وقيل فيه قول آخر ، وذكر إسناداً رفعه إلى محمد بن يحيى المروزي قال : سألت خلف بن هشام لم سمّي الكسائي كسائيّاً ؟ فقال : دخل الكسائي الكوفة ، فجاء إلى مسجد السَّبيع ، وكان حمزةُ بن حبيب الزيات يُقرىء فيه ، فتقدم الكسائي مع أذان الفجر فجلس وهو ملتفّ بكساءٍ من البرَّكان الأسود ، فلما صلى حمزة قال : من تقدم في الوقت يقرأ ، قيل له الكسائي أول من تقدم ـ يعنون صاحب الكساء ـ فرمقه القوم بأبصارهم ، فقال : إن كان حائكا فسيقرأ سورة يوسف وإن كان ملاحاً فسيقرأ سورة طٰه ، فسمعهم فابتدأ بسورة يوسف ، فلما بلغ إلى قصة الذئب قرأ فَأَكَلَهُ ٱلذِّيبُ بغير همز ، فقال له الزيات : بالهمز ، فقال له الكسائي : وكذلك أهمز الحوت في قوله تعالى فَٱلْتَقَمَهُ ٱلْحُؤْتُ ؟ قال : لا قال : فلم همزت الذئب ولم تهمز الحوت ؟ وهذا فَأَكَلَهُ ٱلذِئْبُ وهذا فالْتَقَمَهُ ٱلْحُوتُ ، فرفع حمزة بصره إلى خلّاد الأحول ، وكان أجملَ غلمانه ، فتقدم إليه في جماعة من أهل المجلس فناظروه فلم يصيبوا[2] شيئاً ، فقال : أفدنا رحمك اللّه ، فقال لهم الكسائي : تفهموا عن الحائك : تقول إذا نسبتَ الرجل إلى الذئب قد استذأب الرجل ، ولو قلتَ قد استذاب بغير همزٍ لكنتَ إنما نسبته إلى الهزال ، تقول : استذاب الرجل إذا استذاب شحمه بغير همز ، وإذا نسبته إلى الحوت تقول قد استحات الرجل أي كثر أكله لأن الحوت يأكل كثيراً لا يجوز فيه الهمز ، فلتلك العلة همز الذئب ولم يهمز الحوت ، وفيه معنى آخر : لا تسقط الهمزة من مفرده ولا من جمعه وأنشدهم :

أيها الذئب وابنه وأبوه ... أنت عندي من أذؤب ضاريات

قال : سمّي الكسائي من ذلك اليوم .

وحدث المرزباني فيما رفعه إلى ابن الأعرابي قال : كان الكسائي أعلَمَ الناس على رَهَقٍ فيه ، كان يديم شربَ النبيذ ، ويجاهر باتخاذ الغلمان الرُّوقَة ، إلا أنه كان

(1) تاريخ بغداد 11 : 404 ـ 405 وانباه الرواة 2 : 258 ـ 259 .

(2) تاريخ بغداد : فلم يصنعوا .

ضابطاً قارئاً عالماً بالعربية صدوقاً .

وحدث المرزباني[1] فيما رفعه إلى الكسائي قال : أحضرني الرشيد سنة اثنتين وثمانين ومائة في السنة الثالثة من خلافته فأخرج إليّ محمداً الأمين وعبد اللّه الـ أمون كأنهما بدران فقال : امتحنهما بشيء ، فما سألتهما عن شيء إلا أحسنا الجوابَ فيه ، فقال لي : كيف تراهما فقلت :

أرى قَمَرَيْ أُفْقٍ وَفَرْعَيْ بَشَامةٍ ... يزينهما عِرقٌ كريمٌ ومَحتِدُ
يسدّان آفاقَ السماءِ بهمّةٍ ... يؤيدها حزمٌ ورأيٌ وسؤددُ
سليلَيْ أميرِ المؤمنين وحائِزَيْ ... مواريث ما أبقى النبي محمدُ
حياةً وخصبٌ للوليِّ ورحمةٌ ... وحربٌ لأعداءٍ وسيفٌ مهندُ

ثم قلت : فرعٌ زكا أصله ، وطاب مغرسه ، وتمكنت فروعه ، وعذبت مشاربه ، آواهما ملكٌ أغرّ نافذُ الأمر واسع العلم عظيم الحلم ، أعلاهما فعلَوا ، وسما بهما فَسَمَوا ، فهما يتطاولان بطوْله ، ويستضيئان بنوره ، وينطقان بلسانه ، فأمتع اللّه أمير المؤمنين بهما ، وبلّغه الأملَ فيهما ، فقال : تفقدهما ، فكنت أختلفُ إليهما في الأسبوع طرفي نهارهما .

وحدث الخطيب باسناد رفعه إلى سلمة قال[2] : كان عند المهدي مؤدِّبٌ يؤدّبُ الرشيد ، فدعاه المهديّ يوماً وهو يستاك فقال له : كيف تأمر من السواك قال اسْتَكْ يا أمير المؤمنين ، فقال المهدي : إنا للّه وإنا إليه راجعون ، ثم قال : التمسوا لنا من هو أفهمُ من ذا ، فقالوا : رجل يقال له علي بن حمزة الكسائي من أهل الكوفة قدم من البادية قريباً ، فكتب بازعاجه من الكوفة ، فساعةَ دخل عليه قال : يا علي بن حمزة ، قال : لبيك يا أمير المؤمنين ، قال : كيف تأمر من السواك ، قال : سُكْ يا أمير المؤمنين ، قال : أحسنتَ وأصبت ، وأمر له بعشرة آلاف درهم .

وحدث المرزباني عن عبد اللّه بن جعفر عن ابن قادم عن الكسائي قال : حججت مع الرشيد ، فَقُدِّمْتُ لبعض الصلواتِ فصليت فقرأت ﴿ **ذُرِّيَّةً ضِعافاً خَافُوا**

---

(1) نور القبس : 284 .
(2) تاريخ بغداد 11 : 406 وانباه الرواة 2 : 259 .

عَلَيْهِم ﴾ (النساء: 9) فأملتُ ضعافا ، فلما سلمت ضربوني بالنعال والأيدي وغير ذلك حتى غُشِيَ عليَّ ، واتصل الخبر بالرشيد فوجَّه بمن استنقذني ، فلما جئته قال لي : ما شأنك ، فقلت له : قرأت لهم ببعض قراءة حمزة الرديئة ففعلوا بي ما بلغ أميرَ المؤمنين ، فقال بئسَ ما صنعت ، ثم ترك الكسائي كثيراً من قراءة حمزة .

وحدَّث فيما رفعه إلى الأحمر النحوي قال(1): دخل أبو يوسف القاضي (وقال عبد الله بن جعفر : محمد بن الحسن) على الرشيد وعنده الكسائي يحدثه ، فقال : يا أمير المؤمنين قد سعد بك هذا الكوفي وشغلك ، فقال الرشيد : النحو يستفرغني لأنني أستدلُّ به على القرآن والشعر ، فقال محمد بن الحسن أو أبو يوسف : إن علم النحو إذا بلغ فيه الرجل الغايةَ صار معلّماً ، والفقه إذا عرف الرجل منه جملة صار قاضياً ، فقال الكسائي : أنا أفضلُ منك لأني أُحْسِنُ ما تحسن وأُحسن ما لا تحسن ، ثم التفت إلى الرشيد وقال : إنْ رأى أمير المؤمنين أن يأذن له في جوابي عن مسألة من الفقه ، فضحك الرشيد وقال : أبلغتَ يا كسائي إلى هذا ، ثم قال لأبي يوسف : أجبه ، فقال الكسائي : ما تقول لرجلٍ قال لامرأته : أنت طالق إن دخلت الدار ، فقال أبو يوسف : إن دَخَلَتِ الدار طَلُقَتْ ، فقال الكسائي : خطأ ، إذا فتحتَ أن فقد وجب الأمر ، وإذا كسرتَ فإنه لم يقع الطلاق بعد ، فنظر أبو يوسف بعد ذلك في النحو.

وحدث أيضاً عمن سمع الكسائي يقول(2) : اجتمعتُ أنا وأبو يوسف القاضي عند هارون الرشيد ، فجعل أبو يوسف يذمُّ النحو ويقول : وما النحو ؟ فقلت : ـ وأردت أن أعلمه فضل النحو ـ ما تقولُ في رجل قال لرجلٍ أنا قاتلُ غلامِكَ ، وقال له آخر أنا قاتلٌ غلامَكَ ، أيهما كنتَ تأخذ به ، قال : آخذهما جميعاً ، فقال له هارون : أخطأت ، وكان له علم بالعربية ، فاستحيا وقال : كيف ذلك ؟ قال : الذي يؤخَذُ بقتل الغلام هو الذي قال أنا قاتلُ غلامِك بالاضافة لأنه فعلٌ ماضٍ ، وأما الذي قال أنا قاتلٌ غلامَكَ بالنصب فلا يُؤْخَذُ لأنه مستقبل لم يكن بعد ، كما قال اللّه عز وجل : ﴿ وَلَا تَقُولَنَّ لِشَيْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذٰلِكَ غَداً إِلاَّ أَنْ يشَاءَ اللّٰه ﴾ (الكهف: 23) فلولا أنَّ التنوين

(1) نور القبس : 285 والاشباه والنظائر 6 : 210 (نقلاً عن ياقوت) .

(2) نور القبس : 285 ـ 286 والاشباه والنظائر 6 : 211 (نقلاً عن ياقوت) .

مستقبلٌ ما جاز فيه غداً ، فكان أبو يوسف بعد ذلك يمدحُ العربيةَ والنحو.

وحدث فيما رفعه إلى إبراهيم بن إسماعيل الكاتب قال[1] : سأل اليزيدي الكسائي بحضرة الرشيد قال : انظر في هذا الشعر عيب ، وأنشده :

مـا رأينـا خَـرَبـاً نـــــقَّر عنه البيضَ صَقْرُ
لا يكونُ العَيْرُ مهراً لا يكونُ المهرُ مهرُ

فقال الكسائي : قد أقوى الشاعر ، فقال له اليزيدي : انظر فيه ، فقال : أقوى لا بدَّ أن ينصبَ المهر الثاني على أنه خبر كان ، قال : فضرب اليزيديُّ بقلنسوته الأرض وقال : أنا أبو محمد ، الشعر صواب ، إنما ابتدأ فقال المهر مهر ، فقال له يحيى بن خالد : أتتكنَّى بحضرة أمير المؤمنين وتكشف رأسك ؟! واللّه لخطأُ الكسائي مع أدبه أحبُّ إلينا من صوابك مع سوء فعلتك[2] ، فقال : لذة الغَلَبِ أنستني من هذا ما أُحْسِنُ .

حدث المرزباني ، حدث محمد بن إبراهيم ، حدثنا عبد الله بن أبي سعد الوراق ، حدثنا النعمان بن هارون الشيباني قال : كان أبو نواس يختلف إلى محمد بن زبيدة ، وكان الكسائي يعلّمه النحو ، فقال أبو نواس : إني أريد أن أقبّل محمّداً قبلة ، فقال له الكسائي : إن عليَّ في هذا وصمةً وأكره أن يبلغَ هذا أميرَ المؤمنين ، فقال أبو نواس : إنك إن تركتني أقبله وإلا قلتُ فيك أبياتاً أرفعها إلى أمير المؤمنين ، فأبى عليه الكسائي وظنَّ أنه لا يفعل ، فكتب أبو نواس رقعة :

قل للامام جزاك اللّه صالحةً لا تَجْمَعِ الدهرَ بين السخلِ والذيبِ
فالسخلُ غِرٌّ وهمُّ الذئبِ غفلته والذئبُ يعلم ما بالسخلِ من طيبِ

ودفعها إلى بعض الخدم ليوصلها إلى الرشيد ، فجاء بها الخادم إلى الكسائي ، فلما قرأها علم أنه شعر أبي نواس ، فقال له ويحك : هذا أمرٌ عظيم ، سأتلطَّفُ لك ، فَغِبْ أياماً ثم آحْضُرْ وسلِّم عليَّ وعلى محمد فستبلغ حاجتك ، فغاب وتحدث الكسائي أن أبا نواس غائب ، ثم جاء فقام إليه الكسائي فسلَّم عليه وعانقه ، وسلم أبو

(1) الاشباه والنظائر 6 : 213 (عن ياقوت) .
(2) ك : فعلك .

نواس على محمد وقبله ، وقال أبو نواس :

قَد أحدثَ النـاسُ ظـرفـاً   يــزهـو على كــلِّ ظَـرْفِ
كـانـوا إذا مـا تـلاقـوا   تـصـافـحـوا بـالأكـفِ
فـأظهـروا اليـوم رشفَ الـــ   ـخـدودِ والـرشف يشفي
فـصــرتَ تـلثـم مـن شئـــ   ـتَ من طـريق الـتحـفي

قال وقال ابن أبي طاهر : وهذا الحديثُ عندي باطل مصنوع من قِبَلِ من حدَّث به ابنُ أبي سعد عنه لا منه، لأن أبناءَ الخلفاء كانوا في مثل حال المخلوع أجلَّ مكاناً من أن يعانقوا أحداً من الرعية ، ومن قبل أن هذا الشعر الأخير أنشدنيه غير واحد لعبد الصمد بن المعذّل ، حتى خبرني أبو علي الفضل بن جعفر بن الفضل بن يوسف المعروف بالبصير أنه له ، وأنه قاله بالكوفة في حداثة من سنه ، وكان بعيداً من الكذب في ادعاء مثل هذا من الشعر ، واللّٰه أعلم.

حدث عبد الله بن جعفر عن محمد بن يزيد عن المازني عن الأصمعي قال[1] : كان الكسائي يأخذ اللغة من أعراب الحطمة[2] ينزلون بقطربّل وغيرها من قرى سواد بغداد ، فلما ناظر الكسائي سيبويه استشهد بكلامهم واحتجَّ بهم وبلغتهم على سيبويه ، فقال أبو محمد اليزيدي :

* كنا نقيس النحو في ما مضى *

الأبيات في أخبار اليزيدي[3] .

ولليزيدي أشعار في الكسائي ذكرت في أخباره ، ومن قول اليزيدي فيه[4] :

أفسد النحوَ الكسـائـــيُّ وثنّى ابن غـزالَـهْ
وأرى الأحمـرَ تيسـاً   فاعلفوا التيسَ النخاله

---

(1) نور القبس : 287 .
(2) من أعراب : مكررة في م .
(3) هي في 6 ص : 2828 .
(4) نور القبس : 288 وبغية الوعاة : 164 .

وحدث المرزباني عن عبد الله بن جعفر عن محمد بن يزيد عن المازني والرياشي عن أبي زيد قال : لما ورد نعي الكسائي من الريّ قال أبو زيد : لقد دُفِنَ بها علمٌ كثير بالكسائي . ثم قال : قدم علينا الكسائيُّ البصرةَ فلقي عيسى والخليل وغيرهما وأخذ منهم نحواً كثيراً ثم صار إلى بغداد فلقي أعراب الحطمة فأخذ عنهم الفساد من الخطأ واللحن فأفسد بذلك ما كان أخذه بالبصرة كله . قال عبد اللّه : وذلك أنَّ الكسائي كان يسمعُ الشاذَّ الذي لا يجوزُ من الخطأ واللحن وشعرَ غيرِ أهلِ الفصاحة والضرورات فيجعل ذلك أصلاً ويقيسُ عليه حتى أفسد النحو.

قال أبو عبد اللّه ابن مقلة حدثني أبو العباس أحمد بن يحيى قال[1] اجتمع الكسائي والأصمعي عند الرشيد وكانا معه يقيمان بمقامه ويظعنان بظعنه ، فأنشد الكسائي[2] :

أم كيف ينفعُ ما يعطي العَلوقُ به رئمانَ أنفٍ إذا ما ضُنَّ باللبنِ

فقال الأصمعي ريمانُ بالرفع ، فقال له الكسائي : اسكت ما أنت وهذا ، يجوز رئمانَ ورئمانُ ورئمانِ ، ولم يكن الأصمعي بصاحب عربية ، فسألت أبا العباس : كيف جاز ذلك ؛ فقال : إذا رفع رفع بينفع أي أم كيف ينفع رئمانُ أنفٍ ، وإذا نُصِبَ نصب بيعطي ، وإذا خفض ردَّه على الهاء في به . قال : والمعنى وما ينفعني إذا وعدتني بلسانك ثم لم تصدقه بفعلك ؟ يقال ذلك للذي يبرُّ ولا يكون منه نفع ، كهذه الناقة التي تشمُّ بأنفها مع تمنّع درتها ، والعلوق التي قد علق قلبها بولدها ، وذلك أنه نحر عنها ثم حُشِيَ جلده تبناً أو حشيشاً وجُعِلَ بين يديها حتى تشمّه وتدرَّ عليه ، فهي تسكنُ إليه مرةً ثم تنفر عنه ثانية ، تشمّه بأنفها ثم تأباه مقلتها ، فيقول : فما نفع هذا البوّ إذا تشممته ثم منعت دِرَّتها .

قال أبو العباس : حدثني سلمة قال ، قال الفرّاء : مات الكسائي وهو لا يحسنُ حدَّ نِعْمَ وبئْسَ ولا حدَّ أن المفتوحة ولا حدَّ الحكاية ، قال فقلت لسلمة : فكيف لم يناظر في ذلك ؟ فقال : قد سألته ذلك فقال : أشفقتُ أن أحادثه فيقول فيَّ كلمةً

(1) الاشباه والنظائر 6 : 212 (عن ياقوت) .
(2) أنظر اللسان (رأم) .

تسقطني فأمسكت . قال الفرّاء ولم يكن الخليل يحسنُ النداء ولا كان سيبويه يدري حدَّ التعجب .

وحدث المرزباني في ما رفعه إلى الفرّاء قال[1] : قدم سيبويه على البرامكة فعزم يحيى بن خالد أن يجمع بينه وبين الكسائي ، وجعل لذلك يوماً ، فلما حضر تقدمتُ والأحمر ، فدخل فإذا بمثالٍ في صدر المجلس فقعـد عليه يحيى وقعـد إلى جانب المثال جعفر والفضل ومن حضر بحضورهم ، وحضر سيبويه فأقبل عليه الأحمر فسأله عن مسألة ، فأجابه فيها سيبويه ، فقال له : أخطأت ، ثم سأله عن ثانية فأجاب فقال له : أخطأت ، ثم سأله عن ثالثة فأجابه فيها فقال له : أخطأت ، فقال له سيبويه : هذا سوءُ أدب ، قال الفرّاء : فأقبلتُ عليه فقلت : إن في هذا الرجل حدةً وعجلة ، ولكن ما تقول فيمن قال هؤلاء أبون ومررت بأبين ، كيف تقـول على مثال ذلـك وَأيت أو أويت ؟ قال فقدر فأخطأ ، فقلت له : أعد النظر ، ثلاثَ مرات تجيبُ ولا تصيب ، فلما كثر عليه ذلك قال : لستُ أكلمكما أو يحضرَ صاحبكما حتى أناظره ، قال فحضر الكسائي فأقبل على سيبويه فقال : أتسألني أو أسألك ؟ فقال : بل سلني أنت ، فقال له الكسائي : كيف تقولُ قد كنت أظنُّ أنَّ العقربَ أشدُّ لسعةً من الزنبور فإذا هو هي أو فإذا هو إياها ؟ فقال سيبويه : فإذا هو هي ولا يجوز النصب ، فقـال له الكسـائي : لحنت ، ثم سأله عن مسائل من هذا النوع « خرجت فإذا عبد اللّه القائمَ » أو « القائمُ » فقال سيبويه في ذلك كلِّه بالرفع دون النصب ، فقال الكسائي : ليس هذا من كلام العرب ، العربُ ترفع في ذلك كلِّه وتنصب ، فدفـع سيبويـه قولـه : فقال يحيى بن خالد : قد اختلفتما وأنتما رئيسا بلديكما فمن ذا يحكم بينكما ؛ فقال له الكسائي : هذه العرب في بابك قد جمعتهم من كل أوب ، ووفدت عليك من كل صقع ، وهـم فصحاءُ الناس ، وقد قنع بهم أهل المصرين ، وسمع أهلُ الكوفة وأهل البصرة منهم ، فيحضرون وَيُسْأَلُونَ ، فقال يحيى وجعفر: قد أنصفت ، فأمر باحضارهم فدخلوا فهم أبو فقعس وأبو دثار وأبو الجراح وأبو ثروان[2] ، فسئلوا عن المسائل التي جَرَتْ بين

(1) نور القبس : 288 .

(2) منهم في انباه الرواة (4 : 114 ، 115) : أبو الجراح العقيلي وأبو فقعس لزاز ، وأبو دثار الفقعسي .

الكسائي وسيبويه ، فتابعوا الكسائي وقالوا بقوله : قال : فأقبل يحيى على سيبويه فقال له : قد تسمعُ أيها الرجل ، فاستكان سيبويه ، وأقبل الكسائي على يحيى فقال : أصلح اللّه الوزير ، إنه قد وفد عليك من بلده مؤملاً فإن رأيتَ ألا تردَّه خائباً ، فأمر له بعشرة آلاف درهم ، فخرج وصيَّرَ وجهه نحو فارس ، فأقام هناك حتى مات ولم يعد إلى البصرة . قال ثعلب : وإنما أدخل العماد في قوله « فإذا هو إياها » لأن فإذا مفاجأة أي « فوجدته ورأيته » ، ووجدت ورأيت ينصب شيئين ويكون معه خبر فلذلك نصبت العرب .

قال المؤلف : وقد ذكرنا هذا الخبر في باب سيبويه برواية أخرى ، وذكرنا الاحتجاج للبصريين على تصويب قول سيبويه هناك إن شاء اللّه .

الزبير عن إسحاق الموصليّ قال : ما رأيت رجلاً منسوباً إلى العلم أجهلَ بالشعر من الكسائي .

وبالاسناد قال : كان الكسائي من أشدّ خلق اللّه تسكّعاً في تفسير شعر ، وما رأيتُ أعلم بالنحو قطّ منه ولا أحسنَ تفسيراً ولا أحذقَ بالمسائل ، المسألة تُشْتَقّ من المسألة والمسألة تدخل على المسألة .

وقرأت في « نوادر ابن الأعرابي » التي كتبها عنه ثعلب ، سمعت الكسائي يقول : قلت لأبي زيد وآذاني باللزوم : يا هذا قد أمللتني كم تلزمني ؟ فقال له أبو زيد : إنما ألزمُكَ لأعُلِّمك ، قال فقلت له : فاجلس في بيتك حتى آتيك . قال : وما جربت على الكسائي كذبة قط ؛ قال أبو عبد اللّه ابن الأعرابي : ولئن كان أبو زيد قال هذا ما في الأرض أحد قط أخلّ عقلاً منه . قال : وكان الكسائي أعلم من أبي زيد بكثير بالعربية واللغات والنوادر ، ولو كان نظر في الأشعار ما سبقه أحد ولا أدركه أحد بعده .

وقال أبو الطيب اللغوي في « كتاب مراتب النحويين »[1] عن أبي حاتم قال : لم يكن لجميع الكوفيين عالم بالقرآن ولا كلام العرب ، ولولا أنّ الكسائي دنا من الخلفاء

(1) مراتب النحويين : 74 ـ 75 .

فرفعوا ذكره لم يكنْ شيئاً ، وعلمه مختلطٌ بلا حجج ولا علل إلا حكايات الأعراب مطروحة لأنه كان يلقنهم ما يريد ، وهو على ذلك أعلم الكوفيين بالعربية والقرآن ، وهو قدوتهم وإليه يرجعون .

وحدث المرزباني في كتابه قال[1] : كتب الكسائي إلى الرشيد وهو يؤدّب محمداً الأمين :

قلْ للخليفةِ ما تقولُ لمن ... أمسى إليكَ بحرمةٍ يُدْلي
ما زلتُ مذ صار الأمينُ معي ... عبدي يدي ومطيتي رجلي
وعلى فراشي ما يُنَبّهني ... من نومتي بقيامه قبلي
أسعى برجلٍ منه ثالثةٍ ... نقصت زيادتها من الرجلِ
فامنن عليَّ بما يسكّنه ... عني وأهدِ الغمدَ للنصلِ

قال : فضحك الرشيد وأمر له ببرذون بسرجه ولجامه ، وبجاريةٍ حسناءَ بآلتها ، وخادم وعشرة آلاف درهم .

قيل للكسائي : قد أبحتَ علمك الناس ، فقال : يعينُ الله عليهم بالنسيان .

من « مجالسات ثعلب » : وصف ابن الأعرابي الكسائي فقال : كان أعلم الناس على رَهَقٍ فيه ، يريد إتيان ما يُكْرَهُ لأنه كان يشربُ الشراب ويأتي الغلمان .

قال : ومن شعر الكسائي[2] :

إنما النحوُ قياسٌ يتبعْ ... وبه في كلِّ أمرٍ ينتفعْ
فإذا ما أبصر[3] النحوُ الفتى ... مرَّ في المنطق مرّاً فاتّسعْ
فاتّقاه جلُّ مَنْ جالسه ... من جليسٍ ناطق أو مستمعْ
وإذا لم يبصر[4] النحو الفتى ... هاب أنْ ينطقَ جبناً فانقطعْ
فتراه يرفع النصبَ وما ... كان من خفضٍ ومن نصبٍ رفعْ

---

(1) نور القبس : 284 وانباه الرواة 2 : 266 وتاريخ بغداد 11 : 411 ـ 412 .
(2) تاريخ بغداد 11 : 412 وانباه الرواة 2 : 267 .
(3) م : نصر .
(4) م : ينصر .

يقرأ القرآنَ لا يعرفُ ما صرَّفَ الاعرابَ فيه وصنعْ
والذي يعرفه يقرأه فإذا ما شكَّ في حرف رجعْ
ناظراً فيه وفي إعرابه فإذا ما عرف اللحنَ صدعْ
كم وضيعٍ رفع النحوُ وكم من شريفٍ قد رأيناه وضعْ
فهما فيه سواءٌ عندكم ليست السنةُ فينا كالبدعْ

وحدث هارون بن علي المنجم في « أماليه » عن أبي توبة قال(1) : سمعت الفراء يقول : مدحني رجل من النحويين فقال لي : ما اختلافك إلى الكسائي وأنت مثله في النحو؟ فأعجبتني نفسي فأتيته فناظرته مناظرة الأكفاء ، فكأني كنتُ طائراً يغرفُ من البحر بمنقاره .

وحدث محمد بن إسحاق النديم قال(2) : قرأت بخط أبي الطيب ابن أخي الشافعي قال : أشرف الرشيد على الكسائي وهو لا يراه ، فقام الكسائي ليلبس نعله لحاجة يريدها ، فابتدرها الأمين والمأمون ، وكان مؤدبهما ، فوضعاها بين يديه ، فقبل رؤوسهما وأيديهما ثم أقسم عليهما ألاّ يُعَاوِدا، فلما جلس الرشيد مجلسه قال : أيُّ الناس أكرم خدماً ؟ قال : أمير المؤمنين أعزه الله ، قال : بل الكسائي يخدمه الأمين والمأمون ، وحدثهم الحديث .

حدث السلامي قال : حضر مجلسَ الكسائي أعرابيٌّ وهم يتحاورون في النحو ، فأعجبه ذلك، ثم تناظروا في التصريف فلم يهتدِ إلى ما يقولون، ففارقهم وأنشأ يقول:

ما زال أخذهمُ في النحو يعجبني حتى تعاطَوْا كلامَ الزنج والرومِ
بمفعلٍ فَعِلٍ لا طابَ من كَلِمٍ كأنه زَجَلُ الغربانِ والبومِ

وقرأت بخط أبي سعيد عبد الرحمن بن علي اليزدادي اللغوي الكاتب في «كتاب جلاء المعرفة » من تصنيفه(3) : قيل اجتمع إبراهيم النظام وضرار بين يدي الرشيد فتناظرا في القَدَر حتى دَقَّتْ مناظرتهما فلم يفهمهما ، فقال لبعض خَدَمِهِ ومن يثقُ به

(1) إنباه الرواة 2 : 264 ، 272 وبغية الوعاة : 163 .
(2) الفهرست : 72 .
(3) الاشباه والنظائر 6 : 215 ـ 217 (نقلاً عن ياقوت) .

ويرضَى برأيه : اذهب بهذين إلى الكسائي حتى يتناظرا بين يديه ، ثم ليخبرك لمن الفَلَجُ منهما ، فلما صار في بعض الطريق قال إبراهيم النظام لضرار : أنت تعلم أنَّ الكسائي لا يُحْسِنُ شيئاً من النظر ، وإنما معوَّلُهُ على النحو والحساب ، ولكن تهيءُ له مسألةَ نحوٍ وأهيِّءُ له مسألةَ حسابٍ فنشغله بهما ، لأنا لا نأمن أن يسمعَ منا ما لم يسمعه ولم يبلغه فهمه أن ينسبنا إلى الزندقة ، فلما صارا إليه سلما عليه ، ثم بدأ ضرار فقال : أسألك أصلحك اللّه عن مسألة من النحو ، قال : هاتها قال : ما حدُّ الفاعل والمفعول به ؟ قال الكسائي : حدُّ الفاعل الرفعُ أبداً وحدُّ المفعول به النصب أبداً ، قال فكيف تقول : ضُرِبَ زيد ؟ قال : ضُرِبَ زَيْدٌ قال : فلم رفعت زيداً وقد شرطت أن المفعول به منصوبٌ أبداً ، قال : لأنه لم يُسَمَّ فاعله ، قال له : فقد أخطأت في العبارة إذ لم تقل إن من المفعولين من إذا لم يسمّ فاعله كان مرفوعاً ، ومن جعل لك الحكم بأن تجعل الرفعَ لمن لم يُسَمَّ فاعله؟ قال: لأنا إذا لم نذكر الفاعل أقمنا المفعول به مقامه، لأنَّ الفعل الواقع عليه غير مستحكم النقص. وعدم[1] النقص مطابق للرفع، فإذا ذكرنا من فعل به وأفصحنا بذلك نصبناه ، قال له : فإن كان النصبُ مطابقا للنقص فمن لم يُسَمَّ فاعله أولى به لأنا إذا قلنا ضُرِبَ زيد فقد يمكن أن يكون ضربه مائة رجل ، وإذا قلنا ضرب عبد اللّه زيداً فلم يضربه إلا رجل واحد ، فالذي أمكن أن يضربه مائة رجلٍ أولى بالنصب والنقص ممن لم يضربه إلا رجل واحد ، فوقف الكسائي فلم يدرِ ما يقول . ثم قال له إبراهيم : أسألك ـ أصلحك اللّه ـ عن مسألة من الحساب ، قال : قل ، قال : كم جذر عشرة ، قال : اجتمع الحسّاب على أنه لا جَذْرَ لعشرة ، قال : فهل علم اللّه جذرها ؟ قال اللّه عالم كلّ شيء ، قال : فما أنكرتَ أن يكونَ اللّه إذ علم كلَّ شيء ألقاه إلى نبيّ من أنبيائه ، ثم ألقاه ذلك النبي إلى صفيّ من أصفيائه ، فلم يزل ذلك العلم ينمي حتى صار علم جذر عشرة عندي وأكون أعلم جذرها ولا تعلمه أنت وتكون مخطئاً فيما قلت ؟ فالتفت الكسائي إلى الغلام وقال : اذهب بهذين إلى أمير المؤمنين فقل : إنهما زنديقان كافران باللّه العظيم ، قال : وكان الخادم لبيباً حصيفاً فأحسن العبارة عنهما وحسَّنَ أمورهما فأمر لهما بجائزة سنية وصرفهما .

---

(1) وعدم : سقطت من ك .

قال المؤلف : وهذه الحكاية عندي مصنوعة باردة وإنما كتبتها لكوني وجدتها بخط رجل عالم .

وحدث سلمة بن عاصم قال ، قال الكسائي[1] : حلفت ألا أكلّم عامياً إلا بما يوافقه ويشبه كلامه ، وذلك أنني وقفت على نجارٍ فقلت له : بكم ذانّك البابان ؟ فقال بسلحتان ، فحلفتُ ألا أكلم عامياً إلا بما يصلحه .

وحدث الحزنبل قال : أنشدنا يعقوب بن السكيت لأبي الجراح العقيلي يمدح الكسائي :

ضحـوكٌ إذا زُفّ الخـوانُ وَزَوْرُهُ   يحيّـا بـأهـلاً مـرحبـاً ثم يجلسُ
أبـا حسن مـا جئتكم قطّ مـطفئـاً   لظى الشوقِ إلا والـزجاجـة تقلسُ

قال يعقوب : يريد تمتلىء حتى تفيض ، ونصب قوله يحيا بأهلاً على الحكاية .

وحدث عبد الله بن جعفر عن عليّ بن مهدي عن أحمد بن الحارث الخراز قال[2] : كان الكسائي ممن وُسِمَ بالتعليم ، وكان كسب به مالاً إلا أنه حُكِيَ عنه أنه أقام غلاماً ممن عنده في الكتّاب وقام يفسق به ، وجاء بعض الكتاب ليسلّم عليه فرآه الكسائي ولم يره الغلام ، فجلس الكسائي في مكانه وبقي الغلام قائماً مبهوتاً ، فلما دخل الكاتب قال للكسائي : ما شأن هذا الغلام قائماً ؟ قال : وقع الفعل عليه فانتصب .

وحدث المرزباني فيما أسنده إلى سعدون القارىء قال : رأيت الكسائي وهو يسأل أبا الحسن المروزي وقد أقام أربعين سنةً يختلف إلى الكسائي والمروزي يقول : كيف تقول مررتُ بدجاجة تَنقُرُكَ أو تَنْقُرَكَ ، أو تَنقُرِكَ ، فقال له الكسائي : استحييتُ لك بعد أربعين سنة لا تعرف حروفَ النعت أنها تتبع الأسماء قل تَنْقُرِكَ من نعت الدجاجة . قال : والكسائي يهزأ به ويعبث وينقر أنفه .

وحدث أيضاً باسناد رفعه إلى نصير الرازي النحوي ـ رجل كان بالري ـ قال : قدم الكسائي مع هارون فاعتلّ علة منكرة ، فأتاه هارون ماشياً متفرعاً ، فخرج من عنده وهو مغمومٌ جداً فقال لأصحابه : ما أظن الكسائي إلا ميّتاً ، وجعل يسترجع ، فجعل

---

(1) انباه الرواة 2 : 267 .
(2) نور القبس : 289 .

القوم يعزّونه ويطيبون نفسه وهو يظهر حزناً فقالوا : يا أمير المؤمنين وما له قضيت عليه بهذا ؟ قال : إنه حدثني أنه لقي رجلاً من الأعراب عالماً غزير العلم بموضع يقال له ذو النخيلة ، قال الكسائي : فكنت أغدو عليه وأروح أمتاح ما عنده ، فغدوت عليه غدوة من تلك الغدوات فإذا هو ثقيل ورأيتُ به علةً منكرة ، قال : فألقى نفسه وجعل يتنفس ويقول[1] :

قَدَرٌ أَحَلَّكَ ذا النخيلِ وقد ترى ... وأبيّ ما لك ذو النخيل بدارِ[2]
إلا كداركمُ بذي بقرِ الحمى ... هيهات ذو بَقَرٍ من المزدارِ

قال الكسائي : فغدوت عليه صباحاً فإذا هو لما به ، قال : فدخلتُ الساعةَ على الكسائي فإذا هو ينشد هذين البيتين فغمّني ذلك غماً شديداً ، فكان كما قال ، مات من يومه ودفن بمنزله في سكة حنظلة بن نصر بالري سنة اثنتين وثمانين ومائة . وفي غير هذه الرواية زيادة في الشعر :

قالت جمالُ وكلهنّ جميلةٌ ... ما تأمرون بهؤلا السفّارِ
قالوا بنو سفر ولم نشعرْ بهم ... وهم الذين نريد غيرَ تماري
لما اتكأن على الحشايا مضمضت ... بالنوم أعينهنَّ بعد غرارِ
سقط الندى بجنوبهنَّ كأنما ... سقط الندى بلطائمِ العطارِ

وكانت وفاته برنبويه[3] ، كورة من كور الري ، هو ومحمد بن الحسن الفقيه في وقت واحد ، وكانا خرجا مع الرشيد إليها ، فقال الرشيد : دفنتُ الفقه والنحو برنبويه[3] ، فقال أبو محمد اليزيدي يرثيهما[4] :

تصرَّمَتِ الدنيا فليس خلودُ ... وما قد ترى من بهجةٍ سيبيدُ
سيفنيكَ ما أفنى القرونَ التي مضتْ ... فكن مستعدّاً فالفناءُ عتيدُ

---

(1) إنباه الرواة 2 : 269 ، 270 .
(2) بهامش ك : ويروى : وأبيك ؛ ويروى : واللّه مالك .
(3) م : بدنبويه .
(4) تاريخ بغداد 11 : 413 وانباه الرواة 2 : 268 .

أسيتُ على قاضي القضاة محمدٍ فأذريتُ دمعي والفؤاد عَميدُ
وقلتُ إذا ما الخطبُ أشكل من لنا بايضاحه يوماً وأنت فقيدُ
وأوجعني موتُ الكسائيِّ بعده وكادتْ بيَ الأرضُ الفضاءُ تميدُ
وأذهلني عن كلِّ عيش ولذةٍ وأرَّقَ عيني والعيونُ هُجودُ
هما عالمانا أوديا وتُخُرِّما وما لهما في العالمين نديدُ

وقد روي أن وفاة الكسائي كانت بطوس لا الريّ .

ولما بلغت هذه الأبيات إلى الرشيد قال : يا يزيدي لئن كنتَ تسيءُ بالكسائيِّ في حياته لقد أحسنت بعد موته . وقيل بل قال له : أحسنت يا بصري ، لئن كنت تظلمه في حياته لقد أنصفته بعد موته .

ومات الكسائي وله من التصانيف : كتاب معاني القرآن . كتاب مختصر في النحو . كتاب القراءات . كتاب العدد . كتاب النوادر الكبير . كتاب النوادر الأوسط . كتاب النوادر الأصغر . كتاب اختلاف العدد . كتاب الهجاء . كتاب مقطوع القرآن وموصوله . كتاب المصادر . وكتاب الحروف . كتاب أشعار المعاياة وطرائقها . كتاب الهاءات المكني بها في القرآن[1] .

قرأت بخط الأزهري في « كتاب نظم الجمان» للمنذري : أسمعني أبو بكر عن بعض مشايخه أن الكسائي كان يقوم في المحراب يؤمُّ فيشتدّ عليه القراءة حتى لا يقوم بقراءة الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ العالَمِينَ ، ثم يتحرَّفُ فَيُقْبِلُ عليهم فيملي القرآنَ حفظاً ويفسّره بمعانيه وتفسيره .

ـ 754 ـ

علي بن حمزة بن عمارة بن حمزة بن يسار بن عثمان الأصبهاني ، أبو

754 ـ ينسب ابن النديم (الفهرست : 182 ، 190) لمن اسمه علي بن حمزة الأصفهاني أنه عمل ديوان أبي نواس على الحروف وعمل ديوان أبي تمام على غير الحروف ، بل على الأنواع ، وأخشى أن يكون هنا خلط بين حمزة الأصفهاني ومن اسمه « علي بن حمزة » .

(1) نشر له د . رمضان عبد التواب « ما تلحن فيه العامة » (القاهرة والرياض) .

الحسن : وعثمان هذا الذي انتهت نسبة هذا إليه هو والد أبي مسلم الخراساني ، ويسار أخوه ، قال ذلك حمزة ، وقال : كان اسم أبيه قبل أن يسلم بنداذ هرمز ، فلما أسلم تسمَّى بعثمان ، قال : وأبو مسلم اسمه بهزادان بن بنداذ هرمز . وعلي بن حمزة هذا من أولاد أخيه يسار ، وكان أحد أدباء أصبهان المشهورين بالعلم والشعر والفضل والتصنيف شائع ذلك ذائع عنه . وصنف كتباً منها : كتاب الشعر . وكتاب فقر البلغاء يشتمل على الاختيار من شعر عامة الشعراء . وكتاب قلائد الشرف في مفاخر أصبهان وأخبارها وغير ذلك .

قال حمزة في مقدمة كتابه : « وقد كان رجلٌ من كبار أهلِ الأدب ببلدنا تعاطى عملَ كتابٍ في هذا الفن ، وهو أبو الحسن علي بن حمزة بن عمارة ، وسمَّاه « قلائد الشرف » فشحنه بأخبار الفرس في السير والأبيات ، نبذ بينهما جملاً من أخبار أصبهان تنقص عن السدس من كتابه ، وحجمها يكون دون ثلاثين ورقة ، وروى فيما بينها أخباراً كأنها من أحاديث الحكم » . ومن شعر علي بن حمزة يرثي أبا مسلم محمد بن بحر :

وقالوا ألا ترثي ابن بحرٍ محمداً ... فقلتُ لهم ردُّوا فؤاديَ واسمعوا
فلن يستطيعَ القولَ من طار قلبُهُ ... جريحاً طريحاً بالمصائب يقرع
ومن بسان عنه إلفه وخليلُهُ ... فليس له إلا إلى البعث مرجع
ومن كان أوفى الأوفياءِ لمخلصٍ ... ومن حيز في سرباله الفضلُ أجمع
سجايا كماءِ المزنِ شيبَ به الجنى ... جنى الشهد في صفوِ المدام يشعشع
وغربُ ذكاءٍ واقدٌ مثلَ جمرة ... وطبعٌ به العضبُ المهنّد يطبع
ومن كان من بيتِ الكتابة في الذرى ... وذا منطقٍ في الحفل لا يتتعتع

وله وكتبه إلى أبي نجيح أخي أبي سعد الشاعر :

قد عزمنا على الصَّبوحِ فبادرْ ... قبل أن تضحيَ السماءُ المُخيلَهْ
فلذا السدجنِ يا خليلي ذِمَامٌ ... لم أزلْ مذ عقلتُ أمري خليلَهْ
وهو يومٌ أغرُّ أبلجُ يهمي ... بحياً يستمدّ منه سيولَهْ
ودعاني إليه أدهمُ داجٍ ... قد رحمنا بكاءَهُ وعويلَهْ

شبه ليلٍ متى استضيف بليلٍ لم يُسَكِّنْ إلى الصباح صهيلَهْ
مطفحٌ مهمرٌ بلوع به يسـ ـتلبُ المدقعَ الضنينَ صليلَه
راكبٌ نازلٌ يُغَطْمِطُ وأبٌّ قد سئمنا ركوبه ونزولَهْ
يطردُ الجدبَ كلما جاش أعطى سائليه بَضِيعَهُ وَنَشِيلَهْ
ولدينا من المعسَّل شيءٌ يفثأ الدهرَ من فؤادي غليلَهْ
فتفضلْ بما سألتَ فقدماً بؤت للخلِّ بالأيادي الجليلَهْ
ولك الحكم أن تحكّم في الشر ب فلا تخفَ عن قلوبٍ عليله
وفتوّ كأنهم قُضُبُ الهنـ ـدِ لهم ألسنٌ سِلاطٌ طويلَهْ

قال المؤلف : ولعلي بن حمزة هذا مفاوضاتٌ طوال وجوابات لجماعة من شعراء أصبهان منهم أبو الحسن ابن طباطبا العلوي وغيره لم أذكر منها شيئاً لطولها ولقلة فائدتها عندي ، فشعره على هذا النمط لا طائل فيه ، إلا أنه عند أهل أصبهانَ جليلٌ نبيل .

ـ 755 ـ

علي بن حمزة البصري اللغوي ، يكنى أبا النعيم[1] : كان أحد أعيان أهل اللغة الفضلاء المتحققين بها العارفين بصحيحها من سقيمها، وله ردودٌ على جماعة من أئمة أهل اللغة كابن دريد والأصمعي وابن الأعرابي وغيرهم ، ولما ورد المتنبي إلى بغداد كان بها وفي داره نزل .

قال أبو علي الحسن بن يحيى الفقيه الصقلي يعرف بابن الخزاز[2] في « تاريخ صقلية » من تصنيفه : وفي رمضان سنة خمس وسبعين وثلاثمائة مات علي بن حمزة

755 ـ ترجمة علي بن حمزة البصري في بغية الوعاة 2 : 165 .

(1) ك : يكنى أبا القاسم .
(2) ك : الحزاز .

اللغوي البصري راوية المتنبي بصقلية ، وصلَّى عليه القاضي إبراهيم بن مالك قاضي صقلية وكبر خمساً في الجامع .

وله من التصانيف : كتاب الردّ على أبي زياد الكلابي . كتاب الردّ على أبي عمرو الشيباني في « نوادره » . كتاب الردّ على أبي حنيفة الدينوري في « كتاب النبات » . كتاب الرد على أبي عبيد القاسم بن سلام في « المصنف » . كتاب الرد على ابن السكيت في « إصلاح المنطق » . كتاب الرد على ابن ولاد في « المقصور والممدود » . كتاب الردّ على الجاحظ في « الحيوان » . كتاب الرد على ثعلب في « الفصيح » . ورأيت هذه كلها بمصر[1] .

ـ 755 ب ـ ترجمة ثانية

علي بن حمزة البصري اللغوي أحد الأعلام الأئمة في الأدب ، وله تصانيف وردود على أهل الأدب وُفِّقَ فيها ، وقد روى عنه أبو الفتح ابن جني شيئاً من أخبار المتنبي وغيرها لأنّ المتنبي لما ورد بغداد نزل عليه وكان ضيفه إلى أن رحل عنها . فحدث أبو عبد اللّه محمد بن نصر الحميدي في « كتاب جذوة المقتبس في تاريخ الأندلس » في ترجمة ثابت بن محمد الجرجاني قال : أخبرني أبو محمد علي بن أحمد عن أبي الفتح ثابت بن محمد الجرجاني قال : أخبرني علي بن حمزة ضيف المتنبي قال ـ وعنده نزل المتنبي ببغداد ـ إنّ القصيدة التي أولها :

* هذي برزتِ لنا فَهِجْتِ رسيسا *

قالها في محمد بن زريق الناظر في زواميل ابن الزيات صاحب طرسوس ، وأنه وصله عليها بعشرة دراهم ، فقيل له : إن شعره حسن ، فقال : ما أدري أحسنٌ هو أم قبيح ، ولكنْ أزيده لقولك عشرة دراهم فكانت صلته عليها عشرين درهماً .

755 ب ـ جذوة المقتبس : 173 ـ 174 ولم ترد الترجمة في ك .

(1) بهامش ك : وله كتاب الآباء والأمهات ، كتاب جليل وهو الآن عند الصصرويسي(؟) .

ـ 756 ـ

علي بن حمزة الأديب أبو الحسن ، **مصنف** الرسالة الحمارية : قدم دمشق ومدح بها أبا الفتح صالح بن أسد الكاتب في سنة ثلاثين وأربعمائة ، روى عنه أبو الحسن علي بن عبد السلام الصوري ومات بأطرابلس ، ذكره ابن عساكر هكذا .

ـ 757 ـ

علي بن حمزة بن علي بن طلحة بن علي الرازي الأصل البغدادي المولد والدار ، ويعرف بابن بقشلان : مات بمصر ، أخبرني الحافظ أبو عبد اللّه محب الدين محمد بن النجار أن علي بن حمزة بن طلحة مات في غرة شعبان سنة تسع وتسعين وخمسمائة ومولده سنة خمس عشرة وخمسمائة ، ويكنى أبا الحسين ، ويُلقب بعلم الدين : ولي حَجْبَةَ الباب في أيام المستضيء باللّه ثم نيابةَ المقام ببغداد فسافر إلى الشام ، وتنقل إلى أن حصل بمصر فمات بها .

وعلم الدين هذا هو صاحب الخط المليح الغاية ، على طريقة علي بن هلال بن البواب ، خصوصاً قلم المصاحف فإنه لم يكتبه أحدٌ مثله فيمن تقدم وتأخر ، ولذلك ذكرناه في هذا الكتاب .

ولما ولي حجبة الباب كان يتقعر في كلامه ويستعملُ السجعَ وحُوشيَّ اللغة ، فمن ذلك ما حدثني به جماعة من أهل بغداد إلا أنني كتبته من لفظ الصدر أبي محمد عبد اللّه بن الهروي الشاعر قال : لما ولي علم الدين حجبةَ بابِ النوبيّ حظر على العامة سماعَ الملاهي وشربَ الخمر وارتكابَ الفواحش، وتشدَّد في ذلك تشدداً عظيماً، وأراد بعضُ العامة المثرين ختانَ ولدٍ له فاستشفع إليه بمن يعزّ عليه في أن يمكّنه من إحضار بعض الملاهي لذلك ، فأذن فيه ثم قال : جيئوني به أشرط عليه ، فلما مثل بين يديه قال له : قد أُذِنَ لك في ختان ولدك على أن لا يكونَ عندك مِزْهَرٌ ولا مِزْمَرٌ ولا بَرْبَطٌ ولا دفٌ ولا طنبور ، ولا عود ولا محظور ، ولا الشيء الملقب بالشنك ، ولا من

756 ـ ترجمته في مصورة ابن عساكر 12 : 73 .

757 ـ ترجمة والده حمزة بن علي في المنتظم 10 : 202 ومرآة الزمان : 236 ـ 237 .

يجول الغناءُ له ببال ولا يخطر في خيال ، فقال له العاميّ : فيأذنُ لي مولانا أن أحضر وُرَيْدة المخنث يلطمُ عندي دورين ثلاثة ؟ قال : فغضب ابن طلحة وقال له : كأنك من الذين تشرئبُّ نفوسهم إلى ما حرم الله ، أيها العوام الجهلة ، والوضعاء السفلة ، يا أهالي الجهل والغواية ، ويا أصحاب الضلالة والعماية ، أما فيكم مَنْ له عقلٌ يردّه ، ولا دين يصدّه ، فينبذ الآثام وراء ظهره ، ويسعى إلى الخير بانشراح صدره ، تتهافتون على الفواحش والمآثم ، ولا تأخذكم في المعصية لومةُ لائم ، بدّلني اللّه بكِم غيركم ، وكفاني شركم وخيركم ، فقال الرجل : اللّه أكبر ، يريد تكبيرة الصلاة ، فقال ابن طلحة : وهذا أيضاً من جهلك ، وقلة معرفتك وعقلك ، ارجع إلى اللّه بقلبك ، واستغفر لذنبك ، ولا حول ولا قوة إلا باللّه .

وكان أبوه حمزة بن علي هو الملقب بكمال الدين ، ويكنى أبا الفتوح ، من الأعيان الأماثل ، ولي حجبة الباب للمسترشد ووكله وكالةً مطلقة ، فلما استخلف المقتفي لأمر اللّه ولاه صدريةَ المخزن ، وأكثر الحج وجاور بمكة ، وهو الذي عمر المدرسة التي بباب العامة لأصحاب الشافعي ، تعرف إلى الآن بالكمالية ، ووقف على المتفقهين بها ثلث ملكه ، ومات في صفر سنة ست وخمسين وخمسمائة ودفن بالحربية .

ـ 758 ـ

علي بن خليفة بن علي النحوي ، يعرف بابن المنقّى ، أبو الحسن ، من أهل الموصل : كان إماماً فاضلاً تأدّب عليه أكثر أهل عصره من أهل بلده ، ومات في ربيع الأول سنة اثنتين وستين وخمسمائة ، وكان يجلس بالمسجد المعروف بمسجد النبي ﷺ بالموصل . وصنف مقدمة في النحو سماها « المعونة » وكان زاهداً ورعاً مقداماً ذا سَوْرَةٍ وغضب .

أنشدني أبو الفضل محمد بن أحمد بن خميس المغربي الوكيل بباب القاضي بحلب ، وهو موصليّ المولد مات في جمادى الأولى سنة اثنتين وعشرين وستمائة

758 ـ بغية الوعاة 2 : 165 .

قال : أنشدني ابن المنقى النحوي الموصلي لنفسه ، ودخل إليه رجلٌ فقال له : من أين جئت ؟ فقال له : من عند علاّمة الدنيا ، يعني سعيد بن الدهان ، فقال ارتجالاً :

وقالوا الأعورُ الدهانُ حِبْرٌ يفوقُ الناسَ في أَدَبٍ وَكَيْسِ
فقلتُ بُحَيْسُ خيرٌ منه علماً وإنَّ الكلبَ خيرٌ من بحيسِ

وأنشدني ، قال أنشدني ابن المنقى لنفسه ، وقد طلب منه ملك النحاة حلاوةً بعد كلام جرى بينهما في مجلس تاج الدين ابن الشهرزوري :

عندِيَ للشيخ مليكِ النحاهْ ريحُ شناجٍ[1] سكنتْ في خُصَاهْ
لا عَسَلٌ عندي ولا سُكَّرٌ فليعذرِ الشيخُ ويأكلْ خراهْ

وأنشدني بُزان بن سُنْقُر الموصلي ، قال أنشدني شيخنا أبو عبد الله الحسين بن علي بن خليفة النحوي الأديب ، ومات بباشزّي[2] من قرى البقعاء في سنة ثلاث وتسعين وخمسمائة ، قال أنشدني والدي علي بن خليفة بن المنقى رحمه الله لنفسه ، وقد عتب عليه جمال الدين الأصفهاني الوزير في ترك التردد[3] إليه ، ثم جاءه بعد ذلك فمنعه البواب من غير أن يعرفه :

إني أتيتُكَ زائراً ومسلِّماً كيما أقومَ ببعض حقِّ الواجبِ
فإذا ببابكَ حاجبٌ متبظرمٌ فعمودُ دارِك في حرِ اِمِّ الحاجبِ
ولئن رأيتكَ راضياً بِفَعَالِهِ فجميعُ ذلك في حِرِّ اَمِّ الصاحبِ

وأنشدني بُزَانَ ، قال أنشدني الحسين بن علي ، قال أنشدني[4] والدي لنفسه في بعض الشعراء وقد هجاه :

هجوتَ يا ابنَ اللئام فاستمع الـ ـهجوَ بلا خيفةٍ ولا مَلَلِ
فأنت من معشر إذا لحظوا تنحسُ منهم محاجرُ المقلِ

---

(1) الشناج : اسم مرض (انظر ابن أبي أصيبعة 2 : 67) .
(2) باشزَّى ـ بفتح الشين وتشديد الزاء مقصورة ـ بليدة من كورة بقعاء الموصل قرب برقعيد (ياقوت) .
(3) ك : الترداد .
(4) ك : أنشد .

- 759 -

علي بن دبيس النحوي الموصلي أبو الحسن[1] : قرأ النحو على ابن وحشيّ[2] صاحب ابن جني وأخذ عنه زيد مرزكّة الموصلي ، وهو مذكور في بابه . ولعلي بن دبيس أشعار حسان منها في وصف قواد :

يسهّلُ كلَّ ممتنعٍ شديدٍ ويأتي بالمرادِ على اقتصادِ
فلو كلَّفْتَهُ تحصيلَ طيفِ الـ ـخيال ضحىً لزار بلا رُقادِ

- 760 -

علي بن زيد القاشاني النحوي : أحد أصحاب أبي الفتح ابن جني : وجدت بخطه ما كتبه في سنة إحدى عشرة وأربعمائة ، وهو صاحب الخطّ الكثير الضبط المعقّد ، سلك فيه طريقة شيخه أبي الفتح .

- 761 -

علي بن زيد أبو الحَسن بن أبي القاسم البيهقي : مات في سنة خمس وستين

---

759 - إنباه الرواة 2 : 275 وبغية الوعاة 2 : 166 .

760 - بغية الوعاة 2 : 167 ، وجاءت نسبته في ك « القاساني » بالسين المهملة ، والنسبتان مستعملتان لبلدين مختلفين .

761 - هو صاحب تتمة صوان الحكمة الذي نشر أيضاً بعنوان « تاريخ حكماء الإسلام » وللكتاب ترجمة فارسية تمت حوالي 730 وقد تمّ نشر التتمة ومعها النص الفارسي بلاهور على يد محمد شفيع (1935) وكتابه تاريخ بيهق - بالفارسية - موجود بالمتحف البريطاني كما أن كتابه جوامع الأحكام موجود بمكتبة جامعة كيمبردج ، انظر الموسوعة الإسلامية (ط/2) 1131 - 1132 وبروكلمان ، التاريخ 1 : 324 والتكملة 1 : 557 وترجمته هنا هي معتمد كل من ترجم له ، فهي بقلمه ضمن كتابه مشارب التجارب .

---

(1) م : الحسين .

(2) انظر الترجمة رقم : 739 في ما تقدم .

وخمسمائة ؛ قال هو في « كتاب مشارب التجارب » : أنا أبو الحسن علي بن الإمام أبي القاسم زيد بن الحاكم الامام أميرك محمد بن الحاكم أبي علي الحسين بن أبي سليمان الامام فندق ابن الامام أيوب بن الحسن بن أحمد بن عبد الرحمن بن عبيد اللّه بن عمر بن الحسن بن عثمان بن أيوب بن خزيمة بن عمرو بن خزيمة بن ثابت بن ذي الشهادتين صاحب رسول اللّه ﷺ ابن الفاكه بن ثعلبة بن ساعدة بن عامر بن عنان بن عامر بن خطمة بن جشم بن مالك بن الأوس ، ورفع نسبه إلى آدم ، وذلك يسير قد ذكرناه في عدة مواضع من كتبنا.

قال : ومولدي يوم السبت سابع عشرين شعبان سنة تسع وتسعين وأربعمائة في قصبة السابزوار من ناحية بيهق ، وهي بلدةٌ بناها ساسان بن ساسان بن بابك بن ساسان ، فأسلمني أبي بها إلى الكتّاب ، ثم رحلنا إلى ناحية ششتمذ من قرى تلك الناحية ، ولوالدي بها ضياع ، فحفظت في عهد الصبا « كتاب الهادي للشادي » تصنيف الميداني و « كتاب السامي في الأسامي » له و « كتاب المصادر » للقاضي الزوزني و « كتاب غريب القرآن » للعزيزي و « كتاب إصلاح المنطق » و « كتاب المنتحل » للميكالي وأشعار المتنبي والحماسة والسبعيات و « كتاب التلخيص » في النحو ثم بعد ذلك حفظت « كتاب المجمل في اللغة » . وحضرت في شهور سنة أربع عشرة وخمسمائة كُتّابَ أبي جعفر المقرىء إمام الجامع القديم بنيسابور مصنف « كتاب ينابيع اللغة » وغير ذلك ، وحفظت في كتّابه « كتاب تاج المصادر » من تصنيفه وقرأت عليه نحوَ ابن فَضال وفصولاً من «كتاب المقتصد» و«الأمثال» لأبي عبيد و«الأمثال» للأمير أبي الفضل الميكالي ، ثم حضرت درس الامام صدرِ الأفاضل أحمد بن محمد الميداني في محرم سنة ست عشرة وخمسمائة وصححت عليه « كتاب السامي في الأسامي » من تصنيفه و « كتاب المصادر » للقاضي و « كتاب المنتحل » و « كتاب غريب الحديث » لأبي عبيد و « كتاب إصلاح المنطق » و « مجمع الأمثال » من تصنيفه و « كتاب صحاح اللغة » للجوهري . وفي أثناء ذلك كنتُ أختلف إلى الامام إبراهيم الحرار المتكلم وأقتبس منه أنوارَ علوم الكلام ، وإلى الأمام محمد الفراوي وسمعت منه « غريب الحديث » للخطابي وغيرهم . ثم مات والدي في سلخ جمادى الآخرة سنة سبع عشرة وخمسمائة فانتقلت في ذي الحجة سنة ثمان عشرة إلى مرو ، فقرأت

على تاج القضاة أبي سعد يحيى بن عبد الملك بن عبيد الله بن صاعد ، وكان مَلَكاً في صورة إنسان ، وعلّقتُ من لفظه كتاب الزكاة والمسائل الخلافية ثم سائر المسائل على غير الترتيب ، وخضتُ في المناظرة والمجادلة سنة جرداء حتى رضيت عن نفسي فيه ورضي عني أستاذي ، وكنت أعقد مجلس الوعظ في تلك المدرسة وفي الجامع ، ثم انصرفت عن مرو في ربيع الأول سنة إحدى وعشرين وخمسمائة واشتغلت بمرو بتزويج صدّني عن التحصيل صدّاً ، وعدت إلى نيسابور ، ثم عدت إلى مسقط الرأس وزيارة الوالدة ببيهق ، وأقمت بها ثلاثة أشهر ، وذلك في سنة إحدى وعشرين ، ورجعت إلى نيسابور ثم رجعت إلى بيهق ، واتفقت بيني وبين الأجلّ شهاب الدين محمد بن مسعود المختار والي الري ثم مشرف المملكة مصاهرةٌ ، وصرتُ مشدوداً بِوَثَاقِ الأهل والأولاد سنين، وفوّض إليّ قضاء بيهق في جمادى الأولى سنة ست وعشرين وخمسمائة ، فبخلت بزماني وعمري على إنفاقه في مثل هذه الأمور التي قصاراها ما قال شريح القاضي « أصبحتُ ونصفُ الناسِ عليَّ غضبان » ، فضقتُ ذرعاً ولم أجدْ بدّاً من الانتقال حتى يتقلّصَ عنّي ظلُّ ذلك الأمر ، فقصدتُ كورةَ الريّ ليلةَ العيد من شوال سنة ست وعشرين وخمسمائة، والوالي بها شهاب الدين صهري ، فتلقاني أكابرها وقضاتها وسائر الأجلّاء ، وأقمتُ بها إلى السابع والعشرين من جمادى الأولى سنة سبع وعشرين وخمسمائة ، وكنت في تلك المدة أنظر في الحساب والجبر والمقابلة وطرفاً من الأحكام ، فلما رجعت إلى خراسان أتممتُ تلك الصناعة على الحكيم أستاذ خراسان عثمان بن جاذوكار[1] وحصَّلْتُ كتباً من الأحكام ، وصرت في تلك الصناعة مشاراً إليَّ ، وانتقلتُ إلى نيسابور في غرة ربيع الآخر سنة تسع وعشرين وخمسمائة وكان علم الحكمة عندي غير نضج ، وعدتُ إلى بيهق وفي العين قذى من نقصان الصناعة ، فرأيت في المنام سنة ثلاثين قائلاً يقول : عليكَ بقطب الدين محمد المروزي الملقب بالطَّبَسيّ والنصيري ، فمضيت الى سَرَخْسَ وأقمتُ عنده وأنفقتُ ما عندي من الدنانير والدراهم ، وعالجتُ جروحَ الحرص بتلك المراهم ، وعدت إلى نيسابور في السابع والعشرين من شوال سنة اثنتين وثلاثين وأقمت معه بنيسابور حتى أصابه الفلج وذلك في

(1) ك : جادوكار .

رجب سنة ست وثلاثين ، فعدت إلى بيهق في شَعْبانها فأزعجني عنها حَسَدُ الأقارب ، فخرجتُ منها خائفاً أترقب في رمضان سنة سبع وثلاثين إلى نيسابور ، فأكرمني أكابرها ، فكنتُ أعقدُ المجلسَ في يوم الجمعة بجامع نيسابور القديم ، ويوم الأربعاء في مسجد المربّع ، ويوم الاثنين في مسجد الحاج ، وتفدُ عليَّ وفودُ إكرامِ الوزير ملكِ الوزراءِ طاهر بن فخر الملك وإكرام أكابر الحضرة ، فألقيتُ العصا بنيسابور ، وأقمتُ بها إلى غُرَّةِ رجب سنة تسع وأربعين وخمسمائة ، ثم ارتحلتُ عنها لزيارة والدتي ، ومات ولدي أحمد ووالدتي في هذه السنة ، وكانت حافظةً للقرآن عالمةً بوجوه تفاسيره.

وها أنا أذكر تصانيفي في هذه المدة : كتاب أسولة القرآن مع الأجوبة مجلدة . كتاب إعجاز القرآن مجلدة . كتاب الإفادة في كلمة الشهادة مجلدة . كتاب المختصر من الفرائض مجلدة . كتاب الفرائض بالجدول مجلدة . كتاب أصول الفقه مجلدة . كتاب قرائن آيات القرآن مجلدة . كتاب معارج نهج البلاغة ، وهو شرح الكتاب ، مجلدة . كتاب نهج الرشاد في الأصول مجلدة . كتاب كنز الحجج في الأصول مجلدة . كتاب جلاء صدأ الشك في الأصول . كتاب إيضاح البراهين في الأصول مجلدة . كتاب الافادة في إثبات الحشر والاعادة مجلدة . كتاب تحفة السادة مجلدة . كتاب التحرير في التذكير مجلدتان . كتاب الوقيعة في منكر الشريعة مجلدة . كتاب تنبيه العلماء على تمويه المتشبهين بالعلماء . كتاب أزاهير الرياض المريعة وتفسير ألفاظ المحاورة والشريعة مجلدة . كتاب أشعاره مجلدة . كتاب دُرر السخاب ودِرر السحاب في الرسائل مجلدة . كتاب ملح البلاغة مجلدة . كتاب البلاغة الخفية مجلدة . كتاب طرائق الوسائل إلى حدائق الرسائل مجلدة . كتاب الرسائل بالفارسي مجلدة . كتاب رسائله المتفرقة مجلدة . كتاب عقود اللآلىء مجلدة . كتاب غُرَر الأمثال مجلدتان . كتاب الانتصار من الأشرار مجلدة . كتاب الاعتبار بالاقبال والادبار مجلدة . كتاب وشاح دمية القصر مجلدة ضخمة . كتاب أسرار الاعتذار مجلدة . كتاب شرح مشكلات المقامات الحريرية مجلدة . كتاب درة الوشاح ، وهو تتمة كتاب الوشاح ، مجلدة خفيفة . كتاب العروض مجلدة . كتاب أزهار أشجار الأشعار مجلدة . كتاب عقود المضاحك بالفارسيّ مجلدة . كتاب نصائح الكبراء بالفارسية

مجلدة . كتاب آداب السفر مجلدة . كتاب مجامع الأمثال وبدائع الأقوال أربع مجلدات . كتاب مشارب التجارب أربع مجلدات . كتاب ذخائر الحكم مجلدة . كتاب شرح الموجز المعجز مجلدة . كتاب أسرار الحكم مجلدة . كتاب عرائس النفائس مجلدة . كتاب أطعمة المرضى مجلدة . كتاب المعالجات الاعتبارية مجلدة . كتاب تتمة صوان الحكمة مجلدة . كتاب السموم مجلدة . كتاب في الحساب مجلدة . كتاب خلاصة الزيجة مجلدة . كتاب أسامي الأدوية وخواصها ومنافعها مجلدة ، وهو معنون بتفاسير العقاقير مجلدة ضخمة . كتاب جوامع الأحكام ثلاث مجلدات . كتاب أمثلة الأعمال النجومية مجلدة . كتاب في مؤامرات الأعمال النجومية مجلدة . كتاب غُرَر الأقيسة مجلدة . كتاب معرفة ذات الحَلَق والكرة والاصطرلاب مجلدة . كتاب أحكام القرانات مجلدة . كتاب ربيع العارفين مجلدة . كتاب رياحين العقول مجلدة . كتاب الاراحة عن شدائد المساحة مجلدة . كتاب حصص الأصفياء في قصص الأنبياء على طريق البلغاء بالفارسية مجلدتان . كتاب المشتهر في نقض المعتبر الذي صنفه الحكيم أبو البركات مجلدة . كتاب بساتين الأنس ودساتين الحدس في براهين النفس مجلدة . كتاب مناهج الدرجات في شرح كتاب النجاة ثلاث مجلدات . كتاب الامارات في شرح الاشارات . كتاب قضايا التشبيهات على خفايا المختلطات بالجداول مجلدة . كتاب شرح رسالة الطر مجلدة . كتاب شرح الحماسة مجلدة . كتاب الرسالة العطارة في مدح بني الزبارة[1] . كتاب تعليقات فصول بقراط . كتاب شرح شعر البحتري وأبي تمام مجلدة . كتاب شرح شهاب الأخبار مجلدة .

قال المؤلف : هذا ما ذكره في « كتاب مشارب التجارب » . ووجدت له كتاب تاريخ بيهق بالفارسية . وكتاب لباب الأنساب .

قال المؤلف : ووقفتُ بنيسابور عند أول ورودي إليها في ذي القعدة سنة ثلاث عشرة وستمائة على « كتاب وشاح الدمية » فقال فيه : إن أبا القاسم الباخرزي فرغ من

---

(1) الباء غير معجمة في ك .

تصنيف « كتاب دمية القصر » في جمادى الآخرة سنة ست وستين وأربعمائة ، وانه هو بدأ بتصنيف الوشاح في غرة جمادى الأولى سنة ثمان وعشرين وخمسمائة وفرغ منه في رمضان سنة خمس وثلاثين . وأنشد لنفسه في « كتاب الوشاح » أشعاراً ، منها في مخلص الدين أبي الفضل محمد بن عاصم كاتب الإنشاء في ديوان السلطان سنجر ، قال : وهو ابن أخت أبي إسماعيل الطغرائي[1] :

كـريمٌ على أوج النجـوم عُـلاَهُ وأيقظَ نـوَّامَ المـديـح نَـدَاهُ[2]
سرى واهتدى طبعي بنجمِ كمـاله وأُحْمِـدَ في وقتِ الصباح سـراهُ
له روضةٌ أبدتْ من الفضل نرجساً وغصنـاً من الإقبال طـاب جنـاهُ
أعاد رضاعَ القلبِ في رحـل ورده وغـادر فـي قلبـي ضُـواعَ هـواهُ
تفـرّق أشجـانُ الأفـاضـلِ يمنـةً ويجمـعُ كـلَّ الصيدِ جـوفُ فـراهُ
لقـد زرتُ أشرافَ الـزمـان وإنمـا أبـى الفـضـلُ إلاّ أن أزورَ فِـنـاهُ

وذكره العماد الأصفهاني في « كتاب الخريدة » ووصفه بالرياسة والشرف وقال : حدثني والدي أنه لما مضى إلى الري عقيب النكبة أصبح ذاتَ يوم وشـرفُ الدين البيهقي قد قصده في مركبه ، وهو حينئذ والي الريّ ، ونقله إلى منزله ، وتكفل بتسديد خلله ، وكان حينئذ يترشَّحُ لوزارةِ السلطان ، وهو كبير الشان ، وما زالا بالريّ مقيمين متوانسين ، حتى فرَّقَ بينهما محتومُ البين ، وذلك في سنة ثلاث وثلاثين وخمسمائة . قال : وأظنه نكب في وقعة السلطان سنجر مع الكفار الخطائية ، وكان والدي يثني عليه أبداً ويقول : إنه ما نظر إلى نظيره ولا مثلتْ لعينه عينُ مثله . صنف « كتاب وشاح الدمية » ذيَّله على كتاب أبي الحسن الباخرزي ، وهو موجود بخراسان ، وأورد فيـه لنفسه :

تراجعتِ الأمورُ على قفاها كما يتراجعُ البغلُ الـرَّمُوحُ
وتستبقُ الحوادثُ مُقْدِماتٍ كما يتقدَّمُ الكبشُ النـطوحُ

(1) ك : الطوغاني .

(2) في حاشية ك هنا تعليق يستفاد منه استحسان للبيت « بيت جليل » .

وقوله :

تشير بأطرافٍ لطاف كأنها أنابيبُ مسكٍ أو أساريعُ مندلِ
وتومي بلحظٍ فاترِ الطرفِ فاتنٍ بمرود سحرٍ بابليٍّ مكحّلِ
ينمُّ على ما بيننا من تجاذبٍ نسيمُ الصبا جاءت بريا القرنفلِ

ولـه :

يا خالقَ العرشِ حملتَ الورى[1] لما طغى الماءُ على جاريهْ
وعبدُكَ الآن طغى ماؤُهُ في الصُّلْبِ فاحمله على جاريهْ

قال المؤلف : هكذا ذكر العماد في كتابه ، وإذا عارضت قوله بما ذكره البيهقي عن نفسه في كتابه الذي نقلتُ لفظه منه من خطّه وجدتَ فيه اختلافاً في التاريخ وغيره ، واللّه أعلم .

ومن شعر أبي الحسن البيهقي الذي أورده لنفسه في « كتاب الوشاح » في عزيز الدين أبي الفتوح علي بن فضل الله المستوفي الطغرائي[2] ونقلته من خطه :

شموسيَ في أُفْقِ الحياةِ هلالُ وأمنيَ من صَرْفِ الزمانِ محالُ
وأطلبُ والمطلوبُ عزٌّ وجودُهُ وأرجو وتحقيقُ الرجاءِ محالُ
إلى كم أرجّي من زماني مسرّةً وقد شاب من رأس [الزمانِ] قَذَالُ[3]
وبالٌ على الطاووسِ ألوانُ ريشِهِ وعلمُ الفتى حقاً عليه وبالُ
وللدهر تفريقُ الأحبةِ عادةٌ وللجهل داءٌ في الطباع عُضَالُ
لقد ساد بالمال المصونِ معاشرٌ وأخلاقهم للمخزياتِ عيالُ
وبينهمُ ذلُّ المطامع عزةٌ وعندهم كسبُ الحرامِ حلالُ

ولـه :

ضجيعيَ في ليلي جوىً ونحيبُ وإلفيَ في نومي ضنىً ولغوبُ

---

(1) ك : الوغى .
(2) ك : الطوغائي .
(3) ك : القذال .

دَجَا ليلُ آمالي وأبطأ صبحُهُ ... وللمنذراتِ السودِ فيه نعيبُ
وتلسعني الأيامُ فهي أراقمٌ ... وتخدعني الآمالُ فهي كذوبُ
ألا ليت شعري هل أبيتنَّ ليلةً ... وباعيَ في ظلِّ الوصال رحيبُ
خليلي لا تركنْ إلى الدهر آمناً ... فاحسانه بالسيئات مشوبُ
وكم جاهلٍ قد قال لي أنت ناقصٌ ... فهيَّجَ ليثَ الحقدِ وهو غضوبُ
وعيَّرني بالعلم والحلم والنهى ... قبائلُ من أهلِ الهوى وشعوبُ
فقلتُ لهم لا تعذلوني فانني ... لصفوِ زجاجاتِ العلوم شروبُ
وما ضرَّني أني عليمٌ بمشكلٍ ... وقد مسَّ أهلَ الدهرِ منه لغوبُ
لئن عُدَّ علمُ المرءِ جرماً لديكمُ ... فذلك جرمٌ لستُ منه أتوبُ
كفى حزناً أني مقيمٌ ببلدةٍ ... بها صاحبُ العلم الرصين غريبُ

وذكر أيضاً في هذا الكتاب قال : دخلتُ على الأمير يعقوب بن إسحاق المظفر بن نظام الملك فأكرمني وقابلني بالتعظيم والتفخيم ، فقلتُ بديهةً :

يعقوبُ يُظْهِرُ دائماً في لفظه ... عسلاً لديه نظمُهُ يعسوبُهْ
وغدا بحمد اللّه صدراً مُكْرَماً ... يعلو نطاقَ المشتري عرقوبُهْ
فسقى أناملُه حدائقَ لفظه ... وجرى على نَهْجِ العلا يعبوبُهْ
قد غاب يوسفُ خاطري عن مصره ... ويشمُّ ريحَ قميصه يعقوبُهْ

فأشار إليَّ وقال : هل لك أن تنسج على منوالي في ما قلت ، فأنشدني لنفسه :

أعاذلَ مهلاً ليس عذلكِ ينفعُ ... وقولكِ فينا دائماً ليس يَنْجَعُ
وهل يصبر الصبُّ المشوقُ على الجوى ... وفي الوصل مشتاقٌ وفي الهجر مجزعُ
يقولون إن الهجرَ يَشْفي من الجوى ... وإنَّ فؤادَ الصبِّ في القرب أجزعُ
بكلٍّ تداوينا فلم يشفَ ما بنا ... ألا إن قربَ الدار أجدى وأنفعُ
تحنّ إلى ظلٍّ من العيش وارفٍ ... وعهدٍ مضى منه مصيفٌ وَمَرْبَعُ

فقلت : أيها الصدر ليس للخَلِّ حلاوةُ العسل ، وللتكحّل طلاوةُ الكَحَل ، ومن أين للسراج نور الشمس ، وللكَوْدَنِ سَبْقُ الخيل الشُّمْس ، ومن أين للضباب منفعة

السحاب . فقال : لا بد من ذلك ، فجمعت العجالة والبداهة هنالك ، وقلت في الحال في مقام الارتحال ، وكتبت بقلم الارتجال على قرطاس الاستعجال :

سرى طيفُهُ وهناً ولي فيه مَطْمَعُ وَبَرْقُ الأماني في دجى الهجرِ يلمعُ
ويأبى حقينُ الهجر عِذْرَةَ طيفِهِ فلم أدرِ في مهوى الهوى كيف أصنعُ
لقد يحمدُ القومُ السُّرَى في صباحهم زمانَ تلاقٍ عنده الشملُ يجمعُ
وها أنا أسري في ظلامي وإنني أذمُّ صباحي والخلائقُ هُجَّعُ
أقول لصبري أنت ذخري لدى النوى وذخرُ الفتى حقاً شفيعٌ مشفَّعُ
وأسكن ماءَ العين ناري وإنما هواء الهوى من تربة الطيف أنقعُ
رأيت مُعَيْدِيَّ الخيالِ فقال مِنْ جهينةَ أخبارُ المُعَيْدِيِّ تُسْمَعُ
دعوتُ إلى حَيْسِ الهوى جندبَ الهوى فولّى وطرفُ العينِ في النوم يرتعُ[1]
وقال لنفسي لا تموتي صبابةً لعلَّ زماناً قد مضى لك يرجعُ
ولم يبق مني غيرُ ما قلتُ منشداً «حشاشةُ نفسٍ وَدَّعَتْ يومَ ودّعوا»[2]
فلاذ بشمس الدين يعقوبَ من له نجومٌ لها في مشرقِ المجد مطلعُ
أجلّك يا يعقوبُ عن كُنْهِ مدحتي لأنك عن مدحي أجلُّ وأرفعُ

ثم قال : شرفني بعد ذلك بقصيدة أولها :

ألا أبلغ إلى سلمى السلاما

فأجبت ، وقلت بعد الجواب علاوةً للتصديع والابرام ، على طريق أداء شكر النعم ، اللائق بأحوال الخدم :

يا صاحبي كسدتْ أسواقُ أشواقي والتفَّتِ الساقُ يومَ الهجرِ بالساقِ

---

(1) في حاشية ك هذا التعليق : تسمع بالمعيدي خير من ان تراه مثل ، وعند جهينة الخبر اليقين مثل ،
وإذا تكون عظيمة أدعى لها وإذا يحاس الحيس يدعى جندب
هذه أمثال ضربها ، وكان البيهقي كثيراً ما يورد معاني ذلك في نظمه ونثره أهـ . التعليق .
قلت : وقد نسي المعلق مثلين آخرين وردا في الأبيات وهما : يأبى الحقين العذرة ، عند الصباح يحمد القوم السرى .

(2) صدر بيت للمتنبي وتتمته : « فلم أدر أي الظاعنين أشيع » .

يـا ليتَ شعـريَ هـل سَعْـدٌ يسـاعـدني   أم هل لداءِ الهوى في الناسِ من راقِ
أم هــل سبيــلٌ إلـى سلوانِ مـكتئبٍ   أم هــل طـريقٌ إلى إينــاس مشتــاقِ
يـا نجـلَ إسحـاق يـا مَنْ ثـوبُ سُؤْدَده   قد جلَّ في الـدهر عن وهيٍ وإسحـاقِ
فمــا تمهلتَ في يَــوْمَيْ وغـىً ونــدىً   إلا قــضـيــتَ بــآجــالٍ وأرزاقِ
وكــلّ ذكــرٍ وإن طــال الــزمــان بــه   فــانٍ وذكـرُكَ في نــادي الـندى بــاقِ

ـ 762 ـ

علي بن سليمان الأديب البغدادي ، أبو الحسن: أحد الفضلاء المبرزين والظراف المشهورين . قرأت بخط أبي سعد قال : ذكر أبو المظفر محمد بن العباس الأبيوردي في « كتاب تعلّة المشتاق » من تصنيفه قال فيه : وقد صممتُ العزمَ على معاودةِ الحضرةِ الرضوية بخراسان لأنهيَ إليها ما قاسيتُهُ في التأخر عن الخدمة ، وَعَلِمَ الأديبُ أبو الحسن علي بن سليمان صِرِّيَّ عزمي ، فجشم إليَّ قدمه ، وجرى على عادته الرضية في رعاية جانبي تمهيداً لما استمرَّ بيننا من أواصر المودة ، ولعمر الفضل إني لم أجدْ في غربتي هذه فاضلاً يباريه ولا ظريفاً يجاريه ، وَمَنْ وَصَفَ البغداديَّ بالفضل والظرف فقد كساه الثناء المختصر ، وحمل التمر إلى هجر . ومن مليح ما أسمعنيه أنه قال : سألنا أبا القاسم عبد العزيز بن أحمد بن ناقيا البغدادي (قلت : هكذا قال عبد العزيز وصوابه عبد اللّه ذكرناه في بابه من هذا الكتاب) عن المتنبي وابن نباتة والرضي فقال : إن مثلهم عندي مَثَلُ رجلٍ بنى أبنيةً شاهقة وقصوراً عالية وهو المتنبي ، فجاء آخر وضرب حولها سرادقاتٍ وخيماً وهو ابن نباتة ، ثم جاء الرضي ينزل تارة عند هذا وتارة عند ذاك ، فأنشدني قال أنشدني أسبهدوست بن محمد بن أسفار الديلمي قال : أنشدني أبو الفرج الببغا لنفسه(1) :

أشقيتني فـرضيتُ أن أشقـى   ومـلكتـني فـقتـلتني عشـقـا

---

762 ـ لم أعثر على ترجمة له .

(1) لم ترد الأبيات في مجموع شعره .

وزعـمتَ أنـك لا تـكلّمـني عشـراً فمن لـك أنني أبقى
ليس الـذي تبغيـه من تَلَفي متعـذراً فاستعمـل الـرفقـا

قال الأبيوردي : وبهذا الاسناد قال أنشدني ابن الحجاج لنفسه :

يـا صروفَ الـدهر حسبي أيُّ ذنـبٍ كـان ذنـبـي
عـلّةٌ عـمَّـتْ وخصَّـتْ لـحـبـيـبٍ ومـحـبّ
أنـا أشـكـو حَـرَّ حُـبّ وهـو يشكـو حَـرَّ حَـبِّ

قال الأبيوردي : فقل في محبوب جَرِبٍ وعاشقٍ طَرِب .

- 763 -

علي بن سليمان ، يلقب حيدة اليمني النحوي التميمي : كان من وجوه أهل اليمن وأعيانهم علماً ونحواً وشعراً ، وصنَّفَ كتباً منها كتاب في النحو سماه « كشف المشكل » في مجلدين وقال فيه يمدحه :

صـنفتُ للمتـأدّبيـن مصـنـفـاً سميته بكتـاب كَشْفِ المشكـلِ
سبق الأوائـلَ مـعْ تـأخُّـرِ عصـرِهِ كم آخـرٍ أزرى بفـضـل الأوّلِ
قَيَّـدْتُ فيـه كـلَّ مـا قـد أرسلوا ليس المقيدُ كالكـلامِ المرسـلِ

ومولده ببلاد بكيل من أعمال ذمار ومات سنة تسع وتسعين وخمسمائة ، ومن شعره يحصر جمع التكسير :

سألتَ عن التكسير فـاعلم بأنهـا ثمـانيـةٌ أوزانُ جمـع المكسَّـرِ
فـأربـعـةٌ أوزانُ كـلٍّ مـقـلّل وأربـعـةٌ أوزانُ كـلٍّ مـكـثّـرِ
فِعـالٌ وأفعـال وَفُعْـلٌ وأَفْعُـلٌ وأَفْعِلَةٌ منهـا وَفِعـلانِ فـانـظرِ
ومنهـا فُـعُـولٌ يـا أخيَّ وَفِـعلةٌ وتمثيلهـا إن كنت لمـا تصـوّرِ

763 ـ قال ياقوت في مادة (بكيل) من معجم البلدان : وينسب إلى هذا المخلاف الأديب علي بن سليمان الملقب « بحيدرة » [كذا] له تصانيف في النحو والأدب ، عصريّ ، مات في سنة 599 ، وانظر ترجمته في بغية الوعاة 2 : 168 وفيه لقبه « حيدة » (والنقل عن ياقوت) . ومن اللافت للنظر أن يكون يمنياً تميمياً .

جمــالٌ وأفـراسٌ وأُسْـدٌ وأكبش ... وأكسيــةٌ حُمْــرٌ لفتيــانِ حميــرِ
أتـونـا عشــاءً في ربـوعٍ لفتيــة ... من التغلبيين الكــرامِ ويـشكــرِ
وكـــلّ خمـاسيّ إذا مــا جمعتـه ... فــآخــرَهُ فــاحــذفْ ولا تتعثــرِ
فتجمــع قرطعبـا قراطــعَ سـالكـاً ... به مَسْلَكَ الجمعِ الرباعي المكثَّرِ

قلت أنا : هذا عجب ممن صنَّفَ كتاباً كبيراً في النحو يقول : جمع المكثر أربعة أوزان وهي على نحو من خمسين وزناً .

ـ 764 ـ

علي بن سليمان بن الفضل الأخفش أبو الحسن، وهو الأخفش الصغير ، وهناك الأخفش الأكبر وهو أبو الخطاب عبد الحميد ، وقد ذكر ، والأوسط وهو أبو الحسن سعيد بن مسعدة وقد مرَّ في بابه ، وهناك أخفش آخر وهو عبد العزيز بن أحمد المغربي الأندلسي ، وقد ذكر في بابه أيضاً[1] ، وغيرهم .

ومات علي بن سليمان هذا في شعبان سنة خمس عشرة وثلاثمائة ودفن بمقبرة قنطرة البَرَدان ، ذكر ذلك المرزباني ، قال المرزباني في « كتاب المقتبس » : ذِكْرُ جماعة لقيناهم من النحويين وأهل اللغة منهم علي بن سليمان بن الفضل الأخفش ، ولم يكن بالمتسع في الرواية للأخبار والعلم بالنحو ، وما علمته صنَّف شيئاً البتة ولا قال شعراً ، وكان إذا سئل عن مسائل النحو ضجر وانتهر كثيراً ممن يواصل مساءلته ويتابعها ، ثم ذكر وفاته كما تقدم قال : وشهدته يوماً وصار إليه رجل من حلوان كان يَلزمه فحين رآه قال له :

---

764 ـ ترجمة الأخفش الصغير في طبقات الزبيدي : 115 والفهرست : 91 ونور القبس : 341 وتاريخ أبي المحاسن : 45 وتاريخ بغداد 11 : 433 وفهرسة ابن خير (صفحات متفرقة) ونزهة الألباء : 248 والمنتظم 6 : 214 وإنباه الرواة 2 : 276 وابن خلكان 3 : 301 وسير الذهبي 14 : 480 وعبر الذهبي 2 : 162 ومرآة الجنان 2 : 267 والبداية والنهاية 11 : 157 والبلغة : 158 والنجوم الزاهرة 2 : 167 والشذرات 2 : 270 وبغية الوعاة 2 : 167 واشارة التعيين : 219 .

(1) ترجمة سعيد بن مسعدة رقم : 548 ولم ترد ترجمة لعبد الحميد ولعبد العزيز .

حيــاك ربُّــكَ أيهــا الحلواني   وكفـاكَ مـا يـأتي من الأزمـانِ

ثم التفت إلينا وقال : ما نحسن من الشعر إلا هذا وما جرى مجراه ، هكذا ذكر أبو عبيد الله وهو تلميذه وصاحبه.

وقال الجوهري : الأجلع الذي لا تنضمّ شفتـاه على أسنانـه ، وكان الأخفش الأصغر النحويّ أجلع[1].

ووجدت في « كتاب فهرست النديم » بخط مؤلفه ، وذكر الأخفش هذا فقال : له من التصانيف كتاب الأنواء . وكتاب التثنية والجمع . وكتاب شرح سيبويه - حدثني الصاحب الوزير جلال الدين القاضي الأكرم أبو الحسن علي بن يوسف القفطي أدام اللّه أيامه أنه ملكه في خمسة أجلاد - وكتاب تفسير رسالة كتاب سيبويه ، رأيته في نحو خمس كراريس . وكتاب الحداد . ووجدت أهلَ مصر ينسبون إليه كتاباً في النحو هذبه أحمد بن جعفر الدينوري وسمّاه « المهذب ».

وحدث أبو عبيد اللّه : حضرت يوماً أبا الحسن الأخفش ودفع كتاباً إلى بعض من كان في مجلسه ليكتب عليه اسمه فقال لــه أبو الحسن خفِّشْ خفِّشْ ، يريد اكتب الأخفش ، ثم قال : أنشدنا أبو العباس المبرد[2] :

لا تكـرهنْ لقبـاً شُهِــرْتَ بــه   فلربَّ محــظوظٍ مـن اللقــبِ
قــد كــان لقّب مــرّةً رجــلٌ   بــالـوائليِّ فَعُــدَّ في العـربِ

قال الأخفش : دعاني سوّار بن أبي شراعة فتأخرت عنه فكتب إليّ :

مضى النورُ واستبهمَ الأغطشُ   وأخـلفـني وعــدَهُ الأخـفشُ
وحــال وحــالت بــه شيمــةٌ   كمـا حال عن لـونـه البـرقشُ
أبــا حَسَنٍ كنتَ لي مَــألفــاً   فمـا لك عن دعـوتي تـطرشُ
وكنتُ لأعـدائـك الشــانئيـك   سمــامــاً كمــا نَفَثَ الأرقشُ
وكنتُ بقــربــك في روضــةٍ   فهــا أنــا والبلدُ المعــطشُ

---

(1) جاء في حاشية ك التعليق التالي : هو سعيد بن مسعدة لا هذا (يعني ان سعيد بن مسعدة هو الأصغر أما المترجم هنا فهو الصغير) .

(2) نور القبس : 341 .

إذا قلت قرطستُ في صاحبٍ نـزعتُ كما ينـزع المُـرْعَشُ
وسيّـانِ عنـديَ مـن عقّـني عقـوقَكَ والحيـةُ الحربشُ[1]
أقـولُ ومـا خُلْتُ عن عهـده رأيتـك كـالنـاسِ إذ فَتِّشُوا

وحـدث [. . .] قـال : كـان ابن الـرومي كثيـر الـهجـاء لـلأخـفش ، وذاك أن ابن الرومي كان كثير الطيرة ، وكان الأخفش كثيرَ المزاح ، وكان يباكره قبل كلِّ أحد ، فيطرقُ البابَ على ابن الرومي فيقول : من بالباب ؟ فيقول الأخفش : حرب بن مقاتل ، وما أشبه ذلك ، فقال ابن الرومي يهجوه ويتهدده[2] :

قـولـوا لـنحـويّـنـا أبي حـسـنٍ إني حسـامٌ متى ضـربتُ مَضَى
لا تحسبنَّ الهجـاءَ يحفـلُ بـالـــرفع ولا خفضٍ خافضٍ خفضا
كـأنـني بـالـشـقـيِّ معـتـذراً إذا الـقـوافي أَذَقْنَـهُ مضـضـا
يَنْشُـدُني العهـدَ يـومَ ذاك وللـــعهدِ خضـابٌ أزالَـهُ فـنـضـا

قال المرزباني : فحدثني المظفر بن يحيى قال حدثني أبو عبيد الله النحوي أن الأخفش قال يوماً لابن الرومي : إنما كنت تدّعي هجاء مثقال ، فلما مات مثقال انقطع هجاؤك ، قال : فاختر عليَّ قافية أهجوك ، قال : على رويّ قصيدة دعبل الشينية ، فقال قصيدته التي يهجوه فيها ويجوّد حتى لا يقدر أحد أن يدفعه عن ذلك ويفحش حتى يفرط ، أولها[3] :

ألا قـل لنحـويِّـكَ الأخفشِ أنستَ فـأَقصرْ ولا تـوحشِ
ومـا كنتَ عن غيّـةٍ مقصـراً وأشـلاءُ أمـك لـم تـنـبشِ

قال فيها :

أمـا والـقـريضِ ونـقـادِه ونَجْشِـكَ فيـه مـع النُّجَّشِ
ودعـواك عـرفـانَ نـقّـادِهِ بفضـل النقيِّ على الأنـمشِ

(1) الحية الحربش : كثيرة السم خشنة المسّ .
(2) نور القبس : 341 وديوان ابن الرومي 4 : 1410 ـ 1412 .
(3) ديوان ابن الرومي 3 : 1247 ـ 1250 .

لئن جئتَ ذا بَشَــرٍ حــالــكٍ　　لقــد جئتَ ذا نسبٍ أبــرشِ
ومــا واحــدٌ جــاء من أمــه　　بــأعجبَ من نــاقــدٍ أخفشِ
كــأنّ سنــا الشتم في عـرضـه　　سنا الفجرِ في السحرِ الأغبشِ
أقــولُ وقــد جــاءنــي أنّــه　　ينـوشُ هِجـائي مـع النـوَّشِ
إذا عكس الــدهـرُ أحكــامَـهُ　　سطا أضعفُ القوم بـالأبطشِ
ومــا كــلّ من أفحشت أمــه　　تعــرَّضَ للمـقــذع الأفحشِ

وهي قصيدة طويلة . ولما سار هجاؤه في الأخفش جمع الأخفشُ جماعةً من الرؤساء ، وكان كثيرَ الصديق ، فسألوا ابنَ الرومي أن يكفَّ عنه فأجابهم إلى الصفح عنه ، وسألوه أن يمدحه بما يزيل عنه عار هجائه فقال فيه[1] :

ذُكِـرَ الأخفشُ القـديم فقلنــا　　إن للأخفشِ الحديثِ لفضْلاَ
فإذا ما حكمتُ والـرومُ قومي　　في كـلام معرَّبٍ كـان عـدْلاَ
أنـا بين الخصوم فيـه غـريبٌ　　لا أرى الـزورَ للمحابـاة أهلا
ومتى قلتُ بــاطــلاً لم ألقبْ　　فيلســوفـاً ولم أُسَمَّ هــرقــلا

وذكر الزبيدي أن الأخفش كان يتحفَّظُ هجاءَ ابن الرومي له ويمليه في جملة ما يملي ، فلما رأى ابنُ الرومي أنه لا يألم لهجائه ترك هجوه.

وكان الأخفش قد قرأ على ثعلب والمبرد وأبي العيناء واليزيدي .

وحـدث الأخفش قال[2] : استهـدى إبـراهيم بن المـدبـر المبـردَ جليسـاً يجمـعُ إلى تأديب ولده الاستمتاعَ بايناسه ومفاكهته ، فندبني إليه وكتب معي : قد أنفذت إليك أعزك اللّه فلاناً وجملة أمره :

إذا زرتُ الـملوكَ فــان حـسبـي　　شفيعـاً عنـدهم أن يَخْبُـروني

وقدم الأخفش هذا مصر في سنة سبع وثمانين ومائتين وخرج منها سنة ثلاثمائة إلى حلب مع علي بن أحمد بن بسطام صاحب الخراج فلم يعد إلى مصر.

---

(1) ديوانه 5 : 1921 ـ 1922 .
(2) إنباه الرواة : 277 وتاريخ أبي المحاسن : 45 .

وحدث الرئيس أبو الحسين هلال(1) بن المحسن بن إبراهيم بن هلال(1) الصابىء في كتابه « كتاب الوزراء » قال : حكى لي أبو الحسن ثابت بن سنان قال : كان أبو الحسن علي بن سليمان الأخفش يواصل المقام عند أبي علي ابن مقلة ويراعيه أبو علي وَيَبَرُّه ، فشكا إليه في بعض الأيام الاضاقةَ وسأله أن يكلم أبا الحسن علي بن عيسى ، وهو يومئذ وزير ، في أمره ، وسأله إجراءَ رزقٍ عليه في جملة من يرتزق من أمثاله ، فخاطبه أبو علي في ذلك وعرَّفه اختلالَ حاله وتعذر القوتِ عليه في أكثر أيامه ، وسأل أن يُجْرِيَ عليه رزقاً في جملة الفقهاء ، فانتهره علي بن عيسى انتهاراً شديداً وأجابه جواباً غليظاً ، وكان ذلك في مجلسٍ حافلٍ ومجمع كامل ، فشقَّ على أبي علي ما عامله به وقام من مجلسه وقد اسودت الدنيا في عينيه ، وصار إلى منزله لائماً لنفسه على سؤال علي بن عيسى ما سأله ، وحلف أنه يجرد في السعي عليه ، ووقف الأخفش على الصورة واغتمّ ، وانتهت به الحال إلى أن أكل الشلجم النيّ ، فقيل إنه قبض على قلبه فمات فجاءة ، وكان موته في شعبان سنة خمس عشرة وثلاثمائة.

ـ 765 ـ

علي بن سهل بن العباس ، أبو الحسن النيسابوري : المفسر العالم العابد الديِّن ، ذكره عبد الغافر في « السياق » وقال : مات في ثالث عشر ذي القعدة سنة إحدى وتسعين وأربعمائة ، ووصفه فقال : نشأ في طلب العلم وتبحر في العربية ، وكان من تلامذة أبي الحسن الواحدي .

ـ 766 ـ

علي بن طاهر بن جعفر ، أبو الحسن السلمي النحوي : نقلت من خط ابن اللبان قال نقلت من خط السمعاني قال : أخبرني أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة

765 ـ بغية الوعاة 2 : 169 .

766 ـ إنباه الرواة 2 : 283 وبغية الوعاة 2 : 170 وينقل ياقوت عن تاريخ دمشق ، انظر المصورة 12 : 434 .

(1) ك : هليل .

الله الحافظ الدمشقي أنه سمع أبا عبد الله بن سلوان وغيره ، وكان ثقة ديّناً ، وقل ما يكون النحويّ ديّناً . ذكر ابن الأكفاني أنه مات في الحادي والعشرين من شهر ربيع الأول سنة خمسمائة .

وذكر الحافظ في « تاريخ دمشق » قال : علي بن طاهر بن جعفر بن عبد الله أبو الحسن القيسي السلمي النحوي ، سمع أبا عبد الله ابن سلوان وأبا القاسم ابن الشميشاطي وأبا نصر أحمد بن علي بن الحسن الكفرطابي ، وذكر جماعة ، قال : وروى عنه غيث بن علي ، وحدثنا عنه الفقيه أبو الحسن السلمي وخالي القاضي أبو المعالي وجميل بن تمام وحَفّاظ بن الحسين . وكان ثقة ، وكانت له حلقة في الجامع وقف فيها خزانةً فيها كتبه . وذكر أبو محمد ابن صابر أنه سأله عن مولده فقال : سنة إحدى وثلاثين وأربعمائة . ذكر ابن الأكفاني أن أبا الحسن ابن طاهر النحوي مات يوم الحادي والعشرين من شهر ربيع الأول سنة خمسمائة[1] .

ـ 767 ـ

علي بن طلحة بن كردان النحوي أبو القاسم : قال أبو غالب ابن بشران : كان ابن كردان يعرف بابن السحناتي[2] ، ولم يبع قطّ السحناةَ وإنما كان أعداؤه يلقّبونه بذلك فغلب عليه ، قال : وهذا الشيخ أول الشيوخ الذين قرأتُ عليهم الأدب.

قال السلفي الحافظ : سألت خميس بن علي الحوزي عن ابن كردان فقال : صحب أبا عليّ الفارسي وعلي بن عيسى الرماني ، قرأ عليهما كتاب سيبويه ، والواسطيون يفضلونه على ابن جني والربعي ، صنف كتاباً كبيراً في إعراب القرآن ، قال لي شيخنا أبو الفتح[3] كان يقارب خمسةَ عشر مجلداً ، ثم بدا له فيه فغسله قبل

767 ـ إنباه الرواة 2 : 284 وبغية الوعاة 2 : 170 وسؤالات الحافظ السلفي : 14 وسير الذهبي 17 : 427 ، وكردان بضم الكاف .

(1) ذكر ابن الأكفاني . . . . خمسمائة : هذا مكرر ، فقد ورد في أول الترجمة .

(2) نسبة إلى السحناة (أو الصحناة) ويقال لها أيضاً الصير وهي صغار السمك أو إدام يتخذ من السمك .

(3) أبو الفتح هو محمد بن محمد بن المختار (وستأتي ترجمته) .

موته ، مات سنة أربع وعشرين وأربعمائة . وكان متنزهاً متصوّناً ركب إليه فخر الملك أبو غالب محمد بن علي بن خلف وزير بهاء الدولة، وهو سلطانُ الوقت، وبذل له فلم يقبل ، وكان قد جرت بينه وبين القاضي أبي تغلب أحمد بن عبيد الله العاقولي صديق الوزير المغربي وخليفة السلطان والحكام على واسط في وقته ، وكان معظماً مفخماً ، خصومةٌ ، فقال له ابن كردان : إن صلتَ علينا بمالك صلنا عليك بقناعتنا . وآخر من حدث عنه أبو المعالي محمد بن عبد السلام بن شانده .

وذكره أبو عبد الله محمد بن سعيد الدبيثي في « نحاة واسط » فقال : علي بن طلحة بن كردان النحوي أبو القاسم الواسطي المولد والدار أخذ النحو عن أبي علي الفارسي وأبي الحسن الرماني وأبي بكر ابن الجراح صاحب ابن الأنباري ، قال ابن بشران : هو أول شيخ قرأت عليه ، ووصفه بالفضل والمعرفة ، وعنه أخذ النحو أبو الفتح محمد بن محمد بن مختار وغيره من الواسطيين . وكان شاعراً ومن شعره في ذم واسط :

سئم الأديبُ من المقام بواسطٍ ... إنّ الأديبَ بواسطٍ مهجورُ
يا بلدةً فيها الغنيُّ[1] مكرَّمٌ ... والعلمُ فيها ميّتٌ مقبورُ
لا جادكِ الغيثُ الهطولُ ولا اختلى ... فيكِ الربيعُ ولا علاك حبورُ
شرَّ البلاد أرى فعالك ساتراً ... عني الجميلَ وشرُّكِ المشهورُ

حدث أبو الجوائز الحسن بن علي بن باري الكاتب الواسطي قال : اجتمع معنا في حلقة شيخنا أبي القاسم علي بن كردان النحوي سيدوك الشاعر[2] ، ونحن في الجامع بواسط بعد صلاة الجمعة ، وجرى في عرض المذاكرات ذكر من أحال على قلبه بالعشق ، ومن أحال على ناظره به أيضاً ، ومضت أناشيد في ذلك ، فقال أبو طاهر سيدوك : قد حضرني في هذا المعنى شيء وأنشدنا :

---

(1) البغية : الغبيّ .

(2) سيدوك شاعر واسطي اسمه عبد العزيز بن حامد بن الخضر أبو طاهر روى عنه شعره أبو القاسم ابن كردان وأبو الجوائز الواسطي ، له ترجمة في يتيمة الدهر 2 : 372 والفوات 2 : 331 .

يا قلبُ من هذا حذرتُ عليكا ذقْ ما جنيتَ فكم نصحتُ إليكا
انضج بنارِكَ لا أراحك حَرُّها فلطالما ضاع العتابُ لديكا
لما أطعتَ الطرفَ ثم عصيتني علق الهوى يا قلبُ من طرفيكا

وسمعنا أذان العصر فقلت لشيخنا : أكتبها قبل إقامة الصلاة أو إذا صلينا ؟ قال : اكتبها ولو أن الإمام على المنبر ، وأنشدنا حينئذ لنفسه :

أبصرتُ في المأتم مقدودةً تقضي ذماماً بتكاليفها
تشيرُ باللطم إلى وجنةٍ ضرَّجها مُبْدِعُ تأليفها
إذا تبدَّى الصبحُ من وجهها جَمَّشَهُ ليلُ تطاريفها

وحدث أبو غالب ابن بشران النحوي قال : أنشدني أبو القاسم علي بن طلحة بن كردان النحوي قال : أنشدني أبو طاهر سيدوك لنفسه ، وكان يَعْرِضُ عليَّ شعره ، وقد ابتكر معنى غريباً وإن كان اللفظ قريباً :

إن دائي الغداةَ أبرحُ داءٍ وطبيبي سريرةٌ ما تبوحُ
يحسبوني إذا تكلمتُ حيّاً ربَّما طار طائرٌ مذبوحُ

قال ابن كردان وأنشدني سيدوك أيضاً لنفسه(1) :

أستودعُ اللّه من بانوا فلا بصري مني ولا أذني عندي ولا بصري
عهدي بنا ورداءُ الوصلِ يشملنا والليلُ أطولُهُ كاللمح بالبصرِ
والآن ليليَ مذ غابوا فديتهمُ ليلُ الضريرِ وصبحي غيرُ منتظرِ

ـ 768 ـ

علي بن ظافر بن الحسين الأزدي : وكنية ظافر أبو منصور ، وهو مصريّ وزر

768 ـ ترجمة ابن ظافر الأزدي في ابن الشعار 4 : 404 والفوات 3 : 26 والزركشي : 209 ، وانظر مقدمات كتبه المنشورة وهي : أخبار الدول المنقطعة وبدائع البدائه وغرائب التنبيهات على عجائب التشبيهات .

(1) الثاني والثالث من هذه الأبيات وردا في اليتيمة والفوات .

للملك الأشرف موسى بن الملك العادل أبي بكر ابن أيوب، وكان نعم الرجل، له علومٌ جمة وفضائل كثيرة، ثم ترك الوزارةَ وعاد إلى مصر فتوفي بها منتصف شعبان سنة ثلاث عشرة وستمائة[1] عن ثمان وأربعين سنة، وله من التصانيف، كتاب بدائع البدائه في من قال شعراً على البديهة. وكتاب مكرمات الكتاب. وكتاب أخبار الشجعان. وكتاب من أصيب ممن[2] اسمه علي، وابتدأ بعلي بن أبي طالب عليه السلام. وكتاب الدول المنقطعة. وكتاب التشبيهات. وكتاب أساس السياسة. وكتاب أخبار السلجوقية.

- 769 -

علي بن العباس النوبختي أبو الحسن: أحد مشايخ الكتاب وأهل الأدب المشاهير والمروءة، روى من أخبار البحتريّ وابن الرومي قطعةً حسنة، ومات سنة تسع وعشرين وثلاثمائة بعد سنٍّ عالية، وهو القائل لابن عمه أبي سهل إسماعيل بن علي النوبختي وشرب دواءً:

يا محييَ العارفاتِ والكرمِ وقاتلَ الحادثاتِ والعَدَمِ
كيف رأيتَ الدواءَ أعقبك اللّـ ـهُ شفاءً به من السقمِ
لئن تخطتْ إليكَ نائبةٌ حطَّت بقلبي ثقلاً من الألمِ
شربتَ فيها الدواء مرتجياً دفعَ أذى من عظامك العظمِ
فالدهر لا بدَّ محدثٌ طَبَعاً في صفحتي كلِّ صارمٍ خَذِمِ

---

769 - ترجم صاحب الفهرست لعدد من بني نوبخت مثل اسماعيل بن علي والحسن بن موسى: 225 والفضل بن نوبخت: 333.

(1) في الفوات ان وفاته كانت سنة 623.

(2) م: بمن، وقد تقرأ «ممن» في ك.

ـ 770 ـ

علي بن عبد اللّه بن سنان الطوسي ، أبو الحسن التيمي : أحد أعيان علماءِ الكوفة ، أخذ عن ابن الأعرابي ، وكان عدوّاً لابن السكيت لأنهما أخذا عن نصران الخراساني واختلفا في كتبه بعد موته ، مات [. . .] .

ذكره المرزباني فقال : حدثنا محمد بن يحيى عن إبراهيم بن المعلى الباهلي قال : أكثرت يوماً سؤالَ الطوسي فقال متمثلاً :

يسرُّ ويعطي كلَّ شيء سألتَهُ ومن يكثرِ التسآلَ لا بدَّ يحرمِ

قال ووجه بإنسان في حاجة فقصر فقال :

بَخِلْتَ وكلفناك ما لم تقمْ به وهل تحملُ الفصلانُ أحمالَ بُزَّلِ

قال محمد بن إسحاق : كان الطوسي راوية لأخبار القبائل وأشعار الفحول ، ولقي مشايخ البصريين والكوفيين ، قال : ولا مُصَنَّفَ له .

وكان شاعراً ذكر له المرزباني قوله :

هجم البردُ والشتاءُ ولا أمـ ـلكُ إلا روايةَ العربيهْ
وقميصاً لو هبَّتِ الريحُ لم يبـ ـقَ على عاتقيَّ منه بقيهْ
ويُقلُّ الغَناءَ عني فنونُ الـ ـعلم إن أعصفتْ شمالٌ عَريهْ

قال وقال أحمد بن أبي طاهر يرثي الطوسي الراوية بقصيدة طويلة منها :

من عاشَ لم يخلُ من همٍّ ومن حَزَنِ بين المصائبِ من دنياهُ والمحنِ
والموتُ قَصْرُ امرىءٍ مُدَّ البقاءُ له فكيف يسكنُ من عيشٍ إلى سكنِ
وإنما نحن في الدنيا على سَفَرٍ فراحلٌ خلَّف الباقي على الظعنِ
ولا أرى زمناً أردى أبا حَسَنٍ وخان فيه على حُرٍّ بمؤتمنِ

---

770 ـ إنباه الرواة 2 : 285 وبغية الوعاة 2 : 172 والفهرست : 77 وطبقات الزبيدي : 205 ونزهة الألباء : 124 وينقل ياقوت عن المرزباني (المقتبس) ولكن مختصر الكتاب حذف ما يتعلق بالطوسي ؛ وذكر القفطي أن الطوسي كان من أصحاب أبي عبيد القاسم بن سلام ، وكان من أعلم أصحابه وأكثرهم أخذاً عنه .

لقد هوى جبلٌ للمجد لو وزنت ... به الجبالُ الرواسي الشمُّ لم تزنِ
وأصبح الحبلُ حبلُ الدينِ منتشراً ... وأُدْرِجَ العلم والطوسيّ في كفنِ
من لم يكن مثله في سالفِ الزمن ... ولم يكن مثله في غابر الزمنِ

ـ 771 ـ

علي بن عبد الله بن علي بن الحسين بن زيد بن علي بن الحسين بن زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليهم السلام ، أبو القاسم العلوي المعروف بابن الشبيه : سمع محمد بن المظفر ، كتب عنه عليّ بن أحمد الحافظ وقال : كان ديّناً حسن الاعتقاد يورِّقُ بأجرة ويأكل من كسب يده ويواسي الفقراء من كسبه . سألته عن مولده فقال : ولدت في ليلة عيد الأضحى سنة ستين وثلاثمائة ، ومات في العشر الأول من رجب سنة إحدى وأربعين وأربعمائة .

قال الشريف أبو الحسن علي بن محمد بن علي بن محمد العلوي العمري النسابة في « كتاب الشافي في النسب » من تصنيفه : ومنهم ـ يعني من ولد الحسين بن زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليهم السلام ـ زيد النسابة الجليل صاحب « كتاب المبسوط » ويلقب الشبيه بن علي بن الحسين بن زيد الشهيد عليه السلام ، فمن ولده ببغداد أبو الفضل الحسن صاحب العوجاء ، وأخوه أبو القاسم علي الموضح الناسخ ، له خط مليح ، ابنا أبي محمد عبد الله بن أبي عبد الله الحسين النقيب بن علي بن الحسين بن زيد الشبيه ، به يعرفون ، له بقية .

وجدت على ظهر ديوان عروة بن الورد بخط ابن الشبيه ، وكان الديوان كله بخطه :

ديوان عروةِ العبسيِّ أوضَحَهُ ... خطُّ امرىء زاده حسناً وتبيينا
نجلُ الأكارمِ من آلِ الشبيه فتىً ... بجدِّه خَتَمَ اللّه النبيينا
صلّى الاله عليه ما دجا غَسَقٌ ... ويرحمُ اللّه عبداً قال آمينا

---

771 ـ انظر عمدة الطالب : 227 وفيه زيد الشيبة (وهو خطأ) .

- 772 -

علي بن عبد الله بن أحمد النيسابوري المعروف بابن أبي الطيب : مولده بنيسابور ، وموطنه قصبة سابزوار ، وكان له معرفة تامة بالقرآن وبتفسيره ، مات في ثامن شوال سنة ثمان وخمسين وأربعمائة ، ودفن في مقبرة سابزوار[1] . وقد عمل أبو القاسم علي بن محمد بن الحسين بن عمرو من دهاقين وميمولان[2] مدرسةً باسمه في محلة اسفريس في رمضان سنة عشر وأربعمائة وأثرها إلى الآن باقٍ[3] ، وكان له تلاميذ كثيرة منهم أبو القاسم علي بن محمد بن الحسين[4] بن عمرو وغيره . وله عدة تصانيف في تفسير القرآن المجيد ، منها : كتاب التفسير الكبير في ثلاثين مجلّداً . وكتاب التفسير الأوسط أحد عشر مجلّداً . وكتاب التفسير الصغير ثلاث مجلدات . وكان يملي ذلك من حفظه . ولما مات رحمه الله لم يوجد في خزانة كتبه إلا أربع مجلدات أحدها فقهي وآخر أدبي ومجلدان في التاريخ ، ودفن في مقبرة سابزوار ، وعنده دعوة مستجابة مجربة .

وحمل في سنة أربع عشرة وأربعمائة إلى السلطان محمود بن سبكتكين ، فلما دخل عليه جلس بغير إذن ، وشرع في رواية خبر عن النبيّ ﷺ بغير أمر من السلطان ، فقال السلطان لغلام : يا غلام دَهْ رأسه ، فلكمه على رأسه لكمةً كانت سبباً إلى قلة سمعه وطرشه ، ثم عرف السلطانُ منزلته من الدين والعلم والنزاهة والورع فاعتذر إليه وأمر له بمال فلم يقبله وقال : لا حاجةَ لي في المال ، فإن استطعتَ أن تردَّ عليَّ ما أخذته مني قبلته ، وهو سمعي ، فقال له السلطان : أيها الرجل إن للملك صولةً وهو مفتقر إلى السياسة ، ورأيتك قد تعديتَ الواجبَ فجرى مني ما جرى ، والآن فأحبُّ أن تجعلني في حِلّ ، فقال : الله بيني وبينك بالمرصاد . ثم قال له : إنما أحضرتني

772 - يعتمد ياقوت في هذه الترجمة على تاريخ بيهق ؛ ولم أهتد إلى ترجمته في دمية القصر .

(1) ك : ساتروار .
(2) فوقها علامة خطأ في ك .
(3) ك : باقي .
(4) ك : الحسن .

لسماع الوعظِ وأخبار الرسول والخشوع لا لإقامة قوانين الملك واستعمال السياسة ، فإن ذلك يتعلق بالملوك وأمثالهم لا بالعلماء ، فخجل السلطان وجبذ برأسه إليه وعانقه .

ومن كلامه في خطبة كتاب التفسير : الزمانُ زمان سفهاءِ السِفَل ، والقِرانُ قِرانُ انقلابِ النِّحَل ، والفضلُ في أبنائه فضول ، وطلوعُ التمييز فيهم أفول ، والدِين دَين ، والدنيا عَيْن . وان تحلَّى أحدهم بالعلوم ، وادعى أنه في الخصوص من العموم ، فغايته أن يقرأ القرآن وهو غافلٌ عن معانيه ، ويتحلَّى بالفضل وهو لا يدانيه ، ويجمعُ الأحاديثَ والأخبار ، وهو فيها مثلُ الحمارِ يحملُ الأسفار .

وله ديوان شعر ، ومن شعره في « دمية القصر »[1] :

فَلَكُ الأفاضلِ أرضُ نيسابورِ ... مرسى الأنام وليس مرسى بُورِ
دُعِيَتْ أَبَرْشَهْرَ البلادِ لأنها ... قُطْبٌ وسائرها رسومُ السورِ
هي قبة الإسلام نائرةُ الصُّوَى ... فكأنها الأقمار في الديجورِ
من تلقَ منهم تَلْقَهُ بمهابةٍ ... زفت عليه بفضله الموفورِ
لهم الأوامر والنواهي كلّها ... ومدى سواهم رتبةُ المأمورِ

نقلت جميع ذلك من « تاريخ بيهق » لأبي الحسن ابن أبي القاسم البيهقي مصنف كتاب « وشاح الدمية » .

ـ 773 ـ

علي بن عبد الله بن محمد بن الهيصم الهروي ، الإمام صدر الإسلام : مات [. . .] ذكره أبو الحسن البيهقي في « كتاب الوشاح » فقال : قد بلغ من العلم أطورَيْه ، فلا فضلَ إلا وهو منسوبٌ إليه ، ورستْ بالفصاحةِ قواعده ، واشتدَّ بالزهادةِ ساعده ، وقد اختلفتُ مدةً مديدة إليه ، وقرأتُ ما شئتُ من دقائق العلوم

773 ـ هذه الترجمة من وشاح الدمية ولم يذكر تاريخ وفاته .

(1) لعل الصواب : وشاح الدمية .

عليه ، ووجدته حالّاً عقودَ المشكلات ، فاتقاً رتوقَ المعضلات ، ولعمري إنه رحمه اللّه كشف عن العلوم نقابها ، ورفع عن الحقائق حجابها ، فلم يكن في عصره فاضلٌ إلا وقد اغترف من بحاره ، واقتبس من أنواره ، وتصانيفه كثيرة وسعيه مشهور ، وسعي الناظرِ فيه مشكور .

ومن تصانيفه : كتاب مفتاح البلاغة . كتاب البسملة . كتاب نهج الرشاد . كتاب عقود الجواهر . كتاب لطائف النكت . كتاب تصفية القلوب . كتاب ديوان شعره .

ومن منظومه :

ضحك الربيعُ بعبرةِ الأنداءِ ... ومن العجائب ضاحكٌ ببكاءِ
خرجتْ له نحو الشتاءِ كتيبةٌ ... ذَعَرَتْ مواكبَهُ عن الصحراءِ
ركبت فوارسُهُ الهواءَ فجردتْ ... سيفاً جلا جيشَ الدجى بضياءِ
رقَّ الربيع لها فأرسل نحوها ... بُشْرَى بغيمٍ في نسيم هواءِ
والغصنُ قَرَّط أذنه بدراهمٍ ... مضروبةٍ من فضة بيضاءِ
والروضُ أُلبسَ حُلَّةً موشيَّةً ... أَحْسِنْ بها من صنعةِ الأنداءِ
قضبان نبلٍ أخرجت ذهباً لنا ... أَعْجِبْ بها من صيرفٍ معطاءِ
وشقائقُ النعمانِ تشبه صارخاً ... متظلماً متشحطاً بدماءِ
والزعفرانُ كأنما فُرِشَتْ به ... ديباجةٌ نُسِجَتْ من القمراءِ
ساءلتها هلَّا بَرَزْتِ لناظرٍ ... صبٍّ كئيبٍ هائم بكَّاءِ
فأبتْ وآلت لا يَحُلُّ نقابَهَا ... إلا مجيرُ الدولةِ الغرَّاءِ

وله :

هنيئاً لك العيدُ المباركُ يا صَدْرُ ... وساعدك الإقبالُ واليمنُ والنصرُ
إذا ما أعاد العيدُ للناسِ نَضْرَةً ... فقد أُلبس الأعيادَ من وجهك البشرُ
وإن نُشِرَتْ أعلامُ دينِ محمدٍ ... فذكرك في أقصى البلاد له نشرُ
وإن أُحرمَ الحجاجُ عن جلِّ حالهم ... فأحرم عمن دونك الفضلُ والفخرُ

وإن كـان لـبَّى لـلزيـارةِ مُحْـرِمٌ فلبِّي إلى أوصـافك النـظم والنثرُ
وإن جمعـوا فـرضين ثَمَّ وقصـروا فللدين والدنيا بك الجمعُ والقصرُ
وإن طـوَّفوا بـالبيتِ سبعاً وأحـرموا فما طاف إلا بـابَكَ الأنجم الـزهرُ
وإن ضَحَّتِ الأقـوامُ بـالبُـدْنِ سُنَّـةً فضحِّ بمن عاداك ما انفلق الفجرُ

ـ 774 ـ

علي بن عبد الله بن وصيف الناشىء الحلّاء ويكنى أبا الحسين :

قال ابن عبد الرحيم : حدثني أبو عبد اللّه الخالع قال ، حدثني الناشىء قال : كان جدي وصيف مملوكاً ، وكان عبد الله أبي عطاراً في الخضرية بالجانب الشرقي ، وكنت لما نشأت معه في دكانه كان ابن الرومي يجلس عندنا وأنا لا أعرفه ، وكان يلبسُ الدراعة وثيابه وسخة ، وانقطع عنا مدةً فسألت عنه أبي وقلت : ما فعل ذلك الشيخ الوسخ الثياب الذي كان يجلس إلينا ؟ فقال : ويحك ذاك ابن الرومي وقد مـات ، فندمتُ أن لم أكن أخذتُ عنه شيئاً ولا عرفته في حال حضوره وتشاغلت بالصنعة عن طلب العلم ، ثم لقيت ثعلباً ولم آخذ عنه إلا أبياتاً وهي :

إن أخـا الأخوان من يسعى معـكْ ومـن يضـرُّ نـفسـه لـيـنـفـعـكْ

قال الخالع : وكان الناشىء قليلَ البضاعةِ في الأدب ، قؤوماً بالكلام والجدل ، يعتقد الامامة ويناظر عليها بأجودِ عبارة ، فاستنفد عمره في مديح أهل البيت حتى عُرف بهم ، وأشعاره فيهم لا تُحْصَى كثرةً ، ومدح مع ذلك الراضي بالله وله معه أخبار ، وقصد كافوراً الإخشيديَّ بمصر وامتدحه ، وامتدح ابن حنزابةَ وكان ينادمه ، وطرأ إلى البريديين بالبصرة وإلى أبي الفضل ابن العميد بأرجان وعضد الدولة بفارس ، وكان مولده على ما خبرني به سنة إحدى وسبعين ومائتين ، ومات يوم الاثنين لخمس خلون من صفر سنة خمس وستين وثلاثمائة ، وكنت حينئذ بالري فورد كتاب ابن بقية إلى ابن

774 ـ اليتيمة 1 : 232 وفهرست الطوسي : 89 وابن خلكان 3 : 369 وسير الذهبي 16 : 222 ولسان الميزان 4 : 238 وعيون التواريخ (نسخة الفاتح : 4441) الورقة : 6 .

العميد بخبره ، وقيل إنه تبع جنازته ماشياً وأهل الدولة كلهم ، ودفن في مقابر قريش وقبره هناك معروف .

قال الخالع : ولم يخلِّفْ عقباً ، ولا علمت أنه تزوج قط ، وكان يميل إلى الأحداث ، ولا يشرب النبيذ ، وله في المجون والولع طبقة عالية ، وعنه أخذ مُجَّانُ بابِ الطاق كلُّهم هذه الطريقة . وكان يخلط بجدله ومناظراته هزلاً مستملحاً ومجوناً مستطاباً يعتمدُ به إخجالَ خصمه وكَسْرَ حدِّه ، وله في ذلك أخبار مشهورة . وكانت له جاريةٌ سوداء تخدمه ، فدخل يوماً إلى دار أخته وأنا معه ، فرأى صبياً صغيراً أسود فقال لها : من هذا ؟ فسكتت ، فألحّ عليها فقالت : ابن بشارة ، فقال : ممن ؟ فقالت : من أجل هذا أمسكت ، فاستدعى الجاريةَ وقال لها : هذا الصبيُّ من أبوه ؟ فقالت : ما له أب ، فالتفت إليَّ فقال : سلِّم إذن على المسيح عليه السلام .

قال ابن عبد الرحيم حدثني الخالع قال حدثني الناشىء قال : أدخلني ابن رائق على الراضي بالله ، وكنت مدّاحاً لابن رائق ونافقاً عليه ، فلما وصلتُ إلى الراضي قال لي : أنت الناشىءُ الرافضيّ ؟ فقلت : خادم أمير المؤمنين الشيعي ، فقال : من أيّ الشيعة ؟ قلت : شيعة بني هاشم ، فقال : هذا خُبْثُ حيلة ، فقلت : مع طهارةِ مولد ، فقال : هات ما معك ، فأنشدته فأمر أن يخلع عليّ عشر قطع ثياباً وأُعْطَى أربعة آلاف درهم ، فأُخرج إليَّ ذلك وتسلمته ، وعدت إلى حضرته فقبلتُ الأرض وشكرته وقلت : أنا ممن يلبس الطيلسان ، فقال : ها هنا طيالس عدنية أعطوه منها طيلساناً وأضيفوا إليها عمامةَ خزٍّ ففعلوا ، فقال : أنشدني من شعرك في بني هاشم فأنشدته :

بني العباس إن لكم دماءً ... أراقتها أميةُ بالذحولِ
فليس بهاشميٍّ من يوالي ... أميةَ واللعينَ أبا زبيلِ

فقال : ما بينك وبين أبي زبيل ؟ فقلت : أمير المؤمنين أعلم ، فتبسم وقال : انصرف .

قال الخالع : وشاهدت العمامةَ والطيلسانَ معه وبقيا عنده إلى أن مات .

قال وحدثني الخالع قال : كان أبو الحسين شيخاً طويلاً جسيماً عظيم الخلقة عريضَ الألواح موفّر القوةِ جهوريَّ الصوت ، عُمِّر نيِّفاً وتسعين سنة ، لم تضطرب أسنانه ولا قلع سنًّا منها ولا من أضراسه ، وكان يعمل الصُّفْرَ ويخرّمه ، وله فيه صنعةٌ

بديعة ، قال : ومن عمله قنديل بالمشهد بمقابر قريش مربّع غاية في حسنه .

قال الخالع : ومن مجونه في المناظرات وغيرها أنه ناظر أبـا الحسن علي بن عيسى الرماني في مسألة ، فانقطع الرماني وقال : أعاود النظر وربما كان في أصحابي من هو أعلم مني بهذه المسألة ، فإن ثبت الحقُّ معك وافقتك عليه ، فأخذ يندِّدُ به ، ودخل أبو الحسن علي بن كعب الأنصاري أحد المعتزلة فقال : في أيّ شيء أنتم ياأبا الحسن ؟ فقال : في ثيابنا ، فقال : دعنا من مجونك وأعد المسألة فلعلنا أن نقدح فيها ، فقال : كيف تقدح وحُرَّاقُكَ رطب ؟ ومنه : حكايته المشهورة مع الأشعري الذي ناظره فصفعه فقال : ما هذا يا أبا الحسين ؟ فقال : هذا فعل اللّه بك ، فلِمَ تغضب مني ؟ فقال : ما فعله غيرك وهذا سوء أدب وخارجٌ عن المناظرة ، فقال : ناقضت ، إن أقمتَ على مذهبك فهو من فعل الله ، وإن انتقلت فخذ العوض ، فانقطع المجلس بالضحك وصارت نادرة .

قال عبيد اللّه الفقير إليه تعالى مؤلف هذا الكتاب : لو كان الأشعريُّ ماهراً لقام إليه وصفعه أشدَّ من تلك ثم يقول له : صدقتَ تلك من فعل الله بي وهذه من فعل الله بك ، فتصير النادرة عليه لا له .

قال الخالع فأنشدني يوماً لنفسه من قصيدة :

تجاهُ الشظا جنبُ الحمى فالمشرفُ ... حيـالُ الربى فـالشـاهقُ المتشـرفُ

فقلت له : بم ارتفعتْ هذه الأسماء وهي ظروف ؟ فقال بما يسوءك . وبعد هذا البيت :

طلولٌ أطال الحزنَ لي حَزْنُ نهجها ... وألـزمني وجـداً عليهـا التـأسّفُ

فإذا حمل ما قاله على أن يجعل تلك الظروف هي الطلول وهي ما شخص من الأرض وجعلت شخوصاً جاز الرفع على هذا التأويل ، وإن جعلت محالَّ للطلول فليس إلا النصب .

ومن هذه القصيدة :

وقفتُ على أرجـائها أسـألُ الـربى ... عن الخرَّد الأترابِ والدارُ صَفْصَفُ

وكيف يجيبُ السـائلين مـرابـعٌ ... عفتهـا شـآبيبٌ من المـزنِ وُكَّفُ

ومنها في وصف الخمر :

دنــانٌ كــرهبــانٍ عليهــا بــرانسٌ　　　من الخزِّ دُكْنٌ يومَ فِصْحٍ تُصَفَّفُ

ينظِّم منهـا المـزجُ سلكـاً كـأنـه　　　إذا مـا بدا في الكـأس درّ مُنَصَّفُ

ومن مجـون الناشىء أنـه ناظـر بعض المجبرة ، فحـرك الجبـريّ يـده فقـال للناشىء : هذه مَن حركها ؟ فقال الناشىء : من أمه زانية ، فغضب الرجل ، فقال له : ناقضت إذا كان المحرك غيرك لِمَ تغضب .

قال عبيد الله الفقير إليه : وهذا أيضاً كفرٌ وبهت لأن المحرك لها على اعتقاد الناشىء مناظره فقد أساء العشرة مع جليسه ، وعلى مذهب صاحبه الخالق فقد كفر ، فعلى كلٍّ حال هو مسيء .

وسمع يوماً رجلاً ينادي على لحم البقر : أين من حلف ألاّ يُغْبَن ؟ فقال له : أيش تريدُ منه ؟ تريد أن تُحْنِثَهُ ؟

ولقب رجلاً من باب الطاق بالأبعد ولقب آخر بالآخر ، وهاتان لفظتان جامعتان لكل سبٍّ وقذف ، لأن الناس مُغْرَوْن بإلحاقِ كلِّ قبيح فظيع بهما على سبيل الكناية والاستراحة في الكلام إليهما .

قال الخالع وحدثني الناشىء قال : لما وفدت على سيف الدولة وقـع فيَّ أبو العباس النامي وقال: هذا يكتب التعاويذ، فقلت لسيف الدولة: يتأمّل الأمير خطّي ، فإن كان يصلح أن يكتب بمثله على المساجد بالديخ فالقول كما قال ، فأنشدتـه قصيدة أولها :

الـدهـر أيّـامـه مــاضٍ ومـرتقَـبُ

وقلت فيها :

فـارحل إلى حلب فـالخيرُ منحلبٌ　　　من نَيْلِ كفك إن لاحتْ لنا حلب

فقال : يا أبا الحسين هذا بيتٌ جيد لكنه كثير اللبن .

وأنشدته قصيدة أخرى أقول فيها :

كـأن مـشيـبي إذ يـلوح عقــاربٌ　　　وأقتـل ما أبصـرتُ بيضُ العقاربِ

كـأن الثـريـا عُــوذةٌ في تميمــةٍ　　　وقد حليت واستودعت حرز كاعبِ

وحدث الخالع قال حدثني أبو الحسين الناشىء قال : كنت بالكوفة في سنة خمس وعشرين وثلاثمائة وأنا أملي شعري في المسجد الجامع بها والناس يكتبونه عني ، وكان المتنبي إذ ذاك يحضر معهم ، وهو بعد لم يُعْرَفْ ولم يلقبْ بالمتنبي ، فأمليت القصيدة التي أولها :

بآلِ محمدٍ عُرِفَ الصوابُ وفي أبياتهم نزل الكتابُ

وقلت فيها :

كأن سنانَ ذابله ضميرٌ فليس عن القلوبِ له ذهابُ
وصارمَهُ كَبَيْعَتِهِ بِخُمٍّ مقاصِدُهَا من الخلقِ الرقابُ

فلمحته يكتبُ هذين البيتين ، ومنها أخذ ما أنشدتموني الآن من قوله[1] :

كأن الهامَ في الهيجا عيونٌ وقد طُبِعَتْ سيوفُكَ من رقادِ
وقد صُغْتَ الأسنة من همومٍ فما يخطرنَ إلا في فؤادِ

قال الخالع وأصل هذا لأبي تمام[2] :

من كلِّ أزرقَ نظّارٍ بلا نظرٍ إلى المقاتل ما في متنه أَوَدُ
كأنه كان تِرْبَ الحبِّ مذ زمنٍ فليس يُعْجِزُهُ قلبٌ ولا كبدُ

وعليه وضع المتنبي ، وسبق إلى ذلك ديك الجن أيضاً في قوله[3] :

فتى ينصبُّ في ثغر القوافي كما ينصبُّ في المقل الرقادُ

وأبيات المتنبي أمثلُ من الجميع إذا تركت العصبية .

قال ابن عبد الرحيم حدثني الخالع قال : كنت مع والدي في سنة ست وأربعين وثلاثمائة وأنا صبي في مجلس الكُلبوديّ في المسجد الذي بين الورّاقين والصاغة وهو غاصٌّ بالناس ، وإذا رجل قد وافى وعليه مرقَّعة وفي يده سطيحةٌ وركوة ومعه عكاز وهو شعث ، فسلم على الجماعة بصوتٍ يرفعه ثم قال : أنا رسول فاطمة الزهراء صلوات

(1) ديوان المتنبي : 79 .
(2) ديوان أبي تمام 2 : 18 .
(3) ديوان ديك الجن : 165 .

اللّه عليها ، فقالوا : مرحباً بك وأهلاً ورفعوه ، فقال : أتعرفون لي أحمد المزوق النائح ؟ فقالوا : ها هو جالسٌ ، فقال : رأيت مولاتنا عليها السلام في النوم فقالت لي امضِ إلى بغداد واطلبه وقلْ له نح على ابني بشعرِ الناشىء الذي يقول فيه :

بني أحمدٍ قلبي لكم يتقطَّعُ بمثلِ مصابي فيكمُ ليس يُسْمَعُ

وكان الناشىء حاضراً ، فلطم لطماً عظيماً على وجهه وتبعه المزوق والناسُ كلّهم ، وكان أشدّ الناس في ذلك الناشىء ثم المزوق ، ثم ناحوا بهذه القصيدة في ذلك اليوم إلى أن صلّى الناس الظهر وتقوض المجلس وجهدوا بالرجل أن يقبل شيئاً منهم فقال : واللّه لو أُعطيتُ الدنيا ما أخذتها فإنني لا أرى أن أكونَ رسولَ مولاتي عليها السلام ثم آخذَ عن ذلك عوضاً ، وانصرف ولم يقبل شيئاً . قال : ومن هذه القصيدة وهي بضعة عشر بيتاً :

عجبتُ لكم تَفْنَون قتلاً بسيفكم ويسطو عليكم من لكم كان يخضعُ
كأنّ رسولَ اللّه أوصى بقتلكم فأجسامكم في كلِّ أرضٍ تُوَزَّعُ

قال وحدثني الخالع قال : اجتزت بالناشىء يوماً وهو جالس في السرّاجين فقال لي : قد عملت قصيدة وقد طُلِبَتْ وأريد أن تكتبها بخطك حتى أخرجها فقلت : أمضي في حاجة وأعود ، وقصدت المكان الذي أردته وجلست فيه فحملتني عيني فرأيت في منامي أبا القاسم عبد العزيز الشطرنجي النائح ، فقال لي : أحبّ أن تقوم فتكتبَ قصيدةَ الناشىء البائيّة فانا قد نحنا بها البارحة في المشهد ، وكان هذا الرجل قد توفي وهو عائد من الزيارة ، فقمت ورجعت إليه وقلت : هات البائيةَ حتى أكتبها ، فقال : من أين علمتَ أنها بائية وما ذاكرتُ بها أحداً ؟! فحدثته بالمنام فبكى وقال : لا شك أن الوقت قد دنا ، فكتبتها فكان أولها :

رجائي بعيدٌ والمماتُ قريبُ ويخطىء ظنّي والمنونُ تصيبُ

ومن شعر الناشىء :

وليلٍ توارى النجمُ من طولِ مكثه كما ازورَّ محبوبٌ لخوفِ رقيبهِ
كأنّ الثريا فيه باقةُ نرجسٍ يجيء بها ذو صَبْوَةٍ لحبيبهِ

وله :

وكـأنَّ عَقْـرَبَ صُـدْغِـهِ وقفـتْ لـمـا دنـت مـن نـارِ وجـنـتـهِ

قرأت بخط البديع بن عبد الله الهمذاني في ما قرأه على ابن فارس اللغوي ، سمعت أبا الحسين الناشىء علي بن عبد اللّه بن وصيف بمدينة السلام قال : حضرت مجلس أبي الحسن ابن المغلس الفقيه فانقلبت محبرةٌ لبعض من حضر على ثيابي ، فدخل أبو الحسن وحمل إليَّ قميصاً دبيقياً ورداءً حسناً ، قال : فأخذتهما ورجعتُ إلى بيتي وغسلت ثيابي ولبستها ورددت القميص والرداء إلى أبي الحسن ، فلما رآهما غضب غضباً شديداً وقال : البسه ، لولا أنك تتوشح بالأدب لجفوتك .

وهذه حكاية وجدتها بعد أخبار الناشىء بخطّ المصنف : قرأت في كتاب محمد بن أبي الأزهر في عقلاء المجانين ، حدثني علي بن إبراهيم بن موسى الكاتب قال : كنت يوماً جالساً في صحن داري إذا حجارةٌ قد سقطت عليَّ بالقرب مني فبادرتُ هارباً وأمرتُ الغلام بالصعود إلى السطوح والنظر من أين أتتنا الحجارة ، فرجع إليّ وقال لي : يا مولاي امرأةٌ من دار ابن الرومي الشاعر تقول اللّهَ اللّهَ فينا اسقونا ماءً وإلا متنا عطشاً ، فإن البابَ علينا مقفلٌ منذ ثلاثة أيام بسبب تطيّر صاحبنا ، فانه يلبس ثيابه في كلِّ يوم ويتعوذ ويقرأ ثم يصير إلى الباب والمفتاحُ معه ، فيضع عينه على خلل من الباب فتقع على جار له كان نازلاً بازائه وكان أعور ، فإذا بصر به رجع وخلع ثيابه وترك الباب على حاله سائر يومه وليلته ، فدفع إليها ما طلبته . فلما كان من غدٍ وجهتُ بخادم لي اسمه طاهر ، وكان ابن الرومي يعرفه ، وأمرته أن يجلس على بابه ، وتقدمتُ إلى بعض الغلمان في المصير إلى الأعور برسالتي ومسألته المصيرَ إليّ ، فلما زال الرجل عن موضعه دقَّ الخادمُ الباب على ابن الرومي وخاطبه وسأله المصير إليّ أيضاً ، قال الخادم : فخرج فوضع عينه على ذلك الموضع فوقعتْ عينه عليّ ولم يرَ جاره ففتح الباب وخرج لا تُقْلِعُ عينُهُ عن النظر إليّ ولا يصرف كلامه إلا إلى ناحيتي . قال علي بن إبراهيم : فإني لجالس أنتظره وقد انصرف الأعور إذ وافاني أبو خديجة الطرسوسيّ وكان في ناحية إسماعيل بن إسحاق القاضي ، وقد دفع إليه المعتضد برذعة[1] ليوصله

(1) حاشية ك : برذعة هذا رجل موسوس .

إلى الحسن ابنه ليتولّى تسليمه إلى ابن راشد ، فنحن نتحدث إذ دخل ابن الرومي مع الخادم علينا ، فلما تخطا عتبةَ باب الصحن عثر فانقطع شسع نعله فأخذها بيده ودخل مذعوراً، فقلت له : أيكونُ شيء يا أبا الحسن أحسن من خروجك من منزلك على وجه خادمي ؟ فقال : قد لحقني ما رأيتَ من العثرة لأني أفكرتُ أنَّ به عاهة ، قلت : وما هي ؟ قال : هو مجبوب ، فقال بـرذعة المـوسوس : وشيخنـا يتطيـر ؟ قلت : نعم ويفرط ، قال : ومن هو ؟ قلت : هذا علي بن الـرومي الكاتب ، قـال : الشاعـر ؟ قلت : نعم ، فأقبل عليه فقال :

ولمـا رأيتُ الـدهـرَ يؤذنُ صـرفُـهَ ... بتفـريق مـا بيني وبين الحبـائبِ
رجعتُ إلى نفسي فـوطّنتهـا على ... ركوب جميلِ الصبرِ عند النـوائبِ
ومن صحب الدنيا على جَوْرِ حكمها ... فـأيـامـه محفـوفـةٌ بـالمصـائبِ
فخـذ خلسةً من كـلِّ يـومٍ تعيشُـهُ ... وكن حـذراً من كامنـاتِ العـواقبِ
ودع عنك ذكر الفألِ والزجرِ واطّرح ... تـطيُّـرَ جـارٍ أو تفـاؤلَ صـاحبِ

فرأيت ابن الرومي شبيهاً بالباهت ، ولم أدر أنه قد شغل قلبه بحفظ الأبيات ، ثم نهض برذعة وأبو خديجة معه فقال له ابن الرومي : واللّه لا تطيرت بعد هذا ، فأقام عندي وكتبتُ هذه الأبياتَ من حفظه وزالت عنه الطيرة .

ـ 775 ـ

علي بن عبد الله بن موهب الجذاميّ أبو الحسن : له تأليف عظيم في تفسير القرآن ، روى عن ابن عبد البرّ وغيره ، مات في جمادى الأولى سادس عشره سنة اثنتين وثلاثين وخمسمائة ومولده سنة إحدى وأربعين وأربعمائة .

---

775 ـ هو من أهل المرية روى عن العذري وأبي بكر ابن صاحب الأحباس ، وأجاز له أبو الوليد الباجي ما رواه (انظر الصلة : 405 وطبقات المفسرين للسيوطي : 24) .

ـ 776 ـ

علي بن عبد الله بن محمد بن عبد الباقي بن أبي جرادة العقيلي ، أبو الحسن الأنطاكي من أهل حلب يسكن باب أنطاكية : غزير الفضل وافر العقل دمث الأخلاق حسن العشرة ، له معرفة بالأدب واللغة والحساب والنجوم ، ويكتب خطّاً حسناً وله أصول حسنة . ورد بغداد سنة سبع عشرة وخمسمائة وسمع بها وبغيرها ، وسمع بحلب أبا الفتح عبد الله بن إسماعيل بن أحمد بن أبي عيسى الحلبي وأبا الفتيان محمد بن سلطان بن حيوس الغنوي .

قال ابن السمعاني : قرأتُ عليه بحلب ، وخرجتُ يوماً من عنده فرآني بعض الصالحين فقال لي : أين كنت ؟ قلت : عند أبي الحسن ابن أبي جرادة، قرأت عليه شيئاً من الحديث فأنكر عليّ وقال : ذاك يُقْرَأُ عليه الحديث ؟ قلت : ولم هل هو إلا متشيع يرى رأي الحلبيّين ؟ فقال لي : ليته اقتصر على هذا ، بل يقولُ بالنجومِ ويرى رأيَ الأوائل ، وسمعت بعض الحلبيّين يتهمه بذلك ، وسألته عن مولده فقال في محرم سنة إحدى وستين وأربعمائة بحلب ، وأنشدني لنفسه :

يـا ظبـاءَ البـانِ قـولاً بيّنـا ... مـن لنـا منكـم بـظبيٍ مَـلَّنـا
يـشبـهُ البـدرَ بعـاداً وسنـاً ... مَنْ نَفَى عن مقلتيَّ الـوسنـا
فتكتْ ألحـاظُـهُ فـي مهجتـي ... فَتْكَ بيضِ الهندِ أو سُمْـرِ القنا
يصـرعُ الأبـطالَ في نجـدتـه ... إن رمى عن قـوسـه أو إنْ رنـا
دان أهـلُ الـدلِّ والحسـنِ لـه ... مثلَ ما دانتْ لمـولانـا الـدنا

قال : ومات سنة نيف وأربعين وخمسمائة .

قلت : وكان لأبي الحسن هذا ابن فاضل أديب شاعر مجيدٌ اسمه الحسن وكنيته أبو علي ، سافر إلى مصر في أيام ابن رُزِّيك ومدحه وحظي عنده ، ثم مات بمصر سنة إحدى وخمسين وخمسمائة وهو القائل :

---

776 ـ يتكرر ذكره كثيراً في بغية الطلب (انظر فهرس طبعة زكار) .

يـا صـاحبيّ أطيـلا في مؤانستي وذاكـرانـي بـخـلّان وعـشـاقِ
وحـدثـاني حـديثَ الخيف إنَّ بـه رَوْحـاً لقلبي وتسهيلاً لأخـلاقي
ما ضرّ ريحَ الصَّبا لو ناسمتْ حُرَقي واستنقذتْ مهجتي من أَسْرِ أشواقي
داءٌ تقـادم عنـدي مَن يعـالجـه ونفثـةٌ بـلغتْ مني مَن الـراقي
يفنى الـزمـانُ وآمـالي مصرَّمـةٌ ممن أُحِبُّ على مَـطْلٍ وإمـلاقِ
واضيعةَ العمرِ لا الماضي انتفعتُ به ولا حصلتُ على أمـرٍ من البـاقي

- 777 -

علي بن عبد الجبار بن سلامة بن عيذون الهذلي اللغوي ، أبو الحسن التونسي : ذكره السلفي فقال : أنشدني أبو محمد الشواذكي[1] القيرواني قال أنشدني أبو إسحاق إبراهيم بن علي بن تميم الحصري لنفسه بالقيروان :

قالوا اطرح أبداً كافَ الخطاب ففي خطِّ الكتاب بها حَظٌّ من الرُتَبِ
فقلتُ من كـان في نفسي تصـوّره فكيف أُنـزلـه في منـزل الغُـيُبِ

قال وسألته عن مولده فقال : سنة ثمان وعشرين وأربعمائة يوم عيد النحر بتونس ، وتوفي رحمه اللّه في ذي الحجة سنة تسع عشرة وخمسمائة بالاسكندرية ، وكان إماماً في اللغة حافظاً لها حتى إنه لو قيل لم يكن في زمانه أَلْغَى منه لما استُبْعِد ، وكانت له قدرة على نظم الشعر ، وله إليّ قصائد وقد أجبته عنها ، ومن جملة شعره قصيدة في الردِّ على المرتدّ البغدادي فيها أحد عشر ألف بيت على قافية واحدة ، وعندي عنه فوائد أدبية . وسمعته يقول : رأيت أبا بكر محمد بن علي بن البر الغوثي اللغوي بمدينة مَازَرَ من جزيرة صقلية ، وكنت عزمت على أن أقرأ عليه لما اشتهر من

---

777 - ترجمة ابن عيذون في إنباه الرواة 2 : 292 وبغية الوعاة 2 : 173 (وفي حاشية الانباه ذكر لمصادر أخرى) ومعجم السفر للسلفي : 268 - 269 .

(1) م : الشواذلي .

فضله وتبحره في اللغة ، فاتصل بابن متكود صاحبِ البلد أنه يشربُ ، وكان يكرمه ، فشقَّ عليه وصار يكرهه ، وأنفذ إليه وقال : المدينة[1] أكبر والشراب بها أكثر ، فأحوجَتْهُ الضرورةُ إلى الخروج منها ولم أقرأ عليه شيئاً . وأما أبو علي الحسن بن رشيق الأزدي القيرواني فقد رأيته أيضاً بمازر وأنشدني شيئاً من شعره ، ولم أر قطُّ أحفظَ للعربية واللغة من أبي القاسم ابن القطاع الصقلي ، وقرأت عليه كثيراً .

ـ 778 ـ

علي بن عبد الرحمن الخزاز السوسي ، أبو العلاء اللغوي : من سوس خوزستان من أهل الأدب واللغة ، سمع المحاملي أبا عبد الله ، روى عنه أبو نصر السجزي الحافظ ، لا أعلم من حاله غيرَ هذا .

ـ 779 ـ

علي بن عبد الرحيم بن الحسن بن عبد الملك بن إبراهيم السلمي ، المعروف بابن العصار اللغوي : من أهل الرقة ، ورد بغداد فقرأ بها العلم ، وأقام بالمطبق من دار الخلافة المعظمة ، ومات في ثالث المحرم سنة ست وسبعين وخمسمائة ، ومولده في سنة ثمان وخمسمائة ، انتهت إليه الرياسة في معرفة اللغة العربية ، قرأ على أبي منصور ابن الجواليقي ولازمه حتى برع في فنه ، وسمع الحديث من أبي العزّ أحمد بن عبيد الله بن كادش والقاضي أبي بكر محمد بن عبد الباقي قاضي البيمارستان وأبي الوقت السجزي وغيرهم ، وتخرج به جماعة منهم الشيخ أبو

778 ـ بغية الوعاة 2 : 174 (عن ياقوت) .

779 ـ ترجمته في إنباه الرواة 2 : 291 ومختصر ابن الدبيثي 3 : 128 وعبر الذهبي 4 : 229 وابن خلكان 3 : 338 وبغية الوعاة 2 : 174 ومرآة الجنان 3 : 405 والشذرات 4 : 257 وله ترجمة في الوافي للصفدي .

(1) المدينة يعني بلرم عاصمة صقلية .

البقاء عبد الله بن الحسن العكبري الضرير . وكان تاجراً موسراً ضابطاً ممسكاً سافر الكثير إلى الديار المصرية وأخذ عن أهلها وروى عنهم ، وخطه المرغوبُ فيه المتنافس في تحصيله فإنه كان مليحَ الخطّ جيد الضبط، ولا أعرف له مصنفاً ولا سمعتُ له شعراً .

ـ 780 ـ

علي بن عبد العزيز بن المرزبان بن سابور ، أبو الحسن البغوي الجوهري عمُّ أبي القاسم البغوي نزيل مكة : صاحب أبي عبيد القاسم بن سلام ، وروى عنه غريب الحديث وكتاب الحيض وكتاب الطهور وغير ذلك ، وحدث عن أبي نعيم وحجاج بن المنهال ومحمد بن كبير العبدي وسلمة بن إبراهيم الأزدي والقعنبي وعاصم بن عليّ وغيرهم وصنَّف المسند . حدث عنه ابنُ أخيه عبد الله بن محمد بن عبد العزيز البغوي ودعلج السجزي وسليمان بن أحمد الطبراني ، وحدث بالمسند عنه أبو علي حامد بن محمد الرفاء الهروي . سئل عنه الدارقطني فقال : ثقة مأمون . وقال ابن أبي حاتم : هو صدوق .

أبو بكر السني : سمعت أبا عبد الرحمن النسائي ، وسئل عن علي بن عبد العزيز المكي فقال : قبح الله علي بن عبد العزيز ثلاثاً ، فقيل له يا أبا عبد الرحمن أتروي عنه ؟ فقال : لا ، فقيل له : أكان كذاباً ؟ فقال : لا ولكنَّ قوماً اجتمعوا ليقرأوا عليه وَبَرُّوه بما سهل ، وكان فيهم إنسان غريب فقير لم يكن في جملة مَنْ بَرَّه ، فأبى أن يقرأ عليهم وهو حاضر حتى يخرجَ أو يدفعَ كما دفعوا ، فذكر الغريبُ أنْ ليس معه إلا قُصيْعَة ، فأمره باحضارها ، فلما أحضرها حدَّثهم .

وعن القاضي أبي نصر ابن الكسار : سمعت أبا بكر السني يقول : بلغني أن علي بن عبد العزيز كان يقرأ كتبَ أبي عبيد بمكة على الحاجّ بالأجر ، فإذا عاتبوه على الأخذ قال : يا قوم أنا بين الأخشبين ، إذا خرج الحاجُّ نادى أبو قبيس قعيقان : من بقي ؟ فيقول : بقي المجاورون ، فيقول : أطبق .

780 ـ ترجمة علي بن عبد العزيز في الفهرست: 78 وطبقات الزبيدي: 207 (وموضعها بياض) وانباه الرواة 2: 292 (وأوجز في ترجمته كثيراً) وتاريخ أبي المحاسن (عرضاً) : 199 .

وقال أبو الحسين أحمد بن جعفر بن محمد بن عبيد الله بن المنادي في من مات في سنة سبع وثمانين ومائتين : وجاءنا الخبر بموت عليٍّ بن عبد العزيز صاحبِ أبي عبيد من مكةَ مع الحاجّ وأنه توفي قبل الموسم .

وحدث أبو سعد السمعاني باسناد رفعه إلى أبي الحسين محمد بن طالب النسفي قال : سمعتُ علي بن عبد العزيز بمكة في المسجد الحرام يقول : كنتُ عند مؤدبي الذي علَّمني الخط ، فجيء ببنيّةٍ له صغيرة يقال لها وسناء ، وعليها ثوبُ حرير فأجلسها في حجره وأنشأ يقول :

وما الوسناءُ إلا شبه درٍّ ولا سِيَما إذا لبستْ حريرا
فأحسنُ زيّها ثوبٌ نظيفٌ تُكَفَّنُ فيه ثم أرى سريرا
تهادى بين أربعةٍ عجالٍ إلى قبرٍ فتملأنا سرورا

ـ 781 ـ

علي بن عبد العزيز بن الحسن بن علي بن إسماعيل الجرجاني أبو الحسن ، قاضي الري في أيام الصاحب ابن عباد : وكان أديباً أريباً كاملاً ، مات بالريّ يوم الثلاثاء لستٍ بقين من ذي الحجة سنة اثنتين وتسعين وثلاثمائة[1] وهو قاضي القضاة بالري حينئذ . وذكره الحاكم في « تاريخ نيسابور » وقال : ورد نيسابور سنة سبع وثلاثين وثلاثمائة مع أخيه أبي بكر ، وأخوه إذ ذاك فقيه مناظر ، وأبو الحسن قد ناهز الحلم ، فسمعا معاً الحديثَ الكثير ولم يزل أبو الحسن يتقدم إلى أن ذكر في الدنيا .

781 ـ للقاضي الجرجاني ترجمة في اليتيمة 4 : 3 وطبقات الشيرازي : 35 وطبقات العبادي : 111 وطبقات السبكي 3 : 459 والبداية والنهاية 11 : 331 والمنتظم 7 : 221 وابن خلكان 3 : 278 وطبقات الاسنوي 1 : 348 وسير الذهبي 17 : 19 وتاريخ جرجان : 277 ومرآة الجنان 2 : 386 والنجوم الزاهرة 4 : 205 والشذرات 3 : 56 ؛ وقد كتبت عنه دراسات منها واحدة للدكتور أحمد أحمد بدوي وأخرى لأخي الدكتور محمود السمرة .

(1) في سير الذهبي أن وفاته كانت سنة 396 ووهم ابن خلكان فجعل وفاته سنة 366 وإنما ذاك جرجاني آخر .

وحمل تابوته إلى جرجان فدفن بها وصلى عليه القاضي أبو الحسن عبد الجبار بن أحمد ، وحضر جنازته الوزير الخطير أبو علي القاسم بن علي بن القاسم وزير مجد الدولة وأبو الفضل العارض راجلين ، ووقع الاختيارَ بعد موته على أبي موسى عيسى بن أحمد الديلمي فاستدعي من قزوين وولي قضاء القضاة بالري .

وله يقول الصاحب ابن عباد وقد أنشأ عهداً للقاضي عبد الجبار على قضاءِ الريّ :

إذا نحن سلَّمنا لكَ العلمَ كلَّه ... فدعنا وهذي الكتبَ نُحْسِنْ صدورَها

فإنهمُ لا يرتضون مجيئنا ... بجزءٍ إذا نظَّمْتَ أنت شذورها

وكان الشيخ عبد القاهر الجرجاني قد قرأ عليه واغترف من بحره ، وكان إذا ذكره في كتبه تبخبخ به وشمخ بأنفه بالانتماء إليه .

وطوّف في صباه البلاد وخالط العباد ، واقتبس العلوم والآداب ، ولقي مشايخ وقته وعلماء عصره ، وله رسائلُ مدوَّنة وأشعارٌ مفننة ، وكان جيد الخط مليحَهُ يُشَبَّهُ بخطٍّ ابن مقلة .

ومن شعره[1] :

أفدي الذي قال وفي كفّه ... مثلُ الذي أشربُ من فيهِ

الوردُ قد أينع في وجنتي ... قلتُ فمي باللثم يجنيهِ

ومنه[2] :

يقولون لي فيكَ انقباضٌ وإنما ... رأوا رجلاً عن موقفِ الذلِّ أحجما

أرى الناسَ من داناهُمُ هان عندهم ... ومن أكرمته عزةُ النفسِ أُكرما

وما زلتُ منحازاً بعرضيَ جانباً ... من الذمِّ أعتدُّ الصيانةَ مغنما

إذا قيل هذا مشربٌ قلتُ قد أرى ... ولكنَّ نفسَ الحرِّ تحتملُ الظما

وما كلُّ برقٍ لاح لي يستفزُّني ... ولا كلُّ أهلِ الأرض أرضاهُ منعما

(1) اليتيمة 4 : 3 .

(2) اليتيمة 4 : 23 .

ولم أقضِ حقَّ العلم إن كان كلّما ... بدا طمعٌ صيرته لِيَ سلما
ولم أبتذلْ في خدمةِ العلم مهجتي ... لأخدُم من لاقيتُ لكنْ لأخدَما
أأشقى به غرساً وأجنيه ذلةً ... إذن فابتياعُ الجهلِ قد كان أحزما
ولو أن أهلَ العلم صانوه صانهم ... ولو عظّموه في النفوسِ تعظَّما
ولكنْ أذالوه جهاراً ودنَّسوا ... محياه بالأطماعِ حتى تجهما

ومنه[1] :

وقالوا اضطرب في الأرض فالرزقُ واسعٌ ... فقلت ولكن مطلبُ الرزقِ ضيّقُ
إذا لم يكن في الأرضِ حرٌّ يعينني ... ولم يكُ لي كسبٌ فمن أين أرزقُ

ومنه :

أحبُّ اسمه من أجله وسميَّهُ ... ويتبعه في كلِّ أخلاقِهِ قلبي
ويجتاز بالقوم العدى فأحبهم ... وكلُّهمُ طاوي الضميرِ على حربي

ومنه[2] :

قد برح الشوقُ بمشتاقك ... فأوْلِهِ أحسنَ أخلاقِكْ
لا تجفُهُ وارْعَ له حقَّهَ ... فانه خاتَمُ عشاقكْ

وللقاضي عدة تصانيف منها : كتاب تفسير القرآن المجيد . كتاب تهذيب التاريخ . كتاب الوساطة بين المتنبي وخصومه ، وفي هذا الكتاب يقول بعض أهل نيسابور[3] :

أيا قاضياً قد دنت كتبه ... وان أصبحت داره شاحِطَهْ
كتابُ الوساطة في حسنه ... لِعِقْدِ معاليكَ كالواسطهْ

ومن شعره :

ما تطعمتُ لذّةَ العيشِ حتى ... صرتُ للبيتِ والكتاب جليسا

(1) اليتيمة 4 : 23 .
(2) اليتيمة 4 : 10 .
(3) اليتيمة 4 : 4 .

ليس شيءٌ أعز عندي من العـ ... ـلم فَلمْ أبتغي سواهُ أنيسا
إنما الذلُّ في مخالطةِ النا ... س فدعهم وعِشْ عزيزاً رئيسا

ومن سائر شعره قوله :

إذا شئتَ أن تستقرضَ المالَ منفقاً ... على شَهَواتِ النفس في زَمَنِ العسرِ
فَسَلْ نفسَكَ الإنفاقَ من كنز صبرها ... عليك وإنظاراً إلى زمنِ اليسرِ
فإن فَعَلَتْ كنتَ الغنيَّ وان أبت ... فكلُّ مَنُوعٍ بعدها واسعُ العذرِ

وحدث الثعالبي عن أبي نصر التهذيبي قال[1] : سمعت القاضي أبا الحسن علي بن عبد العزيز يقول : انصرفتُ يوماً من دار الصاحب ، وذلك قبيل العيد ، فجاءني رسوله بعطر الفطر ، ومعه رقعة بخطه فيها هذان البيتان :

يا أيها القاضي الذي نفسي له ... مع قرب عهدِ لقائِهِ مشتاقَهْ
أهديتُ عطراً مثلَ طيب ثنائه ... فكأنما أُهدي له أخلاقَهْ

قال[2] : وسمعته يقول ان الصاحب يقسم لي من إقباله وإكرامه بجرجان أكثر مما يتلقاني به في سائر البلاد ، وقد استعفيته يوماً من فرط تحفيه بي وتواضعه لي فأنشدني :

أكرمْ أخاك بأرض مولده ... وَأَمِدَّهُ من فعلكَ الحسنِ
فالعزُّ مطلوبٌ وملتَمَسٌ ... وأعزُّهُ ما نيلَ في الوطنِ

ثم قال : قد فرغتَ من هذا المعنى في العينية ، فقلت : لعل مولانا يريد قولي :

وشيدتُ مجدي بين قومي فلم أقل ... ألا ليتَ قومي يعلمون صنيعي

فقال : ما أردت غيره ، والأصل فيه قوله تعالى ﴿ **يَا لَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ ٱلْمُكْرَمِينَ** ﴾ (يس: 27) .

قال الثعالبي[3] : القاضي أبو الحسن علي بن عبد العزيز حسنة جرجان ، وفرد

---

(1) النقل عن اليتيمة 3 : 202 وفيه : وحدثني أبو نصر النمري ؛ وفي ك : عن أبي نصر الهمذيني .
(2) المصدر السابق نفسه .
(3) اليتيمة 4 : 3 .

الزمان ، ونـادرة الفلك ، وإنسان حـدقة العلم ، ودرة تـاج الأدب ، وفارسُ عسكـرِ الشعر ، يجمع خطَّ ابن مقلة إلى نثر الجاحظ ونظم البحتري ، وينظم عقد الاتقان[1] والاحسان في كلِّ ما يتعاطاه (وأنشد بيت الصاحب المقدَّم ذكره)[2] وقد كان في صباه خَلَف الخضر في قطع عرض الأرض وتدويخ بلاد العراق والشام وغيرهما ، واقتبس من أنواع العلوم والآداب ما صار به في العلماء علماً وفي الكمال[3] عالماً ، ثم عرج على حضرة الصاحب فألقى بها عصا المسافر ، فاشتد اختصاصه به وحلَّ منه محلاّ بعيداً في رفعته ، قريباً في أثرته ، وسيّر فيه قصائد أخلصت على قصد ، وفرائد أتت من فرد ، وما منها إلا صوب العقل ، وذوب الفضل . وتقلّد قضاء جرجان من يده ، ثم تصرفت به أحوال في حياة الصاحب وبعد وفاته من الولاية والعطلة ، وترقّى[4] محلّه إلى قضاء القضاة بالري فلم يعزله إلا موته رحمه اللّه تعالى . وعرض عليّ أبو نصر المصعبي كتاباً للصاحب بخطه إلى حسام الدولة أبي العباس تاش الحاجب في معنى القاضي أبي الحسن نسخته بعد التصدير والتسبيب : قد تقدم من وصفي للقاضي أبي الحسن علي بن عبد العزيز فيما سبق إلى حضرة الأمير الجليل صاحب الجيش ، دام علوّه ، من كتبي ما أعلم أني لم أؤدِّ فيه بعضَ الحق ، وإن كنت دللته على جملة تنطق بلسان الفضل وتكشف عن أنه من أفراد الدهر في كل قسم من أقسام الأدب والعلم ، فأما موقعه مني فالموقعُ الذي تخطبه هذه المحاسن وتوجبه هذه المناقب ، وعادته معي ألا يفارقني مقيماً وظاعناً ومسافراً وقاطناً ، وقد احتاج الآن إلى مطالعة جرجان بعـد أن شرطت عليه تصيير المقام كالالمام ، فطالبني مكانُهُ بتعريف الأمير مصدره ومورده ، فإن عنَّ له ما يحتاج إلى عرضه وجد من شرف إسعافه ما هو المعتاد من فضله ليتعجل إنكفاؤه إليّ بما رسم ، أدام الله أيامه ، من مظاهرته على ما يقـدم الرحيـل ويفسح السبيل من بذرقةٍ[5] إن احتاج إلى الاستظهار بها ، ومخاطبـة لبعض من في الطريق

---

(1) ك : الانفاق .

(2) يعني قوله . إذا نحن سلمنا لك العلم كله . . . . البيت .

(3) اليتيمة : الكلام .

(4) اليتيمة : وأفضى .

(5) البذرقة : الخفارة .

يتعرف[1] النُّجحَ فيها ، فان رأى الأمير أن يجعل من حظوظي الجسيمة عنده تعهد القاضي أبي الحسن بما يعجِّلُ ردَّه ، فإني ما غاب كالمضلِّ الناشد وإذا عاد كالغانم الواجد ، فعل إن شاء اللّه .

ولما عمل[2] الصاحب رسالته المعروفة في إظهار مساوىء المتنبىء عمل القاضي أبو الحسن « كتاب الوساطة بين المتنبي وخصومه » في شعره فأحسن وأبدع وأطال وأطاب ، وأصاب شاكلة الصواب، واستولى على الأمد في فصل الخطاب ، وأعرب عن تبحره في الأدب وعلم العرب ، وتمكنه من جودة الحفظ وقوة النقد، فسار الكتاب مسيرَ الرياح ، وطار في البلاد بغير جناح ، وقال فيه بعض النيسابوريين البيتين المقدم ذكرهما .

ومن شعره[3] :

انثر على خدَّيَّ من وردكْ ... أو دع فمي يقطفْهُ من خدِّكْ
ارحم قضيبَ البانِ وارفق به ... قد خفتُ أن ينقدَّ من قدكْ
وقل لعينيك بنفسي هما ... يخفّفان السقمَ عن عبدكْ

وله[4] :

وفارقتُ حتى ما أُسَرُّ بمن دنا ... مخافةَ نأيٍ أو حذارَ صدودِ
فقد جعلتْ نفسي تقولُ لمقلتي ... وقد قربوا خوفَ التباعد جودي
فليس قريباً من يُخافُ بعادُهُ ... ولا من يُرَجَّى قربه ببعيدِ

وله يستطرد[5] :

من عاذري من زمنٍ ظالمٍ ... ليس بمستحيٍ ولا راحمِ
تفعلُ بالإخوانِ أحداثه ... فعلَ الهوى بالدنفِ الهائمِ

---

(1) اليتيمة : يتصرف .
(2) ما زال النقل مستمراً عن اليتيمة 4 : 4 .
(3) اليتيمة 4 : 10 .
(4) المصدر السابق .
(5) اليتيمة 4 : 11 ـ 12 .

كـأنـمـا أصـبـح يـرمـيـهـم عن جَفْنِ مـولاي أبي القـاسمِ

وقال يذكر بغداد ويتشوقها[1] :

يـا نسيم الجنـوب بـالله بلِّغْ مـا يقـولُ المتيَّمُ المستهـامُ
قـل لأحبـابـه فِـداكم فـؤادٌ لـيس يسـلو ومقـلةٌ لا تنـامُ
بنتـمُ فـالسهـادُ عنـدي رقـادٌ مذ نأيتم والعيشُ عنـدي لهامُ[2]
فعلى الكـرخِ فـالقطيعةِ فـالشـطِّ فبابِ الشعيـرِ مني السـلامُ
يـا ديـارَ السـرورِ لا زال يبكي بكِ في مضحك الرياضِ غمـامُ
ربَّ عيشٍ صحبتـه فيـك غضٍّ وجفـونُ الخـطوبِ عني نيـامُ
فـي ليـالٍ كـأنـهـن أمـانٍ مـن زمـانٍ كـأنـه أحـلامُ
وكـأنَّ الأوقـات فيهـا كـؤوس دائـراتٌ وأنـسـهـنّ مـدامُ
زمـنٌ مُسْـعِـدٌ وإلـفٌ وَصُـولٌ ومـنـى تـسـتـلذّهـا الأوهـامُ
كـلّ أنسٍ ولـذةٍ وسـرورٍ بـعـد مـا بـنـتـمُ عـليَّ حـرامُ

وله في ذلك[3] :

سقى جـانبي بغدادَ أخـلافُ مزنـةٍ تحاكي دموعي صَوْبَها وانحـدارَها
فلي منهمـا قلبٌ شجاني اشتيـاقه ومهجـةُ نفس مـا أمـلّ ادّكـارَهـا
سـأغفـر لـلأيـام كـلَّ عـظيمـة لِئَنْ قَـرَّبَتْ بعـد البعـادِ مـزارَهـا

وله في ذلك[4] :

أراجعــةٌ تلك الليـالي كعهـدهـا إلى الوصـل أم لا يُرْتَجَى لي رجوعُها
وصحبـةُ أحبـابٍ لبستُ لفقـدهم ثيـابَ حـدادٍ يستجـدّ خليعـهـا
إذا لاح لي من أرض[5] بغداد بارقٌ تجافتْ جفوني واستُطِيرَ هجـوعُها

---

(1) اليتيمة 4 : 12 ـ 13 .
(2) اليتيمة : عندي مقيم . . . والعيش عندي حمام .
(3) اليتيمة 4 : 13 .
(4) المصدر نفسه .
(5) اليتيمة : من نحو .

وإن أخلفتها الغاديات وعودَها[1] تكلّفَ تصديقَ الغمام دموعُها
سقى جانبي بغدادَ كلُّ غمامةٍ يحاكي دموعَ المستهام هموعُها
معاهدُ من غزلانِ إنسٍ تحالفت لواحظها ألا يداوَى صريعُها
بها تسكنُ النفسُ النفور ويغتدي بآنسَ من قلب المقيم نزيعُها
يحنُّ إليها كلُّ قلبٍ كأنما تشادُ بحبّاتِ القلوب ربوعُها
فكلُّ ليالي عيشها زمنُ الصّبا وكلُّ فصولِ الدهرِ فيها ربيعُها

وله في ذلك[2] :

بجانب الكرخ من بغداد لي سَكَنٌ لولا التجملُ لم أنفكَّ أندبُهُ
وصاحبٌ ما صحبتُ الصبر مذ بعدت دياره وأراني لستُ أصحبُهُ
في كلِّ يوم لعيني ما يؤرقها من ذكره ولقلبي ما يعذّبُهُ
ما زال يبعدني عنه وأتبعه ويستمرُّ على ظلمي وأُعْتِبُهُ
حتى أوت لي النوى من طول جفوته وَسَهَّلَتْ لي سبيلاً كنتُ أرهبُهُ
وما البعادُ دهاني بل خلائقه ولا الفراقُ شجاني بل تجنُّبُهُ

وله في التخلص[3] :

أو ما انثنيت عن الوداع بلوعةٍ ملأتْ حشاك صبابةً وعليلا
ومدامع تجري فتحسب أن في آماقهنَّ بنانَ إسماعيلا

وله من قصيدة في الأمير شمس المعالي قابوس بن وشمكير :

ولما تداعت للغروب شموسُهُمْ وقمنا لتوديع الفريق المغرِّبِ
تَلَقَّيْنَ أطرافَ السجوفِ بمشرقٍ لهنَّ وأعطافَ الخدور[4] بمغربِ
فما سرن إلا بين دمعٍ مُضَيَّعٍ ولا قمن إلا بين قلبٍ مُعَذَّبِ
كأن فؤادي قِرْنُ قابوسَ راعه تلاعبُهُ بالفيلقِ المتأشِّبِ

---

(1) م : الناديات ؛ ك : الغانيات ، اليتيمة : رعودها .
(2) اليتيمة 4 : 14 .
(3) اليتيمة 4 : 15 .
(4) ك : الخزوز .

وله في الصاحب من قصيدة[1] :

وما بال هذا الدهرِ يطوي جوانحي ... على نَفْسِ محزونٍ وقلبٍ كئيبِ
تُقَسّمني الأيامُ قسمةَ جائر ... على نضرةٍ من حالها وشحوبِ
كأنيَ في كفِّ الوزير رغيبةٌ ... تُقَسَّم في جدوى أغرَّ وهوبِ

وله من قصيدة في الصاحب[2] :

ولا ذنبَ للأفكار أنت تركتها ... إذا احتشدتْ لم يُنْتَفَعْ باحتشادها
سبقتَ بأفراد المعاني وأَلَّفَتْ ... خواطِرُكَ الألفاظَ بعد شِرادها
وان نحن حاولنا اختراع بديعةٍ ... حصلنا على مسروقها ومعادها

وله في الصاحب من قصيدة يهنئه بالبرء من مرض[3] :

بكَ الدهرُ يندى ظلُّهُ ويطيبُ ... وَيُقْلِعُ عمَّا ساءنا ويتوبُ
ونحمدُ آثار الزمانِ وربما ... ظللنا وأوقاتُ الزمان ذنوبُ
أفي كلِّ يوم للمكارم روعةٌ ... لها في قلوب المكرمات وجيبُ
تقسمتِ العلياءُ جسمَكَ كلَّه ... فمن أين فيه للسقام نصيبُ
إذا ألمت نفسُ الوزيرِ تألمت ... لها أنفسٌ تحيا بها وقلوبُ
ووالله لا لاحظتُ وجهاً أحبه ... حياتي وفي وجه الوزير شحوبُ
وليس شحوباً ما أراه بوجهه ... ولكنَّهُ في المكرمات ندوبُ
فلا تجزعنْ تلك السماءُ تغيَّمَتْ ... وعما قليل تبتدي فتصوبُ
تهللَ وجهُ المجدِ وابتسم الندى ... وأصبح غصنُ الفضلِ وهو رطيبُ
فلا زالت الدنيا بملكك طلقةً ... ولا زال فيها من ظلالك طيبُ

(1) اليتيمة 4 : 16 .
(2) اليتيمة 4 : 17 .
(3) اليتيمة 4 : 18 ، 19 .

وله[1] :

على مهجتي تجني الحوادثُ والدهرُ فـأما اصـطباري فهـو ممتنـعٌ وعْـرُ
كـأني ألاقي كـلَّ يـومٍ ينـوبني بـذنبٍ ومـا ذنبي سـوى أنني حـرُّ
فإن لم يكنْ عند الزمان سوى الذي أضيقُ بـه ذرعاً فعنـدي له الصبـرُ
وقالوا توصَّلْ بالخضوع إلى الغنى وما علموا أنّ الخضـوعَ هو الفقـرُ
وبيني وبين المـال بـابـان حَـرَّمـا عليَّ الغنى نفسي الأبيّـةُ والـدهـرُ
إذا قيل هذا اليسر عاينتُ[2] دونـه مواقفَ خير من وقـوفي بها العسـرُ
إذا قُـدِّمـوا بـالـوفـر قُـدِّمْتُ قبلهم بنفسٍ فقيـرٍ كـلُّ أخـلاقِـهِ وفـرُ
ومـاذا على مثلي إذا خَضَعتْ لـه مـطامعُهُ في كفِّ من حصـل التبرُ

وله :

سقى الغيثُ أو دمعي وقلَّ كلاهما لهـا أربُعاً جـوْرُ الهوى بينهـا عدلُ
بحيث استدقَّ الدعصُ وانبسط النقا وحيث تناهى الحقفُ وانقطع الرملُ
أكثِّــر من أوصـافهــا وهي واحـد ولكن أرى أسماءها في فمي تحلو
وفي ذلـك الخـدرِ المكلّلِ ظبيــةٌ لكـلِّ فؤادٍ عنـد أجفـانها ذَحْــلُ
إذا خـطراتُ الريـح بين سجوفهـا أباحت لطرفِ العين ما حَظَر البخلُ
تلقتْ بـأثنـاء النصيف لحـاظنـا وقـالت لأخرى مـا لمستهتـر عقـلُ
أفي مثـلِ هذا اليـوم يمرحُ طـرفه وأعـداؤنـا حُـولٌ وَحُسّـادنـا قُبْـلُ
ومـدَّتْ لإسبالِ السجـوفِ بنـانهـا فغـازلنا عنهـا الشمـائـلُ والشكـلُ

---

(1) اليتيمة 4: 23 ـ 24 .
(2) اليتيمة : أبصرت .

ـ 782 ـ

علي بن عبد العزيز بن إبراهيم بن بنان[1] بن حاجب النعمان أبو الحسن : قد ذكرت معنى تسميتهم بحاجب النعمان في ترجمة أبيه ، وكان أبو الحسن هذا من الفصحاء البلغاء، وقد صنف كتباً وأنشأ رسائل وله ديوان شعر كبير الحجم ، وكان أبوه يكتب لأبي محمد المهلبي وزير معز الدولة ، وكتب أبو الحسن للطائع للّه ثم للقادر باللّه بعده في شوال سنة ست وثمانين وثلاثمائة وخوطب برئيس الرؤساء وخدم خليفتين أربعين سنة ، ومولده سنة أربعين وثلاثمائة ومات في رجب سنة ثلاث وعشرين وأربعمائة[2] وولي ابنه أبو الفضل مكانه فلم يسدّ مسدّه فعزل بعد شهور .

وحدث ابن نصر قال حدثني أبو الفتح أحمد بن عيسى الشاعر المعروف بحمدية قال : لما قبض القادر باللّه على أبي الحسن ابن حاجب النعمان واستكتب أبا العلاء ابن تريك وهى النظر وقلّ رونقه ، واتفق أن دخل يوماً إلى الديوان فوجد على مخادّه قطعة من عذرة يابسة ، فانخزل وتلاشى أمره ، فقبض عليه ، وأعيد أبو الحسن إلى رتبته . وكانت بيني وبين أبي العلاء من قبل مماظّة في بعض الأمور فامتدحت أبا الحسن بقصيدة أولها :

زُمَّتْ ركائبهم فاستشعر التلفا

حتى بلغت منها إلى قولي :

يا من إذا ما رآه الدهرُ سالمه	وظلَّ معتذراً مما جنى وهفا
قد رام غيرك هذا الطِّرْفَ يركبُهُ	فما استطاع له جرياً بلى وقفا
لم يرجع الطرف عنه من تبظرمه	حتى رأينا على دست له طُرفا

782 ـ ترجمته في المنتظم 8 : 51 وتاريخ بغداد 12 : 31 .

(1) المنتظم وتاريخ بغداد : بيان .

(2) تاريخ بغداد : سنة إحدى وعشرين وأربعمائة .

فدفع إليّ صورة عنقاء فضة مذهبة كانت بين يديه فيها طيب وقال : خذ هذه الطرفة فإنها أطرف من طرفتك .

وقرأت في « المفاوضة » : حدثني الوزير أبو العباس عيسى بن ماسرجيس قال : كنت أخلف الوزارة ببغداد مشاركاً لأبي الحسن علي بن عبد العزيز بن حاجب النعمان فدعاني يوماً إلى داره ببركة زلزل وتجمل واحتشد، ودعا بكلٍّ من يشار إليه بحذقٍ في الغناءِ من رجال وإماءٍ مثل عُلَيَّة الخاقانية وغيرها من نظرائها في الوقت، وحضر القاضي أبو بكر ابن الأزرق نسيبه وانتقلنا من الطعام إلى مجلس الشراب فلما دارت الكأس أدواراً قال لي : ما أراك تحلف على القاضي ليشربَ معنا ويساعدنا ، وإن كان لا يشربُ إلا قارصاً ، قلت : أنا غريب ومحتشم له وأمره بك أمسّ وأنت به أخصّ . قال : فاستدعى غلاماً وقال له : امض إلى إسحاق الواسطي واستدع منه قارصاً وتولَّ خدمة القاضي أيده اللّه ، فمضى الغلام وغاب ساعة ثم أتى ومعه خماسية فيها من الشراب الصريفيني الذي بين أيدينا إلا أن على رأسها كاغداً وختماً وسطراً فيه مكتوب « قارص من دكان إسحاق الواسطي » قال فتأمله القاضي وأبصر الخط والختم ثم أمر فسقي رطلاً ، فلما شربه واستوفاه قال للغلام : ويلك ما هذا؟ قال : يا سيدي هذا قارص قال : لا بل واللّه الخالص ، ثم ثنّى له وثلّث ، فاضطرب أمر القاضي علينا وأنشأ يقول :

ألا فاسقني الصهباء من حَلَبِ الكرمِ ولا تسقني خمراً بعلمك أو علمي
أليست لها أسماءُ شتّى كثيرةٌ ألا فاسقنيها واكنِ عن ذلك الإسمِ

فكان كلما أتاه بالقدح سأله عنه فيقول تارة مدام وتارة خندريس وهو يشرب ، فإذا قال له خمر حرد واستخف به ، فيتوارى بالقدح ساعة ثم يعيده ويقول : هذه قهوة فيشربه، فلم يشرب القاضي إلا بمقدار ستة أسماء أو سبعة من أسماء الخمر حتى تبطّحَ في المجلس وَلُفَّ في طيلسانٍ أزرقَ عليه وحمل إلى داره .

- 783 -

علي بن عبد الغني القروي الحصري الأندلسي : قال صاحب «كتاب فرحة الأنفس» ، وهو محمد بن أيوب بن غالب الغرناطي : يكنى أبا الحسن ، كان من أهل العلم بالنحو وشاعراً مشهوراً وكان ضريراً طاف الأندلس ومدح ملوكها فمن ذلك قوله للمعتمد بن عباد عند موت أبيه المعتضد أبي عمرو عباد بن محمد[1] :

مات عبادٌ ولكنْ ... بقيَ النجلُ الكريمُ
فكأنَّ الميْتَ حيٌّ ... غير أن الضادَ ميمُ

ومدح بعضَ ملوكِ الأندلس فغفل عنه إلى أن حفزه الرحيل فدخل عليه وأنشده :

محبتي تقتضي ودادي ... وحالتي تقتضي الرحيلا
هذان خصمان لستُ أقضي ... بينهما خوفَ أن أميلا
ولا يزالان في اختصامٍ ... حتى ترى رأيك الجميلا

ودخل على المعتصم محمد بن معن بن صمادح فأنشده قصيدة فلما انصرف تكلم المعتصم في أمره مع وزرائه وكتّابه ليرى رأيهم فيه ، فنقل إليه عن الكاتب أبي الأصبغ ابن أرقم كلامٌ أحفظه فانصرف ودخل على ابن صمادح وأنشده :

يا أيها السيد المعظم ... لا تطع الكاتب ابن أرقمْ
لأنه حيةٌ وتدري ... ما فعلتْ بأبيك آدمْ

783 - ترجمة الحصري في الجذوة: 296 (وبغية الملتمس رقم: 1229) والصلة: 410 والسلفي: 63، 110 ، 111 والذخيرة 4/1: 245 والخريدة 2: 186 وابن خلكان 3: 331 وعبر الذهبي 3: 321 وطبقات ابن الجزري 1: 550 ونكت الهميان: 213 والشذرات 3: 385 وقد ترجم له في المسالك ثلاث مرات 11: 375 ، 455 ، 468 والأخيرة منها خطأ باسم علي بن عبد العزيز ، وله شعر في نفح الطيب والمطرب والحلة السيراء 2: 54 وذكر خبره في الحلة 2: 67 مع المعتمد (نقلاً عن الذخيرة) وتكرر هذا الخبر في المعجب: 205 ، ومن الغريب ان صاحب أدباء مالقة حين ترجم له (ص 157) عده من أهل سبتة ، وقد قام الأستاذان محمد المرزوقي والجيلاني بن الحاج بدراسة عنه مرفقة بما وجداه من رسائله وأشعاره مع ديوانه المعشرات واقتراح القريح .

(1) الذخيرة 4/1 : 273 وفيها تخريج البيتين .

وحكى أبو العباس البلنسي الأعمى أيضاً عنه وكان من تلاميذه ، وهذان البيتان متنازعان[1] بينهما لا أدري لمن هي منهما :

وقـالـوا قـد عميتَ فقلتُ كـلّا وإني اليـومَ أبصـرُ من بـصيـرِ
سـوادُ الـعيـن زاد سـوادَ قلبـي لـيجـتمـعـا على فـهـم الأمـورِ

وذكره الحميدي وقال : دخل الأنـدلس بعد الخمسين وأربعمـائة ، وأنشـدني بعضهم له :

ولمـا تمـايـل مـن سكـره ونـام دبـبـتُ لأعـجـازهِ
فـقـال ومن ذا فـجـاوبـتـه عـمٍ يسـتـدلُّ بـعـكـازهِ

ـ 784 ـ

علي بن أبي طالب أمير المؤمنين صلوات الله عليه وسلامه ، واسم أبي طالب عبد مناف بن عبد المطلب ، واسم عبد المطلب عامر وهو شيبة الحمد لقب له ، ابن هاشم واسمه عمرو بن عبد مناف وهو المغيرة ، ابن قصي واسمه زيد بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن الياس بن مضر ، وأمه فاطمة بنت أسد بن هاشم بن عبد مناف : أخباره عليه السلام كثيرة وفضائله شهيرة إن تصدينا لاستيعابها وانتخاب مستحسنها[2] كانت أكبر حجماً من جميع كتابنا هذا . مات صلوات الله عليه يوم الجمعة لسبع عشرة ليلة خلت من شهر رمضان سنة أربعين للهجرة ، وكانت خلافته أربع سنين وتسعة أشهر ، ومدة عمره فيها خلاف على ما نذكره فيما بعد ، ولا بد من ذكر جُمَلٍ من أمره على سبيل التاريخ يستدل بها على مجاري أموره ، ونتبعها بذكر ولده ومن أعقب منهم ومن لم يعقب ، وذكر شيء مما صح من شعره وحكمه .

784 ـ ترجمة الإمام عليّ في المصادر القديمة والمراجع الحديثة لا تكاد تحصى ، والمقصود هنا صلته بنشأة علم النحو ، وذلك أيضاً وارد بإيجاز أحياناً وبإسهاب أحياناً في تراجم النحويين .

(1) ك : متنازعة .
(2) ك : محاسنها .

وكان عليه السلام أول من وضع النحو وسن العربية ، وذلك أنه مرَّ برجل يقرأ إن اللّه بريء من المشركين ورسولِهِ بكسر اللام ، فوضع النحو وألقاه إلى أبي الأسود الدئلي ، وقد استوفينا خبر ذلك في باب أبي الأسود .

قرأت بخط أبي منصور محمد بن أحمد الأزهري اللغوي في « كتاب التهذيب » له قال أبو عثمان المازني : لم يصحَّ عندنا أن علي بن أبي طالب عليه السلام تكلم من الشعر بشيء غير هذين البيتين :

تلكم قريش تمنَّاني لتقتلني ... فلا وجدك ما برّوا ولا ظفروا
فإن هلكت فرهنٌ ذِمّتي لهمُ ... بذاتِ روقين لا يعفو لها أثرُ

قال ويقال داهية ذات روقين وذات ودقين إذا كانت عظيمة .

كان قد بويع له يوم قتل عثمان بن عفان رضي اللّه عنه ثم كانت وقعة الجمل بعد ذلك بخمسة أشهر وأحد وعشرين يوماً ، وعدة من قتل في وقعة الجمل ثمانية آلاف ، منهم من الأزد خاصّة أربعة آلاف ، ومن ضبة الف ومائة ، وباقيهم من سائر الناس ، وقيل أقل من ذلك ، ومن أصحاب علي صلوات اللّه عليه نحو الف ، وكانت الوقعة لعشرٍ خلون من جمادى الأولى سنة ست وثلاثين ، وكان بين وقعة الجمل والتقائه مع معاوية بصفين سبعة أشهر وثلاثة عشر يوماً ، وكان أول يوم وقعت الحرب بينهم بصفين غرة صفر سنة سبع وثلاثين ، واختلف في عدة أصحابهما فقيل كان علي في تسعين ألفاً وكان معاوية في مائة وعشرين ألفاً ، وقيل كان معاوية في تسعين ألفاً وعلي عليه السلام في مائة وعشرين ألفاً ، وهذا أولى بالصحة . وقتل بصفين سبعون ألفاً من أصحاب علي عليه السلام : خمسة وعشرون ألفاً منهم خمسة وعشرون من الصحابة ، وقتل من أصحاب معاوية خمسة وأربعون ألفاً ، وقيل غير ذلك . وكان المقام بصفين مائة يوم وعشرة أيام ، وكانت الوقائع تسعين وقعة . وبين وقعة صفين والتقاء الحكمين وهما أبو موسى الأشعري وعمرو بن العاص بدومة الجندل خمسة أشهر وأربعة وعشرون يوماً ، وبين التقائهما وخروج علي عليه السلام إلى الخوارج بنهروان وقتله إياهم سنة وشهران ، وكان الخوارج أربعة آلاف عليهم عبد اللّه بن وهب الراسبي من الأزد ، وليس براسب بن جرم بن زبان ، وليس في العرب غيرهما . فلما نزل علي عليه السلام

تفرقوا فبقي منهم ألف وثمانمائة ، وقيل ألف وخمسمائة ، فقتلوا إلا نفراً يسيراً . وكان سبب تفرق الخوارج عنه أنهم تنازعوا عند الاحاطة بهم فقالوا : أسرعوا الروحةَ إلى الجنة ، فقال عبد اللّٰه بن وهب : ولعلها إلى النار ، فقال من فارقه : ترانا نقاتل مع رجل شاكٍّ ؟! وبين خروجه إلى الخوارج وقتل ابن ملجم لعنه اللّٰه تعالى له سنة وخمسة أشهر وخمسة أيام .

واختلف في مدة عمره فقال قوم : إنه استشهد وله ثمان وستون سنة في قول من يذهب إلى أنه أسلم وله خمس عشرة سنة ، وقيل ست وستون ، وهو قول من يذهب إلى أنه أسلم وله ثلاث عشرة سنة ، وقيل ثلاث وستون وهو قول من يرى أنه أسلم وله عشر سنين ، وقيل ثمان وخمسون وهو قول من زعم أنه أسلم وله خمس سنين ، وهذا أقل ما قيل في مقدار عمره .

واختلف في موضع قبره فقيل بالغري ، وهو الموضع المشهور اليوم ، وقيل بمسجد الكوفة ، وقيل برحبة القصر بها ، وقيل حمل إلى المدينة فدفن مع فاطمة صلوات اللّٰه عليهما وسلامه .

وكان أسمر عظيم البطن أصلع أبيض الرأس واللحية أدعج عظيم العينين ، ليس بالطويل ولا القصير ، تملأ لحيته صدره لا يُغَيِّر شيبه ، وكان له من البنين أحد عشر : الحسن والحسين ومحمد بن الحنفية ، وأمه خولة بنت جعفر سبية ، وعمر ، أمه أم حبيب الصهباء بنت ربيعة تغلبية ، والعباس ، أمه أم البنين بنت حزام[1] بن خالد من بني عامر بن صعصعة ، وعبد اللّٰه يكنى أبا بكر ، وعثمان وجعفر ومحمد الأصغر ، وقيل هو الذي يكنى أبا بكر ، وعبيد اللّٰه ويحيى . المعقبون منهم خمسة : الحسن والحسين ومحمد بن الحنفية وعمر والعباس عليهم السلام . وله من البنات ست عشرة منهن زينب وأم كلثوم التي تزوجها عمر بن الخطاب ، وأمهما فاطمة بنت رسول اللّٰه ﷺ . فالعقب للحسن بن علي عليهما السلام من زيد والحسن ، والعقب لزيد من الحسن بن زيد ، والعقب للحسن بن الحسن من جعفر وداود وعبد اللّٰه والحسن وإبراهيم ، والعقب للحسين عليه السلام من علي الأصغر بن الحسين ،

---

(1) ك : حرام .

والعقب لعلي بن الحسين من محمد وعبد الله وعمر وزيد والحسين بني علي عليهم السلام . والعقب لمحمد بن الحنفية من جعفر وعلي وعون وإبراهيم ، والعقب لجعفر بن محمد من عبد الله ، ولعلي بن محمد من عون ، ولعون بن محمد ولإبراهيم بن محمد . فأما أبو هاشم عبد الله بن محمد بن الحنفية ، وهو أكبر ولده ، فقد ظنَّ قوم أنه أعقب وليس الأمر كذلك . والعقب لعمر بن علي بن أبي طالب من محمد بن عمر ، والعقب لمحمد بن عمر لعمر ولعبد الله وجعفر . والعقب للعباس من عبيد الله بن العباس ، والعقب لعبيد اللّه من الحسين وعبد الله عليهم الصلاة والسلام أجمعين .

ومما يروى أن معاوية كتب إلى أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام : إن لي فضائل ، كان أبي سيداً في الجاهلية ، وصرت ملكاً في الإسلام ، وأنا صهر رسول اللّه ﷺ وخال المؤمنين وكاتب الوحي . فقال أمير المؤمنين عليه السلام أبالفضائل تفتخر عليّ يا ابن آكلة الأكباد ؟! اكتب إليه يا غلام :

محمدٌ النبيُّ أخي وصهري ... وحمزةُ سيدُ الشهداءِ عمّي
وجعفرٌ الذي يُضحي ويُمْسي ... يطيرُ مع الملائكة ابنُ أمي
وبنتُ محمدٍ سكني وعرسي ... مشوبٌ لحمها بدمي ولحمي
وسبطا أحمدٍ ولداي منها ... فأيكمُ لهُ سهمٌ كسهمي
سبقتكمُ إلى الإسلام طرّاً ... صغيراً ما بلغتُ أوانَ حلمي[1]

فقال معاوية : اخفوا هذا الكتاب لا يقرأه أهل الشام فيميلوا إلى ابن أبي طالب .

قرأت في « كتاب الأمالي »[2] لأبي القاسم الزجاجي قال حدثنا أبو جعفر أحمد بن محمد بن رستم الطبري صاحب أبي عثمان المازني قال حدثنا أبو حاتم

---

(1) بهامش ك : وبعدها بيتان لم يذكرهما المصنف وهما :

وأوصى بي النبي على اختياري ... ببيعته غداة غدير خم
فويل ثم ويل ثم ويل ... لمن يلقى الاله غداً بظلمي

(2) هو في ملحقات الامالي : 238 ـ 239 نقلاً عن الاشباه والنظائر للسيوطي 1 : 7 وقارن بما في نزهة الألباء : 2 ـ 3 .

السجستاني عن يعقوب بن إسحاق الحصرمي قال حدثنا سعيد بن سلم الباهلي قال حدثني أبي عن جدي عن أبي الأسود الدئلي ، أو قال عن جدي عن ابن أبي الأسود الدئلي عن أبيه قال : دخلت على أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام فرأيته مطرقاً مفكّراً فقلت : فيم تفكر يا أمير المؤمنين ؟ قال : إني سمعت ببلدكم هذا لحناً فأردت أن أضع كتاباً في أصول العربية ، فقلت : إن فعلت هذا يا أمير المؤمنين أحييتنا وبقيت فينا هذه اللغة ، ثم أتيته بعد أيام[1] فألقى إليَّ صحيفة فيها : بسم اللّٰه الرحمن الرحيم الكلام كله اسم وفعل وحرف ، فالاسم ما أنبأ عن المسمى ، والفعل ما أنبأ عن حركة المسمى ، والحرف ما أنبأ عن معنىً ليس باسم ولا فعل ، ثم قال لي : تتبعه وزد فيه ما وقع لك ، واعلم يا أبا الأسود أن الأشياء ثلاثة ظاهر ومضمر وشيء ليس بظاهر ولا مضمر[2] . قال : فجمعت منه أشياءَ وعرضتها عليه ، وكان من ذلك حروف النصب فكان منها إنّ وأنّ وليت ولعل وكأنّ ولم أذكر لكن ، فقال لي : لم تركتها ؟ فقلت : لم أحسبها منها فقال : بل هي منها فزدها فيها .

قال أبو القاسم[3] قوله عليه السلام الأشياء ثلاثة ظاهر ومضمر وشيء ليس بظاهر ولا مضمر فالظاهر رجل وفرس وزيد وعمرو وما أشبهه ، والمضمر نحو أنا وأنت والتاء في فعلت والياء في غلامي والكاف في ثوبك وما أشبه ذلك ، وأما الشيء الذي ليس بظاهر ولا مضمر فالمبهم نحو هذا وهذه وهاتا وتا ومن وما والذي وأي وكم ومتى وأين وما أشبه ذلك .

ـ 785 ـ

علي بن عبد الملك بن العباس القزويني ، أبو طالب النحوي : كان أبوه أبو علي عبد الملك من أهل العلم ورواية الحديث وسمع أبو طالب جماعة منهم مهرويه

785 ـ ترجمته في بغية الوعاة 2 : 178 .

(1) الأمالي : بعد ثلاث .

(2) زاد في الأمالي : وإنما تتفاضل العلماء في معرفة ما ليس بظاهر ولا مضمر .

(3) هذا التعليق من الزجاجي لم يرد في الأمالي .

وأبو الحسن علي بن إبراهيم القطان . قال الخليلي : وهو إمام في شأنه قرأنا عليه وأخذ عنه الخلق ، ومات في آخر سنة ثمان وتسعين وثلاثمائة ، وخلف أولاداً صغاراً اشتغلوا بما لا يعنيهم فقتلوا ، وأخوه علي أبو الحسن سمع الحديث لكنه كان كاتباً فلم يُسْمَعْ منه ، وأبو علي ابنه سمع الحديث وقرأ الفقه ثم اشتغل بالكتابة فمات في الغربة ، وقد انقطع نسله .

ـ 786 ـ

علي بن عبيدة الريحاني : أحد البلغاء الفصحاء ، من الناس من يفضله على الجاحظ في البلاغة وحسن التصنيف ، مات[1] [. . .] ، وكان له اختصاص بالمأمون ويسلك في تأليفاته وتصنيفاته طريقة الحكمة وكان يرمى بالزندقة . وله مع المأمون أخبار : منها أنه كان بحضرة المأمون فجمش غلاماً ، فرآهما المأمون فأحبَّ أن يعلم هل علم عليّ أم لا ، فقال له: أرأيت؟ فأشار عليّ بيده وفرق أصابعه أي خمسة ، وتصحيف خمسة جَمَّشْهُ ، وغير ذلك من الأخبار المتعلقة بالفطنة والذكاء .

وقال جحظة في « أماليه » حدثني أبو حرملة قال قال علي بن عبيدة الريحاني : حضرني ثلاثة تلاميذ لي فجرى لي كلام حسن ، فقال أحدهم : حقّ هذا الكلام أن يكتب بالغوالي على خدود الغواني ، وقال الآخر : بل حقه أن يكتب بأنامل الحور على النور ، وقال الآخر : بل حقه أن يكتب بقلم الشكر في ورق النعم .

ومن مستحسن أخباره المطربة أنه قال : أتيت باب الحسن بن سهل فأقمت ببابه ثلاثة أشهر لا أحظى منه بطائل فكتبت إليه :

مدحتُ ابنَ سهلٍ ذا الأيادي وما له ... بـذاك يـدٌ عنـدي ولا قَـدَمٌ بعـدُ

---

786 ـ ترجمة علي بن عبيدة في الفهرست : 133 وتاريخ بغداد 12 : 18 والنجوم الزاهرة 2 : 231 وله أخبار وأقوال في البصائر للتوحيدي ، وقد نشرت ما اختاره الوزير المغربي من كتبه بمجلة الأبحاث (الجامعة الامريكية ، 1981 ، السنة 29 ص 3 ـ 31) وألحقت بها ما وجدته له مبثوثاً في المصادر المتيسرة .

(1) كانت وفاته فيما يرجح سنة 219 هـ .

ومـا ذنبـه والنـاسُ إلا أقـلَّهـم   عيالٌ لـه إن كـان لم يـكُ لي جـدُّ
سـأحمـده للنـاسِ حتى إذا بـدا   لـه فيَّ رأيٌ عـاد لي ذلـك الحمـدُ

فبعث إليّ : باب السلطان يحتاج إلى ثلاث خلال : مال وعقل وصبر . فقلت للواسطة : تؤدي عنيّ ، قلت تقول له : لو كان لي مال لأغناني عن الطلب منك ، أو صبرٌ لصبرت على الذلّ ببابك ، أو عقلٌ لاستدللت به على النزاهة عن رفدك ، فأمر لي بثلاثين ألف درهم .

قرأت بخط أبي الفضل العباس بن علي بن برد الخيار أخبرني أبو الفضل أحمد بن طاهر قال[1] : كنت في مجلس بعض أصدقائي يوماً وكان معي علي بن عبيدة الريحاني في المجلس ، وفي المجلس جارية كان علي يحبها ، فجاء وقت الظهر فقمنا إلى الصلاة وعلي والجارية في الحديث ، فأطالا حتى كادت الصلاة تفوت ، فقلت له : يا أبا الحسن قم إلى الصلاة ، فأومأ بيده إلى الجارية وقال : حتى تغرب الشمس ، أي حتى تقوم الجارية . قال : فجعلت أتعجب من حسن جوابه وسرعته وكنايته .

وله من الكتب[2] . كتاب المصون . كتاب التدرّج . كتاب رائد الود[3] . كتاب المخاطب . كتاب الطارف . كتاب الهاشمي . كتاب الناشيء . كتاب الموشح . كتاب الجدّ . كتاب شمل الألفة . كتاب الزمام . كتاب المتحلي . كتاب الصبر . كتاب سناوبها[4] . كتاب مهرازاد خشيش . كتاب صفة الدنيا . كتاب روشنائدل[5] . كتاب سفر الجنة . كتاب الأنواع . كتاب الوشيج . كتاب العقل والجمال . كتاب أدب جوانشير . كتاب شرح الهوى . كتاب الطاوس[6] . كتاب المسجى . كتاب أخلاق

(1) وردت هذه الحكاية أيضاً في ربيع الأبرار 3 : 125 والبصائر 4 : 162 ولطائف الظرفاء : 84 (لطائف اللطف : 114) .
(2) عدَّ له صاحب الفهرست ستة وخمسين كتاباً ، وبعض الأسماء فيه وعند ياقوت متباينة بسبب التصحيف .
(3) م ك : الردّ .
(4) م : كتاب سباريها . ك : ساربها (دون اعجام) .
(5) ك م : روشنابذك .
(6) م ك : الطارس (ولعلي مقتبسات في وصف الطاوس ، انظر مجلة الأبحاث) .

هارون . كتاب الأسنان . كتاب الخطب . كتاب الناجم . كتاب صفة الفرس . كتاب النبيه . كتاب المشاكل . كتاب فضائل إسحاق . كتاب صفة الموت . كتاب السمع والبصر . كتاب اليأس والرجاء . كتاب صفة العلماء . كتاب آيين الملك . كتاب المؤمّل والمهيب . كتاب ورود وودود الملكتين . كتاب النملة والبعوضة . كتاب المعاقبات . كتاب مدح النديم . كتاب الجمل . كتاب خطب المنابر . كتاب النكاح . كتاب الايقاع . كتاب الأوصاف . كتاب امتحان الدهر . كتاب الأجواد . كتاب المجالسات . كتاب المنادمات .

قال : سأل المأمون يحيى بن أكثم وثمامة بن أشرس وعلي بن عبيدة الريحاني عن العشق ما هو فقال علي بن عبيدة[1] : العشق ارتياح في الخلقة ، وفكرة تجول في الروح ، وسرور منشأه الخواطر ، له مستقر غامض ومحل لطيف المسالك يتصل بأجزاء القوى وَيَنْسابُ في الحركات . وقال يحيى : العشق سوانح تسنح للمرء فيهتم لها ويؤثرها . قال ثمامة يا يحيى إنما عليك أن تجيب في مسألة في الطلاق أو عن مُحْرِمٍ يصطاد ظبياً ، وأما هذه فمسألتنا ، قال له المأمون : فما العشق يا ثمامة ؟ قال : إذا تقادحت جواهر النفوس بوصل المشاكلة[2] أحدثت لمع برق ساطع تستضيء به نواظر العقول وتشرق له طبائع الحياة فيتولد من ذلك البرق نور خاص بالنفس متصل بجوهريتها يسمى عشقاً ، قال المأمون : يا ثمامة أحسنت ، وأمر له بألف دينار .

ـ 787 ـ

علي بن عبيد الله بن الدقاق ، أبو القاسم الدقيقي النحوي : أحد الأئمة العلماء في هذا الشأن ، أخذ عن أبي علي الفارسي وأبي سعيد السيرافي وأبي الحسن

787 ـ ترجمة الدقيقي في بغية الوعاة 2 : 178 (عن ياقوت) . وينقل ياقوت في هذه الترجمة عن تاريخ أبي المحاسن (تاريخ العلماء النحويين : 21 ـ 22) .

(1) انظر محاضرات الأبرار لابن عربي 2 : 412 .

(2) م ك : بوصف الشاكلة .

الرماني ، وكان مباركاً في التعليم تخرج عليه خلق كثير لحسن خلقه وسجاحة سيرته ، وكان مولده سنة خمس وأربعين وثلاثمائة ، ومات فيما ذكره هلال بن المحسن في تاريخه في سنة خمس عشرة وأربعمائة وله تصانيف : منها كتاب شرح الإيضاح ، رأيته منسوباً إليه وأنا أظنه شرح علي بن عبيد الله السمسمي لأنه محشوّ بقوله « قال السمسماني ، قال السمسماني » ، وما أرى الدقاق ممن أخذ عن السمسماني وهو أكبر سناً منه ومشايخهما ووفاتهما واحدة ، ولكن اشتبه الاسم فنسب إلى هذا لشهرته بالنحو . وللدقيقي أيضاً كتاب شرح الجرمي . كتاب العروض رأيته . كتاب المقدمات .

وذكر القاضي أبو المحاسن ابن مسعر قال : أبو القاسم علي بن عبيد الله الدقيقي صاحب أبي الحسن علي بن عيسى الرماني قرأ عليه كتاب سيبويه قراءة تفهم وأخذ بذلك خطه عليه وانتفع الناس به ، وعنه أخذت وعلى روايته عوّلت .

ـ 788 ـ

علي بن عبيد الله السمسمي ، أبو الحسن اللغوي النحوي : كان جيد المعرفة بفنون علم العربية صحيح الخط غاية في إتقان الضبط ، قرأ على أبي علي الفارسي وأبي سعيد السيرافي وكان ثقة في روايته ، مات في محرم سنة خمس عشرة وأربعمائة في خلافة القادر بالله .

حدث ابن نصر قال حدثني الشيخ أبو القاسم ابن برهان النحوي قال قال لنا أبو الحسن السمسمي ، وقد سأله رجل مسألة من مسائل النوكى : حضر مجلس أبي عبيدة رجل فقال : رحمك الله أبا عبيدة ما العنجيد ؟ قال : رحمك الله ما أعرف هذا ، قال سبحان الله أين يُذْهَبُ بك عن قول الأعشى :

يومَ تُبْدِي لنا قُتَيْلَةُ عن جيـ ـدٍ تليعٍ تزينُهُ الأطواقُ

فقال : عافاك الله ، عن حرف جاء لمعنى والجيد العنق . ثم قام آخر في

788 ـ ترجمة السمسمي في تاريخ بغداد 12 : 10 وابن خلكان 3 : 312 وبغية الوعاة 2 : 178 .

المجلس فقال : أبا عبيدة رحمك الله ما الأودع ؟ قال : عافاك الله ما أعرفه ، قال سبحان الله أين أنت عن قول العرب زاحمْ بِعَوْدٍ أو دَعْ فقال: ويحك هاتان كلمتان والمعنى أو اترك أو ذر ، ثم استغفر اللّٰه وجعل يدرس ، فقام رجل فقال : رحمك الله أخبرني عن كوفا أمن المهاجرين أم من الأنصار ؟ قال : قد رويت أنساب الجميع وأسماءهم ولست أعرف فيهم كوفا . قال فأين أنت عن قوله تعالى والهديَ معكوفاً ؟ قال : فأخذ أبو عبيدة نعليه واشتد ساعياً في مسجد البصرة يصيحُ بأعلى صوته : من أين حُشِرَتْ البهائمُ عليَّ اليوم .

ورأيت جماعة من أهل العلم يزعمون أن النسبة إلى السمسمي والسمسماني واحد يقال هذا ويقال هذا .

وكان أبو الحسن هذا مليح الخط صحيح الضبط حجة فيما يكتبه . ومن هذا البيت جماعة كتّاب مجيدون يذكر منهم في مواضعهم من يقع إلينا حسب الطاقة .

وحدث غرس النعمة ابن الصابىء في « كتاب الهفوات » قال[1] : كان أبو الحسن السمسماني متطيّراً فخرج يوم عيد من داره فلقيه بعض الناس فقال له مهنئاً : عرَّفَ اللّٰه سيدنا الشيخ بركة شؤم هذا اليوم ، فقال : وإياك يا سيدي ، وعاد فأغلق بابه ولم يخرج يومه .

ووجدت في بعض الكتب هذه الأبيات منسوبة إلى أبي الحسن السمسمي :

دع مقلتي تبكي عليك بأربعٍ ... إن البكاءَ شفاءُ قلبِ الموجعِ
ودعِ الدموعَ تكفُّ جفني في الهوى ... من غاب عنه حبيبه لم يهجعِ
ولقد بكيتُ عليك حتى رقَّ لي ... من كان فيك يلومني وبكى معي

ووجدت بخط أبي الحسن السمسماني على ظهر كتاب المزني صاحب الشافعي رحمهما اللّٰه : كان كثيراً ما يتمثل :

يصونُ الفتى أثوابه حَذَرَ البلى ... ونفسُكَ أحرى يا فتى لو تصونها

(1) كتاب الهفوات : 70 .

فمن ذا الذي يرعاك بالغيب أو يرى لنفسك إكراماً وأنت تهينها

قرأت بخط الشيخ أبي محمد ابن الخشاب النحوي ، أنشدنا أبو بكر المزرفي الفرضي ، أنشدنا أبو بكر الخطيب ، أنشدنا علي بن عبيد الله السمسمي النحوي [اللغوي] :

أترى الجيرةَ الذين تنادوا بكرةً للزيال قبل الزوالِ
علموا أنني مقيمٌ وقلبي معهم واخدٌ أمامَ الجمالِ
مثل صاع العزيز في أرحل القو م ولا يعلمون ما في الرحالِ

ـ 789 ـ

علي بن عساكر بن المرحّب ، أبو الحسن المقرىء النحوي المعروف بالبطائحي الضرير: كان يزعم أنه من عبد القيس ، وهو من قرية من قرى البطائح تعرف بالمحمدية قريبة من الصليق . مات ببغداد في ثامن عشر شعبان سنة اثنتين وسبعين وخمسمائة ومولده سنة تسع وأربعمائة ، وكان قد قدم بغداد واستوطنها إلى حين وفاته ، وقرأ القرآن على أبي العز القلانسي الواسطي وأبي عبد الله البارع ابن الدباس وأبي بكر ابن المزرفي وأبي محمد ابن بنت الشيخ ، وقرأ النحو على البارع وغيره ، وسمع الحديث من جماعة ، وأقرأ الناس مدة وحدث بالكثير وكان ثقة مأموناً .

قال صدقة بن الحسين بن الحداد في « تاريخه »[1] : كان سبب وفاة البطائحي أنه ظهر به ناصور مما يلي تحت كتفه[2] فبقي به مدة طويلة ينز الى خارج البدن ثم

789 ـ المنتظم 10 : 267 وإنباه الرواة 2 : 298 ومختصر ابن الدبيثي 3 : 132 ونكت الهميان : 214 وطبقات ابن الجزري 1 : 556 وعبر الذهبي 4 : 215 وذيل ابن رجب 1 : 335 والشذرات 4 : 242 والنجوم الزاهرة 6 : 80 وبغية الوعاة 2 : 179 وله ترجمة في معرفة القراء الكبار ؛ والمرحّب ـ بتثقيل الحاء كما ضبطه الذهبي في المشتبه .

(1) تاريخ صدقة بن الحسين ذيل على تاريخ الزاغوني ، ابتدأه من سنة 527 حتى قريب وفاته (573) ؛ انظر ترجمة صدقة رقم : 602 .

(2) ك : كفه .

انفتح إلى باطنه فهلك به ، وأوصى لطغندي صاحبه الذي كان يقرأ عليه الحديث ويقربه من جهة النساء بثلث ماله ، ووقف كتبه على مدرسة الشيخ عبد القادر الجيلي ، وخلف مقدار أربعمائة دينار وداراً في دار الخلافة .

ـ 790 ـ

علي بن علي أبو الحسن البرقي : قال الحافظ أبو الحسن علي بن الفضل المقدسي : في ربيع الأول سنة اثنتين وعشرين وخمسمائة مات علي بن علي أبو الحسن البرقي النحوي الشاعر ، ولم يذكر غير ذلك .

ـ 791 ـ

علي بن عرّاق الصنّاري ، أبو الحسن الخوارزمي : مات سنة تسع وثلاثين وخمسمائة بمذانة ، قرية من قرى خوارزم ، ذكر ذلك أبو محمد محمود بن محمد بن أرسلان في « تاريخ خوارزم » وقال : كان نحوياً لغوياً عروضياً فقيهاً مفسّراً مذكراً ، قرأ الأدب على الشيخ أبي علي الضرير النيسابوري ، والفقه بخوارزم على الإمام أبي عبد اللّه الوبري ، ثم ارتحل في الفقه الى بخارى فتفقه بها على مشايخها ، ثم عاد الى جرجانية خوارزم فتكلم في مسائل مع أئمتها ، ثم تحوّل إلى قرية مذانة وتوطنها ، وكان يعظ في المسجد الجامع بها غداة الجمعة ، وكان يحفظ اللغات الغريبة والأشعار العويصة وصنف « كتاب شماريخ الدرر » في تفسير القرآن ولما فرغ منه كتب في آخره :

فرغنا من كتابته عشيّا ... وكان اللّه في عوني وليّا
وقد أدرجتُهُ نكتاً حِسَاناً ... ومعنىً يشبه الرُّطَبَ الجنيّا

قال : وقرأت بخط أبي عمرو البقال : كان من لطائف الصناري إذا نام واحد من

790 ـ ترجمة البرقي في بغية الوعاة 2 : 180 (عن ياقوت) .
791 ـ ترجمة الصناري في بغية الوعاة 2 : 179 (عن ياقوت) .

أهل الرستاق في مجلسه ناداه من على المنبر بأعلى صوته يا أيها التيس المذانقي اترك المنام واسمع الكلام ، ثم ينشد[1] :

وصــاحبٍ نبَّهْتُــهُ لـينـهضَــا إذا الكرى في عينه تمضمضا
فقـام عجـلانَ ومــا تـأرَّضــا يمسـحُ بالكفين وجهـاً أبيضـا

ثم يقول : تمضمض من النعاس إذا دبَّ في عينه ، ومنه المضمضة في الوضوء سميت بذلك لأن الغاسل يمضمض الماء في فمه أي يُدِبُّها ويجريها فيه .

ـ 792 ـ

علي بن عيسى أبو الحسن الصائغ النحوي غلام ابن شاهين الرامهرمزي : قال القاضي أبو علي التنوخي حدثني أبو عمر أحمد بن محمد بن حفص الخلال قال : كان أبو الحسن الصائغ النحوي الرامهرمزي واسع العلم والأدب مليح الشعر ، وهو صاحب القصيدة التي أولها [. . .] وفيها تجوّزٌ كثير وأمرٌ بخلاف الجميل قالها على طريق التخالع والتطايب ، وكان صالحاً معتقداً للحقّ لا عن اتساع في العلم ـ يعني علم الكلام ـ ولكنه كان واسعَ المعرفة بالنحو واللغة والأدب . وأبو الحسن الصائغ هذا هو أستاذ أبي هاشم ابن أبي علي الجبائي بعد أبي بكر المبرمان في النحو ، قرأ عليه لما ورد البصرةَ واستفاد منه حتى بلغ أعلى مراتب النحو ، حتى قال ابن درستويه : اجتمعتُ مع أبي هاشم فألقى عليّ بمائتي مسألة من غريب النحو ما سمعتُ بها قط ولا كنت أحفظ جوابها ، وقد ذكرتُ قصَّتَهُ مع أبي هاشم بكمالها في ترجمة أبي هاشم عبد السلام[2] . وقال أبو عمر الخلال : أنفذني الصيدلاني أبو عبد الرحمن المعتزلي غلام أبي علي الجبائي إلى أبي الحسن الرامهرمزي وقال لي قل له إني قرأت البارحة في كتاب شيخنا أبي علي في تفسير القرآن في قوله تعالى : ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ

792 ـ بغية الوعاة 2 : 182 .

(1) انظر اللسان (أرض . مضض) والتأرض : التأني والتثاقل .

(2) لم ترد لسقوط ترجمة أبي هاشم .

عَدُوّاً ﴾ (الأنعام: 112) أي بيَّنّا لكل نبي عدوّه فجعل [جعل][1] بمعنى بيّن ، ولست أعرف هذا في اللغة ، فاحفظْ جوابَهُ وجئني به ، قال : فجئتُ إلى أبي الحسن فأخبرته بذلك عن عبد الرحمن فقال : نعم هذا معروف في لغة العرب وقد قال الغريفي العنسي (بالنون) :

جعلنا لهم نهجَ الطريقِ فأصبحوا　　على ثَبَتٍ من أمرهم حيثُ يمَّموا

قال فعدتُ إلى عبد الرحمن فعرفته ذلك .

قلت : هكذا وجدت هذا الخبر والكلمة المسؤول عنها غير مبينة فمن عرفها وكان من أهل العلم فله أن يصلحها.

وقال أبو محمد عبيد الله بن أبي القاسم عبد المجيد بن بشران[2] الخوزستاني : وفي سنة اثنتي عشرة وثلاثمائة مات أبو الحسن علي بن عيسى الصائغ الرامهرمزي الشاعر ، وقد كان شخص إلى إبراهيم المسمعي ثم عدل إلى درك بسيراف ، فخرج مع درك في هَيَجٍ كان من العامة بها وقد رموه بالمقاليع ، فأصاب علي بن عيسى حجر فهلك ، وكان شاعراً عالماً ، فمن شعره :

سهادي غيرُ مفقودِ　　ونومي غيرُ موجودِ
وَجَرْيُ الدمع في الخدِّ　　كنظم الدرِّ في الجيدِ
لفعلِ الشيبِ في اللمَّـ　　ـةِ لا للخرَّدِ الغيدِ
لقد صار بيَ الشيبُ　　إلى لومٍ وتفنيدِ
وما المرءُ إذا شابَ　　لديهنَّ بمودودِ

وهي طويلةٌ مدح فيها أهل البيت ، وكان لهم مدَّاحاً .

(1) ادراج هذه الزيادة هنا هو الذي يبدد حيرة المؤلف حول هذا الخبز .
(2) ك : شيران .

ـ 793 ـ

علي بن عيسى بن داود بن الجراح ، أبو الحسن الوزير : كانت[1] منزلته من الرياسة ، ومعرفته بالعدل والسياسة ، تجلّ عن وصفها ، ومن حسن الصناعة والكفاية ما هو مشهور مذكور . وزر للمقتدر بالله دفعتين ، ومات في ليلة اليوم الذي عبر معز الدولة في صبيحته إلى بغداد وهو يوم الجمعة انتصاف الليل من سلخ ذي الحجة سنة أربع وثلاثين وثلاثمائة ، ودفن في داره ، وعمره تسع وثمانون سنة ونصف ، وَحُمّ يوماً واحداً ، ومولده في جمادى الآخرة سنة خمس وأربعين ومائتين .

وله كتاب جامع الدعاء . كتاب معاني القرآن وتفسيره أعانه عليه أبو الحسين الواسطيّ وأبو بكر ابن مجاهد . كتاب رسائله .

كان تقلده للوزارة الأولى في محرم سنة احدى وثلاثمائة وبقي فيها أربع سنين غير شهرٍ ، والأخرى في صفر سنة خمس عشرة وثلاثمائة وبقي فيها سنة وأربعة أشهر ويومين .

وكان يستغل ضياعه في السنة سبعمائة ألف دينار يخرج منها في وجوه البر ستمائة ألف دينار وستين ألف دينار ، وينفق أربعين ألف دينار على خاصته ، وكانت غَلّتُهُ عند عطلته ولزومه بيته نيفاً وثمانين ألف دينار يخرج منها في وجوه البر نيفاً وأربعين ألفاً وينفق ثلاثين ألفاً على نفسه ، وكان يرتفع لابن الفرات وهو متعطل ألف ألف دينار .

قال الصولي[2] : ولا أعلم أنه وزر لبني العباس وزير يشبهه في زهده وعفته وحفظه للقرآن وعلمه بمعانيه ، وكان يصوم نهاره ويقوم ليله .

---

793 ـ ترجمته في تاريخ بغداد 12 : 14 والفهرست : 142 والمنتظم 6 : 351 واعتاب الكتاب : 186 وسير الذهبي 15 : 298 وعبر الذهبي 2 : 238 ومرآة الجنان 2 : 316 والبداية والنهاية 11 : 217 والنجوم الزاهرة 3 : 288 والشذرات 2 : 336 وأخباره في الكتب التاريخية كابن الأثير والفخري ... الخ وراجع نشوار المحاضرة ، وانظر كتاب Bowen: the life and times of Ali ibn Isa ، كيمبردج ولندن 1928 .

---

(1) الفقرة الأولى من هذه الترجمة منقولة عن الفهرست .

(2) قارن بسير الذهبي : 299 .

قال الصولي : ولا أعلم أنني خاطبتُ أحداً أعرفَ منه بالشعر وكان يوقِّعُ بيده في جميع ما يحتاج إليه مما كان يوقّع فيه أصحابُ الدواوين في وزارته من قبله ، وكان يحضر مائدته وهو متولٍ على ديوان المغرب جماعةٌ من أهل العلم في كل ليلة . قال الصولي : ثم رأيتها وقد نقصت عند وزارته ، فسألتُ أبا العباس أحمد بن طومار الهاشمي عن السبب فقال : قد اقتصر في نفقته وأجرى الفاضلَ على أولاد الصحابة بالمدينة . وجلس للمظالم فأنصف الناس فأخذ للضعيف من القوي ، وتناصف الناسُ بينهم ، ولم يروا أعفَّ بطناً ولساناً وفرجاً منه . ولما عزل في وزارته الثانية وولي ابن الفرات لم يقنع المحسن بن أبي الحسن ابن الفرات إلا بإخراجه عن بغداد فخرج إلى مكة فأقام بها مهاجراً ، وقال في نكبته[1] :

ومن يـك عني سـائـلاً لشمـاتـةٍ ... لمـا نـابني أو شـامتـاً غيـر سـائـلِ
فقد أبرزتْ مني الخـطوبُ ابنَ حرّة ... صبـوراً على أهـوالِ تلك الـزلازلِ
إذا سُـرَّ لـم يبـطرْ ولـيس لنـكبـةٍ ... إذا نـزلت بـالخـاشـع المتضـائـلِ

ولما حبس كان يلبسُ ثيابه ويتوضأُ للصلاةِ ويقومُ ليخرجَ لصلاةِ الجمعة فيردّه المتوكلون، فيرفع يده إلى السماء ويقول: اللهم إني أُشْهِدُكَ أنني أريدُ طاعتك ويمنعني هؤلاء. وأشار على المقتدر أن يقف المستغلّاتِ ببغداد على الحرمين والثغور، وغلتها ثلاثة عشر ألف دينار في كل شهر ، والضياع الموروثة بالسواد وارتفاعها نيف وثمانون الف دينار سوى الغلة ، ففعل ذلك ، وأشهد على نفسه الشهود، وأفرد لهذه الوقوف ديواناً سماه ديوان البرّ . ورأى آثار سعيه لآخرته في دنياه ، فإنه سلم من جميع البلاء على كثرة من عاداه وقصده ، ومنع حواشي المقتدر من المحالات ، وحملهم على السيرة الجميلة فأفسدوا أمره حتى اعتقل ثمانية عشر شهراً ثم نفي إلى مكة واليمن ومصر ، ثم عاد ووزر بعد ذلك . واحتاج الى المشي في بعض أسفاره فجعل يتمثل :

قـد علمتْ إخـوتُنـا كِـلابُ ... أنـا عـلى دِقّـتـنـا صِـلابُ

وكان الديلم عند دخولهم إلى بغداد إذا اجتازوا على محلته تجنبوها ويقولون :

(1) سير الذهبي : 300 ومنها بيتان في تاريخ بغداد والمنتظم .

ها هنا دار الوزير الصالح ، وكانت داره على دجلة وهي المعروفة بالسِّتّيني واحتاجت مسنّاتها إلى مرمّةٍ فقدروا لها صناعها ثلاثة آلاف دينار فلما أحضر الدنانير قال : صرفها في الصدقة أولى . وليس اليوم على دجلة بين البلد والمعزية غيرها وهي مشهورة ببغداد إلى يومنا هذا ، قد عمل عليها عدة دواليب لسقي مزارع الزاهر .

ونزل يوماً في طياره فاجتمع عليه قوم يسألونه توقيعاً فقال : نعم وكرامة حتى أرجع وأوقع ، ثم قال : ومن لي بأن أرجع ، ووقع لهم قائماً ثم قال : اقتديت بهذا الفعل بعمر بن عبد العزيز فإنه وقف على متظلم وأطال الوقوف حتى قضى حاجته وقال : إن الخير سريعُ الذهاب وخشيتُ أن أفوته بنفسي .

ولما ورد البريديُّ إلى بغدادَ مستولياً عليها متغلباً خُوِّفَ منه وقيل : الصوابُ أن تهربَ إلى الموصل ، فقال : أيهربُ مخلوقٌ إلى مخلوق ؟! اصرفوا ما أعددته لنفقة الطريق إلى الفقراء ، فلما دخل البريدي لم يكرم أحداً غيره . وكثر الموتان ببغداد في أيام البريدي فكفَّنَ علي بن عيسى من الغرباء والفقراء ما لا يحصى كثرةً حتى نفد ما كان عنده فاستدان لذلك أموالاً كثيرة . وكان يجري على خمسة وأربعين ألف إنسان جراياتٍ تكفيهم ، وخدم السلطان سبعين سنة لم يُزِلْ فيها نعمةً عن أحد ، وأحصي له في أيام وزارته نيف وثلاثون ألف توقيع من الكلام السديد ، ولم يقتل أحداً ولا سعى في دمه ، فبقيت عليه نعمته وعلى ولده بعد أن شُحِذَتْ له المدى مراراً فدفع الله عنه وأهلك ظالمه ، ولم يهتكْ حرمةً قطّ لأحدٍ فلم يهتك الله له حرمة مع كثرة نكباته . وكان على خاتمه مكتوب :

لـلّه صـنـعٌ خـفـيٌّ   في كـلِّ أمرٍ يُخـافُ

وكان له ابن يكنى أبا نصر واسمه ابراهيم وزر للمطيع في شهر ربيع الأول سنة سبع وأربعين ومات في جمادى الأولى سنة خمسين وثلاثمائة فجاءةً ، وابن يكنى أبا القاسم واسمه عيسى بن علي كتب للطائع للّه .

ودخل علي بن عيسى على أبي نصر وأبي محمد ولدي القاضي أبي الحسن عمر بن أبي عمر محمد بن يوسف يعزيهما بموت أبيهما ، فلما أراد الانصراف التفت

إليهما وقال : مصيبةٌ قد وجب أجرها خيرٌ من نعمةٍ لا يؤدّى شكرها ؛ وهذا عندي من حر الكلام وفصل الخطاب .

ـ 794 ـ

علي بن عيسى بن علي بن عبد الله الرمّاني أبو الحسن الوراق : كذا قال الزبيديّ ، وقال التنوخي هو يعرف بالاخشيذي . قال التنوخي : وممن ذهب في زماننا إلى أن علياً عليه السلام أفضلُ الناس بعد رسول الله ﷺ من المعتزلة أبو الحسن علي ابن عيسى النحوي المعروف بابن الرماني الاخشيذي .

قال المؤلف : أرى أنه كان تلميذَ ابنِ الاخشيذ المتكلم أو على مذهبه لأنه كان متكلماً على مذهب المعتزلة وله في ذلك تصانيف مأثورة .

وكان إماماً في علم العربية علّامةً في الأدب في طبقة أبي عليّ الفارسيّ وأبي سعيد السيرافي ، وكان قد شهد عند أبي محمد ابن معروف . مات في حادي عشر جمادى الأولى سنة أربع وثمانين وثلاثمائة في خلافة القادر بالله ، ومولده في سنة ست وسبعين ومائتين . أخذ عن ابن السراج وابن دريد والزجاج ، وله تصانيف في جميع العلوم من النحو واللغة والنجوم والفقه والكلام على رأي المعتزلة ، كما ذكرنا ، وكان يمزج كلامه في النحو بالمنطق حتى قال أبو عليّ الفارسيّ : إن كان النحو ما يقوله الرماني فليس معنا منه شيء ، وإن كان النحو ما نقوله نحن فليس معه منه شيء .

وكان يقال : النحويون في زماننا ثلاثة : واحدٌ لا يُفْهَمُ كلامه وهو الرمانيّ ، وواحد يفهم بعضُ كلامه وهو أبو علي الفارسيّ ، وواحد يفهم جميع كلامه بلا أستاذ وهو السيرافيّ .

---

794 ـ ترجمة الرماني في الفهرست: 69 وطبقات الزبيدي: 86 وتاريخ بغداد 12: 16 والمنتظم 7: 176 وأنساب السمعاني 6: 160 ونزهة الألباء: 217 وإنباه الرواة 2: 294 وابن خلكان 3: 299 وسير الذهبي 16: 533 وعبر الذهبي 3: 25 وميزان الاعتدال 3: 149 والبداية والنهاية 11: 314 والبلغة: 159 ولسان الميزان 4: 248 والنجوم الزاهرة 4: 168 وبغية الوعاة 2: 180 وطبقات المفسرين للسيوطي: 24 وطبقات الداودي 1: 419 والشذرات 3: 109 وإشارة التعيين: 221 وللتوحيدي في الامتاع والمؤانسة والبصائر وغيرهما من مؤلفاته وقفات عنده ، وقد طبع من مؤلفاته رسالة في اعجاز القرآن (ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن) .

وللرماني من التصانيف الأدبية : كتاب تفسير القرآن المجيد . وكتاب الحدود الأكبر . وكتاب الحدود الأصغر . وكتاب معاني الحروف . وكتاب شرح الصفات . وكتاب شرح الموجز لابن السراج . وكتاب شرح الألف واللام للمازنيّ . كتاب شرح مختصر الجرميّ . كتاب إعجاز القرآن . كتاب شرح الأصول لابن السراج . وكتاب شرح سيبويه . وكتاب المسائل المفردات من كتاب سيبويه . كتاب شرح المدخل للمبرد . كتاب التصريف . كتاب الهجاء . كتاب الايجاز في النحو . كتاب الاشتقاق الكبير . كتاب الاشتقاق الصغير . كتاب الألفات في القرآن . كتاب شرح المقتضب . كتاب شرح معاني الزجاج[1] .

قرأت بخط أبي حيان التوحيديّ في كتابه الذي ألفه في تقريظ الجاحظ وقد ذكر العلماء الذين كانوا يفضلون الجاحظ فقال : ومنهم علي بن عيسى الرماني فإنه لم يُرَ مِثْلُهُ قطّ بلا تقيّةٍ ولا تحاشٍ ولا اشمئزاز ولا استيحاش علماً بالنحو وغزارةً في الكلام وبصراً بالمقالات واستخراجاً للعويص وإيضاحاً للمشكل ، مع تألهٍ وتنزه ودين ويقين وفصاحة وفقاهة وعفافة ونظافة .

وقرأت بخط أبي سعد، سمعت أبا طاهر السبخيّ سمعت أبا الكرام ابن الفاخر[2] النحوي ، سمعت القاضي أبا القاسم علي بن المحسن التنوخي ، سمعت شيخنا أبا الحسن علي بن عيسى الرماني النحوي يقول ، وقد سئل فقيل له لكل كتاب ترجمة فما ترجمة كتاب الله عز وجل فقال : ﴿ هَذَا بَلَاغٌ لِلنَّاسِ وَلْيُنْذَرُوا بِهِ ﴾ (إبراهيم: 52) .

وقال أبو حيان : سمعتُ علي بن عيسى يقول لبعض أصحابه : لا تعادينَّ أحداً وإن ظننتَ أنه لن ينفعك فإنك لا تدري متى تخاف عدوك أو تحتاج إليه ، ومتى ترجو صديقك أو تستغني عنه . وإذا اعتذر إليك عدوك فاقبلْ عذره وليقلَّ عيبه على لسانك .

قال أبو حيان : ورأيتُ في مجلس علي بن عيسى النحوي رجلاً من مرو يسأله عن الفرق بين من وما وممن ومم ، فأوسع له الكلام وبيَّن وقسَّم ، وفرّق وحدّ ، ومثَّل وعلَّق كلَّ شيءٍ منه بشرطه من غير أن فهم السائل أو تصوره ، وسأل إعادته عليه وإبانته

(1) لاستيفاء العدد الأكبر من مؤلفات الرماني انظر إنباه الرواة 2: 295 ـ 296 .

(2) ك : ابن فاخر .

له على ذلك مراراً من غير تصوّر حتى أضجره وَمِنْ حدِّ الحلم أخرجه ، فقال له : أيها الرجل يلزمني أن أبين للناس وأصوّر لمن ليس بناعس ، وما عليّ أن أفهم البهمَ والشقرَ والدّهم ؟! مثلك لا يتصور هذه المسألة بهذه العبارة وهذه الأمثلة ، فإن أرحتنا ونفسك فذاك ، وإلا فقد حصلنا معك على الهلاك ، قم إلى مجلس آخر ووقتٍ غير هذا ، فأسمعه الرجل ما ساء الجماعة وعاد بالوهن والغضاضة ، ووثب الناسُ إليه لضربه وسحبه فمنعهم من ذلك أشدَّ منع بعد قيامه من صدر مجلسه ودفع الناس عنه ، وأُخْرج صاغراً ذليلاً مهيناً ، والتفت إلى أبي الحسن الدقاق وقال له : متى رأيت مثلَ هذا فلا يكوننّ منك إلا التؤدة والاحتمال ، وإلا فتصير نظيراً لخصمك وتعدم في الوسط فَضْلَ التمييز ، وأنشأ يقول(1) :

ولولا أن يقال هجا نميراً ... ولم نسمع لشاعرها جوابا
رغبنا عن هجاءِ بني كليبٍ ... وكيف يشاتم الناسُ الكلابا

- 795 -

علي بن عيسى بن الفرج بن صالح الربعي الزهيري أبو الحسن النحوي : أحد أئمة النحويين وحذّاقهم الجيدي النظر الدقيقي الفهم والقياس ، أخذ عن أبي سعيد السيرافي ، وهاجر إلى شيراز فأخذ عن أبي علي الفارسي ولازمه عشرين سنة ، فقال له أبو علي(2) : ما بقي شيء تحتاج إليه ولو سرت من الشرق إلى الغرب لم تجد أعرف منك بالنحو ، ثم رجع إلى بغداد فأقام بها إلى أن مات سنة عشرين وأربعمائة عن نيف وتسعين سنة .

795 - ترجمة الربعي في تاريخ بغداد 12 : 17 والمنتظم 8 : 46 ونزهة الألباء : 233 وإنباه الرواة 2 : 297 وابن خلكان 3 : 336 وسير الذهبي 17 : 392 وعبر الذهبي 3 : 138 والنجوم الزاهرة 4 : 271 وبغية الوعاة 2 : 181 (عن ياقوت) والشذرات 3 : 216 وإشارة التعيين : 223 . ومن كتبه المطبوعة نظام الغريب .

(1) هما للراعي النميري في ديوانه (جمع فايبرت) : 18 .
(2) قارن بإنباه الرواة 2 : 297 وتاريخ بغداد 12 : 17 وابن خلكان .

وصنف تصانيف منها : كتاب شرح الايضاح لأبي عليّ . وكتاب شرح مختصر الجرميّ . وكتاب البديع في النحو . وكتاب شرح البلغة . وكتاب ما جاء من المبنيّ على فعال . وكتاب التنبيه على خطأ ابن جني فيَ فسر شعر المتنبي . وكتاب شرح سيبويه إلا أنه غسله ، وذاك أن أحد بني رضوان التاجر نازعه في مسألة فقام مغضباً وأخذ شرح سيبويه وجعله في إجّانةٍ وصبَّ عليه الماءَ وغسله ، وجعل يلطم به الحيطان ويقول : لا أجعل أولاد البقالين نحاة .

وكان مبتلىً بقتلِ الكلابِ وكسر بوقهم ويقول : ما الذي يمنعهم من نزول الشط ؟ فقيل له : يمنعهم كلاب القصابين .

وسأل يوماً أولادَ الأكابرِ الذين يحضرون مجلسه أن يمضوا معه إلى كَلْواذى ، فظنوا ذلك لحاجةٍ عرضت له هناك، فركبوا خيولاً وخرجوا وجعل هو يمشي بين أيديهم، وسألوه الركوب فأبى عليهم ، فلما صار بخرابها وقفهم على ثلم ، وأخذ كساءً وعصاً ، وما زال يعدو إلى كلب هناك والكلبُ يثبُ عليه تارةً ويهربُ منه أخرى حتى أعياه ، وعاونوه عليه حتى أمسكه ، وعضَّ على الكلب بأسنانه عضاً شديداً والكلبُ يستغيث ويزعق فما تركه حتى اشتفى وقال : هذا عضَّني منذ أيام وأريد أخالف قول الأول[1] :

شاتمني كلبُ بني مسمعٍ فصنتُ عنه النفسا والعرضا
ولم أُجِبْهُ لاحتقاري له من ذا يَعَضُّ الكلبَ إنْ عضَّا

وكان يوماً يتمشى على شاطىء دجلة ، والرضي والمرتضى العلويان في زبزب ومعهما أبو الفتح عثمان بن جني فقال لهما : من أعجب أحوال الشريفين أن يكون عثمان جالساً معهما في الزبزب ، وعليّ يمشي على الشط بعيداً منهما .

وحدث أبو غالب محمد بن بشران النحوي الواسطي قال : قدم علينا علي بن عيسى الربعي النحوي إلى واسط ونزل في حجرة في جوار شيخنا أبي إسحاق الرفاعي ، وكنت أتردد إليه أسائله ، فقال لي أبو إسحاق يوماً : قد انعكفتَ على هذا

(1) هما مما تمثل به ثعلب لما عرف ان المبرد ثلبه ، انظر نور القبس : 327 وإنباه الرواة 1 : 140 ، 3 : 248 وطبقات الزبيدي : 113 .

المجنون ، فقلت له : إنه يحكي النحو عن أبي علي كما أنزل ، فقال : صدقت هو يحكي النحو عن أبي علي كما أنزل .

وحدث ابن بشكوال في « كتاب الصلة » في أخبار علماء الأندلس قال قال الربعي : كان عبد الله بن حمود الزبيدي الأندلسي قد قرأ يوماً على أبي علي في « نوادر الأصمعي » أكأت الرجل إذا رددته عنك ، فقال أبو علي : ألحقْ هذه الكلمة بباب أجأ فإني لم أجد لها نظيراً غيرها ، فسارع من حوله إلى كتابتها ، فقال الربعي : فقلت أيها الشيخ ليس أكأت من أجأ في شيء ، قال : وكيف ذلك ؟ قال قلت : لأن إسحاق بن إبراهيم الموصلي وقطرباً النحوي حكيا أنه يقال كيأ الرجل إذا جبن فخجل الشيخ وقال : إذا كان كذا فليس منه ، فضرب كل واحد منهم على ما كتب .

قرأت بخط هلال بن المظفر الزنجاني في كتاب ألفه : ذكر غير واحد من أهل زنجان أن رجلاً منها يعرف بجابر بن أحمد خرج إلى بغداد متأدباً ، فحين دخل قصد علي بن عيسى النحوي بعد أن لبس ثياباً فاخرة عطرة وتجمل وتزين ودخل عليه وسلم ، فقال له علي بن عيسى : من أين الفتى ؟ قال : من الزنجان بالألف واللام ، فعلم الربعي أن الرجل خال من الفضل ، فقال : متى وردت ؟ قال : أمس ، فقال : جئت راجلاً أم راكباً فقال : بل راكباً ، قال : المركوب مكترى أم مشترى ؟ قال : بل مكترى ، فقال الشيخ : مرَّ واسترجع الكريَّ فإنه لم يحمل شيئاً ، ثم أنشد الشيخ :

وما المرء إلا الاصغران لسانه ... ومعقوله والجسمُ خَلْقٌ مصوَّرُ
فإن طُرَّةٌ راقتك فاخبر فربما ... أمرَّ مذاقُ العود والعودُ أخضرُ

قال علي بن عيسى الربعي : استدعاني عضد الدولة ليلة وبين يديه « الحماسة » فوضع يده على باب الأضياف وقال ما تقول في هذه الأبيات[1] :

ومستنبحٍ بات الصدى يستتيهه ... إلى كلِّ صوت وهو في الرحل جانحُ[2]
فقلت لأهلي ما بُغامُ مطيةٍ ... وسارٍ أضافته الكلاب النوابح

(1) هي الحماسية رقم 674 عند المرزوقي (4 : 1557) .

(2) يستتيهه : يحمله على أن يتيه ؛ وجعله جانحاً في رحله أي مائلاً لغلبة النوم عليه .

فقلت : هذا قول عتبة[1] بن بجير الحارثي ، ومعناه : أن العرب كانت إذا ضلت في سفر وصارت بحيث تظن انها قريبة من حلة نبحت لتسمعها الكلاب فتجيبها فيعرفون به موضع القوم فيقصدونه ويستضيفون فيضافون ، فقال : إن قوماً يتشبهون بالكلاب حتى يضافوا لقومٌ أدنياءُ النفوس ، فوجمت بين يديه وأنا واقف وهو ينظر إليّ ، وكان من عادتنا أنه ما دام ينظر إلى أحدنا لم يزل واقفاً بين يديه حتى يردَّ طرفه ، قال ثم فكر فقال : لا بل إن أقواماً يستنبحون في هذا القفر والمكان الجدب فيستضيفون فيضافون مع الإقلال والعدم لقومٌ كرام ، وأمر لي بجائزة ، فدعوت له وانصرفت .

قرأت بخط أبي الكرم المبارك بن الفاخر بن محمد بن يعقوب : قال لنا الرئيس أبو البركات جبر بن علي بن عيسى الربعي ، قال لي أبي : أخرج إليّ عضد الدولة بيده مجلداً بأدم مبطن بديباج أخضر في أنصاف الشيطاني مذهب مفصول بالذهب بخطّ حسن فيه شعر مُدْبِرٌ وحش ليس له معنى ، فقال لي : كيف ترى هذا الشعر ؟ فقلت : شعر مدبر ، والذي قاله خرب البيت مسود الوجه ، ثم مضى على ذلك زمان ودخلت إليه فأومأ إلى خادم وقال له : امض إلى مرقدنا وجئنا بشعرنا ، فمضى وجاء بالمجلد بعينه وهو هو ، فأبلست ، فقال : كيف تراه ؟ وتلجلج لساني وربا في فمي فقلت : حسناً جيداً مليحاً[2] ولم ير في[3] ذلك شيئاً بتةً .

قرأت بخط الشيخ أبي محمد ابن الخشاب : جاريت الشيخ أبا منصور موهوب بن الجواليقيّ ذكر أبي الحسن علي بن عيسى بن صالح بن الفرج[4] الربعي صاحب أبي علي الفارسيّ فأخذ في تقريظه وتفضيله وقال لي : كان يحفظ الكثير من أشعار العرب مما لم يكن غيره من نظرائه يقوم به ، إلا أن جنونه لم يكن يدعه يتمكن منه أحد في الأخذ عنه والافادة منه . قال وقال لي الشيخ أبو زكرياء : سألت أبا القاسم ابن برهان فقلت له : يا سيدنا تترك الربعيَّ والأخذَ عنه مع إدراكك إياه وتأخذ عن أصحابه ؟ فقال لي : كان مجنوناً وأنا كما ترى ، فما كنا نتفق . قال : ولقد مرّ يوماً

(1) ك م : عقبة ، والتصحيح عن الحماسة .

(2) مليحاً : زيادة من ك .

(3) ك : ولم يربى في (ولعلها : ولم يُرِني) .

(4) قدم « صالح » هنا على « الفرج » وفي مطلع الترجمة الفرج بن صالح .

بسكران ملقى على قارعة الطريق فحلَّ سرواله ، يعني سروال الربعي ، وجلس على أنفه وجعل يضرط ويشمه السكران ويقول له :

تمتَّعْ من شميم عرارِ نجدٍ فما بعد العشيةِ من عرارِ

ـ 796 ـ

علي بن عيسى بن حمزة بن وهاس أبي الطيب : يعرف بابن وهاس من ولد سليمان بن حسن بن حسين بن علي بن أبي طالب عليه السلام .

وذكر العماد في موضع آخر عن دهمس[1] بن وهاس بن عتود[2] بن حازم بن وهاس الحسنيّ أن عليّ بن عيسى مات بمكة في سنة نيف وخمسين وخمسمائة وكان في عشر الثمانين ، وكان أصله من اليمن من مخلاف ابن سليمان : كان شريفاً جليلاً تماماً من أهل مكة وشرفائها وأمرائها وكان ذا فضل غزير ، وله تصانيف مفيدة ، وقريحة في النظم والنثر مجيدة ، قرأ على الزمخشري بمكة وبرز عليه ، وَصُرِفَتْ أعنّةُ طلبةِ العلم إليه ، وتوفي في أول ولاية الأمير عيسى بن فليتة أمير مكة[3] في سنة نيف وخمسين وخمسمائة . وكان الناس يقولون : ما جمع اللّه لنا بين ولاية عيسى وبقاء علي بن عيسى .

وله شعر ، منه في مرثية الأمير قاسم جدّ الأمير عيسى[4] :

يا حاديَ العيسِ على بعدها وخَّادةً تسحبُ فضلَ النعالْ
رفِّهْ عليهنَّ فلا قاسماً لها على الأَيْنِ وَفَرْطِ الكلالْ
غاض النميرُ العذبُ يا وارداً وحال عن عهدكَ ذاك الزلالْ

---

796 ـ سقطت هذه الترجمة من النسخة « ك » . ولعلي هذا ترجمة في الخريدة (قسم الشام) 3 : 38 .

(1) الخريدة : دهمش .
(2) الخريدة : عثور .
(3) ولي عيسى امرة مكة سنة 556 بعد ابن أخيه قاسم بن هاشم بن فليتة وتوفي سنة سبعين وخمسمائة ، انظر العقد الثمين 6 : 465 ـ 470 .
(4) انظر ترجمة قاسم في العقد الثمين 7 : 32 .

إن يمضِ لا يمضِ بطيءَ القِرى أو يـودِ لا يـودِ ذميمَ الـفَعـالْ

وله مدحٌ في الزمخشري ذكرته في ترجمته .

ومن شعره[1] :

صلي حبـلَ المـلامـةِ أو فَبُتّي ولـمي مـن عتـابـكِ أو أشتّـي
هي الأنضـاءُ عـزمـةَ ذي همـومٍ فحسبُـكِ والمـلامَ ولا هُـبِلْتِ
إلـيـك فلسـتُ ممـن يـطّبيـه مـلامٌ أو يـريـع إذا أهـبـتِ
حلفتُ بهـا تَـواهَقُ كـالحنـايـا بقـايـا [رحلة] كثمـاد[2] قَلْتِ
سـواهمَ كـالحنـايـا زاحـراتٍ[3] تـراكـع من وجـاً ونىً وعنت[4]
جـوازعَ بـطنِ نخلةَ عـابـراتٍ تـؤمّ البيتَ مـن خـمسٍ وسـتِ
أزالُ أذيـبُ أنـضـاءً طِـلاحـاً بكـلِّ ملمعِ القَفَـراتِ مَـرْتِ
وأرغبُ عن محـلّ فيـه أضحتْ حبـالُ المجـدِ تضعفُ عنـد متي
أمـا جـربـتِ يـا أيـامُ منّـي فَـرُوكَ تـجمّـعٍ وحـليفَ شـتّ
أبـيّ مـا عـجـمتِ صَـفَـاهُ إلا وأثّـر في نيـوبِـكِ مـا عجمتِ
وربّ أخٍ كـريم المجـدِ محضٍ يُـراع لـدعـوتي كـالسيفِ صَلْتِ
أبتْ نفـسي فـلم تُـسْـمِـحْ إليـه بشكـوى غيـرِ مـا جَلَدٍ وصمتِ
أقـولُ لنفسيَ المشفـاقِ مهـلاً أليس على الـرزيـة مـا نصـرتِ
لئن فـارقتِ خيـرَ عـرىً لأهـلٍ فخيـر بني أبيـك بـه نـزلتِ

وكتب إلى عمته وقد أرسلت إليه تقول له : كم هذا البعد عنا والتغرب[5] ؟

ومهـديـةٍ عنـدي على نـأيِ دارهـا رسـائـلَ مشتـاقٍ كـريمٍ وسـائلةْ

---

(1) الأبيات في الخريدة : 38 ـ 39 .

(2) ما بين معقفين عن الخريدة ؛ م : كثمال ، الخريدة : كسمال .

(3) الخريدة : رازحات .

(4) م : ودبا وعنت .

(5) الخريدة : 40 ـ 41 .

تقولُ إلى كم يا ابنَ عيسى تجنباً وبعداً وكم ذا عنك ركباً نسائلهْ
فيوشكُ أن تودي وما من حفيةٍ عليكَ ولا بالٍ بما أنت فاعلهْ
فقلتُ لها في العيس والبعدِ راحةٌ لذي الهمّ إن أعيتْ عليه مقاتلهْ
وفي كاهلِ الليل الخُذَارِيّ مركبٌ وكم مرةٍ نجّى من الضيم كاهلهْ
إذا لم تعادلك الليالي بصاحبٍ ولا سمحتْ بالنصح عفواً أناملهْ
فلا خيرَ في أن ترأمَ الضيمَ ثاوياً وغيظاً على طول الليالي تماطلهْ
ذريني فلي نفسٌ أَبَى أن يَدِرَّها عِصابٌ وقلبٌ يشربُ اليأس حاصلهْ
إذا سيم ورداً بعد خمس تشمرت عن الماء خوفَ المقذعاتِ ذلاذلهْ

- 797 -

علي بن فضال بن علي بن غالب بن جابر بن عبد الرحمن بن محمد بن عمرو بن عيسى بن حسن بن زمعة بن هميم بن غالب بن صعصعة بن ناجية بن عقال بن محمد بن سفيان بن مجاشع بن دارم (هكذا وجدته هميم والمعروف همام ، وهو الفرزدق الشاعر ، لأن ابن فضال يعرف بالفرزدقيّ) القيرواني النحوي أبو الحسن المجاشعي : هجر مسقط رأسه ، ورفض مألوفَ نفسه ، وطفق يدوِّخ بسيطَ الأرض ، ذاتِ الطولِ والعرض ، يُشَرِّقُ مرةً ويغرِّبُ أخرى ، ويركبُ القفارَ ويأوي إلى ظل الأمصار برهةً ، حتى ألمّ بغزنة فألقى عصاه بها ودرَّتْ له أخلافها ، فلقي وجه الأماني ، وصنف عدة تصانيف بأسامي أكابر غزنة سارت في البلاد ، ثم عاد إلى العراق وانخرط في سلك خدمة نظام الملك مع أفاضل العراق ، ولم تطل أيامه حتى نزل به حمامه .

وكان إماماً في النحو واللغة والتصريف والتفسير والسير ، صنَّف كتاب التفسير الكبير الذي سماه « البرهان العميدي » في عشرين مجلدة . وكتاب النكت في

797 ـ ترجمة ابن فضال في المنتظم 9 : 33 ومرآة الجنان 3 : 132 وإنباه الرواة 2 : 299 وطبقات المفسرين للسيوطي : 24 وبغية الوعاة 2 : 183 وطبقات الداودي 1 : 421 والنجوم الزاهرة 5 : 124 والشذرات 3 : 363 والبداية والنهاية 12 : 132 .

القرآن. وكتاب شرح بسم الله الرحمن الرحيم وهو كتاب كبير . وكتاب إكسير الذهب في صناعة الأدب في النحو في خمس مجلدات . وكتاب العوامل والهوامل في الحروف خاصة . وكتاب الفصول في معرفة الأصول . وكتاب الإشارة في تحسين العبارة[1] . وكتاب شرح عنوان الاعراب . وكتاب المقدمة في النحو . وكتاب العروض . وكتاب شرح معاني الحروف . وكتاب الدول في التاريخ ، رأيت في الوقف السلجوقيّ ببغداد منه ثلاثين مجلداً ويعوزه شيء آخر . وكتاب شجرة الذهب في معرفة أئمة الأدب . وقيل إنه صنف كتاباً في تفسير القرآن في خمس وثلاثين مجلدة سماه « كتاب الاكسير وفي علم التفسير » وكتاب معارف الأدب كبير نحو ثمانية مجلدات . وله غير ذلك من الكتب في فنون من العلم .

وأقام ببغداد مدة وأقرأ بها النحو واللغة وحدّث بها عن جماعة من شيوخ المغرب .

وذكر هبة الله السقطي أنه كتب عن ابن فضال أحاديث قال : فعرضتها على عبد الله بن سبعون القيرواني لمعرفته برجال الغرب فأنكرها وقال : أسانيدها واهيةٌ مركبة على متون موضوعة ، واجتمع عبد الله بن سبعون في جماعةٍ من المحدثين وأنكروا عليه فاعتذر وقال : إني وهمتُ فيها .

وذكره عبد الغافر الفارسي فقال : ورد نيسابور واختلفت إليه فوجدته بحراً في علمه ، ما عهدت في البلدين ولا في الغرباء مثله في حفظه ومعرفته وتحقيقه ، فأعرضتُ عن كلِّ شيء وفارقت المكتب ولزمتُ بابه بكرةً وعشية وكان على أوفاز[2] .

قال السمعانيّ : سمعت ابن ناصر يقول : مات ابن فضال في ثاني عشرين ربيع الأول سنة تسع وسبعين وأربعمائة ودفن بباب أبرز .

وقال شجاع الذهلي أنشدنا ابن فضال لنفسه :

لا عــذرَ لـلصبِّ إذا لـم يكـن ... يخلع في ذاك العـذارِ العـذارْ
كـأنـه فـي خـدّه إذ بـدا ... ليـلٌ تبـدى طـالعـاً من نهـارْ

(1) الاشارة إلى تحسين العبارة ، نشر بتحقيق الدكتور حسن شاذلي فرهود ، الرياض 1982 .
(2) أي على عجلة .

تخالـه جُنْحَ ظـلامٍ وقـد صاح بـه ضـوءُ صباحٍ فحـارْ

وقال أبو الحسين المبارك بن عبد الجبار الصيرفي : أنشدنا ابن فضال لنفسه :

كـأن بهرامَ وقـد عـارضت فيـه الثريّـا نـظرَ المبصـرِ
يـاقوتـةٌ يعرضهـا بـائـعٌ في كفه والمشتري مشتري

ومن شعره :

خذ العلم عن راويه واجتلبِ الهدى وان كـان راويه أخـا عَمَـلٍ زاري
فإن رواةَ العلم كـالنخـل يـانـع كـلِ التمرِ منه واتركِ العـودَ للنارِ

قال عبد الغافر بن إسماعيل : وأنشدني ابن فضال لنفسه :

يـا يـوسفيَّ الجمـالِ عبدك لم تَبْقَ لـه حيـلةٌ مـن الحيـلِ
إن قُـدَّ فيـه القميصُ من دبـرٍ قـد قُـدَّ فيـه الفؤادُ من قُبُـلِ

وأنشد السمعاني باسناده لعلي بن فضال المجاشعي في ترجمة صاعد بن سيار الهروي :

وإخـوانٍ حسـبتـهـم دروعـاً فكـانـوهـا ولكـن لـلأعـادي
وخلتهـمُ سهـامـاً صـائبـاتٍ فـكـانـوهـا ولكـن في فـؤادي
وقـالـوا قـد صفتْ منـا قلوبٌ لقـد صـدقـوا ولكن من ودادي

وأنشد له صاحبُ « الوشاح » في نظام الملك :

دوارسُ آيٍ مـا تـكـاد تَبـيـنُ عفـاهنَّ دمـعٌ للسحـاب هتـونُ
وقفنـا بهـا مستسلمين فلم يـزلْ لسـانُ البلى عن عُجْمهن يُبيـنُ
وما خفتُ أن تبدي خفيَّ سرائري مـواثـلُ أمثـالُ الحمـائمِ جُـونُ
على حينَ عاصيتُ الصبا وهو طائعٌ وأرخصتُ عِلْقَ اللهـو وهـو ثمينُ
أرى المزنَ يهوى رسم من قد هَوِيتُهُ فـلي ولـه دمـعٌ بـه وحنـيـنُ
سقى اللّه حيث الظاعنون سحـائباً فقلبيَ حيـث الـظاعنـون رهـينُ
فكم ضُمِّنَتْ أحـداجُهُمْ من جـآذرٍ أوانسَ ينـصـوهـا جـآذرُ عـينُ
وأقمـارِ تمٍّ لم يـرَ النـاس قبلنـا بـدوراً تَثَنَّى تحتهـن غـصـونُ

يجـرّدن من ألحـاظهن صـوارمـاً　　مـهـنّـدةً أجـفـانـهـن جـفـونُ

وأنشد له :

والـله إن الـلّه ربّ الـعـبـادْ　　وخـالص النيـة والاعـتقـادْ
مـا زادني صـدُّكَ إلا هـوى　　وسـوءُ أفـعـالـك إلا ودادْ
وإنـني مـنـك لفي لـوعـةٍ　　أقـلُّ ما فيها يـذيبُ الجمادْ
فكن كمـا شئتَ فـأنت المنى　　واحكم كما شئت فأنت المرادْ
ومـا عسى تـبلغُـهُ طـاقـتي　　وإنـمـا بيـن ضـلوعـي فـؤادْ

ومما نقلته من السمعانيّ لابن فضال :

فـتـنـتـنـي أمُّ عـمـروٍ　　وكـذاك الـصـبُّ مـفـتـونْ
قـلتُ جـودي لـكـئـيـبٍ　　مـسـتـهـامٍ بـك مـحـزونْ
فـلوتْ عـنـي وقـالـت　　أتـرى ذا الـمـرءَ مـجـنـونْ
مـا رأى الـنـاسُ جـمـيـعـاً　　فـي كـتـابِ الـلّه يـتـلونْ
«لَـنْ تَـنَـالـوا ٱلْبِـرَّ حَتَّى　　تُـنْـفِـقُـوا مِـمَّـا تُـحِـبُّـونْ»

في « كتاب سرّ السرور » لابن فضال :

مـا هـذه الأُلِفُ التي قـد زدتمُ　　فـدعـوتم الخـوَّانَ بـالاخـوانِ

وزادني الحافظ شمس الدين أبو نصر عبد الرحيم بن وهبان :

ما صحَّ لي أحدٌ فأجعله أخاً　　في اللّه محضاً أو ففي الشيطان
إمـا مُـوَلٍّ عن ودادي مـا لـه　　وجـهٌ وإمـا مـن لـه وجـهـان

وحدث محمد بن طاهر المقدسيّ ، وكان ما علمت وقّاعةً في كل من انتسب إلى مذهب الشافعي لأنه كان حنبلياً ، سمعت إبراهيم بن عثمان الأديب الغزي بنيسابور يقول[1] : لما دخل أبو الحسن ابن فضال النحوي نيسابور واقترح عليه الأستاذ أبو المعالي ابن الجويني أن يصنّفَ باسمه كتاباً في النحو وسماه الاكسير ووعده بأن يدفع

(1) وردت القصة في إنباه الرواة : 300 ـ 301 .

إليه ألف دينار، فلما صنَّفه وفرغ منه ابتدأ بقراءته عليه، فلما فرغ من القراءة انتظره أياماً أن يدفع إليه ما وعده أو بعضه فلم يدفع إليه شيئاً ، فأنفذ إليه يقول : إنك إن لم تفِ لي بما وعدتني هجوتك ، فأنفذ إليه الأستاذ : عرضي فداؤك ، ولم يدفعْ إليه حبةً واحدة . قلت أنا : وبلغني أنه عقيبَ ذلك ورد بغداد وأقام بها ولم يتكلم بعدُ في النحو وصنَّف كتابه في التاريخ .

ومن شعره الذي أورده السمعاني(1) :

أُحبُّ النبيَّ وأصحابه ... وأبغضُ مبغضَ أزواجِهِ

ومهما ذهبتم إلى مذهبٍ ... فما لي سوى قَصْدِ منهاجِهِ

قال السلفي ، قال الرئيس أبو المظفّر الأبيورديّ ، أنشدني أبو القاسم ابن ناقيا في ابن فضال المجاشعي المغربي قال : ودخلت دار العلم ببغداد وهو يدرِّسُ شيئاً من النحو في يوم بارد ، فقلت :

اليومَ يومٌ قَرِسٌ بارِدٌ ... كأنه نحوُ ابن فَضّالِ

لا تقرأوا النحوَ ولا شعرَهُ ... فيعتري الفالجُ في الحالِ

- 798 -

علي بن الفضل المزني أبو الحسن النحوي : نقلت من خط أبي سعيد عبد الرحمن بن علي اليزداديّ في كتابه المسمى « جلاء المعرفة » تعرّض فيه للمآخذ على العلماء قال : وكان قرىء كتاب الكرماني في النحو على أبي الحسن المزني ، وقرأه هو على أبيه ، وأبوه على الكرماني ، وفضل أبي الحسن في عصره على من كانت تضرب إليه آباط الابل في العراق لاقتباس العلم منه ، وكان ابن جرير يحثّه أبداً على قصد العراق علماً منه بأنه لو دخل بغداد لَقُبِلَ فوق قَبولِ غيره ، ولكان الأستاذَ

798 ـ ترجمته في بغية الوعاة 2 : 183 .

(1) هذه الفقرة وردت في ك متقدمة عن هذا الموضع .

المقدم بها ، وبلغ من فضلِ علمه أنه صنَّفَ في بسم الله الرحمن الرحيم كتاباً سماه « البسملة » ويقع في ثلاثمائة ورقة ، وله في النحو والتصريف مصنفاتٌ لطيفة نافعة ، وقد روى المزني عن إسحاق بن مسلم عن أبي سعيد الضرير .

ـ 799 ـ

علي بن القاسم القاشاني الكاتب أبو الحسن : ذكره الثعالبيّ فقال : بقية مشيخة الكتاب المتقدمين في البراعة ، المالكين أزمة البلاغة ، المتوقلين في هضبات المجد ، المترقين في درجات الفضل و[صاحب] الرسائل[1] الجيدة والأشعار الرائقة .

ومن رسائله : كتابي أطال الله بقاء مولاي وأنا مترددٌ بين جَذَلٍ لتجدّدِ برّه في خطابه ، وبين خَجَلٍ من قوارعِ زجره وعتابه ، فإذا خلَّيتُ عِنانَ أُنسي في رياض مبارِّهِ فرتعت ، جاذبنيه لاعجُ الاشفاقِ من سوء ظنه فَنَزَعْت ، ولو كنت جانياً[2] لاعتذرت ، أو كان سوء ظنه بي صادقاً لاعترفت ، ولعذتُ منه بحقوي كريم لا يبهظه[3] اغتفار الجرائر ، ولا يتعاظمه الصفحُ عن الكبائر .

فصل : علَّقْتُ هذه المخاطبةَ والأشغالُ تكتنفني ، وكدُّ الخاطر بأسباب شتى يقتسمني ، ووراء ذلك كلالُ الذهن بارتقاءِ السن ، ونقصانُ الخواطرِ بزيادة الشواغل ، واستمرار البلادةِ لمفارقة العادة ، ومولاي ـ والله يعيذه من السوءِ ـ مقتبلُ الشباب ، زائد الأسباب ، مؤتنف المخائل ، متجدد الفضائل ، إلى علم لا يُدْرَكُ مضماره ، ولا يُشَقّ غباره ، فإذا حملني على مساجلته فقد عرضني للتكشف ، وإنْ عرضني على محنة التتبع[4] فقد سلبني ثوب التجمل .

---

799 ـ يتيمة الدهر 2 : 330 ـ 335 (والترجمة كلها عن هذا المصدر) ؛ وفي ك : القاساني (بالسين المهملة) .

(1) م ك : والرسل (وقوله : والرسل .... الرائقة ، لم يرد في اليتيمة) .
(2) ك : خاينا .
(3) ك م : لا يبهضه .
(4) م : التتابع .

فصل : وصل كتاب مولاي :

فكم فرحة ادّى وكم كربة[1] جلّى وكم بهجةٍ أولى وكم غمة سلّى

وسألت اللّه واهبَ خصال الفضل له ، وجامعَ خلالِ النبل فيه ، وحائزَ جمالِ المروءة للزمانِ ببقائه ، ومانحَ كمالِ المزية للاخوان بمكانه ، أن يتولّى حفظَ النعم النفيسة ، ويديمَ حياطةَ هذه المنائح[2] الخطيرة ، بصيانة تلك الشيم العلية ، حتى تستوفيَ المكارمُ أعلى حظِّها في أيامه ، وتحوزَ[3] الفضائل أقصى غاياتها في مضماره :

فينجحَ ذو فضلٍ ويكمدَ ناقصٌ ويبهجَ ذو ودٍّ ويكبتَ حاسدُ

فصل : وما ارتضي نفسي لمخاطبة مولاي إلا إذا كنت منفيّ الشواغل ، فارغَ الخواطر ، مخلّى الجوارح ، مُطْلَقَ الإسار ، سليمَ الأفكار ، فكيف بي مع كلالِ الحد ، وانغلاقِ الفهم ، واستبهام القريحة ، واستعجام الطبيعة ؟! والمعوَّلُ على النية وهي لمولاي بظهر الغيب مكشوفة ، والمرجعُ إلى العقيدة وهي بالولاءِ المحضِ معروفة ، ولا مجال للعتب بين هذه الأحوال ، كما لا مجاز[4] للعذر وراءَ هذه الخلال .

وكتب إلى الصاحب أبي القاسم ابن عباد قصيدة منها :

إذا الغيوم[5] ارجحنَّ باسقها وحفَّ أرجاءَها بوارِقُها
وابتسمت فرحةً لسوامعها واحتفلت عبرةً حمالقها
وقيل طوبى لبلدةٍ نتجت بجوٌّ أكنافها بوارقها
فليسقِ غيثُ الندى أبا القاسم الـ ـقرمَ وزيرَ الأنامِ وادِقُها

(1) اليتيمة ، غلة .
(2) اليتيمة : حياطة المهج .
(3) م : وتجوز .
(4) اليتيمة : مجال .
(5) ك : العلوم (وهو خطأ واضح) .

وهي طويلة . ثم قال : هذه أطال الله بقاء مولاي تباريح أريحية أثارتها مخاطباتُ مولاي التي هي أنقعُ لِغُلَّتي من بَرْدِ الشراب ، وأعجبُ إليَّ من ردِّ الشباب ، فجاش الصدرُ بما أبرأ إليه من عهدته ، وأسكنه ظلَّ أمانته وذمته ، ليسبل عليه سِتْرَ مودته ، ويتأمَّلَهُ بعينِ محبته ، نعم وقد محا الزمانُ آثارَ إساءته إليّ ، بما أسعفني به من إقبال مولاي عليّ ، وتتابع بِرِّهِ في مخاطباته لديّ ، فكلُّ ذنبٍ لهذه النعمة مغفور ، وكلُّ جناية بهذا الاحسانِ مغمور .

فأجابه الصاحب بكتاب صدّره بأبيات منها :

بَدَتْ عذارى مُدَّتْ سُرَادِقُها — وأقسم الحسنُ لا يفارقُها
كواعبٌ أُخرستْ دمالجها — عنّا وقد أُنطقت مناطقها
أم روضةٌ أبرزت محاسنها — وما يني قطرها يعانقها
أم أشرقتْ فقرةٌ بدائعها — حديقةٌ زانها طرائقها
للّه حلفُ العلا أبو حسن — وقد جَرَتْ للعلا سوابقها
للّه تلك الألفاظُ حاملةً — غُرَّ معانٍ تعيي دقائقها
تكاد أعجازها تشككنا — في سُوَرٍ أنها توافقها

وهي طويلة .

هذه أطال الله بقاءَ مولاي أبيات عَلّقتها ، والرويّةُ لم تعتلقها ، وأعنقتُ فيها والفكرةُ لم تعتنقها، لا ثقةً بالنفس في وفائها، وسكوناً إلى القريحة وصفائها، بل علماً بأني وإن أعطيت الجهدَ عنانه ، وفسحتُ للكدِّ ميدانه ، لم اداِنِ ما ورد من ألفاظٍ أيسرُ ما أصفها به الامتناعُ على الوصف أن يتقصاها ، والبعد عن الاطناب أن يبلغَ مداها . ولقد قرع سمعي منها ما أراني العجزَ يخطر بين أفكاري ، والقصورَ يتبخترُ بين إقبالي وإدباري ، إلى أن أفكرت في أن فضيلة المولى تشتمل عَبْده ، وتخيّم وإن تصرفت عنده[1] . فثاب إلي[2] خاطرٌ نظمت به ما إن طالعه صفحاً رجوت أن يحظى بطائلِ

(1) م : عنده وتختم . . . . . . عنه (وهو رديء التصحيف) وفي لك : عنده . . . . عنه .
(2) لك : فثاب عنه .

القبول ، وإن تَتَبَّعه نقداً تراجعَ على أعقابِ الخمول ، وهذا فلا عارَ على من سبقه سباقَ الأقران ، المستولي على قصب الرهان .

ومن شعر القاشاني المشهور :

وإني وإن أقصرتُ عن غيرِ بغضةٍ ... لـراعٍ لأسبـاب المـودةِ حـافظُ
وما زال يدعوني إلى الصدِّ ما أرى ... فـآبى وتثنيني إليـكَ الحفـائظُ
وأنتظرُ العتبى وأُغضي على القذى ... أُلاينُ طـوراً في الهـوى وأغـالظُ

- 800 -

علي بن القاسم السنجاني أبو الحسن، وسنجان قصبة خواف. ذكره الباخرزي فقال : هو صاحب « كتاب مختصر العين » ومحلُّه من الأدبِ محلُّ العينِ من الانسان ومحلُّ الانسان من العين ، وقد سهَّلَ طريقَ اللغةِ على طالبيها ، وأدنى قطوفها من متناوليها باختصاره « كتاب العين » ، ولا تكاد ترى حجور المتأدبين منه خالية ، وله شعر الزهاد ، وقد جرى فيه على سمت العُبّاد ، ونسجه على منوالِ أولي الاجتهاد ، فمما وقع إليّ منه قوله :

خليليّ قوما فاحملا لي رسالةً ... وقـولا لـدنيانا التي تتصنَّعُ
عرفناكِ يا خداعةَ الخلقِ فاغربي ... ألسنا نرى مـا تصنعين ونسمعُ
فـلا تتحلَّيْ للعيـون بـزينـةٍ ... فـانّا متى مـا تسفـري نتقنـعُ
نغطي بثوب اليأسِ منّا[1] عيونَنا ... إذا لاح يوماً من مخازيك مُطْمِعُ
وهـل أنت الا متعـةٌ مستعـارةٌ ... وهـل طاب يـومٌ بـالعواري يمتـعُ
رتعنا وَجُلْنا في مراعيكِ كلِّها ... فلم يهننا ممـا رعينـاه مـرتـعُ
فـأنت خلوبٌ كـالغمامةِ كلّما ... رجاها مُرَجّي الغيثِ ظلّت تَقَشَّعُ

800 ـ دمية القصر 3 : 1494 وإنباه الرواة 2 : 302 والأنساب واللباب (السنجاني) وبغية الوعاة 2 : 184 .

(1) الدمية والانباه : منك .

طلوعٌ قَبوعٌ كالمغازلةِ التي   تَطلَّعُ أحياناً وحيناً تقبَّعُ(1)

وله يرثي نفسه :

دبت إليَّ بناتُ الأرض مسرعةً   حتى تمشَّيْنَ في قلبي وفي كبدي

والعينُ مني فويقَ الخدِّ سائلةٌ   وطالما كنت أحميها من الرمدِ

- 801 -

علي بن المبارك اللحياني وقيل علي بن حازم ، ويكنى أبا الحسن : أخذ عن الكسائي ، وأخذ عنه أبو عبيد القاسم بن سلام وله « كتاب النوادر» . ومات [. . .] .

قال أبو الطيب اللغوي في « كتاب مراتب النحويين » : وممن أخذ عن الكسائي أبو الحسن علي بن حازم الختلي اللحياني من بني لحيان بن هذيل بن مدركة بن الياس بن مضر صاحب « كتاب النوادر » وقيل سمي اللحياني لعظم لحيته . حدثني أبو عمر الزاهد عن أبي عمرو ابن الطوسي عن أبيه عن اللحياني قال أبو عمرو : سمعت ثعلباً يقول قال الأحمر : خرجت من عند الكسائي ذات يوم فإذا اللحياني جالس ، فقال لي : أحبّ أن تدخلَ فتشفعَ لي إلى الكسائي لأقرأ عليه هذه النوادر ، قال : فدخلت إلى الكسائي فقلت له ، فقال : هو بغيض ثقيل الروح . قال الأحمر : وكان اللحياني ورعاً ، قال فقلت له : أحب أن تفعل فأجابني ، فخرجت إلى اللحياني فقلت له : قد قال لي كذا وكذا فلم لا تنبسط معه ؟ فقال : دعني وإياه ، قال اللحياني : فدخلت عليه وهو جالسٌ على كرسيٍّ ملوكي وعليه مقدارية مشهرة ، وعلى رأسه بطيخية ، وبيده كسرة سميد وهو يفتها للحمام ، قال ثعلب : وكان السلطان قد أفسده ، قال فقال لي : ما تقول في النبيذ ؟ قلت : أنا ، قال : نعم ، قلت : أحسوه

801 - ترجمة علي بن المبارك (أو علي بن حازم) النحوي في مراتب النحويين : 89 وتاريخ أبي المحاسن : 206 وتهذيب اللغة 1 : 21 وطبقات الزبيدي : 195 وإنباه الرواة 2 : 255 ونزهة الألباء : 121 وبغية الوعاة 2 : 185 .

(1) يقال : جارية قُبَعة طُلَعة أي تطلّع ثم تقبع رأسها أي تدخله .

ثم أفسوه قال : فضحك مني وقال : أنت ظريف فاكتم ما سمعت ، واقرأ ما شئت ، فقرأت عليه وخرجت ، فإذا الحجارة تأخذ كعبي ، فالتفتُّ أقول : من ذا ؟ فإذا هو من منظرٍ له يقول : من كنت تقرأ عليه حتى صدّعته اليوم .

قال أبو الطيب : وقد أخذ اللحياني عن أبي زيد وأبي عمرو الشيباني وأبي عبيدة والأصمعي وعمدته على الكسائي ، وكذلك أهل الكوفة كلهم يأخذون عن البصريين ، وأهل البصرة يمتنعون من الأخذ عنهم لأنهم لا يرون الأعرابَ الذين يحكون عنهم حجة .

قال ابن جني في « الخصائص » : ذاكرتُ يوماً أبا عليّ بنوادر اللحياني فقال كناسة ، قال : وكان أبو بكر محمد بن الحسن بن مقسم يقول : إن كتابه لا يصله به[1] رواية ، وقَدحا فيه وغضّا منه .

ـ 802 ـ

علي بن المبارك أبي المعالي بن علي بن المبارك بن عبد الباقي بن بانويه ، أبو الحسن المعروف بابن الزاهدة النحوي صاحب ابن الخشاب وليس بابن الزاهد ، فإن في أصحاب ابن الخشاب آخر يعرف بابن الزاهد بغير هاء ، وهو أحمد بن هبة اللّه مذكور في بابه ، والزاهدة هذه التي يعرف بها هي أمه ، واسمها أمة اللّه[2] المباركة بنت إبراهيم بن علي بن أبي الحسن بن أبي الحريش ، وكانت واعظة مشهورة روت الحديث .

مات ابن الزاهدة هذا في ثالث ذي الحجة سنة أربع وتسعين وخمسمائة ودفن عند والدته برباط لهم بدرب البقر بمحلة الظفرية ، وكان أيضاً يسكن بالظفرية في

---

802 ـ ترجمته في إنباه الرواة 2 : 318 وتكملة المنذري 1 : 310 ومختصر ابن الدبيثي 3 : 140 وبغية الوعاة 2 : 185 وله ترجمة في تاريخ الإسلام للذهبي والوافي للصفدي (خ) .

(1) ك : لا يصله .
(2) م : أمة السلام .

حياته ، وكانت له معرفة جيدة بالنحو ، قرأ على الشريف أبي السعادات ابن الشجري ثم على الشيخ أبي محمد ابن الخشاب ، وأقرأ العربية مدة وسمع منه الطلبة ، وأنشدت له :

إذا اسم بمعنى الوقت يبنى لأنه تضمَّن معنى الشرط موضعه نصبُ
ويعملُ فيه النصبُ معنى جوابه وما بعده في موضع الجرِّ يا نَدْبُ

وله في « كتاب الخريدة » من قصيدة كتبها إلى صلاح الدين :

ألا حييا بالسرقمتين المعالما وان كن قد أصبحن درساً طواسما

ومن مديحها :

إذا كانت الأعداءُ فعلاً مضارعاً أصار مواضيه الحروف الجوازما

ـ 803 ـ

علي بن المحسن أبو القاسم التنوخي قال السمعاني في « كتاب النسب » : هو أبو القاسم علي بن المحسن بن علي بن محمد بن أبي الفهم ، واسم أبي الفهم داود بن إبراهيم بن تميم بن جابر بن هانيء بن زيد بن عبيد بن مالك بن مُرَيط بن شرح بن نزار بن عمرو بن الحارث [بن صبيح بن عمرو بن الحارث] بن عمرو بن فهم بن تيم اللّه بن أسد بن وبرة بن تغلب بن حلوان بن الحاف بن قضاعة . سمع أبا الحسن علي بن أحمد بن كيسان النحوي وإسحاق بن سعد بن الحسن بن سفيان النسوي ، وروى عنه الخطيب فأكثر ، وكان قد قبلت شهادته عند الحكام في حداثته . مات فيما ذكره عبد الله بن علي بن الآبنوسي في سنة سبع وأربعين وأربعمائة في محرمها ، قال الخطيب : وسألته عن مولده فقال : ولدت بالبصرة في النصف من شعبان سنة سبعين وثلاثمائة قال : وكان معتزلياً ، قال : وكان عنده « كتاب القدر » لجعفر الفريابي وكان أصحاب الحديث

---

803 ـ ترجمة التنوخي في الأنساب واللباب (التنوخي) وتاريخ بغداد 12 : 115 والمنتظم 8 : 168 وابن خلكان 4 : 162 (في ترجمة والده المحسن) وسير الذهبي 17 : 649 وعبر الذهبي 3 : 214 والفوات 3 : 60 والبداية والنهاية 12 : 67 والنجوم الزاهرة 5 : 58 والشذرات 3 : 276 .

يتحاشون من مطالبته باخراجه ، فطالبته به وقرأته عليه وسمعوا ، أو كما قال. قال: وكان التنوخي ساكتاً لم يعترض على شيء من تلك الأحاديث ، قال : وكان دخل التنوخي كل شهر من القضاء ودار الضرب وغيرهما ستين ديناراً ، فيمر الشهر وليس له شيء ، وكان ينفق على أصحاب الحديث ، وكان الخطيب والصوري وغيرهما يبيتون عنده ، وكان ثقة في الحديث متحفظاً في الشهادة محتاطاً صدوقاً في الحديث . وتقلد قضاء عدة نواح منها المدائن وأعمالها ودرزيجان والبردان وقرميسين .

وحدث الهمذاني في « تاريخه » بعد ذكر مولده ووفاته كما تقدم ، ثم قال : وكان ظريفاً نبيلاً فاضلاً جيد النادرة ، قال القاضي أبو عبد الله ابن الدامغاني : دخلت على القاضي أبي القاسم التنوخي قبل موته بقليل وقد عَلَتْ سنه ، فأخرج إليَّ ولده من جاريته فلما رآه بكى فقلت : تعيش إن شاء اللّه وتربّيه ويُقِرُّ اللّه عينك به ، فقال : هيهات والله ما يتربى إلا يتيماً ، وأنشد :

أرى ولد الفتى كَلاًّ عليه لقد سَعِدَ الذي أمسى عقيما
فإما أن يخلّفَهُ عدوًّا وإما أن يربّيه يتيما

ثم قال : أريد أن تزوجني من أمه فإنني قد أعتقتها على صداق عشرة دنانير ففعلت ، وكان كما قال تربى يتيماً ، وهو أبو الحسن محمد بن علي بن المحسن ، قبل القاضي أبو عبد اللّه شهادته ، ثم مات سنة أربع وتسعين وأربعمائة وانقرض بيته .

قال[1] أبو الحسن بن أبي الحسين : ولد لأبي القسم التنوخي ولد في سنة نيف وأربعين وأربعمائة فقال له رئيس الرؤساء : أيها القاضي كنت منذ شهور قريبة قلت لي انك لا تعرف هذا الشان الذي يكون منه الأولاد منذ سنين ، وإنه لا حاسة بقيت لك ولا شهوة ولا قدرة على هذا الفن ، وأنت اليوم تقر عندي بولد رزقته ، ففي أيِّ القولين أنت كاذب أيها القاضي ؟ فقال له : اللهم غفراً اللهم غفراً وخجل وقام .

قال واجتاز يوماً في بعض الدروب فسمع امرأة تقول لأخرى : كم عمر بنتك يا أختي ؟ فقالت لها : رزقتها يوم شُهِرَ القاضي التنوخي وضرب بالسياط ، فرفع رأسه

(1) وردت هذه الفقرة في ك بعد هذا الموضع .

إليها وقال : يا بظراء صار صفعي تاريخك ما وجدت تاريخاً غيره ؟! .

وكان أعمش العينين لا تهدأ جفونه من الانخفاض والارتفاع والتغميض والانفتاح ، فقال فيه أبو القاسم ابن بابك الشاعر :

إذا التنوخيُّ انتشى وغاص ثم انتعشا
أخفى عليه إن مشيتُ وهو يخفى إن مشى
فلا أراه قلَّةً ولا يراني عمشا

وكان تولّى دارَ الضَّرْبِ فقال البصروي فيه :

وفي أنضِّ الأعمال قاضٍ ليس بأعمى ولا بصيرِ
يقضم ما يُجْتَبَى اليه قَضْمَ البراذين للشعيرِ

قال غرس النعمة[1] : حدثت أنه جاء رجل الى التنوخي على الطريق وهو راكب حماره وأعطاه رقعة وبعد مسرعاً ، ففتحها وإذا فيها :

إنَّ التنوخيَّ به أُبْنَةٌ كأنه يسجدُ للفَيْشِ
له غلامان ينيكانه بعلَّةِ الترويح في الخيشِ

فلما قرأها قال : ردوا ذاك زوجَ القحبة الذي أعطاني الرقعة ، فعدوا وراءه فردوه ، فقال : هذه الرقعة منك ؟ فقال : لا أعطانيها بعضُ الناس وأمرني أن أوصلها إليك ، قال قل له : يا كشخان يا قرنان يا زوجَ ألف قحبة هات زوجتك وأختك وأمك إلى داري وانظر ما يكون مني إليهم ، واحكم ذلك الوقت بما قد حكمت به في رقعتك أو بضده ، قفاه قفاه ، فصفعوه وافترقا .

قال غرس النعمة : حدثني أبو سعد[2] الماندائي قال : دخلت يوماً على القاضي أبي القاسم التنوخي وكانت عينه رمدة أتعرَّفُ خبره منها ، فقال لي : حدثني مَنْ رأيتَ وما رأيت في طريقك ، فقلت : رأيت منسفاً فيه نحو عشرين رطلاً رطباً أزاذاً لقاطاً ما رأيت مثله ، فقال لغلامه : يا أحمد عليَّ بالمنسف الساعة ، فمضى أحمد وابتاعه وجاء

(1) غرس النعمة أبو الحسن محمد بن هلال المعروف بابن الصابىء ألف كتاب الربيع ليجعله ذيلاً على « نشوار المحاضرة » والأرجح أن هذه الفقرات المتوالية هنا منقولة عنه .

(2) ك : أبو سعيد (في هذا الموضع وحده) .

به ، فحلَّ عينه وغسلها من الدواء الذي فيها وقال لي : كل حتى آكل فقلت : يا سيدي عينك رمدة ، فكيف تأكل رطباً ؟ فقال : كُلْ فعيني تهدأ والرطب يَفْنَى ، فأكل واللّه منه حتى وقف .

قال وحدثني قال : كنت ليلةً بائتاً عنده ، فهبت ريح شديدة فما زال طرف النطع الذي تحته يصعد وينزل ويصفق رأسه فقال : هذا سقوط الساعة ومصافعة ، فقلت : ممن يا سيدنا ؟ فقال : فضولك ، وضحكنا.

قال وحدثني قال ، حدثني القاضي قال : كنتُ يوماً في وقت القيلولة نائماً فاجتاز واحد غَثّ يصيح صياحاً أزعجني وأيقظني : شرَّاك النعـال ، شرّاك النعـال ، فقلت لأحمد الغلام : خذ كلَّ نعلٍ لي ولمن في داري وأخرجها إلى هذا الرجل ليـرمها ويشتغل بها ، ففعل ونمت إلى أن اكتفيت ، ثم انتبهت وصليت العصر وأعطيته أجرته ومضى ، فلما كان من غدٍ في مثل ذلك الوقت جاء وأنا نائم فصاح وأنبهني ، فقلت للغلام : أدخله فأدخله ، فقلت : يا ماصَّ كذا وكذا من أمه ، أمس في هذا الوقت أصلحتَ كلَّ نعلٍ لنا ، وعدت اليومَ تصيحُ على بابنا ، أبلغك أننا البارحةَ تصـافعنا بالنعال وقطعناها وقد عدت اليوم لعملها وإصلاحها ؟! قفاه ، فقال : يا سيدنا القاضي أو أتوب ألا أدخل هذا الدرب ؟ قلت : فما تتركني أنام ولا أهدأ ولا أستقر ، فحلف أن لا يعود الى الدرب ، وأخرجته الى لعنة اللّه.

قال : ورأيته يوماً عند الرئيس الوالد رضي الله عنهما وهو يشكو اليه قبيحَ أبي القاسم ابن المسلمة رئيس الرؤساء وقصدَهُ له وغضَّه منه ، وتناشى[1] غضبه إلى أن أخذ الدواة من بين يدي الرئيس ورفعها إلى فوق رأسه وقال : والله لقد بال في حجري وعلى ثيابي بعدد الرمل والحصى والتراب ، وحطَّ الدواة فضرب بها الأرض فتكسَّرَتْ ، فلما رأى ذلك قام وانصرف وقد استحيى ، وبقينا متعجبين منه .

قال وحدثني أبو سعد الماندائي قال : كنت مع القاضي التنوخي وقد خرج يوماً من دار الخلافة ليعبر إلى داره بالجانب الغربي ، فلما بلغنا مَشْرَعَةَ نهرِ معلًى صاح به الملاحون : يا شيخ يا شيخ تعال هنا تعال هنا ، فوقف وقال لهم : كل مردي معكم

(1) كذا في ك م ، واقترح محقق م « وتناهى » .

ومجذاف في كذا وكذا من نسائكم ، ما فيكم إلا من يعرفني ويعلم أنني القاضي التنوخي يا كذا وكذا ، ثم نزل وهو يسبهم ويشتمهم ، والملاحون وأنا قد متنا من الضحك .

وجاءه غلام قد تزوج وكتب كتاباً بمهر يشهده فيه ، فاستحيى الغلام من ذلك ، فجذب طاقة من حصير القاضي وجعل يقطعها بيده لحيائه وخجله ، ولحظه القاضي فقال : يا هذا أنا أشهد لك في كتاب يقتضي أن يحمل به إليك القماش والجهاز اللذان يعمران بيتك ويجمّلان أمرك ، وأنت مشغول بقطع حصيري وتخريب بيتي ؟! وشقّ الكتاب قطعاً ولم يشهد فيه ، ورمى به إليه فأخذه وانصرف متعجباً .

قال وحدثني الرئيس أبو الحسين والدي قال : شهد القاضي أبو القاسم منذ سنة أربع وثمانين وثلاثمائة وإلى أن توفي في المحرم سنة سبع وأربعين وأربعمائة ، وكان مولده يوم الثلاثاء النصف من شعبان سنة خمس وستين وثلاثمائة ، نيفاً وستين سنة ما وقف له على زلة ولا جرحةٍ ولا غلطة ؛ وأذكر له حكايةً تذكر وهي أنه شهد مع جماعة من الشهود على زوجة أبي الحسن ابن أبي تمام الهاشمي نقيب النقباء في إقرار أقرّت له ، فلما سمعوا إقرارها من وراء الستارة لم يقنعهم ذاك ، وأرادوا من يشهد عندهم أن المقرَّةَ هي المذكورة في الكتاب بعينها ، أو أن يشاهدوها حتى يُسَلِّم لهم ويصحَّ أن يشهدوا عليها بالمعرفة، فلم يقدموا على ذلك وخطابِ ابن أبي تمام فيه، فخرج ولده منها ، فقام له التنوخي وأخذه في حِجْرِهِ وقبَّلَ رأسه وقال له قليلاً قليلاً : من هذه التي تكلّمنا من وراء الستارة وتحدثنا وتشهدنا عليها ؟ فقال له : ستّي ، فالتفت إلى الجماعة وقال لهم : اشهدوا يا سادة فأنا أشهد عندكم أنّ المقرَّة عندنا من وراء الستارة هي المذكورة في الكتاب بعينها ، فشهدوا وشهد معهم ، وقال من بعد : هذا صبيٌّ لا يعرفُ ما نحن فيه ، ولو كان خلف الستارة غير ستّه لقال ، ولما كانت هي بعينها قال هي ستي ، ولعمري لقد كان أبو الحسن أجلَّ من أن يفعل هذا معنا .

قال أبو الحسن : كان لنا غلام يعرف بجميلة فابتاع ألف سابلٍ سرجيناً من ملاّح يعرف بالدابة ليحمله إلى قراحنا المشجّر في نهر عيسى ويطرح في أصول الشجر ، فلما ذكر جميلة ذلك للرئيس رضي اللّه عنه قال له: اكتبْ عليه خطاً وأشهد عليه، يعني المعلم في الدار ومن يجري مجراه ، فكتب جميلة على الملاح رقعةً ومضى بها لا يلوي

على شيء إلى أن عاد التنوخيّ بين الصلاتين وهو جائع حاقنٌ تعب ، والزمانُ صائف ، فقام إليه ودعا له وقال له : من أنت ؟ قال : غلام فلان ، قال : مالك ؟ قال : شهادة ، قال : له اقعد ، ودخل فخلع ثيابه ودخل بيت الطهارة وأطال ، والغلام يصيح : يا سيدنا أنا قاعد من ضحوة النهار إلى الساعة ، فقال له : ويلك اصبر حتى أخرا ، اصبر حتى أخرا ، اصبر حتى أخرا ، ثم توضأ ليصلّي فلم يهنّه ، فقال : ادخل دَخَلتْ بطنَكَ الشمسُ ، فقد واللّه حيرتني وجننتني ، فلما دخل أعطاه الرقعة فقرأها وقال : ويلك ما اسمُ هذا الملاح ؟ فقال : الدابة يا سيدي ، فقال : وأيّ شيء يقرُّ به ويلك ، فما أقفُ عليه أرى خمسة آلاف سابل ولا أدري ما بعده ، فقال : يا سيدنا خمسة آلاف سابل سرقين ، فقال له : وما السرقين ؟ قال : خرا البقر والغنم ، قال : يا ماصَّ بظر أمه أنا شاهد الخرا؟! ونهض إليه وهو مغتاظ[1]، فأخذ ينتفُ ذقنه[2] ويضربُ رأسه وفكَّه إلى أن جرى الدمُ من فيه وأخرجه ، وجاء إلى الرئيس رحمه الله فحدثه بما جرى عليه ، فقال له يا مُدْبِر[3] الشهود يستشهدون في الخرا ؟! أنت باللّه أحمق . وجاءنا القاضي بعد العصر يشكو من جميلة ولزِّه له وتوكّله به ، ويعتذر مما جرَّه جنونه عليه وما انتهى معه إليه ، فضحكنا عليه ومرَّت لنا ساعة طيبة بما أورده عليه .

قال[4] : وحدثني أبو الحسين رضي الله عنه قال : حضر عندي القاضي أبو القاسم التنوخي يوماً وقد هرب الكافي أبو عبد الله القنائي ببغداد وخرج إلى الأنبار ، ونظر أبو سعد محمد بن الحسين بن عبد الرحيم ، وكان التنوخي مائلاً إلى بني عبد الرحيم ونابياً عن أضدادهم ، فبدأ بذكر القنائي وكان لي صديقاً بقبيحٍ وزاد وخشّن وخبط ، فغمضتُ عيني واستلقيت على مخدتي لعله يكفّ ويقطع ، فعلم ذاك منّي فقفز إلي يحركني ويقول : والله ما أنت نائم ولكنك ما تحب أن تسمع في القنائي قبيحاً ، فقلت : ما أحب أن أسمع في القنائي ولا في غيره قبيحاً ، وقد تناومتُ لتقطع فلم تفعل ، ومضى . وبلغ القنائيَّ المجلسُ بعينه ، وعاد القنائيّ إلى بغداد ناظراً ، ودخل التنوخي إليه مسلماً وخادماً ، فقال له : يا قاضي ما فعلتُ بك قبيحاً يقتضي

(1) ك : مغيظ .
(2) ك : فأخذ ذقنه ينتفه .
(3) م : يا هذا .
(4) سقطت الحكاية التالية من ك .

ذكـرك لي وطعنَكَ فيَّ ، فقـال : يا مـولانا أنـا مجنون ، فقـال : إذا كنت مجنونـاً فالمارستان لمثلك عمل ، وفي حملك إليه ومداواتك فيه ثوابٌ ومصلحة وكفٌ لك عن النـاس وأذاهم بجنونـك وخباطـك ، يا أنصـاريّ (للعريف على بـابـه) احمله إلى المارستان واحبسه مع إخوانه المجانين ، فأخذ وحمل إلى المارستان وحبس فيه ، قال الرئيس : وعرفت القصةَ فركبتُ إلى القنائي ، ولحقني المرتضى والرؤساء من الناس ولم نفارقه حتى أفرج عنه وأطلقه .

واجتاز القاضي[1] أبو القاسم يوماً فرأى في طريقه كلباً رابضاً فقال له : اخسأ اخسأ اخسأ ، فلم يبرح ، فقال : اخسأ وعاد عنه ومضى .

قال أبو الحسن[2] : ولقيته يوماً بنتُ ابنِ العلاف زوجةُ أبي منصور ابن المرزع ، وكانت عاهرةً إلى الحدِّ الذي تَلَبَّسُ بلبس الجبة المضرَّبة وتتعمّم بالمقيادِ وتأخذُ السيفَ والدَّرَقَة ، وتخرج ليلاً فتمشي مع العيارين وتشـربُ إلى أن تسكر وتعـود سحراً إلى بيتها ، وربما انتهى بها السكر إلى الحدّ الذي لا تملك أمرها معه ، فيحملها العيارون إلى دار زوجها على تلك الحال ، فقالت له : يا قاضي ، ما معنى هذه التاء التي تكتبها على الدراهم ، وكان إليـه العِيارُ في دارِ الضَّـرْب ، فقال لهـا : هذا شيء يعملونـه كالعلامة أنّ التنوخي متولي العيار ، فيأخذون التاءَ من أول نسبتي ، فقالت : كذبتَ وأثمت أيها القاضي ، تريد أن أقول لك معناها ؟ فقال لها : قولي يا ستَّ النساء ، فقالت : معناها يا قاضي تنيكها يا قاضي ، فضرب حماره ومضى وهو يقول لها : لحيةُ زوجك في جحري ، لحيةُ زوجك في جحري .

قال : ولقيه إنسان ومعه كتابٌ في الطريق فأعطاه إياه وسأله أن يشهد عليه فيه فقال : هاتِ دواةً أو محبرة ، فقال : ما معي فقال : ويحك ما صبرتَ أن أنزلَ إلى داري وأشهد عليك بدواتي بل اعترضتني في الطريق وليس معك ما تكتبُ منه ، ويلك من يريد أن ينيك في الدهليز[3] يجب أن يكون أيره قائماً مثل دستك[4] الهاون ، وتركه ومضى .

---

(1) لم ترد هذه الحكاية في ك .

(2) سقطت الحكاية هذه أيضاً من ك .

(3) ك : الدهاليز .

(4) ك : كدستك .

ـ 804

علي بن محمد بن عبد الله بن أبي سيف المدائني ، أبو الحسن ، مولى سمرة ابن حبيب بن عبد شمس بن عبد مناف : بصري سكن المدائن ، ثم انتقل عنها إلى بغداد فلم يزل بها إلى حين وفاته . روى عن الزبير بن بكار وأحمد بن أبي خيثمة وأحمد بن الحارث الخراز والحارث بن أبي أسامة وغيرهم .

حدث أبو قلابة قال[1] : حدثت أبا عاصم النبيل بحديث فقال : عمن فاته حسن ، فقلت له : ليس له إسناد ولكن حدثنيه أبو الحسن المدائني ، فقال لي : سبحان الله أبو الحسن إسناد .

ولد المدائني سنة خمس وثلاثين ومائة ومات سنة خمس وعشرين ومائتين .

قال الحارث بن أبي أسامة[2] : سرد المدائني الصوم قبل موته بثلاثين سنة، وانه كان قد قارب المائة سنة ، فقيل له في مرضه ما تشتهي ؟ قال : أشتهي أن أعيش . وكان مولده ومنشأه البصرة ثم صار إلى المدائن بعد حين ، ثم صار إلى بغداد فلم يزل بها إلى أن مات . واتصل بإسحاق بن إبراهيم الموصلي فكان لا يفارق منزله ، وفي منزله كانت وفاته ، وكان ثقة إذا حدث عن الثقات .

نقلت من خط عمر بن محمد بن سيف الكاتب[3] البغدادي ، حدثنا اليزيدي أبو عبد الله محمد بن العباس بن محمد بن أبي محمد قال ، حدثني أحمد بن زهير بن حرب قال[4] : كان أبي ويحيى بن معين ومصعب الزبيري يجلسون بالعشيات على

---

804 ـ ترجمة المدائني في الفهرست: 113 وتاريخ بغداد 12 : 54 ونور القبس: 182 والأنساب 7 : 137 وميزان الاعتدال 3 : 153 وسير الذهبي 10 : 400 وعبر الذهبي 1 : 391 والمغني في الضعفاء 2 : 454 والوافي 22 : 41 ومرآة الجنان 2 : 83 والبداية والنهاية 10 : 299 ولسان الميزان 4 : 253 والنجوم الزاهرة 2 : 259 والشذرات 2 : 54 .

(1) عن تاريخ بغداد .
(2) عن تاريخ بغداد 12 : 55 .
(3) الكاتب : سقطت من ك .
(4) نقله الذهبي في السير ، وهو في تاريخ بغداد .

باب مصعب ، قال : فمرَّ عشيةً من العشيات رجلٌ على حمار فارهٍ وبزَّةٍ حسنة فسلم وخصَّ بمسائله يحيى بن معين ، فقال له يحيى : إلى أين يا أبا الحسن ؟ فقال : إلى هذا الكريم الذي يملأ كمي من أعلاه إلى أسفله دنانير ودراهم ، فقال : ومن هذا يا أبا الحسن ؟ قال : أبو محمد إسحاق بن إبراهيم الموصلي . قال : فلما ولَّى قال يحيى بن معين ثقة ثقة ثقة ، قال فسألت أبي فقلت : من هذا الرجل ؟ فقال : المدائني .

وحدث أبو أحمد العسكري في « كتاب التصحيف » له[1] عن أحمد بن عمار عن ابن أبي سعد الوراق قال العباس بن ميمون ، قال قال لي ابن عائشة : جاءني أبو الحسن المدائني فتحدث بحديث خالد بن الوليد حين أراد أن يُغيرَ على طَرَفٍ من أطراف الشام وقول الشاعر في دليله رافع :

لــلَّه درُّ رافــع أنَّــى اهــتــدى فــوَّز مـن قــراقــرٍ إلـى ســوى
خمساً إذا ما سارها «الجبس» بكى

فقال الجيش ، فقلت : لو كان الجيش لكان « بكوا » وعلمت أن علمه من الصحف . قال العسكري : أما قول ابن عائشة إن الرواية الجبس بكى فهو كما قال وهو صحيح ، وأما قوله لو كان الجيش لكان بكوا فقد وهم في هذا ، ويجوز للجيش بكى فيحمل على اللفظ ، وقد قال طفيل الغنويّ أو أوس بن حجر[2] :

وان يــك عــاراً بــالقنــان اتيتــه فـراري فإن الجيش قـد فرَّ أجمـع

وحدّث محمد بن إسحاق النديم[3] قال : قرأت بخط ابن الأخشيد : كان المدائني متكلماً من غلمان معمر بن الأشعث قال : وحفص الفرد ومعمر وأبو شمر وأبو الحسن المدائني وأبو بكر الأصم وأبو عامر وعبد الكريم بن روح ستة[4] كانوا غلمان معمر بن الأشعث .

حدث المدائني قال[5] : أمر المأمون أحمد بن يوسف بادخالي عليه ، فلما

---

(1) كتاب التصحيف (عبد العزيز أحمد) : 30 .
(2) لم يرد البيت في أي من الديوانين .
(3) الفهرست : 113 .
(4) فوقها في ك : سبعة .
(5) قارن بسير الذهبي .

دخلت ذكر علي بن أبي طالب عليه السلام ، فحدثته فيه بأحاديث ، إلى أن ذكر لعن بني أمية له فقلت : حدثني أبو سلمة المثنى بن عبد الله أخو محمد بن عبد الله الأنصاري قال قال لي رجلٌ : كنتُ بالشام فجعلتُ لا أسمعُ أحداً يسمَّى علياً ولا حسناً ولا حسيناً وإنما أسمعُ معاوية ويزيد والوليد ، قال : فمررتُ برجل جالس على باب داره وقد عطشتُ فاستسقيته فقال : ياحسنُ اسقِهِ ، فقلتُ له : أسميت حسناً ؟ فقال : أي والله إن لي أولاداً أسماؤهم حسن وحسين وجعفر فإن أهل الشام يسمون أولادهم بأسماء خلفاء الله ، ولا يزال أحدنا يلعن ولده ويشتمه ، وإنما سميت أولادي بأسماء أعداءِ الله فإذا لعنتُ إنما ألعن أعداءَ الله ، فقلت له : ظننتك خيرَ أهلِ الشام ، وإذا جهنم ليس فيها شرٌّ منك . فقال المأمون لا جرم قد ابتعث الله عليهم من يلعن أحياءهم وأمواتهم ويلعن من في أصلاب الرجال وأرحام النساء ، يعني الشيعة .

فهرست كتب المدائني نقلاً من كتاب ابن النديم وذكر أنه نقله من خط ابن الكوفي :

كتبه في أخبار النبيّ ﷺ : كتاب أمهات النبيّ ﷺ . كتاب صفة النبيّ عليه السلام . كتاب أخبار المنافقين . كتاب عهود النبيّ عليه السلام . كتاب تسمية المنافقين ومن نزل فيه القرآن منهم ومن غيرهم . كتاب تسمية الذين يؤذون النبيّ ﷺ وتسمية المستهزئين . كتاب رسائل النبيّ ﷺ . كتاب كتب النبيّ ﷺ إلى الملوك . كتاب آيات النبيّ ﷺ . كتاب إقطاع النبيّ ﷺ . كتاب فتوح النبيّ ﷺ . كتاب صلح النبيّ ﷺ. كتاب خطب النبيّ ﷺ. كتاب عهود النبيّ ﷺ. آخر كتاب المغازي (وزعم أبو الحسن ابن الكوفي أنها عنده في ثمانية أجزاء جلود بخط عباس اليابس ، وزعم تحت هذا الفصل وأخرى في جزءين تأليف أحمد بن الحارث الخراز) كتاب سرايا رسول الله ﷺ . كتاب الوفود يحتوي على وفود اليمن ووفود مضر ووفود ربيعة . كتاب دعاء النبيّ ﷺ . كتاب خبر الافك . كتاب أزواج النبيّ ﷺ . كتاب السرايا . كتاب عمال النبيّ ﷺ على الصدقات . كتاب ما نهى عنه رسول الله ﷺ . كتاب حجة أبي بكر رضي الله عنه . كتاب خطب النبيّ ﷺ[1] . كتاب أخبار النبيّ ﷺ . كتاب الخاتم

---

(1) هذا مكرر .

والرسل . كتاب من كتب له النبيّ ﷺ كتاباً أو أماناً . كتاب أموال النبيّ ﷺ وكتابه[1] ومن كان يرد عليه الصدقة من العرب[2] .

أخبار قريش :

كتاب نسب قريش وأخبارها . كتاب العباس بن عبد المطلب عليه السلام . كتاب أخبار أبي طالب وولده . كتاب خطب علي بن أبي طالب عليه السلام . كتاب عبد الله بن عباس رضي الله عنهما . كتاب علي بن عبد الله بن العباس . كتاب آل أبي العاص . كتاب [آل] أبي العيص . كتاب خبر الحكم بن أبي العاص[3] . كتاب عبد الرحمن بن سمرة . كتاب ابن أبي عتيق . كتاب عمرو بن الزبير . كتاب فضائل محمد بن الحنفية . كتاب فضائل جعفر بن أبي طالب . كتاب فضائل الحارث بن عبد المطلب . كتاب فضائل عبد الله بن جعفر . كتاب معاوية بن عبد الله بن جعفر . كتاب عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر . كتاب أمر محمد بن علي بن عبد الله بن عباس . كتاب العاص بن أمية . كتاب عبد الله بن عامر بن كريز . كتاب بشر بن مروان بن الحكم . كتاب عمر بن عبيد الله بن معمر التيمي . كتاب هجاء حسان لقريش . كتاب فضائل قريش . كتاب عمرو بن سعيد بن العاص . كتاب يحيى بن عبد الله بن الحارث . كتاب أسماء من قتل من الطالبيين . كتاب أخبار زياد بن أبيه . كتاب مناكح زياد وولده ودعوته . كتاب الجوابات ويحتوي على جوابات قريش . جوابات مضر . جوابات ربيعة . جوابات الموالي . جوابات اليمن .

كتبه في أخبار مناكح الأشراف وأخبار النساء : كتاب الصداق . كتاب الولائم . كتاب المناكح . كتاب النواكح[4] . كتاب المغتربات . كتاب المقينات . كتاب المتردّفات من قريش . كتاب من جمع بين أختين ومن تزوج ابنة امرأته ومن جمع أكثر من أربع ومن تزوج مجوسية . كتاب من كره مناكحته . كتاب من قتل عنها زوجها . كتاب من نهيت عن تزويج رجل فتزوجته . كتاب من تزوج من الأشراف في كلب[5] .

---

(1) وكتابه : سقطت من ك .
(2) الفهرست : من قريش العرب .
(3) الفهرست : بن أبي العباس .
(4) زاد في الفهرست : والنواشز .
(5) م : كلف .

كتاب من هجاها زوجها . كتاب من شكت زوجها أو شكاها . كتاب مناقضات الشعراء وأخبار النساء . كتاب من تزوج في ثقيف من قريش . كتاب الفاطميات . كتاب من وصف امرأة فأحسن . كتاب الكلبيات . كتاب العواتك[1] .

كتبه في أخبار الخلفاء : كتاب من تزوج من نساء الخلفاء[2] . كتاب تسمية الخلفاء وكناهم وأعمارهم . كتاب تاريخ أعمار الخلفاء . كتاب حلى الخلفاء . كتاب أخبار الخلفاء الكبير ابتدأه بأخبار أبي بكر الصديق رضي الله عنه وختمه بأخبار المعتصم[3] .

كتبه في الأحداث[4] : كتاب الردة . كتاب الجمل . كتاب الغارات . كتاب النهروان . كتاب الخوارج . كتاب خبر ضابىء بن الحارث البرجمي . كتاب توبة بن مضرس . كتاب بني ناجية[5] ومصقلة بن هبيرة . كتاب مختصر الخوارج . كتاب خطب علي كرم الله وجهه وكتبه إلى عماله . كتاب عبد الله بن عامر الحضرمي . كتاب إسماعيل بن هبار . كتاب عمرو بن الزبير . كتاب مرج راهط . كتاب الربذة ومقتل حبيش . كتاب أخبار الحجاج ووفاته . كتاب عباد بن الحصين . كتاب حرة واقم . كتاب ابن الجارود بروستقباد . كتاب مقتل عمرو بن سعيد بن العاص . كتاب زياد بن عمرو بن الأشرف العتكي . كتاب خلاف عبد الجبار الأزدي ومقتله . كتاب سلم بن قتيبة وروح بن حاتم . كتاب المسور بن عمر بن عباد الحبطي وعمرو بن سهل . كتاب مقتل ابن هبيرة . كتاب يوم سنبيل . كتاب الدولة العباسية وهو كتاب كبير يشتمل على عدة كتب لم يذكره ابن النديم ووقع إلي بخط السكري بعضه وقد قرأه على الحارث بن أبي أسامة .

كتبه في الفتوح : كتاب فتوح الشام منذ أيام أبي بكر وإلى أيام عثمان رضي الله

---

(1) زاد بعد هذا في الفهرست ثلاثة كتب وسقط بعضها من ك .
(2) هذا الكتاب ذكر في الفهرست في الباب السابق .
(3) زاد في الفهرست : كتاب أخبار السفاح . كتاب آداب السلطان .
(4) بدأ هذا الباب في الفهرست بكتابه مقتل عثمان .
(5) زاد في الفهرست : والخريت بن راشد .

عنهما . كتاب فتوح العراق منذ أيام أبي بكر وإلى آخر أيام عمر رضي الله عنهما . كتاب خبر البصرة وفتوحها وفتوح ما يقاربها من دستميسان والأهواز وماسبذان وغير ذلك . كتاب فتوح خراسان وأخبار أمرائها كقتيبة ونصر بن سيار وغيرهما . كتاب نوادر قتيبة بن مسلم . كتاب ولاية أسد بن عبد الله القسري . كتاب ولاية نصر بن سيار . كتاب ثغر الهند . كتاب أعمال[1] الهند . كتاب فتوح سجستان . كتاب فارس . كتاب فتح الابلة . كتاب أخبار أرمينية . كتاب كرمان . كتاب كابل وزابلستان . كتاب القلاع والأكراد . كتاب عمان . كتاب فتوح جبال طبرستان . كتاب طبرستان أيام الرشيد . كتاب فتوح مصر . كتاب الريّ وأمر العلوي . كتاب أخبار الحسن بن زيد وما مدح به من الشعر وعماله . كتاب فتوح الجزيرة . كتاب فتوح البامي . كتاب فتوح الأهواز . كتاب أمر البحرين . كتاب فتح شهرك . كتاب فتح برقة . كتاب فتح مكران . كتاب فتوح الحيرة . كتاب موادعة النوبة . كتاب خبر سارية بن زنيم . كتاب فتوح الري . كتاب فتوح جرجان وطبرستان .

كتبه في أخبار العرب : كتاب البيوتات . كتاب الجيران . كتاب أشراف عبد القيس . كتاب أخبار ثقيف . كتاب من نسب إلى أمه . كتاب من سمي باسم أبيهِ . كتاب الخيل والرهان . كتاب بناء الكعبة . كتاب خبر خزاعة . كتاب حمى المدينة وجبالها وأوديتها .

كتبه في أخبار الشعراء وغيرهم : كتاب أخبار الشعراء . كتاب من نسب إلى أمه من الشعراء . كتاب العمائر . كتاب الشيوخ . كتاب الغرماء . كتاب من هادن أو غزا . كتاب من افترض من الأعراب في الديوان فندم وقال شعراً . كتاب المتمثلين . كتاب من تمثل بشعر في مرضه . كتاب الأبيات التي جوابها كلام . كتاب النجاشي . كتاب من وقف على قبر فتمثل بشعر . كتاب من بلغه موت رجل فتمثل شعراً أو كلاماً . كتاب من تشبه من النساء بالرجال . كتاب من فضل الأعرابيات على الحضريات . كتاب من قال شعراً على البديهة . كتاب من قال شعراً في الأوابد . كتاب الاستعداء على

(1) لعل الصواب « عمّال » كما في الفهرست وك .

الشعراء . كتاب من قال شعراً فسمي به . كتاب من قال في الحكومة من الشعراء . كتاب تفضيل الشعراء بعضهم على بعض . كتاب من ندم على المديح ومن ندم على الهجاء . كتاب من قال شعراً فأجيب بكلام . كتاب أبي الأسود الدئلي . كتاب خالد بن صفوان . كتاب مهاجاة عبد الرحمن بن حسان للنجاشي . كتاب قصيدة خالد بن يزيد في الملوك والأحداث . كتاب أخبار الفرزدق . كتاب قصيدة عبد الله بن إسحاق بن الفضل بن عبد الرحمن . كتاب أخبار عمران بن حطان[1] .

ومن كتبه المؤلفة : كتاب الأوائل . كتاب المتيمين . كتاب التعازي . كتاب المنافرات . كتاب الأكلة . كتاب المسيرين . كتاب القيافة والفال والزجر . كتاب من حرد من الأشراف . كتاب المروءة . كتاب الحمقى . كتاب اللواطين . كتاب الجواهر . كتاب المقينين . كتاب المسمومين . كتاب كان يقال . كتاب ذم الحسد . كتاب من وقف على قبر . كتاب الخيل . كتاب من استجيبت دعوته . كتاب قضاة أهل المدينة . كتاب قضاة أهل البصرة . كتاب أخبار رقبة بن مصقلة . كتاب مفاخرة العرب والعجم . كتاب مفاخرة أهل البصرة والكوفة . كتاب ضرب الدراهم والصرف . كتاب أخبار إياس بن معاوية . كتاب خبر أصحاب الكهف . كتاب خطبة واصل . كتاب إصلاح المال . كتاب آداب الاخوان . كتاب النخل . كتاب المقطعات المتخيرات . كتاب أخبار ابن سيرين . كتاب الرسالة إلى ابن أبي دواد . كتاب النوادر . كتاب المدينة . كتاب مكة . كتاب المختضرين . كتاب المراعي والجراد ويحتوي على الكور والطساسيج وجباياتها .

ـ 805 ـ

علي بن محمد بن وهب المسعري صاحب أبي عبيد القاسم بن سلام : روى

805 ـ إنباه الرواة 3 : 263 (المسعدي) .

(1) زاد في الفهرست : كتاب النكد . كتاب الأكلة (والثاني سيذكره في الباب التالي) .

عن أبي عبيد أنه قال : هذا الكتاب - يعني « غريب الحديث المصنف » أحبُّ إليَّ من عشرة آلاف دينار ، وعدد أبوابه على ما ذكره ألف باب ، وفيه من شواهد الشعر ألف ومائتا بيت .

- 806 -

علي بن محمد بن نصر بن منصور بن بسام أبو الحسن العبرتائي الكاتب ، وأمه أخت أحمد بن حمدون بن إسماعيل النديم لأبيه وأمه ، وقال المرزباني : أمه بنت حمدون النديم ، وله مع خاله أبي عبد اللّٰه ابن حمدون أخبار ، وكان حسن البديهة شاعراً ماضياً أديباً لا يَسْلَمُ على لسانه أحدٌ ، وهو معدود في العققة ، وكان يصنع الشعر في الرؤساء وينحله ابن الرومي وغيره .

مات فيما ذكره ابن المرزباني بعد سنة ثلاثمائة بسنتين ، وقال ثابت بن سنان : مات علي بن محمد بن بسام في صفر سنة اثنتين وثلاثمائة عن نيف وسبعين سنة ، واستفرغ شعره في هجاء والده محمد بن نصر والخلفاء والوزراء ، وكان مع فصاحته وبيانه لا حظٌ له في التطويل إنما يحسن مقطعاته وَتَنْدُرُ أبياته . وهو من أهل بيت الكتابة ، كان جده نصر بن منصور يتولى ديوانَ الخاتم والنفقات والأزمَّة في أيام المعتصم . وهو كان السبب في نكبة الفضل بن مروان ، وكان قد هجا الوزير علي بن عيسى بن داود بن الجراح لما نفي إلى مكة ، فلما ردت إليه الوزارة جلس يوماً للمظالم فمرت في جملة القصص رقعة فيها مكتوب :

وافى ابن عيسى وكنتُ أضغنه ... أشدُّ شيءٍ عليَّ أهونُهُ

---

806 - ترجمة ابن بسام في الفهرست: 167 ومعجم الشعراء: 154 والهدايا والتحف: 139 وتاريخ بغداد 12 : 63 وابن خلكان 3 : 363 واللباب (البسامي) واعتاب الكتاب: 188 والوافي 22 : 149 والفوات 3 : 92 وسير الذهبي 14 : 112 ومرآة الجنان 2 : 238 والبداية والنهاية 11 : 125 والنجوم الزاهرة 3 : 189 والموسوعة الإسلامية 3 : 734 (الطبعة الثانية بالانجليزية) وراجع المصادر التاريخية مثل أخبار الراضي والمتقي للصولي وتاريخ الوزراء للصابي ومروج الذهب للمسعودي (الفقرة 3406 - 3421) ، ومقالة ابن شيخ في مجلة Arabica العدد 3/20 (ص 261 - 291) وله مقطعات في التشبيهات وخاص الخاص ومحاضرات الراغب وزهر الآداب والذخيرة .

مـا قـدَّر الـلَّه لـيس يـدفـعـه ... ومـا سـواه فـليس يـمـكـنـهُ

فقال علي بن عيسى : صدق ، هذا ابن بسام ، والله لا ناله مني مكروه أبداً .

وكان الغالب على ابن بسام الشعر ، ومن حقه أن يذكر مع الشعراء ، وإنما حملنا على ذكره ها هنا رسائله وما له من التصانيف وهي : كتاب أخبار عمر بن أبي ربيعة جيد بالغ في معناه . (وجدت أخبار عمر بن أبي ربيعة تصنيف علي بن محمد بن نصر بن منصور بن بسام وقد روى فيه عن الزبير بن بكار وعمر بن شبة وحماد بن إسحاق ويعقوب بن أبي شيبة وأحمد بن الحارث الخراز ومحمد بن حبيب وسليمان بن أبي شيخ وخاله أحمد بن حمدون)[1] كتاب المعاقرين. كتاب ديوان رسائله . كتاب مناقضات الشعراء . كتاب أخبار الأحوص .

ومن شعره الذي قاله ونحله ابن الرومي قوله يخاطب عبيد الله بن سليمان الوزير وقد مات ابنه أبو محمد في سنة أربع وثمانين[2] :

قـل لأبي القـاسم المـرجَّى ... قـابلك الـدهـر بـالعجـائبْ
مـات لـك ابنٌ وكـان زينـاً ... وعـاش ذو الشَّيْنِ والمعـايبْ
حيـاةُ هـذا كـفـقـدِ هـذا ... فلستَ تخلو من المصـائبْ

فبلغت الأبيات عبيد الله فساءته ، فدعا البساميَّ وقال : يا علي كيف قلت ؟ فعلم البساميُّ أنه مغضب فقال : قلت أيها الوزير :

قـل لأبـي القـاسـم المـرجَّى ... لن يـدفـع المـوتَ كفُّ غـالبْ
لئـن تـولَّـى بـمـن تـولـى ... وفـقـدُهُ أعـظمُ الـمـصـائـبْ
لقـد تخـطَّتْ لـك الـمنـايـا ... عن حـامـلٍ عنـك لـلـنـوائبْ

يعني ابنه أبا الحسين ، فسكت عبيد اللّه ولها عنه .

وذكر الصولي في « كتاب الوزراء » قال قال أبو الحارث النوفلي الشاعر : كنت أبغض القاسم بن عبيد اللّه لكفره ولمكروهٍ نالني منه ، فلما قرأت شعر ابن المعتز

(1) ما بين قوسين لم يرد في ك .
(2) معجم الشعراء : 155 .

(وهو شعرٌ رثى به الحسينَ أبا محمد مذكور في أخباره) وشعر ابنِ بسام وكان ابن بسام قد قال :

معاذَ اللَّه من كذبٍ ومينِ لقد أبكت وفاتُك كلَّ عينِ
ولكن قد تُنَسِّينا الرزايا ويعضدنا بقاءُ أبي الحسينِ

قلت على لسان ابن بسام وأشعتها عليه وأنفذتها إليه « قل لأبي القاسم المرجَّى » . . . الأبيات .

وحدث السلامي عن أبي القاسم المجمع بن محمد بن المجمع قال حدثني ابن حمدون النديم قال : كان المعتضد أمر بعمارة البحيرة واتخاذ رياض حواليها ، وأنفق على الأبنية بها ستين ألف دينار ، وكان يخلو فيها مع جواريه وفيهن جاريةٌ يقال لها دريرة ، فقال البسامي[1] :

تركَ الناسَ بِحَيرهْ وتخلَّى في البحيرَهْ
قاعداً يضربُ بالطبل على حِرِّ دريرهْ

وبلغت الأبيات المعتضدَ فلم يظهر لأحد أنه سمعها[2]، وأمر بتخريب ما استعمره من تلك العمارات والأبنية . قال أحمد بن حمدون[3] : فكنت أُلاعبُ المعتضدَ بالشطرنج ذات يوم إذ دخل إليه القاسم بن عبيد الله وهو وزيره فاستأمره في شيء وانصرف ، فلما ولى أنشد المعتضد قول البسامي في القاسم :

حياة هذا كموتِ هذا فلستَ تخلو من المصائبْ

وجعل يكرّر البيت ، وعاد القاسم إليه في شغل والمعتضد مشغول باللعب ولم يعلم بحضوره ، وهو يردّد البيت ، فاحتلتُ حتى أعلمته حضوره ، فرفع رأسه إليه واستحيى منه حتى تبيَّنَ[4] ذلك في وجهه، ثم قال: يا أبا الحسين ـ وهو أول ما كناه للخجل الذي تداخله ـ لم لا تقطعُ لسانَ هذا الماجن وتدفع شره عنك ؟ فانصرف القاسم مبادراً إلى مجلسه ومنتهزاً للفرصة في ابن بسام وأمر بطلبه ، قال ابن حمدون :

(1) سير الذهبي 14 : 113 .
(2) ك : وبلغت البيتان . . . . سمعهما .
(3) وردت الحكاية في ابن خلكان وفي مروج الذهب .
(4) ك : بان .

فدهشت وارتعشت يدي في اللعب خوفاً مما يلحق ابنَ بسّام للقرابة التي بيني وبينه ، فقال المعتضد : مالك ؟ قلت : يا أمير المؤمنين القاسم بن عبيد الله لا يُصْطَلى بناره ، وكأني به وقد قطع لسانَ البسامي حَنَقاً عليه ، وهو أحدُ النبلاءِ الشعراء ، فيكونُ ذلك سبةً على أمير المؤمنين ، فأمر باحضار القاسم وسأله عما فعله في أمر ابن بسام ، فقال : قد تقدمتُ إلى مؤنس باحضاره لأقطعَ لسانه فقال : يا أبا الحسين إنما أمرناك أن تقطعَ لسانه بالبر والصلة والتكرمة ليعدل عن هجائك إلى مدحك ، فقال : يا أمير المؤمنين لو عرفته حق المعرفة وعلمتَ ما قاله لاستجزتَ قطع رأسه ـ عرَّضَ بما قاله في المعتضد ودريرة ـ فتبسم المعتضد وقال : يا أبا الحسين إنما أمرنا بتخريب البحيرة لذلك ، فتقدم أنت باحضاره وأخرجْ إليه ثلاثمائة دينار فإن ذلك أولى وأحسن من غيره ، قال فأحضره القاسم بعد ثالثة وخلع عليه وولاّه بريدَ الصيمرة وما والاها ، فبقي في عمله إلى آخر أيام المعتضد ، ثم جمح به طبعه إلى إعادة الاساءة فقال :

أبلغ وزيرَ الإمام عني ... ونادِ يا ذا المصيبتينِ
يموتُ جِلْفُ الندى ويبقى ... جِلفُ المخازي أبو الحسينِ
فأنت من ذا عميدُ قلبٍ ... وأنت من ذا سخينُ عينِ
حياةُ هذا كموت هذا ... فالطمْ على الرأس باليدينِ

قال جحظة[1] : كان ابن بسام يفخر بقوله فيّ :

يا من هجوناه فغنانا ... أنت وحقِّ اللّه أهجانا

فقلت : هذا معنى لم يَسْبِقْ إليه خاطرُ ابن بسام ، وإن كان قد أتى به مطبوعاً ، وإنما أخذه من قول ابن الرومي في هجائه شنطف[2] :

وفي قبحها كافٍ لنا من كيادها ... ولكنها في فعلها تتبرَّدُ
ولو علمتْ ما كايدتنا لانها ... بانفاسها والوجه والطبل أكْيَدُ

وقال ابن بسام في الوزير الخاقاني :

وزيرٌ ما يفيقُ من الرقاعه ... يُوَلّي ثم يعزلُ بعد ساعهْ

(1) تأخرت هذه الفقرة عن موضعها في ك .

(2) ديوان ابن الرومي 2 : 736 .

إذا أهل الرشا صاروا إليه ... فأحظى القوم أوفرهم بضاعهْ
فلا رحماً تُقَرِّب منه خلقاً ... سوى الورق الصحاح ولا شفاعهْ
وليس بمنكرٍ ذا الفعلُ منه ... لأن الشيخَ أفلتَ من مجاعهْ

حدث أبو نصر أحمد بن العلاء الشيرازي الكاتب قال : لما تقلَّد أبو الفتح الفضل بن جعفر بن الفرات الوزارةَ كنتُ أجالسه وأوانسه ، فحدثني يوماً أن أباه حدثه قال : تقلدت مصر وكان بيني وبين أبي الحسين ابن بسام مودة ورضاع ونحن مختلطون ، وأنا بمصر يوماً فما شعرتُ إلا بابن بسام قد دخل إليّ متقلداً للبريد فافهمته أحوالي(1) ، وقاسمته أكثر مروءتي وأموالي ، وتطلبت الخلاصَ من لسانه بكلِّ شيء يمكن ، وأوصيتُ حاجبي أن لا يحجبه عني ولو كنت مع زوجتي ، فجاء يوماً وأنا نائم فقال له الحاجب : ادخل ، فدخل فوجدني نائماً ، فاستدعى دواةً وكتب شيئاً وتركه وانصرف ، فلما انتبهتُ عرّفني حاجبي ذلك ، فأخذت الرقعة فإذا فيها :

محتجبٌ دون مَنْ يلمُّ به ... وليس للخارجاتِ حُجَّابُ
لأنَّ للخارجات منفعةً ... تأتيه والداخلون طلّابُ

قال فبعثت أعرف خبره لأعاتبه فإذا هو تحمَّلَ وسار عن البلد ، فكتبت إليه أداريه وألاطفه ليرجع فلم يجب .

قال التنوخي(2) حدثني ابن أبي قيراط علي بن هشام حدثني أبو علي ابن مقلة قال : كنت أقصد ابن بسام لهجائه إياي ، فخوطب ابن الفرات في وزارته الأولى في تصريفه فاعترضت وقلت ، إذا صُرِّفَ فلا يحتبس الناس على مجالسنا وقد افترقت فإذا لم يضره الوزير فلا أقلّ من أن لا ينفعه ، فامتنع من تصريفه قضاءً لحقي ، فبلغ ذلك ابنَ بسام فجاءني وخضع لي ثم لازمني نحو سنة حتى صار يختصّ بي ويعاشرني على البريد ، ومدحني فقال :

يا زينةَ الدينِ والدنيا وما جمعا ... والأمرِ والنهيِ والقرطاسِ والقلمِ
إن ينسِىء اللّه في عمري فسوف ترى ... من خدمتي لك ما يغني عن الخدمِ

(1) ك : حالي .

(2) لم ترد هذه الفقرة في ك .

أبـا عـليٍّ لقـد طـوَّقْتَني منـنـاً طَـوْقَ الحمامـةِ لا تبلى على القدمِ
فـاسلمْ فليس يـزيـلُ اللَّه نعمتَـهُ عمن يبثُّ الأيـادي في ذوي النعمِ

وحدّث محمد بن يحيى الصولي أنه سمع علي بن محمد بن بسـام يقول[1] : كنت أتعشَّقُ خادماً لخالي أحمد بن حمدون ، فقمتُ ليلة لأدبَّ إليه ، فلما قربتُ منه لسعتني عقربٌ فصرخت ، فقال خالي : ما تصنع هـا هنا ؟ فقلت : جئتُ لأبـول ، فقال : صدقتَ في است غلامي ، فقلت لوقتي :

ولقـد سريتُ مـع الظلام لمـوعدٍ حَـصَّـلْتُـهُ مـن غـادرٍ كـذَّابِ
فـإذا على ظهـرِ الـطريق مُغِـذَّةٌ سـوداءُ قـد عَـرَفَتْ أوانَ ذهـابي
لا بـارك الـرحمن فيهـا عقـربـاً دبـابـةً دَبَّـتْ إلـى دبـابِ

فقال خالي : قبحك اللَّه لو تركت المجونَ يوماً لتركته في هذه الحال .

ولابن بسام في علي بن عيسى[2] الوزير :

رجوتُ لك الوزارةَ طولَ عمـري فلمـا كـان منهـا مـا رجـوتُ
تقـدمنـي أنـاسٌ لم يـكـونـوا يـرومـون الـكـلامَ إذا دنـوتُ
فـأحببت الممـاتَ[3] وكـلُّ عيشٍ يُحَبُّ المـوت فيـه فهـو مـوتُ

ومن شعر ابن بسام من خط السمعاني[4] :

أقصرتُ عن طَلَبِ البطالـةِ والصبا لـمـا عـلاني لـلمشيـبِ قنـاعُ
لـلّه إيـامُ الـشـبـاب ولـهـوه لـو أنّ أيـامَ الـشبـابِ تـبـاعُ
فدع الصبا يا قلبُ واسلُ عن الهوى مـا فيـك بعـدَ مشيبك استمتـاعُ
وانـظر إلى الـدنيـا بعينِ مـودِّعٍ فـلقـد دنـا سَـفَـرٌ وحـان وداعُ
فـالحـادثـاتُ مُـوَكَّـلاتٌ بـالفتى والنـاسُ بعـد الحـادثـات سمـاعُ

---

(1) القصة والأبيات في الفوات والوافي .
(2) ك : بن موسى .
(3) م : الحياة .
(4) الأبيات في ابن خلكان .

ولما ولي حامد بن العباس وزارة المقتدر ورتَّبَ معه علي بن عيسى يدبِّر الأمو بين يديه قال ابن بسام :

يـا ابن الفـراتِ تعزَّى   قـد صـار أمـرُكَ آيـهْ
لمـا عُـزِلْتَ حصلنـا   عـلى وزيـرٍ بـدايَـهْ

وعلي بن بسام القائل يمدح النحو[1] :

رأيتُ لسـانَ المـرءِ وافـدَ عقـله   وعنـوانَـهُ فـانـظر بمـاذا تُعَنْـوَنُ
فـلا تعـدُ إصـلاحَ اللسـانِ فـإنـه   يـخبّـر عـمـا عـنـده ويـبـيـنُ
ويعجبني زيُّ الفتى وجمـالـه   فيسقطُ من عينـيَّ سـاعـةَ يلحـنُ
على أن لـلإعـراب حـداً وربمـا   سمعتُ من الأعراب ما ليس يحسنُ
ولا خيرَ في اللفظ الكريه استماعُهُ   ولا في قبيحِ اللحنِ والقصدُ أزينُ

ومن قصيدة له يهجو فيها الكتاب[2] :

وَعَبْدُونُ يحكم في المسلمينَ   ومن مثله تُؤْخَـذُ الـجـاليَـهْ
ودهقـانُ طيٍّ تـولَّى العـراقَ   وَسَقْيَ الـفـراتِ وزرفـانيـهْ
وحـامـدُ يـا قـومُ لـو أمرُهُ   إلـيَّ لألـزمـتُـهُ الـزاويـهْ
نـعم ولأرجـعـتـه صـاغـراً   إلى بيـعِ رمّـانِ خسـراويـهْ
أيـا ربُّ قـد ركب الأرذلـون   ورجليَ من بينـهم مـاشـيـهْ
فـإن كنتَ حـاملهـا مثـلهم   وإلا فـأَرْجِـلْ بني الـزانيـهْ

قال أبو الحسين علي بن هشام بن أبي قيراط : سمعت ابن بسام ينشد في وزارة ابن الفرات[3] :

إذا حكم النصـارى في الفـروجِ   وبـاهَـوْا بـالبغـالِ وبـالسـروجِ
فقـل لـلأعـورِ الـدجّـالِ هـذا   أوانُـكَ إن عـزمتَ على الخـروجِ

(1) معجم الشعراء : 154 .
(2) الوافي : 151 .
(3) انظر الفوات والوافي .

قال أبو الحسين ابن هشام، حدثني زنجي الكاتب، حدثني ابن بسام قال: كنت أتقلد البريد بِقُمّ في أيام عبيد الله بن سليمان، والعاملُ بها أبو عيسى أحمد بن محمد بن خالد المعروف بأخي أبي صخرة، فأهدى إليَّ في ليلة عيد الأضحى بقرةً للأضحية، فاستقللتها ورددتها وكتبت إليه[1]:

كم مِنْ يدٍ لي إليكَ سالفةٍ ... وأنت بالحقِّ غير معترفِ
نَفْسُكَ أهديتَها لأذبحها ... فَصُنْتُها عن مواقعِ التلفِ

- 807 -

علي بن محمد بن عبيد بن الزبير الأسدي المعروف بابن الكوفي: صاحب ثعلب والخصيص به، وهو من أسد قريش، وهو أسد بن عبد العزّى بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب رهط الزبير بن العوام، وهو صاحب الخط المعروف بالصحة المشهور باتقان الضبط وحسن الشكل، فإذا قيل نقلت من خط ابن الكوفي فقد بالغ في الاحتياط، وكان من أجلّ أصحاب ثعلب. مات في ذي القعدة سنة ثمان وأربعين وثلاثمائة ومولده سنة أربع وخمسين ومائتين، وكان ثقة صادقاً في الرواية وحسن الدراية.

وله من الكتب: كتاب الهمز رأيته أنا بخطه. كتاب معاني الشعر واختلاف العلماء فيه. كتاب الفرائد والقلائد في اللغة.

---

807 - ترجمته في الفهرست: 87 وتاريخ بغداد 12: 81 والمنتظم 6: 391 وإنباه الرواة 2: 305 وتذكرة الحفاظ: 869 وعبر الذهبي 2: 279 والوافي 22: 71 وبغية الوعاة 2: 195 (عن ياقوت) والشذرات 2: 379؛ وذكره في الفهرست: 7، 57، 64 وفي طبقات الزبيدي: 149 وقال إن ثعلباً أوصى إليه وتقدم إليه في دفع كتبه إلى القطربلي، وقال القفطي إن أباه كان من أهل اليسار، خلف له زائداً عن خمسين ألف دينار أنفقها في طلب العلم وتحصيل الكتب اشتراء واستنساخاً وكتابة وإنفاقاً على طلبة العلم.

(1) البيتان في الفوات.

قال مؤلف الكتاب : ورأيت بخطه عدة كتب فلم أر أحسنَ ضبطاً وإتقاناً للكتابة منه ، فإنه يجعل الاعراب على الحرف بمقدار الحرف احتياطاً ، ويكتبُ على الكلمة المشكوكِ فيها عدةَ مرار صح صح صح ، وكان من جمّاعي الكتب وأرباب الهوى فيها .

وذكره أبو الحسن محمد بن جعفر التميمي المعروف بابن النجار في « كتاب الكوفة » من تصنيفه قال : ومن أصحاب ثعلب أبو الحسن أحمد بن محمد الكوفي الأسدي الذي خطه اليوم يؤتدم به ، ويبيع جزازات كتبه ورقاع سؤالاته العلماء كل رقعة بدرهم ، وأنفق على العلم ثلاثين ألف درهم على ثعلب وحده . هكذا قال « أحمد بن محمد » وأظنه سهواً منه فان ابن الكوفي المشهور بجودة الضبط اسمه بخطه على عدة من كتبه ، وهو : علي بن محمد بن عبيد الكوفي الأسدي كما قدمنا ، فإن صحت رواية ابن النجار فهو غير الذي نعرفه نحن ، فإني لم أر لهذا المسمى ذكراً مع كثرة بحثي وتنقيري . ووجدت جزازةً من إملاء أبي الهيذام كلاب بن حمزة العقيلي اللغوي ـ وله في هذا الكتاب ترجمة[1] ـ ما صورته : ولأبي الهيذام إلى أبي الحسن ابن الكوفي النحوي البغدادي رحمه الله :

أبا حسنٍ أراك تمدُّ حبلي ... لتقطعَهُ وأرسلُهُ بجهدي
وأتبعه إذا قَصُرَ احتياطاً ... وأنت تشدُّ جَذْبَكَ أيَّ شدِ
أخيَّ فكم يكونُ بقاءُ حبلٍ ... يُتَلْتَلُ بين إرسالٍ ومدِّ
تعالى اللّه ما أجفى زماناً ... بقيتُ له وأنكدَ فيه جدي
أظنُّ الدهرَ يقصدني لأمرٍ ... يحاوله ويطلبني بحقدِ
إذا ذَهَبَتْ بشكلي عن ودادي ... مذاهبُهُ فكيف ألومُ ضدي
سأصبرُ طائعاً وأغضُّ طرفي ... وأحفظُ عهدَ مطَّرِحٍ لعهدي
وأقصد أن أحصِّلَ لي صديقاً ... أعزُّ به على خطأي وعمدي
فإن أظفرْ بذاك فأيّ كنزٍ ... ونيلِ غنيمةٍ وثقوبِ زندِ

---

(1) هي الترجمة رقم : 920 .

وإلا كان حسنُ الصبرِ أحرى بحسنِ مَثوبةٍ وبناءِ مجدِ
ألا لله ما أصبحتُ فيه من الخُلَطَاءِ من تَعَبٍ وكَدِّ
لقاءٌ بالجميل وحسنُ بشرٍ وإنصافٌ يشاب بخُلْفِ وعدِ
وعلمٌ لا يقاسُ إليه علمٌ بكلِّ طريقةٍ وبكلِّ حدِّ
وإغفالٌ لما أُولي وأُحجى تفقده بذي أدبٍ وحشدِ
فيا لله يا للناس يا للـعجائب بين تقربةٍ وبعدِ
من الأخلاق إذ مزجتْ فصارت علاقمها مُجَدَّحَةً بشهدِ
أراني بين منزلتين ما لي سوى إحداهما ثقةً لقصدِ
فإن أُرِدِ الأنيسَ أعشْ ذليلاً وان أردِ التعزز أَبْقَ وحدي

- 808 -

علي بن محمد بن الشاه الطاهري من ولد الشاه بن ميكال: وكان أديباً طيباً مفاكهاً في نهاية الظرف والنظافة يسلك مسلك أبي العنبس الصيمري في تصانيفه، مات [. . .]، وله من التصانيف: كتاب دعوة التجار. كتاب فخر المشط على المرآة. كتاب حرب الجبن على الزيتون[1]. كتاب الرؤيا. كتاب اللحم والسمك[2]. كتاب عجائب البحر[3]. كتاب البغاء. كتاب قصيدة وخيار يا مكانس. ولما لم أجد له ما يكتب وجدت في «كتاب الرياض» للمرزباني أنشدني أحمد بن إبراهيم[4] بن الشاه الطاهري:

فؤادي عليلٌ وجسمي نحيلُ وليلي طويلٌ ونومي قليلُ

---

808 - ترجمته في الفهرست: 170 والوافي 22: 160.

(1) م والوافي: مع الزيتون؛ الفهرست: والزيتون.
(2) الفهرست: كتاب حرب اللحم والسمك.
(3) ك: عجائب السمك.
(4) ما علاقة أحمد بن إبراهيم بعلي بن محمد؟.

بقلبي غليـــل ودائـي دخيــل وسقمي دليـل على مـا أقـولُ
وطـرفي كليل فمـا لي مقيـل وأمـري جليـل فصبـرٌ جميـلُ

ـ 809 ـ

علي بن محمد بن عبدوس الكوفي : نحوي ذكره محمد بن إسحاق ، وله من الكتب كتاب ميزان الشعر بالعروض . كتاب البرهان في علل النحو . كتاب معـاني الشعر .

ـ 810 ـ

علي بن محمد أبو القاسم الاسكافي من أهل نيسابور : ذكره الثعالبي فقال : هو لسان خراسان وعينها وواحدها في الكتابة والبلاغة وممن لم تُخْرِجْ مثله في الصناعة والبراعة ، وكان تأدب بنيسابور عند مؤدب بها يعرف بالحسن بن مهرجان من أعرف المؤدبين بأسرار التأديب والتدريس وأعلمهم بطريق التدريج إلى التخريج[1] ، ثم حرَّر مديدةً في بعض الدواوين فخرج منقطعَ القرين واسطةَ عقد الفضل ونادرة الزمان وبكر الفلك ، كما قال فيه الهُرَيميّ :

سبق النـاسَ بيـانـــاً فغـدا وهو بالاجمـاع بكرَ الفلكِ
أصبـح الملك بـه متسقـــاً لسليل الملك عبد الملكِ[2]

ووقع في ريعان أمره وعنفوان عمره إلى أبي علي الصاغاني واستأثر به واستخلصه لنفسه وقلّده ديوان رسائله ، فحسن خبره وسافر أثره ، وكانت كتبه ترد على الحضرة في

809 ـ ترجمته في الفهرست: 94 وإنباه الرواة 2 : 310 والوافي 22 : 72 وبغية الوعاة 2 : 194 .
810 ـ ترجمة الاسكافي في اليتيمة 4 : 95 والبصائر والذخائر 3 : 243 والوافي 22 : 161 .

(1) قوله : من أعـرف المؤدبين . . . إلى التخريـج : هذا وصف للمؤدب الحسن بن المهـرجان ، ولكن الصفدي لدى الحذف في النقل صرفه إلى الاسكافي .
(2) عبد الملك المذكور هنا هو : عبد الملك بن نوح الساماني وهو آخر ملوكهم ، (منقول من حاشية ك) .

نهاية الحسن والنضرة فتقع المنافسة فيه ، ويكاتب أبو علي في إيثار الحضرة به ، فيتعلل ويتسلل لواذاً ولا يفرج عنه إلى أن كان من كشف أبي علي قناع العصيان ، وانهزامه في وقعة خرجيك[1] إلى الصغانيان ما كان ، وحصل أبو القاسم في جملة الأسرى من أصحاب أبي علي ، فحبس في القهندز[2] وقيّد ، مع حسن الرأي فيه وشدة الميل إليه . ثم إن الأمير الحميد نوح بن نصر أراد أن يستكشفه عن سره ، ويقف على خبيئة صدره ، فأمر أن تكتب إليه رقعة على لسان بعض المشايخ ويقال له فيها إن أبا العباس الصاغاني قد كتب إلى الحضرة يستوهبك من السلطان ويستدعيك إلى الشاش لتتولى له كتابة الكتب السلطانية فما رأيك في ذلك ؟ فوقع في الرقعة : ﴿ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ ﴾ (يوسف: 33) فلما عرض توقيعه على الحميد حسن موقعه منه وأعجب به وأمر باطلاقه والخلعِ عليه وإقعادِهِ في ديوان الرسائل خليفةً لأبي عبد الله الحسين بن العميد الملقب بكله ، وهو والد أبي الفضل ابن العميد ، وكان الاسم للعميد والعمل لأبي القاسم ، وعند ذلك قال بعض مجان الحضرة[3] :

تبظرمَ الشيخُ كَلَهْ ... ولستُ أرضى ذاك له
كأنه لم يرَ من ... أُقْعِدَ عنه بدله
والله إن دام على ... هذا الجنون والبله
فإنه أولُ مَنْ ... تُنْتَفُ منه السَّبَلَهْ

وكان أبو القاسم يهجوه فقال فيه ، وكان يحضر الديوان في محفة لسوء أثر النقرس على قدمه[4] :

يا ذا الذي ركب المحفـ ... ـةَ جامعاً فيها جهازَهْ
أترى الزمان يُعيشني ... حتى يرينيها جنازهْ

(1) اليتيمة : جرجيل .
(2) قهندز المدينة : قلعتها .
(3) الأبيات في اليتيمة والوافي .
(4) الوافي ومعاهد التنصيص 2 : 116 واليتيمة 3 : 160 .

فلم تطل الأيام حتى أدركت العميدَ منيته ، وبلغ أبو القاسم أمنيته ، وتولى العمل برأسه وعلا أمره وبعد صيته . وجمعت رسائله أقسام الحسن والجودة وازداد على الأيام تبحراً في الصناعة .

ويحكى أن[1] الحميد أمره ذات يوم بكتبة كتاب إلى بعض الأطراف ، وركب متصيداً ، واشتغل أبو القاسم عن ذلك لمجلس أنس عقده بين إخوان جمعهم عنده ، فحين رجع الحميد من متصيده استدعى أبا القاسم وأمره باستصحاب الكتاب الذي رسم له كتبته لعرضه عليه ، ولم يكن كتبه ، فأجاب داعيه وقد نال منه الشراب ومعه طومار بياض أوهم أنه مكتوب فيه الكتاب المرسوم له ، وقعد بالبعد عنه فقرأ عليه كتاباً طويلاً سديداً بليغاً أنشأه في وقته وقرأه عن ظهر قلبه ، وارتضاه الحميد وهو يحسب أنه قرأه من سواد مكتوبه وأمره بختمه ، فرجع إلى منزله وحرر ما قرأه وأصدره على الرسم في أمثاله .

ومن عجيب[2] أمره أنه كان أكتب الناس في السلطانيات ، فإذا تعاطى الاخوانيات كان قصير الباع ، وكان يقال إذا استعمل أبو القاسم نون الكبرياء تكلم من السماء ، وكان في علو الرتبة في النثر وانحطاطه في النظم كالجاحظ . ورسائله كثيرة مدونة سائرة في الآفاق .

قال[3] : ولما انتقل إلى جوار ربه أكمل ما كان شباباً وآداباً وغدت الكتابة لفراقه شعثاء ، والبلاغة غبراء ، أكبر فضلاء الحضرة رَزِيَّتَه ، وأكثروا مرثيته ، فمن ذلك قول الهريمي الابيوردي من قصيدة :

ألم ترَ ديوان الرسائل عُطِّلَتْ ... لفقدانه أقلامُهُ ودفاتِرُهْ
كثغرٍ مضى حاميه ليس لسدِّه ... سواه وكالكسرِ الذي عزَّ جابرهْ
ليبكِ عليه خطُّهُ وبيانه ... فذا مات واشيه وذا مات ساحرهْ

(1) النقل مستمر عن اليتيمة .
(2) عن اليتيمة أيضاً .
(3) اليتيمة 4 : 100 .

- 811 -

علي بن محمد بن أبي الفهم بن داود بن ابراهيم التنوخي أبو القاسم القاضي ، قد تقدم نسبه في ترجمة حفيده علي بن المحسن ، قال السمعاني : ولد أبو القاسم هذا بأنطاكية في ذي الحجة سنة ثمان وسبعين ومائتين وقدم بغداد في حداثته في سنة ست وثلاثمائة وتفقه بها على مذهب أبي حنيفة ، وسمع الحديث ورواه ، وولي القضاء بالأهواز وكورها ، وتقلد قضاء ايذج وجند حمص من قبل المطيع لله ، ومات بالبصرة في شهر ربيع الأول سنة اثنتين وأربعين وثلاثمائة ودفن بالمربد .

أعرف من التنوخيين هؤلاء ثلاثة ينبغي أن يذكروا في هذا الكتاب وهم : أبو القاسم هذا وابنه أبو علي المحسن صاحب « كتاب نشوار المحاضرة » و« كتاب الفرج بعد الشدة » وحفيده أبو القاسم علي الأخير شيخ الخطيب وتلك الطبقة ، وقد ذكرت كلَّ واحد منهم .

وله تصانيف في الأدب منها : كتاب في العروض ، قال الخالع : ما عمل في العروض أجود منه . وكتاب في علم القوافي ، وكان بصيراً بعلم النجوم قرأه على البتّاني المنجم صاحب الزيج ، ويقال إنه كان يقوم بعشرة علوم ، وتقلّد القضاء بالأهواز وكورة واسط وأعمالها والكوفة وسقي الفرات وجند حمص وعدة نواح من الثغور الشامية وأرجان وكورة سابور مجتمعاً ومفترقاً ، وأول ولايته القضاء رئاسةً في أيام المقتدر بالله بعهد كتبه له أبو علي ابن مقلة الوزير وشهد الشهود عنده فيما حكم بين أهل عمله بالحضرة في سنة أربعين وثلاثمائة وشهدوا على إنفاذه ، وكان المطيع لله قد عوّل على صرف أبي السائب عن قضاء القضاة وتقليده إياه ، فأفسد ذلك بعضُ أعدائه ، وكان ابن مقلة قلده المظالم بالأهواز والإشراف على العيار بها ، وكان

---

811 - ترجمة علي بن محمد التنوخي أبي القاسم في : اليتيمة 2 : 309 وتاريخ بغداد 12 : 77 والأنساب واللباب (التنوخي) والمنتظم 6 : 372 وابن خلكان 3 : 366 وسير الذهبي 15 : 499 وعبر الذهبي 2 : 260 وميزان الاعتدال 3 : 153 ومرآة الجنان 2 : 334 والبداية والنهاية 11 : 227 والجواهر المضية 1 : 278 ولسان الميزان 4 : 256 والنجوم الزاهرة 3 : 310 والشذرات 2 : 362 ويروي عنه ابنه في نشوار المحاضرة كثيراً .

أبو عبد الله البريدي قد استخلفه بواسط على بعض أمور النظر . ولم يزل نبيهاً متقدماً يمدحه الشعراء ويجيزهم ويفضل على من قصده إفضالاً أثر في حاله ، وتوفي بالبصرة في سنة اثنتين وأربعين ، وصلى عليه الوزير أبو محمد المهلبي ، وقضى ما كان عليه من الدين وهو خمسون ألف درهم .

قال أبو علي التنوخي[1] : كان أبي يحفظ للطائيين سبعمائة قصيدة ومقطوعة سوى ما يحفظه لغيرهم من المحدثين والمخضرمين[2] والجاهليين ولقد رأيت له دفتراً بخطه هو عندي يحتوي على رؤوس ما يحفظه من القصائد مائتين[3] وثلاثين ورقة أثمان منصوري لطاف ، وكان يحفظ من النحو واللغة شيئاً عظيماً مع ذلك ، وكان الفقه والفرائض والشروط والمحاضر والسجلات رأس ماله ، وكان يحفظ منه ما قد اشتهر به من الكلام والمنطق والهندسة، وكان في النجوم وحفظ الأحكام وعلى الهيئة قدوةً وفي حفظ علم العروض ، وله فيه وفي الفقه وغيرهما عدة كتب مصنفة ، وكان مع ذلك يحفظ ويجيب في فوق[4] عشرين ألف حديث ، وما رأيت أحداً أحفظ منه ، ولولا أن حفظه افترق في جميع هذه العلوم لكان أمراً هائلاً .

قال أبو منصور الثعالبي[5] : هو من أعيان أهل العلم والأدب ، وأفراد الكرم وحسن الشيم ، وكان كما قرأته في فصل للصاحب : إن أردتَ فإني سبحةُ ناسك ، أو أحببتَ فإني تفاحة فاتك ، او اقترحتَ فإني مدرعة راهب ، أو آثرت فإني تحية شارب . وكان يتقلد قضاء البصرة والأهواز بضع سنين ، وحين صرف عنه ورد حضرة سيف الدولة زائراً ومادحاً فأكرم مثواه وأحسن قراه ، وكتب في معناه إلى الحضرة ببغداد حتى أعيد إلى عمله وزيد في رزقه ورتبته ، وكان المهلبي الوزير وغيره من رؤساء

---

(1) في نشوار المحاضرة 2 : 142 أن القاضي التنوخي حفظ من شعر أبي تمام والبحتري مائتي قصيدة سوى ما كان يحفظه لغيرهما من المحدثين من الشعراء .

(2) والمخضرمين : سقطت من ك .

(3) مكان هذه اللفظة بياض في ك .

(4) عليها في ك تضبيب .

(5) اليتيمة 2 : 336 .

العراق يميلون إليه جداً ويتعصبون له ، ويعدونه ريحانة الندماء ونارنج[1] الظرفاء ويعاشرون منه من تطيب عشرته وتكرم أخلاقه وتحسن أخباره وتسير أشعاره ، ناظماً حاشيتي البرِّ والبحر وناحيتي الشرق والغرب . وبلغني أنه كان له غلام يسمى نسيماً في نهاية الملاحة واللباقة ، وكان يؤثره على سائر غلمانه ويختصه بتقريبه واستخدامه ، فكتب إليه بعض من يأنس به :

هل عليٌّ لامه مُدْغَمةٌ لاضطرارِ الشعر في ميم نسيمْ

فوقع تحته : نعم ولم لا .

قال[2] : ويحكى أنه كان من جملة القضاة الذين ينادمون الوزير المهلبي ويجتمعون عنده في الأسبوع ليلتين على اطراح الحشمة والتبسط في القصف والخلاعة ، وهم ابن قريعة وابن معروف والقاضي الايذجي[3] وغيرهم ، وما منهم إلا أبيض اللحية طويلها ، وكذلك كان المهلبي ، فإذا تكامل الأنس وطاب المجلس ولذَّ السماع وأخذ الطرب منهم مأخذه وهبوا ثوبَ الوقارَ للعقار ، وتقلبوا في أعطاف العيش بين الخفة والطيش ، ووضع في يد كلّ منهم طاس ذهب من ألف مثقال مملوءاً شراباً قطربلياً وعكبرياً فيغمس لحيته فيه بل ينقعها حتى تتشرب أكثره ثم يرشّ بها بعضهم على بعض ، ويرقصون بأجمعهم وعليهم المصبغات ومخانق البرم ، ويقولون كلما نكبر شر هرهر[4] ، وإياهم عنى السريّ بقوله :

مجالسُ ترقصُ القضاةُ بها إذا انتشَوْا في مخانقِ البُرَمِ
وصاحب يخلطُ المجونَ لنا بشيمةٍ حلوةٍ من الشيمِ
تخضبُ بالراح شيبَهُ عبثاً أناملٌ مثلُ حمرةِ العنمِ
حتى تخالَ العيونُ شَيْبَتَهُ شيبةَ عثمانَ ضُرِّجت بدمِ

فإذا أصبحوا عادوا إلى عاداتهم في التزمت والتوقر والتحفظ بأبهة القضاء وحشمة

(1) في م ك واليتيمة : وتاريخ ، والتصويب من اقتراح محقق اليتيمة .
(2) اليتيمة 2 : 336 ـ 337 .
(3) اليتيمة : التنوخي .
(4) اليتيمة : كلما يكثر شربهم هر هر .

المشايخ الكبراء .

ومن شعر التنوخي هذا[1] :

وجاء لا جاءَ الدجى كأنه ... من طلعة الواشي ووجه المرتقبْ
وفعل الظلام بالضياءِ ما ... يفعله الحُرْفُ بأبناءِ الأدبْ

وله[2] :

وليلةِ مشتاقٍ كأنَّ نجومَها ... قد اغتصبت عيني الكرى فهي نُوَّمُ
كأن عيونَ الساهرين لطولها ... إذا شَخَصَتْ للأنجم الزهر أنجمُ
كأن سوادَ الليلِ والفجرُ ضاحكٌ ... يلوحُ ويخفى أسودٌ يتبسمُ

وله[3] :

عهدي بها وضياءُ الصبحِ يطفئها ... كالسُّرْجِ تطفأ أو كالأعين العورِ
أُعْجِبْ به حين وافى وهي نيّرةٌ ... وظلَّ يطمسُ منها النورَ بالنورِ

وله[4] :

لم أنسَ دجلةَ والدجى متصوّبٌ ... والبدر في أفق السماء مغرِّبُ
فكأنها فيه بساطٌ أزرقٌ ... وكأنه فيها طرازٌ مذهبُ

وله[5] :

كتبتُ وليلي بالسُّهادِ نهارُ ... وصدري لورّادِ الهموم صِدارُ
ولي أدمعٌ غُزْرٌ تفيضُ كأنها ... سحائبُ فاضت من يديك غزارُ
ولم أرَ مثلَ الدمع ماءً إذا جرى ... تلهَّبَ منه في المدامع نارُ
رحلتُ وزادي لوعةٌ ومطيتي ... جوانحُ من حرِّ الفراقِ حرارُ

---

(1) اليتيمة 2 : 338 .
(2) المصدر نفسه .
(3) المصدر نفسه .
(4) اليتيمة 2 : 340 .
(5) اليتيمة 2 : 344 ـ 345 .

مسيرٌ دعاه الناس سيراً توسعاً ... ومعنى اسمِهِ إنْ حققوه إسارُ
إذا رمتُ أن أنسى الأسى ذَكَّرَتْ به ... ديارٌ لها بين الضلوع ديارُ
لكَ الخيرُ عن غيرِ اختياري ترحُّلي ... وهل بي على صرفِ الزمان خيارُ
وهذا كتابي والجفونُ كأنما ... تَحكَّمُ في أشفارهنَّ شفارُ

وله :

فحمٌ كيومِ الفراقِ يشعله ... نارٌ كنارِ الفراقِ في الكبدِ
أسودُ قد صار تحت حمرتها ... مثلَ العيونِ اكتحلن بالرمدِ

وله في محبوب جسيم(1) :

من أين أسترُ وجدي وهو منهتكُ ... ما للمتيم في فتكِ الهوى دَرَكُ
قالوا عشقتَ عظيمَ الجسم قلتُ لهم ... الشمسِ أعظم جسمٍ حازه الفلكُ

وله(2) :

رضاكَ شبابٌ لا يليه مشيبُ ... وسخطك داءٌ ليس منه طبيبُ
كأنك من كلِّ القلوبِ مُركَّبٌ ... فأنت إلى كلِّ القلوبِ حبيبُ

قال ومما أنشدته له ولم أجده في ديوانه(3) :

قلتُ لأصحابي وقد مرَّ بي ... منتقباً بعد الضيا بالظُّلَمْ
بِاللَّه يا أهلَ ودادي قفوا ... كي تبصروا كيفَ زوالُ النعمْ

وَحَدَّثَ السلاميّ قال ، حدثني اللحام قال : خرج أبو أحمد ابن ورقاء الشيباني في بعض الأسفار فكتب إليه أبو القاسم التنوخي الانطاكي يتشوق إليه ويجزع على فراقه(4) :

تسير وقلبي في ذراك أسيرُ ... وحادي ركابي لوعةٌ وزفيرُ
ولي أدمعٌ غزر تفيضُ كأنها ... جدىً فاض في العافين منك غزيرُ

(1) اليتيمة 2 : 345 .
(2) المصدر نفسه .
(3) اليتيمة 2 : 346 .
(4) اليتيمة 2 : 344 .

وطرفٌ طريفٌ بالسهادِ كأنه نداكَ وجيشُ الجودِ فيه يغيرُ
أبا أحمدٍ إنَّ المكارمَ منهلٌ لكم أولٌ من وِرْدِهِ وأخيرُ
سماحٌ كمزن الجَوْدِ فيه تسجُّمٌ وغابٌ لأُسْدِ الموتِ فيه زئيرُ
شبابُ بني شيبانَ شيبٌ إذا انتدوا وَقُلُّهُمُ يومَ اللقاءِ كثيرُ
وجوهٌ كأكباد المحبين رقةً على أنها يومَ اللقاءِ صخورُ

وحدّث أبو سعد السمعاني ومن خطه نقلت باسناد رفعه إلى منصور الخالدي قال : كنت ليلةً عند القاضي التنوخي في ضيافته فأغفى اغفاءة فخرجت منه ريح ، فضحك بعضُ القوم ، فانتبه لضحكه وقال : لعل ريحاً ، فسكتنا فمكث هنيهة ثم أنشأ يقول :

إذا نسامت العينان من متيقظ تراخت بلا شك تشاريج[1] فقحتِهْ
فمن كان ذا عقلٍ فيعذرُ نائماً ومن كان ذا جهلٍ ففي جَوْفِ لحيتِهْ

ومن خطِّ السمعاني باسناده له وهي من مشهور شعره :

لم أنسَ شمسَ الضحى تطالعني ونحن من رقبةٍ على فَرَقِ
وجفنُ عيني بدمعه شَرِقٌ لمَّا بَدَتْ في معصفرٍ شرِقِ
كأنه أدمعي ووجنتها لما رمتنا الوشاةُ بالحدقِ
ثم تغطَّت بكمِّها خجلاً كالشمسِ غابت في حمرةِ الشفقِ

وله :

تخير إذا ما كنت في الأمر مرسلا فمبلغُ آراءِ الرجالِ رسولها
وردَّ وفكِّرْ في الكتاب فإنما بأطرافِ أقلامِ الرجالِ عقولها

وحدّث أبو علي المحسن بن علي بن محمد التنوخي[2] : جرى في مجلس أبي رحمه الله يوماً ذِكْرُ رجلٍ كان صغيراً فارتفع ، فقال بعض الحاضرين : مَنْ ذاك

(1) ك : تشانيج .
(2) نشوار المحاضرة 2 : 100 .

الوضيع ؟ أمسِ كنا نراه بمرقّعةٍ يشحذ ، فقال أبي : وما يضعه من أن الزمان عضه ثم ساعده ؟! كل كبير إنما كان صغيراً أولاً ، والفقر ليس بعارٍ إذا كان الإنسان فاضلاً في نفسه ، وأهل العلم خاصة لا يعيبهم ذلك ، وأنا أعتقد أن من كان صغيراً فارتفع أو فقيراً فاستغنى أفضلُ ممن وُلد في الغنى أو في الجلالة ، لأن من وُلد في ذلك إنما يحمل[1] على غيره فلا حمدَ له هو خاصة فيه ، ومن لم يكن له فكان فكأنما بكدِّه[2] وصل إلى ذلك ، فهو أفضل ممن وصل إليه ميراثاً أو بجد غيره وكدِّ سواه .

حدّث أبو علي المحسن بن أبي القاسم علي بن محمد بن داود التنوخي ، حدثني أبي قال[3] : سمعت أبي رحمه الله يوماً ينشد ، وسني إذ ذاك خمس عشرة سنة ، بعضَ قصيدة دعبل بن علي الطويلة التي يفتخر فيها باليمن ويعدد مناقبهم ويرد على الكميت فيها فخره بنزار ، وأولها :

أفيقي من ملامكِ يا ظعينا كفاكِ اللومَ مرُّ الأربعينا

وهي نحو ستمائة بيت ، فاشتهيتُ حفظها لما فيها من مفاخر اليمن لأنهم أهلي ، فقلت : يا سيدي تخرجها إليّ حتى أحفظها ، فدافعني فألححت عليه فقال : كأني بك تأخذها فتحفظ منها خمسين بيتاً أو مائة بيت ثم ترمي بالكتاب وتخلقه عليّ ، فقلت : ادفعها إليَّ ، فأخرجها وسلّمها إليّ ، وقد كان كلامه أثَّرَ فيّ ، فدخلتُ حجرةً لي كانت برسمي من دار أبي[4] فخلوتُ فيها ولم أتشاغل يومي وليلتي بشيءٍ غيرِ حفظها ، فلما كان السَّحَر كنتُ قد فرغتُ منها من جميعها وأتقنتها ، فخرجت إليه غدوةً على رسمي فجلستُ بين يديه فقال : هَيْ ، كم حفظتَ من القصيدة ؟ فقلت قد حفظتها بأسرها ، فغضب وقدَّر أني قد كذبته وقال : هاتها فأخرجتُ الدفتر من كمي فأخذه وفتحه ونظر فيه وأنا أنشد إلى أن مضيت في أكثر من مائة بيت ، فصفح منها عدة أوراق وقال : أنشد من ها هنا ، فأنشدتُ مقدار مائة بيت آخر ، فصفح إلى أن قارب آخرها

(1) ك م : يحمد ؛ وفي النشوار : إنما عمل له غيره .
(2) النشوار : بجده أو بكده .
(3) نشوار المحاضرة 2 : 140 ـ 141 .
(4) م والنشوار : داره .

بمائة بيت وقال : أنشدني من ها هنا ، فأنشدته من مائة بيت فيها إلى آخرها ، فهاله ما رأى من حسن حفظي ، فضمني إليه وقبّل رأسي وعيني وقال : باللّه يا ابني لا تخبر بهذا أحداً فإني أخاف عليك من العين .

قال أبو علي قال لي أبي[1] : حفظني أبي وحفظتُ بعده من شعر أبي تمام والبحتري سوى ما كنت أحفظ لغيرهما من المحدثين من الشعراء مائتي قصيدة ، قال : وكان أبي وشيوخنا بالشام يقولون مَنْ حفظ للطائيين أربعين قصيدة ولم يقل الشعر فهو حمارٌ في مِسْلاخ إنسان ، فقلت الشعر ، وبدأت بمقصورتي التي أولها :

لولا التناهي لم أُطِعْ نَهْيَ النهى ... أيُّ مدى يَطْلُبُ مَنْ جاز المدى

قال أبو علي المحسن : وجدت في كتب أبي كتاباً من أبي محمد المهلبي إليه قبل تقلده الوزارة بسنين أوله : كتابي أطال اللّه بقاء سيدنا القاضي عن سلامة لا زالت له إلفاً وعليه وقفاً :

وحمدٍ لمولىً أستمدُّ بحمدِهِ ... له الرتبةَ العلياء والعزَّ دائما
وأن يُسْخِطَ الأيامَ بالجمع بيننا ... وترضى المنى حتى يرينيك سالما

وصل كتابه أدام الله عزَّه فقمتُ معظماً له وقعدت مشتملاً على السرور به :

وفضضته فوجدتُهُ ... ليلاً على صفحاتِ نورِ
مثلَ السوالفِ والخدو ... دِ البيضِ زينَتْ بالشعورِ
بنظامِ لفظٍ كالثغو ... ر وكاللآلىءِ في النحورِ
أنزلتُهُ في القلب منـ ... ـزلة القلوب من الصدورِ

قال أبو علي في « النشوار »[2] حدثني أبو العلاء صاعد بن ثابت قال : كتب إليّ القاضي التنوخي جوابَ كتابٍ كتبته إليه : وصل كتابك :

فما شككتُ وقد جاء البشيرُ به ... أنَّ الشباب أتاني بعد ما ذهبا

---

(1) نشوار المحاضرة 2 : 142 (وقارن بما مرّ) .
(2) نشوار المحاضرة 3 : 19 (وما أورده ياقوت أتمّ) .

وقلتُ نفسيَ تفـدي نفسَ مـرسله ... من كـلِّ سوءٍ وَمَنْ أملى ومن كتبـا
وكـاد قلبي وقـد قـلَّبتـه قَـرَمـاً ... إلى قـراءتـه أن يخـرقَ الحجبـا

قال : والشعر له وأنشدنيه بعد ذلك لنفسه . قال أبو علي : ولست أعرف له ذلك ولا وجدته في كتبه منسوباً إليه ، ويجوز أن يكون مما قاله ولم يثبته أو ضاع فيما ضاع من شعره فإنه أكثر مما حفظ .

ومن شعر أبي القاسم علي بن محمد التنوخي الأكبر :

يجـودُ فيستحيي الحيا عنـد جـودِهِ ... ويخرسُ صَرْفُ الـدهرِ حين يقـولُ
عطايا تباري الريحَ وهي عواصفٌ ... ويخجـلُ منها المـزنُ وهو هـطولُ
أقـام لـه سـوقـاً بضـائِعُهـا النـدى ... سمـاحٌ لأرسـالِ السمـاحِ رسيـلُ
لـه نَسَبٌ لو كـان للشمسِ ضـوؤه ... لمـا غـالهـا بعـد الـطلوعِ أفـولُ

ولــه :

يـا واحدَ النـاسِ لا مستثنياً أحـدا ... إذ كان دون الورى بالمجدِ منفـردا
أما ترى الروضَ قد لاقـاك مبتسماً ... ومـدَّ نحـو النـدامى للسـلام يسدا
فـأخضـرٌ نـاضـرٌ في أبيضٍ يَقَقٍ ... وأصفـرٌ فـاقـعٌ في أحمـرٍ نضـدا
مثل الرقيبِ بـدا للعاشقين ضحىً ... فاحمرَّ ذا خجـلاً واصفرَّ ذا كمـدا

ولــه :

القَ العـدوَّ بـوجـهٍ لا قـطوبَ بـه ... يكـادُ يقـطرُ من مـاءِ البشـاشـاتِ
فـأحـزمُ النـاسِ من يلقى أعـاديَـه ... في جسم حقدٍ وثوبٍ من مـوداتِ
الصبـرُ خيرٌ وخيـرُ القولِ أصـدقُـهُ ... وكثـرةُ المـزحِ مفتـاحُ العـداواتِ

وله في الناعورة :

بـاتت تئنُّ ومـا بهـا وجـدي ... وأحِنُّ من وجـدٍ إلى نـجـدِ
فـدموعهـا تحيا الـرياضُ بهـا ... ودمـوع عيني أقـرحتْ خـدي

ولـه :

فـديتُ عينيك وإن كـانتـا لم تبقيـا من جسـدي شيـا

إلا خـيـالاً لـو تـأمـلتَـهُ في الشمسِ لم تبصرْ له فيـا

وكان عبد الله بن المعتز قد قال قصيدة يفتخر فيها ببني العباس على بني أبي طالب أولها :

أبى اللّه إلا مـا تـرون فمـا لكـم غَضَابَى على الأقدار يا آلَ طـالبِ

فأجابه أبو القاسم التنوخي بقصيدةٍ نحلها بعضَ العلويين وهي مثبتة في ديوانه أولها :

من ابنِ رسـولِ اللّه وابنِ وصيِّـه إلى مُدْغِلٍ في عقدةِ الدين نـاصبِ

نشـا بين طنبـورٍ وزقٍّ وَمِـزْهَـرٍ وفي حجرِ شادٍ أو على صدر ضاربِ

ومن ظهـرِ سكـرانٍ إلى بـطنِ قينـةٍ على شُبَـهٍ فـي ملكـهـا وشـوائبِ

يقول فيها :

وقلتَ بنـو حـربٍ كسـوكم عمـائمـاً من الضرب في الهامات حمرَ الذوائبِ

صـدقتَ منـايـانـا السيـوفُ وإنمـا تموتون فوق الفُرْشِ موتَ الكواعبِ

ونحن الألى لا يسـرحُ الـذمُّ بيننـا ولا تـدّري أعـراضنـا بـالمعـايبِ

إذا مـا انتدوا كـانوا شمـوسَ نديّهم وإن ركبـوا كـانـوا بـدورَ الـركـائبِ

وإن عبسوا يومَ الوغى ضحك الردى وإن ضحكـوا بكَّوْا عيـونَ النـوائبِ

ومـا للغـواني والـوغى فتعـوذوا بقـرع المثـاني من قـراع الكتـائبِ

ويـومُ حُنَينٍ قلتَ حُـزْنَـا فخـارَهُ ولـو كان يـدري عدَّهـا في المثالبِ

أبـوه منـادٍ والـوصيُّ مضـاربٌ فقـلْ في منـادٍ صيِّتٍ ومضـاربِ

وجئـتم مـع الأولاد تبغـون إرثـه فـأبْعِدْ بمحجـوبٍ بحاجبِ حـاجبِ

وقلتم نهضنـا ثـائـرين شعـارنـا بثـاراتِ زيدِ الخيـر عنـد التحـاربِ

فهـلاَّ بـابـراهيم كـان شعـاركم فتـرجـعَ دعـواكم تـحلّةَ خـائـبِ

وله في سيف الدولة[1] رحمه الله تعالى :

لـلّه أيـامٌ مـضـيـنَ قـطعـتـهـا ... وطـوالهـا بـالغـانيـاتِ قصـارُ
حين الصبـا لـدنُ المهـزِّ قضيبه ... غضٌّ وأنـواءُ الـسـرورِ غـزارُ
أجلو النهـارَ على النهـارِ وأنثني ... والشمسُ لي دونَ الشعـارِ شعـارُ
حتى إذا مـا الليـلُ أقبـل ضَمَّنا ... دونَ الإزارِ مـن الـعـنـاق إزارُ
فعلى ٱلنحـورِ من النحـورِ قـلائـدٌ ... وعلى الخـدودِ من الخدودِ خمـارُ
وبدتْ نجومُ الليلِ من خَلَل الدجى ... تـذكـو كـمـا يتـفـتَّـحُ الـنـوارُ
أقبلن والمـريـخُ في أوسـاطهـا ... مثـلُ الـدراهمِ وَسْـطَهـا دينـارُ
والجوُّ تجلوه النجومُ على الـدجى ... في قُمْصٍ وشـيٍ مـا لهـا أزرارُ
وكـأنمـا الجـوزا وشـاحُ خـريـدةٍ ... والنجـمُ تـاجٌ والـوشـاحُ خمـارُ

منها في المدح :

ملك تنـاجيـه القلوبُ بمـا جَنَتْ ... وتـخـافـه الأوهـامُ والأفـكـارُ
فـيـدٌ مـؤيـدةٌ وقـلبٌ قُـلَّبٌ ... وشبـاً يـشـبّ وخـاطـرٌ خـطَّارُ
حين العيـونُ شـواخصٌ وكـأنها ... للخـوفِ لم تخلق لـهـا أبصـارُ
كـلُّ الـورى أرضٌ وأنت سمـاؤهـا ... وجـمـيـعـهـم لـيـلٌ وأنـت نـهـارُ

ولـه :

مـا منهمُ إلا امـرؤٌ غَمْـرُ النـدى ... سمحُ اليـدين مؤمَّـلٌ مـرهـوبُ
يغـريه بـالخُلُقِ الرفيـع وبالنـدى ... والمكـرمـاتِ العـذلُ والتـأنيبُ
فله رقيبٌ من نـداه على الـورى ... وعليـه من كَـرَم الـطبـاعِ رقيبُ

ولـه :

وقفنا نجيلُ الرأيَ في ساكني الغضا ... وجمـرُ الغضـا بين الضلوع يجـولُ
نشيمُ بـأرضِ الشـام بـرقـاً كـأنـه ... عـقـودُ نضـارٍ مـا لـهنَّ فـصـولُ

---

(1) م : معز الدولة .

ولــه :

أَمَـا في جنـايـاتِ النـواظـرِ نـاظـرٌ ولا منصفٌ إنْ جـار منهنَّ جـائــرُ
بنفسيَ مَـنْ لم يـبـدُ قطُّ لعـاذلٍ فيـرجـعَ إلا وهــو لي فيـه عــاذرُ
ولا لحظتْ عيناه نــاهٍ عن الهوى فـأصبحَ إلا وهــو بـالحبِّ آمــرُ
يؤثّــر فيـه نــاظـرُ الفكــرِ بـالمنى وتجـرحه بـاللمسِ منها الضمـائـرُ

حدث أبو علي المحسن بن علي بن محمد التنوخي في « نشواره »[1] قصة لأبي معشر قد ذكرتها في « مجموع الاختطاف » عجيبة ، ثم قال : وهذا بعيد جداً دقيق ، ولكن فيما شاهدناه من صحة بعض أحكام النجوم كفاية ، هذا أبي حوَّلَ مولد نفسه في السنة التي مات فيها وقال لنا : هذه سنةُ قَطْعٍ على مذهب المنجمين ، وكتب بذلك إلى بغداد إلى أبي الحسن ابن البهلول القاضي صهره ينعى نفسه ويوصيه ، فلما اعتلَّ أدنى علة وَقَبْلَ أن تستحكم علته أخرج التحويلَ ونظر فيه طويلاً وأنا حاضرٌ فبكى ، ثم أطبقه واستدعى كاتبه وأملى عليه وصيته التي مات عنها وأشهدَ فيها من يومه ، فجاء أبو القاسم غلامُ زحل المنجم[2] فأخذ يطيِّبُ نفسه ويورد عليه شكوكاً ، فقال له يـا أبا القاسم : لستَ ممن يخفى عليه فانسبك إلى غلط ، ولا أنا ممن يجوزُ عليه هذا فتستغفلني ، وجلس فوافقه على الموضع الذي خافه وأنا حاضر ، فقال له : دعني من هذا ، بيننا شكّ في أنه إذا كان يوم الثلاثاء العصر لسبع بقين من الشهر فهو ساعةُ قطع عندهم ، فأمسك أبو القاسم غلام زحل لأنه كان خادماً لأبي وبكى طويلاً وقال : يا غلام طستـاً ، فجاؤوه به فغسل التحويل وقطعه ، وودع أبا القاسم توديعَ مفارق ، فلما كان في ذلك اليوم العصر [بعينه] مات كما قال .

قال المحسن وحدثني أبي قال[3] : لما كنت أتقلّد القضاء بالكرخ[4] كان بوّابي

---

(1) قصة أبي معشر قد وردت في النشوار 2 : 327 ويعقبها تعليق المؤلف ص 329 ـ 330 .
(2) اسمـه عبيد الله بن الحسن ، تـوفي سنة 376 (تـاريخ الحكمـاء : 224 وله ذكـر كثير في مؤلفـات التوحيدي) .
(3) القصة في الفرج بعد الشدة 4 : 234 ـ 237 .
(4) ك : بالكرج ، وفي الهامش : الكرج من نواحي أصبهان .

بها رجل من أهل الكرخ وله ابن عمره حينئذ عشر سنين أو نحوها ، وكان يدخل داري بلا إذن ويمزح مع غلماني وأهبُ له في الأوقات الدراهمَ والثيابَ كما يفعل الناسُ بأولادِ غلمانهم ، ثم خرجتُ عن الكرخ ورحلتُ عنها ولم أعرف للبوَّاب ولا لابنه خبراً ، ومضت السنون ، وأنفذني أبو عبد الله البريدي من واسط برسالةٍ إلى ابن رائق فلقيته بدير العاقول ، ثم انحدرتُ أريد واسطاً فقيل لي إن في الطريق لصاً يُعْرَفُ بالكرخي مستفحلَ الأمر ، وكنتُ خرجتُ بطالع اخترته على موجبِ تحويلِ مولدي لتلك السنة ، فلما عدتُ من دير العاقول خرج علينا اللصوصُ في سفن عدّةٍ بسلاح شاكٍ في نحو مائة رجل ، وهم كالعسكر العظيم ، وكان معي غلمان يرمون بالنشاب ، فحلفت أنَّ من رمى منهم سهماً ضربته إذا رجعتُ إلى المدينة مائتي مقرعة[1] ، وذلك أنني خفت أن يقتل أحد منهم فلا يرضون إلا بقتلي ، وبادرتُ فرميتُ بجميع ما كان معي ومع الغلمان من السلاح في دجلة واستسلمت طلباً لسلامة النفس ، وجلستُ أفكر في الطالع الذي خَرَّجْتُ[2] ، فإذا ليس مثله مما يوجبُ عندهم قطعا ، والناس قد أدبروا إلى الشطّ وأنا في جملتهم ، وجعلوا يفرغون السفن وينقلون جميعَ ما فيها من الأمتعة إلى الشاطىء وهم يضربون ويقطعون بالسيوف ، فلما انتهى الأمر إليّ جعلتُ أعجبُ من حصولي في مثل ذلك وأرى الطالع لا يوجبه ، فبينا أنا كذلك وإذا بسفينة رئيسهم قد دنت مني وطرح عليَّ كما صنع في سائر السفن ليشرفَ على ما يؤخذ ، فحين رآني زجر أصحابه عنّي ومنعهم من أخذ شيءٍ من سفينتي ، وصعد بمفرده إليَّ وجعل يتأملني ، ثم أكبَّ على يديَّ يقبّلهما وهو متلثم ، فارتعتُ وقلت : يا هذا ما شأنك ؟ فأسفر لثامه وقال : أما تعرفني يا سيدي ؟ فتأملته فلجزعي لم أعرفه فقلت : لا والله ، فقال : بلى أنا عبدك ابنُ فلانٍ الكرخي بوّابك هناك ، وأنا الصبيُّ الذي تربيتُ في دارك ، قال : فتأملته فعرفته إلا أن اللحيةَ قد غيرته في عيني ، فسكن روعي قليلاً وقلت : يا هذا كيف بلغتَ إلى هذه الحال ؟ فقال : يا سيدي نشأتُ فلم أتعلم غيرَ معالجةِ السلاح ، وجئتُ إلى بغداد أطلبُ الديوان فما قبلني أحد ، وانضاف إليَّ هؤلاء

(1) م : كأني مفزعة ؛ وفي الفرج : مائة مقرعة .
(2) الفرج : خرجت به .

الرجالُ فطلبتُ قَطْعَ الطريق ، ولو كان أنصفني السلطان وأنزلني بحيث أستحقّ من الشجاعة وانتفعَ بخدمتي ما فعلتُ بنفسي هذا ، قال : فأقبلت أعظه وأخوّفه الله ثم خشيتُ أن يشقَّ ذلك عليه فيفسد رعايته لي فأقصرت ، فقال لي : يا سيدي لا يكون بعضُ هؤلاء أَخذَ منك شيئاً ، فقلت : لا ما ذهب مني إلا سلاحٌ رميته أنا إلى الماء ، وشرحت له الصورة ، فضحك وقال : قد والله أصاب القاضي فمن في الكار(1) ممن تعتني به ؟ فقلت : كلهم عندي بمنزلةٍ واحدة في الغمّ بهم فلو أفرجت عن الجميع فقال : والله لولا أن أصحابي قد تفرقوا بما أخذوه لفعلتُ ذلك ، ولكنهم لا يطيعونني إلى رده ، ولكن أمنعهم عن أَخْذِ شيء آخر مما في السفن مما لم يؤخذ بعد ، فجزَّيته الخير ، فصعد إلى الشاطىء وأصعد جميع أصحابه ومنعهم عن أخذ شيء آخر مما في السفن مما لم يؤخذ وردَّ على قوم أشياء كثيرة كانت أُخذت منهم وأطلق الناس ، وسار معي إلى حيث أمِنَ عليَّ وودعني وانصرف راجعاً .

حدث أبو القاسم قال ، حدثني أبي قال : كان أول شيء قلدته القضاء بعسكر مكرم وتستر وجنديسابور وأعمال ذلك من قبل القاضي أبي جعفر أحمد بن إسحاق بن البهلول التنوخي ، وكنت في السنة الثانية والثلاثين من عمري وذلك في شهور سنة عشر وثلاثمائة .

ومن مشهور شعره ما نقلته من ديوان شعره :

وراحٍ من الشمس مخلوقةٍ   بدتْ لك في قَدَحٍ من نهارِ
هواءٌ ولكنه ساكنٌ(2)   وماءٌ ولكنه غير جاري
إذا ما تأملته وهو فيه   تأملتَ ماءً محيطاً بنارِ
فهذي النهايةُ في الإبيضاضِ   وهذي النهاية في الإحمرارِ
وما كان في الحكم أن يوجدا   لفرطِ التنافي وفرطِ النفارِ
ولكن تجاورَ سطحاهما الـ   ـبسيطان فاتفقا بالجوارِ
كأنّ المديرَ لها باليمينِ   إذا مال للسقي أو باليسارِ

(1) الكار : مجموعة السفن المنحدرة من موضع واحد (من تعليقات محقق الفرج) .
(2) ك : جامد .

تـدرَّعَ ثـوبـاً من اليـاسمين لـه فَـرْدُ كـمٍّ من الجلنـارِ

قلت : وقد تنوزعت هذه الأبيات ورويت لغيره فقيل إنها لأبي النضر الأنطاكي النحوي وغيره .

ـ 812 ـ

علي بن محمد بن الحسين بن محمد أبو الفتوح ابن العميد الملقب بذي الكفايتين ، كفاية السيف وكفاية القلم ، وزير ركن الدولة أبي علي الحسن بن بويه بعد أبيه ، وبذل مالاً ، ثم وزير ابنه مؤيد الدولة بويه بالري وأصفهان وتلك الأعمال ، وورد إلى بغداد صحبة عضد الدولة بن ركن الدولة لنصرة عز الدولة بختيار . قتل على ما يجيء شرحه إن شاء الله تعالى في سنة ست وستين وثلاثمائة ومولده في سنة سبع وثلاثين وثلاثمائة ، كذا ذكر ابن الصابىء .

كان أديباً فاضلاً بليغاً قد اقتدى بأبيه في علو الهمة وبعد الشأو في الكرم والفضل[1] :

إن السريَّ إذا سرى فبنفسه وابن السريّ إذا سرى أسراهما

وكان أبوه قد أدّبه فأحسن تأديبه ، وهذَّبه أبو الحسين ابن فارس اللغوي وأحسن تهذيبه ، ولما مات أبوه في الوقت الذي ذكرناه في ترجمته ، وهو سنة ستين وثلاثمائة ، وقال ابن الصابي في سنة تسع وخمسين وثلاثمائة ، قام مقامه في وزارة ركن الدولة وذلك قبل الاستكمال وبُعْدٍ من الاكتهال ، وعمره حينئذ اثنتان وعشرون سنة ، فألقى ركن الدولة مقاليده إليه ، وعوَّل في تدبير السيف والقلم عليه ، فلما جرى لعز الدولة

812 ـ ترجمة أبي الفتح ابن العميد في اليتيمة 3 : 185 والامتاع والمؤانسة 1 : 66 وتكملة الهمذاني : 229 والوافي ونكت الهميان : 215 وسير الذهبي 16 : 138 (في ترجمة والده) وابن خلكان 5 : 110 (في ترجمة والده) وابن خلدون 4 : 452 (وسائر الكتب التاريخية المعنية بالبويهيين وخاصة تجارب الأمم ، وسقط منه خبر مقتله) وفي أخلاق الوزيرين معلومات هامة عنه .

(1) انظر اليتيمة ، وفيما يلي نقل عنه بإيجاز وتصرّف .

بختيار بن معز الدولة ببغداد ما جرى مع غلامه سبكتكين وأرسل إلى عمه ركن الدولة يستعين به تقدَّم إلى أبي الفتح بالمضيِّ إلى شيراز والمسير في صحبة ولده عضد الدولة لانجاد عز الدولة ، وورد إلى بغداد وجرى ما جرى من موت سبكتكين ومحاربة أصحابه حتى انجلوا عنها ، وطمع عضد الدولة فيها ومكاتبة أبيه إياه بمفارقتها وتسليمها إلى عز الدولة، وكتب ركن الدولة إلى أبي الفتح بالقيام بذلك وبالتكفّل به حتى يفارقَ عضد الدولة بغداد في قصة هي مذكورة في التواريخ ، فتشدَّد ابن العميد على عضد الدولة في ذلك ، وخاطبه فيه مخاطباتٍ حقدها عضد الدولة عليه ، فلما رجع عضد الدولة قال يوماً لابن العميد : ما حظيت من ورودي إلى بغداد بفائدة، وقد أطلقت بسببها أموالاً صامتة لا تحصى، فقال له أبو الفتح : ما سلم من الأعطيات سلطان ، ولا خلا من النفقات مكان، ولو استقصيتُ بمقدار حالي ما فرقته لكنتُ مبذراً، فقال له عضد الدولة: أما أنت فقد شَرُفَ قدرك وعلا ذكرك، كنَّاك خليفة اللّه في أرضه ولقبك، فأنت ذو الكفايتين أبو الفتح ، فأعظمْ بذلك من فخرٍ يبقى بقاءَ النيرين ويدوم دوام العصرين . وكان عضد الدولة يقول : خرجتُ من بغداد وأنا زُرَيقُ الشارب ـ لأنَّ سفلة الناس والعامة كانوا يذكرونه بذلك ـ وخرج ابن العميد مُكَنًّى من الخليفة ملقَّباً بذي الكفايتين . فلما مات[1] ركن الدولة وقام مقامه بالري وتلك النواحي ابنه مؤيد الدولة بويه كان الصاحب ابن عباد وزيره ، فخلع على أبي الفتح واستوزره والصاحبُ على جملته في الكتابة لمؤيد الدولة ، فكره أبو الفتح موضعه ، فبعث الجندَ على الشغب وهموا بقتل الصاحب ، فأمره مؤيد الدولة بالعود إلى أصبهان ، فَأَسرَّ مؤيد الدولة ذلك في نفسه إلى أشياء كان ينبسط فيها يحمله عليها نزقة الشباب ، وانضاف إلى ذلك تغير عضد الدولة عليه وكثرةُ مِيلِ القواد والعساكر إليه ، فخيفت منه غائلة ، فكتب عضد الدولة إلى أخيه مؤيد الدولة يأمره بالقبض عليه واستصفاء أمواله وتعذيبه ، فقبض عليه وحمله إلى بعض القلاع ، وبدرت منه كلمات في حقّ عضد الدولة نمت إليه فزادت في استيحاشه منه ، فأنهض من حضرته من تكفَّل بتعذيبه واستخراج أمواله والتنكيل به ، فأول ما عمل به أن سمل إحدى عينيه ثم نكل به وجزَّ لحيته وجدع أنفه وعذب

---

(1) يتابع نص اليتيمة ص : 190 وما بعدها .

بأنواع من العذاب ، فقال :

بُــدِّلَ من صــورتي المنــظرُ ... لـكنــه مــا بُــدِّلَ الـمخبــرُ
وليس إشفـاقاً على هـالك[1] ... لكن على من لـيَ يسـتعبــرُ
ووالــهِ الـقلبِ بـمــا مسـني ... مـسـتخبــرٍ عني ولا يُـخْبَــرُ
فقــل لمن سُـرَّ بمــا ساءني ... لا بــد أن يُسْلَكَ ذا المعبــرُ

ووجد على حائط مجلسه بعد قتله :

ملكٌ شــدَّ لي عُـرَى الميثــاقِ ... بـأمـان قـد سـار في الآفــاقِ
لم يحــلْ رأيــه ولـكنَّ دهـري ... حــال عن رأيــه فشــدَّ وثــاقي
فقرى الوحش من عظامي ولحمي ... وسقى الأرض من دمي المهـراقِ
فعلى مـن تــركتــه مـن قــريب ... أو حـبيـبٍ تحيــةُ الـمشـتــاقِ

وفي بني العميد يقول بعضهم :

مررتُ على ديار بني العميـدِ ... فـألفيتُ السعـادةَ في خمــودِ
فقـل للشامتِ الباغي رويـداً ... فــانــك لم تُبَشَّــرْ بــالخلودِ

قال : وكان أبو الفتح قد أغري قبل القبض عليه بانشاد هذين البيتين لا يجفُّ لسانه عن ترديدهما[2] :

مَلَكَ الــدنيــا أنــاسٌ قبلنــا ... رحلوا عنـهــا وخلَّوْهَــا لـنــا
ونـزلنـاهــا كمـا قــد نـزلــوا ... ونخلّيهــا لقــوم غيــرنــا[3]

فلما حصل في الاعتقال وأيقن أن القوم يريدون دمه وأنه لا ينجو منهم وإن بذل ماله مدَّ يده إلى جيبِ جُبَّة عليها ففتقه عن رقعة فيها ثبت ما لا يحصى من ودائعه وكنوز أبيه وذخائره ، فألقاها في كانون نار بين يديه وقال للموكل به : اصنع ما أنت صانع ، فوالله لا يصلُ من أموالي المستورة إلى صاحبك دينار واحد ، فما زال يعرضه على

(1) ك : على فائت ؛ والشطر في اليتيمة : ولست ذا حزن على فائت .
(2) اليتيمة 3 : 191 .
(3) اليتيمة : بعدنا .

العذاب إلى أن تلف ، ولما أحسَّ بالقتل قال :

راعوا قليلاً فليس الدهرُ عبدَكُمُ ... كما تظنون والأيام تنتقلُ

وهذا شيء من خبره وشعره :

قال[1] كان أبو الفضل أبوه قد جعل جماعة من ثقات أبي الفتح في صباه يشرفون عليه في منزله ومكتبه وينهون إليه أنفاسه ، فرفع إليه بعضهم أن أبا الفتح اشتغل ليلةً بما يشتغلُ به الأحداث من عَقْدِ مجلسٍ مسرة واحضار الندماء في خفية شديدة واحتياط من أبيه ، وأنه كتب رقعةً إلى من سمّاه يستهديه شراباً ، فحمل إليه ما يصلحهم من الشراب والنقل والمشموم ، فدسَّ أبوه إلى ذلك الانسان من جاء بالرقعة الصادرة عن أبي الفتح فإذا فيها بخطه : بسم اللّه الرحمن الرحيم قد اغتنمتُ الليلةً ـ أطال اللّه بقاء سيدي ومولاي ـ رقدةً من عين الدهر ، وانتهزتُ فيها فرصةً من فرص العمر ، وانتظمتُ مع أصحابي في سمط الثريا ، فإن لم تحفظ علينا النظامَ باهداء المدام عُدنا كبنات نعشٍ والسلام . فاستطير أبوه فرحاً وإعجاباً بهذه الرقعة البديعة وقال : الآن ظهر لي أثر براعته ووثقت بجريه في طريقي ونيابته منابي ، ووقع له بألفي دينار .

وحدث أبو الحسين ابن فارس قال[2] : جرى في بعض أيامنا ذكر أبيات استحسن أبو الفضل ابن العميد وزنها واستحلى رويَّها ، وأنشد جماعة من حضر ما حضرهم على ذلك الروي وهو قول القائل :

لئن كففتَ وإلا ... شققتُ منكَ ثيابي

فأصغى إليها أبو الفتح ثم أنشدني في الوقت :

يا مولعاً بعذابي ... أَما رحمتَ شبابي
تركتَ قلباً قريحاً ... نهبَ الأسى والتصابي
إن كنت تنكرُ ما بي ... من ذلّتي واكتئابي
فارفع قليلاً قليلاً ... عن العظام ثيابي

(1) اليتيمة 3 : 186 .
(2) اليتيمة 3 : 187 .

قال : فتأملْ هذه الطريقة وانظر إلى هذا الطبع فانه أتى بمثل ما أنشده في رشاقته وخفّته ولم يعدُ الجنسَ ولم يقصِّرْ دونه ، وبذلك يعرف قدر القادر على الخطابة والبلاغة .

ومن مستحسن شعره[1] :

عودي وماءُ شبيبتي في عودي ... لا تَعْمَدي لمقاتلِ المعمودِ
وصليه ما دامتْ أصائلُ عيشه ... تؤويه في فيءٍ لها ممدودِ
ما دام من ليلِ الصبا في فاحمٍ ... رَجْلِ الذرى فينانَ كالعنقودِ
قبل الزمانِ فطارقاتُ جنودِهِ ... يبدلنه يَقَقاً بربدٍ[2] سودِ

وله[3] :

إذا أنا بُلِّغْتُ الذي كنتُ أشتهي ... وأضعافَه ألفاً فَكِلْني إلى الخمرِ
وقلْ لنديمي قم إلى الدهرِ فاقترح ... عليه الذي تهوى ودعني مع الدهرِ

وله[4] :

أين لي من يفي بشكرِ الليالي ... إذ أضافت[5] خيالها وخيالي
لم يكن بي على الزمانِ اقتراحٌ ... غيرها مُنيةٌ فجاد بها لي

قرأت في كتاب أبي الحسين هلال[6] بن المحسن، حدثني أبو اسحاق إبراهيم بن هلال[6] جدي قال: لما سار عضد الدولة من بغداد عائداً إلى فارس أقام أبو الفتح ابن العميد بعده ووصل إلى حضرة الطائع للّه حتى خلع عليه وحمله وكناه ولقبه ذا الكفايتين ، وتنجَّزَ منه خلعاً ولقباً لفخر الدولة أبي الحسن ، وأقطع من نواحي السواد ضياعاً كثيرةً رتَّب فيها نائباً يستوفي ارتفاعها ويحمله إليه ، ودعاه أبو طاهر ابن بقية عدةَ دعوات ، وملأ عينه بالهدايا والملاطفات ، وقال في بعض الأيام : لا بد أن أخلع على ابن العميد في مجلسي ، ودعاه ، فلما قعد وأكل وجلس على الشرب أخذ ابنُ بقية

---

(1) اليتيمة 3 : 188 .
(2) اليتيمة : بسحمٍ .
(3) اليتيمة 3 : 188 .
(4) المصدر نفسه .
(5) م : في مضيف .
(6) ك : هليل .

بيده فرجيةً ورداءً في غاية الحسن والجلالة ووافى بهما إلى ابن العميد وقال له : قد صرتُ أيها الأستاذ جامدارك ، فانظر هل ترتضيني لخدمتك ، وطرح الفرجية عليه وقدَّم الرداءَ بين يديه فأخذه ولبسه .

ومن شعره في الحبس :

ما بال قوميَ يجفوني أكابرهم أإن أطاعتهمُ الأيام والدولُ
أإن تقاصر عني الحالُ تقطعني عُراهمُ ساء ما شاءوا وما فعلوا
أغراهمُ أن هذا الدهرَ أسكتني عنهم وتنطقُ فيه الشاءُ والابلُ
قدماً رُمِيتُ فلم تبلغْ سهامهمُ وأخطأ الناسُ من مَرمِيِّهُ زُحَلُ

وله :

يقول لي الواشون كيف تحبها فقلتُ لهم بين المقصر والغالي
ولولا حذاري منهمُ لَصَدَقْتُهُمْ وقلتُ هوىً لم يَهْوَهُ قَطُّ أمثالي
وكم من شفيق قال ما لك واجماً فقلت أبي ما بي وتسألني مالي

قال أبو الحسين ، وحدثني أبو الفتح منصور بن محمد بن المقدر الأصبهاني قال ، حدث أحد أصحاب أبي الفضل ابن العميد المختصين به قال : كان أبو الفتح ابن أبي الفضل يباكر أباه في كلّ يوم ويدخل إليه قبل كلّ أحد ، فاتفق أن دخل يوماً وأنا جالسٌ عنده ، فلما رآه مقبلاً في الصحن وشاهد عمته وكانت ديلمية ، ومشيَتَهُ وهو يختالُ فيها ويسرفُ في تلويها ، عجب من ذاك وقال لي : أما ترى إلى هذه العمة وهذه المشية في مخالفتها لعادتنا ومفارقتها طريقتنا؟! فقلت : قد رأيتُ ، وإن رَسَمَ الأستاذ أن أخاطبه فيها وأنهاه عنها فعلت ، فقال : لا تفعلْ فانه قصيرُ العمرِ وما أُحبُّ أن أُدخل على قلبه همّاً ولا أمنعه هوىً . وقد روي أن أبا الفضل وجد له رقعةً كتبها إلى بعض من ينبسط إليه وفيها[1] :

أديبنا المعروفُ بالكردي يُولَعُ بالغلمانِ والمردِ
أدخلني يوماً إلى داره فناكني والأير من عندي

(1) انظر أخلاق الوزيرين : 159 ورواية الأول فيه : يريده في غلظ المردي .

فلما وقف ابن العميد أبوه على ذلك غضب وقال : أمثل ولدي يكتب مثل هذا الفحش والفجور ؟! ثم قال : أما واللّه لولا ولولا ولولا ثم أمسك كأنه يشيرُ إلى ما حُكِمَ له من سوءِ العاقبة وقصر العمر .

حكى أبو الحسين ابن فارس مما أورده أبو منصور في « اليتيمة » قال[1] : كنت عند الأستاذ أبي الفتح ابن العميد في يوم شديد الحرّ ، فرمت الشمس بجمرات الهاجرة فقال لي : ما قول الشيخ في قلبه ، فلم أُحِرْ جواباً لأني لم أفطن لما أراد ، ولما كان بعد هنيهةٍ أقبل رسولُ الأستاذ الرئيس يستدعيني إلى مجلسه ، فقمت إليه ، فلما مثلتُ بين يديه تبسم ضاحكاً إلي وقال : ما قولُ الشيخ في قلبه ؟ فبهتّ وسكت ، وما زلتُ أفكر حتى انتبهت على أنه أراد الخيش ، وكان من يشرف على أبي الفتح من جهة أبيه أتاه بتلك اللفظة في تلك الساعة ، فدعاني لفرط اهتزازه لها ما اراد مجاراتي فيها ، وقرأت صحيفة السرور من وجهه إعجاباً بها ، ثم أخذت أتحفه بنكت نثره وملح نظمه ، فكان مما أعجب به وتعجب منه واستضحك له حكايتي رقعةً وردت له عليّ وصدرها : وردت رقعة الشيخ أصغر من عنفقة بقة ، وأقصر من أنملة نملة .

وقرأت في «تاريخ» أبي المعالي زين الكفاة الوزير أبي سعد منصور بن الحسين الآبي قال : كان عضد الدولة ينقم على أبي الفتح ابن العميد أشياء ، وكان من أعظمها في نفسه حديثه ببغداد لما خرج لنجدة بختيار ، فإنه جَرَّدَ القولَ والفعل في ردّ عضد الدولة عن بغداد ، وأقام لنفسه بذلك ببغداد سوقاً تقدم بها عند أهل البلد والخليفة حتى لقبه الخليفة ذا الكفايتين وكنّاه في كتابه بأبي الفتح . ولما انصرف عضد الدولة عن بغداد وقد ظهرتْ له مخايلُ الغدر من بختيار وقيام أهل بغداد عليه وتصريحهم بالشتم له ولقبوه زريقاً الشارب ، وذلك أن عضد الدولة تقدم باتخاذ مزمّلة في داره ليشربَ منها الجند والعامة ، ولم يكن عُهِدَ مثل ذلك في دورِ السلاطين قبلُ ، وكان في نفسه أزرقَ العين فلقبوه بذلك ، فكان يقول : خرجتُ من بغداد وأنا زريقُ الشارب ، وابن العميد الوزير ذو الكفايتين أبو الفتح . فلما مات ركن الدولة في ست

(1) اليتيمة 3 : 186 وسقطت القصة من ك .

وستين وثلاثمائة لأربع بقين من المحرم ضبط أبو الفتح ذو الكفايتين الأمر أحسنَ ضبط وسكَّنَ العسكر وفرَّق فيهم مال البيعة ، وكان مطاعاً في الديلم محبباً إليهم كثيرَ الإفضالِ عليهم ، وبادر بالخبر إلى مؤيد الدولة وهو باصفهان ، فورد الري ومعه وزيره الصاحب أبو القاسم إسماعيل بن عباد يوم السبت لثلاث خلون من صفر وجلس للتعزية ثم انتصب في مكان أبيه ، وكانت له هيبة وسياسة وفيه سخاء وسماحة ، وخلع على أبي الفتح ابن العميد ذي الكفايتين خلع الوزارة وفوّض إليه الأمر يوم الأربعاء لخمس خلون من شهر ربيع الأول ، وكان الصاحب يرغبُ أن يقيم بالري ويخلفه فلم يأمن أبو الفتح جانبه وضرب الحجابَ الشديد بينهما ، وخوّفوه منه لمحلّه من الصناعة ولمكانه من قلب مؤيد الدولة ، فأراد إبعاده عن الحضرة ليتمكنَ من الايقاع به إن أراد ذلك ، وأشار على مؤيد الدولة بأن يردَّه إلى أصفهان ليدبر أعمالها والمقام بها ، فخلع عليه على رسم الوزارة القباء والسيف والمنطقة وما يجري مع ذلك، وخرج يوم الأحد لثمانٍ خلون من شهر ربيع الأول سنة ست وستين وثلاثمائة ، وأخذ مؤيد الدولة في التدبير على ابن العميد والاحتيال للقبض عليه ، ولم يكن يُقْدِمُ على ذلك لمحلِّ الرجل في قلوب الديلم وانصبابهم بمودتهم إليه وإخلاصهم في الموالاة إليه، وكان ذلك أقوى الدواعي لمحنته وآكدَ أسبابِ نكبته ، فإنه كان مقتبلَ الشباب قليلَ التجارب غير مفكر في العواقب قد ولد في النعمةِ الضخمة ونشأ فيها ، وخَلَفَ أباه وله دون خمس عشرة سنة ، وتولى الوزارة وله إحدى وعشرون سنة ، واعتاد خدمة الأمراء والقواد ومثولهم بين يديه وتنافسهم في خدمته ، وكان يركبُ إلى الصيد وإلى الميدان لضرب الصوالجة فيتبعه أكثرُ أكابرِ الحضرة فيترجلون له ويمشون بين يديه ، ثم يضيف في أكثر أيامه جماعةً منهم فيخلعُ عليهم أنواعَ الخلع النفيسة ويحملهم على الدوابّ الفُرْهِ بالمراكب الثقيلة، وكان ركنُ الدولة يُرْخِصُ له في ذلك وَيُعْجِبُهُ منه، فإنه كان تربيته وابن من طالت له صحبته وخدمته ، فلما انتقل الأمرُ إلى مؤيد الدولة لم يصبر عليه ، وكانت الأمورُ أيضاً بعد على غايةٍ من الاضطراب فلم يسكن إليه ، وذلك أنَّ فخر الدولة كان مداجياً لأخويه ، وكان أحبَّ إلى الديلم منهما فلم يأمناه وكان عز الدولة مكاشفاً بالخلافِ وبينه وبين ابن العميد ما قدمنا ذكره من المصافاة فاستراب به ، واجتمع إلى هذه الأحوال ما ذكرناه من حَنَقِ عضد الدولة عليه مما قدَّمه في حقه عند كونه ببغداد ،

وامتدت العينُ إلى ضياعه وأمواله وخزائنه وأسبابه ودوره وعقاره وبساتينه ، فإنه كان يملكُ من ذلك ما يملأُ العينَ ويفوتُ الوهم ، فراسل عضدُ الدولة أخاه مؤيد الدولة على لسان أبي نصر خواشاذه المجوسي ، وكان من ثقاته وأماثل أصحابه ، بالقبضِ عليه ، بعد أن يوافقَ عليَّ بن كامة على أمره ، ليؤمن ناحية العسكر وثوبهم بمكانه ، وجعلوا يُجيلون الرأيَ أياماً ، ويركب خواشاذه إلى عليّ بن كامة ليلاً ويجاريه في ذلك إلى أن اتفقوا يوم السبت سادس عشر شهر ربيع الآخر على القبض عليه عند بكوره من الغد إلى الدار ، وكان عشيةَ هذا اليوم خواشاذه عند علي بن كامة ولابن العميد ضيافة قد اجتمع فيها جماعةٌ من القوّاد ، فارتاب مؤيدُ الدولة بالأمرِ وقدَّر أنه قد أحسَّ بالسرّ وجمع الديلم لتدبيرٍ عليه وامتناعٍ منه ، فلما عاد إلى عنده خواشاذه أمره أن يلم بابن العميد ليتفرَّسَ فيه وفي المجتمعين عنده ما هو بصدده ، فدخل عليه والرجلُ مشتغلٌ بقصفه متوفرٌ على طربه ، فتأمله وعاد ، وأراد أن يحبسه عنده فامتنع ورجع إلى الدار ، فقال لمؤيد الدولة : الرجل غارٌّ غافلٌ فلا يهمنك أمره . وبكّر ابنُ العميد سَحَراً إلى دار الامارة ، وكان الرسمُ إذ ذاك أن يحضروها بالشموع والمشاعل قبل الصباح ، فلما وصل إلى مؤيد الدولة تقدم إليه علي بن كامة وكلمه في حاجة له فوعده بها فقال : قد وعدتني بها غيرَ مرةٍ ولم تقضها ، وأخذ بيده فجذبه من مكانه ، وكان قد كمن له في الممرِّ جماعةٌ من خواصِّ الديلم وثقاتِ مؤيد الدولة ، فعاونوه على إخراجه من ذلك البيت وإدخاله إلى حجرة هناك وتقييده ، وذلك في يوم الأحد سابع شهر ربيع الآخر ، وأدخلت عليه الشهود فشهدوا عليه ببيع أملاكه جميعها وضياعه ومستغلّاته من مؤيد الدولة ، فلما حضر العدول أخرج إليهم كتاباً كان كتبه بطلاق امرأته ابنة جستان وأشهدهم طائعاً على نفسه بذلك ، وقيل إنه إنما فعل ذلك خوفاً من مؤيد الدولة أن يفضحه فيها ، فأراد أن ينفصلَ منها وتَبينَ منه لئلا يلزمه العار فيها ، ولما حضروا للعقد بالبيع كشف للعدول عن قيده وأقرَّ بالبيع ، ثم اتفق أن أُفرج عن محبوس كان في الدار ، فعدا غلامٌ له مستبشراً وقال : قد أُفرج عن الأستاذ ، يريد أستاذ نفسه ، وصكَّت الكلمةُ أسماعَ العامة فتباشروا وظنوا أنه قد أُفرج عن أبي الفتح ، وصارت البلدةُ صيحةً واحدة ، واجتمع من أهل البلد على باب السلطان وميدانه وفي داره ما غصَّتْ به الأماكنُ وامتلأت منهم الشوارع والمساكن ، وركب الديلم بأجمعهم

مستبشرين ، وتلقوه على زعمهم في الخدمة فرحين ، ورأى مؤيدُ الدولة من ذلك ما هاله وقدّر أنّ العسكر قد ركب لاستنقاذه ، فلما عرف حقيقةَ الحال سكن وأمر بطردِ العامة ، وأركبَ الحجاب لطرد القواد والديلم ، وأنفذَ في تلك الليلة ابن العميد إلى قلعة استوناوند ، وقتل فيها بعد أيام وَرُدّ رأسه .

قال الوزير أبو سعد : وسمعت الصاحب كافي الكفاة رحمه الله يذكر أمره فقال في أثناء كلامه : إن مؤيد الدولة قال لي عند خروجي إلى أصبهان : إن ورد عليك كتاب بخطي أو جاءك أجلُّ حُجّابي وثقاتي للاستدعاء فلا تبرحْ من أصفهان ولا تفارقها إلى أن يجيئك فلان الركابي فإنه إن اتجهت لي حيلةٌ على هذا الرجل وأمكنني اللّه من القبض عليه بادرتُ به إليك ، وهو العلامة بيني وبينك ، قال : فاستعظمت لحداثةِ سنّي وغرة الصبا وقلة التجربة ما حكاه الصاحبُ من قول مؤيد الدولة « ان اتجهت لي حيلةٌ على هذا الرجل » وتعجبتُ منه ، وأردتُ الغضَّ من أبي الفتح والتقربَ بذلك إلى الصاحب فقلت : وكأنَّ لأبي الفتح من القدر أن يصعب حبسه أو يحتاج صاحبه إلى الاحتيال معه ؛ فانتهرني الصاحب وقال : يا فلان أنت صبيّ تحسب أن القبضَ على الوزراء سهل ، ففطنت أنه يريد الرفعَ من شأن الوزارة وتفخيمَ أمرها فعدلتُ عن كلامي الأوّل إلى غيره .

قال أبو حيان[1] حدثني أبو الطيب الكيمائي قال : قلت لأبي الفضل بعد أن سمَّ الحاجب النيسابوري ، وبعد أن خطب على حمد ، ودسَّ إلى ابن هندٍ وغيرهم من أهل الكتابة والمروءة والنعم : لو كففتَ فقد أسرفت ، فقال : يا أبا الطيب أنا مضطر ، قال فقلت : وأي اضطرارٍ هاهنا ، واللّه إن مخادعتنا لأنفسنا في ضرّنا ونفعنا لأعجبُ من مكابرةِ غيرنا لنا في خيرنا وشرنا ، وهذا واللّه رَيْنُ القلوبِ وصدأ[2] العقل وفساد الاختيار وكَدَرُ النفسِ وسوءُ العادة وعدم التوفيق ، فقال : يا أبا الطيب أنت تتكلم بالظاهر وأنا أحترق في الباطن ، قال فقلت : إن كان عذرك في هذه السيرةِ المخالفةِ لأهل الديانة وأصحاب الحكمة قد بلغ هذا الوضوحَ والجلاءَ فإنك معذورٌ عندنا ،

---

(1) أخلاق الوزيرين : 384 وفي ك : قال أبو الفتح حدثني .... الخ .

(2) ك : وصدّ .

ولعلك أيضاً مأجورٌ عند اللّٰه مالكِ الجزاء ، وإن كنت تعلم حقيقةَ ما تراجعني عليه القولَ وتناقلني به الحجاج إنك من الخاسرين الذين باءوا بغضب من اللّٰه على مذاهب الناس أجمعين ، فبكى فقلت له : البكاء لا ينفع إن كان الاقلاع ممكناً ، والندم لا يجدي متى كان الإصرارُ قائماً ، هذا كله بسبب ابنك أبي الفتح ، واللّٰه إن أيامه لا تطول ، وإن عيشه لا يصفو ، وإن حاله لا يستقيم ، وله أعداء لا يتخلص منهم ، وقد دلَّ مولده على ذلك ، وانك لا تدفعُ عنه قضاءَ اللّٰه وهو لا يغني عنك من اللّٰه شيئاً ، فعليك بخُوَيِّصَة نفسك .

قال أبو حيان[1] وقد ذكر ابن عبادٍ وأبا الفضل بن العميد ثم قال : وأما أبو الفتح ذو الكفايتين فإنه كان شاباً ذكياً متحركاً حسنَ الشعر مليحَ الكتابة كثيرَ المحاسن ولم يظهر كل ما كان في نفسه[2] لقصر أيامه واشتعال دولته وطفئها بسرعة . ومن شعره :

إني متى أهــززْ قنـاتي تنتشــرْ　　أوصــالُهَـا أنبــوبـةً أنبــوبــا
أدعـو بعاليهـا العـلا فتجيبني　　وأقي بحدِّ سنانها المرهوبا[3]

وله[4] كلام كثيرٌ نظمٌ ونثر ، وله في صفةِ الفرس ما يوفي على كلٍّ منظوم ، ولو أبقته الأيام لظهر منه كل فضل كبير . ودخل بغداد فتكلَّفَ واحتفل ، وعقد مجالسَ مختلفةً للفقهاء يوماً وللأدباء يوماً وللمتكلمين يوماً وللمتفلسفين يوماً ، وفرق أموالاً خطيرة ، وتفقد أبا سعيد السيرافي وعلي بن عيسى الرماني وغيرهما ، وعرض عليهما المسيرَ معه إلى الري ووعدهم ومنّاهم وأظهر المباهاة بهم ، وكذلك خاطب أبا الحسن ابن كعب الأنصاري وأبا سليمان السجستاني المنطقي وابن البقال الشاعر وابن الأعرج النمري وغيرهم ، ودخل شهر رمضان فاحتشد وبالغ ووصل ووهب ، فجرت في هذه المجالس غرائب العلم وبدائع الحكمة ، وخاصة ما جرى[5] مع أبي الحسن

---

(1) أخلاق الوزيرين : 406 .
(2) أخلاق : في قوته .
(3) ك : المكروبا .
(4) أخلاق الوزيرين : 410 .
(5) أخلاق : ما جرى للمتفلسفين .

العامري ، ولولا طول الرسالة لرسمت ذلك كله في هذا المكان[1] ، فمن طريف ما جرى وفي سماعه فائدة واعتبار خبر أبي سعيد السيرافي مع أبي الحسن العامري (وقد ذكرته في أخبار السيرافي) .

قال أبو حيان[2] : وحضرت المجلس يوماً آخر مع أبي سعيد وقد غصَّ بأعلام الدنيا وَبِبُرُدِ[3] الآفاق ، فجرى حديث أبي إسحاق الصابىء فقال ذو الكفايتين : ذاك رجلٌ له في كلّ طرازٍ نسج وفي كل حومة[4] رهج وفي كل فلاة ركب ، ومن كل غمامة سكب ، الكتابة تدَّعيه بأكثرَ مما يدعيها والبلاغةُ تتحلّى به بأحسنَ مما يتحلَّى هو بها ، وما أحلى قوله :

حمراءُ مصفرَّةُ الأحشاءِ باعثةٌ طيباً تخالُ به في البيتِ عطارا
كأن في وجهه تبراً يخلِّصُهُ قَيْنٌ يُضَرِّم في أفنانه[5] النارا

وقوله :

ما زلت في سكري ألمع كفَّها وذراعها بالقرص والإثآرِ
حتى تركتُ أديمها وكأنما غُرِسَ البنفسجُ منه في الجمارِ

وبلغ المجلسُ أبا اسحاق فحضر وشكر ، وطوى ونشر ، وأورد وأصدر ، وكان كاتبَ زمانه لساناً وقلماً وشمائل ، وكان له مع ذلك يدٌ طولى في العلم الرياضي ، وسمعت أبا إسحاق يقول : هو ابن أبيه للّه دره ، وأخذ في تعظيم ابيه .

قال عبد الله الفقير إليه : وقد ذكر أبو حيان قصة أبي الفتح ابن العميد وسبب القبض عليه مبسوطةً مشروحة ، وقد نقلتها هاهنا عنه بكمالها فإني لم أجد أحداً ذكرها أكمل منه ، قال[6] : لما مات ركن الدولة سنة ست وستين وثلاثمائة اجتمع ذو الكفايتينِ أبو الفتح وعلي بن كامة أحد أمراء الديلم والأعيان وتعاهدا وتواثقا وتحالفا ، وبذل كلٌّ واحدٍ منهما الاخلاصَ لصاحبه في المودة في السرّ والعلانية والذب والتوقير

---

(1) م : الكتاب .
(2) أخلاق الوزيرين : 414 .
(3) أخلاق : وبنود .
(4) أخلاق : فضاء .
(5) أخلاق : أوراقه .
(6) أخلاق الوزيرين : 532 وما بعدها .

عند الصغير والكبير ، واجتهدا في الأيمان الغامسة والعقود الموثقة ، ودبّرا أمْرَ الجيشِ ووعدا الأولياء وردًا النافر وركبا الخطر الحاضر وعانقا الخطبَ العاقر ، وباشركلَّ ذلك أبو الفتح خاصةً بجدٍّ من نفسه وصريمةٍ من رأيه وجودةِ فكره وصحةِ نيته وتوفيق ربه . فلما ورد مؤيدُ الدولةِ الريّ من أصبهان وصادف الأمرَ متسقاً ولحق كلَّ فتى مرتتقاً بما تقدَّم من الحزم فيه ونفذ من الرأي الصائب عنده ، أنكر الزيادةَ الموجبة للجند فكرهها ودمدم بذكرها ، فقال له أبو الفتح : بها نظمتُ لك الملكَ وحفظتُ لك الدولة وصنتُ الحريم ، فان خالفتْ هذه الزيادةُ هواك فأسقطها فاليد الطولى لك ، وكان ابن عباد قد ورد وَحَطَبُهُ رطبٌ وتنوره بارد وأمره[1] غير نافذ ، هذا في الظاهر ، فأما في الباطن فكان يخلو بصاحبه وَيُوثِبُهُ على أبي الفتح بما يجدُ السبيلَ إليه من الطعن والقدح ، فأحسَّ بذلك ابنُ العميد . فألَّبَ الأولياءَ على ابن عباد حتى كثر الشغب وعظم الخطب وهمَّ بقتله وقال للأمير : ليس من حق كفايتي في الدولة ـ وقد انتكث حبلها وقويت أطماعُ المفسدين فيها ـ أن أُسام الخسف ، والأحرارُ لا يصبرون على نظراتِ الذل وغمزاتِ الهوان ، فقال له في الجواب : كلامك مسموعٌ ورضاك متبوع ، فما الذي يُبَرِّدُ فورتك عنه ؟ قال : ينصرف إلى اصفهان موفوراً ، فواللّه لو طالبتَهُ منصفاً برفع الحسابِ لما نظر فيه ليعرقنَّ جبينه ، ولئن أحسَّ الأولياءُ الذين أصطنعهم بمالي وأفضالي بكلامه في أمري وسعيه في فساد حالي ليكوننَّ هلاكه على أيديهم أسرعَ من البرق إذا خطف ومن المزن إذا نطف ، فقال له : لا مخالفَ لرأيك والنظرُ لكَ والزمامُ بيدك . وتلطف ابن عباد في خلال ذلك لأبي الفتح وقال له : أنا أتظلَّمُ منك إليك ، وأتحمَّلُ بك عليك ، وهذا الاستيحاشُ سهلُ الزوالِ إذا تألفتَ الشاردَ من حلمك وعطفتَ على الشائع من كرمك ، ولّني ديوانَ الإنشاءِ واستخدمني فيه ورتبني بين يديك وأحضرني بين أمرك ونهيك ، وَسُمْني برضاك فاني صنيعة والدك ، واتخذني بهذا صنيعةً لك ، وليس يجملُ أن تكرَّ على ما بنى ذلك الرئيسُ فتهدمه وتنقضه ، ومتى أجبتني إلى هذا وآمنتني فإني أكون خادمك لحضرتك وكاتباً يطلبُ الزلفة عندك في صغير أمرك وكبيره ، وفي هذا إطفاءُ النائرة التي قد ثارت بسوءِ ظنك وتصديقك أعدائي عليّ ، فقال في الجواب :

(1) أخلاق : وزرقه .

والله لا تجاورني في بلدِ السرير وبحضرة التدبير وخلوة الأمير ، ولا يكونُ لك إذنٌ عليّ ولا عينٌ عندي ، وليس لك منّي رضىً إلا بالعود إلى مكانك من أصبهان والسلوّ عما تحدّث به نفسك . فخرج ابن عباد من الريّ على صورة قبيحة متنكراً بالليل ، وذلك أنه خاف الفتك والغيلة ، وبلغ أصبهانَ وألقى عصاه بها ونفسُهُ[1] تغلي وصدرُهُ يفور ، والخوفُ شاملٌ والوسواس غالب ، وهمَّ أبو الفتح بانفاذ من يطالبه ويؤذيه ويهينه ويعسفه فأحسَّ هو بالأمر ، فحدثني أبو النجم قال : عمل على ركوب المفازة إلى نيسابور لما ضاق عَطَنه واختلف على نفسه ظَنّه ، وإنه لفي هذا وما أشبهه حتى بلغهم أن خراسان قد أزمعت الدلوفَ إليهم وتشاورت في الاطلالِ عليهم ، فقال الأمير لأبي الفتح ، ما الرأيُ وقد نمي إلينا ما تعلم من طمع خراسان في هذه الدولة بعد موت ركن الدولة ؟ فقال أبو الفتح : ليس الرأي إليّ ولا إليك ولا الهم عليّ ولا عليك ، هاهنا من يقول لك : أنت خليفتي ، ويقول لي : أنت كاتب خليفتي ، يدبر هذا بالمال والرجال ، وهو الملك عضد الدولة أخوك ، قال : فاكتب إليه وأشعره وأشعْ ما قد منينا به وأشهره وسله يداوي هذا الداء ، فكتب أبو الفتح وتلطف ، فصدر في الجواب : إن هذا لأمرٌ عجاب : رجل مات وخلف مالاً وله ابنٌ فلم يحمل إليه من ارثه شيء ، زوياً عنه واستئثاراً دونه ، ثم يخاطَبُ بأن يغرم شيئاً آخر من عنده قد كسبه بجهده وجمعه بسعيه وكدحه؟! هذا والله حديثٌ لم نسمع بمثله ، ولئن استفتي الفقهاءُ في هذا لم يكنْ عندهم منه بتة إلا التعجب والاستطراف ورحمة هذا الوارث المظلوم من وجهين : أحدهما أنه حُرِمَ ماله بحقّ الارث ، والآخر أنه يطالَبُ باخراج ما ليس عليه ، وإن شاء حاكمت كل من سام هذا إلى من يرضى به . فلما سمع مؤيد الدولة هذا قال لأبي الفتح : ما ترى ؟ قال : قد قلتُ وليس لي قولٌ سواه ، هذا الرجلُ هو الملك والمدبرُ والمالُ كلُّه ماله ، والبلادُ بلاده ، والجندُ جنده ، والكلُّ له ، والاسم والجلالة عنده ، وليس هاهنا إرثٌ قد زُوِيَ عنه ، ولا مالٌ استؤثر به دونه ، والنادرةُ لا وجه لها في أمر الجدّ وفيما لا تعلق له باللعب ، أما خراسانُ فكانت مذ عشرين سنة تطالبنا بالمال وتهددنا بالمسير والحرب ، ونحن مرةً نحاربُ ومرةً نسالم ، وفي خلالِ ذلك نفرق

---

(1) ك : وَقِدْرُهُ .

المال بعد المال على وجوه مختلفة ، فاحسبْ أن ركن الدولة حيٌّ باق هل كان له إلا أن يدبرَ بماله ورجاله وذخائره وكنوزه ؟ أفليس هذا الحكم لازماً لمن قام مقامه وجلس مجلسه وألقي إليه زمام الملك وأصدر عنه كل رأي ؟ وهل علينا إلا الخدمة والنصرة والمناصحة بكلّ ما سَهُلَ وَصَعُبَ كما كان عليه ذلك بالأمس من جهة الماضي ؟ فقال مؤيد الدولة : إنَّ الخطب في هذا أراه يطولُ والكلامَ يتردد والمناظرةَ تربو والفريضة تَعُول والفرصةَ تفوتُ والعدوّ يستمكن ، وأرى في الوقت أن نذكر وجهاً للمال حتى نحتجَّ به ثم نستمدّ في الثاني منه ، ونرضي الجند في الحال ، ونتحزم في الأمر ونظهر المرارةَ والشكيمة بالاهتمام والاستعداد حتى يطير الخبرُ إلى خراسان بجدنا واجتهادنا وحزمنا واعتمادنا ، فيكون ذلك مكسرةً لقلوبهم وحسماً لأطماعهم وباعثاً على تجديد القول في الصلح وردِّ الحال إلى العادة المألوفة ، فقال : نسأل اللّه بركةَ هذا الأمر فقد نُشِيتْ منه رائحةٌ منكرة ، ما أعرفُ للمال وجهاً ، أما أنا فقد خرجتُ من جميع ما عندي مرةً بما خدمتُ به الماضي تبرعاً حدثانَ موت أبي ، ومرةً بما طالبني به سرّاً وأوعدني بالعزل والاستخفاف من أجله ، ومرةً بما غرمت في المسير إلى العراقِ في نصرة الدولة ، وهذه وجوهٌ استنفدت قُلِّي وكثري وأتت على ظاهري وباطني ، وقد غرمتُ إلى هذه الغاية ما إن ذكرته كنت كأني ممتنٌّ على أولياء نعمتي ، وإن سكتُّ كنتُ كالمتهم عند من يتوقَّعُ عثرتي ، فهذا هذا ، وأما أموالُ النواحي فأحسنُ حالنا فيها أنا نرجئها في نواحيها مع النفقة الواسعة في الوظائف والمهمات التي تنوبنا ، وأما العامة فلا أحوجَ اللّه إليها ولا كانت دولةٌ لا تثبتُ إلا بها وبأوساخ أموالها ، فقال مؤيد الدولة ـ وكان ملقناً ـ : هذا ابن كامة وهو صاحب الذخائر والكنوز والجبال والحصون ، وبيده بلاد ، وقد جمع هذا كله في دولتنا وحازه من مملكتنا وأيامنا وبدولتنا وهو جامٌّ ما شِيكَ ومختومُ ما فُضَّ مذ كان ، ما تقول فيه ؟ قال : ما لي فيه كلام فإن بيني وبينه عهداً ما أَخيسُ به ولو ذَهَبَتْ نفسي ، فقال : اطلبْ منه القرض ، قال : إنه يستوحش ويراه باباً من الغضاضة ، وقدرُ القرضِ لا يبلغ قدر الحاجة ، فان الحاجةَ ماسة إلى خمسمائة ألف دينار على التقريب ، ونفسه أنفعُ لنا وأردُّ علينا وأحصنُ لنا وإلينا من موقع ذلك المال ، وبعدُ فرأيه وتدبيره واسمه وصيته فوقَ المطلوب منه . قال : وإذ ليس هاهنا وجه فليس بأسٌ بأن يطالع الملك بهذا الرأي لتكون نتيجته من ثمّ ، قال : أنا لا أكتبُ بهذا فإنه

غدر، قال: يا هذا فأنت كاتبي وصاحبُ سري والزمامُ في جميع أمري ولا سبيلَ إلى إخراج هذا الحديث إلى أحدٍ من خلق اللّه ، فإن أنت لم تتولَّ حارَّه وقارَّه وغثَّه وسمينه ومحبوبه ومكروهه فمن ؟ قال : أيها الأمير لا تَسُمْني الخيانةَ فإني قد أعطيتـه عهداً يَذَرُ الديارَ بلاقع ، ومع اليوم غدٌ ، ولعن اللّه عاجلةً تُفْسِدُ الآجلة . فقال : إني لست أسومك أن تقبضَ عليه وأن تسيء إليه ، أشرْ بهذا المعنى إلى الملك عضد الدولـة وَخَلاك ذمّ ، فإن رأى الصوابَ فيه تولّاه دونك ، وإن أضرب عنه أعاضنا رأياً غير ما رأيناه، وأنت على حالك لا تنزلُ عنها ولا تُبَدِّلُهَا، وإنما الذي يجبُ عليك في هذا الوقت بين يديَّ كَتْبُ حرفين : أنه لا وجه لهذا المال إلا من جهة فلان ، ولستُ أتولى مخاطبته عليه ولا مطالبته به وفاءً له بالعهد وثباتاً على اليمين وجرياً على الواجب ، ولا أقل من أن تجيب إلى هذا القـدر وليس فيه شيء ممـا يدلّ على النكث والخـلاف والتبديل . وما زال هذا وشبهه يتردد بينهما حتى أخذ خطَّه بهذا على أن يصدره إلى أخيه عضد الدولة بفارس ، فلما حصل هذا الخط عنده وجنَّ عليه الليل أحضر ابنَ كامة وقال له : أما عندك حديث هذا المخنّث فيما أشار به على الملك في بابك ، وأورد عليـه في حقّك وأَمْـرِك وإطماعـه في مالـك ونفسك وتكثيـره عنـده مـا تحت يـدك وناحيتك ؟! فقال ابن كامة : هذا الفتى يرتفعُ عن هذا الحديث ولعلَّ عدوّاً قد كاده به ، وبيني وبينه ما لا منفذَ للسحر فيه ولا مساغ لظنّ سيء به ، قال : ما قلتُ لك إلا بعد أن حققتُ ما قلت ، ودع هذا كله في الريح ، هذا كتابُهُ إلى الملك بما عَرَّفْتُكَ ، وخطُّه بيده فيه ، قال علي بن كامة : أنا لا أعرف الخطَّ ولكن هاتوا كاتبي ، فأُحضر كاتبه الخثعمي فشهد أنَّ الخط خطه ، فحال علي بن كامة عن سجيته وخرج من مُسْكِه وقال : ما ظننتُ بعد الأيمان المغلّظة التي بيننا أنه يستجيزُ مثلَ هذا ، قال الأمير : أيها الرجل إنما أطلعك الملك على سرّ[1] هذا الغلام فيك لتعرفَ فسادَ ضميره لك وما هو عليه من هناتٍ أخر وآفاتٍ هي أكبر ، فانه هو الذي حرَّكَ مَنْ بخراسان وكاتَبَ صاحبَ جرجان وألقى إلى أخينا بهمذان ـ يعني فخر الدولة ـ أخبارنا ، وهو عينٌ لبختيار هاهنا ، وقد اعتقد أنه يعمل في تحصيلِ هذه البلاد ويكونُ وزيراً بالعراق ، فقد ذاق من بغداد ما لا يخرجُ من ضرسه إلا بنزع نفسه . وكان أبو نصر المجوسيّ قد قدم من عند الملك

(1) ك : نية .

عضد الدولة وهو يفتل الحبل وَيُبْرِمُ ، ويهابُ مرة ويقدم ، وكان الحديثُ قد بُيِّتَ بليلٍ واهتم به قبل وقته بزمان ، فقال علي بن كامة : فما الرأي الآن ؟ قال : لا أرى أمثلَ من طاعة الملك في القبض عليه ، وقد كنّا على ذلك قادرين ، ولكن كرهنا أن يُظَنَّ بنا أنا هجمنا على ناصحنا ومرتّب نعمتنا وناشيءِ دولتنا فمهدنا عندك العذرَ وأوضحنا لك الأمر ، قال فأنا أكفيكموه ثم قبض عليه وكان منه ما كان ، واستدعى ابن عباد من أصفهان وولي الوزارة ودبَّرها برأي وثيق وجدّ زنيق .

وذكر أبو علي مسكويه في بعض كتبه قال[1] : كان حسنويه بن الحسين الكردي قد قوي واستفحل أمره لما وقع من الشغلِ عنه بالفتوح الكبار ، لأنه كان إذا وقع حربٌ بين الخراسانية وبين ركن الدولة أظهر عصبيةَ الديلم وصار في جملتهم وخدم خدمةً يستحقُّ بها الاحسان ، إلا أنه كان مع ما أُقطع وأُغضي عنه من الأعمال التي تبسَّط فيها والاضافات التي يستولي عليها ربما تعرض لأطرافِ الجبل وطالب أصحابَ الضياع وأربابَ النعم بالخفارة والرسوم التي يُبْدِعها ، فَيُضْطَرُّ الناسُ إلى إجابته ، ولا يناقشه السلطان ، فكان يزيد أمره على الأيام ويتشاغل الولاةُ عنه ، إلى أن وقع بينه وبين سهلان بن مسافر خلاف ومشاحّة تلاجّا فيها ، إلى أن قصده ابنُ مسافر فهزمه حسنويه ، وكان يظنّ ابنُ مسافر أنه لا يكاشفه ولا تبلغُ الحربُ بينهما إلى ما بلغت إليه ، فلم تقف الحرب بينهما حيثُ ظنَّ وانتهى الأمر بينهما إلى أن اجتمع الديلم وأصحابُ السلطان بعد الهزيمة إلى موضع شبيه بالحصار ، ونزل الأكرادُ حواليهم ومنعوهم من الميرة وتفرقوا بازائهم ، ثم زاد الأمر وبلغ إلى أن أمر حسنويه الأكرادَ أن يحملَ كلُّ فارسٍ منهم على رأس رمحه ما أطاق من الشوك والعرفج ويقرب من معسكر سهلان ما استطاع ويطرحه هناك ، ففعلوا ذلك وهم لا يدرون ما يريد بذلك ، فلما اجتمع حول عسكر سهلان شيءٌ كثير في أيام كثيرة تقدَّمَ بطرح النار فيه من عدة مواضع فالتهب ، وكان الوقت صيفاً وحميت الشمس عليهم مع حرِّ النار ، فأُخِذَ بكظمهم وأشرفوا على التلف ، فصاحوا وطلبوا الأمان ، فَرَفَقَ بهم وأمسك عما همَّ به ، وبلغ ذلك ركنَ الدولة فلم يحتملْ ذلك كلَّه ، وتقدم إلى وزيره أبي الفضل محمد بن الحسين العميد ، وهو

---

(1) تجارب الأمم 2 : 270 ـ 274 .

الأستاذ الرئيس ، بقصده واستئصال شأفته ، وأَمَرَه بالاستقصاءِ والمبالغة ، فانتخب الأستاذُ الرئيسُ الرجالَ وخرج في عدة وزينة ، وخرج ركن الدولة مشيعاً له ، وخلع على القواد ، ووقف حتى اجتاز به العسكر وعاد إلى الريّ ، وسار الوزير ومعه ابنه أبو الفتح ، وكان شاباً قد خلف أباه بحضرة ركن الدولة وعرف تدبيرَ المملكة وسياسة الجند ، فهو بذكائه وحدّة ذهنه وسرعة حركته قد نَفَقَ نفاقاً شديداً على ركن الدولة ، وهو مع ذلك لقلة حنكته وَنَزَقِ شبابه وتهوُّره في الأمور يُقْدِمُ على ما لا يقدم عليه أبوه ، ويحبُّ أن يسير في خواصِّ الديلم ويمشون بين يديه ويختلط بهم اختلاطَ من يستميل بقلوبهم ، ويخلع عليهم خلعاً كثيرة، ويحمل رؤساءهم وقوادهم على الخيول الفره بالمراكب الثقال، ويريد بجميع ذلك[1] أن يُسَلِّموا له الرئاسةَ حتى لا يأنفَ أحدٌ منهم من تقبيل الأرض بين يديه والمشي قدامه إذا ركب ، وكان جميع ذلك مما لا يؤثره الأستاذ الرئيس ولا يرضاه لسيرته ، وكان يعظه وينهاه عن هذه السيرة ويعلمه أن ذلك لو كان مما يُتَرَخَّصُ فيه لكان هو بنفسه قد سبق إليه . قال مسكويه : ولقد سمعته في كثيرٍ من خلواته يشرح له صورة الديلم في الحسد والجشع وأنه ما ملكهم أحدٌ قط إلا بترك الزينة وبذل ما لا يبطرهم ولا يخرجهم إلى التحاسد ولا يتكبر عليهم ولا يكون إلا في مرتبة أوسطهم حالاً ، وان من دعاهم واحتشد لهم وحمل على حاله فوق طاقته لم يمنعهم ذلك من حسده على نعمه والسعي في إزالتها وترقب أوقات الغِرَّةِ في آمن ما يكون الانسان على نفسه منهم فيفتكون به ذلك الوقت ، وكان يوردُ عليه مثلَ هذا الكلام حتى يظنَّ أنه قد ملأ قلبه رعباً وأنه سيكفّ عن السيرة التي شرع فيها ، فما هو إلا أن يفارقَ مجلسه ذلك حتى يعاودَ سيرته تلك ، فأشفق الأستاذ في سفرته هذه أن يتركه بحضرة صاحبه فيلجَّ في هذه الأخلاق ويغترَّ بما يراه من احتمال ركن الدولة حتى ينتهي إلى ما لا يتلافاه ، فسيَّره معه ، واستخلف بحضرة ركن الدولة أبا علي محمد بن أحمد المعروف بابن البيع ، وكان فاضلاً أديباً ركيناً حسنَ الصورة مقبول الجملة حَسَنَ المخبرِ خُلقاً وأدباً . فلما كان الرئيسُ في بعض الطريق ـ وكان يركب العماريات ولا يستقلُّ على ظهور الدوابّ لإفراط علةِ النقرس وغيره عليه ـ التفت حوله فلم ير في موكبه أحداً

(1) ك : ويريد بذلك .

وسأل عن الخبر فلم يجد حاجباً يخبره ولا من جرتِ العادةُ بمسايرته غيري ، فسألني عن الخبر فقلتُ له : إن الجماعة بأسرها مالت مع أبي الفتح إلى الصيد ، فأمسك حتى نزل في معسكره ثم سأل عمن جرت العادة باستدعائه للطعام ـ وكان يحضره في كلِّ يوم عشرةٌ من القواد على مائدته التي تخصّه وعدةٌ من القواد على أطباق توضع لهم وذلك على نوبة معروفة يسعى فيها نقباؤهم ـ فلما كان في ذلك اليوم لم يحضر أحد واستقصى في السؤال فقيل : إن أبا الفتح أضافهم في الصحراء ، فاستشاط[1] من ذلك وساءه أن يجري مثلُ هذا ولا يُستأذنَ فيه ، وقد كان أنكر خلوَّ موكبه وهو في وجه حرب ، ولم يأمن أن يستمرَّ هذا التشتت من العسكر فتتم عليه حيلة ، فدعا أكبرَ حجابه ووصّاه أن يحجب عنه ابنه أبا الفتح وأن يوصي النقباء بمنع الديلم من مسايرته ومخالطته ، وظنَّ أن هذا المبلغَ من الانكار سيغضّ منه وينهى العسكرَ عن اتباعه على هواه ، فلم يؤثر كلامه هذا كبيرَ أثر ، وعاد الفتى إلى عادته واتَّبعه العسكرُ ومالوا معه إلى اللعب والصيد والأكل والشرب ، وكان لا يخليهم من الخلع والألطاف ، فشقَّ ذلك على الأستاذ الرئيس جدًّا ولم يحبَّ أن يخرقَ هيبةَ نفسه باظهار ما في قلبه ولا المبالغةَ في الانكار وهو في مثل هذا الوجه فيفسد عسكره ويطمع فيه عدوه ، فداری أمره وتجرَّعَ غيظه وأدّاه ذلك إلى زيادةٍ في مرضه حتى هلك بهمذان وهو يقول في خلواته : ما يُهلكُ آلَ العميد ولا يمحو آثارهم من الأرض إلا هذا الصبي ، يعني ابنه ، وهو يقولُ في مرضه : ما قتلني إلا جُرَعُ الغيظ التي تجرعتها منه . فلما حصل بهمذان اشتدت علته وتوفي بها رحمه اللّه في ليلة الخميس السادس من صفر سنة ستين وثلاثمائة وانتصب ابنه أبو الفتح مكان أبيه ، وكان العسكر كما ذكرتُ مائلاً إليه ، فزاد في بسطهم وتأنيسهم ووعدهم ومنّاهم وبذل لهم طعامه ومنادمته وأكثر من الخلع عليهم ، وراسل حسنويه وأرغبه وأرهبه وحضّه على الطاعة وأومأ إلى مصالحته على مالٍ يحمله يقوم بما أنفق على العسكر وَتُوَفَّرَ بعد ذلك بقيةٌ على خزانةِ السلطان ويضمن إصلاح حاله إذا فعل ذلك مع ركن الدولة ، وكان ذلك يشقُّ على سهلان بن مسافر لما في نفسه من حسنويه لأنه كان يحبُّ الانتقامَ منه والتشفي به ، وكان أبو الفتح يرى مفارقةَ حسنويه

(1) ك : فاستشيط ؛ تجارب : فاشتط .

والعودَ إلى صاحبه بما به لم يثلم عسكره ولا خاطر بهم وأن يلحق بمكانه من الوزارة قبل أن يطمع فيه أولى وأشبه بالصواب . وقد كان أبو علي محمد بن أحمد بن البيع خليفة أبيه قد تمكن من ركن الدولة وقبل ذلك ما عرفه بالكفاية والسداد وأرجف له بالوزارة ، فسفر المتوسطون بينه وبين حسنويه إلى أن تقرر أمرُهُ على خمسين ألف دينار ، وجبى كورةَ الجبل وجمع من الدوابّ والبغالِ وسائر التحف ما بلغ مقدارُهُ مائةَ ألف دينار ، ووردت عليه كتبُ ركن الدولة بما قوّى قلبه وشدَّ مُنَّتَهُ وأحمدَ جميع ما دبره وأمره بالعودة إلى الحضرة بالريّ .

قال[1] : وفي سنة احدى وستين تمكن أبو الفتح ابن العميد من الوزارة بعد أبيه ، وفوض إليه ركنُ الدولة تدبيرَ ممالكه ، ومكنه من أعنّة الخيل ، فصار وزيراً وصاحبَ جيش على رسم والده ، إلا أن والده باشر هذه الأمور في كمالٍ من أدواته وتمام من آلاته فدبره بالحزم والحنكة ، وأما أبو الفتح فكان فيه مع رجاحته وفضله في أدب الكتابة وتيقظه وفراسته نزقُ الحداثةِ وَسُكْرُ الشباب وَجُرْأَةُ القدرة ، فأجرى أمره على ما تقدَّم من إظهار الزينة الكثيرة واستخدام الديلم والأتراك والاحتشاد في المواكب والدعوات حتى خرج به عن حدّ القصد إلى الإسراف ، فجلب ذلك عليه ضروب الحسد من ضروب السلاطين وأصحاب السيوف والأقلام . وكان صاحبه ركن الدولة قد شاخ وسئم ملابسةَ أمورِ الجند وأحبَّ الراحة والدعة ، ففوض إليه الأمور ، ورآه شاباً قد استقبل الدنيا استقبالاً فهو يحبُّ التعب الذي قاساه ركنُ الدولة ثم ملَّه ، ويستلذُّ فيه الانتصابَ للأمر والنهي ومخالطة الجند والركوب إلى الصيد ومشي خواصّ الديلم وكبار الجند بين يديه ، ثم مشاربتهم ومؤانستهم والاحسان إليهم بالخلع والحملان ، فأوّل من أنكر هذا الفعل عليه عضد الدولة ومؤيد الدولة ابنا ركن الدولة وكتّابهما ثم سائر مشايخ الدولة ، ورأوه يركبُ في موكبٍ عظيم ويغشى الدار ، فإذا خرج تبعه الجميعُ وخلتْ دارُ الإمارة حتى لا يوجدَ فيها إلا المستخدمون من الاتباع والحاشية ، ثم تراقى أمره في قيادة الجيش والتحقق به إلى أن نُدِبَ إلى الخروج إلى العراق في جيش كثيف من الريّ والاجتماع مع عضد الدولة لنصرة بختيار بن معز الدولة في

(1) تجارب الأمم 2 : 301 ، 352 .

الخلاف الذي وقع بينه وبين الأتراك المستعصين عليه ، فأقام هناك وواطأ بختيار في أمورٍ خالف فيها عضد الدولة ، وذاك أن عضدَ الدولة لما عاد من بغداد إلى فارس شرط على ابن العميد أن لا يقيمَ ببغداد بعده إلا ثلاثةَ أيام ثم يلحق بوالده بالريّ ، فلما خرج عضد الدولة طابت لابن العميد بغداد ، فاتبع هوى صباه وأحبَّ الخلاعة والدخولَ مع بختيار في أفانين لهوه ولعبه ، ووجد خُلُوَّ ذرعٍ من أشغاله وراحةً من تدبير أمر صاحبه ركن الدولة مدة ، وحصلت له زبازبُ ودورٌ على الشط وستاراتُ غناء محسنات ، وتمكَّن من اللذات ، وعرف بختيار له ما صنع من الجميل في بابه لأنه كان قد جرَّد الفعلَ والقول في ردِّ عضد الدولة عن بغداد بعد أن نشبت فيها مخالبه وتملَّكها وقبض على بختيار واستظهر عليه ، فخلصه وأعاد ملكه عليه ، وصرف عضد الدولة عن بغداد ، فكان يراه بختيار بصورة من خلَّصه من مخاليب الأسد بعد أن افترسه ، وان سعيه بين ركن الدولة وعضد الدولة هو الذي ردَّ عليه ملكه ، فبسطه وعرض عليه وزارته وتمكينه من ممالكه على رسمه وألا يعارضه في شيءٍ يدبره ويراه ، فلم يجبه إلى ذلك وقال : لي والدة وأهلٌ وولدٌ ونعمة قد رتبت منذ خمسين سنة ، وهي كلها في يدِ ركن الدولة ، ولا أستطيعُ مفارقته ولا يحسنُ بي أن يتحدث عني بمخالفته ولا يتم أيضاً لك مع ما عاملك به من الجميل ، ولكني أعاهدك إن قضى اللّه عز وجل على ركن الدولة ما هو قاضٍ على جميع خلقه أن أصيرَ إليك مع قطعةٍ عظيمة من عسكره فإنهم لا يخالفوني ، وركنُ الدولة مع ذلك هامةُ اليوم أو غد ، وليس يتأخرُ أمره . واستقر بينهما ذلك سرًّا لم يطلع عليه إلا محمد بن عمر العلوي فإنه توسَّطَ بينهما وأَخَذَ عَهْدَ كلٍّ واحدٍ منهما على صاحبه ، ولم يظهر ذلك لأحد حتى حدثني به محمد بن عمر بعد هلاك أبي الفتح . ولكن الغلط العظيم من أبي الفتح أنه كان أقام ببغداد مدةً طويلة وحصل أملاكاً اقتناها هناك وإقطاعاتٍ اكتتبها وأصولاً أصَّلها على العَوْدِ إليها ، ثم التمس لقباً من السلطان وخلعاً وأحوالاً لا تشبه ما فارقه عضد الدولة عليها ، ثم استخلف ببغداد بعض أولاد التنّاء بشيراز يعرف بأبي الحسن ابن أبي شجاع الأرّجانيّ من غير اختبارٍ له ولا خلطة قديمة تكشفُ له أمره ، فلما خرج كانت تلك الأسرار التي بينه وبين بختيار والتراجمُ بينهما تدور كلها على يده ويتوسطها وَيُهْدي إلى عضد الدولة جميعها ويتقربُ إليه بها ، فلما عرف عضد الدولة حقيقة الأمر ومخالفة أبي الفتح ابن العميد له ودخوله

مع بختيار فيما دخل فيه مع اللقب السلطاني الذي حصله ، وهو ذو الكفايتين ، ولبسه الخلع وركوبه ببغداد مع ابن بقية في هذه الخلع عرف مكاشفته إياه بالعداوة وكتم ذلك في نفسه إلى أن تمكّنَ منه فأهلكه كما ذكرنا .

قال أبو سعد السمعانيّ[1] أنشدنا الحسن بن محمد الأصبهاني بها أنشدنا أبو زيد صعلوك[2] بن أميلويه بن أبي طاهر الجيليّ قدم علينا قال : أنشدت لعضد الدولة في ابن العميد ومودته :

ودادُك لازمٌ مكنونَ سرّي ... وحبك جنتي والعشقُ زادي
فإن واصلتني أزدادُ حبّاً ... وان صارمتني زادت سهادي
وخالُكَ في عذارك في الليالي ... سوادٌ في سوادٍ في سوادِ

فأجابه ابن العميد :

دعاني في انبلاج الليلِ صبحٌ ... فنادى قم فحيَّ على الفلاحِ
فقلتُ له ترفقْ يا منادي[3] ... أليس الليل مسود النواحي
فثغري والمدامُ وحسنُ وجهي ... صباحٌ في صباحٍ في صباحِ

ـ 813 ـ

علي بن محمد الشمشاطي العدوي أبو الحسن ، وشمشاط من بلاد أرمينية من الثغور : وكان معلم أبي تغلب ابن ناصر الدولة بن حمدان وأخيه ثم نادمهما ، وهو شاعر مجيد ومصنف مفيد ، كثير الحفظ واسع الرواية وفيه تزيد ، وقال محمد بن إسحاق النديم : كذا كنت أعرفه قديماً ، وبلغني أنه قد ترك كثيراً من أخلاقه عند علو سنه ، قال : وهو يحيا في عصرنا سنة سبع وسبعين وثلاثمائة .

813 ـ ترجمة الشمشاطي في الفهرست: 171 ورجال النجاشي: 201 والاكمال 5: 141 والأنساب 7: 386 ومعجم البلدان (شمشاط) والوافي 22: 158 ومقدمة كتاب الأنوار ، وهو الكتاب الذي نشر من مؤلفاته (الكويت 1977) .

(1) موضع هذه الفقرة في ك قبل النصوص المنقولة عن مسكويه .
(2) صعلوك : سقطت من ك .
(3) ك : يا مناي .

قال المؤلف : وهو الذي روى الخبر الذي جرى بين الزجاج وثعلب في حق سيبويه واستدراكه على ثعلب في « الفصيح » عدة مواضع ، وقد ذكر ذلك في ترجمة الزجاج رحمه الله تعالى. وكان رافضياً دجالاً[1] يأتي في كتبه بالأعاجيب من أحاديثهم.

ولأبي القاسم الرقيّ المنجم فيه يهجوه[2] :

حفُّ خدَّيك دلَّ يا شمشاطي أنــه دائـمــاً لـغـيــرِ لــواطِ

وانبســاطُ الغـلام يعلمني أنـــــــك تحتَ الغلامِ فوقَ البساطِ

وشـروط صبرت كـرهاً عليها لا لهــا بــل للذةِ المشــراطِ

قال محمد بن إسحاق: له كتاب النزه والابتهاج وهو مجموع يتضمن غرائبَ الأخبار ومحاسن الأشعار كالأمالي . كتاب الأنوار مبوب يجري مجرى الملح والتشبيهات والأوصاف عمله قديماً ثم زاد فيه بعد ذلك . كتاب الديارات كبير[3] . كتاب المثلث الصحيح . كتاب أخبار أبي تمام والمختار من شعره . كتاب القلم جيد . كتاب تفضيل أبي نواس على أبي تمام .

وحدث الشمشاطي في كتابه « كتاب النزه والابتهاج » قال[4] : كنا ليلةً عند أبي تغلب ابن حمدان ، وعنده جماعة بعضهم يلعب بالنرد ، فطال الجلوس حتى مضى من الليل هزيعٌ والسماءُ تهطل ، فقال أبو البركات لفتح بن نظيف : يا فتحُ كم قد مضى من الليل ؟ فقلت له : هذا نصف بيت شعر ، فقال لبعض من في حضرته : أتمه فقال : هذه قافية صعبة لا تطرد إلا أن نجعل بدل الياء واواً ، فعملتُ في الوقت واستغلقتِ القافيةُ حتى لا يزادَ عليها بيتٌ واحد إلا أن تكرر القافية بلفظ مؤتلف ومعنى مختلف مثل الغيل الذي يرضع المرأة وهي حامل ، وقد أتينا بهذه اللفظة ومثلها لفظاً ولم نأت به ، الغيل : الساعد الريان ، والغيل : ما جرى على وجه الأرض ، والغيل : الشحم الملتف . ومثل القيل نصف النهار وقد أتينا به ، والقيل الملك ، ونحو ذلك فقلت :

يـا فتحُ كم قـد مضى من الليلِ قــل وتجنَّبْ مقـالَ ذي الميــلِ

---

(1) دجالاً : سقطت من ك . (2) أوردها الصفدي .

(3) ينقل عند ابن العديم في بغية الطلب ، انظر شذرات من كتب مفقودة : 381 ـ 387 .

(4) نقله الصفدي .

فعــارضُ النـومِ مسبــلٌ خمــراً وعـارضُ المزنِ مُسْبَـلُ الـذيـلِ
والليــلُ في البـدرِ كـالنهـارِ إذا أضحتْ وهـذا السحابُ كـالليلِ
يسكبُ دمعاً على الثرى فترى المـــــاءَ بكـلِّ الـدروبِ كـالسيـلِ
والنـردُ تلهي عن المنام إذا الـ ـفصوص جالتْ كجولةِ الخيـلِ
إذا لـذيـذُ الكـرى تـدافـعَ عن وقـتِ رقـادٍ أضـرَّ بـالحيـلِ
إن أميـرَ الهيجـاء في مـأزق الـــحـربِ الهمامُ الجـوادُ بـالقيلِ
مَنْ حـزبُـهُ السَّعْـدُ طـالـعٌ لهم وحــزبـه مـوقنون بـالـويـلِ
نـجيـبُ أمٍّ لم تـغـذُهُ سيءَ الـــقَسمْ ولا أرضـعتْـهُ مـن غيـلِ
يـحمـلُ أعبـاءَ كـلِّ معـضـلةٍ تجـلُّ أن تستقـلَّ بـالـشيـلِ
أمــوالـه والـطعـامُ قـد بـذلا لآمـليـه بـالـوزنِ والـكيـلِ
جـاوز عَمْـراً بـأساً وقصَّـر عن جـودِ يديـه الضحيانُ ذو السيـلِ
لا زال فـي نـعـمـةٍ مـجـددةٍ يشـربُ صفـوَ الغبـوقِ والقيـلِ

وحدث الشمشاطي في كتابه هذا أيضاً قال : أخذت من بين يدي أبي عدنان محمد بن نصر بن حمدان رمانةً فكسرتها ودفعتُ منها إلى من حضر من الشعراء والأدباء ، وقلت[1] :

يـا حسنَ رمـانـةٍ تقـاسمهـا كـلُّ أديب بـالـظرفِ منعـوتِ
كـأنهـا قبـل كسـرهـا كـرةٌ وبعـد كسـرٍ حبـاتُ يـاقـوتِ

ـ 814 ـ

علي بن محمد بن الخلال أبو الحسن الأديب الناسخ : صاحب الخط المليح والضبط الصحيح معروف بذلك مشهور . مات في سنة إحدى وثمانين وثلاثمائة .

814 ـ وقعت هذه الترجمة في ك قبل ترجمة الشمشاطي .

(1) انظر الصفدي أيضاً .

محتويات الجزء الرابع

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع — الصفحة

الموضوع	الصفحة

بسم الله الرحمن الرحيم

- 815 -

علي بن محمد بن عمير النحوي الكنانيّ يكنى أبا الحسن: كان أحدَ الفضلاء من أصحاب أبي بكر محمد بن الحسن بن مقسم، روى عنه «أمالي ثعلب» في سنة ست عشرة وأربعمائة فسمعه منه الحسن بن أحمد بن الثلاج وأبو الفتح ابن المقدر.

- 816 -

علي بن محمد بن عبد الرحيم بن دينار الكاتب أبو الحسين: بصري الأصل واسطي المولد والمنشأ، قال الحافظ أبو طاهر السلفي: وسألته - يعني أبا الكرم خميس بن علي الحوزي - عن ابن دينار فقال: سمع أبا بكر ابن مقسم، ولقي المتنبي فسمع منه ديوانه ومدحه بقصيدة هي عندنا موجودةٌ في ديوانه أوّلها:

ربُّ القَرِيضِ اليكَ الحلّ والرحلُ　　　ضاقت إلى العلم إلا نحوك السبلُ
تضاءل الشعراءُ اليومَ عند فتىً　　　صعابُ كلِّ قريضٍ عنده ذلُلُ

وكان شاعراً مجيداً شارك المتنبي في أكثر ممدوحيه كسيف الدولة بن حمدان وابن العميد وغيرهما، وكان حسنَ الخطِّ يقال إنه على طريقة ابن مقلة. مات سنة تسع وأربعمائة، حمل الناس عنه الأدب فأكثروا بواسط وغيرها، وكان سهل الخلائق

815 - وقعت هذه الترجمة في ك قبل ترجمة الشمشاطي؛ ولابن عمير النحوي ترجمة في الوافي 22: 108 (عن ياقوت) وبغية الوعاة 2: 198..

816 - لابن دينار الكاتب ترجمة في الوافي 22: 63 (باختصار عن ياقوت) وسؤالات السلفي: 23 - 25.

جميل[1] الطريقة ، سأله الناس بواسط بعد موت أبي محمد عبد الله العلوي أن يجلس لهم صدراً فيقرئهم فامتنع وقال : أنا أتعممُ مُدوّرةً وكمّي ضيق وليست هذه حليةَ أهل القرآن ، أظنني سمعت ذلك من أبي الحسن المغازليّ الشاهد ، هذا آخر ما قاله خميس .

قلت : وقد سمع أبو غالب محمد بن بشران من ابن دينار كثيراً فروى عنه كتبَ الزجاج عن أبي الحسن علي بن الجصاص عن الزجاج ، وروى عنه مصنفاتِ ثعلب عن أبي بكر محمد بن الحسن بن مقسم عنه ، وروى له كتب ابن الأعرابي عن ابن مقسم عن ثعلب عنه ، وروى له كتب ابن السكيت جميعها كـ « الاصلاح » و « الألفاظ » و « النبات » وغير ذلك عن ابن مقسم عن المعبدي عن ابن السكيت وروى له كتب ابن قتيبة: كـ «كتاب غريب الحديث» و«كتاب أدب الكاتب» و«كتاب الأشربة » و «عيون الأخبار» وعدد كتبه كلها عن أبي القاسم الآمدي عن أبي جعفر أحمد ابن قتيبة عن أبيه، وروى له كتب الآمدي جميعها عنه، وروى له كتاب أبي الفرج علي بن الحسين الأصفهاني « الأغاني الكبير » وغيره عنه ، وروى له « كتاب الجمهرة » لابن دريد عن أبي الفتح عبيد الله بن أحمد النحوي جخجخ عن ابن دريد ، وغير ذلك مما يطول شرحه .

وأخذ ابن دينار عن أبي سعيد السيرافي وأبي علي الفارسي . ومولد ابن دينار سنة ثلاث وعشرين وثلاثمائة . وذكر أبو عبد اللّه الحميدي في « ثبته » قال : حدثني أبو غالب ابن بشران النحوي قال : حدثني أبو الحسين علي بن محمد بن عبد الرحيم بن دينار الكاتب قال : قرأت على أبي الفرج علي بن الحسين الأصفهاني جميع « كتاب الأغاني » .

ـ 817 ـ

علي بن محمد النهاوندي النحوي : روى عن جنادة أبي أسامة وعن أبي يوسف أحمد بن الحسين[2] عن المبرد .

817 ـ ترجمته في بغية الوعاة 2 : 205 (عن ياقوت) .

(1) سؤالات : حميد .

(2) ك : بن الحسن .

- 818 -

علي بن محمد بن الحسن الهروي: والد أبي سهل محمد بن علي الهروي الذي يكتب « الصحاح » ، وقد ذكر في بابه : وكان أبو الحسن هذا عالماً بالنحو إماماً في الأدب جيد القياس صحيح القريحة حسن العناية بالآداب ، وكان مقيماً بالديار المصرية ، وله تصانيف منها : كتاب الذخائر في النحو نحو أربع مجلدات رأيته بمصر بخطه . وكتاب الأزهية شرح فيه العوامل والحروف[1] ، وهما كتابان جليلان أبان فيهما عن فضله .

- 819 -

علي بن محمد بن أبي الحسين الأندلسي، أبو الحسن الكاتب: مشهور بالأدب والشعر وله كتاب في التشبيهات من أشعار أهل الأندلس ، كان في أيام الدولة العامرية وعاش الى أيام الفتنة ، ذكره الحميدي .

- 820 -

علي بن محمد بن العباس أبو حيان التوحيدي: شيرازي الأصل ، وقيل نيسابوري ، ووجدت بعض الفضلاء يقول له الواسطي ، صوفي السمت والهيئة وكان

818 ـ ترجمته في إنباه الرواة 2 : 311 والوافي 22 : 163 وبغية الوعاة 2 : 205 .

819 ـ جذوة المقتبس: 290 (بغية الملتمس رقم: 1194) والصلة: 392 وزاد ابن بشكوال أنه من أهل قرطبة ، روى عن القاضي أبي أيوب بن عمرون وأحمد بن سيد وأبي سليمان عبد السلام بن السمح الزهراوي وصاعد اللغوي ، وحدث عنه أبو بكر المصحفي .

820 ـ ترجمة التوحيدي في : شدّ الازار : 53 وتهذيب الأسماء واللغات 2 : 223 وابن خلكان 5 : 112 وسير الذهبي 17 : 119 وميزان الاعتدال 4 : 518 وعيون التواريخ 12 : 216 والوافي 22 : 39 (وفيه نقل عن ياقوت) وطبقات السبكي 5 : 286 وطبقات الاسنوي 1 : 301 ولسان الميزان 7 : 38 وبغية الوعاة 2 : 190 وطبقات ابن هداية الله: 114 والبلغة: 162 والمستفاد من ذيل تاريخ بغداد: 196 (وزاد في نسبه « أحمد » قبل « العباس » وأورد له بيتين من الشعر) واشارة التعيين: 226 وقد كتبت عنه =

(1) طبع كتاب الأزهية بتحقيق الأستاذ عبد المعين الملوحي ، وصدر عن مجمع اللغة العربية بدمشق 1971 .

يتأله والناس يقولون[1] في دينه ، قدم بغداد فأقام بها مدة ، ومضى إلى الريّ وصحب الصاحب أبا القاسم إسماعيل بن عباد وقبله أبا الفضل ابن العميد فلم يحمدهما ، وعمل في مثالبهما كتاباً ، وكان متفنناً في جميع العلوم من النحو واللغة والشعر والأدب والفقه والكلام على رأي المعتزلة ، وكان جاحظياً يسلك في تصانيفه مسلكه ويشتهي أن ينتظم في سلكه ، فهو شيخٌ في الصوفية ، وفيلسوف الأدباء ، وأديب الفلاسفة ، ومحقق الكلام ، ومتكلم المحققين ، وإمام البلغاء ، وعمدة لبني ساسان ، سخيف اللسان، قليل الرضى عند الإساءة إليه والإحسان، الذمُّ شانه والثلبُ دكانه، وهو مع ذلك فردُ الدنيا الذي لا نظير له ذكاءً وفطنةً وفصاحة ومكنة ، كثير التحصيل للعلوم في كلِّ فن حفظه ، واسع الدراية والرواية ، وكان مع ذلك محدوداً محارَفاً يتشكّى صَرْفَ زمانه ، ويبكي في تصانيفه على حرمانه . ولم أر أحداً من أهل العلم ذكره في كتاب ولا دمجه في ضمن خطاب ، وهذا من العجب العجاب ، غير أن أبا حيان ذكر نفسه في « كتاب الصديق والصداقة » وهو كتاب حسن نفيس بما قال فيه[2] : كان سبب إنشاء هذا الكتاب « الرسالة في الصديق والصداقة » أني ذكرت منها شيئاً لزيد بن رفاعة أبي الخير ، فنماه إلى ابن سعدان أبي عبد الله سنة إحدى وسبعين وثلاثمائة قبل تحمله عبء[3] الدولة وتدبيره أمر الوزارة ، فقال لي ابن سعدان : قال لي عنك زيد كذا وكذا ، قلت : قد كان ذاك ، فقال لي : دوّن هذا الكلام وصله بصلاته مما يصح عنك لمن تقدم ، فإن حديثَ الصديق حلو ، ووصفَ الصاحب المساعد مطرب . فجمعتُ ما في هذه الرسالة وشُغِلَ عن ردِّ القول فيها وبطؤت أنا عن تحريرها إلى أن كان من أمره

كتب وبحوث كثيرة في العصر الحديث بالعربية وغيرها من اللغات ، يضيق المجال هنا عن حصرها ؛ وقد حاول محقق « المقابسات » حصر أسماء كتبه فخلطها بكتب أبي حيان أثير الدين الجياني الأندلسي .

(1) هذه هي رواية ك ، وهي تتفق مع ما روّجه عنه ابن الجوزي والذهبي وغيرهما حتى إن الذهبي افتتح ترجمته في سير أعلام النبلاء بقوله « الضالّ الملحد » ؛ وفي م والوافي : والناس على ثقة من دينه ، والله أعلم بحقيقة حاله .

(2) الصداقة والصديق : 8 .

(3) ك : أعباء .

ما كان ، فلما كان هذا الوقت وهو رجب سنة أربعمائة عثرت على المسودة وبيضتها (وهذا دليل على بقائه إلى بعد الأربعمائة) .

وفي « كتاب الهفوات » لابن الصابىء[1] : وحكى أبو حيان قال : حضرتُ مائدة الصاحب ابن عباد فَقُدِّمَتْ مضيرةٌ فأمعنتَ فيها ، فقال لي : يا أبا حيان إنها تضرُّ بالمشايخ ، فقلت : إن رأى الصاحبُ أن يدعَ التطببَ على طعامه فعل ، فكأني ألقمته حجراً وخجل واستحيا ولم ينطقْ إلى أن فرغنا .

ولأبي حيان تصانيف كثيرة منها : كتاب رسالة الصديق والصداقة . كتاب الردّ على ابن جني في شعر المتنبي . كتاب الامتاع والمؤانسة جزءان . كتاب الاشارات الآلهية جزءان . كتاب الزلفة جزء . كتاب المقابسة . كتاب رياض العارفين . كتاب تقريظ الجاحظ . كتاب ذم الوزيرين . كتاب الحج العقلي إذا ضاق الفضاء عن الحج الشرعي . كتاب الرسالة في صلات الفقهاء في المناظرة . كتاب الرسالة البغدادية . كتاب الرسالة في أخبار الصوفية . كتاب الرسالة الصوفية أيضاً . كتاب الرسالة في الحنين إلى الأوطان . كتاب البصائر وهو عشر مجلدات كلّ مجلد له فاتحة وخاتمة . كتاب المحاضرات والمناظرات[2] .

قال أبو حيان في « كتاب المحاضرات » : كنت بحضرة أبي سعيد السيرافي فوجدت بخطه على ظهر « كتاب اللمع في شواذ التفسير » وكان بين يديه فأخذته ونظرتُ قال : ذم أعرابي رجلاً فقال : ليس له أولٌ يحملُ عليه ولا آخر يرجع إليه ولا عقلٌ يزكو به عاقل لديه ، وأنشد :

حسبتُكَ إنساناً على غير خبرةٍ ... فكشَّفْتَ عن كلبٍ أكبَّ على عظمِ
لحا اللّه رأياً قاد نحوك همتي ... فأعقبني طولَ المقام على الذمِ

---

(1) الهفوات : 342 .

(2) قد نشر من كتبه : الامتاع والمؤانسة (3 أجزاء) وما وجد من البصائر (وهو بتحقيق الدكتورة وداد القاضي تسعة أجزاء) وما وجد من الاشارات الالهية (جزء وبعض الثاني) والمقابسات والهوامل والشوامل وأخلاق الوزيرين الذي يسمّى أحياناً مثالب الوزيرين أو ذم الوزيرين وبعض رسائله مثل رسالة السقيفة ورسالة الحياة ورسالة في الكتابة ورسالة في تصنيف العلوم . . . .

فقال لي : يا أبا حيان ما الذي كنت تكتب ؟ قلت : الحكاية التي على ظهر هذا الكتاب ، فأخذها وتأملها وقال : تأبى إلا الاشتغالَ بالقدح والذم وثلب الناس ، فقلت : أدام الله الامتاع به شُغْلُ كلٍّ إنسان بما هو مبتلًى به مدفوع إليه.

قال أبو حيان: وقصدت مع أبي زيد المروزي دار أبي الفتح ذي الكفايتين فمنعنا من الدخول عليه أشدَّ منع ، وذكر حاجبه أنه يأكل الخبز ، فرجعنا بعد أن قال أبو زيد للحاجب : أجلسنا في الدهليز إلى أن يفرغ من الأكل ، فلم يفعل ، فلما انصرفنا خزايا أنشأ يقول متمثلاً[1] :

على خبزِ إسماعيل واقيةُ البخلِ ... فقد حلَّ في دارِ الأمانِ من الأكلِ
ومـا خبزه إلّا كـآوى يُـرَى ابنُـهُ ... ولم يُرَ آوى في الحزونِ ولا السهلِ
ومـا خبـزُهُ إلا كعنقـاءَ مُغْـربٍ ... تُصَـوَّرُ في بُسْطِ الملوكِ وفي المثلِ
يُحَـدِّثُ عنها النـاسُ من غيـر رؤيـةٍ ... سـوى صورةٍ مـا إن تُمرُّ ولا تُحلي

قال أبو حيان وأنشدنا أبو بكر القومسي الفيلسوف ، وكان بحراً عجاجاً وسراجاً وهاجاً ، وكان من الضرّ والفاقة ومقاساة الشدة والاضاقة بمنزلة عظيمة ، عظيمَ القدر عند ذوي الأخطار منحوسَ الحظّ منهم ، متهماً في دينه عند العوام مقصوداً من جهتهم ، فقال لي يوماً : ما ظننتُ أن الدنيا ونكدها تبلغ من إنسان ما بلغ مني ، إن قصدتُ دجلة لأغتسلَ منها نضب ماؤها ، وإن خرجت إلى القفار لأتيمم بالصعيد عاد صلداً أملس ، وكأنَّ العطويّ ما أراد بقصيدته غيري وما عني بها سواي . ثم أنشدنا للعطوي :

مـن رمـاه الإلـه بـالإقـتـارِ ... وطـلابِ الغنى من الأسفـارِ
هـو في حيـرةٍ وضنـك وإفـلا ... سٍ وبؤسٍ ومحنـةٍ[2] وَصَغـارِ
يا أبا القـاسم الذي أوضـح الجو ... دُ إليـه مـقـاصـدَ الأحـرارِ
خـذ حديثي فـانّ وجهي مذ بـار ... ز[3] هـذا الأنـامَ في ثـوب قـارِ

(1) الشعر لأبي نواس ، انظر ديوانه : 683 (تحقيق بهجت عبد الغفور الحديثي) والمهجو هو إسماعيل بن أبي سهل بن نوبخت .

(2) ك : ومهنة .

(3) بارز : فوقها في ك علامة خطأ .

وهــو للســامعين أطيبُ مـن نفـ ـحِ نسيم الـرياضِ غبَّ القـطارِ
هجم البـردُ مسرعـاً ويـدي صِفْـ ـرٌ وجـسمـي عــارٍ بغـيـرِ دثــارِ
فتسـتــرتُ منـه طــولَ التشــاريـ ـنِ إلـى أن تهـتكـت أسـتــاري
ونسجتُ الأطمـار بـالخيط والابـ ـرةِ حتى عــريتُ من أطمــاري
وسعى القمـلُ في دروز قميصي من صغــار مــا بينـهم وكـبــارِ
يتســاعــون مـن ثيــابـي إلى رأ سي قــطاراً يجـول بعــد قــطارِ
ثم وافى كـانـونُ واســودَّ وجهي وأتـانـي مـا كــان منـه حــذاري
لــو تـأملتَ صــورتي ورجـوعي حين أُمسي إلـى ربــوعٍ قفــارِ
أنـا وحدي فيـه وهل فيـه فضـلٌ لــجـلوسِ الأنــيسِ والــزوّارِ
والخــلا لا يـراد فيــه فمــا لي أبــداً حــاجــةٌ إلــى حــفّــارِ
بـل يـراد الخــلا لمنحـدر النجـ ـو ومــا ذقتُ لقمــةً في الــدارِ
وإذا لم تَـدُرْ على المـطعم الأفـ ـواهُ سُــدَّتْ مشــاعبُ الأجحــارِ

وقلت له يوماً : لو قصدتَ ابن العميد وابن عباد عسى تكون من جملة من يَنْفُقُ عليهما ويحظى لديهما ، فأجابني بكلام منه : معاناةُ الضرِّ والبؤس أولى من مقاساة الجهال والتيوس ، والصبر على الوخم الوبيل أولى من النظر إلى محيا كل ثقيل ، ثم أنشأ يقول :

بيني وبين لئــام النـاسِ مَعتبــةٌ ما تنقضي وكرامُ النـاسِ إخواني
إذا لقيـتُ لئيـمَ القــومِ عـنَّفـني وإن لقيتُ كـريمَ القـوم حيــاني

وقلت له : هل تعرف في معنى قصيدة العطوي أخرى ؟ قال : نعم قصيدة الحرّاني صاحب المأمون ، فقلت : لو تفضلتَ بانشادها ، فقال : خذ في حديث من أقبلتْ عليه دنياه وتمكنَ فيها من مناه ، ودع حديثَ الحُرْفِ والعسر والشؤم والخُسْرِ تطيراً إن لم ترفضه تأدباً ، فقلت له : ما أعرفُ لكَ شريكاً فيما أنت عليه وتتقلّب فيه وتقاسيه سواي ، ولقد استولى عليَّ الحرفُ وتمكن مني نَكَدُ الزمان إلى الحدِّ الذي لا أسترزق مع صحة نقلي وتقييد خطي وتزويق نسخي وسلامته من التصحيف والتحريف

بمثل ما يسترزق البليد الذي يمسخُ النسخَ ويفسخُ الأصل والفرع . وقصدت ابنَ عبادٍ بأملٍ فسيح وصدر رحيب ، فقدَّم إليَّ رسائله في ثلاثين مجلدة على أن أنسخها له ، فقلت : نسخُ مثله يأتي على العمر والبصر ، والوراقةُ كانت موجودةً ببغداد ، فأخذ في نفسه عليَّ من ذلك ، وما فزتُ بطائل من جهته . فقال : بلغني ذلك ، فقلت له : ولو كان شيئاً يرتفع من اليد بمدةٍ قريبة لكنتُ لا أتعطَّلُ وأتوفر عليه ، ولو قرِّر معي أجرةَ مثله لكنتُ أصبر عليه ، فليس لمن وقع في شرِّ الشباك وعين الهلاك إلا الصبر .

قال أبو حيان : ودخلت على الدلجي بشيراز وكنت قد تأخرت عنه أياماً ، وهذا الكتاب يعني « كتاب المحاضرات » جمعته له بعد ذلك ولأجله أتعبتُ نفسي ، فقال لي : يا أبا حيان من أين ؟ فقلت :

إذا شئتَ أن تُقْلَى فـزرْ متـواتـراً ... وان شئتَ أن تزداد حبًّا فـزر غبـا

وهذا لملالٍ ظهر لي منه وقليلِ إعراضٍ ، أعرض عني في يوم، فقال لي: ما هذا البيتُ إلا بيت جيد يعرفه الخاص والعام ، وهو موافق لما يذكر أن النبي ﷺ قال : زر غباً تـزدد حباً ، فلو كان لهذا البيت أخوات كان أحسنَ من أن يكون فرداً ، قلت : فله أخوات ، قال : فأنشدني ، قلت : لا أحفظها ، قال : فأخرجها ، قلت : لا أهتدي إليها ، قال : فمن أين عرفتها ؟ قلت : مَرَّتْ بي في جملة تعليقات ، قال : فاطلبها لأقدِّم رسمك ، قلت : فقدمه الآن على شريطة أنه إذا جاء الوقتِ المعتاد إطلاقه فيه كـلَّ سنة أُطلقتَـهُ أيضاً ، قـال : أفعل ، قلت : فخـذهـا الآن : سمعت العـروضي أبا محمد يقول : دخل بعضُ الشعراء على عيسى بن موسى الرافقي وبين يديه جارية يقال لها خلوب ، فقال لها : اقترحي عليه ، فقالت :

إذا شئتَ أن تُقْـلَى فـزر متـواتـراً ... وإن شئتَ أن تـزداد حبًّـا فـزر غبـا

أجزه بأبيات تليق به فأنشد :

بـقيـتُ بـلا قـلب فـانّـيَ هـائـمٌ ... فهـل من معيـرٍ يـا خلوبُ لكم قلبـا
حلفتُ بـربِّ البيـت أنّـك منـيتـي ... فكـوني لعيني ما نـظرتُ بهـا نصبـا
عسى اللّه يـومـاً أن يـرينيـك خـاليـاً ... فيـزدادَ لحظي من محـاسنكم عجبا
إذا شئت أن تُقْـلَى فـزر متـواتـراً ... وإن شئتَ أن تـزداد حبـاً فـزر غبـا

فأنجز لي ما وعد ، ووفى بما شرط ، وكان يَنْفُقُ عليه سوق العلم ، مع جنونٍ كان يعتريه ويتخبط في أكثر أوقاته فيه ، وليتَ مع هذه الحالة خلَّف لنفسه شكلاً أو نرى له في وقتنا هذا مثلاً ، بارت البضائع ، وثارت[1] البدائع ، وكسد سوق العلم ، وخمد ذكر الكرم ، وصار الناس عبيدَ الدرهم بعد الدرهم .

وكان أبو حيان قد أحرق كتبه في آخر عمره لقلة جدواها وضناً بها على من لا يعرفُ قدرها بعد موته ، فكتب إليه القاضي أبو سهل علي بن محمد يعذله على صنيعه ، ويعرِّفه قُبْحَ ما اعتمد من الفعل وشنيعه ، فكتب إليه أبو حيان يعتذر من ذلك :

« حرسك الله أيها الشيخ من سوء ظني بمودتك وطول جفائك ، وأعاذني من مكافأتك على ذلك ، وأجارنا جميعاً مما يسود وجهَ عهدٍ إن رعيناه كنا مستأنسين به ، وإن أهملناه كنا مستوحشين من أجله ، فأدام الله نعمته عندك وجعلني على الحالات كلها فداك . وافاني كتابك غير محتسَب ولا متوقَّع ، على ظمإٍ بَرْحٍ منّي إليه ، وشكرتُ اللّه تعالى على النعمة به عليَّ ، وسألته المزيدَ من أمثاله الذي وصفت فيه بعد ذكر الشوق إليّ والصبابة نحوي وما نال قلبك والتهب في صدرك من الخبر الذي نمي إليك فيما كان مني من إحراق كتبي النفيسة بالنار وغسلها بالماء ، فعجبتُ من انزواء وجهِ العذرِ عنك في ذلك ، كأنك لم تسمع قارئاً يقرأ قوله جلّ وعز : ﴿ **كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ لَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ** ﴾ (القصص: 88) وكأنك لم تأبه لقوله تعالى : ﴿ **كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ** ﴾ (الرحمن: 26) وكأنك لم تعلم أنه لا ثباتَ لشيء من الدنيا وإن كان شريفَ الجوهر كريم العنصر ما دام مقلَّباً بيد الليل والنهار ، معروضاً على أحداث الدهر وتعاور الأيام ، ثم إني أقول : إن كان ـ أيدك الله ـ قد نَقَبَ خفَّك ما سمعتَ فقد أُدمي أظلّي ما فعلتُ ، فليهنْ عليك ذلك فما انبريتُ له ولا اجترأتُ عليه حتى استخرتُ اللّه عز وجل فيه أياماً وليالي ، وحتى أوحى إليَّ في المنام بما بعث راقدَ العزم ، وأجدَّ فاتر النية ، وأحيا ميتَ الرأي ، وحثَّ على تنفيذ ما وقع في الرُّوع وتريَّع في الخاطر ، وأنا أجودُ عليك الآن بالحجة في ذلك إن طالبتَ ، أو بالعذر إن استوضحت ، لتثقَ بي فيما كان مني ، وتعرفَ صنع الله تعالى في ثنيه لي » .

(1) لعلّ الصواب «وغارت» .

«إن العلمَ حاطك الله يراد للعمل، كما أن العملَ يراد للنجاة، فإذا كان العملُ قاصراً عن العلم كان العلم كلاًّ على العالم، وأنا أعوذُ باللّه من علم عاد كلاًّ وأورث ذلاًّ وصار في رقبة صاحبه غلاًّ ، وهذا ضربٌ من الاحتجاج المخلوط بالاعتذار . ثم اعلم ـ علمك الله الخير ـ أن هذه الكتب حوت من أصناف العلم سرَّه وعلانيته ، فأما ما كان سرًّا فلم أجدْ له من يتحلَّى بحقيقته راغباً ، وأما ما كان علانية فلم أُصِبْ من يحرصُ عليه طالباً، على أني جمعتُ أكثرها للناس ولطلب المثالة[1] منهم، ولعقد الرياسة بينهم ولمدِّ الجاه عندهم ، فحرمت ذلك كله ، ولا شكَّ في حسن ما اختاره الله لي وناطه بناصيتي وربطه بأمري ، وكرهتُ مع هذا وغيره أن تكون حجةً عليَّ لا لي . ومما شحذ العزم على ذلك ورفع الحجاب عنه أني فقدت ولداً نجيباً ، وصديقاً حبيباً ، وصاحباً قريباً ، وتابعاً أديباً ، ورئيساً مثيباً ، فشق عليَّ أن أدعها لقوم يتلاعبون بها ويدنّسون عرضي إذا نظروا فيها ، ويشمتون بسهوي وغلطي إذا تصفحوهـا ، ويتراءون نقصي وعيبي من أجلها ، فإن قلت : ولم تَسِمُهُمْ بسوءِ الظن وتقرِّعُ جماعتهم بهذا العيب ؟ فجوابي لك أن عياني منهم في الحياة هو الذي يُحقّق ظنّي بهم بعد الممات ، وكيف أتركها لأناسٍ جاورتهم عشرين سنة فما صحَّ لي من أحدهم ودادٌ ولا ظهر لي من إنسان منهم حفاظ ، ولقد اضطررتُ بينهم بعد الشهرةِ والمعرفة في أوقاتٍ كثيـرة إلى أكل الخضراوات في الصحراءِ ، وإلى التكففِ الفاضح عند الخاصة والعامة ، وإلى بيع الدين والمروءة ، وإلى تعاطي الرياء بالنفاق والسمعة ، وإلى ما لا يحسنُ بالحرِّ أن يرسمه بالقلم ، ويطرح في قلب صاحبه الألـم ، وأحوال الزمان باديةٌ لعينك ، بارزةٌ بين مسائك وصباحك ، وليس ما قلتُهُ بخافٍ عليك مع معرفتـك وفطنتـك وشدة تتبعـك وتفرغك . وما كان يجب أن ترتاب في صواب ما فعلته وأتيته ، بما قدَّمته ووصفته وبما أمسكت عنه وطويته ، إما هرباً من التطويل وإما خوفاً من القال والقيل . وبعدُ فقـد أصبحتُ هامةَ اليوم أو غد ، فإني في عشرِ التسعين ، وهل لي بعد الكبرةِ والعجز أملٌ في حياة لذيذة أو رجاء لحال جديدة ، ألستُ من زمرة من قال القائل فيهم :

نـروح ونغـدو كـلَّ يـوم وليلة وعمـا قليلٍ لا نـروحُ ولا نغـدو

---

(1) المثالة : حسن الحال .

وكما قال الآخر :

تفـوَّقْتُ درَّاتِ الصبا في ظـلالـه إلى أن أتـاني بـالفـطامِ مشيبُ

وهذا البيت للورد الجعدي[1] ، وتمامه يضيق عنه هذا المكان » .

« واللّه يا سيدي لو لم أتعظ إلا بمن فقدتُهُ من الاخوان والأخـدان ، في هذا الصقع ، من الغرباء والأدباء والأحبّاء لكفى ، فكيف بمن كانت العينُ تَقَرُّ بهم والنفسُ تستنير بقربهم ، فقدتهم بالعراق والحجاز والجبل والريّ وما والى هذه المـواضع ، وتواتر إليّ نعيهم واشتدَّت الواعيةُ بهم ، فهل أنا إلا من عنصرهم ؟ وهل لي محيدٌ عن مصيرهم ؟ أسألُ اللّه تعالى ربَّ الأولين أن يجعلَ اعترافي بما أعرفه موصولاً بنزوعي عما أقترفه ، إنه قريب مجيب » .

« وبعد فلي في إحراقِ هذه الكتب أسوة بأئمة يُقْتَدَى بهم ويؤخَذُ بهديهم وَيُعْشَى إلى نارهم ، منهم أبو عمرو بن العلاء ، وكان من كبار العلماء مع زهدٍ ظاهر وورع معروف ، دفن كتبه في بطن الأرض فلم يوجَدْ لها أثر . وهذا داود الطائي ، وكان من خيار عباد اللّه زهداً وفقهاً وعبادة ، ويقال له تاجُ الأمة ، طرح كتبه في البحر وقـال يناجيها : نعم الدليلُ كنتِ ، والوقوفُ مع الدليل بعد الـوصولِ عنـاءٌ وذهول وبـلاءٌ وخمول . وهذا يوسف بن أسباط ، حمل كتبه إلى غارٍ في جبل وطرحها فيه وسدَّ بابه ، فلما عوتب على ذلك قال : دلَّنا العلمُ في الأول ثم كاد يُضلّنا في الثاني ، فهجرناه لوجه من وصلناه ، وكرهناه من أجل من أردناه . وهذا أبو سليمان الداراني جمع كتبه في تنور وسجرها بالنار ثم قال: والله ما أحرقتك حتى كدتُ أحترقُ بك . وهذا سفيان الثوري مزَّق ألفَ جزءٍ وطيَّرها في الريح وقال : ليت يدي قُطِعَتْ من هاهنا بل من هاهنا ولم أكتب حرفاً . وهذا شيخنا أبو سعيد السيرافي سيد العلماء قال لولده محمد : قد تركتُ لك هذه الكتب تكتسبُ بها خيرَ الآجل، فإذا رأيتها تخونك فاجعلها طعمةً للنار».

« وماذا أقول بعد هذا ، وبماذا تقابلني بعـد ذلك ، سـوى أني أقول وسـامعي يصدق : إن زماناً أحوج مثلي إلى ما بلغك لزمانٌ تدمعُ له العينُ حزناً وأسى ، ويتقطَّعُ عليه القلبُ غيظاً وجوى وضنى وشجى ، وما نصنع بما كان وحدث وبان ، إن احتجتُ

(1) مرَّ له ذكر في الحماسة البصرية 2 : 184 وله في « الزهرة » أبيات على وزن هذا البيت ورويّه .

إلى العلم في خاصة نفسي فالقليل والله تعالى شافٍ كاف ، وإن احتجتُ إليه للناس ففي الصدر منه ما يملأ القرطاس بعد القرطاس إلى أن تفنى الأنفاسُ بعد الأنفاس ، وذلك من فضل الله تعالى علـيَّ ﴿ ولكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ (الجاثية: 26) فلم تُعَنَّى عيني ـ أيدك اللّه ـ بعد هذا بالحبر والورق والجلد والقراءة والمقابلة والتصحيح ، وبالسواد والبياض ؟ وهل أدرك السلفُ الصالحُ في الدين الدرجاتِ العلى إلا بالعمل الصالح والاخلاص المعتقد والزهد الغالب في كلٍّ ما راق من الدنيا وخدع بالزبرج وهوى بصاحبه إلى الهبوط ؟ وهل وصل الحكماءُ القدماءُ إلى السعادة العظمى إلا بالاقتصاد في السعي وإلا بالرضى بالميسور وإلا ببذل ما فضل عن الحاجة للسائل والمحروم ؟ فأين يُذْهَبُ بنا وعلى أيِّ باب نحطُّ رحالنا ؟ وهل جامعُ الكتب إلا كجامع الفضة والذهب ، وهل المنهومُ بها إلا كالحريص الجشع عليهما؟وهل المغرم بحبها إلا كمكاثرهما ؟ هيهات !! الرحيلُ والله قريبٌ والثواءُ قليل ، والمضجع مُقِضٌ والمقام مُمِضٌ ، والطريقُ مَخوفٌ والمعينُ ضعيف ، والاغترارُ غالب ، والله من وراء هذا كلِّه طالب ، نسأل الله تعالى رحمةً يظلنا جناحها ، ويسهل علينا في هذه العاجلة غدوها ورواحها، فالويل كل الويل لمن بعد عن رحمته بعد أن حصل تحت قدره، فهذا هذا».

« ثم إني ـ أيدك الله ـ ما أردتُ أن أجيبك عن كتابك لطول جفائك وشدة التوائك عمن لم يزلْ على رأيك ، مجتهـداً في محبتك على قربك ونأيك ، مع ما أجده من انكسار النشاط ، وانطواء الانبساط ، لتعاور العلل عليّ ، وتخاذل الأعضاء مني : فقد كلَّ البصرُ وانعقد اللسـان ، وجمد الخاطرُ وذهب البيان ، وملك الـوسواسُ ، وغلب اليأسُ من جميع الناس ، ولكني حَرَسْتُ منكَ ما أضعتَه مني ، ووفيتُ لك بما لم تفِ به لي ، ويعزُّ عليَّ أن يكون لي الفضل عليك أو أحرزَ المزيةَ دونك ، وما حداني على مكاتبتك إلا ما أتمثله من تشوقك إليَّ وتحرقك عليَّ ، وأنَّ الحديثَ الذي بلغك قد بدَّد فكرك ، وأعظم تعجبك ، وحشد عليكَ جزعك ، والأول يقول :

وقـد يجزعُ المـرءُ الجليدُ وتبتلي   عـزيمةَ رأي المـرءِ نائبـةُ الدهـرِ
تَعـاوَرُهُ الأيــامُ فيـمــا ينــوبُــهُ   فيقوى على أمرٍ ويضعفُ عن أمرِ

على أنك لو علمتَ في أيّ حالٍ غلب عليَّ ما فعلته ، وعند أي مرض ، وعلى أية عسرة وفاقة ، لعرفتَ من عذري أضعافَ ما أبديته ، واحتججتَ لي بأكثر ما نشرته

وطويته . وإذا أنعمت النظر تيقنتَ أن للَّه جلَّ وعزَّ في خلقه أحكاماً لا يعازّ عليها ، ولا يغالب فيها ، لأنه لا يُبْلَغ كُنهها ، ولا يُنالُ غيبها ، ولا يُعْرَفُ قابها ولا يُقْرَعُ بابها ، وهو تعالى أمْلَكُ لنواصينا ، وأطلعُ على أدانينا واقاصينا ، له الخلقُ والأمر ، وبيده الكسرُ والجبر ، وعلينا الصمتُ والصبر ، إلى أن يوارينا اللحدُ والقبر ، والسلام».

« إن سرّك ـ جعلني الله فداك ـ أن تواصلني بخبرك ، وتعرفني مقرَّ خطابي هذا من نفسك فافعل ، فإني لا أدع جوابك إلى أن يقضي الله تعالى تلاقياً يسرُّ النفس ، ويذكّر حديثنا بالأمس ، أو بفراق نصيرُ به إلى الرمس ، ونفقد معه رؤية هذه الشمس ، والسلامُ عليك خاصاً بحقِّ الصفاءِ الذي بيني وبينك ، وعلى جميع إخوانك عامّاً بحقِّ الوفاءِ الذي يجب عليّ وعليك والسلام ».

وكتب هذا الكتاب في شهر رمضان سنة أربعمائة.

قال أبو حيان في « كتاب أخلاق الوزيرين »[1] من تصنيفه : طلع ابن عباد عليّ يوماً في داره وأنا قاعد في كسر إيوان أكتبُ شيئاً قد كان كأدني به ، فلما أبصرته قمتُ قائماً ، فصاح بحلقٍ مشقوق ، اقعدْ فالوراقون أخسُّ من أن يقوموا لنا ، فهممت بكلام ، فقال لي الزعفراني الشاعر[2] : اسكت فالرجل رقيع ، فغلب عليَّ الضحكُ واستحال الغيظ تعجباً من خفته وسخفه ، لأنه كان قد قال هذا وقد لوى شِدْقَه وشنَّج أنفه وأمال عنقه ، واعترض في انتصابه ، وانتصب في اعتراضه ، وخرج في تفككه[3] مجنون قد أفلت من دير حَنُون ، والوصفُ لا يأتي على كنه هذه الحال لأن حقائقها لا تدرك إلا باللحظ ولا يؤتى عليها باللفظ ، فهذا كلّه من شمائل الرؤساء وكلام الكبراء ، وسيرة أهل العقل والرزانة ؟! ، لا واللَّه وترباً لمن يقول غير هذا .

وحدّث أبو حيان قال[4] قال الصاحب يوماً : فَعْلٌ وأفعالٌ قليل ، وزعم النحويون أنه ما جاء إلا زند وأزناد ، وفرخ وأفراخ ، وفرد وأفراد ، فقلت له : أنا أحفظ ثلاثين حرفاً كلها فَعْلٌ وأفعال ، فقال : هات يا مدعي ، فسردتُ الحروفَ ودللت على

(1) أخلاق الوزيرين : 141 .

(2) هو عمر بن ابراهيم شاعر عراقي له ترجمة في اليتيمة 3 : 311 .

(3) أخلاق : مَسْك .

(4) أخلاق الوزيرين : 222 .

مواضعها من الكتب ثم قلت : ليس للنحوي أن يلزم مثل هذا الحكم إلا بعد التبحر والسماع الواسع ، وليس للتقليد وجه إذا كانت الرواية شائعة والقياس مطرداً ، وهذا كقولهم فعيل على عشرة أوجه ، وقد وجدته أنا يزيد على أكثر من عشرين وجهاً وما انتهيتُ في التتبع إلى أقصاه ، فقال : خروجك من دعواك في فَعْل يدلنا على قيامك في فعيل ، ولكن لا نأذنُ لك في اقتصاصك ، ولا نهبُ آذاننا لكلامك ، ولم يفِ ما أتيتَ به بجرأتك في مجلسنا وتبسطك في حضرتنا ، فهذا كما ترى.

قال أبو حيان[1] : وأما حديثي معه ـ يعني مع ابن عباد ـ فإنني حين وصلت اليه قال لي : أبو من ؟ قلت : أبو حيان ، فقال : بلغني أنك تتأدب ، فقلت : تأدب أهل الزمان ، فقال : أبو حيان ينصرف أو لا ينصرف ؟ قلت : إن قبله مولانا لا ينصرف ، فلما سمع هذا تنمر وكأنه لم يعجبه ، وأقبل على واحد الى جانبه وقال له بالفارسية سفهاً على ما قيل لي ، ثم قال : الزم دارنا وانسخ هذا الكتاب ، فقلت : أنا سامعٌ مطيع . ثم إني قلت لبعض الناس في الدار مسترسلاً : إنما توجهتُ من العراق إلى هذا الباب ، وزاحمتُ منتجعي هذا الربع لأتخلَّص من حرفة الشؤم ، فإن الوراقةَ لم تكن ببغداد كاسدة ، فنمي اليه هذا أو بعضه أو على غير وجهه فزاده تنكراً.

قال أبو حيان[2] : وقال لي ابن عباد يوماً يا أبا حيان من كنَّاك بأبي حيان ؟ قلت : أجلّ الناس في زمانه وأكرمهم في وقته ، قال : ومن هو ويلك ؟ قلت : أنت ، قال : ومتى كان ذلك ؟ قلت : حين قلت يا أبا حيان من كناك أبا حيان ، فاضرب عن هذا الحديث وأخذ في غيره على كراهة ظهرت عليه.

قال وقال لي يوماً آخر[3] ، وهو قائم في صحن داره والجماعة قيام منهم الزعفراني ، وكان شيخاً كثير الفضل جيد الشعر ممتع الحديث ، والتميمي المعروف بسطل[4] وكان من مصر ، والأقطع وصالح الوراق وابن ثابت وغيرهم من الكتاب والندماء : يا أبا حيان هل تعرف فيمن تقدم من يكنى بهذه الكنية ؟ قلت : نعم من أقرب ذلك أبو حيان الدارميّ ، حدثنا أبو بكر محمد بن محمد القاضي الدقاق ، قال

---

(1) أخلاق الوزيرين : 305 .
(2) أخلاق الوزيرين : 307 .
(3) أخلاق الوزيرين : 307 .
(4) أخلاق : بسبطل .

حدثنا ابن الأنباريّ ، قال حدثنا أبي ، قال حدثنا ابن ناصح قال : دخل أبو الهذيل العلاف على الواثق فقال له الواثق : لمن تعرف هذا الشعر ؟

سباك من هاشمٍ سليلُ ليس إلى وصلِهِ سبيلُ
من يتعاطَ الصفاتِ فيه فالقولُ في وصفه فضولُ
للحسن في وجهه هلالٌ لأعينِ الخلقِ لا يزولُ
وطرَّةٌ ما يزالُ فيها لنورِ بدرِ الدجى مقيلُ
ما اختال في صحن قصرِ أوسٍ الا تسجى[1] له قتيلُ
فإن يقف فالعيونُ نَصْبٌ وإن تولَّى فهن حولُ

فقال أبو الهذيل : يا أمير المؤمنين هذا لرجلٍ من أهل البصرة يعرف بأبي حيان الدارميّ وكان يقول بإمامة المفضول ، وله من كلمة يقول فيها :

أفضِّلُهُ واللّه قدَّمه على صحابته بعد النبيِّ المكرمِ
بلا بغضةٍ واللّه مني لغيره ولكنه أولاهمُ بالتقدمِ

وجماعةٌ من أصحابنا قالوا : أنشد أبو قلابة عبد اللّه[2] بن محمد الرقاشي لأبي حيان البصريّ[3] :

يا صاحبيَّ دعا الملام وأقصرا تركُ الهوى يا صاحبيَّ خَسَارَهْ
كم لمتُ قلبي كي يفيقَ فقال لي لَجَّتْ يمينٌ ما لها كفاره
ألَّا أفيقَ ولا أفتّر لحظةً إن أنت لم تعشقْ فأنت حجاره
الحبُّ أولُ ما يكونُ بنظرةٍ وكذا الحريق بداؤه بشراره
يا من أحبُّ ولا أسمّي باسمها اياك اعني فاسمعي يا جاره

فلما وفيتُ الشعر ورويتُ الاسناد وريقي بليل ، ولساني طلق ، ووجهي متهلل ، وقد تكلفت هذا وأنا في بقية من غربِ الشباب وبعض ريعانه ، وملأت الدارَ صياحاً بالرواية والقافية ، فحين انتهيتُ أنكرتُ طرفه وعلمت سوء موقع ما رويت عنده قال :

(1) م : ليسجى ؛ ك : ليشجى . (2) أخلاق : عبد الملك . (3) نسبها الصفدي للتوحيدي .

ومن تعرف أيضاً ؟ قلت : ابن الجعابي الحافظ[1] يكنى بأبي حيان ، رجلُ صدقٍ وهو يروي عن التابعين . قال : ومن تعرف أيضاً ؟ قلت : روى الصوليّ فيما حدَّثنا عنه المرزباني أن معاوية لما احتضر أنشد يزيد عند رأسه متمثّلاً :

لـو أن حيـاً نجـا لفـاتَ أبـو حـيـان لا عـاجـزٌ ولا وَكَـلُ
الـحـوَّل القـلَّب الأريبُ وهـل يـدفـعُ صَـرْفَ المنيـة الحيـلُ

قال الصوليّ : وهذا كان من المعمرين المعقلين[2] ، وانتهى الحديث من غير هشاشة ولا هزة ولا أريحية ، بل على اكفهرار وجهٍ ونبوّ طرف وقلة تقبل ، وجرت أشياءُ أخر كان عقباها أني فارقتُ بابه سنة سبعين وثلاثمائة راجعاً الى مدينة السلام بغير زادٍ ولا راحلة ، ولم يعطني في مدة ثلاث سنين درهماً واحداً ولا ما قيمته درهم واحد ، احملْ هذا على ما أردت . ولما نال مني هذا الحرمان الذي قصدني به ، وأحفظني عليه ، وجعلني من جميع غاشيته[3] فرداً أخذت أتلافى[4] ذلك بصدق القول عنه وسوء الثناء عليه ، والبادىء أظلم ، وللأمور أسباب ، وللأسباب أسرار ، والغيب لا مُطَّلَعَ عليه ولا قارعَ لبابه.

قال أبو حيان[5] قال لي الصاحب يوماً وهو يحدّث عن رجل أعطاه شيئاً فتلكأ في قبوله :

ولا بـدَّ مـن شيء يـعيـن على الـدهـر

ثم قال : سألت جماعة عن صدر هذا البيت فما كان عندهم ذلك ، فقلت : أنا أحفظ ذاك ، فنظر بغضب ، فقال : ما هو ؟ قلت : نسيت ، فقال : ما أسرعَ ذكرك من نسيانك، قلت: ذكرته والحالُ سليمة فلما استحالت عن السلامة نسيت، قال: وما حيلولتها ؟ قلت : نظر الصاحبُ بغضب ، فوجب في حسن الأدب ألا يقال ما يثير الغضب ، قال : ومن تكونُ حتى نغضبَ عليك ؟ دع هذا وهات ، قلت قول الشاعر :

(1) حاشية ك بخط الأصل: هذا لا أدري ما هو فإن القاضي الجعابي واسمه محمد بن عمر ، يكنى [أبا بكر] لا يختلف فيه فيما علمت أحد ، فإن كان أحد آبائه يكنى بهذا وكان في . . . ساقطاً فالله أعلم به .
(2) م : المغفلين .
(3) ك : حاشيته .
(4) كذا في ك وأخلاق الوزيرين ؛ م : أملأ في .
(5) أخلاق الوزيرين : 463 .

أُلامُ على أخذِ القليلِ وإنما أصادفُ أقواماً أقلَّ من الذرِّ
فإن أنا لم آخذْ قليلاً حُرِمْتُهُ ولا بدَّ من شيءٍ يعين على الدهر

فسكت .

قال أبو حيان عند قربه من فراغ كتابه في ثلب الوزيرين ، وقد حكى عن ابن عباد حكايات وأسندها إلى من أخبره بها عنه، ثم قال[1]: فما ذنبي أكرمك الله إذا سألتُ عنه مشايخ الوقت وأعلامَ العصر فوصفوه بما جمعتُ لك في هذا المكان ؟ على أني قد سترتُ شيئاً كثيراً من مخازيه إما هرباً من الاطالة ، أو صيانةً للقلم عن رسم الفواحش وبث الفضائح وذكر ما يسمج مسموعُهُ وَيُكْرَهُ التحدثُ به ، هذا سوى ما فاتني من حديثه فإني فارقته سنة سبعين وثلاثمائة . وما ذنبي إن ذكرتُ عنه ما جرَّعنيه من مرارة الخيبة بعد الأمل ، وحملني عليه من الاخفاق بعد الطمع ، مع الخدمة الطويلة ، والوعد المتصل ، والظنِّ الحسن ، حتى كأني خُصِصْتُ بخساسته وحدي أو وجب أن أعامَلَ به دون غيري . قدَّم إليَّ نجاح الخادم ، وكان ينظر في خزانة كتبه ، ثلاثين مجلدة من رسائله وقال : يقولُ لك مولانا : انسخ هذا فإنه قد طُلِبَ منه بخراسان ، فقلت بعد ارتياع : هذا طويل ، ولكن لو أُذِنَ لي لخرجت منه فقراً كالغرر ، وشذوراً كالدرر ، تدور في المجالس كالشمامات والدستنبويات ، لو رُقي بها مجنونٌ لأفاق أو نُفِثَ على ذي عاهة لبرأ ، لا تُمَلُّ ولا تستغثّ ولا تعاب ولا تسترك ، فَرُفِعَ ذلك إليه وأنا لا أعلم فقال : طعن في رسائلي وعابها ، ورغب عن نسخها وأزرى بها ؟! والله لينكرنّ مني ما عرف ، وليعرفنَّ حظه إذا انصرف ، حتى كأني طعنتُ في القرآن ، أو رميتُ الكعبة بخرق الحيض ، أو عقرتُ ناقةَ صالح ، أو سلحتُ في بئر زمزم ، أو قلتُ كان النظام مأبوناً[2] ، أو مات أبو هاشم في بيت خمار ، أو كان عباد معلم صبيان . وما ذنبي يا قومُ إذا لم أستطع أن أنسخ ثلاثين مجلدة من هذا الذي يستحسن هذا التكليف[3] حتى أعذره في لومي على الامتناع ؟ أينسخ إنسانٌ هذا القدر وهو يرجو بعدها أن يمتّعه الله ببصره أو ينفعه ببدنه ؟ ثم ما ذنبي إذا قال لي : من أين لك هذا الكلام المفوَّف المَشُوفُ الذي تكتب به إليّ في الوقت بعد الوقت ، فقلت : وكيف لا

(1) أخلاق الوزيرين : 492 . (2) أخلاق : مانوياً . (3) م : الكلب .

يكون كما وصف وأنا أقطف ثمار رسائله ، وأستقي من قَليب علمه ، وأشيمُ بارقةَ أدبه ، وأَرِدُ ساحل بحره ، وأستوكف قطر مزنه ، فيقول : كذبتَ وفجرتَ لا أمَّ لك ، ومن أين في كلامي الكدية والشحذ والتضرع والاسترحام ؟! كلامي في السماء وكلامك في السماد . هذا أيدك الله وإن كان دليلاً على سوء جدي فإنه دليلٌ أيضاً على انخلاعه وَخُرْقه وتسرّعه ولؤمه ، وانظر كيف يستحيلُ معي عن مذهبه الذي كان هو عرقَه النابضَ وسوسَه الثابتَ وديدنَهُ المألوف . وهلاَّ أجراني مجرى التاجر المصري والشاذباشي[1] وفلان وفلان؟ بل ما ذنبي إذا قال لي: هل وصلت إلى ابن العميد أبي الفتح ؟ فأقول : نعم رأيته وحضرت مجلسه وشاهدت ما جرى له ، وكان من حديثه فيما مدح به كذا وكذا ، وفيما تقدم منه كذا وكذا ، وفيما تكلّفه من تقديم أهل العلم واختصاص أرباب الأدب كذا وكذا ، ووصل أبا سعيد السيرافي بكذا وكذا ، ووهب لأبي سليمان المنطقي كذا وكذا ، فيزوي وجهه وينكر حديثه وينجذب[2] إلى شيء آخر ليس مما شرع فيه ولا مما حرك له ، ثم يقول : أعلم أنك إنما انتجعته من العراق ، فاقرأ عليَّ رسالتك التي توسَّلْتَ إليه بها وأسهبتَ مقرظاً له فيها فأتمانع ، فيأمر ويشدّد ، فأقرأها فيتغير[3] ويذهل ، وأنا أكتبها لك ليكون زيادة في الفائدة :

بسم اللّه الرحمن الرحيم ، اللهم هيّىء لي من أمري رشداً ، ووفقني لمرضاتك أبداً ، ولا تجعل الحرمانَ عليَّ رصداً ، أقول وخير القول ما انعقد بالصواب ، وخيرُ الصواب ما تضمَّن الصدق ، وخير الصدق ما جلب النفع ، وخير النفع ما تعلَّق بالمزيد ، وخير المزيد ما بدأ عن الشكر ، وخير الشكر ما بدأ عن إخلاص ، وخير الإخلاص ما نشأ عن إيقان ، وخير الايقان[4] ما صدر عن توفيق : لما رأيتُ شبابي هرماً بالفقر ، وفقري غنىً بالقناعة ، وقناعتي عجزاً عند أهل التحصيل ، عدلتُ إلى الزمان أطلبُ إليه مكاني فيه وموضعي منه ، فرأيت طرفه عني نابياً ، وعنانه عن رضاي منثنياً، وجانبه في مرادي[5] خشناً، وارتفاقي[6] في أسبابه نائياً، والشامت بي على

(1) لم ترد النسبة عند السمعاني وأقرب الصور إليها : الشاذباذي .

(2) ك : وينحذف .

(3) أخلاق : فيتقد .

(4) م : اتفاق . . . الاتفاق .

(5) ك : الأرض .

(6) أخلاق : وانفاقي ، وكذلك هي صورة الكلمة في ك .

الحدثان متمادياً ، طمعت في السكوت تجلداً ، وانتحلتُ القناعةَ رياضــة ، وتألفتُ شاردَ حرصي متوقفاً ، وطويتُ منشورَ أملي متنزهاً ، وجمعتُ شتيتَ رجائي سالياً ، وادَّرعت الصبرَ مستمراً ، ولبست العفاف محموداً[1] ، واتخذت الانقباض صناعة ، وقمت بالعلاء مجتهداً ، هذا بعد أن تصفحتُ الناسَ فوجدتهم أحدَ رجلين : رجلاً إن نطق نطق عن غيظ ودمنةٍ ، وإن سكتَ سكتَ عن ضغنٍ وإحنة ، ورجلاً إن بذل كدَّر بامتنانه بذله ، وإن منع حسَّن باحتياله بخله ، فلم يطلْ دهري في اثنائه متبرماً[2] بطول الغربة ، وشظف العيش ، وكلبِ الزمـان ، وعجف المال ، وجفـاءِ الأهل ، وسـوءِ الحال ، وعاديةِ العدوّ ، وكسوفِ البال ، منحرفاً[3] من الحنق على لئيم لا أجدُ مَصْرَفاً عنه ، منقطعاً من الشوق إلى كريم لا أجدُ سبيلاً إليه ، حتى لاحتْ لي غرةُ الأستاذِ فقلت : حلَّ بي الويلُ ، وسال بي السيل ، أين أنا عن ملك الدنيا ، والفلك الدائر بالنعمى ، أين أنا من مشرق الخير ومغرب الجميل ؟ أين أنا عن بدر البـدور وسعد السعود ؟ أين أنا عمن يرى البخل كفراً صريحاً والافضالَ ديناً صحيحاً ؟ أين أنا عن سماء لا تفتر عن الهطلان ، وعن بحر لا يقذف إلا باللؤلؤ والمرجان ؟ أين أنا عن فضاءٍ لا يُشَقّ غباره ، وعن حَرَمٍ لا يضام جاره ؟ أين أنا عن منهل لا صَدَرَ لفراطه ولا مَنْعَ لوراده ؟ أين أنا عن ذَوْبٍ لا شَوْبَ فيه ، وعن صددٍ لا حَدَدَ دونه ؟ بل أين أنا عمن أتى بنبوّة الكرم ، وإمامة الافضال ، وشريعة الجود ، وخلافة البذل ، وسياسة المجد بشيمةٍ مَشيمةِ البوارق ، ونفسٍ نفيسةِ الخلائق ؟ أين أنا عن الباع الطويل ، والأنف الأشم ، والمشرب العذب ، والطريق الأمم ؟ لم لا أقصدُ بلاده ؟ لم لا أقتدح زناده ؟ لم لا أنتجعُ جنابه وأرعى مَراده ؟ لم لا أسكنُ ربعه ؟ لم لا أستدعي نفعه ؟ لم لا أخطبُ جوده وأعتصر عنقوده[4] ؟ لم لا أستمطر سحابه ؟ لم لا أستسقي ربابه ؟ لم لا أستميح نيله وأستسحبُ ذيله ؟ ولا أحجّ كعبته وأستلم ركنه ؟ لم لا أصلي إلى مقامه مؤتماً بامامه ؟ لم لا أسبح بثنائه[5] متقدساً ، لم لا أُحَكِّم في حال :

فتىً صيغ من ماءِ البشاشة[6] وجهُهُ فـألفـاظـه جـودٌ وأنفـاسُـهُ مجـد

---

(1) م : صنا .
(2) ك : أبنائه ؛ م : متبرحاً .
(3) أخلاق : متضرماً .
(4) أخلاق : عوده .
(5) م : ببنانه .
(6) م : الشبيبة .

لم لا أقصدُ :

فتى النـاسِ للجـود فـي كفّـه ... من البحـر عينـان نضـاختـانِ

لم لا أمتري معروفَ :

فتى لا يبـالي أن يكـونَ بجسمـه ... إذا نـال خـلاتِ الكـرامِ شحـوبُ

لم لا أمدح :

فتىً يشتري حُسْنَ المقالِ[1] بروحه ... ويعلم أعقـابَ الأحـاديثِ في غـدِ

نعم ، لم لا أنتهي في تقريظ فتىً لو كان من الملائكة لكان من المقربين ، ولو كان من الأنبياء لكان من المرسلين ، ولو كان من الخلفاءِ لكان نعته : اللائذ بالله أو المنصف في الله أو المقتصد[2] بالله أو المنتصب لله أو الغاضب لله أو الغالب بالله أو المرضيّ لله أو الكافي بالله أو الطالب بحق الله أو المحيي لدين الله . أيها المنتجع قرن كـلأهِ ، المختبط ورق نعمته ، ارعَ عريضَ البطان متفيئاً بظله ، ناعم البال متعوذاً بعزه ، وعش رخي البال[3] معتصماً بحبله ، ولذ بذراه آمن السِّرب ، وامحضْ وده بآنية القلب ، وَقِ نفسك من سطونه بحسنِ الحفاظ ، وتخير له ألطفَ المدح تفزْ منه بأيمن قِدْح ، ولا تحرمْ نفسك بقولـك إني غريبُ المثـوى نازح الـدار بعيد النسب منسيُّ المكان ، فإنك قريبُ الدار بالأمل ، داني النجح بالقصد ، رحيبُ السـاحة بالمنى ، ملحوظُ الحال بالحسد ، مشهورُ الحديث بالدرك . واعلم علماً يلتحم باليقين ويدرأ من الشك أنه معروفُ الفخر بالمفاخر ، مأثورُ الأثر بالمآثر ، قد أصبح واحدَ الأنام ، تاريخ الأيام ، أسد الغياض يوم الوغى ، نورَ الرياض يوم الرضى ، ان حُرِّكَ عند مكرمة حرك غصناً تحت بارح ، وان دُعِيَ إلى اللقاء دعي ليثاً فوق سابح ، وقل إذا أتيته بلسان التحكم : أصلح أديمي فقد حلم ، وجدِّد شبابي فقد هرم ، وأنطق لسـاني بمدحك فقد حَصِر ، وافتح بصري بنعمتك فقد سَدِر ، واتلُ سورة الاخـلاص في اصطنـاعي فقد سردت صحائفَ النُّجْحِ عند انتجاعي ، وَرِشْ عظمي فقد براه الزمان ، واكسُ جلدي فقد عرّاه الحدثان ، وإياك أن تقول يا ملك الدنيا جُدْ لي ببعض الدنيا فإنه يحرمك ، ولكن قلْ يا ملك الدنيا هَبْ لي الـدنيا . اللهم فـأحي به بـلادك ، وانعش برحمتـه

(1) أخلاق : الثناء .
(2) أخلاق : المعتضد .
(3) أخلاق : اللبب .

عبادك ، وبلّغه مرضاتك ، وأسكنه فردوسك ، وأدم له العزَّ النامي ، والكعبَ العالي ، والمجدَ التليد ، والجدَّ السعيد ، والحقَّ الموروث ، والخير المبثوث ، والولي المنصور ، والشانىء المبتور ، والدعوة الشاملة ، والسجيةَ الفاضلة ، والسربَ المحروس ، والربعَ المأنوس ، والجنابَ الخصيب ، والعدوّ الحريب ، والمنهلَ القريب ، واجعل أولياءه باذلين لطاعته ، ناصرين لأعزته ، ذابّين عن حرمه . [أيها الشمس المضيئة بالكرم] والقمر المنير بالجمال ، والنجم الثاقب بالعلم ، والكوكبُ الوقّاد بالجود ، والبحرُ الفياضُ بالمواهب ، سقط العشاءُ بعبدك على سرحك ، فاقره من نعمتك بما يضاهي قَدْرك وقدرتك ، وزوِّج هيئته تربها من الغنى فطالما خطب كُفْأَها من المنى .

ثم يقال لي من بعد : جنيت على نفسك حين ذكرتَ عدوّه عنده بخير ، وبينت عنه، وجعلته سيد الناس، فأقول: كرهتُ أن يراني متدرئاً[1] على عرض رجل عظيم الخطر غير مكترث بالوقيعة فيه والانحاء عليه ، وقد كان يجوز أن أشعّث من ذلك شيئاً ، وأبري من أثلته جانباً ، وأطيّر إلى جنبه شرارة ، فيقال أيضاً : جنيتَ على نفسك ، وتركت الاحتياط في أمرك ، فإنه مقتك وعافك ، ورأى أنك في قولك عدوتَ طورك ، وجهلت قدرك ، ونسيت وزرك[2] وليس مثلك من هجم على ثلب من بلغ رتبةَ ذلك الرجل ، وأنك متى جسرت على هذا دربت[3] به وجعلت غيره في قَرَنه ، فإذا كانت هذه الحالات ملتبسة ، وهذه العواقب مجهولة ، فهل يدور العملُ بعدها إلا على الاحسان الذي هو علّةُ المحبة ، والمحبة التي هي علة الحمد ، والاساءة التي هي علةُ البغض ، والبغض الذي هو علة الذم ، فهذا هذا .

قال[4] : وكان ابن عباد شديد الحسد لمن أحسن القول وأجاد اللفظ ، وكان الصوابُ غالباً عليه ، وله رفقٌ في سرد حديثٍ وَنِيقَةٌ في رواية ، وله شمائلُ مخلوطةٌ بالدماثة بين الاشارة والعبارة ، وهذا شيء عام في البغداديين وكالخاصِّ في غيرهم . حَدَّثْتُ ليلةً بحديث فلم يملك نفسه حتى ضحك واستعاده ، ثم قيل لي بعده إنه كان

---

(1) أخلاق : متدرياً ؛ م : متدرياً .
(2) أخلاق : وزنك .
(3) م : وزنت .
(4) أخلاق الوزيرين : 505 .

يقول : قاتل اللّه أبا حيان فانه نكد وإنه وإنه وإنه ، وأكره أن أرويَ ذمّي بقلمي ، وكان ذلك كلّه حسداً [محضاً] وغيظاً بحتاً ، وأنا أروي لك الحديثَ فانه في نهاية الطيب ، وفيه فكاهةٌ ظاهرة وعيٌ عجيب في معرض بلاغة ظريفة في ملبس فهاهة . حدثني القاضي أبو الحسن الجرَّاحيّ قال : لحقتني مرةً علةٌ صعبة ، فمن ظريف ما مرَّ على رأسي [أنه] دخل في جملة من عادني شيخ الشونيزية[1] ودوارة الحمار والتوثة وفقيهها أبو الجعد الأنباري ، وكان من كبار أصحاب البربهاري[2] ، فقال أول ما قعد : يقع لي فيما لا يقع إلا لغيري أو لمثلي فيمن كان كأنه مني أو كأنه كان على سني أو كان معروفاً بما لا يعرف به إلاي أني أرى أنك لا تحتمي إلا حمية فوق ما يجب ودون ما لا يجب . وبين فوق ما لا يجب ، وبين دون ما لا يجب فرق ، اللّه يعلم أنه لا يعلم أحد ممن يعلم أو لا يعلم الطب كله أن تحتمي حمية بين حميتين ، حمية كلا حمية ولا حمية كحمية ، وهذا هو الاعتدال والتعديل والتعادل والمعادلة ، قال الله تعالى : ﴿ وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَاماً ﴾ (الفرقان: 67) وقال النبي ﷺ : خير الأمور أوسطها وشرها أطرافها . والعلةُ في الجملة والتفصيل إذا أدبرت لم تقبل ، وإذا أقبلت لم تدبر ، وأنت من إقبالها في خوف من إدبارها في التعجب ، وما يصنعُ هذا كله ؟ لا تنظر إلى اضطراب الحمية عليك ، ولكن انظر إلى جهل هؤلاء الأطباء الألباء الذين يشقون الشّعر شقاً ، ويدقون البعرَ دقاً ، ويقولون ما يدرون وما لا يدرونَ زرقاً وحمقاً ، وإلى قلة نصحهم مع جهلهم ، ولو لم يجهلوا إذا لم ينصحوا كان أحسنَ عند الله والملائكة ، ولو نصحوا إذا جهلوا كان أولى عند الناس وأشباه الناس ، والله المستعان ، وأنت في عافية ، ولكن عدوك ينظر إليك بعين الاست فيقول : وجهه وجه من قد رجع من القبر بعد غدٍ ، وعلى كلِّ حال فالرجوعُ من القبر خير من الرجوع إلى القبر ، لعن اللّه القبر : لا خبّاز ولا بزاز ولا رزاز[3] ولا كواز ، إنا للّه وإنا إليه راجعون عن قريب إن شاء اللّه ﴿ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَاذَا تَكْسِبُ غَداً وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ ﴾ (لقمان: 34) ﴿ وَلَا

---

(1) الشونيزية : مقبرة كانت بالجانب الغربي من بغداد .
(2) م : الزنهاري .
(3) أخلاق : دراز .

يَحِيقُ ٱلْمَكْرُ السَّيِّءُ إلاّ بِأَهلِهْ ﴾ (فاطر: 43) ﴿ وَهُوَ عَلَى جَمْعِهِمْ إِذَا يَشَاءُ قَدِيرٌ ﴾ (الشورى: 29) ﴿ وَمِنَ ٱلْجِبَالِ جُدَدٌ بِيضٌ وَحُمْرٌ ﴾ (فاطر: 27) تـأمر بشيء ؟ السنة في العيادة ـ خاصة عيادة الكبار والسادة ـ التخفيف والتطفيف ، وأنا إن شاء الله عندك بالعشيّ . والحقّ والحق أقوام مما[1] يجب على مثلك لمثلي ، كأن ليس لك مثل ولا مثلي أيضاً مثل ، هكذا إلى باب الشام وإلى قنطرة الشوك وإلى المندفة[2] ، أقول لك المستوي[3] لا أنا ولا أنت اليوم ، كمثل كمثراتين إذا عتقتا[4] على رأس شجرة ، وكدلوين إذا خلقا على رأس بئر ، ودع ذا القارورة ، اليوم لا إله إلا الله ، وأمس كان سبحان الله ، وغداً يكون شيئاً آخر ، وبعد غدٍ ترى من ربك العجب ، والموتُ والحياة بعون اللّه ، ليس هذا مما يباع في السوق أو يوجد مطروحاً في الطريق ، وذاك أن الانسان ـ ولا قوة إلا بالله ـ طريف أعمى كأنه ما صحَّ له منام قط ، ولا خرج من السمّارية إلى الشط ، وكأنه ما رأى قدرةَ اللّه في البط ، إذا لفظ كيف يقول قط قط[5] ، والكلام في الانسان وعمى قلبه وسُخْنَةِ عينه كثير ؛ قل غفر له[6] ولا يسلم في هذه الدار إلا من عصر نفسه عصرةً ينشقّ منها فيموت كأنه شهيد ، وهذا صعبٌ لا يكون إلا بتوفيق الله وبعض خذلانه الغريب ، على اللّه توكلنا وإليه التفتنا ورضينا ، به استجرنا إن شاء أَخَذَ لنا[7] وإن شاء أطعمنا . قال القاضي : فكدتُ أموت من الضحك على ضعفي ، وما زال كلامه بهذا إلى أن خرجتُ على الناس وكان مع هذا لا يعيا ولا يكل ولا يقف ، وكان من عجائب الزمان . وختم أبو حيان كتابه « في أخلاق الوزيرين » بعد أن اعتذر عن فعله ثم قال[8] : اني لأحسد الذي يقول :

---

(1) أخلاق : وأقوم بما .

(2) أخلاق : المزرفة .

(3) أخلاق : المثوى .

(4) أخلاق : عفتتا .

(5) أخلاق : إذا لفظ كيف يتقطقط .

(6) أخلاق : كثير لا يحمل تل عقرقوف .

(7) أخلاق : خزّانا .

(8) أخلاق الوزيرين : 549 .

أعـدّ خمسين حـولاً مـا عليَّ يـدٌ ... لأجنبـيّ ولا فضــلٌ لــذي رحـمِ

الحمـدُ للّه شكـراً قـد قنعتُ فـلا ... أشكـو لئيماً ولا أطـري أخا كـرمِ

لأني كنتُ أتمنى أن أكونه ، ولكن العجز غالبٌ لأنه مبذور في الطينة ، ولقد أحسن الآخر حين قال :

ضَيَّقَ العـذرَ في الضـراعــةِ أنـا ... لــو قنعنــا بقسمـنــا لكـفـانــا

مــا لنــا نعبــد العبــاد إذا كــا ... ن إلـى اللّه فـقــرنــا وغـنــانــا

وأدعـو هـا هنا بما دعا به بعض النساك[1] : اللهم صُنْ وجوهنا باليسار ، ولا تبذلها بالاقتار ،فنسترزقَ أهل رزقك، ونسأل شر خلقك، ونبتلَى بحمد من أعطى وذم من منع ، وأنت من دونهم وليُّ الاعطاء ، وبيدك خزائن الأرض والسماء ، يا ذا الجلال والاكرام[2] .

ومن « كتاب المحاضرات » لأبي حيان قال : قصدت أنا والنصيبيّ رجلاً من أبناء النعم والموصوفين بالكرم ، لا يردّ سائليه ولا يخيِّب آمليه ، والألسنُ متفقةٌ على جوده وتطوّله ، والعيونُ شاخصةٌ إلى عطاياه وفضله ، له في السنة مبارّ كثيرةٌ على أهل العلم وأهل البيوتات ومن قعد به الزمان وجفاه الاخوان ، فلم نصادفه في منزله ، وقصدناه ثانياً فمنعنا من الدخول إليه ، وقصدناه ثالثاً فذكر أنه ركب ، وقصدناه رابعاً فقيل هو في الحمام ، وقصدناه خامساً فقيل هو نائم ، وقصدناه سادساً فقيل عنده صاحب البريد وهو مشغولٌ معه بمهم ، وقصدناه سابعاً فذكر أنه رَسَمَ أن لا يؤذن لأحد ، وقصدناه ثامناً فذكر أنه يأكلُ ولا يجوز الدخول إليه بوجهٍ ولا سبب ، وقصدناه تاسعاً فذكر أن أحد أولاده سقط من الدرجة وهو مشغولٌ به عند رأسه ما يفارقه ، وقصدناه العاشر فذكر أنه مستعد لشرب الدواء ، وقصدناه الحادي عشر فذكر أنه تناول الدواء من يومين وما عمل

(1) ورد هذا الدعاء نفسه في خاتمة رسالة أبي حيان في العلوم .

(2) حاشية في ك ، بخط قريب من الأصل : هذا دعاء أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام ونسخته : صن وجهي باليسار ولا تبذل جاهي بالاقتار ، فأسترزقَ طالبي رزقك ، وأستعطفَ شرار خلقك ، وأبتلي بحمد من أعطاني ، وأفتتن بذم من منعني ، وأنت من وراء ذلك كله وليّ الاعطاء والمنع ، إنك على كل شيء قدير ، روى ذلك السيد الرضي رضي اللّه عنه في نهج البلاغة .[ص 348 ـ 349 رقم: 225].

عملاً وقد قوّاه اليومَ بما يحرك الطبيعة ، وقصدناه الثاني عشر فقيل إلى الآن كان جالساً ونهض في هذه الساعة ودخل إلى الحجرة ، وقصدناه الثالث عشر فقيل دعي إلى الدار لمهم ، وقصدناه الرابع عشر فألفيناه في الطريق يمضي إلى دار الامارة ، وقصدناه الخامس عشر فسهُلَ لنا الاذن ودخلنا في غمار النـاس ، وإذا الناس على طبقـاتهم جلوس ، وجماعةٌ قيام يرتبون الناسَ ويخدمونهم ، وقد اتفق له عزاء وَشُغْلٌ بغيرنا ، وبقينا في صورة من احتقان البول والجوع والعطش ، وما أُقمنا في جملةٍ من يقام ، فقال لي النصيبي : هذا اليوم الذي قد ظفرنا به وتمكنّا من دخول داره صـار عظيم المصيبة علينا ليس لنا إلاّ مهاجرةُ بابه والاعراضُ عنه وقمعُ النفس الدنية بالطمع في غيره ، فقلت له : قد تعبنا وتبذلنا على بابه ، والأسبابُ التي اتفقت فمنعت من رؤيته كان عذراً واضحاً ، ويتفق مثل هذا ، فإذا انقضت أيام التعزية قصدناه ، وربما نلنا من جهته ما نأمله ، فقصدناه بعد ذلك أكثر من عشرين مرة وقلّما اتفق فيها رؤيته وخطابه ، حتى ملَّ النصيبي فقال : لو علمت أن داره الفردوس ، والحصول عنده الخلود فيها ، وكلامه رضى اللّه تعالى وفوز الأبد ، لما قصدته بعد ذلك ، وأنشأ يقول :

طَلَبُ الكـريم نـدى يـدِ المنكـودِ ... كـالغيث يُسْتَسْقَى من الجـلمـودِ
فـافـزع إلى عـزِّ الفـراغ وَلُـذْ بـه ... إن السؤالَ يـريـد وجـه حـديـدِ

فأجبته أنا وعيناي بالدموع تترقرق ، لما بان لي من حُرْفتي ونبوِّ الدهر بي وضياع سعيي وخيبة أملي في كل من أرتجيه لملمّ أو مهم أو حادثة أو نائبة :

دنيـا دنتْ من عـاجـزٍ وتبـاعـدت ... عـن كـلِّ ذي لـبٍّ لـه حِـجْـرُ
سَلَحَتْ عـلى أربـابهـا حـتى إذا ... وصلت إليَّ أصـابهـا الحـصـرُ

قال أبو حيان في « كتاب الوزيرين »[1] : جرى بيني وبين أبي علي مسكويه شيء ، قال لي مرة : أما ترى إلى خطأ صاحبنا ـ وهو يعني ابن العميد ـ في إعطائه فلاناً ألف دينار ضربةً واحدة ؟ لقد أضاع هذا المال الخطير في من لا يستحق . فقلت بعد ما أطال الحديث وتقطع بالأسف : أيها الشيخ أسألك عن شيء واحد فاصدق فإنه

(1) أخلاق الوزيرين : 23 .

لا مَدَبَّ للكذب بيني وبينك[1] لو غلط صاحبك فيك بهذا العطاء وبأضعافه وأضعافِ أضعافه أكنتَ تتخيله في نفسك مخطئاً ومبذراً ومفسداً أو جاهلاً بحقّ المال ؟ أو كنت تقول ما أحسن ما فعل وليته أربى عليه ؟ فإن كان الذي تسمعُ على حقيقته فاعلم أن الذي يَرِدُ بالك ويردُّ مقالك[2] إنما هو الحسد أو شيء آخر من جنسه ، وأنت تدعي الحكمة وتتكلفُ في الأخلاق وتزيِّفُ الزائفَ وتختار منها المختار ، فافطن لأمرك ، واطلع على سرك وشرك[3] .

ـ 821 ـ

علي بن محمد بن نصر أبو الحسن الكاتب صاحب الرسائل : كان كاتب ديوان الرسائل في أيام جلال الدولة أبي طاهر بن بهاء الدولة بن عضد الدولة ، ويتردد في الرسائل بينه وبين الملوك ، وقرأ النحو على جماعة من أعيان أهل العلم كأبي الحسن الربعي وأبي الحسن الزعفراني البصري ، ولقي جماعة من وجوه الشعراء كأبي الفرج الببغاء وأبي نصر ابن نباتة وأبي الحسن السلامي وأبي طاهر علي بن الحسن الحمامي . وكان ذكياً فطناً محبباً إلى الناس للطافة فهمه وسجاحة خلقه وحسن مداراته ، وكان أبوه قاضياً على بعض الأرباع ببغداد والحكم من غير تسمية بالقضاء . مات سنة سبع وثلاثين وأربعمائة .

ذكر في كتابه الذي صنفه وسماه « كتاب المفاوضة » حاكياً عن نفسه :

---

821 ـ هو أخو القاضي عبد الوهاب ، انظر في ترجمته ابن خلكان 3 : 222 والديباج المذهب 2 : 29 والشذرات 3 : 225 ومرّ ذكره في ترجمة أخيه في سير أعلام النبلاء 17 : 432 ؛ (وهذه الترجمة من نسخة ك ، وقد سقطت من المطبوعة ، وهذا غريب لأن مرغوليوث اعتمد أيضاً على نسخة ك) وأما كتابه « المفاوضة » فإنه من المصادر المعتمدة لدى ياقوت وابن العديم والقفطي ، وانظر شذرات من كتب مفقودة : 287 ـ 324 .

(1) زاد في أخلاق الوزيرين : ولا هبوب لريح التمويه علينا .

(2) م : يرد ورد مقالك ؛ أخلاق : بدد مالك وردد مقالك .

(3) كتب عند نهاية الفقرة في ك : انقطع في الأصل .

ولقد قرأت في كتاب لأبي القاسم هبة الله بن عيسى كاتب مهذب الدولة(1) ـ يعني صاحب البطيحة ـ وكان رجلاً جمَّ العلم دقيق الفهم ، وكان يكتب الكتبَ الطوال في الفتوح وغيرها ، قرأتُ في فصلٍ له إلى أبي الخطاب المنجم المستولي على دولة بهاء الدولة بن عضد الدولة : « وكنتُ واعداً نفسي إنجازَ ما سبق من شريف مواعيد الحضرة البهية ، لوفور حظّي من ملاحظةِ كرم الاهتمام » فقال لي الوزير أبو العباس عيسى بن ماسرجيس ، وكنت أكتب له حينئذ ، أنَّى يُفْهَمُ هذا الكلامُ اليوم ؟! قلت : نجتهد ، فتأمَّلناه فوجدناه صحيحاً ، إلا أن طريقه كان وعراً .

قال : وكتب إليّ أبو عبد الله ابن ضبر القاضي صديقنا رحمه الله في كتاب ، وقد اتصلتْ أسفاري بين البصرة وواسط والأهواز ، متردداً عن السلطان في رسائل :

أصبو إليك مَعَ البعادِ صبابةً ... أَصْلَى بها كلهيبِ حَرِّ النارِ
وإذا تباعدتِ الديارُ فإنني ... أرضى وأقنعُ منك بالأخبارِ
وإذا الديارُ دَنَتْ بعدتَ فكيف لي ... بدنوِّ قلبٍ مع دنوِّ الدارِ

وحدث ابن نصر في كتابه حاكياً عن نفسه قال : حدثني الأستاذ أبو عبد الله محمد بن شاذان بالبصرة ، وهو إذ [ذاك] يكتب لظهير الدين ، وقد خرجتُ إليه في رسالة ، فلما أزمعتُ الانصرافَ حمل إليَّ كسوةً ونفقةً إلى دار أبي عبد الله ، وحضر أصحابه يتنجزون رسوماً جَرَتِ العادةُ بها ، وكثروا علي ، فقال أبو عبد الله : حالنا هذه تشبه حال أبي أحمد النهرجوري ، فإنه مدح أبا الفرج منصور بن سهل المجوسي عاملَ البصرة ، فأعطاه صلةً حاضرة هنية ، والتفّ به الحواشي فطالبوه ، فكتب رقعةً ودفعها إلى بعض الداخلين إليه وقال له : سلّم هذه إلى الأستاذ ، وفيها :

---

(1) مهذب الدولة هو أبو الحسن علي بن نصر ولي أمر البطيحة بعد خاله المظفر بن علي الحاجب الذي استقل بأمر البطيحة، وكانت وفاة المظفر سنة 376 ، وقد نشر مهذب الدولة الخير والاحسان فصارت البطيحة في أيامه معقلاً لمن قصدها ، واتخذها الأكابر وطناً وبنوا فيها الدور الحسنة ، وتزوج مهذب الدولة ابنة بهاء الدولة البويهي وكانت وفاته سنة 408 ؛ أما كاتبه هبة اللّه بن عيسى فكان ـ فيما يقول ابن الأثير ـ من الكتاب المفلقين ومكاتباته مشهورة وكان ممدحاً ، وممن مدحه ابن الحجاج وتوفي سنة 405 (انظر صفحات متفرقة من الجزء التاسع من تاريخ ابن الأثير) .

أجــازني الأستــاذُ عن مــدحتي جــائــزةً كــانــت لأصحــابِــهِ
ولم يكن حــظِّيَ منـهــا ســوى جَهْبَــذتـي يــومــاً على بــابِــهِ

قال : فلما وصلت الرقعة خرج في الحال مَنْ صَرَفَ الحواشي عنه ، وصار معه حتى دخل منزله .

وحدث ابن نصر قال : رأيتُ في المنام كأني أكتبُ إلى بعض أصدقائي ، وقد وقع لي أنه سرق شيئاً من كلامي : عمدتَ إلى شتائتِ ألفاظي وبدائد كلامي فغصبتنيها ، فيا للصوص الكتابة ، ويا لحزني عليه والكآبة ، واستيقظت فعلَّقتُ ذلك .

وحدث في كتابه قال : قال لي الشيخ أبو الحسن الربعي ، وقد سألته عن « لعمرك » و « لعمري » والقسم بذلك ، وأعلمته أني رأيتُ بخطِّ بعضِ الناسِ فيه واواً ، وقلت له : إن الواو لا مدخل لها هَا هنا فإنها دخلت على « عمرو » للفرق بينه وبين عمر ، وهذا قسم ، ولذلك دخلت اللام فيه ، فقال : أخطأ وأصبت ، وتكلم في اللام الداخلة على « عمري » وقال : إنَّ اللام في قولهم : لزيدٌ قائم تفيد أمرين : أحدهما التأكيد والآخر تقديرُ استقبالِ القسم ، وهي من قولهم « لعمري » لا تفيد سوى التأكيد ، لأن عمري قسم، والقسم لا يدخل على قسم ، وتكلم في ذلك بما طال ثم قال لي : أعدْ ، فأعدتْ ما قال بعينه ، ونحن إذ ذاك في دار أبي غالب ابن الثلاج ، وهو يقرأ عليه ، فقال له : يا أبا غالب ، هذا هو الذكاءُ الكبريتي ، قال : وكيف يا سيدي ؟ قال : هكذا ذكاءُ العراقيين ، وحدثنا قال : كان يقرأ على أبي علي الفارسي فتىً من أهلِ نسا ، وكان بعيداً بليداً ، وهو يُقْبِلُ عليه ويصرف همته إليه ، وأهلُ المدرسة يحيطون بدرسه دونه ، وأبو علي يغتاظ من الترديد الذي يقصد به إفهامه ، ويفهم غيره ، فقال لنا يوماً : الذكاءُ على أربع طبقات : فأولها الذكاءُ الكبريتي ، وهو ذكاءُ العراقيين ، فإنهم يفهمون سريعاً وينسون ذريعاً ، وثانيها طبقات أهل العلم ، وهم يفهمون على بطءٍ ما ولا يكادون ينسون سريعاً ، وثالثها طبقات أهل [. . . .] . وهم الذين يفهمون سريعاً ولا ينسون ، ورابعها طبقة هذا الفتى ، وهو الذي لا يكاد يفهم إلا بعيداً وينسى قريباً ، فاستحيى الفتى ولم يره في مجلسه بعدها .

قال ابن نصر : ورأيت كاتباً جالساً إلى جانبي وقد كتب كتاباً افتتحه بأن قال :

« لم أَقْرَ لمولدي كتاباً منذ كذا » ، فلما فرغ من الكتاب كلّه تأمله ثم طواه ولم يغير شيئاً ، فقلت له : لا يجوز « لم أقْرَ » فإن هذه همزة ، والهمزةُ حرفُ صحيح يجري بوجوه الاعراب ، وعلامةُ الجزم فيه حذف حركته ، فأعرض عني وأعطى الكتاب لغلامه وقال له : ألصق هذا وأنفذه ، فأمسكت حينئذ .

وأذكر وقد حضرتُ مجلساً في الحداثة ، فوُصِفَ رجلٌ بالطرش ، فقلت : هو أصلح ـ وصحَّفت ـ وكان إلى جانبي أبو عبد الله الحسين الشاعر المعروف بالخالع فقال لي : صحَّفْتَ ، هو أصلخ ـ بالخاء المعجمة ـ فقلت : جزى الله الشيخ خيراً وأفاده وأثابه ، فجذبني إليه وقبلني وقال : هذا هو الفلاح .

قال ابن نصر : وحدثني أبو نصر العلاء بن الفيرزان الوزير ـ وكان هشَّ المحادثة طيبَ المحاضرة كثير المزح ، لولا شرٌّ كان كامناً فيه ـ وسمعته يقول : حفظتُ « كتاب بغداد » لابن أبي طاهر وقرأته عشرين دفعةً من أوله إلى آخره ، وقرأت « التاريخ » لأبي جعفر بالفارسية والعربية ؛ واتفق أن اشتكت عيني فتأخرتُ عنه ، وعلم بذاك فأنفذ إليّ غلاماً ومعه صُرَّةٌ فيها خمسمائة درهم ، فتركها بين يديّ ، ومعها من البياض قطعة مثل الزيق في طوله وعرضه ، وانصرف ولم يخاطبني بلفظة ، فلما فتحتُ عيني تأملت الكاغد وإذا فيه :

وخذ القليل من اللئيم وَذُمَّهُ   إن القليلَ من اللئيم كثيرُ

وحملتُ إليه في ليلة نوروز ديناراً رومياً ودرهماً خسروانياً وجزءاً فيه أخبارٌ منثورةُ من كل نوع ، وكتبت إليه رقعةً نسختها : أَخَّرني عن حضرة سيدنا السيد الأجل ـ [أطال] اللّه بقاءه ـ عذرٌ يَسْقُطُ معه العتب ، وَيُغْفَرُ لأجله الذنب ، ومن المعاذر ما تعزفُ النفسُ عن ذكره ، وتَشَوَّفُ إلى طيّه وستره ، لا سيما عن الأقلام التي تُحْفَظُ أسطارُهَا ، وتبقى على الدهر آثارُهَا ، وقد أقمتُ سُنَّةَ الخدمة بجزء يصلح لخلوة الأنس ، ويجمع أوطار النفس ، ليس بجسيم يُسْتَجْفَى ، ولا ضئيل يحتقر ويزدرى ، قد يحتوي من الاعتدال بين اللاطىء والعال . . . . . . وتضل الأفهام في حُروشته، اللفظة الواحدة من مضمونه، [تحوى] فقر الفضل وعيونه. ودينارٌ ودرهمٌ من ضَرْب كسرى وقيصر، فمن مثلي في ظَرْفِ هديتي، ومن يساجلني إذا جَمَّلني بقبولها وشرَّفني ـ لا أخلاه الله من نعم

يفيضها عليه ، ولا أعدمه تابعاً يزدلفُ بالطرف إليه ، بمنّه وطَوْله ، وجوده وفضله ، إنه على كل شيء قدير ؛ قال : فأنفذ إليَّ جزءاً بخطِّ أبي الحسن ابن هلال وديناراً مصنوعاً فيه عشرون مثقالاً ودرهماً مثله ، وكتب إليّ : ما رأيت مثل سيدنا ـ أطال الله بقاءه وجعلني فداءه ـ (وهكذا كانت عادته في مكاتبتي) يُحْسِنُ ويعتذر فإنه قد أوجب بتأخره مِنَّةً ، وكفاني ببعده مؤونة ، وقد أنفذتُ جزءاً لا أصفه ، وديناراً ودرهماً لا أنعته ، وإذا تأمَّل ما حملتُهُ إليه وحمله إليَّ وجد قدر التفاوت بينهما قدر التفاوت بيني وبينه ، والسلام .

قال : وكان مزّاحاً مِطْراباً مؤثراً لهذا الفن ، غير أنه كان يغلب عليه الشر ، وكان تاب أن لا يضربَ أحداً في يوم جمعة ، ورأيته في وقت الصلاة يومَ جمعة من الجمعات وقد أمر بضرب أبي الطيب ملول بن فضلان الصيرفي الجهبذ ، فسألته وذكَّرته العهدَ ، فقال : إنما تبتُ أن أضربَ بالمقارع ، فقلت : هذا تأوّلٌ طريفٌ في اليمين .

وحدث ابن نصر قال : حمل إليّ الوزير أبو نصر العلاء بن الفيرزان ـ وهو إذ ذاك عامل البصرة ـ ثياباً في بعض الفضول ، ولم تجرِ العادةُ بها ، وآثر أن يكتمها عن القاسم أبي الصالح كيوس أمير البصرة حينئذ خصوصاً ، وعن الكافة عموماً ، وكان في جملتها دُرَّاعةُ سقلاطون ، وكتبَ يعتذرُ ويذكر أنه لم يجد ثوباً يشبهها ، ووصفها وأطال ، وكان أصلحَ ما وصفها به قولُهُ : لم تبتذلها العيونُ في المجالس ، ولا افترع جَيْبَها جيدُ لابس ، فأنفذتُها بخاتم ربِّها إلى مستحقها وَتِرْبها ؛ وفي هذا بعضُ العهدة ، ومن ينتقده من أهل الصنعة يعرفه . فكتبت إليه ، واعتمدتُ كَسْرَهُ بذمّها : وصلتْ تحفةُ سيدنا الأجلّ وقبلتها على تجعدي[1]من مثلها، ووجدته قد خَصَّ الدراعةَ منها بصفته ، وأظهر فيها مكنون بلاغته ، ولو أفرج لي عن ذلك لكان أحسن ، وتركني وإياه لكان أشبهَ به وأزين ، وبعدُ فلكلٍّ موصوفٍ عائب ، ولكلٍّ ممدوح ثالب ، وأظنّه نسي أو تناسى أنه حكَّم فيها شبا الحديد ، فبضَعَها من القدم الى الوريد ، حتى إذا جزّأها أجزاء ، وجعلها مبدَّدة أشلاء، عاد يُصْلحُ ما أفسد من حالها ، ويجمعُ ما فرق من أوصالها ، فكم من صورةٍ مستحسنة قَدَحَها وعابها ، ودائرةٍ مستقيمة قطعها

(1) التجعد : التقبض .

فشانها ، فأصبحت بعد الجسم الممسَّد ، والاسم الرائق المفرد ، ذاتَ البنائق والأركان ، وصاحبةَ الدّخارصِ والجربّان ؛ هذا وكيف تكون بختامها وعنده من كبدها فلذة ، وفي خزائنه من أعضائها فَضْلَةٌ ، وعلى ذلك فالشكر عنها مبذول ، وَحَبْلُ الثناءِ بها موصول ، والسلام .

قال : فلما كان من الغد التقينا في دار القسيم فقال: لعنك الله فإنك كافرٌ للنعمة ، ولعنني حيثُ تعرضتُ بك في الكتابة ، وقد أنفذتُ إليك فضلةَ الثوب ، لا بارك الله لكَ فيه ولا فيها .

قال ابن نصر : وهذا الخبر عكسُ ما لحقني مع أبي عمرو سعيد بن سهل العارض ، فإنه دخل يوماً إلى دار الوزارة بالبصرة وجلس ينتظر الاذن ، فقلت لغلامي : امضِ إلى أبي العباس الكوفي البزاز وَخُذْ منه الثوبَ السقلاطون المعمَّد الذي عزلتُهُ للدراعة ، وأْذَنْ لأبي عمرو ، فدخل وما ظننته تسمَّع عليّ ، ومضى الغلام فلم يصادف البزاز ، وانصرفتُ آخر النهار إلى داري وإذا فيها دراعة سقلاطون معمدة في نهاية الحسن ، فسألت عنها فقيل : جاء رجل وقال أنا صاحب أبي عمرو العارض ، خذوا هذه الدراعة ، قلت : وكان معها رقعة ؟ قيل : لا . فكتبتُ إليه من الغد : للفواضل ـ أطال اللّه بقاء الأستاذ الرئيس ـ فضائلُ تتميز بها وتستطيل بمكانها على أضرابها منها : أن تَرِدَ بكراً لم يفترعها السّؤال ، وتُقْطَع عرضاً لم تحتسبها الآمال ، فتلك الشربة العذبةُ للظامي ، وإصابةُ الشاكلةِ عند الرامي ، كتحفته التي جاءتْ مُسَيَّرةً كالجداول ، مُذَهَّبةً كالأصائل ، معدَّلة بحسن التقدير والتوفيق ، منزَّهةً عن فُحْشِ السَّعةِ والضيق ، محلولةَ الجيب والجيوبُ مزرورة ، مكشوفةَ الفرج والفروجُ مستورة ، فهي من بدائع صُوَرِها ، ووشائع حِبَرِهَا ، كالرياضِ الرائعة ، والبروقِ اللامعة ، سلكها دقيق ، ومنظرها أنيق ، كأنما عُدِّلَتْ بمعيار ، أو دُبّر ذيلها على بركار ، لابسُهَا مختال ، ومانحها مفضال ، قد سيَّرها بفضله المكتوم ، وشهَّرها بِعَرْفِهِ النموم ، فطويتُها طيَّ المكرم الضنين ، ونشرتُ الشكرَ عنها نَشْرَ الخاطبِ المبين ، وأفردتها عن أشكالها وإن عزَّ المشاكل ، وجعلتها زينةً للمواكب والمحافل ، واللّه تعالى يزيدُهُ كرماً وفضلاً ، ويجعله لادِّخارِ كلِّ مَنْقَبَةٍ أهلاً ، إنه على كل شيءٍ قدير .

قال أبو الحسن علي بن محمد بن نصر حدثني أبو القاسم عبد الواحد بن محمد

المطرز الشاعر[1] أن صديقاً له كتب رقعةً مذ خمسين سنة مشتملةً على غرض له بألفاظ ليس فيها حرف ينقط ، وأنه استصعب ذاك ، واقترح أن أكتب إليه رقعةً على هذه الطريقة ليجيبَ عنها بشعر ، قال : وكنت أُسمّيه « الشيخ العالم » مزاحاً ، وكان المطرّز يغضبِ من هذا اللقب :

العالم الأوحد ـ أطال الله عمره وأدام سعده ـ محلُّ العصمةِ ودارها ، ومعرَّسُ الحكمةِ ومدارها ، وراحةُ كلِّ صدر ، وعدة كلِّ حرّ، ومحطّ الرحال ، ورأسُ مالِ الآمال ، كلّ دهرٍ أحال عَهْدَهُ مُرّ ، وكلّ صحوٍ لا أراه معه سُكْر ، حَرَسَ اللّه آلاءه ، ولا أعدمه الطَّوْلَ وإسداءه ، معلومٌ ما حاوله رعاه اللّه ملاحاة ، وسأله معاداةً أو مصاداة ، لأحسر لسؤاله ، ولأسمو لدرك محاله ، ولعمر اللّه وعمره كلّ كلام اطرح معه العادة المعلومة ، وهدر له الحال المعهودة ، وعزّ مسلكه ، وعسرٌ مطلعه ، وصار لمادةِ السداد هادماً أساسَه ، ومحللاً مِرَرَهُ وأمراسَهُ ، لا محلّه محلّ المكرم ، ولا رصُّه رصُّ المحكم ، وهو سداد لعدمٍ . ولو سواه حرسه الله سام ما سامه ، ورام ما رامه ، لما أدرك مرماه ولا أُحْمِدَ مسعاه ، ولا سمع دعاؤه طول الدهر ، ولا ساعده ساعدٌ ولو مُدَّ له العمر ، والسلام

قال : وغدا مهيار علينا فأنشدنا لنفسه في هذا المعنى[2] :

وعد لرملة كدَّ الصدرَ ممطولُ ... دمُ الكرى معه ما سال مطلولُ
وصلٌ هو الصدُّ محمودٌ مواردُهُ ... حلَّ المحلا وصرم وهو محمولُ
أما صحا أو سلا إلا أعاد له ... عهد الأولى طللٌ كالسطرِ ممحولُ
محاه كلّ ولود الرعد حامله ... مدار ما حار هادٍ وهو مدلولُ
راحوا وحلَّ وِكاءَ الدمعِ عاصمُهُ ... وطاح ما طاح دمعٌ وهو محلولُ
ساروا وكم أملٍ سارٍ وراءهمُ ... وكلُّ ما وعد الأملاءُ مأمولُ
وطاول الدهر عمراً لا ملالَ له ... مع السرور وطولُ العمرِ مملولُ

وتأخر وعدُ المطرز بالشعر فكتب إليه الرئيس أبو الحسن ابن نصر في المعنى :

(1) هو عبد الواحد بن محمد بن يحيى بن أيوب عرف بالمطرز ، وكانت وفاته سنة 439 .
(2) لم أجدها في ديوان مهيار .

لِمَ وَعَدَ أسعده الله المساعدةَ وَعَدَل ، وسهَّلَ الحملَ وما حمل ، وكلامُهُ رَوْحُ الصدورِ وسرُّها ، وراح الأسماع وعطرها ، ولمَ أهملَ عادةَ إسعاده ، وهَدَرَ معهودَ سماحه ؟ ألأمرٍ عراه أم حادٍ حداه ، ولِمَ مَطَلَ وعده وصرح ردّه ، وما عراه مراد ، ولا حُطّ له والحمد لله عماد ، والسلام .

وعرف هذه الجملة والمفاوضة أبو الحسن ابن الحسين الغضائري ، فكتب رقعةً مشتملة على نظم ونثر في هذا المعنى منها : أمرك ـ حرسك الله وأطال عمرك ـ المطاعُ ، ومرسومُكَ لا مَرَادَ له ولا مُراع ، ولمرادِكَ ما أسلك السماوة ولا عَلَم ، وأَوْرَدَ الآلَ المحالَ ولا مَكْرَع ، وأروع الآلة الوادعة والأداة الصالحة لأمر لا مَرْعَاهُ مُمْرِعٌ ولا مَوْرِدُهُ مُطْمِع ، ولا مَسْرَحُهُ ممطور ، ولا مَرَاحُهُ معمور ، والكلام ـ أدام الله علاك ـ مسؤول ، ومع الالحاح مملول ، ومع الادامة صلد الصمم ، مُمَرّ المرر ، طَوْرُهُ أطوار ، وحاله أحوال ، حلاَّلٌ رحَّال ، صرّامٌ وَصَّال ، وما أطاعك إلا عصاك ، ولا والاك إلا عاداك ، ما رام أحدٌ سهله إلا وَعَّر ، ولا أراد حُلْوَهُ إلا مَرَّرَ ، كم سامَهُ الكاملُ وعاد مطروداً ، وداسه العالم وآلَ مردودا ، والعلمُ الكالّ عاملٌ ما حُدَّ له ، وساع لما رُسِمَ له ، أصار اللّه سماءَ العلاءِ دارك ، وسهمُ السعادةِ مطلعك ، وأدام سموك ، وأهلك عدوك ، والسلامُ للرسولِ وأهله .

ومن النظم :

اسعدْ ودَام لك الإمهالُ والعمرُ ... هل رملُ رامةَ محمودٌ له المطرُ
وهل أراك وأمواهٌ لعارمِهِ ... كالعهد لا الوردُ أعداه ولا الصدرُ
وهل أرود ودارُ الوصلِ آهلةٌ ... داراً كدارك لولا روحها العطرُ
للّه صدرٌ وراه كلّ ساحرة ... كحلاءَ مرهاءَ ممدوحٌ لها الحورُ
واهاً لعلوةَ لا وصلٌ كواصلها ... ولا عطاؤك مسمولٌ ولا أمرُ
صدّ ومطلٌ وإدلالٌ ومحرمةٌ ... كما أعاد رسولَ الآكل السمرُ
لولا محمد لم أُعْطِ السلامَ ولا ... أمال سالمَ أمرِ اللمة الصورُ
دعا وطاوع ودّاً لا مراءَ له ... مسارعُ الأمرِ لا لاوٍ ولا صَعِرُ

كل هذا ولم يرد من المطرّز المتحدى في هذا المعنى شيء ، فكتب إليه الرئيس

علي بن نصر يستبطئه ويقتضيه ويحثّه على المهادنة : ما سلك العالم الأوحد ـ حرس معهوده ـ العادة ، ولا عَمِلَ عَمَلَ السادة ، رام أمراً ما حصَّله ، وحكم حكماً ما عَدَّله ، ووعد وعداً لواه ، وحدَّ حداً عداه ، وسدَّى وما ألحم ، وأورد وما أصدر ، وسار مهملاً أمره ، وطار مُسْلِماً وكره ، لا الكلامُ أسعده ، ولا الكلالُ أمهله ، هاله الأمر وراءه ، وعصاه المرامُ وما أطاعه ، محادّةً له علم معها مآلَ الصورة ، وعمل لها عملَ الصرورة ، هاك الساعةَ الموادعة حَصِّلْها ، وأحلَّها صدرك واحرسها ، وَصُرَّها دهرك وأعكُمْها ، ودع المراماةَ وراءك ، وَسَرِّحَ المصالحةِ أمامك ، وهلَّم السَّلْمَ ، والسلام .

قال ابن نصر : كتب إليّ أبو طاهر علي بن الحسين عزّ الأستاذين من بعض أسفاره : من علامات المؤانسة ، ودلالات المجالسة ، التكاتبُ في السفر ، والتزاور في الحضر ، وأنت بهما حريّ ، ومنهما عَمْرَ اللَّهِ بريّ :

ولو كنتُ أدري أن ذا البين كائنٌ … لعاصيتُ عذالي وخالفتُ نُصَّاحي
وما كنت أعطي البينَ صفقةَ بائعٍ … ولو أن إدراكَ المنى بعضُ أرباحي
قضاءٌ من الرحمن ما اسطعتُ ردَّه … وليس لأمرٍ خَطَّه اللَّه من ماح

قال أبو الحسن : كنت أكاثر أبا الفرج عبد الواحد بن نصر الببغا وأزوره دائماً مع القاضي أبي محمد أخي رحمه الله ، فتأخرنا عنه لشغلٍ عرض لنا ، وكتب إلينا :

ذخرتُ أبي نصراً لحظٍّ أنالُهُ … فبلغني أقصى المنى ببني نصرِ
وجدتهم الذخر القديمَ ولم أكنْ … علمتُ بأن الذخر يُعْزَى إلى الدهرِ

واستمر بنا الابطاء عنه فكتب إلينا رقعة أولها :

بني علي بن نصرِ … دعاءَ باسطِ عُذْرِ
أسرفتمُ في وصالي … وليس يَحْسُنُ هجري

إن رأيتما ـ جعلت فداءكما ـ أن تبرئا رَمَدَ طرفي بالنظر إليكما فعلتما ، فحضرناه ، وقلت له : يا سيدي ، ذكرتني لعمرك هذه أبياتَ أبي فراس التي كتب بها من الأسر إلى ولدي سيف الدولة[1] :

---

(1) هما أبو المكارم وأبو المعالي ابنا سيف الدولة ، وانظر ديوانه 2 : 370 .

يـا سيـديَّ أراكمـا لا تـذكرانِ أخـاكما
أوجـدتمـا بـدلاً بـه يبني سماءَ علاكما

فقال لي : أحسنت ، والله لقد كتبتُ الرقعةَ والأبياتُ في ذكري .

ـ 822 ـ

علي بن محمد بن حبيب الماوردي البصري يكنى أبا الحسن ويلقب أقضى القضاه لقب به في سنة تسع وعشرين وأربعمائة ، وجرى من الفقهـاء كأبي الـطيب الطبري والصيمري إنكار لهذه التسمية وقالوا : لا يجوز أن يُسَمَّى به أحد ، هذا بعد أن كتبوا خطوطَهم بجواز تلقيبِ جلال الدولة بن بهاء الدولة بن عضد الدولة بملك الملوك الأعظم ، فلم يلتفت إليهم واستمر له هذا[1] اللقب إلى أن مات ، ثم تلقب به القضاةُ إلى أيامنا هذه ، وشرطُ الملقب بهذا اللقب أن يكون دون منـزلة من تلقب بقـاضي القضاة على سبيل الاصطلاح، وإلا فالأولى أن يكون أقضى القضاة أعلى منزلة . ومات الماوردي[2] في سنة خمسين وأربعمائة، وكان عالماً بارعاً متفنناً شافعيّاً في الفـروع ومعتزلياً في الأصول على ما بلغني والله أعلم . وكـان ذا منزلـة من ملوك بني بويـه يرسلونه في التوسطات بينهم وبين من يناوئهم ، ويرتضـون بوسـاطته ، ويقنعـون[3]

822 ـ ترجمة الماوردي في : طبقات الشيرازي : 131 وتاريخ بغداد 12 : 102 والمنتظم 8 : 199 والأنساب واللباب (الماوردي) وابن خلكان 3 : 282 وسير الذهبي 18 : 64 وعبر الـذهبي 3 : 223 وميزان الاعتدال 3 : 155 ومرآة الجنان 3 : 72 وطبقات السبكي 5 : 267 وطبقات الأسنوي 2 : 387 والبداية والنهاية 12 : 80 ولسان الميزان 4 : 260 والنجوم الزاهرة 5 : 64 وطبقات المفسرين للسيوطي : 25 وطبقات الداودي 1 : 423 وطبقات ابن هداية الله : 151 والشذرات 3 : 285 ؛ (وقد وقعت ترجمة الماوردي في ك بعد عدة تراجم تالية) . وكتابه «الأحكام السلطانية» طبع مرَّات . وكذلك كتاب قوانين الوزارة آخرها بتحقيق العالم الصديق الدكتور رضوان السيد ، بيروت 1979 ، وأدب الدنيـا والدين بعناية أستاذنا مصطفى السقا رحمه الله ط/4 : 1978 .

(1) هذا : سقطت من ك .
(2) الماوردي : سقطت من ك .
(3) م : ويقفون .

بتقريراته . قرأت في « كتاب سرّ السرور » لمحمود النيسابوري هذين البيتين منسوبين إلى الماوردي هذا :

وفي الجهل قبل الموتِ موتٌ لأهله فـأجسـادُهُمْ دونَ القبـورِ قبـورُ
وإنّ امـرءاً لم يحيَ بـالعلم صَـدْرُهُ فـليس لـه حتى النشـورِ نشـور

حدث محمد بن عبد الملك الهمذاني ، حدثني أبي قال : سمعت الماوردي يقول : بسطتُ الفقه في أربعة آلاف ورقة ، واختصرته في أربعين ، يريد بالمبسوط « كتاب الحاوي » وبالمختصر « كتاب الاقناع » قال : وعلّق عليه ، أي الحاوي[1] ودرس مكانه خمس سنين . قال : ولم أر أوقر منه ، لم أسمع منه مضحكة قط ، ولا رأيتُ ذراعه منذ صحبته إلى أن فارق الدنيا .

قلت : وله تصانيف حسان في كلّ فن منها : كتاب تفسير القرآن . وكتاب الأحكام السلطانية . وكتاب في النحو رأيته في حجم الايضاح أو أكبر . وكتاب قوانين الوزارة . وكتاب تعجيل النصر[2] وتسهيل الظفر .

قرأت في مجموع لبعض أهل البصرة : تقدم القادر بالله إلى أربعة من أئمة المسلمين في أيامه في المذاهب الأربعة أن يصنّف له كلُّ واحد منهم مختصراً على مذهبه فصنف له الماوردي « كتاب الاقناع » ، وصنف له أبو الحسين القدوري مختصره المعروف على مذهب أبي حنيفة ، وصنف له القاضي أبو محمد عبد الوهاب بن محمد بن نصر المالكي مختصراً آخر ، ولا أدري من صنّف له على مذهب أحمد ، وعرضت عليه فخرج الخادم إلى أقضى القضاة الماوردي وقال له : أمير المؤمنين يقول لك[3] حفظ الله عليك دينك كما حفظتَ علينا ديننا .

ومن هذا المجموع : كان أقضى القضاةِ رحمه الله قد سلك طريقةً في ذوي الأرحام يورث القريب والبعيد بالسوية ، وهو مذهب بعض المتقدمين ، فجاءه يوماً

(1) قال . . الحاوي : سقطت من م .
(2) في ك : تحصيل النصر ؛ ونشر الكتاب باسم « تعجيل النظر وتسهيل الظفر » مرتين ، احداهما بتحقيق د . رضوان السيد ، بيروت 1987 .
(3) م : وقال له قال لك أمير المؤمنين .

السينيزي في أصحاب القماقم فصعد إليه المسجد وصلّى ركعتين والتفت إليه فقال له : أيها الشيخ اتبعْ ولا تبتدع ، فقال : بل أجتهد ولا أقلد ، فلبس نعله وانصرف .

ـ 823 ـ

علي بن محمد بن محمد بن الحسن بن دينار الديناري النحوي ، أبو الحسن : من ولد دينار بن عبد الله ، قال ابن طاهر المقدسي : مات سنة ثلاث وستين وأربعمائة وأبوه أبو الفتح محمد من أهل العلم والحديث .

ـ 824 ـ

علي بن محمد أبو الحسن الأهوازي النحوي الأديب : رأيت له كتاباً في علل العروض نحو عشر كراريس ضيقة الخط جيداً في بابه غاية ، ولا أعرف من حاله غير هذا .

ـ 825 ـ

علي بن محمد الوزان النحوي الحلبي أبو الحسن : سمع منه أبو القاسم علي بن المحسن التنوخي ، وأظنه كان في أيام سيف الدولة بن حمدان ، وله كتاب في العروض .

ـ 826 ـ

علي بن محمد بن السيد النحوي البطليوسي أبو الحسن ، ويعرف بالخيطال ، وهو أخو أبي محمد عبد الله بن السيد النحوي ، روى عن أبي بكر ابن

---

823 ـ ترجمة الديناري في الأنساب 5 : 453 والوافي 22 : 132 وجعل وفاته : 473 وبغية الوعاة 2 : 198 .

824 ـ الوافي 22 : 164 (عن ياقوت) وبغية الوعاة 2 : 203 .

825 ـ الوافي 22 : 166 (عن ياقوت) وبغية الوعاة 2 : 205 .

826 ـ الصلة : 400 والوافي 22 : 164 عن ياقوت دون تصريح بذلك وإنباه الرواة 2 : 307 وبغية الوعاة 2 : 189 .

الغراب وأبي عبد الله محمد بن يونس وغيرهما . أخذ عنه أخوه أبو محمد كثيراً من كتب الآداب وغيرها ، وكان مقدماً في علم اللغة وحفظها وضبطها ، ومات بقلعة رباح معتقلاً من قبل ابن عكاشة قائدها سنة ثمان وثمانين وأربعمائة .

ـ 827 ـ

علي بن محمد الأخفش النحوي: لم أجد ذكره إلا على «كتاب الفصيح» بخط علي بن عبد اللّه بن أخي الشبيه العلوي ما صورته : حذق عليّ هذا الكتاب وهو كتاب الفصيح أبو القاسم سليمان بن المبارك الخاصة الشرفي ـ أدام الله أيامه ـ من أوله إلى آخره قراءة فهم وتصحيح ، وقرأت أنا على عليّ بن عميرة ، رحمه الله ، في محلة باب البصرة ببغداد عند المسجد الجامع الكبير ، وقرأ هو على أبي بكر ابن مقسم النحوي عن أبي العباس ثعلب رحمه الله ، وكتب علي بن محمد الأخفش النحوي سنة اثنتين وخمسين وأربعمائة عربية[1] .

ـ 828 ـ

علي بن محمد بن ابراهيم بن عبد الله القهندزي أبو الحسن الضرير النحوي الأديب النيسابوري : من أصحاب أبي عبد الله ، شيخ فاضلٌ من الأدباء ، سمع الحديث من أبي العباس المناسكي المحاملي وغيره ، وسمع منه الناس ، وقرأ عليه الأئمة وتخرجوا به ، قال ذلك عبد الغافر في « السياق » قرأ عليه أبو الحسن علي بن أحمد الواحدي وعدَّه في أعيان مشايخه ، وقال الواحدي : وكان من أبرع أهل زمانه .

---

827 ـ الخريدة (قسم مصر) 1 : 238 والوافي 22 : 165 (عن ياقوت) وبغية الوعاة 2 : 202 .

828 ـ بغية الوعاة 2 : 186 والوافي (خ) ونكت الهميان : 215 ولم يرد في المنتخب من السياق .

(1) عربية : سقطت من م

- 829 -

علي بن محمد السعيدي البياري الأستاذ الأديب أبو الحسن : رجل فاضل من أهل بيت الفضل والأدب ، وأما سماع الحديث فقلما يخلو عنه أهل الفضل ، قاله عبد الغافر .

- 830 -

علي بن محمد بن علي بن منصور الحوزي(1) أبو الحسن الأديب بن الأديب السقاء : رجل فاضل شاعر كاتب ، وسمع الحديث من متأخري الطبقة الثانية ثم من مشايخنا ، ومات كهلاً في الثاني من شهر ربيع الأول سنة سبع وتسعين وأربعمائة ، قال ذلك عبد الغافر .

- 831 -

علي بن محمد بن أرسلان بن محمد الكاتب أبو الحسن بن أبي علي المنتجب ، من أهل مرو ، كاتبٌ مليح الخط فصيحُ العبارة ، وله شعر وترسل وبلاغة في غاية الحسن . سافر إلى العراق وجال في بلاده ، ولعله ما رأى مثل نفسه في فنه ، سمع بمرو أبا علي إسماعيل بن أحمد بن الحسين البيهقي وغيره . قال أبو سعد : اجتمعت معه ببغداد بالمقتدية وكتب لي شيئاً من شعره ، وكان حُفَظَةً يسمع أربعين بيتاً فيحفظها ، اجتمعت فيه أسباب المنادمة والكتابة وصحبة الملوك ، له هذا البيت الفرد:

وأما الحشا منّي فاني امتحنتها ... وأدنيتُ منها الجمرَ فاحترق الجمرُ

829 - لم يرد في المنتخب من السياق .

830 - ترجمة الحوزي في المنتخب من السياق 70أ ، 115ب والوافي 22 : 85 (عن ياقوت).

831 - تأخرت هذه الترجمة عن موضعها في ك فجاءت تالية لترجمة الفصيحي (رقم : 834) .

(1) ك : الحوزي السقاء .

ولـه :

إذا المـرءُ لم تغنِ العفاةَ صِـلاتُـهُ ... ولم يـرغم القـومَ العـدى سـطواتُـهُ
ولم يرضَ في الدنيا صديقاً ولم يكنْ ... شفيعاً لـه في الحشـر منه نجاتـه
فـإن شـاء فليهلكْ وإن شـاء فليعشْ ... فسيّـانِ عنـدي مـوتُـهُ وحيـاتـه

قتل في الوقعة الخوارزمشاهية بمرو في ربيع الأول سنة ست وثلاثين وخمسمائة وله كتاب « تعلة المشتاق إلى ساكني العراق » .

وكان أبوه[1] محمد بن أرسلان أيضاً من الفضلاء النبلاء، وله شعر ورسائل، ومدحه الزمخشري ورثاه ، وكان يلقب منتجب الملك ، فلا أدري أهذا تلقب بلقب أبيه أم يعرف بابن المنتجب . وذكر في « تاريخ خوارزم » أن منتجب الملك محمد بن أرسلان مات في سنة أربع وثلاثين وخمسمائة أو قريباً منها ، وذكر الزمخشري في[2] شرح مقاماته[3] أنشدني الكبير المنتجب أبو علي محمد بن أرسلان لنفسه بيتاً لو وقع في شعر المتقدمين لسيرته الرواة وخلدته الأئمة في كتبهم ، وكم من أخوات له ضُيِّعَتْ بضياع الأدب وقلة النَّقَلَةِ واتضاع الهمم وتراجع الأمور على أعقابهـا :

وَبُـرْداهُ مسجـورانِ مثـلُ هجيـرِهِ ... كـأنْ ليس فيـه بُكْـرَةٌ وأُصيـلُ

قال وما أظن البردين وقعا مثل هذا الموقع منذ نطق بهما واضع العربية . ومن شعر منتجب الملك محمد بن أرسلان :

قـل للمليحةِ في الخمـار الأحمر ... لا تجهـري بـدمـائنا وتستـري
مُكِّنْتِ من حَبِّ القـلوبِ ولايـةً ... فـملكتِهـا بـتعسـفٍ وتـجبـرِ
إن تنصفي فـلك القـلوبُ رعيـةٌ ... أو تمنعي حقـاً فمن ذا يجتـري
سَخَّـرتني وَسَحَـرْتني بنـوافثٍ ... فتـرفَّقـي بمسخَّـر ومسـحَّـرِ

(1) قوله : وكان أبوه . . . حتى آخر الترجمة : سقط كله من ك .
(2) م : ان .
(3) انظر شرح المقامات (مصر 1312) ص : 175 .

- 832 -

علي بن محمد بن علي بن أحمد بن هارون[1] العمراني الخوارزمي، أبو الحسن الأديب ابن الأديب[2]: يلقب حجة الأفاضل وفخر المشايخ مات فيما يقارب سنة ستين وخمسمائة، ذكره أبو محمد ابن أرسلان في «تاريخ خوارزم» ومن خطه نقلت فقال: العمراني حجة الأفاضل، سيد الأدباء، قدوة مشايخ الفضلاء، المحيط بأسرار الأدب، والمطلع على غوامض كلام العرب، قرأ الأدب على فخر خوارزم محمود بن عمر الزمخشري، فصار أكبر أصحابه، وأوفرهم حظاً من غرائب آدابه، لا يُشَقّ غباره في حسن الخط واللفظ، ولا يُمْسَحُ عذاره في كثرة السماع والحفظ، سمع الحديث من فخر خوارزم والامام عمر الترجماني[3] ولد الامام أبي الحسن علي بن أحمد المخي[4] والامام الحسن بن سليمان الخجندي والقاضي عبد الواحد الباقرحي وغيرهم. وكان ولوعاً بالسماع كتوباً، وجعل في آخر عمره أيامه مقصورة وأوقاته موقوفة على نشر العلم وإفادته لطالبيه وإفاضته على الراغبين فيه، فحولُ العلماء يرجعون إليه ويقرأون عليه، ويفزعون في حلِّ المشكلات وشرح المعضلات إليه، وهو مع العلم الغزير والفضل الكثير علم في الدين والصلاح المتين، وإنه في الزهادة والسداد وحسن الاعتقاد أطهرُ أقرانه ذيلاً من العيوب، وأنقاهم جيباً عن اقتراف الذنوب، وكان يذهب مذهبَ الرأي والعدل، وله شعر حسن، فمن قوله في صباه في مدح رسول الله ﷺ وخلفائه الراشدين يعارض قصيدة كعب بن زهير:

---

832 - ترجمة العمراني في الأنساب 9: 53 واللباب 2: 357 ومعجم الألقاب 3: 257 والجواهر المضية 1: 378 والوافي 22: 94 وبغية الوعاة 2: 195 وطبقات الداودي 1: 430.

(1) م: مروان.
(2) بن الأديب: سقطت من م.
(3) ك: الترجاني.
(4) ك: المحي.

* بانت سعاد فقلبي اليوم متبول *

قال : كتبتها من خطه[1]

أضاء برقٌ وسجفُ الليلِ مسدولُ ... كما يُهَزُّ اليماني وهو مصقولُ
فهاج وجدي بِسُعْدَى وهي نائيةٌ ... عنّي وقلبيَ بالأشواقِ متبولُ
لم يبقَ لي مذ تولى الظعنُ باكرةً ... صبرٌ ولم يبقَ لي قلبٌ ومعقولُ
مهما تذكرتها فاضَ الجمانُ على ... خدّيّ حتى نجادُ السيفِ مبلولُ
ما أنس لا أنسَ إذ تجلو عوارضَها ... والجفنُ بالاثمد الهنديّ مكحولُ
ظمأى الموشحِ ريانٌ مخلخلها ... عبلٌ مؤزَّرها والمتنُ مجدولُ
كأنما هي إذ ترخي ذوائبها ... بدرٌ عليها رواقُ الليلِ مسدولُ
كأنما ثغرها درٌّ إذا ابتسمتْ ... وريقها سَحَراً بالراح معلولُ
يا حبذا زمنٌ فيه نُسَرّ بها ... والشعبُ ملتئمٌ والحبلُ موصولُ

ومنها في مدح النبي ﷺ :

هَدَى إلى دين إبراهيمَ أمَّتَهُ ... وكلهم بِعِقالِ الشركِ معقولُ[2]
وكلّ أصحابه أهوى وأمنحُهُمْ ... ودّي ومبغضهُم في الدين مدخولُ
وصاحبُ المصطفى في الغار يتبعه[3] ... وهو الذي مالُهُ في اللّه مبذولُ
وتلوه عمرُ الفاروقُ أزهرُ إن ... رآه إبليسُ ولّى وهو مخذولُ
وأقتدي بابنِ عفّانَ الذي فُرِيَتْ ... أوداجُهُ وهو بالقرآن مشغولُ
وبالوصيِّ ابن عم المصطفى فله ... مناقبٌ جمةٌ في شرحها طولُ
وإنَّ أقْضَاهمُ قد كان أفضلَهم ... فانظرْ فذا عن رسولِ الله منقولُ
محبتي لهمُ ديني ومعتقدي ... فإنْ أزُغْ عنهمُ غالتنيَ الغولُ

---

(1) قال . . . خطه : لم ترد في م .
(2) بعد هذا البيت في ك : منها .
(3) ك : أتبعه .

ولهذا الامام أشعار من هذا النمط ، ترك الكاغد أبيضَ خير من تسويده بها .

وله تصانيف حسان منها : كتاب المواضع والبلدان . وكتاب في تفسير القرآن . وكتاب اشتقاق الأسماء .

ومن شعره الذي أورده لنفسه في « كتاب البلدان » :

رأيتُكَ تدّعي علمَ العروضِ　　　كأنك لستَ منها في عروضِ
فكم تُزْري بشعرٍ مستقيم　　　صحيحٍ في موازين العروضِ
كأنك لم تُحِطْ مذ كنتَ علماً　　　بمخبونِ الضروبِ ولا العروضِ

- 833 -

علي بن محمد أبو الحسن السخاوي : وسخا قرية من قرى مصر ، كان مبدأه الاشتغال بالفقه على مذهب مالك بمصر ثم انتقل إلى مذهب الشافعي ، وسكن بمسجد بالقرافة يؤمّ فيه مدة طويلة ، فلما وصل الشيخ أبو القاسم الشاطبي إلى تلك الديار واشتهر أمره لازمه مدة ، وقرأ عليه القرآن بالروايات ، وتلقف منه قصيدته المشهورة في القراءات ، وكان يعلّم أولاد الأمير ابن موسك ، وانتقل معه إلى دمشق ، واشتهر بها بعلم القرآن ، وعاود قراءة القرآن على تاج الدين أبي اليمن الكندي ولازمه ، وقرأ عليه جملة وافرة من سماعاته في الأدب وغيره ، وصار له حلقة بالجامع بدمشق ، وتردّد إليه الناس للتأدّب ، وشرع في التصنيف فله : كتاب الوحيد في شرح القصيد ، يريد قصيدة الشاطبي ، وبسط القول وطوّل[1] في مجلدتين . كتاب شرح المفصل . كتاب في تفسير القرآن . وكتبت هذه الترجمة في سنة تسع عشرة وستمائة وهو بدمشق كهلٌ يحيا .

833 - ترجمته في معجم البلدان (ش) وانباه الرواة 2 : 311 والبداية والنهاية 13 : 170 وطبقات السبكي 8 : 297 وتذكرة الحفاظ : 1432 وحسن المحاضرة 1 : 412 ومرآة الزمان 8 : 758 وابن خلكان 3 : 27 (وفي حاشية طبقات السبكي ذكر لمصادر أخرى) .

(1) وطول : سقطت من ك .

ـ 834 ـ

علي بن محمد بن علي الفصيحي أبو الحسن من أهل استراباذ ، وهي مدينة من طبرستان ورأس قصبتها ، قرأ النحو على عبد القاهرَ الجرجاني ، وأخذ عنه أبو نزار النحوي والحيص بيص الشاعر ، ومات فيما ذكره السلفي الحافظ يوم الأربعاء ثالث عشر ذي الحجة سنة ست عشرة وخمسمائة ، وقدم بغداد واستوطنها إلى حين وفاته ، ودرّس النحو بالنظامية بعد الشيخ أبي زكريا يحيى بن علي الخطيب التبريزي ، ثم اتهم بالتشيع فقيل له في ذلك فقال : لا أجحد ، أنا متشيع من الفرق إلى القدم ، فأخرج من النظامية وَرُتِّبَ مكانه الشيخ أبو منصور موهوب بن أحمد بن محمد بن الخضر الجواليقي ، فكان المتعلمون يقصدون داره التي انتقل إليها للقراءة عليه ، فقال لهم يوماً : داري بكرىً وخبزي بشرىً ، وقد جئتم تدحرجون إليّ ، اذهبوا إلى من عزلنا به .

وسمي بالفصيحي لكثرة دراسته « كتاب الفصيح » لثعلب وصار له به أنس حتى انه دخل يوماً على مريض يعوده فقال « شفاه » وسبق على لسانه : « وأرخيت الستر » لاعتياده كثرة إعادته[1] .

وقد روى الفصيحي عن أبي الحسن الخطيب الأقطع إنشاداً ، سمعه منه ابن سلفة الاصفهاني الحافظ ببغداد وقال : جالسته وسألته عن أحرف من العربية ، وروى عنه في مشيخة بغداد ، وهو الذي عرفنا أن اسم أبيه[2] محمد وإلا فلا يعرف إلا بعلي بن أبي زيد الفصيحي فقط .

834 ـ ترجمة الفصيحي في نزهة الألباء : 274 وإنباه الرواة 2 : 306 وابن خلكان 3 : 337 والوافي 22 : 85 (وفيه اطلاع على معجم الأدباء ونقل عنه) وعيون التواريخ 12 : 153 والبلغة : 163 وبغية الوعاة 2 : 197 والشذرات 5 : 70 وإشارة التعيين : 227 .

(1) في الفصيح بعد الدعاء بالشفاء ترد عبارة « وأرخيت عليه الستر » فلطول ترداده للفصيح مزج بين العبارتين .

(2) ك : أن اسمه .

قرأت في « كتاب سرعة الجواب ومداعبة الأحباب » تصنيف الحسن بن جعفر بن عبد الصمد بن المتوكل بخطّه ، أنشدني الشيخ الامام أبو الحسن علي بن أبي زيد الفصيحي وقد عاتبته على الوحدة فقال :

اللّهَ أحمدُ شاكراً فبلاؤُهُ حَسَنٌ جميلُ
أصبحتُ مستوراً مُعَا فىً بين أنعمه أجولُ
خلواً من الأحزان خـ ـفَّ الظهر يقنعني القليلُ
حراً فلا مَنٌّ لمخـ ـلوقٍ عليَّ ولا سبيلُ
لم يشقني حرصٌ على الـ ـدنيا ولا أملٌ طويلُ
سيان عندي ذو الغنى الـ ـمتلافُ والرجلُ البخيلُ
ونفيتُ باليأس المنى عني فطاب[1] ليَ المقيلُ
والناسُ كلهمُ لمن خَفَّتْ مؤونته خليلُ

ومن كتابه أنشدنا الامام أبو الحسن علي بن أبي زيد في « المذاكرة » وقد رقي إليه كلام قبيح عن بعض أصدقائه ، فقال مستشهداً :

إني إذا ما الخليل أحدث لي صرماً وملَّ الصفاء أو قطعا
لا أحتسي ماءه على رَنَقٍ ولا يراني لبينه جزعا
أهجرهُ ثم تنقضي غير الـ ـهجران عنا ولم أقلْ قذعا
احذرْ وصالَ اللئيمِ إنّ له عَضْهاً إذا حبلُ ودّه انقطعا

وقرأت بخط الشيخ أبي محمد ابن الخشاب ، قال الشيخ أبو منصور موهوب بن أحمد ، وقد جرى ذكر الشيخ أبي الحسن بن أبي زيد الاستراباذي المعروف بالفصيحي صاحب عبد القاهر الجرجاني رحمهم الله ، قال لي الشيخ أبو زكريا يحيى بن علي بن الخطيب التبريزي رحمه الله إنه حضر معه ـ أعني الفصيحي ـ

(1) ك : وطاب .

حلقة تباع فيها الكتب ، فنودي[1] على كتاب فيه شيء من مصنفات أبي طالب المفضل بن سلمة بن عاصم ورّاق الفراء وعليه اسم المفضل منسوباً إلى النحو فقيل النحوي ، فأخذه الفصيحي وناولنيه (يقوله أبو زكريا) وقال لي كالمستهزىء النحوي ، أي قد نسبته[2] إلى النحو وهو عنده مقصر أي لا يستحق هذا الوصف قال فقلت : تكون أنت نحوياً ولا يكون المفضل منسوباً إلى النحو[3] ؟ قال الشيخ أبو محمد : لا شبهة في أن الذي حمل الفصيحيَّ على الغضِّ بهذا القول من المفضل أنه قد وقف على شيءٍ من كلامه في بعض مصنفاته مما يتسمَّح به أهلُ الكوفة مما يراه أهل البصرة خطأً أو كالخطأ ، وذاك مما لا يحتمله الفصيحي ولا شيخه عبد القاهر ولا شيخه ابن عبد الوارث أبو الحسين فَيُغْضُوا عليه ، لأن طريقتهم التي يسلكونها في الصناعة منحرفةٌ عن طريقة المفضل ومن جرى في أسلوبه كلَّ الانحراف.

قال الشيخ أبو محمد ابن الخشاب : وعلى أنني قرأت بخط المفضّل في كتابه الذي سماه «البارع» في الرد على كتاب العين في اللغة أشياءَ تدل على قصوره في الصناعة وضعفه[4] في قياسها ، منها أنه ذكر الحروف التي جاءت لمعانٍ بعد أن ذكر أبنية الكلام فقال : والحدُّ الثالث من الكلام الأدوات[5] ، وهي التي يسميها أهل البصرة حروف المعاني ، فمنها ما هو على ثلاثة أحرف نحو إنّ وليت وكيف وأين ، فعدَّ كما ترى كيف وأين في حروف المعاني ، وذا سهل عندهم . ثم قال : ومنها ما هو على أربعة أحرف نحو حاشا ولولا ، ومنها ما هو على خمسة أحرف نحو ما خلا وما عدا ، وَجَعْلُهُ الحرفين مع ما واحداً وعدُّه لهما فيما بُنِيَ من أصولِ الكلم على خمسة أحرف من أفحش الخطأ وأنزله ، ولو وفق لذكر « لاكنَّ » ومثَّلَ بها فليس في حروف المعاني ما هو على خمسة أحرف سوى لاكنَّ . ومرت بي فيما قرأته بخطه أشياء غير هذا تجري في التسمح مجراه.

قرأت بخط الشيخ أبي محمد ابن الخشاب : كان أبو الحسن علي بن أبي زيد

---

(1) ك : ونودي .
(2) ك : نسب .
(3) ك : المفضل نحوياً .
(4) ك : قصور . . . وضعف .
(5) م : الأحداث .

الاستراباذي المعروف بالفصيحي رحمه الله يقول في الشجة التي تعرف عندهم بالمنقلة ، وهي التي تنقل منها العظام ، إنها المنقلة بكسر القاف ، ويرى كونها على صيغة الفاعل لا المفعول هو الوجه لا يجيز غيره ، ويقول الشجاج كلّها إنما جاءت على صيغة الفاعل كالحارصة والدامية والدامعة والدامغة والباضعة والمتلاحمة والموضحة والمفرشة وأشباههن ، قال وكذا ينبغي أن تكون المنقلة بكسر القاف ، وكأنها عنده رواية عضدها قياس . قال : وكان شيخنا موهوب بن أحمد رضي الله عنه ينكر[1] ذلك عليه ويعده تصحيفاً ، ويضبط اللفظة بفتح القاف على أنها صيغة مفعول ويكتب فوق القاف ما هذه صورته (فتح) ويقول : أيّ قياس مع الرواية ؟ هذا وهي تنقل منها العظام فيتعلق أيضاً بالتفسير ، ولعمري إن الأشهر فيها الفتح ، وهكذا ذكره أبو عبيد وابن السكيت عن الأصمعي قال : ثم المنقلة وهي التي يخرج منها العظام[2] ؛ وكان شيخنا موهوب رحمه الله يرى الكسر في قاف المنقلة تصحيفاً محضاً لا وجه له ، على أن أبا محمد ابن درستويه قد حكى عنه الكسر كما قال الفصيحي . قال : وقرأت بخط العبدري وأخبرني به في كتابه قال : سمعت محمد بن العالي اللغوي يقول : رُوِيَتْ بالوجهين جميعاً . وحكى العبدريّ الكسر عن ابن درستويه أيضاً ، ولست أدري هل تعلق الفصيحي فيما ذهب إليه بقول ابن درستويه أو غيره ممن لعله حكى الكسر أم لا ، وهل رغب شيخنا موهوب عن الكسر بعد أن علم أنه قد حكي ولم يعتدّ بمكانة من حكاه أم لا ، والأشبه أنه لا يكون بلغه فإنه قلّما كان يدفع قولاً لمتقدم ولو ضعف . وأنا أقول إن النزاع في هذه اللفظة وشبهها المرجع فيه إلى مَحْضِ الرواية عنهم ، والمعوَّلُ في ذاك على ما يضبطه الأثبات فيها ، وقد قدمتُ من المشهور فيها الفتح كما قال شيخنا موهوب ، ولا حجة له في أنهم فسروها بأنها تخرج منها العظام وتُنْقَل فإنا لو خُلّينا وهذا الحجاج ووكلنا في إثبات لغة الفتح إليه لكان للخصم أن يقول إن الشجة وهي الضربة التي أدت إلى نقل العظام فهي المنقلة لأنها حملت على النقل ، ولا حجة لشيخنا الفصيحي أيضاً مع اشتهار الفتح فيها في حمله

(1) م : ينعى .

(2) فيتعلق أيضاً . . . العظام : سقط من ك .

إياها على الفاعل من نظائرها لأنهم قالوا في الآمة المأمومة ، كما قال يصف ضربة[1] :

يحجّ مأمومةً في قعرها لَجَفٌ فآستُ الطبيب قذاها كالمغاريدِ[2]

على أنه يمكن أن يتأول المأمومة على معنى يحجّ هامةً مأمومة ، وقد قالوا في المشجوج نفسه مأموم وأميم ، والظاهر أنه أراد الشجة ، وقد جاء في الشجاج ما ليس على صيغة فاعل ولا مفعول كالسمحاق ، فهل هذه إلا محضُ رواية في التسمية ، وإن كان منقولاً فاعرف ما قال شيخانا رحمهما الله وقلناه ومن الله عز وجل نستمد التوفيق .

ومن خط ابن المتوكل : حدثني الشيخ الامام الفصيحي قال : رأيت بعض الموسومين في المارستان[3] وفي إبهامه أثرُ الحناءِ دون أصابعه فقلتُ له : ما معنى الحناء في الابهام دون سائر الأصابع ؟ فأنشدني :

وخاضبةٍ إبهامَها دونَ غيره رأتني وقد أعيا عليَّ تصبري
فقلتُ لها الابهامُ ما اسمُ خضابِهِ فقالت يسمى عَضَّةَ المتفكر

- 835 -

علي بن محمد بن محمد بن علي بن السكون الحلي أبو الحسن : من حلة بني مزيد بأرض بابل ، كان عارفاً بالنحو واللغة حسن الفهم جيد النقل حريصاً على تصحيح الكتب ، لم يضع قط في طرسه إلا ما وعاه قلبه وفهمه لبه ، وكان يجيد قول الشعر . وحكى لي عنه الفصيح بن علي الشاعر أنه كان نصيرياً قال لي : ومات في حدود سنة ستمائة ، وله تصانيف .

---

835 - الجامع المختصر 9 : 306 والوافي 22 : 132 (وكنيته أبو الحسين) وبغية الوعاة 2 : 199 .

(1) البيت في الكامل 1 : 110 ، 2 : 79 واللسان (حجج : غرد) وقد نسبه إلى عذار بن دارة الطائي ؛ (وفي أنواع الشجاج انظر الكامل 2 : 78 وما بعدها ؛ وتحديدها في كتب الفقه) .

(2) حجَّ الشجة : سبرها بالميل ليعالجها ، ومأمومة : بلغت أم الرأس ، في قعرها لجف : أي تَقَلُّع ، يعني أنها بعيدة القعر ، فالطبيب يجزع من هولها ، فالقذى يتساقط من استه كالمغاريد ، والمغاريد جمع مغرود وهو نوع من الصمغ . وقال المبرد : المغاريد الصغار من الكمأة .

(3) ك : البيمارستان .

- 836 -

علي بن محمد بن يوسف بن خروف[1] الأندلسي الرندي النحوي : مشهور في بلاده مذكور بالعلم والفهم . مات فيما أخبرني به الفقيه شمس الدين أبو إسحاق إبراهيم بن يوسف الغماري، قبيلة، في سنة ست وستمائة باشبيلية عن خمس وثمانين سنة وكان قد تغير عقله بأخرة[2] حتى مشى في الأسواق مكشوف الرأس[3] والعورة. وأخذ النحو عن الأستاذ أبي بكر ابن طاهر[4] المعروف بالخدبّ صاحب الحواشي على كتاب سيبويه بمدينة فاس[5] . وكان ابن خروف خياطاً إذا اكتسب منها شيئاً قسم ما يحصل له نصفين بينه وبين أستاذه ، وكان في خلقه زعارة وسوء عشرة ، ولم يتزوج قط ، وكان يسكن الخانات. قال : وحدثني ببدء اشتغاله أبو القاسم عبد الرحمن بن يخلف السلاوي (مدينة بالعدوة من المغرب) قال إنه أول يوم دخل على ابن طاهر شكا إليه الفقر وقال إنك لتأخذ مني أكثر مما تأخذ من الأعيان فقال : شرّك أعظم من شرّهم عليَّ في المجلس ، وكان يأمرني بنقل الماء إلي المسجد إذا احتاج الى استعماله فأقول له في ذلك فيقول : لا أحب أن تجلس بغير شغل ، ولم يتخذ بلداً موطناً بل كان ينتقل

---

836 - إنباه الرواة 4 : 186 والتكملة رقم : 1884 وبرنامج شيوخ الرعيني : 81 وابن خلكان 3 : 335 والذيل والتكملة 5 : 319 (وفيه وفي برنامج الرعيني تفصيلات دقيقة) وصلة الصلة : 122 والبدر السافر : 28 ب وتذكرة الحفاظ : 1390 ومرآة الجنان 4 : 21 والبداية والنهاية 13 : 53 والبلغة : 164 ولسان الميزان 4 : 257 ووفيات ابن قنفذ : 304 وحاشية على شرح بانت سعاد 1 : 629 ؛ قلت : وقد خلطت بعض المصادر بين ابن خروف النحوي وابن خروف الشاعر الذي هاجر من الأندلس وسكن حلب واسم الشاعر علي بن محمد بن يوسف وعلى هذا يقتضي تغيير ما أورده ياقوت في نسب ابن خروف النحوي، فهو علي بن محمد بن علي بن محمد بن خروف الحضرمي، إلا أن مادة الترجمة التي أوردها ياقوت سليمة لا خلط فيها (ومن المصادر التي خلطت بينهما الفوات والوافي وبغية الوعاة وابن الساعي) وقد نبهت على ذلك في حاشية الفوات 3 : 84 ، وكذلك في حاشية الذيل والتكملة ، وانظر أيضاً حاشية الوافي 22 : 89) .

(1) ك م : خروفة (وصححه في هامش ك : خروف) .

(2) بأخرة : زيادة من ك .

(3) كشف الرأس عند الأندلسيين ليس مستهجناً .

(4) في الأصل : أبي الحسن ابن طاهر ، والتصويب عن ابن عبد الملك .

(5) م : فارس .

في البلاد في طلب التجارة . وله تصانيف منها كتاب شرح سيبويه[1] ، حمله إلى صاحب المغرب فأعطاه ألف دينار[2] ، وله كتاب شرح الجمل في مجلد[3] واحد .

ـ 837 ـ

علي بن معقل أبو الحسن : ذكره الحبال في « كتاب الوفيات » فقال أبو الحسن ابن معقل الأديب الكاتب صاحب أبي علي الفارسي ، ولم يذكر اسمه ، فكتبته أنا كما ترى بالوهم إلى أن يصحَّ ، قال : مات في ربيع الآخر سنة ثلاث وثلاثين وأربعمائة .

ـ 838 ـ

علي بن المغيرة الأثرم أبو الحسن : كان صاحب كتب مصححة قد لقي بها العلماء وضبط ما ضمنها ، ولم يكن له حفظ ، لقي أبا عبيدة والأصمعي وأخذ عنهما . مات سنة اثنتين وثلاثين ومائتين وهي السنة التي مات فيها الواثق .

وله من الكتب : كتاب النوادر . كتاب غريب الحديث .

وحدث أبو مسحل عبد الوهاب قال: كان إسماعيل بن صبيح الكاتب قد أقدم أبا عبيدة من البصرة في أيام الرشيد إلى بغداد وأحضر الأثرم ، وهو يومئذ وراق ، وجعله في دار من دوره ، وأغلق عليه الباب ودفع اليه كتب أبي عبيدة وأمره بنسخها ، فكنت

---

837 ـ من الصعب العثور على ترجمة له ، لأنّ اسمه محض تقدير من المؤلف .

838 ـ ترجمة الأثرم في مراتب النحويين : 94 ونور القبس : 215 والفهرست : 62 وتاريخ بغداد 12 : 107 والأنساب 1 : 114 (واللباب 1 : 28) ونزهة الألباء : 126 وإنباه الرواة 2 : 319 والوافي 22 : 214 والنجوم الزاهرة 2 : 263 وبغية الوعاة 2 : 206 .

....

(1) سماه : تنقيح الألباب في شرح غوامض الكتاب .

(2) حمله إلى الناصر من بني عبد المؤمن (نسخة في أربع مجلدات) فأثابه عليه بأربعة آلاف درهم من دراهمهم .

(3) م : جلد .

أنا وجماعة من أصحابنا نصير الى الأثرم فيدفع إلينا الكتابَ والورقَ الأبيضَ من عنده ويسألنا نَسْخَهُ وتعجيله ، ويوافقنا على الوقت الذي نردّه إليه ، فكنا نفعل ذلك ، وكان الأثرم يقرأ على أبي عبيدة، وكان أبو عبيدة من أضنّ الناس بكتبه ولو علم ما فعله الأثرم لمنعه من ذلك.

وكان الأثرم يقول الشعر فمن قوله :

كبرتُ وجاء الشيبُ والضعفُ والبلى ... وكل امرىءٍ يبلى إذا عاش ما عشتُ
أقولُ وقد جاوزتُ تسعين حجةً ... كأن لم أكن فيها وليداً وقد كنتُ
وأنكرت لما أن مضى جُلُّ قوتي ... وتزدادُ ضعفاً قوّتي كلما زدتُ
كأني إذا أسرعتُ في المشي واقفٌ ... لقرب خطىً ما مسّها قِصَراً وقتُ
وصرتُ أخاف الشيءَ كان يخافني ... أُعَدُّ من الموتى لضعفي وما متُ
وأسهرُ من بَرْدِ الفراش ولينه ... وإن كنتُ بين القوم في مجلسٍ نمتُ

ـ 839 ـ

علي بن منجب بن سليمان الصيرفي أبو القاسم : أحد فضلاء المصريين وبلغائهم، مُسَلّم ذلك له غير منازع فيه، وكان أبوه صيرفياً، واشتهى هو الكتابة فمهر فيها. مات في أيام الصالح بن رزيك بعد خمس وخمسمائة، وقد اشتهر ذكره وعلا شأنه في البلاغة والشعر والخط ، فإنه كتب خطاً مليحاً وسلك فيه طريقةً غريبة ، واشتغل بكتابة الجيش والخراج مدة ، ثم استخدمه الأفضل بن أمير الجيوش وزير المصريين في ديوان المكاتبات ورفع من قدره وشهره ، ثم إنه أراد أن يعزل الشيخ ابن أبي أسامة عن ديوان الانشاء ويفرد ابن الصيرفي به ، واستشار في ذلك بعض خواصه ومن يأنس به فقال له : إن قدرت أن تفدي ابن أبي أسامة من الموت يوماً واحداً بنصف مملكتك فافعل ذلك ولا تُخْلِ الدولة منه فإنه جمالها ، فأضرب عن ابن الصيرفي ، ومات

839 ـ ترجمة ابن منجب الصيرفي في أخبار مصر : 87 والمغرب (قسم القاهرة) : 252 والوافي 22 : 228 وصبح الأعشى 1 : 96 واتعاظ الحنفا 3 : 185 .

الأفضل وخدم الحافظ المسمى بالخلافة بمصر.

ولابن الصيرفي من التصانيف : كتاب الإشارة فيمن نال رتبة الوزارة[1] . كتاب عمدة المحادثة . كتاب عقائل الفضائل . كتاب استنزال الرحمة . كتاب منائح القرائح . كتاب رد المظالم . كتاب لمح الملح . كتاب في السكر[2] وله غير ذلك من التصانيف وله اختيارات كثيرة لدواوين الشعراء كديوان ابن السراج وأبي العلاء المعري وغيرهما[3] .

ومن شعره قوله :

لما غدوتَ مليكَ الأرضِ أفضلَ مَنْ ... جَلَّتْ مفاخرُهُ عن كلِّ إطراءِ
تغايرت أدواتُ النطقِ فيكَ على ... ما يصنعُ الناسُ من نظم وإنشاءِ

وله :

لا يبلغُ الغايةَ القصوى بهمته ... إلا أخو الحربِ والجردِ السلاهيبِ
يطوي حشاه إذا ما الليلُ عانقه ... على وشيجٍ من الخطيِّ مخضوبِ

وله :

هذي مناقبُ قد أغناه أيسرها ... عن الذي شرعتْ آباؤُهُ الأُولُ
قد جاوزت مطلعَ الجوزاءِ وارتفعت ... بحيث ينحطُّ عنها الحوتُ والحملُ

ولابن الصيرفي رسائل أنشأها عن ملوك مصر تزيد على أربع مجلدات .

(1) طبع بتحقيق عبد الله مخلص (1924) بعنوان : الإشارة إلى من نال الوزارة .
(2) الوافي : الشكر .
(3) نشر له الأستاذ هلال ناجي « المختار من شعر شعراء الأندلس » (مطبعة فضالة ، المحمدية ، المغرب) ورسالة في العفو ، ثم ظهرت هذه الرسالة مع مجموعة أخرى من رسائله بعنوان الأفضليات (تحقيق د. وليد قصاب ود. عبد العزيز المانع ، دمشق 1982) .

- 840 -

علي بن منصور بن عبيد الله الخطيبي المعروف بالأجل اللغوي ، يكنى أبا علي ، الأصبهاني الأصل بغدادي المولد والمنشأ : عالم فاضل لغوي فقيه كاتب مقيم بالنظامية ، قرأ على ابن العصار وأبي البركات الأنباري وغيرهما ، وتفقه على مذهب الشافعي بالنظامية ، ولا أعلم له في زمانه نظيراً في علم اللغة ، فإنه حدثني أنه كان في صباه يكتب كل يوم نصف جزء خمس قوائم من « كتاب مجمل اللغة » لابن فارس ويحفظه ويقرأه على علي بن عبد الرحيم السلمي المعروف بابن العصار ، حتى أنهى الكتاب حفظاً وكتابة ، وحفظ « إصلاح المنطق » في أيسر مدة ، وحفظ غير ذلك من كتب اللغة والفقه والنحو ، وطالع أكثر كتب الأدب ، وهو حفظة لكثير من الأشعار والأخبار ممتع المحاضرة ، إلا أنه لا يتصدّى للاقراء ، ولقد سألته في ذلك وخضعتُ إليه بكلٍّ وجه فلم ينقدْ لذلك ، ولا يكاد أحدٌ يراه جالساً ، إنما هو في جميع أوقاته قائم على رجليه في النظامية ، ولو جلس للاقراء لأحيا علومَ الأدب وَلَضُرِبَتْ إليه آباطُ الإبل في الطلب . بلغني أن مولده سنة سبع وأربعين وخمسمائة . أنشدني أبو الحسن علي بن الحسين بن علي السنجاري يعرف بابن ذنابة ، قال أنشدني الأجل علي بن منصور اللغوي لنفسه :

فؤاد معنّىً بالعيونِ الفواترِ   وصبوةُ بادٍ مغرمٍ بالحواضرِ
سهيران ذادا عن جفونِ متيّمٍ   كراها وباتا عنده شرَّ سامرِ

وأنشدني قال أنشدني لنفسه :

لمن غزالٌ بأعلى رامةٍ سنحا   فعاود القلبَ سكرٌ كان منه صحا
مقسَّمٌ بين أضداد فَطُرَّتُهُ   جنحٌ وَغُرَّته في الجنح ضوءُ ضحى

840 ـ ترجمة الخطيبي في إنباه الرواة 2 : 321 وطبقات الأسنوي 2 : 369 والوافي 22 : 235 (وينقل عن ياقوت) وبغية الوعاة 2 : 207 وكانت وفاة الخطيبي سنة اثنتين وعشرين وستمائة .

- 841 -

علي بن منصور بن طالب الحلبي الملقب دوخلة يعرف بابن القارح[1]:

يكنى أبا الحسن ، قال ابن عبد الرحيم : هو شيخ من أهل الأدب شاهدناه ببغداد راوية للأخبار وحافظاً لقطعة كبيرة من اللغة والأشعار قؤوماً بالنحو ، وكان ممن خدم أبا عليّ الفارسي في داره وهو صبي ، ثم لازمه وقرأ عليه - على زعمه - جميع كتبه وسماعاته ، وكانت معيشته من التعليم بالشام ومصر، وكان يحكي أنه كان مؤدباً لأبي القاسم المغربي الذي وزر ببغداد لقاه الله سيّء أفعاله كذا قال ، وله فيه هجو كثير ، وكان يذمّه ويعدّد معايبه . وشعره يجري مجرى شعر المعلمين قليلَ الحلاوة خالياً من الطلاوة ، وكان آخر عهدي به بتكريت في سنة إحدى وعشرين وأربعمائة[2] فإنا كنا مقيمين بها واجتاز بنا وأقام عندنا مدة ، ثم توجه إلى الموصل وبلغتني وفاته من بعد ، وكان يذكر أن مولده بحلب سنة إحدى وخمسين وثلاثمائة ولم يتزوج ولا أعقب ، وجميع ما أورده من شعره مما أنشدنيه لنفسه ، فمنه في الشمعة :

لقد أشبهتني شمعةٌ في صبابتي ... وفي طولِ ما ألقى وما أتوقَّعُ
نحولٌ وحرقٌ في فَناء ووحدةً ... وتسهيدُ عينٍ واصفرارٌ وأدمعُ

ومنه في هجو المغربي :

لقبت بالكامل ستراً على ... نقصك كالباني على الخصِّ
فصرتَ كالكنف إذا شيدت ... بُيِّضَ أعلاهُنَّ بالجصِ
يا عُرَّةَ الدنيا بلا غُسرَّةٍ ... ويا طويسَ الشؤمِ والحرصِ
قتلتَ أهليك وأنهبت بيـ ... ـتَ الله بالموصلِ تستعصي

841 - ترجمة ابن القارح في الوافي 22: 233 وبغية الوعاة 2: 207 ورسالته الى أبي العلاء التي أثارت « رسالة الغفران » منشورة قبل هذه الثانية (تحقيق الدكتورة بنت الشاطىء /1950) ص 17 - 64 ؛ وانظر بغية الطلب لابن العديم 5: 18 - 19 ، 9: 139 .

(1) بعدها في م : وهو الذي كتب إلى أبي العلاء . . . . برسالة الغفران ، وقد حذفتها من هنا ، لأن موضعها في ك جاء في آخر الترجمة .

(2) ورد في م : 461 وتصويبه من ك .

وله في المداعبة :

أين من كان يوضع الأير إجلا ... لا على الرأسِ عنده ويباسُ
أين من كان عارفاً بمقادير ... ر الأيورِ الكبارِ مات الناسُ

وله :

يا رُمْحَها العسَّالَ بل يا سيفَها الـ ... ـقصَّال نارُكَ ليس تخبو
يا عاقدَ المنن الرغا ... بِ على الرقاب لهن سحب
كفروكَ ما أوليتهم ... والربُّ يشكرُ ما تَرُبّ

وسئل أن يجيز قول الشاعر :

لعلَّ الذي تخشاه يوماً به تنجو ... ويأتيك ما ترجوه من حيثُ لا ترجو

فقال :

فثِقْ بحكيمٍ لا مردَّ لحكمه ... فما لك في المقدورِ دَخْلٌ ولا خَرْجُ

وكان بينه وبين الكسروي مهاترة ومهاجاة ومماظة فمن قوله فيه :

إذا الكسروي بدا مقبلاً ... وفي يده ذيلُ دراعتِهْ
وقد لبس العُجْبَ مستنوكاً ... يتيهُ ويختالُ في مشيتِهْ
فلا يمنعنّك بأواؤه ... ضراطاً يقعقعُ في لحيته

وله :

الصيمريُّ دقيق الفكرِ في اللقم ... يقولُ كم عندكم لونٌ وكم وكمِ
يسعى إلى من يرى إكثاره وكذا ... يراه ذاك وما هذاك من عدم
يلقى الوعيدَ بما يلقى الحشوشَ به ... وذاك والله بخلٌ ليس بالأمم

قال وحدثني قال : كنت أؤدب ولدي الحسين بن جوهر القائد بمصر وكانا مختصين بالحاكم وآنسين به ، فعملت قصيدة وسألت المسمَّى منهما جعفراً وكان من أحسن الناس وجهاً ، ويقال إن الحاكم كان يميل إليه ، أن يوصلها ففعل وعرضها عليه ، فقال : من هذا ؟ فقال : مؤدبي ، قال : يعطى الف دينار ، واتفق أن المعروف بابن مقشر الطبيب كان حاضراً ، فقال لا تثقلوا على خزائن أمير المؤمنين يكفيه

النصف ، فأعطيت خمسمائة دينار ، وحدثني ابن جوهر بالحديث ، وكانت القصيدة على وزن منهوكة أبي نواس أقول فيها :

إن الزمانَ قد نصر بالحاكم الملك الأغَرّ
في كفّه عضب ذكر فقد غدا على القصر
من غرة على غرر[1] يمضي كما يمضي القدر
في سرعةِ الطرف نظر أو السحاب المنهمر
بادر إنفاق البِدَر بدرٌ إذا لاح بهر

وهي طويلة ، واتفق أن الطبيب المذكور لحقته بعد هذا بأيام شقفة ، وهي التي تسمى التراقي ، ويقال لها قملة النسر أيضاً ، فمات منها وكان نصرانياً فقلت :

لما غدا يستخفُّ رضوى تيهاً وكبراً لجحدِ ربِّهْ
أصماه صرفُ الردى بسهمٍ عاجله قبل وقتِ نحبهْ
بشقفةٍ بين منكبيه رِشاؤُها في قليبِ قلبهْ

قال عبد اللّه الفقير اليه مؤلف الكتاب : وعلي بن منصور هذا يعرف بابن القارح ، وهو الذي كتب إلى أبي العلاء المعري الرسالة المعروفة برسالة ابن القارح ، فأجابه أبو العلاء برسالة الغفران ، وذكر اسمه فيها .

- 842 -

علي بن مهدي بن علي بن مهدي الكسروي أبو الحسن الأصفهاني معلم ولد أبي الحسن علي بن يحيى بن المنجم : أحد الرواة العلماء النحويين الشعراء ، مات في أيام بدر المعتضدي على أصبهان. قال حمزة: علي بن مهدي الكسروي وهو ابن

842 - ترجمة الكسروي في معجم الشعراء : 149 ونور القبس : 338 والفهرست: 167 والوافي 22: 244 وبغية الوعاة 2 : 208 .

(1) م : الغرر .

أخت علي بن عاصم بن الحريش ، وكان متصلاً ببدر المعتضدي ، وفي أيامه مات ، يعني أيامه على أصبهان ، وكان قد ولي أصبهان سنة ثلاث وثمانين ومائتين أيام المعتضد إلى أن ولي ابنه المكتفي سنة تسع وثمانين ومائتين.

قال ابن أبي طاهر : وكان الكسروي أديباً ظريفاً حافظاً راوية شاعراً عالماً بـ « كتاب العين » خاصة ، وكان يؤدب هارون بن علي بن يحيى النديم واتصل بأبي النجم المعتضدي مولى المعتضد وتوفي في خلافته.

وذكره المرزباني فقال : حدثني علي بن هارون عن أبيه وعمه قالا : كان أبو الحسن علي بن يحيى بن المنجم جالساً يوماً وبحضرته من لا يخلو مجلسه منه من الشعراء كأحمد بن أبي طاهر وأحمد بن أبي فنن وأبي علي البصير وأبي هفان المهزمي والهدادي ـ وهو ابن عمه أي أبي هفان ـ وابن العلاف وأبي الطريف وأحمد بن أبي كامل خال ولد أبي الحسن وعلي بن مهدي الكسروي ، وكان معلم ولده ، فأنشد الجماعة بيتاً ذكر أنه مر به مفرداً فاستحسنه وأحبَّ أن يضاف إليه بيت آخر يصل معناه ويزيد في الامتاع به وهو :

ليهنك أني لم أجدْ لك عائباً ... سوى حاسدٍ والحاسدونَ كثيرُ

فبدره علي بن مهدي من بين الجماعة وقال :

وأنك مثلُ الغيثِ أما وقوعه ... فخصبٌ وأما ماؤه فطهورُ

فاستحسنه أبو الحسن وضمّه إلى البيت الأول ، وكان أبو العنبس[1] ابن حمدون حاضراً فقال له : الصنعة فيهما عليك فطلب عوداً وانفرد فصنع فيه رَمَلَهُ المشهور.

وحدث عن الصولي قال : كتب عبد الله بن المعتز إلى علي بن مهدي الأصبهاني :

وما نازحٌ بالصينِ أدنى محلِّه ... يقصّر عنه كلُّ ماشٍ وطائرِ

محا اليأسُ منه كلَّ ذكرٍ فلم تكدْ ... تصوِّرُهُ للقلب أيدي الخواطرِ

بأبعد عندي من أناسٍ وإن دنوا ... وما البعدُ إلا مثل طولِ التهاجرِ

ويشغل عني القصفُ والراحُ بعضَهم ... مباكرَها أو ممسياً كمباكرِ

(1) ك م : أبو العبيس .

إذا طار بين العود والناي طيرةً فليس لإخوانِ الصفاءِ بذاكرِ

قال فأجابه علي بن مهدي :

أيا سيدي عفواً وحسنَ إقالةٍ فلم يحوِ أقطارُ العلا مثلَ غافرِ
لعمري لو أنّ الصين أدنى محلّتي لما كنتُ إلا غائباً مثلَ حاضرِ
ثنائي لكم عمري ومحضُ مودتي تؤثر آثارَ الغيوثِ البواكرِ
ووالله ما استبهجتُ بعدك مجلساً ولا بقيتْ لذاته في ضمائري
ولستُ كمن يثنيه أهل صفائه سماع الحسان واصطخابُ المزاهرِ
وكيف تناسي سيدٍ لي ثناؤه منوطٌ بأحشائي وسمعي وناظري

وحدث عن عبد الله بن يحيى العسكري عن أحمد بن سعيد الدمشقي قال : كتب عبد الله بن المعتز إلى علي بن مهدي الكسروي[1] :

يا باخلاً بكتابه ورسوله أأردتَ تجعلُ في الفراق فراقا
إن العهودَ تموتُ إن لم تحيها والنأيُ يُحْدِثُ للفتى إخلاقا

قال فكتب إليه علي بن مهدي :

لا والذي أنت أسنى مَنْ أُمَجِّدُهُ عندي وأوفاهمُ عهداً وميثاقا
ما حلتُ عن خيرِ ما قد كنتَ تعهدُهُ ولا تبدلْتُ بعدَ النأي أخلاقا
لكن عجزيَ عن نعماك أفحمني فانقدت للعجز مغلوباً ومشتاقا[2]

وحدث عن علي عن عبد الله بن المعتز قال : كتب إليّ علي بن مهدي الكسروي في يوم مهرجان :

نعمتَ بما تهوى ونلتَ الذي ترضَى وَلُقِّيتَ ما ترجو وَوُقِّيتَ ما تخشى
ولستُ بما ألقى من الخير كلّه أسرُّ وأحظَى سيدي بالذي تلقى
ويعلمُ علّامُ الخفيّاتِ أنني أعدّك ذخراً للمماتِ وللمحيا
وأنيَ لو أُهدي على قدرِ نيتي لكان الذي أهديه حظي من الدنيا

وحدث عن العسكري عن ابن سعيد[3] الدمشقي قال : كتب عبد الله بن المعتز

(1) ما كتبه ابن المعتز وجوابه وردا في نور القبس : 338 ـ 339 .
(2) سقط هذا البيت من ك .
(3) ك : عن أبي سعيد .

إلى علي بن مهدي[1] :

أبا حسنٍ أنت ابنُ مهديٍّ فارسٍ فرفقاً بنا لستَ ابنَ مهديٍّ هاشمِ
وأنت أخٌ في يومِ لهوٍ ولذةٍ ولست أخاً عند الأمورِ العظائمِ

فأجابه عليٌّ :

أيا سيدي إنّ ابنَ مهديٍّ فارس فداءٌ ومن يهوى لمهديٍّ هاشمِ
بلوتَ أخاً في كلِّ أمرٍ تحبّه ولم تبله عند الأمورِ العظائمِ
وانك لو نبّهته لملمةٍ لأنساك صولاتِ الأسودِ الضراغمِ

قال ، وقال محمد بن داود : كان علي بن مهدي يؤدّب ، وهو أحد الرواة للأخبارِ ، وهو القائل[2] :

ولما أبى أن يستقيم وصلتُهُ على حالتيه مكرهاً غيرَ طائعِ
حذاراً عليه أن يميل بودّه فأبلى بقلب لستُ عنه بنازع
فأصبحَ كالظمآنِ يهريق ماءه كضوءِ سرابٍ في المهامه لامع
فلا الماءَ أبقى للحياةِ ولا أتى على منهلٍ يجدي عليه بنافع

وله :

ومودّعٍ يومَ الفراقِ بلحظِهِ شرقٍ من العبراتِ ما يتكلّمُ
متقلّب نحو الحبيب بطرفه لا يستطيعُ إشارةً فيسلّمُ
نطق الضميرُ بما أرادا عنهما وكلاهما مما يعاينُ مفحمُ

وقال علي بن مهدي يصف العود[3] :

تجري أناملها على ذي منطقٍ أعمى بصيرِ
خَرِسٍ أصمَّ ونحن من نجواهُ في دهرٍ قصيرِ
فَدْمٌ صموتٌ ليس يعـ ـرفُ ما القبيلُ من الدبيرِ

(1) انظر معجم الشعراء : 150 والوافي : 245 .
(2) الوافي (نفسه) .
(3) بعضها في الوافي : 246 .

مَيْتٌ ولكنَّ الأكفَّ تذيقه طعمَ النشورِ
وكأنه في حجرها[1] طفلٌ تمهَّد حجرَ ظيرِ
تومي إليه بنانها فتريك ترجمةَ الضميرِ
فترى النفوسَ معلقا تٍ منه في بَمّ وزيرِ
فإذا لوتْ آذانه جاز الأنينَ إلى الزفيرِ
قالت له قلْ مطرباً « وعظتك واعظة القتيرِ»
فأجابها من حجرها «وعلتك أبهة الكبيرِ»

وذكره محمد بن اسحاق النديم فقال : كان مؤدب ولد هارون بن علي بن يحيى بن المنجم ، واتصل بعد ذلك بأبي النجم بدر المعتضدي ، وكان عارفاً بكتاب العين خاصة[2].

وله من الكتب : كتاب الخصال ، وهو مجموع يشتمل على أخبار وحكم وأمثال وأشعار . كتاب مناقضات[3] من زعم أنه لا ينبغي أن يقتدي[4] القضاة في مطاعمهم بالأئمة الخلفاء ، وقد عزي هذا الكتاب إلى الكسروي الكاتب والله أعلم[5] . كتاب الأعياد والنواريز . كتاب مراسلات الاخوان ومحاورات الخلان .

وقال الكسروي في ضرطة وهب بن سليمان[6] :

إن وهبَ بنَ سليمانَ بن وهب بن سعيدِ
حمل الضرطَ الى الريِّ على ظَهْرِ البريدِ
في مهمّاتِ أمورٍ منه بالركض الشديدِ
استه تنطقُ يومَ الحفلِ بالأمرِ الرشيدِ
لم يُجِدْ في القولِ فاحتاج إلى دُبْرٍ مُجيدِ

(1) م ك : حجره .
(2) وذكره . . . خاصة : سقط من م لأنه مكرر .
(3) ك : منازعات .
(4) ك م : يقتضي .
(5) والله أعلم : زيادة من ك .
(6) وردت ما عدا الثالث في ثمار القلوب : 208 ـ 209 دون نسبة ، وانظر الوافي : 246 .

ومن « كتاب أصبهان » :

قال هرون بن علي بن يحيى : اجتمعنا مع أبي الفضل أحمد بن أبي طاهر عند علي بن مهدي فلما أردنا الانصراف أنشأ أبو الفضل يقول[1] :

لولا عليُّ بن مهديٍّ وَخُلَّتُهُ لما اهتدينا إلى ظَرْفٍ ولا أَدَب

إذا سقى مُتْرَعَ الكاساتِ أوهمنا بأن غلماننا خيرٌ من العرب[2]

ـ 843 ـ

علي بن نصر الجهضمي أبو عمرو النحوي اللغوي أحد أصحاب الخليل ،

ذكره الزبيدي فقال ، قال ابراهيم بن السري ، يعني الزجاج ، قال نصر بن علي بن نصر الجهضمي : لما أراد سيبويه أن يؤلف كتابه قال لأبي : تعالَ نحي علم الخليل،

843 ـ ترجمة علي بن نصر الجهضمي في تاريخ خليفة : 493 وطبقات الزبيدي : 75 ومراتب النحويين : 67 وأخبار النحويين البصريين : 49 ونور القبس : 72 والوافي 22 : 271 وتهذيب التهذيب 7 : 390 وبغية الوعاة 2 : 211 والشذرات 1 : 316 وله ترجمة في إنباه الرواة باسم « نصر بن علي » وقد ترجم الذهبي في السير 12 : 136 لنصر بن علي الجهضمي الكبير وهو الذي روى عن النضر بن شميل وعبد اللّه بن غالب الحدّاني ، وروى عنه ابنه علي وهذا الثاني توفي سنة 187 أما الذي توفي سنة 250 فهو علي بن نصر بن علي بن نصر (انظر سير الذهبي 138 ـ 140 وفي حواشيه تخريج كثير) .

وفي هذا الذي قاله الذهبي نظر ، ذلك لأن النضر بن شميل توفي سنة 203 فلا يمكن أن يروي عنه الجهضمي الكبير ، والأقرب أن يكون الراوي عنه هو الابن علي المتوفى سنة 187 (أي أنهما متعاصران) وخير من ذلك أن يكون الراوي عنه هو الذي توفي سنة 250 فذلك أقرب إلى علاقة التلميذ بالأستاذ من الناحية الزمنية . ومع ذلك فالاضطراب قائم في المصادر ، وليس القطع فيه سهلاً .

(1) أوجز الخبر في ك كما يلي : ومن كتاب أصبهان قال : وأحمد بن أبي طاهر هو القائل في علي بن مهدي .

(2) في ك بعد هذه الترجمة : أبو نصر بن علي بن نصر الجهضمي ؛ وعلق في الحاشية الصحيح أن يكتب : علي بن نصر الجهضمي أبو النصر ؛ وتحته : ينقل إلى بابه ـ باب النون . قلت : ولم ترد ترجمة « نصر بن علي الجهضمي » في حرف النون . والصواب أنه « علي بن نصر الجهضمي » ـ ما دام من أصحاب الخليل ـ ولكن هذا الاضطراب قديم ، إذ ترجم له القفطي في « نصر بن علي الجهضمي » وخالفه في ذلك غيره .

ومات [. . .] .

قال نصر : وسمعت الأخفش يقول : نفذ من أصحاب الخليل أربعة : سيبويه والنضر بن شميل وعلي بن نصر الجهضمي ومؤرج السدوسي .

قال السمعاني : الجهضمي منسوب إلى الجهاضمة ، وهي محلة بالبصرة ، والمشهور منها أبو عمرو نصر بن علي[1] ، روى عن النضر بن شميل [و] الحداني البصري .

قال المؤلف : والحداني منسوب إلى حدان بن شمس بن عمرو بن غنم بن غالب بن عثمان بن نصر بن الأزد .

عدنا إلى قول السمعاني : قاضي البصرة ، من العلماء المتقنين يروي عن ابن عيينة والمعتمر بن سليمان وحاتم بن وردان ونوح بن قيس ويحيى بن سعيد القطان وعبد الرحمن بن مهدي ويزيد بن زريع والأصمعي . روى عنه محمد بن إسماعيل البخاري ومسلم بن الحجاج بن مسلم وأبو عيسى الترمذي وأبو داود السجستاني[2] ، وذكر غير هؤلاء ، ثم قال : وكان ثقة ثبتاً حجة ، وكان المستعين بالله بعث إلى علي بن نصر[3] يشخصه للقضاء ، فدعاه عبد الملك أمير البصرة لذلك ، فقال : أرجعُ فأَسْتَخيرُ اللّه ، فرجع إلي بيته نصف النهار فصلّى ركعتين وقال : اللهم إن كان لي عندك خير فاقبضني إليك ، فنام فأنبهوه فإذا هو ميت ، وذلك في جمادى الآخرة سنة خمسين ومائتين .

ووجدت في بعض الكتب أن نصر بن علي الجهضمي[4] قال كان لي جار طفيلي[5] .

---

(1) من هنا ـ فيما يبدو ـ نشأ الاضطراب .

(2) هؤلاء رووا عن الجهضمي الذي توفي سنة 250 وهو في الأرجح علي بن نصر بن علي بن نصر .

(3) ك : بعث إلى نصر إلى علي بن نصر .

(4) هكذا ورد .

(5) في هامش ك : انقطعت [الترجمة] .

- 844 -

علي بن نصر النصراني يعرف بابن الطبيب أبو الحسن الكاتب : ذكره محمد بن إسحاق النديم وقال : كان أديباً مصنفاً مات في سنة سبع وسبعين وثلاثمائة وله عدة كتب . قال : وكان يذاكرني بها وأحسبه لم يتمم أكثرها فمن كتبه : كتاب البراعة . كتاب صحبة السلطان ، أكثر من ألف ورقة . كتاب إصلاح الأخلاق نحو من ألف وخمسمائة ورقة يشتمل على حكم وأمثال .

- 845 -

علي بن نصر بن سليمان البرنيقي[1] **اللغوي** أبو الحسن ، أحد الأدباء : رأيت بخطه كتباً أدبية لغوية ونحوية فوجدته حسن الخط متقن الضبط ، وكان مقامه بمصر ولعله من أهلها ، قرىء عليه كتاب الهمز لأبي زيد الأنصاري بجامع مصر في سنة أربع وثمانين وثلاثمائة .

- 846 -

علي بن نصر بن سعد بن محمد الكاتب أبو تراب : وُلد بعكبرا ونشأ بها، ثم انحدر بعد أن بلغ إلى بغداد وقرأ الأدب والنحو على ابن برهان النحويّ ، ثم انحدر إلى البصرة وصار كاتباً لنقيب الطالبيين بها وأقام هناك مدة ، ثم رجع إلى بغداد في سنة تسعين وأربعمائة وأقام بالكرخ وولي الكتابة لنقيب الطالبيين إلى أن مات . وكان من أهل الأدب والفضل مولده في محرم سنة ثمان وعشرين وأربعمائة ، وتوفي في جمادى

844 - ترجمة ابن الطيب في الفهرست : 145 والوافي 22 : 270 (عن ياقوت دون تصريح) .

845 - ترجمة البرنيقي في معجم البلدان 1 : 404 وإنباه الرواة 2 : 323 والوافي 22 : 270 (عن ياقوت) وبغية الوعاة 2 : 211 .

846 - ترجمة أبي تراب الكاتب في الخريدة (قسم العراق) 4 : 26 والوافي 22 : 269 .

(1) م : الزنبقي ؛ وما أثبته في ك .

الآخرة سنة ثمان عشرة وخمسمائة . وابنه علي بن علي بن نصر بن سعد أبو الحسن بن أبي تراب كان كاتب نقيب الطالبيين أيضاً وكان شاعراً ولد بالبصرة سنة اثنتين وثمانين وأربعمائة .

ومن شعر أبي تراب هذا :

حالي بحمد الله حالٍ جيدُهُ ... لكنه من كلِّ خيرٍ عاطلُ
ما قلتُ للأيام قولَ معاتبٍ ... والرزقُ يدفع راحتي ويماطلُ
إلا وقالت لي مقالةَ واعظٍ ... الرزقُ مقسومٌ وحرصك باطلُ

ـ 847 ـ

علي بن نصر بن محمد بن عبد الصمد الفندورجيّ[1] أبو الحسن الاسفرائني ، وفندورج[2] قرية بنواحي نيسابور ، سكن اسفرائين ، وكان يرجع إلى فضل وافر ومعرفة تامة باللغة والأدب وخط وبلاغة ، وله شعر مليح رائق ويد باسطة في الكتابة والرسائل . ورد بغداد سنة ثمان وعشرين وخمسمائة وأقام بها مدة واقتبس من فضلائها ورجع إلى خراسان وصار ينشىء الكتب عن ديوان الوزارة ، عن طاهر بن نظام الملك والسلطان سنجر باللسانين العربي والفارسي[3] . وسئل عن مولده فقال ولدت سنة تسع وثمانين وأربعمائة بنيسابور . قال السمعانيّ : ومات في حدود سنة خمسين وخمسمائة ، ومن شعره :

تحيةَ مزنٍ يتحفُ الروضَ سُحْرَةً ... بصوبِ الحيا في كلِّ يومٍ عليكمُ

---

847 ـ للفندورجي ترجمة في الأنساب 9 : 335 واللباب 2 : 442 والتحبير 1 : 595 والوافي 22 : 269 (عن ياقوت . وفي ك : علي بن منصور) .

(1) في التحبير : الفندروجي ، بتقديم الراء على الواو .

(2) ك : وفندور ؛ التحبير : وفندروجه (وفي الأصل : وفندور) ، وضبط السمعاني لها يدلّ على أن ما ورد في ياقوت هو الصحيح (أعني بتقديم الواو على الراء ، واضطرب ما ورد في التحبير) .

(3) عن طاهر . . . والفارسي : لم يرد في م ؛ قلت : وفي التحبير : طاهر بن فخر الملك [بن نظام الملك] .

فجسمي معي لكنَّ قلبيَ أكــرمـوا بـلطفكـمُ مثـواهُ فـهـو لـديـكـمُ

قال السمعاني أنشدني الفندورجي لنفسه :

سقى اللّه في أرض آسفرائين عصْبَتي فمـا تنـتهـي العـليـاءُ إلاّ الـيهـمُ
وجـربتُ كـلَّ النـاسِ بعـد فـراقهم فمـا زدتُ إلاّ فَـرْطَ ضنٍّ عليهم[1]

قال السمعاني وأنشدني لنفسه ببلخ إملاء ونقلته من خطه :

قـد قصَّ أجنحةَ الـوفاءِ وطـار من وَكْـرِ الودادِ المحضِ والإخـلاصِ
والحـرُّ في شَبَـكِ الجفـاءِ ومـالـه من أَسْـرِ حـادثـةٍ رجـاءُ خـلاصِ

كان في آخر جزء بخطّ السمعاني ما صورته : لكاتبه أبي الحسن الفندورجي :

حُـمَّ الـحـبـيـبُ وآذاه الـسُّـقـامُ ولـم أمتْ كمـا شـاءَ سلطانُ الهـوى حَـزَنـا
بـأيِّ عينٍ إذا مـا الـوصـلُ يجمعنـا بـالـطالـع السعـد أُلقى وجهـه الحسنا
والـجفـنُ مـنـيَ دامٍ لا يـصـافـحُ إذ ناغى الكرى في الدجى جَفْنَ الورى الوسنا
وكـاد عـن بـدني يـنسـلُّ روحـيَ إذ مسَّ الأذى منـه تلك الـروحَ والبـدنـا

وله أيضاً في المعنى نقلته من خطه[2] :

حُمَّ الحبيبُ وما حُمّ انفصاليَ عن روحٍ وعن بـدنٍ يحيـا بـذكـراهُ
بـأيِّ وجهٍ إذا مـا الوصـلُ يجمعنـا ومـقـلـةٍ أتـلـقـاهُ وألـقـاهُ

وُقرأت بخط أبي سعد ، سمعت علي بن نصر النيسابوري مذاكرةً بمرو يقول : كنت ببغداد فرأيت أهلها تستحسن هذه الأبيات التي لأبي إسماعيل المنشىء[3] :

ذكرتُكمُ عندَ الزلالِ على الظمـا فـلم أنتـفـعْ مـن بـردهِ بـبـلالِ

فانشأت قصيدة في نقيب النقباء أبي القـاسم علي بن طراد الـزينبي على هذا الروي أولها :

(1) قال السمعاني . . . عليهم : سقط من ك .
(2) ك : وله من خطه .
(3) أبو إسماعيل المنشىء هو الطغرائي ، انظر ديوانه : 317 .

خليليَّ زُمَّتْ[1] للرحيلِ جمالي ... فقد ضاق في أرضِ العراق مجالي
وقودا عتاقاً كالأهلة إنما ... ديارُ الندى والمكرماتِ خوالي
وما أوجبتْ بغدادُ حقي وغادرت ... بلابلَ بعد الظاعنين ببالي

ـ 848 ـ

علي بن وصيف الملقب بخشكنانجه الكاتب : من أهل بغداد ، وكان أكثر مقامة بالرقة ثم انتقل إلى الموصل ، وكان من البلغاء ، وألف عدة كتب ونحلها عبدان صاحب الاسماعيلية . قال محمد بن اسحاق النديم : وكان لي صديقاً وأنيساً ، ومات بالموصل ، وله من الكتب كتاب الافصاح والتثقيف في الخراج ورسومه .

ـ 849 ـ

علي بن هبة الله بن ماكولا: هو علي بن هبة الله بن جعفر بن علّكان بن محمد بن دلف بن أبي دلف القاسم بن عيسى بن إدريس بن معقل بن عمرو بن شيخ بن معاوية بن خزاعي بن عبد العزيز بن دلف بن جشم بن قيس بن سعد بن عجل بن لجيم بن صعب بن علي بن بكر بن وائل بن قاسط بن هنب بن أفصى بن دعمي بن جديلة بن أسد بن ربيعة بن نزار بن معد بن عدنان ، أبو نصر المعروف بابن ماكولا ، وهو ابن الوزير أبي القاسم هبة الله بن ماكولا وزير جلال الدولة بن بويه ،

848 ـ ترجمته في الفهرست : 154 وابن الأثير 7 : 87 والوافي 22 : 298 (عن ياقوت دون تصريح) .

849 ـ ترجمة ابن ماكولا في المنتظم 9 : 5 ، 79 ومصورة ابن عساكر 12 : 558 وابن الأثير 8 : 132 ، 169 وابن خلكان 3 : 305 وتذكرة الحفاظ : 1201 وسير الذهبي 18 : 569 وعبر الذهبي 3 : 317 والفوات 3 : 110 والوافي 22 : 280 ومرآة الجنان 3 : 143 والبداية والنهاية 12 : 123 وعقود الجمان للزركشي : 234 والنجوم الزاهرة 5 : 115 والشذرات 3 : 381 والمستفاد : 201 ومقدمة محقق الاكمال .

(1) كذا في م ك ، وصوابه « زمّا » لقوله في البيت الثاني « وقودا » .

وكان عمه أبو عبد الله الحسن بن جعفر قاضي القضاة ببغداد ؛ الحافظ أصله من جرباذقان ـ بلدة بين همذان وأصفهان ـ يلقب بالأمير ، من بيت الوزارة والقضاء والرئاسة القديمة ، كان لبيباً عالماً عارفاً ، ترشح للحفظ حتى كان يقال له الخطيب الثاني .

قال ابن الجوزي : سمعت شيخنا عبد الوهاب يقدحُ في دينه ويقول : العلم يحتاج إلى دين .

وصنف « كتاب المختلف والمؤتلف » جمع فيه بين كتب الدارقطني وعبد الغني والخطيب ، وزاد عليهم زيادات كثيرة ، وكان نحوياً مجوداً وشاعراً مبرزاً جزل الشعر فصيح الكلام صحيح النقل ، ما كان في البغداديين في زمانه مثله ، سمع أبا طالب ابن غيلان وأبا بكر ابن بشران وأبا القاسم ابن شاهين وأبا الطيب الطبري ، وسافر إلى الشام والسواحل وديار مصر والجزيرة والثغور والجبال ودخل بلاد خراسان وما وراء النهر وطاف في الدنيا وجوَّل[1] في الآفاق .

قال محمد بن طاهر المقدسي : سمعت أبا إسحاق إبراهيم بن سعيد الحبال المصري يمدح ابن ماكولا ويثني عليه ويقول : دخل مصر في زي الكتبة فلم نرفع به رأساً ، فلما عرفناه كان من العلماء بهذا الشأن ، ورجع إلى بغداد فأقام بها ثم خرج إلى خوزستان فقتل هناك ، كان في صحبته جماعة من مماليكه الأتراك فغدروا به .

قال ابن ناصر : قتل أبو نصر ابن ماكولا بالأهواز من نواحي خوزستان إما في سنة ست أو سبع وقال ابن الجوزي في سنة خمس وثمانين وأربعمائة ومولده بعكبرا في شعبان من سنة اثنتين وعشرين وأربعمائة .

ومن مستحسن شعره في التجنيس[2] :

ولما تفرقنا تباكتْ قلوبنا ... فممسكُ دمعٍ عند ذاك كساكِبِهْ

فيا نفسيَ الحرَّى البسي ثوبَ حسرةٍ ... فراقُ الذي تهوينه قد كساكِ بِهْ

---

(1) ك : وجال .

(2) البيتان في ابن عساكر : 559 والفوات .

ومنه :

تـرى زَمَني يُدْني سُلَيمى فنلتقي ونرجعُ بالشكوى الحديثَ المناهَبَا
وهيهاتِ ما بعـد الذي قـد طلبته ومن غابرِ الأيـام كان المنى هَبَـا

ومنه[1] :

فـؤادٌ مـا يفـيقُ مـن التصـابي أطـاع غـرامَـهُ وعصَى النـواهي
وقـالـوا لـو تَصَبَّـرَ كـان يسلو وهـل صبرٌ يسـاعدُ والنّـوى هي

ومنه[2] :

ألـيس وقـوفُنـا بـديـارِ هنـدٍ وقـد رحل القـطينُ من الـدواهي
وهـنـدٌ قـد غَـدَتْ داءً لقـلبي إذا صـدت ولـكـن الـدوا هـي

ومنه :

وهيَّـجَ أشـواقي ومـا كنتُ ساليـاً بيـرينَ برقٌ من ذُرَى الغـورِ أومضـا
ذكـرتُ بـه عيشَ التصـابي وطيبَـهُ ولستُ بنـاسيه وإن عـاد أو مضى

ومن شعره[3] :

علَّمتني بهجـرهـا الصبـرَ عنهـا فهي مشكـورةٌ على التـقبيـحِ
وأرادت بـذاك قُبْـحَ صنيـعٍ فعلتـه فكـان عينَ المليـحِ[4]

أنشدني أبو عبد الله محمد بن سعيد بن الدبيثي قال أنشدنا عمر بن طبرزد قال أنشدني أبو الحسن علي بن هبة الله بن عبد السلام قال أنشدنا الأمير أبو نصر علي بن هبة الله لنفسه :

قـوِّضْ خيـامـك عن أرضٍ تُهـانُ بهـا وجـانبِ الـذلَّ إن الـذل يجتنب[5]
وارحـل إذا كـانت الأوطـانُ منقصـةً فـالمندلُ الـرطبُ في أوطانـه حطب[6]

---

(1) البيتان في الفوات .
(2) ومنه : سقطت من ك ؛ والبيتان التاليان في ابن عساكر : 560 .
(3) البيتان في الفوات .
(4) سقط البيت في ك .
(5) م : مجتنب .
(6) م : الحطب .

قرأت بخط أبي سعد أخبرنا[1] أبو نصر يحيى بن خلف الخلقاني أخبرنا[1] أبو ثابت بنجير بن علي أنبأنا[2] أبو نصر ابن ماكولا الحافظ أنشدنا أبو الفرج هبة الله بن الحسن بن محمد العسقلاني بها أنشدنا أبو علي الحسن بن أحمد بن أبي الناس العسقلاني في صورتين كانتا على كنيسة تعرف بكنيسة ابن مريم على شرقي محملها ، والكنيسة عند باب الصوارف بعسقلان :

طوباكما من دميتين تعانقا ... من غير علم منهما بعناقِ[2]
لو ذقتما طعمَ العناقِ لغافصتْ ... شخصيكما الدنيا بوشكِ فراقِ
لم تغفل الأيام حالكما بها ... عمداً لترفيهٍ ولا إشفاقِ
بل للأمورِ نهايةٌ عَلِقَتْ بها ... حُجِزَتْ أوامرها عن الطرّاقِ
فإذا انقضت أيامها عادت لها ... تلك الوقاحةُ أضيقَ الأطواقِ
وكأنني والدهرُ قد أجراكما ... كبنيه تفريقاً بغير تلاقي

قال فما مضى لهذا الشعر إلا سنةٌ أو نحوها حتى أمر الحاكم بهدم الكنائس فَهُدِمَتْ ، وهدمت هذه الكنيسة وأزيل الشخصان ، فأنشدني لنفسه أبياتاً في ذلك يرثيهما بها :

طوباكما من دميتين تعانقا ... وتفرَّقا من بعدِ طولِ عناقِ[3]
طال اعتناقهما فما نَعِمَا به ... وكذاك ما ألما لوشكِ فراقِ
أجرتهما الدنيا بها إذ مثلت ... بمثابة الأولادِ في الاشفاقِ
صانتهما عن كلِّ طارقِ حادثٍ ... عند الغروبِ ومبتدا الإشراقِ
حتى إذا بلغا نهايةَ موعدٍ ... فكَّتْ عناقهما من الأعناقِ
ومحتْ رسومَهما كأن لم تمثلا ... للناظرين مرامي الأحداقِ
حسبي من الأيام معرفتي بها ... وتصرّف الحدثانِ في الآفاقِ

---

(1) م : أنبأنا .

(2) ك : أخبرنا .

(3) هذا البيت لم يرد في م .

قال شجاع بن فارس الذهلي أنشدني[1] الأمير أبو نصر علي بن هبة الله بن ماكولا الحافظ لنفسه :

ظالما طالما تجنى بحبي　　عادَ عادٍ عن فنّه عن فيهِ
قال قالٍ فاترك فأبركُ هجرٍ　　هجرُ حِبٍّ خَبٍّ نبيه بتيه
صاد صادا على علا ما احلا　　ما خلا من بليةٍ مَنْ يليه

قال وأنشدني الأمير لنفسه في الشمعة :

أقولُ ومالي مسعدٌ غيرُ شمعةٍ　　على طولِ ليلي ما تريدُ نزوعا
كلانا نحيلٌ ذو اصفرارٍ معذَّبٌ　　بنارٍ أسالت من حشاه نجيعا
ألا ساعديني طولَ ليلك إننا　　سنفنى إذا جاء الصباحُ جميعا

قال أبو عبد الله محمد بن أبي نصر الحميدي : ما راجعت أبا بكر الخطيب في شيء إلا وأحالني على الكتاب وقال حتى أبصره ، وما راجعت الأمير أبا نصر علي بن هبة الله بن ماكولا في شيء إلا وأجابني حفظاً كأنه يقرأ من كتاب .

قال : وبلغ أبا بكر الخطيب أن ابن ماكولا أخذ عليه في كتابه « المؤتنف » ، وصنّف في ذلك تصنيفاً ، وحضر عنده ابن ماكولا وسأله الخطيب عن ذلك فأنكره ولم يقرَّ به وقال : ينسبني الناس إلى ما لست أحسنه من الصنعة ، واجتهد الشيخ أبو بكر أن يعترف بذلك ، وحكى له ما كان من عبد الغني بن سعيد في تتبعه أوهام الحاكم أبي عبد الله في « كتاب المدخل » وحكايات عدة من هذا المعنى وقال : أرني إياه فإن يكن صواباً استفدته منك ولا أذكره إلا عنك ، فأصرَّ على الانكار وقال : لم يخطرْ هذا ببالي قط ، ولم أبلغْ هذه الدرجة أو كما قال ، فلما مات الخطيب أظهر كتابه وهو الذي سماه « كتاب تهذيب مستمر الأوهام على ذوي التمني والأحلام أبي الحسن الدارقطني وأبي بكر أحمد بن علي الخطيب » وهو في عشرة أجزاء لطاف . وله من التصانيف سوى ما ذكرنا كتاب الوزراء . كتاب الإكمال في المؤتلف والمختلف .

---

(1) ك : أنشدنا .

ـ 850 ـ

علي بن هارون بن نصر القرميسيني النحوي أبو الحسن : أخذ عن علي بن سليمان الأخفش ، وأخذ عنه عبد السلام البصري ومات في سنة احدى وسبعين وثلاثمائة في خلافة الطائع ومولده في سنة تسعين ومائتين .

ـ 851 ـ

علي بن هارون بن علي بن يحيى بن أبي منصور المنجم أبو الحسن: قد ذكرنا أباه هارون وأجداده في مواضعهم من الكتاب ، قال محمد بن إسحاق النديم : رأيناه وسمعنا منه ، وكان راوية شاعراً أديباً ظريفاً متكلماً خيّراً نادم جماعة من الخلفاء ، وقال لي مولدي سنة سبع وسبعين ومائتين ، وقال ثابت: مولده في صفر سنة ست وسبعين . ومات سنة اثنتين وخمسين وثلاثمائة عن ست وسبعين سنة ، وله من الكتب : كتاب النوروز والمهرجان . كتاب الرد على الخليل في العروض . كتاب الرسالة في الفرق بين إبراهيم بن المهدي وإسحاق بن الموصلي في الغناء . كتاب ابتدأ فيه بنسب أهله عمله للمهلبي الوزير ولم يتم . كتاب اللفظ المحيط بنقض ما لفظ به اللقيط ، عارض به كتاب أبي الفرج الأصبهاني « في الفرق والمعيار بين الأوغاد والأحرار » . كتاب القوافي عمله لعضد الدولة .

وحدث أبو القاسم إسماعيل بن عباد في « كتاب الروزنامجه » قال فيه[1] : استدعاني الأستاذ أبو محمد المهلبي وابنا المنجم في مجلسه وقد أعدا[2] قصيدتين في مدحه ، فمنعهما من النشيد لأحضره ، فأنشدا وجودا بعد تشبيب كثير

850 ـ تاريخ بغداد 12 : 120 ونزهة الألباء : 229 وإنباه الرواة 2 : 324 والوافي 22 : 276 وبغية الوعاة 2 : 211 .

851 ـ الفهرست : 161 ومعجم الشعراء : 156 ويتيمة الدهر 3 : 114 وتاريخ بغداد 12 : 119 وابن خلكان 3 : 275 والوافي 22 : 276 ومرآة الجنان 2 : 350 .

(1) الروزنامجة : 15 ـ 18 (عن معجم الأدباء) . (2) م : وقد أعدوا .

وحديث طويل[1]. كان لأبي الحسن رسم، أخشى تكذيب سيدنا إن شرحته، وعتابَهُ إن طويته، ولأن أحصلَ عنده في صورةٍ متزيّد أحبُّ إليَّ من أن أحصلَ عنده في رتبة مقصر ـ يبتدىء فيقول ببحة عجيبة بعد إرسال دموعه وتردد الزفرات في حلقه ، واستدعائه من جواذ[2] غلامه منديل عبراته : والله واللّه وإلا فأيمان البيعة تلزمه بحلّها وحرامها وطلاقها وعتاقها، وما ينقلب إليه حرام، وعبيده أحرار لوجه اللّه تعالى إن كان هذا الشعر في استطاعة أحد مثله أو اتفق من عهد أبي دواد الايادي إلى زمان ابن الرومي لأحد شكله ، بل عيبه أن محاسنه تتابعت وبدائعه ترادفت ، وقد كان في الحق أن يكون كلّ بيت منه في ديوان يحمله ويسود به شاعره ، ثم ينشد ، فإذا بلغ بيتاً يعجب به ويتعجب منه قال: أيها الوزير من يستطيع هذا إلا عبدك علي بن هارون بن علي بن يحيى بن أبي منصور بن المنجم جليس الخلفاء وأنيس الوزراء ، ثم ينشد الابن ، والأب يعوّذه ويهتزّ له ويقول : أبو عبد الله أستودعه الله ولي عهدي وخليفتي بعدي ، ولو اشتجر اثنان من مصر وخراسان لما رضيتُ بفصل ما بينهما سواه ، أمتعنا الله به ورعاه ، وحديثه عجيب وإن استوفيته ضاع الغرض الذي قصدته ، على أنه أيد الله مولانا من سعة النفس والخلق ووفور الأدب والفضل وتمام المروة والظرف بحال أعجزُ عن وصفها وأدلّ عن جملتها : إنه مع كثرة عياله واختلال أحواله طلب سيفُ الدولة جاريتَهُ المغنيةَ بعشرين ألف درهم أحضرها صاحبه ، فامتنع من بيعها وأعتقها وتزوجها.

ومن شعر علي بن هارون وكتب بها إلى أبي الحسن علي بن خلف بن طياب[3] .

بيني وبين الدهرِ فيكَ عتابُ	سيطولُ إنْ لم يَمْحُهُ الإعتابُ
يا غائباً بوصالِهِ وكتابه	هل يُرْتَجَى من غيبتِكَ إيابُ
لولا التعللُ بالرجاءِ تقطَّعَتْ	نَفْسٌ عليك شعارها الأوصابُ

(1) بعد هذه اللفظة في م : قال المؤلف أراه المهلبي (ولا يتسق مع السياق) وهو غير وارد في ك .

(2) م : خود .

(3) الشعر في يتيمة الدهر والنشوار 3 : 203 وفيه ابن طناب ؛ وهو من رجال الدولة العباسية تولى الموصل سنة 323 وعلى ديار مضر سنة 330 (انظر صفحات من ابن الأثير جـ : 8) .

لا يـأسَ من رَوْحِ الإلـه فـربمـا   يصـلُ القَـطوعُ ويحضـرُ الغيـابُ
وإذا دنـوتَ مواصـلاً فهـو المنى   سَعِـدَ المحبُّ وساعـدَ الأحبـابُ
وإذا نـأيـت فليس لـي مُتَعَـلَّلٌ   إلا رسـولٌ بـالـرضى وكتـابُ

وحدث أبو علي المحسن بن علي التنوخي القاضي في « نشوار المحاضرة »(1) قال حدثني أبو الفتح أحمد بن علي بن هارون بن المنجم قال حدثني أبي قال : كنت وأنا صبيٌّ لا أُقيم الراءَ في كلامي وأجعلها غيناً ، وكانت سنّي إذ ذاك أربعَ سنين أقل أو أكثر ، فدخل أبو طالب المفضل بن سلمة أو أبو بكر الدمشقي - شك أبو الفتح - إلى أبي وأنا بحضرته ، فتكلمتُ بشيء فيه راء فلثغت فيها ، فقال له الرجل : يا سيدي لم تَدَعُ أبا الحسن يتكلم هكذا ؟ فقال له : ما أصنع وهو ألثغ ، فقال له ، وأنا أسمع وأحصّل ما جرى وأضبطه : إن اللثغة لا تصحّ مع سلامة الجارحة ، وإنما هي عادة سوءٍ تسبقُ إلى الصبيّ أولَ ما يتكلم لجهله بتحقيق الألفاظ وسماعه شيئاً يحتذيه ، فإن تُرِكَ على ما يستصحبه من ذلك مَرَنَ عليه فصار له طبعاً لا يمكنُهُ التحولُ عنه ، وإن أُخذ بتركه في أولِ نشوه استقام لسانُهُ وزال عنه ، وأنا أزيل هذا عن أبي الحسن ولا أرضى فيه بتركك له عليه ، ثم قال لي : أخرج لسانك ، فأخرجته فتأمله وقال : الجارحة صحيحة ، قل يا بني را واجعل لسانك في سقف حلقك ، ففعلتُ ذلك فلم يستوِ لي ، فما زال يرفقُ بي مرةً ويخشنُ بي أخرى وينقلُ لساني من موضع إلى موضع من فمي ويأمرني أن أقول الراءَ فيه فإذا لم يستو لي نَقَلَ لساني إلى موضع آخر دفعاتٍ كثيرة في زمان طويل حتى قلتُ راء صحيحة في بعض تلك المواضع ، وطالبني وأوصى معلمي بالزامي ذلك حتى مرن لساني عليه وذهبت عنه اللثغة.

ومن « كتاب الروزنامجه »(2) : قـال الصاحب : وتـوفرت على عِشْـرَةِ فضلاء البلد ، فأولُ من كاثرني أولادُ المنجم لفضلِ أبي الحسن علي بن هـارون وغزارتِـهِ واستكثارٍ من روايته وطيب سماعه ولذيذ عشرته ، فسمعتُ منه أخباراً عجيبة وحكايات غريبة ، ومن ستارته أصواتاً نادرةً مشنّفة مقرطقة ، يقـول في كلٍّ منهـا الشعر لفـلان

(1) نشوار المحاضرة 6 : 261 (عن معجم الأدباء) .
(2) الروزنامجة : 20 - 21 (عن معجم الأدباء) .

والصنعةُ لفلان ، أَخَذْتُهُ هذه عن فلان أو فلانة حتى يتصل النسب باسحاق أو غيره من أبناء جنسه ، وكان أكثر ما يعجب به مولاها أبيات له أولها :

ضـلَّ الفـراقُ ولا آهْتَـدَى ونـأتْ فـلا دَنَتِ النـوى
وهـوى فـلا وجـد القـرا رَ معنِّفٌ أهـلَ الـهـوى

فاتفق أنْ سألتُ أولَ ما سمعتُ اللحنَ فيه عن قائله ، فغضب واستشاط وتنكر واستوفز ونفر وتنمر وقال : تقول لمن هذا ؟ أما يدلُّ على قائله ؟ أما يعربُ عن جوهره ؟ أما ترى أثر بني المنجم على صفحته ؟ أما :

تـحمـيـه لألاؤهُ أو لـوذعـيـتـه من أن يذال بمن أو ممن الرجلُ

وذكره المرزباني في المعجم فقال وهو القائل[1] :

وإني لأثني النفسَ عمـا يَـريبهـا وأنـزلُ من دارِ الهـوانِ بمعـزلِ
بهمَّـةِ نبـلٍ لا يُـرَامُ مكـانُـهـا تحـلُّ من العليـاء أشـرفَ منـزلِ
ولي منطقٌ إن لجلج القول صائبٌ بتكشيفِ إلبـاسٍ وتـطبيقِ مفصـلِ

وله يمدح أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام[2] :

وهـل خصلةٌ من سؤددٍ لم يكنْ لهـا أبـو حسن من بينهم نـاهضـاً قـدمـا
فمـا فـاتهم منهـا بـه سلّمـوا لـه ومـا شـاركوه كـان أوفـرهم قسمـا

وفي كتاب أبي علي التنوخي[3] : كان أبو أحمد الفضل بن عبد الرحمن بن جعفر الشيرازي الكاتب خصيصاً بالوزير أبي علي ابن مقلة ، وكان يعشق مغنيةً وكان ينفق عليها جميعَ ما يتحصلُ له ، وله معها أخبار ، وكانت هذه الجارية صفراء واسمها لهجة[4] ، فشرب معها ليلة وأصبح مخموراً ، فآثر الجلوسَ معها وأراد الاعتذار إلى الوزير ابن مقلة من التأخر عن الخدمة وأن يخفي خبره عنه ، فكتب رقعةً يعتذر فيها

---

(1) معجم الشعراء : 156 .

(2) وردا في معجم الشعراء أيضاً .

(3) نشوار المحاضرة 8 : 263 وبإيجاز في 2 : 70 .

(4) النشوار : بهجة .

ويقول : إن الصفراء تحركتْ عليَّ فتأخرت ، فوقع على ظهر الرقعة بخطه : أنت تحركت على الصفراء ليس الصفراء تحركت عليك . قال : وهذا التوقيع يشبه ما أنشدنا علي بن هارون المنجم لنفسه في جاريته صفراء وقد شكا إلى الطبيب مِرَّةً صفراء ، ولا أدري أيهما أخذ من صاحبه[1] :

جسَّ الطبيب يدي وقال مخبّراً هذا الفتى أودت به الصفراء[2]
فعجبتُ منه إذ أصاب وما درى قولاً وظاهرُ ما أراد خطاء

قلت أنا : وقريب من هذا قول الوزير المهلبي :

وقالوا للطبيب أَشِرْ فانا نعدُّك للعظيمِ من الأمورِ
فقال شفاؤه الرمَّان مما تَضَمَّنَهُ حشاهُ من السعيرِ
فقلتُ لهم أصابَ بغير قصدٍ ولكن ذاك رمانُ الصدورِ

وكان لعلي بن هارون ولد يقال له أبو الفتح أحمد بن علي بن هارون المنجم كان أديباً فاضلاً إلا أني لم أقف له على تصنيف فلم أفرده بترجمة[3] والمقصود ذكره ، وقد ذكر ها هنا ، روى عنه أبو علي التنوخي في « نشواره » فأكثر[4] وقال : أنشدني أبو الفتح أحمد بن علي بن هارون لنفسه[5] :

ما أنسَ منها لا أنسَ موقفها وقلبها للفراق ينصدعُ
وقولها إذ بدا الصباحُ لها قولَ فزوعٍ أظلَّه الجزعُ
ما أطولَ الليلَ عند فرقتنا وأقصرَ الليلَ حين نجتمعُ

قال التنوخي وأنشدني أبو الفتح لنفسه ، وكتب بها إلى أبي الفرج محمد بن

(1) ينسبان للوزير المغربي في بغية الطلب 9 : 253 والأفضليات : 178 .
(2) بهامش ك ويروى : قد أتلفت هذا الفتى الصفراء .
(3) هذا غريب حقاً ، فقد مرَّت ترجمته في الأحمدين رقم : 116 (بحسب هذه الطبعة) .
(4) من أمثلة النقل عنه . انظر النشوار 3 : 204 ، 284 ، 285 ؛ 4 : 145 .
(5) نشوار المحاضرة 4 : 65 (نقلاً عن معجم الأدباء) .

العباس [بن] فسانجس في وزارته وقد عمل على الانحدار إلى الأهواز[1] :

قل للوزيرِ سليـلِ المجدِ والكـرمِ ومن له قامتِ الدنيا على قَـدَمِ[2]

ـ 852 ـ

علي بن هلال الكاتب المعـروف بابن البـواب أبو الحسن ، صـاحب الخط المليح والاذهاب الفائق : وجدت بخط ابن الشبيـه العلوي الكاتب صـاحب الخط الفائق في آخر ديوان أبي الطمحان القيني بخطه مـا صورتـه : وكتب في صفر سنـة عشرين وأربعمائة من خط أبي الحسن علي بن هلال[3] الستري[4] مولى معاوية بن أبي سفيان صخر بن حرب الأموي وهذا قد كان بغير شك معاصره .

بلغني أنه كان في أول أمره مزوقاً يصور الدور ثم صور الكتب ثم تعانى الكتابة ففاق فيها المتقدمين[5] وأعجز المتأخرين ، وكان يعظ بجامع المنصور ، ولما ورد فخر الملك أبو غالب محمد بن خلف الوزير والياً على العراق من قبل بهاء الدولة أبي نصر ابن عضد الدولة جعله من ندمائه ، وفي الجملة انه لم يكن له في عصره ذاك النَّفَاقُ الذي له بعد وفاته ، وذاك أنني وجدت رقعة بخطه قد كتبها إلى بعض الأعيان يسأله فيها مساعدةَ صاحبه ابن منصور وانجاز وعدٍ وعده به لا يساوي دينارين ، وقد بسط القولَ في ذلك ، استطلتها فانها كانت نحو السبعين سطراً فألغيت اثباتها ، وقد بيعت بسبعة

852 ـ ترجمة ابن البواب في المنتظم 8 : 10 وابن خلكان 3 : 342 وتذكرة الحفاظ : 1056 وسير الذهبي 17 : 315 وعبر الذهبي 3 : 113 والبـداية والنهـاية 12 : 14 والـوافي 22 : 290 وصبح الأعشى 3 : 13 والنجوم الزاهرة 4 : 257 وتاريخ مختصر الدول : 180 ومعجم الألقاب 4 : 734 والشذرات 3 : 199 .

(1) ك : وقد يحمل على الاعذار إلى الاهدار ؛ وفي م : وقد عمل على الاغذاذ . . . . وقد ورد في الترجمة رقم (114) .

(2) هذا البيت من أبيات سبعة وردت في ترجمة أبي الفتح ابن المنجم (رقم : 116) .

(3) ك م : هليل (وفي الوافي أن خطه ثلاث طبقات ، وأن اسمه في الطبقة الوسطى على بن هليل) .

(4) كان والد ابن البواب يعرف بابن الستري .

(5) ك : المقدمين .

عشر ديناراً إمامية ، وبلغني أنها بيعت مرة أخرى بخمسة وعشرين ديناراً . مات فيما ذكره هلال بن المحسن بن الصابىء في جمادى الأولى سنة ثلاث عشرة وأربعمائة ودفن في جوار قبر أحمد بن حنبل ، وذلك في خلافة القادر بالله ، ورثاه المرتضى بشعر أذكره فيما بعد إن شاء الله تعالى .

وحدث في « كتاب المفاوضة » قال[1] : حدثني أبو الحسن علي بن هلال المعروف بابن البواب الكاتب قال : كنت أتصرف في خزانة الكتب لبهاء الدولة بن عضد الدولة بشيراز على اختياري وأراعيها له وأمرها مردودٌ إليّ ، فرأيت يوماً في جملة أجزاء منبوذة جزءاً مجلداً بأسود قد السكري ، ففتحته وإذا هو جزء من ثلاثين جزءاً من القرآن بخط أبي علي ابن مقلة فأعجبني وأفردته وجعلت وكدي التفتيش عن مثله[2] ، فلم أزل أظفر بجزءٍ بعد جزءٍ مختلط في جملة الكتب إلى أن اجتمع تسعة وعشرون جزءاً ، وبقي جزء واحد استغرقت تفتيش الخزانة في مدة طويلة فلم أظفر به ، فعلمت أن المصحفَ ناقص فأفردته ، ودخلت إلى بهاء الدولة وقلت : يا مولانا ها هنا رجل يسأل حاجة قريبة لا كلفة فيها وهي مخاطبة أبي علي الموفق الوزير على معونته في منازعة بينه وبين خصم له ومعه هدية ظريفةٌ تصلح لمولانا ، قال : أي شيء هي ؟ قلت : مصحف بخط أبي علي ابن مقلة ، فقال : هاته وأنا أتقدم بما يريد ، فأحضرتُ الأجزاء ، فأخذ منها واحداً وقال أذكر وكان في الخزانة ما يشبه هذا وقد ذهب عني . قلت : هذا مصحفك ، وقصصتُ عليه القصةَ في طلبتي له حتى جمعته ، وقلت : هكذا يطرح مصحف بخط أبي علي إلا أنه ينقص جزءاً ، فقال لي : فتممه لي ، قلت : السمع والطاعة ، ولكن على شريطة أنك إذا أبصرت الجزءَ الناقصَ منها ولا تعرفه أن تعطيني خلعةً ومائة دينار ، قال : أفعل ؛ وأخذت المصحف من بين يديه وانصرفت إلى داري ودخلت الخزانة أقلب الكاغد العتيق وما يشابه كاغد المصحف ، وكان فيها من أنواع الكاغد السمرقندي والصيني والعتيق كلّ ظريف عجيب ، فأخذت من الكاغد ما وافقني ، وكتبت الجزء وذهّبته وعتّقتُ ذهبه وقلعت جلداً من جزءٍ من

(1) لخص الذهبي هذا الخبر في سير أعلام النبلاء 17 : 315 وانظر شذرات من كتب مفقودة : 313 (رقم : 28) .

(2) وجعلت . . . مثله : من ك وحدها .

الأجزاء فجلدته بـه ، وجلَّدتُ الذي قلعت منـه الجلد وعتقته ، ونسي بهـاء الدولـة المصحف ، ومضى على ذلك نحو السنة ، فلما كان ذات يوم جرى ذكر أبي علي ابن مقلة فقال لي : ما كتبت ذلك ؟ قلت بلى ، قال : فأعطنيه ، فأحضـرت المصحف كاملاً فلم يزل يقلّبه جزءًا جزءًا وهو لا يقف على الجزءِ الذي بخطي ثم قال لي : أيّما هو الجزء الذي بخطك ؟ قلت له : لما لا تعرفه فيفتر في عينك ، هذا مصحفٌ كامل بخط أبي علي ابن مقلة ونكتم سرنا ؟ قال : أفعل ، وتركه في ربعة عند رأسه ولم يعده إلى الخزانة ، وأقمت مطالباً بالخلعة والدنانير وهو يمطلني ويعدني ، فلما كان يوماً قلت : يا مولانا في الخزانة بياض صيني وعتيق مقطوع وصحيح فتعطيني المقطوعَ منه كله دون الصحيح بالخلعة والدنانير ؟ قال : مرَّ خذه ، فمضيتُ وأخذت جميع ما كان فيها من ذلك النوع فكتبت فيه سنين .

ووجدت في تاريخ أبي الفرج ابن الجـوزي قال[1] : اجتـاز أبو الحسن البتي الكاتب وكان مزاحاً ـ وله في هذا الكتاب باب ـ وعلي بن هلال جالسٌ على باب الوزير فخر الملك أبي غالب محمد بن خلف ينتظر الاذن ، فقال له البتي : جلوسُ الأستاذ على العتب رعاية للنسب ، فغضب ابن البواب وقال : لو أنّ إليَّ أمراً[2] ما مكنتك من دخولِ هذه الدار ، فقال البتي : لا يتركُ الأستاذ صنعةَ الوالد[3] بحال .

ولبعضهم يهجو ابن البواب :

من ذا رأيتم من النسّـاخ متخـذاً   سبـالَ لصٍّ على عثنـونِ محتـالِ
هـذا وأنت ابنُ بـوابٍ وذو عـدم   فكيف لو كنتَ ربَّ الدارِ والمـالِ

وكان ابن البواب يقول شعراً ليناً منه ـ ونقلته من خط الجويني أيضاً قال ونقلت من خطه أيضاً في ضمن رسالة ـ :

ولـو آني أهديتُ مـا هـو فـرضٌ   لـلرئيس الأجـلِّ مـن أمثـالـي
لنـظمتُ النجـومَ عقـداً إذا رَصَّـعَ غيـري جـواهـراً بـلآلـي

(1) المنتظم 8 : 10 .
(2) المنتظم : لو أن لي من أمر الدنيا شيئاً .
(3) المنتظم : صنعة الشيخ .

ثم أهديتها إليه وأقررتُ بعجزي في القول والأفعالِ
غير أني رأيتُ قدرك يعلو عن نظيرٍ ومشبهٍ ومثالِ
فتفاءلتُ في الهدية بالأقلام علماً مني بصدقِ الفال
فاعتقدها مفاتحَ الشرقِ والغرب سريعاً والسهلِ والأجبال
فهي تستنُّ إنْ جَرَيْنَ على القرطاسِ بين الأرزاق والآجال
فاختبرها موقعاً برسوم البرِّ والمكرماتِ والإفضال
واحظَ بالمهرجانِ وابلِ جديدَ الدهر في نعمةٍ بغير زوال
وابقَ للمجدِ صاعدَ الجدّ عزًّا والرئيسَ الأجلَّ نجمَ المعالي
في سرورٍ وغبطةٍ تَدَعُ الحاسدَ منها مُقَطَّعَ الأوصالِ
عَضَدَتْها السعودُ واستوطن الإقبالُ فيها وسالمتها الليالي
أيها الماجد الكريم الذي يبدأ بالعارفاتِ قبل السؤالِ
إن آلاءَكَ الجزيلةَ عندي شَرَعَتْ لي طريقةً في المقالِ
امنتني لديك من هُجْنَةِ السردِ وفرطِ الإضجارِ والإملالِ
وحقوقُ العبيدِ فَرْضٌ على السادةِ في كلِّ موسم للمعالي
وحياةُ الثناءِ تبقى على الدهر إذا ما انقضتْ حياةُ المالِ

وكان تحت هذا الشعر بخط الجويني ما صورته : هذا شعر ابن البواب وهو عورةٌ سترها ذلك الخط ، ولولا أنَّ الإجماعَ واقعٌ في أنّ الرجل يُفْتَنُ بشعره وولده لكان صاحبُ تلك الفضيلة يرتفعُ عن هذه النقيصة . وكتب تلميذه حسن بن علي الجويني .

ولقد عجبتُ ممن يُزْري على ذلك الشعر ، وهو القائل ونقلته من خطه فقال : كتبت إلى المولى القاضي الأجل شرف الدين السديد عبد الله بن عليّ أمتع الله الدنيا وأهلها ببقائه ، وقد أبللتُ من مرضة صعبة :

عبدَ الالهِ السديدَ حقاً بغيرِ زورٍ وغيرِ مَيْنِ
يا شرفَ الدين يا فريداً شرَّفَ بالفضلِ دولتينِ
يا تاجَ فخري وكنزَ فقري ويا معيني ونورَ عيني

قد كدتُ أقضي نحبي وأمضي وكــدتَ تبقى بــلا جــويني

وكتب حسن بن علي الجويني في ذي القعدة سنة ست وستين وخمسمائة بالديار المصرية عمرها الله تعالى بدوام العز .

وقال المعري وضرب علي بن هلال مثلاً[1] :

طـربن[2] لضوءِ البـارقِ المتعـالي ببغــدادَ وهنــا مــا لهنّ ومــا لي
فيـا برقُ ليس الكـرخُ داري وإنما رمى بي إليـه الـدهـرُ منـذ ليــالي
فهـل فيـكَ من مـاءِ المعـرةِ نغبـةٌ تغيثُ بهــا ظمــآنَ ليس بســالي
ولاح هـلالٌ مثـل نــونٍ أجـادهــا بماءِ[3] النضار الكـاتبُ ابنُ هلالِ

منها[4] :

إذا لاح إيمـاض سترتُ وجـوهَهـا كــأنيَ عمــروٌ والمــطيُّ سعــالي

هذا بيت مشكل التفسير بعيد المرمى وذاك أن عمرو بن تميم بن مرّ بن أد بن طـابخة ولـد العنبر والهجيم ومـازن ، تقول العـرب إن هؤلاء الاخـوة الثـلاثـة أمهم السـعلاة ، وهي الغولة ، وأن عمرو بن تميم تزوجها فولدت له هؤلاء الثلاثة ، ويقولون إن السـعلاةَ إذا رأت البرق طلبته ، وكان عمـرو يحفظهـا من البرق إذا لاح فيغـطّي وجهها ، فغفل عنها مرةً فلاح البرق فطلبته وقالت : يا عمرو أوصيك بولدك خيراً ، ومضت ولم تعدْ إليه ، فهذا معنى بيت المعري .

وقد ضربه بعض المتأخرين أيضاً مثلاً فقال يمدح رجلاً يعرف بابن بدر بجودة الخط فقال :

يا ابنَ بدرٍ علوتَ في الخطِّ قـدراً حين مــا قـايســوك بـابنِ هــلالِ
ذاك يحكي أبـــاه في النقصِ لمـا جئتَ تحكي أبـاكَ عنـدَ الكمــالِ

---

(1) شروح سقط الزند : 1162 ، 1195 ، 1197 .
(2) ك م : طربت (والحديث عن الابل اللواتي طربن) .
(3) سقط الزند : بجاري .
(4) شروح السقط : 1167 (وفيه شرح البيت بقريب مما ورد هنا) .

قرأت بخط سلامة بن غيض : رأيت بالري بخط علي بن هلال « كتاب من نسب من الشعراء إلى أمه » لأبي عبد الله ابن الأعرابي وهم خمسون شاعراً وعلى ظهره « كتبه علي بن هلال في شهر ربيع الأول سنة تسعين وثلاثمائة » وبعد البسملة « يرويه ابن عرفة عن ثعلب عن ابن الأعرابي » وفي آخره بخطه «نقلته من نسخة وجدت عليها بخط شيخنا أبي الفتح عثمان بن جني النحوي أيده الله : بلغ عثمان بن جني نسخاً من أوله وعرضاً » .

وكان لابن البواب يد باسطة في الكتابة ، أعني الانشاء ، وفصاحة وبراعة ، ومن ذلك رسالة أنشأها في الكتابة ، وكتبها إلى بعض الرؤساء ، ونقلتها من خط الحسن بن علي الجويني الكاتب أولها : قد افتتحتُ خدمةَ سيدنا الأستاذ الجليل ، أطال الله بقاءه وأدام تمكينه وقدرته وتمهيده ، وكبت عدوه ، المثال المقترن بهذه الرقعة افتتاحاً يصحبه العذرُ إلى جليل حضرته من ظهور التقصير فيه والخلل البادي لمتأمليه ، وقد كان من حقوق مجلسه الشريف أن يخدمَ بالغايات المرضية من كلّ صناعة تأدياً لسؤدده وعلائه ، وتصدياً للفوز[1] بجميل رائه ، ولم يعدني عن هذه[2] القضية جهلٌ بها وقصورٌ عن علمها ، لكني هاجرٌ لهذه الصناعة منذ زمن طويل هجرةً قد أورثتْ يدي حُبْسةً ووقفةً حائلتين بينها وبين التصرف والافتنان ، والوفاء بشرط الاجادة والاحسان ، ولا خفاءَ عليه ـ أدام اللّه تأييده ـ بفضل الحاجة ممن تعاطى هذه الصناعة إلى فرط التوفر عليها ، والانصراف بجملة العناية إليها ، والكلف الشديد بها ، والولوع الدائم بمزاولتها ، فإنها شديدة النفار بطيئة الاستقرار ، مطمعة الخداع وشيكة النزاع ، عزيزة الوفاء، سريعة الغدر والجفاء، نَوَارٌ قَيْدُهَا الإعمال، شَمُوسٌ مهرها الوصال، لا تسمحُ ببعضها إلا لمن آثرها بجملته وأقبل عليها بكليته ، ووقف على تألفها سائر زمنه ، واعتاضها عن خِلِّه وَسَكَنه ، لا يؤيسه حيادها[3] ولا يغرّه انقيادها ، يقارعها بالشهوة والنشاط ويوادعها عند الكلال والملال ، حتى يبلغَ منها الغايةَ القصيّة ويدركَ المنزلةَ العلية ، وتنقاد الأناملُ لتفتيح أزهارها وجلاء أنوارها ، وتظهر الحروفُ موصولةً

---

(1) ك : للوفور .

(2) هذه : سقطت من ك .

(3) لعل الصواب : عنادها .

ومفصولة ومعمّاة ومفتّحة في أحسن صيغها وأبهج خِلَقها[1] ، منخرطة المحاسن في سلك نظامها ، متساوية الأجزاء في تجاورها والتيامها ، لينة المعاطف والأرداف ، متناسبة الأوساط والأطراف ، ظاهرها وقور ساكن ، ومفتّشها رهج فاتن ، كأنما كاتبها وقد أرسل يَدَهُ وحث بها قلمه ، رجَّع فيها فكره ورويّته ، ووقف على تهذيبها قدرته وهمته ، القلب بها في حجر ناظره ، والمعنى بها مظلوم بلفظه ، وما ذهبت في هذه القضية[2] مذهب المطرف المغرب بها ولا المعوّل على شوافعها ، لكن نهجتُ بها سبيلاً لأمثالها إقامةً لرسم الخدمة المفروضة للسادة المنعمين على خدمهم وصنائعهم ، فإن سعدت بنفاقها عليه وارتضائها لديه وإلا سلمتُ من وَصْمَةِ التضجيع والإهمال وهجنة التقصير في شكر الإنعام والإفضال ، ولسيدنا الأستاذ الجليل ـ أطال اللّٰه بقاءه ـ علوُّ الرأي في الأمر بتسليم ما خدمتُ به وتصريفه بين عالي أمره ونهيه ، إن شاء الله تعالى .

وحدث غرس النعمة محمد بن هلال[3] بن المحسن بن ابراهيم بن هلال الصابىء في « كتاب الهفوات » قال[4] : كان في الديوان كاتب يعرف بأبي نصر ابن مسعود فلقي يوماً أبا الحسن علي بن هلال البواب الكاتب ذا الخط المليح في بعض الممرات فسلَّم عليه وقبَّل يده فقال له ابن البواب : اللّٰه اللّٰه يا سيدي ما أنا وهذا ؟ فقال : لو قبلتُ الأرض بين يديك لكان قليلاً ، قال : ولم ذاك يا سيدي وما الذي أوجبه واقتضاه ؟ قال : لأنك تفردت بأشياء ما في بغداد كلها[5] من يشاركك فيها ، منها الخط الحسن وأنّه لم أرَ عمري كاتباً من طرف عمامته إلى طرف لحيته ذراعان ونصف غيرك ، فضحك أبو الحسن منه وجزّاه خيراً وقال له : أسألك أن تكتم هذه الفضيلةَ عليّ ولا تكرمني لأجلها، قال له: ولم تكتم فضائلك ومناقبك؟ فقال له: أنا أسألك هذا ، فبعد جهد ما أمسك ، وكانت لحية ابن البواب طويلة جداً .

(1) م : خلقتها .
(2) ك : الخدمة .
(3) ك : هليل .
(4) الهفوات النادرة : 310 ونقلها الصفدي : 294 .
(5) ك : ليس في البغداد كله ؛ الهفوات : البغداديين كلهم (وما في ك ورد في بعض أصول الهفوات) .

قال المؤلف : وأما الشعر الذي رثاه به المرتضى فهو[1] :

رَدِيتَ يا ابنَ هلالٍ والردى عَرَضٌ ... لم يُحْمَ منه على سُخْطٍ له البشرُ
ما ضرَّ فقدُكَ والأيامُ شاهدةٌ ... بأنَّ فضلك فيه الأنجمُ الزهرُ
أغنيتَ في الأرض والأقوام كلّهم ... من المحاسنِ ما لم يُغْنِهِ المطرُ
فللقلوب التي أبهجتها حَزَنٌ ... وللعيونِ التي أقررتها سهرُ
وما لعيشٍ إذا ودعته أرجٌ ... ولا لليلٍ إذا فارقته سحرُ
وما لنا بعد أن أضحتْ مطالعنا ... مسلوبةً منك أوضاحٌ ولا غررُ

ـ 853 ـ

علي بن الهيثم الكاتب[2] المعروف بجونقا : كان من الكتاب المستخدمين في ديوان المأمون وغيره من الخلفاء ، وكان فاضلاً أديباً كثير الاستعمال للتقعير والقصد لعويص اللغة حتى قال المأمون فيما حدَّث به الفضل بن محمد اليزيدي عن أبيه قال : قال المأمون أنا أتكلم مع الناس أجمعين على سجيّتي إلا علي بن الهيثم فإني أتحفظ إذا كلمته لأنه يُغْرِقُ في الإعراب .

ونقلت من خط الصولي في « أخبار شعراء مصر » قال : وممن دخل مصر خالد بن أبان الكاتب الأنباري أخو عبد الملك بن أبان ، حدثني الحسين بن علي الباقطائي أنه شَخَصَ إلى مصر فبلغه اتساعُ حالِ علي بن الهيثم ، وكانت بينهما حرمةٌ وكيدة ، فكتب إليه من مصر بشعرٍ طويل منه وكتب بماء الذهب :

على الخالق الباري توكلتُ إنه ... يدوم إذا الدنيا أبادتْ قرونَها

853 ـ ترجمة جونقا في إعتاب الكتاب : 212 وكتاب بغداد : 22 والوافي 22 : 295 وبغية الوعاة 2 : 212 .

(1) ديوان المرتضى 2 : 18 .
(2) الكاتب : سقطت من ك .

فـداؤك نفسي يـا عليّ بن هيثم ... إذا أكلتْ عجفُ السنين سمينـها
رميتُـكَ من مصـر بـأمٍّ قلائـدي ... تُـزَفّ وقـد أقسمتُ ألا تهينـها
بـأبيـاتِ شعـرٍ خُطَّ بـالتبـر وشيها ... إليـك وقدمـاً حـال حـولان دونها

ويذكر فيه خبره مع غرمائه والقاضي ، فبعث إليه بسفتجة بألف دينار ، وكتب إلى عامل مصر في استعماله فحسنت حاله .

وقال الجهشياري[1] : كان لخالد بن أبان الكاتب الأنباري الشاعر حرمة بعلي بن الهيثم وبأبيه أيام مقامهم بالأنبار ، ثم شخص خالد بن أبان إلى مصر وتزوج بها وولد له ، وأضاق واختلت حاله فاستدان من التجار ما أنفقه ، فكثر غرماؤه وقدّموه إلى القاضي فحبسه ثم فلّسه وأطلقه[2] ، وأقام بمصر وساءت حاله ، وبلغه أن علياً قد عظم قدره وتقلّد ديوانَ الخراج للفضل بن الربيع لما استوزره الرشيد بعد البرامكة ، وارتفع مع المأمون بعد ذلك ، فكتب إليه قصيدة نحواً من سبعين[3] بيتاً في رقّ بالذهب وبعث بها إليه أولها : « على الخالق الباري » الأبيات المذكورة فوجه إليه بألف دينار .

قال أبو بكر محمد بن خلف بن المرزبان حدثنا أبو علي الحسن بن بشر حدثني أبي قال : دخل علي بن الهيثم إلى سوق الدواب فلقيه نخّاسٌ فقال له : هل من حاجة ؟ قال : نعم الحاجةُ أناختنا بعقوتك ، أردتُ فرساً قد انتهى صدره ، وتقلقلتْ عروقه ، يشير بأذنيه ، ويتعاهدني بطرف عينيه ، ويتشوّف برأسه ، ويعقد عنقه ، ويخطر بذنبه ، ويناقل برجليه ، حسن القميص جيد الفصوص ، وثيق القصب ، تام العصب ، كأنه موج لجة أو سيل حدور ، فقال له النخاس : هكذا كان ﷺ .

وقال المرزباني في « المعجم »[4] : علي بن الهيثم التغلبي كاتب الفضل بن الربيع : كان لسناً فصيحاً شاعراً ، عاتبه الفضل يوماً على تأخره عنه وزاد عليه فقال :

وجـدني الفضلُ رخيصـاً جدًّا ... فـعقـنـي وازورَّ عـنـي صـدًّا

---

(1) نقله الأستاذ ميخائيل عواد في نصوص ضائعة : 50 (عن معجم الأدباء) .

(2) ك : من التجار فقدموه إلى الحاكم وحبسه وفلسه الحاكم وأخرجه .

(3) ك : نحو اثنتين وسبعين .

(4) لم أجد ترجمة لعلي بن الهيثم في المطبوع من معجم الشعراء .

وظنَّ والظنونُ قد تعدَّى أنيَ لا أصيبُ منه بدًّا
أعدُّ منه ألف بدّ عدًّا

وانصرف فلم يعملْ للسلطانِ عملاً .

حدثنا محمد اليزيدي قال : شهدتُ المأمون وهو جالسٌ على دكة الشماسية وعنده أحمد بن الجنيد الاسكافي وجماعة من الخاصة إذ دخل عليه علي بن الهيثم المعروف بجونقا فلما قرب منه قال : يا عدوَّ الله يا فاسقُ يا لصُّ يا خبيثُ ، سرقتَ الأموال وانتهبتها ، والله لأفرقنَّ بين لحمك وعظمك ولأفعلن ولأفعلن ، ثم سكن غضبه قليلاً فقال أحمد بن الجنيد : نعم والله يا أمير المؤمنين إنه وإنه ، ولم يدع شيئاً من المكروه إلا قاله فيه ، فقال له المأمون وقد هدأ غضبه : يا أحمد ومتى اجترأتَ عليَّ هذه الجرأة ؟ رأيتني وقد غضبت فأردت أن تزيد في غضبي ؟! أما إني سأؤدبك وأؤدب بك غيرك ، يا علي بن الهيثم قد صفحت عنك ووهبت لك كلَّ ما كنتُ أقدر أن أطالبك به ، ثم رفع رأسه إلى الحاجب وقال : لا يبرح ابنُ الجنيد الدارَ حتى يحملَ إلى علي بن الهيثم مائة ألف درهم ليكون له بذلك عقل ، فلم يبرح حتى حملها.

الجهشياري(1) : أمر المأمون أن يؤذن للناس إذناً عاماً وأن يجلسوا على مراتبهم كانت قديماً إلى أن تعرض عليه فيأمر فيها بأمره ، ففعلوا ذلك ، ودخل علي بن الهيثم فجلس في مجلس العرب وتغامز الكتاب عليه ، وأقبل عبيد الله بن الحسن العلوي فقال إبراهيم بن إسماعيل بن داود الكاتب للكتاب : أطيعوني وقوموا معي ، فمضوا بأجمعهم مستقبلين لعبيد الله بن الحسن ، فسلموا عليه فردَّ عليهم فقالوا : لنا حاجة ، فقال : مقضيّة ، قالوا : تجلس في مجلسنا فقال : سبحان الله ينكر ذلك أمير المؤمنين ، قالوا : هي حاجةٌ تقضيها لنا ونحتمل ما ينالك فيها ، قال : أفعلُ لعلمي بموقع الكتاب من قلوب السلاطين وقدرتهم على إصلاح قلوبهم إذا فسدت وإفسادها إذا صلحت ، ومال إلى ناحيتهم فجلس معهم ، وكتب صاحب المراتب إلى المأمون ، فلما وقف على الموضع الذي جلس فيه عبيد الله أنكره وبعث اليه : ما هذا المجلسُ الذي جلست فيه ؟ فقال إبراهيم بن إسماعيل للرسول : تبلّغ أمير المؤمنين عنا السلام

(1) في نصوص ضائعة : 51 (عن معجم الأدباء) .

وتقول له خَدَمُكَ وعبيدك الكتاب يقولون : العدلُ والانصاف موجودان عندك وعند أهلك ، أخذتم منا رجلاً من وجوه النبط فأخذنا مكانه وجهاً من وجوه أهلك ، ذلك عليِ بن الهيثم جالسٌ مع العرب ، فردُّوا علينا رجلنا وخذوا رجلكم ، فضحك جميع من في داره وتشوّر علي بن الهيثم ، وضحك المأمون وقال : لقد مني علي بن الهيثم من إبراهيم بن إسماعيل ببلاء عظيم .

وكان أبو يعقوب إسحاق بن حسان الخريمي قد أغري بهجاء علي بن الهيثم الأنباري الكاتب ، وكان السبب في ذلك أنه وقع لأبي يعقوب عنده ميراثٌ فدافعه فهجاه ، وكان علي بن الهيثم متشدقاً متفيهقاً يدعي العربية ويقول إنه تغلبي ، وكان من قرية يقال لها أنقوريا ، ففي ذلك يقول الخريمي[1] :

أنقوريا قريةٌ مباركةٌ تقلبُ فخَّارها إلى الذهبِ

محمد بن علي العباسي عن أبيه : قال شهدت علي بن الهيثم جونقا وقد حضره منارة صاحب الرشيد فقال له : يا منارة استلبتَ لَوْطي ، فقال : أصلحك الله ما ظننتك تتلقَّاني بمثل هذا ، شيخٌ مثلي يلعبُ بالصبيان ، فضحك جميع من في المجلس (اللَّوْطُ الازار ، كأنه أراد أنك لم تحسن عشرتي وأنك أخذت ثيابي) .

وذكر حماد بن إسحاق عن بشر المريسي قال : حضرت المأمون أنا وثمامة ومحمد بن أبي العباس الطوسي وعلي بن الهيثم فتناظروا في التشيع، فنصر محمد بن أبي العباس مذهب الامامية، ونصر علي بن الهيثم مذهب الزيدية، وشرق[2] الأمر بينهما إلى أن قال محمد بن أبي العباس لعلي بن الهيثم : يا نبطي ما أنت والكلام ؟! فقال المأمون ، وكان متكئاً فجلس : الشتم عيّ والبذاء لؤم ، وقد أبحنا الكلامَ وأظهرنا المقالات فمن قال بالحقِّ حمدناه ، ومن جهل وقفناه ، ومن ذهب عن الأمر حكمنا فيه بما يجب ، فاجعلا بينكما أصلاً فإن الكلام الذي أنتم فيه من الفروع ، فإذا افترعتما شيئاً رجعتما إلى الأصول . ثم عادا إلى المناظرة فأعاد محمد بن أبي العباس لعلي بن الهيثم مثل مقالته الأولى فقال له عليّ : والله لولا جلالةُ المجلس وما وهب الله من

(1) لم يرد في ديوان الخريمي .

(2) شرق : اختلط ولعله « وترقى » .

رأفة أمير المؤمنين وأنه قد نهانا لأعرقتُ جبينك ، وحسبنا من جهلك غسلك المنبر بالمدينة ، فاستشاط المأمونُ غضباً على محمد ، وأمر باخراجه فعاذ بطاهر حتى شفع فيه فرضي عنه .

ميمون بن هارون بن مخلد بن أبان : حدثني أبي قال أدخلني أبي مخلد بن أبان مع القاسم بن أحمد بن الجنيد ، وكان مخلد وأحمد متواخيين في شراءِ غلاّتِ السواد ، فأشرفنا على ربح عشرة آلاف ألف درهم ، ثم اتضع السعر فحصل علينا وضيعة ستة آلاف ألف درهم ، فطولبنا بها أشدَّ مطالبة ، واشتد كتابُ المأمون علينا فيها، وكان المأمون يستاك في كل يوم ساعتين كاملتين ، فدعاني المأمون يوماً وهو يستاك وكلّمني بشيءٍ ثم قال لي ما معنى قول الخريمي في علي بن الهيثم .

فَدَبَّنْقا لـذا الـحديث دَبَنْقا[1]

فقلت له : أنا أتكلم بالنبطية ولا أعلم ما معنى هذا ، وأحمد بن الجنيد أرطنُ بها مني ، فأومأ إليَّ بمسواكه أن آنصرف ، فانصرفت فما بلغت الستر حتى لقيني أحمد بن الجنيد داخلاً ، وكان إذا خرج من الدار قبلي انتظرني وإذا خرجت قبله انتظرته ، فوقفت منتظراً له فإذا به قد خرج فقلت له : ما كان خبرك ؟ فأخرج إليَّ توقيع المأمون بخطه بترك ما كنا نطالب به من الستة الآلاف ألف عن ابني وابنه وقال : قال لي ما معنى قول الخريمي : فدبنقا لذا الحديث دبنقا . فقلت : ضرطاً لذا الحديث ضرطاً فضحك وقال لي : إني سألت مخلداً عنها فلم يعرفها فاسأل حاجة فقلت : ابتاع ابني وابن مخلد غلات السواد وقدرنا الربح فخسرنا ستة آلاف ألف درهم ولا حيلة لنا فيها ، وضيعتي بجلولا تساوي ثلاثة آلاف ألف درهم ، فيأمر أمير المؤمنين بأخذها عن ابن مخلد وتسبيب ما على ابني على الاحالة أو الاقالة فقال : ويحك تبذل نفسك وضيعتك عن ابن مخلد ، فقلت : نعم أنا غررته وأمّلْتُ الربح ومنعته أن يعقده على التجار ويتعجّل فضله ، وقد كانوا بذلوا لنا فيه ربحاً كبيراً فقال ، لي : أيّ نبطي أنت ؟! هاتِ الدواةَ فقدَّمتها إليه ، فوقع بابرائنا جميعاً من المال وترك ضيعتي عليّ .

(1) ديوانه : 48 عن الأغاني .

وقال المأمون يوماً : ببابي رجلان أحدهما أريد أن أضعه وهو يرفع نفسه ، وهو عليّ بن الهيثم ، والآخر أريد أن أرفعه وهو يضع نفسه ، وهـو الفضل بن جعفـر بن يحيى بن خالد بن برمك .

ـ 854 ـ

علي بن يحيى بن أبي منصور المنجم، أبو الحسن: كان أبوه يحيى أولَ من خدم من آل المنجم الخلفاء وإليه ينسبون ، وهو المنجم ، وأول من خدم المأمون ، وقد ذكر في بابه ، ونادم ابنه علي هذا المتوكلَ وكان من خواصه وندمائه والمتقدمين عنده ، وخُصَّ به وبمن بعده من الخلفاء الى أيام المعتمد على الله ، وكان شاعراً راوية علامة أخبارياً . مات سنة خمس وسبعين ومـائتين ودفن بسرّ من رأى في آخـر أيام المعتمد . وأخذ أبو الحسن هذا عن جمـاعة من العلمـاء منهم إسحاق بن إبـراهيم وشاهده ، وكان يجلس بين يدي الخلفاء ويأمنونه على أسرارهم ، وكان حسنَ المروءةِ ممدَّحاً ، واتصل بمحمد بن اسحاق بن إبراهيم المصعبي ثم اتصل بالفتح بن خاقان وعمل له خزانة كتب حكمة نقل إليها من كتبه مما استكتبه للفتح بن خاقان أكثر مـا اشتملت عليـه خزانـة حكمة قط . ولـه تصـانيف منهـا : كتـاب الشعـراء القـدمـاء والاسلاميين . وكتاب أخبار إسحاق بن إبراهيم . وكتاب الطبيخ .

قال عبيد الله بن أبي طاهر : كان أبو الحسن علي بن يحيى مشتهراً[1] بالأدب كله مائلاً إلى أهله معتنياً بأمورهم ، وكان منزله مألفاً لهم ، وكان يوصل كثيراً منهم إلى الخلفاء والأمراء ويستخرج لهم الصلات ، وإن جرى على أحدٍ منهم حرمان وصله من ماله ، وكان يبلغُ من عنايته بهم ورغبته في نفعهم أنه كان ربما أهدى الى الخلفـاء والأمراء عنهم الهدايا الظريفة المليحة ليستخرجَ لهم بذلك ما يحبون .

قال : حدثني أبو أحمد يحيى بن علي بن يحيى قال : قدم على أبي إدريسُ بن

854 ـ تاريخ الطبري 3: 1637 ومعجم الشعـراء : 141 ومروج الـذهب 5: 53 ـ 54 والفهرست: 160 وتاريخ بغداد 12 : 121 وسمط اللآلي : 525 وسير الذهبي 13 : 282 وعيون الأنباء 1 : 205 وابن خلكان 3 : 373 والوافي 22 : 303 والنجوم الزاهرة 3 : 73 .

(1) ك : مستهتراً .

أبي حفصة في أيام المتوكل وتوسل إليه فأوصل شعره إليه وكلّمه فيه ، فاستخرج له منه عشرة آلاف درهم ، فقال إدريس بن أبي حفصة[1] :

أضحى علي بن يحيى وهو مشتهرٌ بالصدق في الوعدِ والتصديقِ في الأملِ
لو زيد بالجودِ في رزقٍ وفي أجلٍ لزاد جودُكَ في رزقي وفي أجلي

ثم وصله من ماله لما عزم ادريس على الانصراف الى بلده بجملة جليلة[2] ، ولم يزل إدريس مقيماً عنده في ضيافته إلى وقت ارتحاله ، فقال إدريس عند وداعه إياه :

ما مَنْ دعوتُ فلبَّاني بنائله كمن دعوتُ فلم يسمعْ ولم يجبِ
إني وجدتُ عليّاً إذ نزلتُ به خيراً من الفضة البيضاءِ والذهبِ

وحدث علي بن هارون بن يحيى بن المنجم في « كتاب الأمالي » له قال : حدثني عمي أبو أحمد يحيى بن علي حدثني أبي علي بن يحيى قال : وفد إليَّ[3] عافية بن شبيب بن خاقان بن الأهتم السعدي من البصرة فأنزلته عليّ وأحسنت ضيافته ورعيت له حرمةَ الأدبِ الذي توسل به ، فأقام معي مدةً في كفاية وكرامة وحسن ضيافة وحملته على فرس ، واستوصلت له جماعة من إخواني فأخذت له منهم ما تأثث به حاله وأصلح به شأنه ، ثم ذكرته للمتوكل رحمة الله عليه ووصفتُ له أدبه وأنَّ معه ظرفاً يصلحُ به لمجالسته ، فأمرني باحضاره ، ودخل إليه فوصله وأجرى عليه رزقاً وجالسه ، فمكث مدة على ذلك ، ثم انفرجت الحال بيني وبينه ، وكفر ما كان من إحساني إليه وبسط لسانه يذكرني بما لم أستحقّه منه ، وكان المتوكل يغريه بي لما رأى منه فيضحك المتوكل مما يجري ويجيئني بذلك فيه وهو لا يدري . قال أبو الحسن : فأهدى في يوم من أيام النواريز إلى المتوكل فرساً ، فنظر إليه المتوكل فاستحسنه ، ثم أقبل على الفتح بن خاقان فقال : أما ترى إلى هذا الفرس الذي أهداه عافية ما أحسنه وأعتقه ، هذا خلاف ما يصفه به علي بن يحيى من صغر الهمة وضيق النفس والخساسة ؛ من تبلغ همته إلى أن يهدي مثل هذا الفرس لا يوصف بالخساسة ولا بضيق النفس ، وهو

(1) ك : درهم ، فمدحه ادريس ثم وصله من ماله (وسقط البيتان) .
(2) ك : كثيرة .
(3) م : علي .

في ذلك كله كان ينظر إليّ ويقصدني بالكلام ويريد العبث بي ، فتركته حتى أطنب في هذا المعنى وبلغ منه ما أراد ثم قلت له : يا أمير المؤمنين أليس من أهدى مثل هذا الفرس عندك ذا همةٍ وقدر ؟ قال : بلى ، قال قلت : فأبعد همةً وأرفعُ قدراً من حمله عليه . قال : ومن حمله عليه ؟ قال قلت : أنا حملته عليه . قال فقال : يا عافية ما يقول عليّ ؟ قال فقال : صدق يا أمير المؤمنين هو حملني عليه ، قال : فانكسر عني ثم أقبل على الفتح خجلاً ، وسريت الحال بيني وبين عافية حتى هجاه من كان يطيف به من الشعراء ، فقال فيه أبو عبد الله أحمد بن أبي فنن ، وكنت أدخلته على المتوكل وجالسه وشكر لي ذلك إذ كفره عافية :

ستعلمُ أنّ لؤمَ بني تميمٍ ... سيظهرُ منه للناسِ الخفيُّ
وما إن ذاك أنك من تميمٍ ... ولكنْ ربما جَرَّ الدعيُّ

وقال فيه أبو هفان :

لو كنت عافيةً لكنت محبباً ... في العالمين كما تُحَبُّ العافيه

وقال فيه أبو الحسن البلاذري :

من رآه فقد رأى ... عربياً مدلَّسا
ليس يدري جليسُهُ ... أفسا أم تنفَّسا

وقال فيه أبو العنبس الصيمري :

أبا حسن بمنصبك الصميم ... أتأذنُ في السُّلاح على التميمي
فوالرحمن لولا ألفُ سوطٍ ... لفارق روحُهُ رَوْحَ النسيم

وهجاه أبو الحسن علي بن يحيى المنجم فقال :

أأهجو تميماً أن تعرَّض مُلْصَقٌ ... إليها دعيٌّ قد نَفَتْهُ قرومُها
فآخذها طرّاً بذنبِ دعيِّها ... فأين نُهَى قومي وأين حلومُها
وما في دعيِّ القوم ثأرٌ لثائرٍ ... ولم يقترفْ ذنباً فَيُهْجَى صميمُها
أعافيَ إنَّ اللؤمَ منك سجيةٌ ... وشرُّ خلالِ الأدعياءِ قديمُها

قال أبو الحسن : وترقى به الأمر في منابذتي إلى أن ادَّعى في يومٍ من الأيام بحضرة المتوكل أنه أحسنُ مروءةً مني ، فقال الفتح : فمحنة هذا سهلة ، يوجِّه أمير

المؤمنين إلى منزلهما من يحضر مما يجده من الطعام حاضراً ، فدعا المتوكل بقائدٍ من قواده وقال : امض إلى منزل علي بن يحيى فانظر ما تجد فيه من الطعام حاضراً فأحضره ، وامنعهم من أن يشتروا شيئاً أو يعملوه ، وافعل مثل ذلك بمنزل عافية ، فصار إلى منزل علي بن يحيى فوجد فيه طعاماً عتيداً ، فحمل جونةً حسنة ، وصار إلى منزل عافية فلم يجد فيه غير سفرةٍ خَلِقَةٍ معلّقة في مجلسه ، فأمر فأنزلت فوجد فيها كسراً من خبز خشكار وملحاً من ملح السوق وقطعةَ جبنٍ يابس وقطعةً من سمك مالح وقصعة مكسورة فيها ذلك المالح وخرقة وسخة[1] منقطعة ، فحمل السفرةَ بحالها وصار إلى المتوكل فعرض عليه الجونة فاستحسنها وقال للفتح : أما ترى ما أنظفَ هذا الطعام وأحسنه ؟! وأحضر السفرةَ فقال : ما هذا ؟ قال : هذا هو الذي وجدته في منزل عافية ، قال : افتحوها ففتحت ، فاستقذر ما رأى فيها وعجب منه وقال : يا فتح أظننتَ أن رجلاً يجالسني وقد وصلتُهُ بعدةِ صلات فيكون هذا مقدار مروءته ؟ فقال : لا والله يا أمير المؤمنين ما له عذر ، فدعا بخادم من خدمه وقال : امض إلى عبيد الله بن يحيى فقل له : أخرج إليَّ ما وصل إلى عافية من مالي من رزق وصلة منذ خدمني إلى هذا الوقت ، فمضى الخادم فلم يكنْ بأسرعَ من أن وافى برقعةٍ من عبيد الله وفيها مبلغ ما صار إلى عافية فإذا هو ثلاثمائة ألف درهم ، فقال المتوكل : يا فتح أما كان يجب أن يتبين أثر النعمة على من وصل إليه هذا المال ؟ ما في هذا خيرٌ ولا يصلح مثله لمجالستي ، فأخرجه من المجالسة وأمر بنفيه إلى البصرة ، وهي بلده ، فلما حضر خروجه طالبته صاحبةُ المنزل بأجرته فدفع إليها ببقية ما لها عليه حُبّاً كان في الدار خَلَقاً ، واتصل الخبرُ بابن المنجم قال : فصرتُ إلى المتوكل فعرَّفته ذلك فعجب منه ، وأمر باحضار المرأة ومساءلتها عن الخبر فأخبرت به ، فأمر لها بصلةٍ ، وتقدَّم إلى عبيد الله في أخذ الحب وإنفاذه مع رسول قاصد خلف عافية يلحقه بالبصرة ، وأمره أن يكتبَ إلى صاحب المعونة وصاحب الصدقة والخراج والقاضي وصاحب البريد بحضور الجامع والتقدم إلى وجوه أهل البصرة في الحضور وإحضار عافية وتسليم الحبِّ إليه بحضرتهم وإشهادهم عليه وتعريفهم ما كان من خبره مع المرأة صاحبة داره ، ففعل

(1) وسخة : سقطت من ك .

ذلك وصار به عافية شهرةً في بلده .

وحدث هارون عن عمه عن أبيه علي بن يحيى قال كنتُ أنادمُ المتوكلَ في ليلة من الليالي فغلب عليَّ النبيذ ، فأطرقتُ كالمهموم وأنا منتصبٌ ، قال : فدعا المتوكل بنصر [بن] سلهب وقال: امض الى منزل علي بن يحيى فانظر ما تجدُ فيه من الطعام فاحمله إليّ وأعجلهم غايةَ الاعجال ولا تدعهم يهيئون شيئاً ، قال : فمضى نصرٌ فامتثل أمره وحمل جونةً مملوءة من ضروب الطعام وجاء بها إلى المتوكل ، ففتحت بين يديه ففاحت برائحة شوّقته إلى الطعام واستحسن ما رأى فيها فأكل منها والفتح معه ثم قال له : أما ترى ما أحسن هذا الطعام وأطيبه وأنظفه ، ولو كان عليٌّ أعدَّ هذا لمثل ما كان منا[1] ما زاد على حُسْنِ هذه الجونة وطيبِ ما فيها ، قال فقال له الفتح : هذا يا أمير المؤمنين يدلُّ على مروءته وإنه ليجب أن يعانَ عليها ، قال : فصاح بي يا علي ، فقمتُ قائماً وقلت : لبيك يا أمير المؤمنين ، قال : تعال ، فقربت منه فقال : انظر إلى هذه الجونة وما فيها ، قال : فنظرتُ إليها فقال : كيف تراه ؟ قلت أرى طعاماً حسناً ، قال : فتدري من أين هو ؟ فقال قلت : لا يعلم الغيبَ إلا اللّه ، قال : فإنها من منزلك وإني فعلت كذا وكذا وقصَّ عليّ القصة وقال : قد والله سرَّني ما رأيتُ من مروءتك وَسَرْوِكَ ، وكذا فليكن مَنْ خدم الملوك ، ثم قال لي : ما تحبُّ أن أهبَ لك ؟ قال قلت : مائة ألف دينار ، قال : أنت والله تستحقها وما هو أكثر منها ، وما يمنعني من دفعها إليك إلا كراهة الشنعة وأن يقال وصل جليساً من جلسائه في ليلة بمائة ألف دينار ، ولكني أوصلها إليك متفرقةً وأضمَّنُ فتحاً إذكاري بذلك حتى تستوفيها ، وقد وصلتك بمائة ألف درهم على غير صرف فانصرف بها معك ، قال : وأمر باحضارها فأحضرتْ عشر بدر وَحُمِلَتْ معي إلى منزلي ، ثم لم يزلْ يتابعُ لي الصلات حتى وفَّاني مائة ألف دينار . قال علي بن يحيى : وأحصيت ما وصل إليَّ من أمير المؤمنين المتوكل من رزق وصلة فكان مبلغه ثلاثمائة ألف دينار.

قال : ولما مات علي بن يحيى قال ابن بسام يرثيه :

قد زرتُ قبرَكَ يا عليُّ مسلِّماً ولك الزيارةُ من أقلِّ الواجبِ

(1) ك : منها .

ولـو استطعتُ حملتُ عنـكَ ترابـه فـلطالمـا عَـنّي حـملتَ نـوائبي

وفي « كتاب النورين » للحصري : وقال علي بن المنجم (فلا أدري أهو هذا أم علي بن هارون بن علي بن يحيى بن المنجم) :

ومن طـاعتي إيـاه أمـطر نـاظـري إذا هـو أبدى من ثنـايـاه لي بـرقـا

كأنَّ جفوني تبصـرُ الوصـلَ هاربـاً فمن أجل ذا تجري لتـدركه سبقـا

ولعلي هذا ابن يكنى أبا عيسى واسمه أحمد كان أديباً وهو مذكور في بابه . وقال علي بن يحيى يرثي المأمون ويمدح المعتصم :

من ذا على الدهر يُعْـديني فقد كثـرتْ عنـدي جنـايتُـهُ يـا معشـرَ النـاسِ

أنحى على المـلك المـأمـونِ كـلكلَهُ فـصـار رهـنـاً لأحـجـارٍ وأرمـاسِ

قـد كـاد ينهـدّ ركنُ الـدين حين ثـوى ويتـركُ النـاسَ كـالفـوضى بـلا راسِ

حتـى تـداركـهـم بـاللّه معـتـصـمٌ خـيـرُ الخـلائـفِ من أولاد عـبـاسِ

ودخل أبو علي البصير على علي بن يحيى وقد أصيب ببعض أهله ، وكان قد بعث إليه ببرّ قبل ذلك ، فقال له : بلغني مصابك ووصل إليّ ثوابك فأحسن الله جزاءك وعزاءك .

قال المرزباني وهو القائل في نفسه[1] :

عليُّ بن يحيى جـامـعٌ لمحـاسنٍ من العلم مشغوفٌ بكسبِ المحامـدِ

فلو قيـل هـاتـوا فيكم اليـومَ مثله لعـزَّ عليكم أن تـجيئـوا بـواحـدِ

وله[2] :

سيعـلم دهـري إذ تـنـكّـر أنـني صبـورٌ على نكـرائـه غيـر جـازعِ

وأني أسوسُ النفسَ في حال عسرها سيـاسـةَ راضٍ بـالمعيشـة قـانـع

كما كنتُ في حال اليسـار أسوسهـا سيـاسـةَ عفٍّ في الغنى متـواضـع

وأمنعهـا الـوردَ الـذي لا يليقُ بي وإن كنت ظمـآناً بعيـد الشـرائـع[3]

(1) معجم الشعراء : 142 .

(2) المصدر نفسه .

(3) ك : المشارع .

وله[1] :

بـأبـي والـلّه مـن طـرقـا كـابتسام الصبـح إذ خفقـا
زادنـي شـوقـاً بـرؤيـتـه وحشـا قـلبي بـه حُـرَقَـا
مـن لـقـلـبٍ هـائـمٍ كـلف كـلمـا سكّـنـتـه قـلقـا
زارني طيفُ الحبيـب فمـا زاد أن أغـرى بـيَ الأرقـا

ولما مات علي بن يحيى قال علي بن سليمان أحد شعراء العسكر يرثيه[2] :

قـد زرتُ قبـرك يـا عليّ مسلمـاً ولـك الـزيـارةُ من أقلِّ الـواجب
ولـو استطعتُ حملتُ عنك ترابـه فلطالمـا عني حـملت نـوائبي[3]
ودمـي فـلو أنـي علمـتُ بـأنـه يـروي ثراك سقاه صـوب الصـائبِ
لسفكتـه أسـفـاً عليـك وحسـرةً وجعلتُ ذاك مكـان دمعٍ سـاكبِ
فلئن ذهبتَ بـمـلءِ قبـرك سؤدداً لجميـلُ مـا أبقيتَ لـيس بـذاهبِ

وحدث أبو علي التنوخي في « نشواره »[4] : حدثني أبو الحسن بن أبي بكر الأزرق قال حدثني أبي قال : كان بكركر من نواحي القفص ضيعة نفيسة لعلي بن يحيى بن المنجم وقصرٌ جليل فيه خزانة كتب عظيمة يسميها خزانة الحكمة يقصدها الناس من كلِّ بلد فيقيمون فيها ويتعلمون منها صنوف العلم ، والكتب مبذولةٌ في ذلك لهم ، والصيانةُ مشتملة عليهم ، والنفقة في ذلك من مال علي بن يحيى ، فقدم أبو معشر المنجم من خراسان يريد الحج وهو إذ ذاك لا يحسن كبيرَ شيءٍ من النجوم ، فوصفت له الخزانة فمضى ورآها فهاله أمرها ، فأقام بها وأضرب عن الحج وتعلَّم فيها علمَ النجوم وأَغْرَقَ فيه حتى الحد ، وكان ذلك آخرَ عهده بالحج وبالدين والاسلام أيضاً .

وذكر جحظة في « أماليه » : حدثنا ابن حميد قال ، قال المتوكل لعلي بن يحيى

(1) معجم المرزباني أيضاً .
(2) هو ابن الطريف السليمي اليمامي ، انظر ترجمته وأبياته في معجم الشعراء : 147 .
(3) البيتان الأولان مرّا منسوبين للبسامي .
(4) النشوار 4 : 66 (نقلاً عن معجم الأدباء) .

المنجم : اهجُ مروان بن أبي الجنوب ، فقال يـا أمير المؤمنين : ومن مـروان حتى أهجوه ؟! قال : مروان مولى بني أمية ومولى القوم منهم ، وبعد فإنهم بنو عمي وأتت العداوة بيننـا ، فـأنت من أنت؟ قال : أنا مولاك يا أمير المؤمنين ، قال : دعنا من هذا البرد ، اهجُ الرجل وإلا أمرته أن يهجوك ، فوقف ساعةً متفكراً فاندفع مروان يقول :

ألا إن يـحـيـى لا يـقـاس الـى أبـي ... وعـرضُ عليٍّ لا يقـاسُ إلى عـرضي
أنـاسٌ من الأنبـاط أكـثـرُ فخـرهـم ... إذا فَخَـرَ الأشـرافُ بعضٌ على بعضِ
تنحَّـلَ أصـلاً في المجـوسِ ودعـوةً ... إليهم نفـاهـا من بحـكمـهم يَـقضـي
أبـى ذاك آذربـاذ فـيـكـم فـأنـتـمُ ... من السِّفَـلِ الأرذالِ والنبطِ المـحضِ
حـديـثـكـمُ غـثٌّ وقـربـكـمُ أذىً ... وآدابكم ممـزوجـةُ المقتِ بـالبغضِ
تـسـوّقـتـمُ عـنـد الامـام بـحـبّـه ... وسـوقكمُ عند الـروافض بـالـرفضِ
متى مـا تعـاطى المجـدَ والفخـرَ أهلُهُ ... فلستم من الإبـرام فـيـه ولا النـقضِ
إخـالُ عـليـاً من تـكـامُـلِ مـقـتـه ... يطا حُرَّ وجهي وهو يمشي على الأرضِ

قال أحمد بن أبي طاهر : كنت يوماً عند أبي الحسن علي بن يحيى المنجم في أيام المعتمد فدخل عليه ابنه هارون فقال له : يا أبت رأيت في النوم أمير المؤمنين المعتمد وهو في داره على سريره ، إذ بصر بي فقال : أقبل علي يا هارون ، يزعم أبوك أنك تقول الشعر ، فأنْشِدْني طريدَ هذا البيت :

أسـالت على الخدّين دمعـاً لـو آنـه ... من الدرِّ عقدٌ كـان ذخراً من الـذخرِ

فلم أردَّ عليه شيئاً وانتبهت ؛ قال : فزحف إليه علي بن يحيى غضباً وقال ويحك فلم لم تقل :

فلمـا دنـا وقتُ الفـراقِ وفي الحشـا ... لفـرقتهـا لـذعٌ أحـرُّ من الجمـرِ
أسـالت على الخدّين دمعـاً لـو آنـه ... من الدرِّ عقدٌ كـان ذخراً من الـذخر

قـال ابن أبي طاهـر : فانصـرفنا متعجبين من حفظ هـارون لما هجس في خـاطره في النوم ، ولمبادرة علي بن يحيى وسرعته في القول :

قال جحظة في « أماليه » : حدثت عن يزيد بن محمد المهلبي قال : كنت أرى

علي بن يحيى بن علي المنجم فأرى صورته وصغر خلقته ودقة وجهه وصغر عينيه وأسمع بمحله من الواثق والمتوكل فأعجب من ذلك وأقول ، بأيٍّ سببٍ يستظرفه الخليفة ؟ وبماذا حظي عنده ، والقردُ أملحُ منه قباحة ؟! فلما جالستُ المتوكل رأيت علي بن يحيى قد دخل على المتوكل في غداةٍ[1] من الغدوات التي قد سهر في ليلتها بالشرب وهو مخمورٍ يفورُ حرارةً مستثقلٌ لكلِّ أمرٍ يخفّ دون ما يثقل ، فوقف بين يديه وقال : يا مولاي أما ترى إقبالَ هذ اليوم وحسنه وإطباقَ الغيم على شمسه وخضرةَ هذا البستان ورونقه ، وهو يومٌ تعظّمه الفرسُ وتشرب فيه لأنه هرمزروز ، وتعظّمه غلمانك وأكرتك مثلي من الدهاقين ، ووافق ذلك يا سيدي أن القمرَ مع الزهرة ، فهو يومُ شربٍ وسرورٍ وتخلّ بالفرح ، فهشَّ اليه وقال : ويلك يا عليّ ما أقدر أن أفتح عينيَّ خماراً ، فقال : إن دعا سيدي بالسواكِ فاستعمله وغسل بماءِ الورد وجهه وشرب شربةً من ربِّ الحصرم أو من مِبَنَّةٍ مطيبة مبرّداً ذلك بالثلج انحلَّ كلُّ ما يجد ، فأمر باحضار كل ما أشار به ، فقال عليّ : يا سيدي وإلى أن تفعل ذاك تحضر عجلانيتان بين يديك مما يلائم الخمار ويفتق الشهوة ويعين على تخفيفه فقال : أحضروا عليّاً كل ما يريد ، فأحضرت العجلانيتان بين يديه وفراريج كسكر قد صففت على أطباق الخلاف وطبخ حماضية وحصرمية ومطجنة لها مريقة ، فلما فاحت روائح القدور هشَّ لها المتوكل ، فقال له : يا عليّ أذقني فجعل يذيقه من كلِّ قدر بحرف يشرِّبه فيها ، فهشَّ إلى الطعام وأمر باحضاره ، فالتفت عليّ الى صاحب الشراب فقال لهم : ينبغي أن يختار لأمير المؤمنين شرابٌ ريحاني ويزاد في مزاجه إلى أن يدخل في الشرب فيهنئه اللّه إياه إن شاء الله . قال فلما أكل المتوكل وأكلنا نهضنا فغسلنا أيدينا وعدنا إلى مجالسنا وغنى المغنون فجعل عليّ يقول : هذا الصوتُ لفلان والشعر لفلان ، وجعل يغني معهم وبعدهم غناءً حسناً إلى أن قَرُبَ الزوال ، فقال المتوكل : أين نحن من وقت الصلاة ؟ فأخرج عليٌّ اصطرلاباً من فضة في خُفِّه فقاس الشمس وأخبر عن الارتفاع وعن الطالع وعن الوقت ، فلم يزل يعظم في عيني حتى صار كالجبل ، وصار مقابحُ وجهه محاسن ، فقلت : لأمرٍ ما قُدِّمْتَ ، فيك ألفا خصلة : طيب مضحك ، وأدب

(1) ك : غدوة

جليس ، وحذق طباخ ، وتصرف مغنٍ ، وفكر منجم ، وفطنة شاعر ، ما تركتَ شيئاً مما يحتاج إليه الملوك إلا ملكته.

قال جحظة : وحدثني رذاذ غلام المتوكل قال : شهدت عليّ بن يحيى المنجم وقد أمره المتوكل أن يغنيه ، وكنتُ جالساً الى جانبه ، فقال لي : قد وقعتُ وإن تمنَّعْتُ جدُّ بي حتى أغني ثم لا يكونُ له موقع ، والمبادرةُ إلى أمره وسرعة الطاعة له أصوب ، اضربْ عليّ ، فضربتُ عليه وغنى :

زار من سلمى خيالٌ موهناً حبذا ذاك الخيال الطارقُ
جاد في النوم بما ضنَّتْ به ربما يَغْنَى بذاك العاشق

فقال : زه أجدتَ والله يا عليّ ، فقال له عليّ : قد فرَّحْتُكَ يا سيدي ففرحني ، فدعاه وحيّاه بمشمة عنبر كانت بين يديه في صينية ذهب عليها مكبة منها وأمر له بألف دينار وتخوتِ ثياب، فقال لي : يا أبا شريك أناصفك؟ فقلت: لا والله لا قبلتُ من ذلك لا الكلَّ ولا النصف فبارك الله لك فيه.

قال جحظة وحدثني عليّ بن يحيى المنجم قال : قلت مرة وقد أخذ مني النبيذ بين يدي الواثق لمن كان يسقيني : ويلك أجهزتَ والله عليّ ، سقيتني الكأس حيةً فالا قتلتها ؟ فسمع الواثق فقال لم يعد بك قول حسان :

إن التي ناولتني فرددتُها قُتِلَتْ قُتِلْتَ فهاتها لم تقتلِ

ألا تراه أنكر عليه مزجها ؟ قلت : حسان أعرابي لا يُحْسِنُ يشربُ الخمر ، وكان أيضاً يشربها تغنماً لبعد عهده بها ، ولكن أردتُ من ساقيَّ أن يأخذَ بقول أفتى الخلق وأملحهم أدباً وأعلمهم بأدب الشرب ، قال : ومن هو ؟ قلت : أبو نواس ، قال : حين يقول ماذا ؟ قلت : حين يقول :

لا تجعلِ الماءَ لها قاهراً ولا تسلِّطْها على مائها

فقيل لي لما حضرت من الغد ، إنَّ الواثق قال : للّه دره ما أسرعَ جوابه وأحسنَ انتزاعه ، لكنه أخرج عربدته كلها على حسان بن ثابت ، فلما حضرتُ بين يديه قال

(1) ديوان حسان : 75 .

لي : هيه يا عليّ سكرتَ أمس ، فقلت : يا سيدي من شرب سكر ، ومن كان أمره إلى نفسه في نبيذه رفق ، ومن كان أمره الى غيره خرق . قال : فعربدتَ على حسان وثلبته وما يستحقُّ ذلك وإنه لَطَبٌّ بشربِ الكأس مَدَّاحُ لشاربيها ، أليس هو الذي يصف ربيعة بن مكدم فبلغ من ذلك أحسن ما يكون الفتى عليه بقوله(1) :

نفرت قَلُوصي من حجارة حَرَّةٍ ... بنيتْ على طَلْقِ اليدين وَهُوبِ
لا تنفري يا ناقُ منه فانه ... شرِّيبُ خمرٍ مِسْعَرٌ بحروب

وهو أيضاً من المعدودين في وُصّافِ الخمر وشربها ، أليس هو القائل(2) :

إذا ما الأشربات ذكرن يوماً ... فهنَّ لطيِّب الراحِ الفداءُ
نولّيها الملامةَ إن ألمنا ... إذا ما كان مَغْثٌ أو لحاءُ
ونشربها فتتركنا ملوكاً ... وأسداً ما ينهنهنا اللقاءُ

ويلك أليس هو الذي يقول(3) :

لا أخدشُ الخدشَ النديمَ ولا ... يخشى جليسي إذا انتشيت يدي

ومن يحسن ويلك يقول مثل قوله :

وممسكٍ بصداعِ الرأس من سَكَرٍ ... ناديتُهُ وهو مغلوبٌ ففدَّاني
لما صحا وتراخى العيشُ قلت له ... ان الحياةَ وإن الموتَ سيانِ
فاشرب من الخمر ما واتاك مشربه ... واعلم بأنْ كلُّ عيشٍ صالحٍ فانِ

فقلت له : لو حضرك والله يا سيدي لأقرَّ أنك أحفظَ لعيون شعره منه ، فالويل لجليسك بماذا يتنفَّقُ عندك وروايتك هذه الرواية ، فقال : ويحك يا عليّ بل الويلُ لجليسي إذا جالسَ من لا يعرف قَدْرَ ما يحسن .

قال أحمد بن أبي طاهر : اجتمعنا عند أبي الحسن عليّ ين يحيى أنا وأبو هفان عبد الله بن أحمد العبدي وأبو يوسف يعقوب بن يزيد التمار على نبيذ فقال أبو هفان :

---

(1) ديوان حسان : 409 وتنسب الأبيات إلى عدد من الشعراء منهم ضرار بن الخطاب وحفص بن الأخيف وعمرو بن شقيق .

(2) ديوان حسان : 17 .

(3) ديوان حسان : 141 .

وقائل إذ رأى عزفي عن الطلب … أتهتَ أم نلتَ ما ترجو من النشبِ
قلتُ ابنُ يحيى عليّ قد تكفَّلَ لي … وصان عرضي كصونِ الدين للحسبِ

فقال التمار :

يُذكي لزوّاره ناراً منورةً … على يَفَاعٍ ولا يذكي على صَبَبِ
من فارسِ الخيرِ في أبيات مملكةٍ … وفي الذوائبِ من جرثومة الحسبِ

قال أحمد بن أبي طاهر فقلت :

له خلائقُ لم تُطْبَعْ على طَبَع … ونائلٌ وصلتْ أسبابه سببي
كالغيث يعطيك بعد الريّ وابله … وليس يعطيك ما يعطيك عن طلبِ

قال فوصلهم وخلع عليهم وحملهم.

قال عبيد الله حدثني أبو أحمد يحيى بن عليّ بن يحيى قال : اتصل أبي بأمير المؤمنين المتوكل على الله فغلب عليه وعلى الفتح بن خاقان بخدمته وأدبه وافتنانه وتصرفه في كلّ ما تشتهيه الملوك ، وكان الفتح بن خاقان هو الذي وصفه للمتوكل ، وكان بعد موت محمد بن إسحاق بن إبراهيم بن مصعب لأن أبي كان متصلاً به وشديد الاختصاص بخدمته ، حتى لقد مات محمد بن إسحاق ويده في يده ، فلما مات دخل على الفتح بن خاقان فأنشده يمدحه قصيدة أولها :

سأختار من حرِّ الكلام قصيدةً … لفتح بن خاقانٍ تفوقُ القصائدا
يلذّ بأفواه الرواة نشيدُهَا … ويشنا بها من كان للفتح حاسدا
لعمرك إن الفتحَ مُذْ كان يافعاً … ليسمو إلى أعلا ذرى المجدِ صاعدا
قريعُ الموالي ساد في خمسَ عشرةً … موالي بني العباس لم يُبْقِ واحدا
وبذَّهمُ طرّاً ندىً وشجاعةً … فألْقَوْا إليه مذعنين المقالدا

قال : فلم أر الفتح اهتز لشيء من الشعر اهتزازه لهذه القصيدة ، ولا سُرَّ بأحد قدم عليه سروره بعلي بن يحيى ، ثم قام الفتح من فوره فدخل على المتوكل فعرَّفه مكانه ، فأذن له واستجلسه وأمر أن يخلع عليه ، فخلع عليه خلع المجالسة ، فكان آنسَ خلقِ الله به وأغلبهم عليه وعلى الفتح ، وتقدم الجلساءَ جميعاً عنده ، ووثق به حتى عزم على إدخاله معه إلى الحرم اذا جلس معهنّ ، وذاك أنه شكا إلى الفتح أنه إذا

قعد مع الحرم لم يكن له من يستريحُ إليه ويأنسُ به وقال : قد عزمتُ أن أدخل علي بن يحيى فأستريح إليه ، فقال له الفتح : ما يصلحُ لذلك غيره ، فبلغ ذلك علي بن يحيى فقال للفتح : أنا قَدَّرْتُ أن أتخلّصَ من هذا بك فوكدت عليَّ الأمر فيه ؟ ليس أفعل . فقال له الفتح : إن هذا الذي ندبك إليه أمير المؤمنين منزلة ليس فوقها منزلة في الخصوص ، فقال : قد علمتُ ذلك ، وشكرتُ تَفَضُّلَ أمير المؤمنين عليَّ فيه ، ولكن في الأمر شيء يسمعه أمير المؤمنين وتسمعه ، ثم يتفضل بالاعفاء منه ، قال : وما هو ؟ قال : قد علمتَ أن أميرَ المؤمنين أشدُّ الناسِ غيرةً وأن النبيذَ ربما أسرع إليّ ، ولستُ آمنُ بعضَ هذه الأحوال وأن ينسى عند غلبة النبيذ ما كان منه فيقول : ما يصنعُ هذا معي عند حرمي ؟ فيعجل عليَّ بشيء لا يُسْتَدْرَكُ ، وليس بيني وبين هذا عمل ؛ قال فقال المتوكل : تخلّصتَ يا علي مني بألطف حيلة وأعفاه .

قال يحيى وحدثني أبي قال : قال أمير المؤمنين المتوكل يوماً من الأيام : يا عليّ لك عندي ذنب ـ قال هذا ونحن بدمشق ـ قال : فأكبرت ذلك وقمتُ قائماً بين يديه وقلتُ : أعوذ بالله من سخط أمير المؤمنين ، ما الذنب يا أمير المؤمنين فلعله كذبُ كاشح أو بغيُ حاسد ؟ فقال : لا ، أخبرني من أثق به ، قال فقلت : يتفضل عليَّ أمير المؤمنين بتعريفي الذنب ، فإن كان لي عذرٌ اعتذرت وإلا اعترفتُ وَعُذْتُ بعفو أمير المؤمنين ، فقال : أتحتاج إلى شيء وتسأل غيري ؟ فقلت : وما ذاك يا أمير المؤمنين ؟ قال : أخبرني بختيشوع أنك وجهتَ إليه واستقرضتَ منه عشرين ألف درهم فلم فعلت ذلك وما منعك أن تسألني فأصِلَك ؟ أتأنفُ من مسألتي ؟ فقلت : يا أمير المؤمنين لا والله ما منعني ذلك ، وإن صلات أمير المؤمنين متتابعةٌ عندي من غير مسألة ، ولكن بختيشوع ممن آنس به ، فاستعرتُ منه هذه الدراهم على ثقة مني بأنَّ تفضّلَ أميرِ المؤمنين غيرُ متأخرٍ عني فأردَّها من ماله . قال فقال لي : قد عفوتُ لك عن هذا هذه المرة فلا تعد إلى مثلها ، وإن احتجت فلا تسأل غيري أو تبذل وجهك إليه .

ثم خدم علي بن يحيى المنتصر بن المتوكل فغلب عليه أيضاً ، وقدّمه المنتصر على جماعة جلسائه وقلّده أعمال الحضرة كلها : العمارات والمستغلات والمرمات والحظائر وكل ما على شاطىء دجلة الى البطيحة من القرى ، ثم خدم المستعين بالله فقدَّمه وأحبه وأحلّه محله من الخلفاء ممن كان قبله ، وأقرّه المستعين على ما تقلّده من

أعمال الحضرة ، ثم حدثت الفتنة وانحدر مع المستعين الى مدينة السلام فلم يزل معه إلى أن خُلِع المستعين ، فأقام علي بن يحيى يغدو ويروح إليه بعد الخلع إلى أن أحله من البيعة التي كانت في عنقه ، ولم يكن المستعين قبل الخلع بسنة يأكل إلا ما يُحْمَلُ إليه من منزل علي بن يحيى في الجُوَنِ إلى دار أبي العباس محمد بن عبد الله بن طاهر فيفطر عليه وكان يصوم في تلك الأيام .

قال يحيى بن علي ، قال لي أبي : صرتُ إلى المستعين لمّا صير به إلى قصر الرصافة فوجدت عنده قرب داية المعتز وعيسى بن فرخانشاه وهم يسألونه عن جوهر الخلافة، فقالت لي قرب : يا أبا الحسن بسّ ما كان لنا منك نصيب يا هذا كاتبنا الناس كلّهم غيرك ، قال قلت : أما إن ذاك ليس لتقصير فيما يجب عليَّ من حق أمير المؤمنين المتوكل رحمه الله ومن حق ولديه، ولكن كان في عنقي طوقٌ يحظر عليَّ ذلك ، قال فقالت: بارك الله فيك . قال : ثم خلص الأمر للمعتز فكان أول من طلبه للمنادمة علي بن يحيى فشخص إلى سرّ من رأى فتلقاه أمير المؤمنين المعتز حين قدم عليه أجملَ لقاء وخلع عليه ووصله وقلّده الأسواق والعمارات وما كان يتقلده قبل خلافته ، وخُصَّ به وغلب عليه حتى تقدم عنده على الناس كلهم . قال : فأخبرني أبي أنه حسب ما وصل إليه من المعتز من صلته ورزقه منذ خدمه إلى أن تصرمت أيامه فكان مبلغُهُ ثلاثة وثلاثين ألف دينار وقلده المعتز القصر الكامل فبناه ، ووصله عند فراغه منه بخمسة آلاف دينار وأقطعه ضيعة ، وفي المعتز يقول علي بن يحيى :

بدا لابساً بردَ النبيِّ محمدٍ ... بأحسنَ مما أقبل البدرُ طالعا
سميّ النبي وابن وارثه الذي ... به استشفعوا أكرمْ بذلك شافعا
فلما علا الأعوادَ قام بخطبةٍ ... تزيدُ هدىً من كان للحق تابعا
وكلّ عزيز خشيةً منه خاشعٌ ... وانت تراه خشية الله خاشعا

فأما المهتدي فإنه حقد عليه أشياء كانت تجري بينه وبينه في مجالس الخلفاء ، فانحرف عنه المهتدي لميله إلى المتوكل ، فكان المهتدي يقول : لست أدري كيف يسلم مني عليّ بن يحيى ، إني لأهمُّ به فكأني أُصْرَفُ عنه ، ووهب الله له السلامة من المهتدي إلى أن مضى لسبيله ، وكانت أيامه قصيرة.

ثم أفضى الأمر إلى المعتمد على الله فحلَّ منه محلَّه ممن كان قبله من الخلفاء ، وقدَّمه على الناس جميعاً ووصله ، وقلده ما كان يتقلده من أعمال الحضرة ، وقلَّده بناء المعشوق فبنى له أكثره ، وكان الموفق من محبته وتقديمه وجميل الذكر له في مجلسه إذا ذكر على أفضل ما يكون وليّ نعمة ، وكان يذكره كثيراً في مجالسه ويصف أيامه مع أمير المؤمنين المتوكل وأحاديثه ، ويحكيها لجلسائه ويعجبهم من ذكائه ومعرفته وفضله . وتوفي في آخر أيام المعتمد سنة خمس وسبعين ومائتين ودفن بسامرا. وشعره كثير مشهور، رأيت العلماء القدماءَ يكثرون العجب به وليس عندي كذلك ، فلذلك أقللتُ من الاتيان به إلا ما كان في ضمن خبر . وله من الولد الذكور أحمد بن علي وكنيته أبو عيسى ، وأبو القاسم عبد الله ، وأبو أحمد يحيى ، وأبو عبد الله هارون .

ـ 855 ـ

علي بن يوسف بن إبراهيم بن عبد الواحد بن موسى بن أحمد بن محمد بن إسحاق بن محمد بن ربيعة بن الحارث بن قريش بن أبي أوفى بن أبي عمرو بن عادية بن حيان بن معاوية بن تيم بن شيبان بن ثعلبة بن عكابة بن صعب بن علي بن بكر بن وائل ، أبو الحسن القفطي : يعرف بالقاضي الأكرم ، أحد الكتّاب المشهورين المبرزين في النظم والنثر ، وكان أبوه القاضي الأشرف كاتباً أيضاً منشئاً ، وكانت أمه امرأةً من بادية العرب من بَليٍّ من قضاعة، وأمها جارية حبشية كانت لأخت أبي عزيز قتادة الحسني أمير مكة، تزوجها أحد بني عمها العلويين وجاءت منه بأولاد ثم مات عنها فتزوجها رجلٌ من بليّ فجاءت منه ببنين وبنات منهم أمّ القاضي الأكرم ـ أدام الله علوّه . وكان والده الأشرف خرج يشتري فرساً من تلك البوادي وقد قاربوا أرض مضر

855 ـ ترجمة القفطي في معجم البلدان 4 : 383 وعقود الجمان لابن الشعار 5 : 1 والحوادث الجامعة : 237 ومفرج الكروب 4 : 312 والطالع السعيد : 436 وعبر الذهبي 5 : 191 وسير الذهبي 23 : 227 والوافي 22 : 338 والفوات 3 : 117 ومرآة الجنان 4 : 116 والزركشي : 234 والنجوم الزاهرة 6 : 361 وتاريخ مختصر الدول : 272 وبغية الوعاة 2 : 212 وحسن المحاضرة 1 : 554 والشذرات 5 : 236 وقد طبع من كتبه : إنباه الرواة ، وتاريخ الحكماء ، والمحمدون من الشعراء .

للنجعة فرآها فوقعت منه بموقع ، فتزوجها ونقلها إلى أهله ، وكانت ربما خرجت في الأحيان إلى البادية استرواحاً على ما ألفته ونشأت عليه[1] ويخرج ابنها معها مدَّة ،قال: وكانت امرأة صالحة مصلية حسنة[2] العبادة فصيحة اللهجة[3] وكانت اذا أردتُ سفراً اشتغلت بما يصلح أموري في السفر وهي تبكي وتقول[4] :

أجهّــزُ زيـداً للرحيــل وإنني بتجهيـزِ زيـدٍ للرحيـلِ ضنينُ

وحدثني أطال الله بقاءه قال[5] : كنت وأنا صبي قد قدمت من مصر واستصحبت إلى قفط[6] سنوراً أصبهانياً على ما تقتضيه الصبوة ، واتفق أن ولدتْ عدة من الأولاد في دارنا ، فنزل سنورٌ ذكر فأكل بعض تلك الجراء ، فغمَّني ذلك وأقسمتُ أنْ لا بدَّ لي من قتل الذي أكلها ، فصنعت شركاً ونصبته في علّيةٍ في دارنا وجلست ، فإذا السنور[7] قد وقع في الحبالة ، فصعدتُ إليه وبيدي عكّاز وفي عزمي هلاكه ، وكان لنا جيرةٌ وقد خرب الحائط بيننا وبينهم ، ونصبوا فيه بارية إلى أن يحضرَ الصنّاع ، وكان لربِّ تلك الدار بنتان لم يكنْ فيمـا أظن أحسنُ منهما صـورةً وجمالاً وشكـلاً ودلالاً[8] وكانتـا معروفتين بذلك في بلدنا ، وكانتا بكرين ، فلما هممتُ بقتله إذا قد انكشف جانبُ البارية ، فوقعتْ عيني على ما بهر المشايخَ فكيف الشبان حسناً وجمالاً ، وإذا هما تومئان إليّ بالأصابع تسألاني إطلاقَهُ ، قال : فأطلقته ونزلتُ وفي قلبي منهنّ مـا فيه لكوني كنتُ أولَ بلوغي ، والوالدةُ جالسةٌ في الدار لمرضٍ كان بها ، فقالت لي : ما أراك قتلته كما كان عَزْمُكَ ، فقلت لها : ليس هو المطلوبَ إنمـا هو سنـورٌ غيره ، فقالت : ما أظنُّ الأمرَ على ذلك ، ولكن بالله هل أُومىء إليك بالأصابع حتى تركته ؟

(1) ونشأت عليه : سقطت من ك .

(2) ك : كثيرة .

(3) فصيحة اللهجة : سقطت من ك .

(4) ك : وكانت إذا جهزت ابنها للسفر تبكي وتقول .

(5) تأخرت هذه الحكاية عن هذا الموضع في ك فوقعت بعد ذكر أسماء كتبه .

(6) إلى قفط : سقطت من م .

(7) م : بالسنور .

(8) ك : صورة وشكلاً .

فقلت : ومن يومىء إليَّ ؟ لا أعرف معنى كلامك ، فقالت : على ذلك يـا ابني[1] اسمع مني ما أقول لك :

ثنتـان لا أرضـى انتهـاكَهُـمَـا ... عِـرْسُ الخليـلِ وجـارةُ الجنبِ

وكان مع هذا البيت بيت آخر أنسيته . قال : فـوالله لكأنَّ مـاءً وقع على نـار فأطفأها ، فما صعدتُ بعد ذلك إلى سطح ولا غرفة إلى أن فارقت البلاد ، ولقد جاء الصيفُ فاحتملت حَرَّه ولم أصعدْ إلى سطح في تلك الصيفية . ثم وجدتُ هذا البيت في أبيات الأحوص بن محمد منها[2] :

قـالت وقلت تـحـرجي وصـلي ... حبـلَ امـرىءٍ كلِفٍ بكم صبٍّ
صـاحبْ إذن بعلي فقـلتُ لهـا ... الـغـدرُ أمـرٌ ليس مـن شعـبـي
ثـنتـان لا أصبـو لـوصلهـمـا ... عـرسُ الخليـلِ وجـارةُ الجنبِ
أمـا الخليـلُ فـلستُ خـائِـنَـهُ ... والـجـارُ أوصـانـي بـه ربـي
الـشـوقُ أقـتـله بـرؤيـتـكـم ... قتـلَ الـظمـا بـالبـاردِ العـذبِ

قال لي : ولدت في أحد ربيعي سنة ثمان وستين وخمسمائة بمدينـة قفط من الصعيد الأعلى[3] أحد الجزائر الخالدات حيث الأرض أربعة وعشرون في أوّل الأقليم الثاني وبها قبر قبط بن مصر بن سـام بن نوح . ونشـأ بالقـاهرة المعـزية ، اجتمعت بخدمته في حلب فوجدته جمَّ الفضل كثيرَ النبل عظيمَ القدر سمحَ الكفِّ طلقَ الوجه حلو البشـاشة ، وكنت أُلازمُ منزله ويحضره أهل الفضل وأرباب العلم ، فما رأيتُ أحداً فاتحه في فنّ من فنون العلم كالنحو واللغة والفقه والحديث وعلم القـرآن والأصول والمنطق والرياضة والنجوم والهندسة والتاريخ والجرح والتعديل ـ وجميع فنون العلم على الاطلاق ـ إلا وقام به أحسن قيام ، وانتظم في وسط عقدهم أحسنَ انتظام . وله

(1) يا ابني : سقطت من ك .
(2) شعر الأحوص : 82 ـ 83 وفيه تخريج كثير ، واختلاف في الروايات .
(3) إزاء هذا في حاشية ك : وتوفي علي بن يوسف القفطي صاحب هذه الترجمة في شهر رمضان سنة ست وأربعين وخمسمائة [كذا] بحلب ودفن بظاهر حلب بمقام إبراهيم عليه السلام .

تصانيف أذكرها فيما بعد إن شاء اللّه تعالى[1] . أنشدني لنفسه بمنزله بحلب في جمادى الآخرة سنة ثلاث عشرة وستمائة .

ضدّان عندي قصّرا همتي ... وجهٌ حييٌّ ولسانٌ وقاحْ
إن رمتُ أمراً خانني ذو الحيا ... ومقولي يُطْمِعُني في النجاحْ
فأنثني في حيرةٍ منهما ... لي مخلبٌ ماضٍ وما من جناحْ
شبه جبانٍ فرَّ من مَعْرَكٍ ... خوفاً وفي يمناه عضبُ الكفاحْ

وأنشدني أدام الله علوه في أعور لنفسه :

شيخٌ لنا يُعْزَى إلى منذرٍ ... مستقبَحُ الأخلاقِ والعينِ
من عَجَبِ الدهر فحدِّثْ به ... بفردِ عينٍ ولسانينِ

ومما أملاه عليّ أدام اللّه علوه من منثور كلامه :

فصل : وأما سؤاله عن سبب التأخر والتجمع ، والتوقفِ عن التطاول في طلب الرياسةِ والتوسع ، والتعجبِ من التزامي قَعْرَ البيت ، وارتضائي بعد السبق بأن أكون السُّكَيْت ، فلا يَنْسِبْني في ذلك إلى تقصير ، وكيف ولساني في اللَّسَنِ غيرُ ألكنَ وبناني في البيان غير قصير ، ولقد أعددتُ للرياسة أسبابها ، ولبستُ لكفاح أهلها جلبابها ، وملكت من موادِّها نصابها ، وتسلحتُ لأحلاسها وضاربتُ أضرابها ، وباريتهم في ميدان الفضائل فكنت السابق وكانوا الفُسْكُل ،وقارعتهم في مجال المقال فأطلقت المُشْكَلَ وحللتُ المشكل[2] ، وظننتُ أني قد حللتُ من الدولة أمكنَ مكانها ، وأصبحتُ إنسانَ عينها وعينَ إنسانها ، فإذا الظنونُ مخلفة ، وشفارُ عيونِ الأعداء مرهفة ، والفرقةُ المظنونة بالانصاف غير منصفة ، وصار ما اعتمدته من أسبابَ التقريب مبعداً، ومن اعتقدته لي مساعداً غدا عليَّ مسعداً، وأصبح[3] لمثالبي مُورداً من أعددته لمرادي مَوْرداً ، وجستُ مقاصدَ المراشد فوجدتها بهم مقفلة ، ومتى أظهرت فضيلة اعتمدوا فيها تعطيلَ المشبّهة وَشُبَه المعطّلة ، وإذا ركبتُ أشهب النهار لنيل مرام ، ركبوا

(1) وله تصانيف . . . . تعالى : وردت في ك بعد قوله : ثلاث عشرة وستمائة .
(2) وقارعتهم . . . . المشكل : سقط من م .
(3) ك : وغدا .

أدهم الليل لنقض ذلك الإبرام ، وإن سمعوا مني قولاً أذاعوا ، وإن لم يسمعوا اختلقوا من الكذب ما استطاعوا ، وقد صرتُ كالمقيم وسط أفاعٍ لا يأمن لسعها ، وكالمجاورِ لنارٍ يتّقي شررها ويستكفي لذعها ، واللّه المسؤولُ توسيعَ الأمور إذا ضاقت مسالكها ، وهو المرجوُّ لإصلاح قلوبِ الملوك على مماليكهم إذ هو رب المملكة ومالكها ، وها أنا جائمٌ جثومَ الليث في عرينه ، وكامنٌ كمونَ الكميِّ في كمينه ، وأعظمُ ما كانت النار لهباً إذا قلَّ دخانها ، وأشدُّ ما كانت السفن جرياً إذا سكنَ سُكّانها ، والجياد تُراضُ ليوم السباق ، والسهامُ تُكَنّ في كنائنها لإصابة الأحداق ، والسيوفُ لا تنتضى من الأغماد إلا ساعة الجلاد ، واللآلىء لا تظهر من الأسفاط الا للتعليق على الأجياد ، وبينما أنا كالنهار الماتع طاب أبرداه ، إذ تراني كالسيفِ القاطع خَشُنَ حداه[1]، ولكلِّ أقوامٍ أقوال ، ولكلِّ مجالٍ أبطالُ نزال ، وسيكون نظري بمشيئة الله الدائم ونظرهم لمحة ، وريحي في هذه الدولة المنصورة عاديَّة وريحهم فيها نفحة ، وها أنا مقيمٌ تحتَ كَنَفِ إنعامها ، راجٍ وابلَ إكرامها من هاطل غمامها ، منتظرٌ لعدوّي وعدوها أنكأ سهامها من وبيل انتقامها .

وأملى عليّ قال : كتبتُ إلى أبي القاسم ابن أبي الحسن بن شيث وكان قد انصرف عن الملك الظاهر ثم رجع إليه بأمر من الملك الظاهر : مَقْدَمُ سعد ، مؤذنٌ بسموّ ومجد ، للمجلس الجماليّ لا زال غادياً في السعادة ورائحاً ، ممنوحاً من الله بالنعم مانحاً ، ميسّراً له أرجح الأعمال كما لم يزل على الأماثل راجحاً ، موضحاً له قصد السبيل كوجهه الذي ما برح مسفراً واضحاً ، قد رد اللّه بأوبته ما نزح من السرور ، وأعاد بعودته الجبرَ إلى القلبِ المكسور ، ولأمَ بالمامه صدوعاً في الصدور ، والواجبُ التفاؤل بالعَوْدِ إذ العود أحمد ، وألا يُخطر الطيرةَ بباله إذ نهى عن التطيّر أحمد ، بل يقال انقلبَ إلى أهله مسروراً ، وتوطّنَ من النعم[2] الظاهرية جنّةً وحريراً ، ودعا عدوه لعوده ثبوراً ، وصلي من نار حسده سعيراً ، أسعد الله مصادره وموارده ، ووفر مكارمه ومحامده ، وأيّدَ ساعده ومساعده .

---

(1) هذا من كلام المعرّي .

(2) م : النعمة .

وأنشدني لنفسه أدام الله علوّه من قصيدة قالها في الملك الظاهر غازي بن يوسف بن أيوب صاحب حلب مطلعها :

لا مدحَ إلا لمليكِ الزمانْ ... من المنى في بابه والأمانْ
غياثُ دينِ اللّه في أرضِهِ ... إن أخلفَ البرقُ وضنَّ العَنانْ
في كفّه ملحمةٌ للندى ... مثل التي تُعْهَدُ[1] يومَ الطعانْ
فالعسرُ مصروعٌ بساحاتِهِ ... واليسرُ سامٍ في ظهور الرعانْ
وراحتاه راحةٌ للورى ... على كريم الخلق مخلوقتانْ
فكفُّه اليمنى لبسطِ الغنى ... وكفه اليسرى لقبض العنانْ

ومنها[2] :

تُعْرِبُ في الهيجاءِ أسيافُهُ ... عن حركاتٍ مثلِ لفظِ اللسانْ
كسرٌ وفتحٌ ببلاد العدى ... وبعده ضمٌّ لمال مهانْ

ومنها في صفة ولديه :

بكران بل بدران[3] ما يُكْسَفان ... روحان للملكِ وريحانتانْ
لؤلؤتا بحرٍ وإن شئتَ قلْ ... ياقوتتا نحرٍ وعقدا لبانْ
فرعان في دوحة عزٍّ سَمَتْ ... غيثان بل بحران بل رحمتانْ
سيملكان الأرض حتى يرى ... لي منهما حَرَّانُ والرَّقتانْ

ومنها :

فاسلم على الدهر شديدَ القوى ... ذا مِرَّةٍ ما شدَّ كفٌّ بنانْ
واستوطن الشهباءَ في عزةٍ ... وآخسسْ بغمدان وقعبي[4] لبانْ

---

(1) ك : الذي يعهد .
(2) ومنها : لم ترد في ك .
(3) ك : بدران بل شمسان .
(4) ك : وكعبي ؛ والإشارة إلى قول الشاعر :

فأشرب هنيئاً عليك التاج مرتفقاً ... في رأس غمدان قصراً منك محلالا
تلك المكارم لا قعبان من لبن ... شيبا بماء فعادا بعد أبوالا

وأنشدني أدام اللّه علوّه لنفسه من قصيدة :

إذا أَوْجَفَتْ منك الخيولُ لغارةٍ فلا مانعٌ إلا الذي مَنَعَ العهدُ
نزلتَ بأنطاكيّةٍ غيرَ حافلٍ بقلّة جندٍ إذ جميعُ الورى جندُ
فكم أهيفٍ حازته هِيفُ رماحكم وكم ناهدٍ أودى بها فَرَسٌ نهدُ
لئن حلَّ فيها ثعلبُ الغدرِ لاونٌ فسحقاً له قد جاءه الأَسَدُ الوردُ
وكان قد اغترَّ اللعين بلينكم وأعظمُ نارٍ حيثُ لا لَهَبٌ يبدو
جنى النحلَ مغتراً وفي النحلِ آية فطوراً له سمٌّ وطوراً له شهدُ
تمدك أجنادُ الملوك تقرباً وجند السخينِ العينِ جَزْرٌ ولا مدُّ
تهنَّ بها بكراً خطبتَ ملاكها فأعطتْ يدَ المخطوبِ وانتظم العقدُ
فجيشك مهرٌ والبنودُ حمولُه وأسهمكم نثرٌ وَسُمْرُ القنا نَقْدُ

وله من التصانيف : كتاب الضاد والظاء ، وهو ما اشتبه في اللفظ واختلف في الخط . وكتاب الدرّ الثمين في أخبار المتيمين . وكتاب من ألوتْ الأيام عليه فرفعته ثم التوت عليه فوضعته . وكتاب أخبارِ المصنفين وما صنفوه . وكتاب أخبار النحويين كبير[1] . وكتاب تاريخ مصر من ابتدائها إلى ملك صلاح الدين إياها في ست مجلدات . وكتاب تاريخ المغرب ومن تولاها من بني تومرت . وكتاب تاريخ اليمن منذ اختطت وإلى الآن . وكتاب المجلّى في استيعاب وجوه كلاّ . وكتاب الاصلاح لما وقع من الخلل في كتاب « الصحاح » للجوهري . وكتاب الكلام على « الموطأ » لم يتم الى الآن . كتاب الكلام على الصحيح للبخاري[2] لم يتم[3] . وكتاب تاريخ محمود بن سبكتكين وبنيه إلى حين انفصال الأمر عنهم . وكتاب تاريخ أخبار السلجوقية منذ ابتداء أمرهم إلى نهايته[4] . وكتاب الإيناس في أخبار آل مرداس . وكتاب الرد على النصارى وذكر مجامعهم . وكتاب مشيخة زيد بن الحسن الكندي . وكتاب نهزة

(1) هو إنباه الرواة .
(2) ك : على صحاح البخاري .
(3) لم يتم : سقط من ك .
(4) ك : انتهائه .

الخاطر ونزهة الناظر[1] في أحاسن ما نقل من على ظهور الكتب[2] .

وكان الأكرم القاضي المذكور جماعةً للكتب حريصاً عليها جداً لم أرَ في من لقيت[3] مع اشتمالي على الكتب وبيعي لها وتجارتي فيها أشدَّ اهتماماً منه بها ولا أكثرَ حرصاً منه على اقتنائها ، وحصل له منها ما لم يحصلْ لأحد ، وكان مقيماً بحلب ، وذلك أنه نشأ بمصر وأخذ بها من كلِّ علم بنصيب ، وولي والده القاضي الأشرف النظرَ بالبيت المقدس من قبل الملك العزيز عثمان بن صلاح الدين بن أيوب وصحبه القاضي الأكرم وذلك في سنة إحدى وتسعين وخمسمائة وأقام بها مع والده مدة ، فآنس ولاةُ البيت المقدسِ من القاضي الأكرم ـ أدام الله عزه ـ شرفَ نفس وعلوَّ همة، فأحبوه واشتملوا عليه، وكانوا يسألونه أن يتسمَ بخدمةِ أحدٍ منهم فلم يكن يفعلُ ذلك مستقلاً وإنما كان يسام العمل ويعتمد على رأيه في تدبير الأحوال، وكان لا يدخلُ معهم إلا فيما لا يقوم غيره فيه مقامه، واتفق ما اتفق بين الملك العادل أبي بكر ابن أيوب وبين ابن أخيه الملك الأفضل علي بن صلاح الدين يوسف بن أيوب، والأكرم حينئذ بالبيت المقدّس ، فاقتضت الحالُ لاتسامه بخدمة من في حيز الملك العزيز أن خرج من القدس فيمن خرج منها من العساكر في سنة ثمان وستمائة وصحب فارس الدين ميموناً القصريّ والي القدس ونابلس ، فالتحقا بالملك الظاهر غازي بن يوسف بن أيوب بحلب في قصةٍ يطولُ شرحها ، فلما حصل بحلب كان مع ميمون القصري على سبيل الصداقة والمودة لا على سبيل الخدمة والكتابة ، واتفق أنَّ كاتبَ ميمونٍ ووزيره مات ، فألزمه ميمونٌ خدمته والاتسامَ بكتابته ، ففعل ذلك على مضض واستحياء ، ودبَّر أموره أحسنَ تدبير ، وساس جنده أحسنَ سياسة وتدبير ، وفرَّغ بالَ ميمون من كلِّ ما يشغل به بالُ الأمراء ، وأقطع الأجنادَ إقطاعاتٍ رضوا بها وانصرفوا شاكرين له ، لم يعرف منذ تولي أمره إلى أن مات ميمون جنديٌّ اشتكى أو تألم ، وكان وجيهاً عند ميمون المذكور يحترمه ويعظم شأنه ويتبرك بآرائه إلى أن مات ميمون في ليلة صبيحتها ثالث عشر

(1) ك : نزهة الخاطر ونهزة الناظر .

(2) من مؤلفاته أيضاً المحمدون من الشعراء وقد طبع مرتين : مرة بالهند ، ومرة ببيروت .

(3) في من لقيت : من ك وحدها .

رمضان سنة عشر وستمائة ، فاقر الملك الظاهر غازي بن صلاح الدين جرايته[1] عليه وهو ملازمٌ لبيته متشاغلٌ بالعلم وتصنيف الكتب إلى أن احتاج ديوانه إليه فعـوَّل في إصلاحه عليه وهو مع ذلك متجنب غير راضٍ .

وحدثني أدام الله علاه قال ، حدثني والدي قال : قدمتُ مع والدي إلى مصرَ أولَ قدمةٍ ولم نستصحب دوابّ[2] لأننا انحدرنا في السفن ، وقلت لأبي : نأخذ معنا دواب[2] ، فقال : يعسر أمرها علينا فدعنا نمضي بالراحة في المراكب ، وإذا وصلنا ما نعدم ما نركب ، فلما وصلنا إلى مصر خرجنا نمشي إلى أن جاء بي إلى سوق وردان وهناك تلك الحمير التي هي أحسنُ من البغال ، فقال لي والدي : اركب أيها شئت لنمضيَ إلى القاهرة ، فامتنعت وقلت : والله لا ركبتُ حماراً قط ، فقال : لا بدَّ من المضيِّ إلى القاهرة فما تصنع؟ قلت لأبي[3]: نؤخّر المضيَّ اليوم حتى نشتريَ مركوباً إما فرسا وإما بغلة أركبها أنا واصنع انت بنفسك ما تشاء ، فعذلني فلم أرعو ، فاجتاز بنا رجلٌ له هيئة وشارة ، فتقدم والدي إليه وقال له : يا أخي تعرف القاضي الأشرف أبا الحجاج يوسف بن القاضي الأمجد أبي إسحاق إبراهيم الشيباني القفطي ؟ فقال : لا أعرفه ، قال : امض في أمان الله ، ثم مرَّ به آخر فسأله مثلَ ذلك السؤال حتى سأل جماعةً فلم يكن منهم من يعرفه ، فالتفت إليَّ وقال لي : ويلك إذا كنتَ في مدينة لا يعرفك بها أحد فما تصنعُ بهذا التمخرق والترتيب في المركوب ؟! اركب ودع عنك الكبرياء والعظمة التي لا تجدي ها هنا شيئاً ، قال : فركبت حينئذ ومضينا إلى القاهرة ؛ وكان لهذا السبب يتفقد الخيولَ المشهورة بالجودة وكثرة الثمن ، حتى لقد حدثني أنه سمع ابن دحية الحافظ وقد سئل عن القاضي الأشرف القفطي فقال : أليس هو صاحبَ الخيولِ المسوّمة والعبيد الزُّوقة ، فما أولاه إذن بقول عامر بن الطفيل[4] :

إني وإنْ كنتُ ابنَ سيدِ عامرٍ ... وفارسَها المشهورَ في كلِّ موكبِ
فما سوَّدتني عامرٌ عن وراثةٍ ... أبى اللّه أن أسمو بأمٍّ ولا أبِ

---

(1) م : خزانته ؛ واللفظة غير معجمة في ك .
(2) ك : دواباً .
(3) م ك : قال أبي .
(4) ديوان عامر بن الطفيل : 28 .

ولكنني أحـمي حـمـاهـا وأتقـي ‏ ‏ ‏ ‏ أذاهـا وأرمي من رمـاهـا بمنكبِ

فصل : قال الأكرم من إنشائي من جملة كتاب أنشأته عن المقرِّ الأشرف الملكي الظاهري عند رحيل عسكر الفرنج عن حصن الخوابي :

ولما وردت الوراثة الباطنية ، صدرت في نجدتهم العساكرُ الظاهـرية ، تحت الألوية الامامية الناصرية ، وسار في المقدمة ألفُ فارسٍ من أنجاد[1] الأنجاد وأمثال الأطواد ، وهم الذين لا يثنون عن الطعن عناناً ، ولا يسألون عن الانتداب إلى الكريهة عما قيل برهاناً[2] ولما التقى الجمعان وتراءى الفـريقان قمـع حزبَ الإنجيـل حزبُ القرآن ، وخفض صوتَ الناقوس صـوتُ الأذان ، وفلَّ جيشُ ابنِ يـوسف جَمْعَ بني إسحاق ، وعلا علمِ الأحمر على بني الأصفر أهلِ الشقاق ، وحركتِ الأهوية ألسنَ الألويةِ بأصوات النُّجْح ، فقالت بلسانِ الحال [حيَّ] عـلى خير العمل من القتال ، فقد جاء نصر الله والفتح ، وما أودت من المناجزة قوةُ جانب ولا شدةُ محاجزة وإنما منع جبلٌ وعرٌ ضاق مسلكه ، وتعذَّر مجاله على الفرسان ومعتركه ، وامتنعت منه أسباب النزال ، وردَّ الله الذين كفروا بغيظهم لم ينالوا خيراً وكفى الله المؤمنين القتال ، ففُكَّت القلعة من خناقها ، وأُفلتتْ من يد القابض منها بساقها ، واشتغل العدُو عنها بإعمال رأيه في الخلاص ، وذلك لما تحققه من ترادف العسـاكر المنصـورة ولات حين[3] مناص ، ولما اجتمعوا للمشاورة تناقضت منهم الآراء عند المحاورة ، وأوجب ذلك اختلافاً من جميعهم قضى بافتراق جموعهم ، وباتوا ليلة الاثنين ولهم ضوضاء ، ثم أصبحوا وقد خلا منهم الفضاء ، لم يُلْفَ منهم أحد ، ولا وُجِدَ لمنـزلهم إلا النؤْي والوتد ، وذلك لرأي أجمعوا عليه ، لما تحققوا أن لا ملجأ من الهرب إلا إليه ، وللوقت نَدَبَ مولانا السلطانُ ـ خلَّد الله ملكه ـ جماعة من الصناع لإصلاح مُخْتَلِّها ، ورقع ما خـرق من تلّها ، وحَمَـل إليها مـا عَدِمَتْهُ من الآلةِ عنـد القتال ، وتقـدم إلى رئيس الاسماعيلية بحمل ما يحتاج إليه من الذخائر والمال، وقد شرع والشروعُ ملزمٌ بالاكمال.

---

(1) ك : الحاد .

(2) من قول الشاعر :

لا يسـألـون أخـاهـم حين ينـدبهم ‏ ‏ ‏ ‏ في النائبات على مـا قال بـرهانـا

(3) حين : سقطت من ك .

وحدثني الصاحب الوزير الأكرم ـ أدام الله تمكينه ـ قال : خرجتُ يوم الجمعة خامس عشر ذي القعدة سنة ثمان عشرة وستمائة إلى ظاهر مدينة حلب على سبيل التسيير ، فرأيتُ على جانب قويق عدةَ مشايخَ بيضَ اللحى وقد سكروا من شُرْبِ الخمر ، وهم عراةٌ يصفّقون ويرقصون على صورةٍ مُنْكَرَةٍ بشعة ، فاستعذتُ بالله من الشيطان الرجيم ورجعتُ مغموماً بذلك ، وبتُّ تلك الليلة فلما أصبحتُ وركبتُ للطلوع إلى القلعة استقبلني رجلٌ صعلوك فقال : انظر في حالي نظر الله إليك يوم ينظرُ إليه المتقون ، فقلت له : ما خبرك ؟ قال : أنا رجلٌ صعلوكٌ ، وكان لي دويبة[1] أسترزق عليها للعائلة ، فاتهمني الوالي بالحمول[2] بسرقة ملح ، فأخذ دابتي ، ثم طالبني بجباية فقلت : خذِ الدابة فقال : أخذتها وأريد جباية أخرى ؛ فقلت له : أبشر بما يسرُّك ، وطلعتُ إلى صاحب الأمر يومئذ ـ وهو الأمير الكبير أتابك طغرل الظاهري ـ وقلت : روي عن النبي ﷺ أنه قال : ثلاثة أشياء مباحة الناس مشتركون فيها ، الكلأ والماء والملح ، وقد جرى كيت وكيت ، ولا يليق بمثلك وأنت عامةَ وقتك جالسٌ على مصلاّك مستقبلٌ القبلةَ والسبحة[3] في يدك أن تكونَ مثلُ هذه الأشياءُ في بلدك ، فقال : اكتب الساعة إلى جميع النواحي برفع الجبايات ومحو اسمها أصلاً ، ومرِ الولاةَ أن يعملوا بكتاب الله وسنة رسوله ، ومن وجب عليه حدٌّ من الحدود الشرعية يقامُ فيه على الفور ولا يُلْتَمَسُ منه شيء آخر ، ومُرِ الساعةَ بإراقة كلِّ خمر في المدينة ورفع ضمانها ، واكتب إلى جميع النواحي التي تحت حكمي بمثل ذلك ، وأوعدْ من يخالفُ ذلك عقوبتنا في الدنيا عاجلاً وعقوبةَ الخالق في الآخرة آجلاً ، فخرجت وجلستُ في الديوان وكتبت بيدي ولم أستعن بأحد من الكتاب في شيء من ذلك ثلاثة عشر كتاباً إلى ولاةِ الأطراف ، ثم أنشد :

ولا تكتبْ بكفك غيرَ شيءٍ ... يسرُّكَ في القيامةِ أن تراهُ

وكان المحصول من ضمان ما أُطْلِقَ ما مقداره مائتا ألف درهم في السنة ، وإن أُضيفَ إليه ما يُسْتَقْبَلُ في السنةِ الآتية من رُخْصِ الكروم وتعطُّل ضماناتها وقلة دخلها

---

(1) م : دابة .

(2) م : بالخيول (وغير معجمة في ك) .

(3) م : والسجدة .

بهذا السبب ألف ألف درهم أو ما يقاربها .

وكان والده القاضي الأشرف أبو المحاسن يوسف بن إبراهيم من أهل الفضل البارع والبلاغة المشهورة ، وكان ينوبُ بحضرةِ السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب عن القاضي الفاضل في جماعةٍ من الكتاب ، وكان حسنَ الخطِّ على طريقة ابن مقلة ، فاتفق أن طال مقامه بالشام في صحبة السلطان وأراد الرجوع إلى مصر طلباً للراحة ونظراً في مصالحه ، فطلب من السلطان إذناً فقال : يُحْتَاجُ في ذلك إلى إذن صاحبك ، فكتب العمادُ إلى القاضي يلتمسُ غيره ليؤذن له فقد طالت غيبته عن أهله ، فكتب القاضي في الجوابِ كتاباً يقول فيه : وأما التماسُ العِوَضِ عن الأشرف القفطي فكيف لي بغيره ، وهو ذو لسان صهصلق منطيق ، وخاطرٍ ينفق في سعة كل مضيق ؟ وكتبَ إلى القاضي الفاضل رقعةً وضمَّنها البيتَ المشهور :

نميل على جوانبه كأنا إذا ملنا نميلُ على أبينا

فكتب القاضي الجواب وضمنه :

فديتُكَ من مائلٍ كالغصونِ إذا ملن أُدنينَ مني الثمارا

وتزهّد والده وترك العمل وأقام باليمن إلى أن مات بها في رجب سنة أربع وعشرين وستمائة .

وحدثني - أدام الله علوه - قال: حججتُ في موسم سنة ثمان وستمائة[1]، وكان والدي في صحبتي ، فصادفت بمكةَ جماعةً من أهل بلدنا ، وكنتُ بعيدَ العهد بلقاءِ أحدٍ منهم ، فرآني رجلٌ فالتحق بي كما جرت العادة ، ثم عاد إلى من في صحبته من بلدنا فأخبرهم بنا فجاءوا هم إلى منزلنا فقضوا حقّنا بالسلام والسؤال والحرمة ، ثم انصرفوا إلى رحالهم فجاء كلُّ واحد منهم بما حضره لم يحتفلوا له ، وكان فيما جاؤونا به ظرفٌ كبير مملوء عسلاً وآخر سمناً على جمل وهو وقره ، فألقاه في خيمتنا ، فأمرتُ الغلمانَ أن يعملوا منه حيساً فيكثروا على عادة تلك البلاد ، وأكلنا وأكثرنا زيادة على ما جرت به عادتنا ، ثم طفنا بالبيت وعدنا إلى رحالنا ونمت ، فرأيت في النوم كأني في الحرم أطوف وإذا رجلٌ شديد الأُدْمَةِ مُشَوَّهُ الخلقة ، فأخذ بيدي وأخرجني من الحرم

(1) ك : وخمسمائة .

من باب إبراهيم فإذا به قد وقفني على الظرفين بعينهما لا أرتابُ بهما فقال لي : أتعرف هذين ؟ فقلت : نعم هذان ظرفان جاءنا بهما رجلٌ على سبيل الهدية ، أحدهما سمن والآخر عسل ، فقال لي : ليس الأمر كذلك ثم حطَّ يده على بطنهما وعصر ، فخرج من فمهما نار أحسستُ بلفحها في وجهي ، وجعلتُ أمسحُ فمي من شدة حرهما ، وانزعجتُ من هول ما رأيت ، وقمتُ من فراشي خائفاً فما استطعت النوم إلى الغداة ، واجتمعتُ بمهديهما وكان يُعْرَفُ بابن أبي شجاع فقلت له : أخبرني عن هذين الظرفين ما خبرهما ؟ فقال : اشتريتهما وجئتُ بهما ، فقلت : يا هذا هل فيهما شبهة ؟ فتحلَّفَ أنهما من خالص ماله ، فأخبرته بالحال فبكى حينئذ ومدَّ يده فأخذ بيدي وعاهدني أن يخرج من عهدته وقال: والله ما أعرفُ أنَّ في مالي شبهةً إلا أنَّ لي أختين[1] ما أنصفتهما في تركة أبيهما ، وأنا أعاهدُ الله أنني أرجعُ من وجهي هذا وأعطيهما حتى أرضيهما ؛ قال الصاحب ـ أدام الله علوّه : فعلمتُ أنها لي موعظة ، فعاهدتُ الله أن لا آكلَ بعدها من طعام لا أُعرفُ من أين وجهه ، فكان لا يأكلُ لأحدٍ طعاماً ويقول : الناسُ لا يعرفون بواطنَ الأمور ، ويظنونني أفعل[2] ذلك كبراً ومن أين لي بما يقوم بعذري عندهم ؟!

ثم كنت بعد ذلك في حضرته بمنزله المعمور وقد عاد من القلعة بحلب فقال لي : جَرَتِ اليوم طريفةٌ ، فقلت له : هات خبرها أدام الله إمتاعنا بك ، فما زلت تأتي بالطرائف والطرف ، فقال : حضرتُ اليومَ في مجلس الملك الرحيم أتابك طغرل الظاهري وحضرت المائدة وفيها طعامُ الملوك : شواء وشرائح وسنبوسج وحلاوات وغيرها كما جرت العادة ، فتأملته فنفرتْ نفسي منه ولم تقبله مع كوني قد قارب الظهر ولم أتغدَّ ، فلم أنبسط ولا مددتُ يدي إليه ، فقال لي : مالك لا تأكل ؟ وكان قد عرف عادتي فقلت له : إن نفسي لا تقبلُ هذا الطعام ولا تشتهيه ، فقال لعلك شبعانُ ، قلت : لا والله إلا أنني أجدُ في نفسي نفرةً منه ، فأشار إلى غلام فدخل داره وجاء بمائدةٍ عليها عدةُ غضائر من الدجاج فلم تقبلْ نفسي إلا دجاجةً واحدةً معمولة بحبٍّ[3]

(1) ك : أخيات .
(2) م : أقول .
(3) م : تحت .

رمان ، فمددتُ يدي إليها وتناولت منها قال : فرأيتُ أتابك وهو يتعجَّب ، فقلت له : ما الخبر ؟ فقال : اعلم انه ليس في هذا الطعام شيء أعلم من أين وجهه ، وهو من عمل منزلي غير هذه الدجاجة ، والباقي فجاءنا من جهة ما نفسي بها طيبة ، وتشاركتُ أنا وهو في تلك الدجاجة مع بغضي لحبِّ الرمان ، وكان أتابك لا يأكلُ إلا من مال الجوالي فقط . فجعلتُ أعجبُ من ذلك ، فقال ـ أدام الله علوّه : اعلم أنني لا أحسبُ هذا كرامةً لي ، ولكني أعدّه نعمة من الله في حقي ، فإن امتناعي لم يكنْ عن شيءٍ كرهته ولا ريبٍ اطلعتُ عليه ، ولكنْ كان انقباضاً ونفرةً لا أعرف سببها ولا الابانةَ عن معناها .

كان صفي الدين الأسود كاتب الملك الأشرف[1] عند نزول الملك الأشرف بحلب قد عرض كتاباً له يعرف بالتذكرة لابن مسيلمة (وكان معروفاً بالبغاء) أحد كتاب مصر يشتمل على قوانين الكتابة وآيين الدولة العلوية وأخبار ملوك مصر المتقدمين في اثني عشر مجلداً ودُفع له فيه ما سمح ببيعه ، وعرض على الصاحب الكبير العالم جمال الدين الأكرم ـ أدام الله علاه وكبت أعداءه ـ فأراد شراه ، واتفق رحيلُ الملكِ الأشرف إلى نواحي[2] الجزيرة فأرسل إليه ثمنه وزيادة في مثله وافرة ، فلما علم صفي الدين أن المشتري هو الوزير ـ أدام الله علوه ـ ضنَّ بالكتاب واعتبط ، واحتج وخلط ، وزعم انه قدمه للخزانة الأشرفية ، فكتب الصاحب الوزير إلى أبي علي القيلوي[3] ـ وكان وسيطه في شرى الكتاب المذكور ـ ما هذه نسخته . العزة للّه وحده :

أتـاني كتـابٌ من حبيبي فشـاقني ... إليـه وزاد القلبَ وجـداً إلى وجـدِ
وكدتُ لما أضمرتُ من لاعج الهوى ... ووجداً على ما فات أُقضي من الوجدِ

وقفت على الكتاب الكريم الصادر عن المجلس السامي القضـائي العزي لازالت سيادته تتجدد ، وسعادته تتأكد ، وفواضله تتـردد ، وفضائله عن مجلسـه تصدر وفي المجالس تورد ، وعلمت إشارته في التذكرة المسيلمية والنية في حملها إلى الخزانة

(1) كاتب . . . الأشرف : لم ترد في م .
(2) نواحي : سقطت من م .
(3) اللفظة غير معجمة في ك .

الأشرفية ، ولقد زُفَّتْ إلى أجلِّ خاطب ، ورقت بعد انحطاطها إلى أسنى المراتب ، فانها وإن كانت بِكْرَ فِكْرِ أكابر ، فما هي إلا بنتُ عدّة آباءٍ ولدت على فراش عواهر ، كان عليه البغاء في العالمين علامة ، أعني ابن مسيلمة ذا الداء وأسألُ الله السلامة ، فجاءت ذاتَ غرام لا يشفي قَطَمَها إلا السودان ، وأردت أن أكونَ ناكحها الثاني لاتفاق الألوان ، وأبى الله لها أن تُهْدَى إلاّ إلى المقرّ الأرفع ، وأن تضع الابتناء بالبغي من الهمام الأروع ، ولست يائساً على عدمها ، ولا راجٍ شفاءَ كَلْمي بكلمها :

تحمَّـلَ أَهْلُهَـا عنِّي فبـانـوا　　　على آثـار من ذهب العفاءُ(1)

وكأني بساميه عرض هذا الكتاب على من لا أسميه ، فقرن حاجبيه ولوى شفتيه ولمس عثنونه تعجباً وأمال عطفيه تطرفاً وقال : أذكرتني سجعَ الكهان ، وأسمعتني قعقعةَ صعصعةَ بن صوحان ، واللّه المستعانُ على ما يصفون ، وإنما هي نفثةٌ صدرت عن صدر مصدور فاز(2) نافثها بصفقة المغبون . وأما سؤاله عما حصل من الكتب في غيبته :

فمـا هي إلا البحرُ جـاد بدرِّهِ　　　ومكَّنني من لُجِّـهِ وسـواحِلِهْ

حصل من نفائسها أعلاقٌ نفيسة ، وأضحت على بعد المراحم عليها موقوفةً حبيسة ، لو امتدَّتْ يدٌ إليها لَشَلَّتْ ، ولو سعت إليها قدم لما أَقَلَّتْ جثَّتها ولا استقلت ، لا ابن العديم يعدمها ، ولا القيلوي يقللها ولا الصفي يصطفيها ولا المجد يختزلها :

* خلا لكِ الجوُّ فبيضي واصفري *

وتعداد المجدد منها يقصر عنه الكتاب ، ويقصِّر دونه الخطاب ، والله الموفق .

ـ 856 ـ

أبو علي المنطقي : لم أظفر باسمه وهو مجيد؛ قال الخالع : هو من أهل البصرة

856 ـ ترجمته في الوافي 22 : 360 ـ 364 (عن ياقوت) وسقطت الترجمة من ك .

(1) البيت لزهير بن أبي سلمى ، ديوانه : 58 .

(2) فاز : سقطت من م .

وتنقل عنها في البلاد ، ومدح عضد الدولة وابن عباد ، وانقطع مدةً من الزمان إلى نصر بن هارون ثم إلى أبي القاسم العلاء بن الحسن الوزير . وكان جيد الطبقة في الشعر والأدب ، عالماً بالمنطق قوي الرتبة فيه ، وجمع ديوانه وكان نحو ألفي بيت ، ومولده سنة ست وثلاثين وثلاثمائة ومات بشيراز بعد سنة تسعين وثلاثمائة وكان ضعيف الحال محارفاً[1] ضيقَ الرزق .

وجدت على حاشية الأصل ما هذا صورته[2] : إنا للّه وإنا إليه راجعون ، ما يحتاج مستدلٌّ على أن الأرزاقَ ليست بالاستحقاق بأقوى من هذا الرجل ، فانه لو وُفِّي حقه لكان أعظمَ قدراً من المتنبي ، لأنه ليس بدونه في الشعر جودةً وصحةَ معنى ومتانةَ لفظ وحلاوة استعارة وسلاسةَ كلام ، وكان مع ذلك مزاحاً طيبَ العشرةِ حادَّ النادرة ، وأصيب بعينه في آخر عمره ، وله في ذلك أشعار كثيرة . وهذا القدر حكى الخالع من خبره ولم يعرف غير ذلك .

ومن شعره[3] :

يا ريمُ وجدي فيكِ ليس يريمُ ... بين الضلوع وان رحلتِ مقيمُ
لا تحسبي قلبي كربعك خالياً ... فَبِهِ وإن عَفَتِ الرسومُ رسومُ
تبلى المنازلُ والهوى متجدّدٌ ... وتبيدُ خيماتٌ ويبقى الخيمُ

ومن شعره لما أصيب ببصره :

ما للهمومِ إذا ما هِيمُها وردتْ ... عليَّ لم تفض من وِرْدٍ إلى صَدَرِ
كأنما وافق الأعشابَ رائدُها ... لدى حماي فقد ألقى عصا السفرِ
ان يجرحِ الدهرُ مني غيرَ جارحةٍ ... ففي البصائر ما يغني عن البصرِ

وله في الخمر :

وقهوةٍ مثل رقراق السراب غدا ... جَيْبُ المزاج عليها غير[4] مَزْرُورِ

---

(1) م : عارفاً ، الوافي : مجازفاً (والصواب ما أثبته) .
(2) هكذا هو ، والأصل الذي ينقل عنه هو كتاب الخالع .
(3) نقل الصفدي عدداً من مقطعاته .
(4) م : وهو .

تختال إن بَثَّ فيها الماءُ لؤلؤَه ... ما بين عقدين منظومٍ ومنثورِ
سللتها مثلَ سلِّ الفجر صارمَهُ ... وأحجم الليلُ في أثوابِ موتورِ
كأنها إذ بدت والكأسُ تحجبها ... روحٌ من النار في جسمٍ من النورِ
إذا تعاطيتُ محزوناً أبارقَها ... لم يَعْدُني كلُّ مفروح ومسرورِ
أُمسي غنياً وقد أصبحتُ مفتقراً ... كأنما الملكُ بين الناي[1] والزيرِ

وله في نصر بن هارون :

تنالُ علاهُ ما السها عنه عاجزٌ[2] ... ويسقي نداهُ مَنْ تجاوَزَهُ القطرُ
ويصنعُ في الأعداء خوفُ انتقامِهِ ... من القتلِ ما لا تصنعُ البيضُ والسمرُ
لأعطيتَ حتى استنزر الغيثُ فعله ... وأمَّنْتَ حتى قيل لم يُخْلَقِ الذعرُ

وله فيه أيضاً :

به تخضرُّ أغصانُ الأماني ... وَيُجْبَرُ عنده الأملُ الكسيرُ
وتبسمُ نائباتُ الدهر عنه ... كما ابتسمت عن الشَّنَبِ الثغورُ
لقد سهلتْ بكَ الأيام حتى ... لقال الناسُ لم تكن الوعورُ
وكيف أخافُ دهراً أنت بيني ... وبينَ صروفِهِ أبداً سفيرُ

وله من قصيدة في ابن معروف :

في البرق لي شاغلٌ عن ملة البُرَقِ ... بدا وكان متى ما يبدُ لي يَشُقِ
منفراً سِرْبَ نومي عن مراتعِهِ ... كأنما اشتُقَّ معناهُ من الأرقِ
أخو الثنايا التي بالقلب مذ ظَعَنَتْ ... أضعافُ ما بوشاحيها من القلقِ
ما كان يسرقُ من حِرْزِ الجفونِ كرىً ... لو أنه من لماها غير مُسْتَرقِ

وله :

نَوارُ وهي نوارٌ من مساعفتي ... وهند وهي ببيض الهندِ تعتصمُ

---

(1) الوافي : البمّ .
(2) م : ينال . . . حاجز .

تربان إن تكُ من جدواهما تَرِبَتْ ... يدُ المحبِّ فوجدانُ الهوى عدمُ
غضُّ المحيا إذا لاحظتَ وجنته ... كادت لحاظك في ديباجها تَسِمُ

وله يعاتب :

صافيتُ فَضْلَكَ لا ما أنتَ باذلُهُ ... وعاشقُ الفضل يُغْرَى كلما عُذِلا
إني أعيذُكَ من قولي لسائله ... لقد[1] حدوتُ ولكن لم أجدْ جملا

وله في صمصام الدولة :

لا عضَّني الدهر الخؤون فانه ... ما زال قبلَ رُقاك صِلاًّ أرقما
أنتم بحارٌ جارياتٌ بالندى ... لكنها في الروع جاريةٌ دما

وله :

ليثٌ أبو شبلينِ لم يُسْلِمْهُمَا ... كَرَمُ الجدودِ ولا سموُّ جدودِ
للمجد سرٌّ لم يُضَيِّعْ فيهما ... والراحُ سرٌّ في جَنَى العنقودِ

وله :

أكفكمُ تعطي ويمنعنا الحيا ... وأقلامكم تَمْضي وتنبُو الصوارمُ
وإن أبا العباسِ إن يكُ للعلا ... جناحاً فأنتم للجناح القوادمُ
مضى وبقيتم أبحراً وأهلةً ... وَزَهْرُ الربى يبقى وتمضي الغمائمُ

وله :

قولي يُقَصِّرُ عن فَعَالِكْ ... تقصيرَ جَدِّكَ عن كمالِكْ
والحمدُ ينبتُ كلَّما ... هطلتْ سماءُ من نوالكْ

وله :

كأنَّ دبيبها في كلِّ عضوٍ ... دبيبُ النوم في أجفانِ ساري
صَدَعْتُ بها رداءَ الهمِّ عني ... كما صدعَ الدجى وَضَحُ النهارِ

---

(1) الوافي : إني .

وله من قصيدة في عضد الدولة يذكر الصدق :

ما زلت تنصفُ في قضاياك العلا — قل لي فما بال الضحى يتظلَّمُ
أهديتَ رونقه إلى جنح الدجى — فاعتنَّ أشهبُ وهو طِرْفٌ أدهمُ
حتى كأنَّ الليل صُبْحٌ مشرقٌ — وكأنَّ ضوءَ الصبح ليلٌ مظلمُ
هي ليلةٌ لبست رضاك فأشرقتْ — من بعد ما كانت بسخطك تظلمُ
ما كان في ظن امرىءٍ من بعدها — أن الملوك على الليالي تحكمُ

وله :

أنامَ جفونَ الحقدِ والحقدُ ساهرٌ — وأيقظ طرفَ المجدِ والمجد نائمُ
إذا أشكلتْ يوماً لغاتُ انتقامِهِ — على معشرٍ فالمرهفاتُ تراجمُ
ومن شاجر الأيام عن مأثُرَاتها[1] — فأمضى لِسَانَيْهِ القنا والصوارمُ

وله من قصيدة :

وقفنا بها والشوقُ يطوي قلوبنا — لواعجه والصبرُ غيرُ مطاوعِ
سقيتَ رجوعَ الظاعنين فإننا — نجلُّكَ عن سُقْيا الغمام الهوامعِ
فجعنا بأبكارِ المنى يوم خاطبت — ربوعَكَ أبكارُ الخطوبِ الفواجعِ

ومنها :

وخيل إذا كظُّ[2] الطرادِ أراحها — أصابت بحرِّ الطعنِ بَرْدَ الشرائعِ
تكادُ تُرَى بالسمع حتى كأنما — نواظرها مخلوقةٌ في المسامعِ
إذا ما دجا ليلُ الكريهةِ أطلعتْ — نجومَ قناً يغربن بين الأضالعِ

وله :

على عَجَلٍ ألمَّ به الخيالُ — فإنَّ كراهُ بعدكمُ محالُ
فبات معانقاً والجيدُ وهمٌ — ومرتشفاً وأحلى السريقِ آلُ

(1) الوافي : مأثراته .
(2) الوافي : كدّ .

لـدى ليـلٍ كـأن النجمَ فيـه ... على خدِّ الظلام الجَوْنِ خالُ
يضامُ الرمحُ ليس له مدارٌ ... ويكبو الطرف ليس له مجالُ
طُبِعْتُ على الوفاء المحضِ قدماً ... كما طُبِعَتْ على القطع النصالُ

ومنها :

توسمتِ القوابل فيه مجداً ... فقالت أولُ البدرِ الهلالُ
وأطربُ ما يكون إلى العطايا ... إذا غنّى فأسمعه السؤالُ
مصاحبُ همةٍ خفَّتْ عليها ... من الأيام أعباءٌ ثقالُ
كرمتَ فلو سألناك المساعي ... وهبتَ وغيرها تهبُ الرجالُ
وأكرمُ مَنْ قَراكَ فتىً عليه ... بنو الدنيا وأمهمُ عيالُ

وقال في الوزير ابن صالحان :

على الطيف أن يغشى العميدَ المتيما ... وليس عليه ردُّ نوم[1] تصرَّما
خيالٌ سرى يبغي خيالاً ومغرمٌ ... بلبس قميصِ الليل يمّمَ مغرما
دنا والظلامُ الجَوْنُ غضٌّ شبابُهُ ... فأهدى إليه الشيب لما تبسما
أتلك اللآلي من[2] ثناياه ألّفت ... عليه عقوداً أم تقلّد أنجما
أما والحمى إن الكرى لسميُّهُ ... على مقلتي مذ أخلقتْ جِدَّةُ الحمى
لأشكلَ حتى ما يعود بنو الهوى ... معالمه الأنضاءَ إلا توهما
وليلٍ أكلنا العيسَ تحت رواقِهِ ... بأيدي سُرىً تثني الرواسمَ أرسما
بهيمٍ نضونا بُرْدَهُ وهو مخلق ... وكنا لبسناه قشيباً مسهَّما
هداها إلى مغنى الوزير نسيمه ... ومن شرف الأخلاق أن تتنسما
يصوبُ على العافين مزنُ بنانِهِ ... فيكبتُ حساداً وينبتُ أنعما

---

(1) الوافي : يوم .
(2) الوافي : أم .

وله :

غيٌّ الهوى للصبِّ غايةُ رشدِهِ فذريه من حلِّ الملام وعقدِهِ
قَرَّبْتِ مركبَ وعظه ، ولجاجُهُ في الحبِّ ينتج قربه من بعدِهِ
والليل تُكْحَلُ مقلتاه باثمدٍ والأفقُ يزهر دره في عقدِهِ
فكأن زنجياً تبسَّمَ ثغرُهُ إسفار ذاك اللون في مربدِّه
تعبُ الفتىَ جسرٌ إلى راحاته يفضي ، ونهضةُ جَده في جِدّهِ
وإذا ابنُ عزمٍ لم يَقُمْ متجرداً للحادثات فصارم في غمدِهِ
فالسيف سُمِّيَ في النوائبِ عُدَّةً لمضائه فيهنَّ لا لفرنده

ومن المدح :

تُثْني عليه وان تَكَرَّمَ غيرُهُ فتراه مشكوراً بما لم يُسْدِهِ
علماً بأنَّ بني السماح تعلموا منه فكلُّ صنيعةٍ من عندِهِ

وفي عضد الدولة :

أربعَ الصبا غالتك بعدي يدُ الصبا وصعَّد طرفُ البين فيك وصوبّا
لئن رمقتْ عينُ النوى حورَ عِيْنِهِ فبنَّ لقد غادرنَ قلباً معذبا
تأوَّدْنَ قضباناً ولحنَ أهلة وغازلنَ غزلاناً ولاحظن ربربا

ومنها :

رددت شبابَ الملك نضراً ولم يزلْ بغيرك مغبرَّ المفارقِ أشيبا
فلو كانت الأيام قبلك رَحَّبَتْ بشخصٍ لقالت إذ تراءَيْتَ مرحبا

وله قصيدة إلى أبي بكر العلاف يتشوقه :

كأن البينَ تِرْبُ الموتِ لكنْ توارَى في الضنا لا في الثيابِ
ولولا أنَّ فرط الشوقِ واشٍ بحبك لاستزدتك ضعفَ ما بي
جمعتَ غرائبَ الآداب حتى إذا قُرِنَتْ إلى النعم الرغابِ
ظللتَ منادياً في كلِّ أفق بصوتِ البذلِ حيَّ على انتهابِ

وله من قصيدة في العلاء بن الحسن الوزير :

أعـاطي كؤوسَ اللهو كـلَّ غـريـرةٍ إذا مـا انثنت قَـدَّتْ فؤادَكَ بـالقـدِّ
تلاحظُ عن سحرٍ وتحسرُ عن دجىً وتسفـرُ عن صبح وتبسمُ عن عقـد
إذا نثـرت أيدي الصبـا دُرَّ لفـظهـا نظمن على الأحشاء عقداً من الوجد
كما نظمت كفا أبي القاسم العـلا نـظامَ لآلي السمطِ بـالنثــر للرفـد
إذا اتـصلتْ أقـلامُـهُ بـظبـاتـه تَقَـطَّعَ مـا بين الـطوائـلِ والحقـد
فـلا يهنـأ الأعـداءُ أنّ مكـانـه خفيٌّ فقد تخفى الشرارةُ في الزند

وله :

نِعَمٌ لـو آنَّ النـاسَ وُرْقُ حمـائمٍ لغـدت لهم بـدلاً من الأطـواقِ
ومـواهبٌ تمضي ويبقى ذكـرهـا سمـةً على وَجْهِ الـزمـانِ البـاقي

وله :

أراعك صدق الطيف أم كَذَبَ الحُلُمْ وكم من خيـالٍ وَشْكُ إلمـامِـهِ لَمَمْ
سرى والدجى قد حال صبغُ قميصه وفي ذيله نـارٌ من الصبـح تضــطرمْ
كـأن نهـوضَ الفجـرِ في أخـريـاتـه بديءُ بياضِ الشيب في أسود اللممْ
أمينٌ على ســرّ المعـالي وسـيفـه على مُهَجِ الأعداء في الـروع متهمْ

وله من قصيدة في الدلجي :

لأصبـرنَّ على مـا سـامني زمـني صَبْرُ الكـريم على الإقـلال اكثـارُ
مدحتُ قوماً فان حاضَ اللسانُ بهم فســوفَ يَعْقُبُ ذاك الحيضَ إطهـار
إذا المعمَّـر تِـرْبُ المجـد أُنْثَمَني ركنيْ يـدٍ ثَمْـدُ مـا تسـديـه تيـار
يـد هي الغيث أو فيهـا مـواطنـه فكـلّ مـا صـافحتـه فهـو نـوّار
هنـاك أخـطبُ والعليـا منـابـرهـا منصـوبـةٌ وجبينُ الـدهـرِ خـرار

وله :

وأبنـاء حـاجـاتٍ أدارت عليهمُ يدُ السير كأسَ الأين والليلُ دامسُ

يميسون فوق المَيْسِ حتى كأنهم ... شروبٌ تساقَى والرحالُ المجالسُ
أصاخوا وقد غنيتهم باسم ماجدٍ ... لأقلامه تعنو الرماحُ المداعسُ
ولما بلغناهُ تهلَّلَ عارضٌ ... سقى صوبُهُ الدنيا ومثواهُ فارسُ

وقال في الوزير ابن صالحان :

هل البرقُ إلا زفرةٌ تتضرَّمُ ... وعبرةُ مشتاقٍ تسحُّ وتسجمُ
تبسَّم حتى كاد يبكي وربما ... تراءى فأبكى البارقُ المتبسمُ
ولما ألم الطيفُ شكَّك أينا ... لدقةِ شخصينا الخيالُ المسلِّمُ
مزجتُ كؤوسَ الريق منه بأدمعي ... فبتُّ أسقَّى قهوةً مزجها دمُ
فليت فؤادي ذاب في جفن مزنةٍ ... بها رَوِيَتْ من دار ظمياءَ أرسمُ
وخرقٍ رحيبِ الباع لو نيط طُولُهُ ... بِعُرْوَةِ عمرٍ لم تكد تتصرمُ
رميتُ فما أشويتُ ثغرةَ نحرِهِ ... وما كلّ ما تُرْمَى به العيس أسهمُ
بلغنا بها مغناه وهي أهلةٌ ... فلاحتْ لنا أخلاقه وهي أنجمُ

وله يمدح :

يُصيخُ إليَّ الليلُ حتى كأنما ... سُرَى إبلي في مسمعيه سِرارُ
وكم خاملٍ أمطاه حاركَ رتبةٍ ... حراكٌ ويعلو التربُ حين يثارُ
ويا ليتَ ان تقرر عيون ركائبي ... ولا غرو غاياتُ السيولِ قرارُ
مددتُ إلى طعنِ الكماة عزائماً ... طوالُ العوالي بينهن قصارُ
فما كَرُمَتْ كَرْمَانُ حتى افتككتها ... ولا أصحرت حتى ارتجتك صحارُ
إذا صدَّ وجه البحر عنها تيقنت ... بأنك بَدرٌ في يديه بحارُ

وله :

جَذِلٌ بما يعطيهمُ فكأنما ... أخْذُ المؤملِ من نداهُ عطاءُ
عفوٌ تسيلُ به الشعاب كأنما ... فيه الذنوبُ وقد طفون غثاءُ

وله :

ولما استرد الصبحُ عاريةَ الدجى … تولَّى بطيئاً والدموعُ عجالُ
ولم أر لابن الشوقِ كالليل سُلّماً … إلى حاجةٍ في الصبح ليس تنالُ
كريمٌ تبقَّتْ من سجاياه فضلةٌ … فأضحتْ على خديه وهي جَمَالُ

وله :

ودارِ وغىً ثنتها مُقْرَباتٌ … براقعها شحوبٌ أو سهومُ
نزلتَ بعسكرٍ للطير فيه … عساكرُ حول حَوْمَتها تحوم
بحيث سرائرُ الأغماد تبلو … وقلبُ النقعِ للساري كتوم
تصالحتِ الحتوف على الأعادي … وبيضك للطلى منها خصوم
إذا أوردتها صدرتْ رِواءً … وخلَّتْ هامَ قومٍ وهي هيم

وله :

إن كتم الليلُ حدَّثَ العَبَقُ … عنها وبعضُ الحديث يُنْتَشَقُ
ردِّي على العينِ فهي طامعةٌ … كأسَ رقادٍ أراقها الأرقُ

وله :

عليَّ إذا غنّيتُ أن تطربَ العلا … فليت فؤادي للسرورِ منادمُ
ويجهل قولي فيكَ قومٌ ولم يكن … ليفهم أَيْكٌ ما تقولُ الحمائمُ

وله :

غداةَ صدقتُ فكذَّبتني … ولولا الشقاوةُ لم أصدقِ
وقد كنَّ ماطلننا حقبةً … فليت المطالَ علينا بقي

وله :

دِمَنٌ مَرِضْنَ من البلى فكأنما … تأتي الرياحُ طلولَهَا عوَّادَا
من كلِّ مُدْنَفَةِ الرسومِ كأنها … من قبلُ كانت للمحبِّ فؤادا
إن لم يطرْ شَرَرُ السُّرَى مني فلا … قَدَحَتْ يدي للمكرماتِ زنادا

في كلِّ ليلٍ ثاكلٍ لصباحه　　وكأنما كُسِيَ الظلامُ حدادا
داجٍ إذا زُرَّتْ عليَّ جيوبُهُ　　كنتُ الحسامَ وكانت الاغمادا
أحْسِنْ بأخلاقِ الظلامِ وان خلا　　وجهاً تَعَوَّضَ بالشحوبِ سوادا
جَمَلٌ ولكنْ ما يلذُّ ركوبَهُ　　إلا امرؤٌ يجدُ المنى أقتادا
يلقاه نشوانَ الجفونِ وإنما　　باتت مُدامةُ مقلتيه سوادا

وله :

منازلُ ذات الوقْفِ إني لواقفُ　　عليكِ وماءَ القلب لا الدمعَ ذارفُ
بليتُ ولم يبلَ الجديدُ من الهوى　　وَحُلْتُ وما حال الغرامُ المحالفُ
أنزفاً جفوني والحيا عنكِ ممسكٌ　　ويرفق وجدي والبلى بكِ عانفُ
وقالوا انتشى من غيرِ كأسٍ ولو سُقُوا　　هوىً لَدَرَوْا أن السُّلافَ السوالفُ
ضعائفُ كراتِ اللحاظ وإنما　　تُبَرِّحُ بالجَلْدِ القويِّ الضعائفُ

وله :

ليت النوى تركتنا في يدِ العَذَلِ　　فالسقمُ بؤسٌ ولكن ليس كالأجلِ
صار الصدودُ لها أمنية معها　　ومن لذائقِ طعم الموت بالعللِ
والقلبُ أولُ من شطَّ الفراقُ به　　فأين مرحُ هذا الخوفِ والوجلِ

وله في عضد الدولة :

لو أنَّ بعضَ سماحها في مزنةٍ　　يوماً لأورقَ من نداها الجلمدُ
يا راقدَ الأسيافِ إلّا عن وغىً　　جَفْنُ الورى في حَوْمَتَيْهِ مُسَهَّدُ
ما بالُ خيلكَ ما تُقَاتُ سوى السرى　　وظباك في غير الطُّلَى ما تغمدُ
عاداتُ بيضِ الهندِ عندك أن تُرَى　　حمراً كما مسَّ اللجينَ العسجدُ

وله :

ولم أرَ مثلَ الدهرِ مُسْدِيَ نعمةٍ　　يجودُ بها عفواً ويأخذُها غصبا
إذا كنت عُذْرَ الدهرِ في سوء ما جَنَتْ　　يداه فذنبٌ ان تُعَدَّ له ذنبا

وله :

مضيء فرند القولِ ماضي شباتِهِ فلو لم يكنْ وشياً لقيل مهنَّدُ
يفارقُ فاه وهو في الحسنِ جوهرٌ ويلقى عداه وهو في الوقعِ جلمدُ

وله :

خِرْقٌ تصولُ يدُ الزمان فيُتَّقى ويجودُ أقوامٌ سواه فيُشْكَرُ
معطٍ على شُكْرِ الصنيع وكفرِهِ ما كلُّ ما سقتِ الغمائم يثمرُ
دامت لك النعمى ودمتَ لآملٍ آرائُهُ عن روضِ غيرك تذعرُ
وبقيتَ ما بقيَ القريضُ فإنه عِلْقٌ على كرِّ الخطوب معمَّرُ

وله :

قَرْمٌ بخدِّ الحيا من جوده خَجَلٌ كما بقلب الردى من بأسه وَجَلُ
في رأيه من غراريْ سيفِهِ عوضٌ وفي عطاياه من صَوْب الحيا بَدَلُ

وله :

ظَلَّتْ تَعَضُّ لتوديعي أناملَها فخلتُها نظمتْ درّاً على عَنَمِ
يا ربَّ لائمةٍ في الحبّ لو علمتْ أني ألذُّ ملامي فيكِ لم تلمِ

وله :

إني إذا ما الخلُّ خادَعَهُ عني الزمانُ فحال عن عهدي
جانَبْتُهُ ولو آنه عُمُري وقطعتُهُ ولو آنه زندي

وله :

أتيتكَ طَوْعَ الشوقِ أمسِ فردَّني على عَقِبي عُذْرٌ له المجدُ لائمُ
وقالوا ثنتْ أجفانَهُ عنك غفوةٌ ولا غَرْوَ قد تَغْفَى الأسودُ الضراغمُ
ولكن نسيمُ الراحِ نمَّ وربما أتتك بما لا ريبَ فيه النمائمُ
ولو لم يكنْ ظرفُ العلا عُدت منشداً وانت إذا استيقظتَ أيضاً لنائمُ

وله :

يـدُ مـوسى تـذمُّ صحبـةَ فيـه   هـو يمحـو سـطورَ مـا تـوليـه
يبعثُ النـائـلَ الحليمَ فيقفـو   ه بمنٍّ على العـفـاةِ سفيـه
ليت أن المشيب مهديه موسى   وهـو مسترجـعٌ لمـا يهـديه
كـأخيه الـزمانِ يـأخذُ مـا يعـ   ـطي ومـا ضلَّ مقتـدٍ بـأخيـه

وله :

ومـا قلتُ إلا ما علمتُ ولم أكنْ   كحـامدِ ورد لم يـذقْ طَعْمَ غِبِّـهِ
وذنبُ زمـاني أهـلُهُ غيـرَ أنـني   أراكَ لـه عـذراً محـا شَـطْرَ ذنبِـهِ

ـ 857 ـ

علي بن يوسف يعرف بابن البقال يكنى أبا الحسن : قال أبو عبد الله الخالع : هو من أهل بغداد وممن نادم المهلبي ونفق عليه، وكانت له محاضرة حسنة وبضاعة في الأدب صالحة ، وطبقة في الشعر جيدة ، يذهب مذهب النامي في التطبيق والتجنيس وطلب الصنعة ، وكان بكثرة نوادره ومزاحه مستطاباً متقبّلاً ، وكان حسنَ اليسارِ جميلَ الزيّ يلبسُ الدرّاعة ، وخلّفَ لما مات ما يزيد على مائة ألف درهم ، وكانت وفاته في أيام شرف الدولة بن عضد الدولة ، ومنزله في سكة العجم من الزبيدية بالجانب الغربي من مدينة السلام ، وخلّف ابنةً وزوجة ، فأحبت امرأته أحد بني المنجم وزوّجت ابنتها به فأنفقت المال عليه ، وماتت الزوجة ولازمته أمها تخدمه كما تخدم المنقطعات .

قال : وكان ابن البقال بخيلاً جشعاً ، وكان يلقاني في أيام عضد الدولة فيقول : يا سيدي ما عندك من حديث الشعراء ؟ فأقول : قد أمر لهم بمال ولك بجائزة سنية منها كذا وكذا ومنها كذا وكذا ، وأكثر عليه فيقول :

منىً إن تكنْ حقاً تكنْ أحسنَ المنى   وإلا فقـد عشنـا بهـا زمنـاً رغـدا

---

857 ـ ترجمة ابن البقال في الوافي 22 : 336 وذكره أبو حيان في أخلاق الوزيرين : 194 ، 410 .

ولقيني مرةً والسلاميٌّ معي فسألني عن مثل ذلك فأجبته بمثل الجواب المقدم ذكره ، فقال له السلامي ، يكذب ، والله ما أمر إلّا بقطع أيديهم وأرجلهم فقال : « حوالينا الصدود ولا علينا » .

وأنشد الخالع لابن البقال يعاتب بعضَ أصدقائه :

وإنـيَ في اسـتعـطافِ رأيِ محمـدٍ ... عليَّ ومـدِّي نحـو معـروفـه يـدي
لكـالمبتغي من بعـد تسعين حجـةً ... تَقَمُّصَهـا رَجْـعَ الشبـابِ المجـددِ
سـأشكو اعتـداءً منكَ لـولاهُ مـا دَرَتْ ... صروفُ الليالي في الهوى كيف تعتدي
فلله قلبي حيـن أدعـو إلى الـهـوى ... وأعـلمُ حقـاً أنـه غيـرُ مـهـتـدي

وله[1] :

ولـمـا وقفـنـا للوداعِ ودونـنـا ... عيـونٌ تَرامَى بـالظنـونِ ضميرُهَـا
أماطتْ عن الشمسِ المنيرةِ برقعاً ... فغيَّبنا عن أعينِ النـاسِ نـورهـا

وله :

يـا مـذنبـاً ويقـولُ إني مـذنبٌ ... مـا إنْ سمعتُ بـظالمٍ يتـظلَّمُ
لـك صورةٌ ذلَّ الجمـالُ لحسنها ... تقضي بجورٍ في النفوس وتحكمُ
ومن العجـائبِ أنّ طرفـك مُشْعَرٌ ... سقمـاً وأنت بسـقمـه لا تـعلمُ

وله :

يا طرفهـا هَبْ لطرفي لـذةَ الوسنِ ... واستبقِ ما لا يُقِلّ الثوبُ من بدني
حاشاك فيَّ من الشكوى وان ذهبتْ ... عيني من الدمع أو قلبي من الحزنِ
ولا أقـولُ ولـو أتـلفتـني أسـفـاً ... يا ليتَ ما كـان من حبيك لم يكنِ

وله :

لئن كـان طـرفي فـاز منـكَ بنـظرةٍ ... لقـد عـاد طـرفي بـالبـلاءِ على قلبي
جعلتَ الهـوى ذنبي فان كنتُ مـذنبـاً ... بـه فـاليـك العـذرُ من ذلـك الـذنبِ

(1) هذه القطعة والتي تتلوها في الوافي : 337 .

ولمـا رأيتُ البعـدَ منـكَ مقـربـي تباعدتُ كي أحظى على البعد بالقربِ
محمـدُ لا تجمـعْ إلى الهجـرِ غَـدْرَةً فحسبي الذي بي من فراقك يا حسبي

وله يمدح المهلبي :

أنـوارُ أنـتِ كمـا دعيـتِ نَـوار لم تقضِ منكِ قضاءَها الأوطارُ
يـا لحظةً لحظُ الحمامِ مُعيدُهَا مـا كان منـكِ لنـاظـرٍ إنـظار
وإذا تساقطك الحديثَ تخالُهُ كـأساً عليـكَ من العقـار تـدار
إني ذكـرتـكِ والغـرامُ مـواصـلٌ نَفَسـاً عليك يَهيجـهُ التـذكـار
متـوقـدٌ منـه الضميـر كـأنمـا نيـرانُـهُ من وجنتيـكِ تـعـار
هـو في الجفـونِ إذا مَـرَتْـهُ زفـرةٌ مـاء يمـورُ وفي الجـوانـح نـار
ولـربّ ليـلٍ من ذراك خـمـاره للنجم فيـه مـن الغمـام خمـار
قـد قلتُ حين طلعتِ فيـه ببـدره أرأيـتِ كيـف تَشَـابَـهُ الأقـمـار
يـا صـاحبيَّ قفـا بنجـدٍ عبـرة حيثُ الـدمـوعُ إذا ابتـدرن بـدار
في منـزلٍ لبست بمـا لبس البلى مـنّي المشيـب غـدائـر وعـذار
ولئن محتك يدُ الخطوب لما امّحى لهـوى ديـارِك في الـفـؤادِ ديـار
ولـربما اهتزت ربـوعـك بـالنـدى وتـنفـستْ بـنسيمـك الأسحـار

ومنها في المدح :

وإذا بـدا يـومَ الكـريهـةِ ضـاحكـاً فهنـاك تَشْكُبُ دَمْعَـهـا الأعمـارُ
حتى إذا بصـروا بعـقـدِ لـوائـه عَقَـدَتْ مهابَتهـا بهـا الأسـرارُ
في شَرْبِ هيجاءٍ إذا اصطبحوا القنا فـالطعنُ سكـرٌ والحمـام قمـارُ
لهمُ من البيضِ الـرقـاق تحيـةٌ في حَوْسِهـا ومن الـدمـاءِ عقـارُ
نهضت بعبءِ الملكِ منك عزائمٌ لـلدهـر بيـن عثـارهـن عثـارُ
لـك هضبـةٌ في الملك قحطانيـةٌ طُـرُقُ الحـوادثِ نحـوها أوعـارُ
كجبالِ أنـديـةِ الـوقـارِ إذا احتَبَوْا وليـوثِ ملحمـةِ الـوَغَى إن ثـاروا

عجباً لأبناءِ المهلب إنهم لم يعدلوا في المجدِ حتى جاروا
لم يطوهم دهرٌ مضى إلا لهم بالجودِ في آثارِهِ آثارُ
فعطاؤك الرزقُ المقسَّم في الورى والدهرُ أنت وسيفُكَ المقدارُ

وله أيضاً في المهلبي :

لعينكَ إذ سار الخليطُ المغوِّرُ على كلِّ وادٍ دمعةٌ تتحدَّرُ
نعم إن رسماً بات تطوي به النوى محاسنَ كانت بالأوانس تنشر
أرى وانياً من عبرةٍ كيف لا يني وعلَّم طرفاً راقداً كيف يسهر
وقفنا ومن ألحاظنا وقلوبنا لنا رائدا شوقٍ مُسرٌّ ومظهر
يحلي ربى آرامه ونحورُنَا جفونٌ بسمطيها من الدمع جوهر
فمن بين معقودٍ يَبين فرندُهُ علينا ومحلولٍ عليهنَّ ينثر
وسربٍ رَمَيْنَ النجم في أخرياته بسافرةٍ من وجهها الشمسُ تسفر
بَدَتْ ويمينُ الصبح يبدو لثامُهُ فلم يدرِ ليلُ أي صبحيه أنور
ومادتْ فقلنا الغصنُ جادت به النقا بما آدَ من مجرى الوشاحِ المؤزَّر
أعاطلَ أجيادِ الأماني مَنِ التي بها الوفرُ إمّا استهلك العرض أوفر
لئن عُدَّ فخراً لبسك المجدَ من أبٍ فلبسُ الفتى من نفسه المجدَ أفخر
وما ينفعُ الملتاحَ يورَدُ مورداً إذا كان ظمآناً عن الورد يصدر
آلا بادِرَا عَوْنَ التواني بدلجةٍ يذلُّ لها خدٌّ من العيسِ أصعر
أما تريان الليلَ يحدو ظلامَهُ بوجه القبيصيِّ الصباحُ المنور
فتىً يمتري سَجْلَيْ نداه وبأسِهِ لهاذمُ تُدْمِي أو غمائمُ تمطر
وكالدهرِ لا يدري الذي هو رائمٌ بخطبٍ إذا ما أَمَّهُ كيف يحذر
ويومٍ رماه النقعُ منه بليلةٍ كواكبها فيه الأسنَّة تَزْهَر
طُبِعْنَ من الأحقادِ في كلِّ مأزق فلا حائنٌ إلاّ لها منه مضمر
دلفتَ كأن الموتَ كان مؤامراً سيوفَكَ منه والنفوسُ تَقَطَّر

بمجرٍ له في كلِّ فجٍّ طليعةٌ وفي كلِّ أرضٍ منه ذَيْلٌ يُجَرَّر
سحبتَ رداءَ الموتِ فيه بوقعةٍ رداءُ الفتى فيه من الطعنِ أقمر
وأضحكتَ منه الجوَّ والنقعُ كاتمٌ به الشمسَ عن شمسٍ بها البيضُ تشهر
بحيث شفوفُ الأتحميِّ مفاضةٌ إذا زُعْزِعَ الخطيُّ والتاجُ مغفر
تفرق في تفريقها الهامُ والتقى على قَدَرٍ فيها الحِمامُ المقدر
عزائم يرمين الخطوبَ كأنما يقارع منها عسكرَ الدهرِ عسكر

وله في المهلبي أيضاً :

عندي لذا الدهرِ إعقابي إساءَتَهُ بالصفح إن أعقبَ الإصرارَ بالندمِ
أمستْ منازلَ من حَيَّتْ مصافحةً أيدي النحولِ عليها أيديَ القِدَمِ
ولو ملكتُ لها السقيا وهامِدُهَا تكفكفُ المحلَ عنه أدمعُ الرحمِ
لقلتُ للسحِّ من أيدي الوزير إذاً حللتَ ناحلةَ الأطلالِ لا ترمِ
اليعربيَّ الذي خلَّى الطريقَ له من يأخذ [الناس] رعباً منه باللقمِ
يزاحمُ الليلَ ليلٌ من جحافله ويقذف الوهداتِ الجردَ بالأكمِ
أطار منهم قذاةً في عيونهمُ لو أنها في جفونِ الدهر لم ينمِ
أبقى له الخوفُ من أشغال يقظتهم ما بات يرسله ليلاً إلى الحلمِ
عافت سيوفُكَ في الهيجا لحومَهمُ فهن يأكلنَ منها إكلةَ البَشِمِ

وله أيضاً فيه :

روعة بالفراق قبلَ الفراقِ شَرِقَتْ بالدموعِ منها المآقي
جَدَّ جِدُّ البكا فأهدين باقي الـــدمع منها إلى كرىً غيرِ باقِ
فاض تندى به الخدودُ ولو غا ض لأمست منه الحشا في احتراق
وعذارى تريكَ من سربها العيـــنُ رُنُوَّ الأحداقِ للأحداق
مخطفاتٌ لو شئن من هَيَفِ الخـــصر تبدَّلْنَ خاتماً من نطاق

حـالياتٌ تبـدي المعاصمَ والسـو ... قَ وتخفي الأجيـادَ في الأطـواقِ
لا تغـرَّنْـكَ غفلةُ الـدهـر فـالعـز ... مـةُ إمضـاؤهـا مـع الإطـراقِ
قـد أرانـا ابتسـامـه الـدهـرُ لمـا ... أطلع الجـودُ شمسَـهُ بـالعـراقِ
بـالمصفَّى اللبـابِ والأروع البـ ... ـسّـام بشـراً والفـاتقِ الـرتـاقِ
ومعيـرٍ معـانـدي الملك حَـدّاً ... قـاضيـاً في شقـاقهم والنفـاقِ
حين حَـرَّ الهـوى بحـران والبيـ ... ـضُ لها من غمائمِ الهـامِ ساقِ
بعـد مـا زعـزع الجـزيـرةَ بـالخـ ... ـطيِّ يَكْـرَعْنَ في الدمـاءِ الرقـاقِ
وأطـارت بجـوٍّ سنجـارَ للمـو ... تِ ظـبـاه نـاراً بـلا إحـراقِ
في غمـامٍ من العجـاج ووبـلٍ ... يَسِمُ الأرضَ من حميم العتـاقِ
حين والى بهـا شـوازبَ يفضيـ ... ـن إلى كـلِّ دارةٍ مـن طـراقِ
كـالحـاتٍ كـأنمـا نفث الصـا ... بَ العـوالي منهنَّ في الأشـداقِ

وكان ابن البقال يترفع عن الاختلاط بالشعراء ويتكبر عليهم ، وكـان الرؤسـاء يكرمونـه ويقومـون له إذا دخـل إليهم ، وكان ابن العميـد يقدّمـه على الناس كلهم ويعظمه ، وأحضره المهلبي فأنشده بحضرة المتنبي قصيدة فيه ؛ قال فحدثني الإمام الهاشمي قال قال لي المتنبي : ما رأيت ببغداد من يجوز أن يقطع عليه اسم شاعر إلا ابن البقال .

قال ابن عبد الرحيم : وحدثني الأستاذ أبو الحسين ابن محفوظ ، وقد جرى ذكر ابن البقال ، فقال : كان أقل ما فيه الشعر ، فغلب عليه وعرف به ، وانه كان يضطلع بعلوم كثيرة من جملتها الكلام ، وكان قوياً فيه مقدَّماً في المعرفة به ، وكان يقول بتكافؤ الأدلة ، وهو بئس المذهب .

ـ 858 ـ

عمارة بن حمزة الكاتب ، من ولد أبي لبابة ، مولى عبد الله بن العباس رضي اللّه عنهما، مولى السفاح ثم مولى أبي جعفر المنصور: وكان تياهاً معجباً جواداً كريماً معدوداً في سراة الناس ، وكان فصيحاً بليغاً ، وكان أعور دميماً ، وكان المنصور والمهدي بعده يقدّمانه ويحتملان[1] أخلاقه لفضله وبلاغته وكفايته ووجوب حقه ، وولي لهما أعمالاً كباراً ، ومات [. . .][2] .

وله تصانيف منها : كتاب رسالة الخميس التي تقرأ لبني العباس . وكتاب رسائله المجموعة . وكتاب الرسالة الماهانية معدودة في كتب الفصاحة الجيدة .

وكان يقال بلغاء الناس عشرة : عبد الله بن المقفع وعمارة بن حمزة وخالد بن يزيد وحجر بن محمد بن محمد بن حجر وأنس بن أبي شيخ وسالم بن عبد الله ومسعدة والهزبر بن صريح وعبد الجبار بن عدي[3] وأحمد بن يوسف بن صبيح .

قال أبو عبد الله محمد بن عبدوس[4] : قلد أبو العباس السفاح عمارة بن حمزة بن ميمون من ولد أبي لبابة مولى عبد الله بن العباس ضياع مروان وآل مروان خلا ضياع لولد عمر بن عبد العزيز فانها لم تقبض وضياع من والاهم وساعدهم .

وقال الخطيب[5] : عمارة من ولد عكرمة مولى ابن عباس ، جمع له بين ولاية

858 ـ ترجمة عمارة بن حمزة في الفهرست : 131 وتاريخ بغداد 12 : 280 وسير الذهبي 8 : 244 والنجوم الزاهرة 2 : 164 وتاريخ الموصل : 209 وصفحات متفرقة من الجهشياري والبصائر والذخائر وتاريخ الطبري (انظر فهرسه) والوافي 22 : 399 .

(1) ك : ويحملان .
(2) في حدود 180 (الوافي) وسنة 199 (النجوم) .
(3) ك : عليّ .
(4) الجهشياري : 90 .
(5) تاريخ بغداد 12 : 280 .

البصرة وفارس والأهواز واليمامة والبحرين والعرض ، وهذه الأعمال جمعت للمعلى بن طريف صاحب نهر المعلى ولمحمد بن سليمان بن علي بن عبد الله بن عباس .

وكان(1) عمارة سخياً سرياً جليل القدر رفيع النفس كثير المحاسن ، وله أخبار حسان ، وكان أبو العباس يعرف عمارة بالكبر وعلوِّ القدر وشدَّةِ التنزّه ، فجرى بينه وبين أمِّ سَلَمَةَ بنتِ يعقوبِ بن سلمة المخزومية زوجته كلامٌ فاخرته فيـه بأهلها، فقال لها أبو العباس : أنا أحضرك الساعةَ على غير أهبة مولىً من مواليَّ ليس في أهلك مثله ، ثم أمر باحضار عمارةَ على الحال التي يكونُ عليها ، فأتاه الرسول في الحضور فاجتهد في تغيير زيه فلم يَدَعْهُ ، فجاء به إلى أبي العباس وأم سلمة خلف الستر ، وإذا عمارة في ثياب ممسكة قد لطَّخ لحيته بالغالية حتى قامت واستتر شعره فقال : يا أمير المؤمنين ما كنت أحبُّ أن تراني على مثل هذه الحال ، فرمى إليه بِمُدْهُنٍ كان بين يديه فيه غالية فقال : يا أمير المؤمنين أترى لها في لحيتي موضعاً ؟ فأخرجت إليه أمُّ سلمةَ عقداً كـان له قيمةٌ جليلة وقالت للخادم : أعلمه أنني أهديته إليه ، فأخذه بيده وشكر أبا العباس ووضعه بين يديه ونهض ، فقالت أم سلمة لأبي العباس ، إنما أنسيه ، فقال أبو العباس للخادم : الحقه به وقل له هذا لك فلِمَ خلَّفته ؟ فاتبعه الخادم ، فلما وصل إليه قال له : ما هو لي فاردده ، فلما أدَّى الرسالة قال له : إن كنتَ صادقاً فهو لك ، وانصرف الخادم بالعقد وعرَّف أبا العباس ما جرى وامتنع من ردِّه على أم سلمة وقال : قد وهبه لي ، فاشترته منه بعشرين ألف دينار .

وكان عمارة يقول(2) : يخبز في داري ألفـا رغيفٍ في كلِّ يومٍ يؤكَلُ منها ألف وتسعمائة وتسعة وتسعون رغيفاً حلالاً وآكل منها رغيفاً واحداً حراماً وأستغفـر الله . وكان يقول : ما أعجبَ قولَ الناسِ فلانٌ ربُّ الدار إنما هو كلبُ الدار .

وكانت نخوة(3) عمارة وتيهه يتواصفان ويستسرفان ، فأراد أبو جعفر أن يعبث به ،

(1) الجهشياري : 90 ـ 91 والبصائر 6 : 100 (رقم : 330) والمشهد مع الرشيد وزبيدة .
(2) المصدر السابق : 91 .
(3) الجهشياري : 133 والبصائر 2 : 123 .

وخرج يوماً من عنده فأمر بعضَ خَدَمه أن يقطعَ حمائلَ سيفه لينظر أيأخذُهُ أم لا ، ففعل ذلك وسقط السيفُ ومضى عمارة ولم يلتفت .

وحدث ميمون بن هارون[1] عمن يثق به أن عمارة بن حمزة كان من تيهه إذا أخطأ يمضي على خطائه ويتكبرُ عن الرجوع ويقول : نقضٌ وإبرام في ساعة واحدة ؟ الخطأ أهونُ من ذلك .

وكان عمارة بن حمزة يوماً يماشي المهدي في أيام المنصور ويده في يده ، فقال له رجل : من هذا أيها الأمير ؟ فقال أخي وابن عمي عمارة بن حمزة ، فلما ولّى الرجل ذكر المهدي ذلك لعمارة كالمازح ، فقال عمارة : إنما انتظرت أن تقول مولاي عمارة فأنفض والله يدي من يدك ، فضحك المهدي .

وحكي عن عمارة بن حمزة أنه قال : انصرفت يوماً من دار أبي جعفر المنصور بعد أن بايع للمهدي بالعهد إلى منزلي ، فلما صرت فيه صار إليَّ المهدي فقال : قد بلغني أن أمير المؤمنين قد عزم على أن يبايع لأخي جعفر بالعهد بعدي ، وأعطي الله عهداً لئن فعل لأقتلنه ، قال : فمضيتُ من فوري إلى أمير المؤمنين فلما دخلت عليه قال: هيه يا عمارة ما جاء بك؟ قلت: أمر حدث أنا ذاكره لك، قال فانا أخبرك به قبل أن تخبرني ، جاءك المهدي فقال لك كيت وكيت ، قلت : والله يا أمير المؤمنين لكأنك كنت ثالثنا ، قال قل له : نحن أشفق عليه من أن نعرضه لك يا أبا عبد الله .

وقال محمد بن يزداد[2] : قلّد المنصورُ عمارةَ بن حمزة الخراجَ بِكُوَرِ دجلةَ والأهوازِ وكور فارس وتوفي المنصور سنة ثمان وخمسين ومائة وعمارة يتقلد جميع هذه الكور .

وبلغ موسى[3] الهادي حالُ بنتٍ لعمارةَ جميلةٍ فراسلها فقالت لأبيها ذلك ، فقال : ابعثي إليه في المصير إليك وأعلميه أنك تقدرين على إيصاله إليك في موضع

(1) المصدر السابق : 134 .

(2) المصدر نفسه .

(3) الجهشياري : 147 ـ 148 وقارن بأمالي المرتضى : 1 .

يخفي أثره ، فأرسلت إليه بذلك ، وحمل موسى نفسه على المصير إليها ، فأدخلته حجرةً قد فُرِشَتْ وأُعِدَّتْ له ، فلما حصل فيها دخل عليه عمارة فقال له : السلام عليك أيها الأمير ، ماذا تصنع ها هنا ، أتخذناك وليَّ عهد فينا أو فحلاً لنسائنا ؟ ثم أمر به فبطح في موضعه وضربه عشرين دِرَّةً خفيفةً وردَّه إلى منزله ، فحقد الهادي ذلك عليه ، فلما ولي الخلافة دسَّ عليه رجلاً يدَّعي عليه أنه غصبه ضيعته المعروفةَ بالبيضاء بالكوفة وكان قيمتها ألف ألف درهم ؛ فبينا الهادي ذات يوم قد جلس للمظالم وعمارةُ بن حمزة بحضرته إذ وثب الرجلُ فتظلَّم منه[1] فقال له الهادي : قم فاجلس مع خصمك ، وأراد إهانته ، فقال : إن كانت الضيعةُ لي فهي له ، وان كانت له فهي له ، ولا أساوي هذا النذلَ في المجلس ، ثم قام وانصرف مغضباً .

وقلَّد المهدي عمارةَ بن حمزة الخراجَ بالبصرة ، فكتب إليه يسأله أن يضمَّ إليه الأحداثَ مع الخراج ، ففعل ذلك وقلده الأحداث مضافةً إلى الخراج .

وكان عمارة أعور دميماً فقال فيه بعض أهل البصرة :

أراكَ وما ترى إلا بعينٍ ... وعينُكَ لا ترى إلا قليلا
وأنت إذا نظرتَ بملءِ عينٍ ... فخذ من عينك الأخرى كفيلا
كأني قد رأيتُكَ بعد شهرٍ ... ببطنِ الكفِّ تلتمسُ السبيلا

ومدحه سلمة بن عياش فقال :

بلوتُ وجربتُ الرجالَ بخبرةٍ ... وعلمٍ ولا ينبيكَ عنهم كخابرِ
فلم أر أحرى من عمارة فيهم ... بودٍّ ولا أوفى بجار مجاورِ
وأكرمَ عند النائباتِ بداهةً ... إذا نزلتْ بالناسِ إحدى الدوائرِ
تمسَّكْ بحبلٍ من عمارةَ واعتصمْ ... بركنٍ وفيٍّ عهدُه غير غادرِ
كأنَّ الذي ينتابُهُ عن جنايةٍ ... يمتُّ بقربى عنده وأواصرِ

(1) الجهشياري : 149 وبعضها في البصائر 9 : 119 (رقم : 384) وجعل حادثة المتظلم أيام المنصور ؛ وفي حاشية البصائر تخريج كثير لهذه الحكاية فلينظر .

فنعم مُعاذُ المستجيرِ ومنزلُ الـــــكريم ومثوى كلِّ عانٍ وزائرِ

ولعمارة شعر منه ما أنشده الجهشياري[1] :

لا تشكونْ دهراً صححتَ به إن الغنى في صحةِ الجسمِ
هبك الأمام أكنتَ منتفعاً بغَضَارةِ الدنيا مع السقمِ

وكرهه[2] أهل البصرة لتيهه وعجبه ، فذكر الأرقط أنه رفع أهلُ البصرة على عمارة أنه اختان مالاً كثيراً ، فسأله المهدي عن ذلك فقال : والله يا أمير المؤمنين لو كانت هذه الأموال التي يذكرونها في جانب بيتي ما نظرت إليها ، فقال : أشهد إنك لصادقٌ ، ولم يراجعه فيها .

ودخل صالح بن [عبد] الجليل[3] الناسكُ على المهديّ فوعظه وأبكاه طويلاً ، وذكر له سيرة العمرين ، فأجابه المهدي بفساد الزمان وتغيّر أهله وما حدث لهم من العادات ، وذكر له جماعة من أصحابه وما لهم من الأموال والنعمة ، وذكر فيهم عمارة ابن حمزة وقال : بلغني أن له ألف دواج بوبرٍ سوى ما لا وبر فيه وسوى غيرها من الأصناف التي يتدثر بها .

وكان الفضل بن يحيى بن خالد بن برمك شديد الكبر عظيم التيه والعجب فعوتب في ذلك فقال[4] هيهات هذا شيءٌ حملتُ عليه نفسي لما رأيته من عمارة بن حمزة ، فإن أبي كان يضمنُ فارسَ من المهديّ فحلَّ عليه ألفُ ألفِ درهم ، فأخرج ذلك كاتبُ الديوان فأمر المهدي أبا عون عبدَ الله بن يزيد بمطالبته وقال له : إن أدّى إليكَ المالَ قبل أن تغربَ الشمسُ من يومنا هذا وإلا فائتني برأسه ، وكان متغضباً عليه ، وكانت حيلته لا تبلغ عُشْرَ المال ، فقال لي : يا بنيّ إن كانت لنا حيلةٌ فليس إلا من قبل عمارة بن حمزة وإلا فأنا هالك ، فامض إليه ، فمضيتُ إليه فلم يُعِرْني الطرف ، ثم

(1) سقط من ك ؛ وانظر الجهشياري : 134 .
(2) الجهشياري : 149 .
(3) الجهشياري : 149 ، وانظر عيون الأخبار 2 : 333 والبصائر 16 : 150 (وفيه موعظة صالح كاملة) وبعضها في البيان والتبيين 2 : 339 والعقد 3 : 158 .
(4) الجهشياري : 197 .

تقدم من ساعته بحمل المال فحمل إلينا، فلما مضى له شهران جمعنا المال فقال أبي: امضِ إلى الشريف الحرِّ الكريم فأدِّ إليه ماله ، فلما عرَّفْتُهُ خبره غضب وقال : ويحك أكنتُ قِسْطَاراً لأبيك ؟ فقلت : لا ولكنك أحييتَهُ ومننتَ عليه ، وهذا المالُ قد استغنى عنه ، فقال : هو لك ، فعدتُ إلى أبي فقال : لا والله ما تطيبُ نفسي لك به ، ولكن لك منه مائتا ألف درهم ، فتشبهت به حتى صار خلقاً لي لا أستطيعُ مفارقته .

وَحدث[1] أبو الحسن علي بن عمر الدارقطني في كتاب له صنفه في السخاء ، حدثنا القاضي الحسين بن إسماعيل ، حدثنا عبد الله بن [أبي] سعد الوراق ، حدثني هارون بن محمد بن إسماعيل القرشي قال ، أخبرني عبد الله بن أبي أيوب المكي قال : بعث أبو أيوب المكي بعضَ ولده إلى عمارة بن حمزة فأدخله الحاجبُ ، قال : ثم أدناني إلى سترٍ مُسْبَلٍ فقال : ادخل ، فدخلتُ فإذا هو مضطجعٌ محوِّلٌ وجهَهُ إلى الحائط ، فقال لي الحاجب : سلِّم ، فسلمتُ ولم يردَّ عليّ السلام ، فقال الحاجب : اذكر حاجتك ، فقلت له : جعلني الله فداك أخوك أبو أيوب يُقْرِئُكَ السلام ويذكر ديناً بهظَهُ وستر وجهه ويقول : لولاهُ لكنت مكانَ رسولي يسأل أمير المؤمنين قضاءه عني ، فقال وكم دينُ أبيك ؟ فقلت : ثلاثمائة ألف درهم فقال : وفي مثل هذا أكلّم أمير المؤمنين ؟! يا غلام احملها معه ، وما التفت إليَّ ولا كلَّمني غير هذا .

قال الدارقطني حدثنا حسين بن إسماعيل ، حدثنا عبد الله بن أبي سعد[2] ، حدثنا إبراهيم بن محمد بن إسماعيل بن جعفر بن سليمان[3] الهاشمي ، حدثنا محمد بن سلام الجمحي ، حدثني الفضل بن الربيع قال[4] : كان أبي يأمرني بملازمة عمارة بن حمزة ، قال : فاعتلَّ عمارة ، وكان المهديّ سيءَ الرأي فيه ، فقال له أبي يوماً : يا أميرَ المؤمنين مولاك عمارةُ عليلٌ وقد أفضى إلى بيع فَرْشه وكسوته . فقال : غفلنا عنه ، وما كنت أظنُّ أنه بلغ إلى هذه الحالة ، احمل إليه خمسمائة ألف درهم يا ربيع وأعلمه أنَّ له عندي بعدها ما يحبّ ، قال : فحملها أبي من ساعته وقال لي :

(1) تاريخ بغداد 12 : 280 ـ 281 .
(2) م : سعيد .
(3) م : سلمان .
(4) تاريخ بغداد 12 : 281 .

اذهب بها إلى عمك وقل له : أخوك يقرئك السلام ويقول : أذكرتُ أميرَ المؤمنين أمرك فاعتذر من غفلته عنك وأمر لك بهذه الدراهم وقال لك عندي بعدها ما تحبّ، قال: فأتيته ووجهه إلى الحائط فسلمتُ فقال لي : من أنت ؟ فقلت له : ابنُ أخيك الفضلُ بن الربيع ، فقال : مرحباً بك ، وأبلغته الرسالة فقال : قد كان طال لزومك لنا وقد كنا نحبُّ أن نكافئك على ذلك ولم يمكّنا قبلَ هذا الوقت ، انصرف بها فهي لك ، قال : فهبتُهُ أن أردَّ عليه ، فتركتُ البغالَ على بابه وانصرفتُ إلى أبي فأعلمته الخبر ، فقال لي : يا بنيّ خذها بارك اللّه لك فيها فليس عمارة ممن يراجَع ، فكان أولّ مالٍ ملكته .

قال ابن عبدوس[1] : وكان الماء زائداً في أيام الرشيد ، فركب يحيى بن خالد والقواد ليعرِّفهم المواضعَ المخوفةَ من الماء ليحفظوها ، ففرَّق القواد وأمر باحكام المسنَّيات ، وسار إلى الدور فوقف ينظر إلى قوةِ الماءِ وكثرته فقال قوم : ما رأينا مثل هذا الماء ، فقال يحيى : قد رأيتُ مثله في سنة من السنين ، كان أبو العباس خالد ـ يعني أباه ـ وجهني فيها إلى عمارة بن حمزة في أمرِ رجلٍ كان يُعْنَى به من أهل جرجان[2] ، وكانت له ضياع بالريّ ، فورد عليه كتابُهُ يعلمه أن ضياعَهُ تُحُيِّفَتْ فخربت ، وأن نعمته قد نقصت وحاله قد تغيرت ، وأن صلاحَ أمره في تأخيره بخراجه سنة ، وكان مبلغه مائتي ألف درهم ، ليتقوى به على عمارة ضيعته ويؤديه في السنة المستقبلة ، فلما قرأ أبي كتابه غمَّه وبلغ منه ، وكان بعقب ما ألزمه إياه أبو جعفر من المال الذي خرج عليه ، فخرج به عن ملكه واستعان بجميع إخوانه فيه ، فقال : يا بنيّ مَنْ هاهنا نفزع إليه في أمر هذا الرجل ؟ فقلت : لا أدري ، فقال : بلى عمارة بن حمزة ، فصر إليه وعرِّفه حالَ الرجل ، فصرتُ إليه وقد مَدَّتْ دجلة ، وكان ينزلُ في الجانب الغربي ، فدخلتُ إليه وهو مضطجعٌ على فراشه فأعلمته ذلك، فقال لي: قف غداً بباب الجسر، ولم يزدْ على ذلك، فنهضتُ ثقيلَ الرجلين، وعدت إلى أبي العباس والدي بالخبر ، فقال لي : يا بني تلك سجيته ، فإذا أصبحتَ فاغدُ لوعده ، فغدوتُ إلى باب الجسر وقد جاءت دجلة في تلك الليلة بمدٍّ عظيم قطع الجسور ،

(1) الجهشياري : 91 ـ 93 .

(2) الجهشياري : خراسان .

وانتظم الناسُ من الجانبين جميعاً ينظرون إلى زيادةِ الماء ، فبينا أنا واقفٌ إذا بزورق قد أقبل والموجُ يخفيه مرةً ويظهره أخرى ، والناس يقولون : غرق غرق ، نجا نجا ، حتى دنا من الشطّ[1] ، فإذا عمارة بن حمزة في الزورق بلا شيء معه ، وقد خلّف دوابَّه وغلمانه في الموضع الذي ركب منه ، فلما رأيته نَبُلَ في عيني وملأ صدري ، فنزلتُ وعدوتُ إليه فقلت : جُعِلْتُ فداك ، في مثل هذا اليوم ؟! وأخذتُ بيده فقال : أكنتُ أُعِدُّكَ وأخلف يا ابنَ أخي؟ اطلب لي برذونَ كراء[2]، قال فقلت: برذوني، فقال هاتِ ، فقدمتُ إليه برذوني فركب وركبتُ برذونَ غلامي وتوجه يريد أبا عبيد الله ، وهو إذ ذاك على الخراج ، والمهدي ببغداد خليفة للمنصور ، والمنصور في بعض أسفاره ؛ قال : فلما طلع على حاجب أبي عبيد الله دخل بين يديه إلى نصف الدار ودخلت معه ، فلما رآه أبو عبيد الله قام عن مجلسه وأجلسه فيه وجلس بين يديه ، فأعلمه عمارة حالَ الرجل وسأله إسقاطَ خراجه وهو مائتا ألف درهم وإسلافَهُ من بيت المال مائتي ألف يردُّها في العام المقبل ، فقال له أبو عبيد الله : هذا لا يمكنني ، ولكني أؤخره بخراجه إلى العام المقبل ، فقال له : لستُ أقبل غير ما سألتك ، فقال أبو عبيد الله : فاقنع بدون ذلك حتى توجدني السبيلَ إلى قضاء حاجة الرجل، فأبى عمارة، وتلوَّم أبو عبيد الله قليلاً ، فنهض عمارة فأخذ أبو عبيد الله بكمه وقال : أنا أحتملُ ذلك في مالي ، فعاد إلى مجلسه وكتب أبو عبيد الله إلى عامل الخراج باسقاط خراج الرجل لسنته والاحتساب به على أبي عبيد الله وإسلافه مائتي ألف درهم تُرْتَجَعُ منه في العام المقبل . فأخذتُ الكتاب وخرجنا فقلت له : لو أقمتَ عند أخيك ولم تعبر في هذا المدّ ، قال : لستُ أجد بداً من العبور ، فصرت معه إلى الموضع ووقفت حتى عبر :

هذي المكارم لا قعبانِ من لبنٍ ... شيبـا بمـاءٍ فعـادا بعدُ أبـوالا

ودخل[3] عمارة يوماً على المهدي فأعظمه ، فلما قام قال له رجل من أهل المدينة من القرشيين : يا أمير المؤمنين من هذا الذي أعظمته هذا الاعظام كله ؟!

---

(1) م : الجرف .
(2) ك : برذوناً بكراء .
(3) الجهشياري : 147 .

فقال : هذا عمارة بن حمزة مولاي ، فسمع عمارة كلامَهُ فرجع إليه فقال : يا أمير المؤمنين جعلتني كبعض خبّازيك وفرّاشيك ألا قلتَ عمارة بن حمزة بن ميمون مولى عبد الله بن عباس ليعرفَ الناس مكاني ؟!

ـ 859 ـ

عمر بن إبراهيم بن محمد بن محمد بن أحمد بن علي بن الحسين بن علي بن حمزة بن يحيى بن الحسين ذي الدمعة ابن زيد الإمام الشهيد بن علي زين العابدين بن الحسين السبط بن علي بن أبي طالب عليهم السلام، يكنى أبا البركات ، من أهل الكوفة : إمام من أئمة النحو واللغة والفقه والحديث ، مات فيما ذكره السمعاني في شعبان سنة تسع وثلاثين وخمسمائة في أيام المقتفي ، ودفن في المسبَّلة التي للعلويين ، وقدّر من صلى عليه بثلاثين ألفاً ، وكان مولده في سنة اثنتين وأربعين وأربعمائة. أخذ النحو عن أبي القاسم زيد بن علي الفارسي عن أبي الحسين ابن عبدالوارث عن خاله أبي علي الفارسي ، وأخذ عنه أبو السعادات ابن الشجري وأبو محمد ابن بنت الشيخ .

قال السمعاني : وكان خشنَ العيش صابراً على الفقر قانعاً باليسير ، سمعته يقول : أنا زيديُّ المذهب ، لكنّي أُفتي على مذهب السلطان ، يعني أبا حنيفة . سمع ببغداد أبا بكر الخطيب وأبا الحسين ابن النقور ، وبالكوفة أبا الفرج محمد بن علّان الخازن وغيره ، ورحل إلى الشام وسمع من جماعة ، وأقام بدمشق وحلب مدة ، قال : وحضرتُ عنده وسمعتُ منه ، وكان حسنَ الإصغاء سليمَ الحواس ، ويكتبُ خطاً مليحاً سريعاً على كبر سنّ ، وكنت أُلازمه طولَ مقامي بالكوفة في الكرّات

---

859 ـ أبو البركات عمر بن إبراهيم العلوي له ترجمة في الأنساب 6 : 366 (واللباب 2 : 86) ونزهة الألباء : 295 ومصورة ابن عساكر 12 : 694 والمنتظم 10 : 114 وإنباه الرواة 2 : 324 وعبر الذهبي 4 : 108 وسير الذهبي 20 : 145 والمغني في الضعفاء : 462 وميزان الاعتدال 3 : 181 والبداية والنهاية 12 : 219 والوافي 22 : 412 ولسان الميزان 4 : 280 والنجوم الزاهرة 5 : 276 وبغية الوعاة 2 : 215 وطبقات المفسرين للسيوطي : 26 وطبقات الداودي 2 : 1 والشذرات 4 : 122 .

الخمس ، ما سمعتُ منه في طول ملازمتي له شيئاً في الاعتقاد أنكرته عليه ، غير أني كنتُ يوماً قاعداً في باب داره ، وأخرج لي شَدَّةً من مسموعاته ، وجعلت أفتقدُ فيها حديث الكوفيين ، فوجدتُ فيها جزءاً مترجماً بتصحيح الأذان بحيّ على خيرِ العمل ، فأخذته لأطالعه فأخذه من يدي وقال : هذا لا يصلحُ لك ، له طالبٌ غيرك ، ثم قال : ينبغي للعالم أن يكون عنده كل شيء فإنّ لكلِّ نوع طالباً .

وسمعتُ يوسف بن محمد بن مقلد يقول : كنت أقرأ على الشريف عمر جزءاً فمرَّ بي حديثٌ فيه ذكر عائشة فقلت رضي الله عنها فقال لي الشريف : تدعو لعدوةِ علي أو تترضى على عدوة علي ؟! فقلت : حاشا وكلّا ما كانت عدوةَ علي .

وسمعت أبا الغنائم ابن النرسي يقول : كان الشريف عمر جاروديَّ المذهب لا يرى الغسل من الجنابة . وسمعته يقول : دخل أبو عبد الله الصوري الكوفة فكتب بها عن أربعمائة شيخ ، وقدم علينا هبة الله بن المبارك السقطي فأفدته عن سبعين شيخاً من الكوفيين وما بالكوفة اليوم أحد يروي الحديث غيري ثم ينشد :

إنـي دخـلت الـيـمـنـا   لـم أر فـيـهـا حـسـنـا
فـفـي حـر آمّ بـلدةٍ   أحـسـنُ مـن فـيـهـا أنـا

قال المؤلف : وحكي أن أعرابيين مرّا بالشريف عمر وهو يغرس فسيلاً ، فقال أحدهما للآخر : أيطمعُ هذا الشيخ مع كبره أن يأكلَ من جنى هذا الفسيل ؟ فقال الشريف : يا بنيّ كم من كبشٍ في المرعى وخروف في التنور ، ففهم أحدهما ولم يفهم الآخر فقال الذي لم يفهم لصاحبه : أيش قال ؟ قال إنه يقول : كم من ناب يسقى في جلد حوار ، فعاش حتى أكل من ثمر ذلك الفسيل .

وللشريف تصانيف : منها كتاب شرح اللمع .

وكان إبراهيم بن محمد أبو الشيخ أبي البركات أيضاً شاعراً أديباً ذا حظ من النحو واللغة وهو مذكور في بابه[1] .

قال تاج الإسلام : سمعت عمر بن إبراهيم بن محمد الزيدي يقول : لما خرجنا

(1) مرَّ ذكره رقم : 35 .

من طرابلس الشام متوجهين إلى العراق خرج لوداعنا الشريف أبو البركات ابن عبيد الله العلوي الحسني ، ودّع صديقاً لنا يركب البحر إلى الإسكندرية ، فرأيت خالك يتفكر فقلت له : أقبلْ على صديقك ، فقال لي : قد عملتُ أبياتاً اسمعْها ، فأنشدني في الحال :

قربوا للنوى القوارب كيما يقتلوني ببينهم والفراقِ
شرعوا في دمي بتشديد شرعٍ تركوني من شدِّها في وثاقِ
قلعوا حين أقلعوا لفؤادي ثم لم يلبثوا كَقَدْرِ الفواقِ
ليتهم حين ودعوني وساروا رحموا عبرتي وطولَ اشتياقي
هذه وقفةُ الفراقِ فهل أحـ ـيا ليومٍ يكونُ فيه التلاقي

قال في « تاريخ الشام » : حكى أبو طالب ابن الهراس الدمشقي ، وكان حج مع أبي البركات ، أنه صرح له بالقول بالقدر وخلق القرآن ، فاستعظم أبو طالب ذلك منه وقال : إن الأئمة على غير ذلك ، فقال له : إن أهل الحق يُعرفون بالحق ولا يُعْرَفُ الحقُّ بأهله ، قال هذا معنى حكاية أبي طالب .

ـ 860 ـ

عمر بن بكير : كان صاحبَ الحسن بن سهل خصيصاً به ومكيناً عنده يسائله عن مشكلات الأدب ، وكان راوية ناسباً اخبارياً نحوياً ، وله عمل الفراء « كتاب معاني القرآن » وذكر ذلك في أخبار الفراء .

قال محمد بن إسحاق : وله من الكتب كتاب الأيام يتضمن يوم الغول . يوم الظهر . يوم أرمام . يوم الكوفة . غزوة بني سعد بن زيد مناة . يوم مبايض .

حدث ميمون بن هارون قال حدثني أبو الحسن محمد بن عمر بن بكير قال[1] :

860 ـ ترجمته في الفهرست : 119 ـ 120 .

(1) وردت هذه القصة في التذكرة الحمدونية 2 : 278 ـ 281 .

كان أبي بين يدي المنتصر وهو أمير وأحمد بن الخصيب كاتب المنتصر [فدخل الحاجب فقال : أيها الأمير ، هذا الحسن بن سهل بالباب ، فالتفت إليه أحمد][1] فقال : دعنا من الرسوم الداثرة والعظام البالية ، فوثب عمر بن بكير فقال : أيها الأمير إن للحسن بن سهل عليّ نعماً عظاماً وله في عنقي مِنَنٌ جمة ، فقال : ما هي يا عمر ؟ قال : ملأ يا أيها الأمير منزلي ذهباً وفضة ، وأدنى مجلسي حتى زال عن مجلسه ، وخلع عليَّ فألحقني برؤساء أهل العلم كأبي عبيدة والأصمعي ووهب بن جرير وغيرهم ، وقد أقدرني اللّه بالأمير على مكافاته ، وهذا من أوقاته ، فإن رأى الأمير أن يسهل إذنه ويجعل ذلك على يدي وحبوة لي وذريعة إلى مكافاة الحسن ، فعل . فقال يا أبا حفص بارك الله عليك فمثلك يستودع المعروف ، وعندك يتم البر ، ومثلك يرغب الأشراف في اتخاذِ الصنائع ، وقد جعلت إذنَ الحسن إليك فأدخله في أيّ وقتٍ حضر من ليل أو نهار ، ولا سبيل لأحدٍ من الحجاب عليه . فقبل أبي البساط ، ووثب إلى الباب فأدخل الحسن وأتكأه على يده ، فلما سلم على المنتصر أمره بالجلوس فجلس وقال له : قد صيرتُ إذنك إلى أبي حفص ، ورفعتُ يدَ الحاجب عنك ، فاحضر إذا شئت من غدوّ أو رواح ، وارفع حوائجك ، وتكلّم بكل ما في صدرك ؛ فقال الحسن : أيها الأمير والله ما أحضر طلباً للدنيا ولا رغبة فيها ولا حرصاً عليها ، ولكن عبدٌ يشتاق إلى سادته ، وبلقائهم يشتد ظهره وينبسط أمله وتتجدد نعم الله عنده ، وما أحضر لغير ذلك ، وأحمد بن الخصيب يتقد غيظاً[2] ، فقال له المنتصر : فاحضر الآن أيّ وقت شئت ، فأكبَّ الحسنُ على البساطِ فقبله شكراً ونهض . قال أبي : ونهضت معه ، فلما بعدنا عن عين المنتصر بلغني أن المنتصر قال : هكذا فليكن الشاكرون ، وعلى أمثال هذا فلينعم المنعمون . وقال الحسن لعمر: يا أبا حفص ، والله ما أدري بأيّ لسان أثني عليك ، فقال : سبحان الله وأنا أولى بالشكر والثناء عليك والدعاء لك ، خولتني الغنى ، وألبستني النعمى في الزمان الصعب وفي الحال التي كان يجفوني فيها الحميم ، فجزاك الله عنّي وعن ولدي أفضلَ الجزاء ؛

---

(1) زيادة من التذكرة بها يتضح السياق .

(2) التذكرة : يكاد ينقد .

فقال الحسن : والهفتا ألا يكون ذلك المعروف أضعافَ ما كان ، لا درَّ درُّ الفوت ، وتعساً للندم وأحواله ، ولله درّ الخريمي حيث يقول[1] :

ودون النـدى في كـلِّ قلبِ ثنيـةٍ ... لهـا مَصْعَدٌ حَزْنٌ ومنحـدَرٌ سهـلُ
ووَدَّ الفتـى في كـلّ نيـلٍ يُنيلُهُ ... إذا مـا انقضى لـو أنّ نـائلَهُ جَزْلُ

ثم قال لي أبي : يا محمد اخرج معه أعزه الله حتى تؤديه إلى منزله ؛ قال أبو الحسن : فخرجتُ معه فلم أزل أحادثه حتى جرى ذكر رزين العروضي الشاعر ، وكان قد امتدحه بقصيدة فمات رزين قبل أن يوصلها إلى الحسن ، فقلت : أيد اللّه الأمير كان شاعراً من أهل العلم والأدب مدح الأمير بقصيدة وهي في العسكر مثل ، ومات قبل ان يسمعها الأمير ، قال : فأسمعنيها فأنشدته إياها وأولها [2] :

قَـرَّبُـوا جِمـالهـمُ للرحيـلِ ... غـدوةً أحبـتـك الأقـربـوكْ
خَلّفُـوكَ ثم مَضَـوْا مـدلجين ... منفـرداً بـهمِّـكَ مـا ودعـوكْ

وفيها :

مَنْ مبلغُ الأميرِ أخي المكرماتِ ... مـدحـةً محبـرةً فـي ألـوكْ
تـزدهي كـواسـطةٍ في النـظام ... فـوق نحـرِ جـاريـة تستبيـكْ
يـا ابنَ سـادةٍ زهـرٍ كـالنجـوم ... أفلح الـذيـن هـمُ أنـجـبـوكْ
إذ نعشتَ مـدحهـم بـالفعـال ... محيـيـاً سيـادةَ مـا أولـوكْ
ذو الـرئـاستين أخـوك النجيبُ ... فيـه كـلُّ مكـرمـةٍ وفيـكْ
ذو الـرئـاستيـن وأنـت اللذان ... يحييـان سُنَّـةَ غـازي تبـوكْ
لـم تـزالا حـيـاً لـلبـلادِ ... والعبـادِ مـا لكمـا من شريـكْ

(1) الحيوان 2 : 95 والبيان 1 : 274 ، 2 : 352 وزهـر الآداب : 1072 وديوان الخريمي : 50 .
(2) هي ستون بيتاً على غير الأوزان المألوفة ، وقد ذكرها أبو العلاء في رسائله (مرغوليوث : 75) ورزين العروضي توفي سنة 247 أخذ عن عبد اللّه بن هارون العروضي ، وكان عبد اللّه يقول أوزاناً غريبة فنحا رزين نحوه ، انظر تاريخ بغداد 8 : 436 والوافي 14 : 116 وقد ترجم له ياقوت فيما مرَّ ، رقم : 487 .

أنتما إن أقحط العالمون منتهى الغياثِ ومأوى الضريكْ
يا ابنَ سهلٍ الحسنُ المستغاثُ وفي الوغى إذا اضطرب الفكيكْ
ما لمن ألحَّ عليه الزمان مفزعٌ لغيركَ يا ابن الملوكْ
لا ولا وراءك للراغبين مطلبٌ سواك حاشا أخيكْ

والقصيدة غريبة العروض . قال أبو الحسن : وأنا والله أنشده وعيناه تهمي على خده فتقطرُ على نحره ثم قال : والله ما أبكي الا لقصور الأيام عما أريده لقاصدي ، ثم جعل يتلهف ويقول : ما الذي منعه من اللقاء ؟ تعذُّرُ الحجاب أم قعودُ الأسباب ؟ فقلت : اعتلّ ـ جعلني الله فداءك ـ علة توفي فيها ، فجعل يترحم عليه ثم قال : والله لا أكون أعجز من علقمة بن علاثة حيث مات قبل وصول النابغة[1] إليه بالقصيدة التي رحل بها إليه حيث يقول :

فما كان بيني لو لقيتك سالماً وبين الغنى إلا ليالٍ قلائلُ

الأبيات . . . فبلغت الأبياتُ علقمة فأوصى له بمثل نصيب ابن له ، ولكن هل لهذا الشاعر وارث ؟ قلت : نعم بنية ، قال : تعرف مكانها ؟ قلت : نعم ، قال : والله ما يتسع وقتي هذا لما أنويه ، ولكن القليل والعذر يسعنا ، ثم دعا غلاماً وقال : هات ما بقي من نفقة شهرنا ، فأتى بألفي درهم في صرة ، فدفعها إليّ وقال : يا أبا الحسن خذ ألفاً وأعط الصبية ألفاً ، فأخذت الألفين وانصرفت وعملت بما أمرني به .

ومات الحسن بن سهل بسر من رأى في ذي الحجة سنة ست وثلاثين ومائتين في أيام المتوكل .

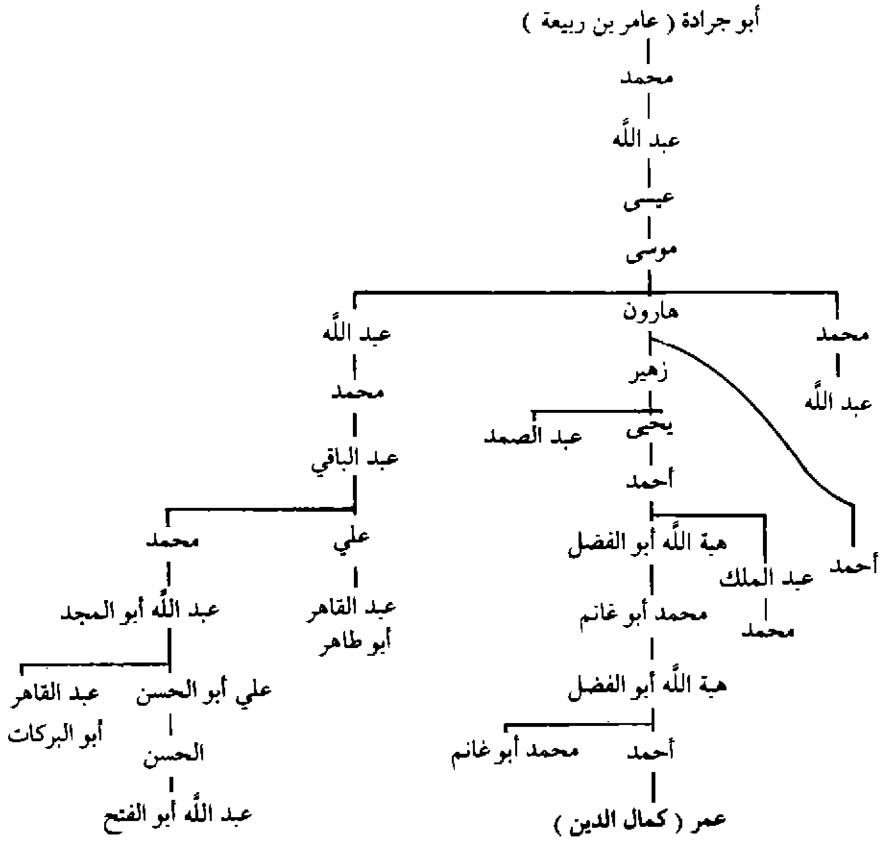
قال المؤلف: ما نسب إلى علقمة في هذه الحكاية غلط لان الوارد عليه هو الحطيئة ، وكان علقمة والياً على حوران ، فلما قاربه مات علقمة ، فقال الحطيئة الأبيات ، لكن هكذا في هذه الحكاية ولا أدري كيف حالها .

(1) الصواب : الحطيئة ، وسينبه المؤلف على ذلك آخر الترجمة .

ـ 861 ـ

عمر بن أحمد بن أبي جرادة يعرف بابن العديم العقيلي يكنى أبا القاسم ويلقب كمال الدين ، من أعيان أهل حلب وأفاضلهم ، وهو عمر بن أحمد بن هبة الله بن محمد بن هبة الله بن أحمد بن يحيى بن زهير بن هارون بن موسى بن عيسى بن عبد الله بن محمد بن أبي جرادة صاحب أمير المؤمنين علي بن أبي طالب صلوات الله عليه ، واسم أبي جرادة عامر بن ربيعة بن خويلد بن عوف بن عامر بن

861 ـ ترجمة ابن العديم في قلائد الجمان لابن الشعار 5 : 203 والصقاعي : 95 وذيل مرآة الزمان 1 : 510 ، 2 : 177 وعبر الذهبي 5 : 261 ، والبدر السافر : 37 وعيون التواريخ : 421 والفوات 3 : 126 والوافي 22 : 421 ومرآة الجنان 4 : 158 والبداية والنهاية 13 : 236 والجواهر المضية 1 : 386 والنجوم الزاهرة 7 : 208 والشذرات 5 : 303 .



عقيل ، أبي القبيلة ، بن كعب بن عامر بن صعصعة بن معاوية بن بكر بن هوازن بن منصور بن عكرمة بن خصفة بن قيس بن عيلان بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان . وبيت أبي جرادة بيتٌ مشهور من أهل حلب : أدباء شعراء فقهاء عباد زهاد قضاة يتوارثون الفضل كابراً عن كابر وتالياً عن غابر ، وأنا أذكرُ قبل شروعي في ذكره شيئاً من مآثر هذا البيت وجماعة من مشاهيرهم ، ثم أتبعه بذكره ناقلاً ذلك كلَّه من كتابٍ ألفه كمال الدين ، أطال الله بقاءه ، وسماه « الأخبار المستفادة في ذكر بني أبي جرادة » وقرأته عليه فأقرَّ به .

سألته أولاً لم سميتم ببني العديم ؟ فقال : سألت جماعة من أهلي عن ذلك فلم يعرفوه ، وقال : هو اسم مُحْدَثٌ لم يكنْ آبائي القدماءُ يعرفون بهذا ولا أحسب إلا أن جدّ جدي القاضي أبا الفضل هبة اللّه بن أحمد بن يحيى بن زهير بن أبي جرادة ـ مع ثروة واسعة ونعمة شاملة ـ كان يكثر في شعره من ذكر العدم وشكوى الزمان فسمي بذلك ، فإن لم يكن هذا سببه فلا أدري ما سببه .

حدثني كمال الدين أبو القاسم قال حدثني جمال الدين أبو غانم محمد بن هبة الله بن محمد بن أبي جرادة عمي قال : لما ختمت القرآن قبَّلَ والدي رحمه الله بين عينيَّ وبكى وقال : الحمد لله يا ولدي هذا الذي كنت أرجوه فيك ، حدثني جدّك عن أبيه عن سلفه أنه ما منا أحد إلى زمن النبي ﷺ إلاّ من ختم القرآن .

قال المؤلف : وهذا منقبةٌ جليلة لا أعرفُ لأحدٍ من خلق الله شرواها ، وسألت عنها قوماً من أهل حلب فصدقوها . وقال لي زين الدين محمد بن عبد القاهر بن النصيبي : دع الماضي واستدلّ بالحاضر فإنني أعدّ لك كلَّ من هو موجود في وقتنا هذا وهم خلق ليس فيهم أحد إلا وقد ختم القرآن ، وجعل يتذكرهم واحداً واحداً فلم يخرم بواحد .

حدثني كمال الدين أطال الله بقاءه قال : وكان عقب بني أبي جرادة من ساكني البصرة في محلّة بني عقيل بها ، فكان أول من انتقل منهم عنها موسى بن عيسى بن عبد الله بن محمد بن عامر أبي جرادة إلى حلب بعد المائتين للهجرة وكان وردها تاجراً .

وحدثني قال حدثني عمي أبو غانم محمد بن هبة الله بن محمد بن أبي جرادة قال : سمعتُ والدي يذكر فيما يأْثره عن سلفه أن جدنا قدم من البصرة في تجارة إلى الشام فاستوطن حلب . قال : وسمعت والدي يذكر أنه بلغه أنه وقع طاعون بالبصرة فخرج منها جماعة من بني عقيل وقدموا الشام فاستوطن جدنا حلب . قال : وكان لموسى من الولد محمد وهارون وعبد الله فأما محمد فله ولد اسمه عبد الله ولا أدري أَعْقَبَ أم لا ، وأما العقب الموجود الآن فلهارون وهو جدُّنا ، ولعبد الله وهم أعمامنا .

فمن ولد عبد الله القاضي **أبو طاهر عبد القاهر بن علي** بن عبد الباقي بن محمد ابن عبد الله بن موسى بن أبي جرادة، وهو من سادات هذا البيت وأعيانهم ، ومات في جمادى الأولى من سنة ثلاث وستين وأربعمائة ، فقال القاضي أبو الفضل هبة الله بن أحمد بن أبي جرادة يرثيه ، وكانت قد توفيت قبل وفاة والد القاضي أبي الفضل أخته بأيام قلائل فتوجع للماضين :

صبـرتُ لا عن رضىً مني وإيثـارِ ... وهـل يـردُّ بكـائي حتمَ أقـدارِ
أرومُ كفَّ دموعي وهي في صَبَبٍ ... وأبتغي بَـرْدَ قلبي وهـو في نـارِ
مـا لليـالي تُعَـرِّي جـانبي أبـداً ... مـن أسـرتي وأخـلائي وأوزاري
تلذّ طعم مصيبـاتي فـأحسبهـا ... تَظْمَـا فيروي صداها ماءُ أشفاري
محاسنٌ جُذْتُ للأرضِ الفضاءِ بها ... وطـالمـا صنتهـا عن لحظِ أبصـارِ
وواضـح كَسَنَـا الاصبـاح أنقـله ... من رأي عيني إلى سرّي واضماري
إن الـردى اقصدتني غيـرَ طـائشـةٍ ... سهامها في فتىً كالكوكب الـواري
رمتـه صـائبـةُ الأقـدارِ من كَثَبٍ ... ومـا رَمَتْ[1] عُظْمَ أقـدارٍ وأخـطارِ

وهي قصيدة غراءُ طويلة .

ومنهم **أبو المجد عبد الله بن محمد** بن عبد الباقي بن محمد: شيخ فاضل أديب شاعر ، له معرفة باللغة والعربية ، سمع بحلب أستاذه أبا عبـد الله الحسين بن عبد الواحد بن محمد بن عبد القادر القنسريني المقرىء مؤلف « كتاب التهذيب في اختلاف

(1) م : ربحت .

القراء السبعة » وسمعه ولده الشيخ أبو الحسن علي بن عبد الله ، وله أشعار حسان منها :

تـوسـوس عن علّتيّ الـزمـانُ   ففي كـلِّ يـوم لـه مُعْضِلَهْ
فـلو جعـلوا أمْـرَهُ لـيـلةً   إليَّ لأصبحَ في سلسلهْ

ومات الشيخ أبو المجد بحلب في حدود سنة ثمانين وأربعمائة .

ومنهم ولده **الشيخ أبو الحسن علي بن عبد الله** بن محمد بن أبي جرادة : صدر زمانه وفرد أوانه ، ذو فنون من العلوم ، وخطه مليح جداً على غاية من الرطوبة والحلاوة والصحة ، وله شعر يكاد يختلط بالقلب ويسلب اللب لطافة ورقةً ، تصدَّرَ بحلب لافادة العلوم الدينية والأدبية متفرداً بذلك كله ، ورتب « غريب الحديث » لأبي عبيد على حروف المعجم ، رأيته بخطه ، وشرع في شرح أبياته شروعاً لم يقصر فيه ، ظفرت منه بكراريس من مسوداته لأنه لم يتم . سمع بحلب والده أبا المجد وأبا الفتح عبد الله بن إسماعيل الحلي وأبا الفتيان محمد بن سلطان بن حيوس الشاعر وغيرهم ، ورحل عن حلب قاصداً للحج في ثالث شعبان سنة ست عشرة وخمسمائة ، ووصل إلى بغداد وسمع بها أبا محمد عبد الله بن علي المقرىء وغيره ، ولم يتيسر للناس في هذا العام حجّ فعاد من بغداد إلى حلب ، ثم سافر إلى الموصل بعد ذلك في سنة إحدى وثلاثين وسمع بها ، وأدركه تاج الإسلام أبو سعد عبد الكريم بن محمد السمعاني فسمع منه بحلب هو وجماعة وافرة ، وذكره السمعاني في « المذيل لتاريخ بغداد » .

قال المؤلف : وقد ذكرته في هذا الكتاب في موضعه [1] بما ذكره السمعاني به .

حدثني كمال الدين قال سمعت والدي رحمه الله يقول : كتب الشيخ أبو الحسن ابن أبي جرادة بخطه ثلاث خزائن من الكتب لنفسه ، وخزانة لابنه أبي البركات ، وخزانة لابنه أبي عبد الله ، ومن شعره (أنبأنا به تاج الدين زيد بن الحسن الكندي) من قصيدة يصف فيها طول الليل :

فـؤادٌ بـالأحبَّـةِ مـسـتـطارُ   وقـلبٌ لا يَـقَـرُّ لـه قـرارُ
ومـا أنفـكّ من هجـرٍ وصـدٍّ   وعتبٍ لا يقـومُ لـه اعتـذارُ

(1) ترجمته رقم : 776 .

وعينٍ دمعها جَمٌّ غزيرٌ ولكن نومها نزرٌ غرارُ
كأن جفونَها عند التلاقي تلاقيها الأسنةُ والشفار
وهذا حالها وهمُ حلولٌ فكيف بها إذا خلتِ الديارُ
أبيتُ الليل مرتفقاً كئيباً لهمٍّ في الضلوع له أوار
كأن كواكب الفلكِ اعتراها فتورٌ أو تخوَّنها المدارُ

منها :

فيا لكِ ليلةً طالت ودامت فليس لصبحها عنها انسفار
أسائلها لأبلغَ منتهاها لعلَّ الهم يذهبه النهارُ

ومات الشيخ أبو الحسن في سنة ثمان وأربعين وخمسمائة عن ثماني وثمانين سنة .

ومنهم ولده **أبو علي الحسن بن علي بن عبد الله** بن محمد بن أبي جرادة : وكان فاضلاً كاتباً شاعراً أديباً ، يكتب النسخ طريقة أبي عبد اللّه ابن مقلة، والرقاع طريقة علي بن هلال ، وخطه حلو جيد جداً خالٍ من التكلف والتعسف ، سمع أباه بحلب ، وكتب عنه السمعاني عند قدومه حلب ، وسار في حياة أبيه إلى الديار المصرية واتصل بالعادل أمير الجيوش وزيرِ المصريين وأنس به ، ثم نفق بعده على الصالح بن رزيك ، وخدمه في ديوان الجيش ، ولم يزل بمصر إلى ان مات بها في سنة إحدى وخمسين وخمسمائة ، ومن شعره في صدر كتاب كتبه إلى أخيه عبد القاهر في سنة ست وأربعين وخمسمائة :

سرى من أقاصي الشام يسألني عنّي خيالٌ إذا ما زار يسلبني منّي
تركتُ له قلبي وجسمي كليهما ولم يرضَ إلا أن يُعَرِّسَ في جفني
وإني ليدنيني اشتياقي إليكمُ ووجدي بكم لو أنّ وجدَ الفتى يدني
وأبعثُ آمالي فترجع حُسَّراً وقوفاً على ضنٍّ من الوصلِ أو ظنِ
فليت الصبا تسري بمكنونِ سرنا فتخبرني عنكم وتخبركم عني
وليت الليالي الخاليات عوائدٌ علينا فَنَعْتَاضَ السرورَ من الحزنِ

ومن شعره :

ما ضرهم يوم جَدَّ البين لو وقفوا وزودوا كلفاً أودى به الكَلَفُ
تخلفوا عن وداعي ثمَّتَ ارتحلوا وأخلفوني وعوداً ما لها خلفُ
وأوصلوني بهجر بعد ما وصلوا حبلي وما أنصفوني لكن انتصفوا
فليتهم عدلوا في الحكم إذ ملكوا وليتهم أسعفوا بالطيف من شعفوا
ما للمحبّ وللعذال ويحهمُ خانوا ومانوا ولما عَنَّفُوا عَنُفُوا
أستودعُ اللّه أحباباً ألفتهمُ لكن على تَلَفي يومَ النوى ائتلفوا
عمري لئن نزحتْ بالبين دارهمُ عنّي فما نزحوا دمعي وما نزفوا
يا حبذا نظرةً منهم على عَجَلٍ تكاد تنكرني طوراً وتعترفُ
سَقَتْ عهودَهُمُ غَرَّاءُ واكفةٌ تهمي ولو أنها من أدمعي تكفُ
أحبابَنا ذهلتْ ألبابنا ومحا عتابنا لكم الاشفاقُ والأسفُ
بعدتمُ فكأنَّ الشمسَ واجبةٌ من بعدكم وكأنَّ البدرَ منخسفُ
يا ليت شعريَ هل يحظى برؤيتكم طرفي وهل يجمعنْ ما بيننا طرفُ
ومضمر في حشاه من محاسنكم لفظاً هو الدرُّ لا ما يضمرُ الصدفُ
كنا كغصنين حال الدهرُ بينهما أو لفظتين لمعنىً ليس يختلفُ
فأقصدتنا صروفُ الدهرِ نابلةً حتى كأنَّ فؤادينا لها هدفُ
فهل تعودُ ليالي الوصلِ ثانيةً ويصبحُ الشملُ منا وهو مؤتلفُ
ونلتقي بعد يأسٍ من أحبتنا كمثل ما يتلاقى اللام والألفُ
وما كتبتُ على مقدار ما ضمنت مني الضلوعُ ولا ما يقتضي اللهفُ
فان أتيتُ بمكنوني فمن عجبٍ وإن عجزت فان العذرَ منصرفُ

ومنهم أخوه **أبو البركات عبد القاهر بن علي بن عبد الله** بن أبي جرادة : كان ظريفاً لطيفاً أديباً شاعراً كاتباً له الخط الرائق والشعر الفائق والتهذيب الذي تَبَحَّرَ في جودته ويلتحقُ بالنسبة إلى ابن البواب ، والتأنق في الخط المحرر الذي يشهد بالتقدم في الفضل وان تأخر ، سمع بحلب أباه أبا الحسن وغيره ، وكتب عنه جماعة من

العلماء ، وكان أميناً على خزائن الملك العادل نور الدين محمود زنكي وذا منزلة لطيفة منه . ومن شعره (وكتبه بليقةِ ذهب) :

ما اخترتُ الا أشرفَ الرتبِ ... خطاً أخلّد منه في الكتبِ
والخطّ كالمرآة ننظرها ... فنرى محاسنَ صورةِ الأدبِ
هو وحده حَسَبٌ يطال به ... إن لم يكن إلاه من حسبِ
ما زلت أنفق فيه من ذهبٍ ... حتى جرى فكتبتُ بالذهبِ

وقال أيضاً وهو بدمشق في سنة تسع وأربعين وخمسمائة :

أَمُتُّ ببذلي خالصاً من مودتي ... إلى مَن سواءٌ عنده المنعُ والبذلُ
وتحسبُ نفسي والأمانيُّ ضلَّةٌ ... بأنيَ من شغلِ الذي هو لي شغلُ
ألا إن هذا الحبّ داءٌ موافقٌ ... وإنَّ شفاءَ الداءِ ممتنعٌ سهلُ
عفا اللّه عمن إنْ جنى فاحتملته ... تجنَّى فعاد الذنبُ لي وله الفضلُ
ومن كلَّما أجمعتُ عنه تسلياً ... تبينتُ أن الرأيَ في غيره جهلُ
سأعرضُ إلا عن هواه فانه ... جميلٌ بمثلي حُبُّ من ما له مثلُ
وألقي مقالَ الناصحين بمسمعٍ ... ضربتُ عليه بالغواية من قبلُ
فعندي وان أخفيتُ ذاك عن العدى ... عزيمةُ همٍّ لا تكلُّ ولا تألو
ولي في حواشي كلِّ عذلٍ تلفتٌ ... إلى حبِّ من في حبه قَبُحَ العذلُ
وإني لأدْنَى ما أكونُ من الهوى ... إذا أرجف الواشون بي أنني أسلو

هذا لعمري والله الغاية في الحسن والطلاوة والرونق والحلاوة .

وقال أيضاً :

عاد قلبي إلى الهوى من قريبِ ... ما محبٌّ بِمُنْتَهٍ عن حبيبِ
طال يا همتي تماديكِ في الرشـ ... ـدِ خذي من غوايةٍ بنصيب
وإذا ما رأيتِ حسناً غريباً ... فاستعدّي له لوجدٍ غريب
يا غزالاً مالتْ به نشوةُ العُجْـ ... ـبِ فَهَزَّتْ عطفيه هزَّ القضيب

بين ألحاظكَ المراضِ وبيني نسبٌ لو رعيتَ حقَّ النسيب
أنت أجريتَ أعينَ الدمع من عيـ ـني وأوريتَ زندَ قلبي الكئيب
لا تقلْ ليس لي بذلك علمٌ فعلى مقلتيك سيما مريب
ما تَعَدَّيْتَ في الذي أنت فيه إنَّ حظي لديكَ حظُّ أديب

ومات في سنة اثنتين وخمسين وخمسمائة .

ومنهم ابن أخيه **أبو الفتح عبد الله بن الحسن بن علي** بن أبي جرادة : وكان يجيد الكتابة ، وجمع مجاميع حسنة ، وجمع شعر والده أبي عبد الله الحسن وشعر عمه أبي البركات عبد القاهر ، وله شعر لا بأس به منه :

من ذا مجيري من يَدَيْ شادنٍ مهفهفِ القدِّ مليحِ العذارْ
قد كتب الشعرُ على وجهه أَسْطُرَ مسكٍ طِرْسُها جُلَّنارْ

فهؤلاء من بني عبد الله بن موسى بن عيسى .

وأما أخوه **هارون بن موسى** فهو أول من اشترى بحلب ملكاً في قرية تعرف بأورم الكبرى ، وكان له ولدان زهير وأحمد ، والعقب لزهير ، وهو الذي اشترى أكثر أملاك بني أبي جرادة مثل أورم الكبرى ويحمول وأقذار ولؤلؤة والسين ، وهي قرى ، ووقف وقفاً على شرى فرس يجاهَدُ به في سبيل الله ، وتوفي في حدود سنة أربعين وثلاثمائة. فمن ولد زهير هذا **أبو الفضل عبد الصمد بن زهير بن هارون** بن موسى ولادته في حدود العشرين والثلاثمائة، سمع بحلب أبا بكر محمد بن الحسين الشيعي وغيره ، وروى عنه ابن أخيه القاضي أبو الحسن أحمد ومشرق العابد وجماعة ولعله مات في حدود سنة تسعين وثلاثمائة ، وليس له عقب .

ومنهم أبو جعفر **يحيى بن زهير بن هارون** بن موسى ، وهو العديم إليه ينسبون ، وقد ذكرنا أنهم لا يعرفون لِمَ سموا ذلك .

ومنهم ولده القاضي **أبو الحسن أحمد بن يحيى بن زهير** : وهو أول من ولي القضاء بمدينة حلب من هذا البيت ، وقد سمع الحديث ورواه ، وقرأ الفقه **على** القاضي أبي جعفر محمد بن أحمد السمعاني ، وكان السمعاني إذ ذاك قاضي حلب .

أنشدني كمال الدين أبو القاسم عمر بن أحمد بن أبي جرادة ، أنشدني والدي لجدّ أبيه القاضي هبة الله أحمد بن يحيى يذكر أباه ويفتخر به :

أنا ابنُ مستنبطِ القضايا ... وموضحِ المشكلاتِ حَلاَّ
وابن المحاريبِ لم تُعَطَّلْ ... من الكتابِ العزيزِ يتلى
وفارسُ المنبرِ استكانتْ ... عيدانُهُ من حجاه ثقلا

توفي بعد سنة تسع وعشرين وأربعمائة .

ومنهم ابنه القاضي **أبو الفضل هبة الله** بن أحمد: كان كبيرَ القدرِ جميلَ الأمر مبجلاً عند آل مرداس ، له شعر جزل فصيح ذو معان دقاق يترفع قدره عنه ، وإنما يقول ببلاغته وبراعته ، سمع الحديث من أبيه ولعله لقي أبا العلاء المعري وقرأ عليه شيئاً ، وولي القضاء بحلب وأعمالها في سنة ثلاث وسبعين وأربعمائة وبقي على ذلك إلى أن مات ، وكانت ولايته للقضاء في أوائل دولة شرف الدولة أبي المكارم مسلم بن قريش بعد وفاة حميه القاضي كسرى بن عبد الكريم بن كسرى ، وكتب تقليده من بغداد عن المقتدي بالله .

ومن شعره :

لي بالغُوَيْرِ لباناتٌ ظفرتُ بها ... قد سُدَّ من دونها لي أوضحُ الطرقِ
وبالثنيَّةِ بدرٌ لاح في غُصُنٍ ... أصمى فؤادي لها سهمٌ من الملقِ
سَرَّاقةٌ لقلوبِ الناظرين لها ... وما يُقَامُ عليها واجبُ السَّرَقِ
لا يُفْلِتُ المرءُ من أشراكِ مقلتها ... وان تخلّص لم يُفْلِتْ من العقَقِ
وأبرزتْ من خلالِ السجفِ ذا شُعَلٍ ... لولا بقا الليل قلنا غُسرَّةُ الفلقِ
ولائمٍ ودموعُ العينِ واكفةٌ ... لا يستبينُ لها جفنٌ من الغرقِ
يقولُ أفنيتَهُ والشملُ مجتمعٌ ... ولم تَصُنْهُ لتوديعٍ وَمُفْتَرَقِ

وله :

ربعٌ لهندٍ باللوَى مصرومُ ... أقوى فها آريّه مرثومُ
أخفاه إلحاحُ البلى فضللتُ في ... إنشاده لولا النسيمُ نَمومُ

تضيافُ طرفي فيه دمعٌ ساجم وَقِرَى فؤادي في ذَراهُ همومُ
هل عاذرٌ في الربع رائي عيسهم تُحْدَى لها وَخْدٌ بهمْ ورسيمُ
وهوىً تُبَعِّدُهُ الليالي والنوى إن قَرَّبَتْهُ خواطرٌ ورسومُ
يا صاحبيَّ خذا المطايا وحدها بدمي فما سفكته إلا الكومُ
أمضينَ أحكامَ الهوى وأعَنَّهُ ومساعدُ المرءِ الظلومِ ظَلومُ

ولـه :

وما عسى يطلبُ الرجال من رجلٍ كاسٍ من الفضلِ إنْ عُرِّي من المالِ
كالباردِ العذبِ يومَ الوِرْدِ من ظمأٍ والصارمِ العَضْبِ في رَوْعٍ وأوْجَالِ
همومه في جسيماتِ الأمورِ فما يُلْفَى مصاحبَ أطماحٍ وآمالِ
ألذُّ من ثروةٍ تأتي بإذلالِ عزُّ القناعةِ مع صَوْنٍ وإقلالِ
وما يضرّ امرءاً أثرتْ مناقبه إن أكْسَبَتْهُ الليالي رقةَ الحالِ

وقال أيضاً يمدح أبا الفضائل سابق بن محمود بن نصر بن صالح بن مرداس صاحب حلب ويشكره إذ لم يسمع فيه قول حساد وشوا به إليه :

خلِّها إنْ ظمئتْ تشكو الأُواما لا تُقِلْهَا الأَيْنَ إنْ طال ودامَا
واجعل السرجَ إذا ما سَغِبَتْ كلأً والموردَ العذبَ اللجاما
أُوْتِرَاها كالحنايا بالسرى وبإسراعٍ إلى المرمى سهاما
قَصُرَتْ ظهراً ورسغاً وعسيباً مثل ما طالت عناناً وحزاما
تنصبُ الأُذنين حتى خَيَّلَتْ بهما تُبصرُ ما كان أماما
وإذا ما بارتِ الريحَ اغتدتْ خلفها النكباءُ حَسْرَى والنَّعامى
كم مقامي بين أحكام العدى أتبعُ القائدَ لا أعصي الزماما
أكلة الطاعمِ لا يرهبُ إثماً أو أسير المنِّ إن كفَّ احتشاما
وإلامَ الحظّ لا ينصفني من زمانٍ جار في قصدي إلاما
تعتلي أرؤسَهُ أذنابُه فترى الأرجلَ تعلُو فيه هاما

أتـمـنـى راحـةً تـنـقـذنـي منهمُ عَـزَّتْ ولـو كـانت حمـامـا

منها :

كم رمـوني عـامـداً في هُـوَّةٍ نـارها تعلو آشتعـالاً واضـطرامـا

قـاصدي حتفي فكـانت بـكَ لي نـارُ إبـراهيمَ بَـرْداً وسـلامـا

وله في المعنى من قصيدة :

هُنِّئْتِ يـا أرضَ العـواصم دولـةً روًى ثـراك بـهـا أشـمٌّ أروعُ

قـد عاد في الأيـام مـاءُ شبـابهـا وتسـالمتْ حُرَقُ الأسى والأضلعُ

أشكـو إليك عصـابةً نبـذوا الحيا حسداً وشدُّوا في أذايَ وأوضعوا

راموا ابتزازي مورثي عن أسرتي وتـآزروا في قَبْضِـهِ وتجـمعـوا

يتـطلَّبـون ليَ الـذنـوبَ كـأنني ممن عليـه بـالشنـانِ يُقَـعْقَـعْ

لم أخشَ قهرهمُ ونصرُكَ مُصْلَتٌ دوني ولي من حُسْنِ رأيك مرجع

ولـه :

ومـا الـذلُّ إلا أن تبيـتَ مؤمِّـلاً وقـد سهرتْ عينـاك وسنانَ هـاجعا

أأخشى امرءًا أو أشتكي منه جفـوةً إذا كنتُ بالميسور في الدهر قـانعا

إذا مـا رآني طـالبـاً منه حـاجـةً ففي حـرج ان لم يكن ليَ مـانعـا

وكان المنجمون قد حكموا له أنه يموت في صدور الرجال ، فاتفق أنه اعتقل بالقلعة مدةً لتهمة اتهم بها بالممالأة لبعض الملوك ثم أطلق بعد مـدة ، فنزل راكبـاً وأصحابه حوله ، فبينا هو سائر إذ وجد ألماً فقال لأصحابه : أمسكوني أمسكـوني ، فأخذوه في صدورهم من على فرسه ، فلما وصل إلى منزله بقي على صدورهم إلى أن مات بحلب في سنة ثمان وثمانين وأربعمائة .

ومنهم ولده **القاضي أبو غانم محمد بن القاضي أبي الفضل هبة الله** بن القاضي أبي الحسن أحمد : وكان فقيهاً فاضلاً زاهداً عفيفاً سمع أباه وغيره ، وولي قضاء حلب وأعمالها وخطابتها بعد موت أبيـه في أيام تـاج الدولة دبيس[1] في سنة ثمان وثمانين

(1) هو دبيس بن صدقة صاحب الحلة .

وأربعمائة ، ولم يزل قاضياً بها إلى أن عزله رضوان لما خطب للمصريين ، وولى القضاء القاضي الزوزني العجمي في شوال من سنة تسعين وأربعمائة ، ثم عاود الملك رضوان الخطبة لبني العباس فأعاد القاضي أبا غانم إلى ولايته، وجاءه التقليد من بغداد بالقضاء والحسبة عن القاضي علي بن الدامغاني بأمر المستظهر في صفر سنة ست وتسعين وأربعمائة ، وكان مولد القاضي أبي غانم في رجب سنة ست وأربعين وأربعمائة ، وهو الذي شرع في عمارة المسجد الذي بحلب يعرف ببني العديم ، وأتمه ابنه القاضي أبو الفضل هبة الله ، وكان يتولى الخطابة في المسجد الجامع والامامة بحلب ، وكان حَنَفيّ المذهب ، وكان يؤمّ بالناس ثلاثين سنة وهو متكتف تحت ثيابه ويسبل أكمامه فارغة خوفاً من الـولاةِ في أيامه لأنهم كانوا إسماعيليين يرون رأي المصريين ، وكانوا يفطرون قبل العيد بيوم ويجتمع أكابر حلب في يوم عيدهم يهنئونهم ، فصعد القاضي أبو غانم للهناء في من صعد ، وقدم للناس سكراً ولوزاً ، وأخذ القاضي أبو غانم لوزة ووضعها في فيه فقال له صاحب حلب : أيها القاضي لم لا تأكل من السكر ؟ فقال : لأنه يذوب ، وتبسم ، فضحك الوالي وأعفاه من ذلك .

حدثني كمال الدين قال : حدثني عمي حدثني أبي قال : نزل جدّك القاضي أبو غانم في بعض الأيام يصلي بالجامع ، وخلع نعليه قرب المنبر وكانا جديدين ، فلما قضى صلاته قام للبسهما فوجد نعليه العتق مكانهما ، فقال لغلامه : ألم أنـزل إلى الجامع بالمداس الجديد فأين هو ؟ فقال الغلام : بلى ولكن جاءنا الساعةَ رجلٌ وطرق الباب وقال : القاضي يقولُ لكم أنفذوا إليه مداسَهُ العتيقَ إلى الجامع فقد سُرِقَ مداسه الجديد ، فضحك وقال : هذا واللّه لص شفيق جزاه الله خيراً وهو في حل منه .

والقاضي أبو غانم هذا هو الذي نهض من حلب في سنة ثمان عشرة و خمسمائة وقد حصرها الفرنج ودبيس بعد قتل بلك[1] على منبج حتى أقدم البرسقي من الموصل فاستنقذها من الحصار ، وهربوا لما سمعوا بقدومه ، وكان أهل حلب لقوا شدة وأكلوا الميتةَ ولم يكن عندهم أمير وإنما تولوا حفظ البلد بأنفسهم وأبلوا بلاءً حسناً حسنت به العاقبة .

(1) هو بلك بن بهرام بن أرتق (ابن الأثير 10 : 619) .

ومنهم ابنه **القاضي أبو الفضل هبة الله** سمّي باسم جده وكني بكنيته ، وكان فقيهاً مرضياً ورعاً زاهداً ، سمع الحديث ورواه وولي القضاءَ بحلب وأعمالها بعد موت أبيه القاضي أبي غانم ، وكتب له عهده من أتابك زنكي بن آقسنقر في سنة أربع وثلاثين وخمسمائة ثم جاء له العهد من بغداد من قاضي القضاة الزينبي وأَمْرِ المقتفي ، وكان مولده في ذي القعدة سنة تسع وتسعين وأربعمائة ، فلما قتل أتابك زنكي وولي ابنه نور الدين وولي القضاء كمال الدين محمد بن عبد الله الشهرزوري قضاء الشام ، وَرُزِقَ البسطَة والتحكم في الدولة وقاوم الوزراءَ بل الملوك ، التمس من القاضي أبي الفضل هذا أن يكتبَ في كتب سجلاته ذكر النيابة عنه ، فامتنع القاضي أبو الفضل ، ولجَّ ابن الشهرزوري ، وساعده مجد الدين ابن الداية ، وهو والي حلب ، لشيءٍ كان في نفسه على القاضي أبي الفضل لأمور كان يخالفه فيها في أقضية يوفّر فيها جانبَ الحقِّ على أغراضه ، وتردد المراسلات بين نور الدين وبينه في قبول النيابة وهو يأبى إلى أن قال ابن الداية : هذا تحكّم منه في الدولة وفيك إذ تأمره بشيء ولا يمتثله ، فاعزله ووِلِّ محيي الدين بن كمال الدين ، فقال نور الدين : [. . .][1] يستناب له قاضٍ حنفي ، فعزل القاضي أبو الفضل وولي محيي الدين قضاء حلب ، واستنيب له الكودري ، وذلك في سنة سبع وخمسين وخمسمائة ، وحج في تلك السنة .

وكتب أبو الحسين أحمد بن منير الطرابلسي للقاضي أبي الفضل هبة الله يلتمس منه « كتاب الوساطة بين المتنبي وخصومه » للقاضي علي بن عبد العزيز الجرجاني ، وكان قد وعده بها ودافعه :

يا حائزاً غايَ كلِّ فضلٍ   تضلُّ في كنهه الإحاطَهْ
ومن ترقَّى إلى محلٍّ   أحكم فوق السها مَناطَهْ
إلى متى أُسْعَطُ التمني   ولا ترى المنَّ بالوساطهْ

ومات القاضي أبو الفضل لعشر بقين من ذي الحجة سنة اثنتين وستين وخمسمائة .

---

(1) بياض في الأصل .

ومنهم ابن أخته **أبو المكارم محمد بن عبد الملك بن أحمد** بن هبة الله بن أحمد بن يحيى بن زهير بن أبي جرادة : سمع بحلب ورحل إلى بغداد وسمع بها محمد بن ناصر السلامي وغيره ، وحدثني كمال الدين أيده الله قال ، قال لي شيخنا أبو اليمن زيد الكندي : كان أبو المكارم محمد بن عبد الملك بن أبي جرادة فسمع ببغداد الحديثَ معنا على، مشايخنا فسمعتُ بقراءته، وورد إلينا إلى دمشق بعد ذلك، وكنا نلقبه « القاضي بسعادتك » ، وذلك أن القلانسي دعاه في وليمة وكنتُ حاضرها فجعل لا يسأله عن شيء فيخبر عنه بما سر أو ساء إلا وقال في عقبه : بسعادتك ، فإن قال له : ما فعل فلان ؟ قال : مات بسعادتك ، وإن قال له : ما خبر الدار الفلانية ؟ يقول : خربت بسعادتك، فسميناه القاضي بسعادتك، وكان يقولها لاعتياده إياها لا لجهلٍ كان فيه، وكان له أدب وفضل وفقه وشعر جيد، وقد روى الحديث. ولأبي المكارم شعر منه :

لئن تناءيتمُ عنّي ولم تركمْ عيني فأنتم بقلبي بعدُ سكانُ
لم أخل منكم ولم أسعدْ بقربكمُ فهل سمعتم بوصلٍ فيه هجرانُ

وله أشعار كثيرة ومات بحلب في سنة خمس وستين وخمسمائة أو سنة ست وستين .

ومنهم **جمال الدين أبو غانم محمد بن القاضي أبي الفضل** هبة الله بن القاضي أبي غانم محمد بن القاضي أبي الفضل هبة الله بن القاضي أبي الحسين يحيى : وهو عمّ كمال الدين ، أحد الأولياء العباد وأرباب الرياضة والاجتهاد ، عالمٌ كثير الصوم والصلاة ، وهو حي يرزق إلى وقتنا هذا ، وكان قد تولى الخطابة بجامع حلب ، وعرض عليه القضاء في أيام الملك الصالح إسماعيل بن محمود بن زنكي بعد القاضي ابن الشهرزوري فامتنع منه ، فقلّد القضاء أخوه القاضي أبو الحسن والد كمال الدين أيده الله. وكتب جمال الدين هذا بخطه الكثير ، وشغف بتصانيف أبي عبد الله محمد بن علي بن الحكيم الترمذي فجمع معظم تصانيفه عنده وكتب بعضها بخطه ، وكتب من كتب الزهد والرقائق والمصاحف كثيراً ، وكان خطه في صباه على طريقة ابن البواب القديمة ، ووهب لأهله مصاحفَ كثيرةً بخطه ، وكان إذا اعتكف في شهر رمضان كتب مصحفاً أو مصحفين وجمع براوات الأقلام فيكتب بها تعاويذ للحمى وعسر الولادة فَتُعْرَفُ بركتها . قال : وسألت عمي عن مولده فقال في سنة أربعين

وخمسمائة ، وقد سمع أباه وعمه أبا المجد عبد الله وغيرهما ، وروى الحديث ، وتفقه على العلاء الغزنوي ، واجتمع بجماعة من الأولياء ، وكوشف بأشياء مشهورة ، وهو الآن يحيا في محرم سنة عشرين وستمائة .

ومنهم القاضي **أبو الحسن أحمد بن القاضي أبي الفضل هبة الله** بن القاضي أبي غانم محمد بن أبي الفضل هبة الله بن القاضي أبي الحسن أحمد بن أبي جرادة : كل هؤلاء ولوا قضاء حلب ، وهذا هو والد كمال الدين صاحب أصل هذه الترجمة ، كان يخطب بالقلعة بحلب على أيام نور الدين محمود بن زنكي ، ثم ولي الخزانة في أيام ولده الملك الصالح إسماعيل إلى أن عُرِضَ القضاء على أخيه كما ذكرنا فامتنع منه ، فقلده القاضي هذا بحلب وأعمالها في سنة خمس وسبعين وخمسمائة ، ولم يزل والياً للقضاء في أيام الملك الصالح ومن بعده في دولة عز الدين ثم عماد الدين بن قطب الدين مودود بن زنكي وصدراً من دولة الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن أيوب إلى أن عزل عن منزلتي الخطابة والقضاء ونقل إلى مذهب الشافعي ، وكان عزله عن القضاء في سنة ثمان وسبعين وخمسمائة ، ووليه القاضي محيي الدين محمد بن علي بن الزكي قاضي دمشق الشافعي ، وكان صُرِفَ أخوه الأصغر أبو المعالي عبد الصمد عن الخطابة قبله ، فعلم أن الأمر يؤول إلى عزله عن القضاء لأن الدولة شافعية ، فاستأذن في الحج والإعفاء عن القضاء فصرف عن ذلك بعد مراجعات . وسمع الحديث من أبيه وأبي المظفر سعيد بن سهل الفلكي وغيرهما، ومولده سنة اثنتين وأربعين وخمسمائة ومات رحمه الله ليلة الجمعة السابع والعشرين من شعبان سنة ثلاث عشرة وستمائة .

هذا ما كتبته من الكتاب الذي ذكرته آنفاً على سبيل الاختصار والايجاز وهو قليل من كثير من فضائلهم ، وأنا الآن أذكر من أنا بصدده ، وهو كمال الدين أبو القاسم عمر بن القاضي أبي الحسن أحمد بن القاضي أبي الفضل هبة الله بن القاضي أبي غانم محمد بن القاضي أبي سعيد هبة الله بن القاضي أبي الحسن أحمد بن أبي جرادة ، كلُّ هؤلاء من آبائه ولي قضاء حلب وأعمالها وهم حنفيون ، وهو الذي نحن بصدده ، وإلى معرفة حاله ركبنا سَنن المقال وجددَهُ ، فانه من شروط هذا الكتاب ، لكتابته التي فاقت ابنَ هلال ، وبلغت الغاية في الجودة والاتقان ، ولتصانيفه في الأدب التي تذكر آنفاً إن شاء الله تعالى . فأما أوصافه بالفضل فكثيرة ، وسماته بحسن الأثر

أثيرة ، وإذ كان هذا الكتاب لا يتسع لأوصافه جميعاً ، وكان الوقتُ يذهب بحلاوة ذكر محاسنه سريعاً ، رأيتُ من المشقة والاتعاب ، التصدي لجميع فضائله والاستيعاب ، فاعتمدت على القول مجملاً لا مفصّلا ، وضربة لا مبوباً فأقول :

إن الله عز وجل عني بخلقته فأحسن خَلْقه وَخُلقه وعقله وذهنه وذكاءه ، وجعل همته في العلوم ومعالي الأمور ، فقرأ الأدب وأتقنه ، ثم درس الفقه فأحسنه ، ونظم القريض فجوده ، وأنشأ النثر فزينه ، وقرأ حديث الرسول وعرف علله ورجاله وتأويله وفروعه وأصوله ، وهو مع ذلك قلق البنان ، جوادٌ بما تحوي اليدان ، وهو كاسمه كمالٌ في كلِّ فضيلة ، لم يعتنِ بشيء إلا وكان فيه بارزاً ، ولا تعاطى أمراً إلا وجاء فيه مبرّزاً ، مشهور ذلك عنه لا يخالِفُ فيه صديقٌ ولا يستطيع دفاعه عدو . وأما قراءته للحديث في سرعته وصحة إيراده وطيب صوته وفصاحته فهو الغاية التي أقرَّ له بها كلّ من سمعها ، فانه يقرأ الخطَّ العَقِدَ كأنه يقرأ من حفظه ، وأما خطه في التجويد والتحرير والضبط والتقييد فسواد مقلة لأبي عبد الله ابن مقلة ، وبدرُ ذو كمال عند علي بن هلال :

خلالُ الفضلِ في الأمجاد فوضى ... ولكنَّ الكمالَ لها كمالُ

وإذا كان التام من خصائص عالم الغيب ، وكان الإنسان لا بد له من عيب ، فعيبه لطالب العنت والشين ، أنه يخاف عليه من إصابته العين ، هذا مع العفاف والزمت ، والوقار وحسن السمت ، والجلال المشهور ، عند الخاص والجمهور :

قاد الجيوشَ لسبعَ عشرةَ حجةً ... ولداتُهُ عن ذاك في أشغالِ

سألته أدام الله علوه عن مولده فقال لي : ولدت في ذي الحجة سنة ثمان وثمانين وخمسمائة ، قال : فلما بلغتُ سبعة أعوام حصلتُ إلى المكتب ، فأُقعدت بين يدي المعلم فأخذ يمثّل لي كما يمثّل للأطفال ويمد خطاً ويرتب عليه ثلاث سينات ، فأخذت القلم ، وكنت قد رأيته وقد كتب « بسم » ومدَّ مدته ، ففعلت كما فعل ، وجاء ما كتبته قريباً من خطه ، فتعجب المعلم فقال لمن حوله : لئن عاش هذا الطفل لا يكونُ في العالم أكتبَ منه . وصحَّت لعمري فراسةُ المعلم فيه فهو أكتبُ من كلِّ من تقدمه بعد ابنِ البواب بلا شك .

وقال : وختمت القرآن ولي تسع سنين ، وقرأت بالعشر ولي عشر سنين ، وحبب إليّ الخط وجعل والدي يحضّني عليه ؛ فحدثني الشيخ يوسف بن علي بن زيد الزهري المغربي الأديب معلم ولده بحضرة كمال الدين قال : حدثني والد هذا (وأشار إليه) قال : ولد لي عدة بنات وكبرن ، ولم يولد لي غير ولد واحد ذكر ، وكان غايةً في الحسن والجمال والفطنة والذكاء ، وحفظ من القرآن قدراً صالحاً وعمره خمس سنين ، واتفق أن كنتُ يوماً جالساً في غرفةٍ لنا مشرفةٍ على الطريق ، فمرت بنا جنازة فاطّلع ذلك الطفلُ ببصره نحوها ثم رفع رأسه إليّ وقال : يا أبت إذا أنا متّ بما تغشّي تابوتي ؟ فزجرته ، وأدركني في الوقت استشعارٌ شديد عليه ، فلم يمض إلا أيام حتى مرض ودرج إلى رحمة الله ولحق بربه ، فأصابني عليه ما لم يُصِبْ والداً على ولد ، وامتنعت من الطعام والشراب ، وجلست في بيت مظلم ، وتصبرت فلم أعط عليه صبراً ، فحملني شدة الوله على قصد قبره ، وتوليتُ حفره بنفسي ، وأردت استخراجه والتشفي برؤيته ، فلمشيئة الله ولطفه بالطفل أو بي لئلا أرى به ما أكره صادفتُ حجراً ضخماً وعالجته فامتنع عليَّ قلعه ، مع قوةٍ وأَيْدٍ كنتُ معروفاً بهما ، فلما رأيتُ امتناعَ الحجر عليَّ علمتُ أنه شفقة من الله على الطفل أو عليّ ، فزجرت نفسي ، ورجعت ولهان بعد أن أعدت قبره إلى حاله التي كان عليها ، فرأيت بعد ذلك في النوم ذلك الطفل وهو يقول : يا أباه عرِّفْ والدتي أني أريد أجيءُ إليكم ، فانتبهت مرعوباً وعرَّفتُ والدته ذلك ، فبكينا وترحمنا واسترجعنا. ثم إني رأيت في النوم كأنّ نوراً خرج من ذكري حتى أشرف على جميع دورنا ومحلتنا وعلا علوًا كبيراً ، فانتبهت وأوَّلتُ ذلك فقيل لي : أبشر بمولودٍ يعلو قدره ويعظم أمره ، ويشيع بين الأنام ذكره بمقدار ما رأيت من ذلك النور ، فابتهلت إلى اللّه عز وجل ودعوتُ وشكرته وَقَوِيَتْ نفسي بعد الإياس لأني كنت قد جاوزت الأربعين ، فلم تمض إلا هنيهة حتى اشتملت والدة هذا ولدي (وأشار إلى كمال الدين أيده الله) على حَمْلٍ ، وجاءت به في التاريخ المقدم ذكره ، فلم يكن بقلبي بحلاوة ذلك الأول لأنه كان نحيفاً جداً ، فجعل كلما كبر نبل جسماً وقدراً ، ودعوتُ له عدةَ دعوات ، وسألت الله له عدة سؤالات ، ورأيت فيه والحمد للّه أكثرها . ولقد قال له رجلٌ يوماً بحضرتي كما يقول الناس : أراكه الله قاضياً كما كان آباؤه ، فقال : ما أريدُ له ذلك ، ولكني اشتهيته أن يكون مدرِّساً ، فبلغه الله ذلك بعد

موته ، وسمع الحديث على جماعة من أهل حلب والواردين إليها ، وأكثر السماع على الشيخ الشريف افتخار الدين عبد المطلب الهاشمي ورحل به أبوه إلى البيت المقدس مرتين في سنة ثلاث وستمائة وفي سنة ثمان وستمائة ، ولقي بها مشايخ وبدمشق أيضاً ، وقرأ على تاج الدين أبي اليمن في النوبتين كثيراً من مسموعاته .

حدثني كمال الدين أدام الله معاليه قال ، قال لي والدي : احفظ « اللمع » حتى أعطيك كذا وكذا ، فحفظته وقرأته على شيخ حلب يومئذ وهو الضياء بن دهن الحصى ثم قال لي : احفظ « القدوري » حتى أهبَ لك كذا وكذا ـ لدراهم كثيرة أيضاً ، فحفظته في مدة يسيرة وأنا في خلال ذلك أجوِّد ، وكان والدي رحمه الله يحرّضني على ذلك ويتولّى صقل الكاغد لي بنفسه ، فإني لأذكر مرةً ، وقد خرجنا إلى ضيعة لنا ، فأمرني بالتجويد فقلت : ليس هاهنا كاغد جيد ، فأخذ بنفسه كاغداً كان معنا ردياً وتناول شربة اسفيذر ، وكانت معنا ، فجعل يصقل بها الكاغد بيده ويقول لي : اكتب ، ولم يكن خطه بالجيد وإنما كان يعرف أصول الخط ، فكان يقول لي : هذا جيد وهذا رديء ، وكان عنده خط ابن البواب ، فكان يريني أصوله إلى أن أتقنتُ منه ما أردت ، ولم أكتب على أحد مشهور ، إلا أن تاج الدين محمد بن أحمد بن البرفطي البغدادي ، ورد إلينا إلى حلب ، فكتبتُ عليه أياماً قلائل لم يحصل منه فيها طائل ، ثم إن الوالد رحمه الله خطب لي وزوّجني بقومٍ من أعيان أهل حلب ، وساق إليهم ما جرت العادةُ بتقدمته في مثل ذلك ، ثم جرى بيننا وبينهم ما كرهته وضيَّقَ صدري منهم ، فوهب لهم الوالد جميعَ ما كان ساقه إليهم وطلقتهم ، ثم إنه وصلني بابنة الشيخ الأجلّ بهاء الدين أبي القاسم عبد المجيد بن الحسن بن عبد الله المعروف بابن العجمي ، وهو شيخ أصحاب الشافعي ، وأعظم أهل حلب منزلةً وقدراً ومالاً وحالاً وجاهاً ، وساق إليهم المهر وبالغ في الإحسان ، وكان والدي رحمه الله باراً بي لم يكن يلتذّ بشيءٍ من الدنيا التذاذَهُ بالنظر في مصالحي ، وكان يقول : اشتهي أرى لك ولداً ذكراً يمشي ، فولد أحمد ولدي ورآه ، وبقي إلى أن كبر ومرض مرضة الموت ، فيوم مات مشى الطفلُ حتى وقع في صدره ، ثم مات والدي رحمه الله في الوقت الذي تقدم ذكره ، وكان الملك الظاهر غازي بن صلاح الدين صاحب حلب رحمه الله كثير الإكرام لي وما حضرتُ مجلسه قطّ فما أقبل على أحدٍ إقباله عليَّ مع صغر السن ،

واتفق أن مرضتُ في شهور سنة ثماني عشرة وستمائة مرضاً أيس مني فيه ، فكان يخطر ببالي وأنا مريض أن الله تعالى لا بدّ وأن يمنَّ بالعافية لثقتي بصحة رؤيا الوالد ، وكنت أقول : ما بلغت بعدُ مبلغاً يكون تفسيراً لتلك الرؤيا إلا إنْ منَّ الله بالعافية وله الحمد والمنة ، فذهب عني ذلك الخيال ، وليس يخطر منه في هذا الوقت ببالي شيء لأن نعم اللّه عليَّ سابغة وأياديه في حقي شائعة .

قلت: ولما مات والده[1] بقي بعده مدة، ومات مدرس مدرسة شادبخت، وهي من أجل مدارس حلب وأعيانها ، ولي التدريس بها في ذي الحجة سنة ست عشرة وستمائة ، وعمره يومئذ ثمان عشرون سنة ، هذا وحلب أعمرُ ما كانت بالعلماء والمشايخ والفضلاء الرواسخ إلا أنه رؤي أهلاً لذلك دون غيره ، وتصدَّر وألقى الدرس بجنان قوي ولسان لوذعي فأبهر العالم وأعجب الناس . وصنف مع هذا السنّ كتباً منها : كتاب الدراري في ذكر الذراري جمعه للملك الظاهر وقدّمه إليه يوم ولد ولده الملك العزيز الذي هو اليوم سلطان حلب . كتاب ضوء الصباح في الحثِّ على السماح ، صنفه للملك الأشرف ، وكان قد سَيَّرَ من حرَّانَ يطلبه ، فانه لما وقف على خطه اشتهى أن يراه ، فقدم عليه فأحسن إليه وأكرمه وخلع عليه وشرفه . كتاب الأخبار المستفادة في ذكر بني أبي جرادة ، وأنا سألته جمعه فجمعه لي ، وكتبه في نحو أسبوع ، وهو عشرة كراريس . كتاب في الخط وعلومه ووصف آدابه وأقلامه وطروسه وما جاء فيه من الحديث والحكم وهو إلى وقتي هذا لم يتم . كتاب تاريخ حلب في أخبار ملوكها وابتداء عمارتها ومن كان بها من العلماء ومن دخلها من أهل الحديث والرواية والدراية والملوك والأمراء والكتاب .

وشاع ذكره في البلاد ، وعرف خطه بين الحاضر والباد ، فتهاداه الملوك ، وجعل مع اللآلىء في السلوك ، وضربت به في حياته الأمثال ، وجعل للناس في زمانه حذواً ومثالاً ، فمما رغب في خطه أنه اشترى وجهةً واحدة بخطّ ابن البواب بأربعين درهماً ونقلها إلى ورقة عتيقة ووهبها من حيدر الكتبي ، فذهب بها وادَّعى أنها بخط ابن البواب وباعها بستين درهماً زيادةً على الذي بخط ابن البواب بعشرين درهماً ، ونسخ لي هذه الرقعة بخطه فدفع فيها كتابُ الوقت على انها بخطه ديناراً مصرياً ولم يطبْ

(1) م : والدي .

قلبي ببيعها ، وكتب لي أيضاً جزءاً فيه ثلاث عشرة قائمة نقلها من خط ابن البواب فأعطِيتُ فيها أربعين درهماً ناصرية قيمتها أربعة دنانير ذهباً فلم أفعل ، وانا أعرف أن ابن البواب لم يكن خطه في أيامه بهذا النفاق ، ولا بلغ هذا المقدار من الثمن وقد ذكرت ما يدل على ذلك في ترجمة ابن البواب .

فممن كتب إليه يسترفده شيئاً من خطه سعد الدين منوجهر الموصلي ، ولقد سمعته مراراً يزعم أنه أكتب من ابن البواب ، ويدعي أنه لا يقوم له أحد في الكتابة ويقرّ لهذا كمالِ الدين بالكمال ، فوجه إليه على لسان القاضي أبي علي القيلوي ، وهو المشهور بصحبة السلطان الأشرف ، يسأله سؤاله في شيء من خطّه ولو قائمة أو وجهة ، وكان اعتماده على أن ينقل له الوجهة المقدم ذكرها .

وممن كتب إليه يسترفده خطّه أمين الدين ياقوت المعروف بالعالم ، وهو صهر أمين الدين ياقوت الكاتب الذي يُضْرَبُ به المثل في جودة الخط وتخرَّج به ألوف وتتلمذ له من لا يحصى ـ كتب إلى كمال الدين رقعةً ، وحموهُ حيٌّ يرزق ، نسختها : الذي حضَّ الخادم على عمل هذه الأبيات ، وإن لم يكن من أرباب الصناعات ، أن الصدر الكبير الفاضل عز الدين ـ حرس اللّه مجده ـ لما وصل إلى الموصل ـ خلّد الله ملك مالكها ـ نشر من فضائل المجلس العالي العالمي الفاضلي كمال الدين ـ كمل الله سعادته ، كما كمل سيادته ، وبلغه في الدارين مناه وإرادته ـ ما يعجز البليغُ عن فهمه فضلاً عن أن يورده ، لكن فضائل المجلس كانت تملي على لسانه وتشغله ، فطرب الخادم من استنشاق رياها ، واشتاق إلى رؤية حاويها عند اجتلاء محياها ، فسمح عند ذلك الخاطر مع تبلده ، بأبيات تخبر المجلس بمحبة الخادم له وتعبده ، وهي :

حَيَا نداكَ كمالَ الدين أَحيانا ... ونشرُ فَضْلِكَ عن محياك حَيَّانا
وحسنُ أخلاقك اللائي خُصِصْتَ بها ... أهدتْ إلى البعد لي رَوْحاً وريحانا
حويتَ يا عمرُ المحمودُ سيرتُهُ ... خَلْقاً وَخُلْقاً وإفضالاً وإحسانا
إن كان نجلُ هلالٍ في صناعته ... ونجل مقلةَ عينا الدهر قد كانا
فأنت مولاي إنسانُ الزمانِ وقد ... غدوتَ في الخطِّ للعينين إنسانا
قد بَثَّ فضلَكَ عزُّ الدين مقتصداً ... ونثَّ شكرك إسراراً وإعلانا

فضاع نَشْرُكَ في الحدباءِ واشتهرت آيـاتُ فضلك أرسالاً ووحـدانا
أُثني عليكَ وآمالي معلقةٌ بحسن عفوك ترجو منك غفرانا
وان تطفلتُ في صدقِ الودادِ ولم يقضِ التلاقي لنا عفواً ولا حانا
فما ألامُ على شيءٍ أتيتُ به «فالاذن تعشقُ قبل العين أحيانا»
يا أفضلَ الناس في علمٍ وفي أدب وأرجحَ الخلقِ عند اللّه ميزانا
قد شرَّفَ اللّه أرضاً أنت ساكنها وشرف الناسَ إذ سواك انسانا

قد هجم الكلام على المجلس العالي بوجهٍ وقاح ، ولم يخش مع عفو المولى وَصْمَةَ الافتضاح ، فليلق عليها المولى سترَ المعروف ، فهو أليقُ بكرمه المألوف ، والسلام .

فكتب إليه كمال الدين بخطه الدّريّ ولفظه السحري ، وأنشدنيها لنفسه :

يا من أبحتُ حمى قلبي مودَّتَهُ ومن جعلتُ له أحشايَ أوطانا
أرسلتَ نحويَ أبياتاً طربتُ بها والفضلُ للمبتدي بالفضلِ إحسانا
فرُحْتُ أختال عُجْباً من محاسنها كشاربٍ ظلَّ بالصهباء نشوانا
رقَّتْ وراقتْ فجاءت وهي لابسةٌ من البلاغة والترصيع ألوانا
حكتْ بمنثورها والنظم إذ جمعا بأحرفٍ حَسُنَتْ روضاً وبستانا
جَرَّتْ على جرولٍ أثوابَ زينتها إذ أصبحت وهي تكسو الحسنَ حَسَّانا
أضحت تغبّر وجه العنبريّ فما بنو اللقيطةِ من ذهلِ بن شيبانا
يمسي لها ابنُ هلالٍ حين ينظرها يحكي أباه بما عاناه نقصانا
كذاك أيضاً لها عبد الحميد غدا عبداً يجرُّ من التقصيرِ أردانا
أتت وعبدُكَ مغمورٌ بعلّته فغادرته صحيحاً خيرَ ما كانا
وكيف لا تدفع الأسقامَ عن جسدي وهي الصَّبا حملتْ رَوْحاً وريحانا
فما على طيفها لو عاد يطرقنا فربما زار أحياناً وأحيانا
فاسلم وأنت أمين الدين أحسنُ مَنْ وشّى الطروسَ بمنظوم ومن زانا
ولا تخطَّتْ إليكَ الحادثاتُ ولا حلَّتْ بربعك يا أعلى الورى شانا

وأنشدني كمال الدين أدام الله علاءه لنفسه في الغزل فاعتمد فيه معنى غريباً :

وأهيفَ معسولِ المراشفِ خلتُهُ ... وفي وجنتيه للمدامةِ عاصرُ
يسيل إلى فيه اللذيذ مدامه ... رحيقاً وقد مَرَّتْ عليه الأعاصر
فيسكرُ منه عند ذاك قوامه ... فيهتزُّ تيهاً والعيونُ فواتر
كأنّ أميرَ النوم يهوى جفونَهُ ... إذا همَّ رفعاً خالفته المحاجر
خلوتُ به من بعد ما نام أهله ... وقد غارتِ الجوزاءُ والليلُ ساتر
فَوَسَّدْتُهُ كفّي وبات معانقي ... إلى أن بدا ضوءٌ من الصبح سافر
فقام يجرُّ البردَ منه على تقىً ... وقمتُ ولم تحلل لإثمٍ مآزر
كذلك أحلى الحبِّ ما كان فرجُهُ ... عفيفاً ووصلٌ لم تَشِنْهُ الجرائر

وأنشدني لنفسه بمنزله بحلب في ذي الحجة سنة تسع عشرة وستمائة وإملائه :

وساحرةِ الأجفانِ معسولةِ اللمى ... مراشفُها تهدي الشفاءَ من الظما
حَنَتْ ليَ قوسَيْ حاجبيها وفوَّقَتْ ... إلى كبدي من مقلةِ العين أسهما
فوا عجبا من ريقها وهو طاهرٌ ... حلالٌ وقد أضحى عليَّ محرّما
فإن كان خمراً أين للخمر لونه ... ولذّتُهُ مَعْ أنني لم أذقهما
لها منزلٌ في ربع قلبي محلُّهُ ... مصونٌ به مذ أوطنته لها حمى
جرى حبها مجرى حياتي فخالطتْ ... محبتها روحي ولحميَ والدما
تقول إلى كم ترتضي العيشَ أنكداً ... وتقنع أن تضحي صحيحاً مسلّما
فسرْ في بلاد الله واطّلِبِ الغنى ... تفزْ منجداً إن شئت أو شئتَ متهما
فقلت لها إن الذي خلق الورى ... تكفَّلَ لي بالرزقِ منًّا وأنعما
وما ضرني أن كنتُ ربَّ فضائلٍ ... وعلمٍ عزيزَ النفسِ حراً معظما
إذا عدمتْ كفّاي مالاً وثروةً ... وقد صنت نفسي أن أذل وأحرما
«ولم أبتذل في خدمة العلم مهجتي ... لأخدم من لاقيت لكن لأُخدما»

لا يظنن الناظر في هذه الأبيات أن قائلها فقير وقير ، فإن الأمر بعكس ذلك ،

لأنه ـ والله يحوطه ـ ربُّ ضياع واسعة وأملاك جمة ونعمة كثيرة وعبيد كثيرة وإماء وخيل ودواب وملابس فاخرة وثياب ، ومن ذلك أنه بعد موت أبيه اشترى داراً كانت لأجداده قديماً بثلاثين ألف درهم ، ولكن نفسه واسعة وهمته عالية والرغبات في الدنيا بالنسبة إلى الراغبين والشهوة لها على قدر الطالبين .

وأنشدني لنفسه بمنزله في التاريخ :

احذرْ من ابن العمّ فهو مصحَّفٌ ... ومن القريبِ فإنما هو أحرفُ
القافُ من قبرٍ غدا لك حافراً ... والراءُ منه ردىً لنفسك يخطفُ
والياءُ ياسٌ دائم من خيره ... والباءُ بغضٌ منه لا يتكيفُ
فاقبل نصيحتيَ التي أهديتها ... إني بأبناء العمومةِ أعرَفُ

وأنشدني أيضاً لنفسه بمنزله سالكاً طريق أهله في الافتخار :

سألزمُ نفسي الصفح عن كلِّ ما جنى ... عليَّ وأعفو حسبةً وتكرما
وأجعلُ مالي دون عرضي وقايةً ... ولو لم يغادر ذاك عنديَ درهما
وأسلكُ آثار الألى اكتسبوا العلا ... وحازوا خلالَ الخيرِ ممن تقدما
أولئك قومي المنعمون ذوو النهى ... بنو عامرٍ فاسأل بهمْ كي تَعَلَّما
إذا ما دُعُوا عند النوائب إن دجتْ ... أناروا بكشفِ الخطب ما كان أظلما
وإن جلسوا في مجلسِ الحكم خلتَهُمْ ... بدورَ ظلامٍ والخلائقَ أنجما
وإن همْ ترقَّوْا منبراً لخطابةٍ ... فأفصحُ من يوماً بوعظٍ تكلما
وان أخذوا أقلامهم لكتابةٍ ... فأحسنُ من وشّى الطروسَ ونمنما
بأقوالهم قد أُوضِحَ الدين[1] واغتدى ... بأحكامهم علمُ الشريعة محكما
دعاؤهمُ يجلو الشدائدَ إن عَرَتْ ... وَيُنْزِلُ قَطْرَ الماءِ من أُفُقِ السما
وقائلةٍ يا ابن العديم إلى متى ... تجود بما تحوي ستصبحُ معدما
فقلتُ لها عني إليكِ فإنني ... رأيتُ خيارَ الناسِ من كان منعما
أبى اللؤمَ لي أصلٌ كريمٌ وأسرةٌ ... عقيلية سنُّوا الندى والتكرما

وأنشدني لنفسه وقد رأى في عارضه شعرةً بيضاء وعمره إحدى وثلاثون سنة :

(1) م : الدار .

أليس بياضُ الأفقِ في الليل مؤذنا بآخر عمرِ الليل إذ هو أسفرا
كذاك سوادُ النبتِ يقرب يبسه إذا ما بدا وسطَ الرياضِ منوّرا

ودخلت إلى كمال الدين المذكور يوماً فقال لي : ألا ترى أنا في السنة الحادية والثلاثين من عمري وقد وجدت في لحيتي شعرات بيضا ، فقلت أنا فيه :

هنيئاً كمالَ الدين فضلاً حُبيتَهُ ونعماءَ لم يُخْصَصْ بها أحدٌ قبلُ
لِداتُكَ في شغلٍ بداعيةِ الصبا وأنت بتحصيل المعالي لك الشغل
بلغتَ لعشرٍ من سنينك رتبةً من المجد لا يسطيعها الكاملُ الكهل
ولما أتاك الحلم والفهم ناشئاً أشابك طفلاً كي يتمَّ لك الفضل

ـ 862 ـ

عمر بن ثابت أبو القاسم الثمانيني النحوي الضرير : إمام فاضل وأديب كامل ، أخذ عن أبي الفتح ابن جني ، وكان خواص الناس في ذلك الوقت يقرءون على أبي القاسم عبد الواحد بن برهان الأسدي ، وعمومهم يقرءون على الثمانيني . مات الثمانيني في سنة اثنتين وأربعين وأربعمائة في خلافة القائم بأمر الله ، وهو منسوب إلى سوق ثمانين ، بليد صغير بأرض جزيرة ابن عمر بأرض الموصل من ناحية قردى ، يقال إنها أول مدينة بنيت بعد الطوفان ، وسميت بذلك لأنهم زعموا أن الذين نجوا من السفينة كانوا ثمانين آدمياً .

وله من التصانيف : كتاب شرح اللمع . كتاب المفيد[1] في النحو . كتاب شرح التصريف الملوكي .

وجدت في بعض الكتب أن أولَ قرية بنيت بعد الطوفان ثمانين ، وإنما سميت

862 ـ ترجمة الثمانيني في نزهة الألباء : 256 والمنتظم 8 : 146 ومعجم البلدان (ثمانين) وابن خلكان 3 : 443 وعبر الذهبي 3 : 200 والوافي 22 : 443 ونكت الهميان : 220 ومرآة الجنان 3 : 61 والبداية والنهاية 12 : 62 والبلغة : 171 وبغية الوعاة 2 : 217 والشذرات 3 : 269 وإشارة التعيين : 238 .

(1) الوافي : المقيد .

بهذا الاسم لأنّ ثمانين نفراً خرجوا من السفينة وبنوها ، ولما خرجوا من السفينة نزلوا قردَى وبازبدَى بأرض الموصل ، وهي قرية الثمانين ، ثم وقع فيهم الوباء فماتوا إلا نوح وسام بن نوح وحام ويافث ونساؤهم وطبقت الدنيا منهم ، فذلك قوله عز وجل ﴿ **وجعلنا ذريته هم الباقين** ﴾ (الصافات: 77) .

ـ 863 ـ

عمر بن جعفر بن محمد الزعفراني أبو القاسم : يلقب دومى ، أحد أعيان أهل الأدب المخصصين بمعرفة علم الشعر من القوافي والعروض وغير ذلك ، ذكره محمد بن إسحاق النديم ، وكان في عصره . وله كتاب العروض في خمس مجلدات ضخمة رأيتها بخطه في وقف جامع حلب . وله كتاب القوافي . كتاب اللغات (ذكرهما ابن النديم) .

ـ 864 ـ

عمر بن الحسين الخطاط غلام ابن حرنقا : كان كاتباً مليح الخط محظوظاً منه ، وكان يكتب على طريقة علي بن هلال البواب ويجيد في ذلك ، وخطه مشهور عند كتاب الآفاق معروف ، مات في ما ذكره صدقة بن الحسين الحيار في حادي عشر جمادى الآخرة سنة اثنتين وخمسين وخمسمائة ودفن في داره بدرب الدواب ، وكان له من آلة الكتابة ما لم يكن لأحدٍ قبله ، وذلك أنه حدثني محمد بن البرفطي الكاتب قال حدثني أبو اليمن زيد بن الحسن الكندي أنه بيع له في تركته آلة الكتابة بتسعمائة دينار إمامية[1] ، من جملة ذلك دواة بازهر اشتراها بعض ولد زعيم الدين بن جعفر صاحب المخزن بسبعمائة[2] دينار، وبيع له بالباقي سكاكين وأقلام وبراكر وما شاكل ذلك .

---

863 ـ ترجمة الزعفراني في الفهرست : 92 والوافي 22 : 445 وبغية الوعاة 2 : 217 .
864 ـ ترجمة غلام ابن حرنقا في الوافي 22 : 455 .

(1) الصفدي : أميرية .　(2) م : بتسعمائة .

ـ 865 ـ

عمر بن شبة بن عبيدة بن ريطة البصري أبو زيد مولى بني نمير ، واسم شبة زيد ، وإنما سمي شبة لأنَّ أمه ترقصه وتقول :

يـا بـأبـي وشـبَّـا وعـاش حتـى دبَّـا شيخـاً كبيـراً خبَّـا

مات لست بقين من جمادى الآخرة سنة اثنتين وستين ومائتين بسامرا ، وبلغ من السن تسعين سنة . وكان أبو زيد راوية للأخبار عالماً بالآثار أديباً فقيهاً صدوقاً . قال المرزباني : وهو القائل للحسن بن مخلد :

ضاعت لديك حقوق واستهنت بها والحـرُّ يـألم من هـذا ويمتعضُ
إني سـأشكـر نعمى منكَ سـالفـةً وإن تخـوَّنهـا من حـادثٍ عَـرَضُ

ولـه :

أصبحـتُ كـلاًّ على أنـاسٍ قـد كنتُ عن مثلهم عَـزُوفـا

قال محمد بن إسحاق : وله من التصانيف كتاب الكوفة . كتاب البصرة . كتاب أمراء المدينة . كتاب أمراء مكة . كتاب السلطان . كتاب مقتل عثمان رضي الله عنه وأرضاه . كتاب الكتاب . كتاب الشعر والشعراء . كتاب الأغاني . كتاب التاريخ . كتاب أخبار المنصور . كتاب أخبار محمد وإبراهيم ابني عبد الله بن حسن بن حسن . كتاب أشعار الشُّراة . كتاب النسب . كتاب أخبار بني نمير . كتاب ما يستعجم الناس فيه من القرآن . كتاب الاستعانة بالشعر وما جاء في اللغات . كتاب الاستعظام . كتاب النحو ومن كان يلحن من النحويين . كتاب طبقات الشعراء .

وكان لأبي زيد ابن اسمه أبو طاهر أحمد ، وكان شاعراً مجيداً ، اعتبط قبل أن يبلغ مبلغ المشهورين ، مات بعد أبيه بعشر سنين . ومن شعر عمر بن شبة :

865 ـ ترجمة ابن شبة في : نور القبس : 231 والفهرست : 125 وتاريخ بغداد 11 : 208 والمنتظم 5 : 41 والمعجم المشتمل : 201 وابن خلكان 3 : 440 وتهذيب الأسماء واللغات 2 : 16 وتذكرة الحفاظ : 516 وعبر الذهبي 2 : 25 وسير الذهبي 12 : 369 وغاية النهاية 1 : 592 والوافي 22 : 488 وتهذيب التهذيب 7 : 460 وبغية الوعاة 2 : 218 والشذرات 2 : 146 .

وقـائلة لـم يـبقَ لـلنـاس سيـدٌ فقلتُ بلى عبد الرحيم بن جعفرِ

ومن شعر ابنه أبي طاهر أحمد :

نـظرتُ فلم أر في العسكـر كشؤمي وشؤم أبـي جعـفـرِ
غـدا النـاسُ للعيدِ في زينـة من اليـوم في منـظرٍ أزهـرِ
ونغـدو عليـهم بـلا أهـبـةٍ فـراراً من المنـزل المـقفـرِ
فنقـعـدُ للشـؤم في عـزلـةٍ من النـاس ننـظرُ في دفتـرِ

- 866 -

عمر بن عثمان بن الحسين بن شعيب الجنـزي أبو حفص ، من أهـل ثغر جنزة :

ذكره عبد الكريم السمعاني فقال : هو أحد أئمة الأدب ، وله باع طـويل في الشعر والنحو ، ورد بغداد وأقام بها مدة ، وصحب الأئمة واقتبس منهم ، وأكثر ما قرأ الأدب على أبي المظفر الأبيوردي ، ثم رجع إلى بلده وعاد ثانيـاً إلى بغداد وذاكـر الفضلاء بها وبالبصرة وخوزستان، وبرع في العلم حتى صار علاّمة زمانه، وأوحد عصره وأوانه ، وكان غزير الفضل وافر العقل حسن السيرة كثير العبادة متودداً سخي النفس ، صنف التصانيف وجمع الجموع ، وشرع في إملاء تفسيـر لو تم لم يوجد مثله . سمع بهمذان عبد الرحمن الدوني ، كتبت عنه بمرو ، وأنشدني لنفسه :

أحـاديَ عِيسي إن بلغتَ مقـامي فبلّغْ صحابي لا عدمتَ سـلامي
وخبـرهمُ عما أعـاني من الجوى ومن لوعتي في هجرهم وسقامي
وقـل لهمُ إني متى مـا ذكـرتكم غصصتُ لـذكراكم بكـلِّ طعـامِ
وان دمـوعي كلّمـا لاح كـوكبٌ ترقرق في خدِّي كصوبِ غمـامِ
وإن هبَّ من أرضِ الحبيب نُسَيْمَةٌ تَقَلْقَـلَ أحشـائي وهـاج غـرامي

866 ـ له ترجمة في الأنساب واللباب (الجنزي) ومعجم البلدان (جنزة) وإنباه الرواة 2 : 329 وبغية الوعاة 2 : 220 والوافي (خ) وثغر جنزة من قرى أذربيجان .

وان غـرَّدَتْ وهنـاً حمـامـةُ أيكـةٍ   أجبت[1] بنوحي لحنَ كلِّ حمامِ

وله :

قـالتْ وَخـطَـتْـكَ شيبـةٌ كـالعينِ   كم تـذرفُ عينـاك ذروفَ العينِ

قـد قلتُ لهـا أيـا سـوادَ العينِ   يـزدادُ مـن الثـلوج مـاءُ العيـنِ

العين الأولى الطليعة .

ومات الجنزي في رابع عشر ربيع الآخر سنة خمسين وخمسمائة بمرو وقد جاوز السبعين .

وذكره أبو الحسن ابن أبي القاسم البيهقي في « كتاب الوشاح » فقال : هو إمام في النحو والأدب لا يشق فيهما غباره ، ومع ذلك فقد تحلَّى بالورع ونزاهة النفس ، لكن الزمان عانده وما بسط في أسباب معاشه يده ، جاسَ خلال الديار وقال : أدركتُ زمانَ الأشجّ ، ورأيتُ مُصَلّاه في طنجةَ المغرب إلا أني لم أمكث حتى أراه . وأدَّب بنيسابور أولاد الوزير فخر الملك ، ثم ارتحل من نيسابور في شهور سنة خمس وأربعين وخمسمائة ، ثم لم يعد إليها ، وقضى نحبه بعد انتقاله من نيسابور بأيام قلائل ، وأنشد له قصيدة واحدة في مدح الإمام محمد بن حمويه منها :

ألـم تـذكـرا ربعـاً بعسفـانَ عـامـراً   وبيضـاً يـودّعـن الأحبـة خُـرَّدا

يُشَعِّثْنَ بـالعنّـابِ ضِغْثَ بنفسـجٍ   ويضـربن بالأسـروعِ خـدًّا مـوردا

كـأن النوى لم تلقَ غيـر جـوانحي   ومقلتيَ العبـرى مَـراداً ومـوردا

وَتُذْرِي على الوردِ الجمانَ بنرجسٍ   حمتـه بنـانٌ تتـرك الصبَّ مُقْصَـدا

وشـابهتهـا إذ أعـرضتْ في ثـلاثـة   تـزيـدُ لهـا حسنـاً وتـورثنـا الـردى

حكى خـدُّهـا دمعي وقلبيَ قُلْبَهَـا   وحـاجبَهـا قـدّي لمـا قـد تـأودا

وإن بخلتْ عيني وضنَّتْ بمـائهـا   إذاً جـاد قلبي بـالـدمـاء وأنجـدا

وأبـدعُ منـه أنّ حـرَّ أضـالعي   ولوعاتها تُغْلي الشرابَ[2] المبـردا

وتصعـدُ من صـدري ريـاحٌ بـواردٌ   إذا أنـا أُذْكِـرْتُ الـلوى متنهـدا

---

(1) م والوافي : أحنت .   (2) م : التراب .

قرأت بخط أبي سعد : أنشدنا أبو حفص عمر بن عثمان الجنزي لنفسه يعزي الكمال المستوفي بزوجته :

إذا جلَّ قدرُ المرءِ جل مصابُ / وكلُّ جليلٍ بالجليل يصابُ
يروحُ الفتى في غفلةٍ عن مآله / ويشغله عنه هوىً وشبابُ
ولم يتفكر أنّ من عاش ميتٌ / وأن الذي فوق التراب ترابُ
وان ثراءً يقتنيه مُشَتَّتٌ / وأنّ بناءً يبتنيه خرابُ
ونعمةُ ذي الدنيا بلاءٌ ومحنةٌ / وماذيُّها سمٌّ يضرُّ وصابُ
وفرحتها عند الأكايسِ ترحةٌ / وسلسالها للأولياءِ سرابُ
فلا يخدعنّ المرءَ نعمى حلالها / حسابٌ عليه والحرامُ عقابُ
وللدهر مستوفٍ عليهم مناقشٌ / له مع أهل الخافقين خطابُ
على كلِّ نفس مشرفان لربه / غدا لهما فيما أتته كتابُ

وهي طويلة .

- 867 -

عمر بن عثمان بن خطاب بن بشير التميمي أبو حفص النحوي : مغربي له كتاب الأمر والنهي ويعرف بكتاب المكتفي .

- 868 -

عمر بن أبي عمر محمد بن يوسف بن يعقوب بن إسماعيل بن حماد بن

867 ـ ترجمته في بغية الوعاة 2 : 221 (عن ياقوت) وكذلك الوافي (خ) .

868 ـ لأبيه القاضي أبي عمر محمد بن يوسف ترجمة في تاريخ بغداد 3 : 401 والمنتظم 6 : 246 وسير النبلاء 14 : 555 والوافي 5 : 245 وكانت وفاة أبي عمر سنة عشرين وثلاثمائة ، أما ابنه عمر أبو الحسين فله ترجمة في المنتظم 6 : 307 (وكانت وفاته سنة 328) وانظر نشوار المحاضرة 1 : 240 وبغية الوعاة 2 : 226 (عن ياقوت) والوافي (خ) .

زيد بن درهم القاضي : حدث أبو القاسم التنوخي قال حدثني أبو الحسين بن عياش القاضي قال : لما قلّد المقتدر أبا الحسين ابن أبي عمر القاضي المدينةَ رئاسةً في حياة أبيه أبي عمر خلع عليه ، واجتمع الخلق من الأشراف والقضاة والشهود والجند والتجار وغيرهم على باب الخليفة ، حتى خرج أبو الحسين وعليه الخلع ، فساروا معه ، قال : وكنت فيهم للصهر الذي كان بينه وبينهم ولأنه كان أحد شهودهم ، فصار عمي وأنا معه في أخريات الناس والموكب خوفاً من الزحام ، ومعنا شيخ أسنّ أسماه أبو الحسين وأنسيته أنا ، فكنا لا نجتاز بموضع إلا سمعنا ثلبَ الناسِ لأبي الحسين وتعجبهم من تقلده رئاسة ، فقال عمي للشيخ : يا أبا فلان أما ترى كثرة تعجّبِ الناس من تقلُّد هذا الصبي مع فضله ونفاسته وعلمه وجلالة سلفه ؟! فقال : يا أبا محمد لا تعجب من هذا ، فلعهدي وقد ركبتُ مع أبي عمر يومَ خُلِعَ عليه بالحضرة ، وقد اجتزنا بالناس ـ وهم معجبون من تقلده ـ أضعاف هذا العجب ، حتى خفنا أن يثبوا علينا ، وهذا أبو عمر الآن وقدره في الفضل والنبل [معروف] ، ولكن الناس يسرعون إلى العجب مما لم يألفوه .

وله من التصانيف : كتاب غريب الحديث كبير لم يتم . كتاب الفرج بعد الشدة لطيف وهو مما أحسب أول من صنف في ذلك[1] .

حدث ابن نصر والخطيب عن أبي الطيب ابن زنجي المؤدب قال : كان بين أبي أحمد ابن ورقاء وبين القاضي أبي عمر وولده أبي الحسين مودة وكيدة ، فعنَّ لأبي أحمد سفرةٌ لم يودع فيها القاضيين ، فلما عاد من سفرته لم يقصداه ولم يعرفا خبره ، فكتب إليهما :

أأستجفي أبا عمرٍ وأشكو ... أم أستجفي فتاه أبا الحسينِ

---

(1) بل سبقه إلى ذلك المدائني وابن أبي الدنيا ، انظر مقدمة الفرج بعد الشدة للتنوخي 1 : 52 وقد اطلع التنوخي على كتاب القاضي أبي الحسين فهو يقول (ص : 53) وقرأت أيضاً كتاباً للقاضي أبي الحسين عمر بن القاضي أبي عمر محمد بن يوسف القاضي رحمهم الله في مقدار خمسين ورقة قد سماه كتاب الفرج بعد الشدة أودعه أكثر ما رواه المدائني وجمعه ، وأضاف إليه أخباراً أخر أكثرها حسن ، وفيها غير ما هو مماثل عندي لما عزاه ولا مشاكل لما نحاه ، وأتى في أثنائها بأبيات شعر يسيرة من معادن لأمثالها جمة كثيرة ، ولم يلم بما أورده ابن أبي الدنيا ، ولا أعلم أتعمد ذلك أم لم يقف على الكتاب .

بـأيٍّ قضيـةٍ وبـأيِّ حكمٍ ألحّا[1] في قطيعـةِ واصلينِ
فمـا جـاءا ولا بعثـا رسـولاً ولا كـانـا لحقٍّ قـاضيينِ[2]
وان من المـروءة أن يكـونـا لـمن والاهـمـا متـواليـينِ
فـان نعتبْ فحقـاً غيـرَ أنـا نُجِـلُّ على العتاب القـاضيينِ

وأنفذ الرقعةَ إلى أبي عمر ، فلما وقف عليها ألقاها إلى ولده أبي الحسين وقال : أجبه فأنت أقومُ بجواب هذا الكلام ، فكتب إليه :

تجنَّ واظلمْ فلسـتُ منتقـلاً عن خـالص الودِّ أيهـا الظالمْ
كتبتَ تشكـو قـطيعـةً سلفتْ وخلتَ أني لـحبـلكم صـارمْ
تـركتَ حقَّ الـوداع منصـرفـاً وجئتَ تبغي زيـارةَ الـقـادمْ
كـأنَّ حقّي عـليـكَ مُـطَّرَحٌ وحـقُّ مـا تبـتغيـه لي لازمْ
أمـران لم يـذهبـا على فَـطِنٍ وأنت بـالحكم فيهمـا عـالمْ
وبعـد ذا فـالعتـابُ من ثقـةٍ وصـدره من حفيـظة سـالمْ

فلما وقف عليها ركب إليهما وعاد معهما إلى ما كان عليه من المصافاة .

ـ 869 ـ

عمر بن محمد النسفي الحافظ ـ ونسف هي نخشب بما وراء النهر ـ : كنيته أبو حفص ، وصنف كتباً منها « كتاب القند في علماء سمرقند » ذكر فيه وقال : وموسى بن عبد الله الأغماتي قدم علينا سنة ست عشرة وخمسمائة ، وهو شاب فاضل ، وبقي عندي أياماً وكتب عني الكثير ، ولأجله جمعت كتاباً سميته « عجالة النخشبيّ لضيفه المغربي » وفيه قلت :

---

869 ـ هو عمر بن محمد بن أحمد ، وكتابه « القند في معرفة علماء سمرقند » ينقل عنه ابن العديم في بغية الطلب (انظر مثلاً 1 : 157) .

(1) الوافي : أجافى . (2) الوافي : لحقي موجبين .

لقد طلع الشمسُ من غربها — على خافقيها[1] وأوساطها
فقلنا القيامةُ قد أقبلتْ — وقد جاءَ أولُ أشراطها

قال وأنشدني موسى الأغماتيّ لنفسه :

لعمرُ الهوى إني وإن شطَّتِ النوى — لذو كبدٍ حرَّى وذو مَدْمَعٍ سَكْبِ
فان كنتُ في أقصى خراسانَ نازحاً — فجسميَ في شرقٍ وقلبيَ في غربِ

ـ 870 ـ

عمر بن مطرّف الكاتب يكنى أبا الوزير ، من عبد القيس : كان من أهل مرو ، وكان يتقلد ديوان المشرق للمهدي ، وهو ولي عهد ، ثم كتب له في خلافته ، والهادي والرشيد ، وكان يكتب للمنصور وللمهدي ، وقيل إنه مات في أيامه ، والصحيح أنه مات في أيام الرشيد ، فحزن عليه وصلّى هو عليه بنفسه ، فلما فرغ من صلاته قال له[2] : رحمك الله ما عَرَضَ لكَ أمران أحدهما لله والآخر لك الا اخترت ما هو للّه على هواك .

وله من الكتب : كتاب مفاخرة العرب ومنافرة القبائل في النسب . كتاب منازل العرب وحدودها وأين كانت محلة كل قوم وإلى أين انتقل منها . كتاب رسائله .

قال محمد بن عبدوس : وكان الرشيد أمر بابطال دواوين الأزمة في سنة سبعين ومائة ، فأبطلت شهرين ، ثم أعيدت ووليها أبو الوزير عمر بن المطرف بن محمد

870 ـ عمر بن مطرف الكاتب أبو الوزير : ورد ذكره عند الجهشياري : 166 (حيث احتجم يوم خميس فجعل المهدي الخميس عطلة للكتاب ؛ وص : 265 حيث رثاه الرشيد ، وهو ما نقله المؤلف هنا ؛ وص 281 ـ 288 حيث أورد قائمة خراج عملها للرشيد أيضاً ، ولكن سائر ما ينقله المؤلف عن الجهشياري لم يرد في المطبوع منه ، ولم يستدركه ميخائيل عواد في « نصوص ضائعة ») ؛ وانظر الفهرست : 141 والوافي (خ) .

(1) كذا ، ولعله على حافتيها .

(2) ورد قول الرشيد عند الجهشياري : 265 والفهرست .

العبدي ، منسوب إلى عبد القيس لأنه كان مولاهم . وكان محمد بن مطرف[1] أحد كتّاب المهدي وتقلد له ديوان الخراج أيام مقامه بالري ، وتوفي مطرف بن محمد سنة أربع وأربعين ومائة في قول ، وقيل غير ذلك ، وقد ذكرته بعد هذا[2] .

وكان أبو الوزير عفيفاً متصوناً ، وكان يُبَخَّل . وحكي أنه كلم عمر بن العلاء في رجل فوهب له مائة ألف درهم ، فدخل أبو الوزير على الرشيد وقال له : يا أمير المؤمنين عمر خائن ، كلّمته في رجل كانت همته ألفا درهم فوهب له مائة ألف درهم ، فلم يضرَّه ذلك عند الرشيد لعلمه ببخل أبي الوزير . ولما انصرف عمر بن العلاء إلى حضرة أبي الوزير أغلظ له وشدد معاتبته لأجل ما وهب للرجل وقال له : قد كان يجزيه إذا أسرفت أن تهبَ له خمسة آلاف درهم ، قال له عمر بن العلاء : فاعمل على أني أعطيته بكتابك خمسة آلاف درهم ، وأعطيته لنفسي خمسة وتسعين ألف درهم .

وفي أبي الوزير يقول بعض الشعراء :

لبس الرياءَ وراح في أثوابه ... نحوَ الخليفةِ كاسراً لم يطرفِ
يبدي خلافَ ضميره ليغرَّهُ ... لله در رياءك ابنَ مطرَّفِ

وكان حج الرشيد في سنة ست وثمانين ومائة ، وقد حج الرشيد بعد ذلك أيضاً في سنة ثمان ، ولا أدري في أية حجتيه هاتين مات أبو الوزير .

ـ 871 ـ

عمرو بن أبي عمرو إسحاق بن مرار الشيباني : قد تقدم ذكر نسبه وولائه عند ذكر أبيه[3] ، وكان عمرو هذا قد أخذ علم أبيه وتصدر للقراءة عليه وأبوه حي . مات سنة إحدى وثلاثين ومائتين ، وقال الأزهري : مات سنة اثنتين وثلاثين ومائتين .

871 ـ ترجمته في تهذيب اللغة للأزهري 1 : 10 وطبقات الزبيدي : 204 وإنباه الرواة 2 : 360 وبغية الوعاة 2 : 228 والوافي (خ) وقد سمع منه ثعلب كتاب «النوادر» لأبيه ، وسمع منه أبو إسحاق الحربي ووثقه كل واحد منهما .

(1) لعل الصواب : مطرف بن محمد .
(2) لم ترد لمطرف ترجمة .
(3) انظر الترجمة رقم : 226 في ما تقدم .

- 872 -

عمرو بن بحر بن محبوب أبو عثمان الجاحظ مولى أبي القلمس عمرو بن قلع الكناني ثم الفقيمي أحد النُّسَّاء . قال يموت بن المزرع : الجاحظ خالُ أمي . وكان جد الجاحظ أسود يقال له فزارة ، وكان جمالاً لعمرو بن قلع الكناني . وقال أبو القاسم البلخي : الجاحظ كناني من أهل البصرة . وكان الجاحظ من الذكاء وسرعة الخاطر والحفظ بحيث شاع ذكره وعلا قدره واستغنى عن الوصف .

قال المرزباني ، حدث المازني[1] قال : حدثني من رأى الجاحظ يبيع الخبز والسمك بسيحان . قال الجاحظ : أنا أسن من أبي نواس بسنة ، ولدت في أول سنة خمسين ومائة وولد في آخرها . مات الجاحظ سنة خمس وخمسين ومائتين في خلافة المعتز وقد جاوزَ التسعين[2] . سمع من أبي عبيدة والأصمعي وأبي زيد الأنصاري ، وأخذ النحو عن الأخفش أبي الحسن وكان صديقه ، وأخذ الكلام عن النظام ، وتلقف الفصاحة من العرب شفاهاً بالمربد . وحدثت أن الجاحظ قال : نسيتُ كنيتي ثلاثة أيام حتى أتيتُ أهلي فقلتُ لهم : بم أُكنى ؟ فقالوا : بأبي عثمان . وحدث أبو هفان قال : لم أر قط ولا سمعت من أحبَّ الكتبَ و العلومَ أكثر من الجاحظ فانه لم يقع بيده كتابٌ قط إلا استوفى قراءته كائناً ما كان حتى إنه كان يكتري دكاكينَ الوراقينَ ويبيتُ فيها للنظر ، والفتح بن خاقان فانه كان يحضر لمجالسة المتوكل فإذا أراد القيامَ لحاجةٍ أخرج كتاباً من كمه أو خفه وقرأه في مجلس المتوكل إلى حين عوده إليه حتى في

872 - ترجمة الجاحظ في الفهرست : 208 ونور القبس : 230 وتاريخ بغداد 12 :212 ونزهة الألباء : 132 وأمالي المرتضى 1: 194 وابن خلكان 3: 470 وسير الذهبي 11: 526 وعبر الذهبي 1: 456 وميزان الاعتدال 3: 247 والوافي بالوفيات (خ) وسرح العيون ، 136 والبداية والنهاية 11: 19 ولسان الميزان 4: 355 وبغية الوعاة : 265 والشذرات 2: 121 ؛ وقد نشر عدد جم من كتبه ورسائله وصدرت عنه عدة كتب وبحوث بالعربية وبغيرها من اللغات ، وما يزال « تقريظ الجاحظ » للتوحيدي من المصادر المهمة المحتجبة .

(1) م : المادي .

(2) قال المرزباني : وقد ناطح المائة .

الخلاء ، وإسماعيل بن إسحاق القاضي فإني ما دخلتُ إليه إلا رأيته ينظرُ في كتاب أو يقلّب كتباً أو ينفضها .

وقال المرزباني ، قال أبو بكر أحمد بن عليّ : كان أبو عثمان الجاحظ من أصحاب النظام[1] وكان واسعَ العلم بالكلام كثيرَ التبحّرِ فيه شديدَ الضبطِ لحدوده ومن أعلم الناس به وبغيره من علوم الدين والدنيا ، وله كتبٌ كثيرة مشهورة جليلة في نصرة الدين وفي حكاية مذهب المخالفين ، والآداب والأخلاق ، وفي ضروبٍ من الجد والهزل ، وقد تداولها الناس وقرأوها وعرفوا فضلها ، وإذا تدبّر العاقل المميز أمرَ كتبه علم أنه ليس في تلقيح العقول وشَحْذِ الأذهان ومعرفة أصولِ الكلام وجواهره وايصال خلاف الاسلام ومذاهب الاعتزال إلى القلوب كتبٌ تشبهها . والجاحظ عظيم القدر في المعتزلة وغير المعتزلة من العلماء الذين يعرفون الرجال ويميزون الأمور.

قال المرزباني : وكان الجاحظ ملازماً لمحمد بن عبد الملك خاصاً به ، وكان منحرفاً عن أحمد بن أبي دواد للعداوة بين أحمد ومحمد ، ولما قبض على محمد هرب الجاحظ ، فقيل له : لم هربت ؟ فقال : خفت أن أكون ثاني اثنين إذ هما في التنور ، يريد ما صنع بمحمد وإدخاله تنورَ حديد فيه مسامير كان هو صنعه ليعذّب الناسَ فيه فعذب هو فيه حتى مات ، يعني محمد بن الزيات.

وحدث علي بن محمد الوراق قال : من كتاب الجاحظ الى ابن الزيات : لا والله ما عالج الناسُ داءً قطُّ أدوى من الغيظ ، ولا رأيت شيئاً هو أنفذُ من شماتة الأعداء ، ولا أعلم باباً أجمعَ لخصالِ المكروه من الذلّ ، ولكنّ المظلومَ ما دام يجد من يرجوه ، والمبتلى ما دام يجد من يرثي له ، فهو على سَبَبِ دَرَكٍ ، وإن تطاولت به الأيام ، فكم من كربة فادحة وضيقة مصمتة قد فتحت أقفالها وَفُكِّكَتْ أغلالها ، ومهما

(1) وافق الجاحظ أستاذه النظام في معتقداته وانفرد عنه بمسائل : منها أنه قال المعارف كلها ضرورية وليس شيء منها مكتسباً سوى الارادة ؛ ومنها أنه أنكر أصل الارادة فقال إذا انتفى السهو عن الفاعل وكان عالماً بما يفعله فهو نفس الارادة حقيقة ، ومنها أنه قال : الجوهر لا يفنى ولا ينعدم ، ومنها أنه قال : أهل النار لا يخلدون فيها عذاباً بل يصيرون إلى طبيعة النار ، ومنها : أن النار تجذب أهلها إلى نفسها دون أن يدخلها أحد بنفسه ، ومنها قوله إن القرآن جسد . . . الخ (الوافي نقلاً عن الفرق الإسلامية لابن أبي الدم) .

قَصَّرْتُ فيه فلم أقصّرْ في المعرفة بفضلك وفي حسن النية بيني وبينك ، لا مشتّتَ الهوى ، ولا مُقَسَّم الأمل ، على تقصير قد احتملْته ، وتفريطٍ قد اغتفرته ، ولعلّ ذلك أن يكونَ من ديون الإدلال وجرائم الإغفال ، ومهما كان من ذلك فلن أجمعَ بين الإساءة والإنكار ، وإن كنتُ كما تصفُ من التقصير ، وكما تعرف من التفريط ، فإني من شاكري أهل هذا الزمان وحسن الحال متوسط المذهب ، وأنا أحمد الله على أن كانت مرتبتك من المنعمين فوق مرتبتي في الشاكرين ، وقد كانت عليَّ بك نعمةٌ أذاقتني طعم العز ، وعودتني روح الكفاية ، والموت هذا الدهر وجهد . . . هذا قرداً وخنزيراً ترك فيهما مشابه من الإنسان ، ولما مسخ الله زماننا لم يترك فيه مشابه من الزمان .

وقال أبو عثمان : ليس جهد البلاء مدَّ الأعناق وانتظارَ وقع السيف ، لأن الوقت قصير ، والحين مغمور ، ولكن جهد البلاء أن تظهر الخلة ، وتطول المدة ، وتعجز الحيلة ، ثم لا تعدمُ صديقاً مؤنباً ، وابنَ عمّ شامتاً ، وجاراً حاسداً ، ووليّاً قد تحول عدواً ، وزوجة مختلعة ، وجارية مُسْبِعَة ، وعبداً يحقرك ، وولداً ينتهرك .

وقال الجاحظ : إذا سمعتَ الرجلَ يقول ما ترك الأول للآخر شيئاً فاعلم أنه ما يريد أن يفلح .

قال أبو حيان في « كتاب التقريظ » ومن خطه نقلت : وحدثنا أبو دلف الكاتب قال : صُدِّرَ الجاحظُ في ديوان الرسائل أيامَ المأمون ثلاثةَ أيام ، ثم إنه استعفى فأُعفي ، وكان سهل بن هارون يقول : إن ثبت الجاحظ في هذا الديوان أفل نجم الكتاب .

قال أبو عبد الله المرزباني ، حدث إسحاق الموصلي وأبو العيناء قال[1] : كنت عند أحمد بن أبي دواد بعد قتل ابن الزيات ، فجيء بالجاحظ مقيداً ، وكان من أصحاب ابن الزيات وفي ناحيته ، فلما نظر إليه قال : والله ما علمتك إلا متناسياً للنعمة كفوراً للصنيعة معدداً للمساوي ، وما فُتِّني باستصلاحي لك ، ولكنّ الأيام لا تصلحُ منك إلا لفساد طويتك ورداءة دخلتك وسوء اختيارك وتغالب طبعك ، فقال له

---

(1) تاريخ بغداد 12 : 218 .

الجاحظ : خفِّضْ عليك ـ أيدك الله ـ فوالله لأن يكونَ لك الأمرُ عليَّ خيرٌ من أن يكون لي عليك ، ولأن أُسيءَ وتحسن أحسنُ عنك من أن أحسن فتسيء ، وأن تعفو عني في حال قدرتك أجملُ من الانتقام مني ، فقال له ابن أبي دواد : قبحك الله ، ما علمتك إلا كثير تزويق الكلام، وقد جعلت بيانك[1] أمامَ قلبك ثم اصطنعت[2] فيه النفاق والكفر، ما تأويل هذه الآية ﴿ وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَىٰ وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ ﴾ (هود: 102) قال تلاوتها تأويلها ، أعز الله القاضي ، فقال : جيئوا بحداد ، فقال : أعز اللّه القاضي ليفكَّ عني أو ليزيدني ؟ فقال : بل ليفكَّ عنك ، فجيء بالحداد ، فغمزه بعضُ أهل المجلس أن يَعْنُفَ بساقِ الجاحظ ويطيلَ أمره قليلاً ، فلطمه الجاحظ وقال : اعمل عملَ شهر في يوم ، وعملَ يوم في ساعة ، وعمل ساعة في لحظة ، فإن الضرر على ساقي وليس بجذعٍ ولا ساجة ، فضحك ابن أبي دواد وأهل المجلس منه . وقال ابن أبي دواد لمحمد بنِ منصور وكان حاضراً : أنا أثق بظرفه ولا أثق بدينه ، ثم قال : يا غلام صِرْ به إلى الحمام وأَمِطْ عنه الأذى ، واحمل إليه تختَ ثياب وطويلةً[3] وخفاً، فلبس ذلك ثم أتاه فتصدر في مجلسه، ثم أقبل عليه وقال : هات الآن حديثك يا أبا عثمان .

ومن شعر الجاحظ في ابن أبي دواد :

وعويصٌ من الأمور بهيمٌ ... غامضُ الشخصِ مظلم مستورُ
قد تسنمتَ ما توعَّرَ منه ... بلسانٍ يزينه التحبيرُ
مثلُ وَشْيِ البرودِ هلهله النسـ ... ـجُ وعند الحِجاجِ درٌّ نثيرُ
حَسَنُ الصمتِ والمقاطعِ إما ... نصتَ القوم والحديثُ يدور
ثم من بعدُ لحظةً تورثُ اليسـ ... ـرَ وَعِرْضٌ مهذّبٌ موفور

وكتب الجاحظ إلى أحمد بن أبي دواد :

لا تراني وإن تطاولتُ عمداً ... بين صفيهمُ وأنت تسيرُ

---

(1) م: ثيابك .
(2) م: اصطفيت .
(3) الطويلة صفة للقلنسوة .

كلهم فاضلٌ عليَّ بمالٍ ولساني يزينه التحبير
فإذا ضمَّنا الحديثُ وبيتٌ وكأني على الجميع أمير
ربَّ خصم أرقُّ من كل روحٍ ولفرطِ الذكا يكادُ يطير
فإذا رامَ غايتي فهو كابٍ وعلى البعد كوكبٌ مبهور

وحدثت أبو العيناء عن إبراهيم بن رباح قال[1] : أتاني جماعة من الشعراء ، كلُّ واحدٍ منهم يدَّعي أنه مدحني بهذه الأبيات وأجزيه عليها :

بدا حين أثرى بإخوانه ففلَّلَ عنهم شباةَ العدمْ
وذكره الدهر صَرْفَ الزمان فبادر قبل انتقالِ النِّعَم
فتىً خصَّه اللّه بالمكرماتِ فمازج منه الحيا بالكرم
ولا ينكتُ الأرضَ عند السؤال ليقطع زواره عن نَعم

ويقال إن الجاحظ مدح بهذه الأبيات أحمد بن أبي دواد وإبراهيم بن رباح ومحمد بن الجهم . وحدث إبراهيم بن رباح قال : مدحني حمدان بن أبان اللاحقي ، وذكر مثل ما مضى ، وقال في آخره : فقال إن مادحك أعزك الله يجد مقالاً ، والجاحظ يملأ عينيه مني ولا يستحي[2] .

قال وحدث يموت بن المزرع قال : هجا خالي أبو عثمان الجاحظ الجماز بأبيات منها :

نَسَبُ الجمازِ مقصو رٌ إليه منتهاهُ
تنتهي الأحسابُ بالنا سِ ولا تعدو قفاه

(1) تاريخ بغداد 12 : 215 وفيه « إبراهيم بن رباح » .

(2) في القصة اختصار أخل بمعناها ، ولتصويب ذلك أقول : توالى الشعراء كل منهم يدعي تلك الأبيات ويمدح بها إبراهيم بن رباح وبينهم اللاحقي ، ثم كان آخر من دخل عليه الجاحظ ومدحه وأعطاه عليها مالاً ، ثم إن إبراهيم كان ذات يوم عند ابن أبي دواد ، فدخل الجاحظ وقال ابن أبي دواد لإبراهيم بن رباح : يا أبا اسحاق قد امتدحت بأشعار كثيرة ما سمعت بشيء وقع في قلبي وقبلته نفسي مثل أبيات مدحني بها أبو عثمان « بدا حين أثرى بإخوانه » فقال إبراهيم : وجد أيدك الله مقالاً فقال ، وظلّ الجاحظ ساكتاً ، وعجب إبراهيم من الجاحظ كيف لا يستحي من مدح ابن أبي دواد بقصيدة كان قد مدح بها إبراهيم .

فكتب إليه الجماز :

يــا فتى نفســه إلى الـــــــكفـرِ بــاللّه تــائقَــهْ
لك في الفضلِ والتزهـــــــدِ والنســكِ ســابقــه

ومن هجاء الجماز للجاحظ قوله :

قــال عـمـرو مـفــاخــراً   نـحن قــومٌ مـن العــربْ
قـلت فـي طــاعــةٍ لــربـــــــك أبـليـتَ ذا الـنـسـب

وحدث أبو العيناء محمد بن القاسم قال : كان لي صديق فجاءني يوماً فقال لي : أريد الخروج إلى فلان العامل وأحببت أن يكونَ معي إليه وسيلة ، وقد سألت مَنْ صديقه فقيل لي أبو عثمان الجاحظ ، وهو صديقك، وأحبُّ أن تأخذَ لي كتابه إليه بالعناية ، قال : فصرتُ إلى الجاحظ فقلت له : جئتك مسلماً وقاضياً للحقّ ، ولي حاجة لبعض أصدقائي ، وهي كذا وكذا ، قال : لا تشغلنا الساعة عن المحادثة وتعرّف أخبارنا ، إذا كان في غدٍ وجهتُ إليك بالكتاب ، فلما كان من غد وجّه إليَّ بالكتاب فقلت لابني : وجّه هذا الكتاب إلى فلان ففيه حاجته ، فقال لي : إن أبا عثمان بعيد الغور فينبغي أن نفضه وننظرَ ما فيه ، ففعل فإذا في الكتاب : « هذا الكتاب مع من لا أعرفه ، وقد كلمني فيه من لا أوجب حقه ، فإن قضيت حاجته لم أحمدك، وإن رددته لم أذممك » فلما قرأت الكتاب مضيتُ إلى الجاحظ من فوري ، فقال : يا أبا عبد الله ، قد علمتُ أنّك أنكرتَ ما في الكتاب ، فقلت : أو ليس موضعَ نكرة ؟ فقال: لا ، هذه علامة بيني وبين الرجل في من أعتني به ، فقلت : لا إله إلا الله ، ما رأيت أحداً [أعرف] بطبعك ولا [بما] جبلتَ عليه من هذا الرجل ، علمت أنه لما قرأ الكتاب قال : أمُّ الجاحظ عشرةُ آلاف في عشرة آلاف قحبة ، وأم من يسأله حاجة ، فقلت له : ما هذا تشتم صديقنا ؟! فقال : هذه علامتي فيمن أشكره ، فضحك الجاحظ وحدَّث الفتحَ بن خاقان وحدث الفتحُ المتوكل ، فذلك كان سببَ اتصالي به وإحضاري إلى مجلسه.

وحدث عبد الرحمن بن محمد الكاتب قال : كان الجاحظ يتقلّدُ خلافةَ إبراهيم بن العباس الصولي على ديوان الرسائل ، فلما جاء إلى الديوان جاءه أبو

العيناء ، فلما أراد الانصراف تقدم الجاحظ إلى حاجبه إذا وصل إلى الدهليز أن لا يدعه يخرج ولا يمكنه من الرجوع إليه ، فخرج أبو العيناء ففعل به ذلك ، فنادى بأعلى صوته يا أبا عثمان قد أريتنا قدرتك فأرنا عفوك .

ومن كلام الجاحظ : احذر مَنْ تأمنُ فإنك حَذِرٌ ممن تخاف .

وقال : أجمع الناس على أربع : أنه ليس في الدنيا أثقل من أعمى ، ولا أبغض من أعور ، ولا أخف روحاً من أحول ، ولا أقود من أحدب .

قال المرزباني : وروى أصحابنا أن الجاحظ صار إلى منزل بعض إخوانه فاستأذن عليه ، فخرج إليه غلام عجمي فقال : من أنت ؟ قال الجاحظ : فدخل الغلام إلى صاحب الدار فقال : الجاحدُ على الباب ، وسمعها الجاحظ ، فقال صاحب الدار للغلام اخرجْ فانظر من الرجل ، فخرج يستخبر عن اسمه فقال : أنا الحدقي ، فدخل الغلام فقال : الحلقي ، وسمعها الجاحظ فصاح به في الباب : « ردَّنا إلى الأول » ، يريد أن قوله الجاحد مكان الجاحظ أسهل عليه من الحلقي مكان الحدقي ، فعرفه الرجل فأوصله واعتذر إليه .

وقال الجاحظ : أربعة أشياء ممسوخة : أكل الأرز البارد ، والنيك في الماء ، والقبل على النقاب ، والغناء من وراء ستارة .

وحدث قال الجاحظ مرة بحضرة السدري : إذا كانت المرأة عاقلة ظريفة كاملة كانت قحبة ، فقال له السدري : وكيف ؟ قال : لأنها تأخذ الدراهم ، وتمتع بالناس والطيب ، وتختار على عينها من تريد ، والتوبة معروضة لها متى شاءت ، فقال له السدري : فكيف عقلُ العجوز حفظها الله ؟ قال : هي أحمقُ الناسِ وأقلّهم عقلاً .

وحدث المبرد قال ، قال الجاحظ : أتيتُ أبا الربيع الغنوي أنا ورجل من بني هاشم فاستأذنّا عليه فخرج إلينا وقال : خرج إليكم رجل كريم والله ، فقلت له : من خيرُ الخلقِ يا أبا الربيع ؟ فقال : الناس والله ، قلت: ومن خير الناس ؟ قال : العرب والله ، قلت : فمن خير العرب ؟ قال : مضر والله ، قلت : فمن خير مضر ؟ قال : قيس والله ، قلت : ومن خير قيس ؟ قال : أعصر والله ، قلت : فمن خير أعصر ؟ قال : غنّي والله . قلت : فمن خير غني ؟ قال : أنا والله . قلت : فأنت خير

الخلق . قال : أي والله ، قلت : أيسرك أنْ لو تزوجت بنت يزيد بن المهلب ؟ قال : لا والله لا أدنس كرمي بلؤمها ، قلت : على أنّ لك الجنة ، ففكر ساعة ثم قال : على أن لا تلد مني ، وأنشد :

تأبى لأعْصُرَ أعراقٌ مهذَّبَةٌ ... من أن تناسبَ قوماً غيرَ أكفاءِ

فإن يكن ذاك حتماً لا مردَّ له ... فاذكر حذيف فإني غير أبّاء

حذيفة بن بدر ، وإنما ذكره من بين الأشراف لأنه أقربهم إليه نسباً ، لأن أعصر بن سعد بن قيس بن عيلان وحذيفة بن بدر بن عمرو بن جوية بن لوذان بن ثعلبة بن عدي بن فزارة بن ذبيان بن بغيض بن ريث بن غطفان بن سعد بن قيس بن عيلان .

قال المرزباني : وحدث أبو الحسن الأنصاري ، حدثني الجاحظ قال : كان رجل من أهل السواد يتشيع ، وكان ظريفاً ، فقال ابن عم له : بلغني أنك تبغضُ عليًّا عليه السلام ، ووالله لئن فعلتَ لتردنّ عليه الحوضَ يومَ القيامة ولا يسقيك ، قال : والحوض في يده يوم القيامة ؟ قال : نعم ، قال : وما لهذا الرجل الفاضل يقتلُ الناسَ في الدنيا بالسيف وفي الآخرة بالعطش ؟! فقيل له : أتقولُ هذا مع تشيعك ودينك ؟ قال : والله لا تركتُ النادرة ولو قتلتني في الدنيا وأدخلتني النار في الآخرة .

وقال الجاحظ : ينبغي للكاتب أن يكونَ رقيقَ حواشي اللسان ، عذب ينابيع البيان ، إذا حاور سدَّد سهمَ الصواب إلى غرض المعنى ، لا يكلِّم العامةَ بكلام الخاصة ولا الخاصة بكلام العامة .

وحدث المبرد قال : سمعت الجاحظ يقول : كلُّ عشق يُسَمَّى حباً ، وليس كلُّ حبٍّ يسمى عشقاً ، لأن العشق اسمٌ لما فضل عن المحبة ، كما أن السرف اسم لما جاوز الجود ، والبخل اسم لما قصر عن الاقتصاد ، والجبن اسم لما فضل عن شدة الاحتراس ، والهَوَج اسم لما فضل عن الشجاعة .

وحدث ميمون بن هارون الكاتب عن الجاحظ قال : ذمَّ رجلٌ النبيذ فقال : من مثالبه أنّ صاحبه يتكرهه قبل شربه ، ويكلحُ وجهه عند شمه ، ويستنقصُ الساقي من قدره ، ويعتبر عليه مكياله ، ويمزجه بالماء الذي هو ضده ليخرجه عن معناه وحدّه ، ثم

يكرعه على المبادرة ويعبه ويتجرعه ولا يكاد يسيغه ليقلَّ مكثه في فِيه ويسرع على اللهوات اجتيازه ، ثم لا يستوفي كليته ، ويرى أن يجعل عاقبةَ الشراب فضلةً في قدحه ، ويشاحّ الساقي في المناظرة على ما بقي منه عند رده ، ليصرف عن نفسه عادية شربه ويذهب بساعته ويمنع من تهوعه كما يفعل بطبخ الغاريقون عند شربه وحبّ الاسطيخمول .

وكان الجاحظ يقول : إن تهيأ لك في الشاعر أن تبره وترضيه وإلا فاقتله .

وقال أبو العيناء أنشدني الجاحظ لنفسه :

يطيبُ العيش أن تلقى حليماً غذاه العلمُ والرأيُ المصيبُ
ليكشفَ عنك حيلَة كلِّ ريبٍ وفضلُ العلم يعرفه الأريب
سقامُ الحرصِ ليس له شفاءٌ وداءُ البخلِ ليس له طبيب

وأنشد المبرد للجاحظ :

إن حال لونُ الرأس عن لونه ففي خضاب الرأسِ مستمتَعُ
هبْ من له شيبٌ له حيلةٌ فما الذي يحتاله الأصلع

وحدث أبو العيناء قال ، قال الجاحظ : كان الأصمعي منانياً ، فقال له العباس ابن رستم : لا والله ولكن نذكرُ حين جلستَ إليه تسأله ، فجعل يأخذ نعله بيده ، وهي مخصوفة بحديد ، ويقول : نِعْمَ قناع القدريّ ، فعلمتَ أنه يعنيك فقمت .

وحدث يحيى بن علي بن المنجم قال(1) ، قلت للجاحظ : مثلك في علمك ومقدارك في الأدب يقول في « كتاب البيان والتبيين » ويكره للجارية أن تشبه بالرجال في فصاحتها ، ألا ترى إلى قول مالك بن أسماء الفزاري(2) :

وحديثٍ ألذُّهُ هُوَ مما ينعتُ الناعتون يوزَنُ وزنا
منطقٌ صائبٌ وتلحنُ أحيا ناً وخيرُ الحديثِ ما كان لحنا

فتراه من لحن الاعراب ، وإنما وصفها بالظَّرف والفطنة ، وإنما تلحن أي تورّي

(1) تاريخ بغداد 12 : 214 والوافي وأمالي المرتضى 1 : 14 .
(2) البيان والتبيين 1 : 147 وأمالي القالي 1 : 5 والسمط : 15 وفصل المقال : 5 .

في لفظها عن أشياء وتتنكب ما قصدت له ، فقال : فطنت لذلك ، قلت : فغيِّره ، قال فكيف لي بما سارت به الركبان ؟! فهو في كتابه على خطأه .

قال أبو محلم : أراد الفزاري بقوله هذا إن خيرَ الحديث ما أومأتْ إليَّ به وورَّتْ عن الإفصاح به لئلا يعلمه غيرنا ، ومثله قول الكلابي[1] :

ولقد لحنتُ لكم لكيما تفهموا ووحيتُ وحياً ليس بالمرتابِ

ومنه قوله تعالى : ﴿ ولَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ ٱلْقَوْلِ ﴾ (محمد: 30) أي فيما يتواحونه بينهم من النفاق والطعن .

قال المؤلف[2] : وقد انتصر أبو حيان لهذا القول الذي اعترف الجاحظ بخطأه فيه فقال : وعندي أن المسألة محتملة للكلام ، لأن مقابل المنطق الصائب المنطقُ الملحون ، واللحنُ من الغواني والفتيات غير منكر ولا مكروه ، بل يُسْتَحَبُّ ذلك لأنه بالتأنيث أشبه ، وللشهوة أدعى ، ومع الغزل أجرى ، والإعرابُ جِدّ وليس الجدُّ من التغزل والتعشُّق والتشاجي في شيء . وعلى مذهب علي بن يحيى أن المنطق الصائب هو الكلام الصريح ، وأن اللحنَ هو التعريض وانها تعرف هذا وهذا ، فهب أنَّ هذا المعنى مقبول لم ينبغي أن يكون المعنى الآخر لهوجاً ومردوداً ؟ وقد يجوز أن يكون مراد الشاعر ذاك لأنّ الشاعر يشعر بهذا كما يشعر بهذا .

قال أبو العيناء : أنشدني الجاحظ لنفسه في ابراهيم بن رباح :

وعهدي به واللّه يُصْلِحُ أَمْرَهُ رحيبُ مجالِ الرأي منبلجُ الصدرِ
فلا جعلَ اللّه الولايةَ سُبَّةً عليه فإني بالولاية ذو خُبْرِ
فقد جهدوه بالسؤال وقد أبى به المجدُ إلا أن يلجَّ ويستشري

قال أبو علي التنوخي ، حدثني أبو الحسن أحمد بن محمد الأخباري ، قال حدثني أبو الفرج الأصبهاني ، قال أخبرني الحسن بن القاسم بن مهرويه ، قال حدثني عبد الله بن جعفر الوكيل ، قال : كنت يوماً عند إبراهيم بن المدبر فرأيت بين يديه رقعة

(1) هو القتال كما في أمالي القالي 1 : 5 وأمالي المرتضى 1 : 14 واللسان (لحن) وديوانه: 36 .
(2) نقله الصفدي في الوافي .

يردّد النظر إليها ، فقلت له : ما شأن هذه الرقعة ؟ كأنه استعجم عليك شيء منه ، فقال : هذه رقعة أبي عثمان الجاحظ ، وكلامه يعجبني ، وأنا أردده على نفسي لشدة إعجابي ، فقلت : هل يجوز أن أقرأها ؟ قال : نعم ، وألقاها إليّ فإذا فيها : ما ضاء لي نهار ولا دجا ليل مذ فارقتك إلا وجدتُ الشوقَ إليك قد حزَّ في كبدي ، والأسفَ عليك قد أسقط في يدي ، والنزاعَ نحوك قد خان جلدي ، فأنا بين حشاً خفاقٍ ، ودمعٍ مُهَراق ، ونفسٍ قد ذبلت بما تجاهد ، وجوانح قد أبليت بما تكابد ، وذكرت وأنا على فراش الارتماض ، ممنوعٌ من لذة الاغماض قولَ بشار[1] :

إذا هتف القمريُّ نازعني الهوى ... بشوق فلم أملكْ دموعي من الوجدِ
أبى اللّه إلا أن يفرقَ بيننا ... وكنا كماء المزن شيبَ مع الشهد
لقد كان ما بيني زمانساً وبينها ... كما كان بين المسك والعنبر الورد

فانتظم وصف ما كنّا نتعاشر عليه ، ونجري في مودتنا إليه في شعره هذا . وذكرت أيضاً ما رماني به الدهر من فرقة أعزائي من إخواني الذين أنت أعزهم ، ويمتحنني بمن نأى من أحبائي وخلصاني الذين أنت أحبهم وأخلصهم ، ويجرعنيه من مرارة نأيهم وبعد لقائهم ، وسألت الله أن يقرنَ آياتِ سروري بالقرب منك ، ولينَ عيشي بسرعة أوبتك ، وقلت أبياتاً تقصر عن صفة وجدي وكنه ما يتضمنه قلبي ، وهي :

بخدَّيَّ من قطرِ الدموعِ ندوبُ ... وبالقلب مني مذ نأيتَ وجيبُ
ولي نَفَسٌ حتى الدجى يصدعُ الحشا ... ورجعُ حنينٍ للفؤادِ مذيب
ولي شاهدٌ من ضُرِّ نفسي وسقمِهِ ... يخبِّرُ عنّي إنني لكئيب
كأنيَ لم أُفْجَعْ بفرقةِ صاحبٍ ... ولا غاب عن عيني سواك حبيب

فقلت لابن المدبر : هذه رقعة عاشق لا رقعة خادم ، ورقعة غائب لا رقعة حاضر ، فضحك وقال : نحن ننبسط مع أبي عثمان إلى ما هو أرق من هذا وألطف ، فأما الغيبة فإننا نجتمع في كل ثلاثة أيام ، وتأخر ذلك لشغل عرض لي فخاطبني

(1) انظر ديوان بشار (جمع العلوي) : 83 ففيه الثالث مع بيتين آخرين غير ما ورد هنا .

مخاطبة الغائب ، وأقام انقطاع العادة مقام الغيبة .

قال الجاحظ : كان يأتيني رجل فصيح من العجم ، قال فقلت له : هذه الفصاحة وهذا البيان ، لو ادعيتَ في قبيلة من العرب لكنتَ لا تنازَع فيها ، قال : فأجابني إلى ذلك ، فجعلتُ أحفّظه نسباً حتى حفظه وهذّهُ هذاً ، فقلت له : الآن لا تته علينا ، فقال : سبحان الله إن فعلتُ ذلك فأنا إذاً دعيٌ .

ومن كلام الجاحظ يصف البلاغة : ومتى شاكل أبقاك الله اللفظ معناه ، وكان لذلك الحال وفقاً ، ولذلك القدر لفقاً ، وخرج من سماجة الاستكراه ، وسلم من فساد التكلف ، كان قمناً بحسن الموقع ، وحقيقاً بانتفاع المستمع ، وجديراً أن يمنعَ جانبه من تأول الطاعنين ، ويحمي عرضه من اعتراض العائبين، ولا تزال القلوب به معمورة، والصدور به مأهولة ، ومتى كان اللفظ أيضاً كريماً في نفسه ، متخيراً من جنسه ، وكان سليماً من الفضول ، بريئاً من التعقيد ، حُبِّبَ إلى النفوس ، واتصل بالأذهان ، والتحم بالعقول ، وهشت له الأسماع ، وارتاحت له القلوب ، وخفَّ على ألسن الرواة ، وشاع في الآفاق ذكره ، وعظم في الناس خطره ، وصار ذلك مادةً للعالم الرئيس ، ورياضة للمتعلم الريّض . ومن أعاره من معرفته نصيباً ، وأفرغ عليه من محبته ذَنوباً ، حبب إليه المعاني ، وسلس له نظام اللفظ ، وكان قد أغنى المستمع عن كدِّ التكلف ، وأراح قارىءَ الكتاب من علاج التفهم .

وقرأت بخط أبي حيان التوحيدي من كتابه الذي ألفه في « تقريظ الجاحظ » : وحدثنا أبو سعيد السيرافي ، وهمُّك من رجل ، وناهيك من عالم ، وشرعك من صدوق قال : حدثنا جماعة من الصابئين الكتّاب أن ثابت بن قرة قال : ما أحسدُ هذه الأمةَ العربيةَ إلا على ثلاثة أنفس فإنه :

عقم النساءُ فلا يلدنَ شبيهَهُ ... إنَّ النساءَ بمثله عُقُمُ

فقيل له : احص لنا هؤلاء الثلاثة ، قال : أولهم عمر بن الخطاب في سياسته ويقظته ، وحذره وتحفظه ، ودينه وتقيته ، وجزالته وبذالته ، وصرامته وشهامته ، وقيامته في صغير أمره وكبيره بنفسه ، مع قريحة صافية ، وعقل وافر ، ولسان عضب ، وقلب شديد ، وطوية مأمونة ، وعزيمة مأمومة ، وصدر منشرح ، وبال منفسح ، وبديهة

نضوح ، وروية لقوح ، وسر طاهر ، وتوفيق حاضر ، ورأي مصيب ، وأمر عجيب ، وشأن غريب ـ دَعَم الدين وشيد بنيانه ، وأحكم أساسه ورفع أركانه ، وأوضح حجته وأنار برهانه ، ملك في زي مسكين ، ما جنح في أمر إلى ونا ، ولا غضَّ طرفه على خنا ، ظهارته كالبطانة ، وبطانته كالظهارة ، جَرَحَ وأسا ، ولان وقسا ، ومنع وأعطى ، واستخذى وسطا ، كل ذلك في الله ولله ، لقد كان من نوادر الرجال ، قال : والثاني الحسن بن أبي الحسن البصري ، فلقد كان من دراري النجوم علماً وتقوى ، وزهداً وورعاً ، وعفة ورقة ، وتألهاً وتنزهاً ، وفقهاً ومعرفة ، وفصاحة ونصاحة ، مواعظه تصل إلى القلوب ، وألفاظه تلتبسُ بالعقول ، وما أعرفُ له ثانياً ، لا قريباً ولا مدانياً ، كان منظره وَفْقَ مخبره ، وعلانيته في وَزْنِ سريرته ، عاش سبعين سنة لم يُقْرَفْ بمقالةٍ شنعاء ، ولم يزنَّ بريبة ولا فحشاء ، سليم الدين ، نقيّ الأديم ، محروس الحريم ، يجمع مجلسه ضروبَ الناس وأصناف اللباس ، لما يوسعهم من بيانه ، ويفيضُ عليهم بافتنانه ، هذا يأخذ عنه الحديث ، وهذا يلقن منه التأويل ، وهذا يسمعُ الحلالَ والحرام ، وهذا يتبع في كلامه العربية ، وهذا يجرِّدُ له المقالة ، وهذا يحكي الفتيا ، وهذا يتعلم الحكم والقضاء ، وهذا يسمع الموعظة ، وهو في جميع هذا كالبحر العجَّاج تدفقاً ، وكالسراج الوهّاج تألقاً ، ولا تنسَ مواقفه ومشاهده بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر عند الأمراء وأشباه الأمراء بالكلام الفصل ، واللفظ الجزل ، والصدر الرحب والوجه الصلب واللسان العضب ، كالحجاج وفلان وفلان ، مع شارةِ الدين ، وبهجة العلم ، ورحمة التقى ، لا تثنيه لائمة في الله ، ولا تذهله لائحة عن الله ، يجلس تحت كرسيه قتادةُ صاحبُ التفسير ، وعمروٌ وواصلٌ صاحبا الكلام ، وابن أبي إسحاق صاحب النحو ، وفرقد السبخي صاحب الدقائق ، وأشباه هؤلاء ونظراؤهم ، فمن ذا مثله ؟ ومن يجري مجراه ؟ والثالث أبو عثمان الجاحظ خطيب المسلمين ، وشيخ المتكلمين ، ومدره المتقدمين والمتأخرين ، إن تكلَّم حكى سحبان في البلاغة ، وإن ناظر ضارعَ النظَّام في الجدال ، وإن جدَّ خرج في مَسْكِ عامر بن عبد قيس ، وإن هزل زاد على مُزَبِّد ، حبيب القلوب ، ومراح الأرواح ، وشيخ الأدب ، ولسان العرب ، كتبه رياض زاهرة ، ورسائله أفنان مثمرة ، ما نازعه منازع إلا رشاه آنفاً ، ولا تعرَّض له منقوصٌ إلا قدم له التواضع استبقاءً ، الخلفاءُ تعرفه ، والأمراءُ تصفه وتنادمه ، والعلماءُ

تأخذُ عنه ، والخاصة تسلِّم له ، والعامةُ تحبه ، جَمَعَ بين اللسانِ والقلم ، وبين الفطنة والعلم ، وبين الرأي والأدب ، وبين النثر والنظم ، وبين الذكاء والفهم ، طال عمره وفشت حكمته ، وظهرت خلته ، ووطىءَ الرجالُ عقبه ، وتهادَوْا أدبه ، وافتخروا بالانتساب إليه ، ونجحوا بالاقتداء به ، لقد أوتي الحكمةَ وفصل الخطاب . هذا قول ثابت ، وهو قول صابىء لا يرى للاسلام حرمة ، ولا للمسلمين حقاً ، ولا يوجبُ لأحدٍ منهم ذماماً ، قد انتقد هذا الانتقاد ، ونظر هذا النظر ، وحكم هذا الحكم ، وأبصر الحقَّ بعينٍ لا غشاوةَ عليها من الحول ، ونفسٍ لا لطخ بها من التقليد ، وعقل ما تخبَّلَ بالعصبية . ولسنا نجهل مع ذلك فضلَ غير هؤلاء من السلف الطاهر والخلف الصالح ، ولكنا عجبنا فَضْلَ عَجَبٍ من رجل ليس منّا ولا من أهل ملتنا ولغتنا ، ولعله ما خبر عمر بن الخطاب كلَّ الخِبرة ، ولا استوعب كلّ ما للحسن من المنقبة ، ولا وقف على جميع ما لأبي عثمان من البيان والحكمة ، يقول هذا القول ، ويتعجَّبُ هذا العجَبَ ، ويحسد أمتنا بهم هذا الحسد ، ويختم كلامه بأبي عثمان ويصفه بما يأبى الطاعنُ عليه أن يكون له شيء منه ، ويغضب إذا ادعي ذلك له [وإنه] لموفر عليه ، هل هذا إلا الجهل الذي يُرْحَمُ المبتلى به .

قال أبو حيان : وحدثنا ابن مقسم [قيل لأبي هفان] وقد طال ذكر الجاحظ له : لم لا تهجو الجاحظ ، وقد ندَّد بك ، وأخذ بِمُخَنَّقك فقال : أمثلي يُخْدَعُ عن عقله ، والله لو وضع رسالةً في أرنبة أنفي لما أمستْ إلا بالصين شهرة ، ولو قلت فيه ألفَ بيتٍ لما طنَّ منها بيت في ألف سنة .

قال أبو حيان : سمعت أبا معمر الكاتب في ديوان بادوريا قال : كتب الفتح بن خاقان إلى الجاحظ كتاباً يقول في فصل منه : إن أمير المؤمنين يجدُ بك ويهشُ عند ذكرك ، ولولا عظمتُكَ في نفسه لِعِلْمِكَ ومعرفتك لحال بينك وبين بُعْدِك عن مجلسه ، ولغَصَبَكَ رأيك وتدبيرك فيما أنت مشغولٌ به ومتوِّفرٌ عليه ، وقد كان ألقى إليَّ من هذا عنوانَهُ فزدتك في نفسه زيادةً كفَّ بها عن تجشيمك ، فاعرف لي هذه الحال ، واعتقد هذه المنة [واعكف] على « كتاب الردّ على النصارى » وافرغْ منه وعجِّلْ به إليَّ ، وكن ممن حدا به على نفسه لتنال مشاهرتك . وقد استطلقته لما مضى ، واستسلفت

لكَ لسنةٍ كاملة مستقبلة ، وهذا مما لم تحتكم به نفسك . وقد قرأت رسالتك في بصيرة غنام ولولا أني أزيدُ في مَخِيلَتِكَ لعرَّفتُكَ ما يعتريني عند قراءتها ، والسلام .

قال الجاحظ(1): قلت للحزامي: قد رضيتَ بقول الناس فيك انك بخيل؟ قال: لا أعدمني الله هذا الاسم، [قلت: وكيف؟] قال: لأنه لا يقال فلان بخيل إلا وهو ذو مال، فإذا سلم المال فادعني بأيٍّ اسم شئت؛ قلت: ولا يقال سخيّ إلا وهو ذو مال، فقد جمع هذا الاسمُ المالَ والحمد ، وجمع ذاك الاسمُ المالَ والذم ، قال : بينهما فرق ، قلت : هاته ، قال : في قولهم بخيل تثبيتٌ لاقامة المال في ملكه ، واسم البخيل اسم فيه حزم وذم ، واسم السخاء فيه تضييع وحمد ، والمال نافع مكرم لأهله معزّ ، والحمد ريح وسخرية ، واستماعه ضعف وفسولة ، وما أقل والله غناءَ الحمدِ عنه إذا جاع بطنه وعري جسده وشمت عدوه .

قال أبو حيان(2) : ومن عجيب الحديث في كتبه ما حدثنا بـه علي بن عيسى النحوي الشيخ الصالح قال : سمعت ابن الاخشاد شيخنا أبا بكر يقول : ذكر أبو عثمان في أول « كتاب الحيوان » أسماء كتبه ليكون ذلك كالفهرست ، ومرَّ بي في جملتها « الفرق بين النبي والمتنبىء » و« كتاب دلائل النبوة » وقد ذكرهما هكذا على التفرقة وأعاد ذكر الفرق في الجزء الرابع لشيء دعاه إليه ، فأحببت أن أرى الكتابين ، ولم أقدر إلا على واحد منهما ، وهو « كتاب دلائل النبوة » وربما لقب بالفرق خطأً ، فهمَّني ذلك وساءني في سوء ظفري به ، فلما شخصتُ من مصر ودخلت مكة حرسها الله تعالى حاجّاً أقمتُ منادياً بعرفات ينادي ، والنـاس حضور من الآفـاق على اختلاف بلدانهم وتنازح أوطانهم وتباين قبائلهم وأجناسهم من المشرق إلى المغرب ومن مهبِّ الشمال إلى مهب الجنوب وهو المنظر الذي لا يشابهه منظر : « رحم الله من دلَّنا على كتاب الفرق بين النبي والمتنبىء لأبي عثمان الجاحظ على أي وجه كان » . قال فطاف المنادي في ترابيع عرفات وعاد بالخيبة وقال : عجب(3) الناس مني ولم يعرفوا هذا الكتاب ولا اعترفوا به ؛ قال ابن اخشاد : وإنما أردتُ بهذا أن أُبلغَ نفسي عذرَها .

---

(1) وردت هذه القصة في كتاب البخلاء: 55 .

(2) نقلها أيضاً في الوافي .

(3) م : حجب ، والتصويب عن الوافي .

قال المؤلف : وحسبك بها فضيلةً لأبي عثمان أن يكون مثلُ ابن الاخشاد ، وهو هو في معرفة علوم الحكمة ، وهو رأسٌ عظيم من رؤوس المعتزلة ، يستهام بكتب الجاحظ حتى ينادي عليها بعرفات والبيت الحرام ، وهذا الكتاب موجود في أيدي الناس اليوم ، لا تكاد تخلو خزانة منه ، ولقد رأيت أنا منه نحو مائة نسخة أو أكثر .

ومن كتاب هلال : قال أبو الفضل ابن العميد : ثلاثةُ علومٍ الناسُ كلهم عيالٌ فيها على ثلاثة أنفس : أما الفقه فعلى أبي حنيفة لأنه دوّن وخلّد ماجعل من يتكلم فيه بعده مشيراً إليه ومخبراً عنه ، وأما الكلام فعلى أبي الهذيل ، وأما البلاغة والفصاحة واللسن والعارضة فعلى أبي عثمان الجاحظ .

وحدث أبو القاسم السيرافي قال : حضرنا مجلس الأستاذِ الرئيس أبي الفضل فقصَّر رجل بالجاحظ وأزرى عليه ، وحلم الأستاذ عنه ، فلما خرج قلت له : سكتَّ أيها الأستاذ عن هذا الجاهل في قوله ، مع عادتك بالردّ على أمثاله فقال : لم أجد في مقابلته أبلغَ من تركه على جهله ، ولو واقفته وبينتُ له النظر في كتبه صار إنساناً ، يا أبا القاسم كتبُ الجاحظ تعلّم العقلَ أولاً والأدبَ ثانياً .

وحكى أبو علي القالي[1] عن أبي معاذ عبدان الخوئي[2] المتطبب قال : دخلنا يوماً بسرَّ من رأى على عمرو بن بحر الجاحظ نعوده وقد فُلج ، فلما أخذنا مجالسنا أتى رسولُ المتوكلِ إليه فقال : وما يصنعُ أمير المؤمنين بشقٍ مائل ولعابٍ سائل ؟! ثم أقبل علينا فقال : ما تقولون في رجل له شقان أحدهما لو غُرِزَ بالمسالّ ما أحس ، والشق الآخر يمرُّ به الذباب فيغوِّث ، وأكثر ما أشكوه الثمانون[3] .

حدث أبو عبد الله الحميدي في «الجذوة»[4]، قرأت على الأمين بن أبي علي عن القاضي أبي القاسم البصري عن أبيه قال ، حدثنا محمد بن عمر بن شجاع المتكلم ، حدثنا أبو محمد الحسن بن عمرو النجيرمي قال : كنت بالأندلس ، فقيل لي إن هاهنا تلميذاً لأبي عثمان الجاحظ يعرف بسلّام بن زيد ويكنى أبا خلف ، فأتيته

---

(1) أمالي القالي 1 : 50 وجذوة المقتبس: 157 .

(2) الأمالي : الخولي .

(3) م : الثمانين .

(4) لم أهتد إلى موضعها في جذوة المقتبس ؛ وقد وردت في نشوار المحاضرة 8 : 202 .

فرأيتُ شيخاً هماً ، فسألته عن سبب اجتماعه مع أبي عثمان ، ولم يقع أبو عثمان إلى الأندلس فقال : كان طالبُ العلم بالمشرق يَشْرُفُ عند ملوكنا بلقاءِ أبي عثمان ، فوقع إلينا « كتاب التربيع والتدوير » له فأشاروا إليه ، ثم أردفه عندنا « كتاب البيان والتبيين » لـه فبلغ الـرجل الـصُّكَاكَ[1] بهذين الكتابين ، قال : فخرجت لا أُعـرِّجُ على شيء حتى قصدت بغداد ، فسألت عنه فقيل هو بسرّ من رأى ، فأصعدت إليها ، فقيل لي قد انحدر إلى البصرة ، فانحدرت إليها وسألت عن منزله فأرشدت ، ودخلت إليه فإذا هو جالس وحواليه عشرون صبياً ليس فيهم ذو لحية غيره ، فدهشت فقلت : أيكم أبـو عثمان ؟ فرفع يده وحرَّكها في وجهي وقال : من أين ؟ قلت : من الأندلس ، فقال : طينة حمقاء ، فما الاسم ؟ قلت : سلام ، قال : اسم كلب القراد ، ابن من ؟ قلت : ابن زيد [2] ، قال : بحقّ ما صرتَ ، أبو من ؟ قلت : أبو خلف ، قال : كنية قـرد زبيدة ، ما جئت تطلب ؟ قلت : العلم ، قال : ارجع بوقت فانك لا تفلح ، قلت له : ما أنصفتني ، فقد اشتملتُ على خصالٍ أربع : جفاء البلدية ، وبعـد الشقة ، وغـرة الحداثة ، ودهشة الداخل ، قال : فترى حولي عشرين صبياً ليس فيهم ذو لحية غيري ما كان يجبُ أن تعرفني بها ؟ قال : فأقمت عليه عشرين سنة .

وهذا فهرست كتب الجاحظ : كتاب الحيوان وهو سبعة أجزاء ، وأضاف إليه كتاباً آخر سماه كتاب النساء وهو الفرق فيما بين الذكر والأنثى ، وكتاباً آخر سماه كتاب البغل[3] ، قال ابن النديم : ورأيت أنا هذين الكتابين بخط زكرياء بن يحيى ، ويكنى أبا يحيى ، وراق الجاحظ ، وقد أضيف إليه كتاب سموه كتاب الابل ليس من كلام الجاحظ ولا يقاربه .

وكتـاب الحيوان ألفـه باسم محمـد بن عبد الملك الـزيات ، قـال ميمـون بن هارون : قلت للجاحظ : ألك بالبصرة ضيعة ؟ فتبسم وقال : إنما أنا وجارية ، وجارية تخدمها ، وخادم وحمار ، أهديت كتاب الحيوان إلى محمد بن عبد الملك فأعطاني

(1) الصكاك أو السكاك : عنان السماء .
(2) م : يزيد .
(3) م : النعل .

خمسة آلاف دينار ، وأهديت كتاب البيان والتبيين إلى ابن أبي دواد فأعطاني خمسة آلاف دينار ، وأهديت كتاب الزرع والنخل إلى إبراهيم بن العباس الصولي فأعطاني خمسة آلاف دينار ، فانصرفت إلى البصرة ومعي ضيعةٌ لا تحتاج إلى تجديد ولا تسميد .

وكتاب البيان والتبيين نسختان أولة وثانية ، والثانية أصحّ وأجود . كتاب النبي والمتنبىء . كتاب المعرفة . كتاب جوابات كتاب المعرفة . كتاب مسائل كتاب المعرفة[1] . كتاب الردّ على أصحاب الإلهام . كتاب نظم القرآن ثلاث نسخ . كتاب مسائل القرآن . كتاب فضيلة المعتزلة . كتاب الرد على المشبهة . كتاب الإمامة على مذهب الشيعة . كتاب حكاية قول أصناف الزيدية . كتاب العثمانية[2] . كتاب الأخبار وكيف تصح . كتاب الردّ على النصارى . كتاب عصام المريد . كتاب الرد على العثمانية . كتاب إمامة معاوية . كتاب إمامة بني العباس . كتاب الفتيان . كتاب القواد[3] . كتاب اللصوص . كتاب ذكر ما بين الزيدية والرافضة . كتاب صياغة الكلام . كتاب المخاطبات في التوحيد . كتاب تصويب عليّ في تحكيم الحكمين . كتاب وجوب الإمامة . كتاب الأصنام . كتاب الوكلاء والموكلين . كتاب الشارب والمشروب[4] . كتاب افتخار الشتاء والصيف . كتاب المعلمين[5] . كتاب الجواري . كتاب نوادر الحسن . كتاب البخلاء[6] . كتاب الفخر ما بين عبد شمس ومخزوم . كتاب العرجان والبرصان[7] . كتاب فخر القحطانية والعدنانية . كتاب

(1) انظر ما لم ينشر من تراث الجاحظ للدكتور حاتم صالح الضامن (بغداد 1979) ورسائل الجاحظ 3 ـ 4 (الرسالة رقم : 13) .

(2) نشر هذا الكتاب بتحقيق الأستاذ عبد السلام هارون (القاهرة 1955) .

(3) في الجزء الأول من رسائل الجاحظ : رسالة في صناعات القواد (ص 379 ـ 393) .

(4) منه فصول في مجموع رسائله (3 ـ 4 : رقم : 27) .

(5) من هذا الكتاب فصول كثيرة منثورة في كتب الأدب وبخاصة حول حماقة المعلمين ، وانظر مجموع رسائله 3 : 27 .

(6) طبع مرات ، والطبعة المعتمدة بتحقيق الدكتور طه الحاجري ، القاهرة 1948 .

(7) طبع مرتين ، الثانية منهما بتحقيق الأستاذ عبد السلام هارون ، بغداد 1982 .

التربيع والتدوير[1] . كتاب الطفيليين . كتاب أخلاق الملوك[2] . كتاب الفتيا[3] . كتاب مناقب جند الخلافة وفضائل الأتراك[4] . كتاب الحاسد والمحسود[5] . كتاب الردّ على اليهود . كتاب الصرحاء والهجناء . كتاب السودان والبيضان[6] . كتاب المعاد والمعاش[7] . كتاب النساء . كتاب التسوية بين العرب والعجم . كتاب السلطان وأخلاق أهله . كتاب الوعيد . كتاب البلدان[8] . كتاب الأخبار . كتاب الدلالة على أن الامامة فرض . كتاب الاستطاعة وخلق الأفعال . كتاب المقينين والغناء والصنعة . كتاب الهدايا (منحول) . كتاب الاخوان . كتاب الردّ على من ألحد في كتاب الله عز وجل . كتاب آي القرآن . كتاب الناشىء والمتلاشي . كتاب حانوت عطار . كتاب التمثيل . كتاب فضل العلم . كتاب المزاح والجد[9] . كتاب جمهرة الملوك . كتاب الصوالجة . كتاب ذمّ الزنا . كتاب التفكر والاعتبار[10] . كتاب الحجر والنبوة . كتاب آل[11] إبراهيم بن المدبر في المكاتبة . كتاب إحالة القدرة على الظلم . كتاب أمهات الأولاد . كتاب الاعتزال وفضله عن الفضيلة . كتاب الأخطار والمراتب والصناعات . كتاب أحدوثة العالم . كتاب الردّ على من زعم أن الانسان جزء لا يتجزأ . كتاب أبي النجم وجوابه . كتاب التفاح[12] . كتاب الأنس والسلوة . كتاب الكبر المستحسن والمستقبح . كتاب نقض الطب . كتاب الحزم والعزم . كتاب عناصر الآداب . كتاب تحصين الأموال . كتاب الأمثال . كتاب فضل الفرس . كتاب

---

(1) حققها شارل بلا ، دمشق 1955 ونشرت غير مرة .
(2) لعلّ التاج في أخلاق الملوك المنسوب إليه هو الذي التبس بهذا الكتاب .
(3) الرسالة السابعة في الجزء الأول من مجموع رسائله .
(4) الرسالة الأولى في الجزء الأول من رسائله .
(5) انظر الرسالة الأولى من الجزء الثالث .
(6) الرسالة الرابعة (جـ : 1) .
(7) الرسالة الثانية (جـ : 1) .
(8) هنالك كتيب بهذا الاسم نشره الدكتور صالح أحمد العلي ، بغداد 1970 وهو في رسائله .
(9) في الجزء الأول من رسائله رسالة بعنوان في الجد والهزل (الخامسة) .
(10) نشر كتيب باسم الدلائل والاعتبار منسوباً للجاحظ (حلب 1928) ولا أدري مدى صحة هذه النسبة .
(11) آل : سقطت من الوافي .
(12) الوافي : كتاب الفتاح .

على[1] الهملاج . كتاب الرسالة إلى أبي الفرج ابن نجاح في امتحان عقول الأولياء . كتاب رسالة أبي النجم في الخراج . كتاب رسالته في القلم . كتاب رسالته في فضل اتخاذ الكتب . كتاب رسالته في كتمان السر . كتاب رسالته في مدح النبيذ . كتاب رسالته في ذم النبيذ[2] . كتاب رسالته في العفو والصفح . كتاب رسالته في إثم السكر . كتاب رسالته في الآمل والمأمول[3] . كتاب رسالته في الحلية . كتاب رسالته في ذم الكتّاب[4] . كتاب رسالته في مدح الكتّاب . كتاب رسالته في مدح الوراق . كتاب رسالته في ذم الوراق . كتاب رسالته في من يسمّى من الشعراء عمراً . كتاب رسالته اليتيمة . كتاب رسالته في فرط جهل يعقوب بن إسحاق الكندي . كتاب رسالته في الكرم إلى أبي الفرج ابن نجاح . كتاب رسالته في موت أبي حرب الصفار البصري . كتاب رسالته في الميراث . كتاب في الأسد والذئب . كتاب رسالته في كتاب الكيمياء . كتاب الاستبداد والمشاورة في الحرب . كتاب رسالته في القضاة والولاة . كتاب الملوك والأمم السالفة والباقية . كتاب رسالته في الرد على القولية . كتاب العالم والجاهل . كتاب النرد والشطرنج . كتاب غش الصناعات . كتاب خصومة الحول والعور . كتاب ذوي العاهات . كتاب المغنين . كتاب أخلاق الشطار .

وحدث يموت بن المزرع عن خاله الجاحظ قال : يُحَبُّ للرجل أن يكونَ سخياً لا يبلغُ التبذير ، شجاعاً لا يبلغُ الهوج ، محترساً لا يبلغ الجبن ، ماضياً لا يبلغ القحة ، قوالاً لا يبلغ الهذر ، صموتاً لا يبلغ العيّ ، حليماً لا يبلغ الذل ، منتصراً لا يبلغ الظلم ، وقوراً لا يبلغ البلادة ، ناقداً لا يبلغ الطيش ، ثم وجدنا رسول الله ﷺ قد جمع ذلك في كلمة واحدة وهي قوله : خير الأمور أوساطها ، فعلمنا أنه ﷺ قد أوتي جوامع الكلم وعلم فصل الخطاب .

---

(1) على : سقطت من الوافي .

(2) هناك رسالة في مدح النبيذ انظر 3 : 113 من رسائله .

(3) نشر كتاب بهذا الاسم في بيروت ، من السهل الجزم بعدم صحة نسبته للجاحظ .

(4) نشرت ضمن ثلاث رسائل ، كان قد اهتم بها يوشع فنكل .

وقال أبو زيد البلخي : ما أحسن ما قال الجاحظ : عقل المنشىء مشغول ، وعقل المتصفح فارغ .

وقال المرزباني باسناده عن المبرد ، سمعت الجاحظ يقول لرجل آذاه : أنت والله أحوج إلى هوان ، من كريم إلى إكرام ، ومن علم إلى عمل، ومن قدرة إلى عفو، ومن نعمة إلى شكر .

وقال الجاحظ في أبي الفرج نجاح بن سلمة يسأله إطلاق رزقه من قصيدة :

أقام بدار الخفض راضٍ بخفضه ... وذو الحزم يسري حين لا أحدٌ يسري
يظنُّ الرضى شيئاً يسيراً مهوّناً ... ودون الرضى كأسٌ أمرُّ من الصبر
سواءٌ على الأيام صاحبُ حنكةٍ ... وآخرُ كابٍ لا يَرِيشُ ولا يبري
خضعتُ لبعض القوم أرجو نواله ... وقد كنتُ لا أعطي الدنيةَ بالقسر
فلما رأيتُ المرءَ يبذلُ بشره ... ويجعل حُسْنَ البشر واقيةَ الوفر
ربعتُ على ظَلْعي وراجعتُ منزلي ... فصرتُ حليفاً للدراسة والفكر
وشاورتُ إخواني فقال حليمهم ... عليك الفتى المريَّ ذا الخلقِ الغمر
أعيذك بالرحمان من قول شامت ... «أبو الفرج المأمولُ يزهد في عمرو»
ولو كان فيه راغباً لرأيتَهُ ... كما كان دهراً في الرخاءِ وفي اليسر
أخاف عليك العينَ من كلِّ حاسدٍ ... وذو الودّ منخوبُ الفؤاد من الذعر
فإن ترعَ ودِّي بالقبولِ فأهلُهُ ... ولا يعرفُ الأقدارَ غيرُ ذوي القدر

وحدث يموت بن المزرع قال : وجه المتوكل في السنة التي قتل فيها أن يحمل إليه الجاحظ من البصرة ، فقال لمن أراد حمله : وما يصنع أمير المؤمنين بامرىء ليس بطائل، ذي شق مائل، ولعاب سائل ، وفرج بائل ، وعقل حائل؟! وحدث المبرد قال : دخلت على الجاحظ في آخر أيامه فقلت له : كيف أنت ؟ فقال : كيف يكون من نصفه مفلوج لو حُزَّ بالمناشير ما شعر به ، ونصفه الآخر منقرس لو طار الذباب بقربه لآلمه ، وأشد من ذلك ست وتسعون سنة أنا فيها ، ثم أنشدنا :

أترجو أن تكونَ وأنت شيخٌ ... كما قد كنت أيامَ الشبابِ

لقد كَذَبَتْكَ نفسك ليس ثوبٌ دريسٌ كالجديد من الثياب

وقال لمتطبب يشكو إليه علته : اصطلحت الأضدادُ على جسدي ، إن أكلتُ بارداً أخذ برجلي ، وإن أكلتُ حارّاً أخذ برأسي .

وحدث أحمد بن يزيد بن محمد المهلبي عن أبيه قال ، قال لي المعتز بالله : يا ابن يزيد ورد الخبر بموت الجاحظ ، فقلت لأمير المؤمنين طول البقاء ودوام النعماء ، قال وذلك في سنة خمس وخمسين ومائتين .

وفيه يقول أبو شراعة القيسي :

في العلم للعلماء إن يتفهموه مواعظُ
وإذا نسيتَ وقد جمعـ ـتَ علا عليك الحافظ
ولقد رأيتُ الظَّرفَ دهـ ـراً ما حواه اللافظ
حتى أقام طريقَهُ عمرو بن بحر الجاحظ
ثم انقضى أمدٌ به وهو الرئيس الفائظ

ـ 873 ـ

عمرو بن عثمان بن قنبر أبو بشر : ويقال أبو الحسن ، وأبو بشر أشهر ، مولى بني الحارث بن كعب ثم مولى آل الربيع بن زياد الحارثي . وسيبويه لقب ومعناه رائحة التفاح ، يقال كانت أمه ترقِّصه بذلك في صغره ، ورأيتُ ابنَ خالويه قد اشتق له غير ذلك فقال : كان سيبويه لا يزال من يلقاه يشمُّ منه رائحة الطيب فسمي سيبويه ، ومعنى سي ثلاثون وبوي الرائحة ، فكأنه رأى ثلاثين رائحة طيب ، ولم أر أحداً قال ذلك غير

873 ـ المعارف : 544 والفهرست : 57 وطبقات الزبيدي : 66 وأخبار النحويين البصريين : 15 وتهذيب الأزهري 1 : 19 ونور القبس : 95 ومراتب النحويين : 65 وتاريخ بغداد 12 : 195 ونزهة الألباء : 71 وتاريخ أبي المحاسن : 90 وإنباه الرواة 2 : 346 وابن خلكان 3 : 463 وسير الذهبي 8 : 311 وعبر الذهبي 1 : 278 والشريشي 2 : 17 وفهرسة ابن خير (صفحات متفرقة) ومرآة الجنان 1 : 445 والبداية والنهاية 10 : 176 والوافي (خ) والنجوم الزاهرة 2 : 99 وبغية الوعاة 2 : 229 ونفح الطيب 4 : 79 والشذرات 1 : 252 وروضات الجنات 5 : 319 وإشارة التعيين : 242 ولكوركيس عواد : سيبويه في آثار الدارسين ، بغداد 1978 .

ابن خالويه . وأصله من البيضاء من أرض فارس ومنشأه البصرة . مات فيما ذكره ابن قانع بالبصرة سنة احدى وستين ومائة[1] وقال المرزباني : مات بشيراز سنة ثمانين ومائة ، وذكر الخطيب أن عمره كان اثنتين وثلاثين سنة ، ويقال إنه نيف على الأربعين سنة ، وهو الصحيح ، لأنه قد روى عن عيسى بن عمر ، وعيسى بن عمر مات سنة تسع وأربعين ومائة ، فمن وفاة عيسى إلى وفاة سيبويه إحدى وثلاثون سنة ، وما يكون قد أخذ عنه إلا وهو يعقل ، ولا يعقل حتى يكون بالغاً ، والله أعلم.

وقال أحمد بن يحيى ثعلب في « أماليه » : قدم سيبويه العراق في أيام الرشيد وهو ابن نيف وثلاثين سنة ، وتوفي وعمره نيف وأربعون سنة بفارس . قال الأصمعي : قرأت على قبر سيبويه بشيراز هذه الأبيات ، وهي لسليمان بن يزيد العدوي :

ذهب الأحبةُ بعد طولِ تزاورٍ ونأى المزارُ فأسلموكَ وأقشعوا
تركوك أوحش ما تكونُ بقفرةٍ لم يؤنسوك وكربةً لم يدفعوا
قضي القضاءُ وصرتَ صاحبَ حفرةٍ عنك الأحبةُ أعرضوا وتصدَّعوا

وأخذ سيبويه النحو والأدب عن الخليل بن أحمد ويونس بن حبيب وأبي الخطاب الأخفش وعيسى بن عمر.

نقلت من خط أبي سعد السمعاني مما انتخبه من « طبقات أهل فارس وشيراز » تأليف الحافظ أبي عبد الله محمد بن عبد العزيز الشيرازي القصّار : بشير بن سعيد ، وقيل عمرو بن عثمان بن قنبر ، يكنى أبا بشر سيبويه النحوي عن الخليل بن أحمد ، وهو من الحارث بن كعب ، مات وكان على مظالم فارس ، وقبره في شيراز ، لم يزد في ترجمته على هذا . وورد بغداد وناظر بها الكسائي وتعصبوا عليه وجعلوا للعرب جعلاً حتى وافقوه على خلافه ، ولذلك قصة ذكرت فيما بعد.

وكان سبب طلب سيبويه النحو ما ذكرناه في أخبار حماد بن سلمة . وحدث أبو عبيدة قال : لما مات سيبويه قيل ليونس بن حبيب إن سيبويه قد ألَّفَ كتاباً في ألف ورقة من علم الخليل ، قال يونس : ومتى سمع سيبويه هذا كلَّه من الخليل ؟ جيئوني

---

(1) قال المرزباني : وهم (أي ابن قانع) فيهما جميعاً أعني في الموضع والتاريخ .

بكتابه ، فلما نظر فيه رأى كلَّ ما حكى ، فقال : يجب أن يكونَ هذا الرجل قد صدق عن الخليل في جميع ما حكاه كما صدق فيما حكاه عني .

وذكر صاعد بن أحمد الجياني من أهل الأندلس في كتابه(1) قال : لا أعرف كتاباً ألف في علم من العلوم قديمها وحديثها فاشتمل على جميع ذلك العلم وأحاط بأجزاء ذلك الفن غير ثلاثة كتب : أحدها المجسطي لبطلميوس في علم هيئة الأفلاك ، والثاني كتاب ارسطاطاليس في علم المنطق ، والثالث كتاب سيبويه البصري النحوي ، فإن كلَّ واحد من هذه [الكتب الثلاثة] لم يشذَّ عنه من أصول فنه شيء إلا ما لا خطر له .

وكان(2) إذا أراد إنسان قراءةَ كتاب سيبويه على المبرد يقول له : أركبتَ البحر ، تعظيماً واستصعاباً .

وحدث محمد بن سلام قال(3) : كان سيبويه جالساً في حلقته بالبصرة ، فتذاكرنا شيئاً من حديث قتادة ، فذكر حديثاً غريباً وقال : لم يرو هذا إلا سعيد بن أبي العروبة ، فقال بعض ولد جعفر بن سليمان : ما هاتان الزائدتان يا أبا بشر ؟ فقال : هكذا يقال لأن العروبة هي الجمعة ، ومن قال ابن عروبة فقد أخطأ ، قال ابن سلام : فذكرتُ ذلك ليونس فقال : أصاب لله دره .

وحدث ابن النطاح قال(4) : كنت عند الخليل بن أحمد فأقبل سيبويه فقال الخليل : مرحباً بزائر لا يمل قال [أبو عمر المخزومي](5) وكان كثير المجالسة للخليل : وما سمعت الخليل يقولها لغيره . قال : وكان شاباً جميلاً نظيفاً .

وحدث أحمد بن معاوية بن بكر العليمي قال : ذكر سيبويه عند أبي فقال : عمرو بن عثمان ، قد رأيته ، وكان حدث السن ، كنت أسمع في ذلك العصر أنه أثبتُ مَنْ حَمَلَ عن الخليل ، وقد سمعته يتكلم ويناظر في النحو ، وكانت في لسانه حبسة ، ونظرتُ في كتابه فرأيت علمه أبلغَ من لسانه .

---

(1) طبقات الأمم : 31 ونقله الصفدي أيضاً .

(2) إنباه 2 : 348 .

(3) إنباه 2 : 351 ـ 352 وتاريخ بغداد 12 : 197 .

(4) إنباه 2 : 352 .

(5) زيادة من إنباه الرواة .

وحدث أبو الحسن سعيد بن مسعدة والمبرد وثعلب وجمعت بين أقاويلهم وحذفت التكرار قالوا[1] : قدم سيبويه إلى العراق على يحيى بن خالد البرمكي فسأله عن خبره فقال : جئتُ لتجمعَ بيني وبين الكسائي فقال : لا تفعل فإنه شيخ مدينة السلام وقارئها ومؤدب ولد أمير المؤمنين وكلٌّ من في المصر له ومعه ، فأبى إلا أن يجمع بينهما ، فعرف الرشيد خبره فأمره بالجمع بينهما ، فوعده بيوم ، فلما كان ذلك اليوم غدا سيبويه وحده إلى دار الرشيد فوجد الفراء والأحمر وهشام بن معاوية ومحمد بن سعدان قد سبقوه ، فسأله الأحمر عن مائة مسألة ، فما أجابه عنها بجواب إلا قال : أخطأت يا بصري ، فوجم سيبويه وقال : هذا سوء أدب ، ووافى الكسائي وقد شَقَّ أمره عليه ، ومعه خلق كثير من العرب ، فلما جلس قال له : يا بصري كيف تقول خرجت وإذا زيد قائم ، قال : خرجت وإذا زيد قائم ، قال : فيجوز أن تقول خرجت فاذا زيد قائماً ؟ قال : لا ، قال الكسائي : فكيف تقول قد كنت أظنّ أن العقرب أشدُّ لسعةً من الزنبور فإذا هو هي أو فإذا هو إياها ، فقال سيبويه : فإذا هو هي ولا يجوز النصب ، فقال الكسائي : لحنتَ ، وخطّأه الجميع . وقال الكسائي : العربُ ترفع ذلك كله وتنصبه ، ودفع سيبويه قوله ، فقال يحيى بن خالد : قد اختلفتما وأنتما رَئيسا بلديكما فمن يحكم بينكما ؟ وهذا موضع مشكل ، فقال الكسائي : هذه العرب ببابك قد جمعتهم من كل أوب ، ووفدت عليك من كل صقع ، وهم فصحاء الناس ، وقد قنع بهم أهل المصرين ، وسمع أهلُ الكوفة والبصرة منهم ، فيحضرون وَيُسألون ، فقال يحيى وجعفر : قد أنصفت ، وأمر بإحضارهم ، فدخلوا وفيهم أبو فقعس وأبو دثار وأبو ثروان فسئلوا عن المسائل التي جرت بينهما ، فتابعوا الكسائي ، فأقبل يحيى على سيبويه فقال : قد تسمعُ أيها الرجل ، فانصرف المجلس على سيبويه ، وأعطاه يحيى عشرة آلاف درهم وصرفه ، فخرج وصرف وجهه تلقاء فارس وأقام هناك حتى مات غماً بالذَّرَب ، ولم يلبث إلا يسيراً ولم يعد إلى البصرة .

قال أبو الحسن علي بن سليمان الأخفش[2] : وأصحاب سيبويه إلى هذه الغاية لا اختلاف بينهم أن الجواب كما قال سيبويه وهو : فإذا هو هي ، أي فإذا هو مثلها ،

(1) قارن بانباه الرواة 2 : 358 .
(2) إنباه 2 : 359 .

وهذا موضع رفع وليس بموضع نصب . فإن قال قائل : فأنت تقولُ خرجتُ فإذا زيدٌ قائم وقائماً ، فتنصب قائماً ، فلم لم يجز فإذا هو إياها لأن إيّا للمنصوب وهي للمرفوع ، والجواب في هذا أن قائماً انتصب على الحال وهو نكرة ، وإيا مع ما بعدها مما أضيفت اليه معرفة ، والحال لا تكون إلا نكرة فبطل إياها ولم يكن إلا هي وهو خبر الابتداء ، وخبر الابتداء يكون معرفة ونكرة ، والحال لا يكون إلا نكرة ، فكيف تقع إياها وهي معرفة في موضع ما لا يكون إلا نكرة وهذا موضع الرفع ؟ وقد قال أصحاب سيبويه : الأعراب الذين شهدوا للكسائي من أعراب الحطمة الذين كان الكسائي يقوم بهم ويأخذ عنهم .

ولما مرض سيبويه مرضه الذي مات فيه جعل يجود بنفسه ويقول[1] :

يؤمّلُ دنيا لتبقى له ... فمات المؤملُ قبلَ الأَمَلْ
حثيثاً يروّي أصولَ النخيل ... فعاش الفسيلُ وماتَ الرجلْ

قالوا[2] : ولما اعتلَّ سيبويه وضع رأسَهُ في حِجْرِ أخيه فبكى أخوه لما رآه لما به ، فقطرت من عينه قطرةٌ على وجه سيبويه ، ففتح عينه فرآه يبكي فقال :

أخيين كنّا[3] فرّقَ الدهرُ بيننا ... إلى الأمدِ الأقصى ومن يأمنُ الدهرا

وحدث أبو الطيب اللغوي[4] عن أبي عمر الزاهد قال ، قال ثعلب يوماً في مجلسه : مات الفراء وتحت رأسه كتاب سيبويه ، فعارضه أبو موسى الحامض بما قد كتبناه في أخباره[5] .

وحدث محمد بن عبد الملك التاريخي[6] فيما رواه عن ثعلب عن محمد بن سلام قال : حدثني الأخفش أنه قرأ كتاب سيبويه على الكسائي في جمعةٍ فوهب له

---

(1) إنباه 2 : 357 .
(2) نور القبس : 97 والإنباه 2 : 358 .
(3) إنباه : وكنا جميعاً .
(4) مراتب النحويين : 87 .
(5) أي قال له : إنما كان لا يفارقه لأنه كان يتتبع خطأه ولكنته .
(6) إنباه 2 : 350 ـ 351 .

سبعين ديناراً ، قال : وكان الكسائي يقول لي : هذا الحرفُ لم أسمعه فاكتبه لي ، فأفعل . قال : وكان الأخفش يؤدِّبُ وَلَدَ الكسائي ؛ قال التاريخي : فكأن الجاحظ سمع هذا الخبر فقال ، مما يعدده من فخر أهل البصرة على أهل الكوفة : وهؤلاء يأتونكم بفلان وفلان وبسيبويه الذي اعتمدتم على كتبه وجحدتم فضله .

وحدث التاريخي أيضاً وهارون بن محمد بن عبد الملك الزيات ، قال هارون : دخل الجاحظ على أبي وقد افتصد فقال له : أدام الله صحتك ، ووصل غبطتك ، ولا سلبك نعمتك ، قال : ما أهديت لي يا أبا عثمان ؟ قال : أطرف شيء ، كتاب سيبويه بخط الكسائي وعرض الفراء .

وقال التاريخي ، قال الجاحظ[1] : أردت الخروجَ إلى محمد بن عبد الملك ففكرت في شيء أهديه له فلم أجد شيئاً أشرفَ من كتاب سيبويه ، وقلت له : أردت أن أهديَ لك شيئاً ففكرتُ فإذا كل شيء عندك ، فلم أرَ أشرفَ من هذا الكتاب ، وهذا كتاب اشتريته من ميراث الفراء ، قال : والله ما أهديتَ إليَّ شيئاً أحبَّ إليَّ منه .

وحدث التاريخيّ عن المبرد عن الزراري أبي زيد قال : قال رجل لسماك بالبصرة : بكم هذه السمكة ؟ قال : بدرهمان ، فضحك الرجل ، فقال السماك : ويلك أنت أحمق ، سمعتُ سيبويه يقول : ثمنها درهمان .

وحدث عن المبرد عن المازني عن الجرمي قال : في كتاب سيبويه ألف وخمسون بيتاً سألت عنها فعرف ألف ولم تُعْرَفْ خمسون .

وحدثت عن النظام أنه دخل على سيبويه في مرضه فقال له : كيف تجدُكَ أبا بشر ؟ قال : أجدني ترحلُ العافيةُ عني بانتقال[2] ، وأجد الداءَ يخامرني بحلول ، غير أني وجدتُ الراحةَ منذ البارحة . قلت : فما تشتهي ؟ قال : أشتهي أن أشتهي ؛ فلما كان من بعد ذلك اليوم دخلت إليه وأخوه يبكي وقد قطرت من دموعه على خده ، فقلت : كيف تجدك ؟ فقال :

يسرُّ الفتى ما كان قَدَّمَ من تُقىً ... إذا عرف الداءَ الذي هو قاتِلُهْ

---

(1) إنباه الرواة : 351 .

(2) قارن بنور القبس : 97 .

قال النظام : ثم مات من يومه .

وحدث أبو حاتم السجستاني قال : دخلت على الأصمعي في مرضه الذي مات فيه فسألته عن خبره ثم قلت : كم سنة مضى من عمرك ؟ فقال : لا أدري ، ولكني أحدثك ، كنتُ شاباً مقتبلاً فتزوجتُ فَوُلِدَ لي وولد لأولادي وأنا حي ، ثم أنشد :

إذا الرجالُ ولدت أولادها واضطربت من كِبَرٍ أعْضَادُهَا
وجعلت أسقامها تعتادها فهي زروعٌ قد دنا حصادها

فقلت له : في نفسي شيء أريد أن أسألك عنه ، قال : سل ، فقلت : حدثني بما جرى بينك وبين سيبويه من المناظرة ، فقال : والله لولا أني لا أرجو الحياة من مرضتي هذه ما حدثتك : إنه عُرِضَ عليَّ شيءٌ من الأبياتِ التي وضعها سيبويه في كتابه ، ففسرتها على خلاف ما فسره ، فبلغ ذلك سيبويه ، فبلغني أنه قال : لا نَاظَرْتُهُ إلا في المسجد الجامع ، فصليتُ يوماً في الجامع ثم خرجتُ فتلقاني في المسجد فقال لي : اجلس يا أبا سعيد ، ما الذي أنكرتَ من بيتٍ كذا وبيت كذا ، ولِمَ فسرت على خلاف ما يجب ؟ فقلت له : ما فسرت إلا على ما يجب ، والذي فَسَّرْتَهُ أنت ووضعتَهُ خطأ ، تسألني وأجيب . ورفعت صوتي فسمع العامة فصاحتي ونظروا إلى لكنته ، فقالوا : غلب الأصمعيُّ سيبويه ، فسرَّني ذلك فقال لي : إذا علمتَ أنت يا أصمعيُّ ما نزل بكَ مني لم ألتفت إلى قول هؤلاء ، ونفض يده في وجهي ومضى . ثم قال الأصمعي : يا بنيّ فوالله لقد نزل بي منه شيء وددتُ أني لم أتكلم في شيء من العلم .

وعن أبي عثمان المازني قال ، حدثني الأخفش قال : حضرتُ مجلسَ الخليل ، فجاءه سيبويه فسأله عن مسألة وفسَّرها له الخليل فلم أفهمْ ما قالا ، فقمت وجلست له في الطريق فقلت له : جعلني الله فداءك ، سألتَ الخليل عن مسألة فلم أفهم ما ردَّ عليك ففهمنيه ، فأخبرني بها فلم تقعْ لي ولا فهمتها ، فقلت له : لا تتوهم أني أسألك إعناتاً فاني لم أفهمها ولم تقع لي ، فقال لي : ويلك ومتى توهمتَ أنني أتوهمُ أنك تُعْنتني ، ثم زجرني وتركني ومضى .

وحدث المازني قال ، قال الأخفش : كنت عند يونس فقيل له : قد أقبل

سيبويه ، فقال : أعوذ بالله منه . قال : فجاء فسأله فقال : كيف تقول مررتُ به المسكينِ ؟ فقال جائز أن أجرَّه على البدل من الهاء ، قال فقال له : فمررت به المسكينُ على معنى المسكينُ مررت به ، فقال : هذا خطأ لأنّ المضمر قبل الظاهر . قال فقال له : إن الخليلَ أجاز ذلك وأنشد فيها أبياتاً ، فقال : هو خطأ ، فغمَّني ذلك ، قال : فمررت به المسكينَ ، فقال : جائز فقال : على أيّ شيء ينصب ؟ فقال : على الحال ، فقال سيبويه : أليس أنت أخبرتني أن الحال لا تكونُ بالألف واللام ؟ فقال له : صدقت ، ثم قال لسيبويه ، فما قال صاحبك فيه ، يعني الخليل ؟ فقال سيبويه : قال لي إنه ينصبُ على الترخيم ، فقال : ما أحسن هذا ، ورأيته مغموماً بقوله نصبته على الحال .

ـ 874 ـ

عمرو بن مسعدة بن سعد بن صول بن صول الصولي ، كنيته أبو الفضل ، من جلة كتاب المأمون وأهل الفضل والبراعة والشعر منهم . وذكر الجهشياري أن مسعدة كان مولى خالد بن عبد الله القسري وأنه كان يكتب لخالد ، وكان بليغاً كاتباً مات في سنة أربع عشرة ومائتين ، وقيل في سنة سبع في أيام المأمون ، وكان مسعدة من كتاب خالد بن برمك ثم كتب بعده لأبي أيوب وزير المنصور على ديوان الرسائل .

قال الصولي ، قال أحمد بن عبد الله : كان لمسعدة أربعة بنين : مجاشع وهو الذي يقول فيه أبو العتاهية :

علمتَ يا مجاشعُ بنَ مسعده أن الشبابَ والفراغَ والجِدَهْ
مفسدةٌ للمرءِ أيُّ مَفْسَدَهْ

ومسعود وعمرو ومحمد ، وقد ذكر أن المنصور قال يوماً لكتابه : اكتبوا لي تعظيمَ الاسلام ، قال : فبدر مسعدة فكتب : الحمد لله الذي عظم الاسلام واختاره ،

---

874 ـ ترجمة عمرو بن مسعدة في الجهشياري : 216 ومعجم المرزباني : 33 وتاريخ بغداد 12 : 203 وابن خلكان 3 : 475 وإعتاب الكتاب : 116 وسير الذهبي 10 : 181 والوافي للصفدي (مخطوط) ؛ وهو ابن عم ابراهيم بن العباس الصولي ، وله شهرة في إجادة التوقيعات .

وأوضحه وأناره ، وأعزه وأنافه ، وشرَّفه وأكمله ، وتممه وفضله ، وأعزه ورفعه ، وجعله دينه الذي أحبه واجتباه ، واستخلصه وارتضاه ، واختاره واصطفاه ، وجعله الدين الذي تعتدّ به ملائكته ، وأرسل بالدعاء عليه أنبياءه ، وهدى له من أراد إكرامه وإسعاده من خلقه ، فقال جلّ من قائل : ﴿ إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَام ﴾ (آل عمران : 19) وقال جل وعلا : ﴿ وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلَامِ دِيناً فَلَنْ يُقْبَلَ مِنه ﴾ (آل عمران : 85) وقال : ﴿ مِلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ ٱلْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ ﴾ (الحج : 78) فبهذا الإسلام والدخول فيه والعلم به وأداء شرائعه والقيام بمفروضاته وصلت ملائكته ورسله إلى رضوان الله ورحمته وجواره في جنته ، وبه تحرزوا من غضبه وعقوبته ، وأمنوا نكال عذابه وسطوته . فقال المنصور : حسبك يا مسعدة ، اجعل هذا صدر الكتاب إلى أهل الجزيرة بالاعذار والانذار .

وأما عمرو بن مسعدة ففضله شائع ونبله ذائع أشهر من أن يُنَبَّهَ عليه ، أو يُدَلَّ بالوصف إليه ، قد ولي للمأمون الأعمالَ الجليلة ، وألحق بذوي المراتب النبيلة ، وسماه بعضُ الشعراء وزيراً لعظم منزلته لا لأنه كان وزيراً وهو قوله :

لقد أسعد الله الوزير ابن مسعدَهْ		وبثَّ له في الناسِ شكراً ومحمدَهْ

في أبيات .

فحدث إسماعيل بن أبي محمد اليزيدي[1] قال : كان عمرو بن مسعدة أبيض أحمر الوجه ، وهو من أولاد صول الأكبر جدّ محمد بن صول بن صول ، وقد ذكرت أصلهم في أخبار إبراهيم بن العباس من هذا الكتاب[2] . وكان المأمون يسميه الرومي لبياض وجهه .

ووصف الفضل بن سهل بلاغة عمرو بن مسعدة فقال : هو أبلغ الناس ، ومن بلاغته أن كلَّ أحدٍ إذا سمع كلامه ظنَّ أنه يكتبُ مثله فإذا رامه بعد عليه ، وهذا كما قيل لجعفر بن يحيى ما حدُّ البلاغة ؟ فقال : التي إذا سمعها الجاهلُ ظنَّ أنه يقدرُ على مثلها فإذا رامها استصعبت عليه .

(1) م : الزيدي .		(2) انظر الترجمة رقم : 16 .

وحدث العباس بن رستم قال : كان لعمرو بن مسعدة فرسٌ أدهم أغرّ لم يكن لأحدٍ مثلُهُ فراهةً وحسناً ، فبلغ المأمون خبره ، وبلغ عمرو بن مسعدة ذلك ، فخاف أن يأمر بقوده إليه فلا يكون له فيه محمدة ، فوجَّهَ به إليه هدية وكتب معه[1] :

يـا إمـامـاً لا يـدانـيـه إذا عُـدَّ إمـامُ
فَضَـلَ النـاسَ كمـا يَفْـضُـلُ نقصـانـاً تـمـام
قـد بـعـثـنـا بـجـوادٍ مـثـلُـهُ لـيـس يـرام
فـرسٌ يـزهَـى بـه لـلـحـسـن سـرجٌ ولـجـام
دونـه الخيـلُ كمـا دونـك[2] في الفضـلِ الأنام
وجـهـه صـبـحٌ ولـكـن سـائـرُ الـجـسـم ظـلام
والـذي يـصـلحُ لـلـمـولـى على الـعـبـدِ حـرام

وكتب عمرو بن مسعدة إلى الحسن بن سهل : أما بعد فإنك ممن إذا غرس سقى ، وإذا أسَّسَ بنى ، ليستتم تشييدَ أُسّه ، ويجتني ثمارَ غرسه ، وثناؤك عندي قد شارف الدروس ، وغرسك مُشْفٍ على اليبوس ، فتدارك بناءَ ما أسست وسقيَ ما غرست ، إن شاء الله تعالى .

وحدث الصولي قال[3] : لما مات عمرو بن مسعدة رفع إلى المأمون أنه خلف ثمانين ألف ألف درهم ، فوقَّع على الرقعة : هذا قليلٌ لمن اتصل بنا وطالت خدمته لنا ، فبارك اللّه لولده فيه . وعمرو القائل في رواية المرزباني[4] :

ومستعذبٍ للهجر والوصلُ أعذبُ ... أكاتمه حبي فينأى وأقربُ
إذا جُدْتُ مني بالرضا جاد بالجفا ... ويزعمُ أني مذنبٌ وهو أذنب
تعلمْتُ ألوانَ الرضى خوفَ هجره ... وعلَّمه حبي له كيفَ يغضب
ولي غيرُ وجهٍ قد عرفتُ طريقه ... ولكن بلا قلبٍ إلى أين أذهب

(1) معجم المرزباني : 33 .
(2) م : مثلك .
(3) أورد الخبر في الوافي .
(4) معجم المرزباني : 33 .

ـ 875 ـ

عمـرو بن كركـرة أبو مـالك الاعـرابي : كان يعلم بـالبـاديـة ، وورق في الحضرة ، وهو مولى بني سعد وكان راوية أبي البيـداء ، يقال إنـه كان يحفظ لغـة العرب ، وكان بصريَّ المذهب ، وكان أحدَ الطياب(1) ، قال الجاحظ : كان يزعم أن الأغنياء عند الله أكرم من الفقراء ، ويقول : إن فرعون عند الله أكرم من موسى ، وكان يلتقم الحارَّ الممتنع فـلا يؤذيه ، وصنف كتبـاً : منها كتـاب خَلْق الانسان . كتـاب الخيل .

وقال أبو الـطيب اللغوي في « كتـاب مراتب النحـويين »(2) : كان ابن منـاذر يقول : كان الأصمعي يجيب في ثلث اللغة ، وكان أبو عبيدة يجيب في نصفها ، وكان أبو زيد يجيب في ثلثيها ، وكان أبو مالـك يجيب فيها كلهـا ، وإنما عنى ابن منـاذر توسعهم في الرواية والفتيا ، لأن الأصمعي كان يضيّقُ ولا يجوّزُ إلا أصح اللغات ويلحّ في ذلك وَيَمْحَكُ ، وكان مع ذلك لا يجيب في القرآن وحديث النبي ﷺ ، فعلى هذا يـزيد بعضهم على بعض (لـه قصة في أخبـار ابن مناذر في « كتـاب الشعراء » من تصنيفنا)(3) .

ـ 876 ـ

عنبسة بن معدان الفيل : أخذ النحو عن أبي الأسود الدؤلي ، ولـم يكن في من أخذ النحو أبرع منه ، وأما معنى تسميته بمعدان الفيل ـ فحدث محمد بن عبد الملك

---

875 ـ ترجمته في الفهرست : 49 وطبقات الزبيدي : 157 وتـاريخ أبي المحـاسن: 216 وإنباه الـرواة 2 : 360 والوافي للصفدي (خ) وبغية الوعاة 2 : 228 .

876 ـ ترجمة عنبسة في طبقات الزبيدي: 29 ـ 30 ومراتب النحويين : 19 وأخبار النحويين البصريين : 23 ـ 24 وتاريخ أبي المحاسن : 159 ونور القبس : 23 وإنباه الرواة 2 : 381 ونزهة الألباء: 6 ـ 7 والوافي للصفدي (خ) وبغية الوعاة 2 : 233 وإشارة التعيين : 246 .

(1) م : الطيبات .

(2) مراتب النحويين : 41 .

(3) سترد ترجمة ابن مناذر رقم : 1120 (وهي دخيلة على معجم الأدباء) وليس فيها خبره مع أبي مالك الأعرابي .

التاريخي عن يوسف بن يعقوب بن السكيت قال : حدثني عبد الرحيم بن مالك عن الهيثم بن عديّ عن أشياخه ، قال يوسف وحدثني مسلم بن محمد بن نوح عن هشام بن محمد عن رجل من قريش قال[1] : كانت لزياد بن أبيه فيلة ينفق عليها في كل يوم عشرة دراهم ، فأقبل رجل من أهل ميسان يقال له معدان فقال : ادفعوها إليَّ وأكفيكم المؤونة وأعطيكم عشرةَ دراهم في كلِّ يوم ، فدفعوها إليه ، فأثرى وابتنى قصراً، ونشأ له ابن يقال له عنبسة، فروى الأشعار وَظَرُفَ وفصح، وروى شعر جرير والفرزدق ، وانتمى إلى بني أبي بكر ابن كلاب ، فقيل للفرزدق : ها هنا رجل من بني أبي بكر ابن كلاب يروي شعر جرير ويفضّله عليك ووصفوه له، فقال : رجل من بني أبي بكر ابن كلاب على هذه الصفة لا أعرفه ، فأروني داره ، فأروه فقال : هذا ابن معدان الميساني ثم قصَّ قصته وقال :

لقد كان في معدانَ والفيلِ زاجرٌ لعنبسةَ الراوي عليَّ القصائدا

فروي البيت بالبصرة .

ولقي عنبسة أبا عيينة ابن المهلب فقال له أبو عيينة: ما أراد الفرزدق بقوله :

لقد كان في معدان والفيلُ زاجرٌ

فقال : إنما قال لقد كان في معدان واللؤمُ زاجر ، فقال أبو عيينة : وأبيك إن شيئاً فررتَ منه إلى اللؤم لعظيم . قال التاريخي : فحدثت بهذا الحديث أبا العباس أحمد بن يحيى ثعلباً فَسُرَّ به وسألني أن أكتبه له ، فكتبته له ، والحديث على لفظ مسلم بن محمد بن نوح .

ـ 877 ـ

عوانة بن الحكم بن عوانة بن عياض بن وزر بن عبد الحارث بن أبي

877 ـ ترجمة عوانة في الفهرست : 103 ونور القبس : 263 والوافي للصفدي (خ) ونكت الهميان 222 ـ 223 .

(1) قارن بنور القبس وإنباه الرواة .

حصن بن ثعلبة بن جبير بن عامر بن النعمان : كان عالماً بالأخبار والآثار ثقة ، روى عنه الأصمعي والهيثم بن عدي وكثير من أعيان أهل العلم .

وقال أبو عبيدة في « كتاب المثالب » يقال في الحكم بن عوانة الكلبي إن أباه كان عبداً خياطاً ادعي بعدما احتلم ، وكانت أمه أمةً سوداء لآل أيمن بن خريم بن فاتك الأسدي ، وله إخوة موالٍ ، قال في ذلك ذو الرمة[1] :

أَلِكْنِي فإني مرسلٌ برسالةٍ إلى حَكَم من غير حبٍّ ولا قُرْبِ[2]
فلو كنتَ من كلبٍ صميماً هجوتُها ولكن لعمري لا إخالك من كلب
ولكنما أُخبرتُ أنكَ مُلْصَقٌ كما أُلصقت من غيرها ثلمةُ القعب
تَدَهْدَى فخرَّتْ ثلمةٌ من صميمه فَلُزَّ بأخرى بالغِراءِ وبالشعب[3]

حدث أحمد بن يحيى قال : أنشدني ذو الرمة شعراً وعوانة بن الحكم حاضر ، فعاب شيئاً منه ، فقال فيه هذه الأبيات المتقدمة .

قال وقال محمد بن أحمد الكاتب ، وقال عياض بن وزر في ابنه عوانة[4] :

عجباً عجبتُ لمعشرٍ لم يرشدوا جعلوا عوانةَ لي بغيبٍ ابنما
إني إلى الرحمن أبرأ صادقاً ما نكتُ أمك يا عوانةُ محرما
أنكرتُ منكَ جعودةً في حُوَّةٍ ومشافراً هُدْلاً وأنفاً أخثما
ما كان لي في آلِ حامٍ والد عبداً فأصبحَ في كنانةَ أكشما

وكان يكنى أبا الحكم ، وكان ضريراً ، مات فيما ذكره المرزباني عن الصولي سنة سبع وأربعين ومائة في الشهر الذي مات فيه الأعمش .

قال المدائني : مات عوانة سنة ثمان وخمسين ومائة في السنة التي مات فيها المنصور .

---

(1) ديوان ذي الرمة 3 : 1772 ونكت الهميان .
(2) ألكني : أرسلني أو بلغ عني .
(3) الشعب : إصلاح الإناء إذا انكسر .
(4) هذا هو عوانة الجدّ وليس صاحب الترجمة .

حدث الهيثم بن عدي قال[1] : كنت عند عبد الله بن عياش الهمداني وعنده عوانة بن الحكم ، فتذاكروا أمر النساء ، فقلت : حدثني ابن الظلمة عن أمه أنها قالت : والله ما أبى[2] النساء مثلُ أعمى عفيف ، فضربَ عوانة بيده على فخذي وقال : حفظك الله يا أبا عبد الرحمن فإنك تحفظ غريبَ الحديث وَحَسنه ، قال : وكان عوانة ضريراً .

قال قال عبد الله بن جعفر : عوانة بن الحكم من علماء الكوفة بالأخبار خاصة والفتوح مع علم بالشعر والفصاحة ، وله اخوة وأخبار ظريفة ، وكان موثقاً ، وعامة أخبار المدائني عنه .

قال : وروى عبد الله بن المعتز عن الحسن بن عُلَيْل العنزي أن عوانة بن الحكم كان عثمانياً ، وكان يضع أخباراً لبني أمية .

قال : وحدث أبو العيناء عن الأصمعي قال : أنشد عوانة بيتين فقيل له لمن هما ؟ قال : أنا تركتُ الحديثَ بغضاً منّي للاسناد ، وليس أراكم تعفوني منه في الشعر .

وحدث هشام بن الكلبي عن عوانة قال : خطبنا عتبة بن النّهاسِ العجليّ فقال : ما أحسن شيئاً قاله الله عز وجل في كتابه :

ليس حيٌّ على المنونِ بباقِ غيرُ وجهِ المسبَّحِ الخلاقِ

فقمت إليه فقلت : أيها الرجل إن الله عز وجل لم يقل هذا ، إنما قاله عديّ بن زيد [فقال : والله ما ظننته إلا من كتاب الله ، ولنعم ما قال عدي بن زيد] ثم نزل عن المنبر . وأُتي بامرأة من الخوارج فقال : يا عدوةَ اللّه ما خروجك على أمير المؤمنين ؟ ألم تسمعي قول الله عز وجل :

كُتِبَ القتلُ والقتالُ علينا وعلى المحصناتِ جرُّ الذيول[3]

فحركَتْ رأسها وقالت : يا عدوَّ الله حملني على الخروج جهلكم بكتاب الله عز وجل .

---

(1) نكت الهميان : 223 .
(2) نكت الهميان : أتى .
(3) ديوان عمر بن أبي ربيعة : 338 .

وحدث الهيثم بن عدي قال : كنا عند عوانة فورد الخبر بأنّ محمد بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب قد قتل بالمدينة ، فترحم عليه عوانة وذكر فضله ثم قال : أخطأ الرأي في استهدافه لهم ومقابلته إياهم بالقرب منهم ، ولو تباعد عنهم حتى يجتمع أمره ويرى رأيه لطالت مدته ، فقيل له قد أشير عليه بذلك فلم يقبله ، فتمثل عوانة بقول زهير[1] :

أضاعتْ فلم تُغْفَرْ لها غَفَلاتُها ... فلاقتْ بياناً عند آخرِ معهدِ[2]

دماً حول شلوٍ تحجلُ الطيرُ حوله ... وَبَضْعَ لِحامٍ في إهابٍ مُقَدَّدِ[3]

قال ثم قال : هل علينا عين ؟ قالوا : لا فقل ما شئت ، فقال : محمد والله من الذين قال الله فيهم ﴿ **التَّائِبُونَ الْعَابِدُونَ الْحَامِدُونَ السَّائِحُونَ الرَّاكِعُونَ السَّاجِدُونَ الْآمِرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّاهُونَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَالْحَافِظُونَ لِحُدُودِ اللَّهِ** ﴾ (التوبة : 112) .

وحدث التاريخي عن إسماعيل بن إسحاق عن نصر بن عليّ عن الأصمعي عن عوانة : قال كان ابن زياد يأكل بعد الشبع أربع جرادق أصبهانية وجبنة ورطلاً عسلاً .

وحدث عنه أحمد بن عبيد عن الأصمعي عن عوانة قال : لقي رجلاً أعرابياً فقال ممن الرجل ؟ قال : من قوم إذا نسي الناس علمهم حفظوه عليهم . قال فأنت إذن من كلب ، قال : أجل .

وكان لعوانة أخ يقال له عياض[4] نحوي أديب أقام بأفريقية انتقل إليها من الكوفة فحدث المرزباني باسناده قال : كان عوانة بن الحكم يقول لأخ له يقال له عياض نحوي : لا تَعَمَّقْ في النحو فإنه لم يتعمق فيه أحد إلا صار معلماً ، قال : فصار عياض بعد ذلك معلماً بأفريقية لولد المعلّى[5] .

---

(1) شرح ديوان زهير : 327 .

(2) يصف بقرة وحش فيقول : أضاعت أي تركت ولدها وغفلت عنه ، فلاقت بياناً : استبانت الجلد والدم عند آخر موضع عهدته فيه .

(3) دما : بدل من « بياناً » بضع : جمع بضعة ، لحام : جمع لحم .

(4) لعياض ترجمة في إنباه الرواة 2 : 361 وطبقات الزبيدي : 226 ـ 227 وبغية الوعاة 2 : 234 .

(5) غيرها محقق انباه الرواة فجعلها : لولد المهلب .

- 878 -

عوف بن محلم الخزاعي أبو المنهال : أحد العلماء الأدباء ، والرواة الفهماء ، والندامى الظرفاء ، والشعراء الفصحاء . وكان صاحب أخبار ونوادر ، وله معرفة بأيام الناس . وكان طاهر بن الحسين بن مصعب قد اختصه لمنادمته ، واختاره لمسامرته ، وكان لا يخرج في سفر إلا أخرجه معه ، وجعله زميله وأنيسه وعديله ، وكان يعجب به .

قال محمد بن داود : ويقال إن سببَ اتصاله بطاهر أنه نادى على الجسر بهذه الأبيات في أيام الفتنة ببغداد ، وطاهر ينحدر في حراقة في دجلة ، فسمعها منه فأدخله وأنشده إياها وهي[1] :

عجبتُ لحرَّاقة ابنِ الحسيـــن كيف تعومُ ولا تغرقُ
وبحرانِ من تحتها واحدٌ وآخرُ من فوقها مطبق
وأعجبُ من ذاك عيدانها وقد مَسَّها كيف لا تورق

وأصله من حران ، فبقي مع طاهر ثلاثين سنة لا يفارقه ، وكان يستأذنه في الانصراف إلى أهله ووطنه فلا يأذن له ولا يسمح به ، فلما مات طاهر ظن أنه قد تخلص وأنه يلحق به ويرجع إلى وطنه ، فقرّبه عبد الله بن طاهر من نفسه وأنزله منزلته من أبيه ، وكان عبد الله أديباً فاضلاً عالماً بأخبار الناس ، فلما وقف على أدب عوف وفضله تمسك به وأفضل عليه حتى كثر ماله وحسن حاله ، وتلطف بجهده أن يأذن له عبد الله في العَوْدِ إلى وطنه فلم يكن إلى ذلك سبيل ، وحفزه الشوق إلى أهله وأهمه أمرهم ، فاتفق ان خرج عبد الله من بغداد يريد خراسان ، فصيَّر عوفاً عديله يستمتع

878 - ترجمة عوف بن محلم في طبقات ابن المعتز : 186 - 193 وتاريخ بغداد 9 : 486 (في ترجمة عبد الله بن طاهر) والوافي للصفدي (خ) ومعاهد التنصيص 1 : 27 ، 127 والشذرات 2 : 32 ومعجم البلدان (الري) (ميان) وشرح شواهد المغني : 278 والفوات 3 : 162 وذكر صاحب الفهرست (188) أن ديوانه ثلاثون ورقة .

(1) وردت عند ابن خلكان (2 : 519) منسوبة لمقدس بن صيفي الخلوقي .

بمسامرته ويرتاح إلى محادثته إلى أن دنا من الري ، فلما شارفها سمع صوتَ عندليب يغرّد بأحسن تغريد وأشجى صوت ، فأعجب عبد الله بصوته والتفت إلى عوف بن محلم فقال له : يا ابن محلم هل سمعتَ قطّ أشجى من هذا الصوت وأطرب منه ؟ فقال : لا والله أيها الأمير وإنه لحسنُ الصوتِ شجيُّ النغمة مطرب التغريد ، فقال عبد الله : قاتل الله أبا كبير حيث يقول :

ألا يا حمامَ الأيكِ إلفكَ حاضرٌ ... وغصنك مَيّادٌ ففيمَ تنوحُ
أفِقْ لا تنحْ من غيرِ شيءٍ فإنني ... بكيتُ زماناً والفؤاد صحيح
ولوعاً فشطت غربةً دار زينب ... فها أنا أبكي والفؤادُ قريح

فقال عوف : أحسن والله أبو كبير وأجاد ، ثم قال : أصلح الله الأمير[1] إنه كان في الهذليين مائة وثلاثون شاعراً ما فيهم إلا مفلق ، وما كان فيهم مثل أبي كبير ، فإنه كان يبدع في شعره وَيُفْهِم آخرُ قوله أوله ، وما شيء أبلغ في الشعر من الابداع فيه ، قال عبد الله : أقسمت عليك إلا أجزتَ شعر أبي كبير ، قال عوف : أصلح الله الأمير قد كبر سني وفنيَ ذهني وأنكرت كل ما كنت أعرفه ، قال عبد الله : سألتك بحقّ طاهرٍ إلا فعلت ، وكان لا يُسأَلُ بحقّ طاهر شيئاً إلا ابتدر إليه لما كان يوجبه له ، فلما سمع عوف ذلك أنشأ يقول :

أفي كلِّ عامٍ غربةٌ ونزوحُ ... أما للنوى من وَنْيةٍ فتريحُ
لقد طَلَّح البينُ المشتُّ ركائبي ... فهل أَرَيَنَّ البينَ وهو طليح
وأرقني بالريِّ نوحُ حمامةٍ ... فنحتُ وذو البثِّ الغريب ينوح
على أنها ناحت ولم تُذْرِ دمعةً ... ونحتُ وأسرابُ الدموع سُفُوح
وناحت وفرخاها بحيث تراهما ... ومن دونِ أفراخي مهامِهُ فيح
ألا يا حمامَ الأَيكِ إلفك حاضرٌ ... وغصنك مَيّادٌ ففيمَ تنوح
عسى جودُ عبدِ الله أن يعكسَ النوى ... فَتُلْقَى عصا التطوافِ وهي طريح
فإن الغنى يدني الفتى من صديقه ... وَعُدْمُ الغنى بالمقترينِ طَروح

(1) م : أمير المؤمنين (وهو خطأ) .

قال : فاستعبر عبد الله ورقّ له وجرت دموعه وقال له : والله إني لضنين بمفارقتك شحيح على الفائت من محاضرتك ، ولكن والله لا أعملتَ معي خُفّاً ولا حافراً إلا راجعاً إلى أهلك ، ثم أمر له بثلاثين ألف درهم ، فقال يمدح عبد الله وأباه :

يا ابن الذي دان له المشرقانْ وأُلبِسَ الأَمْنُ به المغربانْ
إنَّ الثمانين وَبُلِّغْتَها قد أحوجتْ سمعي إلى ترجمان
وأبدلتني بالشَّطاطِ آنِحْنَا وكنتُ كالصَّعْدةِ تحتَ السنان
وعوَّضتني من زَماع الفتى وهمتي همَّ الهجانِ الهدان
وقاربتْ منّي خطىً لم تكنْ مقارباتٍ وَثَنَتْ من عنان
وأنشأتْ بيني وبين الورى عنانةً من غير نسج العنان
ولم تدعْ فيَّ لمستمتعٍ إلا لساني وبحسبي لسان
أدعو به اللّه وأُثني به على الأمير المصعبيِّ الهجان
وهمتُ بالأوطانِ وجداً بها وبالغواني أين مني الغوان
فقرِّباني بأبي أنتما من وطني قبل اصفرارِ البنان
وقبل مَنْعَايَ إلى نسوةٍ أوطانها حَرَّانُ والرَّقَّتان
سقى قصورَ الشاذياخِ الحيا من بعد عهدي وقصورَ الميان
فكم وكم من دعوةٍ لي بها أن تتخطاها صروفُ الزمان

وهذه قصور بخراسان بناحية نيسابور لآل طاهر .

ثم ودع عبد الله وسار راجعاً إلى أهله فمات قبل أن يصل إليهم .

وقد روي في خبر هذه الأبيات أن عوف بن محلم دخل على عبد الله بن طاهر فسلَّم عبد الله عليه فلم يسمع ، فأُعلم بذلك ، فزعموا أنه أُنْحِلَ هذه القصيدة .

وكان(1) قد ورد على عبد الله بن طاهر شاعر يقال له روح ، وعرض على عوف شعره فمنعه من إنشاده عبدَ الله ، وقال : إن عبد اللّه رجل عالم فاضل لا يَنْفُقُ عليه من الشعر إلا أحسنه ، فقال له : قد حسدتني ، وتوصَّل حتى أنشده عبد الله فاسترذله

(1) وردت القصة بإسهاب في طبقات ابن المعتز : 190 .

واستبرده وردّه ، فبلغ ذلك عوفاً فقال :

أنشـدني روحُ مـديحـاً لـه   فقلتُ شعـراً قـال لي فَأيش
فصـرتُ لمـا أن بـدا منشـداً   كـأنـني فـي قُبَّـةِ الـخيش
وقـلتُ زدني وتـفـهـمتـه[1]   والثلجُ في الصيفِ من العيش

ـ 879 ـ

عون بن محمد الكندي الكاتب أبو مالـك : أحد أصحـاب ابن الأعرابي ، وأخذ عن سلمة بن عاصم صاحب الفراء ، وروى عنه الصولي فأكثر.

حدث الصولي قال حدثني عون بن محمد الكندي قال : كنـا في مجلس ابن الأعرابي فقدم قادم من سُرَّ من رأى فأخبر بنكبة سليمان بن وهب وأحمد بن الخصيب فأنشد ابن الأعرابي :

ربَّ قـوم رتعـوا في نعمـةٍ   زمنـاً والعيشُ ريـانٌ غَـدَقْ
سكتَ الـدهـرُ طـويلاً عنهمُ   ثم أبكـاهم دمـاً حين نَـطَقْ

ـ 880 ـ

عيسى بن إبراهيم الربعي الوحاظي : بلدة باليمن . لا أعرف حاله إلا أنـه مصنّف كتـاب « نظام الغـريب »[2] في اللغة حـذا فيه حـذو « كفايـة المتحفظ »[3] وأجاده ، وأهلُ اليمن مشتغلون به .

---

879 ـ له ترجمة موجزة في الوافي للصفدي (خ) .

880 ـ له ترجمة في الوافي للصفدي (خ) ونقل ما قاله ياقوت ولم يزد ؛ وبغية الوعاة 2 : 235 وهو ينقل عن الخزرجي والجندي ، وذكر أن وفاته كانت ببلده سنة 480 .

(1) الطبقات : وتغنمته .

(2) قد طبع هذا الكتاب ثم قام بالعناية به وطبعه ثانية القاضي محمد علي الأكوع من علماء اليمن .

(3) كفاية المتحفظ للاجدابي ، وهو مطبوع .

- 881 -

عيسى بن عمر الثقفي ، أبو عمر مولى خالد بن الوليد : نزل في ثقيف فنسب إليهم ، عالم بالنحو والعربية والقراءة مشهور بذلك ، أخذ عن عبد الله بن أبي إسحاق الحضرمي . ومات عيسى بن عمر سنة تسع وأربعين ومائة في خلافة المنصور قبل أبي عمرو بن العلاء بخمس سنين أو ستّ .

حدث التاريخي محمد بن عبد الملك عن المبرد قال : أول من وضع العربية ونقط المصاحف أبو الأسود الدؤلي ، ثم أخذ النحو عن أبي الأسود عنبسة بن معدان المهري الذي يقال له عنبسة الفيل ، ثم أخذه عن عنبسة ميمون الأقرن ، ثم أخذه عن ميمون : ابن أبي إسحاق الحضرمي ثم أخذه عن ابن أبي إسحاق : عيسى بن عمر [ثم أخذه عنه الخليل بن أحمد] ثم أخذه عن الخليل بن أحمد سيبويه ، ثم أخذه عن سيبويه الأخفش واسمه سعيد بن مسعدة .

قال التاريخي : حدثنا المبرد مرة أخرى عن التّوّزي عن أبي عبيدة قال : ووضع عيسى بن عمر كتابين في النحو سمّى أحدهما « الجامع » والآخر « المكمل » فقال الخليل بن أحمد :

بَطَلَ النحوُ جميعاً كله ... غير ما أحدثَ عيسى بن عمرْ
ذاك إكمالٌ وهذا جامعٌ ... فهما للناسِ شمسٌ وقمر

قال المؤلف : وهذان كتابان ما علمنا أحداً رآهما ولا عرفهما ، غير أن أبا الطيب اللغوي ذكر في كتابه أنهما مبسوط ومختصر .

وذكر عن المبرد أنه قال : قرأت أوراقاً من أحد كتابي عيسى بن عمر ، وذكر أيضاً أن عيسى بن عمر أخذ النحو عن أبي عمرو بن العلاء .

---

881 - ترجمة عيسى بن عمر في المعارف : 531 وطبقات الزبيدي : 40 والفهرست : 47 ومراتب النحويين : 32 وأخبار النحويين البصريين : 31 وتاريخ أبي المحاسن : 135 ونور القبس : 46 ، وإنباه الرواة 2 : 374 وابن خلكان 3 : 486 وسير الذهبي 7 : 200 ونزهة الألباء : 12 والبداية والنهاية 10 : 105 والوافي للصفدي (خ) وطبقات ابن الجزري 1 : 613 وتهذيب التهذيب 8 : 223 والنجوم الزاهرة 2 : 11 وبغية الوعاة 2 : 237 والشذرات 1 : 224 وروضات الجنات 5 : 338 .

وحدث المرزباني فيما أسنده إلى الأصمعي قال : كان عيسى بن عمر صاحب تقعير[1] في كلامه، وكان عمر بن هبيرة قد اتهمه بوديعة لبعض العمال ، فضربه مقطعاً نحواً من ألف سوط ، فجعل يقول : والله ما كانت إلا أُثيّاباً في أسيفاط قبضها عشاروك ، فيقول له : إنك لخبيث .

قال : وكان دقيقَ الصوت ، قال : فكان طولَ دهره يحملُ في كمه خرقةً فيها سكر العشر والاجاص اليابس ، وربما رأيته واقفاً أو سائراً أو عند بعض ولاة البصرة ، فتصيبه نهكة في فؤاده فيخفق عليه حتى يكاد يغلب فيستغيث بإجاصة وسكرة يلقيها في فيه ثم يتمصصها ، فإذا فعل ذلك سكن عليه ، فسئل عن ذلك فقال : أصابني هذا من الضرب الذي ضربني عمر بن هبيرة فعالجته بكلِّ شيء فما رأيتُ له أصلحَ من هذا .

وحدث التاريخي عن المبرد قال : سمعت يحيى بن معين يقول : عيسى بن عمر النحوي بصري ، وعيسى بن عمر الكوفي همداني وهو صاحبُ الحروف .

وحدث عن يوسف بن يعقوب بن السكيت عن الجمّاز قال : عيسى بن عمر أخو حاجب بن عمر ، ويكنى حاجبُ أبا خشينة ، روي عنه الحديث ، وهما موليان لبني مخزوم ، وهما من ولد الحكم بن عبد الله بن الأعرج الذي روي عنه الحديث .

وحدث عن أحمد بن عبيد النحوي عن الأصمعي قال : حدثنا عيسى بن عمر قال : قدمتُ من سفر فدخل عليَّ ذو الرمة ، فعرضت أن لا أكون أعطيته شيئاً ، فقال : لا ، أنا وأنت نأخذ ولا نعطي .

قال الأصمعي : وحدثني عيسى بن عمر قال : لقد كنت أكتب بالليل حتى ينقطعَ سوئي أي وسطي .

وحدث عن أحمد بن عبيد عن الأصمعي عن عيسى بن عمر قال : اللهازم قيس بن ثعلبة وعجل وعنزة وتيم الله ، قال عيسى بن عمر : أرى اللهازم تجمعوا كما تجمع لهازم الدابة قال : والرباب ثور وعكل [وتيم الله] وتيم عدي وضبة وأطحل كلهم إخوة ، وإنما سموا الرباب لأنهم تجمعوا وتحالفوا ، والرباعة جماعة القداح إذا ضمت ، وجشم بن بكر وإخوتهم الأراقم ، وليس بنسب ، ولكن

(1) م : تقصير .

شبهت عيونهم بعيون الأراقم من الحيات فبقي عليهم.

قال مؤلف الكتاب : أما قوله وأطحل فهو عجب من مثله لأن أطحل اسم جبل سكنه ثور فنسب إليه فقيل ثور أطحل ، ولا يفرد في اسم القبيلة . وأما قوله إنهم تجمعوا مثل الربابة فأكثر أهل هذا الشأن يزعمون أنهم تجمعوا وغمسوا أيديهم في الربّ وتحالفوا على بني تميم . قال أبو العباس ثعلب : جمع الحسن بن قحطبة عند مقدمه مدينةَ السلام الكسائيَّ والأصمعيّ وعيسى بن عمر ، فألقى عيسى على الكسائي هذه المسألة : همّك ما أهمّك ، فذهب الكسائي يقول يجوز كذا ويجوز كذا ، فقال له عيسى : عافاك الله إنما أريد كلام العرب وليس هذا الذي تأتي به كلام العرب . قال أبو العباس : وليس يقدر أحد أن يخطىء في هذه المسألة لأنه كيف أعرب هذه الكلمة فهو مصيب ، وإنما أراد عيسى بن عمر من الكسائي أن يأتيه باللفظة التي وَقَعَتْ إليه .

ـ 882 ـ

عيسى بن مردان الكوفي أبو موسى : ذكره محمد بن إسحاق النديم قال : قرأت بخط ابن الكوفي أنه أخذ عن أبي طالب المفضل بن سلمة وروى عنه . وله من الكتب : كتاب القياس على أصول النحو .

ـ 883 ـ

عيسى بن المعلى بن مسلمة الرافقي أحد أدباء عصرنا : أخمل من ذكره خمول قطره ، كان مؤدباً بمدينة الرقة التي على الفرات ، وله شعر كثير وفضائل جمة وعدة تصانيف ، منها كتاب تبيين الغموض في علم العروض وجدته بخطه وقد كتبه في سنة تسعين وخمسمائة ، وعاش بعد ذلك . وله كتاب في اللغة حسن في مجلدين ضخمين رأيته بخطه أيضاً . كتاب ديوان شعره مجلدان .

---

882 ـ الفهرست : 77 والوافي للصفدي (خ) ونقل ما أورده ياقوت .

883 ـ له ترجمة في الوافي للصفدي (خ) وذكر أنه يلقب حجة الدين وأنه مدح أكابر حلب وصفي الدين طارقاً وجماعة من أمراء نور الدين وتوفي سنة 605 . قال : وله مقدمة في النحو سماها المعونة وشرحها (ونقل أيضاً ما ذكره ياقوت) .

ـ 884 ـ

عيسى بن مينا بن وردان بن عيسى بن عبد الصمد بن عمرو بن عبد الله المدني المعروف بقالون القارىء، كنيته أبو موسى : صاحب نافع بن أبي نعيم ، مات سنة خمس ومائتين في أيام المأمون ، ومولده سنة عشرين ومائة في أيام هشام بن عبد الملك ، وقرأ على نافع سنة خمسين ومائة في أيام المنصور . وكان قالون أصم لا يسمع البوق ، وكان إذا قرأ عليه قارىء أُلقمَ أذنه فاه ليسمع قراءته ، وهو مولى الأنصار.

حدث أبو موسى قالون : كان نافع إذا قرأت عليه يعقدُ لي ثلاثين ويقول لي : قالون ، قالون ، يعني جيد بالرومية ، وإنما كان يكلمه بذلك لأن قالون أصله من الروم ، جدُّ جده عبد الله من سبيِ أيام عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، فقدم به من أسره وباعه ، فاشتراه بعضُ الأنصار فأعتقه ، فهو مولى الأنصار .

ـ 885 ـ

عيسى بن يزيد بن دأب الليثي : هو عيسى بن يزيد بن بكر بن كرز بن الحارث بن عبد اللّه بن أحمد بن يعمر الشداخ بن عوف بن كعب بن عامر بن ليث بن بكر بن عبد مناة بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن الياس بن مضر ، وفي نسبه اختلاف هذا أظهره ، أبو الوليد ، الراوية النسّاب من أهل الحجاز ، وكان يُضَعَّفُ في روايته ، مات في سنة احدى وسبعين ومائة في أول خلافة الرشيد.

وحدث المرزباني قال ، قال عبد الله بن جعفر : كان عيسى بن يزيد بن دأب يكنى أبا الوليد ، وكان من رواة الأخبار والأشعار وحفاظهم ، وكان معلماً من علماء الحجاز.

وحدث فيما رفعه إلى رفيع بن سلمة عن أبي عبيدة قال : أنشد ابن دأب :

884 ـ ترجمته في سير الذهبي 10 : 326 وعبر الذهبي 1 : 380 ومعرفة القراء الكبار 1 : 128 وطبقات ابن الجزري 1 : 615 والوافي للصفدي (خ) والنجوم الزاهرة 2 : 235 والشذرات 2 : 48 وقد ذكر الذهبي أنه توفي سنة 220 .

885 ـ ترجمته في الفهرست: 103 ونور القبس: 310 ومراتب النحويين: 99 ـ 100 وتاريخ بغداد 11 : 148 والوافي للصفدي (خ) .

وهم من ولدوا أَشْبَؤُوْا   بسرِّ الأدبِ المحضِ

فبلغ ذلك أبا عمرو بن العلاء فقال : أخطأت استه الحفرة ، إنما هو أشبؤوا أي كَفَوْا ، أما سمع قولَ الشاعر(1) :

وذو الرمحين أشباك   من القوةِ والحزم

فبلغه عن ابن دأب شيء فقال : على نفسها تجني براقش(2) ، أما سمعتم قول الليثي :

ألا مَنْ مُبْلِغٌ دأب بن كرزٍ   أبا الخنساءِ ذائدةَ الظليمِ
فلا تفخرْ بأحمرَ واطَّرِحْهُ   فما يخفى الأغرُّ من البهيمِ
فعند الله سرٌّ من أبيه   كُرَاعُ زيدَ في عَرْضِ الأديمِ

وحدث فيما رفعه إلى جابر بن الصلت البرقي قال(3) : وعد المهدي ابنَ دأب جاريةً فوهبها له ، فأنشد عبد الله بن مصعب الزبيري قول مضرّس الأسدي :

فلا تيأسَنْ من صالحٍ أن تنالَهُ   وإن كان قِدْماً بين أيدٍ تبادِرُهْ

فضحك المهدي وقال : ادفعوا إلى عبد الله فلانة لجارية أخرى ، فقال عبد الله بن مصعب :

أنجز خيرُ الناسِ قبلَ وَعْدِهْ   أراح من مَطْلٍ وطولِ كَدِّهْ

فقال ابن دأب : ما قلت شيئاً ، هلا قلت :

حلاوةُ الفضلِ بوعدٍ منجزِ   لا خيرَ في العُرْفِ كنهبٍ مُنْهزِ

فضحك المهدي وقال : أحسن الوفاء ما تقدمه ضمان .

وحدث عن سعيد بن سلم قال(4) : ما شيء أجلّ من العلم ، كان ابن دأب أحفظَ الناس للأنساب والأخبار ، وكان تيّاهاً ، فكان ينادم الهادي ولا يتغدّى معه ولا

---

(1) ينسب لعبد الله بن الزبعري في الأغاني : 71 وروايته :

وذو الرمحين أشباك   على القوة والحزم
وهم من ولدوا أشبوا   بسرّ الحسب الضخم

(2) قوله : أخطأت استه الحفرة ، وعلى نفسها تجني براقش مثلان .

(3) نور القبس : 310 ـ 311 .   (4) وردت في الوافي .

بين يديه فقيل له في ذلك فقال : أنا لا أتغدى في مكانٍ لا أغسلُ يدي فيه ، فقال له الهادي : فتغد ، فكان الناس إذا تغدوا تَنَحَّوْا لغسلِ أيديهم وابن دأب يغسل يده بحضرة الهادي .

وحدث المرزباني عن الحسين بن علي عن أحمد بن سعيد عن الزبير بن بكار عن عمه مصعب عن موسى بن صالح قال[1] : كان عيسى بن دأب كثيرَ الأدب عذبَ الألفاظِ ، وكان قد حظي عند الهادي حظوةً لم تكن لأحدٍ ، وكان يدعو له بتكاء ، ولم يكن يطمعُ أحدٌ من الخلق في هذا في مجلسه ولا يفعل بغيره ، وكان يقول له : ما استطلتُ بكَ يوماً ولا ليلة ، ولا غبتَ عن عيني إلا تمنيتُ ألاَّ ترى غيرك . وكان لذيذ المفاكهة طيِّبَ المسامرة ، كثير النادرة ، جيد الشعر ، حسن الانتزاع له ، قال : فأمر له ليلةً بثلاثين ألف دينار ، فلما أصبح ابن دأب وَجَّه قهرمانه إلى باب موسى الهادي وقال له : انطلق إلى باب الحاجب فقل له : تُوَجِّهُ إلينا بالمال ، فانطلق فأبلغ الحاجب رسالته ، فتبسم وقال : ليس هذا إليَّ ، فانطلقْ إلى صاحب التوقيع ليخرجَ لك كتاباً إلى الديوان فتديره هناك ثم تفعل به كذا وتفعل به كذا ، فرجع الرسول إلى ابن دأب فأخبره ، فقال : دعها فلا تعرضْ لها ولا تسأل عنها ، قال : فبينما موسى في مُسْتَشْرَفٍ له إذ نظر إلى ابن دأب قد أقبل وليس معه إلا غلام واحد ، فقال لابراهيم بن ذكوان الحراني (وإليه ينسب طاق الحراني ببغداد بالكرخ) : أما ترى ابنَ دأب ما غَيَّرَ من حاله ولا تزيّا لنا ، وقد بررناه بالأمس ليُرى عليه أثرنا ، فقال إبراهيم : إن أذن لي أمير المؤمنين عَرَّضْتُ له بشيءٍ من هذا ، فقال : لا هو أعلم بأمره ، ودخل ابن دأب فأخذ في حديثه إلى أن عرَّض له الهادي بشيءٍ من أمره فقال : أرى في ثوبك غسيلاً وهذا الشتاءُ محتاجٌ فيه إلى لبس الجديد واللين ، فقال: يا أمير المؤمنين باعي قصير عمَّا أحتاج إليه ، فقال : وكيف ذاك وقد صرفنا إليك من برنا ما ظننا صلاحَ شأنك معه ؟! فقال : ما وصل إليَّ ولا قبضتُ منه شيئاً ، فدعا بصاحب بيت المال فقال له : عجل الآن بثلاثين ألف دينار ، فحملت بين يديه .

وحدث بإسناد رفعه إلى أبي زهير قال : كان ابن دأب أحظى الناسِ عند

(1) ورد الخبر بسند آخر في تاريخ بغداد 11 : 150 ـ 151 والوافي .

الهـادي ، فخرج الفضـل بن الربيـع يومـاً فقال : إنَّ أميـر المؤمنين يأمـر مَنْ ببـابـه بالانصراف ، فأما أنت يا ابن دأب فادخلْ ، قال ابن دأب : فدخلتُ وهو منبطحٌ على فراشه وأن عينيه لحمراوان من السهر وشرب الليـل فقال لي : حـدثني بحديثٍ من حديث الشراب ، فقلت : نعم يا أمير المؤمنين ، خرج نَفَرٌ من كنانةَ إلى الشام يجلبون الخمر فمات أحدهم فجلسوا على قبره يشربون ، فقال أحدهم :

لا تُصَـرِّدْ هـامـةً من شـربهـا ... اسقـهِ الخَمـر وإن كـان قُبِـرْ
اسقِ أوصـالاً وهامـاً وصـدىً ... نـاشعـاً ينشـعُ نَشْـعَ المنبهـر
كـان حُرّاً فهـوى فيمن هـوى ... كـلُّ عـودٍ ذي هَنُـونٍ منكسـر

قال : فدعا بدواة فكتبها ، ثم كتب إلى الخزان بأربعين ألف درهم وقال : عشرة آلاف لك وثلاثون ألفاً للثلاثة الأبيات ، قال : فأتيت الخُزّان فقالوا : صـالحنا على عشرة آلاف أنك تحلفُ لنـا ألا تذكـرها لأميـر المؤمنين ، فحلفت ألا أذكرهـا حتى يبدأني ، فمات ولم يذكرها.

وحدث قال : دخل ابن دأب على عيسى بن موسى عند منصرفه من فخّ فوجده واجماً يلتمس عذراً لمن قَتَلَ ، فقال له : أصلح الله الأمير ، أنشدك شعراً كتب به يزيد بن معاوية يعتذر فيه إلى أهل المدينة من قتل الحسين بن علي عليهما السلام ؟ قال : أنشدني فأنشده[1] :

يـا أيهـا الـراكبُ الغـادي لِـطِيَّتِـهِ ... على عُـذَافـرةٍ في سيـرهـا قَحَمُ
أبلغْ قريشاً على شَحْطِ المـزار بها ... بيني وبيـن حسيـنَ الـلّهُ والـرَّحِمُ
ومـوقـفٌ بفـنـاءِ البـيت أَنْشُـدُهُ ... عَهْـدَ الإله ومـا تُـرْعَى بـه الـذمم
عَنَّفْتُمُ قـومـكم فـخـراً بـأمكـمُ ... أمٌّ حصـان لعـمـري بَـرَّةٌ كـرم
هي التي لا يـداني فَضْلَهـا أحـدٌ ... بنتُ الرسولِ وخيرِ الناس قد علموا
وفـضلهـا لـكمُ فـضـلٌ وغـيركـم ... من قـومكم لهمُ في فضلهـا قِسَمُ
إنـي لأعلم أو ظـنـاً كـعـالِـمِـه ... والـظنُّ يصـدقُ أحيـانـاً فينتـظم

(1) لم ترد في ديوانه الذي جمعه الدكتور صلاح الدين المنجد .

أن سوف يترككم ما تطلبون به ... قَتْلى تهاداكم العقبانُ والرَّخَمُ
يا قومنا لا تشهوا القوم إذ خمدت ... وَمَسِّكُوا بحبالِ السلم واعتصموا
قد جَرَّتِ الحربُ من قد كان قبلكمُ ... من القرونِ وقد بادتْ بها الأمم
فأنصفوا قومكم لا تهلكوا بَذَخاً ... فربَّ ذي بَذَخٍ زَلَّتْ به القدم

قال : فسري عن عيسى بعضُ ما كان فيه .

قال ابن مناذر يهجو ابن دأب[1] :

ومن يبغِ الوَصَاةَ فإنّ عندي ... وصاةَ للكهولِ وللشبابِ
خذوا عن مالكٍ وعن ابن عونٍ ... ولا ترووا أحاديثَ ابن داب
ترى الغاوين يتبعون منها ... مَلاهيَ من أحاديثٍ كِذَاب
إذا طُلِبَتْ منافعها اضمحلَّتْ ... كما ينجابُ رقراقُ السراب

وحدث عن عمر بن أبي عبيدة النميري عن خاله ابن أبي شميلة قال: كان خلف الأحمر ينسبُ ابنَ دأب إلى الكذب ، قال : فغدوت يوماً أنا وخلف على ابن دأب ، فأخذ في حديث ذي الخلصة حتى انقضى ، فلما انصرفنا قلت لخلف : يا أبا محرز أتراه كذب ؟ قال : لا أدري ، والله لا أعرف مما حدث به قليلاً ولا كثيراً .

قال عمر : ولخلف الأحمر في أبي العيناء محمد بن عبيد الله[2] :

لنا صاحبٌ مُولَعٌ بالمِراءِ ... كثيرُ الخطاءِ قليلُ الصوابِ[3]
أشدُّ لجاجاً من الخنفساءِ ... وأزهى إذا ما مشى من غراب
وليس من العلم في فقرةٍ ... إذا حصل العلم غير التراب
أحاديثُ ألفها شَوْكَرُ ... وأخرى مؤلفةٌ لابن داب

قال المرزباني : وقوم يروون في هذه الأبيات زيادة ، وأبيات خلف هي هذه ،

---

(1) الأغاني 18 : 131 والوافي وتاريخ بغداد 11 : 152 ونور القبس : 311 .
(2) أبو العيناء اسمه محمد بن القاسم .
(3) الأبيات في الأوراق (أخبار الشعراء) ، 35 ومنها بيتان في فصل المقال للبكري : 492 والمهجوّ فيها مختلف فيه ؛ وانظر مجمع الذاكرة 1 : 149 (وفيه تخريج لها ص : 150) .

والزيادة عليها فيما ذكر المقدّمي والكراني لأبان بن عبد الحميد اللاحقي . وروى عبد الله بن المعتز عن عمر بن شبة قال : شوكر شاعرٌ بالبصرة يضع الأخبار والأشعار.

وحدث الرياشي قال ، قال الأصمعي ، قلت لخلف الأحمر : أما ترى ما جاء به ابن دأب ؟ أين الحجاز والشوكري من الكوفة ؟ فقال : إنما يروي لهؤلاء من يقول : قالت ستي ، ويدعو ربه من دفتر ، ويسبح بالحصى ، ويحلف محيت المصحف ، ويدع حدثنا وأخبرنا ، ويقول أكلنا وشربنا.

وزعم العنزي أنّ ابنَ دأب كان يتشيعُ ويضعُ أخباراً لبني هاشم ، وكان عوانة بن الحكم عثمانياً ويضع أخباراً لبني أمية.

وحدث مصعب بن عبد الله الزبيري قال : شيطان الردهة شيء وضعه ابن دأب ، وهو ذو الثدية فيما زعم ، قال : جاءت أمه تستسقي ماءً فوقع بها شيطان فحملته

وحدث المرزباني فيما رفعه إلى مصعب الزبيري عن أبيه قال[1] : كنا جماعةً نجالسُ الهادي ، أنا وسعيد بن سلم الباهلي وابن دأب وعبد الله بن مسلم العزيزي وكان أجرأنا عليه ، فخرج علينا مغيظاً متغيراً ، فسأله العزيزي عن خبره فقال : لم أر كصاحب الدنيا أكثرَ آفاتٍ ولا أدومَ هموماً ، قد عرفتم موضع لبانة بنت جعفر بن أبي جعفر مني وأثرتها عندي ، وإنها أغلظت لي بادلالها في شيء فلم أجد صبراً فنلتها بيدي فندمتُ عليه ، فسكتنا خوفاً من تعنيفه أو تصويب رأيه فيبلغها ذلك ، فقال ابن دأب : وما في ذلك يا أمير المؤمنين ؟ هذا الزبير بن العوام حواريّ رسول اللّه ﷺ وابن عمته ضرب امرأته أسماءَ بنتَ أبي بكر الصديق ، وهي من أفضل نساء زمانها حتى كسر يدها ، وكان ذلك سبب مفارقته إياها لأنه قال : أنت طالق إن حال عبد الله بيني وبينك ، يعني ابنه عبد اللّه بن الزبير ، فلم يُخَلّه وخلصها ، وهذا عمر رضي الله عنه يقول : لا يُسْأَلُ الرجلُ فيمَ يضربُ امرأته ، وهذا كعب بن مالك الأنصاري وهو أخو الزبير ، آخى رسول الله ﷺ بينهما ، عتب على امرأته ، وهي من المهاجرات في شيء فضربها حتى حال بنوها بينهما فقال[2] :

(1) وردت القصة في الوافي .

(2) أورد جامع ديوانه بيتاً واحداً منها عن ربيع الأبرار ، وهو البيت الأول وروايته : كخبطة فروج ولم أتلعثم .

لـولا بنـوهـا حـولها لخبـطتهـا إلى أن تُدَانِي الموتَ غيرَ مذمَّمِ
ولكنهمْ حـالـوا بمنعيَ دونـهـا فـلا تعـدميهم بين نـاهٍ ومقسم
فمالتْ وفيها جائشٌ من عبيطها كحاشيةِ البـردِ اليمـاني المسهم

قال : فضحك الهادي وَسُرِّيَ عنه ، وأمر بالطعام ، وأمر لابن دأب بخمسين ألف درهم وخمسين ثوباً ، قال عبد الله بن مصعب : فتأسفت كيف سبقني إلى شيء أحفظه مثل حفظه.

وحدث أبو الطيب اللغوي في كتاب « مراتب النحويين » قال[1] : فأما مدينة الرسول ﷺ فلا نعلم بها إماماً في العربية ؛ حدث الأصمعي قال : أقمتُ بالمدينة زماناً مع جعفر بن سليمان الهاشمي واليها فما رأيت بالمدينة قصيدة واحدة صحيحة إلا مصحفة أو مصنوعة ، وكان ابن دأب يضع الشعر وأحاديثَ السمر وكلاماً ينسبه إلى العرب ، فسقط وذهب علمه وخفيت روايته ، قال : وكان شاعراً وعلمه بالأخبار أكثر ، قال الأصمعي : وأتعجب لابن دأب حين يزعم أن أعشى همدان يقول[2] :

مـن رأى لي غُـزَيِّـلي أربـحَ الـلّه تجـارتُـهْ
وخـضـابٌ بـكـفّـه أسـودُ الـلونِ قـارتُـه

ثم قال الأصمعي : يا سبحان الله ، يحذف الألف التي قبل الهاء في الله ، ويسكن الهاء ، ويرفع تجارته وهو منصوب ، ويجوز هذا عنه ، ويروي الناس عن مثله !! قال : ولقد سمعت خلفاً الأحمر يقول : لقد طمع ابنُ دأب في الخلافة حين يجوزُ مثل هذا عنه .

ـ 886 ـ

عيينة بن عبد الرحمن المهلبي يكنى أبا المنهال: ذكره الحاكم أبو عبد الله في

886 ـ ترجمته في الفهرست: 120 وإنباه الرواة 2: 384 والوافي للصفدي (خ) وبغية الوعاة 2: 239 .

(1) مراتب النحويين : 98 ـ 100 .
(2) انظر الأغاني 6: 55 ـ 56 .

« تاريخ نيسابور » فقال : عيينة بن عبد الرحمن أبو المنهال اللغوي المهلبي صاحب العربية تلميذ الخليل بن أحمد مؤدب الأمير أبي العباس عبد الله بن طاهر بن الحسين ، ورد معه نيسابور وتوفي بها ، وروى عن داود بن أبي هند وسفيان بن عيينة وسعيد بن أبي عروبة ويحيى بن سليم[1] . ثم حدث بإسناد رفعه إلى المنهال أنه كان يقول: لا تتصدَّ إلى تائق أو مائق. قال: قرأت بخط أبي عمر المستملي، سمعت أبا أحمد الفراء ، سمعت عيينة المهلبي يقول ، سمعت سعيد بن أبي عروبة يقول : ما وصَّى الله الناسَ بشيءٍ ما وصاهم بأوطانهم .

قال عيينة : جاء رجل إلى جعفر بن محمد الصادق وهو يصلي فقال : إني مسترشد قال : اجلس ، فجلس فلما قضى صلاته جاء إليه فقال : إن أبانا مات وتركني وأخاً لي وهجيناً، فقال جعفر: الملك بينكم أثلاث، فقال الأعرابي: الله الذي لا إله إلا هو أمر بهذا [قال : نعم] قال : رضيت رضيت رضيت .

له كتاب في النوادر وكتاب في الشعر .

قال أبو العباس : كان أبو المنهال مع إسحاق بن إبراهيم الطاهري ، وكان آنساً به يحادثه ويجالسه ويقرأ عليه ، وكان السبب في ذلك أن أبا المنهال كان مع عبد الله بن طاهر بن الحسين بخراسان ، وكان يقدمه ، وأحسن إليه ووصله بمائة ألف درهم ، وكنا نجلس إليه ، وقرأت عليه شيئاً كثيراً ، ومما قرأته عليه كتاب الأنصار وكتاب الأزد ، وكان ينزل إلى القنطرة عند منازل العاصميين في موضع يقال له دار المهالبة ، وكان أحد من لقي الناس وسمع ، وكان حسن المعرفة بالاسناد والأخبار والأيام ، وعمل كتاباً لاسحاق في القرآن ، وكان ابن الأعرابي لا يأتي إسحاق ولا يلقاه وكان يستأذنه في الانصراف إلى أهله ووطنه يوجّه إليه في كل سنة بدرج فيه من سماعه الاشارات الحسنة واللغة الفصيحة فإذا قرأه إسحاق وقّع إلى كاتبه : ادفع إليه ثلاثمائة دينار ، فكان على ذلك إلى أن مات .

(1) م : سليمان . وفي الانباه : سليم ، وانظر تهذيب التهذيب 11 : 226 .

حرف الغين

****

ـ 887 ـ

غانم بن وليد المالقي أبو محمد المخزومي النحوي : قال ابن خاقان : هو عالم متفرّس ، وفقيه مدرّس ، وأستاذ مجوّد ، وإمام لأهل الأندلس مجرد ، وأما الأدب فكان جلّ شرعته ، وهو رأس بغيته ، مع فضل وحسن طريقة ، وجدّ في جميع أموره وحقيقة ، وله :

صَيِّرْ فؤادَكَ للمحبوبِ منزلةً ... سَمُّ الخياطِ مجالٌ للمحبّيْنِ
ولا تسامحْ بغيضاً في معاشرةٍ ... فقلّما تسع الدنيا بغيضين

لا أعرف من أمره[1] إلا ما ذكره ابن عساكر[2] في ترجمة علي بن أحمد بن طير قال : أنشدني غانم بن وليد النحوي لنفسه :

ثلاثةٌ يُجْهَلُ مقدارها ... الأمنُ والصحةُ والقوتُ
فلا تثقْ بالمالِ من غيرها ... لو أنه درٌّ وياقوتُ

قال وأنشدني غانم لبعض الشعراء :

---

887 ـ ترجمته في مطمح الأنفس: 293 (شوابكة) والجذوة: 306 وبغية الملتمس رقم: 1280 والصلة: 433 والذخيرة 1 : 853 ـ 870 والمغرب 1 : 317 وأدباء مالقة: 179 والمطرب: 84 والوافي للصفدي (خ) وبغية الوعاة 2 : 241 وصفحات متفرقة من نفح الطيب ؛ وتوفي غانم سنة 470 وأورد له ابن بسام جملة من النثر أيضاً .

(1) هذا قول غريب وهو ينقل عن مطمح الأنفس ويعرف جذوة المقتبس .

(2) مصورة ابن عساكر 11 : 845 .

يـا أيهـا المـبتـغي أخـا ثـقـةٍ　　عـدمتَ مـا تبتغي فـدعْ طمعَـكْ
داجِ الـمـداجيـن مـا لقـيتَـهُمُ　　وخـادعِ النفسَ لامرئٍ خـدعك
لا تكشفِ المـرءَ عن سـرائـره　　ودعـه تحت النفـاقِ مـا وَدَعـك
أظهـرْ لـه مثـلَ قـولِ ذي بلهٍ　　تـريـه إن ضـرَّ أنـه نـفـعـك

ولغانم أنشده ابن خاقان :

الـصبـرُ أولـى بـوقـارِ الفتـى　　من قَلَقٍ يهتِكُ سِتْـرَ الـوقـارْ
مَنْ لـزم الصبـرَ على حـالـه　　كـان على أيـامـه بـالخـيـارْ

حرف الفاء

ـ 888 ـ

فاطمة بنت الأقرع الكاتبة : وجدت بخطها رقعة هذه نسختها :

الأمة الكاتبة ، بسم الله الرحمن الرحيم ، ثقتي بالله وحده ، خشعتُ لصولة عز المجلس العالي العادل المؤيدي المظفري المنصوري العزي السعدي الركني النصيري المجدي الشرفي الأميري ، أعز الله أنصاره ، وضاعف اقتداره ، عقب الدهور ، وانقادت لمشيئته تصاريف الأمور ، وامتدَّتْ إلى نواله آمالُ السؤال ، وأناخت بفنائه رواحلُ الرجال ، فما إنسان إلا موفورٌ ببره ، ولا لسانٌ إلا مُسَبّح بشكره ، ولا أَمَلٌ إلا مصروف إليه ، فأعطاه الله تعالى من الآمال في نفسه وذويه ما لا يرنو إليه طرف ، ولا يأتي عليه وصف :

حتى تسيرَ مسيرَ الشمسِ رايتُهُ وتعتلي باسمه العالي على القمرِ
ويختمَ الأرضَ طُرّاً طينُ خاتَمِهِ ويغتدي أمره أمْضَى من القدرِ

ومن بعد ، فقد ذهبتُ ـ أطال الله بقاء المجلس العالي وأعز سلطانه ـ في درج قد قرنته بهذه الرقعة ، مَذْهَب المطرف المعجب ، وهو مما لم أُسبقْ إلى مثله من مُقَدَّمي أهل هذه الصناعة من الذكور دون الاناث ، أظهرتُ فيه المعجز من عاجز ، والكاملَ من ناقص ، كما قال قابوس بن وشمكير : وقد يُسْتعذَبُ الشَّريب من منبعِ

888 ـ ترجم لها الصفدي في الوافي (خ) وما أورده يتفق مع بعض ما جاء في ترجمتها الثانية رقم : (888 ب) وانظر سير الذهبي 18 : 480 وعبر الذهبي 3 : 296 والمنتظم 9 : 40 وابن الأثير 10 : 163 والبداية والنهاية 12 : 134 والشذرات 3 : 365 .

الزّعاق ، ويستطابُ الصهيلُ من مخرجِ النهاق ، جعلت في ذلك إقبالَ المجلس العالي ـ ضاعف الله اقتداره قائداً إلى طرق الرشاد ، وعزَّ سلطانه هادياً مبصّراً إلى سبل الإصابة والمراد ـ وأظهرت الحروفَ مفصولةً وموصولة ، ومعماة ومفتحة ، في أحسن صيغها ، وأبهج خلقها ، منخرطة المحاسن في سلك نظامها ، متساوية الأجزاءِ في تجاورها والبناء ، فهي لينة المعاطف والارداف ، متناسبة الأوساط والأطراف ، ظاهرها وَقورٌ ساكن ، وَمُفَتَّشها رَهَجٌ مائن ، وإن استخدمتُ إلى مهمٍّ يَسْنح أوفيتُ فيه على كل مرتسم في هذا الشأن قديماً وحديثاً وسالفاً وآنفاً ، أؤمل بذلك الحظوة من إحماده وجميل رعايته ، سمع الله سبحانه فيه كلَّ دعاء مستجاب من الأَمة الكاتبة ومن يتعلق عليها من وليدة ومولود ، وشريف ومشروف ، وعجوز داعية ، وأمة خادمة ، لما يوليها وينعم عليها ويعرف موضع خدمتها ومحلِّ صنعتها ، لا سلبها الله وسائر الخلق ظله بمنّه .

قد ترادف الأنعامُ عليها دفعةً بعد أخرى وثانيةً بعد أولى على يد الشيخ الأجل السيد فخر الكفاة أبي الحسين ، أدام الله تأييده وتولَّى عني من غير حقّ عارفته ما لا تقوم بوسعه ألسنةُ القائلين . وشكر الشاكرين ، فإذا أنعم على ما أصدرته من الخدم بلحظة ، وأحسن إليه بلمحة ، أدركت حظي ، وحزتُ أملي ، والرأي السامي في إجابتي إلى ما سألت وإثباتي في جملة المغمورين بالإحسان من الأدباء والحشم والعبيد والخدم ، [دام] علوه وشرفه إن شاء الله تعالى .

[ترجمة ثانية] ـ 888 ب ـ

فاطمة بنت الحسن بن علي العطار أم الفضل المعروفة ببنت الأقرع الكاتبة صاحبة الخط المليح المعروف : ماتت فيما ذكره تاج الإسلام ومن خطه نقلت : (قاله المؤلف عن أبي الفضل محمد بن ناصر بن محمد بن علي السلامي الحافظ) في يوم الأربعاء الحادي والعشرين من المحرم من شهور سنة ثمانين وأربعمائة. قال السمعاني : وكان لها خط مليح حسن ، وهي التي أُهِّلَتْ لكتابةِ كتابِ الهدنةِ إلى ملك الروم من الديوان العزيز ، وسافرت إلى بلاد الجبل إلى العميد أبي نصر الكندري ، وكتب الناس

على خطها ، وكانت تكتب طريقةَ ابن البواب . سمعتْ أبا عمر عبد الواحد بن عبد الله بن مهدي الفارسي وغيره ، سَمِعَ منها أبو القاسم مكي بن عبد الله الرميلي الحافظ ، وروى لنا عنها أبو القاسم إسماعيل بن أحمد بن عمر السمرقندي وأبو البركات عبد الوهاب بن المبارك بن أحمد الأنماطي ببغداد وأبو سعد أحمد بن محمد بن أحمد بن الحسن البغدادي الحافظ بأصبهان وغيرهم . سمعتُ أبا بكر محمد بن عبد الباقي بن محمد البزاز العرضي يقول : سمعتُ الكاتبةَ بنتَ الأقرع تقول : كتبت ورقة لعميد الملك أبي نصر الكندري وأعطاني ألف دينار .

أخبرنا أبو البركات عبد الوهاب بن المبارك بن أحمد الحافظ بقراءتي عليه ، أخبرتنا فاطمة بنت الحسن بن علي العطار المقرىء قالت ، أخبرنا أبو عمر عبد الواحد بن محمد بن عبد الله بن مهدي الفارسي ، حدثنا أبو عبد الله الحسين بن إسماعيل المحاملي ، حدثنا أبو هشام الرفاعي ، حدثنا ابن فضيل ، حدثنا الأعمش عن عبد العزيز بن رفيع عن تميم بن طرفة عن عدي بن حاتم رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : من حلف على يمينٍ فرأى غيرها خيراً منها فليأتِ الذي هو خيرٌ وليكفّر عن يمينه .

أنشدنا أبو القاسم إسماعيل بن أحمد بن عمر الحافظ الأشعبي ، أنشدتنا الكاتبة أم الفضل فاطمة بنت الحسن بن علي المقرىء قالت : أنشدنا أبو القاسم المطرز في دارنا بقطيعة الربيع لنفسه :

سرى مغرماً بالعيسِ ينتجعُ الركبا ... يسائلُ عن بدرِ الدجى الشرقَ والغربا
إذا ملأ البدرُ العيونَ فعنده ... لعينك بدرٌ يملأ العين والقلبا
ولما هوى دمعي ليوم فراقه ... عقيقاً تهاوَى دمعُهُ لؤلؤاً رطبا
إذا لم تبلّغني إليكم ركائبي ... فلا وردتْ ماءً ولا رَعَتِ العشبا

ـ 889 ـ

الفتح بن خاقان بن أحمد القائد وقيل الفتح بن خاقان بن غرطوج ، كذا قال المرزباني في « كتاب المعجم » . قال محمد بن إسحاق النديم : كان في نهاية الذكاءِ والفطنةِ وَحُسْنِ الأدب ، وكان من أولادِ الملوك ، واتخذه المتوكل أخاً ، وكان يقدّمه على جميع أولاده ، قتل مع المتوكل ليلة قتل بالسيوف لأربع خلون من شوال سنة سبع وأربعين ومائتين بالمتوكلية ، وكانت له خزانة كتب جمعها له علي بن يحيى المنجم لم ير أعظم منها كثرةً وحسناً ، وكان يحضر داره فصحاءُ الأعرابِ وعلماءُ الكوفيين والبصريين ، قال أبو هفان[1] : ثلاثة لم أر قطّ ولا سمعت بأكثر محبة للكتب والعلوم منهم : الجاحظ والفتح بن خاقان وإسماعيل بن إسحاق القاضي .

قال المؤلف : وباقي القصة في أخبار الجاحظ فكرهت التكرار .

وللفتح من التصانيف : كتاب البستان صنفه رجل يعرف بمحمد بن عبد ربه ويلقب برأس البغل ونسبه إليه . كتاب الصيد والجوارح .

وذكره أبو القاسم في « تاريخ الشام » فقال : الفتح بن خاقان بن غرطوج التركي أبو محمد ، قدم الشام مع المتوكل معادله على جمازة ، ثم نزل بالمِزّة ، فلما رحل المتوكل عن دمشق استخلف بها كلباتكين التركي . وكان على خاتم المتوكل وقتل معه ، روى عنه أبو زكريا يحيى بن حكيم الأسلمي شيئاً من شعره ، وأبو العباس المبرد وأحمد بن يزيد المؤدب ، ولم يذكره الخطيب في تاريخه[2] .

889 ـ أخباره في الكتب التاريخية كالطبري وابن الأثير ومروج الذهب وانظر معجم المرزباني : 190 والفهرست : 130 وتاريخ بغداد 12 : 389 وسير الذهبي 12 : 82 والوافي للصفدي (خ) والفوات 3 : 177 والنجوم الزاهرة 2 : 313 والشذرات 2 : 114 وانظر كتاب «الترك في مؤلفات الجاحظ» للدكتور زكريا كتابجي ؛ وياقوت ينقل أيضاً عن تاريخ دمشق لابن عساكر (المصورة 14 : 195) .

(1) قارن بما ورد في ترجمة الجاحظ (رقم : 872) .

(2) ما يقوله ابن عساكر صحيح ، والاشارة الى تاريخ بغداد 12 : 389 المذكورة قبلاً إنما تعني سطراً واحداً نقل من إحدى نسخ تاريخ بغداد ولم يرد في النسخ الأخرى .

وعن محمد بن القاسم قال : دخل المعتصم يوماً إلى خاقان بن غرطوج يعوده فرأى الفتح بن خاقان ابنه وهو صبي لم يتّغر فمازحه ثم قال : أيما أحسن داري أم داركم ؟ فقال الفتح بن خاقان : يا سيدي دارنا إذا كنت فيها أحسن ، فقال المعتصم : لا أبرح والله حتى أنثر عليه مائة ألف درهم ، وفعل ذلك .

وعن أبي العباس المبرد قال : أُنْشِدَ الفتحُ بن خاقان[1] :

لستَ مني ولستُ منكَ فدعني ... وامضِ عني مُصاحَباً بسلامِ
وإذا ما شكوتُ ما بيَ قالتْ ... قد رأينا خلافَ ذا في المنامِ

فزاد الفتح بن خاقان :

لم تجدْ علة تجنَّى بها الذنـ ... ـبَ فصارت تعتلُّ بالأحلام

قال المبرد : وسمعت الفتح ينشد قبل أن يقتل بساعات هذا البيت وهو :

وقد يقتل الغتميُّ مولاه غيلةً ... وقد ينبحُ الكلب الفتى وهو غافلُ

وكان الفتح يتعشق خادماً للمتوكل اسمه شاهك وله فيه أشعار منها :

أشاهكُ ليلي مذ هجرتَ طويلُ ... وعيني دماً بعد الدموع تسيلُ
وبي منك والرحمنِ ما لا أطيقه ... وليس إلى شكوى إليكَ سبيلُ
أشاهكُ لو يُجْزَى المحبُّ بوده ... جُزِيتُ ولكنَّ الوفاءَ قليلُ

قال ابن حمدون : كان الفتح بن خاقان يأنس بي ويطلعني على الخاص من سرّه ، فقال لي مرة : شعرتَ يا أبا عبد الله أني انصرفتُ البارحة من مجلس أمير المؤمنين ، فلما دخلت منزلي استقبلتني فلانة ـ يعني جاريته ـ فلم أتمالك أن قبلتها ، فوجدت فيما بين شفتيها هواءً لو رقد المخمور فيه لصحا ، فكان هذا من مستحسن كلام الفتح ، فكأن الوأواء الدمشقي سمع هذا حتى قال :

سقى اللّه ليلاً طاب إذ زار طيفُهُ ... فأفنيته حتى الصباحِ عناقا
يطيبُ نسيمٌ منه يستجلبُ الكرى ... ولو رقد المخمورُ فيه أفاقا
تملَّكني لما تملَّكَ مهجتي ... وفارقني لما أمنتُ فراقا

---

(1) ابن عساكر : 198 والفوات 3 : 178 .

ووجدت في بعض المجاميع للفتح بن خاقان يصف الورد :

أما ترى الوردَ يدعو الشاربين إلى حمراءَ صافيةٍ في لونها صَبَبُ
مداهنٌ من يواقيتٍ مركّبةٌ على الزمرُّدِ في أجفانها ذهبُ
خاف الملالَ إذا طالت إقامته فصار يظهرُ أحياناً ويحتجبُ

وكان أديباً فاضلاً زكيَّ النفس حَسَنَ العشرة لطيف الأخلاق متودداً محبباً إلى كل من يكلمه ، وكان غاية في الجود ، وكان قد تنزل من المتوكل بمنزلة الروح من الجسد ، وكان خدم قبله المعتصم والواثق ؛ فذكر أبو العيناء قال : قال الفتح بن خاقان : غضب عليَّ المعتصم ثم رضي عني وقال لي : ارفع حوائجك لتقضى ، فقلت : يا أمير المؤمنين ليس شيء من عرض الدنيا وإن جلَّ يفي برضى أمير المؤمنين وإن قلّ ؛ قال : فأمر فحشي فمي جوهراً.

أخبرني أبو عبد الله محمد بن محمود بن النجار الحافظ قال : أخبرني أبو القاسم الثعلبي ، حدثنا الفضل بن سهل ، حدثنا الخطيب أبو بكر ، أخبرنا محمد بن محمد بن المظفر السراج ، حدثنا المرزباني ، أخبرني محمد بن يحيى الصولي ، حدثني أحمد بن عبد الرحمن ، حدثني وهب بن وهب بن وهب، حدثني البحتري قال[1] : قال المتوكل : قل فيَّ شعراً وفي الفتح فإني أحبُّ أن يحيا معي ولا أفقده فيذهب عيشي ولا يفقدني فيذل ، فقل في هذا المعنى فقلت أبياتي :

سيدي أنت كيف أخلفتَ وعدي وتثاقلتَ عن وفاءٍ بعهدي

فقلت فيها :

لا أرتني الأيام فَقْدَكَ يا فتـ ـحُ ولا عَرَّفتك ما عشتَ فقدي
أعظمُ الرزءِ أن تُقَدَّم قبلي ومن الرزءِ أن تؤخَّرَ بعدي
حسداً أن تكون إلفاً لغيري إذ تفردت بالهوى قبلُ وحدي

قال البحتري : فقتلا معاً وكنت حاضراً وربحت هذه الضربة ، وأومأ إلى ضربة

(1) ابن عساكر : 197 وديوان البحتري 1 : 522 وذكر أنها في غلام للبحتري اسمه نسيم .

في ظهره ؛ فقال : أحسنتَ والله يا بحتري وجئت بما في نفسي ، وأمر لي بألف دينار . وقال غير وهب الراوي للخبر ، قال البحتري : قد كنتُ عملتُ هذه الأبيات في غلام كنتُ أكلفُ به ، فلما أمرني المتوكل بما أمر تنحيتُ فقلت الأبيات وأريته أنني عملتها في وقتي وما غيرتُ فيها إلا لفظة واحدة فإنني كنت قد قلت :

لا أرتني الأيام فقدك ما عشتُ

فجعلته يا فتح .

وتحدث الشمشاطي علي بن محمد ، حدثني محمد بن عبد الله ، حدثني أحمد بن الفضل الهاشمي ، حدثنا علي بن الجهم القرشي قال: دخلت على المتوكل يوماً وهو جالس وحده فسلمت عليه فردَّ السلام وأجلسني ، فحانت مني التفاتة فرأيت الفتح بن خاقان واقفاً في غير رتبته التي كان يقوم فيها ، متكئاً على سيفه مطرقاً ، فأنكرت حاله ، فكنتُ إذا نظرت إليه نظر إلى الخليفة فإذا صرفتُ وجهي نحو الخليفة أطرق ، فقال : يا علي أأنكرتَ شيئاً ؟ قلت : نعم يا أمير المؤمنين ، فقال : ما هو ؟ قلت : وقوف الفتح في غير رتبته التي كان يقوم فيها ، قال : سوء اختياره أقامه ذلك المقام ، قلت : ما السبب يا أمير المؤمنين ؟ قال : خرجتُ من عند قبيحة آنفاً فأسررتُ إليه سراً فما عداني السرّ أن عاد إليّ ، قلت : لعلك أسررته إلى غيره يا أمير المؤمنين ، قال : ما كان هذا ، قلت : فلعل مستمعاً استمع عليكما ، قال : ولا هذا أيضاً ، قال : فأطرقت ملياً ثم رفعت رأسي فقلت : يا أمير المؤمنين قد وجدت له مما هو فيه مخرجاً ، قال : ما هو ؟ قلت : حدثنا أبو نعيم الفضل بن دكين ، حدثنا المستمرّ بن سليمان عن أبي الجوزاء قال : طلقتُ امرأتي في نفسي وأنا في المسجد ثم انصرفت إلى منزلي فقالت لي امرأتي : أطلقتني يا أبا الجوزاء ؟ قلت : من أين لكِ هذا ؟ قالت : خبرتني جارتي الأنصاريّة ، قلت : ومن خَبَّرها بذلك ؟ قالت : ذكرت أن زوجها خبرها بذلك ، فغدوتُ على ابن عباس فقصصتُ عليه القصة فقال : علمتُ أن وسواسَ الرجل مُحَدِّثُ وسواسِ الرجل فمن ها هنا يفشو السر.

قال أبو نعيم : فكان في نفسي من هذا شيء حتى حدثني حمزة الزيات قال : خرجتُ سنةً من السنين أريد مكة ، فلما جزتُ في بعض الطريق ضَلَّتْ راحلتي فخرجت أطلبها ، فإذا باثنين قد قبضا عليَّ أحِسُّ حسَّهما وأسمعُ كلامهما ولا أرى

شخصهما ، فأخذاني وجاءا بي إلى شيخ قاعدٍ على تلعة من الأرض حسن الشيبة ، فسلمت عليه فردَّ عليَّ السلام ، فأفرخ روعي ثم قال : من أين ، وإلى أين ؟ فقلت : من الكوفة أريد مكة ، قال : ولم تخلفتَ عن أصحابك ؟ فقلت : ضلت راحلتي فجئت أطلبها ، فرفع رأسه إلى قوم على رأسه فقال: زاملة ، فأنيخت بين يدي ، ثم قال لي ، أتقرأ القرآن ؟ قلت : نعم ، قال : هاته فقرأت حـم الأحقاف حتى انتهيت إلى هذه الآية : ﴿ وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَراً مِنَ الجِنِّ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقُرْآنَ ﴾ (الأحقاف/29) الآية فقال لي : على رسلك تدري كم كانوا ؟ قلت : اللهم لا ، قال : كنا أربعة وكنت المخاطِبَ لهم عنه ﷺ ، فقلت : يا قوميا أجيبوا داعي الله . ثم قال لي : أتقول الشعر ؟ قلت : اللهم لا . قال : أفترويه ؟ قلت : نعم ، قال : هاته ، فأنشدته قصيدة :

أمن أم أوفى دمنـةٌ لم تَـكَلَّم بحومانـةِ الـدرّاج فـالمتثلمِ

فقال : لمن هذه ؟ فقلت : لزهير بن أبي سلمى ، قال : الجني ؟ قلت : بل الانسي مراراً ، فرفع رأسه إلى قوم على رأسه فقال : زهير ، فأتي بشيخٍ كأنه قطعة لحم فألقي بين يديه فقال له : يا زهير ، قال : لبيك، قال : « أمن أم أوفى » لمن ؟ قال : لي ؛ قال : هذا حمزة الزيات يذكر أنها لزهير بن أبي سلمى الإنسي ، قال : صدق هو وصدقت أنت . قال : وكيف هذا ؟ قال : هو إلفي من الإنس وأنا تابعه من الجن أقول الشيءَ فألقيه في وهمه ويقولُ الشيء فآخذه عنه ، فأنا قائلها في الجن وهو قائلها في الإنس . قال أبو نعيم فصدّق عندي هذا الحديثُ حديثَ أبي الجوزاء أنَّ وسواسَ الرجل يحدث وسواس الرجل فمن ها هنا يفشو السر ، قال : فاستفرغ المتوكل ضحكاً وقال : إليّ يا فتح ، فصبّ عليه خلعاً وَحُمِلَ على شيءٍ من الظهر وأمر له بمال وأمر لي بدون ما أمر له به ، فانصرفت إلى منزلي وقد شاطرني الفتح ما أخذ فصار الأكثر إليَّ والأقل عنده.

قال جحظة في « أماليه » حدثني المبرد قال أنشدني الفتح بن خاقان لنفسه[1] :

وإني وإيـاهـا لكـالخمـرِ والفتى متى يستـطعْ منهـا الـزيـادةَ يَـزْدَدِ

(1) الفوات : 179 .

إذا ازددتَ منها ازددتَ وجداً بقربها فكيف احتراسٌ من هوى متجدد

قال فحدثني ابن حمدون قال : لما قال الفتح هذه الأبيات أنشدتها المتوكل فسألني عن قائلها فَعَرَّفْتُ أنه الفتح ، فاستحسنها وقال لي : بأبي أنت من جامع محاسن الدنيا . وبلغ هذا الشعر أبا علي البصير الفضل بن جعفر فقال في الفتح :

سمعتُ بأشعار الملوك فكلُّها إذا عضَّ مَتْنَيْهِ الثقافُ تأودا

سوى ما رأينا لامرىء القيس إننا نراه إذا لم يشعرِ الفتحُ أوحدا

قال المرزباني : ومن شعر الفتح بن خاقان(1) :

بُنِيَ الحبُّ على الجورِ فلو أنصف المحبوبُ فيه لسمجْ

ليس يستملح في حكم الهوى عاشق يحسن تأليف الحججْ

قال المؤلف وهذان البيتان يرويان لعلية بنت المهدي .

قال المرزباني : وللفتح بن خاقان(2) :

أيها العاشق المعذب صبرا فخطايا أخي الهوى مغفورهْ

زفرةٌ في الهوى أحطُّ لذنبٍ من غَزَاةٍ وحجّةٍ مبروره

وقال عمران بن موسى : سمعت الفتح بن خاقان يقول لأحمد بن أبي فنن الشاعر : يا أحمد ، قال : لبيك يا سيدي (وهذا في أول سنة سبع وأربعين ومائتين) [قال] : اعمل أبياتاً حساناً تمدحُ بها سيدي أمير المؤمنين واذكر في آخرها أني شفيعك حتى آخذَ لك منه ما يسدّ خلتك ، فما أسرعَ فقدك لي ، فبكى ابن أبي فنن وقال : يا سيدي على الدنيا بعدك لعنة الله ، قال له : على الدنيا قبلي وبعدي لعنة الله فما صافت منحرفاً عنها نابذاً لها ، ولا وفت لمتمسك بها راغب فيها .

أبو بكر محمد بن جعفر الخرائطي : حدثنا العباس بن الفضل الربعي ، حدثنا علي بن الجهم قال : إني لعند المتوكل يوماً والفتحُ بن خاقان حاضر إذ قيل له : فلان النخاس بالباب ، فأذن له فدخل ومعه وصيفة ، فقال له أمير المؤمنين : ما صناعةُ هذه

---

(1) معجم المرزباني والفوات وابن عساكر .

(2) معجم المرزباني والفوات .

الوصيفة : قال تقرأ بالألحان ، فقال الفتح : اقرئي لنا خمسَ آياتٍ فاندفعت تقول :

قد جاء نصرُ اللّه والفتحُ وشقَّ عنا الظلمةَ الصبحُ
خدينُ ملك ورجا دولةٍ وهمهُ الاشفاقُ والنصح
الليثُ إلا أنه ماجدٌ والغيثُ إلا أنه سَحّ
وكلّ بابٍ للندى مغلقٌ فإنما مفتاحه الفتح

قال : فواللّه لقد دخل المتوكلَ من السرور ما قام إلى الفتح فوقع عليه يقبله ووثب الفتح فقبل رجله ، فأمره أمير المؤمنين بشرائها وأمر لها بجائزة وكسوة وبعث بها إلى الفتح فكانت أحظى جواريه عنده ، فلما قتل الفتح رثته بهذه الأبيات :

قد قلتُ للموتِ حين نازله والموتُ مقدامةٌ على البُهَمِ
ولو تبينتَ ما فعلتَ إذنْ قرعتَ سناً عليه من ندم
فاذهبْ بمن شئتَ إذ ذهبتَ به ما بعد فتحٍ للموتِ من ألم

ولم تزل تبكي وتنوح عليه حتى ماتت .

ـ 890 ـ

الفتح بن محمد بن عبيد الله بن خاقان القيسي الاشبيلي : وقيل هو من أهل أندلس[1] ، أديب فاضل شاعر بليغ فصيح بذيء اللسان قوي الجنان في هجاء الأعيان ، وكان متهم الخلوة فيما بلغني ، مات في حدود سنة ثلاث وخمسمائة[2] وقال العماد : سألت عنه بمصر فقيل إنه عاش بالمغرب إلى عهد شاور بمصر ، فقد توفي بعد سنة خمس وخمسين وخمسمائة، وقال لي بعض المغاربة إنه توفي قبل هذا التاريخ .

890 ـ ترجمته في الخريدة (قسم المغرب) 3 : 538 ومعجم أصحاب الصدفي : 313 والمغرب 1 : 259 وابن خلكان 4 : 23 والإحاطة 4 : 248 والنفح 7 : 29 والشذرات 4 : 107 وسير الذهبي 20 : 107 والوافي للصفدي (خ) وانظر مقدمة مطمح الأنفس (تحقيق شوابكه) .

(1) قوله : وقيل هو من أهل أندلس ، كلام لا معنى له ، لأنه اشبيلي فهو إذن أندلسي .
(2) الأرجح أنه توفي سنة 528 أو في التي بعدها .

له من التصانيف كتاب قلائد العقيان . كتاب مطمح الأنفس ومسرح التأنس .

حدثني الصاحب الكبير العالم جمال الدين الأكرم ، أدام الله علوه ، قال : لما عزم ابن خاقان على تصنيف « كتاب قلائد العقيان » جعل يرسلُ إلى كلٍّ واحدٍ من ملوك الأندلس ووزرائها وأعيانها من أهل الأدب والشعر والبلاغة ويعرّفه عَزْمَهُ ويسألُ إنفاذَ شيءٍ من شعره ونظمه ونثره ليذكره في كتابه ، وكانوا يعرفون شَرَّهُ وثلبه ، فكانوا يخافونه وَيُنفِذُونَ إليه ذلك وصُررَ الدنانير ، فكلٌّ من أرضته صلتُهُ أحسنَ في كتابه وَصْفَه وَصِفَته ، وكلٌّ من تغافل عن بِرِّهِ هجاه وثلبه ، وكان ممن تصدَّى له وأرسل إليه أبو بكر ابن باجة المعروف بابن الصائغ ، وكان وزير ابن تِيفلويت[1] صاحب المرية ، وهو أحدُ الأعيانِ وأركانِ العلم والبيان ، شديدُ العناية بعلم الأوائل ، مستولٍ على أصل الأشعار والرسائل ، وكانوا يشبّهونه بالمغرب بابن سينا بالمشرق ، وله تصانيفُ في المنطق وغيره ، فلما وصلته رسالتُهُ تهاونَ بها ولم يُعِرْهَا طرفه ، ولا لَوَى نحوها عطفه ، وذكر ابنَ خاقان بسوء بلغه ، فجعله خَتْمَ كتابه ، وصيَّره مقطع خطابه ، وقال[2] : أبو بكر ابن الصائغ : هو رَمَدُ جَفْنِ الدين ، وكَمَدُ نفوسِ المهتدين ، اشتهر سخفاً وجنوناً ، وهجر مفروضاً ومسنوناً ، وضلَّ فيما يتسرع ، ولا يأخذ في غير الأباطيل ولا يشرع ، ولا يرد سوى الغمة ولا يكرع ، ناهيك من رجل ما تَطَهَّر من جنابة ، ولا أظهر مخيلة إنابة ، ولا استنجى من حدث ، ولا أشجى فؤادَهُ توارٍ في جدث ، ولا أقر ببارئه ومصوّره ، ولا فرَّ عن تباريه في ميدان تهوره ، الاساءةُ إليه أجدى من الإحسان ، والبهيمة عنده أهدى من الانسان ، نظر في تلك التعاليم ، وفكر في أجرام الأفلاك وحدود الأقاليم ، ورفض كتاب اللّه العليّ العظيم ، ونبذه وراء ظهره ثاني عطفه ، وأراد إبطالَ ما لا يأتيه الباطلُ من بين يديه ولا من خلفه ، واقتصر على الهيئة ، وأنكر أن يكون إلى اللّه الفيئة ، وحكم للكواكب بالتدبير ، فهو يعتقد أن الزمانَ دَوْر ، وأن الانسان نبات ونَوْر ، مع منشأٍ وخيم ، ولؤمِ أصلٍ وَخِيم ، وصورةٍ شوَّهها الله وقبحها ، وطلعةٍ إذا أبصرها الكلب نبحها ، وقذارةٍ يُوبِىءُ البلادَ نَفَسُها . ووضارةٍ يحكي الحدّاد دَنَسها . وله نظم أجاد فيه بعض الاجادة ، وشارف الإحسان أو كاده .

(1) م : فلويت .

(2) القلائد : 931 (خريوش) وفي النقل بعض إيجاز وحذف .

مع كلام طويل وهجو وبيل ، وبلغ ذلك ابنَ الصائغ فأنفذ له مالاً استكفه به واستصلحه .

وصنف ابن خاقان كتاباً آخر سماه « مطمح الأنفس ومسرح التأنس في ذيل شعراء الأندلس »[1] وصله بقلائد العقيان ، افتتحه[2] بذكر ابن الصائغ وأثنى عليه فيه ثناءً جميلاً فقال : الوزير أبو بكر ابن الصائغ : هو بدرُ فهمٍ ساطع ، وبرهانُ علمٍ لكلّ حجةٍ قاطع ، تفوَّحتْ بعطره الأعصار ، وتطيبتْ بذكره الأمصار ، وقام به وزنُ المعارفِ واعتدل ، ومال وتهدل ، وعطَّل بالبرهان التقليد ، وتنفق بعد عدمه الاختراعُ والتوليد . إذا قدح زندَ فهمه أورى بشررٍ للجهل محرق ، وان طما بحرُ خاطره فهو لكلّ شيء مغرق ، مع نزاهة النفس وصونها ، وبعد الفساد من كونها ، والتحقيقِ الذي هو للإيمان شقيق ، والجد الذي يُخْلِقُ العمرَ وهو مستجد ، وله أدب يـودّ عطاردُ أن يلتحفـه ، ومذهب يتمنى [المشتري] ان يعرفه ، ونظم تتمناه اللبّاتُ والنحور ، وتدعيه مع نفاسة جوهرها البحور ، وقد أتيت بما تهوى الأعينُ النُّجْلُ أن يكون إثمدها ، ويزيـلَ من النفسِ حزنها وكمدها ، فمن ذلك قوله يتغزل :

أسكـانَ نعمـانِ الأراكِ تيقنـوا ... بـأنكمُ في ربـع قلبيَ سُكّـانُ
ودوموا على حفظِ الوداد فطالما ... بُلينا بأقـوام إذا اسْتُحْفِظوا خـانوا
سلوا الليل عنّي مذ تناءت دياركم ... هل اكتحلتْ لي فيه بالنوم أجفانُ
وهل جُرِدَّتْ أسيافُ برقٍ ديـاركم ... فكـانت لهـا إلا جفـونيَ أجفـانُ

وله :

اتـأذنَ لي آتي العقيقَ اليمـانيـا ... أسـائلُهُ مـا للمغـاني ومـاليـا
وسـلْ دارهم بـالحَـزْنِ أقفـرَ إنني ... تـركتُ الهوى يقتـادُ فضلَ زمـاميـا
فيـا مَكْرَعَ الـوادي أما فيـك شَرْبَـةٌ ... لقد سال فيـك الماءُ أزرقَ صـافيا
ويا شجراتِ الجزع هل فيكِ وقفةٌ ... فقد فاء فيـكِ الفيءُ أخضرَ ضـافيا

وقد جرى في هذا الميدان فأحسن كلَّ الإحسـان .

---

(1) المشهور « في ملح شعراء أهل الأندلس » .

(2) لم يفتتحه بترجمة ابن الصائغ ، لأن ترجمته تقع في أواخر المطمح ص : 397 .

ـ 891 ـ

الفضل بن إسماعيل التميمي أبو عامر الجرجاني : أديب أريب فاضل لبيب، أحد أصحاب عبد القاهر الجرجاني النحوي ، وكان مليح الخط صحيح الضبط رائق النظم فصيح النثر جيد التصنيف حسن التأليف ، ذكره محمد بن محمود في « كتاب سر السرور » فقال : رباع الفضل بتصانيفه عامرة ، ورياض الأدب بكلماته ناضرة ، فكأنّ الربيع فضلةٌ من بدائعها ، والزهرَ ضَرّةٌ لروائعها ، وشعره يُطرقُ السحر بين يديه ، وتهتف الملح بحفافيه ، تقرأ آياتُ الإحسان من أبياته ، وتخفق عذباتُ الابداع من راياته ، وله تصنيفات باسم الشيخ الأجل عبد الحميد أهداها إليه بغزنة فأشرقت بها أرجاؤها ، وأغدقت أنواؤها . منها : كتاب البيان في علم القرآن . وكتاب عروق الذهب من أشعار العرب . وكتاب سلوة الغرباء وغيرها .

وقال عبد الغافر في « كتاب السياق » : الفضل بن إسماعيل التميمي الشيخ أبو عامر الجرجاني النحوي الكاتب الأديب الشاعر من أفاضل عصره ، وأفراد دهره ، حسن النظم والنثر ، متين في الفضل ، كتب مدةً للشيخ الرئيس أبي المحاسن الجرجاني وغيره ، وصحب الكتّاب والمشايخ ، سمع الحديث من المشايخ الذين سمعنا منهم مثل الشيخ أبي سعد ابن رامش وأبي نصر ابن رامش المقرىء وأبي بكر أحمد بن علي بن خلف الشيرازي وأبي القاسم إسماعيل بن زاهر النوقاني ، وسمع من الشيخ أبي بكر أحمد بن منصور بن خلف المغربي سنة ثمان وخمسين وأربعمائة ، وسمع من المشايخ الإسماعيلية وغيرهم في شبابه ، ولم يذكر وفاته لكنه كان قد مات في حياة عبد الغافر .

وكان ورد نيسابور واجتمع به الأديب يعقوب بن أحمد المذكور في بابه وسأله أن يكتب له بخطه في كتابه الذي سماه « جونة الند » وهو مجموع جمع فيه يعقوب من

---

891 ـ ترجمة أبي عامر الجرجاني في دمية القصر 1 : 568 (وعليه يعتمد الباخرزي في رواية كثير من الشعر الذي دونه في كتابه) ومختصر السياق الأول: 75 ب ، والثاني 121 والوافي للصفدي (خ) (وفيه منتخبات لم يوردها ياقوت) وبغية الوعاة 2 : 245 وطبقات المفسرين 2 : 32 أما كتاب سر السرور فمنه نقول في بغية الطلب (انظر مثلاً 4 : 293 ، 6 : 312 ، 314) .

أشعار نفسه وغيره من أهل عصره ومن تقدمه ، وظفرت أنا بأصل يعقوب الذي بخطه وفيه بخط أبي عامر الذي لا أرتاب به ما نقلته بصورته بعد أن أسقطت بعض النظم ، وأما النثر فلا ، وهذا نسخة خطه : سألني الشيخ الجليل الأديب ـ أدام الله نعمته ـ أن أكتب له في هذا الدفتر شيئاً من هاذوري ، فترجحتُ بين صوارفَ تنهاني عن الاجابة ستراً لعورتي ، ودواعٍ تحثني على امتثال رسمه إظهاراً لطاعتي ، وأنا على كلّ حالٍ واثق بكرمه ، ساكن إلى حسن شيمه ، وعالم انه يحرصُ على إقالة عثرةِ الاخوان ، وستر عيوبهم بقدر الإمكان ، واللَّهَ أسألُ أن يجبُر نقيصتنا بفضيلته ، ويمحو إساءتنا بحسنته ، فانه عليه قدير ، وها هو الهاذور :

بالله يا حتفي أما تستحي ... حتى متى تُوردني حَتْفي
تحلفُ لي أنكَ في كفِّي ... وعضّ كفي منك في كفي
وأنت يا قلبي إلى كم وكم ... تحيلُ بالذنبِ على طرفي

وأيضاً :

خَدّهُ الياسمينُ والخطُّ فيه ... سُنْبُلٌ نابتٌ على ياسمينِ
سمته قبلةً فقال تحرَّزْ ... بين صدغيَّ عقدتا التنينِ

وأيضاً :

إذا حَفَزَتْكَ نائبةٌ لأمرٍ ... فجئتَ إلى صغيرٍ أو كبيرِ
فكاثره بهزٍّ بعد هزٍّ ... فإن الزبدَ بالمخضِ الكثيرِ

وأيضاً في الرئيس أبي الفضل أدام الله علوه :

تولّى الغانيات فليس عندي ... لهنَّ سوى هوى أُخفي وأُبدي
رأين الشيبَ ألبسني قتيراً ... على حدّ البلى فنقضنَ عهدي
وسالمني الغيورُ فكلَّ يومٍ ... يوازن بيننا ودّ بودٍّ
وقنعني الزمانُ فلستُ آسى ... على فوتِ الثراءِ وأنت عندي
وكلّ تعجبي طولَ الليالي ... لذلةِ ماجدٍ يسعى لوغدِ
فشكراً للإله فقد كفاني ... تولّي غيرِ عباس بن سعدِ

لـه قلبي وخـالـصتي وودي ... وفيـه تـردّدي وإليـه قـصـدي
ومنـه معيشتي وصـلاحُ حـالي ... ومعصـوبٌ[1] بـه غـيّي ورشـدي
وكـلُّ النـاس يُشْـرِكُ في هـواه ... وقـد أفـردتـه بهـوايَ وحـدي
فـان أفزعْ فكهفُ عـلاه حِـرْزي ... وان أعـطشْ فبحـرُ نـداهُ وردي
فضلتَ النـاسَ مـأثـرةً وفخـراً ... وطلتهـمُ بـاحسـانٍ ومـجـدِ
ولمـا صرتُ عبـدك صار يـرضى ... أنـو شـروانَ لـو أرضـاهُ عبـدي
أُدِلُّ عـليـكَ إدلالَ الـمـوالـي ... فـلا نكـرٌ لـديـكَ ولا تعـدي
وتـلك مـزيّـةٌ لي لـيس تخـفى ... ورثتُ مكـانَها من آبي وجـدي
فعشْ ألفاً معي في خير حـالٍ ... وألفـاً بعـدهـا ألفـان بعـدي
فكـلّ النـاس دونـك آل قفـرٍ ... يـغـرُّ بلمعـةٍ من غـيـرِ رفـدِ
وأنت الفـردُ مكـرمـةً فكنْ لي ... تـكنْ فـرداً بـلا شـكٍّ لـفـردِ

وأيضاً :

نشـدُّ على المـوتِ مستبسلين ... غـلاظ الـرقـابِ غـلاظ الكبـودِ
ونفتـرعُ البيضَ سـودَ القـرون ... صُفْـرَ الترائب حُمْـرَ الخـدودِ

وله أيضاً :

عـذيـريَ من شـاطـرٍ أغضبـوهُ ... فـجـرَّدَ لي مـرهـفـاً بـاتـكـا
يقـولُ أنـا لـكَ يـا ابن الـوكيـلِ ... وهـل لي رجـاءٌ سـوى ذلكـا

أيضاً :

إنـي بـليـتُ بـشـادنٍ ... بـلواه عنـدي تُـسْتَحَـبُّ
فـإذا بـلوتُ طـبـاعـه ... فالماءُ يُشْـرَبُ وهو عـذبُ
وإذا نـضـوتُ ثـيـابـه ... فـاللوزُ يُقْشَـرُ وهـو رطبُ
وقـصـار وصـفـي أنـه ... فيمـا أحـبّ كمـا أحـبّ

---

(1) م : ومنصوب .

وأيضاً :

قد ضاق صدري من صدور زماننا　　فهمُ جماعُ الشرِّ بالاجماعِ
يتضارطون فان شكوتُ ضراطهم　　شفعوا سماعَ الضَّرْطِ بالاسماعِ
هذا يفرقعُ في الضراط وذاكمُ　　يرمي بمثلِ حجارةِ المقلاعِ
ومن البليةِ أن تعاشرَ معشراً　　يتضارطون الدهرَ بالايقاعِ

وله :

مللتُ مكافحةَ الحادثاتِ　　وكنتُ بها معجباً عاجبا
وحيرني الدهر حتى نشدتُ　　حماري وكنتُ له راكبا

وأيضاً :

اصبحتَ مثلَ عطاردٍ في طبعه[1]　　إذ صرتَ مثلَ الشمسِ في الإشراقِ
فلذاك ما ألقاك يوماً واحداً　　إلا قضيتَ عليَّ بالاحراقِ

الشيخ الجليل الأديب، أدام الله نعمته، وأنعم عليّ بقراءة ما علقه عن دفتري عليّ، والله يمتعه به وبفضله، ويقر عين العلم بحراسته، وسمع معه ابنه الشيخ الفاضل أبو بكر الحسن، والفقيه الفاضل العالم أبو المجد محمد بن أبي القاسم، أبقاهما الله، وكذلك سمعوا جميعاً ما أبنته من هاذوري بخطي. وكتب الفضل بن إسماعيل أبو عامر الجرجاني ومن خطه نقلت: كتب إليّ الكيا الأجل أبو الفتح رحمه الله :

أبا عامرٍ إن الرتائم إنما　　تُذكّر بالأمر العبامَ المغمَّرا
ولكنَّ من عيناه درج فؤادِهِ　　فليس بمحتاجٍ إلى أنْ يُذَكّرا

وكتب أيضاً إليَّ الشيخ الإمام أبو بكر عبد القاهر[2] :

ما أبو عامرٍ سوى اللطفِ شيءٌ　　إنه جملةٌ كما هو روحُ

---

(1) الوافي : في وصفه .

(2) م : إلى الشيخ . . . أبي بكر . وقد ذكر الصفدي البيتين ونسبهما لعبد القاهر وقال : قال عبد القاهر الجرجاني يصف أبا عامر الجرجاني المذكور .

كلّ ما لا يلوحُ من سرّ معنى عند تفكيره فليس يلوحُ

قال المؤلف : هذا آخر ما نقلته من خط أبي عامر رحمه الله .

وله من التصانيف : كتاب عروق الذهب في الشعر واختياره . كتاب قلائد الشرف في الشعر أيضاً . كتاب البيان في علم القرآن . كتاب سلوة الغرباء .

ونقلت من خط الأديب يعقوب بن أحمد النيسابوري وتصنيفه رقعةً كتبها الشيخ الفقيه الجليل أبو عامر الفضل بن إسماعيل الجرجاني ، أدام الله تأييده ، إلى الشيخ الرئيس الشهيد أبي المحاسن سعد رحمه الله ، قال يعقوب : وكتبتها من خطه إبان مقدمه نيسابور في شعبان سنة ثمان وخمسين وأربعمائة : أنا في هذه السنة ـ أطال الله بقاء الشيخ ـ من الاختلال والتكشف، والاعتلال والتشعث، على صورة أستحيي من عرضها وآنف من شرحها ، وقد رحل عامتها بما أشكر الله تعالى عليه ، وأدّرع الصبر في كل ما يمتحن عباده به ، وأُعملُ الحيلة من الآن في استقراض ما عسى أن يبلغني المحل، ولكن من يقرض أبا فرعون[1] بعد وقوفه بالأبواب مع العصا والجراب؟ وأسأل الله تعالى السلامة ثم أسأل سيدنا أن ينظر واحدة فيما أقول من قبل ان يعضل الداءُ فلا ينفع الدواء ، ويعظم النقب فلا ينجع الهِناء ، وان يجعلَ عنوان بره أن لا يرى تعليق هذه الرقعة ضراعة أو رقاعة ، فما في شرط الحكمة أن أكتم عنه متربة ، وأتضوَّرَ جوعاً وَمَسْغَبة ، ولولا مكاني من خدمته ، ومكاني من شفقته ، لكان استفاف المَلّةِ أحبَّ إليَّ من اظهار الخَلّة والسلام .

ومن « كتاب مرو » لأبي سعد السمعاني لأبي عامر الفضل بن إسماعيل الجرجاني التميمي يصف الهر :

إنّ لي هرةً خضبتُ شَوَاها دون ولدانِ منزلي بالرقونِ
ثم قلدتها لخوفي عليها وَدَعاتٍ تردُّ شرَّ العيونِ
كلَّ يوم أعولها قَبْلَ أهلي بزلالٍ صافٍ ولحم سمينِ
وهي تِلعابةٌ إذا ما رأتني عابسَ الوجه وارمَ العرنينِ
فتغنّي طوراً وترقصُ طوراً وَتَلَهَّى بكلِّ ما يلهيني

(1) أبو فرعون الساسي أحد المكدين .

لا أريدُ الصلاةَ ان ضاجعتني ... عند برد الشتاءِ في كانونِ
وإذا ما حَكَكْتُها لحستني ... بلسانٍ كالمبرد المسنونِ
وإذا ما جفوتُها استعطفتني ... بأنينٍ من صوتها ورنينِ
وإذا ما وترتها كشفتْ لي ... عن حرابٍ ليست متاعَ العيونِ
أملحُ الخلقِ حين تلعبُ بالفا ... ر فتلقيه في العذاب المهينِ
وإذا مات حسُّهُ أنْشَرَتْهُ ... بشمالٍ مكروبةٍ أو يمينِ
وتصاديه بالغفول فان را ... م انجحاراً عَلَتْهُ كالشاهينِ
وإذا ما رجا السلامةَ منها ... عاجلته ببطشة[1] التنينِ
وكذاك الأقدار تفترس المر ... ءَ وتغتاله بقطع الوتينِ
بينما كان في نشاط وأنسٍ ... إذ سقاه ساقٍ بكاسِ المنونِ

ويروى له :

عُلِّقتها بيضاءَ طامثةَ الحشا ... تَسْبي القلوبَ بحسنها وبطيبها
مثل الشقائق في احمرارِ خدودها ... للناظرين وفي اسودادِ قلوبها

وله :

وقد يستقيمُ المرءُ فيما ينوبُهُ ... كما يستقيم العودُ في عَرْكِ أُذْنِهِ
ويرجحُ من فضلِ الكلام إذا مشى ... كما يرجحُ الميزانُ من فضلِ وزنه

ـ 892 ـ

الفضل بن إبراهيم بن عبد الله الكوفي أبو العباس النحوي المقرىء : أخذ القراءة عن أبي الحسن علي بن حمزة الكسائي ، وقرأ الكسائي على عيسى بن عمر الهمداني عن حمزة الزيات ، ولا أعرف من حاله أكثر من هذا ، وله اختيارٌ في أحرف يسيرة ، وإنما ذكرته لأنه يعرفُ بالنحوي .

---

892 ـ بغية الوعاة 2 : 244 (عن ياقوت) والوافي (خ) وطبقات ابن الجزري 2 : 8 .

(1) م : بنشطة ، وأثبت ما في الوافي .

ـ 893 ـ

الفضل بن الحباب بن محمد بن شعيب بن صخر الجمحي: يكنى أبا خليفة من أهل البصرة .

قال أبو الطيب اللغوي[1] : هو ابن أخت محمد بن سلام الجمحي ، من رواة الأخبار والأدب والأشعار والأنساب ، مات في شهر ربيع الأول من سنة خمس وثلاثمائة بالبصرة ، وكان قد ولي القضاء بالبصرة ، وكان أعمى ، روى عن خاله كتبه فأكثر وعن غيره ، وروى له من الكتب كتاب طبقات شعراء الجاهلية . كتاب الفرسان . وكان شاعراً ، فمن شعره ما أنشده محمد بن عمر بن عثمان البغدادي عنه :

قالوا نراك تطيلُ الصمتَ قلتُ لهم ... ما طولُ صمتيَ من عِيٍّ ولا خَرَسِ
لكنه أحمدُ الأمرين عاقبةً ... عندي وأبعدُهُ من منطقٍ شكس
أأنشرُ البزَّ فيمن ليس يعرفه ... أو أنثر الدرَّ للعميانِ في الغلس
قالوا نراك أديباً لستَ ذا خَطَلٍ ... فقلت هاتوا أروني وَجْهَ مقتبس
لو شئتُ قلتُ ولكن لا أرى أحداً ... يروي الكلامَ فأعطيه مَدَى النفس

وقد روي من جهة أخرى أن الأبيات لابن دريد ، لما نزل سيراف سئل أن يجلسَ للقراءة عليه فأبى ذلك إذ لم يكنْ هناك من يساوي أن يجلس له ، فكتب هذه الأبياتَ في قبلةِ مسجدِ سيراف وانصرف .

893 ـ ترجمة أبي خليفة في أخبار القضاة 2 : 182 والفهرست : 126 وأخبار أصبهان 2 : 151 وطبقات الزبيدي : 182 وتاريخ أبي المحاسن : 215 وطبقات الحنابلة 1 : 249 وإنباه الرواة 3 : 5 وتذكرة الحفاظ : 670 وعبر الذهبي 2 : 130 وسير الذهبي 14 : 7 وميزان الاعتدال 3 : 350 والوافي للصفدي (خ) ونكت الهميان : 226 ومرآة الجنان 2 : 246 وطبقات ابن الجزري 2 : 8 والبداية والنهاية 11 : 128 والبلغة : 183 ولسان الميزان 4 : 438 وطبقات الحفاظ : 292 وبغية الوعاة 2 : 245 والنجوم الزاهرة 3 : 193 والشذرات 2 : 246 وانظر مقدمة طبقات ابن سلام بتحقيق العلامة الكبير الصديق الأستاذ محمود محمد شاكر .

(1) مراتب النحويين : 67 .

نقلت من خط أبي سعد السمعاني باسناد له قال : أُلْقِيَتْ رقعةٌ إلى أبي خليفة الفضل بن الحباب القاضي فيها :

قل للحكيم أبي خليفَهْ ... يا زينَ شيعةِ آبي حنيفَهْ
إني قصدتك للذي ... كاتمتُ من حَذَرٍ وخيفه
ماذا تقولُ لِطَفْلَةٍ ... في الحسنِ منزلها شريفَهْ
تصبو إلى زَيْنِ الورى ... من غيرِ ما بأسٍ عفيفه

فقرأ الرقعة ثم كتب على ظهرها :

يا مَنْ تكامل ظرفها ... حالُ الهوى حالٌ شريفه
إن كنتِ صادقةَ الذي ... كاتمتِ من حَذَرٍ وخيفه
فلكِ السعادةُ والشها ... دةُ والجلالةُ يا شريفه
هذا النصاحُ بعينه ... وبه يقول أبو حنيفه

نقلت من خط الامام الحافظ حقاً ، صديقِنا ومفيدِنا أبي نصرٍ عبد الرحيم بن النفيس بن وهبان من « كتاب الارشاد في معرفة علماء الحديث » تصنيف الخليل بن عبد الله بن أحمد الحافظ القاضي ، أنشدني الصاحب إسماعيل بن عباد الوزير ، أنشدني أبي ، أنشدني أبو خليفة لنفسه :

شيبانُ والكبشُ حدثاني ... شيخانِ باللّه عالمانِ
قالا إذا كنتَ فاطمياً ... فاصبرْ على نكبةِ الزمان

قال : إني سألت أبا خليفةَ عن الكبش من هو ، قال : أبو الوليد الطيالسي ، وشيبان هو ابن فَرُّوخ الأُبُلّي . قال الخليل ، قلت لعبد الله بن محمد : هذا يدل على أن أبا خليفة كان يميل إلى التشيع ، فقال : نعم .

قرأت بخط أبي سعد أيضاً باسناد له إلى أبي سهل هارون بن أحمد بن هارون الاستراباذي قال : أنشدنا الفضل بن الحباب الجمحي القاضي لنفسه :

ومتعبِ السَّفْرِ مرتاحٍ إلى بلدِ ... والموتُ يرصدُهُ في ذلك البلدِ
وضاحكٍ والمنايا فوق هامتِهِ ... لو كان يعلمُ غيباً ماتَ من كمد

آمالُهُ فوق ظهر النجم شامخةٌ والموتُ من تحت إطْلَيْهِ على الرصد
من كان لم يُعْطَ علماً في بقاءِ غدٍ ماذا تفكّرُهُ في الرزق بعد غد

قرأت في « كتاب هراة » للفامي قال : روي عن محمد بن إبراهيم بن عبدويه ابن سدوس بن علي أبي عبد الله المسندي أنه قال : كنا عند أبي خليفة القاضي بالبصرة فدخل عليه اللص داره ، فصاح ابنه باللص ، فخرج أبو خليفة إلى صحن الدار فقال : أيها اللص مالك ولنا ؟ إن أردت المال فعليك بفلان وفلان ، إنما عندنا قمطران : قمطر فيه أحاديث وقمطر فيه أخبار ، إن أردتَ الحديثَ حدثناك عن أبي الوليد الطيالسي وأبي عمر الجوصي وابن كثير وهو محمد ، وإن أردت الأخبار أخبرناك عن الرياشي عن الأصمعي ومحمد بن سلام ، فصاح ابنه : إنما كان كلباً ، فقال : الحمد للّه الذي مسخه كلباً وردَّ عنا حرباً .

وذكر التنوخي هذه الحكاية وقال في آخرها : فقال له غلامه : يا مولاي ليس إلا الخير إنما هو سنور ، فقال أبو خليفة : الحمد لله الذي مسخه هرًّا وكفانا شرًّا .

قال المؤلف : ومثل هذه الحكاية تحكى عن أبي حية النميري ، مشهورة عنه ، وقال في آخرها : الحمد للّه الذي مسخه كلباً وردنا حرباً[1] .

وقرأت في كتاب أبي عليّ التنوخي[2] حدثني أبي رضي الله عنه أن صديقاً لأبي خليفة القاضي اجتاز عليه راكباً وهو في مسجده فسأله أن ينزل عنده فيحادثه ، فقال : أمضي وأعود ، فقال له أبو خليفة : إيحاشك فقد وإيناسك وعد .

قال[3] : وكان أبو خليفة كثير الاستعمال للسجع في كلامه . وكان بالبصرة رجل يتحامق ويتشبّه به يعرف بأبي الرطل ، لا يتكلم إلا بالسجع هزلاً كله ، فقدمت هذا الرجلَ امرأته إلى أبي خليفة وهو يلي قضاء البصرة إذ ذاك ، وادعت عليه الزوجيةَ والطلاق ، فأقر لها بهما ، فقال له أبو خليفة : أعطها مهرها ، فقال أبو الرطل : كيف أعطيها مهرها ، ولم تقلع مسحاتي نهرها ؟! فقال له أبو خليفة : فأعطها نصفَ

(1) انظر الحيوان للجاحظ 2 : 231 والقصة تروى عن عروة بن مرثد .
(2) نشوار المحاضرة 2 : 27 .
(3) نشوار المحاضرة 2 : 28 .

صداقها ، فقال : لا أو أرفعَ بساقها ، واضعه في طاقها . فأمر به أبو خليفةَ فصفع .

قال : وأخبرني غير واحد أن أبا الرطل هذا كان إذا سمع رجلاً يقول لا تنكر لله قدرةً قال هو : ولا للهندبا خضرة ، ولا للزردج[1] صفرة ، ولا للنخلة بُسْرة ، ولا للعصفر حمرة ، ولا للقفا نقرة .

حدث أبو علي التنوخي[2] ، حدثني أبو علي الحسن بن سهل بن عبد الله الايذجي ، وكان يخلف أبي على القضاء بايذج وعلى رامهرمز ثم لم يزل على الحكم ونادم أبا محمد المهلبي في وزارته فغلب عليه وعلا محله عنده، وتخالع وتهتك فيما لا يجوز للقضاة، وكان يدعى بالقضاء ويخاطبه أبو محمد في الوزارة في كتبه بسيدي القاضي ، وكان له محل مكين من الأدب، قال : وردت البصرة وأنا حديث السن لأكتب العلم وأتأدب ، فلزمني أبو عبد الله المفجع[3]، وكنت أقتصر عليه ، فكتب إليّ يوماً وقد قَرَصَ الهواء :

أيهذا الفتى وأنت فتى الـ ... ـدهر إذا عزَّ أن يُقالَ فتى

طوبى لمن كان في الشتاء له ... كاسٌ وكيسٌ وكسوة وكسا

وكتب في الرقعة : وقد بقيتْ كافٌ أخرى لولا أني أحبُّ تقليلَ المؤونة عليك لذكرتها ـ يعني الكس ـ فبعث إليه بجميع ما التمسه .

قال التنوخي[4] : وحدثني قال : كان أبو خليفة القاضي صديقاً لأبي وعمي أيام وفد إلى كور الأهواز في فتنة الزنج ، فلما قدمت إلى البصرة قدمتها مع أبي ، فأنزلنا أبو خليفة داره وأكرمنا ، وأمكنني من كتبه ، فكنتُ أقرأ عليه كلَّ ما أريد وأسمع كيف شئت وأكتبُ وأَنسخُ لنفسي ، وأصوله لي مبذولة ، فإذا كان الليل جلسنا وتحادثنا فربما أحببتُ القراءة عليه فيجيبني ، فإذا أضجرته يقولُ : يا بني روِّحني ، فأقطعُ القراءة ، وإذا استراح أخرج من كمه دفتراً من ورق أصفر فيقول : اقرأ عليَّ منه فإنه خطي ، وما

(1) هو زهر الزعفران ويكتب أيضاً « الزرتك » .
(2) نشوار المحاضرة 3 : 287 .
(3) م : المسمعي .
(4) نشوار المحاضرة 3 : 289 .

تقرأه عليّ فهو من خط غيري ، فكنت أقرأ عليه منه ، وكان فيه ديوان عمران بن حطان . فكان يبكي على مواضع منه ، فأنشدته ليلةً القصيدةَ التي فيها البيتان المشهوران[1] :

يا ضربةً من تقيّ ما أراد بها　　إلا ليبلغَ من ذي العرش رضوانا
إني لأذكره يوماً فأحسبُهُ　　أوفى البريةِ عند اللّه ميزانا

فبكى عليهما لما انتهيت إليهما حتى كاد يعمى ، فاستطرفتُ ذلك وعجبتُ منه ، فلما كان من الغد اجتمعتُ مع المفجّع فحدثته بذلك ، واغتررت به للأدب واستكتمته إياه ، فأشاعه وأذاعه وعمل :

أبو خليفةَ مطويٌّ على دَخَنٍ　　للهاشميين في سرٍّ وإعلانِ
ما زلت أعرفُ ما يُخْفي وأنكره　　حتى اصطفى شعرَ عمرانِ بنِ حطان

وأنشدنيها لنفسه وأنشدها غيري ، فكتبها عنه بعض أهل الأدب في رقعة لطيفة وجعلها في مقلمته ، وحضرنا عند أبي خليفةَ في مجلسٍ عام ، فنفض الرجل مقلمته وقد أُنسي ما فيها فسقطت الرقعة ، وانصرف الناس ، ووجدها أبو خليفة وقرأها فاستبشاط وقال : ابن الايذجي قبّحه الله وترّحه أشاط بدمي ، عليَّ بأبي العباس الساعةَ ، يعني والدي ، فجاءه وحدثه الحديث ، فوقعتُ في ورطة وكادت الحال أن تنفرج بيني وبين أبي ، ومنعني أبو خليفة القراءة واحتشمني ، فحملتُ إليه ثياباً لها قدر وأهديتُ إليه من مأكل الجند واعتذرتُ إليه فرجع إليَّ وقبل عذري وعاود تدريسي ومكنني من القراءة عليه ، فقرأت « كتاب الطبقات » وغيره مما كان عنده ، وقال : لا أظهر الرضى عنك أو تكذبَ نفسك ، ففعلت ذلك ، وأعطيت المفجع ثوباً دبيقياً حتى كفّ عن إنشاد الأبيات ، وجحدها واعتذر إلى أبي خليفة .

قال وقال أبي على عقيب هذا[2] : أكثر رواة العرب فيما بلغني عنهم إما خوارج وإما شعوبية ، كأبي عبيدة معمر بن المثنى وأبي حاتم سهل السجستاني وفلان وفلان وعدد جماعة .

---

(1) ديوان شعر الخوارج : 164 (وفيه تخريج) .
(2) نشوار المحاضرة 3 : 291 .

وقرأت بخطِّ ابن مختار اللغوي المصري : أبو خليفة الفضل بن الحباب اشترى جاريةً فوجدها خشنة فقال : يا جارية هل من بُزَاق أو بصاق أو بساق ـ العربِ تنقل السين صاداً أو زاياً فتقول أبو الصقر والزقر والسقر ـ فقالت : الحمد لله الذي ما أماتني حتى رأيت جِرِي قد صار ابنَ الأعرابيّ تُقرأ عليه غرائبُ اللغة[1] .

ـ 894 ـ

الفضل بن خالد أبو معاذ النحوي المروزي مولى باهلة : روى عن عبد الله بن المبارك وعبيد بن سليم روى عنه محمد بن علي بن الحسن بن شقيق وأهل بلده ، مات سنة إحدى عشرة ومائتين ، ذكر ذلك الحاكم بن البيع في « تاريخ نيسابور » . قال الأزهري : ولأبي معاذ كتاب في القرآن حسن .

قلت : وقد روى عنه الأزهري في « كتاب التهذيب » فأكثر ، وذكره محمد بن حبّان في « تاريخ الثقات » في الطبقة الرابعة بمثل ذلك سواء ، ولعلَّ الحاكم عنه نقل .

ـ 895 ـ

الفضل بن صالح العلوي الحسني النحوي أبو المعالي اليماني : مات في سنة نيف وثمانين وأربعمائة قاله عبد الغافر ، قال : وحضر نيسابور وسمع الحديث من مشايخنا الذين رأيناهم ، ولا شك أنه سمع في أسفاره الكثير[2] .

894 ـ ترجمته في التهذيب للأزهري 1 : 25 والوافي للصفدي (خ) وبغية الوعاة 2 : 245 .
895 ـ ترجمته في الوافي للصفدي (خ) وبغية الوعاة 2 : 246 ؛ والمؤلف ينقل عن السياق ، انظر المنتخب (الثاني) الورقة : 122 ، ونسبته عند الصفدي « اليمامي » .

(1) فات المؤلف هنا ذكر الفضل بن الحسن بن الفضل الطبرسي (انظر إنباه الرواة 3 : 6) .
(2) م : الكتب ، والتصويب عن السياق .

ـ 896 ـ

الفضل بن عمر بن منصور بن علي أبو منصور : يعرف بابن الرائض الكاتب، من أهل باب الأزج ، كان حافظاً لكتاب الله ، قرأ بالعشر على عليّ بن عساكر البطائحي ، وخطه غاية في الجودة على طريقة ابن هلال بن البواب ، ولذلك أوردناه في هذا الكتاب . بلغني أن مولده في سنة اثنتين وخمسين وخمسمائة ومات في جمادى الآخرة سنة تسع وستمائة .

ـ 897 ـ

الفضل بن محمد بن أبي محمد اليزيدي : يكنى أبا العباس ، وقد ذكرنا نسبه ونسب أهله والسبب الذي لأجله سموا اليزيديين في باب جده أبي محمد يحيى بن المبارك . وكان الفضل أحد الرواة العلماء والنحاة النبلاء ، أُخذ عنه العلم الكثير ورواه من جهة الجم الغفير ، ومات فيما ذكره ابن النديم سنة ثمان وسبعين ومائتين .

حدث المرزباني عن الصولي عن أحمد بن يزيد المهلبي قال قال إبراهيم بن المدبر : اجتمع عندي يوماً الفضل اليزيدي والبحتري وأبو العيناء ، فجلس الفضل يلقي على بعض فتياننا نحواً ، فقال له أبو العيناء : هذا بابي وباب الوالدة حفظها الله[1] ، فغضب الفضل وانصرف . وخرج البحتري إلى سامرا من بغداد وكتب إليّ شعراً أوله[2] :

ذكرتنيك روحةٌ للشمولِ

وهجا فيها الفضل فقال :

جُلُّ ما عنده التردُّد[3] في الفا ... عل من والديه والمفعولِ

896 ـ ترجمة ابن الرائض في الوافي للصفدي (خ) وتاريخ الذهبي (601 ـ 610) ص : 306 ـ 307 .

897 ـ ترجمة الفضل اليزيدي في الفهرست: 56 (وانظر ص: 158 أيضاً) ومعجم المرزباني: 186 وطبقات الزبيدي: 86 وإنباه الرواة 3 : 7 والوافي للصفدي (خ) وبغية الوعاة 2 : 246 .

(1) في القصة حذف ، يظهر بعد أسطر .

(2) ديوان البحتري 3 : 1815 وعجز البيت : أوقدت غلتي وهاجت غليلي .

(3) الديوان : التعمّق .

قال إبراهيم : فأمرت أن يكتب جواب الكتاب ويوجه إليه بمائة دينار ، ودخل أبو العيناء فأقرأته الشعر فقال : أعطني نصفَ المائة فانه هجاه والله بكلامي فأخذ خمسين ، ووجهت إلى البحتري بخمسين وعرَّفته الخبر ، فكتب إليَّ ، صدق والله ما بنيتُ أبياتي إلا على معناه .

وحدث المرزباني في « كتاب المعجم » قال : كتب الفضل بن محمد بن أبي محمد اليزيدي إلى أبي صالح ابن يزداد، وكان يداعبه وجرت بينهما جفوة :

آسْتَحي مِن نفسكَ في هجري ... واعرفْ بنفسي أنت لي قدري
واذكر دخولي لكَ في كلٍّ ما ... يجملُ أو يقبح من أمرِ
قد مرَّ شهران ولم ألقكم ... لا صبرَ لي أكثرَ من شهرِ

وحدث ابن ناقيا في « كتاب ملح الممالحة » قال ، قال الفضل بن محمد اليزيدي : كان محمد بن نصر بن منصور بن بسام الكاتب أسرى منزلاً وآلةً وطعاماً وعبيداً ، وكان ناقصَ الأدب ، وكنت أختلفُ إلى ولده وولد عبد الله بن إسحاق بن إبراهيم ليقرءوا عليَّ الأشعار ، وكان عبد اللّه بن إسحاق سرياً جاهلاً ، فدخلتُ يوماً والستارةُ مضروبة ومحمد بن بسام وعبد الله بن إسحاق يشربان وأولادهما بين أيديهما وكانوا قد تأدبوا وفهموا ، فغنِّيَ بشعر جرير :

ألا حيِّ الديارَ بِسُعْدَ إني ... أحبُّ لحبِّ فاطمةَ الديسارا

فقال عبد الله بن إسحاق : لولا جهلُ العرب ما كان ذكر لِسُعْدَ هاهنا ، فقال محمد بن بسام : لا تفعل يا أخي فانه يقوّي معدتهم ويصلح أسنانهم . قال الفضل اليزيدي فقال لي علي بن محمد بن نصر : باللّه يا أستاذ اصفعهما وابدأ بأبي .

قال المؤلف : أراد بسعد هاهنا اسمَ موضع معروف .

وكتب الحمدوني إلى الفضل :

يا أبا العباس إنا ... في نعيمٍ وسرورِ
ولدينا أسعدُ الأمّـ ... ـةِ في كلِّ الأمورِ
ما لنا عيبٌ سوى بُعْـ ... ـدِكَ فامننْ بحضورِ

فأجابه : سمعنا وأطعنا .

ـ 898 ـ

الفضل بن محمد بن علي بن الفضل القصباني ، أبو القاسم النحوي البصري : كان واسعَ العلم غزيرَ الفضل اماماً في علم العربية ، وإليه كانت الرحلة في زمانه ، وكان مقيماً بالبصرة ، مات في سنة أربع وأربعين وأربعمائة في أيام القائم ، وأخذ عنه أبو زكرياء يحيى بن التبريزي وأبو محمد الحريري . وله تصانيف : منها كتاب في النحو . وكتاب في حواشي الصحاح . وكتاب الأمالي . وكتاب في أشعار العرب ومختارها كبير وسمه بالصفوة .

قال القاسم بن محمد بن الحريري صاحب المقامات : أنشدنا شيخنا أبو القاسم القصباني النحوي لنفسه :

في الناسِ من لا يرتجى نَفْعُهُ إلا إذا مُسَّ بـاضـرارِ
كـالعودِ لا يُطْمَـعُ في ريحه إلا إذا أُحْـرِقَ بـالـنـارِ

898 ـ ترجمته في إنباه الرواة 3 : 9 والوافي للصفدي (خ) وبغية الوعاة 2 : 246 والبلغة : 184 .

حرف القاف

****

ـ 899 ـ

قابوس بن وشمكير بن زيار الديلمي الملقب بشمس المعالي: من الملوك، وكان صاحبَ جرجان وطبرستان، وكان أبوه وشمكير وعمه مرداويج ملوك الري واصبهان وتلك النواحي، لأن أول من ملك من الديلم ليلى بن النعمان فاستولى على نيسابور في أيام نصر بن أحمد الساماني، وقام بعده أسفار بن شيرويه، وكان مرداويج بن زيار أحد قواده، فخرج عليه فحاربه فظفر به مرداويج فقتله وملك مكانه، وعمل لنفسه سريراً من ذهب فجلس عليه، واشترى عبيداً كثيرة من الأتراك، وجعل يقول: أنا سليمان وهؤلاء الشياطين، وكان فيه ظلم وجبروت فدخل عليه غلمانه الأتراك فقتلوه في الحمام. وكان بنو بويه من أتباعه فولاهم ولاية استظهروا بها عليه وحاربوه حتى ملكوا.

وأما هو فلما مات ولّت الديلم عليهم أخاه وشمكير، فاستولى على جرجان وطبرستان، ودامت الحرب بينه وبين ركن الدولة أبي علي ابن بويه نيفاً وعشرين سنة، وركب في آخر أيامه فرساً له فعارضه خنزير فشبَّ به الفرس وهو غافل عنه فسقط على دماغه فهلك. وكتب ابن العميد عن ركن الدولة كتاباً يقول فيه: الحمد لله الذي أغنانا بالوحوش، عن الجيوش.

---

899 ـ ترجمة قابوس وأخباره في كتب التاريخ مثل ذيل تجارب الأمم وابن الأثير والعتبي وابن العبري وانظر المنتظم 7: 264 وابن خلكان 4: 79 ويتيمة الدهر 4: 59 والنجوم الزاهرة 4: 233 والوافي للصفدي (خ). وانظر الحكاية رقم: 13 في الباب 44 ورقم 16 في الباب العشرين ورقم 38 في الباب الثاني والأربعين من كتاب قابوسنامه تأليف حفيده عنصر المعالي بن إسكندر بن قابوس.

وقام بعده ابنه أبو منصور بهستون بن وشمكير مقامه وتوفي سنة سبع وستين وثلاثمائة ، وكان عضد الدولة أبو شجاع فناخسرو بن ركن الدولة أبي علي زوج ابنة بهستون ، فنفذ معزّ الدولة إلى المطيع وسأله أن ينفذَ إليه الخلعَ والعهدَ على جرجان وطبرستان ففعل ذلك ولقبه ظهير الدولة ، ووصله ما نفذ إليه في جمادى الأولى سنة ستين وثلاثمائة ، فزين بلاده للرسول ونزل عن سريره عند وصول الخلع إليه ونثر عليه النثارَ العظيم ، ونفذ للمطيع لله في جواب اللقب ستين ألف دينار عيناً وغير ذلك من الثياب والخيل .

ولما توفي خلف أخوه قابوس بن وشمكير ، ونفذ إليه الطائع لله الخلعَ والعهدَ على طبرستان وجرجان ، ولقبه شمس المعالي ، وكان فاضلاً أديباً مترسلاً شاعراً ظريفاً ، وله رسائل بأيدي الناس يتداولونها ، وكان بينه وبين الصاحب ابن عباد مكاتبة . مات سنة ثلاث وأربعمائة ، وكان فيه عسف وشدة ، فسئمه عسكره فتغيروا عليه وحسَّنوا لابنه منوجهر حتى قبض على أبيه ، وقالوا له : إن لم تقبض أنت عليه وإلا قتلناه ، وإذا قتلناه فلا نأمنك على نفوسنا فنحتاج أن نُلْحِقَكَ به ، فوثب عليه وقبض عليه وسجنه في القلعة ومنعه ما يتدثر به في شدة البرد ، فجعل يصيح : أعطوني ولو جُلَّ دابة ، حتى هلك ، وكان حكم على نفسه في النجوم أن منيته على يد ولده ، فأبعد ابنه دارا لما كان يراه من عقوقه ، وقرَّب ابنه منوجهر لما رأى من طاعته ، وكانت منيته بسببه ، ثم إن منوجهر قتل قتلته وكانوا ستة تواطأوا عليه ، فقتل خمسة وهربَ السادس إلى خراسان ، فقبضه محمود بن سبكتكين وحمله إليه وقال له : إنما فعلتُ هذا لئلا يتجرأ أحد على قتل الملوك ، فقتل الآخر .

ثم مات منوجهر سنة ثلاث وعشرين وأربعمائة فقام ابنه انوشروان بن منوجهر مقامه ، وتوفي انوشروان سنة خمس وثلاثين وأربعمائة .

ثم ولي ابنه حسان بن أنوشروان .

ومن شعر قابوس بن وشمكير[1] :

(1) اليتيمة 4 : 61 .

خطراتُ ذكرك تستثيرُ صبابتي[1] فـأحسّ منهـا في الفؤاد دبيبـا
لا عضــوَ لي إلا وفيـه صبـابتي فكـأنَّ أعضــائي خُلِقْـنَ قلوبـا

ومن رسائله ما كتب به إلى بعض إخوانه : كتبتُ ، أطال الله بقاءَ مولاي ، وما في جسمي جارحةٌ إلا وهي تودّ لو كانت يداً تكاتبه ، ولساناً يخاطبه ، وعيناً تراقبه ، وقريحةً تعاتبه ، بنفسٍ ولهى ، وبصيرة وَرْهَى ، وعين عَبْرَىٰ ، وكبد حَرَّى ، منازعةً إلى ما يقرّب منه ، وتمسكاً بما يتصل عنه ، ومثابرةً على أمل هو غايته ، وتعلقاً بحبل عهدٍ هو نهايته ، وخاطري يميل نحوه ، ونفسي تأملُ دنوَّه ، وترجو وتقول أتراه ، بل لعله وعساه ، يرقّ لنفس قد تصاعد نَفَسها ، ويرحم روحاً قد فارقها روحها ومؤنسها ، وكيف بقلبه لو عاين صورةً هذه صورتها ، وشاهد مهجةً هذه جملتها ، فليرفق جُعِلْتُ فداه بمن عاند برحاً عظيماً ، وكابد قَرْحاً أليماً ، وليرقّ لكبد قذفها البعاد ، وعينٍ أرّقها السهاد ، وأحشاءٍ محرقة بنار الفراق ، وأجفان مقروحةٍ بدمعها المهراق ، وقلب في أوصابه متقلّب ، ولب في عذابه معذّب ، فلو أني أُسْعِدْتُ فأُعطيتُ الرضى ، وخيرت فاخترت المنى ، لتمنيتُ أن أتصوَّر صورتك ، وأطالعَ طلعتك ، وأمثّل لها مثالي لتراه ، فأخبرَها بِكُنْهِ حالي ومعناه ، لترفق لازالة ما أزلَّه الدهرُ إليَّ ، ولتتلطف لإماطةِ ما أماطه عليَّ ، وأشكو بعضَ ما نابني من نوائبه وغوائله ، وأطلقني من أشراكه وحبائله .

وكان قد تمت عليه نكبةٌ أخرجته من مقرِّ عزه وموطن ملكه ، فشتته عن الأوطانِ وألحقته بخراسان ، فأقام بها برهةً من الزمان إلى أن أسفر صُبْحُهُ ، وفاز بعد الخيبة قِدْحُهُ ، وتحرج الزمانُ من جوره عليه ، فردَّ ملكه إليه ، فقال في حال نكبته[2] :

قـل للذي بصروفِ الـدهرِ عيَّـرنـا هل عانـد الدهـرَ إلا مَنْ له خَـطَرُ
أمـا ترى البحـرَ يطفـو فوقـه جيفٌ ويستقــرُّ بــأقصـى قعـرِهِ الــدررُ
فان تكنْ عبثت[3] أيدي الزمانِ بنا ونــالنـا من تـأذي بؤسِــهِ ضــررُ

(1) اليتيمة : مودتي .
(2) يتيمة الدهر 4 : 61 .
(3) اليتيمة : نشبت .

ففي السماءِ نجومٌ غيرُ ذي عددٍ وليس يُكْسَفُ إلا الشمسُ والقمرُ

أما البيت الثاني فأخذه من قول ابن الرومي[1] :

دهرٌ علا قَدْرُ الوضيع به وغدا الشريفُ يحطُّهُ شَرَفُهْ
كالبحر يرسبُ فيه لؤلؤه سفلاً ويعلو فوقه جيفهْ

وقوله « وفي السماء نجوم » مأخوذ من قول أبي تمام[2] :

إن الرياح إذا ما أعصفت قَصَفَتْ عيدانَ نخلٍ[3] ولا يعبأنَ بالرتمِ
بناتُ نعشٍ ونعشٌ لا كسوفَ لها والشمسُ والبدر منها الدهرَ في الرقمِ[4]

وكتب شمس المعالي قابوس إلى عضد الدولة وقد أهدى له سبعة أقلام :

قد بعثنا إليك سبعةَ أقلا مٍ لها في البهاءِ حظّ عظيمُ
مرهفاتٌ كأنها ألسنُ الحيـ ـاتِ قد جاز حدَّها التقويمُ
وتفاءلتُ أن ستحوي الأقالـ ـيمَ بها كلُّ واحدٍ إقليمُ

وهذا يشبه قول ابن الصابىء وقد ذكر في بابه .

قال مؤلف الكتاب : وكنت في سنة سبع وستمائة قد توجهت إلى الشام وفي صحبتي كتب من كتب العلم أتجر فيها ، وكان في جملتها « كتاب صور الأقاليم » للبلخي - نسخة رائقة مليحة الخط والتصوير ، فقلت في نفسي : لو كانت هذه النسخة لمن يجتدي بها بعض الملوك ويكتب معها هذه الأبيات (وقلتها ارتجالاً) لكان حسناً ، والأبيات في معنى أبيات قابوس ، ولم أكن شهد الله وقعتُ عليها ولا سمعتها ، وهي :

ولما رأيتُ الدهرَ جار ولم أجدْ من الناس من يُعْدِي على الدهرِ عدواكا
ركبتُ الفلا يحدو بيَ الأملُ الذي يُدَنّي على بُعْدِ التنائف مثواكا

(1) اليتيمة (نفسه) والمختار من شعر بشار : 259 وديوانه 4 : 1571 .
(2) ديوان أبي تمام 3 : 280 .
(3) الديوان : عيدان نجد .
(4) الرقم : الداهية .

ورمتُ بأن أُهدي إليكَ هديةً ... فلم أر ما يهديه مثلي لشرواكا
فجئتك بالأرضين جمعاً تفاؤلاً ... لعلمي بأنّ الفالَ رائدُ عقباكا
فخذ هذه واستخدم الفلكَ الذي ... بَرَاهُ إلهي كي يدورَ ببغياكا

ثم إنني بعت النسخة من الملك الظاهر غازي بن صلاح الدين يوسف بن أيوب صاحب حلب بتخيير المشتري من غير مكسب ، وَجَرَتْ لي فيها قصةٌ طريفة أنزّهُ هذا السلطان عن ذكرها ، فانه وإن كان الحظّ حرمني فانه جوادٌ عند غيري .

وكان السبب في خروج قابوس عن دار ملكه ولحوقه بخراسان أنّ عضد الدولة أبا شجاع فنّاخسرو نقم على أخيه فخر الدولة أبي الحسن علي بن الحسن بن بويه أمراً خالفه فيه فخر الدولة ، فقصده عضد الدولة إلى همذان ، وكان مالكها وما والاها ، فهرب منه حتى لحق بجبال طبرستان ، فتلقاه قابوس وأكرم مثواه وأنزله عنده وآواه ، فأنفذ عضد الدولة إلى أخيه الآخر الملقب بأمير الأمراء مؤيد الدولة [بالمسير] نحوهما ، فانحازا عنه ، وذلك سنة احدى وسبعين ، وبعثا إلى أبي الحسن محمد بن إبراهيم بن سيمجور ، وكان يتولى إمارةَ نيسابور وما دون جيحون من قبل السديد أبي صالح منصور بن نوح الساماني ، يستجديانه ويستعينانه ، فوعدهما وأبطأ عليهما لانحلال الأحوال بخراسان لاختلاف الأيدي بها ، فسارا هاربَيْنِ حتى وردا نيسابور ومنها إلى بخارى ، فأرسل صاحب بخارى معهما جيشاً صحبة تاش الحاجب وولّاه نيسابور ، فلم يصنع معهما شيئاً ، وقال قابوس في تلك الحال :

لئن زال أملاكي وفات ذخائري ... وأصبح جمعي في ضمانِ التفرقِ
فقد بقيتْ لي همةٌ ما وراءها ... منالٌ لراجٍ أو بلوغٌ لمرتقي
ولي نَفْسُ حرٍّ تأنفُ الضيم مركباً ... وتكرهُ وِرْدَ المنهلِ المترنقِ(1)
فان تلفتْ نفسي فلله درُّها ... وإن بلغتْ ما ترتجيه فأخْلِقِ
ومن لم يردني والمسالكُ جمةٌ ... فأيّ طريقٍ شاء فليتطرقِ

---

(1) م : المتدفق ، وما أثبته اقتراح من المحقق .

وله :

بـالله لا تنهضي يا دولـةَ السِّفَلِ ... وقصّري فَضْلَ ما أرخيتِ من طِوَلِ
أسرفتِ فاقتصدي جاوزتِ فانصرفي ... عن التهـوّرِ ثم امشي على مَهَـلِ
مخـدَّمـون ولم تُخْـدَمْ أوائلهـم ... مخـوَّلـون وكـانـوا أرذلَ الخـول

فأما أبو الحسن علي بن بويه فإنه لما مات أخوه في سنة ثلاث وسبعين استدعاه ابن عباد وأقامه مقام أخيه ، وأما قابوس فإنه لما تطاولت مدته ولم ير عند السامانية ناصراً قصد أطرافَ بلاده ، فتجمعت إليه الجيوش وعاد إلى بـلاده وقاتـل المستولي عليها حتى عاد إلى سرير ملكه بعد ثماني عشرة سنة .

وذكر أبو الريحان محمد بن أحمد البيروني في رسالة له سماها « التعلل بإجالة الوهم في معاني منظوم أولي الفضل »[1] قال : وكنت أستحسنُ من شمس المعالي قـابوس إعـراضه عن إنشـاد مدائحـه في وجهه وبين يـديه ، وكـان يـطلق للشعـراء المجتمعين على بـابه في النيـروز والمهرجـان مقداراً من البـرّ ، ويرسم لأبي الليث الطبري توزيعَهُ عليهم بحسب رتبهم ، فإنهم قومٌ مستميحون بما يتفاضلون فيه ، لكني لا أستجيز سماعَ أكاذيبهم التي أعرفُ من نفسي خلافَها وأتحرز بذلك من الاستغبان .

ولقـابوس فصـل يعزِّي : حَشْـوُ هذا الـدهر ـ أطـال الله بقاء مـولاي ـ أحزان وهموم ، وصفوه من غير كَدَرٍ معـدوم ، فما أولاه ـ أيـده الله ـ بأن يتـأمل أحـواله ، ويستشفَّ ضروبَهُ وأحكامه ، فإن وجد أحداً سلم من وَجْدٍ أو عَرِيَ من فقد لقي خلاف المعهود ، وحقَّ له التأسي على المفقود ، وإن علم أن الخلق فيه شَرَع ، وأن الباقي للماضي تبع ، قدَّم من السلوة والصبر ، ما لا بدَّ من المصير إليه آخر الأمر ، ليحصل له الثواب والأجر ، والسلام .

قال أبو حيان ، قال لي البديهي : مدحت وشمكير بمدائح فاحت رياها شرقاً وغرباً وبعداً وقرباً ، فما أثابني عليها إلا بشيء يسير ، وقصده بعض الأغتام من الجبال

---

(1) ينقل عنها أيضاً ابن العديم في بغية الطلب 1 : 36 .

فمدحه بقصيدةٍ ركيكة غير موزونة تعلُّقها بالهجاءِ أكثرُ من تعلقها بالمديح ، فأعطاه ما أغناه وأعقابه بعده ، فشكوت الى ابن ساسان ذلك فقال لي : إفراطُ العلم مضرٌّ بالجد ، والجدّ والعلم قلما يجتمعان ، والكدّ للعلم والجد للجهل ، وأنشأ يقول :

إن المقاديرَ إذا ساعدتْ ألحقتِ العاجزَ بالحازمِ

وللصاحب يهجو قابوس :

قد قبس القابساتِ قابوسُ ونجمه في السماءِ منحوسُ
وكيف يُرْجَى الفلاحُ من رجلٍ يكونُ في آخرِ اسمه بوس

فأجابه قابوس :

من رام أن يهجو أبا قاسمٍ فقد هجا كلَّ بني آدمِ
لأنه صُوِّرَ من مضغةٍ تجمعتْ من نُطَفِ العالم

قال أبو سعد الآبي في « تاريخه » : في شهر ربيع الآخر سنة ثلاث وأربعمائة كانت الأخبار تواترت بموت قابوس بن وشمكير ، ثم ورد الخبر بأنه لم يمت ولكنه نكب وأزيل عن الملك ، وذلك أنه كان قد أسرف في القتل وتجاوز الحد في سفك الدماء ، ولم يكن يعرفُ حدًا في التأديب وإقامة السياسة غيرَ ضرب الأعناق وإماتة الأنفس ، وكان يأتي ذلك في الأقرب فالأقرب والأخصّ فالأخص من الجند والحاشية ، حتى أفنى جميعهم وأتى على جلهم ، وأذل الخيل وأصناف العسكر للرعية وجرأهم عليهم ، ولم يتظلّم أحدٌ من أهل البلد من واحد من أكابر عسكره إلا قتله وأتى على نفسه من غير أن يتفحصَ عن الشكوى أصحيحةٌ أم باطلة ، فتبرم به عسكره وحاشيته وخافوا سطوته ولم يأمنوا ناحيته ، فمشى بعضهم إلى بعض وتمالأوا عليه وتعاهدوا وتحالفوا ، وخفي الأمر لأنه كان خرج إلى حصنٍ بناه وسماه شمراباذ ، وعزم القوم أن يتسلقوا عليه ويغتالوه ، وقد واطأهم على الأمر جميعُ من كان معه في الحصن ، فتعذّر عليهم الصعودُ إليه والهجومُ عليه ، وعلموا أنهم لو قد أصبحوا وقد عرف الخبر لم ينجُ منهم أحد ، فنعوه إلى الناس وذكروا أنه قد قضى نحبه ، فانتهبت اصطبلاته وسيقت دوابه وبغاله ، ولم يقدرْ هو على مفارقة الموضع لاعواز الظهور التي تحمل وتنقل عليها

خزائنه ، وكان عنده وزيره أبو العباس الغانمي ، فاتهمه بممالأة القوم فأوقع به وقتله . وخاطبَ العسكرُ من ذلك الموضع ومن جرجان منوجهرَ ، وكان إذ ذاك مقيماً بطبرستان ، فاستدعوه وكتبوا إليه بالحضور وأنه متى تأخر قدَّموا غيره ، فبادر إليهم فقلدوه الأمر ، وبلغ ذلك قابوس وقد تفرق عنه من غدر به ، فجمع أمراءَ الرستاق وفارق المكان ، وصحبه طائفة من العرب وغيرهم من الجند ، وخرج إلى بسطام مع خزائنه وأسبابه ، وتبعه منوجهر ابنه مع العسكر فحصره ، وامتنع هو عليه ، ثم أمكن من نفسه عند الضرورة ، فقبض عليه وحمل الى بعض القلاع . وتقرر أمر ابنه منوجهر وَلُقِّبَ بفلك المعالي ، وكان أبوه يلقب شمس المعالي ، ثم ورد الخبر في جمادى الآخرة بصحة موت قابوس ، وأقام التعزية في ممالكه عنه ، وكان موته في مجلسه بقلعة جاشك . وذكر أنه اغتيل وحمل تابوته إلى جرجان ودفن في مشهد عظيم كان بناه لنفسه وأنفق عليه الأموال العظيمة وبالغ في تحصينه وتحسينه .

ـ 900 ـ

القاسم بن أحمد بن الموفق أبو محمد الأندلسي اللورقي : يلقب علم الدين ، مولده فيما أخبرني عن نفسه في حدود سنة إحدى وستين وخمسمائة ، وهو إمام في العربية وعالم بالقرآن والقراءة ، اشتغل بالأندلس في صباه ، وأتعب نفسه حتى بلغ من العلم مناه ، فصار عيناً للزمان ينظر به إلى حقائق الفضائل ، فما من علم إلا وقد أخذ منه بأوفر نصيب وحصل منه على أعلى ذروة ، وكنت لقيته بمحروسة حلب في سنة ثماني عشرة وستمائة ففزت من لقائه بالأمنية ، واقتضبتُ من فوائده كلَّ فضيلةٍ شهية ، وحدثني أنه قرأ القرآن بمرسية من بلاد الأندلس على الشيخ أبي عبد الله

900 ـ ترجم له الصفدي في الوافي 2 : 102 باسم محمد بن أحمد بن الموفق بن جعفر ، وكنيته أبو القاسم ، وأحال على هذه الترجمة في باب « القاسم بن أحمد » وهو باسم القاسم في بغية الوعاة 2 : 250 وفي طبقات ابن الجزري 2 : 15 . (ويذكر الصفدي أنه توفي سنة احدى وستين وستمائة ودفن بمقابر باب توما بدمشق) وله أيضاً ترجمة في ذيل الروضتين : 227 وكرر المقري ترجمته في النفح 2 : 50 ، 137 (وفي الموضع الثاني نسب خطأً المريني وهو المرسي) وعقد الجمان (648 ـ 666) ص : 368 والبداية والنهاية 13 : 241 .

محمد بن سعيد بن محمد المرادي المرسي وعلى أبي الحسن علي بن يوسف بن الشريك الداني بمرسية ، وببلنسية على أبي عبد الله محمد بن أيوب بن محمد بن نوح الغافقي الفقيه وعلى الشيخ المقرىء أبي العباس أحمد بن علي بن محمد بن عون الله الأندلسي ، وقرأ النحو على أبي الحسن علي بن الشريك المذكور وابن نوح المذكور . ثم خرج الى مصر في سنة إحدى وستمائة ، فقرأ بها القرآن على الشيخ أبي الجود غياث بن فارس بن مكي اللخمي ، وبدمشق على الشيخ الامام تاج الدين أبي اليمن الكندي ـ قرأ عليه القرآن جميعه بكتاب « المبهج » تصنيف أبي محمد المقرىء وكتاب سيبويه وكثيراً من كتب الأدب ، وسمع منه أكثر سماعاته كـ « تاريخ الخطيب » « والحجة » و « أدب الكاتب » وغير ذلك ، وكان وروده إلى دمشق سنة ثلاث وستمائة ، وببغداد على الشيخ أبي البقاء الحسين بن عبد الله العكبراوي ، وسمع الحديث على جماعة منهم .

وأما معرفته بالفقه والأصول وعلوم الأوائل كالمنطق وغيره فهو الغاية فيه .

وله من التصانيف : كتاب شرح المفصل في عشر مجلدات . وكتاب في شرح قصيدة الشاطبي . وكتاب شرح مقدمة الجزولي مجلدان .

وأنشدني قال أنشدني تاج الدين أبو اليمن لنفسه رحمه الله :

تركتُ قيامي للصديق يزورني ... ولا عذرَ لي إلا الاطالةُ في عمري

ولو بلغوا من عشر تسعين نصفها ... تبيَّنَ في تركي القيامَ لهم عذري

ـ 901 ـ

القاسم بن إسماعيل أبو ذكوان الراوية : قال محمد بن إسحاق النديم : قال أبو سعيد يعني السيرافي : وقد كان في أيام المبرد جماعة نظروا في « كتاب سيبويه » ولم تكن لهم نباهته منهم أبو ذكوان القاسم بن إسماعيل . ولأبي ذكوان كتاب معاني

901 ـ ترجمة أبي ذكوان الراوية في أخبار النحويين البصريين : 80 والفهرست : 65 وإنباه الرواة 3 : 10 والوافي للصفدي (خ) وبغية الوعاة 2 : 251 وعنون الزبيدي له ترجمة (ص 183) ولم يترجم له .

الشعر رواه عنه ابن درستويه ، ووقع أبو ذكوان إلى سيراف[1] أيام الزنج ، وكان علامة أخبارياً قد لقي جماعةً من أهل العلم ، وكان التوزي زوج أم أبي ذكوان .

ـ 902 ـ

قاسم بن أصبغ بن محمد بن يوسف بن ناصح بن عطاء البياني أبو محمد ، مولى الوليد بن عبد الملك : إمام من أئمة العلم حافظ مكثر مصنف ، كان أصله من بيانه وسكن قرطبة وبها مات سنة أربعين وثلاثمائة عن سن عالية ، ويقال إنه لم يسمع منه شيء قبل موته بسنتين .

ذكره الحميدي فقال : سمع محمد بن وضاح ومحمد بن عبد السلام الخشني وجماعة ، ورحل فسمع إسماعيل بن إسحاق القاضي وأبا اسماعيل محمد بن إسماعيل الترمذي والحارث بن أبي أسامة وأبا قلابة الرقاشي وعبد الله بن مسلم بن قتيبة وأحمد بن زهير بن حرب وأبا بكر ابن أبي الدنيا وذكر جماعة ثم قال : وغيرهم .

وصنف كتباً منها : كتاب الحمر[2] ، وكتاب في أحكام القرآن على أبواب كتاب إسماعيل بن إسحاق القاضي . وكتاب المجتبى على أبواب كتاب ابن الجارود المنتقى ـ قال أبو محمد علي بن أحمد[3] : وهو خير منه انتقاء وأنقى حديثاً وأعلى سنداً وأكثر فائدة . وله كتاب في فضائل قريش . وكتاب في الناسخ والمنسوخ . وكتاب في غرائب حديث مالك بن أنس مما ليس في الموطأ . وكتاب في الأنساب في

902 ـ ترجمة قاسم بن أصبغ في ابن الفرضي 1 : 406 وجذوة المقتبس : 311 وبغية الملتمس رقم : 1298 وترتيب المدارك 5 : 180 وتذكرة الحفاظ : 853 وعبر الذهبي 2 : 254 وسير الذهبي 15 : 472 ومرآة الجنان 2 : 333 والديباج المذهب 2 : 145 والوافي للصفدي (خ) ولسان الميزان 4 : 458 وطبقات الحفاظ : 352 وبغية الوعاة 2 : 251 والشذرات 2 : 357 .

(1) م : السيرافي ـ وهو خطأ واضح .
(2) هكذا ورد هنا ، وفي الوافي وبغية الوعاة : كتاب الخمر ، وأحسبه خطأ ، ولعله : كتابه « المخرج » على كتاب أبي داود ، ولم يذكره الحميدي .
(3) هذه هي رواية ابن حزم التي ينقلها الحميدي ، وأصلها في رسالته في فضل الأندلس (رسائل ابن حزم 3 : 179) .

غاية الحسن والايعاب . وكان من الثقة والجلالة بحيث اشتهر أمره وانتشر ذكره وروى عنه جماعة من أهل بلده وغيرهم .

ـ 903 ـ

قاسم بن ثابت السرقسطي : ذكره الحميدي فقال : هو مؤلف كتاب غريب الحديث[1] رواه عنه ابنه ثابت وله فيه زيادات وهو كتاب حسن مشهور ، وذكره أبو محمد علي بن أحمد وأثنى عليه وقال : ما شآه أبو عبيد إلا بتقدم العصر .

ـ 904 ـ

القاسم بن الحسين بن محمد أبو محمد الخوارزمي : صدر الأفاضل حقاً ، وواحد الدهر في علم العربية صدقاً ، ذو الخاطر الوقاد ، والطبع النقاد ، والقريحة الحاذقة ، والنحيزة الصادقة . برع في علم الأدب ، وفاق في نظم الشعر وَنَثْرِ الخطب ، فهو إنسانُ عينِ الزمان ، وغرة جبهة هذا الأوان .

سألته عن مولده فقال : مولدي في الليلة التاسعة من شعبان سنة خمس وخمسين وخمسمائة ، وحضرت في منزله بخوارزم فرأيت منه صدراً يملأ الصدر ذا بهجة سنية ، وأخلاقٍ هنية ، وبشر طلق ، ولسان ذلق ، فملأ قلبي وصدري ، وأعجز وصفه نظمي ونثري ، واستنشدته من قبله فأنشدني لنفسه بمنزله في خوارزم في سلخ ذي القعدة سنة ست عشرة وستمائة :

---

903 ـ ترجمته في ابن الفرضي 1 : 402 وجذوة المقتبس : 312 (وبغية الملتمس رقم : 1300) وطبقات الزبيدي : 284 (في ترجمة أبيه ثابت) وإنباه الرواة 3 : 12 وفهرسة ابن خير : 191 ـ 194 والديباج المذهب 2 : 141 والوافي للصفدي (خ) وبغية الوعاة 2 : 252 وانظر أيضاً رسائل ابن حزم 2 : 180 وترجمة ثابت في سير الذهبي 14 : 562 فقد ترجم له في درجها ، وكذلك ترتيب المدارك 5 : 249 (وكانت وفاته بسرقسطة سنة : 302) .

904 ـ له ترجمة في الوافي للصفدي (خ) وفيه اعتماد على ياقوت ؛ وانظر بغية الوعاة 2 : 252 ـ 253 .

---

(1) هو المسمّى بكتاب الدلائل مما لم يذكره أبو عبيد ولا ابن قتيبة (في غريب الحديث) وكان القالي يقول فيه : ما أعلم وضع في الأندلس مثل كتاب الدلائل وانظر ما كتبه الدكتور الفحام عنه (مطبوعات المجمع : 1976) .

يا زمرةَ الشعراء دعوةَ ناصحٍ لا تأملوا عند الكرام سماحا
إن الكرامَ بأسرهم قد أغلقوا بابَ السماح وضيَّعوا المفتاحا

ورأيته شيخاً بهيَّ المنظر حسنَ الشيبة كبيرها سميناً بديناً عاجزاً عن الحركة ، وكان له في حلقه حوصلة كبيرة ، وقلت له : ما مذهبك ؟ فقال : حنفي ، ولكن لست خوارزمياً ، لست خوارزمياً ، يكررها ، إنما اشتغلت ببخارى فأرى رأيَ أهلها ، نفى عن نفسه أن يكون معتزلياً ، رحمه الله .

قال : وسألني قاضي القضاة بخوارزم أن أنشىء له أبياتاً يكتبها على جدرانِ دارٍ استحدث بناءها فقلت :

من كان يفخرُ بالبنيانِ والشُّرَفِ فليس فخري بغيرِ المجدِ والشَّرَفِ
ما قيمةُ الدار لولا فضلُ ساكنِها وأيّ وزنٍ بدون الدرِّ للصدف
إن كان يعجبني خُشْبٌ مُسَنَّدةٌ فلستُ أكرمَ نجلٍ من بني خلف
قد صحَّ لي باتفاق الناسِ كلهم روايةُ العدلِ والانصافِ عن سلفي
إني لمن معشرٍ كانت معايشهم بالقصدِ أما عطاياهم فبالسرف
قومٌ متى طلعت ليلاً مآثرهم رأيتَ بدرَ الدجى في زيٍّ منخسف
بدولة الملكِ الميمونِ طائرُهُ أنّى توجهتُ فالإقبال مكتنفي

وأنشدني لنفسه :

أيا سائلي عن كُنْهِ علياه إنه لأُعطيَ ما لم يُعْطَهُ الثقلانِ
فمن يَرَهُ في منزلٍ فكأنما رأى كلَّ إنسانٍ وكلَّ مكان

وأنشدني لنفسه في أبناء شيخ الإسلام الرستاني ، ورستان من قرى مرغينان ، ومرغينان من بلاد فرغانة :

فديتُ إماماً صيغ من عزةِ النفسِ أناملُهُ والسحبُ نوعانِ من جنسِ
أشدَّ ارتياحاً نحو طلعةِ معتفٍ من المفلس الخاوي اليدين إلى الفلس
وأفْقَهُ في تدريسه من محمدٍ وأجودُ من كعبٍ وأخطبُ من قس

مـنـاقـبُ لـو أنّ الـحـرابـيَّ مـرةً ... بصرن بها استنكفن عن خدمةِ الشمس
ويغـدو على طِـرْفٍ من الشقـر كلمـا ... رأتـه إمـاءُ الـحـيِّ وافـتّـدُ لـلقـبس
على سـابحٍ من خلقةِ الـوهم طـالـعٍ ... وأهـونُ شـيءٍ عـنـده دَرَكُ الأمس
فـتى سـاومتـه خلقـه وهـو فـاغـمٌ ... ولا فغمـة المسـكِ الخـرائـد للعـرس
لـه الصفـوُ من ودي وإخـوتـه الألى ... غَـدَوْا من سهام الـزيغ للدين كـالترس
لفتيـانِ صدقٍ مـا اقْتَنَوْا طـولَ عمـرهم ... سوى البحثِ والافتاءِ والـوعظِ والدرس
لأربعـةٍ شـادوا الهـدى بعـد شيخهم ... فقـد بُنِيَ الاسـلام منهم على خمس
بـنـورٍ إلـهـيٍّ عـليـهـمْ وزهـدِهِـمْ ... وعـلمهـمُ أضحـوا مـلائكـةَ الانس
فعـاشـوا لتـرشيـح الهـدى ويـراعهم ... بصائبـة الاحكـام يقـطرُ في الـطرس

وقال بعض الفضلاء الخراسانية في الامام صدر الأفاضل يمدحه :

إن للعـالمين فـخـراً وزينـاً ... وجمـالاً يجـلُّ عن كـلِّ شَيْنِ
بـفتـىً وافـرِ العـلوم نَقَـابٍ ... مـثله مـا رأيتُ قطّ بعـينـي
ليس ذاك الفـتى الـمبـرّز إلا ... أفضل الناس قاسم بن الحسين

وحدثني صدر الأفـاضل [قـال] ، قال بعض الفضـلاء العراقيـة فيّ وهو من أصحابي :

يـقـولـون إنّ الأصـمـعيَّ لـبـارعٌ ... وبـالنحـو والآداب والـشعـرِ عـالـمُ
كـذا ابنُ دريـدٍ والخـليـلُ وجـاحظٌ ... وكـلٌّ لـدرِّ العلم والـفضـلِ نـاظـم
فقلتُ أجلْ قد جَـلَّ في الناس شأنهم ... وأفضـلُ منهم صَدْرُ خـوارزمَ قـاسم[1]

وأنشدني صدر الأفاضل لنفسه :

أتحمـلُ منّي نحو ذيّـالِـكَ الـرَّشَـا ... سـلاماً كصـدغيه وحـالي مُشَـوَّشـا
وإني لوجدي أستضيءُ لدى الحمى ... بشعلةِ أنفـاسي إذا الليـلُ أغـطشـا
ويـرحمني العـذّالُ حتى يقـول لي ... أمَـوْقِـدُ نـارٍ بين جنبيـك أم حشـا

(1) اقرأ : خارزم (باللفظ الأصلي) ليصحّ الوزن .

وهـل تـردُ الجـرعـاءَ مني بجنّـةٍ على طرفيها رونقُ العهـدِ قد مشى
وإنيَ قـد كَتَّمْتُ سـرّي وإنـمـا بـرغميَ صَوْبُ المـدمعين به فشـا
كما أن صدر الشرق أخفى سخاءه ولكنـه بِشْـرُ الجـبيـنِ بـه وشى
متى جُحِـدتْ نُعماه أنهض جـودُهُ شهوداً من الإحسان لا تقبلُ الرشا
وإن هـزَّه الإطـراءُ ثم تبـجسـت أيـاديـه لم يسكـرْ لـه فقـد انتشى
أيلحقـه الـوهمُ القـطوفُ إذا سعى لإدراكِ غـايـاتِ العـلا متكمشـا
لـك المنهل المسكيُّ مـا زال نَقْعُهُ يعلّلُ صـلاّ في يمينـك أرقـشـا
فيلفظ في منسـابـه من لـعـابـه حتوفاً وأرزاقـاً على حسب ما تشـا

وهي أطول من هذا .

وحدثني الإمام صدر الأفاضـل قال : كتب إليّ الصـوفي المعروف بـالصواب يسألني عن بيت حسان بن ثابت وهو :

فمن يهجـو رسـولَ اللّه منكم ويمـدحـهُ وينصـرُهُ سَـواءُ

وقولِهِمْ بأن فيه ثلاثة عشر مرفوعاً فأجبته :

أفـدي إمامـاً وميضُ البـرقِ منصـرعٌ من خلف خاطره الـوقّادِ حين خـطا
يبغي الصـوابَ لـدينـا من مَباحِثِـهِ أما درى أنّ ما يعـدو الصوابَ خـطا

الذي يحضرني في هذا البيت من المرفوعات اثنا عشر فمنها قوله فمن يهجو فيه ثلاثة مرفوعات المبتدأ والفعل المضارع والضمير المستكن ، ومنها المبتدأ المقدر في قوله ويمدحه ، المعنى ومن يمـدحه فيكـون هاهنـا على حسب المثال الأول ثـلاثة مرفوعات أيضاً ، ومنها المرفوعان في قوله وينصره أحدهما الفعل المضـارع والثاني الضمير المستكن ، ومنها المرفوعات الأربعة في قوله سواء ، اثنان من حيث أنه في مقام الخبرين للمبتدأين واثنان آخران من حيث أن في كلّ واحد ضميراً راجعـاً إلى المبتدأ ، فهذا يا سيدي جهد المقل ، وغير مرجوّ قطع المدى من الكلّ ، فليعذرني سيدي ـ قبل الله معاذيره ـ من المرفوع الثالث عشر ، فإنه لعمري قد استكنَّ واستتر

حتى لا أعرف له عيناً، وكيف يعرف له وجار وقد صار أغرب من العنقاء، وأشد عوزاً من الوفاء .

وأنشدني صدر الأفاضل لنفسه :

سرى ناشداً أنسي قضيبٌ من الآسِ فناولني الصهباءَ والشهدَ في كاسِ
وأرشدني وهناً لتقبيلِ خاله وميضُ ثناياه وشعلةُ أنفاسي
ولو لم يكن يُلْقي على جمرِ خدِّهِ من الطرَّةِ السوداءِ ظُلَّةَ أنقاسِ
إذن لأضاء الليلَ حتى انجلت لنا هواجسُ تخفيهن أفئدة الناس

وكتب الإمام صدر الأفاضل إلى بعض أصدقائه : كتابي إلى المجلس الرفيع جمال الحرمين إمام الفريقين يديم الله رفعته ثم يديم ، وينيم عنه طوارقَ الحدثان ثم ينيم ، وأنا إليه كالصادي إلى قعقعة الحمد ، وبجماله [مشغوف] كهو بجمال المجد ، لا أروي إلا عن فضله وأفضاله ، ولا أرتوي إلا من وِرْدِهِ وزلاله ، ولا أتحسر إلا على ليال وشيتها بجواره ، ثم طرزتها بحواره :

إذا ذكرتها النفس باتت كأنها على حدّ سيفٍ بين جنبيّ يُنْتَضَى
تولَّى الصبا والمالكيةُ أعرضتْ وزال التصابي والشبابُ قد انقضى .

رفع اللَّه البين من البين ، حتى أرى نُضاره في قميصٍ من اللجين .

ومن إنشائه إلى الدار العزيزة ببغداد حرسها الله تعالى : راياتُ مولانا الصوّامِ القوّامِ أمير المؤمنين وإمام المتقين وخليفةِ ربّ العالمين ، الإمام الذي ليس للتابعين غيره إمام ، ولا دون عتبته متمسكٌ واعتصام ، هي التي لم أزل أدعو الله أن يعقد بعذَبَاتها النصر ، ويجعل من أشياعها الذئبَ والنسر ، تسايرها الآمال ، وتحل حيثما رفعت الآجال ، وتحتف بها الجدود ، وترفرف عليها السعود ، وهذا دعاءٌ لو سكتُّ كُفيته ، وأملٌ وإن لم أسأله فقد أُوتيته ، مُنَى العبدِ أن يسعى إلى المواقف المقدسة مَسْعَى القلم ، يحبو على رأسه لا على القدم ، ليشمَّ بثراها الثريّ ، لخلخة المسك الذكيّ ، ويعفّر بها جبينَهُ وأنفه ، ويجيلَ في مسارحِ الحمدِ طَرْفَه ، ويستلمَ عتبةً بها

التفّ الثقلان ، ودانت لها الأيام بعد جِران . لكن الحوادث قلما توافقه ، والأيام تشاكسه في ذلك وتضايقه ، وظني بأن الله سوف يديل[1] .

ولما ورد الرسم ـ اعلى نور الله به مشارقَ الأرض ومغاربها ـ تلقاه العبدُ بالتعظيم والاجلال ، ووضعه على قمة الامتثال ، وفضَّ ختامه عن الدرِّ المكنون ، بل أناسيِّ العيون ، وعن مشمولٍ من الروض مجنوب[2] ، وَكَلِمٍ على صفحاتِ الدهر مكتوب ، فما زالت أعضاؤه تودُّ أن تكونَ شفاهاً تقبله ، وخواطرَ تتأمله ، تمنياً يلذّ به المستهام ، ويحلو له الغرام . ثم استدعى الأرامل والأيامى فأعطاهم ، واستحضر المساكين واليتامى فأغناهم ، وأنحى على ما ملكت يمينه من العبيد والأسرى ، فأعتقهم وأطلقهم شكراً ، وسأل الله تعالى أن يديمَ أكناف العرصة الفيحاء ، مَرْتَعاً للعزَّةِ القعساء ، إن شاء الله تعالى :

سنا جبينك مهما لاح في الظُّلَمِ ... بتنا نطالعُ منه نسخةَ الكرمِ
إن يزرعِ الناسُ في أخلاقهم كرماً ... فالبذرُ من جودك الطنّانِ بالديم
تبدو على أشقرٍ خُضْرٍ حوافره ... بحراً يلاطم أمواجاً على ضَرَم
تشمُّ عندك صيدُ العجم لخلخةً ... من الرغام بآنافٍ من القمم
كادت لحبّك تأتي وهي ساعيةٌ ... على الرؤوسِ بدون الساقِ كالقلم
من ظنَّ غيرَ نظام الملك ذا كرم ... نادى به لؤمه «استسمنتَ ذا ورم»[3]

لما أنشدني هذا البيت قال لي : من نظام الملك ؟ قلت : أنت حرسك الله قائلُ الشعر تسألني عن ممدوحك ؟ فقال لي متبسماً : لستَ تعرفه ؟ قلت : لا والله ؛ قال : ولا أنا شهد الله أعرفه ، لأني ما تعرضتُ لمدح أحدٍ قط ، ولا رغبتُ في جداه ، ولا أعرف أحداً أفضل عليَّ إلا مرةً واحدةً فإن الغربة أحوجتني إليه ، فلعن اللّه الغربة . قلت له : وكيف ذلك ؟ قال : إني مضيت إلى بخارى طالباً للعلم وقاصداً للقراءة على الرضى ، فاجتمع إليّ أولاً صدرجهان وغيره ، فقد أنسيت القصة ، فلما حذقوا الأدب

(1) م : يريك ، وهو خطأ ، وهذا عجز بيت قد أنسيت صدره .
(2) المشمول : الذي هبت عليه الشمال والمجنوب الذي هبت عليه الجنوب .
(3) هذا يرد مورد المثل (سرح العيون : 332) .

برني بسبعين ديناراً ركنية ووعدني بوعودٍ جميلة ، ولولا الحاجةُ والغربةُ ما قبلتها منه ، ولقد عرض عليَّ الشهاب الحوقي[1] ، وهو أحد صدور خوارزم المتقربين من السلطان ، على أن ينصبَ لي منصباً ومجلساً بطراحةٍ سوداء إلى جانبه ويعطيني كل شهر عشرة دنانير لأقرأ الأدب فلم أفعل ، قلت : فمن أين مادة الحياة ؟ قال لي : خلَّفَتْ لي والدتي قدراً يسيراً لا يقنع بمثله إلا أصحاب الزوايا فأنا أنفقه بالميسور ، وأتلذذ بالغنى عن الجمهور ، وأنا أقول الشعرَ والنثرَ تطرباً لا تكسباً ، وأستعير اسماً لا أعرفه :

أفديكَ ذا منظرٍ بالبشرِ ملتحفٍ ... عن اليمينِ وللإقبالِ مبتسمِ
يدُ الجلال وَشَتْ في لوح جبهته ... «والناسُ من خَوَلي والدهر من خدمي»
ولو أنافَ على هام السها وطني ... لما لوتْ نحوه أجيادَهَا هممي
على الندى وقفتْ أيامه وعلى ... نشرِ المحامدِ منه ألسنُ الامم
ما جئتُ أخدمُهُ إلا وقد سحقت ... يد تلطفه عطراً من الشيم
زفَّ الندى نحوه بكراً مخدرةً ... لولاه زُفَّتْ إلى كُفءٍ[2] من العدم
يريه شعري نجومَ الليلِ طالعةً ... والنيرين معاً من مشرقِ الكلم
لا زال مثلَ هلالِ العيد حَضْرَتُهُ ... في الحسنِ واليمنِ والإقبال والشمم
وعاش للملك يحميه وينصرُهُ ... فالملك من دونه لحمٌ على وضم
ودام كاليمِّ للعافين ملتطماً ... بنانُهُ وهو مرشوفٌ بكل فم

وله من التصانيف : كتاب المجمرة في شرح المفصل صغير . وكتاب السبيكة في شرحه أيضاً وسط . وكتاب التجمير في شرح المفصل أيضاً بسيط . كتاب شرح سقط الزند . كتاب التوضيح في شرح المقامات . كتاب لهجة الشرع في شرح ألفاظ الفقه . كتاب شرح المفرد والمؤلف . كتاب شرح الأنموذج . كتاب شرح الأحاجي لجار الله . كتاب خلوة الرياحين في المحاضرات . كتاب عجائب النحو . كتاب السر

(1) كذا وردت النسبة ولعلها : « الخرقي » .
(2) م : كفن ، وهو خطأ .

في الاعراب . كتاب شرح الأبنية . كتاب الزوايا والخبايا في النحو . كتاب المحصل للمحصلة في البيان . كتاب عجالة السفر في الشعر . كتاب بدائع الملح . كتاب شرح اليميني للعتبي .

- 905 -

القاسم بن سلام أبو عبيد : كان أبوه رومياً مملوكاً لرجل من أهل هراة ، وكان أبو عبيد إمامَ أهلِ عصره في كلّ فن من العلم ، وولي قضاء طرسوس أيام ثابت بن نصر بن مالك ولم يزل معه ومع ولده . ومات سنة ثلاث عشرين ومائتين أو أربع وعشرين أيام المعتصم بمكة ، وكان قصدها مجاوراً في سنة أربع عشرة ومائتين ، وأقام بها حتى مات عن سبع وستين سنة . وأخذ أبو عبيد عن أبي زيد الأنصاري وأبي عبيدة معمر بن المثنى والأصمعي وأبي محمد اليزيدي وغيرهم من البصريين ، وأخذ عن ابن الأعرابي وأبي زياد الكلابي ويحيى بن سعيد الأموي وأبي عمرو الشيباني والفراء والكسائي من الكوفيين ، وروى الناس من كتبه المصنفة نيفاً وعشرين كتاباً في القرآن والفقه واللغة والحديث .

وقال أبو الطيب عبد الواحد بن علي اللغوي في « كتاب مراتب النحويين » : وأما أبو عبيد القاسم بن سلام فإنه مصنِّفٌ حَسَنُ التأليف ، إلا أنه قليلُ الرواية يقتطعه عن اللغة علومٌ افتنَّ فيها ، وأما كتابه المترجم بالغريب المصنف فإنه اعتمد فيه على كتاب عمله رجل من بني هاشم جمعه لنفسه ، وأخذ كتب الأصمعي فبوّب ما فيها وأضاف إليه شيئاً من علم أبي زيد الأنصاري وروايات عن الكوفيين ؛ وأما كتابه في غريب

905 - ترجمة أبي عبيد في المعارف: 549 وطبقات ابن سعد 7: 355 ومراتب النحويين: 93 وطبقات الزبيدي: 217 والفهرست: 78 وتاريخ بغداد 12: 403 وطبقات الشيرازي: 26 وطبقات الحنابلة 1: 259 ونزهة الالباء: 93 وإنباه الرواة 3: 12 وابن خلكان 4: 60 وتذكرة الحفاظ: 417 وعبر الذهبي 1: 392 وسير الذهبي 10: 490 وميزان الاعتدال 3: 371 ومرآة الجنان 2: 83 وطبقات السبكي 2: 153 والبداية والنهاية 10: 291 والعقد الثمين 7: 23 والوافي للصفدي (خ) وطبقات ابن الجزري 2: 17 وتهذيب التهذيب 8: 315 وبغية الوعاة 2: 253 والشذرات 2: 54 واشارة التعيين: 61 .

الحديث فإنه اعتمد فيه على كتاب أبي عبيدة في غريب الحديث ، وكذلك كتابه في غريب القرآن منتزع من كتاب أبي عبيدة ، وكان مع هذا ثقةً ورعاً لا بأس به ولا بعلمه ، [ولعله] سمع من أبي زيد شيئاً ، وقد أُخِذَتْ عليه مواضعُ في « غريب المصنف » . وكان ناقصَ العلم بالإعراب . وروي أنه قال : عملتُ كتابَ « غريب المصنف » في ثلاثين سنة ، وجئت به إلى عبد الله بن طاهر فأمر لي بألف دينار .

وذكره الجاحظ في « كتاب المعلمين » وقال : كان مؤدباً لم يكتب الناسُ أصحَّ من كتبه ولا أكثر فائدة ، وبلغنا أنه إذا ألف كتاباً حمله إلى عبد الله بن طاهر فيعطيه مالاً خطيراً ، فلما صنف « غريب الحديث » أهداه إليه فقال : إن عقلاً بعث صاحِبَهُ على عَمَلِ هذا الكتاب لحقيقٌ إلا يُحْوَجَ إلى طلب معاش ، وأجرى له في كل شهر عشرة آلاف درهم . وسمعه منه يحيى بن معين ، وكان ديناً ورعاً جواداً . وسير أبو دلف القاسم بن عيسى إلى عبد الله بن طاهر يستهدي منه أبا عبيد مدة شهرين فأنفذه ، فلما أراد الانصراف وصله أبو دلف بثلاثين ألف درهم فلم يقبلها وقال : أنا في جنبة رجل لا يحوجني إلى غيره ، فلما عاد أمر له ابن طاهر بثلاثين ألف دينار فاشترى بها سلاحاً وجعله للثغر . وخرج إلى مكة مجاوراً في سنة أربع عشرة ومائتين فأقام بها إلى أن مات في الوقت المقدم ذكره .

وقال إسحاق بن راهويه : يحب الله الحقّ ، أبو عبيد أعلم مني ومن أحمد بن حنبل ومن محمد بن إدريس الشافعي . قال : ولم يكن عنده ذاك البيان إلا أنه إذا وَضَعَ وَضَّح[1] .

ولما قدم أبو عبيد مكة وقضى حجه أراد الانصراف ، فاكترى إلى العراق ليخرج في صبيحة غد ، قال أبو عبيد : فرأيتُ النبيَّ ﷺ في النوم وهو جالسٌ على فراشه وقومٌ يحجبونه والناسُ يدخلون إليه ويسلّمون عليه ويصافحونه ، قال : فلما دنوتُ لأدخلَ مع الناس مُنِعْتُ ، فقلت لهم : لم لا تخلّون بيني وبين رسول اللّه ﷺ ؟ فقالوا : أي والله لا تدخل إليه ولا تسلم عليه وأنت خارجٌ غداً إلى العراق ، فقلت لهم : فإني لا أخرج إذن ، فاخذوا عهدي[2] ثم خَلَّوا بيني وبين رسول اللّه ﷺ ، فدخلتُ وسلمت

(1) م : وضع .

(2) م : عبدي ، والتصويب عن المصادر .

وصافحت ، فلما أُصبح فاسخَ كَرِيَّهُ وسكنَ مكةَ حتى مات بها ودفن في دور جعفر .

وقال عبد الله ابن طاهر : علماء الإسلام أربعة عبد الله بن عباس في زمانه ، والشعبي في زمانه ، والقاسم بن معن في زمانه ، وأبو عبيد القاسم بن سلام في زمانه ، ثم قال يرثيه :

يا طالبَ العلم قد ماتَ ابنُ سلّام وكان فارسَ علمٍ غيرَ محجام
كان الذي كان فيكم ربعَ أربعةٍ لم نلقَ مثلَهُمُ إستارَ أُحكام

استار أي أربعة .

وحدث أبو بكر الزبيدي قال ، قال علي بن عبد العزيز ، قال عبد الرحمن اللحنة صاحب أبي عبيد قال : قيل لأبي عبيد وقد اجتاز على دار رجل من أهل الحديث كان يكتبُ عنه الناسُ وكان يُزَنُّ بشرّ : إن صاحب هذه الدار يقول : أخطأ أبو عبيد في مائتي حرف من « المصنف » فقال أبو عبيد (ولم يقع في الرجل بشيء مما كان يعرف به) : في « المصنف » مائة ألف حرف فلو لم أخطىء في كل ألف حرف إلا حرفين ما هذا بكثير مما استدرك علينا ، ولعل صاحبنا هذا لو بدا لنا فناظرناه في هاتين المائتين بزعمه لوجدنا لها مخرجاً .

وحدث عن عباس الخياط قال : كنت مع أبي عبيد فاجتاز بدار إسحاق الموصلي فقال : ما أكثرَ علمه بالحديث والفقه والشعر مع عنايته بالعلوم ، فقلت له : إنه يذكرك بضدٍّ هذا ، قال : وما ذاك ؟ قلت : إنه يزعم أنك صحَّفت في « المصنف » نيفاً وعشرين حرفاً ، فقال : ما هذا بكثير ، في الكتاب عشرة آلاف حرف مسموعة يُغْلَط فيها بهذا اليسير ، لعلّي لو ناظرتُ فيها لاحتججتُ عنها ، ولم يذكر إسحاق إلا بخير .

قال الزبيدي : ولما اختلفت هاتان الروايتان في العدد امتحنت ذلك في المصنف فوجدت فيه سبعة عشر ألف حرف وتسعمائة وسبعين حرفاً .

وحدث موسى بن نجيح السلمي قال : جاء رجل إلى أبي عبيد القاسم بن سلام فسأله عن الرباب فقال : هو الذي يتدلى دون السحاب ، وأنشد لعبد الرحمن بن حسان :

كأنّ الربابَ دُوَيْنَ السحابِ نعامٌ تعلَّقَ بالأرجلِ

فقال : لم أردْ هذا ، فقال الرباب اسم امرأة ، وأنشد :

إن الـذي قسم المـلاحـة بيننـا ... وكسـا وجـوهَ الغـانيـاتِ جمـالا

وهب المـلاحـةَ للربـاب وزادهـا ... في الوجه من بعد الملاحةِ خالا

فقال : لم أرد هذا أيضاً ، فقال : عساك أردت قول الشاعر :

ربـابُ ربَّـةُ الـبـيـتِ ... تصبُّ الخـلَّ في الـزيتِ

لـهـا سبـعُ دجـاجـاتٍ ... وديـكٌ حسن الـصـوتِ

فقال : هذا أردت ، فقال : من أين أنت ؟ قال : من البصرة ، قال : على أيّ شيء جئت ، على الظهر أو في الماء ؟ قال : في الماء . قال : كم أعطيتَ الملاح ؟ قال : أربعة دراهم ، قال : اذهب استرجع منه ما أعطيته وقلْ : لم تحملْ شيئاً فعلامَ تأخذُ مني الأجرة ؟

قال محمد بن إسحاق النديم : ولأبي عبيد من التصانيف : كتاب غريب المصنف . كتاب غريب الحديث . كتاب غريب القرآن . كتاب معاني القرآن . كتاب الشعراء . كتاب المقصور والممدود . كتاب القراءات . كتاب المذكر والمؤنث . كتاب الأموال . كتاب النسب . كتاب الأحداث . كتاب الأمثال السائرة . كتاب عدد آي القرآن . كتاب أدب القاضي . كتاب الناسخ والمنسوخ . كتاب الأيمان والنذور . كتاب الحيض . كتاب فضائل القرآن . كتاب الحجر والتفليس . كتاب الطهارة ، وله غير ذلك من الكتب الفقهية .

قال علي بن محمد بن وهب المسعريّ عن أبي عبيد القاسم بن سلام قال : سمعته يقول : هذا الكتاب يعني « غريب المصنف » أحبُّ إليَّ من عشرة آلاف دينار ، فاستفهمته ثلاث مرات فقال : نعم هو أحبّ إليّ من عشرة آلاف دينار .

وقال أبو العباس أحمد بن يحيى : قدم طاهر بن عبد الله بن طاهر من خراسان وهو حدث في حياة أبيه يريدُ الحج ، فنزل في دار إسحاق بن إبراهيم ، فوجَّهَ إسحاقُ إلى العلماء فأحضرهم ليراهم طاهر ويقرأ عليهم ، فحضر أصحابُ الحديث والفقه ، وأحضر ابن الأعرابي وأبو نصر صاحب الأصمعي ، ووجه إلى أبي عبيد القاسم بن سلام في الحضور فأبى أن يحضر وقال : العلم يُقْصَدُ ، فغضب إسحاق من قوله

ورسالته . وكان عبد الله بن طاهر يجري له في الشهر ألفي درهم ، فقطع إسحاق عنه الرزق وكتب إلى عبد الله بالخبر ، فكتب إليه عبد الله : قد صدق أبو عبيد في قوله وقد أضعفتُ له الرزق من أجل فعله ، فأعطِهِ فائِتَهُ وأدرَّ عليه بعد ذلك ما يستحقه .

ـ 906 ـ

القاسم بن علي بن محمد بن عثمان بن الحريري ، أبو محمد البصري : من أهل بلدٍ قريبٍ من البصرة يسمى المشان ، مولده ومنشؤه به ، وسكن البصرة في محلة بني حرام ، وقرأ الأدب على أبي القاسم الفضل بن محمد القصباني البصري بها ، ومات ابن الحريري في سادس رجب سنة ست عشرة وخمسمائة ومولده في حدود سنة ست وأربعين وأربعمائة عن سبعين سنة في خلافة المسترشد ، وبالبصرة كانت وفاته .

وكان غاية في الذكاء والفطنة والفصاحة والبلاغة ، وله تصانيف تشهد بفضله وتقرّ بنبله ، وكفاه شاهداً « كتاب المقامات » التي أبرَّ بها على الأوائل وأعجز الأواخر ، وكان مع هذا الفضل قذراً في نفسه وصورته ولبسته وهيئته قصيراً دميماً بخيلاً مبتلىً بنتف لحيته .

قال العماد في «كتاب الخريدة»(1) : لم يزل ابنُ الحريريّ صاحبَ الخبر بالبصرة في ديوان الخلافة ، ووجدت هذا المنصبَ لأولاده إلى آخر العهد المقتفوي .

أخبرني عبد الخالق بن صالح بن علي بن زيدان المسكي المصري بها في سنة اثنتي عشرة وستمائة في صفر قال : حدثنا الشيخ الإمام أبو عبد الله محمد بن عبد الرحمن بن محمد المسعودي البندهي ـ قال : وكان يكتب هو بخطه الفنجديهي ،

---

906 ـ ترجمة الحريري في المنتظم 9 : 241 والشريشي 1 : 3 ونزهة الألباء : 262 وأنساب السمعاني واللباب (الحريري) وإنباه الرواة 3 : 23 والخريدة (قسم العراق 4 : 599) وابن خلكان 4 : 63 وعبر الذهبي 4 : 38 وسير الذهبي 19 : 460 وتذكرة الحفاظ : 1257 ومرآة الجنان 3 : 213 ومرآة الزمان : 67 والوافي للصفدي (خ) وطبقات السبكي 7 : 266 والأسنوي 1 : 429 والبداية والنهاية 2 : 191 والنجوم الزاهرة 5 : 235 وبغية الوعاة 2 : 257 ومعاهد التنصيص 3 : 270 والشذرات 4 : 50 .

(1) الخريدة 4 : 601 .

قال : وهي قرية من قرى مرو الشاهجان ـ قال : سمعت الشيخ الثقة أبا بكر عبد الله بن محمد بن محمد بن أحمد النقور البزاز ببغداد يقول ، سمعت الرئيس أبا محمد القاسم بن علي بن محمد بن عثمان الحريري صاحب المقامات يقول : أبو زيد السروجي كان شيخاً شحاذاً بليغاً ومكدياً فصيحاً ، ورد علينا البصرة فوقف يوماً في مسجد بني حرام فسلَّم ثم سأل الناس ، وكان بعضُ الولاةِ حاضراً والمسجدُ غاصٌّ بالفضلاء فأعجبتهم فصاحته وحسنُ صياغةِ كلامه وملاحته ، وذكر أُسْرَ الروم ولده ، كما ذكرناه في المقامة الحرامية وهي الثامنة والأربعون ، قال : واجتمع عندي عشيةَ ذلك اليوم جماعةٌ من فضلاءِ البصرةِ وعلمائها ، فحكيت لهم ما شاهدتُ من ذلك السائل وسمعتُ من لطافة عبارته في تحصيل مراده ، وظرافةِ إشارته في تسهيلِ إيراده ، فحكى كلٌّ واحدٍ من جلسائه أنه شاهد مِنْ هذا السائل في مسجده مثلَ ما شاهدت ، وأنه سمع منه في معنى آخر فصلاً أحسن مما سمعت ، وكان يغيّر في كلِّ مسجدٍ زيَّهُ وشكله ، وَيُظْهِرُ في فنونِ الحيلةِ فضلَه ، فتعجبوا من جريانه في ميدانه ، وتصرفه في تلونه وإحسانه ، فأنشأتُ المقامةَ الحرامية ثم بنيت عليها سائر المقامات وكانت أولَ شيءٍ صنعته .

قال المؤلف : وذكر ابن الجوزي في تاريخه مثلَ هذه الحكاية ، وزاد فيها أنّ ابنَ الحريري عرض المقامة الحرامية على أنوشروان بن خالد[1] وزيرِ السلطان فاستحسنها وأمره أن يضيفَ إليها ما يشاكلها فأتمها خمسينَ مقامة .

حدثني من أثق به أن الحريريَّ لما صنع المقامة الحرامية وتعانَى الكتابة فأتقنها وخالط الكتّاب أصعدَ إلى بغداد ، فدخل يوماً إلى ديوان السلطان وهو مُنْغَصٌّ بذوي الفضل والبلاغة محتفلٌ بأهل الكفاية والبراعة ، وقد بلغهم ورودُ ابنِ الحريري ، إلا أنهم لم يعرفوا فضله ، ولا اشتهر بينهم بلاغته ونبله ، فقال له بعض الكتاب : أيّ شيء تتعانى من صناعة الكتابة حتى نباحثك فيه ؟ فأخذ بيده قلماً وقال : كلّ ما يتعلق بهذا ، وأشار إلى القلم ، فقيل له : هذه دعوى عظيمة ، فقال : امتحنوا تخبروا ،

---

(1) يلقب شرف الدين استوزره السلطان محمود فأقام في الوزارة نحو عشرة أشهر ثم استعفى منها وعزل نفسه وعاد إلى بغداد سنة 522 ثم أعيد الى الوزارة أيام السلطان مسعود ثم عزله سنة 530 وولي بعده أبا البركات الدركزيني (صفحات متفرقة من ابن الأثير جـ 10 ، 11) .

فسأله كلّ واحد عما يعتقد في نفسه إتقانه من أنواع الكتابة ، فأجاب عن الجميع أحسنَ جواب ، وخاطبهم بأتمِّ خطاب حتى بهرهم ، فانتهى خبره إلى الوزير أنوشروان بن خالد فأدخله عليه ، ومال بكلّيته إليه ، وأكرمه وأدناه[1]، فتحادثا يوماً في مجلسه حتى انتهى الحديث إلى ذكر أبي زيد السروجي المقدَّم ذكره ، وأورد ابنُ الحريريّ المقامةَ الحرامية التي عملها فيه ، فاستحسنها أنوشروان جداً وقال : ينبغي أن يضافَ إلى هذه أمثالها ، وينسجَ على منوالها عدة من أشكالها ، فقال : أفعلُ ذلك مع رجوعي إلى البصرةِ وتجمّع خاطري بها ، ثم انحدر إلى البصرة فصنع أربعين مقامة ، ثم أصعد إلى بغداد وهي معه وعرضها على انوشروان فاستحسنها ، وتداولها الناس ، واتهمه من يحسده بأن قال : ليست هذه من عمله لأنها لا تناسبُ رسائله ولا تشاكلُ ألفاظه ، وقالوا : هذا من صناعة رجلٍ كان استضاف به ومات عنده فادَّعاها لنفسه ، وقال آخرون : بل العرب أخذت بعضَ القوافل ، وكان مما أُخِذَ جرابٌ بعض المغاربة وباعه العربُ بالبصرة ، فاشتراه ابنُ الحريري وادعاه ، فان كان صادقاً في أنها من عمله فليصنع مقامةً أخرى ، فقال : نعم سأصنع ، وجلس في منزله ببغداد أربعين يوماً فلم يتهيأ له ترتيبُ كلمتين والجمعُ بين لفظتين ، وسوَّد كثيراً من الكاغد فلم يصنع شيئاً ، فعاد إلى البصرة والناسُ يقعون فيه ويعيطون[2] في قفاه كما تقول العامة ، فما غاب عنهم إلا مديدةً حتى عمل عَشْرَ مقاماتٍ وأضافها إلى تلك ، وأصعد بها إلى بغداد ، فحينئذ بان فضله وعلموا أنها من عمله .

وكان مبتلىً بنتفِ لحيته ، فلذلك قول ابن جكينا فيه :

شيخٌ لنا من ربيعةِ الفَرَسِ ... ينتفُ عثنونَهُ من الهَوَسِ
أنطقه اللّه بالمشانِ وقد ... ألجمه في العراقِ بالخرسِ

وقرأت بخط صديقنا الكمال عمر بن أبي بكر الدباس رحمه الله ، حدثني علي بن جابر بن هبة الله[3] بن علي حاكم ساقية سليمان قال : حدثني والدي جابر بن هبة الله أنه قرأ على القاسم بن علي الحريري المقامات في شهور سنة أربع عشرة وخمسمائة ، قال : وكنت أظن أن قوله :

(1) م : وناداه ، ولعلها « ونادمه » . (2) م : ويغيطون . (3) سيرد من بعد : جابر بن زهير .

يــا أهـل ذا المغنى وقيتمْ شَــرًّا ولا لـقيـتـمْ مــا بـقـيـتـم ضُــرًّا
قـد دفـع الليــلُ الـذي اكفهــرّا إلـى ذَراكـم شــعـثـاً مــغـبــرّا

أنه « سغباً معترًا » فقرأت كما ظننت سغباً معتراً ، ففكر ساعة ثم قال : والله لقد أجدتَ في التصحيف فانه أجود ، فربَّ شعثٍ مغبرّ غير محتاج ، والسغب المعتر موضعُ الحاجة ، ولولا أنني قد كتبتُ خطي إلى هذا اليوم على سبعمائة نسخة قرئتْ عليّ لغيرتُ الشعث بالسغب والمغبر بالمعتر .

قال مؤلف الكتاب : ولقد وافق كتابَ المقاماتِ من السعد ما لم يوافقْ مثلَهُ كتاب ألبتّة[1]، فانه جمع بين حقيقة الجودة والبلاغة، واتسعت له الألفاظ، وانقادت له وفودُ البراعة حتى أُخذ بأزِمَّتهـا وملك ربقتها ، فاختار ألفاظها وأحسن نسقها ، حتى لو ادَّعى بها الاعجاز لما وجد من يدفع في صدره ولا يردُّ قوله ولا يأتي بما يقاربها فضلاً عن أن يأتي بمثلها ، ثم رزقت مع ذلك من الشهرة وَبُعْدِ الصيتِ والاتفاق على استحسانها من الموافق والمخالف ما استحقت وأكثر .

ومن عجيب مـا رأيته[2] وشـاهـدتـه أني وردت آمـد في سنـة ثـلاث وتسعين وخمسمائة وأنا في عنفوان الشباب وريعه ، فبلغني أن بهـا علي بن الحسن بن عنتر المعروف بالشميم الحلي ، وكان من العلم بمكانٍ مكين ، واعتلق من حباله بـركنٍ ركين ، إلا أنه كان لا يقيم لأحد من أهل العلم المتقدمين ولا المتأخرين وزناً ، ولا يعتقد لأحد فضيلة ، ولا يقرُّ لأحدٍ باحسانٍ في شيء من العلوم ولا حُسْنٍ ، فحضرتُ عنده وسمعتُ من لفظه إزراءه على أولي الفضل ، وتنديـدَهُ بالمعيب عليهم بـالقول والفعل ، فلما أبرمني وأضجر ، وامتدَّ في غيه وأصحر ، قلت له : أما كان في من تقدم على كثرتهم وَشَغَفِ الناس بهم عندك قطُّ مجيد ؟! فقال : لا أعلم إلا أن يكون ثلاثة رجال : المتنبي في مديحه خاصة ولو سلكت طريقه لمـا برز عليّ ولسقتُ فضيلتـه نحوي ونسبتُها إليّ ، والثاني ابن نباتة في خُطَبه وان كانت خطبي أحسنَ منها وأسيرَ وأظهرَ عند الناس قاطبة واشهر ، والثالث ابن الحريري في مقاماته ؛ قلت : فما منعك

(1) م : إليه .
(2) راجع ما تقدم في ترجمة علي بن الحسن بن عنتر ، رقم : 742 :

أن تسلك طريقته وتنشيءُ مقاماتٍ تُخْمِدُ بها جمرته وتملك بها دولته ؟ فقال : يا بني الرجوعُ إلى الحقّ خيرٌ من التمادي في الباطل ، ولقد أنشأتها ثلاثَ مراتٍ ثم أتأملها فأسترذلها ، فأعمد إلى البركة فأغسلها ، ثم قال : ما أظنُّ الله خلقني إلا لاظهار فضل الحريري . وَشَرَحَ مقاماته بشرحٍ قُرىءَ عليه وأُخِذَ عنه .

وكتب ابن الحريري إلى سديد الدولة في صدر كتاب :

وما نـومـةٌ بعـد الضحى لمسهَّـدٍ زَوَى همُّهُ بالليلِ عن جفنه السِّنَهْ
بـأحلى من البشـرى بـأنّ ركـابكم ستسري إلى بغدادَ في هـذه السنهْ

وقرأتُ في كتاب لبعض أدباء البصرة ، قال الشيخ أبو محمد حرس الله نعمته معاياةً :

ميم مـوسى من نـون نصـر فَفَسِّـرْ أيـهـذا الأديـب مـاذا عـنـيـتُ

تفسيره ميم الرجل إذا أصابه الموم وهو البرسام ، ويقال إنه أشد الجدَرِيّ ونون نصر : حوت نصر ، والنون السمكة ، يعني أنه أكل سمكة نصر فأصابه الموم . وله في مثله :

بـاءَ بكـر بـلام ليلى فمـا ينـــــفـكُّ منهـا إلا بعينٍ وهـاءِ

باء أي أقرَّ ، واللام الدرع ، فلما أقر لليلى به ألزمته فلا ينفك منها إلا بعين أي بالدرع بعينه وها أي خُذِي .

حدثني أبو عبد الله الدبيثي ، قال حدثني أبو الحسن علي بن جابر ، حدثني أبي أبو الفضل جابر بن زهير قال : حضرنا مع ابن الحريري في دعوة لظهير الـدين ابن الوجيه رئيسِ البصرةِ في ختان ابنه أبي الغنائم ، وكـان هناك مغنٍّ يُعـرَفُ بمحمدٍ المصري وكان غايةً في امتداد الصوت وطيب النغمة فغنى :

بـالـذي ألهمَ تعـذيــــيبي ثنـايـاكَ العـذابـا
مـا الـذي قـالتـه عينـا كَ لـقـلـبي فـأجـابـا

فطرب الحاضرون وسألوا ابن الحريري أن يزيد فيها شيئاً فقال :

قـل لمن عَـذَّبَ قلبي وهـو محبـوبٌ محـابى
والذي إن سمته الوصـــــلَ تـغـالى وتـغـابى

ثم البيتان ، فاستحسنها الجماعة وأقسموا على المغني أن لا يغنيهم غيرها ، فمضى يومهم أجمع بهذه الأبيات . وأنشد أيضاً للحريري :

لا تَخْـطُوَنَّ إلى خط ولا خـطأ | من بعد ما الشيبُ في فوديك قد وخطا
وأيّ عـذرٍ لمن شـابت ذوائبُـهُ | إذا سعى في ميادين الصبا وخطا

ومن شعره :

خـذ يا بنيّ بمـا أقـولُ ولا تَـزُغْ | مـا عشتَ عنه تعشْ وأنتَ سليمُ
لا تغتـررْ ببني الـزمـانِ ولا تقلْ | عنـد الشـدائـدِ لي أخٌ ونـديم
جـربتهم فـإذا المعـاقـرُ عـاقـرٌ | والآلُ آلٌ والـحـمـيـم حـمـيـم

ولابن الحريري من التصانيف : كتاب المقامات . كتاب درة الغواص في أوهام الخـواص . كتاب ملحـة الاعراب ، وهي قصيـدة في النحو . كتـاب شـرح ملحـة الإعراب . كتاب رسائله المدونة . كتاب شعره .

حدثني أبو عبد الله محمد بن سعيد بن الدبيثي قال ، سمعت القاضي أبا الحسن علي بن جابر بن زهير يقول ، سمعت أبي أبا الفضل جابر بن زهير يقول : كنت عند أبي محمد القاسم بن الحريري البصري بالمشان أقرأ عليه المقامات ، فبلغه أن صاحبه أبا زيد المطهر بن سلام البصري الذي عمل المقامات عنه قد شرب مسكراً ، فكتب إليه وأنشدناه لنفسه :

أبا زيدٍ اعلمْ أنّ من شربَ الطلا | تدنَّسَ فافهمْ سرَّ قولي المهـذبِ
ومن قبل سميت المطهّرَ والفتى | يُصَـدِّقُ بـالأفعـال تسميـةَ الأبِ
فـلا تَحْسُها كيمـا تكونَ مـطهـراً | والا فغيِّـر ذلـك الاسمَ وآشـربِ

قال : فلما بلغه الأبيات أقبل حافيـاً إلى الشيخ أبي محمـد وبيده مصحف ، فأقسم به ألا يعود إلى شرب مسكر ، فقال له الشيخ : ولا تحاضر من يشرب .

حـدثني ابن الدبيثي قـال ، وأنشدني ابن جـابر قـال ، أنشدني أبـو عبد الله محمد بن الحسن بن المنقبة الفقيه بالرحبة لنفسه يعارض أبا محمد ابن الحريري في بيتيه اللذين قال فيهما : أسكتا كل نافث وأمنا أن يُعَزَّزا بثالث :

مـلامـة الـوكعـاءِ بين الـورى   أحسنُ من حـرٍّ أتى مَـلأمَـهْ
فمه اذا استجديتَ عن قولِ لا   فـالحـرُّ لا يمـلًا منهـا فمـه

نقلت من خط أبي سعد السمعاني ، أنشدنا أبو القاسم عبد الله بن القاسم بن علي بن الحريري ، أنشدني والدي لنفسه ، وهو مما كاتب به شيخَ الشيوخ أبا البركات إسماعيل بن أبي سعد :

ســلامٌ كـأزهــارِ الــربيــع نضــارةً   وحسناً على شيخ الشيوخ الذي صفا
ولو لم يَعُقْنِي الدهرُ عن قَصْدِ ربعه   سعيتُ كما يسعى الملبي الى الصفا
ولكن عــداني عنــه دهــرٌ مكــدّرٌ   ومن ذا الذي واتاه من دهـره الصفا

ومن خطه : أنشدني أبو العباس أحمد بن بختيار بن علي الواسطي ، أنشـدنا القاسم بن علي الحريري لنفسه :

أخمدْ بحلمك مـا يـذكيـه ذو سَفَـهٍ   من نـار غيظك واصفحْ إن جنى جاني
فـالحلم أفضـلُ مـا ازدان اللبيبُ به   والأخْـذُ بـالعفوِ أحلى مـا جنى جـاني

وكتب ابن الحريري الى سديد الدولة محمد بن عبد الكريم الأنباري كتاباً على يد ولده قال فيه : كتب الخادمُ وعنده من تباريح الأشـواق إلى الخدمـة ما يَصْـدَعُ الأطـواد ، فكيف الفؤاد ، ويوهي الجبـال ، فكيف البال ، ولكنـه يستدفـع الخـوف بسوف ، ويبرد حر الأسى بعسى ، وهو على جمعهم إذا يشاء قدير :

ألا ليتَ شعـري والتمني خُـرافـةٌ   وإن كـان فيه راحـةٌ لأخي الكَرْبِ
أتــدرون أني مـذ تنــاءَتْ ديــاركم   وشطَّ اقترابي من جنابكم الـرحب
أكــابـدُ شــوقــاً مــا يــزال أواره   يقلّبني بــالليــل جنبـاً إلى جنب
وأسكبُ للبين المشتـتِ مـدمعـاً   كـأن عَزَاليـهـا آمْتَرِينَ من السحب
وأذكــرُ أيــام التــلاقي فــأنثني   لتذكارها بادي الأسى ذاهبَ اللبّ
ولي حَنَّــةٌ في كــلِّ وقتٍ إليـكـمُ   ولا حنةَ الصادي إلى الباردِ العذب
فــواللّه إني لــو كـتمـتُ هــواكمُ   لمـا كان مكتـومـاً بشـرقٍ ولا غرب
وممــا شجـا قلبي المعنّى وشفّــه   رضاكم باهمال الاجابةِ عن كتبي

على أنني راض بمـا تـرتضـونـه وأفخـرُ بـالإعتـاب فيكمْ وبـالعتب
ولما سرى الـوفدُ العـراقيُّ نحوكم وأعوزني المسرى إليكم مع الركب
جعلتُ كتـابي نـائبـاً عن ضـرورةٍ ومن لم يجـدْ مـاءً تيمم بـالتـرب
وأنفذتُ أيضاً بضعـةً من جوارحي تنبئكم مشـروحَ حـالي وتستنبـي
وقلتُ لـه عنـد الـوداع وقـلبُـهُ شـجٍ وأبوه الشيـخُ مكتئبُ القلب
ألا آبشرْ بما تحظى به حين تجتلي محيا سديدِ الدولةِ الماجـدِ الندب
ولستُ أرى إذكـاركم بعد خبـركم بمكـرمـةٍ حسبي اهتـزازكمُ حسبي

هذه على عاهتها بنت ساعتها ، فإن حظيتْ منه بالقبول المأمول ، فيـا بشرى للحامل والمحمول ، وإن لُمِحَتْ لمحةَ المستثقِل ، فيا خيبـةَ المرسَـل والمرسِـل ، والسلام .

ومن رسائل ابن الحريري رسالة التزم في كلِّ كلمةٍ منها السين نظماً ، كتبها على لسان بعض أصدقائه يعاتب صديقاً له أخلَّ به في دعوة دعا غيره إليها ، وكتب على رأسها[1] : باسم القدوس أستفتح ، وباسعاده أستنجح ، سجية سيدنا سيف السلطان سدة سيدنا الاسفهسلار السيد النفيس سيد الرؤساء حُرِسَتْ نفسه ، واستنارت شمسه ، وبسق غرسه ، واتسق أنسه ، استمالة الجليس ، ومساهمة الأنيس ، ومؤاساة السحيق والنسيب ، ومسـاعـدة الكسيـر والسليب ، والسيـادةُ تستـدعي استـدامـةَ السنن ، والاستحفاظُ بالرسم الحسن ، وسمعتُ بالأمس تَدَارُسَ الألسنِ سلاسةَ خندريسـه ، وسلسالَ كؤوسه ، ومحاسنَ مجلسِ مسرَّته ، وإحسانَ مُسْمِعَةِ ستارتـه ، فاستسلفتُ الاستـدعاءَ ، وسـوفت نفسي بالاحتسـاء[2] ، ومؤانسة الجلسـاء ، وجلست أستقري السبـلَ الاسراء ، وتـوسمت أستطلع الـرسل ، وأستـطرف تناسي رسمي ، وأسـامـرُ الوسواسَ لاستحالةِ وسمي :

وسيفُ الســلاطيـنِ مستـأثـرٌ بأُنْسِ السَّماعِ وحسـوِ الكؤوسِ

---

(1) الخريدة 4 : 616 .

(2) الخريدة : فاستسلفت السراء وتوسمت الاستدعاء وسوفت نفسي بالاحتساء . . .

سلاني وليس لباسُ السلو ينـاسبُ حُسْنَ سمـاتِ النفيس
وسنَّ تناسيَ جُلاَّسِهِ وأسوا السجايا تناسي الجليس
وسرَّ حسودي بطمسِ الرسومِ وطمسُ الرسومِ كَرْمسِ النفوس
وأسكرني حسرةً واستعاض لقسوته سكرةَ الخندريس
وساقى الحسامَ بكاسِ السلاف وأسهمني بعبوسٍ وبوس
سأكسوه لبسةَ مستعتبٍ وألبسُ سربالَ سالٍ يؤوس
وأسطرُ سيناته سيرةً تسير أساطيرها كالبسوس

وحسبنا السلام رسول الاسلام .

وكتب إلى أبي [محمد] طلحة بن النعماني الشاعر لما قصده إلى البصرة يمدحه ويشكره ويتأسف على فراقه(1) : بإرشاد المنشىء أنشىء شغفي بالشيخ ، شمس الشعراء ، رِيشَ معاشُهُ ، وفشا رياشُهُ ، وأشرق شهابه ، واعشوشبت شعابه ، يشاكلُ شغف المنتشي بالنشوةِ ، والمرتشي بالرشوة ، والشادن بشرخ الشباب ، والعطشانِ بِشَمِ الشراب . وشكري لتجشمه ومشقته ، وشواهد شفقته ، يشابه شكر الناشد للمنشد ، والمسترشد للمرشد ، والمستشعر للمبشر ، والمستجيش للجيش المشمر ، وشعاري إنشادُ شعره ، وإشجاء المكاشر والمكاشح بنشره ، وشغلي إشاعةُ وشائعه ، وتشييد شوافعه ، والإشادة بشذوره وشنوفه ، والمشورة بتشييعه وتشريفه ، وأشهد شهادةً تشدد المقشر المكاشف والمشنع الكاشف لانشاؤه ومشاهدته تدهش الشائب والناشي ، وتلاشي شعر الناشي ، ولمشافهته تباشير الرشد ، واشتيار الشهد ، ولمشاحنتُهُ تُشْقِي المشاحنَ وَتَشينُ المشاين ، ولمشاغبته تشظي الأشطان ، وتشيط الشيطان ، فشرفاً للشيخ شرفاً ، وشغفاً بِشِنْشِنته شغفاً :

فأشعاره مشهورةٌ ومشاعرُهْ وعشرتُهُ مشكورةٌ وعشائرُهْ
شأى الشعراءَ المشمعلّين شعره فشانيه مشجوُّ الحشا وَمُشَاعره
وشوَّه ترقيشَ المرقشِ شعره فأشياعُهُ يشكونه ومعاشره

(1) الخريدة 4 : 619 .

وشاق الشبابَ الشمَّ والشيبَ وشيُهُ فمنشوره بُشْرَى المشوقِ وناشره
شكورٌ ومشكورٌ وحشوُ مُشاشِهِ شهامةُ شمّيرٍ يطيشُ مشاجره
شقاشقُهُ مخشيّةٌ وَشَباته شَبَا مشرفيٍّ جاش للشرِّ شاهره
شفى بالأناشيد النشاوَى وشفَّهم فمشفيه مستشفٍ وشاكيه شاكره
ويشدو فيهتشُّ الشحيحُ لشدوه وَيَشْعَفُهُ إنشادُهُ فيشاطره
تجشَّم غشياني فشرَّدَ وحشتي وبشَّرَ ممشاه ببشرٍ أُباشره
سأنشده شعراً تَشَرَّقُ شمسُهُ وأشكره شكراً تشيعُ بشائره

وأشهد شاهد الأشياء ، ومشبع الأحشاء ، ليشعلنّ شواظَ اشتياقي شَحَطُه ، وليشعثنَّ شَمْلَ نشاطي نَشَطه ، فناشدتُ الشيخ أيشعرُ باستيحاشي لشسوعه ، وإجهاشي لتشييعه ، ووشايتي بنشيده الموشيّ ، وتشكلي شَخْصَهُ بالإشراق والعشي ، حاشاه تعشيه شُبْهةٌ وتغشاه ، فليستشفّ شرحَ شجوي بشطونه ، وليرشّحني لمشاركةِ شجونه ، وليشغلني بتمشية شؤونه ، وليشدَّ جاشي ، ويشارف انكماشي ، عاش منتعشَ الحُشاشة ، مستشريَ البَشاشة ، مشحوذَ الشفار ، منتشرَ الشرار ، شتاماً للأشرار ، شحّاذاً بالأشعار ، يشرخُ ويحوش ، ويقنفش[1] المنقوش ، بمشية الشديد البطش ، الشامخ العرش ، وتشريفه لبشير البَشَر ، وشفيع المحشَر ، اهـ .

وله من المقامات[2] :

وأحوى حوى رقيّ برقةِ لفظه وغادرني إلفَ السهادِ بِغَدْرِهِ
تصدَّى لقتلي بالصدودِ وإنني لفي أَسْرِهِ مذ حاز قلبي بأسره
أصدّقُ منه الزورَ خوفَ ازوراره وأرضى استماعَ الهُجْرِ خشيةَ هَجْرِهِ
وأستعذبُ التعذيبَ منه وكلّما أجَدَّ عذابي جدَّ بي حبُّ بره
تناسَى ذِمامي والتناسي مَذَمَّةٌ وأحفظَ قلبي وهو حافظُ سره
له منّيَ المدحُ الذي طاب نشرُهُ ولي منه طيُّ الودّ من بعد نشره
وإني على تصريفِ أمري وأمره أرى المر حلواً في انقيادي لأمره

(1) الخريدة : وينقش .

(2) الخريدة 4 : 624 .

وقال الرئيس أبو الفتح هبة الله بن الفضل بن صاعد بن التلميذ الكاتب : كان الشيخ الأجل الامام الأوحد أبو محمد القاسم بن علي بن الحريري رضي الله عنه الامام المشهور الفضل من أعيان دهره وفريد عصره ، وممن لحق طبقة الأوائل ، وغبَّر عليهم في الفضائل ، وكانت بيني وبينه مكاتبةٌ قديمة في سنة خمس وتسعين وأربعمائة عند ابتدائه حمل المقامات التي أنشأ ، ولما وقع الاجتماع به في سنة أربع وخمسمائة ببغداد ، وسماعها منه عدة دفعات ، جاريته وسألته أن ينظم في النحو مختصراً يحفظه المبتدئون ، فشرع في نظم هذه الأرجوزة ، وأملى عليَّ منها أبواباً يسيرة ، وانحدر من غير إتمامها واستعاد مني ما أملاه ليحرره ، فكاتبته دفعات أقتضيه بها وأذكره بانفاذها وإنفاذ كتابه « درة الغواص في أوهام الخواص » فكتب إليّ جوابين نسخة الأول منهما :

وصل من حضرة سيدنا ـ أطال الله بقاءه ومدَّته وحرس عزه ونعمته ، وضاعف سعادته وكبت حسدته ـ كتابٌ كريم ، مُودَعه طَوْلٌ جسيم ، وفي ضمنه در نظيم ، فابتهجت بتناوله ، وقررت عيناً بتأمله ، وتذكرت الأوقات التي أسعد الدهر فيها برؤيته ، وأحظى باجتلاء فضله وروايته ، وشكرت الله على ما يوليه من حسن صنعه ، وسألته جلَّتْ عظمته أن يجعل النعمةَ راهنةً بربعه ، والسعادةَ جاذبةً أبداً بِضَبْعه ، وسررتُ بما بشرني به من نجابة السيد الرئيس الولد النفيس ـ أمتع الله ببقائه وأتاح لي تجدد الانس بلقائه ـ ولم أستبعد أن يقمر هلاله بل يبدر ، ولا استبدعتُ أن يورق غصن دوحته الزكية ويثمر ، والله تعالى يمليه أطولَ الأعمار ، في رفاهة الأسرار ، ومواتاة الأقدار ، حتى يعاين أسباطه ، ويضاعف باجتماعهم وتضاعفهم بحوزته اغتباطه . فأما الملحة إن أمكن تنفيذها مع أحد المترددين إلى هذا المكان لألحق بها الزيادة وأهذبها كما يطابق الارادة أوعز به. وأما «درّة الغوّاص في أوهام الخواص» فأرجو أن يُنْسَأ[1] الاصعاد إلى بغداد لتصفحها من البدء وكأن قد ، وإلى أن يسهلَ المأمول من الالتقاء ، فما أولى همته الكريمة بإتحافي بالأنباء ، وانهاضي بما يسنح من الأوطار والأهواء، ورأيه أعلى إن شاء الله .

نسخة الكتاب الثاني وهو المُنْفَذُ مع « المُلْحَةِ » المذكورة :

(1) م : ينشىء .

لئن كانت الأيامُ أحسنَّ مرةً إليَّ لقد عادتْ لهنَّ ذنوبُ

إذا فكرت ـ أطال الله بقاء سيدنا وضاعف سعادته وكبت حسدته ـ فيما كان سمح به الزمانُ من تلك الملاقاةِ الحلوة ، وإن كانت أقلَّ من الحسوة ، أعظمت قيمةَ حسناه ، ووجدتها أحلى إسعافٍ وأسناه ، ثم إذا فكرتُ فيما أعقب من الفرقة ، وألهب في الصدر من الحرقة ، وجدته كمن رجع في المنحةِ ، وَطَمَسَ الفرحةَ بالترحة ، ولولا تعلّة القلب المشجوّ ، بالتلاقي المرجوّ ، لذاب من اتقاد الشوق ، ولقال : « شبَّ عمرو عن الطوق». وفي لوامح تلك الألمعية، ما يغني عن تبيان تلك الطوية، وكان وصل من حضرته ـ أنّسها اللّه تعالى ـ ما أعرب فيه عن كريم عهده ، وتباريح وجده ، فلم أستبدعْ العذويةَ من ورده ، ولا استغربتُ ما تولى من بره وحُسْنِ عهده ، وبمقتضى هذه الأوامرِ ، والطَّوْلِ المتناصر ، انعكافي على الشكر ، واعترافي بعوارفه الغُرّ . فأما استطلاعُ « ملحة الاعراب » المشتبهة بالسراب ، فقد آثرت خزائنه ـ عمرها الله تعالى ـ بمسودتها، على شَعَثِ[1] بنيتها وَشَوَهِ خلقتها، ولو لم تَعْرِضْ حادثة العرب ، العائقة عن كل أرب ، لزففتها كما تُزَفّ العروس المقيَّنة ، والخِطْبُ المزينة ، غير أني أرجو أن ترزقَ حظوةَ القباح ، وألا تجبه بالذمّ الصراح ، ولكتبه ـ حرس الله نعمته ـ عندي موقع أنفس التحف ، وشكري على التكرّم بها شكرُ من اتَّشَحَ بها والتحف ، وسيدنا أمين الدولة رئيس الحكماء ، مخدوم بأفضل دعاء ، وأطيب ثناء وسلام ، ولرأيه ـ أدام الله نعمته ـ في الإيعاز بالوقوف على ما شرحته، وتمثل ما أوضحته، علوه إن شاء الله تعالى.

نسخة كتاب كتبه ابن الحريري إلى أبي الفتح ابن التلميذ قبل اللقاء :

جزى اللّه خيراً والجزاءُ بكفّهِ بني صاعدٍ أهلَ السيادةِ والمجدِ
همُ ذكروني والمهامِهُ بيننا كما ارفضَّ غيثٌ من تهامةَ في نجد

لو أخذت في وصف شغفي بمناقب سيدنا ـ أطال الله بقاءه وأدام علاءه وحرس نعماءه وكبت حساده وأعداءه ـ وما أنا بصدده من مدح سؤدده ، وشرح تطوّله وتودده ، لكنتُ بمثابة المغتَرّين ، في محاولةِ عددِ رمل يبرين ، لكنني راجٍ أن أحظى من ألمعيته الثاقبة ، وبصيرته الصائبة ، بما يمثل له عقيدتي ، ويطلعه على نخيلةِ مودتي،

(1) م : شعب .

وما أملك في مقابلة مفاتحته التي أخلصت له إيجاب الحق ، وفضيلة السبق ، إلا الثناءَ الذي أتلو صحائِفَهُ، والدعاءَ الذي أقيم في كلّ وقتٍ وظائفه. والله سبحانه يحسن توفيقي لما يشيّدُ مباني المودة، التي أعتدها أفضلَ معاني[1] العدة. ثم إني لفرط اللهج باستملاء فضائله النيرة، واستطلاع محاسنه المسيّرة، أسائل عن خصائصه الركبان، وأطربُ بسماعها ولا طربَ النشوان .

ولما حضر الشيخ الأديب الرئيس أبو القاسم بن الموذ ـ أدام الله تمكينه ـ ألفيته مواليًا مغاليًا، وداعيةً إليه وداعيًا، فازددت كلفًا بما وعيته منه، وشغفًا بما استوضحته عنه. واستدللتُ على كمالِ سيدنا باستخلاص شكرِ مثله، وتحققتُ وفورَ أفضاله وفضله، فافتتحت المكاتبة بتأدية هذه الشهادة، واستمداد سُنّة المواصلة المعتادة، والتكرمة التي تقتضيها بواعث السيادة. ولرأيه في الوقوفِ على ما كتبته، والتطولِ فيه بما توجبه أريحيتُهُ، علوه، إن شاء الله تعالى .

وكتب إلى سديد الدولة رسالة صدَّرها بهذين البيتين :

عندي بشكركَ ناطقانِ فواحدُ ... آثارُ طَوْلِكَ واللسانُ الثاني
ومجالُ مِنَّتِكَ التي أَوْلَيْتَني ... في الشكرِ أفصحُ من مجال لساني

وصدَّر رسالة أخرى إليه بهذه الأبيات :

أهنّيك بل نفسي أهنّي بما سنّى ... لك اللّه من نيلِ المنى وبما أَسنَى
شكرتُ زماني بعدما كنتُ عاتبًا ... عليه لما أسدى إليك من الحسنى
وأيقنتُ إذ واتاك أنْ قد تيقظت ... لارضاء أهلِ الأرض مقلته الوسنى
ففخرًا بما في عظم فخرك شبهه ... ولا لك شِبْهٌ في الأنام إذا قسنا
جمالَ الورى مُلّيتَ تشريفك الذي ... أفاض عليك الصيتَ والعزَّ والحسنى
ومن عجب أني أهنيك بالذي ... أهنّى به لكن كذا سَنّ من سنا

وكتب إلى المؤيد أبي إسماعيل الطغرائي يهنئه بولاية الطغرائي في سنة تسع وخمسمائة، فأجابه الطغرائي بجواب هذا نسخته[2] :

(1) م : مقاني .

(2) لم ترد في ديوانه .

ما الروضُ أضحكتِ السحابُ ثغورَهُ   وأفاحَ أنفاسُ الصبا منشورَهُ
يوماً بأبهجَ من كتابٍ نَمْنَمَتْ   يمناك يا شرفَ الكفاةِ سطوره
وافى إليَّ فتهتُ حين رأيته   تيهَ المولَّى إذ رأى منشوره
فلثمتُهُ عشراً ولو قَبَّلْتُهُ   ألفاً وألفاً لم أوفِّ مهوره
وفضضتُهُ عن لؤلؤٍ ولو آنه   للسمط زان فصولَهُ وشذوره
وأجلتُ منه الطَّرْفَ فيما راقه   وأتاح للقلب الكئيب سروره
قسماً لأنت الفردُ في الفضلِ الذي   لولاك أطفأتِ الجهالةُ نوره
منكَ امترى لما ارتضعتَ لبانَهُ   وبك ازدهى لما احتلبتَ شطوره
فاسلم له حتى تُجدِّد ما عفا   منه وتجبرَ وَهْنَهُ وكسوره
واعذرْ وليَّكَ إنْ تقاصَر سَعْيُهُ   واغفرْ له تقصيرَهُ وقصوره

وصل من المجلس السامي المؤيدي ـ ضاعف الله علوه ، وأضعف عدوه ، وأكمل سعوده ، وأكمد حسوده ـ كتابٌ اتسم بالمكرمة الغراء ، وابتسم عن التكرمةِ العذراء ، فخلته كتابَ الأمان من الزمان ، وتلقيته كما يتلقى الانسانُ صحيفةَ الاحسان ، وقابلتُ ما أُودع من البر ، والطَّوْلِ المُبِرّ ، بالشكر الذي هو جَهْدُ المقلّ ، ونسكُ المستقلّ ، ووجدت ما ألحف من التجميل ، وأتحفَ من الجميل ، ما كانت أطماعي تتوق إليه ، وآمالي تحوم حواليه ، إذ ما زلت مند استمليتُ وصفَ المناقب المؤيدية ، ورويتُ خبرها عن الراوية الشريفة الشرفية ، أبعثُ قلمي على أن يفاتح ، وأن يكون الرائد لي والماتح ، وهو ينكصُ نكوصَ الهَيُوبَة ، وينكلُ نكولَ الهامِ عن الضريبة ، فأكابد لإحجامه الأسى ، وأزجي الأيام بلعلَّ وعسى ، إلى أن بديت ، وهديت وأُريت ، كيف يحيي اللّه من يميت ، فلم يبق بعد أن أنشط العقال ، واستدعي المقال ، إلا أن أنقل الحشفَ إلى هَجَر ، وأزفَّ الهشيمَ إلى الشجر ، فأصدرتُ هذه الخدمة المتشحةَ بالخجل ، المرتعشة من الوجل ، وأنا معترفٌ بسالف التقصير ، ومعتذر عنه باللسان القصير ، فإن قُرِّبَتْ عند الوصول ، وَقُرِنَتْ بحظوةِ القبول ، فذلك الذي كانت تتمنَّى ، وحق لي ولها أن تُهَنَّى ، وإن ألغيت إلغاءَ الحوارِ في الدية ، وَنُدِّدَ بمفاضحها في الأندية ، فما هُضِمَتْ فيما قوبلتْ ، ولا ظُلِمَتْ إذ ما

قُبِلَتْ ، على أنَّ لكلِّ امرىء ما نوى ، وأن تعفوا أقربُ للتقوى . وإن كان وَضَحَ اجتهادي فيما وقف من الوطر ، الذي تأكَّدَ فيه اعتراض القدر ، وانتقاصُ النظر ، فيا بَرْدَها على الكبد ، وَبُشْرَى خادِمِهِ المجتهد . ثم إن استخدمت بعد في خدمة واجتهدت ، وانتهزت فرصةَ فريضتها ولو جاهدت ، فللرأي الشريف في الإمام بتحسين ما يُتَأمل ، وتحقيق ما يؤمل ، مزيد السموّ ، إن شاء الله تعالى .

ـ 907 ـ

القاسم بن فيره بن أبي القاسم أبو محمد الرعيني ثم الشاطبي المقرىء : كان فاضلاً في النحو والقراءة وعلم التفسير ، له لحديث رسول الله ﷺ نَظْمُ قصيدةٍ من خمسمائة بيت في كتاب التمهيد لابن عبد البر ، وكان شعره عقداً صعباً لا يكاد يفهم ، من ذلك قوله :

يلومونني إذ ما وجدتُ ملائما ... وما لي مليمٌ حين سمتُ الأكارما
وقالوا تعلَّمْ للعلوم نفاقها ... بسحرِ نفاق يستخفّ العزائما

وهي قصيدة طويلة .

وله :

بكى الناسُ قبلي لا كمثلِ مصائبي ... بدمع مطيع كالسحابِ الصوائبِ
وكنا جميعاً ثم شتتَ شملنا ... تفرُّقُ أهواءٍ عراضَ المواكبِ

وله قصيدة نظم فيها « المقنع » لأبي عمرو الداني في خط المصحف .

وكان رجلاً صالحاً صدوقاً في القول مجدًّا في الفعل ، ظهرت عليه كرامات الصالحين كسماع الأذان بجامع مصر وقت الزوال من غير مؤذن ولا يسمع ذلك إلا عباد الله الصالحون . وكان يعذل أصحابه على أشياء لم يطلعوه عليها ، وكان مولده في سنة

---

907 ـ ترجمة ابن فيره (Ferro) الشاطبي في تكملة ابن الأبار وتكملة المنذري (رقم: 237) وذيل الروضتين: 7 وابن خلكان 4: 71 وعبر الذهبي 4: 273 وسير الذهبي 21: 261 والوافي للصفدي (خ) ونكت الهميان: 228 وطبقات السبكي 7: 270 والأسنوي 2: 113 والبداية والنهاية 13: 10 وطبقات الجزري 2: 20 وبغية الوعاة 2: 260 والنفح 1: 339 والشذرات 4: 301 .

ثمان وثلاثين وخمسمائة . ومات رحمه الله يوم الأحد بعد صلاة العصر الثامن والعشرين من جمادى الآخرة سنة تسعين وخمسمائة ، ودفن في مقبرة البيساني بسارية مصر بعد أن أضر .

أخذ القراءة عن الشيخين الإمامين أبي الحسن علي بن هذيل وأبي عبد الله محمد بن أبي العاص النفري[1] .

قال الشيخ الإمام علم الدين أبو الحسن علي بن محمد السخاوي تلميذه وشارح قصيدته ، وقد وصف دينه وورعه وصلاحه ، ثم قال : وذكرتُ له يوماً جامع مصر وقلت له : قد قيل إن الأذان يُسْمَعُ فيه من غير المؤذنين ولا يُدْرَى ما هو ، فقال : قد سمعته مراراً لا أحصيها عند الزوال .

وقال لي يوماً : جَرَتْ بيني وبين الشيطان مخاطبة فقال : فعلتَ كذا فسأهلكك ، فقلت له : والله ما أبالي بك .

وقال لي يوماً : كنتُ في طريق وتخلّف عني من كان معي وأنا على الدابة وأقبل اثنان فسبّني أحدهما سبًّا قبيحاً ، فأقبلت على الاستعاذة ، وبقي كذلك ما شاء الله ، ثم قال له الآخر : دعه . وفي تلك الحال لحقني من كان معي فأخبرته بذلك فطلب يميناً وشمالاً فلم يجد أحداً .

وكان رحمه الله يعذل أصحابه في السرّ على أشياء لا يعلمها منهم إلا الله عز وجل ، وكان يجلس إليه من لا يعرفه فلا يرتابُ به أنه يبصر لأنه لذكائه ، لا يظهر منه ما يظهرُ من الأعمى في حركاته .

ـ 908 ـ

القاسم بن القاسم بن عمر بن منصور الواسطي أبو محمد : مولده بواسط العراق في سنة خمسين وخمسمائة في ذي الحجة ، ومات بحلب في يوم الخميس

908 ـ ترجمته في إنباه الرواة 3 : 31 وابن الشعار 5 : 573 والوافي للصفدي (خ) والفوات 3 : 192 وبغية الوعاة 2 : 260 .

(1) قد تقرأ « النفزي » إذ أضاف الصفدي إليها « المغربي » .

رابع ربيع الأول سنة ست وعشرين وستمائة ، أديب نحوي لغوي فاضل أريب ، له تصانيف حسان ومعرفة بهذا الشان .

قرأ النحو بواسط وبغداد على الشيخ مصدق بن شبيب ، واللغةَ على عميد الرؤساء هبة الله بن أيوب ، وقرأ القرآن على الشيخ أبي بكر الباقلاني بواسط ، وعلى الشيخ علي بن هياب الجماجمي بواسط أيضاً ، وسمع كثيراً من كتب اللغة والنحو والحديث على جماعة يطول شرحهم عليَّ : منهم أبو الفتح محمد بن أحمد بن بختيار المانداثي وأحمد بن الحسين بن المبارك بن نَغُوبَا ، سمع عليه المقامات عن الحريري ، فانتقل من بغداد إلى حلب في سنة تسع وثمانين وخمسمائة فأقام بها يقرىء العلم ويفيد أهلها نحواً ولغةً وفنون علوم الأدب .

وصنّف بها عدة تصانيف وهي على ما أملاه عليَّ هو بباب داره من حاضر حلب في جمادى الآخرة سنة ثلاث عشرة وستمائة : كتاب شرح اللمع لابن جني . كتاب شرح التصريف الملوكي لابن جني أيضاً . كتاب فعلت وأفعلت بمعنى على حروف المعجم . كتاب في اللغة لم يتم إلى هذه المدة . كتاب شرح المقامات على حروف المعجم ترتيب العزيزي . كتاب شرح المقامات آخر على ترتيب المقامات . كتاب شرح المقامات آخر على ترتيب آخر . كتاب خطب قليلة . كتاب رسالة فيما أخذ على ابن النابلسي الشاعر في قصيدة نظمها في الامام الناصر لدين الله أبي العباس صلوات الله عليه أولها : الحمد لله على نعمه المتظاهرة ، والصلاة على خير خلقه محمد وعترته الطاهرة ، وبعد فإنه لما أخرت الفضائل عن الرذائل ، وقدمت الأواخرُ على الأوائل ، ونبذ عهدُ القدماء ، وجُهِلَ قدرُ العلماء ، وصار عطاء الأموال باعتبار الأحوال لا باختيار الأقوال ، وظهر عظيم الاجلال بالأسماء لا بالأفعال ، علمت أن الأقدار هي التي تعطي وتمنع ، وتخفض وترفع ، فأخملتُ عند ذلك من ذكري وقدري ، وأخفيتُ من نظمي ونثري . « ولأمرٍ ما جدع قصير أنفه »[1] .

(ومن شعر نفسه) :

ومـا لي إلى العليـاءِ ذنبٌ علمتُـهُ ولا أنا عن كسبِ المحامـدِ قاعـدُ

(1) هذا مثل يتصل بقصة الزباء ، وكيف احتال عليها قصير بجدع أنفه ، انظر أمثال الضبي : 146 .

وقلتُ أصبرُ على كيدِ الزمان وكدّه ، فعسى الله أن يأتي بالفتح أو أمرٍ من عنده :

فلو لم يعلُ إلا ذو محلٍّ تعالى الجيشُ وانحطَّ القتامُ[1]

إلى أن بلغني ممن يعوّل عليه ، وَيُرْجَعُ في القول إليه ، عن بعض شعراء هذا الزمان ، ممن يُشار إليه بالبنان ، أنه أُنْشِدَ عنده بيتٌ للوليد[2] ، يشهد له بالفصاحة والتجويد ، وهو قوله :

إذا محاسنيَ اللائي أُدِلُّ بها صارتْ ذنوبي فقلْ لي كيفَ أعتذرُ

فقال مقالَ المفتري ، كم قد خرينا على البحتري ، فصبرتُ قلبي على أذاته ، وأغضيتُ جفني على قَذاته ، حتى ابتدرني بالبادرة ، التي يقصِّر عنها لسانُ الحادرة . فلو كان النابلسيّ ، كابن هانىءٍ الأندلسي ، لزلزلت الأرضُ زلزالها، وأخرجَتِ الأرضُ أثقالها . فيا للّه العجب متى أشرفت الظلمة على الضياء ، أو علت الأرضُ على السماء ، وأين السها من القمر ؟ وكيف يضاهى الغُمْر بالغَمَر ؟ فإنّا للّه وأفوض أمري إلى اللّه ، أفي كل سحابة أراع برعد ، وفي كل وادٍ بنو سعد[3] :

وإني شقيٌّ باللئام ولا ترى شقياً بهم إلا كريمَ الشمائلِ

لقد تحككتِ العقربُ بالأفعى ، واستنَّتِ الفِصالُ حتى القَرْعَى[4] .

وطاولتِ الأرضُ السماءَ سفاهةً وفاخرتِ الشهبَ الحصى والجنادلُ[5]

وما ذلك التيه والصلف ، والتجاوزُ للحدّ والسرف ؟ إلاّ لأنه كلما جرَّ جريراً[6] ، اعتقد أنه قد جَرَّ جريرا ، وكلما ركب الكُمَيْتَ ، ظنَّ أنه قد ارتكب الكميت ، وكلما أعظم من غير عظم ، وأكرم من غير كرم ، شمخ بأنفه وطال ، وتطاول إلى ما لن ينال ، وزعم أنه قد بلّد لبيداً ، وعبَّد عبيداً ، ولا واللّه ليس الأمرُ كما زعم ، ولا الشعرُ كما نظم ، ولكنها المكارمُ السلطانية الملكية الظاهرية التي نَوَّهَتْ بذكره فسترها ، ورفعتْ

(1) البيت للمتنبي ، ديوانه : 92 .

(2) يعني البحتري ، والبيت في ديوانه 2 : 954 .

(3) في كل واد بنو سعد ، مثل : انظر أمثال الضبي : 50 وجمهرة العسكري 1 : 61 .

(4) هذا مثل أيضاً ، انظر فصل المقال : 402 .

(5) البيت للمعري ، انظر شروح سقط الزند : 537 .

(6) الجرير : الحبل .

من قدره فَكَفَرَها ـ بقوله ما أذكره إذا انتهيت إليه. ولما طلب العبد كراعاً ، فأعطي ذراعاً[1] ، خرج على من يعرفه ، وبهرج على من يكشفه ، فقلت : لا مخبأ بعد بُوس ، ولا عطرَ بعد عروس[2] :

وما أنا بالغيرانِ من دونِ جاره إذا أنا لم أصبح غيوراً على العِلْمِ

وقصدت قصيداً من شعره ، يزعم أنها من قلائدِ دُرِّه ، قد هذَّبها في مدة سنين ، ومدح بها أمير المؤمنين ، وقال فيها : فانظرْ لنفسك أي دُرٍّ تنظم :

فكان لعمري ناظماً غيرَ أنه كحاطب ليلٍ فاته منه طائلُ

«فواعجبا كم يدَّعي الفضلَ ناقصٌ ووا أسفا كم يظهر النقصَ فاضل»[3]

وتتبعت ما فيها من غلطاته ، وأظهرتُ ما خفي فيها من سقطاته ، ولبست له جلد النمر ، واندفقت عليه كالسيل المنهمر ، بعد أن كتبها بخطه ، وزيَّنها بإعرابه وضبطه :

وابنُ اللبونِ إذا ما لُزَّ في قَرَنٍ لم يستطعْ صوْلةَ البُزْلِ القناعيسِ[4]

فوجدته قد أخطأ منها في واحدٍ وعشرين مكاناً ، عَدِمَ فيها تمكناً من العلم وإمكاناً ، فمنها ستة عشر موضعاً توضحها الكتابة والنظر ، ومنها خمسة توضحها المجادلة والنظر ، فهذا من جيّد مختاره ، وما يظهر على اختياره ، وان وقع إليّ شيء من مزوَّق شعره ، أو مُنَوَّقِ مستعاره ، لأعصبنّه فيه عَصْبَ السَّلَمةِ ، ولأعذّبنه تعذيبَ الظَّلَمةِ :

فإن قلتمُ إنا ظلمنا فلم نكنْ بدأنا ولكنّا أسأنا التقاضيا

ولو أنه اقتصر على قصوره ، وأنفق من ميسوره ، وستر عِواره ، ولم يبدِ شِواره ، لطويته على غَرِّه ، ولم أنبّهْ على عارِهِ وَعَرِّه ، فان « من سلك الجَدَدَ أَمِنَ العثار »[5] وسلم من سالم النقع المثار ، ولكن كان « كالباحث عن حتفه بظلفه »[6] فلحق

(1) أصل المثل : إن يعط العبد كراعاً يتسع ذراعاً ، أمثال الضبي : 149 .

(2) هذا مثل ، انظر فصل المقال : 436 والمثل فيه : لا مخبأ لعطر بعد عروس .

(3) هذا بيت للمعري ، انظر شروح سقط الزند : 528 .

(4) البيت لجرير ، ديوانه (التجارية : 1353) : 323 .

(5) هذا مثل ، انظر فصل المقال : 315 .

(6) هذا مثل ، انظر معجم الأمثال العربية 1 : 138 (كالباحثة عن حتفها بظلفها) ولسان العرب : (بحث) .

﴿ بالأخسرين أعمالاً الذين ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسِبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعاً ﴾ (الكهف: 103) وخطؤه في هذه القصيدة ينقسم قسمين : قسم فاته فيه أدبُ الدرس فيقسم أيضاً قسمين قسمٌ لفظي وقسم معنوي، فأما القسم اللفظي فانه ينقسم أيضاً قسمين قسمٌ لغويّ وقسم صناعي ، فأما القسم اللغوي فانه كذا وكذا ، لم يحتمل هذا المختصر ذكره .

وأنشدني لنفسه من قصيدة[1] :

ديباجُ وجهك بالعِذارِ مُطَرَّزُ ... برزتَ محاسنُهُ وأنت مُبَرِّزُ
وبدتْ على غصن الصبا لك روضةٌ ... والغصنُ ينبتُ في الرياض ويغرزُ
وجنتْ على وَجَناتِ خدك حمرةٌ ... خجلَ الشقيقُ بها وحار القرمزُ
لو كنتَ مدعياً نبوةَ يوسفٍ ... لقضى القياس بأن حسنك معجزُ

وأنشدني لنفسه من قصيدة[2] :

زَهَرُ الحُسْنِ فوقَ زَهْرِ الرياضِ ... منه للغصن حمرةٌ في بياضِ
قد حمى وَرْدَهُ ونرجسه الغـ ... ـضَّ سيوفٌ من الجفون مواضي
فإذا ما اجتنيتَ باللحظ فاحذر ... ما جنت صحةُ العيونِ المراضِ
فلها في القلوب فتكةُ باغٍ ... رُوِيَتْ عنه فتكة البرّاضِ
وإذا فَوَّقَتْ سهاماً من الهُدْ ... بِ رمينَ السهامَ بالأغراضِ
واغتنم بهجةَ الزمان وبادر ... شمسَ أيامه الطوالِ العراضِ
بشموسِ الكؤوسِ تحتَ نجومٍ ... في طلوعٍ من أفقها وانقضاضِ
واجلُ من جوهرِ الدنانِ عروساً ... نطقتْ عن جواهرِ الأعراضِ
كلما أُبرِزَتْ أَرَتْكَ لها وجـ ... ـهَ انبساطٍ يعطيك وجهَ انقباضِ
فعلى الأفقِ للغمام ملاءٌ ... طَرَّزتها البروقُ بالايماضِ
وكأن الرعودَ إرزامُ نوقٍ ... فُصِلَتْ دونها بناتُ المخاضِ

(1) وردت في الوافي والفوات .
(2) انظر المصدرين السابقين .

أو صهيلُ الجيادِ للملك الـظا هـر تسري بـالجحفلِ النهـاضِ

وأنشدني لنفسه يهجو ابن النابلسي [الشاعر][1] :

لا تـعـجـبـنَّ لـمـدلـويـــــه إذا بـدا شبهَ المـريضِ
قـد ذابَ من بَخَـرٍ بـفيـــــه بدا من الخلقِ البغيضِ
وَتَــكَـسَّـرَتْ أسـنـانـه بالعضِّ في جُعْسِ القريضِ
وتــقــطعــت أنـفـاسُـهُ عَـرَضاً بتقـطيع العـروضِ

وأنشدني لنفسه يهجو ابن النابلسي المذكور[2] :

يـا من تـأمـلَ مـدلـويـــــه وشـكَّ فيما يسقمـهْ
انـظر إلى بَخَـرٍ بـفيـــــه ومـا أظنّـك تفهمـهْ
لا تـحـسـبـنَّ بـأنـه نَـفَسٌ يـغـيـره فـمـهْ
لـكـنـمـا أنـفـاسـه نتنت بشعـرٍ ينـظمـهْ

وأنشدنا لنفسه في ذي الحجة سنة عشرين وستمائة بحلب[3] :

أرى بغضي على الـجهـلاء داءً يمـوتُ ببعضـه القلبُ العليـلُ
فهم مَـوْتَى النفـوسِ بغيـر دفنٍ وأحـيـاءٌ عـزيـزهـم ذلـيـلُ
يُـغَـطّون الـسمـاءَ بكـلِّ كـفٍّ لهـا في الـطول تقصيرٌ طـويـلُ
وَيُبْـدُون الـطلاقـةَ من وجـوهٍ كمـا يبدو لـك الحجـرُ الصقيـلُ
إذا قـامـوا لمجـدٍ أقـعـدتهم مسـالـكُ مـا لهم فيهـا سبيـلُ
وإن طلبـوا الصعـودَ فمستحيـلٌ وان لـزمـوا النـزولَ فمـا يـزولُ
كذاكَ السَّجْلُ في الـدولابِ يعلو صعـوداً والصـعـودُ لـه نـزولُ

وأنشدنا لنفسه بالتاريخ[4] :

لنـا صـديقٌ بـه انـقبـاض ونـحـن بـالـبسطِ نـسـتـلذُّ

(1) م : المذكور ، وانظر الوافي والفوات .
(2) انظر المصدرين السابقين .
(3) بعضها في المصدرين السابقين .
(4) انظر الوافي والفوات .

لا يعـرفُ الفتحَ في يـديه إلا إذا مـا أتـاه أخـذ
فكفـه «كيف» حين يعـطي شيئـاً وبعـد العـطاء «منـذ»

وأنشـدني لنفسه أيضاً[1] :

لا تـردْ من خيار دهـرك خيراً فبعيـدٌ من الـسـرابِ الشـرابُ
رونقٌ كـالحبـاب يعلو على الكـا سِ ولكن تحت الحَباب الحِبابُ
عـذبتْ في النفـاق ألسنـةُ القـو م وفي الأَلْسُنِ العِـذابِ العَذابُ

وأنشدني لنفسه أيضاً موشحة على طريقة المغاربة[2] :

فـي زهـرةٍ وطـيـبِ بستاني من أوجهٍ ملاحْ
أجـلو على الـقضيـبِ ريحاني والوردَ والاقاحْ
مـا روضـةُ الـربيعْ فـي حُلّةِ الـكمـالْ
تـزهـو على ربيـعْ مَـرَّتْ بـه الشمـالْ
في الحسن كالبديعْ بـالحسنِ والجمـالْ
نـاهيـكَ من حـبيـب نشوان بالدلِّ وهو صاحْ
إن قـلـت والـهـيـبـي حَيّـاني من ثغـره بـراحْ
كـم بتُّ والـكؤوسْ تُجْلَى مِنَ الـدنـانْ
كـأنـهـا عـروسْ زُفَّـتْ من الـجنـانْ
تبـدو لنـا الشمـوس منهـا على البنـانْ
لـم أخشَ مـن رقـيـبِ ينهاني ألهو إلى الصباحْ
مـع شـادنٍ ربـيـبِ فتـانِ زَنْدِي لـه وشـاحْ
خيلُ الصبا بـركضِ تجـري مـع الغـواهْ
في سُنّتي وفـرضي لا أبـتـغـي سـواهْ

(1) وردت في المصدرين السابقين .
(2) وردت هذه الموشحة في الوافي والفوات .

وحجتي لعرضي ما تنقلُ الرواهْ
عن عاقلٍ لبيب أفتاني أنَّ الهوى مباحْ
والرشفُ من شنيب ريانِ ما فيه من جناحْ

وأنشدني لنفسه موشحة[1] :

أي عنبريهْ في غلائل الغَلَسْ من زبرجديهْ تُنْبِهُ[2] النَّفَسْ
جادها الغمامُ فانتشى بها الزَّهَرْ
وابتدا الكمامُ أعيناً بها سهرْ
وشدا الحمامُ حين صَفَّقَ النهرْ
وارتدت عشيّه كملابس العُرُسْ حللاً سنيّه ما دنت من الدَّنَسْ
واملأ الكؤوسا فضةً على الذهب
واجلها عروسا تُوِّجَتْ من الشهب
تطلع الشُّموسا في سنا من اللهب
فلها مزيه في الدجى على القَبَسْ بحلى شهيّه كمحاسنِ الَّلعَسْ
يخبرُ سناها عن تطايرِ الشررْ
فاز مَنْ جناها من قلائدِ الدّررْ
فإذا تناهى في الخلائقِ الغررْ
قلت ظهريه أُظْهِرَتْ لملتمس من علا أبيّهْ ما تُنال بالخُلَسْ

وأنشدني لنفسه أيضاً :

لا خير في أوجه صباحِ تُسْفِرُ عن أنفسٍ قباحِ
كالجرح يُبْنَى على فسادٍ بظاهرٍ ظاهرِ الصلاحِ
فقلْ لمن مالُهُ مصونٌ أصِبْتَ في عرضِكَ المباحِ

---

(1) أوردها في الوافي .
(2) الوافي : تنبيه .

وأنشدني أيضاً لنفسه :

جدّ الصبا في أباطيلِ الهوى لعبُ ... وراحةُ اللهو في حكم النهى تَعَبُ
وأقربُ الناسِ من مجدٍ يؤثله ... من أبعدته مرامي العزمِ والطلبُ
وقادها كظلام الليل حاملةً ... أهلّةً طلعتْ من بينها الشهب
منقضّةً من سماءِ النقع في أُفقٍ ... شيطانُهُ بغمام الدرعِ محتجبُ
واسودَّ وجهُ الضحى مما أشار به ... وأشرقَ الأبيضان الوجه والنسب
في موقف يسلبُ الأرواح سالبها ... حيث المواضي قواضٍ والقنا سُلُبُ
لا يُرهب المرءُ ما لم تبد سطوته ... لولا السنانُ استوى الخطيّ والقصب
إن النهوضَ إلى العلياء مكرمةٌ ... لها التذاذان مشهودٌ ومرتقب
والملك صنفان : محصولٌ وملتمَسٌ ... والمجد نوعان : موروثٌ ومكتسب
والناس ضدان : مرزوقٌ ومحترم ... تحت الخمول ومغصوبٌ ومغتصب
والطاهرُ النفسِ لا ترضيه مرتبةٌ ... في الأرض إلا إذا انحطت لها الرتب
والفضلُ كسبٌ فمن يقعدْ به نَسَبٌ ... ينهضْ به الأفضلان العلم والحسب
للّه درُّ المساعي ما اسْتُدِرَّ بها ... خِلْفُ السيادةِ إلا أمكن الحلبُ
وحبذا همةٌ في العزم ما انتدبت ... لمبهم الخطبِ إلا زالت الحجبُ
وموطناً يُسْتَفادُ العزّ منه كما ... أفادت العزَّ من سلطانها حلبُ

ومنها :

مؤيدُ الرأي والرايات قد أَلِفَتْ ... ذوائبَ القوم من راياتها العذبُ
إن نازلوه وقد حقَّ النزالُ فَمِنْ ... أنصاره الخاذلان الجبنُ والرعبُ
أو كاتبوه فخيلٌ من كتائبه ... تجيبُ لا المخبران الرسلُ والكتب
مغاورٌ ينهبُ الأعمارَ ذابلُهُ ... في غارةِ الحرب والأموالُ تنتهبُ
في جحفلٍ قابلوا شمسَ النهار على ... مثلِ البحار بمثلِ الموج يضطرب
حتى كأنَّ شعاعَ الشمسِ بينهمُ ... فوق الدُّروع على غدرانها لهب

ما أنكر الهامُ من أسيافه ظبةً ... وإنما أنكرتْ أسيافَهُ القُرُبُ
ما يدفعُ الخطبَ إلا كلّ مندفعٍ ... في مدحه الأفصحان الشعرُ والخطبُ
ومن إذا ما انتمى في يومِ مفتخَرٍ ... أطاعه العاصيان العجم والعربُ

وأنشدني من قصيدة لنفسه أيضاً :

أفي البانِ أنْ بان الخليطُ مُخَبِّـرُ ... عسى ما انطوى من عهدِ لمياءَ يُنْشَرُ
نعم حركاتٌ في اعتدالِ سكونها ... أحاديثُ يرويها النسيم المعطرُ
يودُّ ظلامُ الليلِ وهو مُمَسَّكٌ ... لذاذتها والصبحُ وهو مزعفرُ
أحاديثُ لو أن النجوم تمتعتْ ... بأسرارها لم تدرِ كيف تُغَوِّرُ
يموتُ بها داءُ الهوى وهو قاتلٌ ... ويحيا بها مَيْتُ الجوى وهو مقبرُ
فيا لنسيمٍ صحتّي في اعتلاله ... وصحوي إذا ما مر بي وهو مُسْكَرُ
كأن به مشمولةً بابليةً ... صَفَتْ وهي من غُصْنِ الشمائلِ تعصرُ
إذا نشأت مالت بلبك نشوةً ... كما مال مهزوزٌ يُماحُ ويمطرُ

وقال يمدح الوزير جمال الدين القاضي الأكرم أبا الحسن علي بن يوسف بن ابراهيم الشيباني القفطي من صعيد مصر ويلتمس منه أن يرتبه في خدمة[1] :

يا سيدي قد رُميتُ من زمني ... بحادثٍ ضاق عنه محتملي
وأنت في رتبةٍ إذا نظرتْ ... إليَّ صار الزمانُ من قبلي
والنظمُ والنثرُ قد أجدتهما ... فيكَ فلا تتركِ الإجادةَ لي
فداك قومٌ إذا وقفتُ بهم ... رأيتني واقفاً على طلل
تشغل أموالهم مساعيَهم ... فهم عن المكرماتِ في شغلِ
تحمي حماها أعراضهم فإذا ... ماتت حَماها سُورٌ من البَخَلِ
معاولُ الذمِّ فيه عاملةٌ ... إعمالها في مغائرِ الجبلِ

---

(1) من الواضح أن القفطي في ترجمته للواسطي يستثقله كثيراً ويورد أمثلة من جهله ، ويراه امرءاً كثير الإعجاب بنفسه ، مستهتراً بالخمر واتخاذ علوج ليسوا بحسان الخلق ، وأنه يرتاد محالّ الفسوق .

نـعلُكَ تـاجٌ إذا رفـعتـهـمُ لـرأسِ حـافٍ منهم ومنتعـل
فـاسمـع حـديثي فلي مغـازلـةٌ تبثُّ شكـوى في موضـع الغـزل
قـد كـنتُ فـي راحـةٍ مكـمَّـلَةٍ أحيي المعـالي بميِّتِ الأمـل
أرفـلُ في عـزةِ القنـاعـة في ذيـلٍ على النـائبـات منسـدل
فعنـدمـا طـالت البـطالـةُ بي وصـار لي حـاجـةٌ إلى العمـل
قـال أنـاس نبّـه لهـا عـمـراً فقلت حسبي رأي الـوزيـر علي

يعني عمر بن الوبار أحد حجاب أتابك طغرل شهاب الدين الخادم المستولي في أيامنا على حلب وقلعتها :

قـد بتُّ من وعـده عـلى ثقـةٍ أمنتُ في حَلْيـهـا من العَـطَلِ
فـالأكـرم ابن الكـرام لـو سبقتْ وعـوده بـالشبـاب لـم يَحُـلِ
يفـرّ من وعـده المـطالُ كمـا تـفـرُّ آراؤه مـن الـزلـل
أخـلاقـه حـلوةُ الـمـذاقِ فـلو شبهتهـا مـا ارتضيتُ بـالعسـل
بمنـطقٍ لـو سَـرَتْ فصـاحتـه في اللُّكْنِ لاستعصمتْ من الخطل
تـمـجُّ أخـلاقـه إذا كـتـبـت مـاء المنى من أسـنـةِ الأَسـل
وان سَـطَتْ في ملمـة نـسيتْ صفّين منهـا ووقعـةُ الـجمـل
تنـظم درّاً على الـطروس كمـا يُـنْـظَمُ درّ الحـليّ فـي الـحلل
مـبـيّـنٌ عـلمَـهُ لـسـائـله مَسـائـلاً أشكـلتْ على الأول
لـكـلِّ عـلم فـي بـابـه عَـلَم يـهـدي إلى قـبلةٍ مـن القبـل
أيّ جـمـال مـا فـيـه أجـملـه على وجـوه التفصيل والجمـل
جـلَّ الـذي أظهـرتْ بـدائعُـهُ منه معـاني الـرجـالِ في رجـل

ـ 909 ـ

القاسم بن محمد بن بشار الأنباري أبو محمد والد أبي بكر محمد بن الأنباري: كان محدثاً أخبارياً ثقة صاحبَ عربية، أخذ عن سلمة بن عاصم وأبي عكرمة الضبي؛ مات سنة أربع وثلاثمائة غرة ذي القعدة، وقال ثابت بن سنان: مات في صفر سنة خمس وثلاثمائة، ومن خطه نقلت.

قال محمد بن إسحاق: وله من التصانيف: كتاب خلق الإنسان. كتاب خلق الفرس. كتاب الأمثال. كتاب المقصور والممدود. كتاب المذكر والمؤنث. كتاب غريب الحديث. كتاب شرح السبع الطوال، رواها أبو غالب ابن بشران عن علي بن كردان عن أبي بكر أحمد بن محمد بن الجراح الخراز عن أبي بكر عن أبيه.

ومما يروى لابن الأنباري هذا:

إني بأحكامِ النجومِ مكذّبُ ... ولمدعيها لائمٌ ومؤنّبُ
الغيبُ يعلمه المهيمنُ وحدَهُ ... وعن الخلائق أجمعينَ مغيّب
اللّه يُعطي وهو يمنعُ قادراً ... فمن المنجمُ ويحه والكوكبُ

قرأت في «كتاب الفهرست» الذي تممه الوزير الكامل أبو القاسم المغربي ولم أجد هذا في النسخة التي بخطّ المصنف أو قد ذهب عن ذكري قال: ذكر أبو عمر الزاهد قال، أخبرني أبو محمد الأنباري قال: قدمت الى بغداد، ومحمد صغير، وليس لي دار، فبعث بي ثعلب إلى قوم يقال لهم بنو بدر فأعطوني شيئاً لا يكفيني وذكروا «كتاب العين» فقلت: عندي كتاب العين، فقالوا لي: بكم تبيعه؟ فقلت: بخمسين ديناراً، فقالوا لي: قد أخذناه بما قلت إن قال ثعلب إنه للخليل، قلت، فإن لم يقل إنه للخليل بكم تأخذونه؟ قالوا: بعشرين ديناراً، فأتيت أبا العباس من فوري فقلت له: يا سيدي هب لي خمسين ديناراً، فقال لي: أنت مجنون، وهذا تأكيد، فقلت له: لست أريد من مالك، وحدثته الحديث، قال: فأكذب؟ قلت:

909 ـ ترجمة ابن الأنباري أبي محمد في الفهرست: 81 وطبقات الزبيدي: 208 ومراتب النحويين: 97 وإنباه الرواة 3: 28 وتاريخ بغداد 12: 440 والوافي للصفدي (خ) وبغية الوعاة 2: 261.

حاشاك ولكن أنت أخبرتنا أن الخليل فرغ من باب العين ثم مات فاذا حضرنا بين يديك للحكومة ضع يدكَ على ما لا تشكُّ فيه ، فقال : تريد أن أنجش لك ؟ قلت : نعم ، قال : هاتهم فبكروا وسبقوني وحضرت فأخرجوا الكتاب وناولوه وقالوا : هذا للخليل أم لا ؟ ففتح حتى توسَّطَ باب العين وقال : هذا كلام الخليل ثلاثاً ، قال : فأخذت خمسين ديناراً .

ـ 910 ـ

القاسم بن محمد الديمرتي أبو محمد الأصبهاني : من قرية من قراها يقال لها ديمرت ، روى عن إبراهيم بن متّويه الأصبهاني . وقال حمزة : أبو محمد القاسم الديمرتي لغوي نحوي عني في صغره بتصحيح كتب وقراءاتها ثم هو منتصب منذ أربعين سنة تقرأ عليه الكتب.

وحدث أبو نصر منصور بن أحمد بن محمد بن الشيرازي خازن كتب عضد الدولة ومعلم ولده صمصام الدولة وقاضي فارس وأعمالها قال : أنشدنا أبو محمد القاسم بن محمد الديمرتي لنفسه وقد سئل أن يجمع الشعراء العشرة :

الأصلُ أن تُحْكِمَ شعرَ العَشَرَهْ ... أشعارَ قومٍ في زمان لم تَرَهْ
أشعار بشرٍ ولبيدٍ وعدي ... نعم والأعشى وعبيد الأسدي
حتى إذا أحكمت شعر النابغة ... [. . . . .]
فابتدِ في شعر امرىء القيس ... فالفخرُ في ذاك وشعرِ أوسِ
وابتدر القومَ وفيهم طَرَفَهْ ... وكلّ ما قال زهيرٌ في صفه

قال المؤلف : وهذا شعر هذا العلامة كما ترى في غاية الركاكة والرداءة ولم يستطع تصريعَ البيت الذي فيه ذكر النابغة.

قال محمد بن إسحاق : وله من الكتب : كتاب تقويم الألسنة . كتاب العارض في الكامل . كتاب تفسير الحماسة . كتاب غريب الحديث . كتاب الابانة .

---

910 ـ ترجمة الديمرتي في الفهرست: 94 وأخبار اصبهان 2 : 163 وإنباه الرواة 3 : 30 والوافي للصفدي (خ) وبغية الوعاة 2 : 263 .

قال حمزة : وله كتب كبار وصغار فمن كبار كتبه: كتاب الصفات . كتاب تفسير ضروب المنطق . كتاب سماه كتاب تهذيب الطبع يشتمل على قطعة كبيرة من نوادر اللغة.

ذكره أبو نعيم في « تاريخ أصبهان » فقال : القاسم بن محمد الديمرتي الأديب أبو محمد روى عن إبراهيم بن متويه وإسحاق بن جميل ومحمد بن سهل بن الصباح .

ـ 911 ـ

القاسم بن محمد بن رمضان أبو الجود النحوي العجلاني : كان في عصر أبي الفتح ابن جني وفي طبقته ، وهو بصري . قال محمد بن إسحاق : وله من الكتب : كتاب المختصر للمتعلمين . كتاب المقصور والممدود . كتاب المذكر والمؤنث . كتاب الفرق .

ـ 912 ـ

القاسم بن محمد بن مباشر الواسطي أبو نصر النحوي : لقي ببغداد أصحابَ أبي علي ، وتنقَّلَ في البلاد حتى نزل مصر فاستوطنها فقرأ عليه أهلها ، وأخذ عنه أبو الحسن طاهر بن أحمد بن بابشاذ وبه تخرَّجَ وزوجه من أخته ، وكان ابن بابشاذ يخدمه وبه انتفع ، ومات بمصر.

وله من الكتب : كتاب شرح اللمع . كتاب في النحو ، رتبه على أبواب الجمل وشرح من كلِّ باب مسألة .

ـ 913 ـ

القاسم بن معن المسعودي : هو أبو عبد الله القاسم بن معن بن عبد الرحمن بن عبد الله بن مسعود صاحب رسول الله ﷺ ابن غافل بن حبيب بن

911 ـ ترجمته في الفهرست: 92 وإنباه الرواة 3 : 27 والوافي للصفدي (خ) وبغية الوعاة 2 : 262 .

912 ـ ترجمته في الوافي للصفدي (خ) وبغية الوعاة 2 : 262 .

913 ـ ترجمة القاسم المسعودي في طبقات ابن سعد 6: 267 وطبقات الزبيدي: 133 والفهرست: 76 ونور =

شمخ بن فار[1] بن مخزوم بن صاهلة بن كاهل بن الحارث بن تميم بن سعد بن هذيل بن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان ، من أهل الكوفة ، وكان فقيهاً على رأي أبي حنيفة ولقيه ، وكان عالماً وولي القضاء بالكوفة ومات سنة خمس وسبعين ومائة ، خرج مع بعض أسباب الرشيد إلى الرَّقةِ فمات في رأس عين.

وقال أحمد بن كامل القاضي : مات القاسم بن معن في سنة ثمان وثمانين ومائة. قال المرزباني والأول أصحّ . وقال عبد الله بن جعفر : من علماء الكوفة بالعربية والفقه والشعر والأخبار والنسب القاسم بن معن بن عبد الرحمن بن عبد الله بن مسعود الهذلي صاحب رسول اللّه ﷺ وكان فقيهاً محدثاً قاضياً ، وله في اللغة : كتاب النوادر . كتاب غريب المصنف . وكتب في النحو ومذهب متروك . وكان الليث بن المظفر صاحب الخليل بن أحمد أحدَ من أخذ عنه النحو واللغة وروى عنه وأدخل في كتاب الخليل من علم القوم شيئاً كثيراً فأفسد الكتاب بذلك ، إلا أن القاسم من المحدّثين والفقهاءِ والزهادِ والثقات ، ولم يكن له بالكوفة في عصره نظيرٌ ولا أحدٌ يخالفه في شيء يقوله ، والفراء كثير الرواية عنه.

وحدث محمد بن سعد قال : القاسم بن معن يُكْنَى أبا عبد الله ، ولي قضاء الكوفة ولم يرزق عليه شيئاً حتى مات ، وكان عالماً بالحديث والفقه والشعر والنسب وأيام الناس ، وكان يقال له شعبيّ زمانه وكان ثقةً سخياً .

وقال أحمد بن كامل : كان القاسم بن معن الهذلي قاضي الكوفة ، وكان من أصحاب أبي حنيفة الأثبات في النقلِ ، الرّفعاءِ في اللغة والفقه.

وحدث حماد بن إسحاق الموصلي قال : سمعت محمد بن كناسة قال ، سمعت القاسم بن معن يقول : دخلت على عيسى بن موسى فقال لي : ما بعثتُ إليكَ إلا

القبس: 279 وإنباه الرواة 3: 30 وسير الذهبي 8: 170 وعبر الذهبي 1: 268 وتهذيب التهذيب 8: 338 والجواهر المضية 1: 412 والوافي للصفدي (خ) وبغية الوعاة 2: 263 والنجوم الزاهرة 2: 48 والشذرات 1: 286 .

(1) م : فاد .

لخير ، قال : فهان والله في عيني حتى جلستُ واحتبيت في مجلسه ، فقال لي : تحتبي في مجلسي؟! يا غلام حُلَّ حبوته ، قال قلت : لا عدمتُ تقويمَ الأمير ، قال : بعثتُ إليك لأولّيكَ القضاء ، قلت : لا أفعل ، قال : إن أبيت ضربتك خمسة وسابعين سوطاً . قال قلت : لا يجيء من بعد إلا سابعين، قال قلت : وإن لم أفعل فعلت ؟ قال : نعم ، قال قلت ، فذا إليَّ .

وحدث الهيثم بن عدي قال : استقضى المنصور على الكوفة بعد عبد الرحمن بن أبي ليلى شريكَ بن عبد الله النخعي فلم يزلْ قاضياً حتى كانت خلافة الرشيد فاستقضى نوح بن دراج .

وحدث المرزباني عن علي بن صالح عن القاسم بن معن قال : عُدْتُ خشافاً في مرضه الذي مات فيه فقال لي : يا أبا عبد اللّه ما أشوقني إليك ، ولو كان لي نهوض خرجتُ إليك ، ولولا أن بيتي قد آلى فأكرس لأحببتُ أن تدخله (يريد بالموالاة البعر بعر الشاء ، وأكرس من الكرس وهو السرجين ، قال العجاج :

يا صاح هل تعرفُ رسماً مُكْرِسَا)

وكان خشاف من علماء أهل الكوفة باللغة . وحدث عن سليمان بن أبي شيخ قال ، قال ابن حبيبات الكوفي للقاسم بن معن المسعودي القاضي[1] :

يا أيها العادِلُ الموفَّقُ والـ ـقاسمُ بين الأراملِ الصَّدَقَهْ
ماذا ترى في عجائزٍ زُزُحٍ أمسين يشكون قلةَ النفقهْ
ما إن لهنَّ الغداةَ من نَشَبٍ يُعْرَفُ الا قطيفةٌ خَلَقَهْ
بناتُ تسعين قد خَرِفْنَ فما يَفْصِلْنَ بين الشواءِ والمرقهْ
فهنَّ لولا انتظارهن دنا نيرَكَ قُطِّعْنَ بَعْدُ في السرقهْ

قال فقال القاسم : العجبُ أنه يوجب علينا دنانير ولا يوجب دراهم ، قال : وأعطاه ثلاثة دنانير .

(1) نور القبس : 281 .

ـ 914 ـ

قتادة بن دعامة السدوسي أبو الخطاب: وكان أكمه ولد أعمى ، وكان أبوه أعرابياً ولد بالبادية ، وأمه سُرِّية من مولَّدات الأعراب ، وكان يقولُ بشيءٍ من القدر ثم رجع عنه ، ويقال أيضاً إنه كان ذا علم في القرآن والحديث والفقه.

قال الأصمعي : وقتادةُ حاطبُ ليلٍ من الطبقة الثالثة من النابغين[1] بالبصرة ؛ مات بالبصرة سنة سبع عشرة ومائة في أيام هشام بن عبد الملك وأخذ القراءة عن الحسن البصري وابن سيرين.

عن التوزي عن أبي عبيدة قال : ما كنا نفقدُ في كلِّ أيامٍ راكباً من ناحية بني أمية ينيخُ على باب قتادة يسأله عن خَبَرٍ أو نسبٍ أو شعر ، وكان قتادة أجمعَ الناس.

ابن دريد عن عبد الرحمن عن عمه الأصمعي عن محمد بن سلام الجمحي عن عامر بن عبد الملك المسمعي قال : لقد كان الرجلان من بني مروان يختلفان في بيت شعر فيرسلان راكباً إلى قتادة يسأله ، قال : ولقد قدم عليه رجلٌ من عند بعضِ الخلفاء من بني مروان فقال لقتادة : من قتل عمراً وعامراً[2] ؟ فقال : قتلهما جحدر بن ضبيعة بن قيس بن ثعلبة . قال فشخص بها ثم عاد إليه فقال : أجل قتلهما جحدر ولكن كيف قتلهما جميعاً ؟ فقال : اعتوراه فطعن هذا بالسنان وهذا بالزجّ فعادَى[3] بينهما.

914 ـ طبقات ابن سعد 7: 229 والمعارف: 462 والمعرفة والتاريخ 2: 227 ونور القبس (صفحات متفرقة) وطبقات الشيرازي: 89 وإنباه الرواة 3: 35 وأنساب السمعاني (السدوسي) وابن خلكان 4: 85 وتذكرة الحفاظ: 122 وسير الذهبي 5: 268 وميزان الاعتدال 3: 385 وعبر الذهبي 1: 146 والوافي للصفدي (خ) ونكت الهميان: 230 والبداية والنهاية 9: 313 وطبقات ابن الجزري 2: 25 ومرآة الجنان 1: 251 وتهذيب التهذيب 8: 351 والنجوم الزاهرة 1: 276 والشذرات 1: 153 .

(1) لعل الصواب : التابعين .
(2) هما تغلبيان قتلا يوم قضة ، ويسمى يوم تحلاق اللمم (وخبره في أيام العرب) .
(3) عادى : والى ، أي قتلهما ولاءً .

قال أبو يحيى الساجي حدثنا نصر بن علي الجهضمي مولاي عن خالد بن قيس قال ، قال قتادة : ما نسيت شيئاً قط ، ثم قال : يا غلامُ ناولني نعلي ، قال : نعلك في رجلك[1] .

ـ 915 ـ

قُثَم بن طلحة بن علي بن محمد بن علي بن الحسن الزينبي أبو القاسم : يعرف بابن الأتقى ، وهو لقب أبيه طلحة . تولى قثم نقابة العباسيين مرتين : أولاهما في أيام المستضيء بأمر الله في سنة ست وستين وخمسمائة وعزل في ذي الحجة سنة ثمان وستين ، والثانية في صفر سنة ثلاث وثمانين وخمسمائة في أيام الناصر وعزل في سابع عشر ذي الحجة سنة تسعين ، وولي بعد ذلك حجابة باب النوبي يوم الخميس خامس عشر ذي القعدة سنة ستمائة فوقعت فتنة ببغداد بين أهل باب الأزج والمأمونية ، فركب ليسكِّنَ الفتنةَ فلم تسكنْ فأخذ بيده حربةً وحمل على إحدى الطائفتين ونادى يا لهاشم ، وتداركه الشحنة حتى سكنت الفتنة ، فعيب عليه وقيل أُردت خَرْقَ الهيبة ، لو ضربك أحدُ العوام فقتلك ؟! فعزل عن حجبة الباب في ثالث عشر شهر رمضان سنة إحدى وستمائة ولم يُستخدم بعد ذلك .

وكان فيه فضل وتميّز ومعرفة بالعلم وحرص عليه جداً خصوصاً ما يتعلق بالأنساب والأخبار والأشعار ، وجمع في ذلك جموعاً بأيدي الناس ، وكتب الكثير بخطه المليح ، إلا أنّ خطَّه لا يخلو من السقط مع ذلك . وسمع الحديث من أبي عبد الله الحسين بن عبد الرحمن الغزي وأبي بكر أحمد بن المقرب الكرخي وأبي الفتح محمد بن عبد الباقي بن سليمان وغيرهم ، وسئل عن مولده فقال في سابع محرم سنة خمس وخمسين ومات في سادس رجب سنة سبع وستمائة .

---

915 ـ ترجمته في تكملة المنذري 2 : 206 (وفيه تخريج) والوافي (خ) .

(1) فاته هنا ذكر قتيبة بن مهران الكوفي النحوي (انظر انباه الرواة 3 : 37) .

ـ 916 ـ

قدامة بن جعفر بن قدامة الكاتب أبو الفرج : كان نصرانياً وأسلم على يد المكتفي بالله ، وكان أحد البلغاء الفصحاء والفلاسفة الفضلاء وممن يشار إليه في علم المنطق ، وكان أبوه جعفر ممن لا يُفَكَّرُ فيه ولا علم عنده .

وذكر أبو الفرج ابن الجوزي في تاريخه : قدامة بن جعفر بن قدامة أبو الفرج الكاتب ، له كتاب في الخراج وصناعة الكتابة ، وقد سأل ثعلباً عن أشياء . مات في سنة سبع وثلاثين وثلاثمائة في أيام المطيع . وأنا لا أعتمد على ما تفرَّد به ابن الجوزي لأنه عندي كثيرُ التخليطِ ، ولكنّ آخر ما علمنا من أمر قدامة أن أبا حيان ذكر أنه حضر مجلس الوزير الفضل بن جعفر بن الفرات وقت مناظرة أبي سعيد السيرافي ومتّى المنطقي في سنة عشرين وثلاثمائة[1] .

قال محمد بن إسحاق : وله من الكتب : كتاب الخراج تسع منازل كان ثمانية منازل فأضاف إليه تاسعاً[2] .

كتاب نقد الشعر[3] . كتاب صابون الغم . كتاب صرف الهم . كتاب جلاء الحزن . كتاب درياق الفكر . كتاب السياسة . كتاب الردّ على ابن المعتز فيما عاب به أبا تمام . كتاب حشو حشاء الجليس . كتاب صناعة الجدل . كتاب الرسالة في أبي علي ابن مقلة وتعرف بالنجم الثاقب . كتاب نزهة القلوب وزاد المسافر . كتاب زهر الربيع في الأخبار .

---

916 ـ ترجمة قدامة في الفهرست: 144 والمنتظم 6 : 363 والنجوم الزاهرة 3 : 297 والوافي (خ) .

(1) انظر الامتاع والمؤانسة 1 : 108 وفيه أن المجلس انعقد سنة ست وعشرين وثلاثمائة .

(2) نشر بعضه ملحقاً بكتاب ابن خرداذبه (ليدن 1889) ثم نشر بن شمش المنزلة السابعة مصورة وترجمها إلى الانجليزية (ليدن 1965) ونشر د . محمد حسين الزبيدي المنازل من 5 ـ 8 (بغداد 1979) واستخرج د . مصطفى الحياري مادة السياسة ثم الدواوين منه ونشرها 1981 ، 1986 ونشر د . طلال جميل رفاعي المنزلة الخامسة (مكة 1987) وفي الوقت نفسه صوره فؤاد سيزكين (فرنكفورت 1986) .

(3) طبع عدة مرات بمصر ، ثم حققه بونيبكر ، ليدن (1956) .

وبلغني عن بعض متعاطي علم الأدب أنه شرح « كتاب المقامات الحريرية » فقال عند قوله : « ولو أوتي بلاغة قدامة » أن قدامة بن جعفر كان كاتباً لبني بويه ، وجهل في هذا القول ، فان قدامة كان أقدمَ عهداً ، أدرك زَمَنَ ثعلب والمبرد وأبي سعيد السكري وابن قتيبة وطبقتهم ، والأدبُ يومئذٍ طريء ، فقرأ واجتهد وبرع في صناعتي البلاغة والحساب ، وقرأ صدراً صالحاً من المنطق ، وهو لائحٌ على ديباجةِ تصانيفه وإن كان المنطقُ في ذلك العصر لم يتحررْ تحريرَهُ الآن ، واشتهر في زمانه بالبلاغة ونقد الشعر ، وصنَّف في ذلك كتباً منها « كتاب نقد الشعر » له ، وقد تعرض ابن بشرٍ الآمدي إلى الردِّ عليه فيه ، وله كتاب في الخراج رتبه مراتب وأتى فيه بكلِّ ما يحتاج الكاتبُ إليه وهو من الكتب الحسان ، إلى غير ذلك من الكتب . ولم يزل يتردد في أوساط الخدم الديوانية بدار السلام إلى سنة سبع وتسعين ومائتين ، فإن الوزير أبا الحسن ابن الفرات لما توفي أخوه أبو عبد الله جعفر بن محمد بن الفرات في يوم الأحد لثلاث عشرة ليلة خلت من شوال سنة سبع وتسعين ومائتين وكان أسنَّ من أخيه أبي الحسن ابن محمد الوزير بثلاث سنين ردَّ ما كان إليه من الديوان المعروف بمجلس الجماعة إلى ولده أبي الفتح الفضل بن جعفر وإليه ديوان المشرق ، ثم ظهر له بعد ذلك اختلالٌ من النواب فولّاه لولده أبي أحمد المحسّن ، واستخلف المحسنُ عليه القاسمَ بن ثابت ، وجعل قدامة بن جعفر يتولّى مجلس الزمام في هذا الديوان ، وبانت عند ذلك صناعة المحسّن ، وأثار من جهةِ العمالِ أموالاً جليلة .

ـ 917 ـ

قعنب بن المحرّر الباهلي أبو عمرو الراوية : من أهل البصرة المكثرين ، وكان أبو هفان يتردد إليه فأخذ عنه ثم وجد عليه فهجاه .

حدث قعنب قال : دخلتُ على سعيد بن سَلْمٍ الباهلي وهو يضحكُ ، فسألته عن سبب ذلك فقال : جاءتني جاريةٌ ليست عندي كغيرها فغمزتني فانتشرتُ فقلت : ادعي لي فلانةَ لجاريةٍ كنت أهواها ، فقالت : لا والله ، فقلت : ولم ؟ قالت : لأنك

917 ـ نور القبس : 219 (وفيه قعنب بن المحرز) .

تروي عن النبي ﷺ من أحيا أرضاً مواتاً فهي له ، وقد أحييتُ أنا هذا فهو لي ، فواقعتها وما كنتُ فعلتُ ذلك قبل وَقُرُبَتْ من قلبي .

وحدث أبو العيناء قال : كان قعنب الباهلي قد تعشَّقَ فتىً من فتيانِ المهالبة ، واتصل بأبيه وبخادم له ، ثم نذر به فدعاه الفتى وقد جمع له عدةً من المهالبة ومواليهم إلى بستان له ، فأكلوا وشربوا ثم حملهم على قعنب فهتكوا ستره ، فقال أبو العالية الشاميّ :

نبئتُ أنَّ المرءَ قعنبْ دمرت[1] عليه بنو المهلبْ
بأسنةٍ تدعُ الكميَّ وأنفُهُ دامٍ مُتَترِّبْ
فتجلَّتِ الغمَّى وكلّ سلاحهم بدمٍ مخضَّبْ

قال أبو العيناء : فحدث بهذا الحديث الأصمعي بحضرتي ، فذهبتُ أذبُّ عن قعنب تقرّباً إلى الأصمعي للباهلية بينهما ، فقال الأصمعي : اسكت يا بنيّ فقد بلغني أنه لُقِيَ بِكَمَرٍ ككيزانِ الفقّاع عندها إرزاز .

وقال عبد الصمد بن المعذل في قعنب[2] :

أراكِ اللّه يا ذلفاءُ ما قد لَقِيهِ قعنبٌ يومَ الهنيَّهْ
غدا يبغي النكاحَ فعاد فيه أيورٌ كالعصيِّ مهلبيّه
تشقَّقَ دُبْرُهُ ويقولُ هذا جزاء ذوي التلوُّطِ بالنسيّه

وحدث عمر بن محمد الفقيه قال : سمعت محمد بن عثمان بن أبي شيبة يقول : سمعت عمي القاسم بن أبي شيبة يعاتب قعنب بن المحرر في شربه النبيذ ويقول له : قد كبرتَ وشختَ فلو تركته ، فقال له قعنب : يا أبا محمد لم تجد وقتاً تعاتبني فيه إلا أيام الورد ؟!

(1) دمر عليه : دخل بدون إذن . ودغر عليه : حمل .
(2) وردت في شعر عبد الصمد : 202 (عن معجم الأدباء) .

- 918 -

قُنْبُل بن عبد الرحمن بن محمد بن خالد بن سعيد بن جرجة المكي : قال أبو علي الأهوازي ، سمعت أبا عبد الله محمد بن أحمد العجلي المقرىء بالبصرة يقول : هو أبو عمر قنبل بن عبد الرحمن ، وقنبل لقب غلب عليه ، وإنما سُمِّيَ بذلك لأنه كان يستعملُ دواءً يقال له قنبيل يُسْقَى للبقر معروف عند العطارين لمرضٍ كان به فسمي بذلك . وقيل بل هو من قوم يقال لهم القنابلة من أهل مكة ، ولو كان كذلك لقيل له قنبلي . مات في سنة احدى وتسعين ومائتين في أيام المكتفي عن ست وتسعين سنة لأن مولده في سنة خمس وتسعين ومائة في أيام الأمين ، وكان قد قطع الاقراء قبل موته بعشر سنين . قرأ على عبد الله بن كثير وكان من جلة أصحابه ومن جهته انتشرت قراءته ، وكان قنبل يلي الشرطة بمكة وكان لا يليها إلا أهل العلم والفضل لتقوم بواجباتها ، وكان ابن مجاهد يزعم أنه قرأ عليه ، وكان ابن شنبوذ يدفع ذلك ، وكان ابن مجاهد يقول : قرأتُ على قنبل ولا يقول قرأت القرآن من أوله إلى آخره عليه .

حدث ابن طرّادة الحلواني قال : سألت أبا الحسين ابن المنادي وقلت له : إن ابن مجاهدٍ يزعم أنه قرأ على قنبل وابن شنبوذ في سنة واحدة ، في سنة تسع وسبعين ومائتين، [فقال: كنا] نحن على نية القراءة على قنبل فوجدناه قد اختل واضطرب وخلط في القراءات ، فأما أنا فلم أقرأ عليه ولا حرفاً واحداً ، وأما ابن مجاهد فانه قرأ عليه بعض القرآن فخلّط عليه فترك القراءة ، وأخرج له تعليق ابن عون الواسطي عنه وكان معه فقرأه عليه إلى آخره . وأما ابن شنبوذ فانه جاور سنتين بمكة وقرأ عليه ختمتين ، فقول ابن مجاهد قرأت عليه يصدق ، يعني بعض القرآن ، وقول ابن شنبوذ لم يقرأ عليه يصدق ، يعني القرآن كله لم يقرأه عليه .

918 ـ ترجم له ابن الجزري في طبقات القراء 2 : 165 باسم «محمد بن عبد الرحمن المخزومي» وانظر الوافي للصفدي 3 : 226 وسير الذهبي 14 : 84 (وفيه تخريج) .

حرف الكاف

ـ 919 ـ

كامل بن الفتح بن ثابت بن سابور ، أبو تمام الضرير : من أهل بادرايا ، سكن بغداد ، وكان أديباً فاضلاً ذكياً جداً ، قرأ فنونَ العلم وحفظ الأشعارَ والأخبارَ وأخذ أهلُ الأدبِ ببغداد عنه علماً كثيراً ، وكان متهماً في دينه . مات سنة ست وتسعين وخمسمائة وكان يسكن بابَ الأزج ، وصاهر بني زهمويه الكتّاب ، وله ترسل وشعر ، وقد سمع شيئاً من الحديث من أبي الفتح علي بن علي بن زهمويه ، وقيل إنه كان يدخل على الناصر ويحاضره ويخلو معه وانه علّمه علمَ الأوائل وهوّنَ عليه علم الشرائع والله أعلم ، ومن شعره :

وفي الأوانسِ من بغدادَ آنسةٌ لها من القلب ما تهوى وتختارُ
ساومتها نفثةً من ريقها بدمي وليس إلا خفيّ الطرفِ سمسارُ
عند العذولِ اعتراضاتٌ ولائمةٌ وعند قلبي جواباتٌ وأعذارُ

ـ 920 ـ

كلاب بن حمزة العقيلي أبو الهيذام اللغوي : قال محمد بن إسحاق النديم : هو من أهل حران أقام بالبادية ، وقيل إنه كان معلماً ودخل الحضرة أيام القاسم بن

919 ـ ترجمة أبي تمام الضرير في إنباه الرواة 3 : 41 والوافي للصفدي (خ) ونكت الهميان : 231 والفوات 3 : 217 وبغية الوعاة 2 : 266 .

920 ـ ترجمته في الفهرست : 91 ومعجم المرزباني : 248 والوافي للصفدي (خ) وبغية الوعاة 2 : 266 .

عبيد الله بن سليمان ومدحه ، وكان عالماً بالشعر ، وخطُّهُ معروفٌ ، وخلط المذهبين ، وكان أبو الحسين محمد بن محمد بن لنكك البصري الشاعر مولعاً بهجوه ، وكان أبو الهيذام قد ورد البصرة ، فمن قول ابن لنكك فيه :

نفسي تقيك أبا الهيذامِ كلَّ أذىً ... إني بكلِّ الذي ترضاهُ لي راضي
ما بال جعسك مركوماً على ذكري ... يا أكرمَ الناسِ من باقٍ ومن ماضي
ما كان أيري فقيهاً إذ ظفرتَ به ... فكيف ألبسته دنيَّةَ القاضي

ووجدتُ بخط أبي أحمد عبد السلام بن الحسين البصري اللغوي ما صورته :

مسطحُ أصدرَ عُكْلاً ولـه ... ضَغَثٌ تشجذُ قيظَ بنَ فخز

هذا البيت لأبي الهيذام كلاب بن حمزة العقيلي جمع فيه حروف المعجم فجعل ما لا ينقط في الصدر وما ينقط في العجز ، أنشدنيه جماعةٌ من أهل العلم منهم أبو الحسن علي بن الحسين الآمدي النحوي رحمه الله .

وذكره المرزباني في « كتاب المعجم » فقال : أبو الهيذام كلاب بن حمزة العقيلي محدث ، وهو القائل يرثي أبا أحمد يحيى بن علي المنجم ومات سنة ثلاثمائة من قصيدة :

لقد عاش يحيى وهو محمودُ عيشةٍ ... ومات فقيداً[1] واحدُ العلمِ والجودِ
فإن كان صرفُ الدهرِ خلَّى كنوزَهُ ... وأفقدنا منه بأنفسِ مفقودِ
فما زال حكمُ البيضِ والسودِ نافذاً ... بحكم الردى في أنفسِ البيضِ والسودِ
فللثكل تُرْجي حَمْلَها كلُّ حاملٍ ... وللموت يغذو والدٌ كلَّ مولودِ

قال محمد بن إسحاق النديم : وله من الكتب : كتاب جامع النحو . كتاب الأراكة . كتاب ما يلحن فيه العامة .

وأنشد الخالدي في « كتاب الديرة » لأبي الهيذام :

سقياً لحرانَ إنه بلدٌ ... أصبح للهو وهو مضمارُ

(1) المعجم : وكان مفيداً .

بـقـيـعـةٍ سجـسـجٍ تخـرَّقـهـا   ومن حـواشي الـريـاضِ أنهار
يشـرعُ فيـه من الصنـوبـرِ والـــــعـرعـر والـزورفين أشجارُ[1]
في يوم باعوثهمْ وقد نشروا الــــصلبـانَ والمسلمـون نُـظَّارُ
فـمـن مـهـاةٍ هـنـاك هبَّلَةٍ[2]   ومـن غـزالٍ عـلـيـه زنـارُ
أزحـمُ هـذا وتلك تـزحـمـني   وفي الحشـا والفـوادِ إسعـارُ
فـعـارضتني هـنـاك شـاطـرةٌ   منهم بهـا في الـذراع أسـوارُ
تقـولُ لي والـدلالُ يصـرعهـا   أنـحـن يـا مـسـلـمـون كـفـارُ
فـقلتُ يـا غـايـتي ويـا أملي   بـل أنـتم الـمؤمـنـون أخيـارُ
أطـلبُ منـهـا بـذاك تـقـربـةً   والـشـعـراءُ الـخـبَّـاثُ فـجـارُ
فـرقَّ لـي قلبـهـا وملتُ بـهـا   فـي ديـرِ زكى ونـعمـتِ الـدارُ
تقـولُ لي عنـد وقتِ مُنْصَـرَفي   إنـك مـن بـعـدهـا لـغـدارُ
حللتَ عَقْـدَ الأمـانِ منـك لنا   فـمـا لـعقـدٍ لـديـكَ إمـرارُ
لا أنسَ يومي من الفتاة لـدى الـــــديـرين والمشـركـون حُضّـارُ
فقلتُ قـد كـان ذاك عن خـطأ   لا قَـوَدٌ عـنـدنـا ولا ثـارُ
أسـتغـفـرُ اللّه ثـم أسـألـه الــــتَّـوْبَ فلي بـالـذنـوبِ إقـرارُ

قرأت في جزازة عتيقة أملاها أبو الهيذام كلاب بن حمزة العقيلي ما صورته : قال أبو الهيذام : كتبت إلى أبي الحسن محمد بن عبد الوهاب الزينبي الهاشمي بالبصرة بما توهَّم أنه مديحٌ له وهو :

اسلمْ على الـدهـرِ يـا أبـا حسنٍ   وعشْ على مـا تـودُّ ألفَ سَنَـهْ
فـأنت عنـدي حليفُ ضـدٍّ سـوى   غيـرِ حليفِ الشمـائـلِ الحسنه
وأنت سلمٌ لحـربِ سلمِ عـدى   حـربِ عـداةِ اللئـام والخـونـه
يعجبُ منـك الكـرامُ أعجبَ مـا   يـدعـو بـه الله عـاقِـلٌ فتنـه

(1) م : أسحار .

(2) هبلة : سمينة .

فهـو يرى فـرقـةَ الفـراقِ لمـا يخشى من الخيـر غـايـةَ الأمنَه
إذا بنـورِ الـهـدى تـوسّـم إعـــراضَ معـاريضِ دهـرهِ الـدّرِنَـهْ
كم سـائـلٍ عنـك يـا محمـد لا يـأذنُ خـلقٌ لـجـابـتـي اذنـه
ألـقيـتُ في روعـه جـوابَ فـتىً لـو غبنَ الـدهـرُ عـاقـلاً غبنـه
إن قـلـت شَـرْوَى أبـي حـسـن للعـرضِ بالمـالِ أصونُ الصَّـوَنَـهْ
سـنـتـه غُـرّةٌ ونـاصـيـةٌ لـلزينبيـين فـاجـتـنـبْ سَنَـنـه
لا سـيـمـا وهـو قـلـقـلٌ ذَهِـنٌ يهـربُ من رجمِ ذهنِهِ الشـطنه
قـد كان بـالأمس قـال لي وجـرى ذكـرُ شقـيٍّ حَـرَمْـتُـهُ وسـنـه
بعـداً وسحقاً لمن يُشَـرَّفُ بـالمـــدح ولـم يعطِ شـاعـراً ثـمنـه
وكيف تحتـالُ فيـه إن خَـزَنَ الـــنـذلُ وأعـطاك خـازنـاً رسنـه
فـقـلتُ أبـدى بـكـلٍّ سـيئـةٍ من مـدحـه في هجـائه حسنـه
لـعـل ربَّ العـبـادِ يغـفـرُ بـالـــعفـو أباطيـلَ مـدحـه اللحنـه
كقـاتلِ الصيـد وهو في حَرَمِ الـــله يجـازي الحمـارَ بـالبَـدَنَـهْ
والثـورَ بـالثـور والغـزالـةَ بـالـــشـاةِ وجـفـراً بـالأرنبِ الأَرِنَـهْ
ألـيس هـذا الـجـزاء أثـقـلَ إذ أحضـرَ للوزن والـحسـاب زنـه
ولا تـطعْ في السـمـاح مُتَّـهمـاً أخـلاقُـهُ بـالسّفـالِ ممتـحنـه
فـأنـت مـن أسـرةٍ مـفـضّـلةٍ عـلى كـرامِ الأخـلاقِ مؤتـمنـه
والـزيـنـبـيـون مـعـشـرٌ زهـرٌ لا سـرَّ يُـلْقَى وهـم لـه خـزنـه
غيـر سـوى ضـدٌّ غيـر غيـرهم أيـديـهمُ بـالسمـاح مـرتـهنـه
فـلا تضـعْ يـا ابن خيـرهمْ أملي فيـك فَعُقْبَى الفعـالِ مختـزنـه

ـ 921 ـ

بنت الكنيري : حدث أبو نصر قال: ومن طريف ما شاهدته أنا أنه كان في الجانب الشرقيّ بمدينة السلام امرأة تعرف ببنتِ الكنيري ، وكانت نهاية في الفضل ولها أخ غايةٌ في الجهل ، وكانت حسنةَ المعرفةِ بالنحو واللغة ولها تصانيف فيهما تُعْرَفُ بها ، واختصما في ميراث والدهما فطال التنازعُ بينهما وحضرا يوماً مجلسَ والدي ، وزاد الكلامُ بينهما ونقص ، فاغتاظ والدي من تفيهقها وحوشيٍّ كلامها ومن سَقَطِهِ وعاميته في مناقضتها ، ففطنتْ لذلك فقالت : أغاظَ سيدنا الشيخ ، أيده الله ، ما يرى مني ومن هذا الأخ أصلحه الله ؟ قال : كلا إن شاء الله ، ولكن جرِّدي الدعوى فإنه أقربُ للانجاز ، فقالت : لي ـ أيد الله الشيخ ـ في ذمته اثنان وعشرون ديناراً مطيعية سلامية ، فقال له : ما الذي تقول ؟ فقال : أما لها عندي اثنان ، وسكت ورام أن يقول مثلما قالت فلم يقدر ، فقال : بالله يا سيدي كيف قالت فقد والله صدعتنا ، فقال له : فضولك ، قُلْ كما تحسن ، وضحك أهلُ المجلسِ وصار طَنْزاً واندفعتِ الخصومةُ ذلك اليوم .

ـ 922 ـ

كلثوم بن عمرو العتابي الشاعر: قد ذكرنا أخباره مستوفاة في كتابنا « أخبار الشعراء » ، وأما نسبه فهو كلثوم بن عمرو بن أيوب بن عبيد بن حبيش بن أوس بن مسعود بن عبد الله بن عمرو الشاعر بن كلثوم بن مالك بن عتاب بن سعد بن زهير بن جشم بن بكر بن حبيب بن عمرو بن غنم بن تغلب بن وائل، وعمرو بن كلثوم المذكور في أجداده هو شاعر السبع الطوال ، وكنية العتابي أبو عمرو ، وأصله من الشام من أرض

---

921 ـ لم أعثر على ترجمة لها .

922 ـ ترجمة العتابي في الفهرست : 134 ـ 135 وطبقات ابن المعتز: 261 والأغاني 13 : 107 والشعر والشعراء: 740 وكتاب بغداد: 69 ، 87 ـ 89 ومعجم المرزباني : 244 والوزراء والكتاب: 181 والموشح : 449 والبيان والتبيين 1 : 51 وتاريخ بغداد 12 : 488 ومروج الذهب 4 : 216 ، 308 ـ 310 واللباب 2 : 118 وابن خلكان 4 : 122 والوافي للصفدي (خ) والفوات 3 : 219 .

قنسرين ، صحب البرامكة ثم صحب طاهر بن الحسين وعلي بن هشام القائدين . وكان حسنَ الاعتذار في رسائله وشعره يشبَّهُ في المحدَثين بالنابغة في الجاهلية ، فمن ذلك قوله في جعفر بن يحيى وقد كان بلغ الرشيدَ عنه ما أُهدرَ به دمه فخلصه جعفر فقال فيه[1] :

ما زلتُ في غَمَرَاتِ الموتِ مُطَّرحاً يضيقُ عني فسيحُ الرأي من حيلي
فلم تزلْ دائباً تسعَى بلطفكَ لي حتى اختلستَ حياتي من يَدَيْ أجلي

قال محمد بن إسحاق النديم : وكان العتابي أديبا مصنفاً وله من الكتب : كتاب المنطق . كتاب الآداب . كتاب فنون الحكم . كتاب الخيل لطيف . كتاب الألفاظ رواه أبو عمر الزاهد عن المبرد عنه .

قال العتابي[2] : وقفتُ بباب المأمون أنتظر من يستأذنُ لي عليه ، فإذا أنا بيحيى بن أكثم ، فقلت : استأذن لي على أمير المؤمنين ، قال : لست بحاجب ، قلت : صدقت ولكنك ذو فضل وذو الفضل معوان ، قال : سلكتَ بي غيرَ سبيلي ، قلت : إن الله أتحفك بجاهٍ وهو عليكَ مقبلٌ بالزيادة إن شكرتَ وبالتغيير إن كفرت ، وأنا لنفسك خيرٌ منكَ لها أدعوك إلى زيادة النعمة وبقائها عليك فتأباها ، فدخل على المأمون وحكى له ما جرى بيني وبينه فاستحسنه وأذن لي .

قال جحظة في « أماليه »[3] : كلم العتابي يحيى بن خالد في حاجة له كلمات قليلة ، فقال له يحيى : لقد نزر كلامك اليوم وقلَّ ، فقال له : وكيف لا يقلّ وقد تكنفني ذلُّ المسألة وحيرة الطلب وخوف الرد ، فقال له يحيى : لئن قلَّ كلامك لقد كثرت فوائده .

وقال في « أماليه » قال العتابي : لو سكتَ من لا يعلم عما لا يعلم سقط الاختلاف .

ومن شعره[4] :

ولو كان يستغني عن الشكرِ ماجدٌ لعزةِ ملكٍ أو علوِّ مكانِ

---

(1) معجم المرزباني والأغاني 13 : 118 وشعره : 411 .
(2) الأغاني : 113 ـ 114 .
(3) الأغاني : 112 .
(4) الفوات : 220 وشعره : 417 .

لمـــا أمـــر اللّه الـعبـــادَ بـشكـــرِهِ فقـــال اشكـروا لي أيهـــا الثقـلان

قال الحسن بن وهب : بلغ العتابيَّ أن عمرو بن مسعدة ذكره عند المأمون بسوء فقـال[1] :

قـد كنت أرجو أن تكـونَ نصيـري وعلى الــذي يبغي عليَّ ظهيــري
وطفقتُ آمــلُ مــا يُــرَجَّى سَيْبُــهُ حـتـى رأيـتُ تـعــلقـي بـغــرور
فحضــرتُ قبــرك ثم قلتُ دفنتــه ونفضتُ كفِّي من ثــرى المقبــور
ورجعتُ مفترياً على الأمـلِ الذي قـد كـان يشهـدُ لي عليـكَ بـزور

فبلغ الشعر عمراً فركب من وقته إلى العتابي في موكبه حتى اعتذر إليه .

قال مالك بن طوق للعتابي[2] : أما ترى عشيرتك ـ يعني بني تغلب ـ كيف تُدِلُّ عليَّ وتستطيل وأنا أصبر ؟ فقال العتابي : أيها الأمير إن عشيرتك مَنْ أحسنَ عشرتك ، وانّ ابنَ عمك من عمَّكَ خيرُه ، وإن قريبك من قَرُبَ منك نفعه ، وإن أحبَّ الناسِ إليك من كان أخفَّهم ثقلاً عليك ، وأنشده :

إنيَ بلوتُ النــاسَ في حــالاتهم وخبـرتُ ما وصلوا من الأنســابِ
فـإذا القَـرابَـةُ لا تقـرِّبُ قــاطعـاً وإذا الـمــودةُ أوكــدُ الأسبـــاب

وقيل للعتابي : لو تزوجتَ ، فقال : إني وجدتُ مكابدةَ العفة خيراً من الاحتيال لمصلحة العيال .

وما أحسنَ قولَ العتابيِّ وأحكَمَـهُ[3] :

لـــومٌ يعيـذُكَ من ســوءٍ تقــارفُــهُ أبقى لعرضك من قـولٍ يداجيكـا
وقـد رمى بـكَ في تيهــاءَ مَهلكـةٍ مَنْ بات يكتمك العيبَ الذي فيكا

ومن منثور كلامه : أما بعد فإنه ما من مستخلص غضارةَ عيشٍ إلا من خلالِ مكروه ، ومن انتظر بمعاجلة الدَّرَكِ مواجلةَ الاستقصاء سلبته الأيامُ فرصتها .

(1) شعر العتابي : 400 .
(2) الأغاني : 116 وشعره : 387 .
(3) شعره : 411 .

وكتب إلى آخر : من اجتمع فيه من خلالِ الفضل ما اجتمع فيك ، وانحاز إلى نواحيك ، لم يخشَ المطنب في الثناء عليك أن يكون مفرطاً كما لا يأمن أن يكون مفرّطاً ، فالاعتراف بالعجز عن بلوغ استحقاقك من التقريظ أولى من الاطناب الذي غايته التقصير ومآله إلى الحشو .

ـ 923 ـ

كيسان بن المعرف النحوي أبو سليمان الهجيمي قالوا : كان يخرج معنا إلى الأعراب فينشدونا ، فيكتب في ألواحه غير ما[1] ينشدونا ، وينقل من ألواحه إلى الدفاتر غير ما فيها ، ثم يحفظ من الدفاتر غير ما نقله إليها ، ثم يحدِّث بغير ما حفظ .

وذكر أبو الطيب في « كتاب مراتب النحويين » عن الأصمعيّ قال : كيسانُ ثقة ليس بمتزيد ، وقد أخذ عن الخليل .

وحدث أبو العيناء قال ، قال كيسان لخلف الأحمر : يا أبا محرز المخبّل كان شاعراً أو من بني ضبة ؟ فقال : يا مجنون صحّح المسألةَ حتى يصحَّ الجواب .

وحدث أبو حاتم قال : قال أبو زيد يوماً في مجلسه ، وكانت العرب تقول : ليس لحاقنٍ رأي ، فقال كيسان : ولا لمنعظ ، فقال أبو زيد : ما سمعناه ولكن اكتبوه فإنه حق .

وكان كيسان من الطياب المزاحين ، قال أبو زيد : جاء صبي إلى كيسان يقرأ عليه شعراً حتى مرَّ ببيت فيه ذكر العيس ، قال : الابل البيض التي[2] يخلط بياضَها حمرة ، قال : وما الابل ؟ قال : الجمال ، قال : وما الجمال ؟ فقام على أربع ورغا في المسجد وقال : الذي تراه طويل الرقبة وهو يقول بوع .

923 ـ ترجمته في مراتب النحويين : 139 وطبقات الزبيدي : 178 وإنباه الرواة 3 : 38 (وقال ان اسمه معرف بن دهشم) والوافي للصفدي (خ) وبغية الوعاة 2 : 267 وإشارة التعيين : 271 .

(1) م : عما .
(2) م : الذي .

وحدث المبرد عن التوزي قال : حبس عيسى بن سليمان الهاشمي كيسان ، وكان أحدَ الطيّاب ، وكان أبو عبيدة يعبثُ به كثيراً ، فشفع فيه أبو عبيدة إلى الأمير فأمر بإخراجه فقال للجلاوزة : من أخرجني ؟ قالوا : تكلّم فيك شيخٌ مخضوب ، فقال : أمه زانية إن برح من الحبس ، أحبيسُ ظلمٍ وطليقُ ذلّ ، لا يكونُ ذلك أبداً .

وقرأت في « كتاب التصحيف » لحمزة الأصبهاني ، قال الرياشي[1] : سمعت كيسان يقول : كنت على باب أبي عمرو بن العلاء ، فجاء أبو عبيدة فجعل ينشد شعراً لأبي شجرة ، وهو قوله :

ضنَّ علينا أبو عمرٍو بنائِلِهِ   وكلّ مُخْتَبَطٍ يوماً له وَرَقُ
ما زلت يضربني حتى جذبت له   وحال من دون بعض البغية الشفق

فقلت : جذبت جذبت ، وضحكت ، فغضب وقال : كيف هو ؟ فقلت : إنما هو خذيت ، فانخزل وما أحار جواباً (خذيتُ من قولك خذيَ البازي إذا ثبتَ على يد البازيار) .

قال أبو الحسن علي بن سليمان الأخفش ، حدثني أبو العباس ثعلب : قرأ بعضُ أصحابِ الأصمعي عليه شعرَ النابغة الجعدي حتى انتهى إلى قوله :

إنك أنت المحزونُ في أَثَرِ الحـيِّ فإن تنوِ نيَّهمْ تُقِمِ

قال الأصمعي : معناه وإنْ تنوِ نيَّهم تُقِمْ صدورَ الإبل وتظعن نحوهم ، كما قال الآخر .

أقم لها صدورها يا بسبسُ

فقال كيسان : كذبتَ ، أما إنك قد سمعتَ من أبي عمرو بن العلاء ولكن أنسيت ، إنما أراد أنهم قد نووا فراقك فذهبوا وتركوك فإن تنوِ لهم مثلَ ما نووا فيك من القطيعة تقم في دارك ومكانك ولا ترحل نحوهم ولا تطلبهم كما قال الآخر :

إذا اختلجتْ عنكَ النوى ذا مودّةٍ   قَرُبْنَ بقطّاعٍ من البينِ ذا شَعْبِ

(1) التنبيه على حدوث التصحيف : 57 .

أذاقتـك مرَّ العيشِ أو متَّ حسـرةً كما مات مسقيُّ الضَّياحِ على ألبِ[1]

ألب يألب ولاب يلوب واحد . يقول : إذا باعدتْ بيني وبين من أحبّ قربن - يعني ابلي - قربت إلى منزلي ووطني ومياهي ولم أتبع من فـارقني لأني صبور على الفراق جلدٌ متعود لذلك ، فقـطّاع يعني نفسه هـو القطاع لأني أقـطع من قطعني ، وأذاقتك من تحبّ وهي التي فارقتها فأنت وإن كنتَ كذا وعلى هذه الحال فأنت صبور قويّ على القطع . وكما قال الراعي[2] :

وإلفٍ صبرتُ النفسَ عنه وقد أرى غـداةَ فـراقِ الحيِّ ألا تـلاقيـا
وقـد قادني الجيـرانُ حيناً وَقُـدْتُهُمْ وفـارقتُ حتى مـا تحنّ جمـاليـا

- 924 -

الكيّس النمريّ النسّاب : الكيس لقب ، واسمه زيد بن الحارث بن حارثة بن هـلال بن ربيعة بن زيـد مناة بن عـوف بن سعد بن الخـزرج بن تيم الله بن النمر بن قاسط بن هنب بن أفصى بن دعميّ بن جديلة ؛ فعوف بن سعد بن الخزرج هو أخـو عامر الضحيان ، هذا قول الكلبي .

وقـال غيره : اسم الكيس زيـد بن حارثـة بن زيـد منـاة بن تميم بن هـلال بن ربيعـة بن زيد منـاة بن عامـر الضحيان رهط نتلة بنت جنـاب بن كليب بن مالـك بن عمرو بن عامر بن زيد مناة بن عامر الضحيان ، ولدت لعبد المطلب العباس ومرار ابني عبـد المطلب ؛ قـال مسكين الـدارمي يخـاطب عبـد الـرحمن بن حسـان بن ثـابت مفتخراً[3] :

---

924 - ذكره ابن النديم : 102 في من روى عنه عبيد بن شرية .

(1) الضياح : السم يمزج بالماء ، وفي م : الصباح ، وفي اللسان (ألب) :
وحلّ بقلبي من جوى الحب ميتـة كمـا مات مسقي الضيـاح على ألب
(2) ديوان الراعي (ڤايبرت) : 290 وشعر الراعي (القيسي وناجي) : 253 .
(3) من قصيدة له طويلة في ديوانه : 59 - 67 وانظر البيان والتبيين 1 : 351 .

وحكّمْ دغفلاً وارحلْ إليه ولا تدع المطيَّ من الكلالِ
وعند الكيِّس النمريِّ علمٌ ولو أمسى بمنخرق الشمالِ

وقيل مصعب بن الكيس هو النساب وكان يعدل بدغفل ؛ قال الكميت[1] :

وما ابن الكيس النمري منكم وما أنتم هناك بدغفلينا

وقيل الكيس هو مالك بن شراحيل بن زيد بن الحارث بن حارثة بن هلال كلهم ينسب من عبيد إلى الكيس ، يعني كلهم نَسَّابٌ يعلم النسب .

(1) شعر الكميت 2 : 133 وانظر المستقصى في المثل « أعلم من دغفل » .

حرف اللام

****

ـ 925

لقيط بن بكير المحاربي : قال ابن حبيب في «كتاب جمهرة النسب» التي رواها عن ابن الكلبي وغيره : ومنهم يعني بني محارب بن خصفة بن قيس بن عيلان : عائذ بن سعيد بن جندب بن جابر بن زيد بن عبد بن الحارث بن بغيض بن شكم بن عبد بن عوف بن زيد بن بكر بن عميرة بن علي بن حرب بن محارب ، وفد على رسول اللّه ﷺ ، من ولده لقيط الراوية وكان صدوقاً ، ابن بكير ، وكان أيضاً عالماً صدوقاً ، ابن النضر بن سعيد بن عائذ بن سعيد ، وقد لقي هشامُ بنُ الكلبيِّ لقيطاً .

حدث المرزباني فيما أسنده إلى الخليل النوشجاني قال ، قال لي الجهمي : كان لقيط المحاربيّ من رواة الكوفة ، وكان سيء الخُلُقِ . قال الصولي : ويكنى أبا هلال ومات في سنة تسعين ومائة في خلافة الرشيد .

وقال عبد الله بن جعفر : أخبرني ابن مهديّ والسكري قالا : للقيط كتاب مصنّف في الأخبار مبوّب في كلِّ فنٍّ من الفنون كتاب مفرد ، فمنها ومن أحسنها كتابه في النساء وهو عندي رواية عنهما عن العمري عنه . وله كتاب السمر . كتاب الخُرَّابِ واللصوص . كتاب أخبار الجن . وأخذ العلم عن لقيطٍ جماعةٌ من أعيانهم ، منهم ابنُ الأعرابيّ .

وحدث المرزباني فيما رفعه إلى لقيط بن بكير المحاربي قال : أمر المهدي الناس سنة ستين ومائة بصوم ثلاثة أيام لبطءِ المطرِ ليستسقي ، فلما كان في اليوم الثالث من الليل طرق الناسَ ليلتهم كلَّها ثلجٌ ملأ الأرضَ ، فقال لقيط :

---

925 ـ ترجمة لقيط في نور القبس : 291 والفهرست : 106 والوافي للصفدي (خ) .

يـا إمامَ الهـدى سقينا بـك الغيـــــــثَ وزالـت عنّـا بـكَ الـلأواءُ

وهي أبيات طويلة .

وقال لقيط في ذلك أيضاً :

لما استغاثَ بكَ العبادُ بجهدهم   متـوسّلينَ إلى إلـهِ النـاسِ
أسقـاهمُ بكَ مثلمـا أسقـاهمُ   صوبَ الغمام بجـدِّكَ العباس
فـأتتهمُ لما دعـوتَ سمـاؤهم   منهلّةً بـالـواكفِ الـرجَّـاس
العدلُ منه سقاهمُ وجميلُ مـا   تُـوليهِ ذا الإيحـاشِ والايناس
فـإذا أمرتَ فبـالانابـةِ والهدى   وإذا وزنتَ وزنتَ بـالقسطاس

قال : ودخل لقيط على الرشيد وهو ولي عهد وقد اشتكى فأنشد :

مـا بـالُ نـومِـكَ أمسى لا يؤاتيكـا   كـأنَّ في الجفن شـوكـاً بـات يُقْـذِيكَـا
من غيـر سُقْمٍ ولا عـشقٍ أرقـتَ لـه   إلا لأنْ قيـلَ أمسى الجـودُ مـوعـوكـا
وقيـل هـارون أمسى شـاكيـاً وَصِبـاً   فقلتُ نـفسـيَ يـا هـارونُ تفـديكـا
مـا كنتُ أحسبُ جـوداً يشتكي نَهَكـاً   حـتى رأيـتُ وليَّ العهـدِ منـهـوكـا
فبتُّ مـرتـفقـاً أرعـى الـنجـومَ إلـى   أن جـاوب الـديـكُ فينـا سُحْـرَةً ديكـا
فـكم وكـم ليَ مـن نَـذْرٍ سـأنـجـزه   إن كنتَ عـوفيتَ قـد أوجبتُـهُ فيكـا
حـجّ وصـومٌ وعـتقٌ لـن أخـيسَ بـه   فمـا تـركتُ لنفسي الـيـومَ مملوكـا
سـعـدٌ عتـيـقٌ وبـنـتـاه وأمـهـمـا   كـانـوا وأعجبْ بهم عنـدي ممـاليكـا
تـوقّـعـوني كـأنـي قـد حـذيتـكـمُ   سـودَ النعـالِ وأهـديتُ المسـاويكـا

وحدَّثَ فيما أسنده إلى إسحاق الموصلي قال : كان لقيط بن بكير في جراية المهدي، وكان الذي وصله به أبو عبيد الله وزير المهدي، وكان أبو عبيد الله مائلاً إليه لعلمه بالشعر والأخبار ، فلما مات المهدي لزم الكوفة ؛ قال إسحاق فرأيته في سنة تسعين ومائة وهو ينشد قوماً شعراً له في الزهد وهو قوله :

عـزفتُ عن الغـوايـةِ والمـلاهي   وأخلصتُ الـمتـابَ إلـى إلهـي

وغــرَّتـني لـيــالٍ كنتُ فـيـهــا ... مـطيعــاً للشبــاب بــهِ أبــاهي
أجـاري الغيَّ في ميـدان لهـوي ... وقلبي عن طـريق الـرشـدِ لاهي
وألجمني المشيبُ لجــامَ تقـوى ... وركنُ الشيب بادي العيبِ واهي
ومن لم يـكفِــهِ الـعــذَّالَ عــزمٌ ... فليس لــه على عَــذْلٍ تنــاهي

قال : وكان ذلك من آخر شعره وفي آخر زمانه ، ثم توفي في هذه السنة .

وحدث مما رفعه إلى ابن المدوّر قال : سألتُ ابن الأعرابي عن لقيط بن بكير وموته فقال : مات في آخر أيام الرشيد وهو أزهدُ الناس ، وكان من دعائه : اللهم اغفر لي فإن حسناتي لو كانت مثلَ حسناتِ جميع خلقك لعلمتُ أني لا أستحقُّ الجنةَ إلا بفضلك ، ولو كانت عليَّ سيئاتهم جميعاً ما يئستُ من عفوك .

ـ 926 ـ

لـوط بن مخنف الأزدي : هـو لـوط بن يحيى بن محنف بن سليمـان بن الحارث بن عوف بن ثعلبة بن عامر بن ذهل بن مازن بن ذبيان بن ثعلبة بن سعد مناة بن غامد ، واسم غامد عمر ، ابن عبد الله بن كعب بن الحارث بن كعب بن عبد الله بن مالك بن نصر بن الأزد ، يكنى أبا مخنف ، ومخنف بن سليمان من أصحاب علي بن أبي طالب عليه السلام ، وقد روى عن النبي ﷺ . مات لوط سنة سبع وخمسين ومائة ، وكان راويةً أخبارياً صاحبَ تصانيفَ في الفتوح وحروب الاسلام . قال يحيى بن معين : هو كوفيٌ وليس حديثه بشيء .

وجدت بخط أحمد بن الحارث الخراز ، قال العلماء : أبو مخنف بأمر العراق وفتوحها وأخبارها يزيد على غيره ، والمدائني بأمر خراسان والهند وفارس ، والواقدي

---

926 ـ ترجمة أبي مخنف في الفهرست: 105 ومعجم الطوسي رقم: 575 والوافي للصفدي (خ) وميزان الاعتدال 3: 419 ـ 420 ولسان الميزان 4: 492 والفوات 3: 225 ورجال النجاشي: 245 ومجمع الرجال 5: 80 وبروكلمان ، التاريخ 1: 65 والتكملة عليه 1: 101 ولفلهاوزن دراسة عنه وانظر الموسوعة الإسلامية (بالإنجليزية) ط 2 (2: 140) .

بالحجاز والسير ، وقد اشتركوا في فتوح الشام .

قال محمد بن إسحاق : ولأبي مخنف من الكتب : كتاب الردة . كتاب فتوح الشام . كتاب فتوح العراق . كتاب الجمل . كتاب صفين . كتاب النهروان . كتاب الغارات . كتاب الخرّيت بن راشد وبني ناجية . كتاب مقتل علي كرم الله وجهه . كتاب مقتل حجر بن عدي . كتاب مقتل محمد بن أبي بكر والأشتر ومحمد بن أبي حذيفة . كتاب الشورى ومقتل عثمان رضي الله عنه . كتاب المستورد بن علّفة . كتاب مقتل الحسين بن علي عليهما السلام . كتاب المختار بن أبي عبيد . كتاب وفاة معاوية وولاية ابنه ووقعة الحرة وعبد الله بن الزبير . كتاب سليمان بن صرد وعين الوردة . كتاب مرج راهط ومقتل الضحاك بن قيس الفهري . كتاب مصعب بن الزبير والعراق . كتاب مقتل عبد الله بن الزبير . كتاب مقتل عمرو بن سعيد بن العاص . كتاب حديث باخمرا ومقتل ابن الأشعث . كتاب نجدة الحروريّ . كتاب الأزارقة . كتاب حديث روستقباذ . كتاب شبيب الحروريّ وصالح بن المسرح . كتاب المطرف بن المغيرة . كتاب دير الجماجم وخلع ابن الأشعث . كتاب يزيد بن المهلب ومقتله بالعقر . كتاب خالد القسري ويوسف بن عمر وموت هشام وولاية الوليد . كتاب زيد بن علي . كتاب يحيى بن زيد . كتاب الضحاك الخارجي . كتاب الخوارج والمهلب بن أبي صفرة .

ـ 927 ـ

الليث بن المظفر : كذا قال الأزهري في مقدمة كتابه « الليث بن المظفر » ، وقال ابن المعتز في « كتاب الشعراء » من تصنيفه : الليث بن رافع بن نصر بن سيار .

قال الأزهري : ومن المتقدمين الليث بن المظفر الذي نحل الخليلَ بن أحمد تأليف « كتاب العين » جملةً لينفّقَ كتابه باسمه ويرغّب فيه من حوله ، وأثبت لنا عن

927 ـ ترجمة الليث في مقدمة التهذيب للأزهري 1 : 28 وطبقات ابن المعتز: 97 (في ترجمة الخليل بن أحمد) وسقط « رافع » من نسبه عنده وعند القفطي 3 : 42 ومراتب النحويين: 31 ونور القبس: 59 (في ترجمة الخليل) وانظر ص: 279 (حيث سماه الليث بن المظفر) والوافي للصفدي (خ) وبغية الوعاة 2 : 270 والبلغة: 194 .

إسحاق بن إبراهيم الحنظلي الفقيه أنه قال : كان الليث رجلاً صالحاً ومات الخليل ولم يفرغ من « كتاب العين » فأحبَّ الليثُ أن ينفّقَ الكتابَ كلَّهُ فسمَّى لسانَهُ الخليلَ فإذا رأيتَ في الكتاب « سألتُ الخليل » أو « أخبرني الخليل » فإنه يعني الخليلَ نفسَهُ ، قالَ : وإذا قال « قال الخليل » فإنه يعني لسانَ نفسه . قال : وإنما وقع الاضطراب فيه من خليل الليث . قال : وأخبرني المنذري أنه سأل ثعلباً عن « كتاب العين » فقال : ذاك كتاب مليء غدد ، قال : وهذا لفظ أبي العباس وحقُّهُ عند النحويين ملآن غدداً ولكن كان أبو العباس يخاطبُ العامةَ على قَدْرِ فهمهم .

قلت : ليس هذا بعذرٍ لأبي العباس فإنه لو قال : ملآن غدداً لم يخفَ معنى الكلام على صغار العامة فكيف وفي مجلسه الأئمة من أهل العلم ثم سائله الذي أجابه ليس بتلك الصورة ، وإنما عذره أنه كان لا يتكلَّفُ الاعرابَ في المفاوضة وهي سُنّةُ جِلَّةِ العلماء . وأراد في جراب العين[1] حروفاً كثيرة قد أُزيلت عن صورها ومعانيها بالتصحيف والتغيير فهي تضرُّ حافظها كما تضرّ الغدد آكلها .

قال أبو الطيب اللغوي : مصنف « كتاب العين » الليث بن المظفر بن نصر بن سيار ، رُوِيَ ذلك عن أبي عمرَ الزاهد قال : حدثني فتىً قدم علينا من خراسان وكان يقرأ عليَّ « كتاب العين » قال أخبرني أبي عن إسحاق بن راهويه قال : كان الليث بن المظفر بن نصر بن سيار صاحب الخليل رجلاً صالحاً ، وكان الخليلُ قد عمل من « كتاب العين » باب العين فأحبَّ الليث أن ينفّقَ سوقَ الخليل ثم ذكر كما ذكر الأزهري .

وحدث عبد الله بن المعتز في « كتاب الشعراء » عن الحسن بن علي المهلبي قال[2] : كانَ الخليل منقطعاً إلى الليث بن رافع بن نصر بن سيار ، وكان الليث من أكْتَبِ الناسِ في زمانه ، بارعَ الأدب بصيراً بالشعر والغريب والنحو ، وكان كاتباً للبرامكة وكانوا معجبين به ، فارتحل إليه الخليلُ وعاشره فوجده بحراً فأغناه وأحبَّ الخليلُ أن يُهْديَ إليه هديةً تشبهه ، فاجتهد الخليلُ في تصنيف « كتاب العين » فصنَّفَهُ

---

(1) التهذيب : وأراد أن في كتاب العين .

(2) الرواية عند ابن المعتز عن محمد بن المهلبي ، وفي نقل ياقوت تصرف في غير موطن .

له وخصَّه به دونَ الناس وحبَّره وأهداه إليه ، فوقع منه موقعاً عظيماً وَسُرَّ به وعوَّضه عنه مائة ألف درهم واعتذر إليه ، وأقبل الليث ينظرُ فيه ليلاً ونهاراً لا يملُّ النظرَ فيه حتى حفظ نصفه ، وكانت ابنة عمه تحته ، فاشترى الليثُ جاريةً نفيسةً بمال جليل ، فبلغها ذلك فغارت غَيْرَةً شديدةً فقالت : واللّه لأغيظنّه ولا أبقي غاية فقالت : إن غظته في المال فذاك ما لا يبالي به ، ولكني أراهُ مكباً ليله ونهاره على هذا الدفتر ، والله لأفجعنَّه به ، فأخذتْ الكتابَ وأضرمتْ ناراً وألقتْهُ فيها ، وأقبل الليثُ إلى منزله ودخل إلى البيتِ الذي كان فيه الكتاب ، فصاح بخدمه وسألهم عن الكتاب فقالوا : أخذته الحرة ، فبادر إليها وقد علم من أين أُتي ، فلما دخل عليها ضحك في وجهها وقال لها : رُدِّي الكتابَ فقد وهبتُ لكِ الجارية وحرَّمتها على نفسي ، وكانت غَضْبَى ، فأخذت بيده وأدخلته [البيت الذي أحرقته فيه ، وفيه] رماده ، فَسُقِطَ في يدِ الليث ، فكتب نصفَهُ من حفظه وجمع على الباقي أدباءَ زمانِهِ وقال لهم : مثِّلوا عليه واجتهدوا ، فعملوا هذا النصفَ الذي بأيدي الناسِ ، فهو ليس من تصنيف الخليل ولا يَشُقُّ غبارَه ، وكان الخليلُ قد مات .

وجدت على ظهر جزء من « كتاب التهذيب » لأبي منصور الأزهري :

ابنُ دريدٍ بقرهْ ... وفيه عُجْبٌ وَشَرَهْ
ويدعي بجهله ... وَضْعَ كتاب الجمهره
وهو كتابُ العين إ ... لا أنه قد غيره

. . .

الأزهريّ وَزَغَهْ ... وحمقه حمقُ دُغَهْ
ويدَّعي بجهله ... كتابَ تهذيب اللغة
وهو كتابُ العين إ ... لّا أنه قد صبغه

. . .

في الخارزنجي بَلَهْ ... وفيه حمقٌ وَوَلَهْ
ويدَّعي بجهله ... وضعَ كتابِ التكمله
وهو كتابُ العين إ ... لّا أنه قد نقله

[حاشية : دغة بنت مغنج يضرب بها المثل في الحمق ، زوجت وهي صغيرة في

بني العنبر فحملت ، فلما ضربها المخاض ظنت أنها تحتاجُ إلى الخلاء فبرزت إلى بعض الغيطان ووضعت ذا بطنها ، فاستهلَّ الوليدُ فجاءت منصرفة وهي لا تظن إلا أنها أحدثت ، فقالت لأمها : يا أمتاه وهل يفتح الجعر فاه ؟ قالت : نعم ويدعو أباه ، فَسُبَّ بنو العنبر به وسموا بنو الجعراء ، ولها حماقات كثيرة][1] .

قرأت بخط أبي منصور الأزهري في « كتاب نظم الجمان » تصنيف أبي الفضل المنذري : نصر بن سيار كان والي خراسان ، والليث بن المظفر بن نصر صاحب العربية وصاحب الخليل بن أحمد هو[ابن] ابنه ، حدث عنه قتيبة بن سعيد ، سمعت محمد بن إبراهيم العبدي يقول ، سمعت قتيبة يقول : كنتُ عند ليث بن نصر بن سيار فقال : ما تركتُ شيئاً من فنون العلم إلا نظرتُ فيه إلا هذا الفن وما عجزتُ إلا أني رأيتُ العلماء يكرهونه ، يعني النجوم .

سمعت محمد بن سعيد القزاز قال : نصر بن سيار والي خراسان المحمول إليه رأسُ جهم ، وكان نصر من تحت يدي هشام بن عبد الملك ، وكان بمرو ، وكان سلم بن أحوز والي بلخ والجوزجان من [تحت] يده ، وهو الذي قتل يحيى بن زيد بن علي بن الحسين وجهم بن صفوان الذي ينسب إليه مذهب جهم ووجَّه برأسيهما إلى مرو إلى نصر بن سيار ، فَنُصِبا على باب قَهَنْدَز مرو ، فكان سلم بن أحوز يقول : قتلت خير الناس وشر الناس .

قال المنذري : وسمعت محمد بن إبراهيم العبدي قال : سمعت أبا رجاء قتيبةَ يقول : دخل الليثُ بن نصر بن سيار على علي بن عيسى بن ماهان وعنده رجل يقال له حماد الخزربك ، فجاءه رجلٌ فقصَّ رؤيا رآها لعلي بن عيسى ، فهمَّ حماد أن يَعْبُرَهَا فقال ليث : كفَّ فلستَ هناك . فقال علي : يا أبا هشام وتعبرها ؟ قال : نعم وأنا أعْبَرُ أهلِ خراسان . فكانت الرؤيا كأنَّ علي بن عيسى مات وحُمِلَ على جنازة وأهلُ خراسانَ يتبعونه ، ثم انقضَّ غرابٌ من السماءِ ليحمله فكسروا رجلَ الغراب . فقال

(1) انظر المثل أحمق من دغة في كتب الأمثال : أمثال الضبي : 171 ـ 172 وفصل المقال : 183 والدرة الفاخرة : 145 و « معنج » ضبطها صاحب الفاخر : 24 بالعين المهملة .

الليث : أما الموتُ فبقاء ، وأما الجنازة فهو سرير وملك ، وأما ما حملوك فهو ما علوتهم وكنتَ على رقابهم ، وأما الغرابُ فهو رسول ، قال اللّه تعالى ﴿ فَبَعَثَ اللَّهُ غُرَاباً يَبْحَثُ فِي الأَرْضِ ﴾ (المائدة: 31) يقدم فلا ينفذ أمره . فما مكثوا إلا يومين أو ثلاثة حتى قدم رسولٌ من عند الخليفة في حملِ عليّ بن عيسى ، فاجتمع قوادُ خراسانَ فأثنوا عليه خيراً ولم يتركوه يُحْمَلُ وقالوا : يُخشى انتقاضُ البلاد فبقي .

قال المنذري : هو الليث بن المظفر بن نصر بن سيار صاحبُ العربية وكان له ابن يقال له رافع ؛ سمعتُ بعضَ أصحابي قال ، سمعت محمد بن إسحاق السرّاج قال ، سمعت إسحاق بن راهويه قال : سألت رافع بن الليث بن المظفر عن قول النبي ﷺ : كلُّ مسكرٍ حرام ، أيقعُ على جميع المسكر ، يعني جميعَ ما يُسْكِرِ منه من قليله وكثيره أم على الشربة التي تسكرك ؟ فقال : بل على جميع ما يُسْكِرُ منه من قليله وكثيره إذا أسكر كثيره فقليله بمنزلته ، ولو كان عنى الشربةَ التي تسكرك لقال : كل سُكْرٍ حرام .

قال ابن المنذري : وبلغني أنّ المظفر بن نصر مرَّ به عَنَاقٌ وابنه الليث قد حضره ، فقال له وأراد أن يخبره : ما هذا ؟ فقال : بُز بالفارسية ، فقال : لأسيرنَّكَ إلى حيثُ لا تعرف بُز ، فسيره إلى البادية ، فمكث فيها قريباً من عشر سنين أو أكثر ، ففيها تأدَّبَ ثم رجع ، فعجب أهله من كثرة أدبه . هذا آخر ما كتبته من خط الأزهري وكتاب المنذري .

وحدث الحاكم أبو عبد الله بن البَيِّع في « كتاب نيسابور » عن العباس بن مصعب قال : سئل النضر بن شميل عن الكتاب الذي يُنْسَبُ إلى الخليل بن أحمد ويقال له « كتاب العين » فأنكره ، فقيل له : لعلَّه ألفه بعدك فقال : أوَ خرجتُ من البصرة حتى دفنتُ الخليلَ بن أحمد .

وحدث أبو الحسن علي بن مهدي الكسروي ، حدثني محمد بن منصور المعروف بالراح المحدث ، قال قال الليث بن المظفر بن نصر بن سيار : كنت أصيرُ إلى الخليل بن أحمد فقال لي يوماً : لو أن إنساناً قصد وألَّفَ حروفَ ا ب ت ث على ما أمثّله لاستوعب في ذلك جميعَ كلام العرب ، وتهيأ له أصلٌ لا يخرجُ منه شيء البتة ،

فقلت له : وكيف يكون ذلك ؟ قال يؤلفه على الثنائي والثلاثي والرباعي والخماسي فانه ليس يُعْرَفُ في كلام العرب أكثر منه . قال الليث : فجعلت أستفهمه ويصفُ لي ولا أقفُ على ما يصف ، فاختلفتُ إليه في هذا المعنى أياماً ثم اعتلَّ وَحَجَجْتُ فما زلتُ مشفقاً عليه وخشيتُ أن يموتَ في علته فيبطلَ ما كان يشرحه لي ، فرجعتُ من الحج وصرتُ إليه فإذا هو قد ألف الحروف كلَّها على ما هي في الكتاب وكان يملي عليَّ ما يحفظ ، وما شكَّ فيه يقولُ لي سَلْ عنه ، فإذا صحَّ فأَثْبِتْهُ ، إلى أن عملتُ الكتاب .

حرف الميم

ـ 928 ـ

المبارك بن الحسن بن أحمد بن علي بن فتحان بن منصور الشهرزوري أبو الكرم المقرىء : إمام في القراءات عالم بها ؛ مات فيما ذكره أبو سعد عن ابن حرز في الثاني والعشرين من ذي الحجة سنة خمسين وخمسمائة ، ودفن في دكة بشر الحافي بباب حَرْب ببغداد إلى جنبِ أبي بكر الخطيب ، قال : وكتب عنه ، وذكر أن مولده في سابع عشر شهر ربيع الآخر سنة اثنتين وستين وأربعمائة . قال : وكان يسكنُ دارَ الخلافة ببغداد مما يلي باب العامة شيخٌ صالح ديّن خيّر قيّمٌ بكتاب اللّه عالمٌ باختلاف الروايات والقراءات ، وصنف فيها « كتاب المصباح في القراءات » وهو حَسَنُ السيرةِ جيّدُ الأخذِ على الطلاب ، له رواياتٌ عالية ، سمع الحديث من أبي الفضل أحمد بن الحسن بن جيرون الأمين وغيره .

ـ 929 ـ

المبارك بن سعيد بن الحمامي المؤدب ، أبو الفرج المؤدب : كان يسكن قَرَاحَ بني رَزِين من بغداد ، وله به مَكْتَبٌ يعلّم فيه الصبيانَ ، وكان أديباً فاضلاً وشيخاً صالحاً تخرَّجَ به خلقٌ كثير ، وكان محمودَ السيرة مشكوراً عند الناس ، وكان ذا هيبةٍ[1]

928 ـ ترجمته في الأنساب 7 : 420 والمنتظم 10 : 164 ومعرفة القراء الكبار 2 : 413 وتذكرة الحفاظ : 1292 وسير الذهبي 20 : 289 وعبر الذهبي 4 : 141 والمستفاد من ذيل تاريخ بغداد : 222 ومرآة الجنان 3 : 296 وطبقات ابن الجزري 2 : 38 والشذرات 4 : 157 .

929 ـ لم أجد له ترجمة .

(1) م : وكان داهية .

على الصبيان ، وكان أولادُ الأكابر يقصدون مكتبه من جميع بغداد لما شاع من خيره وصلاحه ، أدركتُ زمانه ورأيتُ مَكْتَبَهُ وكان مكتباً حفيلاً مزدحماً إلا أنني لم أُلْفِهِ[1] شيئاً ، وكان يكتبُ خطاً حسناً معروفاً عند الناس مرغوباً فيه . مات فيما بلغني في جمادى الآخرة سنة ثمانين وخمسمائة ، وكان له ابن على سيرته في الصلاح والدين والخير قام مقامه في مكتبه وخلفه بعده في مكتبه[2] ، وكان اسمه أيضاً المبارك مات سنة ثمان وثمانين وخمسمائة .

ـ 930 ـ

المبارك بن الفاخر بن محمد بن يعقوب أبو الكرم النحوي ، أخو أبي عبد الله الحسين بن محمد المعروف بالبارع الدباس لأمه : ولد سنة ثمان وأربعين وأربعمائة ومات في ذي القعدة سنة خمسين وخمسمائة ، ودفن بباب حرب . سمع الحديثَ من أبي الطيب الطبري والجوهري[3] وغيرهما ، وكان قيماً بالنحو عارفاً باللغة ، قال أبو الفرج : غير أن مشايخنا جرّحوه ؛ كان أبو الفضل ابن ناصر سيءَ الرأي فيه يرميه بالكذب والتزوير قال : وكان يدّعي سماع ما لم يسمعه ، ولما مات دفن بمقبرة باب حرب . وقرأ النحوَ على ابن برهان الأسدي . وله من الكتب : كتاب المعلم في النحو . كتاب نحو العرف . كتاب شرح خطبة أدب الكاتب .

وجدت بخط السمعاني مولده على ما تقدم ، فان صحَّ ذلك لا يصحُّ أخذُهُ النحوَ عن ابن برهان لأن ابن برهان مات سنة ست وخمسين وأربعمائة ، بل إن كان سمع منه شيئاً جاز ذلك ، ثم لما وردت إلى مرو نظرت في « كتاب المذيل » للسمعاني وقد ألحق بخطّه في تضاعيف السطور بخط دقيق : قرأتُ بخطِّ والدي رحمه الله : سألتُ

930 ـ ترجمة المبارك بن الفاخر في إنباه الرواة 3 : 256 (وجعل وفاته سنة خمسمائة) والمنتظم 9 : 154 (وفيات خمسمائة) ومرآة الجنان 3 : 162 والنجوم الزاهرة 5 : 195 وإشارة التعيين : 296 .

(1) م : لم ألقه

(2) وخلفه بعد في مكتبه : ترديد للعبارة السابقة .

(3) يعني من القاضي أبي الطيب طاهر بن عبد الله الطبري وأبي محمد الحسين بن علي الجوهري .

المباركَ بن الفاخر عن مولده فقال ولدت في سنة إحدى وثلاثين وأربعمائة ، قلت : فإذا صحت هذه الرواية فقد صحَّ أخذه عن ابن برهان . وكان والد السمعاني قد لقي ابنَ الفاخر وأخذ عنه ، وحكى عنه شيئاً من النحو واللغة .

رأيت بخط الشيخ أبي محمد عبد الله بن أحمد بن أحمد بن الخشاب رحمه الله : حكى لي محمد بن محمد بن قزما الاسكافي عن شيخنا أبي الكرم المبارك بن فاخر بن يعقوب النحوي المعروف بابن الدباس أنه كان يكرم المترددين إليه لطلب العلم بالقيام لهم في مجلسه ، وكان الشيخ أبو زكريا يحيى بن علي يأبى ذلك وينكره عليه وعلى غيره ممن يعتمده ، وينشد :

قَصَّرَ بالعلم وأزرى به   من قام في الدرسِ لأصحابِهِ

قال الشيخ أبو محمد : ولعمري إن حرمةَ العلم آكدُ من حرمة طالبه ، وإعزازَ العلم أبعثُ لطلبه ، وبحسب الصبر على مرارة طلبه تحلو ثمرةُ مكتسبه . وكان الشيخ أبو الكرم ابن الدباس رحمه الله يجمع إلى هذا التساهل في الخطاب إذا أخذ خطه على ظهر كتاب ، ويقصدُ بذلك اجتذابَ الطلاب ، لأن النفوسَ تميلُ إلى هذا الباب ، وحال أبي علي رحمه الله في عكس هذه الحال معلومةٌ متعارَفَةٌ يأثِرُهَا أصحابُهُ عنه ، وكان أمره مع العالَم في ذاك على حدٍّ سواء من ملك وسوقة وعالم ومتعلم ، ونحن نسأل الله العونَ على زمن نحن فيه . آخر ما فيه من خطِّ ابن الخشاب .

- 931 -

المبارك بن المبارك بن المبارك أبو طالب الكرخي بن أبي البركات الفقيه الشافعي صاحب أبي الحسن ابن الخلِّ : مات في ثامن ذي القعدة سنة خمس وثمانين وخمسمائة ، أدركتُ زمانه ولقيتُ ببغداد أوانه، إلا أنني لم أره لصغر السنِّ حينئذ

---

931 - ترجمة أبي طالب الكرخي في تكملة المنذري (رقم : 89) وسير الذهبي 21 : 224 (وينقل عن ابن النجار والموفق عبد اللطيف) وعبر الذهبي 4 : 257 ومختصر ابن الدبيثي 3 : 177 والوافي للصفدي (خ) وطبقات السبكي 7 : 275 وطبقات الاسنوي 2 : 353 والبداية والنهاية 12 : 334 والنجوم الزاهرة 6 : 110 والشذرات 4 : 284 وإشارة التعيين : 282 .

والاشتغال في ذلك الزمان بغير هذا الشان .

كان رحمه الله فاضلاً زاهداً عابداً ورعاً إماماً أوحدَ زمانِهِ في حُسْنِ الخط على طريقة علي بن هلال بن البوّاب . سمعتُ جماعةً يحكون أنه لم يكتب أحدٌ قبله ولا بعده مثلَهُ في قَلَم الثلث ، حتى رأيت من يغالي فيه فيقول : إنه كتب خيراً من ابنِ البوَّاب ، وكان ضنيناً بخطه جدًّا فلذلك قلَّ وجوده ، كان إذا اجتمع عنده شيء من تجويداته يستدعي طستاً ويغسله ، فأما إذا استُفْتي فانه كان يكسرُ قلمه ويجهد في تغيير خطه ، وكان أحدَ الشهود المُعدَّلين . تفقه على أبي الحسن ابن الخلّ ولازمه مدةً حتى صار بارعاً في الفقه وصارت له معرفة بالمذهب ولسان تام في الخلاف ، شهد عند قاضي القضاة أبي القاسم الزينبي في تاسع جمادى الآخرة سنة ثلاثين وخمسمائة ، ولم يزل على ذلك إلى أن عَزَلَ نفسه عن تحمل الشهادة وأدائها قبل موته بمدة مديدة ، ولم يَدَعِ الطيلسانَ ، وتولّى التدريسَ بمدرسة كمال الدين أبي الفتوح حمزة بن علي بن طلحة الرازي التي بباب العامة المحروس بعد وفاة شيخه أبي الحسن ابن الخل المدرّس كان بها ، ثم تولّى تدريسَ النظامية وَذِكْرَ الدرس بها في تاسع صفر سنة إحدى وثمانين وخمسمائة وأضيف إليه التقدمُ بالرباط الجديد المجاور لتربة الجهة الشريفة السلجوقية المعروف بالأخلاطية عند مشهد عون ومعين بالجانب الغربي ، وانتقل إلى هناك وسكن الدارَ المجاورةَ للرباط المذكور ، وكان يعبرُ إلى الجانبِ الشرقيِّ ويذكرُ الدروسَ بالنظامية ويعودُ إلى منزله بالجانب الغربي ، وكان له قبولٌ عند الخاصِّ والعامّ وجاهٌ عند أرباب الولايات ، وهو الذي تولّى خدمةَ الأمير أبي نصر محمد وأبي الحسن علي ابني مولانا الناصر لدين الله أمير المؤمنين خلّد الله سلطانَهُ في تعليم الخط ، وسمع الحديثَ من ابن الحصين وقاضي البيمارستان وشيخه ابن الحاج وغيرهم ، وحدث عنهم ، ثم خرج من منزله لصلاةِ العصر بالرباط الجديد المذكور ، وكان يؤمُّ فيه ، فلما توجَّهَ للصلاةِ عرضت له سَعْلَةٌ وتتابعتْ فوقع إلى الأرض وَحُمِلَ إلى منزله فمات لوقته في الوقت المقدَّم ذكره ، وصلّيَ عليه في غده ، واجتمع له خلقٌ عظيم ، ودفن بتربة الجهة السلجوقية المجاورةِ للرباط ، وهو فيما يقال ابن اثنتين وثمانين سنة .

ـ 932 ـ

المبارك بن المبارك بن سعيد بن الدهان ، أبو بكر الضرير النحوي المعروف بالوجيه : من أهل واسط ، قدم بغداد مع أبيه في صباه فأقام بها إلى أن مات في السادس عشر من شعبان سنة اثنتي عشرة وستمائة رحمه الله ، ودفن بالوردية ، ومولده في سنة اثنتين وخمسمائة ، وهو شيخي الذي به تخرجت وعليه قرأت ، وهو قرأ بواسط على أبي سعيد نصر بن محمد بن سلم المؤدب وغيره ، وأدرك ببغدادَ ابنَ الخشّابِ فأخذ عنه ، ولازم الكمالَ أبا البركات عبد الرحمن بن محمد الأنباري النحوي وقرأ عليه وتلمذ له فهو أشهرُ شيوخه ، وسمع تصانيفه ، وسمع الحديثَ من طاهر بن محمد المقدسي ، وتولّى تدريسَ النحوِ بالنظامية سنين فتخرج عليه جماعةٌ كثيرة منهم الحسن بن الباقلاوي الحلّي والموفّقُ عبدُ اللطيفِ بن يوسف البغدادي والمنتجب سالم بن أبي الصقر العروضي وغيرهم . وكان رحمه اللّه قليلَ الحظّ من التلامذة يتخرجون عليه ولا يُنْسَبُونَ إليه ، ولم يكن فيه عيبٌ إلا أنه كان فيه كَيْسٌ ولين، وكان إذا جلس للدرس يقطعُ أكثرَ وقته بالأخبارِ والحكايات وإنشادِ الأشعار حتى يسأمَ الطالبُ وينصرفَ عنه وهو ضجر وينقم ذلك عليه ، وكان يحسن بكلِّ لغةٍ من الفارسية والتركية والحبشية والرومية والأرمنية والزنجية ، فكان إذا قرأ عليه عجميّ واستغلق عليه المعنى بالعربية فهّمه إياه بالعجمية على لسانه ، وكان حسنَ التعليم طويلَ الروح كثيرَ الاحتمالِ للتلامذة ، وكان شاعراً مجيداً أنشدني لنفسه كثيراً من شعره ، منه في التجنيس :

ولو وقعتْ في لجةِ البحرِ قطرةٌ من المزن يوماً ثم شاءَ لمازَهَا
ولو مَلَكَ الدنيا فأضحى ملوكُهَا عبيداً له في الشرقِ والغرب ما زَهَا

---

932 ـ ترجمة ابن الدهان الضرير في إنباه الرواة 3 : 254 ومرآة الزمان : 573 وقلائد الجمان لابن الشعار 6 : 22 وتكملة المنذري (رقم 1421) وذيل الروضتين : 90 وابن خلكان 4 : 152 وسير الذهبي 22 : 86 وعبر الذهبي 5 : 43 والوافي للصفدي (خ) ونكت الهميان : 233 وطبقات السبكي 5 : 148 والبداية والنهاية 13 : 69 وطبقات ابن الجزري 2 : 41 والنجوم الزاهرة 6 : 214 وبغية الوعاة 2 : 273 والشذرات 5 : 53 .

وكان قد فُوِّض إلى عضد الدولة أبي الفتوح ابن الوزير عضد الدين ابن رئيس الرؤساء أمرَ المخزنِ المعمور والأعمالِ التي كانت مُفَوَّضَةً قبله إلى ابن ناصر في عاشر شعبان سنة خمس وستمائة وخُلع عليه في باب الحجرة الشريفة ، وهو موضع لا يُخْلَعُ فيه إلا على الوزراء ، وركب منه والعالَمُ بين يديه ليمضي إلى منزله ، فعثرتْ به فرسه وسقط من عليها ، ثم ركبها سالماً من ساعته ، فأكثر الناسُ القولَ في الطيرة من هذا ، فقال الوجيه وأنشدنيه لنفسه :

لا تعـذلِ الفرسَ التي عثـرتْ ... بكَ أمسِ قبل سماعِكَ العُـذْرَا
قـالـتْ مقـالاً لـو عـلمتَ بـه ... لم تُـولِهَـا هَـجْـراً ولا هُجْـرا
لـمـا رأى الأَمـلاكُ أنَّ عـلى ... سـرجي فتىً أعلى الـورى قـدرا
رفـعت يـدي حـتى تُـقـبـلهـا ... شغفاً بها فَـوَهَتْ يدي الأخـرى

ثم لم يلبث المذكورُ إلا يسيراً حتى عُزِلَ وأُلزِمَ بيته .
وأنشدني الوجيه أيضاً لنفسه :

لستُ أستقبحُ اقتضاءَكَ بالوعـ ... ـدِ وإن كنتَ سيدَ الكرمـاءِ
فـإلهُ السمـاءِ قـد ضَمِنَ الـرز ... قَ عليـه وَيُقْتَضَى بـالـدعـاء

وأنشدني الوجيه أيضاً لنفسه في التجنيس :

لا راح مُسْتَرْفِدِي جـذلانَ من صَفَدي ... يـومـاً ولا عـزَّ بي في مشهـدٍ جـاري
إن لـم تكـبَّ على الأذقـانِ أوجـههـم ... سيـوفُ قـومي بسيـلٍ من دمٍ جاري

وحدثني الوجيه رحمه الله قال : دخلت يوماً إلى فخر الدين أبي علي الحسن ابن هبة الله بن الدوامي ، وهو مَنْ علمت أدباً وفضلاً وحسنَ بشر وكـرم سجية ، فجلسنا نتذاكرُ الشعراءَ إلى أن انتهى بنا الكلام إلى البحتري ، فأنشد قوله في الفتح بن خاقان[1] :

هبِ الـدارَ ردَّتْ رَجْـعَ مـا أنت قـائِلُهْ ... وأبـدى الجـوابَ الـربـعُ عمـا تسـائِلُهْ

(1) ديوان البحتري 3 : 1610 وما بعدها .

إلى قوله :

ولما حضرنا سُدَّةَ الإذْنِ أُخِّرَتْ رجالٌ عن البابِ الذي أنا داخِلُهْ
بدا ليَ محمودُ السجيةِ شُمِّرَتْ سرابيلُهُ عنه وطالتْ حمائله
كما انتصبَ الرمحُ الردينيُّ ثُقِّفَتْ أنابيبُهُ للطعنِ واهتزَّ عامله
فكالبدرِ وَافَتْهُ لوقتٍ سعودُهُ وتمَّ سناهُ واستهلتْ منازله
فسلمتُ واعتاقتْ جنانيَ هيبةُ تنازعني القولَ الذي أنا قائله
فلما تأملتُ الطلاقةَ وانثنى إليَّ ببشرٍ آنَسَتْنِي مخايله
دنوتُ فقبلتُ الندى من يدِ امرىءٍ جميلٍ محياهُ سباطٍ أنامله
صَفَتْ مثل ما يصفو المدامُ خلالُهُ ورقَّتْ كما رقَّ النسيمُ شمائله

فهشَّ الجميع وأخذ كلٌّ منهم يصف حُسْنَ ألفاظها ورشاقةَ معانيها وجودةَ مقاصدها ، وجعلوا يقولون هذا هو السهل الممتنع والفضل المتسع والديباج الخسرواني والزهر الأنيق ، وأطنبوا في ذلك وحقّ لهم ، فقلت ارتجالاً :

لمن تنظم الأشعارُ والناس كلهم سواسيةٌ إلا امرؤ أنا جاهلُهْ
ولو علموا أن اللُّهى تفتح اللُّها دروا أنَّ ذا الشعرَ ابنُ خاقانَ قائله

وكان الوجيه قد التزم سماحة الأخلاق وَسَعَةَ الصدرِ فكان لا يغضبُ من شيء ، ولم يُرَ من أحدٍ قطّ حردان ، وشاع ذلك عنه وبلغ ذلك بعض الخلفاء[1]، فقال: ليس له من يغضبه ، ولو أُغْضِبَ لغضب ، وخاطروه على أن يغضبه فجاءه فسلَّم عليه ثم سأله عن مسألةٍ نحوية فأجابه الشيخ بأحسن جواب ودلَّه على محجة الصواب فقال له : أخطأت فأعاد الشيخ الجواب بألطف من ذلك الخطاب وسهَّلَ طريقته وبيَّنَ له حقيقته ، فقال له : أخطأت أيها الشيخ ، والعجبُ ممن يزعم أنك تعرفُ النحو وَيُهْتَدَى بك في العلومِ ، وهذا مبلغُ معرفتك ، فلاطفه وقال له : يا بنيَّ لعلك لم تفهم الجوابَ ، وإن أحببتَ أن أعيدَ القولَ عليكَ بأبينَ من الأول فعلتُ ، قال له : كذبتَ لقد فهمتُ ما قلتَ ، ولكن لجهلك تحسب أنني لم أفهم ، فقال له الشيخ وهو يضحك : قد عرفتُ

(1) كذا ولعلها : الخلعاء .

مرادك ، ووقفتُ على مقصودك ، وما أراك إلا وقد غُلِبْتَ ، فأدِّ ما بايعتَ عليه فلستَ بالذي تغضبني أبداً ، وبعد يا بنيَّ فقد قيل إن بقّةً جلستْ على ظهر فيل ، فلما أرادت أن تطيرَ قالت له : استمسك فإني أريدُ الطيران ، فقال لها الفيل : واللهِ يا هذه ما أحسستُ بكِ لما جلستِ فكيف أستمسكُ إذا أنت طرتِ ؟! والله يا ولدي ما تُحْسِنُ أن تسألَ ولا تفهمُ الجوابَ فكيف أستفيد منك ؟

وحدثني محب الدين محمد بن النجار قال : حضر الوجيه النحوي بدار الكتب التي برباط المأمونية ، وخازنُها يومئذ أبو المعالي أحمد بن هبة الله ، فجرى حديثُ المعرّي ، فَذَمَّهُ الخازنُ وقال : كان عندي في الخزانة كتابٌ من تصانيفه فغسلته ، فقال له الوجيه : وأيُّ شيءٍ كان هذا الكتاب ؟ قال : كان كتابَ نقضِ القرآن ، فقال له : أخطأت في غسله ، فعجب الجماعةُ منه وتغامزوا عليه ، واستشاط ابنُ هبةِ الله وقال له : مثلك يَنْهَى عن مثل هذا ؟ قال : نعم لا يخلو أن يكونَ هذا الكتاب مثلَ القرآن أو خيراً منه أو دونه ، فإن كان مثله أو خيراً منه وحاشَ للّه أن يكونَ ذلك فلا يجبُ أن يُفَرَّطَ في مثله ، وإن كان دونه وذلك ما لا شكَّ فيه فَتَرْكُهُ معجزةٌ للقرآن فلا يجب التفريط فيه ، فاستحسن الجماعةُ قوله ووافقه ابنُ هبةِ اللّه على الحقِّ وسكت .

وكان الوجيه رحمه الله حنبلياً ثم صار حنفياً ، فلما درَّس النحوَ بالنظامية صار شافعياً ، فقال فيه المؤيد أبو البركات محمد بن أبي الفرج التكريتي ثم البغدادي ، وكان أحدَ تلامذته ، وسمعتُهُ من لفظه غير مرة :

أَلَا مُبْلِغٌ عنّي الوجيهَ رسالةً ... وإن كان لا تُجْدِي إليه الرسائلُ
تمذهبتَ للنعمان بعد ابنِ حنبلٍ ... وذلك لما أعوزتكَ المآكلُ
وما اخترتَ دينَ الشافعي تديّناً ... ولكنما تهوى الذي هو حاصل
وعما قليلٍ أنت لا شكَّ صائرٌ ... إلى مالكٍ فافطنْ لما أنا قائل

وأنشدني الوجيه لنفسه في التجنيس :

أطلتُ ملامي في اجتنابي لمعشرٍ ... طغامٍ لئامٍ جودُهُمْ غير مُرْتَجَى
ترى بابَهُمْ لا باركَ اللّه فيهمُ ... على طالبِ المعروف إن جاء مرتجا
حموا مالهم والدينُ والعرضُ منهمُ ... مباحٌ فما يخشونَ من هجوِ من هجا

إذا شرَعَ الأجوادُ في الجودِ منهجاً لهم شَرَعوا في البخلِ سبعين منهجا

وأنشدني الوجيه النحوي لنفسه يمدحُ أبا الفضل مسعود بن جابر صاحب المخزن :

ما مرَّ يومٌ ولا شهرٌ ولا عيدُ فاخضرَّ فيه لنا من وصلكم عودُ
عودوا تَعُدْ بكمُ الأيامُ مشرقةً وإن أبيتم ففي الأسقام لي عودوا
كم ذا التجني وكم هذا الصدودُ صِلُوا مَنْ حَظُّهُ منكمُ همٌّ وتسهيد
لو تسألوا كيفَ حالي بعد بُعْدِكُمُ فالحالُ شاهدةٌ والسقمُ مشهود
لولا التعللُ بالآمالِ متُّ أسىً يفنى الزمانُ وما تفنَى المواعيد
ولو شكوتُ الذي ألقى بحبكمُ إلى الجلاميدِ رقَّتْ لي الجلاميد
يا هذهِ ما أنامُ الليلَ من وَلَهي كأنما حاجبي بالجفنِ معقود
قلَّ اصطباري وزاد الوجدُ بي فأنا بكِ الشقيُّ وغيري منك مسعود
تلذّ في حبكِ الأيامُ لي وأرَى الـ ـتعذيبَ عَذباً به والقلبُ مجهود
كأنَّك المجدُ أو بذلُ الندى وأنا في فرطِ حُبّكِ فخرُ الدينِ مسعود
مولىً إذا السحبُ ضَنَّتْ بالحيا فله في الخلقِ بحرٌ عظيمُ الريِّ مورود

وله مطلع قصيدة في ابن جابر أيضاً :

يا مَنْ أقام قيامتي بقوامِهِ وأطال تعذيبي بطولِ مِطَالِهِ
أَمِطِ اللثامَ عن العذارِ تُقِمْ به عند العذولِ عليك عُذْرَ الواله
وارفقْ ببالٍ في هواك معذّبٍ بجفاك ما خَطَرَ السلوُّ بباله
طُبِعَ الحبيبُ على الملالِ وليته يوماً يميلُ إلى ملالِ ملاله
لو كنتَ تسمعُ ما أقولُ وقولَهُ لعجبتَ من ذلِّي له ودلاله
شَدَّ الرحالَ فحلَّ عقدَ تصبري لما سَرَتْ أجماله بجماله

أنشدني الحافظ أبو عبد الله محمد بن النجار صديقنا حرسه الله قال ، أنشدني شيخنا الوجيه النحوي لنفسه :

أرفعُ الصوتَ إن مررتُ بدارٍ أنتِ فيها إذ ما إليكِ وصولُ

وأحيي مَنْ ليس عنـدي بـأهـلٍ أن يُحْيَّـا كي تسمعي مـا أقـولُ

وكان ملازماً لدار الوزير عضد الدين أبي الفرج ابن رئيس الرؤساء ويبيت ويصبحُ يقرىء أهله ، ونال من جهته ثروةً ، فحدثني عز الدين أبو الحسن علي بن محمود بن محمد المعروف بالسرخسي النحوي قال ، حدثني الوجيه قال : اقترحتْ عليَّ بعضُ حظايا الوزير أن أعمل أبياتاً تكتبها على قميصٍ أصفر ، فعملت :

انـظرْ إلى لابسي وانـظرْ إليَّ وكـنْ من مثـلِ مـا حـلَّ بي منه على خَـطَرِ
هـذا اصفراري يـراهُ النـاظـرون ومـا في القلبِ من حُبّـه يَخْفَى على البصـر
أمـوتُ في خَلْعِـهِ بـالليـلِ لي كمـداً لـولا انتـظارُ وصـالٍ منه في السحـر
أقـولُ عـجبـاً إذا مـا رام يـلبـسـني مـا كنتُ أطمـعُ أن أعلو على القمـر

ونقشتها على القميص ، ورآه الوزير عليها فنلتُ منه بذلك السبب خيراً كثيراً .

ـ 933 ـ

المبارك بن محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني أبو السعادات الملقب بمجد الدين المعروف بابن الأثير ، والأثير هو أبو محمد: محمد بن عبد الكريم من أهل جزيرة ابن عمر : مات فيما حدثني به أخوه عز الدين أبو الحسن علي بن محمد في يوم الخميس سلخ ذي الحجة سنة ست وستمائة ؛ قال : ومولده في أحد الربيعين سنة أربع وأربعين وخمسمائة بالجزيرة وانتقل إلى الموصل في سنة خمس وستين ولم يزل بها إلى أن مات .

قال المؤلف : وكان عالماً فاضلاً وسيداً كاملاً قد جمع بين علم العربية والقرآن

933 ـ ترجمة أبي السعادات ابن الأثير في إنباه الرواة 3 :257 وقلائد الجمان لابن الشعار 6: 29 وتكملة المنذري (رقم: 1129) وذيل الروضتين: 69 والجامع المختصر 9: 299 وابن خلكان 4: 141 وتلخيص مجمع الآداب (رقم: 439) وسير الذهبي 21: 488 وعبر الذهبي 5: 19 وطبقات الأسنوي 1: 130 وطبقات السبكي 5: 153 والبداية والنهاية 13 : 54 والوافي للصفدي (خ) وبغية الوعاة 2: 274 والشذرات 5: 22 ، وكتابه جامع الأصول مطبوع وكذلك غرائب الطوال ، وكتاب المرصع (البنين والبنات والآباء والأمهات . . .) وكتاب النهاية في غريب الحديث .

والنحوِ واللغةِ والحديثِ وشيوخِهِ وصحَّته وَسَقَمِهِ والفقه ، وكان شافعياً ، وصنَّف في كلِّ ذلك تصانيفَ هي مشهورةٌ بالموصل وغيرها .

حدثني أخوه أبو الحسن قال : قرأ أخي الأدبَ على ناصح الدين أبي محمد سعيد بن الدهان البغداديّ وأبي بكر يحيى بن سعدون المغربي القرطبي وأبي الحزم مكي بن الريان بن شبّة الماكسي النحوي الضرير ، وسمع الحديثَ بالموصل من جماعةٍ منهم الخطيب أبو الفضل ابن الطوسي وغيره ، وقدم بغدادَ حاجاً فسمع بها من أبي القاسم صاحب ابن الخلّ وعبد الوهاب بن سكينة ، وعاد إلى الموصل فروى بها وصنَّف ووقف دارَهُ على الصوفيةِ وجعلها رباطاً .

وحدثني أخوه أبو الحسن قال : تولى أخي أبو السعادات الخزانةَ لسيف الدين الغازي بن مودود بن زنكي ، ثم ولاه ديوانَ الجزيرة وأعمالها ، ثم عاد إلى الموصل فناب في الديوان عن الوزير جلال الدين أبي الحسن علي بن جمال الدين محمد بن منصور الأصبهاني ، ثم اتصل بمجاهد الدين قايماز بالموصل أيضاً فنال عنده درجة رفيعة ، فلما قُبِضَ على مجاهد الدين اتصل بخدمة أتابك عز الدين مسعود بن مودود إلى أن توفي عز الدين ، فاتصل بخدمة ولده نور الدين أرسلان شاه فصار واحدَ دولته حقيقةً بحيث إن السلطانَ كان يقصدُ منزله في مهامّ نفسه لأنه أُقعِد في آخر زمانه ، فكانت الحركة تصعبُ عليه ، فكان يجيئه بنفسه أو يرسل إليه بدر الدين لؤلؤ الذي هو اليوم أمير الموصل .

وحدثني أخوه المذكور قال : حدثني أخي أبو السعادات قال : لقد ألزمني نور الدين بالوزارة غيرَ مرةٍ وأنا أستعفيه حتى غضب مني وأمر بالتوكيل بي ، قال : فجعلتُ أبكي ، فبلغه ذلك فجاءني وأنا على تلك الحال فقال لي : أبلغ الأمرُ إلى هذا ؟ ما علمتُ أنّ رجلاً ممن خلق الله يكرهُ ما كرهتَ ، فقلت : أنا يا مولانا رجلٌ كبير ، وقد خدمتُ العلمَ عمري واشتُهِرَ ذلك عنّي في البلاد بأسرها ، واعلم أنني لو اجتهدت في إقامة العدل بغاية جهدي ما قدرتُ أؤدي حقه ، ولو ظُلِمَ أكّار في ضيعةٍ من أقصى أعمالِ السلطان لَنُسِبَ ظلمه إليَّ ، ورجعتَ أنت وغيرُكَ باللائمةِ عليَّ ، والملكُ لا يستقيمُ إلا بالتسمح في العسف وأخذِ هذا الخلق بالشدة ، وأنا لا أقدر على ذلك ، فأعفاه ، وجاءنا إلى دارنا فخبرنا بالحال ، فأما والده وأخوه فلاماه على الامتناع فلم يؤثر

اللومُ عنده أسفاً ، وذكر ذلك في قصةٍ طويلةٍ بتفاصيلها إلا أن هذا الذي ذكرته هو معناها .

وحدثني عز الدين أبو الحسن قال : حدثني أخي أبو السعادات رحمه الله قال : كنتُ أشتغلُ بعلم الأدب على الشيخ أبي محمد سعيد بن المبارك بن الدهان النحوي البغدادي بالموصل ، وكان كثيراً ما يأمرني بقول الشعر وأنا أمتنعُ من ذلك ، قال : فبينا أنا ذاتَ ليلةٍ نائم رأيت الشيخَ في النوم وهو يأمرني بقول الشعر ، فقلت له : ضعْ لي مثالاً أعمل عليه فقال :

جُبِ الفلا مُدْمناً إنْ فاتَكَ الظفرُ وخُدَّ خَدَّ الثرَى والليلُ معتكرُ

فقلت أنا :

فالعزُّ في صَهَواتِ الخيلِ مركبُهُ والمجدُ ينتجه الإسراءُ والسهرُ

فقال لي : أحسنتَ هكذا فقل ، فاستيقظتُ فأتممتُ عليها نحو العشرين بيتاً .

وحدثني عز الدين أبو الحسن قال : كتب أخي أبو السعادات إلى صديق له في صدر كتاب ، والشعر له :

وإني لمهدٍ عن حنينٍ مبرِّحٍ إليكَ على الأقْصَى من الدارِ والأدنَى
وإن كانتِ الأشواقُ تزدادُ كلما تناقصَ بعدُ الدارِ واقتربَ المغنى
سلاماً كنشرِ الروضِ باكَرَهُ الحيا وهبَّتْ عليه نسمةُ السَّحَرِ الأعلى
فجاءَ بمسكيِّ الهوا متحلّياً ببعض سجايا ذلك المجلسِ الأسمى

وأنشدني عز الدين قال ، أنشدني أخي مجد الدين أبو السعادات لنفسه :

عليكَ سلامٌ فاح من نَشْرِ طيبهِ نسيمٌ تولى بثَّهُ الرندُ والبانُ
وجازَ على أطلالِ ميٍّ عشيةً وجاد عليه مُغْدِقُ الوبلِ هتّانُ
فحملته شوقاً حَوَتْهُ ضمائري تميدُ له أعلامُ رضوى ولُبنانُ

واستنشدته شيئاً آخر من شعره فقال : كان أخي قليلَ الشعر لم يكن له به تلك العناية ، وما أعرف الآن له غير هذا ، فقلت له : فأمِلَّ عليَّ تصانيفه ، فأملى عليّ : كتاب البديع في النحو نحو الأربعين كراسة وقفني عليه فوجدته بديعاً كاسمه سلك فيه

مسلكاً غريباً وبوّبه تبويباً عجيباً . كتاب الباهر في الفروق في النحو أيضاً . كتاب تهذيب فصول ابن الدهان . كتاب الإنصاف في تفسير القرآن أربع مجلدات . كتاب الشافي وهو شرح مُسْنَدِ الشافعي أبدعَ في تصنيفه فذكر أحكامه ولغته ونحوه ومعانيه نحو مائة كراسة . كتاب غريب الحديث على حروف المعجم أربع مجلدات . كتاب جامع الأصول في أحاديث الرسول عشر مجلدات جمع فيه بين البخاري ومسلم والموطأ وسنن أبي داود وسنن النسائي والترمذي عمله على حروف المعجم ، وشرح غريب الأحاديث ومعانيها وأحكامها ووصف رجالها ونبه على جميع ما يحتاج إليه منها . قال المؤلف : أقطع قطعاً أنه لم يُصَنَّفْ مثله قط ولا يصنف . وله رسائل في الحساب مُجَدْوَلات . كتاب ديوان رسائله . وكتاب البنين والبنات والآباء والأمهات والأذواء والذوات مجلد . كتاب المختار في مناقب الأخيار أربع مجلدات ، إلى غير ذلك .

ـ 934 ـ

مبشر بن فاتك أبو الوفاء الأمير : أحد أدباء مصر العارفين بالأخبار والتواريخ المصنفين فيها ، وكان في أيام الدولة المصرية في أيام الظاهر والمستنصر . وله من التصانيف : كتاب سيرة المستنصر ثلاث مجلدات ، وله تواليف في علوم الأوائل ، وملك من الكتب ما لا يحصى عدده كثرةً .

ـ 935 ـ

مجالد بن سعيد بن عمير الهمداني : روى عن الشعبي فأكثر ، وروى عنه الهيثم بن عدي ، مات في سنة احدى وأربعين ومائة وكان رواية للأخبار والأنساب والأشعار ، وهو عند أصحاب الحديث ضعيف .

---

934 ـ ترجمته في عيون الانباء 2 : 98 وتاريخ الحكماء للقفطي : 269 والوافي للصفدي (خ) وانظر مقدمة « مختار الحكم » . وذكر الصفدي أنه اشتغل بصناعة الطب ولازم ابن رضوان ، وكتب بخطه من تصانيف المتقدمين ، وبعد وفاته عمدت زوجته إلى كتبه فألقتها في بركة وسط داره لأنه كان يشتغل بها عنها ، ومن تلاميذه سلامة بن مبارك بن رحمون .

935 ـ ترجمة مجالد في الوافي للصفدي (خ) وقال : روى له الأربعة وروى له مسلم مقروناً ونقل عن ياقوت أنه توفي سنة أربع وأربعين ومائة .

ـ 936 ـ

مجاهد بن جبر القارىء ، وقيل مجاهد بن جبير مولى عبد الله بن السائب ، وقيل مولى قيس بن السائب المخزومي : من كبار التابعين يكنى أبا الحجاج ، مات سنة أربع ومائة ، وقيل سنة ثلاث عن ثلاث وثمانين سنة من عمره . سمع ابن عباس وجابراً وأبا هريرة وأبا سعيد الخدري وأبا ريحانة وعبد الله بن عمر وغيرهم . أخذ القراءة عن عبد الله بن عباس وعن عبد الله بن أبي ليلى وقرأ على علي بن أبي طالب وأُبَيّ بن كعب رضي الله عنهم ، روى عنه الأعمش والليث بن أبي سليم والحكم ومنصور بن نجيح وغيرهم .

وقال مجاهد : عرضتُ القرآنَ على ابن عباس ثلاثينَ عرضةً . قال مجاهد : وكنت أُصحبُ ابنَ عمر في السفر فكنتُ إذا أردت أن أركبَ يأتيني فيمسك ركابي فإذا ركبتُ سوَّى عليّ ثيابي ، قال مجاهد : فجاءني مرةً فكأني كرهتُ ذلك ، فقال : يا مجاهد إنك ضيّقُ الخلق . نقلتُ ذلك كله من « كتاب الأمالي » لأبي بكر محمد بن منصور السمعاني .

وقرأت بخط أبي سعد باسناد رفعه إلى مجاهد أنه قال : انطلق غلامٌ من بني إسرائيل بفخّ فنصبه منتبذاً عن الطريق ، فجاء عصفورٌ فوقع قريباً منه وأنطق الله العصفورَ وأفهم الفخ ، فقال العصفور : مالي أراك منتبذاً عن الطريق ؟ قال : اعتزلتُ شرورَ الناس ، قال : فمالي أراك نحيفاً ؟ قال : أنهكتني العبادة ، قال : فما هذه الحبة في فيك ؟ قال : أرصدُ بها مسكيناً أو ابن سبيل ، قال : فانا مسكينٌ وابن سبيل ، قال : فدونكها ، قال : فوثب العصفور فأخذ الحبةَ ، فوثب الفخّ فوقع في عنقه ، فجعل العصفور يقولُ عيق عيق ، وعزةِ ربي لا غَرَّني بعدها قارىء مُراءٍ ابداً . قال مجاهد : وهذا مثل قرائين مرائين يكونون آخر الزمان .

---

936 ـ ترجمة مجاهد في طبقات ابن سعد 5 : 466 والمعارف : 444 والمعرفة والتاريخ 1 : 711 وحلية الأولياء 3 : 279 وطبقات الشيرازي : 69 وتذكرة الحفاظ : 86 وسير الذهبي 4 : 449 وعبر الذهبي 1 : 125 والبداية والنهاية 9 : 224 والعقد الثمين 7 : 132 والوافي للصفدي (خ) وطبقات ابن الجزري (رقم : 2659) وتهذيب التهذيب 10 : 42 وطبقات الحفاظ للسيوطي : 35 والشذرات 1 : 125 .

وذكر ابن عفير قال : قدم عمرو بن العاص بعد فتحه مصر على عمر بن الخطاب رضي الله عنهما قَدْمَتَيْنِ استخلف في إحداهما زكريا بن الجهم العبدري على الجند ومجاهدِ بن جبر مولى بني نوفل بن عبد مناف على الخراج (وهو جدّ معاذ بن موسى النفاط أبي إسحاق بن معاذ الشاعر) فسأله عمر من استخلفتَ ؟ فذكر له مجاهد بن جبر ، فقال له عمر : مولى ابنة غزوان ؟ قال : نعم إنه كاتب ، فقال عمر : إن العلم ليرفعُ صاحبه . (وبنت غزوان هي أختُ عتبةَ بن غـزوان ، وقد شهد عتبة بدراً ، وكان حليفَ بني نوفل بن عبد مناف). قال : وخطة مجـاهدِ بن جبـر دارُ صـالـحٍ صاحبِ السوق .

ـ 937 ـ

مجاهد بن عبد الله العامري أبو الجيش الموفق مولى عبد الرحمن الناصر بن المنصـور محمد بن أبي عـامر أميـر الأندلس : مـات بدانيـة في سنة ست وثـلاثين وأربعمائة ، وأصله مملوك رومي من ممـاليك ابن أبي عـامر . كـان من أهل الأدب والشجاعة والمحبة للعلوم وأهلها . نشأ بقرطبة وكانت له همة وَجَلَادةٌ وجرأة ، فلما جاءت أيام الفتنة وتغلبت العساكرُ على النواحي سار هو في من تبعه إلى الجزائر التي في شرق الأندلس وهي دانية ومنورقة (بالنـون) ، ودانية هي ذاتُ خصبٍ وسعـة ، فغلب عليها وحماها ، وقصد إلى سردانية في قصةٍ ذكرتها في التاريخ الذي سميتـه « المبدأ » . وكان من الكرماء على العلماء يبذلُ لهم الرغائبَ خصوصاً على القراء حتى صارت دانيةُ مَعْدِنَ القراء بالغرب . وهو الذي بذل لأبي غالب تمام بن غالب ألفَ دينار ليزِيدَ اسمه في ديباجة كتابه كما ذكرنا في باب تمام[1] ، وفيه يقول أبو العلاء صاعد بن

937 ـ ترجمة مجاهد العامري في جذوة المقتبس: 331 (وبغية الملتمس رقم: 1379) وأعمال الاعلام: 217 والبيان المغرب 3 : 155 والوافي للصفدي (خ) وتاريخ ابن خلدون 4 : 164 .

(1) انظر الترجمة رقم : 269 .

الحسن اللغوي وقد استماله بخريطةِ مالٍ ومركبٍ أهداهما إليه ، قصيدةً أولها :

أتتني الخـريـطةُ والمـركبُ كما اقترن السعدُ والكوكبُ
وَحَطَّ بـمـيـنـائِـه قِـلْعَـهُ كما وَضَعتْ حَمْلَها المقربُ
على ساعـةٍ قـام فيها الثناءُ على هامةِ المشتري يخطبُ
مجاهدُ رضتَ إباءَ الشُّموسِ فأصحبَ ما لم يكنْ يُصحبُ
فقلْ واحتكم لي فـمعُ الزمانِ مصيـخٌ إليك بمـا تـرغبُ

وقد ألف مجاهد كتاب عروض يدلُّ على قوته فيه ، ومن أعظم فضائله تقديمه للوزير أبي العباس أحمد بن رشيق وتعويله عليه وَبَسْطُ يدِهِ في العدل .

ـ 938 ـ

المحسن بن إبراهيم بن هلال بن زهرون الصابىء أبو علي بن أبي إسحاق صاحب الرسائل ، ووالد هلال بن المحسن صاحبِ التواريخ والرسائل : كان أديباً فاضلاً بارعاً قد لقيَ الأدباءَ والعلماء وأخذ عنهم كأبي سعيد السيرافي وأبي علي الفارسي وأبي عبيد الله المرزباني . مات في ثامن محرم سنة احدى وأربعمائة عن ابنه هلال، وله شعر حسن من مثله، وكان بوجهه شامةٌ حمراء فكان يُعْرَفُ بصاحب الشامة، وابنه هلال بن المحسن أعلى منزلةً منه . ومات هذا على دين أبيه ، وأما ابنه فأسلم على ما ذكرته في بابه . وكان لأبي إسحاق ابنٌ آخر يقال له أبو سعيد سنان ليس بالنبيه وآخَرُ كنيته أبو العلاء صاعد ، ومات أبو سعيد سنان في حياة أبيه في رجب سنة ثمانين . ولما قُبِضَ على أبيه أبي إسحاق قُبِضَ معه على ولديه أبي عليّ هذا وأبي سعيد . فحدث أبو الحسين هلال قال حدثني أبو عليّ والدي قال : أمر عضد الدولة أبا القاسم المطهر بن عبد الله وزيره وقال له : أفرجْ عن [ابن] أبي إسحاق صاحب الشامة فان له قديمَ خدمةٍ ، فتقدم بذاك ، فثقل على أبي سعيد أخي إطلاقي من دونه ودمدم على والدنا دمدمةً قال له عندها : أيّ أمر لنا يا بني في نفوسنا أم أيّ ذنبٍ لي

938 ـ ترجمة المحسن الصابىء في الوافي للصفدي (خ) وعرضاً في ترجمة أبيه في سير الذهبي 16 : 524 .

فيما لطف به لأخيك وَحُرِمْتَهُ ؟ ثم عدل إلى مسألتي أن أخرجَ أسبوعاً ويخرجَ أسبوعاً ويقع بيننا مناوبة في ذاك ، فامتنعتُ وأبيتُ ورفقَ بي رفقاً استحييتُ معه وأجبت ، فكتب أبو إسحاق إلى أبي القاسم المطهر :

ابناي عيناي كفَّ الحبسُ لحظَهما وعزَّ حسُّهما عن منظرِ النورِ
أطلقتَ لي منهما عيناً وقد بقيتْ عينٌ فصرتُ من الابنين كالعورِ
فسوِّ بينهما في فكِّ أسرهما مستوفراً منهما من أجر مأجورِ
يفديك بالأنفسِ اللاتي مَنَنْتَ بها أبوهما وهما من كلِّ محذورِ

فقال المطهر : الأمر إلى الملك فهو الذي رسم لي إطلاقَ ولدك صاحب الشامة ، ولو كنتُ مستطيعاً للجمع بينهما لفعلت ، بل لم أقنع حتى تكونَ أنت المطلق فعاوده وشكره وقال : إذا كان قد أخذ في تخلية واحدٍ فيجوز أن يتناوبا في الخروج ، وفسح المطهر في ذلك .

قال أبو علي : وكانت خدمتي التي رعاها الملك عضدُ الدولة أن أبا طاهر ابن بقية لما أفرج عن أبي إسحاق والدي بعد القبض عليه عقيبَ خروج عضدِ الدولة من مدينة السلام استحلفه على أن يُعَرِّفَهُ ما يردُ عليه من كتبه ويسلّم إليه مَنْ يجيئه من رسله ، فاتفق أن جاء أبو سعد المدبر إليه بكتاب من عضد الدولة وعمل على تسليمه ، فاجتهدتُ به ألاّ يفعل ، فخاف وأشفق ولم يقبل ، وحمله إلى ابن بقية فتقدم باعتقاله بعد أن ضَرَبَهُ وقرَّره ، وشقَّ ذلك عليّ لما يراعى من عواقبه ، وحملني الشبابُ ونزقه والاغترارُ وبواعثه على أن قمتُ ليلاً وحملتُ معي خمسين درهماً في صرَّةٍ وعشرين درهماً في صُرَّةٍ أخرى وجئتُ إلى الحبس متنكراً وعلى رأسي مِنْشَفَةٌ وقلتُ للسجّان : هذه عشرون درهماً خذها ومكنّي من الدخولِ على هذا الجاسوس وأجتمعُ معه وأخاطبه وأخرج ، فاخذها وأدخلني ، وجئتُ إلى أبي سعد وتوجعتُ له مما حصل فيه ، ووعدته بما أستطيعه من المعاونةِ على خلاصه ، ثم قلت له : وأنت غريبٌ وربما احتجتَ إلى شيءٍ وهذه خمسون درهماً اصرفها في نفقتك واستعنْ بها على أمرك ، فشكرني وانصرفت ، وأظنُّه ذكر ذلك لعضد الدولة عند خلاصه وعوده إليه ، فحصل لي في نفسه ما كانت هذه الحال ثمرته .

قرأت بخط أبي علي المحسّن في مجموع جمعه لولده هلال ما هذا صورته : لبعض المحدثين في عصرنا (وعلى الحاشية بخطّ ابنه هلال : هذه الأبيات لأبي المحسن بن إبراهيم بن هلال رحمه الله) :

أأهجو مجوسياً لو أنّي أمرتُه ... بنيكِ آمّه جهراً إذاً ما تأثّما
إذا ذُكِرَتْ يوماً له ريعَ قلبُهُ ... وأنعظَ مشتاقاً إليها متيما
يحنُّ إليها حَنَّتَين لأنه ... يكونُ لها بعلاً وكان لها ابنما
قضاها رضاعَ الثدي منه بأيره ... ففرَّ لها فرجاً وفرَّتْ له فما
فان طَرَّقَتْ بالحملِ يوماً فانما ... يكونُ أخاً وابناً له كلما انتمى
ينيكُ الأقاصي والأداني محللاً ... بذلك ما كان الإلهُ محرما
إذا ما ذوو الأديان صلَّوْا لربِّهم ... تقدَّمَ يَهْذِي في الصلاةِ مزمزما
ويخرجُ مما كُلِّفوا من مشقَّةٍ ... ويحتسبُ اللذاتِ أجراً ومغنما

وكتب أبو علي إلى أبيه في بعض نكباته :

لا تأسَ للمالِ إنْ غالَتْهُ غائلةٌ ... ففي حياتك من فَقْدِ اللهى عِوَضُ
إذ أنت جوهرنا الأعلى وما جَمَعَتْ ... يداك من طارفٍ أو تالدٍ عَرَضُ

فأجابه أبو إسحاق بأبيات ذكرتها في بابه فأغنى.

قرأت بخط أبي علي المحسن ، أنشدني القاضي أبو سعيد الحسن بن عبد الله السيرافي رحمه الله :

الجودُ والغولُ والعنقاءُ ثالثةٌ ... أسماءُ أشياءَ لم تُخْلَقْ ولم تَكُنِ

وأنشدني :

ألهى بني جُشَمٍ[1] عن كل مكرمةٍ ... قصيدةٌ قالها عمرو بن كلثومِ
يفاخرون بها مذ كان أولهم ... يا للرجال لفخرٍ غيرِ مسئومِ

وأنشدني في المعنى :

(1) الرواية المشهورة : بني تغلب .

كـأن وجـوهَ شمَّـاسٍ بنِ لأيٍ ... من السـوءات ملبسـةٌ عصيمـا
إذا ذكـروا الحـطيئـةَ لم يعـدُّوا ... حـديثاً بعـد ذاك ولا قـديمـا

وأنشدني :

أيـا ابنَ صليبـا أين طِبُّـكَ والـذي ... بـه كنتَ تشفي مَنْ به مثـلُ دائكـا
أأنكـرتَ مما قيـل مـا قـد عـرفتـه ... بغيـرك أم آثـرتـهم بـشفـائكـا
بل الموتُ ميقاتُ النفوسِ متى يحنْ ... فَـدَاءُ الـذي داويتـه في دوائكـا

ومن خط أبي علي المحسن قال : سألت القاضي أبا سعيد السيرافي رحمه الله عن الأخبار التي يرويها عن أبي بكر ابن دريد وكنت أقرأها عليه : أكـان يمليها من حفظه ؟ فقال : لا ، كانت تجمع من كتبه وغيرها ثم تقرأ عليه . وسألت أبا عبد الله محمد بن عمران المرزباني رحمه الله عن ذلك فقال : لم يكنْ يمليها من كتابٍ ولا حفظ ولكن كان يكتبها ثم يخرجها إلينا بخطه فإذا كتبناها خَرَّقَ ما كانت فيه .

وقرأت بخط أبي علي المحسن : لأبي الحسن محمد بن عبد الله بن سكرة الهاشمي إليّ يتقاضاني دفتراً أعطانيه :

كنتَ يـا سيـدي استعرتَ كتـابـاً ... لـيَ فيـه قـصـائـدُ لـلخـليـعِ
في الـربيـع المـاضي وهـذا ربيـعٌ ... فـتـفـضَّـلْ بـردِّهِ يـا ربيـعـي
تغتنمْ مـدحتي وإن جُـدْتَ أيضـاً ... لي بفـلسيـن لم يـكن ببـديـعِ
يـا جميـلَ الصنيـع لِمْ قـد تغيـر ... تَ وعـاملتني بسـوءِ الـصنيـعِ
مَنْ عَـذيـرى يـا آلَ زهـرونَ منكم ... من تـراه يُـطْفي لهيـبَ ضلوعـي
لستَ في المنـع بـالملوم تعـلمـ ... ـتَ من السيـدِ الجليـل الـرفيـعِ
كنتُ أعـددتكم لنـائبـةِ الـدهـ ... ـرِ ولـلحـادثِ المـلمِّ الفـظيـعِ
ورجـوتُ الغنى فخـاب رجـائي ... لم يخبْ فيك أنت بل في الجميع
واقـريـضي واخـيبـتي واعـنـائـي ... واضـنـائي واذلّـتي واخـضـوعـي
واشبـابي الـذي تقضّى ضيـاعـاً ... واسهـادي وافقـدَ طيبِ هجـوعي

واشقــائي من ذلِّ بختي عـليكـم مَنْ إليكم يـا قـومُ كـان شفيعي
كنتُ أبكي مـنكـم فلمـا نـكبـتم قمتُ أبكي لكم فَعَـزَّتْ دمـوعي

قال أبو علي : وكنتُ مع أبي الحسن ابن سكرةَ على المائدةِ فحمل بعضُ الغلمان غضارةً فيها مَضيرةٌ ، فاضطربت يدُهُ وانقلب شيءٌ منها على ثياب أبي الحسن ، فادَّعى عليه أنه ضرط وهجاه بأبياتٍ لم يبقَ في حفظي منها غير بيتين وهما :

قليـلُ الصـواب كثيـرُ الغلطْ شـديـدُ العثـارِ قبيحُ السَّقَطْ
جنى بـالمضيرةِ مـا قـد جنى ولم يَكْفِـهِ ذاك حتى ضـرط

- 939 -

المحسّن بن الحسين بن علي [بن] كوجك أبو القاسم الأديب: من أهل الفضل ، وكان الغالبَ عليه الوراقةُ ، ويقولُ الشعرَ ، وخطُّهُ معروفٌ مرغوب فيه يُشْبِهُ خطَّ الطبري .

قال أبو محمد أحمد بن الحسين بن أحمد بن محمد بن عبد الرحمن الروذباري في « تاريخه الذي أَلَّفَ بمصر » : وفي شوال سنة ست عشرة وأربعمائة مات أبو القاسم المحسن بن الحسين العبسي الأديبُ الوراق ، سمع من أبي مسلم محمد بن أحمد كاتب ابن حنزابة ، وسمع معه أخوه علي بن الحسين ، وكان أبوه أيضاً من أهل الفضل وله شعر ذكرته في ترجمة ابنه الآخر علي بن الحسين .

وقرأت في « كتاب الشام » : المحسن بن علي بن كوجك أبو عبد الله من أهل الأدب ، أملى بصيدا حكاياتٍ مُقَطَّعةً بعضها عن ابن خالويه ، روى عنه أبو نصر طلاب قال : أنبأنا عبد الله بن أحمد بن عمر ، قال أخبرنا أبو نصر ابن الحسين بن محمد بن أحمد بن طلاب ، قال أملى علينا الأستاذ أبو عبد الله المحسن بن علي بن كوجك بصيدا وقرأته عليه في سنة أربع وتسعين وثلاثمائة ، أنشدنا لبعضهم :

---

939 ـ ترجمة ابن كوجك في إنباه الرواة 3 : 273 والوافي للصفدي (خ) ومختصر ابن منظور 24 : 110 .

ودَّعــك الحسنُ فهـو مــرتحــلُ   وانصـرفتْ عن جمـالِـكَ المقـلُ
ومـتَّ من بـعــد مــا أمتَّ وأحــــــيـيتَ وكــلُّ الأمــورِ تَـنْـتَـقِــلُ
كم قــائـلٍ لي وقــد رأى كَلَفي   فيــكَ ووجـدي فقــال مكتهــل
يــرحـمــك اللّه يــا غــلامُ إذا   قــال لـك العـاشقـون يــا رجـل

قال ابن طلاب : وحضرنا معه يوماً في محرس غرق(1) بمدينة صيدا وفيه قبة فيها مكتوبٌ أسماءُ مَنْ حضرها وأشعارٌ من جملتها :

رحم اللّه مـن دنــا لأنــاسٍ   نـزلوا هـا هنا يـريدون مصـرا
فـرَّقَتْ بينهم صروفُ الليـالي   فـتخـلَّوا عن الأحـبــةِ قســرا

فقال له قائل من جماعتنا : إن المائدة لا تقعدُ على رِجْلَين ولا تستقر إلا على ثلاثة ، فأَجِزْ لنا هذين البيتين بثالث ، فأطرق ساعة ثم قال : اكتبوا :

نــزلـوا والثيــابُ بيضٌ فلمـا   أَزِفَ البينُ منهمُ صِـرْنَ حمرا

قال ابن طلال : وكان بين الأستاذ وبين رجل كاتب لبني بزال(2) إحَنٌ وملاحاة(3) مستهجنـةٌ أوقعتْ بينهما العـداوةَ بعد وَكِيـدِ الصداقـة ، وكان هـذا الرجـلُ يقال لـه أبو المنتصر مبارك الكاتب ، فهجاه الأستاذ بأشعارٍ كثيرة وجمعها في جزءٍ وكتب على ظهر هذا الجزء شعراً له وهو :

هــذا جـــزاءُ صـديقٍ   لم يَـرْعَ حقَّ الصداقَـهْ
سـعـى عـلى دمٍ حــرٍّ   مُــحَــرَّمٍ فــأراقَــهْ

قال وأنشدنا لنفسه فيه أيضاً :

مبــاركُ بـورِكَ في الـطولِ لـكْ   فـأصبحتَ أُطـولَ من في الفلكْ
ولــولا انحنــاؤكَ نلتَ السـمــاء   ولــكــنَّ ربـك مــا عــدَّلَــكْ

---

(1) الانباه : عرف .
(2) المختصر: نزال .
(3) م والمختصر: وبلاغات ، والتصويب من اقتراح محقق م .

- 940 -

المحسن بن علي بن محمد بن داود بن الفهم التنوخي أبو علي القاضي ، وقد مر ذكر أبيه علي بن محمد وابنه علي بن المحسن في مواضعهما . مات لخمس بقين من محرم سنة أربع وثمانين وثلاثمائة ومولده سنة تسع وعشرين وثلاثمائة بالبصرة ، وكانت وفاته ببغداد ، وله من التصانيف : كتاب الفَرَج بعد الشدة ثلاث مجلدات . كتاب نِشْوار المحاضرة اشترط فيه أنه لا يضمنه شيئاً نقله من كتابٍ ، أحد عشر مجلداً ، كلٌّ مجلد له فاتحة بخطبة .

قال غرس النعمة : صنف أبو علي المحسن « كتاب نشوار المحاضرة » في عشرين سنة أولها سنة ستين وثلاثمائة . وذيله غرس النعمة بكتاب سماه « كتاب الربيع » قال : ابتدأته في سنة ثمان وستين وأربعمائة .

وليَ القضاء بعدة نواحٍ ؛ حكى عن نفسه أنه في سنة ثلاث وستين وثلاثمائة كان متولي القضاء بواسط ، وقال في موضع آخر من كتابه : حضرتُ أنا مجلس أبي العباس ابن أبي الشوارب قاضي القضاة إذ ذاك ، وكنتُ حينئذٍ أكتبُ له على الحكم والوقوف بمدينة السلام مضافاً إلى ما كنتُ أخلفه عليه بتكريت ودقوقاء وخانيجار وقصر ابن هبيرة والجامعين وسوراء وبابل والايغارين وخطرنية ؛ وذكر قصة ، وذكر في موضع آخر أنه [كان] يتقلد القضاء بعسكر مكرم في أيام المطيع لله وعز الدولة ابن بويه .

وقد ذكر أبو الفرج الشلجي أنه تقلد القضاءَ بالأهواز نيابةً عن القاضي أبي بكر ابن قريعة ، وقد ذكرتُ ذلك في خبر الشلجي .

قال أبو الفرج : وحدثني أبو علي التنوخي القاضي قال : لما قلدني القاضي أبو بكر ابن قريعة قضاءَ الأهواز خلافةً له كتب إلى المعروف بابن سركر الشاهد ، وكان

---

940 - ترجمة المحسن التنوخي في اليتيمة 2 : 346 وتاريخ بغداد 13 : 155 والمنتظم 7 : 178 وابن خلكان 4 : 159 وسير الذهبي 16 : 524 وعبر الذهبي 3 : 27 والوافي للصفدي (خ) والنجوم الزاهرة 4 : 168 والجواهر المضية 3 : 422 والشذرات 3 : 112 وانظر مقدمة نشوار المحاضرة ومقدمة الفرج بعد الشدة .

خليفتَهُ على القضاء قبلي ، كتاباً على يديَّ وَعَنْوَنَهُ : إلى المخالفِ الشاقِّ ، السيءِ الأخلاق ، الظاهر النفاق ، محمد بن إسحاق .

وذكره الثعالبي فقال[1] : هلال ذلك القمر ، وغصن ذلك الشجر ، الشاهد العدل لمجد أبيه وفضله ، والفرعُ المشيد[2] لأصله ، والنائب عنه في حياته ، والقائم مقامه بعد وفاته ، وفيه يقول أبو عبد الله الحسين بن الحجاج[3] :

إذا ذُكِرَ القضاةُ وهم شهودٌ   تخيرتُ الشبابَ على الشيوخِ
ومن لم يرضَ لم أُصْفَعْهُ إلاّ   بحضرةِ سيدي القاضي التنوخي

قال : وأخبرني أبو نصر سهل بن المرزبان أنه رأى ديوانَ شعره ببغداد أكبر حجماً من ديوانِ شعرِ أبيه ، ومما علق بحفظ أبي نصر من شعره قوله في معنى طريف لم يُسْبَقْ إليه[4] :

خرجنا لنستسقي بِيُمْنِ دعائِهِ   وقد كاد هُدْبُ الغيم أن يبلغَ الأرضا
فلما ابتدا يدعو تَقَشَّعَتِ السما   فما تمَّ إلا والغمامُ قد انفضا

قال : وأنشدني غيره له ، وأنا مرتابٌ به لفرط جودته وارتفاعه عن طبقته[5] :

أقولُ لها والحيُّ قد فطنوا بنا   وما ليَ عن أيدي المنونِ براحُ
لَمَا ساءني أن وشَّحتني سيوفُهُمْ   وأنكِ لي دونَ الوشاحِ وشاحُ

وأنشد لنفسه في « كتابِ الفرج بعد الشدة »[6] :

لئن أَشمتَ الحسادَ صَرْفي ورحلتي   فما صَرَفُوا فضلي ولا ارتحلَ المجدُ

---

(1) اليتيمة 2 : 346 .
(2) اليتيمة : المثيل .
(3) وردا في عدد من المصادر المذكورة آنفاً .
(4) اليتيمة 2 : 347 .
(5) المصدر السابق .
(6) اليتيمة (نفسه) وانظر الفرج بعد الشدة 5 : 50 ؛ قال الشعر لما صرف في الدفعة الأولى من تقليده القضاء بالأهواز ، وشمت به بعض أعدائه .

مقـامٌ وتـرحـالٌ وقبضٌ وبسـطةٌ　　كـذا عادةُ الـدنيا وأخـلاقُها النُّكْـدُ

قرأت في « كتاب الوزراء » لهلال بن المحسن[1] : حـدث القاضي أبـو علي قال : نزل الوزير أبو محمد المهلبي السـوسَ فقصدتُـهُ للسلام عليـه وتجديـد العهدِ بخدمته ، فقال لي : بلغني أنك شهدتَ عند ابن سيار قاضي الأهواز ، قلت : نعم ، قال : ومن ابنُ سيار حتى تشهدَ عنده ، وأنت ولدي وابن أبي القاسم التنوخي أستاذ ابن سيار ؟ قلت : إلا أن في الشهادةِ عنده مع الحداثة جمالاً (وكانت سنّي يومئذٍ عشرين سنة) ، قال : وَجَبَ أن تجيء إلى الحضرة لأتقدَّمَ إلى أبي السائب قاضي القضـاة بتقليدك عملاً تقبلُ أنت فيه شهوداً ، قلت : ما فات ذاك إذا أنعم سيدنا الوزيرُ به ، وسبيلي إليه الآن مع قبول الشهادة أقرب ، فضحك وقال لمن كان بين يديه : انظروا إلى ذكائه كيف اغتنمها . ثم قال لي اخرجْ معي إلى بغداد ، فقبَّلتُ يده ودعوتُ له ، وسار من السوس إلى بغداد ، ووردتُ إلى بغداد في سنة تسع وأربعين وثلاثمائـة ، فتقدم إلى أبي السائب في أمري بما دعاه إلى أن قلَّدني عملاً بسقي الفرات ، وكنت ألازمُ الوزير أبا محمد وأحضرُ طعامه ومجالس أنسه ، واتفق أن جلس يوماً مجلساً عاماً وأنا بحضرته ، وقيل له : أبو السائب في الدار ، قال : يدخل ، ثم أومأ إليَّ بأن أتقدمَ إليه ، فتقدمت ومدَّ يده ليسارّني فقبلتها فمدَّ يدي وقال : ليس بيننا سر ، وإنما أردتُ أن يدخلَ أبو السائب فيراكَ تسارّني في مثلِ هذا المجلس الحافل ، فلا يشكّ أنك معي في أمرٍ من أمور الدولة ، فيرهبك ويحشمك ويتوفر عليك ويكرمك ، فإنه لا يجيء إلا بالرهبة ، وهو يبغضك بزيادة عداوة كـانـت لأبيك ، ولا يشتهي أن يكـون له خَلَفٌ مثلك ، وأخذ يوصل معي في مثل هذا الفنِّ من الحديث إلى أن دخل أبو السائب ، فلما رآه في سرار وقف ولم يحبَّ أن يجلسَ إلاّ بعد مشاهدة الوزير له تقرباً إليه وتلطفاً في استمالة قلبه ، فإنه كان إذ ذاك فاسدَ الرأي فيه ، فقال الحاجبُ لأبي السـائب : يجلس قاضي القضاة ، وسمعه الوزير فرفع رأسه وقال له : اجلسْ يا سيدي ، وعاد إلى سراري وقال لي : هذه أشدُّ من تلك ، فامضِ إليه في غدٍ فسترى ما يعاملك به ، وقطع السرارَ وقال لي ظاهراً : قم فامض فيما أنفذتك فيه وَعُدْ إليَّ الساعةَ بما تعمله ،

(1) نقلها محقق النشوار 4 : 79 ـ 81 (عن معجم الأدباء) .

فوهَّم أبا السائب بذاك أننا في مهمّ ، فقمتُ ومضيتُ إلى بعضِ الحُجَرِ وجلستُ إلى أن عرفتُ انصرافَ أبي السائب . ثم عدت إليه وقد قام عن ذلك المجلس . وجئت من غدٍ إلى أبي السائب فكاد يحملني على رأسه ، وأخذ يجاذبني بضروبٍ من المحادثة والمباسطة ، وكان [على] ذلك دهراً طويلاً .

قال القاضي أبو علي في « نشوار المحاضرة »[1] : حضر بين يديَّ رجلان بالأهواز فادَّعى أحدهما على الآخر حقًّا فأنكره ، فسأل غريمه إحلافَهُ فقال له : أتحلف ؟ فقال : ليس له عليَّ شيء فكيف أحلف ؟ لو كان له عليَّ شيء حلفتُ له وأكرمته .

حدث أبو علي قال : كنت جالساً بحضرة عضد الدولة في مجلس أنسه بنهاوند فغناه محمد بن كالة الطنبوري (شيخٌ كان يخدمه في جملة المغنين باقٍ إلى الآن) :

ذُدْ بمـاءِ المـزنِ والعنبِ طـارقـاتِ الهمِّ والكُـرَبِ
قهـوةٌ لـو أنهـا نَـطَقَتْ ذكَرتْ قحطانَ في العـربِ
وهي تكسـو كفَّ شـاربها دستبـانـاتٍ من الـذهبِ

فاستحسن الشعر والصنعة وسأل عنها فقال له ابن كالة : هذا شعرٌ غنَّتْ به مولانا سَلَمةُ بنتُ حُسْيَنة ، فاستعاده منها استحساناً له فسرقتُهُ منها . قال التنوخي : فقلتُ له أما الشعر فللخباز البلدي[2] ، وأظن أبا الحسن ابن طرخان قال لي إن الصنعةَ فيه لأبيه ، والمعنى حسن ولكنه مسروق ، فقال : من أين ؟ فقلت : أما البيت الثاني فمن قول أبي نواس[3] :

عتقت حتى لـو اتصلتْ بـلسـانٍ صـادقٍ وفـمِ
لاحتبتْ في القـرمِ ماثلةً ثـم قَصَّتْ قصـةَ الأمـمِ

ووصفها بالعتق والقدم كثير في القوم بأبلغَ من هذا البيت ، ولكن التشبيه في

---

(1) انظر 4 : 82 نقلاً عن ياقوت .

(2) هو محمد بن أحمد بن حمدان (اليتيمة 2 : 208) .

(3) ديوان أبي نواس : 207 (الحديثي) .

البيت الثالث هو الحسن ، وقد سرقه مما أنشدناه أبو سهل ابن زياد القطان ، قال أنشدنا يعقوب بن السكيت ولم يُسَمِّ قائلاً :

أقري الهموم إذا ضافتْ معتقةً   حمراءَ يحدثُ فيها الماءُ تفويفا
تكسو أصابعَ ساقيها إذا مُزِجَتْ   من الشعاع الذي فيها تطاريفا

وقد كشف أطال الله بقاءَ مولاي هذا المعنى من قال :

كأنَّ المدير لها باليمينِ   إذا قام للسقي أو باليسارِ
تدرَّعَ ثوباً من الياسمين   له فَرْدُ كُمٍّ من الجلّنارِ

وكان أبو علي أحمد بن علي المدائني المعروف بالهائم الراوية قائماً في المجلس فقال : قد كشف معنى الأبيات الفائية سريّ الرفّاء حيث يقول في صفة الدنان[1] :

ومستسلماتٍ هززنا لها   مداري القيانِ لسفكِ الدماءِ
وقد نظم العلجُ[2] أجسامها   مع الخدرِ نظمَ صفوفِ اللقاء
تُمَدُّ إليها أكفّ الرجالِ   فترجع مثلَ أكفِّ النساء

وكشف المعنى الثاني في الأبيات بقوله :

ازددْ من الراح وَزِدْ   فالغيُّ في الراح رَشَدْ
يديرها ذو[3] غُنَّةٍ   أغيد[4] يثنيه الغَيَدْ
مَدَّ إليها يَدَهُ   فالتهبت إلى العَضُدْ

قال القاضي التنوخي : فقلت له فأين أنت عما هو خير من هذا ، وهو قول ابن المعتز[5] :

(1) ديوان السري (ط . القدسي) : 7 .
(2) م : الصلح .
(3) م : ذا .
(4) م : وغد .
(5) ديوان ابن المعتز 3 : 231 .

تحسبُ الظبي إذا طاف بها   قبل أن يسقيكها مختضبا

قال الهائم فقد قال بكارة الرَّسْعَنِيّ :

وبكرٍ شربناها على الوردِ بُكْرَةً   فكانت لنا ورداً إلى ضحوةِ الغدِ
إذا قام مبيضُ اللباسِ يديرها   توهمته يسعى بِكُمٍّ موردِ

وقول أبي النضر النحوي(1) :

فلو رآني إذا اتكأتُ وقد   مددتُ كفِّي للهوِ والطربِ
يخالني لابساً مشهَّرةً   من لازَوْردٍ يشفُّ عن ذهبِ

فبدأت أذكر شيئاً فقال الهائم : اصبر اصبر فها هنا ما لا يلحقه شعرُ أحدٍ كان في الدنيا قطّ حسناً وجودة ، وهو قولُ مولانا الملك من أبيات :

وشربُ الكأسِ من صهباءَ صرفٍ   يفيضُ على الشروب يدَ النضار

فقطعت المذاكرة ، وأقبلت أعظّم البيتَ وأفخم أمره وأُفْرِطُ في استحسانه والاعتراف بأنني لا أحفظ ما يقاربه في الحسن والجودة فأذاكر به .

قال التنوخي(2) : وكنت بحضرته في عشية من العشايا في مجلس الأنس ، وكان هذا بعد خدمتي له في المؤانسة بشهور يسيرة ، فغُنِّيَ له من وراء ستارته الخاصة صوتٌ وهو :

نحن قومٌ من قريشٍ   ما هممنا بالفِرارِ

وبعده أبيات بعضها ملحون وبعض جيد ، فاستملحَ اللحن وقال : هو شعر ركيك جدًّا فتعلمون لمن هو ولمن اللحن ؟ فقال له أبو عبد الله ابن المنجم : بلغني أن الشعر للمطيع للّه وأن اللحَن له أيضاً : فقال لي : اعمل أبياتاً تنقل هذا اللحن إليها في وزنها وقافيتها ، فجلست ناحيةً وعملت :

أيهذا القمرُ الطا   لعُ من دارِ القمارِ
رائحاً من خُيَلاءِ الـ   ـحسنِ في أبهى ازارِ

(1) هو محمد بن اسحاق بن أسباط الكندي .
(2) نقله محقق النشوار 4 : 86 (عن ياقوت) .

والــذي يـجـنــي ولا يُـتْــــــبِـعُ ذنـبـاً بـاعـتــذارِ
أنــا من هجــرك فـي بُعــــــدٍ عـلى قــربِ الـمــزارِ
أوضــحُ الــعــذرِ عــذارا ك عـلى خَـلْعِ الـعــذارِ

وعدتُ وأنشدته إياها في الحال فارتضاها وقال : لولا انه قد هجس[1] في نفسي أن أعمل في معناها لأمرتُ بنقل اللحن إليها ، ثم أنشدنا بعد أيام لنفسه :

نـحن قــومٌ نـحفظ الـعهــــــدَ عـلى بـعــد الـمــزارِ
ونـمــرُّ السـحب سَـحبـاً مــن أكـفٍّ كــالـبـحــارِ
أبــداً نــنـجــز لــلضــيــــــف قــدوراً مــن نـضــارِ

وأمر جواريه بالغناء فيه . وأما أبياتي [فاني] تممتها قصيدةً ومدحته بها وهي مثبتة في ديوان شعري .

قال[2] : وجلس عضد الدولة وقد تحولتْ له سنةٌ شمسيةٌ من يوم مولده على عادةٍ له في ذلك ، وكان عادته أنه إذا علم أنه قد بقي بينه وبين دخول السنة الجديدة ساعة أو أقل أو أكثر أن يأكل ويتبخر ويخرجَ في حال التحويل إلى مجلس عظيم قد عبي فيه آلات الذهب والفضة ليس فيه غيرهما ، وفيها أنواع الفاكهة والرياحين ، ويجلس في دَسْتٍ عظيم القيمة ، ويجيءُ المنجمُ فيقبّلُ الأرضَ بين يديه ويهنئه بتحويل السنة ، وقد حضر المغنون وأخذوا مواضعهم وجلسوا ، وحضر الندماء وأخذوا مواقفهم قياماً ، ولم يكن أحدٌ منهم يجلس بحضرته غيري وغير أبي علي الفسوي[3] وأبي الحسن الصوفي المنجم وأبي القاسم عبد العزيز بن يوسف صاحب ديوان الرسائل فانه كان يجلس ليوقّعَ بين يديه . ويستدعى له إذا نشط [نبيذ] فيجعل بين يديه ويشرب منه أقداحاً[4]، ومن قبل أن يشرب يوقّع بمال الصدقات فيخرج، والغناء يمضي، ثم يجيء المهنئون من أهل المجلس مثل رؤساءِ دولته ووجوهِ الكتّابِ والعمال وكبار أهل البلد

---

(1) م : هجن .
(2) نقله محقق النشوار 4 : 88 عن ياقوت .
(3) هو أبو علي الفارسي الحسن بن أحمد النحوي المشهور .
(4) اقداحاً : وقعت بعد قوله « والغناء يمضي » .

من الأشراف وغيرهم فيدخلون إليه فيهنونه ، والشعراء فيمدحونه . فلما جلس ذلك اليوم على هذه الصفة قيل له إن الناسَ قد اجتمعوا للخدمة ، وفيهم أبو الحسن ابن أمّ شيبان وقد حضر ، فعجب من هذا ثم قال : أبو الحسن رجلٌ فاضل ، وليس هذا من أيامه ، وما حضر الا لفرط موالاته وانه ظن أنه يومٌ لاشُرْبَ فيه لنا ، وإن حجبناهُ غضضنا منه ، وان أوصلناه فلعله لا يحبُّ ذلك لأجلِ الغناء والنبيذ ، ولكن اخرجْ إليه يا فلان (لبعض من كان قائماً من الندماء) واشرحْ له صفةَ المجلس وما قلتُهُ من أمره ، وأدِّ الرسالةَ إليه ظاهراً ليسمعها الناسُ ، فان أحبَّ الدخولَ فأُدْخِلْهُ قبلهم ، وان أراد الانصرافَ فلينصرف ، والناس يسمعون وقد علموا منزلته منا . فخرج الحاجب وأبلغ ذلك ، فدعا وشكر وآثر الانصرف فانصرف وهم جلوس يسمعون ، ثم قال لحاجب النوبة : اخرجْ وأدخل الناسَ ، وأبو الفرج محمد بن العباس بن فسانجِس وأخوه أبو محمد علي بن العباس يتقدمون الناسَ جميعَهُمْ لرئاستهم القديمة ، حتى دخلوا وقبلوا الأرضَ على الرسم في ذلك وأعطوه الدينار والدرهم ، ووقفوا وابتدأ الشعراء ، فكان أولَ من ينشده من الشعراء السلاميّ أبو الحسن محمد بن عبيد الله ، إلا أنه يريدُ منّي أن أنشده في الملأ شيئاً ، فانه كان يأمرني بذلك من الليل ، فأحضرُ وابتدىء فأنشده ، أو يحضر رجلٌ علويّ ينشد شعراً لنفسه ، فيُجْعَلُ عقيبي ، ثم ينشدُ السلامي أبو الحسن ، ثم أبو القاسم علي بن الحسن التنوخي الشاميّ من أهل معرة النعمان يُعْرَفُ بابن جليات ، ثم يتتابعُ الشعراء . فلما انصرف الناسُ وتوسَّط الشرب جاءه الحاجب فقال : قد حضر أبو بكر ابن عبد الرحيم الفسوي ، وكان هذا شيخاً قد أقام بالبصرة وشهد عند القاضي بها ، وقد وفد إلى باب عضدِ الدولة قبل ذلك وأقام ، وكان خادماً له فيما يخدم فيه التجار ، يختصّه بعضِ الاختصاص ، فأقبل وكان بين يدي الدست التمري الذي يوضع بين يديّ في كلِّ يومٍ وفيه من الأشربةِ المحللة ما جَرَتْ عادتي بشربِ اليسيرِ منه بين يدي عضد الدولة على سبيل المنادمة والمؤانسة والمباسطة ، وكان قد وسمني وألزمني ذلك بعد امتناعي منه شهوراً حتى قد ردَّني وأخافني ، فقال لي : يا قاضي إن هذا الرجلَ الذي استؤذن له عاميٌّ جاهلٌ بالعلم ، وإنما استخدمته رعايةً لحرماتٍ له عليَّ ، ولأنه كان يخدمُ أمي في البزّ ويدخلُ إليها باذنِ ركن الدولة لتقاه وأمانته فلا تستترُ عنه ، وهذا قبل أن أولد ، فلما ولدتُ كان يحملني على كتفه إلى

أن تَرَجَّلْتُ ، ثم صار يشتري البزَّ ويبيعه عليَّ ، واستمرتْ خدمتُهُ لحرمته ، وهو قاطنٌ بالبصرة ، ولعله يدخلُ فيرى ما بين يديك فيظنه خمراً ، فيرجع إلى البصرة فيخبرُ قاضيها وشهودها بذلك فَيُقْدَحُ فيك ، ومحله يوجبُ أن يكشف لك عذرك ، ولكنْ أزحِ الدستَ الذي بين يديك حتى يصيرَ بين يدي أبي عبد الله ابن المنجم (وكان أبو عبد الله بنَ إسحاق بن المنجم يجلس دوني بفسحةٍ في المجلس) فإذا دخل رأى الدست بين يديه دونك ، فلم يقدرْ على حكايةٍ يطعنُ بها عليك ، فقبَّلتُ الأرضَ شكراً لهذا التطول في الإنعام ، وباعدتُ الدستَ إلى أبي عبد الله ، ثم قال : أدخلوه ، وشاهد المجلسَ وهنأ ودعا وأعطى ديناراً ودرهماً كبيرين فيهما عدةُ مثاقيل وانصرف .

قال أبو علي[1] : ويقربُ من هذا ما عاملني به الوزير أبو محمد المهلبي ، وذكَر الحكاية التي سبق ذكرها آنفاً مع قاضي القضاة أبي السائب ، وحديثَ تقريبه منه ومسارَّته إياه في المحفل ليعظم بذلك قدره وتكبر منزلته في عين قاضي القضاة أبي السائب ، ولله درُّ القائل :

لولا ملاحظةُ الكبيرِ صغيرَهُ ماكان يُعْرَفُ في الأنامِ كبيرُ

قال الرئيس أبو الحسن هلال[2]: وفي شهر ربيع الأول سخط عضد الدولة على القاضي أبي علي المحسّن بن علي التنوخي وأُلْزِمَ منزله وَصُرِفَ عما كان يتقلده ، وقسم ذلك على أبي بكر ابن أبي موسى وأبي بكر ابن المحاملي[3] وأبي محمد ابن عقبة وأبي تمام بن أبي حصين وأبي بكر ابن الأزرق[4] وأبي محمد ابن الجهرمي ، وكان السبب في ذلك ما حدثني به أبو القاسم علي بن المحسن التنوخي قال ، حدثني القاضي أبو علي والدي قال : كنت بهمذان مع الملك عضد الدولة ، فاتفق أن مضيت يوماً إلى أبي بكر ابن شاهويه[5] رسولِ القرامطة والمتوسط بين عضد الدولة وبينهم ، وكان له صديقاً ، ومعي أبو علي الهائم ، وجلسنا نتحدثُ ، وقعد أبو علي [على]

(1) نقله أيضاً محقق النشوار 4 : 90 .

(2) النقل مستمر 4 : 93 .

(3) أبو بكر أحمد بن أبي موسى (تاريخ بغداد 5 : 65) والحسين بن محمد بن المحاملي (8 : 101) .

(4) ابن الأزرق : يوسف بن يعقوب بن اسحاق التنوخي (المنتظم 6 : 325) .

(5) أبو بكر محمد بن علي بن شاهويه (انظر صفحات متفرقة من تجارب الأمم) .

باب خركاه[1] كنّا فيه ، وَقُدِّمَ إليه ما يأكله فقال : اجعل لي أيها القاضي في نفسك المقامَ في هذه الشتوة في هذا البلد ، فقلت : لم ؟ فقال : إن الملك مدبّر في القبض على الصاحب أبي القاسم ابن عباد ، وكان قد ورد إلى حضرته بهمذان ، وإذا كان كذلك تشاغل بما تتطاول معه الأيام . وانصرفت من عنده فقال أبو علي الهائم : قد سمعتُ ما كنتما فيه ، وهذا أمر ينبغي أن تطويه ولا تخرج به إلى أحدٍ ولا سيما إلى أبي الفضل ابن أبي أحمد الشيرازي ، فقلت : أفعل ، ونزلتُ إلى خيمتي ، وجاءني من كانت له عادةٌ جارية بملازمتي ومواصلتي ومواكلتي ومشاربتي ، وفيهم أبو الفضل ابن [أبي] أحمد الشيرازي ، فقال لي أيها القاضي : أنت مشغولُ القلبِ فما الذي حدث ؟ فاسترسلتُ على أُنْسٍ كان بيننا وقلت : أما علمتَ أن الملك مقيمٌ وقد عمل على كذا في أمر الصاحب ، وهذا دليلٌ على تطاول السنة ؟ فلم يتمالك أن انصرف واستدعى ركابياً من ركابيتي وقال له : أين كنتم اليوم ؟ فقال : عند أبي بكر ابن شاهويه ، قال : وما صنعتم ؟ قال : لا أدري إلا أن القاضي أطال عنده الجلوس ، وانصرف إلى خيمته عنه ولم يمض إلى غيره ، فكتب إلى عضد الدولة رقعةً يقولُ فيها : كنتُ عند القاضي أبي علي التنوخي فقال كذا وكذا ، وذكر أنه قد عرفه من حيثُ لا يَشُكّ فيه ، وعرفت أنه كان عند أبي بكر ابن شاهويه ، وربما كان لهذا الحديث أصل ، وإذا شاع الخبر به وأُظْهِرَ السرُّ فيه فسد ما دُبِّرَ في معناه ؛ فلما وقف عضد الدولة على الرقعة وجم وجوماً شديداً ، وقام من سماطٍ كان قد عمله في ذلك اليوم على منابتِ الزعفران للديلم مغيظاً ، واستدعاني وقال لي : بلغني أنك قلتَ كذا وكذا حاكياً عن أبي بكر ابن شاهويه فما الذي جرى بينكما في ذلك ؟ قلت : لم أقلْ من ذلك شيئاً ، فجمع بيني وبين أبي الفضل بن أبي أحمد ، وواقفني وأنكرته ، وراجعني وكذبته ، وأحضر أبو بكر ابن شاهويه وسئل عن الحكاية فقال : ما أعرفها ولا جرى بيني وبين القاضي قولٌ في معناها ، وثقل على أبي بكر هذه المواقفة ، وقال : ما نعامل الأضياف بهذه المعاملة ، وسئل أبو علي الهائم عما سمعه فقال : كنت خارجَ الخركاه ، وكنتُ مشغولاً بالأكل وما وقفت على ما كانا فيه ، فَمُدّ وَضُرِبَ مائتي

(1) الخركاه : الخيمة الكبيرة .

مقرعة ، وأقيم فنفض ثيابه[1] ، وخرج أبو عبد الله [ابن] سعدان[2] وكان لي محباً فقال لي : الملك يقولُ لك : ألم تكنْ صغيراً فكبّرناك ، ومتأخراً فقدّمناك ، وخاملاً فنبّهنا عليك ، ومقتراً فأحسنّا إليك ، فما بالك جحدتَ نعمتنا وسعيتَ في الفساد على دولتنا ؟ قلت : أما اصطناعُ الملك لي فأنا معترفٌ به ، وأما الفسادُ على دولته فما علمتُ أنني فعلته ، ومع ذلك فقد كنت مستوراً فهتكني ومتصوّناً ففضحني وأدخلني من الشرب والمنادمة بما قدح فيّ ، فقال أبو عبد الله : هذا قول لا أرى الاجابة به لئلا يتضاعفَ ما نحن محتاجون إلى الاعتذارِ والتخلص منه ، ولكنني أقول عنك كذا وكذا ، بجوابٍ لطيف ، فاعرفه حتى إن سئلتَ عنه وافقتني فيه ، وتركني وانصرف ، وجلستُ مكاني طويلاً وعندي أنني مقبوضٌ عليّ ، ثم حملتُ نفسي على أن أقومَ وأسبرَ الأمرَ ، وقمت وخرجت من الخيمة ، فدعا البوابون دابتي على العادة ، ورجعتُ إلى خيمتي منكسرَ النفس منكسفَ البال ، فصار الوقتُ الذي أُدْعَى فيه للخدمة ، فجاءني رسول ابن الحلاج على الرسم ، وحضرتُ المجلس ، فلم يرفع الملك إليّ طَرْفاً ولا لوى إليّ وجهاً ، ولم يزل الحال على ذلك خمسة وأربعين يوماً ، ثم استدعاني وهو في خركاه ، وبين يديه أبو القاسم عبد العزيز بن يوسف ، وعلى رأسه أبو الثناء شكر الخادم ، فقال : ويلك اصدقني عما حكاه أبو الفضل ابن أبي أحمد ، فقلت : كذبٌ منه ، ولو ذكرتُ لمولانا ما يقوله لما أقاله العثرة ، فقال : أو من حقوقي عليكم أن تسيئوا غيبتي وتتشاغلوا بذكري ؟ فقلت : أما حقوقُ النعمةِ فظاهرة ، وأما حديثك فنحن نتفاوضه دائماً ، فالتفت إلى أبي القاسم وقال : اسمع ما يقول ، فقال له بالفارسية ـ وعنده أنني لا أعرفها ـ : هؤلاء البغداديون مفتونون ومفسدون ومتسوقون ، وقال شكر : [الأمر] كذلك ، إلا أن التسوقَ[3] على القاضي لا منه ، ثم قال لي عضد الدولة : عَرِّفنا ما قاله أبو الفضل ، قلت : هو ما لا ينطلق لساني به ، فقال : هاته ، وكان يحب أن تعادَ الأحاديث والأقاويل على وجهها من غير كناية عنها ولا

(1) زاد في تجارب الأمم (3 : 20) وقال : أكثر الله خيركم ، واتصل ذلك بعضد الدولة فأمر بضربه مائة مقرعة أخرى .

(2) أبو عبد الله العارض الحسن بن أحمد بن سعدان الذي حدثه التوحيدي بليالي الامتاع والمؤانسة .

(3) التسوق : الخوض في الشائعات وأمور الباطل .

احتشام فيها ، فقلت : نعم انك عند وفاة والدك بشيراز أنفذتَ من كرمان وأخذتَ جاريته زرياب ، وإن الخادم المُخْرَجَ في ذاك وافى ليلةَ الشهر ، فاجتهدت به أن يتركها تلك الليلة لتوفي أيامَ الحقِّ فلم يفعلْ ولا رعى للماضي حقاً ولا حرمة ، فقال : والله لقد أنكرنا على الخادم إخراجَهُ إياها على هذا الاعجال ، ولو تركها يوماً وأياماً لجاز ، وبعد فهذا ذنبُ الخادم ولا عَمَلَ لنا فيه ولا عيبَ علينا به ، ثم ماذا ؟ قلت : قال إن مولانا يعشق كنجك المغنية ويتهالكُ في أمرها ، وربما نهض إلى الخلاءِ فاستدعاها إلى هناك وواقعها ، فقال : إنا لله ، لعنكما الله ولا بارك فيكما ، ثم ماذا ؟ فأوردتُ عليه أحاديثَ سمعتها من غير أبي الفضل ونسبتها إليه وقلت : لم أعلم أنني أقوم هذا المقام فأحفظ أقواله ، وقد ذكر أيضاً هذا الأستاذ ـ وأومأتُ إلى أبي القاسم وأبي الريان وجماعة الحواشي ـ فقال : ما قال في أبي القاسم ؟ قلت : قال إنه ابتاع من ورثة ابن بقية ناحيةَ الزاوية من راذان[1] بأربعة آلاف درهم بعد أن استأذنك استئذاناً سَلَكَ فيه سبيلَ السخرية والمغالطة ، واستغلَّها في سنة واحدة نيفاً على ثلاثين ألف درهم ، وانه أعطى فلاناً وفلاناً ثمانية آلاف درهم على ظاهر البضاعة والتجارة فأعطاه نيفاً وستين ألف درهم ، فمات أبو القاسم عند سماعه ذلك ، وأوردت ما أوردته منه مقابلةً على ما ذكرني به . قلت : وقال في أبي الريان كذا وكذا ، لأمورٍ ذكرتُها ، وحضرتُ آخر النهار المجلسَ في ذلك اليوم على رسمي ، فعاود التقريبَ لي والإقبالَ عليَّ ، واتفق أنه سكر في بعض الأيام وولع بكنجك ولعاً قال لي فيه : وهذا من حديث أبي الفضل ، وأشار إليه ، فقلق أبو الفضل وَقَرُبَ مني ، وكنتُ أقعد ويقومُ[2] وقال لي : ما الذي أومأ إليَّ الملك فيه ؟ قلت : لا أدري فسله أنتَ عنه ، ثم رحلنا عائدين إلى بغداد ، فرآني الملك في الطريق وعليّ ثيابٌ حسنة وتحتي بغلة بمركب وجناغ[3] جواد[4] فقال لي : من أين لك هذه البغلة ؟ قلت : حملني عليها الصاحبُ أبو القاسم بمركبها وجناغها ، وأعطاني عشرين قطعة ثياباً وسبعة آلاف درهم ، فقال : هذا قليل لك منه مع ما

---

(1) راذان : كورة في سواد بغداد .

(2) أي كان التنوخي أثناء منادمة عضد الدولة ممن يسمح لهم بالجلوس ، فأما أبو الفضل فكان يظل واقفاً .

(3) جناغ : ثوب مرصع يلقى فوق السرج .

(4) غيرها الأستاذ الشالجي إلى « جداد » ، بمعنى جدد .

تستحقه عليه ، فعلمت أنه اتهمني به وبأن خرجت بذلك الحديث إليه وما كنت حدثته به ، ووردنا إلى بغداد فحكى لي أن الطائع للّه متجافٍ عن ابنته المنقولة إليه ، وأنه لم يقربها إلى تلك الغاية ، فثقل ذلك عليه وقال لي : تمضي إلى الخليفة وتقول له عن والدة الصبية إنها مستزيدة لإقبال مولانا عليها وإدنائه إياها ويعودُ الأمرُ إلى ما يستقيمُ به الحال ويزولُ معه الانقباضُ ، فقد كنتَ وسيطَ هذه المصاهرة ، فقلت : السمعُ والطاعة ، وعدتُ إلى داري لألبس ثيابَ دار الخلافة فاتفق أن زلقتُ ووثئتْ رجلي ، فأنفذتُ إلى الملك أعرفه عذري في تأخري عن أمره ، فلم يقبله ، وأنفذَ إليَّ من يستعلم خبري ، فرأى الرسولُ لي غلماناً رُوقةً وفرشاً جميلاً ، فعاد إليه وقال له : هو متعالل وليس بعليل ، وشاهدته على صورة كذا وكذا ، والناسُ يَغْشَوْنَهُ ويعودونه ، فاغتاظ غيظاً مجدداً حرَّكَ ما في نفسه مني أولاً ، فراسلني بأن آلزمْ بيتك ولا تخرجْ عنه ولا تأذنْ لأحد في الدخول عليك فيه ، إلا نفر من أصدقائي استأذنت فيهم فاستثني بهم . ومضت الأيام ، وأنفذ إليَّ أبو الريان فطالبني بعشرة آلاف درهم وكنت استسلفتها من إقطاعي فأديتها إليه ، واستمر على السخط والصرف عن الأعمال إلى حين وفاة عضد الدولة .

وذكر غرس النعمة بن هلال ، حدثني بعض السادة الأصدقاء وأنسيته وأظنه أبا طاهر محمد بن محمد الكرخي قال : كانت بنت عضد الدولة لما زُفَّتْ إلى الطائع بقيت بحالها لا يقربها خوفاً أن تحملَ منه فتستولي الديلمُ على الخلافة ، وكان الطائع يحبّها حباً شديداً زائداً موفياً ، ويقفل عليها بابَ حجرتها إذا شرب ، ويقول للخدم : خذوا المفتاح ولا تعطونيه إذا سكرتُ ورمتُ الدخولَ اليها ولو فعلتُ مهما فعلت ، فأقسمُ باللّه لئن مُكِّنْتُ من ذلك لأقتلنَّ الذي يمكّنني منه ، فإذا سكر منعه السكرُ من التماسك ، وحمله الحبُّ والهوى على المضي إليها والدخول عليها ، فيجيء إلى بابها ويأمرُ بفتحه ويتهدّد ويتوعَّدُ ولا يُقْبَلُ منه ولا يُقِرُّ له أحدٌ بمعرفة المفتاح أين هو ولا من هو معه إلى أن ينصرفَ أو ينام ، فذاك كان دأبه ودأبها . وتقدم عضد الدولة إلى أبي علي التنوخي في أواخر أيامه بأن يمضي إلى الطائع ويطارحه عن والدة الصبية في المعنى بما يستزيده فيه لها ويبعثه به عليها بأسباب يتوصّل إليها وأقوالٍ يصفها ويومىء إلى الغرض فيها رتّبها عضد الدولة ولقّنه إياها وفهّمه ، فقال : السمع والطاعة ،

ومضى إلى بيته ولم يَقْدُمْ على الطائع ، وخاف عضدَ الدولة إن خالف ما رسمه له ، فأظهر مرضاً وعاده أصدقاؤه منه ، واعتذر به إلى عضد الدولة ، فوقع لعضد الدولة باطنُ الأمر وأمر بعضَ الخدم الخواصّ بالمضي إلى التنوخي لعيادته وتعرُّفِ خبره وأن يخرجَ من عنده ويركبَ إلى أن يخرج من الدرب ثم يعود فيدخل عليه هاجماً ، فإن كان على حاله في فراشه لم يتغير له أمرٌ أعطاه مائتي دينار أصحبه إياها لنفسه وأظهر أنه عاد لأجلها لأنه أنسيها معه ، وإن وجده قاعداً أو قائماً عن الفراش قال له : الملكُ يقولُ لك لا تخرجْ عن دارك إلينا ولا إلى غيرنا وانصرف . قال الخادم : فدخلتُ إليه وهو في فراشه وعليه دثاره وخاطبته عن الملك ، فشكر وأعاد جواباً ضعيفاً لم أكد أفهمه ، وخرجت ثم عدتُ على ما رسم الملك ، فهجمتُ عليه فوجدته قائماً يمشي حول البستان ، فلما رآني اضطرب وتحير فقلت له : الملكُ يقول لك لا تبرحْ دارك لا إلينا ولا إلى غيرنا ، وخرجتُ ، فبقي على ذلك إلى أن مات عضد الدولة .

- 941 -

محمد بن آدم بن كمال أبو المظفر الهروي: ذكره عبد الغافر بن اسماعيل الفارسي في « السياق » وقال : مات بغتة سنة أربع عشرة وأربعمائة ، ودفن بمقبرة الحسين ، وقبره ظاهر بقرب قبر أبي العباس السراج . ووصفه فقال : الأستاذ الكامل الامام في الأدب والمعالي ، المبرز على أقرانه وعلى من تقدمه من الأئمة باستخراج المعاني وشرح الأبيات ، وله أمثال وغرائب التفسير بحيث يُضْرَبُ به المثل ، ومن تأمل فوائده في كتاب شرح الحماسة وكتاب شرح الاصلاح وكتاب شرح أمثال أبي عبيد وكتاب شرح ديوان أبي الطيب وغيرها اعترف له بالفضل والانفراد . وتتلمذ للأستاذ أبي بكر الخوارزمي الطبري ، وتفقه على القاضي أبي الهيثم ثم جدد الفقه على القاضي أبي العلاء صاعد ، وكان يقعد للتدريس في النحو وشرح الدواوين والتفسير وغير ذلك ، فأما الحديث فما أعلم أنه نُقِلَ عنه منه شيء لاشتغاله بما سواه لا لعدم السماع له .

941 - ترجمته في الوافي 1 : 333 والسياق (المنتخب 2 الورقة : 12) وبغية الوعاة 1 : 7 .

- 942 -

محمد بن أبان بن سيد بن أبان اللخمي ، أبو عبد الله القرطبي : كان عالماً باللغة والعربية حافظاً للأخبار والآثار والأيام والمشاهد والتواريخ أخذ عن أبي علي البغدادي وعن غيره ، ولي أحكام الشرطة وكان مكيناً عند المستنصر وألف له الكتب وكتب عنه ، وتوفي سنة أربع وخمسين وثلاثمائة .

- 943 -

محمد بن ابراهيم بن حبيب بن سمرة بن جندب بن هلال بن جريج بن مسرة بن حزن بن عمرو بن جابر بن ذي الرأسين ، واسمه خشين ، بن لأي بن عصيم بن شمخ بن فزارة بن ذبيان بن بغيض بن ريث بن غطفان بن سعد بن قيس بن عيلان بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان ، أبو عبد الله الفزاري : ولسمرة بن جندب صحبة بالنبي ﷺ ، وكان عبيد الله بن زياد يستعمله على شُرَطِ البصرة إذا قدم الكوفة ، وكان الفزاريّ هذا نحوياً ضابطاً جيدَ الخطّ ، أخذ عن المازني ، وحُكِيَ عنه أنه قال : قرأت « كتاب الأمثال » للأصمعي على الأصمعي ، ومن زعم أنه قرأه عليه غيري[1] فقد كذب .

قال المرزباني : كان محمد بن إبراهيم الفزاري الكوفي عالماً بالنجوم ، وهو الذي يقول فيه يحيى بن خالد البرمكي : أربعة لم يدرك مثلهم في فنونهم الخليل بن أحمد وابن المقفع وأبو حنيفة والفزاري .

---

942 - ترجمته في جذوة المقتبس : 381 (ابن سيد) وبغية الملتمس رقم : 1563 وفي الجذوة : 110 ترجمة لأحمد بن أبان بن سيد وكذلك في الصلة : 14 وبهذا الاسم ذكره ابن حزم انظر رسائله 2 : 182 والوافي 1 : 334 وبغية الوعاة 1 : 7 (إلا أن وفاة أحمد كانت سنة 382 فلعلهما أخوان) .

943 - ترجمته في إنباه الرواة 3 : 63 وتاريخ الحكماء : 177 والفهرست : 188 والوافي 1 : 336 وبغية الوعاة 1 : 9 وانظر سيزكين 6 : 122 - 124 .

(1) م : غيره .

وقال جعفر بن يحيى : لم ير أبدع في فنه من الكسائي في النحو ، والأصمعي في الشعر ، والفزاري في النجوم ، وزلزل في ضرب العود.

وللفزاري القصيدة التي تقوم مقام زيجات المنجمين ، وهي مزدوجةٌ طويلةٌ تدخلُ مع تفسيرها [في] عشرة أجلاد أولها :

الحمـدُ للَّهِ العليِّ الأعـظمِ ذي الفضلِ والمجدِ الكبيرِ الأكرمِ

الـواحـدِ الفـردِ الجـواد المنعم

الخـالقِ السبعِ العلى طبـاقـا والشمسُ يجلو ضوؤها الأغساقا

والبدر يملا نوره الآفـاقا

وهي هكذا ثلاثة أقفال ، ثلاثة أقفال .

ـ 944 ـ

محمد بن ابراهيم العـوامي : قال ابن إسحـاق : يعرف بـالقاضي ، وكـان صديقي ، وتوفي بعد الخمسين والثلاثمائة ، وله كتاب الاصلاح والايضاح في النحو .

ـ 945 ـ

محمد بن إبراهيم بن عمران بن موسى الجوزي الأديب، أبو بكر النحوي : من جوز فارس ، وكان من الأدباء المنقّرين ، علامةً في معرفة الأنساب وعلوم القرآن ، نزل نيسابور مدةً وكثر الانتفاعُ به ، وسمع حماد بن مدرك وجعفر بن درستويه الفارسيين وأبا بكر محمد بن دريد وأقرانهم . قال الحاكم : وجاءنا نعيه من فارس سنة أربـع وخمسين وثلاثمائة .

---

944 ـ ترجمة العوامي في إنباه الرواة 3 : 65 والفهرست: 94 وبغية الوعاة 1 : 17 .

945 ـ ترجمته في الوافي 2 : 7 وبغية الوعاة 1 : 24 .

ـ 946 ـ

محمد بن إبراهيم بن عبد الله ، أبو سعيد الأديب الرجل الصالح : درس الأدب على أبي حامد الخارزنجي ، وسمع أبا العباس ابن يعقوب وأبا بكر القطان وأبا عثمان البصري وَخُرِّجَتْ له الفوائدُ وحدَّث . ومات يوم الجمعة النصف من جمادى الآخرة سنة سبع وتسعين وثلاثمائة ، ذكر ذلك كله الحاكم في « كتاب نيسابور » .

ـ 947 ـ

محمد بن إبراهيم بن الحسين بن محمد بن دادا الجرباذقاني ، أبو جعفر : ذكره أحمد بن صالح بن شافع في « تاريخه »[1] وقال : مات في حادي عشري ذي الحجة سنة تسع وأربعين وخمسمائة ، ووصفه فقال : رفيقنا الفقيه المحدث النحوي الأديب اللغوي الفرضي الكاتب العفيف ذو المواتّ والخصائص ، ولما مات صلّى عليه شيخنا أبو الفضل ابن ناصر ودفن في تربة استجدَّها أبو النجيب بظاهر التوثة ، وكنا نسمع معاً ، ولم أر له مثلاً زهداً وعلماً ونبلاً ، وصل الى بغداد سنة أربعين وخمسمائة واصطحبنا ، وكان متيقظاً زاهداً ورعاً ، وصنَّفَ كتباً في الفرائض وغيرها ، وكان شافعيَّ المذهب ، ولو عاش لكان صدر الآفاق ، ولقد فَتَّ في عضدي فقدُهُ وأثَّرَ عندي بُعدُه ، فعند الله نحتسبُ مصيبتنا فيه .

ـ 948 ـ

محمد بن ابراهيم بن خلف اللخمي الأديب أبو عبد الله، يعرف بابن

---

946 ـ ترجمته في بغية الوعاة 1 : 10 .

947 ـ سير الذهبي 20 : 251 (وأورد بعض ما قاله ابن شافع فيه) والوافي 1 : 347 وبغية الوعاة 1 : 10 والشذرات 4 : 154 .

948 ـ ترجمة ابن زروقة في إنباه الرواة 3 : 62 والوافي 1 : 356 وينقل المؤلف عن الصلة لابن بشكوال : 498 (وفيه ابن زرقة) .

(1) ترجمته في سير الذهبي 20 : 572 (وفي الحاشية تخريج كثير) وقال الذهبي : « علق تاريخاً على السنين ما بيَّضه » وتاريخه ذيل على تاريخ الخطيب إلى ما بعد 560 فذكر الحوادث والوفيات .

زروقة : قال ابن بشكوال : كان من أهل الأدب معتنياً بطلبه قديماً مشهوراً فيه وممن يقول الشعر الحسن . له تأليفان[1] في الأدب والأخبار ، قال ابن خزرج : قرأتهما عليه . ومن شيوخه أبو نصر النحوي وابن أبي الحباب وغيرهما ، وتوفي في حدود سنة خمس وثلاثين وأربعمائة وهو ابن سبع وستين سنة .

ـ 949 ـ

محمد بن إبراهيم بن أحمد البيهقي ، أبو سعيد : قال عبد الغافر : هو رجل فاضل متدين حسن العقيدة صنف في اللغة كتباً منها : كتاب الهداية . كتاب الغيبة . وكان ماهراً في ذلك النوع ، سمع الحديث من مشايخ نيسابور كالامام شيخ الاسلام الصابوني والامام ناصر المروزي .

ـ 950 ـ

محمد بن إبراهيم بن داود بن سليمان، أبو جعفر الأردستاني (وأردستان من نواحي أصبهان ، بليدة) : أديب فاضل ، حدث عن أحمد بن عبد الله النهرديري وأحمد بن محمد بن العباس الاسفاطي البصري ، وكتب عنه أحمد بن محمد الحداد[2] وغيره بأصفهان ، ذكره يحيى بن منده وقال : مات في ذي القعدة سنة خمس عشرة وأربعمائة .

ـ 951 ـ

محمد بن أحمد بن عبد الله بن عبد الصمد بن علي بن عبد الله بن

949 ـ ينقل ياقوت عن عبد الغافر الفارسي ولم أجد للبيهقي ترجمة في المنتخب .

950 ـ معجم البلدان (أردستان) .

951 ـ ترجمة أبي العبر (محمد بن أحمد أو أحمد بن محمد) في الوافي 2 : 41 والزركشي : 266 وتاريخ بغداد 5 : 40 وأشعار أولاد الخلفاء : 323 والأغاني 23 : 76 وطبقات ابن المعتز : 342 والفهرست : 169 والفوات 3 : 298 وتاج العروس (عبر) وقد عقد له الآبي في الكتاب السابع من « نثر الدر » باباً في نوادره .

(1) إنباه : تأليفات .

(2) معجم البلدان : الجرّاد .

العباس بن عبد المطلب الهاشمي: وقال المرزباني: هو أحمد بن محمد قتل في سنة خمسين ومائتين، في خلافة المستعين بالله، وكنيته أبو العباس، ويلقب بأبي العِبَر.

قال جحظة: لم أرَ قطُّ أحفظَ منه لكلِّ عين ولا أجود شعراً، ولم يكن في الدنيا صناعة إلاّ وهو يعملها بيده حتى لقد رأيته يعجن ويخبز، وكان أبوه أحمد يلقب بالحامض، وكان حافظاً أديباً في نهاية التسنن، قتل بقصر ابن هبيرة وقد خرج لأخْذِ أرزاقه من هناك، سمعه قوم من الشيعة ينتقصُ عليّاً عليه السلام فرموا به من فوق سطح كان بائتاً عليه فمات في السنة المقدَّم ذكرها.

وذكره أبو الفرج الأصبهاني في «كتاب الأغاني» فقال: كان أبوه أحمد يلقب حمدون الحامض، ولد لمضي خمس سنين من خلافة الرشيد، والرشيد بويع في سنة سبعين ومائة، وعاش إلى أيام المستعين باللَّه. وكان في أول أمره يسلك في شعره الجد ثم عدل الى الهزل والحماقة فنفق بذلك نفاقاً كثيراً وجمع به ما لم يجمعه أحدٌ من شعراء عصره المجيدين، ومن سائر شعره قوله:

بأبي من زارني مكتئباً خائفاً من كل حسٍّ جَزِعا
رصد الخلوةَ حتى أمكنت ورعَى السامرَ حتى هجعا
قمرٌ نَمَّ عليه حسنُهُ كيف يُخفي الليلُ بدراً طلعا
ركبَ الأهوالَ في زورته ثم ما سلَّم حتى ودعا

قال محمد بن إسحاق: وله من الكتب: كتاب جامع الحماقات وحاوي الرقاعات. كتاب المنادمة وأخلاق الرؤساء[1].

حدث أبو علي الحسين بن أحمد البيهقي السلامي، حدثني أبو أحمد الهذلي، قال حدثنا أبو عبد اللّه الشعيري، وكان شاعراً من أهل بغداد قال: اجتمعتُ مع جماعة من الشعراء في مجلس نتناظر ونتناشد ونتساءل ونعدُّ شعراءَ زماننا فمر بنا أبو العبرطر[2] فقلنا: هذا أيضاً يعدُّ نفسه في الشعراء، فمال إلينا وقال: والله أشعرُ منكم

(1) ذكر له أيضاً: كتاب الرسائل. كتاب نوادره وأماليه. كتاب أخباره وشعره.
(2) كان يزيد في كنيته كل سنة حرفاً حتى أصبحت: أبو العبر طرد طيل طليري بك بك بك.

وأعلم ، فقلنا : قد اختلفنا في بيت فاشتبه علينا فهل نسألك عنه ؟ فقال : نعم ، فسألناه عن معنى هذا البيت :

عافتِ الماءَ في الشتاءِ فقلنا ... بـرِّديه تصادفيه سخينا

كيف تصادفه سخيناً إذا بردته ؟ فقال : أَخَفِيَ عليكم ؟ قلنا : نعم ، فقال : هو ليس من التبريد ، وإنما هو حرف مدغم ومعناه بل رِديه من الورود فأدغموا اللام في الراء كما قال اللّه تعالى : ﴿كَلَّا بَل رّانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ﴾ (المطففين/14) وقوله : ﴿ وَقِيلَ مَن رّاقٍ﴾ (القيامة/28) قال : فاستحسنا ما فسَّره وأقررنا له بالفضل ، فقال : إني أسألكم بيتاً كما سألتموني ، أما ترون الى قول دغفل :

إنَّ على سائلنا أن نسألَهْ ... والعبءُ لا تعرفُهُ أو تحملَهْ

فقلنا : سل ، فقال : ما معنى قول القائل :

يا من رأى رجلاً واقفاً ... أحرقَهُ الحرُّ من البردِ

كيف يحرقه الحرّ من البرد ؟ قال : فاضطربنا في معناه فلم نخرجه ، فسألناه عنه ، فقال : هذا قولي ، وذلك أنني مررتُ بحدَّادٍ يبردُ حديداً ، فمسستُ تلك البرادةَ فأحرقت يدي ، وإنما البردُ مصدر برَدَ الحديدَ برداً وليس هو من الشيء البارد ، قال : فأقررنا بفضل معرفته ، فأنشأ يقول :

أقر الشعراءُ أني ... ومروا في الحرمرمْ
انهم عندي جميعاً ... . الغنمنمْ
فقطعتُ الرأس منهم ... ثم جلد القَدَدَمْدَمْ
فعملنا منه طبلاً ... من طبول الخَدَدَمْدَم
فضربنا به دمدم ... ثم دمدم ثم دمدم
عجباً يا قومُ مني ... كيف معكم كالململم

وقال المرزباني : أبو العبر أحمد بن محمد بن عبد الله بن عبد الصمد بن علي بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب . وقال محمد بن داود : اسمه محمد بن أحمد ، وهو حمدون ، بن عبد الله بن عبد الصمد ، يكنى أبا العباس ، صاحب

الشعر الأحمق والكلام المختلق ، وهو أبرد الناس غير مدافع ، وربما قال شعراً صالحاً ، وهو القائل وأنشدناه الأخفش :

لو يكونُ الهوى بجسمٍ من الصخـــرِ على أنَّ فيه قلبَ حديدِ
فعل الحبُّ فيهما مثلَ ما يفـــعلُ شَعْرُ اللحى بوردِ الخدود

وله ورواه أبو الحسن علي بن العباس الرومي :

لو كنتَ من شيء خلافك لم تكنْ لتكونَ إلا مشجباً في مشجبِ
لو أن لي من جلدِ وجهك رقعةً لجعلتُ منها حافراً للأشهب

قال : وكان يظهر الميل على العلويين والهجاء لهم ، وجرت منيّته على يد رجل من أهل الكوفة من رماة الجلاهق ، وخرج معه من بغداد إلى آجام الكوفة للرمي ، فسمع الرامي منه كلاماً استحلَّ به دمه فقتله .

وهو القائل لموسى بن عبد الملك وكان دفع إليه توقيعاً بصلةٍ من المتوكل فدافعه موسى وماطله مدة ، فوقف له يوماً فلما ركب أنشده :

حتى متى نتبردْ وكم وكم أتردد
موسى أدر لي كتابي بحقِّ ربك الاسودْ

يعني محمد بن علي بن موسى بن جعفر الصادق ، وكان محمد من أمة سوداء فنحلته سوادها ، فجزع موسى بن عبد الملك من قوله وسأله كَتْمَ الحالِ وقضى شغله .

وقال جحظة : اجتمعت أنا وجماعة من إخواننا مع أبي العبر في براح أراد أن يبنيه داراً ، فأقبلنا نقدّر البيوتَ وأين مواقعها ، فبينا نحن كذلك إذ ضرط بعض من كان معنا ، فقال أبو العبر : مهما شككنا فيه فما نشكّ أنَّ هذا الموضعَ الكنيف .

ـ 952 ـ

محمد بن أحمد بن محمد المغربي أبو الحسن راوية المتنبي : أحد الأئمة الأدباء والأعيان الشعراء ، خدم سيف الدولة ولقي المتنبي وصنف تصانيف حسنة ، وله

952 ـ ترجمة المغربي راوية المتنبي في الوافي 2 : 68 .

ذكر في مصر والعراق والجبل وما وراء النهر والشاش ، وجالس الصاحب ابن عباد ولقي أبا الفرج الأصبهاني وروى عنه وله معه أخبار .

ومن تصانيفه التي شاهدتها : كتاب الانتصار المنبي عن فضائل المتنبي . كتاب النبيه المنبي عن رذائل المتنبي . كتاب تحفة الكتّاب في الرسائل (مبوب) . كتاب تذكرة النديم (مجموع حسن جيد ممتع) . كتاب الرسالة الممتعة . وغير ذلك من الرسائل والكتب . كتاب بقية الانتصار المكثر للاختصار .

قال : وأخذت قول المتنبي(1) :

كفى بجسمي نحولاً أنني رجلٌ ... لولا مخاطبتي إياكَ لم ترني

فزدتُ عليه فلم أدع لغيري فيه زيادة وقلت من قصيدة :

عُدِمْتُ من النحولِ فلا بلمسٍ ... يكيّفني الوجودُ ولا عيانِ

ولولا أنني أذكى البرايا ... لكنتُ خفيتُ عنّي لا أراني

قال : واختفائي عني أبدع من اختفائي عن غيري وأبلغ في المعنى .

وله إلى بعض جلة الكتاب يستهديه عمامة :

أريدُ عمامةً حسناءَ عنها ... أعمّمك الجميلَ من الثناءِ

فوجّهْها وقد نَبُلَتْ [وَجَلَّت] ... بلبسك في صباحٍ أم مساء

معافىً نَشْرُهَا من كلِّ عابٍ ... يولد لونَهُ أيدي العناء

أدقُّ من الذكاء إذا اجتلتها ... على مَهَلٍ لواحظُ ذي ذكاء

وأضوى لحمةً وسدًى ولوناً ... من الشمس المنيرةِ في ضحاء

لو الغرقيءُ قاربها لأربتْ ... عليه في الصفاقةِ والصفاء

لبمٍّ(2) أو لنيسابور تُعْزَى ... فتصلحُ للمصيفِ وللشتاء

كعرضك إنه عرضٌ نقيٌّ ... عن الأدناس جمعاً في غطاء

تتوّجني بهاءً منه أكسى ... مدى لبسي لها حللَ البهاء

---

(1) ديوان المتنبي : 2 .

(2) بم : من أعيان مدن كرمان ، وتشتهر بالحياكة .

إذا ما مستُ فيها معجباً لا ... أفكّر مَنْ أمامي أو ورائي
يقول المبصروها أيّ تاجٍ ... به أصبحتَ فينا ذا رواء
وتعلم أن قول العرب حقٌّ ... بلا كذبٍ يدومُ ولا افتراء
عمائمنا لنا تيجانُ فخرٍ ... سناها قد أضيفَ إلى سناء

قرأت في « كتاب مذاكرة النديم » من تصنيف محمد بن أحمد المغربي هذا : قلت أصفُ رغيفاً أمرني بوصفه الصاحب الجليل أبو القاسم إسماعيل بن عباد وأنا معه على مائدته ، واقترحَ أن يكونَ وصفي له ارتجالاً فقلت :

ورغيفٍ كأنه الترسُ يحكي ... حمرةَ الشمسِ بالغدوِّ احمرارُهْ
خفتُ أن يكتسي نهار مآقيّ ... به الليل مذ تبدَّى نهاره
جَمَعَتْهُ أناملي ثم خلَّته ... فسيّانِ طيُّهُ وانتشاره
لم تقعْ منه قطعةٌ لا ولا با ... ن للحظٍ شقيقُهُ وانكساره
ناعمٌ ليّنٌ كمبسم من قا ... م بعذري عند البرايا عذاره
لستُ أنسى به تنعُّمَ ضرسي ... إذ لجوعي وَهْجٌ توقَّدُ ناره
كان أحظَى إذ ذاك عندي من الوَفْـ ... ـرِ إذا قرَّ في محلي قراره
يعلمُ اللَّه أنني لستُ أنسا ... ه وإن شطَّ عن مزاري مزاره

فاستحسن الأبيات وتعجب من سرعة خاطري بها ثم قال لي مُداعباً نفاسةَ أخلاقٍ فيه : خُذْهُ صلةً لك ، فأخذته وتركته على رأسي إلى أن قمنا عن المائدة ، ثم خرجتُ مارًّا إلى منزلي ، وكنت أنزل بعيداً من منزله ، فعرف خروجي على تلك الحال فقال : ردّوه ، فرجعتُ فقال لي : عزَمتَ أن تشقَّ الأسواقَ والشوارعَ وهذا على رأسك ؟ فقلت : نعم لأسألَ فأقول : هذا صلة مولانا وأذكر الأبيات ، فضحك ثم قال : بعناه ، فقلت : قد بعته من مولانا بخمسمائة دينار ، فقال : أنقصنا واجعلها دراهم ، فقلت : قد فعلت ، فأمر لي بخمسمائة درهم وخلعة من ثياب جسده .

وقال في هذا الكتاب : ولي في وصف مَضيرةٍ وصفتها وأنا على مائدة أبي عبد الله ابن جيهان وزير صاحب خراسان :

نعم الغذاءُ إذا ما أينعَ العُشُبُ ... وراقتِ العينَ أبرادٌ له قُشُبُ
مضيرةٌ كاللجين السبك يُحْكِمُها ... معقودةٌ مصطفىً للطبخ منتخب
تخالها أرضَ بلّوْرٍ وما حملتْ ... من الدسومةِ نقشاً حشوُهُ ذهب
أَبْذَنْجُهَا أُكَرٌ سودٌ ملبَّسةٌ ... قباطياً عن قريبٍ سوف تُسْتَلَبُ[1]
ولحمها حُلَلٌ للزهرِ قد جُعِلَتْ ... من أبيض الثلج فيما بينها حُجُبُ
توافقُ الشيخَ والكهلَ اللذين هما ... من الرطوبةِ في حالٍ هي العطب
وللأبازير نفحٌ من دواخلها ... كالمسكِ لا بل إليها المسكُ ينتسب
يا حُسْنَهَا وهي بالأيدي تقادُ[2] بلا ... جُرْمٍ أتته وبالألحاظِ تُنْتَهَبُ
من حالفته فقد جلَّتْ مواهبه ... ونال من دهره أضعافَ ما يجب

ـ 953 ـ

محمد بن أحمد بن إسحاق بن يحيى الوشّاء أبو الطيب النحوي : من أهل الأدب حسن التصنيف مليح التأليف أخباريّ .

قال أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن الجوزي في « تاريخه » : مات أبو الطيب الوشاء سنة خمس وعشرين وثلاثمائة وله ابن يعرف بابن الوشاء ؛ حدث الوشاء عن أحمد بن عبيد بن ناصح والحارث بن [أبي] أسامة وثعلب والمبرد .

قال الخطيب : روت عنه منية جارية خلافة[3] أم ولد المعتمد .

قال ابن النديم : وكان نحوياً معلماً لمكتب العامة وكان يعرف بالأعرابي . وله من الكتب : كتاب مختصر في النحو . كتاب الجامع في النحو . كتاب في المقصور والممدود . كتاب المذكر والمؤنث . كتاب الفرق . كتاب خلق الانسان . كتاب خلق

---

953 ـ ترجمة الوشاء النحوي في الفهرست: 93 وتاريخ بغداد 1 : 253 والمنتظم 6 : 290 وإنباه الرواة 3 : 61 والوافي 2 : 32 ونزهة الألباء : 207 والبداية والنهاية 1 : 187 وبغية الوعاة 1 : 53 .

(1) م : تستكب .
(2) م : تغار .
(3) خلافة : كذا عند الخطيب (ولعلها : خلاّبة) .

الفرس . كتاب المثلث . كتاب أخبار صاحب الزنج . كتاب الزاهر في الأنوار والزهر[1] . كتاب السلوان . كتاب المُذْهَب . كتاب الموشح . كتاب سلسلة الذهب . كتاب أخبار المتظرفات . كتاب الحنين إلى الأوطان . كتاب حدود الطرف الكبير[2] . كتاب الموشَّى[3] .

نقلت من خط أبي عمرو محمد بن أحمد النوقاتي أنشدني الشافعي أحمد بن محمد أنشدني أحمد بن محمد بن حفص ، أنشدني أبو الطيب الوشاء لنفسه :

لا صبرَ لي عنكَ سوى أنني　　أرضى من الدهرِ بما يُقْدَرُ
من كان ذا صبرٍ فلا صبرَ لي　　مثليَ عن مثلك لا يصبرُ

ومن خطّه وإسناده للوشاء :

يا مَنْ يقومُ مقامَ الروح في الجسدِ　　لا تحسبنّي خليَّ البالِ من سُهُدِ
حاشاك من أرَقي حاشاك من قَلَقي　　حاشاك من طولِ ما ألقى من الكمدِ
حُزْني عليك جَديدٌ لا نفادَ له　　أوهى فؤادي وأوهى عُقْدَةَ الجلدِ
والصبرُ عنك قليلٌ مضرمٌ قلقاً　　بين الضلوعِ كصبرِ الأُم عن ولدِ

ـ 954 ـ

محمد بن أحمد بن الحسين بن الأصبغ بن الحرون: ذكره محمد بن إسحاق النديم فقال : هو عالم فاضل[4] حسن التصنيف مليح التأليف كثير الأدب واسع الرواية[5] من أهل بغداد ومن أولاد الكتاب ، وله من الكتب : كتاب المطابق

954 ـ الفهرست: 165 .

(1) الانباه : كتاب الزاهر والأزهار .

(2) الانباه : كتاب الطب الكبير (ولعلها : الظرف) .

(3) طبع هذا الكتاب أول مرة بتحقيق رودلف برونه (ليدن 1886) ثم طبعه الخانجي بمصر بعنوان « الظرف والظرفاء » وأصدرته مكتبة الخانجي في طبعة ثانية (1953) بتحقيق كمال مصطفى .

(4) هو عالم فاضل : لم ترد في الفهرست .

(5) الفهرست : حسن التأليف والتصنيف مليح الأدب (هل هذا يعني أن ياقوتاً كان يملك من الفهرست نسخة مختلفة عما لدينا ؟) .

والمجانس . كتاب الحقائق كبير . كتاب الشعر والشعراء . كتاب الآداب . كتاب الرياض . كتاب الكتاب . كتاب المحاسن . كتاب مجالسة الرؤساء .

ـ 955 ـ

محمد بن أحمد بن مروان بن سبرة أبو مسهر النحوي : ذكره محمد بن اسحاق النديم ثم قال : وله من الكتب : كتاب الجامع في النحو . كتاب المختصر . كتاب أخبار أبي عيينة محمد بن أبي عيينة .

ـ 956 ـ

محمد بن أحمد المزني أبو الحسن وزيرُ نوح بن منصور الساماني : أحدُ أصحابِ البلاغةِ والرسائل ، شاع ذكرها في الآفاق ، وتناجَتْ بحسنها الرفاق .

ـ 957 ـ

محمد بن أحمد بن عبد الحميد الكاتب :ذكره محمد بن إسحاق النديم فقال: هو من أهل السير ، وله من الكتب : كتاب أخبار خلفاء بني العباس ، كبير .

ـ 958 ـ

محمد بن أحمد بن إبراهيم بن قريش الحكيمي أبو عبد الله: روى عن يموت بن المزرع ومحمد بن إسحاق الصاغاني وأحمد بن عبيد بن ناصح والحارث بن أبي أسامة ، روى عنه أبو عبد الله المرزباني وغيره .

ذكره محمد بن إسحاق النديم وقال : له من الكتب : كتاب حلية الأدباء يشتمل

---

955 ـ الفهرست: 93 وبغية الوعاة 1 : 47 .

956 ـ توفي نوح بن منصور سنة 387 وهذا يقرّب معرفة زمن المزني .

957 ـ الفهرست: 120 وكنيته أبو الفضل .

958 ـ ترجمة الحكيمي في الفهرست: 168 والوافي 2 : 40 ونشوار المحاضرة 8 : 10 ـ 11 .

على أخبار ومحاسن وأشعار . كتاب سفط الجوهر . كتاب الشباب . كتاب الفكاهة والدعابة .

حدث أبو علي قال حدثني ابن أبي قيراط قال أقرأني أبو عبد الله محمد بن أحمد الحكيمي كتاباً بخطّ علي بن عيسى الوزير ، وأخبرني أنه كتبه إليه في وزارته الأخيرة وهو يتقلد له طساسيج طريقِ خراسان يحثُّه فيه على حَمْلِ المال وضمّنَه :

قد كنتَ أكرمك الله بعيداً عن التقصير ، غنيّاً عن التنبيه والتبصير ، راغباً فيما خصَّك بالجمال ، وقدَّمك على نُظَرائك من العمال . واتصلتْ بك ثقتي ، وانصرفتْ إليك عنايتي ، ورددتُ الجليلَ من العمل إليك ، واعتمدتُ في المهمّ عليك ، ثم وضح لي من أثرك ، وصحَّ عندي من خبرك ، ما اقتضى استزادتك ، وَرَدَفَهُ ما استدعى استبطاءَكَ ولائمتك ، وأنت تعرفُ صورةَ الحال ، وتطلّعي مع شدة الضرورة إلى ورودِ المال ، وكان يجب أن تبعثك العناية ، على الجدّ في الجباية ، حتى تدرَّ حمولك وتتوفر ، ويتَّصِلَ ما يُتَوَقَّعُ ورودُهُ من جهتك ولا يتأخر . فنشدتك لما تجنبتَ مذاهبَ الإغفال والإهمال ، وقرنتُ الجوابَ عن كتابي هذا بمالٍ تثيره من سائر جهاته وتحصّله وتبادر به وتحمله ، فإن العين إليه ممدودة ، والساعات لوروده معدودة ، والعذرُ في تأخيره ضيّق ، وأنا عليك من سوء العاقبة مشفق ، والسلام .

ـ 959 ـ

محمد بن أحمد بن إبراهيم بن كيسان ، أبو الحسن النحوي ، وكيسان لقب واسمه إبراهيم : مات فيما ذكره الخطيب لثماني خلون من ذي القعدة سنة مائتين وتسع وتسعين في خلافة المقتدر .

قال أبو بكر الزبيدي : وليس هذا بالقديم الذي له في العروض والمعمّى كتاب .

959 ـ ترجمة ابن كيسان في طبقات الزبيدي : 153 والفهرست : 89 ومراتب النحويين : 88 وتاريخ أبي المحاسن : 51 والمنتظم 6 : 114 ونزهة الألباء : 162 وتاريخ بغداد 1 : 335 وإنباه الرواة 3 : 57 والبداية والنهاية 11 : 117 ومرآة الجنان 2 : 236 والوافي 2 : 31 والشذرات 2 : 232 والنجوم الزاهرة 3 : 178 وبغية الوعاة 1 : 18 وانظر نور القبس : 327 .

وقال الخطيب : [ذكر] ابن برهان أنَّ كيسان ليس باسم جده إنما هو لقب أبيه ؛ وكان يحفظ المذهبين الكوفي والبصري في النحو لأنه أخذ عن المبرد وثعلب ، وكان أبو بكر ابن مجاهد يقول: أبو الحسن ابن كيسان أنحى من الشيخين، يعني المبردَ وثعلباً.

قال المؤلف : وكان كما قال يعرف المذهبين إلا انه كان إلى البصريين أميل .

وحدث أبو الطيب اللغوي في « كتاب مراتب النحويين » قال : كان ابن كيسان يسألُ المبردَ عن مسائل فيجيبه ، فيعارضها بقول الكوفيين فيقول : في هذا على من يقوله كذا ويلزمه كذا ، فإذا رضي قال له : قد بقي عليك شيء ، لم لا تقول كذا ؟ فقال له يوماً وقد لزم قولاً للكوفيين ولجَّ فيه : أنت كما قال جرير[1] :

أسليكِ عن زيد لِتَسْلَيْ وقد أُرَى[2] ... بعينيكِ من زيدٍ قذىً غيرَ بارحِ
إذا ذكرتْ زيداً ترقرقَ دمعها ... بمذروفةِ العينين شوساءَ طامحِ[3]
تبكّي على زيدٍ ولم ترَ مثله ... براءً من الحمىَّ صحيحَ الجوانحِ
فان تقصدي فالقصدُ منكِ سجيّةٌ[4] ... وإن تجمحي تلقيْ لجامَ الجوامحِ

وحدث أبو بكر محمد بن مبرمان قال : قصدت ابن كيسان لأقرأ عليه « كتاب سيبويه » فامتنع وقال : اذهب به إلى أهله ، يعني الزجّاج وابن السراج .

وكان أبو بكر ابن الانباري يتعصَّب عليه ويقول : خلط المذهبين فلم يضبط منهما شيئاً ، وكان يفضل الزجاج عليه جدًّا .

وله من الكتب : كتاب المهذب في النحو . كتاب غلط أدب الكاتب . كتاب اللامات . كتاب الحقائق . كتاب البرهان . كتاب مصابيح الكتاب . كتاب الهجاء والخط . كتاب غريب الحديث نحو أربعمائة ورقة . كتاب الوقف والابتداء . كتاب القراءات . كتاب التصاريف . كتاب الشاذاني في النحو . كتاب المذكر والمؤنث .

---

(1) الأبيات في ديوان جرير : 833 باختلاف في الترتيب ، قالها في جارية فركته وجعلت تبكي على فراق شخص تحبه اسمه زيد .

(2) الديوان : أعزيك عما تعلمين وقد أرى .

(3) الديوان : بمطروفة العينين ؛ الشوساء : الرافعة الرأس .

(4) الديوان : فالقصد مني خليقة .

كتاب المقصور والممدود . كتاب معاني القرآن . كتاب مختصر في النحو . كتاب المسائل على مذهب النحويين مما اختلف فيه الكوفيون والبصريون . كتاب الفاعل والمفعول به . كتاب المختار في علل النحو ثلاثة مجلدات أو أكثر .

قرأت بخط إبراهيم بن محمد بن بندار ، قرأت بخط أبي جعفر السعال في آخر العروض : « إلى هاهنا أملى عليّ ابن كيسان وأنا كنت أستمليه وفرغنا من العروض لخمس بقين من شوال سنة ثمان وتسعين ومائتين » .

وقال أبو حيان التوحيدي : وما رأيت مجلساً أكثر فائدة وأجمع لأصناف العلوم ، وخاصة ما يتعلق بالتحف والطرف والنتف ، من مجلس ابن كيسان ، فانه كان يبدأ بأخذِ القرآن والقراءات ثم بأحاديث رسول اللّٰه ﷺ ، فإذا قرىء خبر غريب أو لفظة شاذة أبان عنها وتكلم عليها وسأل أصحابه عن معناها ، وكان يقرأ عليه « مجالسات ثعلب » في طرفي النهار ، وقد اجتمع على باب مسجده نحو مائة رأس من الدوابّ للرؤساء والكتاب والأشراف والأعيان الذين قصدوه ، وكان مع ذلك إقباله على صاحب المرقّعة الممزقة والعباء الخَلَق والطِّمْرِ البالي كاقباله على صاحب القَصَبِ والوشي والديباج والدابة والمركب والحاشية والغاشية . ويوماً من الأيام جرى في مجلسه ما امتعض منه وأنكره وقَضَى منه عجباً ، وأنشد في تلك الحالة من غرر الشعر والمقطعات الحسنة وغيرها ما ملأ السمع وحيَّر الألباب حتى قال الصابىء : هذا الرجلُ من الجن إلا انه في شكل إنسان ، ومن جملة ما أنشد في تلك الحال :

ما لي أرى الدهرَ لا تَفْنَى عجائبُهُ ... أبقى لنا ذنباً واستُؤْصِلَ الراسُ
إنَّ الجديدين في طولِ اختلافهما ... لا ينقصان ولكن ينقص الناسُ
أبقى لنا كلَّ محمولٍ وفجَّعنا ... بالحاملين فهم أثواءُ أرماسِ
يرون أن كرامَ الناسِ ان بذلوا ... حمقى وأنَّ لئامَ الناسِ أكياس

وتمثل أيضاً ببيتي أبي تمام :

قومٌ إذا خافوا عداوةَ حاسدٍ ... سفكوا الدما بأسنة الأقلامِ
ولضربةٌ من كاتبٍ بمداده ... أمضى وأنفذُ من رقيق حسامِ

قال المؤلف : هكذا حكى أبو حيان ، ولا أرى ابا حيان أدرك ابن كيسان هذا ،

إن صحّتْ وفاته التي ذكرها الخطيب ، ولا يكون الصابىء أيضاً أدركه لأنَّ مولد الصابىء في سنة ثلاث عشرة وثلاثمائة ، والذي ذكره الخطيب لا شك سهو فاني وجدت في « تاريخ أبي غالب همام بن الفضل بن المهذب المعري »[1] ان [ابن] كيسان مات في سنة عشرين وثلاثمائة .

ـ 960 ـ

محمد بن أحمد بن منصور أبو بكر بن الخياط النحوي : أصله من سمرقند وقدم بغداد ، ومات فيما ذكره أبو عبد الله محمد بن عمران المرزباني في سنة عشرين وثلاثمائة ـ قال : وكان قد انحدر مع البريديين لما غلبوا على البصرة وبها مات ، وجرت بينه وبين الزجاج ببغداد مناظرة ، وكان يخلط المذهبين ، وقد قرأ عليه أبو علي الفارسي وكتب عنه شيئاً من علم العربية ، رأيت ذلك بخطِّ أبي علي . وله مع أصحاب الخياط قصة قد ذكرت في أخبار أبي علي . وأخذ عنه أبو القاسم الزجاجي أيضاً ، وكان ابن الخياط جميل الأخلاق طيبَ العشرةِ محبوبَ الخلقة . وله من الكتب : كتاب معاني القرآن ـ كتاب النحو الكبير . كتاب الموجز في النحو . كتاب المقنع في النحو .

وقال أبو علي الفارسي في ضمن رقعةٍ كتبها إلى سيف الدولة جواباً عن رقعة وردت منه ذكرتها في أخبار أبي علي[2] : وأما قوله إني قلتُ إن ابنَ الخياط كان لا يعرفُ شيئاً فغلطٌ في الحكاية ، كيف أستجيزُ ذلك وقد كلمتُ ابنَ الخياط في مجالسَ كثيرةٍ ؟ ولكني قلت : إنه لا لقاءَ له لأنه دخل إلى بغداد بعد موت محمد بن يزيد ، وصادف أحمد بن يحيى وقد صُمَّ صمَماً شديداً لا يخرقُ الكلام سمعَه ، فلم يمكن

960 ـ ترجمته في إنباه الرواة 3 :54 ونزهة الألباء : 169 والوافي 2 : 88 وطبقات الداودي 2 : 84 وبغية الوعاة 1 : 48 وانظر طبقات الزبيدي : 74 .

(1) م : المغربي ، وهو خطأ ، وإنما هو من معرة النعمان .
(2) انظر ترجمة أبي علي الفارسي رقم :304 .

تعلم النحو منه ، وإنما كان يقوله فيما كان يؤخذ عنه على ما يمليه دون ما كان يُقْرَأُ عليه ، وهذا أمر لا ينكره أهلُ هذا الشأن ومن يعرفهم .

ـ 961 ـ

محمد بن أحمد بن علي بن إبراهيم بن يزيد بن حاتم بن المهلب بن أبي صفرة المهلبي النحوي ، أبو يعقوب : مات بمصر سنة تسع وأربعين وثلاثمائة في خلافة المطيع ، وكان عالماً نحوياً لغوياً ذكره الزبيدي .

قال المؤلف : وعساه أن يكون أخا أبي الحسين علي بن أحمد المهلبي ، والله أعلم .

ـ 962 ـ

محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد بن إبراهيم طباطبا بن إسماعيل بن إبراهيم بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب بن عبد المطلب بن هاشم : شاعر مفلق وعالم محقق شائع الشعر نبيه الذكر ، مولده بأصبهان وبها مات في سنة اثنتين وعشرين وثلاثمائة، وله عقب كثير بأصفهان فيهم علماء وأدباء ونقباء ومشاهير، وكان مذكوراً بالذكاء والفطنة وصفاء القريحة وصحة الذهن وجودة المقاصد معروفاً بذلك مشهوراً به . وهو مصنف كتاب عيار الشعر[1] . كتاب تهذيب الطبع . كتاب العروض لم يسبق إلى مثله . كتاب في المدخل في معرفة المعمى من الشعر . كتاب في تقريظ الدفاتر .

---

961 ـ بغية الوعاة 1 : 34 وإنباه الرواة 3 : 57 وتاريخ بغداد 1 : 320 ونزهة الألباء : 199 ويقول المؤلف ان الزبيدي ذكره ولكني لم أجد له ذكراً .

962 ـ ترجمة ابن طباطبا في الفهرست : 151 ومعجم المرزباني : 427 ويتيمة الدهر 3 : 136 والمحمدون : 9 ـ 10 ووفيات الأعيان 1 : 130 والوافي 2 : 79 ومعاهد التنصيص 2 : 29 .

(1) كانت قد استوقفتني نقول كثيرة عنه في البصائر للتوحيدي ثم نشره طه الحاجري وزغلول سلام ، ولهما الفضل في بعثه من مرقده (القاهرة 1956) وإن كان تحقيقهما سيئاً . ثم أعاد تحقيقه عبد العزيز بن ناصر المانع ، الرياض 1985 ، بعد أن فرى أديم المحققين السابقين في تعقبه لطبعتهما .

ذكر أبو عبد الله حمزة بن الحسن الأصبهاني قال : سمعت جماعة من رواةِ الأشعار ببغداد يتحدثون عن عبد الله بن المعتز أنه كان لَهِجاً بذكر أبي الحسن مقدّماً له على سائر أهله ويقول : ما أشبهه في أوصافه إلا محمد بن يزيد بن مسلمة بن عبد الملك إلا أن أبا الحسن أكثرُ شعراً من المسلميّ ، وليس في ولد الحسن من يشبهه ، بل يقاربه علي بن محمد الأفوه.

قال : وحدثني أبو عبد الله ابن أبي عامر قال : كان أبو الحسن طولَ أيامه مشتاقاً إلى عبد الله بن المعتز متمنياً أن يلقاه أو يرى شعره ، فأما لقاؤه فلم يتفقْ له لأنه لم يفارق أصبهان قط ، وأما ظفره بشعره فانه اتفق له في آخر أيامه ، وله في ذلك قصة عجيبة : وذلك أنه دخل إلى دار معمر وقد حُمِلَتْ إليه من بغداد نسخةٌ من [ديوان] عبد الله بن المعتز فاستعارها فَسُوِّف بها فتمكَّنَ عندهم من النظر فيها وخرج وعدل إليّ كالاًّ معيياً كأنه ناهضٌ بحملٍ ثقيلٍ ، فطلب محبرةً وكاغداً وأخذ يكتب عن ظهر قلبه مقطّعاتٍ من الشعر ، فسألته لمن هي فلم يجبني حتى فرغ من نسخها وملأ منها خمسَ ورقات من نصف المأموني ، وأحصيتُ الأبيات فبلغ عددها مائة وسبعة وثمانين بيتاً تحفَّظها من شعر ابن المعتز في ذلك المجلس واختارها من بين سائرها .

وذكر عنه حكايات منها ما حدثني به أبو عبد الله ابن أبي عامر قال : مِنْ توسُّعِ أبي الحسن في أتِيِّ القولِ وَقَهْرِهِ لأبِيِّه أن أبا عبد اللَّه فتى أبي الحسين محمد بن أحمد بن يحيى بن أبي البغل كانت به لُكْنَةٌ شديدة ، حتى كان لا يجري على لسانه حرفان من حروف المعجم الراء والكاف ، يكون مكان الراء غيناً ومكان الكاف همزة ، فكان إذا أراد أن يقول كركي يقول « أغ أي » وإذا أراد أن يقول كركرة يقول « أغ أغة »وينشد للأعشى :

قالت أَغَى غَجُلاً في أفـه أتِـفُ

يريد « قالت أرى رجلاً في كفّه كَتِفُ » فعمل أبو الحسن قصيدة في مدح أبي الحسين حذف منها حرفي لكنة الحسين ولقَّنه حتى رواها لأبيه أبي الحسين فَجُنَّ عليها ، وقال أبو الحسن والله أنا أقدرُ على أبيٍّ الكلام من واصل بن عطاء ، والقصيدة :

يـا سيـداً دانت لـه السـاداتُ وتتـابعت في فعله الحسنـاتُ
وتـواصلتْ نعمـاؤُهُ عنـدي فلي منـه هبـاتٌ خلفهـن هبـاتُ
نِعَمٌ ثنتْ عني الزمـانَ وخطبَهُ من بعدِ ما هِيبَتْ لـه غدواتُ
فـأدلتُ من زمنٍ مُنيتُ بِغَشْمِـهِ أيـامَ لـلأيـامِ بـي سَطَواتُ
فَلِمَيْتِ آمـالي لـديـه حيـاتُـهُ ولحاسدي نُعْمَى يديه مماتُ
أوليتني مِنَنـاً تجـلُّ وتعتلي عن أن يحيطَ بوصفهن صفاتُ
فـإذا نُشِّرنَ بمنـطقٍ من مـادحٍ فـالمدحُ مني والثنـاءُ صُمـاتُ
عُجْنا عن المِدَحِ التي استحققتها والله يعلمُ مـا تعي النيـاتُ
يـا ماجداً فِعْلُ المحامدِ دينه وسمـاحُهُ صـومٌ لـه وصـلاةُ
فيبيتُ يشفـعُ راجيـاً بتـطوّعٍ منه وقد غَشِيَ العيـونَ سباتُ
فـالجودُ مثلُ قيامِـهِ وسجوده إنْ قِيسَ والتسبيحُ منه عِدَاتُ
مـا زال يُلْفَى جائـداً أو واعداً وعـداً تضايَقُ دونَـهُ الأوقـاتُ
ليمينه بـالنُّجْحِ عند عُفَـاتِهِ في ليـلِ ظنهم البهيم ثبـاتُ
ذو همـةٍ علويـة تـوفي على الـجـوزاءِ تسقطُ دونها الهمـاتُ
تنـأى عن الأوهـام إلا أنهـا تـدنو إذا نيطتْ بها الحاجـاتُ
وعـزيمةٍ مثلِ الحسام مصونـةٍ عن أن تُفَـلَّ بـه الـزمانَ شَبَـاةُ
فـإذا دهـا خـطبٌ مهـمّ أيّـدُ خلَّى العـداةَ وجمعُهُمْ أشتـاتُ
لأبي الحسين سمـاحـةٌ لـو أنهـا للغيث لم تجـدبْ عليـه فـلاةُ
وله مـاعٍ في العلا عددَ الحصى في طيءٍ من جلّهـا مسعـاةُ
كحيا السحابِ على البقاع سماته ولـه على عـافي نـداهُ سِمـاتُ
يحيي بنـائـله نفـوسـاً مثلمـا يحيا بجـودِ الهاطلات نبـاتُ
شـاد العلاءَ أبـو الحسين وحـازه عن سـادةٍ هم شـائـدون بنـاةُ
سبّـاقُ غـايـاتٍ تقـطع دونهـا سبـاقهـا إن مُـدّتِ الحلبـاتُ
فإذا سَعَوْا نحـو العلا وسعى لهـا متمهـلاً حِيزَتْ لـه القصبـاتُ

مستوفزٌ عند السماح وإن تقسْ أحداً به في الحلم قلتَ حصاةُ
طودٌ يلوذُ به الزمانُ وعنده لجميع أحداثِ الزمان أداةُ
بيمينه قَلَمٌ إذا ما هزَّه في أَوْجُهِ الأيامِ قلتَ قناةُ
في سنه بأسُ السنانِ وهيبةُ الـ ـسيفِ الحسام وقد حوته دواةُ
سحبانَ عَيًّا وهو عِيًّا باقلٌ عَجِلٌ إلى النجوى وفيه أناةُ
وَسْنانُ إلا أنه مُتَنَبِّهٌ يقظانُ منه الزهوُ والإخباتُ
لم يخطُ في ظلماتِ ليلِ مدادِهِ إلا انجلتْ عنا به الظلماتُ
وأبو علي أحمدُ بن محمد قد نُمِّقَتْ عنّي لديه هناتُ
فتقاعست دوني عوائدُ فضله وسعتْ سعاةٌ بيننا وعداةُ
فافتلْهُ عن طولِ العقوقِ وهزَّهُ فله لدى فِعْلِ العلا هزاتُ
واللّه ما شاني المديح وبذلُهُ لمؤمّلٍ ليمينه نفحاتُ
إلا مجازاةً لمن أضحت له عندي يدٌ أُغْذَى بها وأُقاتُ
والمسمعيّ له لديّ صنائعٌ أيامهن لطيها ساعاتُ
فاخالها عهدَ الشباب وحسنَهُ إذ طار لي في ظله اللذاتُ
خذها الغداةَ أبا الحسين قصيدةً ضِيْمَتْ بها الراءاتُ والكافاتُ
غُيِّبْنَ عنها ختلة اخواتها عند النشيد فما لها اخواتُ
ولو آنهن شهدَن لازدوجت لها الـ ـغينات [والهمزات] والألفاتُ
فاسعدْ أبا عبد الإله بها إذا شقيتْ بلثغةِ مُنْشدٍ أبياتُ
نقصت فتمّتْ في السماع وألغيت منها التي هي بينها آفاتُ
صفَّيتها مثلَ المدام له فما فيها لدى حُسْنِ السماع قذاةُ
معشوقةٌ تَسْبي العقولَ بحسنها ياقوتةٌ في اللين وهي صفاةُ
علويةٌ حسنيةٌ مزهوّة تُزْهَى بحسن نشيدها اللهواتُ
ميزانها عند الخليلِ مُعَدّل متفاعلنْ متفاعلنْ فعلاتُ
لو واصلُ بنُ عطاءٍ الباني لها تُلِيَتْ توهَّم أنها آياتُ

لـولا اجتنابي أن يُمَـلّ سمـاعهـا ... لأطلتهـا مـا خُـطَّتِ التـاءاتُ

وقال أيضاً في الفخر(1) :

حســودٌ مــريضُ القلبِ يخفي أنـينـه ... ويضحي كئيبَ البـال عندي حـزينَهُ
يلومُ على أن رحتُ في العلم راغبـاً ... أجمّــعُ من عـنـد الـرواة فـنـونـه
وأمـلك أبـكـارَ الـكـلام وَعُـونَـهُ ... وأحـفظ مـمـا أسـتـفـيـد عـيـونـه
ويـزعـمُ أنّ العـلمَ لا يجـلبُ الغـنـى ... وَيُحْسِنُ بـالجهـلِ الـذميم ظنـونـه
فـيـا لائمي دعني أغـالي بـقيمتي ... فقيمـةُ كـلِّ النـاسِ مـا يحسنـونـه
إذا عُـدَّ أغـنى الـنـاس لم أكُ دونـه ... وكـنتُ أرى الـفخـر الـمـسـوَّد دونـه
إذا مـا رأى الـراؤون نـطقي وعيَّـهُ ... رأوا حـركـاتي قـد هَتَكْنَ سكـونـه
ومـا ثَـمَّ ريبٌ في حيـاتي ومـوتِـهِ ... فـأعجِبْ بِميْتٍ كيف لا يـدفنـونـه
أبى اللّه لي من صنعـه أن يـكـونني ... إذا مـا ذكـرنـا فـخـرنـا وأكـونـه

وجدت في « كتاب شعراء أصبهان » لحمزة الأصبهاني قال ، وجدت بخط أبي الحسن رحمه الله يعني ابن طباطبا أن أبا علي يحيى بن علي بن المهلب وصف لـه دعوةً لأبي الحسن أحمد بن محمد بن إبراهيم الكراريسي ذكر أنهم قربوا فيها مائدة عليها خيار وفي وسطها جامات عليها فطر بحسب(2)، فسميتها مسيحيةً لأنها أدم النصارى ، وأنهم قربوا بعد ذلك سكباجةً بعظام عارية فسميتها شطرنجية ، وأنهم قربوا بعدها مضيرة في غضائرَ بيضٍ فسميتها معتدّة وكانت بـلا دسم ، والمعتدة لا تمسُّ الدهنَ والطيب ، وانهم قدموا بعدها زيرباجة قليلة الزعفران فسميتها عابدة تشبيهاً بلون العباد في الصفرة ، وأنهم قربوا بعدها لوناً فسميتها قُنَّبية ، وأنهم قربوا بعدها زبيبية سوداء فسميتها موكبية ، وأنهم قربوا بعدها قليّةً بعظام الأضلاع فسميتها حسكية ، ثم قربوا بعدها فالوذجة بيضاء فسميتها صابونية ، وأنه اعتلَّ على الجماعة بأنه عليـل ،

(1) انظر الذخيرة 3 : 390 وفيه أن الأبيات تنسب إلى أحمد بن المعذل ، وقد وردت منها أبيات في محاضرات الراغب 1 : 32 (1 : 13) منسوبة لابن طباطبا ، وانظر تهذيب ابن عساكر 2 : 113 .

(2) كذا ، ولعلها « بَخْسْتْ » أي بواكير الفطر .

فحوَّلهم من منزله إلى باغ[1] قد طُبِّقَ بالكراث ، فهيأ المجلس هناك ، وأحضرهم جرةً مثلمة وكانوا يمزجون شرابهم منها ، فإذا أرادوا الغائط نقلوها معهم ، فكانت مرةً في المجلس ومرةً في المخرج ، وأن الباغبان[1] ربط بحذائهم عِجْلَةً كانت تخورُ عليهم خواراً مناسباً لقول القائل يا فاطمة ، فقلت في ذلك :

يـا دعـوةً مُـغْـبَرَّةً قـاتـمَـهْ ... كـأنهـا من سَـفَـرٍ قـادمَـهْ
قـد قَـدَّمـوا فيهـا مسيحيـةً ... أضحت على أسلافها نـادمه
نعم وشـطرنجيـةً لـم تـزلْ ... أيـدٍ وأيـدٍ حـولها حـائمـه
فلم نـزل في لعبها سـاعـةً ... ثم نفضنـاهـا على قـائمـه
وبـعـدهـا معتـدةً أختـهـا ... عـابـدةً قـائمـة صـائمـه
في حجـرها أطـرافُ مـوءودةٍ ... قـد قتلتهـا أمُّهـا ظـالمـه
والـقنَّبيـات فـلا تَـنْـسَـهـا ... فحيـرتي في وصفهـا دائمـه
أقِنَّبٌ مـا امتـدَّ في إصبعي ... أم حيـةٌ في وسـطهـا نـائمـه
والـمـوكبيـاتُ بسلطانـهـا ... قـد تـركتْ آنـافنـا راغمـه
والحَسَكِيّـاتُ فـلا تَنسَ في ... خنـدقهـا أوتـادَهـا القـائمـه
وجـام صـابـونيـةٍ بعـدهـا ... فافخر بهـا إذ كانت الخـاتمه
ظـلَّ الكـراريسي مستعبـراً ... من عصبـةٍ في داره طـاعمـه
وقـال إنَّ ابـني عـليـلٌ ولي ... قـيـامـةٌ من أجـله قـائمـه
وولـولـتْ دايـاتُـهُ حـولـه ... ولـيس إلا عبـرةً سـاجـمـه

والقصيدة طويلة باردة نشبتُ في كتابتها فكتبتُ منها هذا .

ولـه :

لا تنكـرنْ إهـداءَنـا لـك منـطقـاً ... منـك استفـدنـا حُسْنَهُ ونـظامَهُ
فـالله عـز وجـل يشكـرُ فعـلَ من ... يـتـلو عـليـه وَحْـيَـهُ وكـلامـه

(1) الباغ : البستان ؛ والباغبان : هو البستاني .

وقال وقد صادف على باب ابن رستم عثمانيين أسودين معتمين بعمامتين حمراوين ، فامتحنهما فوجدهما من الأدب خاليين ، فدخل إلى مجلس أبي علي وتناول الدواة والكاغد من بين يديه وكتب بديهة :

رأيتُ بابَ الدارِ أسودينِ   ذوي عمامتينِ حمراوينِ
كجمرتين فوق فحمتينْ   قد غادرا الرفضَ قريرَ العين
جدُّكما عثمانُ ذو النورين   فما له أنسلَ ظلمتين
يا قبحَ شينٍ صادرٍ عن زين   حدائدٌ تُطْبَعُ من لجين
ما أنتما إلا غرابا بَيْنِ   طيرا فقد وقعتما لِلْحَيْنِ
زورا ذوي السنةِ في المصرين   المظهرين الحبَّ للشيخين
وخليّا الشيعةَ للسبطين   الحسنِ المرضيِّ والحسين
لا تبرما إبرامَ ربِّ الدين   ستعطيان في مدى عامين

قال وقال لابن أبي عمر ابن عصام وكان ينتف لحيته :

يا من يزيلُ خلقةَ الـ   ـرحمن عما خُلِقَتْ
تُبْ وخفِ اللّه على   ما [...] اجترحت
هل لك عذرٌ عنده   إذا الوحوشُ حُشِرَتْ
في لحيةٍ إنْ سُئِلَتْ   بأيِّ ذنبٍ قتلت

وقال :

ما أنسَ لا أنسَ حتى الحشرِ مائدةً   ظلْنَا لديك بها في أشغلِ الشُّغُلِ
إذ أقبل الجديُ مكشوفاً ترائبُهُ   كأنه متمطٍّ دائمُ الكسل
قد مدَّ كلتا يديه لي فذكّرني   بيتاً تمثُّلُهُ من أحسن المثل
« كأنه عاشقٌ قد مدَّ بسطته   يومَ الفراقِ إلى توديع مرتحل »
وقد تردَّى بأطمار الرقاقِ لنا   مثلَ الفقيرِ إذا ما راح في سَمَلِ

وله :

لنا صديقٌ نفسُنَا   في مَقْتِهِ منهمكَهْ

أبـردُ مـن سكـونـه وسطَ النـديِّ الحـركـه
وجُـدَرِيُّ وَجْـهِـهِ يحكيـه جلدُ السمكـهْ
أو جلدُ أفعى سُلِخَتْ أو قـطعـةٌ من شبكـه
أو حَـلَقُ الـدرعِ إذا أبصـرتهـا مشتبكـه
أو كَـدَرُ الـمـاء إذا ما الريحُ أبدتْ حُبُكه
أو سَـفَنٌ مـحـبَّـب أو كَـرِشٌ مـنـفـركـه
أو منخـلٌ أو عُـرُضٌ رقـيـقـة منهـتـكـه
أو حَجَـرُ الحمَّامِ كم من وَسَـخٍ قـد دلكـه
أو كـورُ زنـبـورٍ إذا أفـرخَ فـيـه تـركـه
أو سـلحـةٌ يـابسـة قـد نقـرتهـا الـديكـة

ومن محاسن ابن طباطبا في أبي علي الرستمي يهجوه بالدعوة والبرص :

أنت أُعطيتَ من دلائلِ رُسْلِ اللّـــه آيـا بـهـا علوتَ الـرؤوسـا
جئـتَ فـرداً بـلا أبٍ وبيـمـنـا كَ بيـاضٌ فـأنتَ عيسى ومـوسى

ـ 963 ـ

محمد بن أحمد بن نصر الجيهاني أبو عبد الله : قال السلامي في « تاريخ خراسان » وفي سنة إحدى وثلاثمائة في جمادى الآخرة ولي أبو الحسن نصر بن

963 ـ ذكر ابن النديم (الفهرست: 401) الجيهاني محمد بن أحمد في المتكلمين الذين يظهرون الإسلام ويبطنون الزندقة ، ولعله هو صاحب رسالة ذات نزعة شعوبية يحط فيها على العرب ، انظر الامتاع والمؤانسة 1 : 78 وما بعدها ، وما أورده الصفدي في الوافي 2 : 80 ـ 81 إنما هو منقول عن ياقوت ، وعلق الصفدي على ذلك بقوله : هكذا أثبته ياقوت وجاء في الأحمدين فقال أحمد بن محمد بن نصر الجيهاني وأظنه هذا ؛ (وأحمد بن محمد بن نصر قد مرت ترجمته عند ياقوت رقم: 149وكنيته أبو عبد اللّه وقد وزر لنصر بن أحمد بن نصر الساماني ، وهناك ما يوهم اللبس بينهما ، ولكن ابن النديم قد ميز بينهما في الفهرست ، فالجيهاني محمد قد صرف عن الوزارة سنة 367 وأحمد وزر سنة 301) .

أحمد بن إسماعيل وهو ابن ثمان سنين ، وتولى التدبير أبو عبد الله محمد بن أحمد الجيهاني فأجرى الأسبابَ على وجوهها ، وكان حسن النظر لمن أمله وقصده ، معيناً لمن أمَّه واعتمده ، وكان مبتلًى بالمُذْهِب[1] فلم يكن يصافحُ أحداً إلا دون ثوبٍ أو كاغد ، ومرَّ يوماً بنخّاسٍ يعالجُ دابَّة فتأفَّف وأبرز يده من كمه وعلَّقها إلى أن نزل وصبَّ عليها قماقمَ من الماء تقذراً مما فعله النخاس كأنه هو الذي تولَّى ذلك ، ولم يكن يأذن في إمساك السنانير في دوره فكان الفأر يتعابثُ فيها ، وفيه يقول أبو الطيب الطاهري :

رأيتُ الوزير على بابةٍ — من المذهبِ الشائعِ المنتشرْ
يرى الفأر أنظفَ شيءٍ يدبُّ — على ثوبه ويعافُ البشر
يبيتُ حفيّاً بها مُعْجَباً — وَيُضْحِي عليها شديدَ الحذر
وإن سَغِبَتْ فهو في جُحْرِها — يفتُّ لها يابساتِ الكسر
فلِمْ صار يستقذرُ المسلمين — ويألفُ ما هو عينُ القذر

وله أيضاً فيه :

مسا فيه من حَسَنٍ نُثْني عليه به — إلا التصنعُ بالوسواسِ للناسِ
ليوهَمُوا شغفاً بالطهرِ منك فلا — تُعَدّ فيمن يؤدِّي جزيةَ الراس
يا لهفَ نفسي على دنيا حَظِيتَ بها — عفواً بلا طولِ إبساسٍ وإيناس

وله أيضاً فيه :

قل للوزير الذي عجائبه — يُضْرَبُ في سوقنا بها المثلُ
أنت إذا كنتَ طولَ دهرك بالـ — ـمَخْرَج عما سواه تشتغل
فأينَ ألقاكَ للحوائج أو — في أي حينٍ يهمّك العمل

وقال وكان هجّيرا الجيهاني يقول في أضعاف كلامه « بدواندرون » ، وهجيرا علي بن محمد العارض أن يقول « هزين » ، وفيهما يقول الطاهري :

وزيران أما بالمقدَّم منهما — فَخبْلٌ وبالثاني يقال جنونُ

(1) المذهب : الوسوسة .

إذا نحن كلمناهما فجوابنا بدواندرونٌ دائمٌ وهزين
متى تلقَ ذا أو تلقَ ذاك لحادثٍ تلاقِ مهيناً لا يكادُ يبين

ومعنى بدواندرون « اعدُ إلى داخل » ومعنى هزين « الفرار » .

وللطاهري فيهما :

إنّ الأمورَ إذا أضحت يدبِّرها طفلٌ رضيعٌ وسكرانٌ ومجنونُ
لمخبراتٌ بأنْ لن يستقيمَ بها لمن توسَّطها دنيا ولا دين

ـ 964 ـ

محمد بن أحمد أبو الندى الغندجاني اللغوي: رجلٌ واسعُ العلم راجحُ المعرفة باللغة وأخبار العرب وأشعارِها ، وما عرفتُ له شيخاً يُنْسَبُ إليه ولا تلميذاً يعوِّل عليه غير الحسن بن أحمد الأعرابي المعروف بالأسود صاحب التصانيف المشهورة التي تصدَّى فيها للأخذ على أعيان العلماء ، فإن روايته في كتبه كلِّها عن أبي الندى هذا . وأنا أرى أنَّ هذا الرجلَ خرج إلى الباديةِ واقتبس علومَهُ من العرب الذين يسكنون الخيم ، وقد وقع لي شيءٌ من خبره في ذلك أنا أورده ها هنا ليستدل به على ما ذهبت إليه كما استدللت أنا به .

وجدت بخط صديقنا كمال الدين أبي القاسم عمر بن أحمد بن هبة الله بن أبي جرادة الحلبي الفقيه المدرس الكاتبِ الأديب ما أسنده إلى ليث الطويل قال : سألت أبا الندى ، وكان من أعلم من شاهدتُ بأخبار العرب : هل تعرفُ من شعر الذلفاءِ بنتِ الأبيض في ابن عمها نجدةَ بن الأسود ؟ قال : نعم ، كنت فيمن حضر جنازة نجدة حتى وضعناه في قبره وأَهَلْنَا عليه التراب ، وَصَدَرْنَا عنه غيرَ بعيد ، فأقبلن نسوةٌ يتهادين فيهنّ امرأةٌ قد فاقتهنَّ طولاً ، كالغصن الرطب ، وإذا هي الذلفاء ، فأقبلتْ حتى أكَبَّتْ على القبر وبكت بكاءً محرقاً وأظهرت من وجدها ما خِفْنَ معه على نفسها ، فقلن لها : يا ذلفاء إنه قد مات السادات من قومك قبل نجدة ، فهل رأيتِ نساءهم قَتَلْنَ أنفسهنّ

964 ـ ترجم له القفطي في إنباه الرواة 4 : 181 وانظر بغية الوعاة 1 : 52 ومعجم البلدان (غند جان) وهي بفتح الغين ، من كور الأهواز ؛ وانظر ترجمة الحسن بن أحمد الأعرابي شيخ أبي الندي في ما تقدم رقم : 305 .

عليهم ؟ فلم يزلن بها حتى قامت فانصرفت عن القبر ، فلما صارت منه غير بعيدٍ عَطَفَتْ بوجهها عليه وقالت :

سئمتُ حياتي حين فارقتُ قبره ... ورحتُ وماءُ العينِ ينهلُّ هامِلُهْ
وقالت نساءُ الحيِّ قد مات قبله ... شريفٌ فلم تَهْلِكْ عليه حلائله
صدقن لقد مات الرجالُ ولم يمت ... كنجدةَ من إخوانه من يعادله
فتىً لم يضقْ عن جسمه لحدُ قبره ... وقد وسع الأرضَ الفضاءَ فضائله

قال فقلت : أحسنتْ واللّه يا أبا الندى وأُحْسَنْتَ ، فهل تعرف من شعرها شيئاً آخر ؟ قال : نعم ، كنتُ ممن حضر قبر نجدةَ عند زيارتها إياه لتمام الحول فرأيتها أقبلتْ حتى أَكَبَّتْ على القبر وبكتْ بكاءً شديداً ثم أنشأت تقول :

يا قبرَ نجدةَ لم أهجرْكَ مَقْلِيةً ... ولا جفوتُكَ من صبري ولا جلدي
لكن بكيتُكَ حتى لم أجدْ مَدَداً ... من الدموع ولا عَوْناً من الكمد
وآيَسَتْني جفوني من مدامعها ... فقلتُ للعينِ فيضي من دمِ الكبد
فلم أزلْ بدمي أبكيكَ جاهدةً ... حتى بقيتُ بلا عينٍ ولا جسد
واللّهُ يعلمُ لولا اللّهُ ما رَضِيَتْ ... نفسي عليك سوى قتلٍ لها بيدي

قال فقلت : أحسنْتَ والله يا أبا الندى وأَحْسَنَتْ ، فهل تعرفُ من شعرها شيئاً آخر ؟ قال : نعم ، حضرنا عيداً لنا في زَمَنِ الربيع ، ونحن في رياضٍ خَضِرَةٍ مُعْشِبَةٍ ، فركب الفتيانُ وعقدوا العَذَبَ الصُّفْرَ في القنا الحمر وجعلوا يتجاولون ، فلما أردنا الانصرافَ قال بعضنا لبعض : ألا تجعلون طريقكم على الذلفاء فلعلها إذا نظرت إليكم تسلَّتْ بمن بقي عمن هلك ؛ قال : فخرجنا نَؤُمُّها فأصبناها بارزةً من خبائها ، وهي كالشمس الطالعة إلا أنه يعلوها كسوفُ الحزن ، فسلَّمنا عليها وقلنا : يا ذلفاء إلى كم يكونُ هذا الوجدُ على نجدة ؟ أما آن لكِ أنْ تتسلَّيْ بمن بقي من بني عمك عمن هلك ؟ ها نحن ساداتُ قومك وفتيانُهم ونجومُهم ، وفينا السادة والذادة والبأسُ والنجدة ، فأطرقت ملياً ثم رفعتْ رأسها باكيةً تقول :

صدقتمْ إنكم لنجومُ قومي ... ليوثٌ عند مختلفِ العوالي

ولكن كـان نجدةُ بـدرَ قـومي وكهفَهمُ المنيفَ على الجبـال
فما حُسْنُ السماءِ بـلا نجومٍ ومـا حُسْنُ النجومِ بـلا هلال

ثم دخلت خباءها وأرسلت سترها فكان آخر العهد بها.

وقرأت بخط أبي سعد في « المذيل » : أنشدنا شافع بن علي الحمامي ، أنشدنا إسماعيل بن عبـد الغافـر الفارسي ، أنشـدني أبو حـرب رزماشـوب بن زياد الجيلي بشيراز ، أنشدنا أبو محمد الحسن بن علي الغندجاني الأديب ، أنشدنـا أبو محمـد الأسود الغندجاني الأديب ، أنشدنا أبو الندى قال : سمعت أعرابياً بالبصرة يقـال له الوليد بن عاصم ينشد لنفسه :

ومـا مُغْزِلٌ بـالغـورِ غـورِ تهـامـةٍ بـأوديـةٍ صـابَتْ عليهـا عُهُـودُهَـا
ترودُ الضحى أفنانَ ضـالٍ وتتقي ويخـرجُ من بين الأراكةِ جيـدهـا
بـأحسنَ من سلمى ولا ضوءُ درّةٍ تسمَّى إليهـا غـائص يستجيـدهـا

قـرأت في « كتاب اللقـائط » لأبي يعلى ابن الهبَّاريـة ، وقد ذكـر أبـا محمـد الأعرابي ، ووضع منه وانتصر للنمري الذي شرح « الحماسة » وغيره واستـدلَّ على صحة رواياتهم وإتقان علمهم ومقالاتهم ثم قال : فكيف نتركُ أمثـالَ هذه الـروايات لرواية مثل أبي الندى ، ولم يذكر لي من لقيتُهُ من شيوخ بلادِ فارسٍ من فَضْل أبي الندى إلا أنه غاب عن أهله مدة ، وأقام في البادية سنين عدة ، وعاد يَرْوي ويخبر ، وكان له ابنٌ فأخذ يطليه بالزيت وَيَقِفُهُ في شمس القيظ بالغندجان ، وهي حارة جداً ، ولم يزل يفعلُ به ذلك ليكونَ أسمر اللونِ كالعرب حتى مات ذلك المسكين .

ـ 965 ـ

محمد بن أحمد الأزهر بن طلحة بن نوح بن الأزهر بن نـوح بن حاتم بن سعيد بن عبد الرحمن الأزهري أبو منصور اللغوي الأديب الشافعي المذهب الهروي :

965 ـ ترجمة الأزهري في مقدمة كتاب التهذيب له: 5 ـ 12 ونزهة الألباء: 221 وابن خلكان 4: 324 وعبر الـذهبي 2: 356 وسير الـذهبي 16: 356 والـوافي 2: 45 ومـرآة الجنـان 2: 395 وطبقـات السبكي 3: 63 والأسنوي 1: 49 والبلغة: 205 وبغيـة الوعـاة 1: 19 وطبقات الـداودي 2: 61 وطبقات ابن هداية الله: 94 والشذرات 3: 72 وإشارة التعيين: 294 .

مات فيما ذكره أبو النصر عبد الرحمن بن عبد الجبار بن أبي سعيد الفامي في « تاريخ هراة » في سنة سبعين وثلاثمائة ، ووافقه الحاكم أبو عبد الله الحسين بن محمد بن الحسين الكتبي الهروي في « كتاب الوفيات » له ، وزاد في ربيع الآخر ، قال الحاكم : ورأيت في « كتاب تاريخ السنين » تصنيف أبي يعقوب إبراهيم بن محمد بن عبد الرحمن بن الفرات الهروي الحافظ ، وأصله عندي بخطه في عشرة أجزاء ، أن مولد أبي منصور الأزهري في سنة اثنتين وثلاثمائة .

أخذ الأزهري عن أبي الفضل محمد بن أبي جعفر المنذري عن ثعلب وغيره فأكثر ، وعن أبي محمد المزني عن أبي خليفة الجمحي ، وعن أبي محمد عبد الله بن عبد الوهاب البغوي عن الربيع بن سليمان عن الشافعي ، وعن عبد الله بن محمد بن هاجك وأبي القاسم عبد الله بن محمد بن عبد العزيز البغوي .

ورد بغداد وأدرك ابن دريد فلم يرو عنه ، قال : ودخلت داره ببغداد غير [مرة] فألفيته على كِبَرِ سنٍ سكرانَ لا يكادُ يستمرُّ لسانه على الكلام من سكره . وأخذ الأزهريّ ببغداد عن أبي عبد الله إبراهيم بن عرفة نفطويه وعن ابن السراج .

وصنف : كتاب التهذيب في اللغة[1] . كتاب معرفة الصبح . كتاب التقريب في التفسير . كتاب تفسير ألفاظ كتاب المزني . كتاب علل القراءات . كتاب في الروح وما جاء فيه من القرآن والسنة . كتاب تفسير أسماء الله عز وجل . كتاب معاني شواهد غريب الحديث . كتاب الردّ على الليث . كتاب تفسير شواهد غريب الحديث . كتاب تفسير إصلاح المنطق . كتاب تفسير السبع الطوال . كتاب تفسير شعر أبي تمام . كتاب الأدوات .

وذكر في مقدمة كتابه قال[2] : وكنت امتُحنتُ بالإسار سنة عارضتِ القرامطةُ الحاجَّ بالهبير ، وكان القوم الذين وقعتُ في سهمهم عرباً نشأوا بالبادية يتتبعون مساقطَ الغيث أيام النجع ويرجعون إلى أعداد المياه في محاضرهم زمن القيظ ، ويرعون النعم

---

(1) طبع التهذيب في 15 جزءاً على يد عدة من المحققين ، القاهرة 1964 ـ 1967 وعمل له فهارسه عبد السلام هارون رحمه الله ، القاهرة 1976 . وهناك مستدرك على الأجزاء 7 ـ 9 صنّفه رشيد عبد الرحمن العبيدي ، القاهرة 1975 .

(2) التهذيب 1 : 7 .

ويعيشون بألبانها ، ويتكلمون بطباعهم البدوية وقرائحهم التي اعتادوها ، ولا يكاد [يقع] في منطقهم لحن أو خطأ فاحش ، فبقيت في إسارهم دهراً طويلاً ، وكنا نتشتّى الدهناء ونتربع الصمّان ونتقيظ الستارين ، واستفدتُ من مخاطباتهم ومحاورة بعضهم بعضاً ألفاظاً جمةً ونوادر كثيرة أوقعتُ أكثرها في الكتاب ، وستراها في مواضعها إذا أتت قراءتك عليها إن شاء الله تعالى .

وذكر في تضاعيف كتابه أنه أقام بالصمّان شتوتين ، ورأى ببغداد أبا إسحاق الزجاج وأبا بكر ابن الأنباري ولم يذكر أنه أخذ عنهم شيئاً .

قال المؤلف : كانت سنة الهبير هي سنة احدى عشرة وثلاثمائة وذكر بعضهم أنها كانت سنة ثلاث عشرة وثلاثمائة ، عارضهم أبو طاهر الجنابي فقتل بعضهم واسترقّ بعضهم واستولى على جميع أموالهم ، وذلك في أيام المقتدر بالله ابن المعتضد .

ـ 966 ـ

محمد بن أحمد بن طالب الأخباري : قال الخطيب مات بعد سنة سبعين وثلاثمائة ، ويكنى أبا الحسن ، سكن الشام وحدث بطرابلس ، أنشد أبو الحسن محمد بن أحمد البغدادي قال : أنشدني أبو علي الأعرابي لنفسه :

كنتُ دهراً أُعَلِّلُ النفسَ بالوعـ ... ـدِ وأخلو مستأنساً بالأماني
فمضى الواعدون واقتطعتنا[1] ... عن فُضُول المنى صروفُ الزمان

ـ 967 ـ

محمد بن أحمد بن أيوب بن الصلت بن شنبوذ أبو الحسن المقرىء : مات

966 ـ تاريخ بغداد 1 : 310 وفيه أنه توفي سنة 370 لا بعدها ومصورة ابن عساكر 14 : 692 .

967 ـ ترجمة ابن شنبوذ في تاريخ بغداد 1 : 280 والفهرست: 34 ـ 35 والمنتظم 6 : 307 وابن خلكان 4: 299 وعبر الذهبي 2: 195 وسير الذهبي 15 : 264 ومعرفة القراء 1 : 221 والوافي 2: 37 ومرآة الجنان 2 : 286 والبداية والنهاية 11 : 194 وطبقات ابن الجزري 2 : 52 والنجوم الزاهرة 3 : 267 والشذرات 2 : 313 .

(1) م: ثم اقتطعنا .

فيما ذكره الخطيب في سنة ثمان وعشرين وثلاثمائة.

قال الخطيب: قد تخيَّر لنفسه حروفاً من شواذّ القراءات فقرأ بها فصنَّف أبو بكر الأنباري وغيره كتباً في الرد عليه.

قرأت بخط أبي علي ابن أبي إسحاق الصابىء، قال القاضي أبو سعيد السيرافي رحمه الله: كان ابن شنبوذ ـ واسمه محمد بن أحمد بن أيوب ـ كثيرَ اللحنِ قليلَ العلم، وكان ديناً وفيه سلامة وحمق ثم ذكر توبته كما ذكرنا بعد.

حدث إسماعيل بن علي الخطبي في «كتاب التاريخ» قال: واشتهر ببغداد أمرُ رجلٍ يعرف بابن شنبوذ يقرىء الناس ويقرأ في المحراب بحروفٍ يخالفُ فيها المصحف فيما يروي عن عبد الله بن مسعود وأُبَيّ بن كعب وغيرهما مما كان يُقْرَأ به قبل المصحف الذي جمعه عثمان، ويتتبع الشواذّ فيقرأ بها ويجادل حتى عظم أمره وفحش وأنكره الناس، فوجه السلطان وقبض عليه في سنة ثلاث وعشرين وثلاثمائة وحمل إلى دار الوزير محمد بن مقلة، وأحضر القضاة والفقهاء والقراء وناظره الوزير بحضرته، فأقام على ما ذكر عنه ونصره، واستنزله الوزير عن ذلك فأبى أن ينزل عنه أو يرجع عما يقرأ به من هذه الشواذ المنكرة التي تزيد على المصحف العثماني، فأنكر ذلك جميعُ مَنْ حضر المجلس وأشاروا بعقوبته ومعاملته بما يضطره الى الرجوع، فأمر بتجريده وإقامته بين الهنبازين، وأمر بضربه بالدرة على قفاه فضرب نحو العشرة ضرباً شديداً فلم يصبر واستغاث وأذعن بالرجوع والتوبة، فخلّي عنه وأعيدت عليه ثيابه واستتيب، وكتب عليه كتاب توبته، وأخذ فيه خطه بالتوبة، فتقوَّلَ أصحابه أنه دعا على ابن مقلة بقطع اليد فاستجيب له.

قال المؤلف[1]: وهذا من عجيبِ الاتفاق إن صحَّ.

وذكره محمد بن اسحاق النديم فقال: كان ابن شنبوذ يناوىء أبا بكر ابن مجاهد ولا يعشره[2] وكان ديناً فيه سلامة وحمق؛ قال لي الشيخ أبو محمد يوسف بن السيرافي: إنه كان كثيرَ اللحن قليلَ العلم، وقد روى قراءات كثيرة وله كتب مصنفة في ذلك. وكان مما خالف فيه قراءة الجمهور (قال القاضي أبو يوسف: وسئل عنه بحضرة الوزير

(1) المؤلف يردد هنا قول النديم.

(2) يعشره: كذلك هو في الفهرست.

أبي علي ابن مقلَة فاعترف به ولم ينكره ﴿ إِذَا نُودِيَ لِلصَّلاةِ مِن يَوْمِ ٱلْجُمْعَةِ فَٱمْضُوا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ ﴾ (الجمعة: 9) . وقرأ ﴿ وَكَانَ أَمَامَهُمْ مَلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ صَالِحَةٍ غَصْباً ﴾ (الكهف: 79) . وقرأ ﴿ كالصُّوفِ الْمَنْفُوش ﴾ (القارعة: 5) . وقرأ ﴿ تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وقَدْ تَبَّ مَا أَغنَى ﴾ (المسد: 1) . وقرأ ﴿ اَلْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِيَدَيْكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ آيَةً ﴾ (يونس: 92) . وقرأ ﴿ وَتَجْعَلُونَ شُكْرَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ ﴾ (الواقعة: 12) . وقرأ ﴿ وَٱللَّيْلِ إِذَا يَغْشَى وَالنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّى وَٱلذَّكَرِ وَٱلأُنْثَى ﴾ (الليل: 1) . وقرأ ﴿ وَقَدْ كَذَّبَ ٱلْكَافِرُونَ فَسَوْفَ يَكُونَ لِزَاماً ﴾ (الفرقان: 77) . وقرأ ﴿ إِلَّا تَفْعَلُوهُ تَكُنْ فِتْنَةٌ فِي ٱلأَرْضِ وَفَسَادٌ عَرِيضٌ ﴾ (الأنفال: 73) إلى غير ذلك .

وله من التصانيف : كتاب ما خالف فيه ابن كثير أبا عمرو . كتاب قراءة علي عليه الصلاة والسلام. كتاب اختلاف القراء. كتاب شواذ القراءات. كتاب انفراداته.

وقرأت في كتاب ألفه القاضي أبو يوسف عبد السلام القزويني سماه « أفواج القراء » ، قال : كان ابن شنبوذ أحدَ القراءِ والمتنسكين ، وكان يرجع إلى ورع ولكنه كان يميل إلى الشواذ ويقرأ بها وربما أعلن ببعضها في بعض صلواته التي يجهر فيها بالقراءة وسمع ذلك منه وأنكر عليه فلم ينته للانكار ، فقام أبو بكر ابن مجاهد فيه حقَّ القيام وأشهر أمره ، ورفع حديثه إلى الوزير في ذلك الوقت وهو أبو علي ابن مقلة ، فأخذ وضرب أسواطاً زادت على العشرة ولم تبلغ العشرين ، وحبس واستتيب فتاب وقال : إني قد رجعتُ عما كنت أقرأ به ، ولا أخالفُ مصحفَ عثمان ولا أقرأ إلا بما فيه من القراءة المشهورة ، وكتب عليه بذلك الوزير أبو علي محضراً بما سمع من لفظه ، وأمره أن يكتب في آخره بخطه ، وكان المحضر بخط أبي الحسين أحمد بن محمد بن ميمون . وكان أبو بكر ابن مجاهد تجرد في كشفه ومناظرته فانتهى أمره إلى أن خاف على نفسه من القتل ، وقام أبو أيوب السمسار في إصلاح أمره ، وسأل الوزير أبا علي أن يطلقه وأن ينفذه إلى داره مع أعوانه بالليل خيفةً عليه لئلا يقتله العامة ، ففعل ذلك ، ووجه إلى المدائن سرًّا مدة شهرين ثم دخل بيته ببغداد مستخفياً من العامة .

ونسخة المحضر المعمول على ابن شنبوذ بخط ابن ميمون : يقول محمد بن أحمد بن أيوب المعروف بابن شنبوذ : قد كنت أقرأ حروفاً تخالفُ ما في مصحف عثمان بن عفان رضي الله عنه المجمع عليه والذي اتفق أصحابُ رسولِ اللَّه ﷺ

ورضي عنهم على تلاوته ، ثم بان لي أنّ ذلك خطأ ، فأنا منه تائب وعنه مقلع وإلى الله عز وجل بريء ، إذ كان مصحف عثمان هو الحقّ الذي لا يجوزُ خلافه ولا أن يُقْرَأ بغير ما فيه .

نسخة خط ابن شنبوذ في هذا المحضر : يقولُ محمد بن أحمد بن أيوب بن شنبوذ : ما في هذه الرقعة صحيح وهو قولي واعتقادي ، وأشهد الله عز وجل وسائر من حضر على نفسي بذلك ، وكتب بخطه ، فمتى خالفتُ ذلك أو بان مني غيره فأمير المؤمنين أطال الله بقاءه في حلّ وسعةٍ من دمي ، وذلك في يوم الأحد لسبع خلون من ربيع الآخر سنة ثلاث وعشرين وثلاثمائة في مجلس الوزير أبي علي محمد بن علي أدام الله توفيقه ، وحسبي الله وحده وصلاته على سيدنا محمد وآله .

خط ابن مجاهد : اعترف ابن شنبوذ بما في هذه الرقعة ، وكتب ابن مجاهد بيده وذكر التاريخ .

خط ابن أبي موسى : اعترف المعروف بابن شنبوذ بما في هذه الرقعة بحضوري طوعاً ، وكتب محمد بن أبي موسى الهاشمي ، وذكر التاريخ .

شهادة أخرى : شهد محمد بن أحمد بن محمد على إقرار محمد بن أحمد بن أيوب المعروف بابن شنبوذ بجميع ما في هذا الكتاب ، وذكر التاريخ .

وقال ابن شنبوذ في المجلس إن رسول الله ﷺ وجماعة من أصحابه خالفوا بعضَ ما في هذا المصحف الذي في أيدينا ، وكان اعترافه به طوعاً ، شهد بذلك محمد بن أبي موسى ، وكتب بيده ، وشهد أحمد بن موسى بن مجاهد ، وكتب بيده .

قال القاضي أبو يوسف : كنت قد سمعتُ من مشايخنا بالري ثم ببغداد أن سبب الانكار على ابن شنبوذ أنه قرأ ، أو قرى عليه ، في آخر سورة المائدة عند حكاية قول عيسى ﴿ إِنْ تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ مِنَ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيم ﴾ .

ـ 968 ـ

محمد بن أحمد بن إبراهيم الشنبوذي أبو الفرج المقرىء ، يعرف بغلام ابن

968 ـ تاريخ بغداد 1 : 271 وطبقات ابن الجزري 2 : 50 والوافي 2 : 39 .

شنبوذ : مات سنة سبع وثمانين وثلاثمائة وقيل سنة ثمان ومولده في سنة ثلاثمائة .

قال الخطيب : روى عن أبي الحسن محمد بن أحمد بن شنبوذ وغيره كتباً في القراءات ، وتكلم الناس في رواياته ، وسئل الدارقطني عنه فأساء القول فيه والثناء عليه . قال : وسمعت عبيد الله الصيرفي يذكر أبا الفرج الشنبوذي فعظم أمره ووصف علمه بالقرآن وحفظ التفسير وقال : سمعته يقول : أحفظ خمسين ألف بيت من الشعر شواهد للقرآن .

وله من التصانيف : كتاب الشارة في تلطيف العبارة في علم القرآن . كتاب التفسير ولم يتم .

ـ 969 ـ

محمد بن أحمد المعمري أبو العباس النحوي : أحد شيوخ النحاة ومشهوريهم ، صحب الزجاج وأخذ عنه ، وكان أبو الفتح المراغي تلميذَهُ وصاحبَه ، وكان أكثر مقامه بالبصرة وبها توفي وأظنه من أهلها ، وله شعر صالح متوسط من أشعار الأدباء ، ومات فيما أحسب بين الخمسين والثلاثمائة ، والثلاثمائة ، قال ذلك ابن عبد الرحيم ، قال : وأنشدني أبو القاسم التنوخي عن أبيه له من قصيدة مدح بها جدَّه أبا القاسم أولها :

وجفونِ المضانيات[1] المراضِ ... والثنايا يَلُحْنَ بالإيماضِ
والعهودِ التي تلوحُ بها الصحـ ... ـفُ خلافَ الصدود والاعراض
لبرتني الخطوبُ حتى نضتني ... حَرَضاً بالياً من الأَحراض
وجدتني والدهرُ سلمي سليمى ... لم ينلني بنابِهِ العضاض
بين بُرْدٍ من الشباب جديدٍ ... ورداءٍ من الصبا فضفاض
ومديرٍ عُرَى الأمورِ برأيٍ ... يقظِ الحزمِ مُبْرِمٍ نقَّاض

---

969 ـ بغية الوعاة 1 : 50 .

(1) كذا في م .

دقَّ معنًى وجل قدراً فجادت　　في معانيه نهيةُ الاغماض

وأنشد أيضاً له :

لو قد وجدتُ إلى شفائك منهجا　　جُبْتُ الصباحَ إليه أو حلَكَ الدجى
لكن رأيتُكَ لا يحيك العَتْبُ فيـ　　ـكَ ولا العتابُ ولا المديحُ ولا الهجا
فاذهب سدىً ما فيك شرٌّ يتَّقى　　يوماً وليس لديك خيرٌ يرتجى
وإذا امرؤٌ كانت خلائقُ نفسِهِ　　هذي الخلائقَ فالنَّجا منه النجا

قال وحدثني أبو علي محمد بن وشاح ، قال حدثني أبي ، قال حدثني القاضي أبو تمام الحسن بن محمد الزينبي رحمه الله قال : جاءتني في بعض البكر رسالة محمد بن أحمد المعمري النحوي بالبصرة ، وكنت أغشى مجلسه دائماً وآخذ عنه ، أن أَدْرِكْني ، فبادرتُ إليه وتبعني جماعة من أصحابي ، فلما صرتُ إليه عرَّفني أن صبيةً مملوكة له مولدةً قد كنت أشاهدها في ولده قد هربت منه وتناولتْ صدراً مما كان في منزله ، وأنفذتُ أصحابي وبثثتهم في الجيران وبحيثُ يُظَنُّ بها الحصولُ فيه ، فما بَعُدَ أن أُحضرت وما أَخَذَتْ ، فَسُرَّ المعمري وطابت نفسه ، فلما هممت بالانصراف أنشدني :

ما لأيري كَبَسَتْ عا　　ديةُ الدهرِ عمودَهْ
كان حرباءً فأضحى　　لشقاءِ البختِ دوده

قال ابن وشاح : وحدثني أبي قال حدثني القاضي رحمه الله قال : كان رسمُ المعمريِّ أن يجلسَ لأهلِ العلم في يوم الأربعاء ، فبكرنا إليه في بعض الأيام فقال للجماعة : ليس لكم اليومَ عندي فائدة ولا مني حظٌّ ، فلما هممنا بالانصراف قال :

إذا كان يومُ الاربعاء ولم أَنِكْ　　ولم أصطبحْ فالأربعاء مَشُومُ
فإن نكتُ فيه واصطبحتُ ولمته　　فإني ليومِ الأربعاءِ ظلوم

انصرفوا مأجورين ، فانصرفنا .

قال : وكان شديدَ المحبةِ لشرب النبيذ ، كثيرَ التوفر عليه ، قاطعاً أكثر زمانه به . ولما مات رثاه أبو القاسم الحسن بن بشر الآمدي صاحب « كتاب الموازنة » بقوله :

يا عينُ أذري الدموعَ وانسكبي　　أصبح تِرْبُ العلومِ في التُّرَبِ

لقيتُ بالمعمريّ يومَ ثوى ... أولَ رزءٍ بآخرِ الأدب
كان عَلَى أعجميٍّ نسبته ... فضيلةً من فضائل العرب

وكتب أبو القاسم الآمدي إلى المعمري جوابَ أبياتٍ كتب بها إليه :

يا مُهْدِيَ الشعرِ إلى مَنْ يَرَى ... أنك تستعلي عن الشعرِ
أنت الذي تحكمُ فيه إذا ... أعيا على الباقعة[1] الحبر
وتكشفُ الغامضَ حتى يُرَى ... أوضحَ أسباباً من الفجر
بنتَ عن المثل ومن ذا الذي ... إلى مدىً تبلغُهُ يجري
كلٌّ إلى علمك ذو حاجةٍ ... كحاجةِ الأرضِ إلى القطر

- 970 -

محمد بن أحمد بن عبد الله بن زياد القطان ويعرف بالمتوثي ويكنى أبا سهل : أحد الشيوخ الفضلاء المقدمين سمع الحديث ورواه ، وكان ثقة جيدَ المعرفةِ بالعلوم ، ومات سنة تسع وأربعين وثلاثمائة ، وسمع كثيراً من كتب الأدب عن بشر بن موسى الأسدي ومحمد بن يونس الكديمي وأبي العيناء وثعلب والمبرد وغيرهم ، ولقي السكريَّ أبا سعيد وسمع عليه « أشعار اللصوص » من صنعه ، وسمعه منه الخالع أبو عبد الله الشاعر ، وفلج في آخر عمره ، وكان ينزل بدار القطن من غربي دار السلام بغداد ، وله بقية حال حسنة .

قال الخالع : وحكى لنا أنه كان في ابتداء أمره يتوكل لعلي بن عيسى بن الجراح الوزير وأنه صحبه حين نُفِيَ من بغداد وعاد بِعَوْدِهِ ، وأنهم نزلوا في بعض طريقهم بأحد

---

970 ـ الوافي 2 : 76 والمحمدون : 77 وقد ذكره المؤلف في معجم البلدان (4 : 414) باسم أحمد بن محمد وكذلك هو في سير الذهبي 15 : 521 وعبر الذهبي 2 : 285 وتاريخ الخطيب 5 : 45 والمنتظم 7 : 3 والوافي 8 : 34 والبداية والنهاية 11 : 238 والنجوم الزاهرة 3 : 328 والشذرات 3 : 2 .

(1) م : الباقلاني

أمراءِ الشام وأنه حَمَلَ على يده إلى علي بن عيسى سمكةَ فضة وزنها زيادةٌ على خمسةِ آلاف درهم مبيتة للطيب ، وعليها جوهر وياقوت قد رُصِّعَتْ به ، فامتنع من قبولها على عادته في ذلك ، فرددتها إلى صاحبها فوهبهـا لي ولم أتجاسـرْ على قَبولهـا إلا بعد استئذانه فاستأذنته فأذن لي فكانت أصلَ حالي .

قال الخالع : وكانت بضاعة أبي سهل جيدةً في العلم ، فكـان يحفظ القرآن ويعرف القراءات ويرويها ، ويطلع على قطعة من اللغة ، ويعرف النحو ويحفظ الشعر ويقوله ، وكان يتشيع على مذهب الامامية ويظاهر به ، إلا أنه كان في الأصول على رأي المجبرة ، ولم يعقب ولداً ذكراً ، وكانت له ابنة بقيت إلى سنة أربعين وباعت كتبه . وله أشعار كثيرة ركيكة باردة ومن أصلحها :

غضبَ الصـوليُّ لمّـا ... كَسَـرَ الضيفُ وسمّى
ثم عنـد المضـغ منـه ... كـاد أن يـتلفَ غـمّـا
قـال لـلضيـفِ تـرفقْ ... شُمَّ ريحَ الخبـزِ شَمّـا
واغتنمْ شكري فقال الـ ... ـضيفُ بـل أكـلاً وذمّـا

- 971 -

محمد بن أحمد بن يونس الفسوي أبو عبد الله ، يعرف بخاطف : صاحب أبي بكر ابن السراج وروى عن ابن دريد وغيره .

- 972 -

محمد بن أحمد أبو الريحان البيروني الخـوارزمي ، وهذه النسبـة معناهـا

---

971 - بغية الوعاة 1 : 50 (عن ياقوت) .

972 - ترجمة البيروني في الموسوعة الاسلامية (الطبعة الثانية) 1 : 1236 - 1238 وفيها ذكر لأهم الكتب والدراسات التي كتبت عنه ؛ وتجد له ترجمة في عيون الأنباء 2 : 20 ونزهة الأرواح 2 : 85 - 89 والبيهقي : 72 وبغية الوعاة 1 : 50 ومن كتبه المطبوعة : الآثار الباقية وتحقيق ما للهند من مقـولة، والتفهيم لأوائل صناعة التنجيم ، ورسائل البيروني والقانون المسعودي وغيرها .

البراني ، لأن بيرون بالفارسية معناه برًّا ، وسألت بعضَ الفضلاء عن ذلك فزعم أن مقامه بخوارزم كان قليلاً ، وأهل خوارزم يسمون الغريب بهذا الاسم ، كأنه لما طالت غربتُهُ عنهم صار غريباً، وما أظنه يراد به إلا أنه من أهل الرستاق، يعني أنه من برًّا البلد . ومات السلطان محمود بن سبكتكين في سنة اثنتين وعشرين وأربعمائة وأبو الريحان حيٌّ بغزنة ، وجدت « كتاب تقاسيم الأقاليم » تصنيفه وخطّه وقد كتبه في هذا العام .

ذكره محمد بن محمود النيسابوري فقال[1] : له في الرياضيات السبقُ الذي لم يشقّ المُحْضِرُونَ غباره ، ولم يلحق المضمّرون المجيدون مضماره ، وقد جعل الله الأقسام الأربعة له أرضاً خاشعة سخت[2] له لواقحُ مُزْنِها واهتزَّت به يوانعُ نبتها[3] فكم مجموع له [رفرف] على روض النجوم ظله ، وترقرق[4] على كبد السماء طله . وبلغني أنه لما صنف « القانون المسعودي » أجازه السلطان بحمل فيل من نقده الفضي[5] [إليه] فرده إلى الخزانة بعذر الاستغناء عنه ، ورفض العادة في الاستغناء به ، وكان رحمه الله مع الفسحة في التعمير ، وجلالة الحال في عامة الأمور ، مكبًّا على تحصيل العلوم منصبًّا إلى تصنيفِ الكتب ، يفتح أبوابها ، ويحيط شواكلها وأقرابها ، ولا يكاد يفارقُ يَـدَهُ القلمُ وعينَهُ النـظرُ وقلبَهُ الفكـر إلا في يومي النيـروز والمهرجان من السنة لإعداد ما تمسُّ إليه الحاجة في المعاش ، من بُلْغةِ الطعام وَعُلْقَةِ الرياش ، ثم هجّيراه في سائر الأيام من السنة علمٌ يسفرُ عن وجهه قناعَ الأشكال ويحسر عن ذراعيه كمامَ الاغلاق .

حدث القاضي كثير بن يعقوب البغدادي النحوي في الستور عن الفقيه أبي الحسن علي بن عيسى الولوالجي قال : دخلتُ على أبي الريحان وهو يجود بنفسه ، قد حشرج نَفَسُهُ وضاق به صدره ، فقال لي في تلك الحال : كيف قلتَ لي يوماً حسابَ

---

(1) نزهة الأرواح 2 : 85 .

(2) م : سمت ، والتصحيح عن نزهة الأرواح .

(3) نزهة : واهتدت به بواقع هتنها .

(4) م : وترفرف .

(5) نزهة : من النقرة .

الجذرات[1] الفاسدة ؟ فقلت له إشفاقاً عليه : أفي هذه الحالة ؟ قال لي : يا هذا أُوَدِّعُ الدنيا وأنا عالمٌ بهذه المسألة ، ألا يكونُ خيراً من أن أُخلّيها وأنا جاهلٌ بها ؟ فأعدت ذلك عليه وحفظ وعلمني ما وعد ، وخرجت من عنده وأنا في الطريق ، فسمعت الصراخ .

وأما[2] نباهةُ قدره وجلالةُ خَطَره عند الملوك فقد بلغني من حَظْوَتـه لديهم أن شمسَ المعالي قابوس بن وشمكير أراد أن يستخلصَهُ لصحبته ويرتبطه في داره على أن تكونَ له الإمرةُ المطاعةُ في جميع ما يحويه مِلْكه ، ويشتملَ عليه مُلكه ، فأبى عليه ولم يطاوعه ، ولما أسمحتْ قرونته بمثل ذلك لخوارزمشاه [آواه] في داره وأنزله معه في قصره ، ودخل خوارزمشاه يوماً وهو يشربُ على ظهر الدابة فأمر باستدعائه من الحجرة فأبطأ قليلاً فتصور الأمر على غير صورته ، وثنى العنانَ نحوه ورام النزولَ فسبقه أبو الريحان إلى البروز وناشده اللّٰه ألا يفعل ، فتمثل خوارزمشاه :

العلمُ من أشرفِ الولاياتِ ... يأتيه كلُّ الورى ولا ياتي

ثم قال : لولا الرسوم الدنياوية لما استدعيتك فالعلمُ يعلو ولا يُعلَى . وكأنه سمع هذا في أخبار المعتضد فانه كان يوماً يطوفُ في البستان وهو آخذٌ بيد ثابتِ بن قُرَّةَ الحراني ، إذ جذبها دفعةً وخلّاها ، فقال ثابت : ما بدا يا أمير المؤمنين ؟ قال : كانت يدي فوق يدك والعلمُ يعلو ولا يعلى .

ولما استبقاه[3] السلطان الماضي لخاصّةِ أمره وَحَوْجَاءِ صدره كان يفاوضه فيما يَسْنَحُ لخاطره من أمرِ السماءِ والنجوم ، فيحكى أنه ورد عليه رسولٌ من أقصى بلاد الترك ، وحدَّث بين يديه بما شاهد فيما وراء البحر نحو القطب الجنوبي من دور الشمس عليه ظاهرةً في كلِّ دورها فوق الأرض بحيث يبطل الليلُ ، فتسارع على عادته في التشدد في الدين إلى نسبة الرجل إلى الالحاد والقرمطة ، على براءة أولئك القوم عن هذه الآفات ، حتى قال أبو نصر ابن مشكان : إن هذا لا يذكر ذلك عن رأي

(1) م : الجدات .
(2) النقل مستمر عن نزهة الأرواح .
(3) النقل مستمر عن النزهة .

يرتأيه ، ولكن عن مشاهدة يحكيه ، وتلا قوله عز وجل ﴿ وَجَدَهَا تَطْلَعُ عَلَى قَوْمٍ لَمْ نَجعَلْ لَهُمْ مِنْ دُوْنِهَا سِتراً ﴾ (الكهف: 90) فسأل أبا الريحان عنه فأخذ يصفُ له على وجه الاختصار ويقرّره على طريق الاقناع . وكان السلطان في بعض الأوقات يُحْسِنُ الإصغاءَ ويبذلُ الإنصافَ ، فقبل ذلك ، وانقطع الحديث بينه وبين السلطان وقتئذ .

وأما ابنه السلطان مسعود فقد كان فيه إقبال على علم النجوم ومحبة لحقائق العلوم ، ففاوضه يوماً في هذه المسألة وفي سبب اختلاف مقادير الليل والنهار في الأرض وأحبَّ أن يتّضح له برهانُ ما لم يصحَّ له من ذلك بعيان ، فقال له أبو الريحان : أنت المنفرد اليوم بامتلاك الخافقين والمستحقّ بالحقيقة اسم ملك الأرض فأَخْلِقْ بهذه المرتبة إيثار الاطلاع على مجاري الأمور وتصاريف أحوال الليل والنهار ، ومقدارها في عامرها وغامرها ، وصنَّفَ له عند ذلك كتاباً في اعتبار مقدارِ الليل والنهار بطريقٍ تبعدُ عن مواضعاتِ المنجمين وألقابهم ، ويقرّبُ تصوُّرَهُمْ من فهم من لم يرتَضْ بها ولم يعتدْها ، وكان السلطان الشهيد قد مهر بالعربية فَسَهُلَ وقوفه عليه وأجزل إحسانه إليه . وكذلك صنَّف كتابه « في لوازم الحركتين » بأمره ، وهو كتاب جليلٌ لا مزيدَ عليه مقتبسٌ أكثر كلماته عن آيات من كتاب اللّه عز وجل . وكتابه المترجم « بالقانون المسعودي » يعفِّي على أثر كلِّ كتابٍ صُنِّفَ في تنجيم أو حساب . وكتابه الآخر المعنون بالدستور الذي صنفه باسم شهاب الدولة أبي الفتح مودود بن السلطان الشهيد مستوفٍ أحاسن المحاسن .

قال مؤلف الكتاب : هذا ذكره محمد بن محمود ، وإنما ذكرته أنا هاهنا لأن الرجل كان أديباً أريباً لغوياً له تصانيف في ذلك رأيت أنا منها : كتاب شرح شعر أبي تمام رأيته بخطه لم يتمه . كتاب التعلل باجالة الوهم في معاني نظم أولي الفضل . كتاب تاريخ أيام السلطان محمود وأخبار أبيه . كتاب المسامرة في أخبار خوارزم . كتاب مختار الأشعار والآثار . وأما سائرُ كتبه في علوم النجوم والهيئة والمنطق والحكمة فانها تفوق الحصرَ ، رأيت فهرستها في وقف الجامع بمرو في نحو الستين ورقة بخط مكتنز .

وحدثني بعض أهل الفضل أن السبب في مصيره إلى غزنة أن السلطان محموداً لما استولى على خوارزم قبض عليه وعلى أستاذه عبد الصمد أول بن عبد الصمد

الحكيم واتهمه بالقرمطة والكفر ، فأذاقه الحمام ، وهمَّ أن يُلْحِقَ به أبا الريحان فساعده فُسْحَةُ الأمل بسببٍ خلَّصه من القتل ، وقيل له إنه إمامُ وقته في علم النجوم وإن الملوك لا يستغنون عن مثله ، فأخذه معه ، ودخل إلى بلاد الهند وأقام بينهم وتعلَّم لغتهم واقتبس علومهم ، ثم أقام بغزنة حتى مات بها أرى في حدود سنة ثلاث وأربعمائة عن سن عالية . وكان حَسَنَ المحاضرةِ طيِّب العشرةِ خليعاً في ألفاظه عفيفاً في أفعاله ، لم يأت الزمانُ بمثله علماً وفهماً ، وكان يقول شعراً إن لم يكن في الطبقة العليا فانه من مثله حَسَن ، منه في ذكر صحبة الملوك ويمدح أبا الفتح البستي ، من « كتاب سر السرور » :

مضى أكثرُ الأيامِ في ظلِّ نعمةٍ ... على رُتَبٍ فيها علوتُ كراسيا
فآلُ عراقٍ قد غَذَوْني بدَرِّهم ... ومنصورُ منهم قد تولَّى غراسيا
وشمسُ المعالي كان يرتادُ خدمتي ... على نفرةٍ مني وقد كان قاسيا
وأولادُ مأمونٍ ومنهم عليُّهُمْ ... تبدَّى بصنعٍ صار للحال آسيا
وآخرهم مأمون رفَّهَ حالتي ... وَنَوَّهَ باسمي ثم رأس راسيا
ولم ينقبضْ محمودُ عني بنعمةٍ ... فأغنى وأقنى مغضياً عن مِكاسيا
عفا عن جهالاتي وأبدى تكرماً ... وطرَّى بجاهٍ رونقي ولباسيا
عفاءٌ على دنياي بعد فراقهم ... وواحزني أن لم أزر قبل آسيا
ولما مضوا واعتضتُ منهم عصابةً ... دعوا بالتناسي فاغتنمتُ التناسيا
وخلَّفتُ في غزنين لحماً كمضغةٍ ... على وَضَمٍ للطيرِ للعلم ناسيا
فأبدلتُ أقواماً وليسوا كمثلهم ... معاذَ الهي أن يكونوا سواسيا
بجهدٍ شأوتُ الجالبين أئمة ... فما اقتبسوا في العلم مثلَ اقتباسيا
فما بركوا للبحثِ عند معالمٍ ... ولا احتبسوا في عقدة كاحتباسيا
فسائل بمقداري هنوداً بمشرقٍ ... وبالغربِ من قد قاس قَدْرَ عماسيا
فلم يثنهم عن شكرِ جهدي نفاسةٌ ... بل اعترفوا طراً وعافوا انتكاسيا
أبو الفتح في دنياي مالكُ ربقتي ... فهاتِ بذكراه الحميدةِ كاسيا

فلا زالَ للدنيا وللدين عـامـراً ولا زال فيهـا للغـواةِ مـواسيـا

ومن أقوم شعره قوله لشاعر اجتداه :

يا شاعراً جاءني يخرى على الأدبِ وافى ليمـدحني والـذمُّ من أدبي
وجـدته ضـارطـاً في لحيتي سَفَهاً كـلا فلحيتُـهُ عثنـونهـا ذنبي
وذاكـراً في قـوافي شعـره حَسَبي ولستُ واللّه حقـاً عـارفـاً نسبي
إذ لستُ أعـرف جدّي حقَّ معـرفةٍ وكيف أعرفُ جدي إذ جهلت أبي
إني أبـو لهـب شيـخٌ بـلا أدبٍ نعم ووالـدتي حمـالـةُ الحـطبِ
المـدحُ والذمُّ عنـدي يا أبـا حسنٍ سيّـان مثلُ استـواءِ الجِـدِّ واللعبِ
فـأعفني عنهمـا لا تشتغـلْ بهمـا بـاللّه لا تـوقعَنْ مفسـاك في تعبِ

وله :

ومن حام حول المجدِ غيرَ مجاهدٍ ثوى طاعمـاً للمكرمـاتِ وكاسيـا
وباتَ قريـرَ العينِ في ظلِّ راحـةٍ ولكنـه عن حلةِ المجـد عـاريـا

وله في التجنيس :

فـلا يـغـررْكَ مني لـينُ مسٍّ تـراه فـي دروسٍ واقـتـبـاسِ
فـأنـي أسـرعُ الثـقـلين طـرًّا إلى خوضِ الردى في وقتِ باسِ

ومنه :

تنغصَ بـالتبـاعـدِ طيبُ عيشي فـلا شـيءٌ أمـرُّ مـن الفـراقِ
كتابـك إذ هـو الفـرجُ المـرجّى أطـبُّ لمـا ألـمَّ مـن آلـفٍ راقِ

وله :

أتـأذنـون لصبٍّ في زيـارتكـمْ إن كان مجلسكم خلواً من الناسِ
فـأنتم الناسُ لا أبغي بكم بـدلاً وأنتم الـراسُ والانسانُ بـالراسِ
وكـدُّكُمْ لمعـالٍ تنهضـون بهـا وغيـركم طاعمٌ مستـرجعٌ كـاسي
فليس يعـرفُ من أيسام عيشتـه سوى التلهي بأيـرٍ قام أو كـاسِ
لدى المكايـدِ إن راجت مكايـده ينسَى الإلـهَ وليس اللّه بـالنـاسي

ـ 973 ـ

محمد بن أحمد بن عبيد الله الكاتب المعروف بالمفجع صاحب ثعلب : كذا وجدتُ نسبه بخط الطبري المعروف بمضراب اللبن من أهل البصرة ، ويكنى أبا عبد الله ، ذكره ابن النديم فقال : إنه لقي ثعلباً وأخذ عنه وعن غيره ، وكان شاعراً شيعياً ، وله قصيدة يسميها بالأشباه يمدح فيها علياً عليه السلام ، وبينه وبين ابن دريد مهاجاة ، وذكره أبو منصور الثعالبي في « كتاب اليتيمة » فقال : المفجع البصري صاحب ابن دريد والقائم مقامه في التأليف والاملاء ، حدث ابن نصر قال حدثني بعض المشايخ البصريين قال : كان المفجع وشمال يتهاجيان ، وكان شمال سنياً والمفجع شيعياً ، فقال فيه المفجع :

دار شمالٍ في بني أصمعْ

فقال شمال : كذا هو ، فقال المفجع :

انظر إليها فهي في بَلْقَعْ

قال شمال : أيُّ شيءٍ ذنبي إذا خربت المحلة ؟ قال :

وهو خبيثُ النفسِ مستهترٌ ... بكلِّ أيرٍ قائم أصلعْ

فقال شمال : هو شيعي وكان يجبُ أن ينزه ذكر القائم والأصلع عن لفظ الهجاء ، قال :

وذا قبيحٌ أن يُرَى شاعرٌ ... يناك في السُرْم على أربعْ

قال شمال : وغير الشاعرِ أيضاً قبيح أن يُرى كذا .

ثم عمل فيه شمال يُعَرِّضُ به :

رجلٌ نازلٌ بدربِ سطيحٍ ... أيّ شخص بالليل يركبُ سَطْحَهْ

973 ـ ترجمة المفجع في إنباه الرواة 3 : 312 (محمد بن محمد) والفهرست : 91 (المفجع بن محمد) واليتيمة 2 : 363 ومعجم الشعراء : 429 والوافي 1 : 129 وبغية الوعاة 1 : 31 والمحمدون من الشعراء : 30 (وفيه وردت أكثر الأشعار التي ذكرها ياقوت) ومعجم الطوسي (كلكتا) : 270 ـ 271 (رقم : 594) .

أخـذ اللّه لابنِ عفـانَ منـه ولشيخيـه والـزبيـرِ وطلحـهْ

فلما سمعت ربيعةُ بذلك قصدت دار المفجع فهرب منها .

ومن شعر المفجع[1] :

لـي أيـرٌ أراحنـي اللّه منـهُ صار حزني به عريضاً طـويلا

نـام إذ زارني الحبيبُ عناداً ولعهـدي بـه ينيكُ الـرسـولا

حُسِبَـتْ زورةً عليَّ لِحَيْـني وافتـرقنا ومـا شفيتُ غليـلا

ووجدت له أيضاً فيما رواه الحميدي :

لنا صديقٌ مليحُ الـوجهِ مقتبـلٌ وليس في وده نفـعٌ ولا بَـرَكَـهْ

شبهتـه بنهـار الصيفِ يـوسعنا طـولاً ويمنعُ منّـا النومَ والحـركهْ

وقد هجاه بعض الشعراء فقال[2] :

إنَّ الـمـفـجـعَ ويـلـه شـرُّ الأوائـلِ والأواخـرْ

ومـن الـنـوادرِ أنـه يملي على النـاسِ النوادر

كأنه من قول أبي تمام :

ومـا لك بـالغـريبِ يـدٌ ولكنْ تعاطيك الغـريبَ من الغريبِ

قال المرزباني : لقب بالمفجع ببيت قاله ، وهو شاعر مكثر عالم أديب ، مات قبل الثلاثين وثلاثمائة . قال : وهو القائل في أبي الحسن محمـد بن عبد الـوهاب الزينبي الهاشمي يمدحه[3] :

للزينبيّ على جـلالـةِ قَـدْرِهِ خُلُقٌ كـطعم الماءِ غيـرُ مُزَنَّـدِ

وشهامةٌ تُقْصِي الليوثَ إذا سطا ونـدى يغرِّق كـلَّ بحرٍ مـزبـدِ

يحتـلُّ بيتاً في ذؤابـة هـاشمٍ طـالتْ دعائمه محـلَّ الفـرقـدِ

حرٌّ يروحُ المستميحُ ويغتدي بمـواهبٍ منه تـروحُ وتغتـدي

---

(1) اليتيمة : 363 والمحمدون : 31 .

(2) المحمدون : 31 .

(3) المحمدون : 30

فـإذا تحيَّفَ مـالَـهُ إعـطاؤه   في يومه نهـكَ البقيةَ في غـد
بضيـاءِ سُنَّته المكـارمُ تهتدي   وبجودِ راحته السحائبُ تقتدي
مقدارُ ما بيني ومـا بين الغنى   مقـدارُ ما بيني وبين المـربـدِ

وقال الثعالبي : وأما شعره فقليلٌ كثيرُ الحلاوة يكاد يقطرُ منه ماءُ الظَّرف ، وفيه يقول اللحام[1] :

إن المفجَّـع فالعنـوه بزيتِ[2]   نَغِلٌ يدينُ ببغضِ أهلِ البيتِ
يهـوى العلوقَ وإنمـا يهـواهمُ   بـمؤخـر حـيٍّ وقلبٍ ميـتِ

ومن شعره ويروى لابن لنكك[3] :

لـنـا سـراجٌ نـورُهُ ظـلمـةٌ   ليس لـه ظـلٌّ على الأرضِ
كـأنـه شخصُ الإمـام الـذي   يبغي الهدى منه أولو الرفضِ

وللمفجع تصانيف منها : كتاب الترجمان في الشعر ومعانيه يشتمل على ثلاثة عشر حداً وهي : حدّ الاعراب . حدّ المديح . حد البخل . حد الحلم والرأي . حد الغزل . حد المال . حد الاغتراب . حد المطايا . حد الخطوب . حد النبات . حد الحيوان . حد الهجاء . حد اللغز ، وهو آخر الكتاب . وله أيضاً كتاب المنقذ في الإيمان ، يشبه « كتاب الملاحن » لابن دريد إلا أنه أكبر منه وأجود وأتقن . كتاب أشعار الجواري لم يتم . كتاب عرائس المجالس . كتاب غريب شعر زيد الخيل الطائي . كتاب قصيدته في أهل البيت . ذكره أبو جعفر في مصنفي الإمامية .

ومما أنشده الثعالبي له في غلام يكنى أبا سعد[4] :

زفـراتٌ تعتـادني عنـد ذكـرا   ك وذكـراكَ مـا تـريمُ فـؤادي
وسـروري قد غـاب عنيَ مذ غبـــتَ فهـل كنتمـا على ميعـاد
حـاربتني الأيـام فيـك أبـا سعـــدٍ بسيفِ الهـوى وَسَهْمِ البعـاد

(1) اليتيمة : 363 .
(2) اليتيمة : مؤنث .
(3) اليتيمة : 365 .
(4) اليتيمة : 363 والمحمدون : 31 ـ 32 .

ليس لي مَفْـزَعٌ سوى عَبَـراتٍ من جفونٍ مكحولـةٍ بالسهـاد
في سهادي لطول أنسي بذكرا ك اعتياضٌ من الكرى والرقاد
وبحسبي من المصائبِ أني في بلادٍ وأنتـمُ في بلاد

وله[1] :

ألا يا جامعَ البصر ةِ لا خَرَّبَكَ اللّهُ
وسقّى صحنك الغيثُ من المزنِ فروّاه
فكم من عاشقٍ فيك يرى ما يتمنّاه
وكم ظبيٍ من الانس مليحٍ فيك مرعاه
نصبنا الفخَّ بالعلم له فيكَ فصدناه
بقرآنٍ قرأناه وتفسيرٍ رويناه
وكم من طالبٍ للشعـ ـرِ بالشعر طلبناه
فما زالتْ يدُ الأيا م حتى لان متناه
وحتى ثبت السرجُ عليه وركبناه
ألا يا طالبَ الأمر دِ كـذِّبْ ما ذكرناه
فلا يَغْرُرْكَ ما قلنا فما بالجدِّ قلناه
ولو كان من البغض يُزَنَّى حين يلقاه
فردَّ الدرهم الضربَ اليه يتلقاه
فبالدرهم يُسْتَنْزَ لُ ما في الجو مأواه
وبالدرهم يُسْتَخْرَ جُ ما في القفر مثواه

قال أبو محمد عبد الله بن أبي القاسم عبد المجيد بن شيران بن إبراهيم بن العباس بن محمد بن العباس بن محمد بن جعفر في « تاريخه » قال[2] : وفيها يعني

(1) اليتيمة : 364 والمحمدون : 32 .
(2) المحمدون : 33 ـ 34 .

في سنة سبع وعشرين وثلاثمائة توفي أبو عبد الله محمد بن عبد الله المفجع الكاتب الشاعر ، وكان شاعر البصرة وأديبها ، وكان يجلس في الجامع بالبصرة فيكتب عنه ويقرأ عليه الشعر واللغة والمصنفات ، وامتنع من الجلوس مدةً لسبب لحقه من بعض من حضره ، فخوطب في ذلك فقال : لـو استطعتُ أن أنسيهم أسمـاءهم لفعلت . وشعره مشهور ، فمنه وقد دامتِ الأمطار وقطعت عن الحرَكة :

يـا خـالقَ الخلق أجمعينـا ... وواهـبَ المـالِ والبـنيـنـا
ورافـعَ السبع فـوق سبـعٍ ... لم يستعنْ فيهمـا معينـا
ومـن إذا قـال كُنْ لـشـيءٍ ... لم تقـعِ النونُ أو يكـونـا
لا تسقنا العـامَ صَـوْبَ غيثٍ ... أكـثـرَ من ذا فـقـد روينـا

وله يخاطب أبا عبد الله البريدي وقد أعاد عليه ذكر سبب[1] :

قـل لمن كـان قـد عفـا ... عـن ذنـوبِ المـفـجّـعِ
لا تُعِـدْ ذكـرَ مـا مضى ... مَـنْ عـفـا لـم يُـقَـرِّع

وله وقد سأل بعض أصدقائه أيضاً رقعةً وشعراً له يهنئه في مهرجان الى بعضهم فقصر حتى مضى المهرجان[2] :

إن الكتـاب وان تـضمَّنَ طيـه ... كُنْهَ البلاغةِ كالفصيحِ الأخرسِ
فـإذا أعـانتـه عنـايـةُ حـامـلٍ ... فجـوابـه يـأتي بنجـحٍ مُنْفس
وإذا الـرسولُ وَنَى وقصَّـرَ عامـداً ... كـان الكتـابُ صحيفـةَ المتلمس
قـد فات يـومُ المهرجـانِ فذكـره ... في الشعرِ أبردُ من سَخَاءِ المفلس

فسئل عن سخاء المفلس فقال : يَعِدُ في إفلاسه بما لا يفي به عند إمكانه .

قال[3] : دخل المفجع يوماً إلى القاضي أبي القاسم علي بن محمد التنوخي فوجده [يقرأ] معاني الشعر على العبيسي فأنشد :

---

(1) المحمدون : 34 .
(2) المحمدون : 34 .
(3) المحمدون : 34 ـ 35 .

قد قُدِّمَ العُجْبُ[1] على الرُّوَيْسِ وشارفَ الوهدُ أبا قبيس
وطاول البقلُ فروعَ المَيْسِ وهبَّتِ العنزُ لِقَرْعِ التيس
وادَّعتِ الرومُ أباً في قيس واختلط الناسُ اختلاطَ الحيس
إذ قرأ القاضي حليفُ الكيس معانيَ الشعر على العبيسي

وألقى ذلك الى التنوخي وانصرف .

وكان أبو عبد الله الأكفاني راويته وكتب لي بخطه من مليح شعره شيئاً كثيراً .

قال : ومدح أبا القاسم التنوخي فرأى منه جفاءً فكتب إليه[2] :

لو أعرض الناسُ كلهم وأَبَوْا لم يُنْقِصوا رزقيَ الذي قسما
كان ودادٌ فزال وانصرما وكان عهدٌ فبانَ وانهدما
وقد صحبنا في عصرنا أمماً وقد فقدنا من قبلهم أمما
فما هلكنا هُزْلاً ولا ساختِ الـ ـأرضُ ولم تقطرِ السماءُ دما
في اللّه من كلِّ هالكٍ خَلَفٌ لا يرهبُ الدهرَ من به اعتصما
حرٌّ ظننّا به الجميلَ فما حقَّقَ ظنّاً ولا رَعَى الذمما
فكان ما ذا ما كلُّ معتمدٍ عليه يَرْعَى الوفاءَ والكرما
غلطتُ والناسُ يغلطون وهل تعرفُ خلقاً من غلطةٍ سلما
من ذا إذا أُعْطِيَ السدادَ فلم يُعْرَفْ بذنبٍ ولم يزل قدما
شَلَّتْ يدي لم جلستُ عن تفهٍ أكتب شجوي وأمتطي القلما
يا ليتني قبلها خرستُ فلم أُعْمِلْ لساناً ولا فتحتُ فما
يا زلةً ما أقلتُ عثرتها أبقتْ على القلبِ والحشا ألما
من راعه بالهوانِ صاحبُهُ فعاد فيه فنفسَهُ ظلما

وله[3] :

---

(1) يريد عُجْبَ الذنب ، قدّم على الراس .

(2) المحمدون : 35 .

(3) المحمدون : 36 .

أظهرتُ للرئم بعضَ وجدي وانما الوجدُ ما سترتُهْ
وقلت حُبّيك قد براني فقال دَعْهُ بذا أمرتهْ

وله[1] قصيدته ذات الأشباه ، وسميت بذات الأشباه لقصده فيما ذكره من الخبر الذي رواه عبد الرزاق عن معمر عن الزهري عن سعيد بن المسيب عن أبي هريرة ، قال قال رسول اللّه ﷺ ، وهو في محفل من أصحابه ، إن تنظروا إلى آدم في علمه ، ونوح في همه[2]، وإبراهيم في خلقه، وموسى في مناجاته، وعيسى في سنه، ومحمد في هديه وحلمه ، فانظروا إلى هذا المقبل ، فتطاول الناسُ فإذا هو علي بن أبي طالب عليه السلام ، فأورد المفجع ذلك في قصيدته ، وفيها مناقب كثيرة ، وأولها :

أيها اللائمي لحبي عليّا قم ذميماً إلى الجحيم خزيّا
أبخير الأنام عرَّضتَ لا زلـ ـتَ مذوداً عن الهدى مزويّا
أشبهَ الأنبياءَ كهلاً وَزَوْلاً وفطيماً وراضعاً وغذيّا
كان في علمه كآدم إذا عُلِّـ ـمَ شرحَ الأسماءِ والمكنيّا
وكنوحٍ نَجّى من الهُلْكِ من سـ ـيَّر في الفلك إذ علا الجوديّا
وجفا في رضى الإله أبساه واجتواه وعدَّهُ أجنبيّا
كاعتزالِ الخليل آزرَ في اللّـ ـه وهجرانه أباه مليّا
ودعا قومه فآمن لوطٌ أقربُ الناسِ منه رحماً وريّا
وعليٌّ لما دعاه أخوه سبق الحاضرين والبدويّا
وله من أبيه ذي الأيد إسما عيل شِبْهٌ ما كان عني خفيّا
إنّه عاونَ الخليلَ على الكعـ ـبة إذا شاد ركنها المبنيّا
ولقد عاون الوصيُّ حبيبَ الـ ـله إذ يغسلان منها الصفيّا
رام حمل النبي كي يقطعَ الأصـ ـنامَ من سطحها المثول الخبيّا
فحناه ثقلُ النبوَّةِ حتى كاد ينآد تحته مثنيّا

---

(1) المحمدون : (نفسه) .

(2) المحمدون : فهمه .

فـارتـقى مـنكـبَ النـبـيّ عـليٌّ صنـوه مـا أجـلَّ ذا المـرتقيَّـا
فـأماط الأوثـانَ عن ظاهـر الكعـبـةِ ينفي الـرجـاسَ عنهـا نفيَّـا
ولـو آنّ الـوصيَّ حـاول مسَّ النـجم بـالكفِّ لم يجـده قصيَّـا
أفـهـل تعـرفـون غـيـرَ عـليٍّ وابنـه استـرحـل النبي مـطيَّـا

وشعر أبي عبد الله المفجع كثير حسن .

وكان[1] يوماً بالأهواز جالساً مع جماعة فاجتاز به غلامٌ لموسى بن الطيب نديم أبي عبد الله البريدي يقال له طريف ، وهو أمرد مليح ، فسأل المفجع عنه فقيل : هذا غلام نديم البريدي فقال :

اجتـاز بي اليـومَ في الـطريقِ فتىً يـختـالُ فـي مُـورقٍ من البـانِ
فـقلتُ من ذا فـقـال لـي خَـبـرٌ بـالأمـر هـذا غـلامُ صـفعـانِ

ولأبي[2] عبد الله في جماعة من كبار أهل الأهواز مدائح كثيرة وأهاجٍ ، ولـه قصيدة في أبي عبد الله ابن درستويه يرثيه فيها وهو حيّ يقول فيها ويلقبه بدُهْن الآجُرّ :

مات دُهن الآجُرّ فـاخضرَّتِ الأر ضُ وكـادتْ جبالهـا لا تـزولُ

ويصف أشياء كثيرة فيها .

قال[3] : وكان المفجع يكثر عند والدي ويطيل المقام عنده ، وكنت أراه عنده وأنا صبي بالأهواز ، وله إليه مراسلات وله فيه مدائح كثيرة كنتُ جمعتها فضاعت أيام دخولِ ابن أبي ليلى الأهواز ونُهبت روزناماتها[4]، وكان منها قصيدة بخطّه عندي يقول فيها :

لـو قيل للجـودِ مَنْ مولاكَ قـال نَعَمْ عبـدُ المجيـد المغيـريّ بن شيـران

وأذكر له من قصيدة أخرى :

يـا من أطال يـدي إذ هاضني زمني وصرتُ في المصرِ مجفـوًّا ومطّرحـا

(1) المحمدون : 38 .
(2) المصدر السابق .
(3) المصدر نفسه .
(4) المحمدون : ونهبت دور الناس بها .

أنقذتني من أناسٍ عند دينهم قَتْلُ الأديبِ إذا ما علمه اتضحا

قال : وكانت وفاته قبل وفاة والدي بأيام يسيرة ، ومات والدي في يوم السبت لعشر خلون من شعبان سنة سبع وعشرين وثلاثمائة ، وفيها مات الحراوري الشاعر.

ومن ملحه[1] المشهورة قوله لانسان أهدى إليه طبقاً فيه قَصَبُ السكر والاترنج والنارنج ، وأراه أبا سعد غلامه :

إن شيطانك في الظَّر فِ لشيطانٌ مَريدُ
فلهذا أنت فيه تبتدي ثم تعيد
قد أتتنا تحفةٌ منـ ـك على الحسن تزيد
طبقٌ فيه قدودٌ ونهودٌ وخدود

وأنشد الثعالبي له في غلام مغنٍ جدِّر فازداد حسناً وجمالاً[2] :

يا قمراً جُدِّر حتى استوى فزاده حسناً وزادتْ همومْ
كأنه غنّى لشمس الضحى فنقطته طرباً بالنجومْ

وأنشد له أيضاً[3] :

فسا على قومٍ فقالوا له[4] إن لم تقم من بيننا قمنا
فقال لا عدتُ فقالوا له مِنْ نتن فيه ذا كما كنا

وأنشد له أيضاً[5] :

أداروها ولليلِ اعتكار فخلتُ الليلَ فاجأه النهارُ
فقلتُ لصاحبي والليلُ داجٍ ألاح الصبحُ أم بدتِ العقار
فقال هي العقار تداولوها مشعشعةً يطيرُ لها شرار
فلولا أنني أمتاحُ منها حلفتُ بأنها في الكاس نار

(1) اليتيمة : 364 والمحمدون : 37 .
(2) اليتيمة 2 : 365 .
(3) اليتيمة : 365 .
(4) م : جزنا . . . لنا .
(5) اليتيمة : 365 .

- 974 -

محمد بن أحمد بن سليمان بن أيوب بن غيثة النوقاتي - : بالتاء قبل ياء النسبة - ونوقات محلة بسجستان يقال لها نوها فعربت ؛ يكنى أبا عمر السجستاني ، وهو والد عمر وعثمان ، وصاحب التصانيف المشهورة ، ذكره أبو سعد السمعاني في « كتاب تاريخ مرو » فقال : دخل إلى خراسان ، وكتب بهراة ومرو وبلخ وما وراء النهر ، وسمع الكثير من الشيوخ وأكثر ، واشتغل بالتصنيف وبلغ فيها الغاية ، وكان مرزوقاً فيها محسناً ، جمع من كلِّ جنس وفنّ ، وأحسن في كل التصانيف . سمع أبا عبد الله محمد بن إسحاق القرشي ثم ذكر خلقاً كثيراً منهم الحاكم أبو عبد الله محمد ابن عبد الله بن البيِّع الحافظ وأبو حاتم محمد بن حبّان البستي وأبو يعلى النسفي وأبو علي حامد بن محمد الرفّاء وأبو سليمان الخطابي . وروى عنه ابناه عمر وعثمان.

وله تصانيف كثيرة : منها كتاب آداب المسافرين . كتاب العتاب والاعتاب . كتاب فضل الرياحين . كتاب العلم . كتاب الشيب . كتاب محنة الظراف في أخبار العشاق . كتاب معاشرة الأهلين . وأنشد لنفسه في « كتاب محنة الظراف » :

نمَّتْ دموعي على سرّي وكتماني ... وشرَّد النومَ عن عينيَّ أحزاني
وأقلقتنيَ عما أستعينُ به ... على الهوى حسراتٌ منك تغشاني
يا من جفاني وأقصاني وغادرني ... صبّاً وأشمتَ بي مَنْ كان يلحاني
لا تنسَ أيامَ أُنسٍ قد مننتَ بها ... وداوِ غُلَّةَ قلبٍ فيك أعياني

ومن « كتاب محنة الظراف » مما نسبه أبو عمر إلى نفسه ومن خطّه نقلت :

سأهجركم ما دمتمُ في حجابكم ... على الكرهِ حتى تأمنوا الرقباءَ
مساعدةً منّي لكم لا تصبراً ... ولم يَصبرِ العطشانُ يبصرُ ماءَ

وأنشد أيضاً لنفسه :

أصابك عينٌ بعد فرطك في حبي ... أم آذنبتُ فاستحسنتَ يا سيدي ذنبي

974 - الوافي 2 : 90 .

أحين سلبتَ القلبَ مني صبابةً ... وصيرتني عبداً تجافيتَ عن قربي
سأصبرُ حتى تعجبوا من تصبّري ... وأنتظرُ الحسنى على ذاكَ من ربي

وأنشد السمعاني باسناد له رفعه إلى النوقاتي عن الحسين بن أحمد عن الصولي عن ثعلب عن أبي العالية :

أرى بصري في كلّ يومٍ وليلةٍ ... يكلُّ وخطوي عن مدى الخطوِ يَقْصُرُ
ومن يصحبِ الأيام ستينَ حجةً ... يُغَيِّرْنَه والدهرُ لا يتغير
لعمري لئن أمسيتُ أمشي مقيّداً ... لما كنتُ أمشي مطلقَ القيدِ أكثر

قال : وحدث أبو عمر ابن النوقاتي في رجب سنة اثنتين وثمانين وثلاثمائة فيكون وفاته بعد هذا الشهر .

ـ 975 ـ

محمد بن أحمد بن عمر الخلال أبو الغنائم اللغوي : إمام عالم جيد الضبط صحيح الخط معتمدٌ عليه معتبر ، أخذ عن أبي سعيد السيرافي وأبي علي الفارسي وأبي الحسن الرماني وتلك الطبقة .

ـ 976 ـ

محمد بن أحمد بن طالب الفقيه الأديب الحلبي أبو الحسن : سمع ببغداد أبا بكر ابن دريد وأبا بكر ابن الأنباري وأبا علي ابن الحسين بن أحمد الكاتب المعروف بالكوكبي وأبا عبد الله نفطويه وأبا عيسى محمد بن أحمد بن قطن السمسار ، وبحلب أبا عبد الله أحمد بن جعفر بن أحمد بن ماست الحاضري الحلبي والقاضي أبا حصين. ومات بعد سنة اثنتين وسبعين وثلاثمائة ، قرىء عليه كتابه في هذه السنة ، وله « كتاب الشبان والشيب » أحسنَ فيه .

---

975 ـ بغية الوعاة 1 : 37 .

976 ـ لم أجد له ترجمة .

- 977 -

محمد بن أحمد بن محمد بن أشرس أبو الفتح النحوي اللغوي : أديب فاضل شاعر من أهل نيسابور ، كان من تلاميذ أبي بكر محمد بن العباس الخوارزمي بنيسابور ، وقدم بغداد فلقي بها جماعة من أصحاب أبي علي الفارسي كالربعي علي بن عيسى وأبي الحسن السمسمي وغيرهما ، ذكره الباخرزي في كتابه فقال : حدثني القاضي أبو جعفر البحاثي[1] قال ، حدثني الحاكم أبو سعد ابن دوست قال : كان أبو الفتح ابن أشرس من ناحية الرخّ[2]،وكان يؤدب بنيسابور ويختلف إلى أبي بكر الخوارزمي ، فلما نَزَف ما عنده ارتحل إلى مدينة السلام . قال : فرأيت كتاباً بخطّ يده ، وقد كتب به إلى بعض أصدقائه ، وذكر في أثنائه أن ليس اليوم بخراسان من يقومُ باختيار[3] « فصيح الكلام » لثعلب و « ألفاظ الكتبة » لعبد الرحمن بن عيسى . قال أبو سعد : وكان الخوارزمي يومئذ حياً يرزق ، والألسنةُ بفضله تطلق ، وهذان الكتابان من زَغَبِ فراخ الكتب ، وأنكر معرفة أهلِ خراسان بهما ، فما ظنُّكَ بالقشاعمِ اللقمانية من أمهاتها ؟! وأنشدني القاضي أبو جعفر ، قال أنشدني الحاكم أبو سعد ، قال أنشدني ابن الأشرس لنفسه في أبي الحسن الأهوازي يهجوه :

يا عجباً لشيخنا الأهوازي ... يُزْهَى علينا وهو في هَوَّازِ

قال الحاكم أبو سعد وأنشدني أيضاً لنفسه :

كأنما الأغصانُ لما علا ... فروعَها قطرُ الندى قطرا[4]

ولاحتِ الشمسُ عليها ضحىً ... زبرجدٌ قد أثمر الدرّا

نقد الحاكم أبو سعد على بيته فقال قوله : « قد أثمر الدر » لا يستقيم في النحو لأنه لا يقال أثمرت النخلة الثمر ، وإنما يقال أثمرت ثمراً بغير الألف واللام .

977 - ترجمة ابن أشرس في الوافي 2 : 117 وبغية الوعاة 1 : 41 ودمية القصر 3 : 1502 وإنباه الرواة 4 : 148 - 151 .

(1) هو محمد بن اسحاق البحّاثي .

(2) الرخّ : ربع من أرباع نيسابور .

(3) الدمية : بكتاب .

(4) يقترح إسعاف رحمه الله أن يقرأ : ثرّا .

وكتب ابن أشرس من بغداد إلى أبي الفتح الحداد بنيسابور :

رُبَّ غـلام صـار فـي   بغـداد إحـدى الفتنِ

رقَـعْتُ خَـرْقَ ظـهـره   بـرقـعـةٍ مـن بـدنـي

قال الحاكم : في هذين البيتين خلل لأنه لا يمكن أن يُفَسَّرَ على وجه قبيحٍ لأن لحيته أيضاً من بدنه . قال القاضي البحّاثي : فقلت له وهذا التفسير أشبه لأن اللّحية أشبه بالرقعة من الفعل ، قال : نعم لأن اللحية ترقعُ وذاك يمزق ؛ هذا آخر ما ذكره الباخرزي في كتابه .

قال القاضي أبو المحاسن ابن مسعر المعري[1] في كتابه[2] : وممن قرأت عليه أبو الفتح محمد بن أشرس النيسابوري ، وكان ملازماً دار الخلافة ويأتي يوم الثلاثاء إلى قطيعة الملحم[3] فكنت أصل إليه في هذا الموضع ، وكان واسع العلم غزير الحفظ ، وكان حيًّا في سنة خمس عشرة وأربعمائة ، ولم تتجاوز وفاته سنة عشرين وأربعمائة وما لقيت أحداً من البغداديين يحقق لي وقتَ وفاته فأُثْبتَهُ على الحقيقة .

ـ 978 ـ

محمد بن أحمد بن محمد ، أبو سعد العميدي : أديب نحوي لغوي مصنف سكن مصر .

قال أبو إسحاق الحبال : أبو سعد العميدي له أدبيات ، مات يوم الجمعة لخمس خلون من جمادى الآخرة سنة ثلاث وثلاثين وأربعمائة ، وكان العميدي يتولّى ديوانَ الترتيب وعُزِلَ عنه كما ذكر الروذباري في سنة ثلاث عشرة في أيام الظاهر ، ووليه ابن معشر ، ثم تولى ديوان الانشاء بمصر في أيام المستنصر ، استخدم فيه عوضاً من ولي

978 ـ ترجمة العميدي في إنباه الرواة 3 : 46 والوافي 2 : 75 وبغية الوعاة1 : 47 والمقفي 5 : 294 . وله الابانة عن سرقات المتنبي (مصر1961) .

(1) م : المغربي .

(2) هو كتاب تاريخ العلماء النحويين من البصريين والكوفيين وغيرهم ، وإليه أشير في الحواشي بـ « تاريخ أبي المحاسن » : انظر ص : 22 من هذا الكتاب .

(3) لم يذكر ياقوت هذه القطيعة .

الدولة ابن خيران الكاتب في صفر سنة اثنتين وثلاثين وأربعمائة ، وتولى الديوانَ بعده أبو الفرج الدهلي في جمادى الآخرة من سنة ست وثلاثين وأربعمائة .

وله تصانيف في الأدب ، منها كتاب تنقيح البلاغة في عشر مجلدات ، رأيته بدمشق في خزانة الملك المعظم ، خلّد الله دولته ، وعليه خطه وقد قرىء عليه في شعبان سنة إحدى وثلاثين وأربعمائة . كتاب الارشاد إلى حل المنظوم والهداية إلى نظم المنثور . كتاب انتزاعات القرآن . كتاب العروض . كتاب القوافي كبير .

قال علي بن مشرف : أنشدنا أبو الحسين محمد بن محمود بن الدليل الصواف بمصر قال أنشدنا أبو سعد محمد بن أحمد العميدي لنفسه :

إذا ما ضاق صدري لم أجدْ لي ... مقرَّ عبادةٍ إلا القرافَهْ
لئن لم يرحمِ المولى اجتهادي ... وقلَّةَ ناصري لم ألقَ رافه

ـ 979 ـ

محمد بن أحمد بن محمد بن سلمان بن كامل بن عبد الله بن عامر بن سنان البخاري المعروف بالغنجار الحافظ ، أبو عبد الله بن أبي بكر : لم يكن من أهل الأدب فيجب ذكره ، إنما ذكرته لأنه ألف كتاب « تاريخ بخارا » .

قال أبو سعد السمعاني : مات الغنجار البخاري سنة عشر وأربعمائة ومولده في سنة سبع وثلاثين وثلاثمائة ، ودفن في مقبرة حوض الفدام ببخارا .

قال أحمد بن ماما الأصبهاني الحافظ فيما زاده على تاريخ غنجار ، بعد ذكر نسب غنجار كما ذكرنا ، قال : سُمي غنجاراً لتتبعه وجمعه في حال شبابه أحاديثَ أبي أحمد عيسى بن موسى غنجار البخاري ، قال : وأولُ من كَتَبَ عنه الحديث كثير عن أبي بكر محمد بن أحمد بن حبيب، ومشايخه أكثرهم مذكورون في تصنيفه لتاريخ بخارا، سمعته يقول ولدت سنة سبع وثلاثين وثلاثمائة، ومات يوم الجمعة عند طلوع الشمس الثاني والعشرين من شهر شعبان سنة اثنتين وعشرين وأربعمائة .

---

979 ـ ترجمة الغنجار في أنساب السمعاني 9 : 177 وتذكرة الحفاظ : 1052 وسير الذهبي 17 : 304 والوافي 2 : 60 وطبقات الحفاظ : 412 والشذرات 3 : 196 (وجعل الذهبي وفاته سنة 412) .

- 980 -

محمد بن أحمد بن علي المعمري أبو بكر الأديب : مات في محرم سنة ثمان وعشرين وأربعمائة. قال عبد الغافر : الأديب المعمري مشهور ثقة حدث عن جماعة من الشيوخ ، وكان يؤدب ، وتخرج عليه جماعة من أولاد المشايخ ، سمع أبا حفص محمد بن علي الفقيه إملاء ، روى عنه أبو القاسم عبيد الله بن عبد الله الكريزي .

- 981 -

محمد بن أحمد بن سهل، يعرف بابن بشران وبشران جده لأمه، ويعرف بابن الخالة أيضاً، ويكنى أبا غالب: من أهل واسط أحد الأئمة المعروفين والعلماء المشهورين ، تجمّع فيه أشتات العلوم ، وقرن بين الرواية والدراية والفهم وشدة العناية ، صاحب نحو ولغة وحديث وأخبار ودين وصلاح ، وإليه كانت الرحلةُ في زمانه ، وهو عين وقته وأوانه ، وكان مع ذلك ثقة ضابطاً محرراً حافظاً إلا انه كان مجدوداً أخذ العلم عن خلقٍ لا يُحْصَوْنَ : منهم أبو الحسين علي بن محمد بن عبد الرحمن بن دينار الكاتب صاحب أبي علي الفارسي .

وحدث أبو عبد الله الحميدي قال : كتب إليَّ أبو الحسن علي بن محمد بن محمد الجلّابي الواسطي صديقنا من واسط أن أبا غالب ابن بشران النحوي مات بواسط في خامس عشر رجب سنة اثنتين وستين وأربعمائة ومولده سنة ثمانين وثلاثمائة . قال الجلّابي : ودخلت إليه قبل موته ، وجاءه من أخبره أن القاضي وجماعة معه قد ختموا على كتبه حراسةً لها وخوفاً عليها فقال :

لئن كان الزمانُ عليَّ أنحى بأحداثٍ غصصتُ لها بريقي

---

980 - انظر المنتخب الثاني من السياق ، الورقة 11 ب - 12/أ .

981 - ترجمة ابن بشران في إنباه الرواة 3 : 44 والمحمدون : 89 والبداية والنهاية 12 : 100 والجواهر المضية 2 : 11 ولسان الميزان 5 : 43 والمنتظم 8 : 259 والوافي 2 : 82 والنجوم الزاهرة 5 : 85 والشذرات 3 : 310 وبغية الوعاة 1 : 26 والعبر 3 : 250 وسير الذهبي 18 : 235 وميزان الاعتدال 3 : 459 ودمية القصر 1 : 317 ، 349 وسؤالات الحافظ السلفي : 20 .

فقـد أسـدى إليَّ يـداً بـأني ... عـرفتُ بها عـدوّي من صـديقي

قال : وهذا آخر ما قاله من الشعر .

قال الحميدي : وما أظن البيتين إلا لغيره .

قال : وأنشدنا وقد انقطع الناسُ عن عيادته والدخول إليه :

مـا لي أرى الأبصـارَ بي جـافيه ... لـم تلتفتْ منّي إلى نـاحيـهْ

لا ينـظرُ النـاسُ إلى الميت لا[1] ... وإنـمـا النـاس مـع العـافيـه

ولهِ حظّ وافر من الشعر في قوله وعلمه ، فمن شعره[2] :

لـولا تعرُّضُ ذكـرِ مَنْ سكنَ الغضـا ... مـا كـان قلبي للضنى متعـرضـا

لكن جفـا جفني الكـرى بجفـائهم ... وحشـا حشـاي فـراقُهُمْ جمرَ الغضـا

ولـو آن ما بي بـالريـاح لمـا جَـرَتْ ... والبـرقُ لـو يُمْنَى بـه مـا أومضـا

يـا راكبـاً يـطوي الـدجنَّـة عيسُهُ ... فتريه رضـراضَ الحصى مترضـرضا

بـلّغْ رعـاكَ اللّه سـكـانَ الغـضـا ... عنّي التحيـة إنْ عَـرَضْتَ معـرِّضـا

وقـل آنقضى عصـرُ الشبـاب ووُدُّنـا ... بـاقٍ على مـرِّ الليـالي ما انقضى

إن كـان قد حكم الـزمـانُ ببعـدكم ... أبـداً فتسليمـاً لمـا حكم القضـا

ونضـا الشبـابُ قنـاعَـهُ لمـا رأى ... سيفَ المشيب على المفارقِ منتضى

قـد كنتُ ألقى الدهـرَ أبيضَ ناضـراً ... فـاسـودَّ لمـا صـار رأسي أبيضـا

لـولا اعتـرافي بـالـزمـانِ وريبـه ... مـا كنتُ ممن يرتضي غيـرَ الـرضى

ولـه[3] :

لا تغتـرر بهـوى المـلاح فـربمـا ... ظـهـرتْ خـلائقُ لـلمـلاح قبـاحُ

وكذا السيوفُ يـروقُ حُسْنُ صِقالهـا ... وبـحـدهـا تُـتَخَـطَّفُ الأرواح

---

(1) الأغاني (15 : 111) إلى المبتلى (ونبّه إليه ش : النشاشيبي) والشعر لعلية بنت المهدي .

(2) بعضها في دمية القصر 1 : 318 .

(3) الوافي 2 : 83 .

ولــه :

هـوى النفسِ سكـرٌ والسلوُّ إفــاقـةٌ ... ولن يستبينَ الرشدَ ذو الرشدِ أو يصحو
فدع نصحَ من أعماه عن رشده الهوى ... فــإن سـواءً عنــده الغشُّ والنصـح

ولــه[1] :

ولمــا أثــاروا العيسَ للبـينَ بَـيَّنَـتْ ... غـرامي لمن حـولي دمـوعٌ وأنفـاسُ
فقلت لهم لا بــأسَ بي فـتـعـجـبــوا ... وقــالـوا الــذي أبـديتَــهُ كلُّهُ بـاس
تعوَّضْ بأنسِ الصبرِ من وحشةِ الأسى ... فقد فارق الأحبابَ من قبلك الناس

ولــه :

تــوهمـه قلبي فــأوحى ضميــره ... قَبـولًا فأحكمنـا الهوى بـالسرائـر
فلمـا التقينا شَبَّتِ الحربَ بيننـا ... على السلمِ منـا مقلتاهُ ونـاظري
جرحتُ بلحظي وجنتيه فأقصدتْ ... لــواحـظُهُ قلبي بــأسهمِ ثـائــرِ

ولــه :

سقى اللَّه ليــلًا بتُّ فيــه مغــازلًا ... غزالًا حكى لي وجهه طلعـةَ البدرِ
أصبتُ بـه من غرةِ الـدهرِ فـرصـةً ... فبـادرتها علمـاً بعـاقبــةِ الـدهــر

ولــه :

أفدي الذي عارضا خَـدَّيهِ لم يـدعا ... إذ أعـرضـا جـوهراً مني ولا عـرضَا
ولم يـزل مُمْـرِضي تمـريضُ مقلتـه ... حتى ثناني على فَرْشِ الضنى حَرَضَا
قـال الـوشـاةُ إلى كم ذا الغـرامُ بـه ... فقلتُ حتى أرى من حسنـه عـوضَـا
قـالـوا فقـد كنتَ ذا صبرٍ تعـوذُ بـه ... فقلتُ شَــرَّدَهُ عني الهــوى فمـضى

ولــه[2] :

إن قـدَّم الحظُّ قـومـاً مـا لهم قَــدَمٌ ... في فضـلِ علم ولا حـزمٍ ولا جَلَدِ

---

(1) المنتظم 8 : 259 .
(2) الوافي : 83 .

فهكذا الفلكُ العلويُّ أنجمه ... تقدّمَ الثورُ فيها رتبةَ الأسد

وله :

لما بدا يفتنُ الألبابَ رؤيته ... أبديتُ من حبه ما كنتُ أخفيهِ
وبان عذري لعذّالي فكلهمُ ... إليّ معتذرٌ من عَذْلِهِ فيه
لكن سكرتُ براحٍ من لواحظه ... فما أفقتُ بغيرِ الراحِ من فيه

قال وقد سئل ابن بشران إجازة هذا البيت :

ليس يخفَى عليكَ وجدي عليكا ... واشتكائي شوقي إليك إليكا

فقال :

ونزولُ المشيبِ قبل أوان الشـ ... ـيب في عارضيَّ من عارضيكا
وحياتي لديك في قَبضَةِ الأسْـ ... ـدِ فكنْ حافظاً حياتي لديكا
وعليك اعتمدتُ في حفظِ عهدي ... فَأرعَ لي حرمةَ اعتمادي عليكا
ناظري ناظرٌ إلى جنةٍ منـ ... ـكَ وقلبي في النارِ من ناظريكا

نقلت من خط خميس الحوزي قال ، قال قاضي القضاة أبو الفرج محمد بن عبيد الله بن الحسن قاضي البصرة ، قال : اجتمعت مع أبي غالب ابن بشران في جمادى الأولى سنة ستين وأربعمائة بواسط ، فسألته أولاً عن سبب تجنبه الانتساب إلى ابن بشران وهو به مشهور فقال : هو جدّي لأمي ، وهو ابن عم ابن بشران المحدث الذي كان ببغداد ، فسألته عن مولده فقال : مولدي في سنة ثمانين وثلاثمائة .

قال الحافظ أبو طاهر أحمد بن محمد بن سلفة : وسألته ـ يعني خميس بن علي الحوزي أبا الكرم عن أبي غالب النحوي فقال : هو محمد بن أحمد بن سهل ، يعرف بابن الخالة ، أصله من نهر سابس ، ينسب إلى خاله ابن بشران ، وكان أحد الأعيان قدم واسط فجالس ابن الجلاب وابن دينار وتخصص بابن كروان وقرأ عليه « كتاب سيبويه » ولازم حلقة أبي إسحاق الرفاعي صاحب السيرافي . وكان يقول : قرأت عليه من أشعار العرب ألف ديوان . وكان مكثراً حسنَ المحاضرة مليح العارضة إلا انه لم ينتفع به أحد بواسط ولم يبرع به أحد في الأدب ، وكان جيد الشعر مع ذلك ، رأينا في

كتبه بعدَهُ خطوطَ أشياخ عدة بكتبٍ كثيرة في الأدب وغيره إلا أنه كان معتزليًّا ، وشهد عند إسماعيل قاضي واسط في آخر شوطه وذكر وفاته كما تقدم .

ومن شعره في أمرد التحى :

قالوا التحى من قد براك صدودُهُ ... وَعمَّا قليلٍ سوف عنكَ يُفَرَّجُ
فقلتُ لهم إني تعشقتُ روضةً ... بها نرجسٌ غضٌّ وورْدٌ مضرَّجُ
وقد زاد فيها بعد ذاك بنفسجٌ ... أأتركها إذ زاد فيها بنفسجُ

وله :

طلبت صديقاً في البرية كلها ... فأعيا طلابي أن أصيبَ صديقا
بلى من تسمَّى بالصديق مجازةً ... ولم يكُ في حفظ الودادِ صدوقا
وطلَّقْتُ ودَّ العالمين صريمةً ... وأصبحتُ من أسرِ الحفاظِ طليقا

ومن مستحسن قوله في الشيب :

وقائلة إذ راعها شيبُ مفرقي ... وفوديَّ ما هذا جُعلتُ لك الفدا
تراه الذي خُبِّرْتُ قدماً بأنه ... يصيِّرُ أهلَ الودِّ في صورة العدا
لقد راعني حتى تخيلتُ أنه ... وحاشاك مما قلتُهُ حادثُ الردى
فقلتُ لها بل روضةٌ غاضَ ماؤها ... ونبتٌ أنيقٌ حال إذ بلغ المدى
وإن عشتِ لاقيتِ الذي قد لقيتُهُ ... وأيقنتِ أني لم أكن فيه أوحدا
وكل امرىءٍ ان عاش للشيب عرضةٌ ... وان عفَّ عنه اليومَ جاز به غدا

قال : وكان لابن بشران كتب حسنة كثيرة وقفها على مشهد أبي بكر الصدّيق فذهبت على طول المدى .

وسئل ابن بشران عن مقدَّمةِ العسكر ومقدمة الكتاب فقال : أما مقدمة العسكر فلا خلاف فيه أنه بكسر الدال وأما مقدّمة الكتاب فيحتمل الوجهين ، والوجه حمله على مقدمة العسكر .

وله :

قل للوزير الذي ما في وزارته ... لمن يلوذُ به ظلٌّ ولا شَرَفُ

حتامَ ويلي أنا وقفٌ عليكَ ولي ... إلى سواكَ من الأمجاد مُنْصَرَفُ
كأنني فَرَسُ الشطرنج ليس له ... في ظلِّ صاحبه ماءٌ ولا عَلَفُ

- 982 -

محمد بن أحمد بن علي بن محمد بن يزيد بن حاتم الباوردي النحوي أبو يعقوب : قال أحمد بن محمد بن مرزوق الأنماطي المصري : مات يوم الأربعاء لسبع وعشرين ليلة خلت من ربيع الآخر سنة تسع وأربعين وأربعمائة .

- 983 -

محمد بن أحمد بن محمد الصفار أبو بكر الأديب الأصبهاني : ذكره يحيى بن عبد الوهاب بن منده فقال : كان يختلف إلى [حَلَقِ] الحديث إلى ان مات وكان يعظ الناس مدة ثم اشتغل بالعلم إلى أن مات ، كان أديباً فاضلاً بارعاً في الأدب حسن الخلق مائلاً الى الخيرات . مات في شهر ربيع الأول سنة سبعين وأربعمائة .

- 984 -

محمد بن أحمد المعموري البيهقي الأديب الفيلسوف : مات مقتولاً في شهور سنة خمس وثمانين وأربعمائة، كذا ذكر البيهقي في «كتاب الوشاح» وقال: كان من علية الحكماء والأئمة ، وقد ألقت العلوم إليه أطرافَ الأزمة ، واتفق أنه انتقل إلى اصبهان في خدمة تاج الملك الذي كان وزيراً بعد نظام الملك ، وكان قد نظر في زايرجة طالعه فرأى من التسييرات إلى القواطع وشعاع النحوس ما يدل على الخوف

982 ـ بغية الوعاة 1 : 36 (عن ياقوت) .

983 ـ ترجمة الصفار في إنباه الرواة 3 : 47 .

984 ـ الأرجح أنه هو محمد بن أحمد المعموري الذي وردت ترجمته في تاريخ حكماء الاسلام : 163 ، وأنه أخذ من مخبأه وأحرق حين جرى إحراق أصحاب الجبال والقلاع من الباطنية ، وذكر تفصيلات حول ذلك الحادث ؛ وانظر الوافي 2 : 75 (وهو لا يعدو ما أورده ياقوت) .

والوجل ، فأغلق بابَ داره عليه ، فأخرج وقتل واحرق على سبيل الغلط ، قضاء الله ليس له مردٌّ . ومن منظومه :

دعـاك الـربيـعُ وأيـامُـهُ ألا فـاستمعْ قـولَ داعٍ نصوحْ
يـقـولُ اشـربِ الـراحَ ورديـةً ففي الـراح يا صـاح رَوْحٌ ورُوحْ
وغنّى البـلابـلُ عنـد الصبـاح لأهلِ الشراب: الصبوحَ الصبوحْ

قال ومن تصانيفه : كتاب في التصريف مُجَدْوَل . كتاب في النحو . كتاب في المخروطات والهندسة وغير ذلك .

ـ 985 ـ

محمد بن أحمد بن عبد الباقي بن منصور بن إبراهيم الدقاق أبو بكر المعروف بابن الخاضبة الحافظ العالم : مات فيما نقلت من « المذيل » بخط أبي سعد السمعاني في شهر ربيع الأول سنة تسع وثمانين وأربعمائة ودفن بمقبرة الأجمة المتصلة بباب أبرز .

قال أبو سعد : وكان حافظاً فهماً درس القرآن وتفقه زماناً وقرأ الحديث فأكثر ، وكان مفيدَ بغداد والمشار إليه في القراءة الصحيحة والنقل المستقيم ، وكان مع ذلك صالحاً ورعاً ديناً خيراً ، سمع بمكة والشام والعراق ، وأكثر ببغداد عن أبي بكر أحمد بن علي الخطيب وأصحاب أبي طاهر المخلص وأبي حفص الكتاني وعيسى بن علي الوزير وطبقتهم ، وأدركته المنية قبل وقت الرواية . سمع منه جماعة من مشايخنا ، وسمعوا بقراءته وإفادته الكثير ، ورأيتهم مجمعين على الثناء عليه والمدح له :

والناسُ أكيسُ من أن يمدحوا رجلاً حتى يـروا عنـده آثـارَ إحسـانِ

قال السمعاني : سمعت أبا العلاء أحمد بن محمد بن الفضل الحافظ ، ذكر أبو

985 ـ ترجمة ابن الخاضبة في سؤالات الحافظ السلفي : 102 والمنتظم 9 : 101 وعبر الذهبي 3 : 325 وسير الذهبي 19 : 109 وميزان الاعتدال 3 : 465 وتذكرة الحفاظ 4 : 1224 والمستفاد من ذيل تاريخ بغداد : 5 والوافي 2 : 89 ولسان الميزان 5 : 75 وطبقات الحفاظ : 448 والشذرات 3 : 393 .

الفضل محمد بن طاهر المقدسي ، سمعت أبا بكر محمد بن أحمد بن عبد الباقي الدقاق المعروف بابن الخاضبة يقول : لما كانت سنة الغرق[1] وقعت داري على قماشي وكتبي ، وكان لي عائلة الوالدة والزوجة والبنت ، فكنتُ أورِّقُ للناس وأنفقُ على الأهل ، فأعرفُ أنني كتبت « صحيح مسلم » في تلك السنة سبع مرات ، فلما كان ليلة من الليالي رأيتُ في المنام كأنَّ القيامةَ قد قامت ومنادٍ ينادي ابن الخاضبة ، فأُحْضِرْتُ فقيل لي ادخلِ الجنة ، فلما دخلتُ البابَ وصرتُ من داخل استلقيتُ على قفاي ووضعتُ إحدى رجليَّ على الأخرى وقلت : آه استرحتُ والله من النسخ .

قال السمعاني : وسمعت أبا المناقب محمد بن حمزة بن إسماعيل العلوي بهمذان مذاكرةً يقول : ذكر أبو بكر ابن الخاضبة رحمه الله أنه كان ليلةً من الليالي قاعداً ينسخُ شيئاً من الحديث بعد أن مضى قطعةٌ من الليل ، قال : وكنتُ ضيقَ اليد ، فخرجتْ فأرة كبيرةٌ وجعلت تعدو في البيت ، وإذا بعد ساعة قد خرجت أخرى ، وجعلا يلعبان بين يديّ ويتقافزان إلى أن دنوا من ضوء السراج ، وتقدمت إحداهما إليَّ وكانت بين يديَّ طاسة فأكببتها عليها ، فجاءت صاحبتها فدخل[2] سربه وإذا بعد ساعة قد خرج وفي فيه دينار صحيح وتركه بين يدي ، فنظرت إليه وسكت واشتغلتُ بالنسخ ، ومكث ساعةً ينظر إليّ ، فرجع وجاء بدينار آخر ومكث ساعةً أخرى ، وانا ساكت انظر وأنسخ ، فكان يمضي ويجيء إلى أن جاء بأربعة دنانير أو خمسة ، الشكُّ مني ، وقعد زماناً طويلاً أطولَ من كلِّ نوبة ورجع ودخل سَرَبه وخرج ، وإذا في فيه جُلَيْدةٌ كانت فيها الدنانير وتركها فوق الدنانير ، فعرفتُ أنه ما بقي معه شيء ، فرفعتُ الطاسةَ فقفزا فدخلا البيت ، وأخذت الدنانير وأنفقتها في مهمّ لي ، وكان في كل دينار دينار وربع .

قال السمعاني : حكى أبو المناقب العلوي هذا أو معناه فاني كتبت من حفظي والعهدةُ عليه فيما حكى وروى . فإني ذاكرت بهذه الحكاية بعضَ أهل العلم بدمشق فنسبها إلى غير ابن الخاضبة ، والله أعلم .

قال : وسمعتُ أبا الفضل محمد بن ناصر بن محمد بن علي السلامي يقول :

---

(1) يريد سنة 466 وقد قال ابن الأثير (10 : 90) وفي هذه السنة غرق الجانب الشرقي وبعض الجانب الغربي من بغداد ، وسببه أن دجلة زادت زيادة عظيمة . . الخ .

(2) هكذا تغير الضمير إلى التذكير في سائر النص .

سمعتُ أبا بكر ابن الخاضبة يحكي هذه الحكاية عن مؤدّبه أبي طالب المعروف بابن الدلو كان يسكنُ بنهر طابق وكان رجلاً صالحاً ، وحكى عنه حكاياتٍ أخر أيضاً في إجابة الدعاء ، ولم يحكها ابن الخاضبة عن نفسه ، فذهب على أبي المناقب ولم يكن ضابطاً ، كان متساهلاً في الرواية .

قال مؤلف هذا الكتاب : وهذه حكايةٌ على ما يُرَى من الاستحالة ، وقد أوردتها أنا لثقة موردها وتحريه في الرواية ، فان صَحَّتْ فقد فـزتَ بحظٍ من العجب ، والا فاجعلها كالسمر تستمتع به .

قال السمعاني : وأنشدني أبو صالح عبـد الصمد بن عبـد الرحمن الحنـوي ، أنشدنا محمد بن أحمد بن عبد الباقي الدقاق ، أنشدنا أبو علي إسماعيل بن قلية ببيت المقدس :

كتبتُ إليـك إلـيَّ الكتـاب ... وأودعته منك حسنَ الخطابْ

لتقـرأه أنـت لا بـل أنـا ... وينفـذ مـني إلـيَّ الجـوابْ

قال مؤلف الكتاب : إنما ذكرت ابن الخاضبة في كتابي هذا وان لم يكن ممن اشتهر بالأدب لأشياء منها أنه كان قارئاً ورّاقاً ، وله حكايات ممتعة ، ولم يكن بالعاري من الأدب بالكلية .

- 986 -

محمد بن أحمد بن علي بن حامد الكركانجي أبو نصر المروزي : من أهل مرو ، صاحب أبي الحسين الدهان ، مات فيما ذكره السمعاني في « المذيل » عن ابنه عبد الرحمن الكركانجي قال : توفي الإمام الوالد في ثاني عشر ذي الحجة سنة أربع وثمانين وأربعمائة ، وهو ابن نيف وتسعين سنة . ومولده في حدود سنة تسعين وثلاثمائة بمرو .

986 - ترجمة الكركانجي في الأنساب 10 : 398 والمنتظم 9 : 60 ومعرفة القراء الكبار 1 : 354 وعبر الذهبي 3 : 305 وسير الذهبي 18 : 600 والوافي 2 : 88 والبداية والنهاية 12 : 138 وطبقات ابن الجزري 2 : 72 والنجوم الزاهرة 5 : 133 والشذرات 3 : 372 ومعجم البلدان (كركانج) .

قال : وكان إماماً فاضلاً في علوم القرآن ، صاحب التصانيف الحسنة فيها مثل : كتاب المعول . وكتاب التذكرة لأهل البصرة وغير ذلك . سافر الكثير إلى العراق والحجاز والجزيرة والشام والسواحل في طَلَبِ علم القرآن والقراءة على المشايخ إلى أن صار أوحدَ عصرِهِ وفريدَ دهره في فنه ، وكان مع فضله زاهداً ورعاً متديناً .

قال : حكى لي بعض المشايخ أن أبا نصر المقرىء المروزي قال : غرقتُ نوبةً في البحر وانكسر المركب ، فكنتُ أخوضُ في الماءِ وتلعبُ بي الأمواج ، فنظرتُ إلى الشمس وقد زالت ودخلِ وقتُ الظهر ، فغصتُ في الماء ونويت أداء فرض الظهر وأنا أنزل في الماء ، وشرعتُ في الصلاة على حسب الوقت ، فخلصني الله تعالى ببركة ذلك .

وقرأ القرآن على جماعة كثيرة : منهم بمرو على أستاذه أبي الحسين عبد الرحمن بن محمد بن أحمد الدهان المقرىء ، وبنيسابور على أبي عبد الله محمد بن علي الخبازي وأبي عثمان سعيد بن محمد المعدل ، وببغداد على أبي الحسن علي بن أحمد بن عمر بن حفص بن الحمامي ، وذكر غير هؤلاء .

قال : سمعت أبا عبد الله محمد بن عبد الرزاق المقرىء بسرخس يقول : سمعت أستاذي أبا نصر محمد بن أحمد بن علي المقرىء الكركانجي بجيرنج يسأل ويقول : أين في القرآن كلمة متصلة عشرة أحرف ؟ فأفحمنا ، فقال : لَيَسْتَخْلِفَنَّكُمْ فِي الْأَرْضِ . ثم قال : فأين جاء في القرآن بين أربع كلمات ثمان نونات فلم نحر جواباً فقال ﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآناً عَرَبِيّاً لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُون نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْك ﴾ (يوسف: 2) .

وذكر السمعاني باسناد آخر أن أبا نصر الكركانجي قال : نصف القرآن في قوله تعالى ﴿ لَقَدْ جِئْتَ شَيْئاً نُكْراً ﴾ (الكهف: 74) النون والكاف من النصف الأول والراء والألف من النصف الثاني .

قال : وسمعت المقرىء أبا عبد الله محمد بن عبد الرزاق الحداد بِسَرَخْسَ يقول : سمعتُ المقرىء أبا نصر محمد بن أحمد الكركانجي بجيرنج يقول : أردت أن أقرأ القرآن على بعض القراء بالشام برواية وقعت له عالية ، فامتنع عليَّ ، ثم قال لي : تقرأ عليَّ كلَّ يوم عَشراً وتدفع إليَّ مثقالا من الفضة ، فقبلت ذلك منه شئت أو أبيت ؛ قال : فلما وصلتُ إلى المفصّل أَذِنَ لي كلّ يوم في قراءة سورة كاملة ، وكنت أرسل

غلماني في التجارة إلى البلاد ، وأقمتُ عنده سنةً وخمسة أشهر أو سنة حتى ختمت ، واتفق أن لم يردَّ عليَّ في هذه الرواية خلافاً من جودة قراءتي ، فلما قرب أن أختم الكتابَ جمع أصحابه الذين قرؤوا عليه في البلاد القريبة منه وأمرهم أن يحملَ إليَّ كلُّ واحدٍ منهم شستكةً[1] قيمتها دينار أحمر وفيها من دينارين إلى خمسة ، وقال لهم المقرىء : اعلموا أنَّ هذا الشاب قرأ عليَّ الروايةَ الفلانية ولم أحتجْ أن أردَّ عليه ، ووزن في كلِّ يوم مثقالاً من الفضة ، وأردت أن أعرفَ حرصه في القراءة مع الجودة . وردَّ عليَّ ما كان أخذه مني ، ودفع إليَّ كلَّ ما حمله أصحابه من الشساتك والذهب ، فامتنعت ، فأظهر الكراهيةَ حتى أخذتُ ما أشار إليه وخرجتُ من تلك البلدة .

ـ 987 ـ

محمد بن أحمد الابيوردي الكوفني أحد قراء أبيورد : هو أبو المظفر محمد بن أبي العباس أحمد بن محمد بن أبي العباس أحمد بن إسحاق بن أبي العباس محمد الإمام بن إسحاق بن الحسن أبي الفتيان بن أبي مرفوعة منصور بن معاوية الأصغر بن محمد بن أبي العباس عثمان بن عنبسة [بن] عتبة بن عثمان بن عنبسة بن أبي سفيان صخر بن حرب بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف ؛ نقلت هذا النسب من تاريخ جمعه منوجهر بن اسفرسيان بن منوجهر ابتداه فيما ذكر لي في أوله من بعد ما ذكره الوزير أبو شجاع فقال فيه عند ذكر الأبيوردي : حكي أنه كان من أبيورد ، ولم يعرف له هذا النسب ، وانه كان ببغداد في خدمة مؤيد الملك ابن نظام الملك ، فلما عادى مؤيد الملك عميد الدولة ابن جهير ألزمه أن يهجوه ففعل ، فسعى عميد الدولة إلى الخليفة بأنه قد هجاك ومدح صاحب مصر ، فأبيح دمه فهرب إلى همذان ، واختلق هذا النسب حتى ذهب عنه ما قُرِفَ به من مدح صاحب مصر ، وكان يكتب على كتبه

987 ـ ترجمة الأبيوردي في إنباه الرواة 3 : 49 والمنتظم 9 : 176 ومعجم البلدان (أبيورد) وابن خلكان 4 : 444 وعبر الذهبي 4 : 14 وسير الذهبي 19 : 283 وتذكرة الحفاظ : 1241 والوافي 2 : 91 ومرآة الزمان ، 29 ومرآة الجنان 3 : 196 وطبقات السبكي 6 : 81 والبداية والنهاية 12 : 176 والنجوم الزاهرة 5 : 206 وبغية الوعاة 1 : 40 والشذرات 4 : 18 .

(1) الشستكة : الكيس .

« المعاويّ » ، وكان فاضلاً في العربية والعلوم الأدبية نسابةً ليس مثله ، متكبراً عظيماً ، وسمع سنقر كفجك بخبره فأراد أن يجعله طُغْرائيَّ الملك أحمد ، فمات أحمد ، فرجع إلى أصفهان بحال سيئة ، وبقي سنين يعلم أولاد زين الملك برسق ، ثم شرح سنقر الكفجك للسلطان محمد ذلك وأعطاه إشراف المملكة ، وكان يدخل مع الخطير وأبي إسماعيل والمعين وشرف الدين ، فتوفي فجأة بأصفهان يوم الخميس العشرين من شهر ربيع الأول سنة سبع وخمسمائة ، وكذا ذكر ابن منده ، ويقال : بل سقاه الخطير، ودفن بباب دره[1]، وكان كبير النفس عظيم الهمة لم يسأل أحداً شيئاً قط مع الحاجة والمضايقة ، وكان من دعائه في الصلاة : اللهم ملكني مشارق الأرض ومغاربها . ورثى الحسين عليه السلام بقصيدة قال فيها ، ومن خطه نقلت[2] :

فجدّي وهو عَنْبَسَةُ بنُ صخرٍ بريءٌ من يزيدَ ومن زيادِ

قال السمعاني ، قال شيرويه : سمع الأبيوردي إسماعيل بن مسعدة الجرجاني وعبد الوهاب [بن] محمد بن الشهيد وأبا بكر ابن خلف الشيرازي ، حديثاً واحداً ، وأبا محمد الحسن بن أحمد السمرقندي وعبد القاهر الجرجاني النحوي .

قال ابن طاهر المقدسي : عنبسة الأصغر بن عتبة الاشرف بن عثمان بن عنبسة الأكبر بن أبي سفيان . قال : ومعاوية الأصغر هو الذي ينتسب إليه الأبيوردي ، ومعاوية أول من تديّر كوفن ، وهي قصبة بين نسا وأبيورد ونقله إليها حيان بن حكيم العبدي[3] .

وكتب مرة قصة إلى الخليفة ، وكتب على رأسها الخادم المعاويّ يعني معاوية بن محمد بن عثمان لا معاوية بن أبي سفيان ، فكره الخليفةُ النسبةَ إلى معاوية واستبشعها ، فأمر بكشط الميم وردّ القصة فبقيت الخادم العاوي .

وحدث السمعاني عن أحمد بن سعد العجلي قال : كان السلطان نازلاً على باب همذان فرأيت الأديبَ الأبيورديّ راجعاً من عندهم ، فقلت له : من أين ؟ فأنشأ يقول ارتجالاً[4] :

---

(1) لعله : باب تيره (أخبار أصفهان 1 : 15) .

(2) زاده في الديوان 2 : 153 (عن ياقوت) .

(3) م : حبان . . . العابدي .

(4) زادهما في الديوان 2 : 153 (عن ياقوت وغيره) .

ركبتُ طِرفي فأذرى دَمْعَهُ أسفاً   عند انصرافيَ منهم مضمرَ الياسِ
وقال حتامَ تؤذيني فإن سنحتْ   حوائجٌ لكَ فاركبني إلى الناسِ

وحدث أبو سعد السمعاني عن أبي علي أحمد بن سعيد العجلي المعروف بالبديع قال : سمعت الأبيوردي يقول في دعائه : اللهم ملكني مشارق الأرض ومغاربها ، فقلت له : أي شيء هذا الدعاء ؟ فكتب إليّ بهذه الأبيات[1] :

يعيّرني أخو عِجْلٍ إبائي   على عُدْمي وتيهي واختيالي
ويعلم أنني فَرَطٌ لحيٍّ   حَمَوْا خططَ المعالي بالعوالي
فلست لحاصنٍ إن لم أَزِرْهَا   على نَهَلٍ شَبَا الأَسَلِ الطوال
وإن بلغ الرجالُ مداىَ فيما   أحاوله فلستُ من الرجال

قال أبو علي العجلي : وكنتُ يوماً متكسراً فأردت أن أقوم فعضدني الأبيوردي رعاونني على القيام ، ثم قال : أموياً يعضد عجلياً ، كفى بذلك شرفاً .

وقد ولي الأبيوردي خزن خزانة دار الكتب بالنظامية التي ببغداد بعد القاضي أبي يوسف يعقوب بن سليمان الاسفرائني ، وكانت وفاة الاسفرائني هذا في رمضان سنة ثمان وتسعين وأربعمائة وكان أبو يوسف الاسفرائني أيضاً شاعراً أديباً ، وهو القائل في بهاء الدولة منصور بن مَزْيَد صاحب حلة بني مَزْيَد :

أيا شجراتِ النيل من يضمنُ القِرى   إذا لم يكن جارَ الفراتِ ابنُ مَزْيَدِ
إذا غاب منصورٌ فلا النورُ ساطعٌ   ولا الصبحُ بسّامٌ ولا النجم مهتدي

وحدث العماد محمد بن حامد الأصبهاني في « كتاب خريدة القصر » [أن] الأبيوردي تولى في آخر عمره إشرافَ مملكة السلطان محمد بن ملكشاه ، فسقوه السم وهو واقف عند سرير السلطان ، فخانته رجلاه فسقط وحمل إلى منزله ، فقال[2] :

وقفنا بحيثُ العدلُ مدَّ رواقَهُ   وخيَّم في أرجائِهِ الجودُ والباسُ

(1) من زيادات الديوان 2 : 154 ـ 155 .
(2) من زيادات الديوان 2 : 148 ـ 149 .

وفوق السرير ابنُ الملوكِ محمدٌ　　تخرُّ له من فرط هيبته الناس
فخامرني ما خانني قدمي له　　وإن ردَّ عني نفرةَ الجأشِ إيناس
وذاك مقامٌ لا توفّيه حقَّه　　إذا لم ينبْ فيه عن القدم الراس
لئن عثرتْ رجلي فليس لمقولي　　عثارٌ وكم زلَّتْ أفاضلُ اكياس

قال العماد الأصبهاني : وكان رحمه الله عفيف الذيل ، غير طفيف الكيل ، صائم النهار قائم الليل ، متبحراً في الأدب ، خبيراً بعلم النسب ، وأورد له صاحب « وشاح الدمية » فيه[1] :

من أرتجي وإلى من ينتهي أربي　　ولم أطأ صهوات السبعةِ الشهبِ
يا دهرُ هبنيَ لا أشكو إلى أحدٍ　　ما ظلَّ منتهساً شلوي[2] من النوب
تركتني بين أيدي النائباتِ لقىً　　فلا على حَسَبي تُبْقي ولا نسبي
يريك وجهي بشاشاتِ الرضى كرماً　　والصدرُ مشتملٌ مني على الغضب
إن هزَّني اليسرُ لم أنهضْ على مَرَحٍ　　أو مسَّني الضرُّ لم أجثم على لغب[3]
حسبُ الفتى من غناه سدُّ جَوْعَتِهِ　　وكلُّ ما يقتنيه نُهْزَةُ العطب

وله[4] :

خليليَّ إن الحبَّ ما تعرفانه　　فلا تنكرا أنَّ الحنينَ من الوجدِ
أحِنُّ وللانضاءِ بالغورِ حَنَّةٌ　　إذا ذَكَرَتْ أوطانها بربى نجد

وله[5] :

خطرتْ لذكرك يا أميمةُ خطرةٌ　　بالقلب تجلبُ عبرةَ المشتاقِ
وتذودُ عن قلبي سواكِ كما أبى　　دمعي جوازَ النومِ بالآماق

(1) الديوان 2 : 169 .
(2) م : شكوى .
(3) م : الكعب .
(4) الديوان 2 : 172 .
(5) الديوان 2 : 175 .

لم يُبْقِ منّي الحبُّ غيرَ حُشاشةٍ تشكو الصبابةَ فاذهبي بالباقي
أَيُبِلُّ مَنْ جَلَبَ السقامَ طبيبُهُ ويفيقُ مَنْ سَحَرَتْهُ عينُ الراقي
إن كان طرفُكِ ذاق ريقَكِ فالذي ألقى من المسقيِّ فعلُ الساقي
نفسي فداؤك من ظلومٍ أعطيت رقَّ القلوبِ وطاعةَ الأحداق
فلقلةِ الأشباهِ فيما أوتيتْ أضحت تُدِلّ بكثرةِ العشاق

وله[1] :

علاقةٌ بفؤادي أعقبتْ كمداً لنظرةٍ بمنىً أرسلتها عَرَضا
وللحجيج ضجيجٌ في جوانبه يقضون ما أوجب الرحمنُ وافترضا
فاستنفض[2] القلبَ رعباً ما جنى نظري كالصقرِ ندّاهُ طلُّ الليل فانتفضا
وقد رمتني غداةَ الخيفِ غانيةٌ بناظرٍ إن رمى لم يخطىء الغرضا
لما رأى صاحبي ما بي بكى جزعاً ولم يجدْ بمنىً عن خُلّتي عوضا
وقال دع[3] يا فتى فهْرٍ فقلت له يا سعدُ أَوْدَعَ قلبي طرفُها مرضا
فبتُّ أشكو هواها وهو مرتفقٌ يشوقه البرقُ نجديًّا إذا ومضا
تبدو لوامعه كالسيف مختضباً شباهُ بالدم أو كالعرقِ إن نبضا
ولم يُطِقْ ما أعانيه فغادرني بين النقا والمصلّى عندها ومضى

وقرأت من خط تاج الاسلام اختلافاً في نسبه وهو : محمد بن أحمد بن محمد بن إسحاق بن الحسن بن منصور بن معاوية بن محمد بن عثمان بن عتبة بن عنبسة بن أبي سفيان صخر بن حرب الأموي العبشمي ، أوحد عصره وفريد دهره في معرفة اللغة والأنساب وغير ذلك ، وأليق ما وصف به بيت أبي العلاء المعري :

وإني وإن كنتُ الأخيرَ زمانُهُ لآتٍ بما لم تستطعه الأوائلُ

وله تصانيف كثيرة : منها كتاب تاريخ أبيورد ونسا . كتاب المختلف والمؤتلف .

(1) الديوان 2 : 181 .
(2) م : فاستيقظ .
(3) الديوان : رح .

كتاب قبسة العجلان في نسب آل أبي سفيان . كتاب نهزة الحافظ . كتاب المجتبى من المجتنى في رجال كتاب أبي عبد الرحمن النسائي في السنن المأثورة ، وشرح غريبه . كتاب ما اختلف وائتلف في أنساب العرب . كتاب طبقات العلم في كل فن . كتاب كبير في الأنساب . كتاب تعلّة المشتاق إلى ساكني العراق . كتاب كوكب المتأمل ، يصف فيه الخيل . كتاب تعلّة المقرور في وصف البرد والنيران وهمذان . كتاب الدرة الثمينة . كتاب صهلة القارح ردَّ فيه على المعري « سقط الزند » . وله في اللغة مصنفات ما سبق إليها .

وكان حسن السيرة جميل الأمر منظرانيًّا من الرجال ، سمع الحديث فأكثر ، ولقي عبد القاهر بن عبد الرحمن الجرجاني النحوي وأخذ عنه ، وروى عنه جماعة غير محصورة .

وقال السمعاني : سمعت أبا الفتح محمد بن علي بن محمد بن إبراهيم النطنزي يقول : سمعت الأبيوردي يقول : كنت ببغداد عشرين سنة حتى أمرّنَ طبعي على العربية وبعد أنا أرتضخ لكنة .

قال : وقرأت بخط يحيى بن عبد الوهاب بن منده : سئل الأديب الأبيوردي عن أحاديث الصفات فقال نُقِرُّ ونُمِرُّ .

وأنشد السمعاني للأبيوردي بإسناد :

جدّي معاويةُ الأغرّ سَمَتْ به ... جرثومةٌ من طينها خُلِقَ النبي
وورثْتُهُ شرفاً رفعتُ مناره ... فبنو أميةَ يفخرون به وبي

وأنشد له[1] :

كُفِّي أميمةُ غَرْبَ اللومِ والعَذَلِ ... فليس عِرْضي على حالٍ بمبتذلِ
إن مسّني العدمُ فاستبقي الحياءَ ولا ... تكلفيني سؤالَ العصبةِ السفلِ
فشعرُ مثلي وخيرُ القولِ أصدقه ... ما كان يفترّ عن فخر وعن غزل
أما الهجاءُ فلا أرضى به خلقاً ... والمدحُ إن قلته فالمجدُ يغضب لي

(1) أثبتها في زيادات الديوان 2 : 138 ـ 139 .

وكيف أمدحُ أقواماً أوائلهم كانوا لأسلافيَ الماضين كالخول

وله أيضاً في مدح الأئمة الخمسة(1) :

زاهرُ العودِ رطيبُهْ ولياليه تُشيبُهْ
كلَّ يومٍ من مكانٍ يلبسُ الذلَّ غريبُهْ
وهو يسعى طالباً للـ ـعلم والهمُّ يذيبُهْ
وطوى بُرْدَ صِباه قبل أن يَبْلَى قشيبه
واقتدى بالقوم يدعو هُ هواهُ فيجيبه
خمسةٌ لا يجدُ الحا سدُ فيهم ما يَعيبهْ
منهم الجعفيّ لا يُعْـ ـرَفُ في العلم ضريبه
وإذا اعتلَّ حديثٌ فالقشيريُّ طبيبه
وأخونا ابنُ شعيبٍ حازمُ الرأي صليبهْ
وأبو داودَ موفو رٌ من الفضل نصيبه
وأبو عيسى يرى الجهـ ـميّ منه ما يريبه
جادهم ذو زَجَلٍ يسـ ـتضحك الروضَ نحيبهْ
طار فيه البرقُ حتى خالط الماءَ لهيبه

وأنشد له(2) :

تنكَّرَ لي دهري ولم يدرِ أنني أَعِزُّ وأحداثُ الزمانِ تهونُ
فبات يريني الخطبَ كيف اعتداؤه وبتُّ أريه الصبرَ كيف يكون

له في الغزل(3) :

أَعَضْرَ الحمى عُذْ فالمطايا مُناخةٌ بمنزلةٍ جرداءَ ضاحٍ مقيلها

---

(1) في الزيادات 2 : 152 ـ 153 .
(2) الديوان 2 : 55 .
(3) الديوان 2 : 216 .

لئن كـانتِ الأيـامُ فيـكَ قصيـرةً ... فكم حنـةٍ لي بعدهـا أستـطيلهـا

ولــه[1] :

رمتني غَـداةَ الخيف ليلى بنـظرةٍ ... على خَفَر والعيسُ صُعْرٌ خدودُهَا

شَكَتْ سقماً ألحاظها وهي صحةٌ ... فلست تـرى إلا القلوبَ تعودهـا

ولــه[2] :

صِلِي يا آبنةَ الأشرافِ أروعَ ماجـداً ... بعيــدَ مَنـاطِ الهمِّ جمَّ المســالـكِ

ولا تتــركيــه بين شــاكٍ وشــاكــرٍ ... ومُـطْرٍ ومغتـابٍ وبـاكٍ وضـاحـكِ

فقـد ذلَّ حتى كـاد تـرحمـه العـدى ... ومـا الحبُّ يـا ظبيـاءُ إلا كـذلـك

ووجدت بعد ذلك رسالة كتبها إلى أمير المؤمنين المستظهر بالله يعتذر ، تدلُّ على صحة ما نُسِبَ إليه من الهرب من بغداد ، نسختها : إحسانُ المواقفِ المقدسة النبوية الامامية الطاهرة الزكية الممجدة العلية ، زاد الله في إشراق أنوارها ، وإعزاز أشياعها وأنصارها ، وجعل أعداءها حصائدَ نقمها ، ولا سَلَبَ أولياءَها قلائدَ نعمها ، شملَ الأنام ، وغمر الخاصَّ والعام ، وأحقُّ خدمها بها من انتهج المذاهبَ الرشيدةَ في الولاء الناصع ، والتزم الشاكلةَ الحميدةَ في الثناء المتتابع ، ولا خفاء باعتلاقِ الخادم أهدابَ الاخلاص ، واستيجابه مزايا الاجتباء والاختصاص ، لمـا أسلفه من شـوافعِ الخِدَم ، ومهَّده من أواصرِ الذمم ، متوفراً على دعاءٍ يُصْدِرُهُ من خلوصِ اليقين ، ويعدُّ المواصلةَ به من مفترضاتِ الدين ، ولئن صدَّتِ الموانعُ عن المثول بالسدّةِ المنيفة ، والاستذراءِ بالجناب الأكرم في الخدمة الشريفة ، فهو في حالتي دنوّه منها واقترابه ، وتارتي انتزاحِهِ عنها واغترابه ، على السَّنَنِ القاصد في المشايعة مقيم ، ولما يشمله من نَفَحاتِ الأيام الزاهرة مستديم. وقد علم اللّه سبحانه، ولا يستشهده كاذباً، إلا من كان لرداءِ الغيّ جاذباً ، أنه مطويّ الجنانِ على الولاء ، منطلقُ اللسانِ بالشكر والدعاء ، يتَّشِحُ بهما الصبحَ كاشراً عن نابه ، ويدّرعهما الليلَ ناشراً سابغَ جلبابه ، وكان يغبّ

---

(1) الديوان 2 : 206 .

(2) الديوان 2 : 260 .

خِدَمَهُ اتقاءً لقومٍ يبغونه الغوائل ، وينصبون له الحبائل ، وتدعوهم العقائدُ المدخولةُ إلى تنفيره ، وَيُرَقُّونَ عنه غيرَ ما أجنَّه في ضميره ، ولا يرقبون في مؤمنٍ إلاًّ ولا ذماماً ، ويزيدهم الاستدراجُ على الجرائم جرأةً وإقداماً ، حتى استشعر وجلاً ، فاتخذ الليلَ جملاً ، والتحف بناشئة الظلماء ، والفرار مما لا يُطَاقُ من سنن الأنبياء ، ولم يزلْ يستبطئُ فيهم المقادير ، والأيام ترمزُ بما يُعْقِبُ التبديلَ والتغيير ، فحاق بهم مكرهم ، وانقضت شرتهم وشرهم :

عذرتُ الذرى لو خاطرتني قُرومُها فما بالُ أكارينَ فُدْعِ القوائمِ

وعاود الخادم المثابرةَ على الممادح الإمامية مطنباً ومطيلاً ، إذ وجد إلى مطالعة مقارِّ العزِّ والعظمة ومواقفِ الإمامة المكرمة بها سبيلاً ، وهذه فاتحة ما نظم ، وانتهز فرصة الامكان فيه واغتنم[1] :

لكَ من غليلِ صبابتي ما أُضمر وأُسِرُّ من ألمِ الغرامِ وأُظهرُ
وتذكّري زمنَ العُذَيبِ يَشفُّني والوجدُ ممنوٌّ به المتذكّر
إذ لمّتي سحماءُ مدَّ على التقى أظلالَها ورقُ الشبابِ الأخضر
وَلِداتُكَ النشءُ الصغارُ وليس ما ألقاه فيك من الملاوم يَصْغُر[2]
هو ملعبٌ شَرِقَتْ بنا أرجاؤُهُ إذ نحن في حُلَلِ الشبيبةِ نخطر
فبحرِّ أنفاسي وصوبِ مدامعي أضحتْ معالمه تراحُ وَتُمْطَر
وأجيلُ في تلك المعاهدِ ناظري فالقلبُ يَعْرفها وطرفي ينكر
وأردُّ عبرتيَ الجموحَ لأنها بمقيل سرِّكَ في الجوانح تخبر
فأبيتُ محتضرَ الجوى قلقَ الحشا وأظلُّ أُعْذَلُ[3] في هواك وأُعذر
غضبتْ قريشٌ إذ ملكتَ مقادتي غضباً يكادُ السمُّ منه يقطر
وتعاورتْ عَذْلي فما أرْعَيْتُها سمعاً يقلُّ به الملامُ ويكثر

(1) هي القصيدة رقم : 30 في ديوانه 1 : 339 .
(2) سقط من المتن وزاده المحقق في الحاشية .
(3) م : أعذر .

ولقـد يهـونُ على العشيـرةِ أنـني أشكـو الغـرامَ فيـرقـدون وأسهـر
ويمهجتي هيفـاءُ يـرفـعُ جيـدَهـا رشـأٌ ويخفض نـاظِـرَيْـهـا جُؤْذر
طرقتْ وأجفانُ الـوشاةِ على الكـرى تُـطْوَى وأرديـةُ الغيـاهـبِ تُنْشَـر
والشُهْبُ في غَسَقِ الدجى[1] كأسنّةٍ زرقٍ يصـافحهـا العجـاجُ الأكـدر
فنجـادُ سيفي مسَّ ثِنْيَ وشـاحهـا بمضـاجـعٍ كَـرُمَتْ وعفَّ المئـزر
ثم افتـرقنـا والـرقيـبُ يـروعُ بي أسـداً يـودّعـه غـزالٌ أحـور
والـدرُّ ينـظمُ حين تضحـكُ عِقْـدَهُ وإذا بـكيـتُ فمـن جفـونـي ينـثـر
فـوطئتُ خـدَّ الليـل فـوق مـطهَّمٍ تسمـو لغـايتـه الـريـاحُ فَتَحْسَـرُ[2]
طَـرِبُ العنـانِ كـأنه في حُضْـرِهِ نـارٌ بـمعتَـرِكِ الجيـادِ تَسَـعَّـرُ
والـعـزّ يُلحفنـي وشـائـعَ بُـرْدِهِ حلقُ الـدلاصِ وصـارمي والأشقـر
وعـلام أدّرعُ الـهـوانَ ومـوئـلي خيـرُ الخـلائقِ أحمـدُ المستظهـر
هـو غُـرَّةُ الـزمنِ الكثيـرِ شِيـاتُـهُ زُهِيَ السـريـرِ بـه وتـاه المنبـر
ولـه كمـا اطّـردتْ أنـابيبُ القنـا شَـرَفٌ وعـرقٌ بـالنبـوةِ يـزخـر
وعـلًا تـرفُّ على التقى وسمـاحةٌ عَلِقَ الـرجـاءُ بهـا وبـأسٌ يُحـذر
لا تنفـعُ الصلواتُ مَنْ هـو سـاحبٌ ذيـلَ الـضـلالِ وعـن هـواهُ أزور
ولـو استميلت عنه هـامـةُ مـارقٍ لـدعـا صـوارمَـهُ إليهـا المغفـر
واللّه يحـرسُ بـابنِ عمّ رسـولـه دينَ الهـدى وبـه يُعـانُ وينـصـر
فَعُفَـاتُـهُ حيثُ الغنى يسـعُ المنى وعـداتُـهُ حيـثُ الـقنـا يـتكسـر
وبِـنَـيْـبِـهِ وبـسيـفـه أعـمـارهـمْ في كـلِّ معـضلةٍ تـطولُ وتـقصـر
وكـأنـه المنصـورُ في عَـزَمـاتِـهِ ومحمـدٌ في المكـرمـات وجعفـر
وإذا مـعـدٌّ حصَّـلتْ أنـسـابَـهـا فهم الـذرى والجـوهـرُ المتخيَّـر

---

(1) الديوان : تلمع في الدجى .

(2) لهذا الشطر رواية مختلفة في الديوان .

ولهم وقائعُ في العدى مذكورة ... تروي الذئابُ حديثَها والأنْسُرُ
والسمرُ في اللباتِ راعفةٌ دماً ... والبيضُ يخضبها النجيعُ الأحمر
والقرنُ يركب رَدْعَهُ سَهْلَ الخطا ... والأعوجيّةُ بالجماجم تعثر
ودجا النهارُ من العجاج وأشرقتْ ... فيه الصوارمُ فهو ليلٌ مقمر
يا ابن الشفيع إلى الحيا ما لامرئٍ ... طامنتَ نخوته المحلُّ الأكبر
أنا عبدُ نعمتك(1) التي لا تجتَدى ... معها السحائبُ فهي منها أغزر
والنُّجْحُ يضمنه(2) لمن يرتادها ... منا الطلاقةُ والجبينُ الأزهر
ولقد عداني عن جَنابِكَ حادثٌ ... أنحى عليَّ به الزمانُ الأغبر(3)
وإن اقتربتُ أو اغتربتُ فإنني ... لَهِجٌ بشكرِ عوارفٍ لا تكفر
وعُلاكَ لي في ظلِّها ما أبتغي ... منها ومن كلمي لها ما يُذْخَر
يُسْدِي مديحَكَ هاجسي وينيرُهُ ... فكري وحظّي في امتداحك أوفر
بغدادُ أيتها المطيُّ فواصلي ... عَنَقاً تئنُّ له القلاصُ الضمّر
إني وحقِّ المستجنِّ بطيبةٍ ... كلفٌ بها وإلى ذراها أَصْوَرُ(4)
وكأنني مما تُسَوِّلُهُ المنى ... والدارُ نازحةٌ إليها أنظر
أرضٌ تجرُّ بها الخلافةُ ذيلها ... وبها الجباهُ من الملوك تُعَفَّر
فكأنها جَلَبَتْ(5) علينا جنةً ... وكأن دجلةَ فاض فيها الكوثر
وهواؤها أرِجُ النسيم وتُرْبُها ... مِسْكٌ تَهاداه الغدائرُ أذفر
يقوى الضعيفُ بها ويأمنُ خائفٌ ... قلقتْ وسادتُهُ ويثري المقتر
فتركتها إذ صدَّ عني معشري(6) ... وبغى عليَّ من الأراذلِ معشر

(1) الديوان : أنا غرس أنعمك .
(2) م : يضمنها .
(3) البيت لم يرد في متن الديوان .
(4) أصور : مائل بشوقه إليها .
(5) الديوان : جليت .
(6) الديوان : فصدرت عنها إذ نبا بي (الديوان : نباني) معشري .

من كـلِّ ملتحفٍ بمـا يَصِمُ الفتى ... يـؤذي ويـظلمُ أو يجـورُ ويـغـدر
فنفضتُ منه يـدي مخـافَـةَ كيـدِهِ ... إنَّ الكـريمَ على الأذى لا يصبـر
والأبيضُ المـأثـور يخـطمُ بـالـردى ... من لا ينهنهـهُ القـطيـعُ الأسـمـر
فـارفضَّ شملهـمُ وكم مـن مَـوْرِدٍ ... لـلظالميـن وليس عنـه مَصْـدَر
وأبى لشـعـريَ أن أُدنِّسَـهُ بـهـم ... حسبي وحسبُ ذوي الخنا أن يُحقروا
قـابلتُ سيّءَ ما أتـوا بجميـلِ مـا ... آتـي فـانـي بـالـمكـارم أجـدر
وإلـى أميـر المؤمنيـن تـطلعتْ ... مِـدَحٌ كمـا ابتسم الـريـاضُ تُحَبَّـرُ
ويـقـيـم مـائـدَهُـنَّ لـيـلٌ مـظلم ... ويـضمُّ شـاردَهُـنَّ صبـحٌ مـسفـر
فبمثـل طـاعتـه الهـدايـةُ تُبْتَغى ... وبفضـلِ نـائله الخصـاصـةُ تجبـر

وله(1) :

ألا ليت شعـري هـل تخبُّ مـطيتي ... بحيث الكثيبُ الفردُ والأجرعُ السهلُ
ألـذُّ بـه مسَّ الـثـرى ويـروقنـي ... حـواشي رُبًى يغذو أزاهيـرَها الـوبل
ولـولا دواعـي حُبِّ رمـلةَ لم أَقُـلْ ... إذا زرتُ مغنـاهـا بـه سُقِيَ الـرمـل
فيـا حبـذا أثـلُ العقيقِ وَمَـنْ بـه ... وان رحلتْ عنـه فـلا حَبَّـذا الأثـل
ضعيفةُ رَجْعِ القولِ من تَرَفِ الصبا ... لهـا نظرةٌ تنسيـك ما يفعـلُ النصـل
وقـد بعثتْ سـرّاً إليَّ رسـولـهـا ... لأهجـرهـا والهجـرُ شيمـةُ من يسلو
تخـافُ عليَّ الحيَّ إذ نـذروا دمي ... سـأُرْخِصُـهُ فيهـا على أنـه يـغلو
أيمنعني خـوفُ الـردى أن أزورَهـا ... وأَرْوَحُ من صبري على هجرها القتل
إذا رضيتْ عـني فـلا بـات ليلةً ... على غضبٍ إلا العـشيـرةُ والأهـل

وله(2) :

خـطوبٌ للقلوب بهـا وجيبُ ... تكـادُ لهـا مفـارقنـا تشيبُ

---

(1) أورده في الزيادات 2 : 154 .

(2) في الزيادات 2 : 151 .

نرى الأقدارَ جاريةً بأمرٍ يَريبُ ذوي العقول بما يريب
فتنجحُ في مطالبها كلابٌ وأسدُ الغاب ضاريةً تخيب
وتُقْسَمُ هذه الأرزاقُ فينا فما ندري أتخطىء أم تصيب
ونخضعُ راغمين لها اضطراراً وكيف يُلاطِمُ الإشفا لبيب

وله[1] :

وغادةٍ لو رأتها الشمسُ ما طلعتْ والرئمُ أغضى وغصنُ البانِ لم يَمِسِ
عانقتها بـرداءِ الليلِ مشتملاً حتى انتبهتُ بِبَرْدِ الحلي في الغلس
فظلْتُ أحميه خوفاً أن ينبهها وأتقي أن أذيبَ العِقد بالنفس

وله[2] :

ومتّشحٍ باللؤم جاذبني العلا فَقدَّمَهُ يُسْرٌ وأخَّرني عسرُ
وطوقتُ أعناقَ المقادير ما أتى به الدهر حتى ذلَّ للعَجُزِ الصدر
ولو نيلت الأرزاقُ بالفضلِ والحجى لما كان يرجو أن يثوبَ له وفر
فيا نفسُ صبراً إنَّ للهمِّ فُرْجَةً فما لكِ الا العزّ عندي أو القبر
ولي حَسَبٌ يستوعبُ الأرضَ ذكرُهُ على العُدْمِ والأحسابُ يدفنها الفقر

وله أيضاً وهو من جيد شعره[3] :

وعليلةِ الألحاظِ ترقدُ عن صبٍّ يصافحُ جَفْنَهُ الأَرَقُ
وفؤاده كسوارها حَرِجٌ ووسادُهُ كوشاحها قلق
عانقتها والشهبُ ناعسةٌ والأفْقُ بالظلماءِ منتطق
ولثمتها والليلُ من قِصَرٍ قد كاد يَلْثِمُ فَجرهُ الشفق
بمعانقٍ[4] ألفَ العفافَ به كَرَمٌ بأذيالِ التقى علق

---

(1) الديوان 2 : 30 (رقم : 127) .
(2) الديوان 2 : 60 (رقم : 161) .
(3) الديوان 2 : 92 (رقم : 198) .
(4) الديوان : بمضاجع .

ثم افترقنا حين فاجأنا صبحٌ تقاسم ضوءه الحدق
وبنحرها من أدمعي بَلَلٌ وبراحتي من نشرها عبق

وله :

بيضاءُ إن نَطَقَتْ في الحيِّ أو نظرتْ تقاسَمَ السحرَ أسماعٌ وأبصارُ
والركبُ يسرونَ والظلماءُ عاكفةٌ كأنهم في ضميرِ القلبِ أسرار

وله[1] :

وقصائدٍ مثلِ الرياضِ أَضعتها في باخلٍ ضاعتْ به الأحسابُ
فإذا تناشدها الرواةُ وأبصروا الـ ـممدوحَ قالوا ساحرٌ كذاب

وله[2] :

ما للجبانِ أَلانَ اللّه ساحتَهُ[3] ظنَّ الشجاعةَ مرقاةً إلى الأجلِ
وكم حياةٍ جَنَتْها[4] النفسُ من تَلَفٍ وربَّ أمنٍ حواهُ القلبُ من وَجَلِ
فقتَ الثناءَ فلم أبلغْ مداك به حتى توهمتُ أن العجز من قِبَلي
والعيُّ أَنْ يَصِفَ الورقاءَ مادِحُهَا بالطَّوقِ أو يمدحَ الأدماءَ بالكَحَل

وله[5] :

وقد سئمت مقامي بين شرذمةٍ إذا نظرتُ اليهم قَطَّبَتْ هممي
أراذلٌ ملكوا الدنيا وأوجههم لم يكشفِ الفقرَ عنها بهجةُ النعم

وله :

أُلامُ على نجدٍ وأبكي صبابةً رويدكَ يا دمعي ويا عاذلي رفقا
فلي بالحمى من لا أطيقُ فراقَهُ به يَسْعَدُ الواشي ولكنّني أشقى

---

(1) في الزيادات 2 : 151 .
(2) الديوان 1 : 215 ، 223 .
(3) الديوان : جانبه .
(4) م : حبتها .
(5) في الزيادات 2 : 158 .

وأُكرمُ من جيرانه كلَّ طارىء	يودُّ وداداً أنه من دمي يُسْقَى
اذا لم يدعْ مني نواهُ وحبُّهُ	سوى رَمَقٍ يا أهلَ نجدٍ فكم يبقى
ولولا الهوى ما لان للدهر جانبي	ولا رضيتْ مني قريشٌ بما ألقى

قرأت بخط محمد بن عبيد الله الشاعر المعروف بابن التعاويذي قال ، حدثني الشيخ أبو محمد عبد الله بن أحمد بن أحمد بن الخشاب قال ، حدثني الشيخ أبو منصور ابن الجواليقي قال : كنت أقرأ على أبي زكريا شعر أبي دهبل الجمحي حتى وصلت إلى هذا البيت[1] :

يجولُ وشاحاها ويغربُ حجلها	ويشبعُ منها وَقْفُ عاجٍ وَدُمْلُجُ

قال فقلت له : وصفها بقوله يجولُ وشاحاها بأنها هضيمة الحشا ، وبقوله ويشبع منها وقف عاج ودملج أنها عبلة الزند والعضد ، فما معنى قوله ويغربُ حجلها ؛ فقال : لا أدري ، وكان الأبيوردي حاضراً ، فلما قمتُ من عنده قال لي الأبيوردي : أتحبُّ أن تعرفَ معنى هذا البيت ؟ قلت : نعم ، فقال : اتبعني ، فمضيت معه إلى بيته فأجلسني وأخرج سلَّة فيها جُزاز فجعل يطوفها إلى أن أخرجَ ورقة فنظر فيها وقال لي : إنه مدح امرأةً من آل أبي سفيان وهم يوصفون بأنهم سُتْهٌ حُمْشٌ ، والحَمَشُ دقَّةُ الساقين.

ومن افتخاراته قوله[2] :

يا مَنْ يساجلني وليس بمدركٍ	شأوي وأين له جلالةُ منصبي
لا تتعبنَّ فدون ما أمَّلْتَهُ	خَرْطُ القتادةِ وامتطاءُ الكوكب
المجدُ يعلمُ أيّنا خيرٌ أباً	فاسأله تعلم أيَّ ذي حَسَبٍ أبي
جدّي معاويةُ الأغرُّ سَمَتْ به	جرثومةٌ من طينها خُلِقَ النبي
وورثته شرفاً رفعتُ منارَهُ	فبنو أميةَ يفخرون به وبي

قال عبد الله بن علي التيمي : ولقد حصل للأبيوردي بعد ما تراه من شكوى

(1) شعر أبي دهبل : 57 .
(2) في الزيادات 2 : 152 .

الزمان في أشعاره مما انتجعه بالشعر من ملوك خراسان ووزرائها وخلفاء العراق وأمرائها ما لم يحصل للمتنبي في عصره ولا ابن هانىء في مصره ، فمن ذلك ما حدثنيه القاضي أبو سعد محمد بن عبد الملك بن الحسن النديم أن أفضل الدولة الأبيوردي لما قدم الحلةَ على سيف الدولة صدقةَ ممتدحاً له ، ولم يكن قبلها اجتمع به قط ، خرج سيف الدولة لتلقيه . قال : وكنت فيمن خرج ، فشاهدت الأبيوردي راكباً في جماعة كثيرة من أتباعه منهم من المماليك الترك ثلاثون غلاماً ، ووراءه سيف مرفوع ، وبين يديه ثمان جنائب بالمراكب والسرفسارات[1] الذهب ، وعددنا ثقله فكان على أحد وعشرين بغلاً، وكان مهيباً محترماً جليلاً معظماً لا يخاطب إلا بمولانا ، فرحب به سيف الدولة ، وأظهر له من البر والاكرام ما لم يُعْهَدْ مثلُهُ في تلقّي أحدٍ ممن كان يتلقاه ، وأمر بانزاله وإكرامه والتوفر على القيام بمهامّه ، وحمل إليه خمسمائة دينار وثلاثة حصن وثلاثة أعبد . وكان الأبيوردي قد عزم على إنشاد سيف الدولة قصيدته التي يقول فيها :

وفي أي عطفيك التفتَّ تعطَّفَتْ ... عليكَ به الشمسُ المنيرةُ والبدر

في يوم عيّنه ، ولم يكن سيف الدولة أعدَّ له بحسب ما كان في نفسه أن يلقاه به ويجيزه على شعره ، واعتذر إليه ووعده يوماً غير ذلك اليوم ليعدَّ ما يليق بمثله اجازته مما يحسن به بين الناس ذكره ، ويبقى على ممرّ الأيام أثره ، فاعتقد أفضل الدولة أنّ سيف الدولة قد دافعه عن سماعه منه استكباراً لما يريد أنْ يصله به ثانياً ، فأمر الأبيوردي أصحابه أن يُعْبروا ثَقَلَهُ الفرات متفرقاً في دفعات ، وخرج من غير أن يعلم به أحد سوى ولد أبي طالب ابن حبش فانه سمعه ينشد على شاطىء الفرات حين عبوره :

أبابلُ لا واديكِ بالخيرِ مفعمٌ ... لراجٍ ولا ناديك بالرفدِ آهلُ
لئن ضقتِ عني فالبلادُ فسيحةٌ ... وحسبكِ عاراً أنني عنكِ راحلُ
فان كنتِ بالسحرِ الحرامِ مُدِلَّةً ... فعندي من السحر الحلالِ دلائلُ
قوافٍ تعيرُ الأعينَ النجلَ سحرها ... وكلُّ مكانٍ خَيَّمَتْ فيه بابلُ

فبادر ولد أبي طالب إلى سيف الدولة فقال له : رأيتُ على شاطىء الفرات فارساً

(1) السرفسار : اللجام .

يريدُ العبورَ إلى الشرق وهو ينشد هذه الأبيات ، فقال سيف الدولة : وأبيك ما هو إلا الأبيوردي ، فركب لوقته في قلٍّ من عسكره ، فلحقه فاعتذر وسأله الرجوع وعرَّفه عذره في امتناعه من سماع شعره ، وأمر بانزاله في داره معه ، وحمل إليه ألف دينار ومن الخيل والثياب ما يزيد على ذلك قيمة .

قال عبيد الله التيمي أنشدني أبو إسحاق يحيى بن إسماعيل المنشىء الطغرائي قال : سمعت والدي ينشد لنفسه مرثية للأبيوردي :

إنْ ساغَ بعدك لي ماءٌ على ظمأٍ ... فلا تجرعتُ غيرَ الصابِ والصَّبِرِ
أو إن نظرتُ من الدنيا إلى حَسَنٍ ... مذ غبتَ عنّي فلا مُتّعْتُ بالنظرِ
صحبتني والشبابُ الغضُّ ثم مضى ... كما مضيتَ فما في العيشِ من وطرِ
هبني بلغتُ من الأعمار أطولها ... أو انتهيت إلى آماليَ الكُبَرِ
فكيف لي بشبابٍ لا ارتجاعَ له ... أم أين أنت فما لي منك من خبرِ
سبقتماني ولو خُيِّرت بعدكما ... لكنتُ أولَ لحَّاقٍ على الأثرِ

- 988 -

محمد بن أحمد بن طاهر بن حمد أبو منصور الخازن لدار الكتب القديمة : من ساكني درب منصور بالكرخ ، مات في ثالث عشر شعبان سنة عشر وخمسمائة ، ذكر ذلك ابن الجوزي وقال : كان أديباً فاضلاً نحوياً ، وخطه موجود بأيدي الناس كثير يُرْغَبُ فيه ويعتمد غالباً عليه، وكان أبو السعادات ابن الشجري النحوي والنقيب حيدرة كثيراً ما يستكتبانه . سمع علي بن المحسن التنوخي وابن غيلان وغيرهما ، وكان فقيهاً على مذهب الشيعة ، ووجدت سماعه على كتاب بخطه في سنة اثنتين وثلاثين وأربعمائة .

988 - أبو منصور الخازن عرفه أبو العلاء لما زار بغداد وأرسل إليه الرسالة التاسعة عشرة من المجموعة التي نشرها مرغوليوث ، وله ترجمة في المنتظم 9 : 189 وانظر الهفوات النادرة : 69 فقد أورد قصة تدل على غفلة هذا الخازن ، والقصة التي أوردها ياقوت جاءت في الكتاب نفسه : 143 .

وحدث غرس النعمة أبو الحسن محمد بن الصابىء في « كتاب الهفوات » قال : كان بدار العلم التي وقفها سابور بن أردشير الوزير خازن يعرف بأبي منصور ، واتفق بعد ذلك بسنين كثيرة من وفاة سابور أن آلت مراعاة الدار إلى المرتضى أبي القاسم علي بن الحسين الموسوي نقيب الطالبيين، فرتَّبَ معه آخرَ يُعْـرَفُ بأبي عبـد اللّٰه ابن حَمْدٍ مُشْرِفاً عليه ، وكان داهية ، فصمد لأبي منصور[1] كيداً ومكراً ، فصار يتلهى به دائماً ، فمن ذلك أنه قال لـه يومـاً ، قد هلكت الكتب وذهب معـظمها ، فقـال له وانزعج ، بأي شيء ؟ قال : بالبراغيث وعيثهم فيها وعبثهم بها ، قال : فما نفعل في ذلك ؟ قال : تقصد الأجلَّ المرتضى وتطالعه بالحال وتسأله إخراجَ شيء من دوائهم المعدِّ عنده لهم لننشره بين الورق ويؤمن الضرر . فمضى إلى المرتضى وخدمه وقال له بسكون ووقار ومن طريق النصح والاحتياط : يتقدمُ سيدنا إلى الخازن باخراج شيءٍ من دواءِ البراغيث فقد أشرفتِ الكتبُ على الهلاك بهم لنتدارك أمرهم بتعجيل إخراج الدواء المانع لهم المبعد لضررهم ، فقال المرتضى : البراغيث البراغيث ، مكرراً ، لعن اللّٰه ابنَ حمدٍ فأَمْرُهُ كله طَنْزٌ وَهَزْلٌ ، قم أيها الشيخ مصاحَباً ولا تسمعْ لابن حمد نصيحةً ولا قولاً .

قال المؤلف : هكذا وجدت هذا الخبر ، وقد وافق روايةَ ابن الجوزي في كون ابن حمد خازن الكتب بين السورين وفي مقاربة العصر وخالفه في الكنية ، ولا أدري هل هو هذا أو غيره أو قد غلط أحدهما في الكنية، والله أعلم .

ثم وقفت على « المـذيل » الـذي للسمعاني بخـطه على حـاشيـة ملحقـة أنّ محمد بن عطاف الموصلي سأل أبا منصور بن حمد الخازن عن مولده فقال سنة ثماني عشرة وأربعمائة ، قال : وسأله غيري فقال سنة سبع عشرة وأربعمائة ، وهذا يدل على أن هذه الحكاية ليست عنه لأن المرتضى مات سنة ست وثلاثين وأربعمائة فيكون حينئذ قد كان ابن حمد ابن اثنتي عشرة سنة فيستحيل أن تكونَ الحكايةُ عنه وعساها عن أبيه ، واللّٰه عز وجل أعلم بالصواب .

---

(1) الهفوات : وضد أبي منصور .

محتويات الجزء الخامس

الموضوع	الصفحة

[تتمة تراجم العين]

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع | الصفحة

الموضوع | الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

بسم الله الرحمن الرحيم

- 989 -

محمد بن أحمد بن جوامرد الشيرازي، أبو بكر القطان النحوي: شيخ أبي محمد عبد الله بن أحمد بن أحمد بن الخشاب ومخرّجه ومؤدّبه وعنه أخذ النحو. قرأ ابن جوامرد على علي بن فضال المجاشعي القيرواني(1) وعلى غيره، وسمع الحديث ورواه، ومات بعد سنة عشر وخمسمائة. قال الشيخ أبو محمد ابن الخشاب فيما قرأته بخطه: كان في أبي علي الحسن بن علي المحوّلي شيخنا سلامةُ صدر، ولقد كان شيخنا أبو بكر محمد بن جوامرد الشيرازي المعروف بالقطان رحمه اللّه يُولَعُ به وبغيره كثيراً، فكان يقول معرِّضاً به وبغيره ممن هو أعلى منه منزلةً وأرفعُ ذكراً وأبعدُ صيتاً، فكان من قوله: ما عُبِّر عن البلادة والجمود بأحسنَ من قولهم هو ثقة. وله - أعني الشيخ أبا بكر - مع هذا المحولي نوادرُ وأقاصيصُ لا أُطوِّلُ بذكرها.

- 990 -

محمد بن أحمد بن حمزة بن جيا أبو الفرج: من أهل الحِلَّةِ المَزْيَدِيّة، يُلَقَّبُ شرف الكتّاب، كان نحوياً لغوياً فطناً شاعراً مترسلاً، شعره ورسائله مدونة، قدم بغداد فقرأ على النقيب أبي السعادات هبة اللّه ابن الشجري النحوي وأخذ عنه،

989 - ترجمة ابن جوامرد في إنباه الرواة 3: 52 وبغية الوعاة 1: 22.

990 - ترجمة ابن جيا في الوافي 2: 112.

(1) انظر الترجمة رقم: 797.

ثم أخذ بعده عن أبي محمد ابن الخشاب، وسمع الحديث على القاضي أبي جعفر عبد الواحد بن أحمد بن الثقفي ، وأصله ومولده من مطيراباذ ، وصحب ابن هبيرة الوزير ، وله رسائل مدونة عملها أجوبةً لرسائل أبي محمد القاسم بن الحريري . حدثني أبو علي القيلوي قال : أنا رأيته ، ومات في سنة تسع وسبعين وخمسمائة وقد نيف على الثمانين .

أنشدني ابن الدبيثي قال ، أنشدني أبو الثناء محمود بن عبد الله بن المفرج الحلي قال ، أنشدني شرفُ الكتاب أبو الفرج محمد بن أحمد بن جيا لنفسه :

حتّامَ أجري في ميادين الهوى ... لا سابقٌ أبداً ولا مسبوقُ
ما هزّني طَرَبٌ إلى أرض الحمى ... الا تَعَرَّضَ أجرعٌ وعقيقُ
شوقٌ بأطرافِ البلادِ مُفَرِّقٌ ... يحوي شتيت الشملِ منه فريقُ
ومدامعٌ كفلت بعارضِ مُزْنةٍ ... لمعتْ لها بين الضلوع بروقُ
فكأن جفني بالدموع موكّلٌ ... وكأن قلبي للجوى مخلوقُ
قدم الزمانُ فصار شوقي عادةً ... فليتركنَّ دلالَهُ المعشوقُ
قد كان في الهجرانِ ما يَزَعُ الهوى ... لو يستفيقُ من الغرام مشوقُ
لكنني آبى لعهدي أنْ يُرَى ... بعد الصفاءِ وَوِرْدُهُ مطروقُ
إن عادتِ الأيامُ لي بطويلعٍ ... أو ضمني والنازحينَ طريقُ
لأنبّهنَّ على الغرام بزفرتي ... ولتطربنَّ بما أبثُّ النوقُ

حدثني أبو علي القيلوي قال : سمعت شرف الكتاب يحدّث أنه كان يوماً في مجلس الوزير عون الدين يحيى بن هبيرة ، فجاءه فرّاش من دار الخلافة وحدَّثه بمحضري شيئاً كان يحب كتمانه من كلِّ أحد ، قال : واتفق خروجُ الفراش وقد اجتمع عنده الناس ، فَشُغِلَ بهم عني ، وقمتُ أنا وخرجتُ ومضيت ، فما وصلتُ بابَ العامة حتى جاءني من ردَّني إلى حضرته ، فلما وقفتُ بين يديه قلت : أحسنَ اللّه إلى مولانا الوزير وأدام أيامه ، بيت الحماسة ، فقال : نعم آمضِ بارك اللّه فيك كذا الظنُّ بمثلك ؛ قال : وخرجت من عنده ولم يفهم أحد شيئاً مما جرى بيننا ، وإنما أردتُ قولَ

شاعرِ الحماسة[1] :

وفتيانِ صدقٍ لستُ مُطْلِعَ بعضهم　على سرِّ بعضٍ غيرَ أني جماعها

ومن شعره :

أما والعيونِ النجلِ تُصْمي نبالها　ولمعِ الثنايا كالبروقِ تخالها
ومنعطفِ الوادي تأرَّجَ نشرُهُ　وقد زار في جنحِ الظلامِ خيالها
وقد كان في الهجرانِ ما يَزَعُ الهوى　ولكنْ شديدٌ في الطباع انتقالها

ومنها :

أيا ابنَ الألى جادوا وقد بخلَ الحيا　وقادوا المذاكي والدماءُ نعالها
ذُدِ الدهرَ عنّي من رضاك بعزمةٍ　مُعَوَّدةٍ ألا يُفَلَّ رعالها

ووجدت بخط بعض بني مُعيّة العلويين الحسنيين : أنشدني الشيخ أبو الفتح ابن جيا الكاتب لنفسه :

قل لحادي عشرِ البروج أبي[2] العا　شرِ منها ربِّ القِران[3] الثاني
يا ابنَ شكران ضلةً لزمانٍ　صرتَ فيهُ تُعدُّ في الأعيانِ
ليس طبّي ذمُّ الزمانِ ولكنْ　أنت أغريتني بذمِّ الزمانِ

ومن كلامه في جواب رسالة لابن الحريري كتبها إلى سديد الدولة ابن الأنباري يشكره : سيدنا الشيخ الإمام في توالي مبارِّهِ والقصورِ مني في تأديةِ حقّه وإيفائه كمن يقرضُ غريماً مع عسرته ، ويتكثر بمن أفرده الزمانُ عن أهله وأسرته ، فهلّا اقتصر بي من دَينه على ما تقادم عهده ، ولم يشفعه بطَوْلٍ أضعف قُوَى شكري وكان مستحكماً عقدُهُ[4] :

أنت امرؤٌ أوليتني[5] مننـاً　أوهتْ قوى شكري فقد ضعفا

---

(1) الحماسة شرح المرزوقي رقم : 399 لمسكين الدارمي وانظر ديوانه: 52 .
(2) م : أبا .
(3) م : القرون .
(4) الأبيات لأبي نواس في ديوانه : 471 .
(5) الديوان : جللتني .

فـاليـكَ بعـد اليـوم معـذرتي لاقتك[1] بالتصـريح منكشفـا
لا تُسْـدِينَّ[2] إلـيَّ عـارفـةً حتى أقـومَ بشكـر مـا سلفـا

فأما ما يعزوه إليَّ من البراعةِ وحسن الصناعة ، ويقرّره من الإحسان كان الطيُّ به أولى من الإذاعة ، فتلك حالٌ إن ثبت فيها الدعاوي ، واتفق على صحة نقلها المخالف والموالي، فإنما جريت إليها بجيادٍ هنَّ التوالي لسوابقه، الصوادي إلى مناهل حقائقه، وأين الرذايا بعد ذلك من السابقات ، والمقصّرة من اللاحقات ، والمُقْرِفَةَ من كريماتِ المناسب ، والمكدية مطالبها من نجيحات المكاسب :

سبقتَ إلى الآداب أبنـاءَ دهـرنـا فبؤتَ بعـاديٍّ على الدهـر أقدمِ
وليستْ كما أبقت ضُبَيْعَةُ أضجمٍ وليست كما سادتْ قبائلُ جرهمِ
ولكنَّ طَـوْداً لم يُحَلْحَـلْ رسيُّـه وفـارعـةً قعسـاءَ لـم تتسنـمِ
إذا مـا بناءٌ شـاده الفضلُ والتقى تهـدَّمَتِ الـدنيـا ولم يتهـدَّمِ

فاللّه تعالى يحرسُ عليه ما خوَّله من هذه الخصائص النفيسة والمنح الشريفة ، ولا تعدم القلوبُ الراحةَ بمحاضرته ، كما لم يخله من النصر إذا أشرعَ رماح الجدل يومَ مناظرته، بمنه وجوده؛ فأما اعتذاره عن إنفاذ ذلك التأليف، وانكارُهُ للفراغ منه بعد التعريف ، فما يخفى ما وراءَ ذلك من المغالطة ، وما يقصده في كلِّ وقتٍ من قَطْعِ حبال المباسطة ، ولولا أن المعاتبةَ إذا حَقَّتْ قلما يسلم معها وداد ، ويجود في مطاويها من الصفاء عهاد :

لأرسلتها مقطوعـةَ العقل تَغْتَـدِي شـواردَ قـد بـالغن في الجَـوَلانِ
قوارصَ تَبْقَى ما رأى الشمسَ ناظرٌ ومـا سمعتْ من سـامـعٍ أُذُنـانِ

لكن المقصودُ ما عاد باجمام خاطره وصفاءِ مشاربه ، والا أكون عليه عوناً للدهر ونوائبه ، لا سيّما وقد رأيتُ الصبر على فعاله ، أيسرَ من الصبر على ترك وصاله ، فأما الملحة فانني وجدتُها عندَ الوصولِ كما سماها غريبةً في لفظها ومعناها ، عاريةً من لبسة التكلف ، بعيدةً عن التصنع ، تقتاد القلوب بأزمتها . وما كان أولاه لو قرنها إلى

---

(1) الديوان : تقدمة وافتك .
(2) الديوان : لا تحدثن .

ذلك العقد المكنون والدر المصون ، فكانت النعمى تكمل والمسرة تشمل ، وها أنا أرتقبُ لذلك السمط أن تؤلف فرائده ، وتجمع بدائـده ، وأنتظر لـوصولـه يومـاً تقلّ هـمومه وتكثر حواسده ، فما ذاك بمتعذر عليه متى رامه ، ولا بمعوزه ان سرح سوامَ الفكر فيه وشامه . ولرأيه في ذلك ومعرفته وانجازِ الوعد جرياً على كريم عادته مزيدٌ من علاءٍ لا يَطْرَأ الأفولُ على أهلته ، إن شاء اللّه تعالى وحده .

ـ 991 ـ

محمد بن أحمد بن سليمان الزهري أبو عبد الله الأندلسي: رجل فاضل وأديب كامل متقن ، سمع الحديث الكثير ببغداد من ابن كليب وابن بوش وغيره فأكثر ، وكتب بخطه الكثير وصنف ، ولقيته ببغداد ، وكان لي صديقاً معاشراً حسن الصحبة عذريّ القلب جيّد الشعر ، أنشدني كثيراً من شعره لم أثبته ، ثم فارق بغداد وحصل في بلاد الجبال واستوطن بروجرد وتأهّلَ بها ، وولد له ، وصنف بها تصانيف في الأدب كثيرة منها « شرح الايضاح » .

ـ 992 ـ

محمد بن أحمد بن محمد بن حمزة بن بُرَيك الأنصاري الدسكري المعروف بابن البرفطي ، والدسكرة قرية من قرى نهر الملك سكن بها أجداده ، وقرف وغلظ اسمه بالنسبة إلى برفطا ، وهي أيضاً قرية من قرى نهر الملك فغلب عليه هذا الاسم .

ولد ببغداد في شهر رمضان من شهـور سنة ست وستين وخمسمـائة . ومـات رحمه الله في أول رجب سنة خمس وعشرين وستمائة ، وخلّف خمسة وعشرين قطعة بخطّ ابن البواب لم تجتمع في زماننا عند كاتب ، وكان يغالي في شرائها ؛ وله شعر من جملته :

---

991 ـ ترجمة ابن سليمان الزهري في الـوافي 2: 104 وبغية الوعـاة 1: 25 والصفدي لا ينقـل هنا عن ياقوت ، وقد ذكر أن الزهري ولد بمالقة ثم هاجر وسمع الحديث بمصر ودخل الشام والجزيرة ثم الى أصبهان وبلاد الجبل وسكن الكرج ، ومن كتبه البيان والتبيين في أنساب المحدثين ، والبيان فيما أبهم من الأسماء في القرآن ، وأقسام البلاغة وأحكام الفصاحة ، وهو شارح المقامات الحريرية واليميني للعتبي .

992 ـ لم يذكر ياقوت « برفطا » في معجم البلدان .

أبـداً أميـلُ إليـك ميـلَ تـذلـلٍ وتـصـدُّ صـدَّ تجنُّبٍ ودلالِ
حتفُ المتيّم منك يـومُ قـطيعةٍ وحيـاتـه في الحبِّ يـومُ وصـال
قد كدت أغرقُ في بحارِ مدامعي لـولا التمسّـكُ فيـك بـالآمـال
عَـذُبت مـراشفُـهُ وصـال بقـدّه فحمى جَنَى المعسولِ بالعسـال
عهدي وظلّ الوصل غير مُقَلَّصٍ عنـا وعمـرُ المـطلِ غيـر مـطال
وكـأنمـا لبس الـزمـانُ سنـاءَ بـد رِ الـدين ذي الإنعـام والافضـال
خَضِرُ الجنابِ فإن دَجَتْ في أزمةٍ سـودُ الخطوبِ فـأبيضُ الافعـال
منحَ ابتـداءً رافعـاً خَبَـرَ النـدى وكفى الـوجـوهَ مؤونـةَ التسـآل
كثـرتْ صنـائعـه فقـلَّ نـظيـرُهُ وكـذا البـدورُ قليـلةُ الأمثـال
وحـوتْ أزمـةَ دجـلةٍ أعمـالُـهُ وكـذا الجنـان تُحـازُ بـالأعمـال
حـاط العـلا فـرمـاحُـهُ أقـلامـه حيث المـدادُ لهـا رؤوسُ نصـال
في ليلِ ذاك النِّقْسِ تطرقنا المنى فكـأنـه في الهـذْي طيفُ خيـال
يحكي بياضَ الطرسِ تحت سواده أسـرارُ صبحٍ في صـدورِ ليـال

وابن البرفطي هذا أوحد عصرنا في حسن الخط والمشار إليه في التحرير ، قد تخرج به خلقٌ كثير ، وسافر إلى دمشق وكتب عليه كتابها ، وأقام بحلب مدة مديدة ثم عاد إلى بغداد ، وهو صديقنا ، أنشـدني لنفسه أشعـاراً منها مـا أثبتُّه ، وحفزهُ السفر في يوم الخميس ثامن المحرم سنة ثلاث عشرة وستمائة إلى تستر صحبة الأمير ابن أبي محمد الحسن وأبي عبد الله الحسين ابني الأمير الملك المعظم أبي الحسن علي بن سيدنا ومولانا الامام الناصر لدين الله أبي العباس أحمد أمير المؤمنين، لما ولاهما أرض خوزستان بعـد موت أبيهمـا أبي الحسن علي تقدم إلى ابن البـرفطي بـالخروج في خدمتهما والكون في جملتهما ليكتبا عليه ويصلحا خطهما به ويكون معلماً لهما ، وهو دمث الأخلاق حسن العشرة لين الكلام ، قصيرٌ من الرجال فيه دهاء . وكان في أول أمره معلّماً فلما جاد خطه صار محرّراً ، وكان يبالغُ في أثمانِ خطوطِ ابن البواب ، فحصل له منها ما لم يحصلْ لأحدٍ غيره ، وجدت عنده أكثر من عشرين قطعة بخطه

أرانيها . وحدثني قال : بلغني عن رجل معلّم في بعض محالّ بغداد أن عنده جزازاً كثيراً ورثه عن أبيه ، فخيل لي أنه لا يخلو من شيء من الخطوط المنسوبة ، فمضيت إليه وقلت له : أحبُّ أن تريني ما خلّف لك والدك عسى أن أشتري منه شيئاً ، فصعد بي إلى غرفة وجلستُ أفتّشُ حتى وقع بيدي ورقةٌ بخطّ ابن البواب قلم الرقاع أرانيها أيضاً ، فضممتُ إليها شيئاً آخر لا حاجة بي إليه وقلت له : بكم هذا ؟ فقال لي : يا سيدي ما صلح لك في هذا كله شيء آخر ؟ فقلت له : أنا الساعةَ مستعجل ولعلي أعودُ إليك مرةً أخرى ، فقال : هذا الذي اخترته لا قيمةَ له فخذه هبةً مني ، فقلت : لا أفعل وأعطيته قطعةَ قراضةٍ مقدارها نصف دانق فاستكثرها وقال : يا سيدي ما أخذتَ شيئاً يساوي هذا المقدار فخذ شيئاً آخر ، فقلت : لا حاجة لي في شيء آخر ، ثم نزلت من غرفته فاستحييت وقلت : هذا مخادعة ولا شكَّ أنه قد باعني ما جهله ، ووالله لا جعلتُ حقّ خط ابن البواب أنْ يشترى بالمخادعة ، فعدت إليه وقلت له : يا أخي هذه الورقة بخط ابن البواب ، فقال : وإذا كانت بخط ابن البواب أيّ شيءٍ أصنع ؟ قلت له : قيمتها ثلاثة دنانير إمامية . فقال : يا سيدي لا تسخر بي ولعلك قد عزمتَ على ردها فخذها وحطَّ الذهب . فقلت : بل أحضر ميزاناً للذهب ، فأحضرها فوزنتُ له ثلاثةَ دنانير وقلت له : بعتني هذا بهذا ؟ فقال : بعتك ، فأخذتها وانصرفت .

ـ 993 ـ

محمد بن ادريس الشافعي الإمام: هو محمد بن إدريس بن العباس بن عثمان بن شافع بن السائب بن عبيد بن عبد يزيد بن هاشم بن عبد المطلب بن

---

993 ـ ترجمة الشافعي في حلية الأولياء 9: 63 والفهرست: 263 والانتقاء لابن عبد البر: 65 وتاريخ بغداد 2: 56 وطبقات الشيرازي: 48 وترتيب المدارك 3: 174 وصفة الصفوة 2: 95 وابن خلكان 4: 163 والمحمدون: 137 وتذكرة الحفاظ: 361 وسير الذهبي 10: 5 والوافي 2: 171 ومرآة الجنان 2: 13 والجزء الأول من طبقات السبكي والبداية والنهاية 10: 251 والديباج المذهب 2: 156 وطبقات ابن الجزري 2: 95 وتهذيب التهذيب 9: 25 والنجوم الزاهرة 2: 176 وطبقات الحفاظ: 152 وطبقات ابن هداية الله: 11 والشذرات 2: 9 وهناك كتب ألفت في مناقبه منها مناقب الشافعي للبيهقي ، ومناقب الشافعي للرازي ، وتوالي التأسيس بمعالي ابن ادريس ، وأدب الشافعي لأبن أبي حاتم ومن العسير حصر مادة الأخبار عنه ، وانظر مزيداً من التخريج في حاشية سير الذهبي .

عبد مناف بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن الياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان بن أد بن أدد . وهاشم هذا الذي في نسب الشافعي ليس هو هاشم جد النبي ﷺ ذاك هاشم بن عبد مناف فهاشم هذا هو ابن أخي ذاك .

ولد فيما حكاه الشافعي عن نفسه أنه قال : ولدت بغزة سنة خمسين ومائة ، وَحُمِلْتُ إلى مكة وأنا ابن سنتين ، قال : وكانت أمي من الأزد ، وغزة من بيت المقدس على ثلاث مراحل .

وفي رواية أخرى عن الشافعي أنه قال : ولدتُ بعسقلان ، وعسقلانُ من غزةَ على ثلاثة فراسخ ، وكلاهما من فلسطين . وكان مولد الشافعي يوم مات أبو حنيفة ، ولا اختلافَ في أن وفاة أبي حنيفة كانت سنة خمسين ومائة ، ومات الشافعي رحمة الله عليه في رجب سنة أربع ومائتين وهو ابن أربع وخمسين سنة ، وكان قدومه مصر سنة ثمان وتسعين ومائة . وقد روى الزعفراني عن أبي عثمان ابن الشافعي أن الشافعي مات وهو ابن ثمان وخمسين سنة .

وفي رواية ان الشافعي قال : ولدت باليمن فخافت أمي عليَّ الضيعةَ فحملتني إلى مكة وأنا يومئذ ابن عشر أو شبيه بذلك ، وتأول بعضهم قوله باليمن بأرضٍ أهلها وسكانها قبائل اليمن . وبلاد غزة وعسقلان كلها من قبائل اليمن وبطونها . قلت : وهذا عندي تأويلٌ حَسَنٌ إنْ صَحَّت الرواية وإلا فلا شك أنه ولد بغزة وانتقل إلى عسقلان إلى أن ترعرع .

وأما طلبه للعلم فحدَّث الزبير بن بكار عن عمه مصعب بن عبد الله بن الزبير أنه خرج إلى اليمن فلقي محمد بن إدريس الشافعي وهو مستحصف[1] في طلب الشعر والنحو والغريب ، قال فقلت له : إلى كم هذا ؟ لو طلبتَ الحديثَ والفقه كان أمثل بك ، وانصرفت به معي إلى المدينة فذهبت به إلى مالك بن أنس وأوصيته به ؛ قال : وكان فتى حلواً ، قال : فما ترك عند مالك بن أنس إلا الأقل ولا عند شيخ من مشايخ المدينة إلا جمعه ، ثم شخص إلى العراق فانقطع إلى محمد بن الحسن فحمل عنه ، ثم جاء

(1) م : مستحض .

إلى المدينة بعد سنين ؛ قال : فخرجت به إلى مكة فكلمتُ له ابن داود وعرَّفته حاله الذي صار إليه ، فأمر له بعشرة آلاف درهم .

حدث الآبري[1] وهو أبو الحسن محمد بن الحسين بن إبراهيم بن عاصم الآبري السّجزي قال : سمعت أبا إسحاق إبراهيم بن محمد بن المولد الرقي يحكي عن زكريا بن يحيى البصري ويحيى بن زكريا بن حيويه النيسابوري، كلاهما عن الربيع بن سليمان، وبعضهم يزيد على بعض في الحكاية، قال الربيع، سمعت الشافعي يقول: كنت أنا في الكتّاب أسمع المعلم يلقّنُ الصبيّ الآية فأحفظها أنا ، ولقد كان [الصبيان] يكتبون أمليتهم[2] فإلى أن يفرغَ المعلم من الإملاء عليهم ، قد حفظت جميع ما أملى ، فقال لي ذات يوم : ما يحلُّ لي أن آخذ منك شيئاً . قال : ثم لما خرجتُ من الكتّاب كنت أتلقط الخزف والرقوق[3] وكَرَبَ النخل وأكتافَ الجمال أكتبُ فيها الحديث وأجيء إلى الدواوين فأستوهبُ منها الظهورَ فأكتب فيها حتى كانت لأمي حباب فملأتها أكتافاً وخزفاً وكرباً مملوءةً حديثاً . ثم إني خرجت عن مكة[4] فلزمت هُذَيلاً في البادية أتعلم كلامها وآخذ طبعها وكانت أفصحَ العرب . قال : فبقيت فيهم سبعَ عَشْرَةَ سنة أرحلُ برحيلهم وأنزل بنزولهم ، فلما رجعتُ إلى مكة جعلتُ أُنْشِدُ الأشعار وأذكرُ الآدابَ والأخبار وأيام العرب ، فمرَّ بي رجل من الزبيريين[5] من بني عمي فقال لي : يا أبا عبد الله عزَّ عليَّ ألا يكونَ مع هذه اللغة وهذه الفصاحة والذكاء فقه فتكونَ قد سدتَ أهلَ زمانك ، فقلت : فمن بَقِيَ ممن يُقْصَدُ[6]؟ فقال لي : مالك بن أنس سيد المسلمين يومئذ ، قال : فوقع [ذلك] في قلبي فعمدت إلى « الموطأ » فاستعرته من رجل بمكة فحفظته في تسع ليال ظاهراً ، قال : ثم دخلت إلى والي مكة وأخذتُ كتابه إلى والي المدينة وإلى مالك بن أنس ، قال : فقدمتُ المدينةَ فأبلغتُ الكتابَ إلى الوالي ، فلما أن قرأ قال : يا فتى إن مشيي من جوف المدينة إلى جوف مكة حافياً راجلاً أهْوَنُ عليَّ من المشي إلى باب مالك بن أنس ، فلستُ أرى الذلَّ حتى أقفَ على بابه ، فقلت : أصلح الله الأمير إن رأى الأمير يوجه إليه ليحضر ،

(1) السند والرواية في البيهقي 1 : 94 .
(2) م : ولقد كنت ويكتبون أئمتهم .
(3) م : والدفوف .
(4) تكملة الرواية في البيهقي 1 : 102 .
(5) في بعض أصول البيهقي كما ورد ؛ وفي المتن : الزهريين .
(6) م : بقي نقصد .

قال : هيهات ، ليت أني إذا ركبتُ أنا ومن معي وأصابنا من تراب العقيق نلنا بعضَ حاجتنا ؛ قال : فواعدته العصر ، وركبنا جميعاً فوالله لكان كما قال ، لقد أصابنا من تراب العقيق ، قال : فتقدم رجلٌ فقرع الباب فخرجت إلينا جاريةٌ سوداءُ فقال لها الأمير : قولي لمولاك إني بالباب ، قال : فدخلتْ فأبطأت ثم خرجت فقالت : إن مولاي يقرئك السلام ويقول : إن كانت مسألة فارفعها في رقعةٍ يخرجْ إليك الجواب ، وإن كان للحديث فقد عرفتَ يومَ المجلس فانصرف ، فقال لها : قولي له إن معي كتابَ والي مكة إليه في حاجة مهمة ، قال : فدخلت وخرجت وفي يدها كرسي فوضعته ، ثم إذا أنا بمالك قد خرج وعليه المهابةُ والوقار ، وهو شيخٌ طويلٌ مسنونُ اللحية ، فجلس وهو متطلّسٌ ، فرفع إليه الوالي الكتابَ فبلغ إلى هذا : « إن هذا رجلٌ من أمره وحاله ، فتحدثه وتفعل وتصنع » . فرمى بالكتاب من يده ثم قال : سبحان الله ، وصار علم رسول الله ﷺ يؤخذ بالوسائل(1)؟ قال: فرأيت الوالي وقد تهيَّبه أن يكلمه ، فتقدمتُ إليه وقلت : أصلحك الله ، إني رجلٌ مطّلبيٌّ ومن حالي وقصتي ، فلما أن سمع كلامي نظر إليَّ ساعة ، وكانت لمالك فراسة فقال لي : ما اسمك ؟ قلت : محمد ، فقال لي : يا محمد اتق الله واجتنب المعاصي فإنه سيكونُ لك شأنٌ من الشأن ، ثم قال : نعم وكرامة ، إذا كان غداً تجيءُ ويجيءُ من يقرأ لك ، قال فقلت : أنا أقوم بالقراءة ، قال : فغدوتُ عليه وابتدأتُ أن أقرأه ظاهراً والكتاب في يدي ، فكلّما تهيبتُ مالكاً وأردت أن أقطع أعجبه حُسْنُ قراءتي وإعرابي فيقول : يا فتى زدْ ، حتى قرأته في أيام يسيرة ، ثم أقمت بالمدينة حتى توفي مالك بن أنس ، ثم خرجت إلى اليمن فارتفع لي بها الشأن ، وكان بها والٍ من قبل الرشيد وكان ظلوماً غشوماً وكنت ربما آخذ على يديه وأمنعه من الظلم . قال : وكان باليمن تسعة من العلوية قد تحركوا [فكتب الوالي إلى الخليفة يقول إن ناساً من العلوية قد تحركوا](2) وإني أخاف أن يخرجوا وإن ها هنا رجلاً من ولد شافع المطلبيّ لا أمرَ لي معه ولا نهي . قال : فكتب إليه هارون أن احمل هؤلاء واحمل الشافعي معهم فقرنت معهم ؛ قال : فلما قدمنا على هارون الرشيد أُدخلنا عليه وعنده محمد بن الحسن ، قال : فدعا

(1) قد تقرأ : بالرسائل .

(2) زيادة يقتضيها السياق .

هارون بالنطع والسيف وضرب رقابَ العلوية ثم التفت محمد بن الحسن فقال : يا أمير المؤمنين هذا المطلبي لا يغلبنك بفصاحته فإنه رجلٌ لسن ، فقلت : مهلاً يا أمير المؤمنين فإنك الداعي وأنا المدعوّ ، وأنت القادر على ما تريد مني ولستُ القادرَ على ما أريده منك ، يا أمير المؤمنين ما تقول في رجلين أحدهما يراني أخاه والآخر يراني عبده أيهما أحبّ إليّ ؟ قال : الذي يراك أخاه ، قال قلت : فذاك أنت يا أمير المؤمنين ، قال فقال لي : كيف ذاك ؟ فقلت : يا أمير المؤمنين إنكم ولد العباس وهم ولد علي ، ونحن بنو المطلب ، فأنتم ولد العباس ترونا اخوتكم وهم يرونا عبيدهم ، قال : فَسُرِّيَ ما كان به ، فاستوى جالساً فقال[1] : يا ابن ادريس كيف عِلْمُكَ بالقرآن ؟ قلت : عن أيِّ علومه تسألني ؟ عن حفظه فقد حفظته ووعيته بين جنبي وعرفت وَقْفَهُ وابتداءه وناسخه ومنسوخه وليليّه ونهاريّه ووحشيَّهُ وإنسيّه وما خوطب به العام يراد به الخاص وما خوطب به الخاص يراد به العام ؛ فقال لي : والله يا ابن ادريس لقد ادَّعيتَ علماً فكيف علمك بالنجوم ؟ فقلت : إني لأعرف منها البريَّ من البحريِّ والسهليَّ والجبليّ والفيلق والمصبح وما تجبُ معرفته ، قال : فكيف علمك بأنساب العرب ؟ قال فقلت : إني لأعرف أنساب اللئام وأنساب الكرام ونسبي ونسب أمير المؤمنين ، قال : لقد ادَّعيت علماً ، فهل من موعظة تعظُ بها أمير المؤمنين ؟ قال : فذكرت موعظةً لطاوس اليماني[2] فوعظته بها فبكى وأمر لي بخمسين ألفاً . وحملت على فرس ، وركبت من بين يديه وخرجت ، فما وصلت الباب حتى فرقت الخمسين ألفاً على حُجَّابِ أمير المؤمنين وبوابيه ، قال : فلحقني هرثمة وكان صاحبَ هارون فقال : اقبل هذه مني ، قال فقلت له : إني لا آخذ العطية ممّن هو دوني وإنما آخذها ممن هو فوقي ، قال : فوجد في نفسه ، قال : وخرجتُ كما أنا حتى جئت منزلي ، فوجهت إلى كاتب محمد بن الحسن بمائة دينار وقلت : اجمع الوراقين الليلةَ على كتب محمد بن الحسن وانسخها لي ووجه بها إليَّ ، قال : فَكُتِبَتْ لي وَوُجِّه بها إليَّ . قال : اجتمعنا أنا ومحمد بن الحسن على باب هارون، وكان يجلس فيه القضاة والأشراف ووجوه الناس إلى أن يؤذن لهم ، قال : واجتمعنا في ذلك المكان ، قال :

(1) قارن بالبيهقي 1 : 132 .

(2) جعل البيهقي الموعظة للشافعي نفسه وأورد نصّها .

وفيه جماعة من بني هاشم وقريش والأنصار والخلق يعظمون محمد بن الحسن لقربه من أمير المؤمنين وتمكّنه ، قال : فاندفع يعرِّضُ بي ويذمُّ أهلَ المدينة ، فقال : مَن أهلُ المدينة ؟ وأيُّ شيء يحسن أهلِ المدينة ؟ والله لقد وضعتُ كتاباً على أهل المدينة كلها لا يخالفني فيه أحد ، ولو علمتُ أن أحداً يخالفني في كتابي هذا تبلغني إليه آباط الابل لصرتُ حتى أَرُدَّ عليه ، قال الشافعي : فقلت إن أنا سكتُّ نكَّستُ رؤوسَ من ها هنا من قريش ، وإن أنا رددت عليه أسخطتُ عليَّ السلطان ، ثم إني استخرتُ الله في الردِّ عليه ، فتقدمت إليه فقلت : أصلحك الله ، طَعْنُكَ على أهل المدينة وذمك لأهل المدينة إن كنت أردت رجلًا واحداً وهو مالك بن أنس فألاّ ذكرت ذلك الرجلَ بعينه ولم تطعن على أهل حرم الله وحرم رسوله ، وكلُّهم على خلاف ما ادّعيته . وأما كتابك الذي ذكرتَ أنك وضعته على أهل المدينة فكتابك من بعد بسم اللّه الرحمن الرحيم خطأٌ إلى آخره : قلتَ في شهادة القابلة كذا وكذا وهو خطأ ، وفي مسألة الحامل كذا وكذا وهو خطأ ، وقلت في مسألة كذا وكذا كـذا وهو خطأ ، فاصفـرَّ محمد بن الحسن ولم يَحِرْ جواباً . وكتب أصحاب الأخبار إلى الرشيد بما كان ، فضحك وقال : ماذا ننكر لرجل من ولد المطّلب أنْ يقطع مثل محمد بن الحسن . قال فعارضني رجل من أهل المجلس من أصحابه فقال : ما تقولُ في رجل دخل منزلَ رجلٍ فرأى بطةً ففقأ عينها ماذا يجبُ عليه ؟ قال قلت : ينظر إلى قيمتها وهي صحيحة وقيمتها وقد ذهبت عينها فيقوَّم ما بين القيمتين . ولكن ما تقول أنت وصاحبك في رجلٍ محرم نظر إلى فرج امرأة فأنزل ؟ قال : ولم يكن لمحمد حذاقة بالمناسك ، قال فصاح به محمد وقال له : ألم أقلْ لك لا تسأله ؟ قال : ثم أدخلنا على الرشيد ، فلما أن استوينا بين يديه قال لي يا أبا عبد الله تسأل أو اسأل ؟ قال قلت : ذاك إليك ، قال : فأخبرني عن صلاة الخوف أواجبةٌ هي[1] ؟ قلت : نعم ، فقال : ولم ؟ فقلت : لقول الله عـز وجل : ﴿ إِذَا كُنْتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ الصَّلَاةَ فَلْتَقُمْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ مَعَكَ ﴾ (النساء: 102) فدل أنها واجبة . فقال : وما تنكر من قائل قال لك إنما أمر الله تعالى نبيه ﷺ وهو فيهم ، فلما زال عنهم النبي ﷺ زالت تلك الصلاة ، فقلت : وكذلك قال الله عز وجل لنبيه ﴿ خُذْ

(1) قارن بالبيهقي 1 : 128 .

مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم ﴾ (التوبة: 103) فلما أن زال عنهم النبي ﷺ زالت عنهم الصدقة . فقال : لا ، قلت : وما الفرق بينهما والنبي ﷺ هو المأمور بهما جميعاً ؟ قال : فسكت ثم قال : يا أهل المدينة ما أجرأكم على كتاب الله ، فقلتُ : الأجرأ على كتاب الله من خالفه ، قال فقد قال اللّه عز وجلَ ﴿ وَأَشْهدوا ذَوَيْ عَدْلٍ مِنْكم ﴾ (الطلاق: 2) فقلتم أنتم : نقضي باليمين مع الشاهد ، فقلت : لكنا نقول بما قال الله ونقضي بما قضى به رسول اللّه ﷺ، ولكنك أنت إذا خالفت قضاء رسول اللّه ﷺ فقد خالفتَ كتابَ اللّه . قال : وأين لكم ردُّ اليمين ؟ قال قلت : سنة رسول الله ﷺ، قال : وأين ؟ قلت : قصة حويصة ومحيصة وعبد الرحمن حين قال لهم رسول اللّه ﷺ في قصة القتيل تحلفون وتستحقون دمَ صاحبكم ، قالوا : لم نشهد ولم نعاين ؛ قال : فيحلف لكم يهود ، فلما أن نكلوا ردَّ اليمين إلى اليهود . قال فقال لي : إنما كان ذلك استفهاماً من رسول اللّه ﷺ، قال فقلت : يا أمير المؤمنين هذا بحضرتك يزعم أن رسول اللّه ﷺ يستفهم من اليهود ، فقال الرشيد . ثكلتك أمك يا ابن الحسن ، رسول اللّه ﷺ يستفهم من اليهود ؟ نطعٌ وسيفٌ ، قال فلما رأيت الجدّ من أمير المؤمنين قلت : مهلاً يا أمير المؤمنين فإن الخصمين إذا اجتمعا تكلّم كلُّ واحدٍ منهما بما لا يعتقده ليقطعَ به صاحبه وما أرى أن محمداً يرى نقصاً لرسول اللّه ﷺ، قال : فسريتُ عنه ، قال : ثم ركبنا جميعاً وخرجنا من الدار ، قال فقال لي : يا أبا عبد الله فعلتَها ؟ قال : فقلت : فكيف رأيتها بعد ذلك ؟

وللشافعي رضي الله عنه مع محمد بن الحسن مناظرات في عدة مواطن اقتصرنا على هذه قصداً للاختصار .

(مناظرة إسحاق بن راهويه[1] مع الشافعي رضي الله عنه) :

نقلت من « تاريخ نيسابور » للحاكم ومن « كتاب مناقب الشافعي » للآبري وجمعتُ بين الخبرين قصداً للاختصار مع نسبة كلٍّ قول إلى قائله[2] : حدث الآبري

(1) هو إسحاق بن إبراهيم بن مخلد ابن راهويه ، انظر طبقات السبكي 2: 83 وفي الحاشية ذكر لمصادر أخرى .

(2) انظر طبقات السبكي 2: 89 في هذه المناظرة ، وقارن بمناقب البيهقي 1: 213 وقال البيهقي 1: 214 قد ذكرنا حكاية مناظرتهما في كتاب المعرفة أتم من هذا .

باسناده ، قال إسحاق بن راهويه : كنا عند سفيان بن عيينة نكتب أحاديث عمرو بن دينار ، فجاءني أحمد بن حنبل فقال لي : يا أبا يعقوب قم حتى أريكَ رجلاً لم تـر عيناك مثله ، قال : فقمت فأتى بي فناءَ زمزم ، فإذا هناك رجل عليه ثياب بيض ، تعلو وجهه السمرةُ ، حسن السمت حسن العقل ، وأجلسني إلى جانبه ، فقال له : يا أبا عبد الله هذا إسحاق بن راهويه الحنظلي فرحَّبَ بي وحيّاني ، فذاكرته وذاكرني فانفجر لي منه علم وأعجبه حفظي ، قال : فلما أن طال مجلسنا قلت له : يا أبا عبد الله قم بنا إلى الرجل ، قال : هذا هو الرجل ، فقلت له : يا سبحان اللّه أقمنا من عند رجل يقول « حدثنا الزهري » فما توهمتُ إلا أن تأتي بنا إلى رجل مثل الزهري أو قريباً منه ، فأتيت بنا إلى هذا الشاب (أو هذا الحدث)[1] . فقال لي : يا أبا يعقوب اقتبس من الرجل فانه ما رأت عيناي مثله . قال الآبري ، قال إسحاق : فسألته عن سُكْنَى بيوتِ مكة (أراد الكرى) فقال جائز . فقلت : أي يرحمك الله ، وجعلتُ أذكر له الحديثَ عن عائشة وعبد الرحمن وعمر وأصحاب رسول اللّه ﷺ ومن كره كرى بيوتِ مكة ، وهو ساكتٌ يسمع ، وأنا أسردُ عليه ، فلما فرغتُ سكتَ ساعة وقال : أي يرحمك الله ، أما علمتَ أن النبي ﷺ قال : هل ترك لنا عقيلٌ من رباع أو دار ، قال : فواللّه ما فهمت عنه ما أراد بها ولا أرى أن أحداً فهمه . (قال الحاكم) فقال إسحاق : أتأذن لي في الكلام ؟ فقال : نعم فقلت : حدثنا يزيد بن هارون عن هشام عن الحسن أنه لم يكن يرى ذلك ، وأخبرنا أبو نعيم وغيره عن سفيان عن منصور عن إبراهيم أنه لم يكن يرى ذلك . (قال الحاكم) ولم يكن الشافعي عرف إسحاق فقال الشافعي لبعض من عرفه : من هذا ؟ فقال : هذا إسحاق بن إبراهيم بن الحنظلي بن راهويه الخراساني ، فقال له الشافعي : أنت الذي يزعم أهلُ خراسان أنك فقيههم ؟ قال إسحاق : هكذا يزعمون ، قال الشافعي : ما أحوجني أن يكونَ غيرك في موضعك فكنتُ آمر بِعَرْكِ أذنيه .

وقال الحاكم في خبر آخر : قال له الشافعي لو قلتُ قولك احتجتُ إلى أن أسلسل ، أنا أقول لك « قال رسول اللّه ﷺ » وأنت تقول « عطاء وطاوس ومنصور

---

(1) م : الحديث .

وإبراهيم والحسن وهؤلاء لا يرون ذلك » بل [ليس] لاحد مع رسول اللّه ﷺ حجة . قال إسحاق لبعض من معه من المراوزة بلسانهم « مَرْدَك لَا كمالأَنيست »(1) قرية عندهم بمرو يدّعون العلم وليس لهم علمٌ واسع .

وقال الابري قال إسحاق لبعض من معه : الرجل مالكاني ، ومالكان قرية من قرى مرو أهلها فيهم سلامة .

قال الحاكم في خبره ، فلما سمع الشافعي تراطنه علم أنه قد نسبه إلى شيء فقال : تناظر ؟ وكان إسحاق جريئاً فقال : ما جئت إلا للمناظرة ، فقال له الشافعي : قال الله عز وجل ﴿ لِلْفُقَرَاءِ ٱلْمُهَاجِرِينَ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِم ﴾ الآية (الحشر: 8) نسب الدار إلى المالكين أو إلى غير المالكين ؟ قال إسحاق : إلى المالكين ، قال الشافعي : فقوله عز وجل أصدقُ الأقاويل ، وقد قال رسول اللّه ﷺ من دخل دارَ أبي سفيانَ فهو آمن ، ومن أغلق بابه فهو آمن ، أَنَسَبَ رسول اللّه ﷺ الدار إلى مالك أو إلى غير مالك ؟ قال إسحاق : إلى مالك ، فقال الشافعي : وقد اشترى عمر بن الخطاب دار الحجّامين فأسكنها ، وذكر له جماعةً من أصحاب رسول الله ﷺ اشتروا دورَ مكة وجماعةً باعوها ، وقال إسحاق له : قال الله عز وجل ﴿ سَوَاءً ٱلْعَاكِفُ فِيهِ وَٱلْبَادِ ﴾ (الحج : 25) فقال الشافعي : اقرأ أول الآية ، قال ﴿ وَٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ٱلَّذِي جَعَلْنَاهُ لِلنَّاسِ سَوَاءً ٱلْعَاكِفُ فِيهِ وَٱلْبَادِ ﴾ (الحج : 25) قال الابري ، قال الشافعي : والعكوف يكون في المسجد ، ألا ترى إلى قوله ﴿ لِلطَّائِفِينَ وَٱلْعَاكِفِينَ ﴾ (البقرة: 125) والعاكفون يكونون في المساجد ، ألا ترى إلى قوله جل وعز وَأَنْتُمْ عَاكِفُونَ فِي ٱلْمَسَاجِدِ فدل قوله عز وجل سَوَاءً ٱلْعَاكِفُ فِيهِ وَٱلْبَادِ في المسجد خاص ، فأما من ملك شيئاً فله أن يكري وأن يبيع . (قال الحاكم) وقال الشافعي : ولو كان كما تزعم لكان لا يجوزُ أن تُنْشَدَ فيها ضالة ، ولا ينحر فيها البدن ، ولا تنثر فيه الأرواث ، ولكن هذا في المسجد خاصة . قال : فسكت إسحاق ولم يتكلم .

وفي خبر الآبري : فلما تدبرت ما قال من قول رسول اللّه ﷺ : هل ترك لنا عقيلٌ من رباع أو دار علمتُ أنه قد فهم ما ذهب عنا ؛ قال إسحاق : ولو كنت قد

(1) يعني : الرجل من أهل قرية « لاكمالان » وانظر معجم البلدان .

أدركني هذا الفهم وأنا بحضرته لعرَّفته ذاك ، ثم نظرنا في كتبه فوجدنا الرجل من علماء هذه الأمة .

قال الآبري : وقرأت في بعض ما حكي عن أبي الحسن أنه كان يأخذ بلحيته في يده ويقول : واحَيَائي من محمد بن إدريس الشافعي ، يعني في هذه المسألة .

ومن كتاب الحاكم : سمعت أبا بكر محمد بن علي بن إسماعيل الفقيه الأديب الشاشي أبا بكر القفال إمام عصره بما وراء النهر للشافعيين يقول : دخلتُ على أبي بكر محمد بن إسحاق بن خزيمة أولَ ما قدمتُ نيسابور ، وتكلمت بين يديه وأنا شاب حدث السن ، فقال لي : من أين أنت ؟ فقلت : من أهل الشاش ، قال لي : إلى من اختلفت ؟ قلت : إلى أبي الليث ، قال : وأبو الليث هذا أي مذهب يعتقد ؟ قلت : حنبلي ، فقال : يا بني قل شافعي وهل كان أحمد بن حنبل إلا غلاماً من غلمان الشافعي ؟ قال : ومات أبو بكر القفال بالشاش في ذي الحجة سنة خمس وستين وثلاثمائة .

ومن كتاب الآبري : حدثني محمد بن عبد الله الرازي ، حدثنا الحسن بن حبيب الدمشقي عن محمود المصري ، وكان من أفصح الناس ، قال : سمعت ابن هشام (قال محمود : وما رأيت بعيني ممن فهمتُ عنه مثل ابن هشام) قال محمود : ورأيتُ الشافعيَّ وأنا صغير ، قال محمود ، وسمعت ابن هشام يقول[1] : جالستُ الشافعيَّ زماناً فما سمعته تكلم بكلمة إذا اعتبرها المعتبر لا يجد كلمةً في العربية أحسنَ منها . قال[2] وسمعت ابن هشام يقول : الشافعي كلامه لغة يُحْتَجّ بها .

وحدثت عن الحسن بن محمد الزعفراني قال : كان قوم من أهل العربية يختلفون إلى مجلس الشافعي معنا ويجلسون ناحيةً ، قال فقلت لرجل من رؤسائهم : إنكم لا تتعاطون العلم فلم تختلفون معنا ؟ قالوا : نسمع لغة الشافعي ؛ قال : وسمعت أبا علي الحسين بن أحمد البيهقي الفقيه ببغداد قال : سمعت حسان بن محمد يحكي عن الأصمعي انه قال[3] : صححت أشعارَ هذيل على فتى من قريش

(1) مناقب البيهقي 2 : 43 .
(2) المصدر السابق : 42 .
(3) مناقب البيهقي 2 : 44 .

يقال له محمد بن إدريس الشافعي . قال[1] : وحكي لنا عن مصعب الزبيري قال : كان أبي والشافعي يتناشدان ، فأتى الشافعي على شعر هذيل حفظاً وقال : لا تُعْلِمْ بهذا أحداً من أهل الحديث فانهم لا يحتملون هذا .

قال الشافعي رضي الله عنه ، قال : ما رأيت أحداً أعلمَ بهذا الشأن مني وقد كنت أحبُّ أن أرى الخليلَ بن أحمد .

وحدث ابن خزيمة قال ، سمعت يونس بن عبد الأعلى يقول : كان الشافعي إذا أخذ في العربية قلت : هو بهذا أعلم ، وإذا تكلم في الشعر وإنشاده قلت : هو بهذا أعلم ، وإذا تكلم في الفقه قلت : هو بهذا أعلم .

وتحدث ابن عيينه[2] بحديث عن النبي ﷺ أقرُّوا الطير في مكناتها ، قال : وكان الشافعي إلى جنب ابن عيينة ، فالتفت إليه سفيان فقال : يا أبا عبد الله ما معنى قول النبي ﷺ أقروا الطير على مكناتها ، فقال الشافعي : ان علم العرب كان في زجر الطير والخط والاعتياف ، كان أحدهم إذا غدا من منزله يريد أمراً نظر أولَ طيرٍ يراه فان سنحَ عن يساره فاجتاز عن يمينه قال هذا طيرُ الأيامن فمضى في حاجته ورأى أنه يستنجحها ، وإن سنح عن يمينه فمر عن يساره قال هذا طير الأشائم فرجع . وقال : هذه حالة مشئومة ، فيشبه قول رسول اللّٰه ﷺ أقروا الطير على مكناتها أي لا تهيجوها فان تهييجها وما تعملون به من الطيرة لا يصنع شيئاً وإنما يصنع فيما توجهون فيه قضاء اللّٰه عز وجل . قال وكان سفيان يفسره بعد ذلك على ما قال الشافعي .

وحدث الابري حدثني أبو إسحاق إبراهيم بن محمد الرقي إملاءً ، قال حدثنا عبد الواحد بن سعيد عن صالح بن أحمد قال : جاء الشافعي يوماً إلى أبي يعوده ، وكان عليلاً ، فوثب أبي إليه فقبَّلَ ما بين عينيه ثم أجلسه في مكانه ، وجلس بين يديه ، قال : فجعل يسائله ساعةً ، فلما وثب الشافعي ليركب قام أبي فأخذ بركابه ومشى معه ، فبلغ يحيى بن معين ، فوجّه إلى أبي يا أبا عبد اللّٰه يا سبحانَ اللّٰه اضطرّك الأمر إلى ان تمشي إلى جانب بغلة الشافعي ؟! فقال له أبي : وأنت يا أبا زكريا لو مشيتَ من

(1) المصدر السابق : 46 .
(2) حلية الأولياء 9: 94 ، 95 .

الجانب الآخر لانتفعت به . قال ثم قال أبي : من أراد الفقه فليشمَّ ذنبَ هذه البغلة .

وفي رواية أخرى عن أحمد بن حنبل أنه قال : قدم علينا نعيم بن حماد فحضنا على طلب المسند ، فلما قدم الشافعي وضعنا على المحجة البيضاء .

ورواية أخرى عن حميد بن الربيع الخراز قال : سمعت أحمد بن حنبل يقول : ما أعلم أحداً أعظمَ منةً على الإسلام في زمن الشافعي من الشافعي ، واني لأدعو الله له في أدبار صلواتي فأقول : اللهم اغفر لي ولوالديّ ولمحمد بن إدريس الشافعي .

وحدث الحارث بن محمد الأموي عن أبي ثور إبراهيم بن خالد الكلبي قال : كنتُ من أصحاب محمد بن الحسن ، فلما قدم الشافعي علينا جئته إلى مجلسه شبه المستهزىء فسألته عن مسألة من الدور فلم يجبني وقال لي : كيف ترفع يديك في الصلاة ؟ قلت : هكذا ، قال لي : أخطأت ، فقلت : كيف أصنع ؟ فقال : حدثني ابن عيينة عن الزهري عن سالم عن أبيه أن النبي ﷺ كان يرفع يديه حذو منكبيه وإذا ركع وإذا رفع. قال أبو ثور: فوقع في قلبي من ذاك فجعلت أزيد في المجيء إلى الشافعي وأقصّر في الاختلاف إلى محمد بن الحسن ، فقال لي ابن الحسن يوماً : يا أبا ثور أحسبُ هذا الحجازيَّ قد غلب عليك ، قال قلت : أجل ، الحقّ معه ، قال : وكيف ذاك ؟ قال فقلت : كيف ترفعُ يديك في الصلاة ؟ فأجابني على نحو ما أجبتُ الشافعي ، فقلت : أخطأت ، قال : كيف أصنع ؟ قلت : حدثني الشافعي عن ابن عيينة عن الزهري عن سالم عن أبيه أنَّ النبي ﷺ كان يرفع يديه حذو منكبيه وإذا ركع وإذا رفع . قال أبو ثور : فلما كان بعد شهر قال : يا أبا ثور خُذْ مسألتك في الدور فانما منعني أن أجيبك يومئذ لأنك كنت متعنّتاً .

وحدث المزني وهو أبو إبراهيم إسماعيل بن يحيى قال : دخلت على الشافعي في مرضه الذي مات فيه فقلت : كيف أصبحت ؟ قال : أصبحت من الدنيا راحلاً ، وللاخوان مفارقاً ، ولكأس المنية شارباً ، وعلى اللّه جل ذكره وارداً ، ولا والله ما أدري روحي تصير إلى الجنة أو إلى النار فأعزيها ، ثم بكى وأنشأ يقول[1] :

---

(1) ديوانه (الزعبي) : 78 (يكن) : 160 .

فلمـا قسا قلبي وضـاقتْ مـذاهبي جعلتُ رجـائي نحوَ عفـوكَ سلمـا
تعـاظمني ذنـبي فـلمـا قَــرَنْتُـهُ بعفـوك ربي كـان عفـوُكَ أعـظمـا
فما زلتَ ذا عفو عن الذنب لم تزلْ تـجـودُ وتعـفـو منـةً وتـكـرمـا
فلولاك لم يقــدر بـابليس عـابـد فكيف وقـد أغـوى صفيَّـكَ آدمـا

وحدث الربيع بن سليمان قال : كان الشافعي رحمه الله يجلس في حلقته إذا صلى الصبح فيجيئه أهـل القرآن ، فـإذا طلعت الشمس قامـوا وجاء أهـل الحديث فيسألونه تفسيره ومعانيه ، فإذا ارتفعت الشمس قاموا فاستوت الحلقة للمذاكرة والنظر ، فإذا ارتفع الضحى تفرقوا وجاء أهل العربية والعروض والنحو والشعر فلا يزالون إلى قرب انتصاف النهار ثم ينصرف رضي اللّه عنه .

وحدث يونس بن عبد الأعلى الصدفي قال ، قال لي الشافعي رضي الله عنه : يا أبا موسى رضى الناس غايةٌ لا تدرك ، ما أقوله لك إلا نصحاً ليس إلى السلامة من الناس سبيل ، فانظر ما فيه صلاح نفسك فالزمه ودع الناس وما هم فيه .

وحدث الحسن بن محمد الزعفراني قال[1] : كنا نحضر مجلسَ بشرٍ المريسي فكنا لا نقدر على مناظرته ، فمشينا إلى أحمد بن حنبل فقلنا له : ائذن لنا في أن نحفظ « الجامع الصغير » الذي لأبي حنيفة نخوضُ معهم إذا خاضوا ، فقال : اصبروا فالآن يقدم عليكم المطلبي الذي رأيته بمكة ، قال : فقدم علينا الشافعي ، فمشوا[2] إليه وسألناه شيئاً من كتبه فأعطانا كتابَ اليمين مع الشاهد ، فدرسته في ليلتين ثم غدوت على بشر المريسي وتخطيت إليه ، فلما رآني قال : ما جاء بك ؟ لست[3] صاحبَ حديث ، قال قلت : ذرني من هذا ، أيش الدليل على إبطال اليمين مع الشاهـد ؟ فناظرته فقطعته ، فقال : ليس هذا من كيسكم ، هذا من كلام رجل رأيته بمكة معه نصفُ عقل أهل الدنيا .

وحدث الربيع بن سليمان قال[4] : كنا عند الشافعي إذ جاءه رجلٌ برقعة فنظر

(1) مناقب البيهقي 1 : 201 .
(2) البيهقي : فمشينا .
(3) م : يا .
(4) مناقب البيهقي 2 : 94 .

فيها وتبسم ، ثم كتب فيها ودفعها إليه ، قال فقلنا : يُسأل الشافعي عن مسألة لا ننظر فيها وفي جوابها ؟ فلحقنا الرجل وأخذنا الرقعة فقرأناها وإذا فيها :

سل المفتيَ المكيَّ هل في تَزَاوُرٍ وضمــةِ مشتــاقِ الفـؤادِ جُنــاحُ

قال وإذا اجابة أسفل من ذلك :

أقولُ معاذَ اللّه أن يُـذْهِبَ التقى تــلاصُـقُ أكبــادٍ بـهـن جــراحُ

قـرأت في أمالٍ أمـلاها أبـو سليمان الخـطابي على بعض تـلامـذتـه : قـال الشيخ[1] : كان الشافعي رحمه الله يوماً من أيام الجمع جالساً للنظر فجاءت امـرأة فألقت إليه رقعة فيها :

عفـا اللّه عن عبـدٍ أعـان بـدعـوةٍ خليلين كــانــا دائمين على الــودِّ

إلى أن مشى واشي الهوى بنميمةٍ إلى ذاك من هذا فزالا عن العهـدِ

قال : فبكى الشافعي رحمه الله وقال : ليس هذا يوم نظر ، هذا يوم دعاء ، ولـم يزل يقول ، اللهم اللهم حتى تفرق أصحابه .

ومثله ما بلغني أن رجلا جاءه برقعة فيها :

سل المفتيَ المكيَّ من آل هاشمٍ إذا اشتد وجدٌ بامرىءٍ كيف يصنعُ

قال فكتب الشافعي تحته :

يـــداوي هــواه ثم يكتمُ وجــدَهُ ويصبـرُ في كلِّ الأمـورِ ويخضـع

فأخذهـا صاحبهـا وذهب بها ثم جـاءه وقد كتب تحت هـذا البيت الذي هـو الجواب :

فكيف يداوي والهوى قاتلُ الفتى وفي كــلِّ يـومٍ غُصَّــةٌ يتجــرَّعُ

فكتب الشافعي رحمه الله :

فان هو لـم يصبرْ على ما أصـابه فليس له شيءٌ سوى الموتِ أنفع

(1) قارن بمناقب البيهقي 2 : 99 .

ويروى للشافعي رحمه الله[1] :

أأنثـرُ درًّا بين سـارحـةِ البـهمْ ... وأنـظمُ منثـوراً لـراعيـةِ الغنمْ
لعمرى لئن ضُيِّعْتُ في شرِّ بلدةٍ ... فلستُ مضيعاً فيهمُ غُرَرَ الكلمْ
لئن سهَّـلَ اللّه العـزيـزُ بلطفـه ... وصـادفتُ أهـلاً للعلوم وللحكمْ
بثثتُ مفيـداً واستفـدتُ ودادهم ... والا فـمكـنـونٌ لـديَّ ومكـتتـمْ
ومن منـح الجهال علمـاً أضاعـه ... ومن منـع المستوجبين فقـد ظلمْ

وله رضي الله عنه في تعزية[2] :

إني أعـزّيك لا أني على طَمَـعٍ ... من الخلود ولكنْ سُنَّـةُ الـديـنِ
فمـا المعزّي ببـاقٍ بعد صـاحبـه ... ولا المعزَّى وان عاشـا إلى حينِ

وحدث باسناد رفعه إلى ابن عمر الشافعي قال : كان لأبي عبد اللّه الشافعي امرأة يحبها فقال[3] :

ألـيس شـديـداً أن تـحـبَّ ولا يحبـك مـن تحبُّـهْ
ويـصـدّ عـنـك بـوجـهـه وتـلـجُّ أنـت فـلا تُـغِـبُّـهْ

وحدث الآبري باسناد إلى المزني عن الشافعي قال : كنا في سفر بأرض اليمن ، فوضعنا سفرتنا لنتعشى وحضرت صلاة المغرب ، فقلنا : نصلي ثم نتعشى ، فتركنا سفرتنا كما هي ، وكان في السفرة دجاجتان ، فجاء ثعلب فأخذ إحدى الدجاجتين ، فلما قضينا صلاتنا أسفنا عليها وقلنا ، حرمنا طعامنا ، فبينا نحن كذلك إذ جاء الثعلب وفي فيه شيء كأنه الدجاجة فوضعه ، فبادرنا إليه لنأخذه ، ونحن نحسبه الدجاجة قد ردها ، فلما قمنا لخلاصها فإذا هو قد جاء إلى الأخرى فأخذها من السفرة ، وأصبنا الذي قمنا إليه لنأخذه ليفة قد هيأها مثل الدجاجة .

وحدث الحسن بن محمد الزعفراني قال : سئل الشافعي عن مسألة فأجاب فيها

(1) ديوانه (الزعبي) : 75 (يكن) : 155 (باختلاف في الرواية) 192 .
(2) ديوانه (الزعبي) : 87 (يكن) : 178 .
(3) ديوانه : 24 .

ثم أنشأ يقول[1] :

إذا المشكلات تصدَّينَ لي كشفتُ حقائقها بالنظرْ
لسانٌ كشقشقةِ الأرحبيّ أو كالحسامِ اليماني الذكرْ
ولستُ بإمَّعةٍ في الرجالِ أسائلُ هذا وذا ما الخبرْ
ولكنني مِدْرَهُ الأصغريـ ـن جلَّاب خيرٍ وفرَّاج شرْ

وحدث الربيع بن سليمان قال : لما دخل الشافعيّ مصر أولَ قدومه إليها جفاه الناس فلم يجلس إليه أحد ، قال فقال له بعض من قدم معه : لو قلت شيئاً يجتمع إليك الناس ، قال فقال : إليك عني وأنشأ يقول :

أأنثر درًّا بين سارحة النعمْ وأنظمُ منثوراً لراعية الغنمْ

الأبيات التي مرت آنفاً .

وجرى بين الشافعي وبين بعض من صحبه مَجَانةٌ فقال[2] :

وأنزلني طولُ النوى دارَ غربةٍ إذا شئتُ لاقيتُ امرءاً لا أشاكِلُهْ
أحامقه حتى يقالَ سجيةٌ ولو كان ذا عقلٍ لكنتُ أعاقلهْ

وحدث الربيع بن سليمان قال : سمعت الشافعي يقول[3] :

يا راكباً قف بالمحصّب من منىً واهتف بقاعدِ خَيْفها والناهضِ
سَحَراً إذا فاض الحجيجُ إلى منىً فيضاً كملتطمِ الفرات الفائضِ
إن كان رفضاً حبُّ آلِ محمدٍ فليشهد الثقلانِ أني رافضي

ومن كتاب الامام أبي بكر أحمد بن الحسين البيهقي باسناده إلى الربيع بن سليمان قال : سمعتُ الشافعيَّ ، وسأله رجل عن مسألة ، فقال[4] يروى عن النبي ﷺ أنه قال كذا وكذا ، فقال له السائل : يا أبا عبد الله أتقول بهذا ؟ فارتعد الشافعي واصفرَّ

(1) ديوانه : 101/48 ، 189 .
(2) ديوانه : 73/ (وهذا مما تمثل به وليس من شعره ، وقافيته مغيرة : أوافقه/أحامقه) .
(3) البيهقي 2 : 71 .
(4) البيهقي 1 : 475 .

لـونه وحـال وتغير وقـال : ويحك أي أرض تقلّني وأيّ سمـاء تظلني إذا رويتُ عن رسول اللّه ﷺ ولم أقلْ به ؟ نعم على الرأس والعينين .

قال[1] : وسمعت الشافعي يقول : ما من أحـد إلا وتذهب عنـه سُنّة لـرسول اللّه ﷺ وتعزُبُ عنه ، فمهما قلتُ من قولٍ أو أصّلتُ من أصلٍ فيه عن رسول اللّه ﷺ خلافُ ما قلت فالقولُ ما قال رسول الله ﷺ ، وهو قولي ، وجعل يردد هذا الكلام .

وباسناده عن أحمد بن حنبل أنه قال لعبد الملك بن عبد الحميد الميموني[2] : مالك لا تنظر في كتب الشافعي فما من أحد وضع الكتب حتى ظهرت أتبعَ للسنةِ من الشافعي رضي اللّه عنه .

وباسناده إلى أبي عثمان المازني قال[3] : سمعت الأصمعي يقول : قرأتُ شعرَ الشنفرى على الشافعيّ بمكة ، قال زكريا بن يحيى الساجي : فذكرتُ ذلك للرياشي فقال : ما أنكره ، قرأتها على الأصمعي فقال : أنشدنيها رجلٌ من قريش بمكة .

وباسناده إلى عبد الرحمن بن أخي الأصمعي قال[4] : قلت لعمي : يا عمـاه على من قـرأت شعر هـذيل ؟ فقـال على رجل من آل المـطلب يقال لـه محمد بن إدريس .

وحدث الصولي عن المبرد انه قال[5] : كان الشافعي من اشعر النـاس وآدب الناس وأعرفهم بالقراءات .

وباسناده[6] إلى عبد الملك بن هشام النحوي صاحب « كتاب المغازي » أنـه قال : طالت مجالستنا [للشافعي] فما سمعت منه لحنةً قط ولا كلمةً غيرها أحسنَ منها .

وباسناده إلى جبير بن مطعم قال[7] : لما قسم رسول الله ﷺ سهم ذوي القربى

---

(1) البيهقي 1 : 475 .
(2) البيهقي 1 : 261 .
(3) البيهقي 2 : 47 .
(4) البيهقي 2 : 44 .
(5) البيهقي 2 : 48 .
(6) البيهقي 2 : 43 .
(7) البيهقي 1 : 40 وانظر صحيح البخاري (مناقب قريش 6 : 389) .

من خيبر على بني هاشم وبني المطلب مشيتُ أنا وعثمان بن عفان فقلنا : يا رسول الله هؤلاء إخوتك بنو هاشم لا يُنْكَرُ فضلهم لمكانك الذي جعلك الله به منهم ، أرأيت إخوتنا من بني المطلب أعطيتهم وتركتنا وإنما نحن وهم منك بمنزلة واحدة ، فقال : إنهم لم يفارقونا في جاهلية ولا إسلام ، إنما بنو هاشم وبنو المطلب شيء واحد ، ثم شبك رسول الله ﷺ يديه إحداهما بالأخرى ، أخرجه البخاري في الصحيح . وهذا لأن عبد مناف كان له أربعة أولاد : هاشم والمطلب وعبد شمس جدّ بني أمية ونوفل ، وكان جبير بن مطعم من بني نوفل وعثمان من بني عبد شمس وهما أخوا المطلب .

وباسناده[1] إلى الحارث بن سريج النقال قال : سمعت يحيى بن سعيد يقول : أنا أدعو الله للشافعي أخصه به .

وباسناده[2] : كتب عبد الرحمن بن مهدي إلى الشافعي وهو شاب أن يضع له كتاباً فيه معاني القرآن ويجمع قبول الأخبار فيه وحجةَ الاجماع وبيانَ الناسخ والمنسوخ من القرآن والسنة فوضع له كتاب الرسالة . قال عبد الرحمن : ما أصلي صلاةً إلا وأدعو للشافعي فيها .

وباسناده : قال أحمد بن حنبل : كان الفقه قفلاً على أهله حتى فتحه الله بالشافعي .

وباسناده : قال إبراهيم الحربي : سئل أحمد بن حنبل عن مالك بن أنس فقال : حديث صحيح ورأي صحيح ، وسئل عن آخر فقال : لا رأي ولا حديث .

وباسناده[3] إلى محمد بن مسلم بن وارة قال : لما قدمت من مصر أتيت أبا عبد الله أحمد بن حنبل أسلّم عليه ، فقال لي : كتبت كتبَ الشافعي ؟ فقلت : لا ، فقال لي : فَرَّطْتَ ، ما عرفنا العمومَ من الخصوص وناسخَ حديثِ رسول اللّه ﷺ من منسوخه حتى جالسنا الشافعي . قال ابن وارة : فحملني ذلك على أن رجعتُ إلى مصر فكتبتها .

وباسناده قال الزعفراني[4] : كنت مع يحيى بن معين في جنازة فقلت له : يا أبا

---

(1) البيهقي 2 : 143 .
(2) البيهقي 2 : 244 .
(3) البيهقي 1 : 262 .
(4) البيهقي 2 : 250 .

زكريا ما تقول في الشافعي ؟ فقال : دعنا لو كان الكذب له مطلقاً لكانت مروءته تمنعه أن يكذب .

وباسناده(1) إلى عبد الملك الميموني قال : كنت عند أحمد بن حنبل وجرى ذكر الشافعي ، فرأيت أحمد يرفعه وقال : يروى عن النبي ﷺ أن الله يبعث لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة من يقرر لها دينها ، فكان عمر بن عبد العزيز في رأس المائة الأولى ، وأرجو أن يكونَ الشافعي على رأس المائة الأخرى .

وباسناده : قال الشيخ أبو الوليد حسان بن محمد الفقيه يقول : كنا في مجلس القاضي أبي العباس ابن سريج سنة ثلاث وثلاثمائة ، فقام إليه شيخ من أهل العلم فقال له : أبشر أيها القاضي فان اللّه يبعث على رأس كل مائة سنة من يجدّد لها أمر دينها ، وانه تعالى بعث على رأس المائة عمر بن عبد العزيز وتوفي سنة ثلاث ومائة ، وبعث على رأس المائتين أبا عبد اللّه محمد بن إدريس الشافعي وتوفي سنة أربع ومائتين ، وبعثك على رأس الثلاثمائة ، ثم أنشأ يقول :

اثنان قد مضيا فبورك فيهما ... عُمَرُ الخليفةُ ثم حِلْفُ السؤددِ
الشافعيُّ الألمعيُّ محمدٌ ... إرثُ النبوة وابنُ عمِّ محمدِ
أبشرْ أبا العباس إنك ثالث ... من بعدهم سقياً لنوبةِ أحمدِ

قال : فصاح القاضي وبكى وقال : إن هذا الرجل قد نعى إليَّ نفسي . قال فمات القاضي أبو العباس في تلك السنة .

وذكر الخطيب في « تاريخه » أن ابن سريج مات سنة ست وثلاثمائة .

وباسناد البيهقي إلى داود بن علي الأصبهاني أنه قال(2) : اجتمع للشافعي من الفضائل ما لم يجتمع لغيره ، فأوّلُ ذلك شرف نفسه ومنصبه وأنه من رهط النبي ﷺ ، ومنها صحة الدين وسلامة الاعتقاد من الأهواء والبدع ، ومنها سخاوة النفس ، ومنها معرفته بصحة الحديث وسقمه ، ومنها معرفته بناسخ الحديث ومنسوخه ، ومنها حفظه لكتاب اللّه وحفظه لأخبار رسول اللّه ﷺ ومعرفته بسير النبي ﷺ وبسير خلفائه ، ومنها

(1) البيهقي 1 : 55 .
(2) البيهقي 2 : 324 ـ 325 .

كشفه لتمويه مخالفيه ، ومنها تأليف الكتب القديمة والجديدة ، ومنها ما اتفق له من الأصحاب والتلامذة مثل أبي عبد اللّٰه أحمد بن محمد بن حنبل في زهده وعلمه وورعه وإقامته على السنة ، ومثل سليمان بن داود الهاشمي وعبد الله بن الزبير الحميدي والحسين الفلّاس[1] وأبي ثور إبراهيم بن خالد الكلبي والحسن بن محمد بن الصباح الزعفراني وأبي يعقوب يوسف بن يحيى البويطي وحرملة بن يحيى التجيبي والربيع بن سليمان المرادي وأبي الوليد موسى بن [أبي] الجارود والحارث بن سريج النقال وأحمد بن خالد الخلال وأبي عبيد القاسم بن سلام والقائم بمذهبه أبو إبراهيم إسماعيل بن يحيى المزني .

قال الشيخ أحمد البيهقي ، إنما عدّدَ داودُ بن عليّ من أصحاب الشافعي جماعةً يسيرة ، وقد عدَّ أبو الحسن الدارقطني من روى عنه أحاديثه وأخباره أو كلامه زيادةً على مائة ، هذا مع قصور سنه عن سن أمثاله من الأئمة ، وإنما تكثر الرواة عن العالم إذا جاوز سنه الستين أو السبعين ، والشافعي لم يبلغ في السنّ أكثر من أربع وخمسين .

ومن « كتاب مرو » مسنداً إلى عبد اللّٰه بن محمد بن هارون الفريابي قال[2] : وقفت بمكة على حلقةٍ عظيمة وفيها رجل ، فسألت عنه فقيل هذا محمد بن إدريس الشافعي ، فسمعته يقول : سلوني عما شئتم أخبركم بآية من كتاب اللّٰه وسنة عن رسول اللّٰه ﷺ وقول صحابي . فقلت في نفسي : إنّ هذا الرجل جريء ، ثم قلت له : ما تقول في المحرم يقتل الزنبور . فقال قال اللّٰه تعالى ﴿ **ما آتاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوه وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا** ﴾ (الحشر: 7) وحدثنا سفيان بن عيينة عن عبد الملك بن عمير عن ربعي عن حذيفة قال قال رسول اللّٰه ﷺ : اقتدوا باللذين من بعدي أبي بكر وعمر ، وحدثنا سفيان بن عيينة عن مسعر عن قيس بن مسلم عن طارق بن شهاب أن عمر رضي اللّٰه عنه أمر المحرم بقتل الزنبور .

وعن المزني سمعت الشافعي يقول : رأيتُ بالمدينة أربعَ عجائب ، رأيت جدةً لها إحدى وعشرون سنة ، ورأيت رجلاً فلَّسه القاضي في مُدَّي نوىً ، ورأيت شيخاً قد

(1) م : القلانسي .
(2) انظر مناقب البيهقي 1 : 362 .

أتى عليه تسعون سنة يدور نهاره حافياً راجلاً على القيان يعلّمهن الغناء فإذا جاءت الصلاة صلّى قاعداً ، وكان بالمدينةِ والٍ وكان رجلاً صالحاً فقال : مالي لا أرى الناس يجتمعون على بابي كما يجتمعون على أبواب الولاة ؟ فقالوا : إنك لا تضرب أحداً ولا تؤذي الناس ، فقال : أهكذا ؟ عليَّ بالإمام ، فنصب بين العقابين وجعل يضربُ والإمام يقول : أعز اللّه الأمير أيش جرمي ؟ وهو يقول : جَمِّلْنَا بنفسك ، حتى اجتمع الناس على بابه .

وعن خيثمة بن سليمان بن حيدرة قال[1] : جاء رجل إلى الشافعي فقال له : أصلحك الله ، صديقك فلان عليل ، فقال الشافعي : والله لقد أحسنتَ إليَّ وأيقظتني لمكرمة ودفعت عني اعتذاراً يشوبه الكذب ، ثم قال : يا غلام هات السبتية ، ثم قال : للمشيُ على الحفاءِ على علةِ الوجاء في حرِّ الرمضاء من ذي طول أهون من اعتذار إلى صديق يشوبه الكذب ، ثم أنشأ يقول :

أرى راحةً للحقِّ عند قضائِهِ ... ويثقلُ يوماً ان تركت على عَمْدِ
وحسبك حظّاً أن ترى عُذْر كاذب ... وقولك لم أعلمْ وذاك من الجهدِ
ومن يقضِ حقَّ الجار بعد ابنِ عمه ... وصاحبه الأدنى على القرب والبعدِ
يعشْ سيداً يستعذب[2] الناسُ ذكرَهُ ... وإن نابه حقّ أتَوْهُ على قصدِ

ومما يروى للشافعي رضي الله عنه[3] :

أصبحتُ مطَّرحاً في معشرٍ جهلوا ... حقَّ الاديب فباعوا الرأسَ بالذنبِ
والناسُ يجمعهم سملٌ وبينهمُ ... في العقل فَرْقٌ وفي الآدابِ والحسبِ
كمثلما الذهبُ الابريزُ يَشْرَكُهُ ... في لونه الصُّفْرُ والتفضيلُ للذهبِ
والعودُ لو لم تطبْ منه روائحه ... لم يفرقِ الناسُ بين العودِ والحطبِ

وعن أبي بكر ابن بنت الشافعي قال ، قال الشافعي بمكة حين أراد الخروج إلى مصر[4] :

---

(1) البيهقي 2 : 103 ـ 104 .
(2) م : يستغرب .
(3) البيهقي 2 : 64 .
(4) البيهقي 2 : 108 .

لقد أصبحت نفسي تتوقُ إلى مصرِ ومن دونها قَطْعُ المهامهِ والقفرِ

فوالله ما أدري أللفوزِ والغنى أُساقُ إليها أم أُساقُ إلى القبرِ

قال : فخرج فقطع عليه الطريق ، فدخل بعضَ المساجد وليس عليه إلا خرقة ، فدخل الناس وخرجوا فلم يلتفت إليه أحد ، فقال[1] :

عليَّ ثيابٌ لو يباعُ جميعها بفلسٍ لكان الفلسُ منهنَّ أكثرا

وفيهن نفسٌ لو يقاس ببعضها نفوسُ الورى كانتْ أجلَّ وأكبرا

وما ضرَّ نصلَ السيف إخلاقُ غمده إذا كان عضباً أين وجَّهته برى

قرأت في « كتاب خطط مصر » لأبي عبد اللّٰه محمد بن سلامة بن جعفر بن علي القضاعي المصري صاحب « كتاب الشهاب » قال : محمد بن إدريس الشافعي المطلبي الفقيه يكنى أبا عبد الله ، توفي في سلخ رجب سنة أربع ومائتين بمصر ، ودفن غربي الخندق في مقابر قريش ، وحوله جماعة من بني زهرة من ولدْ عبد الرحمن بن عوف الزهري وغيرهم ، وقبره مشهورٌ هناك مجمع على صحته ينقل الخلف عن السلف في كل عصر إلى وقتنا هذا ، وهو البحري من القبور الثلاثة التي تجمعها مصطبة واحدة غربيَّ الخندق ، بينه وبين المشهد ، والقبران الآخران اللذان إلى جنب قبر الشافعي أحدهما قبر عبد الله بن عبد الحكم بن أعين بن ليث بن رافع مولى قريش مات سنة أربع عشرة ومائتين ، ودفن إلى جنب من الشافعي ، وهو مما يلي القبلة ، وهو القبر الأوسط من القبور الثلاثة ، وكان من ذوي الجاه والمال والذبائح ، وكان يزكي الشهود ، ولم يشهدْ قطّ لدعوةٍ سَبَقَتْ فيهم ، والقبر الثالث قبر ولده عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد الحكم مات في سنة سبع وخمسين ومائتين ، وقبره مما يلي القبلة ، وعبد الرحمن هذا هو صاحب « كتاب فتوح مصر » وكان عالماً بالتواريخ .

يقال ان الشافعي رضي الله عنه قدم إلى مصر سنة تسع وتسعين ومائة في أول خلافة المأمون ، وكان سبب قدومه إلى مصر أن العباس بن عبد الله بن العباس بن موسى بن عبد الله بن العباس استصحبه فصحبه ، وكان العباس هذا خليفةً لأبيه

(1) البيهقي 1 : 129 ـ 130 .

عبد الله على مصر ، ولم يزل الشافعي بمصر إلى أن ولي السري بن الحكم البلخي ، من قوم يقال لهم الزطّ ، مصر واستقامت له ، وكان يكرم الشافعي ويقدّمه ولا يؤثر أحداً عليه ، وكان الشافعي محبباً إلى الخاص والعام لعلمه وفقهه وحسن كلامه وأدبه وحلمه ، وكان بمصر رجل من أصحاب مالك بن أنس يقال له فتيان فيه حدة وطيش ، وكان يناظر الشافعي كثيراً ويجتمع الناسُ عليهما ، فتناظرا يوماً في مسألة بيع الحر ، وهو العبد المرهون إذا أعتقه الراهن ولا مال له غيره ، فأجاب الشافعي بجواز بيعه على أحد أقواله ، ومنع فتيان منه لأنه يمضي عتقه بكل وجه ، وهو أحد أقوال الشافعي ، فظهر عليه الشافعي في الحجاج ، فضاق فتيان بذلك ذرعاً فشتم الشافعيَّ شتماً قبيحاً ، فلم يردَّ عليه الشافعيُّ حرفاً ، ومضى في كلامه في المسألة ، فَرَفَعَ ذلك رافعٌ إلى السري ، فدعا الشافعي وسأله عن ذلك وعزم عليه فأخبره بما جرى ، وشهد الشهود على فتيان بذلك ، فقال السري : لو شهد آخر مثل الشافعي على فتيان لضربت عنقه ، وأمر فتيان فَضُرِبَ بالسياط وطيف به على جمل وبين يديه منادٍ ينادي هذا جزاء من سبَّ آلَ رسول الله ﷺ . ثم إن قوماً تعصبوا لفتيان من سفهاء الناس وقصدوا حلقة الشافعي حتى خلت من أصحابه وبقي وحده ، فهجموا عليه وضربوه ، فحمل إلى منزله فلم يزل فيه عليلاً حتى مات في الوقت المقدم ذكره .

قال ابن يونس : كان للشافعي ابن اسمه محمد قدم مع أبيه مصر ، توفي بها في شعبان سنة إحدى وثلاثين ومائتين . وقيل كان له ولد آخر اسمه محمد أيضاً يروي عن سفيان بن عيينة ولي قضاء الجزيرة وتوفي بها بعد أربعين ومائتين .

هذا آخر ما ذكره القضاعي نقلته على وجهه .

ومن مشهور أصحاب الشافعي : أبو إبراهيم إسماعيل بن يحيى المزني[1] ، مات في سنة أربع وستين ومائتين .

والربيع بن سليمان وكان من أجلِّ أصحاب الشافعي وأورعهم وأكثرهم تصنيفاً .

ومحمد بن عبد الله بن عبد الحكم[2] يكنى أبا عبد الله ، صحب الشافعي وقرأ

(1) ترجمة اسماعيل المزني في سير الذهبي 12 : 492 (وإنما اخترت السير لأنه يدل على غيره لكثرة المصادر المذكورة في الحواشي) .

(2) ترجمة ابن عبد الحكم في سير الذهبي 12 : 497 .

عليه ومات سنة ثمان وستين ومائتين ، ودفن إلى جنب الشافعي مع قبر أخيه وأبيه المذكورين ، وكان من أهل الدين والورع .

والربيع بن سليمان بن عبد الجبار المرادي[1] مولى لهم المؤذن الفقيه ، يكنى أبا محمد ، وهو صاحب الشافعي المشهور بصحبته ومات سنة سبعين ومائتين ، وقبره غربي الخندق مما يلي الفقاعي ، وهو آخر من روى بمصر عن الشافعي ، وكان جليلاً مصنفاً حدث بكتب الشافعي كلها ونقلها الناس عنه ويقال انه أعان المزني على غسل الشافعي .

والربيع بن سليمان بن داود بن الأعرج الجيزي[2] مولى الأزد ، وأظنه صحب الشافعي ومات في سنة ست وخمسين ومائتين وقبره بالجيزة .

وهذا فهرست كتب الشافعيّ رضي الله عنه : كتاب الطهارة . كتاب مسألة المني . كتاب استقبال القبلة . كتاب الإمامة . كتاب إيجاب الجمعة . كتاب صلاة العيدين . كتاب صلاة الكسوف . كتاب صلاة الاستسقاء . كتاب صلاة الجنائز . كتاب الحكم في تارك الصلاة . كتاب الصلاة الواجبة والتطوع والصيام . كتاب الزكاة الكبير . كتاب زكاة الفطر . كتاب زكاة مال اليتيم . كتاب الصيام الكبير . كتاب المناسك الكبير . كتاب المناسك الأوسط . كتاب مختصر المناسك . كتاب الصيد والذبائح . كتاب البيوع الكبير . كتاب الصرف والتجارة . كتاب الرهن الكبير . كتاب الرهن الصغير . كتاب الرسالة . كتاب أحكام القرآن . كتاب اختلاف الحديث . كتاب جماع العلم . كتاب اليمين مع الشاهد . كتاب الشهادات . كتاب الاجارات الكبير . كتاب كري الابل والرواحل . كتاب الاجارات إملاء . كتاب اختلاف الأجير والمستأجر . كتاب الدعوى والبينات . كتاب الاقرار والمواهب . كتاب ردّ المواريث . كتاب بيان فرض الله عز وجل . كتاب صفة نهي النبي عليه السلام . كتاب النفقة على الأقارب . كتاب المزارعة . كتاب المساقاة . كتاب الوصايا الكبير . كتاب الوصايا بالعتق . كتاب الوصية للوارث . كتاب وصية الحامل . كتاب صدقة الحي عن

(1) ترجمة الربيع المرادي في سير الذهبي 12 : 587 .

(2) ترجمة الربيع الجيزي في سير الذهبي 12 : 591 .

الميت . كتاب المكاتب . كتاب المدبَّر . كتاب عتق أمهات الأولاد . كتاب الجناية على أم الولد . كتاب الولاء والحلف . كتاب التعريض بالخطبة . كتاب الصداق . كتاب عشرة الصداق . كتاب تحريم ما يجمع من النساء . كتاب الشغار . كتاب إباحة الطلاق . كتاب العدة . كتاب الإيلاء . كتاب الخلع والنشوز . كتاب الرضاع . كتاب الظهار . كتاب اللعان . كتاب أدب القاضي . كتاب الشروط . كتاب اختلاف العراقيين . كتاب اختلاف علي وعبد الله . كتاب سير الأوزاعي . كتاب الغصب . كتاب الاستحقاق . كتاب الأقضية . كتاب إقرار أحد الابنين بأخ . كتاب الصلح . كتاب قتال أهل البغي . كتاب الأسارى والغلول . كتاب القسامة . كتاب الجزية . كتاب القطع في السرقة . كتاب الحدود . كتاب المرتدّ الكبير . كتاب المرتدّ الصغير . كتاب الساحر والساحرة . كتاب القراض . كتاب الأيمان والنذور . كتاب الأشربة . كتاب الوديعة . كتاب العمري . كتاب بيع المصاحف . كتاب خطأ الطبيب . كتاب جناية معلم الكتّاب . كتاب جناية البيطار والحجام . كتاب اصطدام الفرسين والنفسين . كتاب بلوغ الرشد . كتاب اختلاف الزوجين في متاع البيت . كتاب صفة النفي . كتاب فضائل قريش والأنصار . كتاب الوليمة . كتاب صول الفحل . كتاب الضحايا . كتاب البَحيرة والسائبة . كتاب قسم الصدقات . كتاب الاعتكاف . كتاب الشفعة . كتاب السبق والرمي . كتاب الرجعة . كتاب اللقيط والمنبوذ . كتاب الحوالة والكفالة . كتاب كري الأرض . كتاب التفليس . كتاب اللقطة . كتاب فرض الصدقة . كتاب قسم الفيء . كتاب القرعة . كتاب صلاة الخوف . كتاب الديات . كتاب الجهاد . كتاب جراح العمد . كتاب الخرص . كتاب العتق . كتاب عمارة الأرضين . كتاب إبطال الاستحسان . كتاب العقول . كتاب الأولياء . كتاب الردّ على محمد بن الحسن . كتاب صاحب الرأي . كتاب سير الواقدي . كتاب حبل الحبلة . كتاب خلاف مالك والشافعي . كتاب قطاع الطريق .

قال : والذي لم يسمعه الربيع من الشافعي رضي الله عنه وأرضاه : كتاب الوصايا الكبير . كتاب اختلاف أهل العراق على علي وعبد الله . كتاب ديات الخطأ . كتاب قتال المشركين . كتاب الاقرار بالحكم الظاهر . كتاب الأجناس . كتاب اتباع أمر رسول الله ﷺ . كتاب مسألة الجنين . كتاب وصية الشافعي . كتاب ذبائح بني

إسرائيل . كتاب غسل الميت . كتاب ما ينجس الماء مما خالطه . كتاب الأمالي في الطلاق . كتاب مختصر البويطي ، رواه الربيع عن الشافعي رضي الله عنه .

ـ 994 ـ

محمد بن أزهر بن عيسى: أحد الأخباريين المشهورين. قال محمد بن إسحاق النديم : مات سنة تسع وسبعين ومائتين ، ومولده سنة [مائتين ، وتوفي عن] تسع وسبعين ، وكان قد سمع من ابن الأعرابيّ وغيره ، وله من الكتب كتاب التاريخ ، من خيار[1] الكتب .

ـ 995 ـ

محمد بن إسحاق بن يسار : صاحب « السيرة » كنيته أبو عبد الله وقيل أبو بكر ، مولى عبد الله بن قيس بن مخرمة بن المطلب بن عبد مناف بن قصي ، ويسار من سبي عين التمر ، وهو أول سبي دخل المدينة من العراق .

قال ابن أبي خيثمة : وموسى بن يسار أخو إسحاق بن يسار عم محمد بن إسحاق راوية أيضاً علامة .

مات محمد بن إسحاق سنة خمسين أو إحدى أو اثنتين وخمسين ومائة ، ودفن بمقابر الخيزران عند قبر أبي حنيفة .

قال المرزباني : ومحمد بن إسحاق أولُ من جمع مغازي رسول الله ﷺ وألَّفها ، وكان يروي عن عاصم بن عمر بن قتادة ويزيد بن رومان ومحمد بن إبراهيم

994 ـ ترجمة ابن أزهر في الفهرست : 126 وكنيته أبو جعفر ، والوافي 2 : 186 .

995 ـ ترجمة محمد بن اسحاق في طبقات ابن سعد 321/7 والمعارف : 491 والمعرفة والتاريخ 2 : 27 والفهرست : 105 وتاريخ بغداد 1 : 214 وابن خلكان 4 : 276 وتذكرة الحفاظ: 172 وميزان الاعتدال 3 : 468 وسير الذهبي 7 : 33 وعبر الذهبي 1 : 216 والوافي 2 : 188 وتهذيب التهذيب 9 : 38 وطبقات الحفاظ: 75 والشذرات 1 : 230 .

(1) م : جياد .

وابن شهاب والأعمش ، ويروي عن فاطمة بنت المنذر بن الزبير امرأة هشام بن عروة ، فبلغ ذلك هشاماً فقال : هو كان يدخل على امرأتي ؟! كأنه أنكر ذلك ، وخرج عن المدينة قديماً فلم يروِ عنه منهم أحد غير إبراهيم بن سعد . وكان محمد بن إسحاق مع العباس بن محمد بالجزيرة ، وكان قصد أبا جعفر المنصور بالحيرة فكتب إليه المغازي ، فسمع منه أهل الكوفة لذلك السبب ، وسمع منه أهل الجزيرة حين كان مع العباس بن محمد ، وأتى الريَّ فسمع منه أهلها ، فرواته من هذه البلدان أكثر ممن روى عنه من أهل المدينة ، وأتى بغداد فأقام بها إلى أن مات بها ، وكان كثير الحديث ، وقد كتب عنه العلماء ، ومنهم من يستضعفه ، وكان له أخوان عمر وأبو بكر ابنا إسحاق وقد رويا الحديث.

وحدث باسناد رفعه إلى المفضل بن غسان الغلابي قال : سألت يحيى بن معين عن محمد بن إسحاق فقال قال عاصم بن عمر بن قتادة[1]: لا يزال في الناس علم ما عاش محمد بن إسحاق . قال يحيى : وابن إسحاق يسمع من عاصم فكان يقال. . . . .

وحدث فيما رفعه إلى علي بن المديني قال : سمعت يحيى بن سعيد القطان يقول : كان محمد بن إسحاق والحسن بن ضمرة وإبراهيم بن محمد كل هؤلاء يتشيعون ويقدّمون علياً على عثمان.

وقال الشاذ كوني : كان محمد بن إسحاق بن يسار يتشيع وكان قدرياً.

وقال أحمد بن يونس : أصحاب المغازي يتشيعون كابن إسحاق وأبي معشر ويحيى بن سعيد الأموي وغيرهم ، وأصحاب التفسير السدي والكلبي وغيرهما.

وكان له انقطاع إلى عبد الله بن حسن بن حسن ، وكان يأتيه بالشيء فيقول له : أثبتْ هذا في علمك ، فيثبته ويرويه عنه.

وحدث فيما أسنده الى الواقدي قال : كان محمد بن إسحاق يجلس قريباً من النساء في مؤخر المسجد ، فيروى عنه أنه كان يسامر النساء ، فرفع إلى هشام وهو أمير

---

(1) سير الذهبي 7: 36 .

المدينة ، وكانت له شعرة حسنة ، فرقق رأسه وضربه أسواطاً ونهاه عن الجلوس هنالك ، وكان حسن الوجه.

وحدث عبد الله بن إدريس قال : كنت عند مالك بن أنس فقال له رجل : إن محمد بن إسحاق يقول : اعرضوا عليَّ علم مالك بن أنس فإني أنا بيطاره ، فقال مالك : انظروا إلى دجالٍ من الدجاجلة يقول اعرضوا عليَّ علم مالك .

قال ابن ادريس : وما رأيت أحداً جَمَعَ الدجالَ قبله .

وحدث هارون بن عبد الله الزهري قال : سمعت ابن أبي خازم قال[1] : كان ابن إسحاق في حلقته ، فاغفى ثم انتبه فقال : رأيت حماراً اقتيد بحبل حتى خرج من المسجد ، فلم يبرح حتى أتته رسلُ الوالي فاقتادوه بحبل فأخرجوه من المسجد.

قال : محمد بن إسحاق كانت تعمل له الأشعار فيضعها في كتب المغازي ، فصار بها فضيحة عند رواة الأخبار والأشعار ، وأخطأ في كثير من النسب الذي أورده في كتابه ، وكان يحمل عن اليهود والنصارى ويسميهم في كتبه أهل العلم الأول ، وأصحاب الحديث يضعفونه ويتهمونه.

وله من الكتب : كتاب الخلفاء ، رواه عنه الأموي . كتاب السير والمغازي . كتاب المبدأ ، رواه عنه إبراهيم بن سعد ومحمد بن عبد الله بن نمير النفيلي ، ومات النفيلي بحران سنة أربع وثلاثين ومائتين وكان يكنى أبا عبد الرحمن .

ـ 996 ـ

محمد بن إسحاق أبو العنبس الصيمري : قال الخطيب في « تاريخه » : محمد بن إسحاق بن إبراهيم بن أبي العنبس بن المغيرة بن ماهان ، أبو العنبس

996 ـ ترجمة أبي العنبس في الفهرست: 168 وتاريخ بغداد 1 : 238 ، والأغاني 21 : 53 ـ 57 والوافي 2 : 191 والورقة: 5 ومعجم المرزباني : 393 والمنتظم 5 : 99 والمحمدون: 131 والنجوم الزاهرة 3 : 74 .

(1) قارن بسير الذهبي : 43 .

الصيمري الشاعر أحد الأدباء الملحاء ، خبيث اللسان هجّاء ، هجاه أكثر شعراء زمانه وقدم بغداد ؛ مات سنة خمس وسبعين ومائتين ، وحمل إلى الكوفة فدفن بها . ونادم المتوكل وهو القائل يهجو أحمد بن المدبر[1] :

أسلُ الذي عَطَفَ الموا كب [بالأعنة] نحو بابكْ
وأراك نفسكَ مالكاً ما لم يكنْ لك في حسابك
وأذلَّ موقفيَ العزيـ ـزَ على وقوفي في رحابك
أن لا يطيلَ تجرعي غُصَصَ المنيةِ من حجابك

وهو القائل[2] :

كم مريضٍ قد عاش من بعد يأسٍ بعد موتِ الطبيبِ والعوّادِ
قد يُصادُ القطا فينجو سليماً ويحلُّ القضاءُ بالصيَّاد

وذكره محمد بن إسحاق النديم في « الفهرست » فقال[3] : محمد بن إسحاق أبو العنبس الصيمري من أهل الفكاهات ، وأصله من الكوفة ، وكان قاضي الصيمرة ، وكان مع استعماله للهزل شريفاً عارفاً بالنجوم ، وله فيه كتاب يمدحه المنجمون ، وأدخله المتوكل في ندمائه وخُصَّ به ، وله مع البحتريّ خبرٌ معروف بين يدي المتوكل ، وعاش إلى أيام المعتمد ودخل في ندمائه ، وله يهجو طباخ المعتمد :

يا طيبَ أيامي بمعشوقِ ونحن في بعدٍ من السوقِ
إذا طلبتُ الخبزَ من فارسٍ ينفخ لي صالح بالبوق

وله من الكتب : كتاب تأخير المعرفة . كتاب العاشق والمعشوق . كتاب الرد على المنجمين. كتاب الطيلبنب. كتاب كرزابلا[4]. كتاب طوال اللحى. كتاب الرد على المتطببين . كتاب عنقاء مغرب . كتاب الراحة ومنافع القيادة[5] . كتاب فضائل

(1) معجم المرزباني : 393 .
(2) المحمدون : 133 .
(3) فيه بعض اختلاف عما في الفهرست .
(4) تصحف اسما هذين الكتابين .
(5) الفهرست : الفدارة (وفي نسخة : العيارة) .

حلق الرأس . كتاب هندسة العقل . كتاب الأحاديث الشاذة . كتاب فضائل الزو[1] . كتاب الرد على أبي ميخائيل الصيدناني في الكيمياء . كتاب عجائب البحر . كتاب مساوي العوام وأخبار السفلة والأغتام . كتاب فضل السُلّم على الدرجة . كتاب الفاس بن الحائك . كتاب الدولتين في تفضيل الخلافتين . كتاب تذكية العقول . كتاب السّحاقات والبغائين . كتاب الخضخضة في جلد عميرة . كتاب أخبار أبي فرعون كندر بن جحدر . كتاب تفسير الرؤيا . كتاب الثقلاء . كتاب نوادر القواد . كتاب دعوة العامة . كتاب الاخوان والأصدقاء . كتاب كنى الدوابّ . كتاب أحكام النجوم . كتاب المدخل في صناعة التنجيم . كتاب صاحب الزمان . كتاب الحلقتين[2] . كتاب استغاثة الجمل على ربه . كتاب فضل السُرْم على الفم .

وقال أبو العنبس الصيمري : قوام أمر الانسان بتسع دالات : دار ودينار ودرهم ودقيق ودابة ودبس ودن ودسم ودعوة .

وحدث الصولي قال حدثني ابن أبي العنبس ، وكان قدم الينا بغداد من سر من رأى وكان متأدّباً قال : عرضت لأبي حاجة الى الحسن بن مخلد وزير المعتمد في إقطاع له فخاف معارضته ، وذلك أيام تقلده ديوان الضياع ، فقال[3] :

زارني بدرٌ على غُصُنِ قابلاً وَصْلي يقبلني
خلتُهُ في النوم من فَرَحي قد أعاد الروحَ في بدني[4]
ان لي عن مثله شغلاً بمقال الشعرِ في الحسن
وأبيه مخلدٍ فَبِهِ قد لبسنا سابغَ المنن
كاتبٌ قلَّ النظيرُ له فاضلٌ في العلم واللَّسَنِ

قال : فأمضى له كل ما أراد ولم يعارضه في شيء .

---

(1) الفهرست : الزق .

(2) الفهرست : الخلعتين .

(3) المحمدون : 133 .

(4) رواية المحمدون :

خلته لما أتى حلماً وهو روحي ردّ في بدني

وأنشد جحظة لأبي العنبس الصيمري :

لئن كنتَ عن أرضٍ تقلّك نـازحاً فلم يحكني غيـرُ السليمِ المسهـدِ
وعلّمتُ مذ جَرَّعتني صـابَ بينكم غـريبَ البكا عينَ الحمـام المغرد

وعن أبي الفرج[1] حدثني أحمد بن جعفر جحظة ، قال حـدثني أبو العنبس الصيمري قال : كنت عند المتوكل والبحتريّ ينشده :

عـن أيِّ ثـغـرٍ تـبـتـسـمْ وبـأيِّ طَـرْفٍ تـحـتـكـمْ

حتى بلغ إلى قوله :

قـل للخليفـة جعفـر الـــمتـوكـلِ بن المعتصـم
والمجتـدى ابن المجتـدى والـمنـعم ابـن المـنـتـقـم
اسـلمْ لـديـنِ مـحـمـدٍ وإذا سـلمتَ فـقـد سـلم

قال : وكان البحتري من أبغض الناس إنشاداً ، يتشدق ويتزاور في مشيه مـرةً جائياً ومرةً القهقرى ، ويهزّ رأسه مرة ومنكبه أخرى ، ويشير بكمه ويقول : أحسنتُ واللّه ، ثم يقبل على المستمعين فيقول : ما لكم لا تقولون أحسنت ؟ هذا والله ما لا يُحْسِنُ أحدٌ أن يقولَ مثله ، فضجر المتوكلُ من ذلك وأقبل عليَّ فقال : أما تسمعُ يا صيمري ما يقول ؟ فقلت : بلى يا سيدي فمرْ فيه بما أحببتَ ، فقال : بحياتي أهجه على هذا الرويّ الذي أنشدنيه ، فقلت :

أدخلتَ رأسك في الحرم[2] وعـلـمـتَ أنـك تـنـهـزمْ
يـا بـحـتـريُّ حَـذَارِ ويـلَكَ من قضـاقضـةٍ ضُغُمْ
فـلقـد أسـلتَ لـوالـديـــك[3] من الهجا سَيْلَ العرم
والـلّهِ حـلفـةَ صـادقٍ وبـقـبـر أحـمـدَ والـحـرم

(1) الأغاني 21 : 53 ـ 57 والمحمدون : 131 ـ 132 .
(2) الأغاني : الرحم (وفي بعض أصوله : الحرم) .
(3) الأغاني : بواديك .

وبحقِّ جعفرٍ الاما ... مِ ابن الامام المعتصم
لأصيِّرنَّكَ شُهْرةً ... بين المسيلِ إلى العلم
فبأيِّ عرضٍ تعتصمْ ... وبهتكه جفَّ القلم
حيِّ الطلول بذي سلم ... حيثُ الأراكةُ والخيم
يا ابنَ الثقيلة والثقيـ ... ـلِ على قلوب ذوي النعم
وعلى الصغيرِ مع الكبـ ... ـير مع الموالي والحشم
في أيِّ سلح تلتطم[1] ... وبأيِّ كفٍّ تلتقم
يا ابنَ المباحة للورى ... أمن العفاف أو التهم
إذ رحل أختك للعجم ... وفراش أمك في الظلم
وبباب دارك حانةٌ ... في بيته يؤتى الحكم

قال : وخرج البحتري مغضباً يعدو ، وجعلت أصيح به خلفه :

أدخلتَ رأسك في الحرم ... وعلمتَ أنك تنهزم

والمتوكل يضحك ويصفق حتى غاب عنه . هذه رواية جحظة ، والذي يتعارفه الناس أن أبا العنبس كان واقفاً خلف السرير والبحتري ينشد قوله :

عن أيِّ ثغرٍ تبتسم ... وبأيِّ طرفٍ تحتكم

فقال أبو العنبس ارتجالاً :

في أيِّ سلحٍ ترتطم ... وبأيِّ كفٍّ تلتقم
أدخلتَ رأسك في الحرم ... وعلمتَ أنك تنهزم

فغضب البحتريّ وخرج ، وضحك المتوكل حتى أكثر ، وأمر لأبي العنبس الصيمري بعشرة آلاف درهم .

---

(1) الأغاني : ترتطم .

- 997 -

محمد بن إسحاق بن أسباط الكندي أبو النضر المصري: ذكره أبو بكر الزبيدي ، قال الزبيدي : أخذ عن الزجاج ، وله كتاب في النحو سماه « كتاب العيون والنكت » ذهب فيه إلى حدِّ الاسم والفعل والحرف ، وتلا ذلك بذكر شيء من أبواب الياء والواو ولم يصنع شيئاً .

وقال ابن مسعر : نزل أبو النضر أنطاكيةَ مدةً ثم سار عنها إلى مصر ، وله كتابان : كتاب التلقين . كتاب الموقظ . ورأيت أنا له كتاب المغني في النحو.

وذكره ابن عبد الرحيم فقال : نقلتُ من خطِّ أبي الحسن ابن الخطيب حدثنا الببغا قال : كان يجتمع معنا في خدمة سيف الدولة شيخ من أهل الأدب والتقدم في النحو وعلم المنطق ممن درس على الزجاج وأخذ عنه ، يكنى بأبي النضر ، وذكر اسمه ونسبه ، وحكى أنه كان حسن الشعر ، وأخبرنا أن الأبيات التي ينسبها قوم إلى ابن المغيرة وآخرون إلى أبي نضلة (قلت أنا : ووجدتها أنا في ديوان أبي القاسم التنوخي معزوّة إلى أبي القاسم وتروى لغيرهم أيضاً) أنها لأبي النضر من قديم شعره وأنشدها لنفسه ، وهي[1] :

وكأسٍ من الشمسِ مخلوقةٍ ... تضمنها قَدَحٌ من نهارِ
هواءٌ ولكنه ساكنٌ ... وماءٌ ولكنَّه غيرُ جار
فهذا النهايةُ في الإبيضاضِ ... وهذا النهايةُ في الإحمرار
وما كان في الحكم أن يوجدا ... لفرطِ التنافي وفرطِ النفار
ولكن تجاور سطحاهما الـ ... ـبسيطان فاجتمعا بالجوار
كأن المديرَ لها باليمين ... إذا طاف للسقي أو باليسار

997 ـ ترجمة ابن اسباط الكندي في طبقات الزبيدي : 221 والمحمدون: 135 وإنباه الرواة 3 : 68 والوافي 2 : 195 وبغية الوعاة 1 : 53 .

(1) المحمدون : 135 ـ 136 .

تــدرَّعَ ثـوبــاً من اليــاسمين ... لــه فــردُ كمٍّ من الـجلنــار

وقد أورد التنوخي هذه الحكاية في « كتاب النشوار » وحكى أن أبا النضر كان عالماً بالهندسة قيماً بعلوم الأوائل .

ولأبي النضر أيضاً[1] :

هات اسقني بالكبيـر وانتخبِ ... نــافيــةً للهمــومِ والكُــرَبِ
فلو تــراني إذا انتشيتُ وقــد ... حـركتُ كفّي بها من الـطربِ
لـخلتَـني لابســاً مُـشَـهَّــرةً ... من لازَوَرْدٍ يشـفُّ عن ذهــبِ

وقال أبو علي التنوخي : أنشدني أبو عمر ابن جعفر الخلال لأبي النضر المصري النحـوي من قصيدةٍ يـذكر فيهـا رجلاً مـدحه قـال : وكان متسعـاً في الشعر الجيـد المستحسن :

ورأيتَ أحمــدنــا وسيــدنــا ... متـصــدراً لـلوردِ والـصَّــدَرِ
خلتَ النجــومَ خُلِقْـنَ دائــرةً ... مـوصـولـةَ الـطرفين بــالقمـر

ـ 998 ـ

محمد بن إسحاق أبو عبد الله الشابُشتي : صاحب خـزانة كتب العـزيز بن المعز بمصر والمتولي عرضها ، وكان من أهل الفضل والأدب ، مات سنة تسع وتسعين وثلاثمائة للهجرة في أيام الحاكم بن العزيز وله عدة تصانيف منها : كتاب الديارات . كتاب اليسر بعد العسر . كتاب مراتب الفقهاء . كتاب التوقيف والتخويف . كتـاب مراسلات . كتاب ديوان شعره . كتاب في الزهد والمواعظ .

---

998 ـ ترجمة الشابشتي صاحب الـديارات في ابن خلكـان 3 : 319 والوافي 2 : 194 ومـراصد الاطـلاع 1 : 427 وانظر مقدمة المحقق على كتاب الديارات ؛ والاختلاف في اسمه كثير ، وهو عند ابن خلكان علي بن محمد .

(1) المحمدون : 136 .

وقد اختلف في اسمه فرأيت أنا « كتاب الديارات » من تصنيفه وهو مترجم محمد ابن إسحاق كما ترى ، ونقل لي بمصر بعضُ من اختبرت صحةَ نقله أنه أبو الحسن علي بن أحمد ، والله أعلم .

ـ 999 ـ

محمد بن اسحاق النديم: كنيته أبو الفرج ، وكنية أبيه أبو يعقوب ، مصنف « كتاب الفهرست » الذي جوّد فيه واستوعب استيعاباً يدلُّ على اطلاعه على فنون من العلم وتحققه لجميع الكتب ، ولا أبعد أن يكونَ قد كان وراقاً يبيع الكتب ، وذكر في مقدمة هذا الكتاب أنه صنف في سنة سبع وسبعين وثلاثمائة . وله من التصانيف : فهرست الكتب . كتاب التشبيهات . وكان شيعياً معتزلياً .

ـ 1000 ـ

محمد بن إسحاق بن علي بن داود بن حامد أبو جعفر القاضي الزوزني البحاثي: ذكره عبد الغافر بن إسماعيل بن عبد الغافر الفارسي وأنه مات بغزنة سنة ثلاث وستين وأربعمائة وقال : هو أحدُ الفضلاءِ المعروفين والشعراءِ المفلقين ، صاحب التصانيف العجيبة المفيدة جداً وهزلاً ، والفائق أهلَ[1] عصره ظرفاً وفضلاً ، المتعصب لأهل السنة ، المخصوص بخدمة البيت الموفقي ، المحترم بين الأئمة والكبار لفضله مرة ، وللتوقي من حُمَاتِ لسانه وعقارب هجائه ثانية ، ولقد رزق من الهجاء في النظم والنثر طريقة لم يُسْبَقْ إليها ، وما ترك أحداً من الكبراء والأئمة والفقهاء وسائر الأصناف من الناس[2] إلا هجاه ووقع فيه ، فكان الكل يتترسون باحترامه وإيوائه، عن سهام هجائه .

999 ـ ترجمة صاحب الفهرست في الوافي 2 : 197 ولسان الميزان 5 : 72 .

1000 ـ ترجمة البحاثي في إنباه الرواة 3 : 66 والمحمدون: 134 والوافي 2 : 197 واللباب (البحاثي) وتتمة اليتيمة 2 : 30 ـ 32 وياقوت يعتمد على السياق لعبد الغافر الفارسي (انظر المنتخب الثاني ، الورقة 12/أ) .

(1) السياق : على أهل .

(2) السياق : من الناس أحداً .

قال عبد الغافر : وكان صديق والدي من البائتين عنده[1] في الأحايين ، والمقترحين عليه ما يشتهيه من الطبائخ والمطعومات . سمعته رحمه اللّه يحكي عن أحواله وتهتكه واشتغاله في جميع الأحوال بما لا يليق بالعلماء والأفاضل ، ولكنه كان يحتملُ عنه اتقاء لسانه . ومما حكاه لي رحمه الله قال : ما وقع بصري قطُّ على شخصٍ إلا تصوَّر في قلبي هجاؤه قبل أن أكلّمه وأجربه أو أخبر أحواله . وحكى لي بعضُ من أثقُ به أنه قال : لم يفلت أحدٌ من هجائي إلا القاضي الامام صاعد بن محمد رحمه اللّه ، فإني كنت زورت في نفسي أن أهجوه ، فحيث تأملتُ في حسن عبادته وكمال فضله ومرضيِّ سيرته استحييت من اللّه تعالى وتركت ما أَجَلْتُهُ في فكري ، على أني سمعتُ فيما قرع سمعي تشبيباً منه بشيء من ذلك عفا اللّه عنه ، ولقد خصّ طائفةً من الأكابر والعلماء بوضع التصنيف فيهم ورميهم بما برأهم اللّه عز وجل عنه . وبالغ في الافحاش ، وأغرق في قوس الايحاش ، وأظهر النُّسَخَ بين الناس ، وأغرب في فنون الهجاء ، وأتى بالعبارات الرشيقة والمعاني الصحيحة من حيث الصنعة ، وإن كانت عن آخرها أوزاراً وآثاماً وكذباً وبهتاناً . واتفق الأفاضلُ على أنه أهجى عصره من الفضلاء ، وأفتقهم شتماً قبيحاً تعريضاً وتصريحاً ، وكان يسكن مدرسة السيوري بباب عزرة ويخصُّ جماعةَ سكانها من الأئمة في عصره بالهجاء ، وله معهم ثارات وأحوال يطول ذكرها ، ثم مع تبحره وانفراده بفنِّ الهجاءِ كان له شعرٌ في الطبقة العليا في المدح والثناء وسائر المعاني ، قصائدُهُ الغرُّ في السادةِ والأئمة مشهورة ، ومقطعاته في الغزل مأثورة ، وكان ينسخُ كتبَ الأدب بخطٍّ مقروء صحيح أحسن النُّسْخ ، ولقد رأيتُ نسخةً من « كتاب يتيمة الدهر » لأبي منصور الثعالبي في خمس مجلدات بخطه المليح بيعت بثلاثين ديناراً نيسابورية وكانت تساوي أكثر من ذلك ، ولقد كتب نسخة من « غريب الحديث » لأبي سليمان الخطابي وقرأها على جدي الشيخ عبد الغافر بن محمد الفارسي قراءةَ سماعٍ ، وعلى الحاكم الامام أبي سعد ابن دوست قراءة تصحيح وإتقان ، أقطع على اللّه تعالى أنْ لم يبقَ من ذلك الكتاب نسخةٌ أبينُ ولا أملحُ منها ، وهي الآن برسم خزانة الكتب الموضوعة في الجامع القديم موقوفةً على المسلمين من

(1) السياق : عنده في داره .

أراد صدقي في ادعائي فليطالعه منها . ولم أظفر من مسموعاته في الأحاديث بشيء يمكنني أن أودعه هذا الكتاب مع أني لا أشك في سماعه ، ولقد ذكر الحافظ أنه روى عنه عن خاله أبي الحسن هارون الزوزني عن أبي حاتم ابن حبان ولم يقع إلي بعدُ .

ومن شعره في بعض الأكابر :

يرتاحُ للمجد مهتزًّا كمطردٍ ... مُثَقَّفٍ من رماحِ الخطِّ عسَّالِ
فمرةً باسمٌ عن ثغر برقِ حياً ... وتارةً كاشفٌ عن ناب رئبال
فما أسامةُ مطروراً براثنه ... ضخمُ الجُزارةِ يحمي خِيسَ أشبال
يوماً بأشجَعَ منه حَشْوَ ملحمةٍ ... والحربُ تصدعُ أبطالاً بأبطال
ولا خُضَارةُ صخاباً غواربُهُ ... تسمو أواذيُّه حالاً على حال
أندى وأسمحُ منه إذ يبشّرُهُ ... مُبَشِّرُوهُ بِرُوّادٍ ونُزَّال

إلى غير ذلك من أمثاله إلى تمام القصيدة . وله :

وذي شَنَب لو أنّ حمرةَ ظَلْمِهِ ... أشبهها بالجمر خفتُ به ظُلما
قبضتُ عليه خالياً واعتنقته ... فأوسعني شتماً وأوسعته لثما

ومن شعره يصف البرد :

متناثرٌ فوق الثرى حبّاتُهُ ... كثغور معسولِ الثنايا أشنبِ
بَرَدٌ تحدَّر من ذرى صخّابةٍ ... كالدرِّ إلا أنه لم يُثْقَبِ

قال عبد الغافر : واقتصرت على هذا الأنموذج من كلامه مخافة الاملال ومن أراد يزيد عليه فديوان شعره هزلاً وجداً موجود ، والله يغفر له ويعفو عنه .

قال المؤلف : ولم أر من تصانيف البحاثي هذا شيئاً إلا « شرح ديوان البحتري » ولعمري إن هذا شيء ابتكره ، فإني ما رأيت هذا الديوان مشروحاً ولا تعرَّضَ له أحدٌ من أهل العلم ، ولا سمعتُ أحداً قال اني رأيت ديوان أبي عبادة البحتري مشروحاً ، وتأملته فرأيته قد مُليءَ علماً وحشي فهماً ، وذاك أن شروح الدواوين المعروفة كأبي تمام والمتنبي وغيرهما تساعدت القرائح عليه وترافدت الهمم إليه ، وما أرى له فيما اعتمده من شرح هذا الكتاب عمدةً إلا أن يكون « كتاب عبث الوليد » للمعري

و « كتاب الموازنة » للآمدي لا غير .

وقد ذكر البحاثيُّ هذا أبو منصور الثعالبي في « تتمة يتيمة الدهر » بما أنا ذاكره إن شاء اللّه ، قال أبو منصور : أبو جعفر محمد بن إسحاق البحاثي زينةُ زوزن ، وطرف الطرف ، وريحان الروح ، يقول في هجاء لحيته الطويلة :

يا لحيةً قد عُلِّقَتْ من عارضي لا أستطيعُ لقبحها تشبيها
طالتْ فلم تفلحْ ولم تكُ لحيةٌ لتطولَ إلا والحماقةُ فيها
إني لأُظهر للبرية حُبَّها واللّه يعلمُ أنني أقليها

ويقول في ذم خال على وجه بعض من يهجوه :

أبو طاهرٍ في الشؤمِ واللؤمِ غايةٌ بعيدٌ عن الاسلام والعقلِ والدينِ
على وجهه خالٌ قريبٌ من آنفه كمثل ذبابٍ واقعٍ فوق سَرْقين

وله :

ينيكون غزلانَ الحسانِ ولا أرى غزالاً من الغزلان فرداً بساحتي
فمن يكُ قد لاقى من النيكِ راحةً ففي راحتي أُنسي ورفقي وراحتي

وله :

ولما رأيتُ الفقرَ ضربةَ لازبٍ ولم يكُ لي في الكفِّ عَقْدٌ على نَقْدِ
ولا لي غلامٌ قد يناك ولم يكنْ سبيلٌ إلى التُّرْكِ المكحلةِ المردِ
شَرَيْتُ قبيحاً من بني الهندِ أسوداً ونيكُ الهنودِ السودِ خيرٌ من الجلد

وله أيضاً يهجو[1] :

فسوي وضرطي والخرا مائعاً على الذي مقلوبه فَسْوِي
مَنْ خُلقه أقبح من خَلْقِهِ وَجُحْرُهُ أوسعُ من دلسوي

وله :

تعوَّدَ هتكَ السترِ نسوانُ سكبر وجئن لباسَ الفسق من أحسنِ الكسا

(1) لم يردا في تتمة اليتيمة وكذلك كل ما جاء حتى نهاية الترجمة .

وطرنَ سروراً حين لقبن سكبرا   فسكبرُ إذ قلّبته صار رب كسا

وللبحاثي في صفة دعوة :

سألونا عن قراهُ   فاختصرنا في الجوابِ
كان فيه كلُّ شيء   باردٌ غيرُ الشراب

ومن خبيث شعره :

الحمد لله وشكراً على   إنعامه الشامل في كلِّ شيْ
إن الذي لاعبني في الصبا   مات ومن قد نكتُهُ بعدُ حيْ

نقلت من خط أبي سعد السمعاني عن رجل عن أسعد بن محمد العتبي قال : حكى أبو جعفر البحاثي أن أبا بكر الصبغي كان يختلف معنا إلى الحاكم أبي سعد ابن دوست ، وكان من أنجب تلامذته نظماً ونثراً ، فاختطف في ريعان شبابه ونضارة عمره ، فرأيته في المنام ليلة ، قلت : ما وجدتُ من أشعارك شيئاً يكون لي تذكرة ، فقال : ليس لي شعر ، فقلت ألستَ القائل :

باكر أبا بكرٍ بكاسِ   ما بين إبريقٍ وطاسِ

فقال وأنا أقول :

حلَّ الخطوبُ بساحتي   لا كنتِ أيتها الخطوبُ
غادرتنا فغدرتِ إنّ   الدهرَ خدّاعٌ خَلوبُ
دُنيا تقضَّتْ لم يكن   لي في أطايبها نصيبُ

قال : فانتبهت وأشعلت السراج وكتبت عنه هذه الأبيات .

حكى يعقوب بن أحمد النيسابوري أن القاضي البحاثي دخل على أبي سعد ابن دوست فأنشده :

ليت شعري إذا خرجتُ من الدنـ   ـيا فأصبحتُ ساكنَ الأجداثِ
هل يقولنّ إخوتي بعد موتي   رحم الله ذلك البحاثي

فلما مات البحاثي قال فيه أبو سعد ابن دوست :

يا أبا جعفر بن إسحاق إني خانني فيك نازلُ الأحداثِ
مَنْ هَوَى من مصاعدِ العزِّ قسراً يكُ تحت الرجامِ في الأجداث
فلك اليومَ من قوافٍ حسان سِرْنَ في المدح سيرها في المراثي
مَعَ كُتْبٍ جُمِعْنَ في كلِّ فنٍّ حين يُرْوَيْنَ ألف باكٍ وراثي
قائلٌ كلها بغيرِ لسانٍ رحم الله ذلك البحاثي

وذكر محمد بن محمود النيسابوري في « كتاب سر السرور » أن شعر البحاثي نيف على عشرين ألف بيت ، وأنه وقف عليه في تسع مجلدات ، فانتخبت من ذلك المنتخب في هذه الورقة :

بأبي من عند لثمي زاد في عشقي بشتمهْ
ومضى يبكي ويمحو أثَرَ اللثم بكمّهْ

وله مثله :

بليت بطفل قلَّ طائلُ نَفْعِهِ سوى قُبَلٍ يُزْري بها طولُ مَنْعِهِ
ويمسحها من عارضيه بكمّه ويغسلها عن وجنتيه بدمعه
يكاشفني إن لاح شخصي بعينه ويغتابني إن مرَّ ذكري بسمعه

ولم أجد له في غير الهجاء السخيف شيئاً استحسنته ، قال يهجو :

ألا إن هذا البيهقيَّ مُحَدِّثٌ مسيلمةُ الكذابُ في جنبه مَلَكْ
ففي وجهه قبحٌ وفي قلبه عمى وفي نطقهِ كذبٌ وفي دينه حلكْ
لو ابنُ مَعينٍ كان حيّاً لجاءَه وبالسلحِ سلحِ الكلبِ لحيتَهُ دَلَكْ
فلا تعجبا إنْ مُدَّ في عمر مثله ويهلك أهلُ الفضلِ إذ خَرِفَ الفلكْ

وله :

مأتمُ الشيخ مأنسٌ للكرامِ جئتُهُ قاضياً لحقِّ الحمامِ
مع حزن يحكي حزينَ الأغاني وبكاءٍ يحكي بكاءَ الحمامِ
كجهامِ الغمام جَفناً ووجهاً مكديَ الدمع واريَ الإبتسامِ

وكان البارع الزوزني عرضةً لأهاجيه ، وغرضاً لطعان قوافيه ، وكان يلقبه بالباعر ، ويدّعي أنه افترسه ظبياً غريراً ، وافترشه بدراً منيراً ، فلما التحى أنكر صحبته ، ونبذ وراء ظهره مودته ، فمن ذلك :

كان البويعرُ بدراً في حداثته ... ما كان أحْسَنَهُ وجهاً وأبهاهُ
والطيبُ أجمع فيما تحت مئزره ... والسحرُ ما بثه في الناسِ عيناهُ
ربيته وهو في حجري أُلاعبُهُ ... نهاره وفراشي كان مأواهُ
أفيده في جنايا العلم أحسنها ... وأستفيدُ لذيذاً من جَنَى فاهُ
حتى إذا ما عسا جلدُ أستِهِ وغدا ... مُشَعَّراً ودجا واسودَّ قطراهُ
وصار كلباً وخنزيراً وزوبعةً ... وغولَ قفرٍ يميت الإنسَ لقياهُ
أنشا يمزّقُ عرضي منكراً أدبي ... وليس يحسنُ إلا ما أفدناه
إن كان ينكر ما قدمتُ من أدبي ... فليس ينكر أيري شمَّ مفساهُ
لو لم تغيرْ صروفُ الدهرِ صورته ... لكان مغفورةً عندي خطاياهُ

وله في السخف أبيات [. . . .][1]

وله :

إني لمرزوقٌ من الناس إذ ... أصبحتُ من أحذقِ حُذَّاقهمْ
ما ذاك من فضلٍ ولكنني ... أخالقُ الناسَ بأخلاقهم

ـ 1001 ـ

محمد بن إسماعيل بن عبد الله بن محمد بن ميكال أبو جعفر الميكالي : قد استوفينا هذا النسب في باب أبي الفضل عبد الله بن أحمد فأغنى . وكان أبو جعفر أديباً شاعراً لغوياً فقيهاً ، مات في صفر سنة ثمان وثمانين وثلاثمائة ، وكان قد تفقه على

1001 ـ ترجمة أبي جعفر الميكالي في الوافي 2 : 216 .

(1) حذفها مرغوليوث ، وليس هذا من حقه ، ونسي أنه أثبت كثيراً من أبيات السخف .

قاضي الحرمين أبي الحسين وعقد له مجلس الاملاء سنة ثلاث وثمانين وثلاثمائة ، سمع منه الحاكم أبو عبد الله ابن البيع الحافظ .

- 1002 -

محمد بن إسماعيل النحوي أبو عبد الله يعرف بالحكيم : من أهل قرطبة ، سمع محمد بن وضاح ومحمد بن عبد السلام الخُشني ومطرف بن قيس وعبد اللّه بن مسرة ومحمد بن عبد الله الغاز . وكان عالماً بالنحو والحساب ، دقيق النظر ، مثيراً للمعاني الغامضة ، مؤكداً لها ، لا يتقدمه أحد في ذلك ، وعمر إلى أن بلغ ثمانين عاماً ، وأدب الحكم المستنصر ، وتوفي لعشر خلون من ذي الحجة سنة إحدى وثلاثين وثلاثمائة ونسله انقرض .

- 1003 -

محمد بن إسماعيل بن زنجي أبو عبد الله الكاتب : له نباهة وذكر في أيام المعتضد وإلى آخر أيام الراضي ، وكان من جلة الكتاب ومشايخهم ، معروف بجودة الخط ، وله تصانيف : منها كتاب الكتاب والصناعة . كتاب رسائله .

قال ابن شيران : مات محمد بن إسماعيل المعروف بزنجي الكاتب الأنباري في شوال سنة أربع وثلاثين وثلاثمائة : وكان متقدماً في كتاب الانشاء والرسائل والكلام حسن المجلس ، وله أخبار كثيرة حسنة .

- 1004 -

محمد بن بحر الـرهني أبو الحسين الشيبـاني ، والرُهني ، بـالراء المهملة والنون ، منسوبٌ إلى رهنة ـ قرية من قرى كرمان ، وكان يسكن نرمـاسير من أرض

1002 ـ ترجمة الحكيم النحوي في ابن الفرضي 2 : 54 (وياقوت ينقل عنه) وطبقات الزبيدي : 276 .

1003 ـ ترجمة ابن زنجي في تاريخ بغداد 2 : 48 والوافي 2 : 210 .

1004 ـ ترجمة الرهني في الوافي 2 : 243 ومعجم البلدان (رهن) .

كرمان ، وهو يكنى أبا الحسين ، شيباني الأصل معروف بالفضل والفقه .

قال ابن النحاس في كتابه : قال بعض أصحابنا إنه كان في مذهبه ارتفاع ، وحديثه قريب من السلامة ، ولا أدري من أين قُيِّلَ .

قال شيخنا رشيد الدين : كان لقناً حافظاً يذاكر بثمانية آلاف حديث غير أنه كثر حفظه وتتبع الغرائب وعُمِّر ، ومن طلب غرائب الحديث كذب . قال : ووقفت على كتابه « البدع » فما أنكرت فيه شيئاً ، وعند الله علمه . وكان عالماً بالأنساب وأخبار الناس شيعي المذهب غالياً فيه ، له تصانيف في أخبار الشيعة منها : كتاب سماه كتاب «نحل العرب» يذكر فيه تفرق العرب في البلاد في الإسلام ومن كان منهم شيعياً ومن كان منهم خارجياً أو سنياً ، فيحسن قوله في الشيعة ويقع فيمن عداهم . وقفت على جزء من هذا الكتاب ذكر فيه نحلَ أهلِ المشرق خاصةً من كرمان وسجستان وخراسان وطبرستان ، وذكر فيه أن له تصنيفاً آخر سماه « كتاب الدلائل على نحل القبائل » وذكر فيه أعني كتاب النحل : أخبرني ابن المحتسب ببغداد في درب عبدة بالحربية ، قال أخبرنا أحمد بن الحارث الخراز ، قال أخبرني المدائني علي بن محمد بن أبي سيف عن سلمة بن سليمان المغني وغيره ، فذكر قصة الملبد بن يزيد بن عون بن حرملة بن بسطام بن قيس بن حارثة بن عمرو بن أبي ربيعة بن ذهل بن شيبان الخارج في أيام المنصور شارياً بالجزيرة حتى قتل .

وقال في موضع آخر : حدثني سعد بن عبد الله بن أبي خلف ، قال حدثني أبو هاشم الجعفري ، وقال فيه : حدثني النوفلي علي بن محمد بن سليمان بن عبد الله بن الحارث بن نوفل عن أبيه .

وقال فيه : سمعت أحمد بن محمد بن كيسان النحوي وأنا أقرأ عليه « كتاب سيبويه » يقول لم يجيء على فعَّل إلا أربعة أسماء البقَّم هي الخشبة التي يصبغ بها ، وهي معروفة ، وشلَّم اسم بيت المقدس بالنبطية ، وبذَّر وهو اسم ماء من مياه العرب ، قال كثير[1] :

---

(1) ديوان كثير : 503 والبيت أيضاً في اللسان والصحاح (بذر) والمقاييس 1 : 216 وياقوت (بذر . جراب . ملكوم) .

سقى اللّه أمواهاً عـرفتُ مكانهـا جُـرابـا وملكـومـاً وبـذَّرَ والغمـرا

وخضَّم اسم للعنبر بن عمرو بن تميم .

ـ 1005 ـ

محمد بن بكر البسطامي : لا أعرف من حاله إلاّ ما ذكره حمزة الأصبهاني، وقد ذكر الخليل وغيره ، ثم قال : وصنف بالأمس محمد بن بكر البسطامي كتاباً على كتاب محمد بن الحسن بن دريد المسمى « الجمهـرة » وقال : كـان السبب لوضعي هـذا الكتاب تطرفي[1] الكتاب المسمى « كتاب الياقوتة » وأن مصنفه حشا أكثرَ الكتاب مما [لم] ينطق به العرب وعزاه إلى ثعلب ، وقد طلبنا ما ادعى من ذلك على العرب في المصنفات فلم نجده ، ثم سألنا عنه أصحابَ ثعلبٍ فلم يعرفوه ، والذي صنف هذه الكتب لم يُقِمْ على ما أودعه شاهداً ولا دليلاً من القرآن أو الحديث أو المثل ولا نحا[2] فيما رواه إلا إلى : أخبرنا ثعلب عن ابن الأعرابي ، فتمت له رواية تلك الأباطيل بين قوم لم يطالبوه بدليل ، وظنوا أنه فيها مصيب ، ثم ذكر « كتاب العين » وأنه من تصنيف تلاميذ الخليل كما ذكرته في ترجمة الخليل .

ـ 1006 ـ

محمد بن ثابت بن محمد بن سوار بن علوان النميري الأصبهاني ، أبو بكر : إمام الجامع باصبهان في باب كوشك ، ذكره يحيى بن منده فقال : كان سنياً فاضلاً من الناس بارعاً في الأدب شاعراً فصيحاً كثير السماع قليل الروايـة ، مسكنه في درب البخـاري . روى عن عبد الله بن محمـد بن محمد بن فـورك وأبي بكـر محمـد بن

1005 ـ ترجمة محمد بن بكر البسطامي في الوافي 2 : 262 (عن ياقوت) .

1006 ـ ترجمة ابن علوان الاصبهاني في الوافي 2 : 281 (والنقل عن ياقوت وإن لم يصرح بذلك) .

(1) الوافي : نظري في .

(2) م : نما .

إبراهيم بن المقرىء وأحمد بن عبد الله النهرديري ، كتب عنه عمي الامام وجماعة ، رحمهم الله .

- 1007 -

محمد بن تميم أبو المعالي[1] **البرمكي** اللغوي : له كتاب كبير في اللغة سماه « المنتهى في اللغة » منقول من « كتاب الصحاح » للجوهري ، وزاد فيه أشياءَ قليلة ، وأغرب في ترتيبه ، إلا أنه والجوهري كانا في عصر واحد ، لأني وجدتُ كتاب الجوهري بخطه وقد فرغ منه في سنة ست وتسعين وثلاثمائة. وذكر البرمكي في مقدمة كتابه أنه صنفه في سنة سبع وتسعين وثلاثمائة ، ولا شك أن أحد الكتابين منقولٌ من الآخر نقلاً ، والذي أشك فيه أن البرمكي نقل « كتاب الصحاح » لأن أبا سهل محمد بن علي الهروي كان بمصر وحكى عن البرمكي ، وقد روى الهروي « الصحاح » عن ابن عبدوس ، ولعل الكتاب خرج عن الجوهري وهو حيّ وقدم به إلى مصر .

- 1008 -

محمد بن بحر الأصفهاني الكاتب ، يكنى أبا مسلم : كان كاتباً مترسلاً بليغاً متكلماً جدلاً ، مات فيما ذكره حمزة في « تاريخه » في آخر سنة اثنتين وعشرين وثلاثمائة ومولده سنة أربع وخمسين ومائتين ، وكان الوزير أبو الحسن علي بن عيسى بن داود بن الجراح يشتاقه ويصفه .

وقال أبو علي التنوخي ، وقد ذكر محمد بن زيد الداعي فقال : وهو الذي كان أبو مسلم محمد بن بحر الأصفهاني الكاتب المعتزلي العالم بالتفسير وبغيره من صنوف

1007 - ترجمة أبي المعالي البرمكي في الوافي 2 : 280 .
1008 - ترجمة ابن بحر الأصفهاني في الوافي 2 : 244 والفهرست : 151 .

(1) م : المعاني .

العلم مذ صار عامل أصبهان وعامل فارس للمقتدر يكتب له ويتولى أمره .

ذكره محمد بن إسحاق وقال . له من الكتب : كتاب جامع التأويل لمحكم التنزيل على مذهب المعتزلة أربعة عشر مجلداً . كتاب جامع رسائله[1] [وله في] كتاب حمزة : كتاب الناسخ والمنسوخ . كتاب في النحو ، وسمى حمزة كتابه في القرآن شرح التأويل .

وكان ابن أبي البغل ولي في سنة ثلاثمائة ديوان الخراج والضياع بأصبهان وهو ببغداد فورد[2] كتاب على أبي مسلم ابن بحر بأن يخلفه على ديوان الضياع بها ، ثم ورد ابن أبي البغل إلى أصبهان فأقره على خلافته ، ثم مات أبو علي محمد بن أحمد بن رستم في سنة احدى وعشرين وثلاثمائة ، فرتب مكانه أبو مسلم ابن بحر وذلك في شوال ، ثم ورد علي بن بويه في خمسمائة فارس فهزم المظفر بن ياقوت في خمسة آلاف فارس ودخل ابن بويه أصبهان في منتصف ذي القعدة فعزل أبو مسلم .

نقلت من « كتاب أصفهان » قال : وقال أبو مسلم في أبيات بالفارسية لأبي الأشعث القمي :

يا للشبابِ وَغُصْنِهِ النَّضْرِ ... والعيشِ في أيامِهِ الزُّهْرِ
لو دام لي عهدُ المتاع به ... وأمنتُ فيه حوادثَ الدهرِ
لكنه لي معقبٌ هرماً ... وهو النذيرُ بآخر العمرِ

قال وقال في أبي المعمر[3] :

هل أنت مبلغُ هذا القائدِ البطلِ ... عني مقالةَ طَبٍّ غيرِ ذي خَطَلِ
إن كنتَ أخطأت قرطاساً عمدتَ له ... فأنت في رمي قلبي من بني ثُعَلِ

قال: ودخل يوماً إلى دار أخيه أحمد بن بحر فرأى معه دفتراً على ظهره أبيات

(1) لم يذكر له ابن النديم سوى الكتابين السابقين .
(2) م : فولى .
(3) أوردهما الصفدي .

نصر بن سيار ، وذاك عندما بيَّضَ مـاكان بن كاكي الديلمي ووردت خيله قمَّ ، وأبيات نصر[1] :

أرى خَلَلَ الـرمـادِ وميضَ جمـرٍ ويـوشـكُ أن يكـونَ لـه ضـرامُ
وان النـارَ بـالـزنـدين تُـورَى وان الحـربَ يـقدمُـهـا الكـلامُ
أقـولُ من التعجبِ ليت شعـري أأيـقـاظٌ أمـيـةُ أم نـيـامُ

فكتب أبو مسلم تحتها[2] :

أرى نـاراً تُـشَـبّ بـكـلِّ وادٍ لهـا في كـل منـزلـةٍ شعـاعُ
وقـد رقـدتْ بنـو العبـاس عنهـا وأضـحـتْ وهـي آمنـةٌ رِتـاعُ
كـمـا رقـدتْ أميـةُ ثـم هَبَّتْ لتـدفـعَ حين ليس بهـا دفـاعُ

ولما مات قال فيه علي بن حمزة بن عمارة الأصبهاني يرثيه :

وقـالـوا ألا تـرثي ابنَ بحـرٍ محمـداً فقلتُ لـهم ردُّوا فـؤاديَ واسمـعـوا
فلن يستـطيـعَ القـولَ من طـار قلبه جـريحاً قـريحاً بـالمصـائب يُقْـرَعُ
ومـن بـان عـنـه إلفُـهُ وخـليـلُهُ فليس لـه إلا إلى البعثِ مـرجـعُ
ومن كـان أوفَى الأوفيـاءِ لمخلصٍ ومن حيز في سرباله الفضـلُ أجمعُ
سحاباً كماءِ المزن شِيبَ به الجنى جنى الشهدِ في صفوِ المدام يشعشعُ
وغـربُ ذكـاءٍ واقـدٍ مثـلِ جمـرةٍ وطبـعٌ بـه العضبُ المهنَّـدُ يـطبـعُ
ومن كان من بيتِ الكتابة في الذرى وذا منـطقٍ في الحفـل لا يتتعتـعُ

• وله[3] :

(1) وردت أبيات نصر في المصادر التاريخية وكثير من المصادر الأدبية ، انظر مثلاً مروج الذهب 4 : 79 وانظر مجموع شعر نصر صنعة عبد الله الخطيب (بغداد 1972) 40 ـ 41 .
(2) كان تبييض مـاكان بن كاكي سنة 316 وأبيات أبي مسلم في البصائر 1 : 136 ، 252 (رقم : 411 لبعض علوية الكوفة) ومحاضرات الراغب 2 : 177 وربيع الأبرار 1 : 560 .
(3) وردا عند الصفدي في الوافي .

وقــد كنت أرجـو أنــه حين يلتحي   يفــرِّجُ عني أو يجــدِّدُ لـي صبــرا
فلمـا التحى واسـودَّ عـارضُ وجهـه   تحــوَّلَ لي البلوى بـواحــدةٍ عشـرا

ـ 1009 ـ

محمد بن بركات بن هلال بن عبد الواحد بن عبد الله السعيدي الصوفي : نقلت نسبه هذا من خط يده ، يكنى أبا عبد اللّه مات في سنة عشرين وخمسمائة ، وقيل إن مولده في سنة عشرين وأربعمائة ، فيكون عمره على هذا مائة سنـة . أحد فضلاء المصريين وأعيانهم المبرزين ، أخذ النحو والأدب عن أبي الحسن ابن بابشاذ فأتقنه ، وله أيضاً معرفة حسنة بالأخبار والأشعار ، وكـان يقول الشعـر فيجيد ، ومن قوله(1) :

يــا عُنُقَ الأبــريقِ من فضــةٍ   ويــا قــوامَ الغُصُنِ الــرطبِ
هبــك تجــافيتَ وأقصيــتنــي   تقــدرُ أنْ تخــرجَ مـن قلبـي

ومنه :

وإذا الصنيعـةُ وافقت أهـلاً لهــا   دلَّتْ على تـوفيق مُصْطَنِـعِ اليـدِ

وله من الكتب : كتاب خطط مصر أجاد فيه . وله عدة تصـانيف في النحو . وكتاب الناسخ والمنسوخ ، فيما بلغني ، والله أعلم.

وقال محمد بن بركات السعيـدي يخاطب أبـا القاسم هبـة الله [بن] علي بن مسعود بن ثابت البوصيري الأنصاري :

فله أوامــرُ من حجــاهُ حكيمــةٌ   ولـه زواجـر من نهــاه [نـواهي]

1009 ـ ترجمة السعيدي الصوفي في الوافي 2 : 247 والمغرب (قسم القاهرة) 311 وإنباه الرواة 3 : 78 والمحمدون : 167 (والصفدي ينقل عن ياقوت وعن ابن سعيد المغربي) وانظر الخـريدة (قسم مصـر) 2 : 42 وعبر الـذهبي 4 : 47 وبغية الـوعاة 1 : 59 والشـذرات 4 : 62 وحسن المحاضـرة 1 : 532 وإشارة التعيين : 300 .

(1) وردا في الخريدة والمحمدون .

يقـظانُ من فهمٍ لكـلِّ فضيلةٍ بـنبـاهــةٍ جلَّتْ عـن الأشبـاهِ
عــلامــة مــا مشكــلٌ مستبهـم خــاف عن الأفهــام مـن أنبـاهِ

- 1010 -

محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب ، أبو جعفـر الطبـري المحدث الفقيه المقرىء المؤرخ المعروف المشهور : مات فيما ذكره أبو بكـر الخطيب يـوم السبت لأربع بقين من شوال سنة عشر وثلاثمائة ودفن يوم الأحد بالغداة في دار برحبة يعقوب ، ولـم يغير شيبه ، وكان السواد في شعر رأسه ولحيته كثيراً . ومولده سنة أربع أو أوَّل سنة خمس وعشرين ومائتين ، وكان أسمرَ الأدمةِ أعينَ نحيفَ الجسم مديدَ القامة فصيحَ اللسان .

قال غير الخطيب : ودفن ليلاً خوفاً من العامة لأنه يتهم بالتشيع ، وأما الخطيب فإنه قال : ولـم يُؤْذَنْ به أحد ، فاجتمع على جنازته من لا يحصي عددَهم إلا الله ، وصلي على قبره عدة شهور ليلاً ونهاراً ، ورثاه خلق كثير من أهل الدين والأدب .

قال[1] : وسمع محمد بن عبد الملك بن أبي الشوارب وأحمد بـن منيع البغوي وأحمد[2] بن حميد الرازي وأبا همام الوليد بن شجاع وأبا كريب محمد بن العلاء ، وعدَّد خلقاً كثيراً من أهل العراق والشام ومصر . وحدث عنه أحمد بن كامل القاضي وغيره ، واستوطن بغداد وأقام بها إلى حين وفاته .

قال[3] : وكان أحد أئمة العلماء يحكم بقوله ويرجع إلى رأيه لمعرفته وفضله ،

1010 ـ ترجمة الطبري في الفهرست : 291 وتاريخ بغداد 2 : 162 وطبقات الشيرازي : 93 والمنتظم 6 : 170 وانباه الرواة 3 : 89 وابن خلكان 4 : 191 وتذكرة الحفاظ : 710 وسير الذهبي 14 : 267 وعبر الذهبي 2 : 146 وميزان الاعتدال 3 : 498 والوافي 2 : 284 ومرآة الجنان 2 : 260 وطبقات السبكي 3 : 120 والبداية والنهاية 11 : 145 وطبقات ابن الجزري 2 : 106 ولسان الميزان 5 : 100 والنجوم الزاهرة 3 : 205 وطبقات المفسرين 30 وطبقات الداودي 2 : 106 والشذرات 2 : 260 . والمقفى 5 : 481 .

(1) يعني الخطيب ، انظر 2 : 162 .
(2) تاريخ الخطيب : ومحمد .
(3) تاريخ بغداد : 163 والمقفى .

وكان قد جمع من العلوم ما لم يشاركه فيه أحدٌ من أهل عصره ، وكان حافظاً لكتاب الله عز وجل ، عارفاً بالقرآن بصيراً بالمعاني ، فقيهاً بأحكام القرآن ، عالماً بالسنن وطرقها وصحيحها وسقيمها وناسخها ومنسوخها ، عارفاً بأقوال الصحابة والتابعين ومن بعدهم من المخالفين في الأحكام ومسائل الحلال والحرام ، عارفاً بأيام الناس وأخبارهم ، وله الكتاب المشهور في تاريخ الأمم والملوك ، وكتاب في تفسير القرآن لم يصنف أحد مثله، وكتاب سماه «تهذيب الآثار»[1] لم أر سواه في معناه، لم يتممه. وله في أصول الفقه وفروعه كتب كثيرة واختيار من أقاويل الفقهاء وتفرد بمسائل حفظت عنه.

قال الخطيب : وسمعتُ علي بن عبيد الله اللغوي السمسمي[2] يحكي أن محمد بن جرير مكث أربعين سنة يكتب في كلّ يوم منها أربعين ورقة ، قال : وقال أبو حامد الاسفرائني الفقيه : لو سافر رجل إلى الصين حتى يحصل كتاب تفسير محمد بن جرير لم يكن ذلك كثيراً أو كلاماً هذا معناه.

وحدث[3] عن القاضي أبي عمر عبيد الله بن أحمد السمسار وأبي القاسم بن عقيل الوراق أن أبا جعفر الطبري قال لأصحابه : أتنشطون لتفسير القرآن ؟ قالوا : كم يكون قدره ؟ قال : ثلاثون ألف ورقة ، فقالوا : هذا مما تفنى الأعمارُ قبل تمامه ، فاختصره في نحو ثلاثة آلاف ورقة . ثم قال : تنشطون لتاريخ العالم من آدم إلى وقتنا هذا ؟ قالوا : كم قدره ؟ فذكر نحواً مما ذكره في التفسير ، فأجابوه بمثل ذلك ، فقال : إنا لله ماتت الهمم ، فاختصره في نحو مما اختصر التفسير.

وحدث[4] فيما أسنده الى أبي بكر ابن بالويه قال ، قال لي أبو بكر محمد بن إسحاق ، يعني ابن خزيمة : بلغني أنك كتبت التفسير عن محمد بن جرير ، قلت : نعم كتبنا التفسير عنه إملاءً ، قال : كله ؟ قلت : نعم ، قال : في أي سنة ؟ قلت من سنة ثلاث وثمانين إلى سنة تسعين ، قال : فاستعاره مني أبو بكر وردَّه بعد سنين ، ثم

(1) نشر عدداً من أجزائه صديقنا العلامة المحقق الأستاذ محمود محمد شاكر .

(2) الخطيب (163) : السمسماني .

(3) النقل مستمر عن تاريخ بغداد وانظر سير الذهبي 14 : 274 .

(4) النقل مستمر عن تاريخ بغداد .

قال : نظرت فيه من أوله إلى آخره ، وما أعلم على أديم الأرض أعلم من ابن جرير ، ولقد ظلمته الحنابلة ؛ قال : وكانت الحنابلة تمنع [منه] ولا تترك أحداً يسمع عليه.

وأنشد محمد بن جرير[1] :

إذا أعسرتُ لم أُعلمْ رفيقي ... وأستغني فيستغني صديقي
حيائي حافظٌ لي ماءَ وجهي ... ورفقي في مطالبتي رفيقي
ولو أني سمحتُ ببذلِ وجهي ... لكنتُ إلى الغنى سهلَ الطريق

وأنشد أيضاً[2] :

خُلُقانِ لا أَرْضَى طريقهما ... تيهُ الغِنَى ومذلَّةُ الفقرِ
فإذا غنيتَ فلا تكنْ بطراً ... وإذا افتقرتَ فته على الدهر

وحدث فيما أسنده إلى محمد بن جرير قال : كتب إليّ أحمد بن عيسى العلوي من بلد[3] :

ألَا إنَّ إخوانَ الثقاتِ قليلُ ... فهل لي الى ذاك القليل سبيلُ
سَلِ الناسَ تعرفْ غثَّهم من سمينهم ... فكلٌّ عليه شاهد ودليل

قال أبو جعفر فأجبته :

يسيء أميري الظنَّ في جهدِ جاهدٍ ... فهل لي بحسنِ الظنِّ منه سبيلُ
تأملْ أميري ما ظننتَ وقلته ... فإن جميلَ القولِ منك جميل

هذا آخر ما نقلته من تاريخ أبي بكر.

وحدث عبد الله بن أحمد بن جعفر الفرغاني في كتابه المعروف « كتاب الصلة » وهو كتاب وصل به تاريخ ابن جرير : أن قوماً من تلاميذ ابن جرير حصلوا أيام حياته منذ بلغ الحلم الى أن توفي وهو ابن ست وثمانين ، ثم قسموا عليها أوراق مصنفاته ، فصار منها على كل يوم أربع عشرة ورقة ، وهذا شيء لا يتهيأ لمخلوق إلا بحسن عناية الخالق . وفرغ من تصنيف كتاب التاريخ ومن عرضه عليه في يوم الأربعاء لثلاث بقين

(1) تاريخ بغداد 2 : 165 وسير الذهبي 14 : 276 .
(2) المصدران السابقان .
(3) تاريخ بغداد 2 : 166 .

من شهر ربيع الآخر سنة ثلاث وثلاثمائة ، وقطعه على آخر سنة اثنتين وثلاثمائة .

وجدت على جزء من « كتاب التفسير » لابن جرير بخط الفرغاني ما ذكر فيه قطعة من تصانيف ابن جرير فنقلته على صورته لذلك وهو : قد أجزت لك يا علي بن عمران وإبراهيم بن محمد ما سمعته من أبي جعفر الطبري رحمه الله من كتاب التفسير المسمى بجامع البيان عن تأويل آي القرآن . وكتاب تاريخ الرسل والأنبياء والملوك والخلفاء ، والقطعين من الكتاب ولم أسمعه وإنما أخذته إجازة ، وكتاب تاريخ الرجال المسمى بذيل المذيل ، وكتاب القراءات وتنزيل القرآن ، وكتاب لطيف القول وخفيفه في شرائع الاسلام ، وما سمعته من كتاب التهذيب من مسند العشرة ومسند ابن عباس إلى حديث المعراج . وكتاب آداب القضاة والمحاضر والسجلات . وكتاب اختلاف علماء الأمصار فليرويا ذلك عني ، وَكَتَبَ عبد الله بن أحمد الفرغاني بخطه في شعبان سنة ست وثلاثين وثلاثمائة .

وحدث أبو علي الحسن بن علي الأهوازي المقرىء في « كتاب الاقناع » في إحدى عشرة قراءة قال : كان أبو جعفر الطبري عالماً بالفقه والحديث والتفاسير والنحو واللغة والعروض ، له في جميع ذلك تصانيف فاق بها على سائر المصنفين ، وله في القراءات كتاب جليل كبير رأيته في ثماني عشرة مجلدة الا [أنه] كان بخطوط كبار ذكر فيه جميع القراءات من المشهور والشواذ ، وعلل ذلك وشرحه ، واختار منها قراءة لم يخرج بها عن المشهور ولم يكن منتصباً للاقراء ولا قرأ عليه أحد إلا آحاد من الناس كالصفار شيخ كان ببغداد من الجانب الشرقي يروي عنه رواية عبد الحميد بن بكار عن ابن عامر . وأما القراءة عليه باختياره فإني ما رأيت أحداً أقرأ به غير أبي الحسين الجُبّي وكان ضنيناً به ، ولقد سألته زماناً حتى أخذ عليّ به وقال : ترددت إلى أبي جعفر نحواً من سنة أسأله ذلك زماناً حتى أجرمت عليه وسألته ، وكنت قد سمعت منه صدراً من كتبه فأخذه عليّ على جهته وقال : لا تنسبها إليّ وأنا حي ، فما أقرأت بها أحداً حتى مات رحمه الله في شوال سنة عشر وثلاثمائة . وقال أبو الحسين الجبي : ما قرأ عليه به إلا اثنان وأنت ثالثهم ، ولا قرأ عليه أحد إلى أن مات سنة ثمانين وثلاثمائة .

وقرأت بخط أبي سعد بإسناده رقعة إلى أبي العباس البكري من ولد أبي بكر

الصديق قال[1] : جَمَعتِ الرحلةُ بين محمد بن جرير الطبري ومحمد بن إسحاق بن خزيمة ومحمد بن نصر المروزي ومحمد بن هارون الروياني بمصر فأرملوا وافتقروا ولم يبق عندهم ما يمونهم وأضرَّ بهم الحال ، فاجتمعوا ليلةً في منزل كانوا يأوون إليه واتفقوا على أن يستهموا فمن خرجت عليه القرعة سأل الناسَ لأصحابه الطعامَ ، فخرجت القرعةُ على محمد بن إسحاق بن خزيمة فقال لأصحابه : أمهلوني حتى أتوضأ وأصلي صلاة الخيرة ، فاندفع بالصلاة فإذا هم بالشموع وخصيٍّ من قبل والي مصر يدقُّ عليهم ، فأجابوه وفتحوا له الباب ، فقال : أيكم محمد بن نصر؟ فقيل هذا ، وأشاروا إليه ، فأخرج صرةً فيها خمسون ديناراً ودفعها إليه ، وقال : أيكم محمد بن جرير ؟ فأشاروا إليه فدفع إليه خمسين ديناراً ، ثم قال : أيكم محمد بن هارون ؟ فقيل هذا ، فدفع إليه مثلها ، ثم قال : وأيكم محمد بن إسحاق بن خزيمة ؟ فقيل هو ذا يصلي ، فلما فرغ من صلاته دفع إليه صرة فيها خمسون ديناراً ثم قال : إن الأمير كان قائلاً فرأى في النوم خيالاً أو طيفاً يقول له : إن المحامد طووا كشحهم ، فبعث بهذه الصرر ، وهو يقسم عليكم إذا نفدت أن تبعثوا إليه ليزيدكم .

قال المؤلف : وقد ذكر أبو بكر الخطيب هذه الحكاية في ترجمة محمد بن حرب إلا أنني نقلتها من كتاب السمعاني .

وسأله يوماً سائل عن نسبه فقال: محمد بن جرير ، فقال السائل : زدنا في النسب فأنشده لرؤبة :

قد رفع العجَّاجُ ذكري فادعني باسمي إذا الأنساب طالت يكفني

قال القاضي ابن كامل : كان مولده في آخر سنة أربع وعشرين ومائتين أو أول سنة خمس وعشرين ومائتين . قال ابن كامل : فقلت له كيف وقع لك الشك في ذلك ؟ فقال : لأن أهل بلدنا يؤرخون بالأحداث دون السنين ، فأُرِّخ مولدي بحدَثٍ كان في البلد ، فلما نشأتُ سألتُ عن ذلك الحادث فاختلف المخبرون لي فقال بعضهم : كان ذلك في آخر سنة أربع ، وقال آخرون : بل كان في أول سنة خمس وعشرين ومائتين ، وكان مولده بآمل طبرستان وهي قصبة طبرستان .

---

(1) سير الذهبي 14 : 270 وتاريخ بغداد 2 : 164 .

قال أبو جعفر : جئت إلى أبي حاتم السجستاني ، وكان عنده حديث عن الأصمعي عن أبي زائدة عن الشعبي في القياس ، فسألته عنه فحدثني به ، وقال لي أبو حاتم : من أيِّ بلدٍ أنت ؟ فقلت : من طبرستان ، فقال : ولم سُمِّيتْ طبرستان ؟ فقلت : لا أدري ، فقال : لما افتتحت وابتدىء ببنائها كانت أرضاً ذات شجر ، فالتمسوا ما يقطعون به الشجر ، فجاءهم بهذا الطبر الذي يقطع به الشجر فسمي الموضع به .

وقال أبو بكر ابن كامل : جئت الى أبي جعفر قبل المغرب ومعي ابني أبو رفاعة وهو شديد العلة ، فوجدت تحت مصلاه « كتاب فردوس الحكمة » لعلي بن ربن الطبري سماعاً له ، فمددتُ يدي لأنظره ، فأخذه ودفعه إلى الجارية وقال لي : هذا [ابنك] ؟ فقال قلت : نعم ، قال : ما اسمه ؟ قلت : عبد الغني ، قال : أغناه الله ، وبأي شيء كنيته ؟ قلت : بأبي رفاعة ، قال : رفعه اللّه ، أفلك غيره ؟ قلت : نعم أصغر منه ، قال : وما اسمه ؟ قلت : عبد الوهاب أبو يعلى ، قال : أعلاه الله ، لقد اخترت الكنى والأسماء . ثم قال لي : كم لهذا سنة ؟ قلت : تسع سنين ، قال : لم لم تسمعه مني شيئاً ؟ قلت : كرهت صغره وقلة أدبه ، فقال لي : حفظت القرآن ولي سبع سنين ، وصليت بالناس وأنا ابن ثماني سنين ، وكتبت الحديث وأنا ابن تسع سنين ، ورأى لي أبي في النوم أنني بين يدي رسول اللّه ﷺ ، وكان معي مخلاةٌ مملوءة حجارة وأنا أرمي بين يديه ، فقال له المعبر : إنه إن كبر نصح في دينه وذبَّ عن شريعته ، فحرص أبي على معونتي على طلب العلم وأنا حينئذ صبي صغير.

قال ابن كامل : فأول ما كتب الحديثَ ببلده ، ثم بالري وما جاورها ، وأكثر من الشيوخ حتى حصل كثيراً من العلم ، وأكثر من محمد بن حميد الرازي ومن المثنى بن إبراهيم الأبلي وغيرهما.

قال أبو جعفر : كنا نكتب عند محمد بن حميد الرازي فيخرج الينا في الليل مراتٍ ويسألنا عما كتبناه ويقرؤه علينا ، قال : وكنا نمضي إلى أحمد بن حماد الدولابي ، وكان في قرية من قرى الري بينها وبين الري قطعة ، ثم نعدو كالمجانين حتى نصير الى ابن حميد فنلحق مجلسه . وكتب عن أحمد بن حماد « كتاب المبتدإ والمغازي » عن سلمة بن المفضل عن محمد بن إسحاق وعليه بنى تاريخه . ويقال إنه

كتب عن ابن حميد فوق مائة ألف حديث .

قال أبو جعفر : كان يقرأ علينا ابن حميد من التفسير ، فإذا بلغ إلى قوله عز وجل : ﴿ وإذ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيثْبِتُوكَ أَوْ يَقتلوك ﴾ قال : ﴿ أويخرجوك ﴾ (الأنفال : 30) ثم دخل أبو جعفر إلى مدينة السلام وكان في نفسه أن يسمع من أبي عبد الله أحمد بن حنبل فلم يتفق له ذلك لموته قبيل دخوله الينا ، وقد كان أبو عبد الله قطع الحديث قبل ذلك بسنين ، فأقام أبو جعفر بمدينة السلام وكتب عن شيوخها فأكثر ، ثم انحدر إلى البصرة فسمع من كان بقي من شيوخها في وقته : كمحمد بن موسى الحَرَشي وعماد بن موسى القزاز ومحمد بن عبد الأعلى الصنعاني وبشر بن معاذ وأبي الأشعث ومحمد بن بشار بندار ومحمد بن المثنّى وغيرهم فأكثر ، وكتب في طريقه عن شيوخه الواسطيين ، ثم صار إلى الكوفة فكتب فيها عن أبي كريب محمد ابن العلاء الهمداني وهناد بن السري وإسماعيل بن موسى وغيرهم .

وكان أبو كريب شَرِسَ الخلق من كبار أصحاب الحديث، قال أبو جعفر: حضرت بابَ داره مع أصحاب الحديث ، فاطّلعَ من باب خوخةٍ له ، وأصحابُ الحديث يلتمسون الدخولَ ويضجّون ، فقال : أيكم يحفظ ما كتب عني ؟ فالتفت بعضهم إلى بعض ثم نظروا إلي وقالوا : أنت تحفظ ما كتبت عنه ، قال قلت : نعم ، فقالوا : هذا فسله ، فقلت : حدثتنا في كذا بكذا وفي يوم كذا بكذا . قال : وأخذ أبو كريب في مسألة إلى أن عظم في نفسه فقال له : ادخل إليَّ ، فدخل إليه وعرف قدره على حداثته ، ومكّنه من حديثه . وكان الناس يسمعون به فيقال إنه سمع من أبي كريب أكثر من مائة ألف حديث ، ثم عاد إلى مدينة السلام فكتب بها ولزم المقام بها مدةً وتفقه بها وأخذ في علوم القرآن .

وقال رجل لأبي جعفر : إن أصحاب الحديث يختارون ، فقال : ما كنا نكتب هكذا ، كتبت مسند يعقوب بن إبراهيم الدورقي وتركت شيئاً منه ، ولم أعلم ما كتبت عنه ، ثم رجعت لأضع الحديثَ موضعه وأصنفه فبقي عليَّ حديث كثير مما كتبته ، وطال عليَّ ما فاتني ، وكتبت المسند كله ثانياً ، والناس يختارون فربما فاتهم أكثر ما يحتاجون إليه ، أو نحو هذا الكلام .

ثم غرَّبَ فخرج إلى مصر وكتب في طريقه من المشايخ بأجناد الشام والسواحل والثغور وأكثر منها . ثم صار إلى الفسطاط في سنة ثلاث وخمسين ومائتين ، وكان بها بقية من الشيوخ وأهل العلم ، فأكثر عنهم الكتبة من علوم مالك والشافعي وابن وهب وغيرهم ، ثم عاد إلى الشام ، ثم رجع إلى مصر ، وكان بمصر وقت دخوله إليها أبو الحسن علي بن سراج المصري ، وكان متأدباً فاضلاً في معناه ، وكان من دخل الفسطاط من أهل العلم إذا ورد لقيه وتعرض له ، فوافى أبو جعفر إلى مصر وبان فضلُهُ عند وروده إليها في القرآن والفقه والحديث واللغة والنحو والشعر ، فلقيه أبو الحسن ابن سراج فوجده فاضلاً في كلٍّ ما يذاكره به من العلم ، ويجيب في كلٍّ ما يسأله عنه ، حتى سأله عن الشعر فرآه فاضلاً بارعاً فيه ، فسأله عن شعر الطرمّاح وكان من يقومُ به مفقوداً في البلد ، فإذا [هو] يحفظه ، فسئل أن يمليه حفظاً بغريبه فعهدي به وهو يمليه عند بيت المال في الجامع . وكان قد لقي بمصر أبا إبراهيم إسماعيل بن إبراهيم المزني ، فتكلما في أشياء منها الكلام في الاجماع ، وكان أبو جعفر قد اختار من مذاهب الفقهاء قولاً اجتهد فيه بعد أن كان ابتدأ بالفقه في مدينة السلام على مذهب الشافعي رضي الله عنه ، وكتب كتابه عن الحسن بن محمد بن الصباح الزعفراني عنه ، ودرسه في العراق على جماعة منهم أبو سعيد الاصطخري وغيره ، وهو حدث قبل خروجه إلى الفسطاط .

وقال أبو بكر ابن كامل : خرج إلينا ليلةً أبو بكر أحمد بن موسى بن العباس بن مجاهد ونحن نقرأ عليه كتاب قراءة أبي عمرو بن العلاء الكبير ، فوجدنا نتناظر في بسم اللّه الرحمن الرحيم مع بعض إخواننا من الشافعيين ، وهل هي من فاتحة الكتاب أم لا ، وكان المجلس حفلاً بجماعة من الفقهاء من أصحاب الشافعي ومالك وأبي حنيفة وأصحابنا ، وكان يسميني في بعض الأوقات لقراءتي عليه الكسائي ، فقال لي : كسائي فيم أنتم ؟ فعرَّفته ، فقال : وعلى مذهب من تتفقه ؟ فقلت : على مذهب أبي جعفر الطبري ، فقال : رحم الله أبا جعفر حدَّثنا بحديث نوح بن أبي بلال عن سعيد المقبري عن أبي هريرة في بسم اللّه الرحمن الرحيم ، ثم أخذ أبو بكر ابن مجاهد في مدح أبي جعفر الطبري وقال : بلغنا أنه التقى مع المزني فلا تسأل كيف استظهاره عليه والشافعيون حضور يسمعونه ، ولم يذكر مما جرى بينهما شيئاً .

قال أبو بكر ابن كامل : سألت أبا جعفر عن المسألة التي تناظر فيها هو والمزني فلم يذكرها لأنه كان أفضلَ من أن يرفع نفسه وأن يذكر [علوّه] على خصم في مسألة . وكان أبو جعفر يفضّل المزني فيطريه ويذكر دينه ، وقال : جفا [عليّ] بعض أصحابه في مجلسه ، فانقطعت عنه زماناً ، ثم إنه لقيني فاعتذر إليّ كأنه قد جنى جناية ولم يزل في تَرَفُّقِهِ وكلامه حتى عدت إليه . وبلغنا أنه سئل بالفسطاط أن يردَّ على مالك في شيء فردَّ عليه في شيء كان الكلام فيه لابن عبد الحكم ، وكانت أجزاءً ولم تقع في أيدينا ، ولعله مما منع الخصوم نشره .

وقال لنا أبو جعفر : لما وردت مصر في سنة ست وخمسين ومائتين نزلت على الربيع بن سليمان ، فأمر من يأخذ لي داراً قريبة منه ، وجاءني أصحابه فقالوا : تحتاج إلى قصرية وزير وحمارين وَسُدَّة ، فقلت : أما القصرية فأنا لا ولد لي وما حللتُ سراويلي على حرام ولا حلالٍ قط ، وأما الزير فمن الملاهي وليس هذا من شأني ، وأما الحماران فإن أبي وهب لي بضاعةً أنا أستعين بها في طَلَبِ العلم ، فإن صرفتها في ثمن حمارين فبأي شيء أطلب العلم ؟ قال : فتبسموا فقلت : إلى كم يحتاج هذا ؟ فقالوا : يحتاج إلى درهمين وثلثين ، فأخذوا ذلك مني ، وعلمت أنها أشياء متفقة ، وجاءوني باجانة وَحُبٍّ للماء وأربع خشبات قد شدوا وسطها بشريط وقالوا : الزير للماء ، والقصرية للخبز ، والحماران والسدة تنام عليها من البراغيث ، فنفعني ذلك ، وكثرت البراغيث فكنت إذا جئت نزعتُ ثيابي وعلقتها على حبل قد شددته واتزرت وصعدت إلى السدة خوفاً منهم .

وقال هارون بن عبد العزيز ، قال أبو جعفر : لما دخلتُ مصر لم يبق أحد من أهل العلم إلا لقيني وامتحنني في العلم الذي يتحقق به ، فجاءني يوماً رجلٌ فسألني عن شيء من العروض ، ولم أكن نشطتُ له قبل ذلك ، فقلت له : عليَّ قولٌ ألا أتكلم اليومَ في شيءٍ من العروض ، فإذا كان في غدٍ فَصِرْ إليَّ ، وطلبتُ من صديقٍ لي العروضَ للخليل بن أحمد فجاء به ، فنظرت فيه ليلتي ، فأمسيت غير عروضي وأصبحتُ عروضياً .

ثم رجع إلى مدينة السلام وكتب أيضاً ، ثم رجع إلى طبرستان وهي الدفعة الأولى ثم الثانية كانت في سنة تسعين ومائتين ، ثم رجع إلى بغداد فنزل في قنطرة

البردان ، واشتهر اسمه في العلم وشاع خبره بالفهم والتقدم .

قال عبد العزيز بن هارون: لما دخل أبو جعفر إلى الدينور ماضياً إلى طبرستان دعاه بعض أهل العلم بها ، فلما اجتمعا قلت : يا أبا جعفر ما يَحْسُنُ بنا أن نجتمع ولا نتذاكر ، فقال عبد الله بن حمدان : قد ذاكرتُهُ فأغربتُ عليه خمسةً وثمانين حديثاً ، وأغرب عليَّ ثمانية عشر حديثاً . قال عبد العزيز : ثم لقيتُ بعد ذلك أبا بكر ابن سهل الدينوري ، وكان من العلماء والحفاظ للحديث ، فحدثته بذلك فقال : كذب والله الذي لا إله إلا هو ، لقد قدم إلينا أبو جعفر فدعاه المعروف بالكسائي ، ودعا معه أهلَ العلم وكنت حاضراً ومعنا ابن حمدان ، فقرأ على أبي جعفر كتاب الجنائز من « الاختلاف » فقال له أبو جعفر : ليس يصلحُ لنا أن نفترقَ من غير مذاكرة ، وهذا كتاب الجنائز فنتذاكر بمسنده ومقطوعه وما اختلف فيه الصحابة والتابعون والعلماء ، فقال ابن حمدان : أما المسند فأذاكر به وأما سواه فلا أذاكر به ، فأغرب عليه ثلاثة وثمانين حديثاً وأغرب عليه ابن حمدان ثمانية عشر حديثاً . قال: وكان ابن حمدان فيما أغرب به على أبي جعفر أقبح مما أغرب به أبو جعفر لأنه كان إذا أغرب ابن حمدان بحديث قال له أبو جعفر هذا خطأ من جهة كذا ومثلي لا يذاكر به ، فيخجل وينقطع . فلما قدم إلى بغداد من طبرستان بعد رجوعه إليها تعصب عليه أبو عبد الله الجصاص وجعفر بن عرفة والبياضي ، وقصده الحنابلة فسألوه عن أحمد بن حنبل في الجامع يوم الجمعة ، وعن حديث الجلوس على العرش ، فقال أبو جعفر : أما أحمد بن حنبل فلا يُعَدّ خلافه ، فقالوا له : فقد ذكره العلماءُ في الاختلاف ، فقال : ما رأيته روي عنه ، ولا رأيتُ له أصحاباً يُعَوّلُ عليهم ، وأما حديثُ الجلوس على العرش فمحال ، ثم أنشد :

سبحانَ مَنْ ليس له أنيسُ ... ولا له في عرشِهِ جليسُ

فلما سمع ذلك الحنابلةُ منه وأصحابُ الحديث وثبوا ورموه بمحابرهم ، وقيل كانت ألوفاً ، فقام أبو جعفر بنفسه ودخل داره ، فرموا داره بالحجارة حتى صار على بابه كالتلِّ العظيم ، وركب نازوك صاحبُ الشرطة في عشرات ألوف من الجند يمنعُ عنه العامة ، ووقف على بابه يوماً إلى الليل وأمر برفع الحجارة عنه ، وكان قد كتب على بابه :

سبحان من ليس له أنيسُ ... ولا له في عرشه جليسُ

فأمر نازوك بمحو ذلك وكتب مكانه بعض أصحاب الحديث :

لأحمدَ منزل لا شكَّ عالٍ إذا وافى إلى الرحمن وافدْ
فَيُدْنيه وَيُقْعِده كريماً على رغمٍ لهم في أنفِ حاسد
على عرشٍ يغلّفه بطيب على الأكيادِ من باغٍ وعاند
[له] هذا المقام [لديه] حقاً كذاك رواه ليثٌ عن مجاهد

فخلا في داره وعمل كتابه المشهور في الاعتذار إليهم ، وذكر مذهبه واعتقاده ، وجرَّحَ من ظن فيه غير ذلك ، وقرأ الكتاب عليهم ، وفضل أحمد بن حنبل وذكر مذهبه وتصويبَ اعتقاده ، ولم يزل في ذكره إلى أن مات ، ولم يخرج كتابه في الاختلاف حتى مات ، فوجدوه مدفوناً في التراب ، فأخرجوه ونسخوه ، أعني « اختلاف الفقهاء » هكذا سمعت من جماعة منهم أبي رحمه الله .

وقال أبو محمد عبد العزيز بن محمد الطبري : كان أبو جعفر من الفضل والعلم والذكاء والحفظ على ما لا يجهله أحدٌ عرفه ، لجمعه من علوم الإسلام ما لم نعلمه اجتمع لأحدٍ من هذه الأمة ، ولا ظهر من كتب المصنفين وانتشر من كتب المؤلفين ما انتشر له، وكان راجحاً في علوم القرآن والقراءات، وعلم التاريخ من الرسل والخلفاء والملوك، واختلاف الفقهاء مع الرواية كذلك على ما في كتابه «البسيط» و«التهذيب» و « أحكام القراءات » من غير تعويل على المناولات والاجازات ولا على ما قيل في الأقوال ، بل يذكرُ ذلك بالأسانيد المشهورة ، وقد بان فضله في علم اللغة والنحو على ما ذكره في كتاب التفسير وكتاب التهذيب مخبراً عن حاله فيه ، وقد كان له قدم في علم الجدل يدل على ذلك مناقضاته في كتبه على المعارضين لمعاني ما أتى به . وكان فيه من الزهد والورع والخشوع والأمانة وتصفية الأعمال وصدق النية وحقائق الأفعال ما دلَّ عليه كتابه « في آداب النفوس » وكان يحفظ [من] الشعر للجاهلية والاسلام ما لا يجهله إلا جاهل به .

وقال أبو عمر محمد بن عبد الواحد الزاهد سمعت ثعلباً يقول : قرأ عليَّ أبو جعفر الطبري شعر الشعراء قبل أن يكثرَ الناسُ عندي بمدة طويلة .

وقال أبو بكر ابن المجاهد ، قال أبو العباس يوماً : من بقي عندكم - يعني في

الجانب الشرقي ببغداد ـ من النحويين؟ فقلت: ما بقي أحد، مات الشيوخ، فقال: حتى خلا جانبكم ؟ قلت : نعم إلا أن يكون الطبري الفقيه ، فقال لي : ابن جرير ؟ قلت : نعم ، قال : ذاك من حُذَّاقِ الكوفيين . قال أبو بكر : وهذا من أبي العباس كثير، لأنه كان شديدَ النفس شرسَ الأخلاق، وكان قليلَ الشهادةِ لأحدٍ بالحذق في علمه .

وقال عبد العزيز بن محمد : قنطرةُ البردان محظوظة من العلماء النحويين ، كان فيها أبو عبيد القاسم بن سلام ومسجده وراء سويقة جعفر معروف به ، وكان فيها علّان الأزدي ومسجده في هذا الموضع معروف به ، وكان أبو بكر هشام بن معاوية الضرير النحوي وكان فاضلاً مسجده عند مسجد أبي عبد اللّه الكسائي ، وكان بها أبو عبيد الله محمد بن يحيى الكسائي وعنه انتشرت رواية أبي الحارث عن الكسائي وقرأ عليه كبار الناس ، ونزلها أبو جعفر الطبري وكان أبو جعفر قد نظر في المنطق والحساب والجبر والمقابلة وكثيرٍ من فنون أبواب الحساب وفي الطب ، وأخذ منه قسطاً وافراً يدلّ عليه كلامه من الوصايا. وكان ظَلِفاً(1) عن الدنيا تاركاً لها ولأهلها يرفعُ نفسه عن التماسها، وكان كالقارىء الذي لا يعرف إلا القرآن ، وكالمحدّث الذي لا يعرف إلا الحديث ، وكالفقيه الذي لا يعرف إلا الفقه ، وكالنحويّ الذي لا يعرف إلا النحو ، وكالحاسب الذي لا يعرف إلا الحساب ، وكان عاملاً للعبادات جامعاً للعلوم ، وإذا جَمَعْتَ بين كتبه وكتب غيره وجدت لكتبه فضلاً على غيرها .

ومن كتبه : كتابه المسمى جامع البيان عن تأويل القرآن ، قال أبو بكر ابن كامل : أملى علينا كتاب التفسير مائة وخمسين آية ثم خرج بعد ذلك إلى آخر القرآن فقرأه علينا وذلك في سنة سبعين ومائتين ، واشتهر الكتاب وارتفع ذكره ، وأبو العباس أحمد بن يحيى ثعلب وأبو العباس محمد بن يزيد المبرد يحييان ، ولأهل الإعراب والمعاني معقلان ، وكان أيضاً في الوقت غيرهما مثل أبي جعفر الرستمي وأبي الحسن ابن كيسان والمفضل بن سلمة والجعد(2) وأبو إسحاق الزجاج وغيرهم من النحويين من فرسان هذا اللسان ، وحُمِلَ هذا الكتاب مشرقاً ومغرباً وقرأه كل من كان في وقته من العلماء وكلٌّ فضَّله وقدمه .

---

(1) م : خلفاً .

(2) الجعد : أبو بكر محمد بن عثمان ، له عدة كتب في القرآن ، ستأتي ترجمته رقم : 1079 .

قال أبو جعفر : حدثتني به نفسي وأنا صبي .

قال عبد العزيز بن محمد الطبري : كان أبو عمر الزاهد يعيش زمـاناً طـويلاً بمقابلة الكتب مع الناس ، قال أبو عمر : فسألت أبا جعفر عن تفسير آية فقال : قـابـلْ بهذا الكتاب من أوله إلى آخره [قلت: فقابلت] فما وجدت فيه حرفاً واحداً خطأً في نحو ولا لغة .

قال أبو جعفر : استخرت اللّٰه تعالى في عمل كتاب التفسير وسألته العون على ما نويته ثلاث سنين قبل أن أعمله فأعانني .

وقال أبو محمد عبد الله بن أحمد بن جعفر الفرغاني : أخبرني شيخ من جسر ابن عفيف قال : رأيت في النوم كأني في مجلس أبي جعفر والناس يقرؤون عليه كِتاب التفسير ، فسمعت هاتفاً بين السماء والأرض يقول : من أراد أن يسمعَ القرآن كما أُنزل فليسمع هذا الكتاب .

وقال أبو بكر محمد بن مجاهد : سمعت أبا جعفر يقول : إني أعجب ممن قرأ القرآن ولم يعلم تأويله كيف يلتذ بقراءته .

وكتاب التفسير كتاب ابتدأه بخطبة ورسالة [في] التفسير تدل على ما خصَّ الله به القرآن العزيز من البلاغة والاعجاز والفصاحة التي نافى بها سائر الكلام ، ثم ذكر من مقدمات الكلام في التفسير ، وفي وجوه تأويل القرآن وما يعلم تأويله ، وما ورد في جواز تفسيره ، وما حظر من ذلك ، والكلام في قول النبي ﷺ أنزل القرآن على سبعة أحرف ، وبأي الألسنة نزل ، والرد على من قال إن فيه أشياء من غير الكلام العربي ، وتفسير أسماء القرآن والسور ، وغير ذلك مما قدمه ، ثم تلاه بتـأويل القـرآن حرفـاً حرفاً ، فذكر أقوال الصحابـة والتابعين ومن بعـدهم من تابعي التـابعين وكلام أهـل الإعراب من الكوفيين والبصريين ، وجملا من القراءات ، واختلاف القراءة فيما فيه من المصـادر واللغات والجمع والتثنية ، والكلام في ناسخه ومنسوخه ، واحكام القرآن والخلاف فيه والردّ عليهم من كلام أهل النظر فيما تكلم فيه بعض أهل البدع ، والرد عليهم على مذاهب أهل الإثبات ومبتغي السنن ، إلى آخر القرآن ، ثم اتبعه بتفسير أبي جاد وحروفها ، وخلاف الناس فيها ، وما اختاره من تأويلها بما لا يقدر أحد ان يزيد فيه ، بل لا يراه مجموعاً لاحد غيره ، وذكر فيه من كتب التفاسير المصنفة عن ابن

عباس خمسة طرق ، وعن سعيد بن جبير طريقين ، وعن مجاهد بن جبر ثلاثة طرق ، وربما كان عنه في مواضع أكثر من ذلك ، وعن قتادة بن دعامة ثلاثة طرق ، وعن الحسن البصري ثلاثة طرق ، وعن عكرمة ثلاثة طرق ، وعن الضحاك بن مزاحم طريقين ، وعن عبد الله بن مسعود طريقاً ، وتفسير عبد الرحمن بن زيد بن أسلم ، وتفسير ابن جريج وتفسير مقاتل بن حيان ، سوى ما فيه من مشهور الحديث عن المفسرين وغيرهم ، وفيه من المسند حسب حاجته إليه ، ولم يتعرض لتفسير غير موثوق به فانه لم يدخل في كتابه شيئاً عن كتاب محمد بن السائب الكلبي ولا مقاتل بن سليمان ولا محمد بن عمر الواقدي لأنهم عنده أظنّاء والله أعلم . وكان إذا رجع إلى التاريخ والسير وأخبار[1] العرب حكى عن محمد بن السائب الكلبي وعن ابنه هشام وعن محمد بن عمر الواقدي وغيرهم فيما يفتقر إليه ولا يؤخذ إلا عنهم ، وذكر فيه مجموع الكلام والمعاني من كتاب علي بن حمزة الكسائي ومن كتاب يحيى بن زياد الفراء ومن كتاب أبي الحسن الأخفش ومن كتاب أبي علي قطرب وغيرهم مما يقتضيه الكلام عند حاجته إليه ، إذ كانوا هؤلاء هم المتكلمون في المعاني وعنهم يؤخذ معانيه واعرابه ، وربما لم يسمّهم إذا ذكر شيئاً من كلامهم . وهذا كتاب يشتمل على عشرة آلاف ورقة أو دونها حسب سعة الخط أو ضيقه ، قال عبد العزيز بن محمد الطبري : وقد رأيت منه نسخةً ببغداد تشتمل على أربعة آلاف ورقة .

ومن كتبه : كتاب الفصل بين القرأة ، ذكر فيه اختلاف القراء في حروف القرآن ، وهو من جيد الكتب ، وفصل فيه أسماء القراء بالمدينة ومكة والكوفة والبصرة والشام وغيرها ، وفيه من الفصل بين كل قراءة ، فيذكر وجهها وتأويلها والدلالة على ما ذهب إليه كل قارىء لها ، واختياره الصواب منها ، والبرهان على صحة ما اختاره ، مستظهراً في ذلك بقوته على التفسير والاعراب الذي لم يشتمل على حفظ مثله أحدٌ من القراء ، وان كان لهم رحمهم الله من الفضل والسبق ما لا يدفع ذو بصيرة ، بعد أن صدَّره بخطبة تليق به ، وكذلك كان يعمل في كتبه : أن يأتي بخطبته على معنى كتابه ، فيأتي الكتاب منظوماً على ما تقتضيه الخطبة ، وكان أبو جعفر مجوّداً في القراءة موصوفاً

(1) م : واختيار .

بذلك يقصده القراء البعداء ومن الناس للصلاة خلفه يسمعون قراءته وتجويده .

وقال أبو بكر ابن كامل ، قال لنا أبو بكر ابن مجاهد ، وقد كان لا يجري ذكره إلا فضله : ما صنف في معنى كتابه مثله . وقال لنا : ما سمعت في المحراب أقرأ من أبي جعفر ، أو كلاماً هذا معناه . قال ابن كامل : وكان أبو جعفر يقرأ قديماً لحمزة قبل أن يختار قراءته .

وقال أبو محمد عبد الله بن أحمد الفرغاني : قال لنا أبو جعفر : قرأت القرآن على سليمان بن عبد الرحمن بن حماد الطلحي ، وكان الطلحي قد قرأ على خلاد ، وخلاد قرأ على سليم بن عيسى ، وسليم قرأ على حمزة . ثم أخذها أبو جعفر عن يونس بن عبد الأعلى عن علي بن كيسة[1] عن سليم عن حمزة .

وقال ابن كامل ، قال لنا أبو بكر ابن مجاهد ، وقد ذكر فضل كتابه في القراءات وقال : إلا أني وجدت فيه غلطاً ، وذكره لي وعجبتُ من ذلك مع قراءته لحمزة وتجويده له ثم قال : والعلة في ذلك أبو عبيد القاسم بن سلام لأنه بنى كتابه على كتاب أبي عبيد ، فأغفل أبو عبيد هذا الحرف فنقله أبو جعفر على ذلك .

وقال أبو بكر ابن كامل ، قال لنا أبو جعفر : وصف لي [قارىء] بسوق يحيى فجئت إليه ، فتقدمت فقرأت عليه من أول القرآن حتى بلغت إلى قوله ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَسْتَحْيِىٓ أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا ﴾ (البقرة: 26) فأعاد عليّ ، فأعدته في كل قراءتي أبين فيه اليائين ، وهو يردّ عليّ ، إلى أن قلت له : تريد أكثرَ من تبيين اليائين بكسرِ الأولى ؟ فلم يدر ما أقول ، فقمت ولم أعد إليه .

قال : وكان عند أبي جعفر رواية ورش عن نافع عن يونس بن عبد الأعلى عنه ، وكان يقصد فيها ، فحرص على ما بلغني أبو بكر ابن مجاهد مع موضعه في نفسه وعند أبي جعفر أن يسمع منه هذه القراءة منفرداً ، فأبى إلا أن يسمعها مع الناس ، فما أثر ذلك في نفس أبي بكر ، وكان ذلك كرهاً من أبي جعفر أن يخصَّ أحداً بشيء من العلم ، وكان في أخلاقه ذلك ، لأنه كان إذا قرأ عليه جماعة كتاباً ولم يحضره أحدهم لا يأذنُ لبعضهم أن يقرأ دون بعض ، وإذا سأله إنسان في قراءة كتاب وغاب ، لم يقرئه

(1) علي بن يزيد بن كيسة الكوفي نزيل مصر ، توفي سنة 202 .

حتى يحضر ، إلا كتاب الفتوى فانه كان أيّ وقت سئل عن شيء منه أجاب فيه . وكتابه في القراءات يشتمل على كتاب أبي عبيد القاسم بن سلام لأنه كان عنده عن أحمد بن يوسف الثعلبي عنه وعليه بنى كتابه .

ومنها كتابه كتاب التاريخ الكبير المسمى بتاريخ الرسل والملوك وأخبارهم ومن كان في زمن كل واحد منهم ، بدأ فيه بالخطبة المشتملة على معانيه ، ثم ذكر الزمان ما هو ، ثم مدة الزمان على اختلاف أهل العلم من الصحابة وغيرهم ، والامم المخالفة لنا في ذلك، والسنن الدالة على ما اختاره من ذلك، وهذا باب لا يُحَدَّدُ بوجود إلا له.

قال أبو الحسن عبد الله بن أحمد بن محمد بن المغلس الفقيه ، وكان أفضل من رأيناه فهماً وعناية بالعلم ودرساً له ، ولقد كان لعنايته بدرس العلم تُعبى كتبه في جانب حارته[2] ثم يبتدىء فيدرس الأول فالأول منها إلى أن يفرغ منها، وهو ينقلها إلى الجانب الآخر ، فإذا فرغ منها عاد في درسها ونقلها إلى حيث كانت ، فقال يوماً : ما عمل أحدٌ في تاريخ الزمان وحصر الكلام فيه مثل ما عمله أبو جعفر ؛ قال ولقد قال لي أبو الحسن ابن المغلس يوماً وهو يذاكرنا شيئاً من العلم وفضل العلماء فقال : واللّه إني لأظن أبا جعفر الطبري قد نسي مما حفظ إلى أن مات ما حفظه فلان طول عمره ، وذكر رجلاً كبيراً من أهل العلم .

ثم ذكر أبو جعفر في التاريخ الكلام في الدلالة على حدث الزمان : الأيام والليالي ، وعلى أن محدثها اللّه عز وجل وحده ، وذكر أول ما خلق وهو القلم وما بعد ذلك شيئاً شيئاً على ما وردت الآثار به واختلاف الناس في ذلك . ثم ذكر آدم وحواء واللعين ابليس وما كان من نزول آدم عليه السلام ، وما كان بعده من أخبار نبي نبي ورسول رسول وملك وملك على اختصار منه لذلك إلى نبينا عليه السلام مع ملوك الطوائف وملوك الفرس والروم ، ثم ذكر مولد رسول اللّه ﷺ ونسبه وآباءه وأمهاته وأولاده وأزواجه ومبعثه ومغازيه وسراياه وحال أصحابه رضي اللّه عنهم ، ثم ذكر الخلفاء الراشدين المهديين بعده ، ثم ذكر ما كان من أخبار بني أمية وبني العباس في القطعين المنسوب أحدهما إلى قطع بني أمية والثاني إلى قطع بني العباس ، وما شرحه

---

(1) م : يحدد .

(2) كذا في م .

في كتاب التاريخ ، وإنما خرج ذلك إلى الناس على سبيل الاجازة إلى سنة أربع وتسعين ومائتين ، ووقف على الذي بعد ذلك لأنه كان في دولة المقتدر ، وقد كان سئل شرح القطعين ، فلما سئل ذلك شرحه وسماه القطعين ، وهذا الكتاب من الأفراد في الدنيا فضلاً ونباهةً وهو يجمع كثيراً من علوم الدين والدنيا وهو في نحو خمسة آلاف ورقة .

ومنها كتابه المسمى بكتاب « ذيل المذيل » المشتمل على تاريخ من قتل أو مات من أصحاب رسول الله ﷺ في حياته أو بعده على ترتيب الأقرب فالأقرب منه أو من قريش من القبائل ، ثم ذكر موت من مات من التابعين والسلف بعدهم ، ثم الخالفين إلى أن بلغ شيوخه الذين سمع منهم وجملاً من أخبارهم ومذاهبهم ، وتكلم في الذبِّ عن ذوي الفضل منهم ممن رمي بمذهب هو بريء منه ، كنحو الحسن البصري وقتادة وعكرمة وغيرهم ، وذكر ضعف من نسب إلى ضعف من الناقلين ولينه ، وفي آخره أبواب حسان من باب من حدث عنه الاخوة ، أو الرجل وولده ، ومن شهر بكنيته دون اسمه ، أو باسمه دون كنيته ، وهو من محاسن الكتب وأفاضلها يرغب فيه طلاب الحديث وأهل التواريخ وكان خرج إملاؤه بعد سنة ثلاثمائة وهو في نحو من ألف ورقة.

ومنها كتابه المشهور بالفضل شرقاً وغرباً المسمى بكتاب « اختلاف علماء الأمصار في أحكام شرائع الإسلام » قصد به إلى ذكر أقوال الفقهاء وهم : مالك بن أنس فقيه أهل المدينة بروايتين ، وعبد الرحمن بن عمرو الأوزاعي فقيه أهل الشام ، ومن أهل الكوفة سفيان الثوري بروايتين ، ثم محمد بن إدريس الشافعي ما حدَّث به الربيع بن سليمان عنه ، ثم من أهل الكوفة أبو حنيفة النعمان بن ثابت وأبو يوسف يعقوب بن محمد الأنصاري وأبو عبد الله محمد بن الحسن الشيباني مولى لهم ثم إبراهيم بن خالد أبو نصر الكلبي ، وقد كان أولاً ذكر في كتابه بعضَ أهل النظر وهو : عبد الرحمن بن كيسان لأنه كان في الوقت الذي عمله ما كان يتفقه على مذهبه ، فلما طال الزمان به وفقه أصحابه بسهو سَقَّطَهُ من كتابه ، وكان أول ما عمل هذا الكتاب (على ما سمعته يقول وقد سأله عن ذلك أبو عبد الله أحمد بن عيسى الرازي) إنما عمله ليتذكر به أقوال من يناظره ثم انتشر وطلب منه ، فقرأه على أصحابه . وقد كان محمد بن داود الأصبهاني لما صنف كتابه المعروف بـ « كتاب الوصول إلى معرفة

الأصول » ذكر في باب الاجماع عن أبي جعفر الطبري أن الاجماعَ عنده إجماعُ هؤلاء المقدَّمِ ذكرهم الثمانية نفر دون غيرهم تقليداً منه لما قال أبو جعفر «اجمعوا وأجمعت الحجة على كذا » ثم قال في تصدير باب الخلاف « ثم اختلفوا فقال مالك وقال الاوزاعي كذا وقال فلان كذا » ان الذين حكى عنهم الاجماع هم الذين حكى عنهم الاختلاف ، وهذا غلط من ابن داود ولو رجع إلى كتابه في « رسالة اللطيف » وفي « رسالة الاختلاف» وما أودعه كثيراً من كتبه من ان الاجماع هو نقل المتواترين لما أجمع عليه أصحابُ رسول اللّه ﷺ من الآثار دونَ أن يكونَ ذلك رأياً ومأخوذاً جهة القياس لعلم ان ما ذهب إليه من ذلك غلط فاحش وخطأ بين .

وكان أبو جعفر يفضل «كتاب الاختلاف» وهو أول ما صنف من كتبه ، وكان يقول كثيراً : لي كتابان لا يستغني عنهما فقيه : الاختلاف واللطيف .

وكتاب الاختلاف نحو ثلاثة آلاف ورقة ، ولم يستقصِ فيه اختياره لأجْلِ أنه قد جوَّد ذلك في « كتاب اللطيف » ولئلا يتكرر كلامه في ذلك . وقد كان جعل لكتاب الاختلاف رسالةً بدأ بها ثم قطعها ، ذكر فيها [لدى] الكلام في الاجماع وأخبارِ الآحادِ العدولِ زياداتٍ ليست في كتاب اللطيف وشيئاً من الكلام في المراسيل والناسخ والمنسوخ.

وله كتاب الشروط المسمى أمثلة العدول ، وهو من جيد كتبه التي يُعَوِّلُ عليها أهلُ مدينة السلام ؛ وكان أبو جعفر مقدماً في علم الشروط قيماً به .

ومن جياد كتبه : كتابه المسمى بـ« كتاب لطيف القول في أحكام شرائع الإسلام » وهو مجموع مذهبه الذي يُعَوِّلُ عليه جميعُ أصحابه ، وهو من أنفس كتبه وكتب الفقهاء وأفضلِ أمهات المذاهب وأسدِّها تصنيفاً ، ومن قرأه وتدبره رأى ذلك إن شاء اللّه . وكان أبو بكر ابن راميك يقول : ما عُمِلَ كتاب فى مذهب أجود من كتاب أبي جعفر «اللطيف» لمذهبه، وكان يعتذر في اختصاره كثيراً في أوله، وكتبه تزيد على كتاب الاختلاف في القدر ، وثلاثة كتب : كتاب اللباس ، كتاب أمهات الأولاد ، كتاب الشرب. وهو من جيد الكتب وأحسنها، وهو كالمنفرد فيه. ولا يظن ظان أن قوله « كتاب اللطيف » إنما أراد به صغره وخفة محمل وزنه ، وإنما أراد بذلك لطيفَ القول كدقة معانيه وكثرة ما فيه من النظر والتعليلات ، وهو يكون نحو ألفين وخمسمائة ورقة .

وفيه كتاب جيد في الشروط يسمى بأمثلة العدول من اللطيف ، ولهذا الكتاب رسالة فيها الكلام في أصول الفقه ، والكلام في الاجماع ، وأخبار الآحاد ، والمراسيل ، والناسخ والمنسوخ في الأحكام ، والمجمل والمفسر من الأخبار والأوامر والنواهي ، والكلام في أفعال الرسل ، والخصوص والعموم ، والاجتهاد ، وفي إبطال الاستحسان ، إلى غير ذلك مما تكلم فيه .

ومن جياد كتبه كتابه المعروف بـ « كتاب الخفيف في أحكام شرائع الإسلام » وهو مختصر من كتاب اللطيف ، وقد كان أبو أحمد العباس بن الحسن العزيزي أراد النظرَ في شيءٍ من الأحكام فراسله في اختصار كتاب له ، فعمل هذا الكتاب ليقرب متناوله ، وهو نحو من الأربعمائة ورقة ، وهو كتابٌ قريبٌ على الناظر فيه ، كثيرُ المسائل ، يصلح لتذكر العالم والمبتدىء المتعلم .

ومنها كتاب « تهذيب الآثار وتفصيل الثابت عن رسول الله ﷺ من الأخبار » وهو كتاب يتعذر على العلماء عَمَلُ مثله ويصعبُ عليهم تتمته ؛ قال أبو بكر ابن كامل : لم أرَ بعد أبي جعفر أجمع للعلم وكتب العلماء ومعرفة اختلاف الفقهاء وتمكنه من العلوم منه لأني أروضُ نفسي في عمل مسند عبد الله بن مسعود في حديث منه نظير ما عمله أبو جعفر فما أحسن عمله ولا يستوي لي .

ومن كتبه الفاضلة : كتابه المسمى بـ « كتاب بسيط القول في أحكام شرائع الإسلام » وهذا الكتاب قدم له كتاباً سماه « كتاب مراتب العلماء » حسناً في معناه ، ذكر فيه خطبةَ الكتاب وحضَّ فيه على طَلَبِ العلم والتفقه ، وغمز فيه على من اقتصر من أصحابه على نقله دون التفقه بما فيه ، ثم ذكر فيه العلماءَ ممن تفقه على مذهبه من أصحاب رسول الله ﷺ ومن أخذ عنهم ثم من أخذ عنهم ثم من أخذ عمن أخذ عنهم من فقهاء الأمصار : بدأ بالمدينة لأنها مُهاجَرُ النبيِّ ﷺ ومن خلفه أبو بكر وعمر وعثمان ومن بعدهم ، ثم بمكة لأنها الحرم الشريف ، ثم العراقين : الكوفة والبصرة ، ثم الشام وخراسان ، ثم خرج إلى كتاب الصلاة بعد ذكر الطهارة ، وذكر في هذا الكتاب اختلاف المختلفين واتفاقهم فيما تكلموا فيه على الاستقصاء والتبيين في ذلك ، والدلالة لكل قائل منهم ، والصواب من القول في ذلك ، وخرَّج منه نحو ألفي ورقة ، وأخرج من هذا الكتاب « كتاب آداب القضاء » وهو أحد الكتب المعدودة له المشهورة

بالتجويد والتفصيل لأنه ذكر فيه بعد خطبة الكتاب الكلامَ في مدح القضاة وكتابهم ، وما ينبغي للقاضي إذا ولي أن يعملَ به ، وتسليمه له ونظره فيه ، ثم ما ينقضُ فيه أحكامَ من تقدمه ، والكلام في السجلات والشهادات والدعاوي والبينات ، وسيأتي ذكر ما يحتاج إليه الحاكم من جميع الفقه إلى أن فرغ منه ، وهو في ألف ورقة . وكان يجتهد بأصحابه أن يأخذوا البسيط والتهذيب ويجدّوا في قراءتهما ويشتغلوا بهما دون غيرهما من الكتب .

ومن جياد كتبه كتابه المسمى بـ « كتاب أدب النفوس الجيدة والأخلاق النفيسة » وربما سماه بأدب النفس الشريفة والأخلاق الحميدة ، وربما زاد في ترجمته : المشتمل على علوم الدين والفضل والورع والاخلاص والشكر والكلام في الرياء والكبر والتخاضع والخشوع والصبر والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وبدأ فيه بالكلام في الوسوسة وأعمال القلوب ، ثم ذكر شيئاً كثيراً من الدعاء وفضل القرآن وأوقات الإجابة ودلائلها ، وما روي من السنن وأقوال الصحابة والتابعين في ذلك ، وقطع الاملاء في بعض الكلام في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وكان ما خرَّج نحو خمسمائة ورقة ، وكان قد عمل أربعة أجزاء ولم يخرجها إلى الناس في الإملاء ، ووقع ذلك إلى أبي سعيد عمر بن أحمد الدينوري الوراق ، وخرج به إلى الشام فقطع عليه ولم يبق معه إلا جزءان فيهما الكلامُ في حقوق الله الواجبةِ على الإنسان في بَصَره والحقوق الواجبة في سمعه ، وكان ابتدأ في سنة عشر وثلاثمائة ، ومات بعد مديدة من قطعه الإملاء ، وكان يقول : إن خَرَجَ هذا الكتابُ كان فيه جمال ، لأنه كان أراد أن يخرج بعد الكلام في الحقوق اللازمة للانسان إلى ما يعيذنا منه من أهوال القيامة وشروطها وأحوال الآخرة وما ورد فيها وذكر الجنة والنار .

ومما صنف وخرج « كتاب المسند المجرد » وقد كتب أصحاب الحديث الأكثر منه ، وذكر فيه من حديثه عن الشيوخ ما قرأه على الناس .

ومنها كتابه المسمى بـ « كتاب الرد على ذي الأسفار » يردّ فيه على داود بن علي الأصبهاني ، وكان سبب تصنيف هذا الكتاب أن أبا جعفر كان قد لزم داود بن علي مدةً وكتب من كتبه كثيراً ، ووجدنا في ميراثه من كتبه ثمانين جزءاً بخطه الدقيق ، وكان فيها المسألة التي جرت بين داود بن علي وبين أبي المجالد الضرير المعتزلي بواسط عند

خروجهما إلى الموفق لما وقع التنازع في خلق القرآن ، وكان داود بن علي قد أخذ من النظر ومن الحديث ومن الاختلاف ومن السنن حظاً ليس بالمتسع ، وكان بسيطَ اللسان حسنَ الكلام متمكناً من نفسه ، وله أصحابٌ فيهم دعابة قد تمكنت منهم حتى صارت لبعضهم خلقاً يستعمله في النظر لقطع مخالفيه ، وكان ربما ناظر داود بن علي الأثبات في المسألة في الفقه فيراه مقصراً في الحديث فينقله إليه ، أو يكلمه في الحديث فينقله إلى الفقه ، أو إلى الجدل إذا كان خصمه مقصراً فيهما ، وكان هو مقصراً في النحو واللغة وإن كان عارفاً بقطعة منه ، وكان أبو جعفر ملياً بما نهض فيه من أيِّ علم كان ، وكان متوقفاً عن الأخلاق التي لا تليقُ بأهل العلم ولا يؤثرها إلى أن مات ، وكان يحبُّ الجِدَّ في جميع أحواله ، وجرت مسألة يوماً بين داود بن علي وبين أبي جعفر ، فوقف الكلام على داود بن علي ، فشق ذلك على أصحابه وكلَّم رجلٌ من أصحاب داود بن علي أبا جعفر بكلمة مضة ، فقام من المجلس وعمل هذا الكتاب ، وأخرج منه شيئاً بعد شيء إلى أن أخرج منه قطعةً نحو مائة ورقة ، وكان ابتدأ الكلام فيه بخطبة من غير إملاء ، وهو من جيد ما عمله أبو جعفر ومن أحسنه كلاماً فيه حملاً على اللغط عليه ، ثم قطع ذلك بعدما مات داود بن علي فلم يحصل في أيدي أصحابه من ذلك إلا ما كتبه منه مقدمو أصحابه ولم ينقل . فممن كتب هذا الكتاب منه أبو إسحاق ابن الفضل بن حيان الحلواني ، قال أبو بكر ابن كامل وسمعناه منه عنه ، وأبو الطيب الجرجاني وأبو علي الحسن بن الحسين بن الصواف وأبو الفضل العباس بن محمد بن المحسن وغيرهم . وقال الرواسي ، وكان من مقدمي أصحاب داود بن علي : إن داود قطع كلام ذلك الإنسان الذي كلم أبا جعفر سَنَةً مجازاة له على ما جرى منه على أبي جعفر .

ثم تعرض محمد بن داود بن علي للردِّ على أبي جعفر فيما رَدَّهُ على أبيه ، فتعسَّفَ الكلامَ على ثلاثِ مسائلَ خاصة ، وأخذ في سبِّ أبي جعفر ، وهو كتابه المنسوب إلى الرد على أبي جعفر ابن جرير . قال أبو الحسن ابن المغلس ، قال لي أبو بكر ابن داود بن علي : كان في نفسي مما تكلَّم به ابنُ جرير على أبي ، فدخلت يوماً على أبي بكر ابن أبي حامد ، وعنده أبو جعفر ، فقال له أبو بكر : هذا أبو بكر محمد بن داود بن علي الأصبهاني ، فلما رآني أبو جعفر وعرف مكاني رحَّبَ بي وأخذ يثني على أبي ويمدحه ويصفني بما قطعني عن كلامه .

ومن كتب أبي جعفر رسالته المسماة بـ « كتاب رسالة التبصير في معالم الدين » التي كتب بها إلى أهل طبرستان فيما وقع بينهم فيه من الخُلْفِ في الاسم والمسمى ، وفي مذاهب أهل البدع ، وهو نحو ثلاثين ورقة .

ومنها أيضاً : رسالته المعروفة بـ « كتاب صريح السنة » في أوراق ذكر فيها مذهبه وما يدينُ به ويعتقده . وكتاب فضائل علي بن أبي طالب رضي الله عنه تكلم في أوله بصحة الأخبار الواردة في غدير خمّ ثم تلاه بالفضائل ولم يتم . كتاب فضائل أبي بكر وعمر رضي الله عنهما ولم يتمّ أيضاً . كتاب فضائل العباس وانقطع أيضاً بموته . كتاب في عبارة الرؤيا جمع فيه أحاديث فمات ولم يعمله . وكتاب مختصر مناسك الحج . كتاب مختصر الفرائض . كتاب في الردِّ على ابن عبد الحكم على مالك ، ولم يقع إلى أصحابه . كتاب الموجز في الأصول ، ابتدأ فيه برسالة الأخلاق ثم قطع ووعد بكتاب الآدر في الأصول ولم يخرج منه شيء ، وأراد أن يعملَ كتاباً في القياس فلم يعمله .

قال أبو القاسم الحسين بن حبيش الوراق : كان قد التمس مني أبو جعفر أن أجمع له كتبَ الناسِ في القياس ، فجمعت له نيّفاً وثلاثين كتاباً ، فأقامت عنده مديدة ، ثم كان من قطعه للحديث قبل موته بشهورٍ ما كان ، فردَّها عليّ وفيها علاماتٌ له بحمرةٍ قد عَلَّمَ عليها .

قال عبد العزيز بن محمد : وقد وقع إليَّ كتاب صغير في الرمي بالنشاب منسوب إليه ، وما علمت أحداً قرأه عليه ، ولا ضابطاً ضبط عنه ولا ينسبه إليه ، وأخافُ أن يكونَ منحولاً إليه .

وقال عبد العزيز بن محمد الطبري : كان أبو جعفر يذهب في جل مذاهبه إلى ما عليه الجماعةُ من السلف وطريق أهل العلم المتمسكين بالسنن ، شديداً عليه مخالفتهم ، ماضياً على منهاجهم ، لا تأخذه في ذلك ولا في شيء لومة لائم ، وكان يذهب إلى مخالفة أهل الاعتزال في جميع ما خالفوا فيه الجماعةَ من القول بالقدر وخلق القرآن وإبطال رؤية اللّه في القيامة ، وفي قولهم بتخليد أهل الكبائر في النار وإبطال شفاعة رسول اللّه ﷺ، وفي قولهم إن استطاعة الانسان قبل فعله . وكان

أبو جعفر يزعم أن ما في العالم من أفعال العباد فخلق الله ، وان ما منَّ الله به على أهل الإيمان من الاستطاعة التي وفقهم لها غير ما أعطاه لأهل الكفر من الدار والعقل ، وان اللّه ختم على قلوب من كَفَرَ به مجازاةً لهم على كفرهم .

قلت : وهذا الفصل رديء جداً ، لأنه إن كان ختم قبل الكفر فقد ظلم ، وإن كان بعده فقد ختم على مختوم ، وهذا لم يقلْ به أحد من أهل السنة والجماعة إنما هو من أقوالِ الروافضِ والمعتزلةِ قبحهم الله .

وكان أبو جعفر يعتقد أن ما أخطأه ما كان ليصيبه، وأن ما أُصابه لم يكن ليخطئه، وأن جميع ما في العالم لا يكون إلا بمشيئة اللّه ، وان الله جل وعز لم يزل موصوفاً بصفاته التي هي علمه وقدرته ، وكلامه غيرُ محدث .

قال أبو علي : وهذا الفصلُ يدلّ على أن ما لم يكن من الصفات كالعلم والقدرة والكلام أنها محدثة مخلوقة ، وهذا محضُ كلام المعتزلة والأشعرية . قال : وكان أبو جعفر يذهب في الإمامة إلى إمامة أبي بكر وعمر وعثمان وعلي رضي الله عنهم ، وما عليه أصحابُ الحديثِ في التفضيل ، وكان يكفِّر من خالفه في كلّ مذهب ، إذ كانت أدلَّةُ العقولِ تُدْفَع كالقول في القدر وقول من كفَّر أصحاب رسول اللّه ﷺ من الروافض والخوارج ، ولا يقبل أخبارهم ولا شهاداتهم ، وذكر ذلك في كتابه في الشهادات وفي الرسالة وفي أول « ذيل المذيل » وكان لا يورِّثُ من الكفرة منهم ، وذكر ذلك في « مسند أسامة بن زيد » عند كلامه في قول رسول اللّه ﷺ: لا يورث المسلم الكافر ولا الكافر المسلم ولا يتوارث أهلُ ملتين شتّى ، وكان لا يورث متكافرين ، لا يورث يعقوبياً من النصارى من ملكي ، ولا ملكياً من نسطوريّ ، ولا شمعتيًّا من اليهود سامرياً ، ولا عنانياً من الشمعتي ، ووافقه على هذا المذهب الأوزاعي ، فإذا اختلفت الكنائس والبيع لم يورث بعضهم من بعض .

قال أبو بكر ابن كامل : حضرت أبا جعفر حين حضرته الوفاة ، فسألته أن يجعلَ كلَّ من عاداه في حِلّ ، وكنتُ سألته ذلك لأجلِ أبي الحسن ابن الحسين الصواف ، لأني كنتُ قرأتُ عليه القرآن فقال : كلُّ من عاداني وتكلم فيَّ في حِلٍّ إلاّ رجلٌ رماني ببدعة ، وكان الصواف من أصحاب أبي جعفر ، وكانت فيه سلامة ، ولم يكن فيه ضَبْطٌ

دون الفصل ، فلما أملى أبو جعفر « ذيل المذيل » ذكر أبا حنيفة وأطراه وقال : كان فقيهاً عالماً ورعاً ، فتكلم الصوافُ في ذلك الوقت فيه لأجلِ مدحه لأبي حنيفة وانقطع عنه وبسطَ لسانه فيه . قال أبو بكر ابن كامل : من سبقك إلى إكفار أهل الأهواء ؟ قال فقال : إماما عدْلٍ عبد الرحمن بن مهدي ويحيى بن سعيد القطان . وكان إذا عرف من إنسان بدعةً أبعده واطرحه ، وكان قد قال بعض الشيوخ ببغداد بتكذيب غدير خمّ وقال : إنَّ علي بن أبي طالب كان باليمن في الوقت الذي كان رسول اللَّه ﷺ بغدير خمّ ، وقال هذا الإنسان في قصيدة مزدوجة يصف فيها بلداً بلداً ومنزلاً أبياتاً يلوِّحُ فيها إلى معنى حديث غدير خم فقال :

ثم مررنا بغدير خمٍ   كم قائل فيه بزورٍ جمِ

على عليٍّ والنبيِّ الأمي

وبلغ أبا جعفر ذلك ، فابتدأ بالكلام في فضائل علي بن أبي طالب ، وذكر طرقَ حديث خم ، فكثر الناس لاستماع ذلك ، واجتمع قوم من الروافض ممن بسط لسانه بما لا يصلحُ في الصحابة رضي الله عنهم ، فابتدأ بفضائل أبي بكر وعمر رضي اللَّه عنهما ، ثم سأله العباسيون في فضائل العباس ، فابتدأ بخطبة حسنة وأملى بعضه ، وقطع جميع الإملاء قبل موته وكان يظنُّ أن فيه لجاجة ؛ قال أبو بكر ابن كامل : ولم يكن فيه ذلك ، وقد كان رجع إلى طبرستان فوجد الرفضَ قد ظهر ، وسبَّ أصحابِ رسول اللَّه ﷺ بين أهلها قد انتشر ، فأملى فضائلَ أبي بكر وعمر حتى خاف أن يجري عليه ما يكرهه ، فخرج منها من أجل ذلك.

وقال عبد العزيز بن محمد الطبري : أخبرني غير واحد من أصحابنا أنه رأى عند أبي جعفر شيخاً مسنّاً ، فقام له أبو جعفر وأكرمه ، ثم قال أبو جعفر : إن هذا الرجلَ ناله فيَّ ما قد صار له عليَّ به الحقُّ الكثير ، وذلك أني دخلتُ إلى طبرستان ، وقد شاع سبُّ أبي بكر وعمر فيهما ، فسألوني أن أمليَ فضائلهما ففعلت ، وكان سلطانُ البلدةِ يكرهُ ذلك ، فاجتمع إليه من عرَّفه ما أمليته ، فوجّه إليّ ، فبادر هذا وأرسل إليَّ من أخبرني أني قد طُلبت ، فخرجت من وقتي عن البلد ولم يُشْعَرْ بي ، وحصل هذا في أيديهم فضُرب بسببي ألفاً.

قال : وكان شديدَ التوقي والحذر والنزاهة والورع ، يدلُّ على ذلك ما أودعه

«كتاب آداب النفوس» المنبه على دينه وفضله . ومع ما كان فيه من الاشتغال بالتصانيف والحديث والاملاء لا بد له مع ذلك من حزبه من القرآن ، ويقال إنه كان يقرأ كلَّ ليلة ربعاً أو حظاً وافراً.

قال عبد العزيز بن محمد : وكان أبو جعفر ظريفاً في ظاهره ، نظيفاً في باطنه ، حسنَ العشرةِ لمجالسيه ، متفقداً لأحوالِ أصحابه ، مهذباً في جميع أحواله ، جميلَ الأدبِ في مأكله وملبسه وما يخصه في أحوال نفسه ، منبسطاً مع إخوانه حتى ربما داعبهم أحسنَ مداعبة ، وربما جيء بين يديه بشيءٍ من الفاكهة فيجري في ذلك المعنى ما لا يخرجُ من العلم والفقه والمسائل حتى يكونَ كأجدِّ جدّ وأحسن علم . وكان إذا أهدى إليه مهدٍ هديةً مما يمكنه المكافأة عليه قبله وكافأه ، وإن كانت مما لا يمكنه المكافأة عليها ردها واعتذر إلى مهديها . ووجه إليه أبو الهيجاء ابن حمدان ثلاثة آلاف دينار ، فلما نظر إليها عجب منها ثم قال : لا أقبل ما لا أقدرُ على المكافأةِ عنه ، ومن أينَ لي ما أكافىء عن هذا ؟ فقيل : ما لهذا مكافأة إنما أراد التقرب الى اللّٰه عزَّ وجل بهذا ، فأبى أن يقبله وردّه إليه.

وكان يختلف إليه أبو الفرج ابن أبي العباس الأصبهاني الكاتب يقرأ عليه كتبه ، فالتمس أبو جعفر حصيراً لِصُفَّةٍ له صغيرةٍ ، فدخل أبو الفرج الأصفهاني وأخذ مقدارَ الصفّة واستعمل له الحصير متقرباً بذلك له وجاءه به ، وقد وقع موقعه ، فلما خرج دعا ابنه ودفع إليه أربعة دنانير ، فأبى أن يأخذها وأبى أبو جعفر أن يأخذَ الحصير إلا بها . وأهدى إليه أبو المحسن المحرر جارُهُ فرخين فأهدى اليه ثوباً.

وقال أبو الطيب القاسم بن أحمد بن الشاعر [و] سليمان بن الخاقاني : أهدى أبو علي محمد بن عبيد الله الوزير إلى أبي جعفر محمد بن جرير برمّان فقبله وفرقه في جيرانه ، فلما كان بعد أيام وجّه اليه بزنبيل فيه بدرة فيها عشرة آلاف درهم وكتب معها رقعةً وسأله أن يقبلها . قال سليمان ، قال لي الوزير : إن قبلها وإلا فسلوه أن يفرّقها في أصحابه ممن يستحق فصرتُ بالبدرة إليه ، فدققت الباب ، وكان يأنس إليّ ، وكان أبو جعفر إذا دخل منزله بعد المجلس لا يكادُ يدخلُ إليه أحدٌ لتشاغله بالتصنيف إلا في أمرٍ مهم ، قال : فعرفته أني جئتُ برسالة الوزير ، فأذن لي فدخلتُ وأوصلتُ إليه الرقعة ،

فقال : يغفرُ الله لنا وله ، اقرأ عليه السلامَ وقل له : ارددنا إلى الرمان ، وامتنع من قبول الدراهم ، فقلت له : فرّقها في أصحابك على من يحتاج إليها ولا تردّها ، فقال : هو أعرفُ بالناسِ إذا أراد ذلك . وأجاب عن الرقعة وانصرفت . قال أبو الطيب وسليمان : فلما كان بعد مدةٍ قدم الحاجُّ وكان يأتيه مالُ ضيعته معهم ، فربما جيء إليه بالشيء فجعله بضاعة ، فدعانا وإذا بين يديه شيء مشدود ، فقال : امضيا بهذا إلى الوزير واقرءا عليه السلام وأَوْصِلا إليه هذه الحزمة والرقعة ، قالا : فصرنا إليه ولا نعرفُ ما فيها ، فلما قرأ الرقعة وإذا فيها « إنه قد أنفذ اليه شيء من طبرستان فآثر إنفاذه إليه » قال فتقدم إلى من فتحه ، فإذا فيه سمور حسن ، فقوّم له ذلك أربعين ديناراً ، ولم يجدْ بدأً من قبوله ، وكان داعياً إلى امتناعه من الاهداء إليه.

قال : وقد كان يمضي إلى الدعوة يُدْعَى إليها وإلى الوليمة يسأل فيها ، ويكون ذلك يوماً مشهوداً من أجله وشريفاً بحضوره ، وكان يخرج مع بعضهم إلى الصحراء فيأكل معهم.

قال ابن كامل ، قال لي أبو عليّ محمد بن إدريس الجمال ، وكان من وجوه الشهود بمدينة السلام : حضرنا يوماً مع أبي جعفر الطبري وليمةً ، فجلستُ معه على مائدة ، فكان أجملَ الجماعةِ أكلاً وأظرفَهم عشرةً ، قال : وحضر جماعةٌ من الغلمان على رؤوسنا لسقي الماء والخدمة ، قال : فرأيتُ بعض الغلمان قد مدَّ عينه إلى بعض ما قُدِّمَ إلينا ، فأخذتُ لقمة فناولتها الغلام ، قال فزبرني أبو جعفر وقال : من أذن لك أن تأكل أو تطعم ؟ قال : فأخجلني.

قال ابن كامل : ما رأيتُ أظرفَ أكلاً من أبي جعفر ، كان يُدْخِلُ يده في الغضارة فيأخذُ منها لقمة ، فإذا عاد بأخرى كَسَحَ باللقمةِ ما التطخ من الغضارة باللقمة الأولى ، فكان لا يلتطخُ من الغضارة إلا جانبٌ واحد . وكان إذا تناول اللقمةَ ليأكل سمّى ووضع يده اليسرى على لحيته ليوقيها من الزهومة ، فإذا حصلت اللقمة في فيه أزال يده.

قال أبو بكر ابن كامل ، قال لنا أبو بكر ابن مجاهد : كان أبو جعفر ربما خرج إلى الصحراءِ فنخرج معه ، فدعانا يوماً أبو الطيب ابن المغيرة الثلاج ، وكان جاراً لأبي جعفر ، في محلةٍ ببغداد ، فجاء بنا الى قَرَاحِ باقلّى فأكلنا وأكل أبو جعفر أكلاً فيه إفراط ، ورأينا من حسن عشرته وانبساطه أمراً عظيماً ، ثم انصرفنا ، فصرتُ إليه

لأعرفَ خبره من تعبه وما أكله ، فإذا بين يديه أدوية وجوارشنات يأكلُ منها ليدفعَ بها ضررَ ما كان أكله . وكان إذا جلس لا يكادُ يُسْمَعُ له تنخم ولا تبصّق ولا يُرَى له نخامة ، وإذا أراد أن يمسحَ ريقه أخذ ذؤابة منديله ومسح جانبي فيه . قال أبو بكر ابن كامل : ولقد حرصت مراراً أن يستوي لي مثل ما يفعله ويتعذر عليّ اعتياده.

قال : وما سمعته قطّ لاحناً ولا حالفاً بالله عز وجل.

قال : وكان لا يأكل الدسم ، وإنما كان يأكل اللحمَ الأحمر الصرف ، ولا يطبخه الا بالزبيب ، وكان يقول : السمينُ يلطّخ المعدة ؛ وكان يتجنب السمسم والشهد ويقول : إنهما يفسدان المعدة ويغيران النكهة ، ويقول : إن التمر يلطخ المعدة ويضعفُ البصرَ ويفسدُ الأسنان ويفعل في اللحم كذا وكذا ، فقال له أبو علي الصواف : أنا آكله طول عمري ولا أرى منه إلا خيراً ، فقال أبو جعفر : وما بقي على التمر أن يعملَ بك أكثرَ مما عمل . قال : وكان الصواف قد وقعت أسنانه ، وضعف بصره ، ونحف جسمه ، وكثر اصفراره.

قال : وكان أبو جعفر كبير اللحية ، حسن القيام على نفسه ، لا يأكل من الخبز إلا السميد لأجل غَسْلِ القمح لأنَّ من مذهبه أن الشمس والنار والريح لا تطهّر نجساً ، وكان ربما أكل شيئاً من العنب الرازقي والتين الوزيري والرطب ، وربما أُخِذَ له من اللبن الحليب من غنم ترعى فيصفّى ويجعل في قِدْرٍ على النار حتى يذهبَ منه جزء ثم يثرد في الاناء ويصبّ عليه اللبن الحارّ ويدعه حتى يبرد ويطرح عليه الصعتر وحبة السوداء والزيت ، وكان يكثر من الاسفيذباج والزيرباج ، وكان ربما أكل بالحصرم في وقته ، وكان لا يعدم في الصيف الخَيْشَ والريحانَ واللينوفر ، فإذا أكل نام في الخيش في قميصٍ قصير الأكمام مصبوغٍ بالصندل وماء الورد ، ثم يقومُ فيصلي الظهر في بيته ، ويكتبُ في تصنيفه إلى العصر ، ثم يخرج فيصلّي العصرَ ويجلسُ للناس يقرىء وَيُقْرَأُ عليه إلى المغرب ، ثم يُجْلَسُ للفقه والدرس بين يديه إلى عشاء الآخرة ، ثم يدخل منزله وقد قسم ليله ونهاره في مصلحةِ نفسه ودينه والخلق كما وفقه الله عز وجل.

وكان أبو الطيب الثلاج قد سأله أن يجعل شربه الماء من عنده ، لأنه كان يكره الثلج ، وكان له كراز يدفئه فيه . وكان أبو القاسم سليمان بن فهر الموصلي يُهدي له

العسلَ ويقبله منه ، فلما مات وجد عنده إحدى عشرة جرة عسلاً ومنها ما قد نقص منه .

وكان قد كتب « فردوس الحكمة » لعلي بن ربن الطبري وأخذه عن علي بن ربن مصنفه سماعاً ؛ قال أبو بكر ابن كامل : ورأيته عنده في ستة أجزاء .

وقال أبو العباس ابن المغيرة الثلاج : لما اعتل ابني أبو الفرج ، وكان حسن الأدب ويتفقه على مذهب أبي جعفر ، قال لي أبو جعفر : تَقْبَلُ مني ما أصفه لك ؟ فقلت : نعم ، وكنتُ أتبرك بقوله ورأيه ، قال : احلق رأسه واعمل له جوذابة سمينةً من رُقاقٍ وأَكْثِرْ دَسَمَها وقدِّمها إليه وأطعمه منها حتى يمتلىء شبعاً ، ثم خذ ما بقي فاطرحه على دماغه واحرص أن ينامَ على حاله تلك ، فإنه يصلحُ إن شاء اللّه تعالى ، ففعلتُ فكان سبب برئه .

وأبو الفرج هذا مات قبل أبي جعفر بمديدة ، وكان أبو الفرج هذا يتعسف في كلامه : تجاروا يوماً عند أبي جعفر فذكر الطبيخ فقال أبو الفرج : لكني أكلتُ طباهقةً ، قال أبو جعفر : وما الطباهقة ؟ قال الطباهجة ، ألا ترى أن العربَ تجعل الجيم قافاً . فقال أبو جعفر : فأنت إذاً أبو الفَرَق ابن الثلَّاق ، فصار يعرف بأبي الفرق بن الثلاق ، ويمزح معه بذلك .

وكان أبو بكر ابن الجواليقي يأخذ لسانَهُ بالإعراب ويكثرُ الإشارات فيه إلى حدّ البغض ، فأخذ يوماً في ذلك ، فقال أبو جعفر : أنت بغيض ، فسمي بغيض الطبري ، قال : ورأيتُ أنا هذا الانسانَ يوماً وقد ورد إلى باب الطاق وكان مهاجراً لبعض الوراقين ، فوقف علينا فسلم ثم اعتذر من وقوفه بالمكان لأجل الوراق ، فقال : لولا مَنْ ما كنتُ بالذي (يعني لولا من هاهنا ما كنت لأقف على حانوتك) .

وكان بأبي جعفر ذات الجنب تعتاده وتنتقض عليه ، فوجه إليه عليُّ بن عيسى طبيباً ، فسأل الطبيبُ أبا جعفر عن حاله فعرّفه حاله وما استعمل وأخذه لعلته ، وما انتهى إليه في يومه ذاك ، وما كان رسمه أن يعالج به ، وما عزم على أخذه من العلاج ، فقال له الطبيب : ما عندي فوق ما وَصَفْتَهُ لنفسك شيء ، والله لو كنتَ في ملتنا لعُددت من الحواريين ، وفقك اللّه . ثم جاء إلى علي بن عيسى فعرفه ذلك فأعجبه .

قلت : أكثر هذه الأخبار عن عبد العزيز بن محمد الطبري من كتاب له أفرده في

سيرة أبي جعفر ، ومن كتاب لأبي بكر ابن كامل في أخباره ، والله ولي الخير .

قال أبو علي الأهوازي : مات ببغداد في سنة عشر وثلاثمائة ، كذا وجدته بخط أبي سليمان ابن يزيد مكتوباً ، ورأيت أيضاً من يقول إنه مات في سنة إحدى عشرة وست عشرة ، والله أعلم وأحكم ، وهذه السنون كلها في أيام المقتدر بالله .

ـ 1011 ـ

محمد بن جعفر الصيدلاني : كان صهر أبي العباس المبرد على ابنته، ويلقب بُرْمَة ، وكان أديباً شاعراً روى عن أبي هفان الشاعر أخباراً ، وحدَّث عنه أبو الفرج الأصفهاني وغيره . وأنشد الخطيب في « تاريخه » لمحمد بن جعفر الصيدلاني :

أما ترى الروضَ قد لاحتْ زخارفُهُ ... ونُشِّرَتْ في رباه الريطُ والحُلَلُ
واعتمَّ بالأرجوانِ النبتُ منه فما ... يبدو لنا منه إلا مونقٌ خَضِلُ
والنرجسُ الغضّ يرنو من محاجره ... إلى الورى مقلٌ تحيا بها المقلُ
تِبْرٌ حواه لجينٌ فوق أعمدةٍ ... من الزمرد فيها الزهرُ مكتهلُ
فعجْ بنا نصطبحْ يا صاحِ صافيةً ... صهباءَ في كأسها من لمعها شعلُ
فقد تجلَّتْ لنا عن حُسْنِ بهجتها ... رياضُ قُطْرُبُلٍ واللهو مشتملُ
وعندنا شادنٌ شُدَّتْ قراطقه ... على نقاً وقضيبٍ فهو معتدلُ
يدور بالكأسِ بين الشَّرْبِ آونةً ... ما دام للشَّربِ منه العلُّ والنهلُ
وقينةٌ ان تشأ غنتك من طربٍ ... «ودِّع هريرةَ إن الركب مرتحلُ»
وان أشرتَ إلى صوتٍ تكرره ... «إنا محيّوكَ فاسلم أيها الطللُ»
ليستْ بمظهرةٍ تيهاً ولا صلفاً ... وليس يُغْضبها التجميشُ والقبلُ
فنحن في تحف منها وفي غزلٍ ... مما يغازلنا طرفٌ لها غَزِلُ

1011 ـ ترجمة الصيدلاني في تاريخ بغداد 2 : 132 ومعجم المرزباني : 424 وانباه الرواة 3 : 81 والمحمدون : 181 والوافي 2 : 302 وبغية الوعاة 1 : 71 .

- 1012 -

محمد بن جعفر بن ثوابة الكاتب يكنى أبا الحسن ، كاتب بليغ منشىء فاضل كان ينشىء في الديون أيام المقتدر بالله ، ومات في سنة اثنتي عشرة وثلاثمائة .

قال الرئيس أبو الحسين : كان أبو الحسن هذا صاحبَ ديوانِ الرسائل في ديوان المقتدر .

وقال ثابت : في سنة أربع وثلاثمائة قُبِضَ على علي بن عيسى بن الجراح الوزير واستوزر أبو الحسن محمد بن الفرات فأقر أبا الحسن محمد بن جعفر بن ثوابة على ديوان الرسائل والمعاون .

ومن كلامه رسالة كتبها عن المقتدر باللّه أمير المؤمنين إلى البلدان في وزارة ابن الفرات الثانية : لما لم يجدْ أميرُ المؤمنين غنىً عنه ، ولا للملكِ بدًّا منه ، وكان كتّاب الدواوين على اختلاف اقتدارهم ، وتفاوت ما بين أخطارهم ، مقرّين برياسته، معترفين بكفايته ، متحاكمين إليه إذا اختلفوا ، واقفين عند غايته إذا استبقوا ، مذعنين بأنه الحُوَّل القلَّب ، المحنّك المجرّب ، العالم بدرّة المال كيف تحلب ، ووجوهه كيف تُطْلَبُ ، انتضاه من غمده ، فعاود ما عرف من حدّه ، فنفّذ الأعمال كأن لم يغبْ عنها ، ودبَّر الأمورَ كأن لم يخلُ منها . ورأى أمير المؤمنين ألا يدعَ شيئاً من أسباب التكرم كان قديماً جعله له إلا وفّاه إياه ، ولا نوعاً من أنواع المثوبة والجزاء كان أخّره عنه إلا حباه به ، فخاطبه بالتكنية .

ومما يستحسنه الكتاب من كلامه قوله لما أجاب خمارويه بن أحمد عن المعتضد عن الكتاب بانفاذ ابنته فقال في الفصل الذي احتاج فيه إلى ذكرها : وأما الوديعةُ فهي بمنزلةِ ما انتقل من شمالك إلى يمينك عنايةً بها وحياطةً لرأيك فيها .

- 1013 -

محمد بن جعفر بن محمد بن سهل بن شاكر الخرائطي :

1012 ـ ترجمة أبي الحسن ابن ثوابة في الوافي 2 : 300 وجعل وفاته سنة 316 .

1013 ـ ترجمة ابن شاكر الخرائطي في تاريخ بغداد 2 : 139 والوافي 2 : 296 والمقفى 5 : 498 .

قال أبو بكر الخطيب : كنيته أبو بكر ، وهو من أهل سُرَّ من رأى، مات سنة سبع وعشرين وثلاثمائة بعسقلان من بلاد الشام ، وكان سمع عمر بن شبّة وغيره ، وكان حسنَ الأخبار مليحَ التصانيف ، سكن الشام وحدَّث بها فحصل حديثه عند أهلها . ومن مصنفاته « كتاب اعتلال القلوب في أخبار العشاق » وكان قدم دمشق في سنة خمس وعشرين وثلاثمائة ثم مات بعد ذلك بعسقلان في الوقت المقدم ذكره .

وله من التصانيف : كتاب مكارم الأخلاق. كتاب مساوي الأخلاق . كتاب قمع الحرص بالقناعة. كتاب هواتف الجانّ وعجيب ما يحكى عن الكهان[1]. كتاب القبور.

ـ 1014 ـ

محمد بن جعفر بن حاتم الواسطي أبو جعفر غلام ثعلب : له شعر صالح ، مات في سنة سبع وعشرين وثلاثمائة ، ذكر ذلك كله أبو محمد عبد الله بن شيران في « تاريخه » .

ـ 1015 ـ

محمد بن أبي جعفر المنذري الهروي أبو الفضل : ذكره أبو النضر عبد الرحمن بن عبد الجبار بن أبي سعيد الفامي في « تاريخ هراة » وقال : مات في رجب سنة تسع وعشرين وثلاثمائة .

قال المؤلف : وهو نحوي لغوي مصنف في ذلك ، وهو شيخ أبي منصور محمد بن أحمد الأزهري الذي أملى « كتاب التهذيب » بالرواية عنه . وقدم بغداد لأنه قال[2] : سألت ثعلباً عن « كتاب العين » فقال : ذلك كتاب مليء غدد ، قال : وهذا

1014 ـ لم أجد له ترجمة .

1015 ـ ترجمة المنذري في بغية الوعاة 1 : 72 (وياقوت ينقل عن مقدمة الأزهري لكتاب التهذيب) والوافي 2 : 297 .

(1) نشره ابراهيم صالح في نوادر الرسائل ، بيروت 1986 .

(2) التهذيب 1 : 29 وقد مرٌ في ترجمة الليث رقم : 927 .

لفظ أبي العباس ، وحقه عند النحويين ملآن غدواً ، ولكن أبا العباس يخاطب العامة على قدر فهمهم .

وذكر الأزهري في مقدمة كتابه[1] ان أبا الفضل المنذري لازم أبا الهيثم الرازي سنين وعرض عليه الكتب وكتب عنه من أماليه وفوائده أكثر من مائتي جلد .

قال الأزهري : فما وقع في كتابي لأبي الهيثم فهو ما أفادنيه المنذري عنه في كتاب الشامل وكتاب الفاخر[2] . كتاب الزيادات التي زادها في معاني القرآن للفرَّاء . كتاب زيادات أمثال أبي عبيد . وكتاب ما زاد من المصنف وغريب الحديث .

وقال أبو النضر : صنف أبو الفضل المنذري كتاب نظم الجمان وكتاب الملتقط وذكر الفاخر والشامل .

قال الأزهري[3] : أخبرني أبو الفضل المنذري أن أبا الهيثم الرازي حثه على النهوض إلى أبي العباس ، يعني ثعلباً ، قال : فرحلت إلى العراق ودخلت مدينة السلام يوم الجمعة ومالي همة غيره ، فأتيته وعرفته خبري وقصدي إياه ، فاتخذ لي مجلساً في النوادر التي سمعها من ابن الأعرابي حتى سمعت الكتابَ كلَّه منه .

قال : وسألته عن حروف كانت أشكلت على أبي الهيثم فأجابني عنها .

قال الأزهري[4] : أخبرني المنذري انه اختلف إلى ثعلب سنة في سماع « كتاب النوادر » لابن الأعرابي لأنه كان في أُذنه وقر ، وكان يتولى قراءة ما يسمع منه . قال : وكتبت عنه من أماليه في معاني القرآن وغيرها أجزاءً كثيرة ، فما عرَّض ولا صرَّح بشيء من أسباب الطمع قال : واختلفت إلى أبي العباس المبرد وانتخبت عليه أجزاءً من كتابيه المعروفين بـ « الروضة » و« الكامل » قال : وقاطعته من سماعها على شيء مسمى وانه لم يأذن لي في قراءة حكاية واحدة لم يكن وقع عليها الشرط .

---

(1) التهذيب 1 : 26 .
(2) التهذيب : الفاخر والشامل .
(3) التهذيب 1 : 21 .
(4) التهذيب 1 : 27 .

- 1016 -

محمد بن جعفر العطار النحوي أبو جعفر ، ويلقب فرتك ، قال الخطيب : هو من أهل المخرم ، حدث عن الحسن بن عرفة ، روى عنه الدارقطني ولم يزد الخطيب على هذا .

- 1017 -

محمد بن جعفر بن محمد الهمذاني ثم المراغي : ذكره محمد بن إسحاق فقال : كان يعلّم عز الدولة أبا منصور بختيار بن معز الدولة بن بويه .

قال الخطيب : يكنى أبا الفتح ، سكن بغداد ، وروى بها عن أبي جعفر أحمد بن عبد الله بن مسلم بن قتيبة ، حدث عنه أبو الحسين المحاملي القاضي وروى عنه في سنه احدى وسبعين وثلاثمائة .

قال محمد بن إسحاق : وكان حافظاً نحوياً بليغاً في نهاية السرو والحرية . وله من الكتب : كتاب البهجة[1] على مثال « الكامل » . كتاب الاستدراك لما أغفله الخليل .

وقال أبو حيان في « الامتاع » ووصف جماعة من النحويين : أبا سعيد السيرافي والرماني وأبا علي الفارسي ثم قال : وأما ابن المراغي فلا يلحقُ هؤلاء ، مع براعةِ اللفظ وسعةِ الحفظ وقوةِ النفس وَبلَلِ الريق وغزارةِ النفث وكثرة الرواية ، ومن نظر في كتاب البهجة له عرف ما أقول واعتقد فوق ما أصف ونحل أكثر ما أبذل .

ذكر أبو حيان في « كتاب المحاضرات » قال : ولما مات المراغي ، وكان قدوةً

1016 ـ ترجمته في تاريخ بغداد 2 : 138 وانباه الرواة 3 : 82 (وكنيته أبو بكر ولقبه حرتك) والمنتظم (وفيات : 316) وبغية الوعاة 1 : 71 .

1017 ـ ترجمته في تاريخ بغداد 2 : 152 والفهرست : 94 والامتاع والمؤانسة 1 : 133 وإنباه الرواة 3 : 83 ، 87 وبغية الوعاة 1 : 70 .

(1) م : النهجة .

في النحو وعلَماً في الأدب كبيراً مع حداثة سنه ورقة حاله (وان قلتُ إني ما رأيتُ في الأحداثِ مثله كان كذلك) استرجع أبو سعيد السيرافي واستعبر وأنشد :

من عاش لم يخلُ من همّ ومن حَزَنِ ... بين المصائبِ من دنياه والمحنِ
وإنما نحن في الدنيا على سفرٍ ... فراحلٌ خَلَّفَ الباقي على الظعنِ
وكلّنا بالردى والموتِ مُرتَهَنٌ ... فما نرى فيهما فكّاً لمرتهنِ
من الذي أمِنَ الدنيا فلم تخنِ ... أو الذي اعتزَّ بالدنيا فلم يَهنِ
كلٌّ يقال له قد كان ثم مضى ... كأن ما كان في دنياه لم يكنِ

ثم قال : قوموا بنا لتجهيزه وتولية أمره ، فتبعناه على ذلك ، فلما أخرجت جنازته بكى وأنشد :

أساءت بنا الأيامُ ثمّتَ أحسنتْ ... وكلٌّ من الأيامِ غيرُ بسديعِ
وما زال صرفُ الدهرِ مذ كان مولعاً ... بتأليف شتَّى أو بشتِّ جميعِ

- 1018 -

محمد بن جعفر بن محمد بن هارون بن فروة بن ناجية بن مالك أبو الحسن التميمي النحوي المعروف بابن النجار : من أهل الكوفة ، ولد سنة ثلاث وثلاثمائة بالكوفة ، وقدم بغداد وحدث بها عن ابن دريد ونفطويه والصولي وغيرهم .

قال الخطيب : وهو ثقة مات في جمادى الأولى سنة اثنتين وأربعمائة بالكوفة ؛ نقلت ذلك من تاريخ ابن الجوزي ونقله هو من تاريخ الخطيب حرفاً حرفاً ، ونقلتُ من زيادات الوزير المغربي في فهرست النديم انه ولد سنة احدى عشرة وثلاثمائة قال : وكان من مجوّدي القراء أخذ عن النقار وغيره ، وكان يقرىء لحمزة ، والكسائي الغالب في أخذه ، ولقي أحمد بن يونس ، وروى قراءةَ عاصم عنه عن الأعمش عن أبي بكر ابن عياش عن عاصم ، ولقي من المحدثين القدماء ابنَ الأشناني الكبير وابن الأشناني

1018 ـ ترجمته في تاريخ بغداد 2 : 158 والمنتظم (وفيات : 402) والبداية والنهاية 11 : 347 وانباه الرواة 3 : 83 والوافي 2 : 305 وبغية الوعاة 1 : 69 والشذرات 3 : 164 وطبقات ابن الجزري 2 : 111 .

القاضي وابن مروان القطان وأبا عبيدة وغيرهم ، قال : وكنا سمعنا منه : كتاب القراءات . وكتاب مختصر في النحو . كتاب الملح والنوادر . كتاب التحف والطرف . كتاب الملح والمسارّ . كتاب روضة الأخبار ونزهة الأبصار . كتاب تاريخ الكوفة ، رأيته .

- 1019 -

محمد بن جعفر بن محمد الغوري ، أبو سعيد : أحد أئمة اللغة المشهورين ، والأعلام في علم هذا اللسان المذكورين ، صنف « كتاب ديوان الأدب » في عشرة أجلد ضخمة ، أخذ كتاب أبي إبراهيم إسحاق الفارابي المسمى بهذا الاسم وزاد في أبوابه ، وأبرزه في أبهى أثوابه ، فصار أولى به منه ، لأنه هذّبه وانتقاه وزاد فيه ما زَيَّنَهُ وحلّاه ؛ لم أعرف شيئاً من حاله فأذكره ، إلا انه ذكر في أول كتابه بعد البسملة قال : محمد بن جعفر بن محمد المعروف جده بالغوري ، ثم ذكر أنه هذب كتاب الفارابي ، وختم الكلام بأن قال وأهديته - يعني الكتاب - إلى الدهقان الكبير أبي نصر منصور مولى أمير المؤمنين .

- 1020 -

محمد بن جعفر القزاز القيرواني أبو عبد الله التميمي : كان إماماً علامة قيّماً بعلوم العربية ، ذكره الحسن بن رشيق في « كتاب الأنموذج » فقال : مات بالقيروان سنة اثنتي عشرة وأربعمائة وقد قارب التسعين ، وهو جامع « كتاب الجامع » في اللغة وهو كتاب كبير حسن متقن يقارب « كتاب التهذيب » لأبي منصور الأزهري رتبه على حروف المعجم ؛ وكتاب ما يجوز للشاعر استعماله في ضرورة الشعر[1] .

1020 - ترجمة القزاز في أنموذج الزمان : 365 وانباه الرواة 3 : 84 والمحمدون: 185 وابن خلكان 4 : 374 ومرآة الجنان 3 : 27 والوافي 2 : 304 وبغية الوعاة 1 : 71 وإشارة التعيين: 301 والمقفى 5 : 504 . وللمنجي الكعبي كتاب: القزاز القيرواني ، حياته وآثاره ، تونس 1968 .

(1) نشر بتحقيق المنجي الكعبي ، تونس 1971 .

قال ابن رشيق : وكان مهيباً عند الملوك والعلماء وخاصة الناس محبوباً عند العامة يملك لسانه ملكاً شديداً ، وقد مدحه الشعراء فقال فيه يعلى بن إبراهيم الأربسي[1] :

نسجَتْ شعاعاً بيننا فكأننا ... بتنا جميعاً[2] تحت ثوبٍ مُذْهَبِ
فمزجتها من فيه ثم شربتها ... ولثمتُهُ برضابِ ثغرٍ أشنب
في ليلةٍ للدهرِ كانت غُرَّةً ... يرنو إليها الخطبُ كالمتعجب
فُتَّ الأنامَ بها كما فُتَّ الورى ... سبقاً محمدُ بالفخار الأغلب
أبداً على طرفِ السؤالِ جوابُهُ ... فكأنما هو دفعةٌ من صيِّب
يغدو مساجِلُهُ بعزَّةِ صافحٍ ... ويروحُ معترفاً بذلةِ مذنب
فالأبعدُ النائي عليه في الذي ... يفترُّ كالداني إليه الأقرب

وكان القزاز معجباً بهذه الكلمة ويقول : ما مُدِحْتُ بأحبَّ إليَّ منها . وقال الحسن بن رشيق في « العمدة »[3] : وحاجى شيخنا أبو عبد الله بعضَ تلاميذه فقال :

أحاجيك عبادٌ كزينبَ في الورى ... ولم تؤتَ إلاّ من صديقٍ وصاحبِ

فأجابه التلميذ في الحال :

سأكتم حتى ما تحسّ جوارحي ... بما انهلَّ منها في دموعي السواكب

فمعكوس عباد كزينب ، سرّك ذائع . وسأكتم جواب على الظاهر حسن . ومعكوسه : منك أتيت ، وهو جواب لما حوجي به بديع مقابل ولم تؤت إلا من صديق وحبيب تفسير حسن بديع جداً .

وشعر أبي عبد الله جيد مطبوع مصنوع ومن شعره يتغزل[4] :

أما ومحلٍّ حبّك من فؤادي ... وقدرِ مكانِهِ فيه المكينِ

---

(1) له ترجمة في الانموذج : 425 وذكر أنه توفي بمصر سنة : 418 وأبياته في مدح القزاز وردت في الانموذج : 433 .
(2) م : بيننا منها فبتنا جميعاً .
(3) العمدة 1 : 211 .
(4) الأبيات في الانموذج والمحمدون والمقفى .

لــو انبســطتْ ليَ الآمــالُ حتى تصيَّــرَ من عنــانــك في يميني
لصنتُـكَ في مكـانِ ســوادِ عيني وَخِطْتُ عليكَ من حَـذَرٍ جفوني
فــأبلغَ منـك غــايـاتِ الأمــاني وآمنَ فيـك آفــاتِ الـظنــون
فـلي نفسٌ تُـجَـرَّعُ كــلَّ حيـنٍ عليـك بهنّ كـاســاتُ المنــون
إذا أمنتْ قلوبُ النــاسِ خـافت عليــكَ خفيَّ ألحــاظِ العيــون
فـكـيـف وأنـت دنيــاي ولــولا عقــابُ اللّهِ فيــك لقلتُ دينـي

ومن شعره أيضاً(1) :

إذا كـان حظي منـك لحظةَ نـاظـرٍ على رقبــةٍ لا أستـديمُ لهــا لحـظا
رضيتُ بهـا في مـدةِ الـدهـرِ مـرةً وأعظمْ بها من حُسْنِ وجهك لي حظا

وله أيضاً(2) :

لـو أنَّ في حُكْمِ قلبي فيك أو بَصَـري مــا استمتعتْ ليَ عينٌ منك بــالنـظرِ
أخشى وأحـذرُ من عيني القـريحـةِ مـا أخشى وأحــذرُهُ من أعـيـنِ الـبشــر
ويــلاه إن كـان حــظّي فيـه مشتــركـاً وكـيـف يشتــركُ الحيــان في عُمُــر
يـنــالُـهُ وادعٌ لا يـســتــعــدُّ لــه ولــســتُ أبــلغُ أولاه مــن الـحــذر

وله أيضاً(3) :

أضمــروا لي ودّاً ولا تـظهــروه يُـهْـدِهِ منكـمُ إليَّ الـضميــرُ
مــا أبــالي إذا بلغـتُ رضــاكم في هــواكم لأيِّ حــالٍ أصيــر

وله أيضاً(4) :

أحين علمتَ أنــك نــورُ عيني وأنــي لا أرى حــتــى أراكــا
جعلتَ مغيبَ شخصِكَ عن عياني يـغيِّبُ كــلَّ مخـلوقٍ ســواكــا

---

(1) الانموذج : 367 والمحمدون .
(2) الانموذج : 367 .
(3) الانموذج والانباه والوفيات والمحمدون والمقفى .
(4) الانموذج : 368 والوفيات والوافي والمقفى .

وله أيضاً(1) :

واحسرتا مات أحبابي وخلّاني ... وشيَّبَ الدهرُ أترابي وأخداني

وغيرت غِيَرُ الأيام خالصتي ... والمنتصى الحرّ من أهلي وإخواني

ومن تصانيف أبي عبد الله أيضاً : كتاب أدب السلطان والتأدب له، عشر مجلدات . كتاب التعريض والتصريح ، مجلد . كتاب إعراب الدريدية ، مجلد . كتاب شرح رسالة البلاغة ، في عدة مجلدات . كتاب أبيات معان في شعر المتنبي . كتاب ما أخذ على المتنبي من اللحن والغلط . كتاب الضاد والظاء ، مجلد .

ـ 1021 ـ

محمد بن الجهم بن هارون السمري ، أبو عبد الله الكاتب : مات سنة سبع وسبعين ومائتين عن تسع وثمانين سنة ، ذكر ذلك أبو بكر ابن علي وقال : سمع يعلى بن عبيد الطنافسي وعبد الوهاب بن عطاء ويزيد بن هارون وآدم بن أبي إياس وروى عن الفراء تصانيفه . حدث عنه موسى بن هارون الحافظ والقاسم بن محمد الأنباري وأبو بكر ابن مجاهد المقرىء ونفطويه وإسماعيل بن محمد الصفار وغيرهم . قال الدارقطني : هو ثقة صدوق.

قال المرزباني : محمد بن الجهم بن هارون السمري أبو عبد الله صاحب الفراء ، وروى كتابه في معاني القرآن ، وهو أحد الثقات من رواة المسند، وهو القائل يمدح الفراء ويصف مذهبه في النحو :

أكثر النحو يزعم الفرّاءُ ... من وجوهٍ تأويلهنَّ الجزاءُ

وهي أبياتٌ يقولُ فيها :

1021 ـ ترجمة ابن الجهم في انباه الرواة 3 : 88 والمحمدون : 179 وتاريخ بغداد 2 : 161 ومعجم المرزباني : 406 والمنتظم 5 : 108 والوافي 2 : 313 .

(1) الانموذج : 368 (ستة أبيات) .

نحـوُهُ أحسنُ النحـوِ فمـا فيـــــه مـعـيـبٌ ولا بــه إزراء
ليس من صنعةِ الضعائف لكنْ فيــه فقــهٌ وحـكـمــةٌ وضـيــاء
[وبيــان تصـغي القلوب إليــه يجتبيــه الملوك والحكـمـاء][1]
حجة توضـح[2] الصوابَ ومـا قا ل سـواه فـبـاطـلٌ وخـطاء
ليس من قـال بالصـواب كمن قا ل بجهـلٍ والجهـلُ داءٌ عيــاء
وكـأنــي أراهُ يـمـلـي عـليـنـا ولــه واجـبـاً علينـا الـدعـاء
«كيف نومي على الفراش ولما يشمـلِ الشـامَ غـارةٌ شعـواء»
«تُـذْهِلُ المـرءَ عن بنيه وتبـدي عن خـدامِ العـقيـلةُ العـذراءُ»

هذان البيتان لعبد الله بن قيس الرقيات ضمنهما[3] .

ـ 1022 ـ

محمد بن حارث الخشني الأندلسي صاحب التواريخ : ذكره الحميدي في كتابه فقال : هو من أهل العلم والفضل ، فقيه محدّثٌ روى عن ابن وضاح ونحوه ، وله من الكتب : كتاب أخبار القضاة بالأندلس . كتاب أخبار الفقهاء والمحدثين . كتاب الاتفاق والاختلاف لمالك بن أنس وأصحابه وغير ذلك . ومـات في حدود الثـلاثين والثلاثمائة[4] ذكره أبو عمر ابن عبد البر وأبو محمد علي بن أحمد ، وأورد عنه أبـو سعيد ابن يونس في تاريخه وفيات الجماعة من أهل الأندلس ممن مات قبل الثلاثمائة وبعدها بمدة ، وقد أفصح أبو سعيد باسمه في موضعين من تاريخه في باب السين

1022 ـ ترجمة الخشني في جذوة المقتبس: 49 (بغية الملتمس ص: 93) وابن الفرضي 2: 114 وقد طبع له قضاة قرطبة مجتمعاً مع علماء افريقية ويقال إنه ألف للحكم المستنصر مائة كتاب .

(1) البيت زيادة من معجم المرزباني .
(2) م : توضع .
(3) ديوانه : 95 ، 96 .
(4) هذا غير دقيق إذ إنه توفي بعد الحكم المستنصر ، وكانت وفاة الحكم سنة 366 .

وباب النون ، وما أراه لقيه ولكنه عاصره وكان في زمانه . وإنما يقول فيما يورده عنه « ذكره الخشني في كتابه» .

وذكر الحميدي في باب محمد بن عبد السلام الخشني أن عبد الغني بن سعيد الحافظ غلط فيه فقال محمد بن عبد السلام الخشني صاحب التاريخ ، وإنما هو محمد بن حارث فغلط ، هذا تلخيص كلام الحميدي لا على وجهه .

ـ 1023 ـ

محمد بن حبيب أبو جعفر : ذكره المرزباني فقال : قال عبد الله بن جعفر : من علماء بغداد باللغة والشعر والأخبار والأنساب الثقات محمد بن حبيب ، ويكنى أبا جعفر ، وكان مؤدّباً ولا يُعْرَفُ أبوه ، وإنما نسب إلى أمه ، وهي حبيب . وهو ممن يروي كتب ابن الأعرابي وابن الكلبي وقطرب ، وكتبه صحيحة ، وله مصنفات في الأخبار منها كتاب المحبّر والموشّى وغيرهما . مات ابن حبيب بسامرا في ذي الحجة سنة خمس وأربعين ومائتين في أيام المتوكل .

قال أبو الحسن بن أبي رؤبة ، قال أبو رؤبة : عبرت الى ابن حبيب في مكتبه وكان يعلم ولد العباس بن محمد في شكوك شككت فيها .

وروى محمد بن موسى البربري عن ابن حبيب قال : إذا قلت للرجل ما صناعتك فقال : معلم ، فاصفع ، وأنشد ابن حبيب :

إنَّ المعلمَ لا يزالُ معدّماً ... لو كان علمَ آدمَ الأسماءَ
من علم الصبيانَ أصْبَوْا عقله ... حتى بني الخلفاءِ والخلفاءَ

1023 ـ ترجمة ابن حبيب في طبقات الزبيدي : 139 ، 198 والفهرست : 119 ومراتب النحويين : 157 وتاريخ بغداد 2 : 277 وانباه الرواة 3 : 119 وتحفة الأبيه : 108 والوافي 2 : 325 والنجوم الزاهرة 2 : 321 وبغية الوعاة 1 : 73 وانظر نور القبس : 321 ؛ وقد طبع من كتبه المحبر (حيدر أباد الدكن 1942) والمنمق (حيدر أباد الدكن 1964) وأسماء المغتالين (نوادر المخطوطات رقم : 21 القاهرة 1972) وكنى الشعراء (نوادر المخطوطات) وألقاب الشعراء ومن يعرف منهم بأمه (نوادر المخطوطات) ومختلف القبائل ومؤتلفها (غوتا 1850 ثم ملحقاً بكتاب الايناس للوزير المغربي ، تحقيق الشيخ حمد الجاسر) .

ومحمد بن حبيب مولى لبني هاشم ثم مولى لمحمد بن العباس بن محمد الهاشمي وأمه مولاة لهم .

وقال ابن النديم : نقلت من خط أبي سعيد السكري قال : هو محمد بن حبيب بن أمية بن عمرو ، وكان يروي عن هشام ابن الكلبي وابن الأعرابي وقطرب وأبي عبيدة وأبي اليقظان ، وأكثر الأخذَ عنه أبو سعيد السكري .

قال المرزباني : وكان محمد بن حبيب يغير على كتب الناس فيدَّعيها وَيُسْقِطُ أسماءَهم . فمن ذلك الكتابُ الذي ألفه إسماعيل بن [أبي] عبيد الله واسم أبي عبيد الله معاوية وكنيته هي الغالبة على اسمه ، فلم يذكرها لئلا يعرف ، وابتدأ فساق كتابَ الرجل من أوله إلى آخره فلم يخلطه بغيره ولم يغير منه حرفاً ولا زاد فيه شيئاً ، فلما ختمه أتبع ذلك بذكر من لقب من الشعراء ببيت قاله ؛ قال : وما علمتُ أن أحداً من العلماء صنع صنيعَهُ هذا ، ولا من استحسنَ أن يضعَ نفسه هذا الموضع القبيح ، وأحسبُ أن الذي حمله على ذلك أن كتاب إسماعيل هذا لم تكثر روايته ، ولا اتسع في أيدي الأدباء ، فقدَّر ابنُ حبيب أنَّ أمره ينستر وأن إغارته عليه تميتُ ذِكْرَ صاحبه .

وحدث المرزباني عن أحمد بن محمد الكاتب عن علي بن عبد الله بن المسيب قال : كان علي بن العباس الرومي يختلف إلى محمد بن حبيب لأنَّ محمداً كان صديقاً لأبيه العباس بن جورجس ، وكان يخصُّ علياً لما يرى من ذكائه ، فحدَّث علي عنه أنه كان إذا مرَّ به شيء يستغربه ويستجيده يقول لي : يا أبا الحسن ضَعْ هذا في تامورك .

وحدث أبو بكر ابن علي قال ، قال أبو طاهر القاضي : محمد بن حبيب ، وهي أمه ، وهو ولد ملاعنة . وحدث أيضاً فيما أسنده إلى ثعلب قال : حضرتُ مجلسَ ابن حبيب فلم يُمْلِ فقلتُ ويحك أَمْلِ ، مالك ؟ فلم يفعل حتى قمتُ ، وكان والله حافظاً صدوقاً ، وكان يعقوبُ أعلمَ منه وكان هو أحفظَ للأنساب والأخبار منه ، وهو بغدادي .

وحدث أبو بكر محمد بن الحسن الزبيدي الاشبيلي في كتابه قال ، قال ثعلب : أتيتُ ابنَ حبيب وقد بلغني أنه يملي شعرَ حسّانِ بن ثابت ، فلما عرف موضعي قطع الاملاء ، فانصرفت وعدتُ إليه وترفقت به فأملى ، وكان لا يقعدُ في المسجد الجامع ، فعذلته على ذلك حتى قعد جمعةً من الجمع واجتمع إليه الناس ، فسأله

سائل عن هذه الأبيات[1] :

أَزُحْنَـةَ عنـي تـطردينَ تَبَـدَّدَتْ بلحمـك طيرٌ طـرنَ[2] كلَّ مـطيرِ
قفي لا تـزلّي زلـةً ليس بعـدهـا جبـورٌ وزلاتُ النسـاءِ كـثيـر
وإنـي وإيـاه كـرجلَيْ نـعـامـةٍ على كـلِّ حـال من غنىً وفقيـر

ففسر ما فيه من اللغة ، فقيل له كيف قيل : « غنى وفقير » ولم يقل « من غنى وفقر » قال : فاضطرب ، فقلتُ للسائل : هذا غريبة وأنا أنوب عنه وبينت العلة ، وانصرف ثم لم يعدْ للقعودِ بعد ذلك وانقطعتُ عنه .

قوله « رجلي نعامة » إنما شبه به لأنه لا تنوبُ إحداهما عن الأخرى ، لأنه لا مخَّ فيها ، وسائر الحيوان إذا أعيتْ إحدى رجليه استعان بالأخرى ، فيقال هما رجلا نعامة ، إي لا غنىً لإحداهما عن الأخرى ، والأسماء ترد على المصادر ، والمصادر على الأسماء ، لأنَّ المصادر إنما ظهرت لظهور الأسماء وتمكن الأعراب منها .

قال محمد بن إسحاق : ولابن حبيب من الكتب : كتاب النسب . كتاب الأمثال على أفعل ويسمى المنمق[3] . كتاب السعود والعمود . كتاب العمائر والربائع . كتاب الموشح . كتاب المختلف والمؤتلف في أسماء القبائل . كتاب المحبّر ، وهو من جيد كتبه . كتاب المقتنى . كتاب غريب الحديث . كتاب الأنواء . كتاب المشجر. كتاب من استجيبت دعوته . كتاب الموشّى . كتاب المذهب في أخبار الشعراء وطبقاتهم . كتاب نقائض جرير وعمر بن لجأ . كتاب نقائض جرير والفرزدق . كتاب المفوَّف . كتاب تاريخ الخلفاء . كتاب من سمّي ببيت قاله . كتاب مقاتل الفرسان . كتاب الشعراء وأنسابهم . كتاب العقل . كتاب كنى الشعراء . كتاب السمات . كتاب أيام جرير التي ذكرها في شعره . كتاب أمهات أعيان بني عبد المطلب . كتاب المقتبس . كتاب أمهات السبعة من قريش . كتاب الخيل . كتاب النبات . كتاب ألقاب القبائل

(1) الأبيات في طبقات الزبيدي : 139 وثمار القلوب : 444 ومجالس العلماء 97 ، 98 وانباه الرواة 3 : 119 والشاعر يخاطب امرأته ويوبخها لأنها طردت أخاه زحنة وهو يقول لها في البيت الثالث إنه وأخاه كرجلي نعامة إذا أصيبت إحداهما لم تسلم الأخرى .

(2) م : طرت .

(3) ما نشر باسم المنمق لا يمثل كتاب الأمثال على أفعل .

كلها . كتاب الأرحام التي بين رسول الله ﷺ وأصحابه سوى العَصَبة . كتاب ألقاب اليمن ومضر وربيعة . كتاب القبائل الكبيرة والأيام ، جمعه للفتح بن خاقان . قال محمد بن إسحاق : ورأيت أنا النسخة بعينها في طلحي نيفاً وعشرين جزءاً ، وكانت تنقص ما يدلُّ على أنها كانت نحواً من أربعين جزءاً في كل جزء مائتا ورقة وأكثر ، ولهذه النسخة فهرست لما يحتوي عليه من القبائل والأيام في طلحي نحو خمسة عشر ورقاً . ومن صنعه في أشعار العرب : كتاب ديوان زفر بن الحارث. كتاب شعر الشماخ(1) . كتاب شعر الأقيشر . كتاب شعر الصمة . كتاب شعر لبيد العامري .

ـ 1024 ـ

محمد بن حرب بن عبد الله النحوي الحلبي ، أبو المرجَّى : أحد أعيان حلب والمشهورين منهم بعلم الأدب ، مات بدمشق في سنة احدى وثمانين أو اثنتين وثمانين . وحدثني ابن الجبراني(2) قال : مات شيخنا بدمشق في سنة ثمانين وخمسمائة .

حدثني كمال الدين أبو القاسم عمر بن أبي جرادة أدام الله أيامه قال ، حدثني محمد بن عبد الواحد بن حرب الخطيب ـ خطيب قلعة حلب ـ إملاءً من لفظه قال ، حدثني أبو المرجَّى محمد بن حرب أبو عبد الله النحوي قال : رأيتُ في النوم إنساناً ينشدني هذا البيت :

أروم عطا الأيامِ والدهرُ مُهْلِكِي ... بِمَرٍّ لها والدهرُ رهنُ عطاها

فأجزته بأبيات :

أيا طالبَ الدنيا الدنيّةِ إنها ... سَتُرْديكَ يوماً إن علوتَ مَطَاها
صُنِ النفسَ لا تَرْكَنْ إليها فان أبتْ ... فرِدّدْ عليها آيَ آخرِ طاها(3)

1024 ـ ترجمة أبي المرجى الحلبي في بغية الوعاة 1 : 75 والوافي 2 : 327 .

(1) م : شطر السماح .
(2) انظر بغية الطلب (زكار) : 1207 .
(3) آخر آية في طه : ولا تمدن عينيك . . . الآية .

ودع روضة الآمالِ والحرصِ إنه إذا ردعَ النفسَ الهدى بَسَطاها
فلا بدَّ يوماً أن تلمَّ ملمّةٌ فتبسطَ منا عقدةً نَشَطاها(1)

أنشدني الأخ أبو القاسم أحمد بن هبة الله بن سعد الجبراني النحوي الحلبي قال : أنشدني شيخي أبو المرجّى محمد بن حرب الأنابي ـ وأناب قرية من بلد أعزاز من نواحي حلب ـ لنفسه في صفة الرمّان :

ولما فضضتُ الختمَ عنهنَّ لاح لي فصوصُ عقيقٍ في بيوتٍ من التبرِ
ودرٌّ ولكنْ لم يدنّسْهُ غائصٌ وماءٌ ولكن في مخازنَ من خمرِ

وأنشدني قال أنشدني المذكور لنفسه :

لما بدا ليلُ عارِضَيْهِ لنا يحكي سطوراً كُتِبْنَ بالمسكِ
تلا علينا العذارُ سورةَ وَآلـلَّيْلِ وغنّى لنا «قفا نبك»

وأنشدني له :

تُجْلَى سنا شمعةٍ تشابهني وَقْداً ولوناً وأدمعاً وفَنَا

قال : وله أرجوزة في مخارج الحروف .

ـ 1025 ـ

محمد بن حسان النملي ، يكنى أبا حسان : أحدُ الكتّابِ الطيّابِ والأدباء ، وكان في أيام المتوكل وله معه أحاديث ، وله كتاب برجان وحباحب ـ وهو كبير ـ في أخبار النساء والباه . كتاب آخر صغير في هذا المعنى . كتاب البغاء . كتاب السحق . كتاب خطاب المكاري لجارية البقال .

1025 ـ نقل ياقوت ترجمة النملي عن الفهرست: 169 وانظر الوافي 2 : 331 .

(1) نشطاها : جعلاها أنشوطة .

ـ 1026 ـ

محمد بن حسان الضبي ، أبو عبد الله : كان نحوياً فاضلاً وأديباً شاعراً ، وكان يؤدب العباس بن المأمون وغيره من ولده فماتوا فقال يرثيهم :

خلَّ دمعَ العينِ ينهملُ ... بانَ من أهواهُ فاحتملوا
كلُّ دمعٍ صانَهُ كَلَفٌ ... فهو يومَ البينِ مبتذلُ
يا أخلائي الذين نأتْ ... بهمُ الطياتُ وانتقلوا
قد أبى أن ينثني بكمُ ... أوبةٌ يحيا بها الأملُ

وحدَّث شبَّابُ العصفري قال : ولَّى المأمون محمد بن حسان الضبي مظالم الجزيرة وقنسرين والعواصم والثغور سنة خمس عشرة ومائتين ثم زاده بعد ذلك مظالم الموصل وأرمينية .

قال : وولى المعتصم محمد بن حسان مظالم الرقة في سنة أربع وعشرين ومائتين إلى ان توفي المعتصم فأقره الواثق عليها .

وحدث المرزباني باسناده قال : قدم محمد بن حسان الضبي على أبي المغيث الرافقي فمدحه فوعده بثواب فتأخر عنه ، فكتب إليه محمد :

عذّبتَ بالمطلِ وعداً رفَّ مُورِقُهُ ... حتى لقد جفَّ منه الماءُ والعودُ
سَقياً للفظك ما أُحلى مخارجَهُ ... لولا عقاربُ في أثنائِهِ سودُ

فلما قرأها أبو المغيث تبسم وأجابه :

لا تعجلنَّ على لومي فقد سبقتْ ... مني إليك بما تَهْوَى المواعيدُ
فان صبرتَ أتاك النجحُ عن كَثَبٍ ... وكلُّ طالعهِ سعدٌ ومسعودُ
وفي الكريم أناةٌ ربما اتصلت ... إن لم يعامَلْ بصبرٍ أيبسَ العودُ

وعجل له صلته .

وقال أبو الحسن بن البراء : أنشدني محمد بن حسان الضبي لنفسه :

1026 ـ ترجمة محمد بن حسان الضبي في الوافي 2 : 331 وبغية الوعاة 1 : 75 .

كتمتُ الهوى حتى بدا السقمُ ظاهراً وحتى جرى دمعي يسيلُ بدارا
وأخفيتُ من أهوى وألقيتُ دونه من الحبِّ أستاراً فَعُدْنَ جهارا

وله أيضاً في رواية المرزباني :

ففيم أُجِنُّ الصبرَ والبينُ حاضرٌ وأمنعُ تذرافَ الدموعِ السواكبِ
وقد فرقتْ جَمْعَ الهوى طِيَّةُ النوى وغودرتُ فرداً شاهداً مثلَ غائبِ

ـ 1027 ـ

محمد بن الحسن بن أبي سارة الرؤاسي ، يكنى أبا جعفر : هو ابن أخي معاذ الهراء ، وهم من موالي محمد بن كعب القرظي ، قال[1] : وسُمِّيَ الرؤاسي لكبر رأسه ، وكان ينزل النيلَ فقيل له النيلي ، وكان أولَ من وضع من الكوفيين كتاباً في النحو ، ومات في أيام الرشيد .

قال أحمد بن يحيى ثعلب : كان الرؤاسيُّ أستاذَ علي بن حمزة الكسائي والفراء ، قال الفراء : فلما خرج الكسائي إلى بغداد قال لي الرؤاسي : قد خرج الكسائي وأنت أسنُّ منه ، فجئت إلى بغداد فرأيتُ الكسائي فسألته عن مسائل الرؤاسي فأجابني بخلاف ما عندي ، فغمزت عليه قوماً كوفيين كانوا معي ، فرآني فقال لي : مالك قد أنكرت ، لعلك من أهل الكوفة ؟ قلت : نعم . قال الرؤاسي يقول كذا وكذا وليس صواباً ، وسمعت العربَ تقول كذا وكذا حتى أتى على مسائلي فلزمته .

قال : وكان الرؤاسي رجلاً صالحاً وقال : بعث الخليلُ إليَّ يطلبُ كتابي فبعثتُ به إليه فقرأه ، قال : وكلُّ ما في كتاب سيبويه « وقال الكوفي كذا » فانما يعني الرؤاسيّ . قال : وكتاب الرؤاسي يقال له « الفيصل » . وزعم ثعلب أن أولَ من وضع من

1027 ـ ترجمة الرؤاسي في الفهرست : 71 ونور القبس : 279 ومراتب النحويين : 48 وطبقات الزبيدي : 125 ونزهة الألباء : 54 وتاريخ أبي المحاسن : 194 وانباه الرواة 4 : 99 والوافي 2 : 334 وبغية الوعاة 1 : 82 وروضات الجنات 7 : 263 وانظر رقم : 1083 .

(1) يعني صاحب الفهرست .

الكوفيين كتاباً في النحو أبو جعفر الرؤاسي ، وكان له كتاب معروف عندهم يقدمونه .

وقال سلمة : سئل الفراء عن الرؤاسي فأثنى عليه وقال : قد كان دخل البصرةَ دخلتين وقلَّ مقامُهُ بالكوفة فلذلك قلَّ أخْذُ الناسِ عنه .

قال ، وقال المبرد : ما عرف الرؤاسي بالبصرة ، وقد زعم بعض الناس انه صنف كتاباً في النحو فدخل البصرة ليعرضه على أصحابنا فلم يُلْتَفَتْ إليه ، أو لم يجسر على إظهاره لما سمع كلامهم .

وقال ابن درستويه : وزعم جماعة من البصريين أن الكوفي الذي يذكره الأخفش في آخر « كتاب المسائل » ويردّ عليه هو الرؤاسي .

حدث محمد بن جعفر الأشعثي عن الرؤاسي قال : قلت لأبي جعفر محمد بن علي إن لِي تجارةً بالنيل ، أفأشتري بالنيل داراً ؟ فقال : اشتر ما ينفعك فربَّ عزلة كانت داعيةَ خير ، وإياكَ وجميعَ ما يعنيك ، فأما ما لا يعنيك فاياك واياه .

وحدث عبد الله بن جعفر عن علي بن المبارك الأحمر عن الكسائي قال : كان للرؤاسي امرأة من أهل النيل تزوجها بالكوفة وانتقلت إليه من النيل وشرطت عليه أنها تلمُّ بأهلها في كلِّ مدة ، فكانت لا تقيم عنده إلا القليل ثم يحتاج إلى إخراجها وردِّها ، فملَّ ذلك منها وفارقها وقال فيها :

بانت لمن تهوى حمول ... فأسفتُ في أثرِ الحمولِ
أتبعتهم عيناً عليهم ما تُفيقُ من الهمولِ
ثم ارعويتُ كما ارعوى ... عنها المُسائلُ للطلولِ
لاحتْ مخايل خُلْفِها ... وخلافِها دونَ القبولِ
مَلَّتْ وأبدتْ جفوةً ... لا تركننَّ إلى ملولِ

ولأبي جعفر الرؤاسي قصيدة منها :

ألا يا نفسُ هل لك في صيامٍ ... عن الدنيا لعلك تهتدينا
يكونُ الفطرُ وقتَ الموتِ منها ... لعلكِ عنده تستبشرينا
أجيبيني هديتِ وأسعفيني ... لعلكِ في الجنانِ تخلّدينا

وحدث أبو الطيب اللغوي في «كتاب المراتب» قال: وممن أخذ عن أبي عمرو بن العلاء من أهل الكوفة أبو جعفر الرؤاسي عالم أهل الكوفة، الا أنه ليس بنظيرٍ لمن ذكرنا ولا قريباً منهم، وكان ذَكَرَ يونس بن حبيب وعيسى بن عمر والخليل بن أحمد ونظائرهم، قال وقال أبو حاتم: كان بالكوفة نحويّ يقال له أبو جعفر الرؤاسي وهو مطروح العلم ليس بشيء.

وقال محمد بن إسحاق في الكتاب الذي ألفه في سنة سبع وسبعين وثلاثمائة: وللرؤاسي من الكتب: كتاب الفيصل رواه جماعة وهو يُرْوَى إلى اليوم. كتاب معاني القرآن. كتاب التصغير. كتاب الوقف والابتداء الكبير. كتاب الوقف والابتداء الصغير.

- 1028 -

محمد بن الحسن بن دينار الأحول، أبو العباس: كان غزيرَ العلم واسعَ الفهم جيدَ الدراية حسنَ الرواية، روى عنه أبو عبد الله محمد بن العباس اليزيدي، وقرأ عليه ديوان عمرو بن الأهتم في سنة خمسين ومائتين.

قال أبو عبد الله إبراهيم بن محمد بن عرفة النحوي المعروف بنفطويه: جمع أبو العباس محمد بن الحسن بن دينار الأحول أشعارَ مائةِ شاعرٍ وعشرين شاعراً، وعملتُ أنا خمسين شاعراً.

وذكره أبو بكر محمد بن الحسن الزبيدي وجعله في طبقة المبرّد وثعلب.

وحدث المرزباني أنه كان ورّاقاً يورِّقُ لحنين بن إسحاق المتطبب في منقولاته لعلوم الأوائل، وكان محدوداً، أي قليلَ الحظِّ من الناس. وحدَّث عن علي بن سليمان الأخفش قال، حدثني محمد بن الحسن الأحول قال: اجتمعنا مع أبي العباس ثعلب في بيته [وحضر] ابن بوكران، رجل من أهل الأدب، فقال بعض أصحابنا: عرفوني ألقابكم، فقال ثعلب: أنا ثعلب، وقال الآخر: أنا كذا،

1028 - ترجمة الاحول في تاريخ بغداد 2: 185 وطبقات الزبيدي: 208 والفهرست: 87 ونور القبس: 337 والوافي 2: 344 وبغية الوعاة 1: 81.

والآخر : أنا كذا ، فلما بلغوا إليّ قالوا : وأنت ما لقبك ؟ فقلتُ : مَنَعتِ العاهةُ من اللقب .

وحدث المرزباني عن نفطويه قال : كان أبو العباس الأحول يقول « لم يزلوا » وكذا رد عليّ فقلت له « لم يزالوا » أراد أنه كان لحّاناً .

وحدث عن أبي عبد الله اليزيدي قال : كان أبو العباس الأحول يكتبُ لي مائةَ ورقةٍ بعشرين درهماً .

وقال محمد بن إسحاق النديم : كان محمد بن الحسن الأحول ناسخاً . وله من الكتب : كتاب الدواهي . كتاب السلاح . كتاب ما اتفق لفظه واختلف معناه . كتاب فعل وأفعل . كتاب الأشباه ، وجمع كما تقدم دواوين مائة وعشرين شاعراً .

ـ 1029 ـ

محمد بن الحسن بن دريد بن عتاهية بن حنتم بن حمامي بن واسع بن وهب بن سلمة بن حنتم بن حاضر بن جشم بن ظالم بن أسد بن عدي بن مالك بن فهم بن غنم بن دوس بن عدثان بن عبد الله بن زهير ، ويقال زهران بن كعب بن الحارث بن عبد الله بن مالك بن نضر بن الأزد بن الغوث بن نبت بن مالك بن زيد بن كهلان بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان[1] ؛ مات يوم الأربعاء لثنتي عشرة ليلة

1029 ـ ترجمة ابن دريد في طبقات الزبيدي : 201 ومعجم المرزباني : 425 ونور القبس : 342 وتهذيب اللغة 1 : 31 والفهرست : 67 وتاريخ بغداد 2 : 195 والأنساب 5 : 305 والاكمال 3 : 388 ونزهة الألباء : 175 والمحمدون : 279 وانباه الرواة 3 : 92 والمنتظم 6 : 261 وابن خلكان 4 : 323 وسير الذهبي 15 : 96 وعبر الذهبي 2 : 187 وميزان الاعتدال 3 : 520 والوافي 2 : 339 ومرآة الجنان 2 : 282 وطبقات السبكي 3 : 138 والبداية والنهاية 11 : 176 وطبقات ابن الجزري 2 : 116 ولسان الميزان 5 : 132 والنجوم الزاهرة 3 : 240 وبغية الوعاة 1 : 76 والشذرات 2 : 289 (وانظر صفحات من فهرسة ابن خير) وطبقات المفسرين للداودي 2 : 119 وخزانة الأدب 3 : 118 وروضات الجنات 7 : 303 وإشارة التعيين : 304 . وللسيد مصطفى السنوسي دراسة عنه (الكويت : 1984) .

(1) قارن هذا النسب بما أورده المرزباني في نور القبس وما أورده ابن خلكان في الوفيات والخطيب في تاريخ بغداد ففيه اختلافات واضحة .

بقيت من رمضان سنة احدى وعشرين وثلاثمائة ، وفي هذا اليوم مات أبو هاشم عبد السلام بن محمد الجبائي فقيل : مات علم اللغة والكلام ودفنا جميعاً في مقبرة الخيزران .

وقال المرزباني : دفن بالعباسية من الجانب الشرقي في ظهر سوق السلاح من الشارع الأعظم .

وقال التنوخي ورجاله : دفن ابن دريد بظهر السوق الجديدة المعروفة بمقابر العباسية من الجانب الشرقي .

ومولده بالبصرة في سكة صالح في خلافة المعتصم سنة ثلاث وعشرين ومائتين ، وبالبصرة تأدَّبَ وعلم اللغة وأشعار العرب ، وقرأ على علماء البصرة ، ثم صار إلى عمان فأقام بها مدة ، ثم صار إلى جزيرة ابن عمارة ، ثم صار إلى فارس فسكنها مدة ، ثم قدم بغداد فأقام بها إلى أن مات .

وحدث أبو بكر ابن علي قال : أبو بكر ابن دريد بصريُّ المولدِ ونشأ بعمان وتنقل في جزائر البحر والبصرة وفارس ، وطلب الأدبَ وعلم العربية ، وكان أبوه من الرؤساء وذوي اليسار ، وورد بغداد بعد أن أسنَّ فأقام بها إلى آخر عمره . وروى عن عبد الرحمن ابن أخي الأصمعي وأبي حاتم السجستاني وأبي الفضل الرياشي ، وكان رأسَ أهلِ هذا العلم ، وروى عنه خلقٌ منهم أبو سعيد السيرافي وأبو عبيد الله المرزباني وأبو الفرج علي بن الحسين الأصبهاني . وله شعرٌ كثير وروى [من] أخبار العرب وأشعارها [ما] لم يَرْوِهِ كثيرٌ من أهل العلم .

وقال أبو الطيب اللغوي في « كتاب مراتب النحويين » عند ذكر ابن دريد(1) : هو الذي انتهى إليه [علم] لغة البصريين ، وكان أحفظَ الناس وأوسعهم علماً وأقدرهم على شعر ، وما ازدحم العلم والشعر في صدر أحدٍ ازدحامهما في صدرِ خَلَفٍ الأحمر وابن دريد . وتصدّر ابن دريد في العلم ستين سنةً . وأول شعر قاله(2) :

ثوبُ الشبابِ عليَّ اليومَ بهجتُهُ ... فسوف تنزعه عنّي يدُ الكبرِ

(1) مراتب النحويين : 84 .

(2) ديوانه (ابن سالم) : 84 وتاريخ الخطيب 2 : 196 .

أنا ابن عشرين ما زادتْ ولا نقصتْ ... ان ابن عشرين من شيبٍ على خطرِ

وكان يقال ابن دريد أشعر العلماء وأعلم الشعراء .

قال الخطيب ، وقال محمد بـن دريد[1] : كان أول من أسلم من آبائي حمامي ، وهو من السبعين راكباً الذين خرجوا مع عمرو بن العاص من عمان إلى المدينة لما بلغهم وفاةُ رسولِ اللّٰه ﷺ حتى أدوه ، وفي ذلك يقول قائلهم :

وَفَيْنَـا لعمـروٍ يـومَ عمـروٌ كـأنـه ... طـريدٌ نفتـه مذحـجٌ والسكاسـكُ

وحدث أبو علي التنوخي قال[2] : حدثني جماعة أن ابن دريد قال : كان أبو عثمان الأشنانداني معلمي ، وكان عمي الحسين بن دريـد يتولى تربيتي ، فكان إذا أراد الأكلَ استدعى أبا عثمان يأكلُ معه ، فدخل يوماً عمي وأبو عثمان يروّيني قصيدةَ الحارثِ بن حلزة التي أولها : « آذنتنا ببينها أسماء » فقال لي عمي : إذا حفظت هذه القصيدة وهبتُ لك كذا وكذا ، ثم دعا المعلم ليأكلَ معه ، فدخل إليه فأكلا وتحدثا بعد الأكل ساعة ، فالى أن رجع المعلم حفظت « ديوان الحارث بن حلزة » بأسره ، فخرج المعلم فعرّفته ذلك فاستعظمه وأخذ يعتبره عليّ فوجدني قد حفظته ، فدخل إلى عمي فأخبره فأعطاني ما كان وعدني به .

قال الخطيب[3] عن من رأى ابن دريد أنه قال: كان ابن دريد واسع الحفظ جداً ما رأيت أحفظ منه ، وكانت تقرأ عليه دواوين العرب كلها أو أكثرها فيسابق إلى إتمامها وتحفظها ، وما رأيته قط قُرِىء عليه ديوان شاعر إلا وهو يسابق إلى روايته لحفظه له .

قال[4] : وسئل عنه الدارقطني فقال : قد تكلموا فيه .

قال وقال أبو ذر عبد الله بن أحمد الهروي : سمعت ابن شاهين يقول[5] : كنا ندخل على ابن دريد ونستحي منه لما نرى من العيدان المعلّقة والشـراب المصفّى

(1) تاريخ بغداد 2 : 195 .

(2) نشوار المحاضرة 2 : 294 وتاريخ بغداد 2 : 196 .

(3) تاريخ بغداد 2 : 196 .

(4) في تاريخ بغداد أن حمزة بن يوسف هو الذي سأل الدارقطني .

(5) قد سقط هذا من تاريخ بغداد .

موضوع ، وقد كان جاوز التسعين سنة ، هذا كله من كتاب أبي بكر ابن علي .

وقال أبو منصور الأزهري في مقدمة « كتاب التهذيب » : وممن ألف في زماننا الكتب فرُمِيَ بافتعال العربية وتوليد الألفاظ وإدخال ما ليس من كلام العرب في كلامها أبو بكر محمد بن دريد صاحب « كتاب الجمهرة » و « كتاب اشتقاق الأسماء » و « كتاب الملاحن » ، وقد حضرتُهُ في داره ببغداد غيرَ مرةٍ فرأيته يروي عن أبي حاتم والرياشي وعبد الرحمن بن أخي الأصمعي ، وسألت إبراهيم بن محمد بن عرفة عنه فلم يعبأ به ولم يوثّقه في روايته ، وألفيته أنا على كبر سنه سكرانَ لا يكادُ يستمرُّ لسانه على الكلام من سكره . وقد تصفحتُ كتابه الذي أعاره اسم الجمهرة فلم أَرِدْ لا على معرفة ثاقبة ولا قريحة جيدة ، وعثرتُ من هذا الكتاب على حروفٍ كثيرةٍ أنكرتها ولم أعرف مخارجَها فأثبّتها في كتابي في مواقعها منه لأبحثَ أنا وغيري عنها .

وقال أبو ذر الهروي : سمعت أبا منصور الأزهري يقول : دخلتُ على ابن دريد فرأيته سكران فلم أَعُدْ إليه .

وقال غير أبي منصور : كان ابن دريد قد أملى « الجمهرة » في فارس ، ثم أملاها بالبصرة وببغداد من حفظه ، قال : فلذلك قلما تتفق النسخ وتراها كثيرة الزيادة والنقصان . ولما أملّه بفارس غلامه تعلَّم من أول الكتاب ، والنسخة التي عليها المعوّل هي الأخيرة ، وآخر ما صحَّ من النسخ نسخةُ أبي الفتح عبيد اللّه بن أحمد النحوي جُخْجُخ لأنه كتبها من عدة نسخ وقرأها عليه .

وحدث المرزباني قال ، قال ابن دريد : خرجت أريد زهران بعد دخول البصرة ، فمررتُ بدارٍ كبيرة قد خربتْ فكتبتُ على حائطها(1) :

أصبحوا بعد جميعٍ فِرَقاً وكذا كلُّ جميعٍ مفترقْ

فمضيتُ ورجعت فاذا تحته مكتوب :

ضحكوا والدهرُ عنهم صامتٌ ثم أبكاهم دماً حين نَطَقْ

قال : وخرجنا نريد عمان في سفر لنا فنزلنا بقرية تحت نخل فإذا بفاختتين

---

(1) ديوانه : 84 .

تتزاقّان ، فسنح لي أن قلت[1] :

أقول لورقاوين في فرع نخلةٍ ... وقد طَفَّلَ الإمساء أو جَنَح العصرُ
وقد بسطتْ هاتا لتلكَ جناحها ... ومرَّ على هاتيك من هذه النحرُ
ليهنكما أن لم تراعا بفرقةٍ ... وما دبَّ في تشتيت شملكما الدهرُ
فلم أر مثلي قَطَّعَ الشوقُ قلبه ... على أنه يحكي قساوتَهُ الصخرُ

قال[2] : وأخبرني محمد بن الحسن بن دريد قال : سقطت من منزلي بفارس فانكسرت ترقوتي فسهرت ليلي ، فلما كان في آخر الليل حملتني عيناي فرأيت في نومي رجلاً طويلاً أصفر الوجه كوسجاً دخل عليَّ وأخذ بعضادتي الباب وقال : أنشدني أحسَن ما قلتَ في الخمر ، فقلت : ما ترك أبو نواس شيئاً ، فقال : أنا أشعر منه ، فقلت : ومن أنت ؟ قال : أبو ناجية من أهل الشام ، ثم أنشدني :

وحمراءَ قبل المزجِ صفراءُ بعده ... بدتْ بين ثوبي نرجسٍ وشقائقِ
حكتْ وجنةَ المعشوقِ صِرْفاً فسلطوا ... عليها مزاجاً فاكتستْ لونَ عاشق

فقلت له : أسأت ، قال : ولم ؟ قلت : لأنك قلت « وحمراء » فقدمت الحمرة ثم قلت « بدت بين ثوبي نرجس وشقائق » فقدمت الصفرة ، فالا قدمتها على الأخرى كما قدمتها على الأولى ؟ فقال : وما هذا الاستقصاء في هذا الوقت يا بغيض.

وحدث قال : كتب ابن دريد الى أبي علي أحمد بن محمد بن رستم[3] :

حجابك صعبٌ يُجْبَهُ الحرُّ دونه ... وقلبي إذا سيم المذلة أصعبُ
وما أزعجتني نحو بابك حاجةٌ ... فأجشمَ نفسي رجعةً حين أُحْجَبُ

وحدث أيضاً قال : وعد أبو بكر أبا الحسين عمر بن محمد بن يوسف القاضي أن يصير إليه فقطعه المطر ، فكتب إليه أبو بكر[4] :

(1) ديوانه : 38 .
(2) هو المرزباني في نور القبس .
(3) ديوان ابن دريد : 77 .
(4) المصدر نفسه .

مناويكَ في بذلِ النوالِ وانه ... ليعجزُ عن أدنى مداكَ ويحسرُ
عدانيَ عن حظّي الذي لا أبيعه ... بأنفس ما يَحْظَى به المتخير
لُمِ الغيثَ فاعذر مَنْ لقاؤك عنده ... يعادل نَيْلَ الخلدِ بل هو أكبر

فأجابه أبو الحسين :

على الرُسْلِ في برّي فقد عَظُمَ الشكرُ ... ولم أكُ ذا شكرٍ وان جلَّ ما يعرو
مداثحُ مثلُ الغيثِ جادت عيونها ... سحابٌ توالَى من جوانبها قطر

ومن شعر أبي بكر ابن دريد [1] :

عانقتُ منه وقد مال النعاسُ به ... والكأسُ تقسم سكراً بين جلّاسي
ريحانةً ضُمِّخَتْ بالمسكِ ناضرةً ... تمجُّ بردَ الندى في حرِّ أنفاسي

وله يرثي عبد الله بن عمارة [2] :

بنفسي ثرى ضاجعتَ في بيته البلى ... لقد ضمَّ منك الغيثَ والليثَ والبدرا
فلو أن حياً كان قبراً لميتٍ ... لصيرتُ أحشائي لأعظمه قبرا
ولو أن عمري كان طوعَ إرادتي ... وساعدني المقدارُ قاسمتك العمرا
وما خلتُ قبراً وهو أربع أذرعٍ ... يضمُّ ثقال المزنِ والطودَ والبحرا

وحدث الخطيب فيما أسنده إلى إسماعيل بن سويد أن سائلاً جاء الى ابن دريد فلم يكن عنده غير دنّ نبيذ فوهبه له ، فجاءه غلامه وأنكر عليه ذلك ، فقال : أيش اعمل ؟ لم يكن عندي غيره ، ثم تلا قوله تعالى : ﴿ **لَن تَنَالُوا ٱلْبِرَّ حَتَّى تُنفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ** ﴾ (آل عمران: 92) فما تم اليوم حتى أهدي له عشرة دنان ، فقال الغلام : تصدقنا بواحد وأخذنا عشرة .

وقال جحظة يرثيه :

فقدتُ بابن دريد كلَّ منفعةٍ ... لما غدا ثالثَ الأحجار والتُرَبِ
وكنتُ أبكي لفقد الجود مجتهداً ... فصرتُ أبكي لفقد الجودِ والأدب

---

(1) الديوان : 37 .

(2) الديوان : 69 (وفيه تخريجها) .

وقال محمد بن إسحاق : ولابن دريد من الكتب : كتاب الجمهرة في اللغة[1] . كتاب المجتنى[2] . كتاب الأمالي . كتاب اشتقاق أسماء القبائل . كتاب الملاحن[3] . كتاب المقتبس . كتاب المقصور والممدود . كتاب الوشاح ، على حذو المحبَّر لابن حبيب . كتاب الخيل الكبير . كتاب الخيل الصغير . كتاب الأنواء . كتاب السلاح . كتاب غريب القرآن ، لم يتم . كتاب فعلت وأفعلت . كتاب أدب الكاتب . كتاب تقويم اللسان ، على مثال كتاب ابن قتيبة ولم يجرده من المسودة فلم يخرج منه شيء يعوّل عليه . كتاب المطر[4] .

وقال أبو الحسن الدريدي : حضرتُ وقد قرأ أبو علي ابن مقلة وأبو حفص كتاب المفضل بن سلمة الذي يردّ فيه على الخليل بن أحمد، على أبي بكر ابن دريد، فكان يقول : صدق أبو طالب ، في شيء إذا مر به ، وكذب أبو طالب ، في شيء آخر ، ثم رأيت هذا الكلام وقد جمعه أبو حفص في نحو المائة ورقة وترجمه بالتوسط .

ومن شعر ابن دريد[5] :

وقد ألفتْ زُهْرُ النجومِ رعايتي ... فإن غبتُ عنها فهي عنيَ تسألُ

يقابل بالتسليم منهنّ طالع ... ويومىء بالتوديع منهنُ آفل

وأما مقصورة ابن دريد المشهورة فإنه قالها يمدح بها الأمير أبا العباس إسماعيل بن عبد الله بن محمد بن ميكال بن عبد الواحد بن جبريل بن القاسم بن بكر بن ديواستي ، وهو سور بن سور بن سور بن سور - أربعة الملوك ، ابن فيروز بن يزدجرد بن بهرام جور ، قالها فيه وفي أبيه ، وكان الأمير أبو العباس رئيسَ نيسابور ومتقدِّمَها .

وذكر أبو علي البيهقي المعروف بالسلامي في « كتاب النتف والطرف » أن ابن

---

(1) قد كان نشر في أربعة أجزاء بحيدر آباد الدكن ثم في ثلاثة بتحقيق الصديق الدكتور رمزي بعلبكي (بيروت) .

(2) نشر بحيدر آباد الدكن .

(3) نشر بتحقيق أبي اسحاق اطفيش (القاهرة 1347) .

(4) نشر بعنوان : « وصف المطر والسحاب » ، تحقيق عز الدين التنوخي (دمشق 1963) ومن كتبه المنشورة أيضاً « صفة السرج واللجام » (ليدن : 1859) .

(5) ديوانه : 57 .

دريد صنف « كتاب الجمهرة » للأمير أبي العباس إسماعيل بن عبد الله بن ميكال أيام مقامه بفارس ، فأملاه عليه إملاءً ثم قال : حدثني أبو العباس الميكالي قال : أملى عليَّ أبو بكر الدريدي « كتاب الجمهرة » من أوله إلى آخره حفظاً في سنة سبع وتسعين ومائتين فما رأيته استعان عليه بالنظر في شيء من الكتب إلا في باب الهمزة واللفيف فإنه طالع له بعضَ الكتب . قال : وكفاك بها فضيلةً وعجيبة أن يتمكنَ الرجلُ من علمه كل التمكن ثم لا يسلم مع ذلك من الألسن حتى قيل فيه :

ابنُ دريدٍ بَقَرَهْ وفيه عيٌّ وَشَرَهْ
ويدَّعي من حمقه وضع كتاب الجمهرهْ
وهو كتابُ العينِ إ لا أنه قد غيرهْ

وقد ذكرت هذه الحال في أخبار أبي العباس اسماعيل بن عبد اللَّه[1] بأبسط من هذا .

وكتب ابن دريد إلى علي بن عيسى بن داود الجراح الوزير[2] :

أبا حَسَنٍ والمرءُ يُخْلَقُ صورةً تخبِّرَ عما ضُمِّنَتْهُ الغرائزُ
إذا كنتَ لا تُرْجَى لنفعٍ معجّلٍ وأمرك بين الشرق والغرب جائز
ولم تكُ يومَ الحشر فينا مُشَفَّعاً فرأي الذي يرجوك للنفع عاجز
عليُّ بن عيسى خيرُ يوميك أن تُرَى وفضلك مأمولٌ ووعدك ناجز
وإني لأخشى بعد هذا بأن تُرَى وبين الذي تهوى وبينكَ حاجز

قرأت بخط أبي سعد السمعاني من « المذيل » باسناد أن ابن دريد قال[3] :

ودّعتُه حين لا تودِّعُهُ روحي ولكنها تسيرُ مَعَهْ
ثم افترقنا وفي القلوب لنا ضِيقُ مكانٍ وفي الدموع سَعَهْ

قال أبو هلال ، أخبرنا أبو أحمد قال : كنا في مجلس ابن دريد وكان يتضجر ممن يخطىء في قراءته ، فحضر غلام وضيء فجعل يقرأ ويكثر الخطأ ، وابن دريد

---

(1) انظر الترجمة رقم : 243 .
(2) الديوان : 80 .
(3) الديوان : 39 .

صابر عليه ، فتعجب أهلُ المجلس ، فقال رجل منهم : لا تعجبوا فإن في وجهه غفرانَ ذنوبه ، فسمعها ابن دريد ، فلما أراد أن يقرأ قال له : هات يا من ليس في وجهه غفران ذنوبه فعجبوا من صحة سمعه مع علوِّ سنه .

قال وقال بعضهم في مجلس ابن دريد :

من يكن للظباء طالبَ صيدِ ... فعليه بمجلس ابن دريدِ
إن فيه لأوجهاً قيّدتني ... عن طِلابِ العلا بأوثقِ قيد

قال الرصافي : حدثنا بعض أصحابنا قال : حضرت مجلس أبي بكر ابن دريد وقد سأله بعض الناس عن معنى قول الشاعر :

هجرتُك لا قلًى مني ولكنْ ... رأيت بقاء ودكَ في الصدودِ
كهجرِ الحائماتِ الوِرْدَ لمّا ... رأتْ أنَّ المنيةَ في الورود
تفيضُ نفوسها ظمأً وتخشى ... حِماماً فهي تنظرُ من بعيد

فقال : الحائم الذي يدور حول الماء ولا يصلُ إليه ، يقال حام يحوم حياماً ؛ ومعنى الشعر أن الايائل تأكلُ الأفاعي في الصيف فتحمى فتلتهب بحرارتها وتطلب الماء ، فإذا وقعت عليه امتنعت من شربه وحامت حوله تَنَسُّمُهُ لأنها إن شربته في تلك الحال صادف الماء السمَّ الذي في جوفها فتلفت ، فلا تزال تدفع بشرب الماء حتى يطول بها الزمان فيسكن ثوران السم ثم تشربه فلا يضرها . ويقال : فاظ الميت وفاضت نفسه وفاظت نفسه أيضاً جائز عند الجميع إلا الأصمعي فإنه يقول فاظ الميت فإذا ذكر النفس قال فاضت نفسه بالضاد ولم يجمع بين الظاء والنفس.

وحدث أبو علي المحسن ، حدثني أبو القاسم الحسن بن علي بن إبراهيم بن خلاد الشاهد العكبري إمام الجامع فيها ، حدثني أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد قال : كنت بعمان مع الصلت بن مالك الشاري ، وكانت الشراة تدعوه أمير المؤمنين ، وكانت السنةُ كثيرةَ الأمطار ودامت على الناس فكادت المنازل أن تتهدم ، فاجتمع الناس وصاروا إلى الصلت وسألوه أن يدعو لهم ، فأجّل بهم أن يركب من الغدِ الى الصحراء ويدعو ، فقال لي بكرةٍ : لتخرجْ معي في غدٍ ، فبت مفكّراً كيف يدعو ، فلما أصبحتُ خرجتُ معه ، فصلّى بهم وخطب ودعا فقال : اللهم إنك أنعمت فأوفيت ،

وسقيت فأرويت ، فعلى القيعان ومنابت الشجر ، وحيث النفعُ لا الضرر . فاستحسنت ذلك منه . وقال ابن دريد في النرجس[1] :

عيونٌ ما يُلِمُّ بها رقادُ ... ولا يمحو محاسِنَها السهادُ
إذا ما الليل صافحها استهلَّتْ ... وتضحكُ حين ينحسرُ السواد
لها حَدَقٌ من الذهبِ المصفّى ... صياغةُ من يدينُ له العباد
وأجفانٌ من الدرِّ استفادت ... ضياءً مثله لا يستفاد
على قَصَب الزَّبَرْجَدِ في ذراها ... لأعينِ من يلاحظها مراد

قرأت في « كتاب التحبير »[2] وهو ما أخبرنا به الشريف افتخار الدين أبو هاشم عبد المطلب بن الفضل بن عبد المطلب الهاشمي إذناً ، قال أبو سعد السمعاني إجازةً إن لم يكن سماعاً ، قال : سمعت الأمير أبا نصر أحمد بن الحسين بن أحمد بن عبيد الله بن أحمد بن الميكالي يقول : تذاكرنا المتنزهات يوماً وابن دريد حاضر ، فقال بعضهم : أنزه الأماكنِ غوطةُ دمشق ، وقال آخرون : بل نهر الأبلّة ، وقال آخرون : بل سُغْدُ سمرقند ، وقال بعضهم : نهروان بغداد ، وقال بعضهم : شعب بوّان بأرض فارس ، وقال بعضهم : نوبهار بلخ . فقال: هذه متنزهات العيون فأين أنتم عن متنزهات القلوب . قلنا وما هي يا أبا بكر ؟ قال « عيون الأخبار » للقتيبي و « الزهرة » لابن داود و « قلق المشتاق » لابن أبي طاهر ، ثم أنشأ يقول[3] :

ومن تك نزهتَه قينةٌ ... وكأسٌ تحثّ وكأسٌ تُصَبْ
فنزهتنا واستراحتنا ... تلاقي العيونِ ودرسُ الكتبْ

وقرأت في التاريخ الذي ألفه أبو محمد عبد الله بن أبي القاسم عبد المجيد بن شيران الأهوازي قال : وفي سنة أربع وعشرين وثلاثمائة مات أبو أحمد حجر بن أحمد الجويمي[4]، وكان من أهلِ الفضلِ بجويم ونواحي فارس، وقد خلف القراء بها

(1) الديوان : 51 .
(2) لم أجد هذا في كتاب التحبير .
(3) الديوان : 83 .
(4) انظر معجم البلدان (جويم) .

فمدحه جماعةٌ من الشعراء وقصده من انتفع به ، ولأبي بكر ابن دريد فيه مدائح منها[1] :

نهنه بوادرَ دمعكَ المُهَرَاقِ ... أيُّ ائتلافٍ لم يُرَعْ بفراقِ
حجرُ بن أحمد فارعُ الشرفِ الذي ... خضعت لعزته طُلَى الأعناق
قبِّلْ أنامله فلسنَ أناملاً ... لكنهنَّ مفاتحُ الأرزاق
وانظرْ إلى النور الذي لو أنه ... للبدرِ لم يُطْبَع بِرَيْنِ مُحاقِ

- 1030 -

محمد بن الحسن بن سهل المعروف بشيلمة الكاتب : وشيلمة لقب لمحمد هذا ، وأبوه الحسن بن سهل هو الوزير المعروف أخو الفضل بن سهل ، مات محروقاً . وكان شيلمة أولاً مع العلويِّ صاحبِ الزنج ، ثم صار إلى بغداد وأومن ثم خلَّط وسعى لبعض الخوارج فحرقه المعتضد حيًّا وكان مصلوباً على عمود خيمة . ذكر ذلك محمد بن إسحاق وقال : له من الكتب المصنفة : كتاب أخبار صاحب الزنج . كتاب رسائله .

حدثني أبو الحسن أحمد بن يوسف بن الأزرق قال حدثني أبي قال : كنتُ أكتبُ لبدر اللاني في أيام الموفق وابنه المعتضد بالله وأدخل الدار معه ، فرأيت محمد بن الحسن بن سهل المعروف بشيلمة ، وقد جعله كردناكا[2] ، قال قلت له : وكيف كان ذلك وما كان سببه ؟ فقال : إن رجلاً من أولاد الواثق كان يسكنُ مدينةَ المنصور سعى في طلب الخلافة هو وشيلمة ليستوزره ، وأخذ له البيعةَ على أكثرِ أهلِ الحضرةِ من الهاشميين والقضاة والقواد والجيش وأهل بغداد والأحداث وأهل العصبية ، وقويَ أمره

1030 ـ ترجمة شيلمة في الفهرست: 141 والوافي 2: 350 وله أخبار كثيرة في تاريخ الطبري وغيره من الكتب التاريخية .

(1) الديوان : 64 وهو في البصائر 8: 46 .
(2) يعني شواه مكبباً .

وانتشر خبره ، وهمَّ بالظهورِ في المدينة والاعتصام بها ، حتى إذا أخذ المعتضد صار إلى دار الخلافة ، فبلغ المعتضدَ الخبرُ على شرحه إلا اسم المستخلف ، فكبس شيلمة وأخذ فوجد في داره جرائدُ بأسماءِ من بايع ، وبلغ الخبرُ الهاشميَّ فهرب ، وأمر المعتضد بالجرائد فأُحْرِقَتْ ظاهراً ولم يقف على شيء منها لئلا يفسد قلوبَ الجيش بوقوفه عليها لما يعتقدون من فساد نيته عليهم ، وأخذ يسائل شيلمةَ عن الخبر فصدَقَهُ عن جميع ما جرى إلا اسم الرجل الذي يُسْتخلَف ، فرفق به لِيَصْدُقَهُ عنه فلم يفعل ، فطال الكلامُ بينهما ، فقال له شيلمة : واللّه لو جعلتني كردناكاً ما أخبرتك باسمه قطّ ، فقال المعتضد للفراشين : هاتم أعمدة الخيم الكبار الثقال ، وأمر أن يُشَدَّ عليها شدًّا وثيقاً وأحضروا فحماً عظيماً ، وفرش على الطوابيق بحضرته ، وأجّجوا ناراً وجعل الفراشون يقلّبون تلك النار وهو مشدودٌ على الأعمدةِ إلى أن مات ، وأخرج من بين يديه ليدفن فرأيته على هذه الصورة .

ـ 1031 ـ

محمد بن الحسن بن رمضان النحوي : له من الكتب فيما ذكره محمد بن اسحاق : كتاب أسماء الخمر وعصيرها . كتاب الديرة .

ـ 1032 ـ

محمد بن الحسن بن محمد بن زياد بن هارون بن جعفر بن سند النقاش الشعراني الدارقطني ، أبو بكر المقرىء : مات فيما ذكره الخطيب يوم الثلاثاء لثلاث خلون من شوال سنة إحدى وخمسين وثلاثمائة ، ومولده سنة ست وستين ومائتين . ودفن في داره بدار القطن .

1031 ـ ترجمة ابن رمضان النحوي في الفهرست: 92 وانباه الرواة 3 : 112 وبغية الوعاة 1 : 82 .

1032 ـ ترجمة النقاش في الفهرست: 36 وتاريخ بغداد 2 : 201 والمنتظم 7 : 14 وابن خلكان 4 : 298 وتذكرة الحفاظ: 908 ومعرفة القراء 1 : 236 وسير الذهبي 15 : 573 وعبر الذهبي 2 : 292 وميزان الاعتدال 3 : 520 والوافي 2 : 345 ومرآة الجنان 2 : 347 وطبقات السبكي 3 : 145 والبداية والنهاية 11 : 242 وطبقات ابن الجزري 2 : 119 ولسان الميزان 5 : 132 والشذرات 3 : 8 والمقفى 5 :560.

قال أبو بكر[1] : وأصله من الموصل ، ويقال : إنه مولى أبي دجانة سِمَاكُ بن خَرَشَةَ الأنصاري ، وكان حافظاً للتفسير ، صنَّف فيه كتاباً سماه « شفاء الصدور » وله تصانيفُ في القراءات وغيرها من العلوم ، وكان قد سافر الكثير شرقاً وغرباً ، وكتب بالكوفة والبصرة ومكة ومصر والشام والجزيرة والموصل والجبال وبلاد خراسان وما وراء النهر ، وحدَّثَ عن خلق كثير ، وروى عنه أبو بكر ابن مجاهد والدارقطني وأبو حفص ابن شاهين .

قال : وحدثنا عنه أبو الحسن ابن رزقويه وجماعة آخرهم أبو علي ابن شاذان ، وفي حديثه مناكيرُ بأسانيدَ مشهورة .

قال : حدثني عبيد الله بن أبي الفتح عن طلحة بن محمد بن جعفر أنه ذكر النقاش فقال : كان يكذبُ في الحديث والغالبُ عليه القصص . قال : وسألت البرقانيَّ عنه فقال : كلُّ حديثه منكر . قال : وحدثني من سمع أبا بكر البرقاني وذكر تفسير النقاش فقال : ليس فيه حديثٌ صحيح . وقال هبة الله بن الحسن الطبري وذكر تفسير النقاش فقال : ذاك إشفا الصدور وليس شفاء الصدور .

هذا كله من تاريخ أبي بكر ابن علي .

وقال محمد بن اسحاق : له من الكتب : كتاب الإشارة في غريب القرآن . كتاب الموضح في معاني القرآن . كتاب المناسك . كتاب فهم المناسك . كتاب أخبار القصاص . كتاب ذم الحسد . كتاب دلائل النبوة . كتاب الأبواب في القرآن . كتاب إرم ذات العماد . كتاب المعجم الأوسط . كتاب المعجم الأصغر . كتاب المعجم الأكبر في أسماء القراء وقراءاتهم . كتاب السبعة الأوسط . كتاب السبعة الأصغر . كتاب التفسير الكبير ، اثنا عشر ألف ورقة . كتاب العقل . كتاب ضد العقل .

حدث القاضي أبو الفرج المعافى بن زكريا النهرواني قال : أخبرنا محمد بن الحسن بن زياد النقاش المقرىء قال : لقيت رقعةً قد رفع فيها إلى القاضي أبي بكر أحمد بن موسى الأنطاكي :

---

(1) يعني الخطيب البغدادي .

أيُّهذا القاضي الكبيـر المواتي(1) صـانـك الله عن مقام الـدنــاةِ
أيكـون القصاصُ في فتـلكِ لحظٍ مـن غــزالٍ مــورَّدِ الــوجنــاتِ
أم يخـافُ العذابَ مَنْ هـو صبٌّ مبتلىً بــالــزفيـر والـحســرات
ليس إلا العفـافُ والصومُ والنُّسْــــــك لــه زاجــرٌ عن الشبهــات

فأخذ الرقعة وكتب على ظهرها :

يــا ظــريفَ الصـنيـعِ والآلاتِ وعــظيمَ الأشجــان والـلوعــاتِ
ان تكنْ عـاشقـاً فلم تــأتِ ذنبـاً بـــل تـرقيتَ رفعــة الـدرجـات
فلك الحقُّ واجبــاً ان عــرفـنـا مَـنْ تعـلَّقتـه مـن الـحـجـرات
أن أكـونَ الـرسـولَ جهـراً إليــه إن تـنكـبتَ مُــوبِـقَ الشـبهــات
ومتى أقضِ بالقصاص على لحـــــــظِ حبيب أخطىءُ طريقَ القضاةِ

ـ 1033 ـ

محمـد بن الحسن بن جمهـور القمي الكـاتب أبـو علي : قـال أبـو علي التنوخي : وكان من شيوخ أهل الأدبِ بالبصرة وكثيرَ الملازمة لأبي ، وحرَّرَ لي خطي لما قويتُ على الكتابة لأنـه كان جيـدَ الخط حسنَ الترسُّـلِ كثيرَ المصنفـات لكتب الأدب، فكثرت ملازمتي له وكان يمدح أبي، فأنشدني لنفسه، وهو من مشهور شعره:

إذا تـمـنَّــعَ صــبــري وضاق بالهجـر صدري
نــاديتُ والليــلُ داجٍ وقــد خلوتُ بفكــري
يــا ربِّ هبْ ليَ منــه وصــالَ يـومٍ بعمــري

1033 ـ ترجمة القمي في الوافي 2 : 352 والقصة التي وردت هنا نقلها محقق النشوار 4 : 109 (وسمّاه « العمّي » بالعين) وانظر الديارات : 266 وحكاية أبي القاسم البغدادي : 71 ـ 75 ونشوار المحاضرة 3 : 258 ووصفه بأنه صاحب ستارة مشهور بالأدب والشعر وتصنيف الكتب ، وكان يكتب لغيلان بن اسماعيل وهو وال بأرجان .

(1) م : أيها . . . . العدل .

وأنشدني أيضاً لنفسه :

كثـرتْ عنـدي أيـاديـــــيكَ فجلَّ الوصفُ عنها
فـأحـاطتْ بجميـع الـــــفهم حتى لـم أبنـهـا
فمتى ازددتــك منـهــا كنتُ كـالنـاقصِ منهـا

قلت أنا : وهو صاحب النوادر مع زادمهر المغنية جارته المنصورية .

ـ 1034 ـ

محمــد بن الحسن بن يعقــوب بن الحسن بن الحسـين بـن محـمــد بن سليمان بن داود بن عبيد الله بن مقسم ، أبو بكر العطار المقرىء : ولـد سنة خمس وستين ومائتين ، ومات لثمان خلون من ربيع الآخر سنة أربع وخمسين وثلاثمـائة ، سمع أبا مسلم الكجي وثعلباً وإدريس بن عبد الكريم وغيرهم ، روى عنه ابن رزقويه وابن شاذان وغيرهما ، وكان ثقةً من أعرف الناس بالقراءات وأحفظهم لنحو الكوفيين ، وله في معاني القرآن كتاب سماه « الأنوار » وما رأيت مثله ، وله عدة تصانيف ، ولم يكن له عيب إلا أنه قرأ بحروف تخالف الإجماع واستخرج لها وجوهاً من اللغة والمعنى مثل ما ذكر في « كتاب الاحتجاج » للفراء في قوله تعالى : ﴿ **فَلَمَّا ٱسْتَيْأَسُوا مِنْهُ خَلَصُوا نَجِيّاً** ﴾ (يوسف: 80) [فقال لو قرىء خلصوا نجباء بالباء لكان جائزاً] وهذا مع كونه يخالف الاجماعَ بعيدٌ من المعنى ، إذ لا وجه للنجابة عند يأسهم من أخيهم ، إنما اجتمعوا يتناجَوْنَ . وله من هذا الجنس ـ من تصحيف الكلمة واستخراج وجهٍ بعيد لها مع كونها لم يقرأ بها أحد ـ [كثير] .

وحدث أبو بكر الخطيب قال : ومما طُعِنَ به على أبي بكر ابن مقسم أنه عمد إلى حروفٍ من القرآن فخالفَ الاجماعَ فيها وقرأها على وجوه ذكر أنها تجوزُ في اللغة

1034 ـ ترجمة ابن مقسم في الفهرست: 35 وتاريخ بغداد 2 : 206 والمنتظم وتاريخ الاسلام للذهبي وعيون التواريخ (وفيها جميعاً تحت وفيات عام 354) وطبقات ابن الجزري 2 : 123 وانباه الرواة 3 : 100 والبداية والنهاية 11 : 259 وميزان الاعتدال 3 : 519 ونزهة الألباء: 199 والنجوم الزاهرة 3 : 343 والشذرات 3 : 16 والوافي 2 : 337 وبغية الوعاة 1 : 89 ولسان الميزان 5 : 130 .

والعربية ، وشاع ذلك عنه عند أهل العلم فأنكروه ، وارتفع الأمرُ إلى السلطان فأحضره واستتابه بحضرة القراء والفقهاء ، فأذعن بالتوبة وكتب محضراً بتوبته ، وأثبت جماعةُ من حضر ذلك المجلس خطوطهم فيه بالشهادة عليه ، وقيل إنه لم ينزع عن تلك الحروف ، وكان يقرأ بها إلى حين وفاته .

قال الخطيب[1] : وقد ذكر حاله أبو طاهر ابن أبي هاشم المقرىء صاحب ابن مجاهد في كتابه الذي سماه « كتاب البيان » فقال : وقد نبغ نابغ في عصرنا هذا فزعم أنّ كل ما صحَّ عنده وجهٌ في العربية لحرفٍ من القرآن يوافقُ خطَّ المصحف فقراءته جائزة في الصلاة وغيرها ، فابتدع بقيله ذلك بدعة ضلَّ بها عن قصد السبيل ، وأورط نفسه [في] مزلةٍ عظمتْ بها جنايتُهُ على الإسلام وأهله ، وحاول إلحاقَ كتابِ الله من الباطل ما لا يأتيه من بين يديه ولا من خلفه ، إذ جعل لأهل الالحاد في دين الله بسيّء رأيه طريقاً من بين يدي[2] أهل الحق ، بتخير القراءات من جهة البحث والاستخراج بالآراء دونَ الاعتصام والتمسك بالأثر المفترض، وقد كان أبو بكر[3] شيخنا ـ نضر الله وجهه ـ نَشَلَهُ[4] عن بدعته المضلّة باستتابته منها ، وأشهدَ عليه الحكامَ والشهودَ المقبولين عند الحكام بترك ما أوقع نفسه فيه من الضلالة ، بعد أن سُئِلَ البرهان على صِحَّةِ ما ذهبَ إليه فلم يأتِ بطائل ولم يكن له حجة قوية ولا ضعيفة ، فاستوهب أبو بكر رضي الله عنه تأديبَهُ من السلطان عند توبته وإظهاره الإقلاعَ عن بدعته ، ثم عاود في وقتنا هذا إلى ما كان ابتدعه واستغوى من أصاغر المسلمين ممن هو في الغفلة والغبَاوة دونه ظنًّا منه أن ذلك يكونُ للناسِ ديناً ، وأن يجعلوه فيما ابتدعه إماماً ، ولن يعدوَ ما ضلَّ به مجلسَهُ ، لأن اللّه تعالى قد أعلمنا أنه حافظٌ لكتابه من لفظ الزائغين وشبهات الملحدين بقوله تعالى : ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾ (الحجر: 9) وقد دخلتْ عليه شبهةٌ لا تخيل بطولها وفسادها على ذي لبّ ، وذلك انه قال : لما كان لخلف بن هشام وأبي عبيد وابن سعدان أن يختاروا ، وكان ذلك مباحاً لهم غيرَ منكر ، كان ذلك [لي] أيضاً مباحاً غير مستنكر ، فلو كان حذا حَذْوَهُمْ وسلك طريقهم كان

(1) تاريخ بغداد 2 : 207 .
(2) تاريخ بغداد : إلى مغالطة .
(3) يعني ابن مجاهد .
(4) م : يسأله .

لعمري له غير مستنكر ، ولكنه سلك من الشذوذ ما لا يقول به إلا مبتدع .

قال الخطيب[1] : وذكر أبو طاهر كلاماً كثيراً نقلنا منه هذا المقدار وهو في كتابه مستقصى .

وحدث فيما أسنده إلى أبي أحمد الفرضي قال[2] : رأيت في المنام كأني في المسجد الجامع أصلّي مع الناس ، وكان ابن مقسم قد ولّى ظهره القبلةَ وهو يصلّي مستدبرها ، فأوّلْتُ ذلك مخالفته الأئمة فيما اختاره لنفسه من القراءات .

وذكره محمد بن إسحاق فقال مات في سنة اثنتين وخمسين وثلاثمائة ، وله من الكتب : كتاب الأنوار في تفسير القرآن . كتاب المدخل إلى علم الشعر . كتاب الاحتجاج في القراءات . كتاب في النحو كبير . كتاب المقصور والممدود . كتاب المذكر والمؤنث . كتاب الوقف والابتداء . كتاب المصاحف . كتاب عدد التمام . كتاب أخبار نفسه . كتاب مجالسات ثعلب . كتاب مفرداته . كتاب الانتصار لقراء الأمصار . كتاب الموضح . كتاب شفاء الصدور . كتاب الأوسط . كتاب اللطائف في جمع هجاء المصاحف . كتاب في قوله تعالى وَمَنْ يَقْتلْ والرد على المعتزلة .

ولابن مقسم ابن يكنى أبا الحسن ، وكان حفظة عالماً له « كتاب عقلاء المجانين » .

- 1035 -

محمد بن الحسن بن المظفر الحاتمي ، أبو علي : ذكره الخطيب في « تاريخه » فقال : روى عن أبي عمر وغيره[3] أخباراً في مجالس الأدب ، قلت أنا :

1035 - ترجمة الحاتمي في الامتاع والمؤانسة 1 : 135 واليتيمة 3 : 103 وتاريخ بغداد 2 : 214 وأنساب السمعاني 4 : 8 والمنتظم 7 : 205 وانباه الرواة 3 : 103 والمحمدون : 203 وابن خلكان 4 : 362 وعبر الذهبي 3 : 40 وسير الذهبي 16 : 499 والوافي 2 : 343 وبغية الوعاة 1 : 87 والشذرات 3 : 129 (وفي سير الذهبي أن والده يسمى « الحسين ») .

(1) تاريخ بغداد 2 : 208 .
(2) النقل مستمر عن تاريخ الخطيب .
(3) م : وعنه .

وأدركَ ابنَ دريد وأخذ عنه ، وهو من حُذّاق أهل اللغة والأدب شديد العارضة ، وكان مبغّضاً إلى أهل العلم ، فهجاه ابن الحجاج وغيره بأهاجٍ مُرّة . ومات سنة ثمان وثمانين وثلاثمائة .

وذكره الثعالبي في كتاب « يتيمة الدهر » فقال : محمد بن الحسن الحاتمي حسن التصرف في الشعر موف على كثير من شعراء العصر ، وأبوه أيضاً شاعر ، وأبو علي شاعر كاتب يجمع بين البلاغة في النثر والبراعة في النظم ، وله الرسالة المعروفة في وقعة الأدهم ، قال : وليس يحضرني من شعره إلا بيتان :

لي حبيبٌ لو قيل لي ما تمنّى ... ما تعديته ولو بالمنونِ
أشتهي أن أحلَّ في كلِّ جسمٍ ... فأراه بلحظِ تلك العيون

قال : ومما اخترته لأبيه قوله من قصيدة في القادر بالله أمير المؤمنين رحمه الله ، أولها :

حيِّ رسمَ الغميم تحي الغميما ... إن فَقَدْتَ الهوى فحيِّ الرسوما

وذكر قصيدة .

وذكره أبو إسحاق إبراهيم بن محمد الحصري في « كتاب النورين » وذكر أشعاراً في قصر الليل وطوله فقال : وقال بعض أهل العصر وهو أبو علي محمد بن الحسن الحاتمي :

يا ربَّ يومِ سرورٍ خِلتُه قِصَراً ... كعارضِ البرقِ في أفقِ الدجى برقا
قد كاد يعثرُ أولاهُ بآخِرِهِ ... وكاد يسبقُ منه فجرُهُ الشفقا
كأنما طَرَفاه طَرْفُ اتفق الـ ... ـجفنان منه على الإطراقِ وافترقا

قال : وقد ملح الحاتمي في وصف الثريا :

وليلٍ أقمنا فيه نُعْمِلُ كأسنا ... إلى أن بدا للصبح في الليل عسكرُ
ونجمُ الثريا في السماءِ كأنه ... على حُلّةٍ زرقاء جَيْبٌ مُدَنَّرُ

وللحاتمي تصانيف عدة منها : كتاب حلية المحاضرة في صناعة الشعر[1] .

---

(1) نشر في جزءين بتحقيق د . جعفر الكتاني ، بغداد .

كتاب الموضحة في مساوي المتنبيء[1] . كتاب الهلباجة في صنعة الشعر . كتاب سر الصناعة في الشعر أيضاً . كتاب الحالي والعاطل في الشعر أيضاً . كتاب المجاز في الشعر أيضاً . كتاب الرسالة الناجية . كتاب مختصر العربية . كتاب في اللغة لم يتم . كتاب عيون الكاتب . كتاب الشراب رسالة . كتاب منتزع الأخبار ومطبوع الأشعار . كتاب البراعة . كتاب المعيار والموازنة لم يتم . كتاب المغسل وهي الرسالة الباهرة في خصال أبي الحسن البتّي .

قرأت في « كتاب الهلباجة » من تصنيفه ، وهو كتاب صنفه للوزير أبي عبد الله ابن سعدان في رجل سَبَعَهُ عنده وسمَّى الرجل الهلباجة من غير أن يصرِّحَ باسمه قال فيه : وقد خدمتُ سيفَ الدولة ، تجاوز الله عن فرطاته ، وأنا ابن تسع عشرة سنة ، تميل بي سنة الصبا وتنقاد بي أريحية الشباب ، بهذا العلم ، وكان كلفاً به علقاً علاقة المغرم بأهله، منقباً عن أسراره، ووُزِنْتُ في مجلسه، تكرمة وإدناءً وتسويةً في الرتبة ولم تسفر خداي عن عذاريهما ، بأبي علي الفارسي ،وهو فارس العربية وحائز قصب السبق فيها منذ أربعين سنة ، وبأبي عبد الله ابن خالويه وكان له السهم الفائز في علم العربية تصرفاً في أنواعه ، وتوسُّعاً في معرفة قواعده وأوضاعه ، وبأبي الطيب اللغوي وكان كما قيل : خَتْفَ الكلمةِ الشرود حفظاً وتيقظاً ، ونازعتُ العلماءَ ومُدحتُ في مصنفاتهم ، وعُددت في الأفراد الذين منهم أبو سعيد السيرافي وعلي بن عيسى الرماني ، وأبو سعيد المعلى وَقِدْحُهُ الأعلى ، واتخذت بعضاً ممن كان يقع الايماء إليه سخرة وأنا إذ ذاك غزير الغرارة تميد بي أسرارُ السرور ، ويسري عليَّ رخاءُ الاقبال ، وأختال في ملاءة العز ، في بُلَهْنيةٍ من العيش وخفض من النعيم ، وخطوب الدهر راقدة وأيامه مساعدة .

وأنشد لنفسه في هذا الكتاب يمدح سيف الدولة :

تـاويـنـي هـمٌّ مـن الـليـل واردُ وعـاودني من لاعجِ الـوجدِ عـائدُ
فبتُّ قضيضَ الجنبِ مسترجفَ الحشا كـأني سقتني سمَّهنَّ الأساود

(1) نشرها صديقنا الدكتور محمد يوسف نجم محققة تحقيقاً جيداً ، بيروت .

كـأنَّ القنا فيـه على القِرْنِ ضـاغنٌ   وحـدّ الحسـام الهنـدوانيّ حـاقـد
فصمتَ بـه الاشـراك وهـو مقـوّم   وقـومت دينَ المصطفى وهـو مـائـد
فـلا يشفق الاسـلامُ من سـوء عثـرةٍ   وفي الروع من آل آبن حمدان ذائد

وأنشـد لنفسه في هـذا الكتاب أبيـاتاً ضمنهـا أعجاز أبيـات للنابغـة وهي في « الحماسة » :

لا يهنـأ الناس مـا يرعـون من كـلأ   ومـا يسـوقـون من أهـلٍ ومن مـالِ

فقال الحاتمي :

وليلةٍ ضـلَّ عنهـا الصبـحُ داجيـةٍ   لبستهـا بمـطولِ الجـري هـطّالِ
وقد رمى البينُ شعبَ الحيّ فاقتسموا   أيـدي سبـا بين تقـويضٍ وتـرحـال
فنـاسبتْ أنجـمَ الآفـاقِ عيشُهُـمُ   « وما يسوقـون من أهلٍ ومن مـال »
تـرى الهـلالَ نحيـلاً من مـطالعـه   « أمسى بـبلدةِ لا عـمٍّ ولا خـال »
والجديُ كالـطرفِ يستنّ المراح بـه   « إلى ذواتِ الـذرى حمـال أثقـال »
والليـلُ والصبحُ في غبـراءَ مـظلمـةٍ   « هـذا عليهـا وهــذا تحتهـا بـال »

وفي هذا الكتاب لنفسه في الهلباجة الذي صنف الكتاب لأجله :

لقـد سخف الفعليّ لمـا تحـذَّفـا   فنكَّـر في تعـريفـه مـا تعـرفـا
ويـا ربَّ وجـهٍ حـذّفـوه لـزينـةٍ   فـأصبـح من قبـحٍ لصـاحبـه قفـا

وهذه مخاطبة جرت بين أبي الطيب المتنبي وبين أبي علي الحاتمي حكيتها كما وجدتها : قال أبوعلي الحاتمي : كان أبو الطيب المتنبي عنـد وروده مدينـة السلام التحف رداء الكبر ، وأذال ذيول التيه ، وصعَّر خده ، ونأى بجانبه ، وكان لا يلقى أحداً إلا نافضاً مِذْرَوَيْهِ ، رافلاً في التيه في بُرْدَيْهِ ، يخيّل إليه أن العلم مقصورٌ عليه ، وأن الشعرَ بحرٌ لم يغترفْ نميرَ مائِهِ غيرُهُ ، وروضٌ لم يَرْعَ نواره سواه ، فَأَدَلَّ بذلك مُدَيدةً أجَرَّتْهُ رَسَنَ الجهل فيها ، فظلَّ يمرحُ في ثِنْيَيْهِ ، حتى إذا تخيل أنه القريعُ الذي لا يقارَعُ ، والنزيعُ الذي لا يجارى ولا ينازع ، وأنه ربُّ الغَلَب ومالكُ القَصَب ، وثقلتْ وَطْأَتُهُ على أهل الأدب بمدينة السلام ، فطأطأ كلّ منهم رأسه وخفض جناحه وطامَنَ

على التسليم له جأشه ، تخيل أبو محمد المهلبي أن أحداً لا يقدرُ على مساجلته ومجاراته ، ولا يقومُ لتتبعه بشيءٍ من مطاعنه ، وساء معزَّ الدولة أن يردَ عن حضرة عدوه رجلٌ فلا يكون في مملكته أحدٌ يماثله في صناعته ويساويه في منزلته ، نهدتُ حينئذٍ متتبّعاً عِوَاره ، ومتعقباً آثاره ، ومطفياً ناره ، ومهتكاً أستاره ، ومقلّماً أظفاره ، وناشراً مطاويه ، وممزقاً جلبابَ مساويه ، متحيناً أن نجتمع ، وأجري وهو في مضمارٍ يُعْرَفُ فيه السابقُ من المسبوق ، حتى إذا لم أجدْ ذلك قصدتُ موضعه الذي كان يحلّه في رَبَض حُمَيْدٍ ، فوافق مصيري إليه حضورُ جماعةٍ تقرأ شيئاً من شعره عليه ، فحين أوذن بحضوري واستؤذن عليه لدخولي نهض عن مجلسه مسرعاً ، ووارى شخصه عني مستخفياً ، فنزلتُ عن بغلةٍ كانت تحتي ناجيةٍ وهو يراني نازلاً عنها لانتهائي بها إلى أن حاذيته ، فجلستُ في موضعه ، وإذا تحته قطعة من زيلوبةٍ مخلقة قد أكلتها الأيامُ وتعاورتها السنون فهي رسوم خافيةٌ وسلوك بادية ، حتى إذا خرج إليَّ نهضتُ إليه فوفيته حقَّ السلام غيرَ مشاحٍ له في القيام ، لأنه إنما اعتمد بنهوضه ألا ينهضَ لي عند موافاتي ، وإذا هو قد لبس سبعة أقبية : كلُّ قباءٍ منها لون ، وكان الوقتُ أحرَّ أيامِ الصيف وأخلقَها بتخفيف اللبس ، فجلستُ وجلس ، وأعرض عني ساعةً لا يُعيرني فيها طرفه ولا يسألني ما قصدتُ له ، وقد كدتُ أتميّز غيظاً ، وأقبلتُ أستخّف رأيي في قصده ، وأفنّد نفسي في التوجّه نحو مثله ، ولوى عذارَهُ عني مقبلاً على تلك الزعنفة التي بين يديه : كلٌّ واحد يومىءُ إليه ويوحي بطرفه ويشير إلى مكاني بيده ويوقظه من سنة جهله ، ويأبى إلا ازوراراً ونفاراً وجرياً على شاكلةِ خُلُقه المشكلة ، ثم رأى أن يثني رأسَهُ إليّ ، فواللّه ما زادني على أن قال : أيش خبرك ؟ قلت : أنا بخير لولا ما جنيتُ على نفسي من قصدك ، وكلّفت قدمي في المصير إلى مثلك . ثم تحدرتُ عليه تحدرَ السيلِ إلى القرار وقلت له : أبِنْ لي عافاك اللّه مِمَّ تيهك وخيلاؤك وَعُجْبُكَ ؟ وما الذي يوجبُ ما أنت عليه من التجبّر والتنمّر ؟ هل ها هنا نسبٌ في الأبطح تبحبحت في بحبوحة الشرف وفرعتَ سماء المجد به؟ أم عِلْم أصبحتَ عَلَماً يقع الايماءُ إليك فيه ؟ هل أنت إلا وتدٌ بقاعٍ في شرِّ البقاع وجُفاءُ سيلٍ بدفّاع ؟ يا للّه ، استنّتَ الفصالُ حتى القَرْعَى ، وإني لأسمعُ جعجعةً ولا أرى طِحناً . فامتقع لونُهُ عند سماع كلامي وَعَصَبَ ريقُهُ وجحظت عيناه وَسُقِطَ في يده ، وجعل يلينُ في الاعتذار ليناً كاد يعطفُ عليه

عِطْفَ صفحي عنه ، ثم قلت : يا هذا إن جاءك رجلٌ شريفٌ في نسبه تجاهلتَ نسبه ، أو عظيمٌ في أدبه صغَّرتَ أدبه ، أو متقدِّم عند سلطانه لم تعرفْ موضعه ، فهل العزّ تراث لك دونَ غيرك ؟ كلا والله ، لكنك مددتَ الكبرَ ستراً على نقصك ، وضربته رواقاً دون جهلك . فعاد إلى الاعتذار ، وأخذتِ الجماعة في تليين جانبي والرغبة إليَّ في قبول عذره واعتماد مياسرته ، وأنا آبى إلا استشراء واجتراء ، وهو يؤكد الأقسام ويواصلها أنه لم يعرفني ، فأقول : يا هذا ألم يُستأذَنْ لي عليك باسمي ونسبي ؟ أما في هذه العصابة من يعرِّفُكَ بي لو كنتَ جهلتني ؟ وهب أن ذلك كذلك ، ألم ترني ممتطياً بغلةً رائعة يعلوها مركبٌ ثقيل ، وبين يديَّ عدةٌ من الغلمان ؟ أما شاهدتَ لباسي ؟ أما شممتَ نَشْرَ عطري ؟ أما راعك شيء من أمري أتميز به في نفسك من غيري ؟ وهو في أثناء ما أكلمه يقول : خفِّضْ عليك ، ارفقْ ، استأنِ ، فأصْحَبَ جانبي بعضَ الإصحاب ، ولان شماسي بعضَ الليان ، وأقبل عليّ وأقبلتُ عليه ساعة ثم قلت : أشياء تختلج في صدري من شعرك احبُّ أن أراجعك فيها . قال : وما هي ؟ قلت : خبرني عن قولك :

فإن كان بعضُ الناس سيفاً لدولةٍ ... ففي الناس بوقاتٌ لها وطبولُ

أهكذا تمدح الملوك ؟ وعن قولك :

ولا من في جنازتها تجارٌ ... يكونُ وداعهم نفضُ النعالِ

أهكذا تؤبن أخوات الملوك [والله لو كان هذا في أدنى عبيدها لكان قبيحاً] وأخبرني عن قولك :

خفِ الله واستر ذا الجمالَ ببرقعٍ ... فإن لحتَ حاضت في الخدورِ العواتقُ

أهكذا تنسب بالمحبوبين ؟ وعن قولك في هجاء ابن كيغلغ :

وإذا أشار محدثاً فكأنه ... قردٌ يقهقه أو عجوزٌ تلطم

أما كان لك في أفانين الهجاء التي تَصَرَّفَتْ فيها الشعراءُ مندوحةٌ عن هذا الكلام الرذل الذي ينفر عنه كلُّ طبع ويمجّه كل سمع ؟ وعن قولك :

وضاقتِ الأرضُ حتى صار هاربهم ... إذا رأى غيرَ شيء ظنّه رجلا

أفتعلم مرئياً يتناوله النظر لا يقعُ عليه اسم شيء ؟ وما أراك نظرت إلا إلى قول جرير :

ما زلت تحسبُ كلَّ شيء بعدهم خيلاً تكرُّ عليهمُ ورجالا

فأحلت المعنى عن جهته وعبرت عنه بغير عبارته ، وعن قولك :

أليس عجيباً أنّ وصفك معجزٌ وأن ظنوني في معاليكَ تظلعُ

فاستعرت الظلعَ لظنونك ، وهي استعارةٌ قبيحة ، وتعجبتَ من غير متعجب لأن من أعجز وصفه لم يستنكر قصور الظنون وتحيرها في معاليه ، وإنما نقلته ـ وأَفْسَدْتَهُ ـ من قول أبي تمام :

تـرقَّتْ مناه طودَ عزٍّ لو ارتقت به الريحُ فتراً لانثنتْ وهي ظالعُ

وعن قولك تمدح كافوراً :

فإن نلتُ ما أملتُ منكَ فربما شربتُ بماءٍ يعجزُ الطيرَ وِرْدُهُ

إنها مدح أو ذم ؟ قال : مدح ، قلت : انك جعلته بخيلاً لا يوصلك إلى خيره من جهته ، وشبهتَ نفسك في وصولك إلى ما وصلت إليه منه بشربك من ماء يعجز الطيرَ وِرْدُهُ لبعده وترامي موضعه .

وأخبرني أيضاً عن قولك في صفة كلب وظبي :

فصار ما في جلده في المرجلِ فلم يضرنا مَعْهُ فَقْدُ الأجدلِ

فأيّ شيء أعجبك من هذا الوصف : أعذوبةُ عبارته أم لطف معناه ؟ أما قرأت رَجَزَ ابنِ هانىء وطرد ابن المعتز ؟ أما كان هناك من المعاني التي ابتدعها هذان الشاعران وغرر المعاني التي اقتضباها ما تتشاغلُ به عن بُنَيّات صدرك هذه ؟ وألا اقتصرتَ على ما في أرجوزتك هذه من الكلام السليم ولم تُسِفَّ إلى هذه الألفاظ القلقة والأوصاف المختلقة .

فأقبل عليّ ثم قال : أين أنت من قولي :

كأنَ الهامَ في الهيجا عيونٌ وقد طُبِعتْ سيوفُكَ من رقادِ

وقد صُغْتَ الأسنةَ من همومٍ فما يخطرْنَ إلا في فؤادِ

وأين أنت من قولي في صفة جيش :

في فيلقٍ من حديدٍ لو رميتَ به ... صَرْفَ الزمانِ لما دارت دوائرُهُ

وأين أنت من قولي :

لو تعقل الشجرُ التي قابلتها ... مَدَّتْ محيِّيةً إليكَ الأغصنا

وأين أنت من قولي :

أينفع في الخيمةِ العُذَّلُ ... ويشمل مَنْ دهرُهُ يشمل

وما اعتمد اللّه تقويضَها ... ولكنْ أشار بما تفعل

وفيها أصفُ كتيبة :

وملمومةٍ زردٍ ثوبُها ... ولكنها بالقنا مُخْمَلُ

وأين أنت عن قولي :

النـاسُ ما لم يروكَ أشباهُ ... والدهرُ لفظٌ وأنت معناهُ

والجودُ عينٌ وأنت ناظرها ... والبأسُ باعٌ وفيك يمناهُ

أما يلهيك إحساني في هذه عن إساءتي في تلك ؟ قلت : ما أعرفُ لك إحساناً في جميع ما ذكرته، إنما أنت سارق متبع وآخذ مقصر، وفي ما تقدم من هذه المعاني التي ابتكرها أصحابها مندوحة عن التشاغل بقولك . فأما قولك :

كأن الهام في الهيجا عيون . . . (البيت) فهو منقول من بيت منصور النمري :

فكأنما وَقْعُ الحسام بهامه ... خدرُ المنيةِ أو نعاسُ الهاجعِ

وأما قولك «في فيلق». . . (البيت) فنقلته نقلاً لم تحسن فيه، من قول الناجم :

ولي في حامدٍ أملٌ بعيدٌ ... ومدحٌ قد قدمتُ به طريفُ

مديحٌ لو مدحتُ به الليالي ... لما دارت عليَّ به صروفُ

والناجم إنما نظمه من قول ارسطاطاليس « قد تكلمتُ بكلامٍ لو مدحتُ به الدهر لما دارت عليّ صروفه». وأما قولك «لو تعقل الشجر التي قابلتها». . . (البيت) فهذا معنى متداول تساجلتهُ الشعراء وأكثرت فيه ، فمن ذلك قول الفرزدق :

يكـادُ يمسكه عـرفـانَ راحتـه ركنُ الحطيم إذا ما جاء يستلمُ

ثم تكرر في أفواه الشعراء إلى أن قال أبو تمام :

لو سعتْ بُقْعَةٌ لإعْـظَامِ أخرى لسعى نحوها المكانُ الجديبُ

وأخذه البحتري فقال :

لـو أن مشتاقـاً تكلَّفَ غير مـا في وُسْعِهِ لمشى إليكَ المنبـر

وأما قولك « وما اعتمد الله تقويضها » فقد نظرت فيه إلى قول رجل مدح بعض الأمراء بالموصل ، وقد كان عزم على السير فاندق لواؤه فقال :

مـا كـان منـدقُّ اللواءِ لِريبةٍ تُخْشَى ولا أمـرٍ يكـونُ مـزيِّلا

لكـن لأنَّ العـود ضعَّفَ مَتْنَـهُ صِغَرُ الولايـةِ فاستقـلَّ الموصـلا

وأما قولك « وملمومة زرد ثوبها » فمن قول أبي نواس :

أمـامَ خميسٍ أرجـوان كـأنـه قميصٌ محـوكٌ من قنـاً وجيـادِ

وأما قولك « الناس مـا لم يروك أشبـاه » فمن قول علي بن نصـر بن بسام في عبيد الله بن سليمان يرثيه :

قـد استوى النـاسُ ومات الكمـالْ وصـاحَ صرْفُ الـدهرِ أين الـرجالْ

هـذا أبـو القـاسم فـي نعشِـهِ قـوموا آنـظروا كيف تزولُ الجبـالْ

فقوله « قد استوى الناس ومات الكمال » هو قولك « الناس ما لم يروك أشباه » ، فقال بعض من حضر : ما أحسن قوله « قوموا انظروا كيف تزول الجبال » فقـال أبو الطيِّب : اسكت ما فيه من حسن ، ألم يسرقه من قول النابغة الذبياني :

يقـولون حصنٌ ثم تـأبى نفوسُهُمْ وكيف بحصنٍ والجبـالُ جنـوحُ

فقال الحاتمي : فقلت قد سرقه النابغة من أوس حين قال :

ألم تكْسَفِ الشمسُ شمسُ النها رِ والبـدرُ لـلقـمـرِ الـواجـبِ

لفقـد فَضَـالـة لا تستـوي الـــفـقـود ولا خـلَّةُ الـذاهـبِ

قلت : والله لئن كان أخذه فقد أحسن وأخفى الأخذ . فقال الرجل : أجل ، فقال المتنبي : يا مُحَسِّد ، خذ بيده وأخرجه ـ يريد بمحسد ابنه ـ فوقفتُ إلى ان تركه .

ثم قلت له : وأما قولك « والدهرُ لفظُ وأنت معناه » فمنقول من قول الأخطل إن كان البيت له في عبد الملك بن مروان :

وان أميرَ المؤمنين وفعله لكالدهرِ لا عارٌ بما فعل الدهرُ

وقد قال جرير حين قال له الفرزدق :

فاني أنا الموتُ الذي هو نازل بنفسك فانظر كيف أنت تجاولهْ

وقال جرير :

أنا الدهرُ يُفْني الموتَ والدهرُ خالد فجئني بمثل الدهرِ شيئاً يطاولهْ

ثم قلت له : أترى أن جريراً أخذ قوله «يفني الموت» من أحد وان أحداً شركه في إفناء الموت ؟ ففكر طويلاً ثم قال : لا ، قلت : بلى عمران بن حطان حيث يقول :

لن يُعْجِزَ الموتَ شيءٌ دونَ خالقِهِ والموتُ فانٍ إذا ما نالـه الأجلُ

وكلّ كربٍ أمام الموتِ متضع بالموتِ والموتُ فيما بعده جللُ

فأمات الموت وأحياه وما سبقه إلى ذلك أحد .

ثم قلت له : أترى أن البيت المتقدم الذي يقول فيه « لكالدهر لا عار بما فعل الدهر » مأخوذ من أحد ؟ فأطرق هنيهة ثم قال : وما تصنع بهذا ؟ قلت : يستدل على موضعك ومواضع أمثالك من سرقة الشعر . فقال : اللّه المستعان « أساء سمعاً فأساء جابة » ما أردت ما ذهبت إليه ، قلت : فانه أخذه من قول النابغة وهو أول من ابتكره :

وعيَّرَتْني بنو ذبيانَ خشيتَهُ وما عليَّ بأن أخشاكَ من عارِ

ثم أخذه أبو تمام فأحسن بقوله :

خشعوا لصولتك التي هي فيهمُ كالموتِ يأتي ليس فيه عارُ

قال : ومن أبو تمام ؟ قلت : الذي سرقتَ شعره فأنشدته ، قال : هذه خلائق السفهاء لا خلائقُ العلماء ، قلت : أجل أنت سفهت رأيي ولم يكن سفيهاً ، ألست القائل :

ذي المعالي فليعلونْ مَنْ تعالَى هكذا هكذا وإلا فلا لا

شرفٌ ينطحُ الثريا بروقيـه وفخرٌ يقلقلُ الأجبالا

قال : بلى ، قلت : فإنك أخذت البيتَ الأول من بيت بكر بن النطاح :

يتلقى النــدى بــوجــهٍ حييٍّ وصـدورَ القنـا بـوجـهٍ وَقـاحِ
هكـذا هكذا تكـونُ المعـالي طُرُقُ الجِدِّ غيرُ طُرْقِ المزاحِ

وأخذت البيت الثاني فأفسدته من قول أبي تمام :

همــة تنـطح الثــريــا وجــدٌّ آلِفٌ للحضيض فهو حضيضُ

قال : وبأيِّ شيء أفسدته ؟ قلت : بأن جعلتَ للشرف قرناً ، قال : وأنى لك بذلك ؟ قلت : ألم تقل « ينطحُ السماءَ بروقيه » والروقان القرنان . قال : أجل إنما هي استعارة ، قلت : نعم هي استعارة خبيثة . قال : أقسمت غير محرج في قسمي أنني لم أقرأ شعراً قط لأبي تمامكم هذا ، فقلت : هذه سَوْءَةٌ لو سترتَها كان أولى ، قال : السوءةُ قراءةُ شعرِ مثله ، أليس هو الذي يقول :

خَشُنْتِ عليـه أختَ بني خشـين وأنجــحَ فيـك قـولُ العـاذلَيْن

والذي يقول :

لعمـري لقد حـرَّرْتُ يـومَ لقيتـه لـو أن القضـاءَ وحــده لم يبـرَّدِ

والذي يقول :

تكــاد عـطايــاه يُجَنُّ جنــونهــا إذا لم يعــوِّذهـا بنغمــةِ طــالبِ

والذي يقول :

تسعون ألفاً كآسادِ الشرى نضجت أعمارهم قبل نضجِ التينِ والعنب

والذي يقول :

ولّى ولم يـظلم وهـل ظلم امـرؤٌ حـثَّ النجــاءَ وخلفــه الـتنـينُ

والذي يقول :

فضـــربتَ الشتـاءَ في أخــدعيـه ضـربـةً غـادرتـه عــوْداً ركـوبــا

والذي يقول :

كـانـوا رداءَ زمـانهم فتصـدعـوا فكـأنمـا لبسَ الـزمـانُ الصــوفـا

والذي يقول :

أقول لقرحان من البين لم يضف رسيسَ الهوى بين الحشا والترائبِ

ما « قرحان البين » أخرس الله لسانه ؟ فأحْفَظَني ذلك وقلت : يا هذا من أدلّ الدليل على أنك قرأت شعر هذا الرجل تتبعك مساويه ، فهل في الدلالة على اختلاقك إنكاره أوضحُ مما ذكرته ؟ وهل يَصِمُ أبا تمام أو يسمه بميسم النقيصة ما عَدَدْتَهُ من سقطاته وتخونته من أبياته ؟ وهو الذي يقول في النونية :

نـوالُـكَ ردَّ حُسّـادي فُلُولاً وأصـلح بيـن أيـامي وبـيـني

فهلا اغتفرتَ الأول لهذا البيت الذي لا يستطيع أحدٌ أن يأتي بمثله ، وأما قوله :

تسعون ألفاً كآساد الشرى نضجت أعمارهم قبل نضج التين والعنب

فلهذا البيت خبر لو استقريت صُحفه لأقصرتَ عمن تناولته بالطعن فيـه . ثم قصصتُ الخبر وقلت : في هذه القصيدة ما لا يستطيعُ أحدٌ من متقدمي الشعراء وأمراءِ الكلام وأرباب الصناعة أن يأتي بمثله . قال : وما هو ؟ قلت : لو قال قائل إن أحداً لم يبتدىء بأوجز ولا أحسن ولا أخصر من قوله :

السيف أصـدقُ إنبـاءً من الكتبِ في حـدّه الحدّ بين الجدِ واللعبِ

لما عنف في ذلك . وفيها يقول :

رمى بـك اللّه بـرجيهـا فهـدّمهـا ولـو رمى بـكَ غيـرُ اللّه لم يصبِ

وفيها يقول :

لما رأى الحربَ رأيَ العينِ تَوْفَلِسٌ والحربُ مشتقة المعنى من الحَرَبِ

وفيها يقول :

فتـحٌ تَفَتَّـحُ أبـوابُ السمـاءِ لـه وتبـرزُ الأرضُ في أبرادهـا القشب

وفيها يقول :

بكـرٌ فمـا افتـرعتهـا كفُّ حـادثـةٍ ولا تـرقَّتْ إليهـا همـة النـوب

وفيها يقول :

غادرتَ فيها بهيمَ الليلِ وهو ضحىً يشلّه وسـطهـا صبـحٌ من اللهب

حتى كأن جلابيبَ الدجى رغبت   عن لونها وكأن الشمسَ لم تغب

وفيها يقول :

أجبتَهُ مُعْلناً بالسيفِ منصلتاً   ولو أجبتَ بغير السيف لم تجب

وأما قوله « أقول لقرحان من البين » فانه يريد رجلاً لم يقطعه أحبابه ولم يبينوا عنه قبل ذلك ، وإذ كانت حاله كذلك كان موقعُ البينِ أشدَّ عليه وأفتّ في عضده ، والأصل في هذا أن القرحان الذي لم يجدر قط ، وقد قال جرير :

وكنت من زفرات البين قرحانا

وفي هذه القصيدة من المعاني الرائعة والتشبيهات الواقعة والاستعارات البارعة ما يغتفر معه هذا البيت وأمثاله ، على أنّا أبنّا عن صحة معناه وعن أمثاله ، فمن ذلك :

إذا العيسُ لاقت بي أبا دلفٍ فقد   تَقَطَّعَ ما بيني وبين النوائبِ
يرى أقبحَ الأشياءِ أوبةَ آملٍ   كستْهُ يدُ المأمولِ حُلَّةَ خائبِ
وأحسنُ من نَوْرٍ يفتّحه الندى   بياضُ العطايا في سواد المطالبِ
وقد علم الأفشين وهو الذي به   يُصانُ رداءُ الملك عن كل جاذبِ
بأنك لما آستْحَنَكَ النصرُ واكتسى   أهابيَ تُسْفَى في وجوهِ التجاربِ
تجللته بالرأي حتى رأيته   به ملءَ عينيه مكان العواقبِ
بأرشقَ إذ سالتْ عليهم غمامةٌ   جَرَتْ بالعوالي والعتاقِ الشوازبِ
ولو كان يفنى الشعرُ أفناه ما قَرَتْ   حياضُكَ منه في العصور الذواهبِ
ولكنه فيضُ العقولِ إذا انجلتْ   سحائبُ جودٍ أعقبت بسحائبِ

فبهره مما أوردته ما قصَّرَ عنان عبارته ، وحبس بنياتِ صدره ، وعقل عن الإجابة لسانه ، وكاد يشغبُ لولا ما تخوفه من عاقبة شغبه ، وعرفه من مكاني في تلك الأيام ، وأن ذلك لا يتم له ، فما زاد على أن قال : قد أكثرتَ من أبي تمام لا قدس الله أبا تمام وذويه . قلت : ولا قدس السارق منه والواقع فيه .

ثم قلت له : ما الفرقُ في كلام العرب بين التقديس والقدُّاس والقَدَاس والقادس ، فقال : وأيش غرضك في هذا ؟ فقلت : المذاكرة ، فقال: بل المهاترة ،

ثم قال : التقديس التطهير في كلام العرب ، ولذلك سمي القدس قدساً لأنه يشتمل على الذي به الطهور ، وكل هذه الأحرف تؤول إليه ، فقلت له : ما أحسبك أنعمت النظر في شيء من علوم العرب ، ولو تقدمت منك مطالعة لها لما استجزت أن تجمع بين معاني هذه الكلمات مع تباينها ، وذلك لأن القدّاس بتشديد الدال حجرٌ يلقَى في البئر ليعلم به غزارة مائها من قلته ، حكى ذلك ابن الأعرابي ، والقداس الجمان ، حكى ذلك الخليل واستشهد بقوله [كنظم جمان سلكه متقطع . والقادس السفينة ، قال الشاعر يصف ناقة :]

وتـهفــو بـهــادٍ لهــا مـتـلعٍ كما اقتحم القادسُ الأردمـونا

فلما علوته بالكلام قال : يا هذا مُسَلَّمَةٌ إليكَ اللغة . قلت : وكيف تسلمها وأنت أبو عذرتها ، ومن نصابها وسرها ، وأَوْلَى الناسِ بالتحقق بها والتوسع في اشتقـاقها والكلام على أفانينها ، وما أحد أولى بأنْ يُسألَ عن لغته منـك . فشرعت الجمـاعة الحاضرة في إعفائه وقبول عذره والتوطيء له ، وقال كل منهم : أنت أولى بالمراجعة والمياسرة لمثل هذا الرجل من كل أحد . وكنتُ قد بلغتُ شفاءَ نفسي ، وعلمتُ أن الزيادة على الحدّ الذي انتهيت إليه ضرب من البغي لا أراه في مذهبي ، ورأيتُ له حقَّ القدمة في صناعته ، فطأطأتُ له كتفي ، واستأنفتُ جميلاً من وصفه ، ونهضت فنهض لي مشيّعاً الى الباب حتى ركبت ، وأقسمتُ عليه أن يعود إلى مكانه ، وتشاغلتُ بقية يومي بشغل عنَّ لي تأخرت معه عن حضرة المهلبي ، وانتهى إليه الخبر وأتتني رسله ليلاً فأتيته فأخبرته بالقصة على الحال ، فكان من سروره وابتهاجه بما جرى ما بعثه على مباكرة معز الدولة ، قال له : أعلمتَ ما كان من فلان والمتنبي ؟ قال : نعم قد شفا منه صدورنا .

ـ 1036 ـ

محمد بن الحسن الزبيدي الاشبيلي أبو بكر ، النحوي اللغـوي : سكن

1036 ـ ترجمة الزبيدي في ابن الفرضي 2 : 89 وجذوة المقتبس: 43 (وبغية الملتمس رقم: 80) وانباه الرواة 3 : 108 والمحمدون: 73 والمغرب 1 : 250 وابن خلكان 4 : 372 وعبر الذهبي 3 : 12 وسير الذهبي 16 : 417 والوافي 2 : 351 ومرآة الجنان 2 : 409 والبلغة: 218 وبغية الوعاة 1 : 84 والشذرات 3 : 94 .

قرطبة من بلاد الأندلس وأخذ عن أبي [علي] إسماعيل القالي، واعتمد عليه الحكم ابن عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن بن الحكم بن هشام بن عبد الرحمن بن هشام بن عبد الملك بن مروان بن الحكم بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس (والحكم هو المتغلب على بلاد الغرب المتلقب بالمستنصر) في تعليم ولده . مات الزبيدي باشبيلية في جمادى الأولى سنة تسع وسبعين وثلاثمائة ، كذا ذكر ابن بشكوال ، وقال الحميدي : توفي قريباً من سنة ثمانين وثلاثمائة . وروى عنه غير واحد منهم ابنه أبو الوليد محمد وابراهيم بن محمد الافليلي النحوي وغيرهما .

والزبيدي نسبة إلى زبيد بن صعب بن سعد العشيرة ، رهط عمرو بن معد يكرب الزبيدي . وقد ذكره الحميدي في كتابه في باب الحسن بن عبد الله بن مذحج بن محمد بن عبيد الله بن بشير بن أبي ضمرة بن ربيعة بن مذحج الزبيدي ، سمع بالأندلس من عبيد الله بن يحيى بن يحيى الليثي ومن غيره ورحل وسمع ، وكانت وفاته بالأندلس قريباً من سنة عشرين وثلاثمائة ، وقد سمعت من يقول إنه والد أبي بكر محمد بن الحسن الزبيدي النحوي مؤلف « كتاب الواضح » ويشبه أن يكون ذلك [كذلك] والله أعلم .

قال الحميدي : أبو بكر الزبيدي من الأئمة في اللغة والعربية ألف في النحو كتاباً سماه كتاب الواضح . واختصر كتاب العين اختصاراً حسناً . وله كتاب في أبنية سيبويه . وله كتاب ما يلحن فيه عوام الأندلس . وكتاب طبقات النحويين[1] .

قال المؤلف : وقد نقلت الى كتابي هذا ما نسبته اليه .

وبلغني أن أهل الغرب يتنافسون في كتبه خصوصاً كتابه الذي اختصره من « كتاب العين » لأنه أتمه باختصاره وأوضح مشكله وزاد فيه ما عساه كان مفتقراً إليه .

وله غير ما ذكرناه من التصانيف في كل نوع من الأدب .

قال الحميدي : وكان شاعراً كثير الشعر ، أخبرنا أبو عمر ابن عبد البر قال: كتب الزبيدي الى أبي مسلم ابن فهد :

أبا مسلمٍ إنّ الفتى بجنانه ... ومِقْوَلِهِ لا بالمراكبِ واللبسِ

(1) نشر اختصار العين (أو قطعة منه) ولحن العوام والطبقات .

وليس ثيابُ المرءِ تغني قُلامةً إذا كان مقصوراً على قِصر النفس
وليس يفيدُ العلم والحلم والحجى أبا مسلم طول القعود على الكرسي

قال ، وقال أبو محمد علي بن أحمد : كتب الوزير أبو الحسن جعفر بن عثمان المصحفي الى صاحب الشرطة أبي بكر محمد بن الحسن الزبيدي [كتاباً فيه : « فاضت نفسه » بالضاد ، فجاوبه الزبيدي] بمنظوم بيَّن له فيه الخطأ دون تصريح وهو :

قل للوزير السنيّ محتدُهُ لي ذمةٌ منك أنت حافظها
عنايةٌ بالعلوم معجزةٌ قد بهظ الأولين باهظها
يقرُّ لي عَمْرُها وَمَعْمرها فيها ونظَّامها وجاحظها
قد كان حقاً قبولُ حرمتها لكنَّ صرفَ الزمانِ لافظها
وفي خطوب الزمانِ لي عظةٌ لو كان يثني النفوسَ واعظها
ان لم تحافظ عصابةٌ نسبت إليك قدماً فمن يحافظها
لا تدعنْ حاجتي مُطَرَّحةً فإن نفسي قد فاظ فائظها

فأجابه المصحفي :

خفِّضْ فُواقاً فأنت أوحدها علماً ونقَّابها وحافظها
كيف تضيعُ العلوم في بلدٍ أبناؤه كلّهم يحافظها
ألفاظهم كلّها معطلة ما لم يعوّلْ عليك لافظها
من ذا يساويك ان نطقتَ وقد أقرَّ بالعجز عنك جاحظها
علمٌ ثنى العالمين عنك كما ثنى سنا الشمسِ من يلاحظها
فقد أتتني فديت شاغلةٌ للنفس أنْ قلتَ فاظَ فائظها
فأوضحَنْها نفزْ بنادرةٍ قد بهظ الأولين باهظها

فأجابه الزبيدي وضمَّن الشعر الشاهد على ذلك :

أتاني كتابٌ من كريم مكرّمٍ فنفَّس عن نفسٍ تكاد تفيظُ

فسرَّ جميعَ الأولياءِ وروده | وسِيءَ رجالٌ آخرون وغيظوا
لقد حفظ العهدَ الذي قد أضاعه | لديَّ سواهُ والكريمُ حفيظ
وباحث عن « فاظت » وقبليَ قالها | رجالٌ لديهم في العلوم حظوظ
روى ذاك عن كيسانَ سهلٌ وأنشدوا | مقال أبي الغيّاظِ وهو مغيظ
«فلا حفظَ الرحمنُ روحك حيةً | ولا هي في الأرواح حين تفيظ»[1]

قال الحميدي قال لي أبو محمد : وقد يقال فاضت نفسه بالضاد ، ذكر ذلك يعقوب بن السكيت في « كتاب الألفاظ » له.

قال : وله وقد استأذن الحكم المستنصر في الرجوع إلى اشبيلية فلم يأذن له ، فكتب إلى جارية له هناك تدعى سلمى :

ويحكِ يا سلمَ لا تراعى | لا بد للبينِ من زماعِ
لا تحسبيني صبرتُ إلا | كصبرِ ميتٍ على النزاع
ما خلق الله من عذابٍ | أشدَّ من وقفة الوداع
ما بينها والحمام فرقٌ | لولا المناحاتُ والنواعي
إن يفترقْ شملنا وشيكاً | من بعد ما كان ذا اجتماع
فكلُّ شملٍ الى افتراقٍ | وكل شعبٍ إلى انصداع
وكلّ قربٍ إلى بعادٍ | وكل وصلٍ الى انقطاع

قال المؤلف : هذا آخر ما كتبنا من كتاب الحميدي وهو الذي وجدناه فيه من خبره.

- 1037 -

محمد بن الحسن المذحجي أبو عبد الله ، يعرف بابن الكتاني : ذكره

1037 - ترجمة ابن الكتاني في جذوة المقتبس : 45 (بغية الملتمس رقم : 81) وطبقات صاعد : 82 وعيون الانباء 2 : 45 والوافي 3 : 16 (2 : 348) والتكملة : 383 والذيل والتكملة 6 : 160 والذخيرة 1/3 : 112 ، 318 - 320 ومقدمة كتاب التشبيهات له.

(1) انظر اللسان (فيظ).

الحميدي في « تاريخ الأندلس » وقال : له مشاركة قوية في علم الأدب والشعر ، وله تقدم في علوم الطب والمنطق والكلام في الحكم ورسائل في كل ذلك وكتب معروفة ، مات بعد الأربعمائة ، وله « كتاب محمد وسعدى » مليح في معناه . ومن شعره :

ألا قد هجرنا الهجرَ واتصل الوصلُ ... وبانت ليالي البينِ واشتمل الشملُ
فسعدى نديمي والمدامةُ ريقها ... ووجنتها رَوْضي وَقُبْلَتها النقل

ومنه أيضاً :

نأيتُ عنكم بلا صبر ولا جَلَدِ ... وصحتُ واكبدي حتى مضت كبدي
أضحى الفراقُ رفيقاً لي يواصلني ... بالبعدِ والشجو والأحزانِ والكمد
وبالوجوه التي تبدو فأنشدها ... وقد وضعت على قلبي يدي بيدي
إذا رأيتُ وجوهَ الطير قلتُ لها ... لا بارك الله في الغربان والصُّرَدِ

ـ 1038 ـ

محمد بن الحسن الجبلي النحوي : ذكره الحميدي في « تاريخه » أيضاً ، وهو أديب شاعر كثير القول كان يقرأ عليه الأدب ؛ أنشدني لنفسه :

وما الإنس بالإنس الذي عهدتهمْ ... بأُنسٍ ولكن فَقْدُ أُنسهمُ أُنسُ
إذا سلمت نفسي وديني منهمُ ... فحسبيَ أن العرضَ مني لهم ترسُ

قال ابن ماكولا : قتل سنة خمس وأربعمائة ، وقال لي الحميدي : تركته حياً .

ـ 1039 ـ

محمد بن الحسن البرجي الأديب الأصفهاني : قال ابن منده : مات في محرم سنة ثمان وأربعين وأربعمائة .

1038 ـ ترجمة الجبلي في جذوة المقتبس: 47 (بغية الملتمس رقم: 85) والمحمدون: 211 وانباه الرواة 3 : 110 وبغية الوعاة 1 : 90 .

1039 ـ لم أجد له ترجمة .

ـ 1040 ـ

محمد بن الحسن بن محمد بن علي بن حمدون غرس الدولة أبو نصر المنشىء الأديب : من كتاب الانشاء ببغداد له ترسل وشعر ، توفي سنة خمس وأربعين وخمسمائة ، وهو أخو محمد بن الحسن صاحب التذكرة وذاك لقبه أبو المعالي وهذا لقبه أبو نصر . وكتب في الديوان في أوائل سنة ثلاث عشرة وخمسمائة إلى أن توفي . وكان منفرداً بالمهمات ، ولم يثبت رسائله لأنها كانت تنثال عليه انثيالاً ويكتبها ارتجالاً ، وله : كتاب رسائل . وتاريخ الحوادث .

ـ 1041 ـ

محمد بن الحسين بن محمد بن الحسين بن عبد الوارث ، أبو الحسين الفارسي النحوي ، ابن أخت أبي علي الفارسي : أخذ عن خاله علم العربية ، وطوَّف الآفاق ورجع إلى الوطن ، وكان خاله أوفده على الصاحب ابن عباد إلى جهة الري فارتضاه وأكرم مثواه ، ثم تقرب أبو الحسين ولقي الناس في انتقاله ، وورد خراسان ونزل بنيسابور دفعاتٍ وأملى بها من الأدب والنحو ما سارت به الركبان ، وآل أمره إلى أن وزر للأمير شاد غرسي ستان ثم اختصَّ بالأمير اسماعيل بن سبكتكين بغزنةَ ووزر

1040 ـ ذكره ياقوت في الترجمة رقم: 127 حين قال : « وبينه وبين محمد بن الحسن بن حمدون مكاتبات كتبناها في ترجمته » ؛ وفي ختام الجزء السادس من تجزئة مرغوليوث ، وعد أن ما يجيء في الجزء التالي هو ترجمة غرس الدولة ابن حمدون ، وهو مما استدركه مصطفى جواد ؛ وغرس الدولة أخو صاحب التذكرة وله ترجمة في ابن خلكان 4 : 382 والوافي 2 : 358 والفوطي 2/4 : 1161 ولقبه عنده « غرس الدين » . وما أثبته هنا منقول عن الوافي .

وكتب صاحب الأصل الموجود عندنا . تم المجلد الثالث من كتاب معجم أهل الأدب والحمد لله رب العالمين وصلاته على سيد المرسلين محمد النبي وآله الطاهرين وصحبه أجمعين . ويتلوه إن شاء الله تعالى في أول الرابع محمد بن الحسن بن محمد بن علي بن حمدون الملقب بغرس الدولة أبو نصر المنشىء صاحب الرسائل .

فرغ من نقله وما قبله من الأجزاء الفقير إلى عفو الله ومسامحته لؤلؤ بن عبد، عتيق السعيد الشهيد شرف الدين أبي الفضل محمد بن موسى بن جعفر بن محمد بن محمد بن أحمد بن محمد الطاوس العلوي الحسني في أواخر صفر ، ختم بالخير ، من سنة تسع وسبعين وستمائة هلالية ببغداد .

1041 ـ ترجمة أبي الحسين الفارسي في انباه الرواة 3 : 116 ونزهة الألباء: 235 والوافي 3 : 9 وبغية الوعاة 1 : 94 وأورد له الصفدي شعراً غير الذي ورد هنا .

له ، ثم عاد إلى نيسابور ، ثم توجه إلى مكة وجاور بها ، ثم عاد إلى غزنة ورجع إلى نيسابور ، ثم انتقل إلى اسفراين ، ثم استوطن جرجان إلى أن مات ، وقرأ عليه أهلها : منهم عبد القاهر الجرجاني ، وليس له أستاذ سواه . وللصاحب ابن عباد مكاتبات إليه مدونة ، وله تصانيفُ منها كتاب الهجاء . وكتاب الشعر، مات سنة احدى وعشرين وأربعمائة ، ومن شعره :

ولا غصنَ إلا ما حواه قَباؤُهُ ... ولا دِعْصَ إلا ما خَبَتْهُ مآزِرُهْ
وأمضى من السيفِ المنوطِ بخصرِهِ ... إذا شيم سيفٌ تنتضيه محاجره

- 1042 -

محمد بن الحسين بن محمد الطبري النحوي يعرف بابن نجدة : مشهور في أهل الأدب ، وله خطٌّ مرغوبٌ فيه قرأ على الفضل بن الحباب الجمحي أبي خليفة . ومن شعره :

شفاءُ العمى حُسْنُ السؤالِ وانما ... يطيلُ العمى طولُ السكوتِ على الجهلِ
فكنْ سائلاً عما عناك فانما ... خُلِقْتَ أخا عقلٍ لتسألَ بالعقلِ

- 1043 -

محمد بن حمد بن محمد بن عبد الله بن محمود بن فُوْرَّجَه - بضم الفاء وسكون الواو وتشديد الراء المفتوحة وفتح الجيم - البروجردي : أديبٌ فاضلٌ مصنّف ، له كتابُ الفتح على أبي الفتح ، والتجني على ابن جني ، يردّ فيه على أبي الفتح ابن جني في شرح شعر المتنبي ، ومولده في ذي الحجة سنة ثلاثين وثلاثمائة، كان موجوداً سنة خمس وخمسين وأربعمائة ومن شعره :

1042 - ترجمة ابن نجدة في الوافي 2: 376 وبغية الوعاة 1: 94 .

1043 - ترجمة ابن فورجة في تتمة اليتيمة 1: 123 والوافي 3: 24 والفوات 3: 344 وبغية الوعاة 1: 96 والبلغة: 74 وانباه الرواة 1: 334 (واسمه حمد بن محمد) وقد طبع له كتاب باسم الفتح على أبي الفتح تحقيق عبد الكريم الدجيلي (بغداد : 1974) .

أيهــا القــاتــلي بعينيــه رِفْقــاً إنــمــا يستحــقُّ ذا مَنْ قَــلاكَــا
أَكثــر الــلائمــون فيــكَ عتــابي أنــا والــلائمــون فيك فــداكــا
إن لي غيــرةً عليــكَ من آسمي إنــه دائــمــاً يــقــبّــلُ فــاكــا

- 1044 -

محمـد بن حيويـه بن المؤمل الـوكيل ، أبـو بكر بن أبي روضـة الكرجي النحـوي : روى عن إبـراهيم بـن الحسين ومحمـد بن المغيـرة السكـري من أهـل همذان ، وروى عنه كـامل بـن أحمـد النحوي وأبـو الحسن ابن الصباح وأبـو سعد عبد الرحمن بن محمد الادريسي السمرقندي الحافظ وقال : لا أعتمدُ عليه وقد تكلّموا فيه وليس عندهم بذاك ، وسئل عن سنه فقال : مائة واثنتا عشرة سنة ، ومات سنة ثلاث وسبعين وثلاثمائة .

- 1045 -

محمد بن خلصة أبو عبد الله الشذوني النحوي نزيل دانية : كان كفيفاً من كبار النحاةِ والشعراء ، أخذ عن ابن سيده وبرع في اللغة والنحو ، وشعره مدون ، توفي سنة سبعين وأربعمائة أو ما قبلها . . . ومن شعره :

تــغــرهم بــك والآمــالُ كــاذبــةٌ ما جمعوا لك من خيلٍ ومن خَوَلِ
وما يصمم عظماً كل ذي شُطَبٍ ولا يقومُ بخصلٍ كـلُّ ذي خصل
مكنت حزمك من حَيْزُومِ مكرهمُ وقـد تُصَـادُ أُسـودُ الغيـل بـالغيـل

1044 - ترجمة أبي بكر الكرجي في تاريخ بغداد 5 : 233 والوافي 3 : 34 (وجعل وفاته 374) وبغية الوعاة 1 : 99 .

1045 - ذكره الصفدي في الوافي 3 : 42 وقال إن ياقوتاً طوّل في ايراد ترسله وشعره في معجم الأدباء وأورد له مراسلات كتبها إلى وزراء الموصل ونقيبها ؛ وانظر بغية الوعاة 1 : 100 وترجمته في الذخيرة 1/3 : 322 وجذوة المقتبس : 51 (وبغية الملتمس رقم : 111) والتكملة : 395 ونكت الهميان : 248 والمسالك 11 : 45 ونفح الطيب 4 : 100 ، 156 والمغرب 2 : 393 والمحمدون : 309 والخريدة 2 : 92 وانباه الرواة 3 : 125 ؛ ولا بد من التمييز بين ابن خلصة هذا وبين ابن خلصة آخر اسمه محمد بن عبد الرحمن بن أحمد ووفاته سنة 521 (وما أوردته هنا من الوافي والجذوة) .

ومنه :

مَلكٌ إذا استبقتِ الأيامُ باقيةً ممن أبادته أو جادت بمعتقبِ
طوى الجناحَ على كسرٍ به حسداً كسرى وعاد أبا كَرْبٍ أبو كَرِبِ

ومنه :

بنفسي وقلَّت ظُعْنُهُمْ مستقلةً وللقلب إثر الواخدات بهم وَخْدُ
يحُفُّ سنا الأقمار فيهم سنا الظبا وشهد اللمى الماذيّ ماذية حَصْد
فمن غرب ثغر دونه غَرْبُ مرهفٍ ومن ورد خدّ دونه أَسَدٌ وَرْدُ

وذكر الحميدي أنه رآه بعد الأربعين بدانية ، وأورد له من شعره :

أمُدنَف نفسٍ ذو هَوىً أم جليدُها غداةَ غدَتْ في حَلْبة البَيْن غِيدُها
وقد كنَفَت منهنّ أكنافُ مَنْعِجٍ عباديدَ ساداتِ الرِّجال عَبيدُها
تبادرن أستارَ القبابِ كما بَدتْ بدُورٌ ولكنَّ البروجَ عقودُها
تخدُّ بألحاظ العيون خُدودَها وتَرهَب أن تنقدَّ ليناً قُدودها
فيا لدماء الأسد تسفكها الدُّمى وللصِّيدِ من عُفْر الظباءِ تَصيدُها
وفوق الحشايا كلُّ مُرهَفَة الحَشا حَشَتْ كبدي ناراً بطيئاً خُمودُها
تَحلُّ لِوَى خَبْتٍ وقلبي مَحَلُّها وتَخلبني غَدراً وقلبي وحيدها
لئن زعموا أنّي سَلَوْتُ لقد بدَتْ دلائلُ من شكوايَ عَدْلٌ شُهودُها
نحولٌ كرَقْراقِ السحابِ وعَبرةٌ كما انهملتْ غُرُّ السحابِ وسُودُها
تغيضُ وَلَوْعاتُ الفراق تُمِدُّها وتنقُصُ والشَّجوُ الأليم يَزيدُها
لِتفْدِكِ أكبادٌ ظماءٌ أجَفَّها هواكِ وأجفانٌ جفاها هُجودها
ومُهجةُ صَبٍّ لم تزلْ صبةً بها يدُ الوَجْد حتّى عاد عُدْماً وُجودُها
ضَنا جسدي إن كان يُرضِيك بُرْؤه وإتْلافُ نَفسي في هَواكِ خُلودُها
ولولا الهوى لم ترضَ نفسٌ نفيسةٌ هواناً ولكنْ حبُّ نفسٍ قؤودها

ـ 1046 ـ

محمد بن داود بن علي الظاهري ، الإمام ابن الإمام الأصفهاني البغدادي الفقيه الأديب صاحب « كتاب الزهرة » : من أذكياء العالم، جلس للفتيا وناظر ابن سريج . سئل عن حدّ السكر متى هو ومتى يكون الانسان سكران فقال : إذا عَزَبَتْ عنه الهمومُ وباح بسره المكتوم . حفظ القرآن وله سبع سنين .

وله : كتاب الانذار والاعذار . مختار الأشعار . الايجاز في الفقه . البراعة . الانتصار لأبيه من الناشىء المتكلم . الانتصار لأبيه من محمد بن جرير . التقصي في الفقه . الايجاز لم يكمل . الوصول إلى معرفة الأصول . اختلاف مسائل الصحابة . الفرائض . المناسك .

توفي في شهر رمضان سنة سبع وتسعين ومائتين وعمره اثنتان وأربعون سنة . كان يلقب بعصفور الشوك لنحافته وصفرة لونه .

قال محمد : ما انفككتُ من هوىً قط منذ دخلت الكتّاب . [وقال] : بدأت بعمل الزهرة وأنا في الكتاب ونظر أبي في أكثره .

ودخل يوماً على ثعلب النحوي فقال له ثعلب : اذكرك شيئاً من صبوتك ، فقال :

سقى اللّه أياماً لنا ولياليا ... لهن بأكتافِ الشباب ملاعبُ

إذ العيشُ غضٌّ والزمانُ بغرةٍ ... وشاهدُ أوقاتِ المحبين غائب

فبكى ثعلب .

وقال القاضي محمد بن يوسف بن يعقوب : كنت يوماً أساير أبا بكر ابن داود ، فسمع جاريةً تغنّي بشعره وتقول :

أشكو غليلَ فؤادٍ أنت متلفُهُ ... شكوى عليلٍ إلى إلفٍ يُعَلِّلُهُ

سقمي يزيدُ على الأيام كثرتُهُ ... وأنت في عُظْمِ ما ألقى تقلله

1046 ـ ترجمة ابن داود الظاهري في الفهرست: 272 وتاريخ بغداد 5: 256 والمنتظم 6: 93 وابن خلكان 4: 259 وسير الذهبي 13: 109 وعبر الذهبي 2: 108 والوافي 3: 58 والبداية والنهاية 11: 110 والشذرات 2: 226 وما أثبته هنا مأخوذ من الوافي وسير الذهبي (وكان المؤلف وعد بإيراد ترجمته).

اللّه حَرَّمَ قتلي في الهوى سفهـاً   وأنت يـا قـاتلي ظلمـاً تحـلّله

فقال : يا أبا عمر ، كيف السبيلُ إلى استرجاعِ مثلِ هـذا ؟ فقلت : هيهات سارت به الركبان .

ومن شعره :

أكرِّرُ في روض المحاسنِ نـاظري   وأمنـعُ نفسي أن تنـالَ المحـرمـا
رأيتُ الهوى دعوى من الناسِ كلِّهم   فمـا إن أرى حباً صحيحـاً مسلمـا

ومنه أيضاً :

وإني لأدري أن في الصبـر راحـةً   ولكنَّ إنفـاقي عـليَّ من الـصبـر
فلا تطفِ نارَ الشوقِ بالشوقِ طالباً   سلواً فـإن الجمـر يُسْعَـرُ بـالجمـر

وكان محمد يهوى فتىً حدثاً من أهل أصبهان يقال له محمد بن جامع ، ويقال ابن زخرف ، وكان طاهراً في عشقه عفيفاً ، وكان ابن جامع ينفق عليه ، ولم يُرَ معشوقٌ ينفق على عاشقٍ غيره ، ولم يزل في حبه حتى قتله .

دخل ابن جامع يوماً إلى الحمام وخرج فنظر في المرآة فأعجبه حسنه ، فغطى وجهه بمنديل وجاء إلى محمد بن داود وهو على تلك الحالة ، فقال : ما هذا : قال : نظرت في المرآة فأعجبني حسني فما أحببتُ أن يراه أحدٌ قبلك ، فغشي عليه .

دخل على ابن داود ابراهيم بن محمد نفطويه وقد ضني على فراشه فقال له : يا أبا بكر ما هذا مع القدرة والمحبوب مساعد ؟ فقال : أنا في آخر يومٍ من الدنيا ، لا أنالني الله شفاعةَ محمدٍ ﷺ إن كنتُ حللتُ سراويلي على حرام قطّ . حدثني أبي بإسناده إلى ابن عبـاس ، قال قال رسول الله ﷺ : من عشق فكتم وعفَّ فصبر ثم مات مات شهيداً وأدخله اللّه الجنة . . .

ولما مات جلس ابن سريج في عزائه وبكى ، وجلس على التراب وقال : ما آسى إلا على لسانٍ أَكَلَهُ الترابُ من أبي بكر . ويحكى أنه لما بلغته وفاته كان يكتب شيئاً ، فألقى الكـراسة من يـده وقال : مـات من كنت أحث نفسي وأجهدهـا على الاشتغال لمناظرته ومقاومته . . .

واجتمع محمد يوماً هو وابن سريج في مجلس الوزير ابن الجراح ، فتناظرا في

الإيلاءِ فقال له ابن سريج : أنت بقولك : من كثرت لحظاته دامت حسراته ، أبصرُ منك بالكلام في الإيلاء ، فقال له أبو بكر : لئن قلت ذلك فإني أقول :

انـزّهُ فـي روض المحـاسنِ مقلتي وأمنـع نفسي أن تنـال محـرمـا
وأحمـلُ من ثِقْـلِ الهـوى ما لـو آنـه يُصَبُّ على الصخـرِ الأصمِّ تـهـدمـا
وينطقُ طرفي عن مترجم خاطـري فلولا اختـلاسـي ردَّهُ لتـكـلمـا

فقال له ابن سريج : وبم تفتخر عليّ ، ولو شئتُ أنا أيضاً لقلت :

ومساهرٍ بالغنج من لحظاتِهِ قد بتُّ أمنعه لذيذَ سُباتِهِ
ضناً بحسنِ حديثه وعتابه واكـرِّرُ اللحظاتِ في وجناته
حتى إذا ما الصبح لاح عمودُهُ ولّى بخاتم ربه وبراته

فقال أبو بكر : يحفظ الوزير عليه ذلك ، حتى يقيم عليه شاهدي عدل أنه ولّى بخاتم ربه وبراته ، فقال ابن سريج : يلزمني في ذلك ما يلزمك في قولك : أُنَزّهُ في روض المحاسن مقلتي . . . فضحك الوزير وقال : لقد جمعتما ظرفاً ولطفاً وفهماً وعلماً .

[ووردت هذه الحكاية برواية أخرى]

قال أبو علي التنوخي : أخبرَنا أحمدُ بن عبد اللّه بن البَخْتَري الدَّاودي ، حدَّثني أبو الحَسن ابن المُغَلِّس الدَّاودي ، قال : كانَ مُحمدُ بن دَاود ، وابن سُريج إذا حَضَرا مجلس أبي عمر القاضي ، لم يجرِ بين اثنينِ فيما يَتَفاوضانه أحْسَن مما يجري بينهما ، فسأل أبا بكر عن العَوْدِ المُوجِبِ لكَفّارة الظِّهار ، فقال : إعادةُ القولِ ثانياً ، وهو مذهبه ، ومذهب أبيه ، فطالبه بالدليل ، فَشَرَعَ فيه ، فقال ابن سُريج : يا أبا بكر هذا قولُ منْ منَ المسْلمين [تقدمكم فيه] ؟ فغضِب أبو بكر ، وقال : أتظُنُّ أنَّ مَن اعتقدتَ قولهم إجماعاً في هذه المسألة عندي إجماع ؟ أحْسَنُ أحوالِهم أن أعدهم خلافاً [وهيهات أن يكونوا كذلك] . فغَضِبَ ابن سُرَيْج ، وقال : أنت بكتاب « الزّهرة » أمْهَرُ منكَ بهذه الطَّريقة ، قال : [وبكتاب « الزهرة » تعيرني ؟] والله ما تُحْسن تَسْتَتِمُّ قراءته قِراءَةَ من يَفْهم ، وإنه لمن أحَدِ المناقِبِ لي إذ أقولُ فيه :

أكرِّرُ في رَوْضِ المَحَاسِنِ مُقْلَتِي . . . الأبيات

فقال ابنُ سُرَيج : فأنا الذي أقول :

ومشاهدٍ بالغُنْج من لَحظَاتِه ... الأبيات

فقال أبو بكر : أيّد الله القاضي ، قد أخبرَ بحاله ، ثُمَّ ادعى البراءة مما توجبُه ، فَعَلَيْه البيِّنَة ، فقال ابن سُرَيْج : [مِن] مَذْهَبي أن المُقِرَّ إذا أقَرَّ إقْراراً ناطَه بِصفَةٍ ، كان إقرارُه موكولاً إلى صفته تلك .

ـ 1047 ـ

محمد بن زياد المعروف بابن الأعرابي ، أبو عبد الله : كان مولى لبني هاشم لأنه من موالي العباس بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب ، وكان أبوه زياد عبداً سندياً ، وكان من أكابر أئمة اللغة المشار إليهم في معرفتها ، نحوياً لم يكن للكوفيين أشبه برواية البصريين منه راوية لأشعار القبائل ناسباً ، وكان ربيباً للمفضل الضبي : سمع منه الدواوين وصححها ، وأخذ عن الكسائي « كتاب النوادر » وأخذ عن أبي معاوية الضرير والقاسم بن معن بن عبد الرحمن بن عبد الله بن مسعود القاضي ، وأخذ عنه إبراهيم الحربي وأبو عكرمة الضبي وأبو العباس أحمد بن يحيى ثعلب وابن السكيت ، وكانت طريقته طريقةَ الفقهاء والعلماء ، وكان أحفظَ الناسِ للغات والأيام والأنساب .

وقال أبو العباس ثعلب : قال لي ابن الأعرابي أمليتُ قبل أن تجيئني يا أحمد حِمْلَ جَمَلٍ .

وقال ثعلب : انتهى علم اللغة والحفظ إلى ابن الأعرابي . وكان يزعم أن الأصمعي وأبا عبيدة لا يحسنان قليلاً ولا كثيراً .

1047 ـ ترجمة ابن الأعرابي في مراتب النحويين : 149 والمعارف : 546 وتهذيب اللغة 1 : 20 وتاريخ أبي المحاسن : 205 وطبقات الزبيدي : 135 والفهرست : 75 ونور القبس : 302 وتاريخ بغداد 5 : 282 والأنساب 1 : 310 ونزهة الألباء : 150 وانباه الرواة 3 : 128 وابن خلكان 4 : 306 وسير الذهبي 10 : 687 وعبر الذهبي 1 : 409 والوافي 3 : 79 ومرآة الجنان 2 : 106 والبداية والنهاية 10 : 307 والنجوم الزاهرة 2 : 264 وبغية الوعاة 1 : 105 والشذرات 2 : 70 وروضات الجنات 7 : 270 وإشارة التعيين : 311 .

وقال ثعلب : سمعت ابن الأعرابي يقول في كلمة رواها الأصمعي : سمعت من ألف أعرابي خلافَ ما قاله الأصمعي .

وقال : شاهدت ابن الأعرابي وكان يحضر مجلسه زهاء مائة إنسان ، كل يسأله أو يقرأ عليه ويجيب من غير كتاب . قال : ولزمته بضع عشرة سنة ما رأيت بيده كتاباً قط ، وما أشك في أنه أملى على الناس ما يُحْمَلُ على أجمال ، ولم يُرَ أحد في علم الشعر واللغة أغزر منه .

وقال محمد بن الفضل الشعراني : كان للناس رؤساء : كان سفيان الثوري رأساً في الحديث ، وأبو حنيفة رأساً في القياس ، والكسائي رأساً في القرآن، فلم يبقَ الآن رأسٌ في فن من الفنون أكبر من ابن الأعرابي فإنه رأس في كلام العرب ، وكان ممن وسم بالتعليم فكان يأخذ كلَّ شهر ألفَ درهم فينفقها على أهله وإخوانه ، وتماسك في آخر أيامه بعد سوء حاله .

ويحكى أنه اجتمع أبو عبد الله الأعرابي وأبو زياد الكلابي على الجسر ببغداد ، فسأل أبو زياد ابن الأعرابي عن قول النابغة[1] :

على ظهر مبناة [جديد سيورها]

فقال : النطع ، بفتح النون وسكون الطاء ، فقال أبو زياد : النطع بكسر النون وفتح الطاء ، فقال أبو عبد الله : نعم ، وإنما أنكر أبو زياد النطع بفتح النون وسكون الطاء لأنها لم تكن لغته .

ورأى ابن الأعرابي في مجلسه يوماً رجلين يتحدثان فقال لأحدهما : من أين أنت ؟ فقال : من اسفيجاب وقال : للآخر من أين أنت ؟ فقال : من الأندلس ، فعجب من ذلك وأنشد :

رفيقان شتّى ألّفَ الدهرُ بيننا وقد يلتقي الشتّى فيأتلفانِ

ثم أملى على من حضر مجلسه بقية الأبيات الآتية[2] :

نزلنا على قيسيةٍ يمنيةٍ لها نَسبٌ في الصالحينِ هجانِ

(1) هذا صدر بيت ، وعجزه . يطوف بها وسط اللطيمة بائع (ديوانه : 31).

(2) الأبيات في جذوة المقتبس : 173 والذخيرة 1/4 : 126 .

فقالتْ وأرختْ جانبَ السترِ بيننا ... لأيــةِ أرضٍ أم مَنِ الــرجــلان
فقلتُ لهــا أمــا رفيقي فقــومُــهُ ... تميمٌ وأمــا أُســرتي فيمــانــي
رفيقــان شتَّى أَلَّفَ الـدهــرُ بيننـا ... وقــد يلتقي الشــتَّى فيــأتلفــان

وحكى عبيد الله بن عبد الله بن طاهر قال : اجتمع عندنا أبو نصر أحمد بن حاتم وابن الأعرابي ، فتجاذبا الحديث إلى أن حكى أبو نصر أن أبا الأسود دخل على عبيد الله بن زياد وعليه ثياب رثة فكساه ثياباً جدداً من غير أن يعرض له بسؤال ، فخرج وهو يقول[1] :

كســـاك ولم تستكسِهِ فحمــدتــه ... أخٌ لـكَ يعطيـكَ الجزيـلَ وناصرُ
فـإن أحقَّ الناسِ إن كنتَ مـادحـاً ... بمدحك من أعطاك والعرضُ وافـر

فأنشد أبو نصر قافية البيت الأول « وياصر » بالياء يريد و « يعطف » فقال له ابن الأعرابي : وناصر بالنون فقال : دعني يا هذا وياصري ، وعليك بناصرك .

وحدث الصولي قال : غني في مجلس الواثق بشعر الأخطل[2] :

وشاربٍ مربحٍ بالكاس نادمني ... لا بـالحَصُورِ ولا فيهـا بَسَـوَّارِ

فقيل بسوار وبسئّار ، فوجه إلى ابن الأعرابي وهو يومئذ بسرَّ من رأى فسئل عن ذلك فقال : بسوار يريد بوثاب ، أي لا يثب على ندمائه ، وبسئّار أي لا يفضل في القدح سؤره ، وقد رويا جميعاً ، فأمر له الواثق بعشرة آلاف درهم . وحكي عن ابن الأعرابي أنه روى قول الشاعر[3] :

ولا عيبَ فينـا غيـر عـرقٍ لمعشـرٍ ... كــرامٍ وأنـا لا نحطُّ على النمــل

نحطّ بحاء مهملة وقال : معناه أنا لا نحط على بيوت النمل لنصيب ما جمعوه ـ وهذا تصحيف ـ وإنما الرواية لا نخط على النمل واحدتها نملة ، وهي قرحة تخرج بالجنب تزعم المجوس أن ولد الرجل إذا كـان من أخته ثم خط على النملة شُفِيَ صاحبها ، ومعنى البيت إنا لسنا بمجوس ننكحُ الأخوات .

(1) ديوان أبي الأسود : 131 ـ 132 .
(2) ديوان الأخطل : 116 .
(3) ما يقع فيه التصحيف والتحريف : 157 .

وعن أبي عمران قال : كنت عند أبي أيوب أحمد بن محمد بن شجاع فبعث غلامه إلى أبي عبد الله ابن الأعرابي يسأله المجيء إليه ، فعاد إليه الغلام فقال : قد سألته ذلك فقال لي : عندي قومٌ من الأعراب فإذا قضيتُ أربي معهم أتيت ، قال الغلام : وما رأيتُ عنده أحداً إلا أني رأيتُ بين يديه كتباً ينظر فيها ، فينظر في هذا مرةً وفي هذا مرة ، ثم ما شعرنا حتى جاء ، فقال له أبو أيوب : إنه ما رأى عندك أحداً وقد قلتَ له إنا مع قوم من الأعراب فإذا قضيت أربي معهم أتيت ، فأنشد(1) :

لنا جلساءُ ما نملُّ حديثَهم ... ألبّاءُ مأمونون غيباً ومشهدا
يفيدوننا من علمهم علمَ ما مضى ... وعقلاً وتأديباً ورأياً مسدّدا
فلا فتنة نخشى ولا سوءَ عشرةٍ ... ولا نتقي منهم لساناً ولا يدا
فإن قلتَ أمواتٌ فما أنت كاذبٌ ... وإن قلتَ أحياءٌ فلستَ مفنّدا

وقال محمد بن حبيب : سألت أبا عبد الله ابن الأعرابي في مجلس واحد عن بضع عشرة مسألة من شعر الطرماح يقول في كلها لا أدري ، ولم أسمع ، أفأحدث لك برأيي ؟

وقال أبو العباس ثعلب : سمعت ابنَ الأعرابي يقول : من لا قَبولَ عليه فلا حياةَ لأدبه . وقال : ما رأيت قوماً أكذب على اللغة من قوم يزعمون أنَّ القرآن مخلوق .

واغتاب رجل عنده بعض العلماء فقال له : لو لم تقل فينا ما قلت عندنا فلا تجلسنَّ إلينا .

وله من التصانيف : كتاب النوادر وهو كبير . كتاب الأنواء . كتاب صفة النخل . كتاب صفة الزرع . كتاب الخيل . كتاب النبت والبقل . كتاب نسب الخيل . كتاب تاريخ القبائل . كتاب تفسير الأمثال . كتاب النبات . كتاب معاني الشعر . كتاب صفة الدرع . كتاب الألفاظ . كتاب نوادر الزبيريين . كتاب نوادر بني فقعس . كتاب الذباب ، وغير ذلك(2) .

قال أبو العباس ثعلب سمعت ابنَ الأعرابي يقول : ولدت في الليلة التي مات

(1) الأبيات في انباه الرواة : 129 ـ 130 وهي تتردد في مصادر كثيرة .
(2) نشر له كتاب البئر بتحقيق د . رمضان عبد التواب القاهرة : 1970 .

فيها أبو حنيفة . وقال أبو غالب علي بن النضر : توفي ابن الاعرابي سنة ثلاثين ومائتين وقيل سنة إحدى وثلاثين وقيل سنة اثنتين وثلاثين ومائتين ، وقد بلغ من العمر احدى وثمانين سنة وأربعة أشهر وثلاثة أيام ، وكانت وفاته في خلافة الواثق بن المعتصم وصلى عليه قاضي القضاة أحمد بن أبي دواد الإيادي .

ـ 1048 ـ

محمد بن زيد بن مسلمة ، أبو الحسن النحوي المعروف بابن أبي الشملين : لا أعرف من حاله الا ما قرأته في « كتاب أدب المريض والعائد » لأبي شجاع البسطامي قال: كتب محمد بن علي بن ميمون النرسي الحافظ بخطه وأذن لنا في روايته عنه ، أخبرنا محمد بن علي بن عبد الرحمن ، أنشدنا أبو الحسن محمد بن زيد بن مسلمة النحوي ، قال أنشدنا أبو علي الفارسي والسيرافي ، قالا أنشدنا أبو بكر السراج ، قال عدنا أبا الحسن ابن الرومي في مرضه فأنشدنا لنفسه[1] :

ولقد سئمتُ مآربي فكأنَّ أطيبَها خبيثُ
إلا الحديثَ فانه مثلُ اسمه أبداً حديثُ

[وقرأت بخط هلال بن المحسن وقد عدد مشايخه الذين رآهم وقرأ عليهم فقال : وأبو الحسن محمد بن زيد بن مسلمة المعروف بأبي الشملين][2] .

ـ 1049 ـ

محمد بن السري بن سهل ، أبو بكر ابن السراج البغدادي النحوي ، قال

1048 ـ ترجمة ابن أبي الشملين في الوافي 3 : 82 (وفيه ابن مسلم) وبغية الوعاة 1 : 107 .

1049 ـ ترجمة ابن السراج في الفهرست: 67 وطبقات الزبيدي: 112 وأخبار النحويين البصريين: 108 ومراتب النحويين 135 ونور القبس: 342 وتاريخ بغداد 5 : 319 وتاريخ أبي المحاسن: 40 ونزهة الألباء: 249 والمنتظم 6 : 220 وانباه الرواة 3 : 145 والمحمدون: 470 وابن خلكان 4 : 339 وعبر =

(1) ديوان ابن الرومي 1/397 .

(2) زيادة عن الصفدي وهو يصرح أنه ينقل من معجم الأدباء .

المرزباني : كان أحدث أصحاب أبي العباس المبرد ، مع ذكاء وفطنة ، قرأ عليه كتاب سيبويه ، ثم اشتغل بالموسيقى ، فسئل عن مسألة بحضرة الزجاج فأخطأ في جوابها فوبخه الزجاج وقال : مثلك يخطىءُ في مثلِ هذه المسألة ؟ والله لو كنت في منزلي لضربتك ولكنَّ المجلسَ لا يحتمل ذلك ، فقال : قد ضربتني يا أبا إسحاق ، وكان علم الموسيقى قد شغلني عن هذا الشأن . ثم رجع إلى كتاب سيبويه ونظر في دقائقه وعوَّل على مسائل الأخفش والكوفيين وخالف أصولَ البصريين في مسائل كثيرة ، ويقال : ما زال النحو مجنوناً حتى عقله ابنُ السراج بأصوله . وكان أحدَ العلماء المذكورين وأئمةِ النحوِ المشهورين ، واليه انتهت الرئاسة في النحو بعد المبرد . وأخذ عنه أبو القاسم عبد الرحمن بن إسحاق الزجاجي وأبو سعيد السيرافي وأبو علي الفارسي وعلي بن عيسى الرماني .

ويحكى انه اجتمع هو وأبو بكر ابن مجاهد وإسماعيل القاضي في بستان ، وكان فيه دولاب ، فعنَّ لهم أن يعبثوا بادارتها فلم يقدروا على ذلك ، فالتفت أحدهم وقال : اما تستحيون ، مقرىء البلد ونحويه وقاضيه لا يجيء منهم ثور .

وحكي[1] أن أبا بكر ابن السراج كان يهوى جارية فجفته ، فاتفق وصولُ الامام المكتفي في تلك الأيام من الرقّة ، فاجتمع الناسُ لرؤيته ، فلما شاهد أبو بكرٍ جمال المكتفي تذكَّر جمالَ معشوقته وجفاءها له ، فأنشد بحضرة أصحابه :

ميزتُ بين جمالها وفعالها ... فإذا الملاحةُ بالخيانةِ لا تفي
حلفتْ لنا أن لا تَخونَ عهودنا ... فكأنما حلفتْ لنا أن لا تفي
والله لا كلّمتها ولو آنها ... كالبدرِ أو كالشمسِ أو كالمكتفي

ثم إن أبا عبد الله محمد بن إسماعيل بن زنجي الكاتب أنشدها لأبي العباس ابن

= الذهبي 2 : 165 وسير الذهبي 14 : 483 والوافي 3 : 86 ومرآة الجنان 2 : 270 والبداية والنهاية 11 : 157 والبلغة : 222 والنجوم الزاهرة 3 : 222 وبغية الوعاة 1 : 109 والشذرات 2 : 273 وروضات الجنات 7 : 299 وإشارة التعيين : 313 .

(1) قارن بانباه الرواة 3 : 146 ـ 147 والوافي 3 : 86 ـ 87 .

الفرات وقال : هي لابن المعتز ، وأنشدها أبو العباس للقاسم بن عبيد الله الوزير ، فاجتمع الوزير بالمكتفي وأنشده أياها وقال للمكتفي : هي لعبيد اللّه بن عبد الله بن طاهر، فأمر له بألف دينار فوصلت إليه، فقال ابن زنجي ما أعجبَ هذه القصة: يعمل أبو بكر ابن السراج أبياتاً تكون سبباً لوصول الرزق إلى عبيد الله بن عبد الله بن طاهر.

قال أبو الفتح عبيد الله بن أحمد النحوي : توفي أبو بكر ابن السراج يوم الأحد لثلاثِ ليالٍ بقين من ذي الحجة سنة ست عشرة وثلاثمائة في خلافة المقتدر .

وله من المصنفات : كتاب الأصول ، وهو أحسنها وأكبرها وإليه المرجع عند اضطراب النقل واختلافه ، جمع فيه أصول علم العربية وأخذ مسائل سيبويه ورتبها أحسن ترتيب . وكتاب جمل الأصول ، وهو الأصول الصغير . وشرح كتاب سيبويه . والموجز[1] . كتاب الاشتقاق لم يتم . كتاب الرياح والهواء والنار . كتاب الشعر والشعراء . كتاب الجمل . كتاب احتجاج القراء . كتاب الخط . كتاب المواصلات والمذكرات . كتاب الهجاء ، وغير ذلك .

وحكى الرماني[2]: ذكر كتاب الأصول بحضرته فقال قائل: هو أحسن من « المقتضب » فقال أبو بكر : لا تقل هكذا ، وأنشد :

ولو قبلَ مبكاها بكيتُ صبابةً بِسُعْدَى شفيتُ النفسَ قبل التندمِ
ولكن بكتْ قبلي فهيَّجَ لي البكا بكاها فقلتُ الفضلُ للمتقدمِ

وقال أبو علي الفارسي : جئت لأسمع منه كتاب سيبويه وحملت إليه ما حملت ، فلما انتصف الكتاب عسر عليّ إتمامه ، فانقطعت عنه لتمكني من مسائله ، فقلت في نفسي بعد مدة : إذا عدت إلى فارس وسئلت عن إتمامه فان قلت : نعم كذبت ، وان قلت لا بطلت الرواية ، فدعتني الضرورة ان حملت إليه رزمة وأقبلت إليه ، فلما أبصرني من بعيد أنشد[3] .

(1) نشر بتحقيق الشويمي والدامرجي ، بيروت : 1965 .

(2) انباه الرواة 3 : 149 والوافي : 87 ـ 88 .

(3) البيتان لابراهيم الصولي ، انظر ديوانه : 146 (رقم : 66) مع اختلاف في الرواية ، وهما في ترجمته من هذا الكتاب رقم : 16 .

كم قـد تجرعتُ من غيظٍ ومن حَنَقٍ لكن تجـددُ وجـدي هـوَّنَ المـاضي
وكم غضبتُ ولم يلووا على غضبي فعـدتُ طوعـاً بقلبٍ سـاخطٍ راضي

ـ 1050 ـ

محمد بن سعدان الضرير ، أبو جعفر الكوفي النحوي المقرىء : ولد سنة احدى وستين ومائة ، وروى عن عبد الله بن إدريس وأبي معاوية الضرير ، وروى عنه محمد بن سعد كاتب الواقدي وعبد الله بن الإمام أحمد بن حنبل وابن المرزبان ، وكان ثقة ، وكان يقرأ بقراءة حمزة ثم اختار لنفسه ففسد عليه الأصلُ والفرع ، إلا أنه كان نحوياً .

وقال بعضهم : أخذ ابن سعدان القراءات عن أهل مكة والمدينة والشام والكوفة والبصرة ، ونظر في الاختلاف ، وكان ذا علم بالعربية وصنَّف كتاباً في النحو ، وكتاباً في القراءات .

قال ابن عرفة : مات يوم عيد الأضحى سنة احدى وثلاثين ومائتين، وكان ذلك في خلافة الواثق بن المعتصم . وله ولد يقال له إبراهيم من أهل العلم .

وقال الداني في « طبقات القراء » : أخذ القراءة عراضاً عن سليم بن عيسى عن حمزة وعن يحيى بن المبارك اليزيدي عن أبي محمد إسحاق بن محمد المسيبي عن نافع وعن معلى بن منصور عن أبي بكر ابن عاصم : وروى عنه القراءة محمد بن أحمد بن واصل ، وهو من أجلّ أصحابه وأثبتهم له .

ـ 1051 ـ

محمد بن سعد الرازي الكاتب الأوحد : لم يكن بعد ابن البواب من كتب الثلث والمحقق مثله، (قال ياقوت) : ورأيت جماعة يفضلونه على جماعة من الكتاب حتى قيل إنه كتب ذلك أصفى من ابن البواب .

1050 ـ ترجمة ابن سعدان في طبقات الزبيدي : 139 وتاريخ بغداد 5 : 324 والفهرست : 76 وانباه الرواة 3 : 140 وطبقات ابن الجزري 2 : 143 والوافي 3 : 92 وبغية الوعاة 1 : 111 وإشارة التعيين : 314 .

1051 ـ عن الصفدي 3 : 90 وينقل عن ياقوت (وهو من مستدركات مصطفى جواد ـ انظر الضائع : 144).

- 1052 -

محمد بن سعد بن محمد بن محمد بن محمد الدبياجي المروزي النحوي ابن النحوي ، أبو الفتح : (قال ياقوت) : شيخ جليل عالم حسن العشرة ، أخذ النحو عن أبيه ، ولقي الزمخشري وقرأ على تلميذه البقالي .

وله [المحصل في] شرح المفصل . شرح الأنموذج[1] . تهذيب مقدمة الأدب [للزمخشري] . القانون الصلاحي في أودية النواحي . فلك الأدب . منافع أعضاء الحيوان .

وكان ينظر في خزانة الكتب التي بالجامع الأكبر بمرو ؛ ومولده في المحرم سنة سبع عشرة وخمسمائة ، وعثر بعتبة بابه فسقط على وجهه ، ووهن عظمه وهناً أداه إلى الموت ، وذلك في يوم الأحد ثامن عشر صفر سنة تسع وستمائة .

[قال جمال الدين ابن القفطي ، قال لي ياقوت مولى عسكر الحموي : لما دخلت مرو حضرت الجامع فرأيت به خزانة كتب ، وقفاً يعرف بوقف الفقاعي ، وفيها كتب جميلة ، خازنها ختن هذا الرجل ، فذاكرته بتصنيفه فقال : قد كان صنف شرحاً للمفصل ، فطلبته منه ، فقال لي : لم يأت فيه بغريب ، ولم يتكلم على عبارة المصنف وأنما أتى بنفس النحو ، قال : فسألته أن يريني منه ، فأراني كراسة بخط المصنف من مسوداته . . .] .

- 1053 -

محمد بن سعد ويقال ابن سعيد الرباحي - بالباء الموحدة - أبو عبد الله الأعرج الطليطلي الخطيب النحوي اللغوي : أصله من قلعة رباح من أعمال طليطلة

1052 - عن بغية الوعاة 1 : 111 - 112 (وهو من مستدركات مصطفى جواد انظر الضائع : 145) وله ترجمة في الوافي 3 : 89 وعند ابن الدبيثي ، كما ذكره المنذري في التكملة (وفيات 609) وانظر انباه الرواة 3 : 139 .

1053 - ترجمة الرباحي في جذوة المقتبس : 54 (بغية الملتمس رقم : 129) .

(1) الصفدي : شرح أنموذج الزمخشري .

بالأندلس ، رحل إلى المشرق وسمع بمصر ابن الورد وابن السكن ، وحدث وأفاد ، مولده سنة تسع وثلاثمائة وتوفي في ربيع الآخر سنة أربع وثمانين وثلاثمائة .

- 1054 -

محمد بن سعيد أبو جعفر البصير الموصلي العروضي النحوي : كان أبو إسحاق الزجاج معجباً به ، وكان في النحو ذا قدم ثابتة ، اجتمع يوماً مع أبي علي الفارسي عند أبي بكر ابن شقير فقال لأبي علي : في أيّ شيء تنظر يا فتى ؟ فقال : في التصريف ، فجعل يلقي عليه من المسائل على مذهب البصريين والكوفيين حتى ضجر ، فهرب أبو علي منه إلى النوم وقال : إني أريد النوم ، فقال : هربت يا فتى ، فقال : نعم هربت .

وكان ذكياً فهماً له في الشعر رتبة عالية ، اماماً في استخراج المعمى والعروض ، قال له الزجاج يوماً ، وقد سأله عن أشياء من العروض : يا أبا جعفر لو رآك الخليل لفرح بك . قرأ عليه عبيد الله بن جعفر الأسدي النحوي وغيره .

- 1055 -

محمد بن سعيد بن يحيى بن علي بن الحجاج بن محمد بن الحجاج الحافظ الكبير المؤرخ أبو عبد الله ابن أبي المعالي الدبيثي (بضم الدال المهملة وفتح الباء الموحدة والياء آخر الحروف ساكنة والثاء المثلثة] ثم الواسطي الشافعي العدل: ولد في رجب سنة ثمان وخمسين وخمسمائة وسمع بواسط وقرأ الفقه والعربية ، ورحل إلى بغداد في حدود الثمانين ، وسمع من أبي شاتيل والقزاز وأبي العلاء ابن عقيل وخلق كثير ببغداد والحجاز والموصل ، وعلق الأصول والخلاف وعني بالحديث ورجاله ، وصنف تاريخاً كبيراً لواسط ، وذيل على الذيل للسمعاني . . . [توفي سنة

1054 - ترجمة أبي جعفر البصير الموصلي في الوافي 3 : 104 وبغية الوعاة 1 : 114 .

1055 - ترجمة ابن الدبيثي في الوافي 3 : 102 (وعنه نقلت ما أثبته هنا) وابن خلكان 4 : 394 وطبقات ابن الجزري 2 : 145 وطبقات السبكي 8 : 61 وسير الذهبي 23 : 68 وعبر الذهبي 5 : 154 والشذرات 5 : 581 وابن الشعار 7 : 129 وانظر مقدمة ذيل تاريخ مدينة السلام تحقيق الدكتور بشار عواد معروف .

سبع وثلاثين وستمائة] .

[وقال ياقوت في معجم الأدباء] : شيخنا الذي استفدنا منه وعنه أخذنا . قلت له : هل تنسبون إلى قبيلة من قبائل العرب ؟ فقال : الناس يقولون اننا من ولد الحجاج بن يوسف الثقفي وما عرفت أحداً من أهلنا يعرف ذلك . وتولى وقوف المدرسة النظامية سنة ستمائة ، ومن شعره :

تمكن مني في الفؤاد وحله ... وأضعف وجداً عقد صبري وحلَّهُ
وأيقن أني في هواه مدلَّهُ ... فعاد وأبدى بالغرام ودلَّهُ
بديع جمال فاق في الحسن أهله ... وسلَّط إعناتاً على القلب دلّهُ
وأسلمني للوجد حسنُ قوامه ... وطلَّ دمي في حبه وأحلَّهُ
وكنت طليقاً لا أخاف من الهوى ... فأسكن قلبي شوقه وأحلّهُ
إذا رمت عنه الصبر عزَّ تصبري ... وأنهل قلبي من هواه وعلّهُ
وان قلت كم ذا الوجد يا قلب فاتئد ... يقول مجيباً لي عساه وعلّهُ
فشكواي من وجدي به وبعاده ... وبلواي من صبري إذا ما استقلّهُ
وإني على الحالات منه لذو غنىً ... وشوق عظيم القدر قلبي استقلهُ
فمن مسعدي في الحب والحِبُّ ظالم ... ومن مرشد لي فيه قلباً أضلهُ
كأني إذا ما غاب عني شخصه ... من الوجد ذو حزنٍ بشيء أضلهُ

- 1056 -

محمد بن سلام بن عبد الله بن سالم الجمحي البصري أبو عبد الله : كان

1056 - ترجمة ابن سلام في الفهرست : 126 وتاريخ بغداد 5 : 327 ونزهة الألباء : 109 وانباه الرواة 3 : 143 ومراتب النحويين : 67 وطبقات الزبيدي : 197 وعبر الذهبي 1 : 409 وسير الذهبي 10 : 651 وميزان الاعتدال 3 : 567 والبداية والنهاية 10 : 308 والنجوم الزاهرة 2 : 260 والشذرات 2 : 71 والوافي 3 : 114 وبغية الوعاة 1 : 115 وطبقات المفسرين 2 : 151 وانظر مقدمة طبقات فحول الشعراء ص : 34 وما بعدها ؛ ومن كتبه التي لم يذكرها ياقوت : كتاب الفاضل في الأخبار ومحاسن الشعراء . كتاب نسب قريش وبيوتات العرب . الحلايب وإجراء الخيل .

من أعيان أهل الأدب ، وألف كتاباً في « طبقات الشعر » وله « غريب القرآن » وأخذ عن حماد بن سلمة ومبارك بن فضالة وجماعة ، وروى عنه الامام أحمد بن حنبل وابنه عبد الله وأبو العباس ثعلب وأحمد بن علي الابار .

قال أبو خليفة : ابيضت لحية محمد بن سلام ورأسه وله سبع وعشرون سنة .

وقال محمد بن أحمد بن يعقوب بن شبة : حدثنا جدي قال : كان محمد بن سلام له علم بالشعر والأخبار وهما من جملة علوم الأدب .

وقال الحسين بن فهم : قدم علينا محمد بن سلام سنة اثنتين وعشرين ومائتين فاعتلَّ علةً شديدة فما تخلَّف عنه أحد ، وأهدى له الأجلاء أطباءهم ، فكان ابن ماسويه من جملة من أهدي إليه ، فلما جسه ونظر إليه قال له : لا أرى بك من العلة ما أرى بك من الجزع ، فقال : والله ما ذاك على الدنيا مع اثنتين وسبعين سنة ، ولكنَّ الانسانَ في غفلةٍ حتى يوقَظَ بعلّة ، فقال ابن ماسويه : لا تجزعْ فقد رأيت في عرقك من الحرارة الغريزية ما إن سلمتَ من العوارض بلَّغك عشر سنين . قال ابن فهم . فوافق كلامُهُ قدراً ، فعاش محمد بن سلام بعد ذلك عشر سنين وتوفي سنة اثنتين وثلاثين ومائتين وكان ذلك في السنة التي مات فيها الواثق وبويع المتوكل بن المعتصم ، وقال موسى بن هارون : توفي سنة إحدى وثلاثين ومائتين .

ـ 1057 ـ

محمد بن سليمان البغدادي ابن قطرمش بن تركان شاه أبو نصر البغدادي المولد ، السمرقندي الأصل ، النحوي اللغوي الأديب : أحد أدباء عصرنا وأعيان أولي الفضل بمصرنا ، تجمعت فيه أشتات الفضائل ، وقد أخذ من كلِّ فنّ من العلم بنصيب وافر ، وهو من بيت الامارة ، وكانت له اليد الباسطةُ في حلِّ اقليدس وعلم الهندسة مع اختصاصه التام بالنحو واللغة وأخبار الأمم والأشعار . خلَّف له والده أموالاً كثيرة

1057 ـ ترجمته في الوافي 3 : 125 والفوات 3 : 369 وبغية الوعاة 1 : 115 وابن الشعار 6 : 161 والشذرات 5 : 93 (وكنيته أبو منصور وبعض المصادر تكتب اسم جده « قتلمش » ؛ وقد أورد له الصفدي مقطعات عديدة ، وقال : صنف كتاباً سماه التبر المسبوك والوشي المحبوك) .

فضيّعها في القمار واللعب بالنرد حتى احتاج إلى الوراقة فكان يورق بأجرةٍ بخطّه المليح الصحيح المعتبر ، فكتب كثيراً من الكتب ، حتى ذكر للإمام الناصر فولاه حاجب الحجاب ، فلم يزل بها إلى أن مات في ربيع الآخر سنة عشرين وستمائة ، ومولده في ربيع الأول سنة ثلاث وأربعين وخمسمائة . وله شعر رائق فمن ذلك :

لا والـذي سخّـر قلبي لهـا عبـداً كمـا سخّـر لي قلبَهـا
مـا فَرَحي في حبِّهـا غيـر أنْ زيَّنَ عنـدي هجـرُهـا قَلْبَهـا

ـ 1058 ـ

محمد بن سهل المرزبان الكرجي الأشل الجهارعتي ، أبو منصور ، ويلقب بالباحث عن معتاص العلم : هو من أهل الكرج ، وهو أحد البلغاء الفصحاء .(قال ياقوت في معجم الأدباء): لم تقع إلي وفاته ولا شيء من شأنه ، غير أني وجدت في كتابه « المنتهى في الكمال » أنشدني ابن طباطبا العلوي ، وابن طباطبا مات سنة اثنتين وعشرين وثلاثمائة .

قال محمد بن إسحاق ، قال لي من رآه إنه أشل اليد ، وله من الكتب المنتهى في الكمال يحوي على اثني عشر كتاباً وهي . مدح الأدب . كتاب صفة البلاغة . كتاب الدعاء والتحاميد . كتاب الشوق والفراق . كتاب الحنين إلى الأوطان . كتاب التهاني والتعازي . كتاب الأمل والمأمول . كتاب التنبيهات والطلب . كتاب الحمد والذم . كتاب الاعتذارات . كتاب الألفاظ . كتاب نفائس الحكم .

ـ 1059 ـ

محمد بن طويس القصري أبو الطيب : هو من النحويين المعتزلة ، أحد

1058 ـ ترجمة الكرجي الباحث في الوافي 3: 141 وعنه نقلت هنا (وهي من مستدركات مصطفى جواد ـ الضائع : 150) وانظر الفهرست : 152 .

1059 ـ ترجمة القصري في الوافي 3: 176 (وفيه : ابن طوس) وبغية الوعاة 1 : 122 وانباه الرواة 3: 154 (وفيه : ابن طوسي) .

تلاميذ أبي علي الفارسي، أملى عليه « المسائل القصريات » وبه سميت ، وأظنه من قصر ابن هبيرة من نواحي الكوفة ، وقرأت في « المفاوضة » انه لما كان حدثاً كان أبو علي الفارسي يتعشقه ويخصه بالطرف ويحرص على الاملاء عليه والالتفات إليه ، مات شاباً .

ـ 1060 ـ

محمد بن العباس أبو بكر الخوارزمي الشاعر المشهور : يقال له الطبرخزي لأنه كانت أمه من خوارزم وأبوه من طبرستان ، وكان ابن أخت محمد بن جرير الطبري[1] .

قال الحاكم في « تاريخه » كان أوحد عصره في حفظ اللغة والشعر ، وكان يذاكرني بالأسماء والكنى حتى يحيرني من حفظه . . . .

وقد أقام الخوارزمي بالشام مدة وسكن حلب وتوفي بنيسابور سنة ثلاث وثمانين وثلاثمائة . . . .

(قال ياقوت) : قرأت في آخر ديوانه له :

بآمل مولدي وبنو جرير فأخوالي ويحكي المرءُ خالَهْ

فها أنا رافضي عن تراثٍ وغيري رافضي عن كلالَهْ

. . . . . [وجرت بينه وبين البديع الهمذاني مناقضات ذكرها ياقوت في كتاب معجم الأدباء في ترجمتيهما] .

1060 ـ ترجمة الخوارزمي في اليتيمة 4 : 194 وتاريخ بغداد 3 : 119 وابن خلكان 4 : 400 واللباب (الطبرخزي) وتاريخ ابن الأثير 9 : 101 ورسائل البديع : 28 ـ 84 (مناظراتهما) والوافي 3 : 191 (وعنه نقلت هذه الترجمة) وبغية الوعاة 1 : 125 والشذرات 3 : 105 وله ذكر في أخلاق الوزيرين للتوحيدي ؛ وانظر سير الذهبي 16 : 526 (ولا بد أن تكون الترجمة في أصل ياقوت طويلة . . . ولكني رأيت الا أخلي موضعها هنا من بعض ما أورده ياقوت وانظر الضائع : 151) .

(1) هو طبري آخر غير المؤرخ ، اسمه محمد بن جرير بن رستم .

ـ 1061 ـ

محمد بن [عبد الله بن] حمدان الدلفي العجلي أبو الحسن النحوي ، من أصحاب أبي الحسن علي الرماني كان نحوياً فاضلاً بارعاً شرح ديوان المتنبي ، ومات بمصر سنة ستين وأربعمائة .

ـ 1062 ـ

محمد بن عبد الله أبو الحسن الوراق النحوي : مات سنة احدى وثمانين وثلاثمائة ؛ كان في طبقة أبي طالب العبدي ، وكان زوج بنت أبي سعيد السيرافي . وله شرح مختصر الجرمي الأكبر سمّاه « الفصول في نكت الأصول » . شرح مختصر الجرمي الأصغر سماه « الهداية » . كتاب العلل في النحو .

(قال ياقوت) : بلغني أن كتاب الفصول أملاه عليه أبو سعيد السيرافي فنسبه هو إلى نفسه .

ـ 1063 ـ

محمد بن عبد الله بن قادم أبو جعفر النحوي : كان حسَنَ النظرِ في علل النحو ، وكان يؤدب ولد سعيد بن قتيبة الباهلي ، وكان من أعيان أصحاب الفراء ، وأخذ عنه ثعلب .

حكي عنه قال[1] وجه إليّ إسحاق بن إبراهيم المصعبي يوماً فأحضرني ولم أدر

1061 ـ كان في الأصل : محمد بن حمدان ، (ولذلك استدركه مصطفى جواد لأنه عند الصفدي 3 : 329 محمد بن عبد الله بن حمدان . ونقل الصفدي عن ياقوت قوله : ووجدت في موضع آخر أبو الحسن علي بن حمدان الدلفي والله أعلم ؛وفي بغية الوعاة 1 :128 نقل ما ورد هنا دون زيادة (الضائع : 154) .

1062 ـ ترجمته في الوافي 3 : 329 وبغية الوعاة 1 : 129 (وزاد في نسبه بعد عبد الله : ابن العباس) ، وأثبت ما أورده الصفدي .(وانظر الضائع : 153) .

1063 ـ ترجمة ابن قادم في طبقات الزبيدي : 138 وانباه الرواة 3 : 156 (وكنيته هنالك أبو عبد الله ، وقيل اسمه أحمد) والوافي 3 : 295 وبغية الوعاة 1 : 140 وإشارة التعيين : 316 .

---

(1) القصة في إنباه الرواة 3 : 157 ـ 158 .

ما السبب ، فلما قربتُ من مجلسه تلقاني ميمون بن إبراهيم كاتبه على الرسائل وهو على غاية الهلع والجزع ، فقال لي بصوت خفي : إنه إسحاق ، ومرَّ غير متلبث حتى رجع إلى مجلس إسحاق ، فراعني ذلك ، فلما مثلت بين يديه قال لي : كيف يقال وهذا المال مال أو هذا المال مالاً ؟ قال : فعلمت ما أراد ميمون ، فقلت : الوجه مالٌ ويجوز مالاً ، فأقبل إسحاق على ميمون يغلّطه[1] وقال : الزم الوجهَ في كتبك ودعنا من يجوز ويجوز ، ورمى بكتابٍ كان في يده ، فسألت عن الخبر فإذا ميمون قد كتب إلى المأمون وهو ببلاد الروم عن إسحاق وذكر مالا حمله إليه : « وهذا المال مالاً » فخط المأمون على الموضع في الكتاب ووقع بخطه على الحاشية : تخاطبني بلحن ؟ فقامت القيامة على إسحاق ، فكان ميمون بعد ذلك يقول : لا أدري كيف [أشكر] ابن قادم ، أبقى على روحي ونعمتي .

وحكى عن أحمد بن إسحاق بن بهلول[2] انه دخل هو وأخوه بغداد ، فدار على الخلق يوم الجمعة ، فوقف على رجل يتلهّبُ ذكاءً ويجيب عن كلّ ما يُسأل عنه من مسائل الأدب والقرآن ، فقلنا : من هذا ؟ قالوا : ثعلب ، فبينا نحن كذلك إذ ورد شيخ يتوكأ على عصاً فقال لأهل الحلقة : أفرجوا للشيخ ، فأفرجوا له حتى جلس إلى جانبه ، ثم إن سائلاً سأل ثعلباً عن مسألة فقال : قال الرؤاسي فيها كذا ، وقال الكسائي كذا ، وقال الفراء كذا ، وقال هشام كذا ، وقلت أنا كذا ، فقال له الشيخ : لا أراني أعتقد فيها إلا جوابك فالحمد للّه الذي بلّغني فيك هذه المنزلة ، فقلنا : مَنْ هذا الشيخ ؟ فقيل أستاذه ابن قادم .

وكان ابن قادم[3] يعلم المعتز قبل الخلافة ، فلما ولي بعث إليه فقيل له : أجب أمير المؤمنين ، فقال : أليس هو ببغداد ـ يعني المستعين ـ فقالوا : لا وقد ولي المعتز ، وكان قد حقد عليه بطريق تأديبه له ، فخشي من بادرته ، فقال لعياله : عليكم السلام ، فخرج ولم يرجع إليهم وذلك في سنة احدى وخمسين ومائتين .

وله من الكتب الكافي في النحو. والمختصر فيه أيضاً. وكتاب غرائب الحديث.

(1) الانباه : بغلظة وفظاظة .

(2) قارن بالانباه 3 : 156 ـ 157 .

(3) الانباه 3 : 158 .

ـ 1064 ـ

محمد بن عبد الله بن محمد بن أبي الفضل أبو عبد الله المرسي السلمي شرف الدين ، الأديب النحوي المفسر المحدث الفقيه : أحد أدباء عصرنا ، أخذ من النحو والشعر بأوفر نصيب ، وضرب فيه بالسهم المصيب ، وخرج التخاريج ، وتكلم على « المفصل » للزمخشري وأخذ عليه عدة مواضع ، بلغني أنه سبعون موضعاً أقام على خطأها البرهان ، واستدل على سقمها ببيان . وله عدة تصانيف . خرج من بلاد المغرب سنة سبع وستمائة ، ودخل مصر وسار إلى الحجاز ودخل مع قافلة الحجاج إلى بغداد وأقام بها يسمع ويقرأ الفقه والخلاف والأصلين بالنظامية ، ورحل إلى خراسان ووصل إلى مرو الشاهجان وسمع بنيسابور وهراة ومرو ولقي المشايخ ، وعاد إلى بغداد ، وأقام بحلب ودمشق ، ورأيته بالموصل ، ثم حجَّ ورجع إلى دمشق ، ثم عاد إلى المدينة فأقام على الاقراء ، ثم انتقل إلى مصر وأنا بها سنة أربع وعشرين وستمائة ، ولزم النسك والعبادة والانقطاع .

أخبرني أن مولده بمرسية سنة سبعين وخمسمائة ، وانه قرأ القرآن على ابن غلبون وغيره ، والنحو على أبي الحسن علي بن يوسف بن شريك الداني والطيب بن محمد بن الطيب النحوي والشلوبيني وتاج الدين الكندي ، والأصول على إبراهيم بن دقماق والعميدي ، والخلاف على معين الدين الجاجرمي ، وسمع الحديث الكثير بواسط من ابن عبد السميع ، ومن ابن المانداني مشيخته ، وبهمذان من جماعة وبنيسابور « صحيح مسلم » من المؤيد الطوسي وجزءاً من ابن نجيد ومن منصور بن عبد المنعم الفراوي وأم المؤيد زينب بنت الشعري ، وبهراة من ابن روح الهروي ،

1064 ـ ترجمته في الوافي 3 : 354 وبغية الوعاة 1 : 144 ؛ ونقل الصفدي عن ياقوت قوله فيه : وكان عذري الهوى عامري الجوى له كل يوم حبيب ؛ وهذا لم يرد في الترجمة ؛ وأضاف الصفدي « وطوَّلَ ياقوت ترجمته واستوفاها » قلت : سقوط العبارة التي نقلها الصفدي ثم الحكم على الترجمة بأنها ليست طويلة ، كل ذلك يدلُّ على أن الترجمة قد لحقها حذف وإيجاز ، وانظر نفح الطيب 2 : 241 (وهو ينقل عن ابن النجار) وقد توفي سنة 655 في طريقه من مصر إلى الشام . وقال الصفدي : خلف كتباً عظيمة كانت مودعة بدمشق فرسم السلطان ببيعها ؛ وانظر أيضاً طبقات السبكي 10 : 125 إذ مرَّ ذكره عرضاً ، ووردت ترجمته في 8 : 69 ـ 72 وفي المقفى 6 : 121 .

وبمكة من الشريف يونس بن يحيى الهاشمي .

وكان نبيلاً ضريراً يحلّ بعض مشكلات اقليدس ، وحدث بكتاب « السنن الكبرى » للبيهقي عن منصور بن عبد المنعم الفراوي ، وبكتاب « غريب الحديث » للخطابي .

صنف الضوابط النحوية في علم العربية . والاملاء على المفصل . وتفسير القرآن سماه « ري الظمآن في تفسير القرآن » كبير جداً قصد فيه ارتباط الآي بعضها ببعض . وكتاباً في أصول الفقه والدين . وكتاباً في البديع والبلاغة . وله تفسير القرآن الأوسط عشرة أجزاء . وتفسير القرآن الصغير ثلاثة أجزاء . ومختصر صحيح مسلم . والكافي في النحو . وتعليق على الموطأ . وتعاليق أخرى .

وكان كثير الشيوخ والسماع ، وحدث بالكثير بمصر والشام والعراق والحجاز ، وكانت له كتب في البلاد التي يتنقل فيها بحيث لا يستصحبُ كتباً في سفره اكتفاءً بما له من الكتب في البلد الذي يسافر إليه ، وله النظم الرائق والنثر الفائق ، فمن شعره قوله :

من كان يرغبُ في النجاةِ فما له ... غيرُ اتّباع المصطفى فيما أتى
ذاك السبيلُ المستقيمُ وغيرُهُ ... سُبُلُ الغوايةِ والضلالةِ والردى
فاتبعْ كتابَ اللّه والسننَ التي ... صَحَّتْ فذاك إذا اتبعت هُوَ الهدى
ودعِ السؤالَ بكم وكيفَ فانه ... بابٌ يجرُّ ذوي البصيرة للعمى
الدينُ ما قال النبيُّ وصحبه ... والتابعون وَمَنْ مناهجَهُمْ قفا

وقال أيضاً :

قالوا فلانٌ قد أزالَ بهاءه ... ذاك العذارُ وكان بدرَ تمامِ
فأجبتهم بل زاد نورُ بهائِهِ ... ولذا تضاعفَ فيه فَرْطُ غرامي
استقصرتْ ألحاظُهُ فتكاتِها ... فأتى العذارُ يمدُّها بسهامِ

وقال :

قالوا محمد قد كبرتَ وقد أتى ... داعي المنون وما اهتممتَ بزادِ
قلتُ الكريم من القبيح لضيفِهِ ... عند القدومِ مجيئُهُ بالزادِ

ـ 1065 ـ

محمد بن عبد الله بن محمد بن موسى ، أبو عبد الله الكرماني النحوي الوراق : كان عالماً فاضلاً عارفاً بالنحو واللغة ، مليح الخطِّ صحيحَ النقل يورِّقُ بالأجرة . قرأ على ثعلب وخلط المذهبين ، وله من الكتب : الموجز في النحو . وكتاب آخر فيه لم يتم . والجامع في اللغة ، ذكر فيه ما أغفله الخليل في « العين » وما ذكر أنه مهمل وهو مستعمل وقد أهمل ، وكان بينه وبين ابن دريد مناقضة . مات سنة تسع وعشرين وثلاثمائة .

ـ 1066 ـ

محمد بن عبد الله أبو الخير الضرير المروزي النحوي : كان فقيهاً فاضلاً أديباً لغوياً نحوياً ، تفقه على القفال المروزي فبرع في الفقه ، واشتهر في النحو واللغة والأدب .

قال السمعاني : كان من أصحاب الرأي فصار من أصحاب الحديث بصحبة الامام أبي بكر القفال ، سمع الحديث منه ومن أبي نصر المحمودي[1] ، وروى عنه القاضي الحافظ أبو منصور السمعاني[2] ، وكان إذا دخل في داره يقرأ عليه الفقهاء الأدب ، والبابُ مردود ، فإذا اجتاز به القفال راكباً وسمع صوتَ حافر فرسه على الأرض قام إلى داخل الدار لئلا يسمع الصوتَ القفالُ تعظيماً للأستاذ . مات أبو الخير سنة ثلاث وعشرين وأربعمائة .

والمروزي هذا هو المعروف بالمسعودي عند الشافعية ، وقد يلقبونه بأبي

1065 ـ ترجمة أبي عبد الله الكرماني في الفهرست : 87 وطبقات الزبيدي : 121 وانباه الرواة 3 : 155 والوافي 3 : 329 وبغية الوعاة 1 : 144 .

1066 ـ ترجمته في ابن خلكان 4 : 213 والوافي 3 : 328 وبغية الوعاة 1 : 149 وطبقات السبكي 4 : 171 وطبقات ابن هداية الله : 137 .

(1) هو إسماعيل بن محمد المحمودي .

(2) هو محمد بن عبد الجبار السمعاني .

عبد الله ، وهو أحد ائمتهم ، معدود من أقران شيخه القفال ، وله شرح على « مختصر المزني »[1] عمدة في المذهب . ومن شعره :

تنافى المال والعقلُ فما بينهما شكلُ
هما كالوردِ والنرجسِ لا يحويهما فصلُ
فعقلٌ حيثُ لا مالٌ ومالٌ حيثُ لا عقلُ

ـ 1067 ـ

محمد بن عبد الله خطيب القلعة الفخرية ، أبو عبد الله المعروف بالخطيب الاسكافي : الأديب اللغوي صاحب التصانيف الحسنة ، أحد أصحاب ابن عباد الصاحب ، وكان من أهل أصبهان وخطيباً بالريّ .

قال ابن عباد : فاز بالعلم من أهل أصبهان ثلاثة : حائك وحلاج وإسكاف ، فالحائك أبو علي المرزوقي ، والحلاج أبو منصور [ابن] ماشدة ، والاسكاف أبو عبد اللّه الخطيب .

وصنف كتاب غلط كتاب العين . والغرة تتضمن شيئاً من غلط أهل الأدب . ومبادىء اللغة . وشواهد كتاب سيبويه . ونقد الشعر . ودرة التنزيل وغرة التأويل في الآيات المتشابهة . وكتاب لطف التدبير في سياسات الملوك[2] . وغير ذلك . توفي سنة عشرين وأربعمائة .

ـ 1068 ـ

محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن مسعود بن أحمد بن الحسين بن مسعود

1067 ـ ترجمة الخطيب الاسكافي في الوافي 3 : 337 وبغية الوعاة 1 : 149 .

1068 ـ ترجمة البنجديهي المسعودي في ابن خلكان 4 : 390 وانباه الرواة 3 : 166 والوافي 3 : 233 ومرآة الجنان 3 : 428 وبغية الوعاة 1 : 158 ومعجم البلدان (بنجديه) والشذرات 4 : 280 وعبر الذهبي 4 : 253 ولسان الميزان 5 : 256 وطبقات السبكي 6 : 123 والأنساب 4 : 243 .

(1) م : المازني .

(2) طبع بتحقيق أحمد عبد الباقي ، القاهرة 1964 .

المسعودي ، أبو سعيد البندهي : وكان يكتب بخطه البنجديهي ، اللغوي الفقيه الشافعي ، من أهل الفضل والأدب والدين والورع ، ورد بغداد ثم الشام وحصل له سوق نافقة وقبول تام عند صلاح الدين ابن أيوب ، وأقبلت عليه الدنيا فحصل كتباً لم تحصل لغيره ووقفها بخانقاه السميساطي ، وأكثرها من خزانة كتب حلب التي أباح له السلطان صلاح الدين أن يأخذ منها ما شاء ، وكان البنجديهي يعلم الملك الأفضل أبا الحسن علي بن صلاح الدين ، وحدث وأملى بالشام ، وصنف شرحاً لمقامات الحريري في خمس مجلدات متوسطة استوعب وأحسن فيها ما شاء ، وُلد في وقت الغروب ليلة الثلاثاء غرة ربيع الآخر سنة اثنتين وعشرين وخمسمائة ، ومات بدمشق في ليلة السبت التاسع والعشرين من شهر ربيع الأول سنة أربع وثمانين وخمسمائة ، وكان كثيراً ما يتمثل بهذه الأبيات :

قالتْ عهدتُكَ تبكي دماً حذارَ التنائي
فَلِمْ تَعوَّضْتَ عنا بعدَ الدماءِ بماءِ
فقلتُ ما ذاك منّي لسلوةٍ أو عسزاءِ
لكنْ دموعِيَ شابت من طولِ عُمْرِ بكائي

- 1069 -

محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن أحمد بن محمد بن جعفر أبو سعيد النيسابوري الكنجروذي الفقيه الأديب النحوي الطبيب الفارسي : شيخ مشهور ، أدرك الأسانيد العالية في الحديث والأدب ، وله شعر . توفي في صفر سنة ثلاث وخمسين وأربعمائة ، وكانت له يد في الطب والفروسية وأدب السلاح ، وحدث سنين وسمع منه خلق كثير ، وجرت بينه وبين أبي جعفر الزوزني البحاثي محاورات أدت إلى وحشة ، فرماه بأشياء .

1069 - ترجمة الكنجروذي سقطت من معجم الأدباء (وهي من مستدركات مصطفى جواد - الضائع : 154) وأحال المؤلف على كتابه هذا لدى ذكره جنزروذ في معجم البلدان . وراجع ترجمة الكنجروذي في الأنساب (المادة نفسها) وانباه الرواة 3 : 165 والوافي 3 : 231 وبغية الوعاة 1 : 157 والشذرات 3 : 292 (وما أثبته هنا عن الوافي) .

ـ 1070 ـ

محمد بن عبد الغفار الخزاعي : ذكر أبو الطيب عبد الواحد بن علي اللغوي أنه عمل كتاب الخيل ، فعزاه الناس إلى أبي عبيدة فهو اليوم بأيديهم ؛ (قال ياقوت في « معجم الأدباء ») : الصواب أن مؤلف كتاب الخيل هو عبد الغفار أبوه .

ـ 1071 ـ

محمد بن عبد الملك بن زهر بن عبد الملك بن محمد بن مروان بن زهر الأندلسي الاشبيلي أبو بكر : وُلد باشبيلية ونشأ بها وحفظ القرآن وسمع الحديث وأقبل على الأدب واللغة والعربية فبرع في ذلك كله ، وعانى الشعرَ فبلغ الاجادةَ فيه ، وكان يحفظُ شعر ذي الرمة ، وانفرد بالاجادة في نظم الموشحات التي فاق بها أهلُ المغرب على أهلِ المشرق ، ولازم عبدَ الملكِ الباجيَّ سبعَ سنين وقرأ عليه « المدونة » في مذهبِ مالك ، وأخذ صناعةَ الطبِّ عن أبيه أبي مروان عبد الملك ، وباشر أعمالها ففاق فيها أهل زمانه وخدم بها دولةَ الملثمين في آخر عهدهم ثم خدم بها دولة الموحدين بني عبد المؤمن ، ومات في أول دولة الناصر محمد . وكان حسنَ المعالجة جيدَ التدبير لا يماثله أحدٌ في ذلك ، وكان صحيحَ البنية قويَّ الأعضاء ، وبلغ الشيخوخة ولم يفقد قوةَ عضوٍ من أعضائه إلا ثقل في السمع اعتراه في أواخر عمره .

حكى أبو مروان محمد بن أحمد الباجي أن أبا بكر ابن زهر كان شديد البأس يجذب قوساً مائة وخمسين رطلاً بالاشبيلي ،وهو ست عشرة أوقية ، وكان يحسن اللعب بالشطرنج بارعاً فيه . وُلد سنة سبع وخمسمائة وتوفي بمراكش سنة خمس وتسعين وخمسمائة وقيل في أول سنة ست وتسعين ، ودفن بمقابر الشيوخ وقد ناهز التسعين .

1070 ـ ترجمة محمد بن عبد الغفار الخزاعي في الوافي 3 : 265 وفيه إحالة على ياقوت ، (وقد سقطت الترجمة منه وهي من مستدركات مصطفى جواد ـ الضائع : 156) ، وانظر مراتب النحويين : 86 .

1071 ـ ترجمة ابن زهر الحفيد في المطرب : 204 والتكملة : 555 والذيل والتكملة 6 : 398 وابن خلكان 4 : 434 والمغرب 1 : 266 وابن أبي أصيبعة 2 : 67 ونفح الطيب 2 : 247 وله موشحات في دار الطراز وجيش التوشيح : 196 ـ 212 .

ومن شعر الوزير أبي بكر ابن زهر قوله[1] :

إني نظرت إلى المرآة إذ جُليتْ ... فأنكرتْ مقلتاي كلَّ ما رأتا
رأيتُ فيها شييخاً لستُ أعرفه ... وكنتُ أعهده من قبل ذاك فتى
فقلت أين الذي بالأمس كان هنا ... متى ترحَّلَ عن هذا المكان متى
فاستجهلتني وقالت لي وما نطقتْ ... قد كان ذاك وهذا بعدَ ذاك أتى
كان الغواني يقلن يا أخي ولقد ... صار الغواني يقلن اليومَ يا أبتا

وقال في كتاب « حيلة البرء » لجالينوس وأجاد[2] :

حيلةُ البرء صُنِّفَتْ لعليلٍ ... يترجَّىَ الحياةَ أو لعليلَهْ
فإذا جاءتِ المنيةُ قالت ... حيلةُ البرءِ ليس في البرءِ حيله

ومن موشحاته قوله[3] :

أيها الشاكي إليكَ المشتكَى ... قد دعوناكَ وإن لم تسمعِ
ونديمٍ همتُ في غُرَّتهِ
وشربتُ الراحَ من راحته
كلما استيقظ من سكرته
جذب الزقَّ إليه واتكا ... وسقاني أربعاً في أربعِ
غصن بانٍ [مال] من حيثُ استوى
بات من يهواه من فرط الجوى
خَفِقَ الأحشاءِ موهونَ القوى
كلما فكَّر في البين بكى ... ماله يبكي لما لم يقعِ

(1) الأبيات في ابن خلكان وابن أبي أصيبعة والنفح .
(2) وردا عند ابن خلكان والنفح .
(3) ورد هذا الموشح في دار الطراز والمغرب وابن أبي أصيبعة وجيش التوشيح وتوشيع التوشيح ، مع بعض اختلافات في الرواية .

ليس لي صبرٌ ولا لي جَلَدُ
يا لَقَومي هجروا واجتهدوا
أنكروا شكوايَ مما أُجِد
مثل حالي[1] حقه أن يشتكى كمد اليأسِ وذلّ الطمع
ما لعيني عَشِيتْ بالنظرِ
أنكرتْ بعدك ضوءَ القمر
واذا ما شئتَ فاسمع خبري
قَرِحَتْ[2] عينيَ من طول البكا وبكى بعضي على بعضي معي
كبدٌ حرَّى ودمعٌ يَكِفُ
يعرفُ الذنبَ ولا يعترف
أيها المعرضُ عما أَصِفُ
قد نَمى حُبُّكَ عندي وزكا لا يظنّ الحبَّ أني مدعى

ومن موشحاته أيضاً[3] :

شاب مسكُ الليل كافورَ الصباحْ ووشتْ بالروضِ أعرافُ الرياحْ
فاسقنيها قبل نورِ الفلقِ
وغناءِ الوُرْقِ بين الوَرَقِ
كاحمرارِ الشمس عند الشفق
نسج المزجُ عليها حين لاح فلكَ اللهو وشمسَ الإصطباح
وغزالٍ سامني بالملقِ
وَبَرَى جسمي وأذكى حُرَقي
أهيفٌ مذ سَلَّ سيفَ الحدق

(1) م : إن مثلي .
(2) في رواية : عشيت .
(3) نفح الطيب 2 : 252 ولم يقطع بأنه لابن زهر ، وهناك بعض اختلافات في الرواية .

قَصَّرتْ عنه مشاهيرُ الصفاح وانثنت بالذعرِ أغصانُ الرماح

صار بالذلِّ فؤادي كلفا
وجفوني ساهراتٍ وطفا
كلما قلتُ جوى الحبِّ انطفا

أمرض القلب بأجفانٍ صحاح وسبى العقلَ بجدٍّ ومزاح

يوسفيّ الحسنِ عذبُ المبتسمْ
قمريُّ الوجه ليليُّ اللمم
عنتريُّ البأس عَبْسِيُّ الهمم

غُصُنيُّ القدِّ مهضومُ الوشاح مادِريُّ الوصلِ طائيُّ السماح

قدَّ بالقد فؤادي هَيَفا
وسبى عقليَ لما انعطفا
ليته بالوصلِ أحيا دنفا

مستطارَ العقلِ مقصوصَ الجناح ما عليه في هواه من جُناح

يا عليّ أنت نورُ المقلِ
جُدْ بوصلٍ منك لي يا أملي
كم أغنيك إذا ما لحت لي

«طرقتْ والليلُ ممدودُ الجناحْ مرحباً بالشمسِ من غيرِ صباحْ»

وقال أيضاً:

للَّه ما صنع الغرامُ بقلبهِ أودى به لما ألمَّ بلبِّهِ
لبَّاه لما أن دعاه وهكذا من يَدْعُهُ داعي الغرام يُلَبِّهِ
بأبي الذي لا يستطيعُ لعُجْبِهِ ردَّ السلام وإن شككت فَعُجْ به
ظبيٌ من الأعراب ما ترك الضنا في لحظه من سلوةٍ لمحبه
إن كنتَ تنكر ما جنى بلحاظِهِ في سلبه يوم الغُوَيْرِ فسلْ به

أو شئتَ أن تلقى غـزالاً أغيـداً   في سِـرْبِهِ أسـدَ العرينِ فَسِـرْ بـه
يـا مـا أُمَيْلَحَـهُ وأعـذبَ ريقَـه   وأعـزَّه وأذلَّـنـي فـي حـبـه
بـل مـا أُلَيْـطِفَ وردةً في خـده   وأرقَّـهـا وأشـدَّ قسـوةَ قـلبـه
كم من خِمـارٍ دون خمـرةِ ريقـه   وعـذابِ قلبٍ دون رائقِ عـذبـه
نـادى بنفسجُ عـارِضَيْهِ وقـد بـدا   يـا عـاشقينَ تمتعـوا من قـربـه

وقال أيضاً[1] :

مـا زلتُ أسقيهم وأشربُ فضلهم   حتى سكـرتُ ونـالهم مـا نـالني
والخمـرُ تعلم حين تأخـذ ثارهـا   أني أملتُ إنـاءهـا فـأمـالـني

وقال أيضاً وأوصى أن يكتبَ على قبره :

تـأمـلْ بـحـقـك يـا واقـفـاً   ولاحظْ مـكـانـاً دُفِعْتُ إليـهْ
فـانـيَ حَـذَّرْتُ مـنـه الأنـامَ   وها أنا قـد صرتُ رهنـاً لديـهْ[2]

ـ 1072 ـ

محمد بن عبد الملك أبو عبد الله الكلثومي النحوي : من الفضلاء الكبراء ، علامة في الاعراب واللغة والحساب ومعرفة الأيام والانساب والنجوم ، دخل خوارزم مع عدة من الأدباء والشعراء حين ضاق بهم الحال بخراسان وأنشد بها :

تقـولُ سعـادُ مـا تغرَّد طـائرٌ   علـى فَنَـنٍ إلا وأنـت كئـيـبُ
«أجـارتنـا إنـا غـريبـان هـا هنـا   وكـلُّ غـريبٍ للغـريب نسيب»
أجـارتنـا إنَّ الغـريبَ وان غـدتْ   عليه غوادي الصـالحاتِ غـريب
أجـارتنا من يغتـربْ يلقَ لـلأذى   نـوائبَ تُقْـذي عينَـهُ فيشـيب

1072 ـ ترجمة الكلثومي في الوافي 4 : 36 وبغية الوعاة 1 : 163 .

(1) الشعر في المطرب وابن خلكان والنفح .
(2) تقع بعد هذا ترجمة محمد بن عبد الملك التاريخي ، إذ وعد المؤلف بإيرادها .

يحنُّ إلى أوطانه وفؤادُهُ	له بين أحناءِ الضلوع وجيب
سقى اللّه ربعاً بالعراق فإنه	إليَّ وان فارقتُهُ لحبيب
أحنُّ إليه من خراسانَ نازعاً	وهيهاتِ لو أنَّ المزارَ قريب
وإن حنيناً من خوارزم ينتهي	إلى مُنْتَهى أرضِ العراقِ عجيب

ـ 1073 ـ

محمد بن عبد الواحد بن أبي هاشم ، أبو عمر الزاهد المطرز الباوردي : غلام ثعلب اللغوي من أئمة اللغة وأكابر أهلها وأحفظهم لها ، قال أبو علي بن أبي علي التنوخي عن أبيه : ومن الرواة الذين لم يُرَ قطُّ أحفظَ منهم أبو عمر الزاهد محمد بن عبد الواحد المعروف بغلام ثعلب ، أملى من حفظه ثلاثين ألف ورقة في اللغة فيما بلغني ، وكان لسعة حفظه يَطْعَنُ عليه بعضُ أهلِ الأدب ولا يوثقونه في علم اللغة ، حتى قال عبيد اللّه بن أبي الفتح[1] : لو طائر طار في الجو لقال أبو عمر الزاهد حدثنا ثعلب عن ابن الأعرابي ، ويذكر في معنى ذلك شيئاً ، وكان المحدثون يوثقونه.

قال الخطيب البغدادي[2] : رأيت جميع شيوخنا يوثقونه ويصدقونه ، وكان يُسْأَلُ عن الشيء فيجيبُ عنه ، ثم يسأل عنه بعد سنة فيجيب بذلك الجواب . ويروى أن جماعةً من أهل بغداد اجتازوا على قنطرة الصراة وتذاكروا ما يُرْمَى به من الكذب فقال أحدهم : أنا أصحّف له القنطرة وأسأله عن معناها فننظر ما يجيب ، فلما دخلوا عليه قال له الرجل : أيها الشيخ ما الهرطنق عند العرب ؟ فقال : كذا وكذا ، وذكر شيئاً ،

1073 ـ ترجمة أبي عمر الزاهد في طبقات الزبيدي : 229 والفهرست : 82 وتاريخ بغداد 2 : 356 وطبقات الحنابلة 2 : 67 ونزهة الالباء : 190 والمنتظم 6 : 380 وانباه الرواة 3 : 171 وابن خلكان 4 : 329 وتذكرة الحفاظ : 873 وعبر الذهبي 2 : 268 وسير الذهبي 15 : 508 والوافي 4 : 72 ومرآة الجنان 2 : 337 وطبقات السبكي 3 : 189 والبداية والنهاية 11 : 230 ولسان الميزان 5 : 268 وبغية الوعاة 1 : 164 والشذرات 2 : 370 وإشارة التعيين : 326 .

(1) تاريخ بغداد 2 : 357 .
(2) المصدر نفسه .

فتضاحك الجماعة وانصرفوا ، فلما كان بعد شهر أرسلوا اليه شخصاً آخر فسأله عن الهرطنق فقال : أليس قد سُئِلْتُ عن هذه المسألة منذ كذا وكذا ؟ ثم قال : هو كذا وكذا كما أجاب أولاً ، قال القوم : فما ندري من أيّ الأمرين نعجب ، من حفظه إن كان علماً ، أم من ذكائه إن كان كذباً ، فإن كان علماً فهو اتساع عجيب ، وإن كان كذباً فكيف تناول ذكاؤه المسألة وتذكر الوقت بعد أن مرَّ عليه زمان فأجاب بذلك الجواب بعينه ؟ .

وحكي أن[1] معز الدولة بن بويه قلد شرطة بغداد غلاماً تركياً من مماليكه اسمه خواجا فبلغ ذلك أبا عمر الزاهد وكان يملي كتابه « اليواقيت » في اللغة فقال للجماعة في مجلس الاملاء : اكتبوا ياقوتة خواجا ، الخواج في أصل اللغة الجوع ، ثم فرَّع على هذا باباً وأملاه عليهم فاستعظموا كذبه وتتبعوه ، فقال أبو علي الحاتمي ـ وكان من أصحابه ـ أخرجنا في « أمالي » الحامض عن ثعلب عن ابن الأعرابي الخواج الجوع .

وحكى[2] رئيس الرؤساء أبو القاسم علي بن الحسن عن من حدثه أن أبا عمر الزاهد كان يؤدب ولد القاضي أبي عمر محمد بن يوسف ، فأملى على الغلام نحواً من ثلاثين مسألة في النحو ذكر غريبها وختمها ببيتين من الشعر ، وحضر أبو بكر ابن دريد وأبو بكر الأنباري وأبو بكر ابن مقسم العطار المقرىء عند القاضي أبي عمر ، فعرض عليهم تلك المسائل فما عرفوا منها شيئاً ، وأنكروا الشعر ، فقال لهم القاضي : ما تقولون فيها ؟ فقال ابن الأنباري : أنا مشغول بتصنيف « مشكل القرآن » ولستُ أقول شيئاً ، وقال ابن مقسم مثل ذلك واعتذر باشتغاله بالقراءات ، وقال ابن دريد : هذه المسائل من موضوعات أبي عمر الزاهد ، ولا أصل لشيء منها في اللغة ، وانصرفوا ، فبلغ ذلك أبا عمر فاجتمع بالقاضي وسأله إحضار دواوين جماعة من قدماء الشعراء عيَّنهم ، ففتح القاضي خزانته وأخرج له تلك الدواوين ، فلم يزل أبو عمر الزاهد يعمد إلى كلِّ مسألة منها ويخرجُ لها شاهداً من تلك الدواوين ويعرضُهُ على القاضي حتى استوفى جميع المسائل ، ثم قال : وهذان البيتان أنشدهما ثعلب بحضرة القاضي

(1) النقل مستمر عن تاريخ بغداد .
(2) عن تاريخ بغداد : 358 .

وكتبهما القاضي بخطه على ظهر الكتاب كما ذكر أبو عمر ، وانتهت القصة إلى ابن دريد فلم يذكر أبا عمر الزاهد بلفظة إلى أن مات .

وقال رئيس الرؤساء أيضاً[1] : رأيت أشياء كثيرةً مما أنكر على أبي عمر ونسب فيها إلى الكذب فوجدتها مدونةً في كتب اللغة وخاصة في « الغريب المصنف » لأبي عبيد .

وقال أبو القاسم عبد الواحد بن علي بن برهان الأسدي[2] : لم يتكلم في اللغة أحد من الأولين والآخرين بأحسنَ من كلام أبي عمر الزاهد ، أخذ أبو عمر عن أبي العباسِ ثعلب وصحبه زماناً طويلاً فنسب إليه وعرف بغلام ثعلب ، وأخذ عنه أبو علي الحاتمي الأديب الكاتب اللغوي وأبو القاسم ابن برهان وغيرهما ، وروى عنه أبو الحسن محمد بن رزقويه وأبو علي ابن شاذان وغيرهما .

وقال أبو الحسن المرزبان[3] : كان إبراهيم بن أيوب بن ماسي ينفذ إلى أبي عمر الزاهد كفايته وقتاً بوقت ، فقطع ذلك عنه مدة لعذر ، ثم أنفذ إليه جملةَ ما كان انقطع عنه وكتب إليه رقعةً يعتذرُ بها من تأخيرِ رسمه ، فردَّه ، وأمر بعضَ من كان عنده من أصحابه أن يكتب له على ظهر رقعته :

أكرمتنا فملكتنا وتركتنا فأرحتنا

وكانت صناعة أبي عمر الزاهد التطريز فنسب إليها ، وكان جماعة من الأشراف والكتاب يحضرون مجلسه للسماع منه ، وكان قد جمع جزءاً في فضائل معاوية ، فكان لا يمكّن أحداً من السماع منه حتى يبتدىء بقراءة ذلك الجزء .

وعن محمد بن العباس بن الفرات قال : كان مولد أبي عمر الزاهد سنة إحدى وستين ومائتين ، وقال الخطيب البغدادي[4] : توفي يوم الأحد لثلاث عشرة ليلة خلت من ذي القعدة سنة خمس وأربعين وثلاثمائة وذلك في خلافة المطيع لله ، ودفن يوم الاثنين في الصُفّة التي تقابلُ قبرَ معروف الكرخي ، وبينهما عرض الطريق . وعن أبي

(1) النقل عن تاريخ بغداد مستمر .
(2) انظر المصدر السابق .
(3) تاريخ بغداد 2 : 356 .
(4) تاريخ بغداد : 359 .

الحسن بن رزقويه توفي سنة أربع وأربعين وثلاثمائة والصحيح الأول .

ولأبي عمر من الكتب : شرح الفصيح لثعلب . وفائت الفصيح جزء لطيف . واليواقيت في اللغة . والمرجان في اللغة . والكتاب الحضري في الكلمات . وغريب الحديث صنفه على مسند أحمد بن حنبل . وكتاب المكنون والمكتوم . وفائت المستحسن . وكتاب ما أنكره الأعراب على أبي عبيدة فيما رواه . والموشح . والسريع . والتفاحة . وفائت الجمهرة . وفائت العين . وتفسير أسماء القراء . والمداخل في اللغة . وحل المداخل . والنوادر . وكتاب العشرات . وكتاب البيوع . وكتاب الشورى . والمستحسن في اللغة . وكتاب القبائل . وكتاب يوم وليلة . وكتاب الساعات . وغير ذلك[1] .

وأملى في آخر كتابه « اليواقيت » في اللغة قوله :

لما فرغنا من نِظام الجوهرَهْ ... أعورتِ العينُ وَفُضَّ الجمهره

ووقف الفصيح عند القنطره

وعن أبي علي الحاتمي[2] أنه اعتل فتأخر عن مجلس أبي عمر ، فسأل عنه فقيل إنه كان عليلاً ، فجاءه من الغد يعوده ، فاتفق أنه كان قد خرج إلى الحمام فكتب على باب داره بالاسفيداج :

وأعجبُ شيء سمعنا به ... عليلٌ يعادُ فلا يوجَدُ

قال : وهو من شعره .

وحدث عباس بن محمد الكلوذاني قال : سمعت أبا عمر الزاهد يقول : ترك قضاء حقوق الاخوان مذلة وفي قضائها رفعة ، فاحمدوا الله تعالى على ذلك وسارعوا في قضاء حوائجهم ومسارّهم تكافأوا عليه .

وحكى أبو الفتح عبيد الله بن أحمد النحوي قال : أنشد أبو العباس اليشكري في مجلس أبي عمر الزاهد يمدحه[3] :

(1) نشر له د. يحيى جبر: العشرات في اللغة عمان: 1984 .
(2) تاريخ بغداد 2 : 356 .
(3) تاريخ بغداد 2 : 359 .

أبـو عمرٍ يسمـو من العلم مـرتقىً ... يـزلُّ مُسَـامِيــهِ وَيَـرْدَى مُـطَاوِلُـهْ
ولـو أنني أقسمتُ مـا كنتُ حـانثـاً ... بـأنْ لـم يرَ الـراؤون حبـراً يعـادلـه
هو الشختُ جسماً والسمينُ فضيلةً ... فـأعجبْ بمهزولٍ سمـانٍ فضـائله
تـدفَّقَ بحـراً بـالمسـائـل زاخـراً ... تغيبُ على من لـجَّ فيـه سـواحله
إذا قلتُ شـارفنـا أواخـر علمـه ... تفجَّـر حـتى قـلتُ هــذي أوائله

ـ 1074 ـ

محمد بن عبيد الله بن الحسن بن الحسين ابن أبي البقـاء البصري قـاضي البصرة ، أبو الفرج النحوي : قدم بغداد وواسط وقرأ الأدب على أبي غالب ابن بشران وغيره ، والفقهَ على القاضي أبي الطيب والشيخ أبي إسحاق الشيرازي والماوردي ، وسمع بالأهواز من الحسين الخوزي وبالبصرة من الفضل القصباني وعبيد الله الرقي والحسن بن رجاء بن الدهان النحويين ، وروى عن الماوردي كتبه كلها، وكان حافظاً للفقه حسن المذاكرة كثير القراءة متحشماً عن السلاطين .

وله تصانيف حسان منها : مقدمة في النحو . كتاب المتقعرين . توفي في تاسع عشر المحرم سنة تسع وتسعين وأربعمائة، وسمع في مرضه يقول: ما أخشى أن الله يحاسبني أنني أخذت شيئاً من وقفٍ أو مالِ يتيم .

ـ 1075 ـ

محمـد بن عبيد الله أبـو الفتح ابن التعـاويذي ، ويعـرف أيضاً بسبط ابن التعاويذي ، وكلاهما نسبة لجدّه لأمه أبي محمد المبارك بن المبارك بن علي السراج الجوهري المعروف بابن التعاويذي الزاهد : كان شاعر العراق في وقته ، وكان كاتباً

1074 ـ ترجمة ابن أبي البقاء في الوافي 4 : 9 وبغية الوعاة 1 : 170 .

1075 ـ ترجمة ابن التعاويذي في التكملة للمنذري 1 : 60 والروضتين 2 : 123 وابن خلكان 4 : 466 وعبر الذهبي 4 : 253 وسير الذهبي 21 : 175 والمختصر المحتاج إليه 1 : 66 والوافي 4 : 11 ونكت الهميان : 259 والبداية والنهاية 12 : 329 والنجوم الزاهرة 6 : 105 والشذرات 3 : 281 .

بديوان الاقطاع ببغداد ، واجتمع به العماد الكاتب الأصفهاني لما كان بالعراق وصحبه مدة ، فلما انتقل العماد إلى الشام واتصل بالسلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب كان ابن التعاويذي يراسله ، فكان بينهما مراسلات ذكر بعضها العماد في « الخريدة». وعمي أبو الفتح في آخر عمره سنة تسع وسبعين وخمسمائة ، وله في ذلك أشعار كثيرة يندب بها بصره وزمان شبابه . ومدح السلطان صلاح الدين بثلاث قصائد أنفذها إليه من بغداد ، إحداها عارض بها قصيدة أبي منصور علي بن الحسن المعروف بصرّدُرّ التي أولها :

أكذا يجازى ودُّ كلِّ قرينِ

فقال ابن التعاويذي وأحسن ما شاء[1] :

إن كان دينُكَ في الصبابةِ ديني ... فقفِ المطيَّ برمْلَتَيْ يبرينِ
والثم ثرى لو شارفتْ بي هَضْبَهُ ... أيدي المطيِّ لثمتُهُ بجفوني
وآنشُدْ فؤادي في الظباءِ مُعَرِّضاً ... فبغيرِ غزلانِ الصريم جنوني
ونشيدتي بين الخيام وإنما ... غالطتُ عنها بالظباء العِين
لولا العدى لم أكْنِ عن ألحاظها ... وقدودِهَا بجآذرٍ وغصون
للّه ما اشتملتْ عليه قبابهم ... يومَ النوى من لؤلؤٍ مكنون
من كل تائهةٍ على أترابها ... في الحسن غانيةٍ عن التحسين
خَوْدٌ ترى قمرَ السماءِ إذا بدتْ ... ما بين سالفةٍ لها وجبين
غادين ما لمعتْ بروقُ ثغورهم ... إلا استهلَّتْ بالدموع شؤوني
إن تنكروا نَفَسَ الصَّبا فلأنها ... مَرَّتْ بزفرةِ قلبيَ المحزون
وإذا الركائبُ في المسير تلفَّتَتْ ... فحنينها لتلفُّتي وحنيني
يا سلمَ إنْ ضاعت عهودي عندكم ... فأنا الذي استودعتُ غيرَ أمين
أو عدتُ مغبوناً فما أنا في الهوى ... لكمُ بأولِ عاشقٍ مغبون

---

(1) ديوانه : 420 .

رفقاً فقد عسف الفراقُ بمطلق الـ ـعبراتِ في أسر الغرام رهين
ما لي ووصلِ الغانياتِ أرومُهُ ولقد بخلن عليَّ بالماعون
وعلامَ أشكو والعهودُ نقضنها بلحاظهنَّ إذا لَوَيْنَ ديوني
هيهاتِ ما للغيد في حبِّ امرىءٍ أربٌ وقد أربى على الخمسين
ومن البليةِ أن تكون مطالبي جدوى بخيلٍ أو وفاءَ خؤون
ليت الضنينَ على المحبِّ بوصله ألِفَ السماحةَ عن صلاح الدين
ملكٌ إذا علقتْ يدٌ بذمامه علقتْ بحبلٍ في الوفاءِ متين
قاد الجيادَ معاقلاً وان اكتفى بمعاقلٍ من رأيه وحصون
سهرتْ جفونُ عداهُ خيفةَ فاتحٍ خُلِقَتْ صوارُمُه بغيرِ جفون
لو أنَّ لليثِ الهزبرِ سُطاه لم يلجا إلى غابٍ له وعرين
أضحتْ دمشقُ وقد حللتَ بجوها مأوى الضعيفِ وموئلَ المسكين
لك عفةٌ في قدرةٍ وتواضعٌ في عزةٍ وصرامةٌ في لين
وأريتنا بجميل صنعك ما روى الـ ـراوون عن أمم خَلَتْ وقرون
وضمنتَ أن تحيي لنا أيامهم بالمكرماتِ فكنتَ خير ضمين
كاد الأعادي أن يصيبك كيدها لو لم تكِدْكَ برأيها المأفون
تخفي عداوتها وراءَ بشاشةٍ فتشفّ عن نظرٍ لها مشفون
دفنتْ حبائلَ مكرها فرددتها تَبْلَى بغيظِ صدورها المدفون
وعلمتَ ما أخفَوْا كأنَّ قلوبهم أفضت إليك بسرها المخزون
فهوت نجومُ سعودهم وقضى لهم بالنحسِ طائرُ جَدِّكَ الميمون

وأما قصيدته الثانية فهي[1] :

حتّامَ أرضى في هواكَ وتغضبُ وإلى متى تجني عليَّ وَتَعْتَبُ
ما كان لي لولا ملالُكَ زلةٌ لما مللتَ زعمتَ أني مذنب

(1) ديوانه : 22 .

خذ في أفانين الصدودِ فإن لي ... قلباً على العِلاَّتِ لا يتقلب
أتظنني أضمرتُ يوماً سلوةً ... هيهات عَطْفُكَ من سُلُوِّي أقرب
لي فيك نارُ جوانحٍ ما تنطفي ... شوقاً وماءُ مدامعٍ لا يَنْضَبُ
أنسيتَ أياماً لنا ولياليا ... للهو فيها والخلاعةِ ملعب
أيامَ لا الواشي يَشِي بتولُّهي ... بكَ للرقيبِ ولا العذولُ يؤنب
قد كنتَ تُنْصِفُني المودةَ راكباً ... في الحبِّ من أخطاره ما أركب
واليومَ أقنعُ أن يمرَّ بمضجعي ... في النوم طيفُ خيالك المتأوب
قالت وريعت من بياضِ مفارقي ... ونحولِ جسمي بان عنك الأطيب
إن تنقمي سَقَمي فخصرُكِ ناحِلٌ ... أو تنكري شيبي فثغرُكِ أشنب
يا طالباً بعد المشيب غضارةً ... من عيشه ذهب الزمانُ المذهب
أتروم بعد الأربعين تعدّها ... وَصْلَ الدمى هيهاتِ عزَّ المطلب
لولا الهوى العذريّ يا دارَ الهوى ... ما هاج لي ذكراك برقٌ خُلَّب
كلا ولا استسقيتُ للطلل الحيا ... ونَدى صلاحِ الدين هامٍ صَيِّبُ

ثم مضى في المدح فأجاد وأحسن .

وأما الثالثة فنكتفي بإيراد أبيات من مديحها قال(1) :

فلا يُضْجِرَنْكَ ازدحامُ الوفودِ ... عليكَ وكثرةُ ما تبذلُ
فإنك في زَمَنٍ ليس فيه ... جوادٌ سواكَ ولا مفضل
وقد قلَّ في أهله المنعمون ... وقد كثر البائسُ المرمل
وما فيه غيرك من يُسْتَماحُ ... وما فيه إلاّك من يُسأل

وقال من قصيدة يندب بصره(2) :

لقد رَمَتْني رُمِيَتْ بالأذى ... بنكبةٍ قاصمةِ الظهرِ

---

(1) ديوانه : 333 .
(2) ديوانه : 192 .

وأوتــرت فــي مـقــلـةٍ قـلمـا   عَلِمْتُهـا بــاتتْ عـلى وِتـر
جــوهــرةٌ كنتُ ضنينــاً بهــا   نـفيســةُ القيـمــةِ والـقــدر
إن أنــا لم أبكِ عليهــا دمــاً   فضلاً عن الدمع فما عـذري
مـا ليَ لا أبكي على فقدها   بكــاءَ خنســاءٍ على صـخــر

وقال أيضاً في ذلك من أبيات(1) :

حــالان مـسـتـنـي الـحــوا   دث مـنهـمــا بفـجـيـعـتـيـنِ
إظـلامُ عـيـنٍ فـي ضـيــا   ءٍ مـن مـشـيـبٍ سَـرْمَـدَيْـنِ
صـبـحٌ وإمـســاءٌ مـعــاً   لا خـلـفـة فــاعجـبْ لــذين
قـد رحتُ في الـدنيـا من الـ   ـسـراء صـفـرَ الـراحـتـيـن
أســوانَ لا حــيٌّ ولا   مـيـتٌ كـهـمـزةِ بـيـنَ بـيـنِ

وقال أيضاً في ذلك من أبيات(2) :

فها أنا كالمقبور في كِسْرِ منزلي   ســواءٌ صباحي عنـدَهُ ومسـائي
يـرقّ ويبكي حاسـدي ليَ رحمةً   وَبُعــداً لهــا مـن رقـةٍ وبكــاء

وقال في الشيخوخة(3) :

من شبـه العمرَ بـالكاسِ يـرسـو   قـذاهُ ويـرسـبُ فـي أسـفـلـه
فــإنـي رأيـتُ الـقــذا طـافيــاً   على صفحةِ الكـاسِ من أولـه

وقال في الهرم أيضاً(4) :

وعــلوّ الـســنِّ قـد كـسَّـ   ـر بــالـشـيـبِ نـشــاطـي
كـيــف سَـمُّـوْهُ عــلّواً   وهــو أخــذٌ فـي انـحـطـاط

وقال في ذلك أيضاً(5) :

---

(1) ديوانه : 436 .
(2) ديوانه : 7 .
(3) ديوانه : 355 .
(4) ديوانه : 257 .
(5) ديوانه : 481 .

أسفتُ وقد نفتْ عنّي الليالي ... جديداً من شبابٍ مستعارِ
وكان يقيمُ عذري في زمانِ الـ ... ـصبا لونُ الشبيبةِ في عذاري
ولم أكره بياضَ الشيبِ الا ... لأن العيبَ يظهرُ في النهار

وقال أيضاً[1] :

سقاك سارٍ من الوسميِّ هتّانُ ... ولا رَقَتْ للغوادي فيك أجفانُ
يا دارَ لهوي وأطرابي ومعهد أتـ ... ـرابي وللهو أوطارٌ وأوطان
أعائدٌ ليَ ماضٍ من جديدِ هوىً ... أبليتُهُ وشبابٌ فيكِ فينان
إذ الرقيبُ لنا عينٌ مساعدةٌ ... والكاشحون لنا في الحبِّ أعوان
وإذ جميلةُ توليني الجميلَ وعنـ ... ـد الغانياتِ وراءَ الحسن إحسان
ولي إلى البان من رمل الحمى طَرَبٌ ... فاليومَ لا الرملُ يُصبيني ولا البان
وما عسى يُدْرِكُ المشتاقُ من وطر ... إذا بكى الربعَ والأحباب قد بانوا
إن المغاني معانٍ والمنازل أمـ ... ـواتٌ إذا لم يكن فيهنَّ سكان
للّه كم قمرتْ لبي بجوكِ أقـ ... ـمارٌ وكم غازلتني فيك غزلان
وليلةٍ باتَ يجلو الراحَ من يده ... فيها أغنٌّ خفيفُ الروحِ جذلان
خالٍ من الهمّ في خلخاله حَرَجٌ ... فقلبه فارغٌ والقُلْبُ ملآن
يذكي الجوى باردٌ من ريقه شَبِمٌ ... ويوقد الظرفَ طَرْفٌ منه وسنان
ان يمسِ ريانَ من ماءِ الشباب فلي ... قلبٌ إلى ريقه المعسول ظمآن
بين السيوفِ وعينيه مشاركةٌ ... من أجلها قيل للأغماد أجفان
فكيف أصحو غراماً أو أفيق جوىً ... وقدُّه ثَمِلٌ بالتيهِ نشوان
أفديه من غادرٍ بالعهد غادرني ... صدودُهُ ودموعي فيه غدران
في خدِّه وثناياه ومقلته ... وفي عِذَارَيْهِ للعشّاقِ بستان
شقائقٌ وأقاح نبتُهُ خَضِلٌ ... ونرجسٌ أنا منه الدهرَ سكران

---

(1) ديوانه : 412 .

وكان له راتبٌ في الديوان فلما عمي طلب أن يجعل باسم أولاده ، ثم كتب هذه القصيدة ورفعها إلى الخليفة الناصر التمس بها تجديدَ راتبٍ مدة حياته[1] :

خليفــةَ اللّه أنت بــالــدين والـ ـدنيـا وأمرِ الاسـلام مُضْطَلِعُ
أنـت لـمـا سنَّـه الأئـمـة أعـ ـلامُ الـهـدى مقتفٍ ومتبـع
قـد عُدِمَ العُـدْمُ في زمانـك والـ ـجـورُ معـاً والخـلافُ والبدع
فالناسُ في الشرع والسياسةِ والـ إحسانِ والعـدلِ كـلهم شَـرَع
يـا ملكـاً يـردعُ الحوادثَ والـ أيـام عـن ظـلـمـهـا فـتـرتـدع
ومـن لـه أنـعـمٌ مـكـرَّرَةٌ لنـا مَصيفٌ منهـا وَمُـرْتَبَـعُ
أرضيَ قــد أجـدبتْ وليس لمن أجـدب يـومـاً سـواك مُنْتَجَـع
ولــي عــيــالٌ لا درَّ درُّهــم قــد أكلوا دهـرهم ومـا شبعـوا
إذا رأونــي ذا ثـروةٍ جـلسـوا حـولي ومـالـوا إليَّ واجتمعـوا
وطـالمـا قـطَّعـوا حبـاليَ اعـ ـراضـاً إذا لم تكنْ معي قـطع
يمشــون حـولي شتَّى كـأنهـمُ عقـاربٌ كلمـا سَعَـوْا لسعـوا
فمنهم الـطفـلُ والمـراهقُ والـ ـرضيـع يحبـو والكهـلُ واليفـع
لا قـارحٌ مـنـهـمُ أؤمـل أنْ يـنـالـنـي خـيـرُهُ ولا جَـذَع
لـهم حـلوقٌ تُفْضي إلـى مِعَـدٍ تحمـلُ في الأكل فـوق ما تسع
من كـل رحبِ المعاءِ أجـوفَ نا ريَّ الحشـا لا يمسّـه الشبـع
لا يحسنُ المضـغَ فهو يتـرك في فـيـه بـلا كـلفـةٍ ويـبـتـلع
ولي حـديثٌ يلهي وَيُعْجِبُ من يُـوسِـعُ لي خُلْقَـهُ ويستمـع
نقلتُ رسمي جـهـلاً إلى ولـد لستُ بـهم مـا حييتُ أنتفـع
نظرتُ في نفعهم وما أنا في اجـ ـتـلاب نـفـع الأولادِ مـبتـدع
وقلتُ هــذا بعـدي يكـونُ لكم فمـا أطـاعـوا أمـري ولا سمعـوا

---

(1) ديوانه : 272 .

واختلســوه مني فـمـا تــركــوا عـيـني عليـه ولا يـدي تـقـع
فبئسَ واللَّه مـا صنعـتُ فـأضـ ـررتُ بنفسي وبئس مـا صنعـوا
فـإن أردتم أمـراً يـزولُ بـه الـ ـخصـامُ من بيـنـنـا ويـرتفـع
فـاستأنفـوا لي رسمـاً أعـودُ على ضَنْـكِ معـاشي بـه فيـتسـع
وان زعـمتـم أنـي أتـيـتُ بـهـا خـديعـةً فـالكـريم ينخـدع
حـاشا لـرسم الكريم يُنْسَخُ من نَـسْـخ دواويـنكـم فـيـنقـطع
فـوقّعـوا لي بمـا سألتُ فقـد أطمعت نفسي واستحكم الطمع
ولا تـطيـلوا معي فلستُ ولـو دفعتـمـوني بـالـراح أنـدفـع
وحـلفـوني أن لا تـعـودَ يـدي تـرفـعُ فـي نـقـله ولا تـضـع

وكل شعر أبي الفتح غرر ، وديوانه كبير يدخل في مجلدين جمعه بنفسه قبل أن يضر ، وافتتحه بخطبة لطيفة ، ورتبه على أربعة أبواب ، وما حدث من شعره بعد العمى سماه الزيادات ، وهي ملحقة ببعض نسخ ديوانه المتداولة ، وبعض النسخ خلو منها ، وله كتاب سماه « الحجبة والحجاب » في مجلد كبير ، ونسخه قليلة .

ولد أبو الفتح ابن التعاويذي في اليوم العاشر من رجب سنة تسع عشرة وخمسمائة وتوفي في ثاني شوال سنة ثلاث وثمانين وخمسمائة ببغداد ودفن في مقبرة باب أبرز .

ـ 1076 ـ

محمد بن عبيد الله بن أحمد بن ادريس المسبحي الحراني الأمير المختار عز الملك الكاتب المؤرخ المصري : (ذكـره ياقـوت في معجم الأدباء وقـال) : كانت له عناية بالتواريخ تامة ، وكتابه في ذلك من أحسن الكتب وأبسطها وأتقنها ، وهو كتاب كبير نحو ثلاثين مجلدة ، قال : ووقفت على شيء منه فاستحسنته وكتبت منه .

1076 ـ ترجمة المسبحي في ابن خلكان 4 : 377 واللباب (المسبحي) والمغرب (قسم مصر) 1 : 264 وعبر الذهبي 3 : 139 والوافي 4 : 7 والنجوم الزاهرة 4 : 271 والشذرات 3 : 215 وحسن المحاضرة 1 : 248 وتاج العروس (سبح) وتلخيص معجم الألقاب ، الجزء الخامس ، الترجمة رقم 928 وعنه أثبت ترجمته ، وما بين معقفين زيادة من الوافي (وهو من مستدركات مصطفى جواد ـ الضائع : 159) .

وله كتاب السؤال والجواب . وكتاب السجن والسكن . وكتاب الراح والارتياح . وكتاب سيرة الحاكم . [وكتاب التلويح والتصريح في الشعر ، وهو مائة كراسة . ودرك البغية في وصف الأديان والعبادات في ثلاثة آلاف وخمسمائة ورقة . وأصناف الجماع ، ألف ومائتا ورقة . والقضايا الصائبة في معاني أحكام النجوم ، ثلاثة آلاف ورقة . وكتاب الغرق والشرق في ذكر من مات غرقاً أو شرقاً ، مائتا ورقة . وكتاب الطعام والادام ، ألف ورقة . وقصص الأنبياء عليهم السلام ، ألف وخمسمائة ورقة . وجونة الماشطة ، يتضمن غرائب الأخبار والأشعار والنوادر التي لم يتكرر مرورها على الأسماع ، ألف ومائة ورقة . ومختار الأغاني ومعانيها وغير ذلك .

ومن شعره :

ألا في سبيل اللّه قلب تقطعا ... وفادحة لم تبق للعين مدمعا

أصبراً وقد حلَّ الثرى من أوده ... فلله همٌّ ما أشدَّ وأوجعا

فيا ليتني للموت قدمت قبلها ... وإلا فليت الموت أذهبنا معا

وتولى القيس والبهنسا من الصعيد ، ثم تولى ديوان الترتيب . وله مع الحاكم مجالس ومحاضرات يشهد بها تاريخه الكبير . ولد سنة ست وستين ، وتوفي سنة عشرين وأربعمائة] .

ـ 1077 ـ

محمد بن عبدوس الجهشياري : هو أحد الكتاب الأخباريين المترسلين ، وله من الكتب كتاب الوزراء والكتاب . كتاب ميزان الشعر والاشتمال على أنواع العروض ؛ وكان فاضلاً مداخلاً للدول ، مات في بغداد سنة احدى وثلاثين وثلاثمائة مستتراً واستتر أولاده وحاشيته ، وكان حاجباً بين يدي أبي الحسن علي بن عيسى بن داود الجراح .

1077 ـ ترجمة الجهشياري في الفهرست : 141 والوافي 3 : 205 (وعنهما أخذت ما أثبته هنا) والنجوم الزاهرة 3 : 279 ومقدمة كتاب الوزراء والكتاب ؛ وقد ذكره ياقوت في ترجمة أحمد بن أحمد المعروف بابن أخي الشافعي . . وقال : والجهشياري هذا ذكر في بابه أي أنه خصه بترجمة في معجم الأدباء (الضائع : 156) .

قال صاحب الفهرست : ابتدأ الجهشياري بتأليف كتاب اختار فيه الف سمر من أسمار العرب والعجم والروم وغيرهم ، كل خبر قائم بذاته لا تعلق له بغيره ، وأحضر المسامرين وأخذ عنهم أحسن ما يعرفون ، واختار من الكتب المصنفة في الأسمار والخرافات ما يحلو بنفسه من تتمة ألف سمر ، ورأيت من ذلك عدة أجزاء بخط أبي الطيب المعروف بابن أخي الشافعي . . . أما نسبته الى جهشيار فإن أباه كان يخدم أبا الحسن علي بن جهشيار القائد حاجب الموفق ، وكان خصيصاً به فنسب إليه .

ـ 1078 ـ

محمد بن عثمان بن بلبل أبو عبدالله : لغويّ نحوي صحب السيرافي والفارسي وروى عنه كتابه « الحجة في القراءات » وسمعه منه ابن بشران النحوي ، وقرأ على ابن خالويه ، وبرع في الشعر والأدب ، وتوفي يوم الجمعة لسبع بقين من رمضان سنة عشر وأربعمائة ، ومن شعره يمدح الوزير سابور :

أضحى الرجاءُ لبرقِ جودكَ شائما ... وارتاد روضَ الحمدِ وَهْفاً ناعما
سميتُ نفسي اذ رجوتك واثقاً ... ودعوتها لكَ مذ خدمتُكَ خادما
فمتى أقومُ بشكرِ نعمتك التي ... عَقَدَتْ عليَّ من الخطوب تمائما
لا زال جَدُّك للعدوِّ مزاحما ... يعلو وآنافُ البُغاةِ رواغما

ـ 1079 ـ

محمد بن عثمان بن مسبّح أبو بكر المعروف بالجعد الشيباني النحوي : أحد أصحاب أبي الحسن ابن كيسان : كان من العقلاء الفضلاء ، مقدماً في النحو واللغة

1078 ـ ترجمة ابن بلبل في الوافي 4 : 84 وبغية الوعاة 1 : 170 .
1079 ـ ترجمة الجعد الشيباني في الفهرست : 90 وتاريخ بغداد 3 : 47 والوافي 4 : 82 وبغية الوعاة 1 : 171 وإنباه الرواة 1 : 269 (الجعد) .

والأدب ،وله من الكتب: كتاب الألفات . والناسخ والمنسوخ . كتاب معاني القرآن . كتاب القراءات . المختصر في النحو . كتاب الهجاء . كتاب المقصور والممدود . كتاب المذكر والمؤنث . كتاب العروض . كتاب خلق الانسان . كتاب الفرق.

مات سنة نيف وعشرين وثلاثمائة .

ـ 1080 ـ

محمد بن علي بن ابراهيم بن زبرج أبو منصور بن أبي البقاء العتابي البغدادي : قرأ النحو على أبي السعادات هبة الله بن علي بن الشجري ، واللغة على أبي منصور موهوب بن أحمد الجواليقي ، وسمع الحديث من جده لأمه أبي العباس أحمد بن القاسم بن قريش وأبي القاسم هبة الله بن الحصين وأبي بكر محمد بن عبد الباقي الأنصاري . سمع منه القاضي أبو المحاسن عمر بن علي بن الخضر القرشي وأبو المفاخر محمد بن محفوظ الجرباذقاني وعبد الرحمن بن يعيش بن سعدان القواريري . كان إماماً في النحو والعلوم العربية ، وتصدر للاقراء ، وكتب الخط المليح مع الصحة والضبط ، وكان بينه وبين أبي محمد ابن الخشاب البغدادي النحوي منافرات ومناظرات ، ولد في ربيع الأول سنة أربع وثمانين وأربعمائة ومات يوم الثلاثاء خامس عشر جمادى الأولى سنة ست وخمسين وخمسمائة .

ـ 1081 ـ

محمد بن علي بن أحمد الأدفوي المصري النحوي المفسر أبو بكر : أصله من أدفو ، مدينة من مدن صعيد مصر في آخره قريب من أسوان ؛ سكن مصر ، وكان صالحاً يرتزق من معيشته ، وكان خشاباً ، وصحب أبا جعفر النحاس المصري وأخذ

1080 ـ ترجمة ابن زبرج في ابن خلكان 4 : 389 وإنباه الرواة 3 : 188 ومختصر ابن الدبيثي 1 : 88 والوافي 4 : 152 وبغية الوعاة 1 : 173 .

1081 ـ ترجمة الأدفوي في إنباه الرواة 3 : 186 والوافي 4 : 117 وبغية الوعاة 1 : 189 وطبقات ابن الجزري 2 : 198 وطبقات المفسرين للسيوطي وطبقات الداودي 2 : 535 وقد نقلت ما أوردته هنا عن إنباه الرواة موجزاً؛ (والأدفوي من مستدركات مصطفى جواد، انظر الضائع : 159) وانظر المقفى 6 : 249 .

عنه وأكثر ، وروى كل تصانيفه ، وأخذ عن غيره من أهل العلم والقرآن والحديث والعربية . وكان سيد أهل عصره في مصره وغير مصره، وقرأ عليه الأجلاء ، واعتاد على مجلسه الرؤساء والفضلاء، وصنف في التفسير كتباً مفيدة ، منها كتابه « الاستغناء » وهو أكبر كتاب صنف في التفسير ، جمع فيه من العلوم ما لم يجتمع بغيره . . .

وكانت وفاته يوم الخميس لثمان بقين من ربيع الأول سنة ثمان وثمانين وثلاثمائة .

ـ 1082 ـ

محمد بن علي بن أحمد ، أبو عبيد الله الحلي المعروف بابن حميدة النحوي : كانت له معرفة جيدة بالنحو واللغة ، قرأ على أبي محمد ابن الخشاب البغدادي ولازمه حتى برع في علم العربية ، وصنف كتباً منها شرح أبيات الجمل لأبي بكر ابن السراج . شرح اللمع لابن جني . وشرح المقامات الحريرية . وكتاب التصريف . والروضة في النحو . والأدوات في النحو أيضاً . وكتاب الفرق بين الضاد والظاء . ومولده سنة ست وثمانين وأربعمائة ومات سنة خمسين وخمسمائة. أنشدني أبو الحسن علي بن نصر بن هارون الحلي قال : أنشدني محمد بن علي بن حميدة الحلي لنفسه :

سلامٌ على تلك المعاهدِ والربى ... وأهلاً بأربابِ القبابِ ومرحبا
وسقياً لرباتِ الحجالِ وأهلها ... ورعياً لأربابِ الخدور بيثربا
أحنُّ لتياك الحجالِ وان غدتْ ... ربائبها تُبدي إليَّ التجنبا
وأصبو لربعِ العامريةِ كلَّما ... تذكرتُ من جرعائها ليَ ملعبا
فلا همَّ إلا دونَ همِّيَ غُدْوَةً ... إذا جَرَتِ النكباءُ أو هبَّتِ الصَّبا

1082 ـ ترجمة ابن حميدة النحوي في إنباه الرواة 3 : 185 والوافي 4 : 153 وبغية الوعاة 1 : 173 .

ـ 1083 ـ

محمد بن أبي سارة علي ، أبو جعفر الرؤاسي ابن أخي معاذ الهراء : سمي الرؤاسي لعظم رأسه ، كان إماماً في النحو بارعاً في العربية ، وهو أستاذ أبي الحسن علي بن حمزة الكسائي .

قال أبو محمد درستويه : زعم أبو العباس ابن يحيى ثعلب أن أول من وضع من الكوفيين كتاباً في النحو أبو جعفر الرؤاسي ، وكان يقول : كان الرؤاسي أستاذ الكسائي والفراء . وقال أبو زكريا يحيى بن زياد الفراء[1] : لما خرج الكسائي إلى بغداد قال لي الرؤاسي : قد خرج الكسائي إلى بغداد وأنت أميزُ منه ، فجئتُ إلى بغداد فرأيت الكسائي ، فسألته عن مسائل الرؤاسي فأجابني بخلاف ما عندي ، فغمزت قوماً من علماء الكوفيين كانوا معي فقال الكسائي : ما لك قد أنكرت ؟ لعلك من أهل الكوفة ؟ فقلت : نعم ، فقال : الرؤاسي يقول كذا وكذا وليس صواباً ، فقد سمعت العربَ تقول كذا وكذا حتى أتى على مسائل فلزمته .

وحكي عن الرؤاسي أنه قال[2] : أرسل إلي الخليل بن أحمد يطلب كتابي فبعثته إليه فقرأه ووضع كتابه .

وكان أبو جعفر الرؤاسي رجلاً صالحاً ورعاً ، وله تصانيف كثيرة منها : كتاب معاني القرآن . كتاب الوقف والابتداء الكبير . كتاب الوقف والابتداء الصغير . والفيصل في العربية . وكتاب التصغير ، وغير ذلك .

ـ 1084 ـ

محمد بن علي بن إسماعيل العسكري أبو بكر المعروف بمبرمان النحوي :

1083 ـ ترجمة الرؤاسي في بغية الوعاة 1 : 109 (وسماه محمد بن سارة وفي موضع آخر محمد بن الحسن بن سارة) وقد مرت هذه الترجمة رقم 1027 واستكمل تخريجها هنالك .

1084 ـ ترجمة مبرمان في طبقات الزبيدي : 114 والفهرست : 66 وإنباه الرواة 3 : 189 والوافي 4 : 108 وبغية الوعاة 1 : 175 ومراتب النحويين : 35 وأخبار النحويين البصريين : 108 وعبر الذهبي 2 : 209

(1) الانباه 4 : 100 .

(2) المصدر السابق والفهرست .

أخذ عن المبرد وعن أبي إسحاق إبراهيم الزجاج وأكثر عنه ، وأخذ عنه أبو سعيد الحسن بن عبد الله السيرافي وأبو علي الفارسي ، وكان إماماً في النحو قيماً به ، وكان مع علمه وفضله سخيفاً إذا أراد أن يمضي لمصلحةٍ طرح نفسه في طبق حمَّال وشدَّه بحبل ، وربما كان معه ما يتنقَّلُ به نحو نَبْقٍ وغيره ، فيأكلُ ويرمي الناسَ بالنوى يتعمد رؤوسهم ، وربما بال على رأس الحمال ، فإذا قيل له في ذلك اعتذر . وقال بعض معاصريه يهجوه[1] :

صداعٌ من كلامك يعترينا ... وما فيه لمستمعٍ بيانُ
مكابرةٌ ومخرقَةٌ وَبَهْتٌ ... لقد أُبرمتنا يا مبرمان

وكان [ابن] المبرد يقول : تلاميذ أبي رجلان أحدهما الكلاباذي يقرأ على أبي ثم يقول قال المازني فيعلو ، والآخر مبرمان يقرأ عليه ثم يقول قال الزجاج فيسفل .

وكان أبو بكر مبرمان ضنيناً بالقراءة عليه لا يقرىء كتاب سيبويه إلا بمائة دينار ، فقصده أبو هاشم الجبائي لقراءة الكتاب عليه ، فقال له مبرمان : قد عرفت الرسم ، فقال أبو هاشم : نعم ولكن أسألك النظرة وأحمل إليك شيئاً يساوي أضعافَ الرسم فأودعه عندك إلى أن يصل إليَّ مالٌ لي في بغداد فأحمله إليك واستردَّ الوديعة ، فتمنع قليلاً ثم أجابه ، فعمد أبو هاشم إلى زنفيلجة حسنةٍ مُغَشَّاة بالأدم محلاة فملأها حجارة وقفلها وختمها وحملها إلى مبرمان فوضعها بين يديه ، فلما رأى منظرها وثقلها لم يشكَّ في حقيقة ما ذكره ، فوضعها عنده وأخذ عنه ، فلما ختم الكتاب قال له المبرمان : احمل إليَّ ما لي قبلك ، فقال : أنفذ معي غلامك حتى أدفع إليه الرسم ، فأنفذ معه إلى منزله ، فلما جاء أبو هاشم إلى بيته كتب إلى مبرمان رقعةً يقول فيها : قد تأخر حضور المال وأرهقني السفر وقد أبحتُ لك التصرفَ في الزنفيلجة ، وهذا خطي لك

وإشارة التعيين : 330 ومرآة الجنان 2 : 289 وتاريخ أبي المحاسن : 49 (ووفاته عند القفطي سنة 326 أو قريب منها) .

(1) الشعر لابن لنكك ، وسيأتي في ترجمته رقم : 1104 .

حجة بذلك ، وخرج أبو هاشم لوقته إلى البصرة ومنها إلى بغداد ، فلما وصلت الرقعة إلى مبرمان استدعى بالزنفيلجة وفتحها فإذا فيها حجارة ، فقال : سخر منا أبو هاشم لا حيَّاه الله واحتال عليَّ بما لم يتمَّ لغيره .

ولمبرمان من الكتب : شرح كتاب سيبويه لم يتم . وشرح شواهد سيبويه . كتاب المجموع على العلل . والتلقين في النحو . والمجاري . كتاب صفة شكر المنعم . وشرح كتاب الأخفش ، وغير ذلك . توفي سنة خمس وأربعين وثلاثمائة .

ـ 1085 ـ

محمد بن علي بن الحسن بن مقلة الوزير أبو علي صاحب الخط المنسوب : ولي بعض أعمال فارس وتنقلت به الأعمال والأحوال حتى وزر للمقتدر سنة ست عشرة ، فقبض عليه بعد عامين وصادره ونفاه إلى فارس ، ثم استوزره القاهر باللَّه ونكبه ، ثم وزر للراضي قليلاً وأمسكه سنة أربع وعشرين وضرب بالسياط وعلق وصودر وأخذ خطه بألف ألف دينار ثم تخلص . ثم ان ابن رائق لما تمكن احتاط على ضياعه وأملاكه فكتب ابن مقلة إلى الراضي أنه إن مكن من ابن رائق خلص منه ثلاثة آلاف ألف دينار فأجابه ، فلما حضر إليه حبسه ، واطلع ابن رائق على الخبر فقطع يده وحبسه ، فندم الراضي وداواه ، فكان ينوح على يده ويبكي ويقول : كتبت بها القرآن وخدمت بها الخلفاء تقطع مثل اللصوص ؟! وكان يشد القلم على يده ويكتب ، فأخذ يراسل الراضي ويطمعه في الأموال ، فلما قرب بجكم أحد خواص ابن رائق من بغداد أمر ابن رائق بقطع لسان ابن مقلة ، فقطع ولحقه ذَرَبٌ ومات في السجن سنة ثمان وعشرين وثلاثمائة ، ومولده سنة اثنتين وسبعين ومائتين .

1085 ـ ذكره ياقوت في ترجمة أخيه الحسن بن مقلة (رقم: 330) وقال: ولأخيه أبي علي محمد ترجمة في باب مفرد لما اشترطنا في ذكر أرباب الخطوط المنسوبة. وترجمة الوزير في ابن خلكان 5: 113 ويتيمة الدهر 3: 100 وابن أبي أصيبعة 1: 224 وله أخبار كثيرة في الكتب التاريخية كالمنتظم 6: 309 والكامل لابن الأثير 8: 183 وعبر الذهبي 2: 211 وسير الذهبي 15: 224 والوافي 4: 109 ومرآة الجنان 2: 291 والبداية والنهاية 11: 195 والنجوم الزاهرة 3: 268 والشذرات 2: 310 وتحفة أولي الألباب: 43 وثمار القلوب: 210 ورسالة في الكتابة للتوحيدي (وهذه الترجمة عن الوافي) وانظر الضائع: 161 .

وقال أبو الحسن ثابت بن قرة الطبيب : كنت أدخل إليه السجن فيشكو إلي فأعزيه وأقول : هذا انتهاء المكروه وخاتمة القطوع ، فينشدني :

إذا ما مات بعضك فابك بعضاً　　فإن البعض من بعض قريبُ

ومن شعره في يده :

ما سئمتُ الحياة لكن توثّقـ　　ـتُ بأيمانهم فبانت يميني
بعتُ ديني لهم بدنيايَ حتى　　حرموني دنياهمُ بعد ديني
ولقد حُطتُ ما استطعتُ بجهدي　　حِفظَ أرواحهم فما حفظوني
ليس بعد اليمين لذّة عيشٍ　　يا حياتي بانت يميني فبِيني

ومن شعره :

وإذا رأيتُ فتىً بأعلَى رُتبةٍ　　في شامخٍ من عزّه المتمنّعِ
قالت لي النفس العَرُوف بقدرها　　ما كان أولاني بهذا الموضعِ

ومن شعره :

لستُ ذا ذلّةٍ إذا عضّني الدهـ　　ـر ولا شامخاً إذا واتاني
انا نارٌ في مرتَقى نَفَس الحا　　سِدِ ماءٌ جارٍ مع الإخوانِ

وابن مقلة هذا أول من نقل هذه الطريقة من خطّ الكوفيين إلى هذه الصورة .
وممن مدحه من الشعراء ابن الرومي الشاعر وله فيه القصيدة التي منها :

كذا قضى اللّه للأقلام مُذ بُريت　　انّ السيوف لها مُذ أُرهفت خَدَمُ

وفيه قال الشاعر :

وقالوا العزل للوزراء حيضٌ　　لحاه اللّه من حيضٍ بغيضِ
ولكنّ الوزير أبا عليٍّ　　من اللائي يئسن من المحيضِ

ومن العجائب ان الوزير ابن مقلة تقلّد الوزارة ثلاث مرات وسافر في عمره ثلاث مرات واحدة إلى الموصل واثنتين في النفي إلى شيراز ودُفن بعد موته ثلاث مرات في ثلاثة مواضع . ومن شعره :

أحببتُ شكوَى العين من أجلها　　لأنّها تسترُ وجدي بها

كنتُ إذا أرسلتُ لي دمعةً قال أناسٌ ذاك من حبّها
فصرتُ أبكي الآن مسترسلاً أُحيلُ بالدمع على سكبها

وقال بعضهم يرثيه :

استشعر الكتّابُ فقدك سالفاً وقضت بصحّةِ ذلك الأيامُ
فلذاك سُوّدت الدويّ كآبةً أسفاً عليك وشُقّت الأقلامُ

ومات في السجن وله ستون سنة وباشر الأعمال وهو ابن ست عشرة سنة ، وكان لا بدّ أن يشرب بعد صلاة الجمعة ويصطبح يوم السبت ويُشترى له كلّ جمعةٍ فاكهةٌ بخمسمائة دينار[1] .

- 1086 -

محمد بن علي بن الحسين بن عمر أبو الحسن بن أبي الصقر الواسطي : كان فقيهاً أديباً شاعراً ، تفقه في بغداد على أبي إسحاق الشيرازي وعلق عنه تعليقات ، وسمع منه ومن أبي بكر الخطيب وأبي سعد المتولي ، وروى عنه أبو غالب الذهلي والحافظ محمد بن ناصر الدين وأبو منصور موهوب الجواليقي وغيرهم . وكان شديد التعصب لمذهب الإمام الشافعي وظهر ذلك في قصائده المعروفة بالشافعية ، وغلب عليه الأدب والشعر فبرع فيهما ، وجود الخط فبلغ فيه الغاية ، وجمع ديوانه في مجلد ، ومن شعره :

من عارضَ اللّهَ في مشيئتِهِ فما لديه من بطشِهِ خَبَرُ
لا يقدرُ الخلقُ باجتهادهمُ إلا على ما جرى به القدر

وقال أيضاً :

كلُّ رزقٍ ترجوهُ من مخلوقٍ يعتريه ضَرْبٌ من التعويقِ

1086 - ترجمة ابن أبي الصقر الواسطي في المنتظم 9 : 145 والوافي 4 : 142 وابن خلكان 4 : 450 والبدر السافر ، الورقة : 132 وطبقات السبكي 4 : 191 والنجوم الزاهرة 5 : 191 .

(1) وعد المؤلف (في الترجمة رقم : 220) أن يورد في ترجمة ابن مقلة رسالة منه إلى أبي اسحاق المحرر ؛ ولكن بسقوط الترجمة من الأصل سقطت الرسالة وغيرها .

وأنا قائلٌ وأستغفرُ الله مقالَ المجازِ لا التحقيق
لستُ أرضى من فعلِ إبليسَ شيئاً غيرَ تركِ السجود للمخلوق

وقال :

من قال لي جاهٌ ولي حشمةٌ ولي قَبولٌ عند مولانا
ولم يعدْ ذاك بنفعٍ على صديقه لا كان من كانا

وقال وقد طعن في السن وعجز عن المشي :

كل مرءٍ إذا تفكرتَ فيه أو تأملته رأيتَ ظريفا
كنتُ أمشي على اثنتين قوياً صرتُ أمشي على ثلاثٍ ضعيفا

وحضر عزاءَ طفلٍ وهو يرتعش من الكبر ، فتغامز عليه الحاضرون يشيرون إلى موت الطفل وطول حياته مع هذه السن ، ففطن لهم وقال :

إذا دخل الشيخُ بين الشباب عزاءً وقد مات طفلٌ صغيرُ
رأيتَ اعتراضاً على اللّه إذ توفّي الصغيرُ وعاش الكبير
فقلْ لابن شهرٍ وقل لابن دهرٍ وما بين ذلك هذا المصير

وقال أيضاً :

علةٌ سُمِّيَتْ ثمانين عاما منعتني للاصدقاءِ القياما
فإذا عُمِّروا تمهّد عذري عندهم بالذي ذكرتُ وقاما

وقال :

ابن أبي الصقر افتكرْ وقال في حالِ الكِبَرْ
واللّهِ لولا بولةٌ تحرقني وقتَ السحر
لما ذكرتُ أنَّ لي ما بين فخذيَّ ذكر

وقال :

وحرمة الودِّ ما لي عندكم عوضُ لأنني ليس لي في غيركم غرضُ
أشتاقكم وبودي لو يواصلني لكم خيالٌ ولكن لستُ أغتمض
وقد شرطتُ على صحبٍ صحبتهمُ بأن قلبي لكم من دونهم فرضوا

ومن حـديثي بكم قالـوا به مـرضٌ فقلتُ لا زال عني ذلـك المـرض

وقال :

ولمـا إلى عشرِ تسعينَ صـرتُ وما لي إليها أبٌ قبـل صـارا
تـيقـنـتُ أنـيَ مـسـتـبـدِلٌ بـداريَ داراً وبـالـجـارِ جـارا
فـتبـتُ إلـى الـلّه مـمـا مـضـى ولن يُـدْخِـلَ اللّه مَنْ تـاب نـارا

وكان مولد ابن أبي الصقر في ذي القعدة سنة تسع وأربعمائة وتوفي يوم الخميس رابع عشر جمادى الأولى سنة ثمان وستين وأربعمائة .

ـ 1087 ـ

محمد بن علي بن عمر أبو منصور بن الجبّان : أحد حسناتِ الريّ وعلمائها الأعيان ، جيد المعرفة باللغة باقعة الوقت وفرد الدهر وبحـر العلم وروضة الأدب ، تصانيفه سائرة في الآفاق ، كان من ندماء الصاحب ابن عباد ثم استوحش منه .

وصنف أبنية الأفعال . وشرح الفصيح[1] . والشامل في اللغة ، قرىء عليه في سنة ست عشرة وأربعمائة .

قال ابن منده : قدم أصبهان فتكلم فيـه من قبل مـذهبه وقـرىء عليه «مسنـد» الروياني بسماعه من جعفر بن فناكي ، وابتلي بحبِّ غلام يقال له البركاني ، فاتفق أن الغلام حجَّ فلم يجد بداً من مـرافقته فلمـا أحرم قـال : اللهم لبيك اللهم لبيـك ، والبركاني ساقني إليك . وابتلي بفراقه وبرَّح به فكتب إليه :

يـا وَحْشَتـي لفـراقـكـم أتـرى يـدومُ عليَّ هـذا
المـوتُ والأجـل المتـا حُ وكـان مـعضـلةً ولا ذا

ومن كلامه : قياساتُ النحو تتوقفُ ولا تطَّرد كقميصٍ له جُرُبَّاناتٌ فصاحبه كلَّ ساعة يخرج رأسه من جربانه .

1087 ـ ترجمة ابن الجبان في إنباه الرواة 3 : 194 والوافي 4 : 180 وبغية الوعاة 1 : 185 .

(1) نشره د. عبد الجبار القزاز، بغداد 1991 .

ومن تصانيفه أيضاً كتاب سماه « انتهاز الفرص في تفسير المقلوب من كلام العرب » قرأه عليه عبد الواحد بن برهان .

ومن شعره يمدح الصاحب ابن عباد :

لِيهنِكَ الأهنآن الملكُ والعُمُرُ ... ما سُيِّرَ الأسْيَرَانِ: الشعرُ والسمرُ
وطال عمرُ سناكَ المستضاءُ به ... ما عُمِّر الأبْقَيانِ: الكتبُ والسير
يفدي الورى كلهم كافي الكفاةِ فقد ... صفا به الأفضلان: العدلُ والنظر
له مكارمُ لا تُحْصَى محاسنها ... أيحسب الأكثران: الرمل والشجر
لكيده النصرُ من دون الحسام وان ... تمرد الأشجعان: التركُ والخزر
ما سار موكبه إلا ويخدمه ... في سيره الأشبهان[1] : الفتح والظفر
وان أمرَّ على طرسٍ أنامله ... أغضى له الأبهجان: الوشي والزهر
دامت تُقَبّلها صِيدُ الملوكِ كما ... يُقَبَّل الأكرمانِ: الركن والحجر

ـ 1088 ـ

محمد بن علي [بن محمد] أبو سهل الهروي النحوي اللغوي : وُلد في رمضان سنة اثنتين وسبعين وثلاثمائة ، وأخذ عن صاحب الغريبين أبي عبيد أحمد بن محمد الهروي ، وروى عنه وعن أبي يعقوب النجيرمي وأبي أسامة جنادة بن محمد النحوي رئيس المؤذنين بجامع عمرو .

وله من الكتب شرح الفصيح . ومختصره . وكتاب أسماء الأسد . كتاب أسماء السيف . مات بمصر يوم الأحد ثالث المحرم سنة ثلاث وثلاثين وأربعمائة .

1088 ـ ترجمة أبي سهل الهروي في إنباه الرواة 3 : 195 والوافي 4 : 120 وبغية الوعاة 1 : 190 وقال الصفدي : كان رئيس المؤذنين بجامع عمرو بن العاص بمصر ، وشرحه للفصيح سماه الأسفار استوفى فيه واستقصى ثم اختصره وسماه التلويح في شرح الفصيح ، أما كتابه أسماء الأسد فجزء ضخم في نحو ثلاثين كراسة ، وانظر المقفى 6 : 355 .

(1) م : الاستيذان .

ـ 1089 ـ

محمد بن علي أبو بكر المراغي النحوي : قرأ على أبي إسحاق إبراهيم الزجاج ، وكان عالماً أديباً أقام بالموصل زمناً طويلاً . وله من الكتب المختصر في النحو . وشرح شواهد الكتاب (كتاب سيبويه) .

ـ 1090 ـ

محمد بن علي أبو الحسن الدقيقي النحوي : وُلد سنة أربع وثمانين وثلاثمائة ، أخذ عن أبي الحسن الرماني وغيره . وصنف المرشد في النحو . وكتاب المسموع من كلام العرب ، وغير ذلك .

ـ 1091 ـ

محمد بن علي بن أبي مروان الأموي ابن أخي المستنصر بالله الحكم بن عبد الرحمن الخليفة المرواني بالأندلس : كان أديباً فاضلاً شاعراً ، ومن شعره :

كم تصابٍ أردفته بتصابٍ ... واصطباحٍ وَصَلْتُهُ باغتباقِ
وكؤوسٍ أعطيتها بدرَ تمٍ ... جلَّ أن يعتريه نقصُ المحاقِ
وغصونٍ جنيتُ منها ثماراً ... لم يشنها تساقطُ الأوراقِ
زمنٌ لو بكيتُهُ حَسْبَ وجدي ... كنتُ أبكيه من دمِ الأحداقِ

وقال :

قد رضيتُ الهوى لنفسيَ خلّاً ... ورأيتُ الممات في الحبِّ سهلا
وتذللتُ للحبيب وعزُّ الـ ... ـصبِّ في سُنَّةِ الهوى أن يذلا

1089 ـ ترجمة المراغي في الفهرست : 94 وإنباه الرواة 3 : 196 والوافي 4 : 121 وبغية الوعاة 1 : 196 .

1090 ـ ترجمة الدقيقي في الوافي 4 : 179 وبغية الوعاة 1 : 179 .

1091 ـ هذه ترجمة غريبة ولا أدري من أين جاء بها ياقوت ، والأشعار التي أوردها لم أجدها في المصادر الأندلسية .

بــأبي من أحــلَّ قـتليَ عـمــداً ومبــاحٌ لسيــدي مــا استحــلا
سوف أجزي الحبيبَ بـالصدّ ودّا مستجــداً وبـالقـطيعــة وصــلا
وإذا مــا استــزاد تيهــاً وعجبــاً زدتُ طـوعــاً لـه خضـوعــاً وذلا

وقال :

تبـدتْ بأكنـاف الحجـازِ ديـارُهَـا فأوقد نارَ الوجدِ في القلب نارُها
كأنّ بأنفـاسي استمدتْ ضـرامها وعن كبدي الحرَّى تلظى استعارها
يحنُّ إليهــا القلبُ حتى كـأنمــا إليــه تنـاهيهــا ومنه انتشــارهـا

وقال :

لئن وعـــدتني وصلهَا وعــدَ عــاتبٍ يجــاحـدني وعــدي وينكـرني حقّي
فأفضلُ صوبِ الغيثِ في الأرضِ دافقٌ وأبلغُـهُ مـا جــاء بـالــرعـدِ والبــرقِ
فـان مـانعتني فَضْــلَ إنجـازِ مــوعـدٍ فان الحيا الممنوعَ أشهى إلى الخلقِ
فـلا كـان لي في الأرض رزقٌ أنـالُـهُ إذا لم يكن في نيـلِ موعـدهـا رزقي

وقال :

ومختــطفٍ للعيـن بتُّ أشيمُـهُ مخـالسـةً والليـلُ حيـرانُ مـطرقُ
سرى يخبط الظلمـاءَ حتى كأنـه بـوجديَ يسـري أو بقلبيَ يخفقُ

وقال :

غيــرُ مستنكــرٍ همــولُ دمــوعي في التصابي وغيرُ بدْعٍ خشوعي
ليس عــزّي إلا فنـاءَ اعتــزازي وارتقــائي إلا بقــاءَ خضــوعـي
وبـحسـبي أنـي ألاقي عــذولـي بـاصطبـارٍ عاصٍ ودمعٍ مطيـعِ

وقال :

ولما حمى الشوقُ المبرح ناظري كـراه حـذاراً أن يــريني مثـالَــهُ
شـربتُ عقـاراً أفكـرتني بـريقِــهِ ونشــوتهـا أهــدتْ إليَّ خيـالَــهُ
فيا نشوةً كانت على الصبِّ نعمةً أنـالتْ يدي مـا لم أؤمـلْ نـوالـهُ

وقال :

راجعـه شـوقُـهُ فحنَّـا وشفَّـه شجـوُهُ فـأنَّـا
وسـال مـن دمعـه مصـونٌ أظهـر مـا كـان مستكنـا
فعـاد فيـه الهـوى يقينـاً وكـان عنـد الرقيـب ظنـا
لـو كـان يلقى الـذي ألاقي أوسعنـي رحمـةً وحـنَّـا

وقال :

بين أجفـانهـا وبين ضلوعي نازعتني الحياةَ أيـدي المنونِ
لستُ أدري أعن مـدى طرفهـا الفـاتنِ مـوتي أم طـرفيَ المفتـونِ

وقال :

يـا ربيعي ما كـان ضـرَّك لـو جُـدْ تَ علينـا كمـا يجـودُ الـربيـعُ
وردهُ ذاهـبٌ ووردك بـاقٍ وهـو سـمـحٌ بـه وأنت منـوعُ
كُنْ شفيعي إليـكَ يـا جنـةَ الخلـ ـدِ فمـا لي غيرُ الخضـوعِ شفيـعُ

ـ 1092 ـ

محمد بن عمران بن موسى بن سعيد بن عبد الله المرزباني أبو عبد الله(1) الراوية الاخباري الكاتب : كان راويةً صادقَ اللهجةِ واسعَ المعرفة بالـروايات كثيـرَ السماع ، روى عن البغوي وطبقته ، وأكثر روايتِهِ بالاجازة ، لكنه يقول فيها أخبرنا ، وكان ثقةً صدوقاً من خيار المعتزلة .

قال أبو القاسم الأزهري(2) : كان المرزباني يضعُ المحبرةَ وقنينةَ النبيذ ، فلا

1092 ـ ترجمة المرزباني في الفهرست : 146 وتاريخ بغداد 3 : 135 والأنساب (المرزباني) والمنتظم 7 : 177 وإنباه الرواة 3 : 180 واللباب 3 : 195 وابن خلكان 4 : 354 وعبر الذهبي 3 : 27 وسير الذهبي 16 : 447 وميزان الاعتدال 3 : 672 والوافي 4 : 235 والبداية والنهاية 11 : 314 ولسان الميزان 5 : 326 والنجوم الزاهرة 4 : 168 والشذرات 3 : 111 .

(1) في مواضع أخرى : أبو عبيد الله .

(2) قارن بما في انباه الرواة 3 : 181 .

يزال يكتب ويشرب .

وقال القاضي الحسين بن علي الصيمري[1] : سمعت المرزباني يقول : كان في داري خمسون ما بين لحافٍ ودواج معدةً لأهل العلم الذين يبيتون عندي .

وصنف كتباً كثيرة في أخبار الشعراء والأمم والرجال والنوادر ، وكان حسن الترتيب لما يصنفه ، يقال انه أحسن تصنيفاً من الجاحظ .

وُلد في جمادى الآخرة سنة سبع وتسعين ومائتين وتوفي سنة ثمان وسبعين وثلاثمائة ، وقال الخطيب أربع وثمانين وثلاثمائة .

وله من التصانيف : أخبار الشعراء المشهورين والمكثرين من المحدثين وأنسابهم وأزمانهم أولهم بشار بن برد وآخرهم ابن المعتز عشرة آلاف ورقة . أخبار أبي تمام نحو مائة ورقة . أخبار أبي مسلم الخراساني صاحب الدعوة أكثر من مائة ورقة . أخبار الأولاد والزوجات والأهل وما جاء فيهم من مدح وذم نحو مائتي ورقة . أخبار البرامكة من ابتداء أمرهم إلى انتهائه مشروحاً نحو خمسمائة ورقة . أخبار عبد الصمد بن المعذل الشاعر . أخبار محمد بن حمزة العلاف نحو مائة ورقة . أشعار النساء نحو ستمائة ورقة[2] . أشعار الجن المتمثلين فيمن تمثل منهم بشعر أكثر من مائة ورقة . الأنوار والثمار فيما قيل في الورد والنرجس وجميع الأنوار من الأشعار وما جاء فيها من الآثار والأخبار ثم ذكر الثمار وجميع الفواكه وما جاء فيها من مستحسن النظم والنثر . تلقيح العقول ، أكثر من مائة باب ، وهو أكثر من ثلاثة آلاف ورقة . الرياض في أخبار المتيمين من الشعراء الجاهليين والمخضرمين والإسلاميين والمحدثين . شعر حاتم الطائي . كتاب الأزمنة ألف ورقة ، ذكر فيه أحوال الفصول الأربعة والحرّ والغيوم والبروق والرياح والأمطار وأوصاف الربيع والخريف وطرفاً من الفلك وأيام العرب والعجم وسنيهم وما يلحق بذلك من الأخبار والأشعار . كتاب الأوائل في أخبار الفرس القدماء وأهل العدل والتوحيد وشيء من مجالسهم نحو ألف ورقة . كتاب الدعاء نحو مائتي ورقة . كتاب ذم الحجاب نحو مائتي ورقة . كتاب ذم الدنيا نحو خمسمائة

(1) المصدر نفسه .

(2) لم يبق من هذا الكتاب الكبير سوى قطعة قام بتحقيقها سامي مكي العاني وهلال ناجي ، بغداد 1976 .

ورقة . كتاب الشباب والشيب نحو ثلاثمائة ورقة . كتاب الزهد وأخبار الزهاد . كتاب الشعر وهو جامع لفضائله وذكر محاسنه وأوزانه وعيوبه وأجناسه وضروبه ومختاره وأدب قائليه ومنشديه وبيان منحوله ومسروقه وغير ذلك . كتاب الفرخ نحو مائة ورقة . كتاب العبادة نحو أربعمائة ورقة . كتاب المحتضرين نحو مائة ورقة . كتاب المراثي نحو خمسمائة ورقة . كتاب المغازي ثلاثمائة ورقة . كتاب نسخ العهود إلى القضاة نحو مائتي ورقة . كتاب الهدايا نحو ثلاثمائة ورقة . كتاب المديح في الولائم والدعوات نحو خمسمائة ورقة . المتوج في العدل وحسن السيرة أكثر من مائة ورقة . المرشد في أخبار المتكلمين نحو مائة ورقة . المستطرف في الحمقى والنوادر نحو ثلاثمائة ورقة . المشرف في حكم النبي ﷺ وآدابه ومواعظه ووصاياه . المفصل في البيان والفصاحة نحو ثلاثمائة ورقة . المزخرف في الإخوان والأصحاب أكثر من ثلاثمائة ورقة . المعجم ذكر فيه الشعراء على حروف المعجم فيه نحو خمسة آلاف اسم ، ألف ورقة[1] . المقتبس في أخبار النحويين البصريين ، وأول من تكلم في النحو وأخبار القراء والرواة من أهل البصرة والكوفة ، نحو ثمانين ورقة[2] . الموسع فيما أنكره العلماء على بعض الشعراء من كسر ولحن وعيوب الشعر ثلاثمائة ورقة . المنير في التوبة والعمل الصالح ، نحو أربعمائة ورقة . المفيد في أخبار الشعراء وأحوالهم في الجاهلية والإسلام ودياناتهم ونحلهم ، نيف وخمسة آلاف ورقة . الموثق في أخبار الشعراء الجاهليين والمخضرمين والإسلاميين على طبقاتهم نيف وخمسة آلاف ورقة . الواثق في وصف أحوال الغناء وأخبار المغنين والغناء والمغنيات الاماء والأحرار ، وله غير ذلك[3] .

---

(1) نشر كرنكو منه القسم الثاني وهو يبدأ بذكر من اسمه عمرو ، ثم أعاد نشر هذا القسم عبد الستار فراج ، القاهرة 1960 وقد تتبع فراج مواضع النقل في المصادر عن المعجم ، (المعجم 516 ـ 533) وعلى أساس هذا قام د . ابراهيم السامرائي بجمع جزء من تلك التراجم دون استيفاء (من الضائع عن معجم الشعراء ، بيروت 1984) وقام بجمع عدد آخر من هذه التراجم ، إحسان عباس ونشره في مجلة الأبحاث (الجامعة الأميركية 1985) ولا يزال هناك مجال لجمع عدد من تلك التراجم .

(2) بقي منه مختصره بعنوان نور القبس ، وهو الذي اعتمد عليه في هذا الكتاب ، وقد نشره رودلف زلهايم .

(3) من كتبه المطبوعة أيضاً الموشح ؛ ولعله هو المذكور باسم « الموسع » تصحيفاً . وله كتاب كبير باسم « المستنير » ينقل عنه ابن العديم في بغية الطلب .

ـ 1093 ـ

محمد بن عمران أبو جعفر الكوفي النحوي : كان يؤدب عبد اللّه بن المعتز ، وكان نحوياً عارفاً بالقراءة والعربية بعيد النظر في النوادر ، روي أنه حين كان يؤدب ابن المعتز أقرأه يوماً سورة والنازعات وقال له : إذا سألك أمير المؤمنين في أي سورة أنت فقل له أنا في السورة التي تلي سورة عَبَس ، فلما سأله أبوه المعتز عن ذلك قال له : أنا في السورة التي تلي عبس ، فقال له : من علمك هذا ؟ فقال مؤدبي أبو جعفر ، فأمر له بعشرة آلاف درهم ، وكان أبو جعفر عالماً بالحديث والأثر وثّقه الحافظ علي بن عمر وغيره .

ـ 1094 ـ

محمد بن عمر بن الحسين فخر الدين أبو عبد الله الرازي الفقيه الحكيم الأديب المتكلم المفسر العلّامة فريد دهره ونسيج وَحدِه فخر الدين أبو عبد الله القرشي التيمي البكري الطبرستاني الأصل الرازي المولد ابن خطيب الريّ الشافعي الأشعري :

علّامة العلماء والبحرُ الذي ... لا ينتهي ولكلّ بحرٍ ساحِلُ
ما دار في الحنك اللسان وقلّبتْ ... قلماً بأحسن من ثناه انامِلُ

ولد سنة أربع وأربعين وخمسمائة واشتغل على والده الإمام ضياء الدين وكان من تلامذة محيي السنة أبي محمد البغوي ، وكان إذا ركب يمشي حوله نحو ثلاثمائة تلميذ فقهاء وغيرهم ، وكان خوارزم شاه يأتي إليه . وكان شديد الحرص جدًّا في

1093 ـ ترجمة محمد بن عمران الكوفي في تاريخ بغداد 3 : 132 وإنباه الرواة 3 : 179 ونزهة الألباء : 141 والوافي 4 : 235 .

1094 ـ ترجمة الفخر الرازي في كامل ابن الأثير 12 : 120 وتاريخ الحكماء : 291 ومرآة الزمان 8 : 542 وقلائد الجمان لابن الشعار 6 : 107 والتكملة للمنذري (رقم 1121) وذيل الروضتين : 68 وابن أبي أصيبعة 2 : 23 والجامع المختصر 9 : 306 وتاريخ ابن العبري : 240 وابن خلكان 4 : 248 وسير الذهبي 21 : 500 والوافي 4 : 248 وطبقات السبكي 5 : 33 والبداية والنهاية 13 : 55 ولسان الميزان 4 : 426 والنجوم الزاهرة 6 : 197 (والترجمة المثبتة هنا من الوافي ، وهي بعيدة عن طريقة ياقوت ، وفيها اقتباس قليل منه ، انظر الضائع : 163) .

العلوم الشرعية والحكمية، اجتمع له خمسة أشياء ما جمعها الله لغيره فيا علمته من امثاله وهي سعة العبارة في القدرة على الكلام وصحّة الذهن والاطلاع الذي ما عليه مزيد والحافظة المستوعبة والذاكرة التي تعينه على ما يريده في تقرير الأدلّة والبراهين ، وكان فيه قوّة جدلية ونظر دقيق ، وكان عارفاً بالأدب له شعر بالعربي ليس في الطبقة العليا ولا السفلى وشعر بالفارسي لعلّه يكون فيه مجيداً . وكان عَبل البدن رَبع القامة كبير اللحية في صورته فخامة . كانوا يقصدونه من اطراف البلاد على اختلاف مقاصدهم في العلوم وتفنّنهم فكان كلّ منهم يجد عنده النهاية فيما يرومه منه . قرأ الحكمة على المجد الجيلي، والجيلي من كبار الحكماء وقرأ بعد والده على الكمال السمناني وقيل على الطَبَسي صاحب « الحائز في علم الروحاني » والله أعلم .

وله تصانيف ورُزق الإمام فخر الدين السعادة العظمى في تصانيفه وانتشرت في الآفاق وأقبل الناس على الاشتغال بها ورفضوا كتب الأقدمين . وكان في الوعظ باللسانَيْن مرتبةً عليا وكان يلحقه الوَجْدُ حالَ وعظِه ويحضر مجلسه ارباب المقالات والمذاهب ويسألونه. ورجع بسببه خلقٌ كثير من الكرامية وغيرهم إلى مذهب السنّة وكان يلقّب بهراة شيخ الإسلام . يقال انه حفظ « الشامل في أصول الدين » لإمام الحرمين . قصد خوارزم وقد تمهّر فجرى بينه وبين أهلها كلام فيما يرجع إلى العقيدة فأُخرج من البلد ، وقصد ما وراء النهر فجرى له أيضاً ما جرى بخوارزم ، فعاد إلى الريّ وكان بها طبيبٌ حاذق له ثروة وله بنتان فزوّجهما بابني فخر الدين ومات الطبيب فاستولى على جميع نعمته ومن ثم كانت له النعمة . ولما وصل السلطان شهاب الدين الغوري صاحب غزنة بالغ في إكرامه وحصلت له اموالٌ عظيمة منه . وعاد إلى خراسان واتصل بالسلطان خوارزم شاه محمد بن تكش وحظي عنده وأظنّه توجّه رسولاً منه إلى الهند .

وهو أول من اخترع هذا الترتيب في كتبه وأتى فيها بما لم يُسبَق إليه لأنه يذكر المسألة ويفتح باب تقسيمها وقسمة فروع ذلك التقسيم ويستدلّ بأدلّة السبر والتقسيم فلا يشذّ منه عن تلك المسألة فرعٌ لها بـه علاقة فانضبطت له القـواعد وانحصرت معه المسائل ، وكان ينال من الكرامية وينالون منه .

ويقـال إن الإمام فخـر الدين الـرازي رحمه الله كـان يعظ الناس على عـادة مشايخ العجم وأن الحنابلة كانوا يكتبون له قصصاً تتضمّن شتمه ولعنه وغير ذلك من

القبيح ، فاتفق انهم رفعوا إليه يوماً قصّةً يقولون فيها ان ابنه يفسق ويزني وان امرأته كذلك، فلما قرأها قال: هذه القصّة تتضمّن أن ابني يفسق ويزني وذلك مظنّة الشباب فإنه شعبة من الجنون ونرجو من الله تعالى اصلاحه والتوبة ، وأمّا امرأتي فهذا شأن النساء الا مَن عصمه اللّه وأنا شيخ ما فيّ للنساء مستمتَعٌ، هذا كلُّه يُمكِن وقوعه ، وأمّا انا فوالله لا قلت ان الباريء سبحانه وتعالى جسمٌ ولا شبّهتُه بخلقه ولا حيّزتُه ، انتهى .

ولما توفي الإمام فخر الدين بهراة في دار السلطنة يوم عيد الفطر سنة ست وستمائة كان قد أملى رسالةً على تلميذه ومصاحبه إبراهيم بن أبي بكر بن علي الأصبهاني تدلّ على حسن عقيدته وظنّه بكرم الله تعالى ومقصده بتصانيفه ، والرسالة مشهورة ولولا خوف الإطالة لذكرتها ولكن منها : وأقول ديني متابعة سيّد المرسلين ، وقائد الأولين والآخرين إلى حظائر قدس ربّ العالمين ، وكتابي هو القرآن العظيم وتعويلي في طلب الدين عليهما ، اللّهمّ يا سامع الأصوات ، ويا مجيب الدعوات ، ويا مُقيل العثرات ، ويا راحم العبرات ، ويا قيام المحدثات والممكنات ، انا كنت حسن الظنّ بك ، عظيم الرجاء في رحمتك ، وأنت قلت : انا عند ظنّ عبدي بي فليظنّ بي خيراً ، وأنت قلت : أمَّنْ يجيب المضطرَ اذا دعاه ، وأنت قلت : وإذا سألك عبادي عنّي فإنّي قريب ، فهب أنّي ما جئت بشيء فأنت الغنيّ الكريم ، وأنا المحتاج اللئيم ، وأعلمُ انه ليس لي أحد سواك ، ولا أحد كريم سواك ، ولا أحد مُحسن سواك ، وأنا معترف بالزلّة والقصور ، والعيب والفتور ، فلا تُخيّب رجائي ، ولا تردّ دعائي ، واجعلْني آمناً من عذابك قبل الموت ، وعند الموت ، وبعد الموت ، وسهِّل عليّ سَكَرات الموت ، وخفِّض عنّي نزول الموت ، ولا تُضيّق عليّ سبب الآلام والأسقام فإنك أرحم الراحمين . ثم قال في آخرها : واحملوني إلى الجبل المصاقب لقرية مُزْدَاخان وادفنوني هناك ، وإذا وضعتموني في اللحد فاقرأوا عليّ ما تقدرون من آيات القرآن العظيم ثم ردّوا عليّ التراب بالمساحي ، وبعد إتمام ذلك قولوا مبتهلين إلى الله مستقبلين القبلة ، على هيئة المساكين المحتاجين : يا كريم ، يا كريم ، يا عالماً بحال هذا الفقير المحتاج ، أحسِنْ إليه ، واعطفْ عليه ، فأنت أكرم الأكرمين ، وأنت أرحم الراحمين ، وأنت الفعّال به وبغيره ما تشاء ، فافعلْ به ما أنت أهله ، فأنت أهل التقوى وأهل المغفرة انتهى . قلت : ومَن وقف على هذه الألفاظ علم ما كان عليه

هذا الإمام من صحّة الاعتقاد ويقين الدين واتّباع الشريعة المطهَّرة :

صـلاةٌ وتسليم وَروْحٌ وراحـةٌ　　　عليه وممدودٌ من الظلّ سَجْسَجُ

وأكثر شناع عليه لخصومه انه أكثرَ من إيراد الشُبَه والأدلّة للخصوم ولم يُجِب عنها بطائل .

ولما مات الإمام فخر الدين خلف ثمانين ألف دينار سوى الدوابّ والعقار وغير ذلك ، وخلف ولدَيْن ، الأكبر منهما تجنّد في حياة أبيه وخدم خوارزم شاه ، والآخر اشتغل ولم نعلم له ترجمة وأظنّه الذي صنّف له « الأربعين في أصول الدين » لكنه قال : لأكبر أولادي محمد ، والله أعلم . وكان له في أيامه صورة كبيرة وجلالة وافرة وعظمة زائدة . قال أبو المحاسن محمد بن نصر الله بن عُنين : كنت بخراسان في مجلس الفخر الرازي إذ اقبلت حمامةٌ يتبعها جارحٌ فسقطت في حجر الرازي وعاذت به وهو على منبره فقمت وأنشدت بديهاً :

يا ابن الكرام المُطعِمين إذا شَتَوا　　　في كـلّ مسغبةٍ وثلجٍ خـاشفِ
والعاصمين إذا النفوس تطايرتْ　　　بين الصوارم والوشيج الراعفِ
مَن نبّأ الورقاء انّ محلّكم　　　حرمٌ وأنك ملجأ للخائفِ
وافتْ اليك وقد تدانى حَتْفُها　　　فحبَوْتَها ببقائها المستانَفِ
ولو انها تُحَبى بمالٍ لانثنتْ　　　من راحتَيْك بنائلٍ متضاعفِ
جاءت سليمانَ الزمانِ حمامةٌ　　　والموت يلمَعُ من جناحَيْ خاطفِ

فخلع عليه جبّةً كانت عليه ، قال : فكان هذا سبباً لإقبال السعود عليّ وتسنّي الآمال لديّ ، انتهى . واقترح الإمام عليه قصيدةً في كلّ كلمة منها سينٌ فنظمها ابن عُنين وأولها :

مَرْسى السيادة سنّة سيفيّةٌ　　　محروسة مسعودةُ التأسيسِ

واقترح عليه قصيدةً أخرى في كلّ كلمة منها حاء فنظمها أيضاً وأولها :

حيَّا محلَّ الحاجبيّة بالحِمَى　　　والسفحَ سَيْحُ مُدَلّحٍ سحّاحِ

والقصيدتان مثبتتان في ديوانه .

ومن تصانيف الإمام فخر الدين : « التفسير » الذي له ، وهو في ستة وعشرين مجلّداً ذكر تفسير الفاتحة منه في مجلّدة وهو على تجزئة الفاتحة في أكثر من ثلاثين مجلّداً ، وأكمل التفسير على المنبر املاءً . « تفسير سورة البقرة ، على الوجه العقلي لا النقلي . أسرار التنزيل وأخبار التأويل . نهاية العقول في أصول الدين ، يكون في أربع مجلّدات . المطالب العالية في الأصول أيضاً في أربعة كبار . كتاب الأربعين في مجلّـدة كبيـرة . المحصّل مجلّدة . كتاب الخمسين صغير . المعالم في أصول الدين والفقه. الخلق والبعث، مجلّدة. تأسيس التقديس، مجلّدة. البيان والبرهان في الرد على أهل الزيغ والطغيان. المحصول في أصول الفقه في مجلّدين. المنتخَب في أصول الفقه، مجلّدة . النهاية البهائية في المباحث القياسية . أجوبة المسائل النجارية . الطريقة العلائية في الخـلاف، أربـع مجلّدات. شـرح أسمـاء اللّه الحسنى. إبـطال القيـاس. المِلل والنحل . المباحث العمادية في المطالب المعادية. تحصيل الحقّ . عيون المسائل . إرشاد النُظّار إلى لطائف الأسرار . فضائل الصحابة . القضاء والقدر . ذمّ الدنيا . نفثة المصدور. إحكام الأحكام . الرياض المؤنقة . عصمة الأنبياء . تعجيز الفلاسفة بالفارسي . الأخلاق . اللطائف الغياثية . الرسالة الكمالية في الحقائق الإلهية بالفارسي عرّبها تاج الدين الأرموي . رسالة الجوهر الفرد. الآيات البيّنات في المنطق . ترجيح مذهب الشافعي وأخباره . شرح أبيات الشافعي الأربعة التي أولها : وما شئتَ كان وإن لم أشأ، أظنّه كتاب القضاء والقدر. الزبدة. نهاية الإيجاز. اختصار دلائل الإعجاز. المحرَّر في النحو . قطعة من شرح الوجيز . شرح المفصّل لم يتمّه . شرح ديوان المتنبّي . شرح سقط الزند . لُباب الإشارات . شرح الإشارات . الإشارات . له أيضاً شرح نهج البلاغة ولم يتمّ. الحكمة المشرقية ، تكو في ثلاثة. المختصّ يكون في مجلّدين. شرح كليات القانون. الطبّ الكبير ولم يتمّ. عيون الحكمة. مصادرات أقليـدس. التشريـح ولم يتمّ. النبض. الاختيارات السماوية . السرّ المكتوم في علم الطلاسم والنجوم . منتخَب درج تَنْكَلُوشا، وقيل أنه شرحها. رسالة في النبوّات. رسالة في النفس. مباحث الوجود . مباحث الحدود . رسالة في التنبيه على الأسرار المودعة في بعض سور القرآن .

قال أبو علي الحسين الواسطي : سمعت فخر الدين بهـراة ينشد على المنبـر

عقيب كلامٍ عاتب أهل البلد فيه :

المرءُ ما دام حيًّا يُستهان به ... ويعظم الرزءُ فيه حين يُفتقَدُ

ومن شعر الإمام فخر الدين :

فلو قنعتْ نفسي بميسور بُلغةٍ ... لما سبقت في المكرمات رجالَهَا
ولو كانت الدنيا مناسِبةً لها ... لما استحقرتْ نقصانها وكمالَهَا
ولا ارمُقُ الدنيا بعين كرامةٍ ... ولا اتوقَّى سوءَها واختلالَهَا
وذاك لأني عارفٌ بفنائها ... ومستيقنٌ ترحالها وانحلالَهَا
أرُوم أموراً يصغر الدهرُ عندها ... وتستعظم الأفلاكُ طُرًّا وصالَهَا

ومنه :

أرواحُنا ليس ندري أين مذهبها ... وفي التراب تُوارَى هذه الجثَثُ
كونٌ يُرَى وفسادٌ جاء يتبعه ... واللَّه يعلم ما في خلقه عَبَثُ

ومنه :

نهايةُ إقدام العقول عقالُ ... وأكثرُ سعي العالمين ضلالُ
وأرواحنا في وحشة من جسومنا ... وحاصِلُ دنيانا رَدىً ووبالُ
ولم نستفِدْ من بحثنا طولَ دهرنا ... سوى ان جَمَعْنا فيه قلتُ وقالوا
وكَمْ قد رأينا من رجالٍ ودولةٍ ... فبادُوا جميعاً مُسرعين وزالوا
وكَم من جبالٍ قد علتْ شرفاتِها ... وِعالٌ فزالت والجبال جبالُ

وله قصيدة نونية طويلة سمّاها « الهادية للتقليد المؤدّية إلى التوحيد » أولها :

يا طالب التوحيد والإيمانِ ... أبشِرْ بكلّ كرامةٍ وأمانِ
واعلمْ بأنّ أجلّ أبواب الهُدَى ... تقريرُ دين اللَّه بالبرهانِ

ورجمه الكرّامية يوماً على المنبر وزرّقوا عليه مَن سقاه السمّ واللَّه أعلم فمات من ذلك .

(قال ياقوت) : وجدت على ظهر كتابٍ من تصانيف فخر الدين الرازي ما صورته :

قال الأديب الأَخسيكتي :

إنّ بالمشرق فينا جبل العلم ابن سينا
فدع المغرب يذكرْ ذرّةً من طور سينا

فقال السِراج :

اعْلَما علماً يقينا أنّ ربّ العالَمينا
لو قضى في عالميهم خدمةً للعالِمينا
خدم الرازيَّ فخراً خدمةَ العبدِ ابنُ سينا

وقيل أيضاً :

قد تركنا قد نسينا حكمة الشيخ ابن سينا
حين شاهدنا عياناً حكمة الرازيّ فينا
نحن قد بِعْنا حصاةً واشترينا طور سينا

وقيل أيضاً :

نحن بالجهلِ ابتُلينا نحن بالحُمق رُمينا
نحن قضّينا زماناً في تصانيف ابن سينا
ثم صِرنا آمنينا عن مقال الطاعنينا
حين طالعنا كلاماً يُشبه الدرّ الثمينا
صاغه الرازيُّ فينا كاملاً فخماً مُبينا
ربِّ فاجعلْه بحالٍ يُشبه الروح الأمينا

(وقال ياقوت في «معجم الأدباء») : سألت ولده ضياء الله علي فقلت له : على من قرأ والدك العلوم ؟ فقال : ليس له شيخ مشهور إلا أنه رحل إلى أذربيجان وكان بها رجل يقال له مجد الدين الجيلي فقرأ عليه ، ثم فتح الله عليه فتحاً كبيراً وأخذ

من الكتب ، ورحل إلى خوارزم ثم إلى ما وراء النهر ورجع إلى خراسان ومنها إلى باميان ، وحصل له الجاه والمال بمجاورة ابن سام ، فلما انتزع منه بلاده خوارزم شاه علاء الدين تكش فوض إليه صدارة هراة واستوطنها .

ـ 1095 ـ

محمد بن عمر بن عبد العزيز بن إبراهيم بن عيسى بن مزاحم ، المعروف بابن القوطية ، الاشبيلي الأصل القرطبي ، أبو بكر اللغوي النحوي الأديب الشاعر : كان أعلمَ أهلِ زمانه باللغة والعربية ، إماماً مقدماً فيهما ، وأروى أهلِ عصره للأشعار والأخبار ، لا يُشَقُّ في ذلك غبارُهُ ولا يُلْحَقُ شأوه ، وكان مع ذلك فقيهاً متمكناً حافظاً للحديث والآثار ، غير أنه لم يكن له في ذلك أصول يرجعُ إليها فلم يكن ضابطاً للرواية ، وَكان ما يُسْمَعُ منه من ذلك إنما يُحْمَلُ على المعنى دون اللفظ ، وكان كثيراً ما يُقْرَأ عليه ما لا رواية له فيه على سبيل الضبط والتصحيح . وكان مضطلعاً بأخبار الأندلس راويةً لسير ملوكها وأمرائها وعلمائها وشعرائها حافظاً لأخبارهم يملي ذلك عن ظهر قلبه ، وكان أكثرَ ما يؤخذ عنه ويقرأ عليه كتبُ اللغة . ولما دخل أبو علي القالي الأندلس اجتمع به ، وكان يبالغ في تقديمه وتعظيمه ، حتى قال له الخليفة المستنصر الحكم بن عبد الرحمن : من أنبلُ من رأيته ببلدنا في اللغة ؟ فقال : أبو بكر ابن القوطية . ومما كان يزين علمه وفضله اتصافه بالزهد والتقوى والنسك ، وكان في أول أمره ينظم الشعر بالغاً فيه حدَّ الاجادة مع الاحسان في المطالع والمقاطع وتخير الألفاظ الرشيقة والمعاني الشريفة ، ثم ترك ذلك وأقبل على النسك والانفراد .

1095 ـ ترجمة ابن القوطية في تاريخ ابن الفرضي 2 : 76 ويتيمة الدهر 2 : 73 وجذوة المقتبس : 71 (وبغية الملتمس رقم : 223) وإنباه الرواة 3 : 178 وابن خلكان 4 : 368 وعبر الذهبي 2 : 345 وسير الذهبي 16 : 219 والوافي 4 : 242 ومرآة الجنان 2 : 389 والديباج المذهب 2 : 217 ولسان الميزان 5 : 324 وبغية الوعاة 1 : 198 والنفح 3 : 73 والشذرات 3 : 62 وشجرة النور الزكية 1 : 99 .

قال الثعالبي : أخبرني أبو سعيد ابن دوست قال أخبرني الوليد بن بكر الفقيه ان أبا بكر يحيى بن هذيل الشاعر زار يوماً ابنَ القوطية في ضيعةٍ له بسفح جبل قرطبة كان منفرداً فيها عن الناس ، فألفاه خارجاً منها ، فلما رآه ابن القوطية استبشر به ، فبادره يحيى بن هذيل ببيت حضره على البديهة فقال :

من أين أقبلتَ يا من لا شبيه له ... ومن هو الشمسُ والدنيا له فَلَكُ

فتبسم وأجابه مسرعاً بقوله :

من منزلٍ يعجبُ النساكَ خلوتُهُ ... وفيه سترٌ على الفتّاكِ إن فتكوا

قال ابن هذيل : فما تمالكت أنْ قبلتُ يده إذ كان شيخي وأستاذي . وكان الشعر أقلَّ صنائعه لكثرة علومه وغرائبه .

سمع أبو بكر ابن القوطية من قاسم بن أصبغ وابن الأغبس وأبي الوليد الأعرج ومحمد بن عبد الوهاب بن مغيث ، وسمع بقرطبة من طاهر بن عبد العزيز ، وسمع باشبيلية من محمد بن عبد اللّه بن الفرق وسعيد بن جابر وحسن بن عبد اللّه الزبيدي وغيرهم ، ولقي أكثر مشايخ عصره بالأندلس فأخذ عنهم وأكثر النقل من فوائدهم ، وروى عنه الشيوخ والكهول ، وطال عمره فسمع الناس منه طبقة بعد طبقة ، ومن تصانيفه كتاب تصاريف الأفعال[1] ، وهو أول مصنف في ذلك . ثم تبعه ابن القطّاع السعدي فوضع كتابه على منواله . كتاب المقصور والممدود ، جمع فيه فأوعى فأعجز من بعده عن أن يأتوا بمثله وفاق به من تقدمه . وله شرح أدب الكتاب . وتاريخ الأندلس[2] ، وغير ذلك .

---

(1) طبع هذا الكتاب في ليدن 1894 ثم في القاهرة 1952 ؛ أما كتاب ابن القطاع فقد طبع في حيدر أباد الدكن 1361 هـ .

(2) طبع بعنوان : « تاريخ افتتاح الأندلس » ، ونشره أوتو جايانجوس (مدريد 1868 وترجمه خوليان ريبيرا (1926) ثم نشره أنيس الطباع (بيروت 1957) .

مات ابن القوطية يوم الثلاثاء لسبع بقين من ربيع الأول سنة سبع وستين وثلاثمائة بمدينة قرطبة ، ودفن يوم الأربعاء وقت صلاة العصر بمقبرة قريش .

والقوطية نسبة إلى القوط ، وهم ينسبون إلى قوط بن حام بن نوح كانوا بالأندلس من أيام إبراهيم عليه السلام .

ومن شعر أبي بكر ابن القوطية :

ضحىً أناخوا بوادي الطلحِ عيسَهُمُ ... فأوردوها عشاءً أيَّ إيرادِ
أكرمْ به وادياً حلَّ الحبيبُ به ... ما بين رندٍ وخابورٍ وفرصاد
يا وادياً سار عنه الركبُ مرتحلاً ... بالله قل أين سار الركبُ يا وادي
أبالغضا نزلوا أم للوى عدلوا ... أم عنك قد رحلوا خلفاً لميعادي
بانوا وقد أورثوا جسمي الضنا وكأنْ ... كان النوى لهمُ أو لي بمرصاد

وقال[1] :

ضحك الثرى وبدا لك استبشارُهُ ... واخضرَّ شاربه وطرَّ عذارُهُ
ورنتْ حدائقُهُ وآزرَ نبتُهُ ... وتبسمتْ أنواره وثماره
واهتز قدُّ الغصنِ لما ان كسي ... ورقاً كديباجٍ يروق إزاره
وتعممت صُلْعُ الربى بنباتها ... وترنمتْ في لحنها أطياره

(1) الأبيات في المطمح : 288 والبديع : 20 والنفح 4 : 25 .

- 1096 -

محمد [بن عمر] بن واقد الواقدي المدني مولى الأسلميين : أحد أوعية العلم وصاحب التصانيف الكثيرة ، سمع من مالك بن أنس والثوري ومعمر بن راشد وابن أبي ذئب وغيرهم، وروى عنه جماعة من الأعيان، وكاتبه محمد بن سعد الزهري ، وكان عارفاً برأيي مالك وسفيان الثوري .

وقال أبو داود الحافظ : بلغني أنّ ابن المديني قال : كان الواقدي يروي ثلاثين ألف حديث غريب . وكان إلى حفظه المنتهى في المغازي والسير والأخبار وأيام الناس والوقائع والفقه وغير ذلك . ولقي الواقدي ابن جريج وابن عجلان ومعمراً وثور بن يزيد .

وقال الإمام إبراهيم الحربي[1] : الواقدي أمينُ الناس على الاسلام .

وقال البخاري[2] : سكتوا عنه .

وقال محمد بن إسحاق[3] : والله لولا أنه عندي ثقة ما حدثت عنه .

وقال مصعب بن الزبير : والله ما رأينا مثل الواقدي . وقال أيضاً : الواقدي ثقة مأمون .

وقال الإمام إبراهيم الحربي : من قال ان مسائل مالك وابن أبي ذئب تؤخذ من

1096 - ترجمة الواقدي في طبقات ابن سعد 7 : 334 وتاريخ خليفة : 472 والمعارف : 518 والفهرست : 111 وتاريخ بغداد 3 : 3 والكامل لابن الأثير 6 : 385 وابن خلكان 1 : 506 وعبر الذهبي 1 : 353 وسير الذهبي 9 : 454 وميزان الاعتدال 3 : 662 وتذكرة الحفاظ: 348 والوافي 4 : 238 وتهذيب التهذيب 9 : 363 والنجوم الزاهرة 2 : 184 والشذرات 2 : 18 .

(1) تهذيب التهذيب 9 : 365 وسير الذهبي 9 : 458 ويقول الحربي فيه أيضاً : كان الواقدي أعلم الناس بأمر الاسلام وأما الجاهلية فلم يعلم منها شيئاً .

(2) سير الذهبي 9 : 457 .

(3) نسبه في تهذيب التهذيب (366) إلى الصنعاني وانظر تاريخ بغداد : 903 .

أوثق من الواقدي فلا تصدقه .

وقال الحافظ الدراوردي[1] : الواقدي أمير المؤمنين في الحديث .

وقال محمد بن سلام الجمحي[2] : الواقدي عالم دهره .

وقال جابر بن كردي : سمعت يزيد بن هارون يقول : الواقدي ثقة . ووثقه أيضاً أبو عبيد القاسم بن سلام .

وقال الخطيب في تاريخه[3] : قدم الواقدي بغداد وولي قضاءَ الجانبِ الشرقي منها ، وهو ممن طبق الأرض شرقها وغربها ذكره ، ولم يخف على أحد عرف الأخبار أمره ، وسارت الركبان بكتبه في فنون العلم من المغازي والسير والطبقات وأخبار النبي ﷺ والأحداث الكائنة في وقته وبعد وفاته وكتب الفقه واختلاف الناس في الحديث وغير ذلك ، وكان جواداً مشهوراً بالسخاء (انتهى) .

وسئل معن القزاز عن الواقدي فقال : أنا أُسألُ عن الواقدي ؟ الواقدي يُسْأل عني ؛ يعني تحري الواقدي في معرفة الرجال .

قال المؤلف : وهو مع ذلك ضَعَّفَهُ طائفة من المحدثين كابن معين وأبي حاتم والنسائي وابن عدي وابن راهويه والدارقطني . أما في أخبار الناس والسير والفقه وسائر الفنون فهو ثقة بإجماع . وكان الرشيد ولاه القضاء بشرقي بغداد ثم ولاه المأمون القضاء بعسكر المهدي ، وكان يكرم جانبه ويبالغ في رعايته .

وكتب الواقدي[4] إلى المأمون مرة يشكو ضائقة ركبه بسببها دين ، وعيَّنَ مقداره ، فوقع المأمون على قصته بخطّه : فيك خلتان سخاء وحياء ، فالسخاء أطلق يديك بتبذير ما ملكت ، والحياء حملك على أن ذكرت لنا بعض دينك ، وقد أمرنا لك

(1) تهذيب التهذيب (365) .
(2) سير الذهبي 9 : 457 .
(3) تاريخ بغداد 3 : 3 .
(4) وردت هذه القصة في تاريخ بغداد 3 : 19 ونور القبس : 311 ونثر الدر 3 : 40 وبهجة المجالس 1 : 164 وكتاب بغداد: 39 ولباب الآداب 83 ـ 84 والبصائر 6 : 240 ـ 241 (رقم: 771) وشرح النهج 16 : 114 والجليس الصالح 1 : 574 (وفي البصائر مزيد تخريج) .

بضعف ما سألت ، وإن كنا قصرنا عن بلوغ حاجتك فبجنايتك على نفسك ، وإن كنا بلغنا بغيتك فزدْ في بَسْطَةِ يدك فإن خزائنَ اللّه مفتوحةٌ وَيَدَهُ بالخير مبسوطة ، وأنت حدثتني حين كنتَ على قضاءِ الرشيد أن النبي ﷺ قال للزبير : يا زبير إن مفاتيحَ الرزقِ بإزاء العرش ينزل الله سبحانه للعباد أرزاقهم على قدر نفقاتهم فمن كثَّر كَثُّر له ومن قلل قلل عليه ، قال الواقدي : وكنت نسيتُ الحديث ، وكان تذكيره لي بـه أعجبَ من صلته .

وعن ابن أبي الأزهر قال : حدثني أبو سهل الداري عمن حدثه عن الـواقدي قال[1] : كان لي صديقان أحدهما هاشميّ ، وكنا كنفس واحدة فنالتني ضيقة شديدة وحضر العيد ، فقالت امرأتي : أما نحن في أنفسنا فنصبر على البؤس والشدة ، وأما صبياننا هؤلاء فقد قطَّعوا قلبي رحمة لهم لأنهم يرون صبيان الجيران قد تـزينوا في عيدهم وأصلحوا ثيابهم وهم على هذه الحال من الثياب الـرثة ، فلو احتلتَ بشيءٍ نصرفُهُ في كسوتهم ، قال : فكتبت إلى صديقي الهاشمي أسأله التوسعة عليَّ بما حضر فوجَّه إليَّ كيساً مختوماً ذكر أن فيه ألف درهم ، فما استقر قراري إذ كتب إليَّ الصديق الآخر يشكو مثلَ ما شكوت إلى صاحبي ، فوجهت إليه الكيس بحاله ، وخرجت إلى المسجد فأقمتُ فيه ليلي مستحيياً من امرأتي ، فلما دخلت عليها وأخبرتها بما فعلتُ استحسنتْ ما كان مني ولم تعنفني عليه ، فبينا أنا كذلك إذ وافى صديقي الهاشمي ومعه الكيس كهيئته ، فقال لي اصدقني عما فعلته فيما وجهتُ إليك ، فعرفته الخبر على وجهه فقال : إنك وجهتَ إليَّ وما أملكُ على الأرض إلا ما بعثت به إليـك ، وكتبت إلى صديقنا أسأله المواساة فوجَّه إليَّ كيسي بخاتمي ، قال الواقدي : فتواسينا الكيس أثلاثاً . ونمي الخبر إلى المأمون فدعاني فشرحتُ له الخبر فأمر لنا بسبعة آلاف دينار لكلٍّ واحد ألفا دينار ، وللمرأة ألف دينار .

وروى ابن سعد عن الواقدي أنه قال[2] : ما من أحد إلا وكتبه أكثر من حفظه ، وحفظي أكثر من كتبي .

(1) قارن بما أورده الخطيب في تاريخ بغداد 3 : 19 ـ 20 .

(2) سير الذهبي 9 : 459 .

وقال يعقوب بن شيبة[1] لما تحول الواقدي من الجانب الغربي يقال إنه حمل كتبه على عشرين ومائة وقر، وقيل كان له ستمائة قمطر كتب.

وُلد سنة ثلاثين ومائة وتوفي عشية يوم الاثنين حادي عشر ذي الحجة سنة سبع ومائتين عن سبعة وسبعين عاماً، ودفن في مقابر الخيزران.

وله من الكتب كتاب الاختلاف يحتوي على اختلاف أهل المدينة والكوفة في الشفعة والصدقة والعمرى والرقبى والوديعة وعلى كتب الفقه الباقية. كتاب غلط الحديث. كتاب السنة والجماعة وذمّ الهوى. كتاب ذكر القرآن. كتاب الآداب. كتاب الترغيب في علم القرآن. التاريخ الكبير. كتاب التاريخ والمغازي والبعث. أخبار مكة. كتاب أزواج النبي ﷺ. كتاب وفاة النبي ﷺ. كتاب السقيفة وبيعة أبي بكر. كتاب سيرة أبي بكر ووفاته. كتاب الردة والدار. كتاب السيرة. كتاب أمر الحبشة والفيل. كتاب حرب الأوس والخزرج. كتاب المناكح. كتاب يوم الجمل. كتاب صفين. كتاب مولد الحسن والحسين. كتاب مقتل الحسين. كتاب فتوح الشام. كتاب فتوح العراق. كتاب ضرب الدنانير والدراهم. كتاب مراعي قريش والأنصار في القطائع ووضع عمر الدواوين. كتاب الطبقات. تاريخ الفقهاء[2].

- 1097 -

محمد بن فتوح بن عبد الله بن حميد أبو عبد الله الأزدي الحميدي الحافظ المؤرخ الأديب: أصله من قرطبة وولد بميورقة، جزيرة بالأندلس، قبل العشرين

1097 - ترجمة الحميدي في الأنساب 4: 233 (واللباب 1: 392) وفهرست ابن خير (صفحات متفرقة) والصلة: 530 ومصورة ابن عساكر 15: 850 والمنتظم 9: 96 وبغية الملتمس (رقم: 257) والكامل لابن الأثير 10: 254 وعبر الذهبي 3: 323 وسير الذهبي 19: 120 وتذكرة الحفاظ: 1218 والمستفاد من ذيل تاريخ بغداد: 34 والوافي 4: 317 ومرآة الجنان 3: 149 والبداية والنهاية 12: 152 والنجوم الزاهرة 5: 156 والنفح 2: 112 والشذرات 3: 392 والمقفى 6: 504.

(1) المصدر السابق.

(2) طبع من كتبه كتاب المغازي (1 - 3) تحقيق مارسدن جونز، وكتب أخرى منسوبة، مثل: فتوح الشام، فتوح افريقية... الخ.

وأربعمائة ، وكان يحمل على الكتف للسماع سنة خمس وعشرين وأربعمائة ، وأول من سمع منه أبو القاسم [ابن] أصبغ ، وتفقه بابن أبي زيد القيرواني وروى عنه رسالته و « مختصر المدونة»، ورحل سنة ثمانٍ وأربعين وأربعمائة إلى المشرق فحج وسمع بمكة ، وقدم مصر فسمع بها من الضراب والقراعي وغيرهما ، وكان سمع بالأندلس من الحافظ ابن عبد البر وأبي محمد ابن حزم الظاهري ولازمه وقرأ عليه أكثر مصنفاته وأكثر من الأخذ عنه وشهر بصحبته وكان على مذهبه إلا أنه لم يتظاهر بذلك ، وسمع بأفريقية ودمشق ، وأقام بواسط مدة ثم رجع إلى بغداد واستوطنها ، وروى عن الخطيب البغدادي وكتب عنه أكثر مصنفاته ، وروى الخطيب عنه أكثر مصنفاته ، وروى عنه الأمير الحافظ الأديب أبو نصر علي بن ماكولا وقال : أخبرنا صديقنا أبو عبد الله الحميدي ، وهو من أهل العلم والفضل والتيقظ ، لم أر مثله في عفته ونزاهته وورعه وتشاغله بالعلم.

وقال بعض أكابر عصره ممن لقي الأئمة : لم تر عيناي مثلَ أبي عبد الله الحميدي في فضله ونبله ونزاهته وغزارة علمه وحرصه على نشر العلم وبثه في أهله ، وكان ورعاً ثقة إماماً في علم الحديث وعلله ومعرفة متونه ورواته ، محققاً في علم الأصول على مذهب أصحاب الحديث ، متبحراً في علم الأدب والعربية . وكان يقول : ثلاثة أشياء من علوم الحديث يجب تقديمُ الاهتمام بها: العلل وأحسن كتاب صنف فيها كتاب الدارقطني ، ومعرفة المؤتلف والمختلف وأحسن كتاب وضع فيه كتاب الأمير أبي نصر ابن ماكولا ، ووفيات الشيوخ وليس فيها كتاب ، وقد كنت أردت أن أجمع في ذلك كتاباً فقال لي الأمير ابن ماكولا : رتبه على حروف المعجم بعد أن رتبته على السنين ، قال أبو بكر ابن طرخان : فشغله عنه الصحيحان إلى أن مات.

توفي ببغداد ليلة الثلاثاء سابع عشر ذي الحجة سنة ثمان وثمانين وأربعمائة ، وكان أوصى مظفراً ابن رئيس الرؤساء أن يدفنه عند قبر بشر الحافي ، فخالف وصيته ودفنه في مقبرة باب أبرز ، فلما مضت مدةٌ رآه مظفر في النوم يعاتبه على مخالفته ، فنقل في صفر سنة إحدى وتسعين وأربعمائة إلى مقبرة باب حرب ودفن عند قبر بشر ، ووجد كفنه حين نقل وبدنه طرياً تفوح منه رائحة الطيب.

صنف الحميدي جذوة المقتبس[1] في أخبار علماء الأندلس ، ألفه في بغداد ، وذكر في خطبته أنه كتبه من حفظه . وتاريخ الاسلام . والأماني الصادقة . وتسهيل السبيل إلى علم الترسيل[2] . والجمع بين الصحيحين البخاري ومسلم . وكتاب ذم النميمة . والذهب المسبوك في وعظ الملوك . وكتاب ما جاء من النصوص والأخبار في حفظ الجار . ومخاطبات الأصدقاء في المكاتبات واللقاء . وكتاب من ادّعى الأمان من أهل الايمان .

ومن شعره :

كلامُ اللّه عزَّ وجلَّ قولي ... وما صحَّتْ به الآثارُ ديني
وما اتفق الجميعُ عليه بدءاً ... وعوداً فهو عن حقٍّ مبين
فدعْ ما صدَّ عن هذا وهذا ... تكنْ منها على عين اليقين

وقال :

أَلفتُ النوى حتى أنستُ بوحشتي ... وصرتُ بها لا بالصبابة مولعا
فلم أُحْصِ كم رافقتُ فيها مرافقاً ... ولم أُحْصِ كم يممتُ في الأرض موضعا
ومن بعد جوْبِ الأرضِ شرقاً ومغرباً ... فلا بدَّ لي من أن أوافيَ مصرعا

وقال :

لقاءُ الناسِ ليس يفيدُ شيئاً ... سوى الهذيانِ من قيلٍ وقالِ
فأقللْ من لقاءِ الناسِ إلا ... لأخذِ العلم أو إصلاحِ حال

ـ 1098 ـ

محمد بن فرح أبو جعفر الغساني الكوفي النحوي : أخذ عن سلمة بن

1098 ـ ترجمة محمد بن فرح (بالحاء المهملة) في تاريخ بغداد 3 : 165 وإنباه الرواة 3 : 200 وبغية الوعاة 1 : 209 .

(1) هو من أهم مصادر ياقوت في الأندلسيين .
(2) نشره فؤاد سيزكين مصوراً .

عاصم صاحب الفراء ، وقال الداني : أخذ القراءة عن أبي عمرو الدوري ، وله عنه نسخة ، وروى عنه الحروف أحمد بن جعفر بن عبيد الله بن المنادي ومحمد بن الحسن النقاش وأبو مزاحم الخاقاني وغيرهم .

- 1099 -

محمد بن فضلون بن أبي بكر بن الحسن بن محمد بن شهاب الدين العَقْري : نسبة إلى العَقْر ، وهي قلعة حصينة في جبال الموصل أهلها أكراد ، النحوي اللغوي المتكلم الحكيم . سمع الحديث والأدب على جماعة من أهل العلم . (قال ياقوت في معجم البلدان) : كنت مرة معه أعارض إعراب شيخنا أبي البقاء لقصيدة الشنفرى اللامية إلى أن بلغنا إلى قوله :

واستفّ ترب الأرض كي لا يرى له ... عليَّ من الطول امرؤٌ متطوّلُ

فأنشدني لنفسه في معناه :

مما يؤجج كربي أنني رجلٌ ... سبقتُ فضلاً ولم أحصل على السَّبَقِ
يموتُ بي حسداً مما خُصصتُ به ... من لا يموتُ بداءِ الجهل والحمق
إذا سغبت سففت الترب في سَغَبي ... ولم أقلْ للئيم سُدَّ لي رمقي
وإن صديتُ وكان الصفو ممتنعاً ... فالموت أنفع لي من مشرب رَنِقِ
وكم غرائب مالٍ دونها رمق ... زهدتُ فيها ولم أقدر على الملق
وقد ألينُ وأجفو في محلهما ... فالحَزْنُ والسَّهلُ مخلوقان في خلقي

(قال ياقوت) : فقلت له : قول الشنفرى أبلغ لأنه نزه نفسه عن ذي الطول وأنت نزهتها عن اللئيم ، قال : صدقت ، لأن الشنفرى كان يرى متطولاً فينزه نفسه عنه وأنا لا أرى إلا اللئام فكيف أكذب ؟! فخرج من اعتراضي إلى أحسن مخرج .

1099 - ترجمة محمد بن فضلون في تلخيص معجم الألقاب 4 : 336 والوافي 4 : 328 ومعجم البلدان 3 : 696 ؛ ولم يشر ياقوت إلى أنه ذكره في معجم الأدباء ، ونقل صاحب تلخيص معجم الألقاب والصفدي في الوافي ما ورد في معجم البلدان (وانظر الضائع : 164) .

ـ 1100 ـ

محمد بن القاسم وقيل ابن خلاد بن ياسر بن سليمان، الهاشمي بالولاء، أبو عبد الله المعروف بأبي العيناء الاخباري الأديب الشاعر: روى عن أبي عاصم النبيل، وسمع من الأصمعي وأبي عبيدة وأبي زيد الأنصاري والعتبي وغيرهم، وحدث عنه الصولي وابن نجيح وأحمد بن كامل وآخرون. وكان فصيحاً بليغاً من ظرفاء العالم، آيةً في الذكاء واللَّسَن وسرعة الجواب. فمن لطائفه أنه شكا تأخرَ أرزاقه إلى عبيد الله بن سليمان فقال له: ألم نكن كتبنا لك إلى ابن المدبر، فما فعل في أمرك؟ قال: جرَّني على شَوْكِ المطل، وحرمني ثمرةَ الوعد، فقال: أنت اخترته، فقال: وما علي وقد اخْتَارَ مُوسَى قَوْمَهُ سَبْعِينَ رَجُلًا فما كان منهم رشيد فأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ، واختار النبي ﷺ ابن أبي سرح كاتباً فلحق بالمشركين مرتداً، واختار علي بن أبي طالب أبا موسى الأشعري حكماً فحكم عليه.

وحجبه بعضُ الأمراء ثم كتب اليه يعتذر منه، فقال: تحجبني مشافهةً وتعتذر إليَّ مكاتبة.

وقال: أخجلني ابنٌ صغير لعبد الرحمن بن خاقان، قلت له: وددتُ أن لي ابناً مثلك، قال: هذا بيدك، قلت: كيف ذلك؟ قال: تحمل أبي على امرأتك فتلد لك ابناً مثلي.

وبلغه أن المتوكل قال[1]: لولا أنه ضرير لنادمناه، فقال: إن أعفاني من رؤية

1100 ـ ترجمة أبي العيناء في طبقات ابن المعتز: 415 والفهرست: 138 وتاريخ بغداد 3: 170 والمنتظم 5: 156 وابن خلكان 4: 343 وميزان الاعتدال 4: 13 وعبر الذهبي 2: 69 وسير الذهبي 13: 308 والوافي 4: 341 والبداية والنهاية 11: 73 ولسان الميزان 5: 344 وشذرات الذهب 2: 180 ونوادره مبثوثة في كتب الأدب وخاصة في البصائر للتوحيدي وقد جمعها صاحب نثر الدر في موضع واحد من كتابه؛ (3: 195 ـ 231) وفي أيامنا هذه قام بجمع أخباره ونوادره د. أبو سويلم (بجامعة مؤتة) كما جمعته د. ابتسام مرهون الصفار، بغداد 1988 ولمحمد بن ناصر العبودي كتاب في أخباره، دار اليمامة 1978.

(1) نثر الدر 3: 218.

الأهلة وقراءة نقش الفصوص صلحتُ للمنادمة .

ودخل على المتوكل[1] في قصره المعروف بالجعفري سنة ست وأربعين ومائتين فقال له : ما تقول في دارنا هذه ؟ فقال : إن الناس بنوا الدور في الدنيا وأنت بنيتَ الدنيا في دارك ، فاستحسن كلامه .

ثم قال له : كيف شربك للخمر ؟ قال : أعجز عن قليله وافتضح عند كثيره ، فقال له : دع هذا عنك ونادمنا ، فقال : أنا رجل مكفوف ، وكلٌّ من في مجلسك يخدمك ، وأنا محتاج أن أُخْدَم ، ولستُ آمنُ من أن تنظرَ إليّ بعين راضٍ وقلبك عليَّ غضبان أو بعينِ غضبان وقلبك راض ، ومتى لم أميز بين هذين هلكت ، فأختارُ العافية على التعرض للبلاء ، فقال : بلغني عنك بَذاءُ في لسانك ، فقال : يا أمير المؤمنين قد مدح اللّه تعالى وذمّ فقال : ﴿ نِعْمَ ٱلْعَبْدُ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴾ وقال عز وجل : ﴿ هَمَّازٍ مَّشَّآءٍۭ بِنَمِيمٍ مَّنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ ﴾ (القلم: 11). وقال الشاعر :

إذا أنا بالمعروف لم أثنِ صادقاً ... ولم أشتم النكسَ اللئيمَ المذمّما
ففيم عرفتُ الخيرَ والشرَّ باسمه ... وشقَّ لي الله المسامعَ والفما

قال : فمن أين أنت ؟ قال : من البصرة ، قال : فما تقول فيها ؟ قال : ماؤها أجاج ، وحرها عذاب ، وتطيبُ في الوقت الذي تطيب فيه جهنم .

قرأت في « تاريخ دمشق » قال : قرأت على زاهر بن طاهر عن أبي بكر البيهقي حدثنا أبو عبد الله الحافظ ، قال سمعت عبد العزيز بن عبد الملك الأموي يقول : سمعت إسماعيل بن محمد النحوي يقول : سمعت أبا العيناء يقول : أنا والحافظ وضعنا حديثَ فَدَك وأدخلناه على الشيوخ في بغداد فقبلوه إلا ابن شيبة العلوي قال لا يشبه آخرُ هذا الحديث أوله ، فأبى أن يقبله ، وكان أبو العيناء يحدث بهذا بعد ما كان .

وكان جد أبي العيناء الأكبر يلقى علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، فأساء المخاطبة بينه وبينه ، فدعا عليه بالعمى له ولولده من بعده ، فكلٌّ من عمي من ولد أبي العيناء فهو صحيح النسب فيهم .

---

(1) نثر الدر 3 : 215 .

وقال المبرد : إنما صار أبو العيناء أعمى بعد أن نيف على الأربعين ، وخرج من البصرة واعتلت عيناه فرمي فيهما بما رمي ، والدليل على ذلك قول أبي علي البصير :

قد كنتُ خفتُ يد الزما نِ عليكَ إذ ذهبَ البصرْ
ولم آدرِ أنك بالعمى تَغْنَى ويفتقرُ البشر

وقال أحمد بن أبي دواد لأبي العيناء : ما أشدُّ ما أصابك في ذهاب بصرك ؟ قال : أُبدأ بالسلام وكنت أحبّ أن أكون أنا المبتدىء ، وأحدِّثُ من لا يُقْبل على حديثي ولو رأيته لم أُقْبِلْ عليه ، فقال له ابن أبي دواد : أما من بدأك بالسلام فقد كافأته بجميل نيتك له ، ومن أعرض عن حديثك انما أكسبَ نفسه من سوءِ الأدب أكثر مما نالك من سوء الإعراض.

وقال محمد بن خلف بن المرزبان ، قال لي أبو العيناء : أتعرفُ في شعراء المحدثين رشيداً الرياحي ؟ قال : فقلت لا ، قال بل هو القائل فيّ :

نسبٌ لابن قاسم ما تراثُ فهو للخيرِ صاحبٌ وقرينُ
أحولُ العينِ والخلائق زَيْنٌ لا احولالٌ بها ولا تلوين
ليس للمرءِ شائناً حَوَلُ العيـ ـن إذا كان فعلُهُ لا يشين

فقلت له : وكنت قبل العمى أحول ؟ أمن السقم إلى البلى ؟ فقال : هنا أظرف خبر تعرج به الملائكة إلى السماء اليوم ، وقال : أيما اصلح من السقم إلى البلى أو حال العجوز أصلحها اللّه من القيادة الى الزنا.

وحمله بعض الوزراء[1] على دابة فانتظر علفها ، فلما أبطأ عليه قال : أيها الوزير هذه الدابة حَمَلْتَني عليها أو حملتها عليّ ؟

وقال له المتوكل[2] هل رأيت طالبياً حسنَ الوجه ؟ قال : نعم ، رأيت ببغداد منذ ثلاثين واحداً ، قال : تجده كان مؤاجراً وكنتَ أنت تقود عليه ، فقال : يا أمير المؤمنين أو يبلغ هذا من فراغي ؟ أَدَعُ مواليَّ مع كثرتهم وأقودُ على الغرباء ؟ فقال المتوكل

(1) نثر الدر 3 : 195 .
(2) نثر الدر : 195 .

للفتح : أردتُ أن أشتفي منهم فاشتفى لهم مني .

وقال له يوماً[1] : إن سعيد بن عبد الملك يضحك منك ، فقال : ﴿ **إن الَّذين أَجْرَمُوا كانوا من الذين آمنوا يضحكون** ﴾ (المطففين: 29) .

وقال له ابن ثوابة يوماً[2] : كتبتَ أنفاس الرجال ، فقال حيث كانوا وراء ظهرك .

وقال له نجاح بن سلمة يوماً[3] : ما ظهورك وقد خرج توقيعُ أمير المؤمنين في الزنادقة ؟ فقال له : أستدفع الله عنك وعن أصهارك .

ودخل يوماً[4] على عبيد الله بن عبد الله بن طاهر وهو يلعب بالشطرنج فقال : في أيِّ الحيزين أنت ؟ فقال : في حيز الأمير أيده اللّه ، وغُلِبَ عبيد الله فقال : يا أبا العيناء قد غلبنا ، وقد أصابك خمسون رطل ثلج ، فقام ومضى إلى ابن ثوابة وقال : إن الأمير يدعوك فلما دخلا قال : أيد اللّه الأمير قد جئتك بجبل همذان وماسبذان ثلجاً فخذ منه ما شئت .

وكان بينه وبين محمد بن مكرم مداعبة ، فسمع ابن مكرم أبا العيناء يقول في دعائه : يا رب سائلك ، فقال : يا ابن الفاعلة ومن ليس سائله ؟ .

وقال له ابن مكرم[5] يوماً يعرض به : كم عدد المكذِّين بالبصرة ؟ فقال له : مثل عدد البغائين ببغداد .

وقال له ابن مكرم ذات يوم[6] : هممتُ ان آمر غلامي أن يدوس بطنك ، فقال : الذي تخلفه على عيالك إذا ركبت أو الذي تحمله على ظهرك إذا نزلت ؟ .

وقال ابن مكرم يوماً[7] : مذهبي الجمع بين الصلاتين ، فقال لـه : صدقت تجمع بينهما بالتَّرك .

---

(1) نثر الدر : 196 .
(2) نثر الدر : 197 .
(3) نثر الدر : 197 .
(4) نثر الدر : 197 .
(5) نثر الدر : 201 ونكت الهميان : 267 وابن خلكان 1 : 245 .
(6) نثر الدر : 199 .
(7) نثر الدر : 201 .

وقيل له[1] : ما تقول في محمد بن مكرم والعباس بن رستم ؟ فقال : هما الخمر والميسر إثمهما أكبر من نفعهما.

وقال ابن مكرم له يوماً[2] : أحسبك لا تصومُ شهرَ رمضان ، فقال له : ويلك وتدعني امرأتك أصوم .

وبات ليلة[3] عند ابن مكرم ، فجعل ابن مكرم يفسو عليه ، فقام أبو العيناء وصعد السرير فارتفع اليه فساؤه ، فصعد إلى السطح فبلغته رائحته ، فقال : يا ابن الفاعلة ما فساؤك إلا دعوة مظلوم .

وقدم إليه[4] ابن مكرم يوماً جَنْبَ شواء ، فلما جسَّه قال : ليس هذا جنباً هذا شريجة قصب .

ومر يوماً[5] على دار عدوّ له فقال : ما خبر أبي محمد ؟ فقالوا : كما تحبّ قال : فما لي لا أسمع الرنةَ والصياحَ .

ووعده[6] ابن المدبر بداية فلما طالبه قال : أخافُ أن أحملك عليها فتقطعني ولا أراك ، فقال : عدني أن تضمَّ إليها حماراً لأواظب مقتضياً .

ووعده[7] يوماً أن يعطيه بغلاً فلقيه في الطريق فقال له : كيف أصبحت يا أبا العيناء ؟ فقال : أصبحتُ بلا بغل ، فضحك منه وبعث به اليه .

وقالت[8] له قينة : هبْ لي خاتمك وأذكرك به ، فقال لها : اذكري أنك طلبته مني ومنعتك .

ولما استوزر صاعد[9] عقب إسلامه صار أبو العيناء إلى بابه ، فقيل له يصلي ، فعاد فقيل يصلي ، فقال : معذور لكل جديد لذة .

وحضره[10] يوماً ابن مكرم وأخذ يؤذيه ثم قال : الساعةَ والله أنصرف، فقال أبو

(1) نثر الدر 3 : 200 .
(2) نثر الدر 3 : 207 ، الديارات : 59 .
(3) نثر الدر : 215 .
(4) نثر الدر : 217 .
(5) نثر الدر : 197 .
(6) نثر الدر : 198 .
(7) نثر الدر : 198 .
(8) نثر الدر : 198 .
(9) نثر الدر : 200 .
(10) نثر الدر : 201 ومجمع الجواهر : 62 .

العيناء : ما رأيت من يتهددُ بالعافية غيرك .

وقال له ابن الجماز المغني[1] : هل تذكر سالف معاشرتنا ؟ فقال : اذ تغنّينا ونحن نستعفيك .

ودخل على أبي الصقر إسماعيل بن بلبل الوزير فقال له [2] : ما الذي أخرك عنا يا أبا العيناء ؟ فقال : سرق حماري ، فقال : وكيف سرق ؟ قال : لم أكن مع اللص فأخبرك ، قال : فهلا أتيتنا على غيره ؟ قال : قعد بي عن الشراء قلةُ يساري ، وكرهتُ ذلّ المكاري ، ومنة العواري .

وقيل له[3] إلى متى تمدح الناس وتهجوهم ؟ فقال : ما دام المحسنُ يحسنُ والمسيء يسيء وأعوذ بالله أن أكونَ كالعقرب تلسبُ النبيّ والذمي .

ودخل على ابن ثوابة[4] عقبَ كلامٍ جرى بينه وبين الوزير أبي الصقر ابن بلبل ، وكان ابن ثوابة تطاول على الوزير ، فقال له أبو العيناء : بلغني ما جرى بينك وبين الوزير ، وما منعه من استقصاء الجواب إلا أنه لم يجد فيك عزاً فيضعه ولا مجداً فينقصه ، وبعدُ فإنه عاف لحمك أن يأكله وسهك[5] دمك أن يسفكه ، فقال ابن ثوابة : وما أنت والدخول بيني وبين هؤلاء يا مكدّي ؟ فقال : لا تنكر على ابن ثمانين قد ذهب بصره وجفاه سلطانه أن يعوِّلَ على إخوانه فيأخذ من أموالهم ، ولكن أشدّ من هذا من يستنزلُ الماءَ من أصلاب الرجال فيستفرغه في جوفه فيقطع نسلهم ويعظّم أوزارهم ، فقال ابن ثوابة : ما تسابَّ اثنان الا غلب ألأمهما ، فقال أبو العيناء : وبذا غلبتَ أبا الصقر بالأمس ، فأفحمه .

وخاصم يوماً علوياً فقال له العلوي : تخاصمني وقد أُمرتَ أن تقول اللهم صلِّ على محمد وعلى آل محمد ؟ فقال : لكني أقول الطيبين الطاهرين فتخرج أنت .

وقال له ابن الجهم يوماً[6] : يا مخنث فقال : ﴿ وضرب لنا مثلاً ونسي خلقه ﴾ (يس : 78) .

(1) نثر الدر : 202 .
(2) نثر الدر : 215 .
(3) نثر الدر 3 : 195 .
(4) نثر الدر : 196 .
(5) م : واستقل .
(6) نثر الدر : 202 .

ولما وكل موسى بن عبد الملك الأصبهاني[1] بنجاح بن سلمة ليستأديه ما عليه من الأموال عاقبه موسى فهلك ابن سلمة في المطالبة والعقاب ، فلقي بعض الرؤساء أبا العيناء وقال له : ما عندك من خبر نجاح بن سلمة فقال أبو العيناء : ﴿ فَوَكَزَهُ مُوسَى فَقَضَى عَلَيْهِ ﴾ (القصص: 15) فبلغت كلمته موسى فلقيه وقال له : أبي تولع والله لأقومنك فقال له أبو العيناء : ﴿أَتُرِيدُ أَنْ تَقْتُلَنِي كَمَا قَتَلْتَ نَفْساً بِالأَمْسِ ﴾ (القصص : 19) .

وقال له العباس بن رستم[2] يوماً : أنا أكفر منك ، فقال له : لأنك تكفر ومعك خفير مثل عبيد الله بن يحيى وابن أبي دواد وأنا أكفر بلا خفارة .

وقال أبو العيناء[3] : مررتُ يوماً في درب بسرّ من رأى فقال لي غـلامي : يا مولاي في الدرب حَمَلٌ سمين ، والدرب خال ، فأمرته أن يأخذه وغطيته بطيلساني وصرتُ به إلى منزلي ، فلما كان من الغد جاءتني رقعةٌ من بعض رؤساء ذلك الدرب مكتوبٌ فيها : جعلتُ فداك ، ضاع لنا بالأمس حمل فأخبرني صبيان دربنا أنك أنت أخذته فأْمُرْ بردِّه متفضلاً ، فكتبتُ إليه : يا سبحان الله ما أعجبَ هذا الأمر ، مشايخ دربنا يزعمون أنك بغاء وأكذّبهم أنا ولا أصدقهم وَتُصَدِّق أنت صبيـان دربك أني أخـذتُ الحمل ؟! قال : فسكت ولم يعاودني .

وقال له رجل[4] من بني هاشم : بلغني أنك بغاء ، فقال : وما أنكرت من ذلك مع قول رسول الله ﷺ مولى القوم منهم ، فقال الهاشمي . إنك دعيٌّ فينـا ، قال : بغائي صحح نسبي فيكم .

ولقيه[5] بعض الكتاب في السحر فقال متعجباً من بكوره : يا أبا عبد الله أتبكر في مثل هذا الوقت ؟ فقال له أبو العيناء : أتشاركني في الفعل وتنفرد بالتعجب ؟

ودعا أبو العيناء[6] سائلاً ليعشيه فلم يدع شيئاً الا أكله ، فقال له : يا هذا دعوتك رحمةً فاتركني رحمة .

ووقف عليه رجل من العامة ، فلما أحس به قال : من هذا قال : رجلٌ من بني

---

(1) نثر الدر : 202 .
(2) نثر الدر : 205 ونكت الهميان : 268 .
(3) نثر الدر 3 : 207 .
(4) نثر الدر : 203 .
(5) ابن خلكان 4 : 244 .
(6) نثر الدر : 208 .

آدم ، فقال أبو العيناء : مرحباً بك أطال اللّه بقاءك ، كنت أظنُّ أن هذا النسل قد انقطع .

وكتب[1] إلى بعض الرؤساء وقد وعده بشيء فلم ينجزه : ثقتي بك تمنعني من استبطائك ، وعلمي بشغلك يدعوني إلى تذكيرك ، ولست آمن ـ مع استحكام ثقتي بطولك ، والمعرفة بعلو همتك ـ اخترامَ الأجل ، فإن الآجال آفاتُ الآمال ، فسح الله في أجلك وبلغك منتهى أملك والسلام .

وغداه ابن مكرم[2] يوماً فقدم إليه عُراقاً فلما جسه قال : قدركم هذه طبخت بالشطرنج .

وقدم يوماً[3] إليه قدراً فوجدها كثيرة العظام فقال له : هذه قدر أم قبر ؟

وأكل عنده[4] يوماً فسقي على المائدة ثلاث شربات باردة ، ثم استسقى فسقي شربة حارة ، فقال : لعل مزملتكم تعتريها حمَّى الرِّبْع .

ودخل[5] يوماً على المتوكل فَقُدِّمَ إليه طعام فغمس أبو العيناء لقمته في خلّ كان حاضراً وأكلها فتأذى بالحموضة ، وفطن المتوكل له فجعل يضحك ، فقال لا تلمني يا أمير المؤمنين فقد محتْ حلاوةَ الايمان من قلبي .

وأكل يوماً عند بعض أصحابه طعاماً وغسل يده عشر مرات فلم تنقَ فقال : كادت هذه القدر أن تكون نسباً وصهراً .

وقال له رجل[6] من ولد سعيد بن سلم : إن أبي يبغضك ، فقال يا بني لي أسوة بآل محمد ﷺ .

واعترضه يوماً[7] أحمد بن سعيد فسلم عليه فقال له أبو العيناء : من أنت ؟ قال : أنا أحمد بن سعيد ، فقال : إني بك لعارف ، ولكن عهدي بصوتك يرتفع إليَّ

---

(1) نثر الدر : 231 .

(2) نثر الدر : 203 والامتاع والمؤانسة 3 : 79 .

(3) نثر الدر 3 : 202 .

(4) نثر الدر : 204 والامتاع والمؤانسة 3 : 69 .

(5) نثر الدر : 206 .

(6) نثر الدر : 208 .

(7) نثر الدر : 213 ونكت الهميان : 269 .

من أسفل فما له ينحدر عليَّ من علو ؟ قال : لأني راكب ، فقال عهدي بك وأنت في طمرين لو أقسمتَ على الله في رغيفٍ لأعضّك بما تكره .

ودق[1] إنسانٌ عليه الباب فقال : من هذا ؟ قال : أنا ، فقال : أنا والدق سواء .

وذكر يوماً[2] ولد موسى بن عيسى فقال : كأنّ أنوفهم قبورٌ نصبت على غير قبلة .

وقيل له[3] : لم اتخذت خادمين أسودين ؟ قال : أما أسودان فلئلا أتهم بهما ، وأما خادمين فلئلا يتهما بي .

وقال يوما لابن ثوابة[4] : إذا شهدت على الناس ألسنتهم وأيديهم وأرجلهم بما كانوا يكسبون شهدَ عليك أنتنُ عضوٍ فيك .

وقال له ابن ثوابة [5] يوماً : أنا والله أحبك بكل جوارحي ، فقال أبو العيناء الا بعضو واحد أيدك الله ، فبلغ ذلك ابن أبي دواد فقال : قد وفق في التحديد عليه .

وسئل يوماً [6] عن مالك بن طوق فقال : لو كان في بني إسرائيل حين نزلت آية البقرة ما ذبحوا غيره .

وقال أبو العيناء[7] : أنا أول من أظهر العقوقَ بالبصرة ، قال لي أبي : يا بني إن الله تعالى قرن طاعته بطاعتي فقال ﴿ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ ﴾ (لقمان: 14) فقلت له : يا ابة ان اللّه ائتمنني عليك ولم يأتمنك علي فقال تعالى ﴿ وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَاقٍ ﴾ (الاسراء: 31) .

وقال له عبيد اللّه بن سليمان : اعذرني فاني مشغول عنك ، فقال له : إذا فرغتَ لم احتجْ اليك ، يعني إذا عزل .

ووضع أبو العيناء كتاباً[8] في ذم أحمد بن الخصيب حكى فيه ان جماعة من

---

(1) نثر الدر : 208 .
(2) نثر الدر : 217 .
(3) نثر الدر : 206 .
(4) نثر الدر : 207 .
(5) نثر الدر : 214 .
(6) نثر الدر : 214 .
(7) نثر الدر 3 : 214 .
(8) ورد بتفصيل كثير في نثر الدر : 223 ـ 227 .

الفضلاء اجتمعوا في مجلس وكلٌّ منهم يكره ابن الخصيب لما كان فيه من الفدامة والجهالة والتغفل ، فتجاذبوا أطراف الملح في ذمه ، فقال أحدهم : كان جهله غامراً لعقله وسفهه قاهراً لحلمه ، وقال آخر : لو كان دابةً لتقاعس في عنانه وحرن في ميدانه ، وقال آخر : كنت إذا وقع لفظه في سمعي أحسستُ النقصان في عقلي ، وقال بعض كتابه : كنت أرى قلم ابن الخصيب يكتبُ بما لا يصيب ، ولو نطق لنطق بنوك عجيب . وقال إبراهيم بن المدبر : كنت يوماً عنده فقدم الطعام وفيه هليون فأكبَّ عليه ، فقلت له : أراك راغباً في الهليون ، فقال : إنه يزيد في الباه . وقال آخر : لو غابت عنه العافية لنسيها .

وقال أبو العيناء في آخر هذا التصنيف : كان ابن الخصيب إذا ناظر شغب ، وربما رفس من ناظره إذا عجز عن الجواب وخفي عليه الصواب واستولت عليه البلادة وعري كلامه عن الافادة ، وكان إن دنوتَ منه غرَّك ، وان بعدتَ عنه ضرَّك ، فحياته لا تنفع وموته لا يضرّ .

وقال الخطيب في تاريخه[1] اخبرنا الأزهري أخبرنا محمد بن جعفر التميمي ، أخبرنا الصولي عن أبي العيناء قال: كان سبب تحولي من البصرة أني رأيت غلاماً ينادى عليه بثلاثين ديناراً يساوي ثلاثمائة دينار ، فاشتريته ، وكنت أبني داراً فأعطيته عشرين ديناراً لينفقها على الصناع ، فأنفق عشرةً واشترى بعشرة ملبوساً له ، فقلت : ما هذا ؟ فقال : لا تعجل فان أرباب المروءات لا يعيبون على غلمانهم هذا ، فقلت في نفسي : أنا اشتريتُ الأصمعيَّ ولم أدرِ . ثم أردتُ ان أتزوج امرأة سراً من بنت عمي فاستكتمته ، ودفعت إليه ديناراً يشتري به حوائج وسمك هازبى ، فاشترى غيره فغاظني ، فقال : رأيت بقراط يذم الهازبى ، فقلت : يا ابن الفاعلة لم أعلم أني اشتريت جالينوس ، فضربته عشر مقارع فأخذني وضربني سبعاً وقال : يا مولاي الأدب ثلاث وإنما ضربتك سبعاً قصاصاً ، قال : فرميته فشججته فذهب إلى بنت عمي وقال : الدينُ النصيحةُ ومن غشَّنا فليس منا ، إن مولاي قد تزوج واستكتمني فقلت : لا بدَّ من تعريف مولاتي الخبر فضربني وشجني ، فمنعتني بنتُ عمي دخولَ الدار

(1) تاريخ بغداد 3 : 177 .

وحالتْ ما بيني وبين ما فيها وما زالت كذلك حتى طلقتُ المرأة ، وسمت بنت عمي الغلام الناصح فلم يمكني أن أكلمه ، فقلت أعتقُ هذا وأستريح ، فلما أعتقته لزمني وقال : الآن وجب حقك عليّ ، ثم انه أراد الحجَّ فزودته فغاب عشرين يوماً ورجع وقال : قطع الطريق ورأيت حقك قد وجب ، ثم أراد الغزو فجهزته ، فلما غاب بعتُ مالي بالبصرة وخرجت منها خوفاً ان يرجع .

ولد أبو العيناء بالأهواز سنة احدى وتسعين ومائة وتوفي ببغداد في جمادى الآخرة سنة ثلاث وثمانين ومائتين وقيل سنة اثنتين وثمانين ومائتين ، وقال ابنه أبو جعفر مات أبي لعشر ليال خلون من جمادى الأولى سنة ثلاث وثمانين ومائتين .

ومن شعره :

إن يـأخـذِ اللّه من عينيَّ نـورَهمـا ... ففي لسـاني وسمعي منهمـا نـورُ
قلبٌ ذكيٌّ وعقـلٌ غير ذي خَطَلٍ ... وفي فمي صـارمٌ كـالسيفِ مـأثـورُ

وقال :

حمـدتُ إلاهي إذ بـلاني بحبهــا ... على حَوَلٍ يغني عن النَّظَرِ الشَّـزْرِ
نــظرتُ إليهــا والـرقيبُ يـظنني ... نـظرتُ إليه فـاسترحت من العـذرِ

وقال يهجو أسد بن جوهر :

تعس الـزمـانُ لقــد أتى بعجــابِ ... ومــحــا رسـومَ الـظرف والآدابِ
وافى بكتّــابٍ لـو انبســطتْ يــدي ... فـيـهـم رددتـهـمُ إلـى الـكـتـابِ
جـيــلٌ مـن الأنــعــام إلا أنـهــم ... مـن بينهــا خُـلِقــوا بـلا أذنـابِ
لا يعـرفـون إذا الجـريـدة جُـرِّدَتْ ... مــا بيـن عـيّــاب إلـى عـتــابِ
أو ما ترى أسـد بن جوهـرَ قد غـدا ... مـتـشـبّـهــا بـأجِـلَّةِ الـكـتــابِ
فـإذا أتــاه مســائــلٌ في حــاجــة ... ردَّ الـجـوابَ لــه بـغـيــر جــوابِ
وسـمعـتَ من غـثِّ الكــلام ورثـه ... وقـبـيـحـه بـالـلحــنِ والاعــرابِ
ثكلتـك أمـك هبـك من بَقَـرِ الفـلا ... مــا كـنـت تـغـلطُ مـرةً بـصــوابِ

وقال في الوزير أحمد بن الخصيب :

قل للخليفة يا ابن عمِّ محمدٍ اشكلْ وزيرك إنه ركّالُ
قد أحجم المتظلمون مخافةً منه وقالوا ما نرومُ محالُ
ما دام مطلقةً علينا رجلُهُ أو دام للنزَقِ الجهولِ مقالُ
قد نال من أعراضنا بلسانه ولرجله بين الصدورِ مجالُ
امنعه من ركلِ الرجال وان تُرِدْ مالا فعند وزيرك الأموالُ

وقال :

الحمد للّه ليس لي فَرَسُ ولا على بابِ منزلي حَرَسُ
ولا غلامٌ إذا هتفتُ به بادر تحوي كأنه قبسُ
ابني غلامي وزوجتي أَمَتي ملَّكنيها المِلاكُ والعُرُسُ
غنيتُ باليأسِ واعتصمتُ به عن كلِّ فرد بوجهه عبسُ
فما يراني ببابه أبداً طلق المحيا سَمْحٌ ولا شرسُ

وقال :

من كان يملك درهمين تعلَّمتْ شفتاه أنواع الكلام فقالا
وتقدم الفصحاءَ فاستمعوا له ورأيتَهُ بين الورى مختالا
لولا دراهمُهُ التي في كيسه لرأيته شرَّ البرية حالا
إن الغني إذا تكلم كاذباً قالوا صدقتَ وما نطقت محالا
وإذا الفقيرُ أصاب قالوا لم تصبْ وكذبتَ يا هذا وقلتَ ضلالا
إن الدراهم في المواطن كلِّها تكسو الرجالَ مهابةً وجلالا
فهي اللسان لمن أراد فصاحةً وهي السلاحُ لمن اراد قتالا

وقال :

تولتْ بهجةُ الدنيا فكلُّ جديدها خَلَقُ
وخانَ الناسُ كلهم فما أدري بمن أثقُ

رأيتُ معـالم الخيـرا ... تِ سُدَّتْ دونها الطرقُ
فـلا حَسَبٌ ولا أَدَبٌ ... ولا ديـنٌ ولا خـلقُ

وقال :

ألم تعلمي يـا عمـرك اللّه أنني ... كـريمٌ على حينِ الكـرامُ قليـلُ
وأنيَ لا أَخْـزَى إذا قيـل مـقتـرٌ ... جـوادٌ وأخزَى أنْ يقـال بخيـلُ
وإلا يكنْ عـظمي طـويـلاً فـإنني ... لـه بالخصـال الصالحاتِ وصـولُ
إذا كنتُ في القومِ الطوالِ فضلتُهُمْ ... بـطولي لهم حتى يقالَ طـويـلُ
ولا خير في حُسْنِ الجسوم وطولها ... إذا لم يَـزِنْ طولَ الجسـوم عقول
وكـائن رأينـا من جسـومٍ طـويلةٍ ... تـمـوتُ إذا لم تُـحْيِـهِنَّ أصـولُ
ولم أرَ كـالمعـروف أمـا مَـذَاقُـهُ ... فـحلوٌ وأمـا وجـهـه فـجـميـلُ

وقال :

يـا ويح هـذي الأرض ما تصنـعُ ... أكـلَّ حيٍّ فـوقـهـا تـصـرعُ
تـزرعـهـمْ حـتـى إذا مـا أتـوا ... أَشُـدَّهـم تحـصـدُ مـا تـزرعُ

ـ 1101 ـ

محمـد بن القاسم بن محمـد بن بشار بن الحسين بن بيـان بن سماعـة بن فروة بن قطن بن دعامة ، أبو بكر ابن الانباري النحوي اللغوي الأديب : كان من أعلم الناس بنحو الكوفيين ، وأكثرهم حفظاً للغة ، وكان صدوقاً زاهداً متواضعاً فاضلاً أديباً

1101 ـ ترجمة أبي بكر ابن الأنباري في أخبار الراضي والمتقي : 144 . وطبقات الزبيدي : 153 والفهرست : 82 وتهذيب اللغة 1 : 28 وتاريخ أبي المحاسن : 178 وتاريخ بغداد 3 : 181 وطبقات الحنابلة 2 : 69 والأنساب 1 : 355 ونزهة الألباء : 181 والمنتظم 6 : 311 وإنباه الرواة 3 : 201 وابن خلكان 4 : 341 وتذكرة الحفاظ : 842 ومعرفة القراء 1 : 225 وعبر الذهبي 2 : 214 وسير الذهبي 15 : 274 والوافي 4 : 344 ومرآة الجنان 2 : 294 والبداية والنهاية 11 : 196 وطبقات ابن الجزري 2 : 230 والنجوم الزاهرة 3 : 269 وبغية الوعاة 1 : 212 والشذرات 2 : 315 وطبقات الحفاظ للسيوطي : 349 وطبقات الداودي 2 : 226 وإشارة التعيين : 335 .

ثقة خيراً من أهل السنة حسن الطريقة ، أخذ عن أبي العباس ثعلب وخلق ، وروى عنه الدارقطني وجماعة ، وكتب عنه وأبوه حي . وكان يملي في ناحية من المسجد وأبوه في ناحية أخرى . ومرض يوماً[1] فعاده أصحابه فرأوا من انزعاج والده أمراً عظيماً ، فطيبوا نفسه فقال : كيف لا أنزعجُ وهو يحفظ جميعَ ما ترون ، وأشار إلى خزانة مملوءة كتباً .

وقال أبو علي إسماعيل بن القاسم القالي[2] : كان أبو بكر ابن الانباري يحفظ ثلاثمائة ألف بيت شاهداً في القرآن ، وكان يحفظ مائة وعشرين تفسيراً بأسانيدها .

وقال له أبو الحسن العروضي : قد أكثر الناسُ في حفظك فكم تحفظ ؟ فقال : ثلاثة عشر صندوقاً .

قال وسألته جارية الراضي[3] يوماً عن تعبير رؤيا فقال : أنا حاقن ، ثم مضى من يومه فحفظ كتاب الكرماني في التعبير ، وجاء من الغد وقد صار معبراً للرؤيا .

وقال حمزة بن محمد بن طاهر الدقاق[4] : كان أبو بكر ابن الانباري يملي كتبه المصنفة ومجالِسَهُ المشتملةَ على الحديث والتفسير والأخبار والأشعار ، كل ذلك من حفظه .

وقال محمد بن جعفر التميمي : أما أبو بكر ابن الانباري فما رأينا أحفظ منه ولا أغزر منه علماً ، وكان يحفظ ثلاثة عشر صندوقاً ، وهذا مما لم يحفظه أحد قبله ولا بعده .

وقال أبو العباس يونس النحوي : كان أبو بكر آيةً من آيات الله تعالى في الحفظ ، وكان أحفظَ الناس للغة والشعر .

وحكى أبو الحسن الدارقطني[5] أنه حضر مجلسَ إملائه في يوم جمعة ، فصحّف اسما أورده في إسناد حديث ، إما كان حبان فقال حيان ، قال الدارقطني : فأعظمت أن يُحْمَلَ عن مثله في فضله وجلالته وَهْمٌ ، وهبتُ أن أوقفه على ذلك ، فلما

---

(1) تاريخ بغداد 3 : 182 .

(2) المصدر نفسه .

(3) تاريخ بغداد : 184 وانباه الرواة 3 : 203 .

(4) تاريخ بغداد : 182 .

(5) انباه الرواة : 202 .

فرغ من إملائه تقدمتُ إليه فذكرتُ له وهمه وعرفته صوابَ القول فيه وانصرفت ، ثم حضرتُ الجمعةَ الثانية مجلسه فقال أبو بكر للمستملي : عرِّفْ جماعةَ الحاضرين أنا صحفنا الاسم الفلاني لما أملينا حديثَ كذا في الجمعة الماضية ، ونبهنا ذلك الشاب على الصواب ، وهو كذا ، وعرِّفْ ذلك الشاب أنا رجعنا إلى الأصل فوجدناه كما قال .

وقال أحمد بن يوسف الأصبهاني[1] : رأيتُ النبي ﷺ في المنام فقلت : يا رسول الله عمن آخذ علم القرآن ؟ فقال : عن أبي بكر ابن الانباري .

وقال أبو الحسن العروضي[2] : اجتمعت أنا وأبو بكر ابن الانباري عند الراضي بالله على الطعام ، وكان الطباخ قد عرف ما يأكل أبو بكر ، وشوى له قلّيةً يابسة ، قال : فأكلنا نحن ألوانَ الطعام وأطايبه وهو يعالج تلك القلية ، ثم فرغنا وأُتينا بحلواء فلم يأكل منها ، فقمنا ونمنا إلى الخيش ، فنام بين يدي الخيش ونمنا نحن في خيشين ولم يشرب ماء إلى العصر ، فلما كان بعد العصر قال : يا غلام ، الوظيفةَ فجاءه بماء من الحب وترك الماء المزمّل بالثلج ، فغاظني أمره وصحت : يا أمير المؤمنين ، فأمر باحضاري وقال : ما قصتك ؟ فأخبرته وقلتُ يا أمير المؤمنين يحتاج هذا إلى ان يحال بينه وبين تدبير نفسه لأنه يقتلها ولا يحسنُ عشرتها ، فضحك وقال : له في هذا لذة ، وقد جرت له به عادة ، وصار آلفاً لذلك فلن يضره . ثم قلت له : يا أبا بكر لم تفعلُ هذا بنفسك ؟ فقال : أبقي على حفظي .

ويحكى[3] أنه كان يأخذ الرطب ويشمه ويقول : أما إنك طيّب ، ولكن أطيبُ منك ما وهب الله لي من العلم وحفظه .

وحكي أنه[4] مرَّ يوماً بالنخاسين فرأى جاريةً تُعْرَضُ حسنةَ الصورة كاملةَ الوصف ، قال : فوقعت في قلبي ثم مضيتُ إلى دار أمير المؤمنين الراضي بالله فقال : أين كنتَ إلى الساعة ؟ فعرفته الأمر وأخبرته بالجارية ، فأمر بشرائها وَحُمِلَتْ إلى منزلي ولم أعلم ، فجئت فوجدتها في المنزل ، فقلت لها : اعتزلي إلى الاستبراء ، وكنت

(1) تاريخ بغداد : 183 .
(2) تاريخ بغداد : 183 ـ 184 وانباه الرواة : 203 .
(3) تاريخ بغداد : 184 وانباه الرواة : 204 .
(4) تاريخ بغداد : 184 ـ 185 وانباه الرواة : 204 ـ 205 .

أطلبُ مسألة قد خفيتْ عليَّ فاشتغل قلبي بالجارية فقلت للخادم : خذها وامض بها إلى النخاس فليس يبلغُ قدرها ان يشغل قلبي عن علمي ، فأخذها الغلام فقالت : دعني حتى أكلمه ، فقالت لي : انت رجلٌ لك محلٌ وعقل ، فإذا أخرجتني ولم تبين ذنبي لم آمنْ أن يظن الناس بي ظناً قبيحاً فعرفنيه قبل أن تخرجني ، فقلت : مالك عندي ذنب غير أنك شغلتني عن علمي ، فقالت : هذا سهلٌ عندي ، قال : فبلغ الراضي ما كان من أمري فقال : لا ينبغي أن يكونَ العلم في قلب أحدٍ أحلى منه في قلبِ هذا الرجل .

ولابن الانباري شعرٌ لطيف فمن ذلك قوله :

إذا زيد شراً زاد صبراً كأنما هو المسكُ ما بين الصَّلاية والفِهْرِ
فانَّ فتيتَ المسكِ يزداد طيبُهُ على السَّحْقِ والحرُّ اصطباراً على الضرِّ

ومن أماليه :

فهلا منعتم إذ منعتم كلامها خيالاً يوافيني على النأي هاديا
سقى اللّه أطلالاً بأكثبة الحمى وإن كنَّ قد أبدينَ للناس ما بيا
منازلُ لو مَرَّتْ بهنَّ جنازتي لقال الصدى يا صاحبيَّ انزلا بيا

وأملى أيضاً :

وبالهضبة البيضاءِ إنْ زرتُ أهلها مها مُهْمَلاتٌ ما عليهنَّ سائسُ
خرجن لخوفِ الريب من غير ريبةٍ عفائفُ باغي اللهو منهنَّ آيسُ

ولأبي بكر ابن الأنباري من التصانيف : غريب الحديث قيل انه خمس وأربعون ألف ورقة أملاه من حفظه . ومما أملاه أيضاً من مصنفاته كتاب الهاءات نحو ألف ورقة . وشرح الكافي نحو ألف ورقة . وكتاب الأضداد وما ألف في الاضداد أكبر منه[1] . وكتاب المذكر والمؤنث ما صنف أحد أتمَّ منه[2] . ورسالة المشكل ردَّ فيها على ابن قتيبة وأبي حاتم السجستاني . وكتاب المشكل في معاني القرآن بلغ فيه إلى طه

(1) نشر بتحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم ، الكويت 1960 .

(2) نشر بعنوان الفرق بين المذكر والمؤنث ، تحقيق د . رمضان عبد التواب ، القاهرة : 1970 .

وأملاه سنين كثيرة ولم يتمه . وشرح الجاهليات سبعمائة ورقة[1] . وكتاب الوقف والابتداء[2] . والكافي في النحو . والزاهر[3] . وكتاب اللامات . وشرح المفضليات[4] . والامالي . وأدب الكاتب . والواضح في النحو . والموضح في النحو أيضاً . وشرح شعر النابغة . وشرح شعر الأعشى . وشرح شعر زهير . وشعر الراعي . والمقصور والممدود . وكتاب الالفات . وكتاب الهجاء . والمجالسات . وكتاب مسائل ابن شنبوذ . وكتاب الرد على من خالف مصحف عثمان . وغير ذلك .

وكانت ولادة أبي بكر ابن الانباري يوم الأحد لاحدى عشرة ليلة خلت من رجب سنة احدى وسبعين ومائتين ، وتوفي ليلة عيد النحر سنة ثمان وعشرين وثلاثمائة وقيل سبع وعشرين وثلاثمائة .

ـ 1102 ـ

محمد بن أبي القاسم بايجوك أبو الفضل البقالي الخوارزمي الآدمي الملقب زين المشايخ ، النحوي الأديب : كان إماماً في الأدب ، وحجةً في لسان العرب ، أخذ اللغة وعلم الإعراب عن أبي القاسم الزمخشري ، وجلس بعده مكانه ، وسمع الحديث منه ومن غيره ، وكان جمَّ الفوائد حسنَ الاعتقاد كريمَ النفس نزيهَ العرضِ غيرَ خائضٍ فيما لا يعنيه ، له يدٌ في الترسل ونقد الشعر .

وله من التصانيف : مفتاح التنزيل . وتقويم اللسان في النحو . والاعجاب في الاعراب . والبداية في المعاني والبيان . وكتاب منازل العرب . وشرح أسماء الله الحسنى ، وغير ذلك .

مات في سلخ جمادى الآخرة سنة اثنتين وستين وخمسمائة عن نيف وسبعين سنة .

1102 ـ ترجمة ابن بايجوك في الوافي 4 : 340 وبغية الوعاة 1 : 215 وانظر التكملة لبروكلمان 1 : 513

---

(1) نشر بعنوان شرح السبع الطوال ، تحقيق محمد عبد السلام هارون ، القاهرة .

(2) نشر في جزءين بتحقيق محيي الدين رمضان ، دمشق : 1971 .

(3) نشر في جزءين بتحقيق د. حاتم صالح الضامن ، بغداد 1979 .

(4) نشره ليال ، وطبع بمطبعة الآباء اليسوعيين ، بيروت 1912 .

ـ 1103 ـ

محمد بن محمد بن جعفر بن مختار أبو الفتح الواسطي النحوي : كان نحوياً فاضلاً جالس ابن كردان وسمع منه ، وجالس أبا الحسين ابن دينار وغيره ، وكان حسن الايراد جيد المحفوظ متيقظاً ولم يتصدر لاقراء النحو ، بلغ تسعين سنة ومات سنة أربع وسبعين وخمسمائة .

ـ 1104 ـ

محمد بن محمد بن جعفر أبو الحسن المعروف بابن لنكك البصري النحوي الشاعر الأديب : كان فَرْدَ البصرةِ وَصَدْرَ أدبائها في زمانه ، أدركتْهُ حرفة الأدب فقصَّر به جهده عن بلوغ الغاية التي كانت تسمو إليها نفسه إذ كان التقدم في زمنه لأبي الطيب المتنبي وأبي رياش اليمامي ، فكسدت بضاعتُهُ بنفَاقِ سوقهما ، وانحط نجمه[1] عن مطلع سعادتهما ، فولع بثلبهما والتشفّي بهجوهما وذمهما ، فكان أكثر شعره في شكوى الزمان وأهله وهجاء شعراء عصره . وكان أبلغ شعره ما لم يتجاوز البيتين والثلاثة ، وكان يروي قصيدة دعبل التي أولها[2] :

* مدارسُ آياتٍ خَلَتْ من تلاوةٍ *

يرويها عن أبي الحسين العباداني عن أخيه عن دعبل ، ورواها عنه ابن جخجخ النحوي .

ومن شعره[3] :

نحن والله في زمانٍ غشومٍ ... لو رأيناه في المنام فزعنا

1103 ـ ترجمته في بغية الوعاة 1 : 221 .

1104 ـ ترجمة ابن لنكك في اليتيمة 2 : 348 والوافي 1 : 156 وبغية الوعاة 1 : 219 وأكثر مقطعاته التي أوردها ياقوت ثابت في اليتيمة .

(1) م : نجحه .

(2) ديوان دعبل (نجم) : 35 .

(3) اليتيمة : 350 .

يصبحُ الناسُ فيه من سوءِ حالٍ　　حقٌّ مَنْ مات منهم أن يُهنَّا

وقال[1] :

جار الزمانُ علينا في تصرفه　　وأيّ دهرٍ على الأحرارِ لم يجرِ
عندي من الدهر ما لو أنّ أيسره　　يُلْقَى على الفلك الدوّارِ لم يدرِ

وقال :

نحن من الدهر في أعاجيبِ　　فنسألُ اللَّه صَبْرَ أيوبِ
أقفرتِ الأرضُ من محاسنها　　فابكِ عليها بكاءَ يعقوبِ

وقال[2] :

زمانٌ قد تفرغ للفضولِ　　وسوَّدَ كلَّ ذي حمق جهولِ
فان احببتمُ فيه ارتفاعاً　　فكونوا جاهلين بلا عقولِ

وقال :

يعيبُ الناسُ كلُّهمُ الزمانا　　وما لزماننا عيبٌ سوانا
نعيبُ زماننا والعيبُ فينا　　ولو نطق الزمانُ إذاً هجانا
ذئابٌ كلنا في زيِّ ناسٍ　　فسبحانَ الذي فيه برانا
يعافُ الذئبُ يأكلُ لحم ذئبٍ　　ويأكلُ بعضنا بعضاً عيانا

وقال أيضاً :

أقولُ لعصبةٍ بالفقهِ صَالَتْ　　وقالتْ ما خلا ذا العلمَ باطلْ
أجلْ لا علم يوصلكم سواهُ　　إلى مال اليتامى والأراملْ
أراكم تقلبون الحكم قلباً　　إذا ما صُبَّ زيتٌ في القنادلْ

القنادل والقناديل بمعنى ، وصبُّ الزيت فيها كناية عن الرشوة .

---

(1) المصدر السابق .

(2) المصدر السابق .

وقال:

مضى الأحرارُ وانقرضوا وبادوا ... وخلفني الزمانُ على علوجِ
وقالوا قد لزمتَ البيتَ جداً ... فقلتُ لفقد فائدةِ الخروجِ
فمن ألقى إذا أبصرتُ فيهم ... قروداً راكبين على السروجِ
زمانٌ عزَّ فيه الجودُ حتى ... كأنَّ الجودَ في أعلى البروجِ

وقال[1]:

يا زمانا ألبسَ الأحـ ... ـرارَ ذلاً ومهانَهْ
لستَ عندي بزمانٍ ... إنما أنت زَمانَهْ
كيف نرجو منك خيراً ... والعلا فيك مهانَهْ
أجنونٌ ما نراه ... منكَ يبدو أم مَجَانَهْ

وقال يهجو أبا رياش اليمامي الشاعر المشهور[2]:

نبئتُ أن أبا رياشٍ قد حوى ... علمَ اللغاتِ وفاق فيما يدَّعي
من مخبري عنه فإني سائلٌ ... من كان حنَّكَهُ بأيرِ الأصمعي

وقال يهجو أبا الطيب المتنبي وكان يزعم أن أباه كان سقاء بالكوفة[3]:

قولا لأهل زمانٍ لا خلاقَ لهم ... ضلُّوا عن الرشدِ من جهل بهم وعموا
أعطيتمُ المتنبي فوق مُنْيته ... فزوِّجوه برغمٍ أمهاتكمُ
لكنَّ بغدادَ جاد الغيثُ ساكنَها ... نعالهم في قفا السقاءِ تزدحمُ

وقال فيه أيضاً[4]:

ما أوقحَ المتنبي ... فيما حكى وادَّعاهُ
أُبيح مالاً عظيماً ... حتى أباح قفاهُ
يا سائلي عن غناه ... مِنْ ذاك كان غناه

---

(1) اليتيمة: 348 ـ 349.
(2) اليتيمة: 353.
(3) اليتيمة 1: 127.
(4) اليتيمة 1: 128.

إن كـان ذاك نـبـيـاً   فـالـجـاثـليـقُ إلاهُ

وقال فيه[1] :

مـتنبيكم ابنُ سقـاءٍ كـوفـا   نَ ويـوحَى من الكنيفِ إليـهِ
كان من فيه يسلحُ الشعر حتى   سلحتْ فقحةُ الزمانِ عليهِ

وقال في الرملي الشاعر[2] :

حلف الـرمليُّ فيمـا   قصَّ عـنـي وحـكـاهُ
يـدَّعي يومَ اصطلحنا   أنـنـي قـبـلتُ فـاهُ
لم أقبـلْ فـاه لكن   قـبلتْ نعلي قـفـاهُ

وقال في مبرمان النحوي[3] :

صداعٌ من كلامك يعترينا   ومـا فيـه لمستمـعٍ بيـانُ
مكـابـرةٌ ومخـرقـةٌ وبـهتٌ   لقـد أبرمتنـا يـا مبـرمـانُ

وقال[4] :

تـولى شبابٌ كنتَ فيـه منعماً   تـروحُ وتغـدو دائمَ الفَـرَحاتِ
فلستَ تلاقيه ولـو سرتَ خلفه   كما سار ذو القرنين في الظلماتِ

وقال[5] :

قد شربنا على شقائقِ روضٍ   شربتْ عبرةَ السحاب السكوبِ
صُبِغَتْ من دم القلوب فمـا تُبْـــــصَـرُ الا تعلقتْ بالقلوبِ

وقال أيضاً وفيه الايماء إلى حديث : « امرؤ القيس قائد الشعراء إلى النار »[6] :

إذا خفـق الـلواءُ عـليَّ يـومـاً   وقـد حمل امـرؤ القيس اللواءَ
رجـوتُ الـلَّه لا أرجـو سـواه   لـعـلَّ اللَّه يـرحـمُ من أسـاءَ

---

(1) اليتيمة 1 : 127 .
(2) اليتيمة 2 : 355 .
(3) اليتيمة 2 : 355 وانظر رقم : 1084 .
(4) اليتيمة 2 : 357 .
(5) اليتيمة 2 : 356 .
(6) اليتيمة 2 : 358 .

ـ 1105 ـ

محمد بن محمد بن حامد بن عبد الله بن علي أبو عبد الله المعروف بالعماد الكاتب الأصبهاني: ولد بأصبهان يوم الاثنين [ثاني] جمادى الآخرة سنة تسع عشرة وخمسمائة ونشأ بها، وقدم بغداد شاباً وانتظم في سلك طلبة المدرسة النظامية فتفقه بها بأبي منصور سعيد بن محمد بن الرزاز، وسمع منه ومن أبي بكر الأشقر وأبي الحسن علي بن عبد السلام وأبي القاسم علي بن الصباغ وأبي منصور ابن خيرون وأبي المكارم المبارك بن علي السمرقندي وجماعة، وأجاز له أبو عبد الله الفراوي وأبو القاسم ابن الحصين، ثم عاد إلى أصبهان فتفقه بها أيضاً على محمد بن عبد اللطيف الخجندي وأبي المعالي الوركاني، ثم رجع إلى بغداد واشتغل بصناعة الكتابة فبرع فيها ونبغ، فاتصل بالوزير عون الدين يحيى بن هبيرة فولاه النظر بالبصرة ثم بواسط، ولما توفي الوزير ابن هبيرة وتشتت شمل المنتسبين إليه أقام العماد مدةً ببغداد مَنَكَّدَ العيشِ، فانتقل إلى دمشق ووصل إليها في شعبان سنة اثنتين وستين وخمسمائة، فأنزله قاضي القضاة كمال الدين أبو الفضل محمد بن الشهرزوري بالمدرسة النورية الشافعية المنسوبة إلى العماد الآن المعروفة بالعمادية، وإنما نسبت إليه لأن الملك العادل نور الدين ولاه إياها سنة سبع وستين وخمسمائة. وكان العماد له معرفةٌ بنجم الدين أيوب والدِ السلطانِ صلاح الدين، عرفه بتكريت حين كان نجم الدين والياً عليها، فلما سمع نجم الدين بوصوله بادر لتبجيله والسلام عليه في منزله، ومدحه العماد إذ ذاك بقصيدة أولها:

يومُ النوى ليس من عمري بمحسوبِ ... ولا الفراقُ إلى عيشي بمنسوبِ

ما اخترتُ بُعْدَكَ لكنَّ الزمان أتى ... كَرْهاً بما ليس يا محبوبُ محبوبي

1105 ـ ترجمة العماد الأصفهاني في الكامل لابن الأثير 12: 71 ومرآة الزمان 8: 504 وتكملة المنذري (رقم: 605) والجامع لابن الساعي 9: 61 وابن خلكان 5: 147 وابن الفوطي 4 (رقم: 1240) وعبر الذهبي 4: 299 وسير الذهبي 21: 345 (وفي حاشيته ذكر لمصادر أخرى) ومختصر ابن الدبيثي 1: 122 والوافي 1: 132 وطبقات السبكي 6: 178 والبداية والنهاية 13: 30 ومقدمة الخريدة (القسم المصري والشامي والعراقي).

أرجو إيابي إليكم غانماً عجلاً فقد ظفرتُ بنجم الدين أيوبِ
موفّقُ الرأي ماضي العزم مرتفعٌ على الأعاجم مجداً والأعاريبِ
أحَبَّكَ اللّهُ إذ لازمتَ نصرته على جبينٍ بتاجِ الملكِ معصوبِ

وهي طويلة ، فشكره نجم الدين وأحسن إليه وأكرمه وقدّمه على الأعيان وميزه ، وعرَّفَ به ابنَهُ صلاحَ الدين . وكان القاضي كمال الدين ابن الشهرزوري يحضرُ مجالسَ العماد ويذاكره بمسائل الخلاف في الفروع ، فنوّه القاضي بذكر العماد عند السلطان نور الدين وذكر له تقدمه في العلم والكتابة ، وأهَّله لكتابة الانشاء ، فتردد العمادُ في الدخول فيما لم يتقدم له اشتغالٌ طويلٌ به مع توفر موادٍّ هذه الصناعة عنده خوفاً من التقصير فيما لم يمارسه ، ثم أقدم بعد الاحجام فباشرها وأجاد فيها حتى زاحم القاضي الفاضل بمنكبٍ ضخم . وكان ينشىء الرسائل بالفارسية أيضاً فيجيد فيها إجادته بالعربية . وعلت منزلته عند نور الدين وصار صاحبَ سرّه ، وفوَّضَ إليه تدريسَ المدرسة العمادية كما تقدم ، وولاه الإشرافَ على ديوان الانشاء . ولما توفي نور الدين وولي ابنه الملك الصالح إسماعيل اغراه بالعماد جماعةٌ كانوا يحسدونه ويكرهونه ، فخاف على نفسه وخرج من دمشق قاصداً بغداد ، فوصل إلى الموصل ومرض بها ، ولما أبلَّ من مرضه بلغه خروج السلطان صلاح الدين من مصر قاصداً دمشق ليستولي عليها فعزم على الرجوع إلى الشام وخرج من الموصل سنة سبعين وخمسمائة فوصل إلى دمشق وسار منها إلى حلب ، وصلاحُ الدين يومئذٍ نازلٌ عليها ، فلاقاه في حمص وقد استولى على قلعتها ، فلزم بابه ومدحه بقصيدةٍ طويلة كان نظمها قبلاً في الشوق إلى دمشق والتأسفِ عليها ، فجعل مدح صلاح الدين مَخْلَصَها ، أولها[1] :

أجيرانَ جَيْرونَ ما لي مجيرُ سوى عدلكم[2] فاعدلوا أو فجوروا
وما لي سوى طيفكم زائرٌ فلا تمنعوه إذا لم تزوروا
يعزُّ عليَّ بأنَّ الفؤاد لديكم أسيرٌ وعنكم أسير

(1) الخريدة (قسم الشام ـ البداية) : 19 ـ 29 .
(2) الخريدة : عطفكم .

وما كنتُ أعلم أني أعيـ ـشُ بعدَ الأحبة[1] أني صبور
وفت أدمعي غير أن الكرى وقلبي وصبريَ كلٌّ غَدور
إلى ناسِ بانياسَ لي صبوةٌ لها الوجدُ داعٍ وذكري مثير
يزيدُ اشتياقي وينمو كما يزيدُ يزيدُ وثورا يثور
ومن بَرَدَى حرُّ قلبي المشوقِ فها أنا من حَرِّه أستجير[2]
وبالمرج مرجوُّ عيشي الذي على ذكره العذبِ عيشي مرير
فقدتكمُ ففقدتُ الحياةَ ويومَ اللقاءِ يكونُ النشور
تطاولْ لسؤليَ عند القُصَيرِ فعن نَيْلِهِ اليومَ باعي قصير
وكنْ لي بريداً لباب البريدِ فأنت بأخبارِ شوقي خبير

ومنها :

ترى بالسلامةِ يوماً يكونُ ببابِ السلامةِ مني عبور
وأن جوازي ببابِ الصغيرِ لعَمري لعُمريَ[3] حظٌّ كبير
وما جنةُ الخلد إلا دمشقُ وفي القلب شوقاً إليها سعير
وجامعها الرحبُ والقبة الـ ـمنيفةُ والفَلَكُ المستدير
وفي قُبَّةِ النسرِ لي سادةٌ بهم للمكارم أُفْقٌ منير
وبابُ الفراديسِ فردوسها وسكانها أحسنُ الناس حور
والأرْزةُ فالسهمُ فالنيربان فجناتُ مِزَّتِها فالكفور
كأن الجواسقَ مأهولةً بروجٌ تطلَّعُ منها البدور
بنيربها يستنيرُ الفؤاد ويربو بربوتها لي السرور[4]

(1) الخريدة : التفرق .
(2) الخريدة : مستجير .
(3) الخريدة : من العمر .
(4) رواية الخريدة :

بنيربها تتبرا الهموم بربوتها يتربى السرور

ومنها :

وأيــن تــأمــلتَ فُــلْكٌ يــدورُ　　وعــيــنٌ تــفــورُ ونــهــرٌ يــمــور
وأيــن نــظرتَ نــســيــمٌ يــرقّ　　وزهــرٌ يــروقُ وروضٌ نــضــيــر
ومــنــذ ثــوى نــورُ ديــن الالاهِ　　لــم يــبــقَ لــلديــنِ والــشــام نــور
وللنــاسِ بــالملك النــاصــرِ الـــــصــلاح صــلاحٌ ونصــرٌ وَخِيــر
هــو الشمسُ أنــوارهــا بــالبــلادِ　　ومــطلعهــا سَــرْجُــهُ والــســريــر
إذا مــا ســطا أو حَــبــا واحتــبى　　فــمــا الليــثُ أو حــاتمٌ أو ثــبيــر
بــيــوســفِ مــصــرَ وأيــامِــهِ　　تَقَــرُّ العيــونُ وتشــفَى الــصــدور

وقد أطال نَفَسَه في هذه القصيدة وكلها غرر ، وقد اكتفينا بما أوردناه منها .

ثم لزم العماد من ذلك اليوم باب السلطان صلاح الدين ينزل لنزوله ويرحل لرحيله ، ولم يزل يغشى مجالسه ملازماً لخدمته حتى قرَّبه واستكتبه واعتمد عليه ، فتصدر وزاحم الوزراءَ وأعيانَ الدولة ، وعلا قدرُهُ وطار صيته . وكان إذا انقطع القاضي الفاضل عن الديوان ناب عنه في النظر عليه ، وألقى إليه السلطانُ مقاليده وركن إليه بأسراره ، فتقدم الأعيانَ وأشير إليه بالبنان ؛ وكان بينه وبين القاضي الفاضل مراسلات ومحاورات ، فمن ذلك أنه لقي القاضي يوماً وهو راكبٌ على فرس فقال له : سِرْ فلا كَبَا بِكَ الفَرَس ، فقال له الفاضل : دامَ عُلَا العِماد ، وكلا القولين يُقْرَأ عكساً وطرداً . واجتمعا يوماً في موكب السلطان وقد ثار الغبار لكثرة الفرسان ، وتعجب القاضي من ذلك فأنشد العماد :

أمــا الــغــبــارُ فــانــه　　ممــا أثــارتــه الســنــا بــكْ
والــجــوُّ مــنــه مــظلمٌ　　لــكن أنــارتــه الــسنــا بــكْ
يــا دهــرُ لي عبــدُ الــرحيـــــــم فلست أخشى مَسَّ نــابكْ

ولما توفي السلطان صلاح الدين رحمه الله اختلَّتْ أحوالُ العماد ولزم بيته وأقبل على التصنيف والافادة ، حتى توفي يـوم الاثنين مستهل رمضـان سنة سبع وتسعين وخمسمائة .

وله من المصنفات : خريدة القصر وجريدة العصر[1] ذيل به زينة الدهر لأبي المعالي سعد بن علي الحظيري الوراق ، جمع العماد في هذا الكتاب تراجم شعراء الشام والعراق ومصر والجزيرة والمغرب وفارس ممن كان بعد المائة الخامسة إلى ما بعد سنة سبعين وخمسمائة ، وهو يدخل في عشر مجلدات لطيفة . وله البرق الشامي[2] ، وهو تاريخ بدأ فيه بذكر نفسه ونشأته ورحلته من العراق إلى الشام وأخباره مع الملك العادل نور الدين والسلطان صلاح الدين وما جرى له في خدمتهما ، وذكر فيه بعض الفتوحات بالشام وأطرافها ، وهو بضعة مجلدات . وله الفتح القسي في الفتح القدسي[3] في مجلد كبير . وكتاب السيل على الذيل[4] جعله ذيلاً على كتابه خريدة القصر . وله نصرة الفطرة وعصرة القطرة في أخبار الدولة السلجوقية[5] . وله رسالة سماها عُتْبَى الزمان ، وتسمى أيضاً العتبى والعقبى . وكتاب سماه نحلة الرحلة ذكر فيها اختلالَ الأحوال وتغير الأمور بعد موت السلطان صلاح الدين ، واختلافَ أولاده وما وقع من الخلاف بين الأمراء والعمال . وله ديوان رسائل في مجلدات . وديوان شعر[6] في مجلدين . وديوان دوبيت صغير وغير ذلك

ومن إنشاء العماد الكاتب الكتاب الذي كتبه عن السلطان صلاح الدين إلى ديوان الخلافة ببغداد مبشراً بفتح بيت المقدس سنة ثلاث وثمانين وخمسمائة افتتحه بقوله تعالى ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا ٱلصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ ﴾ (النور: 55) الآية ثم قال : الحمد لله الذي أنجز لعباده الصالحين وَعْدَ الاستخلاف ، وقهر بأهل التوحيد أهل الشرك والخلاف ، وخصَّ سلطان الديوان العزيز بهذه الخلافة ، ومكَّن دينه المرتضى وبدَّلَ بالأمانِ المخافة ، وذخر هذا الفتح الأسنى ،

(1) نشر منه قسم مصر والشام والعراق والمغرب والأندلس ، بعناية عدة محققين .

(2) نشرت منه قطعتان واحدة بتحقيق د . مصطفى الحياري (عمان 1987) والثانية بتحقيق د . فالح حسين (عمان 1987) ومنه مختصر يعرف بسنا البرق الشامي ، نشر قطعة منه د . رمضان ششن (بيروت 1971) ثم نشرته د . فتحية النبراوي (القاهرة 1979) .

(3) ظهر في طبعات مختلفة .

(4) ينقل منه ابن العديم في بغية الطلب .

(5) نشر هوتسما مختصر هذا الكتاب باسم زبدة النصرة ونخبة العصرة للبنداري .

(6) قد جمع له ديواناً الدكتور ناظم رشيد ، الموصل 1983 .

والنصر الأهنى ، للعصر الامامي النبوي الناصري على يد الخادم أخلص أوليائه ، والمختصِّ من الاعتزاز باعتزائه إليه وانتمائه ؛ وهذا الفتح العظيم ، والنجح الكريم ، قد انقرضت الملوك الماضية ، والقرون الخالية ، على مسرة تمنيه ، وحيرة ترجيه ، ووحشة اليأس من تسنيه ، وتقاصرت عنه طوالُ الهمم ، وتخاذلتْ عن الانتصار له أملاكُ الأمم ، فالحمد للّه الذي أعاد القدس إلى القدس ، وطهره من الرجس ، وحقق من فتحه ما كان في النفس ، وبدَّلَ وحشةَ الكفر فيه من الإسلام بالأنس ، وجعل عزَّ يومه ماحياً ذلَّ أمس ، وأسكنه الفقهاءَ والعلماءَ بعد الجهال والضلال من بطرك وقس ، وعبدة الصليب ومستقبلي الشمس . وقد أظهر الله على المشركين الضالين ، جنودَهُ المؤمنين العالمين ، وقطع دابر القوم الظالمين ، والحمد للّه رب العالمين ، فكأن اللّه شرَّفَ هذه الأمة فقال لهم : اعزموا على اقتناء هذه الفضيلة التي بها فَضَّلكم ، وحقَّقَ في حقكم امتثال أمره الذي خالفه اليهود في قوله ﴿ ٱدْخُلُوا ٱلْأَرْضَ ٱلْمُقَدَّسَةَ ٱلَّتِي كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُم ﴾ (المائدة: 21) وهذا الفتح قد أقدر الله على افتضاضه بالحرب العوان ، وجعل ملائكته المسوّمة له من أعز الأنصار وأظهر الأعوان ، واخرج من بيته المقدس يوم الجمعة أهل يوم الأحد ، وقمع من كان يقول ان الله ثالث ثلاثة بمن يقول هو الله أحد . واعان الله بانزال الملائكة والروح ، واتى بهذا النصر الممنوح ، الذي هو فتح الفتوح ، وقد تعالى ان يحيط به وصفُ البليغ نظماً ونثراً ، وَعُبِدَ اللّه في البيت المقدّس سراً وجهراً ، وَمُلِكَتْ بلاد الاردنّ وفلسطين غوراً ونجداً وبراً وبحراً ، وملئت إسلاماً وقد كانت ملئت كفرا ، وتقاضى الخادم دَيْنَ الدين الذي غَلِقَ رهنُهُ دهرا ، والحمد للّه وشكراً ، حمداً يُجِدُّ للإسلام كلَّ يوم نصرا ، ويزيد وجوه أهله بشرى فتتوجّه بشرا .

والكتاب طويل ذكر فيه فصولا عن الوقائع التي تقدمت فتح القدس ، فاكتفينا منه بما أوردناه .

وللعماد قصيدة من قصائده الطوال ضمنها فتح القدس وفلسطين ، ومدح السلطان صلاح الدين اقتصرنا على إيراد طرف منها قال(1) :

أَطِيبُ بأنفاسٍ تطيبُ لكم نفسا وتعتاضُ من ذكراكُمُ وحشتي أنسا

(1) ديوانه : 230 ـ 236 .

وأسـألُ عـنـكـم عـافيـاتِ دوارسٍ غَـدَتْ بلسـانِ الحـالِ نـاطقةً خرسـا
معـاهـدكم مـا بـالـهـا كعهـودكم وقـد كَـرَّرَتْ من درسٍ آثـارهـا درسـا
وقـد كان في حَـدْسي لكم كلُّ طـارفٍ وما جئتمُ من هجركم خـالفَ الحدسـا
أرى حَـدَثَـانَ الـدهـرِ يُنْسي حـديثَهُ وأمـا حـديثُ الغـدر منكم فـلا ينسى
تـزولُ الجبـالُ الـراسيـاتُ وثـابتٌ رسيسُ غـرامٍ في فـؤادي لكـم أرسى
حسبتُ حبيبـي قـاسيَ الـقلبِ وحـده وقلبُ الذي يهوى بحملِ الهوى أقسى

ومنها :

وإن نـهـاري صـار ليـلاً لـبعـدكـم فمـا أبصرتْ عيني صبـاحـاً ولا شمسـا
بكيتُ على مستـودعـات خـدوركم(1) كما قد بكتْ قدماً على صخرها الخنسا
فـلا تَحْبِسـوا عني الجميـلَ فـانني جعلتُ على حبي لكم مهجتي حبسـا

ومنها :

رأيتُ صـلاح الـدين أفضـلَ من غـدا وأشـرفَ من أضحى وأكـرم من أمسى
وقيـل لنـا في الأرض سبعـةُ أبحـرٍ ولسـنـا نـرى إلا أنـامـله الخـمـسـا
سجيتـه الحُسْنَى وشيمتُـهُ الـرضـى وبـطشتُهُ الكبـرى وعـزتـه القعسـا
فـلا عـدمتْ أيـامنـا منـه مشـرقـاً ينيـر بمـا يـولي ليـالينـا الـدمسـا
جنـودُكَ أمـلاكُ الـسمـاءِ وظنُّـهـم أعـاديك جنـاً في المعـارك أو إنسـا(2)
سحبتَ على الأردنّ ردنـاً مـن القنـا ردينـيـة مُـلْداً وَخـطّيـة مُـلْسَـا
ونعمَ مجـالُ الخيـلِ حـطينُ لم تكنْ معـاركهـا للجُـرْدِ ضَـرْسـاً ولا دهسـا
غـداة أسـودُ الحـربِ معتقلو القنـا أسـاودُ تبغي من نحـورِ العـدا نهسـا
أتـوا شُكُسَ الأخـلاق خُشْنـاً فليَّنَتْ حدودُ الرقـاقِ الخُشْنِ أخلاقهـا الشُّكْسَا
طـردتـهمُ فـي المـلتقى وعكسـتـهـم مجيـداً بحكم العـزم طـردك والعكسـا

---

(1) الديوان : قلوبكم .
(2) الديوان : عداتك جن الأرض في الفتك لا الانسا .

فكيف مكستَ المشركين رؤوسهم ... ورأيُكَ[1] في الاحسانِ أن تطلق المكسا
كسرتهمُ إذ صحَّ عزمك فيهمُ ... ونكَّسْتَهم من بعد أعلامهم نكسا
بواقعةٍ رُجَّتْ بها أرضُ جيشهم ... ومارتْ كما بُسَّتْ جبالهمُ بَسَّا
بطونُ ذئابِ البرِّ صارتْ قبورَهم ... ولم ترضَ أرضٌ ان تكونَ لهم رمسا
وحامتْ[2] على نار المواضي فَراشُهُمْ ... لِتُطْفَى فزادتْ من خمودهمُ قبسا
وقد خشعت أصواتُ أبطالها فما ... يعي السمعُ إلا من صليلِ الظبا همسا
تقاد بدأماءِ الدماءِ ملوكهم ... أسارى كسفنِ اليمّ نيطتْ بها القَلْسَا
سبايا بلادِ الله مملوءةٌ بها ... وقد عرضت نخساً وقد شريت بَخْسا
يطاف بها الأسواق لا راغبٌ لها ... لكثرتها كم كثرةٍ توجب الوكسا
شكا يَبَساً رأسُ البرنسِ الذي به ... تندَّى حسامٌ حاسمٌ ذلك اليبسا
حسا دمَه ماضي الغرارِ لغدره ... وما كان لولا غدرُهُ دمُهُ يحسى

ومنها :

ومن قبل فتح القِدسِ كنتَ مقدساً ... فلا عَدِمَتْ أخلاقك الطهرَ والقدسا
نزعتَ لباسَ الكفر عن قُدْسِ أرضها ... وألبستها الدينَ الذي كشف اللبسا

ومنها :

جرى بالذي تهوى القضاءُ وظاهرتْ ... ملائكةُ الرحمن أجنادَكَ الحمسا
وكم لبني أيوبَ عبدٌ كعنترٍ ... فان ذُكِرُوا بالبأس لم يذكروا عبسا

ومن غزلياته قوله[3] :

أفدي الذي خلبتْ قلبي لواحظه ... وخلَّفتْ لذعاتِ الوجد في كبدي
صفاتُ ناظره سُقْمٌ بلا ألم ... سُكْرٌ بلا قَدَحٍ جُرْحٌ بلا قَوَدِ
على محياه من نار الصِّبا شُعَلٌ ... وورْدُ خديه من ماءِ الجمالِ ندي

---

(1) الديوان : ودأبك .
(2) الديوان : وطارت .
(3) الديوان : 137 .

ومن حكمياته[1] :

اقنعْ ولا تطمعْ فان الغنى كمالُهُ في عزّةِ النفسِ ،
فانما ينقصُ بدرُ الدجى لأخذه الضوءَ من الشمسِ

وقال[2] :

وما هذه الأيام الا صحائف يؤرَّخُ فيها ثم يُمْحَى وَيُمْحَقُ
ولم أر في دهري كدائرة المنى توسّعها الآمال والعمرُ ضيقُ

ـ 1106 ـ

محمد بن محمد بن عباد أبو عبد الله البغدادي المقريء النحوي : كان مقدماً في علم القراءات بارعاً في النحو وعلوم العربية ، قرأ النحو على أبي سعيد السيرافي النحوي ، وأخذ عنه القراءة أبو العباس أحمد بن الفرج بن منصور بن محمد بن الحجاج بن هارون ، وصنف « كتاب الوقف والابتداء » وأجاد فيه ، وسمعه منه أبو العباس ابن هارون المذكور . توفي أبو عبد الله ابن عباد البغدادي يوم الجمعة لليلتين بقيتا من ذي الحجة سنة أربع وثلاثين وثلاثمائة .

ـ 1107 ـ

محمد بن محمد بن عبد الجليل بن عبد الملك بن محمد بن عبد الله بن عبد الرحمن بن محمد بن يحيى بن مردويه بن سالم بن عبد الله بن عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، رشيد الدين المعروف بالوطواط الأديب الكاتب الشاعر : كان من

1106 ـ ترجمته في الوافي 1 : 162 وبغية الوعاة 1 : 224 وإنباه الرواة 3 : 212 .

1107 ـ ترجمة رشيد الدين الوطواط في بغية الوعاة 1 : 226 (عن ياقوت) .

(1) الديوان : 240 .

(2) الديوان : 313 ـ 314 .

نوادر الزمان وعجائبه ، وأفراد الدهر وغرائبه ، أفضلَ زمانه في النظم والنثر ، وأعلمَ الناسِ بدقائق كلام العرب وأسرار النحو والأدب ، طار في الآفاق صيته وسار في الأقاليم ذكره ، وكان ينشىء في حالةٍ واحدة بيتاً بالعربية من بحر وبيتاً بالفارسية من بحر آخر ويمليهما معاً .

وله من التصانيف: حدائق السحر في دقائق الشعر باللغة الفارسية، ألّفه لأبي المظفر خوارزم شاه وعارض به كتاب « ترجمان البلاغة » لفرحي الشاعر الفارسي . وللوطواط أيضاً ديوان شعر وديوان رسائل عربي . وديوان رسائل فارسي . وتحفة الصديق من كلام أبي بكر الصديق . وفصل الخطاب من كلام عمر بن الخطاب . وأنس اللهفان من كلام عثمان بن عفان . ومطلوب كلِّ طالب من كلام علي بن أبي طالب ، وغير ذلك .

مولده ببلخ ومات بخوارزم سنة ثلاث وسبعين وخمسمائة .

ومن رسائله ما كتبه لأبي القاسم محمود بن عمر الزمخشري وهي[1] :

لقد حاز جارُ اللّهِ دام جمالُهُ فضائلَ فيها لا يُشَقُّ غُبارُهُ
تجدَّدَ رسمُ الفضلِ بعد اندراسِهِ بآثارِ جار الله فاللّهُ جارُهُ

أنا منذ لفظتني الأقدار من أوطاني ، ومعاهد أهلي وجيراني ، إلى هذه الخطة التي هي اليوم بمكان جار الله أدام الله دولته جَنَّة للكرام ، وجُنّةٌ من نكبات الأيام ، كانت قُصْوَى مُنْيتي وقصارَى بُغْيتي أن أكون أحد الملازمين لسدته الشريفة التي هي مخيمُ السيادة ، ومُقَبَّل أفواه السادة ، من ألقى فيها عصاه حاز في الدارين مناه ، ونال في المحلين مبتغاه ، ولكنَّ سوءَ التقصير أو مانع التقدير حرمني تلك الخدمة ، وحرَّم عليَّ هذه النعمة ، والآن أظنُّ ، وظن المؤمن لا يخطىء ، أنَّ آفِلَ جدّي همَّ بالاشراق ، وذابل إقبالي أقبل على الإيراق ، فقد أجد في نفسي نوراً مجدّداً يهديني إلى جنته ، ومن شوقي داعياً موفقاً يدعوني إلى حضرته ، ويقرعُ لسانُ الهيبةِ كلَّ ساعةٍ سمعي بنداء : اخلعْ نعلك ، واطْرَحْ بالوادي المقدَّس رحلك ، ولا تحفل بقصدِ

(1) رسائل رشيد الدين الوطواط 2 : 28 .

قاصد ، وحسد حاسد ، فإن حضرة جار اللّه أوسعُ من أن تضيقَ على راغب في فوائده ، وأكرمُ من أن تستثقل وطأةَ طالبٍ لعوائده . ومع هذا أرجو إشارةً تصدُرُ من مجلسه المحروس ، إما بخطه الشريف فإن في ذلك شرفاً لي يدوم مدى الدهر والأيام ، وفخراً يبقى على مرِّ الشهور والأعوام ، وإما على لسان من يوثَقُ بصدق مقالته ، وَيُعْتَمَدُ على تبليغ رسالته ، من المنخرطين في سِلْكِ خدمته ، والراتعين في رياض نعمته ، ورأيه في ذلك أعلى وأصوب.

ومن إنشائه أيضاً تقليدُ حِسْبَةٍ صَدَرَ عن ديوان خوارزم وهو[1] : إن أولى الأمورِ بأن تُصْرَفَ أعنّةُ العناية إلى ترتيب نظامه ، وَتُقْصَرَ الهممُ على مهمةِ إتمامه ، أمرٌ يتعلّق به ثبات الدين ، ويتوقّف[2] عليه صلاح المسلمين ، وهو أمر الاحتساب ، فإن فيه تثقيفَ الزائغين عن الحقّ ، وتأديب المنهمكين بالفسق ، وتقوية أعضادِ أرباب الشرع وسواعِدها ، وإجراء معاملاتِ الدين على قوانينها وقواعدها . وينبغي أن يكون متقلدُ هذا الأمرِ موصوفاً بالديانة ، معروفاً بالصيانة ، معرضاً عن مراصد الرِّيْب ، بعيداً عن مواقف التهم والعيب ، لابساً مدارعَ السداد ، سالكاً مناهج الرشاد . والشيخ الامام فلان أدام الله فضله متحلٍّ بهذه الخصائص المذكورة ، والفضائل المشهورة ، ومستظهرٌ في دولتنا للحقوق المرعية ، ومستشعر للصفات المرضية ، فقلدناه هذا الأمر الذي هو من مهمات الأعمال ، ومعظَّمات الأشغال ، واعتمدنا في التقليد والتقلد على دينه المتين ، وفضله المبين ، وعقيدته الطاهرة ، وأمانته الظاهرة ، وأمرناه أولاً أن يجعل التقوى شعاره ، والزهد دثاره ، والعلم معلمه والدين مناره ، ثم يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ، ويقيم حدودَ الشرع على وفق النصوص والأخبار ، ومقتضى السنن والآثار ، من غير أن يتسور الحيطان ، ويتسلّق الجدران ، ويرفع الحجب المسدولة ، ويكسر الأبواب المقفولة[3] ، ويسلّط الأوباشَ على دور المسلمين وحرم المؤمنين ، فيغيروا على أموالهم ، ويمدوا الأيدي الى نسائهم وأطفالهم ، ويظهروا ما أمر الله

(1) رسائله 1 : 80 .

(2) الرسائل : وينعطف .

(3) الرسائل : المسدودة .

تعالى بستره وإخفائه ، ونهى عن إشاعته وإفشائه ، فإن عبادة الأوثان خير من ذلك الاحتساب[1] ، والعقوبة أجدرُ بمباشر ذلك من الأجر والثواب . وأمرناه أن يبالغ في تعديل المكاييل والموازين ، على وفق أحكام الشرع والدين ، فإن وجد تفاوتاً في شيء منها سوَّاه وعدَّله ، وغيره وبدّله ، وأدّب صاحبه على رؤوس الأشهاد ، لينزجر عن مثله أهلُ الخيانة والفساد ، وليعلم أنه في عهدة ما يطوي وينشر ، وينهى ويأمر ، يوم ينشر الديوان ، وينصب الميزان ، ﴿ يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴾ (الشعراء: 88) وسبيلُ الأئمة والعلماء وكافة الرعايا حاطهم الله أن يتوفروا على تعظيم قدره وتفخيم أمره ، ويبالغوا فيما يرجع إلى تمهيد قواعد حرمته ، وتشييد أركان حشمته ، ولا يعترضوا عليه في شغل الاحتساب ، فإن ذلك أمانة هو حاملها ، ووديعة هو ضامنها ، والسلام .

ولرشيد الدين شعر دون نثره جودة ، فمن ذلك قصيدة أوردها ضمن كتابٍ إلى صدر الدين بن نظام الدين رئيس جرجان[2] :

جنابُكَ صدرَ دينِ اللّه حصنٌ ... لأهل الفضل من نُوَبِ الزمانِ
وصدرُكَ في الخطوب إذا ألَمّتْ ... محطُّ رحالِ حُفَّاظِ القران
وجودك دونه فيضُ الغوادي ... وعزمُكَ دونه حدُّ السنان
وبابك فيه مسكنُ كلِّ عافٍ ... وعفوك فيه مأمنُ كلِّ جان
غدوتَ قريعَ فرسانِ القوافي ... وحائزَ سبقها[3] يومَ الرهان
لقد بُلِّغْتَ قاصيةَ المعالي ... كما مُلِّكْتَ ناصيةَ المعاني
وأعجزتَ الأفاضل في التحدي[4] ... بمعجزةِ الفصاحةِ والبيان
يشقُّ سناك جلبابَ الليالي ... وجنحُ ظلامِها مُلْقَى الجران
بك الآدابُ آهلةُ المغاني[5] ... ودارُ المجدِ شاهقة[6] المباني

(1) م : هكذا احتساب .
(2) الرسائل 1 : 47 .
(3) الرسائل : خصلها .
(4) الرسائل : وقت نطق .
(5) الرسائل : حالية الروابي .
(6) الرسائل : عالية .

فما لك في فحولِ الفضلِ نِدٌّ ولا لك في رجالِ العلم ثاني
مغانيك الرحابُ رياضُ عزٍّ سقى صوب الحيا تلك المغاني
نمتك عصابةٌ بيضٌ هجانٌ وهل تلدُ الهجانُ سوى الهجان
لقد أُخْرِجْتَ من أزكى نصابٍ وقد أُرْضِعْتَ من أصفى لبان
فأنت الغيثُ في وقتِ العطايا وأنت الليثُ في يومِ الطعان
أتتني منك آياتٌ(1) تحاكي بدائعُ نظمها عقدَ الجمان
بلفظٍ مثلِ أفرادِ اللآلي وخطٍّ مثلِ أصداغ الغواني
فألبسني كتابك بعد خوفٍ من الحدثان أرديةَ الأمان
وقد شاهدتُ في الدنيا عياناً بما أهديتَ روضاتِ الجنان
بقيتَ مدى الزمانِ حليفَ أمنٍ ويمنٍ تجتني ثَمَرَ الأماني
وطاوعك الأسافلُ والأعالي وتابعك الأباعدُ والأداني
صديقك(2) ساحبٌ ذيلَ المعالي وخصمك لابسٌ ثوبَ الهوان

وقال :

ستٌّ بُليتُ بها والمستعاذُ بها من شرِّها مَنْ إليه الخلقُ يبتهلُ
نفسي وإبليس والدنيا التي فَتَنَتْ مَنْ قبلنا والهوى والحرصُ والأمل
إن لم تكن منك يا مولاي واقيةٌ من شرها الجمُّ أعيتْ عبدَكَ الحيل

وقال :

تروحُ لنا الدنيا بغير الذي غدت وتحدثُ من بعد الأمورِ أمورُ
وتجري الليالي باجتماعٍ وفرقةٍ وتطلعُ فيها أنجم وتغور
فمن ظنَّ أن الدهرَ باقٍ سرورُهُ فقد ظنَّ عجزاً لا يدوم سرور

---

(1) الرسائل : أبيات .
(2) الرسائل : وسلمك .

وقال :

إذا ما شئتَ أن تحيا سعيداً ... وتنجوَ في الحسابِ من الخصومِ
فلا تصحبْ سوى الأخيارِ واصرفْ ... حياتك في مُدارسةِ العلوم

ـ 1108 ـ

محمد بن أبي سعيد محمد المعروف بابن شرف الجذامي القيرواني الأديب الكاتب الشاعر أبو عبد الله : روى عن أبي الحسن القابسي وأبي عمران الفاسي ، وقرأ النحو على أبي عبد الله محمد بن جعفر القزاز ، وأخذ العلوم الأدبية عن أبي إسحاق إبراهيم الحصري وغيرهم ، فبرع في الكتابة والشعر ، وتقدم عند الأمير المعز بن باديس أمير أفريقية ، وكانت القيروان في عهده وجهة العلماء والأدباء تشد اليها الرحال من كل فجّ لما يرونه من إقبال المعز على أهل العلم والأدب وعنايته بهم ، وكان ابن شرف وابن رشيق صاحب « العمدة » متقدمين عنده على سائر من في حضرته من الأفاضل والأدباء ، فكان يقرب هذا تارة ويدني ذاك تارة ، فتنافسا وتنافرا ثم تهاجيا ، ولكن لم يتغير أحدهما على الآخر بما جرى بينهما من المناقضات . ولم يزل ابن شرف ملازماً لخدمة المعز الى أن هاجم عرب الصعيد القيروان واضطر المعزّ الى الخروج منها إلى المهدية سنة سبع وأربعين وأربعمائة فخرج ابن شرف وسائر الشعراء معه إليها واستقروا بها ، فأقام ابن شرف مدة بالمهدية ملازماً خدمة المعز وابنه تميم ، ثم خرج منها قاصداً صقلية ولحق به رفيقه ابن رشيق ، فاجتمعا بها ومكثا بها مدة ، ثم

1108 ـ لابن شرف ترجمة في الصلة : 545 والمطرب : 66 ومعالم الايمان 3 : 193 والخريدة (قسم المغرب) 2 : 224 والذخيرة 4/1 : 169 والوافي 3 : 97 والفوات 3 : 359 والزركشي : 278 ومسالك الأبصار 11 : 338 وبغية الوعاة 1 : 114 وصفحات متفرقة من نفح الطيب (الجزءين 3 ، 4) وعنوان الأريب 1 : 56 وقد جمع الأستاذ الميمني بعض شعره في النتف من شعر ابن رشيق وابن شرف (القاهرة : 1343) ؛ ونشرت له رسالة بعنوان أعلام الكلام (القاهرة 1926) وهي نفسها بعنوان مسائل الانتقاد في رسائل البلغاء مع مقدمة ابن شرف : 302 ـ 343 (القاهرة 1946) ونشرها الأستاذ شارل بلا ومعها ترجمة فرنسية (الجزائر 1953) وذكر ابن دحية (المطرب : 96) أن شعره في خمس مجلدات .

استنهضه ابن شرف على دخول الأندلس فتردَّد ابن رشيق وأنشد :

مما يزهّدني في أرض أندلسٍ أسماءُ مقتدرٍ فيها ومعتضدِ
ألقابُ مملكةٍ في غير موضعها كالهرِّ يحكي انتفاخاً صَوْلَةَ الأسد

فأجابه ابن شرف على الفور(1) :

إن ترمكَ الغربةُ في معشرٍ قد جُبِلَ الطبعُ على بغضهمْ
فدارِهِمْ ما دمتَ في دارهمْ وأرضهمْ ما دمتَ في أرضهمْ

ثم شخص ابنُ شرف منفرداً إلى الأندلس وتنقل في بلادها وسكن المرية بعد مقارعة أهوال ومقاومة خطوب ، وتردد على ملوك الطوائف كآل عباد وغيرهم ، وتوفي باشبيلية سنة ستين وأربعمائة .

ومن شعره(2) :

لك مجلسٌ كَمُلَتْ دواعي لهونا فيه ولكنْ تحت ذاكَ حديثُ
غنّى الذبابُ فظلَّ يزمرُ حوله فيه البعوضُ ويرقصُ البرغوثُ

وقال في وصف وادي عذراء بمدينة بَرْجَة من أعمال المرية(3) :

رياضٌ غلائلها سندسٌ توشَّتْ معاطِفُها بالزَّهَرْ
مدامعها فوقَ خطِّ الربى لها نظرةٌ فَتَنَتْ مَنْ نظرْ
وكلُّ مكانٍ بها جنّةٌ وكل طريقٍ إليها سقَرْ

وقال في ليلة أنس باردةٍ ممطرة(4) :

ولقد نعمتُ بليلةٍ جمد الحيا في الأرض فيها والسماءُ تذوبُ

---

(1) بيتاه هذان في المطرب والخريدة ومعالم الايمان والشريشي 2 : 258 ونسبا في الخريدة 1 : 289 لعلي بن فضال ، وفي الوافي 1 : 125 للرامشي ، وانظر الريحان والريعان : 141 والنتف : 103 .

(2) البيتان في المطرب والنفح 3 : 329 وبدائع البدائه : 394 (لابن رشيق) والشريشي 3 : 320 والنتف : 320 .

(3) هي في النفح 1 : 151 ونسبها في النتف لابنه أبي جعفر .

(4) هي في الفوات ، والنتف : 91 .

جمع العِشَاءَينِ المصلّي وانزوى فيها الرقيبُ كأنه مرقوبُ
والكاسُ كاسيةُ القميصِ يديرها ساقٍ كخودٍ كفُّهُ مخضوبُ
هي وردةٌ في خده وبكأسها الـ ـدريِّ منها عسجدٌ مصبوبُ
مني إليه ومن يديه إلى يدي الشمسُ تطلعُ تارةً وتغيبُ

وقال[1] :

قالوا تسابقتِ الحميـ ـرُ فقلتُ من عَدَمِ السوابقْ
خلتِ الدسوتُ من الرخا خ ففرزَنَتْ فيها البيادقْ

وقال[2] :

إذا صحب الفتى جَدٌّ وَسَعْدٌ تحامَتْهُ المكارهُ والخطوبُ
ووافاه الحبيبُ بغيرِ وعدٍ طفيلياً وقادَ له الرقيبُ
وعدَّ الناسُ ضرطته غناءً وقالوا إن فسا قد فاح طيبُ

وقال[3] :

ولقد يُهَوِّنُ ان يخونَكَ كاشحٌ كونُ الخيانةِ من أخٍ وخدينِ
لقّى أخو يعقوبَ يعقوبَ الأذى وهما جميعاً في ثياب جنينِ
ومضى عقيلٌ عن عليٍّ خاذلاً ورأى الأمينُ جنايةَ المأمونِ
فعلى الوفاءِ سلامُ غيرِ معاينٍ شخصاً له إلا عيانَ ظنونِ

وقال في الحر يخدم أصحابه[4] :

خادمنا خيرنا وأفضلنا نطرحُ أعباءنا ويحملها
فنحن يُسْرَى اليدين تخدمها يمناهما الدهرَ وهي أفضلها

(1) في الفوات والوافي والغيث المسجم 2: 12 والنتف: 106 .
(2) في الغيث 2: 75 والفوات والوافي والنتف: 91 .
(3) في الغيث 2: 213 والنتف: 113 .
(4) في الغيث 2: 168 والنتف: 110 ـ 111 .

وقال في مليح اسمه عمر[1] :

يا أعدل الناس إسماً كم تجورُ على فؤادِ مضناك بالهجرانِ والبينِ
اظنهم سلبوك القافَ من قمرٍ فأبدلوها بعينٍ خيفةَ العينِ

وقال يمدح شيخه أبا الحسن علي بن أبي الرجال[2] :

جاورْ علياً ولا تحفلْ بحادثةٍ إذا ادَّرعتَ فلا تسألْ عن الأَسَلِ
اسمٌ حكاه المسمَّى في الفَعال وقد حاز العليّين من قولٍ ومن عملِ
فالماجدُ السيدُ الحرُّ الكريمُ له كالنعتِ والعطفِ والتوكيدِ والبدل
زان العلا وسواه شانها وكذا تميزُ الشمسِ في الميزانِ والحمل
سلْ عنه وانطقْ به وانظر إليه تجدْ ملءَ المسامعِ والأفواهِ والمقل

وقال[3] :

كُسيتُ قناعَ الشيب قبل أوانِهِ وجسمي عليه للشبابِ وشاحُ
ويا ربَّ وجهٍ فيه للعين نزهةٌ أُمانعُ عيني منه وهو مباحُ

وقال من قصيدة فيما حل بالقيروان[4] :

ترى سيئات القيروانِ تعاظَمَتْ فجلَّتْ عن الغفرانِ واللّهُ غافرُ
تراها أصيبتْ بالكبائر وَحْدَها ألم تكُ قدماً في البلاد الكبائرُ
تكشفتِ الأستار عن أهلها وكم أقيمتْ ستورٌ دونهم وستائرُ

وقال[5] :

احذرْ محاسنَ أوجهٍ فقدت محا سنَ نفسها ولو آنها أقمارُ
سُرُجٌ تلوحُ إذا نظرتَ وإنها نورٌ يضيءُ وإن مسستَ فنارُ

---

(1) في الفوات والنتف : 114 .
(2) النتف : 109 ـ 110 .
(3) معالم الايمان والنتف : 95 .
(4) الذخيرة : 234 والنتف : 98 .
(5) الفوات والوافي والنتف : 99 .

وقال[1] :

وما بلوغ الأماني من مواعدها إلا كأشعبَ يرجو وَعْدَ عُرْقُوبِ
وقد تخلَّفَ مكتوبُ القضاءِ بها فكيف لي بقضاءٍ غيرِ مكتوبِ

ولابن شرف القيرواني من التصانيف : أبكار الأفكار جمع فيه ما اختاره من شعره ونثره . وأعلام الكلام مجموع فيه فوائد ولطائف وملح منتخبة . ورسالة الانتقاد[2] وهي على طرز مقامة نقد فيها شعر طائفة من شعراء الجاهلية والإسلام . وديوان شعر ، وغير ذلك .

ـ 1109 ـ

محمد بن محمد بن القاسم بن أحمد بن خديو الاخسيكاثي ، أبو الوفاء المعروف بابن أبي المناقب[3] كان إماماً في اللغة أديباً فاضلاً صالحاً عارفاً بالأدب والتاريخ حسن الشعر ، مات في آخر ذي الحجة سنة اثنتين وعشرين وخمسمائة .

ومن شعره :

إذا المرءُ أعطى نفسه كلَّ ما اشتهتْ ولم ينهها تاقتْ إلى كلِّ باطلِ
وساقتْ إليه الإثمَ والعار بالذي دَعَتْهُ إليه من حلاوةِ عاجلِ

وقال :

ارحم أُخيَّ عبادَ الله كلَّهمُ وانظر إليهم بعينِ اللطف والشفقهْ
وقّرْ كبيرَهُمُ وارحمْ صغيرهُمُ وراعِ في كلِّ خلقٍ وَجْهَ مَنْ خَلَقَهْ

1109 ـ ترجمته في الوافي 1 : 148 (وفيه الاخسيكثي) وبغية الوعاة 1 : 233 وقال الصفدي (نقلاً عن السلفي) كان أكثر شعره في الحكمة وصنف في التواريخ وأحوال الرجال .

(1) النتف : 93 .
(2) انظر الحاشية الخاصة بمصادر ترجمته .
(3) الوافي : بذي المناقب .

ـ 1110 ـ

محمد بن محمد بن أحمد بن هميماه الرامشي أبو نصر النحوي النيسابوري : كان مبرزاً في القراءات وعلوم الحديث ، ذا حظ وافر من العربية واللغة ، وله شعر صالح ، سمع الحديث من أصحاب الأصمّ وغيرهم ، ورحل وتخرج به جماعة ، وأملى بنيسابور وأخذ الأدب عن أبي العلاء المعري وغيره ، وُلد سنة أربع وأربعمائة ومات في جمادى الأولى سنة تسع وثمانين وأربعمائة . ومن شعره :

ولما برزنا للرحيلِ وَقُرِّبَتْ ... كرامُ المطايا والركابُ تسيرُ
وضعتُ على صدري يديَّ مبادراً ... فقالوا محبٌّ للعناقِ يشيرُ
فقلتُ ومن لي بالعناقِ وإنما ... تداركتُ قلبي حين كاد يطيرُ

وقال :

وإذا لقيتَ صعوبةً في حاجةٍ ... فاحمل صعوبتها على الدينارِ
وابعثه فيما تشتهيه فإنه ... حجر يُلَيِّنُ سائر الأحجار

ـ 1111 ـ

محمد بن محمد بن مواهب بن محمد أبو العز المعروف بابن الخراساني النحوي العروضي الشاعر الكاتب : كان عارفاً بالأدب شديد العناية بالعروض ، وله شعر كثير[1] ، سمع ابن نبهان وغيره ، وقرأ على أبي منصور الجواليقي ، وله مصنف في العروض وتصانيف أدبية وديوان شعر ، وتغير ذهنه بأخرة . وُلد سنة أربع وتسعين وأربعمائة ومات يوم الأحد مستهل رمضان سنة ست وسبعين وخمسمائة .

1110 ـ ترجمته في الوافي 1 : 124 وجعل وفاته سنة 490 ومصورة ابن عساكر 15 : 896 ، وبغية الوعاة 1 : 218 .

1111 ـ ترجمته في إنباه الرواة 3 : 213 والوافي 1 : 150 والفوات 3 : 238 وبغية الوعاة 1 : 235 والشذرات 5 : 275 والزركشي : 250 .

(1) ذكر القفطي أن شعره يجيء في خمسة عشر مجلداً .

ومن شعره[1] :

أنـا راضٍ منكمْ بأيسـرِ شيءٍ ... يـرتضيـه لعـاشقٍ معشـوقُ
بسـلامٍ من الـطريق إذا مـا ... جمعتنـا بـالاتفـاقِ طـريقُ

ومدح شخصاً بقصيدة منها[2] :

إذا عجفتْ آمـالنـا عنـد معشـرٍ ... غدا نجمها عند الزعيم خـطائطا

فبلغت الحيص بيص الشاعر فقال : كل كلام في الدنيا يزداد لحناً ، تكلمتُ بصادين فانقلبت الدنيا ، وهذا ما يقول له أحد شيئاً .

وديوان ابن الخراساني هذا كبير يدخل في عشر مجلدات لطيفة ، ومن شعره أيضاً[3] :

إن شئتَ أنْ لا تعـدَّ غـمـرا ... فـخـلِّ زيـداً وخـلِّ عمـرا
واسـتـعـنِ الـلّه فـي أمـورٍ ... مـا زلن طـولَ الـزمـانِ إمـرا
ولا تـخـالفْ مـدى الليـالي ... لـلّه حتى الـمـمـاتِ أمـرا
واقنـعْ بمـا راجَ من طعـام ... والبسْ إذا مـا عَرِيتَ طِمْـرا

وقال :

قـد قلتُ إذ لَحَـظَتْـهُ عيني مَـرَّةً ... فـاحمـرَّ من خجـلٍ وفـرطِ تصلُّفِ
عيني التـي غَـرَسَتْ بـخـدّكَ وردةً ... من ذا يقـول لغـارسٍ لا تَقْـطُفِ
يـا سـافكـاً دميَ الحرامَ بـطرفه ... أو مـا تخـافُ اللّه يـومَ المـوقفِ
أَرَوَيْـتَـهُ عن عـالـمٍ ، أَوَجَـدْتَـهُ ... في مُسْنَـدٍ، أَقَـرَأْتَـهُ في مُـصْحَـفِ

---

(1) هما في الوافي والفوات وبغية الوعاة .
(2) انظر بغية الوعاة .
(3) البغية والوافي والفوات .

- 1112 -

محمد بن محمد بن يحيى بن بحر الشيخ تاج الدين أبو العلاء العلوي السندبيسي الواسطي الفقيه الشافعي النحوي : أخذ النحو عن أبي الفضل ابن جهور وغيره ، وصحب الشيوخ وبرع في النحو وشرح الكلام ، وكان فاضلاً تصدّر في هذا الشان وأقرأ مدة ، توفي بعد سنة أربعين وخمسمائة .

- 1113 -

محمد بن أبي محمد بن محمد ، حجة الدين أبو جعفر ، المعروف بابن ظفر الصقلي الأصل المكي النحوي اللغوي الأديب : مولده بصقلية ونشأ بمكة ، ورحل إلى مصر وافريقية وأقام بالمهدية مدة وشهد الحروب بها وأخذت من المسلمين وهو هناك ، ثم انتقل إلى صقلية ، ثم عاد إلى مصر ورحل منها إلى حلب ، وأقام فيها بمدرسة ابن أبي عصرون ، ولما وقعت فيها الفتنة بين الشيعة وأهل السنة نهبت كتبه فيما نهب ، وخرج منها إلى حماة فصادف فيها قبولاً فسكن بها وأجري له راتب من ديوانها وكان دون الكفاف فلم يزل يكابد الفقر إلى أن مات بها سنة خمس وستين وخمسمائة .

وله من التصانيف : التفسير الكبير . وينبوع الحياة تفسير أيضاً . وكتاب الاشتراك اللغوي . وكتاب الاستنباط المعنوي . وأنباء نجباء الأبناء[1] . وسلوان المطاع في عدوان الاتباع[2]. والقواعد والبيان في النحو. وحاشية على درّة الغواص للحريري رد فيها عليه . والمطول شرح مقامات الحريري . والمختصر شرحها أيضا .

1112 ـ ترجمته في بغية الوعاة 1 : 237 (عن ياقوت) .

1113 ـ لابن ظفر ترجمة في الخريدة (قسم الشام) 3 : 49 وابن خلكان 4 : 395 والوافي 1 : 141 والعقد الثمين 2 : 344 وبغية الوعاة 1 : (وانظر صفحات متفرقة من المكتبة الصقلية ومادة ابن ظفر في الموسوعة الاسلامية 3 : 970 وبروكلمان ، التاريخ 1 : 352 والتكملة 1 : 595) .

---

(1) طبع بمصر في مطبعة التقدم بشارع محمد علي (ولم يذكر التاريخ) .

(2) طبع بتونس 1279 وترجم إلى الإيطالية من بعد .

والتنقيب على ما في المقامات من الغريب . وأساليب الغاية في أحكام آية . وخير البشر بخير البشر ، ذكر فيه الارهاصات التي كانت بين يدي ظهور النبي ﷺ . واكسير كيمياء التفسير . وأرجوزة في الفرائض . وملح اللغة ، وهو فيما اتفق لفظه واختلف معناه . ومعاتبة الجريء على معاقبة البريء ، وغير ذلك .

ـ 1114 ـ

محمد بن محمود بن الحسن بن هبة الله بن محاسن ، صاحبنا الإمام محبّ الدين بن النجار البغدادي الحافظ المؤرخ الأديب العلامة ، أحد أفراد العصر الاعلام . ولد ببغداد في ذي القعدة سنة ثمان وسبعين وخمسمائة ، وسمع من ابن كليب والحافظ أبي الفرج ابن الجوزي الواعظ وأصحاب ابن الحصين ، ورحل إلى الشام ومصر والحجاز وخراسان وأصبهان ومرو وهراة ونيسابور ، وسمع الكثير وحصل الأصول والمسانيد ، واستمرت رحلته سبعاً وعشرين سنة ، واشتملت مشيخته على ثلاثة آلاف شيخ ، وكان إماماً حجة ثقة حافظاً مقرئاً أديباً عارفاً بالتاريخ وعلوم الأدب حسن الالقاء والمحاضرة ، وكان له شعر حسن .

وله التصانيف الممتعة منها : تاريخ بغداد[1] ذيَّل به على تاريخ مدينة السلام للحافظ أبي بكر أحمد بن علي الخطيب البغدادي واستدرك فيه عليه ، وهو تاريخ حافل دلَّ على تبحره في التاريخ وسعة حفظه للتراجم والاخبار . وله المختلف والمؤتلف ذيَّلَ به كتابَ الأمير ابن ماكولا . والمتفق والمفترق في نسبة رجال الحديث

1114 ـ ترجمة ابن النجار في قلائد الجمان لابن الشعار 6: 424 والحوادث الجامعة : 205 وتذكرة الحفاظ: 1428 وعبر الذهبي 5: 180 وسير الذهبي 23: 131 ومختصر ابن الدبيثي 1: 137 والوافي 5: 9 والفوات 4: 36 وطبقات السبكي 8: 98 وطبقات الأسنوي 2: 502 والبداية والنهاية 13: 169 والنجوم الزاهرة 6: 355 وطبقات الحفاظ للسيوطي: 499 والشذرات 5: 226 وكانت وفاة ابن النجار في خامس شعبان سنة 643 وانظر المقفى 7: 136 .

(1) وجدت منه قطعة ألحقت بتاريخ الخطيب وهي في ثلاثة أجزاء يليها المستفاد .

إلى الآباء والبلدان . وجنة الناظرين في معرفة التابعين . والعقد الفائق في عيون أخبار الدنيا ومحاسن تواريخ الخلائق . وكتاب القمر المنير في المسند الكبير ، ذكر فيه الصحابةَ الرواةَ وما لكلٍّ واحد من الحديث . والكمال في معرفة الرجال . ومعجم الشيوخ . ونزهة الورى في أخبار أم القرى . والدرة الثمينة في أخبار المدينة . ومناقب الإمام الشافعي . وروضة الأوليا في مسجد إيليا . والزهر في محاسن شعراء العصر . والأزهار في أنواع الأشعار . ونزهة الطرف في أخبار أهل الظرف . وغرر الفوائد حافل في ست مجلدات . وسلوة الوحيد . وإخبار المشتاق بأخبار العشاق . ومجموع نحا فيه نحو « نشوار المحاضرة » للتنوخي التقطه من أفواه الرجال . والشافي في الطب . وغير ذلك .

وأنشدني لنفسه قال :

وقائلٍ قال يومَ العيد لي ورأى ... تململي ودموعُ العينِ تنهمرُ
ما لي أراك حزيناً باكياً أسفاً ... كأن قلبك فيه النارُ تستعرُ
فقلتُ إني بعيدُ الدارِ عن وطنٍ ... ومملقُ الكفِّ والأحبابُ قد هجروا

ونظر إلى غلام تركي حسن الصورة فرمد من يومه فقال :

وقائلٍ قال قد نظرتَ إلى ... وجهٍ مليح فاعتادك الرمدُ
فقلتُ إن الشمسَ المنيرةَ قد ... يُعْشَى بها الناظرُ الذي يقدُ

وقال أيضاً :

إذا لم تكن حافظاً واعياً ... فجمعك للكتب لا ينفعُ
أتنطقُ بالجهلِ في مجلسٍ ... وعلمك في البيتِ مستودعُ

ـ 1115 ـ

محمد بن المرزبان أبو العباس الديمرتي(1) : كان فاضلاً بليغاً مؤرخاً عالماً

1115 ـ الفهرست : 166 (وعدَّ له كتباً أخرى) وبغية الوعاة 1 : 241 (عن ياقوت) .

(1) م : الدميري .

بمجاري اللغة تصدر عنه الكتب[1] الكبار ، وكان أحد التراجمة ينقل الكتب الفارسية الى العربية ، له أكثر من خمسين منقولاً من كتب الفرس ، وله بضعة عشر كتاباً في الأوصاف منها : وصف الفارس والفرس . ووصف السيف . ووصف القلم . وله الحاوي في علوم القرآن سبعة وعشرون جزءاً . وكتاب الحماسة . وأخبار عبد اللّه بن جعفر بن أبي طالب ، وغير ذلك . أخذ ابن المرزبان عن الزبير بن بكار والرمادي وروى عنه أبو عمرو ابن حيوة وجماعة ، وتوفي سنة تسع وثلاثمائة .

ـ 1116 ـ

محمد بن المستنير بن أحمد أبو علي المعروف بقطرب البصري النحوي اللغوي : سمي قطرباً لأنه كان يبكر إلى سيبويه للأخذ عنه ، فإذا خرج سيبويه سحراً رآه على بابه ، فقال له يوماً : ما أنت إلا قطرب ليل ، والقطرب دويبة تدبّ ولا تفتر ، فلقب بذلك . وهو أحد أئمة النحو واللغة ، أخذ النحو عن سيبويه وأخذ عن عيسى بن عمر وجماعة من علماء البصرة ، وأخذ عن النظام المتكلم إمام المعتزلة ، وكان على مذهبه . ولما صنف كتابه في التفسير أراد أن يقرأه في الجامع فخاف من العامة وانكارهم عليه لأنه ذكر فيه مذهب أهل الاعتزال ، فاستعان بجماعة من أصحاب السلطان ليتمكن من قراءته في الجامع . واتصل قطرب بأبي دلف العجلي وأدب ولده . وأخذ عنه ابن السكيت وقال : كتبت عنه قمطراً ثم تبينت أنه يكذب في اللغة فلم أذكر عنه شيئاً.

توفي أبو علي ببغداد سنة ست ومائتين.

1116 ـ ترجمة قطرب في أخبار النحويين البصريين : 49 وتاريخ بغداد 3 : 298 والبداية والنهاية 10 : 259 وتهذيب اللغة 1 : 14 وطبقات الزبيدي : 99 وتاريخ أبي المحاسن : 82 والفهرست : 58 ومراتب النحويين : 108 ومرآة الجنان 2 : 300 ونزهة الألباء : 91 وانباه الرواة 3 : 219 وابن خلكان 4 : 312 وعبر الذهبي 1 : 350 ولسان الميزان 5 : 378 وبغية الوعاة 1 : 242 وطبقات الداودي 2 : 254 والشذرات 2 : 15 والوافي 5 : 19 ونور القبس : 174 واشارة التعيين : 338 .

(1) م : الكتاب .

وله من التصانيف : كتاب معاني القرآن . وغريب الحديث . وإعراب القرآن . والمثلث في اللغة[1] . وكتاب الرد على الملحدين في متشابه القرآن . ومتشابه القرآن. وكتاب الفرق. وكتاب الاشتقاق. وكتاب الأضداد[2]. وكتاب فعل وأفعل. وكتاب النوادر . وكتاب الأصوات . وكتاب الأزمنة . وكتاب القوافي . وكتاب خلق الانسان . وكتاب خلق الفرس . وكتاب الهمزة . وكتاب العلل في النحو . ومجاز القرآن . والمصنف الغريب في اللغة ، وغير ذلك .

ومن شعره[3] :

إن كنتَ لستَ معي فالذكرُ منكَ معي ... يراك قلبي إذا ما غِبْتَ عن بصري
والعينُ تبصرُ من تهوى وتفقده ... وناظرُ القلبِ لا يخلو من النظر

وقال :

لقد غرَّتِ الدنيا رجالاً فأصبحوا ... بمنزلةٍ ما بعدها مُتَحَوَّلُ
فساخطُ عيشٍ ما يبدّلُ غيره ... وراضٍ بعيشٍ غيره سيبدل
وبالغُ أمرٍ كان يأملُ غيره ... ومصطَلَمٌ من دون ما كان يأمل

ـ 1117 ـ

محمد بن مسعود أبو بكر الخشني الأندلسي الجياني المعروف بابن أبي الركب : نحوي عظيم من مفاخر الأندلس لغوي أديب شاعر ، أخذ النحو عن ابن أبي العافية وروى عن أبي الحسين ابن سراج وأبي علي الصدفي وجماعة ، وتصدر للاقراء . كان متقناً لمسائل سيبويه فرحل الناس إليه لقراءة « الكتاب » عليه ، وانتقل بأخرةٍ إلى غرناطة فأقرأ بها وولي الصلاة والخطبة بجامعها . وله شرح كتاب سيبويه .

1117 ـ ترجمة ابن أبي الركب في التكملة : 469 ومعجم أصحاب الصدفي : 157 والوافي 5 : 22 وبغية الوعاة 1 : 244 .

(1) طبع المثلث بمصر .
(2) طبع في الرياض 1984 بتحقيق د . حنا حداد .
(3) ورد البيتان عند ابن خلكان 3 : 313 والوافي 5 : 19 .

توفي في منتصف ربيع الأول سنة أربع وأربعين وخمسمائة .

ومن شعره :

بساطُ ذي الأرضِ سندسيٌّ ... وماؤها العذبُ لؤلؤيُّ
كأنها البكرُ حين تجلى ... والزهرُ من فوقها الحليُّ

- 1118 -

محمد بن مسعود العشامي الأصبهاني المعروف بالفخر النحوي : له تصانيف في الأدب مرغوب فيها وشعر متداول ورسائل مدونة فائقة في الفقه والفرائض والحساب والمساحة ، توفي بعد الستين وخمسمائة .

- 1119 -

محمد بن المعلى بن عبد الله أبو عبد الله الأسدي (الأزدي) النحوي اللغوي : روى عن الفضل بن سهل وأبي كثير الأعرابي وابن لنكك الشاعر والصولي أبي إسحاق إبراهيم وابن دريد اللغوي إجازةً وغيرهم . وله شرح ديوان تميم بن مقبل ، وغير ذلك .

- 1120 -

محمد بن مناذر مولى بني صبير بن يربوع بن حنظلة بن مالك بن زيد مناة بن تميم أبو جعفر ، وقيل أبو عبد الله ، وقيل أبو ذريح ، وذريح ابن له مات صغيراً . وهو شاعر فصيح متقدم في العلم باللغة إمام فيها ، أخذ عنه كثير من اللغويين ، وكان في أول أمره ناسكاً يتأله ، ثم ترك ذلك وهجا الناس وتهتك ، فوعظته المعتزلة فلم يتعظْ

1118 ـ ترجمة الفخر النحوي في تلخيص مجمع الآداب 4/3 : 376 (وفيه القسّام) وكذلك الوافي 5 : 23 ؛ وله ترجمة في بغية الوعاة 1 : 244 وفي الخريدة للعماد الاصبهاني .

1119 ـ ترجمته في الوافي 5 : 43 وبغية الوعاة 1 : 247 .

1120 ـ ترجمة ابن مناذر في الأغاني 18 : 103 والوافي 5 : 63 وبغية الوعاة 1 : 249 ، وقد ذكر ياقوت في رقم : 875 ان ترجمة ابن مناذر تقع في كتابه «كتاب الشعراء» .

فزجروه فهجاهم وقذفهم حتى نفي عن البصرة الى الحجاز فمات هناك سنة ثمان وتسعين ومائة . وكان قارئاً تروى عنه حروف يقرأ بها ، وصحب الخليل بن أحمد وأبا عبيدة وأخذ عنهما الأدب واللغة ، وله معرفة بالحديث . روى عن سفيان بن عيينة وسفيان الثوري وشعبة وجماعة . وذكر ليحيى بن معين فقال : لا يروي عنه من فيه خير ، وذكر له مرةً فقال : أعرفه كان يرسل العقارب في المسجد بالبصرة حتى تلسع الناس وكان يصبُّ المدادَ بالليل في أماكن الوضوء حتى يسوّد وجوههم .

وقال أبو العتاهية يوماً لابن مناذر[1] : كيف أنت في الشعر ؟ فقال : أقول في الليلة عشرة أبيات إلى خمسة عشر ، فقال أبو العتاهية : لو شئتُ أن أقول في الليلة ألف بيت لقلت ، فقال : أجل والله ، لأنك تقول :

ألا يا عتبةُ الساعَهْ أموتُ الساعةَ الساعَهْ

وتقول :

يا عتبَ مالي ولكِ يا ليتني لم أركِ

وأنا أقول :

ستظلم بغدادٌ ويجلو لنا الدجى بمكةَ ما عشنا ثلاثةُ أبحرِ
إذا وردوا بطحاءَ مكّة أشرقتْ بيحيى وبالفضل بن يحيى وجعفر
فما خُلِقَتْ إلا لجودٍ أكفُّهُمْ وأرجُلُهُمْ إلا لأعوادِ منبر

ولو أردتَ مثله لتعذر عليك الدهر ، واني لا أعوّد نفسي مثل كلامك الساقط ، فخجل أبو العتاهية .

وقال يوماً ليونس النحوي ، يعرض به : أينصرف جبّل أم لا ؟ فقال له : قد عرفتُ ما أردت يا ابن الزانية ، فانصرفَ وأعدَّ شهوداً ثم جاءه وأعاد السؤال ، وعرف يونس ما أراد فقال : الجواب ما سمعته أمس .

قال الجاحظ[2] : كان ابن مناذر مولى سليمان القهرمان[3] وسليمان مولى

(1) قارن بالأغاني 18 : 107 .
(2) الأغاني : 103 .
(3) م : القهرماني .

عبيد اللّه بن أبي بكرة ، وعبيد الله مولى رسول الله ﷺ ، فهو مولى مولى مولى ، ادعى أبو بكرة أنه ثقفي ، وادعى سليمان أنه تميمي ، وادعى ابن مناذر أنه من بني صبير بن يربوع فهو دعي مولى دعي مولى دعي ، وهذا مما لم يجتمع في غيره.

وعن محمد بن يزيد النحوي[1] أن ابن مناذر كان إذا قيل له ابن مَناذر ـ بفتح الميم ـ يغضب ثم يقول : أمناذر الصغرى أم مناذر الكبرى ، وهما كورتان من كور الأهواز ، إنما هو مناذر على وزن مُفاعل من ناذر فهو مناذر.

ومما هدد به المعتزلة حين توعدوه ومنعوه من دخول المسجد قوله[2] :

أبلغْ لديك بني تميم مألكاً ... عني وعرِّج في بني يربوعِ
أني أخٌ لكمُ بدار مضيعةٍ ... بوم وغربان عليه وقوع
يا للقبائلِ من تميمٍ مالكم ... رَوْبَى ولحمُ أخيكم بمضيع
وإذا تحزبتِ القبائلُ صلتمُ ... بفتىً[3] لكلِّ ملمةٍ وفظيع
هُبُّوا له فلقد أراه بنصركم ... يأوي الى جبلٍ أشمَّ منيع
إن أنتمُ لم توتروا لأخيكم ... حتى يُباءَ بوتره المتبوع
فخذوا المغازلَ بالأكفّ وأيقنوا ... ما عشتمُ بمذلةٍ وخضوع
إن كنتم حُدُباً[4] على أحسابكم ... سمعاً فقد أسمعتُ كلَّ سميع
أين الرياحيون[5] لم أرَ مثلهم ... في النائباتِ وأين رهطُ وكيع

وروى المبرد عن أبي واثلة قال : كان أبان اللاحقي يولع بابن مناذر ويقول له : إنما أنت شاعر في المراثي فإذا متُّ فلا ترثني ، وكثر ذلك من أبان عليه حتى أغضبه فقال يهجوه :

---

(1) الأغاني : 104 .
(2) الأغاني : 105 .
(3) الأغاني : كنتم ثقتي .
(4) م : حرباً .
(5) الأغاني : الصبيريون ، وعلق على ذلك بقوله : ثم استحيا من قوله «أين الصبيريون» لقلة عددهم فقال أين الرياحيون .

غنجُ أبانٍ ولينُ منطقِهِ يخبّر الناس أنه حَلَقي
داءٌ به تُعْرَفُونَ كلكم يا آلَ عبد الحميدِ في الأفق
حتى إذا ما المساءُ جلله كان أطباؤه على الطرق
ففرّجوا عنه بعضَ كربته بمستطيرٍ مُطَوَّقِ العنق

وقال يرثي سفيان بن عيينة[1] :

يجني من الحكمةِ سفياننا ما تشتهي الأنفسُ ألوانا
يا واحدَ الأمةِ في علمه لُقِّيتَ من ذي العرش غفرانا
راحوا بسفيانَ على عرشه والعلمِ مكسوَّينِ أكفانا

ـ 1121 ـ

محمد بن منصور بن جميل أبو عبد الله [ابن أبي] العز الكاتب : نحوي لغوي أديب من أفاضل العصر ، قدم بغداد في صباه وقرأ الأدب ولازم مصدق بن شبيب النحوي حتى برع في النحو واللغة ، وقرأ الفقه والفرائض والحساب ، وقال الشعر ومدح الناصر فعرف واشتهر ، ورتب كاتباً في ديوان التركات مدةً ، ثم ولي نظره ، ثم ولي الصدرية بالمخزن ، ثم عزل واعتقل وأفرج عنه بعد مدة ورتب وكيلاً للأمير عدة الدين بن الناصر ، وكان كاتباً بليغاً مليح الخط غزير الفضل متواضعاً مليح الصورة طيب الأخلاق ، مات في شعبان سنة ست عشرة وستمائة .

ـ 1122 ـ

محمد بن موسى بن عبد العزيز أبو بكر الكندي المصري ، وقيل أبو عمران

1121 ـ ترجمة ابن جميل الكاتب في تلخيص مجمع الآداب 4/1 : 544 والوافي 5 : 68 وبغية الوعاة 1 : 250 .

1122 ـ ترجمة أبي بكر الكندي في الوافي 5 : 90 والمشتبه : 92 وبغية الوعاة 1 : 250 .

(1) الأغاني 18 : 125 ، 137 .

ابن الصيرفي ، ويعرف بابن الجبي ، ويلقب بسيبويه : كان عارفاً بالنحو والمعاني والقراءة والغريب والاعراب والأحكام وعلوم الحديث والرواية، واعتنى بالنحو والغريب حتى لقب بسيبويه لذلك ، وله معرفة بأخبار الناس والنوادر والأشعار والفقه على مذهب الشافعي ، جالس ابن الحداد الفقيه الشافعي وتتلمذ له ، وسمع من أبي عبد الرحمن النسائي وأبي جعفر الطحاوي . وكان يتكلم في الزهد وأحوال الصالحين عفيفاً متنسكاً ويظهر الاعتزال ، اجتمعت فيه أدوات الأدباء والفقهاء والصلحاء والعباد والمتأدبين وبلغ بذلك مبلغاً جالس به الملوك ، وكان يظهر الكلام في الاعتزال في الأسواق فَيُحْتَمَلُ لما هو عليه من العلم ، ولحقته السوداء فاختلط ، ثم زادت عليه الوسوسة وواصلته السوداء الى أن مات في صفر سنة ثمان وخمسين وثلاثمائة بمصر وولد سنة أربع وثمانين ومائتين . ومن شعره :

من لم يكن يومُهُ الذي هو فيه ... أفضلَ من أمسه ودونَ غَدِهْ
فالموتُ خير له وأروحُ من ... حياةِ سوءٍ تفتُّ في عضده

- 1123 -

محمد بن موسى الحدادي البلخي النحوي الشاعر : يقال أخرجت بلخ أربعة من الأفراد : أبا القاسم الكعبي في علم الكلام ، وأبا زيد البلخي في البلاغة والتأليف ، وسهل بن الحسن في الشعر الفارسي ، ومحمد بن موسى الحدادي في العربية والشعر العربي . وكان الحدادي يكتب للحسين بن علي ، وشعره سائر مدون ، أكثره أمثال وحكم ، منه :

يسرُّني من حَسَدِ الناسِ لي ... أنيَ فيهم غير محرومِ
وأنني من كرمٍ لابسٌ ... وأنني عارٍ من اللوم

وقال :

إن كنتُ أشكو ما يـر ... قُّ عن الشكايةِ في القريضِ

1123 ـ لم أجد له ترجمة .

فــالفيــلُ يضجــرُ وهــو أعـ		ـظمُ مــا رأيتُ من البعـوض

وقال :

مـا بـالُ فـرقـةِ شملنـا لا تجمـعُ		وإلى متى يصـلُ الزمـانُ ويقـطعُ

كم خلَّفَتْ تلك الـركابُ وراءهـا		من منــزلٍ فيــه لنــا مستمتــع

فــالـوردُ يلطمُ خــدَّه لمصـابنــا		وعيـونُ نـرجسِــهِ علينـا تـدمـع

ـ 1124 ـ

محمد بن موسى بن أبي محمد بن مؤمن الكندي أبو بكر النحوي : كتب الحديثَ والنحو وأكثر ، وكان رجلاً فاضلاً صالحاً ، توفي في ربيع الأول سنة إحدى وخمسين وثلاثمائة وقد قارب الثمانين .

ـ 1125 ـ

محمد بن ميمون الأندلسي القرطبي أبو بكر النحوي ، يعرف بمركوش :
كان بارعاً في النحو مشهوراً بالأدب ، ومن شعره في غلام قصَّ من شعره :

تبسَّمَ عن مثـلِ نَوْرِ الأقـاحي		وأقصـدنـا بمـراضٍ صحـاحِ

ومـرَّ يميسُ كما مـاس غُصْنٌ		يـلاعبُ عطفيـه هُوجُ الـرياح

وقـصَّـــر مـن لـيـلة ســاعــةً		فـأعقب ذلـك ضـوءُ الصبـاح

وإنـي وإن رَغِمَ الـعــاذلــون		من خمـر أجفانِـهِ غيـرُ صـاح

ولأبي بكر ابن ميمون من التصانيف شرح الجمل في النحو . شـرح مقامـات الحريري ، وغير ذلك .

1124 ـ ترجمته في بغية الوعاة 1 : 254 (عن ياقوت) .

1125 ـ ترجمة مركوش في جـذوة المقتبس : 86 (بغية الملتمس رقم : 284) والـوافي 5 : 104 وبغية الوعاة 1 : 254 (عن ياقوت) .

- 1126 -

محمد بن نصر بن صغير بن داغر بن محمد بن خالد، من ولد خالد بن الوليد الصحابي الجليل ، شرف الدين المخزومي المعروف بابن القيسراني الحلبي الأديب الشاعر : كان شاعراً مجيداً وأديباً متفنناً ، كان وابن منير الطرابلسي شاعري الشام في عهد الملك العادل نور الدين بن زنكي ، ولهما القصائد الطنانة في مدحه . قرأ الأدب على توفيق بن محمد الدمشقي وابن الخياط الشاعر ، وسمع بحلب من هاشم بن أحمد الحلبي وأبي طاهر الخطيب ، وسمع منه أبو سعد السمعاني والحافظ ابن عساكر وأبو المعالي الحظيري الأديب الشاعر وغيرهم ، وكان هو وابن منير يشبّهان بجرير والفرزدق للمناقضات والوقائع التي جرت بينهما، واتفق موتهما في سنة واحدة، فقد مات ابن منير في حلب في جمادى الآخرة ، وفي ثاني عشر شعبان وصل الى دمشق ابن القيسراني باستدعاء الأمير مجير الدين فمات بعد وصوله بعشرة أيام وذلك ليلة الأربعاء الثاني والعشرين من شعبان سنة ثمان وأربعين وخمسمائة ، وكان ولادته سنة ثمان وسبعين وأربعمائة .

وله شعر كثير مدون أجاد في أكثره ، فمن ذلك قصيدة مدح بها الملك العادل نور الدين حين أسر جوسلين[1] واستولى على بلاده بشمالي حلب سنة خمس وأربعين وخمسمائة قال[2] :

دعا ما ادَّعى مَنْ غرَّهُ النهيُ والأمرُ ... فما الملكُ الا ما حباك به الأمرُ

ومن ثنتِ الدنيا إليه عنانَها ... تصرَّف فيما شاء عن إذنه الدهرُ

ومن راهنَ الأقدارَ في صهوةِ العلا ... فلن تدرَك الشِّعرى مداه ولا الشعرُ

1126 ـ ترجمة ابن القيسراني في ذيل ابن القلانسي : 322 والأنساب 10 : 291 والتحبير 2 : 242 والخريدة (قسم الشام) 1 : 96 ومرآة الزمان 8 : 133 والروضتين 1 : 91 وابن خلكان 4 : 458 وعبر الذهبي 4 : 133 وسير الذهبي 20 : 224 وتذكرة الحفاظ: 1313 والوافي 5 : 112 ومرآة الجنان 3 : 287 والبداية والنهاية 12 : 231 والشذرات 4 : 150 والنجوم الزاهرة 5 : 302 والدارس 2 : 388 .

(1) Joscelin : وصل الى الديار المقدسة 1101م وكان تابعاً لصاحب الرها وأسر سنة 1104 ولم يطلق سراحهُ إلا سنة 1108 .

(2) انظر الروضتين 1 : 72 والخريدة : 157 .

ولمْ لا يلي أسنى الممالك مالكٌ … زعيمُ جيوشٍ من طلائعها النصرُ
ليهنِ دمشقاً ان كرسيَّ ملكها … حُبِي منك صدراً ضاق عن همه الصدر
وأنك نورَ الدين مذ زرتَ أرضها … سَمَتْ بك حتى انحطَّ عن نَسْرِها النسرُ
خطبتَ فلم يحجبك عنها وليُّها … وخطبُ العلا بالسيفِ ما دونه ستر
جلاها لك الإقبال حوريةَ السنا … عليها من الفردوسِ أرديةٌ خضرُ
خَلوبٌ أكنَّتْ من هواك محبةً … نمت فانتمت جهراً وسرُّ الهوى جهر
فان صافحت يمناك من بعد هجرها … فأحلى التلاقي ما تقدَّمَهُ هجرُ
وهل هي إلا كالحَصَانِ تمنَّعَتْ … دلالاً وان عزَّ الحيا وغلا المهر
ولكن إذا ما قستَها بصداقها … فليس له قدرٌ وليس لها قدرُ
هي الثغرُ أمسى بالكراديسِ عابثاً … وأصبح عن بابِ الفراديس يفترُّ
على أنها لو لم تجبك إنابةً … لأرهقها من بأسك الخوفُ والذعرُ
فلما وقفتَ الخيلَ ناقعةَ الصدى … على بَرَدَى من فوقها الورقُ النضر
فمن بعد ما أوردتها حومةَ الوغى … وأصدرتها والبيضُ من عَلَقٍ حمر
وجلَّلتها نقعاً أضاعَ شياتِها … فلا شُهْبها شُهْبٌ ولا شُقْرها شقرُ
علا النهر لما كاثر الغضبُ القنا … مكاثرةً في كلِّ نحر لها نحر
وقد شَرِقَتْ أجرافُهُ بدم العدى … إلى أن جرى العاصي وضحضاحُهُ غمرُ
صدعتهمُ صَدْعَ الزجاجةِ لا يدٌ … لجابرها ما كلُّ كَسْرٍ له جبرُ
فلا ينتحلْ من بعدها الفخرَ دائلٌ … فمن بارز الابرنز(1) كان له الفخر
ومن بسَّ أنطاكيةً من مليكها … أطاعته الألحاظ المؤللة الخزرُ

ومنها :

طغى وبغى عَدْواً على غُلَوائه … فأوبقه الكفرانِ عَدْواه والكفرُ
وألقتْ بأيديها إليك حصونُهُ … ولو لم تجيءْ طوعاً لجاء بها القسر
فَسِرْ واملأ الدنيا ضياء وبهجة … فبالأفقِ الداجي إلى ذا السنا فقر

---

(1) الابرنز أو الابرنس : تعني الأمير (Prince) .

كـأني بهـذا العـزم لا فُـلَّ حـده وأقصـاه بـالأقصى وقـد قُضِيَ الأمـرُ
وقـد أصبح البيتُ المقدَّسُ طاهـراً وليس سـوى جاري الـدماءِ لـه طهـرُ
وقـد أدَّتِ البيضُ الحـدادُ فـروضهـا فـلا عهـدةٌ في عُنْقِ سيفٍ ولا نـذْرُ
وَصَـلَّتْ بـمـعـراج النبيِّ صـوارم مسـاجـدهـا شَفْعٌ وسـاجـدهـا وتـرُ
وان تتيممْ سـاحـلَ البحـر مـالكـاً فـلا عجبٌ ان يملك الساحـلَ البحـر
سـللتَ سيـوفـاً أثكلتْ كـلَّ بـلدةٍ بصـاحبهـا حتى تخـوَّفَـكَ البـدر
إذا سـار نـورُ الـدينِ في عـزمـاتـه فقـولا لليـلِ الفجـرِ قـد طلع الفجـر
ولـو لم يسـرْ في عسكـرٍ من جنـوده لكـان لـه من نفسـه عسكـرٌ مجـرُ
مليـكٌ سَمَتْ شمُّ المنـابـر بـآسمـه كمـا قد زَهَتْ تيهـاً به الأنجمُ الـزهر
فيـا كعبـةً مـا زال في عَـرَصـاتهـا مـواسمُ حـجٍّ لا يـروّعهـا النفـرُ
خلعتَ على الأيـام من حُلَلِ العـلا مـلابسَ من أعلامهـا الحمدُ والشكـر
وتـوَّجْتَ ثغـرَ الشـامِ منـك جـلالـةً تمنَّتْ لهـا بغـداد لـو أنهـا ثـغـرُ
فـلا تفتخـرْ مصـرٌ علينـا بـنيـلهـا فيمنـاكَ نيـلٌ كـلُّ مصرٍ بهـا مصـر
رددتَ الجهـادَ الصعبَ سهـلاً سبيلُهُ ويـا طـالمـا أمسى ومسلكـه وعـرُ

وقال يمدح أبا غانم سعد بن طارق :

خـاطـرْ بقلبـك إمـا صبـوةُ الغـالي فيمـا أُحـبُّ وإمـا سلوةُ السـالي
من كـلِّ ذي هَيَفٍ تـرنـو لـواحـظُهُ إليـكَ من لهـذمٍ في صـدر عسـالِ
كم ليـلةٍ بتُّ مـن كـأسي وريـقتـه نشـوانَ أمـزجُ سلسـالاً بسلسـالِ
وبـات لا يحتمي عنِّي مـراشـفـه كـأنـمـا ثـغـرُهُ ثـغـرٌ بـلا والـي
يا مطلقي ما بقي للسُّقْمِ من جَسَدي وفي يـديهـمْ فؤادي رهـن اغـلال
إن شئتمُ علمَ حـالي بعـد فـرقتكم فـأنصتوا للحمـام العاطـلِ الحـالي
خـذوا حـديثَ غـرامي عن مـطوَّقـةٍ تتلو ضـلاليَ في فـرعٍ من الضـالِ
لم تتركوا لي سوى نفسٍ أجودُ بهـا والجودُ بالنفسِ غيـرُ الجودِ بـالمالِ
إذا غضبتم وبـات الوجـدُ يشفعُ لي إلى رضـاكم رأيتُ السقم أشفى لي

كأن عينيَّ في فضل انسكابهما ... يدا أبي غانمٍ جادت بافضالِ
غمرٌ يصدّك عن تكذيبِ مادحه ... ما عند كفيه من تصديقِ آمالِ
يثري فلا يستقرُّ المالُ في يده ... كأنه عَذَلٌ في سمع مختالِ
متيّمٌ ببناتِ الفكرِ وهي به ... مفتونةٌ فهو لا شاكٍ ولا سالي
يا من يُزار فيلفَى عنده كرمٌ ... بلا حجابٍ ومجدٌ بالعلا حالي
من كان من عَرَبٍ أو كان من عَجَمٍ ... فأنت يا سعدُ من يُمْنٍ وإقبالِ

وقال يمدح القاضي كمال الدين الشهرزوري :

أيا عاذلي في الحبِّ مالي وللعذلِ ... ويا هاجري هل من سبيلٍ إلى الوصلِ
أحين استجارتك الملاحةُ في الهوى ... بخلتَ كأن الحسنَ في ذمةِ البخلِ
ليَ اللّه من صبٍّ تملّكه الجوى ... فأمسى أسيراً رَهْنَ حبلٍ من الخبلِ
منيتُ بمثلِ البدرِ في مستقرِّهِ ... يريكَ المنالَ الصعبَ في المنظر السهل
إذا ما التقينا جال طرفي وطرفُهُ ... فأنظرُ من دمعٍ وينظرُ من نصلِ
فيا ويحَ قلبي مَنْ بلاه بحبّه ... ومن دلَّ الحاظي على ذلك الدلّ
ويا ليَ من ليلٍ طويلٍ كهجره ... وصبرٍ ضعيفٍ ضعفَ أجفانِهِ النجلِ
ألفتُ قلاه واستطبتُ مطاله ... وأطيبُ ما جاء الوصال على مطلِ
وقالوا حباك الشيبُ بالحلم والنهى ... ومن لي بأيام الشبيبةِ والجهل
لياليَ أجتابُ اللياليَ صبوةً ... ورامي غرامي لا يرى موقعَ النبلِ
متى ما خلا قلبُ المحبِّ من الهوى ... فيا لك من ربعٍ أقام بلا أهلِ
ألم ترَ أن الشيبَ بين جوانحي ... أقام مقام الفضلِ عند أبي الفضل
عقيدُ المعالي بين كفّيه والندى ... مواثيقُ عقدٍ لا تُرَوَّعُ بالحلّ
ويبسمُ عن ثغرٍ يبشّر بالجدا ... كما بشّر البرقُ اليمانيُّ بالوبلِ
مناقبُهُ بين الورى مستفيضةٌ ... إذا رُوِيَتْ لم تعتبر صحة النقلِ
وما العلم إلا سيرةٌ شهدتْ بها ... أسانيدها أو ردُّ فرعٍ إلى أصل
متى ارتجلَ الايجازَ في صدرِ دستِهِ ... رأيت الخطابَ الفَصْلَ في ذلك الفصل

غـريبُ العـلا يفتنُّ فـي مكـرمـاتـه ... إذا ما انقضى شكلٌ بدا بك في شكلِ

وجـدنـا ابنَ عبـد اللّه أنـدى من الحيا ... وأعلى محـلاً منـه في زمنِ المحـلِ

فـطوراً يبـاريـه الـرجـاءُ على النـوى ... وطـوراً تناجيـه المـطالبُ في الـرحـلِ

إليـك آنتضى شـوقي إليـك عـزيمـةً ... هي النصلُ تحت الليل أو سَلَّةُ النصل

على سـابح يـطوي المـدى بسنـابـكٍ ... لمسِّتِهَـا فـوقَ الصفـا طاعـةُ الـرمـلِ

إلـى مـاجـدٍ أمـوالُـهُ بيـدِ الـنـدى ... فليس عليهـا من وكيـلٍ سـوى البـذل

أبـا الفضل كم لي في مسـاعيك نِحْلَةٌ ... ألـذّ على الأفـواه من ضَـرَبِ النحـل

فـريـدةُ لـفظٍ في فـريـدِ مـحـاسنٍ ... فتلك بـلا مثـلٍ وأنت بـلا مثـلِ

وقال[1] :

خذوا حديثَ غرامي عن ضنى بدني ... أغنى لسانُ الهوى عن دمعيَ اللَّسِنِ

وخبّـرونيَ عـن قلبـي ومـالكـه ... فـربما أُشكـلَ المعنى على الفطنِ

من ذا الذي ترهبُ الأبطال صَولته ... زَيْدُ الفوارسِ أم سيفُ بن ذي يزنِ

ومـا جفـونٌ إذا سُلَّتْ صـوارمهـا ... تجـاذبت مُهَجَ الأقـرانِ في قـرنِ

هـذا الذي سلب العشـاقَ نـومهم ... أمـا ترى عَيْنَـهُ مـلأى من الـوسنِ

تفـرَّقَ الحسنُ إلا في محـاسنـه ... ويـلاه في فِتَنٍ جُمِّـعْنَ فـي فتـنِ

أمسى غـرامي بذاك القـدِّ يوهمني ... ان اعتلالَ الصَّبا شوقاً إلى الغصنِ

إذا الصبـابـةُ عـاطتني مُـدامتهـا ... فمـا فؤادي عـلى سـرٍّ بمـؤتمـنِ

أعيـا اللوائمَ سمعي غيـرَ لائمـةٍ ... للشيب مـالت إلى عينيَّ عن أذني

حتى إذا ما تناهى العذلُ في كَلَفي ... قـامت إليَّ بنـاتُ الـدهـرِ تعـذلني

فمـا ثنتْ ناظـري عن منظرٍ حسنٍ ... حتى أرتني مكاني من أبي الحسنِ

وقال :

مـررنـا في ديـارِ بني عـديٍّ ... يجـاذبُ لـوعتي شـرقٌ وغـربُ

---

(1) الخريدة : 127 .

يتيمني بأرضِ الشام حبٌّ ويعطفني على بغدادَ حبُّ
غرامٌ طارفٌ وهوىً تليدٌ لكلٍّ صبابةٍ في القلب شعبُ
فلا وأبيكَ ما هَوَّمْتُ إلا سرى لهما خيالٌ لا يُغِبّ
فكلٌّ هوى يطالبني بقلبٍ وهل لي غيرُ هذا القلبِ قلبُ

وقال[1] :

لا يغرَّنَّك في السيف المضاءُ فالظبا ما نَظَرتْ منها الظباءُ
مرهفاتُ الحدِّ أمضاها المها وقضاها للمحبين القضاءُ
حَدَقٌ علّتها صحتها ربما كان من الداءِ الدواءُ

وقال[2] :

تظلمتُ من أجفانهنَّ إلى النوى سفاهاً وهل يُعدي البعادُ على القربِ
ولما دنا التوديعُ قلتُ لصاحبي حنانَيْكَ سِرْ بي عن ملاحظةِ السربِ
إذا كانت الأحداقُ نوعاً من الظبا فلا شكَّ ان اللحظ ضربٌ من الضربِ

وقال :

رنا بطرفٍ مريضِ الجفنِ منكسرٍ فمن رأى جؤذراً يلهو بآسادِ
جفنٌ روى عنه ما يرويه من سَقَمٍ جسمي فصحَّ به نقلي وإسنادي

وقال :

إذا ما تأملتَ القوامَ مهفهفا تأملتَ سيفاً بين جفنيه مرهفا
وطرفاً تخلّى عن سقامي سقامُهُ فهلا شفى من بات منه على شفا

وقال :

بالسفح من لبنان لي قمرٌ منازلُهُ القلوبُ
حَمَلَتْ تحيتَهُ الشما لُ فردُّها عني الجنوبُ

---

(1) الخريدة : 98 .
(2) الخريدة : 124 .

فـردُ الـصفـاتِ غـريـبـهـا والحسنُ في الـدنيا غـريبُ
لـم أنسَ لـيـلة قـال لـي لـمـا رأى جسـدي يـذوبُ
بـالـلّه قـل لي يـا فـتى : مـا تشتكي ؟ قلت الـطبيب

وقال[1] :

بين فتـورِ المـقلتين والكَحَـلْ هوىً له من كـلِّ قلبٍ ما انتحلْ
تـوقَّ مـن فتـكتـهـا لـواحـظاً أمـا ترى تلك الـظبا كيف تُسَلّ
ويـلاهُ مـن نـواظـرٍ سـواحـرٍ ما عُقِلَ العقـلُ بهـا الا اختبلْ
لـو لم تكنْ أجفـانهـا نوابـلاً لمـا بـرت أسهمهـا من المُقَلْ
يـا رامياً مسمـومـةً نصـالُـهُ عينـاك للقـارةِ قـل لي أم ثُعَـلْ
كم عـاذلٍ خـوفني من لحـظه إليك عني «سَبَقَ السيفُ العَذَلْ»

وله من قصيدة في الملك العادل نور الدين وأجاد[2] :

حَصِّنْ بـلادَكَ هيبـةً لا رهـبـةً فالدرعُ من عُدَدِ الشجاعِ الحازمِ
هيهاتِ يطمـعُ في محلِّكَ طامـعٌ طـال البنـاءُ على يمينِ الهـادمِ
كَلَّفْتَ همتـك السمـوَّ فَحَلَّقَتْ فكـأنمـا هي دعـوةٌ في ظـالمٍ
وأظنُّ أنَّ النـاس لمـا لم يـروا عـدلاً كَعَدْلِكَ أرجفـوا بـالقـائمِ

وقال أيضاً في قصيدة يهنئه بها باستيلائه على سنجار وأعمال الفرات[3] :

في عسكـرٍ يخفي كـواكبَ ليلهِ نقـعٌ فيـطلعهـا القنـا الخـطارُ
جـرارُ أذيـالِ الـعجـاجِ وراءه وأمـامـه بـك جـحفـلٌ جـرارُ
تُـدْني لك الغـاياتِ هِمَّتُـكَ التي كبـرتْ كـذا هممُ الملوكِ كبـارُ
وملكتَ سنجـاراً ومـا مـن بلدةٍ الا تـمـنـت أنـهـا سـنـجـارُ
وبسـطتَ بـالأمـوال كفـاً طـالمـا طـالتْ بهـا الآمـالُ وهي قصـارُ
وثنى الفـراتُ إلى يديـك عنـانَـهُ والبحـرُ مـا اتصلت بـه الأنهـارُ

---

(1) الخريدة : 144 .
(2) الخريدة : 113 ـ 114 .
(3) الروضتين : 1 : 68 .

ومنها :

تـدعو البـلادَ إليك أَلْسِنةُ الظبـا فـتجيبـك الأنـجـادُ والأغـوارُ
حتى عمدتَ الدينَ يا ابن عمادِهِ بـقنـا أسـنتـهـا عـليـه مَـنـارُ

ومنها :

أمضى السلاحِ على عدوك بغيُهُ بالغدرِ يُـطْعَنُ في الوغى الغـدارُ
فاحسم عنادَ ذوي العنادِ بجحفلٍ كـالليـلِ فيـه من الصِّفـاح نهـارُ
جنـدٌ على جُرْدٍ أمـامَ صـدورهـا صـدرٌ عليـه من اليقين صـدارُ
قـد بايـع الاخلاصَ بيعـةَ نصـرةٍ ولـكـلِّ هـادي أمـةٍ انـصـارُ
وإذا الملوكُ تثـاقلت عن غـايـةٍ فـأرادهـا خَـفَّـتْ بـه الاقـدارُ

ـ 1127 ـ

محمد بن نصر الله [بن مكارم] بن الحسين بن عنين الدمشقي الأنصاري: أصله من الكوفة من الخطة المعروفة بمسجد بني النجار، وولد بدمشق يوم الاثنين تاسع شعبان سنة تسعٍ وأربعين وخمسمائة، وهو من أفاضل العصر، لغوي أديب شاعر مجيد، نشأ بدمشق وأخذ عن الحافظ أبي القاسم ابن عساكر وغيره، وهو يستحضر «كتاب الجمهرة» لابن دريد، وبرع في الشعر وحلِّ الألغاز، ورحل إلى العراق والجـزيرة وخراسان وأذربيجان وخوارزم ودخل الهند ورحل إلى اليمن ومنها إلى الحجاز ثم إلى مصر ثم رجع الى دمشق . وهو مولع بالهجو، وله في ذلـك قصيدة طـويلة سماهـا «مقراض الأعراض» ويقال أنه يخلّ بالصلاة ويصل ابنةَ العنقود، ورماه أبو الفتح ابن الحاجب بالزندقة، والله أعلم بصحة ذلك . ولما كان بخوارزم حضر يوماً درس الامام

1127 ـ ترجمة ابن عنين في مرآة الزمان 8: 696 وقلائد الجمان لابن الشعار 6: 199 وتكملة المنذري 3 (رقم 2454) وابن خلكـان 5: 14 والحـوادث الجـامعـة: 52 وعبـر الـذهبي 5: 122 وسيـر الذهبي 22: 363 ومختصر ابن الدبيثي 1: 151 والوافي 5: 122 والبداية والنهاية 13: 137 ولسـان الميزان 4: 405 والنجوم الزاهرة 6: 82 وشذرات الذهب 5: 140 والبدر السـافر، الورقـة: 170 ومقدمة ديوانه .

فخر الدين محمد بن عمر الرازي المعروف بابن خطيب الري ، وكان يوماً بارداً سقط فيه الثلج ، فبينما الشيخ يلقي الدروس إذ سقطت حمامة بالقرب منه ووراءها طيرٌ من الجوارح يطاردها، فلما صارت بين الناس خاف الجارح وطار ، ولم تقدرِ الحمامة على النهوض مما لحقها من الخوف والبرد ، فرقَّ لها الامام فخر الدين وأخذها بيده وحنا عليها ، فأنشده ابن عنين مرتجلاً[1] :

يا ابن الكرام المطعمين إذا شتوا ... في يوم مَسْغَبَةٍ وثلجٍ خاشفِ
العاصمين إذا النفوسُ تطايرتْ ... بين الصوارِمِ والوشيج الراعف
من نبَّأَ الورقاءَ أنَّ محلكم ... حَرَمٌ وأنك ملجأٌ للخائف
وفدتْ عليكَ وقد تدانى حتفها ... فحبوتَها ببقائها المستأنَفِ
لو أنها تُحْبَى بمالٍ لانثنت ... من راحتيك بنائلٍ متضاعف
جاءتْ سليمانَ الزمانِ بشكوها ... والموتُ يلمعُ من جناحي خاطف
قَرِمٌ يطاردها فلما استأمنتْ ... بجنابه ولَّى بقلب واجف[2]

وله من قصيدة كتب بها إلى العادل يشكو الغربة والشوق الى الشام[3] :

ماذا على طيف الأحبةِ لو سَرَى ... وعليهمُ لو سامحوني بالكرى
جنحوا إلى قولِ الوشاةِ وأعرضوا ... واللَّهُ يعلمُ أنَّ ذلك مفترى
يا معرضاً عني بغيرِ جنايةٍ ... الا لما نقلَ[4] العذولُ وزوَّرا
هبني أسأتُ كما تقولُ وتفتري ... وأتيتُ في حبيك شيئاً منكرا
ما بعدَ بُعْدِكَ والصدودِ عقوبةٌ ... يا هاجري ما آن لي أن تغفرا
لا تجمعنَّ عليَّ عتبك والنوى ... حسبُ المحبِّ عقوبةً أن يُهجرا

---

(1) ديوانه : 95 ووردت في ترجمة الرازي (وهي اضافة) .
(2) رواية البيت في الديوان :
قرم لواه القوت حتى ظله ... بازائه يجري بقلب واجف
(3) الديوان : 3 .
(4) الديوان : رقش .

عبءُ الصدودِ أخفُّ من عبءِ النوى ... لـو كـان لي في الحبِّ أن أتخيـرا
فسقـى دمشـقَ ووادِيَيْـهـا والحـمى ... متـواصلَ الأرهـامِ منفصمَ العـرى
حتى نـرى وَجْهَ الـرياضِ بعـارضٍ ... أحـوى وَفَـوْدَ الـدَّوْحِ أبيضَ أزهـرا
تلك المنـازلُ لا مـلاعبُ عـالجٍ ... ورمـالُ كـاظمـةٍ ولا وادي القـرى
أرضٌ إذا مَـرَّتْ بهـا ريـحُ الصَّبـا ... حملت على الأغصـان مسكاً أذفـرا
فـارقتُها لا عن رضىً وهجـرتهـا ... لا عـن قلىً ورحـلتُ لا متـخيـرا
أسعى لـرزقٍ فـي البـلاد مُشَتَّتٍ ... ومن العجـائبِ[1] أنْ يكـونَ مقتـرا
وأصـونُ وَجْـهَ مـدائحي متقـنعـاً ... وأكـفُّ ذيـلَ مـطامعي متسـتـرا

ومنها في الشكوى والدخول الى المديح :

أشكـو اليـكَ نـوىً تمـادى عمـرهـا ... حتى حسبتُ اليـومَ منهـا أشـهـرا
لا عيشتي تصفـو ولا رَسْمُ الهـوى ... يَعْفُـو ولا جفني يصـافحـه الكرى
أضحي عن الربع[2] المريع محـوّلاً ... وأبيتُ عن وِرْدِ[3] النـميـر منفـرا
ومن العجـائبِ أن يَقيـل[4] بـظلكم ... كـلُّ الورى ونُبـذتُ وحـدي بـالعَـرا

وأول قصيدته المسماة مقراض الأعراض قوله[5] :

أضـالـعٌ تـنطوي على كَـرْبِ ... ومـقـلةٌ مسـتـهـلةُ الـغَـرْبِ
شـوقاً إلى سـاكني دمشق فلا ... عَـدَتْ رباهـا مواطـرُ السحب

ومن ثم أخذ في الهجو بنفس طويل وتفنن بأساليب السب والثلب فأورد ما لا يحسن إيراده.

وقال أيضاً في هجو أبيـه[6] :

(1) الديوان : مفرق ، ومن البلية .
(2) الديوان : الأحوى .
(3) م : وزر .
(4) الديوان : أن تفيأ .
(5) الديوان : 179 .
(6) الديوان : 239 .

وجنَّبني أن أفعلَ الخيرَ والدٌ ضئيلٌ إذا ما عُدَّ أهلُ التناسب[1]
بعيدٌ من الحسنى قريبٌ من الخنا وضيعُ مساعي الخيرِ جمُّ المعايب
إذا رمتُ أن أسمو صعوداً الى العلا غدا عِرْقُهُ نحو الدنية جاذبي

وقال يهجو كحالاً[2] :

لو أنَّ طلابَ المطالب عندهم علمٌ بأنك للعيون تُعَوِّرُ
لأتوا اليك بكلِّ ما أملته منهم وكان لك الجزاءُ الأوفر
ودعوك بالصبَّاغ لما ان رأوا يعشي العيون لديك ماءٌ أصفر
وبكفّك الميلُ الذي يحكي عصا موسى وكم عينٍ به تتفجر

وقال في العادل سيف الدين بن أيوب[3] :

إنَّ سلطاننا الذي نرتجيه واسعُ المالِ ضيِّقُ الإنفاقِ
هو سيفٌ كما يقال ولكن قاطعٌ للرسومِ والأرزاق

وقال في المحدث الفاضل ابن دحية الكلبي وهو معاصر[4] .

دحيةُ لم يُعْقِبْ فلمْ تعتزي إليه بالبهتانِ والإفكِ
ما صحَّ عند الناس شيء سوى أنَّكَ من كلبٍ بلا شك

وقال يمدح فخر الدين الرازي وسيرها اليه من نيسابور إلى هراة[5] :

ريحَ الشمالِ عساكِ أن تتحملي شوقي[6] الى الصدرِ الإمام الأفضل
وقفي بواديه المقدَّسِ وانظري نورَ الهدى متألقاً لا يأتلي
من دوحةٍ فخرية عُمَرِيَّةٍ طابت مغارسُ مجدها المتأثل

(1) الديوان : المناسب .
(2) الديوان : 240 .
(3) الديوان : 239 .
(4) الديوان : 220 .
(5) الديوان : 53 .
(6) الديوان : خدمي .

مكيةُ الأنسابِ زاكٍ أصلها وفروعها فوقَ السماكِ الأعزل
واستمطري جَدْوَى يديه فطالما خَلَفَ الحيا في كلِّ عامٍ ممحل
نِعَمٌ سحائبها تعودُ كما بَدَتْ لا يُعْزَفُ الوسميُّ منها والولي
بحرٌ تصدَّر للعلوم ومن رأى بحراً تصدَّرَ قبله في محفل
ومشمِّرٌ في اللّه يسحبُ للتقى والدين سربالَ العفافِ المسبل
ماتت به بِدَعٌ تمادَى عمرها دهراً وكاد ظلامُها لا ينجلي
فعلا به الاسلامُ أرفعَ هضبةٍ ورسا سواهُ في الحضيضِ الأسفل
غلط امرؤٌ بأبي عليٍّ قاسه هيهاتِ قَصَّر عن مداه أبو علي[1]
لو أن رسطاليس يسمعُ لفظةً من لفظه لعرته هِزَّةُ أفْكَل
ويحار بطلميوسُ لو لاقاه من بُرْهانِهِ في كلِّ شكلٍ مشكل
فلو أنهم جُمعوا لديه تيقنوا أنَّ الفضيلةَ لم تكنْ للأول
وبه يبيتُ الحلم معتصماً إذا هَزَّتْ رياحُ الطيشِ رُكْنَيْ يذبل
يعفو عن الذنبِ العظيم تكرماً ويجودُ مسؤولاً وإن لم يُسأل
أرضى الإلاه بفضلِهِ ودفاعه عن دينهِ وأقرَّ عين المُرْسَلِ
يا أيها المولى الذي دَرَجَاتُهُ ترنو الى فَلَكِ الثوابت من عل
ما منصبٌ الا وقدرُكَ فوقه فبمجدك السامي يُهنَّا ما تلي
فمتى أراد اللّه رفعةَ منصبٍ أفضى إليك فنالَ أشرفَ منزل
لا زال ربعك للوفودِ مثابةً أبداً وجودك كهفَ كلِّ مؤمل

ولما كان بمصر أهدى اليه الشريف أبو الفضل سليمان الكحال خروفاً هزيلاً ، فكتب إليه يشكره ويداعبه ، فقال[2] :

أبو الفضلِ وابنُ الفضلِ أنت وأهله[3] فغيرُ بديعٍ أن يكونَ لك الفضلُ

(1) أبو علي : الشيخ الرئيس ابن سينا .
(2) الديوان : 134 .
(3) الديوان : وتربه .

أتتني أياديك التي لا أعدها ... لكثرتها لا كُفْرَ نُعْمَى ولا جهل
ولكنني أنبيك عنها بطرفةٍ ... تروقك ما وافى لها قبلها مثل
أتاني خروفٌ ما شككتُ بأنه ... حليفُ هوىً قد شفَّه الهجر والعذل
إذا قام في شمسِ الظهيرة خلتَهُ ... خيالاً سرى في ظلمةٍ ما له ظل
فناشدته ما يشتهي قال حِلْبَةٌ[1] ... وقاسمته ما شاقه[2] قال لي الأكل
فأحضرتها خضراءَ مجاجة الثرى ... مسلّمة ما حَصَّ أوراقَها الفتل
فظلَّ يراعيها بعينٍ ضعيفةٍ ... وينشدها والدمعُ في العين[3] منهل
« أتت وحياضُ الموتِ بيني وبينها ... وجادت بوصلٍ حين لا ينفعُ الوصل»

وقال[4] :

أليْنُ لصعبِ الخُلْقِ قاسٍ فؤادُهُ ... وأعتبه لو يرعوي من أعاتبُ
من التركِ مياسُ القوامِ منعمٌ ... له الدرّ ثغرٌ والزمرّدُ شارب
أسال عذاراً في أسيلٍ كأنه ... عبيرٌ على كافورِ خَدَّيْهِ ذائب

وقال[5] :

ومهفهفٍ رقَّت حواشي حُسْنِهِ ... فقلوبنا وجداً عليه رقاقُ
لم يكسُ عارضَهُ السوادُ وإنما ... نفضت عليه صباغَها الأحداق

وشعره غرر كله ، وهو الآن حيّ مقيم في دمشق[6] .

---

(1) الديوان : قتة (وهو أصوب بحسب ما يلي) .
(2) الديوان : ما شفه .
(3) الديوان : في الخد .
(4) الديوان : 34 .
(5) الديوان : 240 .
(6) كانت وفاته سنة 630 .

- 1128 -

محمد بن هانىء أبو القاسم الأزدي الأندلسي : من ولد روح بن حاتم بن قبيصة بن المهلب ، أديب شاعر مفلق ، أشعر المتقدمين والمتأخرين من المغاربة ، وهو عندهم كالمتنبي عند أهل المشرق ؛ ولد باشبيلية ونشأ بها ، ونال حظاً واسعاً من علوم الأدب وفنونه ، وبرز في الشعر فلم يباره في حلبته مُبَارٍ ولم يشقَّ غباره لاحق ، وكان متهماً بالفلسفة يسلك في أقواله وأشعاره مسلك المعري[1] ، وما زال يغلو في ذلك حتى تعدَّى الحقَّ وخرج في غلوه إلى ما لا وجه له في التأويل ، فأزعجه أهل الأندلس واضطروه إلى الخروج من وطنه ، وأشار عليه صاحب إشبيلية بذلك درءاً للفتنة ، فخرج متنقلاً في البلاد ووصل الى عدوة المغرب فلقي بها جوهراً القائد مولى المنصور فمدحه ، ثم رحل إلى الزاب واتصل بجعفر ابن الأندلسية وأخيه يحيى ، فانتجع بابهما ولزم رحابهما فأكرما وفادته وأحسنا إليه ، ثم بلغ خبره المعزّ أبا تميم فاستقدمه وأحسن نزله وبالغ في اكرامه . ولما رحل المعز إلى الديار المصرية استأذنه في الرجوع إلى عياله ليأتي بهم ويلحق به ، فأذن له ، فخرج قاصداً بلده ، فلما بلغ برقة نزل على أحد أعيانها للراحة فأضافه أياماً ، فخرج ليلة سكران من بيته ، فلما أصبح الناس وجدوه ملقىً في سانية من سواني البلد مخنوقاً بتكة سراويله ، ولم يعرف سبب ذلك ولا فاعله ، وكانت وفاته كذلك يوم الأربعاء سنة اثنتين وستين وثلاثمائة وقد جاوز الأربعين . ولما بلغ المعز خبر موته أسف عليه أسفاً عظيماً وقال : هذا الذي كنا نرجو أن نفاخرَ به شعراءَ المشرق فلم يُقْدَرْ لنا ذلك .

ومن غرر شعره قصيدته الرائية المشهورة التي مدح بها المعز المذكور ،

1128 - ترجمة ابن هانىء في جذوة المقتبس : 89 (بغية الملتمس رقم: 301) والمطرب: 192 والتكملة: 103 وابن خلكان 4: 421 وعبر الذهبي 2: 328 وسير الذهبي 16: 131 والبداية والنهاية 11: 274 والاحاطة 2: 288 والنجوم الزاهرة 4: 67 والنفح (انظر فهرسته) والشذرات 3: 41 ؛ وقد نشر زاهد على ديوانه مشروحاً ، ثم طبع طبعة متواضعة بدار صادر (بيروت) . ولصديقنا د. محمد اليعلاوي دراسة عنه (دار الغرب الإسلامي 1985) وقبلها دراسة لمنير ناجي (بيروت 1962) . وهذه الترجمة وترجمة ابن القيسراني قبلها أليق بمعجم الشعراء .

(1) هذه مماثلة خطأ ، لأن المعري ظهر بعده .

وهي[1] :

فُتِقَتْ لكم ريحُ الجِلادِ بعنبرِ ... وأمدَّكم فَلَقُ الصباحِ المسفرِ
وجنيتمُ ثمرَ الوقائعِ يانعاً ... بالنصرِ من ورقِ الحديدِ الأخضر
وضربتمُ هامَ الكُماةِ وَرُعْتُمُ ... بيضَ الخدورِ بكلِّ ليثٍ مُخْدَرِ
أبني العوالي السمهريةِ والسيو ... فِ المشرفيةِ والعديدِ الأكثر
من منكُم الملكُ المطاعُ كأنه ... تحت السوابغِ تُبَّعٌ في حمير
القائدي الخيلَ العتاقَ شوازباً ... خُزْراً الى لحظِ السنانِ الأخزر
شُعْثَ النواصي حَشْرةً آذانها ... قبَّ الأياطلِ داميات الأنسر[2]
تنبو سنابكهنّ عن عَفْرِ الثرى ... فيطأنَ في خدِّ العزيزِ الأصعر
جيشٌ تَقَدَّمُهُ الليوثُ وفوقه ... كالغِيلِ من قَصَبِ الوشيج الأسمر
وكأنما سَلَبَ القشاعمَ ريشَها ... مما يشقُّ من العجاجِ الأكدر
وكأنما شُمِلَتْ قناهُ ببارقٍ ... متألقٍ أو عارضٍ مثعنجرِ[3]
تمتدُّ ألسنةُ الصواعِقِ فوقه ... عن ظُلَّتيْ مُزْنٍ عليه كنهورِ[4]
ويقوده الليثُ الغضنفرُ مُعْلَماً ... من كلِّ شَثْنِ اللبدتينِ غَضَنْفَرِ
نحر القبولَ من الدبور وسار في ... جَيْشِ الهرقل وعزمةِ الإسكندرِ
في فتيةٍ صدأُ الدروعِ عبيرُهُمْ ... وَخَلوقُهُمْ عَلَقُ النجيعِ الأحمر
لا يأكلُ السرحانُ شِلْوَ طعينهم ... مما عليه من القنا المتكسر
أنسوا بهجرانِ الأنيسِ كأنهم ... في عبقريِّ البيدِ جِنَّةُ عبقر

ومنها :

(1) ديوانه (دار صادر) : 223 وهي هنالك في مدح جعفر ابن الأندلسية .

(2) الأذن الحشرة : الدقيقة ، القب : جمع أقب وهو الضامر ؛ الاياطل : جمع أيطل وهو الخصر ؛ الأنسر : جمع نسر وهو لحمة صلبة في باطن حافر الفرس ، وفي الديوان : ظاميات الأنسر .

(3) المثعنجر : السائل المنصب .

(4) الكنهور : المتراكم .

قومٌ يبيتُ على الحشايا غيرهم ... ومبيتهم فوق الجيادِ الضمَّرِ
وتظلُّ تسبح في الدماء قبابهم ... فكأنهنَّ سفائنٌ في أبحر
من كلِّ أهرتَ كالحٍ ذي لبدةٍ ... أو كلِّ أبيض واضحٍ ذي مغفر

ومنها في ذكر الممدوح :

لي منهمُ سيفٌ إذا جردته ... يوماً ضربتُ به رقابَ الأعصرِ
وفتكتُ بالزمن المدجَّج فتكةَ الـ ... ـبراضِ يومَ هجائنِ ابن المنذر(1)
صَعْبٌ إذا نُوَبُ الزمانِ استصعبت ... متنمِّرٌ للحادثِ المتنمر
فإذا عفا لم تلقَ غيرَ مُمَلَّكٍ ... واذا سطا لم تلقَ غيرَ مظفر
وكفاك من حبِّ السماحةِ أنها ... منه بموضع مقلةٍ من محجر
فغمامه من رحمةٍ وَعِرَاصُهُ ... من جنةٍ ويمينه من كوثر

وقال أيضاً يمدحه من قصيدة(2) :

ألؤلؤٌ دَمْعُ هذا الغيثِ أم نُقَطُ ... ما كان أحْسَنَهُ لو كان يُلْتَقَطُ
بين السحابِ وبين الريح ملحمةٌ ... معامعٌ وَظُبا في الجوِّ تخترط
كأنه ساخطٌ يرضَى على عجلٍ ... فما يدومُ رضىً منه ولا سَخَطُ
أهدى الربيعُ إلينا روضةً أُنُفاً ... كما تنفسَ عن كافوره السَّفَطُ

ومنها :

والريحُ تبعثُ أنفاساً معطّرةً ... مثلَ العبيرِ بماءِ الورد يختلط
كأنما هي أنفاسُ المعزِّ سَرَتْ ... لا شُبْهَةٌ للندى فيها ولا غلط
تاللَّهِ لو كانت الأنواءُ تشبهه ... ما مرَّ بؤسٌ على الدنيا ولا قَنَطُ
أبدى الزمانُ لنا من نورِ طلعته ... عن دولةٍ ما بها وَهْنٌ ولا سقط

---

(1) البراض قتل عروة بن عتبة الكلابي واحتاز لطيمة ابن المنذر (أي النعمان) وكان ذلك سبب نشوب حرب الفجار .

(2) الديوان : 84 .

حتى تسلَّط منه في الورى مَلِكٌ زينتْ بدولته الأملاكُ والسُّلَطُ
إمامُ عدلٍ وَفَى في كلِّ ناحية كما قضوا في الإمام العدل واشترطوا
قد بان بالفضل عن ماضٍ ومؤتنفٍ كالعقدِ عن طرفيه يَفْضُلُ الوسط

وقال يمدح جعفر ابن الأندلسية[1] :

أليلَتنا إذ أرسلتْ وارداً وَحْفَا وبتنا نرى الجوزاءَ في أُذْنها شنفا[2]
[وبات لنا ساقٍ يقوم على الدجى بشمعة نجم لا تقط ولا تُطْفَا] [3]
ولم يُبْقِ إرعاشُ المدامِ له يداً ولم يبقِ إعناتُ التثني له عطفا
نزيفٌ ثناه السكرُ الا ارتجاجةً إذا كلَّ عنها الخصرُ حمَّلها الردفا
يقولون حِقْفٌ فوقه خيزرانةٌ أما يعرفون الخيزرانةَ والحقفا
جعلنا حشايانا ثيابَ مُدامنا وَقَدَّتْ لنا الظلماءُ من جلدها لحفا
فمن كبدٍ تدني إلى كبدٍ هوى ومن شَفَةٍ توحي إلى شفةٍ رشْفَا
بعيشكَ نبه كأسَهُ وجفونَهُ فقد نُبِّهَ الابريقُ من بعد ما أغفى
وقد فكَّتِ الظلماءُ بعضَ قيودها وقد قام جيشُ الليلِ للفجر[4] واصطفَّا

ومنها في المديح :

كأن لواءَ الشمسِ غُرَّةُ جعفرٍ رأى القِرْنَ فازدادتْ طَلاَقَتُهُ ضِعْفَا
وقد جاشتِ الدأماء بيضاً صوارماً ومارنةً سُمْراً وفضفاضةً زَغْفا[5]
وجاءت عتاقُ الخيل تجري كأنما تخطُّ له أقلامُ آذانها صُحْفَا
هنالك تلقَى جعفراً غيرَ جعفرٍ وقد بُدِّلَتْ يمناهُ من رفقها عنفا
وكائن تراهُ في الكريهةِ جاعلاً عزيمتَهُ برقاً وَصَوْلَتَهُ خَطْفا

(1) الديوان : 238 .
(2) الوحف : الشعر الكثيف الأسود .
(3) زيادة ضرورية ليفهم أن البيت التالي في وصف الساقي .
(4) الديوان : جيش الفجر لليل .
(5) الدأماء : البحر . المارن : الصلب من الرماح . الزغف : الدرع الواسعة .

وكـائن تـراه في المقـامـةِ جـاعـلاً مشـاهـدَهُ فصـلاً وخـطبتَـهُ حـرفـا

وقد بلغ في هذه القصيدة غايات الاجادة ، ولولا طولها لاوردتها بتمامها .

وقال يصف سيفاً ليحيى أخي جعفر المذكور[1] :

لـلّه أيّ شـهـابِ حـربٍ واقـدٍ صحبَ ابنَ ذي يـزن وأدرك تُبَّعـا
في كفِّ يحيى منـه أبيضُ مُـرْهَفٌ عَـرَفَ المعزُّ بـآلـه[2] فتشيعـا
وجـرى الفـرنـدُ بصفحتيـه كـأنمـا ذَكَـرَ القتيـلَ بكـربـلاءَ فـدمَّعـا
يكفيك مما شئتَ في الهيجـاء أنْ تلقى العـدى فتسـلَّ منـه إصبعـا

وقال أيضاً يمدح المعز وهي أول قصيدة مدحه بها حين قدم عليه بالقيروان[3] :

هـل من أعِقَّـةِ عـالـجٍ يبـرينُ أم منهمـا بَقَـرُ الحـدوجِ العِينُ[4]
ولمن ليـالٍ مـا ذَمَمْنَـا عهـدَهـا مـذ كـنَّ إلا أنـهـنَّ شـجـونُ
المشـرقـاتُ كـأنهنَّ كـواكـبٌ والنـاعمـاتُ كـأنهنَّ غـصـونُ
بيضٌ ومـا ضحـك الصبـاحُ وإنهـا بالمسكِ من طُرَرِ الحسانِ لجوُنُ[5]
أدمى لهـا المرجـانُ صفحـةَ خـدّه وبكى عـليهـا اللـؤلؤُ المكنـونُ

ومنها :

لأعـطِّشَنَّ الـروضَ بعـدهـمُ ولا يُـرويـه لي دمـعٌ عليـه هَتُـونُ
أأعيـرُ لحظَ العينِ بهجـةَ منـظرٍ وأخـونـهـم إنـي إذن لـخـؤونُ
لا الجـوّ جـوٌّ مشـرقٌ ولـو اكتسى زهـراً ولا المـاءُ المَعِينُ معينُ

ومنها :

عهـدي بـذاك الجـوِّ وهـو أسِنَّـةٌ وَكِنـاسُ ذاك الخِشْفِ وهـو عرينُ

---

(1) الديوان : 362 .

(2) الديوان : حقيقة .

(3) الديوان : 171 .

(4) الاعقة : جمع عقيق وهو الوادي ، وعالج : موضع في الجزيرة كثير الرمال ؛ يبرين : ميناء على ساحل الخليج . بقر الحدوج : النساء ، والحدوج مراكبهن .

(5) جون : سود ، بسبب طرر الحسان ، أي شعورهن .

هـل يُـذْنِيِّي منـه أجـردُ سـابحٌ   مَـرِحٌ وجـائلةُ النّسـوعِ أمـونُ[1]

ومنها في المديح :

الـروضُ مـا قـد قيـل في أيـامـه   لا أنـه وردٌ ولا نـسـريـنُ
والمسكُ ما لَثَم الثرى من ذكرهِ   لا أنَّ كـلَّ قـرارةٍ داريـنُ
مَلِكٌ كمـا حُـدِّثْتَ عنـه رأفـةً   فـالخمـرُ مـاءٌ والشـراسـة لينُ
شِيَم لـو آن اليمَّ أُعْـطِيَ رفقهـا   لم يلتقمْ ذا النـون فيـه النـونُ
تـاللّه لا ظُلَلُ الغمـامِ معـاقـلٌ   تـأبى عليـه ولا النجـومُ حصـونُ
ووراءَ حقِّ ابنِ الرسـولِ ضـراغمٌ   أُسْـدٌ وشهبـاءُ السـلاح منـونُ
الـطالبـان المشـرفيـةُ والـقنـا   والمـدركـان النصـرُ والتمكيـنُ
وصـواهلٌ لا الهضبُ يـومَ مُغارِهـا   هُضْبٌ ولا البيـدُ الحَزونُ حَزُونُ
حيث الحمـامُ ومـا لـهنّ قـوادمٌ   وعلى الريـودِ ومـا لهنَّ وكـونُ[2]
فكـأنهـا تحت الغبـارِ كـواكبٌ   وكـأنهـا تحت الحـديـدِ دجـونُ
عُـرِفتْ بسـاعـةِ سَبْقِهـا لا أنهـا   عَلِقَتْ بهـا يـومَ الـرهـانِ عيـونُ
وأجـلُّ عِلْمِ البـرقِ فيهـا أنهـا   مَـرَّتْ بجـانحتيـه وهـي ظنـونُ

ومنها :

انـظرْ إلى الـدنيـا بـاشفـاقٍ فقـد   أَرْخَصْتَ هـذا العلقَ وهـو ثمينُ
لو يستطيعُ البحرُ لاستعـدى على   جَـدْوَى يـديـكَ وإنـه لـقميـنُ
امـدُدْهُ أو فـاصفـحْ لـه عن نَيْلِهِ   فلقـد تخـوَّفَ أن يـقـالَ ضنيـنُ
واعـذر أميّـةَ أن تَغَصَّ بـريقهـا   فـالمُهْـلُ مـا سُقِيَتْـهُ والغِسْلينُ[3]
ألقتْ بـأيدي الـذلِّ مُلْقَى عمرهـا   بـالثـوبِ إذ فَغَـرَتْ لـه صفيـنُ

(1) جائلة النسوع : الناقة الضامرة ، والنسوع : جمع نسع وهو الحبل ، وجولان النسع دليل على الضمور .
(2) الريود : جمع ريد ، وهو حرف الجبل . الوكون : جمع وكن وهي العش أو الملجأ .
(3) أمية : أصحاب الاندلس ، وكانوا على حذر بالغ من الفاطميين ؛ المهل ، القطران ، الغسلين : ما يسيل من جلود أهل النار .

وهذه القصيدة أطول قصائده ، وهي نيف وثمانون بيتاً ، اقتصرنا منها على ما أوردناه .

وقال أيضاً في مجلس أنس حضره عند الأمير جعفر[1] :

وثلاثةٌ لم تجتمعْ في مجلسٍ إلا لمثلك والأديبُ أريبُ
الوردُ في رامشنة من نرجسٍ والياسمينُ وكلهن عجيبُ[2]
فاصفرّ ذا واحمرَّ ذا وابيضَّ ذا فأتتْ بدائعُ[3] أمْرُهُنَّ عجيبُ
فكأنَّ هذا عاشقٌ وكأن ذا ك مُعَشَّقٌ وكأنّ ذاك رقيبُ[4]

وقال أيضاً في شمعة[5] :

لقد أشبهتني شمعةٌ في صبابتي وفي هولِ ما ألقى وما أتوقَّعُ
نحولٌ وحزنٌ في فَناءٍ ووحدةٌ وتسهيدُ عينٍ واصفرارٌ وأدمعُ

وقال أيضاً[6] :

وليلٍ بِتُّ أُسقاها سُلافاً معتقةً كلونِ الجلنار
كأنّ حَبَابها خَرَزاتُ درٍّ عَلَتْ ذهباً بأقداحِ النضار
بكفِّ مقرطقٍ يَزْهَى بردفٍ يضيقُ بحمله وُسْعُ الازار
أقمتُ لشربها عبثاً وعندي بناتُ اللهوِ تعبثُ بالعقار
ونجمُ الليلِ يركضُ في الدياجي كأنَّ الصبحَ يطلبُهُ بثار

(1) الديوان : 425 .
(2) الرامشنة : ورقة آس لها راسان .
(3) الديوان : دلائل .
(4) العاشق : النرجس الأصفر ؛ المعشَقَ : الورد الأحمر ؛ الرقيب : الياسمين الأبيض .
(5) الديوان : 428 .
(6) الديوان : 424 .

- 1129 -

محمد بن هبيرة أبو سعيد الأسدي النحوي المعروف بصعوداء : من أعيان أهل الكوفة وعلمائها ، عارف بالنحو واللغة وفنون الأدب ، قدم بغداد واختص بعبد الله بن المعتز وعمل له رسالةً فيما انكرته العرب على أبي عبيد القاسم بن سلام ووافقته فيه ، وأدّب أولاد محمد بن يزداد وزير المأمون ، وله كتاب فيما يستعمله الكاتب ، وغير ذلك .

- 1130 -

محمد بن ولاد هكذا اشتهر ، وقيل هو ابن الوليد أبو الحسين التميمي النحوي : أخذ بمصر عن أبي علي الدينوري ختن ثعلب ، ثم رحل إلى العراق وأخذ عن المبرد وثعلب . وكان جيّد الخط والضبط ، وفيه عرج ، وغلب عليه الشيب . وتزوج الدينوري أمه . وله كتاب في النحو سماه « المنمّق » لم يصنع فيه شيئاً . وكتاب المقصور والممدود ، وغير ذلك . وكان المبرد لا يمكن أحداً من نسخ « كتاب سيبويه » من عنده ، فكلم ابن الولاد المبرد في نسخه على شيء سماه له فأجابه ، فأكمل نسخه وأبى أن يعطيه شيئاً حتى يقرأه عليه ، فغضب المبرد وسعى به إلى بعض خدم السلطان ليعاقبه على ذلك ، فالتجأ ابن ولاد إلى صاحب الخراج ببغداد وكان يؤدب ولده ، فأجابه ، ثم ألحَّ على المبرد حتى اقرأه الكتاب .

مات ابن ولاد سنة ثمان وتسعين ومائتين وقد بلغ الخمسين .

ومن شعره :

إذا ما طلبتَ أخاً مخلصاً ... فهيهاتِ منك الذي تطلبُ
فكنْ بانفرادك ذا غبطةٍ ... فما في زمانِكَ مَنْ يُصْحَبُ

1129 - ترجمة صعوداء النحوي في الوافي 5 : 160 وبغية الوعاة 1 : 256 وقد ترجم القفطي لمن اسمه محمد بن هبيرة وكنيته أبو سعيد ولكنه غاضري ومن أهل سر من رأى .

1130 - ترجمة ابن ولاد في تاريخ بغداد 3 : 332 وطبقات الزبيدي : 217 والوافي 5 : 175 وبغية الوعاة 1 : 259 واشارة التعيين : 339 .

ـ 1131 ـ

محمد بن يحيى بن علي بن مسلم بن موسى بن عمران الحنفي الزبيدي ، أبو عبد الله النحوي : كانت له معرفة بالنحو واللغة والأدب ، صحب الوزير ابن هبيرة مدةً وقرأ عليه ، وكان صبوراً على الفقر لا يشكو حاله .

قال ابن الجوزي : حدثني الوزير ابن هبيرة قال : جلستُ مع الزبيدي من بكرةٍ إلى قريبِ الظهر وهو يلوكُ شيئاً في فمه ، فسألته فقال : لم يكن عندي شيء فأخذتُ نواة وجعلتها في فمي أتعلَّلُ بها . وكان يحكى عنه أنه على مذهب السالمية ويقول : إن الأموات يأكلون ويشربون في القبر وإن العاصي لا يلام لأنه بقدر الله تبارك وتعالى . وكان يقول : قل الحق وان كان مرّاً .

ودخل على الوزير الزينبي وعليه خلعة الوزارة ، والناس يهنونه فقال : هذا يوم عزاء لا هناء ، فقيل : لم ؟ فقال : أيهنّأ على لبس الحرير ؟

وحكي عنه قال : خرجتُ إلى المدينة على الوحدة ، فآواني الليل إلى جبل فصعدت عليه وناديت : اللهم إني الليلةَ ضيفك ، ثم نزلت فتواريتُ عند صخرةٍ فسمعتُ منادياً ينادي : مرحباً يا ضيفَ الله ، إنك مع طلوع الشمس تمرُّ على قومٍ على بئر يأكلون خبزاً وتمراً ، فإذا دعوك فأجبْ فهذه ضيافتك ، فلما كان من الغد سرتُ فلما كان وقت طلوع الشمس لاحتْ لي أهدافُ بئر ، فوجدت عندها قوماً يأكلون خبزاً وتمراً ، فدعوني إلى الأكل فأجبت .

وله من التصانيف : منار الاقتضاء ومنهاج الاقتفاء . وكتاب الرد على ابن الخشاب . وكتاب العروض . والمقدمة في النحو . وكتاب الحساب . وكتاب القوافي . وكتاب تعليل قراءة ﴿ وَنَحْنُ عُصبَةً ﴾ (يوسف: 8 و 14) بالنصب . مات في ربيع الآخر سنة خمس وخمسين وخمسمائة .

1131 ـ ترجمة الزبيدي النحوي في المنتظم 10 : 197 والوافي 5 : 198 والجواهر المضية 2 : 142 وبغية الوعاة 1 : 263 والأنساب 6 : 247 ومرآة الزمان 8 : 144 والبداية والنهاية 12 : 243 وتبصير المتبه : 654 وسير الذهبي 20 : 316 .

ـ 1132 ـ

محمد بن يحيى بن محمد ، أبو عبد الله ابن الحذاء التميمي الأندلسي : كان محدثاً فقيهاً وخطيباً بليغاً عارفاً بفنون الأدب بارعاً بها ، له معرفة تامة بعلم التعبير . أخذ عن ابن عون الله وابن بطال وابن زرب وغيرهم ، وتفقه على ابن أبي زيد القيرواني وقرأ عليه تآليفه ، ورحل إلى مصر فأخذ بها عن الحافظ عبد الغني والجوهري وغيرهما ، ثم رجع إلى الأندلس فولي القضاء ببلنسية وغيرها ، ثم رحل في فتنة البربر فاستوطن سرقسطة إلى أن مات بها سنة عشر وأربعمائة .

ومن تصانيفه كتاب الخطب والخطباء في مجلدين . والبشرى في تعبير الرؤيا ، كبير يدخل في عشر مجلدات . والانباء بمعاني الأسماء ، أسماء الله تعالى . والاستنباط لمعاني السنن والأحكام ، في عدة أسفار . والتعريف برجال الموطّأ ، وغير ذلك .

ـ 1133 ـ

محمد بن يحيى بن سعادة أبو عبد الله المرسي : كان عالماً بالتفسير والحديث والكلام خطيباً مصقعاً عارفاً بفنون الأدب ، أخذ عن أبي علي الصدفي وأبي بكر ابن العربي وأبي الوليد ابن رشد وأبي بحر الأسدي وغيرهم ، وولي القضاء والشورى بمرسية ثم بشاطبة فاستوطنها . ومولده بمرسية في رمضان سنة ست وتسعين

1132 ـ ترجمة ابن الحذاء في بغية الملتمس (رقم: 319) وجعل وفاته سنة 416 ؛ أما في الصلة: 478 ـ 480 فقد جعل وفاته كما ذكر ياقوت ، وانظر ترتيب المدارك 8: 5 وشجرة النور 1: 112 وعبر الذهبي 3: 122 وسير الذهبي 17: 444 (ووفاته فيه 416) والوافي 5: 196 ومرآة الجنان 3: 29 وعيون التواريخ 12: 180 والديباج المذهب 2: 237 والنجوم الزاهرة 4: 264 والشذرات 3: 206 .

1133 ـ محمد بن يحيى عند ياقوت وفي جميع المصادر الأخرى هو محمد بن يوسف : انظر بغية الملتمس (رقم: 308) والتكملة : 505 ومعجم أصحاب الصدفي : 183 وعبر الذهبي 4: 193 وسير الذهبي 20: 508 والوافي 5: 250 والديباج المذهب 4: 218 وبغية الوعاة 1: 277 ونفح الطيب 2: 158 .

وأربعمائة ، وتوفي بشاطبة في العشر الأخير من ذي الحجة سنة أربع وستين وخمسمائة .

ومن تصانيفه : شجرة الوهم المرقية إلى ذروة الفهم . وفهرسة أسماء الشيوخ .

- 1134 -

محمد بن يحيى بن عبد الله بن العباس بن محمد بن صول الكاتب المعروف بالصولي : كان جده ابن صول التركي أحدَ دعاةِ بني العباس . ولد أبو بكر ببغداد ونشأ بها ، وأخذ عن ثعلب والمبرد وأبي داود السجستاني ، وأخذ عنه أبو عبد الله المرزباني الكاتب الاخباري وغيره . وكان اخبارياً أديباً كاتباً ، وكان نديماً للخلفاء متمكناً عندهم ، نادم المكتفي ثم الراضي ثم المقتدر[1] ، وكان واحدَ عصره في لعب الشطرنج حتى قيل إنه هو الذي وضعه ، وليس كذلك ، وانما وضع الشطرنج صصه الهندي لشهرام ملك الفرس .

حكي ان الراضي باللّه خرج إلى النزهة فأتى بستاناً مونقاً مزهراً فقال لمن حضر : هل رأيتم منظراً أحسنَ من هذا ؟ فكلٌّ أثنى بما حضره ووصف محاسنه ، فقال الراضي : لعب الصولي بالشطرنج أحسنُ من هذا ومما وصفتم .

وكان لأبي بكر الصولي خزانة أفردها لما جمع من الكتب المختلفة رتبها فيها أجملَ ترتيب ، وكان يقول لأصحابه : كلُّ ما في هذه الخزانة سماعي ، وإذا أراد مراجعةَ كتاب منها قال : يا غلام هات الكتابَ الفلاني ، فسمعه يوماً أبو سعيد العقيلي يقول ذلك فأنشد :

1134 - ترجمة الصولي في معجم الشعراء : 431 والفهرست : 167 وتاريخ بغداد 3 : 427 والأنساب 8 : 110 ونزهة الألباء : 188 والمنتظم 6 : 359 وانباه الرواة 3 : 233 وابن خلكان 4 : 356 وعبر الذهبي 2 : 241 وسير الذهبي 15 : 301 والوافي 5 : 190 ومرآة الجنان 2 : 319 والبداية والنهاية 11 : 219 ولسان الميزان 5 : 427 والنجوم الزاهرة 3 : 296 والشذرات 2 : 339 .

(1) المقتدر قبل الراضي .

إنمـا الصـوليُّ شيـخٌ أعلمُ النـاسِ خِـزانَـهْ
إن سـألـنـاه بـعـلـمٍ نبتغي عـنـه الإبـانَـهْ
قـال يا غلمـانُ هـاتـوا رزمـةَ العلمِ فـلانـهْ

وللصولي من التصانيف : أخبار ابن هرمة الشاعر . وأخبار أبي تمام[1] . وأخبار أبي عمرو بن العلاء . وأخبار إسحاق الموصلي . وأخبار السيد الحميري الشاعر . وأخبار القرامطة . وأدب الكاتب . وكتاب الأنواع . وكتاب العبادلة . وكتاب الغرر . وكتاب الورقة . وكتاب الوزراء ، وغير ذلك[2] .

وكان خرج من بغداد لضيق لحقه فنزل البصرة ، وبها توفي سنة خمس وثلاثين وثلاثمائة .

ـ 1135 ـ

محمد بن يزيد بن عبد الأكبر بن عمير[3] بن غسان[4] بن سليمان بن سعد بن عبد الله بن زيد بن مالك بن الحارث بن عامر بن عبد الله بن بلال بن عوف بن أسلم : وهو ثمالة ، ثم ينتهي إلى الأسْد بن الغوث ، وهو الأزد ، فهو الثمالي الأزدي البصري أبو العباس النحوي اللغوي الأديب.

1135 ـ ترجمة المبرد في طبقات الزبيدي : 101 والفهرست : 64 وتاريخ بغداد 3 : 380 والمنتظم 6 : 9 وانباه الرواة 3 : 241 وابن خلكان 4 : 313 وعبر الذهبي 2 : 74 وسير الذهبي 13 : 576 والوافي 5 : 216 والبداية والنهاية 11 : 76 والبلغة : 250 وطبقات ابن الجزري 2 : 280 ولسان الميزان 5 : 430 والنجوم الزاهرة 3 : 117 وبغية الوعاة 1 : 269 وطبقات الداودي 2 : 267 والشذرات 2 : 190 واشارة التعيين : 342 .

(1) أخبار أبي تمام : نشر بتحقيق خليل محمود عساكر وزميليه ، القاهرة 1937 .
(2) نشر هيورث دن ثلاث قطع من كتاب الأوراق وانظر شذرات من كتب مفقودة 403 ـ 427 ونشر هلال ناجي قطعة من كتاب الأوراق بغداد 1990 .
(3) الانباه : عميرة .
(4) الانباه : حسان .

ولد بالبصرة يوم الاثنين غداة عيد الأضحى سنة عشر ومائتين ، وأخذ عن أبي عمر الجرمي وأبي عثمان المازني ، وقرأ عليهما « كتاب سيبويه » وأخذ عن أبي حاتم السجستاني ، وأخذ عنه أبو بكر محمد بن يحيى الصولي ونفطويه وأبو علي الطوماري وغيرهم . وكان إمام العربية ببغداد ، وإليه انتهى علمها بعد طبقة الجرمي والمازني ، وكان حسنَ المحاضرة فصيحاً بليغاً مليح الأخبار ثقة فيما يرويه كثير النوادر فيه ظرافة ولباقة ، وكان الإمام إسماعيل القاضي يقول : ما رأى محمد بن يزيد مثل نفسه .

وإنما لُقِّبَ بالمبرد[1] لأنه لما صنف المازنيّ « كتاب الألف واللام » سأله عن دقيقه وعويصه فأجابه بأحسن جواب ، فقال له المازني : قم فأنت المبرِّد ـ بكسر الراء ـ أي المثبت للحق ، فحرّفه الكوفيون وفتحوا الراء .

وقال السيرافي : سمعت أبا بكر ابن مجاهد يقول : ما رأيت أحسنَ جواباً من المبرد في معاني القرآن فيما ليس فيه قول لمتقدم ، ولقد فاتني منه علم كثير لقضاءِ ذمامِ ثعلب .

وقال السيرافي أيضاً : سمعت نفطويه يقول : ما رأيت أحفظ للأخبار بغير أسانيد من المبرد وأبي العباس ابن الفرات .

وقال المفجع البصري[2] : كان المبرد لكثرة حفظه للغة وغريبها يتهم بالوضع فيها ، فتواضعنا على مسألة نسأله عنها لا أصل لها لننظر ماذا يجيب ، وكنا قبل ذلك تمارينا في عروض بيت الشاعر :

أبا منذرٍ أفنيتَ فاستبقِ بعضنا ... حنانيكَ بعضُ الشرِّ أهونُ من بعضِ

فقال البعض : هو من البحر الفلاني ، وقال آخرون : هو من البحر الفلاني وتردد على أفواهنا من تقطيعه « ق بعضا » ، ثم ذهبنا إلى المبرد فقلت له : أيدك الله تعالى ، ما القبعض عند العرب ؟ فقال : هو القطن ، وفي ذلك يقول الشاعر :

* كأنَّ سنامَها حُشِيَ القِبَعْضَا *

قال فقلت لأصحابي : ترون الجواب والشاهد ، فإن كان صحيحاً فهو عجب ،

(1) انباه الرواة 3 : 246 (ففيه رواية أخرى) .
(2) تاريخ بغداد 3 : 380 ـ 381 .

وإن كان مختلقاً على البديهة فهو أعجب.

وحكى ابن السراج قال: كان بين المبرد وثعلب ما يكون بين المتعاصرين من المنافرة، واشتهر ذلك حتى قال بعضهم:

كفى حزناً أنا جميعاً ببلدةٍ ويجمعنا في أرضها شرُّ مَشْهَدِ
وكلٌّ لكلٍّ مخلصُ الودِّ وامقٌ ولكنه في جانبٍ عنه مفرد
نروحُ ونغدو لا تزاورَ بيننا وليس بمضروبٍ لنا يومُ موعد
فأبداننا في بلدةٍ والتقاؤنا عسيرٌ كلقيا ثعلبٍ والمبرد

وكان أهل التجميل يفضلون المبرد على ثعلب، وفي ذلك يقول أحمد بن عبد السلام:

رأيتُ محمدَ بنَ يزيدَ يسمو الى الخيراتِ في جاهٍ وَقَدْرِ
جليسُ خلائفٍ وغذيُّ ملكٍ وأعلمُ من رأيتُ بكلِّ أمر
وفتيانيَّةُ الظرفاءِ فيه وأبَّهةُ الكبير بغير كبر
فينثر إن أجال الفكرَ درّاً وينثر لؤلؤاً من غير فكر
وكان الشعر قد أودى فأحيا أبو العباس داثرَ كلِّ شعر
وقالوا ثعلبٌ رجلٌ عليم وأين النجمُ من شمسٍ وبدر
وقالوا ثعلبٌ يُفْتي وَيُمْلي وأين الثُّعلبانُ من الهزبر
وهذا في مقالك مستحيلٌ تشبِّهُ جدولاً وَشَلاً ببحر

وقال بعضهم في المبرد وثعلب:

أيا طالبَ العلم لا تجهلنَّ وَعُذْ بالمبردِ أو ثعلبِ
تجدْ عند هذين علمَ الورى فلا تكُ كالجملِ الأجرب
علومُ الخلائقِ مقرونةٌ بهذين في الشرقِ والمغرب

وقال أبو بكر ابن الأزهر[1]: حدثني أبو العباس المبرد قال، قال لي المازني:

---

(1) تاريخ بغداد 3: 383.

بلغني أنك تنصرف من مجلسنا فتصير إلى مواضع المجانين والمعالجين فما معنى ذلك ؟ فقلت : أعزك الله تعالى ، إن لهم طرائف من الكلام ، قال : فأخبرني بأعجب ما رأيت من المجانين ، قال فقلت : صرتُ يوماً إليهم فمررتُ على شيخ منهم وهو جالس على حصيرٍ قَصَبٍ فجاوزته الى غيره ، فقال : سبحان اللّه تعالى أين السلام ؟ مَن المجنون أنا أو أنت ؟ فاستحييت منه وقلت : السلام عليك ورحمة الله وبركاته ، فقال : لو كنتَ ابتدأتَ لأوجبتَ علينا حُسْنَ الرد ، على أنا نصرفُ سوءَ أدبك إلى أحسن جهاته من العذر لأنه كان يقال إن للداخل على القومِ دهشةً ، اجلس أعزك الله تعالى عندنا ، وأومى إلى موضع من الحصير ، فجلستُ إلى ناحية منه أسترعي مخاطبته ، فقال لي وقد رأى معي محبرتي : أرى معك آلة رجلين أرجو أن لا تكون أحدهما : أصحاب الحديث الاغثاث أو الأدباء أصحاب النحو والشعر ، قلت : الأدباء ، قال : أتعرف أبا عثمان المازني ؟ قلت : نعم ، قال : أتعرف الذي يقول فيه :

وفتىً من مازنٍ ... استاذ أهلِ البصرهْ
امه معرفةٌ ... وأبوه نكره

فقلت : لا أعرفه ، فقال : أتعرف غلاماً له قد نبغ في هذا العصر معه له ذهن وحفظ ، وقد برز في النحو يعرف بالمبرد ؟ فقلت : أنا والله الخبير به ، قال : فهل أنشدك شيئاً من شعره ، قلت : لا أحسبه يحسنُ قول الشعر ، فقال : يا سبحان الله أليس هو القائل :

حبذا ماءُ العناقيـ ... ـدِ بريقِ الغانياتِ
بهما ينبتُ لحمي ... ودمي أيّ نبات
أيها الطالب أشهى ... من لذيذِ الشهوات
كلْ بماءِ المزن تفا ... حَ خدود الفتيات

قلت : سمعته ينشد هذا في مجلس أنس ، فقال : يا سبحان الله ألا يستحي أن ينشد مثل هذا حول الكعبة ؟ ثم قال : ألم تسمع ما يقولون في نسبه ؟ قلت : يقولون هو من الأزد ، أزد شنوءة ثم من ثمالة ، قال أتعرف القائل في ذلك :

سـألنـا عن ثمـالـةَ كـلَّ حيٍّ ... فقـال القـائلون ومن ثمـالَـهْ
فقلتُ محمـدُ بنُ يـزيـدَ منهم ... فقـالـوا زدتنـا بـهمْ جـهـالـه
فقـال ليَ المبـردُ خـلِّ قـومي ... فقـومي معشـرٌ فيهـم نـذالـه

فقلت : أعرفه ، هذا عبد الصمد بن المعذل يقولها فيه ، فقال : كـذب فيما ادعاه ، هذا كلام رجل لا نسبَ له يريد أن يثبتَ له بهذا الشعر نسباً ، فقلت له : أنت أعلم ، فقال : يا هذا قد غلبتْ خفةُ روحك على قلبي ، وقد أخرتُ مـا كان يجب تقديمه ، ما الكنية أصلحك الله ؟ فقلت : أبو العباس ، قال : فما الاسم ؟ قلت : محمد ، قال : فالأب ، قلت : يزيد ، قال : قبحك الله أحوجتني إلى الاعتذار ممَّا قدمت ذكره ، ثم وثب وبسط يده فصافحني ، فرأيت القيدَ في رجله فأمنت غائلته ، فقال : يا أبا العباس صن نفسك من الدخول في هذه المواضع ، فليس يتهيأ في كلّ وقتٍ أن تصادفَ مثلي على مثل حالتي ، ثم قال : أنت المبرد ، أنت المبرد ، وجعل يصفق وانقلبت عيناه واحمرت وتغيرت حالته ، فبادرت مسرعاً خوف أن تبدرَ إليَّ منه بادرة ، وقبلت منه والله نصحه ، ولم أعاود بعدها الى تلك المواضع أبداً .

وقال الزجاج : لما قدم المبرد بغداد جئت لأناظره ، وكنت أقرأ على أبي العباس ثعلب ، فعزمت على إعناته ، فلما باحثته ألجمني بالحجة وطـالبني بالعلة وألـزمني الزامات لم أهتدِ إليها ، فاستيقنتُ فضله واسترجحت عقله وأخذتُ في ملازمته .

وكان المبرد يحب الاجتماع بأبي العباس ثعلب للمناظرة وثعلب يكره ذلك ، حكى أبو القاسم جعفر بن محمد بن حمدان الموصلي ، وكان صديقهما ، قال : قلت لأبي عبد الله الدينوري ختن ثعلب : لِمَ يأبى ثعلب الاجتماع بالمبرد ؟ فقال : لأنَّ المبرد حسنُ العبارة حلو الاشارة ، فصيح اللسان ظاهر البيان ، وثعلب مذهبه مذهب المعلمين ، فاذا اجتمعا في محفلٍ حُكِمَ للمبرد على الظاهر إلى أن يُعْرَفَ بالباطن .

وحكي أن بعض الأكابر من بني طاهر سأل أبا العباس ثعلباً أن يكتبَ له مصحفاً على مذهب أهل التحقيق ، فكتب وَالضُّحَى بالياء ، ومذهب الكوفيين أنه إذا كان كلمة من هذا النحو أولها ضمة أو كسرة كتبت بالياء ، وإن كانت من ذوات الواو فالبصريون يكتبون بالألف ، فنظر المبرد في ذلـك المصحف فقال : ينبغي أن يكتب وَالضُّحَـا بالألف لأنه من ذوات الواو ، فجمع ابن طاهر بينهما فقال المبرد لثعلب : لِمَ كتبت

وَالضُّحَى بالياء ؟ فقال : لضمة أوله ، فقال له : ولم إذ ضُمَّ أوله وهو من ذوات الواو تكتبه بالياء ؟ فقال : لأن الضمة تشبه الواو وما أوله واو يكون آخره ياء فتوهموا أن أوله واو ، فقال المبرد : أفلا يزول هذا التوهم إلى يوم القيامة.

ولبعضهم في مدح المبرد :

وإذا يقال مَنِ الفتى كلُّ الفتى ... والشيخُ والكهلُ الكريمُ العنصرِ
والمستضاءُ بعلمِهِ وبرأيِهِ ... وبعقله قلتُ ابنُ عبدِ الأكبر

ولآخر في مدحه أيضاً :

وأنت الذي لا يبلغ المدحُ وصفه ... وإن أُطنبَ المدَّاحُ مع كلِّ مطنبِ
رأيتكَ والفتحَ بن خاقان راكباً ... فأنت عديلُ الفتحِ في كلِّ موكب
وكان أميرُ المؤمنين إذا رنا ... إليكَ يطيلُ الفكرَ بعد التعجب
وأوتيتَ علماً لا يحيطُ بكنهِهِ ... علومُ بني الدنيا ولا علمُ ثعلب
يروحُ إليك الناسُ حتى كأنهم ... ببابك في أعلى منىً والمحصّب

مات أبو العباس المبرد في شوال وقيل في ذي القعدة سنة خمس وثمانين ومائتين في خلافة المعتضد ، وصلى عليه أبو محمد يوسف بن يعقوب القاضي ، ودفن في دارٍ في مقابر بابِ الكوفة . ولما مات قال فيه ثعلب هذه الأبيات ، وقيل هي لأبي بكر ابن العلاف :

ذهب المبردُ وانقضتْ أيامُهُ ... وليذهبنْ إثرَ المبردِ ثعلبُ
بيتٌ من الآداب أضحى نصفه ... خَرِباً وباقي النصفِ منه سيخرب
فابكوا لما سلبَ الزمانُ ووطِّنوا ... للدهرِ أنفسكم على ما يسلب
وتزودوا من ثعلبٍ فبكاسِ ما ... شربَ المبردُ عن قريبٍ يشرب
أُوصيكمُ أن تكتبوا أنفاسَهُ ... إن كانتِ الأنفاسُ مما يكتب

ومن شعر المبرد وقد بلغه أنَّ ثعلباً نال منه :

ربَّ من يعنيه حالي ... وهو لا يجري ببالي
قلبه ملآنُ مني ... وفؤادي منه خالي

ولأبي العباس المبرد من التصانيف : الكامل في الأدب[1]وهو أشهر كتبه . والمقتضب[2] في النحو وهو أكبر مصنفاته وأنفسها ، إلا أنه لم ينتفع به أحد . قال أبو علي الفارسي : نظرت في « المقتضب » فما انتفعت منه بشيء إلا بمسألة واحدة وهي وقوع إذا جواباً للشرط في قوله تعالى : ﴿ وَإِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ إِذَا هُمْ يَقْنَطُونَ﴾ (الروم: 36) ويزعمون أن سبب عدم الانتفاع به أنَّ هذا الكتاب أخذه ابن الراوندي الزنديق عن المبرد ، وتناوله الناسُ من يد ابن الراوندي فكأنه عاد عليه شؤمه فلا يكاد ينتفع به . ومن تصانيفه أيضاً الروضة . والمدخل في كتاب سيبويه . وكتاب الاشتقاق . وكتاب المقصور والممدود . وكتاب المذكر والمؤنث[3] . ومعاني القرآن ويعرف بالكتاب التام . وكتاب الخط والهجاء . وكتاب الأنواء والأزمنة . وكتاب احتجاج القراء وإعراب القرآن . وكتاب الحروف في معاني القرآن إلى سورة طه . وكتاب صفات الله جل وعلا . وكتاب العبارة عن أسماء الله تعالى . وشرح شواهد كتاب سيبويه . وكتاب الردّ على سيبويه . ومعنى كتاب الأوسط للأخفش . وكتاب الزيادة المنتزعة من كتاب سيبويه . ومعنى كتاب سيبويه . وكتاب الحروف . والمدخل في النحو . وكتاب الإعراب . وكتاب التصريف . وكتاب العروض . وكتاب القوافي . وكتاب البلاغة . والرسالة الكاملة . والجامع لم يتم . وقواعد الشعر . وكتاب ضرورة الشعر . وكتاب الفاضل والمفضول[4] . والرياض المونقة . وكتاب الوشي . وكتاب شرح كلام العرب وتخليص ألفاظها ومزاوجة كلامها وتقريب معانيها . وكتاب الحث على الأدب والصدق . وأدب الجليس . وكتاب الناطق . وكتاب الممادح والمقابح . وكتاب أسماء الدواهي عند العرب . وكتاب ما اتفقت الفاظه واختلفت معانيه في القرآن . وكتاب التعازي[5] . وكتاب قحطان وعدنان[6] . وطبقات النحويين البصريين وأخبارهم ؛ وغير ذلك .

(1) طبع عدة مرات .
(2) حققه عبد الخالق عضيمة في أربعة أجزاء ، القاهرة 1963 ـ 1968 .
(3) نشر بتحقيق رمضان عبد التواب وصلاح الدين الهادي ، القاهرة 1970 .
(4) نشر بتحقيق عبد العزيز الميمني ، القاهرة 1960 .
(5) حققه محمد الديباجي ، دمشق 1976 .
(6) رسالة صغيرة نشرها الميمني ، القاهرة : 1936 .

ـ 1136 ـ

محمد بن يوسف بن عمر بن علي بن منيرة الكفرطابي أبو عبد الله النحوي، نزيل شيراز: سمع الحديث على أبي السمح الحنبلي، وصنف بحر النحو نقض فيه مسائل كثيرة من أصول النحويين. ونقد الشعر. وغريب القرآن. مات في رمضان سنة ثلاث وخمسين وأربعمائة.

ـ 1137 ـ

أبو محمد الترسابادي النحوي: عرف كتاب سيبويه، وأحكم مسائل الأخفش، ثم خرج الى العراق فهابه علماء النحو وانقبضوا عن مناظرته، منهم الزجاج وابن كيسان، وحضر يوماً مجلس النحويين ببغداد فسئل عن مسألة، وابن كيسان حاضر، فانقبض عن الاجابة إجلالاً لابن كيسان، فقال له، يا أبا محمد أجب فوالله أنت أحقّنا بالانتصاب.

ـ 1138 ـ

محمود بن جرير الضبي الأصبهاني أبو مضر النحوي: كان يلقب فريد العصر، وكان وحيد دهره وأوانه في علم اللغة والنحو والطب، يضرب به المثلُ في أنواع الفضائل. أقام بخوارزم مدةً وانتفع الناس بعلومه ومكارم أخلاقه وأخذوا عنه علماً كثيراً وتخرج عليه جماعة من الأكابر في اللغة والنحو، منهم الزمخشري، وهو

1136 ـ ترجمة أبي عبد الله الكفرطابي في الوافي 5: 247 وبغية الوعاة 1: 285، وورد لدى الصفدي أن وفاته كانت عام 553، وهذا أصوب لأنه هو شيخ محمود بن نعمة بن أرسلان الشيزري أحد شعراء الخريدة، وقد توفي سنة 556؛ وأورد الصفدي للكفرطابي مقطعات شعرية.

1137 ـ ترجمة الترسابادي في بغية الوعاة 1: 290 (عن ياقوت).

1138 ـ ترجمة محمود بن جرير في الصفدي (خ) وذكر من تلامذته عدا الزمخشري: السيد إسماعيل بن الحسن بن محمد العلوي الحسيني الجرجاني صاحب التصانيف في الطب بالعربي والفارسي، وكان أهل خوارزم على مذهب واحد في الاعتزال فأدخل أبو مضر مذهب أبي الحسين البصري المعتزلي؛ وذكر انه توفي بعيد سنة 507، وانظر بغية الوعاة 2: 276.

الذي أدخل إلى خوارزم مذهب المعتزلة ونشره بها فاجتمع عليه الخلق لجلالته وتمذهبوا بمذهبه ، منهم أبو القاسم الزمخشري ، ولست أعرف له مع نباهة قدره وشيوع فكره مصنفاً مذكوراً ولا تأليفاً مأثوراً إلا كتاباً يشتمل على نتف وأشعار وحكايات وأخبار سماه « زاد الراكب » مات بمرو سنة سبع وخمسمائة ، ورثاه الزمخشري بقوله :

وقــائـلةٍ مــا هــذه الــدررُ التـي ... تَســاقَطُهـا عيناكَ سمـطينِ سمطينِ
فقلتُ هو الدرُّ الـذي قد حشـا به ... أبو مضرٍ سمعي تسـاقطَ من عيني

ـ 1139 ـ

محمود بن أبي الحسن بن الحسين النيسابوري الغزنوي يلقب ببيان الحق : كان عالماً بارعاً مفسراً لغوياً فقيهاً متفنناً فصيحاً له تصانيف ادعى فيها الاعجاز منها كتاب خلق الانسان . وجمل الغرائب في تفسير الحديث . وايجاز البيان في معاني القرآن وغيرذلك . ومن شعره .

فـلا تحقـرن خلقـا من النـاس عله ... ولـيّ الــه العــالـمين ولا تــدري
فذو القدر عند اللّه يخفى على الورى ... كمــا خفيت عن علمهم ليلة القـدرِ

ـ 1140 ـ

محمود بن حمزة بن نصر الكرماني النحوي : هو تاج القراء وأحد العلماء الفقهـاء النبلاء ، صـاحب التصانيف والفضـل ، كـان عجبـاً في دقـة الفهم وحسن الاستنباط ، لم يفارق وطنه ولا رحل ، وكان في حدود الخمسمائة وتوفي بعدهـا .

1139 ـ ترجمة بيان الحق في الصفدي (خ) وعدّ له كتباً كثيرة أخرى منها : كتاب المقلدات في علم العربية يشتمل على قصائد مختارة من شعر العرب أعربها ؛ وكتاب شوارد الشواهد وقلائد القصائد ، يشتمل على أشعار مختارة من شعر المحدثين (وأورد فاتحة كتابه إيجاز البيان) وغير ذلك من كتب . وانظر بغية الوعاة 2 : 277 .

1140 ـ ترجمة محمود الكرماني في الصفدي (خ) وذكر من كتبه كتاب الغرائب والعجائب . ذكر فيه غرائب تفسير القرآن وعجائبه ، وانظر بغية الوعاة 2 : 278 .

صنف لباب التفسير. والايجاز في النحو اختصره من الايضاح للفارسي. النظامي في النحو اختصره من اللمع لابن جني . الافادة في النحو. العنوان فيه أيضاً . وله في مواضع الصرف :

فمعرفة وتأنيث ونعت ... ونون قبلها الف وجمعُ
وعجمة ثم تركيب وعدل ... ووزن الفعل والأسباب تسع

ـ 1141 ـ

محمود بن عزيز العارضي أبو القاسم الخوارزمي ، الملقب شمس المشرق : كان من أفضل الناس في عصره في علم اللغة والأدب ، لكنه تخطَّى إلى علم الفلسفة فصار مفتوناً بها ممقوتاً بين المسلمين ، وكان سكوناً سكوتاً وقوراً يطالع الفقه ويناظر في مسائل الخلاف أحياناً . سمع الحديث من أبي نصر القشيري وغيره ، وأملى طرفاً من الحديث وشرحه بلفظ حسن ومعانٍ لا بأس بها ، وكان الزمخشري يدعوه الجاحظ الثاني لكثرة حفظه وفصاحة لفظه . أقام مدة بخوارزم في خدمة خوارزم شاه مكرماً ، ثم ارتحل إلى مرو فذبح بها نفسه بيده في أوائل سنة احدى وعشرين وخمسمائة، ووجد بخطه رقعة فيها هذا ما عملته أيدينا فلا يؤاخذ به غيرنا .

ـ 1142 ـ

محمود بن عمر بن أحمد أبو القاسم الزمخشري جار الله : كان إماماً في

1141 ـ ترجمة العارضي في الصفدي (خ) وبغية الوعاة 2 : 279 .

1142 ـ ترجمة الزمخشري في الأنساب 6 : 297 ونزهة الألباء : 274 والمنتظم 10 : 112 وانباه الرواة 3 : 265 (وهو ينقل عن وشاح الدمية وعن الخريدة) وابن خلكان 5 : 168 والبدر السافر: 193 وميزان الاعتدال 4 : 78 وعبر الذهبي 4 : 106 وسير الذهبي 20 : 151 وتذكرة الحفاظ: 1283 والمستفاد من ذيل تاريخ بغداد: 228 ومرآة الجنان 3 : 269 والبداية والنهاية 12 : 219 والجواهر المضية 2 : 160 والعقد الثمين 7 : 137 والنجوم الزاهرة 5 : 274 وتاج التراجم: 71 وبغية الوعاة 2 : 279 وطبقات المفسرين للسيوطي: 41 وطبقات الداودي 2 : 314 وأزهار الرياض 3 : 282 والشذرات 4 : 118 واشارة التعيين: 345 وروضات الجنات. وللدكتور أحمد =

التفسير والنحو واللغة والأدب ، واسعَ العلم كبيرَ الفضلِ متفنناً في علوم شتى ، معتزليَّ المذهب متجاهراً بذلك .

قال ابن أخته أبو عمرو عامر بن الحسن السمسار : ولد خالي بزمخشر من أعمال خوارزم يوم الأربعاء السابع والعشرين من رجب سنة سبع وستين وأربعمائة ، وأخذ الأدب عن أبي مضر محمود بن جرير الضبي الأصبهاني وأبي الحسن علي بن المظفر النيسابوري ، وسمع من شيخ الإسلام أبي منصور نصر الحارثي ، ومن أبي سعد الشفاني ، وأصابه خُراج في رجله فقطعها واتخذ رجلاً من خشب ، وقيل أصابه بردُ الثلج في بعض أسفاره بنواحي خوارزم فسقطت رجله ، وحكي أن الدامغاني[1] المتكلم الفقيه سأله عن سبب قطع رجله فقال : دعاء الوالدة ، وذلك أني أمسكتُ عصفوراً وأنا صبيٌّ صغير وربطتُ برجله خيطاً فأَفلتَ من يدي ودخل خرقاً فجذبته فانقطعت رجله ، فتألمت له والدتي وقالت : قطع اللّه رجلك كما قطعت [رجله] ، فلما رحلت إلى بخارى في طلب العلم سقطتُ عن الدابة في أثناء الطريق فانكسرت رجلي واصابني من الالم ما أوجب قطعها .

ولما قدم الزمخشري إلى بغداد قاصداً الحج زاره الشريف أبو السعادات هبة اللّه بن الشجري مهنئاً له بقدومه ، فلما جلس إليه أنشده متمثلاً :

كانت مُسَاءَلَةُ الركبانِ تخبرني عن أحمد بن دواد أطيبَ الخبرِ
حتى التقينا فلا واللّهِ ما سمعتْ أذني بأحسنَ مما قد رأى بصري

وأنشد أيضاً :

وأستكبرُ الأخبارَ قبلَ لقائِهِ فلما التقينا صَغَّرَ الخَبَرَ الخُبْرُ

= الحوفي كتاب عنه ، ولمصطفى الصاوي دراسة في منهجه في التفسير .
ومن كتبه المطبوعة : الكشاف والفائق والكلم النوابغ والمفصل في النحو والقسطاس في العروض والمستقصى في الأمثال وربيع الأبرار وشرح لامية العرب والمقامات وأساس البلاغة .

(1) انباه الرواة : 268 والعقد الثمين : 140 .

ثم أخذ يثني عليه ، فلم ينطق الزمخشري حتى فرغ ابن الشجري من كلامه ، فلما أتم كلامه شكر الشريفَ وعظّمه وتصاغر له ثم قال : إن زيد الخيل دخل على رسول اللّه ﷺ ، فلما بصر بالنبي ﷺ رفع صوته بالشهادتين ، فقال له النبي ﷺ : يا زيد الخيل ، كلُّ رجلٍ وُصِفَ لي وجدته دون الصفة إلا انت فانك فوق ما وُصِفْتَ ، وكذلك سيدنا الشريف ، ثم دعا له وأثنى عليه .

توفي أبو القاسم الزمخشري بقصبة خوارزم ليلة عرفة سنة ثمان وثلاثين وخمسمائة .

ومن شعره :

العلمُ للرحمنِ جلَّ جلالـه ... وسواهُ في جَهَلاتِـهِ يتغمغمُ
ما للترابِ وللعلومِ وإنما ... يسعى ليعلمَ أنـه لا يَعْلَمُ

وقال أيضاً :

كثر الشكُّ والخلافُ وكلٌّ ... يدَّعي الفوزَ بالصراطِ السويِّ
فاعتصامي بلا إله سواه ... ثم حُبي لأحمدٍ وعلي
فاز كلبٌ بحبِّ أصحابِ كهفٍ ... كيف أشقى بحبِّ آل نبي

وله في مدح « تفسير الكشاف » :

إن التفاسيرَ في الدنيا بلا عددٍ ... وليس فيها لعمري مثلُ كشّافي
إن كنتَ تبغي الهدى فالزمْ قراءته ... فالجهلُ كالداءِ والكشافُ كالشافي

ومن كلامه ما استخرجته من كتابه « الأطواق » قال : استمسك بحبل مواخيك ، ما استمسك بأواخيك ، واصحبه ما صحبَ الحقَّ وأذعن ، وحل مع أهله وظعن ، فان تنكرتْ أنحاؤُه ، ورشح بالباطلِ إناؤه ، فتعوضْ عن صحبته وإن عُوِّضْتَ الشِّسْع ، وتصرَّفْ بحبله ولو أُعطيتَ النِّسْع . فصاحب الصدق أنفع من الترياق النافع ، وقرينُ السوءِ أضرُّ من السم الناقع .

وقال : الدعة من الضَّعة مرة ، لا تشره إليها نفسٌ حرة .

وقال : الكريم إذا ريم على الضيم نبا ، والسريُّ متى سيم الخسفَ أبى . وقلما عُرِفَت الأَنفَةُ والإباء ، في غير مَنْ شَرُفَتْ منه الآباء .

وقال : عزة النفس وبعد الهمة ، الموتُ الأحمر والخطوبُ المدلهمة ، ولكن من عرف منهلَ الذلِّ فعافه ، استعذب نقيعَ العزِّ وذعافه .

وقال : أحمقُ من النعامة ، من افتخر بالزعامة ؛ لم أر أشقى من الزعيم ، ولا أبعدَ منه من الفوزِ بالنعيم ، هالكٌ في الهوالك ، خابطٌ في الظلم الحوالك ، على آثاره العفاءُ ، أدركته بمجانيقها الضعفاء .

وقال : الدنيا أدوار ، والناس أطوار ، فالبس لكلِّ يوم بحسب ما فيه من الطوارق ، وجانسْ كلَّ قوم بقدرِ ما لهم من الطرائق ، فلن تجري الأيام على أمنيتك ، ولن تنزل الأقوام على قضيتك .

وقال : ألا أحدثك عن بلد الشوم ، ذلك بلدُ الوالي الغشوم ، فاياك وبلدَ الجور وان كانت أعزَّ من بيضةِ البلد ، وأحظى أهلِهِ بالمالِ المثمر والولد ، وتوقع أن تسقطَ فيه الطيورُ النواعق ، وتأخذ أهله الرجفةُ والصواعق .

وقال : لا تقنع بالشرف التالد ، فذلك الشرفُ للوالد ، واضمم إلى التالدِ طريفاً ، حتى تكون بهما شريفاً ، ولا تُدِلَّ بشرف أبيك ، ما لم تَدُلَّ عليه بشرفٍ فيك .

وقال : كبَّ الله على مناخره ، مَنْ زكَّى نفسه بمفاخره ، على أنْ ربَّ مساخر ، يعدها الناسُ مفاخر .

وقال : ما لعلماءِ السوء جمعوا عزائم الشرع ودوَّنوها ، ثم رخصوا فيها لأمراء السوءِ وهوّنوها ، إنما حفظوا وعلَّقوا ، وَصَفَّقُوا وحلَّقوا ، ليقمروا المالَ وييسروا ، ويفقروا الأيتامَ ويُوسروا ، أكمامٌ واسعة ، فيها أصلالٌ لاسعة ، وأقلام ، كأنها أزلام ، وفتوى ، يعملُ بها الجاهل فَيَتْوَى .

ومن إنشائه ما كتب به إلى حافظ الاسكندرية أبي الطاهر السلفي جواباً عن كتاب كتبه إليه يستجيزه به وهو[1]: ما مَثَلي مع أعلامِ العلماء، إلا كمثل السُّها مع مصابيح السَّماء ، والجهام الصِّفرِ من الرِّهام مع الغوادي الغامِرة للقيعانِ والآكام ، والسُّكَيْتِ المخلَّفِ عن خيلِ السباق ، والبغاثِ مع الطير العتاق ، وما التلقيبُ بالعلَّامة ، إلا شبهُ الرقم والعلامة ، والعلم مدينةٌ أحد بابيها الدراية ، والثاني الرواية ،

(1) أزهار الرياض 3 : 288 ـ 292 .

وأنا في كلا البابين ذو بضاعة مزجاة ، ظلّي فيه أقلصُ من ظلٍّ حصاة ، أما الروايةُ فحديثةُ الميلاد ، قريبة الإسناد ، لم تستند إلى علماءٍ نحارير ، ولا إلى أعلام مشاهير ؛ وأما الدراية فَثَمَدٌ لا يبلغُ أفواها ، وبَرَضٌ ما يبلُّ شفاها .

إلى أن قال : ولا يغرنكم قول فلان وفلان . . . . . فيّ ، وذكر جماعةً من العلماء والشعراء أثنوا عليه ومدحوه ثم قال : فان ذلك اغترار بالظاهر المموّه ، وجهلٌ بالباطن المشوّه ، ولعلَّ الذي غرهم مني ما رأوا من حُسْن النصح للمسلمين ، وبلوغ الشفقة على المستفيدين ، وقطع المطامع ، وإفاءة المبارِّ والصنائع ، وعزةِ النفس والربءِ بها عن السفاسف ، والاقبالِ على خُوَيِّصتي ، والاعراضِ عما لا يعنيني . فجللتُ في عيونهم وغلطوا فيّ ونسبوني إلى ما لست منه في قبيل ولا دبير . الخ .

والكتاب طويل اقتصرت منه على ما أوردت .

ولأبي القاسم من التصانيف : الكشاف في تفسير القرآن . الفائق في غريب الحديث . نكت الاعراب في غريب الاعراب (في غريب اعراب القرآن) . كتاب متشابه أسماء الرواة . مختصر الموافقة بين أهل البيت والصحابة ، الأصل لأبي سعيد الرازي إسماعيل . الكلم النوابغ في المواعظ . أطواق الذهب في المواعظ . نصائح الكبار . نصائح الصغار . مقامات في المواعظ . نزهة المستأنس . الرسالة الناصحة . رسالة المسأمة . الرائض في الفرائض . معجم الحدود . المنهاج في الأصول . ضالّةُ الناشد . كتاب عقل الكل . الأنموذج في النحو . المفصَّل في النحو أيضاً . المفرد والمؤلف فيه أيضاً . صميم العربية . الأمالي في النحو . أساس البلاغة في اللغة . جواهر اللغة . كتاب الأجناس . مقدمة الأدب في اللغة . كتاب الأسماء في اللغة . القسطاس في العروض . حاشية على المفصل . شرح مقاماته . روح المسائل . سوائر الأمثال . المستقصى في الأمثال . ربيع الأبرار في الأدب والمحاضرات . تسلية الضرير . رسالة الأسرار . أعجب العجب شرح لامية العرب . شرح المفصل . ديوان التمثيل . ديوان خطب . ديوان رسائل . ديوان شعر . شرح كتاب سيبويه . كتاب الجبال والأمكنة . شافي العي من كلام الشافعي . شقائق النعمان في حقائق النعمان في مناقب الإمام أبي حنيفة . المحاجاة ومتمم مهام أرباب الحاجات في الأحاجي والألغاز . المفرد والمركب في العربية ، وغير ذلك .

ـ 1143 ـ

محمود بن أبي المعالي تاج الدين الحواري اللغوي الأديب الشاعر : أخذ الأدب عن سعيد بن أبي الفضل الميداني ، وبرع في اللغة ، وله النثر الفائق والشعر الرائق وكان واحدَ نيسابورَ علماً وفضلاً وأدباً ، وصنف كتاب « ضالة الأديب » في الجمع بين « الصحاح » و « التهذيب » أخذ فيه على الجوهري في عدة مواضع . كان حياً سنة ثمانين وخمسمائة .

ـ 1144 ـ

مدرك بن علي الشيباني : أعرابيٌّ من بادية البصرة ، دخل بغداد صغيراً ونشأ بها ، فتفقه وحصَّلَ العربيةَ والأدب ، وكان شاعراً أديباً فاضلاً ، وكان كثيراً ما يلمُّ بديرِ الروم في الجانب الشرقيّ ببغداد ، وكان بدير الروم غلامٌ من أولادِ النصارى يقال له عمرو بن يوحنا ، وكان من أحسن الناسِ صورةً وأكملهم خَلْقاً ، وكان مدرك بن علي يهواه . وكان لمدرك مجلسٌ تجتمع فيه الأحداث ، فان حضر شيخ أو صاحبُ حرمةٍ قال له مدرك : قبيحٌ بك أن تختلطَ بالأحداث والصبيان ، فقم في حفظ الله ، فيقوم ، وكان عمرو يحضرُ مجلسه ، فعشقه مدرك وهام به ، فجاء عمرو يوماً إلى المجلس فكتب مدرك رقعةً وطرحها في حجره فإذا فيها :

بمجالسِ العلمِ التي ... بك تمَّ حُسْنُ جموعها
إلاَّ رثيتَ لمقلةٍ ... غرقتْ بفيضِ دموعها
بيني وبينك حرمةٌ ... اللَّهَ في تضييعها

فقرأ الأبياتَ ووقف عليها من كان في المجلس ، فاستحيا عمرو وانقطع عن الحضور ، وغلبَ الأمرُ على مدرك فترك مجلسه ولزم دير الروم وجعل يتبع عمراً حيث

1143 ـ للحواري ترجمة في بغية الوعاة 2 : 283 (وهو ينقل عن وشاح الدمية وعن ياقوت) .

1144 ـ مدرك هذا أدركه الجريري المعافى بن زكريا النهرواني وروى قصيدته وقصته ، وقد توفي المعافى سنة 390 ؛ وانظر مصارع العشاق 2 : 170 وتزيين الأسواق : 341 (وشرح ما فيها من مصطلحات نصرانية) .

سار ، وقال فيه شعراً كثيراً .

قال الجريري : وقد رأيت عمراً أبيض الرأس واللحية .

ومن شعر مدرك فيه المزدوجة المشهورة وهي :

من عاشقٍ ناءٍ هواهُ داني ناطقِ دمعٍ صامتِ اللسانِ
معذبٍ بالصدِّ والهجرانِ موثقِ قلبٍ مطلقِ اللسان

من غير ذنبٍ كسبتْ يداه غيرَ هوى نمَّت به عيناه
شوقاً إلى رؤية ما أشقاه كأنما عافاه من أضناه

يا ويحه من عاشقٍ ما يَلْقَى من أدمعٍ منهلّةٍ ما ترقا
ناطقةٍ وما أجادت نطقا تخبرُ عن حبٍّ له استرقا

لم يبقَ منه غيرُ طرفٍ يبكي بأدمعٍ مثلِ نظام السلك
تطفئها نارُ الهوى وتذكي كأنها قطرَ السماءِ تحكي

إلى غزالٍ من بني النصارى عذارُ خديه سَبَى العذارى
وغادر الأُسْدَ به حيارى في ربقةِ الحبِّ له أسارى

رئمٌ بدار الروم رام قتلي بمقلةٍ كحلاءَ لا مِنْ كحل
وَطُرَّةٍ بها استطار عقلي وحسنِ وجهٍ وقبيحِ فعل

رئم به أيُّ هزبرٍ لم يُصَدْ يقتلُ باللحظ ولا يَخْشَى القَوَد
متى يقلْ ها قالت الالحاظ قَدْ كأنها ناسوتُهُ حينَ اتحد

ما أبصرَ الناسُ جميعاً بدرا ولا رأوا شمساً وغصناً نضرا
أحسنَ من عمروٍ فديتُ عمرا ظبيٌ بعينيه سقاني خمرا

ها أنا ذا بقدِّه مقدودُ والدمعُ في خدي له أخدودُ
ما ضرَّ مَنْ فقري به موجود لو لم يقبّحْ فعلَهُ الصدود

إن كـان ذنبي عنـده الاسـلامُ فقـد سَعَتْ في نقصـه الآثـامُ
واختـلَّتِ الصـلاةُ والصيـامُ وجـاز في الـدين لـه الحـرام

يـا ليتني كنتُ لـه صليبـا أكـونُ منـه أبـداً قـريبـا
أبْصِـرُ حسنـاً وأشمُّ طيبـا لا واشيـاً أخشى ولا رقيبـا

يـا ليتني كنتُ لـه قُـربـانـا ألثمُ منـه الثغـرَ والبنـانـا
أو جـاثليقـاً كنتُ أو مـطرانـا كيمـا يرى الطاعـةَ لي إيمـانـا

يـا ليتني كنتُ لعمروٍ مصحفـا يقـرأ مني كـلَّ يـوم أحـرفـا
أو قـلمـاً يكتبُ بي مـا ألَّفـا من أدبٍ مستحسنٍ قـد صنفـا

يـا ليتني كنتُ لعمـرو عُـوده أو حـلةً يلبسـهـا مقـدوده
أو بـركـة بـاسمـه معـدوده أو بِيعـةً بـداره مشـهـوده

يـا ليتني كنتُ لـه زُنّـاراً يـديرني في الخصـرِ كيف دارا
حتى إذا الليـلُ طـوى النهـارا صـرتُ لـه حـينئـذ إزارا

قـد والـذي يبقيـه لي أفنـاني وابتـزَّ عقلي والضنـا كسـاني
ظـبيٌ عـلى البعـاد والتـداني حـلَّ محـلَّ الـروح من جثماني

وا كبـدي من خـدِّه المضـرج وا كبـدي مـن ثغـره المفلَّجِ
لا شيءَ مثل الطرف منه الأدعجِ أذهـبُ لـلنسـكِ وللتـحـرج

إليـك أشكـو يـا غـزالَ الإنسِ مـا بي من الوحشـةِ بعد الأُنسِ
يـا مَنْ هـلالي وجهُـهُ وشمسي لا تقتـلِ النفسَ بغيـرِ النفس

جُدْ لي كما جُدْتَ بحسنِ الودِّ وارعَ كمـا أُرعى قـديمَ العهـدِ
واصدُدْ كصدِّي عن طويلِ الصدِّ فليس وجـدٌ بـك مثـلُ وجدي

هـا أنـا في بحرِ الهـوى غـريقٌ سـكـرانُ من حـبـك لا أفـيق

محترقٌ ما مسَّني حريقُ ... يرثي ليَ العدوُّ والصديق

فليت شعري فيك هل ترثي لي ... من سَقَمٍ ومن ضنىً طويلِ
أم هل إلى وصلك من سبيل ... لعاشقٍ ذي جَسَدٍ نحيل

في كلِّ عضو منه سُقْمٌ وألمْ ... ومقلةٌ تبكي بدمعٍ وبدم
شوقاً إلى شمسٍ وبدرٍ وصنم ... منه إليه المشتكى إذا ظلم

أقول إذ قام بقلبي وَقَعَدْ ... يا عمرو يا عامرَ قلبي بالكمد
أقسمُ باللّه يمينَ المجتهد ... ان امرءاً أسعدته لقد سعد

يا عمرو ناشدتك بالمسيحِ ... إلا سمعتَ القولَ من فصيح
يخبرُ عن قلبٍ له جريح ... باح بما يلقى من التبريح

يا عمرو بالحقِّ من اللاهوت ... والروحِ روحِ القُدْسِ والناسوتِ
ذاك الذي في مهده المنحوتِ ... عُوِّضَ بالنطق عن السكوت

بحقِّ ناسوتٍ ببطنِ مريمِ ... حلَّ محلَّ الريقِ منها في الفم
ثم استحال في قُنُومِ الأقدمِ ... فكلَّم الناس ولمّا يُفْطَمِ

بحقِّ من بعد الممات قُمّصا ... ثوباً على مقداره ما قُصِّصا
وكان للّه تقياً مخلصا ... يشفي ويبري أكمهاً وأبرصا

بحقِّ محيي صورةِ الطيورِ ... وباعثِ الموتى من القبور
ومن إليه مرجعُ الأمورِ ... يعلمُ ما في البرِّ والبحور

بحقِّ من في شامخِ الصوامعِ ... من ساجدٍ لربّهِ وراكعِ
يبكي إذا ما نام كلُّ هاجع ... خوفاً من اللّه بدمع هامع

بحقِّ قوم حلقوا الرؤوسا ... وعالجوا طولَ الحياة بوسا
وقرعوا في البِيعةِ الناقوسا ... مُشَمْعِلينَ يعبدون عيسى

بحقّ مـاري مـريـمٍ وبـولسِ   وحق شمعونِ الصفا وبطرسِ
بـحـق دانـيـل بـحـقٍّ يـونس   بحق حـزقيـل وبيتِ المقـدس

ونينـوى إذ قـام يـدعـو ربـهْ   مُـطَهّـراً من كـلّ سـوءٍ قلبـهْ
ومستقيـلاً فـأقيـل ذنبـه   ونـال عـنـد اللّه مـا أحـبـه

بـحقٍّ مـا فـي قُلّة الـمـيـرونِ   مـن نـافـع لـلداءِ والـجـنـون
بحقٍّ مـا يُـؤْثَـرُ عن شمعـونِ   من بـركاتِ الخوصِ والزيتـون

بحقٍّ أعـيـادِ الصليبِ الـزُّهْـرِ   وعيـدِ أشمـوني وعيـدِ الفـطر
وبـالشعـانينِ العـظيمِ القـدرِ   وعيـد مَرْمَـاري الـرفيـعِ الـذكـر

وعيـدِ شعيـاءَ وبـالهيـاكـلِ   والـدّخُنِ الآتي بكفِّ الحـامـل
يشفي بهـا من خَبْلٍ كـلِّ خابـل   ومن دخيلِ السُّقْم في المفاصل

بـحـقّ سـبـعـيـن مـن الـعبّـادِ   قـامـوا بـدين اللّه في البـلاد
وأرشـدوا النـاسَ إلى الـرشـاد   حتى اهتـدى من لم يكن بهـاد

بـحقٍّ ثـنتـي عشـرةٍ مـن الأمـم   سـاروا إلى الأقطار يتلون الحكم
حتى إذا صبحُ الدجى جلا الظلم   سـاروا إلى اللّه ففـازوا بـالنعم

بحقٍّ مـا في محكم الإنـجيـلِ   من محكمِ التحـريم والتحليـلِ
وخَـبَـرٍ ذي نـبـأٍ جـلـيـلِ   يـرويه جيـلٌ قد مضى عن جيـل

بحق مـارعيـدِ الشفيقِ النـاصـحِ   بحقّ لوقا ذي الفَعَـالِ الصالـحِ
بحق تمليخـا الحكيم الـراجـحِ   والشهـداءِ بـالفـلا الصحـاصـح

بـحـقٍّ مـعـمـوديـة الأرواح   والمـذبح المشهـورِ في النواحي
ومن بـه من لابـسي الأمـسـاح   وعـابـدٍ بـاكٍ ومـن نـواح

بـحقٍّ تـقـريـبـك فـي الأعيـاد   وشـربـك القهـوةَ كـالفـرصـادِ

وطــولِ تـفـتـيـتـك لـلأكـبـادِ بـمـا بعيـنيـك مـن الـسـواد

بحقٍّ مـا قَـدَّسَ شَعيـا فيـه بـالـحمـدِ لـلّه وبـالـتـنـزيـه
بـحـقِّ نـسـطـورٍ ومـا يـرويـه عن كـلِّ نـامـوسٍ لـه فقيـه

شيخـان كـانـا من شيـوخ العلمِ وبـعضَ أركـانِ التقى والحلم
لـم يـنـطقـا قطّ بـغيـر فـهـم مـوتهمـا كـان حيـاةَ الخصم

بـحـرمـة الأسقـفِ والمـطرانِ والجـاثليقِ العـالمِ الـربـاني
والقسِّ والشمـاس والـديـراني والـبـطركِ الأكبـرِ والـرهـبـان

بحرمة المحبوسِ في أعلى الجبلْ ومـارْ نقـولا حين صلَّى وابتهـل
وبـالكنيسـاتِ القـديمـاتِ الأول وبـالسليحِ المـرتضَى ومـا فعـل

بحـرمـة الاسقـوفيـا والبيـرمِ ومـا حـوى مفـرقُ رأسِ مـريم
بحرمة الصـومِ الكبير الأعـظمِ وحـقِّ كـلِّ كـاهـنٍ مُـقَـدَّم

بحقِ يـوم الـذبـح ذي الإشـراق ولـيـلةِ الـمـيـلادِ والـتـلاقـي
والـذهـبِ الإبـريـزِ في الأوراق بـالفصـح يـا مهـذَّبَ الأخـلاقِ

بـكـلِّ قُـدّاسٍ عـلى قُـدّاسِ قَـدَّسَـه القَسُّ مـع الشمـاسِ
وقـربـوا يـومَ الخميس النـاسي وقـدَّمـوا الكـاسَ لكـلِّ حـاسي

إلا رغـبـتَ فـي رضـا أديـبِ بـاعـده الـحبُّ عـن الحبيـب
فـذابَ من شـوقٍ إلى المـذيب أعـلى منـاهُ أيـسـرُ التـقـريـب

فـانظر أميـري في صلاح أمـري مـحتـسبـاً فـيَّ عـظيـمَ الأجـرِ
مكتسبـاً فـيَّ جميـلَ الشكـرِ في نشـر ألـفـاظ ونـظم شعـر

ثم إن مدركاً وسوس وَسُلَّ جسمه وذهب عقله وانقطع عن إخوانه ولزم الفراش .
حكى حسان بن محمد بن عيسى قال : حضرته عائداً مع جماعة من أصحابه فقال :

ألست صاحبكم القديمَ العشرةِ لكم ؟ أما منكم أحدٌ يسعدني بنظرةٍ إلى وجه عمرو ؟ قال : فمضينا بأجمعنا إلى عمرو وقلنا له : إن كان قتلُ هذا الرجل ديناً فان إحياءَه مروءة ، قال : وما فعل ؟ قلنا : قد صار إلى حالٍ ما نحسبك تلحقه ، قال : فلبس ثيابه ثم نهض معنا ، فلما دخلنا عليه سلَّم عليه عمرو وأخذ بيده فقال : كيف تجدكَ يا سيدي ؟ فنظر إليه ثم أغمي عليه ثم أفاق وهو يقول :

أنا في عافية إ ... لا من الشوقِ اليكا
أيها العائدُ ما بي ... منكَ لا يخفى عليكا
لا تعدْ جسماً وَعُدْ قلـ ... ـباً رهيناً في يديكا
كيف لا يهلك مرشو ... قٌ بِسَهْمَيْ مقلتيكا

ثم إنه شهق شهقةً فارق فيها الدنيا فما برحنا حتى دفناه .

- 1145 -

مرجّى بن كوثر أبو القاسم المقرىء النحوي المؤدب : أديب نحوي ، كان مقيماً بحلب ، وله المفيد في النحو . وكتاب الضاد والظاء ؛ وكان بينه وبين أبي العلاء المعري مكاتبة .

- 1146 -

مروان بن سعيد بن عباد بن حبيب بن المهلب بن أبي صفرة المهلبي : أحد أصحاب الخليل بن أحمد المتقدمين في النحو المبرزين فيه ، سمعت بعض النحويين ينسب إليه هذا البيت :

ألقى الصحيفةَ كي يخففَ رَحْلَهُ ... والزادَ حتى نَعْلَهُ ألقاها

ولا أعلم من أمره غير هذا .

1145 ـ ترجمة مرجى بن كوثر في بغية الوعاة 2 : 283 (عن ياقوت) .
1146 ـ ترجمة مروان المهلبي في بغية الوعاة 2 : 284 (عن ياقوت) .

- 1147 -

مسعود بن علي بن أحمد بن العباس الصواني البيهقي أبو المحاسن : قال البيهقي في « الوشاح » : فخر الزمان وأوحد الأقران ، ومن لا ينظر الأدب إلا بعينه ، ولا يسمع الشعر إلا بأذنه ، صنف تفسير القرآن . وشرح الحماسة . وصيقل الألباب في الأصول. والتوابع واللوامع في الأصول. والتذكرة أربع مجلدات. وأعلاق الملوين وأخلاق الاخوين مجلدان . والتنقيح في أصول الفقه . ونفثة المصدور ديوان أشعاره مجلد . مات في الثالث والعشرين من المحرم سنة أربع وأربعين وخمسمائة ، وله :

تكلَّفَ المجدَ أقوامٌ وقد سئموا ... منه وإنك مشغوفٌ به كَلِفُ
كأنك الدرةُ الزهراءُ في صَدَفٍ ... والناسُ حولك طرًّا ذلك الصدفُ

- 1148 -

مصدق بن شبيب بن الحسين أبو الخير الصُّلْحي النحوي : صحب الشيخ صدقة الواعظ[1] وهو صبي وقرأ عليه القرآن وشيئاً من النحو ، وقدم بغداد فقرأ على ابن الخشاب وحبشي[2] وأبي الحسن ابن العطار[3] والكمال الانباري ، وطلب الأدبَ حتى برز فيه ، وسمع الحديث ، وتخرج به جماعة من أهل الأدب ، ولم يكن في العبارة بذاك ، وإنما كان رجلاً صالحاً فكان تستفاد بركته . ولد سنة خمس وثلاثين وخمسمائة ، ومات في ليلة الاثنين الثالث والعشرين من ربيع الأول سنة خمس وستمائة .

1147 - ترجمة مسعود البيهقي في بغية الوعاة 2 : 284 (عن ياقوت وياقوت ينقل عن وشاح الدمية) .

1148 - ترجمة مصدق الصلحي في انباه الرواة 3 : 274 والذيل على الروضتين: 66 ومعجم البلدان « فم الصلح » وبغية الوعاة 2 : 287 (عن ياقوت) ؛ وقال القفطي : هو من قرية تعرف بدوران من قرى الصلح ، والصلح معاملة من سواد شرقي واسط .

(1) هو صدقة بن الحسين الواسطي .

(2) هو أبو الغنائم حبشي بن محمد الضرير الواسطي نزيل بغداد .

(3) عند القفطي أنه أبو الحسن علي بن عبد الرحيم بن العصار .

- 1149 -

مظفر بن إبراهيم بن جماعة بن علي بن سامي بن أحمد بن ناهض بن عبد الرزاق، موفق الدين أبو العز الأعمى العيلاني - بالعين المهملة - المصري: كان نحوياً عروضياً أديباً شاعراً مجيداً، صنف في العروض مختصراً دلَّ على حذقه فيه، وله ديوان شعر. ولد لخمس بقين من جمادى الآخرة سنة أربع وأربعين وخمسمائة، وهو اليوم بها في قيد الحياة. ومن شعره الذي وصل إلينا قوله[1]:

قَبَّلْتُهُ فتلظَّى وردُ وجنتِهِ ... وفاح من عارضيه العنبرُ العَبِقُ
وجال بينهما ماءٌ ومن عَجَبٍ ... لا ينطفي ذا ولا ذا منه يحترقُ

وله:

يا نائماً أسهرني حبُّهُ ... وعائداً أمرضني طبُّهُ
وخادعاً رقَّ لحبي له ... كلامه [لي] وقسا قلبُهُ
قلنا على حسنك عيني جنت ... جثمانيَ الناحل ما ذنبُهُ

وله أيضاً[2]:

وشادنٍ كان زمانَ الصِّبا ... بدولةِ المردِ له صَوْلَهْ
قد كتب الشَّعْرُ على خدِّهِ ... خَفِّضْ فهذا آخرُ الدولهْ

وله أيضاً[3]:

قالوا عشقتَ وأنت أعمى ... ظبياً كحيلَ الطرفِ ألمى
وحُلاهُ ما عاينتَها ... فكأنها شغفتكَ[4] وهما

1149 - ترجمة أبي العز الاعمى العيلاني في الوافي (خ) ونكت الهميان: 290 والنجوم الزاهرة في حلى حضرة القاهرة لابن سعيد: 348 والشذرات 5: 115 وبغية الوعاة 2: 289، قال الصفدي: وكانت وفاته سنة 623 ودفن بسفح المقطم؛ وأورد له مقطعات وأخباراً لم يوردها ياقوت.

(1) نكت الهميان: 291.
(2) نكت الهميان: 291.
(3) نكت الهميان: 73 وابن سعيد.
(4) النكت: فتقول قد شغلتك.

وخيالـه بـكَ في المنا ... م فـمـا أطـاف ولا ألـمّـا
مـن أيـن أرسـل لـلفـؤا ... دِ وأنت لم تبصـرْهُ سـهمـا
ومـتـى رأيـتَ جـمـالـه ... حتى كسـاك هـواه سقـمـا
وبـأيٍّ جـارحـة وصـلـ ... ـتَ لـوصفه نثـراً ونـظمـا
والـعيـنُ راعيـةُ الـهـوى ... وبـهـا يـتـمُّ إذا استـتـمـا
فـأجـبـتُ إنـي مـوسـو ... ي العشقِ إنصـاتـاً وفـهمـا
أهـوى بـجـارحـةِ السـمـا ... عِ ولا أرى ذاتَ الـمـسمَّـى

وقال في شمعة[1] :

جاءت بجسمٍ لسـانُـهُ ذَرِبُ ... تبكي وتشكـو الهـوى وتلتهبُ
كـأنهـا في يمينِ حـاملهـا ... رمـحُ لجينٍ سنـانُـهُ ذهـب

وله :

وروضـاتٍ بـنفـسجـهـا ... بصبغـةِ صَنْعَـةِ البـاري
كـجـرمٍ لازورديٍّ ... عـلى ألفـاتِ زنـجـار

وله :

هـويتُ هلالاً سرى في الدجى ... وهـاروتُ من جنـدِ أجفـانِـهِ
فـلا تعجبـوا إن بـدا وجهُـهُ ... نـهـاراً وعـظمتُ مـن شـانـه
فـإنَّ الـهـلالَ يُـرَى طـالـعـاً ... مـع الشمس في بعضِ أحيـانـه

وله أيضاً :

وزهـرةٍ لـونـهـا من الـعجـبِ ... بيضـاء فيهـا اصفـرارٌ مكـتئبِ
كـأنـهـا درهـمٌ وقـد جُـعِلَتْ ... في وسـطه نُقْـطَةٌ من الـذهـب

(1) نكت الهميان : 291 .

- 1150 -

المعافى بن زكريا بن يحيى بن حماد بن داود النهرواني الجريري - بفتح الجيم نسبة إلى ابن جرير الطبري - المعروف بابن طرارة : كان من أعلم الناس بفقه مذهب ابن جرير والنحو واللغة وفنون الأدب والأخبار والأشعار ، وكان ثقةً ثبتاً ، أخذ الأدب عن أبي عبد الله إبراهيم بن محمد بن عرفة المعروف بنفطويه وغيره ، وروى عن أبي القاسم البغوي وأبي حامد محمد بن هارون الحضرمي وأبي بكر ابن داود وأبي سعيد العدوي ويحيى بن صاعد وغيرهم . وروى عنه جماعة منهم القاضي أبو الطيب الطبري وأبو القاسم الأزهري وأحمد بن علي التوَّزي وأحمد بن عمر بن روح . وولي القضاءَ بباب الطاق نيابةً عن القاضي ابن صبر.

وصنف كتاب الجليس والأنيس في الأدب . والتفسير الكبير . ونصر مذهب ابن جرير الطبري ونوَّه به وحامى عنه .

قال أبو حيان التوحيدي : رأيتهُ في جامع الرصافة وقد نام مستدبرَ الشمس في يومٍ شاتٍ وبه من أثر الفقر والبؤس والضرّ أمرٌ عظيم ، مع غزارة علمه واتساع أدبه وفضله المشهور ومعرفته بصنوف العلم ، سيما علم الأثر والأخبار وسير العرب وأيامها ، فقلت له : مهلاً أيها الشيخ وصبراً ، فإنك بعينِ اللّه ومرأىً منه ومسمع ، وما جمع الله لأحدٍ شرفَ العلم وعزَّ المال ، فقال : ما لا بدَّ منه من الدنيا فليس منه بد ثم قال :

يا محنةَ الدهر كفّي ... إن لم تكفي فخفّي
قد آن أن ترحمينا ... من طولِ هذا التشفي

1150 - ترجمة المعافى النهرواني في الفهرست : 292 وتاريخ بغداد 13 : 230 وطبقات الشيرازي : 93 ونزهة الألباء : 226 والمنتظم 7 : 213 وإنباه الرواة 3 : 296 وابن خلكان 5 : 221 وتذكرة الحفاظ : 1010 وعبر الذهبي 3 : 47 وسير الذهبي 16 : 544 ومرآة الجنان 2 : 42 والبداية والنهاية 11 : 328 والبلغة : 259 وطبقات ابن الجزري 2 : 302 والنجوم الزاهرة 4 : 201 وطبقات الحفاظ : 400 وبغية الوعاة 2 : 293 وطبقات الداودي 2 : 223 والشذرات 3 : 134 ومقدمة الجزء الأول من كتاب الجليس الصالح تحقيق الدكتور محمد مرسي الخولي ؛ وقد طبع من كتابه هذا ثلاثة أجزاء وبقي الرابع .

طلبتُ جَداً لنفسي ... فقيل لي قد توفي
فلا علوميَ تُجْدِي ... ولا صناعةُ كفي
ثورٌ ينالُ الثريا ... وعالِمٌ متخفي

وقال أحمد بن عمر بن روح[1] : إن المعافى بن زكريا حضر في دار بعض الرؤساء ، وكان هناك جماعة من أهل العلم فقالوا له : في أي نوع من العلم نتذاكر ؟ فقال المعافى للرئيس صاحب الدار : إنّ خزانتك جمعت أنواعَ العلوم وأصنافَ الأدب ، فإن رأيت أن تبعث الغلامَ إليها يضربُ بيده إلى أيّ كتاب منها فيحمله اليك ، ثم نفتحه فننظر في أيّ علمٍ هو ، فنتذاكر ونتجارى فيه ، قال ابن روح : وهذا يدل على أن المعافى كان له أَنَسَةٌ بسائر العلوم . وكان أبو محمد الباقي[2] يقول: إذا حضر المعافى فقد حضرت العلوم كلها ، وكان يقول أيضاً : لو أن رجلاً أوصى بثلث ماله لأعلم الناس لوجب أن يدفع الى المعافى .

وكانت ولادته يوم الخميس لسبع خلون من رجب سنة خمس وثلاثمائة وقيل سنة ثلاث ، وتوفي يوم الاثنين لاثنتي عشرة ليلة خلت من ذي الحجة سنة تسعين وثلاثمائة .

ومن شعره :

خالقُ العالمين ضامنُ رزقي ... فلماذا أُمَلِّكُ الخلقَ رِقّي
قد قضى لي بما عليَّ وما لي ... خالقي جلَّ ذكرُهُ قبل خلقي
أصحبُ البذلَ والندى في يساري ... ورفيقي في عُسْرَتي حُسْنُ رفقي
فكما لا يردُّ عجزيَ رزقي ... فكذا لا يجرُّ رزقيَ حذقي

وذكر أنه عمل هذه الأبيات في معنى قول علي بن الجهم[3] :

لعمرك ما كلُّ التعطلِ ضائرٌ ... ولا كلُّ شغل فيه للمرءِ مَنْفَعَهْ
إذا كانت الأرزاقُ في القربِ والنوى ... عليك سواءً فاغتنمْ راحةَ الدعه

وقال أيضاً[4] :

---

(1) انباه الرواة : 297 .
(2) م : الباقر ، والتصحيح عن الانباه .
(3) ديوان علي بن الجهم : 194 (عن ياقوت) .
(4) انباه الرواة : 296 .

ألا قــلْ لمن كـان لي حـاسـداً أتـدري على من أسـأتَ الأدبْ
أســأتَ عـلى الـلّه فـي فـعـله لأنـكَ لم تـرضَ لي مـا وهب

- 1151 -

معاوية بن عمر بن أبي عقرب أبو نوفل الدؤلي : كان فقيهاً نحوياً ، ذكر عن أبي عمرو بن العلاء قال : كنت آتي أبا نوفل أنا وشعبة بن الحجاج ، فكان شعبة يسأله عن الآثار واسأله أنا عن النحو والشعر ، فلم يعلم شعبة شيئاً مما أسأله عنه ، ولا أعلم أنا شيئاً مما يسأل عنه شعبة .

- 1152 -

معمر بن المثنى أبو عبيدة البصري مولى بني تيم ، تيم قريش لا تيم الرباب : كان من أعلم الناس باللغة وأنساب العرب وأخبارها ، وهو أول من صنف غريب الحديث . أخذ عن يونس بن حبيب وأبي عمرو بن العلاء ، وأسند الحديث إلى هشام بن عروة الامام الحجة.

قال يعقوب بن شيبة : سمعت ابن المديني يصحِّحُ روايةَ أبي عبيدة.

وقال الدارقطني : لا بأس بـه إلا أنه يُتَّهَمُ بشيءٍ من رأي الخـوارج[1] ويُتَّهم بالأحداث.

وأخذ عن أبي عبيدة : أبو عبيد القاسم بن سلام والأثرم علي بن المغيرة وأبو

1151 ـ ترجمة أبي نوفل الدؤلي في بغية الوعاة 2 : 294 (عن ياقوت) .

1152 ـ ترجمة أبي عبيدة في الفهرست : 58 وأخبار النحويين البصريين : 67 وتاريخ بغداد 13 : 252 وعبر الذهبي 1 : 359 وتذكرة الحفاظ : 338 وتهذيب التهذيب 10 : 246 وابن خلكان 5 : 235 ونور القبس : 109 وانباه الرواة 3 : 276 والمعارف : 543 وطبقات الزبيدي : 175 ومراتب النحويين : 44 وتهذيب الأزهري 1 : 14 ونزهة الألبا : 68 ومرآة الجنان 2 : 44 والنجوم الزاهرة 2 : 184 وبغية الوعاة 2 : 294 وطبقات الداودي 2 : 326 والشذرات 2 : 24 .

(1) عن صلة أبي عبيدة بالخوارج انظر نور القبس : 109 ـ 110 .

عثمان المازني وأبو حاتم السجستاني وعمر بن شبة النميري وغيرهم.

وقال أبو العباس المبرد: كان أبو عبيدة عالماً بالشعر والغريب والأخبار والنسب، وكان الأصمعي أعلم منه بالنحو، وكان أعلم من الأصمعي وأبي زيد بالأنساب، وكان أبو نواس يتعلم منه ويمدحه ويذم الأصمعي: سئل عن الأصمعي فقال: بلبل في قفص، وسئل عن أبي عبيدة فقال: أديم طُوِيَ على علم.

وقال بعضهم: كان الطلبة إذا أتوا مجلسَ الأصمعي اشتروا البعر في سوق الدر، وإذا أتوا مجلس أبي عبيدة اشتروا الدرَّ في سوق البعر، لأن الأصمعي كان حسن الانشاء والزخرفة قليل الفائدة، وأبو عبيدة بضدّ ذلك.

وقال يزيد بن مرة[1]: كان أبو عبيدة ما يُفَتَّشُ عن علم من العلوم إلا كان من يفتشه عنه يظنُّ أنه لا يحسن غيره ولا يقوم بشيء أجود من قيامه به، قال أبو حاتم: وكان مع علمه إذا قرأ البيت لم يُقِمْ إعرابه وينشده مختلف العروض.

وقال ابن قتيبة: كان الغريب أغلب عليه وأيام العرب وأخبارها.

وقال الجاحظ[2]: لم يكن في الأرض خارجي ولا إجماعي أعلم بجميع العلوم من أبي عبيدة.

ويحكى أنه كان يرى رأي الخوارج الاباضية، وقيل كان شعوبياً يطعن في الأنساب. قال أبو العيناء: قال رجل لأبي عبيدة يا أبا عبيدة قد ذكرت الناسَ وطعنتَ في أنسابهم فبالله إلا ما عرفتني من أبوك وما أصله؟ فقال: حدثني أبي أن أباه كان يهودياً.

وحدث الصولي عن محمد بن سعيد عن عيسى بن إسماعيل قال: جلس أبان بن عبد الحميد اللاحقي ليلة في قوم فثلب أبا عبيدة فقال: يقدح في الأنساب ولا نسب له، فبلغ ذلك أبا عبيدة فقال في مجلسه: لقد أغفل السلطانُ كلَّ شيء حين أغفل أخذ الجزية من أبان اللاحقي، وهو وأهله يهود، وهذه منازلهم فيها أسفار التوراة وليس فيها مصحف، وأوضح دلالة على يهوديتهم أن أكثرهم يدَّعي حفظ التوراة ولا يحفظ من القرآن ما يصلي به، فبلغ ذلك أبان فقال:

(1) مراتب النحويين: 45.

(2) تاريخ بغداد: 252 وطبقات الزبيدي: 175.

• لا تنمّنّ عن صديقٍ حديثاً واستعذ من تسرُّرِ النّمامِ
واخفض الصوتَ إن نطقت بليلٍ والتفت بالنهار قبلَ الكلام

وحكى أبو الحسن الأسدي قال[1] : حدثنا حماد بن إسحاق الموصلي عن أبيه قال : أنشدت الفضل بن الربيع أبياتاً كان الأصمعي أنشدنيها في صفة فرس وهي :

كأنه في الجُلِّ وهو سامِ مشتملٌ جاء من الحمَّامِ
يسورُ بين السرجِ واللجامِ سَوْرَ القطا خفَّ[2] الى اليمامِ

قال : ودخل الأصمعي فسمعني أنشدها فقال : هات بقيتها ، فقلت : ألم تقل إنه لم يبق منها شيء ؟ فقال : ما بقي منها إلا عيونها ، ثم أنشد بعدها ثلاثين بيتاً فغاظني فعله ، فلما خرج عرَّفتُ الفضلَ بن الربيع قلةَ شكره لعارفةٍ وبخله بما عنده ، ووصفت له فضلَ أبي عبيدة معمر بن المثنى وعلمه ونزاهته وبذله ما عنده واشتماله على جميع علوم العرب ، ورغّبته فيه حتى أنفذ إليه مالاً جليلاً واستقدمه ، فكنت سبب مجيئه من البصرة.

قال أبو عبيدة[3] : أرسل إليّ الفضل بن الربيع إلى البصرة في الخروج اليه سنة ثمان وثمانين ومائة فقدمت الى بغداد واستأذنت عليه فأذن لي ، فدخلت عليه وهو في مجلس له طويل عريض فيه بساط واحد قد ملأه ، وفي صدره فرش عالية لا يُرْتَقى إليها إلا على كرسي ، وهو جالس عليها ، فسلمتُ عليه بالوزارة فردَّ وضحك إليَّ ، واستدناني حتى جلست إليه على فرشه ، ثم سألني وألطفني وباسطني وقال : أنشدني فأنشدته ، فطرب وضحك وزاد نشاطه ، ثم دخل رجل في زي الكتّاب له هيئة فأجلسه الى جانبي وقال له : أتعرفُ هذا ؟ قال : لا ، قال : هذا أبو عبيدة علاّمة أهل البصرة أقدمناه لنستفيدَ من علمه ، فدعا له الرجلُ وقرظه لفعله هذا وقال لي : إني كنتُ إليه مشتاقاً ، وقد سألت عن مسألة افتأذن لي أن أعرّفكَ إياها ؟ فقلت : هات ، قال قال اللّه عز وجل : ﴿ طَلْعُهَا كَأَنَّهُ رُؤُوسُ الشَّيَاطِينِ ﴾ (الصافات: 65) وإنما يقع الوعد

(1) ورد هذا الخبر في الأغاني 5 : 352 .
(2) الأغاني : سور القطاميّ .
(3) تاريخ بغداد 13 : 254 ـ 255 .

والايعاد بما عُرف مثله ، وهذا لم يعرف ، فقلت : إنما كلم الله تعالى العربَ على قدر كلامهم ، أما سمعتَ قول امرىء القيس :

أيقتلني والمشرفيُّ مضاجعي ومسنونةٌ زرقٌ كأنيابِ أغوالِ

وهم لم يروا الغول قط ، ولكنهم لما كان أمر الغول يهولهم أوعدوا به ، فاستحسن الفضل ذلك واستحسنه السائل ، وعزمت من ذلك اليوم أن أضع كتاباً في القرآن في مثل هذا وأشباهه وما يحتاج اليه من علمه ، فلما رجعت إلى البصرة عملت كتابي الذي سميته « المجاز » وسألت عن الرجل السائل فقيل لي : هو من كتاب الوزير وجلسائه ، وهو إبراهيم بن إسماعيل الكاتب .

قال سلمة[1] : سمعت الفراء يقول لرجل : لو حمل إليّ أبو عبيدة لضربته عشرين في « كتاب المجاز » .

وقال التوزي[2] : بلغ أبا عبيدة أنّ الأصمعي يعيب عليه تأليف « كتاب المجاز في القرآن » وانه قال : يفسر ذلك برأيه ، فسأل عن مجلس الأصمعي في أي يوم هو ، فركب حماره في ذلك اليوم ، ومرَّ بحلقة الأصمعي فنزل عن حماره وسلَّم عليه وجلس عنده وحادثه ، ثم قال له : يا أبا سعيد ما تقول في الخبز ؟ قال : هو الذي تخبزه وتأكله ، فقال له أبو عبيدة : فسرتَ كتابَ اللّه برأيك ، قال اللّه تعالى ﴿ إِنِّي أَرَانِي أَحْمِلُ فَوْقَ رَأْسِي خُبْزاً ﴾ (يوسف: 36) قال الأصمعي هذا شيء بان لي فقلته ولم أفسره برأيي ، فقال له أبو عبيدة : وهذا الذي تعيبه علينا كله شيء بان لي فقلناه ولم نفسره برأينا ، ثم قام فركب حماره وانصرف .

وقال أبو عثمان المازني[3] : سمعتُ أبا عبيدة يقول : أدخلت على الرشيد فقال لي : يا معمر بلغني أن عندك كتاباً حسناً في صفة الخيل أحبُّ أن أسمعه منك ، فقال الأصمعي : وما تصنع بالكتاب ؟ يحضر فرس ونضع أيدينا على عضوٍ عضوٍ ونسميه ونذكر ما فيه ، فقال الرشيد : يا غلام أحضر فرسي ، فقام الأصمعي فوضع يده على

(1) تاريخ بغداد 13 : 255 .
(2) المصدر السابق .
(3) تاريخ بغداد 13 : 255 ـ 256 .

عضوٍ عضو وجعل يقول هذا كذا ، قال الشاعر فيه كذا ، حتى انقضى قوله ، فقال لي الرشيد : ما تقول فيما قال ؟ فقلت : قد أصاب في بعضٍ وأخطأ في بعض ، والذي أصاب فيه شيء نعلمه والذي أخطأ فيه لا أدري من أين أتى به .

وكان الأصمعي[1] إذا أراد الدخول إلى المسجد قال : انظروا لا يكون فيه ذاك ـ يعني أبا عبيدة ـ خوفاً من لسانه .

وكانت ولادة أبي عبيدة في رجب سنة عشر ومائة ، وقال أبو موسى محمد بن المثنى : توفي أبو عبيدة سنة ثمان ومائتين، وقال الصولي سنة سبع، وقال المظفر بن يحيى سنة تسع وقيل سنة إحدى عشرة وقيل ثلاث عشرة وله ثمان وتسعون سنة ، ولم يحضر جنازته احد لأنه لم يكن يسلمُ من لسانه أحد لا شريف ولا غيره .

ولأبي عبيدة من التصانيف : كتاب غريب القرآن . كتاب مجاز القرآن[2] . كتاب غريب الحديث . كتاب فضائل الفرس . كتاب الحدود . كتاب التاج . كتاب الديباج . كتاب الانسان . كتاب الزرع . كتاب الجمع والتثنية . كتاب الفرس . كتاب اللجام . كتاب السرج . كتاب الابل . كتاب الرحل . كتاب البازي . كتاب الحمام . كتاب الحيات . كتاب العقارب. كتاب الخيل[3]. كتاب السيف. كتاب حُضْر الخيل . كتاب الخف . كتاب اللغات . كتاب الأضداد . كتاب الفرق . كتاب ما تلحن فيه العامة . كتاب الابدال . كتاب القرائن . كتاب أشعار القبائل . كتاب أسماء الخيل . كتاب الأمثال السائرة . كتاب الدلو . كتاب البكرة . كتاب نقائض جرير والفرزدق[4] . كتاب المعاتبات . كتاب الملاومات . كتاب من شكر من العمال وحمد . كتاب محمد وإبراهيم ابني عبد الله بن الحسن بن علي بن أبي طالب. كتاب العفة[5] كتاب فعل وأفعل . كتاب الشوارد . كتاب أدعية العرب . كتاب بيوتات العرب . كتاب أيام بني مازن وأخبارهم. كتاب القبائل. كتاب إياد[6] الأزد. كتاب الضيفان. كتاب مقاتل الفرسان . كتاب مقاتل الأشراف . طبقات الفرسان . كتاب الغارات . كتاب

(1) طبقات الزبيدي : 177 .
(2) طبع في جزءين بتحقيق فؤاد سيزكين .
(3) طبع بحيدر أباد الدكن 1358 .
(4) طبع في ثلاثة أجزاء بتحقيق بيفان 1905 .
(5) لعله كتاب العققة والبررة الذي نشره عبد السلام هارون في نوادر المخطوطات 2 ، 329 ـ 370 .
(6) م : أيادي .

المنافرات . كتاب بيان باهلة . كتاب مآثر العرب . كتاب مثالب العرب . كتاب مآثر غطفان . كتاب النواكح . كتاب النواشز . كتاب لصوص العرب . كتاب الأيام الكبير . كتاب الأيام الصغير . كتاب الحمس من قريش . كتاب خبر البرّاض . كتاب قصة الكعبة . كتاب الأوس والخزرج . كتاب الموالي . كتاب الاحتلام . كتاب خلق الانسان . كتاب البله . فتوح الأهواز . كتاب خوارج البحرين واليمامة . كتاب السواد وفتحه . كتاب خراسان . كتاب مقتل عثمان . أخبار الحجاج . كتاب مرج راهط . كتاب الأعيان . كتاب الجمل وصفين . كتاب مكة والحرم . كتاب فضائل الفرس . كتاب قضاة البصرة ، وغير ذلك ، فقد قيل إن تصانيفه تقارب المائتين .

ـ 1153 ـ

المفضل بن سلمة بن عاصم أبو طالب اللغوي النحوي : كان لغوياً نحوياً كوفي المذهب ، أخذ عن أبيه وعن أبي عبد الله ابن الاعرابي وأبي العباس ثعلب وابن السكيت وغيرهم ، وخالف طريقة أبيه .

قال أبو الطيب اللغوي : وردَّ أشياء من كتاب « العين » للخليل أكثرها غير مردود ، واختار في اللغة والنحو اختيارات غيرها المختار ، وكان منقطعاً إلى الفتح بن خاقان .

وله كتب كثيرة منها : كتاب الخط والقلم . كتاب الاشتقاق . البارع في اللغة . كتاب المقصور والممدود . ضياء القلوب في معاني القرآن نيف وعشرون جزءاً . المدخل إلى علم النحو . الفاخر فيما يلحن فيه العامة[1] . كتاب خلق الانسان . كتاب جماهير القبائل . كتاب الردّ على الخليل وإصلاح ما في كتاب العين من الغلط والمحال . جلاء الشبهة . كتاب آلة الكاتب . كتاب الزرع والنبات والنخل وأنواع الشجر . كتاب المطيب . كتاب العود والملاهي . كتاب الطيف . كتاب الأنواء والبوارح .

1153 ـ ترجمة المفضل بن سلمة في تاريخ بغداد 13 : 124 والفهرست : 80 ومراتب النحويين : 97 وابن خلكان 4 : 205 (في ترجمة ابنه محمد) وانباه الرواة 3 : 305 وبغية الوعاة 2 : 296 وذكر بعضهم أن وفاته كانت سنة 300 وقال غيره سنة 290 .

(1) هذا الكتاب طبع مرتين ، مرة بتحقيق استوري (ليدن 1915) ومرة بتحقيق الطحاوي (القاهرة 1960) .

ـ 1154 ـ

المفضل بن محمد بن مسعر بن محمد أبو المحاسن التنوخي : كان فقيهاً نحوياً أديباً ، وكان معتزلياً شيعياً مبتدعاً ، أصله من المعرة ، وقدم بغداد فأخذ عن علي بن عيسى الربعي وعلي بن عبد اللّه الدقيقي ومحمد بن أشرس النحوي ، وسمع أبا عمر ابن مهدي، وأخذ الفقه عن أبي الحسين القدوري الحنفي ، والصيمري ، وحدَّث بدمشق وناب في القضاء بها ، وولي قضاء بعلبك ، وحدَّث عنه الشريف النسابة ، وصنف : تاريخ النحاة . وكتاب الردّ على الشافعي وكان يضع منه . مات سنة اثنتين وقيل ثلاث وأربعين وأربعمائة .

ـ 1155 ـ

المفضل بن محمد بن يعلى أبو عبد الرحمن الضبي الراوية الأديب النحوي اللغوي : كان من أكابر علماء الكوفة ، عالماً بالأخبار والشعر والعربية ، أخذ عنه أبو عبد الله ابن الأعرابي وأبو زيد الأنصاري وخلف الأحمر وغيرهم ، وكان ثقة ثبتاً .

قال ابن الأعرابي : سمعت المفضل الضبي يقول : قد سلط على الشعر من حماد الراوية ما أفسده فلا يصلح أبداً ، فقيل له وكيف ذلك ، أيخطىء في روايته أو يلحن ؟ قال : ليته كان كذلك فان أهل العلم يردّون من أخطأ إلى الصواب ، ولكنه رجل عالم بلغات العرب وأشعارها ومذاهب الشعراء ومعانيهم ، فلا يزال يقول الشعر يشبه به مذهبَ رجل ويدخله في شعره وَيُحْمَلُ ذلك عنه في الآفاق فتختلط أشعار

1154 ـ ترجمة المفضل التنوخي في بغية الوعاة 2 : 297 ؛ وكتابه في النحاة هو الذي أرجع إليه باسم تاريخ أبي المحاسن .

1155 ـ ترجمة المفضل الضبي في طبقات الزبيدي: 193 والفهرست : 75 ومراتب النحويين : 116 ونزهة الألباء : 35 وتهذيب اللغة 1 : 10 والمعارف : 545 ونور القبس : 272 وتاريخ بغداد 13 : 121 والأنساب 8 : 385 وتاريخ أبي المحاسن : 214 وطبقات ابن الجزري 2 : 307 وانباه الرواة 3 : 298 وبغية الوعاة 2 : 297 واشارة التعيين: 352 ولسان الميزان 6 : 81 والنجوم الزاهرة 2 : 79 وانظر مقدمة كتاب أمثال العرب ، بتحقيق احسان عباس (بيروت 1981) والمفضليات بشرح ابن الأنباري مطبوع في بيروت 1912 .

القدماء ولا يتميز الصحيح منها إلا عند عالم ناقد ، وأين ذلك ؟

وعن إبراهيم بن المهدي قال : حدثني السعيدي الراوية وأبو إياد المؤدب قالا : كنا في دار أمير المؤمنين المهدي بعيساباذ وقد اجتمع فيها عدة من الرواة والعلماء بأيام العرب وآدابها واشعارها ولغاتها ، إذ خرج بعض أصحاب الحاجب فدعا المفضل الضبي الراوية فدخل ، فمكث ملياً ثم خرج إلينا ومعه حماد والمفضل جميعاً ، وقد بان في وجه حماد الانكسار والغم وفي وجه المفضل السرور والنشاط ، ثم خرج حسين الخادم فقال : يا معشر من حضر من أهل العلم إن أمير المؤمنين يعلمكم أنه قد وصل حماداً الشاعر بعشرين ألف درهم لجودة شعره ، وأبطل روايته لزيادته في أشعار الناس ما ليس منها ، ووصل المفضل بخمسين ألفاً لصدقه وصحة روايته ، فمن أراد أن يسمع شعراً جيداً محدثاً فليسمع من حماد ، ومن أراد روايةً صحيحة فليأخذها عن المفضل . فسألنا عن السبب فأخبرنا أن المهدي قال للمفضل لما دعا به وحده : إني رأيتُ زهير بن أبي سلمى افتتح قصيدته بأنْ قال : دع ذا وعد القول في هرم ، ولم يتقدم له قبل ذلك قول ، فما أمر نفسه بتركه ؟ فقال له المفضل : ما سمعتُ يا أمير المؤمنين في هذا شيئاً إلا أني توهمته كان يفكر في قوله أو يروّي في أن يقول شعراً فعدل عنه إلى مدح هرم وقال : دع ذا ، أو كان مفكراً في شيء من شأنه فتركه وقال : دع ذا ، فأمسك المهدي عنه ، ثم دعا بحماد فسأله عن مثل ما سأل عنه المفضل فقال : ليس هكذا قال زهير يا أمير المؤمنين ، قال : فكيف قال ؟ فأنشد :

لمن الديارُ بقنّةِ الحجرِ أقوينَ مذ حججٍ ومذ دهرِ
قفرٌ بمندفع النجائب من ضفوى أولاتِ الضالِ والسدرِ
دعْ ذا وعدِّ القولَ في هرم خيرِ البداةِ وسيدِ الحضرِ

قال : فأطرق المهدي ساعة ثم أقبل على حماد فقال له : قد بلغ أميرَ المؤمنين عنك خبرٌ لا بدَّ من استحلافك عليه ، ثم استحلفه بأيمان البيعة وكلِّ يمين محرجة ليصدقنّه عن كل ما يسأله عنه ، فحلف له بما توثق منه ، فقال له : اصدقني عن حال هذه الأبيات ومن أضافها إلى زهير ، فأقرَّ له حينئذ أنه قائلها ، فأمر له وللمفضل بما أمر به من صلة وشهرة أمرهما وكشفه .

وللمفضل من التصانيف : كتاب الاختيارات . كتاب معاني الشعر . كتاب الأمثال . كتاب الألفاظ . كتاب العروض . المفضليات وهي أشعار مختارة جمعها للمهدي ، وفي بعض نسخها زيادة ونقص ، وأصحها التي رواها عنه أبو عبد الله ابن الأعرابي .

ـ 1156 ـ

مكي بن أبي طالب واسم أبي طالب محمد ، ويقال حموش ، ابن محمد بن مختار أبو محمد القيسي القيرواني الأصل القرطبي مسكناً ، النحوي اللغوي المقرىء ، كان إماماً عالماً بوجوه القراءات متبحراً في علوم القرآن والعربية فقيهاً أديباً متفنناً ، غلبت عليه علوم القرآن فكان من الراسخين فيها . ولد بالقيروان لسبع بقين من شعبان سنة أربع وخمسين وثلاثمائة ، ونشأ بها ورحل إلى مصر سنة سبع وستين وهو ابن ثلاث عشرة سنة ، فاختلف بها إلى ابن غلبون المقرىء وغيره من المؤدبين والعلماء ، ثم رجع إلى القيروان سنة تسع وسبعين وقد حفظ القرآن واستظهر القراءات وغيرها من الآداب ، ثم رجع إلى مصر لتلقي ما بقي عليه من القراءات سنة اثنتين وثمانين ، ثم رجع إلى القيروان سنة ثلاث وثمانين وأقام بها يقرأ إلى سنة سبع وثمانين فأخذ عن محمد بن أبي زيد وأبي الحسن القابسي وغيرهما ، ثم خرج إلى مكة سنة سبع وثمانين وأقام بها إلى آخر سنة تسعين فحج أربع حجج متوالية ، وسمع بمكة من أكابر علمائها ، ثم رجع من مكة فوصل إلى مصر سنة احدى وتسعين ، ثم عاد إلى بلده القيروان سنة اثنتين وتسعين ، وفي سنة ثلاث وتسعين وثلاثمائة رحل إلى الاندلس

1156 ـ لمكي بن أبي طالب ترجمة في جذوة المقتبس : 329 (وبغية الملتمس رقم : 1367) وترتيب المدارك 8 : 13 ونزهة الألباء : 238 والصلة : 631 وانباه الرواة 3 : 313 وابن خلكان 5 : 274 ومعالم الايمان 3 : 213 وعبر الذهبي 3 : 187 ومعرفة القراء الكبار 1 : 316 وسير الذهبي 17 : 591 وعيون التواريخ 12 : 217 والوافي (خ) ومرآة الجنان 3 : 57 والديباج المذهب 2 : 342 وطبقات ابن الجزري 2 : 309 وبغية الوعاة 2 : 298 والشذرات 3 : 260 وشجرة النور الزكية : 107 وللدكتور أحمد حسن فرحات : دراسة عنه بعنوان مكي بن أبي طالب وتفسير القرآن ، عمان (الأردن) 1983 .

فدخل قرطبة في رجب من السنة في أيام المظفر بن أبي زيد[1] ، ونزل في مسجد النخيلة بالرواقين عند باب العطارين ، ثم نقله ابن ذكوان القاضي إلى المسجد الجامع ، فجلس فيه للاقراء ونشر علمه ، فعلا ذكرُهُ ورُحل إليه ، فلما انصرمت دولة آل عامر نقله محمد بن هشام المهديّ إلى المسجد الخارج بقرطبة فأقرأ عليه ، وقلده أبو الحزم[2] ابن جهور الصلاةَ والخطبة بالمسجد الجامع ، فأقام على ذلك إلى أن مات .

وروى عنه جماعة من الأئمة كأبي عبد الله ابن عتاب وأبي الوليد الباجي وغيرهما .

توفي بقرطبة يوم السبت لليلتين خلتا من المحرم سنة سبع وثلاثين وأربعمائة وقد أناف على الثمانين ، وصلى عليه ولده أبو طالب محمد ، ودفن ضحوة يوم الأحد بالربض .

وله تصانيف كثيرة : أشهرها الهداية إلى بلوغ النهاية في التفسير . وله الهداية في الفقه . والبيان عن وجوه القراءات السبع[3] ، ألفه في أواخر عمره سنة أربع وعشرين وأربعمائة . ومنتخب الحجة في القراءات لأبي علي الفارسي ، ثلاثون جزءاً . وكتاب الاختلاف في عدد الأعشار . والرسالة إلى أصحاب الانطاكي في تصحيح المدّ لورش ، ثلاثة أجزاء . تفسير القرآن ، خمسة عشر مجلداً . اختصار أحكام القرآن ، أربعة أجزاء . التبصرة في القراءات[4] ، خمسة أجزاء . الايجاز في ناسخ القرآن ومنسوخه . الإيضاح في الناسخ والمنسوخ[5] أيضاً ، ثلاثة أجزاء . التذكرة في اختلاف القراء . الإبانة عن معاني القراءة[6] . الموجز في

---

(1) يعني المظفر عبد الملك بن أبي عامر الذي ولي الحجابة بعد أبيه ، وأما « أبو زيد » هنا فأظنه سهواً .

(2) م : وقلده الحسن .

(3) طبع في جزءين بعنوان « الابانة عن وجوه القراءات السبع » تحقيق د . محيي الدين رمضان ، بيروت 1981 .

(4) طبع التبصرة بتحقيق محمد غوث الندوي ، الهند 1979 ثم أصدره محيي الدين رمضان في الكويت 1985 .

(5) طبع الايضاح بتحقيق د. أحمد حسن فرحات ، جامعة الامام محمد بن سعود 1976 .

(6) رسالة صغيرة حققها د . عبد الفتاح إسماعيل شلبي ، القاهرة 1960 .

القراءات ، جزءان . الرعاية في تجويد القرآن وتحقيق لفظ التلاوة[1] ، أربعة أجزاء . التنبيه في أصول قراءة نافع وذكر الاختلاف عنه ، جزءان . الانتصاف في الردّ على أبي بكر الأدفوي فيما زعم من تغليطه في كتاب الأمالة ، ثلاثة أجزاء . كتاب الامالة ، ثلاثة أجزاء . إعراب القرآن . الزاهي في اللمع الدالة على مستعملات الإعراب ، أربعة أجزاء . كتاب الوقف على كلا وبلى ، جزءان . كتاب الياءات المشددة في القرآن . كتاب الحروف المدغمة ، جزءان . كتاب هجاء المصاحف ، جزءان . الهداية في الوقف على كلا . كتاب الادغام الكبير. مشكل غريب القرآن ، ثلاثة أجزاء . كتاب تسمية الأحزاب . كتاب المأثور عن مالك في أحكام القرآن وتفسيره . مشكل معاني القرآن . كتاب شرح التمام والوقف ، أربعة أجزاء . كتاب دخول حروف الجر بعضها مكان بعض . كتاب فرض الحج على من استطاع إليه سبيلاً . كتاب إيجاب الجزاء على قاتل الصيد في الحرم خطأً في مذهب مالك والحجة على ذلك . كتاب بيان العمل في الحج أول الإحرام . مناسك الحج . كتاب بيان الصغائر والكبائر . كتاب الاختلاف في الذبيح من هو . كتاب تنزيه الملائكة من الذنوب وفضلهم على بني آدم . كتاب اختلاف العلماء في النفس والروح . منتخب كتاب الإخوان لابن وكيع ، جزءان . المنتقى في الأخبار ، أربعة أجزاء . الرياض مجموع في خمسة أجزاء ، وغير ذلك[2] .

ـ 1157 ـ

مكي بن ريان بن شبة بن صالح أبو الحرم الماكسيني الضرير النحوي

1157 ـ ترجمة أبي الحرم الماكسيني في الكامل لابن الأثير 12 : 108 وانباه الرواة 3 : 320 وتكملة المنذري رقم : 981 وذيل الروضتين : 58 والجامع المختصر 9 : 216 وابن خلكان 5 : 278 وعبر الذهبي =

---

(1) طبع كتاب الرعاية بتحقيق د . أحمد حسن فرحات ، دمشق 1973 .

(2) من كتبه الأخرى التي صدرت : مشكل اعراب القرآن بتحقيق ياسين السواس دمشق 1394 ؛ وكتاب « شرح كلا وبلى ونعم » بتحقيق فرحات دمشق . 1978 ؛ وكتاب العمدة في غريب القرآن بتحقيق يوسف عبد الرحمن المرعشلي ، بيروت 1981 .

اللغوي الأديب: كان عالماً فاضلاً متفنناً ، والغالب عليه النحو والقراءات ، قدم بغداد وقرأ على أبي محمد ابن الخشاب النحوي وعلى أبي الحسن ابن العطار وأبي البركات عبد الرحمن بن الأنباري ، وقرأ بالموصل على أبي بكر يحيى بن سعدون القرطبي وغيره ، وقرأ عليه أهل الموصل وتخرج به أعيان أهلها ، ورحل إلى الشام[1] ثم عاد إلى الموصل . رأيته وكان شيخاً طوالاً على وجهه أثر الجدري ، إلا أنني ما قرأت عليه شيئاً . وكان حراً كريماً صالحاً صبوراً على المشتغلين يجلس لهم من السحر إلى أن يصلي العشاء الآخرة . وكان من أحفظ الناس للقرآن ناقلاً للسبع ، نصب نفسه للاقراء فلم يتفرغ للتأليف ، وكان يقرأ عليه الجماعة القرآن معاً كلّ واحد منهم بحرف ، وهو يسمع عليهم كلهم ويردُّ على كلٍّ واحد منهم ، وكان قد أخذ من كل علم طرفاً ، وسمع الحديث فأكثر . ومن شعره[2] :

إذا احتاج النوالُ الى شفيعٍ ... فلا تقبله تُضْحِ قريرَ عَيْنِ
إذا عيف النوالُ لفردِ منٍّ ... فأولى أن يُعافَ لمنتين

وقال أيضاً :

على الباب عبدٌ يطلبُ الإذن قاصداً ... به أدباً لا أن نعماك تُحْجَبُ
فإن كان إذن فهو كالخيرِ داخلٌ ... عليك وإلا فهو كالشرِّ يذهب

وقال أيضاً :

حيائي حافظٌ لي ماءَ وجهي ... ورفقي في مطالبتي رفيقي
ولو أني سمحتُ ببذلِ وجهي ... لكان إلى الغنى سهلاً طريقي

= 5 : 8 وسير الذهبي 21 : 425 ونكت الهميان : 296 والوافي (خ) وطبقات ابن الجزري 2 : 309 وبغية الوعاة 2 : 299 والشذرات 5 : 11 ؛ وقال ابن القفطي ان أباه كان يعاني عمل الأديم الذي تصنع منه الانطاع الماكسينية ؛ وماكسين بلدة على نهر الخابور بالجزيرة .

(1) رحل إلى الشام لزيارة بيت المقدس ونزل عند ابن شداد في حلب .
(2) البيتان في نكت الهميان : 297 .

وكان يتعصب[1] لأبي العلاء المعري ويطرب إذا قرىء عليه شعره للجامع بينهما : الأدب والعمى لأنه أضرَّ بالجدري صغيراً ، وكان يعرف في ماكسين بمُكَيْك تصغير مكي ، فلما ارتحل عن ماكسين واشتغل وتميز اشتاق إلى وطنه فعاد إليها وتسامع به الناس ممن كان يعرفه من قبل ، فزاروه وفرحوا بفضله ، فبات تلك الليلة . فلما كان من الغد خرج إلى الحمام سحراً فسمع امرأة تقول من غرفتها لأخرى : أتدرين من جاء ؟ قالت : لا ، قالت : جاء مكيك ابن فلانة ، فقال : والله لا أقمتُ في بلدٍ أدعى فيه بمكيك ، وسافر من يومه إلى الموصل بعدما كان نوى الاقامة في وطنه ، وتوفي بها يوم السبت سادس شوال سنة ثلاث وستمائة .

ـ 1158 ـ

ممويه أبو ربيعة الأصبهاني النحوي : كان متقدماً في علم النحو بارعاً فيه ، صنف فيه كتباً كثيرة ، منها « الجماهير » . وله الشعر الجيد . وخرج في صغره إلى الكرخ فتوطنها .

ومن شعره :

كن ابنَ من شئتَ واكتسبْ أدباً   يغنيكَ تشريفُهُ عن النسبِ
لا شيءَ في الخافقين تكسبُهُ   أحمدَ عند الأنامِ من أدبِ

وله :

وأخٍ لي تَكَدَّرَتْ   بعد صفوٍ مشاربُهْ
صاحبي حينَ لا يرى   في الورى من يصاحبه
وإذا ما حَظِي به   صدَّ وازورَّ جانبه

1158 ـ ترجمة ممويه في بغية الوعاة 2 : 300 (عن ياقوت وان لم يصرح بذلك) .

(1) نكت الهميان : 297 .

- 1159 -

منداد بن عبد الحميد أبو عمر الكرجي(1) المعروف بابن لرة(2) : كان لغوياً أديباً ، صنف كتاب معاني الشعر . وجامع اللغة . وشرح معاني الشعر للباهلي الأنصاري . وكتاب الوحوش ، وما عرفت من أمره غير هذا .

- 1160 -

منذر بن سعيد أبو الحكم البلوطي الأندلسي : كان نحوياً فاضلاً وخطيباً مصقعاً وشاعراً بليغاً ، ولد سنة خمس وستين ومائتين ، ورحل فلقي جماعة من العلماء والأدباء ، وجلب في رحلته « كتاب الأشراف في اختلاف العلماء » رواية عن مؤلفه ابن المنذر النيسابوري و« كتاب العين » للخليل رواية أبي العباس ابن ولاد . واتصل بعبد الرحمن الناصر فحظي عنده ، ثم عند ابنه الحكم من بعده ، وكان سبب اتصاله بالناصر ما ظهر من بلاغته يوم الاحتفال بدخول رسول قسطنطين بن ليون صاحب قسطنطينية على الناصر موفداً إليه مع وفود سائر ملوك الافرنجة ، وذلك أن الناصر جلس للقاء الوفود بقصر قرطبة ، فلما تكامل المجلس ودخل عليه الوفود ورحّبَ بهم أحبَّ أن يقوم الخطباء والشعراء بين يديه للتنويه بفخامة الحفلة وذكر ما تهيأ من توطيد الخلافة في أيامه ، وتقدم الى وليّ عهده الحكم باعداد من يقومُ بذلك من الخطباء ، فقدَّم الحكم أبا علي القالي البغدادي ، وكان إذ ذاك ضيف الناصر ، فقام أبو علي وحمد

1159 - سمّاه في بغية الوعاة 1 : 476 (بندار) وكذلك هو في الفهرست : 91 (وفي أحد أصوله منداد ، وهذا يعين بداية الاضطراب في اسمه) وانباه الرواة 1 : 257 والاكمال 1 : 79 .

1160 - ترجمة منذر بن سعيد في طبقات الزبيدي : 295 وابن الفرضي 2 : 144 وجذوة المقتبس : 326 (وبغية الملتمس رقم : 1357) وفهرسة ابن خير : 54 ومطمح الأنفس : 237 ومعجم البلدان (فحص البلوط) وانباه الرواة 3 : 325 والكامل لابن الأثير 8 : 674 واللباب 1 : 176 وعبر الذهبي 2 : 302 وسير الذهبي 16 : 173 والبداية والنهاية 11 : 288 والمرقبة العليا للنباهي : 66 والبلغة : 264 وبغية الوعاة 2 : 301 والنفح 1 : 372 ، 2 : 16 وأزهار الرياض 2 : 272 والشذرات 3 : 17 .

---

(1) م : الكرخي ، وهو خطأ ، لقول القفطي إنه من أهل الجبل .

(2) م : ابن لزة .

اللّه وأثنى عليه وصلّى على النبي ﷺ ، فأُرْتِجَ عليه وانقطع وبهت ، فلما رأى ذلك منذر بن سعيد ، وكان حاضراً ، قام من ذاته ، ووصل افتتاح أبي علي بكلامٍ بهر العقول ، فخرج الناسُ يتحدثون ببلاغته وحسن بيانه وثبات جنانه ، وكان الناصر أشدَّهم تعجباً وإعجاباً به ، فسأل عنه ابنه الحكم ، ولم يكن يعرفه ، فقال له : هذا منذر بن سعيد البلوطي ، فقال : والله لقد أحسنَ ما شاء ، ثم قرَّبه وولاه الصلاةَ والخطابة في المسجد الجامع بالزهراء ، ثم ولاه قضاء الجماعة بقرطبة . ولما توفي الناصر وولي ابنه الحكم أقرَّه على القضاء ، واستعفى غير مرة فما أعفاه . وكان وقوراً صليباً في الحكم مُقْدماً على إقامة العدل والحق وإزهاق الجور والباطل آمراً بالمعروف ناهياً عن المنكر ، له كتب في السنة والورع والردِّ على أهل الأهواءِ والبدع . ومن مصنفاته المتداولة : أحكام القرآن . وكتاب الناسخ والمنسوخ . وله رسائل وخطب مجموعة وأشعار متفرقة مطبوعة . ومن خطبه الخطبة التي ألقاها بحضرة الناصر في الاحتفال الذي تقدم ذكره ونصّها[1] :

أما بعد حمد الله والثناء عليه والتعدادِ لآلائه والشكرِ لنعمائه ، والصلاة والسلام على محمد صفيه وخاتم أنبيائه ، فإن لكل حادثة مقاماً ، ولكل مقام مقال ، وليس بعد الحقّ الا الضلال ؛ وإني قد قمتُ في مقام كريم ، بين يدي ملك عظيم ، فاصغوا إليَّ معشرَ الملأ بأسماعكم ، وافقهوا عني بأفئدتكم . إن من الحقّ أن يقالَ للمحقِّ صدقت ، وللمبطل كذبت ، وإن الجليل تعالى في سمائه ، وتقدس بصفاته وأسمائه ، أمر كليمه موسى صلى اللّه على نبينا وعليه وعلى جميع أنبيائه ، أن يذكّرَ قومه بأيام الله جلَّ وعز عندهم ، وفيه وفي رسول اللّه ﷺ أسوةٌ حسنة ، وإني أذكركم بأيام الله عندكم ، وتلافيه لكم بخلافةِ أمير المؤمنين التي لمتْ شَعَثكم ، وأمّنَتْ سِرْبكم ، ورفعت قوتكم ؛ كنتم قليلاً فكثّركم ، ومستضعفين فقوّاكم ، ومستذَلين فنصركم ، ولاّه الله رعايتكم ؛ وأسند إليه إمامتكم ، أيامَ ضربتِ الفتنةُ سُرادِقَها على الآفاق ، وأحاطت بكم شُعَلُ النفاق ، حتى صرتمْ في مِثْلِ حَدَقة البعير من ضيقِ الحالِ ونكد العيش ، فاستبدلتم بخلافته من الشدة بالرخاء ، وانتقلتم بِيُمْنِ سياسته إلى تمهيد كَنَفِ العافية

(1) قارن بالنباهي والمطمح : 240 والنفح 1 : 368 وأزهار الرياض 2 : 273 .

بعد استيطان البلاء ، أنشدكم الله معاشرَ الملأ ألم تكن الدماء مسفوكة فحقنها ؟ والسبل مخوفة فأمنها ؟ والأموالُ منتهبةً فأحرزها وحصنها ، ألم تكن البلاد خراباً فعمرها ؟ وثغور المسلمين مهتضمةً فحماها ونصرها ؟ فاذكروا آلاء الله عليكم بخلافته ، وتلافيه جَمْعَ كلمتكم بعد افتراقها بإمامته ، حتى أذهبَ اللّه عنكم غيظكم ، وشفى صدوركم ، وصرتم يداً على عدوكم ، بعد أن كان بأسكم بينكم ، فأنشدكم اللّه ألم تكن خلافته قُفْلَ الفتنة بعد انطلاقها من عقالها ؟ ألم يتلافَ صلاحَ الأمور بنفسه بعد اضطراب أحوالها ؟ ولم يكلْ ذلك إلى القوّاد والأجناد ، حتى باشره بالقوةِ والمهجةِ والأولاد ، واعتزل النسوان ، وهجر الأوطان ، ورفض الدعةَ وهي محبوبة ، وترك الركونَ إلى الراحة وهي مطلوبة ، بطويةٍ صحيحة ، وعزيمة صريحة ، وبصيرةٍ نافذة ثاقبة ، وريح ٍ هابّةٍ غالبة ، ونصرةٍ من اللّه واقعةٍ واجبة ، وسلطانٍ قاهر ، وجدّ ظاهر ، وسيف منصور ، تحت عدل مشهور ، متحملاً للنَّصَب ، مستقلاً لما ناله في جانب الله من التعب ، حتى لانت الأحوالُ بعد شدتها ، وانكسرتْ شوكةُ الفتنة بعد حِدَّتها ، فلم يبق لها غاربٌ إلا جبَّه، ولا ظهر لأهلها قَرْنٌ إلا جذَّه ، فأصبحتم بنعمة اللّه إخواناً ، وبلمِّ أمير المؤمنين لشعثكم على أعدائه أعواناً ، حتى تواترت لديكم الفتوحات ، وفتح اللّه عليكم بخلافته أبوابَ الخيرات والبركات ، وصارت وفودُ الروم وافدةً عليه وعليكم ، وآمال الأقْصَيْنَ والأدنينَ مستحرمةً[1] إليه وإليكم ، يأتون من كلّ فجّ ٍ عميق ، وبلدٍ سحيق ، للأخذ بحبل بينكم وبينه جملة وتفصيلاً ، ليقضيَ اللّه أمراً كان مفعولاً ، ولن يُخْلِفَ اللّه وعدَهُ ، ولهذا الأمر ما بعده . وتلك أسباب ظاهرة بادية ، تدلُّ على أمور باطنة خافية ، دليلها قائم ، وجفنها غير نائم ﴿ **وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِم** ﴾ (النور/55) وليس في تصديق ما وعد الله ارتياب ، ولكلّ نبأ مستقر ولكلّ أجل ٍ كتاب . فاحمدوا الله أيها الناس على آلائه ، واسألوا المزيدَ من نعمائه ، فقد أصبحتم بين خلافة أمير المؤمنين أيده اللّه بالسداد ، وألهمه التوفيقَ إلى سبيل الرشاد ، أحسنَ الناس حالاً ، وأنعمهم بالاً ، وأعزَّهم قراراً ، وأمنعهم داراً ، وأكثفهم جمعاً ، وأجملهم صنعاً ، لا

---

(1) م : مستخدمة .

تُهَاجُون ، ولا تذادون ، وأنتم بحمد الله على أعدائكم ظاهرون ، فاستعينوا على صلاح أحوالكم بالمناصحة لامامكم ، والتزام الطاعة لخليفتكم وابن عم نبيكم صلى الله عليه وسلم ، فإن من نزع يداً من الطاعة ، وسعى في تفريق الجماعة ، وَمَرَقَ من الدين ، فقد خسر الدنيا والآخرة ، ذلك هو الخسران المبين . وقد علمتم أن في التعلق بعصمتها ، والتمسك بعروتها ، حفظَ الأموال وحقنَ الدماء ، وصلاح الخاصةِ والدهماء ، وأنّ بقيام الطاعة تقام الحدود ، وتوفّى العهود ، وبها وُصِلَتِ الأرحام ، ووضحت الأحكام ، وبها سدَّ اللّه الخلل ، وأمَّنَ السبل ، ووطّأ الأكنافَ ، ورفع الاختلاف ، وبها طاب لكم القرار ، واطمأنت بكم الدار ، فاعتصموا بما أمركم اللّه بالاعتصام به فإنه تبارك وتعالى يقول : ﴿ أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ ﴾ (النساء/59) وقد علمتم ما أحاط بكم في جزيرتكم هذه من ضروب المشركين ، وصنوف الملحدين ، الساعين في شقِّ عصاكم ، وتفريق ملأكم ، الآخذين في مخاذلة دينكم ، وهتك حريمكم ، وتوهين دعوة نبيكم ، صلوات الله وسلامه عليه وعلى جميع النبيين والمرسلين . أقول قولي هذا وأختمُ بالحمد للّه ربّ العالمين ، مستغفراً اللّه الغفور الرحيم فهو خير الغافرين .

وكان منذر بن سعيد شديداً في دينه لا يأخذه في اللّه لوم لائم ، وكانت له مقامات بين يدي الخليفة الناصر يتناوله فيها بالعظات والزواجر غير هيّاب ولا محتشم ؛ من ذلك أن الناصر[1] كان كَلِفاً بعمارةِ الأرضِ وتخليد الآثار الدالّة على قُوَّةِ الملك وعزَّةِ السلطان وعلوِّ الهمة ، فأفضى به الافراط في ذلك إلى أن ابتنى الزهراءَ البناء الشائعَ ذكرُهُ ، واستفرغ جهده في إتقان قصورها وزخرفة دورها ، حتى ترك شهودَ الجمعة بالمسجدِ الجامع ثلاثَ جُمَعٍ متواليات ، فأراد القاضي منذر تنبيهه بما يتناوله به من الموعظة ، وتذكيرَهُ بالانابة والرجوع ، فابتدأ خطبته في الجمعة الرابعة بقوله تعالى ﴿ أَتَبْنُون بِكُلِّ رِيعٍ آيَةً تَعْبَثُون ﴾ (الشعراء: 128) ثم وصله بقوله تعالى ﴿ قُلْ مَتَاعُ ٱلدُّنْيَا قَلِيلٌ وَٱلْآخِرَةُ خَيْرٌ لِمَنِ ٱتَّقَىٰ وَهِيَ دَارُ ٱلْقَرَارِ ﴾ (النساء: 77) ومكان الجزاء ، ومضى في ذم تشييد البناء وزخرفته ، والإسرافِ في الانفاق عليه ، بكلِّ كلام جزل ،

(1) قارن بالنباهي : 69 والمطمح : 245 .

ثم أتى بما يناسب المقام من التخويف بالموت والدعاء إلى الزهد في الدنيا ، والإقصارِ عن اللذات والشهوات واتباع الهوى ، وأورد أحاديثَ وآثاراً تشاكل ذلك ، حتى خشي الناسُ وبكوا وأعلنوا بالتوبة والاستغفار ، وأخذ الناصرُ من ذلك بأوفر حظٍ ، وقد علم أنه المقصود بالموعظة فبكى وندم على ما أفرط وفرَّط ، إلا أنه وجد على منذرٍ لما قَرَّعه به ، فشكا ذلك لولده الحكم بعد انصراف منذر فقال : والله لقد تعمدني منذرٌ بخطبته وما عَنَى بها غيري ، فأسرف وأفرط في تقريعي ، ثم أقسم أن لا يصلّي خلفه صلاة الجمعة خاصة ، فكان يصلي بقرطبة وراء أحمد بن مطرف صاحب الصلاة ، وترك الصلاة بالزهراء ، فقال له الحكم : ما الذي يمنعك من عَزْلِ منذرٍ عن الصلاة بك والاستبدال به إذ كَرِهْتَه ، فزجره وانتهره وقال له : أمثل منذر بن سعيد في فضله وخيره وعلمه لا أمَّ لك يُعْزَلُ لإرضاءِ نفسٍ ناكبةٍ عن الرشد سالكةٍ غيرَ القصد ؟! هذا ما لا يكون، وإني لأستحي من الله أن لا أجعل بيني وبينه في صلاة الجمعة شفيعاً مثل منذر في ورعه وصدقه ، ولكنه أحرجني فأقسمتُ ، ولوددتُ أني أجدُ سبيلاً إلى كفارة يميني بملكي ، بل يصلّي بالناس حياته وحياتنا إن شاء الله تعالى ، فما أظننا نعتاض منه أبداً .

وكان منذر على متانته وصلابته حسن الخلق كثير الدعابة ، فربما ساء ظنُّ مَنْ لا يعرفه به لدعابته ، فإذا رأى ما يخلّ بالدين قَدْرَ شعرةٍ ثار ثورةَ الأسد الضاري وتبدلت بشاشته عبوساً .

ومرّ في رحلته بمصر فحضر يوماً مجلس أبي جعفر النحاس وهو يملي أخبار الشعراء ، فأملى شعراً لقيس مجنون بني عامر ، وهو قوله[1] :

خليليَّ هل بالشام عينٌ حزينة ... تُبَكّي على نجدٍ لعلّي أعينها
قد أسلمها الباكون إلا حمامةً ... مطوقةً بساتتْ وباتَ قرينها
تجاوبها أخرى على خيزرانةٍ ... يكادُ يَدنّيها من الأرضِ لينها

فقال له منذر ، يا أبا جعفر ماذا باتا يصنعان ، فقال له : وكيف تقول أنت يا اندلسي ؟ فقلت له : بانت وبان قرينها ، فسكت ، قال منذر : وما زال يستثقلني بعد

(1) ديوان المجنون : 270 (عن معجم الأدباء) .

ذلك حتى منعني «كتاب العين» وكنتُ ذهبتُ للاستنساخ من نسخته فلما يئست منه قيل لي أين أنت من أبي العباس ابن ولاد؟ فقصدته فلقيت رجلاً كاملَ العلم حسنَ المروءة، فسألته الكتابَ فأخرجه إليّ. ثم ندم أبو جعفر حين بلغه إباحةَ أبي العباس الكتابَ لي، وعاد إلى ما كنتُ أعرفه منه.

ومن شعر منذر بن سعيد ما كتب به إلى أبي علي القالي يستعير كتاباً من الغريب[1]:

بحق ريم مُهَفْهَفْ ... وَصُدْغِهِ المتعطِّفْ
ابعثْ إليّ بجزءٍ ... من «الغريب المصنفْ»

فأرسل إليه الكتاب وأجابه بقوله:

وحقّ درٍّ مؤلفْ ... بفيك أيَّ تألفْ
لأبعثنَّ بما قد ... حوى الغريب المصنفْ
ولو بعثتُ بنفسي ... إليكَ ما كنت أُسرفْ

وقال أيضاً[2]:

مقالي كحدِّ السيفِ وَسْطَ المحافلِ ... أُميزُ به ما بين حقٍّ وباطلِ
بقلبٍ ذكيٍّ قد توقَّدَ نورُهُ ... كبرقٍ مضيءٍ عند تسكابِ وابلِ
فما زلقتْ رجلي ولا زلَّ مِقْوَلي ... ولا طاش عقلي عند تلك الزلازلِ
وقد حَدَّقَتْ حولي عيونٌ إخالها ... كمثلِ سهامٍ أُثْبِتَتْ في المقاتلِ
أخيرَ إمامٍ كان أو هو كائنٌ ... بمقتبلٍ أو في العصورِ الأوائلِ
وفودُ ملوكِ الرومِ حَوْلَ فِنائِهِ ... مخافةَ بأسٍ أو رجاءً لنائلِ
فعشْ سالماً أقصى حياةٍ مؤمَّلاً ... فأنت رجاءُ الكلِّ حافٍ وناعلِ
ستملكها ما بين شرقٍ ومغربٍ ... إلى أرض قسطنطين أو أرض بابلِ

توفي منذر بن سعيد سنة خمس وخمسين وثلاثمائة.

---

(1) وردت هي والتي تليها في النفح 2: 20.

(2) هذه الأبيات متصلة بخطبته بين يدي الناصر. وقد وردت في كثير من المصادر المذكورة سابقاً.

ـ 1161 ـ

منصور بن إسماعيل بن عمر أبو الحسن التميمي المصري الضرير : كان إماماً في فقه مذهبه ، أديباً شاعراً مجيداً متفنناً ، له حظّ من كلّ علم ، أصله من رأس العين المشهورة بالجزيرة ، وقدم مصر وبها توفي ، ولم يكن في زمانه مثله فيها ، وكانت له منزلة جليلة عند أبي عبيد القاضي ، وكان من خواصّه الذين يخلو بهم للمذاكرة والمحادثة ، وكان بينهما مناظرات في الفروع أدَّتْ إلى الخصام ، فتعصب الأمير ذكا وجماعة من الجند لمنصور ، وتعصب للقاضي أبي عبيد جماعة منهم ابن الربيع الجيزي ، ثم شهد ابن الربيع على منصور بكلامٍ زعم أنه سمعه منه فقال القاضي : إن شهد عليه آخر بمثل ما شهد به عليه ابن الربيع ضربت عنقه ، فخاف على نفسه ومات ، وكانت وفاته في جمادى الأولى سنة ست وثلاثمائة. وله مصنفات في الفقه منها : كتاب الواجب . وكتاب المستعمل . وزاد المسافر ، وغير ذلك .

ومن شعره :

مَنْ كان يخشى زُحَلاً   أو كان يَرْجُو المشتري
فانني منه وإنْ   كان أبي منه بري

وقال :

الناسُ بحرٌ عميقٌ   والبعدُ عنهم سفينَهْ
وقد نصحتُكَ فانظرْ   لنفسِكَ المستكينَهْ

وقال[1] :

1161 ـ ترجمة منصور الفقيه في معجم الشعراء : 280 والفهرست : 265 وطبقات العمادي : 64 وطبقات الشيرازي : 107 والمنتظم 6 : 152 وابن خلكان 5 : 289 ومرآة الجنان 2 : 248 وسير الذهبي 14 : 238 والوافي (خ) ونكت الهميان : 297 وطبقات السبكي 3 : 478 والمغرب (قسم الفسطاط) : 262 وطبقات الاسنوي 1 : 299 والبداية والنهاية 11 : 130 والشذرات 2 : 249 وحسن المحاضرة 1 : 400 وطبقات ابن هداية الله : 42 وقد جمع شعره من المصادر .

(1) تتردد في كثير من المصادر ، انظر بهجة المجالس 1 : 404 .

لـي حيـلةٌ فيـمـن يـنـ	ـمُّ وليس في الكـذّاب حيلَهْ
من كـان يخلقُ مـا يقـو	لُ فحيلتي فيـه قليـلهْ

وقال :

إذا كنتَ تـزعمُ أنَّ النجـومَ	تضـرُّ وتنفـعُ مَنْ تحتـهـا
فـلا تنكرنَّ على من يقـولُ	بـأنـك بـاللّه أشْـرَكْتَـهـا

وقال يمدح يموت بن المزرع ابن اخت الجاحظ :

أنت يحيى والـذي يكـ	ـرَهُ أن تحيـا يمـوتُ
أنت صنوُ النفسِ بل انـ	ـتَ لروحِ النفسِ قوتُ
أنـت للحكمـةِ بيتٌ	لا خَلَتْ منك البيوتُ

وقال :

الكلبُ أحسنُ عشـرةً	وهو النهايةُ في الخساسَهْ
ممن ينـازعُ في الـريا	سةِ قبل أوقاتِ الرياسَهْ

وقال[1] :

لـولا بنـاتي وسيئـاتي	لطرتُ شوقاً إلى المماتِ
لأنني في جـوارِ قـومٍ	بغضني قُـرْبُهُمْ حيـاتي

وقال :

ليس للنجمِ إلى ضُـ	ـرٍّ ولا نفـعٍ سبيـلُ
إنمـا النجمُ على الأو	قـاتِ والسمتِ دليـلُ

وقال :

سـررتُ بهجـرك لمـا علمتُ	بـأن لقلبـك فيـه سـرورا
ولـولا سـرورَكَ مـا سـرَّني	ومـا كنتُ يومـاً عليه صبـورا
لأني أرى كـلَّ مـا سـاءني	إذا كان يرضيكَ سهلاً يسيـرا

(1) بهجة المجالس 1 : 761 .

وقال :

لــولا صـدودُ الصـديقِ عنّي ... مــا نــال واشٍ مـنــاهُ منّـي
ولا أدمـتُ الـبـكــاءَ حـتــى ... قَــرَّحَ فيضُ الـدمــوعِ جفني
ومــا جـفــاءُ الـصــديـقِ إلا ... هجــومُ خــوفٍ عقيبَ أمـن

وقال :

إذا رأيتَ امـرءاً في حالِ عشـرتِـهِ ... بـادي الصداقـةِ مـا في ودِّهِ دَغَـلُ
فــلا تَمَنَّ لــه حــالاً يُـسَــرُّ لـــه ... فــانـه بــانتقـالِ الحــالِ ينتقــلُ

وقال[1] :

ليس هذا زمانَ قـولكِ مـا الحكـ ... ـمُ على من يقــولُ أنتِ حـرامُ
والحقي بـــائنـــاً بـــأهـلك أو انـ ... ـتَ عـتيـقٌ مُـحَــرَّرٌ يــا غــلام
أو من تُنْكَـحُ المصابـةُ في العُـدَّ ... ةِ عــن شبـهــةٍ وكيـف الـكــلام
في حــرامٍ أصـابَ سنَّ غــزالٍ ... فــتـولّــى ولــلغــزال بُــغــام
إنمـا ذا زمـانُ كـدحٍ إلى المـو ... تِ وقــوتٌ مُـبَــلِّغٌ والـســلام

وقال :

قد قلتُ إذ مدحـوا الحياةَ فـأكثروا ... للمــوتِ ألفُ فـضيـلةٍ لا تُعْــرَفُ
مـنهــا أمــانُ لـقــائِــهِ بـلقــائــه ... وفــراقُ كــلِّ معــاشــرٍ لا يُنْصِفُ

وقال :

كـلُّ مـذكــورٍ من النـا ... سِ إذا مــا فــقــدوهُ
صار في حكمِ حديثٍ ... حَــفِــظُوهُ فَــنَــسُــوهُ

وقال :

إذا تخلفتَ عن صديقٍ ... ولم يعاتبْكَ في التخلُّفْ
فـلا تَعُـدْ بعـدهـا إليـه ... فــانـمــا وُدُّهُ تـكــلُّفْ

---

(1) بهجة المجالس 2 : 316 .

وقال(1) :

من كفــاهُ من مسـاعيـ ـه رغيفٌ يـغـتـذيـهِ
ولـه بـيـتٌ يـواريـ ـه وثـوبٌ يـكتسيـهِ
فعلى مـا يـذلُ الوجـ ـهَ لـذي كبـرٍ وتيـه؟
وعلى مـا يـذلُ العـر ضَ لمخلوقٍ سفيـه؟

وقال :

قــد قلتُ لمـا أن شكت تــركي زيـارتها خَلُوبُ
إنَّ الـتـبـاعـدَ لا يـضـ ـرُّ إذا تـقـاربتِ الـقـلوبُ

وقال :

منـذ ثـلاثٍ لم نـركْ فقـلْ لنا مـا أخَّـرَكْ
أعـلَّةٌ فـنـعـذُرَكْ أم دهـرُ سوءٍ غَيَّـرَكْ

وقال في مرضه معرّضاً بأبي عبيد القاضي(2) :

يـا شـامتـاً بي إذا هـلكتُ لـكـلِّ حيٍّ مـدىً ووقـتُ
وانـت في غـفـلةِ المـنـايـا تخـافُ منهـا الـذي أمنتُ
والكـاسُ مـلأى وعن قليـلٍ تشـربُ منها كمـا شـربتُ

وأنشد عند موته معرّضاً به أيضاً(3) :

قـضيـتُ نحبي فَسُـرَّ قـومُ حَـمْقَى بـهـم غـفـلةٌ وَنَـوْمُ
كـأنَّ يـومـي عـليَّ حـتـمٌ ولـيس لـلشـامـتيـن يـومُ

---

(1) بهجة المجالس 2 : 314 .
(2) المغرب (قسم مصر) : 263 .
(3) المغرب (قسم مصر) : 262 .

ـ 1162 ـ

منصور بن محمد بن عبد الله بن المقدر التميمي ، أبو الفتح الأصبهاني : كان نحوياً أديباً متكلماً كثيرَ الرواية حريصاً على العلم ، قدم بغداد واستوطنها وقرأ بها العربية ، وصحب الصاحب ابن عباد ، وكان معتزلياً متظاهراً بالاعتزال ، وصنف كتاب ذم الأشاعرة ، مات يوم السبت ثامن عشري جمادى الأولى سنة اثنتين وأربعين وأربعمائة .

ـ 1163 ـ

منصور بن القاضي أبي منصور محمد، أبو أحمد الأزدي الهروي قاضي هراة : كان فقيهاً شاعراً مجيداً كثير الفضائل حسن الشمائل ، تفقه على أبي حامد الإسفرائني ببغداد ، وسمع أبا الفضل ابن حمدويه والعباس بن الفضل النضروي وغيرهما ، وامتدح القادر بالله . مات سنة أربعين وأربعمائة .

ومن شعره قوله[1] :

قمْ يا غلامُ فهاتِهَا حمراءَ كالنارِ يورثُ شُرْبُها السرَّاءَ
فاليومَ قد نشر الهواءُ بأرضنا من ثلجِهِ ديباجةً بيضاءَ

وقال[2] :

مُعَتَّقَةٌ أرَقُّ من التصابي ومن وَصْلٍ أتى بعدَ التنائي
يطوفُ بها قضيبٌ في كثيبٍ تطلَّعَ فوقه بدرُ السماء

1162 ـ ترجمة منصور التميمي في بغية الوعاة 2 : 302 ، وذكر عام وفاته وعقب على ذلك بقوله : قاله ياقوت والقفطي ، (ولكن ترجمته لم ترد عند القفطي) .

1163 ـ ترجمة منصور الهروي في اليتيمة 4 : 348 ودمية القصر 2 : 719 وسير الذهبي 17 : 275 وطبقات السبكي 5 : 346 .

(1) اليتيمة 4 : 349 .

(2) اليتيمة : 348 .

لــواحــظُهُ تبثُّ الــسحــرَ فينــا ... وفي شفتيــه أسبــابُ الشفــاء

وقال[1] :

خِشْفٌ من التُّرْكِ مثلُ البدرِ طلعتُهُ ... يحوزُ ضـدَّينِ من ليـلٍ وإصباحِ

كــأنَّ عينيــه والتـفتيــرُ كُحْلُهُمَــا ... آثارُ ظُفْرٍ بــدتْ في صحنِ تفاحِ

وقال :

أدرِ المـدامةَ يـا غـلامُ فـإننـا ... في مجلسٍ بيدِ الربيع مُنَضَّدِ

والــوردُ أصفـرهُ يلوحُ كـأنَّـهُ ... أقـداحُ تبرٍ كُفِّتَتْ بِـزَبَرْجَـدِ

وقال[2] :

قَرَنَ الربيعُ إلى البنفسج نـرجساً ... متبــرجــاً فـي حُلَّةِ الإعـجــابِ

كخدودِ عُشّاقٍ قـد آصفرَّتْ وقـد ... نــظرتْ إليهــا أعينُ الأحبــاب

وقال :

طلع البنفســجُ زائـراً أهــلاً بــه ... من وافـدٍ سَــرَّ القـلوبَ وزائــرِ

فكـأنّمـا النقّــاشُ صَــوَّرَ وَشْــطَه ... في أزرقِ الـديباجِ صـورةَ طائـر

وقال[3] :

روضــةٌ غضَّــةٌ عليهـا ضبــابٌ ... قــد تجلَّتْ خــلالـهــا الأنــوارُ

فهي تحكي مجـامـراً مــذكَيـاتٍ ... قـد عـلاهــا من البخـورِ بخــار

وقال[4] :

يـا أيهـا العـاذلُ المـردودُ حُجَّتُـهُ ... أقْصِرْ فعذريَ قـد أبدتْـهُ طَلْعَتُـهُ

مــاذا بقلبيَ من بــدرٍ بليتُ بــه ... للّيثِ أخـلاقُـهُ والخِشفِ خِلْقَتُـهُ

---

(1) اليتيمة : 349 .

(2) اليتيمة (نفسه) .

(3) المصدر نفسه .

(4) هذه القطعة والتالية لها في اليتيمة : 350 .

وقال :

وشادنٍ في الحسن فوقَ المثلْ أبصـرَ مني بوجوهِ العملْ
قبلتُ كفيه فقال انتقلْ إلى فمي فهو محلُّ القبل

وقال[1] :

اللَّهُ جارُ عصابةٍ رحلوا عنّي وقلبُ الصبِّ عندهمُ
ما الشانُ ويحكَ في رحيلهمُ الشانُ أني عشتُ بعدهمُ

وقال[2] :

أبا عبدِ الإلاه العلمُ روحٌ وجدتك[3] دونَ كلِّ الناسِ شخصَهْ
لذلك كلُّ أهلِ الفضلِ أَضْحَوْا كحلقةِ خاتمٍ وغدوتَ فُصَّهْ

وقال :

بقيتَ مدى الزمانِ أبا علي رفيعَ الشان ذا جَدٍّ عليٍّ
فأنت من المكارم والمعالي بمنزلةِ الوصيِّ من النبي

ـ 1164 ـ

منصور بن المسلم بن علي بن أبي الخرجين أبو نصر الحلبي المؤدب ، المعروف بابن أبي الدميك : كان أديباً فاضلاً نحوياً شاعراً ، له تصانيف وردود على ابن جني منها : تتمة ما قصر فيه ابن جني في شرح أبيات الحماسة . وديوان شعر

1164 ـ ترجمة ابن أبي الدميك في الخريدة (قسم الشام) 2 : 169 (أبو منصور) وانباه الرواة 3 : 326 وبغية الوعاة 2 : 303 وكانت وفاته بدمشق سنة عشر وخمسمائة في قول القفطي وسنة نيف وعشرين وخمسمائة حسب قول العماد .

(1) اليتيمة : 349 .
(2) هذه القطعة والتي تليها في اليتيمة: 350 .
(3) م : وانك .

وقفت عليه بخطه الرائق فوجدته مشحوناً بالفوائد النحوية ، وقد شرح ألفاظه اللغوية واعتنى بإعرابه فدلَّ على تبحره في علم العربية.

ومن شعره[1] :

أأحبابَنا إنْ خلَّف البينُ بعدكم ... قلوباً ففيها للتفرق نيرانُ
رحلتم على أنَّ القلوب دياركم ... وأنكمُ فيها على البعدِ[2] سكان
عسى موردٌ من سفحِ جَوْشَن[3] ناقعٌ ... فإني الى تلك الموارد ظمآن
وما كلُّ ظنٍّ ظنه المرءُ كائنٌ ... يقومُ عليه للحقيقةِ برهان
وعيشُ الفتى طعمان حلوٌ وعلقم ... كما حاله قسمان رزقٌ وحرمان

وقال :

إن كتمتُ الهوى تزايدَ سُقْمي ... وأخافُ العيونَ حين أبوحُ
لأبوحنَّ بالذي في ضميري ... مِنْ هواه لعلني أستريحُ

وقال :

وإنَّ اغترابَ المرءِ من غير فاقةٍ ... ولا حاجةٍ يسمو لها لعجيبُ
فحسبُ الفتى بخساً وإن أدركَ الغنى ... ونال ثراءً أن يقالَ غريب

وقال :

أخي ما بالُ قلبك ليس يَنْقَى ... كأنك لا تظنُّ الموتَ حقا
ألا يا ابنَ الذين مضوا وبادوا ... أما واللَّهِ ما ذهبوا لتبقى
وما لك غيرُ تقوى الله زادٌ ... إذا جَعَلَتْ الى اللهواتِ ترقى

وقال :

وقائلٍ كيف تهاجرتما ... فقلتُ قولاً فيه إنصافُ
لم يكُ من شكلي فتاركتُهُ ... والناسُ أشكالٌ وأُلّاف

---

(1) من قصيدة له طويلة في الخريدة 2 : 171 .

(2) الخريدة : على النأي .

(3) جوشن : جبل مطل على حلب .

ـ 1165 ـ

منوجهر بن محمد بن تركان شاه بن محمد بن الفرج ، أبو الفضل ابن أبي الوفاء البغدادي الكاتب: كان كاتباً فاضلاً أديباً حاذقاً حسن الطريقة ، سمع أباه وأبا بكر الحلواني ، وسمع « المقامات » من مؤلفها الحريري ورواها عنه ، وروى عنه أبو الفتوح ابن الخضري وابن الأخضر وغيرهما . مات سنة خمس وسبعين وخمسمائة .

ـ 1166 ـ

مؤرج بن عمرو بن الحارث بن منيع بن ثور بن سعد بن حرملة بن علقمة بن عمرو بن سدوس السدوسي البصري النحوي الأخباري : هو من أعيان أصحاب الخليل عالم بالعربية والحديث والأنساب ، أخذ عن أبي زيد الأنصاري وصحب الخليل بن أحمد وسمع الحديث من شعبة بن الحجاج وأبي عمرو بن العلاء وغيرهما ، وأخذ عنه أحمد بن محمد بن أبي محمد اليزيدي وغيره ، وكان قد رحل مع المأمون إلى خراسان فسكن مدينة مرو ، وقدم نيسابور وأقام بها وكتب عنه مشايخها ، ويقال إن الأصمعي كان يحفظ ثلث اللغة ، وكان الخليل يحفظ ثلث اللغة ، وكان مؤرج يحفظ الثلثين ، وكان أبو مالك يحفظ اللغة كلها.

وقال أبو عبد الله محمد بن العباس اليزيدي ، أخبرني عمي قال ، أخبرني مؤرج أنه قدم من البادية ولا معرفة له بالقياس في العربية ، قال : فأولُ ما تعلمتُ القياسَ في حلقة أبي زيد الأنصاري بالبصرة.

وقال محمد بن العباس أيضاً : أهدى أبو فيد مؤرج السدوسي إلى جدي محمد بن أبي محمد كساءً ، فقال جدي فيه :

سأشكرُ ما أولى ابنُ عمروٍ مؤرّجٌ   وأمنحُهُ حُسْنَ الثناءِ مع الودِّ

1165 ـ ترجمة منوجهر في بغية الوعاة 2 : 304 .

1166 ـ ترجمة مؤرج في مراتب النحويين : 67 وطبقات الزبيدي : 178 والفهرست : 53 ونزهة الألباء: 89 وتاريخ أبي المحاسن : 89 ونور القبس : 104 وانباه الرواة 3 : 327 وتاريخ بغداد 13 : 258 وابن خلكان 5 : 304 وبغية الوعاة 2 : 305 .

أغــرُّ ســدوسيٌّ نمــاه إلى العــلا أبٌ كـان صبّاً بـالمكـارم والمجـد
أتينـا أبـا فيـدٍ نـؤمِّـلُ سَيْبَـهُ ونقـدحُ زَنْـداً غيـرَ كـابٍ ولا صَلْدِ
فـأَصْدَرَنـا بالفضـلِ والبذلِ والغنى ومـا زال محمـودَ المصـادرِ والـورد
كســاني ولم أستكسِـهِ متبـرعـاً وذلـك أهنَى مـا يكـونُ من الـرفـد
كســاءَ جمـالٍ إن أردتَ جمـالـةً وثــوبَ شتـاءٍ إن خشيتَ من البـرد
كسـانيه فضفـاضـاً إذا مـا لبستُهُ تـرنحتُ مختالاً وَجُـرْتُ عن القصد
تـرى حُبُكـاً فيـه كـأنَّ اطّـرادهـا فـرندُ حسـامٍ نصلُهُ سُـلَّ من غمـد
سـأشكـرُ مـا عشتُ السـدوسيَّ بـرَّه وأوصي بشكرٍ للسدوسيِّ من بعـدي

وصنَّف مؤرج : غريب القرآن . كتاب الأنواء . كتاب المعاني . كتاب جماهير القبائل . حذف [من] نسب قريش[1] ، وغير ذلك .

ـ 1167 ـ

موسى بن بشار أبو محمد ، مـولى تيم بن مرة : وقيـل مولى بني سهم ، القرشي بالولاء الملقب بشهوات ، لقب بذلك لأنه كان سؤولاً ملحفاً إذا رأى شيئاً أعجبه من متاع أو ثياب تباكى ، فـإذا قيل لـه مالـك ؟ قال : أشتهي هـذا ، فلقب شهوات ، وقيل بل كان يجلبُ القندَ والسكرَ إلى البلد ، فقالت امرأة من أهله : ما يزال موسى يجيئنا بالشهوات فغلب ذلك عليه .

وكان شاعراً مجيداً من شعراء الأمويين يستجـدي خلفاءَهم وأمـراءَهم ، وكان يدخل على سليمان بن عبد الملك وينشده ، ومن مشهور شعره قوله في الأمير سعيد بن خالد العثماني :

1167 ـ ترجمة موسى شهوات في الشعر والشعراء : 481 والأغـاني 3: 147 ومعجم المرزبـاني : 286 والخزانة 1 : 144 والسمط : 807 ونسب قريش : 240 وله شعر كثير في جمهرة نسب قريش للزبير بن بكار ؛ قلت : وموضع هذه الترجمة معجم الشعراء لا معجم الأدباء .

(1) نشر بتحقيق د . صلاح الدين المنجد (القاهرة: 1960) .

أبا خالدٍ أعني سعيدَ بن خالدٍ ... أخا العُرْفِ لا أعني ابنَ بنتِ سعيدِ
ولكنني أعني ابنَ عائشةَ الذي ... أبو أبويه خالدُ بن أسيد
عقيدُ الندى ما عاش يرضَى به الندى ... فإن ماتَ لم يرضَ الندى بعقيد
دَعُوه دَعُوه إنكمْ قد رقدتمُ ... وما هو عن أحسابكمْ بِرَقُود
فدىً للكريم العبشمي ابنِ خالدٍ ... بنيَّ ومالي طارفي وتليدي
على وجهه تلقى الأيامنَ باسمه ... وكان جواري طيرهِ بسعود
أبان وما استغنى عن الثدي خيره ... أبان به في المهدِ قبل قعود
ترى الجندَ والحجابَ يَغْشَوْنَ بابَهُ ... بحاجاتهم من سيدٍ ومسود
فيعطي ولا يُعْطَى وَيُغْشَى وَيُجْتَدَى ... وما بابه للمجتدي بسديد
قتلتَ أناساً هكذا في جلودهم ... من الغيظِ لم تقتلهمُ بحديد
يعيشون ما عاشوا بغيظٍ وإن تحنْ ... مناياهمُ يوماً تحنْ بحقود
فقل لبغاةِ العُرْفِ قد مات خالدٌ ... ومات الندى إلا فضولَ سعيد

- 1168 -

المؤمل بن أميل بن أسيد المحاربي ، من محارب بن خصفة بن قيس بن عيلان : كوفي من مخضرمي شعراء الدولتين الأموية والعباسية ، وكان في دولة بني العباس أشهر لأنه كان من الجند المرتزقة معهم ومن أوليائهم وخواصّهم ، وانقطع إلى المهديّ قبل خلافته وبعدها ، وكان شاعراً مجيداً ودون طبقة الفحول .

قال ابن قدامة[1] : حدثني المؤمل بن أميل قال : قدمتُ على المهديّ وهو بالريّ وهو إذ ذاك وليّ عهدٍ فامتدحته بأبيات فأمر لي بعشرين ألف درهم ، فكتب بذلك صاحبُ البريد إلى أبي جعفر المنصور وهو بمدينة السلام يخبره أن الأمير المهدي أمر

1168 ـ ترجمة المؤمل في الأغاني 22 : 254 والسمط : 524 والخزانة 3 : 523 ونكت الهميان : 299 . (وهو شاعر لا أديب) .

(1) الأغاني 22 : 256 (وفيه أبو قدامة) .

لشاعر بعشرين ألف درهم ، فكتب المنصور إلى ابنه المهدي يعذله ويلومه ، وكتب إلى كاتب المهدي أن يوجّه إليه بي فطلبني ولم يظفر بي ، فكتب إلى المنصور أنه توجه إلى مدينة السلام ، فأجلس قائداً من قواده على جسر النهروان وأمره أن يتصفح الناس ، حتى إذا علق بي حملني إليه ، فلما مرَّت به القافلة التي أنا فيها تصفحها فوقع بصره عليّ فسألني من أنت ؟ قلت : أنا المؤمل بن أميل المحاربي الشاعر أحد زوارِ الأمير المهدي ، فقال : إياك طلبت ، فكاد قلبي أن يتصدَع خوفاً من الخليفة ، فقبض عليّ وأسلمني إلى الربيع ، فأدخلني إلى المنصور ، فسلمت تسليم مُرَوَّع ، فردَّ السلام وقال : ليس لك ها هنا إلاّ خير، أنت المؤمل بن أميل ؟ قلت : نعم أصلح اللّه أمير المؤمنين ، قال : أتيتَ غلاماً غراً فخدعته حتى أعطاك من مال الله عشرين ألف درهم ، قلت : نعم أصلح الله الأمير ، أتيتُ غلاماً غراً كريماً فخدعته فانخدع ، قال المؤمل : فكأنّ كلامي أعجبه ، فقال : أنشدني ما قلت فيه ، فأنشدته :

هو المهديُّ إلا أنَّ فيه ... مشابهَ صورةِ القمرِ المنيرِ
تشابه ذا وذا فهما إذا ما ... أنارا مشكلانِ على البصير
فهذا في الظلام سراجُ ليلٍ ... وهذا في النهار ضياءُ نور
ولكن فضَّلَ الرحمنُ هذا ... على ذا بالمنابرِ والسرير
وبالمُلْكِ العزيز فذا أميرٌ ... وما ذا بالأمير ولا الوزير
ونقصُ الشهرِ ينقصُ ذا، وهذا ... منيرٌ عند نقصانِ الشهور
فيا ابنَ خليفة اللّه المصفَّى ... به تعلو مفاخرةُ الفخور
لئن فُتَّ الملوكَ وقد توافَوْا ... إليك من السهولةِ والوعور
لقد سبق الملوكَ أبوك حتى ... غدوا ما بين كابٍ أو حسير
وجئتَ مصلّياً تجري حثيثاً ... وما بكَ حين تجري من فتور
فقال الناس ما هذان إلا ... كما بين الخليق إلى الجدير
لئن سبق الكبيرُ فأهلُ سبقٍ ... له فضلُ الكبيرِ على الصغير
وإن بلغ الصغيرُ مدى كبيرٍ ... فقد خُلِقَ الصغير من الكبير

فقال المنصور : والله لقد أحسنت ، ولكن هذا لا يساوي عشرين ألف درهم ، فأين المال ؟ قلت : هو هذا ، فقال : يا ربيع امضِ معه فأعطه أربعة آلاف درهم وخذ الباقي ، قال المؤمل : فوزن لي الربيع من المال أربعة آلاف درهم وأخذ الباقي ، فلما ولي المهدي الخلافة رفعتُ إليه رقعة ، فلما قرأها ضحك وأمر بردّ العشرين ألف درهم إليّ فَرُدَّتْ فأخذتها وانصرفت .

وأنشد نفطويه للمؤمل بن أميل :

لا تغضبنَّ على قومٍ تحبهمُ فليس منك عليهم ينفعُ الغضبُ
ولا تخاصمهمُ يوماً وإن ظلموا إن الولاةَ إذا ما خوصموا غلبوا
يا جائرين علينا في حكومتهمْ والجورُ أقبحُ ما يؤتى ويُرْتَكَبُ
لسنا إلى غيركم منكم نفرُّ إذا جرتم ولكنْ إليكم منكم الهرب

وقال :

وكم من لئيم ودَّ اني شتمتُهُ وإن كان شتمي فيه صابٌ وعلقمُ
ولَلكفُّ عن شتم اللئيم تكرماً أضرُّ له من شتمهِ حينَ يُشْتَمُ

مات المؤمل بن أميل في حدود تسعين ومائة .

ـ 1169 ـ

موهوب بن أحمد بن الحسن بن الخضر الجواليقي البغدادي : كان من كبار أهل اللغة إماماً في فنون الأدب ثقة صدوقاً ، أخذ الأدبَ عن أبي زكريا يحيى الخطيب التبريزي ولازمه ، وسمع الحديث من أبي القاسم ابن اليسري وأبي طاهر ابن أبي الصقر ، وروى عنه الكندي وأبو الفرج ابن الجوزي ، وأخذ عنه أبو البركات

1169 ـ ترجمة ابن الجواليقي في الأنساب 3 : 337 (واللباب 1 : 301) ونزهة الألباء : 277 والمنتظم 10 : 118 والكامل لابن الأثير 11 : 106 وانباه الرواة 3 : 335 وابن خلكان 5 : 342 وتذكرة الحفاظ : 1286 وعبر الذهبي 4 : 110 وسير الذهبي 20 : 89 والمستفاد من ذيل تاريخ بغداد : 236 ومرآة الجنان 3 : 271 والبداية والنهاية 12 : 220 وذيل طبقات الحنابلة 1 : 204 والنجوم الزاهرة 5 : 277 وبغية الوعاة 2 : 308 والشذرات 4 : 127 وإشارة التعيين : 357 .

عبد الرحمن بن محمد الأنباري ، ودرَّس الأدبَ في النظامية بعد شيخه التبريزي ، واختص بإمامة المقتفي لأمر الله ، وكان من أهل السنّة ، طويلَ الصمتِ لا يقولُ شيئاً إلا بعد التحقيق ، ويكثر من قول لا أدري ، وكان مليحَ الخطِّ يتنافسُ الناسُ في تحصيله والمغالاة به ، وكان يختار في بعض مسائل النحو مذاهبَ غريبة . قال ابن الأنباري(1) : كان يذهب إلى أن الاسم بعد لولا يرتفعُ بها على ما يذهب إليه الكوفيون ، وإلى أن الألف واللام في نعم الرجلُ للعهد ، خلاف ما ذهب إليه الجماعة من أنها للجنس ، قال : وحضرت حلقته يوماً وهو يُقرأ عليه « كتاب الجمهرة » لابن دريد ، وقد حكى عن بعض النحويين أنه قال : أصل ليس لا أيس ، فقلت : هذا الكلام كأنه من كلام الصوفية ، فكأن الشيخ أنكر عليَّ ذلك ولم يقل في تلك الحال شيئاً ، فلما كان بعد أيام وقد حضرنا الدرس على العادة قال : أين ذلك الذي أنكر أن يكون أصلُ ليس لا أيس ، أليس لا تكون بمعنى ليس ؟ فقلت : ولم إذا كانت لا بمعنى ليس يكون أصل ليس لا أيس فلم يذكر شيئاً وسكت . قال : وكان الشيخ رحمه الله في اللغة أمثلَ منه في النحو .

وحكى ولد الجواليقي أبو محمد إسماعيل قال(2) : كنت في حلقة والدي يوم الجمعة بعد الصلاة بجامع القصر والناس يقرؤون عليه ، فوقف عليه شاب وقال : يا سيدي قد سمعتُ بيتين من الشعر ولم أفهم معناهما وأريد أن تسمعهما مني وتعرّفني معناهما فقال : قل ، فأنشد :

وصلُ الحبيبِ جنانُ الخلدِ أسكنها ... وهجرُهُ النارُ يُصليني به النارا

فالشمسُ بالقوسِ أمستْ وهي نازلةٌ ... إن لم يزرني وبالجوزاءِ إن زارا

قال إسماعيل : فلما سمعهما والدي قال : يا بني هذا معنى من علم النجوم وسيرها لا من صنعة أهل الأدب ، فانصرف الشاب من غير فائدة واستحيا والدي من أن يُسْأل عن شيء ليس عنده منه علمٌ ، فآلى على نفسه أن لا يجلس في حلقته حتى ينظرَ في علم النجوم ويعرف تسيير الشمس والقمر ، فنظر في ذلك ثم جلس للناس . ومعنى

---

(1) ذكر ذلك في نزهة الألباء .

(2) انباه الرواة : 336 ـ 337 .

البيت أن الشمس إذا كانت في القوس كان الليل طويلاً فجعل ليالِيَ الهجر فيه ، وإذا كانت في الجوزاء كان الليل قصيراً فجعل ليالي الوصل فيها .

وللجواليقي من التصانيف : شرح أدب الكاتب[1] . كتاب العروض . التكملة فيما يلحن فيه العامة ، أكمل به « دُرَّةَ الغواص » للحريري . المعرب من الكلام الأعجمي[2] ، وغير ذلك[3] .

وكانت ولادته سنة ست وستين وأربعمائة ، وتوفي يوم الأحد خامس عشر المحرم سنة تسع وثلاثين وخمسمائة .

ـ 1170 ـ

المؤيد بن عطاف بن محمد بن محمد بن علي بن محمد أبو سعيد الآلوسي الشاعر الأديب : ولد بآلوس سنة أربع وتسعين وأربعمائة ، ونشأ بدجيل ، واتصل بخدمة ملكشاه مسعود بن محمد السلجوقي فعلا ذكره وتقدم وأثرى ، ودخل بغداد في أيام المسترشد فصار جاويشاً ، ولما صارت الخلافة إلى المقتفي تُكُلِّم فيه وفي أصحابه بما لا يليق فقُبض عليه وسجن ، فلبث في السجن عشر سنين وأخرج منه في خلافة المستنجد .

ومن شعره :

رحلوا فأفنيتُ الدموعَ لبُعدهم ... من بَعدهم وعجبتُ إذ أنا باقِ
وعلمتُ أن العودُ يقطرُ ماؤه ... عند الوقودِ لفرقةِ الأوراق
وأبيتُ مأسوراً وفرحةُ ذكركم ... عندي تعادلُ فرحةَ الاطلاق
لا تنكرُ البلوى سوادَ مفارقي ... فالحرقُ يحكم صنعةَ الحراق

1170 ـ ترجمة المؤيد بن عطاف في الخريدة (قسم العراق) 2 : 172 وابن خلكان 5 : 346 واللباب (الألوسي) والفوات 2 : 453 والشذرات 4 : 185 .

(1) طبع بالقاهرة 1350 (مكتبة القدسي) .
(2) طبع بتحقيق أحمد محمد شاكر ، القاهرة 1361 .
(3) له « فعلت وأفعلت » تحقيق ماجد الذهبي ، دمشق 1984 .

وقال في صفة القلم :

ومثقفٍ يغني ويفني دائماً في طوريَ الميعاد والايعادِ
قلمٌ يفلُّ الجيشَ وهو عرمرمٌ والبيضُ ما سُلَّتْ من الأغماد
وهبت به الآجامُ حين نشا بها كَرَمَ السيولِ وهيبةَ الآساد

توفي أبو سعيد بالموصل يوم الخميس الرابع والعشرين من رمضان سنة سبع وخمسين وخمسمائة عن ثلاث وستين سنة .

ـ 1171 ـ

ميمون الأقرن : هو الإمام المقدَّم في العربية بعد أبي الأسود الدؤلي ، أخذ عن أبي الأسود ، وأخذ عنه عنبسة بن معدان الفيل في أصح الروايتين : حدث إسحاق بن إبراهيم الموصلي عن المدائني قال : أمر زياد أبا الأسود الدؤلي أن ينقطَ المصاحفَ فنقطها ، ورسم من النحو رسوماً ، ثم جاء بعده ميمون الأقرن فزاد عليه في حدود العربية ، ثم زاد فيها بعده عنبسة بن معدان المهري .

وكان ميمون أحد أئمة العربية الخمسة الذين يرجع إليهم في المشكلات ، حدث أبو عبيدة أن يونس النحوي سئل عن جرير والفرزدق والأخطل أيهم أشعر فقال : أجمعت العلماء على الأخطل ، قال أبو عبيدة : فقلت لرجلٍ إلى جنبه سله من هؤلاء العلماء ؟ فسأله فقال : هم ميمون الأقرن وعنبسة الفيل وابن أبي إسحاق الحضرمي وأبو عمرو بن العلاء وعيسى بن عمر الثقفي ، هؤلاء طَرَّقوا الكلام وماثوه موثاً لا كمن تحكون عنهم لا هم بدويون ولا نحويون .

وقال أبو عبيدة : أول من وضع العربية أبو الأسود الدؤلي ثم ميمون الأقرن ثم عنبسة الفيل ثم عبد الله بن أبي إسحاق الحضرمي ثم عيسى بن عمر الثقفي .

1171 ـ ترجمة الأقرن في مراتب النحويين : 12 وطبقات الزبيدي : 30 والفهرست : 46 وانباه الرواة 3 : 337 وبغية الوعاة 2 : 307 ونزهة الألباء : 6 .

ـ 1172 ـ

ميمون بن جعفر أبو توبة النحوي : كان لغوياً نحوياً أديباً ، أخذ عن أبي الحسن الكسائي ، وكان يؤدب عمرو بن سعيد بن سلم ، فلما قدم الأصمعيُّ من البصرة نزل على سعيد ، فحضر يوماً وأخذ سعيدٌ يسأله فجعل أبو توبة إذا مرَّ الأصمعي بشيء من الغريب بادر إليه فأتى بكل ما في الباب أو أكثره ، فشق ذلك على الأصمعي فعدل بأبي توبة إلى المعاني ، فقال سعيد : يا أبا توبة لا تتبعه في هذا الفن ـ يعني المعاني ـ فإنه صناعته ، فقال أبو توبة : وماذا عليّ في ذلك ؟ إن سألني عما أحسنه أجبته ، وما لا أحسنه تعلمته منه واستفدته .

1172 ـ ترجمة أبي توبة النحوي في انباه الرواة 3 : 338 (وفيه ميمون بن حفص) وبغية الوعاة 2 : 309 .

حرف النون

****

ـ 1173 ـ

ناصر بن أحمد بن بكر ، أبو القاسم الخُوَيِّي[1] النحوي الأديب : ولد في المحرم سنة ست وستين وأربعمائة ، قرأ النحو على أبي طاهر الشيرازي والفقهَ على أبي إسحاق الشيرازي ، وسمع أبا القاسم علي بن أحمد بن البسري[2] وأبا الحسين عاصم بن الحسين المعروف بابن النقور العاصمي وأبا زيد نظام الملك . وكان شيخَ الأدب في أذربيجان غير مدافع ، وولي القضاءَ بها مدةً ، ورحل إليه الناس من الأطراف ، وصنف « شرح اللمع لابن جني » وتوفي في ربيع الآخر سنة سبع وخمسمائة .

ومن شعره :

عليكَ بإغبابِ الزيارةِ إنها ... تكون إذا دامتْ إلى الهجرِ مَسْلَكا
فإني رأيتُ الغيثَ يُسْأَمُ دائماً ... وَيُسأَلُ بالأيدي إذا هو أمسكا

وقال[3] :

نصير تراباً كأن لم نكنْ ... وعاةَ العلوم رعاةَ الأُمَمْ
فتباً لعيشٍ قصيرِ الدوامِ ... ووجدانِ حظٍّ قرين[4] العدم

1173 ـ ترجمة ناصر الخويي في انباه الرواة 3 : 341 ومعجم السفر : 381 (وفي نسبه ابن بكران) وبغية الوعاة 2 : 310 وإشارة التعيين : 361 .

(1) نسبة إلى خوي ، بلد بأذربيجان.
(2) م : السري .
(3) وردا في الانباه وبغية الوعاة ومعجم السفر .
(4) م : قريب .

- 1174 -

ناصر بن عبد السيد بن علي ، أبو الفتح المطرّزي الخوارزمي النحوي الأديب : ولد بخوارزم في رجب سنة ثمان وثلاثين وخمسمائة في السنة والبلدة التي مات فيها الزمخشري ، ولذلك قيل له خليفة الزمخشري سيما وقد كان على طريقته رأساً في الاعتزال داعياً إليه ، وكان ينتحل في الفروع مذهب أبي حنيفة ، وكان فقيهاً فاضلاً بارعاً في النحو واللغة وفنون الأدب ، وله شعر حسن يتعمد فيه استعمال الجناس . قرأ ببلده على أبيه أبي المكارم عبد السيد ، وعلى أبي المؤيد الموفق بن أحمد بن إسحاق المعروف بأخطب خوارزم وغيرهما ، وسمع من أبي عبد الله محمد بن علي بن أبي سعيد التاجر وغيره ، ودخل بغداد متوجهاً إلى الحج سنة إحدى وستمائة ، وجرى له فيها مباحث مع جماعة من الفقهاء والأدباء ، وأخذ أهل الأدب عنه .

وصنف : شرح المقامات للحريري . والمغرب في غريب ألفاظ الفقهاء[1] . والمعرب في شرح المغرب . والاقناع في اللغة . والمقدمة المطرزية في النحو . والمصباح في النحو أيضاً مختصر . ومختصر إصلاح المنطق لابن السكيت ، وغير ذلك .

مات بخوارزم يوم الثلاثاء الحادي والعشرين من جمادى الأولى سنة عشر وستمائة .

ومن شعره[2] :

وزندُ ندىً فواضله وريٌّ ورندُ ربىً خواضلُهُ نضيرُ

1174 ـ ترجمة المطرزي في انباه الرواة 3 : 339 وتكملة المنذري رقم : 1300 وابن خلكان 5 : 369 وسير الذهبي 22 : 28 والمستفاد من ذيل تاريخ بغداد : 237 والجواهر المضية 2 : 190 وبغية الوعاة 2 : 311 وتاج التراجم : 79 والبلغة : 272 والفوائد البهية : 218 .

(1) طبع في حيدر آباد الدكن ثم أعيد طبعه في بيروت بعناية الصديق الشيخ خليل الميس .

(2) وردا في الانباه .

وذُرّ خلالِهِ أبداً ثمينٌ وذَرٌّ نوالِه أبداً غزير

وقال[1] :

تعامى زماني عن حقوقي وإنه قبيحٌ على الزرقاءِ تُبْدي تعاميا
فإن تنكروا فضلي فإن رغاءَهُ كفى لذوي الأسماع منكم مناديا

وقال :

يا وحشةً لجيرة مذ نأَوْا علوُّ قدري في الهوى آنحطّا
حكتْ دموعي البحرَ من بعدهم لما رأتْ منزلَهُمْ شَطّا

ـ 1175 ـ

نبا بن محمد بن محفوظ ، أبو البيان القرشي الدمشقي المعروف بابن الحوراني : شيخ الطريق البيانية بدمشق ، كانت له معرفة تامة باللغة والأدب والفقه ، وكان شاعراً فاضلاً زاهداً عابداً . سمع أبا الحسن علي بن الموازيني وأبا الحسن علي بن أحمد بن قبيس المالكي ، وسمع منه يوسف بن عبد الواحد بن وفاء السلمي والقاضي أسعد بن المنجا والفقيه أحمد العراقي وعبد الرحمن بن الحسين بن عبدان وغيرهم . وصحب الشيخ أرسلان الدمشقي الصوفي ولزمه وكان ينفرد به .

وله تصانيف مفيدة ومجاميع لطيفة وشعر كثير ، ومن مصنفاته منظومة في الصاد والضاد . ومنظومة في تعزيز بيتي الحريري اللذين أولهما :

* سِمْ سمةً تحمد آثارها *

1175 ـ ترجمة ابن الحوراني في ابن القلانسي : 512 ومرآة الزمان : 139 والمشتبه : 122 وعبر الذهبي 4 : 144 وسير الذهبي 20 : 326 ومرآة الجنان 3 : 298 وطبقات السبكي 7 : 318 وطبقات الاسنوي 1 : 234 والبداية والنهاية 12 : 235 وتبصير المنتبه 1 : 221 وبغية الوعاة 2 : 312 والشذرات 4 : 160 وتاج العروس (بين ، نبو) .

(1) هما في الانباه : 340 .

قال فيها :

بل سِمْهُ بالهجرِ عندي لمحـ ـمود يوالي سُمُّـهُ بَلْسَمَهْ

توفي بدمشق يوم الثلاثاء غرة ربيع الأول سنة احدى وخمسين وخمسمائة .

ـ 1176 ـ

نجم بن سراج العقيلي البغدادي الأصل الملقب بشمس الملك : رحل مع أهله إلى مصر صغيراً وتوطَّنَ بأسنا من بلاد الصعيد فنشأ بها ، وهو أحدُ شعراءِ العصر المجيدين وأدبائه المبرزين ، شائعُ الصيتِ سائر الذكر ، تصرَّفَ بفنون الأدب وتميز بالشعر فمدح الأكابرَ والأعيان ، وكان منقطعاً إلى الرئيس جعفر بن حسان بن علي الأسنائي أحدِ أكابر العصر وأدبائه ، وله فيه مدائح كثيرة ، وكان بينه وبين مجد الملك جعفر بن شمس الخلافة الأديب الشاعر صحبةٌ ومودةٌ ومطارحات . توفي سنة إحدى وستمائة .

ومن شعره في مدح الرئيس ابن حسان المذكور قوله :

قفِ الركبَ واسألْ قبلَ حثِّ الركائبِ لعلَّ فؤادي بين تلك الحقائبِ

وماذا عسى يُجْدِي السؤالُ وإنما أعلِّلُ قلباً ذاهباً في المذاهب

فواللّه لولا الشعرُ سُنّةُ مَنْ خلا ونحلةُ قومٍ في العصورِ الذواهب

لنزَّهْتُ[1] نفسي عن سؤالِ معاشرٍ يَرَوْنَ طِلابَ البرِّ[2] أسنى المكاسب

وهبتُ لمن يأبى مديحيَ عِرْضَهُ وإن كان للمعروفِ ليس بواهب

وأقسمتُ لا أرجو سوى رِفْدِ جعفرٍ حليفِ الندى ربِّ العلا والمناقب

1176 ـ ترجمة نجم بن سراج في الطالع السعيد : 672 وقال : ذكره صاحب كتاب الأرج الشائق من الشعراء الذين مدحوا ابن حسان الاسنائي وأورد قصيدته البائية وغيرها .

(1) الطالع : لجنبت .
(2) الطالع : الجود .

أحقّ فتى يُطْرَى وَيُرْجَى[1] وَيُتَّقَى ... كما تُتَّقَى خوفاً[2] شِفَارُ القواضب
إذا نحن قَدَّرنا[3] تقاعُسَ مجدِهِ ... وجدناه بالتقصيرِ[4] فوقَ الكواكب
وإن نحن رُمْنَا وصفَ جدوى يمينه[5] ... رأينا نداهُ فوق سحٍّ[6] السحائب
أخو هممٍ لم يُسْلِهِ اللومُ هَمَّه[7] ... وما همُّه غيرُ اتصالِ المواهب[8]
جوادٌ تراه الدهرَ في البِرِّ دائباً[9] ... كأن عليه الجودَ ضربةُ لازب
رقيتُ بإحسانِ ابنِ حسانَ منبراً ... فكنتُ به في الفضل أحسنَ خاطب[10]
وصُلْتُ على الأيام حتى لقد غَدَتْ ... من الرعب من بعد الجفاءِ صواحبي

ومن هذا رجع إلى الغزل وختم القصيدة به فقال بعده :

على أنني من وقع عاديةِ النوى[11] ... دريئةُ رامٍ للأسى والنوائب
وما الحبُّ شيءٌ يجهلُ المرءُ قدرَهُ ... وما فيه لا يخفَى على ذي التجارب
خليليَّ كفا واتركاني وخلّيا ... ملامي فذهني حاضرٌ غيرُ غائب
إذا كان ذنبي الحبّ والوجد والهوى[12] ... فتلك ذنوبٌ لستُ منها بتائب

والقصيدة طويلة تركتُ باقيها للاختصار .

---

(1) الطالع : أحق فتى بالمدح يرجى .
(2) الطالع : حتماً .
(3) الطالع : شبهنا .
(4) الطالع : بالتحقيق .
(5) الطالع : وصف جدواه في الورى .
(6) الطالع : مثل هطل .
(7) الطالع : لم يثنه لوم لائم .
(8) الطالع : غير النهى والمواهب (اقرأ : اللهى) .
(9) الطالع : جواد براه الله للفضل دائماً .
(10) الطالع : فجئت به في اللطف أفصح خاطب .
(11) الطالع : على أنني من عظم ما نلت من هوىً .
(12) الطالع : إذا كان ذنبي فرط وجدي ولوعتي (قلت : اكتفي بإثبات هذه الفروق ، بين الروايتين ، وإنما أثبت ذلك لأن الخلاف بينهما لافت للنظر) .

- 1177 -

نشوان بن سعيد بن نشوان ، أبو سعيد الحميري اليمني الأمير العلامة : كان فقيهاً فاضلاً عارفاً باللغة والنحو والتاريخ وسائر فنون الأدب ، فصيحاً بليغاً شاعراً مجيداً ، استولى على قلاع وحصون ، وقدَّمه أهلُ جبل صبر حتى صار ملكاً . وله تصانيف أجلها شمسُ العلوم وشفاءُ كلام العرب من الكلوم في اللغة ، وله القصيدة المشهورة التي أولها :

الأمـرُ جِدٌّ وهـو غيـرُ مُـزاحِ فاعملْ لنفسك صالحاً يا صاحِ

مات في ذي الحجة سنة ثلاث وسبعين وخمسمائة .

- 1178 -

نصر بن أحمد بن نصر بن المأمون ، أبو القاسم البصري المعروف بالخبزارزي : شاعر أميٌّ مجيد ، كان لا يتهجَّى ولا يكتب ، وكان خبازاً يخبز خبز الأرز بدكان له في مربد البصرة ، فكان يخبزُ وهو ينشدُ ما يقوله من الشعر ، فيجتمع الناس حوله ويزدحمون عليه لاستماع شعره وملحه ، ويتعجبون من إجادته في مثلِ حاله وحرفته . وكان ممن يفضل الذكورَ على الإناث ، فكان أحداثُ البصرة يلتفون حوله ويتنافسون بميله إليهم ويحفظون شعره لسهولته ورقته . وكان شاعر البصرة ابن لنكك مع علوِّ قدره يجلسُ اليه ويتردد على دكانه وعني بجمع ديوان شعره.

ذكر الخطيب في « تاريخ مدينة السلام »(1) أن أبا محمد عبد الله بن محمد

1177 ـ انباه الرواة 3 : 342 وبغية الوعاة 2 : 312 والبلغة : 273 وإشارة التعيين : 362 ومقدمة الحور العين ومقدمة شمس العلوم ومجلة المجمع العلمي العربي 26 : 590 ولصديقنا القاضي اسماعيل الأكوع دراسة مستقلة عنه ، نشرت في بيروت 1983 .

1178 ـ ترجمة الخبزارزي في المنتظم 6 : 329 وابن خلكان 5 : 376 والنجوم الزاهرة 3 : 276 (وفيات 330) ويتيمة الدهر 2 : 366 وتاريخ بغداد 13 : 296 واللباب 1 : 343 ومرآة الجنان 2 : 275 والشذرات 2 : 276 وقد نشر ديوانه بمجلة المجمع العراقي بتحقيق الشيخ محمد حسن آل ياسين المجلد 40 (جـ 1 ـ 4) 41 (جـ : 1) (ولعل الخبزأرزي لم يتجاوز حيِّز الشعر) .

(1) تاريخ بغداد 13 : 299 ووردت القصة أيضاً في اليتيمة والوفيات .

الأكفاني قال : خرجت مع عمي أبي عبد الله الأكفاني الشاعر وأبي الحسين ابن لنكك وأبي عبد اللّه المفجع وأبي الحسن السماك في بطالة العيد ، وأنا يومئذٍ صبيٌّ أصحبهم ، فانتهوا إلى نصر الخبزارزي وهو يخبز على طابقه ، فجلسوا يهنّونه بالعيد وهو يوقد السعف تحت الطابق ، فزاد في الوقود فدخنهم فنهضوا حين تزايد الدخان ، فقال نصر لابن لنكك : متى أراك يا أبا الحسين ؟ فقال له : إذا اتسخت ثيابي ، ثم مضينا في سكة بني سمرة حتى انتهينا إلى دار أبي أحمد ابن المثنى[1] ، فجلس ابن لنكك وقال : إن نصراً لا يخلي المجلس الذي مضى لنا معه من شيء يقوله فيه ويجب أن نبدأه قبل أن يبدأنا ، فاستدعى بدواة وكتب إليه[2] :

لنصـرٍ في فؤادي فـرطُ حبّ ... أُنيفُ بـه على كلِّ الصحـابِ
أتـينـاهُ فـبخّـرنـا بـخـوراً ... من السَّعفِ المدخّن بالتهـاب
فقمتُ مبـادراً وحسبتُ نصـراً ... أراد بـذاك طـردي أو ذهـابي
فقـال متى أراك أبـا حسـينٍ ... فقلت لـه إذا اتسختْ ثيـابي

فلما وصلت الرقعة إلى نصر أملى على من كتب له بظهرها الجواب ، فلما وصل إلينا قرأناه فإذا هو فيه :

منحتُ أبا الحسين صميمَ ودّي ... فـداعبني بـألفـاظٍ عـذابِ
أتى وثيـابُهُ كـالشيبِ بيضٌ[3] ... فعـدن لـه كـريعـانِ الشبـاب
وبغضي للمشيب أعـدَّ عندي ... سـواداً لـونُـهُ لـونُ الخضـاب
ظننتُ جلوسه عندي لعـرسٍ ... فجـدتُ لـه بتمسيـكِ الثيـاب
وقلتُ متى أراك أبـا حسـين ... فجـاوبني إذا اتسخت ثيـابي
ولـو كـان التقـززُ فيـه خيـرٌ ... لمـا كُنِيَ الـوصيُّ أبـا تـراب

ومن شعره أيضاً[4] :

---

(1) تاريخ بغداد : ابن المثني .
(2) ديوانه (المجمع 40 / 1 : 111 ـ 112) .
(3) تاريخ بغداد : كفتير شيب .
(4) ابن خلكان : 378 وديوانه (40/2 : 186)

رأيتُ الهلالَ ووجهَ الحبيبِ فكانا هلالين عندَ النظرْ
فلم أدرِ من حيرتي فيهما هلالَ السما من هلالِ البشر
ولولا التوردُ في الوجنتين وما راعني من سوادِ الشعر
لكنتُ أظنُّ الهلالَ الحبيبَ وكنتُ أظنُّ الحبيبَ القمر

وقال[1] :

شاقني الأهلُ لم تشقني الديارُ والهوى صائرٌ إلى حيث صاروا
جيرةٌ فرقتهمُ غربةُ البيـ ـن وبينَ القلوبِ ذاك الجوار
كم أناسٍ رَعَوْا لنا حين غابوا وأناسٍ خانوا وهم حُضَّار
عرضوا ثم أعرضوا واستمالوا ثم مالوا وأنصفوا ثم جاروا
لا تلمهمْ على التجنّي فلو لم يتجنَّوْا لم يحسنِ الإعتذار

وقال :

فلا تَمَنّ بتنميقٍ تَكَلَّفُهُ لصورةٍ حُسْنُها الأصليُّ يكفيها
إن الدنانيرَ لا تُجْلَى وان عَتِقَتْ ولا تُزَادُ على الحسنِ الذي فيها

وقال :

إذا ما لسانُ المرءِ اكثر هَذْرَهُ فذاك لسانٌ بالبلاءِ موكَّلُ
إذا شئتَ أن تحيا عزيزاً مسلّماً فدبّر وميّزْ ما تقولُ وتفعل

توفي نصر بن أحمد الخبزارزي سنة سبع وعشرين وثلاثمائة .

ـ 1179 ـ

نصر بن الحسن بن جوشن بن منصور بن حميد بن أثال، أبو المرهف

1179 ـ ترجمة أبي المرهف العيلاني في الوافي (خ) ونكت الهميان : 300 .

(1) اليتيمة : 368 ـ 369 وبعضها عند ابن خلكان .

العيلاني النميري : كان قارئاً أديباً شاعراً مجيداً ، أضرَّ بالجدري صغيراً ، فحفظ القرآن المجيد ، وقرأ الأدب على أبي منصور الجواليقي ، وسمع من القاضي أبي بكر محمد بن عبد الباقي الأنصاري وأبي البركات عبد الوهاب بن المبارك الأنماطي وأبي الفضل ابن ناصر ، وبرع في الشعر فمدح الخلفاء والوزراء ، وكان منقطعاً إلى الوزير ابن هبيرة ، وقد أدركته صغيراً ولم ألقه . توفي يوم الثلاثاء الثامن والعشرين من ربيع الآخر سنة ثمان وثمانين وخمسمائة .

ومن شعره[1] :

شمسُ الضحى يعشي العيون ضياؤها ... إلا إذا رُمِقَتْ بعينٍ واحدَهْ
ولذاك تاهَ العورُ واحتقروا الورى ... فاعرفْ فضيلتهم وخُذْهَا فائدهْ
نقصانُ جارحةٍ أعانتْ أختَها ... فكأنما قَوِيَتْ بعينٍ زائدْه

وله :

لها من الليلِ البهيمِ طُرَّةٌ ... على جبين واضحٍ نهارُهُ
ومعصمٌ يكاد يجري رقةً ... وإنما يَعْصِمُهُ سِوارهْ

وقال[2] :

تُرَى يتألفُ الشملُ الصديعُ ... وآمنُ من زماني ما يروعُ
وتؤنسُ بعدَ وحشتها بنجدٍ ... منازِلُنَا القديمةُ والربوعُ
ذكرتُ بأيمن العلمين عيشاً ... مضى والشملُ ملتئمٌ جميعُ
فلم أملكْ لدمعي ردَّ غربٍ ... وعند الشوق تعصيكَ الدموعُ
ينازعني إلى لمياءَ قلبي ... ودونَ لقائها بلدٌ شَسُوعُ
وأخوفُ ما أخافُ على فؤادي ... إذا ما أنجد البرقُ اللموعُ
فقد حُمِّلْتُ من طولِ التنائي ... عن الأحبابِ ما لا أستطيعُ

---

(1) وردت الأبيات (دون نسبة) في الذخيرة 3 : 482 والغيث 2 : 225 .
(2) منها أربعة أبيات في نكت الهميان .

وقال(1) :

مـا فـي قبـائـل عـامـرٍ   من مُعْلِمِ الطَّرَفَيْنِ غيـري
خـالـي زعـيـمُ عُـبَـادةٍ   وأبـي زعـيـمُ بـنـي عُـمَـيـرِ

ـ 1180 ـ

نصر بن عاصم الليثي النحوي : كان فقيهاً عالماً بالعربية من فقهاء التابعين : وكان يسند إلى أبي الأسود الدؤلي في القرآن والنحو ، وله كتاب في العربية ، وقيل أخذ النحو عن يحيى بن يعمر العدواني ، وأخذ عنه أبو عمرو بن العلاء ، وكان يرى رأي الخوارج ثم ترك ذلك . وقال في تركه أبياتاً وهي :

فـارقتُ نجدةَ والـذين تَزَرَّقُـوا   وابنَ الـزبيرِ وشيعـةَ الكـذّابِ
وهـوى النجاريّينَ قـد فارقتُـهُ   وعـطيـة المتجبـرِ المـرتـابِ

مات بالبصرة سنة تسع وثمانين وقيل سنة تسعين .

ـ 1181 ـ

نصر بن علي بن محمد ، أبو عبد الله الشيرازي الفارسي الفسوي ، يعرف بابن أبي مريم النحوي : خطيب شيراز وعالمها وأديبها والمرجوع إليه في الأمور الشرعية والمشكلات الأدبية ، أخذ عن محمود بن حمزة الكرماني ، وصنف تفسير القرآن وشرح الايضاح للفارسي(2) قرىء عليه سنة خمس وستين وخمسمائة وتوفي بعدها .

1180 ـ ترجمة نصر بن عاصم في أخبار النحويين البصريين : 20 وطبقات الزبيدي : 27 والفهرست 45 ، 47 وتاريخ أبي المحاسن : 157 ونور القبس : 23 ونزهة الألباء : 7 وانباه الرواة 2 : 343 وطبقات ابن الجزري 2 : 336 وتهذيب التهذيب 10 : 427 وبغية الوعاة 2 : 313 والبلغة : 273 .

1181 ـ ترجم له في انباه الرواة 3 : 344 وسمّاه نصر بن عبد الله ، وانه يعرف بابن مريم (وفيه تخريج) وانظر بغية الوعاة 2 : 314 (وسماه نصر الله) وقال القفطي إنه كان موجوداً سنة 587 .

(1) وردا في نكت الهميان .

(2) اسمه الافصاح في شرح الايضاح ، وكتابه في التفسير اسمه : الموضح في علم القرآن .

- 1182 -

نصر بن مزاحم أبو الفضل المنقري الكوفي : كان عارفاً بالتاريخ والأخبار ، وهو شيعي من الغلاة جَلْدٌ في ذلك . روى عنه أبو سعيد الأشج ونوح بن حبيب وغيرهما ، وروى هو عن شعبة بن الحجاج ، واتهمه جماعة من المحدّثين بالكذب ، وضعّفه آخرون .

وصنف كتاب الغارات . وكتاب الجمل . وكتاب صفين . وكتاب مقتل حجر بن عدي . وكتاب مقتل الحسين بن علي رضي الله عنهما ، وغير ذلك . مات سنة اثنتي عشرة ومائتين .

- 1183 -

نصر بن يوسف صاحب أبي الحسن الكسائي : كان نحوياً لغوياً ، له من الكتب : كتاب خلق الانسان . كتاب الابل ؛ ذكره في الفهرست .

- 1184 -

نصر الله بن إبراهيم بن أبي نصر بن الحسين الدينوري ثم البغدادي الحمامي المؤدب : وُلد سنة عشرين وخمسمائة ، وكان حسن المعرفة بالنحو فاضلاً أديباً ، سمع أبا الحسن ابن عبد السلام وأبا محمد ابن الطراح وغيرهما ، ولا أعرف من أمره غير هذا .

1182 - ترجمة نصر بن مزاحم في الفهرست : 106 وتاريخ بغداد 13 : 282 وميزان الاعتدال 4 : 253 ولسان الميزان 6 : 157 وقد طبع كتابه « صفين » بتحقيق عبد السلام هارون ، القاهرة .

1183 - ترجمة نصر بن يوسف في الفهرست : 72 وبغية الوعاة 2 : 315 .

1184 - ترجمته في بغية الوعاة 2 : 316 (وهو متابع لياقوت) .

- 1185 -

نصر الله بن عبد الله بن مخلوف بن علي بن عبد القوي بن قلاقس الاسكندري : كان أديباً فاضلاً وشاعراً مجيداً ، ولد بالاسكندرية في ربيع الآخر سنة اثنتين وثلاثين وخمسمائة ، ونشأ بها وقرأ على أبي طاهر السلفي وسمع منه ومن غيره ، ورحل إلى اليمن ودخل عدن سنة ثلاث وستين وخمسمائة وامتدح بها الوزير أبا الفرج ياسر بن بلال ، وسافر إلى صقلية ودخلها سنة خمس وستين وامتدح بها القائد أبا القاسم ابن الحجر ، فأكرم نزله وأحسن إليه ، فصنف باسمه كتاباً سماه « الزهر الباسم في أوصاف أبي القاسم » ثم فارق صقلية راجعاً إلى مصر فتوفي بعيذاب سنة سبع وستين وخمسمائة .

ومن شعره[1] :

اشربْ معتقةَ الطلا صرفاً على ... رَقْصِ الغصونِ بروضةٍ غنّاءِ
من كفِّ وطفاءِ الجفونِ كأنما ... تسعى بنارٍ أُضْرِمَتْ في ماءِ
في سِحْرِ مقلتها وخمرةِ ريقها ... شَرَكُ العقولِ وآفة الاعضاءِ

وقال[2] :

سَدُّوها من القدودِ رماحا ... وانتضَوْها من الجفونِ صفاحا
يا لها حلةً من السقم حالتْ ... واستحالت ولا كفاها كفاحا
صحَّ إذ أذرتِ العيونَ دماً أنـ ... ـهمُ أثخنوا القلوبَ جراحا

1185 ـ ترجمة ابن قلاقس في الخريدة (قسم مصر) 1 : 145 وكتاب الروضتين 1 : 205 وابن خلكان 5 : 385 وسير الذهبي 20 : 546 ومرآة الجنان 3 : 383 والبداية والنهاية 12 : 269 وحسن المحاضرة 1 : 564 وشذرات الذهب 4 : 224 وقد طبع ديوانه قديماً وهو ناقص كثيراً ، ثم صدر منه الجزء الأول بتحقيق الدكتورة سهام الفريح ثم صدر كاملاً بتحقيقها (الكويت 1988) كما نشر له سعد المانع كتابيه ترسل ابن قلاقس والزهر الباسم ، وراجع عن زيارته لصقلية كتابي : العرب في صقلية .

(1) ديوانه (1988) : 591 .

(2) وردت هذه القطع في الديوان القديم وفيها بعض اختلاف في الرواية : انظر الصفحات 24 ، 85 ، 104 وانظر الديوان (1988) 386 ، 496 ، 537 .

وقال :

قرنتَ بواو الصدغِ صادَ المقبَّلِ   وأبديتَ لاماً في عذارٍ مسلسلِ
فان لم يكن وصلٌ لديك لعاشقٍ   فماذا الذي أبديتَ للمتأملِ

وقال من قصيدة :

عقدوا الشعورَ معاقدَ التيجانِ   وتقلَّدوا بصوارمِ الأجفانِ
وَمَشَوْا وقد هزُّوا رماحَ قدودهم   هزَّ الكماةِ عواليَ المرانِ
وتدرَّعُوا زَرَداً فخلتُ أراقماً   خلعتْ ملابسها على الغزلانِ

- 1186 -

نصيب بن رباح مولى عبد العزيز بن مروان : شاعر من فحول الشعراء الإسلاميين ، كان عبداً لرجل من كنانة من أهل ودان ، وكان فصيحاً مقدماً في النسيب والمديح مترفعاً عن الهجاء كبيرَ النفس عفيفاً ، قيل لم ينسبْ قط إلا بامرأته . وكان مقدماً عند الملوك يجيد مديحهم ومراثيهم ، وفي سبب اتصاله بعبد العزيز بن مروان وفكّ رقبته من الرق رواياتٌ شتى ، منها أنه لما قال الشعر وهو شابٌ جعل يأتي مشيخة القبيلة وينشدهم فاجتمعوا إلى مولاه وقالوا : ان عبدك هذا قد نبغ بقول الشعر ، ونحن من بين شرّين : إما ان يهجونا فيهتكَ أعراضنا أو يمدحنا فيشببَ بنسائنا ، وليس لنا في شيءٍ من الخلتين خيرة ، فقال له مولاه : يا نصيب أنا بائعك لا محالة فاختر لنفسك ، فسار إلى عبد العزيز بن مروان بمصر فدخل عليه وأنشده[1] :

لعبد العزيزِ على قومه   وغيرهم مننٌ غامِرَهْ

1186 ـ ترجمة نصيب في الشعر والشعراء : 322 والأغاني 1 : 305 وطبقات ابن سلام : 675 والموشح : 189 والسمط : 291 والعيني 1 : 537 والزركشي : 337 وفوات الوفيات 4 : 197 وموضعه الصحيح معجم الشعراء .

(1) الأغاني : 313 .

فبـابُـكَ أسهـلُ أبـوابـهم ودارُكَ مـأهـولـةٌ عـامـرهْ
وكلبُـك أرأفُ بـالـزائـرين من الأمِّ بـابنـتهـا الـزائـرهْ
وكفُّـكَ حين تـرى المعتفينَ أنـدى من الليلةِ المـاطـرهْ
فمنـك العطاءُ ومنـا الثنـاءُ بـكـلِّ محـبَّـرةٍ سـائـرهْ

فقال عبد العزيز : أعطوه أعطوه ، فقال : أصلحك الله ، إني عبد ومثلي لا يأخذ الجوائز ، قال : فما شأنك ؟ فأخبره بحاله ، فدعا الحاجب فقال : اخرج به إلى باب الجامع فأبلغْ في قيمته ، فدعا المقومين فنادوا عليه من يعطي لعبد أسود جَلْد ؟ قال رجل : هو عليّ بمائة دينار ، فقال نصيب : قولوا على أنْ أبري القسيَّ وأريشَ السهامَ واحتجرَ الاوتار ، فقال الرجل : هو عليّ بمائتي دينار ، قال قولوا على أن أرعى الابل وأمريها وأقضقضها وأصدرها وأوردها وأرعاها وأرعيها ، قال رجل : هو عليّ بخمسمائة دينار ، قال نصيب : على أني شاعر عربي لا يُوطىء ولا يُقْوي ولا يُساند ، قال رجل : هو عليَّ بألف دينار ، فسار به الحاجب إلى عبد العزيز فأخبره بما تم ، فقال : ادفعوا إليه ألفَ دينار فقبضها وافتكَّ بها رقبته ، ، ولم يزل في جملة عبد العزيز حتى احتضر ، فأوصى به سليمان بن عبد الملك خيراً فصيره في جملة سُمَّاره .

حكي(1) أن نصيباً دخل على سليمان بن عبد الملك وعنده الفرزدق فقال سليمان للفرزدق : يا أبا فراس أنشدني ، وإنما أراد أن ينشده مديحاً فيه ، فأنشده قوله يفتخر :

وركبٍ كأنَّ الريحَ تطلبُ عنـدهم لهـا ترةً من جَـذْبهـا بـالعصـائبِ
سَرَوْا يركبون الريـحَ وهي تَلُفُّهُمْ إلى شُعَبِ الأكوار ذاتِ الحقائبِ
إذا أبصـروا نـاراً يقـولـون ليتهـا وقـد خَصِرتْ أيـديهمُ نارُ غـالبِ

فتمعَّر سليمان واربدَّ لما ذكر للفرزدق غالباً وقـال لنصيب : قم وأنشد مـولاك ويحك ، فقام نصيب وأنشده :

أقـولُ لـركبٍ صـادرين لقيتهم قَفَـا ذاتِ أوشالٍ ومـولاكَ قـاربُ
قفـوا خبروني عن سليمـانَ إنني لمعـروفه من أهـلِ وَدّانَ طـالبُ

---

(1) الأغاني : 316 ووردت القصة في طبقات ابن سلام والسمط وأمالي القالي والمبرد 1 : 183 .

فعاجوا فأثْنَوْا بالذي أنتَ أهلُهُ ... ولو سكتوا أثنتْ عليكَ الحقائبُ
وقالوا عهدناهُ وكلَّ عشيةٍ ... بأبوابه من طالبي العُرْفِ راكبُ
هو البدرُ والناسُ الكواكبُ حوله ... ولا تشبه البدرَ المضيءَ الكواكبُ

فقال سليمان للفرزدق : كيف ترى شعره ؟ فقال : هو أشعر أهل جلدته ، قال سليمان : وأهل جلدتك ، يا غلام أعط نصيباً خمسمائة دينار وللفرزدق نار أبيه ، فخرج الفرزدق وهو يقول :

وخيرُ الشعرِ أشرفُهُ رجالاً ... وشرُّ الشعرِ ما قال العبيدُ

وقال[1] :

ليس السوادُ بناقصي ما دام لي ... هذا اللسانُ إلى فؤادٍ ثابتِ
من كان ترفعُهُ منابتُ أصلِهِ ... فبيوتُ أشعاري جُعِلْنَ منابتي
كم بين أسودَ ناطقٍ ببيانه ... ماضي الجنانِ وبين أبيضَ صامتِ
إني ليحسدني الرفيعُ بناؤُهُ ... من فضلِ ذاك وليس بي من شامتِ

وقال :

كأن القلبَ ليلةَ قيل يُغْدَى ... بليلى العامريةِ أو يُرَاحُ
قطاةٌ عَزَّها شَرَكٌ فباتتْ ... تجاذبه وقد عَلِقَ الجناحُ[2]
لها فرخانِ قد تركا بوكرٍ ... فعشهما تُصَفِّقُهُ الرياحُ
إذا سمعا هبوبَ الريح نَصّا ... وقد أَوْدَى به القَدَرُ المتاحُ
فلا في الليلِ نالت ما تُرَجّي ... ولا في الصبحِ كان لها براحُ

وقال[3] :

فإن أكُ حالكاً فالمسك أحوى ... وما لسوادِ جسمي من دواءِ
ولي كرمٌ عن الفحشاءِ ناءٍ ... كَبُعْدِ الأرضِ من جوِّ السماءِ

---

(1) الأغاني : 331 ومجموع شعره : 73 .
(2) مجموع شعره : 74 وقد نسب البيتان الأولان للمجنون ولغيره .
(3) الأغاني : 333 ومجموع شعره : 58 .

ومثلي في رجالكمُ قليلٌ ... ومثلكِ ليس يُعْدَمُ في النساءِ
فان تَرْضَيْ فردّي قولَ راضٍ ... وإن تأبَيْ فنحن على السواءِ

وقال[1] :

ألا ليت شعري ما الذي تجدين بي ... غدا غربةِ النأي المفرقِ والبعدِ
لدى أمّ بكرٍ حين تغتربُ النوى ... بنا ثم يخلو الكاشحون بها بعدي
أتصرمني عند الذين هم العدى ... فتشمتهم بي أم تدومُ على العهدِ

وقال[2] :

أُلامُ على ليلى ولو أَستطيعها ... وحرمةِ ما بين البنيَّةِ والحجرِ
لملتُ على ليلى بنفسيَ ميلةً ... ولو كان في يوم التحالقِ والنحرِ

ـ 1187 ـ

نصيب مولى المهدي : أصله عبد من بادية اليمامة عرض على المهدي وهو إذ ذاك ولي عهد فاستنشده فأنشده فقال : والله ما هو بدون نصيب مولى بني مروان ، فاشتراه ، ولما ولي الخلافة أرسله إلى اليمن في شراء إبل مهرية ، وكتب إلى عامل اليمن أن يُعَجِّل له بعشرين ألف دينار لذلك ، فأخذ نصيب ينفق من المال في الأكل والشرب واللهو وشراءِ الجواري ، فكتب بذلك إلى المهدي ، فأمر بحمله إليه موثقاً بالحديد بعد أن حبس مدة باليمن ، فلما أدخل على المهدي أنشده قصيدة طويلة يستعطفه بها أولها[3] :

1187 ـ ترجمة نصيب مولى المهدي في الأغاني 22 : 400 والوزراء والكتاب : 203 وطبقات ابن المعتز : 155 والسمط : 825 وأمالي المرتضى 1 : 438 وفوات الوفيات 4 : 201 والزركشي : 338 (وموضعه معجم الشعراء) .

(1) الأغاني : 322 ، 341 ومجموع شعره : 82 .
(2) الأغاني : 354 ومجموع شعره : 97 .
(3) الأغاني : 403 (باختلافات يسيرة) .

تـأوبني ثقـلٌ من القيـدِ مـوجـعُ ... فـأرّق عيني والخليـونَ هُجَّـعُ
همـومٌ تـوالت لـو ألمَّ يسيرهـا ... بعجـزاءَ ظلَّتْ صمـةً تتصـدعُ

ومنها :

إليـك أميـرَ المؤمنيـن ولـم أجِـدْ ... سـواكَ مجيـراً منـكَ يُنْجي ويـمنـع
تلمستُ هـل من شافعٍ لي فلم أجدْ ... سـوى رحمـةٍ أعـطاكهـا الله تشفـع
لئن لم تَسَعْني يـا ابنَ عمِّ محمـدٍ ... فمـا عجـزتْ عني وسـائـلُ أربـع
طبعـتَ عليهـا صبغـةً ثم لـم تـزل ... على صالـح الأخـلاق والدينِ تـطبع
تغاضيكِ عن ذي الذنب ترجو صلاحَهُ ... وأنت تـرى مـا كـان يـأتي ويصنـع
وعفـوُكَ عمَّنْ[1] لـو تكـونُ جـزيتَـهُ ... لـطارتْ بـه في الجـوِّ نكباءُ زعـزع
وأنـك لا تـنفـكُّ تُـنْعِشُ عـاثـراً ... ولم تعتـرضـه حين يكبـو ويخمـع[2]
وحلمك عن ذي الجهلِ من بعدما جرى ... بـه عَنَقٌ من طائشِ الجهـلِ أشنـع

وقال يمدح الفضل بن يحيى[3] :

طـرقتك ميـةُ والمزارُ شـطيبُ ... ونأتْكَ بـالهجرانِ وهي قـريبُ
لـله ميـةُ خُـلَّةً لـو أنهـا ... تجـزي الـودادَ بـودّهـا وتثيب

ومنها :

إذ للشباب عليك من وَرَقِ الصِّبا ... ظـلٌّ واذ غُصْنُ الشبـابِ رطيبُ
طـرب الفؤادُ ولاتَ حين تـطرُّبٍ ... إنَّ الموكَّـلَ بـالصبا لـطروب
وتقـول ميـةُ مـا لمثلك والصِّبـا ... واللونُ أسـودُ حـالـكٌ غـربيب
شـابَ الغـرابُ ومـا أراكَ تشيبُ ... وطلابُكَ البيضَ الحسـانَ عجيب

ومنها في المديح :

(1) م : عنى .
(2) م : ويخنع .
(3) الأغاني : 414 .

والبــرمكـيُّ وإن تقــارب سِـنُّــهُ أو بــاعـدتــه السنُّ فهــو نجيب
خَـرِقُ العطاءِ إذا استهـلَّ عـطاؤه لا مُـتْبِــعٌ مـنّــاً ولا محســوب
يـا آلَ بـرمــكَ مـا رأينــا مثلَكُمْ مــا مـنكــمُ إلا أغــرُّ وهــوب
وإذا بـدا الفضلُ بن يحيى هبتُـهُ لـجـلالِــهِ إن الجــلالَ مـهيـب

ومنها :

شمنــا لـديــك مَخيلةً لا خُلَّبــاً في الشيم إذ بعض البروقِ خَلُوبُ
إنّــا عـلى ثـقــةٍ وظـنٍ صــادقٍ مـمــا نـؤمِّله فـليس نــخيــب

- 1188 -

النضر بن أبي النضر أبـو مالـك التميمي : أعرابي من أهـل الباديـة لغوي شاعر ، وفد على الرشيد ومدحه وخدمه ، وانقطع إلى الفضل بن يحيى وتقدم عنده ، وكان فصيحاً جيدَ الشعر مليحَ النادرة ، امتدح الخلفاء والأمـراء وتقرب منهم . ومن شعره يرثي يزيد حوراء المدني المغني[1] :

لـم يُمَتَّــعْ من الشبــابِ يـزيــدُ صار في الترب وهو غضٌّ جديدُ
خــانــه دهــرُهُ وقــابــله مــنـ ـه نحـوسٌ واستـدبـرتـه السعـود
حين زُفَّــتْ إليــه دنـيــاه تُجْـلَى وتــدانَى منهــا إليــه الـبعـيــد
فكــأن لم يكن يـزيــدُ ولم يُشـ ـجِ نــديمــاً يهــزُّهُ الـتغــريــد

1188 ـ الأغاني 22 : 265 وإشارة التعيين : 364 .

(1) الأغاني 3 : 248 .

ـ 1189 ـ

النضر بن شميل بن خرشة بن يزيد بن كلثوم التميمي المازني النحوي اللغوي الأديب: ولد بمرو ونشأ بالبصرة، وأخذ عن الخليل بن أحمد، وأقام بالبادية زمناً طويلاً فأخذ عن فصحاء العرب كأبي خيرة الأعرابي وأبي الدقيش وغيرهما، وسمع من هشام بن عروة وحميد الطويل وإسماعيل بن أبي خالد وعبد الله بن عون وهشام بن غسان وغيرهم من صغار التابعين، وروى عنه يحيى بن معين وابن المديني، وهو ثقة حجة احتجوا به في الصحاح. ولما ضاقت عليه الأسباب في البصرة عزم على الخروج إلى خراسان، فشيعه من أهل البصرة نحو ثلاثة آلاف من المحدثين والفقهاء واللغويين والنحاة والأدباء، فجلس لوداعهم بالمربد وقال: يا أهل البصرة يعزُّ عليَّ والله فراقكم، ولو وجدت عندكم كلَّ يومٍ كيلجةً من الباقلاء ما فارقتكم[1]، فلم يكن فيهم واحدٌ يتكفَّلُ له ذلك، فسار إلى مرو وأقام بها فأثرى وأفاد بها مالاً عظيماً، ذكر ذلك أبو عبيدة في «كتاب المثالب».

وكان النضر من أهل السنة وهو أول من أظهرها بخراسان ومرو، وولي القضاء بمرو فأقام العدل وحمدت سيرته، وكان متقلّلاً متقشفاً.

قال الزبير بن بكار[2]، حدثني النضر بن شميل قال: دخلت على أمير المؤمنين المأمون بمرو وعليَّ أطمار مترعبلة، فقال: يا نضر تدخلُ على أمير المؤمنين في مثل هذه الثياب؟! فقلت: ان حرَّ مرو شديد لا يُدفع إلا بمثل هذه الأخلاق، قال: بل أنت رجل متقشف، ثم تجارينا الحديثَ فأجرى ذكر النساءِ وقال: حدثني هشيم بن

1189 ـ ترجمة النضر بن شميل في طبقات ابن سعد 7: 373 والمعارف: 542 والجرح والتعديل 8: 477 ومراتب النحويين: 66 وطبقات الزبيدي: 55 والفهرست: 57 وتاريخ أبي المحاسن: 89 وجمهرة الأنساب: 211 ونور القبس: 99 وانباه الرواة 3: 348 ونزهة الالباء: 57 وابن خلكان 5: 397 وعبر الذهبي 1: 342 وسير الذهبي 9: 328 وميزان الاعتدال 4: 258 وتذكرة الحفاظ: 314 والكاشف 3: 203 والبداية والنهاية 10: 255 وتهذيب التهذيب 10: 437 وطبقات الحفاظ: 131 والبلغة: 275 وبغية الوعاة 2: 316 والشذرات 2: 7.

(1) ينسب مثل هذ القول إلى القاضي عبد الوهاب حين فارق بغداد.
(2) الأغاني 16: 153 ـ 155.

بشير عن مجالد عن الشعبي عن ابن عباس قال ، قال رسول الله ﷺ : إذا تزوج الرجلُ المرأة لدينها وجمالها كان فيه سَداد من عوز ـ ففتح السين من سداد ـ فقلت : صدقوك يا أمير المؤمنين ، وحدثني عوف بن أبي جميلة الأعرابي عن الحسن عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال : إذا تزوج الرجل المرأة لدينها وجمالها كان فيه سِدادٌ من عوز ـ وكسرتُ السين ـ قال : وكان المأمون متكئاً فاستوى جالساً وقال : السَّداد لحنٌ عندك يا نضر ؟ قلت : نعم ها هنا يا أمير المؤمنين ، قال : أو تلحّنني ؟ قلت : إنما لحن هُشَيم ، وكان لحّاناً ، فتبع أمير المؤمنين لفظه ، فقال : ما الفرق بينهما ؟ قلت : السَداد القصد في الدين والطريقة والأمر ، والسِداد البلغة ، وكل ما سددتَ به شيئاً فهو سِداد ، وقد قال العرجي[1] :

أضاعوني وأيّ فتىً أضاعوا ليومِ كريهةٍ وسِداد ثغرِ

قال : فأطرق المأمون ملياً ثم قال : قبح الله ما لا أدب له ، ثم قال : أنشدني يا نضر أخلبَ بيتٍ للعرب ، قلت : قول حمزة بن بيض :

تقولُ لي والعيونُ هاجعةٌ أقِمْ علينا يوماً ولم أُقِمِ
أيّ الوجوه انتجعتَ قلتُ لها لأيِّ وجهٍ[2] إلا إلى الحكم
متى يقلْ حاجبا[3] سرادقه هذا ابنُ بيضٍ بالباب يبتسم
قد كنتُ أسلمتُ فيك مقتبلاً هاك ادخلن ذاك واعطني[4] سَلَمي

فقال المأمون : للّه درك كأنما شُقَّ لك عن قلبي ، فأنشدني أنصف بيت للعرب ، قلت : قول أبي عروة المدني[5] :

إني وإن كان ابنُ عَميَ غائباً[6] لمزاحمٌ من خلفهِ وورائِهِ

(1) ديوان العرجي : 34 .
(2) نور القبس : لا لي وجه .
(3) م : حاجب .
(4) نور القبس : فهات إذ حلّ أعطني .
(5) قال الزبير بن بكار : هو ابن أبي عروبة .
(6) نور القبس : كاشحاً .

ومفيده نَصْري وإن كان امرءاً — متزعزعاً في أرضه وسمائه
وأكونُ والِيَ سِرِّه وأصونُهُ — حتى يجيءَ عليَّ وقتُ أدائه
وإذا دعا باسمي ليركبَ مركباً — صعباً قعدتُ له على سيسائه[1]
وإذا ارتدى ثوباً جميلاً لم أقلْ — يا ليتَ كان عليَّ حُسْنُ ردائه[2]

فقال : أحسنت يا نضر ، أنشدني اقنع بيت قالته العرب ، قلت : قول ابن عبدل الأسدي :

إني امرؤ لم أزلْ وذاك من الـ — ـله قديماً أعلِّم الأدبا
أقيمُ بالدارِ ما اطمأنت بيَ الـ — ـدارُ وإن كنتُ نازحاً طربا
لا اجتوي خُلّةَ الصديق ولا — أُتْبِعُ نفسي شيئاً إذا ذهبا
أطلبُ ما يطلبُ الكريم من الـ — ـرِّزقِ بنفسي وأُجمل الطلبا
إني رأيت الفتى الكريمَ إذا — رَغَّبْتَهُ في صنيعةٍ رغبا
والعبدُ لا يَطْلُبُ العلاءَ ولا — يعطيك شيئاً إلا إذا رهبا
مثل الحمار السوءِ المخاتلِ[3] لا — يحملُ شيئاً إلا إذا ضربا
قد يُرْزَقُ الخافضُ المقيم ولا — شَدَّ لعيسٍ رحلاً ولا قتبا
وَيُحْرَمُ الرزقَ ذو المطية والـ — ـرحلِ ومن لا يزالُ مغتربا

فقال : أحسنت يا نضر ، ثم أخذ القرطاس وأنا لا أدري ما يكتب ، ثم قال : كيف تقول إذا أمرتَ من يُتَرِّبْ الكتابَ ؟ قلت : أتربه ، قال : فهو ماذا ؟ قلت : فهو مُتْرب ، قال : فمن الطين ؟ قلت : طِنْهُ ، قال : فهو ماذا ؟ قلت : فهو مطين ، قال : هذه أحسنُ من الأولى ، ثم قال : يا غلامُ أتربه وطنه وابلغْ معه إلى الفضل بن سهل ،

(1) السيساء من الحمار أو البغل : الظهر .
(2) لهذا البيت رواية أخرى وهي :
وإذا رأيت عليه ثوباً ناعماً — لم يلفني متمنياً لردائه
(3) الأغاني : الموقّع السوء .

قال : فلما قرأ الكتابَ الفضلُ قال : يا نضر إن أميرَ المؤمنين أمر لك بخمسين ألف درهم فما كان السبب ، فأخبرته الخبر ، فقال : لحّنت أمير المؤمنين ؟ قلت : كلاًّ إنما لحن هشيم بن بشير وكان لحاناً فتبع أمير المؤمنين لفظه ، فأمر لي الفضل بثلاثين ألف درهم ، فأخذت ثمانين ألف درهم بحرف استفيد مني .

توفي النضر بن شميل في ذي الحجة سنة أربع ومائتين .

وله من التصانيف : كتاب الصفات في اللغة خمسة أجزاء . والمدخل الى كتاب العين . وكتاب غريب الحديث . وكتاب المعاني . وكتاب السلاح . وكتاب المصادر . وكتاب الأنواء . وكتاب خلق الفرس . وكتاب الجيم . وكتاب الشمس والقمر ، وغير ذلك .

- 1190 -

نهشل بن زيد ، أبو خيرة الأعرابي البصري : بدوي من بني عديّ دخل الحضرة وصنف كتاب الحشرات ، ذكره في الفهرست .

1190 ـ ترجمة نهشل في الفهرست : 51 وبغية الوعاة 2 : 317 .

حرف الهاء

****

ـ 1191 ـ

هارون بن الحائك النحوي الضرير من أعيان أصحاب ثعلب ، وكان معدوداً من طبقته : أصله يهودي من الحيرة ، وكان الوزير عبيد الله بن سليمان أرسل إلى ثعلب ليختلفَ إلى ولده القاسم فأبى واعتذر بالشيخوخة والضعف ، فقال له : أنفذْ إليَّ من ترتضيه من أصحابك ، فأنفذ إليه هارون الضرير ، فاستحضر الوزير عبيد الله أبا إسحاق الزجاج وجمع بينه وبين هارون ، فسأله الزجاج كيف تقول ضربت زيداً ضرباً ، فقال : ضربت زيداً ضرباً ، فقال : كيف تكني عن زيد والضرب ، فأفحم ولم يجب وحار في يده وانقطع انقطاعاً قبيحاً ، فصرفه الوزير واختار الزجاجَ لتأديب ولده ، فكان ذلك سببَ منيةِ هارون ، وما كان هارون ممن يذهبُ عليه هذا فان جوابَ المسألة ضربته اياه ، ذكر ذلك أبو بكر الزبيدي في الطبقات .

ولهارون من التصانيف : كتاب العلل في النحو . كتاب الغريب الهاشمي ، وقيل الغريب الهاشمي لثعلب .

ـ 1192 ـ

هارون بن زكريا الهجري أبو علي النحوي صاحب « كتاب النوادر المفيدة » روى عنه ثابت بن حزم السرقسطي وغيره ، ولا أعلم من أمره غيرَ هذا .

1191 ـ ترجمة هارون بن الحائك في طبقات الزبيدي : 151 والفهرست : 81 وانباه الرواة 3 : 359 وبغية الوعاة 2 : 319 ونكت الهميان : 302 (والوافي / المخطوط) .

1192 ـ بغية الوعاة 2 : 319 وقد طبع كتابه باسم « التعليقات والنوادر » ، بعناية د. حمود عبد الأمير الحمادي (بغداد : 1987) وقد عبث المحقق بهذا الكتاب النفيس كثيراً ودلَّ على جهلٍ شديد أصيل ، وتعقبه شيخنا حمد الجاسر بمقالات تصحيحية كثيرة نشرها في مجلة العرب .

- 1193 -

هارون بن علي بن يحيى بن أبي منصور المنجم البغدادي أبو عبد الله : كان أديباً شاعراً راوية نديماً ظريفاً ، وهو أحد بني المنجم المشهورين بالأدب والفضل المنقطعين إلى الخلفاء لمنادمتهم والمقدمين عندهم ؛ وكان هارون هذا من أكملهم أدباً وفضلاً .

وصنف كتاب أخبار النساء . وكتاب أخبار الشعراء المولدين ، أورد فيه ما اختاره من شعرهم ، وسماه بالبارع قال في مقدمته : عملت كتابي هذا في أخبار الشعراء المولدين ، ذكرت فيه ما اخترته من أشعارهم ، وتحريت في ذلك الاختيار أقصى ما بلغته معرفتي وانتهى إليه علمي ، والعلماء يقولون : يدلّ على العاقل اختياره ، وقالوا : اختيار الرجل من وفور عقله . ثم ذكر أنه اختصره من كتاب مطوّل ألفه قبله . ذكر في هذا الكتاب نيفاً ومائة وستين شاعراً ، وافتتحه بذكر بشار بن برد ، وختمه بمحمد بن عبد الملك بن صالح .

توفي هارون بن علي سنة ثمان وثمانين ومائتين .

- 1194 -

هارون بن موسى بن شريك القارىء النحوي الدمشقي أبو عبد الله : يعرف بالأخفش ، وهو آخر الأخافشة ، ولد سنة إحدى ومائتين ، وقرأ بقراءات كثيرة وروايات غريبة ، وكان قيماً بالقراءات السبع عارفاً بالتفسير والنحو والمعاني والغريب والشعر ، حسنَ الصوتِ والأداء ، وعنه أخذت قراءةُ أهل الشام وبضبطه اشتهرت . قرأ على عبد الله بن ذكوان وغيره ، وعليه أبو الحسن ابن الأخرم ، وحدَّث عن أبي مسهر الغساني ، وعنه أبو بكر ابن فطيس وكان فاضلاً أديباً صنف كتباً في القراءات والعربية مات سنة إحدى وتسعين ومائتين وقيل في السنة التي بعدها .

1193 - ترجمة هارون ابن المنجم في الفهرست: 161 وابن خلكان 6 : 78 وسير الذهبي 13 : 404 ومعجم المرزباني : 464 ومرآة الجنان 2 : 41 (وفيات 208 خطأ) وانظر حماسة ابن الشجري : 242 - 243 .

1194 - ترجمة الأخفش الدمشقي في انباه الرواة 3 : 361 وسير الذهبي 13 : 566 والبلغة : 277 وطبقات ابن الجزري 2 : 347 والنجوم الزاهرة 3 : 133 وطبقات الداودي 2 : 347 والشذرات 2 : 209 .

- 1195 -

هاشم بن أحمد بن عبد الواحد بن هاشم بن محمد بن هاشم بن علي بن هاشم الحلبي الأسدي الخطيب : أصلُ آله من الرقة وانتقلوا إلى حلب ، وكان حسن القراءة والعبادة والزهد .

صنف كتاب اللحن الخفي . وكتاب أفراد أبي عمرو بن العلاء ، وغير ذلك . وولي خطابة حلب ، ولما خطب اعتنقه أبو عبد الله ابن القيسراني الشاعر وقال له :

شرح المنبرُ صدراً لتلقيك رحيبا
أترى ضمَّ خطيباً منكَ أم ضُمِّخَ طيبا

ولد سنة ست وستين وأربعمائة ومات في جمادى الآخرة سنة سبع وثلاثين وخمسمائة .

- 1196 -

هبة الله بن حامد بن أحمد بن أيوب بن علي بن أيوب أبو منصور : يعرف بعميد الرؤساء ، أديب فاضل نحوي لغوي شاعر ، شيخ وقته ومتصدر بلده ، أخذ عنه أهل تلك البلاد الأدب ، وأخذ هو عن أبي الحسن علي بن عبد الرحيم الرقي المعروف بابن العصار وغيره . وله نظم ونثر وكان يلقب بوجه الدويبة ، وسمع المقامات من ابن النقور وروى عنه ، مات سنة عشر وستمائة .

- 1197 -

هبة اللّٰه القاضي السعيد بن القاضي الرشيد جعفر بن سناء الملك محمد بن

1195 - ترجمة هاشم الحلبي في انباه الرواة 3 : 355 (ووفاته سنة 577) وبغية الوعاة 2 : 321 (وسنة وفاته كما جاء في انباه الرواة) .

1196 - انباه الرواة 3 : 357 وبغية الوعاة 2 : 322 (عن ياقوت) .

1197 - ترجمة ابن سناء الملك في الخريدة (قسم مصر) 1 : 64 وابن خلكان 6 : 61 وتكملة المنذري رقم : 1209 وعبر الذهبي 5 : 29 وسير الذهبي 21 : 480 والبدر السافر ، الورقة : 217 وقلائد =

هبة اللّه بن محمد السعدي المصري المعروف بابن سناء الملك : أحد أدباء العصرِ وشعرائه المجيدين ، ذاع صيته وسار ذكره ، أخذ عن الحافظ أبي طاهر أحمد بن سلفة ، واتصل بالقاضي الفاضل عبد الرحيم البيساني فكانت له منزلة عنده ، وكان في خدمته بدمشق سنة إحدى وسبعين وخمسمائة ثم عاد إلى القاهرة ، وكان بينه وبين الفاضل ترسل ، ومدحه بعدة قصائد .

وصنف كتاب روح الحيوان لخَّص فيه كتاب الحيوان للجاحظ . وله ديوان موشحات سماه دار الطراز . وديوان شعر . وديوان رسائل .

مات يوم الأربعاء رابع شهر رمضان سنة ثمان وستمائة بالقاهرة .

ومن شعره قوله يمدح الملك المعظم توران شاه وأجاد ما شاء[1] :

تقنعتُ لكن بالحبيبِ المعمَّم ... وفارقتُ لكنْ كلَّ عيشٍ مذمَّمِ
وباتتْ يدي في طاعة الحبِّ والهوى ... وشاحاً لخصرٍ أو سواراً لمعصمِ
وأثريتُ من دينارِ خدٍّ ملكتُهُ ... فأحسنُ وجهٍ بعده مثلُ درهمِ
يزيد احمراراً كلما زدتُ صفرةً ... كأنّ به ما كان بي زمنَ[2] الدمِ
توقد ذاك الخدّ واخضرَّ نضرةً ... فأبصرتُ منه جنةً في جهنمِ

ومنها :

سعدتُ ببدرٍ برجُهُ[3] برجُ عقربٍ ... فكذَّب عندي قولَ كلِّ منجمِ
وأقسمُ ما وجهُ الصباحِ إذا بدا ... بأوضحَ منّي حجةً عند لوَّمي
ولا سيّما لما مررتُ بمنزلٍ ... كفضلةِ صبرٍ في فؤادِ متيّمِ
وما بان لي إلا بعودِ أراكةٍ ... تعلَّقَ في أطرافِهِ ضَوْءُ مبسمِ

= الجمان 9 : 210 والنجوم الزاهرة 6 : 204 والشذرات 5 : 35 . وديوانه الذي اعتمد عليه طبع بحيدر آباد الدكن 1958 (وهناك طبعة مصرية منه ، القاهرة 1969) وكتابه دار الطراز طبع بعناية د. جودت الركابي (دمشق 1949) وأعيد طبعه بعد ذلك . وللدكتور عبد العزيز الأهواني دراسة عنه (القاهرة : 1962) .

(1) ديوانه : 696 .
(2) الديوان : كان فيَّ من .
(3) الديوان : خده .

ولا عجباً أنْ متّ فيه صبابةً ... فما النفسُ إلا بعضُ مَغْرَمِ مُغْرَمِ [1]
بنفسيَ من قبلته ورشفتُهُ ... فقال الهوى فُزْ بالحطيم وزمزم
فجردتُ قلبي من مخيطِ همومه ... وطاف به والقلبُ في زيٍّ مُحرمِ

ومنها :

ولم يرَ طرفي قطُّ شملاً مبدداً ... فقابله إلا بدمعٍ منظمِ
تبسَّم ذاك الطرفُ عن ثغرِ دمعه ... وربَّ قطوبٍ كامنٍ في التبسمِ
ولم يسلُ قلبي أو فمي عن غزالةٍ ... وعن غَزَلٍ الا بمدحِ المعظمِ

هذا والله السحر الحلال ، والسهل الممتنع الذي لا ينال .

ومن شعره أيضاً قوله يمدح القاضي الفاضل عبد الرحيم[2] :

عادني من هوى الأحبةِ عيدُ ... فلباسي فيه غرامٌ جديدُ
ونحرتُ الجفونَ من بعد أن أشـ ... ـعرتُ قلبي بأن صبري بعيدُ
كَلَفٌ عاد بعد شيبي وليداً ... وكذا البدرُ بعد شيبٍ وليدُ
فغرامي بالبدرِ كالبدرِ لكنْ ... ينقصُ البدرُ والغرامُ يزيدُ
بأبي من أبى مُرادي كمثلِ الـ ... ـدهر عندي يريدُ ما لا أريدُ
صدَّ عطفاً وصاد طرفاً فما ينـ ... ـفكُّ هذا يصدُّ أو ذا يصيدُ
كيف خلّدتُ في جهنم ذا الصـ ... ـدّ وديني في حبّه التوحيدُ

ومنها في المديح :

ليَ من راحتيه جنةُ مأوىً ... وله بالثناءِ مني خلودُ
أنا عبدٌ وخدمتي مدحُ مولىً ... نَجَحَ القصدُ عنده والقصيدُ
هو قاضٍ لا بل أميرٌ إذا شئـ ... ـتَ لديه من المعالي جنودُ
وفقيهُ النوالِ يلقي على الخلـ ... ـقِ عطاياه والغمامُ معيدُ

---

(1) هذا البيت والاثنان بعده ليست في الديوان .
(2) ديوانه : 187 .

أوسعوا جوده ملاماً وتفنيـ ـداً فضاع الملامُ والتفنيدُ
ردّوا عذلهم فردَّ عليهم كلُّ شيء مُرَدَّدٌ مردودُ

ومن شعره الذي سارت به الركبان قصيدته الحماسية الغزلية وهي[1] :

سواي يخاف الدهرَ أو يرهبُ الردى وغيريَ يهوى أن يكونَ مخلدا
ولكنني لا أرهبُ الدهرَ إن سطا ولا أحذرُ الموتَ الزؤامَ إذا عدا
ولو مدَّ نحوي حادثُ الدهرِ طَرْفَهُ لحدثتُ نفسي أن أمدَّ له يدا
توقّدُ عزمٍ يتركُ الماءَ جمرةً وحليةُ حلم تتركُ السيفَ مبردا
وفرطُ احتقارٍ للأنام فانني أرى كلَّ عارٍ من حُلَى سؤددي سُدى
وأظمأ إن أبدى لي الماءُ منّةً ولو كان لي بحرُ المجرةِ موردا
ولو كان إدراك الهدى بتذللٍ رأيتُ الهدى أن لا أميلَ إلى الهدى
وقدماً بغيري أصبح الدهرُ أشيباً وبي بل بفضلي أصبح الدهرُ أمردا
وإنك عبدي يا زمانُ وإنني على الكُرْهِ مني أن أرى لك سيدا
وما أنا راضٍ أنني واطىءُ الثرى ولي همةٌ لا ترتضي الأفْقَ مقعدا
ولو علمتْ زهرُ النجومِ مكانتي لخرَّتْ جميعاً نحو وجهيَ سجّدا
ولي قَلَمٌ في أنملي لو هَزَزْتُهُ فما ضَرَّني أن لا أهزَّ المهندا
إذا جال فوق الطِّرْسِ وقعُ صريرِهِ فان صليلَ المشرفيِّ له صدى

ومنها في التخلص إلى الغزل :

ومن كلِّ شيءٍ قد صحوتُ سوى هوىً أقام عذولي بالملام وأقعدا
إذا وصلُ من أهواه لم يكُ مسعدي فليتَ عذولي كان بالصمتِ مُسْعدا
يحبُّ حبيبي من يكونُ مفنّداً فيا ليتني كنتُ العذولَ المفنَّدا
وقال لقد «آنَسْتُ نَاراً» بخدّه فقلت وإني ما[2] «وجدتُ بِهَا هُدَى»

والقصيدة طويلة ، كل بيت منها فريدة في عقد ، وشعره كثير واكثره جيد .

---

(1) ديوانه : 165 .
(2) الديوان : قد .

ـ 1198 ـ

هبة الله بن الحسن أبو الحسن المعروف بالحاجب ، ذكره الكمال ابن الانباري في « طبقات النحويين » ، وكان من أفاضل أهل الأدب شاعراً مليح الشعر ، فمن شعره[1] :

يا ليلةً سلك الزما ... نُ بطيبها بي كلَّ مسلَكْ
إذ أرتقي دَرَجَ المسـ ... ـرة مُدْركاً ما ليس يُدْرَكْ
والبدرُ قد فضح الظلا ... مَ فَسِتْرُهُ عنهُ مهتَّكْ
وكأنما زُهْرُ النجو ... م بلمعها شُعَلٌ تَحَرَّكْ
والغيمُ أحياناً يمو ... جُ كأنّه ثوبٌ ممسَّكْ
وكأنّ نشرَ المسكِ ينـ ... ـفحُ في النسيم إذا تحرَّكْ
والنورُ يبسمُ في الريا ... ض فان نظرْتَ إليه سَرَّكْ
شارطتُ نفسي أن أقو ... مَ بحقها «والشرطُ أملكْ»
حتى تولّى الليلُ منـ ... ـهزماً وجاء الصبحُ يضحكْ
واهِ الفتى لو أنه ... في ظلِّ طيبِ العيشِ يُتْرَكْ
والمرءُ يحسبُ عمره ... فإذا أتاه الشيب فَذْلَكْ

مات هبة الله الحاجب فجأة في آخر شهر رمضان سنة ثمان وعشرين وأربعمائة في بغداد في خلافة القائم بأمر الله بن القادر بالله .

ـ 1199 ـ

هبة الله بن الحسين ، أبو بكر ابن العلاف الشيرازي : كان من أفراد الزمان

1198 ـ ترجمة هبة الله الحاجب في انباه الرواة 3 : 358 ونزهة الألباء : 239 وبغية الوعاة 2 : 323 .
1199 ـ ترجمة أبي بكر ابن العلاف في انباه الرواة 3 : 358 (وفيه ابن الحسن) وبغية الوعاة 2 : 323 .

(1) وردت في انباه الرواة ونزهة الألباء .

في عصره في أنواع العلوم نحوياً إماماً شاعراً فاضلاً بارعاً ، ورد خراسان وما وراء النهر وسمع حماد بن مدرك وغيره ، وسمع منه الحافظ أبو عبد الله ابن الحاكم وذكره في « تاريخ نيسابور » وأثنى عليه . مات بشيراز في رمضان سنة سبع وسبعين وثلاثمائة وقد نيّف على التسعين ولم تَبْيَضَّ له شعرة ، وقال في ذلك :

إلامَ وفيمَ يظلمني شبابي ويلبسُ لمتي حَلَكَ الغرابِ
وآملُ شعرةً بيضاء تبدو بدوَّ البدرِ في خلل السحابِ
وأدْعَى الشيخَ ممتلئاً شباباً كذي ظمأ يُعَلَّلُ بالسرابِ
فيا مَلَلي هنالك من مشيبي ويا خَجَلي هنالك من شبابي

ـ 1200 ـ

هبة الله بن الحسين بن أحمد البغدادي ، عرف بالبديع الاسطرلابي ، كان أديباً فاضلاً شاعراً بارعاً حكيماً عارفاً بالطب والرياضي والهيئة والنجوم والرصد والزيج ، متقناً عمل الآلات الفلكية سيّما الأسطرلاب فنسب إليه ، وحصل له مالٌ جزيل من عمله ، ولم يخلفه في صناعته مثله ، وقد أقام على صحة ما يعمله من الآلات الحججَ الهندسية ، وبرهن عليها بالقوانين الاقليديسية ، وأتى فيها باختراعات أغفلها المتقدمون ، فزاد في الكرة ذات الكرسيّ وكمل نقصها الذي مرت عليه الأعوام ، وأكمل نَقْصَ الآلات الشاملة التي وضعها الخجندي وجعلها لعرض واحد ، وأقام الدليلَ على أنه لا يمكن أن تكون لعروضٍ متعددة ، فلما وصلت إلى البديع تأملها واهتدى إلى طريقٍ لعملها لعروض متعددة ، واختبر ما زاد فيها بالقواعد الهندسية فصحَّ عمله ، وحمل ما صنع منها إلى الأكابر والأجلّاء من أهل هذا الفن فتلقوها بالقبول . وله في عمل الأسطرلاب والبركار والمساطر وغيرها من الآلات اليد الطولى ،

1200 ـ ترجمة البديع الاسطرلابي في أخبار الحكماء : 222 والخريدة (قسم العراق) 3/2 : 137 وابن خلكان 6 : 50 ومرآة الجنان 3 : 261 ومرآة الزمان : 184 وابن أبي أصيبعة 1 : 280 والنجوم الزاهرة 5 : 275 وابن العبري : 363 وسير الذهبي 20 : 52 والمستفاد من ذيل تاريخ بغداد : 245 والشذرات 4 : 103 .

وقد صار ما صنعه من ذلك من الذخائر التي يتغالى بها أهلها ، وعانى عمل الطلاسم وَرَصَدَ لها ما يوافقها من الأوقات السعيدة، وحملها إلى الملوك والأمراء والوزراء فجربوها فصحّت وحصل له منها ومن سائر صنائعه أموال جمة .

وصنف رسالةً في الآلات الشاملة التي كملها . ورسالةً في الكرة ذات الكرسي . واختار ديوان ابن الحجاج وسماه « درة التاج من شعر ابن الحجاج » رتبه على مائة وأحد وأربعين باباً ، جعل كلَّ باب في فن من فنون شعره . وله ديوان شعر دوَّنه وجمعه بنفسه .

مات ببغداد بعلة الفالج سنة أربع وثلاثين وخمسمائة .

ومن شعره الرائق الفائق قوله[1] :

وذو هيئةٍ يزهو بخالٍ مهندَسٍ ... أموتُ به في كل وقتٍ وأبعثُ
محيطٌ بأوصافِ الملاحةِ وجهُهُ ... كأنَّ به إقليدساً يتحدث
فعارِضُهُ خطُّ استواءٍ وخالُه ... به نقطةٌ والخدُّ شكلٌ مثلث

وقال[2] :

أذاقني حُمْرةَ المنايا ... لما اكتسى خُضْرَةَ العذارِ
وقد تبدَّى السوادُ فيه ... وكارتي بعد في العيار[3]

وقال[4] :

قام إلى الشمس بآلاته ... لينظرَ السعدَ من النحسِ
فقلتُ أين الشمسُ قال الفتى ... في الثورِ قلت الثورُ في الشمس

وقال[5] :

---

(1) وردت في عيون الأنباء : 281 .

(2) ابن خلكان : 51 وعيون الأنباء : 282 والخريدة : 140 .

(3) قال ابن خلكان : هذه العبارة من اصطلاح البغاددة، فإنهم يقولون « كارتي في العيار » بمعنى أنه ناشب معه لم يتخلص منه ، والكارة عندهم في الدقيق بمثابة الجملة في ديار مصر . وقال إنه رأى البيتين منسوبين لابن جكينا .

(4) عيون الأنباء : 281 والخريدة : 140 ـ 141 .

(5) عيون الأنباء : 283 والخريدة : 141 .

يـا صدورَ الـزمان ليس بـوفـرٍ   مـا رأيناه في نـواحي العـراقِ
إنمـا عمَّ ظلمكم سـائـرَ الأر   ضِ فشــابت ذوائبُ الآفـاق

الوفر : الثلج بلغة أهل العراق ، قال ذلك في عام نزل فيه ببغداد ثلج كثير .

وقال[1] :

أهـدي لمجلسك الشـريفِ وإنمـا   أهـدي لـه مـا حزتُ من نعمـائِـهِ
كـالبحرِ يمـطره السحـابُ ومـا لـه   فـضــلٌ عليــه لأنــه مـن مــائــه

ـ 1201 ـ

هبة اللّٰه بن سلامة بن نصر بن علي أبـو القاسم الضـرير المقـرىء المفسر النحوي البغدادي : كان من أحفظ الناس لتفسير القرآن والنحو والعربية ، وكانت له حلقة في جامع المنصور ببغداد . سمع من أبي بكر ابن مالك القطيعي وغيره ، وقرأ عليه أبو الحسن علي بن القاسم الطابثي .

وصنف : كتاب الناسخ والمنسوخ . والمسائل المنثورة في النحو والتفسير .

وأبو محمد رزق اللّٰه بن عبد الوهاب التميمي المحدث هو ابن بنت هذا .

مات هبة اللّٰه في رجب سنة عشر وأربعمائة .

ـ 1202 ـ

هبة الله بن صاعد بن هبة الله بن إبراهيم بن علي موفق الملك أمين الدولة أبو الحسن بن أبي العلاء المعروف بابن التلميذ البغدادي الطبيب الحكيم الأديب :

1201 ـ ترجمته في طبقات ابن الجزري 2 : 351 وبغية الوعاة 2 : 323 .

1202 ـ ترجمة ابن التلميذ في تاريخ الحكماء : 222 وابن أبي أصيبعة 1 : 259 وابن خلكان 6 : 69 (وينقل عن أنموذج الأعيان) وعبر الذهبي 4 : 172 وسير الذهبي 20 : 354 (والوافي / خ) والبداية والنهاية 12 : 250 والشذرات 4 : 190 والخريدة (قسم العراق) 3/2 : 123 وابن العبري : 363 وحكماء الإسلام : 144 .

(1) الخريدة : 141 .

كان واحدَ عصره في صناعة الطب متفنناً في علوم كثيرة ، حكيماً أديباً شاعراً مجيداً ، وكان يكتب خطاً منسوباً في نهاية الحسن ، وكان عارفاً بالفارسية واليونانية والسريانية متضلعاً بالعربية ، وله النظم والنثر الفائق ، ونثره أجود من شعره ، وكان ساعورَ البيمارستان العضدي ، تولّاه إلى أن توفي ، وكان حاذقاً في المباشرة والمعالجة موفقاً في صناعته ، خدم الخلفاءَ من بني العباس وتقدم عندهم وعلت مكانته لديهم ، وعُمِّرَ طويلاً ، نبيه الذكر جليل القدر معروف المكانة ، وكان مقدَّمَ النصارى في بغداد ورأسهم ورئيسهم وقسيسهم ، وكان حسن العشرة كريم الأخلاق ذا مروءة وسخاء ، حلو الشمائل كثير النادرة ، وكان يميل إلى صناعة الموسيقى ويقرِّبُ أهلها ، وكانت دار القوارير ببغداد من اقطاعه ، فلما ولي يحيى بن هبيرة الوزارة حلّها وأخذها منه ، فحضر ابن التلميذ يوماً عند الخليفة المقتفي على عادته ، فلما أراد الانصراف عجز عن القيام وكان قد ضعف من الكبر ، فقال له المقتفي : كبرتَ يا حكيم ، قال : نعم كبرتُ وتكسَّرَتْ قواريري ، وهذا مثل يتماجَنُ به أهلُ بغداد ، فقال الخليفة رجلٌ عُمِّرَ في خدمتنا وما تماجَنَ قطّ بحضرتنا فلهذا التماجن سِرٌّ ثم فكَّر ساعة وسأل عن دار القوارير فقيل له : قد حلَّها الوزير وأخذها منه ، فأنكر عليه المقتفي أَخْذَها إنكاراً شديداً وردَّها على ابن التلميذ وزاده إقطاعاً آخر .

وكان ابن التلميذ هو وأوحد الزمان أبو البركات هبة الله المعروف بابن ملكا في خدمة المستضيء بأمر الله ، وكان بينهما شنآن وعداوة ، فأراد أوحدُ الزمانِ أن يوقعَ ابن التلميذ في تهلكة ، فكتب رقعةً يذكر فيها عن ابن التلميذ عظائمَ لا تصدرُ عن مثله ، ووهب لبعض خَدَمِ القصرِ مالاً ورغب إليه أن يلقي الرقعة في مجلس من مجالس الخليفة ففعل ، فلما أخذ الخليفةُ الرقعةَ وقرأها همَّ أن يوقع بأمين الدولة ، فأشير عليه أن يتبصَّرَ ويستقصي عن ذلك ، فأخذ يقرِّرُ من يتهمه من الخدم عن الرقعة فظهر الأمر ، وعلم أن ذلك تدبير أوحد الزمان لإهلاك ابن التلميذ ، فغضب وأباح أمينَ الدولة ابن التلميذ دمَ أوحدِ الزمان ومالَهُ وكتبَهُ ، فكان من كرم أخلاق أمين الدولة أنه لم يتعرض له بسوء وصفح عنه ، غير أنه قال فيه(1) :

(1) ابن خلكان 6 : 74 وعيون الأنباء 1 : 260 .

لنا صديقٌ يهوديٌّ حماقتُهُ إذا تكلم تبدو فيه من فيهِ
يتيهُ والكلبُ أعلى منه منزلةً كأنه بعدُ لم يخرجْ من التيه

وصنف ابن التلميذ حاشيةً على القانون لابن سينا . حاشية على المنهاج لابن جزلة . حاشية على كتاب المائة للمسيحي . شرح مسائل حنين بن إسحاق . شرح أحاديث نبوية تشتمل على مسائل طبية . مختصر الحاوي لأبي بكر الرازي . تتمة جوامع الاسكندرانيين لكتاب حيلة البرء . مختصر تفسير تقدمة المعرفة لابقراط تفسير جالينوس . مختصر تفسير فصول أبقراط لجالينوس . مختصر كتاب الأشربة لمسكويه . مختار كتاب أبدال الأدوية لجالينوس . مختار كتاب المائة للمسيحي . الكناش في الطب . المقالة الأمينية في الأدوية البيمارستانية . مقالة في الفصد . الأقراباذين الكبير . الأقراباذين الصغير . ديوان رسائل مجلد ضخم . ديوان شعر مجلد صغير ، وغير ذلك .

مات في اليوم الثامن والعشرين من ربيع الأول سنة ستين وخمسمائة وله أربع وتسعون سنة ، وخلَّف مالاً عظيماً ومتاعاً حسناً كثيراً وكتباً كثيرة لا نظير لها .

ومن نثر أمين الدولة ما كتبه إلى ولده رضي الدولة أبي نصر من رسالة قال[1] : الفِتْ ذهنَكَ عن هذه الترهات إلى تحصيل مفهوم تتميزُ به ، وخذ نفسك من الطريقة بما كررتُ تنبيهك عليه وإرشادَكَ إليه ، واغتنم الإمكان واعرفْ قيمته ، واشتغل بشكر الله تعالى عليه ، وَفُزْ بحظٍّ نفيسٍ من العلم تثق من نفسك بأنك عقلته وملكته لا قرأته ورويته ، فإن بقية الحظوظ تتبع هذا الحظ وتلزم صاحبه ، ومن طلبها بدونه فاما أن لا يجدها وإما أن لا يعتمد عليها إذا وجدها ولا يثق بدوامها . وأعوذ بالله أن ترضى لنفسك إلا بما يليق بمثلك أن يتسامى إليه بعلو همته وشدة أنفته وغيرته على نفسه . ومما قد كررتُ عليك الوَصاةَ به أن تحرصَ على أن لا تقول شيئاً لا يكون مهذباً في لفظه ومعناه ويتعين عليك إيراده ، وأن تصرفَ معظم حرصك إلى أن تسمع ما يفيدك لا ما يلهيك مما يلذ للاغمار وأهلِ الجهالة ، رفعك الله عن طبقتهم ، فإن الأمر كما قال أفلاطون : الفضائلُ مُرَّةُ الوِرْدِ حُلْوةُ الصَّدَر ، والرذائلُ حلوةُ الوِرد مُرَّة الصدر . وقد زاد

(1) عيون الأنباء 1 : 264 .

أرسطوطاليس في هذا المعنى فقال : إن الرذائل لا تكون حلوةَ الورود عند ذي فطرةٍ سليمة ، بل يؤذيه تصوُّرُ قبحها إذ يفسد عليه ما يستلذُّ من غيرها بها ، وكذلك يكونُ صاحبُ الطبع السليم قادراً على معرفة ما يتوخَّى وما يجتنب كالتامّ الصحة يكفي حسه تعريفه النافع والضارّ . فلا ترض لنفسك ـ حفظك الله ـ إلا بما تعلمُ أنه يناسب طبقة أمثالك ، وآغلب خطرات الهوى بعزائم الرجالِ الراشدين ، واطمح بنفسك إلى المعالي بإطاعة عقلك فإنك تُسَرُّ بنفسك وتراها في كل يومٍ مع الاعتماد على ذلك في رتبة علية ومرقاةٍ من سُمُوٍّ في السعادة ، إن شاء اللّه تعالى .

ومن شعر أمين الدولة قوله(1) :

لو كان يُحْسِنُ غصنُ البانِ مشيتَها ... تـأوّداً لَحَكاها غيرَ محتشمِ
في صدرها كوكبا نورٍ أقلّهما ... ركنان ما لمسا من كفٍّ مستلم
صانتهما في حريرٍ من غلائلها ... فتلك في الحلِّ والركنانِ في الحرم

وقال(2) :

أبصرَهُ عاذلي عليهِ ... ولم يكن قبلَ ذا رآهُ
فقال لي لو عشقتَ هذا ... ما لامكَ الناسُ في هواه
قل لي إلى من عَدَلْتَ عنه ... وليس أهلُ الهوى سواه
فظلَّ من حيث ليس يدري ... يأمرُ بالعشقِ من نهاه

وقال(3) :

لا تعجبوا من حنينِ قلبي ... اليهمُ واعذروا غرامي
فالقوسُ معْ كونها جماداً ... تئنُّ من فُرْقَةِ السهام

وقال(4) :

لولا حجابٌ أمامَ النفسِ يمنعها ... عن الحقيقةِ فيما كان في الأزلِ

---

(1) عيون الأنباء 1 : 271 .
(2) عيون الأنباء 1 : 270 .
(3) عيون الأنباء 1 : 273 .
(4) عيون الأنباء 1 : 268 .

لأدركتْ كـلَّ شيءٍ عـزَّ مـطلبُـهُ حتى الحقيقةَ في المعلولِ والعلل

وقال[1] :

الـعلمُ لـلرجـلِ اللبيبِ زيـادةٌ ونقيصـةٌ لـلأحمقِ الـطيَّـاشِ ،

مثـل النهار يـزيدُ أبصـارَ الـورى نـوراً وَيُعْمِـي مُقْـلَةَ الخفّـاش

ـ 1203 ـ

هبة الله بن علي بن محمد بن علي بن عبد الله بن أبي الحسن بن عبد الله الأمين بن عبد الله بن الحسن بن جعفر بن الحسن بن علي بن أبي طالب ، أبو السعادات المعروف بابن الشجري البغدادي ، نسب إلى بيت الشجري من قِبَلِ أمه[2] : كان أوحدَ زمانه وفرد أوانه في علم العربية ومعرفة اللغة وأشعار العرب وأيامها وأحوالها متضلعاً من الأدب كامل الفضل . قرأ على ابن فضال المجاشعي والخطيب أبي زكريا التبريزي وسعيد بن علي السلالي وأبي المعمر ابن طباطبا العلوي ، وسمع الحديث من أبي الحسن المبارك بن عبد الجبار بن أحمد بن القاسم الصيرفي وأبي علي محمد بن سعيد الكاتب وغيرهما ، وأقرأ النحو سبعين سنة ، وأخذ عنه تاج الدين الكندي وخلقٌ . وكان نقيبَ الطالبيين بالكرخ نيابةً عن الطاهر ، وكان ذا سمتٍ حسنٍ وقوراً لا يكاد يتكلم في مجلسه بكلمة إلا وتتضمن أدب نفس أو أدب درس .

وصنَّفَ الأمالي[3] ، وهو أكبر تصانيفه وأمتعها ، أملاه في أربعة وثمانين

1203 ـ نزهة الألباء : 283 والمنتظم 10 : 130 وانباه الرواة 3 : 356 وابن خلكان 6 : 45 والبدر السافر : 219 وعبر الذهبي 4 : 116 وسير الذهبي 20 : 194 والمستفاد من ذيل تاريخ بغداد : 248 ومرآة الجنان 3 : 275 والبداية والنهاية 12 : 223 والنجوم الزاهرة 5 : 281 وبغية الوعاة 2 : 342 والشذرات 4 : 132 واشارة التعيين : 370 .

(1) عيون الأنباء 1 : 269 .

(2) قال ابن خلكان : والشجري نسبة الى شجرة وهي قرية من أعمال المدينة ، وشجرة أيضاً اسم رجل ، ولا أدري إلى من ينتسب الشريف المذكور منهما .

(3) طبع في جزءين بحيدر آباد الدكن 1349 وأخرج د. حاتم صالح الضامن قطعة بعنوان « ما لم ينشر من الأمالي الشجرية » بيروت 1984 .

مجلساً . والانتصار على ابن الخشاب رد فيه عليه ما انتقده من الأمالي . وكتاب الحماسة ضاهى به حماسةَ أبي تمام[1] . وشرح التصريف الملوكي . وشرح اللمع لابن جني النحوي . وكتاب ما اتفق لفظه واختلف معناه ، وغير ذلك .

توفي يوم الخميس السادس والعشرين من شهر رمضان سنة اثنتين وأربعين وخمسمائة .

ومن شعره :

لا تمزحنَّ فإن مزحتَ فلا يكنْ		مزحاً تُضافُ به إلى سوء الأدبْ
واحذرْ ممازحةً تعودُ عداوةً		إنَّ المزاحَ على مقدمةِ الغضب

وقال[1] :

هل الوجد خافٍ والدموعُ شهودُ		وهل مُكْذِبٌ قولَ الوشاةِ جحودُ
وحتى متى تفني شؤونَكَ بالبكا		وقد حَدَّ حداً للبكاء لبيد[2]
وإني وإن لانتْ قناتي لضعفها		لذو مِرَّةٍ في النائبات شديد

وقال :

وتجنب الظلمَ الذي هلكتْ به		أُمَمٌ تودُّ لو أنها لم تَظْلِمِ
إياك والدنيا الدنيةَ إنها		دارٌ إذا سالمتها لم تَسْلَمِ

ـ 1204 ـ

هبة الله بن علي بن عرام ، أبو محمد الربعي الأسواني : كان أديباً فاضلاً

1204 ـ ترجمة عرام في الخريدة (قسم مصر) 2 : 186 ومرآة الزمان : 226 والطالع السعيد : 701 (والوافي / خ) والنجوم الزاهرة 5 : 320 .

(1) نشر في حيدر آباد الدكن 1345 وكانت هذه النشرة أصلاً لما تلاها .

(2) أورد القفطي (356) منها بيتين ، والثلاثة عند ابن خلكان : 48 .

(3) فيه إشارة إلى قول لبيد :

إلى الحول ثم اسم السلام عليكما		ومن يبك حولاً كاملاً فقد اعتذر

وشاعراً مجيداً ، وكان من خواصِّ الوزير رضوان وجلسائه ، ومدحه بعدة قصائد ، وله ديوان شعر جمعه بنفسه ونقَّحه وهذبه ورتبه على الحروف وهو في مجلد لطيف . مات سنة خمسين وخمسمائة .

ومن شعره[1] :

لا عــزَّ للمــرءِ إلا في مــواطنِــهِ ... والـذلُّ غايـةُ مـا يَلْقَى من اغتـربـا
فاقنعْ بمـا كان من رزقٍ تعيشُ بـه ... بحيثُ أنت وكنْ للبـين مـجتـنبـا
واعلمْ يقينـاً بأنَّ الـرزقَ يَطْلُبُ مَنْ ... لم يَطْلُبِ الرزقَ إيماناً كمن طلبـا

وقال[2] :

نميـل مـع الأميـالِ وهي غـرورُ ... ونصغي لـدعواهـا[3] وذلـك زورُ
وتخـدعنا الـدنيا القليـلُ متـاعُهَـا ... وللمــوتِ[4] فينـا واعظٌ ونــذيـرُ
ونـزداد فيهـا كـلَّ يـومٍ تنــافسـاً ... وحـرصـاً عليهـا والمتاعُ[5] حقيـرُ
ويـطمعُ كـلٌّ ان يؤخَـرَ يـومُـهُ[6] ... ولـــلمــوتِ منــا أولٌ وأخـــيـرُ

ـ 1205 ـ

هشام بن إبراهيم الكرنباني الانصاري أبو علي : جالس الأصمعي وأضرابه ، وكان عالماً باللغة وأيام العرب وأشعارها ، روى عنه الفضل بن الحباب . وصنف كتاب الحشرات . وكتاب الوحوش . وكتاب النبات . وكتاب خلق الخيل .

1205 ـ ترجمة الكرنباني في الفهرست : 77 وبغية الوعاة 2 : 327 (عن ياقوت دون أن يصرح بذلك) .

(1) الطالع السعيد : 702 .
(2) الطالع السعيد : 702 ـ 703 .
(3) الطالع : ونطمع أن نبقى .
(4) الطالع : وللشيب .
(5) الطالع : والمراد .
(6) الطالع : ونطلب ما لا يستطاع وجوده .

وكان عبد الصمد بن المعذل الشاعر مولعاً بهجوه وفيه يقول من أبيات :

ولم تر أبلغَ من ناطقٍ ... أتته البلاغةُ من كُرْنُبَا

ـ 1206 ـ

هشام بن أحمد بن خالد بن سعيد أبو الوليد الكناني المعروف بابن الوقشى الكاتب ، من أهل طليطلة : كان من أعلم الناس بالعربية واللغة والشعر والخطابة والحديث والفقه والأحكام والكلام ، وكان أديباً كاتباً شاعراً متوسعاً في ضروب المعارف متحققاً بالمنطق والهندسة ، ولا يفضله عالم بالأنساب والأخبار والسير .

ولد سنة ثمان وأربعمائة . وأخذ عن أبي عمر الطلمنكي وأبي عمر ابن الحداد وغيرهما ، وولي قضاء طلبيرة من أعمال طليطلة قاعدة الأمير المأمون يحيى بن الظافر بن ذي النون . وصنف كتاب نكت الكامل للمبرد وغيره . مات بدانية في جمادى الآخرة سنة تسع وثمانين وأربعمائة .

ومن شعره[1] :

قد أثبتت فيه الطبيعة أنها ... بدقيقِ أعمالِ المهندسِ ماهرَهْ
عُنيت بعارضِهِ فخطَّتْ فوقَهُ ... بالمسكِ خطاً من محيطِ الدائرهْ

وقال[2] :

برَّح بي أنَّ علومَ الورى ... إثنان ما إنْ لهما من مزيدْ
حقيقةٌ يُعْجِزُ تحصيلُهَا ... وباطلٌ تحصيلُهُ لا يفيدْ

1206 ـ ترجمة الوقشي في طبقات صاعد: 74 والصلة: 653 ومعجم البلدان (وَقّش) والمطرب: 223 وسير الذهبي 19 : 134 وبغية الوعاة 2 : 327 ونفح الطيب (انظر فهرسه) .

(1) النفح 3 : 376 .
(2) النفح 4 : 137 ، 306 .

- 1207 -

هشام بن محمد بن السائب بن بشر بن عمر الكلبي أبو المنذر ، الأخباري النسابة العلامة : كان عالماً بالنسب وأخبار العرب وأيامها ووقائعها ومثالبها ، أخذ عن أبيه أبي النضر محمد المفسر وعن مجاهد ومحمد بن أبي السري البغدادي ومحمد بن سعد كاتب الواقدي وأبي الأشعث أحمد بن المقدام وغيرهم ، وحدَّث عنه جماعة .

قال أحمد بن حنبل : كان صاحب سِيَر ونسبٍ ما ظننتُ أن أحداً يحدِّثُ عنه .

قال البلاذري في تاريخه : حدث هشام بن الكلبي عن أبيه عن أبي صالح عن ابن عباس في قوله تعالى ﴿ وَإِذْ أَسَرَّ ٱلنَّبِيُّ إِلَىٰ بَعْضِ أَزْوَاجِهِ حَدِيثاً ﴾ (التحريم: 3) قال أسرَّ إلى حفصةَ أن أبا بكر وليُّ الأمرِ من بعده ، وأن عمر وليّه من بعد أبي بكر ، فأخبرت بذلك عائشةَ .

قال الدارقطني : هشام متروك ، وقال غيره : ليس بثقة .

وذكر الخطيب[1] في تاريخ مدينة السلام أن هشاماً كان يقول : حفظت ما لم يحفظه أحد ، ونسيت ما لم ينسَه أحد ، كان لي عمٌّ يعاتبني على حفظ القرآن فدخلتُ بيتاً وحلفتُ لا أخرج منه حتى أحفظَ القرآن ، فحفظته في ثلاثة أيام ، ودخلت يوماً أنظر في المرآة فقبضتُ على لحيتي لآخذَ ما دون القبضة فأخذتُ ما فوق القبضة .

وقال إسحاق بن إبراهيم الموصلي[2]: رأيت ثلاثة كانوا إذا رأوا ثلاثةً يذوبون : علويه إذا رأى مخارقاً ، وأبا نواس إذا رأى أبا العتاهية ، والزهري إذا رأى هشاماً .

مات هشام سنة أربع ومائتين وقيل سنة ست .

وتصانيفه تزيد على مائة وخمسين مصنفاً ذكر منها ابن النديم نقلاً عن أبي

1207 ـ ترجمة ابن الكلبي في طبقات خليفة: 167 وتاريخ خليفة: 423 والفهرست: 108 وتاريخ بغداد 14 : 45 ونور القبس: 291 والأنساب 10 : 454 ونزهة الألباء: 59 وابن خلكان 6 : 82 وميزان الاعتدال 4: 304 وعبر الذهبي 1: 746 وسير الذهبي 10: 101 والمغني في الضعفاء 2: 711 ومرآة الجنان 2: 29 ولسان الميزان 6: 196 .

(1) تاريخ بغداد : 45 ـ 46 .

(2) سترد بشكل أوفى في ترجمة الهيثم بن عدي (رقم: 1213) .

الحسن ابن الكوفي ما يأتي : كتاب حلف عبد المطلب وخزاعة . كتاب حلف الفضول . كتاب حلف كلب وتميم . كتاب حلف أسلم وقريش . كتاب فضائل قيس عيلان . كتاب بيوتات ربيعة . كتاب أخبار العباس بن عبد المطلب . كتاب المؤودات . كتاب خطبة علي رضي الله عنه . كتاب شرف قصي بن كلاب وولده في الجاهلية والإسلام . كتاب ألقاب قريش . كتاب ألقاب ربيعة . كتاب ألقاب قيس عيلان . كتاب ألقاب اليمن . كتاب ألقاب بني طابخة . كتاب المثالب . كتاب النواقل ، فيه نواقل قريش وكنانة وأسد وتميم وقيس وإياد وربيعة . كتاب تسمية من نقل من عاد وثمود والعماليق وجرهم وبني إسرائيل من العرب . كتاب نواقل قضاعة . كتاب نواقل اليمن . كتاب ادعاء معاوية زياداً . كتاب المناقلات . أخبار زياد بن أبيه . كتاب صنائع قريش . كتاب المشاجرات . كتاب المعاتبات . كتاب المشاغبات . كتاب ملوك الطوائف . كتاب ملوك كندة . كتاب ملوك اليمن من التبابعة . كتاب بيوتات اليمن . كتاب افتراق ولد نزار . كتاب تفرّق الأزد . كتاب طسم وجديس . كتاب حديث آدم وولده . كتاب من قال بيتاً من الشعر فنُسب إليه . كتاب المعرقات من النساء في قريش . كتاب عاد الأولى والآخرة . كتاب تفرّق عاد . كتاب أصحاب الكهف . كتاب الأوائل . كتاب رفع عيسى عليه السلام . كتاب أمثال حمير . كتاب المسوخ من بني إسرائيل . كتاب خبر[1] الضحاك . كتاب منطق الطير . كتاب غزية . كتاب لغات القرآن . كتاب المعمرين . كتاب الأصنام[2] . كتاب القِداح . كتاب أسنان الجزور . كتاب أديان العرب . كتاب حُكّام العرب . كتاب وصايا العرب . كتاب السيوف . كتاب الخيل[3] . كتاب الدفائن . كتاب أسماء فحول العرب . كتاب الفداء . كتاب الكهان . كتاب الجن . كتاب أخذ كسرى رهن العرب . كتاب ما كانت الجاهلية تفعله ويوافق حكم الإسلام . كتاب أبي عتاب إلى ربيع حين سأله عن العويص . كتاب عديّ بن زيد العبادي . كتاب الدوس . كتاب حديث بيهس وإخوته . كتاب مروان القَرَظ . كتاب اليمن وأمر سيف بن ذي يزن . كتاب مناكح

(1) م : حي .
(2) طبع بتحقيق أحمد زكي باشا ، القاهرة 1914 .
(3) طبع بعنوان أنساب الخيل ، تحقيق أحمد زكي باشا ، القاهرة 1946 .

أزواج العرب . كتاب الوفود . كتاب أزواج النبي ﷺ . كتاب زيد بن حارثة . كتاب تسمية من قال بيتاً أو قيل فيه . الديباج في أخبار الشعراء . كتاب من فخر بأخواله من قريش . كتاب من هاجر وأبوه . أخبار الجن[1] وأشعارهم . كتاب دخول جرير على الحجاج . أخبار عمرو بن معدي كرب . تاريخ أخبار الخلفاء . كتاب صفات الخلفاء . كتاب المصلين . كتاب البلدان الكبير . كتاب البلدان الصغير . كتاب تسمية من بالحجاز من أحياء العرب . كتاب قسمة الأرضين . كتاب الأنهار . كتاب الحيرة . كتاب منار اليمن . كتاب العجائب الأربعة . كتاب أسواق العرب . كتاب الأقاليم . كتاب الحيرة وتسمية البِيَع والديارات . كتاب تسمية ما في شعر امرىء القيس من أسماء الرجال والنساء والجبال والمياه . كتاب داحس والغبراء . أخبار المنذر ملك العرب . كتاب أيام فزارة ووقائع بني شيبان . كتاب وقائع ضباب وفزارة . كتاب يوم سُنّيق . كتاب يوم السنابس . كتاب أيام بني حنيفة[2] . كتاب أيام قيس بن ثعلبة . أخبار مسيلمة الكذاب . كتاب الفتيان الأربعة . كتاب الأحاديث . كتاب المقطعات . كتاب حبيب العطار . عجائب البحر . المنزل وهو كتاب النسب الكبير . كتاب أولاد الخلفاء . كتاب أمهات النبي ﷺ . كتاب أمهات الخلفاء . كتاب العواقل . كتاب تسمية ولد عبد المطلب . كتاب كنى آباء الرسول ﷺ . جمهرة الأنساب[3] ، رواها عنه ابن سعد كاتب الواقدي .

هذا ما ذكره ابن النديم من تصانيفه ، ولهشام أيضاً الفريد في الأنساب ، صنفه للمأمون . والملوكي في الانساب أيضاً صنفه لجعفر بن يحيى البرمكي . والموجز في النسب أيضاً وغير ذلك .

(1) م : الحر .
(2) م : حنيف .
(3) طبع القسمان اللذان وجدا منه ، ونشره فردوس العظم مصوراً منسوخاً بخطه في ثلاثة أجزاء ؛ ونشر قسم من مختصره .

ـ 1208 ـ

هشام بن معاوية أبو عبد الله الضرير الكوفي النحوي صاحب أبي الحسن الكسائي : كان مشهوراً بصحبته وعنه أخذ النحو . وله من التصانيف مقالة في النحو تعزى إليه . وكتاب الحدود في العربية . وكتاب المختصر في النحو . وكتاب القياس فيه أيضاً ، وغير ذلك .

كان إسحاق بن إبراهيم بن مصعب قد كلَّم المأمون يوماً فلحن في كلامه ، فنظر إليه المأمون ففطن لما أراد وخرج من عنده وجاء إلى هشام بن معاوية وقرأ النحو عليه .

مات هشام سنة تسع ومائتين .

ـ 1209 ـ

هشام بن نهيس بن مسعود بن حارثة بن عمرو بن ربيعة بن ملكان بن عدي العدوي أخو ذي الرمة الشاعر المشهور : كان هشام هذا شاعراً مجيداً ، وكان بينه وبين أخيه ذي الرمة ملاحاة فقال له :

أغيلانُ إنْ ترجعْ قوى الودِّ بيننا فكلُّ الذي ولَّى من العيشِ راجعُ
فكنْ مثلَ أقصى الناسِ عندي فانني بطولِ التنائي من أخي السوءِ قانعُ

وغيلان اسم ذي الرمة ، فقال ذو الرمة له :

أغرَّ هشاماً من أخيه ابنِ أمه قوادمُ ضأنٍ أقبلتْ وربيعُ
وهل تخلفُ الضأنُ الغزارُ أخا الندى إذا حلَّ أمرٌ في الصدور مريعُ

فأجابه هشام فقال :

إذا بان مالي من سوامك لم يكنْ إليك وربِّ العالمينَ رجوعُ

1208 ـ ترجمة صاحب الكسائي في طبقات الزبيدي: 134 ونور القبس: 302 والفهرست: 76 وتاريخ أبي المحاسن: 186 وابن خلكان 6: 85 ونزهة الألباء: 113 وانباه الرواة 3: 364 والوافي (خ) ونكت الهميان: 305 وبغية الوعاة 2: 328 والبلغة: 279 واشارة التعيين: 371 .

1209 ـ انظر هذه الترجمة والشعر المتصل بها في الأغاني 17: 208 ـ 209 فقد جاءت عرضاً في ترجمة ذي الرمة . وهشام شاعر ومن حقه أن يذهب إلى معجم الشعراء .

فأنت الفتى ما اهتزَّ في الزَّهَرِ الندى   وأنت إذا اشتـدَّ الـزمـانُ منـوعُ

وله :

مـا يفعـلُ المـرءُ فَهُـوْ أهله   كـل امـرىءٍ يشبـهـه فِعْلُهُ

ولا تـرى أعجـزَ من عـاجـزٍ   أسـكتـنـا عن ذمّـه بَـذْلُـهُ

_ 1210 _

هلال بن العلاء أبو عمرو الرقي : كان من أهل العلم واللغة بالرقة مات سنة ثمانين ومائتين ، ولا أعلم من أمره غير هذا .

_ 1211 _

هلال بن المحسن بن إبراهيم بن هلال بن إبراهيم بن زهـرون بن حيون الصابىء الحراني أبو الحسن ، وهو حفيد أبي إسحاق الصابىء الكاتب المشهور : كان هلال هذا أديباً كاتباً فاضلاً له معرفة بالعربية واللغة ، أخذ عن أبي علي الفارسي وأبي الحسن الرماني وأبي بكر أحمد بن محمد بن الجراح الخراز ، وكان صابئاً ثم أسلم في آخر عمره وحسن إسلامه . وكتب عنه الخطيب البغدادي وقال : كان ثقةً صدوقاً .

وصنف كتاب الأماثل والأعيان ومنتدى العواطف والاحسان ، جمع فيه أخباراً وحكايات مستطرفة مما حكي عن الأعيان والأكابر ، وهو كتاب ممتع .

ومما يستحسن من تلك الأخبار قال[1] حدث القاضي أبو الحسين عبيد الله بن عياش أن رجلاً اتصلت عطلته وانقطعت مدته ، فزوَّرَ كتاباً عن الوزير أبي الحسن ابن الفرات إلى أبي زنبور الماذرائي عامل مصر يتضمن الوصاية به والتأكيد في الاقبال عليه

1210 ـ ترجمة هلال الرقي في بغية الوعاة 2 : 329 (عن ياقوت) .

1211 ـ ترجمة هلال الصابىء في تاريخ بغداد 14 : 76 والمنتظم 8 : 176 وابن خلكان 6 : 101 .

(1) نشوار المحاضرة 1 : 57 ـ 59 ببعض اختلافات بين النصين .

والاحسان إليه ، وخرج إلى مصر فلقيه به ، فارتاب أبو زنبور في أمره لتغير الخطاب على ما جرت به العادة وكون الدعاء أكثر مما يقتضيه محله ، فراعاه مراعاةً قريبة ووصله بصلةٍ قليلة واحتبسه عنده على وعدٍ وَعَدَهُ به ، وكتب إلى أبي الحسن ابن الفرات يذكر الكتابَ الواردَ عليه وأنفذه بعينه إليه واستثبته فيه ، فوقف ابن الفرات على الكتاب المزوَّر فوجد فيه ذِكْرَ الرجلِ وأنه من ذوي الحرمات والحقوق الواجبة عليه وما يقال في ذلك مما قد استوفى الخطاب فيه ، فعرض ابنُ الفرات الكتابَ على كتابه وعرَّفهم الصورةَ فيه وعجب إليهم منها ومما أقدم عليه الرجل وقال لهم : ما الرأيُ في أمر هذا الرجل عندكم ؟ فقال بعضهم : تأديبه أو حبسه ، وقال آخر : قطع إبهامه لئلا يعاود مثلَ هذا ولئلا يقتدي به غيره فيما هو أكثر من هذا ، وقال أحسنهم مَحْضَراً: يُكْشَفُ لأبي زنبور قصته وَيُرْسَمُ له طرده وحرمانه ، فقال ابن الفرات : ما أبعدكم عن الحريةِ والخيرية وأنفرَ طباعكم عنها ، رجلٌ توسَّلَ بنا وتحمَّلَ المشقةَ إلى مصر في تأميلِ الصلاح بجاهنا واستمدادِ صُنْع اللّه عز وجل بالانتساب إلينا ويكون أحسنَ أحواله عند أحسنكم محضراً تكذيبُ ظنّه وتخييب سعيه ؟! والله لا كان هذا أبداً ، ثم إنه أخذ القلم من دواته ووقَّع على الكتاب المزوّر : هذا كتابي ولستُ أعلم لم أنكرتَ أمره واعترضتك شبهةٌ فيه ، وليس كلُّ من خدمنا وأوجب حقاً علينا تعرفه ، وهذا رجلٌ خدمني في أيام نكبتي ، وما أعتقده في قضاءِ حقه أكثر مما كلَّفتك في أمره من القيام به ، فأحسنْ تفقّدَهُ ووفّرْ رفده ، وَصَرِّفْهُ فيما يعودُ عليه نفعُهُ ويصلُ إلينا بما يتحقق به ظنه ويتبين موقعه . وردَّ الكتاب إلى أبي زنبور عامل مصر من يومه ، فلما مضت على ذلك مدةٌ طويلة دخل يوماً على الوزير أبي الحسن ابن الفرات رجل ذو هيئة مقبولة ، وَبِزَّةٍ جميلة ، وأقبل يدعو له ويثني عليه ويبكي ويقبّلُ الأرضَ ، فقال ابن الفرات : من أنت بارك الله فيك ـ وكانت هذه كلمته ـ فقال : أنا صاحب الكتاب المزوَّر إلى أبي زنبور عامل مصر الذي صحَّحه كرمُ الوزير وتفضّله فعل الله به وصنع ، فضحك ابن الفرات وقال : كم وصل إليكَ منه ؟ قال : وصل إليَّ من ماله وتقسيط قسطه على عماله ومعامليه وعمل صَرَّفني فيه عشرون ألف دينار ، فقال ابن الفرات : الحمد للّه ، ٱلزَمْنا فانا نعرِّضُكَ لما يزداد به صلاحُ حالك ، ثم اختبره فوجده كاتباً سديداً فاستخدمه وأكسبه مالاً جزيلاً ؛ انتهى .

مات هلال بن المحسن ليلة الخميس سابع عشر رمضان سنة ثمان وأربعين وأربعمائة ، وكان ولادته في شوال سنة تسع وخمسين وثلاثمائة .

ـ 1212 ـ

همام بن غالب بن صعصعة بن ناجية بن عقال بن محمد بن سفيان بن مجاشع بن دارم بن عوف بن حنظلة بن مالك بن زيد مناة بن تميم بن مر التميمي ، أبو فراس المعروف بالفرزدق الشاعر المشهور : كان جده صعصعة عظيمَ القدرِ في الجاهلية ، وكان افتدى ثلاثمائة موءودة إلى أن جاء الله عز وجل بالإسلام ، وكان أبوه غالب من سراة قومه ورئيسهم ، وكان الفرزدق كثير التعظيم لقبر أبيه فما جاءه أحد واستجار به إلا نهض معه وساعده على بلوغ غرضه .

حدث أبو عبد الله محمد بن سلام الجمحي قال(1) : سمعت يونس بن حبيب يقول : ما شهدتُ مشهداً قط ذكر فيه جرير والفرزدق وأجمع أهل المجلس على أحدهما ، وكان يونس يقدم الفرزدق ويقول : ما كان بالبصرة مُوَلّد مثله(2) .

ولما هرب الفرزدق(3) من زياد بن أبيه حين هجا بني نهشل ، فاستعدوا زياداً عليه ، قدم المدينة واستجار بسعيد بن العاص فأجاره ، وكان الحطيئة وكعب بن جعيل

1217 ـ ترجمة الفرزدق في الشعر والشعراء : 381 وطبقات ابن سلام: 299 ـ 379 والأغاني 21 : 298 (وراجع فهرسه) والموشح : 156 والسمط : 44 وابن خلكان 6 : 86 والخزانة 1 : 105 والشذرات 1 : 141 والشريشي 1 : 142 وشرح شواهد المغني : 4 وأمالي المرتضى 1 : 43 ومرآة الجنان 1 : 234 وعبر الذهبي 1 : 236 وسير الذهبي 4 : 590 ومعاهد التنصيص 1 : 45 والنجوم الزاهرة 1 : 268 وسرح العيون : 389 ، 464 والبداية والنهاية 9 : 265 وأخباره منثورة في كتب الأدب والتاريخ ولصديقنا الدكتور شاكر الفحام دراسة مفيدة عنه ، دمشق 1970 ؛ (وهذه الترجمة ليس موضعها معجم الأدباء) .

(1) طبقات ابن سلام : 299 والأغاني 21 : 309 .

(2) أرى المؤلف وهم في النقل ، فهذه العبارة يقولها يونس في عمر بن يزيد بن عمير الأسدي (طبقات ابن سلام : 352) .

(3) طبقات ابن سلام : 321 والأغاني 21 : 347 .

عند سعيد لما دخل الفرزدق عليه فأنشده الفرزدق :

ترى الغُرَّ الجحاجحَ من قريشٍ ... إذا ما الأمر في الحدثانِ عالا

بني عمّ النبي ورهط عمرو ... وعثمان الألى غلبوا فعالا

قياماً ينظرون إلى سعيدٍ ... كأنهمُ يرونَ به هلالا

فقال الحطيئة : هذا والله الشعر أيها الأمير لا ما تُعَلَّلُ به منذ اليوم ، فقال كعب بن جعيل : فَضِّلْهُ على نفسك ولا تفضله على غيرك ، فقال : بلى والله ، أفضله على نفسي وعلى غيري ، أدركتَ مَن قبلك وسبقت من بعدك . ثم قال له الحطيئة : يا غلام لئن بقيتَ لتبرزن علينا .

وقال أبو عبيدة معمر بن المثنى(1) : كان الشعراء في الجاهلية من قيس وليس في الإسلام مثل حظ تميم في الشعر ، وأشعر تميم جرير والفرزدق والاخطل ، وكان المفضل الضبي يفضل الفرزدق ، قيل له : الفرزدق أشعر أم جرير ؟ قال الفرزدق : فقيل له : ولِمَ ؟ قال : لأنه قال بيتاً هجا فيه قبيلتين فقال :

عجبتُ لعجلٍ إذ تهاجي عبيدَها ... كما آلُ يربوعٍ هَجَوْا آلَ دارمِ

فقيل له قد قال جرير :

ان الفرزدقَ والبعيثَ وأمه ... وأبا البعيث لشرُّ ما استار

فقال : وأيّ شيء أهون من أن يقول إنسان : فلان وفلان وفلان والناس كلهم بنو الفاعلة .

وحدث أبو حاتم السجستاني عن أبي عبيدة قال : سمعت يونس يقول : لولا شعر الفرزدق ذهب ثلث لغة العرب .

وقال آخرُ : الفرزدق مقدم على الشعراء الإسلاميين هو وجرير والأخطل ، ومحلّه في الشعر أكبر من أن ينبَّه عليه بقولٍ أو يُدَلَّ على مكانه بوصف ، لأنّ الخاص والعام يعرفانه بالاسم ويعلمان تقدمه بالخبر الشائع علماً يُسْتَغْنَى به عن الإطالة في الوصف . وقد تكلم الناسُ في هذا قديماً وحديثاً وتعصبوا واحتجوا بما لا مزيدَ فيه . وبعد

(1) قارن بالأغاني 8 : 5 ، والأغاني 21 : 309 .

إجماعهم على تقديم هؤلاء الثلاثة اختلفوا في أيهم أحقّ بالتقديم على الآخرَيْن ، فأما قدماء أهل العلم والرواة فلم يسوّوا بينهما وبين الأخطل لأنه لم يلحق شأوهما في الشعر ولا له مِثْلُ ما لهما من فنونه ولا تصرُّف كتصرفهما في سائره ، وقالوا : إن ربيعة أفرطت في الأخطل حين ألحقته بهما . وهم في الفرزدق وجرير قسمان : فمن كان يميل إلى جزالة الشعر وفخامته وشدّة أَسْرِهِ فيقدم الفرزدق ، ومن كان يميل إلى الشعر المطبوع وإلى الكلام السمح السهل الغزل فيقدم جريراً .

وقال ابن سلام[1] : كان الفرزدق أكثرهم بيتاً مقلداً (والمقلّد البيت المستغني بنفسه المشهور الذي يضرب به المثل) فمن ذلك قوله :

فيا عجبا حتى كليبٌ تسبُّني ... كأن أباها نهشلٌ ومجاشعُ

وقوله :

ليس الكرامُ بمانحيكَ أباهمُ ... حتى تُرَدَّ إلى عطيةَ تُعْتَلُ

وقوله :

وكنا إذا الجبارُ صَعَّرَ خَدَّه ... ضربناه حتى تستقيمَ الأخادعُ

وقوله :

وكنتَ كذئبِ السوء لما رأى دماً ... بصاحبه يوماً أحالَ على الدمِ

وقوله :

وان تنجُ مني تنجُ من ذي عظيمةٍ ... وإلا فاني لا إخالُكَ ناجيا

وقوله :

ترى كلَّ مظلوم إلينا فرارُهُ ... ويهربُ منا جهده كلُّ ظالمِ

وقوله :

أحلامنا تزنُ الجبالَ رزانةً ... وتخالنا جنّاً إذا ما نجهلُ

ومقلداته في شعره كثيرة وفيما اوردناه منها كفاية وبشهرته غنى عن إيراد طرف من شعره .

(1) طبقات ابن سلام : 360 والأغاني 21 : 329 .

قال أبو اليقظان[1] : أسنَّ الفرزدق حتى قارب المائة فأصابته الدبيلة وهو بالبادية ، فقُدِمَ به إلى البصرة وأُتي برجل متطبب من بني قيس فأشار بأن يكوى ويسقى النفط الأبيض ، فقال : أتعجلون لي طعام أهل النار في الدنيا ؟! وجعل يقول :

أروني من يقومُ لكم مقامي إذا ما الأمرُ جلَّ عن الخطابِ

ومات في مرضه ذلك سنة عشر ومائة ومات جريرٌ بعده بستة أشهر ، ومات في هذه السنة الحسن البصري وابن سيرين ، فقالت امرأة من أهل البصرة : كيف يفلح بلدٌ مات فقيهاه وشاعراه في سنة ؟

ولما نعِيَ إلى جرير بكى ثم أنشأ يقول[2] :

فجعنا بحمّال الدياتِ ابنِ غالبٍ وحامي تميمٍ كلِّها والبراجمِ
بكيناكَ حِدْثانَ الفراقِ وإنما بكيناك شجواً للأمورِ العظائمِ
فلا حملتْ بعد ابنِ ليلى مهيرةٌ ولا شُدَّ أنساعُ المطيِّ الرواسمِ

ورثاه أبو ليلى المجاشعي بأبيات منها[3] :

لعمري لقد أشجى تميماً وهدَّها على نَكَباتِ الدهرِ موتُ الفرزدقِ
لقد غيّبوا في اللحدِ من كان ينتمي إلى كلِّ بدر في السماء محلقِ
لتبكِ النساءُ المعولاتُ ابنَ غالبٍ لجانٍ وعانٍ في السلاسلِ موثقِ

ـ 1213 ـ

الهيثم بن عدي بن عبد الرحمن بن زيد بن سيد بن جابر بن عدي أبو

1213 ـ ترجمة الهيثم بن عدي في تاريخ خليفة : 472 والبيان والتبيين 1 : 347 ، 361 والمعارف : 538 والفهرست : 112 وتاريخ بغداد 14 : 50 ونور القبس : 293 وانباه الرواة 3 : 365 وابن خلكان 6 : 106 وميزان الاعتدال 4 : 324 وعبر الذهبي 1 : 353 وسير الذهبي 10 : 103 ومرآة =

(1) قارن بالأغاني 21 : 408 والنصّ فيه 21 : 412 ـ 413 .
(2) الأغاني 21 : 412 .
(3) الأغاني 21 : 413 .

عبد الرحمن الطائي الكوفي ، أصله من منبج ، وأمه من سبي منبج : ولد بالكوفة قبل سنة ثلاثين ومائة ، وكان اخبارياً علامة رواية، نقل من أخبار العرب وأشعارها ولغاتها شيئاً كثيراً ، وروى عن هشام بن عروة وعبد الله بن عياشَ المنتوف ومجالد .

قال البخاري ويحيى بن معين : ليس بثقة كان يكذب ، وقال أبو داود مثل ذلك ، وقال النسائي : متروك ، وقال الحافظ ابن عدي : حديثه في المسند قليل ، إنما هو صاحب أخبار .

وكانت جارية الهيثم بن عدي تقول[1] : كان مولاي يقوم عامة الليل يصلّي فإذا أصبح جلس يكذب .

وقال الجاحظ قال أبو يعقوب الخريمي[2] : ما رأيت كثلاثة رجالٍ كانوا يأكلون الناسَ أكلاً حتى إذا رأوا ثلاثة رجالٍ ذابوا كما يذوبُ الرصاص على النار ، كان هشام بن الكلبي علامة نسابة راوية للمثالب عَيّابة فإذا رأى الهيثمَ بن عديّ ذاب كما يذوب الرصاص ، وكان علي بن الهيثم حرّيفاً مفقعاً صاحب تقعّر ، يستولي على كل كلام لا يحفل بخطيب ولا شاعر ، فإذا رأى موسى الضبيَّ ذاب كما يذوب الرصاص ، وكان علويه واحدَ الناسِ في الغناء روايةً وحكاية ودراية وصنعة وجودة ضربٍ وإطراب وحُسْنَ حَلْقٍ ، فإذا رأى مخارقاً ذاب كما يذوب الرصاص على النار .

وكان[3] الهيثم بن عدي قد تزوج في بني الحارث بن كعب فلم يرتضوه فأذاعوا عنه انه ذكر العباس بن عبد المطلب رضي الله عنه بشيء فحُبس لذلك ، ثم ركب محمد بن زياد بن عبد الله بن عبد المدان الحارثي ومعه جماعة من الحارثيين إلى هارون الرشيد فسألوه أن يفرّق بين الهيثم وبين التي تزوجها من بني الحارث ، فقال الرشيد : أليس هو الذي يقول فيه الشاعر :

الجنان 2 : 32 ولسان الميزان 6 : 209 والنجوم الزاهرة 2 : 184 وطبقات الداودي 2 : 354 وانظر مروج الذهب 3 : 219 .

(1) ميزان الاعتزال : 325 .

(2) البيان والتبيين 1 : 131 ـ 132 .

(3) الأغاني 19 : 306 ـ 307 .

إذا نسبتَ عدياً في بني ثُعَلٍ فقدّمِ الدال قبل العينِ في النسبِ

قالوا : بلى يا أمير المؤمنين ، قال : فهذا الشعر من قاله ؟ قالوا : هو لرجل من أهل الكوفة من بني شيبان يقال له ذهل بن ثعلبة ، فأمر الرشيد داود بن يزيد أن يفرِّقَ بينهما ، فأخذوا الهيثم وأدخلوه داراً وضربوه بالعصي حتى طلقها .

وقد ورد هذا البيت المنسوب إلى ذهل بن ثعلبة في أبيات لأبي نواس يهجو بها الهيثم ، فما أدري أفي نسبته إلى ذهل وهْمٌ أم هو له ، وورد في شعر أبي نواس على سبيل التضمين والاستشهاد .

وكان سبب[1] هجو أبي نواس للهيثم أنَّ أبا نواس حضر مجلسَ الهيثم في حداثته والهيثم لا يعرفه ، فلم يستدْنِهِ ولا قرَّبه ، فقام مغضباً ، فسأل الهيثم عنه فعرَّفوه به ، فقال : إنا للّه ، هذه والله بلية لم أجنها على نفسي ، قوموا بنا إليه لنعتذر ، فساروا إليه ودق الهيثم عليه الباب وتسمَّى له ، فقال : ادخل فدخل فإذا هو قاعدٌ يصفّي نبيذاً له ، وقد أصلح بيته بما يصلح به مثله ، فقال الهيثم : المعذرة إلى الله تعالى ثم إليك فما عرفتك ، وما الذنبُ إلا لك حيث لم تعرّفنا نفسك فنقضي حقك ونبلغ الواجبَ من برك ، فأظهر له قبولَ المعذرة ، فقال الهيثم : أستعهدك من قولٍ سبق منك فيَّ ، فقال : ما قد مضى فلا حيلة فيه ، ولك الأمانُ مما استأنف ، فقال : ما الذي مضى جعلت فداك ؟ قال بيت مرّ وأنا فيما رأيت من الغضب ، قال فأنشدنيه ، فدافعه فألحَّ عليه فأنشده :

يا هيثم بن عدي لستَ للعربِ ولستَ من طيّءٍ الا على شَغَبِ
إذا نسبتَ عدياً في بني ثُعَلٍ فقدّم الدال قبل العينِ في النسبِ

فقام الهيثم من عنده ثم بلغه بعد ذلك بقية الأبيات وهي :

لهيثم بن عدي في تلوّنه في كل يوم له رحلٌ على خشبِ
فيما يزال أخا حلٍّ ومرتحَلٍ إلى الموالي وأحياناً إلى العربِ
له لسانٌ يُزَجّيه بجوهره كأنه لم يزلْ يغدو على قتبِ

(1) انظر ابن خلكان 6 : 111 ـ 112 .

كأنني بك فوق الجسرِ منتصباً ... على جوادٍ قريبٍ منك في الحسبِ
حتى نراك وقد دُرِّعْتَهُ قُمُصاً ... من الصديدِ مكان الليفِ والكَرَبِ
للّه أنتَ فما قُرْبَى تهمُّ بها ... الا اجتلبتَ لها الأنساب من كثبِ

فعاد الهيثم إليه وقال : يا سبحان الله قد أمّنتني وجعلتَ لي عهداً ان لا تهجوني فقال : وإنهم ﴿ يَقُولُونَ مَا لاَ يَفْعَلُونَ ﴾ (الشعراء: 226) وكان الهيثم مكروهاً لأنه كان يتعرض لأحوال الناس وأخبارهم فيرويها على وجهها ويُشيعُ ما كتموا ، فكرهوه ووشوا به إلى الولاة وأغْرَوْا الشعراء بهجوه .

حدث علي بن جبلة الشاعر المشهور المعروف بالعكوك قال[1] : جاءني أبو يعقوب الخريمي فقال : إن لي إليك حاجةً ، قلت : وما هي ؟ قال : تهجو لي الهيثم بن عدي ، فقلت : وما لك أنت لا تهجوه وأنت شاعر ؟ فقال : قد فعلت فما جاءني شيء كما أريد ، فقلت له : كيف أهجو رجلاً لم يتقدم إليَّ منه إساءة ولا له إليَّ جرم يُحفظني ؟ فقال : تقرضني فاني مليٌّ بالوفاءِ والقضاء ، قلت : نعم فأمهلني اليومَ ، فمضى وغدوت عليه فأنشدته :

للهيثم بن عديٍّ نسبةٌ جَمَعَتْ ... آباءَهُ فأراحتنا من العددِ
اعددْ عدياً فلو مُدَّ البقاء له ... ما عُمِّرَ الناس لم ينقصْ ولم يزدِ
نفسي فداءُ بني عبد المدانِ وقد ... تَلُوهُ للوجهِ واستعلَوْهُ بالعُمُدِ
حتى أزالوه كَرْهاً عن كريمتهم ... وعرَّفوه بذلٍ أين أصْلُ عدي
يا ابن الخبيثةِ من أهجو فأفضحه ... إذا هجوتُ وما تُنْمَى إلى أحد

قوله : نفسي فداء بني عبد المدان والبيت الذي بعده : إشارة إلى الخبر الذي تقدم من قدوم محمد بن زياد بن عبد المدان على الرشيد واستظهاره به على تطليق فتاتهم الحارثية من الهيثم ، وقد تقدمت القصة .

مات الهيثم بفم الصلح سنة تسع ومائتين وقيل سنة سبع وله ثلاث وتسعون سنة .

وله من المصنفات : كتاب هبوط آدم وافتراق العرب . كتاب نزول العرب

(1) الأغاني 19 : 306 .

بخراسان والسواد . كتاب بيوتات العرب . كتاب بيوتات قريش . كتاب المثالب الكبير . كتاب المعمرين . كتاب نسب طيء . أخبار طيء ونزولها الجبلين وحلف ذهل وثعل . كتاب حلف كلب وتميم وذهل وطيء وأسد . كتاب المثالب الصغير . كتاب مثالب ربيعة . كتاب النواقل . كتاب من تزوج من الموالي في العرب . أسماء بغايا قريش في الجاهلية وأسماء من ولدن . كتاب الدولة . تاريخ العجم وبني أمية . تاريخ الأشراف الكبير . تاريخ الأشراف الصغير . كتاب مديح أهل الشام . كتاب مداعي أهل الشام . أخبار زياد بن أبيه . كتاب الجامع . كتاب الوفود . كتاب النشاب . كتاب ولاة الكوفة . كتاب خطط الكوفة . كتاب النكد . كتاب النساء . كتاب فخر أهل الكوفة على أهل البصرة . كتاب قضاة الكوفة والبصرة . طبقات من روى عن النبي ﷺ من الصحابة . طبقات الفقهاء والمحدثين . كتاب تسمية الفقهاء والمحدثين . كتاب شرط الخلفاء . كتاب خواتيم الخلفاء . كتاب عمال الشرط لأمراء العراق . أخبار الحسن عليه السلام . التاريخ مرتب على السنين . كتاب خطب المضرس بمكة والمدينة . كتاب مقتل خالد بن عبد الله القسري والوليد بن يزيد . كتاب الصوائف . كتاب الخوارج . كتاب المواسم . كتاب النوادر . مقطعات الأعراب . أخبار الفرس . المحبر . منتحل الجواهر . كتاب كنى الأشراف .

حرف الواو

****

ـ 1214 ـ

واصل بن عطاء أبو حذيفة الغزّال مولى بني ضبة : كان متكلماً بليغاً أديباً متفنناً خطيباً ، ولقب بالغزال لكثرة جلوسه في سوق الغزّالين إلى أبي عبد الله مولى قطن الهلالي . وكان بشار بن برد قبل أن يدين بالرجعة ويكفّرَ جميعَ الأمة كثيرَ المديح لواصل بن عطاء وفضّله في الخطابة على خالد بن صفوان وشبيب بن شبة والفضل بن عيسى يوم خطبوا عند عبد الله بن عمر بن عبد العزيز والي العراق ، فقال في ذلك[1] :

أبا حذيفةَ قد أوتيتَ معجزةً ... من خطبةٍ بَدَهْتَ من غير تقديرِ
وإن قولاً يروقُ الخالدَيْن معاً ... لمسكتٌ مخرسٌ عن كلِّ تحبير

وقال في ذلك أيضاً[2] :

تكلّفوا القولَ والأقوامُ قد حفلوا ... وحبَّروا خطباً ناهيكَ من خُطَبِ
فقام مرتجلاً تغلي بداهتُهُ ... كَمِرْجَلِ القَيْنِ لما حُفَّ باللهب

1214 ـ ترجمة واصل في الفهرست: 202 وأمالي المرتضى 1 : 163 وابن خلكان 6 : 7 وميزان الاعتدال 4 : 329 وسير الذهبي 5 : 464 ومرآة الجنان 1 : 274 ولسان الميزان 6 : 214 والفرق بين الفرق: 117 والنجوم الزاهرة 1 : 313 والشذرات 1 : 182 وفي البيان والتبيين معلومات عنه ، وخطبته التي جانب فيها الراء وردت في نوادر المخطوطات: 134 وانظر فرق وطبقات المعتزلة (تحقيق النشار وعصام الدين علي) : 41 ـ 48 وخطط المقريزي 2 : 345 ومروج الذهب 5 : 22 ومقاتل الطالبيين : 293 ورغبة الأمل 7 : 78 ، 114 ، 116 .

(1) البيان والتبيين 1 : 24 .
(2) المصدر نفسه .

وجـانبَ الراءَ لم يشعـرْ به أحـدٌ قبل التصفح والإغراقِ في الطلب

قوله : وجانب الراء إشارة إلى لثغة واصل ، وكان واصل الثغ قبيح اللثغة في الراء ، فكان يخلص كلامه من الراء ولا يفطن لذلك السـامع لاقتـداره على الكلام وسهولة ألفاظه ، وفي ذلك يقول أبو الطروق الضبي[1] :

عليمٌ بـابدالِ الحـروفِ وقـامـعٌ لكـلِّ خطيبٍ يغلبُ الحقَّ بـاطِلُهْ

ولما قال بشار بالرجعة[2] وتتابع على واصل ما يشهدُ بالحاده قال واصل : أما لهذا الأعمى الملحدِ ، أما لهذا المشنَّف المكنّى بأبي معاذ من يقتله ؟! أما والله لولا أن الغيلةَ سجيةٌ من سجايا الغالية لدسستُ إليه من يبعجُ بطنه في جوف منزله أو في حفله ثم لا يتولّى ذلك إلا عُقَيلي أو سدوسي ، فقال : أبو معاذ ، ولم يقل بشار ، وقال المشنف ولم يقل المرعث ، وكان بشار يُنْبَزُ بالمرعث ، وقال من سجايا الغالية ولم يقل الرافضة ، وقال في منزله ولم يقل في داره ، وقال يبعجُ ولم يقل يبقر ، كلّ ذلك تخلصاً من الراء . ولما بلغ بشاراً إنكارُ واصلٍ عليه وأنه يهتف به قال يهجوه[3] :

مـا لي أُشـايــعُ غـزّالاً لــه عنقٌ كَنِقْنِقِ الــدوِّ إن ولّى وإن مَثَــلا
عُنْقَ الـزرافـةِ مـا بـالي وبــالكمُ أتُكْفِـرُونَ رجـالاً أكفــروا رجـلا

وكان واصل في أول أمره يجلس إلى الحسن البصري ، فلما ظهر الاختلاف وقالت الخوارج بتكفيرِ مرتكبِ الكبائر وقال الجماعة بايمانهم خرج واصلٌ عن الفريقين وقال بمنزلة بين المنزلتين ، فطرده الحسن عن مجلسه ، فاعتزل عنه ، وتبعه عمرو بن عبيد ، ومن ثَمَّ سُمّوا وجماعتَهم المعتزلة .

ومما قيل في لثغهِ بالراءِ قولُ بعضهم[4] :

ويجعـلُ البرَّ قمحـاً في تصـرُّفِـهِ وخالف الراءَ حتى احتـال للشِّعَرِ
ولم يُطِقْ مَطَراً في القولِ يجعله فعـاذ بالغيثِ إشفـاقاً من المـطر

---

(1) البيان والتبيين 1 : 15 .
(2) الأغاني 3 : 139 ـ 140 والبيان والتبيين 1 : 16 .
(3) الأغاني 3 : 139 والبيان والتبيين 1 : 16 ـ 17 .
(4) البيان والتبيين 1 : 21 .

وقال قطرب[1] : سألت عثمان البري : كيف كان يصنع واصل بالعدد بعشرة وعشرين وأربعين ، وبالقمر وبالبدر ويوم الأربعاء والمحرم وصفر وربيع الأول والآخر وجمادى الآخرة فقال : ما لي فيه إلا قولُ صفوانَ بن إدريس :

مُلَقَّنٌ مُلْهَمٌ فيما يحاولُهُ   جَمٌّ خواطرُهُ جوّابُ آفاقِ

ولواصل بن عطاء خُطَبٌ وحكم من الكلام ومناظرات ورسائل وأخبار يطول ذكرها ، وله شعر أجاد فيه ومنه :

تحامقْ مع الحمقى إذا ما لقيتَهُمْ   ولا تلقهمْ بالعقلِ إن كنتَ ذا عَقْلِ
فإن الفتى ذا العقلِ يَشْقَى بعقله   كما كان قبلَ اليوم يشقى ذوو الجهل

وله من التصانيف : معاني القرآن . وكتاب التوبة . وكتاب الخطب في التوحيد . وكتاب المنزلة بين المنزلتين . وكتاب السبيل الى معرفة الحق . وكتاب ما جرى بينه وبين عمرو بن عبيد . وكتاب أصناف المرجئة . وكتاب خطبه التي أخرج منها الراء . وطبقات أهل العلم والجهل . وغير ذلك.

ولد واصل بالمدينة سنة ثمانين وتوفي سنة إحدى وثلاثين ومائة .

- 1215 -

وثيمة بن موسى بن الفرات أبو يزيد الفارسي الفسوي الوشاء المحدث الأديب الاخباري : كان يتَّجرُ في الوشي ، وهو نوع من الثياب المنسوجة من الابريسم . حدث عن سلمة بن فضل عن ابن سمعان عن الزهري بأحاديث موضوعة ،

1215 ـ ترجمة وثيمة في جذوة المقتبس: 340 (بغية الملتمس رقم : 1415) وابن الفرضي 2 : 165 وابن خلكان 6 : 12 وفوات الوفيات 2 : 625 (الطبعة المصرية ، وسقط من الطبعة التي صدرت بتحقيقي) ومرآة الجنان 2 : 118 والشذرات 2 : 89 وكتابه في الردة مصدر مهم لدى ابن حجر في الاصابة . ولفظة « وثيمة » تعني الجماعة من الحشيش والطعام وتعني الصخرة .

(1) البيان والتبيين 1 : 22 .

وله عن مالك حديث منكر ، وسمع منه أحمد بن إبراهيم بن ملحان ، وحدث عنه ابنه أبو رفاعة عمارة بن وثيمة . وسافر وثيمة في أول أمره من بلده إلى البصرة ثم إلى مصر ومنها إلى الأندلس ، ثم عاد إلى مصر وبها مات يوم الاثنين لعشر خلون من جمادى الأولى سنة سبع وثلاثين ومائتين .

وصنف كتاب أخبار الردة ، ذكر فيه القبائل التي ارتدت بعد وفاة النبي ﷺ ، وسرايا أبي بكر التي سيَّرها لقتالهم وما جرى بينهم ، ومن رجع منهم إلى الإسلام ، وأخبار خالد بن الوليد مع مالك بن نويرة وقتله له ، ومراثي متمم بن نويرة في أخيه ، وغير ذلك .

ـ 1216 ـ

الوليد بن عبيد الله بن يحيى بن عبيد بن شملال بن جابر بن مسلمة بن مسهر بن الحارث بن جشم بن أبي حارثة بن جدي بن بدول بن بحتر ، أبو عبادة وأبو الحسن ، والأول أشهر ، البحتري الطائي الشاعر المشهور : كان فاضلاً أديباً فصيحاً بليغاً شاعراً مجيداً ، وكان بعضُ أهل عصره يقدمونه على أبي تمام بادىء الرأي ويختمون به الشعراء ، وروى عنه شعره أبو العباس المبرد وابن المرزبان محمد بن خلف وأبو بكر الصولي والمحاملي أبو عبد الله .

ولد بمنبج من أعمال حلب وبها نشأ وتنبل وقال الشعر ، ثم صار إلى أبي تمام وهو بحمص فعرض عليه شعره ، وكان يجلس للشعراء فيعرضون عليه أشعارهم ، فلما سمع أبو تمام شعره أقبل عليه وقال له : أنت أشعرُ من أنشدني .

وللبحتري تصرف حسن في ضروب الشعر سوى الهجاء فإنه لم يحسنه ، وأجود شعره ما كان في الأوصاف . وكان يتشبه بأبي تمام في شعره ويحذو حذوه وينحو نحوه في البديع الذي كان أبو تمام يستعمله ويراه إماماً ويقدمه على نفسه ويقول في الفرق

1216 ـ ترجمة البحتري في الأغاني 21 : 39 والفهرست : 190 وتاريخ بغداد 13 : 476 والمنتظم 6 : 11 ومعجم البلدان (منبج) وابن خلكان 6 : 21 وعبر الذهبي 2 : 73 وسير الذهبي 13 : 486 والبداية والنهاية 11 : 76 والنجوم الزاهرة 3 : 99 والشذرات 2 : 186 وأخبار البحتري للصولي (دمشق 1958) والموازنة للآمدي ، ويونس السامرائي : البحتري في سامراء (1 ـ 2) بغداد : 1971 وخليفة الوقيان : شعر البحتري ، بيروت : 1985 .

بينهما قولَ منصف : إن جيدَ أبي تمام خيرٌ من جيدي ورديئي خيرٌ من رديئه .

وقال له الحسين بن إسحاق يوماً : إن الناس يزعمون أنك أشعر من أبي تمام ، فقال : والله ما ينفعني هذا القول ولا يضرُّ أبا تمام ، والله ما أكلتُ الخبزَ إلا به ، ولوددتُ أن الأمر كما قالوا ، ولكنّي والله تابع له لائذ به ، نسيمي يركدُ عند هوائه ، وأرضي تنخفضُ عند سمائه .

وحدث محمد بن علي الأنباري قال : سمعت البحتري يقول : أنشدني أبو تمام يوماً لنفسه[1] :

وسابحٍ هطل التعداءِ[2] هتان ... على الجراءِ أمينٍ غيرِ خوّانِ
فلو تراه مشيحاً والحصى زِيَمٌ[3] ... بين السنابكِ من مَثْنَى ووحدان
أيقنتَ إنْ تَتَثَبَّتْ[4] أن حافره ... من صخرِ تدمرَ أو من وجه عثمان[5]

ثم قال لي : ما هذا الشعر؟ قلت : لا أدري ، قال : هذا هو الاستطراد ، قلت : و ما معنى ذلك ؟ قال : يريك أنه يريدُ وصفَ الفرس ، وهو يريد هجاء عثمان .

قال المؤلف الفقير : وهذا هو الذي ذكره علماء البديع في تعريف الاستطراد . وقد نحا البحتري نحو أبي تمام فوصف فرساً واستطرد إلى هجو حمدويه الأحول فقال[6] :

ما إن يعافُ قذىً ولو أوردته ... يوماً خلائقَ حمدويهِ الأحولِ

وهو من قصيدة امتدح بها محمد بن علي القمي ، وكان حمدويه عدوًّا له فهجاه في عرض مدحه لمحمد القمي .

---

(1) ديوان أبي تمام 4 : 434 .
(2) م : الشعراء .
(3) الديوان : فِلَقٌ .
(4) الديوان : حلفت إن لم تثبت .
(5) هو عثمان بن ادريس الشامي .
(6) ديوان البحتري 3 : 1745 .

وكانت ولادة البحتري سنة ست ومائتين وتوفي بمنبج بمرض السكتة سنة أربع وثمانين ومائتين .

وله كتاب الحماسة على مثال حماسة أبي تمام . وكتاب معاني الشعر . وديوان في مجلدين جمعه أبو بكر الصولي ورتبه على الحروف ، وجمعه أيضاً علي بن حمزة الأصفهاني الأخباري ورتبه على الأنواع كما صنع بشعر أبي تمام .

ومن غرر شعره في المديح قصيدته الرائية التي مدح بها المتوكل على الله يهنئه بعيد الفطر ويذكر خروجه فيه للصلاة قال[1] :

اللَّه مكّن للخليفةِ جعفرٍ ... مُلْكاً يُجَمِّلُهُ الخليفةُ جعفرُ

نُعمى من الله اصطفاهُ بفضلها ... والله يرزقُ مَنْ يشاءُ ويقدر

ومنها :

بالبرّ صمتَ وأنت أفضلُ صائمٍ ... وبسنّةِ اللهِ الرضيةِ تفطرُ

فانعمْ بيوم الفطرِ عيناً إنه ... يومٌ أغرُّ من الزمانِ مشهّر

أظهرتَ عزَّ الملكِ فيه بجحفلٍ ... لجب يحاطُ الدينُ فيه وينصر

خلنا الجبالَ تسيرُ فيه وقد غَدَتْ ... عدداً يسيرُ به العديدُ الأكثر

والخيلُ تصهلُ والفوارس تدَّعي ... والبيضُ تَلْمَعُ والأسنّة تَزْهَرُ

ومنها :

حتى طلعتَ بضوءِ وجهك فانجلى ... ذاك الدجى وانجابَ ذاك العثير

وافتنَّ فيك الناظرون فاصبعٌ ... يومَى إليك بها وعينٌ تنظر

يجدون رؤيتك التي فازوا بها ... من أنعم الله التي لا تُكْفَرُ

ذكروا بطلعتك النبيَّ فهللوا ... لما طلعتَ من الصفوفِ وكبروا

حتى انتهيتَ إلى المصلّى لابساً ... نورَ الهدى يبدو عليك ويظهر

ومشيتَ مِشْيةَ خاشعٍ متواضعٍ ... للّه لا يزهو ولا يتكبر

---

(1) ديوان البحتري 2 : 1071 وما بعدها .

فلو أن مشتاقاً تكلَّفَ فوق ما … في وُسْعِهِ لسعَى إليكَ المنبر

وله من قصيدة يمدح بها علي بن مر[1] :

لم يبقَ من جلٍّ هذا الناسِ باقيةٌ … ينالها الفهمُ إلا هذه الصورُ
جهلٌ وبخلٌ وَحَسْبُ المرءِ واحدةٌ … من تَيْنِ حتى يُعَفِّي خَلْفَهُ الأثر
إذا محاسنيَ اللاتي أُدِلُّ بها … كانت ذنوبي فقلْ لي كيف أعتذر
أهزُّ بالشعر أقواماً ذوي وَسَنٍ … في الجهلِ لو ضُربوا بالسيفِ ما شعروا
عليَّ نحتُ القوافي من مقاطعها … وما عليَّ إذا لم تفهمِ البقر

ومنها في المديح :

لولا علي بن مر لاستمرَّ بنا … خُلْفٌ من العيش فيه الصابُ والصَّبِرُ
عُذْنَا بأروَع أقصى نيله كَثَبٌ … على العُفاةِ وأدنى سَعْيِهِ سفر
ألحَّ جوداً ولم تضرْ سحائبه … وربما ضرَّ في إلحاحه المطر
مواهبٌ ما تجشمنا السؤالَ لها … إنَّ الغمام قليبٌ ليس يحتفر

ومن غرر شعره في الأوصاف قوله يصف إيوان كسرى[2] :

حضرتْ رحليَ الهمومُ فوجَّهْـ … ـتُ إلى أبيضِ المدائنِ عَنْسي
أتسلَّى عن الحظوظ وآسى … لمحلٍّ من آلِ ساسانَ دَرْسِ
ذكرتنيهمُ الخطوبُ التوالي … ولقد تُذْكِرُ الخطوبُ وتنسي
وهمُ خافضون في ظلِّ عالٍ … مُشْرفٍ يَحْسُرُ العيونَ وَيُخْسي[3]
مُغْلَقٌ بابُهُ على جبل القَبْـ … ـقِ إلى دارتَيْ خلاطٍ وَمُكْسِ[4]
نقل الدهرُ عهدهنَّ عن الجِـ … ـدَّةِ حتى غدون أنضاءَ لبس

---

(1) ديوان البحتري 2 : 954 وما بعدها .
(2) ديوانه 2 : 1154 .
(3) يخسي (يخسىء) بمعنى يحسر .
(4) القبق : جبل متصل بباب الأبواب وبلاد اللان ، خلاط : قصبة أرمينية الوسطى ، ومكس : موضع بأرمينية .

فكـأنّ الجـرمـازَ مـن عَـدَم الإنـ ... ـس واخـلالـه بـنـيـةُ رمس[1]
لـو تـراه عـلمتَ أن الـليـالي ... جعلتْ فيه مـأتمـاً بعـد عـرس
وهـو ينبيـك عن عجائبِ قـومٍ ... لا يُشـابُ البيـانُ فيهم[2] بـلبس
فـإذا مـا رأيـتَ صـورة أنـطا ... كيـةَ ارتـعـتَ بـيـن رومٍ وفـرس
والـمـنـايـا مـواثـلٌ وأنـوشـر ... وانُ يزْجي الصفوفَ تحت الدرفس[3]
في اخضـرارٍ من اللبـاس على أصـ ... ـفـر يختـالُ فـي صبـيغـةِ وَرْسِ
وعـراكُ الـرجـالِ بـيـن يـديـه ... في خفـوتٍ منهم وإغماضِ جـرس
من مُشيحٍ يهـوي بعامـلِ رمـحٍ ... ومـليـحٍ مـن الـسـنـانِ بـتـرس
تـصفُ العيـن أنهـم جـدُّ أحيـا ... ء لـهـم بينـهـم إشـارةُ خُـرْسِ
يَـغْـتـلي فـيـهـم ارتـيـابيَ حتى ... تـتـقـراهـمُ يـدايَ بـلمس
قـد سقـاني ولم يُصْـرِّد أبـو الغـو ... ثِ على العسكرين شربةَ خَلْسِ[4]
من مـدامٍ تخـالهـا ضـوءَ نجمٍ ... نَـوَّرَ اللـيـلَ أو مجـاجـةَ شـمس
وتـراهـا إذا أجـدّتْ سـروراً ... وارتـيـاحـاً للشـارب المتحسي
أُفْـرِغَتْ في الـزجـاج من كـلِّ قلبٍ ... فـهي مـحبـوبـةٌ إلـى كـلِّ نـفس
حُـلُمٌ مـطبقٌ عـلى الشـكِّ عـيني ... أم أمـانٍ غَـيَّـرْنَ ظنِّي وحـدسي
وكـأنَّ الإيـوانَ من عَجَبِ الصنـ ... ـعةِ جَونٌ في جَنْبِ أرعنَ جلْسِ[5]
يـتـظنّى[6] مـن الكـآبـةِ إذ يبـ ... ـدو لعينيَ مـصبِّـحٍ أو مـمسّي
مـزعجاً بـالفـراق عن أنسِ إلفٍ ... عَـزَّ أو مـرهقـاً بتـطليقِ عِـرْسِ
عكستْ حـظَّه الليـالي وبـات الـ ... ـمشتـري فيه وهـو كـوكبُ نحس

(1) الايوان بالفارسية كرمازي فعربه « جرماز » .
(2) م : فيه .
(3) الدرفس : العلم الكبير .
(4) لم يصرد : لم يقلل ، وأبو الغوث هو يحيى بن البحتري .
(5) الجوب : الصخر الذي جيب أي خرق ، الأرعن : الجبل ، الجلس : العالي .
(6) م : يتبطى .

فهو يُبْدِي تجلداً وعليه ... كلكلٌ من كلاكلِ الدهر مرسي
لم يَعِبْهُ أنْ بُزَّ من بُسُطِ الديـ ... ـباج واستُلَّ من ستور الدمقس
مشمخرٌّ تعلو له شُرُفاتٌ ... رُفِعَتْ في رؤوس رَضْوَى وَقُدْس
لابساتٌ من البياضِ فما تبـ ... ـصرُ منها إلا غلائلَ بُرْسٍ[1]
ليس يُدْرَى أصنعُ إنسٍ لجنٍّ ... صنعوه أم صنعُ جنٍّ لإنس
غير أني أراه يشهدُ أن لم ... يكُ بانيه في الملوكِ بنكس[2]
وكأني أرى المواكبَ والقو ... مَ إذا ما بلغتُ آخرَ حسي
وكأن الوفودَ ضاحين حَسْرَى ... من وقوفٍ خلف الزحامِ وَخُنْس
وكأن القيانَ وَسْطَ المقاصيـ ... ـرِ يُرَجِّعن بين حورٍ وَلُعْسِ
وكأن اللقاءَ أولَ من أمـ ... ـسِ ووشكَ الفراقِ أولَ أمس
وكأن الذي يريد اتباعاً ... طامعٌ في لقائهم بعد خمس
عُمِرَتْ للسرور دهراً فصارت ... للتعزّي ربوعهمْ والتأسّي
فلها أن أُعينَها بدموعٍ ... موقَفاتٍ على الصبابةِ حُبْسِ
ذاك عندي وليست الدارُ داري ... باقترابي منها ولا الجنسُ جنسي
غيرَ نُعْمَى لأهلها عند أهلي ... غرسوا من رُطَابها[3] خَيْرَ غرس
أيدوا ملكنا وشدُّوا قُواهُ ... بكماةٍ تحت السنوَّرِ حُمْسٍ[4]
وأعانوا على كتائب أريا ... طَ بطعنٍ على النُّحورِ وَدَعْس[5]
وأراني من بعد أكلفُ بالأشرا ... فِ طُرّاً من كلِّ سِنْخٍ وأُسِّ[6]

(1) البرس : القطن .
(2) النكس : الضعيف المقصر عن غاية النجدة والكرم .
(3) الديوان : من زكائها .
(4) الكماة : الشجعان ؛ السنور : كل سلاح من جديد ؛ حمس : شجعان .
(5) أرياط : الحبشي الذي غزا اليمن ، واستعان سيف بن ذي يزن لطردهم بالفرس .
(6) السنخ : الأصل ؛ والأس : أصل البناء .

ـ 1217 ـ

وهب بن منبه أبو عبد الله اليماني الأخباري صاحب القصص : كان من خيار التابعين ثقة صدوقاً كثير النقلِ من الكتب القديمة المعروفة بالاسرائيليات .

قال ابن قتيبة : كان وهب بن منبه يقول : قرأت من كتب الله تعالى اثنين وسبعين كتاباً .

صنف كتاب القدر ثم ندم على تصنيفه .

حدث سفيان بن عيينة عن عمرو بن دينار قال : دخلتُ على وهب بن منبه داره بصنعاء فأطعمني من جوزة في داره فقلت له : وددت أنك لم تكن كتبت في القدر كتاباً ، قال : وأنا والله وددت ذلك .

وروى حماد بن سلمة عن أبي سنان قال : سمعت وهب بن منبه يقول : كنت أقول بالقدر حتى قرأتُ بضعة وسبعين كتاباً من كتب الأنبياء في كلها : « من جعل لنفسه شيئاً من المشيئة فقد كفر » فتركتُ قولي .

ولوهب أيضاً كتاب الملوك المتوجةِ من حمير وأخبارهم وغير ذلك .

ومن كلامه : العلم خليل المؤمن ، والحلم وزيره ، والعقل دليله ، والصبر جنوده ، والرفق أبوه ، واللين أخوه .

مات وهب وهو على قضاء صنعاء سنة أربع عشرة ومائة وقيل سنة عشر ، والأول أصح .

ـ 1218 ـ

وهب بن وهب بن كثير بن عبد الله بن زمعة بن الأسود بن المطلب بن

1217 ـ لوهب بن منبه ترجمة في طبقات ابن سعد 5 : 543 والزهد لابن حنبل : 371 والمعارف : 459 وحلية الأولياء 4 : 23 وطبقات الشيرازي : 74 وطبقات فقهاء اليمن : 57 وابن خلكان 6 : 37 وتذكرة الحفاظ 1 : 95 وعبر الذهبي 1 : 143 وسير الذهبي 4 : 544 والبداية والنهاية 9 : 276 وتهذيب التهذيب 11 : 166 وطبقات الخواص : 161 وطبقات الحفاظ للسيوطي : 41 والشذرات 1 : 150 .

1218 ـ للقاضي أبي البختري ترجمة في طبقات ابن سعد 7 : 332 ونسب قريش : 222 والفهرست : 113 وتاريخ بغداد 13 : 451 وابن خلكان 6 : 37 وميزان الاعتدال 4 : 353 (ولسان الميزان 6 : 231) ومرآة الجنان 1 : 463 وعبر الذهبي 1 : 334 والشذرات 1 : 360 .

أسد بن عبد العزى بن قصي بن كلاب ، القاضي أبو البختري القرشي الأسدي المدني : كان فقيهاً أخبارياً نساباً لكنه متّهمٌ في الحديث ، وكان جواداً ممدّحاً يحبّ المدح ويثيب عليه . روى عن هشام بن عروة وجعفر بن محمد وعبيد الله بن عمر ، وروى عنه الربيع بن ثعلب والمسيب بن واضح ورجاء بن سهل وجماعة . وسكن بغداد وولي قضاء عسكر المهدي ثم قضاء المدينة ثم ولي حربها وصلاتها . توفي في بغداد سنة مائتين .

وله مِن الكتب : كتاب صفة النبي ﷺ . وكتاب فضائل الأنصار . وكتاب الفضائل الكبير . وكتاب نسب ولد إسماعيل . وكتاب طسم وجديس . وكتاب الرايات .

حرف الياء

****

ـ 1219 ـ

ياقوت بن عبد الله مهذب الدين أبو الدر الرومي : أحد أدباء العصر وشعرائه المجيدين ، نشأ ببغداد ، وحفظ القرآن ، وعني بالتحصيل في المدرسة النظامية فقرأ فيها العلوم العربية والأدبية على جماعة ، وغلب عليه الشعر ، وكان حسن الخط والضبط ، وله ديوان شعر لطيف . بلغتنا وفاته في ربيع الآخر سنة اثنتين وعشرين وستمائة .

ومن شعره قوله :

لكَ منزلٌ في القلب ليس يحلُّهُ ... إلا هواكَ وعن سواك أُجِلُّهُ
يا من إذا جُلِيَتْ محاسنُ وجهه ... علمَ العذولُ بأن ظلماً عذله
الوجهُ بدرُ دجىً عِذارُكَ ليلُهُ ... والقدَّ غصنُ نقاً وشَعرُكَ ظله
هذي جفونك أعربتْ عن سحرها ... وعذارُ خدِّكَ كاد ينطقُ نَمْلُهُ
عارٌ لمثلي أن يُرَى متسلياً ... وجمالُ وجهك ليس يوجدُ مثله
هل في الورى حُسْنٌ أهيم بحبه ... هيهات أضحى الحسنُ عندك كلُّه

1219 ـ ترجمة أبي الدر الرومي في ابن خلكان 6 : 122 (وهو ينقل عن ابن النجار) وتكملة المنذري رقم : 2041 وتاريخ ابن الدبيثي جـ 2 الورقة : 36 (من مخطوطة كيمبردج) والمختصر المحتاج إليه 2 : 201 (تحت عبد الرحمن) رقم : 855 وسير الذهبي 22 : 308 والنجوم الزاهرة 5 : 283 ومرآة الجنان 4 : 49 وقلائد الجمان : 9 الورقة 349 والبدر السافر الورقة : 221 والوافي (خ) والشذرات 5 : 105 .

وله من قصيدة(1) :

جسدي لبعدك يا مثيرَ بلابلي ... دَنِفٌ بحبّك ما أبلَّ بَلَى بَلِي
يا من إذا ما لام فيه لوائمي ... أوضحتُ عذري بالعذارِ السائل
أأجيز قتلي في « الوجيز » لقاتلي ... أم حلَّ في «التهذيب» أم في «الشامل»
أم في « المهذَّب » أن يعذَّب عاشقٌ ... ذو مقلةٍ عبرى ودمعٍ هامل

ـ 1220 ـ

ياقوت بن عبد الله الرومي الأصل ، نزيل الموصل ، الكاتب الأديب النحوي : أخذ النحو والأدب عن ابن الدهان أبي محمد سعيد بن المبارك ولازمه ، وكان واحد عصره في جَوْدةِ الخطِّ واتقانه على طريقة ابن البواب ، فقصده الناس من البلاد ، وكتب عليه خلق لا يحصون كثرة . اجتمعت به في الموصل سنة ثلاث عشرة وستمائة فرأيته على جانب عظيم من الأدب والفضل والنباهة والوقار وقد أسن وبلغ من الكبر الغاية ، ورأيت كتباً كثيرة بخطه يتداولها الناس ويتغالون بأثمانها ، بينها عدَّة نسخ من « الصحاح » للجوهري «و «المقامات الحريرية» وتوفي في السنة التي عدتُ فيها من خوارزم الى الموصل سنة ثماني عشرة وستمائة عن سن عالية .

ـ 1221 ـ

يحيى بن أحمد ، أبو زكريا الفارابي : أحد الأئمة المتَّبعين في اللغة ، تخرج به جماعة من أهل فاراب وما وراء النهر . روى الحديث عن أبي عبد الرحمن عبد الله بن عبيد الله بن شريح البخاري وعن الحسن بن منصور . وصنف كتاب المصادر في اللغة ، مات سنة [. . .] .

1220 ـ ترجمة ياقوت الكاتب الرومي في ابن خلكان 6 : 119 والنجوم الزاهرة 5 : 283 .
1221 ـ ترجمة أبي زكريا الفارابي في بغية الوعاة 2 : 331 (عن ياقوت) .

(1) ابن خلكان 6 : 124 وسير الذهبي : 309 .

- 1222 -

يحيى بن أحمد ، أبو بكر المعروف بابن الخياط الأندلسي : كان أديباً شاعراً متقناً للحساب والهندسة بارعاً في علم النجوم . أخذ عن أبي القاسم مسلمة بن أحمد المجريطي ، وخدم بصناعة أحكام النجوم سليمان بن الحكم بن الناصر لدين الله أمير المؤمنين وغيره من الأمراء ، وكانت له معرفة بصناعة الطب وحسن المعالجة ، حَسَنَ السيرة والمذهب . توفي بطليطلة سنة سبع وأربعين وأربعمائة .

ومن شعره[1] :

لم يخلُ من نُوَبِ الزمانِ أديبُ   كلا فشأنُ النائباتِ عجيبُ
وغضارةُ الأيام تأبَى أنْ يُرَى   فيها لأبناءِ الذكاءِ نصيب
وكذاك مَنْ صَحِبَ الليالي طالباً   جَدّاً وفهماً فاته المطلوب

وقال في بخيل :

لا تكونَنَّ مبرماً وعسوفا   سلْه أدماً وخلِّ عنك الرغيفا
أكرمَ الخبزَ بالصيانةِ حتى   جعل الكعكَ للبناتِ شنوفا

- 1223 -

يحيى بن حبش شهاب الدين أبو الفتوح السهروردي : كان فقيهاً شافعيَّ المذهب أصولياً أديباً شاعراً حكيماً متفنناً نظاراً لم يناظره مناظر إلا خصمه وأفحمه ، قرأ

1222 ـ هذه الترجمة منقولة عن طبقات صاعد: 86 ولم أجد ليحيى هذا ذكراً فيما بين أيدينا من مؤلفات أندلسية أخرى .

1223 ـ ترجمة الشهاب السهروردي في ابن خلكان 6: 268 وابن أبي أصيبعة 2: 167 وعبر الذهبي 4: 290 وسير الذهبي 21: 207 ومرآة الجنان 3: 434 والنجوم الزاهرة 6: 14 ولسان الميزان 3: 156 والشذرات 4: 290 .

(1) هذه الأبيات لابن الحنّاط كما في الذخيرة 1/1 : 448 والذيل والتكملة 6: 222 (وليست لابن الخياط المذكور هنا) .

بالمراغة على الشيخ الإمام مجد الدين الجيلي الفقيه الأصولي المتكلم ولازمه مدة ، ثم تنقل في البلاد على قَدَم التجرد ولقي بماردين الشيخ فخر الدين المارديني وصحبه وكان يثني عليه كثيراً ويقول : لم أر في زماني أحداً مثله ، ولكني أخشى عليه من شدة حدته وقلة تحفظه . ثم رحل أبو الفتوح إلى حلب فدخلها في زمن الظاهر غازي بن أيوب سنة تسع وسبعين وخمسمائة ، ونزل في المدرسة الحلاوية ، وحضر درس شيخها الشريف افتخار الدين ، وبحث مع الفقهاء من تلاميذه وغيرهم وناظرهم في عدة مسائل فلم يجارِهِ أحدٌ منهم وظهر عليهم ، وظهر فضله للشيخ افتخار الدين فقرَّبَ مجلسه وأدناه وعرف مكانه في الناس ، ومن ذلك الحين تألَّبَ عليه الفقهاء وكثر تشنيعهم عليه ، فاستحضره الملك الظاهر وعقد له مجلساً من الفقهاء والمتكلمين فباحثوه وناظروه فظهر عليهم بحججه وبراهينه وأدلّته، وظهر فضله للملك الظاهر فقرَّبه وأقبل عليه وتخصص به ، فازداد تغيّظ المناظرين عليه ورموه بالإلحاد والزندقة ، وكتبوا بذلك إلى الملك الناصر صلاح الدين وحذَّروه من فساد عقيدة ابنه الظاهر بصحبته للشهاب السهروردي وفساد عقائد الناس اذا أبقى عليه ، فكتب صلاح الدين الى ابنه الظاهر يأمره بقتله وشدَّد عليه بذلك وأكد ، وأفتى فقهاء حلب بقتله ، فبلغ ذلك الشهابَ ، فطلب من الظاهر أن يُحْبَسَ في مكانٍ ويمنعَ من الأكل والشرب إلى أن يموت ، ففعل به ذلك ، وقيل بل أمر الظاهر بخنقه في السجن فخنق سنة سبع وثمانين وخمسمائة وقد قارب الأربعين . ويروى أنَّ الظاهر ندم على ما فعل بعد مدة ونقم على من أفتوا بقتله ، فقبض عليهم واعتقلهم ونكبهم ، وصادر جماعةً منهم بأموال عظيمة .

ومن تصانيفه : التلويحات في الحكمة . والتنقيحات في أصول الفقه . وحكمة الاشراق . والغربة الغريبة في الحكمة . وهياكل النور في الحكمة أيضاً . والألواح العمادية . والمعارج . واللمحة . والمطارحات . والمقاومات ، وغير ذلك[1] .

وله شعر كثير ، أشهره وأجوده قصيدته الحائية وهي[2] :

أبداً تحنُّ إليكم الأرواحُ ووصالكم ريحانُها والراحُ

(1) من كتبه المطبوعة حكمة الاشراق ، وهياكل النور .

(2) أوردها ابن خلكان .

وقلوبُ أهـلِ ودادكم تشتـاقكم وإلى لـذيـذِ لقـائكم تـرتـاح
وارحمتـا لـلعـاشقـين تـكلّفـوا سَتْـرَ المحبـة والـهـوى فَضَّـاح
بـالسرِّ ان بـاحـوا تُبـاحُ دمـاؤهم وكـذا دمـاءُ البـائحين تـبـاح
وإذا همُ كتـمـوا تحـدَّثَ عنـهـمُ عنـد الـوشـاة المدمـعُ السحّـاح
وبـدتْ شـواهـدُ للسَّقـام عليهمُ فيهـا لمشكـل أمـرهم إيضـاح
خَفَضَ الجنـاحَ لكم وليس عليكمُ للصبِّ في خَفْضِ الجناح جُناح
فـإلى لقـاكم نفسُـهُ مشتـاقـةٌ والـى رضـاكم طَـرْفُـهُ طمّـاح
عودوا بنور الوصلِ في غَسَقِ الجفا فـالهجرُ ليـلٌ والـوصـال صبـاح
صـافـاهمُ فَصَفَـوْا لـه فقلوبهم في نـورهـا المشكـاةُ والمصبـاح
فتمتعـوا والـوقتُ طـاب بقـربهم راق الـشـرابُ ورقَّـتِ الأقـداح
يا صاحِ ليس على المحبِّ ملامةٌ إن لاح في أفق الـوصـالِ صبـاح
لا ذنبَ للعشـاقِ ان غلب الهـوى كتمـانَهم فَنَمَى الغـرامُ فبـاحـوا
سمحـوا بـأنفسهم ومـا بخلوا بهـا لـمـا دَرَوْا أنَّ الـسـمـاح ربـاح
ودعـاهمُ داعي الحقـائـقِ دعـوةً فَغَـدَوْا بهـا مستـأنسينَ وراحـوا
ركبـوا على سَنَنِ الـوفـا ودموعهمْ بـحـرٌ وحـادي شـوقهـم مـلاح
واللّه مـا طلبـوا الـوقـوفَ ببـابـه حـتى دُعُـوا وأتـاهـم المـفتـاح
لا يـطربـون لغيـرِ ذكـرِ حبيبهم أبـداً فـكـلُّ زمـانـهـم أفـراح
حضـروا فغابـوا عن شهودِ ذواتهم وتـهتكـوا لمـا رأوه وصـاحـوا
أفنـاهمُ عنهمْ وقـد كُشِفَتْ لـهم حُجُبُ الـبقـا فـتـلاشتِ الأرواح
فتشبهـوا إن لم تكـونـوا مثلهـم ان الـتـشبّـهَ بـالـكـرام فـلاح
قمْ يـا نـديمُ إلى المـدام وهـاتهـا فـبحـانـهـا قـد دارتِ الأقـداح
من كـرم إكـرامٍ بـدنٍّ ديـانـةٍ لا خمـرةٌ قـد داسهـا الـفـلاح

وقال :

أقـول لجـارتي والـدمـعُ جـارِ ولي عـزمُ الـرحيـلِ عن الـديـارِ

ذريني أن أسيرَ ولا تنوحي فإن الشهبَ أشرفها السواري
واني في الظلام رأيتُ ضوءاً كأن الليلَ بُدّل بالنهار
إلى كم أجعلُ الحيّاتِ صحبي إلى كم أجعلُ التنّينَ جاري
وأرضى بالاقامةِ في فلاةٍ وفي ظلم العناصر أين داري
ويبدو لي من الزوراءِ برقٌ يذكّرني بها قُرْبَ المزار
إذا أبصرتُ ذاكَ النورَ أفنى فما أدري يميني من يساري

ومن كلامه : اعلم أنك ستعارَض بأعمالك وأقوالك وأفكارك ، وسيظهر عليك من كل حركة فعلية أو قولية أو فكرية صور جانية ، فإن كانت تلك الحركة عقلية صارت تلك الصورة مادةً لملَكٍ تلتذّ بمنادمته في دنياك وتهتدي بنوره في أخراك ، وإن كانت تلك الحركة شهوية أو غضبية صارت تلك الصورة مادةً لشيطان يؤذيك في حال حياتك ويحجبك عن ملاقاة النور بعد مماتك .

ـ 1224 ـ

يحيى بن خالد بن برمك ، أبو الفضل البرمكي الوزير السَّرِيُّ الجواد : كان سيد بني برمك وأفضلهم جوداً وحلماً ورأياً ، وكان من أكمل أهل زمانه أدباً وفصاحة وبلاغة ، وأخباره في الكرم وشرف الخلال مشهورة ، وإنما دخل في شرط كتابنا من جهة بلاغته وتقدمه على أكثر أهل عصره في الانشاء والكتابة وما صدر عنه من الحكم والأقوال التي تداولها الرواة وملئت بها الدفاتر ، فأنا أوردُ منها جملة صالحة[1] . وأما أخباره فما يتّسع لها كتابنا وليست من شرطه .

1224 ـ أخبار يحيى البرمكي في الكتب التاريخية كالطبري وابن الأثير ومروج الذهب وكتب الأدب كالأغاني والعقد و . . . الخ وانظر تاريخ خليفة : 465 والمعارف : 381 وتاريخ بغداد 14 : 128 ومعجم المرزباني : 488 وابن خلكان 6 : 219 والبداية والنهاية 10 : 204 ومرآة الجنان 1 : 424 وعبر الذهبي 1 : 306 وسير الذهبي 9 : 89 وصفحات متفرقة من الوزراء والكتاب للجهشياري وشرح البسامة : 222 والشذرات 1 : 288 .

(1) لقد فعل المؤلف حقاً ؛ ومعرض هذه الحكم الجهشياري : 200 ـ 201 والبصائر والذخائر ونثر الدر في فصل خاص .

فمما روي عنه انه قال[1]: ما رأيت رجلاً إلا هبته حتى يتكلم فان كان فصيحاً عَظُمَ في عيني وصدري وإن قَصَّر سقط من عيني .

وحدث محمد بن صالح الواقدي قال : دخلت على يحيى بن خالد البرمكي فقلت انّ هاهنا قوماً جاءوا يشكرون لك معروفاً ، فقال : يا محمد هؤلاء جاءوا يشكرون معروفنا فكيف لنا شكر شكرهم .

وقال : مسألة الملوك عن حالها من سجية النوكى ، فإذا أردت أن تقول كيف أصبح الأمير فقل : صَبَّحَ اللّه الأميرَ بالنعمة والكرامة ، وإذا كان عليلاً فأردت أن تسأله عن حاله فقل أنزلَ اللّه على الأمير الشفاء والرحمة ، فان الملوك لا تسأل ولا تُشَمَّت ولا تكيَّف ، وأنشد :

إن الملوكَ لا يخاطبونا ولا إذا ملوا يعاتبونا
وفي المقالِ لا ينازعونا وفي العطاسِ لا يشمتونا
وفي الخطابِ لا يكيفونا يُثْنَى عليهم ويبجلونا
وافهم وصاتي لا تكنْ مجنونا

وقيل له : أي الأشياءِ أقلّ ؟ قال قناعة ذي الهمة البعيدة بالعيش الدون ، وصديق كثير الآفات قليل الامتاع ، وسكون النفس إلى المدح .

وقيل له : ما الكرم ؟ فقال : ملك في زي مسكين ، قيل له : فما اللؤم ؟ قال : مسكين في بطش عفريت ، قيل فما الجود ؟ قال : عفو بعد قدرة .

وقال : من ولي ولاية فتاهَ فيها فعذره دونها .

وقال : إذا فتحت بينك وبين أحدٍ باباً من المعروف فاحذر أن تغلقه ولو بالكلمة الجميلة .

وقال : إذا أردتَ أن تنظر مروءةَ المرءِ فانظر إلى مائدته فان كانت حسنةً فاحكم له بالشرف ، وان رأيت تقصيراً فما وراءها خير .

وقال : أحسن جبلّة الولاةِ إصابةُ السياسة ، ورأس إصابةِ السياسةِ العملُ لطاعة اللّه ، وفتح بابين للرعية أحدهما رأفة ورحمة وبذل وتحنن ، والآخر غلظة ومباعدة

(1) البصائر 5 : 207 (رقم: 729) .

وإمساك ومنع .

وقال : العذر الصادق مع النية الحسنة يقومان مقام النجح .

وقال[1] : ما سقط غبار موكبي على أحد الا وجب عليَّ حقه .

وقال الفضل له : يا أبتِ ما لنا نسدي إلى الناس المعروفَ فلا يتبيّنُ فيه كتبيّنه ببرٍّ غيرنا ؟ قال : آمال الناس فينا أعظمُ من آمالهم في غيرنا ، وإنما يسر الانسان ما بلّغه أمله .

وقال[2] : أنا مخير في الاحسان إلى من أُحسن إليه ومرتهن بالاحسان إلى من أحسنتُ إليه ، لأني إن وصلته فقد أتممته ، وان قطعته فقد أهدرته .

وقال : الخطّ صورة روحها البيان ، ويدها السرعة ، وقدمها التسوية ، وجوارحها معرفة الفصول .

وركب يوماً مع الرشيد فرأى الرشيد في طريقه أحمالاً فسأل عنها فقيل له : هذه هدايا خراسان بعث بها علي بن عيسى بن ماهان ، وكان ابن ماهان وليها بعد الفضل بن يحيى ، فقال الرشيد ليحيى : أين كانت هذه الأحمال في ولاية ابنك ؟ فقال يحيى : كانت في بيوت أصحابها ، فأفحم الرشيد وسكت .

ولما كان الفضل بن يحيى[3] والياً على خراسان كتب صاحب البريد إلى الرشيد كتاباً يذكر فيه أن الفضل تشاغل بالصيد واللذات عن النظر في أمور الرعية ، فلما قرأه الرشيد رمى به ليحيى وقال له : يا أبتِ اقرأ هذا الكتاب واكتب إلى الفضلِ كتاباً يردعه عن مثل هذا ، فمد يحيى يده إلى دواة الرشيد وكتب إلى ابنه على ظهر الكتاب الذي ورد من صاحب البريد : حفظك اللّه يا بني وأمتع بك ، قد انتهى إلى أمير المؤمنين ما أنت عليه من التشاغل بالصيد ومداومة اللذات عن النظر في أمور الرعية ما أنكره ، فعاوِدْ ما هو أزينُ بك ، فانه من عاد إلى ما يزينه لم يعرفه أهل زمانه إلا به والسلام ، وكتب تحته هذه الأبيات :

---

(1) الجهشياري : 202 والبصائر 8 : 52 (رقم : 175) .

(2) الجهشياري : 202 .

(3) القصة والشعر عند ابن خلكان 4 : 28 .

انصبْ نهاراً في طلابِ العلا واصبرْ على فقدِ لقاءِ الحبيبْ
حتى إذا الليلُ بدا مقبلاً وغاب فيه عنكَ وجهُ الرقيبْ
فبادرِ الليلَ بما تشتهي فانما الليلُ نهارُ الأريبْ
كم من فتىً تحسبه ناسكاً يستقبلُ الليلَ بأمرٍ عجيبْ
ألقى عليه الليلُ أستارَهُ فبات في لهوٍ وعيشٍ خصيبْ
ولذةُ الأحمقِ مكشوفةٌ يسعى بها كلُّ عدوٍّ مريبْ

وكان يقول لولده : اكتبوا أحسن ما تسمعون ، واحفظوا أحسنَ ما تكتبون ، وتحدثوا بأحسن ما تحفظون .

وقال : أنفقْ من الدنيا وهي مقبلة فان الانفاقَ لا ينقصُ منها شيئاً، وأنفق منها وهي مدبرة فان الامساك لا يبقي منها شيئاً .

وقال[1] : الدنيا دول ، والمال عارية ، ولنا في من قبلنا أسوة ، ونحن لمن بعدنا عبرة .

قال القاضي يحيى بن أكثم سمعت المأمون يقول : لم يكن كيحيى بن خالد وكولده أحد في البلاغة والكفاية والجود والشجاعة . وكان يحيى يُجري على سفيان الثوري رضي الله عنه ألف درهم في كل شهر ، فكان إذا صلى سفيان يقول في سجوده : اللهم ان يحيى كفاني أمرَ دنياي فاكفه أمر آخرته ، فلما مات يحيى رؤي في المنام فقيل له ، ما فعل الله بك ؟ قال غفر لي بدعاء سفيان .

مات يحيى في سجن الرشيد في الرافقة في أوائل المحرم سنة تسعين ومائة .

ـ 1225 ـ

يحيى بن زياد بن عبد الله بن منظور بن مروان الأسلمي الديلمي الكوفي ،

1225 ـ ترجمة الفراء في مراتب النحويين : 86 وطبقات الزبيدي : 131 وأخبار النحويين البصريين : 51 والفهرست : 73 وتاريخ بغداد 14 : 146 وتاريخ أبي المحاسن : 187 والمعارف : 545 وتهذيب =

(1) الجهشياري : 203 والبصائر 5 : 153 .

مولى بني أسد المعروف بالفراء أبو زكريا : أخذ عن أبي الحسن الكسائي ، وروى عن قيس بن الربيع ومندل بن علي، وأخذ عنه سلمة بن عاصم ومحمد بن الجهم السمري[1] وغيرهما . كان هو والأحمر أشهرَ أصحابِ الكسائي ، وكانا أعلمَ الكوفيين بالنحو من بعده . وأخذ أيضاً عن يونس بن حبيب البصري فاستكثر منه ، والبصريون ينكرون ذلك حكى محمد بن الجهم قال ، حدثنا الفراء ، قال أنشدني يونس النحوي :

ربَّ حلمٍ أضــاعـه عَــدَمُ المـا ... لِ وجهــلٍ غـطّى عليـه النعيمُ

وعن الفراء أيضاً قال يونس : الآلُ من غدوةٍ إلى ارتفاع النهار ، ثم هو سرابُ سائر النهار ، وإذا زالت الشمس فهو فيء ، وفي غدوةً ظلّ ، وأنشد لأبي ذؤيب[2] :

لعمــري لأنتَ البيتُ أُكـرمُ أهلَهُ ... وأَقعـدُ في أفيـائِـهِ بـالأصــائـلِ

وله روايات كثيرة عن يونس لا نطيل بذكرها .

وكان أبو العباس أحمد بن يحيى ثعلب يقول[3] : لولا الفراءُ ما كانت اللغة لأنه حصّلها[4] وضبطها ، ولولاه لسقطت العربية لأنها كانت تُتَنَازَع ويدَّعيها كلُّ من أراد ويتكلم الناس على مقادير عقولهم وقرائحهم فتذهب .

وكان الفراء فقيهاً عالماً بالخلاف وبأيام العرب وأخبارها وأشعارها عارفاً بالطب والنجوم متكلماً يميل إلى الاعتزال ، وكان يتفلسف في تصانيفه ويستعمل فيها ألفاظ الفلاسفة .

وحكى أبو العباس ثعلب عن ابن نجدة قال[5] : لما تصدى أبو زكريا يحيى بن زياد

= الأزهري 1 : 18 وفهرسة ابن خير: 311 ، 312 ، 398 ونور القبس: 301 ونزهة الألباء: 65 والأنساب (دمج) 9: 247 (واللباب: الفراء) وانباه الرواة 4: 1 ـ 17 وابن خلكان 6: 176 وتذكرة الحفاظ: 372 وسير الذهبي 10: 178 وعبر الذهبي 1: 354 ومرآة الجنان 2: 38 والبداية والنهاية 10 : 261 وطبقات ابن الجزري 2 : 371 وتهذيب التهذيب 11 : 212 وبغية الوعاة 2 : 333 والبلغة: 280 وروضات الجنات 4: 235 واشارة التعيين: 379 (واكثر ما أورده ياقوت موجود في نزهة الألباء) ولأحمد مكي الأنصاري دراسة عنه (القاهرة: 1964) .

(1) م : النمري .
(2) شرح ديوان الهذليين 1 : 142 .
(3) إنباه الرواة 4 : 3 .
(4) انباه : خلصها ؛ الزبيدي : حصنها .
(5) انباه الرواة : 12 .

الفراء للاتصال بالمأمون كان يتردّد إلى الباب ، فلما كان ذاتَ يوم بالباب جاء ثمامة بن الأشرس المتكلم المشهور ، قال : فرأيتُ صـورةَ أديب وأبهةَ أدب ، فجلست إليـه وفاتشته عن اللغة فوجدته بحراً ، وعن النحو فشاهدته نسيج وحده ، وعن الفقه فوجدته فقيهاً عارفاً باختلاف القوم ، وفي النجوم ماهـراً ، وبالـطب خبيراً ، وبـأيام العـرب وأخبارها وأشعارها حاذقاً ، فقلت له : من تكونُ وما أظنك إلا الفراء ، فقال : أنا هو ، قال : فدخلت فأعلمتُ أمير المؤمنين بمكانه ، فاستحضره وكان سبب اتصاله به .

وقال أبو بريدة الوضاحي[1] : أمر أمير المؤمنين المأمونُ الفراءَ أن يؤلف ما يجمعُ به أصولَ النحو وما سمع من العرب ، فأمر أن تفردَ له حجرةٌ من حجر الدار ووكَلَ بها جواري وخدماً للقيام بما يحتاج إليه حتى لا يتعلق قلبه ولا تتشوف نفسه إلى شيء ، حتى إنهم كانوا يؤذنونه بأوقات الصلاة، وصير له الوراقين وألزمه الأمناء والمنفقين ، فكان الوراقون يكتبون حتى صنف « كتاب الحدود » وأمر المأمون بكتبه في الخزائن ، وبعد أن فرغ من ذلك خرج إلى الناس وابتدأ يملي « كتاب المعاني » وكـان وراقيه سلمة بن عاصم وأبو نصر ابن الجهم . قال أبو بريدة: فـاردنا أن نعـدّ الناس الـذين اجتمعوا لإملاء « كتاب المعاني » فلم نضبط عددهم ، ولما فـرغ من إملائـه خَزَنَـهُ الوراقون عن الناس ليتكسبوا به وقالوا : لا نخرجه لأحدٍ إلا لمن أراد أن ننسخه له على أن يكون عن كل خمسة أوراق درهم ، فشكا الناسُ إلى الفراء ، فدعا الوراقين وكلمهم في ذلك وقال : قاربوا الناس تنفعوا وتنتفعوا ، فأبوا عليه ، فقال : سأريكم ، وقال للناس : إني أريد ان أملي كتاب معانٍ أتمَّ شرحاً وأبسطَ قولاً من الذي أمليت قبلاً وجلس يملي ، فأملى في الحمد مائة ورقة ، فجاء الوراقون إليه وقالوا : نحن نبلّغُ الناسَ ما يحبون ، فنسخوا كلَّ عشرة أوراق بدرهم .

قال أبو بكر ابن الأنباري : لو لم يكن لأهل بغداد والكوفة من علماء العربية إلا الكسائي والفراء لكان لهم بهما الافتخار على جميع الناس إذ انتهت العلومُ إليهما .

وكان يقال الفراء أمير المؤمنين في النحو .

توفي أبو زكريا الفراء في طريق مكة سنة سبع ومائتين وقد بلغ ثلاثاً وستين سنة .

(1) إنباه الرواة 4 : 10 ـ 11 وفيه : أبو بديل الوضاحي .

ومن تصانيفه: كتاب اختلاف أهل الكوفة والبصرة والشام في المصاحف. معاني القرآن ، أربعة أجزاء ألفه لعمر بن بكير[1] . البهيّ ، ألفه للأمير عبد الله بن طاهر . كتاب المصادر في القرآن . كتاب اللغات . كتاب الوقف والابتداء . كتاب الجمع والتثنية في القرآن . آلة الكتاب . الفاخر . كتاب النوادر . كتاب فعل وأفعل . كتاب المقصور والممدود[2]. كتاب المذكر والمؤنث. كتاب يافع ويافعة . كتاب ملازم . كتاب الحدود ألفه بأمر المأمون . كتاب مشكل اللغة الكبير . كتاب المشكل الصغير . كتاب الواو ، وغير ذلك[3] .

ـ 1226 ـ

يحيى بن سعدون بن تمام بن محمد أبو بكر الأزدي القرطبي ، الملقب سابق الدين : شيخ فاضل عارف بالنحو ووجوه القراءات ، قرأ على أبي القاسم خلف بن إبراهيم الحصار بقرطبة ، وسمع من أبي محمد ابن عتاب ، وقدم العراق فقرأ ببغداد على الشيخ المقرىء أبي محمد عبد الله بن علي سبط أبي منصور الخياط وسمع عليه كتباً كثيرة ، وسمع بها الحديث من أبي القاسم ابن الحصين وأبي بكر محمد بن عبد الباقي البزاز المعروف بقاضي المارستان وأبي عبد الله البارع وأبي العز ابن كادش وغيرهم ، وسمع بمصر من أبي صادق مرشد بن يحيى بن القاسم المدني المصري ، وبالاسكندرية من أبي الطاهر أحمد بن محمد السلفي الاصبهاني وأبي عبد الله

1226 ـ ترجمة يحيى بن سعدون في ابن خلكان 6: 171 والمغرب 1: 135 وإنباه الرواة 4: 37 والانساب 10: 14 (واللباب 3: 26) وعبر الذهبي 4: 200 وسير الذهبي 20: 546 والتكملة لابن الأبار: 724 وكتاب الروضتين 1: 205 وصلة الصلة: 177 ومعرفة القراء الكبار 2: 429 ومرآة الجنان 3: 380 والبداية والنهاية 12: 270 وطبقات ابن الجزري 2: 372 والنجوم الزاهرة 6: 66 وبغية الوعاة 2: 334 ونفح الطيب 2: 116 والشذرات 4: 225 وإشارة التعيين: 380 .

(1) صدر في ثلاثة أجزاء بتحقيق أحمد يوسف نجاتي ومحمد علي النجار القاهرة 1955 ـ 1972 وانفرد النجار بتحقيق الجزء الثاني وتولى الثالث محققان آخران .

(2) حققه ماجد الذهبي ، بيروت 1983 وله المنقوص والممدود ، تحقيق الميمني 1967 .

(3) نشر له أيضاً كتاب الأيام والليالي والشهور ، القاهرة 1956 .

محمد بن أحمد بن إبراهيم الرازي ، وسكن دمشق مدة وأقرأ بها القرآن والنحو ، وانتفع به خلقٌ كثير لحسن خلقه وتواضعه . ثم رحل إلى أصبهان وعاد منها إلى الموصل فسكنها وأخذ عنه شيوخها ، منهم القاضي بهاء الدين أبو المحاسن يوسف بن رافع المعروف بابن شداد وغيره ، وكان ثقة صدوقاً ثبتاً ديّناً كثير الخير .

ولد بقرطبة سنة ست وثمانين وأربعمائة وقيل سنة سبع ، ومات بالموصل يوم عيد الفطر سنة سبع وستين وخمسمائة .

- 1227 -

يحيى بن سعيد بن المبارك بن علي بن عبد الله بن سعيد بن محمد بن نصر بن عاصم ، المعروف بابن الدهان البغدادي الأنصاري ، أبو زكريا بن أبي محمد ، النحوي ابن النحوي ، الأديب الشاعر : ولد بالموصل في أوائل السنة التي مات أبوه في أواخرها سنة تسع وستين وخمسمائة فلما بُشّر به والده قال وصدق في حدسه :

قيل لي جاءك نسلٌ ولدٌ شهمٌ وسيمُ
قلت عَزُّوه بفقدي ولدُ الشيخِ يتيمُ

ثم توفي والده وله بضعة أشهر .

أخذ أبو زكريا النحوي عن مكي بن ريان وانقطع إليه وتخرج به ، فبرع في النحو واللغة والأدب ، وهو أحد نحاة العصر وأدبائه المشاهير توفي قريباً سنة ست عشرة وستمائة بالموصل ، ودفن عند أبيه بمقبرة المعافى بن عمران بباب الميدان ، اجتمعت به لما كنت بالموصل سنة ثلاث عشرة وستمائة .

ومن شعره :

إن نَبِهْتُ الخمولَ نَبَّهتُ أقوا ماً نياماً فسابقوني إليهِ
هو قد دلني على لذةِ العيـ ـشِ فما لي أدلُّ غيري عليهِ

1227 ـ ترجمة ابن الدهان البغدادي في بغية الوعاة2 : 334 (وينقل عن تاريخ إربل) .

وله :

وعهدي بالصبا زمناً وقدّي　حكى ألفَ ابنِ مقلةَ في انتصابِ
وصرتُ الآن منحنياً كأني　أفتّشُ في الترابِ على شبابي

ـ 1228 ـ

يحيى بن سعيد بن هبة الله بن علي بن زَبَادة الشيباني الواسطي ثم البغدادي : كان كاتباً أديباً شاعراً مشاركاً في الفقه والكلام والرياضي ، أخذ الأدب عن أبي منصور الجواليقي وغيره ، وولي النظر في ديوان البصرة ثم بواسط والحلة ، ثم قلد النظر في المظالم ، ورتّبَ حاجباً بباب المتولي ، ولما قتل الاستادار هبة الله ابن الصاحب[1] ولي الاستادارية مكانه ، ثم عُزل وقُلد ديوان الانشاء والنظر في ديوان المقاطعات ، فبقي على ذلك حتى مات .

وكانت وفاته في ذي الحجة سنة أربع وتسعين وخمسمائة ، ومولده سنة اثنتين وعشرين وخمسمائة .

ومن شعره :

إني لتعجبني الفتاةُ إذا رأت　أنّ المروءةَ في الهوى سلطانُ
لا كالتي وصلتْ وأكبرُ همها　في جذْرها النقصانُ والرجحانُ
وكذاك شمسُ الأفق بُرْجُ علوِّها　حَمَلٌ وبرجُ هبوطها الميزانُ

وقال[2] :

إن كنت تسعى للسعادةِ فاستقمْ　تنلِ المرادَ وتغدُ أولَ من سما

1228 ـ ترجمة يحيى بن سعيد الواسطي في الكامل لابن الأثير 12 : 58 وذيل الروضتين : 14 وتكملة المنذري رقم : 458 وابن خلكان 6 : 244 وابن الفوطي (في معجم الألقاب) رقم : 3197 وعبر الذهبي 4 : 284 وسير الذهبي 21 : 336 والمشتبه : 343 والبداية والنهاية 13 : 17 والشذرات 4 : 381 والتاج (زبد) . .

(1) هو هبة الله بن علي بن هبة الله المعروف بابن الصاحب .
(2) وردا عند ابن خلكان : 246 .

ألفُ الكتابةِ وهو بَعْضُ حروفِها لما استقام على الجميعِ تقدَّما

وقال :

لا أقولُ اللّه يظلمني كيف أشكو غيرَ مُتَّهمِ
نفسي بما أُوتيتُ قد قنعتْ[1] وتمطت في العلا هممي
ولبستُ الصبرَ سابغةً فهي من فَرْقي إلى قدمي

وقال[2] :

باضطراب الزمانِ ترتفع الأنـ ـذالُ فيه حتى يعمَّ البلاءُ
وكذا الماءُ ساكناً فإذا حُرِّ كَ ثارتْ من قعرهِ الأقذاءُ

- 1229 -

يحيى بن سلامة بن الحسين المعروف بالخطيب الحصكفي : كان فقيهاً نحوياً كاتباً شاعراً نشأ بحصن كيفا ، وقدم بغداد فأخذ بها الأدب عن الخطيب أبي زكريا التبريزي وغيره ، وبرع في النظم والنثر وإنشاء الخطب ، ثم رحل الى ميا فارقين فسكنها وولي بها الخطابة والافتاء . وله ديوان شعر . وديوان رسائل . وولد سنة تسع وخمسين وأربعمائة وتوفي سنة إحدى وخمسين وخمسمائة .

ومن شعره :

وإنسيّةٍ زارتْ مع النوم مضجعي فعانقتُ غصنَ البانِ منها إلى الفجرِ
أسائلها أين الوشاحُ وقد سَرَتْ مُعَطَّلةً منه معطَّرةَ النشر

1229 - ترجمة الحصكفي في الأنساب 154/4 ، 8 : 256 (اللباب 1 : 369، 2 : 286) والخريدة (قسم الشام) 2 : 471 والمنتظم 10 : 183 وكامل ابن الأثير 11 : 239 وإنباه الرواة 4 : 36 ومرآة الزمان : 142 وابن خلكان 6 : 205 وسير الذهبي 20 : 320 والبدر السافر : 222 وطبقات السبكي 7 : 330 وطبقات الاسنوي 1 : 438 والبداية والنهاية 2 : 238 والمستفاد من ذيل تاريخ بغداد : 255 (وجعل وفاته سنة 553) والنجوم الزاهرة 5 : 328 والشذرات 4 : 168 .

---

(1) وزن هذا الشطر لا يأتلف مع سائر الأشطار .

(2) وردا عند ابن خلكان : 245 .

فقــالت وأومــتْ للســوارِ نـقلتــه إلى معصمي لما تقلقلَ في خصري

وقال[1] :

وخــليــعٍ بــتُّ أعــذلــه ويــرى عـذلي من العبثِ
قلتُ إنَّ الخمــر مَخْبَثَــةٌ قــال حاشـاهـا من الخبث
قلت فــالإرفــاثُ يتبعهــا قال طيبُ العيش في الرفث
قلت ثم القيءُ قــال أجــلْ شَرُفَتْ عن مخرج الحدث
وســأجفـوهــا فقلتُ متى قال عند الكونِ في الجدث

وقال :

لم يضحكِ الـوردُ إلا حينَ أعجبه زهـرُ الربيـع وصوتُ الـطائـرِ الغـردِ
بــدا فـأبــدى لنـا البستــانُ بهجته وراحتِ الـراحُ في أثـوابهــا الجـدد

ـ 1230 ـ

يحيى بن صاعد بن يحيى معتمد الملك أبو الفرج ابن التلميذ: كان حكيماً فاضلاً حاذقاً في صناعة الطب أديباً شاعراً ، وكان مقيماً بأصبهان مقرباً عنـد الأمراء والأعيان ، وقصده الشريف ابن الهبارية الأديب الشاعر فأكـرمه وحبـاه ، وحصل لـه بواسطته من الأمراء والأكابر مالٌ عظيم فمدحه بعدة قصائد[2].

توفي معتمد الملك ابن التلميذ سنة تسع وخمسين وخمسمائة.

ومن شعره[3] :

1230 ـ ترجمة أبي الفرج ابن التلميذ في ابن أبي أصيبعة 1 : 276 وتاريخ الحكماء: 238 والخريدة (قسم العراق) 3/2: 119 .

---

(1) وردت في الأنساب واللباب وابن خلكان .
(2) انظر عيون الأنباء : 277 والخريدة : 121 .
(3) عيون الأنباء : 278 .

عَلِقَ الفؤاد على خلوٍّ حبُّها ... علق الذُّبالةِ في حشا المصباحِ
لا يستطيع الدهرُ فرقةَ بينهم ... الا لحينِ تفرّقِ الأشباحِ

وقال :

ما هذه الدنيا لطالبها ... إلا بلاءٌ وهو لا يدري
إن أقبلتْ فسدت أمانتُهُ ... أو أدبرت شغلتْهُ بالفكر

وقال(1) :

فراقك عندي فراقُ الحياة ... فلا تجهزنَّ على مُذْنَفِ
علقتُكَ كالنارِ في شمعها ... فما إنْ تفارقُهُ تنطفي

ـ 1231 ـ

يحيى بن الطيب اليمني النحوي : كان أديباً شاعراً ، له مصنف في النحو مختصر ، وكان لا يطيل في شعره فإذا مدح أو هجا لا يزيد على بيتين.

ومن شعره :

إن اللئيمَ إذا رأى ... ليناً تزايدَ في جِرَانِهْ
لا تخدعنْ فصلاحُ مَنْ ... جهلَ الكرامةَ في هوانه

ـ 1232 ـ

يحيى [بن محمد] بن عبد الرحمن بن بقي الأندلسي القرطبي : كان آية في النثر والنظم ، بارعاً في نظم الموشحات مجيداً فيها كلَّ الإجادة ، إلا أنه كان حَرْبَ

1231 ـ بغية الوعاة 2 : 335 (عن ياقوت) .
1232 ـ قلائد العقيان : 279 (4 : 919) والذخيرة 2 : 615 والخريدة (قسم المغرب والأندلس) 2 : 308 وأخبار وتراجم أندلسية : 50 والمطرب : 198 وتكملة ابن الأبار رقم : 2042 والمغرب 2 : 19 وابن خلكان 6 : 202 ومسالك الأبصار 11 : 280 والنفح (انظر فهرسه) وأزهار الرياض 2 : 208 وسير =

(1) عيون الأنباء والخريدة : 121 .

زمانه، حَسَبتْ حُرْفَةُ الأدبِ عليه براعته من رزقه فحكَمتْ بإقلاله وحرمانه، فامتطى غارب الاغتراب، ووقف في البلاد على كل باب، فلم تستقرَّ به النوى حتى اتصل من الأمير يحيى بن علي بن القاسم بسبب، فتفيّأ ظلاله وحطَّ في رحابه رحاله.

توفي ابن بقي سنة أربعين وخمسمائة.

ومن شعره قوله في قصيدة[1] :

هو الشعر أجري في ميادينِ سبقه ... وأفرجُ من أبوابه كلَّ مُبْهَمِ
فسلْ أهله عنّي هل امتزتُ منهمُ ... بطبعي وهل غادرتُ من مُتَرَدَّم
سلكتُ أساليبَ البديع فأصبحتْ ... بأقواليَ الركبانُ في البيد ترتمي
وربَّتما غنّى به كلُّ ساجعٍ ... يردّده في شجوهِ والترنم
وضيَّعني قومي لأني لسانهم ... إذا أفحم الأقوامُ عند التكلم
وطالبني دهري لأنيَ زِنْتُهُ ... وأنيَ فيه غُرَّةٌ فوق أدهم

وله[2] :

ولي همَمٌ ستقذفُ بي بلاداً ... نأتْ إما العراقَ أو الشآما
وألحقُ بالأعاريبِ اعتلاءً ... بهمْ وأجيدُ مدحهمُ اهتماما
لكيما تحملَ الركبانُ شعري ... بوادي الطلح أو وادي الخزامى
وكيما يعلمَ الفصحاءُ أني ... خطيبٌ علَّم السجعَ الحماما
وقد أطلعتهنَّ بكلِّ أرضٍ ... بدوراً لا يفارقن التماما
فلم أعدمْ وإياها حسوداً ... كما لا تعدمُ الحسناءُ ذاما

= الذهبي 20 : 193 وله موشحات في دار الطراز وجيش التوشيح، وقد قام عدنان محمد آل طعمه بجمع موشحاته ودراستها (بغداد 1979) كما جمع شعره الصديق الدكتور محمد مجيد السعيد (مجلة المورد 1/1978 ص 125 ـ 152). وزيادة «محمد» في نسبه قد أخلَّ بموقعه في ترتيب التراجم.

(1) القلائد : 922.

(2) القلائد : 926.

وقال[1] :

بـأبي غـزالٌ غـازَلَتْـهُ مقلتي ... بين العُـذَيْبِ وبين شَـطَّيْ بـارقِ
وسألتُ منه زيارةً تشفي الجوى ... فـأجابني فيهـا بـوعـدٍ صـادق
بتنـا ونحن من الـدجى في لجـةٍ ... ومن النجوم الزهـر تحت سرادق
عـاطيتُـهُ والليـلُ يسحبُ ذيـله ... صهبـاءَ كالمسـكِ الفتيقِ لنـاشق
وضممتـهُ ضمَّ الكمـيِّ لسيفـه ... وذؤابتـاهُ حمـائـلٌ في عـاتقي
حتى اذا مـالت بـه سِنَـة الكـرى ... زحـزحتُـهُ عني وكـان معـانقي
أبعـدتـه عن أضلعٍ تشتـاقُـهُ ... كي لا ينـامَ على وسـادٍ خـافق
لمـا رأيتُ الليـل آخـرَ عمـره ... قـد شـاب في لممٍ لـه ومفـارق
ودَّعتُ من أهـوى وقلتُ مشيّعـاً ... أعـزِزْ عليَّ بـأن أراكَ مفـارقي

ومن موشحاته قوله[2] :

عبث الشـوقُ بقلبي فـاشـتكى ... ألـمَ الـوجـدِ فـلبَّتْ أدمـعـي
أيـهـا الـنـاسُ فـؤادي شـغـفُ
وهـو من بغي الهـوى لا يُنْصَفُ
كـم أداريـه ودمـعـي يَـكِـفُ
أيهـا الشـادنُ من علَّمكـا ... بسهامِ اللحظِ قَتْلَ السبـع
بـدرُ تِـمّ تحـت ليـلٍ أغـطشِ
طـالـعٌ في غصنِ بـانٍ منتشي
أهـيـفُ الـقـدّ بـخـدٍّ أرقش

(1) انظر القلائد : 279 (921) ورايات المبرزين : 48 (مدريد) ورفع الحجب 1 : 59 ومعاهد التنصيص 3 : 80 وابن خلكان 6 : 203 والمسالك : 280 والخريدة 2 : 237 والمطرب : 198 والمغرب 2 : 19 والنفح 3 : 209 ، 4 : 155 ، 237 .
(2) نفح الطيب 4 : 237 .

سـاحرُ الـطرف وكم قد فتكـا بـقـلوبٍ دُرِّعَـتْ بـالأضـلع
وانثنى يهتـزُّ من سـكـر الصبـا
أيَّ رئـم رمتُـهُ فـاجـتـنـبـا
كـقضيـبٍ هـزَّه ريـحُ الـصبـا
قلت هب لي يا حبيبي وَصْلكا واطّـرحْ أسبابْ هجـري وَدَع
قـال خـدي زهـره مـذ قَـوَّفـا
جَـرَّدَ الـطرفَ حسـامـاً مـرهفـا
حـذراً مـنـه بـأن لا يـقـطفـا
إنَّ مـن رام جنـاه هـلكـا فـأزل عنـكَ أمـاني الـطمـع
ذاب قلبي في هـوى ظبي غـريـرْ
وجهـه في الـدَّجْنِ صبحُ مستنيرْ
وفـؤادي بيـن كـفـيـه أسـيـرْ
لم أجـدْ للصبر عنـه مسلكا فـانتصاري بـانسكابِ الأدمـع

ـ 1233 ـ

يحيى بن علي بن محمد بن الحسن بن محمد بن موسى بن بسطام الشيباني أبو زكريا ابن الخطيب التبريزي ، وربما يقال له الخطيب وهو وهْمٌ : كان أحدَ الأئمة في النحو واللغة والأدب ، حجةً صدوقاً ثبتاً ، رحل إلى أبي العلاء المعري وأخذ عنه وعن عبيـد الله بن علي الرقي والحسن بن رجـاء بن الـدهـان اللغـوي وابن بـرهـان

1233 ـ ترجمة ابن الخطيب التبريزي في الأنساب 3 : 21 (واللباب 1 : 206) ونزهة الألباء: 254 والمنتظم 9 : 161 وكامل ابن الأثير 10 : 473 وإنباه الرواة 4 : 22 وابن خلكان 6 : 191 والبدر السافر: 230 وابن العبري 2 : 22 والمستفاد من ذيل تاريخ بغداد : 257 ومرآة الجنان 3 : 172 وسير الذهبي 19 : 269 وعبر الذهبي 4 : 5 والبداية والنهاية 12 : 171 والنجوم الزاهرة 5 : 197 وبغية الوعاة 2 : 238 والشذرات 4 : 5 وإشارة التعيين: 382 .

والمفضل القصباني وعبد القاهر الجرجاني وغيرهم من الأئمة . وسمع الحديث وكتبه على خلق ، منهم : القاضي أبو الطيب الطبري وأبو القاسم التنوخي والخطيب البغدادي ، وسمع بمدينة صور من الفقيه أبي الفتح سليم بن أيوب الرازي ومن أبي القاسم عبد الكريم بن محمد بن عبد اللّه بن يوسف الدلال الساوي البغدادي وأبي القاسم عبد الله بن علي . وأخذ عنه أبو منصور موهوب بن أحمد الجواليقي وأبو الحسن سعد الخير بن محمد بن سهل الأنصاري وأبو الفضل ابن ناصر وغيرهم ، ودخل مصر في عنفوان شبابه فقرأ عليه بها أبو الحسن طاهر بن بابشاذ النحوي وغيره اللغة ، ثم رجع إلى بغداد فأقام بها إلى أن مات.

ويحكى أن سبب رحلته الى أبي العلاء المعري أنه حصلت له نسخةٌ من « كتاب التهذيب في اللغة » تأليف أبي منصور الأزهري [وأراد تحقيق ما فيها وأخذها عن عالم باللغة ، فدل على أبي العلاء][1] فجعل الكتابَ في مخلاةٍ ، وحملها على كتفه من تبريز الى المعرة ، ولم يكن له ما يستأجر به مركوباً ، فنفذ العرق من ظهره إليها فأثر فيها البلل ، وهذه النسخة في بعض المكاتب الموقوفة ببغداد إذا رآها من لا يعرف خبرها ظنَّ أنها غريقة وليس بها سوى عرق [ابن] الخطيب .

وذكر السمعاني في « الذيل » : سمعت أبا منصور محمد بن عبد الملك بن الحسن بن خيرون المقرىء يقول أبو زكريا يحيى بن علي التبريزي ما كان بمرضيّ الطريقة ، كان يدمن شربَ الخمر ، ويلبسُ الحريرَ والعمامة المذهبة ، وكان الناس يقرأون عليه تصانيفه وهو سكران ، فذاكرتُ أبا الفضل محمد بن ناصر الحافظ بما ذكره ابن خيرون فسكت وكأنّه لم ينكر ذلك ، ثم قال : ولكن كان ثقةً في اللغة وما كان يرويه وينقله.

وولي ابن الخطيب تدريسَ الأدبِ بالنظامية وخزانةَ الكتب بها ، وانتهت إليه الرياسةُ في اللغة والأدب ، وسار ذكره في الأقطار ورحل الناس اليه.

توفي فجأة يوم الثلاثاء لليلتين بقيتا من جمادى الأولى سنة اثنتين وخمسمائة ،

---

(1) ما بين معقفين زيادة من الانباه ، وبسقوطه لا يفهم سبب ذهابه الى المعرة .

وكانت ولادته سنة إحدى وعشرين وأربعمائة .

وصنف شرح القصائد العشر(1) ملكته بخطه . وتفسير القرآن . وإعراب القرآن . وشرح اللمع لابن جني . والكافي في العروض والقوافي(2) . وثلاثة شروح على الحماسة لأبي تمام(3) . وشرح شعر المتنبي . وشرح المقصورة الدريدية(4) . وشرح سقط الزند(5) . وشرح المفضليات. وتهذيب إصلاح المنطق لابن السكيت(6). ومقدمة في النحو . وكتاب مقاتل الفرسان . وشرح السبع الطوال . وغير ذلك(7) .

ومن شعره :

فمن يسأمْ من الأسفارِ يوماً ... فإني قد سئمتُ من المقامِ

أقمنا بالعراق إلى رجالٍ ... لئام ينتمونَ إلى لئامِ

ـ 1234 ـ

يحيى بن علي بن أبي منصور المعروف بابن المنجم النديم : قال المرزباني في « معجم الشعراء » : أبو أحمد ابن المنجم أديب شاعر مطبوع ، أشعر أهل زمانه وأحسنهم أدباً وأكثرهم افتناناً في علوم العرب والعجم ، ونادم المعتضد والمكتفي من بعده ، وهو من أشجار الأدب الناضرة وأنجمه الزاهرة ، ولد سنة إحدى وأربعين ومائتين وتوفي سنة ثلاثمائة .

1234 ـ ترجمة يحيى ابن المنجم في الفهرست : 160 ومعجم الشعراء : 493 وتاريخ بغداد 14 : 230 (عن معجم المرزباني) ونزهة الألباء : 162 وابن خلكان 6 : 198 وسير الذهبي 13 : 405 . وقد وعد المؤلف في رقم : 112) أن يذكر أولية بني المنجم ونسبهم هنا، ولكن لا يوجد شيء من ذلك .

(1) نشر مرات عديدة .

(2) نشر بتحقيق الحساني حسن عبد الله (بيروت) ومن قبل نشره في مجلة معهد المخطوطات (1/12) .

(3) طبع الشرح الكبير في بون 1868 ثم في بولاق 1296 .

(4) منها طبعة صدرت عن المكتب الاسلامي بدمشق 1961 .

(5) نشر ضمن شروح السقط ومعه شرح البطليوسي وشرح الخوارزمي .

(6) سيرد في ترجمة ابن السكيت .

(7) نشر محمد عبده عزام شرحه لديوان أبي تمام في أربعة مجلدات ، القاهرة 1951 ـ 1965 .

ومن شعره :

رُبَّ يومٍ عاشرتُهُ فتقضَّى   بعد حمدٍ عن آخرٍ مذمومِ
يا لقومي لضعفه ولكيدٍ   مثلِ كيدِ النساء منه عظيم

وقال في الطاووس :

سبحان مَن مِن خلقه الطاووسُ   طيرٌ على أشكالِهِ رئيسُ
كأنّه في نفسه عروسُ   إذ إنه يحلو به التعريس
ديباجةٌ تُنْشَرُ أو سُدوس   في ريشِهِ قد رُكِّبتْ فلوس
تشرقُ من داراتها شموس   في الرأسِ منه شَجَرٌ مغروس
كأنّه بنفسجٌ يميس   أو زَهَرٌ في روضةٍ ينوس

ولأبي أحمد شعر كثير وتصانيف منها : الباهر في أخبار شعراء مخضرمي الدولتين . وكتاب الإجماع على مذهب أبي جعفر الطبري . والمدخل إلى مذهب الطبري ونصرة مذهبه . وكتاب الأوقات ، وغير ذلك .

ـ 1235 ـ

يحيى بن القاسم بن مفرج بن ورع بن الخضر بن الحسن بن حامد أبو زكريا الثعلبي التكريتي : إمام من أئمة المسلمين وحبر من أحبارهم ، كامل فاضل فقيه قارىء مفسر نحوي لغوي عروضي شاعر ، تفقه على والده ، وصحب ببغداد أبا النجيب السهروردي وغيره ، وقرأ الأدب على ابن الخشاب ، وبرع في الفقه والأدب ، وسمع من أبي زرعة المقدسي وابن البطي ، ودرس بالنظامية ، مات في رمضان سنة ست عشرة وستمائة وكانت ولادته سنة إحدى وعشرين وخمسمائة . ومن نظمه في أَلِف الأمر :

لألفِ الأمر ضروبٌ تنحصرْ   في الفتح والضمّ وأخرى تنكسرْ

1235 ـ بغية الوعاة 2 : 339 (عن ياقوت وابن النجار) .

فـالفتـحُ فيمـا كـان من ربـاعي ... نحو أجِبْ يا زيدُ صوتَ الداعي
والضمّ فيمـا ضُمَّ بعـد الثـاني ... من فعله المستقبـل الـزمـان
والكســرُ فيمـا منهمـا تخلّى ... إن زاد عـن أربـعـةٍ أو قـلّا

ـ 1236 ـ

يحيى بن المبارك بن المغيرة أبو محمد ، مولى بني عدي بن عبد مناف ، قيل له اليزيدي[1] لأنه صحب يزيد بن منصور خال المهدي مؤدباً لولده فنُسب إليه ، ثم اتصل بالرشيد فجعله مؤدباً للمأمون : أخذ العربية عن أبي عمرو بن العلاء وابن أبي إسحاق الحضرمي ، وأخذ اللغة والعروض عن الخليل بن أحمد ، إلا أنه كان يعتمد في اللغة على أبي عمرو بن العلاء لسعة علمه بها ، وكان أبو عمرو يميل إليه ويدنيه لذكائه . وأخذ عن أبي محمد اليزيدي جماعةٌ منهم ابنه محمد وأبو عبيد القاسم بن سلام وإسحاق بن إبراهيم الموصلي وأبو عمرو الدوري القارىء وأبو شعيب السوسي المقرىء وعامر بن عمر الموصلي وأبو خلّاد سليمان بن خلاد وأبو حمدان ابن إسماعيل الطبيب وغيرهم ، وخالف في القراءة أبا عمرو في حروف اختارها . وكان صحيح الرواية ثقةً صدوقاً ، وكان أحد أكابر القراء ، وهو الذي خلف أبا عمرو بن العلاء فيها . وكان في أيام الرشيد[2] مع الكسائي ببغداد يقرئان الناس في مسجد واحد ، وكان مع ذلك أديباً شاعراً مجيداً ، وله مجموع أدب فيه شيء من شعره . وكان

1236 ـ طبقات ابن المعتز: 273 والورقة لابن الجراح: 27 ومراتب النحويين: 108 وطبقات الزبيدي: 61 وتاريخ بغداد 14 : 146 وتاريخ أبي المحاسن: 113 والمعارف: 544 ـ 597 وأخبار النحويين البصريين: 40 وتهذيب الأزهري 1: 17 ومعجم المرزباني: 487 ونور القبس : 80 ـ 87 والفهرست : 56 وإنباه الرواة 4: 25 ـ 33 ونزهة الألباء: 53 وابن خلكان 6: 183 وعبر الذهبي 1 : 38 وسير الذهبي 9: 562 ومرآة الجنان 2: 3 وطبقات ابن الجزري 2: 375 والنجوم الزاهرة 2 : 173 وبغية الوعاة 2: 340 والشذرات 2: 4 والبلغة: 284 .

(1) إنباه الرواة : 26 .
(2) إنباه : 27 .

يُتّهم بالميل إلى الاعتزال ، مات بخراسان سنة اثنتين ومائتين عن أربع وستين سنة .

وصنف كتاب الوقف والابتداء . وكتاب النوادر في اللغة ، على مثال نوادر الأصمعي الذي عمله لجعفر بن يحيى . والمختصر في النحو ، ألفه لبعض ولد المأمون . وكتاب النقط والشكل . وكتاب المقصور والممدود ، وغير ذلك .

ومن شعره قوله في الكسائي وأصحابه[1] :

كنّا نقيسُ النحوَ فيما مضى ... على لسانِ العربِ الأوَّلِ
فجاء أقوامٌ يقيسونه ... على لُغَى أشياخِ قُطْرُبُّل
فكلّهم يعملُ في نقضِ ما ... به يُصابُ الحقّ لا يأتلي
إن الكسائيَّ وأصحابه ... يَرْقَوْنَ في النحوِ إلى أسفل

وله[2] :

إذا نكباتُ الدهرِ لم تعظِ الفتى ... وأُفْزِعَ منها لم تَعِظْهُ عواذلُهْ
ومن لم يؤدبه أبوه وأمه ... تؤدِّبْهُ روعاتُ الردى وزلازله
فدعْ عنك ما لا تستطيعُ ولا تُطِعْ ... هواك ولا يغلبْ بحقِّكَ باطله

وله في الأصمعي[3] :

أبِنْ لي دعيَّ بني أصمعٍ ... متى كنت في الأُسرةِ الفاضلهْ
ومن أنت هل أنت إلا امرؤ ... إذا صحَّ أصلُكَ من باهلهْ

ـ 1237 ـ

يحيى بن محمد الشريف أبو المعمر ابن طباطبا العلوي : كان نحوياً أديباً

1237 ـ ترجمة ابن طباطبا في المنتظم 9 : 25 والنجوم الزاهرة 5 : 123 ولسان الميزان 6 : 276 وبغية الوعاة 2 : 342 (عن ياقوت) وفي كنيته أبو محمد وأبو معمر .

(1) نور القبس : 287 وشعر اليزيديين : 68 .
(2) تاريخ الخطيب : 148 وشعر اليزيديين : 66 .
(3) قارن بطبقات ابن المعتز : 274 وابن خلكان : 188 وشعر اليزيديين : 74 .

فاضلاً يتكلم مع ابن برهان في هذا العلم ، أخذ عن علي بن عيسى الربعي وأبي القاسم الثمانيني ، وعنه أبو السعادات هبة الله بن الشجري ، وكان يفتخر به .

مات في رمضان سنة ثمان وسبعين وأربعمائة .

ومن شعره :

لي صاحبٌ لا غاب عنّي شخصه … أبداً وظلتُ ممتَّعاً بودادِهِ
فطنٌ بما يُوحَى إليه كأنما … قد نِيطَ هاجسُ فكرتي بفؤاده

وقال[1] :

حسودٌ مريضُ القلبِ يخفي أنينَهُ … ويضحي كئيبَ القلبِ عندي حزينَهُ
يلومُ على أن رحتُ في العلم راغباً … أحصِّلُ من عند الرواةِ فنونه
فأعرفُ أبكارَ الكلامِ وعُونه … وأحفظُ مما أستفيدُ عيونه
ويزعمُ أن العلم لا يجلبُ الغنى … ويُحْسِنُ بالجهلِ الذميم ظنونه
فيا لائمي دعني أغالي بقيمتي … فقيمةُ كلِّ الناسِ ما يحسنونه

- 1238 -

يحيى بن محمد بن عبد الله بن العنبري بن عطاء بن صالح بن محمد بن عبد الله بن شعبان ، أبو زكريا العنبري مولى بني حرب السلمي من أهل نيسابور : كان عالماً بالتفسير لغوياً أديباً فاضلاً .

1238 - ترجمة العنبري في الأنساب 9 : 74 واللباب (العنبري) وعبر الذهبي 2 : 265 وسير الذهبي 15 : 533 ومرآة الجنان 2 : 337 وطبقات السبكي 3 : 485 وبغية الوعاة 2 : 342 (عن السمعاني وياقوت) والنجوم الزاهرة 3 : 314 والشذرات 2 : 369 وطبقات الداودي 1 : 42 .

(1) وردت هذه الأبيات في الذخيرة 3 : 390 من انشادات صاعد بن الحسن الربعي عن أبي رجاء الضبعي ، وهي في رسالة لابن سيده رداً على رسالة لابن أرقم ، وفيها ينسب ابن سيدة الأبيات إلى أحمد بن المعذل ويجعل الشطر الأول من البيت الأول : « غزال سقيم اللحظ يخفي أنينه » وقد وردت منها ثلاثة أبيات في محاضرات الراغب 1 : 32 منسوبة لابن طباطبا ومرّت في الترجمة رقم : 209 .

قال القاضي عبد الحميد بن عبد الرحمن النيسابوري : ذهبت الفوائد من مجلسنا بعد أبي زكريا ، وذلك أن أبا زكريا اعتزل الناسَ وقعد عن حضور المحافل بضع عشرة سنة .

سمع أبا الحسن الحرسي وأحمد بن سلمة وغيرهما ، وروى عنه أبو بكر ابن عبدوس المفسر وأبو علي الحسين بن علي الحافظ والمشايخ من طبقته .

مات في شوال سنة أربع وأربعين وثلاثمائة عن ست وسبعين سنة .

- 1239 -

يحيى بن محمد أبو محمد الأرزني : إمام في العربية مليح الخط سريع الكتابة ، كان يخرج في وقت العصر إلى سوق الكتب ببغداد فلا يقوم من مجلسه حتى يكتب « الفصيح » لثعلب ويبيعه بنصف دينار ، ويشتري نبيذاً ولحماً وفاكهة ، ولا يبيتُ حتى ينفقَ ما معه منه .

وله تأليف في النحو مختصر .

مات سنة خمس عشرة وأربعمائة .

ومن شعره :

إن من أحوجَكَ الدهرُ إليهْ   وتعلقتَ به هُنْتَ عَلَيهْ

ليس يصفو ودُّ من واخيتَهُ   إن تعرضتَ لشيءٍ في يديهْ

1239 - ترجمة الأرزني في تاريخ بغداد 14 : 239 وتتمة اليتيمة 2 : 102 ومعجم البلدان (أرزن) ونزهة الألباء : 232 وإنباه الرواة 4 : 34 وبغية الوعاة 2 : 343 (عن ياقوت والثعالبي) والأرزني نسبة الى ارزن وهي بلد في طرف ديار بكر قريباً من خلاط ، وقد أخذ الأرزني العلم عن السيرافي أبي سعيد وتصدر في مجلس ابنه يوسف ، وأقرأ النحو وأفاد الطلبة ، وأورد له القفطي شعراً وصفه بأنه « حسن » .

ـ 1240 ـ

يحيى بن معطي بن عبد النور زين الدين المغربي الزواوي : فاضل معاصر إمام في العربية أديب شاعر ، مولده بالمغرب سنة أربع وستين وخمسمائة ، وقدم دمشق فأقام بها زماناً طويلاً ، ثم رحل إلى مصر فتوطن بها وتصدر بأمر الملك الكامل لاقراء النحو والأدب بالجامع العتيق ، وهو مقيم بالقاهرة لهذا العهد .

ومن تصانيفه : الفصول الخمسون في النحو . وألفية في النحو أيضاً . وحواشٍ على أصول ابن السراج . ونظم الصحاح للجوهري لم يكمله . ونظم الجمهرة لابن دريد . والمثلث في اللغة . وقصيدة في العروض . وقصيدة في القراءات السبع . وديوان شعر . وديوان خطب ، وغير ذلك .

ومن شعره في مشاركٍ في اللقب :

قالوا تلقبَ زينَ الدين فهو له ... نَعْتٌ جميل به أضحى اسمه حسنا
فقلت لا تغبطوه إنّ ذا لقبٌ ... وَقْفٌ على كل نحسٍ والدليلُ أنا

وله :

وإذا طلبتَ العلم فاعلم أنه ... عبءٌ لتنظر أيَّ عبءٍ تحملُ
وإذا علمتَ بأنه متفاضلٌ ... فاشغل فؤادك بالذي هو أفضلُ

1240 ـ ترجمة يحيى بن معطي في تكملة المنذري رقم : 2357 وذيل الروضتين : 160 وابن خلكان 6 : 197 وعبر الذهبي 5 : 112 وسير الذهبي 22 : 324 وإنباه الرواة 4 : 38 ومرآة الجنان 4 : 66 والبداية والنهاية 13 : 129 وقلائد الجمان لابن الشعار 10 الورقة : 87 والجواهر المضية 2 : 214 والنجوم الزاهرة 6 : 277 وبغية الوعاة 2 : 344 وحسن المحاضرة 1 : 255 وتاج التراجم : 83 والشذرات 5 : 125 .

وكانت وفاة الزواوي بمصر سنة 628 وهو صاحب الألفية التي يشير إليها ابن مالك في ألفيته بقوله : « فائقة ألفية ابن معطي » ، وكتابه الفصول قد نشره الأستاذ محمود الطناحي .

- 1241 -

يحيى بن نزار بن سعيد أبو الفضل المنبجي : مولده بمنبج في المحرم سنة ست وثمانين وأربعمائة ؛ قدم دمشق واتصل بالملك العادل نور الدين محمود بن زنكي ومدحه بقصائد أجاد فيها ، ثم رحل إلى بغداد فتوطنها وأقام بها إلى أن توفي في ليلة الجمعة سادس ذي الحجة سنة أربع وخمسين وخمسمائة . وكان سبب موته أنه وجد في أذنه ثقلاً فاستدعى طبيباً من الطُّرقية فامتصَّ أذنه ليخرجَ ما فيها من أذى فخرج شيء من مخه فمات لوقته .

ومن شعره[1] :

لو صدَّ عني دلالاً أو معاتبةً ... لكنتُ أرجو تلافيه وأعتذرُ
لكنْ ملالاً فما أرجو تعطُّفَهُ ... جَبْرُ الزجاجِ عسيرٌ حين ينكسر

وله :

وليلةِ وصلٍ خالسَتْ غفلَةَ الدهرِ ... فجاءتْ ببدرٍ وهي مشرفةُ البدرِ
سميري بها غصنٌ من البانِ مائدٌ ... يرنّحه سكرُ الشبيبةِ لا الخمر
أشاهدُ فيها طلعةَ القمرِ الذي ... تبسَّم عن طَلْعٍ وإن شئتَ عن در
أمنتُ بها إتيانَ واشٍ وحاسد ... فما من رقيبٍ غير أنجمها الزهر
ضممتُ إلى صدري الحبيبَ معانقاً ... وهل لك يا قلبي محلٌ سوى صدري
فيا ليلةً أحيتْ فؤادي بقربه ... فأحييتها سكراً إلى مطلع الفجر
ولما رأيتُ الروح فيها مسامري ... تيقنتُ حقاً أنها ليلة القدر[2]

1241 - ترجمته في الخريدة (قسم الشام) 2 : 234 (وجعل وفاته 552) ومرآة الزمان : 233 والمنتظم 10 : 191 وابن خلكان 6 : 249 والمستفاد من ذيل تاريخ بغداد : 261 ؛ وقال العماد : كان شيخاً ظريفاً متودداً حافظاً لكثيرٍ من المنثور والمنظوم . . . وما كنت أظن أن له شعراً حتى طالعت تاريخ السمعاني . . . الخ .

(1) وردا في الخريدة .
(2) م : البدر .

ولــه[1] :

وأبـيضَ غضٍّ زاد خطُّ عــذاره لعشـاقه في وجـدهم والبـلابـلِ
تمـوجُ بحارُ الحسنِ في وَجَنـاتـه فتقذفُ منهَا عنبـراً في السواحـل
وتُجْـرِي بخديـه الشبيبـةُ مـاءَهـا فتنبتُ ريحـانـاً بجنبِ الجـداول

ـ 1242 ـ

يحيى بن واقد بن محمد بن عدي بن حذيم الطائي ، أبو صـالح البغـدادي النحوي : أخذ عن الأصمعي وغيره ، وسمع في حداثته من الحافظ هشيم بن بشير السلمي الواسطي ومن الامام الحافظ أبي بشر إسماعيل بن إبراهيم بن علية الأسدي البصري ومن ابن أبي زائدة وغيرهم .

ولد ببغداد سنة خمس وستين ومائة ثم انتقل إلى البصرة فتوطنها وبها مات ، وكان ثقةً صدوقاً إماماً في العربية ، أخذ عنه الشيوخ وتخرج به خلق كثير .

ـ 1243 ـ

يحيى بن هذيل بن الحكم بن عبـد الملك بن إسماعيـل التميمي القرطبي المعروف بالكفيف : كان أديباً شاعراً قدم إلى المشرق في أواسط المائة الرابعة ، وأخذ عنه الرمادي الشاعر وغيره ، مات سنة تسع وثمانين وثلاثمائة وقد جاوز التسعين .

ومن شعره :

أرى أهــلَ الـثــراءِ إذا تــوفــوا بَنَـوْا تلك المـراصـدَ بـالصخـورِ

1242 ـ ترجمة يحيى بن واقد في أخبار أصبهان : 356 وبغية الوعاة 2 : 345 (عن أبي نعيم وياقوت) .

1243 ـ جذوة المقتبس : 358 (وبغية الملتمس رقم : 1945) وتاريخ ابن الفرضي 2 : 193 والوافي (خ) ونكت الهميان : 307 وله شعر في اليتيمة 2 : 14 ومسالك الأبصار 11 : 173 وعنوان المرقصات : 14 ونفح الطيب ، وأكثر صاحب كتاب التشبيهات من الاستشهاد بشعره (انظر بخاصة ص 314 ـ 315) .

(1) الخريدة : 235 (ببعض اختلاف في الرواية) .

أبــوا إلا مــبــاهــاةً وفــخــراً | على الفقــراءِ حتى في الـقبــور
فــإن يكن التسامـحُ في ذراهـا | فــإن العـدلَ فيهــا في القعــور
عـجبتُ لمـن تــأنقَ فـي بنــاء | أميـنــاً من تصــاريف الــدهــور
ألم يبصـرْ بما قــد خـربتـه الـ | ـدهــورُ من المـدائنِ والقصــور
وأقــوام مضـوا قــومــاً فقــومــاً | وصــار صغيــرهم إثــرَ الكبيــر
لـعمــرُ أبـيهـمُ لــو أبصــروهـم | لمــا عـرَفــوا الغنيَّ من الفقيــر
ولا عـرفـوا العبيــدَ من المـوالي | ولا عـرفـوا الإنـاثَ من الـذكـور
ولا من كـان يلبس ثوبَ صـوفٍ | من البــدنِ المبـاشــرِ للحـريــر
إذا أكــل الــثــرى هــذا وهــذا | فمـا فضلُ الجليـلِ على الحقير

وله[1] :

لا تلمني على الــوقــوفِ بــدارٍ | أهلهـا صيـروا السقــامَ ضجيعي
جعلوا لي إلى هــواهم سبيــلاً | ثم ســدُّوا عليَّ بـابَ الــرجـوع

ـ 1244 ـ

يحيى بن يحيى المعروف بابن السمينة[2] القرطبي : قدم المشرق ودخل بغداد والقاهرة ثم انصرف إلى بلده ، وكان بارعاً في النحو واللغة والأخبار وعلوم الأدب والشعر والعروض ، عالماً بالحديث والفقه والجدل ، عارفاً بالطب والرياضي والنجوم ، وكان يميل إلى الاعتزال .

مات بعد انصرافه من المشرق سنة خمس عشرة وثلاثمائة .

1244 ـ ترجمة ابن السمينة عن طبقات صاعد : 65 (وتصحف فيه إلى ابن اليتيمة وفي م : السخية) وانظر تاريخ ابن الفرضي 2 : 185 وابن أبي أصيبعة 2 : 39 وطبقات الزبيدي : 289 وإنباه الرواة 4 : 34 وبغية الوعاة 2 : 345 (عن النضار لأبي حيان) .

....

(1) النفح 4 : 36 .
(2) م : السخية .

ـ 1245 ـ

يحيى بن يحيى بن سعيد المعروف بابن ماري المسيحي من أهل البصرة: كان كاتباً أديباً شاعراً عارفاً بالطب عالماً بالنحو واللغة متفنناً ، وكان يتكسب بالكتابة والطب ويمتدح الأكابر والأعيان . روى عنه جماعة من الأفاضل منهم أبو حامد المعروف بالعماد الكاتب الأصبهاني وغيره ، وصنف المقامات الستين أحسن فيها وأجاد . وكانت وفاته بالبصرة في شهر رمضان سنة تسع وثمانين وخمسمائة. ومن شعره :

نعم المعينُ على المروءةِ للفتى ... مالٌ يصونُ عن التبذلِ نفسَهُ
لا شيءَ أنفعُ للفتى من ماله ... يقضي حوائجَهُ ويجلبُ أنسه
وإذا رمته يدُ الزمانِ بسهمه ... غدتِ الدراهمُ دون ذلك تُرْسَهُ

وله أيضاً :

لاموا على صبِّ الدموعِ كأنهم ... لا يعرفون صبابتي وولوعي
كُفُّوا فقد وعد الحبيبُ بزورةٍ ... ولذا غسلتُ طريقَهُ بدموعي

وله(1) :

نفرتْ هندُ من طلائع شيبي ... واعترتها سآمةٌ من وجومي
هكذا عادةُ الشياطينِ ينفرُ ... نَ إذا ما بدتْ نجومُ الرجوم

1245 ـ ترجمته في تاريخ الحكماء : 360 وسماه « يحيى بن سعيد » وكنيته أبو العباس ، قال وكان أصله من الطيب من موضع يقال له الدوير ، وكان أبوه قد انتقل عن الدوير إلى البصرة ؛ وقد ترجم له العماد في الخريدة (قسم العراق) 2/4 ؛ 695 وانظر ابن العبري : 415 ومرآة الزمان : 264 والنجوم الزاهرة 5 : 364 والشذرات 4 : 185 .

(1) وردت في الخريدة وتاريخ الحكماء .

ـ 1246 ـ

يحيى بن يعمر أبو سليمان العدواني ، من عدوان بن قيس بن عيلان ، الوشقي البصري : تابعي لقي عبد الله بن عباس وعبد الله بن عمر ، روى عنه قتادة السدوسي واسحاق بن سويد وجماعة ، ووثقه النسائي وأبو حاتم وغيرهما ، ورماه عثمان بن دحية بالقدر ، وكان عالماً بالقراءة والحديث والفقه والعربية ولغات العرب . أخذ عنه أبو الأسود الدؤلي ، وكان فصيحاً بليغاً يستعمل الغريب في كلامه . عن

روي أن يزيد بن المهلب كتب إلى الحجاج : لقينا العدوَّ ففعلنا وفعلنا واضطررناه إلى عُرْعُرة الجبل ، فقال الحجاج : ما لابن المهلب وهذا الكلام ؟ فقيل له : إن يحيى بن يعمر عنده ، فقال : ذاك إذَنْ .

وحكي ان الحجاج قال له : أتجدني ألحن ؟ فقال : الأمير أفصح من ذلك ، فقال : عزمتُ عليك أتجدني ألحن ؟ فقال يحيى : نعم ، فقال له : في أي شيء ؟ فقال : في كتاب الله تعالى ، فقال : ذلك أسوأ ، ففي أيِّ حرف من كتاب الله ؟ قال قرأت ﴿ قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبُّ إِلَيْكُمْ ﴾ (التوبة: 24) فرفعت أَحَبُّ وهو منصوب ، فغضب الحجاج وقال : لا تساكنّي ببلد أنا فيه ، ونفاه إلى خراسان ، فولاه يزيد بن المهلب القضاء بها ثم عزله على شربه النبيذ وإدمانه له[1] .

1246 ـ ترجمة يحيى بن يعمر في طبقات ابن سعد 7 : 368 وطبقات خليفة : 1649 وتاريخ خليفة 1 : 306 (بغداد) ومراتب النحويين : 50 ومعجم المرزباني : 485 وطبقات الزبيدي : 27 والوزراء والكتاب : 41 وأخبار النحويين البصريين : 22 وتاريخ أبي المحاسن : 155 والفهرست : 47 ونزهة الألباء : 8 وابن خلكان 6 : 173 وانباه الرواة 4 : 18 وتذكرة الحفاظ 1 : 71 وسير الذهبي 4 : 441 وميزان الاعتدال 4 : 415 والبداية والنهاية 9 : 73 ومرآة الجنان 1 : 271 وطبقات ابن الجزري رقم : 3871 وتهذيب التهذيب 11 : 305 والنجوم الزاهرة 1 : 217 وبغية الوعاة 2 : 345 والشذرات 1 : 175 .

(1) عند الذهبي في السير أن الذي ولاه القضاء ثم عزله هو قتيبة بن مسلم .

وكان يحيى يتشيع ويقول بتفضيل أهل البيت من غير تنقيص لغيرهم ، وأخباره كثيرة ، توفي سنة تسع وعشرين ومائة .

ـ 1247 ـ

يزيد بن زياد بن ربيعة المعروف بابن مفرغ ، أبو عثمان الحميري : وإنما لُقّبَ جدُّه ربيعة « مفرغاً » لأنه راهن على أن يشرب عُسّاً من لبن فشربه حتى فرغ فلقب بذلك ، وقد طعن النسابون في انتسابه إلى حمير . وهو الذي وضع سيرةَ تبَّع وأشعاره . وكان يصحب عباد بن زياد فجرت بينهما وحشة فحبسه عباد فكان يهجوه وهو في السجن ، فزاد ذلك في غيظ عباد ، فترك هجوه وأخذ يتلطف له ، فكان يقول للناس إذا سألوه عن سبب حبسه ، رجلٌ أدبه أميره ليقيمَ من أَوَده ، فبلغ ذلك عباداً فرقَّ له وخلّى سبيله ، فخرج هارباً إلى البصرة ومنها إلى الشام ، وجعل يتنقل في مدنها ويهجو زياداً وولده ، فطلبه عبيد الله أخو عباد طلباً شديداً وكاد يؤخذ ، فجعل يتنقل في قرى الشام ويغلغل في نواحيها ويهجو بني زياد ، فترد أشعاره إلى البصرة وتبلغهم ، فكتب عبيد الله بن زياد إلى يزيد بن معاوية إن ابن مفرغ نال من زياد وبنيه بما هتكه وفضحهم فضيحة الأبد وتعدى في ذلك إلى أبي سفيان فقذفه بالزنا ، وهرب من خراسان إلى البصرة فطلبته فلفظته الأرض إلى الشام ، فهو يتنقل في قراها يتمضَّغُ لحومنا بها ، فأمر يزيد بطلبه ، فجعل يتنقل من بلد إلى بلد إلى أن أتى البصرة واستجار بالأحنف بن قيس فأبى أن يجيره على السلطان ، فأتى خالد بن أسيد فلم يجرْه ، ثم لاذ بابن معمر وطلحة الطلحات فوعداه ولم يفعلا ، فلاذ بالمنذر بن الجارود العبدي وكانت ابنته تحت عبيد الله بن زياد فأجاره ، فلم يرعَ عبيد الله جوار المنذر

1247 ـ ترجمة ابن مفرغ في طبقات فحول الشعراء: 686 والشعر والشعراء: 276 وأمالي الزجاجي: 229 وأنساب الأشراف 4/1 : 374 وتاريخ الطبري 2: 161 والأغاني 18: 180 والاكليل 2: 266 وجمهرة أنساب العرب: 436 وابن خلكان 6: 342 وسير الذهبي 3: 522 والبداية والنهاية 8: 295 ، 314 وخزانة الأدب 2: 210 ، 514 وقد جمع شعره مرتين: مرة على يد الدكتور داود سلوم (بغداد 1968) ومرة على يد الدكتور عبد القدوس أبو صالح (بيروت 1975) والاعتماد على الثاني (وهذه الترجمة من حقها أن تكون في معجم الشعراء) .

وأخذ ابن مفرغ وسجنه ، وكتب إلى يزيد يستأذنه في قتله ، فحذره يزيد من الايقاع به وأشار إليه بحبسه وتنكيله بما يؤدبه ، فأمر عبيد الله أن يسقى نبيذاً خلط بشبرم حتى سلح على ثيابه ، فأمر أن يُطافَ به في أسواق البصرة تزفّه الصبيان ، ثم رُدّ إلى السجن وبقي فيه مدةً طويلة إلى أن أطلق بشفاعةِ قومه اليمنيين عند يزيد ، ومات سنة تسع وستين .

وأخباره مع بني زياد طويلة ، ومن أشعاره التي هجاهم بها قوله في عبيد الله وأخيه عبّاد من قصيدة طويلة(1) :

وما لاقيتُ من أيام بؤسٍ ... ولا أمرٍ يضيقُ به ذراعي
ولم تكُ شيمتي عجزاً ولؤماً ... ولم أكُ بالمضلَّل في المتاعِ
سوى يومِ الهجينِ ومن يصاحبْ ... لئامَ الناسِ يُغْضِ على القذاعِ

ومنها في عبيد الله :

فأيرٌ في است أمك من أمير ... كذاك يقال للحَمِقِ اليَراعِ
ولا بُلَّتْ سماؤك من أميرٍ ... فبئس مُعَرَّس الركبِ الجياعِ

ومنها :

إذا أودى معاويةُ بنُ حربٍ ... فَبَشِّرْ شِعْبَ قَعْبِكَ بانصداع
فأشهدُ أن أمك لم تباشرْ ... أبا سفيانَ واضعةَ القناع
ولكنْ كان أمرٌ فيه لَبْسٌ ... على عَجَلٍ شديد وارتياع

- 1248 -

يزيد بن سلمة بن سمرة بن سلمة الخير بن قشير بن كعب بن ربيعة بن

1248 ـ ترجمة ابن الطثرية في طبقات ابن سلام: 779 والشعر والشعراء: 340 والأغاني 8: 157 والسمط: 103 وابن خلكان 6: 367 وشرح التبريزي على الحماسة 3: 46 وأسماء المغتالين: 247 وقد جمع ما بقي من شعره حاتم صالح الضامن (بغداد 1973) وهو أجدر أن يكون في معجم الشعراء.

(1) ديوانه : 150 ، 154 ، 157 .

عامر بن صعصعة ، أبو مكشوح المعروف بابن الطثرية ، وطثرة اللبن زبدته : وكان يلقب مورقاً لحسن وجهه وشعره وحلاوة حديثه ، وكان يعشق جارية من جَرْم يقال لها وحشية ، وله فيها أشعار حسنة ، وكان جواداً متلافاً يغشاه الدين فإذا أُخِذَ به قضاه عنه أخوه ثور بن سلمة . وكان صاحبَ غزلٍ زيرَ نساءٍ يجلسن إليه فيحادثهن ، وكان ظريفاً عفيفاً ، وقتل في الوقعة التي قتل فيها الوليد بن يزيد بن عبد الملك سنة سبع وعشرين ومائة .

ومن شعره[1] :

عقيلية أما مَلاثُ إزارها ... فَدِعْصٌ وأما خصرها فبتيلُ
تَقَيَّظُ أكنافَ الحمى وَيُظِلّها ... بنَعمانَ من وادي الأَراكِ مقيلُ
أليس قليلاً نظرةٌ إن نظرتها ... إليكِ وكلّا ليس منك قليلُ
فيا خُلّةَ النفسِ التي ليس دونها ... لنا من أخلّاءِ الصفاءِ خليلُ
ويا من كتمنا حبَّها لم يُطَعْ به ... عَدُوٌّ ولم يؤمنْ عليه دخيلُ
أما من مقام أشتكي غربةَ النوى ... وخوفَ العدى فيه إليكِ سبيلُ
فديتكِ أعدائي كثيرٌ وشُقّتي ... بعيدٌ وأشياعي لديك قليلُ
وكنتُ إذا ما جئت جئتُ بعلّةٍ ... فأفنيتُ علّاتي فكيف أقولُ
فما كلّ يومٍ لي بأرضكِ حاجةٌ ... ولا كلُّ يوم لي اليك رسولُ
صحائفُ عندي للعتاب طويتها ... سَتُنْشَرُ يوماً والعتابُ طويلُ
فلا تحملي ذنبي وأنت ضعيفةٌ ... فحملُ دمي يومَ الحسابِ ثقيلُ

وقال في وحشية الجرمية[2] :

لو أنك شاهدتَ الصِّبا يا ابنَ بَوْزَلٍ ... بجزع الغضا إذ راجعتني غياطِلُهْ
بأسفل خلِّ الملح إذ دَيْنُ ذي الهوى ... مؤدىً وإذ خيرُ الوصال أوائلهْ
لشاهدتَ لهواً بعد شحطٍ من النوى ... على سَخَطِ الأعداءِ حلواً شمائلهْ

(1) شعر يزيد : 87 (في المنسوب له ولغيره) .
(2) شعر يزيد : 53 .

بنفسيَ من لــو مَــرَّ بَــرْدُ بنــانــه ... على كبـدي كـانت شفـاءً أنـاملهْ
ومن هـابني في كـلِّ شيءٍ وهبتُـهُ ... فـلا هـو يعــطيني ولا أنـا ســائلهْ
ألا حبــذا عينــاكِ يـا أمَّ شَنْبَــلٍ ... إذا الكُحْلُ في جفنيهما جالَ جائله
فِــدَاكِ من الخـلّانِ كــل ممـاذقٍ ... تكــونُ لأدنى من يـلاقي وســائلهْ
فَـرُحْنـا بيـومٍ سَـرّنـا بـأمِّ شنبــلٍ ... ضُحــاه وأبكتنــا عـليــه أصــائلهْ
وكنتُ كـأني حين كـان ســلامهـا ... وداعـاً وقلبي موثَقُ الـوجدِ حـامله
رهيـنٌ بنفسٍ لم تفــكَّ كبــولهــا ... عن الساقِ حتى جَرَّدَ السيفَ قاتله

وقال[1] :

ألا رب راجٍ حــاجـةً لا ينــالهــا ... وآخـر قد تُقْضَى لـه وهـو جـالسُ
يــروحُ لهـا هــذا وَتُقْضَى لغيــره ... فتـأتي الذي تُقْضَى لـه وهـو آيسُ

ـ 1249 ـ

يعقوب بن اسحاق أبو يوسف ابن السكيت ، والسكيت لقب أبيه : كان أبوه من أصحاب الكسائي عالماً بالعربية واللغة والشعر ، وكان يعقوب يؤدب الصبيان مع أبيه في درب القنطرة بمدينة السلام حتى احتاج إلى الكسب فأقبل على تعلم النحو من البصريين والكوفيين ، فأخذ عن أبي عمرو الشيباني والفراء وابن الأعرابي والأثرم ، وروى عن الأصمعي وأبي عبيدة ، وأخذ عنه أبو سعيد السكري وأبو عكرمة الضبي

1249 ـ ترجمة ابن السكيت في طبقات الزبيدي : 202 والفهرست: 79 ومراتب النحويين: 95 وتاريخ أبي المحاسن: 201 وتهذيب الأزهري 1 : 23 وتاريخ بغداد 14 : 273 ونزهة الألباء: 122 وإنباه الرواة 4 : 50 وابن خلكان 6: 395 وعبر الذهبي 1 : 443 وسير الذهبي 12 : 16 والبداية والنهاية 10 : 346 والنجوم الزاهرة 2 : 317 وبغية الوعاة 2 : 349 ومرآة الجنان 2 : 147 والبلغة: 288 والشذارت 2 : 106 ورجال النجاشي : 312 وروضات الجنات 8 : 217 واشارة التعيين: 386 . ولمحيي الدين إبراهيم دراسة عنه (بغداد : 1969) .

(1) شعر يزيد : 45 .

ومحمد بن الفرج المقرىء ومحمد بن عجلان الاخباري وميمون بن هارون الكاتب وغيرهم .

وكان عالماً بالقرآن ونحو الكوفيين ، ومن أعلم الناس باللغة والشعر ، راوية ثقة ، ولم يكن بعد ابن الاعرابي مثله ، وكان قد خرج إلى سر من رأى فصيّره عبد الله بن يحيى بن الخاقان إلى المتوكل ، فضمَّ إليه ولده يؤدبهم ، وأسنى له الرزقَ ، ثم دعاه إلى منادمته فنهاه عبد الله بن عبد العزيز عن ذلك فظنَّ أنه حسده وأجاب إلى ما دعي إليه ، فبينما هو مع المتوكل يوماً جاء المعتز والمؤيد فقال له المتوكل : يا يعقوب أيما أحب إليك ابناي هذان أم الحسن والحسين ، فذكر الحسنَ والحسين رضي الله عنهما بما هما أهله وسكت عن ابنيه ، وقيل قال له : إن قنبر خادم علي أحبُّ إليَّ من ابنيك ، وكان يعقوب يتشيع ، فأمر المتوكل الأتراك فسلوا لسانه وداسوا بطنه وحمل إلى بيته فعاش يوماً وبعض آخر ، ومات يوم الاثنين لخمس خلون من رجب سنة ثلاث وأربعين ومائتين ، وقيل سنة أربع وأربعين ، وقيل سنة ست وأربعين ، ووجه المتوكل من الغد عشرة آلاف درهم ديته إلى أهله . ولما بلغ عبد الله بن عبد العزيز الذي نهاه عن المنادمة خبر قتله أنشد :

نهيتكَ يا يعقوبُ عن قُرْبِ شادنٍ إذا ما سطا أربى على كلِّ ضيغمِ
فذُقْ واحسُ إني لا أقول الغداةَ إذ عثرتَ لعاً بل لليدين وللفمِ

وصنف ابن السكيت : كتاب إصلاح المنطق[1] . وكتاب القلب والإبدال[2] . وكتاب النوادر . وكتاب الألفاظ[3] . وكتاب فعل وأفعل . وكتاب الأضداد . وكتاب الأجناس الكبير . وكتاب الفرق . وكتاب الأمثال . وكتاب البحث . وكتاب الزبرج . وكتاب الإبل . وكتاب السرج واللجام . وكتاب الوحوش . وكتاب الحشرات . وكتاب النبات والشجر . وكتاب الأيام والليالي . وكتاب سرقات الشعراء وما تواردوا عليه . وكتاب معاني الشعر الكبير . وكتاب معاني الشعر الصغير ، وغير ذلك .

(1) نشر بتحقيق أحمد شاكر وعبد السلام هارون (القاهرة : 1949 ، 1956) .
(2) نشر ضمن الكنز اللغوي ، بيروت 1903 ثم نشر له كتاب الابدال ، القاهرة 1978 .
(3) هذبه التبريزي وطبع بعنوان « كنز الحفاظ في تهذيب الالفاظ » (بيروت : 1895) .

- 1250 -

يعقوب بن إسحاق بن زيد بن عبد الله الحضرمي بالولاء البصري أبو يوسف وأبو محمد القارىء : ثامن القراء العشرة ، الامام في القراءات والعربية ولغة العرب والفقه . أخذ القراءة عن ابن ميمون والعطاردي ، وروى عن حمزة والكسائي ، وأخذ عنه سلام الطويل عَرَضاً ، وأخذ عنه الزعفراني وأبو حاتم السجستاني وروح بن عبد المؤمن وجماعة . وكان من أعلم أهل زمانه بمذاهب النحاة في القرآن الكريم ووجوه الاختلاف فيه ، وكان زاهداً ورعاً ناسكاً ، حكي أنه سُرق رداؤه وهو في الصلاةَ ورُدَّ إليه ولم يشعر .

وفيه يقول بعضهم(1) :

أبوه من القَّراءِ كان وجدُّهُ ويعقوبُ في القرّاءِ كالكوكب الدرّي

تفرُّدُهُ محضُ الصوابِ وجمعُهُ فمن مثلهُ في وقتِهِ وإلى الحشرِ

وصنف يعقوب : كتاب الجامع ، ذكر فيه اختلاف وجوه القراءات ونسب كل حرف إلى من قرأ به . وكتاب وقف التمام ، وغير ذلك . مات في جمادى الأولى سنة خمس ومائتينِ عن ثمان وثمانين سنة .

- 1251 -

يعقوب بن الربيع أخو الفضل بن الربيع حاجب أبي جعفر المنصور : كان أديباً

1250 - ترجمته في طبقات ابن سعد 7: 304 وطبقات خليفة : 227 وتاريخ خليفة : 472 وطبقات الزبيدي : 45 وابن خلكان 6: 390 ومرآة الجنان 2: 30 وعبر الذهبي 1: 348 وسير الذهبي 10: 169 ومعرفة القراء الكبار 1: 30 والكاشف 3: 290 وطبقات ابن الجزري 2: 386 وتهذيب التهذيب 11: 382 والبلغة: 287 والنجوم الزاهرة 2: 179 وبغية الوعاة 2: 348 والشذرات 2: 14 واشارة التعيين: 385 .

1251 - ترجمة يعقوب بن الربيع في معجم المرزباني: 497 وتاريخ بغداد 14: 267 ورغبة الأمل 8: 251 وله بيتان في ديوان المعاني 2: 224 .

(1) يرد البيتان في بعض المصادر مثل معرفة القراء وسير الذهبي وبغية الوعاة والنجوم الزاهرة .

شاعراً ماجناً خليعاً ، وكان يصحب آدم بن عبد العزيز الأموي ، وكان آدم هذا ماجناً أيضاً منهمكاً في الشراب ثم نسك ، وليعقوب معه أخبار ومُلح : فمن ذلك ما حدث به فليح بن سليمان قال : لما ترك آدم بن عبد العزيز الشرابَ استأذن يوماً على يعقوب بن الربيع وأنا عنده ، فقال يعقوب : ارفعوا الشراب فان هذا قد تاب وأحسبه يكره أن يحضره ، فرُفع وأذن له ، فلما دخل قال : ﴿ إني لأجِدُ رِيحَ يُوسفَ ﴾ (يوسف: 94) قال يعقوب : هو الذي وجدتَ ولكنا ظننا أنه يثقلُ عليك لتركك له ، قال : أي والله إنه ليثقل عليَّ ذاك ، قال : فهل قلت في ذلك شيئاً منذ تركته ؟ قال : نعم ، وأنشد[1] :

ألا هل فتىً عن شربها اليومَ صابرُ ليجزيه عن صبره الغدَ قادرُ
شربتُ فلما قيل ليس بنازعٍ نزعتُ وثوبي من أذى اللوم طاهرُ

وكان يعقوب بن الربيع يعشق جارية[2] فطلبها سبع سنين وبذل فيها جاهه وماله حتى ملكها ، وأُعطي فيها مائة ألف دينار فلم يبعها ، فمكثت عنده ستة أشهر وماتت ، فرثاها بشعر كثير فمن ذلك :

لئن كان قربسك لي نافعاً فَبُعْدُكِ أصبحَ لي أنفعا
لأني أمنتُ رزايا الدهورِ وان حلَّ خطبٌ فلن أجزعا

وله :

راحوا يصيدون الظباءَ وانني لأرى تصيُّدَها عليَّ حراما
أشبهن منكِ لواحظاً وسوالفاً فحوتْ بذلك حرمةً وذماما
أعززْ عليَّ بأن أروّع شبهها أو أن يذوقَ على يديَّ حماما

(1) الأغاني 15 : 230 (وفيه قصة دخوله على يعقوب) .
(2) اسمها « ملك » عند المرزباني .

ـ 1252 ـ

يعقوب بن علي بن محمد بن جعفر أبو يوسف البلخي ثم الجندلي : أحد الأئمة في النحو والأدب ، أخذ عن أبي القاسم الزمخشري ولزمه ، ولا أعرف عنه غير هذا .

ـ 1253 ـ

اليمان بن أبي اليمان أبو بشر البندنيجي : أصله من الأعاجم من الدهاقين ، ولد أكْمَهَ في سنة مائتين ونشأ ببندنيج بلده ، وحفظ أدباً كثيراً وأشعاراً كثيرة ، وكان بها أبو الحسن علي بن المغيرة المعروف بالأثرم صاحب أبي عبيدة يروي كتبه كلّها وكتب الأصمعي ، فلزم أبو بشر ذلك النمط وحفظ من كتب الأثرم علماً كثيراً ، قال : حفظت في مجلسٍ واحدٍ مائةً وخمسين بيتاً من الشعر بغريبه ، وخرج إلى بغداد وسر من رأى ولقي العلماء ، وقرأ على محمد بن زياد الأعرابي ، ولقي أبا نصر صاحب الأصمعي ، وهو ابن اخته ، وحفظ « كتاب الأجناس الأكبر » للأصمعي .

وكان لأبي بشر ضياع كثيرة وبساتين خلفها له أبوه فباعها وأنفقها في طلب العلم وعلى العلماء ، ولقي أبا يوسف يعقوب بن السكيت والزيادي والرياشي بالبصرة ، وقرأ عليهم من حفظه كتباً كثيرة .

وصنف كتاب معاني الشعر . وكتاب العروض . وكتاب التقفية .

مات سنة أربع وثمانين ومائتين .

ومن شعره(1) :

أنـا اليمـانُ بـن أبي اليمـانِ   أسعـد من أبصـرت في العميـان

1252 ـ ترجمة أبي يوسف البلخي في بغية الوعاة 2 : 351 (عن ياقوت) .

1253 ـ ترجمة أبي بشر البندنيجي في الفهرست : 90 وإنباه الرواة 4 : 73 ونكت الهميان : 312 والوافي (خ) وبغية الوعاة 2 : 353 .

(1) أوردها في نكت الهميان .

ان تلقني تلقَ عظيمَ الشانِ تجدْني أبلغَ من سحبان
في العلم والحكمةِ والبيان

وله[1] :

فَديوان الضِيّاع بفتحِ ضادٍ وديوانُ الخراجِ بغيرِ جيمِ
إذا وَلِيَ ابنُ عيسى وابنُ موسى فما أمرُ الأنامِ بمستقيمِ

ـ 1254 ـ

يموت بن المزرع بن موسى بن سيار العبدي من عبد قيس، أبو عبد الله وأبو بكر، البصري ابن أخت أبي عثمان الجاحظ: نحوي أديب راوية، ذكره الزبيدي في نحاة مصر. أخذ عن أبي عثمان المازني وأبي حاتم السجستاني وعبد الرحمن بن أخي الأصمعي ونصر بن علي الجهضمي، وكان من مشايخ العلم والشعر أخبارياً حسن الآداب، دخل بغداد ومات بطبرية، وقيل بدمشق سنة ثلاث وثلاثمائة، وقيل سنة أربع. وكان له ولد يقال له مهلهل بن يموت، وكان شاعراً مجيداً، وله يقول أبوه يموت بن المزرع :

مهلهلُ قد شربتُ شطورَ دهري وكافحني به الزمنُ العَنُوتُ
وجاريتُ الرجالَ بكلِّ ربعٍ فأذعن لي الحثالةُ والرتوتُ
فأوجعُ ما أُجِنّ عليه قلبي كريمٌ عَضَّه زمنٌ بغوتُ

1254 ـ طبقات الزبيدي: 215 ومعجم المرزباني: 505 وتاريخ بغداد 14: 358 ونزهة الألباء: 163 والمنتظم 6: 143 وكامل ابن الأثير 8: 96، 106 وإنباه الرواة 4: 74 وابن خلكان 7: 53 وعبر الذهبي 2: 128 وسير الذهبي 14: 247 ومرآة الجنان 2: 241 والبداية والنهاية 11: 127 والبلغة: 289 وطبقات ابن الجزري 2: 392 والنجوم الزاهرة 2: 191 وبغية الوعاة 2: 353 والشذرات 2: 243.

(1) وردت في نكت الهميان.

كفى حَزَناً بضيعةِ ذي قديمٍ وأبناءُ الطريفِ لها التخوتُ
وقد أسهرتُ عيني بعد غمضٍ مخافةَ أن تضيع إذا فَنيتُ
وفي لطفِ المهيمن لي عزاءٌ بمثلك إن فنيتُ وإن بقيتُ
وان يشتدَّ عَظْمُكَ بعد موتي فلا تقطعْك جائحةٌ سبوتُ
فجُبْ في الأرض وابغ بها علوماً ولا تلفتْك عن هذا الدسوتُ
وإن بخل العليمُ عليك يوماً فذلَّ له وَدَيْدَنُكَ السكوتُ
وقل بالعلم كان أبي جواداً يقال فمن أبوك فقل يموتُ
تقرّ لك الأباعدُ والأداني بعلمٍ ليس يجحده البَهُوتُ

ـ 1255 ـ

يوسف بن أبي بكر بن محمد أبو يعقوب السكاكي : من أهل خوارزم ، علامة إمام في العربية والمعاني والبيان والأدب والعروض والشعر ، متكلم فقيه متفنن في علوم شتى . وهو أحد أفاضل العصر الذين سارت بذكرهم الركبان . ولد سنة أربع وخمسين وخمسمائة ، وصنف «مفتاح العلوم» في اثني عشر علماً أحسن فيه كل الاحسان ، وله غير ذلك ، وهو اليوم حيّ ببلده خوارزم .

ـ 1256 ـ

يوسف بن الحجاج بن يوسف ، عرف بابن الصيقل : مولده ومنشأه بالكوفة ، وكان يلقب بلقوة ، صحب أبا نواس وأخذ عنه وروى شعره ، وكان كاتباً شاعراً ظريفاً صاحب نوادر متهتكاً بالمرد . مات في خلافة المأمون .

1255 ـ ترجمة السكاكي في الجواهر المضية 2 : 245 (حيدر آباد) وبغية الوعاة 2 : 364 (وينقل عن المسالك) والشذرات 5 : 122 والفوائد البهية : 231 وكانت وفاته بخوارزم سنة 626 وقد عرف بكتابه مفتاح العلوم في البلاغة .

1256 ـ ترجمة ابن الصيقل في الأغاني 23 : 88 ، ومعجم الشعراء : 503 و 504 .

ومن شعره :

أبعدَ المواثيقِ لي وبعد السؤالِ الحفي
وبعد اليمينِ التي حلفتِ على المصحفِ
تركتِ الهوى بيننا كضوءِ سراجٍ طفي
فليتكِ إذ لم تفي بوعدِكِ لم تحلفي

وقال في مدح الرشيد[1] :

أغيثاً تحملُ الناقـةُ أم تحملُ هارونا
أم الشمسَ أم البدرَ أم الدنيا أم الدينا
ألا كلُّ الذي عدَّدتُ قد أصبحَ مقرونا
على مَفْرِقِ هارونٍ فِداهُ الآدميونا

ـ 1257 ـ

يوسف بن الحسن بن عبد الله أبو محمد السيرافي : كان رأساً في العربية واللغة ، له مشاركة في غيرها من العلوم ، أخذ عن والده الامام وخلفه في جميع علومه وتمم كتباً كان شرع فيها أبوه منها الإقناع . وصنف شرح أبيات سيبويه . وشرح أبيات إصلاح المنطق . وشرح أبيات الغريب المصنف لأبي عبيد .

مات في ربيع الأول سنة خمس وثمانين وثلاثمائة عن خمس وخمسين سنة .

1257 ـ ترجمة ابن السيرافي في الجواهر المضية 1 : 226 (حيدر آباد) والمنتظم 7 : 187 وإنباه الرواة 4 : 61 وابن خلكان 7 : 72 ومرآة الجنان 2 : 429 وبغية الوعاة 2 : 354 ؛ وقد طبع من كتبه كتاب شرح أبيات سيبويه .

(1) الأغاني 23 : 90 .

- 1258 -

يوسف بن سليمان بن عيسى، أبو الحجاج الشنتمري المعروف بالأعلم النحوي : كان عالماً بالعربية واللغة واسع الحفظ للأشعار ومعانيها ، جيد الضبط كثير العناية بهذا الشأن ، فكانت الرحلة إليه في وقته . رحل إلى قرطبة فأخذ عن أبي القاسم إبراهيم الإفليلي وساعده في « شرح ديوان المتنبي » وأخذ أيضاً عن أبي سهل الحراني ومسلم بن أحمد الأديب ، وأخذ عنه أبو علي الغساني وجماعة كثيرة ، وأضرَّ بأخرة ، وكان مشقوق الشفة العليا شقاً واسعاً ولذا لقب بالأعلم .

وصنف شرح الجمل في النحو لأبي القاسم الزجاجي . وشرح أبيات الجمل . وشرح الحماسة شرحاً مطولاً ورتبها على حروف المعجم .

ولد سنة عشر وأربعمائة وتوفي باشبيلية سنة ست وسبعين وأربعمائة .

- 1259 -

يوسف بن عبد الله ، أبو القاسم الزجاجي : أحد أهل البلاغة والبراعة والدراية في النحو واللغة والأدب ، أصله من همذان وسكن جرجان ، وتصدر بها ، صنَّف شرح الفصيح . وعمدة الكتاب . وكتاب خلق الانسان . وكتاب خلق الفرس . وكتاب اشتقاق الأسماء . وكتاب الرياحين ، وغير ذلك . مات سنة [خمس عشرة وأربعمائة] .

1258 ـ الصلة : 643 وإنباه الرواة 4 : 59 وابن خلكان 7 : 81 وفهرست ابن خير : 472 ، 475 وسير الذهبي 18 : 555 والوافي (خ) ونكت الهميان : 313 ومرآة الجنان 3 : 159 وبغية الوعاة 2 : 356 والشذرات 3 : 403 وسمّاه في الصلة : يوسف بن عيسى بن سليمان ، والشنتمري نسبة الى بلده شنتمرية الغرب .

1259 ـ ترجمة أبي القاسم الزجاجي في بغية الوعاة 2 : 357 وضبط الزجاجي بضم الزاي وتخفيف الجيم ، وتاريخ جرجان : 578 ، وكان عمره يوم توفي ثلاثاً وستين سنة .

ـ 1260 ـ

يوسف بن علي بن جبارة بن محمد بن عقيل ، أبو القاسم الهذلي المغربي البسكري ـ نسبة إلى بسكرة من اقليم الزاب الصغير ـ الضرير المقرىء النحوي : كان عالماً بالقراءات والعربية ، قرأ على المشايخ بأصبهان ، وطوف البلاد في طلب القراءات ، وقدم بغداد فقرأ بها على القاضي أبي العلاء محمد بن علي بن يعقوب الواسطي وغيره ، وورد نيسابور فحضر دروس أبي القاسم القشيري في النحو ، وسمع باصبهان من الحافظ أبي نعيم أحمد بن عبد الله الاصبهاني ، وبنيسابور من أبي بكر أحمد بن منصور بن خلف . وقرره نظام الملك في مدرسته بنيسابور مقرئاً سنة ثمان وخمسين وأربعمائة فاستمر بها إلى ان توفي .

ومن تصانيفه الكامل في القراءات وغيره .

وكانت ولادته سنة ثلاث وأربعمائة ومات سنة خمس وستين وأربعمائة عن ثلاث وستين سنة .

ـ 1261 ـ

يوسف بن هارون ، أبو عمر الكندي المعروف بالرمادي القرطبي : شاعر مفلق كان معاصراً لأبي الطيب المتنبي ، فكان يقال : فتح الشعر بكندة وختم بكندة ، يعنون امرأ القيس والمتنبي والرمادي هذا ، وكان مقلاً ضيق العيش ونسب إليه بعضهم أشعاراً في دولة الخلافة أوغرت صدرَ الخليفة عليه فسجنه زماناً طويلاً ، ونظم في السجن عدة قصائد استعطف بها الخليفة فلم يعطف عليه ، وكان كلفاً بفتىً من أبناء النصارى يقال

1260 ـ ترجمة يوسف البسكري في المنتخب من السياق (الثاني) : 144 والوافي (خ) ونكت الهميان : 314 وطبقات ابن الجزري 2 : 397 وبغية الوعاة 2 : 359 .

1261 ـ ترجمة الرمادي في جذوة المقتبس : 346 (بغية الملتمس رقم : 1451) والصلة : 637 والمطرب : 4 والمطمح : 311 والمغرب 1 : 392 واليتيمة 2 : 12 ، 100 والمقتبس (الحجي) 74 ، 75 وابن خلكان 7 : 225 ومسالك الأبصار 11 : 175 ونفح الطيب 2 : 36 وفي كتابي تاريخ الأدب الأندلسي ـ عصر سيادة قرطبة : 155 ـ 169 (الطبعة الأولى) دراسة عنه ، وجمع شعره السيد ماهر زهير جرار (بيروت 1980) وانظر كتاب التشبيهات للكتاني وتتصل به حكاية طريفة في طوق الحمامة .

له نصير وله فيه أشعار حسنة . ولما دخل أبو علي القالي الأندلس لزمه الرمادي وامتدحه بقصيدة ، وروى عنه « كتاب النوادر » من تآليفه . وروى الحافظ ابن عبد البر طرفاً من شعر الرمادي وأوردها في بعض مصنفاته .

مات أبو عمر الرمادي سنة ثلاث وأربعمائة .

ومن شعره قوله لنصير النصراني الذي تقدم ذكره[1] :

أدرِ الكأس يا نصيرُ وهاتِ … إنَّ هذا النهارَ من حسناتي

بأبي غرةٌ ترى الشخصَ فيها … في صفاءٍ أصفى من المرآةِ

تبصرُ الناسَ حولها في ازدحامٍ … كازدحام الحجيج في عرفاتِ

هاتها يا نصيرُ إنا اجتمعنا … بقلوبٍ في الدين مختلفات

انما نحن في مجالسِ لهوٍ … نشربُ الراحَ ثم أنت مواتي

فإذا ما انقضت ديانةُ ذا اللهـ … ـو اعتمدنا مواضعَ الصلواتِ

لو مضى الوقتُ دون راحٍ وقصفٍ … لعددنا هذا من السيئاتِ

وله[2] :

بدرٌ بدا يحملُ شمساً بَدَتْ … وحدُّها في الحُسن من حدِّهِ

تغربُ في فيه ولكنّها … من بعدِ ذا تطلعُ في خدّهِ

ـ 1262 ـ

يونس بن حبيب ، أبو عبد الرحمن الضبي ، وقيل الليثي بالولاء : إمام نحاة

1262 ـ ترجمة يونس بن حبيب في المعارف: 541 والبيان والتبيين 1: 77 وتاريخ الطبري 2: 1465 ومراتب النحويين: 21 وأخبار النحويين البصريين: 33 وتاريخ أبي المحاسن: 120 وطبقات الزبيدي: 51 والفهرست: 47 ونزهة الألباء: 31 ونور القبس: 48 والكامل لابن الأثير 6: 165 وإنباه =

(1) شعر الرمادي : 56 ـ 57 عن المطمح والنفح والتشبيهات .

(2) شعره : 135 (وتنسب لغيره) .

البصرة في عصره ومرجع الأدباء والنحويين في المشكلات . كانت حلقته مجمعَ فصحاءِ الأعراب وأهل العلم والأدب ، سمع من العرب كما سمع مَنْ قبله ، وأخذ الأدب عن أبي عمرو بن العلاء ، وأخذ عنه سيبويه وروى عنه في كتابه ، وأخذ عنه أيضاً أبو الحسن الكسائي وأبو زكريا الفراء وأبو عبيدة معمر بن المثنى وخلف الأحمر وأبو زيد الأنصاري وغيرهم من الأئمة . وكان له في العربية مذاهب وأقيسة يتفرد بها .

قال أبو عبيدة : اختلفت إلى يونس أربعين سنة أملأ كلَّ يوم ألواحي من حفظه .

وقال أبو زيد الانصاري : جلست إلى يونس بن حبيب عشر سنين وجلس إليه قبلي خلف الأحمر عشرين سنة .

وكان يونس عالماً بالشعر نافذ البصر في تمييز جيده من رديئه ، عارفاً بطبقات شعراء العرب ، حافظاً لأشعارهم ، يرجع إليه في ذلك كله .

حدث محمد بن سلام قال : سألت يونس النحوي عن أشعر الناس فقال : لا أومىء إلى رجل بعينه ولكني أقول امرؤ القيس إذا غضب ، والنابغة إذا رهب ، وزهير إذا رغب ، والأعشى إذا طرب .

وكان يونس يفضل الأخطل على جرير والفرزدق وقد انفرد بذلك . قال أبو عبيدة ، سئل يونس النحوي عن جرير والفرزدق والأخطل أيهم أشعر فقال : أجمعت العلماء على الأخطل ، قال أبو عبيدة : فقلت لرجل إلى جنبه ، سله ومن هؤلاء العلماء ؟ فسأله فقال : من شئت ، ابن أبي اسحاق وأبو عمرو بن العلاء وعيسى بن عمر الثقفي وعنبسة الفيل وميمون الأقرن هؤلاء طرَّقوا الكلامَ وماثوه لا كمن تحكونَ عنه لا بدويين ولا نحويين ، فقلت للرجل : سله فبأيّ شيء فُضِّلَ عليهم ؟ قال : بأنه كان أكثرهم عدد قصائد طوال جياد ليس فيها فحشٌ ولا سقط .

ومن نقد يونس للشعر ما حكاه الأصمعي قال : جاء مروان بن أبي حفصة الشاعر إلى حلقة يونس فسلم ثم قال : أيكم يونس ؟ فأومأنا إليه ، فقال له : أصلحك الله ،

= الرواة 4 : 68 وابن خلكان 7 : 244 وسير الذهبي 8 : 171 ومرآة الجنان 1 : 388 والبداية والنهاية 10 : 184 والنجوم الزاهرة 2 : 113 وتهذيب التهذيب 5 : 346 وبغية الوعاة : 426 والشذرات 1 : 301 واشارة التعيين : 396 .

إني أرى قوماً يقولون الشعر لأن يكشف أحدهم سوءته ثم يمشي كذلك في الطريق أحسنُ له من أن يظهر مثل ذلك الشعر ، وقد قلت شعراً أعرضه عليك ، فإن كان جيداً أظهرته ، وإن كان رديئاً سترته ، فأنشده قوله :

طــرقتـك زائــرةٌ فحيِّ خيــالَهَــا

فقال له يونس : يا هذا اذهب فأظهرْ هذا الشعر فأنت واللّه فيه أشعر من الأعشى في قوله :

رحلتْ سُمَيّــةُ غــدوةً أجمــالهــا

فقــال له مـروان : سررتني وسؤتني ، سـررتني بارتضـائك شعـري ، وساءني تقديمك إياي على الأعشى وأنت تعرف محلَّه ، فقال له يونس : إنما قدمتك عليه في تلك القصيدة لا في شعره كله لأنه قال فيها :

فـأصـاب حبــةَ قلبهـا وطحــالهـا

والطحالُ لا يدخل في شيء إلا أفسده ، وقصيدتك سليمة من هذا وشبهه .

وليونس أخبار كثيرة يطول ذكرها . ومن تصانيفه : كتاب معاني القرآن الكبير. معاني القرآن الصغير . كتاب اللغات . كتاب النوادر . كتاب الأمثال.

وكان مولده سنة ثمانين ومات سنة اثنتين وثمانين ومائة عن مائة سنة وسنتين .

ـ 1263 ـ

يـونس بن سالم بن يـونس الخياط القـرشي وقيل الهـذلي بـالـولاء : من مخضرمي الدولتين الأموية والعباسية كان شاعراً مجيداً ظريفاً ماجناً خبيث الهجاء، وكان منقطعاً إلى آل الزبير بن العوام ، وقدم على المهدي مع عبد الله بن مصعب بن الزبير فأوصله إليه وتوسل له إلى أن سمع المهدي شعره ووصله . وكان يونس عاقّاً لأبيه وكان

1263 ـ الأغاني 19 : 273 (عبد اللّه بن محمد بن سالم وقيل يونس بن سالم، وهذه الترجمة حقها أن تكون في معجم الشعراء) .

أبوه شاعراً فقال فيه(1) :

يــونسُ قلبي عليــكَ يلتـهفُ والعينُ عَبْـرَى دمـوعهـا تَكِفُ
تلحفني كسـوةَ العقـوقِ فــلا برحتَ منهاً ما عشتَ تلتحف
أُمِرتَ بالخفضِ للجناح وبالـ ـرفقِ فـأمسى يعـوقـك الأَنَفُ
وتـلك والـله مــن زبــانيــةٍ إذا سـطوا في عذابهم عَنُفُـوا

فأجابه يونس(2) :

أصبح شيخي يُزْري به الخَرَفُ مـا إنْ لـه فـطنـةٌ ولا نَصَفُ
صفـاتنـا في العقـوقِ واحـدةٌ ما خُلْقنا في العقوق يختلف(3)
ألحفتَـهُ سـالمــاً أبـاك وقــد أصبحت مني بــذاك تلتحف

وأنشد يوماً بحضرة أبيه وكان عنده أصحابه ليغيظه(4) :

يـا سـائلي مَنْ أنــا أوْ من يناسبني أنـا الـذي مـا لـه أصــلٌ ولا نَسَبُ
الكلبُ يختـالُ فخراً حين يبصـرني فــالكلبُ أكــرمُ مني حين ينـتـسب
لـو قال لي النـاسُ طـرّاً أنت ألأمنـا لم يشطط الناسُ في هذا ولا كذبوا

ـ 1264 ـ

يـونس بن [أحمد بن] ابـراهيم الـوفـراونـدي(5) : ذكـره ابن النـديم في الفهرست ، صنف : الشافي في علوم القرآن . الوافي في العروض والقوافي .

1264 ـ الفهرست : 94 وإنباه الرواة 4 : 67 (يونس بن أحمد بن إبراهيم) وبغية الوعاة 2 : 365 .

(1) الأغاني : 274 .
(2) المصدر نفسه .
(3) الأغاني : ما خلتنا . . . نختلف .
(4) الأغاني : 284 .
(5) الانباه : الوافراوندي .

ملحق

ـ 435 ب ـ ترجمة ثانية

حمزة بن حبيب الزيات المقرىء : قيل هو من ولد اكثم بن صيفي ، وقيل هو مولى لبني عجل ، وقيل مولى لآل عكرمة .

قال شعيب بن حرب : كنت ألوم من يقرأ بقراءة حمزة حتى دخلت الكوفة فرأيت سفيان الثوري وشريك بن عبد الله قاعدين قدام حمزة يقرآن عليه ، فاتفقت معهم وقرأت عليه .

وقرأ الكسائي على حمزة القرآن أربع مرات .

حدث عمر بن بطة العطار قال : مضيت أنا وأحمد بن رافع إلى أحمد بن حنبل رضي الله عنه ونحن أحداث ، فدخلنا عليه فقال : ما حاجتكم ؟ قلنا : نحن نقرأ قراءة حمزة ، وبلغنا أنك تكره قراءته ، فقال أحمد : رحم الله حمزة ، قد كان من العلم بموضع ، ولكن لو قرأتم بحرف عاصم ونافع ، فدعونا له وخرجنا وخرج معنا الفضل بن زياد فقال : إني لأصلي به واقرأ بقراءة حمزة الزيات .

وقال ابن عياش : قراءة حمزة بدعة .

قيل : كان حمزة لا يأخذ من أحد شيئاً مخافة أن يكون قرأ عليه وهو لا يعرفه ، وكان من الورع على حال ما يكون فوقها شيء .

كان ابن إدريس يقول : لا أماتني الله حتى أفقد من الكوفة ثلاثة أشياء : إباحة

---

435 ـ هذه الترجمة من المختصر (ر) ويبدو أن الترجمة الثابتة في م قد وجّهت وجهة إيجابية ، وحذف منها كل ما يوجه إلى قراءة حمزة من نقد ، ولخص ذلك تلخيصاً . وهذه الترجمة أقرب إلى طريقة ياقوت في النقل . ولم يكن التوفيق بين النصّين ممكناً ، ولذلك أثبت هذه الترجمة هنا .

المسكر ، وقراءة حمزة ، وفقه أبي حنيفة .

وكان ابن حمزة مهدي [يقول] : لو صليت خلف من يقرأ بقراءة حمزة لأعدت الصلاة .

وقال أبو حاتم : سألت عن حمزة أبا زيد والأصمعي ويعقوب الحضرمي وغيرهم من العلماء ، فأجمعوا على أنه لم يكن شيئاً ، ولم يكن يعرف كلام العرب ولا النحو ، ولا كان يدعي ذلك ، وكان يلحن في القرآن ولا يعقله ، يقول : وما أنتم بمصرخيٍّ (بكسر الياء الشديدة) وليس ذلك من كلام العرب .

وكثير من القراء يفضلون حمزة ، وكان الأعمش يثني عليه ؛ قيل إن الجن كانت تقرأ على حمزة ، وذكروا في ذلك حكايات أقربها أنه قال : كنت بحلوان فبينا أنا ذات ليلة أقرأ إذ سمعت هاتفاً يقول : ناشدتك الله يا أبا عمارة إلا أنصت إليّ حتى أقرأ عليك ، فقرأ علي سورة النجم ، فوالله ما عدلت قراءته قراءتي ، فلما فرغ قلت : من أنت يرحمك الله ؟ فقال : أنا وردان ، رجل من الجن ، كنت آتيك بالكوفة فأجلس عن يمينك فأتعلم .

ـ 559 ب ـ

سلمة بن عاصم أبو محمد صاحب الفراء : أخذ عن ثعلب ، وكان ثقة عالماً حافظاً . وسلمة هذا هو والد المفضل بن سلمة النحوي .

وقيل : رؤي سلمة بن عاصم النحوي ومعه شعر العباس بن الأحنف فعجب منه وقيل له : مثلك ـ أعزك الله ـ يحمل هذا ؟! فقال : ألا أحمل شعر من يقول :

أسـأت إذ أحسنـت ظنـي بكـم   والحـزم سـوءُ الـظنِّ بـالنـاسِ
يـقـلقـنـي شـوقـي فـآتـيـكـمُ   والـقـلبُ مـمـلوءٌ مـن الـيـأسِ

وقال الكسائي : كان في أبي محمد سلمة دعابة : سألته يوماً عن شيء ، فقال لي : على السقيطِ خَبَرْتَ ، يريد على الخبير سقطت . له من الكتب : كتاب معاني القرآن . كتاب غريب الحديث . كتاب الملوك في النحو .

---

559 ب ـ هذه الترجمة من المختصر .

ـ 593 ب ـ

صاعد بن أحمد بن عبد الرحمن بن محمد بن صاعد يعرف بالجياني، قاضي طليطلة، يكنى أبا القاسم: أصله من قرطبة، استقضاه المأمون يحيى بن ذي النون، وكان متحرياً في أموره. مات سنة اثنتين وستين وأربعمائة؛ وله من المصنفات: كتاب طبقات الأمم. كتاب مقالات أهل الملل والنحل. كتاب اصلاح حركات النجوم. كتاب جوامع آحاد الأمم من العرب والعجم.

ـ 671 د ـ

عبد الجبَّار بن أحمد بن الحسين بن محمد بن اليَمَان الدِّيناري، أبو يَعْلى من أهل البيوت المذكورة وذَوي الأنساب. كان والده يزوِّر على خَطِّ أبي علي ابن مُقْلة تزويراً لا يكاد يُفْطَنُ له. وكان أبو يعلى فيه فضائل جمَّة من دَرْس القرآن والفقه، ورواية الأخبار وحِفْظ دواوين الأشعار، ومعرِفَة تامة بالنحو واللغة وإنشاء الرسائل، وكان عارفاً بأمور المياه والضِّياع، وله بَصيرة جيِّدة بأحوال المَصالِح. ويَميل إلى مذهب أبي حنيفة، ويدّعي الفروسية ويتعاطاها، ووقائع العرب عدَّة وقعات.

وأورد له ياقوت في «معجم الأدباء» قوله في الشمعة:

فالليلُ صبْحٌ كلَّما استُوقِدَت		والمنزلُ المُوحِشُ كالآهلِ
تُشْبه مني كلَّما حلَّ بي		عند صدود الرشإ الخاذلِ
/ صفرةُ لونٍ إن تأمَّلتها		مثلُ بوادي لَوْنيَ الحائلِ

---

593 ب ـ هذه الترجمة كتبت على الهامش في المختصر، بخط المتن، وكتب قبلها أول الحرف (أي الصاد) وانظر ترجمة صاعد في بغية الملتمس رقم: 852 والصلة: 222 ونفح الطيب 3: 182 (في تذييل ابن سعيد على رسالة ابن حزم في فضل الأندلس). وقد شهر بكتابه «طبقات الأمم» فرواه السلفي عن ابن مرزوق اليحصبي (النفح 2: 649) عن ابن برال عن صاعد نفسه. ولهذا الكتاب طبعتان طبعة لويس شيخو، بيروت 1912 (وعنه طبعة مصرية غير محققة) وطبعة حديثة بتحقيق السيدة حياة بوعلوان، بيروت1985، ولكنها غير مفهرسة.

671 د ـ كان ياقوت قد وعد بأنه سيترجم للديناري عندما ترجم لوالده (رقم: 75) ولكنها سقطت من معجم الأدباء، وزدتها هنا كما جاءت في الوافي 18: 34 وهو يصرح بنقله عن ياقوت.

وأدْمعي تجري ولا ينْثني كدَمْعِها المنْسَبل الهامِلِ
وزَفْرَتي تَرْقا كما ترتقي زفْرتها شوقاً إلى قاتلي
والجسم مني مُحْرَقٌ ذابلٌ كقلبِها المحْترقِ الذابلِ
والنارُ من قلبي ومن قلبها تُذيب جسمَيْنا ولا تاتلي

ـ 671 و ـ

عبد الحميد بن عبد المجيد ، الأخفش الأكبر أبو الخطاب ، مولى قيس بن ثعلبة : إمام في العربية ، لقي الأعراب وأخذ عنهم وعن أبي عمرو بن العلاء وطبقته ، وأخذ عنه أبو عبيدة وسيبويه والكسائي ويونس ، وكان ديناً ورعاً ثقة .

قال المرزباني : هو أول من فسر الشعر تحت كل بيت ، وما كان الناس يعرفون ذلك قبله ، وإنما كانوا إذا فرغوا من القصيدة فسروها . وله ألفاظ لغوية انفرد ينقلها عن العرب .

ـ 672 ب ـ

عبد السلام بن محمد الجبائي أبو هاشم : قدم مدينة السلام سنة أربع عشرة وثلاثمائة . وكان ذكياً حسن الفهم ثاقب الفطنة ، صانعاً للكلام مقتدراً عليه قيّماً به ؛ وتوفي سنة احدى وعشرين وثلاثمائة .

---

671 و ـ هذه الترجمة عن الوافي 16 : 80 بايجاز وان لم يصرح بالنقل عن ياقوت والجملة الأخيرة من إنباه الرواة. وله ترجمة في مراتب النحويين: 46 وطبقات الزبيدي: 35 ونزهة الألباء: 43 ـ 44 وإنباه الرواة 2 : 157 ونور القبس: 47 وابن خلكان 2 : 380 ، 3 : 301 وسير الذهبي 7 : 323 والبلغة: 119 والنجوم الزاهرة 2 : 86 وبغية الوعاة 2 : 74 ؛ ولا بد أن ترجمته في ياقوت سقطت ، وقد رأيت باثبات هذا الموجز ألا أترك موضعه خالياً .

572 ب ـ هذه الترجمة من الفهرست: 222 وانظر في ترجمة أبي هاشم : تاريخ بغداد 11 : 55 والأنساب (الجبائي) والمنتظم 6 : 261 وابن خلكان 3 : 183 وعبر الذهبي 2 : 187 وسير الذهبي 15 : 63 والبداية والنهاية 11 : 176 وطبقات المعتزلة: 94 والشذرات 2 : 289 .

وله من الكتب : كتاب الجامع الكبير . كتاب الأبواب الكبير . كتاب الأبواب الصغير . كتاب الجامع الصغير . كتاب الإنسان . كتاب العرض . كتاب المسائل العسكريات . كتاب النقض على ارسطاليس في الكون والفساد . كتاب الطبائع والنقض على القائلين بها . كتاب الاجتهاد .

ـ 677 ب ـ

عبد الملك بن قطن المهري القيرواني ، أبو الوليد : شيخ أهل اللغة والعربية هناك ، وراوي القوم وعميدهم ورئيسهم والمقدم في بلده وزمانه ؛ عمر عمراً طويلاً وتوفي يوم الجمعة لعشر خلون من شهر رمضان سنة ست وخمسين ومائتين .

كان من أحفظ الناس لأنساب العرب وأشعارهم ووقائعهم وأيامهم ، وكانت الأشعار المشروحة تقرأ عليه مجردة من الشرح ، فيشرحها ويفسر معانيها ، فلما دخلت الكتب المشروحة إلى افريقية نظر طلبة العلم من العربية والنحو فيها وفيما كانوا رووا عنه فيها فلم يجدوا في شرحه خلافاً لما قال أصحاب الشرح ، ولا وجدوا عليه في روايته وتفسيره شيئاً من الخطأ .

وكان لقي جماعة من العلماء بالعربية منهم ابن الطرماح الأعرابي وأبو المنيع الأعرابي . وله كتب كثيرة ألفها ، من ذلك كتاب في تفسير مغازي الواقدي ، وكتاب يسمى الألفاظ ، وكتاب في اشتقاق الأسماء مما لم يأت به قطرب .

وكان شاعراً خطيباً بليغاً ، وكان من عقلاء العلماء ، وقام بخطبةٍ بين يدي زيادة الله بن محمد بن الأغلب ، وهو أمير افريقية يومئذ ، طويلة فصيحة ذهب فيها إلى تقريظه ووصلها بشعر فيه . وكتب إليه رجل كتاباً وأطاله ولم يأت بطائل فكتب إليه خير من الاطالة السكوت وفي القصد إلى الحاجة قطع لمسافة الاطالة .

وكان نهماً لا يقصد في مطاعمه فلا يمسك درهماً ولا ديناراً على كثرة ما يوصل

---

677 ب ـ ذكر ياقوت في ترجمة أخيه (رقم: 24) أن عبد الملك سيذكر في بابه . وهذه الترجمة مزيدة من إنباه الرواة 2 : 209 (مع ايجاز) وله ترجمة في طبقات الزبيدي : 229 وإشارة التعيين: 195 وبغية الوعاة 1 : 423 .

ويجبي ، واستمر على حاله هذه حتى مات . قال الداروني : مشيت يوماً مع أبي الوليد المهري إلى أن مررنا بالجزارين ، فقام إليه رجل منهم فقال : يا أبا الوليد ، أضررت بي لأن بضاعتي كلها عندك ولا بد من قبض مالي قبلك ، فاعتذر إليه وسأل الصبر فأبى ، فمرَّ بنا رجل فقال : كم لك على الشيخ ؟ فقال :عشرة دنانير ، فقال : هي عليّ ، مرَّ حتى أدفعها إليك . فمضى معه ، فظننت أنه من إخوان المهري وظن المهري أنه من أجلي فعل به ذلك ، فلما صرنا إلى داره قال : الرجل الذي أدى عني الدنانير من هو ؟ قلت : ما أعرفه ، وما كنت أظن إلا أنك عارف به ، قال : فسل عنه ، فسألت فإذا هو رومي من أهل العطارين ، وكان الناس من تعظيم العلم والأدب على خلاف ما هم عليه اليوم .

وقال حمدون النحوي الملقب بالنعجة : كنا عند المهري يوماً فقال : اخرجوا بنا إلى ماجل مهرية نتفرج ، وكانت داره بالقرب من سوق الأحد ، فخرجنا فجلسنا حوله إلى أن مرَّ بنا نحو عشرين بغلاً أو أكثر ، ومعها رجل راكب ؛ فلما رأى المهريَّ عدل إليه ونزل ثم قال : يقرأ مولاي عليك السلام ، وقد وجه بهذه الدواب ، وهي محملة طعاماً وعسلاً وخلاً وزيتاً ، وبهذه العشرين ديناراً ، فقبضها منه تكرهاً ثم دمع وقال : ذهب الناس ، إنا لله وإنا إليه راجعون ، أبو علي ابن حميد يوجّه إليّ بهذا ؟! قال حمدون : فقلت له احمد الله واشكره فأن هذا كثير . قال : فنظر إليَّ وهو مغضب ثم قال : هو كثير لك ولأمثالك ، فأما لي فلا .

محتويات الجزء السادس

الموضوع | الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع الصفحة

الموضوع الصفحة

الموضـوع | الصفحـة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع | الصفحة

الموضـوع | الصفحـة

[تراجم حرف النون]

[تراجم حرف الهاء]

الموضوع | الصفحة

[تراجم حرف الواو]

الموضوع	الصفحة

الموضوع الصفحة

الموضوع **الصفحة**

ملحق

دراسة في ياقوت

وكتابه

معجم الأدباء

ويليها الفهارس التفصيلية

الفهارس العامة

صفحة

مصادر ترجمة ياقوت ومراجعها

1 ـ مصادر ترجمة ياقوت الحموي :

1 ـ أبو البركات بن أحمد المستوفي الأربلي (ـ 1239/637) : تاريخ إربل ، الترجمة رقم: 223 ، ص: 319 ـ 324 ، تحقيق د. سامي الصقار ، بغداد 1980.

2 ـ ابن النجار محب الدين محمد بن محمود البغدادي (ـ 1245/643) ، ذيل تاريخ بغداد (المستفاد منه ، استخرجه أحمد بن أيبك بن الدمياطي) ص: 253 ـ 254 تحقيق قيصر أبو فرج ، حيدرآباد الدكن ، 1988 وصورة عنه.

3 ـ جمال الدين علي بن يوسف القفطي ، القاضي الأكرم (ـ 1248/646) إنباه الرواة على أنباه النحاة ، ج 4: 74 ـ 92 تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، مطبعة دار الكتب المصرية ، القاهرة 1973.

4 ـ ابن الشعار الموصلي ، المبارك بن أحمد (ـ 1256/654) قلائد الجمان 9: 339 ـ 349 ، منشورات معهد تاريخ العلوم العربية والإسلامية (عن مخطوطة أسعد أفندي رقم: 2329) فرنكفورت ـ المانيا 1990 .

5 ـ عبد العظيم المنذري (ـ 1258/656) التكملة لوفيات النقلة 3: 249 (رقم: 2256) تحقيق د. بشار عواد معروف ، بيروت 1981 .

6 ـ ابن خلكان (ـ 1282/681) وفيات الأعيان 6: 127 ـ 139 تحقيق د. إحسان عباس ، بيروت 1972.

7 ـ شمس الدين الذهبي (1374/748) : تاريخ الإسلام (الطبقة الثالثة والستون

621 ـ 630) الترجمة رقم: 380 ص: 244 ـ 248 تحقيق د. بشار عواد معروف ورفيقيه، بيروت 1988.
8 ـ شمس الدين الذهبي: سير أعلام النبلاء 22: 132 ـ 313 تحقيق د. بشار عواد معروف، د. محيي هلال سرحان، بيروت 1985.
9 ـ شمس الدين الذهبي: العبر في خبر من غبر 5: 106 ـ 107 تحقيق د. صلاح الدين المنجد، الكويت 1966.
10 ـ اليافعي، عبد الله بن أسعد (1367/768) مرآة الجنان 4: 59 ـ 63، مؤسسة الأعلمي، بيروت 1970.
11 ـ ابن العماد الحنبلي أبو الفلاح (1678/1089) شذرات الذهب 5: 121 ـ 122، نشر القدسي، القاهرة 1351.

2 ـ المراجع العربية والمعربة:

12 ـ د. صلاح الدين المنجد، أعلام التاريخ والجغرافيا عند العرب، بيروت 1959.
13 ـ أغناطيوس كراتشكوفسكي: تاريخ الأدب الجغرافي العربي، ترجمة صلاح الدين عثمان هاشم، القسم الأول، الفصل الثاني عشر، ص: 335 ـ 344، القاهرة 1963 والطبعة الثانية (بيروت 1987) ص: 359 ـ 371 دار الغرب الإسلامي.
14 ـ د. عباس فاضل السعدي: ياقوت الحموي، دراسة في التراث الجغرافي العربي مع التركيز على العراق في معجم البلدان، بيروت 1992.
15 ـ أبو الفتوح محمد التوانسي: ياقوت الحموي الجغرافي الرحالة الأديب (أعلام العرب رقم: 93) الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر، القاهرة 1971.
16 ـ جرجي زيدان: تاريخ أدب اللغة العربية (القاهرة 1931) 3: 88 ـ 90.
17 ـ سركيس: معجم المطبوعات، القاهرة 1930.
18 ـ د. بشار عواد معروف: الغزو المغولي كما صوّره ياقوت الحموي، مجلة الأقلام، بغداد ج: 12 السنة الأولى ص: 48 ـ 65.

3 ـ المراجع بغير العربية :

19 ـ 'Brock. G.I 479- 481; SI, 880.

20 ـ Wustenfeld, ZDMG (1864) 397 - 493.

21 ـ Blachere, R. Yakut al- Rumi in EI, VIII, 1153- 54.

22 ـ Jwaideh, Wadie, the Introductory chapters of Yaqut's Mu'jam al- Buldan, Leiden 1959.

1 ـ ترجمة ياقوت :

إن الخمسة الأوائل في قائمة المصادر المذكورة آنفاً ، قد شاهدوا ياقوتاً وعرفوه ، على تفاوت بينهم في تلك المعرفة ، وكان ابن النجار من بينهم صديقاً له ، ولهذا يمكن أن نفترض أن الترجمة التي وردت في المستفاد موجزة ، لا تمثل تماماً تلك الصداقة ، وبخاصة إذا وضعت إزاء ترجمة ياقوت له[1] . وقد انفرد القفطي بايراد رسالة ياقوت إليه بعد هربه من التتار ، وعنه نقلها ابن خلكان ثم نقل أكثرها اليافعي في مرآة الجنان واقتبس الذهبي عبارات منها في سير أعلام النبلاء وتاريخ الإسلام ، ولم يدرك ابن خلكان ياقوتاً في الحياة ، إذ أنه ورد حلب بعد شهرين ونيف من وفاته ، وقد وجد الناس في تلك المدينة يثنون عليه ويذكرون فضله وأدبه ، وتلك حقيقة يمكن أن تقارن بما يقوله القفطي فيه ، وتعدل من بعض أحكامه ، وقد اعتمد ابن خلكان في ترجمته على القفطي وتاريخ اربل وابن الشعار ولكنه لا يشير بشيء إلى ابن النجار .

ومع أن المشاهدة قد خلّفت لدى كل من عرفه جملة من الانطباعات ، فيبدو أن الرواية التي اشتهرت عن أولية ياقوت إنما وضعها ياقوت نفسه، إذ لم يكتف بالحديث عنها إلى معارفه من بعد ، بل أثبتها في كتابه معجم الأدباء[2] ، ولكن هذه الترجمة الذاتية لم تصلنا بل ضاعت مع ما ضاع من ذلك الكتاب ، وهو كثير ، إذ يقول ياقوت

---

(1) ترجمته في معجم الأدباء 2644 (رقم: 1114) «صاحبنا الإمام . . . الحافظ المؤرخ الأديب العلامة ، أحد أفراد العصر الاعلام . . . » إلخ .

(2) يقول ابن الشعار (قلائد الجمان 9 : 339) « أخبر عن نفسه بما ذكره في كتابه معجم الأدباء ما هذا معناه ولفظه أنه حمل إلى مدينة السلام طفلاً . . . » إلخ .

إنه طفل رومي الجنس أسر صغيراً ، وبيع في بغداد ، وأُطلقَ عليه من اشتراه (أو من باعه) اسم «ياقوت» أي اختار له اسماً جميل الوقع على عادة العرب في اختيار أسماء محببة يدعون بها الأرقاء . ولما كان بمنزلة اليتيم الذي لا يعرف اسم أبيه ، جُعِلَ «عبد اللَّه» اسماً لأبيه (أي أن أباه كان واحداً من عبيد اللَّه) وذلك هو أكثر حال الأرقاء الذين كانوا يباعون صغاراً مثل ياقوت بن عبد اللَّه الموصلي معاصر ياقوت الحموي[1] ، وياقوت بن عبد اللَّه الذي يميز بلقبه وكنيته «مهذب الدين أبو الدر»[2] ، وغيرهما كثيرون[3].

وقد كنت أظن أن هذه أمور لا تتطلب شرحاً حتى وجدت من يقول : « وقد يرجح أن أباه (عبد اللَّه الرومي) قد أسره الروم وعاش زماناً في بلدهم ، حتى ولد له ياقوت في أرض الروم ، ثم أسره العرب وهو طفل فعاد إلى وطن أبيه »[4].

وكان عمر الطفل حين حمل إلى بغداد خمس سنين أو ست[5] ، وكان الذي اشتراه ببغداد تاجراً حموياً يدعى عسكر بن أبي نصر بن إبراهيم[6] ، وقد اكتسب ياقوت نسبة «الحموي» لأن سيده كان حموياً ، وحين كبر لُقِّبَ «شهاب الدين» وتكنّى «أبا عبداللَّه» وفي مرحلة متأخرة سمّى نفسه «يعقوب» بدل «ياقوت» ، إلا أنَّ اسم «ياقوت» ظلّ أغلب عليه[7].

ولولا أن ياقوتاً رسخ في أذهان بعض معاصريه أنه من مواليد عام 574 أو 575 لكان تعيين عام مولد طفل ـ في مثل وضعه ـ أمراً منوطاً بالتخمين المطلق ، ولكن

---

(1) معجم الأدباء (رقم : 1220) وابن خلكان 6 : 119 .

(2) معجم الأدباء (رقم : 1219) وابن خلكان 6 : 122 وسير الذهبي 22 : 308 .

(3) قارن كراتشكوفسكي : 363 (بيروت) .

(4) أبو الفتوح محمد التوانسي : ياقوت الحموي : 60 ثم عاد المؤلف عن هذه الفرضية المضحكة إلى ما هو أقرب إلى المعقول ص : 62 .

(5) قلائد الجمان 9 : 339 .

(6) المصدر السابق ، وحاشية إنباه الرواة 4 : 72 ، وهي حاشية في أصل النسخة ، وفي ابن خلكان « بن أبي نصر إبراهيم » بسقوط لفظة «ابن» قبل إبراهيم .

(7) مما يلفت النظر أن شيخه أبا اليمن الكندي كان عنده غلامان ، أحدهما اسمه ياقوت فغيره إلى يعقوب (معجم الأدباء : 1333) .

المنذري سمعه يذكر هذين العامين في ترجيح سنة مولده[1] . ومن الطبيعي ما دامت نسبة الرومي قد لصقت به أن يقول إنه ولد ببلاد الروم ، ولكن أي روم وأي بلد ، فذلك ما لا يعرفه ياقوت نفسه.

ويقف في وجه هذا التاريخ التقديري (لميلاده) ـ ولو على شكل مؤقت ـ ثلاثة أمور :

الأول : قول على لسان ياقوت نفسه مفاده أنه لقي الخضر بن ثروان التومائي الضرير بمرو وسرخس ونيسابور في سنة أربع وأربعين وخمسمائة وجاء هذا التاريخ في معجم الأدباء ومعجم البلدان على السواء[2] ، وهذا قبل مولد ياقوت بثلاثين عاماً ، إذا اعتمدنا التاريخ الذي ذكره.

الثاني : قوله في ترجمة التومائي نفسه « وبلغتنا وفاته ببخارى سنة ثمانين وخمسمائة » ، وهذا يعني أن التومائي توفي وعمر ياقوت خمس سنوات أو أكثر قليلاً ، وأن ياقوتاً كان قادراً على التجوال وأن تجواله حمله إلى بخارى ، وعلى هذا لا بدّ أن نقدر وجود خطأ في التاريخين ، وبعد البحث تبين لي أن هذا القول الذي جرت نسبته إلى ياقوت إنما ينقله ياقوت عن أبي سعد السمعاني[3] ، وقد سقط صدر الاقتباس : «قال أبو سعد» ومن الغريب أن يسقط في المعجمين كليهما.

الثالث : أنه لقي المجفجف الشاعر بحلب سنة 580 ، وهذا أيضاً من قبيل الخطأ السابق ، فإنه لم يكن في عمر يسمح له بذلك ، ولم يعرف حلب إلا سنة 607 وما بعدها ، ولكني لم أستطع أن أعرف الناقل الأصلي لهذا الخبر.

إذن تظلّ إحدى السنتين اللتين ذكرهما ياقوت هي الأقرب إلى الواقع في تحديد مولده ، وممّا يؤيد هذا الذي قدّره ياقوت أن أبا طالب الكرخي توفي سنة 585 ، ويذكر ياقوت أنه أدرك زمانه ولكنه لم يره لصغر السن يومئذ ، ولأنه كان في ذلك الزمان يشتغل بغير العلم[4].

---

(1) التكملة لوفيات النقلة 3 : 250.

(2) معجم الأدباء : 1250 (رقم : 457) ومعجم البلدان (توماثا).

(3) الأنساب 3 : 109.

(4) معجم الأدباء : 2261 (رقم : 931) وهذا يعني أنه في العاشرة أو الحادية عشرة كان قد أخذ يساعد مولاه في التجارة.

وبعد سنة أو أكثر قليلاً من عام شرائه أدخله سيده إلى الكتّاب في بغداد ، وكان عسكر أميّاً لا يحسن الخط ولذلك كان بحاجة إلى من يعينه في تجارته بالمكاتبات ، وربما في الشؤون الحسابية أيضاً ، ورجا أن يكون ياقوت هو من يحقق له هذا العون . ويبدو أن دَخْلَ عسكر من التجارة كان كبيراً ، وعن هذا الطريق أصبح ثرياً ، وأوصله ثراؤه إلى أن تزوج بنت أحد الرؤساء ببغداد ، ورزق منها بنين ، كبروا وتابعوا حرفة أبيهم حيث نشأوا .

وأقبل ياقوت في الكتّاب على التعلم ، وشغف بالكتب شغفاً لازمه طوال حياته ، حتى أنه منذ سن السابعة في المكتب ما خلت يده من كتاب يستفيد منه أو يطالعه أو يكتب شيئاً منه أو ينسخه[1] ، ولكن بدلاً من أن يستخدمه سيده في متجره كاتباً أو حاسباً حوَّله إلى تاجر متجول يسافر في ما لدى عسكر من بضائع براً وبحراً ، فكانت غايته في البحر أن يصل إلى جزيرة كيش (قيس) في بحر عمان ، وغايته في البر أن ينقل السلع الموكولة إليه إلى الشام ومصر . ويقول ابن الشعار : إنه دخل جزيرة كيش أربع مرات ، وأنه دخل مصر عدة مرات ، وأما دمشق فإنه تردد إليها مرات لا تكاد تحصى[2] ، وبعض ذلك تمَّ وهو ما يزال في حكم مولاه ، فيأتمر بأمره وينفذ توجيهاته ، ولكن ياقوتاً نفسه يذكر أنه دخل كيش ثماني مرات . كان يركب السفينة إليها من البصرة ، وكان في كل مرة يشهد المدّ والجزر هنالك[3] .

ولما كانت معرفته بجزيرة كيش معرفة مشاهدة متكررة فإنه يذكر أنها مدينة مليحة المنظر ذات بساتين وعمارات جيدة ، وفيها مسكن صاحب عمان ، وهو يملك أسطولاً تجارياً ضخماً ، وكانت الجزيرة ملتقى التجار ، وفيها عرف ياقوت جماعة من أهل الأدب والفضل[4] ، وقد ذكر للقفطي في ما بعد أنه شاهد عند بعض أهلها كتاباً جامعاً يشتمل على ما اتفق لفظه واختلف معناه ، وأنه وجده أجمع ما صُنِّفَ في هذا الصنف من المؤلفات ، وسأل الرجل الذي كان الكتاب في حوزته عن مؤلفه ، فلم يذكر

(1) قلائد الجمان 9 : 339 .

(2) قلائد الجمان 9 : 340 .

(3) معجم البلدان 1 : 651 (البصرة) .

(4) معجم البلدان 4 : 215 ـ 216 (قيس) .

اسمه ، ولهذا ترجم القفطي لمؤلف الكتاب باسم «الكيشي» اعتماداً على ما ذكره ياقوت [1].

وأول مرة يظهر فيها ياقوت وهو ما يزال يتجر لعسكر الحموي ، العام 594 ، أي كان عمره عشرين سنة أو أزيد قليلاً ، ولكن لا بد أن نفترض أنه كان ناشطاً في الرحلات التجارية قبل ذلك بسنوات ، أي بعد أن قضى فترة وهو يزاول التجارة المحلية مساعداً لعسكر . في ذلك العام ورد آمد ، ولا ريب في أن أهدافه الأولى من ورودها كانت تجارية ، ولكنه لما خالط بعض أهلها ووجدهم يلهجون بذكر علي بن الحسن بن عنتر المعروف بشميم الحلي ، تاق إلى لقاء ذلك اللغوي الشاعر ، فقصده إلى حيث يسكن في إحدى حجر مسجد الخضر ، وكان الحلي حينئذ شيخاً كبيراً قضيف الجسم وبين يديه «جامدان» مملوء كتباً من تصانيفه دون سواها ؛ وبعد التسليم دار بينهما حوار يستحق أن ينقل على حاله[2] (مع تعديل يسير) :

ش (= شميم) : من أين أنت ؟ .

ي (= ياقوت) : من بغداد ، وقد جئت لأقتبس من علوم المولى شيئاً .

ش : أي علم تحب ؟ .

ي : أحبُّ علوم الأدب .

ش : إن تصانيفي في الأدب كثيرة ، وكلها من نتائج أفكاري ، وكنت كلما رأيت الناس مجمعين على استحسان كتاب في الأدب أنشأت من جنسه ما يُخْمِلُ التصنيف السابق . أبو تمام أنشأ حماسة ، أما أنا فعملت حماسة من أشعاري . أبو نواس تميز في الخمر فعملت كتاب الخمريات من شعري . لو عاش أبو نواس لاستحيى أن يذكر شعره في الخمر لو سمع خمرياتي . الناس أعجبوا بخطب ابن نباتة لذا صنفت كتاب الخطب ، فليس للناس اليوم اشتغال إلا بخطبي . ليس أبو تمام سوى كلب . . . وأبو نواس كلب آخر . اسمع خطبة كتابي في الخمريات (. . .) واسمع أيضاً بعض أشعاري في الخمر (ينشده) .

ي : هذا شعر حسن .

---

(1) إنباه الرواة 3 : 40 .

(2) معجم الأدباء : 1689 (رقم : 742) .

ش : ويلك ! ما عندك غير الاستحسان .

ي : ماذا أصنع ـ إذن ـ يا مولانا ؟ .

ش : تصنع هكذا (يرقص ويصفق إلى أن يتعب) ثم يقول : لقد ابتليت ببهائم لا يفرقون بين الدر والبعر ، والياقوت والحجر .

ي : معذرة يا مولانا ، إن رأيت أن تنشدني شيئاً آخر .

ش : قد صنعت كتاباً في مدح صلاح الدين مبنياً على تجنيس كتجنيس البستي ، اسمع (ينشده . . .) .

ي : ما رأي مولانا في المعري .

ش : كم تسيء الأدب يا هذا بين يدي ؟! من ذلك الكلب الأعمى حتى يذكر بين يدي في مجلسي ؟! .

ي : ما أراك يا مولانا ترضى عن أحد ممن تقدَّم .

ش : كيف أرضى عنهم وليس لهم ما يرضيني ؟ .

ي : ما فيهم أحد قط جاء بما يرضيك ؟ .

ش : لا أستثني إلا المتنبي في مديحه ، وابن نباتة في خطبه ، وابن الحريري في مقاماته . هؤلاء لم يقصروا .

استمر الحوار غير المتكافىء بين الشيخ والفتى ، وكان ذلك التصرف الشاذ من الشيخ ، والتحقير للأوائل ، ودوران اللسان بالشتائم ، واستعمال لغة التعالي ـ كل تلك كانت حَرِية أن تؤثر في نفس ياقوت ، ولكن يبدو أن ما سمعه عن الرجل قبل أن يلقاه قد جعله مهيأ النفس لتقبل ما يسمع على أنه مداعبة خشنة ، لكنها طريفة ، وأن الرجل مهووس يعاني «مرض العظمة» ، وأنه حقيق ألا يأخذه مأخذ الجدّ ، ومن بعد أكد له ناس لقيهم أن الفصل الذي مثله أمامه الحلي لم يكن يختلف عن فصول أخرى تدلّ على انزياح عقله عن محوره . ولعله حمل بعض تخليطه على كبر السنّ وما يلابسه من خرف ، ولو أن ياقوتاً أُحسَّ بالصدمة من ذلك اللقاء لصرفه ذلك عن الأدب وعن لقاء الأدباء ، ولكنه سيلقى كثيرين من العقلاء من بعد يؤكدون له أن الحلي لم يكن إلا شذوذاً على قاعدة عريضة . ترى هل كان سعيه للقاء الحلّي يعني أنه كان قد قرر أن

يؤرخ للأدباء ؟ إن هذا الميل سيظل ينمو في نفسه مع الزمن حتى يجد تحقيقه في معجمين كبيرين.

ومن بعد حين اتصل ياقوت بالقفطي حدثه أن الحلي حين عرف أنه (أي ياقوت) يتنقل في البلدان للتجارة قال له : قد أنست بفضلك وعقلك ، ومعي في هذا الجمدان بين ثيابي ستة آلاف دينار مصرية (أو قال ثلاثة آلاف دينار مصرية ، الشك من القفطي) وقد عزمت على أن أعطيك منها جزءاً متوفراً تتجر به لتجد به مرفقاً، ومتى غنيت أعدت إليَّ رأس المال . ولكن ياقوتاً اعتذر عن قبول هذا العرض[1].

استمر ياقوت يتجر لعسكر مولاه ، بعد زيارته لآمد ، مدة تقل عن سنتين ، إذ أن جفوة حدثت بينهما سنة 596 ، فاستغنى عسكر عن خدمته وأعتقه وأبعده عنه[2] ، فأخذ يتعيش من النسخ بالأجرة ، حتى أنه كتب بين سنتي (596 ـ 603) أي خلال سبع سنوات ثلاثمائة مجلد . لهذا نُقدِّر أنه لم يغادر بغداد ، وأخذ النسخ بيده إلى الاستقرار ، وفي تلك الفترة ربطته المهنة الجديدة إلى محبّي الكتب ، فصحب أبا سعد الحسن بن محمد (ابن صاحب التذكرة الحمدونية)[3] وحمد صحبته ، وكان أبو سعد مغرماً بالكتب واقتنائها والمبالغين في تحصيلها وشرائها ، وكان أقسى ما عاناه في حياته أنه حين بطل عن العمل كان يبيع بعضها وعيناه تذرفان ، فيحاول ياقوت أن يعزيه بأن الدهر ذو دول ، ولا ريب في أن ياقوتاً كان يتعامل معه بالكتب نسخاً وبيعاً وشراءً . من ذلك أن أبا سعد استنسخه بالأجرة كتاباً في اللغة يسمى «المحيط» من تأليف الصاحب بن عباد كان في وقف بغداد ، فجاء في سبعة مجلدات[4].

وممن تعرَّف إليهم في هذه الفترة الحسن بن أبي المعالي الحلّي المعروف بابن الباقلاني النحوي[5] ، لقيه ببغداد سنة 603 ، وكان آخر العهد به . وأقدّر أنه في سياق عمله في الكتب ، اقترب كثيراً من الشيوخ ، ودرس عليهم ، وسوف أفرد مدخلاً خاصاً

(1) إنباه الرواة 2 : 244 .
(2) ابن الشعار 9 : 340 وابن خلكان 6 : 127 .
(3) معجم الأدباء : 1012 (رقم : 353) وتوفي أبو سعد سنة 608.
(4) إنباه الرواة 1 : 201 .
(5) معجم الأدباء : 1027 (رقم : 362).

لأهمِّ شيوخه ، وقد تجاهل القفطي أمر تحصيل ياقوت علمياً فزعم أنه قرأ شيئاً يسيراً من النحو واللغة ، وأنه حصّل بالمطالعة فوائد اقتضاها فهمه العسر[1] ، وبخس الرجل حقه ولم ينصفه ، وكأن القفطي يريد أن يقول إن ياقوتاً لم يكن له شيوخ ، وأنه كان في ثقافته عالة على الصحف وحدها ، وأن هذه الصحف لم تعطه كلَّ ما فيها لعسرٍ في فهمه ، فطعن في مستوى ثقافته وقلل من شأنها ، وغمزه في قدرته على الإفادة مما يقرأ .

لكن الجفوة بين عسكر وياقوت قد تولاها الزمن بالتخفيف ثم بالإزالة ، ويقال في هذه المناسبة إن سيده عطف عليه واستعاده إلى خدمته ، ولكنه لم يعد مولىً فقد نال حريته قبل سبع سنوات ، وإذن فقد عادت الرابطة بين الرجلين للمصلحة الاقتصادية المشتركة ، وعاد ياقوت ينقل السلع بين كيش والشام ومصر ، وحين رجع من سفرة إلى كيش (سنة 606) وجد عسكراً قد توفي ، فأعطى أولاده وزوجته نصيبهم من رأس مال وربح ، على طريقة المراضاة[2] ، وبقي له ما جعله رأس مال له ، وكان تعوّده النسخ قد جعل الكتاب إحدى السلع الأثيرة لديه ، فظلت التجارة هي مهنته المفضلة ، ولكنه أصبح في حركاته شرقاً وغرباً «سيد نفسه» .

وفي العام التالي لوفاة عسكر مولاه (أي سنة 607) نجده يحمل سلعاً إلى الشام وفيها كتب علمية ، ومن أبرز تلك الكتب « صور الأقاليم للبلخي » نسخة رائقة مليحة الخط مصوّرة ، وكان ياقوت يمنّي نفسه أن يبيعها من ملك يحب اقتناء الكتب الجميلة ، ولا يهمه ثمنها مهما علا ، ويمتد به الحلم فينظم أبياتاً يمدح بها ذلك الملك المتخيَّل ، ولا ينسى أن يورد في أبياته ذكر العلاقة بين الملك الذي يحكم الأقاليم والأقاليم نفسها (انظر القطعة الشعرية رقم : 12) ولا ندري كيف اتصل خبر النسخة بالملك الظاهر غازي بن صلاح الدين صاحب حلب يومئذ فأرسل من يشتريها منه ، وبيعت النسخة من غير ربح ، ويضيف ياقوت قوله : « وجرت لي فيها قصةٌ طريفة أنزّه هذا السلطان عن ذكرها ، فإنه وإن كان الحظ حرمني [جود كفّه] فإنه جواد عند غيري »[3].

(1) إنباه الرواة 4 : 75 .
(2) إنباه الرواة 4 : 75 وابن خلكان 6: 127 .
(3) معجم الأدباء : 2185 (الترجمة رقم: 899).

إذن فقد دخل ياقوت حلب (سنة 607) وتعرَّف ـ لأول مرة ـ إلى القاضي الأكرم علي بن يوسف القفطي ، وزير صاحب حلب ، يحفزه إلى لقائه حب الوزير للكتب واقتنائها وشيوع ذلك عنه بين الناس . غير أن القفطي يذكر أن أول اجتماع له بياقوت إنما تمَّ سنة 609 وأن الذي أحضره إلى مجلسه أبو علي الحسن بن محمد القيلوي ، واطلع الوزير على ما جلبه ياقوت من كتب ، وكانت قليلة العدد ، فاشترى منها كتابين[1] ، ويمكننا أن نردَّ هذا الاختلاف في تاريخ اللقاء إلى التصحيف الكثير بين (سبع) و(تسع) في المصادر ، ولهذا فإن أحد التاريخين خطأ . والترجيح في مثل هذا الموقف غير ممكن . ولكن أحد التاريخين كان ، ولا بدَّ ، بداية صلةٍ استمرت حتى وفاة ياقوت . ولعلَّ ياقوتاً في هذه الزيارة نفسها لقي عدداً من الأدباء الذين يترددون إلى مجلس القاضي الأكرم ، ومنهم سليمان بن بنين ، اجتمع به في عدة مجالس هنالك وأجازه برواية مصنفاته[2].

ويعود القفطي فيذكر أن ثاني اجتماع له بياقوت إنما تمَّ سنة 613[3] ؛ ولكن ياقوتاً يذكر أنه عاد إلى حلب سنة 611 (ويعود فرق السنتين إلى الظهور) ، وياقوت في هذه المرة أدقّ ، إذ زيارته مرتبطة بذكريات يقينية ، وخط سيره أوضح ، وهو أدرى به من القفطي ، ففي عام 611 زار القاضي الأكرم في منزله ، ودار الحديث بينهما عن الجوهري صاحب الصحاح وعن جودة تأليفه ، وكان يشغل خاطريهما وهما يتجاذبان أطراف الحديث عدم الاهتداء إلى العام الذي ولد فيه الجوهري والعام الذي توفي فيه ، بعد البحث الطويل . وقد سأل ياقوت عن هذين التاريخين الوافدين من نيسابور فلم يجد أحداً ينبئه بذلك ، وافترق الرجلان ، وعاد ياقوت في اليوم التالي إلى منزل القفطي فأخبره هذا أنه رأى في المنام من يقول له : مات إسماعيل الجوهري سنة 386 ، ثم عثر ياقوت على نسخة من ديوان الأدب بخط الجوهري مكتوبة سنة 383 ونسخة من الصحاح كتبها الجوهري نفسه سنة 396 ، وهكذا وجدا في حالي المنام واليقظة تاريخاً مقارباً لسنة وفاة الجوهري[4].

(1) إنباه الرواة 4 : 75 وقد ذكره ياقوت في معجم البلدان (قيلويه) ولم يذكر أية علاقة بينهما.

(2) معجم الأدباء : 1386 (رقم: 563) وقد توفي سليمان سنة 613.

(3) إنباه الرواة 4 : 76.

(4) معجم الأدباء 2 : 658 ـ 659 (رقم: 240).

ويسلك ياقوت خطاً واضحاً بعد ذلك وإن كان متعرجاً ، ففي العام التالي (612)[1] نراه في مصر حيث يجدد العهد بكثير ممن عرفهم في سفرات سابقة، فيزور صديقه المرهف بن أسامة بن منقذ في بيته ويبيعه بعض الكتب ، وكان عمر المرهف يومئذ اثنين وتسعين عاماً ، وكان قد أُقعد فلا يقدر على الحركة إلا أنه كان صحيح العقل والنظر ، يقرأ الخط الدقيق ، لكن في سمعه بعض ثقل ، وهذا ما كان يفرض على ياقوت أن يقتصد في حديثه معه[2] ، ولم يفقد المرهف حتى في تلك السنّ شغفه بالكتب . ولقي ياقوت أيضاً الشريف أبا جعفر محمد بن عبد العزيز الإدريسي الحسني ونقل عنه خبر أستاذه الحسن بن الخطير وتاريخ وفاته[3] .

وفي جمادى الأولى من العام نفسه غادر مصر عائداً إلى دمشق فوصلها في جمادى الثانية ، وعاد يشغله أمر العسكريين أبي أحمد وأبي هلال ، مثلما كان ذهنه في العام الفائت مشغولاً بالجوهري : ترى أين يجد ترجمة لكلٍّ منهما ؟ ولقي في دمشق الحافظ إسماعيل بن عبد الله الأنماطي ، فذكر له ما أملاه السلفي في الترجمة لهما ، وأعاره تلك الأملية[4] ، ومن الشام توجه إلى بغداد في العام نفسه ، وهنالك لقي الأديب قوام الدين الهاشمي[5] ، ومن بغداد عاد إلى دمشق وقعد في بعض أسواقها ، وجرَّه الجدال مع أحد المتعصبين لعلي إلى أن ذكر علياً بما لا يساغ ، فثار الناس عليه في دمشق حتى كادوا يقتلونه ، ونمي خبره إلى المعتمد الموصلي والي دمشق ، فأرسل في طلبه[6] ، فغادر دمشق هارباً ووجهته حلب . ويرى القفطي أن سبب انحرافه عن علي قد يعود إلى التأثر بآراء الخوارج[7] ، ولكن الأصوب أن يقال إنَّ الغلوّ في حبِّ عليّ يولِّد غلوّاً في الجهة المضادة ، وبخاصة إذا احتدم الجدال ، ونسي كل واحد من المتجادلين حدوده ؛ وهذا لم يحدث لياقوت وحده ، بل حدث لغيره من الناس .

(1) معجم الأدباء 1 : 87 (رقم: 17).
(2) معجم الأدباء 2 : 593 (رقم: 218).
(3) معجم الأدباء 2 : 857 (رقم: 314).
(4) معجم الأدباء 2: 911 (رقم: 322).
(5) معجم الأدباء 4 : 1490 (رقم: 633).
(6) إنباه الرواة 4 : 71.
(7) المصدر نفسه (وهذا الترجيح يعتمد على صلته بجزيرة كيش ، وهي موئل للإباضية).

وليس في مؤلفات ياقوت ما يدلّ على انحراف عن عليّ وقد ترجم له في معجم الأدباء لأنه يعده واضح النحو أو الموحي به إلى أبي الأسود الدؤلي .

ومع أن ياقوتاً عرف دمشق قبل هذه المرة وبعدها ، وقضى فيها أوقاتاً كثيرة ، فإن حديثه عنها في معجم البلدان ينتمي في معظمه إلى الأخبار المنقولة من المصادر ، وقلما نجد هنالك اعتماداً على المشاهدة ، وقد لفت انتباهه في دمشق كثرة المياه ، فقلّ أن تمر بحائط إلا والماء يخرج منه في أنبوب إلى حوض يشرب منه ويستقي الوارد والصادر ، « وما رأيت بها مسجداً ولا مدرسة ولا خانقاهاً إلا والماء يجري في بركة في صحن هذا المكان . . . » كذلك لفت انتباهه أن المساكن بها عزيزة لكثرة أهلها والساكنين بها وضيق بقعتها ، وهو يحدثنا أن بها ربضاً دون السور يحيط بأكثر البلد ويكون في مقدار البلد نفسه ، تلك هي انطباعاته الذاتية عن دمشق ، فأما سائر الحديث عنها وعن جامعها فهو مستمد من المصادر في أكثره[1] .

وفي زياراته الكثيرة للمدينة تعرَّف إلى عدد من علمائها. تعرّف إلى فتيان الشاغوري وكان له حلقة بجامع دمشق يقرىء فيها النحو ، وقد كان حين رآه شيخاً بلغ التسعين أو جاوزها[2] وعرف فخر الدين ابن الساعاتي الطبيب الموسيقار صاحب الخط المنسوب الجيد ، وحضر مجالسه غير مرة[3].

أما مجلس شيخه أبي اليمن تاج الدين الكندي في دمشق فكان آثر المجالس إلى نفسه ، وكانت قوة ذاكرة ذلك الشيخ محط إعجابه فهو يصف حفظه بقوله : « وفي كثرة ما صحبته ، وحضرت مجلسه ما رأيت القارىء قرأ عليه كتاباً من مروياته ، وعلى الخصوص الأدبية واللغوية والنحوية ونحوها إلا وهو يسابق القارىء إلى ما يقرأه »[4] . وقد عرف ياقوت مكانة العلم في شخص هذا الشيخ إذ كان يرى الملك المعظم عيسى ، وهو يومئذ صاحب الشام ، يقصد منزل الشيخ تاج الدين راجلاً ليقرأ عليه النحو ، ولا يكلفه مشقة الذهاب إليه . ورأى على باب شيخه من المماليك الأتراك ما

(1) معجم البلدان 2 : 587 ـ 598 (دمشق).

(2) معجم البلدان 3 : 236 (الشاغور).

(3) معجم الأدباء : 1308 (رقم: 490) وقد توفي ابن الساعاتي سنة 618 .

(4) معجم الأدباء : 1332 (رقم: 504).

لا يكون إلا على باب ملك ، ورأى له من الدور والبساتين ما لا يحصى[1] ، كان تاج الدين يجمع العلم والغنى ، إذ كان في بعض مراحل حياته بدمشق وزيراً أو بمنزلة وزير ولذلك قال فيه ابن النجار : كان بهياً ، وقوراً أشبه بالوزراء من العلماء[2].

بعد دمشق يتوجه ياقوت إلى حلب فيصلها في جمادى الآخرة من سنة 613 ، ولا ندري في أي سفراته إلى حلب (607 ، 611 ، 613) كان ينزل مدرسة الزجاجية (أو لعلَّه فعل ذلك في حال استقراره النهائي فيها) ففي تلك المدرسة كان يقطن المعيد الفقيه أبو الحسن علي بن محمد الأرجيشي ، وكان رجلاً قانعاً باليسير من الرزق ، فإذا زاده أهل البلد شيئاً لم يقبله ويقول : في الواصل إليّ كفاية ، وكان مقدار ما يصل إليه اثني عشر درهماً[3] . وفي حلب لقي سديد بن سعيد بن صالح الجبراني ، وهو نحوي مقرىء كانت له حلقة في جامع حلب يقرىء بها العلم والقرآن ، وسأله ياقوت عن مولده فأخبره[4].

ويزور حاضر حلب ، ويدق الباب على القاسم بن القاسم الواسطي [5] ، فيخرج إليه الواسطي ويملي عليه عند باب داره أسماء تصانيفه الكثيرة ، ويغادر حاضر حلب إلى الموصل فيلقى ياقوت بن عبد الله الرومي الأصل ، وكان يومئذ قد بلغ من الكبر غاية ، ويرى كتباً بخطه يتداولها الناس منها الصحاح والمقامات[6] ، ويجتمع هنالك أيضاً بابن الدهان البغدادي[7] ، ويذكر القفطي أنه دخل اربل بعد الموصل ولكنه لم يحاول أن يدخل بغداد لأن خصمه في دمشق كان بغدادياً[8] ، ولكن دخوله اربل هذه المرة موضع شك لأن شرف الدين المستوفي لا يذكر شيئاً من ذلك.

وفي شوال من العام نفسه (613) وصل خوار من أعمال الريّ فوجدها قد غلب

---

(1) معجم الأدباء : 1333 .
(2) سير أعلام النبلاء 22 : 36 .
(3) معجم البلدان 1 : 196 (أرجيش).
(4) معجم البلدان 2 : 20 (جبرين).
(5) معجم الأدباء 5 : 2218 (رقم: 908).
(6) معجم الأدباء 6 : 2805 (رقم: 1220).
(7) معجم الأدباء 6 : 2816 (رقم: 1227).
(8) إنباه الرواة 4 : 76 .

عليها الخراب[1] ، ولعله لم يطل الإقامة في منطقة الري إذ يصل في السنة نفسها إلى الشاذياخ التي كانت قد خَلَفَتْ مدينة نيسابور فيستطيبها وتعجبه الإقامة فيها . ويقول في وصف هذه المرحلة من حياته : « وصادفت بها من الدهر غفلة ، خرج بها عن عادته ، واشتريت بها جارية تركية لا أرى أن اللّه تعالى خلق أحسنَ منها خَلْقاً وخُلُقاً ، وصادفت من نفسي محلاً كريماً »[2].

تلك ذروة غريبة الموقع في حياة ياقوت ، فها هو على مشارف الأربعين ، يقبل على الزواج ، أي يختار الاستقرار ، وهو رجل موكّلٌ بفضاء اللّه يذرعه ، لا يكفّ عن الترحال ، والأغرب من كل ذلك أن يعرض الجارية للبيع بعد إذ حلت من نفسه ذلك المحلَّ الكريم ، دون أن يكون هناك سبب يحفزه إلى التخلي عنها ، سوى أنه أبطرته النعمة فتحجج بضيق اليد ، لكنه أساء التقدير ، إذ لم يحسب أن تعلقه بها لا تهزمه الدعوى أو الخداع الذاتي ، يقول : « فامتنع عليّ القرار ، وجانبت المأكول والمشروب حتى أشرفت على البوار » ونصحه بعض معارفه أن يتصل بمالكها الجديد ليسترجعها ، ولكن الذي اشتراها كان في سعة من الحال . ولم يكن بيعها ليضيف كثيراً إلى ثرائه ، كما أنها حلَّتْ من نفسه محلاً يكاد يتجاوز ما بلغته لدى ياقوت نفسه ، والغريب في تصرف ياقوت لا في أنه أحبها وحسب ، بل في قوله واصفاً محبتها هي له : « وكان لها إليّ ميل يضاعف ميلي إليها »[3] . وقد لجأ ياقوت إلى الشعر يخفف به لوعته ، ويتحسر على ما ضاع من يده ، فنظم مقطوعة مطلعها « ألا هل ليالي الشاذياخ تؤوب » يقول فيها :

أئن ومن أهــواه يسمـع أنَّتي ... ويـدعو غـرامي وجده فيجيبُ
وأبكي فيبكي مسعداً لي فيلتقي ... شهيقٌ وأنفـاسٌ لـه ونحيبُ[4]

وصل ياقوت إلى مرو الشاهجان سنة 614 ، وألقى فيها عصـا التسيار ، كـان يطلب ملجأً آمناً بعيداً عن عصبيات الشاميين وغيرهم فوجده ، وكان يريد دواءً لمشاعره

(1) معجم البلدان 2 : 479 .
(2) معجم البلدان 3 : 230 .
(3) معجم البلدان 3 : 230 .
(4) انظر القطعة رقم : 1 .

المجرحة إثر نزوة حمقاء ، فوجد في مرو ما ينسيه جميع رواسب الماضي ، وجد قوماً لطفاء ليني الجانب ، فيهم دماثة وحسن عشرة فأحبهم ، ونوى أن يقضي بقية عمره بينهم ، وزاده محبة لمرو أنه وجدها أغنى المدن الإسلامية بخزائن الكتب ، وفي خزائنها وجد كنوزاً يستطيع أن يطالعها وينسخها ، أي وجد فيها زاده الثقافي وزاده المعاشي ، وهو يذكر أنه حين فارقها كانت تحتوي عشر خزائن :

(1) الخزانة العزيزية ، نسبة إلى عزيز الدين الزنجاني ، وكان فيها اثنا عشر ألف مجلد أو ما يقاربها ، وكانت مودعة في جامع مرو ، وتسمّى أيضاً «الخزانة الفقاعية» لأن الزنجاني واقفها كان مسؤولاً عن تحضير شراب الفقاع للسلطان سنجر.

(2) الخزانة الكمالية (ولا يدري ياقوت إلى من تنسب).

(3) خزانة شرف الملك المستوفي أبي سعد محمد بن منصور ، ومحلها مدرسة باسمه ، وقد رأى فيها أو في الخزانة الفقاعية كتاباً في عدة مجلدات تصنيف «الغوري» وتأمَّل الكتاب فوجده أجمع كتاب ، كثير الألفاظ قليل الشواهد ، وهو من الكتب التي انفردت بها خزائن مرو ، إذ إنه لم يظهر له ذكر لا بالعراق ولا بالشام ولا بمصر[1].

(4) خزانة نظام الملك محمد بن إسحاق في مدرسته.

(5) و(6) خزانتان للسمعانيين في بعض منازلهم ، وقد شاهد في إحداهما نسخة كتاب بخط الأزهري ، نسخها وأحضرها معه حين عاد إلى حلب وأطلع عليها القفطي[2].

(7) خزانة في المدرسة العميدية.

(8) خزانة لوزير يدعى مجد الملك.

(9) الخزانة الخاتونية في المدرسة الخاتونية.

(10) الخزانة الضمرية في إحدى الخانقاهات بالمدينة .

وكان ياقوت يستعير الكتب التي يحتاجها من هذه الخزائن دون رهن حتى ليبلغ

---

(1) إنباه الرواة 2 : 389.

(2) إنباه الرواة 1 : 226.

ما يستعيره أحياناً مائتي مجلد ، وهو يقرّ أن جلّ الفوائد التي تضمنها كتابه معجم البلدان وغيره من كتبه إنما كان مستمداً من تلك الخزائن [1] .

وحققت له إقامته بمرو لقاء كثير من علمائها والوافدين إليها وتأكدت صلته بآل السمعاني ، وخاصة بأبي المظفر عبد الرحيم بن أبي سعد السمعاني ، وكانت خزانتا السمعانيين مدخلاً أولياً لتلك العلاقة . وعرض عليه أبو المظفر جزءاً يشتمل على رسائل للحسن القطان ، إلى الرشيد الوطواط ، محشوة بالسب والثلب ، تصريحاً لا تعريضاً ، إذ إن القطان كان يتهم الوطواط بأنه سلبه كتبه ، ولكنه لم يدوّن شيئاً من رسائل القطان ، وأدركه الندم حين احتاج إليها ، واكتفى باقتباس أجوبة الوطواط على تلك الرسائل[2] .

وأثناء إقامته في مرو لم يكن يغادر المدينة إلا ليتعرف إلى بعض قراها ، ولعل التعرف الجغرافي كان هدفه الأول من تلك الجولات ، وإن كنّا لا نستبعد أن التجارة كانت حافزاً آخر ، فزار قرية جنوجرد (614) ووجدها كبيرة ذات أسواق وعمارات حسنة وجامع فسيح وكروم وبساتين[3] . وكذلك رأى الجرجانية فوجدها مدينة عظيمة[4] ، ورأى جيربخ فرآها حافلة بالدور العالية والمنازل النفيسة والأسواق الكبيرة[5] ، ومن هذا الوصف ندرك أن كثيراً من قرى مرو كانت أشبه شيء بالمدن .

أقام ياقوت في مرو قرابة ثلاث سنوات متتابعة (614 ـ 616) وحين فارقها في العام الثالث ذاهباً إلى خوارزم كان ينوي العودة إليها ، لأنه كان قد نوى منذ البداية أن لا يفارقها إلى الممات[6] ، لكن أحداثاً كانت أقوى منه بكثير هي التي اضطرته إلى مغادرتها نهائياً .

وأدهشته خوارزم بروعة عمرانها حتى أنه ما رأى ولاية أعمر منها ، فقد وجد أن

(1) معجم البلدان 4 : 509 ـ 510 .
(2) معجم الأدباء : 962 (رقم: 338) .
(3) معجم البلدان 2 : 133 .
(4) معجم البلدان 2 : 94 .
(5) معجم البلدان 2 : 175 .
(6) معجم البلدان 4 : 509 .

عمارتها متصلة وقراها متقاربة ، وأكثر الضياع فيها مدن ذات أسواق وخيرات ودكاكين ، وفي النادر أن تكون قرية لا سوق فيها ، هذا مع كثرة الشجر وامتداد ظل الأمن ، إلا أنه وجد الشتاء فيها قارس البرد جداً ، حتى أن نهر جيحون ـ وعرضه ميل ـ يتجمد في الشتاء ، وتمر فوق سطحه القوافل والعجلات التي تجرها البقر ، وهي موقرة ، في الذهاب والاياب ، ويبقى النهر في حالة تجمد نحو شهرين[1] . وفي خوارزم لقي القاسم بن الحسين الخوارزمي ، قصده إلى منزله فوجده شيخاً بهي المنظر حسن الشيبة ، سميناً عاجزاً عن الحركة[2].

وفي دخوله إلى منطقة خوارزم وقبل أن يصل ياقوت الجرجانية عاصمتها كان يجتاز جيحون في سفينة مع بعض المسافرين ، فأخذ النهر بالتجمد وحصرت الثلوج السفينة ، فقاسى من البرد آلاماً شديدة ، وأخذ يتوقع الهلاك هو ومن معه ، وأخيراً قيض لهم أن يخرجوا إلى البرّ ، وكانت أقرب مدينة إليهم أرثُخشميثن ، فساروا في الثلوج ولا دواب هنالك ، فوصل إلى المدينة المذكورة بعد شدائد ؛ ونزل في خان هنالك ، وكتب على حائطه مقطوعة شعرية ركيكة الصياغة يصف فيها بعض ما قاساه ، وفي المقطوعة يذم المدينة وأهلها ثم يعلق على ذلك بقوله : « وأما ذمي لذلك البلد وأهله فإنما كان نفثة مصدور ، اقتضاها ذلك الحادث المذكور ، وإلا فالبلد وأهله بالمدح أولى ، وبالتقريظ أحق وأحرى »[3].

كان خروج التتر لاجتياح ديار الإسلام ، هولاً عاماً ، كأنه الخطر الكوارثي الذي لا يمكن صدّه لا بالقوة ولا بالحيلة ، لهذا يصبح مطلب كل فرد أن ينجو بنفسه ، غير عابىء بما يصيب الآخرين ، وذلك هو حال بني البشر يوم الحشر ، فهربُ ياقوت في مثل تلك الحال أمرٌ طبيعي . وكانت عودة ياقوت هارباً نحو الغرب عن طريق بلاد الخزر ، ومرَّ بعدة مدن وصفها مسرعاً إلا أنه (سنة 617) تلبث في أردبيل ، وشاهد الغيضة التي يلجأ إليها أهل المدينة إذا دهمهم أمر ، وهي الغيضة نفسها التي يقطعون منها الخشب ويصنعون منه قصاع الخلنج والصواني ، ولا توجد قطعة منه خالية من

(1) معجم البلدان 2 : 172 (جيحون) 2 : 482 (خوارزم).
(2) معجم الأدباء : 2193 (رقم: 904) وهو الملقب بصدر الأفاضل.
(3) معجم البلدان 1 : 192.

عيب . وقد جلس عند صنّاعه وطلب أن يروه قطعة واحدة لا عيب فيها ، فعرّفوه أن ذلك معدوم ، إنما الخالي من العيب هو الذي يجلب من الري ، وقد كان حين مرَّ بالري في بعض أسفاره جلس إلى الصنّاع فيها فوجد السليم من القصاع كثيراً[1] . ثم غادر أردبيل إلى اربل فوصلها في العشر الوسطي من شهر رجب (سنة 617)[2] ، ونزل عند شرف الدين المستوفي وربما أطلعه على ما نجز من كتابه «إرشاد الألباء»، ثم توجَّه إلى الموصل ، ومنها كتب رسالته إلى القفطي بحلب ، وهي الشاهد الأكمل على قدرته الأدبية النثرية ، وبعد مقدمات في الثناء على القفطي والحديث عن ولاء ياقوت له ، يتحدث عن مقامه بمرو ، وإفادته من وفرة مكتباتها ، ثم يعرج إلى التحدث عن خراسان : كيف كانت وكيف أصبحت ، « إلى أن حدث بخراسان ما حدث من الخراب ، والويل المبير والتباب ، وكانت لعمر اللّٰه بلاداً ذات رياض أريضة ، وأهوية صحيحة مريضة . . . وجملة أمرها أنها كانت أنموذج الجنة بلا مَيْن ، فيها ما تشتهي الأنفس وتلذ العين . . . فكم كان فيها من حَبْرٍ راقت حِبَرُهُ ، ومن إمام توّجت جباه الإسلام سيره ، آثار علومهم على صفحات الدهر مكتوبة ، وفضائلهم في محاسن الدنيا والدين محسوبة ، وإلى كل قطر مجلوبة »[3] ، ثم يصف حاله في الموصل فيقول : « والمملوك الآن بالموصل مقيم ، يعالج مما حزبه من هذا الأمر المقعدَ المقيم ، يزجّي وقته ويمارس حرفته وبخته . . . يذيب نفسه في تحصيل أغراض ، هي لعمر اللّٰه أعراض ، من صحف يكتبها ، وأوراق يستصحبها ، نَصَبُهُ فيها طويل ، واستمتاعه بها قليل ، ثم الرحيل ، ويركب سنن الطريق عساه يبلغ أمنيته من المثول بالحضرة ، وإتحاف بصره من خلالها ولو بنظرة ، ويلقي عصا الترحال بفنائها الفسيح ، ويقيم تحت ظلِّ كنفها إلى أن يصادفه الأجل المريح »[4].

ويضيف ياقوت إلى اسمه صفة جديدة ـ في صدر الرسالة ـ وهي «الأكرمي» أي أنه مملوك القاضي الأكرم ، وهكذا يربط رقبته بحبل الرقّ ومن حوافز ذلك الضياع

---

(1) معجم البلدان 1 : 197 ـ 198 (أردبيل).

(2) تاريخ إربل : 319 .

(3) إنباه الرواة 4 : 87 ، 88 .

(4) إنباه الرواة 4 : 91 .

والجوع وفقدان المأوى.

وأقام ياقوت بالموصل مدة ثم رحل إلى سنجار ومن سنجار إلى حلب[1] ، ودخل على القاضي الأكرم في حالة يسوء منظرها، ووصف من أمره أموراً لا يسرّ مخبرها ، وقال : قد ألقيت عصاي ببابـك ، وخيم أملي بجانب جنـابك ، فقـال له القـاضي الأكرم : أقاسمك العيش[2] ـ عبارة غامضة إذ لا ندري ما معنى مقاسمة العيش بدقة ، وقريب منها في الغموض قول القفطي بعد ذلك « فأقام مشاركاً في المعلوم »[3] ، وإذا صدقنا القفطي قلنا لعله قدم لياقوت بعض مالٍ يعينه على شراء طعـامه ، وأبـاح له استعمال مكتبته فنسخ وباع ، ولفّق من تلك الكتب مجموعات لم يكملها . ونراه سنة 618 ما يزال بحلب ، وفيها يلقى القاسم بن أحمد اللورقي[4] ، ويأخذ عنه ترجمته ، وهو بحلب أيضاً في السنة التالية (619) (أواخر ربيع الثاني[5] وذي الحجة[6]) ، من العام نفسه . وكذلك هو في حلب (عام 620)[7] ، بل وفي كل عام حتى تاريخ وفاته .

ولتردده إلى حلب وإقامته فيها وقربه من القفطي ، وجولاته فيها وفي حاضرها وفي قراها ، تحتل منطقة حلب في معجم البلدان مكانة واضحة المعالم لا تدانيها دمشق « وشاهدت من حلب وأعمالها ما استدللت على أن اللّه تعالى خصّها بالبركة وفضّلها على جميع البلاد » فعدَّ أنواع الزراعة فيها وميزة مزروعاتها ، وذكر أن فيها نيفاً و820 قرية ملك لأهلها ليس للسلطان فيها إلا مقاطعات يسيرة ونحو نيف و200 قرية مشتركة بين الرعية والسلطان ، وقد وقّفه على الجريدة بأسماء القرى وأسماء ملاكها القاضي الأكرم ، وهي تقوم برزق 5000 فارس ، وفيها من الطواشية المفاريد ما يزيد على ألف فارس يحصل للواحد منهم في العام 10000 ـ 15000 درهم وفي أعمالها (21) قلعة يقام بذخائرها وأرزاق مستحفظيها ما لم يذكر في النفقات السابقة ، ويصف ياقوت قلعة

---

(1) إنباه الرواة 4 : 77 .

(2) المصدر نفسه .

(3) المصدر السابق نفسه ؛ وكلمة «المعلوم» في ذلك العصر تطلق على الراتب المقرر.

(4) معجم الأدباء : 2188 (رقم : 955).

(5) معجم البلدان 4 : 299 .

(6) معجم الأدباء 5 : 2089 (ترجمة : 861).

(7) معجم البلدان 4 : 340 .

حلب ، وما جدده فيها الملك الظاهر غازي[1] ، وفي وصفه حاضر حلب يقول : والذي شاهدناه نحن من حاضر حلب أنها محلة كبيرة بين بنائها وسور المدينة رمية سهم من جهة القبلة والغرب ، وأكثر سكانها تركمان مستعربة من أولاد الأجناد ، وبها جامع حسن مفرد تقام فيه الخطبة والجمعة والأسواق الكثيرة من كل ما يطلب ، ولها والٍ يستقل بها[2] .

وقد حصر القفطي نشاط ياقوت أثناء الفترة الحلبية في الأمور التالية :

(1) نسخ الكتب للبيع .

(2) تصنيف كتابين صغيرين في النحو ، خلط فيهما الغث بالسمين ، وقد نصحه القفطي بعدم نشر الكتابين وبيّن له مواضع الخطأ فيهما فما أصغى إلى نصحه .

(3) اشترى خاماً وسافر به إلى مصر فربح ربحاً قريباً ، وعاد بمعمول مصر فأربح فيه أيضاً .

ولكن القفطي يصمت عن أشياء أخرى ، إذ تمكن ياقوت عند عودته إلى حلب من العمل في المعجمين معاً : معجم الأدباء ومعجم البلدان ، والثاني منهما مطرز في المقدمة باسم ابن يوسف أي القفطي «علقت بحبل من حبال ابن يوسف . . .»[3] وقد انتهى منه في 20 صفر 621[4] قال : « ثم اهديت هذه النسخة بخطي إلى خزانة مولانا الصاحب الكبير ، العالم الجليل الخطير . . . القاضي جمال الدين الأكرم »[5] . ترى لماذا أغفل القاضي ذكر معجم البلدان ومعجم الأدباء وغيرهما من مؤلفات ياقوت ؟ ألأنَّ كتابه مقصور على النحاة ومؤلفاتهم في النحو واللغة ؟ ولكن عند الاختبار يبدو أن هذا شيء واهٍ لا ثبات له ، فإنه حين ترجم لعلي بن الحسين الاصفهاني ذكر كتابه الأغاني وكتبه الأخرى التي لا تربطها علاقة بالنحو واللغة . إننا إذا أحسنّا الظن بالقفطي

(1) معجم البلدان 2 : 309 ـ 310 .

(2) معجم البلدان 2 : 185 (الحاضر) .

(3) معجم البلدان 1 : 12 (وأصل الشعر : علقت بحبل من حبال محمد) .

(4) يذكر في معجم البلدان 1 : 408 أنه لقي أحدهم سنة 624 ، فهل زاد ذلك بعد إتمام الكتاب ، ويذكر عام 625 (في مادة حلب) .

(5) معجم البلدان 1 : 12 د. عباس فاضل السعدي : 15 .

وبرّأناه من مشاعر الحسد والكراهية قلنا إن ترجمة ياقوت عنده ناقصة.

وفي آخر سفرة لياقوت إلى مصر عاد إلى حلب ونزل بخان في ظاهرها، (وهنا يبدو لنا لم تكون عبارة «أقاسمك العيش» غامضة ومثلها «فأقام مشاركاً في المعلوم»)، فقد مرض ومات في ذلك الخان 20 رمضان سنة 626/12 آب 1229.

2 ـ شخصية ياقوت وأخلاقه:

التقى ابن الشعار بياقوت في الموصل، وياقوت يومئذ في كهولته، وكان ياقوت صديقاً لأخي ابن الشعار، وبينهما أنس تام[1]؛ فنشأت بين ياقوت ومؤلف قلائد الجمان معرفة لم تتطور إلى صداقة لقصر المدة التي أقامها ياقوت في الموصل، ويصف ابن الشعار ياقوتاً بأنه كان أشقر أحمر اللون أزرق العينين[2] ولم يستوقفه من مظهره سوى ما ذكر؛ لكنه أسرع إلى ذكر بعض تصرفاته السلوكية، فذكر أنه كان ضنيناً بما يجمعه، لا يحب إطلاع أحد على ما يؤلف، شديد الحرص عليه، لا يقدم لمخلوق فائدة البتة، وكان ربما سئل عن شيء، وهو به عارف، لم يجب عنه شحاً وجفاء طبع. هكذا كانت شيمته مع الناس[3].

وبخل ياقوت بما يؤلف قد أطنب هو نفسه في وصفه في مقدمة كتابه «معجم الأدباء» فهو هناك ينسب ضنَّهُ به إلى ما قاساه في جمعه، وكثرة وقوفه على الأبواب في لقاء الأشخاص الذين يستمد منهم مادة كتابه، «فلا غرو أن أمنعه من ملتمسيه، وأحجبه عن الراغبين فيه» ويحس هو بأن هذا التصرف مستهجن، ويعاتب نفسه على هذا الفعل، ولكنه يتأسى بأناس مثل محمد بن عبد الملك التاريخي، حجبوا كتبهم وضنوا بها وهي دون كتابه بكثير، ويقول: «قد أقسمت أن لا أسمح بإعارته ما دام في مسودته لئلا يلحَّ طالب بالتماسه... فإذا هذّبته ونقحته وبيّضته فتمتع به...» إذن فإن البخل لم يكن قاعدة عامة في طبع ياقوت، ولكنه لم يكن ليخرج

(1) قلائد الجمان 9 : 341.

(2) المصدر نفسه.

(3) المصدر السابق نفسه.

كتابه إلى الناس قبل تبييضه وتنقيحه وتهذيبه . هكذا يبدو في بعض مراحل حديثه في كتابه ، إلا أنك تجده في موضع آخر يقول : إن بعضهم التمس الكتاب لينسخه « فوجدت في نفسي شحاً عليهم . . . مع كوني غير راضٍ لنفسي بذلك المنع ، ولا حامد لها على ذلك الصنع ، لكنها طبيعة عليها جبلت ، وسجية إليها جبرت »[1] .

ولعلَّ ابن الشعار متأثر بما قاله ياقوت ـ في مناسبة معينة ـ عن نفسه . ومع ذلك فإن هذا الموصوف بالبخل لما اجتمع بابن المستوفي في إربل أطلعه ـ فيما نقدر ـ على مقدمة معجم الأدباء[2]، وأثبت الرجل أجزاء منها في تاريخ إربل. ويحاول ابن الشعار أن يؤكد ضنَّ ياقوت بما يؤلف أو ينشيء ، فيذكر أنه طلب منه شيئاً من شعره ، فجعل يماطله مدة من الزمان ثم سافر إلى الشام ولم يلتق الرجلان بعد ذلك ، ومع هذا فإننا نجد ابن الشعار ينقل مقطعاتٍ كثيرةً لياقوت ، بعضها أنشدها ياقوت للمستوفي ، وبعضها أنشدها لابن النجار[3] ، ثم هو يُتمم نسخة من معجم البلدان ويضعها في خزانة القاضي الأكرم ، ويشهد ابن العديم في مواضع من بغية الطلب[4] أنه رأى معجم البلدان وأفاد منه كما رأى معجم الأدباء ، وإذا صحَّ كل ذلك فمعناه أن ياقوتاً لا يُسَوِّي بضنّه بين جميع من يعرف ، وإنما قد تستدعي الضنَّ حالاتٌ نفسية ذاتية لدى ياقوت ، أو حالات يجدها في من يطلب منه شعره أو مؤلفاً من مؤلفاته . وقد كان يعرف أو يقدر أن الناس يقولون خلف ظهره : « إن هو إلا تصنيف رومي مملوك!! » وأنا وإن كنت أميل إلى ترجيح ضنه بكتبه لأن الرفض في هذه الحال يدلُّ على قدر من الحرية في التصرف لدى امرىء مملوك ، فإني أرجح أن الضنَّ كان خاضعاً لحالات نفسية معينة ، وإلا فكيف يعمد هذا الرجل الضنين بمؤلفاته وما يملكه من كتب وأوراق فيوصي بها إلى وقف الزيدي ببغداد (وكان مسجد الزيدي بدرب دينار) ويعهد إلى الشيخ عز الدين ابن الأثير المؤرخ ـ وكان يومئذ بحلب ـ أن يسلمها إلى ناظر الوقف الشيخ

---

(1) معجم الأدباء 1 : 13 ، 14 .

(2) قد يبطل هذا إذا قدرنا أن المستوفي اطلع على معجم الأدباء بعد وفاة ياقوت .

(3) قلائد الجمان 9 : 342 ، 343 .

(4) بغية الطلب 1 : 126 ، 169 ، 3 : 1108 وقد يكون ابن العديم اطلع عليها بعد وفاة ياقوت ، حين أصبحا إرثاً عاماً إذ عاش ابن العديم بعد وفاة ياقوت سنوات عديدة .

عبد العزيز بن دلف[1].

غير أن القفطي يتهم المؤرخ (ابن الأثير) بأنه تصرَّف في الكتيبات والأوراق التي بخطِّ ياقوت تصرفاً غير مرضيّ ، ولم يوصلها (بعد أن عاد إلى الموصل) إلى حيث أوصى صاحبها «بل فرّقها على جماعة أراد انتفاعه بهم وبها عندهم، ولم ينفعه اللّه بشيء من ذلك، ولم يتملَّ منها بأملٍ ولا مال، وقطع اللّه أجله، بعد أن قطع من الانتفاع بتفرقتها أمله ، فاكتسب خزي الدنيا وعذاب الآخرة ، وبلغني أن خبرها وصل إلى بغداد وأنهم طالبوه من هناك بتسييرها إلى محلّ وقفها ، فسيَّر بعضها وأعرض عن بعض ، فنعوذ باللّه من سوء القضاء والقدر»[2].

لست أود أن أدافع عن ابن الأثير المؤرخ ، ولا أن أرمي القفطي بالتزيد ، أو بتسجيل سيئات الناس دون محاسنهم ، إذ إني لا أعرف ما كان بين الرجلين من علاقة ، كما أني لا أحب أن أقول إن المعاصرة هجنة ، أو أن أقيس أخلاق الفرد على ما اكتسبه ـ بعد مرور القرون ـ من شهرة علمية ، ولكن هذا لا يمنعني من أن أتساءل : ما الانتفاع الذي كان يرجوه ابن الأثير من تفريق كتب ياقوت وأوراقه ؟ . لقد ترك القفطي هذا الجانب غامضاً ، فنحن لا نعرف ماذا فرَّق ، وعلى من فرّقه ، وقد كان قادراً على الانتفاع لو شاء من طرق أخرى ، كالاتصال بالحكام في عصره ، وتقديم الخدمات لهم ، وهو قد ابتعد عن ذلك عامداً.

ولكن حديث القفطي عن ابن الأثير يصلح أن يكون مدخلاً لفهم موقفه من ياقوت ، فقد كان الرجل (أي ياقوت) في نظره عسر الفهم ، وكان في خلقه مكابرة (أية مكابرة تبرز من أول لقاء بين بائع كتب يرجو نفاق سلعته عند وزير رفيع المكانة كالقفطي ؟!) وفي أول لقاء بين الرجلين تأمّل القفطي هذا الرومي فتوسَّم فيه أموراً صَدَقَ حدسه فيها إذ علم أنه لا يصلح للعِشْرة . ترى ما هي تلك الأمور التي توسَّمها فيه ؟ وعندما احتاج ياقوت إلى من يؤويه ويعطف على حاله كان القفطي يرى في خلقه الطيش ، ويدرك أن أخلاقه خَلِقَة ، ومخاريقه منخرقة ، ويجد في دينه قاذورات ،

(1) إنباه الرواة 4 : 78 وابن خلكان 6 : 139 .
(2) إنباه الرواة 4 : 78 .

وتصرفاً في سلوكه يوجب له الشتات (أي طرده عن حمى الوزير الكبير ، لو أَمِن ذلك الوزير النقد الإجتماعي) . وقد استطاع الوزير أن يخفي مشاعره الحقيقية تجاه ياقوت حتى أن ياقوتاً وصفه بأنه كان « طلق الوجه حلو البشاشة »[1] هذا إلى صفات أخرى فيه فقد كان « جمَّ الفضل ، كثير النبل ، عظيم القدر ، سمح الكف » قال ياقوت : « وكنت ألازم منزله ، ويحضره أهل الفضل وأرباب العلم »[2] وهو يرتفع في نظر نفسه حين يلقبه « **الصاحب** الوزير الأكرم » ويلحق بذكر اسمه الدعاء وهو في رسالته إليه « مالك الرق ، ولي النعم » ، ولكن القفطي لا يحب أن ينزل إلى مستوى تاجر كتب ، ولذلك فلا تجري كلمة «الصاحب» على طرف لسانه أو على سنّ قلمه ، بينما نجد كمال الدين ابن العديم يقول : « وذكر صاحبنا ياقوت . . . ونقلت من خط صديقنا . . . وقرأت بخط صديقنا الفاضل »[3] يقابل هذا عند القاضي الأكرم قوله : «ذكر لي ياقوت الرومي الناسخ - أخبرني ياقوت واسمه ياقوت الرومي مولى عسكر الحموي - ذكر لي ياقوت الحموي مولى عسكر الحموي التاجر - وقال لي ياقوت مولى عسكر الحموي »[4] .

وقد توفي ياقوت وهو لا يدرك شيئاً مما كان يُسِرُّهُ القاضي الأكرم نحوه من كراهية وضغن واحتقار ، ولا يعرف اللغة الاستعلائية التي يستعملها القاضي كلما ذكره أو تذكّره . وكان ذلك من رحمة اللّه به ، إن إحساس القفطي بالرفعة وإمعان ياقوت في إبراز الدونية (مرغماً أحياناً) هو المسؤول عن بقاء المسافة الفاصلة قائمة بين الرجلين.

ولعل الصلة بين ياقوت والقفطي تعيدنا إلى الحديث عن الضنّ بالمؤلفات ، فإن في معجم الأدباء إشارات إلى أن ياقوتاً أفاد من كتاب في النحاة للقفطي ، ولعل ذلك يشير إلى كتابه المعروف باسم «إنباه الرواة» ولكن الفوائد المستمدة من هذا الكتاب قليلة في معجم الأدباء ، (والأدباء يشملون النحويين) فلو أن ياقوتاً تمكّن من الاطلاع عليه أو على معظمه ، لما اتضح ذلك البون بين الكتابين . ترى هل كان ذلك نتيجة

(1) معجم الأدباء : 2024 .
(2) المصدر نفسه .
(3) بغية الطلب 1 : 121 ، 380 ؛ 3 : 1108 ؛ 9 : 427 .
(4) إنباه الرواة 1 : 201 ، 226 ، 2 : 389 ، 3 : 139 .

حجب القفطي لكتابه ، وضنه ببذله ، أو لأنه تأخّر في جمع مواده ، ففي بعض تراجمه أنه يكتبها بعد ست سنوات من وفاة ياقوت (أي سنة 632)[1].

3 ـ ثقافة ياقوت وشيوخه

1 ـ نظرة عامة في ثقافته :

يقرن ابن الشعار بين ياقوت والتحصيل الثقافي بلقائه لعلماء مصر والشام فيقول : « ولقي مشايخها وعلماءها وشاهد أدباءها وفضلاءها ، وجالس صدورها وكبراءها وأخذ عنهم الآداب الكثيرة ، واستفاد منهم الفوائد الغزيرة »[2] ، ولكن ابن الشعار ينسى أن ثقافة ياقوت لم تقف عند هذا الحدّ ، بل إن السنوات الثلاث التي أقامها يتردد إلى خزائن الكتب في مرو ، قد وَسَّعت كثيراً في مجال ثقافته ، وأن اشتغاله بالنسخ قد رسخ في ذهنه ثقافة عريضة لم يحصلها من الشيوخ ، فإذا أضفنا إلى ذلك استعداد ياقوت لاستمداد الفائدة من كل من يلقاه ، عالماً كان أو غير معدود في طبقة العلماء ، قدَّرنا أن تشبع نفسه بالسؤال المستمر دون فتور أو كلل كان مصدراً للمعرفة لا ينضب ، ولم نحدّ المجال الثقافي الذي بلغه . ولقد صدق المنذري حين قال : « وكانت له همة عالية في تحصيل المعارف»[3]، فإذا ربطنا بين تلك الهمة العالية وبين حب الاستطلاع الذي يشبه النهم ، قدَّرنا أن الرجل كان يحسُّ أن طريقه سينال حظاً من تقدير المجتمع له هو إحراز تميز خاص في ميدان العلم .

كان أكثر شيوخه متقاربين في نوع العلوم التي يحسنونها وإن كانوا متفاوتين في درجات الإتقان، ولذلك أخذ عنهم النحو واللغة والعروض والقراءات وشيئاً من الفقه والحديث . وكانت دراسته على شيخ إثر آخر منهم تعدّ تعميقاً في بعض جزئيات تلك العلوم ومشكلاتها ، فقد غدا يعرف المشكلات النحوية الكبيرة ويرى لنفسه رأياً في بعضها ، ويتقن العروض حتى تجرأ فألّف في ضرورات الشعر ووجد نفسه بأخرة

---

(1) إنباه الرواة 4 : 162 .

(2) قلائد الجمان : 340 .

(3) التكملة 3 : 250 .

يستطيع أن يرد على ابن جني في بعض الشؤون النحوية ، وإن اتهمه القفطي بضعف أنسته بالعربية . ولم تكن هذه التهمة باطلة بإطلاق ، فهناك من تعقبه في بعض أخطائه اللغوية ، فقد وجد المستوفي على ظهر المجلدة الأولى من معجم الأدباء تقريظاً للكتاب ، كتبه عبد الرحيم بن النفيس بن هبة اللّه الحديثي[1] وتحت التقريظ بعض ما يراه هذا المتعقب خطأ ، إذ وجده يقول في مقدمة المعجم « وكنت مع ذلك أقول للنفس مماطلاً وللهم مناضلاً (بالضاد)» ، وفي بعض مقدمة كتاب آخر وجده يمدُّ المقصور ، ووجده يقول في موضع ثالث « وكنت مُشِكّاً » (وهو يريد : شاكاً)[2] .

لكن لعله لم يكن في شيوخه أحد يقرأ الخوارزمي أو البيروني أو يعرف جغرافية بطلميوس ، فهذه المعارف وأضرابها إنما كانت ثمرة اطلاع على مؤلفات جغرافية وفلكية ، واختياره المظانَّ التي يرجع إليها ـ وهي من أوثقها في موضوعاتها ، يدلُّ على بصر نافذ ، ومقارنات متعددة ، ولهذا لا يمكن أن نعدّ ياقوتاً صحفياً ، لا لأنَّه جمع إلى الاعتماد على ما تتضمنه الأسفار لقاء الشيوخ ، بل لأنَّه استطاع دائماً أن يميّز المصادر المهمة للمعارف التي يبحث عنها . ولكن هذا الوضع أبقى في المجال الثقافي لدى ياقوت حلقة مفقودة ، وهي التلامذة ، فأنت إذا استثنيت عدداً ممن عرفوا ياقوتاً وأخذوا عنه لا تجد له تلميذاً بالمعنى الدقيق .

ومهما يكن من أمْرِ ثقافته فهي التي جعلت له وجوداً متميزاً بين المؤلفين وكفلت له أن يكون شاعراً ناثراً ذا بصر بأوليات النقد الضرورية ، وسأتحدث عن هذه «المهارات» لدى ياقوت في فقرات تالية .

2 ـ شيوخ ياقوت :

على مدى لا يقل عن ستة وثلاثين عاماً قضاها ياقوت في التجوال تاجراً وطالباً للعلم وساعياً للقاءِ كلّ من يُعِينه على الوصول إلى حقيقة علمية أو كتاب لم يعرفه من

---

(1) تاريخ إربل : 322 .

(2) جاء في ص : 7 من معجم الأدباء « وكنت مع ذلك أقول للنفس مماطلاً وللهمة معاضلاً » أما قوله «مشكا» فقد وجدته في مادة «الذرانح» (3 : 718 من معجم البلدان) وتبدو أخطاء ياقوت هنا من قبيل سهو الكاتب أو وهم القارىء .

قبل ، تعرَّف إلى عدد كبير من الناس ، بعضهم كانوا أصدقاء ، وبعضهم كانوا أساتذة له ، وبعضهم معارف وضعتهم المصادفة في طريقه ، ومن كل هؤلاء أفاد ، على درجات متفاوتة . ففي أصدقائه كابن النجار مثلاً من يرقى إلى درجة شيوخه في مبلغ ما استمدّ من علمه . ويبدو أنه شارك ابن النجار في كثير من الشيوخ بسبب تقارب النشأة ، والمشاركة في الموطن ، والسعي نحو غاية مشتركة ، وقد حاولت عند الحديث عن سيرة حياة ياقوت أن أعدَّ فريقاً ممن لقي في تجواله ، ولكن كثيرين منهم لم يرتبط ذكره لهم بتاريخ معين للقاء ، ولهذا لم يكن إدراجهم في سيرته بحسب التدرج التاريخي ممكناً.

فمن أصدقائه الفقيه أبو عبد اللّه الحسين بن شروين بن بشر الباكلبي (نسبة إلى باكلبا من قرى إربل) وقد عمل معيداً في عدة مدارس في الموصل وحلب ويقول ياقوت إنه شاب فاضل مناظر[1] ، ومنهم الشهاب محمد بن فضلون العقري وكان يعارض معه إعراب شيخهما أبي البقاء العكبري لقصيدة الشنفرى[2] (لامية العرب) . وممن تعرف إليهم عن طريق التجارة إبراهيم بن عسكر بن محمد بن ثابت ، ويصفه بقوله : فيه عصبية ومروة تامة وقد مدحه الشعراء[3] ، بل إن أول شيخ قرأ عليه كان تاجراً وسيجيء ذكره مع سائر شيوخه . وكان ابن البرفطي الدسكري المغرم بخط ابن البواب أحد أصدقائه ، وقد أنشده أشعاراً أثبت بعضها ولم يثبت بعضها الآخر ، أقام بحلب مدة ثم عاد إلى بغداد[4] ، وفي بغداد التقى بأديب أندلسي هو محمد بن أحمد بن سليمان الزهري ، ويقول فيه : وكان لي صديقاً معاشراً حسن الصحبة ، وعلى الرغم من أنه يصف شعره بالجودة فإنه لم يثبت شيئاً منه دون أن يذكر سبباً لذلك[5].

ولا أتردد في أن أعدّ من أصدقائه عز الدين ابن الأثير المؤرخ ، فهو ذو صلة وثيقة

---

(1) معجم البلدان 1 : 477 .
(2) معجم البلدان 3 : 696 معجم الأدباء (رقم: 1099) .
(3) معجم البلدان 3 : 381 .
(4) معجم الأدباء : 2391 (رقم: 992) .
(5) معجم الأدباء : 2391 (رقم: 991) .

به ، عنه أخذ ما دوّنه في ترجمة أخيه مجد الدين أبي السعادات ، ولا بد أنه كان موضع ثقته حتى عهد إليه لدى وفاته بأن يوصل كتبه وأوراقه إلى حيث وقفها ، ولعل إقامته بحلب قد وثقت الصلة بينهما[1].

ومن أصدقائه أيضاً أبو محمد عبد العزيز بن الحسين بن هلالة الأندلسي الطبيري ، رحل إلى خراسان ، وسمع من مشايخ ياقوت وغيرهم (توفي بالبصرة سنة 617)[2].

أما شيوخه فكانوا أيضاً كثيرين ، وأنا أذكر في ما يلي أسماء أشهرهم :

1 ـ سالم بن أحمد بن سالم أبو المرجّى الأديب النحوي العروضي ، أول شيخ قرأ عليه ياقوت ، وكان تاجراً ذا ثراء عريض مبجلاً ، درس عليه العربية والعروض ببغداد[3].

2 ـ الوجيه الكبير المبارك بن المبارك الضرير ، قال ياقوت : هو شيخي الذي به تخرجت وعليه قرأت ، تولى تدريس النحو بالنظامية سنين ، كان قليل الحظ من التلامذة ، يتخرجون عليه ولا ينسبون إليه ، ولم يكن فيه عيب إلا أن فيه ليناً ، وكان إذا جلس للدرس يقطع أكثر وقته بالأخبار والحكايات وإنشاد الأشعار حتى يسأم الطالب وينصرف عنه وهو ضجر ، وكان طويل البال لا يغضب ، ولم يُرَ حردان أبداً ، وكان بعض الناس يراهن على إغضابه فيخسر ، وكان يحسن سبع لغات عدا العربية (منها الأرمنية والرومية والحبشية والهندية)[4]، وقد تلمذ له ابن النجار ، وهو يصفه بمثل ما ذكر ياقوت ويقول : « وهو أول من فتح فمي بالعلم . . . فكنت أقرأ عليه القرآن والفقه والنحو »[5] (توفي سنة 612) .

3 ـ أبو البقاء العكبري عبد اللّه بن الحسين : كان ضليعاً في النحو واللغة والفقه والفرائض والكلام ، وكان رقيق القلب سريع الدمع ، رآه ياقوت مراراً ينشد من

(1) إنباه الرواة 4 : 78 .

(2) معجم البلدان 3 : 516 (طبيرة) .

(3) معجم الأدباء : 1339 (رقم : 513) .

(4) معجم الأدباء : 2263 (رقم : 932) .

(5) سير أعلام النبلاء 22 : 88 .

الأشعار الرقيقة وأدمُعَه تتحدر على شيبته ، فكان إذا تذكر ذلك منه خشع قلبه وترحّم عليه ، له مؤلفات كثيرة منها إعراب الشواذ وإعراب القرآن وشرح الحماسة ، وقد درس عليه ابن النجار وقرأ عليه كثيراً من مصنفاته (وتوفي سنة 616)[1].

4 ـ تاج الدين أبو اليمن الكندي ، زيد بن الحسن : كان يتنقل في البلاد يتجر ويطلب العلم ، وكان أعلم أهل زمانه بالنحو ، وهو أيضاً شيخ ابن النجار ، ويبدو أن ياقوتاً تعرف عليه في دمشق لأنه غادر بغداد قبل مولد ياقوت بسنوات ، ويذكر ياقوت أنه كانت له خزانة علمية في جامع بني أمية[2] ، وتوفي سنة 613 .

5 ـ ابن الدبيثي ، محمد بن سعيد : قال فيه ياقوت : « شيخنا الذي استفدنا منه وعنه أخذنا » صنف تاريخاً لواسط ، وذيلاً على ذيل ابن السمعاني على تاريخ الخطيب ، وكان يحدث بهما وبمعجمه ، وهو شيخ ابن النجار أيضاً ، وفيه يقول : صحبته عدة سنين فما رأيت منه إلا الجميل والديانة وحسن الطريقة (توفي سنة 637)[3].

6 ـ أبو المظفر عبد الرحيم بن عبد الكريم السمعاني : عرفه ياقوت في مرو وأفاد من علمه ومن خزانتي الكتب اللتين يملكهما السمعانيون ، وهو شيخ ابن النجار أيضاً ، وكان معظماً (توفي سنة 617 أو التي بعدها في الاجتياح التتري)[4] والأرجح أن ياقوتاً ترجم له ، ولكن سقطت ترجمته من معجم الأدباء .

7 ـ عبد العزيز بن مبارك بن محمود الجنابذي : بغدادي الدار ، قال ياقوت : لم يكن لأحد من شيوخ بغداد الذين أدركناهم أكثر من سماعه مع ثقة وأمانة وصدق ومعرفة تامة ، وكان حسن الأخلاق مزّاحاً ، سمع عليه ياقوت وأجازه، ونِعْمَ الشيخ كان (توفي سنة 611)[5].

---

(1) معجم الأدباء 1515 (رقم: 645) وسير أعلام النبلاء 22 : 91 ـ 93 . .

(2) معجم الأدباء : 1330 (رقم: 504) وسير أعلام النبلاء 22 : 34 .

(3) تاريخ الإسلام للذهبي/ الطبقة الرابعة والعشرون : 320 ـ 322 والوافي 3 : 102 وسقطت ترجمته من معجم الأدباء .

(4) سير أعلام النبلاء 22 : 107 .

(5) معجم البلدان 2 : 141 .

8 ـ الشيخ الصالح الزاهد الحسن بن أحمد بن يوسف الأوقي لقيه ياقوت بالبيت المقدس سنة 624 ، وكان تاركاً للدنيا مقبلاً على قراءة القرآن فسمع عليه جزءاً وكتب عنه وسأله عن بلده[1] .

9 ـ محمد بن الخضر بن محمد الحراني ، ابن تيمية الباجديّ : كان شيخاً معظماً بحرّان وخطيبها وواعظها وفقيهها ، رآه ياقوت غير مرة وأخذ منه إجازة ، (وتوفي سنة 621)[2] .

4 ـ ياقوت المؤلف

1 ـ منهجه في التأليف :

تدل الكتب التي وصلتنا من مؤلفات ياقوت على أنه كان يدين بمبادىء في التأليف يحرص عليها ، ومن أهمها :

1 ـ الاستقصاء في الاطلاع : ولذلك كانت أهم كتبه تمثل مشروعات طويلة المدى ، لا يمكن إنجازها في وقت محدد ، بل هي «موضوعات مفتوحة» تتحمل الزيادة على مرّ السنين .

2 ـ الابتعاد عن الأسطورية وما يأبى العقلُ قبوله ، ومع ذلك فإنه يقرّ أنه أورد نماذج وأخباراً بعيدة عن العادات المألوفة ، تنفر منها الطباع السليمة[3] ، كتبها وهو مرتاب بها نافر عنها ، وإنما دونها حرصاً على إحراز الفوائد ، إذ هي مفيدة إن كانت حقاً ، وامتحان لسلامة التفكير إن كانت باطلاً . وقال في موضع آخر : وفي أخبار قصاص المسلمين أشياء عجيبة تضيق بها صدور العقلاء ، أن أحكي بعضها غير معتقد لصحتها[4] ، وبعد أن روى بعض الأساطير قال : وإنما هي أشياء تكلم بها القصاص . . . لا مستند لها من عقل ولا نقل[5] .

(1) معجم البلدان 1 : 408 .
(2) معجم البلدان 1 : 453 (باجدا) .
(3) معجم البلدان 1 : 9 .
(4) معجم البلدان 1 : 22 .
(5) معجم البلدان 1 : 24 .

3 ـ الصدق في النقل والرواية دون تغيير أو إيجاز مخلّ وهذا يعني أنه غير ملوم إذا نقل أحياناً ما لا يقبله العقل ، شرط أن ينوه بذلك.

4 ـ الاعتماد على الثقة في ناقل الرواية ، ومبلغ تحرّيه في النقل ، فهو يقبل حكاية رواها السمعاني ثم يقول : وهذه حكاية على ما يُرَى من الاستحالة ، وقد أوردتها أنا لثقة موردها وتحرّيه في الرواية ، فإن صحّت فقد فزت بحظ من العجب ، وإلا فاجعلها كالسمر تستمتع به[1].

5 ـ محاولة التبرؤ من مسؤولية الخطأ باللجوء إلى الحديث عن فقدان العصمة لدى البشر ، وطلب العذر عن الخطأ ، فالكمال محال لغير ذي الجلال ، والنسيان في الإنسان غير معدوم ، وليقس القارىء قلة الخطأ إلى كثرة الصواب فإنه حينئذ يدرك أن الناحية الايجابية هي الغالبة.

6 ـ إيمانه بأن العالم الإسلامي وحدة كبيرة ، وأنه مسؤول عن الترجمة لمشاهير أدباء ذلك العالم وشعرائه ، ورسم صورة لبلدانه وقراه وبحاره وأنهاره ، كذلك فعل في معجم الأدباء وكذلك كان منهجه في معجم البلدان « ولم أقصد أدباء قطر ، ولا علماء مصر ، ولا إقليم معين ، ولا بلد مبين ، بل جمعت البصريين والكوفيين والبغداديين والخراسانيين ، والحجازيين واليمنيين والمصريين والشاميين والمغربيين وغيرهم »[2].

7 ـ التنويع في مادة الكتاب بين الحكمة والخبر والشعر والنثر والهزل والجد.

8 ـ إنكار الاختصار بعد أن يكتمل الكتاب حسبما رسمه مؤلفه ، لأن الاختصار يدل على تخلف الهمم لدى طلاب العلم ، وفيه تشويه للكتاب الأصلي « ثم اعلم أن المختصر لكتاب كمن أقدم على خلق سويٍّ فقطع أطرافه »[3].

وعلى الرغم من جنوح ياقوت إلى التواضع وهو يقوم بالتأليف فإنه كان يشعر بالزهو البالغ حين يكتمل الكتاب ويتأمل مبلغ ما بذله فيه من جهد، وما أحرزه فيه من

(1) معجم الأدباء : 2358 (رقم: 985).
(2) معجم الأدباء 1 : 8 ـ 9.
(3) معجم البلدان 1 : 11.

إتقان . وعلى الرغم من اعترافه بأن الخطأ جائز على جميع البشر ، فإنه يرى الأمور نسبية ويضيف قائلاً : « وعلى ذلك فإنني أقول ولا أحتشم ، وأدعو إلى النزال كلَّ عَلَمٍ في العلم ولا أنهزم ، إن كتابي هذا (أي معجم البلدان) أوحد في بابه ، مؤَمَّرٌ على أضرابه ، لا يقوم بإبراز مثله إلا من أيّد بالتوفيق ، وركب في طلب فوائده كلّ طريق »[1] ، وبهذه الروح نفسها يتحدث عن معجم الأدباء أيضاً ، فهو قد أبرزه في أبهى من الحليّ على ترائب الكعاب[2] ثم يقول : « واعلم أنني لو أعطيت حمر النعم وسودها ، ومقانب الملوك وبنودها ، لما سرَّني أن ينسب هذا الكتاب إلى سواي »[3] ويبدو أن عِظَمَ الكتاب في نظره ـ بعد الجهد الذي بذله في سبيل تأليفه هو الدافع إلى منعه من ملتمسيه ، وحجبه عن الراغبين في الاطلاع عليه . وعلى هذا الأساس يمكن أن يقال إن منهج ياقوت في التأليف كان يرمي إلى إذكاء الشعور بالرضى عن نفسه في نفسه ، أو بما يتجاوز الرضى إلى نوع من السعادة الذاتية التي يغذيها لديه حب الظهور.

2 ـ مؤلفات ياقوت :

يقول الذهبي حين يعدُّ الفروع العلمية التي ألّف فيها ياقوت : «صاحب التصانيف الأدبية في التاريخ والأنساب والبلدان وغير ذلك »[4] . ومع أن هذا القول يصوّر المجالات التي شملها نشاط ياقوت ، فيمكن تصنيف مؤلفاته على نحو آخر ، لا يتجاوز أربعة مجالات رئيسية :

I ـ مؤلفات في التاريخ ، وهي :

1 ـ المبدأ والمآل في التاريخ (ذكره ابن الشعار وابن خلكان والذهبي في تاريخ الإسلام وسير أعلام النبلاء وابن العماد في الشذرات) ويقول ياقوت في ترجمة

---

(1) معجم البلدان 1 : 10 .
(2) معجم الأدباء 1 : 12 .
(3) معجم الأدباء 1 : 13 .
(4) العبر للذهبي 5 : 107 .

إبراهيم بن المدبر من معجم الأدباء (رقم: 29) « وقتله ابن طولون في أمر قد ذكرته في كتابي «التاريخ» فلعله هو المبدأ والمآل ، ثم يذكره باسم « المبدأ في التاريخ » في معجم الأدباء (رقم: 937).

2 ـ كتاب الدول (ذكره ابن الشعار وابن خلكان والذهبي في تاريخ الإسلام والسير وابن العماد في الشذرات) ولعله يفترق عن الأول في أنه غير مرتب على السنين وإنما يؤرخ لدولة دولة ، وبخاصة الدول الإسلامية.

3 ـ تاريخ على السنين ، انفرد بذكره ابن النجار ولعله هو المذكور أولاً.

II **مؤلفات في المعاجم** ، وهي نوعان :

معاجم للبلدان ومعاجم لتراجم الرجال وهي في مجموعها أربعة ، وسأتحدث عن كل منها بشيء من التفصيل في ما بعد ، إذ هي تمثل الميدان الذي تفوق فيه وهي :

4 ـ معجم البلدان.

5 ـ المشترك وضعاً والمفترق صقعاً.

6 ـ أخبار الشعراء.

7 ـ معجم الأدباء.

III ـ **مؤلفات في النحو** :

8 ـ مجموع كلام أبي علي الفارسي (ذكره ابن الشعار وابن خلكان والشذرات ولا ندري شيئاً عن طبيعة هذا الكتاب ، وقد أورد ياقوت ترجمة إضافية لأبي علي (رقم: 304) في معجم الأدباء ، ويبدو أنه كان مهتماً بجمع مراسلات أبي علي[1] ، فلعلّ هذا الكتاب يضمها.

9 ـ كتاب الأبنية (ذكره ابن الشعار ، ولعله أن يكون في أبنية اللغة).

10 ـ أوزان الأسماء ، والأفعال الحاصرة لكلام العرب (ذكره القفطي).

11 ـ الردّ على ابن جني عند كلامه في الهمزة والألف من سر الصناعة (ذكره القفطي) ويفهم من كلام القفطي أنه ألّف هذين الكتابين بعد استقراره بحلب (618 ـ 626) وأنه لفقهما من كتب أعاره إياها القفطي ، ولم يكن القفطي

---

(1) معجم الأدباء 2 : 819.

راضياً عنهما فهو يقول إنه خلط الغث بالسمين وقرن الفروع بالأصول غير فارق في التبيين لقلة أُنسته بالعربية وأصولها[1] ، ولكن كلام القفطي يجب أن يؤخذ بحذر.

IV ـ مختصرات لكتب مشهورة أو اختيارات (على الرغم من ذمّه للاختصار) ومنها:

12 ـ عنوان كتاب الأغاني (ابن الشعار وابن خلكان والشذرات) والعنوان يدلُّ على أنه استخرج من الأغاني ما يدل على طبيعة الكتاب وجوهره، وإذا قرىء اسمه « عيون كتاب الأغاني » دلَّ على أنه مختارات لأحسن ما رآه ياقوت فيه ، وقد سماه ابن الشعار « منتخب كتاب الأغاني » وكان ياقوت شديد الاهتمام بهذا الكتاب ، شديد التقدير له حتى ليقول فيه : « ولعمري إن هذا الكتاب لجليل القدر شائع الذكر جم الفوائد عظيم العلم ، جامع بين الجد البحت والهزل النحت ، وقد تأملت هذا الكتاب وعنيت به وطالعته مراراً ، وكتبت منه نسخة بخطي في عشر مجلدات ، ونقلت ما فيه إلى كتابي الموسوم بأخبار الشعراء فأكثرت »[2] ، وهو أيضاً من مصادره المهمة في معجم الأدباء.

13 ـ المقتضب في النسب ، أو كتاب في النسب ، أو كتاب الأنساب ، فيه أنساب العرب (ذكره ابن الشعار وابن خلكان والذهبي في تاريخ الإسلام وسير أعلام النبلاء ، وابن العماد في شذرات الذهب) وهو اقتضاب أو اختصار لجمهرة ابن الكلبي ، وكان ياقوت قد حصّل معرفة جيدة في هذا العلم ، ولهذا نجده يصرف نفسه بالتحقق فيه[3] ، ويذكر بروكلمان أن منه نسخة بالقاهرة (دار الكتب).

14 ـ مختصر تاريخ بغداد للخطيب (ذكره ابن الشعار).

V ـ كتب مفردة ، ذكرت المصادر منها كتابين :

15 ـ أخبار المتنبي ، وهو يلحق بمعجم الشعراء ، كما يمكن إلحاقه بكُتبه التاريخية (ذكره ابن الشعار).

16 ـ ضرورات الشعر (انفرد ابن الشعار بذكره).

(1) إنباه الرواة 4 : 79. (2) معجم الأدباء : 1708. (3) معجم الأدباء 2 : 942.

3 ـ تفصيل القول في معاجم ياقوت :

من نذر نفسه لهذا اللون من المؤلَّفات كان لا بد له من أنْ يكون تحت تصرفه مكتبة كاملة ، ولعلَّ اتصال ياقوت بالكتب ، ونسخه المئات منها ، واتجاره بها فتح عينيه على أنَّه يستطيع أن يقوم بمشروعات كبيرة في آنٍ واحد ، وزاده ثقةً بتحقيق ما قد خامر نيته هجرتُه (التي أرادها خاتمـةً لتنقلاته) إلى مرو الشاهجان ، واطلاعه هناك على خزائن كتب لم يجد لها مثيلاً في المدن الأخرى . إن مثل هذه المشروعات لا تتقيد بزمن محـدد ، وتتطلب سنـوات وسنوات في جمـع مادتهـا ، وتتقبل الإضـافة المستمرة ، والعمل على تـأليف مثل هـذه الكتب في إطار زمني واحـد أفيد وأكثـر اختصاراً للزمن لأن المؤلف قد يقع على مصدر يمدّه بتراجم أدباء وشعـراء وتعريف بأسماء البلاد ، غير أنَّ اجتماعها معاً في زمن التأليف يتطلب قدرة تنظيمية فـائقة ، وذاكرة قوية ، ولهذا تعد المعاجم شاهداً على حقيقة ما كان يتميز به ياقوت .

فأمّا اعتماد معجم للأدباء ، وآخر للشعراء ، فقد كـان الطريق فيـه قد سلكـه عشرات قبل ياقوت وعشرات معاصرون له ، فقد كان العصر نفسه معرّضاً للتنافس في هذا المجال ، ولم تعد هناك مدينة مشهورة في العالم الإسلامي إلا ويختص بها كتاب أو كتب في تراجم رجالها وتراجم من دخلها ، وعلى أساس هذه التواريـخ الأصلية كتبت ذيولٌ ثم كتبت ذيول على الذيول أو تكملات لها ، فقد خلّف ابن السمعاني ذيلاً على تـاريخ الخـطيب ، وكان ابن الـدبيثي شيخ يـاقوت يصنـع ذيلاً على مـا كتبـه السمعاني ، وكان صديقه ابن النجار يؤلف ذيلاً آخر على تاريـخ الخطيب ، وكـان صديقه ابن العديم يكتب تاريخ حلب وتراجم رجالها ومن دخلهـا ، والقفطي يكتب تراجم النحاة ، وتراجم المحمدين من الشعراء ، وأخبار الحكماء ، وكان صديق آخر لياقوت هو المستوفي يكتب تاريخ إربل أي يترجم لمن برز من أهلها أو لمن دخلها ، وكان صديقه الآخر ابن الشعار يكتب قلائد الجمان في شعراء عصره ، وكان شيخـه المنذري يكتب التكملة لوفيات النقلة ، كما كان ابن خلكان يحاول أن يكمل ما بدأ به من وفيات الأعيان . هؤلاء بعض المعاصرين ، وليس ثمة مجال لذكر جيل سابق أو أجيال سابقة لهم ، فالعصر يعجُّ بمن يكتبون تاريخه وتراجم رجاله ، فإذا فكر ياقوت في جمع تراجم للأدباء منذ بداية ظهور النحو حتى عصره أو تراجم للشعراء القدماء

والمتأخرين فهو قد وسَّع مساحة المشروع ولكنه لم يغير في طبيعته كثيراً.

لكنه كان غير مسبوق إلى وضع معجم جغرافي شامل ، ذلك أننا إذا استثنينا معجم ما استعجم للبكري وهو مقتصر على أسماء الأماكن التي وردت في الشعر والحديث وكتب التاريخ لم نجد أحداً قبل ياقوت أقدم على مثل هذا المشروع الكبير ، ويقول ياقوت في مقدمة معجم البلدان إنه طلب كتاب البكري (معجم ما استعجم) فلم يجده ، وإنما وجد كتابه «المسالك» ، ولكنه ينقل عن الأول ، وهذا قد يكون نقلاً غير مباشر . ويمكن أن يُعَدَّ كتاب أبي سعد السمعاني في الأنساب مفتاحاً لتأليف ياقوت في البلدان ، إذ إن كتاب السمعاني يحتوي على كثير من النسب إلى بلدان بأعيانها ، مما حمل المؤلف على ذكرها وتحديد مواقعها .

1 ـ **معجم البلدان** : ذكره بهذا الاسم المستوفي في تاريخ إربل وابن الشعار وقال : أجاد في تأليفه ، وقال المنذري : جمع كتاباً كبيراً في البلدان أحسن فيه . وسماه ابن النجار كتاب أسماء البلدان والجبال والمياه والأماكن ، وهو في هذا يستوحي قول ياقوت في مقدمة كتابه : « أما بعد فهذا كتاب في أسماء البلدان ، والجبال والأودية والقيعان ، والقرى والمحالّ والأوطان ، والبحار والأنهار والغدران ، والأصنام والأبداد والأوثان ».

وهو يقول إن فكرته انقدحت في ذهنه عندما كان في مدينة مرو سنة 615 ، وكان في مجلس شيخه أبي المظفر السمعاني ، فقد لفظ ياقوت اسم «حُبَاشَة» (وهي سوق من أسواق العرب ورد ذكرها في الحديث) بضم الحاء ، فانبرى له أحد المحدّثين وزعم أنها بفتح الحاء ، دون أن يؤيد قوله هذا بشاهد أو حجة ، وذهب ياقوت يطلب ضبط هذه اللفظة في المصادر ، فلم يهتدِ فوراً إلى مصدرٍ على الرغم من كثرة الكتب في تلك المدينة ؛ ومضت مدة قبل أن يعثر على ضبط الكلمة ، وحين عثر عليها مضبوطة ، تأكد من أن الحاجة ماسّة إلى معجم للبلدان مضبوط : « فألقي في روعي افتقار العالم إلى كتاب في هذا الشأن مضبوط ، وبالاتقان وتصحيح الألفاظ بالتقييد مخطوط ، ليكون في مثل هذه الظلمة هادياً ، وإلى ضوء الصواب داعياً ، ونبهت على هذه الفضيلة النبيلة ، وشرح صدري لنيل هذه المنقبة التي غفل عنها الأولون ، ولم

يهتد إليها الغابرون »[1] .

وإذا كان قد شرع في تبييضه ليلة إحدى وعشرين من محرم سنة 621[2] فمعنى ذلك أنه عمل في جمع مادته وترتيبها ووضعها في صورة قابلة للتبييض عشر سنوات ، وهي مدة ليست طويلة في هذا النوع من التأليف ، ولكن المؤلّف يراها طويلة « ولما تطاولت في جمع هذا الكتاب الأعوام »[3] ولا بد أن نتذكر هنا أموراً تتعلّق بإحساس الفرد نفسه تجاه الأحداث والأيام ، وبخاصة تجاه الموت ، فقد بدأه ياقوت عملياً وهو في الأربعين ، وأرغمه فراره من التتر على حمل مادته الكثيرة متنقلاً من بلد إلى بلد حتى حطّ رحاله في حلب ، وفي حلب استمرَّ ما لا يقل عن خمس سنوات وهو يضيف إليه ، وقد أخذ يحسُّ بأن العمر يمضي . والكتاب يتحمل العمل سنوات أخرى ، « فقطعته والعين طامحة ، والهمة إلى طلب الازدياد جامحة ، ولو وثقت بمساعدة العمر وامتداده ، لضاعفت حجمه أضعافاً . . . »[4] ولعلَّ نذير المرض كان يذكره دائماً بضرورة الاقتصار على ما توفر له ـ وهو كثير ـ وحين اكتمل تبييض النسخة أهداها إلى خزانة الصاحب الأكرم جمال الدين القفطي[5] ، وفي النسخة التي وصلتنا زيادات ترقى إلى عام 624 ويقول كراتشكوفسكي إنه أخذ على عاتقه ابتداءً من أول يناير 625/1228 تهذيب المعجم ، ولكن الوفاة عاجلته دون ذلك[6] .

ومع ذلك فأنا أعتقد أن فكرة المعجم كانت تدور في ذهنه ، قبل أن يصطدم بمن خطّأه في لفظ «حباشة» ، فإن جولاته بدأت في حدود سنة 607 ، وبدأ لديه التعرف إلى البلدان ، كما بدأ لديه نسخ الكتب ، وفيها كتبٌ جغرافية ، وفيها ما يجعل الناسخ يتوقف عند بعض الأسماء الجغرافية ، ولهذا فإن حادثة «حباشة» كانت نقطة الحسم في توجهه لإبراز الفكرة عملياً ، وكان قد حصل بالمشاهدة والاطلاع كثيراً مما يصلح أن

(1) معجم البلدان 1 : 6 .
(2) معجم البلدان 1 : 13 .
(3) معجم البلدان 1 : 10 .
(4) معجم البلدان 1 : 11 .
(5) معجم البلدان 1 : 12 .
(6) تاريخ الأدب الجغرافي (بيروت) : 365 .

يُدْرج في معجم جغرافي ، ولكن حادثة حباشة أكدت له أن أي معجم من هذا النوع لا بد أن يضبط كل «مدخل» فيه ضبطاً كتابياً ، وهذا ما حرص عليه في معجم البلدان ، كما حرص أن يردّ كلَّ اسم إلى معناه اللغوي عربياً كان أو فارسياً ، إن استطاع إلى ذلك سبيلاً ، وهذا المطلب الثاني أدخله في تمحلات لا قيمة لها.

وقد قسّم ياقوت مصادره الأساسية في قسمين :

1 ـ مصادر القدماء من الحكماء والفلاسفة مثل بطلميوس ، ومن جرى على منوالهم من الإسلاميين ممن عنوا بالمسالك والممالك ، مثل ابن خرداذبه واليعقوبي والجيهاني وابن الفقيه والبلخي والاصطخري وابن حوقل وابن البناء البشاري ومن جرى مجراهم ، وعيب كتبهم أن الأسماء فيها محرفة أو مصحفة لجهل النساخ.

2 ـ مصادر أهل الأدب واللغة الذين اهتموا بالأماكن العربية كالأصمعي وابن الحائك الهمداني والسيرافي والغندجاني وابن الكلبي ، وكتبهم حسنة الضبط ولكنها غير مرتبة على نظام ، فاستخراج المادة منها يعني إعادة ترتيبها ، كما أنها شديدة الايجاز في تحديد المكان ، لأن ضبط الألفاظ هو همها الأول.

لكن المصادر في هذين القسمين لا بد من أن ترفد بمصادر مساعدة ، منها : دواوين العرب ، أمهات كتب اللغة . كتب المحدثين . كتب التاريخ . تفاريق كتب لم تنضوِ تحت القسمين السابقين . الاعتماد على الفوائد الشفوية . الاعتماد على المشاهدة . وهذه كلها قد أمدت المؤلف بأضعاف ما جمعه من مصادر الجغرافيين أو مصادر أهل اللغة . ولذلك كانت مصادره الروافد تعد بالعشرات إن لم أقل بالمئات ، وهذه الكتب هي التي أمدته بالأشعار التي ذكرت فيها المواقع ، وبخاصة أشعار الحنين إلى الأوطان ، كما أمدته بأخبار الفتوح وأخبار الأماكن المتصلة بالمعارك والأحداث التاريخية الأخرى المهمة . ولما كان ياقوت لم يتجاوز مصر غرباً ، فإن اعتماده على المشاهدة كان محصوراً بالمناطق الشرقية بين مصر وما وراء النهر ، فأما ما ذكره من مواقع في أفريقية والأندلس ، فهو يعتمد اعتماداً كلياً على المصادر ، وقد أسعفته مصادر المشرق والمغرب على ذكر أهم العلماء الذين نسبوا إلى الأمكنة وكان لكتب الأنساب دورها في هذا الصدد.

وقبل أن يأخذ ياقوت في ذكر الأماكن مرتبة على حروف الهجاء كتب لمعجمه مقدمة تتناول خمسة موضوعات :

(1) في صفة الأرض وما فيها من الجبال والبحار وغيرها وقد تضمن هذا الباب ما قاله المتقدمون في هيئة الأرض وفيه نقلٌ عن العلماء قبل العهود الإسلامية وعن الخوارزمي والبيروني ومحاولة لعرض الآراء في شكل الأرض ومساحتها.

(2) في ذكر الأقاليم السبعة وما يتعلق بها ويضاف إلى ذلك ذكر البروج الاثني عشر ، وما يتبع كل برج من البلدان.

(3) في المصطلحات التي يتكرر ذكرها في الكتاب كالبريد والفرسخ والإقليم والكورة ، ومصطلحات الأرض المفتوحة وأنواع الضرائب.

(4) في أحكام أراضي الفيء والغنيمة حسب أقوال الفقهاء.

(5) في جمل من أخبار البلدان.

ومع أن المؤلف رفض مراراً مطلب من سألوه أن يضع ملخصاً لكتابه ، لايمانه بسوء ما يجره التلخيص على المشروع الأصليّ واكتماله واحتوائه للعناصر المختلفة ، فإن صفي الدين الأرموي (739/1338) قد اختصر معجم البلدان في كتاب سمّاه «مراصد الاطلاع» وفائدته محدودة بوجود الأصل.

وإذا نحن قارنّا بين معجم البلدان ومعجم ما استعجم للبكري وجدنا فروقاً كبيرة وفروقاً جزئية ، فأما الفروق الكبيرة فترجع إلى شمولية معجم ياقوت ومحدودية معجم ما استعجم ، فإن تعدد المواد والمداخل لدى ياقوت أضعاف ما عند البكري ، وهذا بدوره يحتمل التفصيلات الكثيرة لدى ياقوت فأما في ذكر المواقع الواردة في الشعر والحديث والتواريخ (وهي مدار معجم ما استعجم) فإنها أحياناً تكون عند البكري أحفل بالمادة ، وبالإشارات الشعرية مما هي عند ياقوت ، كما أنّ هناك أسماء أوردها البكري ولكنها غير موجودة عند ياقوت ، مع أنَّ المفترض أن يشترك المعجمان في هذا النوع من الأسماء.

2 ـ المشترك وضعاً والمفترق صنعاً

يسميه ابن الشعار كتاب مختصر معجم البلدان ، ويذكر أنه جعله على غير الترتيب الذي اختاره في معجم البلدان نفسه . وقد كان ياقوت يعرف أن هناك مؤلفين قبله كتبوا في الموضوع كتباً منها كتاب للحازمي في ما اختلف وائتلف من أسماء البلدان ، كان ياقوت قد اطلع عليه ، وأطلعه صديقه ابن النجار على مختصر صنعه الحافظ أبو موسى محمد بن عمران الاصفهاني من كتاب ألّفه أبو الفتح نصر بن عبد الرحمن الإسكندري النحوي في ما اختلف وائتلف من أسماء البقاع ، وأعجب بالكتاب لأن مؤلفه رجل ضابط أنفق في تحصيله عمراً ، وتبيّن له أن ما صنعه الحازمي إنما كان اختلاساً لهذا الكتاب.

وحين انتهى من معجم البلدان كان يعرف أنه ضمن كتابه أسماء كثيرة للأماكن تتفق في اللفظ والخط وكل منها يدل على مكان مستقل ، فمثلاً آبل اسم لأربعة مواضع ، وأبارق (مضافة) تطلق على أحد عشر موضعاً ، فاستخرج ما كان كذلك من المعجم الكبير وجعله في كتاب مستقل مع شيء من الاختصار ، ولكنه لم يغير الترتيب الهجائي الذي اتبعه في معجمه المطوّل ، وهو في آخر المختصر يقول من قبيل الاحتياط : « ولا أشك في أنه قد بقي منه أكثر مما أثبتَ ، ولكن هذا الذي انتهى إليه الجهد » ، ولكن ما دام هذا المختصر منتزعاً من أصل أكبر ، فإنه ما كان ليزيد فيه شيئاً إلا إذا أضافه إلى الأصل.

3 ـ أخبار الشعراء

(بهذا الإسم ذكره ابن خلكان والذهبي في تاريخ الإسلام وسير أعلام النبلاء ، وذكره ابن الشعار والمستوفي باسم معجم الشعراء) وقال ياقوت فيه : « وكنت قد شرعت عند شروعي في هذا الكتاب أو قبله (أي معجم الأدباء) في جمع كتاب في أخبار الشعراء المتأخرين والقدماء . . . فأودعت ذلك الكتاب كل من غلب عليه الشعر فدوّن ديوانه ، فشاع بذلك ذكره وشانه ، ولم يشتهر برواية الكتب وتأليفها ، والآداب وتصنيفها »[1] ثم ذكر أن كتاب الأغاني لأبي الفرج كان من أهم مصادره وأنه نقل عنه

(1) معجم الأدباء : 8 وتاريخ إربل : 320 .

فأكثر[1] ، ولكن مصادره الأخرى لا بد أن تشمل طبقات ابن سلام والشعر والشعراء لابن قتيبة والورقة لابن الجراح ومعجم الشعراء للمرزباني وطبقات الشعراء المحدثين لابن المعتز والخريدة للعماد وعشرات أخرى من الكتب الخاصة بالشعراء ، ولعل مما يميز هذا الكتاب ذكره للمعاصرين الذين عرفهم وسمع أشعارهم ، وإن كنت أرجّح أن ابن الشعار قد تفوّق عليه في هذا الجانب . ومن الشعراء الذين صرّح بايراد تراجم لهم في هذا الكتاب محمد بن أمية وكلثوم بن عمرو العتابي[2] ، وهو يشير إلى أن هناك فئة قليلة اشتهرت بالصناعتين ، صناعتي النظم والنثر ، فتراجمهم شركة بين معجم الأدباء ومعجم الشعراء .

ومن المقطوع به أن بعض تراجم معجم الشعراء ، قد اختلطت مع ما نشر من معجم الأدباء ذلك لأن هناك أناساً لا يعرفون إلا بالشعر في عصور لم يكن التأليف فيها شائعاً مثل صدر الإسلام وعصر بني أمية ، ومن هؤلاء أبو ذؤيب الهذلي وأبو زبيد الطائي والفرزدق ويزيد بن مفرغ وابن الطثرية وابن ميادة وشبيب بن البرصاء ورؤبة بن العجاج وشعراء من المحدثين مثل أبي دلامة وحماد عجرد ، فهؤلاء وأمثالهم يجب ألا يذكروا في معجم خاص بالأدباء .

بل ربما ذهبنا إلى ما هو أبعد من ذلك فتوقفنا عند بعض المذكورين في معجم الأدباء واستنتجنا من بعض الظواهر في تراجمهم أن ترجماتهم ليست مما كتبه ياقوت ، ولكن دعنا لا نسرف في التقدير ، فإثبات هذا أمرٌ عسير .

4 ـ معجم الأدباء

1 ـ اسم الكتاب :

يصرِّحُ ياقوت في مقدمة كتابه[3] أنه اختار له اسم « إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب » ولكنه حين يشير إليه في مواطن أخرى يستعمل تسميات مختلفة ، فهو معجم

---

(1) معجم الأدباء : 1708 .

(2) معجم الأدباء : 203 ، 2213 .

(3) معجم الأدباء 1 : 15 .

الأدباء[1] ، وأخبار الأدباء[2] ، وكتاب الأدبـاء[3] ، وهو أيضـاً أخبار النحـويين[4] ، ويسميه ابن الشعار « معجم أئمة الأدب »[5].

ويخبرنا ابن المستوفي أن المؤلف بعد سمّى كتابه «إرشـاد الأريب . . . » عاد فغيره وجعله «إرشاد الألباء إلى معرفة الأدباء »[6] وهكذا يورد ابن خلكان اسم الكتاب نقلاً عن عن تاريخ إربل[7] ، غيـر أنه متبعـاً تاريـخ إربل أيضـاً يفرد بـالذكـر كتاب «معجم الأدباء »[8] ، وهذا يوهم أنه كتاب آخر مستقل وليس اسماً من أسماء إرشاد الألباء . وهذا الكتاب يجيء في أربعة جلود كبار [9] .

2 ـ كلمة «أدباء» على من تطلق :

لم يدع ياقوت مدلول هذه اللفظة للظن والتخمين ، بل حصر الفئات التي يعدها داخلةً تحت هذه «المقولة» الكبيرة ، وهم ثماني فئات (والقاسم المشترك بين معظمهم أن يكون للواحد منهم مؤلف أصل أو مجموع) .

النحويون ـ اللغويـون ـ النسابون ـ القرّاء المشهورون ـ الأخباريون والمؤرخون ـ الـورّاقون المعـروفون ـ الكتّـاب المشهورون وأصحـاب الرسـائل المـدونة ـ أربـاب الخطوط[10] وأخذ على نفسه ألاّ يخلّ بأمور معينة إذا توافرت وهي ذكر سنة الوفاة ـ ذكر سنة المولد ـ تسمية ما لصاحب الترجمة من مصنفات ـ إيراد ما يستحسنه المؤلف من أخباره ـ إيراد نسبه إن أمكن ـ إيراد شيء من شعره إن كان له شعر .

وكانت خطته في الدراسة حذف الأسانيد (إلا القصيرة منها) ايثاراً للايجاز ـ كما

(1) معجم البلدان 1 : 476 .
(2) معجم البلدان 1 : 508 ومعجم الأدباء : 1550 .
(3) معجم البلدان 1 : 612 ، 629 وسير الذهبي 22 : 312 .
(4) معجم البلدان 1 : 721 .
(5) قلائد الجمان 9 : 340 .
(6) معجم الأدباء : 7 .
(7) تاريخ إربل : 322 .
(8) وفيات الأعيان 6 : 128 .
(9) وفيات 6 : 129 وتاريخ إربل : 324 .
(10) تاريخ إربل : 319 .

يقول ـ ، وذكر المصدر الذي ينقل عنه إن بعد زمان المترجم به ، فأما المعاصرون الذين لقيهم أو لقي من لقيهم فإنه يستقصي في السؤال عن أحوالهم فالايجاز لا يلحق إلا السند ، فأمّا في رواية الأخبار فإن الإسهاب في النقل هو القاعدة ، مهما تطل الترجمة ، وقد أطنب ياقوت في بعض التراجم مثل ترجمة الصاحب بن عباد ، وأبي حيان التوحيدي وأبي الفتح ابن العميد والوزير المهلبي والطبري والشافعي وغيرهم .

وفي بعض الأحيان يتوقف ياقوت ليورد العلة في ذكره لأحد الأدباء مع أنه اشتهر بالشعر مثل ابن بسام البغدادي فيقول : « وكان الغالب على ابن بسام الشعر ، ومن حقه أن يُذكر مع الشعراء، وإنما حملنا على ذكره هاهنا رسائله وما له من التصانيف» (ثم يذكرها)[1] ، وقد يخفى على القارىء السبب الذي حداه إلى إيراد ترجمة أحدهم مثل ابن الخاضبة ، فيوضح ذلك بقوله : «قال مؤلف الكتاب : إنما ذكرت ابن الخاضبة في كتابي هذا وإن لم يكن ممن اشتهر بالأدب لأشياء منها : أنه كان قارئاً ورّاقاً ، وله حكايات ممتعة ، ولم يكن بالعاري من الأدب بالكلية»[2]، وإذا تشكك أحدٌ في ذكر يحيى بن خالد البرمكي في الأدباء ، دافع ياقوت عن ذلك بقوله : « وإنما دخل في شرط كتابنا من جهة بلاغته وتقدمه على أكثر أهل عصره في الإنشاء والكتابة ، وما صدر عنه من الحِكَم والأقوال التي تداولها الرواة وملئت بها الدفاتر»[3] .

3 ـ ترتيب الكتاب :

وقد بنى ياقوت ترتيب التراجم على حسب حروف الهجاء ، بدقة ، أي ملتزماً أول حرف من الاسم وثانيه وثالثه ورابعه ، ثم يلتزم ذلك في الآباء ، ومع ذلك فإن ما بين أيدينا من معجم الأدباء مضطرب وبخاصة في حرف الألف ، ولم أحاول أن أعيده إلى ترتيبه الذي اختاره المؤلف خوفاً من اضطراب التراجم وتداخلها بالنقل من مكان إلى آخر.

---

(1) معجم الأدباء : 1860 (رقم : 806) .
(2) معجم الأدباء : 2358 (رقم : 985) .
(3) معجم الأدباء : 2809 (رقم : 1224) .

ولم يكن اضطراب الترتيب هو النقص الوحيد فيما وصلنا من هذا المعجم بل ظهرت فيه نقائص أخرى منها:

(1) إدخال شعراء في التراجم لم تعرف لهم تصانيف (وهذا قد ذكرته عند الحديث عن معجم الشعراء).

(2) ضياع أسماء كثيرة ممن ترجم لهم ياقوت.

(3) تعرّض بعض التراجم للحذف والاختصار.

(4) ذكر أنه أفرد في آخر كل حرف فصلاً يذكر فيه من اشتهر بلقبه أو نسبه أو كنيته، (دون أن يترجم له) ليطلب في موضعه[1]، ولكن هذا غير موجود في ما وصلنا من الكتاب.

(5) ضياع فصلٍ بدأ به الكتاب، يتضمن أخبار قوم من متخلفي النحويين والمتقعرين المجهولين.

4 ـ تاريخ تأليف معجم الأدباء:

هذا اللون من الكتب لا يمكن تقييده بتاريخ محدّد، ولكن يبدو أن نية ياقوت اتجهت للتأليف فيه وهو ما يزال في العشرين من عمره، وليس لقاؤه لشميم الحلي (594) إلا مؤشراً على شغفه بلقاء الأدباء وتدوين أقوالهم وأشعارهم وأخبارهم، وقد استمر يضيف إلى التراجم التي يجمعها من المصادر أو من المقابلة أو السماع حتى آخر حياته، ونراه يكتب إحدى التراجم سنة 619[2]، كما أن عثوره على بعض المصادر يحدّد بعض التراجم التي نقلها، من ذلك أنه لم يحصل على وشاح الدمية للبيهقي إلا عندما ذهب إلى خوارزم سنة 616، وإذا سجلنا تواريخ لقاءاته للأدباء (ياقوت بن عبد الله بالموصل سنة 613، الخاوراني لقيه بسرين 617، اللورقي بحلب 618، ابن العديم بحلب 619 . . . إلخ) وهذا يعني أن أخبارهم ومؤلفاتهم لم تكن معروفة لديه قبل اللقاء.

---

(1) يبدو أن الصفدي احتذى هذه الطريقة اقتداءً بياقوت.

(2) الترجمة رقم: 833.

5 ـ مصادر المؤلف في معجم الأدباء :

يستطيع القارىء أن يجد بين الفهارس فهرساً بأسماء الكتب التي نقل منها ياقوت مادة كتابه وهي تكاد تصل في العدد قرابة مائتين وخمسين كتاباً ولكن هذه ليست كل مصادره المكتوبة ، بل هناك ما كان يجده على ظهور بعض الكتب ، وما كان ينقله من خطوط أناس مشهورين (دون أن يذكر اسم المصدر).

ويستمد كتاب ياقوت أهميته وحيويته من ناحيتين تتصلان بمصادره :

(1) نقله عن كتب كثيرة لم تصلنا.

(2) لقاؤه لأعلام معاصرين وأخذه عنهم مباشرة.

وحين يكثر النقل عن كتاب مثل الفهرست ويتيمة الدهر وتاريخ بغداد للخطيب وتاريخ ابن عساكر وتاريخ نيسابور للحاكم (وذيله لعبد الغافر) والمذيل للسمعاني والمقتبس ومعجم الشعراء للمرزباني وخريدة القصر للعماد ومراتب النحويين لأبي الطيب ، ونشوار المحاضرة للتنوخي ، وأخلاق الوزيرين للتوحيدي وطبقات الزبيدي ، حين يفعل ذلك فإنه يقدم لنا نصوصاً تصلح للمقابلة مع تلك المؤلفات التي وصلتنا . ولقلة المصادر الأندلسية لديه يكثر الاتكاء على جذوة المقتبس ، دون أن ينسى ابن الفرضي والصلة لابن بشكوال وقلائد العقيان لابن خاقان ، ولم يذكر الذخيرة لابن بسام إلا مرة واحدة ولعله ينقل عنها بالواسطة ، وكتب كتابان عن صقلية أحدهما للحسن بن يحيى الفقيه الصقلي (1754 ، 1755) والثاني لابن المقطاع . ولكن المشيخات أو معاجم الشيوخ ربما لم تزد على خمسة ولديه من كتب الأمالي أحد عشر كتاباً . ومع أنه يطلب المعلومات حيث يجدها دون أن يسأم من تقليب الكتب فإنه يتكىء على تواريخ المدن لأنها حافلة بالتراجم .

ومن تواريخ المدن التي لم تصلنا :

(1) تاريخ أصبهان لحمزة.

(2) تاريخ بيهق لابن الحسن البيهقي.

(3) تاريخ خوارزم لمحمود بن محمد الإسلامي .

(4) تاريخ مرو لأبي سعد السمعاني .

(5) تاريخ هراة للفامي .
(6) تاريخ همذان لشيرويه .

وأحياناً يغرب على القارىء فلا يعرف الكتاب الذي يعتمده وذلك حين يقول إنه ينقل عن كتاب لابن عبد الرحيم أو لأحد بني عبد الرحيم وعن كتاب لأبي سعد السمعاني (وكتبه كثيرة) وعن كتاب للنحاس وعن كتاب للتوحيدي ، وكتب التوحيدي مميزة لديه فهو ينقل عن أخلاق الوزيرين والامتاع ومحاضرات العلماء وتقريظ الجاحظ .

6 ـ مختصر معجم الأدباء :

قد تحدثت عن هذا المختصر في مقدمة موجزة للجزء الأول ، ولكني أود أن أضيف هنا إلى أن اسمه « **بغية الألباء** من معجم الأدباء » قد يرجح أن التكريتي مختصره كان يملك نسخة من الأصل تحمل العنوان الذي استقرّ عليه المؤلف وهو « إرشاد الألباء إلى معرفة الأدباء » وهي التسمية التي كانت جديرة بأن تظهر هنا ؛ لولا أنني لم أكتشف هذه الحقيقة إلا بعد أن نجز طبع الكتاب .

7 ـ خاتمة :

أخيراً أقول لقد وسَّع ياقوت كثيراً في مدلول لفظة «أدباء» كما وسَّع من المجال الزمني الذي سيحيط به كتابه ، ولهذا فاته عشرات وعشرات ممن يقعون تحت شرطه .

5 ـ ياقوت الأديب الناقد :

ترك ياقوت ـ عدا مقدمات كتبه ـ نموذجاً نثرياً واحداً هو رسالته إلى القفطي - التي مرَّت الإشارة إليها ، وهي رسالة نقلها ابن خلكان في ترجمة ياقوت على طولها ، ولم يستطع الاجتزاء ببعضها ، ويبدو أنه كان معجباً بمستواها الأسلوبي وبسببها قال الذهبي فيه « وكان جيد الإنشاء »[1] وقال أيضاً : « وتواليفه حاكمة له بالبلاغة »[2] .

---

(1) سير الذهبي 22 : 312 .	(2) سير الذهبي 22 : 313 .

ولا بد أن نتذكر أن الرسالة كتبت في حال الخوف من الضياع والحاجة الماسة إلى معين ، ولهذا تبدأ بأدعية مطوّلة للمخاطب بها ، وإظهار أقصى درجات الولاء ، وشرح الإخفاق الذي انتهت إليه الغربة ، ولزوم حرفة الأدب لغير المحظوظين الذين يعبس الحظ في وجوههم ، ووصف الخراب الذي أصاب خراسان بعد أن كانت مونقة الأرجاء ، رائقة الأنحاء ، وتصوير حال التغير الذي أصاب الفرد والجماعة ، ولهذا كانت نغمتها عاطفية مأساوية يتراوح فيها النفس الحزين بين نثر يسيطر عليه السجع وشعر يغمره الأسى والحنين ، وهي بعد لا تدل على كلِّ أحوال الرجل ، ولكنها تصوّر لحظات انحدار في العمران والعمر على السواء ، ولهذا أثارت تعاطفاً لدى من اطلع عليها ، ودلَّت على أن ياقوتاً قد أحرز مع الزمن أسلوباً مؤثراً في ظروف معينة .

وقد كان ياقوت مولعاً بالشعر ، يدلُّ على ذلك حرصه على أن لا تخلو ترجمة من تراجم كتابه (معجم الأدباء) من شعر . ولو لم يشتهر به من يترجم له مثل أبي البقاء العكبري وأبي على الفارسي وتاج الدين الكندي وغيرهم ممن بضاعته في الشعر نادرة أو مزجاة ، ولم يطل العهد بياقوت حتى أصبح الشعر إحدى المهارات التي يمارسها ، وقد جمعت له تسعاً وعشرين قطعة تضم ما أورده في معجم الأدباء ومعجم البلدان وما أنشده المستوفي بإربل ورواه عنه ابن الشعار (سنة 625) ثم ما أنشد ياقوت صديقه ابن النجار ، ورواه ابن الشعار أيضاً (سنة 639) ، ولم يذكر واحد أنه رأى له ديواناً مجموعاً ، وأغلب الظن أنه لم يجمع شعره ، يقول صاحب تاريخ إربل : « وسألته أن يملي عليّ من شعره فامتنع بعض الامتناع وغضَّ من نظمه »[1] ويقول ابن الشعار : « واقتضيته شيئاً من شعره. فأجاب إلى ذلك وجعل يماطلني ويعدني هكذا مدة من الزمن ، ثم سافر إلى بلاد الشام فما عدت رأيته »[2] ، إذ يبدو أنه لم يكن شديد الاعتداد بنفسه في الشعر ، وكان يحيطه بنظرة متواضعة ، يقول في معرض إعجابه بكتابه معجم الأدباء : « **حتى قلت فيه مع اعترافي بقلة بضاعتي في الشعر وعلمي بركاكة نظمي والنثر** »[3] .

---

(1) تاريخ إربل : 323

(2) قلائد الجمان 9 : 341 .

(3) معجم الأدباء 1 : 12 وتاريخ إربل : 321 .

ومعظم المقطعات تنتمي إلى الغزل ، ولكن أبعدها تأثيراً هي تلك التي تتحدث عن رَجُلٍ « مقطوع من شجرة » ـ كما نقول في العامية ـ في مثل قوله[1] :

ولا ليَ أهــل في بـلاد ومعشــرٌ يعــدون أيــامي لــوقت إيــابي
وإن سرت من دار فما من مشيع ولا ملتق إن جئتهــا بــركــابي
ولا سـكـن اعــتــده لـمــلمــة ولا أحـد يـرجى لـدفـع مصـاب

ويأتي بعد هذا الإحساس التحدث عن تنكر الدهر ، وضيـاع الشباب وحلول المشيب ، والحنين إلى العراق وهو بمرو ، والحنين إلى مرو وهو في بغداد أو حلب ، وعمق الشعور بقيمة الصداقة والأخوة ، والتخوف من تقلب الحال بالأصدقاء وإخلافهم للوعود ، لقد أتقن ياقوت القول في جوانب مختلفة من علاقات «الحب» ، فجاء شعره سهلاً سائغاً ، وقد يتجه لطلب معانٍ جديدة ، ولكنه في معظم الأحوال رقراق يمسُّ الأمور برفق ، ويبتعد عن دائرة التعمق .

وكما حصَّلَ ياقوت الحد الأدنى من القدر الذي يتوقع من «مثقف» في عصره في مجال الشعر والنثر ، فإنه استطاع بالممارسة والمطالعة والمحاورة أن يربّي لنفسه ذوقاً نقدياً يسعفه في حكمه على ما يقرأه لغيره من شعر ومع أنه ينقل شعراً متفوقاً وآخر متخلفاً فإنه قويّ التمييز بين الجيد والرديء من القول . وقد عرضت له تجارب ولَّدت لديه أحكاماً نقدية لا يتابع فيها رأي الأكثرية فمثلاً نظم أبياتاً يقول فيها ما معناه إن الوعد إذا مطل أو أخلف صـار وعيداً (القـطعة رقم : 5) ثم وجـد أبياتـاً لجعفر بن محمـد بن حمـدان الموصلي يقول فيها :

عجل النجح فإن المطل بالوعد وعيد

فعلّق على ذلك بقوله : هذا معنى عنَّ لي من قبل أن أقف على هذه الأبيات (أبيات الموصلي) وكنت أعجب كيف فـات الأوائل اشتمـاله على مـطابقة التجنيس وحسن المعنى مدة ، حتى وقفت على ما هاهنا فعلمت أن أكثر ما ينسب إلى الشعراء من السرقات إنما هو توارد خواطر ووقوع حافر على حافر[2].

---

(1) القطعة رقم : 3 .
(2) معجم الأدباء : 798 .

وكان مرة يعارض إعراب أبي البقاء العكبري للامية الشنفرى هو وصديقه محمد بن فضلون العقري ، فوصلا إلى قول الشاعر :

وأستف ترب الأرض كي لا يرى له ... عليّ من الطول امرؤ متطول

فأنشد العقري لنفسه في معنى البيت :

إذا سغبتُ سففتُ التربَ في سغبي ... ولم أقل للئيمٍ سُدَّ لي رمقي

فقال له ياقوت : قول الشنفرى أبلغ لأنه نزه نفسه عن ذي الطول وأنت نزهتها عن اللئيم[1] . . . وهو في هذا الحكم يحاكي الطريقة المألوفة لدى كثير ممن سبقه من النقاد . . . ولا يفرض ياقوت رأيه في الشعر كثيراً على القارىء فهو يروي أشعاراً متفاوتة دون تعليق ، وحسناً يفعل لأنه يبدو محايداً ، ولكن سكوته لا يعني أنه لا يستطيع الحكم أو المفاضلة.

6 ـ شعر ياقوت :

ـ 1 ـ

قال يحن إلى الشاذياخ وكان قد اشترى فيها جارية تركية ثم باعها وتبعتها نفسه :

ألا هل ليالي الشاذياخِ تؤوبُ ... فإني إليها ما حييت طروب
بلاد بها تصبي الصبا ويشوقنا الـ ... ـشمال ويقتاد القلوب جنوب
لذاك فؤادي لا يزال مُرَوَّعاً ... ودمعي لفقدان الحبيب سكوب
ويوم فراق لم يرده ملالةً ... محبٌ ولم يجمع عليه حبيب
ولم يحدُ حادٍ بالرحيل ولم يرع ... عن الألف حزن أو يحول كثيب
أئنُّ ومن أهواه يسمعُ أنتي ... ويدعو غرامي وجده فيجيب
وأبكي فيبكي مسعداً لي فيلتقي ... شهيقٌ وأنفاسٌ له ونحيب

(1) معجم الأدباء : 2601 (رقم : 1099) ومعجم البلدان 2 : 696 .

على أن دهري لم يزل مذ عرفته ... يشتتُ خلّان الصَّفَا وَيَريب
ألا يا حبيباً حال دون بَهائِهِ ... على القرب بابٌ محكم ورقيب
فمن يصحُ من داءِ الخمارِ فليس من ... خمارٍ خمارٍ للمحب طبيب
بنفسيَ أفدي من أحبُّ وصاله ... ويهوى وصالي ميله ويثيب
ونبذل جهدينا لشملٍ يضمُّنا ... ويأبى زماني إنَّ ذا لعجيب
وقد زعموا أنْ كلُّ من جدَّ واجدٌ ... وما كلُّ أقوال الرجال تصيب

معجم البلدان 3 : 230 (231)
مادة (**الشاذياخ**)

- 2 -

وقال وقد بلغ خمساً وأربعين سنة :

يقول أناس لم تصابيت بعد ما ... بدا في نواحي عارضيك مشيب
فقلت يداوى كل داءٍ بضده ... وهذا التصابي للمشيب طبيب

ابن الشعار 9 : 349

- 3 -

واستيقظ من النوم فجرى على لسانه الأبيات الآتية من غير قصد ولا روية فأنشدها كأنه يحفظها :

لعمرك ما أبكي على رَسْمِ منزلٍ ... ودار خلت من زينب ورباب
ولكنني أبكي على زمن مضى ... تَسَوَّدَ فيه بالذنوب كتابي
وأعجب شيء أنه لا يصدني ... عن اللهو شيب حال دون شبابي
وقد حلَّ باز للمشيب بعارضي ... وما طار عن وكر الذنوب غرابي
فيا رب جد بالعفو منك فإنني ... مريض حريض [ ] لما بي
ولا لي أهلٌ في بلادٍ ومعشرٌ ... يعدون أيامي لوقت إيابي
وإن سرت عن دار فما من مشيع ... ولا ملتقٍ إن جئتها بركابي
ولا سكن اعتده لملمة ... ولا أحد يرجى لدفع مصاب

المستفاد : 254

ـ 4 ـ

وقال يندب الشباب :

تنكر لي مذ شبت دهري وأصبحت ... معارفه عندي من النكرات
إذا ذكرتها النفس حنت صبابة ... وجادت شؤون العين بالعبرات
إلى أن أتى دهر يحسن ما مضى ... ويوسعني تذكاره حسرات
فكيف ولمّا يبقَ من كأس مشربي ... سوى جرع في قعره كدرات
وكل إناء صفوه في ابتدائه ... وفي القعر مزجا حمأة وقذاة

إنباه الرواة 4 : 92

ـ 5 ـ

وقال في من تبرع بوعدٍ ولم يفِ به :

يا سيداً بذَّ من يمشي على قدم ... حلماً وعلماً وآباءً وأجدادا
ماذا دعاك إلى وعد تصيره ... بالخلف والمطل والتسويف إيعادا
لا تعجلن بقول[1] ثم تخلفه ... فيثمر المطل بعد الودِّ أحقادا
فالوعد بذر ولطف القول منبته ... وليس يجدي إذا لم يَلْقَ حصادا

ابن الشعار 9 : 346
ومعجم الأدباء : 798

ـ 6 ـ

وله :

وظبيٍ من الترك ذي نخوةٍ ... على الصبِّ يعجز عنها الأَسَدْ
إذا رمت عقد وصال أبى ... وصالَ بجيش قوي العدد
بسيف اللحاظ ورمح القوام ... ولمع الخدود ولبس الزرد

ابن الشعار 9 : 342

(1) معجم : بوعد.

ـ 7 ـ

وقال :

إذا لمست كفاي دمعي وجدته كجمر الغضا بل مثله أصبح الجمر
وما ذاك إلا أن نار أضالعي تفور بدمعي مثلما فارت القدر

تاريخ إربل : 323

ـ 8 ـ

وقال مما كتبه إلى صديق :

نكرت الورى حتى نكرت أبا نصر وأي أخ ما غيرته يد الدهر
لئن غيرته الحادثات فطالما بقيت وإياه لكالماء والخمر
وإن قصرت أيام صفو وراءنا فما في ليالي حادث الدهر من قصر
فلا تأتين هجر الصديق تعمداً ففي صرف هذا الدهر ما شئت من هجر

ابن الشعار 9 : 347

ـ 9 ـ

وكتب إلى صديق له بهراة :

أمولايَ جمال الدين يا من له خلق على الصهباء يزري
أأرضى أن تكون فدتك نفسي مليكي في علانيتي وسري
ولا ترضى بمثلي في إيابي على الأملاك عبداً طوع أمر
ولست بلائم لك مع فعال لأنك جرت لمّا جار دهري

ابن الشعار 9 : 348

ـ 10 ـ

وقال وهو مقيم بمرو من بلاد خراسان :

أضحى بضيّق فسحةَ الأملِ ما مرَّ من عمري بلا نفع
ما عنَّ لي غرض فأقصده إلا انتحاه الدهر بالمنع

يــدني لي الآمـال يهــزأ بي ... حتى أمــد لأخـذهــا ضبعي
ولت تقــول أمـا عقلت أمــا ... تــالله [إنـك] أشعب الـطـبـع
يا قلب ضاق العمـر عن أمل ... وأتـاك شيب الـرأس بـالـردع
فـارجُ الإله وتب عليـه عسى ... يعطيك في الأخـرى بلا منـع

ابن الشعار 9 : 345 ـ 346

ـ 11 ـ

وله في غلام تركي على عينه وقاية سوداء قد رمدت :

ومـولد للتـرك تحسب وجهـه ... بـدراً يضيء سناه بـالإشـراق
أرخى على عينيه فضل وقـاية ... ليــردَّ فتنتـهــا عن الـعشــاق
تـالله لـو أنّ السـوابـغ دونهـا ... نفـذت فهل بـوقـايـة من واق

ابن الشعار 9 : 343 ـ 344
وابن خلكان 6 : 138 ـ 139

ـ 12 ـ

وقال ارتجالاً وتخيل أنه يقدم كتاب «صورة الأقاليم» لبعضهم :

ولمــا رأيت الـدهــر جــار ولم أجــد ... من الناس من يعدي على الدهر عدواكا
ركبت الفــلا يحـدو بي الأمــلُ الـذي ... يـدنّي على بعــد التنــائف مثــواكــا
ورمـتُ بــأن أُهــدي إليــكَ هــديــةً ... فلم أرَ مــا يهــديــه مثلي لشــرواكــا
فجئتُــكَ بــالأرضين جـمعــاً تـفــاؤلاً ... لعلمـي بــأن الفــال رائــد عـقبــاكــا
فخــذ هـذه واستخــدم الفلك الــذي ... بــراه الـهـي كـي يــدور ببـغـيــاكــا

معجم الأدباء : 2184 ـ 2185

ـ 13 ـ

وقال وهو بمرو وقد عرض عليه أبو المظفر السمعاني رسائل للقطان وفاته كتبها وتدوينها :

وكم مُنْيَـةٍ خَلَّفْـتُ خلفي وبغيـةٍ ... ومن حاج نفس حال من دونها التركُ
إذا ذكـرتهـا النفسُ حَنَّتْ وأَرْزَمَتْ ... وودت لفـرط الوجـدِ أدركها الفتـك
سـلام على تلك الـديـار وقـدست ... نفوس بمثواهـا ثوى العلم والنسـك

معجم الأدباء : 962

ـ 14 ـ

وقال :

أقول لقلبي وهو في الغي جامح ... أمـا آن للجهل القـديم يزولُ
أطعتَ مهاةً في الخدارِ خريدةً ... وأنت على أُسْدِ الفلاة تصول
ولما رأيتُ الوصلَ قد حيل دونه ... وأن لقـاكمُ مـا إليـه وصـول
لبست رداءَ الصبرِ لا عن ملالة ... ولكنني للضيم فيـك حمـول

المستفاد : 253

وتاريخ الذهبي : 247 ـ 248

ـ 15 ـ

وقال وقد دخل على كمال الدين ابن العديم يوماً ، فقال له الكمال : ألا ترى أني في السنة الحادية والثلاثين من عمري وقد وجدت في لحيتي شعرات بيضاً :

هنيئـاً كمـالَ الـدين فضـلاً حُبِيتَـهُ ... ونعمـاء لم يُخْصَصْ بها أحـدٌ قبـلُ
لـداتـك في شغـلٍ بـداعيـة الصبـا ... وأنت بتحصيل المعالي لـك الشغل
بلغتَ لعشـرٍ مـن سنينـك رتبـةً ... من المجد لا يسطيعها الكاملُ الكهل
ولمـا أتـاكَ العلمُ والفهمُ نـاشئـاً ... أشـابكَ طفـلاً كي يتمَّ لك الفضـل

معجم الأدباء : 2091

ـ 16 ـ

وكتب إلى بعض أصدقائه :

عبيـدك الـداعي أتى قـاصـداً ... إلى قضـاءِ الفـرض والنفـل

من خدمة يخدمه كلُّ من يمشي بِحَزْنِ الأرضِ والسهل
ورام تقبيلَ يديك التي بها عرفنا صورة العدل
وينثني بعد الثنا والدعا مستحقباً من فضلك الجزل
في موطن التوحيد مكنونه طوراً وطوراً موضع الكحل
فحال من دونكمُ أسودٌ في لونهِ والقولِ والفعل
فها أنا مذ ذاك في حيرةٍ مدلّه التمييز والعقل
غيظاً يميتُ القلبَ تذكاره من فعل هذا الأسودِ النذل
لم يحجبوا وفد العطايا فلم يُحْجَبُ من يرغبُ في الفضل
فظلتُ فيه مفكراً واجماً حتى انجلى عني عمى الجهل
لما بدا لي أن أوصافَهُ مأخوذةٌ من صفة القفل
وقال لي القلبُ إذا كنت مِنْ أهل الحجى والفهم والنبل
فلا تُرَعْ لا بد للمجتني شهد العلى من إبَرِ النحل

ابن الشعار 9 : 344 ـ 345

ـ 17 ـ

وله :

بنفسيَ ظبي مرَّ بي في القلاقل فخلّفني حِلْفَ البلى والبلابل
تناهبَهُ الراءونَ من حُسْنِ وجهه فما ناظر إلا به بالبلا بُلي
رشاً مِنْ بني الأتراك إما نسبته كنسبةِ عينيه إلى سحر بابل
تزايد وجد من تناقص ودّه وفرط غرامي من غريم مماطل
يُوَسِّعُ عذري فيه ضيقٌ بجفنه ويوهي قوى صبري بحسنِ الشمائل
يضحّي الورى بالبدن في عيد نحرهم وأضحى يضحي بالكمي الحلاحل

ابن الشعار 9 : 344

ـ 18 ـ

وله في غلام يرمي بالنشاب :

وظبي له خَصْرٌ كصبري نحافةً وردفٌ كوجدي في محبته عظما

إذا ما رمى العشاقَ عن قوسِ حاجبٍ بالف رمى القرطاسَ عن قوسه سهما
يحنّ إليه القوسُ في حال نَزْعِهِ وينزع من هول الفراق إذا يرمى

ابن الشعار 9 : 342

- 19 -

وقال :

ألا إنَّ قلبي بعدكم ذو صبابةٍ يسير بمسراكم وينزل حيثما
أهيمُ بذكراكم وأبكي لفقدكم وأسأل ربي أن يردك بعدما
فأقسم أني مخلص في هواكمُ فيا ليت شعري عند حبي كيفما
وقد زرتني من بعد طولِ تجنّبٍ ولم تمهلي بالمدنف الصب ريثما
وقد غبت عنكم أشهراً لا أراكم فما ضركم لو زرتموني كلما
أهيم بكم مهما حييت فإن أمت أهيم بكم بالقبر والحشر مثلما
يقولون زرنا قلت من لي بزورةٍ يعيش بها روح المعنَّى وإنما
أقول لقلبي حين همَّ بفجعه عسى ولعل الله يوماً وربما

تاريخ إربل : 323 ـ 324

- 20 -

وكتب أيضاً إلى صديق :

تباعدتمُ لا أُبعدَ الله داركم وأوحشتم لا أوحش الله منكمُ
لئن كنتم عن أرضِ مصرٍ رحلتمُ فإنكمُ في مهجتي قد نزلتم
هنيئاً على رغمي لدارٍ حللتمٌ وبؤساً لربع عن مغانيه بنتم
فلو قيل لي ماذا تَمَنَّى من الدنا لكان مناايَ أنتمُ لا عُدمتم

ابن الشعار 9 : 347 ـ 348

- 21 -

وله عند كونه بمرو يتشوق إلى العراق :

تحية مُغْرىً بالصبابة مغرمِ مُعَنًّى بعيد الدار والأهل والهم

تراها إذا ما قيل الركب هاجرت — وترأى إذا ما عرسوا نحو تكتم
أحملها ريح الجنوب مع الصبا — إلى أرض نعم وافؤادي من نعم
وأكني بنعم في النسيب تعلةً — وأفدي بها من لا أقول ولا أُسمي
سلام على أرض العراق وأهلها — وأين من الماجان أرض المخرّم
سلام على أرض العراق وأهلها — وسقّى نراها من مُلِثٍّ ومرزم
بلادٌ هرقنا قهوة اللهو بعدها — ففقدي لها فقد الشبيبة بالرغم

معجم البلدان 4 : 378 ـ 379
مادة «ماجان»

ـ 22 ـ

وقال :

إلى الله أشكو مَن بُليتُ بحبّه — فحلّل عندي حبُّهُ في الهوى دمي
ومن كان يلقاني فيبدي بشاشةً — فلما درى ما بي بدا بالتجهم

تاريخ إربل : 323

ـ 23 ـ

وله في وصف كتابه معجم الأدباء :

فكم قد حوى من فَضْلِ قولٍ محبر — ومن نثر مصقاع ومن نظم ذي فهم
ومن خبر حلو ظريف جمعتُهُ — على قِدَمِ الأيام للعرب والعجم
ترنح أعطافي إذا ما قرأته — كما رنحت شرابها ابنة الكرم
ولو أنني أنصفته في محبتي — لجلدته جلدي وَصَنْدَقْتُهُ عظمي
عزيزٌ على فضلي بأن لا أطيعَهُ — على بذله للطائفين على العلم
ولو أنني أستطيعُ من فرطِ حبه — لما زال من كفي ولا غاب عن كمي

تاريخ إربل : 321
ومعجم الأدباء : 12

ـ 24 ـ

وقال في التغزل :

يضاعف[1] ناري فيه باردُ ظَلْمِهِ ... ويضعفُ مَا ألقاه باردُ ظُلْمِهِ
أيا ملكَ الحسن الذي انقادتِ الورى ... إليه فما يأبى امرؤ فَصْلَ حكمه
يسالم سلماً دائباً[2] رب حربه ... ويؤذن حرباً منه طالب[3] سلمه
محبك قدماً كان يلقاك محسناً ... فوقِّعْ له «يجري على حسن رسمه»

ابن الشعار 9 : 348 ـ 349
وتاريخ إربل : 323 (1، 3، 2، 4)

ـ 25 ـ

وقال وقد وصل إلى أُرْتَخُشْمِيثَنْ في شوال سنة 616 وقاسى من البرد وجمود نهر جيحون على السفينة التي كان بها ما أيأسه من النجاة ، واختصر اسمها في الشعر ليستقيم الوزن(*) :

ذممنا رُخْشَميثَنَ إذ حللنا ... بساحتها لشدةِ ما لقينا
أتيناها ونحن ذوو يسار ... فعدنا للشقاوة مفلسينا
فكم برداً لقيتُ بلا سلامٍ ... وكم ذلاً وخسراناً مبينا
رأيتُ النارَ ترعد فيه برداً ... وشمسَ الأُفْقِ تحذر أن تبينا
وثلجاً تقطرُ العينانِ منه ... ووحلاً يعجز الفيلَ المتينا
وكالأنعام أهلاً في كلامٍ ... وفي سَمْتٍ وأفعالاً ودينا
إذا خاطبتهم قالوا بغساً ... وكم من غصة قد جرعونا

---

(1) تاريخ إربل : يبرد.
(2) تاريخ إربل : مسالم سلم دائماً.
(3) تاريخ إربل : حرباً باغياً ربّ.
(*) أقر ياقوت بأن هذه الأبيات غثّة ركيكة ولكن الخاطر الصدىء لم يسمح بغيرها ، وكتبها على حائطِ خانٍ هنالك.

فـأخـرجنـا أيـا ربَّـاهُ منهـا ... فـإن عُـدْنَا فـإنـا ظـالمـونـا
وليس الشـأن في هـذا ولكن ... عجيبـاً أن نجـونـا سـالمينـا
ولسـتُ بـآيسٍ والله أرجـو ... بُعَيْـدَ العُسْـرِ من يسـر يلينـا

معجم البلدان 1 : 191 ـ 192

ـ 26 ـ

وقال أيضاً :

زارني البـدر بعد طـول مطال ... وصـدود أطـالـه وتـجـنـي
فتـرشفت من ثنـايـاه خمـراً ... لم ينـل طيبهـا غـرور التمني
ونفى بـالنفـار نـومي عنـاداً ... وأرانـي بـعـزِّهِ الـذلّ مـنـي
لم يزلِ دابَهُ الصـدودُ إلى أن ... علَّم الجفنَ أن يهـاجر جفني

ابن الشعار 3 : 348

ـ 27 ـ

وكتب إلى صديق له :

الله بيني وبيـن البين كـم رشقـت ... صـروفـه بسهـام البين إحسـاني
إن جـاد بـالقـرب يـومـاً من أحبتنـا ... من غيـر قصدٍ فقصـداً منه أقصـاني

ـ 28 ـ

وقال في الغزل :

يـا طلعـة البـدر إلا أنـه بشـر ... لـو لم يكن بشـراً مـا راق معنـاه
البـدرُ قد شـانَهُ في وجهـه كلفٌ ... وجـلَّ حِبِّيَ عن عيبٍ وحـاشـاه
قـالوا أمـا قلبه قـد قُدَّ من حجـر ... فقلت ذاك بـه قـد تـمَّ معنـاه
لـولاه ما بتّ طـولَ الليل مـرتقباً ... أرعى النجـومَ سقيمَ القلب لولاه

ابن الشعار 9 : 346 ـ 347

ـ 29 ـ

وكتب إلى بعض الأكابر وقد دخل إليه مرة وأراد الاستئذان عليه ثانياً :

العين مني لم تــزل في أذىً   من نـظري للهَمَـلِ المـاشيـهْ
وأجمــع النــاسُ على أنهـا   إذا رأتـكـم رأت الـعــافيـه
بـالنظرة الأولى انجلى داؤُهَـا   فلتجلهــا نـظرتــك الثـانيـه

ابن الشعار 9 : 342 ـ 343

ملاحظات ملحقة

(1) ترجمة طلحة بن محمد النعماني

الوافي بالوفيات 16 : 486 والفوات 2 : 135 .

قال ياقوت في معجم الأدباء : سمعت أبا عمرو عثمان بن محمد البقال بخوارزم يقول : كنت أنا والشيخ أبو محمد طلحة نمشي ذات يوم في السوق ، فاستقبلنا عجلة عليه حمار ميت يحمله الدباغون إلى الصحراء ليسلخوا جلده ، فقلت مرتجلاً :

يا حاملاً صرت محمولاً على عجله

فقال :

وافاك موتك منتابا على عجله

ومضت على ذلـك أيام قـلائل ، فلقيني السيـد أبو القـاسم الفخر بن محمـد الزبيدي ، فحكيت له هذه القصة ، ففكر سويعة وقال :

والمـوت لا يتخطى الحيّ رميتـه   ولـو تباطـأ عنه الحيّ أزعـج لـه

(2) ترجمة ناصر بن عبد السيد المطرزي شارح المقامات

فوات الوفيات 4 : 183 / قال ياقوت في معجم الأدباء : « أنشدني المطرزي ببغداد لنفسه :

يـا خليلي اسقياني بـالزجـاج   حلب الكـرمة من غيـر مـزاج
أنـا لا ألتـذ سمعـاً بـاللجـاج   فاسقنيها قبل تغريـد الدجـاج
قبل أن يؤذن صبحي بانبلاج

إن أردت الراح فاشربها صباحاً بعد أن تصحب أتراباً ملاحـا
جمعـوا حسناً وأنسـاً ومراحـا وغدوا كالبحـر علماً وسمـاحا
فهم مفتاح باب الإبتهاج

(3)

يحيى بن حميد ظافر بن النجار بن علي بن عبـد الله الحلبي المعروف بـابن أبي طي ؛ أحد من تعاطى الأدب والفقه على مذهب الإمامية وأصولهم ، وصنف في أنواع من العلوم . قال ياقوت[1] : وقد جعل التصنيف حانوته ، ومنه مكسبه وقوته ، وأكثر تصانيفـه قطع فيهـا الطريق وأخـاف السبيل ، يـأخذ كتـاباً قـد أتعب العلماء فيـه خواطرهم فيقدّم فيه أو يؤخر أو يزيد قليلاً أو يختصر ، ويخلق له اسماً غريباً وينتحله انتحالاً . وقد طوّل ياقوت ترجمته في «معجم الأدباء».

ومـولـده بحلب سنـة خمس وسبعين وخمسمـائـة ، وتـوفي حـدود الثلاثين والستمائة ، وذكر عنه ياقوت أن والده كان لا يعيش له ولد وأنه لما رزقه حملته جارية وصعدت به السـطح ليلة الميلاد ، وكـانت شديـدة البرد ، فـأخذه اضـطرام وافحام وابيضت عيناه جميعاً ، ولازمه الرمد إلى أن احتلم فتجلت مما كان فيها من البياض . وكان والده نجاراً مقدّماً على كلّ نجار بحلب.

وقـرأ يحيى القـرآن على والـده واشتغـل بفقـه الإمـاميـة على رشيـد الـدين المازندراني . ومن تصانيفه : كتاب « البستان في مجلس الغلمان » . كتاب « معادن الذهب في تاريخ حلب » . كتاب « ملح البرهان في تفسير القرآن » . كتاب « قبسة العجلان في تفسير القرآن » . كتاب « البيان في أسباب نزول القرآن » . كتاب « غريب القرآن » . « تفسير الفاتحة » . « المجالس الأربعين في مناقب الأئمة الطاهـرين ». كتاب « خلاصة الخلاص في آداب الخواص » عشر مجلدات . كتاب «حوادث الزمان» على حـروف المعجم ، خمس مجلدات . كتاب «تـاريخ العلمـاء» مجلد . « شفاء الغليل في ذم الصاحب والخليل » مجلد . « شرح نهـج البلاغـة » ست مجلدات .

(1) عن الفوات للكتبي وترجمته في لسان الميزان 6 : 263 .

« تحفة الطائفة الفقهائية في شرح كلماتهم اللغوية » . « التنبيهات في تعبير المنامات » . « التنبيهات على صنع النبات » . «الكشف والتبيين في محاسن التضمين » . « العروس في أدب السائس والمسوس » . « مردعة السفيه وموزعة النبيه » في المأخذ على راجح الحلّي وسرقاته . « التحقيق في أوصاف الرقيق » . « الروضات البهجات في محاسن القينات » . « اللباب في أسماء الأحباب » . « نسيم الأرواح في ما جاء في التفاح » . « الايجاز في الألغاز » . « أخبار شعراء الشيعة » . « الاقتصاد في الفرق بين الظاء والضاد » . كتاب «الأضداد» . كتاب « النكت الشاردة والنادرة والفائدة » . « المنتخب في شرح لامية العرب » . « تضوع اللطائم في شرح خطبة فاطمة الزهراء » . « شرح كلام أم سلمة لعائشة رضي الله عنهما » . « نهج البيان في عمل شهر رمضان » . « المشكاة في عويص مسائل النحاة » . « افراد قراءة أبي عمرو ابن العلاء » . « مختصر في اللغة » . «أفراد مسائل» . « الجمع بين زوائد الصحاح وزوائد المجمل » . « ذخر البشر في معرفة القضاء والقدر » . « كتاب في حِكَميّ كلامِ الأئمة الاثني[1] عشر » . « الحاوي في المعمول عليه من الفتاوي » . كتاب «سرّ السرائر» . « فقه أحكام النساء في الفقه » . « ذخر البشر في معرفة الأئمة الاثني[1] عشر » . « مجموع مسائل فقه وأصول » . « شرح غريب ألفاظ المقامات » . «شرح الحماسة» . «أخلاق الصوفية» . « عقود الجواهر في سيرة الملك الظاهر » . « كنز الموحدين في سيرة صلاح الدين » . « ذيل التاريخ الكبير الذي سماه معادن الذهب » . « سلك النظام في تاريخ الشام » أربع مجلدات . « مختار تاريخ المغرب » . كتاب «تاريخ مصر» . « تهذيب الاستيعاب لابن عبد البر » . « سيرة النبي صلّى الله عليه وسلم وأصحابه » ثلاث مجلدات . « اشتقاق أسماء البلدان » . « نكت درة الغواص » . « أسماء رواة الشيعة ومصنفيها » . « سيرة ملوك حلب » . « كتاب التصحيف والأحاجي » .

ومن شعره رحمه الله :

يا أبا جعفر تجافَ قليلاً ... كم تسامى بمفخرٍ منحوسِ

(1) ص : الاثنا.

أنت من معشرٍ كـرام ولكنْ　　أنت فيهم قـوائمُ الـطاووس

وقال في مديح آل البيت رضي الله عنهم :

أنـا في إسار غـدائرٍ ونـواظـر　　من كلّ أبيضَ ذي قوامٍ ناضرِ
ريان من مَرَح الصِّبـا فكأنمـا　　رَوِيتْ معـاطفـه بغيثٍ بـاكـر
خمـريُّ ريقٍ لؤلؤيُّ لـواحظٍ　　مسكيّ صدغ صارميّ محاجر
لله ليلتـنـا بكـاظـمـةٍ وقـد　　سمحتْ به الأيامُ بعد تهاجـر
وقد اضطجعنا والنجومُ كـأنها　　في الأفق لؤلؤُ ثغرهِ في ناظري
والبـدرُ سارٍ في السمـاء كأنـه　　من وجهـه بـادٍ بنـور بـاهـر
والشعـريان كـأنمـا أحـداقهـا　　أحداقُ عاذلِ حبـه المتكاسـر
وسهيـلُ الـوقّـاد يخفقُ دائبـاً　　خفقانَ أحشائي عليه وخاطري
والليلُ يرفلُ في فضولِ غلائلٍ　　رقَّتْ كشوقي أو كدمعي القاطر
والـريحُ ينشـرُ عَرْفهـا بنسيمها　　نشري مديحَ أخي النبي الطاهر
خيـر الأنام ومن يـذلّ مهـابـةً　　من بأسه قلبُ الهزبر الخـادر
صنـو النبيّ وصهـره ووزيـره　　وظهيره في كلِّ يـومِ تشاجـر

1 ـ فهرس الآيات القرآنية الكريمة

1 ـ الفاتحة

2 ـ البقرة

3 ـ آل عمران

4 ـ النساء

15 ـ الحجر

16 ـ النحل

17 ـ الإسراء

18 ـ الكهف

19 ـ مريم

20 ـ طـه

21 ـ الحج

25	سواء العاكف فيه والباد	2401
34	وبشر المخبتين	1219
44	فأمليت للكافرين ثم أخذتهم فكيف كان نكير	1005
78	ملة أبيكم إبراهيم هو سماكم المسلمين من قبل	2130

22 ـ المؤمنون

101	فلا أنساب بينهم يومئذ ولا يتساءلون	279
108	اخسؤوا فيها ولا تُكلِّمون	669

23 ـ النور

34	ومثلاً من الذين خلوا من قبلكم	31
35	كوكب دري يوقد	827
55	ليستخلفنّهم في الأرض	64، 2627، 2719
58	والذين لم يبلغوا الحلم منكم	57

25 ـ الفرقان

67	وكان بين ذلك قواماً	1943

26 ـ الشعراء

88	يوم لا ينفع مال ولا بنون	2634
128	أتبنون بكل ريع آية تعبثون	2720
205	أفرأيت إن متعناهم سنين	281
226	يقولون ما لا يفعلون	2791
227	وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون	1551

27 ـ النمل

19	رب أوزعني أن أشكر نعمتك	728
34	إن الملوك إذا دخلوا قرية أفسدوها	1239

28 ـ القصص

30 ـ الروم

31 ـ لقمان

33 ـ الأحزاب

35 ـ فاطر

36 ـ يــس

37 ـ الصافات

39 ـ الزمر

41 ـ فصلت

42 ـ الشورى

43 ـ الزخرف

45 ـ الجاثية

46 ـ الأحقاف

48 ـ الفتح

49 ـ الحجرات

51 ـ الذاريات

53 ـ النجم

54 ـ القمر

55 ـ الرحمٰن

56 ـ الواقعة

57 ـ الحديد

59 ـ الحشر

60 ـ الممتحنة

65 ـ الطلاق

66 ـ التحريم

68 ـ القلم

75 ـ القيامة

83 ـ المطففين

2 ـ فهرس الاحاديث الشريفة

3 ـ فهرس الامثال والاساطير

4 ـ فهرس الرسائل والتوقيعات والخطب والوصايا

5 ـ فهرس أنواع القريض
قصائد وموشحات

أ ـ قصائد :

ب ـ الموشحات :

جـ ـ دوبيت:

6 ـ فهرس القوافي

(الهمزة)

(ح ، خ)

(د)

- ز -

- س -

ـ غ ـ

- و -

- ي -

7 ـ فهرس الأرجاز

8 ـ فهرس الأعلام

(د)

(ذ)

(س)

(ص)

(ض)

(ط)

(ظ)

(ع)

(غ)

(ف)

(ك)

(و)

9 ـ فهرس الأمم والقبائل والطوائف

(غ)

(ف)

(ق)

(ك)

(ن)

(هـ)

(و)

(ي)

10 ـ فهرس الأماكن

(ب)

(خ)

(ذ)

(ر)

(س)

(غ)

(ف)

(ك)

(ل)

(م)

(ن)

(هـ)

(و)

(ي)

11 ـ فهرس الكتب

(أ)

(ب)

(ث)

(ج)

(ح)

(خ)

(د)

(ذ)

(ر)

(ز)

(ش)

(ص)

(ض)

(ط)

(غ)

(ف)

(ك)

(ل)

(م)

(ن)

(ي)

12 ـ فهرس مصادر المؤلف

13 ـ فهارس الحضارة والفكر

** ** **

1 ـ فهرس المذاهب

2 ـ فهرس الكُتُب والكتابة وما يتصل بها

3 ـ فهرس النقد الأدبي

4 ـ فهرس المناصب والدواوين وأصحابها

5 ـ فهرس السكة وما يتصل بها

6 ـ فهرس الثياب والأزياء والنعال

7 ـ فهرس الأطعمة والأشربة

8 ـ فهرس ألفاظ ومصطلحات

9 ـ فهرس فوائد متنوعة

14 ـ فهرس المصادر والمراجع

ـ الآثار الباقية عن القرون الخالية للبيروني تحقيق سخاو، ليبزج 1923 .
ـ ابن بسام الأندلسي وكتاب الذخيرة لعلي بن محمد الجزائري 989 .
ـ ابن عساكر (بحوث في ذكراه بمناسبة مرور تسعمائة سنة على وفاته) دمشق 1979 .
ـ اتعـاظ الحنفا (1 ـ 3) للمقريـزي تحقيق د. جمال الدين الجزائري الشيـال ود. محمد حلمي أحمد، القـاهرة 1967 ـ 1973 .
ـ الإحاطة في أخبار غرناطة للسان الدين ابن الخطيب (1 ـ 4) تحقيق محمد عبد الله عنان 1973 ـ 1977 .
ـ أخبار أصبهان لأبي نعيم (1 ـ 2) تحقيق ديدرنغ، ليدن 1934 .
ـ أخبار البحتري للصولي تحقيق د. صالح الأشتر، دمشق 1958 .
ـ أخبار الحكماء للقفطي تحقيق جوليوس ليبرت، ليبسك 1903 .
ـ أخبار الحمقى والمغفلين لابن الجوزي، نشر القدسي، دمشق 1347 .
ـ أخبار الدولة السلجوقية لصدر الدين الحسيني تحقيق محمد اقبال، لاهور 1933 .
ـ أخبار سيبويه المصري لابن زولاق بعناية محمد ابراهيم سعد وحسين الديب، مصر 1933 .
ـ أخبار القضاة لوكيع (1 ـ 3) تحقيق عبد العزيز المراغي، القاهرة 1366 ـ 1369 .
ـ أخبار مصر لابن ميسر، القاهرة 1919 .
ـ أخبار النحويين البصريين للسيرافي تحقيق طه محمد الزيني وعبد المنعم خفاجي، القاهرة 1955 .
ـ أخبار وتراجم أندلسية (مستخرجة من معجم السفر) تحقيق د. إحسان عباس، بيروت 1963 .
ـ أخلاق الوزيرين لأبي حيان التوحيدي تحقيق محمد بن تاويت الطنجي، دمشق 1965 .
ـ أدب الخواص للوزير المغربي تحقيق الشيخ حمد الجاسر، الرياض 1980 .
ـ أدب الدنيا والدين للماوردي تحقيق مصطفى السقا، القاهرة 1955 .
ـ أدب الغرباء (المنسوب) إلى أبي الفرج الأصبهاني تحقيق د. صلاح الدين المنجد، بيروت 1972 .
ـ أدب الكتاب للصولي تحقيق محمد بهجة الأثري، القاهرة 1342 .
ـ أدب المرتضى لعبد الرزاق محيي الدين، بغداد 1957 .
ـ أدب النديم لكشاجم، القاهرة 1298 .
ـ أدباء مالقة (صورة عن نسخة خطية بمكتبة الشيخ محمد المنوني) .

ـ الأذكياء لابن الجوزي، دار الآفاق الجديدة، بيروت 1979 .
ـ الأزمنة والأمكنة للمرزوقي (1 ـ 2) حيدر أباد الدكن 1322 .
ـ أزهار الرياض للمقري (1 ـ 3) تحقيق السقا وآخرين، القاهرة 1939 ـ 1942 .
ـ الاستيعاب في معرفة الأصحاب لابن عبد البر (1 ـ 4) تحقيق علي محمد البجاوي، القاهرة .
ـ أسد الغابة لابن الأثير (1 ـ 5) طهران، 1342 .
ـ أسماء المغتالين من الشعراء لمحمد بن حبيب (ضمن نوادر المخطوطات) تحقيق عبد السلام هارون، القاهرة 1974 .
ـ الإشارة إلى من نال الوزارة لابن الصيرفي تحقيق عبد الله مخلص، مصر 1924 .
ـ إشارة التعيين في تراجم النحاة واللغويين لعبد الباقي اليماني تحقيق د. عبد المجيد دياب، الرياض 1986 .
ـ الأشباه والنظائر للسيوطي (1 ـ 7) تحقيق د. عبد العال سالم مكرم، بيروت 1985 .
ـ الاشتقاق لابن دريد تحقيق عبد السلام هارون، القاهرة 1958 .
ـ أشجع السلمي، حياته وشعره، للدكتور خليل بنيان الحسون، بيروت 1981 .
ـ أشعار الخليع جمعها وحققها عبد الستار فراج، بيروت 1960 .
ـ الإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر العسقلاني، مصر 1323 ـ 1352 .
ـ إعتاب الكتاب لابن الأبار تحقيق د. صالح الأشتر، دمشق 1961 .
ـ الأعلام لخير الدين الزركلي (1 ـ 8) دار العلم للملايين، بيروت 1979 .
ـ الأغاني لأبي الفرج الأصفهاني (1 ـ 25) ط. دار الثقافة، بيروت 1955 ـ 1960 .
ـ الأفضليات لابن الصيرفي تحقيق د. وليد قصاب ود. عبد العزيز المانع، دمشق 1982 .
ـ الإكمال لابن ماكولا (1 ـ 6) تحقيق الشيخ عبد الرحمن اليماني، حيدر أباد الدكن 1962 ـ 1966 .
ـ ألف سنة من الوفيات لابن منفذ والونشريسي وابن القاضي تحقيق محمد حجي، الرباط 1976 .
ـ كتاب ألقاب الشعراء ومن يعرف منهم بأمه لمحمد بن حبيب (ضمن نوادر المخطوطات) تحقيق عبد السلام هارون، القاهرة 1973 .
ـ الاماء الشواعر لأبي الفرج الأصبهاني تحقيق د. نوري حمودي القيسي ود. يونس أحمد السامرائي، بيروت 1984 .
ـ الأمالي (والذيل) لأبي علي القالي (1 ـ 3) ط. دار الكتب المصرية 1953 .
ـ أمالي الزجاجي تحقيق عبد السلام هارون، القاهرة 1382 .
ـ أمالي المرتضى (الدرر والغرر) (1 ـ 2) تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم، القاهرة 1945 .
ـ الإمامة والسياسة (المنسوب) لابن قتيبة (1 ـ 2) تحقيق د. طه الزيني، القاهرة 1967 .
ـ الإمتاع والمؤانسة لأبي حيان التوحيدي (1 ـ 3) تحقيق أحمد أمين وأحمد الزين، القاهرة 1939 ـ 1944 .
ـ الأمثال لأبي عبيد القاسم بن سلام تحقيق د. عبد المجيد قطامش، دمشق ـ بيروت 1980 .
ـ أمثال العرب للمفضل الضبي تحقيق د. احسان عباس، بيروت 1981 .

ـ إنباه الرواة على أنباه النحاة للقفطي (1 ـ 4) تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم، القاهرة 1950 ـ 1973 .
ـ الانتقاء لابن عبد البر، مكتبة القدسي، مصر 1350 .
ـ الأنساب للسمعاني (1 ـ 6) تحقيق الشيخ عبد الرحمن اليماني، حيدر أباد الدكن 1962 ـ 1964 والأجزاء 7 ـ 12 نشر الشيخ أمين دمج، بيروت 1976 ـ 1984 .
ـ أنساب الأشراف (نسخة استانبول) .
ـ أنساب الأشراف للبلاذري (1) تحقيق د. محمد حميد الله، مصر 1959 (3) تحقيق د. عبد العزيز الدوري، بيروت 1978 (4/ 1) تحقيق د. احسان عباس، بيروت 1979 .
ـ الإنصاف والتحري لابن العديم (انظر تعريف القدماء) .
ـ أنموذج الزمان لابن رشيق القيرواني جمع وتحقيق محمد البكوش والعروسي المطوي، تونس 1986 .
ـ الأنوار ومحاسن الأشعار للشمشاطي تحقيق د. السيد محمد يوسف، الكويت 1977 .
ـ الأوائل للعسكري (1 ـ 2) تحقيق محمد المصري ووليد قصاب، دمشق 1975 .
ـ الأوراق للصولي (أشعار أولاد الخلفاء) تحقيق ج. هيورث دن، (مصورة عن الطبعة المصرية)، بيروت 1982 .
ـ الأوراق للصولي (أخبار الشعراء المحدثين) تحقيق هيورث دن (مصورة عن الطبعة المصرية)، بيروت 1982 .
ـ الأوراق (أخبار الراضي والمتقي) للصولي عني بنشره ج. هيورث دن، بيروت 1979 .
ـ البحتري في سامراء (1 ـ 2) ليونس السامرائي، بغداد 1971 .
ـ البخلاء للجاحظ تحقيق طه الحاجري، القاهرة 1948 .
ـ البخلاء للخطيب البغدادي تحقيق د. أحمد مطلوب وآخرين، بغداد 1964 .
ـ بدائع البدائه لابن ظافر الأزدي تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم، القاهرة 1970 .
ـ البداية والنهاية لابن الأثير (1 ـ 14)، بيروت ـ الرياض 1966 .
ـ البدر السافر للأدفوي مخطوطة الفاتح رقم 2401 .
ـ البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع للشوكاني (1 ـ 2)، مصر 1348 .
ـ البديع في نقد الشعر لأسامة بن منقذ تحقيق د. أحمد أحمد بدوي ود. حامد عبد المجيد، القاهرة 1960 .
ـ البديع في وصف الربيع لحبيب (أبي الوليد الحميري) تحقيق هنري بيريس، الرباط 1940 .
ـ البرصان والعرجان للجاحظ تحقيق عبد السلام هارون، بغداد 1982
ـ برنامج شيوخ الرعيني تحقيق ابراهيم شبوح، دمشق 1962 .
ـ البصائر والذخائر لأبي حيان التوحيدي (1 ـ 9 والفهارس) تحقيق د. وداد القاضي، دار صادر ـ بيروت 1988 .
ـ بغية الطلب لابن العديم (1 ـ 9) مخطوطة آيا صوفيا .
ـ بغية الطلب لابن العديم (1 ـ 10) + الفهارس تحقيق د. سهيل زكار، دمشق .
ـ بغية الملتمس للضبي، ط. مدريد 1884 .
ـ بغية الوعاة للسيوطي (1 ـ 2) تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم، القاهرة 1964 ـ 1965 .

ـ البلغة في تاريخ أئمة اللغة للفيروزبادي، تحقيق محمد المصري، دمشق 1972 .
ـ بهجة المجالس لابن عبد البر (1 ـ 2) تحقيق محمد مرسي الخولي، دار الكتاب العربي، القاهرة .
ـ البيان المغرب لابن عذارى المراكشي (1 ـ 2) تحقيق كولان وبروفنسال، ليدن 1948 .
ـ البيان والتبيين للجاحظ (1 ـ 4) تحقيق عبد السلام هارون، القاهرة 1961 .
ـ تاج التراجم لابن قطلوبغا، بغداد 1962 .
ـ التاج المكلل لصديق بن حسن القنوجي، بمباي 1963 .
ـ تاريخ ابن خلدون (1 ـ 7) بولاق 1284 .
ـ تاريخ ابن الدبيثي = ذيل تاريخ مدينة السلام، بغداد (1 ـ 2) تحقيق بشار عواد معروف، بغداد 1974ـ1979 (ومخطوطة كيمبردج) .
ـ تاريخ ابن العبري (انظر تاريخ مختصر الدول) .
ـ تاريخ ابن الفرات (4/1 ـ 2) تحقيق د. حسن محمد الشماع، بغداد 1967/ 1970 .
ـ تاريخ ابن الوردي المسمى تتمة المختصر (1 ـ 2)، مصر 1285 .
ـ تاريخ الأدب العربي وتكملته لكارل بروكلمان (1 ـ 6) ترجمة د. عبد الحليم النجار وآخرين، القاهرة 1959 ـ 1977 .
ـ تاريخ الإسلام للذهبي (1 ـ 6) ط. القدسي، القاهرة 1332 .
ـ تاريخ بغداد للخطيب البغدادي (1 ـ 14) ومعه الذيل على تاريخ بغداد لابن النجار (15 ـ 17) نشر دار الكتاب العربي ـ بيروت .
ـ تاريخ التراث العربي لفؤاد سيزكين، المجلد الأول (1 ـ 4) والمجلد الثاني (1 ـ 5) والمجلد الثامن (1 ـ 2) الترجمة العربية، جامعة الإمام محمد بن سعود 1983ـ 1988 .
ـ تاريخ جرجان لحمزة بن يوسف السهمي، حيدر أباد الدكن 1967 .
ـ تاريخ الحكماء للبيهقي تحقيق محمد كرد علي، دمشق 1976 .
ـ تاريخ خليفة بن خياط تحقيق د. سهيل زكار، دمشق 1967 ـ 1968 .
ـ تاريخ دمشق لابن عساكر (1 ـ 19) مصورة دار البشير، عمان 1988 .
ـ تاريخ الرسل والملوك للطبري (1 ـ 15) الطبعة الأوروبية (تحقيق دي خويه) .
ـ تاريخ العلماء النحويين من البصريين والكوفيين لأبي المحاسن ابن مسعر المعري، تحقيق عبد الفتاح محمد الحلو، المملكة العربية السعودية 1981 .
ـ تاريخ العلماء والرواة للعلم بالأندلس لابن الفرضي (1 ـ 2)، القاهرة 1954 .
ـ التاريخ الكبير للبخاري (1 ـ 9) (مصور عن طبعة حيدر أباد الدكن) المكتبة الإسلامية، ديار بكر ـ تركيا .
ـ تاريخ مختصر الدول لابن العبري، المطبعة الكاثوليكية، بيروت 1958 .
ـ تاريخ المغرب والأندلس (قطعة) تحقيق عز الدين أحمد عمر موسى وعبد الله الزيدان، دار الغرب الإسلامي، بيروت 1990 .
ـ تاريخ الموصل لأبي زكريا الأزدي تحقيق د. علي حبيبة، القاهرة 1967 .

ـ تبصير المنتبه لابن حجر العسقلاني (1 ـ 4) تحقيق علي محمد البجاوي، القاهرة 1967 .
ـ تبيين كذب المفتري فيما نسب إلى الإمام أبي الحسن الأشعري لابن عساكر نشر القدسي، القاهرة 1347 .
ـ تتمة اليتيمة للثعالبي (1 ـ 2) عني بنشره عباس اقبال، طهران 1353 .
ـ تجارب الأمم لمسكويه (وذيله لأبي شجاع) (1 ـ 3) تحقيق آمدروز، مصر 1914 ـ 1916 (تصوير مكتبة المثنى ببغداد) .
ـ التحبير في المعجم الكبير لأبي سعد السمعاني (1 ـ 2) تحقيق منيرة ناجي سالم، بغداد 1975 .
ـ تحفة أولي الألباب في صناعة الخط والكتاب لعبد الرحمن الصايغ تحقيق هلال ناجي، تونس 1967 .
ـ تحفة القادم لابن الأبار تحقيق د . احسان عباس، دار الغرب الإسلامي، بيروت 1986 .
ـ التدوين في أخبار قزوين (1 ـ 4) لعبد الكريم محمد الرافعي القزويني، دار الكتاب العلمية، بيروت ـ لبنان 1987 .
ـ تذكرة الحفاظ للذهبي (1 ـ 4) في مجلدين ط . حيدر أباد الدكن 1955 ـ 1957 .
ـ التذكرة الحمدونية لابن حمدون (1 ـ 2) تحقيق د . احسان عباس، بيروت 1983، 1984 .
ـ ترتيب المدارك للقاضي عياض (1 ـ 8) لمحققين مختلفين، الرباط/ المغرب 1983 .
ـ الترك في مؤلفات الجاحظ، د . زكريا كتابجي، دار الثقافة، بيروت .
ـ تزيين الأسواق لداود الأنطاكي (1 ـ 2) طبعة بيروتية 1973 (عن الطبعة المصرية) (ومعه ديوان الصبابة) .
ـ كتاب التشبيهات من أشعار أهل الأندلس لابن الكتاني تحقيق د . احسان عباس، بيروت 1981 .
ـ تعريف القدماء بأبي العلاء، لجنة بإشراف الدكتور طه حسين، القاهرة 1944 .
ـ التكملة لابن الأبار (1 ـ 2)، القاهرة 1955 .
ـ تكملة تاريخ الطبري للهمذاني تحقيق ألبير كنعان، بيروت 1961 .
ـ التكملة لوفيات النقلة للمنذري (1 ـ 4) تحقيق د . بشار عواد معروف، بيروت 1981 .
ـ تلخيص مجمع الآداب (معجم الألقاب) لابن الفوطي (الجزء الرابع) 1 ـ 3 تحقيق د . مصطفى جواد، دمشق 1962 ـ 1965 .
ـ تمام المتون في شرح رسالة ابن زيدون للصفدي تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم 1969 .
ـ التمثيل والمحاضرة لأبي منصور الثعالبي تحقيق عبد الفتاح محمد الحلو، القاهرة 1961 .
ـ التنبيه على حدوث التصحيف لحمزة الأصفهاني تحقيق محمد أسعد طلس، دمشق 1967 .
تهذيب الأسماء للنووي القسم الأول (1 ـ 2) والقسم الثاني (1 ـ 2)، ادارة الطباعة المنيرية القاهرة (تصوير طهران) .
ـ تهذيب تاريخ دمشق لابن عساكر (1 ـ 7) صنعة الشيخ عبد القادر بدران، بيروت (دار المسيرة) 1979 .
ـ تهذيب التهذيب لابن حجر العسقلاني (1 ـ 12) مصور عن حيدر أباد الدكن (1324 ـ 1327) .
ـ تهذيب الكمال للمزي (1 ـ 15) تحقيق د . بشار عواد معروف، بيروت 1980 ـ 1988 .
ـ تهذيب اللغة للأزهري (1 ـ 15) تحقيق عبد السلام هارون وآخرين، القاهرة 1964 .
ـ توشيع التوشيح للصلاح الصفدي تحقيق ألبير مطلق، دار الثقافة، بيروت 1966 .

- ثمار القلوب في المضاف والمنسوب للثعالبي تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم، القاهرة 1965 .
- جامع بيان العلم وفضله لابن عبد البر تحقيق عبد الكريم الخطيب، القاهرة 1982 .
- الجامع المختصر لابن الساعي البغدادي (الجزء التاسع) بغداد 1934 .
- جحظة البرمكي الأديب الشاعر للدكتور مزهر السوداني، النجف 1977 .
- جذوة المقتبس للحميدي تحقيق محمد بن تاويت الطنجي، القاهرة 1952 .
- الجرح والتعديل لابن أبي حاتم (1 ـ 8) حيدر أباد الدكن (1371 ـ 1373).
- الجليس الصالح والأنيس الناصح للمعافى الجريري (1 ـ 2) تحقيق محمد مرسي الخولي (1981 ـ 1983) و(3) تحقيق د. احسان عباس (1987).
- جمع الجواهر للحصري تحقيق علي محمد البجاوي، القاهرة 1953 .
- جمهرة الإسلام للشيزري (مصورة عن مخطوطة ليدن فؤاد سيزكين، فرانكفورت).
- جمهرة الأمثال للعسكري (1 ـ 2) تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم، القاهرة 1964 .
- جمهرة النسب لهشام ابن الكلبي تحقيق د. ناجي حسن، بيروت 1986 .
- جمهرة نسب قريش للزبير بن بكار تحقيق محمود محمد شاكر، القاهرة 1381 .
- الجواهر المضية في طبقات الحنفية لابن أبي الوفا القرشي (1 ـ 4) تحقيق د. عبد الفتاح محمد الحلو، الرياض 1978 ـ 1985 .
- الجواهر المضية في طبقات الحنفية لابن أبي الوفا القرشي (1 ـ 2) ط. حيدر أباد الدكن، 1332 .
- جيش التوشيح للسان الدين ابن الخطيب تحقيق هلال ناجي ومحمد ماضور، تونس 1967 .
- حاشية على شرح بانت سعاد (جـ: 1) للبغدادي تحقيق نظيف خوجه، فيسبادن (المانيا) 1980 .
- حسن المحاضرة في أخبار مصر والقاهرة للسيوطي (1 ـ 2) تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم، القاهرة 1967 ـ 1968 .
- حكاية أبي القاسم البغدادي لمحمد بن أحمد أبي المطهر الأزدي تحقيق آدم متز، هيدلبرج 1902 (أعاد تحقيقها عبود الشالجي بعنوان الرسالة البغدادية، بيروت 1980 وينسبها للتوحيدي).
- الحلة السيراء لابن الأبار (1 ـ 2) تحقيق د. حسين مؤنس، القاهرة 1963 .
- الحلل السندسية في الأخبار التونسية (1 ـ 3) للوزير السراج تحقيق محمد الحبيب الهيلة، دار الغرب الإسلامي، بيروت 1984 ـ 1985 .
- حلية الأولياء لأبي نعيم الأصفهاني (1 ـ 10) القاهرة 1938 .
- حماسة ابن الشجري ط. حيدر أباد الدكن 1345 .
- حماسة البحتري تحقيق لويس شيخو بيروت 1910 .
- الحماسة البصرية لعلي بن أبي الفرج البصري (1 ـ 2) تحقيق د. مختار الدين أحمد، حيدر أباد الدكن 1964 .
- حماسة الخالديين (خطأ) وهو الأشباه والنظائر للخالديين (1 ـ 2) تحقيق د. محمد يوسف، القاهرة 1958 ـ 1965 .

ـ الحوادث الجامعة والتجارب النافعة في المائة السابعة المنسوب لعبد الرزاق بن الفوطي البغدادي، بغداد 1351 .
ـ الحور العين لنشوان بن سعيد الحميري تحقيق كمال مصطفى، القاهرة 1948 .
ـ حياة الحيوان للدميري (1 ـ 2) مصر 1292 .
ـ الحيوان للجاحظ (1 ـ 7) تحقيق عبد السلام محمد هارون، القاهرة 1938 ـ 1945 .
ـ خريدة القصر (الشعراء العسقلانيون) نسخة باريس رقم 3329 .
ـ خريدة القصر (قسم الشام) للعماد الأصفهاني (1 ـ 4 مع جزء غير مرقم) تحقيق د. شكري فيصل، دمشق 1955 ـ 1964 .
ـ خريدة القصر (قسم العراق) (1 ـ 4) (ولها تكملة) تحقيق محمد بهجة الأثري، بغداد.
ـ خريدة القصر (قسم مصر) (1 ـ 2) تحقيق أحمد أمين وشوقي ضيف، القاهرة 1951 .
ـ خزانة الأدب للبغدادي (1 ـ 4) ط. بولاق.
ـ الخصائص لابن جني (1 ـ 3) تحقيق محمد علي النجار، القاهرة 1952 ـ 1956 .
ـ خطب خالد بن صفوان وأقواله وأخباره جمعها د. يونس أحمد السامرائي، بغداد 1990 .
ـ دار الطراز لابن سناء الملك تحقيق د. جودت الركابي، دمشق 1949 .
ـ الدارس في تاريخ المدارس للنعيمي (1 ـ 2) تحقيق جعفر الحسني، دمشق 1948 .
ـ الدرة الفاخرة لحمزة الأصفهاني (1 ـ 2) تحقيق عبد المجيد قطامش، القاهرة 1972 .
ـ درة الخواص في أوهام الخواص للحريري نسخة مصورة عن الطبعة الأوروبية، تحقيق توربكه، ليبزج 1871 .
ـ الدرة المضية في أخبار الدولة الفاطمية لابن أيبك الدواداري تحقيق د. صلاح الدين المنجد، القاهرة 1961 .
ـ دلائل النبوة للبيهقي (جـ : 1) تحقيق السيد أحمد صقر، القاهرة 1970 .
ـ دمية القصر للباخرزي (1 ـ 3)، تحقيق د. محمد التونجي، بيروت.
ـ الديارات للشابشتي تحقيق كوركيس عواد، بغداد 1966 .
ـ الديباج المذهب لابن فرحون (1 ـ 2) تحقيق محمد الأحمدي أبو النور، القاهرة 1977 .
ـ ديوان ابراهيم بن العباس الصولي (في الطرائف الأدبية) تحقيق عبد العزيز الميمني، القاهرة 1937 .
ـ ديوان ابن التعاويذي، ط. دار صادر ـ بيروت (صورة عن الطبعة المصرية 1903).
ـ ديوان ابن حمديس الصقلي تحقيق د. احسان عباس، بيروت 1960 .
ـ ديوان ابن حيوس (1 ـ 2) تحقيق خليل مردم بك، دمشق 1951 .
ـ ديوان ابن دريد، صنعة ابن سالم، تونس 1973 .
ـ ديوان ابن رشيق القيرواني جمع وتحقيق د. عبد الرحمن ياغي ـ دار الثقافة ـ بيروت.
ـ ديوان ابن الرومي (1 ـ 6) تحقيق د. حسين نصار، القاهرة 1973 ـ 1981 .
ـ ديوان ابن سناء الملك، حيدر أباد الدكن 1958 .

ـ ديوان ابن شهيد جمع وتحقيق يعقوب زكي، القاهرة 1969 .
ـ ديوان ابن عنين تحقيق خليل مردم بك، دمشق 1946 .
ـ ديوان ابن قلاقس تحقيق خليل مطران، مصر.
ـ ديوان ابن قلاقس تحقيق د. سهام الفريح، الكويت 1988 .
ـ ديوان ابن المعتز (1 ـ 3) تحقيق د. يونس أحمد السامرائي، بغداد 1977 .
ـ ديوان ابن مفرغ جمع وتحقيق د. عبد القدوس أبو صالح، بيروت 1975 .
ـ ديوان ابن مقبل تحقيق عزة حسن، دمشق .
ـ ديوان ابن نباتة السعدي (1 ـ 2) تحقيق عبد الأمير مهدي حبيب الطائي، بغداد 1977 .
ـ ديوان ابن هانىء الأندلسي ط. دار صادر ـ بيروت 1952 .
ـ ديوان أبي الأسود الدؤلي تحقيق الشيخ محمد آل ياسين، بغداد 1954 .
ـ ديوان أبي دلامة جمعه وحققه د. رشدي علي حسن، بيروت 1985 .
ـ ديوان أبي ذؤيب (انظر شرح أشعار الهذليين).
ـ ديوان أبي فراس الحمداني تحقيق د. سامي الدهان، بيروت 1944 .
ـ ديوان أبي نواس تحقيق د. بهجت الحديثي، بغداد 1980 .
ـ ديوان الأبيوردي (1 ـ 2) تحقيق عمر الأسعد، بغداد 1974 ـ 1975 .
ـ ديوان الأخطل تحقيق أنطوان صالحاني، بيروت 1891 .
ـ ديوان أسامة بن منقذ تحقيق أحمد أحمد بدوي وحامد عبد المجيد، القاهرة 1953 .
ـ ديوان الأعشى الكبير تحقيق غويار، بيانه 1927 .
ـ ديوان امرىء القيس تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم، القاهرة 1958 .
ـ ديوان أمية بن أبي الصلت الأندلسي جمع وتحقيق محمد المرزوقي، تونس 1974 .
ـ ديوان أوس بن حجر تحقيق د. محمد يوسف نجم، بيروت 1960 .
ـ ديوان البحتري (1 ـ 4) تحقيق حسن كامل الصيرفي، مصر 1963 ـ 1965 (والجزء الخامس فهارس).
ـ ديوان بديع الزمان الهمذاني تحقيق يسرى عبد الغني عبد الله، بيروت 1987 .
ـ ديوان بشار جمع محمد بدر الدين العلوي، ط. دار الثقافة، بيروت 1963 .
ـ ديوان تأبط شراً تحقيق علي ذو الفقار شاكر، دار الغرب الإسلامي ـ بيروت 1984 .
ـ ديوان جرير (1 ـ 2) تحقيق نعمان أمين طه، القاهرة 1969 .
ـ ديوان جرير (التجارية) 1353 .
ـ ديوان حسان بن ثابت (1 ـ 2) تحقيق وليد عرفات، لندن 1971 .
ـ ديوان الحسين بن مطير جمعه وحققه د. محسن غياض، بغداد 1971 .
ـ ديوان حميد بن ثور تحقيق عبد العزيز الميمني، دار الكتب المصرية 1951 .
ـ ديوان الحيص بيص (1 ـ 3) تحقيق مكي السيد جاسم وشاكر هادي شكر، بغداد 1972 ـ 1975 .
ـ ديوان خالد الكاتب تحقيق د. يونس أحمد السامرائي، بغداد 1981 .

ـ ديوان الخالديين جمع وتحقيق د. سامي الدهان، دمشق 1961 .
ـ ديوان الخبز ارزي تحقيق الشيخ محمد حسن آل ياسين، مجلة المجمع العراقي (40، 41).
ـ ديوان الخريمي جمعه وحققه د. علي جواد الطاهر ومحمد جبار المعيبد، بيروت 1971 .
ـ ديوان دعبل تحقيق د. محمد يوسف نجم، بيروت 1962 .
ـ ديوان دعبل تحقيق د. عبد الكريم الأشتر، دمشق 1964 .
ـ ديوان ديك الجن الحمصي تحقيق أحمد مطلوب وعبد الله الجبوري، بيروت 1964 .
ـ ديوان ذي الإصبع العدواني جمع وتحقيق عبدالوهاب العدواني ومحمد الدليمي، الموصل 1973 .
ـ ديوان ذي الرمة (1 ـ 3) تحقيق عبد القدوس أبو صالح، دمشق 1972 ـ 1973 .
ـ ديوان الراعي النميري جمع وتحقيق فايبرت، بيروت 1980 .
ـ ديوان رؤبة بن العجاج، نشر وليم بن الورد البروسي 1903 .
ـ ديوان السري الرفاء نشر القدسي، القاهرة.
ـ ديوان الشافعي جمع محمد عفيف الزعبي، بيروت 1971 .
ـ ديوان الشافعي جمع زهدي يكن، بيروت 1961 .
ـ ديوان الشريف الرضي (1 ـ 2) ط. دار صادر ـ بيروت 1961 .
ـ ديوان الشريف المرتضى (1 ـ 3) تحقيق رشيد الصفار، القاهرة 1958 .
ـ ديوان شعر حاتم الطائي دراسة وتحقيق د. عادل سليمان جمال، القاهرة 1975 .
ـ ديوان شعر الخوارج جمع وتحقيق د. احسان عباس، ط/ 4 بيروت 1981 .
ـ ديوان الصنوبري تحقيق د. إحسان عباس، بيروت 1970 .
ـ ديوان الطغرائي أبي إسماعيل الحسين بن علي تحقيق د. علي جواد الطاهر ود. يحيى الجبوري، الكويت 1983 .
ـ ديوان ظافر الحداد تحقيق د. حسين نصار، القاهرة 1969 .
ـ ديوان العباس بن الأحنف جمع وتحقيق عاتكة الخزرجي، القاهرة 1954 .
ـ ديوان عدي بن زيد العبادي تحقيق محمد جبار المعيبد، بغداد 1965 .
ـ ديوان عبد الله بن رواحة تحقيق د. وليد قصاب، الرياض 1982 .
ـ ديوان عبد الله بن رواحة تحقيق د. حسين محمد باجوده، القاهرة 1972 .
ـ ديوان العرجي تحقيق خضر الطائي ورشيد العبيدي، بغداد 1956 .
ـ ديوان عروة بن الورد شرح ابن السكيت تحقيق عبد المعين الملوحي، دمشق 1966 .
ـ ديوان علي بن الجهم تحقيق خليل مردم بك، دمشق 1946 .
ـ ديوان العماد الأصفهاني جمع وتحقيق د. ناظم رشيد، الموصل 1983 .
ـ ديوان عمرو بن معد يكرب الزبيدي صنعه هاشم الطعان (سلسلة كتب التراث 11/ بغداد).
ـ ديوان عنترة تحقيق محمد سعيد مولوي، المكتب الإسلامي ـ بيروت 1964 .
ـ ديوان الفرزدق (1 ـ 2) ط. دار صادر ـ بيروت 1966 .

ـ ديوان القتال الكلابي جمع وتحقيق د. احسان عباس، بيروت.
ـ ديوان القطامي تحقيق ابراهيم السامرائي، بيروت 1960.
ـ ديوان كثير عزة تحقيق د. إحسان عباس، بيروت 1971.
ـ ديوان المتنبي تحقيق د. عبد الوهاب عزام، القاهرة 1944.
ـ ديوان مجنون ليلى جمع عبد الستار فراج، القاهرة.
ـ ديوان محمد بن عبد الملك الزيات تحقيق د. جميل سعيد، القاهرة 1949.
ـ ديوان مسكين الدارمي جمع وتحقيق خليل ابراهيم العطية وعبد الله الجبوري، بغداد 1970.
ـ ديوان المعاني للعسكري (1 ـ 2) نشر القدسي، القاهرة.
ـ ديوان مهيار (1 ـ 4) دار الكتب المصرية، القاهرة.
ـ ديوان النابغة الذبياني تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم، القاهرة 1977.
ـ الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة لابن بسام الشنتريني (1 ـ 8 في أربعة أقسام) تحقيق د. احسان عباس، بيروت، الدار العربية للكتاب 1975.
ـ الذريعة إلى تصانيف الشيعة لمحمد حسن آغا بزرك (1 ـ 19) طهران 1355 ـ 1393.
ـ ذم الهوى لابن الجوزي تحقيق مصطفى عبد الواحد، القاهرة 1962.
ـ الذهب المسبوك لعبد الرحمن الأربلي، بغداد 1964.
ـ ذيل تاريخ دمشق لابن القلانسي، بيروت 1908.
ـ ذيل الروضتين (تراجم رجال القرن السادس) لأبي شامة، القاهرة 1947.
ـ الذيل على طبقات الحنابلة لابن رجب (1 ـ 2)، القاهرة 1952 ـ 1953.
ـ ذيل مرآة الزمان للقطب اليونيني (1 ـ 4) حيدر أباد الدكن 1955.
ـ الذيل والتكملة لابن عبد الملك المراكشي (1، 4 ـ 6، 8) تحقيق د. محمد بنشريفة ود. احسان عباس، بيروت 1964 ـ 1965، 1973.
ـ رايات المبرزين تحقيق غرسية غومس (ط. مدريد).
ـ رايات المبرزين وغايات المميزين لابن سعيد الأندلسي تحقيق د. النعمان القاضي، القاهرة 1973.
ـ ربيع الأبرار (نسخة جامعة برنستون رقم 3535).
ـ ربيع الأبرار للزمخشري (1 ـ 4) تحقيق سليم النعيمي، بغداد 1976 ـ 1980.
ـ الرجال للكشي (لأبي عمرو محمد بن عمر الكشي) تحقيق السيد أحمد الحسيني، كربلاء.
ـ الرجال للنجاشي (أحمد بن علي) ط. طهران.
ـ رسالة الطيف لبهاء الدين الأربلي تحقيق عبد الله الجبوري، بغداد 1968.
ـ رسالة الغفران للمعري تحقيق د. بنت الشاطىء، القاهرة 1950.
ـ رسالة في علم الكتابة للتوحيدي (ضمن رسائل أبي حيان التوحيدي) تحقيق د. ابراهيم الكيلاني، دمشق.
ـ الرسالة المصرية لأمية ابن أبي الصلت الأندلسي تحقيق عبد السلام هارون (الحلقة الأولى من نوادر المخطوطات) القاهرة 1972.

- رسائل ابن أبي الدنيا (مجموعة)، مصر 1935 .
- رسائل ابن حزم الأندلسي (1 ـ 4) تحقيق د. احسان عباس، بيروت .
- رسائل أبي العلاء (ج: 1) تحقيق د. إحسان عباس، بيروت 1982 .
- رسائل أبي العلاء المعري تحقيق مرغوليوث، اكسفورد 1898 .
- رسائل بديع الزمان الهمذاني (كشف المعاني والبيان عن رسائل بديع الزمان) تحقيق الشيخ ابراهيم الأحدب الطرابلسي، بيروت 1890 .
- رسائل البلغاء جمع وتحقيق محمد كرد علي، القاهرة 1946 .
- رسائل سعيد بن حميد وأشعاره جمع وتحقيق د. يونس السامرائي، بغداد 1971 .
- رسائل الوطواط، مصر 1315 .
- رغبة الآمل من كتاب الكامل لسيد بن علي المرصفي (1 ـ 4)، بغداد 1969 .
- رفع الأصر عن قضاة مصر لابن حجر (1 ــ 2)، تحقيق د. حامد عبد المجيد وآخرين، القاهرة 1957 ـ 1961 .
- رفع الحجب المستورة عن محاسن المقصورة للشريف الغرناطي (شرح مقصورة حازم) (1 ـ 2)، مصر 1344 .
- الروز نامجة للصاحب بن عباد جمعها الشيخ محمد آل ياسين، بغداد 1958 .
- روضات الجنات للخوانساري (1 ـ 8) تحقيق أسد الله اسماعيليان، طهران 1390 .
- روضة العقلاء لابن حبان، القاهرة .
- الروض المعطار للحميري تحقيق د. احسان عباس، مكتبة لبنان 1975 .
- رياض النفوس (1 ــ 3) لأبي بكر عبد الله بن محمد المالكي تحقيق بشير البكوش، دار الغرب الإسلامي، بيروت 1983 ـ 1984 .
- الريحان والريعان لابن خيرة المواعيني (ج: 1) نسخة الفاتح رقم 3909 .
- زاد المسافر لصفوان بن ادريس تحقيق عبد القادر محداد، بيروت 1939 .
- زاد المعاد لابن قيم الجوزية (1 ـ 5) تحقيق شعيب الأرناؤوط وعبد القادر الأرناؤوط، بيروت 1979 .
- زبدة الحلب من تاريخ حلب لابن العديم (1 ــ 3) تحقيق د. سامي الدهان، المعهد الفرنسي بدمشق 1951 .
- الزهد لابن حنبل تحقيق محمد جلال شرف، بيروت 1981 .
- زهر الآداب لأبي اسحاق الحصري (1 ـ 2) تحقيق علي محمد البجاوي، القاهرة 1969 .
- الزهرة لابن داود الأصبهاني (1 ـ 2) تحقيق د. ابراهيم السامرائي، عمان 1985 .
- سياسة الصبيان وتدبيرهم لابن الجزار القيرواني تحقيق د. محمد الحبيب الهيلة، دار الغرب الإسلامي، بيروت 1984 .
- سرح العيون في شرح رسالة ابن زيدون لابن نباتة تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم، القاهرة 1964 .

ـ سـرور النفس بمدارك الحواس الخمس للتيفاشي (اختصار ابـن منظور) تحقيق د. احسان عباس، بيروت 1980.
ـ سمط اللآلي في شرح أمالي القالي (1 ـ 2) لأبي عبيد البكري تحقيق عبد العزيز الميمني، القاهرة 1936.
ـ السنن الكبرى للبيهقي (1 ـ 10) حيدر أباد الدكن 1440 ـ 1355.
ـ سؤالات الحافظ السلفي لخميس بن علي الجوزي تحقيق مطاع الطرابيشي، دمشق 1976.
ـ سيـر أعلام النبلاء للذهبي (1 ـ 25) تحقيق الشيخ شعيب الأرناؤوط وآخرين، مؤسسة الرسالة، بيروت 1981 ـ 1988.
ـ السيرة لابن هشام تحقيق مصطفى السقّا ورفيقيه، القاهرة 1955.
ـ سيرة ومناقب عمر بن عبد العزيز لابن الجوزي تحقيق نعيم زرزور، دار الكتب العلمية، بيروت 1984.
ـ شجرة النور الزكية في طبقات المالكية لمحمد بن محمد مخلوف (1 ـ 2) مصورة عن طبعة القاهرة 1349.
ـ شد الإزار وحط الأوزار عن زوار المزار لأبي القاسم جنيد الشيرازي، طهران 1328.
ـ شذرات الذهب لابن العماد (1 ـ 8) القاهرة 1350 ـ 1351.
ـ شذرات من كتب مفقودة جمعها وحققها د. احسان عباس (دار الغرب الإسلامي ـ بيروت).
ـ شرح أشعار الهذليين للسكري (1 ـ 3) تحقيق عبد الستار فراج ومحمود محمد شاكر، القاهرة.
ـ شرح البسامة (شرح قصيدة ابن عبدون) القاهرة 1340.
ـ شرح التبريزي على الحماسة (1 ـ 4) القاهرة 1296.
ـ شرح ديـوان ابن أبي حصينة (1 ـ 2) لأبي العلاء المعـري تحقيق محمد اسعد طلس، المجمـع العلمي العربي بدمشق، 1956.
ـ شرح ديوان أبي تمام للتبريزي (1 ـ 4) تحقيق محمد عبده عزام، القاهرة.
ـ شرح ديوان زهير بن أبي سلمى صنعة أبي العباس ثعلب، مطبعة دار الكتب المصرية 1944.
ـ شرح ديوان لبيد، تحقيق د. احسان عباس، الكويت 1962.
ـ شرح السبع الطوال لابن الأنباري، تحقيق عبد السلام هارون، القاهرة.
ـ شرح شواهد الكشاف للسيوطي، مصر 1322.
ـ شرح شواهد المغني لمحب الدين، مصر 1281.
ـ شرح القصائد التسع لابن النحاس (1 ـ 2) تحقيق أحمد خطاب، بغداد 1973.
ـ شرح المرزوقي على الحماسة (1 ـ 4) تحقيق أحمد أمين وعبد السلام محمد هارون، القاهرة 1951 ـ 1953.
ـ شرح المضنون به على غير أهله لعبيد الله بن عبد الكافي، القاهرة 1913.
ـ شرح المقامات للشريشي (1 ـ 5) تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم، القاهرة 1969 ـ 1976.
ـ شرح مقامات الزمخشري، مصر 1312.
ـ شرح مقصـورة ابن دريد (الفـوائد المحصورة في شرح المقصورة) لابن هشـام تحقيق أحمد عبد الغفـور عطار، بيروت 1980.
ـ شرح مقصورة حازم (انظر الحجب المستورة).

ـ شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد (1 ـ 20) تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم، القاهرة 1959 ـ 1963 .
ـ شروح سقط الزند (1 ـ 5) دار الكتب المصرية 1945 ـ 1948 .
ـ شعر ابن بقي جمع وتحقيق محمد مجيد السعيد، مجلة المورد 1/ 1978 .
ـ شعر ابن ميادة جمعه وحققه د. حنا حداد، دمشق 1982 .
ـ شعر أبي زبيد الطائي جمع نوري حمودي القيسي، بغداد 1967 .
ـ شعر الأحوص جمع وتحقيق عادل سليمان، القاهرة 1970 .
ـ شعر البحتري دراسة للدكتور خليفة الوقيان، بيروت 1985 .
ـ شعر الراعي النميري جمع وتحقيق نوري حمودي القيسي وهلال ناجي، بغداد 1980 .
ـ شعر ربيعة الرقي جمعه وحققه د. يوسف حسين بكار، بغداد 1980 .
ـ شعر الرمادي جمعه وحققه ماهر زهير جرار، بيروت 1980 .
ـ شعر عبد الصمد بن المعذل تحقيق زهير غازي زاهد، بغداد 1970 .
ـ شعر العتابي (العتابي ـ حياته وما تبقى من شعره) جمع د. ناصر حلاوي (مجلة المربد 2 ـ 3) السنة الثانية (ص 369 ـ 436).
ـ شعر الكميت بن زيد الأسدي جمع د. داود سلوم (1 ـ 2) بغداد 1969 .
ـ شعر نصر بن سيار صنعة عبد الله الخطيب، بغداد 1972 .
ـ الشعر والشعراء لابن قتيبة (1 ـ 2) ط. دار الثقافة، بيروت 1964 .
ـ شعر الوليد بن يزيد صنعة وتحقيق د. حسين عطوان، مكتبة الأقصى، عمان 1979 .
ـ شعر يزيد ابن الطثرية جمع وتحقيق د. حاتم صالح الضامن، بغداد 1973 .
ـ شعر اليزيديين جمع وتحقيق د. محسن غياض، بغداد 1973 .
ـ شمس العلوم لنشوان بن سعيد الحميري (1 ـ 2) عالم الكتب ـ بيروت .
ـ شمس العلوم (المجلد الأول/ قسم 1 , 2) تحقيق سترستين، ليدن 1953 .
ـ الشهاب في الشيب والشباب للشريف المرتضى، مطبعة الجوائب، قسطنطينية 1302 .
ـ صبح الأعشى للقلقشندي (1 ـ 14) نسخة مصورة عن الطبعة الأولى بالقاهرة 1963 .
ـ الصحاح في اللغة للجوهري (1 ـ 6) تحقيق أحمد عبد الغفور عطار، القاهرة 1956 .
ـ صحيح البخاري (1 ـ 9) القاهرة 1958 .
ـ الصداقة والصديق لأبي حيان التوحيدي، تحقيق د. ابراهيم الكيلاني، دمشق 1964 .
ـ صفة الصفوة لابن الجوزي (1 ـ 4) حيدر أباد الدكن 1355 .
ـ الصلة لابن بشكوال (1 ـ 2) القاهرة 1955 .
ـ صلة الصلة لابن الزبير تحقيق ليفي بروفنسال، الرباط 1937 .
ـ كتاب الصناعتين لأبي هلال العسكري تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم وعلي محمد البجاوي، القاهرة 1952 .
ـ الضائع من معجم الأدباء لمصطفى جواد، بغداد 1990 .

ـ الطالع السعيد لكمال الدين جعفر بن ثعلب الأدفوي تحقيق سعد محمد حسن، القاهرة 1966 .
ـ طبقات الأمم لصاعد الأندلسي تحقيق لويس شيخو، بيروت 1912 .
ـ طبقات الأمم تحقيق حياة بوعلوان، بيروت 1985 .
ـ طبقات الحفاظ تحقيق علي محمد عمر، مكتبة وهبة، القاهرة 1973 .
ـ طبقات الحكماء لابن جلجل تحقيق فؤاد السيد، القاهرة 1955 .
ـ طبقات الحنابلة لأبي يعلى (1 ـ 2) القاهرة .
ـ طبقات خليفة بن خياط (1 ـ 2) تحقيق سهيل زكار، دمشق 1967 .
ـ طبقات خليفة تحقيق أكرم ضياء العمري، بيروت 1977 .
ـ طبقات الخواص من أهل الصدق والإخلاص للشرجي، القاهرة 1321 .
ـ طبقات الشافعية لابن قاضي شهبة (1 ـ 3) تحقيق د. الحافظ عبد العليم خان، حيدر أباد الدكن 1978 ـ 1979 .
ـ طبقات الشافعية لابن هداية الله تحقيق عادل نويهض، دار الآفاق الجديدة، بيروت 1983 .
ـ طبقات الشافعية للأسنوي جمال الدين عبد الرحيم (1 ـ 2) تحقيق عبد الله الجبوري، بغداد 1970 .
ـ طبقات الشافعية للسبكي (1 ـ 10) تحقيق عبد الفتاح محمد الحلو ومحمود محمد الطناحي، عيسى البابي الحلبي وشركاه، القاهرة 1964 ـ 1974 .
ـ طبقات الشعراء لابن المعتز تحقيق عبد الستار فراج، القاهرة 1956 .
ـ طبقات فحول الشعراء لابن سلام (1 ـ 2) تحقيق محمود محمد شاكر، القاهرة 1974 .
ـ طبقات الفقهاء لأبي اسحاق الشيرازي تحقيق د. احسان عباس، بيروت 1970 .
ـ طبقات فقهاء اليمن لابن أبي سمرة الجعدي تحقيق فؤاد السيد، القاهرة 1957 .
ـ طبقات القراء (غاية النهاية في طبقات القراء) لابن الجزري (1 ـ 3)، تحقيق برجشتراسر، القاهرة 1932 ـ 1933 .
ـ الطبقات الكبرى لابن سعد كاتب الواقدي (1 ـ 8) ط. دار صادر، بيروت 1957 ـ 1958 .
ـ طبقات المفسرين للداودي (1 ـ 2) تحقيق علي محمد عمر، مكتبة وهبة، القاهرة 1972 .
ـ طبقات المفسرين للسيوطي، ليدن 1839، طهران 1960 .
ـ طبقات النحويين واللغويين للزبيدي تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، القاهرة 1973 .
ـ الطرائف الأدبية، تحقيق عبد العزيز الميمني، القاهرة 1937 .
ـ طراز المجالس للخفاجي، المطبعة الوهبية بمصر 1284 .
ـ طوق الحمامة لابن حزم الأندلسي (انظر رسائل ابن حزم تحقيق احسان عباس جـ : 1).
ـ طيف الخيال للشريف المرتضى تحقيق الصيرفي والأبياري، القاهرة 1962 .
ـ عبد الحميد بن يحيى الكاتب وما تبقى من رسائله تأليف د. احسان عباس، دار الشروق ـ عمان 1988 .
ـ العبر في خبر من غبر للذهبي (1 ـ 6) تحقيق د. صلاح الدين المنجد وآخرين، الكويت 1960 ـ 1966 .
ـ العقد لابن عبد ربه (1 ـ 7) تحقيق أحمد أمين وآخرين، القاهرة .

- العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين لتقي الدين المكي تحقيق فؤاد سيد ثم محمد طاهر الطناحي، القاهرة 1959 ـ 1969.
- عقد الجمان للعيني (648 ـ 668) تحقيق د. محمد محمد أمين، القاهرة 1987.
- عقود الجمان للزركشي (خ) مخطوطة الفاتح رقم 4434.
- علماء افريقية للخشني (مطبوع مع قضاة قرطبة).
- عمدة الطالب في أنساب آل أبي طالب للسيد أحمد بن علي الداودي تحقيق د. نزار رضا، بيروت.
- عنوان الأريب للنيفر (1 ـ 2) تونس 1351.
- عنوان المرقصات والمطربات لابن سعيد تحقيق عبد القادر محداد، الجزائر 1949.
- العواصم من القواصم لأبي بكر ابن العربي (آراء أبي بكر ابن العربي الكلامية جـ: 2) تحقيق د. عمار الطالبي، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر.
- عين الأدب والسياسة لابن هذيل، مصر 1302، ودار الكتب العلمية، بيروت 1981.
- عيون الأخبار لابن قتيبة (1 ـ 4) طبعة مصورة عن طبعة دار الكتب المصرية 1925.
- عيون الأنباء لابن أبي أصيبعة (1 ـ 2) تحقيق أوغست ميللر، ط. الوهبية، القاهرة 1299.
- عيون التواريخ (12) لابن شاكر الكتبي تحقيق د. فيصل السامر ود. نبيلة عبد المنعم داود، بغداد 1977.
- عيون التواريخ، نسخة الفاتح رقم: 4442.
- غرر الخصائص للوطواط، ط. بيروت.
- غريب الحديث لابن قتيبة (1 ـ 3) تحقيق د. عبد الله الجبوري، بغداد 1977.
- غريب الحديث لأبي عبيد القاسم بن سلام (1 ـ 4) صورة عن طبعة حيدر أباد الدكن، بيروت 1976.
- الغصون اليانعة في شعراء المائة السابعة لابن سعيد الأندلسي، تحقيق ابراهيم الإبياري، دار المعارف بمصر.
- الغنية ـ فهرست شيوخ القاضي عياض، تحقيق ماهر زهير جرار، دار الغرب الإسلامي، بيروت 1982.
- الغيث المسجم في شرح لامية العجم (1 ـ 2) للصفدي، دار الكتب العلمية، بيروت 1975.
- الفاخر للمفضل بن سلمة تحقيق استوري، ليدن 1915.
- الفائق في غريب الحديث للزمخشري (1 ـ 3) تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم وعلي محمد البجاوي، القاهرة 1945 ـ 1947.
- الفتح علي أبي الفتح لابن فورجة تحقيق عبد الكريم الدجيلي، بغداد 1974.
- الفخري في الآداب السلطانية لابن الطقطقى، القاهرة 1339.
- الفرج بعد الشدة للتنوخي (105) تحقيق عبود الشالجي، دار صادر ـ بيروت 1978.
- فرحة الأديب للغندجاني تحقيق د. محمد علي سلطاني، دمشق 1981.
- الفرق بين الفرق لعبد القاهر البغدادي تحقيق الشيخ محمد محيي الدين عبد الحميد، القاهرة.
- فرق وطبقات المعتزلة تحقيق د. علي النشار وعصام الدين علي.
- الفصل في الملل والأهواء والنحل لابن حزم الأندلسي (1 ـ 5) مصر 1317 ـ 1321.
- فصل المقال لأبي عبيد البكري تحقيق احسان عباس وعبد المجيد عابدين، بيروت 1971.

- الفصيح لثعلب تحقيق محمد عبد المنعم خفاجي، القاهرة.
- فهرست ابن خير الأندلسي نشر قداره زيدين وخليان ربارة، مكتبة المثنى، بغداد 1963.
- الفهرست لمحمد بن اسحاق النديم تحقيق رضا تجدد، طهران 1971.
- الفهرست لمحمد بن اسحاق النديم تحقيق فلوجل، (طبعة مصورة) بيروت 1964.
- فهرست كتب الشيعة للطوسي كلكتا 1853 ـ 1855 وط. بيروت 1983.
- فوات الوفيات والذيل عليها لابن شاكر الكتبي (1 ـ 5) تحقيق د. احسان عباس، بيروت.
- الفوائد البهية في تراجم الحنفية لمحمد عبد الحي اللكنوي، دار المعرفة، بيروت، 1324.
- قابوسنامه لعنصر المعالي بن اسكندر بن قابوس.
- القرط على الكامل للوقشي وابن السيد تحقيق ظهور أحمد أظهر، لاهور ـ باكستان 1980.
- قضاة قرطبة وعلماء افريقية للخشني، القاهرة 1372.
- قطب السرور للرقيق تحقيق أحمد الجندي، دمشق 1969.
- قلائد الجمان لابن الشعار (1 ـ 10) ومنه جزءان مفقودان) صورة طبق الأصل عن مخطوطة أسعد أفندي رقم 2322، منشورات معهد تاريخ العلوم العربية والإسلامية، فرانكفورت 1990.
- قلائد العقيان للفتح بن خاقان (1 ـ 4) تحقيق د. حسين خربوش، الأردن 1989.
- الكاشف في معرفة من له رواية في الكتب الستة (1 ـ 3) للذهبي تحقيق عزت علي عيد عطية وموسى محمد علي الموسى، القاهرة 1972.
- الكامل للمبرد (1 ـ 4) تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم والسيد شحاتة، القاهرة 1956.
- الكامل في التاريخ لابن الأثير (1 ـ 13) ط. دار صادر ـ بيروت 1965 ـ 1967.
- كتاب بغداد لابن أبي طاهر طيفور، القاهرة 1949.
- كتاب الروضتين لأبي شامة (1 ـ 2) صورة عن الطبعة المصرية، دار الجيل، بيروت.
- كتاب القضاة والولاة، تحقيق ريفون جست، سلسلة جب التذكارية، ليدن ولندن 1912.
- لباب الآداب لأسامة بن منقذ تحقيق أحمد محمد شاكر، القاهرة.
- اللباب في تهذيب الأنساب لابن الأثير (1 ـ 3) ط. دار صادر ـ بيروت.
- اللزوميات لأبي العلاء المعري (ط. هندية) القاهرة ـ وط، دار صادر ـ بيروت في جزئين 1961.
- لسان الميزان لابن حجر العسقلاني (1 ـ 6) حيدر أباد الدكن 1331.
- لطائف المعارف للثعالبي تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم وحسن كامل الصيرفي، القاهرة 1960.
- ما يقع فيه التصحيف لأبي أحمد العسكري القسم الأول تحقيق د. السيد محمد يوسف، مجمع اللغة العربية بدمشق 1975.
- ما يقع فيه التصحيف لأبي أحمد العسكري تحقيق عبد العزيز أحمد، القاهرة 1963.
- مجالس العلماء لأبي القاسم الزجاجي تحقيق عبد السلام هارون، الكويت 1962.
- مجمع الأمثال للميداني (1 ـ 2)، مصر 1310.
- مجمع الذاكرة (1 ـ 4) للدكتور ابراهيم النجار، الجامعة التونسية 1987 ـ 1990.

ـ مجمع الرجال لعناية الله القهبائي (1 ـ 7) اصفهان 1384 ـ 1387 .
ـ مجموع اشعار العرب (انظر ديوان رؤبة) .
ـ مجموعة المعاني، ط . الجوائب 1301 .
ـ المحاسن والاضداد (المنسوب) للجاحظ، القاهرة 1324 .
ـ المحاسن والمساوىء للبيهقي، ط . دار صادر ـ بيروت 1960 .
ـ محاضرات الابرار لابن عربي (1 ـ 2) دار اليقظة العربية 1967 .
ـ محاضرات الأدباء للراغب الاصفهاني (1 ـ 4) في مجلدين، دار الحياة، بيروت .
ـ المحاضرات في الادب واللغة (1 ـ 2) للحسن اليوسي تحقيق محمد حجي، واحمد الشرقاوي اقبال ـ دار الغرب الاسلامي بيروت 1982 .
ـ المحبر لابن حبيب، حيدر أباد الدكن 1361 .
ـ المحمدون من الشعراء للقفطي، تحقيق حسن معمري، الرياض 1970 .
ـ المختار من رسائل الصابي تحقيق الأمير شكيب أرسلان، بعبدا، لبنان 1898 .
ـ المختار من شعر بشار بعناية محمد بدر الدين العلوي، القاهرة 1934 .
ـ المختار من قطب السرور تحقيق عبد الحفيظ منصور، تو نس 1976 .
ـ مختصر تاريخ ابن الدبيثي (المختصر المحتاج إليه) تحقيق د . مصطفى جواد، بغداد 1951 .
ـ مختصر تاريخ دمشق لابن منظور (1 ـ 32) لمحققين متعددين، دمشق 1984 ـ 1988 .
ـ المختصر في أخبار البشر لأبي الفدا (1 ـ 4)، القاهرة 1325 .
ـ المخصص لابن سيده (1 ـ 17) مصور عن الطبعة المصرية، دار الآفاق الجديدة، بيروت .
ـ مرآة الجنان لليافعي (1 ـ 4)، حيدر أباد الدكن 1337 ـ 1339 .
ـ مرآة الزمان لسبط ابن الجوزي (جـ: 8) ط . حيدر أباد الدكن 1951 ـ 1952 .
ـ مراتب النحويين لأبي الطيب اللغوي تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم، القاهرة 1955 .
ـ مراصد الاطلاع على اسماء الامكنة والبقاع لعبد المؤمن بن عبد الحق (1 ـ 3)، ليدن 1852 ـ 1854 .
ـ المرقبة العليا للنباهي تحقيق ليفي بروفنسال، القاهرة 1948 .
ـ مروج الذهب للمسعودي (1 ـ 7) تحقيق شارل بلا، بيروت 1965 ـ 1979 .
ـ المزهر للسيوطي (1 ـ 2) تحقيق محمد جاد المولى وعلي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل ابراهيم، القاهرة .
ـ مسالك الابصار لابن فضل الله العمري (جـ: 11) (تراجم شعراء المغرب والاندلس) .
ـ المستطرف من كل فنّ مستظرف للابشيهي، مصر 1277 .
ـ المستفاد من ذيل تاريخ بغداد (جـ: 18 من تاريخ بغداد) انتقاء احمد بن أيبك المعروف بابن الدمياطي تحقيق د . قيصر أبو فرج، بيروت .
ـ المستقصى في الأمثال للزمخشري (1 ـ 2) بيروت 1977 .
ـ المسلك السهل في شرح موشح ابن سهل للافراني، ط . حجر بفاس 1324 .
ـ مسند الشهاب للقضاعي (1 ـ 2) تحقيق حمدي عبد المجيد السلفي، بيروت 1985 .

ـ المشتبه في اسماء الرجال وانسابهم للذهبي (1 ـ 2) تحقيق علي محمد البجاوي، القاهرة 1962 .
ـ مصارع العشاق للسَّراج (1 ـ 2) دار صادر ـ بيروت 1958 .
ـ مطالع البدور في منازل السرور للغزولي (1 ـ 2) القاهرة 1299 .
ـ المطرب من اشعار اهل المغرب لابن دحية الكلبي تحقيق ابراهيم الابياري وآخرين، القاهرة 1954 .
ـ مطمح الأنفس للفتح بن خاقان، ط. الجوائب 1302 وتحقيق د. محمد علي شوابكة، بيروت 1983 .
ـ المعارف لابن قتيبة تحقيق ثروت عكاشة، دار الكتب المصرية 1960 .
ـ معالم الايمان للدباغ (1 ـ 4) تونس 1320 .
ـ معاهد التنصيص لعبد الرحيم العباسي (1 ـ 4) تحقيق الشيخ محمد محيى الدين عبد الحميد، القاهرة 1947 .
ـ المعجب في تلخيص أخبار المغرب لعبد الواحد المراكشي تحقيق محمد سعيد العريان، القاهرة 1962 .
ـ معجم الألقاب (انظر تلخيص مجمع الالباب).
ـ معجم الامثال العربية (1 ـ 4) إعداد رياض عبد الحميد مراد، جامعة الامام محمد بن سعود 1986 .
ـ معجم البلدان لياقوت الحموي (1 ـ 6) تحقيق وستنفلد، لايبسك 1866 ـ 1870 .
ـ معجم السفر للسلفي تحقيق شير محمد زمان، إسلام أباد 1988 .
ـ معجم الشعراء للمرزباني تحقيق عبد الستار أحمد فرّاج، القاهرة 1960 .
ـ معجم الشعراء للمرزباني تحقيق كرنكو، القاهرة 1354 .
ـ معجم في شيوخ ابي علي الصدفي لابن الابار القضاعي، مجريط 1885 .
ـ المعجم المشتمل على ذكر اسماء شيوخ الأئمة النبل للحافظ ابن عساكر تحقيق سكينة الشهابي، دمشق 1980 .
ـ المعرب للجواليقي تحقيق الشيخ أحمد محمد شاكر، دار الكتب المصرية 1938 .
ـ معرفة القراء الكبار للذهبي (1 ـ 2) تحقيق محمد سيد جاد الحق، القاهرة 1969 .
ـ المعرفة والتاريخ للبسوي (1 ـ 3) تحقيق اكرم ضياء العمري، بغداد 1974 ـ 1976 .
ـ المعمرون والوصايا لأبي حاتم السجستاني تحقيق عبد المنعم عامر، القاهرة 1961 .
ـ المغرب (قسم القاهرة) انظر النجوم الزاهرة في حلى حضرة القاهرة.
ـ المغرب (قسم مصر) لابن سعيد تحقيق محمد زكي حسن وآخرين، القاهرة 1953 .
ـ المغرب في حلى المغرب لابن سعيد الاندلسي (1 ـ 2) تحقيق د. شوقي ضيف، القاهرة 1953 ـ 1955 .
ـ المغني في الضعفاء لشمس الدين الذهبي (1 ـ 2) تحقيق نور الدين عتر، حلب 1971 .
ـ مفاتيح العلوم للخوارزمي تحقيق فان فلوتن، بريل، ليدن 1968 .
ـ المقابسات للتوحيدي تحقيق محمد توفيق حسين، بغداد 1970 .
ـ المقاصد النحوية للعيني (على هامش خزانة الأدب ط. بولاق).
ـ مقاتل الطالبيين لابي فرج الاصفهاني تحقيق السيد أحمد صقر، القاهرة 1949 .
ـ مقالات الاسلاميين للأشعري تحقيق هـ. ريتر، فيسبادن 1963 .

- مقامات الحريري، بيروت 1873 .
- مقاييس اللغة لابن فارس تحقيق عبد السلام هارون (1 ـ 6)، القاهرة 1366 ـ 1371 .
- المقتبس لابن حيان تحقيق محمد علي الحجي، بيروت 1964 .
- المقتبس لابن حيان تحقيق أنطونية، مدريد 1937 .
- المقتضب من تحفة القادم لابن الابار القضاعي تحقيق ابراهيم الابياري 1957 .
- المقفى الكبير (1 ـ 8) لتقي الدين المقريزي تحقيق محمد البعلاوي، دار الغرب الاسلامي، بيروت 1991 .
- المكتبة الصقلية جمع مخائيل اماري، ليبسيا 1857 .
- الملل والنحل للشهرستاني (1 ـ 2) تخريج محمد فتح الله بدران، القاهرة (الانجلو المصرية) .
- المناسك لابراهيم الحربي تحقيق الشيخ حمد الجاسر، الرياض، 1968 .
- مناقب الشافعي للبيهقي (1 ـ 2) تحقيق السيد أحمد صقر، القاهرة 1970 .
- المنتحل للثعالبي، الطبعة التجارية، الاسكندرية 1903 .
- المنتخب من السياق لتاريخ نيسابور لعبد الغافر الفارسي (ضمن كتاب THE HISTORIES OF NISHAPUR) تحقيق رتشرد فراي، لندن 1965 .
- المنتخل من الدرة الخطيرة لأبي اسحاق ابن أغلب (مخطوطة دار الكتب المصرية) .
- المنتظم لابن الجوزي (5 ـ 10) ط . حيدر أباد الدكن 1357 .
- الموازنة للآمدي (1 ـ 2) تحقيق السيد أحمد صقر، القاهرة 1961ـ 1965 .
- المواعظ والاعتبار (الخطط المقريزية) للمقريزي (1 ـ 2) بولاق 1270 .
- المؤتلف والمختلف للآمدي تحقيق عبد الستار أحمد فراج، القاهرة .
- الموسوعة الاسلامية (بالانجليزية) ابو مخنف ـ البيروني ـ ابن جني ـ ابن عساكر ـ البيهقي (علي بن زيد) ابن بسام (البسامي) .
- الموشح للمرزباني تحقيق علي محمد البجاوي القاهرة 1965 .
- الموشّى لابي الطيب محمد بن اسحاق الوشاء، تحقيق رودولف برونو، ليدن 1886 .
- الموشى لأبي الطيب الوشاء تحقيق كمال مصطفى، القاهرة 1953 .
- ميزان الاعتدال للذهبي (1 ـ 4) تحقيق علي محمد البجاوي، مصر 1963 .
- النتف من شعر ابن رشيق وابن شرف جمع عبد العزيز الميمني، القاهرة 1343 .
- نثر الدر للآبي (1 ـ 7) تحقيق محمد قرنة وآخرين، القاهرة (تاريخ طبع جـ 7/ 1990) .
- نثر الدر لأبي منصور الآبي (جـ: 7) تحقيق د . عثمان بوغانمي، الدار التونسية للنشر 1983 .
- النجوم الزاهرة لابن تغري بردي (1 ـ 16) ط . دار الكتب المصرية .
- النجوم الزاهرة في حلى حضرة القاهرة لابن سعيد الأندلسي تحقيق د . حسين نصار، القاهرة .
- نزهة الارواح وروضة الافراح للشهرزوري (1 ـ 2) صححه السيد خورشيد أحمد، حيدر أباد الدكن 1976 .
- نزهة الألباء في أخبار الأدباء لابن الانباري، تحقيق د . ابراهيم السامرائي 1955 .
- نزهة الجلساء في أخبار النساء للسيوطي تحقيق د . صلاح الدين المنجد، بيروت 1958 .

ـ نسب قريش للمصعب الزبيري تحقيق ليفي بروفنسال، مصر 1953 .
ـ نشوار المحاضرة للتنوخي (1 ـ 8) تحقيق عبود الشالجي، دار صادر، بيروت (الاول والثاني والثامن أصل وسائره جمع) .
ـ نصوص ضائعة من كتاب الوزراء والكتاب للجهشياري جمعها ميخائيل عواد، دار الكتاب اللبناني، بيروت 1964 .
ـ نفح الطيب من غصن الاندلس الرطيب للمقري (1 ـ 8) تحقيق د. احسان عباس، بيروت 1968 .
ـ نكت الهميان في نكت العميان للصفدي، تحقيق أحمد زكي، القاهرة 1911 .
ـ نهاية الأرب للنويري (1 ـ 27) ط. دار الكتب المصرية .
ـ نهج البلاغة تحقيق د. صبحي الصالح، بيروت 1967 .
ـ نور القبس للمرزباني اختصار أبي المحاسن اليغموري، تحقيق رودولف زلهايم، فيسبادن 1964 .
ـ الهفوات النادرة للصابي تحقيق صالح الاشتر، دمشق 1967 .
ـ الوافي بالوفيات للصفدي (1 ـ 18 + 22) لمحققين مختلفين (جـ: 24) مخطوط (يعدّه د. مصطفى الحياري ود. عدنان البخيت) .
ـ الوحشيات لأبي تمام تحقيق عبد العزيز الميمني ومحمود محمد شاكر، دار المعارف، القاهرة 1963 .
ـ الورقة لابن الجراح تحقيق د. عبد الوهاب عزام وعبد الستار أحمد فراج، مصر 1953 .
ـ الوزراء للصابي، تحقيق عبد الستار فراج، القاهرة 1958 .
ـ الوزير المغربي، الشاعر الناثر الثائر تأليف احسان عباس، دار الشروق/ عمان 1990 .
ـ وفيات الاعيان لابن خلكان (1 ـ 8) تحقيق د. احسان عباس، بيروت 1968 ـ 1972 .
ـ يتيمة الدهر للثعالبي (1 ـ 4) تحقيق الشيخ محيي الدين عبد الحميد، القاهرة 1375 ـ 1377 .
BOWEN, THE LIFE AND TIMES OF ALI B. ISA, CAMBRIDGE AND/LONDON, 1928
KHALIDI, T: ISLAMIC HISTORIOGRAPHY, THE HISTORIES OF MAS'UDI, STATE UNIVERSITY OF NEW YORK PRESS, 1975
LE STRANGE, G. BAGHDAD DURING THE ABBASID CALIPHATE, NEW YORK, 1972
SHBOUL, A., AL MAS'UDI AND HIS WORLD, LONDON 1979